

T.C
İZMİ[T]
HİSAR KÜTÜ[PHANESİ]
SAY[I]
413



بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

سورة الكهف وهي مكية

في قول جميع المفسرين وروي عن فرقة ان اول السورة نزل بالمدينة الى قوله
جرزا والاول اصح وروي في فضلها من حديث انس انه من قراها اعطي نورا بين السما
والارض ووقي بها فتنة القبر وقال اسحاق بن عبد الله بن ابي فروة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الا ادلكم على سورة شيعها سبعون الف ملك ملا
عظمها بين السما والارض لتاليها مثل ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال سورة اصحاب
الكهف من قراها يوم الجمعة غفر الله له الى الجمعة الاخرى وزيادة ثلثة ايام واعطي
نورا يبلغ السما ووقي فتنة الدجال ذكره الثعلبي والمهدوي ايضا بمعناه وفي
مسند الدارمي عن ابي سعيد الخدري قال من قرا سورة الكهف ليلة الجمعة اضاء له
من النور فيما بينه وبين العتيق وفي صحيح مسلم عن ابي الدردا ان نبي الله صلى الله
عليه وسلم قال من حفظ عشر ايات من اول سورة الكهف عصم من الدجال وفي رواية
من اخر الكهف وفي مسلم ايضا من حديث النواس بن سمعان فمن ادركه يعني الدجال
فليقرا عليه فواتح سورة الكهف وذكر الثعلبي قال سمرة بن جندب قال النبي صلى الله عليه وسلم
من قرا عشر ايات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنة الدجال ومن قرا السورة كلها دخل الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما ذكر ابن
اسحاق ان قريشا بعثوا النضر بن الحرث وعقبة بن ابي معيط الى احبار يهود وقالوا



لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته واخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول
وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبيا فخرجا حتى قدما المدينة فسالا احبار يهود عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم
اهل التوراة وقد جيناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما احبار يهود سلوه
عن ثلاث نخبركم بهن فان اخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول
فروا فيه رايكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان امرهم فانه
كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان
نباوه وسلوه عن الروح ما هي فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل
فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحرث وعقبة بن
ابي معيط حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جيناكم بفصل ما
بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم قد امرنا احبار يهود ان نساله عن اشيا امرونا
بها فان اخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رايكم فجاوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد اخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر
الاول قد كانت لهم قصة عجيبة وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض
ومغاربها واخبرنا عن الروح ما هي فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
اخبركم بما سالتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيما يزعمون خمسة عشر ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا ياتيه
جبريل حتى ارجف اهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمسة عشر ليلة قد
اصبحنا فيها لا يخبرنا بشي مما سالناه عنه حتى احزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به اهل مكة ثم جاه جبريل من الله عز وجل بسورة
اصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سالوه عنه من امر الفتية
والرجل الطواف والروح قال ابن اسحاق فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لجبريل لقد احتبست عني يا جبريل حتى سوت ظني فقال له جبريل وما نتنزل
الا بامر ربك له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح
السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله صلى الله عليه وسلم لما انكروا عليه
من ذلك فقال الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم انك رسول مني اي تحقيق لما سالوه عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا
قيما اي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر باسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته
في الدنيا وعذابا اليما في الاخرة اي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر
المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا اي دار الخلد
لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جيت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما امرتهم
به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا
نعبد الملايكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لابايهم الذين اعظموا فراقهم
وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من افواههم اي لقولهم ان الملايكة بنات الله ان
يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا
بحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوا منهم اي لا تفعل قال ابن هشام باخع نفسك
اي مهلك نفسك فيما حدثنا ابو عبيدة قال ذو الرمة

الا ايها ذا الباخع الوجد نفسه • لشي نحته عن يديه المقادر •

وجمعها باخعون وبخعه وهذا البيت في قصيدة له وتقول العرب قد بخعت له
نصحي ونفسي اي جهدي له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا قال ابن اسحاق اي ايهم اتبع لامري واعمل بطاعتي وانا لجاعلون ما عليها
صعيدا جرزا اي الارض وان ما عليها لفان وزايل وان المرجع الي فاجزي كلا
بعمله فلا تاس ولا يحزنك ما ترى وتسمع فيها قال ابن هشام الصعيد وجه الارض

وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف صبيا صغيرا

• كانه بالضحى ترمي الصعيد به • دبابة في عظام الراس خرطوم •

وهذا البيت في قصيدة له والصعيد ايضا الطريق وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطريق والجرز الارض التي لا تنبت شيئا وجمعها اجراز ويقال سنة جرز وسنون اجراز وهي التي لا يكون فيها مطر ويكون فيها جدوبة ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا

• طوى النحز والاجراز ما في بطونها • فما بقيت الا الضلوع الجراشع •

قال ابن اسحاق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي قد كان من اياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو اعجب من ذلك قال ابن هشام والرقيم الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج ومستقر المصحف المرقم وهذا البيت في ارجوزة له قال ابن اسحاق ثم قال اذ اوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على اذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا ثم قال نحن نقص عليك نباهم بالحق اي بصدق الخبر انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لم يشركوا بي كما اشركتم بي ما ليس لكم به علم قال ابن هشام والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال اعشى بن قيس بن ثعلبة

• لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل •

وهذا البيت في قصيدة له قال ابن اسحاق هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة لولا ياتون عليهم بسلطان بين قال ابن اسحاق اي بحجة بالغة فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه قال ابن هشام تزاور تميل وهو من الزور قال ابو الزحف الكليبي يصف بلدا

• جاب المندى عن هوانا ازور • ينضي المطايا خمسه العشنزر •

وهذان البيتان في ارجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم عن شمالها قال ذو الرمة

• الى ظعن يقرضن اقواز مشرف • شمالا وعن ايمانهن الفوارس •

وهذا البيت في قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجا قال الشاعر

• البست قومك مخزاة ومنقصة • حتى ابيحوا وخلوا فجوة الدار •

ذلك من ايات الله اي في الحجة على من عرف ذلك من امورهم من اهل الكتاب ممن امر هؤلاء بمسالتك عنهم في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد قال ابن هشام الوصيد الباب قال العبسي واسمه عبيد بن وهب

• بارض فلاة لا يسد وصيدها • علي ومعروفي بها غير منكر •

وهذا البيت في ابيات له والوصيد ايضا الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا الى قوله قال الذين غلبوا على امرهم اهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني احبار اليهود والذين امروهم بالمسالة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي لا تقولن لشيء سالوك عنه كما قلت في هذا اني مخبركم غدا ولم تستثن بمشيئة الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربي لخبر

مما سالوك عنه رشدا فانك لا تدري ما انا صانع في ذلك ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا اي سيقولون ذلك قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع ما لهم من دونه من ولي ولا يشرك في حكمه احدا اي لم يخف عليه شيء مما سالوك عنه قلت هذا ما وقع في السيرة من خبر اصحاب الكهف ذكرناه على نسقه وياتي خبر ذي القرنين ثم نعود الى اول السورة فنقول قد تقدم معنى الحمد لله وزعم الاخفش والكسائي والفراء وابو عبيد وجمهور المتاولين ان في اول هذه السورة تقديما وتاخيرا وان المعنى الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب قيما ولم يجعل له عوجا وقيما نصب على الحال وقال قتادة الكلام على سياقه من غير تقديم ولا تاخير ومعناه ولم يجعل له عوجا ولكن جعلناه قيما وقول الضحاك فيه حسن وان المعنى مستقيم الحكمة لا خطا فيه ولا فساد ولا تناقض وقيل قيما على الكتب السابقة يصدقها وقيل قيما بالحمد لله لا اختلاف فيه عوجا مفعول والعوج بكسر العين في الدين والراي والامر والطريق وبفتحها في الاجسام كالخشب والجدار وقد تقدم وليس في القران عوج اي عيب اي ليس متناقضا مختلفا كما قال ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا وقيل اي لم يجعله مخلوقا كما روي عن ابن عباس في قوله تعالى قرانا عربيا غير ذي عوج قال غير مخلوق وقال مقاتل عوجا اختلافا قال ... في الصحيح ... تكرما ... لينذر باسا شديدا اي لينذر محمد او القران فيما ... عقاب الله وهو العذاب الشديد قد تكون في الدنيا وقد تكون في الاخرة من لدنه اي من عنده وقرا ابو بكر عن عاصم من لدنه باسكان الدال واشمامها الضم وكسر النون والهاء موصولة بياء ... بضم الدال واسكان النون وضم الهاء قال الجوهري وفي لدن ثلاث لغات لدن ولدى ولد وقال ... المضموم لغة في المجهور قوله تعالى ويبشر المومنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اي بان لهم اجرا حسنا وهي الجنة ماكثين فيه ابدا اي ... ولما ... البشير ... الايمان والاجر الحسن الثواب العظيم الذي يؤدي الى الجنة قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا وهم اليهود قالوا عزير ابن الله والنصارى قالوا المسيح ابن الله وقريش قالت الملائكة بنات الله فالانذار في اول السورة عام وهذا خاص فيمن قال لله ولدا ما لهم به من علم من صلة اي ما لهم بقولهم علم لانهم مقلدة قالوه بغير دليل ولا لابائهم اي اسلافهم كبرت كلمة نصب على البيان اي كبرت تلك الكلمة كلمة وقرا الحسن ومجاهد ويحيى بن يعمر وابن ابي اسحاق كلمة بالرفع اي عظمت كلمة يعني قولهم اتخذ الله ولدا وعلى هذه القراءة فلا حاجة الى اضمار يقال كبر الشيء اذا عظم وكبر الرجل اذا اسن تخرج من افواههم في موضع الصفة ان يقولون الا كذبا قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على اثارهم مهلك وقاتل وقد تقدم اثارهم جمع اثر ويقال اثر والمعنى على اثر توليهم واعراضهم عنك ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا اي القران اسفا اي حزنا وغضبا على كفرهم وانتصب على التفسير قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها فيه مسالتان الاولى قوله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها زينة مفعول ثان والزينة كل ما على وجه الارض فهو عموم لانه دال على بارئه وقال ابن جبير عن ابن عباس اراد بالزينة الرجال قاله مجاهد وروى عن عكرمة عن ابن عباس ان الزينة الخلفاء والامراء وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها قال العلماء زينة الارض وقالت فرقة اراد النعم والملابس والثمار والخضرة والمياه ونحو هذا مما فيه زينة ولم يدخل فيه الجبال الصم وكل ما لا زينة فيه كالحيات والعقارب والقول بالعموم اولى وان كل ما على الارض فيه زينة من جهة خلقه وصنعه واحكامه والاية بسط في التسلية اي لا تهتم يا محمد للدنيا واهلها فانا انما جعلنا ذلك امتحانا واختبارا لاهلها فمنهم من يتدبر ويؤمن ومنهم من يكفر ثم يوم القيامة بين ايديهم فلا يعظمن عليك كفرهم فانا نجازيهم الثانية معنى هذه الاية ينظر الى قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضرة حلوة والله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون وقوله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال وما زهرة الدنيا قال بركات الارض خرجهما مسلم وغيره من حديث ابي سعيد الخدري والمعنى ان الدنيا مستطابة في ذوقها معجبة في منظرها كالثمر المستحلى المعجب المرئى فابتلى الله بها عباده لينظر ايهم احسن

علا اي منا زهد فيها وانزك لها ولا سبيل للعباد الي بغضه ما زينه الله الا بعونه علي ذلك
ولهذا كان عمر يقول فيما ذكر البخاري اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينته لنا اللهم اني اسالك
ان انفقه في خير فدعا الله ان يعينه علي انفاقه في حقه وهذا معني قوله عليه السلام فمن
اخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن اخذه باشراف نفس كان كالذي ياكل ولا يشبع وهكذا
هو المكثر من الدنيا لا يقنع بما يحصل له منها بل همته جمعها وذلك لعدم الفهم عن الله ورسوله
فان الفتنة معها حاصلة وعدم السلامة غالبة وقد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله
بما اتاه قال ابن عطية كان ابي رضي الله عنه يقول في قوله احسن عملا احسن العمل اخذ
بحق وانفاق في حق مع الايمان واداء الفرايض واجتناب المحارم والاكثار من المندوب
اليه قلت هذا قول حسن وجيز من الفاظ بليغ في معناه وقد جمعه النبي صلى الله عليه
وسلم في لفظ واحد وهو قوله لسفيان ابن عبد الله الثقفي لما قال يا رسول الله قل لي
في الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك في رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم
خرجه مسلم وقال سفيان الثوري احسن عملا ازهدهم فيها وكذلك قال ابو عصام
العسقلاني احسن عملا اترك لها وقد اختلفت عبارات العلما في الزهد فقال قوم قصر
الامل وليس باكل الخشن ولبس العبا قاله سفيان الثوري قال علماونا وصدق رضي الله
عنه فان من قصر امله لم يتانق في المطعومات ولا تفنن في الملبوسات واخذ من الدنيا ما
تيسر واجتزا منها بما يبلغ وقال قوم بغض المحمدة وحب الثنا وهو قول الاوزاعي ومن
ذهب اليه وقال قوم ترك الدنيا كلها هو الزهد احب تركها ام كره وهو قول فضيل وعن بشر
ابن الحرث قال حب الدنيا لقاء الناس والزهد فيها الزهد في لقا الناس وعن الفضيل ايضا
علامة الزهد في الدنيا الزهد في الناس وقال قوم لا يكون زاهدا حتى يكون ترك
الدنيا احب اليه من اخذها قاله ابراهيم ابن ادهم وقال قوم الزهد ان تزهد في الدنيا
بقلبك قاله ابن المبارك وقالت فرقة الزهد حب الموت والقول الاول يعم هذه الاقوال
بالمعنى فهو اولي قوله تعالى وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا تقدم بيانه وقال
ابو سهل تراب الانبات به كانه قطع نباته والجرز القطع ومنه سيف جراز قال الراجز
وقد حرقتنا السنون الاجراز والارض الجرز التي لا نبات فيها ولا شي من عمارة وغيرها
كانه قطع وازيل يعني يوم القيامة فان الارض تكون مستوية لا مستتر فيها النحاس والجرز
في الارض اللغة الارض التي لا نبات بها قال الكسائي يقال جرزت الارض تجرز وجرزها
القوم يجرزونها اذا اكلوا كلما فيها من النبات والزرع فهي مجروزة وجرز قوله
تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا مذهب سيبويه ان ام اذا
جاءت دون ان يتقدمها الف استفهام انها بمعني بل والف الاستفهام وهي المنقطعة وقيل
ام عطف علي معني الاستفهام في لعلك او بمعنى الف الاستفهام علي الانكار قال الطبري هو
تقرير للنبي صلى الله عليه وسلم علي حسابه ان اصحاب الكهف كانوا عجبا بمعني انكار ذلك عليه
اي لا يعظم ذلك بحسب ما عظمه عليك السايلون من الكفرة فان سائر ايات الله اعظم من
قصتهم واسمع هذا قول ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن اسحاق والخطاب للنبي صلى
الله عليه وسلم وذلك ان المشركين سالوه عن فتية فقدوا وعن ذي القرنين وعن
الروح وابطا الوحي علي ما تقدم فلما نزل قال الله لنبيه عليه السلام ام حسبت ان اصحاب
الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا اي ليسوا بعجب من اياتنا بل في اياتنا ما هو اعجب
من خبرهم الضحاك ما اطلعتك عليه من الغيب اعجب الكهف شانك في الاسري المأوردي
معني الكلام النفي اي ما حسبت لولا اخبارنا ابو سهل استفهام تقرير اي حسبت ذلك فانهم
العجب والكهف النقب المتسع في الجبل وما لم يتسع منها فهو غار وحكي النقاش عن انس ابن
مالك انه قال الكهف الجبل وهذا غير شهير في اللغة واختلف الناس في الرقيم
فقال ابن عباس كل شي في القران علمه الا اربعة غسلين وحنانا والاواه والرقيم
وسيل مرة عن الرقيم فقال زعم كعب انها قرية خرجوا منها وقال مجاهد الرقيم
واد وقال السدي الرقيم الصخرة التي كانت علي الكهف وقال ابن زيد الرقيم كتاب

عم الله علينا امره ولم يشرح لنا قصته وقالت فرقة الرقيم كتاب في لوح من نحاس وقال ابن
عباس في لوح من رصاص كتب فيه القوم الكفار الذين فر الفتية منهم قصتهم وجعلوها تاريخا
لهم ذكروا وقت فقدهم وكم كانوا وبني من كانوا وكذا قال الفرا قال الرقيم لوح من رصاص
كتب فيه اسماوهم وانسابهم ودينهم وممن هربوا قال ابن عطية ويظهر من هذه الروايات انهم
كانوا قوما مورخين للحوادث وذلك من نبل المملكة وهو امر مفيد وهذه الاقوال ماخوذة من
الرقم ومنه كتاب مرقوم ومنه الارقم لتخطيطه ومنه رقمة الوادي اي مكان جري الما
وانعطافه وما روي عن ابن عباس ليس بمتناقض لان القول الاول انما سمعه من كعب والقول
الثاني يجوز ان يكون عرف الرقيم بعده وروي عنه سعيد ابن جبير قال ان ملكا من ملوك اصحاب
الكهف فقال ان الفتية فقدوا فطلبهم اهلوهم فلم يجدوهم فرفع ذلك الي الملك فقال ليكونن
لهم نبا واحضر لوحا من رصاص فكتب فيه اسماوهم وجعله في خزانته فذلك اللوح هو الرقيم
وقيل ان مومنين كانا في بيت الملك فكتبا شان الفتية واسماءهم وانسابهم في لوح من رصاص
ثم جعلاه في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان والله اعلم وعن ابن عباس ايضا الرقيم كتاب
مرقوم كان عندهم فيه الشرع الذي تمسكوا به من دين عيسى وقال النقاش عن قتادة الرقيم
دراهمهم وقال انس بن مالك والشعبي الرقيم كلبهم وقال عكرمة الرقيم الدواة وقيل الرقيم
اللوح من الذهب تحت الجدار الذي اقامه الخضر وقيل الرقيم اصحاب الغار الذي انطبق عليهم
فذكر كل واحد منهم اصلح عمله قلت وفي هذا خبر معروف اخرجه الصحيحان واليه نحا البخاري
وقال قوم اخبر الله عن اصحاب الكهف ولم يخبر عن اصحاب الرقيم بشي وقال الضحاك الرقيم
بلدة بالروم فيها غار فيه احد وعشرون نفسا كانهم نيام علي هيئة اصحاب الكهف فعلي هذا
هم فتية اخرون جري لهم ما جري لاصحاب الكهف والله اعلم وقيل الرقيم واد دون فلسطين
فيه الكهف ماخوذ من رقمة الوادي وهي موضع الما يقال عليك بالرقمة ودع الضفة ذكره
الغزنوي قال ابن عطية وبالشام علي ما سمعت من ناس كثيرة فيه موتي يزعم مجاوروه انهم
اصحاب الكهف وعليهم مسجد وبنا يسمي الرقيم ومعهم كلب رمة وبالاندلس في جهة غرناطة
بقرب قرية تسمي لوشة كهف فيه موتي ومعهم كلب رمة واكثرهم قد تجرد لحمه وبعضهم متماسك
وقد مضت القرون السالفة ولم نجد من علم شانهم اثارة ويزعم ناس انهم اصحاب الكهف دخلت
اليهم ورايتهم سنة اربع وخمس مائة وهم بهذه الحالة وعليهم مسجد وقريب منهم بنا رومي يسمي الرقيم
كانه قصر مخلق قد بقي بعض جدراته وهو في فلاة من الارض خربة وباعلي غرناطة مما يلي
القبلة اثار مدينة قديمة يقال لها مدينة دقيوس وجدنا في اثارها غرايب في قبورها
ونحوها قلت ما ذكر من رويته لهم بالاندلس فانما هم غيرهم لان الله تعالى يقول في حق اصحاب
الكهف لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا وقد قال ابن عباس لمعاوية لما اراد
رويتهم قد منع الله من هو خير منك عن ذلك وسياتي في اخر القصة وقال مجاهد في قوله
كانوا من اياتنا عجبا قال هم عجب كذا روي ابن جريج عنه يذهب الي انه ليس بانكار علي النبي
صلى الله عليه وسلم ان يكون عنده انهم عجب وروي ابن نجيح عنه قال يقول ليس باعجب
اياتنا قوله تعالى اذ اوي الفتية الي الكهف فقالوا ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا
من امرنا رشدا فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالى اذ اوي الفتية الي الكهف روي انهم
قوم من ابنا الاشراف مدينة دقيوس الملك الكافر ويقال فيه دقيوس وروي انهم كانوا
مطوقين مسورين بالذهب ذوي ذوايب وهم من الروم واتبعوا دين عيسى وقيل كانوا قبل
عيسى والله اعلم وقال ابن عباس ان ملكا من الملوك يقال له دقيانوس وكان بعد زمن
عيسى عليه السلام فاخذ بعبادة الاصنام فدعا اهلها الي عبادة الاصنام وكان بها سبعة
احداث يعبدون الله سرا فرفع خبرهم الي الملك فخافوه فهربوا ليلا ومروا براع معه كلب
فتبعهم فاووا الي الكهف فتبعهم الملك الي فم الغار فوجد اثر دخولهم ولم يجد اثر خروجهم
فدخلوا فاعمي الله ابصارهم فلم يروا شيا فقال الملك سدوا عليهم باب الغار حتى يموتوا
فيه جوعا وعطشا وروي مجاهد عن ابن عباس ايضا ان هولاء الفتية كانوا في دين ملك
يعبد الاصنام ويذبح لها ويكفر بالله وقد تابعه علي ذلك اهل المدينة فوقع للفتية علم من

بعض الحواريين حسب ما ذكر النقاش او من مومني الامم قبلهم فامنوا بالله وراوا ببصايرهم
قبيح فعل الناس فاخذوا نفوسهم بالتزام الدين وعبادة الله فرفع امرهم الى الملك وقيل له
انهم قد فارقوا دينك واستخفوا الهتك وكفروا بها فاستحضرهم الملك في مجلسه وامرهم باتباع
دينه والذبح لالهته وتوعدهم على فراق ذلك بالقتل فقالوا له فيما روي ربنا رب السموات
والارض الى قوله واذ اعتزلتموهم وروي انهم قالوا نحو هذا الكلام وليس به فقال لهم الملك
انكم شبان اغمار لا عقول لكم وانا لا اعجل بكم بل استاني فاذهبوا الى منازلكم ودبروا ارايكم وارجعوا
الى امري وضرب لهم في ذلك اجلا ثم انه سافر خلال الاجل فتشاور الفتية في الهروب بادينهم
فقال لهم احدهم اني اعرف كهفا في جبل كذا كان ابي يدخل فيه غنمه فلنذهب فلنختف فيه
حتى يفتح الله لنا فخرجوا فيما يروى يلعبون بالصولجان والكرة وهم يدحرجونها الى نحو
طريقهم لئلا يشعر الناس بهم وروي انهم كانوا مثقفين فحضر عيد فخرجوا اليه فركبوا في جملة
الناس ثم اخذوا باللعب بالصولجان حتى خلصوا بذلك وروى وهب بن منبه ان اول امرهم
انما كان حواريا لعيسى ابن مريم جاء الى مدينة اصحاب الكهف يريد دخولها فاجر نفسه من
صاحب الحمام فكان يعمل فيه فراى صاحب الحمام في اعماله بركة عظيمة فالقى اليه بكل امره وعرف
ذلك الرجل فتيان من اهل المدينة فعرفهم الله تعالى فامنوا به واتبعوه على دينه واشتهرت
خلطتهم به فاتى يوما الى ذلك الحمام ولد الملك بامراة اراد الخلوة بها فنهاه ذلك الحواري
فانتهى ثم جاء مرة اخرى فنهاه فشتمه وامضى عزمه في دخول الحمام مع البغي فدخل فماتا
فيه جميعا فاتهم ذلك الحواري واصحابه بقتلهما ففروا جميعا حتى دخلوا الكهف وقيل في خروجهم
غير هذا واما الكلب فروي انه كان كلب صيد لهم وروي انهم وجدوا في طريقهم راعيا له كلب
فاتبعهم الراعي على رايهم وذهب الكلب معهم قاله ابن عباس واسم الكلب حمران وقيل قطمير
واما اسماء اهل الكهف فاعجمية والسند في معرفتها واه والذي ذكره الطبري في هذه
مكسلمينا وهو اكبرهم والمتكلم عنهم ومحسيميلنينا ويمليخا وهو الذي مضى بالورق الى المدينة
عند بعثهم من رقدتهم ومرطوس وكشوطونس ودينموس ويطونس قال مقاتل وكان
الكلب لمكسلمينا وكان اسنهم وصاحب غنم الثانية هذه الاية صريحة في الفرار بالدين
وهجرة الاهل والبنين والقرابات والاصدقاء والاوطان والاموال خوف الفتنة وما يلقاه
الانسان من المحنة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فارا بدينه وكذلك اصحابه وجلس
في الغار حسب ما قدمناه في سورة النحل وقد نص الله على ذلك في براءة وقد تقدم
هجروا اوطانهم وتركوا ارضهم وديارهم واهاليهم واولادهم وقرابتهم واخوانهم رجاء
السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين فسكنى الجبال ودخول الغيران والعزلة
عن الخلق والانفراد بالخالق وجواز الفرار من الظالم هي سنة الانبيا صلوات الله عليهم
والاوليا وقد فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم العزلة وفضلها جماعة من العلما لا سيما
عند ظهور الفتن وفساد الناس وقد نص الله عليها في كتابه فقال فاووا الى الكهف
قال العلما الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل
والرباط ومرة في البيوت وقد جاء في الخبر اذا كانت الفتنة فاخف مكانك وكف لسانك
ولم يخص موضعا من موضع وقد جعلت طايفة من العلما العزلة اعتزال الشر واهله
بقلبك وعملك وان كنت بين اظهرهم وقال ابن المبارك في تفسير العزلة ان تكون
مع القوم فاذا خاضوا في ذكر الله فخض معهم وان خاضوا في غيره فاسكت وروى البغوي
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المومن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم
افضل من المومن الذي لا يخالطهم ولا يصبر على اذاهم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال نعم صوامع المومنين بيوتهم من مراسيل الحسن وغيره وقال عقبة بن عامر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ما النجاة يا رسول الله فقال يا عقبة امسك عليك لسانك وليسعك بيتك
وابك على خطيئتك وقال صلى الله عليه وسلم ياتي على الناس زمان يكون خير مال المسلم
غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن خرجه البخاري وذكر علي
ابن معبد عن الحسن ابي ... قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كانت سنة ثمانين

ومايه

ومايه فقد حلت لامتي العزبة والعزلة والترهب في رووس الجبال وذكر ايضا علي بن معبد عن عبد
الله ابن المبارك عن مبارك ابن فضالة عن الحسن يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ياتي على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من شاهق الى شاهق ومن جحر
الى جحر فاذا كان ذلك لم تنل المعيشة الا بمعصية الله فاذا كان ذلك حلت العزبة قالوا يا رسول الله
كيف تحل العزبة وانت تامرنا بالتزويج قال اذا كان ذلك كان هلاك الرجل على يدي ولده فان
لم يكن له ولد كان هلاكه على يدي القرابات والجيران قالوا وكيف ذلك يا رسول الله يعيرونه بضيق
المعيشة ويكلفونه ما لا يطيق فعند ذلك يورد نفسه الموارد التي يهلك فيها قلت احوال
الناس في هذا الباب تختلف فرب رجل يكون له قوة على سكنى الكهوف والغيران في الجبال التي
اختارها الله لنبيه في بداية امره ونص عليها في كتابه مخبرا عن الفتية فقال واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ورب رجل تكون العزلة في بيته اخف عليه واسهل وقد
اعتزل رجال من اهل بدر فلزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا الا لقبورهم ورب رجل
متوسط بينهما فيكون له من القوة ما يصبر بها على مخالطة الناس واذاهم فهو معهم في الظاهر
ومخالف لهم في الباطن وذكر ابن المبارك وهيب بن الورد قال جاء رجل الى وهب بن منبه فقال
ان الناس وقعوا فيما فيه وقد حدثت نفسي الا اخالطهم فقال لا تفعل انه لا بد لك من
الناس ولا بد لهم منك ولك اليهم حوايج ولهم اليك حوايج ولكن كن فيهم اصم سميعا اعمى بصيرا سكوتا
نطوقا وقد قيل ان كل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معنى الجبال والشعاب مثل الاعتكاف
في المساجد ولزوم السواحل للرباط والذكر ولزوم البيوت فرارا عن شرور الناس وانما جاءت الاحاديث
بذكر الشعاب والجبال واتباع الغنم والله اعلم لان ذلك هو الاغلب في المواضع التي يعتزل فيها
فكل موضع يبعد عن الناس فهو داخل في معناه كما ذكرناه والله الموفق وبه العصمة وروى عقبة
ابن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من راعي غنم في راس
شظية الجبل يوذن بالصلاة ويصلي فيقول الله عز وجل انظروا الى عبدي هذا يوذن ويقيم
الصلاة ويخاف مني قد غفرت لعبدي وادخلته الجنة خرجه النساي وغيره الثالثة قوله تعالى
وهيي لنا من امرنا رشدا لما فروا ممن يطلبهم اشتغلوا بالدعا ولجوا الى الله فقالوا ربنا اتنا من
لدنك رحمة وهيي لنا من امرنا رشدا اي وفقنا للرشاد وقال ابن عباس مخرجا من الغار في
سلامة وقيل صوابا ومن هذا المعنى انه عليه السلام كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة قوله
تعالى فضربنا على اذانهم الاية عبارة عن القاء الله تعالى النوم عليهم وهذه من فصيحات القران
التي اقرت العرب بالقصور عن الاتيان بمثله قال الزجاج اي منعناهم ان يسمعوا لان النايم اذا
سمع انتبه وقال ابن عباس ضربنا على اذانهم بالنوم اي سددنا اذانهم عن نفوذ الاصوات اليها
وقيل المعنى فضربنا على اذانهم اي فاستجبنا دعاهم وصرفنا عنهم شر قومهم وانمناهم والمعنى
كله متقارب وقال قطرب هذا كقول العرب ضرب الامير على يد الرعية اذا منعهم
الفساد وضرب السيد على يد عبده الماذون له في التجارة اذا منعه من التصرف قال الاسود
ابن يعفر وكان ضريرا ومن الحوادث لا ابا لك انني ضربت علي الارض بالاسداد واما تخصيص
الاذان بالذكر فلانها الجارحة التي منها عظم فساد النوم وقلما ينقطع نوم نايم الا من جهة
الاذان ولا يستحكم نوم الا مع تعطل السمع ومن ذكر الاذان في النوم قوله صلى الله عليه وسلم ذلك
رجل بال الشيطان في اذنه خرجه الصحيح اشار عليه السلام الى رجل طويل النوم لا يقوم
الليل وعددا نعت للسنين اي معدودة والقصد به العبارة عن التكثير لان القليل لا يحتاج
الى عدد لانه قد عرف والعد المصدر والعدد اسم المعدود كالنفض والخبط وقال ابو
عبيدة عددا نصب على المصدر ثم قال قوم بين الله عدد تلك السنين فقال ولبثوا في كهفهم
ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا قوله تعالى ثم بعثناهم اي من نومهم ويقال لمن احيي او
اقيم من نومه مبعوث لانه كان ممنوعا من الانبعاث والتصرف قوله تعالى لنعلم اي الحزبين احصى
لما لبثوا امدا عبارة عن خروج ذلك الشيء الى الوجود ومشاهدته وهذا على نحو كلام العرب اي لنعلم ذلك
موجودا والا فقد كان الله علم اي الحزبين احصى الامد وقرا الزهري ليعلم بالياء والحزبان
الفريقان والظاهر من الاية ان الحزب الواحد هم الفتية اذ ظنوا لبثهم قليلا والحزب الثاني

اهل المدينة الذين بعث الفتية على عهدهم حين التاريخ بامر الفتية وهذا قول الجمهور
من المفسرين وقالت فرقة هما حزبان من الكافرين اختلفا في مدة اصحاب الكهف وقيل هما
حزبان من المومنين وقيل غير ذلك مما لا يرتبط بالفاظ الاية واحصى فعل ماض وامدا
انتصب على المفعول به قاله ابو علي وقال الفرا نصب على التمييز وقال الزجاج نصبت على
الظرف اي لمن بين احصى للبثهم في الامد الغاية وقال مجاهد امدا معناه عددا وهذا تفسير
بالمعنى على جهة التقريب وقال الطبري امدا منصوب بلبثوا ابن عطية وهذا غير متجه واما
من قال انه نصب على التفسير فيلحقه من الاختلال ان افعل لا يكون من فعل رباعي الا في
الشاذ واحصى فعل رباعي وقد يحتج له بان يقال ان افعل في الرباعي قد كثر كقولك ما اعطاه
للمال واتاه للخير وقال في صفة حوضه عليه السلام ماؤه ابيض من اللبن وقال عمر ابن
الخطاب فهو لما سواها اضيع قوله تعالى نحن نقص عليك نباهم بالحق لما اقتضى قوله
تعالى لنعلم اي الحزبين احصى اختلافا وقع في امر الفتية عقب بالخبر عن انه عز وجل يعلم
من امرهم بالحق الذي وقع وقوله تعالى انهم فتية شباب ولحداثة انحكم لهم بالفتوة حين امنوا
بلا واسطة كذلك قال اهل اللسان راس الفتوة الايمان وقال الجنيد الفتوة بذل الندى
وكف الاذى وترك الشكوى وقيل الفتوة اجتناب المحارم واستعمال المكارم وقيل غير هذا
وهذا القول حسن جدا لانه يعم بالمعنى جميع ما قيل في الفتوة قوله تعالى وزدناهم هدى
اي يسرناهم للعمل الصالح من الانقطاع الى الله تعالى ومباعدة الناس والزهد في الدنيا
وهذه زيادة على الايمان وقال السدي زادهم هدى بكلب الراعي حين طردوه ورجموه
مخافة ان ينبح عليهم وينبه بهم فرفع الكلب يديه كالداعي فانطقه الله فقال يا قوم لم تطردوني
لم ترجموني لم تضربوني فوالله لقد عرفت الله قبل ان تعرفوه باربعين سنة فزادهم الله
بذلك هدى قوله تعالى وربطنا على قلوبهم عبارة عن شدة عزم وقوة صبر اعطاها
الله لهم حتى قالوا بين يدي الكفار ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها
لقد قلنا اذا شططا ولما كان الفزع وخور النفس يشبه بالتناسب بالانحلال حسن في شدة
النفس وقوة التصميم ان يشبه الربط ومنه يقال فلان رابط الجاش اذا كان لا تفرق نفسه
عند الفزع والحرب وغيرها ومنه الربط على قلب ام موسى وقوله وليربط على قلوبكم ويثبت
به الاقدام وقد تقدم قوله تعالى اذ قاموا فقالوا فيه مسلكان الاولى قوله تعالى اذ
قاموا فقالوا يحتمل ثلاثة معان احدها ان يكون هذا وصف مقامهم بين يدي الملك
الكافر كما تقدم وهو مقام يحتاج الى الربط بالقلب حيث خالفوا دينه ورفضوا في ذات الله
هيبته والمعنى الثاني فيما قيل انهم كانوا اولاد عظما تلك المدينة فخرجوا واجتمعوا وراء
تلك المدينة من غير ميعاد فقال اسنهم اني اجد في نفسي ان ربي رب السموات والارض
فقالوا نحن كذلك نجد في انفسنا فقاموا جميعا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو
من دونه الها لقد قلنا اذا شططا اي لئن دعونا الها غيره فقد قلنا اذا جورا ومحالا والمعنى
الثالث ان يعبر بالقيام عن انبعاثهم بالعزم الى الهروب الى الله ومنابذة الناس كما تقول
قام فلان الى امر كذا اذا عزم عليه بغاية الجد الثانية قال وهذا التعلق غير صحيح هولاء
قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما اولاهم من نعمه ثم هاموا على وجوههم منقطعين
الى ربهم وخائفين من قومهم وهذه سنة الله في الرسل والانبيا والفضلاء الاوليا اين
هذا من ضرب الارض بالاقدام والرقص بالاكمام وخاصة في هذه الازمان عند سماع
الاصوات الحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما واحد مثل ما بين الارض والسما
ثم ان هذا حرام عند جماعة العلما على ما ياتي بيانه في سورة لقمان ان شا الله تعالى
وقد تقدم في سبحان عند قوله ولا تمش في الارض مرحا ما فيه كفاية وقد قال الامام
ابو بكر الطرطوشي وسئل عن مذهب الصوفية فقال واما الرقص والتواجد فاول من
احدثه اصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه
ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل على ما ياتي قوله تعالى هولاء قومنا اتخذوا
من دونه الهة اي قال بعضهم لبعض هولاء قومنا اي اهل عصرنا وبلدنا عبدوا الاصنام

تقليدا

تقليدا من غير حجة لولا اي هلا ياتون عليهم بسلطان مبين اي حجة على عبادتهم الصنم وقيل عليهم
راجع الى الالهة اي هلا اقاموا بينة على الاصنام في كونها الهة فقولهم لولا تحضيض بمعنى التعجيز واذا
لم يمكنهم ذلك لم يجب ان يلتفت الى دعواهم قوله تعالى واذ اعتزلتموهم قيل هو من قول [illegible]
واذ اعتزلتموهم فاووا الى الكهف وقيل هو من قول رئيسهم تمليخا فيما ذكر ابن عطية وقال الفرا هو على
ربهم مكسلمينا قال هولاء اي اذ اعتزلتموهم واعتزلتم ما يعبدون ثم استثنى وقال الا الله
اي انكم لم تتركوا عبادته فهو استثنا منقطع قال ابن عطية وهذا على تقدير ان الذين فر اهل
الكهف منهم لا يعرفون الله ولا علم لهم به وانما يعتقدون الاصنام في الوهيتهم فقط وان فرضنا
انهم يعرفون الله كما كانت العرب تفعل لكنهم يشركون اصنامهم معه في العبادة فالاستثنا متصل
لان الاعتزال وقع في كل ما يعبد الكفار الا في جهة الله وفي مصحف عبد الله بن مسعود وما
يعبدون من دون الله قال قتادة هذا تفسيرها قلت ويدل عليه ايضا ما ذكره ابو نعيم
الحافظ عن عطا الخراساني في قوله تعالى واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله قال كانت
فتية من قوم يعبدون الله ويعبدون معه الهة فاعتزلت الفتية عبادة تلك الالهة ولم
تعتزل عبادة الله ابن عطية فعلى ما قال قتادة فيكون الا بمعنى غير وما من قوله وما
يعبدون في موضع نصب عطفا على الضمير في قوله اعتزلتموهم ومضمن هذه الاية ان بعضهم
قال لبعض اذا فارقنا الكفار وانفردنا بالله تعالى فلنجعل الكهف ماوى ونتكل على الله
فانه سيبسط لنا رحمته وينشرها علينا ويهيئ لنا من امرنا مرفقا وهذا كله دعا بحسب الدنيا
وعلى ثقة كانوا من الله في امر اخرتهم وقال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنه
كان اصحاب الكهف صيارفة كما قيل واسم الكهف حيوم مرفقا بكسر الميم وفتحها وهو ما يرتفق به وكذلك
مرفق الانسان ومرفقه ومنهم من يجعل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وكسر الفا من الامر
والمرفق من الانسان وقد قيل المرفق بفتح الميم الموضع كالمسجد وهما بعد لغتان قوله
تعالى وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اي ترى ايها المخاطب الشمس عند
طلوعها تميل عن كهفهم والمعنى انك لو رايتهم لرايتهم كذا لا ان المخاطب يرى ذلك فعلا وتزاور
تنتحي وتميل من الازورار وهو الميل والازور في العين المائل النظر الى ناحية ويستعمل
في غير العين كما قال ابن ابي ربيعة * وجنبي خيفة القوم ازور * ومن اللفظ قول عنترة
فازور من وقع القنا بلبانه * وفي حديث غزوة موتة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى في سرير عبد الله بن رواحة ازورارا عن سرير جعفر وزيد بن حارثة وقرا اهل الحرمين
وابو عمرو تزاور بادغام التاء في الزاي والاصل تتزاور وقرا عاصم وحمزة والكسائي تزاور
مخففة الزاي وقرا ابن عامر تزور مثل تحمر وحكى الفرا تزوار مثل تحمار وكلها بمعنى واحد
واذا غربت تقرضهم قرا الجمهور بالتاء على معنى تتركهم قاله مجاهد وقال قتادة تدعهم
النحاس وهذا معروف في اللغة حكى البصريون انه يقال قرضته قرضا اذا تركته والمعنى
انهم كانوا لا تصيبهم شمس البتة كرامة لهم وهو قول ابن عباس يعني ان الشمس اذا طلعت
مالت عن كهفهم ذات اليمين اي يمين الكهف واذا غربت تمر بهم ذات الشمال اي شمال الكهف
فلا تصيبهم لا في ابتدا النهار ولا في اخر الليل وكان كهفهم مستقبل بنات نعش في ارض
الروم فكانت الشمس تميل عنهم طالعة وغاربة وجارية لا تبلغهم لتوذيهم بحرها وتغير
الوانهم وتبلي ثيابهم وقد قيل انه كان لكهفهم حاجب من جهة الجنوب وحاجب من جهة
الدبور وهم في زاويته وذهب الزجاج الى ان فعل الشمس كان اية من الله دون ان
يكون باب الكهف الى جهة توجب ذلك وقرات فرقة يقرضهم بالياء من القرض وهو القطع
اي يقطعهم الكهف بظله من ضوء الشمس وقد قيل واذا غربت تقرضهم اي تعطيهم يسيرا
من شعاعها ماخوذ من قراضة الذهب والفضة اي تعطيهم الشمس اليسير من شعاعها وقالوا
كان مسها لهم بالعشي اصلاح لاجسامهم وعلى الجملة فالاية في ذلك ان الله تعالى اواهم
الى الكهف بهذه الصفة لا الى كهف اخر يتاذون فيه بانبساط الشمس عليهم في معظم
النهار وعلى هذا فيمكن ان يكون صرف الشمس عنهم باظلال غمام او سبب اخر والمقصود
بيان حفظهم عن تطرق البلا وتغير الابدان والالوان اليهم والتاذي بحر او برد وقوله

في فجوة منه اي من الكهف والفجوة المتسع وجمعها فجوات وفجا مثل ركوة وركا وركوات قال
الشاعر * ونحن ملأنا كل واد وفجوة * رجالا وخيلا غير ميل ولا عزل *
اي كانوا بحيث يصيبهم نسيم الهوي ذلك من ايات الله تعالى اي ذلك الميل من الشمس عنهم ووصول
الهوي اليهم من ايات الله لطف بهم فهذا يقوي قول الزجاج وقال اهل التفسير كانت اعينهم
مفتوحة وهم نايمون فلذلك كان الراي يحسبهم ايقاظا وقيل يحسبهم ايقاظا لكثرة تقلبهم
كالمستيقظ في مضجعه وايقاظا جمع يقظ ويقظان وهو المنتبه وهم رقود كقوله هم قعود
ركوع وسجود وقعود فوصف الجمع بالمصدر ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال قال ابن
عباس لئلا تاكل الارض لحومهم قال ابو هريرة كان لهم في كل عام تقليبتان وقيل في كل
سنة مرة وقال مجاهد في كل سبع سنين مرة وقالت فرقة انما قلبوا في التسع الاواخر
واما في الثلاث مائة فلا وظاهر كلام المفسرين ان التقليب كان من فعل الله ويجوز ان
يكون من ملك بامر الله فيضاف الى الله قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى وكلبهم قال عمرو بن دينار ان مما اخذ على العقرب ان لا تضر
احدا في ليله ولا نهاره صلى على نوح وان مما اخذ على الكلب ان لا يضر من حمل عليه وكلبهم باسط
ذراعيه بالوصيد اكثر المفسرين على انه كلب حقيقة وكان لصيد احدهم او لزرعه او غنمه
على ما قال مقاتل واختلف في لونه اختلافا كثيرا ذكره الثعلبي تحصيله اي لون ذكرت
فاصبت حتى قيل لون الحجر وقيل لون السما واختلف ايضا في اسمه فعن علي ريان ابن عباس
قطمير الاوزاعي بثير عبد الله بن سلام بسيط كعب صهيا وهب نقيا وقيل قطمير ذكره
الثعلبي فكان اقتنا الكلب جايزا في وقتهم كما هو جايز عندنا اليوم في شرعنا وقال ابن عباس
هربوا ليلا وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب فاتبعهم على دينهم وقال كعب مروا بكلب فنبح
لهم فطردوه فعاد فطردوه مرارا فقام الكلب على رجليه ورفع يديه الى السما كهيئة الداعي
فنطق فقال لا تخافوا مني انا احب احبا الله الثانية روي الصحيح عن ابن عمر عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من اقتنى كلبا الا كلب صيد او ماشية نقص من اجره كل يوم قيراطان وروي
الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اتخذ كلبا الا كلب ماشية
او صيد او زرع نقص من اجره كل يوم قيراط وقال الزهري وذكر لابن عمر قول ابي هريرة
فقال رحم الله ابا هريرة كان صاحب زرع فقد دلت السنة الثابتة على اقتناء الكلاب للصيد
والزرع والماشية وجعل النقص في اجر اقتنائها على غير ذلك من المنفعة اما لترويع الكلب
المسلمين وتشويشه عليهم بنباحه او لمنع دخول الملائكة البيت او لنجاسته على ما يراه
الشافعي واما لاقتحام النهي عن اتخاذ ما لا منفعة فيه والله اعلم وقال في احدى الروايتين
قيراطان وفي الاخرى قيراط وذلك يحتمل ان يكون في نوعين من الكلاب احدهما اشد اذا
من الاخر كالاسود الذي امر عليه السلام بقتله ولم يدخله في الاستثنا حين نهى عن قتلها
كما هو منصوص في حديث جابر اخرجه الصحيح وقال عليكم بالاسود البهيم ذي النقطتين
فانه شيطان ويحتمل ان يكون ذلك لاختلاف المواضع فيكون ممسكه بالمدينة مثلا او بمكة
ينقص قيراطان وبغيرها قيراط والله اعلم الثالثة وكلب الماشية المباح اتخاذه عند مالك
هو الذي يسرح معها لا الذي يحفظها في الدار من السراق وكلب الزرع هو الذي يحفظها
من الوحوش بالليل والنهار لا من السراق وقد اجاز غير مالك اتخاذها لسراق الماشية
والزرع وقد تقدم في المايدة من احكام الكلاب ما فيه كفاية والحمد لله الرابعة قال
ابن عطية وحدثني ابي رضي الله عنه قال سمعت ابا الفضل الجوهري في جامع مصر
يقول على منبر وعظه سنة تسع وستين واربعمائة ان من احب اهل الخير نال من بركتهم
كلب احب اهل فضل وصحبهم فذكره الله في محكم تنزيله قلت اذا كان بعض الكلاب
قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحا والاوليا حتى اخبر الله بذلك في
كتابه جل وتعالى فما ظنك بالمومنين الموحدين المخالطين المحبين للاوليا والصالحين
بل في هذا تسلية وانس للمومنين المقصرين عن درجات الكمال المحبين للنبي صلى الله عليه
وسلم خير الورى الصحيح عن انس بن مالك قال بينا انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم

خارجان من المسجد فلقينا رجل عند سدة المسجد فقال يا رسول الله متى الساعة قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اعددت لها قال فكان الرجل استكان ثم قال يا رسول الله ما اعددت
لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة ولكني احب الله ورسوله فقال وانت مع من احببت في رواية
قال انس فما فرحنا بعد الاسلام فرحا اشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم فانك مع من احببت
قال انس فانا احب الله ورسوله وابا بكر وعمر فارجوا ان اكون معهم وان لم اعمل باعمالهم قلت
وهذا الذي تمسك به انس يشمل من المسلمين كل ذي نفس فلذلك تعلقت اطماعنا بذلك
وان كنا مقصرين ورجونا رحمة الرحمن وان كنا غير مستاهلين كلب احب قوما فذكره الله معهم
فكيف بنا وعندنا عقد الايمان وكلمة الاسلام وحب النبي صلى الله عليه وسلم ولقد كرمنا بني ادم
وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا وقالت
فرقة لم يكن كلبا حقيقة وانما كان احدهم وكان قد قعد عند باب الغار طليعة لهم [illegible] ابن
عطية فسمي باسم الحيوان الملازم لذلك الموضع كما سمي النجم التابع للجوزا لانه منها كما الكلب من
الانسان ويقال له كلب الجبار واما ان هذا القول يضعفه ذكر بسط الذراعين فانها في العرف من
صفة الكلب حقيقة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ولا يبسط احدكم ذراعيه انبساط الكلب
وقد حكى ابو عمر المطرز في كتاب اليواقيت انه قرى وكالبهم باسط ذراعيه فيحتمل ان يريد بالكالب
هذا الرجل على ما روي اذ بسط الذراعين واللصوق بالارض مع رفع الوجه للتطلع هي هيئة الريبة
المستخفي بنفسه ويحتمل ان يريد بالكالب الكلب وقرا جعفر بن محمد الصادق وكالبهم يعني صاحب
الكلب قوله تعالى باسط ذراعيه اعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضي لانه حكاية حال ولم
يقصد الاخبار عن فعل الكلب والذراع من طرف المرفق الى طرف الاصبع الوسطى ثم قيل بسط
ذراعيه لطول المدة وقيل نام الكلب وكان ذلك من الايات وقيل نام مفتوح العين والوصيد
الفنا قال ابن عباس ومجاهد وابن جبير اي فنا الكهف والجمع وصايد ووصد وقيل الباب
وقاله ابن عباس ايضا وانشد * بارض فضاء لا يسد وصيدها * علي ومعروفي بها غير منكر *
وقد تقدم وقال عطا عتبة الباب والباب الموصد هو المغلق وقد اوصدت الباب واصدته اي
اغلقته والوصيد النبات المتقارب الاصول فهو مشترك قوله تعالى لو اطلعت عليهم قراه
الجمهور بكسر الواو وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب بضمها لوليت منهم فرارا اي لو اشرفت عليهم لهربت
منهم ولملئت منهم رعبا اي لما حفهم الله به من الرعب واكتنفهم من الهيبة وقيل لوحشة مكانهم
فكانهم اواهم الله الى هذا المكان الوحش في الظاهر لينفر الناس عنهم وقيل كان الناس محجوبين
عنهم بالرعب لا يجسر احد منهم على الدنو اليهم وقيل الفرار منهم لطول شعورهم واظفارهم
ذكره المهدوي والنحاس والزجاج والقشيري وهذا بعيد لانهم لما استيقظوا قال بعضهم
لبعض لبثنا يوما او بعض يوم ودل هذا على ان شعورهم واظفارهم كانت بحالها الا ان يقال
انما قالوا ذلك قبل ان ينظروا الى اظفارهم وشعورهم قال ابن عطية والصحيح في امرهم ان
الله عز وجل حفظ لهم الحالة التي ناموا عليها لتكون لهم ولغيرهم فيهم اية فلم يبل لهم ثوب
ولم يتغير طبعهم ولم ينكر الناهض الى المدينة الا معالم الارض والبنا ولو كانت في نفسه حالة
ينكرها لكانت عليه اهم وقرا نافع وابن كثير وابن عباس واهل مكة والمدينة لملئت بتشديد
اللام على تضعيف المبالغة اي ملئت ثم ملئت وقرا الباقون لملئت بالتخفيف والتخفيف اشهر في اللغة
وقد جا التثقيل في قول المخبل السعدي * واذ فتك النعمان بالناس محرما * فملئ من كعب بن عوف
سلاسله * وقرا الجمهور رعبا باسكان العين وقرا بضمها ابو جعفر قال ابو حاتم هما لغتان وفرارا
نصب على الحال ورعبا مفعول ثان او تمييز قوله تعالى وكذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم
البعث التحريك عن سكون والمعنى كما ضربنا على اذانهم وزدناهم هدى وقلبناهم بعثناهم
ليتسالوا بينهم اي ايقظناهم من نومهم على ما ناموا عليه من هيئاتهم في ثيابهم واحوالهم قال
الشاعر * وفتيان صدق قد بعثت بسحرة * فقاموا جميعا بين عاث ونشوان *
اي ايقظت واللام في قوله ليتسالوا لام الصيرورة وهي لام العاقبة كقوله ليكون لهم عدوا
وحزنا فبعثهم لم يكن لاجل تساولهم قوله تعالى قالوا لبثنا يوما او بعض يوم وذلك انهم دخلوه
غدوة وبعثهم الله في اخر النهار فقال رئيسهم يمليخا او مكسلمينا الله اعلم بالمدة قوله تعالى

فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فيه ست مسايل الاولى قال ابن عباس كانت ورقهم
كاخفاف الربايع ذكره النحاس وقرا ابن كثير ونافع وابن عامر والكسائي وحفص عن عاصم
بورقكم بسكون الراء حذفوا الكسرة لثقلها وهما لغتان وقرا الزجاج بورقكم بكسر الواو وسكون
الراء ويروى انهم انتبهوا جياعا وان المبعوث هو يمليخا وكان اصغرهم فيما ذكر الغزنوي والمدينة
افسوس ويقال هي طرسوس وكان اسمها في الجاهلية افسوس فلما جاء الاسلام سموه طرسوس
وقال ابن عباس كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذي كان في زمانهم الثانية قوله تعالى فلينظر
ايها ازكى طعاما قال ابن عباس احل ذبيحة لان اهل بلدهم كانوا يذبحون على اسم الصنم وكان
فيهم قوم يخفون ايمانهم ابن عباس كان عامتهم مجوسا وقيل ازكى طعاما اي اكثر بركة قيل انهم
امروه ان يشتري ما يظن انه طعام اثنين او ثلثة لئلا يطلع عليهم ثم اذا طبخ كفى جماعة ولهذا
قيل ذلك الطعام الارز وقيل كان زبيبا وقيل تمرا والله اعلم وقيل ازكى اطيب وقيل ارخص فلياتكم
برزق منه اي بقوت وليتلطف اي في دخول المدينة وشرا الطعام ولا يشعرن بكم احدا اي لا يخبرن
وقيل ان ظهر عليه فلا يوقع اخوانه فيما وقع فيه انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم قال الزجاج معناه
بالحجارة وهو اخبث القتل وقيل يرموكم بالسب والشتم والاول اصح لانه كان عازما على قتلهم
كما تقدم في قصصهم والرجم فيما سلف هي كانت على ما ذكر قبله عقوبة مخالفة دين الناس اذ هي اشفى لجملة
اهل ذلك الدين من حيث انهم يشتركون فيها الثالثة في هذه البعثة بالورق دليل على الوكالة
وصحتها وقد وكل علي بن ابي طالب اخاه عقيلا عند عثمان رضي الله عنهما ولا خلاف فيها في
الجملة والوكالة معروفة في الجاهلية والاسلام الا ترى الى عبد الرحمن بن عوف كيف وكل امية
ابن خلف باهله وحاشيته بمكة اي يحفظهم وامية مشرك والتزم عبد الرحمن لامية من حفظ
حاشيته بالمدينة مثل ذلك مجازاة لصنعه وروى البخاري عن عبد الرحمن بن عوف قال
كاتبت امية بن خلف كتابا بان يحفظني في صاغيتي بمكة واحفظه في صاغيته بالمدينة فلما ذكرت
الرحمن قال لا اعرف الرحمن كاتبني باسمك الذي كان في الجاهلية فكاتبته عبد عمرو وذكر
الحديث قال الاصمعي صاغية الرجل الذين يميلون اليه وياتونه وهو ماخوذ من صغى يصغو
ويصغى اذا مال وكل مائل الى الشي او معه فقد صغى اليه واصغى من كتاب الافعال الرابعة
الوكالة عقد نيابة اذن الله سبحانه فيه للحاجة اليه وقيام المصلحة في ذلك اذ ليس كل احد
يقدر على تناول اموره الا بمعونة من غيره او يترفه فيستنيب من يريحه وقد استدل علماونا
على صحتها بايات من الكتاب منها هذه وقوله تعالى والعاملين عليها وقوله اذهبوا بقميصي
هذا واما من السنة فاحاديث كثيرة منها حديث عروة البارقي وقد تقدم في اخر الانعام
وروي عن جابر بن عبد الله قال اردت الخروج الى خيبر فقال ائت وكيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقلت له اني اردت الخروج الى خيبر فقال ائت وكيلي فخذ منه خمسة عشر وسقا فان
ابتغى منك اية فضع يدك على ترقوته خرجه ابو داود والاحاديث في هذا كثيرة وفي
اجماع الامة على جوازها كفاية الخامسة الوكالة جايزة في كل حق تجوز النيابة فيه فلو
وكل الغاصب لم يجز وكان هو الوكيل لان كل محرم فعله لا تجوز النيابة فيه السادسة
في هذه الاية نكتة بديعة وهي ان الوكالة انما كانت مع التقية خوف ان يشعر بهم احد لما
كانوا عليه من الخوف على انفسهم وجواز توكيل ذوي العذر متفق عليه فاما من لا عذر له فالجمهور
على جوازها وقال ابو حنيفة وسحنون لا تجوز قال ابن العربي وكان سحنون تلقفه من
اسد بن الفرات فحكم به ايام قضايه ولعله كان يفعل ذلك باهل الظلم والجبروت ايضا فانهم
واهل لانصافهم وهو الحق فان الوكالة معونة ولا تكون لاهل الباطل قلت هذا حسن فاما
اهل الدين والفضل فلهم ان يوكلوا وان كانوا حاضرين اصحا والدليل على صحة جواز الوكالة
للشاهد الصحيح ما خرجه الصحيحان وغيرهما عن ابي هريرة قال كان لرجل على النبي صلى الله
عليه وسلم سن من الابل فجا يتقاضاه فقال اعطوه فطلبوا له سنه فلم يجدوا الا سنا فوقها
فقال اعطوه فقال اوفيتني اوفى الله لك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان خياركم احسنكم
قضا لفظ البخاري فدل هذا الحديث مع صحته على جواز توكيل الحاضر الصحيح البدن فان
النبي صلى الله عليه وسلم امر اصحابه ان يعطوا عنه السن التي كانت عليه وذلك توكيل منه لهم

على ذلك ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مريضا ولا مسافرا وهذا يرد قول ابي حنيفة وسحنون
في قولهما انه لا يجوز توكيل الحاضر الصحيح البدن الا برضى خصمه وهذا الحديث خلاف قولهما
السابعة قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية جواز الشركة لان الورق كان لجميعهم وتضمنت
جواز الوكالة لانهم بعثوا من وكلوه بالشرا وتضمنت جواز اكل الرفقا وخلطهم طعامهم معا وان
كان بعضهم اكثر حسب ما تقدم بيانه في البقرة ولهذا قال اصحابنا في المسكين يتصدق عليه
فيخلطه بطعام لغني ثم ياكل معه ان ذلك جايز وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من اشترى
له اضحية قال ابن العربي ليس في الاية دليل على ذلك لانه يحتمل ان يكون كل واحد منهم
قد اعطاه منفردا فلا يكون فيه اشتراك ولا معول في هذه المسيلة الا على حديثين احدهما ان
ابن عمر مر بقوم ياكلون تمرا فقال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاقران الا ان يستاذن
الرجل اخاه الثاني حديث ابي عبيدة في جيش الخبط وهذا دون الاول في الظهور لانه يحتمل
ان يكون ابو عبيدة يعطيهم كفافا من ذلك القوت ولا يجمعهم عليه قلت ومما يدل على خلاف
هذا من الكتاب قوله تعالى وان تخالطوهم فاخوانكم وقوله ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا
او اشتاتا على ما ياتي ان شا الله تعالى قوله تعالى وكذلك اعثرنا عليهم اي اطلعنا عليهم
واظهرناهم واعثر تعدية عثر بالهمزة واصله العثار في القدم ليعلموا ان وعد الله حق يعني الامة
المسلمة الذين بعث اهل الكهف على عهدهم وذلك ان دقيانوس مات ومضت قرون وملك اهل
تلك الديار رجل صالح فاختلف اهل الحشر وبعث الاجساد من القبور فشك في ذلك بعض الناس
واستبعدوه وقالوا انما تحشر الارواح والجسد تاكله الارض وقال بعضهم تبعث الروح والجسد
جميعا فكبر ذلك على الملك وبقي حيران لا يدري كيف يتبين امرهم حتى لبس المسوح وقعد
على الرماد وتضرع الى الله تعالى في حجة وبيان فاعثر الله على اهل الكهف فيقال انهم لما بعثوا
احدهم بورقهم الى المدينة لياتيهم برزق منها استنكر شخصه واستنكرت ورقه لبعد العهد فحمل
الى الملك وكان صالحا قد امن ومن معه فلما نظر اليه قال لعل هذا من الفتية الذين خرجوا على
عهد دقيانوس الملك فقد كنت ادعو الله ان يرينيهم وسال الفتى فاخبره فسر الملك بذلك وقال
لعل الله قد بعث لكم اية فلنسر الى الكهف معه فركب مع اهل المدينة اليهم فلما دنوا الى الكهف
قال تمليخا انا ادخل عليهم لئلا يرعبوا فدخل عليهم واعلمهم بالامر وان الامة امة الاسلام
فروي انهم سروا بذلك وخرجوا الى الملك وعظموه وعظمهم ثم رجعوا الى كهفهم واكثر الروايات على
انهم ماتوا حين حدثهم تمليخا ميتة الحق على ما ياتي ورجع من كان في شك من بعث الاجساد
الى اليقين فهذا معنى اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق اي ليعلم الملك ورعيته ان القيامة
حق والبعث حق اذ يتنازعون بينهم امرهم وانما استدلوا بذلك الواحد على خبرهم وهابوا الدخول
عليهم فقال الملك ابنوا عليهم بنيانا فقال الذين هم على دين الفتية اتخذوا عليهم مسجدا وروي
ان طايفة كافرة قالت نبني بيعة او مصنعا فمانعهم المسلمون وقالوا لنتخذن عليهم مسجدا وروي
ان بعض القوم ذهب الى طمس الكهف عليهم وتركهم فيه مغيبين وروي عن عبيد بن عمير ان الله
اعمى على الناس حينئذ اثرهم وحجبهم عنهم فلذلك دعي الى بناء البنيان ليكون معلما لهم وقيل ان
الملك اراد ان يدفنهم في صندوق من ذهب فاتاه ات منهم في المنام فقال اردت ان تجعلنا في
صندوق من ذهب فلا تفعل فانا من التراب خلقنا واليه نعود فدعنا وتنشا هنا مسايل
ممنوعة وجايزة فاتخاذ المساجد على القبور والصلاة فيها والبنا عليها الى غير ذلك مما تضمنته
السنة من النهي عنه ممنوع لا يجوز لما روى ابو داود والترمذي عن ابن عباس قال لعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج قال الترمذي وفي
الباب عن ابي هريرة وعايشة حديث ابن عباس حديث حسن وروى الصحيحان عن عايشة ان ام
حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايناها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولئك اذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا
فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة لفظ مسلم قال علماونا وهذا يحرم على
المسلمين ان يتخذوا قبور الانبيا والعلما مساجد وروى الايمة عن ابي مرثد الغنوي قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تصلوا الى القبور ولا تجلسوا عليها لفظ مسلم اي لا تتخذوها

قبلة فيصلوا عليها او اليها كما فعل اليهود والنصارى فيودي الى عبادة من فيها كما كان السبب في
عبادة الاصنام فحذر النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل ذلك وسد الذرايع والمودية الى ذلك فقال
اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيايهم وصالحيهم مساجد وروى الصحيحان عن عايشة
وعبد الله ابن عباس قالا لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه فاذا
اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبيايهم
مساجد يحذر ما صنعوا وروى مسلم عن جابر قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يجصص القبور
وان يكتب عليها وان يبنى عليها وان توطا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح وروى الصحيح عن
ابي الهياج الاسدي قال قال لي علي ابن ابي طالب الا ابعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا تدع تمثالا الا طمسته واخرجه ابو داود والترمذي قال علماونا ظاهره منع تسنيم
القبور ورفعها وان لا تكون لاطية وقد قال بعض اهل العلم وذهب الجمهور الى ان هذا الارتفاع
المامور بازالته هو ما زاد على التسنيم ويبقى للقبر ما يعرف به ويحترم وذلك صفة قبر نبينا صلى الله
عليه وسلم على ما رواه الدارقطني من حديث ابن عباس واما تعلية البنا الكثير على نحو ما كانت الجاهلية
تفعله تفخيما وتعظيما فذلك يهدم ويزال فان فيه استعمال زينة الدنيا في اول منازل الاخرة وتشبها
بمن كان يعظم القبور ويعبدها وباعتبار هذه المعاني وظاهر النهي ينبغي ان يقال هو حرام والتسنيم
في القبر ارتفاعه قدر شبر ماخوذ من سنام البعير ويرش عليه بالما ليلا ينتثر بالريح وقال الشافعي
لا باس ان يطين القبر وقال ابو حنيفة لا يجصص القبر ولا يطين ولا يرفع عليه بنا وسقط ولا باس
بوضع الاحجار لتكون علامة لما رواه ابو بكر الاثرم قال نا مسدود نا نوح بن دراج عن ابان ابن
تغلب عن جعفر بن محمد قال كانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تزور قبر حمزة بن عبد
المطلب كل جمعة وعلمته بصخرة ذكره ابو عمر واما الجايزة فالدفن في التابوت وهو جايز لا سيما في الارض
الرخوة وروي ان دانيال صلوات الله عليه كان في تابوت من حجر وان يوسف عليه السلام اوصى بان
يتخذ له تابوت من زجاج ويلقى في ركية مخافة ان يعبد وبقي كذلك الى زمان موسى صلوات الله
عليهم اجمعين فدلته عجوز فرفعه ووضعه في حظيرة اسحاق عليه السلام وفي الصحيح عن سعد بن
ابي وقاص انه قال في مرضه الذي هلك فيه الحدوا لي لحدا وانصبوا علي اللبن نصبا كما صنع برسول
الله صلى الله عليه وسلم اللحد هو ان يشق الارض ثم يحفر قبرا اخر في جانب الشق من جانب القبلة
وان كانت الارض صلبة يدخل فيه بالميت ويسد عليه باللبن وهو افضل عندنا من الشق لانه الذي
اختاره الله لرسوله عليه السلام وبه قال ابو حنيفة قال السنة اللحد وقال الشافعي الشق ويكره
الاجر في اللحد وقال الشافعي لا باس به لانه نوع من الحجر وكرهه ابو حنيفة واصحابه لان الاجر
لاحكام البنا والقبر وما فيه البلى وما يليق به الاحكام وعلى هذا يسوى بين الحجر والاجر وقيل ان
بالاجر اثر النار فيكره تفاولا فعلى هذا يفرق بين الحجر والاجر قالوا ويستحب اللبن والقصب لما روي
انه وضع على قبر النبي صلى الله عليه وسلم طن من قصب وحكي عن الشيخ الامام ابي بكر محمد بن الفضل
الحنفي رحمه الله انه جوز اتخاذ التابوت في بلادهم لرخاوة الارض وقال لو اتخذ تابوت من حديد
لا باس به لكن ينبغي ان يفرش فيه التراب ويطين الطبقة العليا مما يلي الميت ويجعل اللبن الخفيف
على يمين الميت ويساره ليصير بمنزلة اللحد قلت ومن هذا المعنى جعل القطيفة في قبر النبي صلى
الله عليه وسلم فانه في المدينة سبخة قال شقران انا والله طرحت القطيفة تحت رسول الله صلى
الله عليه وسلم في القبر قال ابو عيسى الترمذي حديث شقران حديث حسن صحيح غريب قوله
تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الضمير في سيقولون يراد به اهل التوراة ومعاصري محمد
صلى الله عليه وسلم وذلك انهم اختلفوا في عدد اهل الكهف هذا الاختلاف المنصوص وقيل
المراد به النصارى فان قوما منهم حضروا النبي صلى الله عليه وسلم من نجران فجرى ذكر اصحاب الكهف
فقالت اليعقوبية كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقالت النسطورية كانوا خمسة سادسهم كلبهم
وقالت المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم وقيل هو اخبار عن اليهود الذين امروا المشركين
بمسالة النبي صلى الله عليه وسلم عن اصحاب الكهف والواو في قوله وثامنهم كلبهم طريق النحويين
انها واو عطف دخلت في اخر اخبار عن عددهم لتفصل امرهم وتدل على ان هذا نهاية ما قيل
ولو سقطت لصح الكلام وقالت فرقة منها ابن خالويه هي واو الثمانية وحكى الثعلبي عن ابي بكر

ابن عباس

ابن عباس ان قريشا كانت تقول في عددها ستة سبعة وثمانية فتدخل الواو في الثمانية
وحكى نحوه القفال فقال ان قوما قالوا ان العدد ينتهي عند العرب الى سبعة فاذا احتيج الى الزيادة
عليها استونف خبر اخر بادخال الواو كقوله التايبون العابدون ثم قال والناهون عن المنكر والحافظون
يدل عليه انه لما ذكر ابواب جهنم حتى اذا جاوها فتحت ابوابها بلا واو ولما ذكر الجنة قال وفتحت ابوابها
بالواو وقال خيرا منكن مسلمات ثم قال وابكارا فالسبعة نهاية العدد عندهم كالعشرة الان عندنا
قال القشيري ابو نصر ومثل هذا الكلام تحكم ومن اين السبعة نهاية عندهم ثم هو منقوض بقوله
تعالى هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المومن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ولم يذكر
الاسم الثامن بالواو وقال قوم ممن صار الى ان عددهم سبعة انما ذكر الواو في قوله سبعة وثامنهم
لينبه على ان هذا العدد هو الحق وانه مباين للاعداد الاخر التي قال فيها اهل الكتاب ولهذا
قال تعالى في الجملتين المتقدمتين رجما بالغيب ولم يذكره في الجملة الثالثة ولم يقدح فيها بشي فكانه تعالى
قال لنبيه هم سبعة وثامنهم كلبهم والرجم القول بالظن يقال لكل ما يخرص رجم به ومرجوم ومرجم كما قال
• وما الحرب الا ما علمتم وذقتم • وما هو عنها بالحديث المرجم •
قلت قد ذكر الماوردي والغزنوي وقال ابن جريج ومحمد بن اسحاق كانوا ثمانية وجعلا قوله تعالى
وثامنهم كلبهم اي صاحب كلبهم ومما يقوي هذا طريقة النحويين في الواو وانها كما قالوا وقال القشيري
لم يذكر الواو في قوله رابعهم كلبهم سادسهم ولو كان بالعكس لكان جايزا وطلب الحكمة في مثل هذه الواو
تكلف بعيد وهو كقوله في موضع اخر وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفي موضع اخر الا لها
منذرون ذكرى قوله تعالى قل ربي اعلم بعدتهم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الاية
ان يرد علم عدتهم اليه عز وجل ثم اخبر ان عالم ذلك من البشر قليل والمراد به قوم من اهل الكتاب
في قول عطا وكان ابن عباس يقول انا من ذلك القليل وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ثم ذكر السبعة
باسمايهم والكلب اسمه قطمير كلب انمر فوق القلطي ودون الكردي وقال محمد بن سعيد بن المسيب
هو كلب صيني والصحيح انه زبيري وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث الا من لم
يقدر له وقال وكتبه ابو عمرو الحيري عني قوله تعالى فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي لا تجادل
في اصحاب الكهف الا بما اوحينا اليك وهو رد علم عدتهم الى الله تعالى وقيل معنى المراء الظاهر ان تقول
ليس كما تقولون ونحو هذا ولا يحتج الى امر مقرر في ذلك وفي هذا دليل على ان الله لم يبين لاحد
عددهم فلهذا قال فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا اي ذاهبا كما قال وتلك شكاة ظاهر عنك عارها ولم
يبح له في هذه الاية ان يماري ولكن قوله الا مراء استعارة من حيث يماريه اهل الكتاب سميت
مراجعته لهم مراء ثم قيد بانه ظاهر ففارق المراء الحقيقي المذموم والضمير في قوله فيهم عايد على
اهل الكهف وفي قوله منهم عايد على اهل الكتاب المعارضين وقوله فلا تمار فيهم يعني في عدتهم
وحذفت العدة لدلالة ظاهر القول عليها قوله تعالى ولا تستفت فيهم منهم احدا روي انه عليه
السلام سال نصارى نجران عنهم فنهي عن السوال وفي هذا دليل على منع المسلمين من مراجعة اهل
الكتاب في شي من العلم قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله فيه مسيلتان
الاولى قال العلما عاتب الله نبيه عليه السلام على قوله للكفار حين سالوه عن الروح والفتية
وذي القرنين غدا اخبركم بجواب اسيلتكم ولم يستثن في ذلك فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوما
حتى شق ذلك عليه وارجف الكفار به فنزلت عليه هذه السورة مفرجة وامر في هذه الاية ان لا
يقول في امر من الامور اني افعل غدا كذا وكذا الا وان تعلق ذلك بمشية الله عز وجل حتى لا يكون
محققا بحكم الخبر فانه اذا قال لافعلن ذلك ولم يفعل كان كاذبا واذا قال لافعلن ذلك ان شا الله خرج
عن ان يكون محققا للمخبر عنه واللام في قوله لشيء بمنزلة في او كانه قال لاجل شي الثانية قال ابن
عطية وتكلم الناس في هذه الاية في الاستثنا في اليمين والاية ليست في الايمان وانما هي في سنة
الاستثنا في غير اليمين وقوله الا ان يشا الله في الكلام حذف يقتضيه الظاهر ويحسنه الايجاز تقديره
الا ان تقول الا ان يشا الله فالمعنى الا ان تذكر مشية الله فليس الا ان يشا الله من القول الذي نهي
عنه قلت ما اختاره ابن عطية وارتضاه هو قول الكسايي والفرا والاخفش وقال البصريون المعنى
بمشية الله فاذا قال الانسان اني افعل هذا ان شا الله فمعناه بمشية الله قال ابن عطية وقالت
فرقة الا ان يشا الله استثنا من قوله ولا تقولن قال وهذا قول حكاه الطبري ورد عليه وهو من

الفساد حيث كان الواجب ان لا يحكي وقد تقدم القول في الاستثنا في اليمين وحكمه في المايده
قوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت فيه مسئلة واحدة وهو الامر بالذكر بعد النسيان واختلف في
الذكر المامور به فقيل هو قوله وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا قاله محمد الكوفي
المفسر لها بالفاظها امرت بقولها كل من لم يستثن وانها كفارة لنسيان الاستثنا وقال الجمهور هو
دعا مامور به دون هذا التخصيص وقيل هو قوله ان شا الله الذي كان نسيه عند يمينه حكي عن
ابن عباس انه ان نسي الاستثنا ثم ذكر ولو بعد سنة لم يحنث ان كان حالفا وهو قول مجاهد وحكى
اسماعيل ابن اسحاق ذلك عن ابي العالية في قوله واذكر ربك اذا نسيت قال يستثني اذا ذكر الحسن ما دام
في مجلس الذكر ابن عباس سنتين ذكره الغزنوي قال فيحمل على تدارك التبرك بالاستثنا للتخلص عن
الاثم فاما الاستثنا المغير حكما فلا يصح الا متصلا السدي اي كل صلاة نسيتها اذا ذكرتها وقيل استثنا
باسمه لئلا تنسى وقيل اذكره متى تنسيه وقيل اذا نسيت شيا فاذكره يذكرك وقيل اذكره اذا نسيت
غيره او نسيت نفسك فذلك حقيقة الذكر وهذه الاية مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهي استفتاح
كلام على الاصح وليست من الاستثنا في اليمين بشي وهي بعد تعم جميع امته لانه حكم يتردد في الناس
بكثرة وقوعه والله الموفق قوله تعالى ولبثوا في كهفهم الاية هذا خبر من الله تعالى عن مدة لبثهم
وفي قراة ابن مسعود وقالوا لبثوا قال الطبري ان بني اسرائيل اختلفوا فيما مضى لهم من المدة بعد الاعثار
عليهم الى مدة النبي صلى الله عليه وسلم فقال انهم لبثوا ثلاث مائة سنة وتسع سنين فاخبر الله تعالى
نبيه ان هذه المدة في كونهم نياما وان ما بعد ذلك مجهول للبشر فامر الله ان يرد علم ذلك اليه قال
ابن عطية فقوله على هذا لبثوا الاول يريد في نوم الكهف ولبثوا الثاني بعد الاعثار الى مدة محمد
صلى الله عليه وسلم او الى وقت عدمهم بالبلى مجاهد الى وقت نزول القران الضحاك الى ان ماتوا وقال
بعضهم انه لما قال وازدادوا تسعا لم يدر الناس اهي ساعات ام ايام ام جمع ام شهور ام اعوام واختلف
بنو اسرائيل بحسب ذلك فامر الله برد العلم اليه في التسع فهي على هذا مبهمة وظاهر كلام العرب المفهوم
منه انها اعوام والظاهر منهم انهم قاموا ودخلوا الكهف بعد عيسى بيسير وقد بقيت من الحواريين
بقية وقيل غير هذا على ما ياتي قال القشيري لا يفهم من التسع تسع ليال وتسع ساعات لسبق
ذكر السنين كما تقول عندي مائة درهم وخمسة والمفهوم منه خمسة دراهم وقال ابو علي
وازدادوا لبث تسع فحذف وقال الضحاك لما نزلت ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين قالوا
سنين او شهورا ام اياما فانزل الله جل وعز سنين وحكى النقاش ما معناه انهم لبثوا ثلاث مائة
سنة شمسية بحساب الايام فلما كان الاخبار هنا للنبي العربي ذكرت التسع اذ المفهوم عنده من
السنين القمرية فهذه الزيادة هي ما بين الحسابين ونحوه ذكر الغزنوي اي باختلاف سني الشمس
والقمر لانه يتفاوت في كل ثلاث وثلاثين وثلث سنة فيكون في ثلاث مائة تسع سنين وقرا
الجمهور ثلاث مائة سنين بتنوين مائة ونصب سنين على التقديم والتاخير اي سنين ثلاث
مائة فتقدم الصفة على الموصوف فتكون سنين على هذا بدلا او عطف بيان وقيل على التفسير والتمييز
وسنين في موضع سنة وقرا حمزة والكسائي باضافة مائة الى سنين وترك التنوين كانهم جعلوا
سنين بمنزلة سنة اذ المعنى بهما واحد قال ابو علي هذه الاعداد التي تضاف في المشهور الى الاحاد
نحو ثلاث مائة رجل وثوب قد تضاف الى الجموع وفي مصحف عبد الله ثلاث مائة سنة وقرا
الضحاك ثلاث مائة سنون بالواو وقرا ابو عمرو بخلاف تسعا بفتح التاء وقرا الجمهور بكسرها
وقال الفراء والكسائي وابو عبيدة التقدير ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مائة قوله تعالى
قل الله اعلم بما لبثوا قيل بعد موتهم الى نزول القران فيهم على قول مجاهد او الى ان ماتوا على قول
الضحاك او الى وقت تغيرهم بالبلى على ما تقدم وقيل بما لبثوا في الكهف وهي المدة التي ذكرها
الله تعالى عن اليهود ان ذكروا زيادة ونقصانا اي لا يعلم علم ذلك الا الله او من علمه ذلك
له غيب السموات والارض قوله تعالى ابصر به واسمع اي ما ابصره واسمعه قال قتادة لا احد
ابصر من الله ولا اسمع هذه عبارات عن الادراك ويحتمل ان يكون المعنى ابصر به اي بوحيه وارشاده
هداك وحججك والحق من الامور واسمع به العالم فيكونان امرين لا على وجه التعجب وقيل المعنى
ابصرهم واسمعهم ما قال الله فيهم ما لهم من دونه من ولي اي لم يكن لاصحاب الكهف ولي يتولى
حفظهم دون الله ويحتمل ان يعود الضمير في لهم على معاصري محمد صلى الله عليه وسلم من الكفار

والمعنى

والمعنى ما لهولاء المختلفين في مدة لبثهم ولي دون الله يتولى تدبير امرهم فكيف يكونون اعلم
منه او كيف يتعلمون من غير اعلامه اياهم قوله تعالى ولا يشرك في حكمه احدا قرئ بالياء ورفع
الكاف على الخبر عن الله تعالى وقرا ابن عامر والحسن وابو رجا وقتادة والجحدري ولا تشرك
بالتاء من فوق واسكان الكاف على جهة النهي للنبي صلى الله عليه وسلم ويكون قوله ولا تشرك عطفا على قوله
ابصر واسمع وقرا مجاهد يشرك بالياء من تحت والجزم قال يعقوب لا اعرف وجهه مسئلة اختلف
في اصحاب الكهف هل ماتوا وفنوا او هم نيام واجسادهم محفوظة فروي عن ابن عباس انه مر بالشام
في بعض غزواته مع ناس على موضع الكهف وجبله فمشى الناس معه اليه فوجدوا عظاما فقالوا
هذه عظام اصحاب الكهف فقال لهم ابن عباس اولئك قوم فنوا وعدموا منذ مدة طويلة فسمعه
راهب فقال ما كنت احسب ان احدا من العرب يعرف هذا فقيل له هذا ابن عم نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم وروت فرقة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليحجن عيسى ابن مريم ومعه اصحاب الكهف
فانهم لم يحجوا بعد ذكره ابن عطية قلت ومكتوب في التوراة والانجيل ان عيسى ابن مريم عبد
الله ورسوله وانه يمر بالروحا حاجا او معتمرا او يجمع الله له ذلك فيجعل الله حوارييه اصحاب الكهف
والرقيم يمرون حجاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا وقد ذكرنا هذا الخبر بكماله في كتاب التذكرة فعلى هذا
هم نيام ولم يموتوا ولا يموتون الى يوم القيمة بل يموتون قبل الساعة قوله تعالى واتل ما اوحي
اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته قيل هو من تمام قصة اصحاب الكهف اي اتبع القران فلا مبدل
لكلمات الله ولا خلف فيما اخبر به من قصة اصحاب الكهف وقال الطبري لا مغير لما وعد بكلماته اهل
معاصيه والمخالفين لكتابه ولن تجد من دونه ملتحدا ان لم تتبع القران وخالفته ملتحدا اي ملجا وقيل
موئلا واصله الميل ومن لجات اليه فقد ملت اليه قال القشيري ابو نصر عبد الرحيم وهذا اخر قصة
اصحاب الكهف ولما غزا معاوية غزوة المضيق نحو الروم وكان معه ابن عباس قال له قد منع الله
من هو خير منك عن ذلك فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي حتى اعلم علمهم وبعث
قوما لذلك فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فاخرجتهم ذكره الثعلبي ايضا وذكر ان النبي صلى
الله عليه وسلم سال الله ان يريه اياهم فقال انك لن تراهم في دار الدنيا ولكن ابعث اليهم اربعة من
خيار اصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف
ابعثهم فقال ابسط كساك واجلس على طرف من اطرافه ابا بكر وعلى الطرف الاخر عمر وعلى الثالث عثمان
وعلى الرابع علي ابن ابي طالب ثم ادع الريح الرخا المسخرة لسليمان فان الله يامرها ان تطيعك ففعل فحملتهم
الريح الى باب الكهف فقلعوا منه حجرا فحمل الكلب عليهم فلما راهم حرك راسه وبصبص بذنبه واومى
اليهم براسه ان ادخلوا الكهف فقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله على الفتية ارواحهم
فقاموا باجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا لهم يا معشر الفتية ان النبي محمد بن
عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرا عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات
والارض وعليكم بما بلغتم وقبلوا دينه واسلموا ثم قالوا اقروا محمدا رسول الله منا السلام واخذوا
مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى اخر الزمان عند خروج المهدي فيقال ان المهدي يسلم عليهم فيحييهم
الله ثم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون حتى تقوم الساعة فاخبر جبريل رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما كان منهم ثم ردتهم الريح فقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف وجدتموهم فاخبروه الخبر
فقال اللهم لا تفرق بيني وبين اصحابي واصهاري واغفر لمن احبني واحب اهل بيتي وخاصتي واصحابي
وقيل ان اصحاب الكهف دخلوا الكهف قبل المسيح فاخبر الله المسيح بخبرهم ثم بعثوا في الفترة التي
بين عيسى وبين محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا قبل موسى عليه السلام وان موسى ذكرهم
في التوراة ولهذا سالت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل دخلوا الكهف بعد المسيح
فالله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
هذا مثل قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي في سورة الانعام وقد مضى الكلام
فيه وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه جاءت المولفة قلوبهم الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم عيينة بن حصن والاقرع بن حابس فقالوا يا رسول الله انك لو جلست في صدر المجلس
ونحيت عنا هولا وارواح جبابهم يعنون سلمان وابا ذر وفقرا المسلمين وكانت عليهم جباب صوف
لم يكن عليهم غيرها جلسنا اليك وحادثناك واخذنا عنك فانزل الله تعالى واتل ما اوحي اليك من



كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه حتى بلغ انا اعتدنا للظالمين نارا فهذا هو بالنار فقام النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسهم حتى اذا اصابهم في موخر المسجد يذكرون الله قال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع رجال من امتي معكم المحيا ومعكم الممات يريدون وجهه اي طاعته وقرا نصر بن عاصم ومالك بن دينار وابو عبد الرحمن ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وحجتهم انها في السواد بالواو وقال ابو جعفر النحاس وهذا لا يلزم لكتبهم الحياة والصلاة بالواو ولا تكاد العرب تقول الغدوة لانها معروفة وروي عن الحسن ولا تعد عيناك عنهم اي لا تتجاوز عيناك الى غيرهم من ابناء الدنيا طلبا لزينتها حكاه الترمذي وقيل لا تحتقرهم عيناك كما يقول فلان تنبو عنه العين اي مستحقرا تريد زينة الحياة الدنيا اي تتزين بمجالسة هولاء الرؤساء الذين اقترحوا ابعاد الفقراء من مجلسك ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم ان يفعل ذلك ولكن الله نهاه عن ان يفعله وليس هذا باكبر من قوله لئن اشركت ليحبطن عملك وان كان الله اعاذه من الشرك وتريد فعل مضارع في موضع الحال اي لا تعد عيناك مريدا كقول امرئ القيس

فقلت لها لا تبك عينك انما ... نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وزعم بعضهم ان حق الكلام لا تعد عينيك عنهم لان تعد متعد بنفسه قيل له والذي وردت به التلاوة من رفع العينين يؤول الى معنى النصب فيهما اذ كان لا تعد عيناك عنهم بمنزلة لا تنصرف عيناك عنهم ومعنى لا تنصرف عيناك عنهم لا تصرف عينيك عنهم فالفعل مسند الى العينين وهو في الحقيقة موجه الى النبي صلى الله عليه وسلم كما قال فلا تعجبك اموالهم فاسند الاعجاب الى الاموال والمعنى لا تعجبك يا محمد اموالهم ويزيدك وضوحا قول الزجاج اذ المعنى لا تصرف بصرك عنهم الى غيرهم من ذوي الهيئات والزينة قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا قال نزلت في امية بن خلف الجمحي وذلك انه دعا النبي صلى الله عليه وسلم الى امر كرهه من تجرد الفقراء عنه وتقريب صناديد اهل مكة فانزل الله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا يعني من ختمنا على قلبه عن التوحيد واتبع هواه يعني الشرك وكان امره فرطا قيل هو من التفريط الذي هو التقصير وتقديم العجز بترك الايمان وقيل من الافراط ومجاوزة الحد وكان القوم قالوا نحن اشراف مضر ان اسلمنا اسلم الناس وكان هذا من التكبر والافراط في القول وقيل فرطا اي قدما في الشر من قولهم فرط منه امر اي سبق وقيل معنى اغفلنا قلبه وجدناه غافلا كما تقول لقيت فلانا فاحمدته اي وجدته محمودا وقال عمرو بن معدي كرب لبني الحارث بن كعب والله لقد سالناكم فما ابخلناكم وقاتلناكم فما اجبناكم وهاجيناكم فما افحمناكم اي ما وجدناكم بخلاء ولا جبناء ولا مفحمين وقيل نزلت ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا في عيينة بن حصن الفزاري ذكره عبد الرزاق وحكاه النحاس عن سفيان الثوري والله اعلم قوله تعالى وقل الحق من ربكم فمن شاء فليومن ومن شاء فليكفر الحق رفع على خبر ابتداء مضمر اي قل هو الحق وقيل هو رفع على الابتداء وخبره في قوله من ربكم ومعنى الاية قل يا محمد لهولاء الذين اغفلنا قلوبهم عن ذكرنا ايها الناس من ربكم الحق واليه التوفيق والخذلان وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء فيومن ويضل من يشاء فيكفر ليس الي من ذلك شيء فالله يوتي الحق من يشاء وان كان ضعيفا ويحرمه من يشاء وان كان قويا غنيا ولست بطارد المومنين لهواكم فان شئتم فامنوا وان شئتم فاكفروا وليس هذا بترخيص وتخيير بين الايمان والكفر وانما هو وعيد وتهديد اي ان كفرتم فقد اعد لكم النار وان امنتم فلكم الجنة قوله تعالى انا اعتدنا للظالمين نارا اي اعتدنا للظالمين اي للكافرين الجاحدين نارا احاط بهم سرادقها قال الجوهري السرادق واحد السرادقات التي تمد فوق صحن الدار وكل بيت من كرسف فهو سرادق قال روبة

يا حكم بن المنذر بن الجارود ... سرادق المجد عليك ممدود

يقال بيت مسردق وقال سلامة بن جندل يذكر ابرويز وقتله النعمان بن المنذر تحت ارجل الفيلة شعر

هو المدخل النعمان بيتا سماوه ... صدور الفيل بعد بيت مسردق

وقال ابن الاعرابي سرادقها سورها وعن ابن عباس حايط من نار الكلبي عنق يخرج من النار

محيط بالكفار كالحظيرة القتيبي السرادق الحجرة التي تكون حول الفسطاط وقال ابن عزيز وقيل هو دخان يحيط بالكفار يوم القيامة وهو الذي ذكره الله في سورة والمرسلات حيث يقول انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب وقوله وظل من يحموم قاله قتادة وقيل انه البحر المحيط بالدنيا وروى يعلى بن امية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البحر هو جهنم ثم تلا نارا احاط بهم سرادقها ثم قال والله لا ادخلها ابدا ما دمت حيا ولا تصيبني منها قطرة ذكره الماوردي وخرج ابن المبارك من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لسرادق النار اربع جدر كثف كل جدار مسيرة اربعين سنة وخرجه ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح غريب قلت وهذا يدل على ان السرادق ما يعلو الكفار من دخان ونار وجدره ما وصف قوله تعالى وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل قال ابن عباس المهل ماء غليظ مثل دردي الزيت مجاهد القيح والدم الضحاك ماء اسود وان جهنم لسوداء وماؤها اسود وشجرها اسود واهلها سود وقال ابو عبيدة هو كل ما اذيب من جواهر الارض من حديد ورصاص ونحاس وقزدير فتموج بالغليان فذلك المهل ونحوه عن ابن مسعود وقال سعيد بن جبير هو الذي قد انتهى حره وقال المهل ضرب من القطران يقال مهلت البعير فهو ممهول وقيل هو السم والمعنى في هذه الاقوال متقارب وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كالمهل قال كعكر الزيت فاذا قرب اليه وجهه سقطت فروة وجهه قال ابو عيسى هذا حديث انما نعرفه من حديث رشدين بن سعد ورشدين قد تكلم فيه في حفظه وخرج عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة راسه فاذا شربه قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم يقول ان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا قال هذا حديث غريب قلت وهذا يدل على صحة تلك الاقوال وانها مرادة والله اعلم وكذلك نص عليها اهل اللغة في الصحاح المهل النحاس المذاب ابن الاعرابي المهل المذاب من الرصاص وقال ابو عمرو المهل دردي الزيت والمهل ايضا القيح والصديد وفي حديث ابي بكر ادفنوني في ثوبي هذين فانهما للمهل والتراب ومرتفقا قال مجاهد معناه مجتمعا كانه ذهب الى معنى المرافقة ابن عباس منزلا عطاء مقرا وقيل مهادا وقال القتبي مجلسا والمعنى متقارب واصله من المتكا يقال منه ارتفقت اي اتكات على المرفق قال الشاعر

قالت له وارتفقت الا فتى ... يسوق بالقوم غزالات الضحا

ويقال ارتفق الرجل اذا نام على مرفقه لا يأتيه نوم قال ابو ذويب الهذلي

نام الخلي وبت الليل مرتفقا ... كان عيني فيها الصاب مذبوح

الصاب عصارة شجر مر قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا لما ذكر ما اعد للكافرين من الهوان ذكر ايضا للمومنين من الثواب وفي الكلام اضمار اي لا نضيع اجر من احسن منهم عملا فاما من احسن منهم عملا من غير المومنين فعمله محبط وعملا نصب على التمييز وان شئت بايقاع احسن عليه وقيل انا لا نضيع اجر من احسن عملا كلام معترض والخبر قوله اولئك لهم جنات عدن وجنات عدن سرة الجنة اي وسطها وساير الجنات محدقة بها وذكر بلفظ الجمع لسعتها لان كل بقعة منها يصلح ان تكون جنة وقيل العدن الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الابل بمكان كذا لزمته فلم تبرح ومنه جنات عدن اي جنات اقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لان الناس يقيمون فيه بالصيف والشتاء ومركز كل شيء معدنه والعادن الناقة المقيمة في المرعى وعدن بلد قاله الجوهري تجري من تحتهم الانهار تقدم في غير موضع يحلون فيها من اساور من ذهب وهو جمع سوار قال سعيد بن جبير على كل واحد منهم ثلاثة اسورة واحدة من ذهب وواحدة من ورق وواحدة من لولو قلت هذا منصوص في القران قال هنا من ذهب وقال في الحج وفاطر من ذهب ولولوا وفي الانسان من فضة وقال ابو هريرة سمعت خليلي صلى الله عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء خرجه مسلم وحكى الفرا يحلون بفتح الياء وسكون الحاء وفتح اللام خفيفة يقال حليت المراة تحلى فهي حالية اذا لبست الحلي وحلي الشي بعيني يحلى ذكره النحاس والسوار سوار المراة والجمع اسورة وجمع الجمع اساورة وقرئ فلولا القي عليه اساورة من ذهب قاله الجوهري وقال ابن عزيز اساور جمع اسورة واسورة

جمع سوار وسوار وهو الذي يلبس في الذرع من ذهب فان كان من فضة فهو قلب وجمعه
قلبة وان كان من قرن او عاج فهي مسكة وجمعه مسك قال النحاس وحكى قطرب في واحد
الاساور اسوار وقطرب صاحب شذوذ وقد تركه يعقوب وغيره فلم يذكره قلت وقد جا في الصحاح
وقال ابو عمرو بن العلا واحدها اسوار وقال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور
والتيجان جعل الله ذلك لاهل الجنة قوله تعالى ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق
السندس الرقيق النحيف واحده سندسة قاله الكسائي والاستبرق ما ثخن منه عن عكرمة وهو
الحرير قال الشاعر • تراهن يلبسن المشاعر مرة • واستبرق الديباج طورا لباسها •
فالاستبرق الديباج ابن بحر المنسوج بالذهب القتبي فارسي معرب الجوهري وتصغيره ابيرق وقيل
هو استفعل من البريق والصحيح انه وفاق بين اللغتين اذ ليس في القران ما ليس من لغة العرب
على ما تقدم والله اعلم وخص الاخضر لانه موافق للبصر لان البياض يبدد النظر ويولم والسواد يذم
والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع الشعاع والله اعلم وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو
ابن العاصي قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء رجل فقال يا رسول الله اخبرنا
عن ثياب الجنة اتخلق خلقا ام تنسج نسجا فضحك بعض القوم فقال لهم مم تضحكون من جاهل يسال
عالما فجلس يسيرا او قليلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين السائل عن ثياب الجنة فقال
ها هو ذا يا رسول الله قال لا بل تشقق عنها ثمر الجنة قالها ثلاثا وقال ابو هريرة دار المومنين
درة مجوفة في وسطها شجرة تنبت الحلل ويأخذ باصبعه او قال باصبعيه سبعين حلة منتظمة
بالدر والمرجان ذكره يحيى بن سلام في تفسيره وابن المبارك في رقائقه وقد ذكرنا اسناده
في كتاب التذكرة وذكر في الحديث انه يكون لكل واحد منهم الحلة لها وجهان لكل وجه لون يتكلمان
بصوت يستحسنه سامعه يقول احد الوجهين للاخر انا اكرم على ولي الله منك انا ابصر وجهه
وانت لا تبصر قوله تعالى متكئين فيها على الارائك الارائك جمع اريكة وهي السرر في الحجال
وقيل الفرش في الحجال قاله الزجاج ابن عباس هي الاسرة من ذهب وهي مكللة بالدر والياقوت
عليها الحجال الاريكة ما بين صنعا الى ايلة وما بين عدن الى الجابية واصل متكئين موتكئين وكذلك
اتكا اصله اوتكا واصل اتكاء اوتكاء ومنه التوكاء للتحمل على الشي فقلبت الواو تاء وادغمت ورجل
تكاه كثير الاتكاء نعم الثواب وحسنت مرتفقا يعني الجنات عكس وساءت مرتفقا وقد تقدم ولو
كانت نعمت لجاز لانه اسم للجنة وعلى هذا حسنت مرتفقا وروى البراء بن عازب ان اعرابيا قام
يا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع والنبي صلى الله عليه وسلم واقف بعرفات على
ناقته العضباء فقال اني رجل متعلم فاخبرني عن هذه الاية ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما انت منهم ببعيد ولا هم منك ببعيد هم هولاء الاربعة
ابو بكر وعمر وعثمان وعلي فاعلم قومك ان هذه الاية نزلت فيهم ذكره الماوردي واسنده النحاس
في كتاب معاني القران فقال نا عبد الله بن احمد بن علي بن سهل قال نا محمد قال نا يحيى بن
الضريس عن زهير بن معاوية عن ابي اسحاق عن البراء بن عازب قال قام اعرابي فذكره واسنده
السهيلي في كتاب الاعلام وقد رويناه جميع ذلك بالاجازة والحمد لله قوله تعالى واضرب لهم
مثلا رجلين هذا مثل لمن يتعزز بالدنيا ويستنكف عن مجالسة المومنين وهو متصل بقوله
واصبر نفسك واختلف في اسم هذين الرجلين وتعيينهما فقال الكلبي نزلت في اخوين من
اهل مكة مخزوميين احدهما مومن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد
الله بن عمر بن مخزوم زوج ام سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والاخر كافر وهو الاسود بن عبد
الاسد وهما الاخوان المذكوران في سورة والصافات في قوله اني كان لي قرين ورث كل واحد
منهما اربعة الاف دينار فانفق احدهما ماله في سبيل الله وطلب من اخيه شيئا فقال ما قال
ذكره الثعلبي والقشيري وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم واهل مكة وقيل هو مثل
لجميع من امن بالله وجميع من كفر وقيل هو مثل لعيينة بن حصن واصحابه مع سلمان وصهيب
واصحابه شبههم الله برجلين من بني اسرائيل اخوين احدهما مومن واسمه يهوذا في قول ابن
عباس وقال مقاتل اسمه تمليخا والاخر كافر واسمه قرطوس قرطس الغزنوي قرطوس وهما
اللذان وصفهما الله في سورة والصافات وكذا ذكر محمد بن الحسن المقري قال اسم الخير منهما تمليخا

والآخر

والاخر قرطس وانهما كانا شريكين ثم اقتسما المال فحصل لكل واحد منهما ثلاثة الاف دينار فاشترى المومن
بالف منهما عبيدا واعتقهم وبالالف الثانية ثيابا فكسا العراة وبالالف الثالثة طعاما فاطعم الجوع
وبنا ايضا مساجد وفعل خيرا واما الاخر فنكح بماله نساء ذوات يسار واشترى دواب وبقرا فاستنتجها
فنمت له نماء مفرطا وتجر بباقيها فربح حتى فاق اهل زمانه غنى وادركت الاول الحاجة فاراد ان
يستاجر نفسه في جنة يخدمها فقال لو ذهبت لشريكي وصاحبي فسالته ان يستخدمني في بعض
جناته رجوت ان يكون ذلك اصلح بي فجاءه فلم يكد ان يصل اليه من غلظ الحجاب فلما دخل عليه
وعرفه وساله حاجته فقال له الم اكن قاسمتك المال نصفين فما صنعت بمالك قال اشتريت به
من الله تعالى ما هو خير منه وابقى فقال اانك لمن المصدقين ما اظن الساعة قائمة وما اراك
الا سفيها وما جزاوك عندي على سفاهتك الا الحرمان اوما ترى ما صنعت انا بمالي حتى ال الي
ما تراه من الثروة وحسن الحال وذلك اني كسبت وسفهت انت اخرج عني ثم كان من قصة هذا
الغني ما ذكره الله في القران من الاحاطة بثمره وذهابها اصلا بما ارسل عليها من السماء من الحسبان
وقد ذكر الثعلبي هذه القصة بلفظ اخر والمعنى متقارب قال عطا كانا شريكين لهما ثمانية الاف
دينار وقيل ورثاه من ابيهما وكانا اخوين فاقتسماها فاشترى احدهما ارضا بالف دينار فقال
صاحبه اللهم ان فلانا اشترى ارضا بالف دينار واني اشتريت منك ارضا في الجنة بالف
دينار فتصدق بها ثم ان صاحبه اشترى دارا بالف دينار فقال اللهم ان فلانا بنى دارا بالف
دينار ثم تزوج امراة فانفق عليها الف دينار فقال اللهم ان فلانا تزوج امراة بالف دينار
واني اخطب اليك من نسا الجنة بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اشترى خدما ومتاعا
بالف دينار فتصدق بالف دينار ثم اصابته حاجة شديدة فقال لعل صاحبي ينالني
معروفه فاتاه فقال ما فعل مالك فاخبره قصته فقال وانك لمن المصدقين بهذا الحديث والله
لا اعطيك شيئا ثم قال له انت تعبد اله السما وانا لا اعبد الا صنما فقال صاحبه والله لاعظنه
فوعظه وذكره وخوفه فقال سر بنا نصطاد السمك فمن صاد اكثر فهو على حق فقال له يا اخي
ان الدنيا عند الله احقر من ان يجعلها ثوابا لمحسن او عقابا لكافر قال فاكرهه على الخروج معه
فابتلاهما الله فجعل الكافر يرمي شبكته ويسمي باسم صنمه فتطلع متدفقة سمكا وجعل المومن
يرمي شبكته ويسمي باسم الله فلا يطلع له فيها شي فقال له كيف ترى انا اكثر منك في الدنيا
نصيبا ومنزلة ونفرا كذلك اكون افضل منك في الاخرة ان كان ما تقول بزعمك حقا فضج
الملك الموكل بهما فامر الله تعالى جبريل ان ياخذه فيذهب به الى الجنان فيريه منازل المومن فيها فلما
راى ما اعد الله له قال وعزتك لا يضره ما ناله من الدنيا بعدما يكون مصيره الى هنا واراه منازل
الكافر في جهنم فقال وعزتك لا ينفعه ما ناله من الدنيا بعد ان يكون مصيره الى هنا ثم ان الله تعالى
توفي المومن واهلك الكافر بعذاب من عنده فلما استقر المومن في الجنة وراى ما اعد الله له فيها
اقبل هو واصحابه يتساءلون فقال اني كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين الاية فنادى
مناد يا اهل الجنة هل انتم مطلعون فاطلع الى جهنم فراه في سواء الجحيم فنزلت واضرب لهم مثلا
بين الله حال الاخوين في الدنيا في هذه السورة وبين حالهما في الاخرة في سورة والصافات
في قوله اني كان لي قرين يقول اانك لمن المصدقين الى قوله لمثل هذا فليعمل العاملون قال ابن عطية
وذكر ابراهيم بن القاسم الكاتب في كتابه في عجايب البلاد ان بحيرة تنيس كانت هاتين الجنتين
وكانتا لاخوين فباع احدهما نصيبه من الاخر وانفق في طاعة الله حتى عيره الاخر وجرت
بينهما المحاورة فغرقها الله في ليلة واياها عنى بهذه الاية وقد قيل ان هذا مثل ضربه الله لهذه
الامة وليس بخبر عن حال متقدمة لتزهد في الدنيا وترغب في الاخرة وجعله [illegible]
وانما ذكره الماوردي وسياق الاية يدل على خلاف هذا والله اعلم قوله تعالى وحففناهما
بنخل اي اطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب الاخر وجمعه احفة ويقال حف القوم
بفلان يحفون حفا اي طافوا به ومنه حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا اي جعلنا
حول الاعناب النخل ووسط الاعناب الزرع كلتا الجنتين اي كل واحدة من الجنتين اتت
اكلها تاما ولذلك لم يقل اتتا واختلف في لفظ كلتا الجنتين وكلا هل هو مفرد او مثنى فقال
اهل البصرة هو مفرد لان كلا وكلتا في توكيد الاثنين نظير كل في المجموع وهو اسم مفرد غير مثنى

فاذا ولي اسمًا ظاهرًا كان في الرفع والنصب والخفض على حالة واحدة تقول رايت كلا الرجلين وجاني كلا الرجلين ومررت بكلا الرجلين فاذا اتصل بمضمر قلبت الالف يا في موضع الجر والنصب تقول رايت كليهما ومررت بكليهما كما تقول عليهما وقال الفرا هو مثنى وهو ماخوذ من كل فخففت اللام وزيدت الالف للتثنية وكذلك كلتا للمونث ولا يكونان الا مضافين ولا يتكلم بواحد ولو تكلم به لقيل كل وكلت وكلان وكلتان واحتج بقول الشاعر

في كلت رجليها سلامى واحدة ۞ كلتاهما مقرونة بزائدة

اراد في احدى رجليها فافرد وهذا القول ضعيف عند اهل البصرة لانه لو كان مثنى لوجب ان تكون الفه في النصب والجر يا مع الاسم الظاهر ولان معنى كلا مخالف لمعنى كل لان كلا للاحاطة وكلا يدل على اسم مخصوص واما هذا الشاعر فانما حذف الالف للضرورة وقدر انها زائدة وما يكون ضرورة لا يجوز ان يجعل حجة فثبت انه اسم مفرد كمعى الا انه وضع ليدل على التثنية كما ان قولهم نحن اسم مفرد يدل على الاثنين فما فوقهما يدل على ذلك قول جرير

كلا يومي امامة يوم صد ۞ وان لم ناتها الا لماما

فاخبر عن كلا بيوم مفرد كما افرد الخبر بقوله اتت ولو كان مثنى لقال اتتا ويوما واختلف ايضا في الف كلتا فقال سيبويه كلتا للتانيث والتا بدل من لام الفعل وهي واو والاصل كلوا وانما ابدلت تا لان في التا علم التانيث والالف في كلتا قد تصير يا مع المضمر فتخرج عن علم التانيث فصار في ابدال الواو تا تاكيد للتانيث وقال ابو عمر الجرمي التا ملحقة والالف لام الفعل وتقديرها عنده فعتل ولو كان الامر على ما زعم لقالوا في النسبة اليها كلتوي واسقطوا التا دل انهم اجروها مجرى التا التي في اخت اذا نسبت اليها قلت اخوي ذكره الجوهري قال ابو جعفر النحاس واجاز النحويون في غير القران الحمل على المعنى وان تقول كلتا الجنتين اتتا اكلهما لان المعنى الجنتان كلتاهما اتتا واجاز الفرا كلتا الجنتين اتى اكله والاكل بضم الهمزة ثمر النخل والشجر وكل ما يوكل فهو اكل ومنه قوله تعالى اكلها دائم وقد تقدم ولم تظلم منه شيا اي لم تنقص قوله تعالى وفجرنا خلالهما نهرا اي اجرينا وشققنا وسط الجنتين بنهر وكان له ثمر قرا ابو جعفر وشيبة وعاصم ويعقوب وابن ابي اسحاق ثمر بفتح الثا والميم وكذلك قوله واحيط بثمره جمع ثمار مثل جبل وجبال قال الفرا وجمع الثمار ثمر مثل كتاب وكتب وجمع الثمر اثمار مثل اعناق وعنق فالثمر ايضا المال المثمر يخفف ويثقل وقرا ابو عمرو وكان له ثمر بضم الثا واسكان الميم وفسره بانواع المال الباقون بضمها جميعا في الحرفين قال ابن عباس ذهب وفضة واموال وقد مضى في الانعام نحو هذا مبينا وذكر ابن العلا الزبيدي قال نا شعيب ابن اسحاق قال نا هرون قال حدثني ابان عن ثعلب عن الاعمش ان الحجاج قال لو سمعت احدا يقرا وكان له ثمر لقطعت لسانه فقلت للاعمش اتاخذ بذلك قال لا ولا نعمة عين فكان يقرا ثمر وياخذه من جمع الثمر قال النحاس فالتقدير على هذا القول انه جمع ثمرة على ثمار ثم جمع ثمارا على ثمر وهو حسن في العربية الا ان القول الاول اشبه والله اعلم لان قوله كلتا الجنتين اتت اكلها يدل على ان له ثمرا قوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره اي يراجعه في الكلام ويجاوبه والمحاورة المجاوبة والتحاور التجاوب ويقال كلمته فما احار الي جوابا وما رجع الي حويرا ولا حويرة ولا محورة ولا حوارا اي ما رد جوابا انا اكثر منك مالا واعز نفرا النفر الرهط وهو ما دون العشرة واراد ها هنا الاتباع والخدم والولد حسب ما تقدم بيانه قوله تعالى ودخل جنته قيل اخذ بيد اخيه المومن يطيف به فيها ويريه اياها وهو ظالم لنفسه اي بكفره وهو جملة في موضع الحال ومن ادخل نفسه النار بكفره فهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا انكر فنا الدار وما اظن الساعة قايمة اي لا احسب البعث كاينا ولين رددت الى ربي اي وان كان بعث فكما اعطاني هذه النعم في الدنيا فسيعطيني افضل منه لكرامتي عليه وهو معنى قوله لاجدن خيرا منها منقلبا وانما قال ذلك لانه لما دعاه اخوه الى الايمان بالحشر والنشر وفي مصاحف مكة والمدينة والشام منهما وفي مصاحف اهل البصرة والكوفة منها على التوحيد والتثنية اولى لان الضمير اقرب الى الجنتين قوله تعالى قال له صاحبه يهوذا او تمليخا على الخلاف في اسمه اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وعظه وبين

له ان ما اعترف به من هذه الاشيا التي لا ينكرها احد ابدع من الاعادة وسواك اي جعلك معتدل الخلق والقامة صحيح الاعضا ذكرا لكنا هو الله ربي كذا قرا ابو عبد الرحمن السلمي وابو العالية وروي عن الكسائي لكن هو الله ربي والمعنى لكن الامر هو الله ربي فاضمر اسمها وقرا الباقون لكنا باثبات الالف قال الكسائي فيه تقديم وتاخير تقديره لكن هو الله ربي انا فحذفت الهمزة من انا طلبا للخفة لكثرة استعمالها وادغمت احدى النونين في الاخرى وحذفت الف انا في الوصل واثبتت في الوقف وقال النحاس مذهب الكسائي والفرا والمازني ان الاصل لكن انا فالقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وادغمت النون في النون فالوقف عليها لكنا وهي الف انا لبيان الحركة وقال ابو عبيدة الاصل لكن انا فحذفت الالف فالتقت نونان فجا بالتشديد لذلك وانشدنا الكسائي لهنك من عبسية لوسيمة فاسقط احدى اللامين من لله وحذفت الالف من انك وقال اخر فجا به على الاصل وترمينني بالطرف اي انت مذنب وتقلينني لكن اياك لا اقلي اي لكن انا قال ابو حاتم ورووا عن عاصم لكنا هو الله ربي وزعم ان هذا لحن يعني اثبات الالف في لكنا هو الله ربي في الادراج جيد لانه قد حذفت الالف من انا فجاوا بها عوضا قال وفي قراة ابي لكن انا هو الله ربي وقرا ابن عامر والمسيبي عن نافع ورويس عن يعقوب لكنا في حال الوصل والوقف معا باثبات الالف قال الشاعر

انا سيف العشيرة فاعرفوني ۞ حميدا قد تذريت السناما

وقال الاعشى

فكيف انا وانتحالي القوافي ۞ بعد المشيب كفى ذاك عارا

ولا خلاف في اثباتها في الوقف هو الله ربي هو ضمير القصة والشان والامر كقوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقوله قل هو الله احد ولا اشرك بربي احدا دل مفهومه على ان الاخ الاخر كان مشركا بالله يعبد غيره ويحتمل انه اراد لا ارى الغنى والفقر الا منه واعلم انه لو اراد ان يسلب صاحب الدنيا دنياه قدر عليه وهو الذي اتاني الفقر ويحتمل انه اراد جحودك البعث مصيرا الى ان الله تبارك وتعالى لا يقدر عليه وهو تعجيز الرب سبحانه وتعالى ومن عجزه سبحانه شبهه بخلقه فهو اشراك

قوله تعالى ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شا الله لا قوة الا بالله اي بالقلب وهو توبيخ ووصية من المومن للكافر ورد عليه اذ قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما في موضع رفع تقديره هذه الجنة هي ما شا الله وقال الزجاج والفرا الامر ما شا الله او هو ما شا الله اي الامر مشيئة الله تعالى وقيل الجواب مضمر اي ما شا الله كان وما لم يشا لا يكون لا قوة الا بالله اي ما اجتمع لك من المال فهو بقدرة الله تعالى وقوته لا بقدرتك وقوتك ولو شا لنزع البركة عنه فلم يجتمع الثانية قال اشهب قال مالك ينبغي لكل من دخل منزله ان يقول هذا وقال وهب قال لي حفص بن ميسرة رايت على باب وهب بن منبه مكتوبا ما شا الله لا قوة الا بالله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي هريرة الا ادلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله اذا قالها العبد قال الله عز وجل اسلم عبدي واستسلم اخرجه مسلم في صحيحه من حديث ابي موسى وفيه فقال يا ابا موسى او يا عبد الله بن قيس الا ادلك على كلمة من كنز الجنة في رواية على كنز من كنوز الجنة فقلت بلى يا رسول الله قال لا حول ولا قوة الا بالله وعنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ادلك على كلمة من كنوز الجنة او قال كنز من كنوز الجنة قلت بلى فقال لا حول ولا قوة الا بالله وروي انه من دخل منزلا او خرج منه فقال بسم الله ما شا الله لا قوة الا بالله تنافرت عنه الشياطين من بين يديه وانزل الله عليه البركات وقالت عايشة اذا خرج الرجل من منزله فقال بسم الله قال الملك هديت واذا قال ما شا الله قال الملك كفيت واذا قال لا قوة الا بالله قال الملك وقيت خرجه الترمذي من حديث انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال يعني اذا خرج من بيته بسم الله توكلت على الله لا حول ولا قوة الا بالله يقال له كفيت ووقيت وتنحى عنه الشيطان هذا حديث غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه خرجه ابو داود ايضا وزاد يقال له هديت ووقيت وكفيت واخرجه ابن ماجة من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا خرج الرجل من باب بيته او باب داره كان معه ملكان موكلان به فاذا قال بسم الله قالا هديت واذا قال لا حول ولا قوة الا بالله قالا وقيت فاذا قال توكلت على الله قالا كفيت قال فيلقاه قريناه فيقولان ماذا تريدان من رجل قد هدي ووقي وكفي وقال الحاكم ابو عبد الله في علوم الحديث سيل محمد بن اسحاق بن خزيمة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت هذه يعني الجنة يدخلني الضعفا الضعيف فقال

الذي يبري نفسه من الحول والقوة لعين في اليوم عشرين مرة او خمسين مرة وقال انس بن مالك
قال النبي صلى الله عليه وسلم من راى شيا فاعجبه قال ما شا الله لا قوة الا بالله لم يضره عين وقد
كان قوم ما من احد قال ما شا الله كان فاصابه شي الا رضي به وروي انه قال من قال اربعا امن
من اربع من قال هذه امن ومن قال حسبنا الله ونعم الوكيل امن من كيد الشيطان ومن قال وافوض
امري الى الله امن من مكر الناس ومن قال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين امن من
الغم قوله تعالى ان ترني انا اقل منك مالا وولدا ان شرط ترني مجزوم به والجواب فعسى ربي
وانا فاصلة لا موضع لها من الاعراب ويجوز ان تكون في موضع نصب توكيدا للنون والياء وقرى
عيسى ابن عمران ترني انا اقل منك بالرفع بجعل انا مبتدا واقل خبره والجملة في موضع المفعول
الثاني والمفعول الاول النون والياء الان الياء حذفت لان الكسرة تدل عليها واثبتها جبير
بالغ وهو الاصل لانها الاسم على المحققين وعسى بمعنى لعل اي فعل ربي ان يوتيني خيرا من جنتك
اي في الاخرة وقيل في الدنيا ويرسل عليها اي على جنتك حسبانا اي مرامي من السما واحدها حسبانة
قال الاخفش والقتبي وابو عبيدة وقال ابن الاعرابي والحسبانة الحسبانة والحسبانة الوسادة
والحسبان الصاعقة وقال الجوهري والحسبان بالضم العذاب وقال ابو زياد الكلابي اصاب الارض
حسبان اي جراد والحسبان ايضا الحساب قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقد فسر الحسبان هنا بهذا
قال الزجاج الحسبان من الحساب اي يرسل عليها عذاب الحساب وهو حساب ما كسبت يداك فهو
من باب حذف المضاف والحسبان ايضا سهام قصار يرمى بها في طلق واحد وكان من رمي الاكاسرة
والمرامي من السما عذاب فتصبح صعيدا زلقا يعني ارضا بيضا لا ينبت فيها نبات ولا يثبت عليها
قدم وهي ارض بعد ان كانت جنته اسع ارض فزلقا تاكيدا لوصف الصعيد اي تزل عليها الاقدام
لملاستها يقال مكان زلق بالتحريك اي دحض وهو في الاصل مصدر قولك زلقت رجله تزلق
زلقا وازلقها غيره والمزلقة ايضا عجز الدابة قال روبة كانها حقبا بلقا الزلق والمزلقة الموضع
الذي لا يثبت عليه قدم وكذلك الزلاقة والزلق ايضا المحلوق زلق راسه يزلقه زلقا حلقه
قال الجوهري والزلق المحلوق كالنقص والمنقوص وليس المراد انها تصير مزلقة بل المراد به انها لا
يبقى فيها نبات كالراس اذا حلق لا يبقى عليه شعر قاله القشيري او يصبح ماوها غورا اي غائرا
ذاهبا فتكون اعدم ارض للما بعد ان كانت اوجد ارض للما والغور مصدر وضع موضع الاسم
كما يقال رجل صوم وفطر وعدل ورضي وفضل وزور ونسا نوح ويستوي فيه المذكر والمونث
والتثنية والجمع قال عمرو بن كلثوم • تظل جيادنا نوحا عليه • مقلدة اعنتها صفونا •
اخر • هريقي من دموعهما سجاما • ضباع وجاوبي نوحا قياما •
اي نايحات وقيل او يصبح ماوها غورا اذا غور فحذف المضاف مثل واسال القرية ذكره النحاس
وقال الكسائي مياه غور وقد غار الما يغور غورا وغوورا اي سفل في الارض ويجوز الهمز لانضمام
الواو وغارت عينه تغور غورا وغوورا دخلت في الراس وغارت تغار لغة فيه وقال اغارت
عينه ام لم تغارا وغارت الشمس تغور غيارا اي غربت قال ابو ذويب •
• هل الدهر الا ليلة ونهارها • والا طلوع الشمس ثم غيارها •
فلن تستطيع له طلبا اي لن تستطيع رد الماء الغائر ولا تقدر عليه بحيلة وقيل فلن تستطيع طلب
غيره بدلا منه والى هذا الحد انتهت مناظرة اخيه وانذاره قوله تعالى واحيط بثمره اسم
ما لم يسم فاعله مضمر وهو المصدر ويجوز ان يكون المخفوض في موضع رفع ومعنى احيط بثمره
اي اهلك ماله كله وهذا اول ما حقق الله تعالى انذار اخيه فاصبح يقلب كفيه اي فاصبح الكافر
يضرب احدى يديه على الاخرى ندما لان هذا يصدر من النادم وقيل يقلب ملكه فلا يرى
فيه عوض ما انفق وهذا لان الملك قد يعبر عنه باليد من قولهم في يده مال اي في ملكه مال
ودل قوله فاصبح على ان هذا الاهلاك جرى بالليل كقوله فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون
فاصبحت كالصريم ويقال انفقت في هذه الدار كذا وانفقت عليها وهي خاوية على عروشها اي
خالية قد سقط بعضها على بعض ماخوذ من خوت النجوم تخوي خيا امحلت وذلك اذا سقطت
ولم تمطر في نوئها واخوت مثله وخوت الدار خوا ممدود واخوت وكذلك اذا سقطت ومنه قوله
تعالى فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا ويقال ساقطة كما يقال فهي خاوية على عروشها اي ساقطة على

سقوفها فجمع عليه بين هلاك الثمر والاصل وهذا من اعظم الجوائح مقابلة على بغيه ويقول يا ليتني
لم اشرك بربي احدا اي يا ليتني عرفت نعم الله علي وعرفت انها كانت بقدرة الله ولم اكفر به وهذا
ندم منه حين لا ينفعه الندم قوله تعالى ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله فئة اسم تكن
وله الخبر ينصرونه في موضع الصفة اي فئة ناصرة ويجوز ان يكون ينصرونه الخبر والوجه الاول عند
سيبويه اولى لانه قد تقدم له وابو العباس يخالفه ويحتج بقول الله عز وجل ولم يكن له كفوا احد
وقد اجاز سيبويه الاخر وينصرونه على معنى فئة لان معناها اقوام ولو كان على اللفظ لقال ولم تكن
له فئة تنصره اي فرقة وجماعة يلتجى اليهم وما كان منتصرا اي ممتنعا قاله قتادة وقيل مستردا بدل
ما ذهب منه وقد تقدم اشتقاق الفئة في ال عمران والهاء عوض من الياء التي نقصت من وسطه
اصله في مثل فيع لانه من فا ويجمع على فئون وفئات مثل شيات ولدات وهيات اي لم يكن له عشيرة
يمنعونه من عذاب الله وضل عنه من افتخر بهم من الولد والخدم قوله تعالى هنالك الولاية لله
الحق اختلف في العامل في قوله هنالك وهو ظرف فقيل العامل فيه ولم تكن له فئة ولا كان هنالك اي
ما نصر ولا انتصر هنالك اي لما اصابه من العذاب وقيل تم الكلام عند قوله منتصرا والعامل في قوله
هنالك الولاية وتقديره على التقديم والتاخير الولاية لله الحق هنالك اي في القيامة وقرا ابو عمرو
والكسائي الحق بالرفع نعتا للولاية وقرا اهل المدينة وحمزة الحق بالخفض نعتا لله عز وجل والتقدير
لله ذي الحق قال الزجاج ويجوز الحق بالنصب على المصدر والتوكيد كما تقول هذا لك حقا وقرا
الاعمش وحمزة والكسائي الولاية بكسر الواو والباقون بفتحها وهما بمعنى واحد كالرضاعة والرضاعة
وقيل الولاية بالفتح من الموالاة كقوله الله ولي الذين امنوا ذلك بان الله مولى الذين امنوا وبالكسر
يعني السلطان والقدرة والامارة كقوله والامر يوميذ لله اي له الملك والحكم يوميذ اي لا يرد امره
لاحد والملك في كل وقت لله ولكن تزول الدعاوي والتوهمات يوم القيامة وقال ابو عبيدة الولاية
بفتح الواو للخالق وبكسرها للمخلوق هو خير ثوابا في الدنيا والاخرة لمن امن به وليس ثم غيره
يرجى منه ولكنه اراد في ظن الجهال اي هو خير من يرجى وخير عقبا قرا عاصم والاعمش وحمزة ويحيى
عقبا ساكنة القاف والباقون بضمها وهما بمعنى واحد اي هو خير عاقبة لمن رجاه وامن به يقال
هذا عاقبة امر فلان وعقباه وعقبه وعقبته اي اخره قوله تعالى واضرب لهم مثل
الحياة الدنيا اي صف لهولا المتكبرين الذين سالوك طرد فقرا المسلمين مثل الحياة الدنيا اي شبهها
كما انزلناه من السما فاختلط به نبات الارض حتى استوى وقيل ان المعنى ان النبات اختلط بعضه
ببعض حين نزل عليه الما لان النبات انما يختلط ويكثر بالمطر وقد تقدم هذا المعنى في يونس مبينا
وقالت الحكما انما شبه الله الدنيا بالما لان الما لا يستقر في موضع كذلك الدنيا لا تبقى على واحد
ولان الما لا يستقيم على حالة واحدة كذلك الدنيا ولان الما لا يبقى ويذهب كذلك الدنيا تفنى ولان
الما لا يقدر احد ان يدخله ولا يبتل كذلك الدنيا لا يسلم احد دخلها من فتنتها وافاتها ولان الما اذا
كان بقدر كان نافعا منبتا واذا جاوز المقدار كان ضارا مهلكا وكذلك الدنيا الكفاف منها ينفع وفضولها
يضر وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم قال له رجل يا رسول الله اني اريد ان اكون من الفايزين
قال ذر الدنيا وخذ منها كالما الراكد فان القليل منها يكفي والكثير منها يطغي وفي صحيح مسلم عن
النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه فاصبح اي النبات هشيما
منكسرا من اليبس متفتتا يعني بانقطاع الما عنه فحذف ذلك ايجازا لدلالة الكلام عليه والهشيم
كسر الشجر اليابس والهشيم من النبات المتكسر اليابس والشجرة البالية ياخذها الحاطب كيف يشا ومنه
قولهم ما فلان الا هشيمة كرم اذا كان سمحا ورجل هشيم ضعيف البدن وتهشم عليه فلان اذا
تعطف واهتشم ما في ضرع الناقة اذا احتلبه ويقال هشم الثريد ومنه سمي هاشم بن عبد
مناف واسمه عمرو وفيه يقول عبد الله بن الزبعري •
• عمرو العلى هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •
وكان سبب ذلك ان قريشا اصابتهم سنوات ذهبن بالاموال فخرج هاشم الى الشام فامر بخبز
كثير فخبز له فحمله في الغرائر على الابل حتى وافى مكة فهشم ذلك الخبز يعني كسره وثرده ونحر
تلك الابل ثم امر الطهاة فطبخوا ثم كفا القدور على الجفان فاشبع اهل مكة فكان ذلك اول
الحياة بعد السنة التي اصابتهم فسمي بذلك هاشما تذروه الرياح تفرقه قاله ابو عبيدة ابن قتيبة

تنسفه ابن كيسان تذهب به وتجيء ابن عباس تذريه الريح تديره والمعنى متقارب وقرأ طلحة
ابن مصرف تذريه الريح قال الكسائي وفي قراءة عبد الله تذريه يقال ذرته الريح تذروه
وتذريه ذروا وذريا وأذرته تذريه إذراء إذا طارت به وحكى الفراء أذريت الرجل عن فرسه أي
قلبته وأنشد سيبويه والفراء فقلت له صوب ولا تجهدنه فيذرك من أعلى القطاة فتزلق قوله
تعالى وكان الله على كل شيء مقتدرا من الإنشاء والإفناء والإحياء سبحانه قوله تعالى المال
والبنون زينة الحياة الدنيا لأن في المال جمالا ونفعا وفي البنين قوة ودفعا فصارا زينة الحياة
الدنيا لكن معه قرينة الصفة للمال والبنين لأن المعنى المال والبنون زينة الحياة الدنيا
المحتقرة فلا تتبعوها نفوسكم وهو رد على عيينة بن حصن وأمثاله لما افتخروا بالغنى والشرف
فأخبر الله تعالى أن ما كان من زينة الحياة الدنيا فهو غرور يمر ولا يبقى فهو كالهشيم حين ذرته
الريح إنما كان يبقى من زاد القبر وعدد الآخرة وكان يقال لا تعقد قلبك مع المال لأنه فيء ذاهب
ولا مع النساء لأنها اليوم معك وغدا مع غيرك ولا مع السلطان لأنه اليوم لك وغدا لغيرك ويكفي في
هذا قول الله تعالى إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم
قوله تعالى والباقيات الصالحات أي ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الطاعات
خير عند ربك ثوابا أي أفضل وخير أملا أي أفضل أملا من ذي المال والبنين دون عمل صالح
وليس في زينة الدنيا خير ولكنه خرج مخرج قوله أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وقيل خير
في التحقيق مما يظنه الجهال أنه خير في ظنهم واختلف العلماء في الباقيات الصالحات فقال ابن
عباس وابن جبير وأبو ميسرة عمرو بن شرحبيل هي الصلوات الخمس وعن ابن عباس أيضا أنها
كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخرة وقاله ابن زيد ورجحه الطبري وهو الصحيح إن شاء الله
لأن كل ما بقي ثوابه جاز أن يقال له هذا وقال علي رضي الله عنه الحرث حرثان فحرث الدنيا
المال والبنون وحرث الآخرة الباقيات الصالحات وقد يجمعهن الله لأقوام وقال الجمهور هي
الكلمات المأثور فضلها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله
أسنده النسائي عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال استكثروا من
الباقيات الصالحات قيل وما هي يا رسول الله قال الملة قيل وما هي يا رسول الله قال
التكبير والتهليل والتسبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله صححه أبو محمد عبد الحق رحمه
الله وروى قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ غصنا فخرطه حتى سقط ورقه وقال
إن المسلم إذا قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر تحاتت خطاياه كما تحاتت
هذه خذهن إليك أبا الدرداء قبل أن يحال بينك وبينهن فإنهن من كنوز الجنة وصفايا الكلام
وهن الباقيات الصالحات ذكره الثعلبي وخرجه ابن ماجه بمعناه من حديث أبي الدرداء قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
فإنهن يعني يحططن الخطايا كما تحط الشجرة ورقها وأخرجه الترمذي من حديث الأعمش
عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بشجرة يابسة الورق فضربها بعصاه
فتناثر الورق فقال إن الحمد لله وسبحان الله ولا إله إلا الله والله أكبر لتساقط من ذنوب
العبد كما تساقط ورق هذه الشجرة قال هذا حديث غريب لا نعرف للأعمش سماعا من أنس إلا
أنه قد رآه ونظر إليه وخرج الترمذي أيضا عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقيت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة
طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله
أكبر قال حديث حسن غريب خرجه الماوردي بمعناه وفيه فقلت وما غراس الجنة قال لا حول
ولا قوة إلا بالله وخرج ابن ماجه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر به وهو
يغرس غرسا فقال يا أبا هريرة ما الذي تغرس قال غراسا قال ألا أدلك على غراس خير لك من هذا سبحان
الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وقد قيل إن الباقيات
الصالحات هي النيات والهمات لأن بها تقبل الأعمال وترفع قاله الحسن وقال عبيد بن عمير هي
البنات يدل عليه أوائل الآية قال الله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا ثم قال
والباقيات الصالحات خير يعني البنات الصالحات هن عند الله لآبائهن خير ثوابا وخير أملا

في

في الآخرة لمن أحسن إليهن يدل عليه ما روته عائشة قالت دخلت علي امرأة مسكينة الحديث وقد ذكرناه
في سورة النحل في قوله يتوارى من القوم الآية وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لقد رأيت
رجلا من أمتي أمر به إلى النار فتعلق به بناته وجعلن يصرخن ويقلن رب إنه كان يحسن إلينا في
الدنيا فرحمه الله بهن وقال قتادة في قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما
قال أبدلهما منه ابنة فتزوجها نبي فولدت له اثني عشر غلاما كلهم أنبياء قوله تعالى ويوم نسير الجبال
وترى الأرض بارزة قال بعض النحويين التقدير والباقيات الصالحات خير عند ربك يوم نسير
الجبال قال النحاس وهذا غلط من أجل الواو وقيل المعنى واذكر يوم نسير الجبال أي نزيلها من
أماكنها من على وجه الأرض ونسيرها كما نسير السحاب كما قال في آية أخرى وهي تمر مر السحاب ثم
تكسر فتعود إلى الأرض كما قال وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وقرأ ابن كثير والحسن وأبو عمرو
وابن عامر ويوم تسير بتاء مضمومة وفتح الياء والجبال رفعا على الفعل المجهول وقرأ ابن محيصن
ومجاهد ويوم تسير الجبال بفتح التاء مخففا من سار والجبال رفعا دليل قراءة أبي عمرو وإذا الجبال
سيرت ودليل قراءة ابن محيصن وتسير الجبال سيرا واختار أبو عبيد القراءة الأولى نسير بالنون
لقوله وحشرناهم ومعنى بارزة ظاهرة ليس عليها ما يسترها من جبل ولا شجر ولا بنيان أي قد اجتثت
ثمارها وقلعت جبالها وهدم بنيانها فهي بارزة أي برز ما فيها من الكنوز والأموات كما قال
وألقت ما فيها وتخلت وقال وأخرجت الأرض أثقالها وهذا قول عطاء وحشرناهم إلى الموقف فلم نغادر
منهم أحدا أي لم نترك يقال غادرت كذا أي تركته قال عنترة

* غادرته متعفرا أوصاله * والقوم بين مجرح ومجدل *

أي تركته والمغادرة الترك ومنه الغدر لأنه ترك الوفاء وإنما سمي الغدير من الماء غديرا لأن
الماء ذهب وتركه ومنه غدائر المرأة لأنها تجعلها خلفها يقول حشرناهم برهم وفاجرهم جنهم وإنسهم قوله
تعالى وعرضوا على ربك صفا صفا نصب على الحال قال مقاتل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف
في الصلاة كل أمة وزمرة صفا لا أنهم صف واحد وقيل جميعا كقوله ثم ائتوا صفا أي جميعا وقيل
قياما وخرج الحافظ أبو القاسم عبد الرحمن بن منده في كتاب التوحيد عن معاذ بن جبل أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال إن الله تبارك وتعالى ينادي يوم القيامة بصوت رفيع غير فظيع يا عبادي
أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين يا عبادي لا خوف عليكم اليوم
ولا أنتم تحزنون أحضروا حجتكم ويسروا جوابا فإنكم مسؤولون محاسبون يا ملائكتي أقيموا عبادي
صفوفا على أطراف أنامل أقدامهم للحساب قلت هذا الحديث غاية في البيان في تفسير الآية ولم
يذكره كثير من المفسرين وقد كتبناه في كتاب التذكرة ومنه نقلناه والحمد لله لقد جئتمونا كما خلقناكم
أول مرة أي يقال لهم لقد جئتمونا حفاة عراة لا مال معكم ولا ولدا وقيل فرادى دليله قوله ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم أول مرة وقد تقدم وقال الزجاج أي بعثناكم كما خلقناكم بل زعمتم هذا خطاب
لمنكري البعث أي زعمتم في الدنيا أن لن تبعثوا وأن لن نجعل لكم موعدا للبعث وفي صحيح مسلم عن
عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة
غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض قال يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر
بعضهم إلى بعض غرلا أي غير مختونين وقد تقدم في الأنعام بيانه قوله تعالى ووضع
الكتاب اسم جنس وفيه وجهان أحدهما أنها كتب الأعمال في أيدي العباد قاله مقاتل الثاني
أنه وضع الحساب قاله الكلبي فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة
والقول الأول أظهر وذكر ابن المبارك قال أنا الحكم أو أبو الحكم شك نعيم عن إسماعيل بن عبد الرحمن
عن رجل من بني أسد قال قال عمر لكعب ويحك يا كعب حدثنا من حديث الآخرة قال نعم يا أمير
المؤمنين إذا كان يوم القيامة رفع اللوح المحفوظ فلم يبق أحد من الخلائق إلا وهو ينظر إلى عمله
قال ثم يؤتى بالصحف التي فيها أعمال العباد فتنثر حول العرش وذلك قوله ووضع الكتاب
فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة
إلا أحصاها قال السدي الصغيرة ما دون الشرك والكبيرة الشرك إلا أحصاها قال كعب ثم
يدعى المؤمن فيعطى كتابه بيمينه فينظر فيه فإذا حسناته باديات للناس وهو يقرأ سيئاته
لكي لا يقول كانت لي حسنات فلم تذكر فأحب الله أن يريه عمله كله حتى إذا استنقص ما في

الكتاب وجد في اخر ذلك كله انك مغفور وانك من اهل الجنة فعند ذلك يقبل الى اصحابه
ثم يقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه ثم يدعى الكافر فيعطى كتابه
بشماله ثم يلف فيجعل من وراء ظهره فينظر في كتابه فسيئاته باديات للناس وينظر في حسناته
لكي لا يقول افأثاب على السيئات وكان الفضيل بن عياض اذا قرا هذه الاية يقول يا ويلتاه
ضجوا الى الله من الصغائر قبل الكبائر قال ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك
يعني ما كان من ذلك في معصية الله عز وجل ذكره الثعلبي وحكى الماوردي عن ابن عباس
ان الصغيرة الضحك قلت فيحتمل ان تكون الصغيرة اذا لم تكن في معصية الضحك من المعصية
رضى بها والرضى بالمعصية معصية على هذا تكون كبيرة فيكون وجه الجمع هذا والله اعلم او يحمل
الضحك فيما ذكر الماوردي على التبسم وقد قال تعالى فتبسم ضاحكا من قولها وقال سعيد بن
جبير ان الصغائر اللمم كالمسيس والقبل والكبيرة المواقعة والزنا وقد مضى في النساء بيان
هذا قال قتادة اشتكى القوم الاحصاء وما اشتكى احد ظلما واياكم ومحقرات الذنوب فانها تجتمع
على صاحبها حتى تهلكه وقد مضى ومعنى احصاها عدها واحاط بها واضيف الاحصاء الى الكتاب
توسعا ووجدوا ما عملوا حاضرا اي وجدوا احصاء ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا اي لا ياخذ
احدا بجرم احد ولا ياخذه بما لم يعمله قاله الضحاك وقيل لا ينقص طائعا من ثوابه ولا يزيد عاصيا
في عقابه قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق
عن امر ربه تقدم في البقرة هذا مستوفى قال ابو جعفر النحاس وفي هذه الاية سؤال يقال ما
معنى ففسق عن امر ربه ففي هذا قولان احدهما وهو مذهب الخليل وسيبويه ان المعنى اتاه
الفسق امر ربه كما تقول اطعمته عن جوع والقول الاخر وهو مذهب محمد بن قطرب ان المعنى
ففسق عن رده ثم قال عز وجل للكفرة على جهة التوبيخ بقوله افتتخذونه وذريته اولياء وهم لكم عدو اي اعداء
فهو اسم جنس بئس للظالمين بدلا اي بئس عبادة الشيطان بدلا عن عبادة الله او بئس
ابليس بدلا واختلف هل لابليس ذرية من صلبه فقال الشعبي سالني رجل فقال هل لابليس
زوجة فقلت ان ذلك عرس لم اشهده ثم ذكرت قوله افتتخذونه وذريته اولياء فعلمت انه لا
يكون ذرية الا من زوجة فقلت نعم وقال مجاهد ان ابليس ادخل فرجه في فرج نفسه
فباض خمس بيضات فهذا اصل ذريته وقيل ان الله خلق له في فخذه اليمنى ذكرا وفي اليسرى
فرجا فهو ينكح هذا بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج من كل بيضة سبعون شيطانا
وشيطانة فهو يخرج وهو يطير واعظمهم عند ابيهم منزلة اعظمهم في بني ادم فتنة وقال قوم
ليس له اولاد ولا ذرية وذريته اعوانه من الشياطين قال القشيري ابو نصر والجملة ان
الله تعالى اخبر ان لابليس اتباعا وذرية وانهم يوسوسون الى بني ادم وهم اعداء ادم ولا
يثبت عندنا كيفية في كيفية التوالد منهم وحدوث الذرية عن ابليس فيتوقف الامر فيه
على نقل صحيح قلت الذي ثبت في هذا الباب من الصحيح ما ذكره الحميدي في الجمع بين الصحيحين
عن الامام ابي بكر البرقاني انه خرج في كتابه مسندا عن ابي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ
من رواية عاصم بن ابي عثمان عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن
اول من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فبها باض الشيطان وفرخ وهذا يدل على ان
للشيطان ذرية تخرج من صلبه والله اعلم قال ابن عطية وقوله وذريته ظاهر اللفظ
يقتضي الموسوسين من الشياطين الذين ياتون بالمنكر ويحملون على الباطل وذكر الطبري
وغيره ان مجاهدا قال ذرية ابليس الشياطين وكان يعدهم زلنبور صاحب الاسواق
يضع رايته في كل سوق بين السماء والارض يجعل تلك الراية على حانوت اول من يفتح واخر
من يغلق وثبر صاحب المصائب يامر بضرب الوجوه وشق الجيوب والدعاء بالويل والحرب
والاعور صاحب ابواب الزنا ومسوط صاحب الاخبار ياتي بها فيلقيها في افواه الناس
ولا يجدون لها اصلا وداسم الذي اذا دخل الرجل بيته فلم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع
ما لم يرفع وما لا يحسن موضعه واذا اكل ولم يذكر اسم الله اكل معه قال الاعمش واني ربما
دخلت البيت فلم اسلم ولم اذكر اسم الله فرايت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم اذكر
فاقول داسم داسم اعوذ بالله منه زاد الثعلبي وغيره عن مجاهد والابيض وهو الذي

يوسوس

يوسوس للانبياء وصخر وهو الذي اختلس خاتم سليمان بن داود والولهان وهو صاحب الطهارة
والاحنس وهو صاحب الصلاة يوسوس فيها ومرة صاحب المزامير وبه يكنى والهفاف يكون
بالصحاري يضل الناس ويتيههم ومنهم الغيلان وحكى ابو مطيع مكحول بن الفضل النسفي في
كتاب اللؤلؤيات عن مجاهد ان الهفاف هو صاحب الشراب ولقوس صاحب التحريش والاعور صاحب
ابواب السلطان قال وقال الداراني ان لابليس شيطانا يقال له المتقاضي يتقاضى ابن ادم فيخبر
بعمل كان عمله في السر منذ عشرين سنة فيحدث به في العلانية قال ابن عطية وهذا وما جانسه
مما لم يات به سند صحيح وقد طول النقاش في هذا المعنى وجلب حكايات تبعد عن الصحة ولم
يمر بي في هذا صحيح الا ما في الكتاب مسلم من ان للصلاة شيطانا يسمى خنزب وذكر الترمذي ان
للوضوء شيطانا يسمى الولهان قلت اما ما ذكر من التعيين في الاسم فصحيح واما ان له اتباعا واعوانا
وجنودا فمقطوع به وقد ذكرنا الحديث الصحيح في ان له اولادا من صلبه كما قال مجاهد وغيره وفي
صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود قال ان الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيحدثهم بالحديث
من الكذب فيتفرقون فيقول الرجل منهم سمعت رجلا اعرف وجهه ولا ادري ما اسمه يحدث وفي
مسند البزار عن سلمان الفارسي قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لا تكونن ان استطعت اول
من يدخل السوق ولا اخر من يخرج منها فانها معركة الشيطان وبها ينصب رايته وفي مسند احمد بن
حنبل قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال انا سفيان عن عطاء بن السائب عن ابي عبد الرحمن
السلمي عن ابي موسى الاشعري قال اذا اصبح ابليس بث جنوده فيقول من اضل مسلما البسته
التاج قال فيقول له القائل لم ازل بفلان حتى طلق زوجته قال يوشك ان يتزوج ويقول اخر
لم ازل بفلان حتى عق قال يوشك ان يبر قال ويقول القائل لم ازل بفلان حتى شرب قال انت
قال ويقول لم ازل بفلان حتى قتل فيقول انت انت وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان ابليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فادناهم منزلة اعظمهم فتنة
يجيء احدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ويجيء احدهم فيقول ما تركته حتى
فرقت بينه وبين اهله قال فيدنيه او قال فيلتزمه ويقول نعم انت وقد تقدم وسمعت
شيخنا الامام ابا محمد عبد المعطي بثغر اسكندرية يقول ان شيطانا يقال له البيضاوي يتمثل
للفقراء المواصلين في الصيام فاذا استحكم منهم الجوع واضر بادمغتهم يكشف لهم عن ضياء ونور حتى
يملأ عليهم البيوت فيظنون انهم قد وصلوا وان ذلك من الله وليس كما ظنوا قوله تعالى
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم قيل الضمير عائد على ابليس وذريته
اي لم اشاورهم في خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم اي انفس المشركين فكيف اتخذتموهم
اولياء من دوني وقيل الكناية في قوله ما اشهدتهم ترجع الى المشركين والى الناس بالجملة فتتضمن
الاية الرد على طوائف من المنجمين واهل الطبائع والمتحكمين من الاطباء وسواهم وكل من يتخوض
في هذه الاشياء قال ابن عطية وسمعت ابي رضي الله عنه يقول سمعت الفقيه ابا عبد الله
محمد بن معاذ المهدوي بالمهدية يقول سمعت عبد الحق الصقلي يقول هذا القول ويتاول
هذا التاويل في هذه الاية وانها رادة على هذه الطوائف وذكر هذا بعض الاصوليين
قال ابن عطية واقول ان الغرض المقصود اولا بالاية هم ابليس وذريته وبهذا الوجه يتجه الرد
على الطوائف المذكورة وعلى الكهان والعرب والمعظمين للجن حين يقولون اعوذ بعزيز هذا
الوادي اذ الجميع من هذه الفرق متعلقون بابليس وذريته وهم اضلوا الجميع فهم المراد الاول
بالمضلين وتندرج هذه الطوائف في معناهم قال الثعلبي وقال بعض اهل العلم ما اشهدتهم
خلق السموات رد على المنجمين ان قالوا ان الافلاك تحدث في الارض وفي بعضها في بعض وقوله
والارض رد على اصحاب الهندسة حيث قالوا ان الارض كرية والافلاك تجري تحتها والناس
ملصقون عليها وتحتها وقوله ولا خلق انفسهم رد على الطبائعيين حيث زعموا ان الطبائع هي
الفاعلة في النفوس وقرا ابو جعفر ما اشهدناهم بالنون والالف على التعظيم الباقون بالتاء
بدليل قوله وما كنت متخذ المضلين عضدا يعني الشياطين وقيل الكفار عضدا اي اعوانا
يقال اعتضدت بفلان اذا استعنت به وتقويت والاصل فيه عضد اليد ثم يوضع موضع
العون لان اليد قوامها العضد يقال عضده وعاضده على كذا اذا اعانه واعزه ومنه قوله

سنشد عضدك باخيك اي سنقويك باخيك ولفظ العضد على جهة المثل والله سبحانه لا يحتاج الى عون احد وخص المضلين بالذكر لزيادة الذم والتوبيخ وقرا ابو جعفر الجحدري وما كنت بفتح التاء اي وما كنت يا محمد متخذ المضلين عضدا وفي عضد ثمانية اوجه عضدا بفتح العين وضم الضاد وهي قراة الجمهور وهي افصحها وعضد بفتح العين واسكان الضاد وهي لغة بني تميم وعضدا بضم العين والضاد وهي قراة عكرمة وعضدا بضم العين واسكان الضاد وهي قراة عكرمة وعضدا بكسر العين وفتح الضاد وهي قراة الضحاك وعضدا بفتح العين والضاد وهي قراة عيسى ابن عمر وحكى هارون القاري عضدا واللغة الثامنة عضد على لغة من قال كتف وفخذ قوله تعالى ويوم يقول نادوا شركاي الذين زعمتم اي اذكروا يوم يقول الله نادوا شركاي اي ادعوا الذين اشركتموهم بي فليمنعوكم من عذابي وانما يقول ذلك لعبدة الاوثان وقرا حمزة ويحيى وعيسى ابن عمر نقول بالنون الباقون بالياء لقوله شركاي ولم يقل شركانا فدعوهم اي فعلوا ذلك فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوا الى نصرهم ولم يكفوا عنهم شيا وجعلنا بينهم موبقا قال انس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم وقال ابن عباس اي جعلنا بين المومنين والكفار حاجزا وقيل بين الاوثان وعبدتها نحو قوله فزيلنا بينهم قال ابن الاعرابي كل شي حاجز بين شيين فهو موبق وذكر ابن وهب عن مجاهد في قوله موبقا قال واد في جهنم يقال له موبق وكذلك قال نوف البكالي الا انه قال يحجز بينهم وبين المومنين عكرمة هو نهر في جهنم يسيل نارا على حافتيه حيات مثل البغال الدهم فاذا ثارت اليهم لتاخذهم استغاثوا منها بالاقتحام في النار وروى يزيد بن درهم عن انس بن مالك قال موبقا واد من قيح ودم وقال عطا والضحاك مهلكا في جهنم ومنه يقال اوبقته ذنوبه ايباقا وقال ابو عبيدة موعدا للهلاك الجوهري وبق يبق وبوقا هلك والموبق مثل الموعد مفعل من وعد يعد ومنه قوله تعالى وجعلنا بينهم موبقا وفيه لغة اخرى وبق يوبق وبقا وفيه لغة ثالثة وبق يبق بالكسر فيهما واوبقه اي اهلكه وقال زهير

ومن يشتري حسن الثنا بماله * يصن عرضه عن كل شنعا موبق *

قال الفرا جعل تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الاخرة قوله تعالى وراي المجرمون النار راى اصله راي قلبت اليا الفا لانفتاحها وانفتاح ما قبلها ولهذا زعم الكوفيون ان راي يكتب باليا وتابعهم على هذا بعض البصريين فاما البصريون الحذاق منهم محمد بن يزيد فانهم يكتبونه بالالف قال النحاس سمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول لا يجوز ان يكتب مضى ورمى وكل ما كان من ذوات اليا الا بالالف ولا فرق فيما بين ذوات اليا وذوات الواو في الخط كما انه لا فرق فيما بينهما في اللفظ ولو وجب ان يكتب ذوات الواو بالواو ولهم مع هذا تناقضون فيكتبون رمى باليا ورماه بالالف فان كانت العلة انه من ذوات اليا وجب ان يكتبوا رماه باليا ثم يكتبون ضحى جمع ضحوة وكسى جمع كسوة وهما من ذوات الواو باليا وهذا ما لا يحصل ولا يثبت على اصل فظنوا انهم مواقعوها ظنوا هنا بمعنى اليقين والعلم كما قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج اي ايقنوا وقد تقدم قال ابن عباس ايقنوا انهم مواقعوها وظنوا انها تاخذهم في الحال وفي الخبر ان الكافر ليرى جهنم ويظن انها مواقعته من مسيرة اربعين سنة والمواقعة ملابسة الشي بشدة وظنوا انهم ملافوها اي مجتمعون فيها واللفو للجمع ولم يجدوا عنها مصرفا اي مهربا لاحاطتها بهم من كل جانب وقال القتبي معدلا ينصرفون اليه وقيل ملجا يلجون اليه والمعنى واحد وقيل ولم تجد الاصنام مصرفا للنار عن المشركين قوله تعالى ولقد صرفنا في هذا القران للناس من كل مثل يحتمل وجهين احدهما ما ذكره لهم من العبر والقرون الخالية الثاني ما اوضحه لهم من دلايل الربوبية وقد تقدم في سبحان فهو على الوجه الاول زجر وعلى الثاني بيان وكان الانسان اكثر شي جدلا اي جدالا ومجادلة والمراد به النضر بن الحارث وجداله في القران وقيل الاية في ابي بن خلف وقال الزجاج اي الكافر اكثر شي جدلا والدليل على انه اراد الكافر قوله ويجادل الذين كفروا بالباطل وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوتى بالرجل يوم القيمة من الكفار فيقول الله له ما صنعت فيما ارسلت اليك فيقول رب امنت بك وصدقت برسلك وعملت بكتابك فيقول الله له هذه صحيفتك ليس فيها شي من ذلك فيقول يا رب

اني

اني لا اقبل ما في هذه الصحيفة فيقال له هذه الملايكة الحفظة يشهدون عليك فيقول ولا اقبلهم يا رب وكيف اقبلهم ولا هم من عندي ولا من جهتي فيقول الله تعالى هذا اللوح المحفوظ ام الكتاب قد شهد بذلك فيقال يا رب الم تجرني من الظلم قال بلى فيقال يا رب لا اقبل الا شاهدا علي من نفسي فيقول الله تعالى الان نبعث عليك شاهدا من نفسك فيتفكر من ذا الذي يشهد فيختم على فيه ثم تنطق جوارحه بالشرك ثم يخلى بينه وبين الكلام فيدخل النار وان بعضه ليلعن بعضا يقول لاعضايه لعنكن الله فعنكن كنت اناضل فتقول اعضاوه لعنك الله افتعلم ان الله تعالى يكتم حديثا فذلك قوله وكان الانسان اكثر شي جدلا اخرجه مسلم بمعناه من حديث انس ايضا وفي صحيح مسلم عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة فقال الا تصلون فقلت يا رسول الله انما انفسنا بيد الله فاذا شا ان يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك ثم سمعته وهو مدبر يضرب فخذه ويقول وكان الانسان اكثر شي جدلا قوله تعالى وما منع الناس ان يومنوا اي من ان يومنوا اذ جاهم الهدى اي القران والاسلام ومحمد عليه السلام الا ان تاتيهم سنة الاولين اي سنتنا في اهلاكهم اي ما منعهم عن الايمان الا حكمي عليهم بذلك ولو حكمت عليهم بالايمان امنوا وسنة الاولين عادة الاولين في عذاب الاستيصال وقيل المعنى وما منع الناس ان يومنوا الا طلب ان تاتيهم سنة الاولين فحذف وسنة الاولين معاينة العذاب فطلب المشركون ذلك وقالوا اللهم ان كان هذا هو الحق الاية او ياتيهم العذاب قبلا نصب على الحال ومعناه عيانا قاله ابن عباس وقال الكلبي هو السيف يوم بدر وقال مقاتل فجاة وقرا ابو جعفر وعاصم وحمزة والاعمش ويحيى والكساي قبلا بضمتين ارادوا به اصناف العذاب كله جمع قبيل نحو سبيل وسبل النحاس ومذهب الفرا ان قبلا جمع قبيل اي متفرقا يتلو بعضه بعضا ويجوز عنده ان يكون المعنى عيانا وقال الاعرج وكانت قراته قبلا معناه جميعا وقال ابو عمرو وكانت قراته قبلا ومعناه عيانا قوله تعالى وما نرسل المرسلين الا مبشرين اي بالجنة لمن امن ومنذرين اي مخوفين بالعذاب من كفر وقد تقدم ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق قيل نزلت في المقتسمين كانوا يجادلون في الرسول فيقولون ساحر ومجنون وشاعر وكاهن كما تقدم ومعنى يدحضوا يزيلوا ويبطلوا واصل الدحض الزلق يقال دحضت رجله اي زلقت تدحض دحضا ودحضت الشمس عن كبد السما زالت ودحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض الازلاق وفي وصف الصراط ويضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول الله وما الجسر قال دحض مزلة اي تزلق فيه القدم قال طرفة

ابا منذر رمت الوفا فهبته * وحدت كما حاد البعير عن الدحض *

واتخذوا اياتي يعني القران وما انذروا به من الوعيد هزوا وما بمعنى المصدر اي والانذار وقيل بمعنى الذي اي اتخذوا القران والذي انذروا به من الوعيد هزوا اي لعبا وباطلا وقد تقدم في البقرة بيانه وقيل هو قول ابي جهل في الزبد والتمر هذا هو الزقوم وقيل هو قولهم في القران انه سحر واضغاث احلام واساطير الاولين وقالوا للرسول هل هذا الا بشر مثلكم ولولا انزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وماذا اراد الله بهذا مثلا قوله تعالى ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها اي لا احد اظلم لنفسه ممن وعظ بايات ربه فتهاون بها واعرض عن قبولها ونسي ما قدمت يداه اي ترك كفره ومعاصيه فلم يتب منها فالنسيان هنا بمعنى الترك وقيل المعنى نسي ما قدم لنفسه وحصل من العذاب والمعنى متقارب انا جعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا بسبب كفرهم اي نحن منعنا الايمان فلن يهتدوا اذا ابدا نزلت في قوم معينين وهو يرد على القدرية قولهم وقد تقدم معنى هذه الاية في سبحان وغيرها قوله تعالى وربك الغفور اي للذنوب وهذا يختص به اهل الايمان دون الكفرة بدليل قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ذو الرحمة فيه اربع تاويلات احدها ذو العفو الثاني ذو الثواب وهو على هذين الوجهين مختص باهل الايمان دون الكفر الثالث ذو النعمة الرابع ذو الهدى وهو على هذين الوجهين يعم اهل الكفر والايمان لانه ينعم في الدنيا على الكافر كما ينعم على المومن وقد اوضح هدى الكافر كما اوضحه للمومن قوله بما كسبوا اي من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب ولكنه يمهل بل لهم موعد اي اجل مقدر يوخرون اليه نظيره لكل نبا مستقر لكل اجل

كتاب اي ان اجل لم يتأخر عنهم اما في الدنيا واما في الاخرة لن يجدوا من دونه موئلا اي ملجأ قاله
ابن عباس وابن زيد وحكاه الجوهري في الصحاح وقد وال يئل والا ووولا على فعول اي لجأ وانشد
على فاعل اي طلب النجاة وقال مجاهد محرزا وقتادة وليا وابو عبيدة منجى وقيل محيصا والمعنى واحد
والعرب تقول لا وألت نفسه اي لا نجت ومنه قول الشاعر

لا وألت نفسك خليتها • للعامريين ولم تكلم • وقال الاعشى

وقد اخالس رب البيت غفلته • وقد يحاذر مني ثم ما يئل •

اي ما ينجو قوله تعالى وتلك القرى اهلكناهم تلك في موضع رفع بالابتداء والقرى نعت
او بدل واهلكناهم في موضع الخبر محمول على المعنى لان المعنى اهل القرى ويجوز ان يكون تلك
في موضع نصب على ما قال زيدا ضربته اي وتلك القرى التي قصصنا عليك نبأهم نحو قرى
عاد وثمود ومدين وقوم لوط اهلكناهم لما ظلموا وكفروا وجعلنا لمهلكهم موعدا اي وقتا معلوما
لم تعده وهو مهلك من اهلكوا وقرأ عاصم مهلكا بفتح الميم واللام وهو مصدر هلك واجاز الكسائي
والفراء لمهلكهم بكسر اللام وفتح الميم النحاس وهو احب الي لانه من هلك الزجاج مهلك اسم للزمان
والتقدير لوقت مهلكهم كما يقال اتت الناقة على مضربها قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه
لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى واذ قال موسى
لفتاه لا ابرح للجمهور من العلماء واهل التاريخ انه موسى بن عمران المذكور في القران ليس
فيه موسى غيره وقالت فرقة منها نوف البكالي انه ليس ابن عمران وانما هو موسى بن منشى
ابن يوسف بن يعقوب وكان نبيا قبل موسى بن عمران وقد رد هذا القول ابن عباس في
صحيح البخاري وغيره وفتاه هو يوشع بن نون وقد مضى ذكره في المائدة واخر يوسف
ومن قال هو ابن منشا فليس الفتى يوشع بن نون لا ابرح اي لا ازال اسير قال الشاعر

وابرح ما ادام الله قومي • بحمد الله منتطقا مجيدا •

وقيل لا ابرح لا افارقك حتى ابلغ مجمع البحرين اي ملتقاهما قال قتادة هو بحر فارس والروم
وقاله مجاهد قال ابن عطية وهو ذراع يخرج من البحر المحيط من شمال الى جنوب في ارض
فارس من وراء اذربيجان فالركن الذي لاجتماع البحرين مما يلي بر الشام هو مجمع البحرين على
هذا القول وقيل هما بحر الاردن وبحر القلزم وقيل مجمع البحرين على هذا القول عند طنجة
قاله محمد بن كعب وروي عن ابي بن كعب انه بافريقية وقال السدي هو الكر والرس بارمينية
وقال بعض اهل العلم هو بحر الاندلس من البحر المحيط حكاه النقاش وهذا مما يذكر كثيرا
وقالت فرقة انما هما موسى والخضر وهذا قول ضعيف وحكي عن ابن عباس ولا يصح فان الامر
بين من الاحاديث انه انما وسم له بحر ماء وسبب هذه القصة ما خرجه الصحيحان عن ابي
ابن كعب انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان موسى قام خطيبا في بني اسرائيل
فسئل اي الناس اعلم فقال انا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فاوحى الله اليه ان لي
عبدا بمجمع البحرين هو اعلم منك قال موسى يا رب فكيف لي به قال تاخذ معك حوتا فتجعله
في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم وذكر الحديث واللفظ للبخاري وقال ابن عباس لما
ظهر موسى وقومه على ارض مصر انزل قومه مصر فلما استقرت بهم الدار امره الله ان ذكرهم بايام
الله فخطب قومه فذكرهم ما اتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من ال فرعون واهلك
عدوهم واستخلفهم في الارض ثم قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه والقى علي محبة
منه واتاكم من كل ما سألتموه فنبيكم افضل اهل الارض ورزقكم العز بعد الذل والغنى بعد
الفقر والتوراة بعد ان كنتم جهالا فقال له رجل من بني اسرائيل عرفنا الذي تقول فهل على
وجه الارض اعلم منك يا نبي الله قال لا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم اليه فبعث الله جبريل
ان يا موسى وما يدريك اين اضع علمي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين اعلم منك وذكر الحديث قال
علماؤنا قوله في الحديث هو اعلم منك اي باحكام وقائع مفصلة وحكم نوازل معينة لا مطلقا
بدليل قول الخضر لموسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه انا وانا على علم علمنيه لا تعلمه انت
وعلى هذا فيصدق على كل واحد منهما ولا يعلمه الاخر فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الفاضلة
وهمته العالية لتحصيل علم ما لم يعلم وللقاء من قيل فيه انه اعلم منه فعزم فسأل سؤال الذليل بكيف السبيل

فأمر

فأمر بالارتحال على كل حال وقيل له احمل معك حوتا مالحا في مكتل وهو الزنبيل فحيث يحيى وتفقده
فثم السبيل فانطلق مع فتاه لما واتاه مجتهدا طلبا قائلا لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا
بضم الحاء والقاف وهو الدهر والجمع احقاب وقد تسكن قافه فيقال حقب وهو ثمانون سنة
ويقال اكثر من ذلك والجمع حقاب والحقبة بكسر الحاء واحدة الحقب وهي السنون الثانية في هذا من
الفقه رحلة العالم في طلب الازدياد من العلم والاستعانة على ذلك بالخادم والصاحب واغتنام
لقاء الفضلاء والعلماء وان بعدت اقطارهم وذلك كان دأب السلف الصالح وبسبب ذلك وصل
المرتحلون الى الحظ الراجح وحصلوا على السعي الناجح فرسخت لهم في العلوم اقدام وصح لهم من الذكر والاجر
افضل الاقسام قال البخاري ورحل جابر بن عبد الله مسيرة شهر الى عبد الله بن انيس في حديث
الثالثة قوله تعالى واذ قال موسى لفتاه للعلماء فيه ثلاثة اقوال احدها انه كان معه فتى
يخدمه والفتى في كلام العرب الشاب ولما كان الخدمة اكثر ما يكونون فتيانا قيل للخادم فتى على
جهة حسن الادب وندبت الشريعة الى ذلك في قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم عبدي
ولا امتي وليقل فتاي فهذا ندب الى التواضع وقد تقدم هذا في يوسف والفتى في الاية هو الخادم
وهو يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام ويقال هو ابن اخت موسى عليه السلام وقيل
انما سمي فتى موسى لانه لزمه ليتعلم منه وان كان حرا وهذا معنى الاول وقيل انما سماه فتى لانه
قام مقام الفتى وهو العبد قال الله تعالى وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم وقال
تراود فتاها عن نفسه قال ابن العربي فظاهر القران يقتضي انه عبد وفي الحديث انه كان يوشع
ابن نون وفي التفسير انه ابن اخته وهذا كله مما لا يقطع به والتوقف فيه اسلم الرابعة قوله تعالى
او امضي حقبا قال عبد الله بن عمرو والحقب ثمانون سنة مجاهد سبعون خريفا قتادة زمان
النحاس الذي يعرفه اهل اللغة ان الحقب والحقبة محدود وجمعه احقاب قوله تعالى فلما بلغا مجمع
بينهما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا الضمير في قوله بينهما للبحرين قاله مجاهد والسرب
وجمهور المفسرين ان الحوت بقي موضع سلوكه فارغا وان موسى مشى عليه متبعا للحوت حتى
افضى به الطريق الى جزيرة في البحر وفيها وجد الخضر وظاهر الروايات والكتاب انه انما وجد الخضر
في ضفة البحر وقوله نسيا حوتهما وانما كان النسيان من الفتى وحده فقيل المعنى نسي ان يعلم موسى
بما رأى من حاله فنسب النسيان اليهما للصحبة كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج
من الملح وقوله يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس لا من الجن وفي
البخاري فقال لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت قال ما كلفت كثيرا فذلك
قوله عز وجل واذ قال موسى لفتاه يوشع بن نون ليست عن سعيد قال فبينا هو في ظل صخرة
في مكان ثريان اذ اضطرب الحوت وموسى نائم فقال فتاه لا اوقظه حتى اذا استيقظ نسي ان يخبره واضطرب
الحوت حتى دخل البحر فامسك الله عنه جرية البحر حتى كان اثره في حجر قال لي عمرو هكذا كان اثره
في حجر وحلق بين ابهاميه واللتين تليانهما وفي رواية وامسك الله عن الحوت جرية الماء فصار
عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى
اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا ولم يجد موسى النصب
حتى جاوز المكان الذي امره الله به قال له فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت
وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره وقيل ان النسيان كان منهما لقوله نسيا فنسب النسيان
اليهما وذلك ان بدو حمل الحوت كان من موسى لانه الذي امر به فلما مضيا كان فتاه هو الحامل له
حتى اويا الى الصخرة نزلا فلما جاوزا نسي الحوت هناك منسيا اي متروكا فلما سال موسى الغداء
نسب الفتى النسيان الى نفسه عند المخاطبة وانما ذكر الله نسيانهما عند بلوغ مجمع البحرين
وهو الصخرة فقد كان موسى شريكا في النسيان لان النسيان التاخير من ذلك قولهم في الدعاء
انسأ الله في اجلك فلما مضيا من الصخرة اخرا حوتهما عن حمله فلم يحمله واحد منهما فجاز ان ينسب
اليهما لانهما مضيا وتركا الحوت قوله تعالى آتنا غداءنا فيه مسالة واحدة وهو اتخاذ الزاد في
الاسفار وهو رد على الصوفية الجهلة الاغمار الذين يقتحمون المهامه والقفار زعما منهم ان
ذلك هو التوكل على الواحد القهار هذا موسى نبي الله وكليمه من اهل الارض قد اتخذ الزاد
مع معرفته بربه وتوكله على رب العباد وفي صحيح البخاري ان ناسا من اهل اليمن كانوا يحجون ولا

يتزودون ويقولون نحن المتوكلون فاذا قدموا سالوا الناس فانزل الله وتزودوا وقد مضى هذا
في البقرة واختلف في زاد موسى ما كان فقال ابن عباس كان حوتا مملوحا في زنبيل وكان يصيبان
منه غداء وعشاء فلما انتهيا الى الصخرة على ساحل البحر وضع فتاه المكتل فاصاب الحوت جري البحر
فتحرك الحوت في المكتل فقلب المكتل وانسرب الحوت ونسي الفتى ان يذكر قصة الحوت لموسى وقيل
انما كان الحوت دليلا على موضع الخضر لقوله في الحديث احمل معك حوتا في مكتل فحيث فقدت
الحوت فهو ثم وعلى هذا فيكون تزودا شيئا اخر غير الحوت وهذا ذكره شيخنا الامام ابو العباس
واختاره قال ابن عطية قال ابي رضي الله عنه سمعت ابا الفضل الجوهري يقول في وعظه مشى
موسى الى المناجات فبقي اربعين يوما لم يحتج الى طعام ولما مشى الى بشر لحقه الجوع في بعض يوم وقوله
نصبا اي تعبا والنصب التعب والمشقة وقيل عني به هنا الجوع وفي هذا دليل على جواز الاخبار
بما يجده الانسان من الالم والامراض وان ذلك لا يقدح في الرضى ولا في التسليم والقضا لكن اذا لم
يصدر ذلك عن ضجر ولا تسخط ومنه قوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره ان مع الفعل بتاويل
المصدر وهو منصوب بدل اشتمال من الضمير في انسانيه وهو بدل الظاهر من المضمر اي وما
انساني ذكره الا الشيطان وفي مصحف عبد الله وما انسانيه ان اذكره الا الشيطان وهذا انما
ذكره يوشع في معرض الاعتذار لقول موسى لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال
ما كلفت كثيرا فاعتذر بذلك القول قوله تعالى واتخذ سبيله في البحر عجبا يحتمل ان يكون من
قول يوشع لموسى اي اتخذ الحوت سبيله عجبا للناس ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله في البحر
تمام الخبر ثم استانف التعجب فقال من قبل نفسه عجبا لهذا الامر وموضع التعجب ان يكون حوت قد
مات فاكل شقه الايسر ثم حيي بعد ذلك قال ابو شجاع في كتاب الطبري رايته اتيت به فاذا
هو شقة حوت وعين واحدة وشق اخر ليس فيه شي عليه قشرة رقيقة بشق تحته شوكة
ويحتمل ان يكون قوله واتخذ سبيله اخبارا من الله تعالى وذلك على وجهين اما ان يخبر عن موسى
انه اتخذ سبيل الحوت من البحر عجبا اي تعجب منه واما ان يخبر عن الحوت انه اتخذ سبيله عجبا للناس
ومن غريب ما روي في البخاري عن ابن عباس من قصص هذه الاية ان الحوت انما حيي لانه مسه
ما عين هناك تدعى عين الحياة ما مست شيئا الا حيي وفي التفسير ان العلامة كانت ان يحيى
الحوت فقيل لما نزل موسى بعد ما اجهده السفر على صخرة الى جنبها ماء الحياة اصاب الحوت شي من
ذلك الماء فحيي وقال الترمذي في حديثه قال سفيان يزعم ناس ان تلك الصخرة عندها عين
الحياة ولا يصيب ماؤها ميتا الا عاش قال وكان الحوت قد اكل منه فلما قطر عليه الماء عاش وذكر
صاحب كتاب العروس ان موسى عليه السلام توضا من عين الحياة فقطرت من لحيته على الحوت
قطرة فحيي والله اعلم قوله تعالى ذلك ما كنا نبغ اي قال موسى لفتاه امر الحوت وفقده هو
الذي كنا نطلب فان الرجل الذي جينا له ثم فرجعا يقصان اثارهما لئلا يخطيا طريقهما وفي البخاري
فوجدا خضرا على طنفسة خضراء على كبد البحر مسجى بثوبه قد جعل طرفه تحت رجليه وطرفه تحت
راسه فسلم عليه موسى فكشف عن وجهه وقال هل بارضي من سلام من انت قال موسى قال موسى
بني اسرائيل قال نعم قال فما شانك قال جيت لتعلمني مما علمت رشدا الحديث وقال الثعلبي في
كتاب العرايس ان موسى وفتاه وجد الخضر وهو نايم على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو
متشح بثوب اخضر فسلم عليه موسى فقال انا بارضنا السلام ثم رفع راسه واستوى جالسا
وقال وعليك السلام يا نبي بني اسرائيل فقال له موسى وما ادراك بي ومن اخبرك اني نبي بني
اسرائيل قال الذي ادراك بي ودلك علي ثم قال يا موسى لقد كان لك في بني اسرائيل شغل
قال موسى ان ربي ارسلني اليك لاتبعك واعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجات خطافة
وحملت بمنقارها من الماء وذكر الحديث على ما ياتي قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا
العبد هو الخضر عليه السلام في قول الجمهور وبمقتضى الاحاديث الثابتة وخالف من لا يعتد
بقوله فقال ليس صاحب موسى بالخضر بل هو عالم اخر وحكى ايضا هذا القول القشيري
قال وقال قوم هو عبد صالح والصحيح انه كان الخضر بذلك ورد الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقال مجاهد سمي الخضر لانه كان اذا صلى اخضر ما حوله وروى الترمذي عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمي الخضر لانه جلس على فروة بيضا فاذا هي تهتز

تحته خضرا هذا حديث صحيح غريب الفروة هنا وجه الارض قاله الخطابي وغيره والخضر نبي
عند الجمهور وقيل هو عبد صالح غير نبي والاية تشهد بنبوته لانه بواطن افعاله كانت الا
بوحي وايضا فان الانسان لا يتعلم ولا يتبع الا من فوقه وليس يجوز ان يكون فوق النبي وقيل
من ليس بنبي وقيل كان ملكا امر الله موسى ان ياخذ عنه مما حمله من علم الباطن والاول
الصحيح والله اعلم قوله تعالى اتيناه رحمة من عندنا الرحمة في هذه الاية النبوة وقيل
النعمة وعلمناه من لدنا علما اي علم الغيب ابن عطية كان علم الخضر معرفة بواطن قد اوحيت
اليه لا تعطي ظواهر الاحكام افعاله بحسبها وكان علم موسى علم الاحكام والفتيا بظاهر اقوال
الناس وافعالهم قوله تعالى قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا فيه
مسئلتان الاولى قال له موسى هل اتبعك هذا سوال الملاطف والمخاطب المستنزل المبالغ
في حسن الادب المعنى هل يتفق لك ويخف عليك وهذا كما في الحديث هل يستطيع ان تريني كيف كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يتوضا وعلى بعض التاويلات يجي ان ذلك قوله تعالى هل يستطيع ربك
ان ينزل علينا مائدة من السماء حسب ما تقدم بيانه في المائدة الثانية في هذه الاية دليل على
ان المتعلم تبع للعالم وان تفاوتت المراتب ولا يظن ان تعلم موسى من الخضر ما يدل على ان الخضر
كان افضل منه فقد يشذ على الفاضل ما يعلمه المفضول والفضل لمن فضله الله فالخضر ان كان
وليا فموسى افضل منه لانه نبي والنبي افضل من الولي وان كان نبيا فموسى فضله بالرسالة والله
اعلم ورشدا مفعول ثان لتعلمني قال له الخضر انك لن تستطيع معي صبرا اي انك يا موسى لا
تطيق ان تصبر على ما تراه خطا ولم لان الظواهر التي هي علمك لا تعطيه وكيف تصبر على ما تراه خطا
ولم تخبر بوجه الحكمة فيه ولا طريق الصواب وهو معنى قوله وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا والانبيا
لا يقرون على منكر ولا يجوز لهم التقرير اي لا يسعك السكوت جريا على عادتك وحكمك وانتصب خبرا
على التمييز المحول عن الفاعل وقيل على المصدر الملاقي في المعنى لان قوله لم تحط معناه لم تخبره خبرا
والى هذا اشار مجاهد والخبير بالامور هو العالم بخفاياها وبما يختبر منها قوله تعالى ستجدني ان شاء الله صابرا
اي ساصبر بمشية الله ولا اعصي لك امرا اي قد الزمت نفسي طاعتك واختلف في الاستثنا هل
يشمل قوله ولا اعصي لك امرا ام لا فقيل يشمله كقوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقيل استثنى
في الصبر فصبر وما استثنى في قوله ولا اعصي فاعترض وسال قال علماؤنا انما كان ذلك منه لان الصبر
امر مستقبل ولا يدري كيف يكون حاله فيه ونفي المعصية معزوم عليه ويمكن ان يفرق بينهما بان الصبر
ليس مكتسبا لنا بخلاف فعل المعصية وتركها فان ذلك كله مكتسب لنا والله اعلم قوله تعالى قال
فان اتبعتني فلا تسالني عن شي حتى احدث لك منه ذكرا اي حتى اكون انا افسر لك وهذا من الخضر تاديب
وارشاد لما يقتضي دوام الصحبة فلو صبر ودأب لراى العجب لكنه اكثر من الاعتراض فتعين الفراق
والاعراض قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها فيه مسئلتان الاولى في صحيح
مسلم والبخاري فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه
بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجا الا والخضر قد قلع منها لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال له
موسى قوم حملونا بغير نول عمدت الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جيت شيا امرا قال الم
اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا قال وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت الاولى من موسى نسيانا قال وجا عصفور فوقع على حرف
السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله الا مثل ما نقص هذا العصفور
من هذا البحر قال علماؤنا خرق السفينة طرفها وخرق كل شي طرفه وهو اعلاه المحدد والعلم هنا
بمعنى المعلوم كما قال ولا يحيطون بشي من علمه اي من معلوماته وهذا من الخضر تمثيل اي معلوماتي
ومعلوماتك في علم الله لا اثر لها كما ان ما اخذ هذا العصفور من هذا البحر لا اثر له بالنسبة الى ماء
البحر وانما مثل له ذلك بالبحر لانه اكثر ما نشاهده مما بين ايدينا واطلاق لفظ النقص هنا تجوز قصد
به التمثيل والتفهيم اذ لا نقص في علم الله ولا نهاية لمعلوماته وقد اوضح هذا المعنى البخاري
فقال والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله الا كما اخذ هذا الطاير بمنقاره من البحر وفي التفسير
عن ابي العالية لم ير الخضر حين خرق السفينة غير موسى وكان عبدا لا تراه الا عين من اراد الله
له ان يريه ولو راه القوم لمنعوه من خرق السفينة وقيل خرج اهل السفينة الى جزيرة وتخلف الخضر

قال شيخنا رضي

خرقا السفينة وقال ابن عباس لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ما كنت
اصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل اتلو كتاب الله عليهم غدوة وعشية فيطيعوني قال
له الخضر يا موسى اتريد ان اخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال كذا وكذا قال صدقت ذكره الثعلبي
في كتاب العرائس الثانية في خرق السفينة دليل على ان للولي ان ينقص مال اليتيم اذا راه صلاحا
مثل ان يخاف على ربعه ظالما فيخرب بعضه وقال ابو يوسف يجوز للولي ان يصانع السلطان
ببعض مال اليتيم عن البعض وقرا حمزة والكسائي ليغرق بالياء اهلها بالرفع فاعل يغرق فاللام على قراءة
الجماعة في لتغرق لام المال مثل ليكون لهم عدوا وحزنا وعلى قراءة حمزة لام كي ولم يقل لتغرقني لان الذي
غلب عليه في الحال فرط الشفقة عليهم ومراعاة حقهم وامرا معناه عجبا قاله القتبي وقيل منكرا قاله
مجاهد وقال ابو عبيدة الامر الداهية العظيمة وانشد

قد لقي الاقران مني نكرا * داهية دهيا ادا امرا

وقال الاخفش يقال امر امره يامر اذا اشتد والاسم الامر قوله تعالى لا تؤاخذني بما نسيت في
معناه قولان احدهما يروى عن ابن عباس قال هذا من معاريض الكلام والاخر انه نسي فاعتذر
ففيه ما يدل على ان النسيان لا يقتضي المؤاخذة وانه لا يدخل تحت التكليف ولا يتعلق به حكم طلاق ولا
غيره وقد تقدم ولو نسي في الثانية لاعتذر قوله تعالى فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله في
البخاري قال يعلى قال سعيد وجد غلمانا يلعبون فاخذ غلاما كافرا فاضجعه ثم ذبحه بالسكين
قال اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لم تعمل بالحنث وفي الصحيحين وصحيح الترمذي ثم خرجا من
السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذ الخضر براسه بيده
فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى اقتلت نفسا زاكية بغير نفس لم تعمل بالحنث لقد جئت شيئا
نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سالتك
عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا لفظ البخاري ومسلم وفي التفسير ان
الخضر مر بغلمان يلعبون فاخذ بيده غلاما ليس فيهم اضوا منه واخذ حجرا فضرب به راسه
حتى دمغه فقتله قال ابو العالية لم يره الا موسى ولو راوه لحالوا بينه وبين الغلام قلت
ولا اختلاف بين هذه الاحوال الثلاث فانه يحتمل ان يكون دمغه اولا بالحجر ثم اضجعه فذبحه
ثم اقتلع راسه والله اعلم بما كان من ذلك وحسبك بما جاء في الصحيح وقرا الجمهور زاكية بالالف
وقرا الكوفيون وابن عامر زكية بغير الف وتشديد الياء قيل المعنى واحد قاله الكسائي
وقال ثعلب الزكية ابلغ وقال ابو عمرو الزاكية التي لم تذنب قط والزكية التي اذنبت ثم تابت
قوله تعالى غلاما اختلف العلماء في الغلام هل كان بالغا ام لا فقال الكلبي كان بالغا يقطع
الطريق بين قريتين وابوه من عظماء اهل احدى القريتين وامه من عظماء القرية الاخرى
فاخذه الخضر فصرعه ونزع راسه عن جسده قال الكلبي واسم الغلام شمعون وقال الضحاك
حيسون وقال وهب اسم ابيه سلاس واسم امه رحمى وحكى السهيلي ان اسم ابيه كازيري واسم
امه سهوى وقال الجمهور لم يكن بالغا ولذلك قال موسى زاكية لم تذنب وهو الذي يقتضيه
لفظ الغلام فان الغلام في الرجال يقال على من لم يبلغ وتقابله الجارية في النساء وكان الخضر
قتله لما علم من سره وانه طبع كافرا كما جاء في الحديث وانه لو ادرك ابويه لارهقهما كفرا وقتل
الصغير غير مستحيل اذا اذن الله في ذلك فان الله تعالى الفعال لما يريد القادر على ما يشا
وفي كتاب العرائس ان موسى لما قال للخضر اقتلت نفسا زاكية الاية غضب الخضر واقتلع
كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه واذا في عظم كتفه مكتوب لا يؤمن بالله ابدا وقد احتج
اهل القول الاول بان العرب تبقي على الشاب اسم الغلام ومنه قول ليلى الاخيلية

شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القناة شفاها

وقال صفوان لحسان * تلق ذباب السيف عني فانني * غلام اذا هوجيت لست بشاعر

وفي الخبر ان هذا الغلام كان يفسد في الارض ويقسم لابويه انه ما فعل فيقسمان على قسمه
ويحميانه ممن يطلبه قالوا وقوله بغير نفس يقتضي انه لو كان عن قتل نفس لم يكن به باس
وهذا يدل على كبر الغلام والا فلو كان لم يحتلم لم يجب قتله بنفس وانما جاز قتله لانه كان
بالغا عاصيا قال ابن عباس كان شابا يقطع الطريق وذهب ابن جبير الى انه بلغ سن التكليف

لقراءة

لقراءة ابي وابن عباس واما الغلام فكان كافرا وكان ابواه مؤمنين والكفر والايمان من صفات
المكلفين ولا يطلق على غير مكلف الا بحكم التبعية لابويه وابوا الغلام كانا مؤمنين بالنص فلا
يصدق عليه اسم الكافر الا بالبلوغ فتعين ان يصار اليه والغلام من الاغتلام وهو شدة الشبق
قوله تعالى نكرا اختلف الناس ايهما ابلغ امرا او قوله نكرا فقالت فرقة هذا قتل بين وهناك
مترقب فنكرا ابلغ وقالت فرقة هذا قتل واحد وذاك قتل جماعة فامرا ابلغ قال ابن عطية وعندي
انهما لمعنيين وقوله امرا افظع واهول من حيث هو متوقع عظيم ونكرا بين الفساد لان مكروهه قد
وقع وهذا بين قوله ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني شرط وهو لازم والمسلمون عند
شروطهم واحق الشروط ان يوفى به ما التزمه الانبيا والتزم للانبيا وقوله قد بلغت من لدني
عذرا يدل على قيام الاعتذار بالمرة الواحدة مطلقا وقيام الحجة من المرة الثانية بالقطع قاله
ابن العربي ابن عطية ويشبه ان تكون هذه القصة ايضا اصلا للاجال في الاحكام التي هي ثلاثة
وايام التلوم ثلاثة فتامله قوله تعالى فلا تصاحبني كذا قرا الجمهور اي تتابعني وقرا الاعرج
تصحبني بفتح التاء والباء وتشديد النون وقرئ تصحبني اي تتبعني وقرا يعقوب تصحبني بضم التاء
وكسر الحاء ورواها سهل عن ابي عمرو قال الكسائي معناه فلا تتركني اصحبك قد بلغت من لدني عذرا
اي بلغت مبلغا تعذر به في ترك مصاحبتي وقرا الجمهور من لدني بضم الدال الا ان نافعا وعاصما
خففا النون فهي لدن اتصلت بها ياء المتكلم التي في غلامي وفرسي وكسر ما قبل الياء كما كسر في هذه
وقرا ابو بكر عن عاصم لدني بفتح اللام وسكون الدال قال ابن مجاهد وهي غلط قال ابو علي هذا التغليط
يشبه ان يكون من جهة الرواية فاما على قياس العربية فهي صحيحة وقرا الجمهور عذرا وقرا عيسى
عذرا بضم الذال وحكى الداني ان ابيا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم عذري بضم الدال وياء
بعدها مسالة اسند الطبري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعا لاحد بدا بنفسه فقال
يوما رحمة الله علينا وعلى موسى لو صبر على صاحبه لراى العجب ولكنه قال فلا تصاحبني قد بلغت
من لدني عذرا والذي في صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة الله علينا وعلى موسى
لولا انه عجل لراى العجب قال وكان ولكنه اخذته ذمامة من صاحبه فلو صبر لراى العجب قال
وكان اذا ذكر احدا من الانبيا بدا بنفسه فقال رحمة الله علينا وعلى اخي كذا وفي البخاري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال يرحم الله موسى لوددنا انه صبر حتى يقص علينا من امرهما الذمامة بالذال المعجمة
المفتوحة وهي بمعنى المذمة بفتح الذال وكسرها وهي الرقة والعار من ترك الحرمة يقال اخذتني منه
مذمة ومذمة ودمامة وكانه استحيى من تكرار مخالفته ومما صدر عنه من تغليظ الانكار قوله تعالى
فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية الى قوله صبرا فيه ثلاث عشرة مسالة الاولى قوله تعالى حتى اذا اتيا
اهل قرية في صحيح مسلم عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم لئاما فطافا في المجالس فاستطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض يقول مائل قال الخضر بيده فاقامه قال
له موسى قوم اتيناهم فلم يضيفونا ولم يطعمونا لو شئت لتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك
سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله موسى لوددنا انه كان
صبر حتى يقص علينا من اخبارهما الثانية واختلف العلما في القرية فقيل هي ايلة قاله قتادة وكذلك
قال محمد بن سيرين وهي ابخل قرية وابعدها من السما وقيل انطاكية وقيل بجزيرة الاندلس وروي ذلك
عن ابي هريرة وغيره ويذكر انها الجزيرة الخضرا وقالت فرقة هي باجروان وهي بناحية اذربيجان وحكى
السهيلي وقال انها ايضا برقة الثعلبي هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة وبها تنسب النصارى
وهذا كله بحسب الخلاف في اي ناحية من الارض كانت قصة موسى والله اعلم بحقيقة ذلك الثالثة كان موسى
حين سقى لبنت شعيب احوج منه حين اتى القرية مع الخضر ولم يسال قوتا بل سقى ابتداء وفي القرية
سالا القوت وفي ذلك للعلما انفصالات كثيرة منها ان موسى كان في حديث مدين منفردا وفي قصة
الخضر تبعا لغيره قلت وعلى هذا المعنى يتمشى قوله في اول الاية لفتاه اتنا غداءنا لقد لقينا من
سفرنا هذا نصبا فاصابه الجوع مراعاة لصاحبه يوشع والله اعلم وقيل لما كان هذا سفر تاديب وكل
الى تكلف المشقة وكان ذلك سفر هجرة فوكل الى العون والنصرة بالقوت الرابعة في هذه الاية دليل
على سؤال القوت وان من جاع وجب عليه ان يطلب ما يرد جوعه خلافا لجهال المتصوفة والاستطعام
سؤال الطعام والمراد به هنا سؤال الضيافة بدليل قوله فابوا ان يضيفوهما فاستحق اهل القرية

لذلك ان يذموا وينسبوا الى اللؤم والبخل كما وصفهم بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم قال قتادة في
هذه الاية شر القرى التي لا تضيف ولا تعرف لابن السبيل حقه ويظهر من ذلك ان الضيافة كانت
عليهم واجبة وان الخضر وموسى سالا ما يجب لهما من الضيافة وهذا هو الاليق بحال الانبيا ومنصب
الفضلا والاوليا وقد تقدم القول في الضيافة في هود والحمد لله ويعفوا الله عن الحريري حيث
استخف في هذه الاية واتى بخطل من القول نزل فاستدل بها على الكدية والالحاح فيها وان
ذلك ليس بمعيب على فاعله ولا منقصة عليه فقال

• فان رددت فما في الرد منقصة • عليك قد رد موسى قبل والخضر •

وهذا لعب بالدين وانسلال عن احترام النبيين وهي شنشنة ادبية وهفوة سخافية ويرحم
الله السلف الصالح فلقد بالغوا في وصية كل ذي عقل راجح فقالوا مهما كنت لاعبا بشي فاياك
ان تلعب بدينك الخامسة قوله تعالى جدارا الجدار والجدر بمعنى وفي الخبر حتى يبلغ الماء الجدر وكان
جدير اي بنو حواليه جدارا واصله الرفع واجدرت الشجرة طلعت ومنه الجدري السادسة قوله
تعالى يريد ان ينقض اي قرب ان يسقط وهذا مجاز وتوسع وقد فسره في الحديث بقوله مايل فكان
فيه دليل على وجود المجاز في القران وهو مذهب الجمهور وجميع الافعال التي حقها ان تكون للحي الناطق
متى اسندت الى جماد او بهيمة فانما هي استعارة اي لو كان مكانهما انسان لكان ممتثلا لذلك الفعل
وهذا في كلام العرب واشعارها كثير فمن ذلك قول الاعشى

• اتنتهون ولا ينهى ذوي شطط • كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل •

فاضاف النهي الى الطعن ومن ذلك قول الاخر

• يريد الرمح صدر ابي براء • ويرغب عن دماء بني عقيل •   وقال اخر

• ان دهرا يلف شملي بسلمى • لزمان يهم بالاحسان •   وقال اخر

• في مهمه قلقت به هاماتها • قلق الفؤوس اذا اردن نضولا •

اي ثبوتها في الارض من قولهم نصل السيف اذا ثبت في الرمية فشبه وقع رؤوسهم على الارض بوقع
الفؤوس في الارض فان الفاس تقع فيها وتثبت ولا تكاد تخرج قال حسان بن ثابت

• لو ان اللوم ينسب كان عبدا • قبيح الوجه اعور من ثقيف •   وقال عنترة

• فازور من وقع القنا بلبانه • وشكا الي بعبرة وتحمحم •

وقد فسر هذا المعنى بقوله لو كان يدري ما المحاورة اشتكى وهذا في هذا المعنى كثير جدا ومنه
قول الناس داري تنظر الى دار فلان وفي الحديث اشتكت النار الى ربها وذهب قوم الى منع المجاز
في القران منهم ابو اسحاق الاسفرايني وابو بكر داود الاصبهاني وغيرهما وان كلام الله عز وجل وكلام
رسوله حمله على الحقيقة اولى بذي الدين والفضل لانه يقص الحق كما اخبر في كلامه كتابه ومما
احتجوا به ان قالوا لو خاطبنا الله بالمجاز لزم وصفه بانه متجوز ايضا فان العدول عن الحقيقة الى
المجاز يقتضي العجز عن الحقيقة وهو على الله محال قال الله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم
وارجلهم بما كانوا يعملون وقال وتقول هل من مزيد وقال اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وقال تدعوا من ادبر وتولى واشتكت النار الى ربها واحتجت النار والجنة وما كان
مثله حقيقة وان خالقها انطق الذي انطق كل شي وفي صحيح مسلم من حديث انس عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفيه ويختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله
وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق الذي سخط الله عليه هذا في الاخرة واما في الدنيا
ففي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الانس وحتى يكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله وتخبره
فخذه بما احدث اهله من بعده وفي الباب عن ابي هريرة وهذا حديث حسن صحيح غريب
السابعة قوله تعالى فاقامه قيل هدمه ثم قعد يبنيه فقال موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه
اجرا لانه فعل يستحق اجرا وذكر ابو بكر الانباري عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه قرا فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فهدمه ثم قعد يبنيه قال ابو بكر وهذا
الحديث ان صح سنده فهو جار من الرسول عليه السلام مجرى التفسير للقران وان بعض الناقلين
ادخل قرا في موضع فسر الان ذلك قران ينقص من مصحف عثمان على ما قاله بعض الطاعنين

دفاد

وقال سعيد ابن جبير مسحه بيده فاقامه وهذا القول هو الصحيح وهو الاشبه بافعال
الانبيا عليهم السلام بل الاوليا وفي بعض الاخبار ان سمك ذلك الحايط كان ثلاثمئة ذراع بذراع ذلك
القرن وطوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر اي سواه بيده
فاستقام قاله الثعلبي في كتاب العرايس فقال موسى للخضر لو شئت لتخذت عليه اجرا اي طعاما ناكله
ففي هذا دليل على كرامات الاوليا وكذلك ما وصف من احوال الخضر في هذا الباب كلها امور خارقة للعادة
هذا اذا تنزلنا انه ولي لا نبي وقوله وما فعلته عن امري يدل على نبوته وانه يوحى اليه بالتكاليف
والاحكام كما اوحي الى الانبيا غير انه برسول والله اعلم الثامنة ويجب على الانسان ان لا يتعرض للجلوس
تحت جدار مايل يخاف سقوطه بل يسرع في المشي اذا كان مارا عليه لان في حديث النبي صلى الله عليه
وسلم اذا مر احدكم بطربال مايل فليسرع المشي قال ابو عبيد القاسم بن سلام كان ابو عبيدة يقول
الطربال شبيه بالمنظر من مناظر العجم كهيئة الصومعة والبنا المرتفع قال جرير

• الوى بها شذب العروق مشذب • فكانما وكنت على طربال •

يقال منه وكن يكن اذا جلس وفي الصحاح الطربال القطعة في الجدار والصخرة العظيمة المشرفة من
الجبل وطرابيل الشام صوامعها ويقال طربل بوله اذا مده فوقه الى فوق التاسعة كرامات الاوليا
ثابتة على ما دلت عليها الاخبار الثابتة والايات المتواترة ولا ينكرها الا المبتدع الجاحد او الفاسق الحايد
فالايات ما اخبر الله عز وجل في حق مريم من ظهور الفاكهة الشتوية في الصيف والصيفية في الشتا
على ما تقدم وظهر على يدها حيث امرت النخلة وكانت يابسة فاثمرت وهي ليست نبية على الخلاف
ويدل عليها ما ظهر على يد الخضر من خرق السفينة وقتل الغلام واقامة الجدار قال بعض العلما ولا
يجوز ان يقال كان نبيا لان اثبات النبوة لا يجوز باخبار الاحاد لا سيما وقد روي من طريق التواتر
من غير ان يحتمل تاويلا باجماع الامة قوله عليه السلام لا نبي بعدي وقال تعالى وخاتم النبيين والخضر
ودانيال جميعا باقيين مع هذه الكرامة فوجب ان يكونا غير نبيين لانهما لو كانا نبيين لوجب ان يكون
بعد نبينا عليه السلام نبيا الا ما قامت الدلالة في حديث عيسى انه ينزل بعده قلت الجمهور ان الخضر
كان نبيا على ما تقدم وليس بعد نبينا نبي اي يدعي النبوة بعده ابتدا والله اعلم العاشرة واختلف
الناس هل يجوز ان يعلم الولي انه ولي ام لا على قولين احدهما انه لا يجوز وان ما يظهر على يديه يجب
ان لا يلاحظه بعين خوف المكر لانه لا يامن ان يكون مكرا واستدراجا له وقد حكي عن السري انه كان
يقول لو ان رجلا دخل بستانا فكلمه من راس كل شجرة طير بلسان فصيح السلام عليك يا ولي الله فلو
لم يخف ان يكون ذلك مكرا لكان ممكورا به ولانه لو علم انه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الامن ومن
شرط الولي ان يستديم الخوف الى ان تنزل عليه الملايكة كما قال عز وجل تتنزل عليهم الملايكة الا
تخافوا ولا تحزنوا ولان الولي من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ولا يدري احد
ما يختم له ولهذا قال عليه السلام انما الاعمال بالخواتيم القول الثاني انه يجوز للولي ان يعلم انه ولي
ولا خلاف انه يجوز لغيره ان يعرف انه ولي الله فجاز ان يعلم ذلك وقد اخبر النبي صلى الله عليه
وسلم من حال العشرة من اصحابه انهم من اهل الجنة ثم لم يكن في ذلك زوال الخوف بل كانوا اكثر
تعظيما لله سبحانه واشد خوفا وهيبة فاذا جاز للعشرة ذلك ولم يخرجهم عن الخوف فكذلك
غيرهم وكان الشبلي يقول انا امان هذا الجانب فلما مات ودفن عبر الديلم دجلة ذلك اليوم واستولوا
على بغداد ويقول الناس مصيبتنا موت الشبلي وعبور الديلم ولا يقال انه يحتمل ان يكون ذلك
استدراجا لانه لو جاز ذلك لجاز ان لا يعرف النبي انه نبي وولي الله لجواز ان يكون ذلك استدراجا
فلما لم يجز ذلك لان فيه ابطال المعجزات لم يجز هذا لان فيه ابطال الكرامات وما روي من ظهور
الكرامات على يدي بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله فانسلخ منها فليس في الاية انه كان
وليا لله ثم انسلخت عنه الولاية وما نقل انه ظهر على يده ما يجري مجرى الكرامات هو اخبار
احاد لا توجب العلم والله اعلم والفرق بين المعجزة والكرامة ان الكرامات من شرطها الاستتار
والمعجزة من شرطها الاظهار وقيل الكرامة ما يظهر من غير دعوى والمعجزة ما يظهر عند دعوى
الانبيا فيطالبون بالبرهان فيظهر اثر ذلك وقد تقدم في مقدمة الكتاب شي من شرط المعجزة والحمد
لله وحده لا شريك له واما الاحاديث الواردة في الدلالة على ثبوت الكرامات فمن ذلك ما خرجه
البخاري من حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة رهط سرية عينا

والرهم عاصم ابن ثابت الانصاري جد عاصم بن عمر ابن الخطاب رضي الله عنهم فانطلقوا حتى
اذا كانوا بالهداة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحي من هذيل يقال لهم بنو لحيان فنفروا اليهم
قريبا من مائتي رجل كلهم رامي فاقتصوا اثارهم فوجدوا ماكلهم تمرا تزودوه من المدينة
فقالوا هذا تمر يثرب فاقتصوا اثارهم فلما راهم عاصم واصحابه لجاوا الى فدفد واحاط بهم
القوم فقالوا لهم انزلوا فاعطونا بايديكم ولكم العهد والميثاق ولا نقتل منكم احدا فقال عاصم
ابن ثابت امير السرية اما انا فوالله لا انزل اليوم في ذمة كافر اللهم اخبر عنا نبيك فرموهم بالنبل
فقتلوا عاصما في سبعة فنزل اليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق منهم خبيب الانصاري وابن
دثنة ورجل اخر فلما استمكنوا منهم اطلقوا اوتار قسيهم فاوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا
اول الغدر والله لا اصحبكم ان لي في هولاء لاسوة يريد القتلى فجروه وعالجوه على ان يصحبهم
فقتلوه فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر فابتاع خبيبا بنو الحرث
ابن عامر ابن نوفل ابن عبد مناف وكان خبيب هو قتل الحارث ابن عامر يوم بدر فلبث خبيب
عندهم اسيرا فاخبرني عبيد الله ابن عياض ان بنت الحارث اخبرته انهم حين اجتمعوا استعار
منها موسى يستحد بها فاعارته فاخذ ابنا لي وانا غافلة حتى اتاه فقالت فوجدته مجلسه على
فخذه والموسى بيده قالت ففزعت فزعة عرفها خبيب في وجهي فقال اتخشين ان اقتله ما كنت
لافعل ذلك قالت والله ما رايت اسيرا قط خيرا من خبيب والله لقد وجدته يوما ياكل من قطف
عنب في يده وانه لموثق في الحديد وما بمكة من ثمر وكانت تقول انه لرزق رزقه الله خبيبا
فلما خرجوا به من الحرم ليقتلوه في الحل قال لهم خبيب دعوني اركع ركعتين فتركوه فركع ركعتين
ثم قال لولا ان تظنوا ان ما بي جزع اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم احدا قال

ما ابالي حين اقتل مسلما • على اي شق كان لله مصرعي •
وذلك في ذات الاله وان يشا • يبارك على اوصال شلو ممزع •

فقتله بنو الحارث فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا فاستجاب الله
لعاصم يوم اصيب وبعث ناس من كفار قريش الى عاصم حين حدثوا انه قتل ليوتوا بشيء منه
يعرف وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر فحمته
من رسلهم فلم يقدروا على ان يقطعوا من لحمه شيئا وقال ابن اسحاق في هذه القصة وقد
كانت هذيل حين قتل عاصم ابن ثابت ارادوا راسه ليبيعوه من سلافة بنت سعد ابن الشهيد
وقد كانت نذرت حين اصيبت ابناها باحد لئن قدرت على راسه لتشربن في قحفه الخمر
فمنعهم الدبر فلما حالت بينهم وبينه قالوا دعوه حتى يمسي فيذهب عنه فناخذه فبعث الله
الوادي فاحتمل عاصما فذهب وقد كان عاصم اعطى الله عهدا ان لا يمس مشركا ولا يمسه مشركا
ابدا في حياته فمنعه الله بعد وفاته مما امتنع منه في حياته وعن عمرو ابن امية الضمري
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه عينا وحده فقال جئت الى خشبة خبيب فرقيت
فيها وانا اتخوف العيون فاطلقته فوقع بالارض ثم اقتحمت فانتبذت قليلا ثم التفت فكانما
ابتلعته الارض وفي رواية اخرى زيادة فلم يذكر لخبيب رمة حتى الساعة ذكره البيهقي الحادية
عشر ولا ينكر ان يكون للولي مال وضيعة يصون بها وجهه وعياله وبحسبك بالصحابة ولوامهم
مع كرامتهم وفضلهم وهم الحجة على غيرهم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال بينما رجل بفلاة من الارض فسمع صوتا في سحابة اسق حديقة فلان
فتنحى ذلك السحاب فافرغ ماءه في حرة فاذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت
ذلك الماء كله فتتبع الماء فاذا رجل قائم في حديقته يحول الماء فقال يا عبد الله ما اسمك
قال فلان الاسم الذي سمع في السحابة فقال له يا عبد الله لم تسالني عن اسمي فقال
اني سمعت صوتا في السحاب الذي هذا ماؤه يقول اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع
فيها قال اما اذ قلت هذا فاني انظر الى ما يخرج منها فاتصدق بثلثه واكل انا وعيالي
ثلثا وارد فيها ثلثه وفي رواية واجعل ثلثه في المساكين والسائلين وابن السبيل قلت
وهذا الحديث لا ينافي قوله عليه السلام لا تتخذوا الضيعة فترغبوا في الدنيا خرجه
الترمذي من حديث ابن مسعود وقال فيه حديث حسن فانه محمول على من اتخذها

مستكثرا

مستكثرا ومستطيلا ومتمتعا بزهرة الدنيا واما من اتخذها معاشا يصون بها دينه وعياله فاتخاذها
بهذه النية من افضل الاعمال وهي من افضل الاموال قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح
للرجل الصالح وقد اكثر الناس في كرامات الاولياء وما ذكرناه فيه كفاية والله الموفق للهداية
الثانية عشر قوله تعالى لتخذت عليه اجرا دليل على صحة جواز الاجارة وهي سنة الانبياء
والاولياء على ما ياتي بيانها في سورة القصص ان شاء الله تعالى وقرا الجمهور لاتخذت وابو
عمرو لتخذت وهي قراءة ابن مسعود والحسن وقتادة وهما لغتان بمعنى واحد مثل قولك تبع
واتبع وتقى واتقى وادغم بعض القراء الذال في التاء ولم يدغمها بعضهم وفي حديث ابي بن
كعب لو شئت لاوتيت اجرا وهذه صدرت من موسى سؤالا على جهة العرض لا الاعتراض فعند
ذلك قال له الخضر هذا فراق بيني وبينك بحكم ما شرطت على نفسك وتكريره بيني وبينك وعدوله
عن بيننا لمعنى التاكيد قال سيبويه كما يقال اخزى الله الكاذب بيني وبينك اي منا وقال
ابن عباس كان قول موسى في السفينة والغلام لله وكان قوله في الجدار لنفسه لطلب شيء من الدنيا
فكان سبب الفراق وقال وهب بن منبه كان ذلك الجدار جدارا طوله في السماء مائة ذراع الثالثة
عشر قوله تعالى سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا تاويل الشيء ماله اي اخبرك لم فعلت ما فعلت
وما رق في تفسير هذه الايات التي وقعت لموسى مع الخضر انها حجة على موسى وعجبا له وذلك انه
لما انكر خرق السفينة نودي يا موسى اين كان تدبيرك هذا وانت في التابوت مطروحا في اليم فلما
انكر امر الغلام قيل له اين انكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه فلما انكر اقامة الجدار نودي
اين هذا من رفعك حجر البير لبنات شعيب دون اجر قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون
في البحر استدل بهذا من قال ان المسكين احسن حالا من الفقير وقد مضى هذا المعنى مستوفى في براءة
وقد قيل انهم كانوا تجارا ولكن من حيث هم مسافرون على قلة في لجة بحر وبحال ضعف عن
مدافعة عطب عبر عنهم بمساكين اذ هم في حالة يشفق عليهم بسببها وهذا كما تقول لرجل غني
وقع في وهلة او خطب مسكين وقال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة من المساكين ورثوها عن ابيهم
خمسة زمنا وخمسة يعملون في البحر وقيل كانوا سبعة بكل واحد منهم زمانة ليست بالاخر وقد ذكر
النقاش اسماءهم فاما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثاني اعور والثالث اعرج والرابع ادر
والخامس محموما لا تنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو اصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل اعمى واصم
واخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذي يعملون فيه بين فارس والروم ذكره الثعلبي وقرات
فرقة لمساكين بتشديد السين واختلف في ذلك فقيل هم ملاحو السفينة وذلك ان المساك هو
الذي يمسك رجل السفينة وكان للخدمة يصلح لامساك فسمي الجميع مساكين وقالت فرقة اراد
بالمساكين دبغة المسوك وهي الجلود واحدها مسك والاظهر قراءة مساكين بالتخفيف جمع مسكين
وان معناها ان السفينة لقوم ضعفاء ينبغي ان يشفق لهم قوله فاردت ان اعيبها اي
اجعلها ذات عيب يقال عبت الشيء فعاب اذا صار ذا عيب فهو معيب وعائب وقوله وكان وراءهم
ملك ياخذ كل سفينة قرا ابن عباس وابن جبير صحيحة وقرا ايضا ابن عباس وعثمان ابن عفان
صالحة ووراء اصلها بمعنى خلف فقال بعض المفسرين انه كان خلفهم وكان رجوعهم عليه والاكثر
على ان معنى وراءهم امامهم وعضده قراءة ابن عباس وابن جبير وكان امامهم ملك ياخذ كل سفينة
صحيحة غصبا قال ابن عطية ووراء هو عندي على بابه وذلك ان هذه الالفاظ انما تجي
مراعى بها الزمان وذلك ان الحادث المقدم الموجود هو الامام والذي ياتي بعده هو الوراء وهو
ما خلف وذلك بخلاف ما يظهر بادي الراي وتامل هذه الالفاظ في مواضعها حيث وردت
تجدها تطرد فهذه الاية معناها ان هولاء وعملهم وسعيهم ياتي بعده في الزمان غصب
هذا الملك ومن قرا امامهم اراد في المكان اي كانهم يسيرون الى بلدة وقول النبي صلى الله
عليه وسلم الصلاة امامك يريد في المكان والا فكونهم في ذلك الوقت كان امام الصلاة
في الزمان وتامل هذه المقالة فانها تحتمي شغب هذه الالفاظ ووقع لقتادة في كتاب
الطبري وكان وراءهم ملك قال قتادة امامهم الا تراه يقول من ورائهم جهنم وهي بين ايديهم
وهذا القول غير مستقيم وهذه هي العجمة التي كان الحسن بن ابي الحسن يضج منها قاله
الزجاج قلت وما اختاره هذا الامام قد سبقه اليه في ذلك ابن عرفة قال الهروي قال

ابن عرفة يقول القايل كيف قال ومن ورايه جهنم وهي امامه فزعم ابو عبيدة وابو علي قطرب
ان هذا من الاضداد وان وراء في معنى قدام وهذا غير محصل لان امام ضد وراء وانما يصلح
هذا في الاماكن والاوقات كقول الرجل اذا وعد وعدا في رجب لرمضان ثم قال ومن ورايك
شعبان لجاز وان كان امامه لانه يخلفه الى وقت وعده واشار الى هذا القول ايضا القشيري
وقال انما يقال هذا في الاوقات ولا يقال للرجل امامك انه وراءك قال الفرا وجوزه غيره
والقوم ما كانوا عالمين بخبر الملك فاخبر الله الخضر حتى عيب السفينة ذكره الزجاج وقال
الماوردي اختلف اهل العربية في استعمال وراء موضع امام على ثلاثة اقوال احدها يجوز
استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الاضداد قال الله تعالى من ورايهم جهنم اي من امامهم
وقدامهم قال الشاعر • اترجو بنو مروان سمعي وطاعتي • وقومي تميم والفلاة ورائيا •
يعني امامي والثاني وراء يستعمل في موضع امام في المواقيت والازمان لان الانسان قد يجوزها
فتصير وراءه ولا يجوز في غيره والثالث انه يجوز في الاجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين
كل واحد وراء الاخر ولا يجوز في غيرها وهذا قول علي بن عيسى واختلف في اسم هذا الملك
فقيل هدد بن بدد وقيل الجلندي وقال السهيلي وذكر البخاري اسم الملك الاخذ لكل سفينة
غصبا فقال هو جيسور وهكذا قيدناه في الجامع من رواية ابي زيد المروزي وفي غير
هذه الرواية حيسون وكان ياخذ كل سفينة جيدة غصبا فلذلك عابها الخضر وخرقها
في هذا من الفقه العمل بالمصالح اذا تحقق وجهها وجواز اصلاح كل المال بفساد بعضه
وقد تقدم وفي صحيح مسلم وجه الحكمة بخرق السفينة وذلك قوله فاذا الذي جا يسخرها
وجدها منخرقة فتجاوزها فاصلحوها بخشبة الحديث ويستفاد من هذا الحض على الصبر
في الشدايد فكم في ضمن ذلك المكروه من الفوايد وهذا معنى قوله وعسى ان تكرهوا شيا
وهو خير لكم قوله تعالى واما الغلام فكان ابواه مومنين جاء في صحيح الحديث انه طبع يوم
طبع كافرا وهذا يويد ظاهره انه غير بالغ ويحتمل ان يكون خبرا عنه مع كونه بالغا وقد
تقدم هذا المعنى قوله تعالى فخشينا قيل هو من كلام الخضر وهو الذي يشهد له سياق
الكلام وهو قول كثير من المفسرين اي خفنا ان يرهقهما طغيانا وكفرا وكان الله قد اباح
له الاجتهاد في قتل النفوس على هذه الجهة وقيل هو من كلام الله تعالى وعنه عبر الخضر
قال الطبري معناه فعلمنا وكذا قال ابن عباس اي فعلمنا وهذا كما كني عن العلم بالخوف
في قوله الا ان يخافا الا يقيما حدود الله وحكي ان ابيا قرا فعلم ربك وقيل الخشية بمعنى
الكراهة يقال فرقت بينهما خشية ان يقتتلا اي كراهة ذلك قال ابن عطية والاظهر
عندي في توجيه هذا التاويل وان كان اللفظ يدافعه انها استعارة اي على ظن
المخلوقين والمخاطبين لو علموا حاله لوقعت منهم خشية الرهق للابوين وقرا ابن مسعود
فخاف ربك وهذا بين في الاستعارة وهذا نظير ما يقع في القران في جهة الله تعالى
من لعل وعسى وان جميع ما في هذا كله من ترج وتوقع وخوف وخشية انما هو بحسبكم
ايها المخاطبون ويرهقهما يجشمهما ويكلفهما والمعنى ان يلقيهما حبه في اتباعه فيضلا ويتدينا
بدينه قوله تعالى فاردنا ان يبدلهما قرا الجمهور بفتح الباء وشد الدال وقرا عاصم بسكون
الباء وتخفيف الدال اي ان يرزقهما الله ولدا خيرا منه زكاة اي دينا وصلاحا يقال بدل وابدل
مثل مهل وامهل ونزل وانزل واقرب وكيف تطلع جارية ومنها اللين والرحم الا فوق
لسكونها ومنه قول روبة ابن العجاج • يا منزل الرحم على ادريسا • ومنزل اللعن على ابليسا •
واختلف عن ابي عمرو ورحما معطوف على زكاة اي رحمة يقال رحمه رحمة ورحمى والفه
للتانيث ومذكره رحم وقيل ان الرحم هنا بمعنى الرحم قراها ابن عباس واوصل رحما
اي رحما وقرا ايضا ازكى منه وعن ابن جريج انهما بدلوا جارية قال الكلبي فتزوجها نبي فولدت
له نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم قتادة ولدت اثني عشر نبيا وعن ابن جريج
ايضا ان ام الغلام يوم قتل كانت حاملا بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وعن ابن عباس
فولدت جارية ولدت نبيا وفي رواية ابدلهما الله به جارية ولدت سبعين نبيا وقاله
جعفر بن محمد عن ابيه قال علماونا وهذا بعيد ولا تعرف كثرة الانبيا الا في بني اسرايل وهذه

المراة

المراة لم تكن فيهم ويستفاد من هذه الاية تهوين المصايب بفقد الاولاد وان كانوا قطعا من
الاكباد ومن سلم للقضا اسفرت عاقبته عن اليد البيضا قال قتادة لقد فرح به ابواه حين ولد
وحزنا عليه حين قتل ولو بقي كان فيه هلاكهما فالواجب على كل امري الرضا بقضا الله فان قضا الله
للمومن فيما يكره خير له من قضايه فيما يحب قوله تعالى واما الجدار فكان لغلامين هذان
الغلامان صغيران بقرينة وصفهما باليتم واسمهما اصرم وصريم وقال عليه السلام لا يتم بعد
بلوغ ان كانا يتيمين على معنى الشفقة عليهما وقد تقدم ان اليتم في الناس من قبل فقد الاب وفي
غيرهم من الحيوان من قبل الام ودل قوله في المدينة على ان القرية تسمى مدينة ومنه الحديث امرت
بقرية تاكل القرى وفي حديث الهجرة لمن انت قال لرجل من اهل المدينة يعني مكة قوله تعالى
وكان تحته كنز لهما اختلف الناس في الكنز فقال عكرمة وقتادة كان مالا جسيما وهو الظاهر
من اسم الكنز اذ هو في اللغة المال المجموع وقد مضى القول فيه وقال ابن عباس كان علما
في صحف مدفونة وعنه ايضا قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت
لمن يومن بالقدر كيف يحزن عجبت لمن يومن بالرزق كيف يتعب عجبت لمن يومن بالموت كيف
يفرح عجبت لمن يومن بالحساب كيف يغفل عجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمين اليها
لا اله الا الله محمد رسول الله وروي نحوه عن عكرمة وعمر مولى غفرة ورواه عثمان بن عفان
عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وكان ابوهما صالحا ظاهر اللفظ والسابق منه انه والدهما
دنيه وقيل هو الاب السابع قاله جعفر بن محمد وقيل العاشر فحفظا فيه وان لم يذكرا بصلاح
وكان يسمى كاشحا قاله مقاتل واسم امهما دنيا ذكره النقاش ففيه ما يدل على ان الله يحفظ الصالح
في نفسه وفي ولده وان بعدوا عنه وقد روي ان الله يحفظ الصالح في سبعة من ذريته وعلى
هذا يدل قوله تعالى ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين قوله تعالى
وما فعلته عن امري يقتضي ان الخضر نبي وقد تقدم الخلاف في ذلك ذلك تاويل اي تفسير
ما لم تسطع عليه صبرا قرات فرقة تستطع وقرا الجمهور تسطع قال ابو حاتم كذا نقرا في خط
المصحف وهنا خمس مسايل الاولى ان قال قايل لم يسمع لفتى موسى ذكر في اول الاية ولا في
اخرها قيل له اختلف في ذلك فقال عكرمة لابن عباس لم يسمع لفتى موسى بذكر وقد كان معه
فقال شرب الفتى من الما فخلد واخذه العالم فطبق عليه سفينة ثم ارسله في البحر فانها لتموج
به الى يوم القيامة وذلك لم يكن له ان يشرب منه فشرب منه قال القشيري وهذا ان ثبت فليس
الفتى يوشع بن نون فقد عمر بعد موسى وكان خليفته والاظهر ان موسى صرف فتاه لما لقي الخضر
وقال شيخنا الامام ابو العباس ويحتمل ان يكون اكتفى بذكر المتبوع على التابع والله اعلم الثانية
ان قال قايل كيف اضاف الخضر قصة استخراج كنز الغلامين لله تعالى وقال في خرق السفينة
فاردت ان اعيبها فاضاف العيب الى نفسه قيل له انما اسند الارادة في الجدار الى الله تعالى
لانها في امر مستانف في الزمن طويل غيب من الغيوب فحسن افراد هذا الموضع بذكر الله تعالى
وان كان الخضر قد اراد ذلك الذي اعلمه الله ان يريده وقيل لما كان ذلك خيرا كله اضافه الى الله
تعالى واضاف عيب السفينة الى نفسه رعاية للادب لانها لفظة عيب فتادب بان لم يسند الارادة
فيها الا الى نفسه كما تادب ابراهيم عليه السلام في قوله واذا مرضت فهو يشفين فاسند الفعل
قبل وبعد الى الله تعالى واسند المرض الى نفسه اذ هو معنى نقص ومصيبة فلا يضاف اليه
سبحانه من الالفاظ الا ما يستحسن منها دون ما يستقبح وهذا كما قال تعالى بيدك الخير واقتصر
عليه ولم ينسب الشر اليه وان كان بيده الخير والشر والنفع والضر اذ هو على كل شي قدير وبكل
شي خبير ولا اعتراض بما حكاه عليه السلام عن ربه عز وجل انه يقول يا ابن ادم مرضت فلم
تعدني واستطعمتك فلم تطعمني واستسقيتك فلم تسقني فان ذلك تنزل في الخطاب وتلطف في
العتاب مقتضاه التعريف بفضل ذي الجلال وبمقادير ثواب هذه الاعمال وقد تقدم
هذا المعنى ولله تعالى ان يطلق على نفسه ما شا ونحن لا نطلق الا ما اذن لنا فيه من
الاوصاف الجميلة والافعال الشريفة جل وتعالى عن النقايص والافات علوا كبيرا وقال
في الغلام فاردنا فكانه اضاف القتل الى نفسه والتبديل الى الله والاشد كمال الخلق والعقل
وقد مضى الكلام فيه في الانعام والحمد لله الثالثة قال شيخنا الامام ابو العباس ذهب قوم من

زنادقة الباطنية الى سلوك طريق يلزم منه هدم الاحكام الشرعية فقالوا هذه الاحكام الشرعية العامة انما يحكم بها على الاغبيا والعامة واما الاوليا واهل الخصوص فلا يحتاجون الى تلك النصوص بل انما يراد منهم ما يقع في قلوبهم ويحكم عليهم بما يغلب عليهم من خواطرهم قالوا وذلك لصفا قلوبهم عن الاكدار وخلوها عن الاغيار فتتجلى لهم العلوم الالهية والحقايق الربانية فيقفون على اسرار الكاينات ويعلمون اسرار الجزييات فيستغنون بها عن احكام الشرايع الكليات كما اتفق للخضر فانه استغنى بما تجلى له من العلوم عما كان عند موسى من تلك المفهوم وقد جا فيما ينقلون استفت قلبك وان افتاك المفتون قال شيخنا رضي الله عنه وهذا القول زندقة وكفر يقتل قايله ولا يستتاب لانه انكار ما علم من الشرايع فان الله تعالى قد اجرى سنته وانفذ حكمته بان احكامه لا تعلم الا بواسطة رسله السفرا بينه وبين خلقه وهم المبلغون عنه رسالاته وكلامه المبينون شرايعه واحكامه اختارهم لذلك وخصهم بما هنالك كما قال تعالى الله يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال الله اعلم حيث يجعل رسالاته وقال تعالى كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين الاية الى غير ذلك من الاي وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي واليقين الضروري واجماع السلف والخلف على ان لا طريق لمعرفة احكام الله التي هي راجعة الى امره ونهيه ولا يعرف شي منها الا من جهة الرسل فمن قال ان هناك طريقا اخر يعرف بها امره ونهيه غير الرسل بحيث يستغنى عن الرسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه الى سوال ولا جواب ثم هو قول باثبات انبيا بعد نبينا عليه السلام الذي قد جعله الله خاتم انبيايه ورسله فلا نبي بعده ولا رسول وبيان ذلك ان من قال ياخذ عن قلبه وان ما وقع فيه هو حكم الله وانه يعمل بمقتضاه وانه لا يحتاج مع ذلك الى كتاب ولا سنة فقد اثبت لنفسه خاصة النبوة فان هذا نحو ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي الحديث الرابعة ذهب الجمهور من الناس الى ان الخضر مات صلى الله عليه وسلم وقالت فرقة انه حي لانه شرب من عين الحياة وانه باق في الارض وانه يحج البيت قال ابن عطية وقد اطنب النقاش في هذا المعنى وذكر في كتابه اشيا كثيرة عن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وغيره وكلها لا تقوم على ساق ولو كان الخضر حيا يحج لكان له في ملة الاسلام ظهور والله العليم بتفاصيل الاشيا لا رب غيره ومما يقتضي موت الخضر الان قوله صلى الله عليه وسلم ارايتكم ليلتكم هذه فانه لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الارض احد قلت الى هذا ذهب البخاري واختاره القاضي ابو بكر ابن العربي والصحيح القول الثاني وانه حي على ما نذكره وهذا الحديث خرجه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة صلاة العشا في اخر حياته فلما سلم قام فقال ارايتكم ليلتكم هذه فان على راس مائة سنة منها لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد قال ابن عمر فوهل الناس في مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يتحدثون من هذه الاحاديث عن مائة سنة فانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى ممن هو على ظهر الارض احد يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ورواه ايضا من حديث جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قبل ان يموت بشهر يسالوني عن الساعة وانما علمها عند الله واقسم بالله ما على وجه الارض نفس منفوسة ياتي عليها مائة سنة وفي اخرى قال سالم تذاكرنا انها هي مخلوقة يوميذ وفي اخرى ما من نفس منفوسة اليوم ياتي عليها مائة سنة وهي حية يوميذ وفسرها عبد الرحمن صاحب السقاية قال نقص العمر وعن ابي سعيد نحو هذا الحديث قال علماونا وحاصل ما تضمنه هذا الحديث انه عليه السلام اخبر قبل موته بشهر ان كل من كان في بني ادم موجودا في ذلك لا يزيد عمره على مائة سنة لقوله ما من نفس منفوسة وهذا اللفظ لا يتناول الملايكة ولا الجن اذ لم يصح عنهم انهم كذلك ولا الحيوان غير العاقل لقوله ممن هو على ظهر الارض احد وهذا انما يقال اصلا ووضعه على من يعقل فتعين ان المراد بنو ادم وقد بين ابن عمر هذا المعنى فقال يريد بذلك ان ينخرم ذلك القرن ولا حجة لمن استدل به على بطلان قول من يقول ان الخضر حي لعموم قوله ما من نفس منفوسة لان العموم وان كان موكد الاستغراق

فليس

فليس نصا فيه بل هو قابل للتخصيص فكما لم يتناول عيسى عليه السلام فانه لم يمت ولم يقتل فهو حي بنص القران ومعناه ولا يتناول الدجال مع انه حي بدليل حديث الجساسة فكذلك لم يتناول الخضر عليه السلام وليس مشاهدا للناس ولا ممن يخالطهم حتى يخطر ببالهم حالة مخاطبة بعضهم بعضا فمثل هذا العموم لا يتناوله وقد قيل ان اصحاب الكهف احيا ويحجون مع عيسى عليه السلام كما تقدم وكذلك فتى موسى في قول ابن عباس كما ذكرنا وقد ذكر ابو اسحاق الثعلبي في كتاب العرايس له والخضر على جميع الاقوال نبي معمر محجوب عن الابصار وروى محمد بن المتوكل عن ضمرة عن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرايل يلتقيان كل عام في الموسم وعن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالون حيين في الارض ما دام القران في الارض فاذا رفع ماتا وقد ذكر شيخنا الامام ابو محمد عبد المعطي اللخمي في شرح الرسالة للقشيري حكايات كثيرة عن جماعة من الصالحين والصالحات فانهم راوا الخضر ولقوه يجوز عليها العقل بحياته مع ما ذكره النقاش والثعلبي وغيرهما وقد جا في صحيح مسلم ان الدجال ينتهي الى بعض السباخ التي تلي المدينة فيخرج اليه يوميذ رجل هو خير الناس او من خير الناس الحديث وفي اخره قال ابو اسحاق يقال ان هذا الرجل هو الخضر وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الهواتف بسند يرفعه الى علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه لقي الخضر وعلمه هذا الدعا وذكر ان فيه ثوابا عظيما ومغفرة ورحمة لمن قاله في اثر كل صلاة وهو يا من لا يشغله سمع عن سمع ويا من لا تغلطه المسايل ويا من لا يتبرم من الحاح الملحين اذقني برد عفوك وحلاوة مغفرتك وذكر ايضا عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في هذا الدعا بعينه نحوا مما ذكر عن علي ابن ابي طالب في سماعه من الخضر وذكر ايضا اجتماع الياس مع الخضر وقد ذكر انهما يجتمعان عند البيت في كل حول وانهما يقولان عند افتراقهما ما شا الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله ما يكون من نعمة فمن الله ما شا الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل واما خبر الياس فياتي في والصافات ان شا الله وذكر ابو عمر ابن عبد البر في كتاب التمهيد عن علي رحمه الله قال لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم وسجي بثوب هتف هاتف من ناحية البيت يسمعون صوته ولا يرون شخصه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته السلام عليكم يا اهل البيت كل نفس ذايقة الموت الاية ان في الله خلفا من كل هالك وعوضا من كل تالف وعزا من كل مصيبة فبالله فثقوا واياه فارجوا فان المصاب من حرم الثواب فكانوا يرون انه الخضر عليه السلام يعني اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والالف واللام في قوله على الارض للعهد لا للجنس وهي ارض العرب بدليل تصرفهم فيها واليها غالبا دون ارض ياجوج وماجوج واقاصي جزر الهند والسند مما لا يقرع السمع اسمه ولا يعلم علمه ولا جواب عن الدجال قال السهيلي واختلف في اسم الخضر اختلافا متباينا فعن ابن منبه انه قال ايليا ابن ملكان بن فالغ ابن شالخ ابن ارفخشد ابن سام ابن نوح وقيل هو ابن عاميل ابن سماطين ابن اريا ابن علقما ابن عيصو ابن اسحاق وان اباه كان ملكا وان امه كانت بنت فارس واسمها الها وانها ولدته في مغارة وانه وجد هنالك وشاة ترضعه في كل يوم من غنم رجل من القرية فاخذه الرجل فرباه فلما شب وطلب الملك ابوه كاتبا وجمع اهل المعرفة والنبالة ليكتب الصحف التي انزلت على ابراهيم وشيث كان فيمن اقدم عليه من الكتاب ابنه الخضر وهو لا يعرفه فلما استحسن خطه ومعرفته وبحث عن جلية امره عرف انه ابنه فضمه لنفسه وولاه امر الناس ثم ان الخضر فر من الملك لاسباب يطول ذكرها الى ان وجد عين الحياة فشرب منه فهو حي الى ان يخرج الدجال وانه الرجل الذي يقتله الدجال ويقطعه ثم يحييه الله تعالى وقيل لم يدرك زمن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا لا يصح وقال البخاري وطايفة من اهل الحديث منهم شيخنا ابو بكر ابن العربي رحمه الله انه مات قبل انقضاء المائة من قوله عليه السلام الى راس مائة عام لا يبقى على هذه الارض ممن هو عليها يعني ممن كان حيا حين قال هذه المقالة قلت قد ذكرنا هذا الحديث والكلام عليه وبينا حياة الخضر الى الان والله اعلم الخامسة قيل ان الخضر لما ذهب يفارق موسى قال له موسى اوصني قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخطايين خطاياهم وابك على خطييتك يا ابن عمران قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا قيل

ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء سببا قال ابن اسحاق وكان من
خبر ذي القرنين انه اوتي ما لم يوت غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض
ومغاربها لا يطا ارضا الا سلط على اهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شيء
من الخلق قال ابن اسحاق فحدثني من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين
كان رجلا من اهل مصر اسمه مرزبا ابن مرذبه اليوناني من ولد يونان بن يافث بن نوح قال ابن
هشام واسمه الاسكندر وهو الذي بنى الاسكندرية فنسبت اليه قال ابن اسحاق وقد حدثني
ثور ابن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعي وكان رجلا قد ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن ذي القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب وقال خالد سمع عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال عمر اللهم غفرا اما رضيتم ان تسموا بالانبياء حتى
تسميتم بالملائكة قال ابن اسحاق فالله اعلم اي ذلك كان اقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ام لا الحق ما قال قلت وقد روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثل قول عمر سمع رجلا يدعو
آخر يا ذا القرنين فقال علي اما كفاكم ان تسميتم باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعنه انه عبد
ملك بكسر اللام صالح نصح الله فايده وقيل هو نبي مبعوث فتح الله على يديه الارض وذكر
الدارقطني في كتاب الاخبار ان ملكا يقال له رنا قيل كان ينزل على ذي القرنين وذلك الملك هو
الذي يطوي الارض يوم القيامة وينقصها فتقع اقدام الخلائق كلها بالساهرة فيما ذكر بعض
اهل العلم قال السهيلي وهذا مشاكل بتوكيله بذي القرنين الذي قطع الارض مشارقها ومغاربها
كما ان قصة خالد بن سنان في تسخير النار له مشاكلة بحالة الملك الموكل به وهو مالك صلى الله
عليه وعلى جميع الملائكة اجمعين وذكر ابن ابي خيثمة في كتاب المبتدا له خالد بن سنان العبسي
وذكر نبوته وذكر انه وكل به من الملائكة مالك خازن النار وكان من اعلام نبوته ان نارا
يقال لها نار الحدثان كانت تخرج على الناس من مغارة فتاكل الناس ولا يستطيعون ردها
فردها خالد بن سنان فلم تخرج بعد واختلف في اسم ذي القرنين وفي السبب الذي سمي
به بذلك اختلافا كثيرا فاما اسمه فقيل هو الاسكندر الملك اليوناني المقدوني وقد تشدد قافه
فيقال المقدوني وقيل اسمه هرمس ويقال هرديس وقال ابن هشام هو الصعب ابن ذي
يزن الحميري من ولد وائل بن حمير وقد تقدم قول ابن اسحاق وقال وهب ابن منبه هو رومي
وذكر الطبري حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا القرنين شاب من الروم وهو حديث
واهي السند قال ابن عطية قال السهيلي والظاهر من علم الاخبار انهما اثنان احدهما كان على
عهد ابراهيم عليه السلام ويقال انه الذي قضى لابراهيم عليه السلام حين تحاكموا اليه في بير
السبع بالشام والآخر كان قريبا من عهد عيسى عليه السلام وقد قيل انه افريدون الذي قتل
بيوراسف بن ابدر اسب الملك الطاغي على عهد ابراهيم عليه السلام او قبله بزمان واما
الاختلاف في السبب الذي سمي به فقيل انه كان ذا ضفيرتين من شعر فسمي بهما ذكره
المهدوي وغيره والضفاير قرون الشعر ومنه قول الشاعر

فلثمت فاها آخذا بقرونها ۞ شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقيل انه راى في اول ملكه كانه قابضا على قرني الشمس فقص ذلك ففسر انه سيغلب ما ذرت
عليه الشمس فسمي بذلك ذا القرنين وقيل انما سمي بذلك لانه بلغ المغرب والمشرق فكانه حاز
قرني الدنيا وقالت طايفة انه لما بلغ مطلع الشمس كشف بالروية قرونها فسمي بذلك او قرني
الشيطان بها وقال وهب بن منبه كان له قرنان تحت عمامته وسال ابن الكوا عليا رضي الله عنه
عن ذي القرنين انبيا كان ام ملكا فقال لا ذا ولا ذا كان عبدا صالحا دعا قومه الى الله فشجوه
على قرنه ثم دعاهم فشجوه على قرنه الآخر فسمي ذا القرنين واختلفوا ايضا في وقت زمانه فقال
قوم كان بعد موسى وقال قوم كان في الفترة بعد عيسى وقيل كان في وقت ابراهيم واسماعيل
وكان الخضر صاحب لوايه الاعظم وقد ذكرناه في البقرة وبالجملة فان الله تعالى مكنه وملكه
ودانت له الملوك فروي ان جميع ملوك الدنيا كلها اربعة مومنان وكافران فالمومنان سليمان
ابن داود والاسكندر والكافران نمرود وبخت نصر وسيملكها من هذه الامة خامس لقوله
تعالى ليظهره على الدين كله وهو المهدي وقد قيل انما سمي ذا القرنين لانه كان كريم الطرفين

من اهل بيت شريف من قبل ابيه وامه وقيل لانه انقرض في وقته قرنان من الناس وهو حي وقيل
لانه كان اذا قاتل قاتل بيديه وركابيه جميعا وقيل لانه اعطي علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل
الظلمة والنور وقيل لانه ملك فارس والروم قوله تعالى انا مكنا له في الارض قال علي رضي
الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له في النور فكان الليل والنهار عليه سواء وفي
حديث عقبة ابن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجال من اهل الكتاب سالوه عن ذي
القرنين فقال ان اول امره انه كان غلاما من الروم فاعطي ملكا فسار حتى اتى ارض مصر فابتنى
بها مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ اتاه ملك فعرج به فقال انظر ما تحتك فقال ارى
مدينتي وحدها لا ارى غيرها فقال له الملك تلك الارض كلها وهذا السواد الذي تراه هو
البحر وانما اراد الله ان يريك الارض وقد جعل لك سلطانا فيها فسر في الارض فعلم الجاهل وثبت
العالم الحديث قوله تعالى واتيناه من كل شيء قال ابن عباس من كل شيء علما يتسبب به الى
ما يريد وقال الحسن بلاغا الى حيث اراده وقيل من كل شيء يحتاج اليه الخلق وقيل من كل شيء تستعين
به الملوك من فتح المداين وقهر الاعدا واصل السبب الحبل فاستعير لكل ما يتوصل به الى شيء فاتبع
سببا قرا عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي فاتبع سببا مقطوعة الالف وقرا اهل المدينة وابو عمرو
فاتبع سببا بوصلها اي اتبع سببا من الاسباب التي اوتيها قال الاخفش تبعته واتبعته بمعنى مثل
ردفته وارد فته ومنه قوله تعالى الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب ومنه الاتباع في
الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح قال النحاس واختار ابو عبيدة قراة اهل الكوفة قال لانها
من السير وحكى هو والاصمعي انه يقال تبعته واتبعته اذا سار ولم يلحقه واتبعه اذا لحقه قال
ابو عبيدة ومثله فاتبعوهم مشرقين قال النحاس وهذا من التفريق وان كان الاصمعي حكاه لا يقبل
الا بعلة او دليل وقوله عز وجل فاتبعوهم مشرقين ليس في الحديث انهم لحقوهم وانما الحديث لما خرج موسى صلى
الله عليه وسلم واصحابه من البحر وحصل فرعون واصحابه انطبق عليهم البحر والحق في هذا ان تبع واتبع
لغتان بمعنى واحد وهو بمعنى السير وقد يجوز ان يكون معه لحاق وان لا يكون حتى اذا قوله تعالى
حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة قرا ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي حامية
اي حارة الباقون حمئة اي كثيرة الحماة وهي الطينة السودا تقول حمات البير حماة بالتحريك كثرت حماتها
ويجوز ان تكون حامية من الحماة فخففت الهمزة وقلبت ياء وقد يجمع بين القراتين فيقال كانت حارة
وذات حماة وقال عبد الله بن عمر نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى الشمس حين غربت فقال نار الله الحامية
لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت ما على الارض وقال ابن عباس اقرانيها ابي كما اقراه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عين حمئة وقال معاوية هي حامية فقال عبد الله بن عمرو بن
العاصي وانا مع امير المومنين فجعلوا كعبا بينهم حكما وقالوا يا كعب كيف تجدها في التوراة فقال اجدها
تغرب في عين سودا فوافق ابن عباس وقال الشاعر وهو تبع اليماني

قد كان ذو القرنين قبلي مسلما ۞ ملكا تدين له الملوك وتسجد
بلغ المشارق والمغارب يبتغي ۞ اسباب امر من حكيم مرشد
فراى مغارب الشمس عند غروبها ۞ في عين ذي خلب وثاط حرمد

الخلب الطين والثاط الحماة والحرمد الاسود وقال القفال قال بعض العلما ليس المراد انه انتهى الى
الشمس مغربا ومشرقا حتى وصل الى جرمها ومسها لانها تدور مع السما حول الارض من غير ان تلتصق
بالارض وهي اعظم من ان تدخل في عين من عيون الارض بل هي اكبر من الارض اضعافا مضاعفة بل
المراد انه انتهى الى آخر العمارة من جهة المغرب ومن جهة المشرق فوجدها في راي العين تغرب في عين
حمئة كما انا نشاهدها في الارض الملسا كانها تدخل في الارض ولهذا قال وجدها تطلع على قوم
لم نجعل لهم من دونها سترا ولم يرد انها تطلع عليهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم الغيتي ويجوز ان تكون
هذه العين من البحر ويجوز ان تكون الشمس تغيب وراءها او معها او عندها فيقام حرف الصفة مقام
صاحبه والله اعلم ووجد عندها قوما اي عند الشمس اي عند نهاية العين وهم اهل جابرس ويقال
لها بالسريانية جرجيسا يسكنها قوم من ثمود بقيتهم الذين آمنوا بصالح ذكره السهيلي وقال
وهب بن منبه كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجايزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه
الاسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله تعالى يا ذا القرنين اني باعثك الى امم الارض وهم امم

مختلفة ألسنتهم وهم أمم جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وأمم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض الأيمن تحت مهب الجنوب يقال لها هاويل وأمة في قطر الأرض الأيسر يقال لها تاويل وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك فقال ذو القرنين إلهي لقد ندبتني لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرهم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطقهم وكيف لي بأن أفقه لغتهم وليس عندي قوة فقال الله تعالى سأطوقك بما حملتك وأشرح لك صدرك فتسمع كل شيء وأثبت لك فهمك فتفقه كل شيء وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم إليه وهي ناسك فوجد جموعا لا يحصيها إلا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة فكاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر من جند الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فأدخل على الذين تولوا الظلمة من كل مكان فدخلت في أفواههم وأنوفهم وأعينهم وبيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتحيروا وماجوا وأشفقوا أن يهلكوا فعجوا إلى الله بصوت واحد آمنا فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا في دعوته فجند من أهل المغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامهم ويقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن وهي هاويل وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ إذا عمل عملا فإذا أتوا مخاضة أو بحرا بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال فنظمها في ساعة ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكترث بحمله فانتهى إلى هاويل وفعل بهم كفعله بناسك فآمنوا ففرغ منهم وأخذ جيوشهم وانطلق في ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك مطلع الشمس فعمل فيها وجند منها جنودا كفعله في الأولى ثم كر مقبلا حتى أخذ ناحية الأرض اليسرى يريد تاويل وهي الأمة التي مقابل هاويل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفعله فيما قبلها ثم عطف إلى الأمم التي في وسط الأرض من الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله كثيرا ليس فيهم مشابهة الإنس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحوش كما يفترسها السباع ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذي روح مما خلق الله في الأرض وليس لله خلق ينمي نماءهم في العام الواحد فإن طالت المدة فسيملؤون الأرض ويجلون منها أهلها فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا وذكر الحديث من صفة يأجوج ومأجوج والترك أدم نوع من هذا ما فيه كفاية قوله تعالى قلنا يا ذا القرنين قال القشيري أبو نصر إن كان نبيا فهو وحي وإن لم يكن نبيا فهو إلهام إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال إبراهيم ابن السري خيره بين هذين كما خير محمدا صلى الله عليه وسلم فقال فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم ونحوه وقال أبو إسحاق الزجاج المعنى أن الله تعالى خيره بين هذين الحكمين قال النحاس ورد علي ابن سليمان عليه قوله لأنه لم يصح أن ذا القرنين نبي ليخاطب بهذا فكيف يقول لربه جل وعز ثم يرد إلى ربه وكيف يقول فسوف نعذبه فيخاطب بالنون قال والتقدير قلنا يا محمد قالوا يا ذا القرنين فيجوز أن يكون الله عز وجل خاطبه على لسان نبي في وقته ويجوز أن يكون قال الله له هذا كما قال لنبيه إما منا بعد وإما فداء وأما إشكال فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فالتقدير أن الله عز وجل لما خيره بين القتل في قوله إما أن تعذب وبين الاستبقاء في قوله وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال لأولئك القوم أما من ظلم أي أقام على الكفر منكم فسوف نعذبه أي بالقتل ثم يرد إلى ربه أي يوم القيامة فيعذبه عذابا نكرا أي شديدا في جهنم وأما من آمن أي تاب من الكفر وعمل صالحا قال أبو إسحاق ويجوز أن في موضع نصب في إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا قال ولو رفعت كان صوابا بمعنى فإما هو كما قال فسيرا فإما حاجة تقضيانها

وأما من قبل صالح وصدقني فله جزاء الحسنى قراءة أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم فله جزاء بالرفع على الابتداء وبالاستقرار الحسنى في موضع خفض بالإضافة ويحذف التنوين للإضافة أي له جزاء الحسنى عند الله في الآخرة وهي الجنة فأضاف الجزاء إلى الجنة كقوله حق اليقين ولدار الآخرة قاله الفراء ويحتمل أن يريد بالحسنى الأعمال الصالحة ويمكن أن يكون هذا الجزاء من ذي القرنين أي أعطيه وأتفضل عليه ويجوز أن يحذف التنوين لالتقاء الساكنين وتكون الحسنى في موضع رفع على البدل عند البصريين وعلى الترجمة عند الكوفيين وعلى هذا قراءة ابن أبي إسحاق فله جزاء الحسنى إلا أنك لم تحذف التنوين وهو أجود وقرأ سائر الكوفيين فله جزاء الحسنى منصوبا منونا أي فله الحسنى جزاء قال الفراء جزاء منصوبا على التمييز وقيل على المصدر وقال الزجاج هو مصدر في موضع الحال أي مجزيا بها جزاء وقرأ ابن عباس ومسروق فله جزاء الحسنى منصوبا غير منون وهي عند أبي حاتم على حذف التنوين لالتقاء الساكنين مثل فله جزاء الحسنى في أحد الوجهين في الرفع قال النحاس وهذا عند غيره خطأ لأنه ليس موضع حذف تنوين لالتقاء الساكنين ويكون تقديره فله الثواب جزاء الحسنى قوله تعالى ثم أتبع سببا تقدم أن أتبع واتبع بمعنى واحد أي سلك طريقا ومنازل حتى إذا بلغ مطلع الشمس قرأ مجاهد وابن محيصن مطلع بفتح اللام يقال طلعت الشمس والكوكب طلوعا ومطلعا والمطلع والمطلع أيضا موضع طلوعها قاله الجوهري والمعنى أنه انتهى إلى موضع قوم لم يكن بينهم وبين مطلع الشمس أحد من الناس والشمس تطلع وراء ذلك بمسافة بعيدة فهذا معنى قوله وجدها تطلع على قوم وقد اختلف فيهم فعن وهب ما تقدم وأنهم أمة يقال لها منسك وهي مقابلة ناسك وقاله مقاتل وقال قتادة يقال لها الزنج وقال الكلبي هم تارس وهاويل ومنسك عراة حفاة عماة عن الحق يتسافدون مثل الكلاب ويتهارجون تهارج الحمر وقيل هم أهل جابلق أمم وهم منسك وتاويل وتارس وهم مجاورون يأجوج ومأجوج وأهل جابرس وجابلق آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم مر بهم ليلة الإسراء فدعاهم فأجابوه ودعا الأمم الأخرى فلم يجيبوه ذكره السهيلي وقال اختصرت هذا كله من حديث طويل رواه مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ورواه الطبري مسندا إلى مقاتل يرفعه والله أعلم قوله تعالى لم نجعل لهم من دونها سترا أي حجابا يسترون منها عند طلوعها قال قتادة لم يكن بينهم وبين الشمس سترا كانوا في مكان لا يستقر عليهم بناء وهم يكونون في أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم رجعوا إلى معايشهم وحروثهم يعني لا يستترون منها بكهف جبل ولا بيت يكنهم منها وقال أمية وجدت رجالا بسمرقند يحدثون الناس فقال بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فقيل لي إن بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فاستأجرت رجلا يرينيهم حتى صبحتهم فوجدت أحدهم يفترش أذنه ويلتحف بالأخرى وكان صاحبي يحسن كلامهم فبتنا بهم فقالوا فيم جئتم قلنا جئنا ننظر كيف تطلع الشمس فبينا نحن كذلك إذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فأفقت وهم يمسحونني بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء إذ هي على الماء كهيئة الزيت وإذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم فلما ارتفع النهار وزالت الشمس عن رؤوسهم خرجوا يصطادون السمك فيطرحونه في الشمس فينضج وقال ابن جريج جاءهم جيش مرة فقال لهم أهلها لا تطلع الشمس وأنتم بها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس ثم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه والله عظام جيش طلعت عليه الشمس هاهنا فماتوا قال فولوا هاربين في الأرض وقال الحسن كانت أرضهم لا جبل فيها ولا شجر وكانت لا تحمل البناء فإذا طلعت عليهم الشمس نزلوا في الماء فإذا ارتفعت خرجوا يتراعون كما تتراعى البهائم قلت وهذه الأقوال تدل على أن لا مدينة هناك والله أعلم وربما يكون منهم من يدخل في النهر ومنهم من يدخل في السرب فلا تناقض بين قول الحسن وقتادة قوله تعالى ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين وهما جبلان من قبل أرمينية وأذربيجان روى عطاء الخراساني عن ابن عباس بين السدين الجبلين أرمينية وأذربيجان وجد من دونهما أي من ورائهما قوما لا يكادون يفقهون قولا وقرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر القاف من أفقه إذا أبان أي لا يفقهون غيرهم كلاما الباقون بفتح الياء والقاف أي يعلمون والقراءتان صحيحتان فلا هم يفقهون من غيرهم ولا يفقهون غيرهم قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين أي قالت له أمة من الإنس صالحة إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض قال الأخفش من همز يأجوج جعل الألف من الأصل يقول يأجوج يفعول ومأجوج مفعول كأنه من

اجيج النار قال ومن لا يهمز ويجعل الالفين زائدتين يقول ياجوج من يججت وماجوج من مججت وهما غير مصروفين قال روبة لو ان ياجوج وماجوج معا وعاد عاد واستجاشوا تبعا ذكره الجوهري وقيل انما لم ينصرفا لانهما اسمان اعجميان مثل طالوت وجالوت غير مشتقين علتاه في منع الصرف العجمة والتعريف والتانيث وقالت فرقة هو معرب من اج واج علتاه في منع الصرف والتانيث وقال ابو علي يجوز ان يكونا عربيين فمن همز ياجوج فهو على وزن يفعول مثل يربوع من قولك اجت النار اي صوتت ومنه الاجيج ومنه الملح الاجاج ومن لم يهمز امكن ان يكون خفف الهمزة فقلبها الفا مثل راس واما ماجوج فهو مفعول من اج والكلمتان من اصل واحد في الاشتقاق ومن لم يهمز فيجوز ان يكون خفف الهمزة ويجوز ان يكون فاعولا من يج وترك الصرف فيهما للتانيث والتعريف كانه اسم للقبيلة واختلف في افسادهم فقال سعيد بن عبد العزيز افسادهم اكل بني ادم وقالت فرقة افسادهم انما كان متوقعا اي سيفسدون فطلبوا وجه التحرز منهم وقالت فرقة افسادهم هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الافساد المعلوم من البشر والله اعلم وقد وردت اخبار بصفتهم وخروجهم وانهم من ولد يافث روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولد لنوح سام وحام ويافث فولد سام العرب وفارس والروم والخير فيهم وولد يافث ياجوج وماجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم وولد حام القبط والبربر والسودان وقال كعب الاحبار احتلم ادم عليه السلام فاختلط ماؤه بالتراب فاسف فخلقوا من ذلك الماء فهم متصلون بنا من جهة الاب لا من جهة الام وهذا فيه نظر لان الانبيا صلوات الله عليهم لا يحتلمون وانما هم من ولد يافث كذلك قال مقاتل وغيره وروى ابو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يموت رجل منهم حتى يولد لصلبه الف رجل يعني ياجوج وماجوج وقال ابو سعيد هم خمس وعشرون قبيلة من ورا ياجوج وماجوج لا يموت الرجل منهم من ياجوج وماجوج حتى يخرج من صلبه الف رجل ذكره القشيري وقال عبد الله بن مسعود سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن ياجوج وماجوج امتان كل امة اربع مائة الف كل امة لا يعلم عددها الا الله لا يموت الرجل منهم حتى يولد له الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح قيل يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة اصناف صنف منهم امثال الارز شجر بالشام طول الشجرة عشرون ومائة ذراع وصنف عرضه وطوله سوى نحو من الذراع وصنف يفترش اذنه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا اكلوه وياكلون من مات منهم مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون انهار المشرق وبحيرة طبرية فيمنعهم الله من مكة والمدينة وبيت المقدس وقال علي رضي الله عنه وصنف منهم طول شبر لهم مخالب وانياب السباع وتداعي الحمام وتسافد البهائم وعوا الذيب وشعور تقيهم الحر والبرد واذان عظام احداها وبره يشتون فيها والاخرى جلده يصيفون فيها يحفرون السد حتى كادوا ينقبونه فيعيده الله كما كان حتى يقولون ننقبه غدا ان شا الله فينقبونه ويخرجون ويتحصن الناس بالحصون فيرمون الى السما فيرد السهم ملطخا بالدم ثم يهلكهم الله بالنغف في رقابهم ذكره الغزنوي وقال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ياجوج امة لها اربعمائة امير وكذا ماجوج لا يموت احدهم حتى ينظر الى الف راس من ولده قلت وقد جاء مرفوعا من حديث ابي هريرة خرجه ابن ماجة في السنن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال ارجعوا فستحفرونه ان شا الله ما استثنوا فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون الما ويتحصن الناس منهم في حصون فيرمون سهامهم الى السما فيرجع عليها الدم الذي اجفظ فيقولون قهرنا اهل الارض وعلونا اهل السما فيبعث الله عليهم نغفا في اقفائهم فيقتلهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان دواب الارض لتسمن وتشكر شكرا من لحومهم قال الجوهري شكرت الناقة تشكر شكرا فهي شكرة واشكر الضرع امتلا لبنا وقال وهب ابن منبه رايتهم وذو القرنين وطول الرجل منهم مثل نصف الرجل المربوع منا لهم مخالب في مواضع الاظفار واضراس وانياب كالسباع واحناك كاحناك الابل وهم هلب عليهم من الشعر ما يواريهم ولكل واحد منهم اذنان عظيمتان يلتحف احداهما

ويفترش

ويفترش الاخرى ولكل واحد منهم قد عرف اجله حتى يخرج من صلبه الف رجل ان كان ذكرا ومن رحمها الف انثى ان كانت انثى وقال السدي والضحاك الترك شرذمة منهم ياجوج وماجوج خرجت تغير فجا ذو القرنين فضرب السد فبقيت في هذه الجانب قال السدي بنى السد على احد وعشرين قبيلة وبقيت منهم قبيلة واحدة دون السد فهم الترك وقاله قتادة قلت واذا كان هذا فقد نعت النبي صلى الله عليه وسلم الترك كما نعت ياجوج وماجوج فقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوما وجوههم كالمجان المطرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر في رواية ينتعلون الشعر خرجه مسلم وابو داود وغيرهما ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم عددهم وكثرتهم وحدة شوكتهم قال صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ما تركوكم وقد خرج منهم في هذا الوقت امم لا يحصيهم الا الله ولا يردهم عن المسلمين الا الله حتى كانهم ياجوج وماجوج او مقدمتهم وروى ابو داود عن ابي بكرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ناس من امتي بغايط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة يكون عليه جسر يكثر اهلها وتكون من امصار المهاجرين قال ابن يحيى قال ابو معمر وتكون من امصار المسلمين فاذا كان في اخر الزمان جا بنو قنطورا عراض الوجوه صغار الاعين حتى ينزلوا على شط النهر فيتفرق اهلها ثلاث فرق فرقة ياخذون اذناب البقر والبرية وهلكوا وفرقة ياخذون لانفسهم وكفروا وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهدا الغائط المطمئن من الارض والبصرة الحجارة الرخوة وبها سميت البصرة وبنو قنطورا هم الترك يقال ان قنطورا اسم جارية كانت لابراهيم صلوات الله عليه ولدت له اولادا جا من نسلهم الترك قوله تعالى فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فهل نجعل لك استفهام على حسن الادب خرجا اي جعلا وقرئ خراجا والخرج اخص من الخراج يقال ادّ خرج راسك وخراج مدينتك وقال الازهري الخراج يقع على الضريبة ويقع على الفي ويقع على الجزية وعلى الغلة والخراج اسم لما يخرج من الفرائض في الاموال والخرج المصدر وقوله تعالى على ان تجعل بيننا وبينهم سدا اي ردما والردم ما جعل بعضه على بعض حتى يتصل وثوب مردم اي مرقع قاله الهروي يقال ردمت الثلمة اردمها بالكسر ردما اي سددتها والردم ايضا الاسم وهو السد وقيل الردم ابلغ من السد اذ السد كل ما يسد به والردم وضع الشي على الشي من حجارة او تراب او نحوه حتى يقوم من ذلك حجاب منيع ومنه ردم ثوبه اذا رقعه برقاع متكاثفة بعضها فوق بعض ومنه قول عنترة * هل غادر الشعرا من متردم * اي من قول يركب بعضه على بعض وقرئ سدا بالفتح في السين فقال الخليل وسيبويه الضم هو الاسم والفتح المصدر وقال الكسائي الفتح والضم لغتان بمعنى واحد وقال عكرمة وابو عمرو بن العلا وابو عبيدة ما كان من خلقة الله لم يشارك فيه احد بعمل فهو بالضم وما كان من صنع البشر فهو بالفتح ويلزم اهل هذه المقالة ان يقروا سدا بالفتح وقوله بين السدين بالضم وهي قراة حمزة والكسائي وقال ابو حاتم عن ابن عباس وعكرمة عكس ما قال ابو عبيدة وقال ابن ابي اسحاق ما رايته عيناك فهو سد بالضم وما لا يرى فهو سد بالفتح الثانية في هذه الاية دليل على اتخاذ السجون وحبس اهل الفساد فيها ومنعهم من التصرف لما يريدونه ولا يتركوا وما هم عليه بل يوجعون ضربا ويحبسون او يكلفون ويطلقون كما فعل عمر رضي الله عنه قوله تعالى قال ما مكني فيه ربي خير فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قال ما مكني فيه ربي خير المعنى قال لهم ذو القرنين ما بسطه الله لي من القدرة والملك خير من خرجكم واموالكم ولكن اعينوني بقوة الابدان اي برجال وعمل منكم بالابدان والالة التي ابني بها الردم وهو السد وهذا من تاييد الله تعالى لذي القرنين في هذه المحاورة فان القوم لو جمعوا له خراجا لم يعنه احد ولوكلوه الى البنيان ومعونته بانفسهم اجمل به واسرع في انقضا هذا العمل وربما اربى ما ذكروه له على الخرج وقرا ابن كثير وحده ما مكنني بنونين وقرا الباقون ما مكني الثانية في هذه الاية دليل على ان الملك فرض عليه ان يقوم بحماية الخلق في حفظ بيضتهم وسد فرجتهم واصلاح ثغورهم من اموالهم التي تفي عليهم وحقوقهم التي تجمعها خزانتهم تحت يده ونظره حتى لو اكلتها الحقوق وانفدتها المؤن

لكان عليهم جبر ذلك من اموالهم وعليه حسن النظر اليهم وذلك بثلاثة شروط الاول ان لا يستاثر عليهم بشي الثاني ان يبدوا باهل الحاجة فيعينهم الثالث ان يسوي في العطا بينهم على قدر منازلهم فاذا فنيت بعد هذا وبقيت صفرا فاطلعت الحوادث امرا بذلوا انفسهم قبل اموالهم فان لم يغن ذلك فاموالهم تؤخذ منهم على تقدير وتصرف وتدبير فهذا ذو القرنين لما عرضوا عليه المال فان يكف عنهم ما يجدونه من عادية ياجوج وماجوج قال لست احتاج اليه وانما احتاج اليكم فاعينوني بقوة اي اخدموا بانفسكم معي فان الاموال عندي والرجال عندكم وراى ان الاموال لا تغني دونهم وانهم ان اخذوها اجرة نقص ذلك مما يحتاج اليه فيعود بالاجر عليهم فكان التطوع بخدمة الابدان اولى وضبط الامر انه لا يحل مال احد الا لضرورة تعرض فيؤخذ ذلك المال جهرا لا سرا وينفق بالعدل لا بالاستيثار وبراي الجماعة لا بالاستبداد بالامر والله الموفق للصواب قوله تعالى اتوني زبر الحديد اي اعطوني زبر الحديد وناولنيها امرهم بنقل الالة وهذا كله انما هو استدعا العطية التي بغير معنى الهبة وانما هو استدعا المناولة لانه قد ارتبط من قوله انه لا ياخذ منهم الخرج فلم يبق الا استدعا المناولة واعمال الابدان وزبر الحديد قطع الحديد واصل الكلمة الاجتماع ومنه زبرة الاسد لما اجتمع من الشعر على كاهله وزبرت الكتاب اي كتبته وجمعت حروفه وقرا ابو بكر والمفضل ردما ايتوني من الاتيان الذي هو المجي اي جيئوني بزبر الحديد فلما سقط الخافض انتصب الفعل على نحو قول الشاعر امرتك الخير حذف الجار فنصب الفعل وقرا الجمهور زبر بفتح البا وقرا الحسن بضمها وكل ذلك جمع زبرة وهي القطعة العظيمة ومنه قوله تعالى حتى اذا ساوى يعني البنا فحذف لقوة الكلام عليه بين الصدفين قال ابو عبيدة هما جانبا الجبل وسميا بذلك لتصادفهما اي لتلاقيهما وقاله الزهري وابن عباس كانه يعرض عن الاخر من الصدوف قال الشاعر

كلا الصدفين ينفذه سناها ... توقد مثل مصباح الظلام

ويقال للبنا المرتفع صدف تشبيها بجانب الجبل وفي الحديث كان اذا مر بصدف مائل اسرع المشي قال ابو عبيدة الصدف والهدف كل بنا عظيم مرتفع ابن عطية الصدفان الجبلان المتناوحان ولا يقال للواحد صدف وانما يقال صدفان للاثنين لان احدهما يصادف الاخر وقرا نافع وحمزة والكسائي الصدفين بفتح الصاد وشدها وفتح الدال وهي قراة عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وهي اختيار ابي عبيد لانها اشهر اللغات وقرا ابن كثير وابن عامر وابو عمرو الصدفين بضم الصاد والدال وقرا عاصم في رواية ابي بكر الصدفين بضم الصاد وسكون الدال نحو الجرف والجرف فهو تخفيف وقرا ابن الماجشون بفتح الصاد وضم الدال وقرا قتادة بين الصدفين بفتح الصاد وسكون الدال وكل ذلك بمعنى واحد وهما الجبلان المتناوحان قوله تعالى قال انفخوا حتى اذا جعله نارا الى عيار زبر الحديد بالاكثار وذلك انه كان يامر بوضع طاقة من الزبر والحجارة ثم يوقد عليها الحطب والفحم بالمنافخ حتى تحمى والحديد اذا اوقد عليه صار كالنار فذلك قوله حتى اذا جعله نارا ثم يؤتى بالنحاس المذاب او بالرصاص او بالحديد بحسب الخلاف في القطر فيفرغه على تلك الطاقة المنضدة فاذا التام واشتد ولصق البعض بالبعض استانف رصف طاقة اخرى الى ان استوى العمل فصار جبلا صلدا قال قتادة هو كالبرد المحبر طريقة سودا وطريقة حمرا ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاه رجل فقال يا رسول الله اني رايت سد ياجوج وماجوج قال كيف رايته قال رايته كالبرد المحبر طريقة صفرا وطريقة سودا وطريقة حمرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رايته ومعنى حتى اذا جعله نارا اي كالنار ومعنى اتوني افرغ عليه قطرا اي اعطوني قطرا افرغ عليه على التقديم والتاخير ومن قرا ايتوني فالمعنى عنده تعالوا افرغ عليه نحاسا والقطر عند اكثر المفسرين النحاس المذاب واصله من القطر لانه اذا اذيب قطر كما يقطر الما وقالت فرقة القطر الحديد المذاب وقالت فرقة منهم ابن الانباري الرصاص المذاب وهو مشتق من قطر يقطر قطرا ومنه واسلنا له عين القطر قوله تعالى فما اسطاعوا ان يظهروه اي ما استطاع ياجوج وماجوج ان يعلوه ويصعدوا فيه لانه املس مستو مع الجبل والجبل عال لا يرام وارتفاع السد مائتا ذراع وخمسون ذراعا وروي في طوله ما بين

طرفي

طرفي الجبلين مائة فرسخ وفي عرضه خمسون فرسخا قاله وهب بن منبه وما استطاعوا له نقبا لبعد عرضه وقوته روي في الصحيح عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وعقد وهيب بيده تسعين وفي رواية وحلق باصبعه الابهام والتي تليها وذكر يحيى ابن سلام عن سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة عن ابي رافع عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياجوج وماجوج يحفرون السد كل يوم حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيده الله كما كان حتى اذا بلغت مدتهم واراد الله ان يبعثهم على الناس حفروا حتى اذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا ان شا الله فيعودون اليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس الحديث وقد تقدم قوله تعالى فما اسطاعوا بتخفيف الطا على قراة الجمهور وقيل هي لغة بمعنى استطاعوا وقيل بل استطاعوا بعينه كثر في كلام العرب حتى حذف بعضهم منه التا فقالوا اسطاعوا وحذف بعضهم منه الطا فقال استاع يستيع بمعنى استطاع يستطيع وهي لغة مشهورة وقرا حمزة وحده فما اسطاعوا بتشديد الطا كانه اراد استطاعوا ثم ادغم التا في الطا فشددها وهي قراة ضعيفة الوجه قال ابو علي هي غير جائزة وقرا الاعمش فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا بالتا في الموضعين قوله تعالى هذا رحمة من ربي القائل ذو القرنين واشار بهذا الى الردم والقوة عليه والانتفاع به في دفع ضرر ياجوج وماجوج وقرا ابن ابي عبلة هذه رحمة قوله تعالى فاذا جا وعد ربي اي يوم القيامة وقيل وقت خروجهم جعله دكا اي مستويا بالارض ومنه قوله اذا دكت الارض دكا قال اليزيدي اي مستويا يقال ناقة دكا اذا ذهب سنامها وقال القتبي اي جعله مدكوكا ملصقا بالارض وقال الكلبي قطعا متكسرا قال هل غير غاد دك غارا فانهدم وقال الازهري يقال دككته اي دققته ومن قرا دكا اراد جعل الجبل ارضا دكا وهي الرابية التي لا تبلغ ان تكون جبلا وجمعها دكاوات قرا عاصم وحمزة والكسائي دكا بالمد على التشبيه بالناقة الدكا وهي التي لا سنام لها وفي الكلام حذف تقديره جعله مثل دكا ولا بد من تقدير هذا الحذف لان السد مذكر فلا يوصف بدكا ومن قرا دكا فهو مصدر دك يدك اذا هدم ورض ويحتمل ان يكون جعل بمعنى خلق وينصب دكا على الحال وكذلك النصب ايضا في قراة من مد يحتمل الوجهين قوله تعالى وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض الضمير في تركنا لله تعالى اي تركنا الجن والانس يوم القيمة يموج بعضهم في بعض واستعارة الموج لهم عبارة عن الحيرة وتردد بعضهم في بعض كالمولهين من هم وخوف فشبههم بموج البحر الذي يضطرب بعضه في بعض وقيل تركنا ياجوج وماجوج يوم القيمة السد يموجون في الدنيا مختلطين لكثرتهم قلت فهذه ثلاثة اقوال اظهرها اوسطها وابعدها اخرها وحسن الاول لانه تقدم ذكر القيامة في تاويل قوله فاذا جا وعد ربي والله اعلم قوله تعالى ونفخ في الصور تقدم في الانعام فجمعناهم جمعا يعني الانس والجن في عرصات القيامة وعرضنا جهنم اي ابرزناها لهم يومئذ للكافرين في غطا عن ذكري اي هم بمنزلة من عينه مغطاة فلا ينظر الى دلائل الله جل وعز وكانوا لا يستطيعون سمعا اي لا يطيقون ان يسمعوا كلام الله فهم بمنزلة من صم قوله تعالى افحسب الذين كفروا اي ظن وقرا علي وعكرمة وابن محيصن افحسب باسكان السين وضم البا اي كفاهم ان يتخذوا يعني عيسى والملائكة وعزيرا من دوني اوليا ولا اعاقبهم ففي الكلام حذف وقال الزجاج المعنى افحسبوا ان ينفعهم ذلك انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الى قوله وزنا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا الاية فيه دلالة على ان من الناس من يعمل العمل وهو يظن انه محسن وقد حبط سعيه والذي يوجب احباط السعي اما فساد الاعتقاد او المراياة والمراد هنا الكفر روى البخاري عن مصعب قال سالت ابي قل هل ننبيكم بالاخسرين اعمالا اهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى اما اليهود فكذبوا محمدا واما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا لا طعام فيها ولا شراب والحرورية الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه وكان سعد يسميهم الفاسقين والاية معناها التوبيخ اي قل لهؤلاء الكفرة الذين عبدوا غيري يخيب سعيهم وامالهم غدا فهم الاخسرون اعمالا وهم الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا

وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا في عبادة من سواي قال ابن عباس يريد كفار اهل مكة وقال
علي هم الخوارج اهل حروراء وقال مرة هم الرهبان اصحاب الصوامع وروي ان ابن الكوا سأله عن
الاخسرين اعمالا فقال له انت واصحابك قال ابن عطية ويضعف هذا كله قوله من هذه الطوايف
من يكفر بلقاء الله والبعث والنشور وانما هذه صفة مشركي عبدة الاوثان وعلي وسعد رضي الله
عنهما ذكروا اقواما اخذوا بحظهم من صدر الاية واعمالا نصب على التمييز وحبطت قراءة الجمهور بكسر
الباء وقرأ ابن عباس حبطت بفتحها الثانية قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا قراءة الجمهور
ونقيم بنون العظمة وقرأ مجاهد بياء الغايب يريد فلا يقيم الله عز وجل وقرأ عبيد بن عمير
فلا يقوم ويلزمه ان يقرأ وزن وكذلك قرأ مجاهد يقوم لهم يوم القيامة وزن قال عبيد بن عمير
يؤتى بالرجل العظيم الطويل الاكول الشروب فلا يزن عند الله جناح بعوضة قلت هذا لا يقال
مثله من جهة الراي وقد ثبت معناه مرفوعا في صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انه قال ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح
بعوضة واقرؤوا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا والمعنى انه لا ثواب لهم واعمالهم مقابلة
بالعذاب فلا حسنة لهم توزن في موازين القيامة ومن لا حسنة له فهو في النار وقال ابو سعيد
الخدري يؤتى باعمال كجبال تهامة فلا تزن شيا وقيل يحتمل ان يريد المجاز والاستعارة كانه قال
فلا قدر لهم عندنا يومئذ والله اعلم وفي هذا الحديث من الفقه ذم السمن لمن تكلفه لما في ذلك
من تكلف المطاعم والاشتغال بها عن المكارم بل يدل على تحريم كثرة الاكل الزايد على قدر الكفاية
المبتغى به الترفه والسمن ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابغض
الرجال الى الله الحبر السمين ومن حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
خيركم قرني ثم الذين يلونهم قال عمران ولا ادري اذكر بعد قرنه قرنين او ثلاثة ثم ان من بعدكم
قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم
السمن وهذا ذم وسبب ذلك ان السمن المكتسب انما هو من كثرة الاكل والشرب والدعة والراحة
والامن والاسترسال مع النفس على شهواتها فهو عبد نفسه لا عبد ربه ومن كان هذا حاله
وقع لا محالة في الحرام وكل لحم تولد عن سحت فالنار اولى به وقد ذم الله تبارك وتعالى الكفار
بكثرة الاكل فقال والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم فاذا
كان المؤمن يتشبه بهم ويتنعم بتنعمهم في كل احواله وازمانه فاين حقيقة الايمان والقيام
بوظايف الاسلام ومن كثر اكله وشربه كثر نهمه وحرصه وزاد بالليل كسله ونومه فكان نهاره
هايما وليله نايما وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وتقدم فيها ذكر الميزان وان له كفتين
توزن فيهما صحايف الاعمال فلا حاجة للاعادة وقال صلى الله عليه وسلم حين ضحكوا من
حموشة ساق ابن مسعود وهو يصعد النخلة اتضحكون من ساق توزن بعمل اهل الارض فدل
هذا ان الاشخاص توزن ذكره الغزنوي قوله تعالى ذلك جزاؤهم ذلك اشارة الى ترك
الوزن وهو في موضع رفع بالابتداء جزاؤهم خبره وجهنم بدل من المبتدا الذي هو ذلك وما
في قوله بما كفروا مصدرية والهزو الاستخفاف والسخرية وقد تقدم قوله تعالى ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا قال قتادة الفردوس ربوة الجنة
واوسطها واعلاها وافضلها وارفعها وقال ابو امامة الباهلي الفردوس سرة الجنة وقال
كعب ليس في الجنان جنة اعلا من جنة الفردوس فيها الامرون بالمعروف والناهون عن
المنكر وفي صحيح البخاري عن ابي هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم من امن بالله ورسوله
واقام الصلاة وصام رمضان كان حقا على الله ان يدخله الجنة جاهد في سبيل الله او
جلس في ارضه التي ولد فيها قالوا يا رسول الله افلا نبشر الناس قال ان في الجنة ماية درجة
اعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والارض فاذا سالتم الله
فاسالوه الفردوس فانه اوسط الجنة واعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر انهار الجنة وقال
مجاهد الفردوس البستان بالرومية الفرا هو عربي والفردوس حديقة في الجنة وفردوس
اسم روضة دون اليمامة والجمع فراديس قال امية بن ابي الصلت الثقفي *
كانت منازلهم اذ ذاك ظاهرة * فيها الفراديس والفومان والبصل

والفراديس

والفراديس موضع بالشام وكرم مفردس اي معرش خالدين فيها اي دايمين لا يبغون عنها حولا اي لا
يطلبون تحويلا عنها الى غيرها والحول بمعنى التحويل قاله ابو علي وقال الزجاج حال من مكانه حولا كما
يقال عظم عظما قال ويجوز ان يكون من الحيلة اي لا يحتالون منزلا غيرها وقال الجوهري والتحول التنقل
من موضع الى موضع والاسم الحول ومنه قوله تعالى خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قوله تعالى قل لو
كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي نفد الشي اذا فرغ وتم وقد تقدم
ولو جينا بمثله مددا اي زيادة على البحر عددا او وزنا وفي مصحف ابي مدادا وكذلك قراها مجاهد
وابن محيصن وحميد وانتصب مددا على التمييز او الحال وقال ابن عباس قالت اليهود لما قال لهم
النبي صلى الله عليه وسلم وما اوتيتم من العلم الا قليلا قالوا وكيف وقد اوتينا التوراة ومن اوتي
التوراة فقد اوتي خيرا كثيرا فنزلت قل لو كان البحر مدادا الاية وقيل قالت اليهود انك اوتيت
الحكمة ومن اوتي الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم زعمت انك لا علم لك بالروح فقال الله تعالى قل وان
اوتيت القران واوتيتم التوراة فهي بالنسبة الى كلمات الله قليلة قال ابن عباس كلمات ربي اي مواعظ
ربي وقيل عني بالكلمات الكلام القديم الذي لا غاية له ولا منتهى وهو وان كان واحدا فيجوز ان
يعبر عنه بلفظ الجمع لما فيه من فوايد الكلمات ولانه ينوب منابها فجازت العبارة عنها بصيغة الجمع
تفخيما وقال الاعشى * ووجه نقي اللون صاف يزينه * مع الجيد لبات لها ومعاصم *
فعبر باللبات عن اللبة وفي التنزيل نحن اولياؤكم وانا نحن نزلنا الذكر وانا لنحن نحيي ونميت وكذلك
ان ابراهيم كان امة لانه ناب مناب امة وقيل ما نفدت العبارات والدلالات التي تدل على مفهومات
معاني كلامه سبحانه وقال السدي اي لو كان البحر مدادا لنفد قبل ان تنفد صفات الجنة التي
هي دار الثواب وقال عكرمة لنفد البحر قبل ان ينفد ثواب من قال لا اله الا الله ونظير هذه
الاية ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله
وقرا حمزة والكسائي من قبل ان ينفد بالياء لتقدم الفعل قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي اي لا اعلم الا ما يعلمني الله لا يحصى وانما امرت ان ابلغكم بانه لا اله الا الله فمن كان يرجوا
لقا ربه اي يرجوا رويته وثوابه ويخشى عقابه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا قال ابن عباس نزلت في جندب ابن زهير العامري قال يا رسول الله اني اعمل العمل لله
واريد به وجه الله الا انه اذا اطلع عليه سرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا
يقبل الا الطيب ولا يقبل ما شورك فيه فنزلت وقال طاوس قال رجل يا رسول الله اني احب
الجهاد في سبيل الله واحب ان ارى مكاني فنزلت وقال مجاهد جاء رجل الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال اني اتصدق واصل الرحم ولا اصنع ذلك الا لله فيذكر ذلك مني فاحمد عليه ويعجبني
واعجب به فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيا فانزل الله تعالى فمن كان يرجوا
لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا قلت والكلام على الاية يعم ذلك وغيرها
من الاعمال وقد تقدم في هود حديث ابي هريرة الصحيح في الثلاثة الذين يقضى عليهم
اول الناس وتقدم في سورة النسا الكلام على الريا وذكرنا من الاخبار هناك ما فيه كفاية
وقال الماوردي وقال جميع اهل التاويل معنى قوله ولا يشرك بعبادة ربه احدا اي لا يرائي
بعمله احدا وروى الترمذي الحكيم رحمه الله في نوادر الاصول قال ابي رحمه الله قال نا
مكي ابن ابراهيم قال نا عبد الواحد بن زيد عن عبادة بن نسي قال اتيت شداد بن اوس في
مصلاه وهو يبكي فقلت ما الذي ابكاك يا ابا عبد الرحمن قال حديث سمعته من رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوما اذ رايت بوجهه امرا ساني فقلت بابي وامي يا رسول الله ما الذي ارى
بوجهك قال امرا اتخوفه على امتي من بعدي قلت وما هو قال الشرك والشهوة الخفية قلت
يا رسول الله وتشرك امتك من بعدك قال يا شداد اما انهم لا يعبدون شمسا ولا قمرا ولا حجرا
ولا وثنا ولكنهم يراوون باعمالهم قلت يا رسول الله والريا شرك هو قال نعم قلت فما الشهوة
الخفية قال يصبح احدهم صايما فتعرض له شهوات الدنيا فيفطر قال عبد الواحد فلقيت
الحسن فقلت يا ابا سعيد اخبرني عن الريا اشرك هو قال نعم اما تقرا فمن كان يرجوا لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وروى اسماعيل بن اسحاق قال نا محمد بن
ابي بكر قال نا المعتمر بن سليمان عن ليث عن شهر بن حوشب قال كان عبادة بن الصامت وشداد

ابن اوس جالسين فقالا انا نتخوف على هذه الامة من الشرك والشهوة الخفية فاما الشهوة الخفية
من قبل النسا وقالا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى صلاة يراي بها فقد
اشرك ومن صام صياما يراي به فقد اشرك ثم تلى فمن كان يرجوا لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا
يشرك بعبادة ربه احدا قلت وقد جاء في التفسير الشهوة الخفية بخلاف هذا وقد ذكرناه في
النسا قال سهل بن عبد الله وسيل الحسن عن الاخلاص والريا فقال من الاخلاص ان
تحب ان تكتم حسناتك ولا تحب ان تكتم سياتك فان اظهر الله عليك حسناتك تقول هذا من
فضلك واحسانك وليس هو من فعلي ولا من صنيعي وتذكر قوله والذين يوتون ما اتوا الاية
ويوتون الاخلاص وهم يخافون ان لا يقبل منهم واما الريا فطلب حظ النفس من عملها في الدنيا
فقيل له كيف يكون هذا فقال من طلب بعمل بينه وبين الله سوى وجه الله والدار الاخرة
فهو ريا وقال علماونا وقد يفضي الريا بصاحبه الى استهزاء الناس به كما حكي ان طاهر ابن
الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله فقال دخلت
العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صايم فقال يا ابا عبد الله سالناك عن
مسيلة فاجبتنا عن مسيلتين وحكى الاصمعي ان اعرابيا صلى فاطال والى جانبه قوم فقالوا
ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك صايم اين هذا من قول الاشعث بن قيس وقد صلى
فخفف فقيل له انك خففت فقال انه لم يخالطها ريا فخلص من تنقيصهم بنفي الريا عن نفسه
والتصنع من صلاته وقد تقدم في النسا والريا مثل قول لقمان وان كتمان العمل ورع
الترمذي الحكيم ثنا ابي رحمه الله قال انبا الحجاج الحمالي قال انبا جرير عن ليث عن
شيخ عن معقل بن يسار قال قال ابو بكر وشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك قال هو فيكم اخفى من دبيب النمل وسادلك
على شي اذا فعلته اذهب عنك صغار الشرك وكباره تقول اللهم اني اعوذ بك ان اشرك بك
وانا اعلم واستغفرك لما لا اعلم تقولها ثلث مرات وقال عمرو بن قيس الكندي سمعت
معاوية تلى هذه الاية على المنبر فمن كان يرجوا لقا ربه فقال انها اخر اية نزلت من
السما وقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم اوحي الي انه من قرا فمن كان يرجوا لقا ربه
فليعمل عملا صالحا رفع له نورا ما بين عدن الى مكة حشوها الملايكة يصلون عليه ويستغفرون
له وقال معاذ بن جبل قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا اول سورة الكهف واخرها
كانت له نورا من الارض الى السما وعن ابن عباس انه قال له رجل اني اضمن ان اقوم ساعة
من الليل فيغلبني النوم فقال اذا اردت ان تقوم ساعة شيت من الليل فاقرا اذا اخذت
مضجعك قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر الى اخرها فان الله يوقظك متى
شيت من الليل ذكر هذه الفضايل الثعلبي رحمه الله وفي مسند الدارمي ابن محمد انا محمد بن يزيد
ابن كثير عن الاوزاعي عن عبدة عن زر بن حبيش قال من قرا اخر سورة الكهف لساعة
من الليل قام لها قال عبدة فجربناه كذلك قال ابن العربي كان شيخنا الطرطوشي الاكبر
يقول لا تذهب بكم الازمان في مصاولة الاقران ومواصلة الاخوان وقد ختم سبحانه
البيان بقوله فمن كان يرجوا لقا ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

سورة مريم عليها السلام وهي مكية

باجماع وهي تسعون وثمان ايات ولما كانت وقعة بدر وقتل الله فيها صناديد قريش
ان ثاركم بارض الحبشة فاهدوا الى النجاشي وابعثوا اليه رجلين من ذوي رايكم لعله
يعطيكم من عنده من قريش فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر فبعث كفار قريش عمرو بن
العاصي وعبد الله بن ابي ربيعة وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعثهما فبعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن امية الضمري وكتب معه الى النجاشي فقدم على
النجاشي فقرا كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن ابي طالب والمهاجرين
وارسل الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ثم امر جعفرا ان يقرا عليهم القران فقرا سورة مريم
كهيعص وقاموا واعينهم تفيض من الدمع فهم الذين انزل الله فيهم ولتجدن اقربهم مودة

للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وقرا الى الشاهدين ذكره ابو داود في السيرة فقال
النجاشي فاقراه علي فقرا كهيعص قال فبكى والله النجاشي حتى اخضل لحيته وبكيت اساقفتهم
حتى اخضلوا الحاهم حين سمعوا ما يتلى عليهم فقال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من
مشكاة واحدة انطلقوا فوالله لا اسلمهم اليكما ابدا وذكر تمام الخبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى كهيعص تقدم الكلام في اوايل السور وقال ابن عباس في كهيعص ان الكاف
من كاف والها من هاد والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق ذكره ابن عزيز
والقشيري عن ابن عباس معناه كاف لخلقه هاد لعباده يده فوق ايديهم عالم بهم صادق في
وعده ذكره الثعلبي عن الكلبي والسدي ومجاهد والضحاك وقال الكلبي ايضا الكاف من
كريم وكبير وكاف والها من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق والمعنى
واحد وعن ابن عباس ايضا هو اسم من اسما الله تعالى وعن علي رضي الله عنه هو اسم الله عز
وجل وكان يقول يا كهيعص اغفر لي ذكره الغزنوي السدي هو اسم الله الاعظم الذي اذا سيل به
اعطى واذا دعي به اجاب قتادة هو اسم من اسما القران ذكره عبد الرزاق عن معمر عنه وقيل
هو اسم السورة وهو اختيار القشيري في اوايل الحروف وعلى هذا قيل تمام الكلام عند قوله
كهيعص كانه اعلام باسم السورة كما تقول كتاب كذا او باب كذا ثم تشرع في المقصود وقرا ابو
جعفر هذه الحروف متقطعة ووصلها الباقون وامال ابو عمرو الها وفتح اليا وابن عامر وحمزة على
العكس واما لهما جميعا الكسايي وابو بكر وخلف وقراهما بين اللفظين اهل المدينة نافع وغيره
وفتحهما الباقون وعن خارجة ان الحسن كان يضم كاف وحكى غيره انه كان يضم ها وحكى اسماعيل
ابن اسحاق ان الحسن كان يضم يا قال ابو حاتم لا يجوز ضم الكاف ولا الها ولا اليا قال النحاس
قراة اهل المدينة من احسن ما في هذا والامالة جايزة في ها وفي يا واما قراة الحسن فقد اشكلت
على جماعة حتى قالوا لا يجوز منهم ابو حاتم والقول فيها ما بينه هرون القاري قال كان
الحسن يشم الرفع فمعنى هذا انه يومي كما حكى سيبويه ان من العرب من يقول الصلاة والزكاة
يومي الى الواو ولهذا كتبتا في المصحف بالواو واظهر الدال من هجا نافع وابن كثير وعاصم
ويعقوب وهو اختيار ابي عبيد وادغمها الباقون قوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا
اذ نادى ربه نداء خفيا فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ذكر رحمة ربك في موضع ذكر
ثلاثة اقوال قال الفرا هو مرفوع بكهيعص قال الزجاج هذا محال لان كهيعص ليس مما
انبانا الله عز وجل به عن زكريا وقد خبر الله تعالى عنه وعن ما بشر به وليس كهيعص
من قصته وقال الاخفش التقدير فيما يقص عليكم ذكر رحمة ربك والقول الثالث ان
المعنى هذا الذي يتلوه عليكم ذكر رحمة ربك والقول الثالث ان المعنى هذا الذي يتلوه
وقيل ذكر رحمة ربك رفع باضمار اي هذا ذكر رحمة ربك وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اي هذا
المتلو من القران ذكر رحمة ربك وقرئ ذكر على الامر ورحمة بالها تكتب ويوقف عليها
وكذلك كل ما كان مثلها لا اختلاف فيها بين النحويين واعتلوا في ذلك ان هذه الها تنقلب
الاسما فرقا بينها وبين الافعال الثانية قوله تعالى عبده قال الاخفش هو منصوب برحمة
زكريا بدل منه كما تقول هذا ذكر ضرب زيد عمرا فعمرا منصوب بالضرب كما ان عبده منصوب
بالرحمة وقيل هو على التقديم والتاخير معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمة فعبده منصوب
بالذكر ذكره الزجاج والفرا وقرا بعضهم عبده زكريا بالرفع وهي قراة ابي العالية وقرا يحيى ابن
يعمر ذكر بالنصب على معنى هذا القران ذكر رحمة ربك عبده زكريا وتقدمت اللغات في القراة
في زكريا في ال عمران الثالثة قوله تعالى اذ نادى ربه نداء خفيا مثل قوله تعالى ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقد تقدم والنداء الدعا والرغبة اي ناجى ربه بذلك في محرابه دليله قوله
فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب فبين انه استجاب له في صلاته كما نادى في الصلاة
واختلف في اخفايه هذا الندا فقيل اخفاه من قومه ليلا يلام على مسالة الولد عند
كبر السن ولانه امر دنيوي فان اجيب فيه نال بغيته وان لم يجب لم يعرف احد بذلك

وقيل مخلصا فيه لم يطلع عليه الا الله وقيل لما كانت الاعمال الخفية افضل وابعد من الريا لخفاه
وقيل خفيا سرا من قومه في جوف الليل والكل محتمل والاول اظهر والله اعلم وقد تقدم ان المحق
من الدعا الاخفا في سورة الاعراف وهذه الاية نص في ذلك لانه سبحانه اثنى بذلك على زكرياء
وروى اسماعيل قال ثنا مسدد قال ثنا يحيى بن سعيد عن اسامة بن زيد عن محمد بن عبد
الرحمن وهو ابن ابي كبشة عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان خير
الذكر الخفي وخير الرزق ما يكفي وهذا عام وقال يونس ابن عبيدة وكان الحسن يرى ان يدعو
الامام في القنوت ويومن من خلفه من غير رفع صوت وتلى يونس اذ نادى ربه ندا خفيا
قال ابن العربي وقد اسروا ما لك القنوت وجهر به الشافعي والجهر به افضل لان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو به جهرا قوله تعالى قال رب اني وهن العظم مني فيه
مسئلتان الاولى قال رب اني وهن العظم مني وقرى وهن بالحركات الثلاث اي ضعف يقال
وهن يهن وهنا اذا ضعف فهو واهن وقال ابو زيد يقال وهن يهن ووهن يوهن وانما
ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنايه واذا وهن تداعى وتساقطت قوته
ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراه وهن ووحده لان الواحد هو الدال على
معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب منه الجسد
قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وانه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها
الثانية قوله تعالى واشتعل الراس شيبا ادغم السين في الشين ابو عمرو وهذا من احسن الاستعارة
في كلام العرب والاشتعال انتشار شعاع النار شبه به انتشار الشيب في الراس يقول
شخت وضعفت واضاف الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس ولم يضف الراس
اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا عليه السلام وشيبا في نصبه وجهان احدهما انه مصدر
لان معنى اشتعل شاب وهذا قول الاخفش اولى لانه مشتق من فعل فالمصدر اولى به
والشيب مخالطة الشعر الابيض الاسود الثالثة قال العلما يستحب للمرء ان يذكر في دعايه
نعم الله تعالى عليه وما يليق بالخضوع لان قوله وهن العظم مني اظهار للخضوع وقوله
ولم اكن بدعايك رب شقيا اظهار لعادات تفضله في اجابته ادعيته لم اكن اكن بدعايي
اياك شقيا اي لم تكن تخيب دعايي اذ دعوتك اي انك دعوتني الاجابة فيما مضى يقال
شقي بكذا اي تعب فيه ولم يحصل مقصوده كذا وعن بعضهم ان محتاجا ساله وقال انا
الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته قوله تعالى
واني خفت الموالي من وراي الى قوله وليا فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى واني خفت
قرا عثمان ابن عفان ومحمد بن علي وعلي ابن الحسين ويحيى ابن يعمر رضي الله عنهم خفت
بفتح الخا وتشديد الفا وكسر التا وسكون اليا من الموالي لانه في موضع رفع بخفت
ومعناه انقطعت اي بالموت وقرا الباقون خفت بكسر الخا وسكون الفا وضم التا ونصب
اليا من الموالي لانه في موضع نصب بخفت والموالي هنا الاقارب وبنو العم والموالي قال الشاعر
• مهلا بني عمنا مهلا موالينا • لا تنشروا بيننا ما كان مدفونا •
قال ابن عباس ومجاهد وقتادة خاف ان يرثوا ماله وان ترثه الكلالة فاشفق
ان يرثه غير الولد وقالت طايفة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين
فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وعليه فلم يسال من يرث ماله
اذ الانبيا لا تورث وهذا هو الصحيح من القولين في تاويل الاية وانه عليه السلام اراد
وراثة العلم والنبوة لا وراثة المال لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معشر
الانبيا لا نورث دينارا ولا درهما ورثوا العلم وسيات هذا مزيد بيان عند قوله يرثني
الثانية هذا الحديث يدخل في التفسير المسند لقوله تعالى وورث سليمان داود وعبارة
عن قول زكريا فهب لي من لدنك وليا يرثني ويرث من ال يعقوب وتخصيص للعموم في
ذلك وان سليمان لم يورث من داود مالا خلفه داود بعده وانما ورث منه الحكمة والعلوم
وكذلك ورث يحيى من ال يعقوب هكذا قال اهل العلم بتاويل القران ما عدا الروافض
والا ما روي عن الحسن انه قال يرثني مالا ويرث من ال يعقوب النبوة والحكمة وكل قول

يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مدفوع مهجور قاله ابو عمر قال ابن عطية والاكثر
من المفسرين على ان زكريا انما اراد وراثة المال ويحتمل قول النبي صلى الله عليه وسلم انا معشر
الانبيا لا نورث ان لا يريد به العموم بل على انه غالب امرهم فتامله والاظهر الاليق بزكريا عليه
السلام ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة الا ترى انه لما طلب وليا ولم
يخصص ولدا بلغه الله امله على اكمل الوجوه وقال ابو صالح وغيره وقوله من ال يعقوب يريد
العلم والنبوة الثالثة قوله تعالى من وراي قرا ابن كثير بالمد والهمز وفتح اليا وعنه انه قرا ايضا
مقصورا مفتوح اليا مثل عصاي الباقون بالمد والهمز وسكون اليا والقراة على قراة خفت وفتحت
للا ما ذكرناه عن عثمان وهي قراة شاذة بعيدة جدا حتى زعم بعض العلما انها لا تجوز قال كيف
يقول خفت الموالي بعدي اي من بعد موتي وهو حي النحاس والتاويل لها ان لا يعني
بقوله من وراي من بعد موتي ولكن من وراي في ذلك الوقت وهذا ايضا بعيد يحتاج الى
دليل انهم خفوا وقلوا وقد اخبر الله عز وجل بما يدل على الكثرة حين قالوا لهم يكفل مريم ابن
عطية من وراي من بعدي في الزمن فهو الورا على ما تقدم في الكهف الرابعة قوله تعالى وكانت
امراتي عاقرا امراته هي ايشاع بنت فاقود ابن ميل وهي اخت حنة بنت فاقود قاله الطبري وهي
ام مريم وحسب ما تقدم في ال عمران بيانه وقال القتبي امراة زكريا هي ايشاع بنت عمران فعلى هذا
القول لا يكون يحيى ابن خالة عيسى عليهما السلام على الحقيقة وعلى القول الاخر يكون ابن خالة
امه وفي حديث الاسرا فلقيت ابني الخالة يحيى وعيسى شاهدا للقول الاول والله اعلم والعاقر
التي لا تلد لكبر سنها وقد مضى في ال عمران بيانه والعاقر من النسا ايضا التي لا تلد من غير كبر
ومنه قوله تعالى ويجعل من يشا عقيما وكذلك العاقر من الرجال ومنه قول عامر ابن الطفيل
• لبيس الفتى ان كنت اعور عاقرا • جبانا فما عذري لدى كل محضر •
الخامسة قوله تعالى فهب لي من لدنك وليا سال ودعا فلم يصرح بولد لما علم من حاله وبعده
عنه بسبب المراة قال قتادة جرى له هذا الامر وهو ابن بضع وسبعين سنة مقاتل خمس
وتسعين سنة وهو اشبه فقد كان غلب على ظنه انه لا يولد له لكبره ولذلك قال وقد بلغت
من الكبر عتيا وقالت طايفة بل طلب الولد ثم طلب ان تكون الاجابة في ان يعيش حتى يرثه تحفظا
من ان تقع الاجابة في الولد لكن يخترم ولا يتحصل منه الغرض السادسة قال العلما دعا
زكريا عليه السلام في الولد انما كان لاظهار دينه واحيا نبوته ومضاعفة الاجرة لا للدنيا
وكان ربه قد عوده الاستجابة ولذلك قال ولم اكن بدعايك رب شقيا اي بدعايي اياك
وهذه وسيلة حسنة ان يتشفع اليه بنعمه ويستدر فضله بفضله يروى ان حاتم الجود
لقيه رجل فساله فقال من انت قال انا الذي احسنت اليه عام اول فقال مرحبا بمن تشفع الينا بنا فان قيل كيف اقدم زكريا على مسالة ما يخرق
العادة دون اذن فالجواب ان ذلك جايز في زمان الانبيا وفي القران ما يكشف عن هذا
المعنى فانه تعالى قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم انى لك هذا قالت
هو من عند الله فلما راى خارق العادة استحكم طمعه في اجابة دعوته فقال تعالى هنالك دعا زكريا
ربه الاية السابعة ان قال قايل هذه الاية تدل على جواز الدعا بالولد والله سبحانه قد
حذرنا من افات الاموال والاولاد ونبه على المفاسد الناشية من ذلك فقال انما اموالكم
واولادكم فتنة وقال ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فالجواب ان الدعا بالولد
معلوم من الكتاب والسنة حسب ما تقدم في ال عمران بيانه ثم ان زكريا عليه السلام تحرز فقال
ذرية طيبة وقال واجعله رب رضيا والولد اذا كان بهذه الصفة نفع ابويه في الدنيا والاخرة
وخرج من حد العداوة والفتنة الى حد المسرة والنعمة وقد دعا النبي صلى الله عليه وسلم
لانس خادمه فقال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيه فدعا له بالبركة تحرزا مما يؤدي
اليه الاكثار من الهلكة وهكذا فليتضرع العبد الى مولاه في هداية ولده ونجاته اولاه واخراه
اقتدا بالانبيا والفضلا والاوليا وقد تقدم في ال عمران والحمد لله قوله تعالى يرثني
ويرث من ال يعقوب فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى يرثني قرا اهل الحرمين والحسن
وعاصم وحمزة يرثني ويرث بالرفع فيهما وقرا يحيى ابن يعمر وابو عمرو ويحيى بن وثاب والاعمش
والكسائي بالجزم فيهما وليس هما جواب هب على مذهب سيبويه انما تقديره ان تهبه يرثني

ويرث والاول اصوب في المعنى لانه طلب وارثا موصوفا اي هب لي من لدنك الولي الذي هذه
حاله وصفته لان الاوليا منهم من لا يرث فقال هب لي الذي يكون وارثي قال ابو عبيده
ورد قراة الجزم قال لان معناه ان وهبت ورث فكيف يخبر الله عز وجل بهذا وهو اعلم به
النحاس وهذه حجة مستقيمة لان جواب الامر عند النحويين فيه معنى الشرط والمجازاة
تقول اطع الله يدخلك الجنة اي ان تطعه يدخلك الجنة الثانية قال النحاس فاما معنى
يرثني ويرث من ال يعقوب فللعلما فيه ثلاثة اوجه قيل هي وراثة نبوته وقيل هي وراثة
حكمه وقيل هي وراثة ماله فاما قولهم وراثة نبوته فمحال لان النبوة لا تورث ولو كانت تورث
لقال قائل الناس ينتسبون الي نوح عليه السلام وهو نبي مرسل ووراثة العلم والحكمة مذهب
حسن وفي الحديث العلما ورثة الانبيا واما وراثة المال فلا يمتنع وان كان قوم قد انكروه
لقول النبي صلى الله عليه وسلم لا نورث ما تركنا صدقة فهذا لا حجة فيه لان الولد يخبر
عن نفسه باخبار الجمع وقد تاول هذا المعنى لا نورث الذي تركنا صدقة لان النبي صلى
الله عليه وسلم لم يخلف شيا يورث عنه وانما كان الذي اباحه الله عز وجل اياه في حياته
بقوله تبارك اسمه واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه وللرسول لان معنى لله لسبيل
الله ومن سبيل الله ما يكون في مصلحة الرسول صلى الله عليه وسلم ما دام حيا فان قيل ففي
بعض الروايات انا معشر الانبيا لا نورث ما تركنا صدقة ففيه التاويلات جميعا ان يكون
ما بمعنى الذي والاخر ما يورث من كانت هذه حاله وقال ابو عمر واختلف العلما في تاويل
قوله عليه السلام لا نورث ما تركنا صدقة على قولين احدهما وهو الاكثر وعليه الجمهور
ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يورث وما تركه صدقة والاخر ان نبينا عليه السلام لم يورث
لان الله تعالى خصه بان جعل ماله كله صدقة زيادة في فضيلته كما خص في النكاح
باشيا اباحها له وحرمها على غيره وهذا القول قاله بعض اهل البصرة منهم ابن علية وسائر علما
المسلمين على القول الاول الثالثة قوله تعالى من ال يعقوب قيل هو يعقوب اسرائيل
الله وكان زكريا متزوجا باخت مريم بنت عمران ويرجع نسبها الي يعقوب لانها من ولد
سليمان ابن داود من ولد يهوذا ابن يعقوب وزكريا من ولد هرون اخي موسي وهرون
وموسي من ولد لاوي ابن يعقوب وكانت النبوة في سبط يعقوب ابن اسحاق وقيل
المعني بيعقوب هاهنا يعقوب بن ماثان ابو مريم اخوات من نسل سليمان بن داود عليهما
السلام لان يعقوب وعمران ابنا ماثان وكان فيهم الملك وبنو ماثان روسا بني اسرائيل
قاله مقاتل وغيره وقال الكلبي وكان ال يعقوب اخواله وهو يعقوب ابن ماثان وكان
فيهم الملك وكان زكريا من ولد هرون ابن عمران اخي موسي وروي قتادة ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال يرحم الله زكريا ما كان عليه ورثته ولم ينصرف يعقوب لانه اعجمي
الرابعة قوله تعالى واجعله رب رضيا اي مرضيا في اخلاقه وافعاله وقيل راضيا
بقضائك وقدرك وقيل رجلا صالحا ترضى عنه وقال ابو صالح نبيا كما جعلت اباه نبيا
قوله تعالى يا زكريا في الكلام حذف اي فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا انا نبشرك
بغلام اسمه يحيي فتضمنت هذه البشري ثلاثة اشيا احدها اجابة دعايه وهي كرامة
الثاني اعطاوه الولد وهو قوة الثالث ان يفرد بتسميته وقد تقدم معنى تسميته بيحيي
في ال عمران وقال مقاتل سماه يحيي لانه حيي بين اب شيخ وام عجوز وهذا فيه نظر لما تقدم
من ان امراته كانت عقيما لا تلد والله اعلم قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا اي لم
يسم به احد قبل يحيي بهذا الاسم قاله ابن عباس وقتادة وابن اسلم والسدي ومن عليه
تعالى بان لم يكل تسميته الي الابوين وقال مجاهد وغيره سميا معناه مثلا ونظيرا وهو
مثل قوله تعالى هل تعلم له سميا وهذا كانه من المساماة والسمو وهذا فيه بعد لانه لا يفضل
على ابراهيم وموسي اللهم الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر حسب ما تقدم بيانه في
ال عمران وقال ابن عباس ايضا اراد معناه لم تلد العاقر مثله والعلو قيل ان الله اشترط
القبل لانه اراد ان يخلق بعده افضل منه وهو محمد صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية
دليل وشاهد على ان الاسامي الشنعة جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنحي في التسمية

لكونها

لكونها انبه وانزه عن النبز حتى قال القايل شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب
وقال روبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت قوله
تعالى قال رب انى يكون لي غلام ليس على معنى الانكار لما اخبر الله به بل على سبيل التعجب من
قدرة الله ان يخرج ولدا من امراة عاقر وشيخ كبير وقيل غير هذا مما تقدم في ال عمران بيانه وقد
بلغت من الكبر عتيا يعني النهاية في الكبر واليبس والجفاف ومثله العسي قال الاصمعي عسي
الشي يعسو عسوا وعساء ممدود اي يبس وصلب وعسي الشيخ يعسو عسيا ولي وكبر مثل عتا
يقال عتا الشيخ يعتو عتيا كبر وولي وعتوت يا فلان تعتو عتوا وعتيا والاصل عتو لانه من
ذوات الواو فابدلوا من الواو يا لانها اختها وهي اخف منها والايات على اليات ومن قال عتيا
كره الضمة مع الكسرة والياء وقال الشاعر

انما يعذر الوليد ولا يعذر من كان في الزمان عتيا

وقرا ابن عباس عسيا وهي كذلك في مصحف ابي وقرا يحيي ابن وثاب وحمزة والكسايي وحفص
عتيا بكسر العين وكذلك جثيا وصليا حيث كن وضم حفص بكيا خاصة وكذلك الباقون في الجميع
وهما لغتان وقيل عتيا قسيا يقال ملك عات اذا كان قاسي القلب قوله تعالى قال كذلك قال
ربك هو علي هين اي قال له الملك كذلك قال ربك والكاف في موضع رفع اي الامر كذلك اي كما قيل
لك هو علي هين قال الفرا خلقه علي هين وقد خلقتك من قبل اي من قبل يحيي وهذه قراة
اهل المدينة والبصرة وعاصم وقرا ساير الكوفيين وقد خلقناك بنون والف بالجمع على التعظيم
والقراة الاولى اشبه بالسواد ولم تك شيا اي كما خلقك الله بعد العدم ولم تك شيا موجودا
فهو القادر على خلق يحيي وايجاده قوله تعالى قال رب اجعل لي اية على حملها بعد بشارة
الملايكة اياه وبعد قول الله تعالى وقد خلقتك من قبل ولم تك شيا زيادة طمانينة اي تمم النعمة
بان تجعل لي اية وتكون تلك الاية زيادة نعمة وكرامة وقيل طلب اية تدل على ان البشري منه
بيحيي لا من الشيطان لان ابليس اوهمه ذلك قاله الضحاك وهو معنى قول السدي وهذا فيه
نظر لاخبار الله تعالى بان الملايكة نادته حسب ما تقدم في ال عمران بيانه قال ايتك الا تكلم
الناس ثلاث ليال سويا تقدم في ال عمران بيانه فلا معنى للاعادة قوله تعالى فخرج على قومه
من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى فخرج على
قومه اي اشرف عليهم من المصلي والمحراب ارفع المواضع واشرف المجالس وكانوا يتخذون المحاريب
فيما ارتفع من الارض دليله محراب داود عليه السلام واختلف الناس في اشتقاقه فقالت فرقة هو
ماخوذ من الحرب كان ملازمه يحارب الشيطان والشهوات وقالت فرقة هو ماخوذ من الحرب
بفتح الرا كان ملازمه يلقى منه حربا وتعبا ونصبا الثانية هذه الاية دليل على ارتفاع امامهم
على المامومين كانوا يشيرون عليهم في صلاتهم وقد اختلف في هذه المسيلة فقها الامصار فاجاز
ذلك الامام احمد بن حنبل وغيره متمسكا بقصة المنبر ومنع ذلك مالك في ارتفاع الكثير دون اليسير
وعلل اصحابه المنع بخوف الكبر على الامام قلت وهذا فيه نظر واحسن ما فيه ما رواه ابو داود عن
همام ان حذيفة ام الناس بالمداين على دكان فاخذ ابو مسعود بقميصه فجبذه فلما فرغ من صلاته
قال الم تعلم انهم كانوا ينهون عن هذا او ينهى عن ذلك قال بلى قد ذكرت حين مددتني وروي
ايضا عن عدي بن ثابت الانصاري قال حدثني رجل انه كان مع عمار بن ياسر بالمداين فاقيمت
الصلاة فتقدم عمار بن ياسر وقام على دكان يصلي والناس اسفل منه فتقدم حذيفة فلما
فرغ عمار من صلاته قال له حذيفة الم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا ام الرجل
القوم فلا يقم في مكان ارفع من مقامهم او نحو ذلك فقال عمار لذلك اتبعتك حين اخذت على يدي
قلت فهذا ثلاثة من الصحابة قد اخبروا عن ذلك ولم ينكر احد منهم على صاحبه بحديث المنبر
فدل على انه منسوخ ومما يدل على نسخه ان فيه عملا زايدا في الصلاة وهو النزول والصعود فنسخ
كما نسخ الكلام والسلام وهذا اولى مما اعتذر به اصحابنا من ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
معصوما من الكبر لان كثيرا من الايمة يوجد لا كبر عندهم ومنهم من علله بان ارتفاع المنبر كان يسيرا
والله اعلم الثالثة قوله تعالى فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا قال الكلبي والقرظي وقتادة وابن
منبه اوحى اليهم اشار القتبي اوحى مجاهد كتبه على الارض عكرمة في كتاب والوحي في كلام العرب

الكناية ومنه قول ذي الرمة • سوى الاربع الدهم اللواتي كانها بقية وحي في بطون الصحائف •
وقال عنترة • كوحي صحائف من عهد كسرى • فاهداها لاعجم طمطمي •
وبكرة وعشيا طرفات وزعم الفراء ان العشي يونث ويجوز تذكيره اذا ابهمته قال وقد يكون
العشي جمع عشية الرابعة في تقدم الحكم في الاشارة في ال عمران واختلف علماؤنا فيمن حلف
ان لا يكلم انسانا فكتب اليه كتابا وارسل اليه رسولا فقال مالك انه يحنث الا ان ينوي مشافهته
ثم رجع فقال لا ينوي في الكتاب ويحنث الا ان ينوي برجع الكتاب قبل وصوله قال ابن
القاسم اذا قرا كتابه حنث وكذلك لو قرا الحالف كتاب المحلوف عليه وقال اشهب لا يحنث
اذا قراه الحالف وهذا بين لانه لم يكلمه ولا ابتداه بكلام الا ان يريد ان لا يعلم معنى كلامه فانه
يحنث وعليه يخرج قول ابن القاسم فان حلف ليكلمنه لم يبر الا بمشافهته قال ابن الماجشون
وان حلف لئن علم كذا ليعلمنه او ليخبرنه فكتب اليه او ارسل اليه رسولا بر ولو علماه جميعا لم يبر
حتى يعلمه لان علمهما مختلف الخامسة واتفق مالك والشافعي والكوفيون ان الاخرس اذا كتب
الطلاق بيده لزمه قال الكوفيون الا ان يكون رجل اصمت اياما فكتب لم يجز من ذلك شيء
قال الطحاوي الخرس مخالف للصمت العارض كما ان العجز عن الجماع بخلاف الجنون العارض بالمرض
ونحوه يوما او نحوه مخالف للعجز المايوس منه للجماع نحو الجنون في باب خيار المراة في الفرقة
قوله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة في الكلام حذف المعنى فولد له وقال الله تعالى للمولود
يا يحيى وهذا اختصار بما يدل الكلام عليه والكتاب التوراة بلا خلاف بقوة اي بجد واجتهاد
قاله مجاهد وقيل العلم به والحفظ له والعمل به وهو الالتزام لاوامره والكف عن نواهيه قاله
زيد بن اسلم وقد تقدم في البقرة قوله تعالى واتيناه الحكم صبيا قيل الاحكام والمعرفة
بها روى معمر ان الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا نلعب فقال ما للعب خلقت فانزل الله تعالى
واتيناه الحكم صبيا قال قتادة كان ابن سنتين او ثلاث وقال مقاتل كان ابن ثلاث سنين
وصبيا نصب على الحال وقال ابن عباس من قرا القران قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكم صبيا
وروي في تفسير هذه الاية من طريق عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
كل بني ادم ياتي يوم القيامة وله ذنب الا ما كان من يحيى ابن زكريا وقال قتادة ان يحيى عليه
السلام لم يعص الله قط بصغيرة ولا كبيرة ولا هم بامراة وقال مجاهد كان طعام يحيى العشب
وكان للدمع في خديه مجار ثابتة وقد مضى الكلام في معنى قوله وسيدا وحصورا في ال
عمران قوله تعالى وحنانا من لدنا حنانا عطفا على الحكم وروي عن ابن عباس انه قال
والله ما ادري ما الحنان وقال جمهور المفسرين الحنان الرحمة والشفقة والمحبة وهو
فعل من افعال النفس النحاس وفي معنى الحنان عن ابن عباس قولان احدهما قال تعطف
الله جل وعز عليه بالرحمة والقول الاخر ما اعطيه من رحمة الناس حتى يخلصهم من الكفر والشر
واصله من حنين الناقة على ولدها ويقال حنانك وحنانيك قيل هما لغتان بمعنى واحد
وقيل حنانيك تثنية الحنان قال ابو عبيدة والعرب تقول حنانك يا رب وحنانيك يا رب
بمعنى واحد يريد رحمتك وقال امرؤ القيس •
• ويمنحها بنو شمجى بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان • وقال طرفة
• ابا منذر افنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر اهون من بعض •
الزمخشري • حنان من اتى بك هنا اذو نسب ام انت بالحي عارف •
قال ابن الاعرابي الحنان من صفة الله عز وجل مشدد الرحيم والحنان مخفف العطف والرحمة
والحنان الرزق والبركة ابن عطية والحنان ايضا في كلام العرب ما عظم من الامور في ذات
الله ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في حديث بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن
قبره حنانا وذكر هذا الخبر الهروي فقال وفي حديث بلال ومر عليه ورقة بن نوفل وهو يعذب
فقال والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي لاتمسحن به وقال الازهري معناه لاتعطفن
عليه ولاترحمن عليه من اهل الجنة قلت فالحنان العطف وكذا قال مجاهد وحنانا اي تعطفا
منا عليه او منه على الخلق قال الحطيئة •
• تحنن علي هداك المليك فان لكل مقام مقالا •

عكرمة

عكرمة محبة وحنة الرجل امراته لتوادهما قال الشاعر •
• فقالت حنان ما اتى بك ها هنا اذو نسب ام انت بالحي عارف •
قوله تعالى وزكاة الزكاة التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر اي جعلناه مباركا
للناس يهديهم وقيل المعنى زكيناه بحسن الثناء عليه كما يزكي الشهود انسانا وقيل زكاة صدقة
على ابويه قاله ابن قتيبة وكان تقيا اي مطيعا لله ولهذا لم يعمل خطيئة ولم يلم بها قوله تعالى
وبرا بوالديه البر بمعنى البار وهو الكثير البر وجبارا متكبرا وهذا وصف ليحيى عليه السلام بلين
الجانب وخفض الجناح قوله تعالى وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه امان ابن عطية
والاظهر عندي انها التحية المتعارفة فهي اشرف وانبه من الامان لان الامان متحصل له بنفي
العصيان عنه وهي اقل درجاته وانما الشرف في ان سلم الله عليه وحياه في المواطن التي
الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة والفقر الى الله وعظيم الهول قلت هذا
قول حسن وقد ذكرنا معناه عن سفيان ابن عيينة في سورة سبحان عند قتل يحيى وذكر الطبري
عن الحسن ان عيسى ويحيى التقيا وهما ابنا الخالة فقال يحيى لعيسى ادع الله لي فانت خير مني
سلم الله عليك وانا سلمت على نفسي فانتزع بعض العلماء من هذه الاية في التسليم فضل عيسى
بان قال ادلاله في التسليم على نفسه ومكانته من الله التي اقتضت ذلك حين قرر وحكى
في محكم التنزيل اعظم في المنزلة من ان يسلم عليه قال ابن عطية ولكل وجه قوله تعالى واذكر
في الكتاب مريم الى اخرها هذه ابتداء قصة ليست من الاولى والخطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم
اي عرفهم قصتها ليعرفوا كمال قدرتنا اذ انتبذت اي تنحت وتباعدت والنبذ الطرح والرمي قال
الله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم اي ممن كان معها واذ بدل من مريم بدل الاشتمال لان الاحيان
مشتملة على ما فيها والانتباذ الاعتزال والانفراد واختلف الناس لم انتبذت فقال السدي
انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله وهذا حسن وذلك ان مريم عليها السلام كانت
وقفا على سدانة المعبد وخدمته والعبادة فيه فتنحت من الناس لذلك ودخلت في المسجد
الى جانب المحراب في شرقيه لتخلو للعبادة فدخل عليها جبريل عليه السلام فقوله مكانا
شرقيا اي مكانا من جانب الشرق والشرق بسكون الراء المكان الذي تشرق فيه الشمس والشرق
بفتح الراء الشمس وانما خص المكان بالشرق لانهم كانوا يعظمون جهة المشرق ومن حيث تطلع
الانوار وكانت الجهات الشرقية من كل شيء افضل من سواها حكاه الطبري وحكى عن ابن عباس
انه قال اني لاعلم الناس لم اتخذ النصارى المشرق قبلة لقول الله عز وجل اذ انتبذت من اهلها
مكانا شرقيا فاتخذوا ميلاد عيسى قبلة واختلف الناس في نبوة مريم فقيل كانت نبية بهذا
الارسال والمحاورة للملك وقيل لم تكن نبية وانما كلمها مثال بشر ورؤيتها للملك كما رؤي جبريل عليه
السلام في صفة دحية الكلبي حين سؤاله عن الايمان والاسلام والاول اظهر وقد مضى الكلام في
هذا المعنى مستوعبا في ال عمران والحمد لله قوله تعالى فارسلنا اليها روحنا قيل هو روح
عيسى عليه السلام لان الله تعالى خلق الارواح قبل الاجساد فركب الروح في جسد عيسى
عليه السلام الذي خلقه في بطنها وقيل هو جبريل واضيف الروح الى الله تخصيصا وكرامة
والظاهر انه جبريل لقوله فتمثل لها اي تمثل الملك لها بشرا سويا وحال سويا اي مستوي الخلقة
لانها لم تكن لتطيق ان تنظر جبريل في صورته فلما رات رجلا حسن الصورة في صورة البشر
قد خرق عليها الحجاب ظنت انه يريدها بسوء فقالت اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا اي ممن
يتقي الله البكالي فنكص جبريل عليه السلام فزعا من ذكر الرحمن تبارك وتعالى الثعلبي كان رجلا
صالحا فتعوذت منه تعجبا وقيل تقي فعيل بمعنى مفعول اي كنت ممن يتقى منه في البخاري قال
ابو وائل علمت مريم ان التقي ذو نهية حين قالت ان كنت تقيا وقيل تقي اسم فاجر معروف
في ذلك الوقت قاله وهب مع النحوي فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب
لك جعل الهبة من قبله لما كان الاعلام بها من قبله وقرا ورش عن نافع ليهب على معنى ارسلني
الله ليهب لك وقيل معنى لاهب بلا همز ان يكون بمعنى المهموز ثم خففت الهمزة فلما سمعت مريم
ذلك من قوله استفهمت عن طريقه فقالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر اي بنكاح ولم
اك بغيا اي زانية وذكرت هذا تاكيدا لان قولها لم يمسسني بشر يشمل الحلال والحرام وقيل

ما استبعدت من قدرة الله شيا ولكن ارادت كيف يكون هذا الولد من قبل زوج في المستقبل
ام يخلقه الله ابتدا روي ان جبريل عليه السلام حين قال لها هذه المقالة نفخ في جيب درعها
وكمها قاله ابن جريج وابن عباس اخذ جبريل عليه السلام ردن قميصها باصبعه فنفخ فيه
فحملت من ساعتها بعيسى قال الطبري وزعمت النصارى ان مريم حملت بعيسى وهي لها
ثلاث عشرة سنة وان عيسى عاش الى ان رفع وهو ابن اثنين وثلاثين سنة واياما
وان مريم بقيت بعده ست سنين وكان جميع عمرها نيفا وخمسين سنة وقوله ولنجعله
متعلق بمحذوف اي وخلقه لنجعله اية دلالة على ان قدرتنا عجيبة ورحمة لمن امن به وكان
امرا مقضيا في اللوح مسطورا قوله تعالى فانتبذت به مكانا قصيا اي تنحت بالحمل الى
مكان بعيد قال ابن عباس الى اقصى الوادي وهو وادي بيت لحم بينه وبين ايليا اربعة
اميال وانما بعدت فرارا من تعيير قومها اياها بالولادة من غير زوج قال ابن عباس ما هو
الا ان حملت فوضعت في الحال وهذا هو الظاهر لان الله تعالى ذكر الانتباذ عقيب الحمل
وقيل غير هذا والله اعلم بما في قوله تعالى فاجاءها المخاض الى جذع النخلة اجاءها بمعنى اضطرها
وهو تعدية جا بالهمز يقال جاءه واجاءه الى موضع كذا كما يقال ذهب به واذهبه وقرا
شبل وروي عن عاصم فاجاها من المفاجاة وفي مصحف ابي فلما اجاها المخاض وقال
زهير ۝ وجار سار معتمدا اليكم ۝ اجاته المخافة والرجاء ۝
وقرا الجمهور المخاض بفتح الميم وابن كثير فيما روي عنه بكسرها وهو الطلق وشدة
الولادة واوجاعها مخضت المراة تمخض مخاضا ومخاضا وناقة ماخض اي دنا ولادها الى
جذع النخلة كانها طلبت شيا تستند اليه وتتعلق به كما تتعلق الحامل لشدة وجع الطلق
والجذع ساق النخلة اليابسة في الصحرا الذي لا سعف عليه ولا غصن ولهذا لم يقل الى النخلة
قالت يا ليتني مت قبل هذا تمنت مريم عليها السلام الموت من جهة الدين لوجهين احدهما
انها خافت ان يظن بها الشر في دينها وتعير فيفتنها ذلك الثاني لئلا يقع قوم بسببها في
البهتان والنسبة الى الزنا وذلك مهلك وعلى هذا الحد يكون تمني الموت جايزا وقد مضى هذا
المعنى مبينا في سورة يوسف عليه السلام والحمد لله قلت وسمعت ان مريم عليها السلام لما
سمعت بمن يقول اخرج يا من يعبد من دون الله حزنت لذلك وقالت يا ليتني مت قبل
هذا وكنت نسيا منسيا النسي في كلام العرب الشي الحقير الذي شانه ان ينسى ولم يتالم
لفقده كالوتد والحبل للمسافر ونحوه وحكي عن العرب انهم كانوا اذا ارادوا الرحيل عن منزل
قالوا احفظوا انساءكم الانساء جمع نسي وهو الشي الحقير يغفل فينسى ومنه قول الكميت
۝ اتجعلنا جسرا لكلب قضاعة ۝ ولست بنسي في معد ولا دخل ۝
وقال الفرا النسي ما تلقيه المراة من خرق اعتلالها فقول مريم نسيا منسيا اي حيضة
ملقاة وقري نسيا بفتح النون وهما لغتان مثل الحجر والحجر والوتر والوتر وقرا محمد بن كعب
القرظي بالهمز نسيا بكسر النون وقرا نوف البكالي نسا بفتح النون من نسا الله في اجله اي
اخره وحكاها ابو الفتح والداني عن محمد بن كعب وقرا بكر ابن حبيب نسا بشد الياء وفتح
النون دون همز وقد حكى الطبري في قصصها انها لما حملت بعيسى حملت ايضا اختها بيحيى فجاءتها
اختها زايرة فقالت يا مريم اشعرت اني حملت قالت فقالت لها مريم اشعرت انت اني حملت
قالت لها اني اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك وذلك انه روي انها احست جنينها يخر
براسه الى ناحية بطن مريم قال السدي فذلك قوله مصدقا بكلمة من الله وذكر
ايضا في قصصها انها خرجت فارة مع رجل من بني اسرايل يقال له يوسف النجار كان يخدم معها
المسجد وطول في ذلك قال الكلبي قيل ليوسف وكانت سميت له انها حملت من الزنا
فالان يقتلها الملك فهرب بها فهم في الطريق بقتلها فاتاه جبريل وقال انه من روح القدس
قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وهذه القصة تقتضي انها حملت واستمرت حاملا على
عرف البشر وتظاهرت الروايات بانها ولدته لثمانية اشهر قال عكرمة ولذلك قيل لا يعيش ابن
ثمانية اشهر حفظا لخاصة عيسى وقيل ولدته لتسعة وقيل لستة وما ذكرناه عن ابن
عباس اصح واظهر والله اعلم قوله تعالى فناداها من تحتها قري بفتح الميم وكسرها قال
ابن

ابن عباس المراد بمن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها وقاله علقمة والضحاك
وقتادة ففي هذا اية لها وامارة ان هذا من الامور الخارقة للعادة التي لله فيها مراد
عظيم وقوله ان لا تحزني تفسير النداء وان مفسرة بمعنى اي المعنى فلا تحزني بولادته قد جعل
ربك تحتك سريا يعني عيسى والسري من الرجال العظيم الخصال السيد قال الحسن كان والله
سريا من الرجال ويقال سرو فلان على فلان اي تكرم وفلان سري من قوم سراة وقال
الجمهور اشار لها الى الجدول الذي كان قرب جذع النخلة قال ابن عباس كان ذلك نهرا قد انقطع
ماوه فاجراه الله لمريم والنهر يسمى سريا لان الما يسري فيه قال الشاعر سلم ترى الدالي منه
ازورا اذا يعج في السري هرهرا وقال لبيد فتوسطا عرض السري وصدعا مسجورة متجاورا قلامها وقيل
ناداها عيسى وكان ذلك معجزة واية وتسكينا لقلبها والاول اظهر وقرا ابن عباس فناداها ملك
من تحتها قالوا وكان جبريل في بقعة من الارض اخفض من البقعة التي كانت هي عليها قوله تعالى
وهزي اليك بجذع النخلة فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وهزي امرها بهز الجذع اليابس
لترى اية اخرى في احيا موات الجذع والبا في قوله بجذع زايدة موكدة كما يقال خذ بالزمام
واعط بيدك وقال الله تعالى فليمدد بسبب الى السما اي فليمدد سببا وقيل المعنى وهزي
اليك رطبا على جذع النخلة وتساقط اي تتساقط فادغم التا في السين وقرا حمزة تساقط مخففا
وكسر القاف وقري تتساقط باظهار التاءين ويساقط باليا وادغام التا وتسقط التا للنخلة واليا
للجذع فهذه تسع قراات ذكرها الزمخشري رحمه الله رطبا نصب بالهز اي اذا هززت الجذع
هززت بهزه رطبا جنيا وعلى الجملة فرطبا يختلف نصبه بحسب اختلاف القراات فمرة يستند
الفعل الى الجذع ومرة الى الهز ومرة الى النخلة وجنيا معناه قد طابت وصلحت للاجتنا وهو
من جنيت الثمرة ويروى عن ابن مسعود ولا يصح انه قرا تساقط عليك رطبا جنيا برنيا وقال
مجاهد رطبا جنيا قال كانت عجوة وقال ابن عباس ابن الفضل سالت ابا عمرو بن العلا عن
قوله رطبا جنيا فقال لم يدرك وقال تفسيره لم يجف ولم ييبس ولم يبعد عن يدي مجتنيه وهذا
هو الصحيح قال الفرا الجني والمجني واحد يذهب الى انهما بمنزلة القتيل والمقتول والجريح
والمجروح وقال غير الفرا الجني المقطوع من نخلة والماخوذ من مكان تشايد وانشد
۝ وطيب ثمار في رياض اريضة ۝ واغصان اشجار جناها على قرب ۝
يريد بالجني ما يجنى منها اي يقطع ويوخذ قال ابن عباس كان جذعا نخرا فلما هزت نظرت الى
اعلا الجذع فاذا السعف قد طلع ثم نظرت الى الطلع قد خرج من بين السعف اخضر فصار
بلحا ثم احمر فصار زهوا ثم رطبا كل ذلك في طرفة عين فجعل الرطب يقع بين يديها لا ينشدخ
منه شي الثانية استدل بعض الناس من هذه الاية على ان الرزق وان كان محتوما فان
الله تعالى قد وكل ابن ادم الى سعي ما فيه لانه امر مريم بهز الجذع لترى اية وكانت الاية
تكون بان لا تهز الثالثة الامر بتكلف الكسب في الرزق سنة الله في عباده وان ذلك لا
يقدح في التوكل خلافا لما يقوله جهال المتزهدة وقد تقدم هذا المعنى والخلاف فيه وقد
كانت قبل ذلك ياتيها رزقها من غير تكسب كما قال كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد
عندها رزقا الاية فلما ولدت امرت قال علماونا لما كان قلبها فارغا فرغ الله جارحتها
عن النصب فلما ولدت عيسى وتعلق قلبها بحبه واشتغل سرها بحديثه وامره وكلها
الى كسبها وردها الى العادة بالتعلق بالاسباب في عباده وحكى الطبري عن ابن زيد ان
عيسى قال لها لا تحزني فقالت وكيف لا احزن وانت معي لا ذات زوج ولا مملوكة اي
شي عذري عند الناس يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فقال لها عيسى انا اكفيك
الكلام الرابعة قال الربيع ابن خثيم ما للنفسا عندي خير من الرطب لهذه الاية ولو علم
الله شيا هو افضل من الرطب للنفسا لاطعمه مريم ولذلك قالوا التمر للنفسا عادة من ذلك
الوقت وكذلك التحنيك وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب لهذه الاية
خير من العسل ذكره الزمخشري وقال ابن وهب قال مالك قال الله تعالى رطبا جنيا
الجني من التمر ما طاب من غير نقش ولا افساد والنقش ان ينقش من اسفل البسرة حتى ترطب
فهذا مكروه يعني مالك ان هذا تعجيل الشي قبل وقته فلا ينبغي لاحد ان يفعله فان فعله فاعل

ماكان ذلك مجوزا للبيعه ولا حكما لطيبه وقد مضى هذا في الانعام والحمد لله وعن طلحة بن سليمان
جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما الاكل والشرب والثانية
سلو الصدر لكونهما معجزتين وهو قوله تعالى فكلي واشربي وقري عينا قوله تعالى فكلي
واشربي وقري عينا اي فكلي من الجني واشربي من السري وقري عينا برؤية الولد النبي وقري بفتح
قراءة الجمهور وحكى الطبري قراءة وقري بكسر القاف وهي لغة نجد يقال قر عينا يقر ويقر بضم
القاف وكسرها واقر الله عينه فقرت وهو مأخوذ من القر وهو البرد ودمعة السرور
باردة ودمعة الحزن حارة وضعفت فرقة هذا وقالت الدمع كله حار فمعنى اقر الله عينه اي
سكن الله عينه بالنظر الى من يحبه حتى تقر وتسكن وفلان قرة عيني اي نفسي تسكن بقربه وقال
الشيباني وقري عينا معناه نامي حضها على الاكل والشرب والنوم قال ابو عمرو اقر الله عينه
اي انام عينه واذهب سهره وعينا نصب على التمييز كقولك طب نفسا والفعل في الحقيقة انما
هو للعين فنقل ذلك الى ذي العين وينصب الذي كان فاعلا في الحقيقة على التفسير ومثله طبت
نفسا وتفقأت شحما وتصببت عرقا ومثله كثير قوله تعالى فاما ترين من البشر احدا فقولي فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى فاما ترين الاصل في ترين ترايين فحذفت الهمزة كما حذفت من ترى
ونقلت فتحتها الى الراء فصار تريين ثم قلبت الياء الاولى الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها فاجتمع ساكنان
الالف المنقلبة عن الياء وياء التانيث فحذفت الالف لالتقاء الساكنين فصار ترين ثم حذفت
النون علامة للجزم لان ان حرف شرط وما صلة فبقي تري ثم دخله نون التوكيد وهي مثقلة
فكسر ياء التانيث لالتقاء الساكنين لان النون المثقلة بمنزلة نونين الاولى ساكنة فصار ترين
وهذا اجل النحو قول ابن دريد اما تري راسي حاكي لونه وقول الافوه اما تري راسي ازري به
الشيب وانما دخلت النون هنا بتوطية ما توطي لدخولها ايضا لام القسم وقرا طلحة وابو جعفر
وشيبة ترين بسكون الياء وفتح النون خفيفة قال ابو الفتح وهي شاذة الثانية قوله تعالى
فقولي هذا جواب الشرط وفيه اضمار اي فسالك عن ولدك فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا
قال ابن عباس وانس ابن مالك وفي قراءة ابي ابن كعب اني نذرت للرحمن صوما صمتا وروي
عن انس وعنه ايضا وصمتا بواو واختلاف اللفظين يدل على ان الحرف ذكر تفسيرا لا قرانا فاذا
اتت معه واو فيمكن ان يكون غير الصوم والذي تتابعت به الاخبار عن اهل الحديث ورواة اهل
اللغة ان الصوم هو الصمت لان الصوم امساك والصمت امساك عن الكلام وقيل هو الصوم
المعروف وكان يلزمهم الصمت يوم الصوم الا بالاشارة وعلى هذا تخرج قراءة انس وصمتا بواو وان
الصمت كان عندهم في الصوم ملتزما بالنذر كما ان من نذر منا المشي الى البيت اقتضى ذلك
الاحرام بالحج والعمرة ومعنى هذه الاية ان الله تعالى امرها على لسان جبريل او ابنها على الخلاف
المتقدم بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها وتبين الاية
فيقوم عذرها وظاهر الاية انها ابيح لها ان تقول هذه الالفاظ التي في الاية وهو قول الجمهور
وقالت فرقة معنى فقولي بالاشارة لا بالكلام الزمخشري وفيه ان السكوت عن السفيه واجب
ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها الثالثة من التزم بالنذر ان لا يكلم احدا من الادميين
فيحتمل ان يقال انه قربة فيلزم بالنذر ويحتمل ان يقال لا يجوز ذلك في شرعنا لما فيه من
التضييق وتعذيب النفس كنذر القيام في الشمس ونحوه وعلى هذا كان نذر الصمت في تلك
الشريعة لا في شريعتنا وقد امر ابن مسعود من فعل ذلك بالنطق بالكلام وهذا هو الصحيح
لحديث ابي اسرايل خرجه البخاري عن ابن عباس وقال ابن زيد والسدي كانت سنة الصوم
عندهم الامساك عن الاكل والكلام قلت وفي سنتنا نحن في الصيام الامساك عن الكلام
القبيح قال صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم صايما فلا يرفث ولا يجهل فان امرو قاتله
او شاتمه فليقل اني صايم وقال عليه السلام من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة
في ان يدع طعامه وشرابه قوله تعالى فاتت به قومها تحمله روي ان مريم لما اطمانت بما
رات من الايات وعلمت ان الله سيبين عذرها اتت به تحمله من المكان القصي الذي كانت
انتبذت فيه قال ابن عباس خرجت من عندهم حين تشرق الشمس وجاتهم عند الظهر
ومعها صبي تحمله فكان الحمل والولادة في ثلاث ساعات من النهار وقال الكلبي ولدت حين لم

يبشر بها قومها ومكثت اربعين يوما للنفاس ثم اتت قومها تحمله فلما راوها مع الصبي حزنوا
وكانوا اهل بيت صالحين فقالوا منكرين لقد جيت شيا فريا اي جيت بامر عظيم كالاتي بالشي
يفتريه قال مجاهد فريا عظيما وقال سعيد بن مسعدة اي مختلقا مفتعلا يقال فريت
وافتريت بمعنى واحد والولد من الزنا كالشي المفتري قال الله تعالى ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن اي بولد بقصد الحاقه بالزوج وليس منه يقال فلان يفري الفري
اي يعمل العمل البالغ وقال ابو عبيدة الفري العجيب النادر وقاله الاخفش قال فريا عجيبا والفري
القطع كانه مما يخرق العادة او يقطع الكون بقوله عجيبا نادرا وقال قطرب الفري الجديد من الاسقية
اي جيت بامر بديع جديد لم تسبقي اليه وقرا ابو حيوة شيا فريا بسكون الراء وقال السدي ووهب
لما اتت به قومها تحمله تسامع بذلك بنو اسرايل فاجتمع رجالهم ونساوهم فمدت امراة يدها اليها
لتضربها فاجف الله شطرها فحملت لذلك وقال اخر ما اراها الا زنت فاخرسه الله فتحاماها الناس
من ان يضربوها او يقولوا لها كلمة توذيها وجعلوا يخفضون اليها القول ويلينون فقالوا يا مريم
لقد جيت شيا فريا اي عظيما قال الراجز
قد اطعمتني دقلا حوليا • مسوسا مدودا حجريا •
قد كنت تفرين به الفريا • اي تعظمينه قوله تعالى يا اخت هارون اختلف الناس في معنى
هذه الاخوة ومن هارون فقيل هو هارون اخو موسى والمراد من كنا نظنها مثل هارون في العبادة
تاتي بمثل هذا وقيل على هذا كانت مريم من ولد هارون اخي موسى فنسبت اليه بالاخوة
لانها من ولده كما يقال للتميمي يا اخا تميم وللعربي يا اخي العرب وقيل كان لها اخ من ابيها
اسمه هارون لان هذا الاسم كان كثيرا في بني اسرايل تبركا باسم هارون اخي موسى وكان
امثل رجل في بني اسرايل قاله الكلبي وقيل هرون هذا رجل صالح في ذلك الزمان تبع جنازته
يوم مات اربعون الفا كلهم اسمه هرون وقال قتادة كان في ذلك الزمان في بني اسرايل
عابدا منقطعا الى الله عز وجل يسمى هارون فنسبوها الى اخوته من حيث كانت على طريقته
قبل اذ كانت موقوفة على خدمة البيع اي يا هذه المراة الصالحة ما كنت اهلا لذلك وقال
كعب الاحبار بحضرة عايشة ام المومنين ان مريم ليست باخت لهرون اخي موسى فقالت له عايشة
كذبت فقال يا ام المومنين ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله فهو اصدق وخير
والا فاني اجد بينهما من المدة ستماية سنة قال فسكتت وفي صحيح مسلم عن المغيرة ابن
شعبة قال لما قدمت نجران سالوني فقالوا انكم تقرون يا اخت هارون وموسى قبل عيسى
بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سالته عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون
بانبيايهم والصالحين قبلهم وقد جاء في بعض طرقه من غير الصحيح ان النصارى قالوا له ان
صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما في المدة ستماية سنة قال المغيرة فلم ادر
ما اقول وذكر الحديث والمعنى انه اسم وافق اسما ويستفاد من هذا جواز التسمية
باسما الانبيا والله اعلم قلت فقد دل الحديث الصحيح انه كان بين عيسى وموسى وهرون
زمان مديد الزمخشري كان بينهما وبينه الف سنة او اكثر فلا يتخيل ان مريم كانت اخت
موسى وهرون وان كانت قال السدي لانها كانت من نسله وهذا كما تقول لرجل من قبيلة
يا اخا فلان ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ان اخا صدا اذن ومن اذن فهو يقيم وهذا
هو القول الاول ابن عطية وقالت فرقة كان في ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هارون فنسبوها
اليه على جهة التعيير ولم يسم قايلا قلت ذكره الترمذي عن سعيد بن جبير انه كان فاسقا
مثلا في الفجور فنسبت اليه والمعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جيت انت
بها وهذا من التعريض الذي يقوم مقام التصريح وذلك يوجب عندنا الحد وسياتي في
سورة النور القول فيه ان شا الله وهذا القول الاخير يرده الحديث الصحيح وهو نص
صحيح فلا كلام لاحد معه ولا عبارة عليه والحمد لله وقرا يحيى ابن لجا التميمي ما كان ابوك
امرا سو قوله تعالى فاشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال ابن عباس
لما لم يكن لها حجة اشارت اليه ليكون كلامه حجة لها وفي الاية مسايل الاولى قوله تعالى فاشارت الاية التزمت مريم عليها السلام ما امرت
به من ترك الكلام ولم يرد في هذه الاية انها نطقت باني اني نذرت للرحمن صوما وانما ورد

بإشارات فنحوي بهذا قول من قال إن أمرها بقولي إنما أريد به الإشارة ويروي أنهم
لما أشارت إلى الطفل قالوا استخفافها بنا أشد علينا من زناها ثم قالوا لها على جهة التقرير
كيف نكلم من كان في المهد صبيا وكان هنا ليس يراد بها المضي لأن كل واحد قد كان في المهد
صبيا وإنما هي في معنى هو وقال أبو عبيدة كان هنا لغو كما قال • وجيران لنا كانوا كرام •
وقيل هي بمعنى الوجود والحدوث كقوله وإن كان ذو عسرة وقد تقدم وقال ابن الأنباري
لا يجوز أن يقال زائدة وقد نصبت صبيا ولا أن يقال كان بمعنى حدث لأنه لو كانت بمعنى
الوقوع والحدوث لاستغنى فيه عن الخبر كما تقول كان الحر وتكتفي به فالصحيح أن من في
معنى الجزاء وكان بمعنى يكون والتقدير من يكن في المهد صبيا فكيف نكلمه كما تقول كيف أعطي من كان
لا يقبل عطيتي أي من يكن لا يقبل والماضي قد يذكر بمعنى المستقبل في الجزاء كقوله تبارك الذي
إن شاء جعل لك خيرا من ذلك جنات أي إن يشأ يجعل وتقول من كان إلي منه إحسان كان مني
إليه مثله أي من يكن منه إلي إحسان يكن مني إليه مثله والمهد قيل كان سريرا كالمهد وقيل
المهد هاهنا حجر الأم وقيل المعنى كيف نكلم من سبيله أن ينوم في المهد لصغره فلما سمع عيسى
كلامهم قال لهم من مرقده إني عبد الله وهي الثانية فقيل كان عيسى يرضع فلما سمع كلامهم
ترك الرضاع وأقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره وأشار إليهم بسبابته اليمنى وقال إني عبد
الله فكان أول من نطق به الاعتراف بعبوديته لله وبربوبيته ردا على من غلا من بعده في
شأنه والكتاب الإنجيل قيل آتاه في تلك الحالة الكتاب وفهمه وعلمه وآتاه النبوة كما علم
آدم الأسماء وكان يصوم ويصلي وهذا في غاية الضعف على ما نبينه في المسألة بعد هذا
وقيل أي حكم لي بإيتاء الكتاب والنبوة في الأزل وإن لم يكن الكتاب منزلا في الحال وهو أصح
وجعلني مباركا أي ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعلما له التستري وجعلني آمر
بالمعروف وأنهى عن المنكر وأن أرشد الضال وأنصر المظلوم وأغيث الملهوف وأوصاني بالصلاة
والزكاة أي لأؤديهما إذا أدركني التكليف وأمكنني أداؤهما على القول الأخير الصحيح ما دمت
حيا ما في موضع نصب على الظرف أي دوام حياتي قوله تعالى وبرا بوالدتي قال ابن عباس
ولم يقل بوالدي علم أنه شيء من جهة الله ولم يجعلني جبارا أي متعظما متكبرا يقتل ويضرب
على الغضب وقيل الجبار الذي لا يرى لأحد عليه حقا شقيا أي خائبا من الخير ابن عباس
عاقا وقيل عاصيا لربه وقيل لم يجعلني تاركا لأمره فأشقى كما شقي إبليس لما ترك أمره الثالثة
قال مالك بن أنس رضي الله عنه في هذه الآية ما أشدها على أهل القدر أخبر عيسى عليه
السلام بما قضي من أمره وبما هو كائن إلى أن يموت وقد روي في قصص هذه الآية عن ابن زيد
وغيره أنهم لما سمعوا كلام عيسى عليه السلام أذعنوا وقالوا إن هذا الأمر عظيم وروي أن
عيسى عليه السلام إنما تكلم في طفوليته بهذه الآية ثم عاد إلى حالة الأطفال حتى مشى على
عادة البشر إلى أن بلغ مبلغ الصبيان فكان نطقه إظهار براءة لأمه لا أنه كان ممن يعقل في تلك الحالة وهو
كما ينطق الله الجوارح يوم القيامة ولم ينقل أنه دام نطقه ولا أنه كان يصلي وهو ابن يوم أو شهر
ولو كان يدوم نطقه وتسبيحه ووعظه في صلاته في صغره من وقت الولادة لكان مثله مما لا
ينكتم وهذا كله مما يدل على فساد القول الأول ويصرح بجهالة قائله ويدل أيضا على أنه تكلم
في المهد خلافا لليهود والنصارى والدليل على ذلك إجماع الفرق على الخصام بجد وإنما صح براءتها
من الزنا بكلامه في المهد ودلت هذه الآية على أن الصلاة والزكاة وبر الوالدين كان واجبا
على الأمم السالفة والقرون الماضية فهو مما ثبت حكمه ولم ينسخ في شريعة أمره وكان عيسى
عليه السلام في غاية التواضع يأكل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على التراب ويأوي حيث
جنه الليل لا مسكن له صلى الله عليه وسلم الرابعة الإشارة بمنزلة الكلام وتفهم ما يفهم
القول كيف لا وقد أخبر الله تعالى عن مريم فقال فأشارت إليه وفهم منها القوم المقصود
مقصودها وغرضها فقالوا كيف نكلم وقد مضى هذا في آل عمران مستوفى الخامسة قال
الكوفيون لا يصح قذف الأخرس ولا لعانه وروي مثله عن الشعبي وبه قال الأوزاعي
وأحمد وإسحاق وإنما يصح القذف عندهم بصريح الزنا دون معناه وهذا لا يصح من الأخرس
ضرورة فلم يكن قاذفا ولا تتميز الإشارة بالزنا من الوطء الحلال والشبهة قالوا واللعان

عندنا

عندنا شهادات وشهادة الأخرس لا تقبل بالإجماع قال ابن القصار قولهم إن القذف لا يصح
إلا بالتصريح فهو باطل بسائر الألسنة ما عدا العربية فكذلك إشارة الأخرس وما ذكروه من الإجماع
في شهادة الأخرس فغلط وقد نص مالك أن شهادته مقبولة إذا فهمت إشارته وإنها تقوم مقام
اللفظ بالشهادة وأما مع القدرة فلا تقوم مقام اللفظ قال ابن المنذر والمخالف يلزمون
الأخرس الطلاق والبيوع وسائر الأحكام فينبغي أن يكون القذف مثل ذلك قال المهلب وقد
تكون الإشارة في كثير من أبواب الفقه أقوى من الكلام مثل قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة
كهاتين فعرف قرب ما بينهما بمقدار زيادة الوسطى على السبابة وفي إجماع العقول على أن العيان
أقوى من الخبر دليل على أن الإشارة قد تكون في بعض المواضع أقوى من الكلام والسلام علي من الله
قال الزجاج ذكر السلام قبل هذا بغير ألف ولام وحسن في الثانية ذكر الألف واللام وقوله يوم
ولدت يعني في الدنيا وقيل من همز الشيطان كما تقدم في آل عمران ويوم أموت يعني في القبر ويوم
أبعث حيا في الآخرة لأن له أحوالا ثلاثا في الدنيا حيا وفي القبر ميتا وفي الآخرة مبعوثا فسلم
في أحواله كلها وهو معنى قول الكلبي ثم انقطع كلامه في المهد حتى بلغ مبلغ الغلمان وقال
قتادة ذكر لنا أن عيسى عليه السلام رأته امرأة يحيي الموتى ويبرئ الأكمه والأبرص في سائر آياته
فقالت طوبى لبطن حملك وللثدي الذي أرضعت به فقال لها عيسى طوبى لمن تلا كتاب الله واتبع
ما فيه وعمل به قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم أي ذلك الذي ذكرناه عيسى ابن مريم وكذلك
اعتقدوه لا كما تقول اليهود إنه لغير رشدة وأنه ابن يوسف النجار ولا كما قالت النصارى إنه الإله
وابن الإله قول الحق قال الكسائي قول الحق نعت لعيسى أي ذلك عيسى ابن مريم وسمي قول الله
كما سمي كلمة الله والحق هو الله عز وجل وقال أبو حاتم المعنى هو قول الحق وقيل التقدير هذا
الكلام قول الحق ليس بباطل وأضيف القول إلى الحق كما قال وعد الصدق الذي كانوا يوعدون
أي الوعد الصدق وقال ولدار الآخرة أي ولدار الآخرة وقرأ عاصم وعبد الله بن عامر قول
الحق بالنصب على الحال أي أقول قولا حقا والعامل معنى الإشارة في ذلك الزجاج هو مصدر
أي أقول قول الحق لأن ما قبله يدل عليه وقيل مدح وقيل إغراء وقرأ عبد الله قال الحق
وعن الحسن قول الحق بضم القاف وكذلك في الأنعام قوله الحق والقول والقال والقول
بمعنى واحد كالرهب والرهب والرهب الذي من نعت عيسى فيه يمترون أي يشكون القول الحق وقيل
يمترون يختلفون ذكر عبد الرزاق قال معمر عن قتادة في قوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول
الحق الذي فيه يمترون قال اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر أخرج كل قوم عالمهم
فامتروا في عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحيا وأمات من أمات
ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية قال فقال الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه
قال هو ابن الله وهم النسطورية قال فقال الاثنان كذبت ثم قال الاثنان للآخر قل فيه
قال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الإسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع كذبت بل
هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته وهم المسلمون فكانت لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتتلوا
فظهر على المسلمين فذلك قول الله عز وجل ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس قال
قتادة وهم الذين قال الله فاختلف الأحزاب من بينهم فصاروا أحزابا فهذا معنى قوله
الذي فيه تمترون بالتاء معجمة من فوق وهي قراءة أبي عبد الرحمن السلمي وغيره قال ابن عباس
فمر بمريم ابن عمها ومعها ابنها إلى مصر فكانوا فيه اثنتي عشرة سنة حتى مات الملك الذي كانوا
يخافونه ذكره الماوردي قلت ووقع في تاريخ مصر فيما رأيت وجاء في الإنجيل الظاهر
أن السيد المسيح لما ولد في بيت لحم كان هيرودس في ذلك الوقت ملكا وأن الله تعالى أوحى إلى
يوسف في الحلم وقال له قم خذ الصبي وأمه واذهب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك فإن
هيرودس عازم أن يطلب الصبي ليهلكه فقام من نومه وامتثل أمر ربه وأخذ السيد المسيح ومريم
أمه وجاء إلى مصر وفي حال مجيئه إلى مصر نزل ببير البلسان التي بظاهر القاهرة وغسلت ثيابه
على ذلك البير فالبلسان لا يطلع ولا ينبت إلا في تلك الأرض ومنه يخرج الدهن الذي يخالط
الزيت الذي تعمد به النصارى ولذلك كانت قارورة واحدة في أيام المصريين لها مقدار عظيم
وتقع في نفوس النصارى مثل ملك القسطنطينية ملك صقلية ملك الحبشة ملك النوبة ملك

الافرنجية وغيرهم من الملوك عند ما يهاديهم به ملوك مصر موقعا جليلا جدا وتكون احب اليهم من كل هدية لها قدر وفي تلك السفرة وصل السيد المسيح الي مدينة الاشمونين وقسقام المعروفة الان بالمحرقة وكذلك تعظمها النصارى الي الان ويحضرون اليها في عيد الفصح من كل مكان لانها نهاية ما وصل اليها من ارض مصر ومنها عاد الي الشام والله اعلم قوله تعالي ما كان لله ما كان ينبغي لله ولا يجوز ان يتخذ من ولد من صلته الكلام اي ان يتخذ ولدا فان في موضع رفع اسم كان من صفة اتخاذ الولدان ثم نزه نفسه تعالي عن مقالتهم فقال سبحانه ان يكون له ولد اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون تقدم في البقرة مستوفى وان الله ربي وربكم قرا اهل المدينة وابن كثير وابو عمرو بفتح ان واهل الكوفة ان بكسرها عطفا علي انه مستانف يدل عليه قراءة ابي كن فيكون ان الله بغير واو وعلي العطف على ما قاله ابي عبد الله وفي الفتح اقوال فذهب الخليل وسيبويه بانه المعني ولان الله ربي وربكم وكذا وان المساجد لله فان في موضع نصب عندهما واجاز الفراء يكون في موضع خفض علي حذف اللام واجاز ان يكون ايضا في موضع خفض بمعني واوصاني بالصلاة والزكاة وبان الله ربي وربكم فاجاز الكسائي ان يكون في موضع رفع بمعني والامر ان الله ربي وربكم وفيها قول خامس حكى ابو عبيدة ان ابا عمرو ابن العلا قاله وهو ان يكون المعني وقضى ان الله ربي وربكم فهي معطوفة علي قوله امرا من قوله اذا قضى امرا والمعني اذا قضى امرا وقضى ان الله ولا يبتدا بان علي هذا التقدير ولا علي التقدير الثالث ويجوز الابتدا بها علي الاوجه الباقية فاعبدوه هذا صراط مستقيم اي دين قويم لا اعوجاج فيه قوله تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم من زايدة اي اختلف الاحزاب من بينهم وقال قتادة اي ما بينهم فاختلف الفرق من بينهم من اهل الكتاب في امر عيسي فاليهود بالقدح والسحر والنصارى قالت النسطورية منهم هو ابن الله والملكية ثالث ثلاثة واليعقوبية قالت هو الله فافرطت النصارى وغلت وفرطت اليهود وقصرت وقد تقدم هذا في النسا وقال ابن عباس المراد بالاحزاب الذين تحزبوا علي النبي صلى الله عليه وسلم وكذبوه من المشركين فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اي من شهود يوم القيامة والمشهد بمعني المصدر والشهود الحضور ويجوز ان يكون الحضور لهم ويضاف الي الظرف لوقوعه فيه كما يقال ويل لفلان من قتال يوم كذا اي من حضوره ذلك اليوم وقيل المشهد بمعني الموضع الذي يشهده الخلايق كالمحشر للموضع الذي يحشر اليه الخلق وقيل فويل للذين كفروا من حضورهم المشهد العظيم الذي اجتمعوا فيه للتشاور فاجمعوا علي الكفر بالله وقولهم ان الله ثالث ثلاثة قوله تعالي اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا قال ابو العباس العرب تقول هذا في موضع التعجب فتقول اسمع بزيد وابصر بزيد اي ما اسمعه وابصره قال فمعناه انه عجب نبيه منهم قال الكلبي لا احد اسمع منهم يوم القيامة ولا ابصر حين يقول الله لعيسى انت قلت للناس اتخذوني الاية وقيل المعنى اسمع بمعني الطاعة اي ما اطوعهم لله في ذلك اليوم لكن الظالمون اليوم يعني في الدنيا في ضلال مبين واي ضلال ابين من ان يعتقد المرء في شخص مثله حملته الارحام واكل وشرب واحدث واحتاج انه اله ومن هذا وصفه فهو اصم اعمي ولكنه سيبصر ويسمع في الاخرة اذا راي العذاب ولكن لا ينفعه ذلك قال معناه قتادة وغيره قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر روي عن عبد الله بن مسعود انه قال ما من احد يدخل النار الا وله بيت في الجنة فيتحسر عليه وقيل تقع الحسرة اذا اعطي كتابه بشماله اذا قضي الامر اي فرغ من الحساب وادخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار يجاء بالموت يوم القيامة كانه كبش املح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا اهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال ثم يقال يا اهل النار هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون فيقولون نعم هذا الموت قال فيؤمر به فيذبح ثم يقال يا اهل الجنة خلود بلا موت فيها ويا اهل النار خلود بلا موت فيها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانذرهم

يوم

يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون خرجه البخاري بمعناه عن ابن عمر وابن ماجة من حديث ابي هريرة والترمذي عن ابي سعيد يرفعه وقال فيه حديث حسن صحيح وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وبينا هناك ان الكفار مخلدون بهذه الاحاديث والاي ردا علي من قال ان صفة الغضب تنقطع وان ابليس ومن تقدم من الكفرة كفرعون وهامان واشباههما يدخلون الجنة قوله تعالى انا نحن نرث الارض ومن عليها اي نميت سكانها فنرثها والينا يرجعون يوم القيامة فنجازي كلا بعمله وقد تقدم هذا في الحجر وغيره قوله تعالى واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا المعنى واذكر في الكتاب الذي انزل عليك وهو القران قصة ابراهيم وخبره وقد تقدم معنى الصديق في النسا واشتقاق الصدق في البقرة فلا معني للاعادة ومعنى الاية اقرا عليهم يا محمد في القران امر ابراهيم فقد عرفوا انهم من ولده فانه كان حنيفا مسلما وما كان يتخذ الانداد فهولاء لم يتخذون الانداد وهو كما قال ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه قوله تعالى اذ قال لابيه وهو ازر وقد تقدم يا ابت تقدم القول فيه في يوسف لم تعبد اي لاي شي تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيا يريد الاصنام يا ابت اني قد جاءني من العلم اي من اليقين والمعرفة بالله وما يكون بعد الموت وان من عبد غير الله عذب فاتبعني الي ما ادعوك اليه اهدك صراطا سويا ارشدك الي دين مستقيم فيه النجاة يا ابت لا تعبد الشيطان اي لا تطعه فيما يامرك به من الكفر ومن اطاع شيا في معصية فقد عبده ان الشيطان كان للرحمن عصيا كان صلة زايدة وقيل بمعنى الحال اي هو للرحمن وعصيا وعاص بمعنى واحد قاله الكسائي يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن اي ان مت علي ما انت عليه ويكون اخاف بمعني اعلم ويجوز ان تكون اخاف علي بابها فيكون المعنى اني اخاف ان تموت علي كفرك فيمسك العذاب فتكون للشيطان وليا اي قرينا في النار قال اراغب انت عن الهتي يا ابراهيم اي اترغب عنها الي غيرها لئن لم تنته لارجمنك يعني بالحجارة الضحاك بالقول اي لاشتمنك ابن عباس لاضربنك وقيل لاظهرن امرك واهجرني مليا قال ابن عباس اي اعتزلني سالم العرض لا يصيبك مني معرة واختاره الطبري فقوله مليا على هذا حال من ابراهيم وقال الحسن ومجاهد مليا دهرا طويلا ومنه قول مهلهل • فتصدع الصم الجبال لموته • وبكت عليه المرملات مليا • دهرا قال الكسائي يقال هجرته مليا وملوة وملاوة فهو على هذا القول ظرف وهو بمعني الملاوة من الزمان وهو الطويل منه قوله تعالي قال سلام عليك لم يعارضه ابراهيم عليه السلام بسوء الرد لانه لم يومر بقتاله علي كفره والجمهور علي ان المراد بسلامه المسالمة التي هي المتاركة لا التحية قال الطبري معناه امنة لك وعلى هذا لا يبدا الكافر بالسلام وقال النقاش حليم خاطب سفيها كما قال واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال بعضهم في معنى تسليمه هو تحية مفارق وجوز تحية الكافر وان يبدا بها قيل لابن عيينة هل يجوز السلام علي الكافر فقال نعم قال الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين وقال قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم وقال ابراهيم لابيه سلام عليك قلت الاظهر من الاية ما قاله سفيان ابن عيينة وفي الباب حديثان صحيحان روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبدوا اليهود والنصارى بالسلام واذا لقيتم احدهم في الطريق فاضطروه الي اضيقه خرجه مسلم وفي الصحيحين عن اسامة ابن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم ركب حمارا عليه اكاف تحته قطيفة فدكية واردف وراءه اسامة ابن زيد وهو يعود سعد بن عبادة في بني الحارث ابن الخزرج وذلك قبل وقعة بدر حتى مر في مجلس فيه اخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الاوثان واليهود فيهم عبد الله بن ابي بن سلول وفي المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن ابي انفه بردائه ثم قال لا تغبروا علينا فسلم عليهم النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فالاول يفيد ترك السلام عليهم ابتداء لان ذلك اكرام والكافر ليس اهله والحديث الثاني يجوز ذلك قال الطبري ولا يعارض ما رواه اسامة من حديث ابي هريرة مخرجه العموم وخبر اسامة يبين ان معناه الخصوص وقال النخعي اذا كانت لك حاجة الي يهودي او نصراني فابداه بالسلام فبان بهذا ان حديث ابي هريرة لا تبدوهم بالسلام اذا كان بغير سبب يدعوكم الي ان تبدوهم من قضا ذمام او حاجة تعرض لكم قبلهم او حق صحبة او جوار

اوسفر قال الطبري قد روي عن السلف انهم كانوا يسلمون على اهل الكتاب وفعله ابن
مسعود بدهقان صحبه في طريقه قال علقمة فقلت له يا ابا عبد الرحمن اليس تكره ان
يبدوا بالسلام قال نعم ولكن حق الصحبة وكان ابو امامة اذا انصرف الى بيته لا يمر بمسلم
ولا نصراني ولا صغير ولا كبير الا سلم عليه فقيل له في ذلك فقال امرنا ان نفشوا السلام وسئل
الاوزاعي عن مسلم مر بكافر فسلم عليه فقال ان سلمت فقد سلم الصالحون وان تركت فقد ترك
الصالحون قبلك وروي عن الحسن البصري انه قال اذا مررت بمجلس فيه مسلمون وكفار فسلم
عليهم قلت وقد يحتج اهل المقالة الاولى بان السلام الذي معناه التحية انما خص به هذه
الامة لحديث انس ابن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى امتي ثلاثا
لم يعط احدا قبلهم السلام وهو تحية اهل الجنة ذكره الترمذي الحكيم وقد مضى في الفاتحة بسنده
ومضى الكلام في معنى قوله ساستغفر لك ربي فارتفع السلام بالابتدا وجاز ذلك مع نكرته
لانه نكرة مخصصة فقربت المعرفة قوله تعالى انه كان بي حفيا الحفي المبالغ في البر والالطاف
يقال حفي به حفاوة وحفوة وقال الفرا انه كان بي حفيا اي عالما لطيفا يجيبني اذا دعوته
قوله تعالى واعتزلكم العزلة المفارقة وقد تقدم في الكهف بيانها وقوله عسى ان لا اكون
بدعا ربي شقيا قيل اراد بهذا الدعا في ان يهب الله له اهلا وولدا يتقوى بهم حتى لا يستوحش
بالاعتزال عن قومه ولهذا قال فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق
ويعقوب اي انسنا وحشته بولد عن ابن عباس وغيره وقيل عسى يدل على ان العبد لا يقطع
فانه يبقى على المعرفة لا في المستقبل وقيل دعا لابيه بالهداية فعسى شك لانه كان لا يدري
هل يستجاب لابيه ام لا والاول اظهر وقوله وجعلنا لهم لسان صدق عليا اي اثنينا عليهم
ثنا حسنا لان جميع الملك يحسن الثنا عليهم واللسان يذكر ويونث وقد تقدم قوله تعالى
واذكر في الكتاب موسى اي واقرا عليهم من القران قصة موسى انه كان مخلصا في عبادته
غير مراي وقرا اهل الكوفة بفتح اللام اي اخلصناه فجعلناه مختارا ونا دنياه اي كلمناه
ليلة الجمعة من جانب الطور الايمن اي يمين موسى وكانت الشجرة في جانب الجبل عن يمين موسى
حين اقبل من مدين الى مصر قاله الطبري وغيره فان الجبال لا يمين لها ولا شمال وقربناه
نجيا نصب على الحال اي كلمناه من غير وحي وقيل ادنيناه بتقريب المنزلة حتى كلمناه وذكر
وكيع بن قبيصة عن سفيان عن عطا ابن السايب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس
في قول الله عز وجل وقربناه نجيا قال ادني حتى سمع صريف الاقلام ووهبنا له من رحمتنا
اخاه هرون نبيا وذلك حين سال فقال واجعل لي وزيرا من اهلي هرون اخي قوله تعالى
واذكر في الكتاب اسماعيل فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى اسماعيل اختلف فيه فقيل
هو اسماعيل ابن حزقيل بعثه الله الى قومه فسلخوا جلدة راسه فخيره الله تعالى فيما
شا من عذابهم فاستعفاه ورضي بثوابه والجمهور انه اسماعيل الذبيح ابو العرب ابن ابراهيم
وقد قيل ان الذبيح اسحاق والاول اظهر على ما تقدم وياتي في والصافات ان شا الله
وخصه الله بصدق الوعد وان كان موجودا في غيره من الانبيا تشريفا له كالتلقيب
بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور المتواصف من خصاله الثانية صدق الوعد
محمود وهو من خلق النبيين والمرسلين وضده وهو الخلف مذموم وذلك من اخلاق الفاسقين
والمنافقين على ما تقدم بيانه في براءة وقد اثنى الله على نبيه اسماعيل فوصفه بصدق
الوعد واختلف في ذلك فقيل انه وعد من نفسه بالصبر على الذبح فصبر حتى فدي هذا
في قول من يرى انه الذبيح وقيل وعد رجلا ان يلقاه في موضع فجا اسماعيل وانتظر الرجل
يومه وليلته فلما كان من اليوم الاخر فقال له ما زلت ها هنا في انتظارك منذ امس وقيل
انتظره ثلاثة ايام وقد فعل مثله نبينا صلى الله عليه وسلم قبل بعثه ذكره النقاش وخرجه
الترمذي وغيره عن عبد الله ابن ابي الحمسا بايعت النبي صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان
يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان اتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجيت
فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت علي انا ها هنا منذ ثلاث لفظ ابي داود
وقال يزيد الرقاشي انتظره اسماعيل اثنين وعشرين يوما ذكره الماوردي وفي كتاب

ابن سلام انه انتظره سنة وذكر الزمخشري عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان
فانتظره سنة وذكره القشيري قال فلم يبرح من مكانه حتى اتاه جبريل فقال ان التاجر الذي
سالك ان تقعد له حتى يعود هو ابليس فلا تقعد ولا كرامة له وهذا بعيد لا يصح وقد قيل
ان اسماعيل لم يعد شيا الا وفى به وهذا قول صحيح وهو الذي يقتضيه ظاهر الاية والله اعلم
الثالثة من هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العدة دين وفي الاثر وأي المومن واجب
اي في اخلاق المومن وانما قلنا ان ذلك ليس بواجب فرضا لاجماع العلما على ما حكاه ابو عمر ان
من وعد بمال ما كان ليضرب به مع الغرما فلذلك قلنا ايجاب الوفا به حسن مع المروة ولا يقضى
به والعرب تمتدح بالوفا وتذم بالخلف والغدر وكذلك سابر الامم ولقد احسن القايل:
• متى ما يقل حر لصاحب حاجة • نعم يقضها والحر للواي ضامن •
ولا خلاف ان الوفا يستحق به صاحبه الحمد والشكر وعلى الخلف الذم وقد اثنى الله على من صدق
وعده ووفا بنذره وكفى بهذا مدحا وثنا بما خالفه ذما الرابعة قال مالك اذا سال الرجل
الرجل ان يهب له الهبة فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما ارى يلزمه قال مالك ولو
كان ذلك في قضا دين فساله ان يقضيه عنه فقال نعم وثم رجال يشهدون عليه فما
احراه ان يلزمه اذا شهد عليه اثنان وقال ابو حنيفة واصحابه والاوزاعي والشافعي
وساير الفقها ان العدة لا يلزم منها شي لانها منافع لم يقبضها في العارية لانها طارية وفي
غير العارية هي اشخاص واعيان موهوبة لم تقبض فلصاحبها الرجوع فيها وفي البخاري
واذكر في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وقضى ابن اشوع بالوعد وذكر ذلك عن سمرة
ابن جندب قال البخاري ورايت اسحاق ابن ابراهيم يحتج بحديث ابن اشوع الخامسة وكان رسولا
نبيا قيل ارسل اسماعيل الى جرهم وكل الانبيا كانوا اذا وعدوا صدقوا وخص اسماعيل
بالذكر تشريفا له والله اعلم السادسة قال الحسن وكان يامر اهله يعني امته وفي حرف ابن
مسعود وكان يامر اهله جرهم وولده بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا اي رضيا زاكيا
صالحا قال الكسايي والفرا ومن قال مرضي بناه على رضيت قالا واهل الحجاز يقولون
مرضو وقال الكسايي والفرا من العرب من يقول رضوان ورضيان ورضوان على مرضو
ورضيان على مرضي ولا يجيز البصريون الا رضوان وربوان قال ابو جعفر النحاس سمعت
ابا اسحاق الزجاج يخطيون في الخط فيكتبونه بالياء ثم يخطيون فيما هو اشد من هذا
فيقولون ربيان ولا يجوز الا ربوان ورضوان قال الله تعالى وما اتيتم من ربا ليربو
في اموال الناس قوله تعالى واذكر في الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا ادريس
عليه السلام اول من خط بالقلم واول من خاط الثياب ولبس المخيط واول من نظر في علم
النجوم والحساب وسيرها وسمي ادريس لكثرة درسه كتاب الله وانزل الله عليه ثلاثين
صحيفة كما في حديث ابي ذر الزمخشري قيل سمي ادريسا لكثرة درسه كتاب الله تعالى
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب واحد
وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي وليس من
الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرايل باسرال كما زعم ابن السكيت ومن لم يحقق
ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى ادريس في تلك اللغة
قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس قال الثعلبي والغزنوي وغيرهما وهو
جد نوح وهو خطا وقد تقدم في ال عمران بيانه وكذا وقع في السيرة ان نوحا عليه السلام
ابن لامك ابن متوشلخ ابن اخنوخ وهو ادريس النبي فيما يزعمون والله اعلم وكان اول
بني ادم اعطي النبوة وخط بالقلم ابن يرد بن مهليل بن قينين بن يانش بن شيث بن ادم
صلى الله عليه وسلم والله اعلم قوله تعالى ورفعناه مكانا عليا قال انس ابن مالك وابو سعيد
الخدري وغيرهما يعني السما الرابعة وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وقاله كعب الاحبار وقال
ابن عباس والضحاك يعني السما السادسة ذكره المهدوي قلت ووقع في البخاري من حديث شريك
ابن عبد الله بن ابي نمر قال سمعت انس ابن مالك يقول قال ليلة اسري برسول الله صلى الله عليه
وسلم من مسجد الكعبة الحديث وفيه كل سما فيها انبيا قد سماهم منهم ادريس في الثانية وهو وهم

والصحيح انه في السماء الرابعة كذلك رواه ثابت البناني عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
ذكره مسلم في الصحيح وروى مالك ابن صعصعة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم لما عرج بي الى السما
الرابعة اتيت على ادريس في السما الرابعة خرجه مسلم ايضا وكان سبب رفعه على ما قال ابن عباس
وكعب وغيرهما انه سار ذات يوم في حاجة فاصابه وهج الشمس فقال يا رب انا مشيت يوما فكيف بمن
يحملها خمسماية عام في يوم واحد اللهم خفف عنه يعني الملك الموكل بفلك الشمس يقول ادريس اللهم
خفف عنه من ثقلها واحمل عنه من حرها فلما اصبح الملك وجد من خفة الشمس والظل ما لا يعرف
فقال يا رب خلقتني لحمل الشمس فما الذي قضيت فيه فقال الله تعالى اما ان عبدي ادريس
سالني ان اخفف عنك حملها وحرها فاجبته فقال يا رب اجمع بيني وبينه واجعل بيني وبينه خلة
فاذن الله تعالى له حتى اتى ادريس وكان ادريس يساله فقال اخبرت انك اكرم الملايكة وامكنهم
عند ملك الموت فاشفع لي اليه ليوخر في اجلي فازداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يوخر الله نفسا
اذا جا اجلها فقال للملك قد علمت بذلك ولكنه اطيب لنفسي قال نعم ثم حمله ملك على
جناحه فرفعه الى السما ووضعه عند مطلع الشمس ثم قال لملك الموت لي صديق من بني ادم
تشفع بي اليك لتوخر اجله قال ليس ذلك الي ولكن ان احببت علمه اعلمته متى يموت قال نعم
ثم نظر في ديوانه فقال انك تسالني عن انسان ما اراه يموت ابدا قال وكيف قال لا اجده يموت
الا عند مطلع الشمس قال فاني اتيتك وتركته هناك قال انطلق فما اراك تجده الا وقد مات
فوالله ما بقي من اجل ادريس شي فرجع الملك فوجده ميتا وقال السدي انه نام ذات يوم فاشتد
عليه حر الشمس فقام وهو منها في كرب فقال اللهم خفف عن ملك الشمس واعنه فانه يمارس
نارا حامية فاصبح ملك الشمس وقد نصب له كرسي من نور وعنده سبعون الف ملك عن يمينه
ومثلها عن يساره يخدمونه ويتلون عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يا رب من اين لي
هذا قال دعا لك رجل من بني ادم يقال له ادريس ثم ذكر نحو حديث كعب قال فقال له ملك
الشمس اتريد حاجة قال نعم وددت لو اني رايت الجنة قال فرفعه على جناحه ثم طار به
فبينما هو في السما الرابعة التقى بملك الموت ينظر في السما ينظر يمينا وشمالا فسلم عليه ملك الشمس
وقال يا ادريس هذا ملك الموت فسلم عليه فقال ملك الموت سبحان الله ولاي معنى رفعته
هاهنا قال رفعته لاريه الجنة قال فان الله امرني ان اقبض روح ادريس في السما الرابعة
ثم نزلت فاذا هو معك فقبض روحه ورفعها الى الجنة ودفنت الملايكة جثته في السماء الرابعة
فذلك قوله ورفعناه مكانا عليا وقال وهب ابن منبه كان يرفع لادريس كل يوم من العبادة
مثل ما يرفع لاهل الارض في زمانه فعجب منه الملايكة واشتاق اليه ملك الموت فاستاذن
ربه في زيارته فاذن له فاتاه في صورة ادمي وكان ادريس يصوم النهار فلما كان وقت افطاره
دعاه الى طعامه فابى ان ياكل ففعل به ذلك ثلاث ليال فانكره ادريس وقال له من انت قال
انا ملك الموت استاذنت ربي ان اصحبك فاذن لي فقال ان لي اليك حاجة قال وما هي قال ان
تقبض روحي فاوحى الله اليه ان اقبض روحه فقبضه ورده الله اليه بعد ساعة فقال له
ملك الموت ما الفايدة في قبض روحك قال لاذوق الموت فاكون له اشد استعدادا ثم قال
له ادريس بعد حين ان لي اليك حاجة اخرى قال وما هي قال ان ترفعني الى السما فانظر الى
الجنة والنار فاذن له في رفعه الى السموات فراى النار فصعق فلما افاق قال ارني الجنة فادخله
الجنة ثم قال له ملك الموت فاخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا اخرج منها فبعث
الله ملكا حكما بينهما فقال مالك لا تخرج فقال لان الله تعالى قال كل نفس ذايقة الموت وقد
ذقته وقال وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست اخرج فقال
الله تعالى لملك الموت باذني دخل الجنة وبامري لا يخرج فهو حي هنالك فذلك قوله تعالى
ورفعناه مكانا عليا قال النحاس قول ادريس وما هم منها بمخرجين يجوز ان يكون الله اعلم
هذا ادريس ثم نزل القران به قال وهب ابن منبه فادريس تارة يرتفع في الجنة وتارة يعبد
الله مع الملايكة في السما قوله تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى اوليك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية ادم يريد ادريس وحده
وممن حملنا مع نوح يريد ابراهيم وحده ومن ذرية ابراهيم يريد اسماعيل واسحاق ويعقوب ومن

ذرية

ذرية اسرايل موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى وكان لادريس ونوح شرف القرب من ادم
ولابراهيم شرف القرب من نوح ولاسماعيل اي الى الاسلام واجتبينا بالايمان اذا تتلى عليهم ايات
الرحمن وقرا شبل بن عباد المكي تتلى بالتذكير لان التانيث غير حقيقي مع وجود الفاصل وخروا
سجدا وبكيا وصفهم بالخشوع والبكا وقد مضى في سبحان يقال بكى يبكي بكا وبكا وبكيا لان الخليل
قال اذا قصرت البكا فهو مثل الحزن اي ليس معه صوت كما قال الشاعر

بكت عيني وحق لها بكاها • وما يغني البكا ولا العويل •

وسجدا نصب على الحال وبكيا عطف عليه الثانية في هذه الاية دلالة على ان لايات الرحمن
تاثيرا في القلوب قال الحسن اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا في الصلاة وقال
الاصم المراد بايات الرحمن الكتب المتضمنة لتوحيده وحججه فانهم كانوا يسجدون عند تلاوتها
ويبكون عند ذكرها والمروي عن ابن عباس ان المراد به القران خاصة وانهم كانوا يسجدون ويبكون
عند تلاوته قال الكيا وفي هذا دلالة من قوله على ان القران هو الذي كان يتلى على جميع الانبيا
ولو كان كذلك لما كان الرسول عليه السلام مختصا بانزاله عليه الثالثة احتج ابو بكر الرازي بهذه
الاية على وجوب سجود القران على المستمع والقاري قال الكيا وهذا بعيد فان هذا الوصف
شامل لكل ايات الله تعالى وضم السجود الى البكا وابان به عن طريقة الانبيا عليهم السلام في تعظيمهم
الله واياته وليس فيه دلالة على وجوب ذلك عند اية مخصوصة الرابعة قال العلما ينبغي
لمن قرا سجدة ان يدعو فيها بما يليق باياتها فان قرا سورة السجدة الم تنزيل قال اللهم اجعلني
من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك وان قرا سجدة
سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وان قرا هذه قال اللهم اجعلني من
عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين لك الباكين عند تلاوة اياتك قوله تعالى فخلف من
بعدهم خلف فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف قال ابو عبيدة حجاج عن
ابن جريج عن مجاهد قال ذلك عند قيام الساعة وذهاب صالحي هذه الامة امة محمد صلى الله
عليه وسلم ينزو بعضهم على بعض في الازقة زنا وقد تقدم القول في خلف في الاعراف الثانية
قوله تعالى اضاعوا الصلاة وقرا عبد الله والحسن الصلوات على الجمع وهو ذم ونص في ان اضاعة
الصلوات من الكباير التي يوبق صاحبها ولا خلاف في ذلك وقد قال عمر ومن ضيعها فهو لما سواها
اضيع واختلفوا فيمن المراد بهذه الاية فقال مجاهد النصارى خلفوا بعد اليهود وقال محمد
ابن كعب القرظي ومجاهد ايضا وعطا هم قوم من امة محمد صلى الله عليه وسلم في اخر الزمان اي
يكون في هذه الامة من هذه صفته لا انهم المراد بهذه الاية واختلفوا ايضا في معنى اضاعتها
فقال القرظي هي اضاعة كفر وجحد بها وقال القاسم ابن مخيمرة وعبد الله ابن مسعود هي اضاعة
اوقاتها وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح وانها اذا صليت مخلا بها لا يصح ولا يجزي لقوله صلى
الله عليه وسلم للرجل الذي صلى وجا فسلم عليه ارجع فصل فانك لم تصل ثلاث مرات خرجه
مسلم وقال حذيفة لرجل راه يصلي فطفف منذ كم تصلي هذه الصلاة فقال منذ اربعين عاما
قال ما صليت ولو مت وانت تصلي هذه الصلاة مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال
ان الرجل ليخفف الصلاة ويتم ويحسن خرجه البخاري واللفظ للنساي وفي الترمذي عن ابي
مسعود الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجزي صلاة لا يقيم الرجل فيها
صلبه في الركوع والسجود قال حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم يرون ان يقيم صلبه في الركوع والسجود وقال الشافعي
واحمد واسحاق من لم يقم صلبه في الركوع والسجود فصلاته فاسدة وقال صلى الله عليه وسلم
تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى اذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقرها
اربعا لا يذكر الله فيها الا قليلا وهذا ذم لمن يفعل ذلك وقال فروة ابن خالد بن سنان استبطا
اصحاب الضحاك مرة اميرا في صلاة العصر حتى اذا كانت الشمس تغرب فقرا الضحاك هذه الاية
ثم قال والله لان ادعها احب الي من ان اضيعها وجملة القول في هذا الباب ان من لم يحافظ على
الصلوات لم يحافظ على غيرها كما ان من لم يحافظ على كمال وضوئها وركوعها وسجودها فليس
بمحافظ عليها ومن لم يحافظ عليها فقد ضيعها ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع كما ان من حفظ

عليها حفظ دينه ولا دين لمن لا صلاة له وقال الحسن عطلوا المساجد واشتغلوا بالصنائع واتبعوا
الشهوات اي اللذات والمعاصي الثالثة روى الترمذي وابو داود عن انس بن حكيم الضبي انه
اتى المدينة فلقي ابا هريرة فقال له يا فتى الا احدثك حديثا لعل الله ان ينفعك به قلت بلى قال
اول ما يحاسب الناس به يوم القيمة من اعمالهم الصلاة فيقول ربنا تبارك وتعالى لملائكته وهو
اعلم انظروا في صلاة عبدي اتمها ام نقصها فان كانت تامة كتبت له تامة وان كان انتقص منها
شيئا قال انظروا هل لعبدي من تطوع فان كان له تطوع قال اكملوا لعبدي فريضته من تطوعه
ثم تؤخذ الاعمال على ذلك قال يونس واحسبه عن النبي صلى الله عليه وسلم لفظ ابي داود وقال
نا موسى بن اسماعيل نا حماد عن داود بن ابي هند عن زرارة بن ابي اوفى عن تميم الداري عن
النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المعنى قال ثم الزكاة مثل ذلك ثم تؤخذ الاعمال على حسب ذلك
وخرجه النسائي عن همام عن الحسن عن حريث ابن قبيصة عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما يحاسب به العبد بصلاته فان صلحت فقد افلح وانجح وان
فسدت فقد خاب وخسر قال همام لا ادري هذا من كلام قتادة او من الرواية فان انتقص من
فريضته شيء قال انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما نقص من الفريضة ثم يكون سائر عمله
نحو ذلك خالفه ابو العوام فرواه عن قتادة عن الحسن عن ابي رافع عن ابي هريرة ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال اول ما يحاسب به العبد يوم القيمة صلاته فان وجدت تامة كتبت تامة وان انتقص
منها شيء قال انظروا هل تجدون له من تطوع يكمل به ما ضيع من فريضته من تطوعه ثم سائر الاعمال
تجري على حسب ذلك قال النسائي نا اسحاق ابن ابراهيم نا النضر ابن شميل نا حماد بن سلمة عن
الازرق ابن قيس عن يحيى بن يعمر عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اول
ما يحاسب به العبد صلاته فان كان اكملها والا قال الله عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع
فان وجد له تطوع قال اكملوا به الفريضة قال ابو عمر بن عبد البر في كتاب التمهيد اما اكمال
الفريضة من التطوع انما يكون والله اعلم فيمن سهى عن فريضة فلم يات بها او لم يحسن ركوعها
ولم يدر قدر ذلك واما من تركها او نسي ثم ذكرها فلم يات بها عامدا واشتغل بالتطوع على اداء فرضه
وهو ذاكر له فلا يكمل له فريضته والله اعلم وقد روي عن حديث الشاميين في هذا الباب
حديث منكر يرويه محمد بن حمير عن عمرو ابن قيس السكوني عن عبد الله بن قرط عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من صلى صلاة لم يكمل فيها ركوعه وسجوده زيد فيها من تسبيحاته حتى
تتم قال ابو عمر وهذا لم يحفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم الا من هذا الوجه وليس بالقوي وان
كان صح كان معناه انه خرج من صلاة كان قد اتمها عند نفسه وليست في الحكم بتامة والله اعلم
قلت فينبغي للانسان ان يحسن فرضه ونفله حتى يكون له نفل يجده زائدا على فرضه يقربه
من ربه كما قال سبحانه وما يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه الحديث فاما اذا كان
نفل يكمل به الفرض فحكمه في المعنى حكم الفرض ومن لم يحسن ان يصلي الفرض فاحرى واولى ان
لا يحسن النفل لا جرم تنفل الناس في اشد ما يكون من النقصان والخلل لخفته عندهم وتهاونهم
به حتى كانه غير معتد به ولعمر الله لقد يشاهد في الوجود من يشار اليه ويظن به العلم تنفله
كذلك بل فرضه اذ ينقره نقر الديك لعدم معرفته بالحديث فكيف بالجهال الذين لا يعلمون وقد
قال العلماء ولا يجزئ ركوع ولا سجود ولا وقوف بعد الركوع ولا جلوس بين السجدتين حتى
يعتدل راكعا وواقفا وساجدا وجالسا وهذا هو الصحيح في الاثر وعليه جمهور العلماء واهل
النظر وهذه رواية ابن وهب وابي مصعب عن مالك وقد مضى هذا في البقرة فاذا كان هذا
فكيف يكمل بذلك النفل ما نقص من هذا الفرض على سبيل السهو والجهل بل كل ذلك غير صحيح ولا
مقبول لانه وقع على غير المطلوب والله اعلم الرابعة قوله تعالى واتبعوا الشهوات وعن علي
رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات هو من بنى المشيد وركب المنظور ولبس المشهور
قلت الشهوات عبارة عما يوافق الانسان ويشتهيه ويلائمه ولا يتقيه وفي الصحيح حفت الجنة
بالمكاره وحفت النار بالشهوات وما ذكره عن علي رضي الله عنه جزء من هذا قوله تعالى فسوف
يلقون غيا قال ابن زيد شرا وضلالا وخيبة قال فمن يلق خيرا يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما وقال عبد الله بن مسعود هو واد في جهنم والتقدير عند اهل اللغة فسوف

يلقون جزاء الغي كما قال جل ذكره ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاظهر ان الغي اسم للوادي سمي به
لان الغاوين يصيرون اليه وقال كعب يظهر في اخر الزمان ناس بايديهم سياط كاذناب البقر ثم
قرا الاية فسوف يلقون غيا اي هلاكا وضلالا في جهنم وعنه غي واد في جهنم ابعدها قعرا واشدها
حرا فيه بير يسمى البهيم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البير فتستعر بها جهنم وقال ابن عباس غي واد
في جهنم وان اودية جهنم لتستعيذ من حره اعد الله ذلك الوادي للزاني المصر على الزنا ولشارب
الخمر المدمن عليه ولاكل الربا الذي لا ينزع عنه ولاهل العقوق ولشاهد الزور ولامراة ادخلت على
زوجها ولدا ليس منه قوله تعالى الا من تاب اي من تضييع الصلاة واتباع الشهوات ورجع
الى طاعة ربه وامن به وعمل صالحا فاولئك يدخلون الجنة قرا ابو جعفر وشيبة وابن كثير وابن محيصن
وابو عمرو ويعقوب وابو بكر يدخلون بفتح اليا الباقون ولا يظلمون شيئا اي لا ينتقص من اعمالهم
شيء الا انهم يكتب لهم بكل حسنة عشر الى سبعمائة ضعف جنات عدن بدلا من الجنة فانتصب قال
ابو اسحاق الزجاج ويجوز جنات عدن على الابتدا قال ابو حاتم ولولا الخط لكان جنة عدن لان
قبله يدخلون الجنة التي وعد الرحمن عباده بالغيب اي من عبده وحفظ عهده بالغيب وقيل امنوا
بالجنة ولم يروها انه كان وعده ماتيا مفعول من الاتيان وكل ما وصل اليك فقد وصلت اليه تقول
اتت علي ستون سنة واتيت على ستين سنة ووصل الي من فلان خير ووصلت منه الى خير وقال
القتبي ماتيا بمعنى ات فهو مفعول بمعنى فاعل وماتيا مهموز لانه من اتى ياتي ومن خفف الهمزة جعلها
الفا وقال الطبري الوعد هاهنا الموعود وهو الجنة اي ياتيها اولياوه قوله تعالى لا يسمعون
فيها لغوا اي في الجنة واللغو معناه الباطل من الكلام والفحش منه والفضول وما لا ينتفع به ومنه
الحديث اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت ويروى لغيت وهي لغة
ابي هريرة وقال الشاعر ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم
قال ابن عباس اللغو كل ما لم يكن فيه ذكر الله تعالى اي كلامهم في الجنة حمد الله وتسبيحه الا سلاما
اي لكن يسمعون سلاما فهو من الاستثناء المنقطع يعني سلام بعضهم على بعض وسلام الملك عليهم
قاله مقاتل وغيره والسلام اسم جامع للخير والمعنى انهم لا يسمعون فيها الا ما يحبون قوله
تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اي في قدرها بين الوقتين اذ لا بكرة ولا عشيا كقوله تعالى غدوها
شهر ورواحها شهر اي قدر شهر قال معناه ابن عباس وابن جريج وغيرهما وقيل عرفهم اعتدال
احوال اهل الجنة وكان اهنا النعمة عند العرب التمكن من المطعم والمشرب بكرة وعشيا قال
يحيى ابن ابي كثير وقتادة كانت العرب تقول في زمانها من وجد غداء وعشاء معا فذلك هو الناعم
فنزلت وقيل اي رزقهم فيها غير منقطع كما قال لا مقطوعة ولا ممنوعة وهو كما يقول البكرة بكل
نشاغلهم بلذاتهم والعشي بعد فراغهم من لذاتهم لانه يتخللها فترات انتقال من حال الى حال
وهذا يرجع الى القول الاول وروى الزبير ابن بكار عن اسماعيل ابن ابي اويس قال قال
مالك ابن انس طعام المومنين في اليوم مرتين وتلى قول الله عز وجل ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا ثم قال وعوض الله المومنين في الصيام السحور بدلا من الغدا ليقووا به على عبادة ربهم
وقيل انما ذكر ذلك لان صفة الغدا وهيئته غير صفة العشا وهيئته وهذا لا يعرفه الا الملوك
يتلون عليهم النعم ليزدادوا تنعما وغبطة وخرج الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث
ابان عن الحسن وابي قلابة قالا قال رجل يا رسول الله هل في الجنة من ليل قال وما هيجك
على هذا قال سمعت الله يذكر في الكتاب ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فقلت الليل بين البكرة
والعشي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك ليل انما هو ضوء ونور يرد الغدو على
الرواح والرواح على الغدو وتاتيهم طرف الهدايا من الله تعالى لمواقيت الصلاة التي كانوا يصلون
فيها في الدنيا وتسلم عليهم الملائكة وهذا في غاية البيان لمعنى الاية وقد ذكرناه في كتاب
التذكرة وقال العلماء ليس في الجنة ليل ولا نهار وانما هو نور ابدا وانما يعرفون مقدار الليل
بارخاء الحجب واغلاق الابواب ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب وفتح الابواب ذكره ابو الفرج
الجوزي والمهدوي وغيرهما قوله تعالى تلك الجنة التي وصفنا احوال اهلها نورث
بالتخفيف وقرا يعقوب نورث بفتح الواو وتشديد الرا والاختيار التخفيف لقوله اورثنا
الكتاب من عبادنا من كان تقيا قال ابن عباس اي من اتقاني وعمل بطاعتي وقيل هو على

التقديم والتاخير تقديره نورث من كان تقيا من عباده قوله تعالى وما نتنزل الا بامر
ربك روى الترمذي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما منعك ان
تزورنا اكثر مما تزورنا قال فنزلت هذه الاية وما نتنزل الا بامر ربك الى اخر الاية قال هذا
حديث حسن غريب ورواه البخاري نا خلاد بن يحيى نا عمر بن ذر سمعت ابي يحدث عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما يمنعك ان تزورنا اكثر مما تزورنا
فنزلت وما نتنزل الا بامر ربك الاية قال كان هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد
ابطا الملك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتاه فقال ما الذي ابطاك قال كيف ناتيكم وانتم
لا تقصون اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تستاكون قال فنزلت الاية
في هذا وقال مجاهد ايضا وقتادة وعكرمة والضحاك ومقاتل والكلبي احتبس جبريل عن النبي
صلى الله عليه وسلم حين ساله قومه عن قصة اصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما
يجيبهم ورجا ان ياتيه جبريل بجواب ما سالوه عنه قال عكرمة فابطا عليه اربعين يوما وقال
مجاهد اثنتي عشرة ليلة وقيل خمسة عشر وقيل ثلاثة ايام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ابطات علي حتى ساء ظني واشتقت اليك فقال جبريل اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا بعثت
نزلت واذا حبست احتبست فنزلت وما نتنزل الاية وانزل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك
ربك وما قلى ذكره الثعلبي والواحدي والقشيري وغيرهم وقيل هو اخبار عن اهل الجنة انهم
يقولون عند دخولها ما نتنزل هذه الجنان الا بامر ربك وعلى هذا تكون الاية متصلة بما قبلها
وعلى ما ذكرنا من الاقوال قيل يكون متصلة بما قبلها وعلى ما ذكرنا من الاقوال قيل تكون
متصلة بما قبلها والقران سورة السور يشتمل على جمل وقد تنفصل جملة عن جملة وما نتنزل
الا بامر ربك وهذا يحتمل وجهين احدهما انا اذا امرنا نزلنا عليك الثاني اذا امرك ربك نزلنا
عليك فيكون الامر على الوجه الاول متوجها الى النزول وعلى الوجه الثاني متوجها الى التنزيل
قوله تعالى له اي لله ما بين ايدينا اي علم ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك قال ابن
عباس وابن جريج ما مضى اما منا من امر الدنيا وما يكون بعدها من امرها وامر الاخرة وما
بين ذلك البرزخ وقال قتادة ومقاتل له ما بين ايدينا من امر الاخرة وما خلفنا ما مضى
من الدنيا وما بين ذلك ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة الاخفش ما بين ايدينا
ما كان قبل ان نخلق وما خلفنا ما يكون بعد الموت وما بين ذلك ما يكون منذ خلقنا الى ان
نموت وقيل ما بين ايدينا من الثواب والعقاب وامور الاخرة وما خلفنا ما مضى من اعمالنا
في الدنيا وما بين ذلك اي ما يكون من هذا الوقت الى يوم القيامة ويحتمل خامسا ما بين
ايدينا السماء وما خلفنا الارض وما بين ذلك ما بين السماء والارض وقال ابن عباس في
رواية له ما بين ايدينا يريد الدنيا الى الارض وما خلفنا يريد السموات وهذا على عكس ما
قبله وما بين ذلك يريد الهوا ذكر الاول الماوردي والثاني القشيري الزمخشري وقيل
ما مضى من اعمالنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها ولم يقل ما بين ذينك لان المراد ما بين
ما ذكرنا كما قال لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اي بين ما ذكرنا وما كان ربك نسيا اي ناسيا
اذا شاء ان يرسل اليك وقيل المعنى انه عالم بجميع الاشيا متقدمها ومتاخرها ولا ينسى شيا
منها قوله تعالى رب السموات والارض اي ربهما وخالقهما وخالق ما بينهما وما فيهما
ومالك ما بينهما فكما اليه تدبير الازمان كذلك اليه تدبير الاعيان فاعبده اي وحده لذلك
وفي هذا دلالة على ان اكتسابات الخلق مفعولة لله تعالى كما يقوله اهل الحق وهو القول
الحق لان الرب في هذا الموضع لا يمكن حمله على معنى من معانيه الا على المالك واذا ثبت انه
مالك ما بين السماء والارض دخل على ذلك اكتساب الخلق ووجبت عبادته لما ثبت انه
المالك على الاطلاق وحقيقة العبادة الطاعة بغاية الخضوع ولا يستحقها احد سوى
المالك المعبود واصطبر لعبادته اي لطاعته ولا تحزن لتاخر الوحي عنك بل اشتغل بما
امرت به واصل اصطبر اصتبر فثقل الجمع بين التاء والصاد لاختلافهما فابدل من التاء
طاء كما تقول من الصوم اصطام هل تعلم له سميا قال ابن عباس يريد هل تعلم له ولدا
او نظيرا او مثلا او شبيها يستحق مثل اسمه الذي هو الرحمن وقاله مجاهد ماخوذ من

المساماة

المساماة وروى اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال هل تعلم احدا سمي الرحمن قال
النحاس وهذا اجل اسناد علمته روي في هذا الحرف وهو قول صحيح لا يقال الرحمن الا لله قلت قد
مضى هذا مبينا في البسملة والحمد لله روى ابن ابي نجيح عن مجاهد هل تعلم له سميا قال مثلا ابن
المسيب عدلا قتادة والكلبي هل تعلم احدا يسمى الله غيره او يقال له اله الا هو وقيل يعني لا
تعلم قوله تعالى ويقول الانسان ائذا ما مت لسوف اخرج حيا الانسان هنا ابي بن خلف وجد
عظاما بالية ففتها بيده وقال زعم محمد انا نبعث بعد الموت قاله الكلبي ذكره الواحدي والثعلبي
والقشيري وقال المهدوي نزلت في الوليد بن المغيرة واصحابه وهو قول ابن عباس واللام
في لسوف اخرج حيا للتاكيد كانه قيل له اذا ما مت لسوف تبعث حيا فقال ائذا ما مت لسوف
اخرج حيا قال ذلك منكرا فجاءت اللام في الجواب كما كانت في القول الاول ولو كان مبتديا لم
تدخل اللام لانها للتاكيد والايجاب وهو منكر للبعث وقرا ابن ذكوان اذا ما مت على الخبر
والباقون بالاستفهام على اصولهم في الهمز وقرا الحسن وابو حيوة لسوف اخرج حيا قاله استهزاء
لانهم لا يصدقون بالبعث والانسان هنا الكافر قوله تعالى اولا يذكر الانسان اي اولا يذكر
هذا القائل انا خلقناه من قبل اي من قبل سواله وقوله هذا القول ولم يك شيا فالاعادة
مثل الابتداء فلم يناقض وقرا اهل الكوفة الا عاصما واهل مكة وابو عمرو وابو جعفر ولا يذكر وقرا
شيبة ونافع ولا يذكر بالتخفيف والاختيار التشديد واصله يتذكر لقوله انما يتذكر اولوا الالباب واخواتها
وفي حرف ابي اولا يتذكر وهذه القراءة على التفسير لانها مخالفة لخط المصحف ومعنى يذكر يتفكر
ومعنى يذكر يتنبه ويعلم قاله النحاس قوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين اقسم بنفسه بعد اقامة
الحجة بانه يحشرهم من قبورهم الى المعاد كما يحشر المومنين والشياطين اي ولنحشرن الشياطين قرناء
لهم قيل يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم الزمخشري
والواو في والشياطين يجوز ان يكون للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون
مع قرنائهم من الشياطين الذين اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة فان قلت هذا اذا
اريد بالانسان الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشياطين
قلت اذا حشروا جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين
كما حشروا مع الكفرة فان قلت هلا عزل السعداء من الاشقياء في الحشر كما عزلوا عنهم في الجزاء قلت
لم يفرق بينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال
التي نجاهم الله منها وخلصهم ليزدادوا بذلك غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم
فتزداد مساءتهم وحزنهم وما يغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم فان قلت ما معنى
احضارهم جثيا قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يقبلون من المحشر الى شاطئ
جهنم عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة على اقدامهم وذلك
ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية كلا على الحالة المعهودة
في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي اهلها على الركب لما في ذلك من الاستيفاز والقلق
واطلاق الحبا خلاف الطمانينة او لما يدهمهم من شدة الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم
فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان
جثيا حال مقدرة كما كانوا في الموقف متجاثين لانه من توابع التواقف للحساب قبل التواصل الى الثواب
والعقاب ويقال ان معنى لنحضرنهم حول جهنم جثيا اي جثيا على ركبهم عن مجاهد وقتادة
اي انهم لشدة ما هم فيه لا يقدرون على القيام وحول جهنم يجوز ان يكون داخلها كما تقول جلس
القوم حول البيت اي داخله مطيفين به فقوله حول جهنم على هذا يجوز ان يكون بعد الدخول
ويجوز ان يكون قبل الدخول وجثيا جمع جاث يقال جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا
وجثيا على فعول فيهما واجثاه غيره وقوم جثي ايضا مثل جلس جلوسا وقوم جلوس وجثيا
ايضا بكسر الجيم لما بعدها من الكسر وقال ابن عباس جثيا جماعات وقال مقاتل جمعا جمعا
وعلى هذا التاويل جمع جثوة وجثوة وجثوة ثلاث لغات وهي الحجارة المجموعة والتراب
المجموع فاهل الخمر على حدة واهل الزنا على حدة وهكذا قال طرفة ترى جثوتين من تراب
عليهما صفائح صم من صفيح منضد وقال الحسن والضحاك جاثية على الركب وهو على هذا التاويل

جمع جاث على ما تقدم وذلك لضيق المكان اي لا يمكنهم ان يجلسوا جلوسا وقيل جثيا على ركبهم
للتخاصم كقوله ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون وقال الكميت •
• هم تركوا سراتهم جثيا • وهم دون السراة مقرنينا •
قوله تعالى ثم لننزعن من كل شيعة اي لنستخرجن من كل امة واهل دين ايهم اشد على الرحمن
عتيا النحاس وهذه اية مشكلة في الاعراب لان القرا كلهم يقرون ايهم بالرفع الا هرون القاري
الاعور فان سيبويه حكى عنه ثم لننزعن من كل شيعة ايهم بالنصب اوقع على ايهم لننزعن
قال ابو اسحاق في رفع ايهم ثلاثة اقوال قال الخليل بن احمد حكاه عنه سيبويه انه مرفوع
على الحكاية والمعنى ثم لننزعن من كل شيعة الذي يقال من اجل عتوه ايهم اشد على الرحمن
عتيا وانشد الخليل • ولقد ابيت على الفتاة بمنزل • فابيت لا حرج ولا محروم •
اي فابيت بمنزلة الذي يقال له هو لا حرج ولا محروم قال ابو جعفر النحاس ورايت ابا اسحق
يختار هذا القول ويستحسنه قال لانه معنى قول اهل التفسير وزعم ان معنى ثم لننزعن
من كل شيعة ثم لننزعن من كل فرقة الاعتى فالاعتى كانه يبتدا بالتعذيب باشدهم
عتيا ثم الذي يليه وهذا نص كلام ابي اسحاق في معنى الاية وقال يونس لننزعن بمنزلة
الافعال التي تلغى ورفع ايهم على الابتدا المهدوي والفعل الذي هو لننزعن عند يونس
معلق عند ابو علي معنى وذلك انه يعمل في موضع ايهم اشد لانه ملغى ولا يليق عند الخليل
وسيبويه مثل لننزعن انما يعلق بافعال الشك وشبهها مالم يتحقق وقوعه وقال سيبويه
ايهم مبني على الضم لانها خالفت اخواتها في الحذف لانك لو قلت رايت الذي افضل ومن
افضل كان قبيحا حتى تقول من هو افضل والحذف في ايهم جائز قال ابو جعفر وما علمت
احدا من النحويين الا وقد خطا سيبويه في هذا وسمعت ابا اسحاق يقول ما تبين لي ان
سيبويه غلط في كتابه الا في موضعين هذا احدهما قال وقد علمنا سيبويه انه اعرب ايا
وهي مفردة لانها تضاف فكيف يبنيها وهي مضافة ولم يذكر ابا اسحاق فيما علمت الا هذه الثلاثة
اقوال ابو علي انما وجب البنا على مذهب سيبويه لانه حذف منه ما يتعرف به وهو الضمير
مع افتقار اليه كا حذف من في مثل وحي تعدكما يتعرفان به مع افتقار المضاف الى المضاف
اليه وتخصصه قال ابو جعفر وفيه اربعة اقوال سوى هذه الثلاثة التي ذكرها ابو
اسحاق قال الكسائي لننزعن واقعة على المعنى كا تقول لبست من الثياب واكلت من الطعام
ولم يقع لننزعن على ايهم فينصبها زاد المهدوي وانما الفعل عنده واقع على معنى موضع من كل
شيعة وتوهما ايهم اشد جملة مستانفة مرتفعة بالابتدا ولا يرى سيبويه زيادة من
في الواجب وقال الفرا المعنى ثم لننزعن بالندا ومعنى لننزعن لننادين المهدوي ونادي
فعل يعلق اذا كان بعده جملة ظننت فتعمل في المعنى ولا تعمل في اللفظ قال ابو جعفر وحكى
ابو بكر ابن شقير ان بعض الكوفيين يقول في ايهم معنى الشرط والمجازاة ولذلك لم يعمل فيها
ما قبلها والمعنى ثم لننزعن من كل فرقة ان تشايعوا او لم يتشايعوا كا تقول ضربت القوم
ايهم غضب والمعنى غضبوا او لم يغضبوا قال ابو جعفر فهذه ستة اقوال وسمعت علي ابن
سليمان يحكي عن محمد بن يزيد قال ايهم متعلق بشيعة فهو مرفوع بالابتدا والمعنى ثم
لننزعن من الذين تشايعوا ايهم اي من الذين تعاونوا فنظروا ايهم اشد على الرحمن عتيا
وهذا قول حسن وقد حكى الكسائي ان التشايع التعاون وعتيا نصب على البيان قوله
تعالى ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها صليا اي احق بدخول النار ويقال صلى يصلى صليا
نحو مضى الشي يمضي مضيا اذا ذهب وهوى يهوى هويا وقال الجوهري ويقال صليت الرجل
نارا اذا ادخلته النار وجعلته يصلاها فاذا القيته فيها القا كانك تريد الاحراق قلت
اصليته بالالف وصليته تصلية وقرئ ويصلى سعيرا ومن خفف فهو من قولهم صلى
فلان النار بالكسر يصلى صليا احترق قال الله تعالى هم اولى بها صليا قال العجاج والله
لولا النار ان نصلاها ويقال ايضا صلى بالامر اذا قاسى حره وشدته قال الطهوي •
• ولا تبلى بسالتهم وان هم • صلوا بالحرب حينا بعد حين •
واصطليت بالنار وتصليت بها قال ابو زبيد • وقد تصليت من حر حربهم • كا تصلي المقرور من قرس •

وفلان

وفلان لا يصطلى بناره اذا كان شجاعا لا يطاق قوله تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما
مقضيا فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وان منكم هذا قسم والواو يتضمنه ويفسره حديث النبي
صلى الله عليه وسلم لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قال الزهري
كانه يريد هذه الاية وان منكم الا واردها ذكره ابو داود الطيالسي فقوله الا تحلة القسم يخرج
في التفسير المسند لان القسم المذكور في هذا الحديث معناه عند اهل العلم قوله تعالى وان
منكم الا واردها وقد قيل ان المراد بالقسم قوله تعالى والذاريات ذروا الى قوله انما توعدون
لصادق وان الدين لواقع والاول اشهر والمعنى متقارب الثانية واختلف الناس في الورود فقيل
الورود الدخول روي عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الورود
الدخول لا يبقى بر ولا فاجر الا دخلها فتكون على المومنين بردا وسلاما كا كانت على ابراهيم ثم ننجي
الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا اسنده ابو عمر في كتاب التمهيد وهو قول ابن عباس
وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم وروي يونس عن الحسن انه كان يقرا وان منكم الا واردها
الورود الدخول على التفسير للورود فغلط فيه بعض الرواة فالحقه بالقران وفي مسند الدارمي
عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس النار ثم يصدرون
منها باعمالهم فاولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل في مشيه
وروي عن ابن عباس انه قال في هذه المسئلة لنافع الازرق الخارجي اما انا وانت فلا بد ان
نردها فاما انا فينجيني الله منها واما انت فما اظنه ينجيك لتكذيبك وقد اشفق كثير من العلماء
تحقق الورود والجهل بالصدر وقد بيناه في التذكرة وقالت فرقة الورود المر على الصراط روي
عن ابن عباس وابن مسعود وكعب الاحبار والسدي ورواه السدي عن ابن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقاله الحسن ايضا قال ليس الورود الدخول انما هو كا تقول وردت البصرة ولم
ادخلها قال فالورود ان يمروا على الصراط قال ابو بكر الانباري وقد بنى على مذهب الحسن قوم
من اهل اللغة واحتجوا بقول الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون
قالوا فلا يدخل النار من ضمن الله ان يبعده منها وكان هولا يقرون ثم ننجي الذين
اتقوا واحتج عليهم الاخرون اهل المقالة الاولى بان معنى قوله اوليك عنها مبعدون عن العذاب
فيها والاحتراق بها قالوا فمن دخلها وهو لا يشعر بها ولا يحس منها وجعا ولا الما فهو مبعد عنها
في الحقيقة ويستدلون بقوله ثم ننجي الذين اتقوا بضم ثم فثم تدل على نجاء بعد الدخول قلت
وفي صحيح مسلم ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة فيقولون اللهم سلم سلم قيل يا رسول
الله وما الجسر قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكون بنجد فيها شويكة
يقال لها السعدان فيمر المومنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكاجاويد الخيل
والركاب فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوش في نار جهنم الحديث وبه احتج من قال
ان الجواز على الصراط هو الورود الذي تضمنته هذه الاية لا الدخول فيها وقالت فرقة
بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب وذلك انهم يحضرون موضع الحساب وهو بقرب جهنم
فيرونها وينظرون اليها في حالة الحساب ثم ينجي الله الذين اتقوا مما نظروا اليه ويصار بهم
الى الجنة ونذر الظالمين اي يومر بهم الى النار قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين اي اشرف
عليه لا انه دخله وقال زهير • فلما وردن الما زرقا جمامه • وضعن عصي الحاضر المتخيم •
وروت حفصة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبية
قالت فقلت يا رسول الله واين قول الله وان منكم الا واردها فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمه ثم ننجي الذين اتقوا اخرجه مسلم من حديث ام مبشر قالت سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول عند حفصة الحديث ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى اوليك عنها مبعدون وقال مجاهد ورود المومنين هو الحمى التي تصيب المومن
في دار الدنيا وهي حظ المومن من النار فلا يردها روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم عاد مريضا من وعك به فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ابشر فان الله تبارك وتعالى
يقول هي ناري اسلطها على عبدي المومن لتكون حظه من النار اسنده ابو عمر قال نا عبد
الوارث ابن سفيان قال نا قاسم ابن اصبغ قال نا محمد ابن اسماعيل الصايغ قال نا ابو اسامة

قال نا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن اسماعيل ابن عبيد الاشعري عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم عاد مريضا فذكره وفي الحديث الحمى حظ المومن من النار وقالت
فرقة الورود النظر اليها وفي القبر فينجي منها الفايز ويصلاها من قدر عليه دخولها ثم يخرج
منها بالشفاعة او بغيرها من رحمة الله واحتجوا بحديث ابن عمر اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
بالغداة والعشي الحديث وروي وكيع عن شعبة عن عبد الله ابن السايب عن رجل عن ابن
عباس انه قال في قول الله عز وجل وان منكم قال هذا خطاب للكفار وروي عنه انه كان يقرا
وان منهم ردا على الايات التي قبلها في الكفار قوله فوربك لنحشرنهم وايهم اشد ثم لنحن اعلم
بالذين هم اولى بها صليا وان منهم وكذلك قرا عكرمة وجماعة وعليها فلا شغب في هذه القراة
وقالت فرقة المراد بمنكم الكفرة والمعنى قل لهم يا محمد وهذا التاويل ايضا سهل التاول
والكاف في منكم راجعة الى الها في لنحشرنهم فلا ينكر رجوع الكاف الى الها فقد عرف ذلك
في قوله عز وجل وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء معناه كان لهم فرجعت الكاف
الى الها وقال الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع وعليه نشا الخلاف في الورود
وقد بينا اقوال العلما فيه وظاهر الورود الدخول لقوله عليه السلام فتمسه النار لان المسيس
حقيقة في اللغة المماسة الا انها تكون بردا وسلاما على المومنين وينجون منها سالمين قال
خالد بن معدان اذا دخل اهل الجنة الجنة قالوا الم يقل ربنا انا نرد النار فيقال قد وردتموها
فالفيتموها رمادا قلت وهذا القول يجمع شتات الاقوال فان من وردها ولم توذه بحرها
فقد ابعد عنها ونجي منها نجانا الله منها بفضله وكرمه وجعلنا ممن وردها فدخلها سالما
وخرج منها غانما فان قيل فهل يدخل الانبيا النار قلنا لا نطلق هذا ولكن نقول الخلق جميعا
يردونها كما دل عليه حديث جابر اول الباب فالعصاة يدخلونها بجرايمهم والاوليا والسعدا
لشفاعتهم وبين الدخولين فرق وقال ابن الانباري محتجا لمصحف عثمان وقراة العامة
جايز في اللغة ان يرجع من مخاطبة الغايب الى لفظ المواجهة بالخطاب كما قال وسقاهم ربهم
شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء فابدل الكاف من الها وقد تقدم هذا المعنى في يونس الثالثة
الاستثنا في قوله عليه السلام الا تحلة القسم يحتمل ان يكون استثنا منقطعا لكن تحلة القسم
وهذا معروف في كلام العرب والمعنى ان لا تمسه النار اصلا وتم الكلام هنا ثم ابتدا الا تحلة
القسم اي لكن تحلة القسم لا بد منها في قوله تعالى وان منكم الا واردها وهو الجواز على
الصراط او الروية او الدخول دخول سلامة ولا يكون في ذلك شي من مسيس لقوله عليه
السلام لا يموت لاحدكم ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة من النار والجنة الوقاية
والستر ومن وقي النار وستر عنها فلن تمسه اصلا ولو مسته ما كان موقي الرابعة
هذا الحديث يفسر الاول لان فيه ذكر الحسبة ولذلك جعله مالك باثره مفسرا اليه ويقيد
هذا الحديث الثاني ايضا ما رواه البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث كان له حجابا من النار او دخل الجنة فقوله
عليه السلام لم يبلغوا الحنث ومعناه عند اهل العلم لم يبلغوا الحلم ولم يبلغوا ان يلزمهم حنث
دليل على ان اطفال المسلمين في الجنة والله اعلم لان الرحمة اذا نزلت بابايهم استحال ان يرحموا
من اجل من ليس بمرحوم وهذا اجماع من العلما في ان اطفال المسلمين في الجنة ولم يخالف في
ذلك الا فرقة شذت من المجبرة فجعلتهم في المشية وهو قول مهجور مردود باجماع الحجة الذين
لا يجوز مخالفتهم ولا يجوز على مثلهم الغلط الى ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من اخبار
الاحاد الثقات العدول وان من قوله صلى الله عليه وسلم الشقي من شقي في بطن امه
وان الملك ينزل فيكتب اجله ورزقه الحديث مخصوص وان من مات من اطفال المسلمين
قبل الاكتساب فهو ممن سعد في بطن امه ولم يشق بدليل الاحاديث والاجماع وكذلك
قوله صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها ان الله خلق الجنة وخلق لها اهلا وهم في
اصلاب ابايهم وخلق النار وخلق لها اهلا وهم في اصلاب ابايهم ساقط مردود ضعيف
بالاجماع والاثار وطلحة ابن يحيى الذي يرويه ضعيف لا يحتج به وهذا الحديث مما انفرد
به فلا يعرج عليه وقد روي شعبة عن معاوية ابن قرة ابن اياس المزني عن ابيه عن

النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا من الانصار مات له ابن صغير فوجد عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اما يسرك ان لا تاتي بابا
من ابواب الجنة الا وجدته يستفتح لك فقالوا يا رسول الله اله خاصة او للمسلمين عامة فقال
بل للمسلمين عامة قال ابو عمر هذا حديث ثابت صحيح بمعنى ما ذكرناه مع اجماع الجمهور وهو
يعارض حديث يحيى ويدفعه قال ابو عمر والوجه عندي في هذا الحديث وما اشبهه من الاثار
انها لمن حافظ على اداء فرايضه واجتنب الكباير وصبر واحتسب في مصيبته فان الخطاب
لم يتوجه في ذلك العصر الا الى قوم الاغلب من امرهم ما وصفنا وهم الصحابة رضي الله عنهم اجمعين
وذكر النقاش عن بعضهم انه قال نسخ قوله وان منكم الا واردها قوله ان الذين سبقت
لهم منا الحسنى وهذا ضعيف وهذا ليس موضع نسخ وقد بينا انه اذا لم تمسه فقد ابعد عنها
وفي الخبر تقول النار للمومن جز يا مومن فقد اطفا نورك لهبي الخامسة قوله تعالى كان على
ربك حتما مقضيا الحتم ايجاب القضا اي كان ذلك حتما مقضيا قضاه الله عليكم وقال ابن
مسعود اي قسما واجبا قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا اي نخلصهم ونذر الظالمين فيها
جثيا وهذا مما يدل على ان الورود الدخول لانه لم يقل وندخل الظالمين وقد مضى هذا
مستوفي والمذهب ان صاحب الكبيرة وان دخلها فانه يعاقب بقدر ذنبه ثم ينجو وقالت
المرجية لا يدخل وقالت الوعيدية يخلد وقد مضى بيان هذا في غير موضع وقرا عاصم الجحدري
ومعاوية ابن قرة ثم ننجي مخففة من انجي وهي قراة حميد ويعقوب والكسائي وثقل الباقون
وقرا ابن ابي ليلى ثم بفتح الثا اي هناك وثم ظرف الا انه مبني غير محصل فبني كما بني ذا والها
يجوز ان تكون لبيان لتانيث البقعة فتثبت في الوصل تاء قوله تعالى واذا تتلى عليهم
اياتنا بينات اي على الكفار الذين سبق ذكرهم في قوله ايذا ما مت لسوف اخرج حيا وقال
فيهم ونذر الظالمين فيها جثيا اي هولاء اذا قري عليهم القران تعززوا بالدنيا وقالوا فما بالنا
ان كنا على باطل اكثر اموالا واعز نفرا وغرضهم ادخال الشبهة على المستضعفين وايهامهم ان
من كثر ماله دل على انه المحق في دينه وكانهم لم يروا في الكفار فقيرا ولا في المسلمين غنيا ولم
يعلموا ان الله نحى اولياه من الاغترار بالدنيا وفرط الميل اليها وبينات معناه من مشكلات
الالفاظ ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان
بالمحكمات او تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم
يقدر على معارضتها او حججا وبراهين والوجه ان يكون حالا موكدة لقوله تعالى وهو الحق
مصدقا لان ايات الله لا تكون الا واضحة وحججا قال الذين كفروا يريد مشركي قريش النضر
ابن الحرث واصحابه للذين امنوا يعني فقرا اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم
قشافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثاثة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون
روسهم ويلبسون خير ثيابهم فقالوا للمومنين اي الفريقين خير مقاما قرا ابن كثير وابن
محيصن وشبل ابن عباد مقاما بضم الميم وهو موضع الاقامة ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى
الاقامة الباقون مقاما بالفتح اي منزلا ومسكنا وقيل المقام الموضع الذي يقام فيه بالامور
الجليلة اي الفريقين اكثر جاها وانصارا واحسن نديا اي مجلسا عن ابن عباس وعنه ايضا
المنظر وهو المجلس في اللغة وهو النادي ومنه دار الندوة لان المشركين كانوا يتشاورون
فيها في امورهم وناداه جالسه في النادي وقال • اناديه بالوليد وجعفر •
والندي على فعيل مجلس القوم ومتحدثهم ولذلك الندوة والنادي والمنتدى فان تفرق القوم
فليس بندي قاله الجوهري قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة هم
احسن اثاثا اي متاعا قال • وفرع يزين المتن اسود فاحم • اثيث كقنو النخلة المتعثكل •
والاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفراش والخرثي ما لبس منها وانشد الحسن
ابن علي الطوسي • تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا •
وقال ابن عباس هيية وقال المعني منظرا حسنا وفيه خمس قراات قرا اهل المدينة
وريا بغير همز وقرا اهل الكوفة ورئيا بالهمز وحكى يعقوب ان طلحة قرا وريا بيا واحدة مخففة
وروي سفيان عن الاعمش عن ابي ظبيان عن ابن عباس هم احسن اثاثا وزيا بالزاي
فهذه خمس قراات قال النحاس وقرا اهل المدينة في هذا حسنة وفيها تقديران احدهما ان يكون

من رأيت ثم خففت الهمزة فابدل منها يا وادغمت اليا في اليا وكان هذا احسنا ليتفق روس الايات لانها عين مهموزات وعلى هذا قال ابن عباس الري المنظر فالمعنى هم احسن اثاثا ولباسا والوجه الثاني ان جلودهم مرتوية من النعمة فلا يجوز الهمز على هذا في رواية ورش عن نافع وابن ذكوان عن ابن عامر وريا بالهمز يكون على الوجه الاول وهي قراة اهل الكوفة ومن رايت على الاصل وقراة طلحة بن مصرف وريا بيا واحدة مخففة احسبها غلط وقد زعم بعض النحويين انه كان اصلها الهمز فقلبت يا ثم حذفت لحذي اليائين للمهدوي ويجوز ان يكون ريا فقلبت فصارت ريا ثم نقلت حركة الهمز على اليا وحذفت وقد قرا بعضهم وزيا على القلب وهي القراة الخامسة وحكى سيبويه اي بمعنى راي الجوهري من همز جعله من المنظر من رايت وهو ما رايته العين من حال حسنة وكسوة ظاهرة وانشد ابو عبيدة لمحمد بن نمير الثقفي

• اشاقتك الظعاين يوم بانوا • بذي الري الجميل من الاثاث •

ومن لم يهمز اما ان يكون على تخفيف الهمزة او يكون من رويت الوانهم وجلودهم ريا اي امتلات وحسنت واما قراة ابن عباس وابي ابن كعب وسعيد ابن جبير والاعصم المكي ويزيد البربري وزيا بالزاي فهو من الهيئة والحسن ويجوز ان يكون من زويت اي جمعت فيكون اصلها زويا قلبت الواو يا ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم زويت لي الارض اي جمعت فيكون اي فلم يعن ذلك عنهم شيا من عذاب الله فليعش ما شا ولاما شا والمصير الى الموت والعذاب وان عمروا والعذاب العاجل ياخذهم الله به قوله تعالى قل من كان في الضلالة اي في الكفر فليمدد له الرحمن مدا اي فليدعه في طغيان جهله وكفره لفظه لفظ الامر ومعناه الخبر اي من كان في الضلالة لدعه الرحمن مدا حتى يطول اغتراره فيكون ذلك اشد لعقابه نظيره انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقوله ونذرهم في طغيانهم يعمهون ومثله كثيرا اي فليعش ماشا وليوسع لنفسه في العمر فمصيره الى الموت والعذاب وهذا غاية في التهديد والوعيد وقيل هذا دعا امر به النبي صلى الله عليه وسلم يقول من سرق مالي فليقطع الله يده فهو دعا على السارق وهو جواب الشرط وعلى هذا فليس قوله فليمدد خبرا قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون قال راوا لان لفظ من يصلح للواحد والجمع واذا مع الماضي بمعنى المستقبل اي حتى يروا ما يوعدون والعذاب هنا يكون بنصر المومنين عليهم فيعذبونهم بالسيف والاسر واما ان تقوم الساعة فيصيروا الى النار فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اي تنكشف حينئذ الحقايق وهذا رد لقولهم اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا قوله تعالى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى اي ويثبت الله الذين امنوا على الهدى ويزيدهم في النصيرة وينزل من الايات ما يكون سبب زيادة اليقين مجازاة لهم وقيل يزيدهم هدى بتصديقهم بالناسخ والمنسوخ الذي كفر به غيرهم قال معناه الكلبي ومقاتل ويحتمل ثالثا اي ويزيد الله الذين اهتدوا وهدى الى الطاعة الى الجنة والمعنى متقارب وقد تقدم القول في معنى زيادة الايمان والهدي في ال عمران وغيرها والباقيات الصالحات تقدم في الكهف القول فيها خير عند ربك ثوابا اي جزا وخير مردا اي في الاخرة مما افتخر به الكفار في الدنيا والمرد مصدر كالرد اي وخير ردا على عاملها بالثواب يقال هذا ارد عليك اي انفع لك وقيل خير مردا اي مرجعا فكل احد يرد الى عمله الذي عمله قوله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا روى الايمة واللفظ لمسلم عن خباب قال كان لي على العاص بن وايل دين فاتيته اتقاضاه فقال لن اقضيك حتى تكفر بمحمد قال فقلت لن اكفر به حتى تموت ثم تبعث قال واني لمبعوث من بعد الموت فسوف اقضيك اذا رجعت الى مال وولد قال وكيع كذا قال الاعمش فنزلت هذه الاية افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا الى قوله ويأتينا فردا في رواية قال كنت قينا في الجاهلية فعملت للعاص ابن وايل عملا فاتيته اتقاضاه خرجه البخاري ايضا وقال الكلبي ومقاتل كان خباب قينا فصاغ للعاص حليا ثم تقاضاه اجرته فقال العاصي ما عندي اليوم اقضيك قال خباب لست بمفارقك حتى تقضيني فقال العاص يا خباب لست هكذا وان كنت لحسن الطلب فقال خباب مالك ماكنت هكذا وان كنت لحسن الطلب فقال خباب

مالك ماكنت على دينك فاما اليوم فانا على دين الاسلام مفارق لدينك قال اولستم تزعمون ان في الجنة ذهبا وفضة وحريرا قال خباب بلى قال فاخرني حتى اقضيك في الجنة استهزا فوالله ان كان ما تقول حقا اني لاقضيك فيها فوالله لا تكون يا خباب انت واصحابك اولى بها مني فانزل الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا يعني العاص الايات اطلع الغيب قال ابن عباس انظر في اللوح المحفوظ وقال مجاهد اعلم الغيب حتى يعلم اهو في الجنة ام لا ام اتخذ عند الرحمن عهدا قال قتادة والثوري اي عملا صالحا وقيل هو التوحيد وقيل هو من الوعد وقال الكلبي عاهد الله ان يدخله الجنة كلا ردا عليه اي لم يكن ذلك لم يطلع الغيب ولم يتخذ عند الرحمن عهدا وتم الكلام عند قوله كلا وقال الحسن ان الايات نزلت في الوليد ابن المغيرة والاول اصح لانه مدون في الصحاح وقرا حمزة والكسائي وولدا بضم الواو والباقون بفتحها واختلف في الضم والفتح على وجهين احدهما انهما لغتان معناهما واحد يقال ولد وولد كما يقال عدم وعدم وقال الحرث ابن حلزه

• ولقد رايت معاشرا • قد ثمروا مالا وولدا • وقال اخر

• فليت فلانا كان في بطن امه • وليت فلانا كان ولد حمار •

الثاني ان قيسا يجعل الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الماوردي وفي قوله تعالى لاوتين مالا وولدا وجهان احدهما انه اراد في الجنة استهزا بما وعد الله تعالى على طاعته وعبادته قاله الكلبي الثاني انه اراد في الدنيا وهو قول الجمهور وفيه وجهان محتملان احدهما ان اقمت على دين ابائي وعبادة الهتي لاوتين مالا وولدا قلت قول الكلبي اشبه بظاهر الاحاديث بل نصها يدل على ذلك قال مسروق سمعت خباب ابن الارت يقول جيت العاص ابن وايل السهمي اتقاضاه حقا لي عنده فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا حتى تموت ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث فقلت نعم فقال ان لي هناك مالا وولدا فاقضيك فنزلت افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح قوله تعالى اطلع الغيب الف استفهام لمجيء ام بعدها ومعناه التوبيخ واصله ااطلع فحذفت الالف الثانية لانها الف وصل فان قيل فهلا اتوا بمدة بعد الالف فقالوا ااطلع كما قالوا الله خير الذكرين حرم قيل له كان الاصل في هذا الله الذكرين فابدلوا من الالف الثانية مدة ليفرقوا بين الاستفهام والخبر وذلك انهم لو قالوا الله خير فلا مد لالتبس الاستفهام بالخبر ولم يحتاجوا الى هذه المدة في قوله اطلع لان الف الاستفهام مفتوحة والف الخبر مكسورة وذلك انك تقول في الاستفهام اطلع افترى استغفرت وتقول في الخبر اطلع افترى اصطفى استغفرت لهم بالكسر فجعلوا الفرق بالفتح والكسر ولم يحتاجوا الى فرق اخر قوله تعالى كلا ليس في النصف الاول ذكر كلا وانما جا ذكره في النصف الثاني وهو يكون بمعنيين احدهما بمعنى حقا والثاني بمعنى لا فاذا كانت بمعنى حقا جاز الوقف على ما قبله ثم يبتدي كلا اي حقا واذا كانت بمعنى لا كان الوقف على كلا جايزا كما كان في هذه الاية لان المعنى لا ليس الامر كذا ويجوز ان تقف على قوله عهدا ويبتدي كلا اي حقا سنكتب ما يقول وكذلك قوله تعالى لعلي اعمل صالحا فيما تركت كلا يجوز الوقف على كلا وعلى تركت وقوله ولهم على ذنب فاخاف ان يقتلون قال كلا الوقف على كلا لان المعنى ليس الامر كما ظننوا فاذهبا وليس للحق في هذا المعنى موضع وقال الفرا بمنزلة سوف لانها صلة وهي حرف رد فكانها نعم ولا في الاكتفا قال وان جعلتها صلة لما بعدها لم تقف عليها كقولك كلا ورب الكعبة لا تقف على كلا لانها بمنزلة اي ورب الكعبة قال الله تعالى كلا والقمر فالوقف على كذا قبيح لانها صلة لليمين وكان ابو جعفر محمد بن سعدان يقول في كلا مثل قول الفرا وقال الاخفش معنى كلا الردع والزجر وقال ابو بكر ابن الانباري وسمعت ابا العباس يقول لا يوقف على كلا في جميع القران لانها جواب والفايدة التي تقع فيما بعدها والقول الاول هو قول اهل التفسير قوله تعالى سنكتب ما يقول اي سنحفظ عليه قوله فنجازيه به في الاخرة ونمد له من العذاب مدا اي نزيده عذابا فوق عذاب ونرثه ما يقول اي نسلبه ما اعطيناه في الدنيا من مال وولد قال ابن عباس وغيره اي نرثه المال والولد بعد هلاكنا اياه وقيل نحرمه ما تمناه في الاخرة من مال وولد ونجعله لغيره من المسلمين ويأتينا فردا اي منفردا لا مال له ولا ولد ولا عشيرة تنصره قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا يعني مشركي قريش وعز امعناه اعوانا ومنعة

يعني اولادا او العز المطر الجود قاله الهروي وظاهر الكلام ان عزا راجع الى الالهة التي عبدوا من
دون الله ووحد لانه بمعنى المصدر اي لينالوا بها العزة ويمتنعون بها من عذاب الله تعالى كلا
اي ليس الامر كما ظنوا وتوهموه بل يكفرون بعبادتهم اي ينكرون انهم عبدوا الاصنام او تجحد الالهة عبادة
المشركين لها كما قال تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون وذلك لان الاصنام جمادات لا تعلم العبادة ه
ويكونون عليهم ضدا اي اعوانا في خصومتهم وتكذيبهم عن مجاهد الضحاك يكونون لهم اعداء ابن زيد
يكونون عليهم بلاء فتحشر الهتهم وتركب لهم عقول فتنطق فتقول يا رب عذب هولاء الذين عبدونا
من دونك وكلا هنا يحتمل ان يكون بمعنى حقا اي حقا سيكفرون بعبادتهم وقرا ابو نهيك كلا سيكفرون
بالتنوين وروي عنه مع ذلك ضم الكاف وفتحها قال المهدوي كلا ردع وزجر وتنبيه ورد لكلام
متقدم وقد تقع لتحقيق ما بعدها والتنبيه عليه كقوله كلا ان الانسان ليطغى فلا يوقف عليها
على هذا ويوقف عليها في المعنى الاول فان صلح فيها المعنيان جميعا جاز الوقف عليها والابتدا بها
فمن نون كلا من قوله سيكفرون بعبادتهم مع فتح الكاف فهو مصدر كل ونصبه بفعل مضمر والمعنى
كل هذا الراي والاعتقاد كلا يعني اتخاذهم الالهة ليكونوا لهم عزا فيوقف على هذا على عزا وعلى كلا
وكذلك في قراة الجماعة لانها تصلح للرد لما قبلها والتحقيق لما بعدها ومن روى ضم الكاف مع التنوين
فهو منصوب ايضا بفعل مضمر كانه قال سيكفرون كلا سيكفرون بعبادتهم يعني الالهة قلت فتحصل
في كلا اربعة معان التحقيق وهو ان تكون بمعنى حقا والنفي والتنبيه وصلة للقسم ولا يوقف
منها الا على الاول وقال الكسائي لا تنفي فحسب وكلا تنفي شيئا وتثبت شيئا فاذا قلت اكلت تمرا
قلت كلا اي اكلت عسلا لا تمرا ففي هذه الكلمة نفي ما قبلها وتحقيق ما بعدها والضد يكون واحدا ويكون
جمعا كالعدو والرسول وقيل وقع الضد موقع المصدر اي ويكونون عليهم عونا فلهذا لم يجمع وهذا
في مقابلة قوله ليكونوا لهم عزا والعز مصدر وكذلك ما وقع في مقابلته ثم قيل الالهة في عبدة
الاصنام واجرى الاصنام مجرى من يعقل جريا على توهم الكفرة وقيل فيمن عبد المسيح او الجن او الملايكة
او الشياطين والله اعلم قوله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين اي سلطناهم عليهم بالاغوا الم تر
وذلك حين قال لابليس واستفزز من استطعت منهم بصوتك وقيل ارسلنا اي خلينا يقال ارسلت
البعير اي خليته اي خلينا الشياطين واياهم ولم نعصمهم من القبول منهم الزجاج وقيضنا تؤزهم ازا
قال ابن عباس تزعجهم ازعاجا من الطاعة الى المعصية وعنه تغريهم اغراء بالشر امض في هذا
الامر حتى توقعهم في النار حكى الاول الثعلبي والثاني الماوردي والمعنى واحد الضحاك تغريهم
بهم اغراء مجاهد تشليهم اشلاء واصله الحركة والغليان ومنه الخبر المروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قام الى الصلاة ولجوفه ازيز كازيز المرجل من البكا وايتزت القدر ايتزازا اشتد غليانها والاز
التهييج والاغراء قال الله تعالى انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا اي تغريهم على
المعاصي والاز الاختلاط وقد ازرت الشي اززه ازا اذا ضممت بعضه الى بعض قاله الجوهري قوله
تعالى فلا تعجل عليهم اي تطلب العذاب لهم انما نعد لهم عدا قال الكلبي اجالهم يعني الايام والليالي
والشهور والسنين الى انتهاء اجل العذاب وقال الضحاك الانفاس ابن عباس اي نعد انفاسهم
في الدنيا كما نعد سنيهم وقيل الخطوات وقيل اللحظات وقيل الساعات وقال قطرب نعد اعمالهم
عدا وقيل لا تعجل عليهم فانما نوخرهم ليزدادوا اثما وروي ان المامون قرا هذه السورة فمر بهذه
الاية وعنده جماعة من الفقها فاشار براسه الى ابن السماك ان يعظه فقال اذا كانت الانفاس
بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد وقيل في هذا المعنى

حياتك انفاس تعد فكلما ... مضى نفس منك انتقصت به جزءا
يميتك ما يحييك في كل ليلة ... ويحدوك حاد ما يريد به الهزءا

ويقال انفاس ابن ادم بين اليوم والليلة اربعة وعشرون الف نفس اثنا عشر الفا في اليوم واثنا
عشر الفا في الليل والله اعلم فهي تعد وتحصى احصاء ولها عدد معلوم وليس لها مدد فما اسرع
ما تنفد قوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا في الكلام حذف اي الى جنة الرحمن
ودار كرامته كقوله اني ذاهب الى ربي وكما في الخبر من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله والوفد اسم للوافدين كما يقال صوم وفطر وزور فهو جمع الوافد مثل راكب وركب
وصاحب وصحب وهو مصدر وفد يفد وفدا ووفودا ووفادة اذا خرج الى ملك في فتح او امر خطير الجوهري

يقال

يقال وفد فلان على الامير اي ورد رسولا فهو وافد والجمع وفد مثل صاحب وصحب وجمع الوفد
اوفاد ووفود والاسم الوفادة واوفدته انا الى الامير اي ارسلته وفي التفسير وفدا اي ركبانا على
نجائب طاعتهم وهذا لان الوافد في الغالب يكون راكبا والوفد الركبان ووحد لانه مصدر ابن
جريج وفدا على النجائب وقال عمرو بن قيس الملائي ان المومن اذا خرج من قبره استقبله
عمله احسن صورة واطيب ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد طيب ريحك وحسن
صورتك فيقول كذلك كنت في الدنيا انا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا اركبني اليوم
وتلا يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وان الكافر يستقبله عمله اقبح شي صورة وانتنه
ريحا فيقول هل تعرفني فيقول لا الا ان الله قد قبح صورتك ونتن ريحك فيقول كذلك كنت
في الدنيا انا عملك السيء طالما ركبتني في الدنيا فانا اليوم اركبك وتلا وهم يحملون اوزارهم
على ظهورهم ولا يصح من قبل اسناده قاله ابن العربي في سراج المريدين وذكر هذا الخبر
في تفسيره ابو نصر عبد الرحيم ابن عبد الكريم القشيري عن ابن عباس بلفظه ومعناه
وقال ايضا عن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد الى الله على خيل لا تروث ولا تبول
لجمها من الياقوت الاحمر ومن الزبرجد الاخضر ومن الدر الابيض وسروجها السندس والاستبرق
ومن كان يحب ركوب الابل فعلى نجائب لا تبعر ولا تبول ازمتها من الياقوت والزبرجد ومن
كان يحب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد امنوا الغرق وامنوا الاهوال وقال ايضا
عن علي ولما نزلت الاية قال علي رضي الله عنه يا رسول الله اني قد رايت الملوك ووفودهم
فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد الله فقال عليه السلام اما انهم لا يحشرون على اقدامهم ولا يساقون
سوقا ولكنهم يوتون بنوق من نوق الجنة لم تنظر الخلايق الى مثلها رحالها الذهب وزمامها الزبرجد
فيركبونها حتى يقرعوا باب الجنة ولفظ الثعلبي في هذا الخبر عن علي ابين وقال علي لما
نزلت هذه الاية قلت يا رسول الله اني رايت الملوك ووفودهم فلم ار وفدا الا ركبانا فما وفد
الله قال يا علي اذا كان المنصرف من بين يدي الله تلقت الملايكة المومنين بنوق بيض
رحالها وازمتها الذهب على كل مركب حلة لا يساويها الدنيا فيلبس كل مومن حلة ثم تسير بهم
مراكبهم فتهوي بهم النوق حتى تنتهي بهم الى الجنة فتتلقاهم الملايكة سلام عليكم طبتم
فادخلوها خالدين قلت وهذا الخبر ينص على انهم لا يركبون ولا يلبسون الا من الموقف واما
اذا خرجوا من القبور فمشاة حفاة عراة الى الموقف بدليل حديث ابن عباس قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة
غرلا الحديث خرجه البخاري ومسلم وسياتي بكماله في سورة المومنين ان شا الله وتقدم في
ال عمران من حديث عبد الله بن انيس بمعناه والحمد لله ولا يبعد ان تحصل الحالتان للسعدا
فيكون حديث ابن عباس مخصوصا والله اعلم وقال ابو هريرة وفدا على الابل ابن عباس
ركبانا يوتون بنوق من الجنة عليها رحائل من الذهب وسروجها وازمتها من الزبرجد
فيحشرون عليها وقال علي ما يحشرون والله على ارجلهم ولكن على نوق رحالها من ذهب
ونجب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت وقيل يفدون على ما يحبون
من ابل او خيل او سفن على ما تقدم عن ابن عباس والله اعلم وقيل انما قال وفدا لان من
شان الوفود عند العرب ان يقدموا بالبشارات وينتظرون الجوايز فالمتقون ينتظرون العطا
والثواب ونسوق المجرمين الى جهنم وردا السوق الحث على السير وردا عطاشا قاله ابن
عباس وابو هريرة والحسن والاخفش والفرا وابن الاعرابي حفاة مشاة وقيل افرادا وقال
الازهري اي مشاة عطاشا كالابل ترد الما فيقال جا ورد بني فلان القشيري وقوله وردا يدل
على العطش لان الما انما يورد في الغالب للعطش وفي التفسير مشاة عطاشا تتقطع اعناقهم
من العطش واذا كان سوق المجرمين الى النار فحشر المتقين الى الجنة وقيل وردا اي للورود
كقولك جيتك اكراما لك اي لاكرامك اي نسوقهم لورود النار قلت ولا تناقض بين هذه الاقوال
فيساقون عطاشا حفاة مشاة افرادا ابن عرفة الورد القوم يردون الما فسمي العطاش
وردا لطلبهم ورود الما كما تقول قوم صوم اي صيام وقوم زور اي زوار فهو اسم على لفظ
المصدر واحدهم وارد والورد ايضا الجماعة التي ترد الما من طير وابل والورد الما الذي يورد

وهذا من باب الايماء بالشي الى الشي والورد الجزء يقال قرات وردي والورد الحمى اذا اخذت
صاحبها لوقت فهو لفظ مشترك وقال الشاعر يصف قليبا يطمو اذا الورد عليه التكا •
اي الوراد الذين يردون الما قوله تعالى لا يملكون الشفاعة اي هولا الكفار لا يملكون
الشفاعة لاحد الا من اتخذ عند الرحمن عهدا وهم المسلمون فيملكون الشفاعة فهو استثنا الشي
من غير جنسه اي لكن من اتخذ عهدا يشفع فمن في موضع نصب على هذا وقيل هو في موضع
رفع على البدل من الواو في يملكون اي لا يملك احد عند الله الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن
عهدا فانه يملك وعلى هذا يكون الاستثنا متصلا والمجرمين في قوله ونسوق المجرمين يعم
الكفرة والعصاة ثم اخبر انهم لا يملكون الشفاعة الا العصاة المومنين فانهم يملكونها بان يشفع
فيهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ازال اشفع حتى اقول يا رب شفعني فيمن قال لا اله
الا الله فيقول يا محمد انها ليست لك ولكنها لي خرجه مسلم بمعناه وقد تقدم وتظاهرت الاخبار
بان اهل الفضل والعلم والصلاح يشفعون فيشفعون وعلى القول الاول يكون الكلام
متصلا بقوله واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا فلا يقبل غدا شفاعة عبدة
الاوثان لاحد ولا شفاعة الاصنام لاحد ولا يملكون شفاعة احد لهم اي لا تنفعهم شفاعة
كما قال فما تنفعهم شفاعة الشافعين وقيل اي نحشر المتقين والمجرمين ولا يملك احد شفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا اي اذن له الرب في الشفاعة كما قال من ذا الذي يشفع
عنده الا باذنه وهذا العهد هو الذي قال ام اتخذ عند الرحمن عهدا وهو لفظ جامع
للايمان وجميع الاعمال الصالحة التي يصل بها صاحبها الى حيز من يشفع وقال ابن
عباس العهد لا اله الا الله وقال مقاتل وابن عباس ايضا لا يشفع الا من يشهد ان لا اله الا
الله ويتبرا من الحول والقوة لله ولا يرجوا الا الله وقال ابن مسعود سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول لاصحابه ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومسا عند الله عهدا قيل يا رسول الله وما
ذاك قال يقول كل صباح ومسا اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة اني اعهد
اليك في هذه الحياة باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك ورسولك
وانك ان تكلني الى نفسي تباعدني من الخير وتقربني من الشر واني لا اثق الا برحمتك فاجعل
لي عندك عهدا توفينيه يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاذا قال ذلك طبع الله عليها طابعا
ووضعها تحت العرش فاذا كان يوم القيامة نادى مناد اين الذين لهم عند الله عهد فيقوم
فيدخل الجنة قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا يعني اليهود والنصارى ومن زعم ان الملايكة
بنات الله وقرا يحيى والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ولدا بضم الواو واسكان اللام في اربعة
مواضع من هذه السورة قوله لاوتين مالا وولدا وقد تقدم وقوله ان دعوا للرحمن ولدا وما
ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا وفي سورة نوح ماله وولده وافقهم في نوح خاصة ابن كثير
ومجاهد وحميد وابو عمرو ويعقوب الباقون في الكل بالفتح في الواو واللام وهما لغتان
مثل العرب والعرب والعجم والعجم قال •
• ولقد رايت معاشرا • قد اثمروا مالا وولدا • اخر
• فليت عياضا كان في بطن امه • وليت عياضا كان ولد حمار • وقال النابغة
• مهلا فداء لك الاقوام كلهم • وما اثمر من مال ومن ولد •
ففتح وقيس يجعلون الولد بالضم جمعا والولد بالفتح واحدا قال الجوهري الولد قد يكون واحدا
وجمعا وكذلك الولد بالضم ومن امثال بني اسد ولدك من دمى عقبيك والولد بالكسر لغة في الولد النحاس
وفرق ابو عبيدة بينهما فزعم ان الولد يكون الاهل والولد جميعا قال ابو جعفر وهذا قول
مردود لا يعرفه احد من اهل اللغة ولا يكون الولد والولد الا ولد الرجل وولد ولده الا ان ولدا
اكثر في كلام العرب كما قال • مهلا فداء لك الاقوام كلهم • وما اثمر من مال ومن ولد •
قال ابو جعفر وسمعت محمد بن الوليد يقول يجوز ان يكون ولد وولد كما يقال
عجم وعجم وعرب وعرب كما تقدم قوله تعالى لقد جيتم شيا ادا اي منكرا عظيما عن
ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال الجوهري الاد والادة الداهية والامر الفظيع ومنه قوله
تعالى لقد جيتم شيا ادا وكذلك الاد مثال فاعل وجمع الادة اداد وادني فلان داهية

نوده ادا بالفتح والاد ايضا القوة قال الراجز •
• نضون عني شرة واد • من بعد ما كنت صملا جلدا •
انتهى كلامه وقال ابو عبد الرحمن السلمي ادا بفتح الهمزة النحاس يقال اد يود ادا فهو اد والاسم
الادة اذا جاء بشي عظيم منكر وقال الراجز •
• لقد لقي الاقران مني نكرا • داهية دهيا ادا امرا •
عن غير النحاس الثعلبي وفيه ثلاث لغات ادا بالكسر وهي قراءة العامة وادا بالفتح وهي قراءة
السلمي وادا مثل ماد وهي لغة لبعض العرب رويت عن ابن عباس وابي العالية وكانها ماخوذة
من الثقل اده الحمل يوده اداد اي اثقله قوله تعالى تكاد السموات قراءة العامة هنا
وفي الشورى بالتاء وقرا نافع ويحيى والكسائي يكاد بالياء لتقدم الفعل يتفطرن اي
يتشققن وقراءة نافع وابن كثير وحفص وغيرهم بتاء بعد الياء وشد الطاء من التفطر هنا وفي
الشورى ووافقهم حمزة وابن عامر في الشورى وقرا هنا ينفطرن من الانفطار وكذلك قراها
ابو عمرو وابو بكر والمفضل في السورتين وهو اختيار ابي عبيد لقوله تعالى اذا السما انفطرت
وقوله السما منفطر به وقوله وتنشق الارض اي تتصدع وتخر الجبال هدا قال ابن عباس
هدما اي تسقط بصوت شديد وفي الحديث اللهم اني اعوذ بك من الهد والهدة قال شمر قال
احمد بن غياث المروزي الهدة الخسوف والهد الهدم وقال الليث هو الهدم الشديد كحايط
يهد بمرة يقال هدني الامر وهد ركني اي كسرني وبلغ مني قاله الهروي الجوهري هد البنا يهده
هدا كسره وضعضعه وهدته المصيبة اي اوهنت ركنه وانهد الجبل اي انكسر الاصمعي والهد
الرجل الضعيف يقول الرجل للرجل اذا اوعده الغير هدا اي غير ضعيف وقال ابن الاعرابي
الهد من الرجال الجواد الكريم واما الجبان الضعيف فهو الهد بالكسر وانشد •
• ليسوا بهدين في الحروب اذا • تعقد فوق الحراقف النطق •
والهدة صوت وقع الحايط ونحوه تقول منه هد يهد بالكسر هديدا والهاد صوت يسمعه
اهل الساحل ياتيهم من قبل البحر له دوي في الارض وربما كانت منه الزلزلة ودويه هديده
النحاس هدا مصدر لان معنى تخر تهد وقال غيره حال اي مهدودة قوله تعالى ان دعوا
للرحمن ولدا ان في موضع نصب عند الفرا بمعنى لان دعوا ومن ان دعوا فموضع ان نصب
بسقوط الخافض وذكر ابن المبارك انا مسعر عن عبد الله بن واصل عن عون بن عبد الله
قال قال عبد الله بن مسعود ان الجبل ليقول للجبل هل مر بك اليوم ذاكر لله فان قال
نعم سر به ثم قرا عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الاية قال افتراهن يسمعن الزور ولا
يسمعن الخير قال وحدثني عوف عن غالب بن عجرد قال حدثني رجل من اهل الشام في مسجد
منى قال ان الله لما خلق الارض وخلق ما فيها من الشجر لم تك في الارض شجرة ياتيها بنو
ادم الا اصابوا منها منفعة وكان لهم منها منفعة فلم تزل الارض والشجر كذلك حتى تكلم فجرة
بني ادم بتلك الكلمة العظيمة قولهم اتخذ الله ولدا فلما قالوها اقشعرت الارض وشاك
الشجر وقال ابن عباس اقشعرت الجبال وما فيها من الاشجار والبحار وما فيها من الحيتان
فصار من ذلك الشوك في الحيتان وفي الاشجار الشوك وقال ابن عباس ايضا فزعت
السموات والارض والجبال وجميع الخلايق الا الثقلين وكادت ان تزول وغضبت الملايكة
واستعرت جهنم وشاك الشجر واكفهرت الارض وجدبت حين قالوا اتخذ الله ولدا وقال محمد
ابن كعب لقد كاد اعدا الله ان يقيموا علينا الساعة لقوله تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا قال ابن العربي وصدق فانه قول عظيم سبق
به القضا والقدر ولولا ان الباري تبارك وتعالى لا يضعه كفر الكافر ولا يرفعه ايمان المومن
ولا يزيد هذا في ملكه كما لا ينقص ذلك من ملكه لما جرى شي من هذا على الالسنة ولكنه
القدوس الحكيم العليم فلم يبال بعد ذلك بما يقوله المبطلون قوله تعالى وما ينبغي للرحمن
ان يتخذ ولدا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا نفى
عن نفسه سبحانه الولد لان الولد يقتضي الجنسية والحدوث على ما بيناه في البقرة اي لا
يليق به ذلك ولا يوصف به ولا يجوز في حقه انه لا يكون ولد الا من والد يكون له والد

واصل والله سبحانه وتعالى عن ذلك ويتقدس قال •
• في راس خلقاء من عتقا مشرفه • ما ينبغي دونها سهل ولا جبل •
ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا ما كل من في السموات الا وهو ياتي الله يوم القيامة مقرا له بالعبودية خاضعا ذليلا كما قال وكل اتوه داخرين اي صاغرين اذلا اي الخلق كلهم عبيده فكيف يكون واحد منهم ولدا له جل وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا واتي بالياء في الخط والاصل التنوين فحذف استخفافا واضيف الثانية في هذه الاية دليل على انه لا يجوز ان يكون الولد مملوكا للوالد فمن قال انه يشتريه فيملكه ولا يعتق عليه الا اذا اعتقه وقد ابان الله تعالى المنافرة بين الالوهية والولادة فاذا ملك الوالد ولده بنوع من التصرفات عتق عليه ووجه الدليل عليه من هذه الاية ان الله تعالى جعل الولدية والعبدية في طرفي تقابل فنفى احدهما واثبت الاخر ولو اجتمعا لما كان لهذا القول فايدة نفع الاحتجاج بها وفي الحديث الصحيح لا يجزي ولد والدا الا ان يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه خرجه مسلم فاذا لم يملك الاب ابنه مع مرتبته عليه فالابن بعدم ملك الاب اولى لقصوره عنه الثالثة وذهب اسحاق بن راهويه في تاويل قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق شركا له في عبد ان المراد به ذكور العبيد دون اناثهم فلا يكمل على من اعتق شركا في انثى وهو على خلاف ما ذهب اليه الجمهور من السلف ومن بعدهم فانهم لم يفرقوا بين الذكر والانثى لان لفظ العبد يراد به الجنس كما قال تعالى ان كل من في السموات والارض الا اتي الرحمن عبدا فانه قد تناول الذكر والانثى من العبيد قطعا وتمسك اسحاق بانه قد حكي عبده في المونث الرابعة روى البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد وقد تقدم في البقرة وغيرها واعادته في مثل هذا الموضع حسن جدا قوله تعالى لقد احصاهم وعدهم عدا احصاهم اي علم عددهم وعدهم عدا تاكيدا اي فلا يخفى عليه احد منهم قلت ووقع لنا في اسمائه المحصي اعني في السنة من حديث ابي هريرة خرجه الترمذي واشتقاق هذا الفعل يدل عليه وقال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني ومنها المحصي ويختص بانه لا يشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النور واشتداد الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزاء الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ووقع في تفسير ابن عباس ان معنى لقد احصاهم وعدهم عدا يريد اقروا له بالعبودية وشهدوا له بالربوبية قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيامة فردا اي واحدا لا ناصر له ولا مال معه لينفعه كما قال يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم فلا ينفعه الا ما قدم من عمل وقال وكلهم اتيه على لفظ كل وعلى المعنى اتوه قال القشيري وفيه اشارة الى انكم لا ترضون باستعباد اولادكم والكل عبيده فكيف رضيتم له ما لا ترضون لانفسكم وقد رد عليهم بمثل هذا بانهم لا يرضون لانفسهم بالبنات ويقولون الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله وقال فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم قوله تعالى ان الذين امنوا اي صدقوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب عباده كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا نادى جبريل اني قد احببت فلانا فاحبه قال فينادي في السماء ثم تنزل له المحبة في الارض فذلك قوله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واذا ابغض الله عبدا نادى جبريل اني قد ابغضت فلانا فينادي في السماء ثم تنزل له البغضاء في الارض قال هذا حديث حسن صحيح وخرجه البخاري ومسلم بمعناه ومالك في الموطا وفي نوادر الاصول وحدثنا ابو بكر ابن سابق الاموي قال نا ابو مالك الجنبي عن جويبر عن الضحاك عن ابن

عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اعطى المومن المقة والملاحة والمحبة في صدور الصالحين والملائكة المقربين ثم تلا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واختلف فيمن نزلت فقيل في علي رضي الله عنه روى البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ابن ابي طالب يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في قلوب المومنين مودة فنزلت ذكره الثعلبي وقال ابن عباس نزلت في عبد الرحمن بن عوف جعل الله له في قلوب العباد المودة لا يلقاه مومن الا وقره ولا مشرك ولا منافق الا عظمه وكان هرم ابن حيان يقول ما اقبل احد بقلبه على الله الا اقبل الله بقلوب اهل الايمان اليه حتى يرزقهم مودتهم ورحمتهم وقيل يجعل لهم مودة في قلوب المومنين والملائكة يوم القيامة قلت اذا كان محبوبا في الدنيا فهو كذلك في الاخرة فان الله لا يحب الا مومنا تقيا ولا يرضى الا خالصا نقيا جعلنا الله منهم بمنه وروى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل عليه السلام فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء قال ثم يوضع له القبول في الارض واذا ابغض عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول اني ابغض فلانا فابغضه فيبغضه جبريل ثم ينادي في السماء ان الله يبغض فلانا فابغضوه قال فيبغضونه ثم توضع له البغضاء في الارض قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اي بيناه بلسانك العربي وجعلناه سهلا على من تدبره وتامله وقيل انزلناه عليك بلسان العرب ليسهل عليهم فهمه لتبشر به المتقين اي المومنين وتنذر به قوما لدا اللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة ومنه قوله تعالى الد الخصام وقال الشاعر

• ابيت نجيا للهموم كانني • اخاصم اقواما ذوي جدل لدا •

وقال ابو عبيدة الالد الذي لا يقبل الحق ويدعي الباطل الحسن اللد الصم وقال الربيع صم اذان القلوب مجاهد فجار الضحاك مجادلين في الباطل ابن عباس شدادا في الخصومة وقيل الظالم الذي لا يستقيم والمعنى واحد وخصوا بالانذار لان الذي لا عناد عنده يسهل انقياده قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي من امة وجماعة من الناس يخوف اهل مكة هل تحس منهم من احد في موضع نصب اي هل ترى منهم احدا او تجد او تسمع لهم ركزا اي صوتا عن ابن عباس وغيره اي قد ماتوا وحصلوا على اعمالهم وقيل حسا قاله ابن زيد وقيل الركز ما لا يفهم من صوت او حركة قاله اليزيدي وابو عبيدة كركز الكتيبة وانشد ابو عبيدة بيت لبيد • وتوجست ركز الانيس فراعها • عن ظهر غيب والانيس سقامها • وقيل الصوت الخفي ومنه ركز الرمح اذا غيب طرفه في الارض وقال طرفة •

• وصادقتا سمع التوجس للسرى • لركز خفي او لصوت مندد •

وقال ذو الرمة يصف ثورا تسمع الى صوت صائد وكلاب •

اذا توجس ركزا مقفر ندس • بنباة الصوت ما في سمعه كذب •

اي ما في استماعه كذب والندس الحاذق يقال ندس وندس كما يقال حذر وحذل ويقظ ويقظ والنباة الصوت الخفي وكذلك الركز والركاز المال المدفون

• سورة • طه • مكية •

في قول الجميع نزلت قبل اسلام عمر رضي الله عنه روى الدارقطني في سننه عن انس بن مالك قال خرج عمر متقلدا السيف فقيل له ان ختنك واختك قد صبوا فاتاهما عمر وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب وكانوا يقرون طه فقال اعطوني الكتاب الذي عندكم فاقروه وكان عمر رضي الله عنه يقرا الكتب فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل او توضا فقام عمر فتوضا ثم اخذ الكتاب فقرا طه وذكر ابن اسحاق مطولا وان عمر خرج متوشحا سيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيه نعيم ابن عبد الله فقال اين تريد يا عمر فقال اريد محمدا هذا الصابي الذي فرق امر قريش وسفه احلامها وعاب دينها وسب الهتها فاقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك

يا عمر اترى بني عبد مناف تمشي على الارض وقد قتلت محمدا فلا ترجع الى اهلك فتقيم
امرهم قال واي اهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد ابن زيد واختك فاطمة بنت الخطاب
فقد والله اسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى اخته وختنه
وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب
في مخدع لهم او بعض البيت واخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد
سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهيمنة التي سمعت قالا له
ما سمعت شيئا قال بلى والله لقد اخبرت انكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد
ابن زيد فقامت اليه اخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك
قالت له اخته وختنه نعم قد اسلمنا وامنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك ولما راى عمر
ما باخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال لاخته اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم
تقرؤون انفا انظر ما هذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له اخته انا
نخشاك عليها قال لها لا تخافي وحلف لها بالهته ليردنها اذا قراها فلما قال ذلك طمعت في
اسلامه فقالت له يا اخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا الطاهر فقام عمر فاغتسل
فاعطته الصحيفة وفيها طه فقراها فلما قرا منها صدرا قال ما احسن هذا الكلام واكرمه
فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة
نبيه فاني سمعته امس وهو يقول اللهم ايد الاسلام بابي الحكم ابن هشام او بعمر ابن الخطاب
فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك فدلني يا خباب على محمد حتى اتيه فاسلم وذكر الحديث
مسئلة اسند الدارمي ابو محمد في مسنده عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى قرا طه ويس قبل ان يخلق السموات والارض بالف عام
فلما سمعت الملائكة القران قالت طوبى لامة ينزل عليها هذا وطوبى لاجواف تحمل هذا
وطوبى لالسنة تتكلم بهذا قال ابن فورك معنى قوله ان الله تعالى قرا طه ويس اي
اظهر واسمع وافهم كلامه من اراد من خلقه من الملائكة في ذلك الوقت والعرب
تقول قرات الشيء اذا تتبعته وتقول ما قرات هذه الناقة في رحمها سلا قط اي ما ظهر
فيها ولد فعلى هذا يكون الكلام سابقا وقراءته اسماعه وافهامه بعبارات يخلقها وكتابة
يحدثها وهي معنى قولنا قرانا كلام الله ومعنى قوله فاقرؤوا ما تيسر منه ومن اصحابنا من
قال معنى قوله قرا اي تكلم به وذلك مجاز كقولهم ذقت هذا الامر وذقت بمعنى اختبرته ومنه
قوله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اي ابلاهم الله به فسمي ذلك ذوقا والخوف لا يذاق
على الحقيقة لان الذوق في الحقيقة بالفم دون غيره من الجوارح قال ابن فورك وما قلناه
اولا اصح في تاويل هذا الخبر لان كلام الله تعالى ازلي قديم سابق لجملة الحوادث وانما
اسمع وافهم من اراد من خلقه على ما اراد في الاوقات والازمنة لان عين كلامه يتعلق وجوده
بمدة وزمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طه اختلف العلماء في معناه فقال الصديق رضي الله عنه هو من
الاسرار ذكره الغزنوي ابن عباس معناه يا رجل ذكره البيهقي وقيل انها لغة معروفة
في عكل وقيل في عك قال الكلبي لو قلت في عك لرجل يا رجل لم يجب حتى تقول طه وانشد
الطبري في ذلك
دعوت بطه في القتال فلم يجب * فخفت عليه ان يكون موائلا *
ويروى مزايلا وقال عبد الله بن عمر يا حبيبي بلغة عك ذكره الغزنوي وقال
قطرب هو بلغة طي وانشد ليزيد ابن المهلهل
ان السفاهة طه من شمائلكم * لا بارك الله في القوم الملاعين *
وكذلك قال الحسن معنى طه يا رجل وقاله عكرمة وقال هو بالسريانية كذلك ذكره
المهدوي وحكاه الماوردي عن ابن عباس ايضا ومجاهد وحكى الطبري انه بالنبطية يا رجل
وهذا قول السدي وسعيد ابن جبير وابن عباس ايضا قال
ان السفاهة طه من خلائقكم * لا قدس الله ارواح الملاعين *

وقال

وقال عكرمة ايضا هو كقوله يا رجل بلسان الحبشة ذكره الثعلبي والصحيح انها وان وجدت
في لغة اخرى فانها من لغة العرب كما ذكرنا وانها لغة يمنية في عك وطي وعكل ايضا وقيل
هو اسم من اسماء الله تعالى وقسم اقسم به ايضا مروي عن ابن عباس وقيل هو اسم للنبي
صلى الله عليه وسلم كما سماه محمدا صلى الله عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان فيها
طه ويس وقيل هو اسم للسورة ومفتاح لها وقيل انه اختصار من كلام خص الله تعالى رسوله بعلمه
وقيل انها حروف مقطعة يدل كل حرف منها على معنى واختلف في ذلك فقيل الطا شجرة طوبى والها
النار الهاوية والعرب تعبر عن الشيء كله ببعضه كانه اقسم بالجنة والنار وقال سعيد بن جبير
الطا افتتاح اسمه طاهر وطيب والها افتتاح اسمه هادي وقيل طا يا طامع الشفاعة للامة ها يا هادي
الخلق الى الملة وقيل الطا من الطهارة والها من الهداية كانه يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم يا طاهر
من الذنوب يا هادي الخلق الى علام الغيوب وقيل الطا طول الغزاة والها هيبتهم في قلوب
الكافرين بيانه قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب وقوله وقذف في قلوبهم
الرعب وقيل الطا طرب اهل الجنة والها هوان اهل النار وقول سادس ان معنى طه طوبى
لمن اهتدى قاله محمد ابن علي ابن الحنفية وقول سابع ان معنى طه طا الارض وذلك ان
النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من مشقة الصلاة حتى كادت قدماه تتورم ويحتاج الى
الترويح بين قدميه فقيل له طا الارض اي لا تتعب حتى تحتاج الى الترويح حكاه ابن الانباري
وذكر القاضي عياض في الشفا عنه عن الربيع ابن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طا الارض يا محمد قوله تعالى
ما انزلنا عليك القران لتشقى الزمخشري وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يقوم في تهجده على احدى رجليه فامر بان يطا الارض بقدميه معا وان الاصل
طا الارض فقلبت همزته هاء او قلبت في يطا فيمن قال لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء
للسكت وقال مجاهد كان النبي صلى الله عليه وسلم يربطون الحبال في صدورهم في الصلاة
بالليل من طول القيام ثم نسخ ذلك بالفرض فنزلت هذه الاية وقال الكلبي لما نزل على النبي
صلى الله عليه وسلم الوحي بمكة اجتهد في العبادة واشتدت عبادته فجعل يصلي الليل كله زمانا
حتى نزلت هذه الاية فامره الله ان يخفف عن نفسه فيصلي وينام فنسخت هذه الاية قيام
الليل فكان بعد هذه الاية يصلي وينام وقال مقاتل والضحاك لما نزل القران على النبي صلى
الله عليه وسلم قام هو واصحابه فصلوا فقال كفار قريش ما انزل الله تعالى هذا القران
على محمد الا ليشقى فانزل الله تعالى طه يقول يا رجل ما انزلنا عليك القران لتشقى اي لما يا حي
وعلى هذا القول ان طه طا الارض تكون الهاء والالف ضمير الارض اي طا الارض برجليك في صلاتك
وخففت الهمزة فصارت الفا ساكنة وقرات طائفة طه واصله طا بمعنى طا الارض فحذفت
الهمزة وادخلت هاء السكت وقال زر بن حبيش قرا رجل على عبد الله بن مسعود طه فقال
له عبد الله طه فقال يا ابا عبد الرحمن اليس قد امر ان يطا الارض برجليه او بقدميه فقال
طه كذلك اقرانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واما ابو عمرو وابن ابي اسحاق الها وفتحا الطا
وامالهما جميعا ابو بكر وحمزة والكسائي والاعمش وقراهما ابو جعفر وشيبة ونافع بين اللفظين
واختاره ابو عبيد الباقون بالتفخيم قال الثعلبي وهي كلها لغات صحيحة النحاس لا وجه للامالة
عند اكثر اهل العربية والعلة الاخرى ان الطا من الحروف الموانع كسرة فتكون الامالة والعلة
الاخرى ان الطا من الحروف الموانع للامالة فهاتان علتان بينتان قوله تعالى ما انزلنا عليك
القران وقرئ ما نزل عليك القران لتشقى قال النحاس بعض النحويين يقول هذه لام النفي
وبعضهم يقول لام الجحود قال ابو جعفر وسمعت ابا الحسن ابن كيسان يقول انها لام الخفض والمعنى
ما انزلنا عليك القران للشقاء والشقاء يمد ويقصر وهو من ذوات الواو واصل الشقاء في اللغة العناء
والتعب اي ما انزلنا عليك لتتعب قال * فذو العقل يشقى في النعيم بعقله * واخو الجهالة في الشقاوة
ينعم * فمعنى لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم وتحرقك على ان يؤمنوا كقوله تعالى
فلعلك باخع نفسك اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا محالة بعد ان لم
تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وروي ان ابا جهل ابن هشام والنضر ابن الحرث قالا للنبي

صلى الله عليه وسلم انك شقي لانك تركت دين ابايك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا
القران هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة وهو الشقاوة بعينها
وعلى الاقوال المتقدمة انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسفرت قدماه فقال له جبريل ابق على
نفسك فان لها عليك حقا اي ما انزلناه عليك لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما
بعثت الا بالحنيفية السمحة قوله تعالى الا تذكرة لمن يخشى قال ابو اسحاق الزجاج هو بدل من
تشقى اي ما انزلناه الا تذكرة النحاس وهذا وجه بعيد وانكره ابو علي من اجل التذكرة ليست
بشقا وانما هو منصوب على المصدر اي انزلناه لتذكر به تذكرة اي على المفعول من اجله اي ما
انزلنا عليك القران لتشقى به ما انزلناه الا للتذكرة وقال الحسين ابن الفضل فيه تقديم وتاخير
مجازه ما انزلنا عليك القران الا تذكرة لمن يخشى ولئلا تشقى تنزيلا مصدر اي انزلناه تنزيلا وقيل
بدل من قوله تذكرة وقرا ابو حيوة الشامي تنزيل بالرفع على معنى هذا تنزيل ممن خلق الارض والسموات
العلى اي العالية الرفيعة وهي جمع العليا كقوله كبرى وكبر وصغرى وصغر اخبر عن عظمته وجبروته
وجلاله ثم قال الرحمن على العرش استوى ويجوز النصب على المدح قال ابو اسحاق ويجوز الخفض
على البدل ممن وقال سعيد ابن مسعدة الرفع بمعنى هو الرحمن النحاس يجوز الرفع بالابتدا والخبر
له ما في السموات فلا يوقف على استوى وعلى البدل من المضمر في خلق فيجوز الوقف على استوى وكذا
اذا كان خبر ابتدا محذوف ولا يوقف على العلى وقد تقدم القول في معنى الاستوا في الاعراف
والذي ذهب اليه الشيخ ابو الحسن وغيره انه مستو على عرشه بغير حد ولا تكييف كما يكون استوى
على المخلوقين وقال ابن عباس يريد خلق ما كان وما هو كاين الى يوم القيامة وبعد القيامة له
ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى يريد تحت الصخرة التي لا يعلم ما تحتها الا
الله وقال محمد بن كعب يعني الارض السابعة ابن عباس الارض على نون والنون على البحر وان
طرفي النون راسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضرا خضرة السما منها وهي
التي قال الله تعالى فيها فتكن في صخرة او في السموات او في الارض والصخرة على قرن ثور
والثور على الثرى ولا يعلم ما تحت الثرى الا الله عز وجل وقال وهب ابن منبه على وجه الارض
سبعة ابحر والارض سبعة بين كل ارضين بحر فالبحر الاسفل مطبق على شفير جهنم ولا عظمة
وكثرة مايه وبرده لاحرقت جهنم كل ما عليها قال وجهنم على متن الريح ومتن الريح على حجاب من
الظلام لا يعلم غلظه الا الله عز وجل وذلك الحجاب على الثرى والى الثرى انتهى علم الخلايق قوله
تعالى وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى قال ابن عباس السر ما حدث به الانسان غيره في
خفا واخفى منه ما اضمر في نفسه ما لم يحدث به غيره وعنه ايضا السر حديث نفسك واخفى
من السر ما ستحدث به نفسك مما لم يكن وهو كاين انت تعلم ما اسررت اليوم وما تسر غدا والمعنى
الله يعلم السر واخفى من السر وقال ابن عباس ايضا السر ما اسر ابن ادم في نفسه واخفى ما خفي
على ابن ادم مما هو فاعله وهو لا يعلمه فالله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل
علم واحد وجميع الخلايق في علمه كنفس واحدة وقال قتادة وغيره السر ما اضمر احد وقال
ابن زيد السر سر الخلايق واخفى منه سر عز وجل وانكر ذلك الطبري وقال ان الذي هو اخفى
ما ليس في سر الانسان وسيكون في نفسه كما قال ابن عباس الله لا اله الا هو له الاسما الحسنى
الله رفع بالابتدا او على اضمار مبتدا او على البدل من الضمير في يعلم وحد نفسه سبحانه وذلك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا المشركين الى عبادة الله وحده لا شريك له فكبر ذلك
عليهم فلما سمعه ابو جهل يذكر الرحمن قال للوليد ابن المغيرة محمد ينهانا ان ندعو مع الله الها
اخر وهو يدعو الرحمن فانزل الله تعالى الرحمن على العرش استوى وانزل قل ادعوا الله او
ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسما الحسنى وهو واحد واسماه كثيرة ثم قال الله لا اله الا
هو له الاسما الحسنى وقد تقدم التنبيه عليها في سورة الاعراف قوله تعالى وهل اتاك
حديث موسى قال اهل المعاني هو استفهام اثبات وايجاب معناه اليس قد اتاك وقيل
معناه وقد اتاك قاله ابن عباس وقال الكلبي لم يكن اتاه حديثه بعد ثم اخبره اذ راى نارا
فقال لاهله امكثوا اني انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى قال ابن
عباس وغيره هذا حين مضى الاجل وسار باهله وهو مقبل من مدين يريد مصر وكان قد

اخطا

اخطا الطريق وكان موسى رجلا غيورا يصحب الناس بالليل ويفارقهم بالنهار غيرة منه لئلا
يروا امراته فاخطا الرفقة لما سبق في علم الله وكانت ليلة مظلمة وقال مقاتل وكانت ليلة الجمعة
في الشتا وهب ابن منبه استاذن موسى شعيبا في الرجوع الى والدته فاذن فخرج باهله وغنمه
فولد له في الطريق غلام في ليلة شاتية باردة مثلجة وقد حاد عن الطريق وتفرقت ماشيته
فقدح موسى النار فلم تور المقدحة شيا اذ بصر بنار من بعيد على يسار الطريق فقال لاهله امكثوا
اي اقيموا بمكانكم اني انست نارا اي ابصرت قال ابن عباس فلما توجه نحو النار فاذا النار في شجرة
عناب فوقف متعجبا من حسن ضوء ذلك النار وشدة خضرة تلك الشجرة فلا شدة حر النار تغير
حسن خضرة الشجرة ولا كثرة ما الشجرة ولا نعمة الخضرة تغير حسن ضوء النار وذكر المهدوي فراى النار
فيما روي وهي في شجرة من العليق فقصدها فتاخرت عنه فرجع واوجس في نفسه خيفة ثم
دنت منه وكلمه الله عز وجل من الشجرة الماوردي كانت عند موسى نارا وكانت عند الله نورا وقرا
حمزة لاهله امكثوا بضم الها وكذا في القصص قال النحاس وهو على لغة من قال مررت بهو
يا رجل فجا به على الاصل وهو جايز الا ان حمزة خالف اصله في هذين الموضعين خاصة وقال
امكثوا ولم يقل اقيموا لان الاقامة تقتضي الدوام والمكث ليس كذلك وانست ابصرت قاله ابن
الاعرابي ومنه قوله فان انستم منهم رشدا اي علمتم وانستم الصوت سمعته والقبس شعلة من نار
وكذا المقباس يقال قبست منه نارا اقتبس قبسا فاقبسني اي اعطاني منه قبسا وكذا اقتبست
منه نارا واقتبست منه علما ايضا اي استفدته قال اليزيدي اقبست الرجل علما وقبسته نارا فان
كنت طلبتها له قلت اقبسته وقال الكسائي اقبسته نارا وعلما سوا قال وقبسته ايضا فيهما هدى اي
هاديا قوله تعالى فلما اتاها يعني النار نودي اي من الشجرة كما في سورة القصص اي من جهتها
وناحيتها على ما ياتي يا موسى اني انا ربك قوله تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس طوى فيه
خمس مسايل الاولى قوله تعالى فاخلع نعليك روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان على موسى يوم كلمه ربه كسا صوف وجبة صوف وكمة صوف وسراويل
صوف وكانت نعلاه من جلد حمار ميت قال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث حميد الاعرج
منكر الحديث وحميد بن قيس الاعرج المكي صاحب مجاهد ثقة والكمة القلنسوة الصغيرة وقرا
العامة اني بالكسر اي نودي فقيل له يا موسى اني واختاره ابو عبيد وقرا ابو عمرو وابن كثير وابن
محيصن وحميد اني بفتح الالف باعمال النداء واختلف العلما في السبب الذي من اجله امر بخلع
النعلين والخلع النزع والنعل ما جعلته وقاية لقدميك من الارض فقيل امر بطرح النعلين لانها
نجسة اذ هي من جلد غير ذكي قاله كعب وعكرمة وقتادة وقيل امر بذلك لينال بركة الوادي المقدس
وتمس قدماه تربة الوادي قاله علي بن ابي طالب والحسن وابن جريج وقيل امر بخلع النعلين للخشوع
والتواضع عند مناجاة الله عز وجل وقيل اعظاما لذلك الموضع كما ان الحرم لا يدخل بنعلين اعظاما
قال سعيد ابن جبير قيل له طا الارض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا وكذلك فعل السلف حين
طافوا بالبيت والعرف عند الملوك ان تخلع النعال ويبلغ الانسان الى غاية التواضع فكان موسى
عليه السلام امر بذلك على هذا الوجه ولا يبالي كانت نعلاه من ميتة او غيرها وقد كان مالك لا يرى
لنفسه ركوب دابة بالمدينة برا بتربتها المحتوية على الاعظم الشريفة والجثة الكريمة ومن هذا
المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لبشير ابن الخصاصية وهو يمشي بين القبور بنعليه اذا كنت في
مثل هذا المكان فاخلع نعليك قال فخلعتهما وقول خامس ان ذلك عبارة عن تفريغ قلبه من
امر الاهل والولد وقد يعبر عن الاهل بالنعل وكذلك هو في التعبير من راى انه لابس نعلين فانه
يتزوج وقيل لان الله بسط له بساط النور والهدى ولا ينبغي ان يطا على بساط رب العالمين بنعله
وقد يحتمل ان يكون موسى امر بخلع نعليه وكان ذلك اول فرض عليه كما كان اول ما قيل لمحمد
صلى الله عليه وسلم قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر والله اعلم بالمراد من ذلك
الثانية في الخبر ان موسى عليه السلام خلع نعليه والقاهما من وراء الوادي وقال ابو الاحوص
زار عبد الله ابا موسى في داره فاقيمت الصلاة فقال ابو موسى لعبد الله تقدم فقال له عبد
الله تقدم انت في دارك فتقدم ونزع نعليه فقال عبد الله ابالواد المقدس انت وفي صحيح
مسلم عن سعيد ابن يزيد قال قلت لانس اكان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي في نعلين قال

ثم ورواه النسائي عن عبد الله ابن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم الفتح
موضع نعليه عن يساره وروي ابو داود من حديث ابي سعيد الخدري قال بينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم يصلي باصحابه اذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره فلما راي ذلك القوم خلعوا نعالهم
فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته قال ما حملكم على القائكم نعالكم قالوا رايناك القيت
نعليك فالقينا نعالنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان جبريل اتاني فاخبرني ان فيهما
قذرا وقال اذا جا احدكم المسجد فلينظر فان راي في نعليه قذرا او اذى فليمسحه وليصل فيهما
صححه ابو محمد عبد الحق وهو يجمع بين الحديثين قبله ويرفع بينهما التعارض ولم يختلف العلما
في جواز الصلاة في النعال اذا كانت طاهرة من ذكي حتى لقد قال بعض العلما ان الصلاة فيها
افضل وهو معنى قوله تعالى خذوا زينتكم عند كل مسجد على ما تقدم وقال ابراهيم النخعي
في الذين يخلعون نعالهم لوددت ان محتاجا جا فاخذها الثالثة فان خلعتهما بين رجليك
فان ابا هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى احدكم فليجعل نعليه بين رجليه
وقال ابو هريرة للمقبري اخلعهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما وما رواه عبد الله ابن السايب
انه عليه السلام خلعهما عن يساره فانه كان اماما او وحدك فافعل ذلك ان احببت وان كنت ماموما
في الصف فلا تؤذ بهما من على يسارك ولا تضعهما بين قدميك فتشغلاك ولكن قدام قدميك
وروي عن جبير ابن مطعم انه قال وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة الرابعة فان تحقق فيهما
نجاسة يجمع على تنجيسها كالدم والعذرة من بول بني ادم لم يطهرها الا الغسل بالماء عند مالك
والشافعي واكثر العلما وان كانت النجاسة مختلفا فيها كبول الدواب وارواثها الرطبة فهل
يطهرها المسح بالتراب من النعل والخف اولا قولان عندنا واطلق الاجزا بمسح ذلك بالتراب
من غير تفصيل الاوزاعي وابو ثور وقال ابو حنيفة يزيله اذا يبس الحك والفرك ولا يزيل رطبه
الا الغسل ما عدا البول فلا يجزي عنده فيه الا الغسل وقال الشافعي لا يطهر شيا من ذلك
كله الا الما والصحيح قول من قال بان المسح يطهره من الخف والنعل لحديث ابي سعيد فاما لو
كانت النعل والخف من جلد ميتة فان كان غير مدبوغ فهو نجس باتفاق ما عدا ما ذهب
اليه الزهري والليث على ما تقدم بيانه في سورة النحل ومضى في سورة براة القول في ازالة
النجاسة والحمد لله الخامسة قوله تعالى انك بالواد المقدس طوى المقدس المطهر والمقدس
الطهارة والارض المقدسة اي المطهرة سميت بذلك لان الله اخرج منها الكافرين وعمرها بالمومنين
وقد جعل الله تعالى لبعض الاماكن زيادة فضل على فضل كما قد جعل لبعض الازمان زيادة
فضل بعض على بعض ولبعض الحيوان كذلك ولله ان يفضل ما شا وعلى هذا فلا اعتبار بكونه
مقدسا باخراج المشركين واسكان المومنين فقد شاركه في ذلك غيره وطوى اسم الوادي عن
ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقال الضحاك هو واد عميق مستدير مثل الطوي وقرا عكرمة
طوى الباقون طوى قال الجوهري وطوى اسم موضع بالشام تكسر طاوه وتضم يصرف ولا يصرف
فمن صرفه جعله اسم واد ومكان وجعله نكرة ومن لم يصرفه جعله بلدة وبقعة وجعله معرفة
وقال بعضهم طوى مثل طوي وهو الشي المثنى وقالوا في قوله المقدس طوى طوى مرتين
اي قدس وقال الحسن ثنيت فيه البركة والتقديس مرتين وذكر المهدوي عن ابن عباس
انه قيل له طوى لان موسى طواه بالليل اذ مر به فارتفع الى اعلى الوادي فهو مصدر عمل
فيه ما ليس من لفظه فكانه قال انك بالواد المقدس الذي طويته طوى اي تجاوزته وطويته
بسيرك الحسن معناه انه قدس مرتين فهو مصدر من طويته طوى ايضا قوله تعالى وانا
اخترتك اي اصطفيتك للرسالة وقرا اهل المدينة وابو عمرو وعاصم والكسائي وانا اخترتك
وقرا حمزة وانا اخترناك والمعنى واحد الا ان وانا اخترتك هاهنا اولى من جهتين احداهما
انها اشبه بالخط والثانية انها اولى بنسق الكلام لقوله جل وعز يا موسى اني انا ربك وعلى
هذا النسق جرت المخاطبة قاله النحاس قوله تعالى فاستمع لما يوحى فيه مسالة واحدة
قال ابن عطية وحدثني ابي رحمه الله قال كنت سمعت ابا الفضل الجوهري رحمه الله يقول
لما قيل لموسى صلوات الله عليه استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه
على شماله والقى ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا قلت حسن الاستماع

كما يجب وقد مدح الله عليه فقال الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم الله
وذم على خلاف هذا الوصف فقال نحن اعلم بما يستمعون به الاية فمدح المنصت لاستماع كلامه مع
حضور العقل وامر عباده بذلك ادبا لهم فقال واذا قرئ القران فاستمعوا له وانصتوا وقال
هاهنا فاستمع لما يوحى لان بذلك ينال الفهم عن الله تعالى روي عن وهب ابن منبه انه قال من
ادب الاستماع سكون الجوارح وغض البصر والاصغا بالسمع وحضور العقل والعزم على العمل وذلك
هو الاستماع كما يحب الله تعالى وهو ان يكف العبد جوارحه ولا يشغلها فيشتغل قلبه عما يسمع
ويغض طرفه فلا يلهو قلبه بما يرى ويحصر عقله فلا يحدث نفسه بشي سوى ما يستمع اليه
ويعزم على ان يفهم فيعمل بما يفهم وقال سفيان ابن عيينة اول العلم الاستماع ثم الفهم ثم
الحفظ ثم العمل ثم النشر فاذا استمع العبد الى كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه السلام بنية
صادقة على ما يحب الله افهمه الله كما يحب وجعل له في قلبه نورا قوله تعالى انني انا الله لا اله
الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري فيه سبع مسائل الاولى اختلف في تاويل قوله لذكري
فقيل يحتمل ان يريد لتذكرني فيها او يريد لاذكرك بالمدح في عليين بها فالمصدر على هذا
يحتمل الاضافة الى الفاعل والى المفعول وقيل المعنى اي حافظ بعد التوحيد على الصلاة وهذا
تنبيه على عظم قدر الصلاة اذ هي تضرع الى الله وقيام بين يديه وعلى هذا فالصلاة هي
الذكر وقد سمى الله الصلاة ذكرا في قوله فاسعوا الى ذكر الله وقيل المراد اذا نسيت فتذكرت
فصل كما في الخبر فليصلها اذا ذكرها اي لا تسقط الصلاة بالنسيان الثانية روى مالك وغيره ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها فان الله عز وجل يقول
اقم الصلاة لذكري وروى ابو محمد عبد الغني بن سعيد من حديث ابي الحجاج وهو حجاج الاول
الذي روى عنه يزيد ابن زريع قال حدثنا قتادة عن انس ابن مالك قال سئل رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الرجل يرقد عن الصلاة ويغفل عنها قال كفارتها ان يصليها اذا ذكرها تابعه ابراهيم
ابن طهمان عن حجاج وكذا يرويه همام ابن يحيى عن قتادة روى الدارقطني عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ومن نسي صلاة فوقتها اذا ذكرها فقوله فليصليها اذا ذكرها دليل على وجوب
القضا على النايم والغافل كثرت الصلاة او قلت وهو مذهب عامة العلما وقد حكي خلاف شاذ
لا يعتد به لانه مخالف لنص الحديث عن بعض الناس فيما زاد على خمس صلوات انه لا يلزمه
قضا قلت امر الله تعالى باقامة الصلاة ونص على اوقاتها معينة فقال اقم الصلاة لدلوك
الشمس الاية وغيرها من الاي ومن قام بالليل ما امر بقيامه بالنهار او بالعكس لم يكن فعله مطابقا
لما امر به ولا ثواب له على فعله وهو عاص وعلى هذا الحد كان لا يجب عليه قضا ما فات وقته ولولا
قوله صلى الله عليه وسلم من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا ذكرها لم ينتفع احد بصلاة وقعت
في غير وقتها وبهذا الاعتبار كانت قضا لا اداء لان القضا بامر متجدد وليس بالامر الاول الثالثة فاما
من ترك الصلاة متعمدا فالجمهور ايضا على وجوب القضا عليه وان كان عاصيا الا داود ووافقه
ابو عبد الرحمن الاشعري الشافعي حكاه عنه ابن القصار والفرق بين المتعمد والناسي والنايم
حط الماثم فالمتعمد ماثوم وجميعهم قاضون والحجة للجمهور قوله تعالى اقيموا الصلاة ولم يفرق
من ان يكون في وقتها او بعده وهذا امر يقتضي الوجوب وايضا فقد ثبت الامر بقضا الناسي
والنايم مع انهما غير ماثومين فالعامد اولى وايضا قوله من نام عن صلاة او نسيها والنسيان الترك
قال الله تعالى نسوا الله فنسيهم ونسوا الله فانساهم انفسهم سوا كان مع ذهول او لم يكن
لان الله تعالى لا ينسى وانما معناه تركهم وقال ما ننسخ من اية او ننسها اي نتركها وكذلك الذكر
يكون بعد نسيان وبعد غيره قال الله تعالى من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وهو تعالى
لا ينسى فيكون ذكره بعد نسيان وانما معناه علمت فكذلك يكون معنى قوله اذا ذكرها اي علمها
وايضا فان الديون التي للادميين اذا كانت متعلقة بوقت ثم جاز الوقت لم يسقط قضاوها
بعد وجوبها وهي مما يسقطها الابرا كان في ديون الله ان لا يصح فيها الابرا اولى ان لا يسقط
قضاوها الا باذن منه وايضا فقد اتفقنا انه لو ترك يوما من رمضان متعمدا بغير عذر لوجب
قضاوه فكذلك الصلاة فان قيل فقد روي عن مالك من ترك الصلاة متعمدا لا يقضي ابدا
فالاشارة الى ان ما مضى لا يعود او يكون كلاما خرج على التغليظ كما روي عن ابن مسعود وعلي

ان من افطر يوما في رمضان عامدا لم يكفره صيام الدهر وان صامه ومع هذا فلا بد من توفية
التكليف حقه باقامة القضا مقام الادا واتباعه بالتوبة ويفعل الله بعد ذلك ما يشا وقد
روى ابو المطوس عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من افطر
يوما من رمضان متعمدا لم يجزه صيام الدهر وان صامه وهذا يحتمل ان لو صح كان معناه التغليظ
وهو حديث ضعيف خرجه ابو داود وقد جات الكفارة باسانيد صحاح وفي بعضها قضا اليوم
والحمد لله الرابعة قوله عليه السلام من نام عن صلاة او نسيها الحديث يخص عموم قوله عليه السلام
رفع القلم عن ثلاثة عن النايم حتى يستيقظ والمراد بالرفع هنا رفع الماثم لا رفع الفرض عنه
وليس هذا من باب قوله وعن الصبي حتى يحتلم وان كان ذلك جا في اثر واحد فقف على هذا
الاصل الخامسة اختلف العلما في هذا المعنى فيمن ذكر صلاة فايتة وهو في اخر وقت
صلاة او ذكر صلاة وهو في صلاة بجمله فذهب مالك ان من ذكر صلاة وقد حضر وقت صلاة
اخرى بدا بالتي نسي اذا كان خمس صلوات فادنى وان فات وقت هذه وان كان اكثر من
ذلك بدا بالتي حضر وقتها وعلى نحو هذا مذهب ابي حنيفة والثوري والليث الا ان ابا
حنيفة واصحابه قالوا الترتيب عندنا واجب في اليوم والليلة اذا كان في الوقت سعة
للفايتة ولصلاة الوقت فان خشي فوات الوقت بدا بها فان زاد على صلاة يوم وليلة
لم يجب الترتيب عندهم وقد روي عن الثوري وجوب الترتيب ولم يفرق بين القليل والكثير
وهو تحصيل مذهب الشافعي قال الشافعي الاختيار ان يبدا بالفايتة ما لم يخف فوات
هذه فان لم يفعل وبدا بصلاة الوقت اجزاه وذكر الاثرم ان الترتيب عند احمد واجب
في صلاة ستين سنة واكثر وقال لا ينبغي لاحد ان يصلي صلاة وهو ذاكر لما قبلها لانها
تفسد عليه وروى الدارقطني عن عبد الله ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا نسي احدكم صلاة وهو في صلاة مكتوبة فليبدا بالتي هو فيها فاذا فرغ منها
صلى التي نسي عمر ابن ابي عمر مجهول قلت وهذا لو صح كان حجة للشافعي في البداية بصلاة
الوقت وانما الصحيح ما رواه الصحيح عن جابر ابن عبد الله ان عمر ابن الخطاب يوم الخندق
جعل يسب كفار قريش وقال يا رسول الله والله ما كدت ان اصلي العصر حتى كادت الشمس
ان تغرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله ان صليتها فنزلنا الى بطحان فتوضا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوضانا فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر
بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب وهذا نص في البداية بالفايتة قبل الحاضرة
لا سيما والمغرب وقتها واحد مضيق غير ممتد في المشهور عندنا وعند الشافعي كما تقدم
وقد روى الترمذي عن ابي عبيدة ابن عبد الله بن مسعود عن ابيه ان المشركين شغلوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اربع صلوات يوم الخندق حتى ذهب من الليل ما شا
الله فامر بلالا فاذن ثم اقام فصلى الظهر ثم اقام فصلى العصر ثم اقام فصلى المغرب
ثم اقام فصلى العشا وبهذا استدل العلما على ان من فاتته صلوات قضاها مرتبة كما
فاتته اذا ذكرها في وقت واحد واختلفوا اذا ذكر فايتة في ضيق وقت حاضرة على
ثلاثة اقوال يبدا بالفايتة وان خرج وقت الحاضرة وبه قال مالك والليث والزهري
وغيرهم كما قدمناه الثاني يبدا بالحاضرة وبه قال الحسن والشافعي وفقها اصحاب
الحديث والمحاسبي وابن وهب من اصحابنا الثالث يتخير فيقدم ايهما شا وبه
قال اشهب وجه الاول تكثر الصلوات ولا خلاف انه يبدا بالحاضرة مع الكثير قاله
القاضي عياض واختلفوا في مقدار اليسير فعن مالك الخمس فدون وقد قيل الاربع
فدون لحديث جابر ولم يختلف المذهب ان الست كثير السادسة واما من ذكر صلاة
وهو في صلاة فان كانت وراء الامام فكل من قال بوجوب الترتيب ولم يقل به يقول
يتمادى مع الامام حتى تكمل صلاته والاصل في هذا ما رواه مالك والدارقطني عن ابن
عمر قال اذا نسي احدكم صلاة فلم يذكرها الا وهو مع الامام فليصل مع الامام فاذا فرغ
من صلاته فليصل التي نسي ثم ليعد صلاته التي صلى مع الامام لفظ الدارقطني
وقال قال موسى ورواه ابو ابراهيم الترجماني قال نا سعيد ورفعه الى النبي صلى الله

علم

عليه وسلم ووهم في رفعه فان كان عمر قد رجع عن رفعه فقد وفق للصواب ثم اختلفوا فقال
ابو حنيفة واحمد ابن حنبل يصلي التي ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون بينهما اكثر من
خمس صلوات على ما قدمنا ذكره عن الكوفيين وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك المدنيين
وذكر الخرقي عن احمد ابن حنبل يصلي التي ذكر ثم يصلي التي صلى مع الامام الا ان يكون بينهما
اكثر من خمس صلوات على ما قدمنا ذكره عن الكوفيين وهو مذهب جماعة من اصحاب مالك
انه قال من ذكر صلاة وهو في اخرى انه يتمها ويقضي المذكورة واعاد التي كان فيها اذا كان الوقت
متسع فان خشي خروج الوقت وهو فيها اعتقد الا يعيدها وقد اجزته ويقضي التي عليه وقال
مالك من ذكر صلاة وهو في صلاة قد صلى منها ركعتين سلم من ركعتيه فان كان اماما انهدمت
عليه وعلى من خلفه وبطلت هذا الظاهر من مذهب مالك وليس عند اهل النظر من
اصحابه كذلك لان قوله فيمن ذكر صلاة في صلاة قد صلى منها ركعة ان يضيف اليها اخرى
ويسلم ولو ذكرها في صلاة قد صلى منها ثلاث ركعات اضاف اليها رابعة وسلم وصارت
نافلة غير فاسدة ولو انهدمت عليه كما ذكر وبطلت لم يومر ان يضيف اليها اخرى كما لو احدث
بعد ركعة لم يضف اليها اخرى السابعة روى مسلم عن ابي قتادة قال خطبنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حديث الميضاة بطوله وقال فيه ثم قال اما لكم في اسوة ثم قال اما انه
ليس في النوم تفريط انما التفريط على من لم يصل الصلاة حتى يجي وقت الصلاة الاخرى فمن
فعل ذلك فليصلها حين ينتبه لها فاذا كان الغد فليصلها عند وقتها واخرجه الدارقطني
هكذا بلفظ مسلم سوا وظاهره يقتضي اعادة المقضية مرتين عند ذكرها وحضور مثلها من
الوقت الاتي ويعضد هذا الظاهر ما خرجه ابو داود من حديث عمران ابن حصين قال
سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة او قال في سرية فلما كان السحر عرسنا
فما استيقظنا حتى ايقظنا حر الشمس فجعل الرجل منا يثب فزعا دهشا فلما استيقظ رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرنا فارتحلنا ثم سرنا حتى ارتفعت الشمس ثم قضى القوم حوايجهم
ثم امر بلالا فاذن فصلينا ركعتين ثم امره فاقام فصلينا الغداة فقلنا يا نبي الله الا نقضيها
لوقتها من الغد فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اينهاكم الله عن الربا ويأخذه منكم ولان
الطرق الصحاح من حديث عمران ابن حصين ليس فيها من تلك الزيادة شي الا ما ذكر في
حديث ابي قتادة وهو محتمل كما بيناه قلت ذكر الكيا الطبري في احكام القران له ان من
السلف من خالف قوله عليه السلام من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها لا كفارة لها الا ذلك فقال
يصبر الى مثل وقته فيصلي اذا فاته الصبح يصلي من الغد وهذا قول بعيد شاذ قوله
تعالى ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى اية مشكلة فروي عن سعيد بن جبير انه قرا
اكاد اخفيها بفتح الهمزة قال ومعناه اظهرها لتجزى اي الاظهار والحز رواه ابو عبيد عن الكسائي
عن محمد ابن سهل عن ورقا ابن اياس عن سعيد ابن جبير قال النحاس وليس لهذه الرواية
طريق غير هذا قلت وهكذا رواه ابو بكر الانباري في كتاب الرد حدثني ابي نا محمد بن الجهم
نا الفرا نا الكسائي ح ونا عبد الله ابن ناجيه نا يوسف نا يحيى الحماني نا محمد بن سهل قال
النحاس واجود من هذا الاسناد ما رواه يحيى القطان عن الثوري عن عطا ابن السايب عن
سعيد ابن جبير انه قرا اخفيها بضم الهمزة قلت واما قراة ابن جبير اخفيها بفتح الالف بالاسناد
المذكور فقال ابو بكر الانباري قال الفرا معناه اظهرها من خفيت الشي اذا اظهرته اخفيه
وانشد الفرا لامري القيس • فان تدفنوا الدا لا نخفه • وان تبعثوا الحرب لا نقعد •
اراد لا نظهره وقد قال بعض اللغويين يجوز ان يكون اخفيها بضم الالف معناه اظهرها لانه
يقال خفيت الشي واخفيته اذا اظهرته فاخفيته من حروف الاضداد يقع على الستر والاظهار
وقال ابو عبيدة خفيت واخفيت بمعنى واحد النحاس وهذا حسن وقد حكاه عن ابي
الخطاب وهو رييس من روسا اللغة لا يشك في صدقه وقد روي عن سيبويه وانشد
ان تكتموا الدا لا نخفه البيت كذا رواه ابو عبيدة عن ابي الخطاب بضم النون وقال امرو
القيس ايضا • خفاهن من انفاقهن كانما • خفاهن ودق من عشي مجلب •
قال ابو بكر الانباري وتفسير للاية اخرى ان الساعة اتية اكاد انقطع الكلام عند اكاد وبعده

مضمر اكاد اتي بها والابتدا اخفيها لتجزي كل نفس قال ضابي البرجمي

◦ هممت ولم افعل وكدت وليتني ◦ تركت على عثمان تبكي حلائله ◦

اراد وكدت افعل فاضمر مع كدت فعلا كالفعل المضمر معه في القرآن قلت هذا الذي اختاره النحاس وزيف القول الذي قبله فقال يقال خفى الشي يخفيه اذا اظهره وقد حكى انه يقال اخفاه ايضا اذا ستره وليس بالمعروف قال وقد رايت علي ابن سليمان لما اشكل عليه معنى اخفيها عدل الى هذا القول وقال معناه لمعنى اخفيها قال النحاس ليس المعنى على اظهرها ولاسيما واخفيها قراة شاذة فكيف ترد القراة الصحيحة الشايعة الى الشاذة ومعنى المضمر اولى ويكون التقدير ان الساعة اتية اكاد اتي بها ووقع الكلام على ان بها ثم قال اخفيها على الابتداء وهو معنى صحيح لان الله عز وجل قد اخفى الساعة التي هي القيامة والساعة التي يموت فيها الانسان ليكون الانسان يعمل والامر عنده مبهم ولا يوخر التوبة قلت وعلى هذا القول تكون اللام في لتجزي متعلقة باخفيها وقال ابو علي هذا من باب السلب وليس من الاضداد ومعنى اخفيها ازيل عنها خفاها وهو سترها كخفا القربة واذا ازال عنها سترها ظهرت ومن هذا قولهم اشكيته اي ازلت شكواه واعربته اي قبلت استعداه ولم احوجه الى معاودته وحكى ابو حاتم عن الاخفش ان كاد زايدة موكدة قال ومثله اذا اخرج يده لم يكد يراها لان الظلمات التي ذكرها الله تعالى بعضها يحول بين الناظر والمنظور اليه وروي معناه عن ابن جبير والتقدير ان الساعة اتية اخفيها لتجزي كل نفس بما تسعى وقال الشاعر

◦ سريع الى الهيجا شاك سلاحه ◦ فما ان يكاد قرنه يتنفس ◦

اراد فما يتنفس وقال اخر ◦ وان لا الوم النفس فيما اصابني ◦ وان لا اكاد بالذي نلت انجح ◦

معناه وان انجح بالذي نلت فاكاد توكيد للكلام وقيل المعنى اكاد اخفيها اي اقارب ذلك لانك اذا قلت كاد زيد يقوم جاز ان يكون قام وان يكون لم يقم ودل على انه قد اخفاها بدلالة غير هذه على هذا الجواب قال اللغويون كدت افعل معناه عند العرب قاربت الفعل ولم افعل وما كدت افعل معناه فعلته بعد ابطا وشاهده قول الله عزت عظمته فذبحوها وما كادوا يفعلون معناه وفعلوا بعد ابطا لتعذر وجدان البقرة عليهم وقد يكون ما كدت افعل بمعنى ما فعلت ولا قاربت اذا اكد الكلام باكاد وقيل معنى اكاد اخفيها اريد اخفيها قال الانباري وشاهد هذا قول الفصيح من الشعرا

◦ كادت وكدت وتلك خير ارادة ◦ لو عاد من لهو الصبابة ما مضى ◦

معناه ارادت واردت وقال ابن عباس واكثر المفسرين فيما ذكر الثعلبي ان المعنى اكاد اخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف ابي وفي مصحف ابن مسعود اكاد اخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض القراات فكيف اظهرها لكم وهذا محمول على انه جا على ما جرت به عادة العرب في كلامها من ان احدهم اذا بالغ في كتمان الشي قال كدت اخفيه من نفسي والله تعالى لا يخفى عليه شي قال معناه قطرب وغيره وقال الشاعر

◦ ايام تصحبني هند واخبرها ◦ ما اكتم النفس من حاجي واسراري ◦

فكيف يخبرها بما يكتم نفسه ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه الزمخشري وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها قلت وقد قيل ان معنى قول من قال اكاد اخفيها من نفسي اي ان اخفاها كان من قبلي ومن عندي لا من قبل غيري وروي عن ابن عباس ايضا اكاد اخفيها في نفسي رواه طلحة ابن عمرو عن عطا وروى علي ابن ابي طالب عن ابن عباس قال لا اظهر عليها احدا وروي عن سعيد ابن جبير قال قد اخفاها وهذا على ان كاد زايدة اي ان الساعة اتية اخفيها والفايدة في اخفايها التخويف والتهويل وقيل تعلق لتجزي بقوله تعالى واقم الصلاة فيكون في الكلام تقديم وتاخير اي اقم الصلاة لتذكرني لتجزي كل نفس بما تسعى اي بسعيها ان الساعة اتية اكاد اخفيها والله اعلم وقيل هي متعلقة باتية اي الساعة

اتية لتجزي فلا يصدنك عنها اي لا يصرفنك عن الايمان بها والتصديق لها من لا يومن بها واتبع هواه فتردى اي فتهلك وهو في موضع نصب بجواب النهي قوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وما تلك بيمينك قيل كان هذا الخطاب من الله تعالى لموسى وحيا لانه قال فاستمع لما يوحى ولا بد للنبي في نفسه من معجزة يعلم بها صحة نبوته نفسه فاراه في العصا وفي نفسه ما اراه لذلك ويجوز ان يكون ما اراه في الشجرة اية كافية له في نفسه ثم يكون اليد والعصا زيادة توكيد وبرهانا يلقى به قومه واختلف في قوله في تلك في قوله وما تلك قال الزجاج والفرا هي اسم ناقص وصلت بيمينك اي ما التي بيمينك وقال الفرا ايضا تلك بمعنى هذه ولو قال ما ذلك لجاز اي ما ذلك الشي ومقصود السوال تقرير الامر حتى يقول موسى هي عصاي لتثبت الحجة عليه بعد ما اعترف والا فقد علم الله ما هي في الازل قال ابن الجوهري وفي بعض الاثار ان الله تعالى عتب على موسى اضافة العصا الى نفسه في ذلك الموطن فقيل له القها لترى منها العجب فتعلم انه لا ملك لك عليها ولا تنضاف اليك وقرا ابن ابي اسحاق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشري ويحيى وقد تقدم وقرا الحسن عصاي بكسر اليا لالتقا الساكنين وهو مثل قراة حمزة وما انتم بمصرخي وعن ابن ابي اسحاق سكون اليا الثانية في هذه الاية دليل على وجوب المسوول باكثر مما سيل لانه لما قال وما تلك بيمينك يا موسى ذكر معاني اربعة وهي اضافة العصي اليه وكان حقه ان يقول عصي والتوكا والهش والمارب المطلقة فذكر موسى من منافع عصاه عظمها وجمهورها واجمل ساير ذلك وفي الحديث سيل النبي صلى الله عليه وسلم عن ما البحر فقال هو الطهور ماوه الحل ميتته وسالته امراة عن الصغير حين رفعته اليه فقالت الهذا حج قال نعم ولك اجر ومثله في الحديث كثير الثالثة قوله تعالى اتوكا عليها اي اتحامل عليها في المشي والوقوف ومنه الاتكا واهش بها ايضا ذكره النحاس وهي قراة النخعي اي اخبط بها الورق اي اضرب اغصان الشجر ليسقط ورقها فيسهل على غنمي تناوله فتاكله قال الراجز ◦ اهش بالعصا على اغنامي ◦ من ناعم الاراك والبشام ◦ يقال هش على غنمه يهش بضم الها في المستقبل وهش الى الرجل يهش بالفتح وكذلك هش للمعروف يهش وهششت انا وفي حديث عمر هششت يوما فقبلت وانا صايم قال شمر اي فرحت واشتهيت قال ويجوز هاش بمعنى هش قال الراعي ◦

◦ فكبر للرويا وهاش فواده ◦ وبشر نفسا كان قبل يلومها ◦

اي طرب والاصل في الكلمة الرخاوة يقال رجل هش وزوج هش وقرا عكرمة واهس بالسين غير معجمة قيل هما لغتان بمعنى واحد وقيل معناهما مختلف فالهش بالاعجام خبط الشجر والهس بغير اعجام زجر الغنم ذكره الماوردي وكذلك ذكر الزمخشري وعن عكرمة واهس بالسين اي انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم الرابعة قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى اي حوايج واحدها ماربة ومأربة ومأربة وقال اخرى على صيغة الواحد لان مارب في معنى جماعة لكن المهيع في توابع جمع ما لا يعقل الافراد والكناية عنه بذلك فان ذلك يجري مجرى الواحدة المونثة كقوله ولله الاسما الحسنى وكقوله يا جبال اوبي معه وقد تقدم هذا في الاعراف الخامسة تعرض قوم لمنافع العصا منهم ابن عباس قال اذا انتهيت الى راس بير فقصر الرشا وصلته بالعصا واذا اصابني حر الشمس غرزتها في الارض والقيت عليها ما يظلني واذا خفت شيا من هوام الارض قتلته بها واذا امشيت القيتها على عاتقي وعلقت عليها القوس والكنانة والمخلاة واقاتل بها السباع عن الغنم وروي عن ميمون ابن مهران قال امساك العصا سنة للانبيا وعلامة للمومن وقال الحسن البصري فيها ست خصال سنة الانبيا وزينة الصلحا وسلاح على الاعدا وعون الضعفا وغم المنافقين وزيادة في الطاعات ويقال اذا كان مع المومن العصا يهرب منه الشيطان ويخشع منه المنافق والفاجر وتكون قبلة اذا صلى وقوة اذا اعيا ولقي الحجاج اعرابيا فقال من اين اقبلت يا اعرابي قال من البادية قال وما في يدك قال عصاي اركزها لصلاتي واعدها لعداتي واسوق بها دابتي واقوى بها على سفري واعتمد بها في مشيي ليتسع خطوي واثب بها على النهر وتومنني العثر والقي عليها كساي فيقيني الحر وتدفيني من القر وتدني الي ما بعد مني وهي محمل سفرتي

وعلاقة واني اعصي بها عند الضراب واقرع بها الابواب واتقي بها عقور الكلاب وتنوب
عن الرمح في الطعان وعن السيف عند منازلة الاقران ورثتها عن ابي واورثها بعدي ابني
واهش بها على غنمي ولي فيها مآرب اخرى كثيرة لا تحصى قلت منافع العصا كثيرة ولها مدخل
في مواضع من الشريعة منها انها تتخذ قبلة في الصحراء وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنزة
تركز له فيصلي اليها وكان اذا خرج يوم العيد امر بالحربة فتوضع بين يديه فيصلي اليها
وذلك ثابت في الصحيح والحربة والعنزة والمركز الالة اسمي لمسمى واحد وكان لهُ محجن وهو
عصا معوجة الطرف يشير به الى الحجر اذا لم يستطع ان يقبله ثابت في الصحيح ايضا وفي الموطا
عن السايب ابن يزيد انه قال امر عمر ابن الخطاب ابي ابن كعب وتميما الداري ان يقوموا
للناس باحدى عشرة ركعة وكان القاري يقرا بالمين حين كنا نعتمد على العصي من طول
القيام وما كنا ننصرف الا في فروع الفجر وفي الصحيحين انه عليه السلام كان له مخصرة
والاجماع منعقد على ان الخطيب يخطب متوكيا على سيف او عصا فالعصا ماخوذة من اصل
كريم ومعدن شريف ولا ينكرها الا جاهل وقد جمع الله لموسى في عصاه من البراهين العظام
والايات الجسام ما امن به السحرة المعاندون واتخذها سليمان لخطبته وموعظته وطول صلاته
وكان ابن مسعود صاحب عصي النبي صلى الله عليه وسلم وعنزته وكان يخطب بالقضيب وكفى
بذلك فضلا على شرف حال العصي وعلى ذلك الخلفا وكبرا الخطبا وعادة العرب العربا الفصحا
اللسن البلغا اخذ المخصرة والعصا والاعتماد عليها عند الكلام وفي المحافل والخطب وانكرت
الشعوبية على خطبا العرب اخذ المخصرة والاشارة بها الى المعاني والشعوبية تبغض العرب
وتفضل العجم قال مالك والرجل اذا كبر لم يكن مثل الشاب يقوى بها عند قيامه قلت وفي
مشيه كما قال بعضهم • قد كنت امشي على رجلين معتمدا • فصرت امشي على اخرى من الخشب •
قال مالك رحمه الله ورضي عنه وقد كان الناس اذا جاءهم المطر خرجوا بالعصي يتوكون
عليها حتى لقد كان الشاب يحبسون عصيهم وربما اخذ ربيعة العصا من بعض من يجلس
اليه حتى يقوم ومن منافع العصا ضرب الرجل نساه بها فيما يصلحهم ويصلح به حاله
وحالهم معه ومنه قوله عليه السلام واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه في احد
التاويلات وقد روي عنه عليه السلام انه قال لرجل اوصاه لا ترفع عصاك عن اهلك
اخفهم في الله رواه عبادة ابن الصامت خرجه النساي ومن هذا المعنى قوله صلى الله
عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وقد تقدم هذا في النساء ومن فوايدها التنبيه
عن الانتقال من هذه الدار كما قيل لبعض الزهاد ما لك تمشي على عصى ولست بكبير ولا
مريض قال اني اعلم اني مسافر وانها دار قلعة وان العصا من الة السفر فاخذه بعض
الشعرا فقال • حملت العصا لا الضعف اوجب حملها • علي ولا اني تحنيت من كبر •
ولكنني الزمت نفسي حملها • لاعلمها ان المقيم على سفر •
قوله تعالى قال القها يا موسى الاية لما اراد الله تعالى ان يدربه في تلقي النبوة وتكاليفها
امره بالقاء العصا فالقاها موسى فقلب الله اوصافها واعراضها وكانت عصا ذات شعبتين
فصار الشعبتان لها فما وصارت حية تسعى ان تنتقل وتمشي وتلتقم الحجارة فلما راها موسى
عليه السلام راى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله له خذها ولا تخف وذلك انه اوجس
في نفسه خيفة اي لحقه ما يلحق البشر وروي ان موسى تناولها بكمي جبته فنهي عن ذلك
فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى وانما اظهر له هذه الاية
لئلا يفزع منها اذا القاها عند فرعون ويقال ان العصا بعد ذلك كانت تماشيه وتحادثه
ويعلق عليها احماله وتضي له الشعبتان بالليل كالشمس واذا اراد الاستقا انقلبت
الشعبتان كالدلو واذا اشتهى ثمرة ركزها في الارض فاثمرت تلك الثمرة وقيل انها
كانت من اس الجنة وقيل اتاه جبريل بها من الجنة وقيل ملك وقيل قال له شعيب
خذ عصى من ذلك البيت فوقعت بيده تلك العصا وكانت عصا ادم هبط بها من الجنة
والله اعلم قوله تعالى فاذا هي حية تسعى النحاس ويجوز حية يقال خرجت فاذا
زيد جالس وجالسا والوقف حية بالها والسعي المشي بسرعة وخفة وعن ابن عباس

انقلبت

انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الشجر فلما راه يبتلع كل شي خافه ونفر منه وعن بعضهم انما خاف
منه لانه عرف ما لقي ادم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه
ان ادخل يده في فيها واخذ بلحييها سنعيدها سيرتها الاولى سمعت علي ابن سليمان يقول التقدير
الى سيرتها واختار موسى نومه قال ويجوز ان يكون مصدرا لان المعنى سنعيدها سيرتها قوله
تعالى واضمم يدك الى جناحك يجوز في غير القران ضم بفتح الميم وكسرها لالتقا الساكنين والفتح
اجود لخفته والكسر على الاصل ويجوز الضم على الاتباع ويد اصلها يدي فعلي يدل على ذلك ايد
وتصغيرها يدية والجناح العضد قاله مجاهد وقال اي يعني تحت تطرب الى جناحك الاحبك
ومنه قول الراجز • اضمه للصدر وللجناح • وقيل الى جنبك فعبر عن الجنب بالجناح لانه مايل
في محل الجناح وقيل الى عندك وقال مقاتل الى يعني مع اي مع جناحك وتخرج بيضا من غير
سوء من غير برص نورا ساطعا يضي بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر واشد ضوا عن ابن
عباس وغيره فخرجت نورا مخالفة للونه وبيضا نصب على الحال ولا ينصرف لان فيها الفي التانيث
لا يزايلانها لزوما علة ثابتة فلم ينصرف في النكرة وخالفتا الهاءين لان الهاء تفارقها الاسم ومن
من صلة البيضا كما تقول ابيضت من غير سوء اية اخرى سوى العصا فاخرج يده من مدرعة له
مصرية لها شعاع مثل شعاع الشمس تغشي البصر واية منصوبة على البدل من بيضا قاله الاخفش
النحاس وهو قول حسن وقال الزجاج المعنى اتيناك اية اخرى او نوتيك لانه لما قال تخرج بيضا
من غير سوء دل على انه قد اتاه اية اخرى لنريك من اياتنا الكبرى يريد العظمى وكان حقه ان
يقول الكبيرة وانما قال الكبرى لوفاق روس الاي وقيل فيه اضمار معناه لنريك من اياتنا الكبرى
دليله قول ابن عباس يد موسى اكبر اياته قوله تعالى اذهب الى فرعون انه طغى لما انسه
بالعصا واليد واراه ما يدل على انه رسول امره بالذهاب الى فرعون وان يدعوه وطغى
معناه عصى وتكبر وكفر وتجبر وجاوز الحد قال رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل
عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيرا من اهلي هارون اخي طلب الاعانة
لتبليغ الرسالة ويقال ان الله ... بانه ربط على قلب فرعون وانه لا يومن فقال موسى
يا رب فكيف تامرني ان اتيه وقد ربطت على قلبه فاتاه ملك من خزان الريح فقال يا موسى
انطلق لما امرك الله فقال موسى عند ذلك رب اشرح لي صدري اي وسعه ونوره
بالايمان والنبوة ويسر لي امري اي سهل علي ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون
واحلل عقدة من لساني يعني العجمة التي كانت فيه من جمرة النار التي القاها في فيه وهو
طفل قال ابن عباس كانت في لسانه رتة وذلك انه كان في حجر فرعون ذات يوم وهو طفل
فلطمه لطمة واخذ بلحيته فنتفها فقال فرعون لاسية هذا عدوي فهات الذباحين
فقالت اسية على رسلك فانه صبي لا يفرق بين الاشيا ثم اتته بطشتين فجعلت في احدهما
جمرا وفي الاخر جوهرا فاخذ جبريل بيد موسى فوضعها على النار حتى رفع جمرة ووضعها
على لسانه فكانت تلك الرتة وروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم
تبرا ولما دعاه قال الى اي رب تدعوني قال الى الذي ابرا يدي وقد عجزت عنها وعن
بعضهم انما لم تبرا يده لئلا يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة
ثم اختلف هل زالت تلك الرتة فقيل زالت بدليل قوله قد اوتيت سولك يا موسى وقيل
لم تزل كلها بدليل قوله حكاية عن فرعون ولا يكاد يبين ولانه لم يقل احلل كل لساني
فدل على انه بقي في لسانه شي من الاستمساك وقد زالت بالكلية بدليل قوله اوتيت
سولك وانما قال فرعون ولا يكاد يبين لانه عرف منه تلك العقدة في التربية وما
ثبت عنده ان الافة زالت قلت وهذا فيه نظر لانه لو كان ذلك لما قال فرعون ولا يكاد
يبين حين كلمه موسى بلسان ذلق فصيح والله اعلم وقيل ان تلك العقدة حدثت بلسانه
عند مناجاة ربه حتى لا يكلم غيره الا باذنه يفقهوا قولي اي يعلموا ما اقوله لهم ويفهموه
والفقه في كلام العرب الفهم قال اعرابي لعيسى بن عمر شهدت عليك بالفقه تقول منه
فقه الرجل بالكسر وفلان لا يفقه وافقهتك الشي ثم خص به علم الشريعة والعالم به
فقيه وقد فقه بالضم فقاهة وفقهه الله وتفقه اذا تعاطى ذلك وفاقهته اذا باحثته

في العلم قال الجوهري والوزير الموازر كالاكيل المواكل لانه يحمل على السلطان وزره اي ثقله وفي كتاب النسائي عن القاسم ابن محمد سمعت عمتي تقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولي منكم عملا فاراد الله به خيرا جعل الله له وزيرا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ومن هذا المعنى قوله عليه السلام ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا وله بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه رواه البخاري فسال موسى الله تعالى ان يجعل له وزيرا لانه لم يرد ان يكون مقصورا على الوزارة حتى لا يكون شريكا له في النبوة ولولا ذلك لجاز ان يستوزره من غير مسله وعين فقال هرون وانتصب على البدل من قوله وزيرا ويكون منصوبا باجعل على التقديم والتاخير والتقدير واجعل لي هرون اخي وزيرا وكان هرون اكبر من موسى بسنة وقيل بثلث اشدد به ازري اي ظهري والازر الظهر من موضع الحقوين ومعناه تقوي به نفسي قال ازر المرة وازره قواه ومنه قوله تعالى فازره فاستغلظ قال ابو طالب

• ليس ابونا هاشم شد ازره • واوصى بنيه بالطعان وبالضرب •

وقيل الازر العون اي يكون عونا يستقيم به امري قال الشاعر •

• شددت به ازري وايقنت انه • اخو الفقر من ضاقت عليه مذاهبه •

وكان هرون اكثر لحما من موسى واتم طولا وابيض جسما وافصح لسانا ومات قبل موسى بثلاث سنين وكان في وجه هرون شامة وعلى ارنبة انف موسى شامة وعلى طرف لسانه شامة ولم تكن على احد قبله ولا تكون على احد بعده وقيل انها سبب العقلة في لسانه فالله اعلم واشركه في امري اي في النبوة وتبليغ الرسالة قال المفسرون وكان يومئذ هرون بمصر فامر الله موسى ان ياتي هو وهارون واوحى الى هرون وهو بمصر ان يلتقي موسى فتلقاه الى مرحلة واخبره بما اوحي اليه فقال له موسى ان الله امرني ان اتي فرعون فسالت ربي ان يجعلك معي رسولا وقرا العامة اخي اشدد بوصل الالف واشركه بفتح الهمزة على الدعا اي اشدد يا رب ازري واشركه معي في امري وقرا ابن عامر ويحيى ابن الحرث وابو حيوة والحسن وعبد الله بن ابي اسحاق اشدد بقطع الالف واشركه بضم الالف اي انا افعل ذلك اشدد انا به ازري واشركه انا يا رب في امري قال النحاس جعلوا الفعلين في موضع جزم جوابا لقوله اجعل لي وزيرا وهذه القراة شاذة بعيدة لان جواب مثل هذا انما يتخرج بمعنى الشرط والمجازاة فيكون المعنى ان تجعل لي وزيرا من اهلي اشدد به ازري واشركه في امري وامر النبوة والرسالة وليس هذا اليه صلى الله عليه وسلم فيخبر به انما سال الله عز وجل ان يشركه معه في النبوة وفتح اليا من اخي ابن كثير وابو عمرو كي نسبحك كثيرا قيل معنى نسبحك نصلي لك ويحتمل ان يكون التسبيح باللسان اي ننزهك عما لا يليق بجلالك وكثيرا نعت لمصدر محذوف ويجوز ان يكون نعتا لوقت والادغام حسن وكذا ونذكرك كثيرا انك كنت بنا بصيرا قال الخطابي البصير المبصر والبصير العالم بخفيات الامور فالمعنى اي عالما بنا ومدركا لنا في صغرنا فاحسنت الينا فاحسن الينا كذلك يا رب قوله تعالى ولقد مننا عليك مرة اخرى اي قبل هذه وهي حفظه سبحانه له من شر الاعداء في الابتداء وذلك حين الذبح والله اعلم والمن الاحسان والافضال وقوله اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل وحي الهام وقيل اوحي اليها في النوم وقال ابن عباس اوحي اليها كما اوحي الى النبيين ان اقذفيه في التابوت قال مقاتل مومن من ال فرعون هو الذي صنع التابوت ونجره وكان اسمه حزقيل وكان التابوت من جميز فاقذفيه في اليم اي اطرحيه في البحر نهر النيل فليلقه قال الفرا فاقذفيه في اليم امر وفيه معنى المجازاة اي اقذفيه يلقه اليم وكذا قوله اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ياخذه عدو لي وعدو له يعني فرعون فاتخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقيرت راسه وخصاصه يعني شقوقه ثم القته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فساقه الله في ذلك النهر الى دار فرعون وروي انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته في اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة

مع اسية اذا بالتابوت فامر به فاخرج فاذا صبي اصبح الناس فاحبه عدو الله حبا شديدا لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر القران يدل على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه فراى فرعون التابوت بالساحل فامر باخذه ويحتمل ان يكون القاه اليم بموضع من الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة والله اعلم وقيل وجدته ابنة فرعون وكان بها برص فلما فتحت التابوت شفيت وروي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فاعياهم فدنت اسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا صبي نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكان لفرعون بنت برصا وقالت له الاطبا لا تبرا البرصا الا من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواوها ريقه فلطخت البرصا برصها بريقه فبرات وقيل لما نظرت الى وجهه برات والله اعلم وقيل وجدته جوار لامراة فرعون فلما نظر اليه فرعون فراى صبيا من اصبح الناس وجها فاحبه فرعون فذلك قوله والقيت عليك محبة مني قال ابن عباس احبه الله وحببه الى خلقه وقال عطية جعل عليه مسحة من جمال لا يكاد يصبر عنه من راه وقال قتادة كانت في عيني موسى ملاحة ما راه احد الا احبه وعشقه وقال عكرمة المعنى جعلت فيك حسنا وملاحة فلا يراك احد الا احبك وقال الطبري المعنى والقيت عليك رحمتي وقال ابن زيد جعلت من راك احبك حتى احبك فرعون فسلمت من شره واحبتك اسية بنت مزاحم فتبنتك ولتصنع على عيني قال ابن عباس يريد ان ذلك بعيني حيث جعلت في التابوت وحيث القي التابوت في البحر وحيث التقطك جواري امراة فرعون فارادوا ان يفتحوا التابوت لينظروا ما فيه فقالت منهن واحدة لا تفتحوه حتى تاتين به سيدتكن فهو احظى لكن عندها واجدر بان لا تتهمكن انكن وجدتن فيه شيا فاخذتموه لانفسكن وكانت امراة فرعون لا تشرب من الما الا ما استقينه اولئك الجواري فذهبوا بالتابوت اليها مغلقا فلما فتحته رات صبيا لم تر مثله قط والقي عليها محبته فاخذته فدخلت به الى فرعون فقالت له قرة عين لي ولك قال لها فرعون اما لك فنعم واما لي فلا فبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان فرعون قال نعم هو قرة عين لي ولك لامن وصدق فقالت هبه لي ولا تقتله فوهبه لها وقيل ولتصنع على عيني اي تربى وتغذى على مراى مني قاله قتادة قال النحاس وذلك معروف في اللغة يقال صنعت الفرس وصنعته اذا احسنت القيام عليه والمعنى ولتصنع على عيني فعلت ذلك وقيل اللام متعلقة بما بعدها من قوله اذ تمشي اختك على التقديم والتاخير فاذ ظرف لتصنع وقيل الواو في ولتصنع زايدة وقرا ابن القعقاع ولتصنع باسكان اللام على الامر وظاهره للمخاطب والمامور غايب وقرا ابو نهيك ولتصنع بفتح التا والعين والمعنى ولتكون حركتك وتصرفك بمشيتي وعلى عين مني ذكره المهدوي اذ تمشي اختك العامل في اذ تمشي القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا واخته اسمها مريم فتقول هل ادلكم على من يكفله وذلك انها خرجت متعرفة خبره وكان موسى لما وهبه فرعون لامراته طلبت له المراضع وكان لا ياخذ من احد حتى اقبلت اخته فاخذته ووضعته في حجرها وناولته ثديها فمصه وفرح به فقالوا لها تقيمين عندنا فقالت انه لا لبن لي ولكن ادلكم على من يكفله وهم له ناصحون قالوا ومن هي قالت امي فقالوا لها لبن قالت لبن اخي هارون وكان هرون اكبر من موسى بسنة وقيل بثلث وقيل باربع وذلك ان فرعون رحم بني اسرايل ورفع عنهم القتل اربع سنين فولد هارون فيها قاله ابن عباس فجاءت بالام فقبل ثديها فذلك قوله تعالى فرجعناك الى امك وفي مصحف ابي فرددناك كي تقر عينها ولا تحزن وروى عبد الحميد عن ابي عامر كي تقر بكسر القاف قال الجوهري وقررت به عينا وقررت به عينا قرة وقرورا فيهما ورجل قرير العين وقد قرت عينه تقر وتقر نقيض سخنت واقر الله عينه اي اعطاه حتى تقر فلا تطمح الى من هو فوقه ويقال حتى تبرد ولا تسخن فللسرور دمعة باردة وللحزن دمعة حارة وقد تقدم في مريم ولا تحزن اي على فقدك وقتلت نفسا قال ابن عباس قتل قبطيا كافرا قال كعب وكان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة في صحيح مسلم وكان قتله خطا على ما ياتي فنجيناك من الغم اي امناك من الخوف والقتل والحبس وفتناك فتونا اي اختبرناك اختبارا حتى صلحت للرسالة وقال قتادة بلوناك بلاء مجاهد اخلصناك اخلاصا وقال ابن عباس اختبرناك باشيا قبل الرسالة اولها حملته

امه في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الاطفال ثم القاوه في اليم ثم منعه من الرضاع الا
من ثدي امه ثم جره بلحية فرعون ثم تناوله الجمرة بدل الدرة فدرا ذلك عنه قتل فرعون ثم
قتله القبطي وخروجه خايفا يترقب ثم رعايته الغنم ليتدرب بها على رعاية الخلق فيقال انه ند
له من الغنم جدي فاتبعه اكثر النهار واتعبه ثم اخذه فقبله وضمه الى صدره وقال له اتعبتني
واتعبت نفسك ولم يغضب عليه قال وهب ابن منبه ولهذا اتخذه الله كليما وقد مضى في النساء
قوله تعالى فلبثت سنين في اهل مدين يريد عشر سنين اتم الاجلين وقال وهب لبث عند شعيب
ثمانية وعشرين سنة منها عشر مهر امراته صفورا ابنة شعيب وثمانية عشر اقامة عنده حتى
ولد له عنده وقوله جيت على قدر يا موسى قال ابن عباس وقتادة وعبد الرحمن بن كيسان يريد
موافقا للنبوة والرسالة لان الانبيا لا يبعثون الا ابنا اربعين سنة وقال مجاهد ومقاتل على
قدر على وعد وقال محمد ابن كعب ثم جيت على القدر الذي قدرت لك انك تجي فيه والمعنى واحد
اي جيت في الوقت الذي اردنا ارسالك فيه وقال الشاعر •

• نال الخلافة او كانت له قدرا • كما اتى ربه موسى على قدر •

قوله تعالى واصطنعتك لنفسي قال ابن عباس اي اصطفيتك لوحيي ورسالتي وقيل
اصطنعتك خلقتك ماخوذ من الصنعة وقيل قويتك وعلمتك لتبلغ عبادي امري ونهيي
اذهب انت واخوك باياتي قال ابن عباس يريد التسع ايات التي انزلت عليه ولا تنيا قال ابن
عباس تضعفا اي في امر الرسالة وقاله قتادة وقيل تفترا قال الشاعر •

• فما ونا محمد مذ ان غفر • له الاله ما مضى وما غبر •

والونى الضعف والفتور والكلال والاعيا وقال امرو القيس •

• مسح اذا ما السابحات على الونى • اثرن غبارا بالكديد المركل •

يقال ونيت في الامر اني ونيا اي ضعفت فانا وان وناقة وانية واونيتها انا اضعفتها
واتعبتها وفلان لا يني كذا اي لا يزال وبه فسر ابان معنى الاية واستشهد بقول طرفة •

• كان القدور الراسيات امامهم • قباب بنوها لا تني ابدا تغلي •

وعن ابن عباس ايضا لا تبطيا وفي قراة ابن مسعود ولا تهنا في ذكري وتحميدي وتبليغ رسالتي
قوله تعالى اذهبا الى فرعون انه طغى فقولا له قولا لينا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى
اذهبا قال في اول الاية اذهب انت واخوك باياتي وقال هنا اذهبا فقيل امر الله تعالى
موسى وهرون في هذه الاية بالنفوذ الى دعوة فرعون وخاطب اولا موسى وحده تشريفا
له ثم كرر للتاكيد وقيل بين بهذا انه لا يكفي ذهاب احدهما وقيل الاول امر بالذهاب الى
كل الناس والثاني بالذهاب الى فرعون الثانية في قوله تعالى فقولا له قولا لينا دليل
على جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وان ذلك يكون باللين على القول لمن معه القوة
وضمنت له العصمة الا تراه قال فقولا له قولا لينا وقال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فكيف
بنا فنحن اولى بذلك وحينئذ يحصل الامر او الناهي على مرغوبه ويظفر بمطلوبه وهذا واضح
الثالثة واختلف الناس في معنى قوله لينا فقالت فرقة منهم الكلبي وعكرمة معناه كنياه
وقاله ابن عباس ومجاهد والسدي ثم قيل كنيته ابو العباس وقيل ابو الوليد وقيل ابو مرة
فعلى هذا القول تكنيته الكافر جايزة اذا كان وجيها ذا شرف وطمع باسلامه وقد يجوز ذلك
وان لم يطمع باسلامه لان الطمع ليس بحقيقة توجب عملا وقد قال صلى الله عليه وسلم اذا
اتاكم كريم قوم فاكرموه ولم يقل وان طمعتم باسلامه ومن الاكرام دعاوه بالتكنية وقد قال
صلى الله عليه وسلم لصفوان ابن امية انزل ابا وهب فكناه وقال لسعد الم تسمع ما قال
ابو حباب يعني عبد الله ابن ابي وروي في الاسرائيليات ان موسى عليه السلام قام على باب
فرعون سنة لا يجد رسولا يبلغ كلاما حتى خرج فجرى له ما قص الله علينا من ذلك وكان
ذلك تسلية لمن جا بعده من المومنين في سيرهم مع الظالمين وربك اعلم بالمهتدين ثم
وقيل قال له موسى تومن بما جيت به وتعبد رب العالمين على ان لك شبابا لا تهرم الى الموت
وملكا لا ينزع منك الى الموت وينسا في اجلك اربعماية سنة فاذا مت دخلت الجنة فهذا القول
اللين وقال ابن مسعود القول اللين قوله تعالى فقل هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك

فتخشى

فتخشى وقد قيل ان القول اللين قوله تعالى موسى يا فرعون انا رسول رب العالمين فسماه
بهذا الاسم لانه كان احب اليه مما قيل له كما يسمى عندنا الملك ونحوه قلت القول اللين هو القول
الذي لا خشونة فيه يقال لان الشي يلين لينا وشي لين ولين مخفف منه والجمع الينا فاذا
كان موسى امر بان يقول لفرعون قولا لينا فمن دونه احرى ان يقتدي بذلك في خطابه وامره
بالمعروف في كلامه وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا على ما تقدم في البقرة بيانه الرابعة
قوله تعالى لعله يتذكر او يخشى معناه على رجايكما وطمعكما فالتوقع فيها انما هو راجع الى جهة
البشر قاله كبرا النحويين سيبويه وغيره وقد تقدم في اول البقرة قال الزجاج لعل لفظ طمع
وترج فخاطبهم بما يعقلون وقيل لعل هاهنا بمعنى الاستفهام والمعنى فانظر هل يتذكر وقيل هي
بمعنى كي وقيل هو اخبار من الله تعالى عن قول هرون لموسى لعله يتذكر او يخشى قاله الحسن ان
لعل وعسى في جميع القران لما قد وقع وقد تذكر فرعون حين ادركه الغرق وخشي فقال امنت
انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرايل وانا من المسلمين ولكن لم ينفعه ذلك قاله ابو بكر الوراق
وغيره وقال يحيى ابن معاذ في هذه الاية هذا رفقك بمن يقول انا الاله فكيف رفقك بمن
يقول انت الاله وقد قيل ان فرعون ركن الى قول موسى لما دعاه وشاور امراته فامنت واشارت
عليه بالايمان فشاور هامان فقال لا تفعل بعد ان كنت مالكا تصير مملوكا وبعد ان كنت ربا تصير
مربوبا وقال له انا اردك شابا فخضب لحيته بالسواد فهو اول من خضب قوله تعالى قالا ربنا
اننا نخاف ان يفرط علينا او ان يطغى قال الضحاك يفرط يعجل قال ويطغى يعتدي النحاس التقدير
نخاف ان يفرط علينا منه امر يقال فرط منه امر قال وافرط اسرف قال وفرط
ترك وقراة الجمهور يفرط بفتح اليا وضم الرا ومعناه يعجل ويبادر بعقوبتنا يقال فرط مني امر
اي بدر ومنه الفارط في الما الذي يتقدم القوم الى الما اي يعذبنا عذاب الفارط في الذنب وهو
المتقدم فيه قاله المبرد وقرات فرقة منهم ابن محيصن يفرط بفتح اليا وفتح الرا ومعناها انه
يحمله حامل على التسرع الينا وقرات طايفة يفرط بضم اليا وكسر الرا وبها قرا ابن عباس ومجاهد
وعكرمة وابن محيصن ايضا ومعناه يشطط في اذيتنا قال الراجز • قد افرط العلج علينا وعجل •
قوله تعالى قال لا تخافا انني معكما اسمع وارى فيه مسالتان الاولى قال العلما لما لحقهما ما يلحق
البشر من الخوف على انفسهما عرفهما سبحانه ان فرعون لا يصل اليهما ولا قومه وهذه الاية ترد على
من قال انه لا يخاف والخوف من الاعدا سنة الله في انبيايه واوليايه مع معرفتهم به وثقتهم
ولقد احسن البصري رحمه الله حين قال للمخبر عن عامر بن عبد الله انه نزل مع اصحابه في طريق
الشام على ما فحال الاسد بينهم وبين الما فجا عامر الى الما فاخذ منه حاجته فقيل له قد خاطرت
بنفسك فقال لان تختلف الاسنة في جوفي احب الي من ان يعلم الله اني اخاف شيا سواه قد
خاف من كان خيرا من عامر موسى صلوات الله عليه وسلامه حين قال ان الملا يا تمرون بك
ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خايفا يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين
وقال فاصبح في المدينة خايفا يترقب وقال حين القى السحرة حبالهم وعصيهم فاوجس في نفسه
خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى قلت ومنه حفر النبي صلى الله عليه وسلم الخندق حول
المدينة تحصينا للمسلمين واموالهم مع كونه من التوكل والثقة بربه بمحل لم يبلغه احد ثم كان من
اصحابه ما لا يجهله احد من تحولهم من منازلهم مرة الى الحبشة ومرة الى المدينة تخوفا على
انفسهم من مشركي مكة وهربا بدينهم ان يفتنوهم عنه بتعذيبهم وقد قالت اسما بنت عميس
لعمر لما قال لها سبقناكم الى الهجرة نحن احق برسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كذبت يا عمر
كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جايعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار
او ارض البعدا البغضا في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله وايم الله لا اطعم طعاما ولا اشرب
شرابا حتى اذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن كنا نوذى ونخاف الحديث بطوله
خرجه مسلم قال العلما فالمخبر عن نفسه بخلاف ما طبع الله نفوس بني ادم كاذب وقد طبعهم
على الهرب مما يضرها ويولمها ويتلفها قالوا ولا ضار اضر من سبع عاد في فلاة من الارض على من
لا اله معه يدفعه بها عن نفسه من سيف او رمح او نبل او قوس وما اشبه ذلك الثانية
قوله تعالى انني معكما يريد بالنظر والمعونة والقدرة على فرعون وهذا كما تقول الامير مع فلان اذا

اردت انه يحميه وقوله اسمع وارى عبارة عن الادراك الذي لا يخفى معه خافية تبارك الله
رب العالمين قوله تعالى فاتياه فقولا انا رسولا ربك في الكلام حذف والمعنى فاتياه فقالا
له ذلك فارسل معنا بني اسرائيل اي خل عنهم ولا تعذبهم اي بالسخرة والتعب والنصب في العمل
وكانت بنو اسرائيل عند فرعون في عذاب شديد يذبح ابناهم ويستخدم نساهم ويكلفهم من العمل
في اللبن والطين وبناء المداين ما لا يطيقونه قد جيناك باية من ربك قال ابن عباس يريد
العصا واليد وقيل ان فرعون قال له وما هي فادخل يده في جيب قميصه ثم اخرجها بيضاء لها
شعاع مثل شعاع الشمس غلب نورها على نور الشمس فعجب منها ولم يره العصا الا يوم الزينة
والسلام على من اتبع الهدى قال الزجاج اي من اتبع الهدى سلم من سخط الله جل وعز
وعذابه قال وليس بتحية قال والدليل على ذلك انه ليس بابتداء لقاء ولا خطاب الغراء
السلام على من اتبع الهدى ولمن اتبع الهدى سوالا انا قد اوحي الينا ان العذاب يعني الهلاك
والدمار في الدنيا والخلود في جهنم في الاخرة على من كذب انبيا الله وتولى اعرض عن
الايمان وقال ابن عباس هذه ارجى اية للموحدين لانهم لم يكذبوا ولم يتولوا قوله تعالى
قال فمن ربكما يا موسى ذكر فرعون موسى دون هارون لرؤس الاي وقيل خصصه بالذكر
لانه صاحب الرسالة والكلام والاية وقيل انهما جميعا بلغا الرسالة وان كان ساكتا لانه
في وقت الكلام انما يتكلم واحدا فاذا انقطع وازره الاخر وايده فصار لنا في هذا البينا
فايده علم ان الاثنين اذا قلدا امرا فقام به احدهما والاخر شخصه هناك موجود مستغني
عنه في وقت دون وقت انهما اديا الامر الذي قلدا وقاما به واستوجبا الثواب لان الله
تعالى قال اذهبا الى فرعون وقال اذهب انت واخوك وقال فقولا له فامرهما جميعا بالذهاب
وبالقول ثم اعلمنا في وقت الخطاب بقوله فمن ربكما انه كان حاضرا مع موسى قال موسى ربنا
الذي اعطى كل شي خلقه اي انه يعرف بصفاته وليس له اسم علم حتى يقال فلان بل هو
خالق العالم وهو الذي خص كل مخلوق بهيئته وصورته ولو كان الخطاب معهما لقالا قالا
ربنا وخلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به او
ثانيهما اي اعطا كل شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به على قول الضحاك
على ما ياتي ثم هدى قال ابن عباس وسعيد ابن جبير والسدي اعطى كل شي زوجه من
جنسه ثم هداه الى منكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه وعن ابن عباس ثم هداه الى الالفة
والاجتماع والمناكحة وقال الحسن وقتادة اعطى كل شي صلاحه وهداه لما يصلحه وقال
مجاهد اعطى كل شي صورة لم يخلق خلق الانسان في خلق البهايم ولا خلق البهايم في خلق
الانسان ولكن خلق كل شي فقدره تقديرا وقال الشاعر

وله في كل شي خلقة • وكذاك الله ما شاء فعل

يعني بالخلقة الصورة وهو قول عطية ومقاتل وقال الضحاك اعطى كل شي خلقه من
المنفعة المنوطة به المطابقة له يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للنطق والعين
للنظر والاذن للسمع وقيل اعطى كل شي ما الهمه من علم او صناعة وقال الفرا خلق الرجل
للمراة ولكل ذكر ما يوافقه من الاناث ثم هدى الذكر للانثى فالتقدير على هذا اعطى كل
شي مثل خلقه قلت وهذا معنى قول ابن عباس والاية بعمومها تتناول جميع الاقوال
وروى زايدة عن الاعمش انه قرا الذي اعطى كل شي خلقه بفتح اللام وهي قراة ابن ابي اسحاق
ورواها نصير عن الكسائي وغيره اي اعطى بني ادم كل شي خلقه مما يحتاجون اليه فالقراتان
متفقتان في المعنى قوله تعالى قال فما بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فما بال البال الحال اي ما حالها وما شانها فاعلمه ان
علمها عند الله تعالى اي ان هذا من علم الغيب الذي سالت عنه وهو مما استاثر الله تعالى
به لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال
القرون مكتوبة عند الله في اللوح المحفوظ وقيل المعنى فما بال القرون الاولى لم يقروا بذلك
اي فما بالهم ذهبوا وقد عبدوا غير ربك وقيل انما سال عن اعمال القرون الاولى فاعلمه
انها محصاة عند الله عز وجل ومحفوظة عنده في كتاب اي هي مكتوبة فيجازيهم عليها

وعلمها

وعلمها فعنى بالكتاب اللوح المحفوظ وقيل هو كتاب مع بعض الملايكة الثانية هذه الاية
ونظايرها ما تقدم وياتي تدل على تدوين العلوم وكتبها لئلا تنسى فان الحفظ الانسان قد تعتريه
الافات من الغلط والنسيان وقد لا يحفظ الانسان ما يسمع فيقيده لئلا يذهب عنه وروينا
بالاسناد المتصل عن قتادة انه قيل له انكتب ما نسمع منك قال وما يمنعك ان تكتب وقد اخبرك
اللطيف الخبير انه يكتب فقال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قضى الله الخلق كتب في كتاب على نفسه
فهو موضوع عنده ان رحمتي تغلب غضبي واسند الخطيب ابو بكر عن ابي هريرة قال كان رجل
من الانصار يجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه ولا يحفظه فشكى ذلك الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اسمع منك الحديث يعجبني ولا احفظه فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم استعن بيمينك واومى الى الخط وهذا نص وعلى جواز كتب العلم وتدوينه
جمهور الصحابة والتابعين وقد امر صلى الله عليه وسلم بكتب الخطبة التي خطب بها في الحج لشاه
رجل من اليمن لما ساله كتبها اخرجه مسلم وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال قيدوا العلم بالكتاب وقال معاوية ابن قرة من لم يكتب العلم لم يعد
علمه علما وقد ذهب قوم الى المنع من الكتب فروى ابو نضرة قال قيل لابي سعيد انكتب حديثكم
هذا قال لم تجعلونه قرانا ولكن احفظوا كما حفظنا وممن كان لا يكتب الشعبي ويونس ابن عبيد
وخالد الحذا قال خالد ما كتبت شيا قط الا حديثا واحدا فلما حفظته محوته وابن عون والزهري
وقد كان بعضهم يكتب فاذا حفظ محاه منهم محمد ابن سيرين وعاصم ابن ضمرة وقال هشام ابن
حسان ما كتبت حديثا قط الا حديث الاعماق فلما حفظته محوته قلت وقد ذكرنا في خالد
الحذا مثل هذا وحديث الاعماق خرجه مسلم في اخر الكتاب لا تقوم الساعة حتى تنزل
الروم بالاعماق او بدابق الحديث ذكره في كتاب الفتن وكان بعضهم يحفظ ثم يكتب ما يحفظ
ثم يكتب ما يحفظ منهم الاعمش وعبد الله بن ادريس وهشيم وغيرهم وهذا احتياط على
الحفظ والكتب اولى على الجملة وبه وردت الاي والاحاديث وهو مروي عن عمر وعلي وجابر
وانس ومن يليهم من كبرا التابعين كالحسن وعطا وطاوس وعروة ابن الزبير ومن بعدهم من
اهل العلم قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شي وقال ولقد كتبنا في الزبور من
بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون وقال واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة الاية
وقال وكل شي فعلوه في الزبر وكل صغير وكبير مستطر وعلمها عند ربي في كتاب الى غير هذا من
الاي وايضا فان العلم لا ينضبط الا بالكتاب ثم بالمقابلة والمدارسة والتعهد والتحفظ
والمذاكرة والسوال والفحص عن الناقلين والثقة بما نقلوه وانما كره الكتاب من كره من
الصدر الاول لقرب العهد وتقارب الاسناد ولئلا يعتمده الكاتب فيهمله او يرغب عن تحفظه
والعمل به فاما والوقت متباعد والاسناد غير متقارب والطرق مختلفة والنقلة متشابهون
وافة النسيان معترضة والوهم غير مامون فان تقييد العلم بالكتاب اولى واشفى والدليل
على وجوبه اقوى فان احتج محتج بحديث ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لا تكتبوا عني غير القران ومن كتب عني غير القران فليمحه خرجه مسلم فالجواب ان ذلك كان
متقدما فهو منسوخ بامره بالكتابة واباحتها لابي شاه وغيره وايضا كان لئلا يخلط بالقران
ما ليس منه وكذا ما روي عن ابي سعيد ايضا حرصنا ان ياذن لنا النبي صلى الله عليه وسلم
في الكتابة فابى ان كان محفوظا فهو قبل الهجرة وحين كان لا بد من الاشتغال به عن
القران الثالثة قال ابو بكر الخطيب ينبغي ان يكتب الحديث بالسواد ثم بالحبر خاصة دون
المداد لان السواد اصبغ الالوان والحبر ابقاها على مر الدهور وهو الة ذوي العلم وعدة اهل
المعرفة ذكر عبد الله ابن احمد بن حنبل حدثني ابي قال راني الشافعي وانا في مجلسه وعلى
قميصي حبر وانا اخفيه فقال لم تخفيه وتستره ان الحبر على الثوب من المروة لان صورته
في الابصار سواد وفي البصاير بياض وقال خالد بن زيد الحبر في ثوب صاحب الحديث
مثل الخلوق في ثوب العروس واخذ هذا المعنى ابو عبد الله البلوي فقال مداد المحابر طيب
الرجال وطيب النساء من الزعفران فهذا يليق باثواب ذا وهذا يليق باثواب الحصان وذكر

الماوردي ان عبيد الله ابن سليمان بينا حكى رأى على بعض ثيابه اثر صفرة فاخذ من مداد الدواة
فطلاه به ثم قال المداد بنا احسن من الزعفران وانشد
• انما الزعفران عطر العذاري • ومداد الدوي عطر الرجال •
الرابعة قوله تعالى لا يضل ربي ولا ينسى اختلف في معناه على اقوال خمسة الاول انه ابتداء
كلام تنزيه لله تعالى عن هاتين الصفتين وقد كان الكلام تم في قوله في كتاب وكذا اه
قال الزجاج وان معنى لا يضل لا يهلك من قوله ايذا ضللنا في الارض ولا ينسى شيا نزهه
عن الهلاك والنسيان القول الثاني لا يضل لا يخطي قاله ابن عباس اي لا يخطي في التدبير
فمن انظره فلحكمة انظره ومن عاجله فلحكمة عاجله القول الثالث لا يضل لا يغيب قال ابن
الاعرابي اصل الضلال الغيبوبة يقال ضل الناسي اذا غاب عنه حفظ الشي قال ومعنى
لا يضل ربي ولا ينسى اي لا يغيب عنه شي ولا يغيب عن شي القول الرابع قاله الزجاج ايضا قال
النحاس وهو اشبهها بالمعنى اخبر الله عز وجل انه لا يحتاج الى كتاب والمعنى لا يضل عنه علم
شي من الاشيا ولا معرفتها ولا ينسى ما علمه منها قلت وهذا القول راجع الى معنى قول
ابن الاعرابي وقول خامس لا يضل ربي ولا ينسى في موضع الصفة لكتاب اي الكتاب غير
ضال عن الله عز وجل اي غير ذاهب عنه ولا ينسى اي غير ناس له فهما نعتان لكتاب وعلى
هذا يكون الكلام متصلا ولا يوقف على كتاب تقول العرب ضللت الشي اذا لم اجده واضللته
انا اذا تركته في موضع لم تجده فيه وقرا الحسن وقتادة وعيسى ابن عمر وابن محيصن وعاصم
الجحدري وابن كثير فيما روي شبل عنه لا يضل بضم اليا على معنى لا يضيعه ربي ولا ينساه
قال ابن عرفة الضلالة عند العرب سلوك سبيل غير القصد يقال ضل عن الطريق واضل
الشي اذا اضاعه ومنه قرا من قرا لا يضل ربي اي لا يضيع هذا مذهب العرب قوله تعالى
الذي جعل لكم الارض مهادا الذي في موضع رفع نعت لذي اي لا يضل ربي الذي جعل ويجوز
ان يكون منصوبا باضمار اعني وقرا الكوفيون مهدا هنا وفي الزخرف بفتح الميم واسكان الها
الباقون مهادا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاتفاقهم على قراة الم نجعل الارض مهادا النحاس
والجمع اولى لان مهدا مصدر وليس هذا موضع مصدر الا على حذف ذات مهد المهد وي ومن
قرا مهدا جاز ان يكون مصدرا كالفرش اي مهد لكم الارض مهدا وجاز ان يكون على تقدير
حذف المضاف اي ذات مهد ومن قراها مهادا جاز ان يكون مفردا كالفراش وجاز ان يكون جمع
مهد استعمل استعمال الاسما فكسر ومعنى مهادا اي فراشا وقرارا تستقرون عليها وسلك
لكم فيها سبلا اي طرقا نظيره والله جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقال
الذي جعل لكم الارض مهادا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون وانزل من السما ما تقدم معناه
وهذا اخر كلام موسى ثم قال الله تعالى فاخرجنا وقيل كله من كلام موسى والمعنى فاخرجنا
به اي بالحرث والمعالجة لان الما المنزل سبب خروج النبات المختلفة ومعنى ازواجا
ضروبا واشباها اي اصنافا من النبات المختلفة الازواج والالوان وقال الاخفش
التقدير ازواجا شتى من نبات قال وقد يكون نعتا للنبات وشتى ماخوذ من شت الشي
اي تفرق يقال امر شت اي متفرق وشت الامر شتا وشتاتا تفرق واشتت مثله وكذلك
التشتت وشتته تشتيتا فرقه واشت بي قومي اي فرقوا امري والمتشتت المتفرق قال
روبة يصف ابلا • جاءت معا واطرقت شتيتا • وهي تثير الساطع السختيتا •
وثغر شتيت اي مفلج وقوم شتى واشيا شتى وتقول جاءوا اشتاتا اي متفرقين واحدهم
شت قال الجوهري قوله تعالى كلوا وارعوا انعامكم امر اباحة وارعوا من رعت الماشية
الكلا ورعاها صاحبها رعاية اي اسامها وسرحها لازم ومتعد ان في ذلك لايات لاولي النهى
اي العقول الواحدة نهية قال لهم ذلك لانهم الذين ينتهي اليهم رايهم وقيل لانهم ينهون النفس
عن القبائح وهذا كله من موسى احتجاج على فرعون في اثبات الصانع جوابا لقوله فمن ربكما
يا موسى وبين انه انما يستدل على الصانع اليوم بافعاله قوله تعالى منها خلقناكم وفيها
يعني ادم عليه السلام لانه خلق من الارض قاله ابو اسحاق الزجاج وغيره وقيل كل نطفة
مخلوقة من التراب على هذا يدل ظاهر القران وروي ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ما من مولود الا وقد ذر عليه من تراب حفرته اخرجه ابو نعيم الحافظ في باب ابن سيرين
وقال هذا حديث غريب من حديث عون لم نكتبه الا من حديث ابي عاصم النبيل وهو احد الثقات
الاعلام من اهل البصرة وقد مضى هذا المعنى مبينا في سورة الانعام عن ابن مسعود وقال
عطا الخراساني اذا وقعت النطفة في الرحم انطلق الملك الموكل بالرحم فاخذ من تراب المكان الذي
يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة ومن التراب فذلك قوله تعالى
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى وفي حديث البراء عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان العبد المومن اذا خرجت روحه صعدت به الملايكة فلا يمرون بها على ملا من الملايكة
الا قالوا ما هذه الروح الطيبة فيقولون فلان ابن فلان باحسن اسمايه التي كانوا يسمونه
بها في الدنيا فيستفتحون لها فيفتح فيشيعه من كل سما مقربوها الى السما التي تليها حتى
تنتهي بها الى السما السابعة فيقول الله عز وجل اكتبوا لعبدي كتابا في عليين واعيدوه
الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فتعاد روحه في جسده
وذكر الحديث وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة وروي من حديث علي رضي الله عنه ذكره
الثعلبي ومعنى وفيها نعيدكم اي بعد الموت ومنها نخرجكم اي للبعث والحساب تارة اخرى
يرجع هذا الى قوله منها خلقناكم لا الى نعيدكم وهو كقولك اشتريت ناقة ودارا وناقة اخرى
فالمعنى من الارض اخرجناكم ونخرجكم بعد الموت من الارض تارة اخرى قوله تعالى ولقد
اريناه اياتنا كلها اي المعجزات الدالة على نبوة موسى وقيل حجج الله الدالة على توحيده فكذب
وابى اي لم يومن وهذا يدل على انه كفر عنادا لانه راى الايات عيانا لا خبرا نظيره وجحدوا بها
واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا قوله تعالى قالوا اجيتنا لتخرجنا من ارضنا بسحرك يا موسى
لما راى الايات التي اتاه بها موسى قال انها سحر والمعنى جيت لتوهم الناس انك جيت باية
توجب اتباعك والايمان بك حتى تغلب علينا وعلى ارضنا فلناتينك بسحر مثله اي لنعارضنك
بمثل ما جيت به ليتبين للناس ان ما اتيت به ليس من عند الله فاجعل بيننا وبينك موعدا
هو مصدر اي وعدا وقيل الموعد اسم لمكان الوعد كما قال وان جهنم لموعدهم فالموعد هاهنا
مكان وقيل الموعد اسم لزمان الوعد لقوله ان موعدهم الصبح فالمعنى اجعل لنا يوما معلوما
او مكانا معروفا قال القشيري والاظهر انه مصدر ولهذا قال لا نخلفه ذلك الوعد والاخلاف
ان يعد شيا ولا ينجزه وقال الجوهري والميعاد المواعدة والوقت والموضع وكذلك الموعد
وقرا ابو جعفر ابن القعقاع وشيبة والاعرج لا نخلفه بالجزم جوابا لقوله اجعل ومن رفع
فهو نعت لموعد والتقدير موعدا غير مخلف مكانا سوى قرا ابن عامر وحمزة سوى بضم السين
الباقون بكسرها وهما لغتان مثل عدا وعدا وطوى وطوى واختار ابو عبيد وابو حاتم
كسر السين لانها اللغة العالية الفصيحة وقال النحاس والكسر اعرف واشهر وكلهم
نونوا الواو وقد روي عن الحسن واختلف عنه ضم السين بغير تنوين واختلف في معناه
فقيل سوى هذا المكان قاله الكلبي وقيل مكانا مستويا يتبين للناس ما بيننا فيه قاله
ابن زيد ابن عباس نصفا مجاهد منصفا وعنه ايضا وقتادة عدلا بيننا وبينك وقال
النحاس واهل التفسير على ان معنى سوى نصف وعدل وهو قول حسن قال سيبويه يقال
سوى وسوى اي عدل يعني عدلا بين المكانين فيه النصفة واصله من قولك جلس في سوا
الدار بالمد اي في وسطها ووسط كل شي اعدله وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم
وكذلك جعلناكم امة وسطا اي عدلا وقال زهير
• ارونا خطة لا ضيم فيها • يسوي بيننا فيها السواء •
وقال ابو عبيدة والقتبي وسطا بين الفريقين وانشد ابو عبيدة لموسى ابن جابر الحنفي
• وان ابانا كان حل ببلدة • سوى بين قيس قيس عيلان •
والفزر والفزر سعيد بن زيد مناه بن تميم وقال الاخفش سوى اذا كان بمعنى غير او بمعنى
العدل يكون فيه ثلاث لغات ان ضممت السين او كسرت قصرت فيهما جميعا وان فتحت مددت
تقول مكانا سوى وسوى وسواء اي عدل ووسط فيما بين الفريقين قال موسى ابن جابر
وجدنا ابانا كان حل ببلدة البيت وقيل مكانا سوى اي قصدا وانشد صاحب هذا القول •

* لو مت جئتني ما عدتني * او متيت ما عدوت سواها *
ويقول مررت برجل سواك وسُواك وسَواك اي غيرك وهما في هذا الامر سواء وان شئت
سواآن وهم سواء للجميع وهما سواء وهم سواء وسواسية مثل ثمانية على غير قياس وانتصب
مكانا على المفعول الثاني لجعل ولا يحسن انتصابه بالموعد على انه مفعول او ظرف له لان الموعد
قد وصف والاسماء التي تعمل عمل الافعال اذا وصفت او صغرت لم ينبغ ان تعمل لخروجها عن
شبه الفعل فلم يحسن حمله على انه ظرف وقع موقع المفعول الثاني لان الموعد اذا وقع
بعده ظرف لم تجره العرب مجرى المصادر مع الظروف لكنهم يتسعون فيه كقوله تعالى ان
موعدهم الصبح وموعدهم يوم الزينة واختلف في يوم الزينة فقيل هو يوم عيد كان لهم
يتزينون ويجتمعون فيه قاله قتادة والسدي وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد ابن
جبير كان يوم عاشورا وقال سعيد ابن المسيب يوم سوق كان لهم يتزينون فيها وقاله
قتادة ايضا وقال الضحاك يوم السبت وقيل يوم النيروز ذكره الثعلبي وقيل يوم يكسر
فيه الخليج وذلك انهم يخرجون فيه يتفرجون ويتنزهون وعند ذلك تامن الديار
المصرية من قبل النيل وقرا الحسن والاعمش وعيسى الثقفي والسلمي وهبيرة عن حفص
يوم الزينة بالنصب ورويت عن ابي عمرو اي في يوم الزينة انجاز موعدنا ايا فوته بالرفع
على انه خبر الابتداء وان يحشر الناس ضحى اي وجمع الناس فان في موضع رفع على قراة من
قرا يوم بالرفع وعطف وان يحشر يقوي قراة الرفع لان ان لا يكون ظرفا وان كان المصدر
الصريح يكون ظرفا كمقدم الحاج لان من قال اتيتك مقدم الحاج لم يقل اتيتك ان يقدم الحاج
النحاس واولى من هذا ان يكون في موضع خفض عطفا على الزينة والضحى مونثة تصغرها
العرب بغير ها لئلا يشبه تصغيرها تصغير ضحوة قاله النحاس وقال الجوهري ضحوة النهار
بعد طلوع الشمس ثم بعده الضحى وهي حين تشرق الشمس مقصورة تونث وتذكر فمن انث
ذهب الى انها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب الى انه اسم على فعل مثل صرد ونغر وهو ظرف غير
متمكن مثل سحر تقول لقيته ضحى وضحى اذا اردت به ضحى يومك لم تنونه ثم بعده الضحاء ممدود
مذكر وهو عند ارتفاع النهار الاعلى وخص الضحى لانه اول النهار فلو امتد الامر فيما بينهم
كان في النهار متسع وروي عن ابن مسعود والجحدري وغيرهما وان يحشر الناس او نحوه
عن بعض القراء وان تحشر الناس والمعنى وان تحشر انت يا فرعون الناس وعن الجحدري
ايضا وان نحشر بالنون وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله وظهور دينه وكبت
الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع العام لتقوى رغبة من رغب في الحق
ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل بدو وحضر ويشيع في جمع
اهل الوبر والمدر قوله تعالى فتولى فرعون فجمع كيده اي حيله وسحره والمراد جمع
السحرة قال ابن عباس كانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر منهم حبال وعصي
وقيل كانوا اربعمائة وقيل كانوا اثني عشر الفا وقيل اربعة عشر الفا وقال ابن المبارك
كانوا ثمانين الفا وقيل كانوا مجتمعين على رئيس يقال له شمعون وقيل كان اسمه يوحنا
معه اثنا عشر نقيبا مع كل نقيب عشرون عريفا مع كل عريف الف ساحر وقيل كانوا ثلاث
مائة الف ساحر من الفيوم وثلاث مائة الف ساحر من الصعيد وثلاث مائة الف من
الريف فصاروا تسع مائة الف وكان رئيسهم اعمى ثم اتى اي اتى الميعاد فقال لهم موسى اي
قال لفرعون والسحرة ويلكم دعا عليهم بالويل وهو بمعنى المصدر وقال ابو اسحاق الزجاج
هو منصوب بمعنى الزمهم الله ويلا قال ويجوز ان يكون نداء كقوله يا ويلنا من بعثنا لا تفتروا
على الله كذبا اي لا تختلقوا عليه الكذب ولا تشركوا به ولا تقولوا للمعجزات انها سحر فيسحتكم
بعذاب اي يستاصلكم بالاهلاك يقال فيه سحت واسحت بمعنى واصله من استقصاء
الشعر وقرا الكوفيون فيسحتكم من اسحت الباقون فيسحتكم من سحت وهذه لغة اهل
الحجاز وبني تميم وانتصب على جواب النهي وقال الفرزدق
* وعض زمان يا ابن مروان لم يدع * من المال الا مسحتا او مجلف *
الزمخشري وهذا بيت لا يزال الركب تصطك في تسويه اعرابه وقد خاب من افترى اي

خسر

خسر وهلك وخاب من الرحمة والثواب من ادعى على الله ما لم ياذن فيه قوله تعالى فتنازعوا
امرهم بينهم اي تشاوروا يريد السحرة واسروا النجوى قال قتادة قالوا ان كان ما جاء به سحرا
فسنغلبه وان كان من عند الله فسيكون له امر وهذا الذي اسروه وقيل هو قولهم ان هذان لساحران الايات
قاله السدي ومقاتل وقيل الذي اسروه قولهم ان غلبنا اتبعناه قاله الكلبي دليله ما ظهر من عاقبة
امرهم وقيل كان سرهم ان قالوا حين قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا ما هذا بقول
ساحر والنجوى المناجاة يكون اسما ومصدرا وقد تقدم في النسا بيانه قوله تعالى ان هذان
لساحران قرا ابو عمرو ان هذين لساحران ورويت عن عثمان وعايشة وغيرهما من الصحابة وكذلك
قرا الحسن وسعيد ابن جبير وابراهيم النخعي وغيرهم من التابعين ومن القرا عيسى ابن عمر وعاصم
الجحدري فيما ذكر النحاس وهذه القراة موافقة للاعراب مخالفة للمصحف وقرا الزهري والخليل
ابن احمد والمفضل وابان وابن محيصن وابن كثير وعاصم في رواية حفص عنه ان هذان بتخفيف
ان لساحران وابن كثير يشدد نون هذان وهذه القراة سلمت من مخالفة المصحف ومن فساد
الاعراب ويكون معناها ما هذان الا ساحران وقرا المدنيون والكوفيون ان هذان بتشديد ان
لساحران فوافقوا المصحف وخالفوا الاعراب قال النحاس فهذه ثلاث قراات قد رواها الجماعة
عن الايمة وروي عن عبد الله ابن مسعود انه قرا ان هذان الا ساحران وقال الكسائي في قراة
عبد الله ان هذان ساحران بغير لام وقال الفرا في حرف ابي ان ذان الا ساحران فهذه ثلاث
قراات اخرى تحمل على التفسير الا انها جايز ان يقرا بها لمخالفتها المصحف قلت وللعلما في قراة اهل
المدينة والكوفيين ستة اقوال ذكرها ابن الانباري في اخر كتاب الرد له والنحاس في اعرابه
والمهدوي في تفسيره وغيرهم دخل كلام بعضهم في بعض وقد خطاها قوم حتى قال ابو عمرو اني
لاستحي من الله ان اقرا ان هذان وروي عروة عن عايشة انها سيلت عن قوله تعالى لكن الراسخون
في العلم ثم قال والمقيمين وفي المايدة ان الذين امنوا والذين هادوا والصابيون وان هذان
لساحران فقالت يا ابن اختي هذا خطا من الكاتب وقال عثمان ابن عفان رضي الله عنه في
المصحف لحن وستقيمه العرب بالسنتهم وقال ابان بن عثمان قرات هذه الاية عند ابي عثمان ابن
عفان فقال لحن وخطا فقال له قايل الا تغيروه فقال دعوه فانه لا يحرم حلالا ولا يحلل حراما القول
الاول من الاقوال الستة انها لغة بني الحرث ابن كعب وزبيد وخثعم وكنانة ابن زيد يجعلون
رفع الاثنين ونصبه وخفضه بالالف يقولون جا الزيدان ورايت الزيدان ومررت بالزيدان
ومنه قوله تعالى ولا ادراكم به على ما تقدم وانشد الفرا لرجل من بني اسد قال وما رايت افصح
منه
* فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لناباه الشجاع لصمما *
ويقولون كسرت يداه وركبت علاه بمعنى يديه وعليه قال شاعرهم
* تزود منا بين اذناه ضربة * دعته الى هابي التراب عقيم *
وقال اخر
* ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها *
اي ان اباها وغايتها قال ابو جعفر النحاس وهذا القول من احسن ما حملت عليه الاية اذ
كانت هذه اللغة معروفة وقد حكاها من يرتضى علمه وامانته منهم ابو زيد الانصاري وهو
الذي يقول اذا قال سيبويه حدثني من اثق به فانما يعنيني وابو الخطاب الاخفش وهو
رئيس من رؤساء اللغة والكسائي والفرا كلهم قالوا هذا على لغة بني الحرث ابن كعب وحكى ابو
عبيدة عن ابي الخطاب ان هذه لغة بني كنانة المهدوي سيبويه واعلم انك اذا ثنيت الواحد
زدت عليه زايدتين الاولى منهما حرف مد ولين وهو حرف الاعراب قال ابو جعفر فقول سيبويه
وهو حرف الاعراب يوجب ان الاصل ان لا يتغير فيكون ان هذان جاء على اصله لتعلم ان ذلك
وقد قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان ولم يقل استحاذ فجاء هذا ليدل على الاصل فكذلك
ان هذان ولا تفكر في انكار من انكر هذه اللغة اذ كان الايمة قد رووها القول الثاني ان تكون
ان بمعنى نعم كما حكى الكسائي عن عاصم قال العرب تاتي بان بمعنى نعم وحكى سيبويه ان ان تاتي
بمعنى اجل والى هذا القول كان محمد بن يزيد واسماعيل ابن اسحاق القاضي يذهبان اليه النحاس
وقد عجب به ابو اسحاق النحاس وحدثنا علي ابن سليمان قال ثنا عبد الله بن احمد بن عبد السلام
النيسابوري ثم لقيت عبد الله ابن احمد فحدثني قال حدثني عمير ابن المتوكل قال ثنا محمد بن موسى

النوفلي من ولد حارث بن عبد المطلب قال نا عمير بن جميع الكوفي عن جعفر بن محمد عن ابيه عن
علي وهو ابن الحسين عن ابيه عن علي ابن ابي طالب رضوان الله عليهم اجمعين قال لا احصي كم سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على منبره ان الحمد لله نحمده ونستعينه ثم يقول انا افصح قريش
كلها وافصحها لهجة ابان بن سعيد ابن العاصي قال ابو محمد الخفاف قال عمير اعرابه عند اهل العربية
والنحو ان الحمد لله بالنصب الا ان العرب تجعل ان في معنى نعم كانه اراد نعم الحمد لله وذلك ان خطبا
الجاهلية كانت تفتتح في خطبها بنعم وقال الشاعر في معنى نعم •

• قالوا غدرت فقلت ان وربما • نال العلى وشفى الغليل الغادر •

وقال عبد الله بن قيس الرقيات • بكر العواذل في الصباح يلمنني والومهنه •
ويقلن شيب قد علاك • وقد كبرت فقلت انه • فعلى هذا جايز ان يكون قول الله عز وجل
ان هذان لساحران بمعنى نعم ولا تنصب قال النحاس انشدنا داود ابن الهيثم قال انشدني ثعلب

• ليت شعري هل للمحب شفاء • من جوى حبهن ان اللقاء •

قال النحاس وهذا قول حسن الا ان فيه شيا لانه انما يقال نعم زيد خارج ولا تكاد تقع اللام •
ههنا وان كان النحويون قد تكلموا في ذلك فقالوا اللام ينوى بها التقديم كما قال •

• خالي لانت ومن جرير خاله • ينل العلا ويكرم الاخوالا • اخر •

• ام الحليس لعجوز شهربه • ترضى من الشاة بعظم الرقبه •

اي لخالي ولام الحليس قال الزجاج ان هذان لهما ساحران ثم حذف المبتدا المهدوي وانكره ابو علي
وابو الفتح بن جني قال ابو الفتح هما المحذوف لم يحذف الا بعد ان عرف واذا كان معروفا فقد
استغنى بمعرفته عن تاكيده باللام ويقبح ان تحذف المؤكد وتترك المؤكد القول الثالث قاله الفرا
ايضا قال وجدت الالف دعامه ليست بلام الفعل فزدت عليها نونا ولم اغيرها كما قلت الذي ثم
زدت عليه نونا فقلت جاني الذين عندك ورايت الذين عندك ومررت بالذين عندك القول
الرابع قاله بعض الكوفيين قال الالف في هذا مشبهة بالالف في يفعلان فلم يغيرا القول
الخامس قال ابو اسحاق النحويون القدما يقولون الها ههنا مضمرة والمعنى انه هذان لساحران
قال ابن الانباري فاضمرت الها التي هي منصوب ان وهذان خبران وساحران يرفعهما هما المضمر
انه هذان لهما ساحران ولا يثبت عند اصحاب هذا الجواب ان الها اسم لان وهذان رفع بالابتدا
وما بعده خبر الابتدا القول السادس قال ابو جعفر النحاس وسالت ابا الحسن ابن كيسان عن
هذه الاية فقال ان شيت اجبتك بجواب النحويين وان شيت اجبتك بقولي فقلت بقولك
فقال سالني اسماعيل ابن اسحاق عنها فقلت القول عندي انه لما كان يقال هذا في موضع
الرفع والنصب والخفض على حال واحده وكانت التثنية يجب ان لا يغير لها الواحد اجريت التثنية
مجرى الواحد فقال ما احسن هذا لو تقدمك احد بالقول به حتى يونس به قال ابن كيسان فقلت
له فيقول القاضي حتى يونس به فتبسم قوله تعالى يريدان يخرجكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا
بطريقتكم المثلى هذا من قول فرعون للسحرة اي غرضهما افساد دينكم الذي انتم عليه كما قال
فرعون اني اخاف ان يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد ويقال فلان حسن الطريقة اي حسن
المذهب وقيل طريقة القوم افضل القوم وهو الذي ينبغي ان يسلكوا طريقته ويقتدوا به فالمعنى
ويذهبا بسادتكم ورؤسايكم استمالة لهم او يذهبا ببني اسرايل وهم الاماثل وان كانوا خولا لكم
لما يرجعون اليه من الانتساب الى الانبيا او يذهبا باهل طريقتكم فحذف المضاف والمثلى تانيث
الامثل كما يقال الافضل والفضلى وانث الطريقة على اللفظ وان كان يراد بها الرجال ويجوز
ان يكون التانيث على الجماعة وقال الكسائي بطريقتكم بسنتكم وسمتكم والمثلى نعت كقولك امراة
كبرى تقول العرب فلان على الطريقة المثلى يعنون على الهدى المستقيم قوله تعالى فاجمعوا
كيدكم الاجماع الاحكام والعزم على الشي تقول اجمعت الخروج وعلى الخروج اي عزمت وقرات كل الامصار
فاجمعوا الا ابا عمرو فانه قرا فاجمعوا بالوصل وفتح الميم واحتج بقوله تعالى فجمع كيده ثم اتى قال
النحاس وفيما حكى لي عن محمد ابن يزيد انه قال يجب على ابي عمرو ان يقرا بخلاف هذه وهي القراة
التي عليها اكثر الناس قال لانه احتج بجمع وقوله جل وعز فجمع كيده قد ثبت فيبعد ان يكون بعده
فاجمعوا ويقرب ان يكون بعده فاجمعوا اي اعزموا وجدوا ولما تقدم ذلك وجب ان يكون بخلاف معناه

بقال

يقال امر مجمع ومجمع عليه قال النحاس ويصح قراة ابي عمرو فاجمعوا اي اجمعوا كل كيد لكم وكل حيلة
فضموه مع اخيه وقال ابو اسحاق الثعلبي والقراة بقطع الالف وكسر الميم لها وجهان احدهما بمعنى
الجمع تقول اجمعت الشي وجمعته بمعنى واحد وفي الصحاح واجمعت الشي جعلته جميعا قال ابو
ذويب يصف حمرا • فكانها بالجزع بين نبايع • واولات ذي العرجا نهب مجمع •
اي مجموع والثاني انه بمعنى العزم والاحكام قال الشاعر •

• ليت شعري والمنا لا تنفع • هل اغدون يوما وامري مجمع •

اي محكم ثم ايتوا صفا قال مقاتل والكلبي وقيل صفوفا ليكون اشد لهيبتكم وهو منصوب
بوقوع الفعل عليه على قول ابي عبيدة قال يقال اتيت الصف يعني المصلى فالمعنى عنده ايتوا
الموضع الذي يجتمعون فيه يوم العيد وحكى عن بعض فصحا العرب ما قدرت ان اتي الصف
اي المصلى وقال الزجاج يجوز ان يكون المعنى ثم ايتوا والناس مصطفون فيكون على هذا مصدرا
في موضع الحال وكذلك لم يجمع وقرى ثم ايتوا بكسر الميم ويا ومن ترك الهمزة ابدل من الهمزة الفا وقد
افلح اليوم من استعلى اي من غلب وهذا كله من قول السحرة بعضهم لبعض وقيل من قول فرعون
لهم قوله تعالى قالوا ياموسى يريد السحرة اما ان تلقي عصاك من يدك واما ان نكون اول من
القى نادوا موسى فكان ذلك سبب ايمانهم قال بل القوا فاذا حبالهم في الكلام حذف اي فالقوا
دل عليه المعنى وقرا الحسن وعصيهم بضم العين قال هرون القاري لغة بني تميم وعصيهم وبها
ياخذ الحسن الباقون بالكسر اتباعا لكسرة الصاد ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي يخيل اليه من
سحرهم انها تسعى وقرا ابن عباس وابو حيوة الشامي وابن ذكوان وروح عن يعقوب تخيل بالتا
ردوه الى العصي والحبال اذ هي مونثة وذلك انهم لطخوا العصي بالزيبق فلما اصابها حر الشمس
ارتعشت واهتزت قال الكلبي خيل الى موسى ان الارض حيات وانها تسعى على بطنها وقرى
تخيل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تخيل ومن قرا يخيل بالبا رده الى الكيد وقرى نخيل بالنون
على ان الله هو المخيل للمحنة والابتلاء وقيل الفاعل انها تسعى فان في موضع رفع اي يخيل اليه
سعيها قاله الزجاج وزعم الفرا ان موضعها موضع نصب اي بانها ثم حذف البا والمعنى في الوجه
الاول تشبه اليهم من سحرهم وكيدهم حتى ظن انها تسعى وقال الزجاج ومن قرا بالتا جعل ان في موضع
نصب اي تخيل اليه ذات تسعى قال ويجوز ان يكون في موضع رفع بدلا من الضمير في تخيل وهو
عايد على الحبال والعصي والبدل فيه بدل اشتمال وتسعى معناه تمشي قوله تعالى فاوجس في
نفسه خيفة موسى اي اضمر وقيل وجد وقيل احس اي من الحيات وذلك على ما يعرض من طباع البشر
على ما تقدم وقيل خاف ان يفتتن الناس قبل ان يلقي عصاه وقيل خاف حين ابطا عليه الوحي
بالقا العصا ان يفترق الناس قبل ذلك فيفتتنوا وقال بعض اهل الحقايق انما كان السبب
ان موسى عليه السلام لما التقى بالسحرة وقال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب
التفت فاذا جبريل على يمينه فقال له ياموسى ترفق باوليا الله فقال موسى ياجبريل هولا سحرة
جاوا بسحر عظيم ليبطلوا المعجزة وينصروا دين فرعون ويردوا دين الله تقول ترفق باوليا الله فقال
جبريل هم من الساعة الى صلاة العصر عندك وبعد صلاة العصر في الجنة فلما قال له ذلك اوجس
في نفسه موسى وخطر ان ما يدريني ما علم الله في فلعلي اكون الان في حالة وعلم الله في على خلافها
كما كان هولا فلما علم الله ما في قلبه اوحى اليه لا تخف انك انت الاعلى اي الغالب لهم في الدنيا وفي
الدرجات العلى في الجنة للنبوة والاصطفا الذي اتاك الله به واصل خيفة خوفة فانقلبت الواو
يا لانكسار الخا قوله تعالى والق ما في يمينك تلقف ما صنعوا ولم يقل والق عصاك فجايز
ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق العويد الفرد الصغير الجرم الذي في
يمينك فانه بقدرة الله يتلقفها على وحدته وكثرتها وصغره وعظمها وجايز ان يكون تعظيما
لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكثيرة فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي
وانزره عندها فالقه يتلقفها باذن الله ويمحقها وتلقف بالجزم جواب الامر كانه قال ان تلقه
تلقف اي تاخذ وتبتلع وقرا السلمي وحفص تلقف قال ان تلقه تتلقف اي تا ساكنة اللام
من لقف يلقف لقفا وقرا ابن ذكوان وابو حيوة الشامي ويحيى ابن الحرث تلقف بحذف التا
ورفع الفا على معنى فانها تتلقف والخطاب لموسى وقيل للعصا والقف الاخذ بسرعة يقال

لقفت الشيء بالكسر القفه لقفا وتلقفته تلقفا ايضا اي تناولته بسرعة عن يعقوب يقال رجل لقف
ثقف اي خفيف حاذق واللقف بالتحريك سقوط الحايط ولقد لقف الحوض لقفا اي تهور من
اسفله واتسع وتلقف وتلقم وتلهم بمعنى وقد مضى في الاعراف لقمت اللقمة بالكسر لقما
وتلقمتها اذا ابتلعتها في مهلة ولذلك لهمته بالكسر اذا ابتلعته ما صنعوا اي الذي صنعوا وكذا
انما صنعوا اي الذين صنعوه كيد بالرفع سحر بكسر السين واسكان الحا وهي قراة الكوفيين الا
عاصما وفيه وجهان احدهما ان يكون الكيد مضافا الى السحر على الاتساع من غير تقدير حذف
الثاني ان يكون في الكلام حذف اي كيد ذي سحر وقرا الباقون كيد بالنصب بوقوع الصنع
عليه وما كافة ولا تضمر ها ساحر بالاضافة والكيد في الحقيقة على هذه القراة مضاف للساحر
لا للسحر ويجوز فتح ان على معنى لان ما صنعوه كيد سحر ولا يفلح الساحر حيث اتى اي لا يفوز
ولا ينجو حيث اتى من الارض وقيل حيث احتال وقد مضى في البقرة حكم الساحر ومعنى السحر
فتامله هناك قوله تعالى فالقي السحرة سجدا لما راوا من عظم الامر وخرق العادة في العصا
فانها ابتلعت جميع ما احتالوا به من الحبال والعصي وكانت حمل ثلاث مائة بعير ثم عادت عصا
لا يعلم احد اين ذهبت الحبال والعصي الا الله جل وعز وقد مضى في الاعراف هذا المعنى وامر
العصا مستوفى قالوا امنا برب هرون وموسى قال امنتم له اي به يقال امن له وامن به ومنه
فامن له لوط وفي الاعراف امنتم به قبل ان اذن لكم انكار منه عليهم اي تعديتم وفعلتم ما لم امركم
به انه لكبيركم الذي علمكم السحر اي رئيسكم في التعليم وانما غلبكم لانه احذق به منكم وانما اراد
فرعون بقوله هذا ليشبه على الناس حتى لا يتبعوهم فيومنوا كايمانهم والا فقد علم فرعون انهم
لم يتعلموا من موسى بل قد علموا السحر قبل قدوم موسى وولادته فلاقطعن ايديكم وارجلكم
من خلاف ولاصلبنكم في جذوع النخل اي على جذوع النخل قال سويد بن ابي كاهل

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة ♦ فلا عطست شيبان الا باجدعا ♦

فقطع وصلب حتى مات رحمه الله وقرا ابن محيصن هنا وفي الاعراف فلاقطعن ولاصلبنكم
بفتح الالف والتخفيف من قطع وصلب ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى يعني انا ام رب موسى
قوله تعالى قالوا يعني السحرة لن نوثرك اي لن نختارك على ما جانا من البينات قال ابن عباس
يريد من اليقين والعلم وقال عكرمة وغيره لما سجدوا اراهم الله في سجودهم منازلهم في الجنة
فلهذا قالوا لن نوثرك على وكانت امراة فرعون تسال من غلب فقيل لها غلب موسى وهرون
فقالت امنت برب موسى وهارون فارسل اليها فرعون فقال انظروا اعظم صخرة فان مضت
على قولها فالقوها عليها فلما اتوها رفعت بصرها الى السما فابصرت منزلها في الجنة فمضت على قولها
فانتزع روحها والقيت الصخرة على جسدها وليس فيها روح وقيل قال مقدم السحرة لمن يثق به
لما راى من عصا موسى ما راى انظر الى هذه الحية هل تخوفت فتكون جنيا او لم تتخوف فهي
من صنعة الصانع الذي لا يعزب عليه مصنوع فقال ما تخوفت فقال امنت برب هارون وموسى
والذي فطرنا قيل هو معطوف على ما جانا من البينات اي لن نوثرك على ما جانا من البينات ولا
على الذي فطرنا اي خلقنا وقيل هو قسم اي والله لن نوثرك فاقض ما انت قاض التقدير ما انت
قاضيه وليست ما هاهنا التي تكون مع الفعل بمنزلة المصدر لان تلك توصل بالافعال وهذه
موصولة بابتدا وخبر قال ابن عباس فاصنع ما انت صانع وقيل فاحكم ما انت حاكم اي من
القطع والصلب وحذفت اليا من قاض في الوصل لسكونها وسكون التنوين واختار سيبويه
اثباتها في الوقف لانه قد زال علة الالتقاء الساكنين انما تقضي هذه الحياة الدنيا اي انما ينفذ امرك
فيها وهذه منصوبة على الظرف والمعنى انما تقضي في متاع هذه الحياة الدنيا او وقت هذه
الحياة الدنيا فتقدر حذف المفعول ويجوز ان يكون التقدير انما تقضي امور هذه الحياة الدنيا
فتنتصب انتصاب المفعول وما كافة لان واجاز الفرا الرفع على ان تجعل ما بمعنى الذي وتحذف
الها من تقضي ورفعت هذه الحياة الدنيا انا امنا بربنا اي صدقنا بالله وحده لا شريك
له وما جاء به موسى ليغفر لنا خطايانا يريد الشرك الذي كانوا عليه وما اكرهتنا عليه من السحر
ما في موضع نصب معطوفة على الخطايا وقيل لا موضع لها وهي نافية اي ليغفر لنا خطايانا
من السحر وما اكرهتنا عليه النحاس والاول اولى المهدوي وفيه بعد لقولهم ايئن لنا لاجرا

انا كنا

ان كنا نحن الغالبين وليس هذا بقول مكرهين ولان الاكراه ليس بذنب وان كان يجوز ان
يكونوا اكرهوا على تعلمه صغارا قال الحسن كانوا يعلمون السحر اطفالا ثم عملوه مختارين بعد
ويجوز ان يكون ما في موضع رفع بالابتدا ويضمر الخبر والتقدير وما اكرهتنا عليه من السحر موضوع
عنا ومن السحر على هذا القول والقول الاول يتعلق باكرهتنا وعلى ان من ناتية يتعلق بخطايانا
والله خير وابقى حذف المضاف قاله ابن عباس وقيل الله خير لنا منك وابقى عذابا لنا من عذابك
لنا وهو جواب قوله ولتعلمن اينا اشد عذابا وابقى وقيل الله خير لنا ان اطعناه وابقى عذابا
منك ان عصيناه قوله تعالى انه من يات ربه مجرما قيل هو من قول السحرة لما امنوا وقيل ابتدا
كلام من الله عز وجل والكناية في انه ترجع الى الامر والشان ويجوز ان من تاب ومنه قول الشاعر

♦ ان من يدخل الكنيسة يوما ♦ يلق فيها جاذرا وظباء ♦

اراد انه من يدخل اي ان الامر هذا وهو ان المجرم يدخل النار والمومن يدخل الجنة والمجرم الكافر
وقيل الذي يقترف المعاصي ويكتسبها والاول اشبه لقوله فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى وهذه
صفة الكافر المكذب الجاحد على ما تقدم بيانه في سورة النسا وغيرها فلا ينتفع بحياته ولا
يستريح بموته قال الشاعر ♦ الا من لنفس لا تموت فينقضي ♦ شقاها ولا تحيا حياة لها طعم ♦
وقيل نفس الكافر معلقة في حنجرته كما اخبر الله تعالى عنه فلا يموت بفراقها ولا يحيى باستقرارها
ومعنى من يات ربه مجرما من يات موعد ربه ومعنى ومن ياته مومنا اي يمت عليه ويوافيه مصدقا
به قد عمل الصالحات اي الطاعات وما امر به ونهي عنه فاولئك لهم الدرجات العلى اي الرفيعة
التي قصرت دونها الصفات ودل قوله ومن ياته مومنا على ان المراد بالمجرم المشرك قوله تعالى جنات
عدن بيان للدرجات وبدل منها والعدن الاقامة وقد تقدم بيانه تجري من تحتها اي من تحت
غرفها وسررها الانهار من الخمر والعسل واللبن والما وقد تقدم خالدين فيها اي ماكثين دايمين
وذلك جزا من تزكى اي من تطهر من الكفر والمعاصي ومن قال هذا من قول السحرة قال لعل السحرة
سمعوه من موسى او من بني اسرايل اذ كان فيهم بمصر اقوام وكان فيهم ايضا المومن من ال فرعون
قلت ويحتمل ان يكون ذلك الهاما من الله لهم انطقهم بذلك لما امنوا والله اعلم قوله تعالى ولقد
اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي تقدم الكلام في هذا مستوفى فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا اي
يابسا لا طين فيه ولا ما وقد مضى في البقرة ضرب موسى البحر وكنيته اياه واغرق فرعون فلا
معنى للاعادة لا تخاف دركا اي لحاقا من فرعون وجنوده ولا تخشى قال ابن جريج قال اصحاب
موسى له هذا فرعون قد ادركنا وهذا البحر قد غشينا فانزل الله تعالى لا تخاف دركا ولا تخشى
اي لا تخاف دركا من فرعون ولا تخشى غرقا من البحر ان غشيك وقرا حمزة لا تخف على انه جواب
الامر التقدير ان تضرب لهم طريقا في البحر لا تخف ولا تخشى مستانف على تقدير ولا انت تخشى
او يكون مجزوما والالف مشبعة من فتحة كقوله فاضلونا السبيلا او يكون على حد قول الشاعر
♦ كان لم ترى قبلي اسيرا يمانيا ♦ على تقدير حذف الحركة كما تحذف حركة الصحيح وهذا مذهب
الفرا وقال اخر ♦ هجوت زبان ثم جيت معتذرا ♦ من سب زبان لم تهجو ولم تدع ♦
وقال اخر ♦ الم ياتيك والانباء تنمي ♦ بما لاقت لبون بني زياد ♦
قال النحاس وهذا من اقبح الغلط ان يحمل كتاب الله جل وعز على الشذوذ من الشعر وايضا
فان الذي جا به من الشعر لا يشبه من الاية شيا لان اليا والواو مخالفتان للالف لانهما يتحركان
والالف لا تتحرك وللشاعر اذا اضطر ان يقدرهما متحركتين ثم تحذف الحركة للجزم وهذا محال في
الالف والقراة الاولى ابين لان بعده ولا تخشى مجمع عليه بلا جزم وفيها ثلاث تقديرات الاول
ان يكون لا تخاف في موضع الحال من المخاطب التقدير فاضرب لهم طريقا في البحر يبسا غير خايف
ولا خاش الثاني ان تكون في موضع النعت للطريق لانه معطوف على يبس الذي هو صفة
ويكون التقدير لا تخاف فيه فحذف الراجع من الصفة والثالث ان يكون منقطعا خبر ابتدا
محذوف تقديره وانت لا تخاف قوله تعالى فاتبعهم فرعون بجنوده اي اتبعهم ومعه
جنوده وقري فاتبعهم بالتشديد فتكون اليا في بجنوده عدت الفعل الى المفعول الثاني لان
اتبع يتعدى الى مفعول واحد اي اتبعهم ليلحقهم بجنوده اي مع جنوده كما يقال ركب الامير
بسيفه اي مع سيفه ومن قطع فاتبع يتعدى الى مفعولين فيجوز ان تكون اليا زايدة ويجوز

ان يكون اقتصر على مفعول واحد يقال تبعه واتبعه ولحقه والحقه بمعنى واحد وقوله
بجنوده في موضع الحال كانه قال فاتبعهم ومعه جنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم اي اصابهم
من البحر ما غرقهم وكرر على معنى التعظيم والمعرفة بالامر واضل فرعون قومه وما هدى اي
اضلهم عن الرشد وما هداهم الى خير ولا نجاة لان قدر ان موسى عليه السلام ومن معه لا يفوتونه
لانه بين ايديهم البحر فلما ضرب موسى البحر بعصاه انفلق منه اثنا عشر طريقا وبين الطرق الماء
قائما كالجبال وفي سورة الشعرا فكان كل فرق كالطود العظيم اي الجبل الكبير فاخذ كل سبط
طريقا واوحى الله الى اطواد الماء ان تشبكي فصارت شبكات يرى بعضهم بعضا ويسمع بعضهم
كلام بعض فكان هذا من اعظم المعجزات واكبر الايات فلما اقبل فرعون وراى الطرق في البحر
والماء قائما اوهمهم ان البحر فعل هذا لهيبته فدخل هو واصحابه فانطبق البحر عليهم وقيل ان قوله
وما هدى تاكيد لاضلاله اياهم وقيل هو جواب قول فرعون ما اريكم الا ما ارى وما اهديكم الا
سبيل الرشاد فكذبه الله تعالى وقال ابن عباس وما هدى اي ما هدى نفسه بل اهلك نفسه
وقومه قوله تعالى يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم لما انجاهم من فرعون قال لهم هذا
ليشكروا وواعدناكم جانب الطور الايمن جانب نصب على المفعول الثاني لواعدنا ولا يحسن
ان ينتصب على الظرف لانه ظرف مكان محض غير مبهم وانما يتعدى الافعال والمصادر الى ظروف
المكان بغير حرف جر اذا كانت مبهمة قال مكي هذا اصل لا خلاف فيه وتقدير الاية وواعدناكم
اتيان جانب الطور ثم حذف المضاف قال النحاس اي امر موسى ان يامركم بالخروج معه ليكلمه
بحضرتكم فتسمعوا الكلام وقيل وعد موسى بعد اغراق فرعون ان ياتي جانب الطور الايمن
فيؤتيه التوراة فالوعد كان لموسى ولكن خوطبوا به لان الوعد كان لاجلهم وقرا ابو عمرو
ووعدناكم بغير الف واختاره ابو عبيد لان الوعد انما هو من الله تعالى لموسى خاصة والمواعدة
لا تكون الا من اثنين وقد مضى في البقرة هذا المعنى والايمن نصب لانه نعت للجانب وليس
للجبل يمين ولا شمال فاذا قيل خذ عن يمين الجبل فمعناه خذ على يمينك من الجبل وكان الجبل
على يمين موسى اذا اتاه ونزلنا عليكم المن والسلوى اي في التيه وقد تقدم القول فيه كلوا
من طيبات ما رزقناكم اي من لذيذ الرزق وقيل من حلاله اذ لا صنع فيه لادمي فتدخله
شبهة ولا تطغوا فيه اي لا تحملنكم السعة والعافية ان تعصوا لان الطغيان التجاوز الى ما لا
يجوز وقيل المعنى اي لا تكفروا النعمة ولا تنسوا شكر المنعم بها عليكم وقيل اي ولا تستبدلوا
بها شيئا اخر كما قال اتستبدلون الذي هو ادنى بالذي هو خير وقيل ولا تدخروا منه لاكثر
من يوم وليلة قال ابن عباس فتدود عليهم ما ادخروه ولولا ذلك ما تدود طعام ابدا فيحل
عليكم غضبي اي يجب وينزل وهو منصوب بالفاء في جواب النهي من قوله ولا تطغوا ومن
يحلل عليه غضبي فقد هوى قرا الاعمش ويحيى ابن وثاب والكسائي فيحل بضم الحاء ومن يحلل
بضم اللام الاولى والباقون بالكسر وهما لغتان وحكى ابو عبيدة وغيره ان يقال حل يحل
اذا وجب وحل يحل اذا نزل وكذا قال الفرا الضم من الحلول بمعنى الوقوع والكسر من الوجوب
والمعنيان متقاربان الا ان الكسر اولى لانهم قد اجمعوا على قوله ويحل عليه عذاب مقيم
وغضب الله عقابه ونقمته وعذابه فقد هوى قال الزجاج فقد هلك اي صار الى
الهاوية وهي قعر النار من هوى يهوي هويا اي سقط من علو الى اسفل وهوى فلان
اي مات وذكر ابن المبارك نا اسماعيل بن عياش نا ثعلبة بن مسلم عن ايوب بن بشير عن
شفي الاصبحي قال ان في جهنم جبلا يدعى صعودا يطلع فيه الكافر اربعين خريفا قبل ان
يرقاه قال الله تعالى سارهقه صعودا وان في جهنم قصرا يقال له هوى يرمى الكافر
من اعلاه فيهوي اربعين خريفا قبل ان يبلغ اصله قال الله تعالى ومن يحلل عليه غضبي
فقد هوى وذكر الحديث وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى واني لغفار لمن
تاب اي من الشرك وامن وعمل صالحا ثم اهتدى اي اقام على ايمانه حتى مات عليه قاله
سفيان الثوري وقتادة وغيرهما وقال ابن عباس اي لم يشك في ايمانه ذكره الماوردي
والمهدوي وقال سهل بن عبد الله التستري وابن عباس ايضا اقام على السنة والجماعة
ذكره الثعلبي وقال انس اخذ بسنة النبي صلى الله عليه وسلم ذكره المهدوي وحكاه الماوردي

عن الربيع ابن انس وقول خامس اصاب العمل قاله ابن زيد وعنه ايضا تعلم العلم ليهتدي كيف
يفعل ذكر الاول المهدوي والثاني الثعلبي وقال الشعبي ومقاتل والكلبي علم ان لذلك ثوابا
وعليه عقابا وقاله الفرا وقول ثامن ثم اهتدى في ولاية اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
قاله ثابت البناني والقول الاول احسن هذه الاقاويل ان شا الله واليه يرجع سايرها قال
وكيع عن سفيان كنا نسمع في قوله عز وجل واني لغفار لمن تاب اي من الشرك وامن اي بعد الشرك
وعمل صالحا صلى وصام ثم اهتدى مات على ذلك قوله تعالى وما اعجلك عن قومك يا موسى اي
ما حملك على ان تسبقهم قيل عنى بالقوم جميع بني اسرائيل فعلى هذا قيل استخلف هرون على بني
اسرائيل وخرج معه بسبعين رجلا للميقات فقوله هم اولا على اثري ليس يريد انهم يسيرون
خلفه متوجهين اليه بل اراد انهم بالقرب مني ينتظرون عودي اليهم وقيل لا بل كان امر هرون
بان يتبع في بني اسرائيل اثره ويلحقوا به وقال قوم اراد بالقوم السبعين الذين اختارهم
وكان موسى لما قرب من الطور سبقهم شوقا الى سماع كلام الله وقيل لما وفد الى طور سينا بالوعد
اشتاق الى ربه وطالت عليه المسافة من شدة الشوق الى الله تعالى فضاق به الامر حتى شق
قميصه ثم لم يصبر حتى خلفهم ومضى وحده فلما وقف في مقامه قال الله تبارك وتعالى وما اعجلك
عن قومك يا موسى فبقي صلى الله عليه وسلم متحيرا عن الجواب لهذه الكلمة لما استقله من صدق الشوق
فاعرض عن الجواب وكنى عنه بقوله هم اولاء على اثري وانما سأله عن السبب الذي اعجله بقوله ما
فاخبر عن مجيئهم بالاثر ثم قال وعجلت اليك رب لترضى فكنى عن ذكر الشوق وصرفه الى ابتغاء
الرضى ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله وعجلت اليك رب لترضى قال شوقا وكانت
عايشة رضي الله عنها اذا اوت الى فراشها تقول هاتوا المجيد فتؤتى بالمصحف فتاخذه في صدرها
وتنام معه تتسلى بذلك رواه سفيان عن مسعر عن عايشة وكان عليه السلام اذا امطرت السما
خلع ثيابه وتجرد حتى يصيبه المطر ويقول انه حديث عهد بربه فهذا من الرسول صلى الله عليه
وسلم ومن بعده من قبيل الشوق وكذلك قال تبارك وتعالى اسمه فيما يروى عنه طال شوق
الابرار الى لقاي واني الى لقايهم اشوق وقال ابن عباس كان الله عالما ولكن قال وما اعجلك
عن قومك رحمة لموسى واكراما له بهذا القول وتسكينا لقلبه ورقة عليه فقال مجيبا لربه هم
اولاء على اثري قال ابو حاتم قال عيسى بنو تميم يقولون هم اولا مقصورة مرسلة واهل
الحجاز يقولون اولاء ممدودة وحكى الفرا هم اولاء على اثري وزعم ابو اسحاق الزجاج ان هذا لا وجه
له قال النحاس وهو كما قال لان هذا ليس مما يضاف فيكون مثل هداي ولا يخلو من احدى
جهتين اما ان يكون اسما مبهما فاضافته محال واما ان يكون بمعنى الذين فلا يضاف ايضا لان
ما بعده من تمامه وهو معرفة وقرا ابن ابي اسحاق ونصر ورويس عن يعقوب على اثري بكسر
الهمزة واسكان الثاء وهو بمعنى اثر لغتان وعجلت اليك رب لترضى اي عجلت اليك ليزداد رضاك
قوله تعالى فانا قد فتنا قومك من
بعدك اي اختبرناهم وامتحناهم بان يستدلوا على الله عز وجل واضلهم السامري اي دعاهم الى
الضلالة اذ هو سببها وقيل فتناهم القيناهم في الفتنة اي زينا لهم عبادة العجل ولهذا قال
موسى ان هي الا فتنتك قال ابن عباس كان السامري من قوم يعبدون البقر فوقع بارض مصر
فدخل في دين بني اسرائيل بظاهره وفي قلبه ما فيه من عبادة البقر وقيل كان رجلا من القبط
وكان جار الموسى امن به وخرج معه وقيل كان عظيما من عظما بني اسرائيل من قبيلة تعرف
بالسامرة وهم معروفون بالشام قال سعيد بن جبير كان من اهل كرمان قوله تعالى فرجع
موسى الى قومه غضبان اسفا حال وقد مضى في الاعراف بيانه مستوفى قال يا قوم الم يعدكم
ربكم وعدا حسنا وعدهم عز وجل الجنة اذا اقاموا على طاعته ووعدهم انه يسمعهم كلامه في التوراة
على لسان موسى ليعملوا بما فيها فيستحقوا ثواب عملهم وقيل وعدهم النصر والظفر وقيل وعده
قوله واني لغفار لمن تاب وامن الاية افطال عليكم العهد اي افنسيتم كما قيل والشي قد ينسى
لطول العهد ام اردتم ان يحل عليكم غضب من ربكم يحل اي يجب وينزل والغضب العقوبة والنقمة
والمعنى ام اردتم ان تفعلوا فعلا يكون سبب حلول غضب الله بكم لان احدا لا يطلب غضب
الرب بل يرتكب ما يكون سببا للغضب فاخلفتم موعدي لانهم وعدوه ان يقيموا على طاعة الله

عز وجل الى ان يرجع اليهم من الطور وقيل وعدهم على اثره للميقات فتوقفوا قالوا ما اخلفنا
موعدك بملكنا بفتح الميم وهي قراة نافع وعاصم وعيسى ابن عمر قال مجاهد والسدي ومعناه
بطاقتنا ابن زيد لم نملك بكسر الميم واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها اللغة العالية وهو
مصدر ملكت الشي املكه ملكا والمصدر مضاف الى الفاعل والمفعول محذوف كانه قال
بملكنا الصواب بل اخطانا فهو اعتراف منهم بالخطا وقرا حمزة والكسائي بملكنا بضم الميم والمعنى
بسلطاننا اي لم يكن لنا ملك فنخلف موعدك ثم قيل قوله تعالى عام يراد به الخاص اي قاله
الذين ثبتوا على طاعة الله الى ان يرجع اليهم من الطور ما اخلفنا موعدك بملكنا وكانوا اثني
عشر الفا وكان جميع بني اسرايل ستمائة الف ولكنا حملنا بضم الحا وتشديد الميم مكسورة قراة
نافع وابن كثير وابن عامر وحفص ورويس الباقون بفتح الحرفين خفيفة واختاره ابو عبيدة
وابو حاتم لانهم حملوا حلي القوم معهم وما حملوه كرها اوزارا اي اثقالا من زينة القوم اي من حليهم
وكانوا استعاروه حين ارادوا الخروج مع موسى عليه السلام واوهموهم انهم يجتمعون في عيد
لهم او وليمة وقيل هو ما اخذوه من ال فرعون لما قذفهم البحر الى الساحل وسميت اوزارا بسبب
انها كانت اثاما اي لم يحل لهم اخذها ولم تحل لهم الغنايم وايضا فالاوزار هي الاثقال في اللغة
فقذفناها اي ثقل علينا حملها فكان معنى الحلي فقذفناه في النار ليذوب اي طرحناه
فيها وقيل طرحناه الى السامري ليرجع فنرى فيها رايه قال قتادة ان السامري قال
لهم حين استبطا القوم موسى انما احتبس عليكم من اجل ما عندكم من الحلي فجمعوه ودفعوه
الى السامري فرمى به في النار وصاغ لهم منه عجلا ثم القى عليه قبضة من اثر فرس الرسول وهو
جبريل عليه السلام وقال معمر الفرس الذي كان عليه جبريل هو الحياة فلما القى القبضة عليه
صار عجلا جسدا له خوار والخوار صوت البقر وقال ابن عباس لما انسبكت الحلي في النار
جا السامري وقال لهرون يا نبي الله القي ما في يدي وهو يظن انه كبعض ما جا به غيره من
الحلي فقذف التراب فيه وقال كن عجلا جسدا له خوار فكان كما قال للبلاء والفتنة فخار خورة
واحدة لم يتبعها مثلها وقيل خواره وصوته كان بالريح لانه كان عمل فيه خروقا فاذا دخلت
الريح في جوفه خار ولم تكن فيه حياة وهذا قول مجاهد وعلى القول الاول كان عجلا من
لحم ودم وهو قول الحسن وقتادة والسدي وروى حماد عن سماك عن سعيد ابن جبير عن ابن
عباس قال مر هرون بالسامري وهو يصنع العجل فقال ما هذا قال ينفع ولا يضر قال اللهم
اعطه ما سالك على ما في نفسه فقال اللهم اني اسالك ان يخور فكان اذا خار سجدوا وكان الخوار
من اجل دعوة هارون قال ابن عباس خار كما يخور الحي من العجول وروي ان موسى قال
يا رب هذا السامري اخرج لهم عجلا جسدا له خوار من حليهم فمن جعل الجسد والخوار قال الله
تعالى انا قال موسى صلوات الله عليه وسلامه وعزتك وجلالك وارتفاعك وعلو سلطانك
ما اضلهم غيرك قال صدقت يا حكيم الحكما وقد تقدم هذا كله في سورة الاعراف فقالوا هذا
الهكم واله موسى اي قال السامري ومن تابعه وكانوا ميالين الى التشبيه اذ قالوا اجعل لنا
الها كما لهم الهة هذا الهكم واله موسى فنسي اي فضل موسى يطلب فلم يعلم مكانه واخطا الطريق
الى ربه وقيل معناه فتركه موسى هنا وخرج يطلبه اي ترك موسى الهه هنا وروى اسرايل
عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال اي فنسي موسى ان يذكركم انه الاهه وقيل الخطاب
خبرا عن السامري اي ترك السامري ما امره به موسى من الايمان وضل قاله ابن الاعرابي فقال
الله تعالى محتجا عليهم افلا يرون اي يعتبرون ويتفكرون في انه لا يرجع اليهم قولا اي لا يكلمهم
وقيل لا يعود الى الخوار والصوت ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا فكيف يكون الها والذي يعبده
موسى صلى الله عليه وسلم يضر وينفع ويثيب ويعطي ويمنع وان لا يرجع تقديره انه لا يرجع
فلذلك ارتفع الفعل فخففت ان وحذفت الضمير وهو الاختيار في الروية والعلم والظن
قال ● في فتية من سيوف الهند قد علموا ● ان هالك كل من يحفى وينتعل ●
وقد يجوز مع التشديد قال ● فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ● ولكن زنجيا عظيم المشافر ●
اي ولكنك قوله تعالى ولقد قال لهم هرون من قبل اي من قبل ان ياتي موسى ويرجع
اليهم يا قوم انما فتنتم به اي ابتليتم واضللتم به اي بالعجل وان ربكم الرحمن لا العجل فاتبعوني

في عبادته واطيعوا امري لا امر السامري او فاتبعوني في مسيري الى موسى ودعوا العجل فعصوه
وقالوا لن نبرح عليه عاكفين اي لن نزال مقيمين على عبادة العجل حتى يرجع الينا موسى فننظر هل
يعبده كما عبدناه فتوهموا ان موسى يعبد العجل فاعتزلهم هرون في اثني عشر الفا الذين لم يعبدوا
العجل فلما رجع موسى وسمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل قال للسبعين الذين معه
هذا صوت الفتنة فلما راى هرون اخذ شعر راسه بيمينه ولحيته بشماله غضبا وقال يا هرون
ما منعك اذ رايتهم ضلوا اي اخطوا الطريق وكفروا ان لا تتبعني لا زايدة اي ان تتبع امري ووصيتي
وقيل ما منعك من اتباعي في الانكار عليهم وقيل معناه هلا قاتلتهم اذ قد علمت اني لو كنت بينهم
لقاتلتهم على كفرهم وقيل ما منعك من اللحوق بي لما فتنوا افعصيت امري يريد ان مقامك بينهم وقد
عبدوا غير الله تعالى عصيان منك لي قاله ابن عباس وقيل معناه هلا فارقتهم فتكون مفارقتك
اياهم تقريعا لهم وزجرا ومعنى افعصيت امري قيل ان امره ما حكاه الله تعالى عنه وقال موسى لاخيه
هرون اخلفني في قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين فلما اقام معهم ولم يبالغ في منعهم والانكار
عليهم نسبه الى عصيانه ومخالفة امره مسيلة وهذا كله اصل في الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وتغييره ومفارقة اهله وان المقيم بينهم لا سيما اذا كان راضيا حكمه كحكمهم وقد مضى هذا
المعنى في ال عمران والنسا والمايدة والانعام والاعراف والانفال وسيل الامام ابو بكر الطرطوشي
رحمه الله ما يقول سيدنا الفقيه في مذهب الصوفية واعلم حرس الله مدته انه اجتمع جماعة له
روح ودم فلما سالوك ان تجعل لهم الها زينت لي نفسي ذلك وقال علي رضي الله عنه لما نزل جبريل
ليصعد بموسى الى السما ابصره السامري من بين الناس فقبض قبضة من اثر الفرس وقيل قال
السامري رايت جبريل على الفرس وهي تلقي خطوها مد البصر فالقي في نفسي ان اقبض من اثرها
فما القيته على شي الا صار له روح ودم وقيل راى جبريل يوم نزل على رمكة وديق فتقدم خيل
فرعون في ورود البحر ويقال ان ام السامري جعلته حين وضعته في غار خوفا من ان يقتله
فرعون فجاه جبريل عليه السلام فجعل كف السامري في فم السامري يرضع العسل واللبن فاختلف
اليه فعرفه من حينيذ وقد تقدم هذا المعنى في الاعراف ويقال ان السامري سمع كلام موسى عليه
السلام حيث عمد تمثالين من شمع احدهما ثور والاخر فرس فالقاهما في النيل طلب قبر يوسف
وكان في تابوت في حجر في النيل فاتى به الثور على قرنه فتكلم السامري بذلك الكلام الذي سمعه
من موسى والقى القبضة في جوف العجل فخار وقرا حمزة والكسائي والاعمش وخلف بما لم تبصروا
بالتاء على الخطاب الباقون بالياء على الخبر وقرا ابي ابن كعب وابن مسعود والحسن وقتادة
فقبصت قبصة بصاد غير معجمة الباقون فقبضت قبضة بالضاد معجمة والفرق بينهما ان القبض
بجميع الكف والقبص باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم والقبصة بضم القاف القدر
المقبوض ذكره المهدوي ولم يذكر الجوهري قبصة القاف والصاد غير معجمة وانما ذكر القبضة
بضم القاف والضاد المعجمة وهو ما قبضت عليه من شي يقال اعطاه قبضة من سويق او تمر
اي كفا منه وربما جا بالفتح قال والقبص بكسر القاف والصاد غير المعجمة العدد الكثير من
الناس قال الكميت ● لكم مسجدا الله المزوران والحصى ● لكم قبصه من بين اثرى واقترى ●
فنبذتها اي طرحتها في العجل وكذلك سولت لي نفسي اي زينته قاله الاخفش وقال ابن
زيد حدثتني نفسي والمعنى متقارب قوله تعالى قال فاذهب اي قال له موسى فاذهب
اي من بيننا فان لك في الحياة ان تقول لا مساس اي لا امس ولا امس طول الحياة فنفاه موسى
عن قومه وامر بني اسرايل ان لا يخالطوه ولا يقربوه ولا يكلموه عقوبة له قال الشاعر
● تميم كرهط السامري وقوله ● الا لا يريد السامري مساسا ●
قال الحسن جعل الله عقوبة السامري ان لا يماس الناس ولا يماسوه عقوبة له ولمن كان منه
الى يوم القيمة فكان الله عز وجل شدد عليه المحنة بان جعله لا يماس احدا ولا يمكن من ان يمسه
احد وجعل ذلك عقوبة له في الدنيا ويقال ابتلي بالوسواس واصل الوسواس من ذلك الوقت
وقال قتادة بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك لا مساس وان مس واحد من غيرهم احدا منهم حم
كلاهما في الوقت ويقال ان موسى هم بقتل السامري فقال الله تعالى لا تقتله فانه سخي
ويقال ان السامري لما قال له موسى فاذهب فان لك في الحياة ان تقول لا مساس خاف جماعة

من رجال فيكثروا من ذكر الله تعالى وذكر محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم يوقعون بالقضيب على
شيء من الاديم ويقوم بعضهم يرقص ويتواجد حتى يقع مغشيا عليه ويحضرون شيئا ياكلونه هل
الحضور معهم جائز ام لا افتونا يرحمكم الله وهذا القول يذكرونه •

• يا شيخ كف عن الذنوب • قبل التفرق والزلل •
• واعمل لنفسك صالحا • ما دام ينفعك العمل •
• اما الشباب فقد مضى • وعلاك شيب قد نزل •

وفي مثل هذا وجوه الجواب يرحمك الله مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة وما
الاسلام الا كتاب الله وسنة رسوله واما الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب
السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين
الكفار وعباد العجل واما القضيب فاول من اتخذه الزنادقة ليشغلوا به المسلمين عن كتاب
الله تعالى وانما كان يجلس النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه كانما على رؤوسهم الطير من الوقار
فينبغي للسلطان ونوابه ان يمنعهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله
واليوم الاخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك وابي حنيفة والشافعي
واحمد بن حنبل وغيرهم من ائمة المسلمين وبالله التوفيق قوله تعالى قال يا ابن ام لا تاخذ
بلحيتي ولا براسي ابن عباس اخذ شعره بيمينه ولحيته بيساره لان الغيرة في الله ملكته
اي لا تفعل هذا فيتوهموا انه منك استخفاف او عقوبة وقد قيل ان موسى عليه السلام
انما فعل هذا على غير استخفاف ولا عقوبة كما ياخذ الانسان بلحية نفسه وقد مضى هذا
المعنى في الاعراف مستوفى والله جل وعز اعلم بما اراد نبيه عليه السلام اني خشيت ان
تقول فرقت بين بني اسرائيل اي خشيت ان اخرج واتركهم وقد امرتني ان اخرج معهم فلو
خرجت لاتبعني قوم ويتخلف عن العجل قوم وربما ادى الامر الى سفك الدما وخشيت ان
زجرتهم ان يقع قتال فتلومني على ذلك وهذا جواب هرون لموسى عن قوله افعصيت
امري وفي الاعراف ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وقد تقدم ومعنى ولم ترقب
قولي لم تعمل بوصيتي في حفظهم لانك امرتني ان اكون معهم قاله مقاتل وقال ابو عبيدة
لم تنتظر عهدي وقدومي فتركه موسى ثم اقبل على السامري فقال له ما خطبك اي امرك وشانك
وما الذي حملك على ما صنعت قال قتادة كان السامري عظيما في بني اسرائيل من قبيلة
يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع موسى فلما مرت بنو اسرائيل
بالعمالقة وهم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم الهة فاغتنمها
السامري وعلم انهم يميلون الى عبادة العجل فاتخذ العجل فقال السامري مجيبا لموسى
بصرت بما لم يبصروا به يعني رايت ما لم يروا رايت جبريل على فرس الحياة فالقي في نفسي ان
اقبض من اثره فقبضت فالقيته على شيء الا صار له روح فهرب فجعل يهيم في البرية مع
السباع والوحوش لا يجد احدا من الناس يمسه حتى صار كالقائل لا مساس لبعده عن
الناس وبعد الناس عنه كما قال الشاعر •

• حمال رايات بها قناعسا • حتى تقول الازد لا مساسا •

مسئلة هذه الاية اصل في نفي اهل البدع والمعاصي وهجرانهم وان لا يخالطوا وقد فعل
النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بكعب ابن مالك والثلاثة الذين خلفوا ومن التجا الى
الحرم وعليه قتل لا يقتل عند بعض الفقها ولكن لا يعامل ولا يبايع ولا يشارى وهو ارهاق
الى الخروج ومن هذا القبيل التغريب في حد الزنا وقد تقدم جميع هذا كله في موضعه فلا
معنى لاعادته والحمد لله وقال هرون القاري ولغة العرب لا مساس بكسر السين وفتح
الميم وقد تكلم النحويون فيه فقال سيبويه هو مبني على الكسر كما يقال اضرب الرجل وقال
ابو اسحاق لا مساس نفي وكسرت السين لان الكسرة من علامة التانيث تقول فعلت المراة
قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول اذا اعتل الشيء
من ثلاث جهات وجب ان يبنى واذا اعتل من جهتين وجب ان لا ينصرف لانه ليس بعد
الصرف الا البنا فمساس ودراك اعتل من ثلاث جهات منها انه معدول ومنها انه مونث

وانه معرفة فلما وجب البنا فيه وكانت الالف قبل السين ساكنة كسرت السين لالتقاء الساكنين
كما تقول اضرب الرجل ورايت ابا اسحاق يذهب الى ان هذا القول خطا والزم ابا العباس اذا سمي
امراة بفرعون ان يبنيه وهذا لا يقوله احد وقال الجوهري في الصحاح واما قول العرب لا مساس
مثل قطام فانما بني على الكسر لانه معدول عن المصدر وهو المس وقرا ابو حيوة لا مساس وان لك
موعدا لن تخلفه يعني يوم القيامة والموعد مصدر اي ان لك وعدا لعذابك وقرا ابن كثير وابو عمرو
تخلفه بكسر اللام وله معنيان احدهما ستاتيه ولن تجده مخلفا كما تقول احمدته اي وجدته
محمودا والثاني على التهديد اي لا بد لك من ان تصير اليه الباقون بفتح اللام بمعنى ان الله لن
يخلفك اياه قوله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا اي دمت واقمت عليه عاكفا
اي ملازما واصله ظللت قال حلي ان العتاقة من المطايا احسن به فهن اليه شوس اي احسن
وكذلك قرا الاعمش بلامين على الاصل وفي قراءة ابن مسعود ظلت بكسر الظاء يقال ظللت افعل
كذا اذا فعلته نهارا وظلت وظلت فمن قال ظلت حذف اللام الاول تخفيفا ومن قال ظلت القى
حركة اللام على الظاء لنحرقنه قراءة العامة بضم النون وشد الراء من حرق يحرق وقرا الحسن
وغيره بضم النون وسكون الحاء وتخفيف الراء من احرقه يحرقه وقرا علي وابن عباس وابو جعفر
وابن محيصن واشهب العقيلي لنحرقنه بفتح النون وضم الراء خفيفة من حرقت الشيء احرقه
حرقا بردته وحككت بعضه ببعض ومنه قولهم حرق نابه يحرقه ويحرقه اي سحقه حتى سمع
له صريف فمعنى هذه القراءة لنبردنه بالمبارد ويقال للمبرد المحرق والقراءتان الاولتان
معناهما الحرق بالنار وقد يمكن جمع ذلك فيه قال السدي ذبح العجل فسال منه كما يسيل من العجل
اذا ذبح ثم برد عظامه بالمبرد وحرقه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه واللحم والدم
اذا احرقا فصارا رمادا فيمكن تذريته في اليم فاما الذهب فلا يصير رمادا وقيل عرف موسى
ما صير به الذهب رمادا وكان ذلك من اياته ومعنى لننسفنه لنطيرنه وقرا ابو رجا لننسفنه بضم
السين لغتان والنسف نفض الشيء لتذهب به الريح وهو التذرية والمنسف ما ينسف به الطعام
وهو شيء منصوب الصدر اعلاه مرتفع والنسافة ما يسقط منه يقال اعزل النسافة وكل الخالص
ويقال اتانا فلان كان لحيته منسف حكاه ابو نصر احمد بن حاتم والمنسفة آلة يقلع بها البنا ونسفت
البنا نسفا قلعته ونسف البعير الكلا ينسفه بالكسر اذا اقتلعه باصله وانتسفت الشيء اقتلعته
عن ابي زيد قوله تعالى انما الهكم الله الذي لا اله الا هو لا العجل وسع كل شيء علما اي وسع علمه
كل شيء فنقل الفعل عن العلم ونصب على التفسير وقرا مجاهد وقتادة وسع كل شيء علما قوله تعالى
اي كما قصصنا عليك كذلك الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف اي كما قصصنا عليك خبر موسى
كذلك نقص عليك قصصا كذلك وقد اتيناك من انبا ما قد سبق ليكون تسلية لك وليدلك على
صدقك وقد اتيناك من لدنا ذكرا يعني القران وسمي القران ذكرا لما فيه من الذكر كما سمي
الرسول ذكرا لان الذكر كان ينزل عليه وقد اتيناك من لدنا ذكرا اي شرفا كما قال وانه لذكر لك
ولقومك اي شرف وتنويه باسمك قوله تعالى من اعرض عنه اي القران فلم يؤمن به ولم يعمل
بما فيه فانه يحمل يوم القيامة وزرا اي اثما عظيما وحملا ثقيلا خالدين فيه يريد مقيمين فيه
اي في جزائه وجزاؤه جهنم وساء لهم يوم القيامة حملا يريد بئس الحمل حملوه يوم القيامة وقرا
داود بن رفيع فانه يحمل قوله تعالى يوم ينفخ في الصور قراءة العامة ينفخ بضم الياء
على الفعل المجهول وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق ننفخ بنون مسمى الفاعل واستدل ابو عمرو بقوله
ونحشر بنون وعن ابي هرمز ينفخ بفتح الياء اي ينفخ اسرافيل ابو عياض في الصور الباقون في
الصور وقد تقدم هذا في الانعام مستوفى وفي كتاب التذكرة وقرا طلحة ابن مصرف ويحشر
بضم الياء المجرمون رفعا بخلاف المصحف والباقون ونحشر المجرمين اي المشركين زرقا حال من
المجرمين والزرق خلاف الكحل والعرب تتشاءم بزرق العيون وتذمه اي تشوه خلقتهم بزرقة
عيونهم وسواد وجوههم وقال الكلبي والفراء زرقا اي عميا وقال الازهري عطاشا قد
ازرقت اعينهم من شدة العطش وقيل انه الطمع الكاذب اذا تعقبته الخيبة يقال ابيضت
عيني لطول انتظاري لكذا وقول خامس ان المراد بالزرقة شخوص البصر من شدة الخوف
قال الشاعر • لقد زرقت عيناك يا ابن مكعبر • كما كل ضبي من اللوم ازرق •

يقال رجل ازرق العين والمراة زرقا بينة الزرق والاسم الزرقة وقد زرقت عينه بالكسر وازرقت عينه ازرقاقا وازراقت عينه ازريقاقا وقال سعيد ابن جبير قيل لابن عباس في قوله ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال في موضع اخر ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما فقال ان ليوم القيمة حالات فحالة يكون فيها زرقا وحالة عميا يتخافتون بينهم اصل الخفت في اللغة السكون ثم قيل لمن خفض صوته خفته والمعنى يتسارون قاله مجاهد اي يقول بعضهم لبعض في الموقف سرا ان لبثتم اي ما لبثتم يعني في الدنيا وقيل في القبور الا عشرا يريد عشر ليال وقيل اراد ما بين النفختين وهو اربعون سنة يرفع العذاب في تلك المدة او مدة مقامهم عن الكفار في قول ابن عباس فيستقصرون تلك المدة او مدة مقامهم في الدنيا لشدة ما يرون من اهوال القيامة ويخيل الى امثلهم اي اعدلهم قولا واعقلهم واعلمهم عند نفسه انهم ما لبثوا الا يوما واحدا يعني لبثهم في الدنيا عن قتادة فالتقدير الا مثل يوم وقيل انهم من شدة المطلع نسوا ما كانوا فيه من نعيم الدنيا حتى راوه كيوم وقيل اراد بيوم لبثهم ما بين النفختين او لبثهم في القبور على ما تقدم وعشرا ويوما منصوب بلبثتم قوله تعالى ويسالونك عن الجبال اي عن حال الجبال يوم القيمة فقل جاء هذا بعد كل سوال في القران قل بغير فاء الا هذا لان المعنى ان سالوك عنها عن الجبال فقل فتضمن الكلام معنى الشرط وقد علم الله انهم يسالونه عنه فاجاب قبل السوال وتلك اسيلة تقدمت سالوا عنها النبي صلى الله عليه وسلم فجا الجواب عقيب السوال فلذلك كان بغير فا وهذا سوال لم يسالوه عنه بعد فتفهمه وينسفها يطيرها نسفا قال ابن الاعرابي وغيره يقلعها قلعا من اصولها ثم يصيرها رملا يسيل سيلا ثم يصيرها كالصوف المنفوش يطيرها الرياح هكذا وهكذا وقال ولا يكون العهن من الصوف الا المصبوغ ثم كالهبا المنثور فيذرها اي يذر مواضعها قاعا صفصفا القاع الارض الملسا بلا نبات ولا بنا قاله ابن الاعرابي وقال الجوهري والقاع المستوي من الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو يا لكسرة ما قبلها وقال الفرا القاع مستنقع الماء والصفصف القرعا الكلبي هو الذي لا نبات فيه وقيل المستوي من الارض كانه على صف واحد في استوايه قاله مجاهد والمعنى واحد في القاع والصفصف فالقاع الموضع المنكشف والصفصف المستوي الاملس وانشد سيبويه • وكم دون بيتك من صفصف • ودكداك رمل واعقارها •
وقاعا نصب على الحال والصفصف لا ترى في موضع الصفة فيها عوجا قال ابن الاعرابي العوج التعوج في الفجاج والامت النبك وقال ابو عمرو والشاك وهي التلال الصغار واحدها نبك اي هي ارض مستويه لا انخفاض فيها ولا ارتفاع تقول امتلا فما به امت وملات القربه ملا لا امت فيه اي لا استرخا والامت في اللغة المكان المرتفع وقال ابن عباس عوجا ميلا قال والامت الاثر مثل الشراك وعنه ايضا عوجا واديا ولا امتا رابيه وعنه ايضا العوج الانخفاض والامت الارتفاع وقال قتادة عوجا صدعا ولا امتا اي اكمه وقال يمان الامت الشقوق في الارض وقيل الامت ان يغلظ مكان في الفضا والجبل ويدق في مكان حكاه الصولي قلت وهذه الاية تدخل في باب الرقى ترقى بها الثاليل وهي التي تسمى عندنا بالبراريق واحدها بروقه تطلع في الجسد وخاصة في اليد تاخذ ثلاثة اعواد من تبن الشعير يكون في طرف كل عود عقده تمر كل عقدة على الثاليل وتقرا الاية مرة ثم تدفن الاعواد في مكان ندي تعفن وتعفن الثاليل فلا يبقى لها اثر جربت ذلك في نفسي وفي غيري فوجدته نافعا باذن الله والحمد لله قوله تعالى يومئذ يتبعون الداعي يريد اسرافيل عليه السلام اذا نفخ في الصور لا عوج له اي لا معدل لهم عنه اي عن دعايه لا يزيغون ولا ينحرفون بل يسرعون اليه ولا يحيدون عنه وعلى هذا اكثر العلما وقيل لا عوج له اي لدعايه وقيل يتبعون اتباعا لا عوج له فالمصدر مضمر والمعنى يتبعون صوت الداعي للمحشر نظيره واستمع يوم يناد المنادي من مكان قريب الاية وسياتي وخشعت الاصوات اي ذلت وسكنت عن ابن عباس قال لما اتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة والجبال الخشع فكل لسان ساكت هناك للهيبة للرحمن اي من اجله فلا تسمع الا همسا الهمس الصوت الخفي قاله مجاهد ابن عباس الحس الخفي الحسن وابن جريج هو صوت وقع الاقدام بعضها على بعض الى المحشر ومنه قول الراجز وهن يمشين بنا هميسا

يعني صوت اخفاف الابل في سيرها ويقال للاسد الهموس لانه يهمس في الظلمة اي يطا وطا خفيفا قال روبه يصف نفسه بالشدة
• ليث يدق الاسد الهموسا • والاقهبين الفيل والجاموسا •
وهمس الطعام اي مضغه وفوه منضم قال الراجز • لقد رايت عجبا مذ امسا •
• عجايزا مثل السعالي خمسا • ياكلن ما اصنع همسا همسا •
وقيل الهمس تحريك الشفة واللسان وقرا ابي ابن كعب فلا ينطقون الا همسا والمعنى متقارب اي لا يسمع لهم نطق ولا كلام ولا صوت اقدام وبناه مرتين اصله الخفا كيف ما تصرف ومنه الحروف المهموسة وهي عشرة يجمعها قولك حثه شخص فسكت وانما سمي الحرف مهموسا لانه اضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النفس قوله تعالى يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن من في موضع نصب على الاستثنا الخارج من الاول اي لا تنفع الشفاعة احدا الا شفاعة من اذن له الرحمن ورضي له قولا اي رضي قوله في الشفاعة وقيل المعنى اي انما تنفع الشفاعة لمن اذن له الرحمن في ان يشفع له وكان له قول يرضى قال ابن عباس هو قول لا اله الا الله قوله تعالى يعلم ما بين ايديهم اي من امر الساعة وما خلفهم من امر الدنيا قاله قتادة وقيل يعلم ما يصيرون اليه من ثواب او عقاب وما خلفهم ما خلفوه وراهم في الدنيا قيل الاية عامة في جميع الخلق وقيل المراد الذين يتبعون الداعي قوله تعالى ولا يحيطون به علما الهاء في به لله تعالى اي احد لا يحيط به علما اذ الاحاطة مشعرة بالحد ويتعالى الرب عن التحديد وقيل تعود على العلم اي احد لا يحيط علما بما يعلمه الله وقال الطبري الضمير في ايديهم وخلفهم ويحيطون يعود على الملايكة اعلم الله من يعبدها انها لا تعلم ما بين ايديها وما خلفها قوله تعالى وعنت الوجوه اي ذلت وخضعت قاله ابن الاعرابي وغيره ومنه قيل للاسير عان قال امية بن ابي الصلت
• مليك على عرش السما مهيمن • لعزته تعنو الوجوه وتسجد •
وقال ايضا • وعنا له وجهي وخلقي كله • في الساجدين لوجهه مشكورا •
قال الجوهري عنا يعنو خضع وذل واعناه غيره ومنه قوله تعالى وعنت الوجوه للحي القيوم ويقال ايضا عنا فيهم فلان اسيرا اي اقام فيهم على اساره واحتبس وعناه غيره تعنية حبسه والعاني الاسير وقوم عناه ونسوة عوان وعنت به امور نزلت وقال ابن عباس عنت ذلت وقال مجاهد خشعت الماوردي والفرق بين الذل والخشوع وان تقارب معناهما هو ان الذل ان يكون ذليل النفس والخشوع ان يتذلل لذي طاعة وقال الكلبي عنت اي علمت عطية العوفي استسلمت وقال طلق ابن حبيب انه وضع الجبهة والانف على الارض في السجود النحاس وعنت الوجوه في معناه قولان احدهما ان هذا في الاخرة وروى عكرمة عن ابن عباس وعنت الوجوه للحي القيوم قال الركوع والسجود ومعنى عنت في اللغة القهر والغلبة ومنه فتحت البلاد عنوة اي غلبة قال الشاعر
• فما اخذوها عنوة عن مودة • ولكن بضرب المشرفي استقالها •
وقيل هو من العنا بمعنى التعب وكني عن الناس بالوجوه لان اثار الذل انما تتبين في الوجه للحي القيوم وفي القيوم ثلاث تاويلات احدها انه القايم بتدبير الخلق الثاني انه القايم على كل نفس بما كسبت الثالث انه الدايم الذي لا يزول ولا يبيد وقد مضى في البقرة هذا وقد خاب من حمل ظلما اي خسر من حمل شركا قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات وهو مومن لان العمل لا يقبل من غير ايمان ومن في قوله من الصالحات للتبعيض اي شيا من الصالحات وقيل للجنس فلا يخاف قرا ابن كثير ومجاهد وابن محيصن يخف بالجزم جوابا لقوله ومن يعمل الباقون يخاف رفعا على الخبر اي فهو لا يخاف او فانه لا يخاف ظلما اي نقصا لثواب طاعته ولا زيادة عليه في سياته ولا هضما بالانتقاص من حقه والهضم النقص والكسر يقال هضمت ذلك من حقي اي حططته وتركته وهذا يهضم الطعام اي ينقص ثقله وامراة هضيم الكشح اي ضامرة البطن الماوردي والفرق بين الظلم والهضم ان الظلم المنع من الحق كله والهضم المنع من بعضه والهضم ظلم وان افترقا من وجه قال المتوكل الليثي
• ان الاذلة واللئام لمعشر • مولاهم المتهضم المظلوم •

قال الجوهري ورجل هضيم ومهتضم اي مظلوم وهضمته اي ظلمته واهتضمه اذا ظلمه وكسر عليه
حقه قوله تعالى وكذلك اي كما بينا لك في هذه السورة من البيان فكذلك جعلناه قرانا عربيا
اي بلغة العرب وصرفنا فيه من الوعيد اي بينا ما فيه من التخويف والتهديد والثواب والعقاب
لعلهم يتقون اي يخافون الله فيجتنبون معاصيه ويحذرون عقابه او يحدث لهم ذكرا اي موعظة
وقال قتادة حذرا وورعا وقيل شرفا فالذكر هاهنا بمعنى الشرف كقوله وانه لذكر لك ولقومك
وقيل اي ليتذكروا العذاب الذي توعدوا به وقرا الحسن او نحدث بالنون وروي عنه رفع الثاء
وجزمها قوله تعالى فتعالى الله الملك الحق لما عرف العباد عظيم نعمه وانزال القران نزه نفسه
عن الاولاد والانداد فقال فتعالى الله اي جل الله الملك الحق اي ذو الحق ولا تعجل بالقران من
قبل ان يقضى اليك وحيه علم نبيه كيف يتلقى القران قال ابن عباس كان عليه السلام يبادر
جبريل فيقرا قبل ان يفرغ جبريل من الوحي حرصا على الحفظ وشفقة على القران مخافة النسيان
فنهاه الله عن ذلك وانزل ولا تعجل بالقران وهذا كقوله لا تحرك به لسانك لتعجل به على ما ياتي
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال لا تتله قبل ان تتبينه وقيل ولا تعجل اي لا تسل انزاله
قبل ان يقضى اي ياتيك وحيه وقيل المعنى لا تلقه الى الناس قبل ان ياتيك بيان تاويله
وقال الحسن نزلت في رجل لطم وجه امراته فجات الى النبي صلى الله عليه وسلم تطلب القصاص
فجعل النبي صلى الله عليه وسلم لها القصاص فنزل الرجال قوامون على النسا ولهذا قال وقل
رب زدني علما اي فهما لانه عليه السلام حكم بالقصاص وابى الله ذلك وقرا ابن مسعود وغيره
من قبل ان نقضي بالنون وكسر الضاد وحيه بالنصب قوله تعالى ولقد عهدنا الى ادم من
قبل فنسي قرا الاعمش باختلاف عنه فنسي باسكان اليا وله معنيان احدهما ترك اي
ترك الامر والعهد وهذا قول مجاهد واكثر المفسرين ومنه نسوا الله فنسيهم وقال ابن
عباس نسي هنا من السهو والنسيان وانما اخذ الانسان منه لانه عهد اليه فنسي قال ابن
زيد نسي ما عهد الله اليه في ذلك ولو كان له عزم ما اطاع عدوه ابليس وعلى هذا القول
يحتمل ان يكون ادم عليه السلام في ذلك الوقت ماخوذا بالنسيان وان كان النسيان عنا
اليوم مرفوعا ومعنى من قبل اي من قبل ان ياكل الشجرة لانه نهي عنها والمراد تسلية النبي
صلى الله عليه وسلم اي طاعة بني ادم للشيطان امر قديم اي ان نقض هولاء العهد فان
ادم ايضا عهدنا اليه فنسي حكاه القشيري وكذلك الطبري اي وان يعرض يا محمد هولاء
الكفرة عن اياتي ويخالفوا رسلي ويطيعوا ابليس فقديما فعل ذلك ابوهم ادم قال ابن
عطية وهذا التاويل ضعيف وذلك كون ادم مثالا للكفار الجاحدين بالله ليس بشي وادم
انما عصى بتاويل ففي هذا غضاضة عليه صلى الله عليه وسلم وانما الظاهر في الاية اما ان يكون
ابتدا قصص لا تعلق له بما قبله واما ان يجعل تعلقه انه لما عهد الى محمد صلى الله عليه
وسلم ان لا يعجل بالقران مثل له بنبي قبله عهد اليه فنسي فعوقب ليكون اشد في التحذير
وابلغ في العهد الى محمد صلى الله عليه وسلم والعهد هاهنا في معنى الوصية ونسي معناه
ترك ونسيان الذهول لا يمكن هنا لانه يتعلق بالناسي عقاب والعزم المضي على المعتقد
في اي شي كان وادم عليه السلام قد كان يعتقد ان لا ياكل من الشجرة لكن لما وسوس اليه
ابليس لم يعزم على معتقده والشي الذي عهد الى ادم هو ان لا ياكل من الشجرة واعلم مع ذلك
ان ابليس عدو له واختلف في معنى قوله ولم نجد له عزما فقال ابن عباس وقتادة لم
نجد له صبرا عن اكل الشجرة ومواظبة على التزام الامر قال النحاس وكذلك هو في اللغة
يقال لفلان عزم اي صبر وثبات على التحفظ من المعاصي حتى يسلم منها ومنه كما صبر
اولوا العزم من الرسل وعن ابن عباس ايضا وعطية العوفي حفظا لما امر به اي لم يتحفظ
مما نهيته حتى نسي وذهب عن علم ذلك بترك الاستدلال وذلك ان ابليس قال له ان
اكلتها خلدت في الجنة يعني عين تلك الشجرة فلم يطعه فدعاه الى نظير تلك الشجرة مما
دخل في عموم النهي وكان يجب ان يستدل عليه فلم يفعل وظن انها لم تدخل في النهي
فاكلها تاويلا ولا يكون ناسيا للشي من يعلم انه معصية وقال ابن زيد عزما محافظة
على امر الله وقال الضحاك عزيمة امر ابن كيسان اصرارا ولا عودا الى الذنب قال القشيري

والاول

والاول اقرب الى تاويل الكلام ولهذا قال قوم ادم لم يكن من اولي العزم من الرسل لان الله
قال ولم نجد له عزما وقال المعظم كل الرسل اولوا العزم وفي الخبر ما من نبي الا وقد اخطا او هم
بخطيئة ما خلا يحيى ابن زكريا فلو خرج ادم بسبب خطيئته من جملة اولي العزم لخرج جميع الانبيا
سوى يحيى وقد قال ابو امامة لو ان احلام بني ادم جمعت منذ خلق الله الخلق الى يوم القيمة
ووضعت في كفة ميزان ووضع حلم ادم في كفة اخرى لرجحهم وقد قال الله تعالى ولم نجد له
عزما قوله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى تقدم في البقرة
مستوفى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما نهي ومجازه لا تقبلا منه فيكون
ذلك سببا لخروجكما من الجنة فتشقى يعني انت وزوجك لانهما في استواء العلة واحد ولم
يقل فتشقيا لان المعنى معروف وادم عليه السلام هو المخاطب وهو المقصود وايضا لما كان
الكاد عليهما والكاسب لهما كان بالشقا اخص وقيل الاخراج واقع عليهما والشقاوة على
ادم وحده وهو شقاوة البدن الا ترى انه عقبه بقوله ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى اي
في الجنة وانك لا تظما فيها ولا تضحى فاعلمه ان له في الجنة هذا كله الكسوة والطعام والشراب
والمسكن وانك ان ضيعت الوصية واطعت العدو اخرجكما من الجنة فشقيت تعبا ونصبا اي جعت
وعريت وظميت واصابتك الشمس لانك ترد الى الارض اذا اخرجت من الجنة وانما خصه
بذكر الشقا ولم يقل فتشقيان يعلمنا ان نفقة المراة على الزوج فمن يوميذ جرت نفقة
النسا على الازواج فلما كانت نفقة حوى على ادم كذلك نفقات بناتها على بني ادم بحق الزوجية
واعلمنا في هذه الاية ان النفقة التي تجب للمراة على زوجها هذه الاربعة الطعام والشراب
والكسوة والمسكن فاما اعطاها هذه الاربعة فقد خرج اليها من نفقتها فان تفضل بعد
ذلك فهو ماجور فاما هذه الاربعة فلا بد لها منها لان بها اقامة المهجة قال الحسن المراد
بقوله فتشقى شقا الدنيا لا يرى ابن ادم الا ناصبا وقال الفرا هو ان ياكل من كد يديه
وقال سعيد بن جبير اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه
فهو شقاوه الذي قال الله تعالى وقيل لما اهبط من الجنة كان من اول شقايه ان جبريل
انزل عليه حبات من الجنة فقال يا ادم ازرع هذا فحرث وزرع ثم حصده ثم درسه ثم نقى
ثم طحن ثم عجن ثم خبز ثم جلس لياكل بعد التعب فتدحرج رغيفه من يده حتى صار اسفل
الجبل وجرى وراه ادم حتى تعب وقد عرق جبينه قال يا ادم فكذلك رزقك بالتعب والشقا
ورزق ولدك من بعدك ما كنت في الدنيا قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى
وانك لا تظما فيها ولا تضحى فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى ان لك ان لا تجوع فيها اي
في الجنة ولا تعرى وانك لا تظما فيها اي لا تعطش والظما العطش ولا تضحى اي تبرز للشمس
فتجد حرها اذ ليس في الجنة شمس انما هو ظل ممدود كما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس
قال ابو العالية نهار الجنة هكذا واشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال ابو زيد
ضحا الطريق يضحو ضحوا اذا بدا لك وظهر وضحيت بالفتح مثله والمستقبل اضحى في اللغتين
جميعا قال عمر بن ابي ربيعة رات رجلا ايما اذا الشمس عارضت فيضحى واما بالعشي فيخصر
وفي الحديث ان ابن عمر راي رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن احرمت له هكذا يرويه
المحدثون بفتح الالف وكسر الحا من اضحيت وقال الاصمعي انما هو اضح لمن احرمت له بكسر
الالف وفتح الحا من ضحيت اضحى لانه انما امره بالبروز للشمس ومنه قوله تعالى وانك
لا تظما فيها ولا تضحى وانشد ضحيت له كي استظل بظله اذا الظل اضحى في القيامة قالصا
وقال ابو عمرو والكوفيون الا عاصما في رواية ابي بكر عنه وانك بفتح الهمزة عطفا
على ان لا تجوع ويجوز ان تكون في موضع رفع عطفا على الموضع والمعنى ولك انك لا
تظما فيها الباقون بالكسر على الاستيناف وعلى العطف على ان لك قوله تعالى فوسوس
اليه الشيطان تقدم في الاعراف قال يعني الشيطان يا ادم هل ادلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى وهذا يدل على المشافهة وانه دخل الجنة في جوف الحية على ما تقدم في
البقرة بيانه وتقدم هناك تعيين الشجرة وما للعلما فيها فلا معنى لاعادتها فاكلا منها
فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة تقدم في الاعراف مستوفى وقال

الزا وطفقا في العربية اقبلا قال وقيل جعلا يلصقان عليهما ورق التين قوله تعالى وعصى ادم
ربه فغوى فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى وعصى تقدم في البقرة القول في ذنوب
الانبيا وقال بعض المتاخرين من علماينا والذي ينبغي ان يقال ان الله تعالى قد اخبر بوقوع
ذنوب من بعضهم ونسبها اليهم وعاتبهم عليها واخبروا بذلك عن نفوسهم وتنصلوا منها واستغفروا
منها وتابوا وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لا يقبل التاويل جملتها وان قبل ذلك احادها وكل ذلك
مما لا يزري بمناصبهم وانما تلك الامور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطا والنسيان
او تاويل دعا الى ذلك فهي الى غيرهم حسنات وفي حقهم سيات بالنسبة الى مناصبهم وعلو اقدارهم
اذ قد يواخذ الوزير بما يثاب عليه السايس فاشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم
بالامن والامان والسلامة قال وهذا هو الحق ولقد احسن الجنيد حيث قال حسنات الابرار
سيات المقربين فهم صلوات الله وسلامه عليهم وان كانوا قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب
منهم فلم يخل ذلك بمناصبهم ولا قدح في رتبتهم بل قد تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم
وزكاهم واختارهم واصطفاهم صلوات الله عليهم وسلامه الثانية قال القاضي ابو بكر
ابن العربي لا يجوز لاحدنا اليوم ان يخبر بذلك عن ادم الا اذا ذكرناه في اثنا قوله تعالى
عنه او قول نبيه فاما ان يبتدي ذلك من قبل نفسه فليس بجايز لنا في ابائنا الادنين
الينا المماثلين لنا فكيف في ابينا الاقدم الاعظم الاكبر النبي المقدم الذي عذره الله سبحانه
وتاب عليه وغفر له قلت واذا كان هذا في المخلوق لا يجوز فالاخبار عن صفات الله تعالى
كاليد والرجل والاصبع والجنب والنزول الى غير ذلك اولى بالمنع وانه لا يجوز الابتدا
بشي من ذلك الا في اثنا قراة كتابه او سنة رسوله ولهذا قال الامام مالك بن انس
من وصف شيا من ذات الله مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى
عنقه قطعت يده وكذلك في السمع والبصر يقطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه
الثالثة روى الايمة واللفظ للبخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
احتج ادم وموسى فقال موسى يا ادم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم
يا موسى اصطفاك الله عز وجل بكلامه وخط لك بيده تلومني على امر قدره الله علي قبل
ان يخلقني باربعين سنة فحج ادم موسى ثلاثا قال المهلب قوله فحج ادم موسى اي غلبه
بالحجة قال الليث ابن سعد وانما صحت الحجة في هذه القصة لادم على موسى عليهما السلام
من اجل ان الله تعالى قد غفر لادم خطيته وتاب عليه فلم يكن لموسى ان يعيره بخطية قد
غفرها الله له وكذلك قال ادم انت موسى الذي اتاك الله التوراة وفيها علم كل شي
فوجدت فيها ان الله قد قدر علي المعصية وقدر علي التوبة منها واسقط بذلك اللوم عني
افتلومني انت والله لا يلومني وبمثل هذا احتج ابن عمر على الذي قال له ان عثمان فر
يوم احد فقال ابن عمر ما على عثمان ذنب لان الله تعالى قد عفا عنه بقوله ولقد عفا الله
عنهم وقد قيل ان ادم عليه السلام اب وليس تعييره من بره ان لو كان مما يعير به غيره
فان الله تعالى يقول في الابوين الكافرين وصاحبهما في الدنيا معروفا ولهذا ان
ابراهيم عليه السلام لما قال له ابوه وهو كافر لين لم تنته لارجمنك واهجرني مليا قال
سلام عليك فكيف باب هو نبي قد اجتباه ربه وتاب عليه وهدى الرابعة واما من
عمل الخطايا ولم تاته المغفرة فان العلما مجمعون على انه لا يجوز له ان يحتج بمثل حجة ادم
فيقول تلومني على ان قتلت او زنيت او سرقت وقد قدر الله علي ذلك والامة مجمعة على
جواز ذلك حمد المحسن على احسانه ولوم المسي على اساته وتعديد ذنوبه عليه الخامسة
قوله تعالى فغوى اي ففسد عليه عيشه حكاه النقاش واختاره القشيري وسمعت
شيخنا الاستاد المقري ابا جعفر القرطبي يقول فغوى ففسد عيشه بنزوله الى الدنيا والغي
الفساد وهو تاويل حسن وهو اولى من تاويل من يقول ان فغوى معناه ضل من الغي الذي
هو ضد الرشد وقيل معناه جهل موضع رشده اي جهل ان تلك الشجرة هي التي نهي عنها والغي
الجهل وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل الزمخشري وهذا وان صح على لغة من يقلب
اليا المكسورة ما قبلها الفا فيقول في فني وبقي فنا وبقا وهم بنو طي تفسير خبيث

السادسة

السادسة قال القشيري ابو نصر قال قوم يقال عصى ادم وغوى ولا يقال له عاص
ولا غاو كما ان من خاط مرة يقال له خاط ولا يقال له خياط ما لم تتكرر منه الخياطة وقيل
يجوز للسيد ان يطلق في عبده عند معصيته ما لا يجوز لغيره ان يطلقه وهذا تكلف وما
اضيف من هذا الى الانبيا فاما ان تكون صغاير او ترك الاولى او قبل النبوة قلت هذا حسن
قال الامام ابو بكر ابن فورك رحمه الله كان هذا من ادم قبل النبوة ودليل ذلك قوله ثم
اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتبا والهداية كان بعد العصيان واذا كان
هذا قبل النبوة فجايز عليهم الذنوب وجها واحدا لان قبل النبوة لا شرع علينا في تصديقهم
فاذا بعثهم الله تعالى الى خلقه وكانوا امونين في الادا معصومين لم يضرهم ما قد سلف منهم
من الذنوب وهذا نفيس والله اعلم قوله تعالى قال اهبطا منها جميعا خاطب ادم
وابليس منها اي من الجنة وقد قال لابليس اخرج منها مذموما مدحورا فلعله اخرج من
الجنة الى موضع من السما ثم اهبط الى الارض بعضكم لبعض عدو وتقدم في البقرة اي انت
عدو للحية ولابليس وهما عدوان لك وهذا يدل على قوله اهبطا ليس خطابا لادم وحوا
لانهما ما كانا متعاديين وتضمن هبوط ادم هبوط حوا فاما ياتينكم مني هدى اي رشدا
وقولا حقا وقد تقدم في البقرة فمن اتبع هداي يعني الرسل والكتب فلا يضل ولا يشقى
قال ابن عباس ضمن الله تعالى لمن قرا القران وعمل بما فيه الا يضل في الدنيا ولا يشقى
في الاخرة وتلا الاية وعنه من قرا القران واتبع ما فيه هداه الله من الضلالة ووقاه
يوم القيمة سو الحساب ثم تلا الاية ومن اعرض عن ذكري اي ديني وتلاوة كتابي والعمل
بما فيه وقيل عما انزلت من الدلايل ويحتمل ان يكون الذكر الرسول لانه كان منه الذكر
فان له معيشة ضنكا اي عيشا ضيقا يقال منزل ضنك وعيش ضنك يستوي فيه الواحد
والاثنان والمذكر والمونث والجمع قال عنترة

ان يلحقوا اكرر وان يستلحموا • اشدد وان يلفوا بضنك انزل

وقال ايضا

ان المنية لو تمثل مثلت • اذ انزلوا بضنك المنزل

وقري ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان الله عز وجل جعل مع الدين التسليم والقناعة والتوكل
عليه وعلى قسمته فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال
عز وجل فلنحيينه حياة طيبة والمعرض عن الدين مستولي عليه الحرص الذي لا يزال يطمح
به الى الازدياد من الدنيا مسلط عليه الشح الذي يقبض يده عن الانفاق فعيشه
ضنك وحاله مظلمة كما قال بعضهم لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش
عليه رزقه في عيشة ضنك وقال عكرمة ضنكا كسبا حراما الحسن طعام الضريع والزقوم
وقول رابع وهو الصحيح انه عذاب القبر قاله ابو سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود
ورواه ابو هريرة مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرناه في كتاب التذكرة
قال ابو هريرة يضيق على الكافر قبره حتى تختلف فيه اضلاعه وهو المعيشة الضنك
ونحشره يوم القيمة اعمى قيل اعمى في حال وبصيرا في حال وقد تقدم في اخر سبحان
وقيل اعمى عن الحجة قاله مجاهد وقيل اعمى عن جهات الخير لا يهتدي لشي منها وقيل عن
الحيلة في دفع العذاب عن نفسه كالاعمى الذي لا حيلة له فيما لا يراه قال رب لم حشرتني
اعمى اي باي ذنب عاقبتني بالعمى وقد كنت بصيرا اي في الدنيا وكانه يظن انه لا ذنب له
وقال ابن عباس ومجاهد اي لم حشرتني اعمى عن حجتي وقد كنت بصيرا اي عالما بحجتي
القشيري وهو بعيد اذ ما كان للكافر حجة في الدنيا قال كذلك اتتك اياتنا اي قال
الله له كذلك اتتك اياتنا اي دلالاتنا على وحدانيتنا وقدرتنا فنسيتها اي تركتها ولم
تنظر فيها واعرضت عنها وكذلك نجزي من اسرف اي وكما جزينا من اعرض عن القران
وعن النظر في المصنوعات والتفكر فيها وجاوز الحد في المعصية ولم يومن بايات ربه
اي لم يصدق بها ولعذاب الاخرة اشد اي افظع من المعيشة الضنك وعذاب القبر
وابقى اي ادوم واثبت لانه لا ينقطع ولا ينقضي قوله تعالى افلم يهد لهم يريد اهل مكة
اي افلم يتبين لهم خبر من اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم اذا سافروا وخرجوا

في التجارة طلب المعيشة فيرون بلاد الامم الماضية والقرون الخالية خاوية اي افلا يخافون
ان يحل بهم مثل ما حل بالكفار قبلهم وقرا ابن عباس والسلمي وغيرهما نهد لهم بالنون وهي ابين
ويهدي بالياء مشكل لاجل الفاعل فقال الكوفيون كم الفاعل النحاس وهذا خطا لان كم
استفهام فلا يعمل فيها ما قبلها وقال الزجاج المعنى اولم يهد لهم الامر باهلاك من اهلكناه
وحقيقته يهدي يدل على الهدى فالفاعل هو الهدى تقديره افلم يهد الهدى لهم قال الزجاج
كم في موضع نصب باهلكنا قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك فيه تقديم وتاخير
اي ولولا كلمة سبقت من ربك واجل مسمى لكان لزاما قاله قتادة واللزام الملازمة اي لكان
العذاب لازما لهم واضمر اسم كان قال الزجاج واجل مسمى عطف على كلمة قتادة والمراد القيمة
وقال القتبي وقيل تاخيرهم الى يوم بدر قوله تعالى فاصبر على ما يقولون امره تعالى
بالصبر على اقوالهم انه ساحر انه كاهن انه كذاب الى غير ذلك والمعنى لا تحفل بهم فان لعذابهم
وقتا مضروبا لا يتقدم ولا يتاخر ثم قيل هذا منسوخ باية القتال وقيل ليس منسوخا اذ لم
يستاصل الكفار بعد اية القتال بل بقي المعظم منهم قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع
الشمس قال اكثر المتاولين هذه اشارة الى الصلوات الخمس قبل طلوع الشمس صلاة الصبح
وقبل غروبها صلاة العصر ومن اناء الليل العتمة واطراف النهار الاول واول طرف النهار
الاخر فهي في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس وهو وقت المغرب وقيل النهار
ينقسم قسمين فصلهما الزوال ولكل قسم طرفان فعند الزوال طرفان الاخر من القسم الاول
والاول من القسم الاخر فقال عن الطرفين اطرافا على نحو فقد صغت قلوبكما واشار الى هذا
النظر ابن فورك في المشكل وقيل النهار للجنس فلكل يوم طرف وهي التي جمع لانه يعود
في كل نهار واناء الليل ساعاته وواحد الاناء انا واني واني وقالت فرقة المراد بالاية
صلاة التطوع قاله الحسن قوله تعالى ولا تمدن بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه
الاعمال بما ترضى به وقرا الكسائي وابو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء اي لعلك ما يرضيك
قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به قد تقدم معناه في الحجر ازواجا مفعول
ثان بمتعنا وزهرة نصب على الحال وقال الزجاج زهرة منصوبة بمعنى متعنا لان معناه
جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة او بفعل مضمر وهو جعلنا اي جعلنا لهم زهرة الحياة الدنيا عن
الزجاج ايضا وقيل هي بدل من الهاء في به على الموضع كما تقول مررت به اخاك واشار الفرا
الى نصبه على الحال والعامل فيه متعنا قال كما تقول مررت به المسكين وقدره متعنا هم به
زهرة في الحياة الدنيا وزينة فيها ويجوز ان تنصب على المصدر مثل صنع الله ووعد الله
وفيه نظر والاحسن ان ينصب على الحال ويحذف التنوين لسكونه وسكون اللام من الحياة
كما قرئ ولا الليل سابق النهار بنصب النهار بسابق على تقدير حذف التنوين لسكونه
وسكون اللام وتكون الحياة مخفوضة على البدل من ما في قوله الى ما متعنا به فيكون
التقدير ولا تمدن عينيك الى الحياة الدنيا زهرة اي في حال زهرتها ولا يحسن ان تكون
زهرة بدلا من ما على الموضع في قوله الى ما متعنا لان لنفتنهم متعلق بمتعنا وزهرة الحياة
الدنيا يعني زينتها بالنبات والزهرة بالفتح في الزاي والهاء نور النبات والزهرة بضم
الزاي وفتح الهاء النجم وبنو زهرة بسكون الهاء قاله ابن عزيز وقرا عيسى ابن عمر زهرة
بفتح الهاء مثل نهر ونهر ويقال سراج زاهر اي له بريق وزهر الاشجار ما يروق من
الوانها وفي الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم ازهر اللون اي نير اللون يقال لكل
شيء مستنير زاهر وهو احسن الالوان لنفتنهم اي لنبتليهم وقيل لنجعل ذلك فتنة لهم وضلالا
ومعنى الاية لا تجعل يا محمد لزهرة الدنيا وزنا فانه لا بقاء لها ولا تمدن ابلغ من لا تنظرن
لان الذي يمد بصره انما يحمله على ذلك حرص مقترن والذي ينظر قد لا يكون ذلك معه
مسلة قال بعض الناس سبب هذه الاية ما رواه ابو رافع مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال نزل ضيف برسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلني عليه السلام الى رجل من
اليهود وقال قل له يقول لك محمد نزل بنا ضيف ولم نلف عندنا بعض الذي نصلحه فبعني
كذا وكذا من الدقيق او اسلفني الى هلال رجب فقال لا الا برهن قال فرجعت الى رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فقال والله اني لامين في السماء امين في الارض ولو اسلفني
او باعني لاديت اليه اذهب بدرعي اليه ونزلت الاية تعزية له عن الدنيا قال ابن عطية وهذا
معترض ان يكون سببا لان السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في اخر عمر النبي صلى الله
عليه وسلم لانه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت وانما الظاهر ان الاية متناسقة مع
ما قبلها وذلك ان الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالامم السالفة ثم توعدهم بالعذاب
المؤجل ثم امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحتقار لشانهم والصبر على اقوالهم والاعراض عن
اموالهم وما في ايديهم من الدنيا اذ ذلك منصرم عنهم صاير الى خزي قلت ولذلك ما روي عنه
عليه السلام انه مر بابل بني المصطلق وقد عبست بابوالها من السمن فتقنع بثوبه ثم مضى لقوله
عز وجل ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية ثم سلاه فقال ورزق ربك خير وابقى
اي ثواب الله على الصبر وقلة المبالاة بالدنيا اولى لانه يبقى والدنيا تفنى وقيل يعني بهذا الرزق
ما يفتح الله على المومنين من البلاد والغنائم قوله تعالى وامر اهلك بالصلاة امره تعالى
بان يامر اهله بالصلاة ويمتثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وهذا الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم ويدخل في عمومه جميع امته واهل بيته على التخصيص وكان عليه السلام بعد نزول
هذه الاية يذهب كل صباح الى بيت فاطمة وعلي رضوان الله عليهما فيقول الصلاة ويروى ان
عروة ابن الزبير رضي الله عنه كان اذا راى شيا من اخبار السلاطين واحوالهم بادر الى منزله
فدخله وهو يقرا ولا تمدن عينيك الاية الى قوله وابقى ثم ينادي بالصلاة يرحمكم الله ويصلي
وكان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلي هو ويتمثل بالاية
قوله تعالى لا نسالك رزقا اي لا نسالك ان ترزق نفسك واياهم وتشتغل عن الصلاة بسبب
الرزق بل نحن نتكفل برزقك واياهم فكان عليه السلام اذا نزل باهله ضيق امرهم بالصلاة وقد
قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون
ان الله هو الرزاق قوله تعالى والعاقبة للتقوى اي الجنة لاهل التقوى يعني العاقبة المحمودة
وقد يكون لغير التقوى عاقبة ولكنها مذمومة فهي كالمعدومة قوله تعالى وقالوا لولا ياتينا باية
من ربه يريد كفار مكة اي لولا ياتينا محمد باية توجب العلم الضروري او باية ظاهرة كالناقة
والعصا او هلا ياتينا بالايات التي نقترحها نحن كما اتى الانبياء من قبله قال الله تعالى
اولم تاتهم بينة ما في الصحف الاولى يريد التوراة والانجيل والكتب المتقدمة وذلك اعظم اية
اذ اخبر بما فيها وقرئ الصحف بالتخفيف وقيل اولم تاتهم الاية الدالة على نبوته بما وجدوه في
الكتب المتقدمة من البشارة وقيل اولم ياتهم اهلاكنا الامم الذين كفروا واقترحوا الايات فما يؤمنهم
ان اتتهم الايات ان يكون حالهم حال اولئك وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وابو عمرو ويعقوب
وابن ابي اسحاق وحفص اولم تاتهم بالتاء لتانيث البينة الباقون بالياء لتقدير الفعل ولان
البينة هي البيان والبرهان فردوه الى المعنى واختاره ابو عبيد وابو حاتم وحكى الكسائي اولم
تاتهم بينة ما في الصحف الاولى قال ويجوز على هذا بينة ما في الصحف الاولى قال النحاس
اذا نونت بينة ورفعت جعلت ما بدلا منها واذا نصبتها فعلى الحال والمعنى اولم تاتهم ما في الصحف
الاولى مبينا قوله تعالى ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل بعثة محمد عليه
السلام ونزول القران لقالوا اي يوم القيامة ربنا لولا ارسلت اي هلا ارسلت الينا رسولا
فنتبع اياتك من قبل ان نذل ونخزى على ما لم نسم فاعله روى ابو سعيد الخدري قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهالك في الفترة والمعتوه والمولود قال يقول الهالك
في الفترة لم ياتني كتاب ولا رسول ثم تلا ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا
ارسلت الينا رسولا الاية ويقول المعتوه رب لم تجعل لي عقلا اعقل به خيرا ولا شرا ويقول
المولود رب لم ادرك العمل فترفع لهم نار فيقول لهم ردوها وادخلوها قال فيردها او يدخلها
من كان في علم الله سعيدا لو ادرك العمل قال فيردها او يدخلها من كان في علم الله سعيدا
لو ادرك العمل ويمسك عنها من كان في علم الله شقيا لو ادرك العمل قال فيقول الله تعالى
اياي عصيتم فكيف رسلي لو اتتكم ويروى موقوفا عن ابي سعيد قوله وفيه نظر وقد بيناه
في كتاب التذكرة وبه احتج من قال ان الاطفال وغيرهم يمتحنون في الاخرة فنتبع نصب

بجواب التخصيص اي انك يريد ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم من قبل ان نذل اي في العذاب
ونخزي في جهنم قال ابن عباس وقيل من قبل ان نذل في الدنيا بالعذاب ونخزى في الاخرة
بعذابها قل كل متربص اي قل لهم يا محمد كل متربص اي كل المومنين والكافرين منتظر دواير
الزمان ولمن يكون النصر فتربصوا فستعلمون من اصحاب الصراط السوي ومن اهتدي يريد
الدين المستقيم والهدي فستعلمون بالنصر من اهدي الي دين الحق وقيل فستعلمون يوم القيمة
من اهدي الي طريق الجنة وفي هذا ضرب من الوعيد والتخويف والتهديد ختم به السورة
وقرا فسوف تعلمون قال ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الزمخشري
ومن في موضع رفع عند الزجاج وقال الفرا يجوز ان يكون في موضع نصب مثل والله يعلم
المفسد من المصلح قال ابو اسحاق هذا خطا لان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ومن هاهنا
استفهام في موضع رفع بالابتدا والمعنى فستعلمون من اصحاب الصراط السوي نحن ام انتم
قال النحاس والفرا يذهب الي ان معنى من اصحاب الصراط السوي من لم يضل والي ان معنى
ومن اهتدي من ضل ثم اهتدي وقرا يحيى بن يعمر وعاصم الجحدري فسيعلمون من اصحاب الصراط
السوي بتشديد الواو وبعدها الف التانيث على فعلى بغير همز وتانيث الصراط شاذ قليل
قال الله تعالى اهدنا الصراط المستقيم فجا مذكرا في هذا وفي غيره وقد رد هذا ابو حاتم
قال ان كان من السواد وجب ان يقال السيا بكسر السين والاصل السويا قال الزمخشري
وقري السواي بمعنى الوسط والعدل والمستوي النحاس وجواز قراة يحيى بن يعمر والجحدري
ان يكون الاصل السواي والساكن ليس بحاجز حصين فكانه قبل الهمزة ضمة فابدل منها
واوا كما يبدل منها الفا اذا انفتح ما قبلها والله سبحانه وتعالى اعلم والله الموفق

سورة الانبيا عليهما السلام مكية

في قول الجميع وهي مائة واثنا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقترب للناس حسابهم قال عبد الله بن مسعود الكهف ومريم وطه والانبيا
من العتاق الاول وهن من تلادي يريد من قديم ما كسبت وحفظت من القران كالمال التلاد
وروي ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فمر به اخر في يوم
نزول هذه السورة فقال الذي يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القران فقال الاخر اقترب
للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يده من البنيان وقال والله لا بنيت ابدا
وقد اقترب الحساب اقترب قرب اي قرب الوقت الذي يحاسبون فيه على اعمالهم للناس قال
ابن عباس المراد بالناس هنا المشركون بدليل قوله الا استمعوه وهم يلعبون الي قوله
افتاتون السحر وانتم تبصرون وقيل الناس عموم وان كان المشار اليه في ذلك الوقت
كفار قريش يدل على ذلك ما بعد من الايات ومن علم اقتراب الساعة قصر امله وطابت
نفسه بالتوبة ولم يركن الي الدنيا فكان ما كان لم يكن اذا ذهب وكل ات قريب والموت
لا محالة ات وموت كل انسان قيام ساعته والقيام ايضا قريبة بالاضافة الي ما مضى من
الزمان فما بقي من الدنيا اقل مما مضى وقال الضحاك معنى اقترب للناس حسابهم اعذابهم
يعني اهل مكة لانهم استبطوا ما وعدوا به من العذاب تكذيبا وكان قتلهم يوم بدر النحاس ولا
يجوز في الكلام اقترب للناس حسابهم لئلا يتقدم مضمر على مظهر لا يجوز ان ينوي به التاخير
وهم في غفلة معرضون ابتدا وخبر ويجوز النصب في غير القران على الحال وفيه وجهان
احدهما وهم في غفلة معرضون يعني بالدنيا عن الاخرة الثاني عن التاهب للحساب
وعما جا به محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الواو عند سيبويه بمعنى اذ وهي التي يسميها
النحويون واو الحال كما قال تعالى يغشى طايفة منكم وطايفة قد اهمتهم انفسهم قوله
تعالى ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث نعت لذكر واجاز الكسايي والفرا محدثا بمعنى ما ياتيهم
محدثا نصب على الحال واجاز الفرا ايضا رفع محدث على النعت للذكر لانك لو حذفت من
رفعت ذكرا اي ما ياتيهم ذكر من ربهم محدث يريد في النزول تلاوة جبريل على النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم فانه كان ينزل سورة بعد سورة واية بعد اية كما كان ينزله الله تعالى عليه
في وقت بعد وقت لا ان القران مخلوق وقيل الذكر ما يذكرهم به النبي صلى الله عليه وسلم
ويعظهم به وقال من ربهم لان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق الا بالوحي فوعظ النبي صلى
الله عليه وسلم وتحذيره ذكر وهو محدث قال الله تعالى فذكر انما انت مذكر ويقال فلان
في مجلس الذكر وقيل الذكر الرسول نفسه قاله الحسين ابن الفضل بدليل ما في سياق الاية
هل هذا الا بشر مثلكم ولو اراد بالذكر القران لقال هل هذا الا اساطير الاولين ودليل هذا
التاويل قوله تعالى ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين يعني محمدا صلى الله
عليه وسلم وقال قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الا استمعوه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم
والقران من النبي صلى الله عليه وسلم ومن امته وهم يلعبون الواو واو الحال يدل عليه لاهية
قلوبهم ومعنى يلعبون اي يلهون وقيل يشتغلون فان حمل تاويله على اللهو احتمل ما يلهون
به وجهين احدهما بلذاتهم الثاني بسماع ما يتلى عليهم وان حمل تاويله على الشغل احتمل ما
يتشاغلون به وجهين احدهما بالدنيا لانها لعب كما قال تعالى انما الحياة الدنيا لعب ولهو
الثاني يتشاغلون بالقدح فيه والاعتراض عليه قال الحسن كلما جدد لهم الذكر استمروا
على الجهل وقيل يستمعون القران مستهزيين قوله تعالى لاهية قلوبهم اي ساهية قلوبهم
معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التامل والتفهم من قول العرب لهيت عن ذكر الشي اذا تركته
وسلوت عنه الهي لهيا ولهيانا ولاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت ان يتبع المنعوت
في جميع الاعراب فاذا تقدم النعت الاسم انتصب كقوله خاشعا ابصارهم ودانية عليهم ظلالها
ولاهية قلوبهم قال الشاعر • لعزة موحشا طلل يلوح كانه خلل •
اراد طلل موحش واجاز الكسايي والفرا لاهية قلوبهم بالرفع بمعنى قلوبهم لاهية واجاز
غيرهما الرفع ان يكون خبرا بعد خبر وعلى اضمار مبتدا وقال الكسايي ويجوز ان يكون المعنى
الا استمعوه لاهية قلوبهم واسروا النجوي الذين ظلموا اي تناجوا فيما بينهم بالتكذيب
ثم بين من هم فقال الذين ظلموا اي الذين اشركوا فالذين ظلموا بدل من الواو في اسروا وهو
عايد على الناس المتقدم ذكرهم ولا يوقف على هذا القول على النجوي قال المبرد هو كقولك
ان الذين في الدار انطلقوا بنو عبد الله فبنو بدل من الواو في انطلقوا وقيل هو رفع
على الذم اي هم الذين ظلموا وقيل على حذف القول التقدير يقول الذين ظلموا وحذف القول
مثل والملايكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم واختار هذا القول النحاس قال
والدليل على صحة هذا الجواب ان بعده هل هذا الا بشر مثلكم وقول رابع يكون منصوبا بمعنى
اعني الذين ظلموا حسابهم ولا يوقف على هذا الوجه على النجوي ويوقف على الوجوه المتقدمة
الثلاثة قبله فهذه اربعة اقوال واجاز الاخفش الرفع على لغة من قال اكلوني البراغيث
وهو حسن قال الله تعالى ثم عموا وصموا كثير منهم قال الشاعر
• بك نال النضال دون المساعي • فاهتدين النبال للاغراض •
وقال اخر • ولكن ديافي ابوه وامه • بحوران يعصرن السليط اقاربه •
وقال الكسايي فيه تقديم وتاخير مجازه والذين ظلموا اسروا النجوي ابو عبيدة اسروا
هنا من الاضداد فيحتمل ان يكونوا اخفوا كلامهم ويحتمل ان يكونوا اظهروه واعلنوه قوله
تعالى هل هذا الا بشر مثلكم اي تناجوا بينهم وقالوا هل هذا الذكر الذي هو الرسول او
هذا الذي يدعوكم الا بشر مثلكم لا يتميز عنكم بشي ياكل الطعام ويمشي في الاسواق كما
تفعلون وما علموا ان الله عز وجل بين انه لا يجوز ان يرسل اليهم الا بشرا ليفهموا ويعلمهم
افتاتون السحر اي ان الذي جا به محمد سحر فكيف تجيبون اليه وتتبعونه فاطلع الله نبيه
عليه السلام على ما تناجوا به والسحر في اللغة كل مموه لا حقيقة له ولا صحة وانتم تبصرون
قيل معناه وانتم تبصرون انه انسان مثلكم مثل وانتم تعقلون لان العقل البصر بالاشيا
وقيل المعنى افتقبلون السحر وانتم تعلمون انه سحر وقيل المعنى افتعدلون الي الباطل وانتم
تعرفون الحق ومعنى الكلام التوبيخ قوله تعالى قل ربي يعلم القول في السما والارض
اي لا يخفى عليه شي مما يقال في السما والارض وفي مصاحف اهل الكوفة قال ربي اي قال

ربي يعلم القول اي هو عالم بما تناجيتم وقيل ان القراة الاولى اولى لانهم اسروا هذا القول فاظهر الله عز وجل عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وامره ان يقول لهم هذا قال النحاس والقراءتان صحيحتان وهما بمنزلة ايتين وفيهما من الفايدة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر وانه كما امر قوله تعالى بل قالوا اضغاث احلام قال الزجاج اي قالوا الذي ياتي به اضغاث احلام وقال غيره اي قالوا هو اخلاط كالاحلام المختلطة اي اهاويل راها في المنام قال معناه مجاهد وقتادة ومنه قول الشاعر

• احاديث طسم او سراب بفدفد • ترقرق للساري واضغاث حالم •

وقال اليزيدي الاضغاث ما لم يكن له تاويل وقد مضى هذا في يوسف فلما راوا ان الامر ليس كما قالوا انتقلوا عن ذلك فقالوا بل افتراه ثم انتقلوا عن ذلك فقالوا بل هو شاعر اي هم متحيرون لا يستقرون على شي قالوا مرة سحر ومرة اضغاث احلام ومرة افتراه ومرة شاعر وقيل اي قال فريق انه ساحر وفريق انه اضغاث احلام وفريق انه شاعر والافترا الاختلاق وقد تقدم فلياتنا باية كما ارسل الاولون اي كما ارسل موسى بالعصا وغيرها من الايات ومثل ناقة صالح وكانوا عالمين بان القران ليس بسحر ولا رويا ولكن قالوا ينبغي ان ياتي باية نقترحها ولم يكن لهم الاقتراح بعدما راوا اية واحدة وايضا اذا لم يومنوا باية هي من جنس ما هم اعلم الناس به ولا مجال للشبهة فيها فكيف يومنون باية غيرها ولو ابرا الاكمه والابرص لقالوا هذا من باب الطب وليس ذلك من صناعتنا وانما كان سوالهم تعنتا اذ كان الله اعطاهم من الايات ما فيه كفاية وبين الله عز وجل انهم لو كانوا يومنون لاعطاهم ما سالوا لقوله جل وعز ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون قوله تعالى ما امنت قبلهم من قرية قال ابن عباس يريد قوم صالح وقوم فرعون اهلكناها يريد كان في علمنا هلاكها افهم يومنون يريد يصدقون اي فما امنوا بالايات فاستوصلوا فلو راى هولا ما اقترحوا لما امنوا لما سبق من القضا بانهم لا يومنون ايضا وانما تاخر عقابهم لعلمنا بان في اصلابهم من يومن ومن زايدة في قوله من قرية كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين قوله تعالى وما ارسلنا قبلك الا رجالا نوحي اليهم هذا رد عليهم في قولهم هل هذا الا بشر مثلكم وتانيس لنبيه عليه السلام اي لم نرسل قبلك الا رجالا فاسيلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون يريد اهل التوراة والانجيل الذين امنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم قاله سفيان وسماهم اهل الذكر لانهم كانوا يذكرون خبر الانبيا مما لم تعرفه العرب وكانت كفار قريش يراجعون اهل الكتاب في امر محمد عليه السلام وقال ابن زيد اراد بالذكر القران اي فاسيلوا المومنين العالمين من اهل القران قال جابر الجعفي لما نزلت هذه الاية قال علي رضي الله عنه نحن اهل الذكر وقد ثبت بالتواتر ان الرسل كانوا من البشر فالمعنى لا تبدوا بالانكار وبقولكم ينبغي ان يكون الرسول من الملايكة بل ناظروا المومنين ليبينوا لكم جواز ان يكون الرسول من البشر والملك لا يسمى رجلا لان الرجل يقع على ما له ضد من لفظه يقال رجل وامراة ورجل وصبي وقوله الا رجالا اي من بني ادم وقرا حفص وحمزة والكسايي يوحي اليهم مسيلة لم يختلف العلما ان العامة عليها تقليد علمايها وانهم المراد بقول الله عز وجل فاسيلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون واجمعوا على ان الاعمى لا بد له من تقليد غيره ممن يثق بميزه بالقبلة اذا اشكلت عليه فكذلك من لا علم له ولا بصر بمعنى ما يدين به لا بد له من تقليد عالمه وكذلك لم يختلف العلما ان العامة لا يجوز لها الفتيا لجهلها بالمعاني التي منها يجوز التحليل والتحريم قوله تعالى وما جعلناهم جسدا لا ياكلون الطعام الضمير في جعلناهم للانبيا اي لم نجعل الرسل قبلك خارجين عن طباع البشر لا يحتاجون الى طعام وشراب وما كانوا خالدين يريد لا يموتون وهذا جواب لقولهم ما هذا الا بشر مثلكم وقولهم مال هذا الرسول ياكل الطعام وجسدا اسم جنس ولهذا لم يقل اجسادا وقيل لم يقل اجسادا لانه اراد وما جعلنا كل واحد منهم جسدا والجسد البدن تقول منه تجسد كما تقول من الجسم تجسم والجسد ايضا الزعفران او نحوه من الصبغ وهو الدم ايضا قال النابغة •

وما اريق على الانصاب من جسد • فلا لعمر الذي مسحت كعبته • وما هريق على الانصاب من جسد

وقال الكلبي والجسد هو المجسد الذي فيه الروح ياكل ويشرب فعلى هذا مقتضى القول

يكون

يكون ما لا ياكل ولا يشرب جسما وقال مجاهد الجسد ما لا ياكل ولا يشرب نفسا ذكره الماوردي قوله تعالى ثم صدقناهم الوعد يعني الانبيا اي بانجايهم وبنصرهم واهلاك مكذبيهم ومن نشا اي الذين صدقوا الانبيا واهلكنا المسرفين اي المشركين قوله تعالى لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القران فيه ذكركم رفع بالابتدا والجملة في موضع نصب لانها نعت لكتاب والمراد بالذكر هنا الشرف اي فيه شرفكم مثل وانه لذكر لك ولقومك ثم نبههم بالاستفهام الذي معناه التوقيف فقال جل وعز افلا تعقلون وقيل فيه ذكركم اي ذكر من دينكم واحكام شرعكم وما تصيرون اليه من ثواب وعقاب افلا تعقلون هذه الاشيا التي ذكرناها وقال مجاهد فيه ذكركم اي حديثكم وقيل مكارم اخلاقكم ومحاسن اعمالكم وقال سهل بن عبد الله العمل بما فيه حياتكم قلت وهذه الاقوال بمعنى الاول فيها اذ هي شرف كلها والكتاب شرف لنبينا عليه السلام لانه معجزته وهو شرف لنا ان عملنا بما فيه دليله قوله عليه السلام القران حجة لك او عليك قوله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة يريد مداين كانت باليمن وقال اهل التفسير والاخبار انه اراد حضور وكان بعث اليهم نبيا اسمه شعيب بن ذي مهرم وقبر شعيب هذا باليمن بجبل يقال له ضنن كثير الثلج وليس بشعيب صاحب مدين لان قصة حضور قبل مدة عيسى عليه السلام وبعد مئين من السنين من مدة سليمان عليه السلام وانهم قتلوا نبيهم وقتل اصحاب الرس في ذلك التاريخ نبيا لهم اسمه حنظلة بن صفوان وكانت حضور بارض الحجاز من ناحية الشام فاوحى الله الى ارميا ان ايت بخت نصر فاعلمه اني قد سلطته على ارض العرب واني منتقم بك منهم واوحى الله الى ارميا ان احمل معد بن عدنان على البراق الى ارض العراق كي لا تصيبه النقمة والبلا معهم فاني مستخرج من صلبه نبيا في اخر الزمان اسمه محمد فحمل معدا وهو ابن اثنتي عشرة سنة فكان مع بني اسرايل الى ان كبر وتزوج امراة اسمها معانة ثم ان بخت نصر نهض بالجيوش وكمن للعرب في مكان وهو اول من اتخذ المكامن فيما ذكروا ثم شن الغارات على حضور فقتل وسبى وخرب العامر ولم يترك بحضور اثرا ثم انصرف راجعا الى السواد وكم في موضع نصب بقصمنا والقصم الكسر يقال قصمت ظهر فلان وانقصمت سنه اذا انكسرت والمعني به هاهنا الاهلاك واما الفصم بالفا فهو الصدع في الشي من غير بينونة قال الشاعر •

• كانه دملج من فضة نبه • في ملعب من عذاري الحي مفصوم •

ومنه الحديث فيفصم عنه وان جبينه ليتفصد عرقا وقوله كانت ظالمة اي كافرة يعني اهلها والظلم وضع الشي في غير موضعه وهم وضعوا الكفر موضع الايمان وانشانا اي اوجدنا واحدثنا بعد اهلاكهم قوما اخرين فلما احسوا اي راوا عذابنا يقال احسست منه ضعفا وقال الاخفش احسوا خافوا وتوقعوا اذا هم منها يركضون اي يهربون ويفرون والركض العدو وشدة الوطء والركض تحريك الرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك وركضت الفرس برجلي استحثثته ليعدو ثم كثر حتى قيل ركض الفرس اذا عدا وليس بالاصل والصواب ركض الفرس على ما لم يسم فاعله فهو مركوض لا تركضوا اي لا تفروا وقيل ان الملايكة نادتهم لما انهزموا استهزا بهم وقالت لا تركضوا وارجعوا الى ما اترفتم فيه اي الى نعمكم التي كانت بسبب بطركم والمترف المنعم يقال اترف على فلان اي وسع عليه في معاشه وانما اترفهم الله عز وجل كما قال واترفناهم في الحياة الدنيا لعلكم تسالون اي لعلكم تسالون شيا من دنياكم قاله قتادة وقيل المعنى لعلكم تسالون عما نزل بكم من العقوبة فتخبرون به وقيل المعنى لعلكم تسالون ذلك قبل نزول الباس بكم قيل لهم ذلك استهزا وتقريعا وتوبيخا قالوا يا ويلنا لما قالت لهم الملايكة لا تركضوا ونادت يا لثارات الانبيا ولم يروا شخصا يكلمهم عرفوا ان الله هو الذي سلط عليهم عدوهم بقتلهم النبي الذي بعث فيهم فعند ذلك قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فاعترفوا بانهم ظلموا حين لا ينفع الاعتراف فما زالت تلك دعواهم اي لم يزالوا يقولون يا ويلنا انا كنا ظالمين حتى جعلناهم حصيدا اي بالسيوف كما يحصد الزرع بالمنجل قاله مجاهد وقال الحسن اي بالعذاب خامدين اي ميتين والخمود الهمود كخمود النار اذا طفيت فشبه خمود الحياة بخمود النار كما يقال لمن مات قد طفي تشبيها بطفا النار قوله تعالى وما خلقنا السما والارض وما بينهما لاعبين اي عبثا وباطلا بل للتنبيه على ان لها خالقا قادرا يجب امتثال امره وانه يجازي المسيء والمحسن

اي ما خلقنا السموات والارض ليظلم بعض الناس بعضا ويكفر بعضهم ويخالف بعضهم ما امر
به ثم يموتوا ولا يجازوا ولا يومروا في الدنيا بحسن ولا ينهوا عن قبيح وهذا اللعب المنفي عن
الحكيم ضده الحكمة قوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا لما اعتقد قوم ان له ولدا قال لو
اردنا ان نتخذ لهوا فاللهو المراة بلغة اليمن قاله قتادة وقال عقبة بن ابي جسرة وجاء
طاوس وعطا ومجاهد يسالونه عن قوله لو اردنا ان نتخذ لهوا فقال اللهو الزوجة وقاله
الحسن وقال ابن عباس اللهو الولد وقاله الحسن ايضا قال الجوهري وقد يكنى باللهو عن الجماع
قلت ومنه قول امري القيس • الا زعمت بسباسة اليوم انني • كبرت وان لا يحسن اللهو امثالي •
وانما سمي الجماع لهوا لانه ملهي للقلب كما قال • وفيهن ملهى للصديق ومنظر •
الجوهري وقوله تعالى لو اردنا ان نتخذ لهوا المراة ويقال ولدا لاتخذناه من لدنا اي من
عندنا لا من عندكم قال ابن جريج من اهل السما لا من اهل الارض قيل اراد الرد على من قال
الاصنام بنات الله اي كيف يكون منحوتكم ولدا لنا وقال ابن قتيبة الاية رد على النصارى
ان كنا فاعلين قال قتادة ومقاتل وابن جريج والحسن المعنى ما كنا فاعلين مثل ان انت الا
نذير اي ما انت الا نذير وان بمعنى الجحد وتم الكلام عند قوله لاتخذناه من لدنا وقيل انه
على معنى الشرط اي ان كنا فاعلين ذلك ولكن لسنا بفاعلين ذلك لاستحالة ان يكون لنا
ولد اذ لو كان ذلك لم نخلق جنة ولا نارا ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا وقيل لو اردنا ان نتخذ
لهوا على طريق التبني لاتخذناه من عندنا من الملايكة ومال الى هذا قوم لان الارادة قد
تتعلق بالتبني فاما اتخاذ الولد فهو محال والارادة لا تتعلق بالمستحيل ذكره القشيري
قوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل القذف الرمي اي نرمي بالحق على الباطل فيدمغه
اي يقهره ويهلكه واصل الدمغ شج الراس حتى يبلغ الدماغ ومنه الدامغة والحق هنا القران
والباطل الشيطان في قول مجاهد قال وكل ما في القران من الباطل فهو الشيطان وقيل
الباطل كذبهم ووصفهم الله عز وجل بغير صفاته من الولد وغيره وقيل اراد بالحق الحجة وبالباطل
شبههم وقيل الحق المواعظ والباطل المعاصي والمعنى متقارب والقران يتضمن الموعظة
والحجة فاذا هو زاهق اي هالك تالف قاله قتادة ولكم الويل اي العذاب في الاخرة بسبب
وصفكم الرب بما لا يجوز وصفه وقال ابن عباس الويل واد في جهنم وقد تقدم مما تصفون
اي مما تكذبون عن قتادة ومجاهد نظيره سيجزيهم وصفهم اي بكذبهم وقيل مما تصفون
الله به من المحال وهو اتخاذ الولد قوله تعالى وله من في السموات والارض اي
ملكا وخلقا فكيف يجوز ان يشرك به ما هو عبده وخلقه ومن عنده يعني الملايكة الذين
ذكرتم انهم بنات الله لا يستكبرون اي لا يانفون عن عبادته والتذلل له ولا يستحسرون
اي يعيون قاله قتادة ماخوذ من الحسير وهو البعير المنقطع بالاعيا والتعب حسر البعير
يحسر حسورا اعيا وكل واستحسر وتحسر مثله وحسرته انا حسرا يتعدى ولا يتعدى واحسرته
ايضا فهو حسير وقال ابن زيد لا يملون ابن عباس لا يستنكفون وقال ابو زيد لا يكلون وقيل
لا يفشلون ذكره ابن الاعرابي والمعنى واحد يسبحون الليل والنهار اي يصلون ويذكرون الله
وينزهونه دايما لا يفترون اي لا يضعفون ولا يسامون يلهمون التسبيح والتقديس كما
يلهمون النفس قال عبد الله بن الحرث سالت كعبا فقلت اما لهم شغل عن التسبيح اما يشغلهم
عنه شي فقال من هذا فقلت من بني عبد المطلب فضمني اليه وقال يا ابن اخي هل يشغلك
عن النفس شي ان التسبيح لهم بمنزلة النفس وقد استدل بهذه الاية من قال ان الملايكة
افضل من بني ادم وقد تقدم قوله تعالى ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون قال المفضل
مقصود هذا الاستفهام الجحد اي لم يتخذوا الهة تقدر على الاحيا وقيل ام بمعنى هل اي
هل اتخذ هولا المشركون الهة من الارض يحيون الموتى ولا تكون ام هنا بمعنى بل لان ذلك
يوجب لهم انشا الموتى الا ان تقدر ام مع الاستفهام فتكون ام المنقطعة فيصح المعنى قاله المبرد
وقيل ام عطف على المعنى اي افخلقنا السما والارض لعبا ام هذا الذي اتينا فوه الينا من
عندنا فيكون لهم موضع شبهة او هل ما اتخذوه من الالهة في الارض يحيي الموتى فيكون
موضع شبهة وقيل لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم افلا تعقلون ثم عطف عليه بالمعاتبة

وعلى هذين التاويلين تكون ام متصلة وقرا الجمهور ينشرون بضم اليا وكسر الشين من انشر
الله الميت فنشر اي احياه فحيي وقرا الحسن بفتح اليا اي يحيون ولا يموتون قوله تعالى لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا اي لو كان في السموات والارضين الهة غير الله معبودون لفسدتا
قال الكسائي وسيبويه الا بمعنى غير فلما جعلت الا في موضع غير اعرب الاسم الذي بعدها باعراب
غير كما قال • وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان •
وحكى سيبويه لو كان معنا رجل الا زيد لهلكنا وقال الفرا الا هنا في موضع سوى والمعنى
لو كان فيهما الهة سوى الله لفسد اهلهما وقال غيره اي لو كان فيهما الهان لفسد التدبير لان
احدهما ان اراد شيا واراد الاخر ضده كان احدهما عاجزا وقيل معنى لفسدتا اي خربتا وهلك
من فيهما بوقوع التنازع والاختلاف الواقع بين الشركا فسبحان الله رب العرش عما يصفون
نزه نفسه وامر العباد ان ينزهوه عن ان يكون له شريك او ولد قوله تعالى لا يسال عما يفعل
وهم يسالون قاصمة للقدرية وغيرهم قال ابن جريج المعنى لا يساله الخلق عن قضاييه في خلقه
وهو يسال الخلق عن عملهم لانهم عبيد بين بهذا ان من يسال غدا عن اعماله كالمسيح والملايكة
لا يصلح للالهية وقيل لا يواخذ على افعاله وهم يواخذون وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا
قال له يا امير المومنين ايحب ربنا ان يعصى قال افيعصى ربنا قهرا قال ارايت ان منعني الهدى
ومنحني الردى احسن الي ام اسا قال ان منعك حقك فقد اسا وان منعك فضله فهو فضله يوتيه
من يشا ثم تلى لا يسال عما يفعل وهم يسالون وعن ابن عباس قال لما بعث الله موسى عليه السلام
وكلمه وانزل عليه التوراة فقال اللهم انك رب عظيم لو شيت ان تطاع لاطعت ولو شيت الا تعصى
ما عصيت وانت تحب ان تطاع وانت في ذلك تعصى فكيف هذا يا رب فاوحى الله اليه اني لا اسال
عما افعل وهم يسالون قوله تعالى ام اتخذوا من دونه الهة اعاد التعجب في اتخاذ الالهة
من دون الله مبالغة في التوبيخ اي صفتهم كما تقدم في الانشا والاحيا فتكون ام بمعنى هل
على ما تقدم فليأتوا بالبرهان على ذلك وقيل الاول احتجاج من حيث المعقول لانه قال هم
ينشرون ويحيون الموتى هيهات والثاني احتجاج بالمنقول اي هاتوا برهانكم من هذه الجهة
ففي اي كتاب نزل هذا في القران ام في الكتب المنزلة على ساير الانبيا هذا ذكر من معي متضمن
باخلاص التوحيد في القران وذكر من قبلي في التوراة والانجيل وما انزل الله من الكتب فانظروا
هل في كتاب من هذه الكتب ان الله امر باتخاذ الهة سواه فالشرايع لم تختلف فيما يتعلق
بالتوحيد وانما اختلفت في الاوامر والنواهي وقال قتادة الاشارة الى القران المعنى هذا
ذكر من معي بما يلزمهم من الحلال والحرام وذكر من قبلي من الامم ممن نجا بالايمان وهلك بالشرك
وقيل ذكر من معي بما لهم من الثواب على الايمان والعقاب على الكفر وذكر من قبلي من الامم
السالفة فيما يفعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الاخرة وقيل معنى الكلام الوعيد والتهديد
اي افعلوا ما شيتم فعن قريب ينكشف الغطا وحكى ابو حاتم ان يحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف
قرا هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بالتنوين وكسر الميم وزعم انه لا وجه لهذا وقال ابو اسحاق
الزجاج في هذه القراة المعنى هذا ذكر مما انزل الي ومما هو معي وذكر من قبلي وقيل ذكر
كاين من قبلي اي جيت بما جاءت به الانبيا من قبلي بل اكثرهم لا يعلمون الحق وقرا ابن محيصن
والحسن الحق بالرفع بمعنى هو الحق او هذا الحق وعلى هذا يوقف على لا يعلمون ولا يوقف عليه
على قراة النصب فهم معرضون اي عن الحق وهو القران فلا يتاملون حجة التوحيد قوله
تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحى اليه وقرا حفص وحمزة والكسائي نوحي اليه
بالنون لقوله ارسلنا انه لا اله الا انا فاعبدون اي قلنا للجميع لا اله الا الله فادلة العقل
شاهدة انه لا شريك له والنقل عن جميع الانبيا موجود والدليل اما معقول واما منقول
وقال قتادة لم يرسل نبي الا بالتوحيد والشرايع مختلفة في التوراة والانجيل والقران
كل ذلك على الاخلاص والتوحيد قوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه نزلت
في خزاعة حيث قالوا الملايكة بنات الله وكانوا يعبدونهم طمعا في شفاعتهم لهم وروى معمر
عن قتادة قال قالت اليهود قال معمر في روايته او طوايف من الناس خاتن الى الجن
والملايكة من الجن فقال الله جل وعز سبحانه تنزيها له بل عباد اي بل هم عباد مكرمون اي

اي ليس كما زعم هولاء الكفار ويجوز النصب عند الزجاج على معنى بل اتخذ عبادا مكرمين واجازه
الفرا على ان يرده على ولدا اي بل لم يتخذهم ولدا بل اتخذهم عبادا مكرمين والولد ها هنا للجمع
وقد يكون الواحد والجمع ولدا ويجوز ان يكون لفظ الولد للجنس كما يقال لفلان مال لا يسبقونه
بالقول اي لا يقولون حتى يقول ولا يتكلمون الا بما يامرهم وهم بامره يعملون اي بطاعته واوامره
يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم اي يعلم ما عملوا وما هم عاملون قاله ابن عباس وعنه ايضا ما بين
ايديهم الاخرة وما خلفهم الدنيا ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري ولا يشفعون الا لمن ارتضى
قال ابن عباس هم اهل شهادة ان لا اله الا الله وقال مجاهد هم كل من رضي الله عنه والملايكة
يشفعون غدا في الاخرة كما في صحيح مسلم وغيره وفي الدنيا ايضا فانهم يستغفرون للمومنين
ولمن في الارض كما نص عليه التنزيل على ما ياتي وهم يعني الملايكة من خشيته يعني من خوفه
مشفقون اي خايفون لا يامنون مكره قوله تعالى ومن يقل منهم اني اله من دونه قال
قتادة والضحاك وغيرهما عني بهذه الاية ابليس حيث ادعى الشركة ودعا الى عبادة نفسه
وكان من الملايكة ولم يقل احد من الملايكة اني اله غيره وقيل الاشارة الى جميع الملايكة اي
فذلك القايل نجزيه جهنم وهذا دليل على انهم وان اكرموا بالعصمة وهم متعبدون وليسوا
مضطرين الى العبادة كما ظنه بعض الجهال وقد استدل ابن عباس بهذه الاية على ان محمدا
صلى الله عليه وسلم افضل السما وقد تقدم في البقرة كذلك نجزي الظالمين الواضعين
الالهية والعبادة في غير موضعها قوله تعالى اولم ير الذين كفروا قراءة العامة اولم بالواو
وقراه ابن كثير وابن محيصن وحميد وشبل بن عباد الم ير بغير واو وكذلك هو في مصحف مكة
الم ير يعني يعلم الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا قال الاخفش قال كانتا
لانهما صنفان كما تقول العرب هما لقاحان اسودان وكما قال الله عز وجل ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا قال ابو اسحاق كانتا لانه يعبر عن السموات بلفظ الواحد
بسما لان السموات كانتا سما واحدا وكذلك الارضون وقال رتقا ولم يقل رتقين لانه
مصدر والمعنى كانتا ذواتي رتق وقرا الحسن رتقا بفتح التاء قال عيسى بن عمر هو صواب
وهي لغة والرتق السد ضد الفتق وقد رتقت الفتق ارتقه فارتتق والرتق اي التام
ومنه الرتقا للمنضمة الفرج قال ابن عباس والحسن وعطا والضحاك وقتادة يعني انها
كانت شيئا واحدا ملتزقتين ففصل الله بينهما بالهوا وكذلك قال كعب خلق الله السموات
والارض بعضها على بعض ثم خلق ريحا توسطتها ففتحها بها وجعل السموات سبعا وقول
ثاني قاله مجاهد والسدي وابو صالح كانت السموات موتلفة طبقة واحدة ففتقها
فجعلها سبع سموات وكذلك الارضين كانت مرتتقة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبعا
وحكاه القتبي في عيون الاخبار له عن اسمعيل ابن ابي خالد قال في قول الله عز وجل اولم
ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما قال كانت السما مخلوقة
وحدها والارض مخلوقة وحدها ففتق من هذه سبع سموات ومن هذه سبع ارضين
خلق الارض العليا فجعل سكانها الجن والانس وشق فيها الانهار وانبت فيها الثمار
وجعل فيها البحار وسماها رعا عرضها مسيرة خمس ماية عام ثم خلق الثانية مثلها في
العرض والغلظ وجعل فيها اقواما افواههم كافواه الكلاب وايديهم ايدي الناس واذانهم
اذان البقر وشعورهم شعور الغنم فاذا كان عند اقتراب الساعة القتهم الارض الى
ياجوج وماجوج واسم تلك الارض الدكا ثم خلق الارض الثالثة غلظها مسيرة خمسماية
عام ومنها هوا الى الارض الرابعة خلق فيها ظلمة وعقارب لاهل النار مثل البغال
السود ولها اذناب مثل اذناب الخيل الطوال ياكل بعضها بعضا فتسلط على بني ادم ثم
خلق الله الخامسة في الغلظ والطول والعرض فيها سلاسل واغلال وقيود لاهل
النار ثم خلق الله الارض السادسة واسمها ماد فيها حجارة سود بهم ومنها خلقت تربة
ادم عليه السلام تبعث تلك الحجارة يوم القيامة وكل حجر منها كالطود العظيم وهي من كبريت
تعلق في اعناق الكفار فتشتعل حتى تحرق وجوههم وايديهم فذلك قوله عز وجل وقودها
الناس والحجارة ثم خلق الله الارض السابعة واسمها عربية وفيها جهنم وفيها بابان اسم

الواحد سجين والاخر الفلق فاما سجين فهو مفتوح واليه ينتهي كتاب الكفار وعليه
يعرض اصحاب المايدة وقوم فرعون واما الفلق فهو مغلق لا يفتح الى يوم القيمة وقد
مضى في البقرة انها سبع ارضين بين كل ارضين مسيرة خمسماية عام وسياتي له في اخر
الطلاق زيادة بيان ان شا الله تعالى وقول ثالث قاله عكرمة وعطية وابن زيد وابن
عباس فيما ذكر المهدوي ان السموات كانت رتقا لا تمطر والارض كانت رتقا لا تنبت ففتق
السما بالمطر والارض بالنبات نظيره قوله جل وعز والسما ذات الرجع والارض ذات الصدع
واختار هذا القول الطبري لان بعده وجعلنا من الما كل شي حي افلا يومنون قلت وبه
يقع الاعتبار مشاهدة ومعاينة ولذلك اخبر بذلك في غير ما اية ليدل على كمال قدرته
وعلى البعث والجزا وقيل يهون عليهم اذا يفضون سخط العداوة وارغامها ورتق الفتق
وفتق الرتوق ونقض الامور وابرامها وفي قوله جعلنا من الما كل شي حي ثلاث تاويلات
احدها انه خلق كل شي من الما قاله قتادة الثاني حفظ حياة كل شي بالما الثالث وجعلنا
من ما الصلب كل شي حي قاله قطرب وجعلنا بمعنى خلقنا وروى ابو حاتم البستي في المسند
الصحيح له من حديث ابي هريرة قال قلت يا رسول الله اذا رايتك طابت نفسي وقرت
عيني انبيني عن كل شي قال كل شي خلق من الما الحديث قال ابو حاتم قول ابي هريرة
انبيني عن كل شي خلق من الما والدليل على صحة هذا جواب المصطفى اياه حيث قال كل
شي خلق من الما وان لم يكن مخلوقا وهذا احتجاج اخر سوى ما تقدم من كون السموات
والارض رتقا وقيل الكل قد يذكر بمعنى البعض كقوله واوتيت من كل شي وقوله تدمر كل شي
والصحيح العموم لقوله عليه السلام كل شي خلق من الما والله اعلم افلا يومنون اي افلا
يصدقون بما يشاهدون وان ذلك لم يكن بنفسه بل لمكون كونه ومدبر اوجده ولا يجوز ان
يكون ذلك المكون محدثا قوله تعالى وجعلنا في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان
تميد بهم اي لئلا تميد بهم ولا تتحرك ليتم القرار عليها قاله الكوفيون وقال البصريون
المعنى كراهية ان تميد والميد التحرك والدوران يقال ماد راسه اي دار وقد مضى في
النحل مستوفى وجعلنا فيها فجاجا يعني في الرواسي عن ابن عباس والفجاج المسالك والفج
الطريق الواسع بين الجبلين وقيل وجعلنا في الارض فجاجا اي مسالك وهو اختيار
الطبري لقوله لعلهم يهتدون اي يهتدون الى السير في الارض سبلا تفسير للفجاج لان
الفج قد يكون طريقا نافذا مسلوكا وقد لا يكون وقيل ليهتدوا بالاعتبار بها الى دينهم
قوله تعالى وجعلنا السما سقفا محفوظا اي محفوظا من ان تقع وتسقط على الارض
دليله قوله ويمسك السما ان تقع على الارض الا باذنه وقيل محفوظا بالنجوم من الشياطين
قاله الفرا دليله قوله وحفظناها من كل شيطان رجيم وقيل محفوظا من الهدم والنقض
وعن ان يبلغه احد بحيلة وقيل محفوظا فلا يحتاج الى عماد وقال مجاهد مرفوعا وقيل
محفوظا من الشرك والمعاصي وهم يعني الكفار عن اياتها معرضون قال مجاهد يعني
الشمس والقمر واضاف الايات الى السما لانها مجعولة فيها وقد اضاف الايات الى نفسه في
مواضع لانه الفاعل لها بين ان المشركين غفلوا عن النظر في السموات واياتها من ليلها ونهارها
وشمسها وقمرها وافلاكها ورياحها وسحابها وما فيهما من قدرة الله تعالى اذ لو نظروا واعتبروا
لعلموا ان لها صانعا قادرا واحدا فيستحيل ان يكون له شريك قوله تعالى وهو الذي
خلق الليل والنهار ذكرهم نعمة اخرى جعل لهم الليل ليسكنوا فيه والنهار ليتصرفوا فيه
لمعايشهم والشمس والقمر اي وجعل الشمس اية النهار والقمر اية الليل لتعلم الشهور والسنون
والحساب كما تقدم في سبحان بيانه كل يعني من الشمس والقمر والنجوم والكواكب والليل
والنهار في فلك يسبحون اي يجرون ويسيرون بسرعة كالسابح في الما قال الله تعالى
والسابحات سبحا ويقال للفرس الذي يمد يده في الجري سابح وفيه من النحو انه لم يقل
يسبحن ولا تسبح فمذهب سيبويه انه لما خبر عنهن بفعل من يعقل وجعلهن في الطاعة
بمنزلة من يعقل خبر عنهن بالواو والنون ونحوه قال الفرا وقد تقدم هذا المعنى في
يوسف وقال الكسائي انما قال يسبحون لانه راس اية كما قال نحن جميع منتصر ولم يقل

مشترون وقيل الجري للفلك فنسب اليها والاصح ان السيارة تجري في الفلك وهي سبعة
الفلك دون السموات المطبقة التي هي مجال الملائكة واسباب الملكوت فالقمر في الفلك الادنى
ثم عطارد ثم زهرة ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل والثامن فلك البروج والتاسع
الفلك الاعظم والفلك واحد افلاك النجوم قال ابو عمرو ويجوز ان يجمع على فعل مثل اسد
واسد وخشب وخشب واصل الكلمة من الدوران ومنه فلكة المغزل لاستدارتها ومنه
قيل فلك ثدي المراة تفليكا وتفلك استدار وفي حديث ابن مسعود تركت فرسي كانه
يدور في فلك كانه لدورانه شبهه بفلك السما الذي تدور عليه النجوم قال ابن زيد الافلاك
مجاري النجوم والشمس والقمر قال وهي بين السما والارض وقال قتادة الفلك استدارة
في السما يدور بالنجوم مع ثبوت السما وقال مجاهد الفلك كهيئة حديدة الرحا وهو قطبها
وقال الضحاك فلكها مجراها وسرعة سيرها وقيل الفلك موج مكفوف ومجرى الشمس والقمر
فيه والله اعلم قوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد اي دوام البقا في الدنيا
نزلت حين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وذلك ان المشركين كانوا يدفعون نبوته
ويقولون شاعر نتربص به ريب المنون ولعله يموت كما مات شاعر بني فلان فقال الله
قد مات الانبيا من قبلك وتولى الله دينه بالنصر والحياطة فهكذا نحفظ دينك وشرعك
افان مت فهم الخالدون اي افهم مثل قول الشاعر
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترع • فقلت وانكرت الوجوه هم هم •
اي اهم فهو استفهام انكار وقال الفرا جا بالفا ليدل على الشرط لانه جواب قولهم سيموت
ويجوز ان يكون جي بها لان التقدير فيها افهم الخالدون ان مت قال الفرا ويجوز حذف
الفا واضمارها لان هم لا يتبين فيها الاعراب اي ان مت فهم يموتون ايضا فلا شماتة
في الاماتة وقري كل نفس ذايقة الموت تقدم في ال عمران ونبلوكم بالشر والخير فتنة
فتنة مصدر على غير اللفظ اي نختبركم بالشدة والرخا والحرام والحلال لننظر كيف
شكركم وصبركم والينا ترجعون اي للجزا بالاعمال قوله تعالى واذا راك الذين كفروا
ان يتخذونك الا هزوا اي ما يتخذونك الا هزوا السخرية وقد تقدم وهم المستهزون المتقدم
ذكرهم في اخر سورة الحجر في قوله انا كفيناك المستهزين كانوا يعيبون في جحد الالهة اصنامهم
وهم جاحدون لالهية الرحمن وهذا غاية الجهل اهذا الذي اي يقولون اهذا الذي
فاضمر القول وهو جواب اذا وقوله ان يتخذونك الا هزوا كلام معترض بين اذا وجوابه
يذكر الهتكم اي بالسو والعيب ومنه قول عنترة
لا تذكري مهري وما اطعمته • فيكون جلدك مثل جلد الاجرب •
اي لا تعيبي مهري وهم بذكر الرحمن اي القران هم كافرون هم الثانية توكيد كفرهم اي هم
الكافرون مبالغة في وصفهم بالكفر قوله تعالى خلق الانسان من عجل اي ركب
على العجلة فخلق عجولا كما قال الله تعالى الذي خلقكم من ضعف اي خلق الانسان
ضعيفا ويقال خلق الانسان من الشر اي شريرا اذا بالغت في وصفه به ويقال
انما انت ذهاب ومجي اي ذاهب جاي اي طبع الانسان العجلة فيستعجل كثيرا من الاشيا
وان كانت مضرة ثم قيل المراد بالانسان ادم قال سعيد بن جبير والسدي لما دخل
الروح في عيني ادم عليه السلام نظر في ثمار الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام فوثب
من قبل ان تبلغ الروح رجليه عجلان الى ثمار الجنة فذلك قوله خلق الانسان من عجل
وقيل خلق يوم الجمعة في اخر النهار فلما احيا الله راسه استعجل وطلب تتميم نفخ الروح فيه
قبل غروب الشمس قاله الكلبي ومجاهد وغيرهما وقال ابو عبيدة وكثير من اهل المعاني
العجل الطين بلغة حمير وانشدوا • والنخل تنبت بين الماء والعجل •
وقيل المراد بالانسان الناس كلهم وقيل المراد النضر بن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد
الدار في تفسير ابن عباس اي لا ينبغي لمن خلق من الطين الحقير ان يستهزي بايات الله ورسله
وقيل انه من المقلوب اي خلق العجل من الانسان وهو مذهب ابي عبيدة النحاس وهذا
القول لا ينبغي ان يجاب به في كتاب الله لان القلب انما يقع في الشعر اضطرارا كما قال

كما

كما كان الزنا فريضة الرجم ونظيره هذه الاية وكان الانسان عجولا وقد مضى في سبحان
ساريكم اياتي فلا تستعجلون هذا يقوي القول الاول وان طبع الانسان العجلة وانه خلق
خلقا لا يتمالك كما قال عليه السلام حسب ما تقدم في سبحان والمراد بالايات ما دل على صدق
محمد عليه السلام من المعجزات وما جعله له من العاقبة المحمودة وقيل ما طلبوه من العذاب
فارادوا الاستعجال وقالوا متى هذا الوعد وما علموا ان لكل شي اجلا مضروبا نزلت في النضر
ابن الحارث وقوله ان كان هذا هو الحق وقال الاخفش سعيد معنى خلق الانسان من عجل
اي قيل له كن فكان فمعنى فلا تستعجلون على هذا القول انه من يقول للشي كن فيكون لا يعجزه
اظهار ما استعجلوه من الايات ويقولون متى هذا الوعد اي الموعد كما يقال الله رجاونا
اي مرجونا وقيل معنى الوعد هنا الوعيد اي الذي يعدنا من العذاب وقيل القيامة ان
كنتم صادقين يا معشر المومنين قوله تعالى لو يعلم الذين كفروا العلم هنا بمعنى المعرفة
فلا تقتضي مفعولا ثانيا مثل لا تعلمونهم الله يعلمهم وجواب لو محذوف اي لو علموا الوقت
الذي لا يكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون وعرفوه لما استعجلوا
الوعيد وقال الزجاج اي لعلموا صدق الوعد وقيل المعنى لو علموه لما اقاموا على الكفر
ولامنوا وقال الكساي هو تنبيه على تحقيق وقوع الساعة اي لو علموه علم يقين لعلموا ان
الساعة اتية ودل عليه بل تاتيهم بغتة اي فجاة يعني القيامة وقيل العقوبة وقيل النار
فلا يتمكنون من حيلة فتبهتهم قال الجوهري بهته بهتا اخذه بغتة قال الله تعالى بل
تاتيهم بغتة فتبهتهم اي تحيرهم وقال بهته يبهته اذا واجهه بشي يحيره وقال فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها اي صرفها عن ظهورهم ولا ينظرون اي يمهلون ويوخرون لتوبة واعتذار
قوله تعالى ولقد استهزي برسل من قبلك هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
وتعزية له يقول ان استهزا بك هولا فقد استهزي بمن قبلك من الرسل فاصبر كما صبروا
واتم وعده النصر فقال فحاق اي احاط ودار بالذين كفروا وسخروا منهم وهزوا بهم ما كانوا
به يستهزون اي جزا استهزايهم قوله تعالى قل من يكلوكم اي يحرسكم ويحفظكم والكلاة
الحراسة والحفظ كلاه الله كلاة بالكسر اي حفظه وحرسه يقال اذهب في كلاة الله واكتلات
منهم احترست قال الشاعر • ان سليمى والله يكلوها • ضنت بشي ما كان يرزوها •
وقال اخر • انخت بعيري واكتلات بعينه • وحكى الكساي والفرا قل من يكلوكم
بفتح اللام واسكان الواو وحكيا من يكلوكم على تخفيف الهمزة في الوجهين والمعروف تحقيق
الهمزة وهي قراة العامة فاما يكلاكم فخطا من وجهين فيما ذكره النحاس احدهما ان بدل الهمزة
انما يكون في الشعر والثاني انهما يقولان في الماضي كليته فينقلب المعنى لان كليته اوجعت
كليته ومن قال لرجل كلاك الله فقد دعا عليه بان يصيبه الله بالوجع في كليته ثم
قيل مخرج اللفظ مخرج الاستفهام والمراد به النفي وتقديره قل لا حافظ لكم بالليل اذا
نمتم وبالنهار اذا قمتم وتصرفتم في اموركم من الرحمن اي من عذابه وباسه كقوله فمن ينصرني
من الله اي من عذاب الله والخطاب لمن اعترف منهم بالصانع اي اذا اقررتم بانه الخالق
فهو قادر على احلال العذاب الذي تستعجلونه بل هم عن ذكر ربهم اي عن القران وقيل عن
مواعظ ربهم وقيل عن معرفته معرضون لاهون غافلون قوله تعالى ام لهم الهة
المعنى الهم والميم صلة تمنعهم من دوننا اي من عذابنا لا يستطيعون نصر انفسهم فكيف
ينصرون عابديهم ولا هم منا يصحبون قال ابن عباس يمنعون وعنه يجارون وهو
اختيار الطبري تقول العرب انا لك جار وصاحب من فلان اي مجير منه قال الشاعر
ينادي باعلى صوته متعوذا • ليصحب منها والرماح دوامي •
وروى معمر عن ابن ابي نجيح عن مجاهد قال ينصرون اي يحفظون قتادة اي لا يصحبهم
الله بخير ولا يجعل رحمته صاحبا لهم قوله تعالى بل متعنا هولا واباهم قال ابن عباس
يريد اهل مكة اي بسطنا لهم ولابايهم في نعيمها فطال عليهم العمر في النعمة فظنوا انها لا تزول
عنهم فاغتروا واعرضوا عن تدبر حجج الله افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها
اي بالظهور عليها لك يا محمد ارضا بعد ارض وفتحها بلدا بعد بلد مما حول مكة قال معناه

الحسن وغيره وقيل بالقتل والسبي حكاه الكلبي والمعنى واحد وقد مضى هذا في الرعد
مستوفى أفهم الغالبون يعني كفار مكة بعد ان نقصنا من اطرافهم بل انت تغلبهم وتظهر عليهم
قوله تعالى قل انما انذركم بالوحي اي اخوفكم واحذركم بالقران ولا يسمع الصم الدعا اي من
اصم الله قلبه وختم على سمعه وجعل على بصره غشاوة عن فهم الايات وسماع الحق وقرا
ابو عبد الرحمن السلمي ومحمد بن السميقع ولا يسمع بيا مضمومة وفتح الميم على ما لم يسم فاعله
الصم رفعا اي ان الله لا يسمعهم وقرا ابن عامر والسلمي ايضا وابو حيوة ويحيى بن الحارث
ولا تسمع بتا مضمومة وكسر الميم الصم نصبا اي انك يا محمد ما تسمع الصم الدعا فالخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم ورد هذه القراة بعض اهل اللغة قال وكان يجب ان يقول
اذا ما تنذرهم قال النحاس وذلك جايز لانه قد عرف المعنى قوله تعالى ولين
مستهم نفحة من عذاب ربك قال ابن عباس طرف قتادة عقوبة ابن كيسان قليل
وادنى شي ماخوذ من نفح المسك قال .

. وعمرة من سروات النسا . تنفح بالمسك اردانها .

ابن جريج نصيب كما يقال نفح فلان لفلان من عطايه اذا اعطاه نصيبا من المال قال
الشاعر . لما اتيتكم ارجو فضل نايلكم . نفحتني نفحة طابت لها العرب .
اي طابت لها النفس والنفحة في اللغة الدفعة اليسيرة فالمعنى ولين مسهم اقل شي
من العذاب ليقولن يا ويلنا انا كنا ظالمين اي متعدين فيعترفون حين لا ينفعهم
الاعتراف قوله تعالى ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا الموازين
جمع ميزان فقيل انه يدل بظاهره على ان لكل مكلف ميزانا يوزن به اعماله فتوضع
الحسنات في كفة والسيات في كفة وقيل يجوز ان يكون هناك موازين للعامل الواحد
يوزن بكل ميزان منها صنف من اعماله كما قال .

. ملك تقوم الحادثات لعدله . فلكل حادثة لها ميزان .

ويمكن ان يكون ميزانا واحدا عبر عنه بلفظ الجمع وخرج اللالكاي الحافظ ابو القسم
في سننه عن انس يرفعه ان ملكا موكل بالميزان فيوتى بابن ادم فيوقف بين كفتي الميزان
فان رجح نادى الملك بصوت يسمع الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا
وان خف نادى الملك شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها ابدا وخرج عن حذيفة قال
صاحب الميزان يوم القيمة جبريل عليه السلام وقيل للميزان كفتان وخيوط ولسان
والشاهين فالجمع يرجع اليها وقال مجاهد وقتادة والضحاك وذكر الميزان مثل
وليس ثم ميزان وانما هو العدل والذي وردت به الاخبار وعليه السواد الاعظم
القول الاول وقد مضى في الاعراف بيان هذا وفي الكهف ايضا وذكرناه في كتاب التذكرة
مستوفى والحمد لله والقسط العدل اي ليس فيها بخس ولا ظلم كما يكون في وزن الدنيا
والقسط صفة الموازين ووحد لانه مصدر يقال ميزان قسط وميزانان قسط وموازين
قسط مثل رجال عدل ورضى وقرات فرقة القصط بالصاد ليوم القيمة اي لاهل
يوم القيمة وقيل المعنى في يوم القيامة فلا تظلم نفس شيا اي لا ينقص من احسان
محسن ولا يزاد في اساة مسي وان كان مثقال حبة من خردل قرا نافع وشيبة وابو
جعفر مثقال بالرفع هنا وفي لقمان على معنى ان وقع او حضر فيكون كان تامة ولا
يحتاج الى خبر الباقون مثقال بالنصب على معنى وان كان العمل او ذلك الشي مثقال
ومثقال الشي ميزانه من مثله اتينا بها مقصورة الالف قراة الجمهور اي احضرناها
وجينا بها للمجازاة عليها وبها اي بالحبة ولو قال به اي بالمثقال لجاز وقيل مثقال
الحبة ليس شيا غير الحبة فلهذا قال اتينا بها وقرا مجاهد وعكرمة اتينا بالمد على معنى
جازينا بها يقال اتى يواتي مواتاة وكفى بنا حاسبين اي محاسبين على ما قدموه من
خير وشر وقيل حاسبين اذ لا احد اسرع حسابا منا والحساب العد روى الترمذي عن
عايشة ان رجلا قعد بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي
مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني واشتمهم واضربهم فكيف انا منهم قال يحسب ما

خانوك

خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك اياهم فان كان عقابك اياهم بقدر ذنوبهم كان
كفافا لا لك ولا عليك وان كان عقابك اياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك وان كان عقابك
اياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل قال فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اما تقرا كتاب الله ونضع الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيا
الاية فقال الرجل والله يا رسول الله ما اجد لي ولهم شيا خيرا من مفارقتهم اشهدك
انهم احرار كلهم قال حديث غريب قوله تعالى ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضيا
وحكي عن ابن عباس وعكرمة الفرقان ضيا بغير واو على الحال وزعم الفرا ان حذف الواو والمجي
بها واحد كما قال عز وجل انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب وحفظا اي حفظا ورد عليه
هذا القول الزجاج قال لان الواو تجي لمعنى فلا تزاد قال وتفسير الفرقان التوراة لان فيها
الفرق بين الحلال والحرام قال وضيا مثل فيه هدى ونور وقال ابن زيد الفرقان هنا
هو النصر على الاعدا دليله قوله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يعني يوم بدر قال الثعلبي
وهذا القول اشبه بظاهر الاية لدخول الواو في الضيا فيكون معنى الاية ولقد اتينا موسى
وهرون النصر والتوراة التي هي الضيا والذكر للمتقين الذين يخشون ربهم بالغيب اي غايبين
لانهم لم يروا الله تعالى بل عرفوا بالنظر والاستدلال ان لهم ربا قادرا يجازي على الاعمال
فهم يخشونه في سرايرهم وخلواتهم التي يغيبون فيها عن الناس وهم من الساعة اي من
قيامها قبل التوبة مشفقون اي خايفون وجلون وهذا ذكر مبارك انزلناه يعني القران
افانتم له يا معشر العرب منكرون وهو معجز لا تقدرون على الاتيان بمثله واجاز الفرا وهذا
ذكرا مباركا انزلناه بمعنى انزلناه مباركا قوله تعالى ولقد اتينا ابراهيم رشده قال الفرا
اي اعطيناه هداه من قبل النبوة اي وفقناه للنظر والاستدلال لما جن عليه الليل فراى
النجم والشمس والقمر وقيل من قبل اي من قبل موسى وهرون والرشد على هذا النبوة وعلى
الاول اكثر اهل التفسير كما قال ليحيى واتيناه الحكم صبيا وقال القرظي رشده صلاحه وكنا
به عالمين اي انه اهل لايتا الرشد وصالح للنبوة قوله تعالى اذ قال لابيه قيل المعنى
اي اذكر حين قال فيكون الكلام قد تم عند قوله وكنا به عالمين اذ قال فيكون الكلام متصلا
ولا يوقف على قوله عالمين لابيه وهو ازر وقومه نمرود ومن اتبعه ما هذه التماثيل اي
الاصنام والتمثال اسم موضوع للشي المصنوع مشبها بخلق من خلق الله تعالى يقال مثلت
الشي بالشي اي شبهته به واسم ذلك الممثل تمثال التي انتم لها عاكفون اي مقيمون على
عبادتها قالوا وجدنا اباءنا لها عابدين اي نعبدها تقليدا لاسلافنا قال لقد كنتم انتم
واباوكم في ضلال مبين اي في خسران بعبادتها اذ هي جمادات لا تنفع ولا تضر ولا تعلم قالوا
اجيتنا بالحق اي اجاد انت محق فيما تقول ام انت من اللاعبين اي لاعب مازح قال بل
ربكم رب السموات والارض اي لست بلاعب بل ربكم والقايم بتدبيركم خالق السموات والارض
الذي فطرهن اي خلقهن وابدعهن وانا على ذلكم من الشاهدين اي على انه رب السموات
والارض والشاهد يبين الحكم ومنه شهد الله بين الله فالمعنى وانا ابين بالدليل ما اقوله
قوله تعالى وتالله لاكيدن اصنامكم اخبر انه لم يكتف بالمحاجة باللسان بل كسر اصنامهم
فعل واثق بالله تعالى موطن نفسه على مقاسات المكروه في الذب عن الدين والتا في
تالله تختص بكل مظهر والبا بكل مضمر ومظهر قال الشاعر .

تالله يبقى على الايام ذو حيد . بمشمخر به الظيان والاس .

وقال ابن عباس اي وحرمة الله لاكيدن اصنامكم اي لامكرن بها والكيد المكر كاده يكيده
كيدا ومكيدة وكذلك المكايدة وربما سمي الحرب كيدا يقال غزا فلان فلم يلق كيدا وكل شي
تعالجه فانت تكيده بعد ان تولوا مدبرين منطلقين ذاهبين وكان لهم في كل سنة عيد
يجتمعون فيه فقالوا لابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا اعجبك ديننا روي ذلك عن ابن
مسعود على ما ياتي بيانه في والصافات فقال ابراهيم في نفسه تالله لاكيدن اصنامكم
قال مجاهد وقتادة انما قال ذلك ابراهيم في سر من قومه ولم يسمعه الا رجل واحد وهو
الذي افشاه عليه والواحد يخبر عنه بخبر الجمع اذا كان ما اخبر به عند ما يرضى به غيره

ومثله يقولون لين رجعنا الي المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقيل انما قاله بعد خروج القوم
ولم يبق الا الضعفا فهم الذين سمعوه وكان ابراهيم احتال في التخلف عنهم بقوله اني سقيم
اي ضعيف عن الحركة قوله تعالى فجعلهم جذاذا اي فتاتا والجذ الكسر والقطع جذذت
الشي كسرته وقطعته والجذاذ والجذاذ ما كسر منه والضم افصح من كسره قاله الجوهري الكساي
ويقال لحجارة الذهب جذاذ لانها تكسر وقرا الكساي والاعمش وابن محيصن جذاذا بكسر الجيم
اي كسرا وقطعا جمع جذيذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وظريف وظراف وقال الشاعر
جذذ الاصنام في محرابها ذلك في الله العلي المقتدر
الباقون بالضم واختاره ابو عبيد وابو حاتم اي الحطام والرقاق الواحده جذاذه وهذا
هو الكيد الذي اقسم به ليفعلنه بها وقال فجعلهم لان القوم اعتقدوا في اصنامهم الالهية وقرا
ابن عباس وابو نهيك وابو السماك جذاذا بفتح الجيم والفتح والكسر لغتان كالحصاد والحصاد
ابو حاتم الفتح والكسر والضم بمعنى حكاه قطرب الا كبيرا لهم اي عظيم الالهة في الخلق فانه
لم يكسره قال السدي ومجاهد ترك الصنم الاكبر وعلق الفاس الذي كسر الاصنام بها في عنقه
ليحتج به عليهم لعلهم اليه اي الي ابراهيم ودينه يرجعون اذا قامت الحجة عليهم وقيل لعلهم
اليه اي الي الصنم الاكبر يرجعون في تكسيرها قوله تعالى قالوا من فعل هذا بالهتنا انه
لمن الظالمين المعنى لما رجعوا من عيدهم وراوا ما احدث بالهتهم قالوا على جهة البحث
والانكار من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين اي فاعل هذا ظالم والاول اصح لقوله سمعنا
فتى يذكرهم وهذا هو جواب من فعل هذا والضمير في قالوا للقوم الضعفا الذي سمعوا
ابراهيم والواحد على ما تقدم ومعنى يذكرهم يعيبهم ويسبهم فلعله الذي صنع هذا واختلف
الناس في وجه رفع ابراهيم فقال الزجاج يرتفع على معنى يقال له ابراهيم فيكون
مبتدا وخبره محذوف والجملة محكية قال ويجوز ان يكون رفعا على النداء وضمه بناء وقام
له مقام ما لم يسم فاعله وقيل رفعه على انه مفعول لم يسم فاعله على ان يجعل ابراهيم غير
دال على الشخص بل يجعل النطق به دالا على بناء هذه اللفظة اي يقال له هذا القول
وهذا اللفظ وهذا كما تقول زيد وزن فعل او زيد ثلاثة احرف فلم تدل بوجه على
الشخص بل دللت بنطقك على نفس اللفظ وعلى هذه الطريقة تقول قلت ابراهيم
ويكون مفعولا صحيحا انزلته منزلة قول وكلام فلا يتعذر بعد ذلك ان يبنى الفعل فيه
للمفعول هذا اختيار ابن عطية في رفعه وقال الاستاذ ابو الحجاج الاشبيلي الاعلم
هو رفع على الاهمال قال ابن عطية لما راى وجوه الرفع كانها لا توضح المعنى الذي قصدوه
ذهب الي رفعه بغير شي كما قد يرفع التجرد والعرى عن العوامل الابتدا والفتى الشاب والفتاة
الشابة وقال ابن عباس ما ارسل الله نبيا الا شابا ثم قرا فتى سمعنا فتى يذكرهم قوله
تعالى قالوا فاتوا به على اعين الناس فيه مسيلة واحدة وهي انه لما بلغ الخبر نمرود
واشراف قومه كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فقالوا ايتوا به ظاهرا بمراي من الناس حتى
يروه لعلهم يشهدون عليه بما قال ليكون ذلك حجة عليه وقيل لعلهم يشهدون عقابه
فلا يقدم احد على مثل ما اقدم عليه ولعل قوما يشهدون بانهم راوه يكسر الاصنام او لعلهم
يشهدون طعنه على الهتهم ليعلموا انه يستحق العقاب قلت وفي هذا دليل على انه
كان لا يواخذ احد بدعوي احد فيما تقدم لقوله فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون
وهكذا الامر في شرعنا ولا خلاف فيه قوله تعالى قالوا أانت فعلت هذا بالهتنا يا ابراهيم
فيه اربع مسايل الاولى لما لم يكن السماع عاملا ولا ثبتت الشهادة استفهموه هل فعل ام لا
وفي الكلام حذف فجا ابراهيم حين اتي به فقالوا أانت فعلت هذا بالالهة فقال
لهم ابراهيم على جهة الاحتجاج عليهم بل فعله كبيرهم هذا اي انه غار وغضب من ان
يعبد هو ويعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك ان كانوا ينطقون فسلوهم فعلق
فعل الكبير بنطق الاخرين تنبيها لهم على فساد اعتقادهم كانه قال بل هو الفاعل ان
نطق هولا وفي الكلام تقديم على هذا التاويل في قوله فاسالوهم وقيل اراد بل
فعله كبيرهم ان كانوا ينطقون بينا انه من لا يتكلم ولا يعلم ولا يستحق ان يعبد فكان قوله

من المعاريض وفي المعاريض مندوحة عن الكذب اي سلوهم ان نطقوا فانهم يصدقون وان
لم يكونوا ينطقون فليس هو الفاعل وفي ضمن هذا الكلام اعتراف بانه الفاعل وهذا هو الصحيح
لانه عدده على نفسه فدل انه خرج مخرج التعريض وذلك انهم كانوا يعبدونهم ويتخذونهم الهة
من دون الله فقال ابراهيم لابيه يا ابت لم تعبد ما لا يسمع الاية فقال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا
ليقولوا انهم لا ينطقون ولا ينفعون ولا يضرون فيقول لهم فلم تعبدونهم فتقوم عليهم الحجة منهم
ولهذا يجوز عند الايمة فرض الباطل مع الخصوم حتى يرجع الي الحق من ذات نفسه فانه اقرب في الحجة
واقطع للشبهة كما قال لقومه هذا ربي وهذه اختي واني سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وقرا ابن
السميقع بل فعله بتشديد اللام بمعنى فلعل الفاعل كبيرهم وقال الكساي الوقف عند قوله
بل فعله اي فعله من فعله ثم يبتدي كبيرهم هذا وقيل ان لم ينكروا ان يكون فعله كبيرهم فهذا
الزام بلفظ الخبر اي من اعتقد عبادتها يلزمه ان يثبت لها فعلا والمعنى بل فعله كبيرهم فيما يلزمهم
مسيلة روى البخاري ومسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يكذب النبي ابراهيم في شي قط الا في ثلاث قوله اني سقيم وقوله لسارة اختي وقوله بل فعله
كبيرهم لفظ الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ووقع في الاسرى في صحيح مسلم من
حديث ابي هريرة في قصة ابراهيم قال وذكر قوله في الكوكب هذا ربي فعلى هذا تكون الكذبات
اربعا الا ان الرسول عليه السلام قد نفى تلك بقوله لم يكذب ابراهيم النبي قط الا ثلاث كذبات
ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وواحدة في شان سارة الحديث
لفظ مسلم وانما لم يعد عليه قوله في الكوكب هذا ربي كذبة وهي داخلة في الكذب لانه
والله اعلم كان حين قال ذلك في حال الطفولية وليست حال تكليف او قال لقومه مستفهما لهم
على جهة التوبيخ والانكار وحذفت همزة الاستفهام او على طريق الاحتجاج على قومه تنبيها على
ان ما يتغير لا يصلح للربوبية وقد تقدمت هذه الوجوه كلها في الانعام مبينة والحمد لله مسيلة
قال القاضي ابو بكر ابن العربي في هذا الحديث نكتة عظمى تقصم الظهر وهي انه عليه السلام قال
لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله ماحل بها عن دينه وهما قوله اني سقيم
وبل فعله كبيرهم ولم يعد هذه اختي في ذات الله تعالى وان كان دافع بها مكروها ولكنه لما كان
لابراهيم عليه السلام فيها حظ من صيانة فراشه وحماية اهله لم يجعلها في ذات الله وذلك لانه
لا يجعل في جنب الله وذاته الا العمل الخالص من شوايب الدنيا والمعاريض التي ترجع الى النفس
اذا حصلت للدين كانت لله سبحانه كما قال الا لله الدين الخالص وهذا لو صدر منا لكان لله
ولكن منزلة ابراهيم اقتضت هذا والله اعلم مسيلة قال علماونا الكذب هو الاخبار عن
الشي بخلاف ما هو عليه والاظهر ان قول ابراهيم فيما اخبر عنه عليه السلام كان من المعاريض
وان كانت معاريض وحسنات وحججا في الخلق ودلالات لكنها اثرت في الرتبة وخفضت عن
محمد المنزلة واستحيى منها قايلها على ما ورد في حديث الشفاعة فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق
منه غيرهم اجلالا لله فان الذي كان يليق بمرتبته في النبوة والخلة ان يصدع بالحق ويصرح
بالامر كيف ما كان ولكنه رخص له فقبل الرخصة فكان ما كان من القصة ولهذا جا في حديث
الشفاعة انما اتخذت خليلا من وراء وراء فيهما على البنا لخمسة عشر كما قالوا جاري بيت بيت
ووقع في بعض نسخ مسلم من وراء من وراء باعادة من وحينيذ لا يجوز البنا على الفتح وانما
يبني كل واحد منهما على الضم لانه قطع عن الاضافة ونوى المضاف كقبل وبعد وان لم ينو
المضاف اعرب ونون غير ان وراء لا ينصرف لان الفه للتانيث لانهم قالوا في تصغيرها وريية
قال الجوهري وهي شاذة فعلى هذا يصح الفتح فيهما مع وجود من فيهما والمعنى اني كنت
خليلا متاخرا عن غيري ويستفاد من هذا ان الخلة لم تصح بكمالها الا لمن صح له في ذلك
اليوم المقام المحمود كما تقدم وهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فرجعوا الى
انفسهم اي رجع بعضهم الى بعض رجوع المنقطع عن حجته المتفطن لصحة حجة خصمه فقالوا
انكم انتم الظالمون اي بعبادة من لا ينطق بلفظة ولا يملك لنفسه لحظة وكيف ينفع عابديه
ويدفع عنهم الباس من لا يرد عن راسه الفاس قوله تعالى ثم نكسوا على روسهم اي عادوا
الى جهلهم وعنادهم فقالوا لقد علمت ما هولا ينطقون فقال قاطعا لما به يهذون ومفحما لهم

فيما يقولون افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيا ولا يضركم اف لكم اي النتن لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون وقيل ثم نكسوا على روسهم اي طاطاوا روسهم خجلة من ابراهيم وفيه نظر
لانه لم يقل نكسوا روسهم بفتح الكاف بل قالوا نكسوا على روسهم اي ردوا على ما كانوا عليه في اول
الامر وكذا قال ابن عباس قال ادركهم الشقا فعادوا الى كفرهم قوله تعالى قالوا حرقوه لما
انقطعوا بالحجة اخذتهم عزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغشم والغلبة وقالوا حرقوه روي ان قايل
هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها قاله ابن عمر ومجاهد وابن جريج
ويقال اسمه هيزر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وقيل بل قاله ملكهم
نمرود وانصروا الهتكم بتحريق ابراهيم لانه يسبها ويعيبها وجاء في الخبر ان نمرود بنى صرحا طوله
ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا قال ابن اسحاق وجمعوا الحطب شهرا ثم اوقدوها واشتعلت
واشتدت حتى ان كان الطاير ليمر بجنباتها فيحترق من شدة وهجها فقيدوا ابراهيم ووضعوه
في المنجنيق مغلولا ويقال ان ابليس صنع لهم المنجنيق يوميذ فضجت السموات والارض
ومن فيهن من الملايكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة ربنا ابراهيم ليس في ارضك
احد يعبدك غيره يحرق فيك فاذن لنا في نصرته فقال الله تعالى ان استغاث بشي منكم
او دعاه فلينصره فقد اذنت له في ذلك وان لم يدع غيري فانا اعلم به وانا وليه فلما ارادوا
القاه في النار اتاه خزان الما وهو في الهوي فقالوا يا ابراهيم ان اردت اخمدنا النار بالما
فقال لا حاجة لي اليكم فاتاه ملك الريح فقال لو شيت طيرت النار فقال لا ثم رفع راسه
الى السما فقال اللهم انت الواحد في السما وانا الواحد في الارض ليس احد يعبدك غيري
حسبي الله ونعم الوكيل وروي ابي ابن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ابراهيم حين
قيدوه ليلقوه في النار قال لا اله الا انت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك
لك قال ثم رموا به في المنجنيق من مضرب شاسع فاستقبله جبريل فقال يا ابراهيم
الك حاجة قال اما اليك فلا فقال جبريل فاسال ربك قال حسبي من سوالي علمه بحالي
فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم قال بعض العلما جعل الله فيها بردا
يدفع حرها وحرا يدفع بردها فصارت سلاما عليه قال ابو العالية ولو لم يقل بردا
وسلاما لكان بردها اشد عليه من حرها ولو لم يقل على ابراهيم لكان بردها باقيا الى الابد
وذكر بعض العلما ان الله تعالى انزل زربية من الجنة فبسطها في الجحيم وانزل الله ملايكته
جبريل وميكاييل وملك البرد وملك السلامة وقال علي وابن عباس لو لم يتبع بردها سلاما
لمات ابراهيم من بردها ولم تبق يوميذ نار الا طفيت انها تعني قال السدي
وامر الله كل عود من شجرة ان يرجع شجرة ويطرح ثمرته وقال كعب وقتادة ولم تحرق
النار من ابراهيم الا وثاقه فاقام في النار سبعة ايام لم يقرب احد ان يقرب من النار ثم
جاوا فاذا هو قايم يصلي فقال المنهال ابن عمرو وقال ابراهيم ما كنت ايام قط انعم مني
في الايام التي كنت فيها في النار وقال كعب وقتادة والزهري ولم تبق يوميذ دابة الا
اطفات النار الا الوزغ فانها كانت تنفخ عليه فلذلك امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقتلها وسماها فويسقة وقال شعيب الجماني القي ابراهيم في النار وهو ابن ستة عشر
سنة وقال ابن جريج القي ابراهيم عليه السلام في النار وهو ابن ستة وعشرين سنة ذكر
الاول الثعلبي والثاني الماوردي فالله اعلم وقال الكلبي بردت نيران الارض جميعا
فما انضجت كراعا فراه نمرود من الصرح وهو جالس على السرير يونسه ملك الظل فقال
نعم الرب ربك لاقربن له اربعة الاف بقرة وكف عنه قوله تعالى واراد وابه كيدا اي
نمرود واصحابه ان يمكروا به فجعلناهم الاخسرين اي في اعمالهم ورد مكرهم عليهم بتسليط
اضعف خلقنا قال ابن عباس سلط الله عليهم اضعف خلقه البعوض فما برح نمرود
حتى راى عظام اصحابه وخيله تلوح اكلت لحومهم وشربت دماهم ووقعت واحدة في منخره
فلم تزل تاكل الى ان وصلت دماغه وكان اكرم الناس عليه الذي يضرب راسه بمرزبة
من حديد فاقام بهذا نحوا من اربعماية سنة قوله تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض
التي باركنا فيها للعالمين يريد نجينا ابراهيم ولوطا الى الشام وكانا بالعراق وكان لوطا عليه

السلام

السلام عمه قال ابن عباس وقيل لها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وانهارها ولانها معادن الانبيا
والبركة ثبوت الخير ومنه بركت البعير اذا لزم مكانه فلم يبرح وقال ابن عباس الارض المباركة
مكة وقيل بيت المقدس لان منها بعث الله اكثر الانبيا وهي ايضا كثيرة الخصب والنمو عذبة
الما ومنها يتفرق في الارض قال ابو العالية ليس ما عذب الا يهبط من السما الى الصخرة التي
ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض ونحوه عن كعب الاحبار وقيل الارض المباركة مصر قوله
تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب نافلة اي زيادة لانه دعا في اسحاق وزيد يعقوب من غير
دعا فكان ذلك نافلة اي زيادة على ما سال اذ قال رب هب لي من الصالحين ويقال لولد
الولد نافلة لانه زيادة على الولد وكلا جعلنا صالحين اي وكلا من ابراهيم واسحاق ويعقوب
جعلناه صالحا عاملا بطاعة الله وجعلهم صالحين انما يتحقق بخلق الصلاح والطاعة لهم
وبخلق القدرة على الطاعة ثم ما يكتسبه العبد فهو مخلوق لله تعالى قوله تعالى وجعلناهم
ايمة يهدون بامرنا اي روسا يقتدى بهم في الخيرات واعمال الطاعات ومعنى بامرنا اي بما انزلنا
عليهم من الوحي والامر والنهي فكانه قال يهدون بكتابنا وقيل المعنى يهدون الناس الى
ديننا بامرنا اياهم بارشاد الخلق ودعايهم الى التوحيد واوحينا اليهم فعل الخيرات اي ان
يفعلوا الطاعات واقام الصلاة وايتا الزكاة وكانوا لنا عابدين اي مطيعين قوله تعالى
ولوطا اتيناه حكما وعلما لوطا منصوب بفعل مضمر دل عليه الثاني اي واتيناه لوطا اتيناه
وقيل اي واذكر لوطا والحكم والنبوة والعلم المعرفة بامر الدين وما يقع به الحكم بين الخصوم
وقيل علما فهما والمعنى واحد ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبايث يريد سدوم ابن
عباس وكانت سبع قرى قلب جبريل عليه السلام ستة وابقى واحدة للوط وعياله وهي
زغر التي فيها الثمر من كورة فلسطين الى حد الشراة ولها قرى كثيرة الى حد بحر الحجاز وفي
الخبايث التي كانوا يعملونها قولان احدهما اللواط على ما تقدم والثاني الضراط اي كانوا
يتضارطون في ناديهم ومجالسهم وقيل الضراط وحذف الحصى وسياتي انهم كانوا قوم سو
فاسقين اي خارجين عن طاعة الله والفسوق الخروج وقد تقدم وادخلناه في رحمتنا اي
في النبوة وقيل في الاسلام وقيل الجنة وقيل عنا بالرحمة انجاه من قومه انه من الصالحين
قوله تعالى ونوحا اذ نادى من قبل اي واذكر نوحا اذ نادى اي دعا من قبل اي من قبل
ابراهيم ولوط على قومه وهو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فقال ولما
كذبوه اني مغلوب فانتصر فاستجبنا له واهله من الكرب العظيم اي من الغرق والكرب
الغم الشديد واهله اي المومنين منهم ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا قال ابو
عبيدة من بمعنى على وقيل المعنى فانتقمنا له من القوم الذين كذبوا باياتنا فاغرقناهم
اجمعين اي الصغير منهم والكبير قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث الى
قوله وعلما فيه ست وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان
اي واذكرهما اذ يحكمان ولم يرد بقوله اذ يحكمان الاجتماع في الحكم وان جمعهما في القول فان
حكمين على حكم واحد لا يجوز وانما حكم كل واحد منهما على انفراده وكان سليمان الفاهم لها
بفهم الله تعالى اياه في الحرث اختلف فيه على قولين فقيل كان زرعا قاله قتادة وقيل
كرما نبتت عناقيده قاله ابن مسعود وشريح والحرث يقال فيهما وهو في الزرع ابعد من
الاستعارة الثانية قوله تعالى اذ نفشت فيه غنم القوم اي رعت فيه ليلا والنفش الرعي
بالليل يقال نفشت بالليل وهملت بالنهار اذا رعت بلا راع وانفشها صاحبها وابل نفاش
وفي حديث عبد الله بن عمر والحبة من الجنة كثل كرش البعير يبيت نافشا اي راعيا حكاه الهروي
وقال ابن سيدة لا يقال الهمل في الغنم وانما هو في الابل الثالثة قوله تعالى وكنا لحكمهم
شاهدين دليل على ان اقل الجمع اثنان وقيل المراد الحاكمان والمحكوم عليه فلذلك قال
لحكمهم الرابعة قوله تعالى ففهمناها سليمان اي فهمنا القضية والحكومة فكنى عنها اذ
سبق ما يدل عليها وفضل حكم سليمان حكم ابيه في انه احرز ان يبقى ملك كل واحد منهما على
متاعه وتبقى نفسه طيبة بذلك وذلك ان داود عليه السلام راى ان يدفع الغنم الى
صاحب الحرث وقالت فرقة بل دفع الغنم الى صاحب الحرث والحرث الى صاحب الغنم قال

ابن عطية فنبه على القول الواحد انه راي الغنم تعدو من الغلة التي افسدت وعلى القول
الثاني راها تقاوم الحرث والغلة فلما خرج الخصمان على سليمان وكان يجلس على الباب الذي
يخرج منه الخصوم وكانوا يدخلون الى داود على باب اخر فقال بم قضى بينكما نبي الله داود
فقالا قضى بالغنم لصاحب الحرث فقال لعل الحكم غير هذا انصرفا معي فاتى اباه فقال يا نبي
الله انك حكمت بكذا وكذا واني رايت ما هو ارفق بالجميع قال وما هو قال ينبغي ان تدفع
الغنم الى صاحب الزرع فينتفع بالبانها وسمونها واصوافها وتدفع الحرث الى صاحب الغنم
ليقوم عليه فاذا عاد الزرع الى حاله التي اصابته الغنم عليه في السنة المقبلة رد كل واحد
منهما ماله الى صاحبه فقال داود وفقت يا بني لا يقطع الله فهمك وقضى بما قضى به سليمان
قال ومعناه ابن مسعود ومجاهد وغيرهما قال الكلبي قوم داود الغنم والكرم الذي
افسدته الغنم فكانت القيمتان سوا فدفع الغنم الى صاحب الكرم وهكذا قال النحاس
قال انما قضى بالغنم لصاحب الحرث لان ثمنها كان قريبا منه واما في حكم سليمان فقد قيل كانت
قيمة ما نال من الغنم وقيمة ما افسدت الغنم سوا ايضا الخامسة قوله تعالى وكلا اتينا حكما
وعلما تاول قوم ان داود لم يخطي في هذه النازلة بل فيها اوتي الحكم والعلم وحملوا قوله
ففهمناها سليمان على انه فضيلة له على داود وفضيلة راجعة الى داود والوالد يسره زيادة
ولده عليه وقالت فرقة بل لانه لم يصب العين المطلوبة في هذه النازلة وانما مدحه الله
بان له حكما وعلما يرجع اليه في غير هذه النازلة واما في هذه فاصاب سليمان واخطا داود
ولا يمتنع وجود الغلط والخطا من الانبيا كوجوده من غيرهم لكن لا يقرون عليه وان اقر
عليه غيرهم ولما هدم الوليد كنيسة دمشق كتب اليه ملك الروم انك هدمت الكنيسة التي
راي ابوك تركها فان كنت مصيبا فقد اخطا ابوك وان كان ابوك مصيبا فقد اخطات انت
فاجابه الوليد وداود وسليمان اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم
شاهدين ففهمناها سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقال قوم كان داود وسليمان
عليهما السلام نبيين يقضيان بما يوحى اليهما فحكم داود بوحي وحكم سليمان بوحي نسخ الله
به حكم داود وعلى هذا ففهمناها سليمان اي بطريق الوحي الناسخ لما اوحي الى داود وامر
سليمان ان يبلغ ذلك داود ولهذا قال وكلا اتينا حكما وعلما هذا قول جماعة من العلما
ومنهم ابن فورك وقال الجمهور ان حكمهما كان باجتهاد وهي السادسة واختلف العلما في
جواز الاجتهاد على الانبيا فمنعه قوم وجوزه المحققون لانه ليس فيه استحالة عقلية
لانه دليل شرعي فلا احالة ان يستدل به الانبيا كما لو قال له الرب سبحانه اذا غلب على
ظنك كذا فاقطع بان ما غلب على ظنك فهو حكمي فبلغه للامة فهذا غير مستحيل في العقل
فان قيل انما يكون دليلا اذا عدم النص وهم لا يعدمونه قلنا اذا لم ينزل الملك فقد
عدم النص عندهم وصاروا في البحث كغيرهم من المجتهدين على معاني النصوص التي عندهم
والفرق بينهم وبين غيرهم من المجتهدين انهم معصومون عن الخطا والغلط وعن التقصير
في اجتهادهم وغيرهم ليس كذلك هذا مذهب الجمهور في ان جميع الانبيا صلوات الله عليهم
معصومون عن الخطا والغلط في اجتهادهم وذهب ابو علي بن ابي هريرة من اصحاب
الشافعي الى ان نبينا صلى الله عليه وسلم مخصوص منهم في جواز الخطا عليهم وفرق بينه
وبين غيره من الانبيا انه لم يكن بعده من يستدرك غلطه وقد قيل انه على العموم في
جميع الانبيا وان نبينا وغيره من الانبيا صلوات الله عليهم في تجويز الخطا على سوا الا
انهم لا يقرون على امضائه فلم يعتبر فيه استدراك من بعدهم من الانبيا هذا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد سالته امراة عن العدة فقال لها اعتدي حيث شئت ثم قال
امكثي في بيتك حتى يبلغ الكتاب اجله وقال له رجل ارايت ان قتلت صابرا محتسبا
ايحجزني عن الجنة شي فقال لا ثم دعاه الا الدين كذا اخبرني جبريل السابعة قال الحسن
لولا هذه الاية لرايت القضاة هلكوا ولكنه تعالى اثنى على سليمان بصوابه وعذر
داود باجتهاده وقد اختلف الناس في المجتهدين في الفروع اذا اختلفوا فقالت
فرقة الحق في طرف واحد عند الله وقد نصب على ذلك ادلة وحمل المجتهدين على البحث

عنها

عنها والنظر فيها فمن صادف العين المطلوبة في المسالة فهو المصيب على الاطلاق وله اجران
اجر في الاجتهاد واجر في الاصابة ومن لم يصادفها فهو مصيب في اجتهاده مخطي في ان لم يصب
العين فله اجر فهو غير معذور وهذا سليمان قد صادف العين المطلوبة وهي التي فهم وراءت
فرقة ان العالم المخطي لا اثم عليه في خطايه وان كان غير معذور وقالت فرقة الحق في طرف
واحد ولم ينصب الله تعالى عليه دليلا بل وكل الامر الى نظر المجتهدين فمن اصاب اصاب ومن
اخطا فهو معذور ماجور ولم يتعبد باصابة العين بل تعبدنا بالاجتهاد فقط وقال جمهور
اهل السنة وهو المحفوظ عن مالك واصحابه ان الحق في مسايل الفروع في الطرفين وكل
مجتهد مصيب والمطلوب انما هو الافضل في ظنه فكل مجتهد قد اداه نظره الى الافضل في ظنه
والدليل على هذه المقالة ان الصحابة فمن بعدهم قرر بعضهم خلاف بعض ولم ير احد منهم
ان يقع الاجمال على قوله دون قول مخالفه ومنه رد مالك رحمه الله للمنصور ابي جعفر من حمل
الناس على الموطا فاذا قال عالم في امر حلال فذلك هو الحق فيما يختص بذلك العالم عند الله
وبكل من اخذ بقوله وكذا في العكس قالوا وان كان سليمان عليه السلام فهم القضية المثلى والتي
هي ارجح فالاول ليست بخطا وعلى هذا يحملون قوله عليه السلام اذا اجتهد العالم فاخطا اي اخطا
الافضل الثامنة روى مسلم وغيره عن عمرو بن العاصي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم اصاب فله اجران واذا حكم فاجتهد فاخطا فله اجر هكذا لفظ
الحديث في كتاب مسلم اذا حكم فاجتهد فبدا بالحكم قبل الاجتهاد والامر بالعكس فان الاجتهاد
مقدم على الحكم فلا يجوز الحكم قبل الاجتهاد بالاجماع وانما معنى هذا الحديث اذا اراد ان يحكم
كما قال فاذا قرات القران فاستعذ بالله فعند ذلك يجتهد في النازلة ويفيد هذا صحة ما قاله
الاصوليون ان المجتهد يجب عليه ان يجدد نظرا عند وقوع النازلة ولا يعتمد على اجتهاده
المتقدم لامكان ان يظهر له ثانيا خلاف ما ظهر له اولا اللهم الا ان يكون ذاكرا لاركان اجتهاده
مايلا اليه فلا يحتاج الى استيناف نظر في امارة اخرى التاسعة انما يكون الاجر للحاكم المخطي
اذا كان عالما بالاجتهاد والسنن والقياس وقضاء من مضى لان اجتهاده عبادة ولا يوجر
على الخطا بل يوضع عنه الاثم فقط فاما من لم يكن محلا للاجتهاد فهو متكلف لا يعذر بالخطا
في الحكم بل يخاف عليه اعظم الوزر يدل على ذلك حديثه الاخر رواه ابو داود القضاة ثلاثة
الحديث قال ابن المنذر انما يوجر على اجتهاده في طلب الصواب لا على الخطا ومما يويد هذا
قوله تعالى ففهمناها سليمان الاية قال الحسن اثنى على سليمان ولم يذم داود العاشرة
ذكر ابو التمام المالكي ان مذهب مالك ان الحق في واحد من اقاويل المجتهدين وليس ذلك
في اقاويل المختلفين وبه قال اكثر الفقها قال وحكى ابن القاسم انه سال مالكا عن اختلاف
الصحابة فقال مخطي ومصيب وليس الحق في جميع اقاويلهم وهذا القول قيل هو المشهور
عن مالك واليه ذهب محمد بن الحسن واحتج من قال هذا بحديث عبد الله بن عمرو وقالوا
وهو نص على ان في المجتهدين وفي الحاكمين مخطيا ومصيبا قالوا والقول بان كل مجتهد
مصيب يودي الى كون الشي حلالا حراما وواجبا ندبا واحتج اهل المقالة الاولى بحديث
ابن عمر قال نادى فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم انصرف من الاحزاب الا لا يصلين
احد العصر الا في بني قريظة فتخوف ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال
الاخرون لا نصلي الا حيث امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت قال
فما عنف واحدا من الفريقين قالوا فلو كان احد الفريقين مخطيا لعينه النبي صلى الله عليه
وسلم ويمكن ان يقال لعله انما سكت عن تعيين المخطيين لانه غير اثم بل ماجور فاستغنى
عن تعيينه والله اعلم ومسالة الاجتهاد طويلة متشعبة وهذه النبذة التي ذكرناها
كافية في معنى الاية والله الموفق للهداية الحادية عشر ويتعلق بالاية فصل اخر وهو
رجوع الحاكم بعد قضايه من اجتهاده الى اخر ارجح من الاول فان داود عليه السلام فعل
ذلك وقد اختلف في ذلك علماونا رحمهم الله فقال عبد الملك ومطرف في الواضحة ذلك
له ما دام في ولايته فاما ان كانت ولاية اخرى فليس له ذلك وهو بمنزلة غيره من القضاة
وهذا هو ظاهر قول مالك رحمه الله في المدونة وقال سحنون في رجوعه من اجتهاد

فيه قول الى غيره مما رآه اصوب ليس له ذلك وقال ابن عبد الحكم قالا وسيانف الحكم بما
قوي عنده قال سحنون الا ان يكون نسي الاقوى عنده او وهم فحكم بغيره فله نقضه واما
ان حكم بحكم هو الاقوى عنده في ذلك الوقت ثم قوي عنده غيره بعد ذلك فلا سبيل الى
نقض الاول قاله سحنون في كتاب ابنه وقال اشهب في كتاب ابن المواز ان كان رجوعه
الى الاصوب في مال فله نقض الاول وان كان في طلاق او نكاح فكله او عتق فليس له
نقضه قلت رجوع القاضي عما حكم به اذا تبين له ان الحق في غيره ما دام في ولايته اولى
وهكذا في رسالة عمر الى ابي موسى رضي الله عنهما رواها الدارقطني وقد ذكرناها في الاعراف
فلم يفصل وهي الحجة الظاهر قول مالك ولم يختلف العلماء ان القاضي اذا قضى بجور او بخلاف
اهل العلم فهو مردود وان كان على وجه الاجتهاد فاما ان يتعقب قاض حكم قاض آخر فلا
يجوز ذلك له لان فيه مضرة عظمى من جهة نقض الاحكام وتبديل الحلال بالحرام وعدم
ضبط قوانين الاسلام ولم احد من الخلفاء نقض ما رآه الآخر وانما كان يحكم بما ظهر له
الثانية عشر قال بعض الناس ان داود لم يكن انفذ الحكم وظهر له ما قال غيره وقال
آخرون لم يكن حكما وانما كانت فتيا قلت وهكذا تاول فيما رواه ابو هريرة عنه عليه
السلام انه قال بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذيب فذهب بابن احداهما فقالت هذه
لصاحبتها انما ذهب بابنك انت وقالت الاخرى انما ذهب بابنك انت فتحاكما الى داود
فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فاخبرتاه فقال ايتوني بالسكين اشقه
بينكما فقالت الصغرى لا يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى قال ابو هريرة ان
سمعت بالسكين قط الا يومئذ ما كنا نقول الا المدية اخرجه مسلم فاما القول بان ذلك
من داود فتيا فهو ضعيف لانه كان النبي وفتياه حكم واما قول الآخر فبعيد لانه تعالى
قال اذ يحكمان في الحرث فبين ان كل واحد منهما كان قد حكم وكذا قوله في الحديث فقضى
به للكبرى يدل على انفاذ القضاء وانجازه ولقد ابعد من قال انه كان من شرع داود
ان يحكم به للكبرى من حيث هي كبرى لان الكبر والصغر طرد محض عند الدعاوي كالطول
والقصر والسواد والبياض وذلك لا يوجب ترجيح احد المتداعيين حتى يحكم له او عليه
لاجل ذلك وهو مما يقطع به من فهم ما جاءت به الشرائع والذي ينبغي ان يقال ان داود
عليه السلام انما قضى به للكبرى لسبب اقتضى عنده ترجيح قولها ولم يذكر في الحديث
تعيينه اذ لم تدع حاجة اليه فيمكن ان الولد كان بيدها وعلم عجز الاخرى عن اقامة
البينة فقضى به لها ابقاء لما كان على ما كان وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا الحديث
وهو الذي تشهد له قاعدة الدعاوي الشرعية التي يبعد اختلاف الشرائع فيها لا يقال
فان كان داود قضى بسبب شرعي فكيف ساغ لسليمان نقض حكمه فالجواب ان سليمان
لم يتعرض لحكم ابيه بالنقض وانما احتال حيلة لطيفة ظهر له بسببها صدق الصغرى وهي
انه لما قال هات السكين اشقه بينكما قالت الصغرى لا فظهر له من قرينة الشفقة
في الصغرى وعدم ذلك في الكبرى مع ما عساه انضاف الى ذلك من القرائن ما حصل له
العلم بصدقها فحكم لها ولعله كان ممن سوغ له ان يحكم بعلمه وقد ترجم النسائي على هذا
الحديث حكم الحاكم بعلمه وترجم له ايضا السعة للحاكم ان يقول للشيء الذي لا يفعله افعل
ليستبين الحق وترجم له ايضا نقض الحاكم ما يحكم به غيره ممن هو مثله او اجل منه ولعل
الكبرى اعترفت بان الولد للصغرى عندما رأت من سليمان الحزم والجد في ذلك فقضى
بالولد للصغرى ويكون هذا كما اذا حكم الحاكم باليمين فلما مضى ليحلف حضر من استخرج
من المنكر ما اوجب اقراره فانه يحكم عليه بذلك الاقرار قبل اليمين وبعدها ولا يكون ذلك
من باب نقض الحكم الاول لكن من باب تبدل الاحكام بحسب تبدل الاسباب والله اعلم
وفي هذا الحديث من الفقه ان الانبياء سوغ لهم الحكم بالاجتهاد وقد ذكرناه وفيه من
الفقه استعمال الحكام الحيل التي تستخرج بها الحقوق وذلك يكون عن قوة الذكاء
والفطنة وممارسة احوال الخلق وقد يكون في اهل التقوى فراسة دينية وتوسمات
نورية وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وفيه حجة لمن يقول ان الام تستلحق وليس مشهور

مذهب مالك وليس هذا موضع ذكره وعلى الجملة فقضاء سليمان في هذه القصة تفهيما مدحه
تعالى له بقوله ففهمناها سليمان الثالثة عشر قد تقدم القول في الحرث والحكم في هذه الواقعة
في شرعنا ان على اصحاب الماشية حفظها بالليل وعلى اصحاب الحوائط حفظ حيطانهم وزروعهم
بالنهار ثم ان الضمان في المثل بالمثليات وبالقيمة في ذوات القيم والاصل في هذه المسألة
في شرعنا ما حكم به محمد نبينا صلى الله عليه وسلم في ناقة البراء بن عازب رواه مالك عن ابن
شهاب عن حرام بن سعد عن محيصة ان ناقة للبراء دخلت حائط رجل فافسدت فيه فقضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان على اهل الحوائط حفظها بالليل وان ما افسدت المواشي بالليل ضامن
على اهلها هكذا رواه جميع الرواة مرسلا وكذلك رواه اصحاب ابن شهاب عن ابن شهاب الا ابن
عيينة فانه رواه عن الزهري عن سعيد وحرام بن سعد بن محيصة ان ناقة البراء دخلت حائط
قوم مثل حديث مالك سواء الا انه لم يذكر حرام بن سعد بن محيصة ولا غيره قال ابو عمر ولم يتابع
يصنع ابن ابي ذيب شيئا لانه افسد اسناده ورواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن حرام بن
محيصة عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتابع عبد الرزاق على ذلك وانكروا عليه قوله
عن ابيه ورواه ابن جريج عن ابن شهاب قال حدثني ابو امامة بن سهل بن حنيف ان ناقة
دخلت في حائط قوم فافسدت فجعل الحديث لابن شهاب عن ابي امامة ولم يذكر ان الناقة كانت
للبراء وجائز ان يكون الحديث عند ابن شهاب عن ابن محيصة وعن سعيد ابن المسيب وعن ابي
امامة والله اعلم فحدث به عن من شاء منهم على ما حضره وكلهم ثقات قال ابو عمر وهذا الحديث
وان كان مرسلا فهو حديث مشهور ارسله الائمة وحدث به الثقات واستعمله فقهاء الحجاز
وتلقوه بالقبول وجرى في المدينة به العمل وحسبك باستعمال اهل المدينة وسائر اهل الحجاز
لهذا الحديث الرابعة عشر ذهب مالك وجمهور الامة الى القول بحديث البراء وذهب ابو حنيفة
واصحابه وجماعة من الكوفيين الى ان هذا الحديث منسوخ وان البهائم اذا افسدت زرعا
في ليل او نهار انه لا يلزم صاحبها شيء وادخل فسادها في عموم قوله صلى الله عليه وسلم جرح
العجماء جبار فقاس جميع افعالها على جرحها ويقال انه ما تقدم ابا حنيفة احد بهذا القول ولا
حجة له ولا لمن اتبعه في حديث العجماء وكونه ناسخا لحديث البراء ومعارضا له فان النسخ شروطه
معروفة والمعارض انما يصح اذا لم يمكن استعمال احدهما الا بنفي الآخر وحديث العجماء جرحها
جبار نهارا لا ليلا وفي الزرع والحوائط والحرث لم يكن هذا مستقلا من القول فكيف يجوز ان
يقال في هذا متعارض وانما هذا من باب العموم والخصوص على ما هو مذكور في الاصول
الخامسة عشر ان قيل ما الحكمة في تفريق الشرائع بين الليل والنهار وقد قال الليث ابن سعد
يضمن اربابه المواشي بالليل والنهار كل ما افسدت ولا يضمن اكثر من قيمة الماشية قلنا الفرق
بينهما واضح وذلك ان اهل المواشي لهم ضرورة الى ارسال مواشيهم لترعى بالنهار والاغلب
عندهم ان من عنده زرع يتعاهده بالنهار ويحفظه عمن اراده فجعل حفظ ذلك بالنهار على اهل
الزرع لانه وقت التصرف في المعاش كما قال سبحانه وجعلنا النهار معاشا فاذا جاء الليل فقد
جاء الوقت الذي يرجع كل شيء الى موضعه وسكنه كما قال تعالى جعل لكم الليل لتسكنوا
فيه وقال وجعل الليل سكنا ويرد اهل المواشي مواشيهم الى مواضعهم ليحفظوها فاذا فرط
صاحب الماشية في ردها الى منزله وفرط في ضبطها وحبسها عن الانتشار بالليل حتى اتلفت
شيئا فعليه ضمان ذلك فجرى الحكم على الاوفق الاسمح وكان ذلك ارفق بالفريقين واسهل
على الطائفتين واحفظ للمالين وقد وضح الصبح لذي عينين ولكن لتسليم الخاسئين واما
قول الليث بن سعد الا ان يجعله قياسا على العبد الجاني فلا يفتك باكثر من قيمته ولا يلزم
سيده في جنايته اكثر من قيمته وهذا ضعيف الوجه كذا قال في التمهيد وقال في الاستذكار
خالف الحديث في العجماء جرحها جبار وخالف ناقة البراء وقد تقدمه الى ذلك طائفة من العلماء
منهم عطا قال ابن جريج قلت لعطاء الحرث تصيبه الماشية ليلا او نهارا قال يضمن صاحبها
ويغرم قلت كان عليه حظار او لم يكن قال نعم يغرم قلت ما يغرم قال قيمة ما اكل حماره ودابته
وماشيته وقال معمر عن ابن شبرمة يقوم الزرع على حاله التي اصيب عليها دراهم وروي عن
عمر ابن الخطاب وعمر ابن عبد العزيز يضمن رب الماشية ليلا او نهارا من طرق لا تصح السادسة

عشر قال مالك ويقوم الزرع الذي افسدت المواشي بالليل على الرجا والخوف قال والحوائط التي تحرس والتي لا تحرس والمحظر عليها وغير المحظر سوا يقوم اهلها من اصابت بالليل بالغا ما بلغ وان كان اكثر من قيمتها قال فاذا انفلتت دابة بالليل فوطيت على رجل نايم لم يغرم صاحبها شيئا وانما هذا في الحايط والزرع والحرث ذكره عنه ابو عبد الحكم وقال ابن القاسم ما افسدت الماشية بالليل فهو في مال ربها وان كان اضعاف ثمنها لان الجناية من قبله اذ لم يربطها والمواشي كالعبد حكاه سحنون واصبغ وابو زيد عن ابن القاسم السابعة عشر ولا يستانى بالزرع ان ينبت كما يفعل في سن الصغير وقال عيسى عن ابن القاسم قيمته لو حل بيعه وقال اشهب وابن نافع في المجموعة عنه وان لم يبد صلاحه ابن العربي والاول اقوى لانها صفة فيقوم كما يقوم كل متلف على صفته الثامنة عشر لو لم يقض للمفسد له بشي حتى نبت وانجبر فان كان فيه قبل ذلك منفعة رعي او شي ضمن تلك المنفعة وان لم يكن فيه منفعة فلا ضمان وقال اصبغ يضمن لان التلف قد تحقق والجبر ليس من جهته فلا يعتد له به التاسعة عشر وقع في كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء في امثال المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة وكسا تين كذلك فيضمن ارباب النعم ما افسدت من ليل او نهار كانه ذهب الى ان ترك تثقيف الحيوان في مثل هذه البلاد تعد لانها ولا بد تفسد وهذا جنوح الى قول الليث الموفية عشرون قال اصبغ في المدنية ليس لاهل المواشي ان يخرجوا مواشيهم الى قرى الزرع بغير ذواد فركب العلما على هذا ان البقعة لا تخلوا ان تكون بقعة زرع او بقعة سرح فان كانت بقعة زرع فلا تدخلها ماشية الا ماشية تحتاج وعلى اربابها حفظها وما افسدت فصاحبها ضامن ليلا او نهارا وان كانت بقعة سرح فعلى صاحبه الذي حرثه فيها حفظه ولا شي على ارباب المواشي الحادية والعشرون المواشي على قسمين ضواري وحريسة وعليها قسمها مالك فالضواري هي المعتادة للزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع في بلد لا زرع فيه رواه ابن القاسم في الكتاب وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك ربها وكذلك قال مالك في الدابة التي ضريت افساد الزرع تغرب وتباع واما ما يستطاع الاحتراس منه فلا يومر صاحبه باخراجه الثانية والعشرون قال اصبغ النحل والحمام والاوز والدجاج كالماشية لا يمنع صاحبها من اتخاذها وان اضرت وعلى اهل القرية حفظ زروعهم قال ابن العربي وهذه رواية ضعيفة لا يلتفت اليها من اراد ان يتخذ ما ينتفع به مما لا يضر بغيره مكن منه واما انتفاعه بما يتخذه باضراره باحد فلا سبيل اليه قال عليه السلام لا ضرر ولا ضرار وهذه الضواري عن ابن القاسم في المدنية لا ضمان على اربابها الا بعد التقدم ابن العربي وارى الضمان عليهم قبل التقدم اذا كانت ضواري الثالثة والعشرون ذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الشعبي ان شاة وقعت في غزل حايك فاختصموا الى شريح فقال الشعبي انظروه فانه سيسالهم ليلا وقعت فيه او نهارا ففعل ثم قال ان كان بالليل ضمن وان كان بالنهار لم يضمن ثم قرا شريح اذ نفشت فيه غنم القوم قال والنفش بالليل والهمل بالنهار قلت ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم العجما جرحها جبار الحديث وقال ابن شهاب والجبار الهدر والعجما البهيمة قال علماونا ظاهر قوله العجما جرحها جبار انها انفردت البهيمة بالتلف فلم يكن فيه شي وهذا مجمع عليه فلو كان معها قايد او سايق او راكب فحملها احدهم على شي فاتلفته لزمه حكم المتلف فان كانت جناية مضمونة بالقصاص وكان الحمل عمدا كان فيه القصاص ولا يختلف فيه لان الدابة كالالة وان كان عن غير قصد كانت فيه الدية على العاقلة وفي الاموال الغرامة في مال الجاني الرابعة والعشرون واختلفوا فيما اصابت برجلها او ذنبها فلم يضمن مالك والليث والاوزاعي صاحبها وضمنه الشافعي وابن ابي ليلى وابن شبرمة واختلفوا في الضاربة فجمهورهم انها كغيرها ومالك وبعض اصحابه يضمنونه الخامسة والعشرون روى سفيان ابن حسين عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل جبار وقال الدارقطني لم يروه غير سفيان ابن حسين ولم يتابع عليه وخالفه الحفاظ عن الزهري منهم مالك وابن عيينة ويونس ومعمر وابن جريج والزبيدي وعقيل والليث ابن سعد وغيرهم كلهم رووه عن الزهري فقالوا العجما جبار ولم يذكر الرجل وهو الصواب وكذلك رواه ابو صالح السمان وعبد

الرحمن

الرحمن الاعرج ومحمد ابن زياد وغيرهم عن ابي هريرة لم يذكروا فيه والرجل جبار وهو المحفوظ عن ابي هريرة السادسة والعشرون قوله والبير جبار وقد روي موضعه والنار جبار قال الدارقطني ثنا حمزة ابن القاسم الهاشمي ثنا حنبل ابن اسحاق قال سمعت ابا عبد الله احمد ابن حنبل يقول في حديث عبد الرزاق حديث ابي هريرة والنار جبار ليس بشي لم يكن في الكتاب باطل ليس هو بصحيح ثنا محمد بن مخلد ثنا ابو اسحاق ابراهيم ابن هاني قال سمعت احمد بن حنبل يقول اهل اليمن يكتبون النار النير ويكتبون البير يعني مثل ذلك وانما لقن عبد الرزاق النار جبار وقال الرمادي قال عبد الرزاق قال معمر لا اراه الا وهما قال ابو عمر روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال النار جبار وقال يحيى ابن معين اصله البير ولكن معمر صحفه قال ابو عمر لم يات ابن معين على قوله هذا بدليل وليس هكذا ترد احاديث الثقات ذكر وكيع عن عبد العزيز ابن حصين عن يحيى بن يحيى الغساني قال احرق رجل تبنا في فداح له فخرجت شررة من نار حتى احرقت شيا لجاره قال فكتب فيه الى عمر ابن عبد العزيز فكتب اليه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجما جبار وارى ان النار جبار وقد روي والساىمة جبار بدل العجما فهذا ما ورد في الفاظ هذا الحديث ولكل معنى لفظ صحيح مذكور في شرح الحديث وكتب الفقه قوله تعالى وسخرنا مع داود الجبال يسبحن قال وهب كان داود يمر بالجبال مسبحا والجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل كان داود اذا وجد فترة امر الجبال فسبحت حتى يشتاق ولهذا قال وسخرنا اي جعلناها بحيث تطيعه اذا امرها بالتسبيح وقيل ان سيرها معه تسبيحها والتسبيح ماخوذ من السباحة دليله قوله يا جبال اوبي معه وقال قتادة يسبحن يصلين معه اذا صلى والتسبيح الصلاة وكل محتمل وذلك فعل الله تعالى بها ذلك لان الجبال لا تعقل فتسبيحها دلالة على تنزيه الله تعالى عن صفات العاجزين والمحدثات قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم يعني اتخاذ الدروع بالانة الحديد له واللبوس عند العرب السلاح كله درعا كان او جوشنا او سيفا او رمحا قال الهذلي يصف رمحا

ومعي لبوس للبيس كانه ... روق بجبهة ذي نعاج مجفل

واللبوس كل ما يلبس وانشد ابن السكيت

البس لكل حالة لبوسها ... اما نعيمها واما بوسها

واراد الله تعالى هنا الدرع وهو بمعنى الملبوس نحو الركوب والحلوب قال قتادة اول من صنع الدروع داود وانما كانت صفايح فهو اول من سردها وحلقها الثانية قوله تعالى ليحصنكم من باسكم اي من حربكم وقتال من السيف والسهم والرمح اي من آلة باسكم فحذف المضاف ابن عباس من سلاحكم الضحاك من حرب اعدايكم والمعنى واحد وقرى ليحصنكم وابو جعفر وابن عامر وحفص وروح لتحصنكم بالتا رداه على الصنعة وقيل على اللبوس والمعنة التي هي الدروع وقرا شيبة وابو بكر والمفضل ورويس وابن ابي اسحاق لنحصنكم بالنون لقوله وعلمناه وقرا الباقون بالياء جعلوا الفعل للبوس او يكون المعنى ليحصنكم الله فهل انتم شاكرون اي تشكرون ما يسرنا عليكم من هذه الصنعة الثالثة هذه الاية اصل في اتخاذ الصنايع والاسباب وهو قول اهل العقول والالباب لا قول الجهلة الاغبيا القايلين بان ذلك انما شرع للضعفا فالسبب سنة الله في خلقه فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب من ذكرنا الى الضعف وعدم المنة وقد اخبر الله عن نبيه داود عليه السلام انه كان يصنع الدروع وكان ايضا يصنع الخوص وكان ياكل من عمل يده وكان ادم حراثا ونوح نجارا ولقمان خياطا وطالوت دباغا وقيل سقا فالصنعة يكف بها الانسان نفسه عن الناس ويدفع بها عن نفسه الضرر والباس وفي الحديث ان الله يحب المومن المحترف الضعيف المتعفف ويبغض السايل الملحف وقد مضى هذا في غير ما اية بما فيه كفاية وقد تقدم في الفرقان والحمد لله قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة اي شديدة الهبوب يقال منه عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وفي لغة بني اسد عصفت الريح لانها تعصف بشدة تطيرها وقرا عبد الرحمن الاعرج والسلمي وابو بكر ولسليمان الريح برفع الحا على القطع مما قبله والمعنى ولسليمان تسخير الريح ابتداء وحين يجري بامره الى الارض التي باركنا فيها يعني الشام يريد كانت تجري به وباصحابه الى حيث اراد ثم ترده الى الشام وقال وهب كان سليمان ابن داود اذا خرج الى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والانس حتى يجلس على سريره وكان امرا غزا

لا يقعد عن الغزو فاذا اراد ان يغزو امر بخشب فمدت ورفع عليها الناس والدواب وآلة الحرب
ثم امر العاصفة فاقلت ذلك ثم امر الرخا فمرت به شهرا في رواحه وشهرا في غدوه وهو معنى قوله
تعالى تجري بامره رخاء حيث اصاب والرخا اللينة وكنا بكل شي عالمين اي بكل شي علمنا عالمين
بتدبيره قوله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له اي وسخرنا له من يغوصون يريد تحت الما اي
يستخرجون له الجواهر من البحر والغوص النزول تحت الما وقد غاص في الما والهاجم على الشي غايص
والغواص الذي يغوص في البحر على اللولو وفعله الغياصة ويعملون عملا دون ذلك اي سوى
ذلك من الغوص قاله الفرا وقيل يراد بذلك المحاريب والتماثيل وغير ذلك مما يسخرهم فيه وكنا لهم
حافظين اي لاعمالهم وقال الفرا حافظين لهم من ان يفسدوا اعمالهم او يهيجوا احدا من بني ادم في
زمان سليمان وقيل حافظين من ان يهربوا ويمتنعوا وحفظناهم من ان يخرجوا عن امره وقد قيل
ان الحمام والنورة والطواحين والقوارير والصابون من استخراج الشياطين قوله تعالى وايوب
اذ نادى ربه اي واذكر ايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر اي نالني في بدني ضر وفي مالي واهلي قال
ابن عباس سمي ايوب لانه اب الى الله في كل حال وروي ان ايوب عليه السلام كان رجلا من الروم
ذا مال عظيم وكان برا تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل
شاكرا لانعم الله وانه دخل مع قومه على جبار عظيم فخاطبوه في امر فجعل ايوب يلين له من اجل زرع
كان له فامتحنه الله بذهاب ماله واهله وبالضر في جسمه حتى تناثر لحمه وتدود جسمه حتى
اخرجه اهل قريته الى خارج القرية فكانت امراته تخدمه قال الحسن مكث بذلك سبع سنين وستة
اشهر فلما اراد الله ان يفرج عنه قال الله تعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
فيه شفاوك وقد وهبت لك اهلك وولدك ومثلهم معهم وسياتي في ص ما للمفسرين في قصة
ايوب من تسليط الشياطين عليه والرد عليهم ان شا الله تعالى واختلف في قول ايوب مسني الضر
على خمسة عشر قولا الاول انه وثب ليصلي فلم يقدر على النهوض فقال مسني الضر اخبارا عن حاله
لا شكوى لبلائه رواه انس مرفوعا الثاني انه اقرار بالعجز فلم يكن منافيا للصبر الثالث انه
سبحانه اجراه على لسانه ليكون حجة لاهل البلاء بعده في الافصاح بما ينزل بهم الرابع انه اجراه على
لسانه الزاما له في صفة الادمي في الضعف عن تحمل البلاء الخامس انه انقطع الوحي عنه اربعين
يوما فخاف هجران ربه فقال مسني الضر وهذا قول جعفر بن محمد السادس ان تلامذته الذين
كانوا يكتبون عنه لما افضت حاله الى ما انتهت اليه محوا ما كتبوا عنه وقالوا ما لهذا عند الله قدر
فاشتكى الضر في ذهاب الوحي والدين من ايدي الناس وهذا مما لم يصح سنده والله اعلم قال
ابن العربي السابع ان دودة سقطت من لحمه فاخذها وردها في موضعها فعقرته فصاح مسني
الضر فقيل اعلينا تتصبر قال ابن العربي وهذا بعيد جدا مع انه يفتقر الى نقل صحيح ولا سبيل
الى وجوده الثامن ان الدود كان يتناول بدنه فصبر حتى تناولت دودة قلبه واخرى
لسانه فقال مسني الضر لاشتغاله عن ذكر الله قال ابن العربي وما احسن هذا لو كان له سند
ولم تكن دعوى عريضة التاسع انه ابهم عليه جهة الاخذ البلاء له هل هو تاديب او تعذيب
او تخصيص او تمحيص او ذخر او طهر فقال مسني الضر اي ضر الاشكال في جهة اخذ البلاء قال
ابن العربي وهذا غلو لا يحتاج اليه العاشر انه قيل له سل الله العافية فقال اقمت في النعيم
سبعين سنة فاقيم في البلاء سبعين سنة وحينئذ اساله فقال مسني الضر قال ابن العربي
وهذا ممكن ولكنه لم يصح في اقامته مدة ولا في هذه القصة الحادي عشر ان ضره قول ابليس
لزوجته اسجدي لي فخاف ذهاب الايمان عنها فتهلك ويبقى بغير كافل الثاني عشر لما ظهر به
البلا قال قومه قد اضر بنا كونه معنا وقذره فليخرج عنا فاخرجته امراته الى ظاهر البلد
فكانوا اذا خرجوا راوه تطيروا به وتشاموا برويته فقالوا ليبعد بحيث لا نراه فخرج الى
بعد من القرية فكانت امراته تقوم عليه وتحمل قوته اليه فقالوا انها تتناوله وتخالطنا فيعود
بسببه ضره الينا فارادوا قطعها عنه فقال مسني الضر الثالث عشر قال عبد الله بن عبيد بن
عمير كان لايوب اخوان فاتياه فقاما من بعيد لا يقدران ان يدنوا منه من نتن ريحه فقال احدهما
للاخر لو علم الله في ايوب خيرا ما ابتلاه بهذا البلاء فلم يسمع شيا اشد عليه من هذه الكلمة فعند
ذلك قال مسني الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني لم ابت شبعان قط وانا اعلم مكان جايع فصدقني

فنادى

فنودي من السما ان صدق عبدي وهما يسمعان فخرا ساجدين الرابع عشر ان معنى مسني الضر
من شماتة الاعدا قال ابن العربي وهذا ممكن فان الكليم قد سالها اخوه العافية من ذلك فقال ان القوم
استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعدا الخامس عشر ان امراته كانت ذات ذوايب
فعرفت حين منعت ان تتصرف لاحد بسببه ما تعود به عليه فقطعت ذوايبها واشترت بهما ممن
يصلها قوتا وجات به اليه وكان يستعين بذوايبها في تصرفه وتنقله فلما عدمها واراد الحركة في
تنقله قال مسني الضر وقيل انها لما اشترت القوت بذوايبها جاه ابليس في صفة رجل وقال لها ان
اهلك بغت فاخذت وحلق شعرها فحلف ايوب ان يجلدها فكانت المحنة على قلب المراة اشد من المحنة
على قلب ايوب قلت وقول سادس عشر ذكره ابن المبارك ثنا يونس بن يزيد عن عقيل عن ابن
شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب النبي وما اصابه من البلا الحديث وفيه
ان بعض اخوانه ممن صابره ولازمه قال يا نبي الله لقد اعجبني امرك وذكرته الى اخيك وصاحبك
انه قد ابتلاك بذهاب الاهل والمال وفي جسدك منذ ثماني عشرة سنة حتى بلغت ما ترى الا يرحمك
فيكشف عنك لقد اذنبت ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب عليه السلام ما ادري ما تقولان
غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلين يتزاعمان فكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون
فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا ياثم احد ذكره ولا يذكره احد الا بحق فنادى ربه
اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وانما كان دعاوه عرضا عرض على الله تبارك وتعالى يخبره
بالذي بلغه صابرا لما يكون من الله تبارك وتعالى فيه وذكر الحديث وقول سابع عشر سمعته ولم
اقف عليه ان دودة سقطت من جسده فطلبها ليردها الى موضعها فلم يجدها فقال مسني الضر لما فقد
من اجر تلك الدودة وكان اراد ان يبقى له الاجر موفرا الى وقت العافية وهذا حسن الا انه يحتاج الى
سند قال العلما ولم يكن قوله مسني الضر جزعا لان الله تعالى قال انا وجدناه صابرا بل كان ذلك
دعا منه والجزع في الشكوى الى الخلق لا الى الله تعالى والدعا لا ينافي الرضى قال الثعلبي سمعت
استاذنا ابا القاسم ابن حبيب يقول حضرت مجلسا غاصا بالفقها والادبا في دار السلطان فسيلت
عن هذه الاية بعد اجماعهم على ان قول ايوب كان شكاية وقد قال تعالى انا وجدناه صابرا
فقلت ليس هذا شكاية وانما كان دعا بيانه فاستجبنا له والاجابة تتعقب الدعا لا الاشتكا
فاستحسنوه وارتضوه وسيل الجنيد عن هذه الاية فقال عرفه فاقة السوال ليمن عليه
بكرم النوال قوله تعالى فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم قال مجاهد وعكرمة
قيل لايوب صلى الله عليه وسلم قد اتيناك اهلك في الجنة فان شيت تركناهم لك في الجنة وان
شيت اتيناكهم في الدنيا قال مجاهد فتركهم الله عز وجل في الجنة واعطاه مثلهم في الدنيا قال
النحاس والاسناد عنهما بذلك صحيح قلت وحكاه المهدوي عن ابن عباس وقال الضحاك قال
عبد الله بن مسعود كان اهل ايوب قد ماتوا الا امراته فاحياهم الله عز وجل في اقل من طرف
البصر واتاه مثلهم معهم وعن ابن عباس ايضا كان بنوه قد ماتوا فاحيوا له وولد له مثلهم معهم
وقاله قتادة وكعب الاحبار والكلبي وغيرهم قال ابن مسعود مات اولاده وهم سبعة من الذكور
وسبعة من الاناث فلما عوفي نشروا له وولدت له امراته سبعة بنين وسبع بنات قال الثعلبي
هذا القول اشبه بظاهر الاية قلت لانهم ماتوا ابتلا قبل اجالهم حسب ما تقدم بيانه في سورة
البقرة في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف وفي قصة السبعين الذين اخذتهم الصعقة
فماتوا ثم احيوا وذلك انهم ماتوا قبل اجالهم كذلك هنا والله اعلم وعلى قول مجاهد وعكرمة يكون
المعنى واتيناه اهله في الاخرة ومثلهم معهم في الدنيا وفي الخبر ان الله بعث اليه جبريل عليه
السلام حين ركض برجله على الارض ركضة فظهرت عين ما واخذ بيده فنفضه نفضة فتناثرت
عنه الديدان وغاص في الما غوصة فنبت لحمه وعاد الى منزله ورد الله عليه اهله ومثلهم
معهم ونشات سحابة على قدر قواعد داره فمطرت ثلاثة ايام بلياليها جرادا من ذهب فقال
له جبريل اشبعت فقال ومن يشبع من فضل الله فاوحى الله اليه قد اثنيت عليك بالصبر
قبل وقوعك في البلا وبعده ولولا اني وضعت تحت كل شعرة منك صبرا ما صبرت رحمة من
عندنا اي فعلنا ذلك به رحمة من عندنا وقيل ابتليناه ليعظم ثوابه غدا وذكرى للعابدين
اي وتذكيرا للعباد لانهم اذا ذكروا بلا ايوب وصبره عليه ومحنته له وهو افضل اهل زمانه

وطنوا انفسهم على الصبر على شدايد الدنيا نحو ما فعل ايوب فيكون هذا تنبيها لهم على
ادامة العباد واحتمال الضرر واختلف في مدة اقامته في البلا فقال ابن عباس كانت
مدة البلا سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ليال وهب ثلاثين سنة الحسن
سبع سنين وستة اشهر قلت واصح من هذا والله اعلم ثمانية عشر سنة رواه ابن شهاب
عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره ابن المبارك وقد تقدم قوله تعالى واسماعيل
وادريس وهو خنوخ وقد تقدم وذا الكفل اي واذكرهم وخرج الترمذي الحكيم في نوادر
الاصول وغيره من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني اسرايل
رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امراة فاعطاها ستين دينارا فلما
قعد منها مقعد الرجل من امراته ارتعدت وبكت فقال ما يبكيك قالت من هذا العمل والله
ما عملته قط قال اكرهتك قالت لا ولكن حملني عليه الحاجة قال اذهبي فهو لك والله
لا اعصي الله ابدا ثم مات من ليلته فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله قد غفر لذي الكفل
وخرجه ابو عيسى الترمذي ايضا ولفظه عن ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يحدث حديثا لو لم اسمعه الا مرة او مرتين حتى عد سبع مرات ولكني سمعته اكثر من ذلك
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان ذو الكفل من بني اسرايل لا يتورع من ذنب
عمله فاتته امراة فاعطاها ستين دينارا على ان يطاها فلما قعد منها مقعد الرجل
من امراته ارعدت وبكت فقال ما يبكيك اكرهتك قالت لا ولكنه عمل ما عملته قط وما
حملني عليه الا الحاجة فقال تفعلين انت هذا وما فعلته اذهبي فهي لك وقال والله لا
اعصي الله بعدها ابدا فمات من ليلته فاصبح مكتوبا على بابه ان الله قد غفر للكفل
قال حديث حسن وقيل ان اليسع لما كبر قال لو استخلفت رجلا على الناس حتى انظر
كيف يعمل فقال من يتكفل لي بثلاث بصيام النهار وقيام الليل والا يغضب ويقضي فقال
رجل من ذرية العيص انا فرده ثم قال مثلها من الغد فقال الرجل انا فاستخلفه فوفى
فاثنى الله عليه فسمي ذا الكفل لانه تكفل بامر قاله ابو موسى ومجاهد وقتادة وقال
عمرو بن عبد الله بن الحرث وقال ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ذا الكفل لم
يكن نبيا ولكنه كان عبدا صالحا فتكفل بعمل رجل صالح عند موته وكان يصلي لله كل يوم
ماية صلاة فاحسن الله الثنا عليه وقال كعب كان في بني اسرايل ملك كافر فمر ببلاده
رجل صالح فقال والله ان خرجت من هذه البلاد حتى اعرض على هذا الملك الاسلام
فعرض عليه قال ما جزاي قال الجنة ووصفها له قال من يتكفل لي بذلك قال انا فاسلم
الملك وتخلى عن المملكة واقبل على طاعة ربه حتى مات فدفن فاصبحوا فوجدوا يده
خارجة من القبر وفيها رقعة خضرا مكتوب فيها بنور ابيض ان الله قد غفر لي وادخلني
الجنة ووفى بكفالة فلان فاسرع الناس الى ذلك الرجل بان ياخذ عليهم الايمان ويتكفل
لهم بما تكفل به للملك ففعل ذلك فامنوا كلهم وسمي ذا الكفل وقيل كان رجلا عفيفا
يتكفل بشان كل انسان وقع في بلاء او تهمة او مطالبة فينجيه الله على يديه وقيل سمي
ذا الكفل لان الله تعالى تكفل له في سعيه وعمله بضعف عمل غيره من الانبيا الذين
كانوا في زمانه والجمهور على انه ليس بنبي وقال الحسن هو نبي قبل الياس وقيل
هو زكريا بكفالة مريم كل من الصابرين اي على امر الله والقيام بطاعته واجتناب
معاصيه وادخلناهم في رحمتنا اي الجنة انهم من الصالحين قوله تعالى وذا النون
اي واذكر ذا النون وهو لقب ليونس ابن متى لابتلاع النون اياه والنون الحوت
وفي حديث عثمان رضي الله عنه انه راى صبيا مليحا فقال دسموا نونته كيلا تصيبه
العين روى ثعلب عن ابن الاعرابي النونة النقبة التي تكون في ذقن الصبي الصغير
ومعنى دسموا سودوا اذ ذهب مغاضبا قال الحسن والشعبي وسعيد ابن جبير مغاضبا
لربه جل وعز واختاره الطبري والقتبي واستحسنه المهدوي وروي عن ابن مسعود
وقال النحاس وربما انكر هذا من لا يعرف اللغة وهو قول صحيح والمعنى مغاضبا من
اجل ربه كما تقول غضبت لك اي من اجلك والمومن يغضب لله جل وعز اذا عصي واكثر

اهل

اهل اللغة يذهب الى ان قول النبي صلى الله عليه وسلم لعايشة اشترطي لهم الولاء من هذا
وبالغ القتبي في نصرة هذا القول وفي الخبر في وصف يونس انه كان ضيق الصدر فلما حمل
اعبا النبوة تفسخ تحتها كما تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فمضى على وجهه مضي الابق الناد
وهذه المغاضبة كانت صغيرة ولم يغضب على الله ولكن غضب لله اذ رفع العذاب عنهم
وقال ابن مسعود ابق من ربه اي من امر ربه حتى امره بالعود اليهم بعد رفع العذاب
عنهم فانه كان يتوعد قومه بنزول العذاب في وقت معلوم وخرج من عندهم في ذلك
الوقت فاظلهم العذاب فتضرعوا فرفع عنهم ولم يعلم يونس بتوبتهم فلذلك ذهب مغاضبا
وكان من حقه الا يذهب الا باذن محدد وقال الحسن امره الله تعالى بالمسير الى قومه فسال
ان ينظر ليتاهب فاعجله الله تعالى حتى سال ان ياخذ نعلا يلبسها فلم ينظر وقيل له الامر
اعجل من ذلك وكان في خلقه ضيق فخرج مغاضبا لربه فهذا قول وقول النحاس احسن ما
قيل في تاويله اي خرج مغاضبا من اجل ربه اي غضب على قومه حتى طال عليهم امرهم وتعنتهم
فذهب فارا بنفسه ولم يصبر على اذاهم وقد كان الله امره بملازمتهم والدعا فكان ذنبه
خروجه من بينهم من غير اذن من الله روي معناه عن ابن عباس والضحاك وان يونس كان
شابا ولم يحمل اثقال النبوة ولهذا قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ولا تكن كصاحب الحوت الاية
وعن الضحاك ايضا خرج مغاضبا لقومه لان قومه لما لم يقبلوا منه وهو رسول من الله عز وجل
كفروا بهذا فوجب ان يغاضبهم وعلى كل احد ان يغاضب من عصى الله عز وجل وقالت فرقة
منهم الاخفش انما خرج مغاضبا للملك الذي كان على قومه قال ابن عباس اراد شعيا النبي
والملك الذي كان في وقته اسمه حزقيل ان يبعثوا يونس الى ملك نينوى وكان غزا بني
اسرايل وسبى الكثير منهم ليكلمه حتى يرسل معه بني اسرايل وكان الانبيا في ذلك الزمان
يوحى اليهم والامر والسياسة الى ملك قد اختاروه فيعمل على وحي ذلك النبي وكان اوحى
الله الى شعيا ان قل لحزقيل الملك ان يختار نبيا قويا امينا من بني اسرايل فيبعثه الى اهل
نينوى فيامرهم بالتخلية عن بني اسرايل فاني ملق في قلوب ملوكهم وجبابرتهم التخلية
عنهم فقال يونس لشعيا هل امرك الله باخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال
فها هنا انبيا امنا اقويا فالحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي والملك وقومه فاتى بحر الروم
فكان من قصته ما كان فابتلي ببطن الحوت لتركه امر شعيا ولهذا قال تعالى فالتقمه الحوت
وهو مليم والمليم من فعل ما يلام عليه وكان ما فعله اما صغيرة او ترك الاولى وقيل خرج
ولم يكن نبيا في ذلك الوقت ولكن امره ملك من ملوك بني اسرايل ان ياتي نينوى ليدعو
اهلها بامر شعيا فانف ان يكون ذهابه اليهم بامر احد غير الله فخرج مغاضبا للملك فلما نجا
من بطن الحوت بعثه الله الى قومه فدعاهم وامنوا به قال القشيري والاظهر ان هذه
المغاضبة كانت بعد ارسال الله تعالى اياه وبعد رفع العذاب عن القوم بعد ما اظلهم
فانه كره رفع العذاب عنهم قلت هذا احسن ما قيل فيه على ما ياتي بيانه في والصافات
ان شا الله تعالى وقيل انه كان من اخلاق قومه قتل من جربوا عليه الكذب فخشي ان يقتل
فغضب وخرج فارا على وجهه حتى ركب في سفينة فسكنت ولم تجر فقال اهلها افيكم ابق فقال
انا هو فكان من قصته ما كان وابتلي ببطن الحوت تمحيصا من الصغيرة كما قال في اهل احد
حتى اذا فشلتم الى قوله وليمحص الله الذين امنوا فمعاصي الانبيا مغفورة ولكن قد يجري
تمحيص ويتضمن ذلك زجرا عن المعاودة وقول رابع انه لم يغاضب ربه ولا قومه ولا الملك وانه
من قولهم غضب اذا انف وفاعل قد يكون من واحد فالمعنى انه لما وعد قومه بالعذاب وخرج
عنهم تابوا وكشف عنهم العذاب فلما رجع وعلم انهم لم يهلكوا انف من ذلك فخرج ابقا وينشد
هذا البيت • واغضب ان تهجى تميم بدارم • اي آنف وهذا فيه نظر فانه يقال لصاحب
هذا القول ان تلك المعاصي وان لم تكن من الاقدام لابد ان يخالطها الغضب فذلك الغضب
وان دق على من كان وانت تقول لم يغضب على ربه ولا على قومه فذلك الغضب الذي يخالط
الانفة على من كان قوله تعالى فظن ان لن نقدر عليه قيل معناه استزله ابليس
ووقع في ظنه امكان ان لا يقدر الله عليه بمعاقبته وهذا قول مردود مرغوب عنه لانه

كمن روي عن سعيد ابن جبير حكاه عنه المهدوي والثعلبي عن الحسن وذكر الثعلبي وقال
عطا وسعيد ابن جبير وكثير من العلما معناه فظن ان لن نضيق عليه قال الحسن من قوله
يبسط الرزق لمن يشا ويقدر اي يضيق وقوله ومن قدر عليه رزقه قلت وهذا الاشبه
بقول سعيد والحسن وقدر وقدر وقتر وقتر بمعنى اي ضيق وهو قول ابن عباس فيما
ذكره الماوردي والمهدوي وقيل هو من القدر الذي هو القضا والحكم اي فظن ان لن
نقضي عليه العقوبة قاله قتادة ومجاهد والفرا ماخوذ من القدر وهو الحكم دون
القدرة والاستطاعة وروي عن ابي العباس احمد بن يحيى ثعلب انه قال في قول الله عز
وجل فظن ان لن نقدر عليه قال هو من التقدير ليس من القدرة يقال منه قدر الله
لك الخير يقدره قدرا بمعنى قدر الله لك الخير وانشد ثعلب
فليست عشايا اللوي براجع لنا ابدا ما اورق السلم النضر
ولا عايدا ذاك الزمان الذي مضى تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر
يعني ما تقدره وتقضي به يقع وعلى هذين التاويلين العلما وقرا عمر ابن عبد العزيز
والزهري فظن ان لن نقدر بضم النون وتشديد الدال من التقدير وحكى هذه القراة
الماوردي عن ابن عباس وقرا عبيد ابن عمير وقتادة والاعرج ان لن يقدر بضم اليا
مشددا على الفعل المجهول وقرا يعقوب وعبد الله بن ابي اسحاق والحسن وابن عباس
ايضا يقدر عليه بيا مضمومة وفتح الدال مخففا على الفعل المجهول وعن الحسن ايضا
فظن ان لن يقدر عليه الباقون نقدر بفتح النون وكسر الدال وكله بمعنى التقدير
قلت وهذان التاويلان تاولهما العلما في قول الرجل الذي لم يعمل خيرا قط لاهله
اذا مات فحرقوه فوالله لان قدر الله علي الحديث فعلى التاويل الاول يكون تقديره
والله لين ضيق الله علي وبالغ في محاسبتي وجزاني على ذنوبي ليكونن ذلك ثم امر
ان يحرق بافراط خوفه وعلى التاويل الثاني اي لين كان سبق في قدر الله وقضايه
ان يعذب كل ذي جرم على جرمه ليعذبني الله على اجرامي وذنوبي عذابا لا يعذبه
احدا من العالمين غيري وحديثه خرجه الايمة الموطا وغيره والرجل كان مومنا موحدا
وقد جا في بعض طرقه لم يعمل خيرا قط الا التوحيد وقد قال حين قال الله لم فعلت
هذا قال من خشيتك يا رب والخشية لا تكون الا لمومن مصدق قال الله تعالى انما يخشى
الله من عباده العلما وقد قيل ان معنى فظن ان لن نقدر عليه الاستفهام وتقديره
افظن فحذف الف الاستفهام ايجازا وهو قول سليمان ابن المعتمر وحكى القاضي منذر
ابن سعيد ان بعضهم قرا افظن بالالف قوله تعالى فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك اني كنت من الظالمين فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى فنادى في الظلمات
اختلف الناس في جميع الظلمات ما المراد به فقالت فرقة منهم ابن عباس وقتادة
ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت وذكر ابن ابي الدنيا ثنا يوسف بن موسى ثنا
عبيد الله بن موسى عن اسرايل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال ثنا عبد الله
ابن مسعود في بيت المال قال لما ابتلع الحوت يونس عليه السلام اهوى به الى قرار الارض
فسمع يونس تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ظلمات ثلاث بطن الحوت وظلمة الليل
وظلمة البحر ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فنبذناه بالعرا وهو سقيم
كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش وقالت فرقة منهم سالم ابن ابي الجعد ظلمة البحر
وظلمة حوت التقم الحوت الاول ويصح ان يعبر بالظلمات عن جوف الحوت الاول
فقط كما قال في غيابات الجب وفي كل جهاته ظلمة فجمعها سايغ وذكر الماوردي انه يحتمل
انه يعبر بالظلمات عن ظلمة الخطيية وظلمة الشدة وظلمة الوحدة وروي ان الله تعالى
اوحى الى الحوت لا توذي منه شعرة فاني جعلت بطنك سجنه ولم اجعله طعامك وروي
ان يونس عليه السلام سجد في جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر وذكر
ابن ابي الدنيا ثنا العباس بن يزيد العبدي ثنا اسحاق ابن ادريس ثنا جعفر بن سليمان
عن عوف عن سعيد بن ابي الحسن قال لما التقم الحوت يونس ظن انه قد مات فطول

رجليه

رجليه فاذا هو لم يمت فقام الى عادته يصلي فقال في دعايه واتخذت لك مسجدا حيث
لم يتخذه احد وقال ابو المعالي قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى
المعنى فاني لم اكن وانا في سدرة المنتهى باقرب الى الله منه وهو في قعر البحر في بطن الحوت
وهذا يدل على ان الباري سبحانه ليس في جهة وقد تقدم هذا المعنى في البقرة والاعراف
ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين يريد فيما خالفت فيه من ترك مداومة قومه
والصبر عليهم وقيل في الخروج من غير ان يوذن له ولم يكن ذلك من الله عقوبة لان الانبيا
لا يجوز ان يعاقبوا وانما كان ذلك تمحيصا وقد يودب من لا يستحق العقاب كالصبيان ذكره
الماوردي وقيل من الظالمين في دعايي على قومي بالعذاب وقد دعا نوح على قومه فلم يواخذ
وقال الواسطي في معناه نزه ربه عن الظلم واضاف الظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل
هذا قول ادم وحوى ربنا ظلمنا انفسنا اذ كانا السبب في وضعهما انفسهما غير الموضع الذي انزلا
فيه الثانية روى ابو داود عن سعيد ابن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دعا
ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع به رجل مسلم
الا استجيب له وقد قيل انه اسم الله الاعظم ورواه سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي
الخبر في هذه الاية شرط الله لمن دعاه ان يجيبه كما اجابه وينجيه كما انجاه وهو قوله وكذلك
ننجي المومنين وليس ها هنا صريح دعا وانما هو مضمون قوله اني كنت من الظالمين فاعترف
بالظلم فكان تلويحا قوله تعالى وكذلك ننجي المومنين اي نخلصهم من همهم بما سبق من عملهم
وذلك قوله فلولا انه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون وهذا حفظ من الله لعبده
يونس رعى له حق تعبده وحفظ ذمام ما سلف له من طاعته وقال الاستاد ابو اسحاق صحب ذا
النون الحوت اياما قلايل فالى يوم القيامة يقال له ذا النون فما ظنك بعبد عبده سبعين
سنة يبطل هذا عنده لا يظن به ذلك من الغم اي من بطن الحوت قوله تعالى وكذلك ننجي
قراة العامة بنونين من انجى ينجي وقرا ابن عامر نجي بنون واحدة وجيم مشددة وتسكين اليا
على الفعل الماضي واضمار المصدر وكذلك نجي النجا المومنين كما تقول ضرب زيدا بمعنى
ضرب الضرب زيدا وانشد ولو ولدت قفيرة جرو كلب لسب بذلك الجرو الكلابا
اراد لسب السب بذلك الجرو وسكنت ياوه على لغة من يقول بقي ورضي فلا يحرك اليا
وقرا الحسن وذروا ما بقي من الربا استثقالا لتحريك يا قبلها كسرة وانشد
خمر المشيب لمتي تخميرا وحدا الى القتور العيرا
ليت شعري اذا القيامة قامت ودعي بالحساب اين المصيرا
سكن اليا في دعي استثقالا لتحريكها وقبلها كسرة وفاعل حدى المشيب اي وحدي المشيب
العيري ليت شعري المصير اين هو وهذا تاويل الفرا وابي عبيد وثعلب في تصويب هذه
القراة وخطاها ابو حاتم والزجاج وقالوا هو لحن لانه نصب اسم ما لم يسم فاعله وانما يقال
نجي المومنون كما يقال كرم الصالحون ولا يجوز ضرب زيدا بمعنى ضرب الضرب زيدا لانه
لا فايدة اذ كان ضرب يدل على الضرب ولا يجوز ان يحتج بمثل ذلك البيت على كتاب الله
تعالى ولابي عبيد قول اخر وقاله القتبي وهو انه ادغم النون في الجيم النحاس وهذا
القول لا يجوز عند احد من النحويين لبعد مخرج النون من مخرج الجيم فلا تدغم فيها ولا
يجوز في من جاء بالحسنة جا بالحسنة قال النحاس ولم اسمع في هذا احسن من شي سمعته من علي
ابن سليمان قال الاصل ننجي فحذف احدى النونين لاجتماعهما كما تحذف احدى التاءين
لاجتماعهما نحو قوله عز وجل ولا تفرقوا والاصل تتفرقوا وقرا محمد ابن السميقع وابو العالية
وكذلك نجا المومنين اي نجا الله المومنين وهي حسنة قوله تعالى وزكريا اذ نادى
ربه اي واذكر زكريا وقد تقدم في ال عمران ذكره رب لا تذرني فردا اي منفردا لا ولد
لي وقد تقدم وانت خير الوارثين لما تقدم اي خير من يبقى بعد من يموت وانما قال خير
الوارثين لما تقدم من قوله يرثني اي اعلم انك لا تضيع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة
التي هي القيام بامر الدين عن عقبي كما تقدم في مريم بيانه قوله تعالى فاستجبنا له
اي اجبنا دعاه ووهبنا له يحيى تقدم ذكره مستوفى واصلحنا له زوجه قال قتادة وسعيد

ابن جبير واكثر المفسرين انها كانت عاقرا فجعلت ولودا وقال ابن عباس وعطا كانت سيئة
الخلق وقيل انهم يعني الانبيا المسمين في هذه السورة كانوا يسارعون في الخيرات وقيل الكناية
راجعة الي زكريا وامراته ويحيي قوله تعالي ويدعوننا رغبا ورهبا فيه مسلتان الاولي قوله
تعالي ويدعوننا رغبا ورهبا اي يفزعون الينا فيدعوننا في حال الرخا وحال الشدة وقيل
المعني يدعون وقت تعبدهم وهم بحال رغبة ورجا ورهبة وخوف لان الرغبة والرهبة متلازمان
وقيل الرغب رفع بطون الاكف الي السما والرهب رفع ظهورها قال خصيف قال ابن عطية وتلخيص
هذا ان دعاه كل داع من البشر ان يستعين بيديه فالرغب من حيث هو طلب يحسن منه ان
توجه باطن الراح نحو المطلوب منه اذ هو موضع اعطا او بها يتملك والرهب من حيث هو
دفع مضرة يحسن معه طرح ذلك والاشارة الي ذهابه وتوقيه بنفض اليد ونحوه الثانية
روي الترمذي عن عمر ابن الخطاب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رفع يديه في
الدعا لم يحطهما حتي يمسح بهما وجهه وقد مضي في الاعراف الاختلاف في رفع الايدي وذكرنا
هذا الحديث وغيره هناك وعلى القول بالرفع فقد اختلف الناس في صفته والي اين
فكان بعضهم يختار ان يبسط كفيه رافعهما حذو صدره وبطونهما الي وجهه وروي عن ابي
عمر وابن عباس وكان علي يدعو بباطن كفيه وعن انس مثله وهو ظاهر حديث الترمذي
وقوله صلى الله عليه وسلم اذا سالتم الله فاسالوه ببطون اكفكم ولا تسالوه بظهورها وامسحوا
بها وجوهكم وروي عن ابن عمر وابن الزبير برفعهما الي وجهه واحتجوا بحديث ابي سعيد
الخدري قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرفة فجعل يدعو وجعل ظهر كفيه
مما يلي وجهه ورفعهما فوق ثدييه واسفل من منكبيه وقيل حتي يحاذي بهما وجهه وظهورهما
مما يلي وجهه قال ابو جعفر الطبري والصواب ان يقال ان كل هذه الاثار المروية عن
النبي صلى الله عليه وسلم متفقة غير مختلفة المعاني وجايز ان يكون ذلك من النبي صلى
الله عليه وسلم لاختلاف احوال الدعا كما قال ابن عباس اذا اشار احدكم باصبع واحدة
فهو الاخلاص واذا رفع يديه حذو صدره فهو الدعا واذا رفعهما حتي يجاوز بهما راسه
وظاهرهما مما يلي وجهه فهو الابتهال قال الطبري وقد روي قتادة عن انس قال
رايت النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بظهر كفيه وباطنهما ورغبا ورهبا منصوبان على
المصدر اي يرغبون رغبا ويرهبون رهبا او على المفعول من اجله اي للرغب والرهب او
على الحال وقرا طلحة ابن مصرف ويدعونا بنون واحدة وقرا الاعمش بضم الرا واسكان
العين والها مثل السقم والبخل والعدم والضرلغتان وابن وثاب والاعمش ايضا رغبا
ورهبا بالفتح في الرا والتخفيف في العين والها وهما لغتان مثل نهر ونهر وصخر وصخر
ورويت هذه القراة عن ابي عمرو وكانوا لنا خاشعين اي متواضعين خاضعين قوله
تعالى والتي احصنت فرجها اي واذكر مريم التي احصنت فرجها وانما ذكرها وليست من
الانبيا لتتميم ذكر عيسي ولهذا قال وجعلناها وابنها اية للعالمين لان معني الكلام
وجعلنا شانهما وامرهما وقصتهما اية للعالمين وقال الزجاج ان الاية فيهما واحدة لانها
ولدته من غير فحل وعلى مذهب سيبويه التقدير وجعلناها اية للعالمين وابنها مثل
قوله جل ثناوه والله ورسوله احق ان يرضوه وقيل ان من اياتها انها اول امراة قبلت
في النذر في المتعبد ومنها ان الله غذاها برزق من عنده لم يجره على يد عبد من عبيده
وقيل انها لم تلقم ثديا قط واحصنت معناه عفت فامتنعت من الفاحشة وقيل ان
المراد بالفرج فرج القميص اي لم تعلق بثوبها ريبة اي انها طاهرة الاثواب وفروج القميص
اربعة الكمان والاعلى والاسفل قال السهيلي فلا يذهبن وهمك الي غير هذا فانه من
لطيف الكناية لان القران انزه معني واوزن لفظا والطف اشارة واحسن عبارة من
ان يريد ما يذهب اليه وهم الجاهل لا سيما والنفخ من روح القدس بامر القدوس فاضف
القدس الي القدوس ونزه المقدسة المطهرة عن الظن الكاذب والحدس فنفخنا فيها من
روحنا يعني امرنا جبريل حتي نفخ في درعها فاحدثنا بذلك النفخ المسيح في بطنها وقد مضي
هذا في النسا ومريم فلا معني لاعادته اية اي علامة واعجوبة للخلق وعلما لنبوة عيسي

ودلالة

ودلالة على نفوذ قدرتنا فيما نشا قوله تعالى ان هذه امتكم امة واحدة لما ذكر الانبيا قال هولا
كلهم مجتمعون على التوحيد فالامة هنا بمعني الدين الذي هو الاسلام قال ابن عباس ومجاهد
وغيرهما فاما المشركون فقد خالفوا الكل وانا ربكم اي الهكم وحدي فاعبدون اي افردوني بالعبادة
وقرا عيسي بن عمر وابن ابي اسحاق ان هذه امتكم امة واحدة ورواها حسين عن ابي عمرو الباقون امة
واحدة بالنصب على القطع بمجي النكرة بعد تمام الكلام قاله الفرا الزجاج انتصب امة على الحال اي في
حال اجتماعها على الحق اي هذه امتكم ما دامت امة واحدة واجتمعتم على التوحيد فاذا تفرقتم
وتفرقتم فليس من خالف الحق من جملة اهل الدين الحق وهما كما تقول فلان صديقي عفيفا اي
ما دام عفيفا فاذا خالف العفة لم يكن صديقي واما الرفع فيجوز ان يكون على البدل من امتكم او
على اضمار مبتدا اي ان هذه امتكم هذه امة واحدة او تكون خبرا بعد خبر فلو نصبت امتكم على البدل
من هذه لجاز وتكون امة واحدة خبر ان قوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم اي تفرقوا في الدين قاله
الكلبي الاخفش اختلفوا فيه والمراد المشركون ذمهم لمخالفة الحق واتخاذهم الهة من دون الله
قال الازهري اي تفرقوا في امرهم فنصب امرهم بحذف في المتقطع على هذا لازم وعلى الاول متعد
والمراد جميع الخلق اي جعلوا امرهم في اديانهم قطعا وتقسموه بينهم فمن موحد ومن يهودي ومن
نصراني ومن عابد ملك او صنم كل الينا راجعون اي الي حكمنا فنجازيهم قوله تعالى فمن يعمل من
الصالحات وهو مومن من للتبعيض لا للجنس اذ لا قدرة للمكلف ان ياتي بجميع الطاعات كلها فرضها
ونفلها فالمعني من يعمل شيا من الطاعات فرضا او نفلا وهو موحد مسلم وقال ابن عباس مصدقا
بمحمد صلى الله عليه وسلم فلا كفران لسعيه اي لا جحود لعمله اي لا يضيع جزاوه ولا يغطي والكفر ضده
الايمان والكفر ايضا جحود النعمة وهو ضد الشكر وقد كفره كفورا وكفرانا وفي حرف ابن مسعود
فلا كفر لسعيه وانا له كاتبون لعمله حافظون نظيره اي لا اضيع عمل عامل منكم من ذكر او انثي اي
كل ذلك محفوظ ليجازي به قوله تعالى وحرام على قرية اهلكناها انهم لا يرجعون قراة زيد ابن
ثابت واهل المدينة وحرام وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم واهل الكوفة وحرم ورويت عن
علي وابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وهما لغتان مثل حل وحلال وقد روي عن ابن
عباس وسعيد ابن جبير وحرم بفتح الحا والميم وكسر الرا وعن ابن عباس ايضا وعكرمة وابي
العالية وحرم بضم الرا وفتح الحا والميم وعن ابن عباس ايضا وحرم وعنه ايضا وحرم وحرم وعن
عكرمة ايضا وحرم وعن قتادة ومطر الوراق وحرم تسع قراات وقرا السلمي على قرية اهلكتها
واختلف في لا في قوله لا يرجعون فقيل هي صلة روي ذلك عن ابن عباس واختاره ابو عبيد اي وحرام
على قرية اهلكناها ان يرجعوا بعد الهلاك وقيل ليست بصلة وانما هي ثابتة ويكون الحرام بمعني
الواجب اي وجب على قرية كما قالت الخنسا وان حراما لا اري الدهر باكيا على شجوه الا بكيت على صخر
تريد اخاها فلا ثابتة على هذا القول قال النحاس والاية مشكلة ومن احسن ما قيل فيها
واجله ما رواه ابن عيينة وابن علية وهشيم وابن ادريس ومحمد ابن فضيل وسليمان ابن حيان
ومعلي عن داود ابن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس في قوله جل وعز وحرم على قرية اهلكناها
قال وجب قوله تعالى انهم لا يرجعون قال لا يتوبون قال ابو جعفر واشتقاق هذا من اللغة
وشرحه ان معني حرم الشي حظر ومنع منه كما ان معني احل ابيح ولم يمنع منه فاذا كان حرام
وحرم بمعني واجب فمعناه انه قد ضيق الخروج منه ومنع فقد دخل في باب المحظور بهذا فاما
قول ابي عبيد ان لا زايدة فقد رده عليه جماعة لانها لا تزاد في مثل هذا الموضع ولا فيما يقع فيه
اشكال ولو كانت زايدة لكان التاويل بعيدا ايضا لانه ان اراد وحرام على قرية اهلكناها ان
يرجعوا الي الدنيا فهذا ما لا فايدة فيه وان اراد التوبة فالتوبة لا تحرم وقيل في الكلام اضمار
اي وحرام على قرية حكمنا باستيصالها او بالختم على قلوبها ان يتقبل منهم عمل لانهم لا يرجعون اي
لا يتوبون قاله الزجاج وابو علي ولا عن زايدة وهذا هو معني قول ابن عباس قوله تعالى
حتي اذا فتحت ياجوج وماجوج تقدم القول فيهم وفي الكلام حذف اي حتي اذا فتح سد ياجوج
وماجوج مثل واسال القرية وهم من كل حدب ينسلون قال ابن عباس من كل شرف يقبلون
اي لكثرتهم ينسلون من كل ناحية والحدب ما ارتفع من الارض والجمع الحداب ماخوذ من
حدبة الظهر قال عنترة ❊ فما رعشت يداي ولا ازدهاني ❊ تواترهم الي من الحداب ❊

وقيل ينسلون يخرجون ومنه قول امرئ القيس • فسلي ثيابي من ثيابك تنسل •
وقيل يسرعون ومنه قول النابغة • عسلان الذئب امسى قاربا برد الليل عليه فنسل •
يقال عسل الذئب يعسل عسلا وعسلانا اذا اعنق واسرع وفي الحديث كذب عليك العسل
اي عليك بسرعة المشي وقال الزجاج والنسلان مشية الذئب اذا اسرع يقال نسل فلان
في العدو ينسل وينسل بالكسر والضم نسلا ونسولا ونسلانا اي اسرع ثم قيل في الذين ينسلون
من كل حدب انهم ياجوج وماجوج وهو الاظهر وهو قول ابن مسعود وابن عباس وقيل جميع
الخلق فانهم يحشرون الى ارض الموقف وهم يسرعون من كل صوب وقرئ في الشواذ وهم من
كل جدث ينسلون اخذا من قوله فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسلون وحكى هذه القراءة
المهدوي عن ابن مسعود والثعلبي عن مجاهد وابي الصهباء قوله تعالى واقترب
الوعد الحق يعني القيامة وقرا الفراء والكسائي وغيرهما الواو زائدة مقحمة والمعنى حتى اذا
فتحت ياجوج وماجوج اقترب الوعد الحق فاقترب جواب اذا وانشد الفراء فلما اجزنا
ساحة الحي وانتحى اي انتحى والواو زائدة ومنه قوله تعالى وتله للجبين وناديناه اي
للجبين ناديناه واجاز الكسائي ان يكون جواب اذا فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا ويكون قوله واقترب الوعد الحق معطوفا على الفعل الذي هو شرط وقال البصريون الجواب
محذوف والتقدير قالوا يا ويلنا وهو قول الزجاج وهو قول حسن قال الله تعالى والذين
اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله المعنى قالوا ما نعبدهم وحذف القول
كثير قوله تعالى فاذا هي شاخصة هي ضمير الابصار والابصار المذكورة بعدها تفسير لها
كانه قال فاذا ابصار الذين كفروا شخصت عند مجيء الوعد وقال الشاعر •
• لعمر ابيها لا تقول ظعينتي • الا فر عني مالك ابن ابي كعب •
فكنى عن الظعينة في ابيها ثم اظهرها وقال الفراء عماد مثل فانها لا تعمى الابصار وقيل ان
الكلام تم عند قوله هي التقدير فاذا هي يعني القيامة بارزة واقعة اي من قربها كانها آتية
حاضرة ثم ابتدا فقال شاخصة ابصار الذين كفروا على تقديم الخبر على الابتداء اي ابصار الذين
كفروا شاخصة من هذا اليوم اي من هوله لا تكاد تطرف يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا اي
كنا ظالمين بمعصيتنا ووضعنا العبادة في غير موضعها قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون
الله حصب جهنم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انكم وما تعبدون قال ابن عباس آية
لا يسالني الناس عنها لا ادري اعرفوها فلم يسالوا عنها او جهلوها فلا يسالون عنها قيل وما
هي قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها واردون لما نزلت شق على
كفار قريش وقالوا شتم آلهتنا واتوا ابن الزبعرى واخبروه فقال لو حضرته لرددت
عليه قالوا وما كنت تقول له قال كنت اقول له هذا المسيح تعبده النصارى واليهود تعبد
عزيرا افهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته وراوا ان محمدا قد خصم فانزل
الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وفيه نزل ولما ضرب
ابن مريم مثلا يعني ابن الزبعرى اذا قومك منه يصدون بكسر الصاد اي يضجون وسياتي في
الثانية هذه الآية اصل في القول بالعموم وان له صيغا مخصوصة خلافا لمن قال ليست له
صيغة موضوعة للدلالة عليه وهو باطل بما دلت عليه هذه الآية وغيرها فهذا عبد
الله ابن الزبعرى قد فهم منها في جاهليته جميع من عبد ووافقه على ذلك قريش
وهم العرب الفصحاء واللسن البلغاء ولو لم تكن للعموم لما صح ان يستثنى منها وقد وجد ذلك
فهي للعموم وهذا واضح الثالثة قراءة العامة بالصاد المهملة اي انكم يا معشر الكفار والاوثان
التي تعبدونها من دون الله وقود جهنم قاله ابن عباس وقال مجاهد وعكرمة وقتادة
حطبها وقرا علي ابن ابي طالب وعائشة رضوان الله عليهما حطب جهنم بالطاء وقرا ابن
عباس حضب بالضاد المعجمة قال الفراء يريد الحصب قال وذكر لنا ان الحضب في لغة
اهل اليمن الحطب وكل ما هيجت به النار واوقدتها به فهو حصب ذكره الجوهري والموقد
حصب وقال ابو عبيدة في قوله تعالى حصب جهنم كل ما القيته في النار فقد حصبتها
به ويظهر من هذه الآية ان الناس من الكفار وما يعبدون من الاصنام حطب لجهنم

ونظيره

ونظيره قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة وقيل ان المراد بالحجارة حجارة
الكبريت على ما تقدم في البقرة وان النار لا تكون على الاصنام عذابا ولا عقوبة لانها لم
تذنب ولكن تكون عذابا على من عبدها اولا بالحسرة ثم تجمع على النار فيكون نارها اشد من كل
نار ثم يعذبون بها وقيل تحمى فتلصق بهم زيادة في تعذيبهم وقيل انما جعلت في النار تبكيتا
لعبادتهم الرابعة قوله انتم لها واردون اي فيها داخلون والخطاب للمشركين عبدة الاصنام
اي انتم واردوها مع الاصنام ويجوز ان يقال الخطاب للاصنام وعبدتها لان الاصنام وان كانت
جمادات فقد يخبر عنها بكنايات الادميين وقال العلماء لا يدخل في هذا عيسى ولا عزير ولا الملائكة
صلوات الله عليهم لان ما لغير الادميين فلو اراد ذلك لقال ومن وقال الزجاج ولان المخاطبين
بهذه الآية مشركو مكة دون غيرهم قوله تعالى لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها اي لو كانت
الاصنام آلهة لما وردها عابدوها النار وقيل ما وردها العابدون والمعبودون ولهذا قال وكل
فيها خالدون قوله تعالى لهم فيها زفير اي لهؤلاء الذين وردوا النار من الكفار والشياطين فاما
الاصنام فعلى الخلاف فيها هل يحييها الله ويعذبها حتى يكون لها زفير او لا قولان والزفير صوت
نفس المغموم يخرج من القلب وقد تقدم في هود وهم فيها لا يسمعون قيل في الكلام حذف
والمعنى وهم فيها لا يسمعون شيئا لانهم يحشرون عميا كما قال عز وجل ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم
عميا وبكما وصما وفي سماع الاشياء روح وانس فمنع الله الكفار ذلك في النار وقيل لا يسمعون ما
يسرهم بل يسمعون صوت من يتولى تعذيبهم من الزبانية وقيل اذا قيل لهم اخسؤوا فيها ولا تكلمون
يصيرون حينئذ صما بكما كما قال ابن مسعود اذا بقي من يخلد في النار في جهنم جعلوا في توابيت
ثم جعلت التوابيت في توابيت اخرى فيها مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى احد منهم ان
في النار من يعذب غيره قوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اي الجنة اولئك عنها اي
عن النار مبعدون فمعنى الكلام الاستثناء ولهذا قال بعض اهل العلم ان هاهنا بمعنى الا وليس
في القرآن غيره وقال محمد بن حاطب سمعت علي ابن ابي طالب يقرا هذه الآية على المنبر ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان عثمان منهم قوله تعالى
لا يسمعون حسيسها اي حس النار وحركة لهبها والحسيس الحس الحركة وروى ابن جريج عن عطا
قال قال ابو راشد الحروري لابن عباس لا يسمعون حسيسها فقال ابن عباس امجنون انت فاين
فاين قوله تعالى وان منكم الا واردها وقوله فاوردهم النار وقوله الى جهنم وردا ولقد كان
من دعاء من مضى اللهم اخرجني من النار سالما وادخلني الجنة فائزا وقال عثمان النهدي على
الصراط حيات تلسع اهل النار فيقولون حس حس وقيل اذا دخل اهل الجنة الجنة لم يسمعوا
حس النار وقبل ذلك يسمعون فالله اعلم وهم فيما اشتهت انفسهم خالدون اي دائمون وفيها
ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وقال ولكم فيها ما تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون قوله
تعالى لا يحزنهم الفزع الاكبر وقرا ابو جعفر وابن محيصن لا يحزنهم بضم الياء وكسر الزاي والباقون
بفتح الياء وضم الزاي قال اليزيدي حزنه لغة قريش واحزنه لغة تميم وقد قرئ بهما والفزع
الاكبر اهوال يوم القيامة والبعث عن ابن عباس وقال الحسن هو وقت يؤمر بالعباد الى
النار وقال ابن جريج وسعيد ابن جبير والضحاك هو اذا اطبقت النار على اهلها وذبح
الموت بين الجنة والنار وقال ذو النون المصري هو القطيعة والفراق وعن النبي صلى الله عليه
وسلم ثلاثة يوم القيامة في كثيب المسك الاذفر لا يحزنهم الفزع الاكبر رجل ام قوما محتسبا وهم
له راضون ورجل اذن لقوم محتسبا ورجل ابتلي برزق في الدنيا فلم يشغله عن طاعة ربه
وقال ابو سلمة ابن عبد الرحمن مررت برجل يضرب غلاما له فاشار الي الغلام فكلمت مولاه
حتى عفى عنه فلقيت ابا سعيد الخدري فاخبرته فقال يا ابن اخي من اغاث مكروبا
اعتقه الله من النار يوم الفزع الاكبر سمعت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتلقاهم
الملائكة اي تستقبلهم الملائكة على ابواب الجنة يهنئونهم ويقولون لهم هذا يومكم الذي كنتم
توعدون وقيل تستقبلهم ملائكة الرحمة عند خروجهم من القبور عن ابن عباس هذا يومكم
اي ويقولون لهم هذا اليوم الذي كنتم توعدون فيه الكرامة قوله تعالى يوم نطوي السماء
قرا ابو جعفر ابن القعقاع وشيبة ابن نصاح والاعرج والزهري تطوى بتاء مضمومة السماء

رفعا على ما لم يسم فاعله مجاهد يطوي على معنى يطوي الله السما الباقون نطوي بنون العظمة
وانتصاب يوم على البدل من الها المحذوفة في الصلة التقدير الذي كنتم توعدونه يوم
نطوي السما او يكون منصوبا بنعيده من قوله كما بدانا اول خلق نعيده اي يقوله لا يحزنهم اي لا
يحزنهم الفزع الاكبر في اليوم الذي نطوي فيه السما او على اضمار واذكر واراد بالسما الجنس دليله
والسموات مطويات بيمينه كطي السجل للكتاب قال ابن عباس ومجاهد اي كطي الصحيفة
على ما فيها فاللام بمعنى على وعن ابن عباس ايضا اسم كاتب وليس بالقوي لان كتاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وليس بالقوي لان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم معروفون ليس
هذا منهم ولا في اصحابه من اسمه السجل وقال ابن عباس ايضا وابن عمر والسدي السجل
ملك وهو الذي يطوي كتب ابن ادم اذا رفعت اليه ويقال انه في السما الثالثة ترفع اليه
اعمال العباد يرفعها اليه الحفظة الموكلون بالخلق في كل خميس واثنين وكان من اعوانه فيما
ذكروا هاروت وماروت والسجل الصك وهو اسم مشتق من السجالة وهي المكاتبة واصلها من
السجل وهو الدلو تقول ساجلت الرجل اذا نزعت دلوا ونزع دلوا ثم استعيرت فسميت المكاتبة
والمراجعة مساجلة وقد سجل الحاكم تسجيلا وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب
من يساجلني يساجل ماجدا يملا الدلو الى عقد الكرب
ثم بني هذا الاسم على فعل مثل حمر وطمر وبلي وقرا ابو زرعة بن عمرو بن جرير كطي السجل
بضم السين والجيم وتشديد اللام وقرا الاعمش وطلحة كطي السجل بفتح السين واسكان
الجيم وتخفيف اللام قال النحاس والمعنى واحد ان شا الله والتمام عند قوله للكتب
والطي في هذه الاية يحتمل معنيين احدهما الدرج الذي هو ضد النشر قال الله تعالى
والسموات مطويات بيمينه والثاني الاخفا والتعمية والمحو لان الله يمحو ويطمس رسومها
ويكدر نجومها قال الله تعالى اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت الى واذا السما كشطت
للكتاب وتم الكلام وقراة الاعمش وحفص وحمزة والكسائي ويحيى وخلف للكتب جمعا ثم
استانف الكلام فقال كما بدانا اول خلق نعيده اي نحشرهم حفاة عراة غرلا كما بدوا في البطون
وروى النسائي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة
عراة غرلا اول الخلق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام ثم قرا اول خلق نعيده خرجه
مسلم ايضا عن ابن عباس قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال
يا ايها الناس انكم تحشرون الى الله حفاة عراة غرلا كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا
انا كنا فاعلين الا وان اول الخلائق يكسى يوم القيامة ابراهيم عليه السلام وذكر الحديث
وقد ذكرنا هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفى وذكر سفيان الثوري عن سلمة بن
كهيل عن ابي الزعرا عن عبد الله بن مسعود قال يرسل الله عز وجل ما من تحت العرش
كمني الرجال فتنبت منه لحمانهم وجسمانهم كما تنبت الارض بالثرى وقرا كما بدانا اول خلق
نعيده وقال ابن عباس المعنى نهلك كل شي ونفنيه كما كان اول مرة فعلى هذا فالكلام
متصل بقوله يوم نطوي السما اي نطويها فنعيدها الى الهلاك والفنا فلا تكون شيا
وقيل نفني السما ثم نعيدها مرة اخرى بعد طيها وزوالها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات والقول الاول اصح وهو نظير قوله ولقد جيتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة
وعدا نصب على المصدر اي وعدنا وعدا علينا انجازه والوفا به اي من البعث والاعادة
ففي الكلام حذف ثم اكد ذلك بقوله جل ثناوه انا كنا فاعلين انا كنا قادرين على ما نشا
وقيل انا كنا فاعلين اي ما وعدناكم وهو كما قال وكان وعده مفعولا وقيل كان للاخبار
بما سبق من قضايه وقيل صلة قوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر
الزبور والكتاب واحد وكذلك جاز ان يقال للتوراة والانجيل زبور زبرت اي كتبت
وجمعه زبر قال سعيد بن جبير الزبور التوراة والانجيل والقران من بعد الذكر اي
في السما ان الارض ارض الجنة يرثها عبادي الصالحون رواه سفيان عن الاعمش عن
سعيد بن جبير الشعبي الزبور زبور داود والذكر توراة موسى عليه السلام مجاهد
وابن زيد الزبور كتب الانبيا عليهم السلام والذكر ام الكتاب الذي عند الله في السما

وقال ابن عباس الزبور الكتب التي انزلها الله تعالى من بعد موسى على انبيايه والذكر
التوراة المنزلة على موسى وقرا حمزة في الزبور جمع زبر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
احسن ما قيل فيه انه يراد بها ارض الجنة كما قال سعيد بن جبير لان الارض في الدنيا قد ورثها
الصالحون وغيرهم وهو قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما قال مجاهد وابو العالية ودليل هذا
التاويل قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض وعن ابن عباس انها
الارض المقدسة وعنه ايضا انها ارض الامم الكافرة ترثها امة محمد صلى الله عليه وسلم بالفتوح وقيل
ان المراد بذلك بنو اسرايل بدليل قوله واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض
ومغاربها التي باركنا فيها واكثر المفسرين على ان المراد بالعباد الصالحين امة محمد صلى الله
عليه وسلم وقرا حمزة عبادي بتسكين اليا ان في هذا اي فيما جرى ذكره في هذه السورة من
الوعظ والتنبيه وقيل اي في القران لبلاغا لقوم عابدين قال ابو هريرة وسفيان الثوري
هم اهل الصلوات الخمس وقال ابن عباس عابدين مطيعين والعابد المتذلل الخاضع قال
القشيري ولا يبعد ان يدخل فيه كل عاقل لانه من حيث الفطرة متذلل للخالق وهو بحيث لو
تامل القران واستعمله لاوصله ذلك الى الجنة وقال ابن عباس ايضا هم امة محمد صلى الله عليه وسلم
الذين يصلون الصلوات الخمس ويصومون شهر رمضان وهذا هو القول الاول بعينه قوله
تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان محمد صلى الله
عليه وسلم رحمة لجميع الناس فمن امن به وصدق به سعد ومن لم يومن به سلم مما لحق الامم من
الخسف والغرق وقال ابن زيد اراد بالعالمين المومنين خاصة قوله تعالى قل انما يوحى الي
انما الهكم اله واحد لا يجوز الاشراك به فهل انتم مسلمون اي منقادون لتوحيد الله اي فاسلموا
كقوله تعالى فهل انتم منتهون اي انتهوا قوله تعالى فان تولوا اي ان اعرضوا عن الاسلام
فقل اذنتكم على سوا اي اعلمتكم على بيان انا واياكم حرب لا صلح بيننا كقوله واما تخافن من قوم
خيانة فانبذ اليهم على سوا اي اعلمهم انك نقضت العهد نقضا استويت انت وهم فليس لفريق
عهد ملتزم في حق الفريق الاخر وقال الزجاج المعنى اعلمتكم بما يوحى الي على استوا في العلم
به ولم اظهر لاحد شيا كتمته عن غيره وان ادري ان نافية بمعنى ما اي وما ادري احدا لا نبي
مرسل ولا ملك مقرب قاله ابن عباس وقيل اي اذنتكم بالحرب ولكني لا ادري متى يوذن لي
في محاربتكم قوله تعالى انه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون اي من الشرك وهو المجازي
عليه وان ادري لعله اي لعل الامهال فتنة لكم اي اختبار ليرى كيف صنيعكم وهو اعلم ومتاع الى
حين قيل الى انقضا المدة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم راى بني امية في منامه يلون
الناس فخرج الحكم من عنده فاخبر بني امية بذلك فقالوا له ارجع فاساله متى يكون ذلك فانزل
الله تعالى وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وان ادري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين
يقول لنبيه عليه السلام قل لهم ذلك قوله تعالى قل رب احكم بالحق ختم السورة بان
امر النبي صلى الله عليه وسلم بتفويض الامر اليه وتوقع الفرج من عنده اي احكم بيني وبين
هولاء المكذبين وانصرني عليهم روى سعيد عن قتادة قال كانت الانبيا تقول ربنا
افتح بيننا وبين قومنا بالحق فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول رب احكم بالحق فكان
اذا لقي العدو يقول وهو يعلم انه على الحق وعدوه على الباطل رب احكم بالحق اي اقض به
وقال ابو عبيدة الصفة ها هنا اقيمت مقام الموصوف والتقدير رب احكم بحكمك الحق
ورب في موضع نصب لانه نداء مضاف وقرا ابو جعفر بن القعقاع وابن محيصن قل رب
احكم بالحق بضم البا قال النحاس وهذا لحن عند النحويين لا يجوز عندهم رجل اقبل حتى
تقول يا رجل وما اشبهه وقرا الضحاك وطلحة ويعقوب قال رب احكم بقطع الالف مفتوحة
الكاف والميم مضمومة اي قال محمد رب احكم بالحق من كل حاكم وقرا الجحدري قل رب احكم
على معنى احكم الامور بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون اي تصفونه من الكفر والتكذيب
وقرا المفضل والسلمي على ما يصفون باليا على الخبر الباقون بالتا على الخطاب

سورة الحج وهي مكية

سوي ثلاث ايات قوله تعالى هذان خصمان الي تمام ثلاث ايات قال ابن عباس ومجاهد
وعن ابن عباس ايضا انهن اربع ايات الي قوله عذاب الحريق وقال الضحاك وابن عباس
ايضا هي مدنيه وقاله قتادة الا اربع ايات وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الى عذاب
يوم عقيم فهن مكيات وعد النقاش ما نزل بالمدينة العشر ايات وقال الجمهور السورة مختلطة
منها مكي ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الايات تقتضي ذلك لان يا ايها الناس مكي ويا ايها
الذين امنوا مدني الغزنوي وهي من اعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا
ومدنيا سلميا وحربيا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها مختلف العدد قلت وجاء في فضلها
ما رواه الترمذي وابو داود والدارقطني عن عقبة ابن عامر قال قلت يا رسول الله فضلت
سورة الحج بان فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقراها لفظ الترمذي وقال
هذا حديث حسن ليس اسناده بالقوي واختلف اهل العلم في هذا فروي عن عمر ابن الخطاب
وابن عمر انهما قالا فضلت سورة الحج بان فيها سجدتين وبه يقول ابن المبارك والشافعي
واحمد واسحاق وراي بعضهم ان فيها سجدة واحدة وهو قول سفيان الثوري وروي
الدارقطني عن عبد الله بن ثعلبة قال رايت عمر ابن الخطاب سجد في الحج سجدتين قلت
في الصحيح قال في الصحيح

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم روي الترمذي
عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم الي قوله ولكن عذاب الله شديد قال انزلت عليه هذه الاية وهو في سفر
قال اتدرون اي يوم ذلك فقالوا الله ورسوله اعلم قال ذلك يوم يقول الله لادم ابعث
بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال تسعمائة وتسعة وتسعون الي النار وواحد
الي الجنة فانشا المسلمون يبكون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قاربوا وسددوا
فانه لم تكن نبوة قط الا كان بين يديها جاهلية قال فيوخذ العدد من الجاهلية فان
تمت والا كملت من المنافقين وما مثلكم والامم الا كمثل الرقمة في ذراع الدابة او كالشامة
في جنب البعير ثم قال اني لارجو ان تكونوا ربع اهل الجنة فكبروا ثم قال اني لارجو ان
تكونوا ثلث اهل الجنة فكبروا قال لا ادري قال الثلثين ام لا قال هذا حديث حسن صحيح
وقد روي من غير وجه عن الحسن عن عمران بن حصين وفيه فيئس القوم حتى ما ابدوا
بضاحكة فلما راي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعملوا وابشروا فوالذي نفسي بيده
ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة قال هذا حديث
حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله يا ادم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك قال يقول اخرج بعث النار
قال وما بعث النار قال من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك حين يشيب
الصغير وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب
الله شديد قال فاشتد ذلك عليهم فقالوا يا رسول الله اينا ذلك الرجل فقال ابشروا
فان من ياجوج وماجوج الفا ومنكم رجل وذكر الحديث بنحو ما تقدم في حديث عمران
ابن حصين وذكر ابو جعفر النحاس قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال ثنا سلمة قال
ثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس بن مالك قال يا ايها الناس اتقوا
ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الي ولكن عذاب الله شديد قال نزلت على النبي صلى
الله عليه وسلم وهو في مسير له فرفع بها صوته حتى ثاب اليه اصحابه فقال اتدرون
اي يوم هذا هذا يوم يقول الله جل وعز لادم صلى الله عليه وسلم يا ادم قم فابعث
اهل النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الي النار وواحد الي الجنة وقاربوا وابشروا
فوالذي نفسي بيده ما انتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير او كالرقمة في ذراع
الحمار وان معكم لخليقتين ما كانتا في شيء الا كثرتاه ياجوج وماجوج ومن هلك من كفرة
الجن والانس قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم المراد بهذا النداء المكلفون اي احشوه

في اوامره ان تتركوها ونواهيه ان تقدموا عليها والاتقاء الاحتراس من المكروه وقد
تقدم في اول البقرة القول فيه مستوفى فلا معنى لاعادته والمعنى احترسوا بطاعته
من عقوبته قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة شدة الحركة ومنه
وزلزلوا حتى يقول الرسول واصل الكلمة من زل عن الموضع اي زال عنه وتحرك وزلزل الله
قدمه اي حركها وهذه اللفظة تستعمل في تهويل الشيء وقيل هي الزلزلة المعروفة التي هي
احدي شرائط الساعة التي تكون في الدنيا قبل يوم القيمة هذا قول الجمهور وقد قيل ان هذه
الزلزلة تكون في النصف من شهر رمضان ومن بعدها طلوع الشمس من مغربها فالله اعلم
قوله تعالى يوم ترونها الهاء في ترونها عائدة عند الجمهور على الزلزلة ويقوي هذا
قوله تعالى تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها فالرضاع والحمل انما
هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم القيمة واحتجوا بحديث عمران بن حصين الذي
ذكرناه وفيه اتدرون اي يوم ذاك الحديث وهو الذي يقتضيه سياق مسلم في حديث
ابي سعيد قوله تعالى تذهل اي تشتغل قاله قطرب وانشد

ضرب يزيل الهام عن مقيله ۝ ويذهل الخليل عن خليله

وقيل ينسى وقيل تلهو وقيل تسلو والمعنى متقارب عما ارضعت قال المبرد ما بمعنى
المصدر اي تذهل عن الارضاع قال وهذا يدل على ان هذه الزلزلة في الدنيا اذ ليس
بعد البعث حمل وارضاع الا ان يقال من ماتت حاملا تبعث حاملا فتضع حملها للهول ومن
ماتت مرضعة بعثت كذلك ويقال هذا كما قال يوما يجعل الولدان شيبا وقيل يكون مع النفخة
الاولي وقيل يكون مع قيام الساعة حين يتحرك الناس من قبورهم في النفخة الثانية ويحتمل
ان تكون الزلزلة في الاية عبارة عن اهوال يوم القيامة كما قال مستهم الباساء والضراء وزلزلوا
وكما قال عليه السلام اللهم اهزمهم وزلزلهم وفائدة ذكر هول ذلك اليوم التحريض على التاهب
له والاستعداد بالعمل الصالح وتسمية الزلزلة بشيء اما لانها حاصلة متيقن وقوعها فيسهل
لذلك ان تسمى شيئا وهي معدومة اذ اليقين يشبه الموجودات واما على المآل اي هي اذا وقعت
شيء عظيم وكانه لم يطلق الاسم الان بل المعنى انها اذا كانت فهي اذا شيء عظيم وكذلك تذهل
المراضع ويسكر الناس اي من هولها ومما يدركهم من الخوف والفزع وتري الناس سكارى من الخمر
وقال اهل المعاني وتري الناس كانهم سكارى يدل عليه قراءة ابي زرعة هرم ابن عمرو بن
جرير بن عبد الله وتري الناس بضم التاء اي تظن ويخيل اليك وقرا حمزة والكسائي سكرى
بغير الف الباقون سكارى وهما لغتان لجمع سكران مثل كسلى وكسالى والزلزلة التحريك العنيف
والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد المعنى
تترك ولدها للكرب الذي نزل بها قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم
قيل المراد النضر ابن الحرث قال ان الله عز وجل غير قادر على احياء من قد بلي وعاد ترابا
ويتبع اي في قوله ذلك كل شيطان مريد متمرد كتب عليه انه من تولاه قال قتادة ومجاهد
اي من تولي الشيطان فانه يضله ويهديه الي عذاب السعير قوله تعالى يا ايها الناس ان
كنتم في ريب من البعث الي قوله مسمى فيه اثنتا عشر مسئلة الاولي قوله تعالى ان كنتم في
ريب من البعث هذا احتجاج على العالم بالبداة الاولي وقوله ان كنتم في ريب متضمنة
ريب من البعث بفتح العين وهي لغة في البعث عند البصريين
الكوفيين وقرا الحسن ابن ابي الحسن البعث بفتح العين وهي لغة في البعث عند البصريين
وهي عند الكوفيين تخفيف بعث والمعني يا ايها الناس ان كنتم في شك من الاعادة فانا
خلقناكم اي خلقنا اباكم الذي هو اصل البشر يعني ادم عليه السلام من تراب ثم خلقنا
ذريته من نطفة وهو المني سمي نطفة لقلته وهو القليل من الماء وقد يقع على الكثير
منه ومنه الحديث حتى يسير الراكب بين النطفتين لا يخشى جورا اراد بحر المشرق وبحر
المغرب والنطفة القطر نطف ينطف وينطف وليلة نطوفة دائمة القطر ثم من علقة
وهو الدم الجامد والعلق الدم العبيط اي الطري وقيل الشديد الحمرة ثم من مضغة وهي
لحمة قليلة قدر ما يمضغ ومنه الحديث الا وان في الجسد مضغة وهذه الاطوار اربعة
اشهر قال ابن عباس وفي العشر بعد الاشهر الاربعة ينفخ فيه الروح فذلك عدة المتوفى

عنهما وجعلها اربعة اشهر وعشرا الثامنة روي يحيى ابن زكريا ابن ابي زائدة ثنا داود عن
عامر عن علقمة عن ابن مسعود وعن ابن عمر ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها
ملك بكفه قال يا رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل والاثر باي ارض تموت فيقال
له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد فيها قصة هذه النطفة فينطلق فيجد قصتها في ام
الكتاب فتخلق فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا جا اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي
قدر لها ثم قرا عامر يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب وفي الصحيح
عن انس بن مالك ورفع الحديث قال ان الله قد وكل بالرحم ملكا فيقول اي رب نطفة
اي رب علقة اي رب مضغة فاذا اراد الله ان يقضي خلقا قال قال الملك اي رب ذكر
او انثى شقي ام سعيد فما الرزق فما الاجل فيكتب كذلك في بطن امه وفي الصحيح ايضا
عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا مر
بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها
ولحمها وعظامها ثم يقول اي رب ذكر ام انثى وذكر الحديث وفي الصحيح عن عبد الله بن
مسعود قال قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدق ان احدكم
يجمع خلقه في بطن امه اربعين يوما ثم يكون في ذلك علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة
مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويومر باربع كلمات يكتب رزقه واجله وعمله
وشقي او سعيد الحديث مفسر للاحاديث الاول فان فيه يجمع خلق احدكم في بطن امه
اربعين يوما نطفة ثم اربعين يوما علقة ثم اربعين يوما مضغة ثم يبعث الملك فينفخ
فيه الروح فهذه اربعة اشهر وفي العشر ينفخ الملك الروح وهذه عدة المتوفى كما قال
ابن عباس وقوله ان احدكم يجمع خلقه في بطن امه قد فسره ابن مسعود سئل الاعمش
ما يجمع في بطن امه فقال حدثنا خيثمة قال قال عبد الله اذا وقعت النطفة في
الرحم فاراد الله ان يخلق منها بشرا طارت في بشر المراة تحت كل ظفر وشعر ثم تمكث اربعين
يوما ثم تصير دما في الرحم فذلك جمعها وهذا وقت كونها علقة الثالثة نسبة الخلق
والتصوير للملك نسبة مجازية لا حقيقية وانما صدر عند فعله ما في المضغة كان عنه
التصوير والتشكيل بقدرة الله وخلقه واختراعه الا تراه سبحانه قد اضاف اليه الخلقة
الحقيقية وقطع عنها نسب جميع الخليقة فقال ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقال ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وقال يا ايها الناس
ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة وقال هو الذي خلقكم
فمنكم كافر ومنكم مومن ثم قال وصوركم فاحسن صوركم وقال ولقد خلقنا الانسان في
احسن تقويم وقال خلق الانسان من علق الى غير ذلك من الايات مع ما دلت عليه
قاطعات البراهين ان لا خالق لشي من المخلوقات الا رب العالمين وهكذا القول في
قوله ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح اي ان النفخ سبب يخلق الله فيها الروح والحياة ه
وكذلك القول في سائر الاسباب المعتادة فانه باحداث الله لا بغيره فتامل هذا
الاصل وتمسك به ففيه النجاة من مذاهب اهل الضلال الطبايع وغيرهم الرابعة لم يختلف
العلما في نفخ الروح فيه يكون بعد ماية وعشرين يوما وذلك تمام اربعة اشهر ودخوله
في الخامس كما بيناه بالاحاديث وعليه يعول فيما يحتاج اليه من الاحكام في الاستلحاق
عند التنازع وفي وجوب النفقات على حمل المطلقات وذلك لتيقنه بحركة الجنين
في الجوف وقد قيل انه الحكمة في عدة المراة من الوفاة باربعة اشهر وعشر وهذا الدخول
في الخامس يحقق براة الرحم ببلوغ هذه المدة اذا لم يظهر حمل الخامسة النطفة ليست
بشي يقينا ولا يتعلق بها حكم اذا القتها المراة اذا لم تجتمع في الرحم فهي كما لو كانت في صلب
الرجل فاذا طرحته علقة فقد تحققنا ان النطفة قد استقرت واجتمعت واستحالت
الى اول احوال ما يتحقق به انه ولد وعلى هذا فيكون وضع العلقة فما فوقها من
المضغة وضع حمل تبرا به الرحم وتنقضي به العدة ويثبت به لها حكم ام الولد وهذا
مذهب مالك واصحابه وقال الشافعي لا اعتبار باسقاط العلقة وانما الاعتبار بظهور

الصورة

الصورة والتخطيط فان خفي التخطيط وكان لحما فقولان بالنقل والتخريج والمنصوص
انه تنقضي به العدة ولا تكون ام ولد قالوا لان العدة تنقضي بالدم الجاري فبغيره اولى
السادسة قوله تعالى مخلقة وغير مخلقة قال الفرا مخلقة تام الخلق وغير مخلقة
السقط وقال ابن الاعرابي مخلقة قد بدا خلقه وغير مخلقة لم تصور بعد ابن زيد المخلقة
التي خلق الله فيها الراس واليدين والرجلين وغير مخلقة التي لم يخلق فيها شي قال ابن
العربي اذا رجعنا الى الاصل الاشتقاق فان النطفة مخلقة والعلقة والمضغة لان الكل
خلق الله تعالى وان رجعنا الى التصوير الذي هو منتهى الخلقة كما قال تعالى ثم انشاناه خلقا
اخر فذلك ما قال ابن زيد قلت التخليق من الخلق وفيه معنى الكثرة فما تتابع عليه الاطوار
فقد خلق خلقا بعد خلق واذا كان نطفة فهو مخلوق ولهذا قال تعالى ثم انشاناه خلقا
اخر والله اعلم وقد قيل ان قوله مخلقة وغير مخلقة يرجع الى الولد بنفسه لا الى السقط
اي منهم من يتم الرب سبحانه مضغته فيخلق له الاعضا اجمع ومنهم من يكون خديجا ناقصا
غير تام وقيل المخلقة ان تلد المراة لتمام الوقت ابن عباس المخلقة ما كان حيا وغير المخلقة
السقط قالت افي غير المخلقة البكا فاين الحزم ويحك والحيا السابعة اجمع العلما على ان الامة
تكون ام ولد بما تسقطه من ولد تام الخلق وعند مالك والاوزاعي وغيرهما بالمضغة كانت
مخلقة او غير مخلقة قال مالك اذا علم انها مضغة وقال الشافعي وابو حنيفة ان كان قد
تبين له شي من خلق بني ادم اصبع او عين او غير ذلك فهي له ام ولد واجمعوا على ان المولود
اذا استهل صارخا يصلى عليه فان لم يستهل صارخا لم يصل عليه عند مالك وابو حنيفة
والشافعي وغيرهم وروي عن عمر انه يصلى عليه وقاله ابن المسيب وابن سيرين وغيرهما وروي
عن المغيرة ابن شعبة انه كان يامر بالصلاة على السقط ويقول سموهم واغسلوهم وكفنوهم
وحنطوهم فان الله اكرم بالاسلام كبيرهم وصغيرهم ويتلو هذه الاية انا خلقناكم من تراب
الى وغير مخلقة قال ابن العربي لعل المغيرة ابن شعبة اراد بالسقط ما تبين خلقه
فهو الذي يسمى وما لم يتبين خلقه فلا وجود له وقال بعض السلف يصلى عليه متى نفخ
فيه الروح وتمت له اربعة اشهر وروي ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا استهل المولود ورث الاستهلال رفع الصوت فكل مولود كان ذلك منه او حركة او
عطاس او تنفس فانه يورث لوجود ما فيه من دلالة الحياة والى هذا ذهب سفيان الثوري
والاوزاعي والشافعي قال الخطابي واحسنه قول اصحاب الراي وقال مالك لا ميراث له
وان تحرك او عطس ما لم يستهل صارخا وروي عن محمد بن سيرين والشعبي والزهري
الثامنة قال مالك ما طرحته المراة من مضغة او علقة او ما يعلم انه ولد اذا ضرب بطنها ففيه
الغرة وقال الشافعي لا شي فيه حتى يتبين من خلقه شي قال مالك اذا سقط الجنين فلم
يستهل صارخا ففيه الغرة وسوا تحرك او عطس ففيه الغرة ابدا حتى يستهل صارخا ففيه الدية
كاملة وقال الشافعي وسائر فقها الامصار اذا علمت حياته بحركة او باستهلال او بغير
ذلك مما تستيقن به حياته ففيه الدية التاسعة ذكر القاضي اسماعيل ان عدة المراة
تنقضي بالسقط الموضوع واحتج عليه بانه حمل وقال قال الله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن قال القاضي اسماعيل والدليل على ذلك انه يرث اباه فدل على وجوده
خلقا وكونه ولدا وحملا قال ابن العربي ولا يرتبط به شي من هذه الاحكام الا ان يكون
مخلقا قلت ما ذكرناه من الاشتقاق وقوله عليه السلام ان احدكم يجمع خلقه في بطن
امه يدل على صحة ما قلناه ولان مسقطة العلقة والمضغة يصدق عليها المراة انها القته
انها كانت حاملا وضعت ما استقر في رحمها فيشملها قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن ولانها وضعت مبدا الولد عن نطفة متجسدا كالمخطط وهذا بين العاشرة
روي ابن ماجة ثنا ابو بكر ابن ابي شيبة ثنا خالد بن مخلد ثنا يزيد بن عبد الملك النوفلي
عن يزيد بن رومان عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسقط اقدمه
بين يدي احب الي من فارس اخلفه واخرجه الحاكم في معرفة علوم الحديث له عن سهل بن
ابي صالح عن ابيه عن ابي هريرة فقال احب الي من الف فارس اخلفه الحادية عشر لنبين لكم

بريد كمال قدرتنا بتصريفنا اطوار خلقكم ونقر في الارحام قري بنصب نقر ونخرج رواه ابو حاتم عن ابي زيد عن المفضل عن عاصم قال ابو حاتم النصب على العطف وقال الزجاج نقر بالرفع لا غير لانه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقر في الارحام ما نشا وانما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح وقيل المعنى لنبين امر البعث فهو اعتراض بين الكلامين وقرات هذه الفرقة بالرفع ونقر المعنى ونحن نقر وهي قراة الجمهور وقري ويقر ويخرجكم باليا والرفع على هذا سائغ وقرا ابن وثاب ما نشا بكسر النون والاجل المسمى يختلف بحسب جنين فثم من يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا وقال ما نشا ولم يقل من نشا لانه يرجع الى الحمل اي نقر في الارحام ما نشا من الحمل والمضغة وهي جماد فكنى عنها بلفظ ما كالثمر عشر قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا اي اطفالا فهو اسم جنس وايضا فان العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد قال الشاعر ◦

◦ يلحينني في حبها ويلمنني ◦ ان العواذل ليس لي بامير ◦

ولم يقل امرا وقال المبرد وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضى والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى او الطفل الذين لم يظهروا وقال الطبري وهو نصب على التمييز كقوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا وقيل المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت انفصال الولد الى البلوغ وولد كل وحشية ايضا طفل ويقال جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل وغلام طفل وغلمان طفل ويقال ايضا طفل وطفلة وطفلتان واطفال ولا يقال طفلات واطفلت المراة صارت ذا طفل والمطفل الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة مطافل ومطافيل والطفل بالفتح في الطا الناعم يقال جارية طفلة اي ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل اذا اقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر اذا طفلت الشمس للغروب والطفل ايضا مطر قال ◦ لوهد جادة طفل الثريا ◦

ثم لتبلغوا اشدكم قيل ان ثم زائدة كالواو في قوله حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها لان ثم من حروف النسق كالواو اشدكم قيل كمال عقولكم ونهاية قواكم وقد مضى في الانعام بيانه ومنكم من يرد الى ارذل العمر اي اخسه وادونه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ولهذا قال لكي لا يعلم من بعد علم شيئا كما قال في سورة يس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم اني اعوذ بك من البخل واعوذ بك من الجبن واعوذ بك ان ارد الى ارذل العمر واعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر اخرجه النسائي عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب الغلمان وقد مضى في النحل هذا المعنى قوله تعالى وترى الارض هامدة ذكر دلالة اخرى على البعث فقال في الاول انا خلقناكم من تراب فخاطب جمعا وقال في الثاني وترى الارض فخاطب واحدا فانفصل اللفظ ولكن المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث هامدة يابسة لا تنبت شيئا قاله ابن جريج وقيل دارسة والهمود الدروس قال الاعشى ◦

◦ قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا ◦ واري ثيابك باليات همدا ◦

الهروي هامدة اي جافة ذات تراب وقال شمر يقال همد شجر الارض اذا بلي وذهب وهمدت اصواتهم اذا سكنت وهمود الارض ان لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولم يصبها مطر وفي الحديث حتى كاد يهمد من الجوع اي يهلك يقال همد الثوب يهمد اذا بلي وهمدت النار تهمد قوله تعالى فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت الشيء فاهتز اي حركته فتحرك وهز الحادي الابل هزا فاهتزت هي اذا تحركت في سيرها بحدائه واهتز الكوكب في انقضاضه وكوكب هاز فالارض تهتز بالنبات لان النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض ازالة خفية فسماه اهتزازا مجازا وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف قاله المبرد واهتزازه شدة حركته كما قال الشاعر ◦

◦ تثني اذا قامت وتهتز ان مشت ◦ كما اهتز غصن البان في ورق خضر ◦

والاهتزاز في النبات اظهر منه في الارض وربت اي ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد واصله الزيادة ربا الشيء يربو ربوا اي زاد ومنه الربا والربوة وقرا يزيد ابن القعقاع وخالد بن الياس وربات اي ارتفعت حتى صارت بمنزلة الرابية وهو الذي

يحفظ القوم على شيء مشرف فهو راب وربية على المبالغة قال امرؤ القيس ◦

◦ بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا ◦ كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي ◦

وانبتت اي اخرجت من كل زوج اي لون بهيج اي حسن عن قتادة اي يبهج من يراه والبهجة الحسن يقال رجل ذو بهجة وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة فهو بهيج وابهجني اعجبني بحسنه ولما وصف الارض بالانبات دل على ان قوله اهتزت وربت يرجع الى الارض لا الى النبات والله اعلم قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق لما ذكر افتقار الموجودات اليه وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره في قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الى قوله بهيج قال بعد ذلك ذلك بان الله هو الحق وانه يحيي الموتى وانه على كل شيء قدير وان الساعة اتية لا ريب فيها وان الله يبعث من في القبور فنبه سبحانه بهذا على ان كل ما سواه وان كان حقا موجودا فانه لا حقيقة له من نفسه لانه مسخر مصرف والحق الحقيقي هو الموجود المطلق الغني المطلق وان وجود كل ذي وجود عن وجوب وجوده ولهذا قال في اخر السورة وان ما يدعون من دونه هو الباطل والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول وهو الله تعالى وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق بمعنى في افعاله وقال الزجاج ذلك في موضع رفع اي الامر ما وصف لكم وبين بان الله هو الحق اي لان الله هو الحق قال ويجوز ان يكون ذلك نصبا على فعل الله ذلك بانه الله هو الحق وانه يحيي الموتى اي بانه وانه على كل شيء قدير اي وبانه قادر على ما اراد وان الساعة اتية عطف على قوله ذلك بان الله هو الحق من حيث اللفظ وليس عطفا في المعنى اذ لا يقال فعل ما ذكر بان الساعة اتية بل لا بد من اضمار فعل يتضمنه اي وليعلموا ان الساعة اتية لا ريب فيها اي لا شك وان الله يبعث من في القبور يريد للثواب والعقاب قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير اي نير بين الحجة نزلت في النضر بن الحرث وقيل في ابي جهل بن هشام قاله ابن عباس والمعظم على انها نزلت في النضر بن الحارث كالاية الاولى فهما في فريق واحد والتكرير للمبالغة في الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه انت فعلت هذا انت فعلت هذا ويجوز ان يكون التكرير لانه وصفه في كل اية بزيادة فكانه قال ان النضر بن الحرث يجادل في الله من غير علم ومن غير هدى وكتاب منير ليضل عن سبيل الله وهو كقولك زيد يشتمني وزيد يضربني وهو تكرير مفيد قاله القشيري وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة اية فالمراد بالاية الاولى انكاره للبعث وبالثانية انكاره النبوة وان القران منزل من جهة الله وقد قيل كان من قول النضر ابن الحارث ان الملائكة بنات الله وهذا جدال في الله تعالى من في موضع رفع بالابتدا والخبر في قوله ومن الناس ثاني عطفه نصب على الحال ويتاول على معنيين احدهما روي عن ابن عباس انه قال هو النضر بن الحرث لوى عنقه مرحا وتعظما والمعنى الاخر وهو قول الفرا ان التقدير ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه اي معرضا عن الذكر ذكره النحاس وقال مجاهد وقتادة لاويا عنقه كفرا ابن عباس معرضا عما يدعى اليه كفرا والمعنى واحد وروى الاوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام ابن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال هو صاحب البدعة المبرد العطف ما انثنى من العنق وقال المفضل والعطف الجانب ومنه قولهم فلان ينظر في اعطافه اي في جوانبه وعطفا الرجل من لدن راسه الى وركيه وكذلك عطفا كل شيء جانباه ويقال ثنى فلان عني عطفه اذا اعرض عنك فالمعنى اي هو معرض عن الحق في جداله ومول عن النظر في كلامه وهو كقوله تعالى ولى مستكبرا كان لم يسمعها وقوله لووا روسهم وقوله اعرض ونا بجانبه وقوله ذهب الى اهله يتمطى ليضل عن سبيل الله اي عن طاعة الله وقري ليضل بفتح اليا واللام لام العاقبة اي يجادل فيضل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا اي فكان لهم كذلك ونظيره اذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا له في الدنيا خزي اي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على السنة المومنين الى يوم القيمة كما قال ولا تطع كل حلاف مهين الاية وقوله تبت يدا ابي لهب وتب وقيل الخزي ها هنا القتل فان النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحرث يوم بدر صبرا كما تقدم في اخر الانفال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق اي نار جهنم ذلك بما قدمت يداك اي من المعاصي والكفر وعبر باليد عن الجملة لان اليد الذي تفعل وتبطش للجملة وذلك بمعنى هذا كما تقدم في اول البقرة قوله

بريد كما قدرنا بتصريفنا أطوار خلقكم ونقر في الأرحام قرئ بنصب نقر ونخرج رواه أبو حاتم عن أبي زيد عن المفضل عن عاصم قال أبو حاتم النصب على العطف وقال الزجاج نقر بالرفع لا غير لأنه ليس المعنى فعلنا ذلك لنقر في الأرحام ما نشاء وإنما خلقهم عز وجل ليدلهم على الرشد والصلاح وقيل المعنى لنبين أمر البعث فهو اعتراض بين الكلامين وقرأت هذه الفرقة بالرفع ونقر المعنى ونحن نقر وهي قراءة الجمهور وقرئ ويقر ويخرجكم بالياء والرفع على هذا سائغ وقرأ ابن وثاب ما نشاء بكسر النون والأجل المسمى يختلف بحسب جنين فثم من يسقط وثم من يكمل أمره ويخرج حيا وقال ما نشاء ولم يقل من نشاء لأنه يرجع إلى الحمل أي نقر في الأرحام ما نشاء من الحمل والمضغة وهي جماد فكنى عنها بلفظ ما لما لا يعقل ثم قوله تعالى ثم نخرجكم طفلا أي أطفالا فهو اسم جنس وأيضا فإن العرب قد تسمي الجمع باسم الواحد قال الشاعر •

• يلحينني في حبها ويلمنني • إن العواذل ليس لي بأمير •

ولم يقل بأمراء وقال المبرد وهو اسم يستعمل مصدرا كالرضى والعدل فيقع على الواحد والجمع قال الله تعالى أو الطفل الذين لم يظهروا وقال الطبري وهو نصب على التمييز كقوله فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا وقيل المعنى ثم نخرج كل واحد منكم طفلا والطفل يطلق من وقت انفصال الولد إلى البلوغ وولد كل وحشية أيضا طفل ويقال جارية طفل وجاريتان طفل وجواري طفل وغلام طفل وغلمان طفل ويقال أيضا طفل وطفلة وطفلان وأطفال ولا يقال طفلات وأطفلت المرأة صارت ذا طفل والمطفل الظبية معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج وكذلك الناقة مطافل ومطافيل والطفل بالفتح في الطاء الناعم يقال جارية طفلة أي ناعمة وبنان طفل وقد طفل الليل إذا أقبل ظلامه والطفل بالتحريك بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب والطفل أيضا مطر قال • لوهد جادة طفل الثريا •

ثم لتبلغوا أشدكم قيل إن ثم زائدة كالواو في قوله حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها لأن ثم حروف النسق كالواو أشدكم كمال عقولكم ونهاية قواكم وقد مضى في الأنعام بيانه ومنكم من يرد إلى أرذل العمر أي أخسه وأدونه وهو الهرم والخرف حتى لا يعقل ولهذا قال لكي لا يعلم من بعد علم شيئا كما قال في سورة يس ومن نعمره ننكسه في الخلق وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر أخرجه النسائي عن سعد وقال كان يعلمهن بنيه كما يعلم المكتب الغلمان وقد مضى في النحل هذا المعنى قوله تعالى وترى الأرض هامدة ذكر دلالة أخرى على البعث فقال في الأول إنا خلقناكم من تراب فخاطب جمعا وقال في الثاني وترى الأرض فخاطب واحدا فانفصل اللفظ ويكون المعنى متصل من حيث الاحتجاج على منكري البعث هامدة يابسة لا تنبت شيئا قاله ابن جريج وقيل دارسة والهمود الدروس قال الأعشى •

• قالت قتيلة ما لجسمك شاحبا • وأرى ثيابك باليات همدا •

الهروي هامدة أي جافة ذات تراب وقال شمر يقال همد شجر الأرض إذا بلي وذهب وهمدت أصواتهم إذا سكنت وهمود الأرض أن لا يكون فيها حياة ولا نبت ولا عود ولم يصبها مطر وفي الحديث حتى كاد يهمد من الجوع أي يهلك يقال همد الثوب يهمد إذا بلي وهمدت النار تهمد قوله تعالى فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت أي تحركت والاهتزاز شدة الحركة يقال هززت الشيء فاهتز أي حركته فتحرك وهز الحادي الإبل هزا فاهتزت هي إذا تحركت في سيرها بحدائه واهتز الكوكب في انقضاضه وكوكب هاز فالأرض تهتز بالنبات لأن النبات لا يخرج منها حتى يزيل بعضها من بعض إزالة خفية فسماه اهتزازا مجازا وقيل اهتز نباتها فحذف المضاف قاله المبرد واهتزازه شدة حركته كما قال الشاعر •

• تثنى إذا قامت وتهتز إن مشت • كما اهتز غصن البان في ورق خضر •

والاهتزاز في النبات أظهر منه في الأرض وربت أي ارتفعت وزادت وقيل انتفخت والمعنى واحد وأصله الزيادة ربا الشيء يربو ربوا أي زاد ومنه الربا والربوة وقرأ يزيد ابن القعقاع وخالد بن إلياس وربأت أي ارتفعت حتى صارت بمنزلة الربيئة وهو الذي

يحفظ القوم على شيء مشرف فهو رابئ وربيئة على المبالغة قال امرؤ القيس •

• بعثنا ربيئا قبل ذلك مخملا • كذئب الغضا يمشي الضراء ويتقي •

وأنبتت أي أخرجت من كل زوج أي لون بهيج أي حسن عن قتادة أي يبهج من يراه والبهجة الحسن يقال رجل ذو بهجة وقد بهج بالضم بهاجة وبهجة فهو بهيج وأبهجني أعجبني بحسنه ولما وصف الأرض بالإنبات دل على أن قوله اهتزت وربت يرجع إلى الأرض لا إلى النبات والله أعلم قوله تعالى ذلك بأن الله هو الحق لما ذكر افتقار الموجودات إليه وتسخيرها على وفق اقتداره واختياره في قوله يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث إلى قوله بهيج قال بعد ذلك ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فنبه سبحانه بهذا على أن كل ما سواه وإن كان حقا موجودا فإنه لا حقيقة له من نفسه لأنه مسخر مصرف والحق الحقيقي هو الموجود المطلق الغني المطلق وأن وجود كل ذي وجود عن وجوب وجوده ولهذا قال في آخر السورة وأن ما تدعون من دونه هو الباطل والحق الموجود الثابت الذي لا يتغير ولا يزول وهو الله تعالى وقيل ذو الحق على عباده وقيل الحق بمعنى في أفعاله وقال الزجاج ذلك في موضع رفع أي الأمر ما وصف لكم وبين بأن الله هو الحق أي لأن الله هو الحق قال ويجوز أن يكون ذلك نصبا على فعل الله ذلك بأنه الله هو الحق وأنه يحيي الموتى أي بأنه وأنه على كل شيء قدير أي وبأنه قادر على ما أراد وأن الساعة آتية عطف على قوله ذلك بأن الله هو الحق من حيث اللفظ وليس عطفا في المعنى إذ لا يقال فعل ما ذكر بأن الساعة آتية بل لا بد من إضمار فعل يتضمنه أي ولتعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها أي لا شك وأن الله يبعث من في القبور يريد للثواب والعقاب قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير أي نير بين الحجة نزلت في النضر بن الحرث وقيل في أبي جهل بن هشام قاله ابن عباس والمعظم على أنها نزلت في النضر بن الحارث كالآية الأولى فهما في فريق واحد والتكرير فيهما للمبالغة في الذم كما تقول للرجل تذمه وتوبخه أنت فعلت هذا أنت فعلت هذا ويجوز أن يكون التكرير لأنه وصفه في كل آية بزيادة فكأنه قال إن النضر بن الحرث يجادل في الله من غير علم ومن غير هدى وكتاب منير ليضل عن سبيل الله وهو كقولك زيد يشتمني وزيد يضربني وهو تكرير مفيد قاله القشيري وقد قيل نزلت فيه بضع عشرة آية فالمراد بالآية الأولى إنكاره للبعث وبالثانية إنكاره النبوة وأن القرآن منزل من جهة الله وقد قيل كان من قول النضر ابن الحارث أن الملائكة بنات الله وهذا جدال في الله تعالى من في موضع رفع بالابتداء والخبر في قوله ومن الناس ثاني عطفه نصب على الحال ويتأول على معنيين أحدهما روي عن ابن عباس أنه قال هو النضر بن الحرث لوى عنقه مرحا وتعظما والمعنى الآخر وهو قول الفراء أن التقدير ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ثاني عطفه أي معرضا عن الذكر ذكره النحاس وقال مجاهد وقتادة لاويا عنقه كفرا ابن عباس معرضا عما يدعى إليه كفرا والمعنى واحد وروى الأوزاعي عن مخلد بن حسين عن هشام بن حسان عن ابن عباس في قوله عز وجل ثاني عطفه ليضل عن سبيل الله قال هو صاحب البدعة المبرد العطف ما انثنى من العنق وقال المفضل والعطف الجانب ومنه قولهم فلان ينظر في أعطافه أي في جوانبه وعطفا الرجل من لدن رأسه إلى وركيه وكذلك عطفا كل شيء جانباه ويقال ثنى فلان عني عطفه إذا أعرض عنك فالمعنى أي هو معرض عن الحق في جداله ومول عن النظر في كلامه وهو كقوله تعالى ولى مستكبرا كأن لم يسمعها وقوله لووا رؤوسهم وقوله أعرض ونأى بجانبه وقوله ذهب إلى أهله يتمطى ليضل عن سبيل الله أي عن طاعة الله وقرئ ليضل بفتح الياء واللام لام العاقبة أي يجادل فيضل كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا أي فكان لهم كذلك ونظيره إذا فريق منهم بربهم يشركون ليكفروا له في الدنيا خزي أي هوان وذل بما يجري له من الذكر القبيح على ألسنة المؤمنين إلى يوم القيامة كما قال ولا تطع كل حلاف مهين الآية وقوله تبت يدا أبي لهب وتب وقيل الخزي هاهنا القتل فإن النبي صلى الله عليه وسلم قتل النضر بن الحرث يوم بدر صبرا كما تقدم في آخر الأنفال ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق أي نار جهنم ذلك بما قدمت يداك أي من المعاصي والكفر وعبر باليد عن الجملة لأن اليد التي تفعل وتبطش للجملة وذلك بمعنى هذا كما تقدم في أول البقرة قوله

تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف من في موضع رفع بالابتدا والتمام انقلب على وجهه
على قراة الجمهور وحسن وهذه الاية خبر عن المنافقين قال ابن عباس يريد شيبة ابن ربيعة
كان قد اسلم قبل ان يظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اوحي اليه ارتد شيبة ابن ربيعة
وقال ابو سعيد الخدري اسلم رجل من اليهود فذهب بصره وماله وتشام بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فقال اني لم اصب في ديني هذا خيرا
ذهب بصري ومالي وولدي فقال يا يهودي ان الاسلام يسبك الرجال كما تسبك النار خبث الحديد
والفضة والذهب فانزل الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف وروى اسرائيل عن ابي
حصين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ومن الناس من يعبد الله على حرف قال كان الرجل
يقدم المدينة فان ولدت امراته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح فان لم تلد امراته ولم تنتج
خيله قال هذا دين سو وقال المفسرون نزلت في اعراب كانوا يقدمون على النبي صلى الله عليه
وسلم فيسلمون فان نالوا رخا اقاموا وان نالتهم شدة ارتدوا وقيل نزلت في النضر ابن الحرث
وقال ابن زيد وغيره نزلت في المنافقين ومعنى على حرف على شك قاله مجاهد وغيره وحقيقته
انه على ضعف في عبادته كضعف القايم على حرف جبل مضطرب فيه وحرف كل شي طرفه وشفيره
وحده ومنه حرف الجبل وهو اعلاه المحدد وقيل على حرف اي على وجه واحد وهو ان يعبده على
السرا دون الضرا ولو عبدوا الله على الشكر في السرا والصبر على الضرا لما عبدوا الله على حرف وقيل
على حرف على شرط وذلك ان شيبة ابن ربيعة قال للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يظهر
امره ادع لي ربك ان يرزقني مالا وابلا وخيلا وولدا حتى اومن بك واعدل الى دينك فدعا
له فرزقه الله جل وعز ما تمنى ثم اراد الله جل وعز فتنته واختياره وهو اعلم به فاخذ منه ما كان
رزقه بعد ان اسلم فارتد عن الاسلام فانزل الله تبارك وتعالى فيه ومن الناس من يعبد
الله على حرف يريد شرط وقال الحسن هو المنافق يعبد الله بلسانه دون قلبه وبالجملة
فهذا الذي يعبد الله على حرف ليس داخلا بكليته وبين هذا بقوله فان اصابه خير اطمان به صحة جسم
ورخا معيشة رضي واقام على دينه وان اصابته فتنة اي خلاف ذلك مما يختبر به انقلب على
وجهه اي ارتد فرجع الى وجهه الذي كان عليه من الكفر خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران
المبين قرا مجاهد وحميد ابن قيس والاعرج والزهري وابن ابي اسحاق وروي عن يعقوب
خاسر الدنيا بالالف نصبا على الحال وعليه فلا يوقف على وجهه وخسرانه الدنيا بان لا حظ له
في غنيمة ولا ثنا والاخرة بان لا ثواب له فيها قوله تعالى يدعوا من دون الله اي هذا
الذي يرجع الى الكفر يعبد الصنم الذي لا ينفع ولا يضر ذلك هو الضلال البعيد قال الفرا
الطويل قوله تعالى يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه اي هذا الذي انقلب على وجهه يعبد
من ضره ادنى من نفعه اصلا ولكنه قال ضره اقرب من نفعه ترفيعا للكلام كقوله وانا
او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وقيل يعبد وهم يتوهمون انهم يشفعون لهم غدا كما قال
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هاولا شفعاونا عند الله وقال
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وقال الفرا والكسائي والزجاج معنى الكلام القسم والتاخير
اي يدعوا والله لمن ضره اقرب من نفعه فاللام مقدمة في غير موضعها ومن في موضع نصب
بيدعوا واللام جواب القسم وضره مبتدا واقرب خبره وضعف النحاس تاخير اللام وقال
وليس للام من التصرف ما يوجب ان يكون فيها تقديم ولا تاخير حق اللام التقديم وقد يجوز
قال الشاعر

• خالي لانت ومن جرير خاله • ينل العلا ويكرم الاخوالا •

اي لخالي انت وقد تقدم النحاس وحكي لنا علي بن سليمان عن محمد بن يزيد قال في الكلام
حذف والمعنى يدعوا لمن ضره اقرب من نفعه الاها قال النحاس واحسب هذا القول غلطا
على محمد بن يزيد لانه لا معنى له لان ما بعد اللام مبتدا فلا يجوز نصب الاه وما احسب مذهب
محمد بن يزيد الا قول الاخفش وهو احسن ما قيل في الاية عندي والله اعلم قال يدعوا
بمعنى يقول ومن مبتدا وخبره محذوف والمعنى يقول لمن ضره اقرب من نفعه الاهه قلت
وذكر هذا القول القشيري عن الزجاج والمهدوي عن الاخفش وكمل اعرابه فقال يدعوا
بمعنى يقول ومن مبتدا وضره مبتدا ثان واقرب خبره والجملة صلة من وخبر من محذوف

والتقدير

والتقدير يقول لمن ضره اقرب من نفعه الاهه ومثله قول عنترة يدعون •

• يدعون عنتر والرماح كانها • اشطان بير في لبان الادهم •

قال القشيري والكافر الذي يقول الصنم معبودي لا يقول ضره اقرب من نفعه ولكن المعنى
يقول الكافر لمن ضره اقرب من نفعه في قول المسلمين معبودي والهي وهو كقوله يا ايها الساحر
ادع لنا ربك اي يا ايها الساحر عند اوليك الذين يدعونك ساحرا وقال الزجاج يجوز ان يكون
يدعوا في موضع الحال وفيه ها محذوفة اي ذلك هو الضلال البعيد يدعوه اي في حال دعايه
اياه ففي يدعوا ها مضمرة ويوقف على هذا على يدعوا وقوله لمن ضره اقرب من نفعه كلام مستانف
مرفوع بالابتدا وخبره لبيس المولى وهذا لان اللام لليمين والتوكيد فجعلها اول الكلام قال
الزجاج ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذي ويكون في محل النصب بوقوع يدعوا عليه اي الذي
هو الضلال البعيد يدعوا كما قال وما تلك بيمينك يا موسى اي ما الذي ثم قوله لمن ضره كلام
مبتدا ولبيس المولى خبر المبتدا وتقدير الاية على هذا يدعوا الذي هو الضلال البعيد قدم
المفعول وهو الذي كما تقول زيدا يضرب واستحسنه ابو علي وزعم الزجاج ان النحويين اغفلوا
هذا القول وانشد

• عدس ما لعباد عليك امارة • نجوت وهذا تحملين طليق •

اي والذي وقال الزجاج ايضا والفرا يجوز ان يكون يدعوا مكررة على ما قبلها على جهة تكثير
هذا الفعل الذي هو الدعا ولا تعديه اذ قد عديته اولا اي يدعوا من دون الله ما لا ينفعه
ولا يضره يدعوا مثل ضربت زيدا ضربت ثم حذفت يدعوا الاخرة اكتفا بالاولى قال الفرا ويجوز
لمن ضره بكسر اللام اي يدعوا الى من ضره اقرب من نفعه قال الله عز وجل بان ربك اوحى لها اي
اليها وقال الفرا ايضا والقفال اللام صلة اي يدعوا من ضره اقرب من نفعه اي يعبده وكذلك
هو في قراة عبد الله بن مسعود لبيس المولى اي الناصر ولبيس العشير اي المعاشر والصاحب
والخليل قاله مجاهد يعني الوثن قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات
تجري من تحتها الانهار لما ذكر حال المشركين وحال المنافقين والشياطين ذكر حال المومنين
في الاخرة ايضا ان الله يفعل ما يريد اي يثيب من يشا ويعذب من يشا فللمومنين الجنة بحكم
وعده الصدق وبفضله وللكافرين النار بما سبق من عدله لا ان فعل الرب معلل بفعل
العبيد قوله تعالى من كان يظن ان لن ينصره الله في الدنيا والاخرة فليمدد بسبب الى السما قال
ابو جعفر النحاس من احسن ما قيل فيها ان المعنى من كان يظن ان لن ينصر الله محمدا صلى
الله عليه وسلم وانه يتهيا له ان يقطع النصر الذي اوتيه فليمدد بسبب الى السما اي فليطلب
حيلة يصل بها الى السما ثم ليقطع النصر ان تهيا له فلينظر هل يذهبن كيده وحيلته ما يغيظه
من نصر النبي صلى الله عليه وسلم والفايدة في الكلام انه اذا لم يتهيا له الكيد والحيلة بان
يفعل مثل هذا لم يصل الى قطع النصر وكذا قال ابن عباس ان الكناية في ينصره الله ترجع
الى محمد صلى الله عليه وسلم وهو وان لم يجر ذكره فجميع الكلام دال عليه لان الايمان هو
الايمان بالله وبمحمد والانقلاب عن الدين انقلاب عن الدين الذي اتى به محمد صلى الله
عليه وسلم اي من كان يظن ممن يعادي محمدا ومن يعبد الله على حرف انا لا ننصر محمدا فليفعل
كذا وكذا وعن ابن عباس ايضا ان الها تعود على من والمعنى من كان يظن ان الله لا يرزقه
فليختنق فليقتل نفسه اذ لا خير في حياة تخلو من عون الله والنصر على هذا القول
الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله اي من اعطاني اعطاه الله ومن ذلك قول العرب
ارض منصورة اي ممطورة قال الفقعسي

• وانك لا تعطي امرا فوق حقه • ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره •

وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من كان يظن ان لن ينصره الله قال اي لن يرزقه
وهو قول ابي عبيدة وقيل ان الها تعود على الدين والمعنى من كان يظن ان لن ينصره
الله دينه فليمدد بسبب اي بحبل والسبب ما يتوصل به الى الشي الى السما الى سقف البيت
ابن زيد هي السما المعروفة وقرا الكوفيون ثم ليقطع باسكان اللام قال النحاس وهذا بعيد
في العربية لان ثم ليست مثل الواو والفا لانها يوقف عليها وتنفرد وفي قراة عبد الله فليقطعه
ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ قيل ما بمعنى الذي اي هل يذهبن كيده الذي يغيظه فحذف

الها ليكون اخف وقيل بمعنى المصدر اي هل يذهبن كيده غيظه قوله تعالى وكذلك انزلناه
ايات بينات يعني القران وان الله اي وكذلك ان الله يهدي من يريد علق وجود الهداية
بارادته فهو الهادي لا هادي سواه قوله تعالى ان الذين امنوا اي بالله وبمحمد صلى الله عليه
وسلم والذين هادوا اليهود وهم المنتسبون الى ملة موسى والصابئون هم قوم يعبدون النجوم
والنصارى هم المنتسبون الى ملة عيسى والمجوس هم عبدة النيران القائلين ان للعالم اصلين
نور وظلمة قال قتادة الاديان خمسة اربعة للشياطين وواحد للرحمن وقيل المجوس في الاصل
النجوس لتدينهم باستعمال النجاسات والميم والنون يتعاقبان كالغيم والغين والايم والاين
وقد مضى في البقرة هذا كله مستوفى والذين اشركوا هم العرب عبدة الاوثان ان الله يفصل بينهم
يوم القيامة اي يقضي ويحكم فللكافرين النار وللمومنين الجنة وقيل هذا الفصل بان يعرفهم المحق
من المبطل بمعرفة ضرورية واليوم يتميز المحق من المبطل بالنظر والاستدلال ان الله على كل شي شهيد
اي من اعمال خلقه وحركاتهم واقوالهم فلا يعزب عنه شي منها سبحانه وقوله ان الله يفصل بينهم
خبران في قوله ان الذين امنوا كما تقول ان زيدا ان الخير عنده وقال الفرا ولا يجوز في الكلام ان
زيدا ان الخير عنده وقال الفرا ولا يجوز في الكلام ان زيدا ان اخاه منطلق وزعم انه انما جاز
في الاية لان في الكلام معنى المجازاة اي من امن ومن تهود وتنصر او صبا يفصل بينهم وحسابهم
الله عز وجل ورد ابو اسحاق على الفرا هذا القول واستقبح قوله لا يجوز ان زيدا ان اخاه منطلق
قال لانه لا فرق بين زيد وبين الذين وان تدخل على كل مبتدا فتقول ان زيدا هو منطلق
ثم تاتي بان فتقول ان زيدا انه منطلق وقال الشاعر •
• ان الخليفة ان الله سربله • سربال عز به ترجى الخواتيم •
قوله تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض هذه روية القلب اي الم تر
بقلبك وعقلك وتقدم معنى السجود في البقرة وسجود الجماد في النحل والشمس معطوفة
على من وكذا والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس ثم قال وكثير حق عليه
العذاب وهذا مشكل من الاعراب كيف لم ينصب ليعطف ما عمل فيه الفعل على ما عمل فيه الفعل
مثل والظالمين اعد لهم عذابا اليما فزعم الكسائي والفرا انه لو نصب لكان حسنا ولكن اختير
الرفع لان المعنى وكثير ابى السجود فيكون ابتدا وخبرا وتم الكلام عند قوله وكثير من الناس
ويجوز ان يكون معطوفا على ان يكون السجود التذلل والانقياد لتدبير الله جل وعز من
ضعف وقوة وصحة وسقم وحسن وقبح وهذا يدخل فيه كل شي ويجوز ان ينتصب على تقدير
واهان كثيرا حق عليه العذاب ونحوه وقيل تم الكلام عند قوله والدواب ثم ابتدا فقال
وكثير من الناس في الجنة وكثير حق عليه العذاب في النار ذكره ابن الانباري وقال ابو
العالية ما في السموات نجم ولا قمر ولا شمس الا يقع ساجدا لله حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يوذن
له فيرجع من مطلعه قال القشيري وورد هذا في خبر مسند في حق الشمس فهذا سجود
حقيقي ومن ضرورته تركيب الحياة والعقل في هذا الساجد قلت الحديث المسند الذي
اشار اليه خرجه مسلم وسياتي في سورة يس عند قوله والشمس تجري لمستقر لها وقد
تقدم في البقرة معنى السجود لغة ومعنى قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم اي من
اهانه بالشقا والكفر لا يقدر احد على دفع الهوان عنه وقال ابن عباس ان من تهاون بعبادة
الله صار الى النار ان الله يفعل ما يشا يريد ان مصيرهم الى النار فلا اعتراض لاحد عليه
وحكى الاخفش والكسائي والفرا ومن يهن الله فما له من مكرم اي اكرام قوله تعالى هذان
خصمان اختصموا في ربهم خرج مسلم عن قيس ابن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان
هذان خصمان اختصموا في ربهم انها نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة
ابن الحرث رضي الله عنهم وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد ابن عتبة وبهذا الحديث
ختم مسلم رحمه الله كتابه وقال ابن عباس نزلت هذه الايات الثلاث على النبي صلى
الله عليه وسلم بالمدينة في ثلاثة نفر من المومنين وثلاثة نفر كافرين وسماهم كما ذكر
ابو ذر وقال علي بن ابي طالب اني لاول من يجثو للخصومة بين يدي الله يوم القيمة يريد
قصته في مبارزته هو وصاحباه ذكره البخاري والى هذا القول ذهب هلال بن يساف

وعطا ابن يسار وغيرهما وقال عكرمة المراد بالخصمين الجنة والنار اختصمتا فقالت النار خلقني لعقوبته
وقالت الجنة خلقني لرحمته قلت وقد ورد تخاصم الجنة والنار حديث عن ابي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني
الضعفا والمساكين فقال الله لهذه انت عذابي اعذب بك من اشا وقال لهذه انت رحمتي ارحم بك من
اشا ولكل واحدة منكما ملوها خرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وقال ابن عباس
ايضا هم اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن اولى بالله منكم واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقالت
المومنون نحن احق امنا بمحمد وامنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون نبينا وتركتموه وكفرتم
به حسدا فكانت هذه خصومتهم وانزلت فيهم هذه الاية وهذا قول قتادة والقول الاول اصح رواه
البخاري عن حجاج بن منهال عن هشيم بن ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد عن ابي ذر ومسلم
عن عمرو بن زرارة عن علي قال فينا نزلت هذه الاية وفي مبارزتنا يوم بدر هذان خصمان اختصموا
في ربهم الى قوله عذاب الحريق وقرا ابن كثير هذان خصمان بتشديد النون من هذان وتاول الفرا
الخصمين على انهما فريقان اهل دينين وزعم ان الخصم الواحد المسلمون والاخر اليهود والنصارى اختصموا
في دين ربهم قال فقال اختصموا لانهم جمع قال ولو قال اختصما لجاز قال النحاس وهذا تاويل من لا دراية
له بالحديث ولا بكتب اهل التفسير لان الحديث في هذه الاية مشهور رواه سفيان الثوري وغيره عن
ابي هاشم عن ابي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت ابا ذر يقسم قسما ان هذه الاية نزلت في حمزة
وعلي وعبيدة ابن الحرث بن عبد المطلب وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد ابن عتبة وهكذا روى
ابو عمرو ابن العلا عن مجاهد عن ابن عباس وفيه قول رابع انهم المومنون كلهم والكافرون كلهم من اي
ملة كانوا قاله مجاهد والحسن وعطا ابن ابي رباح وعاصم ابن ابي النجود والكلبي وهذا القول بالعموم
يجمع المنزل فيهم وغيرهم وقيل نزلت في الخصومة في البعث والجزا اذ قال به قوم وانكره قوم فالذين
كفروا يعني من الفرق الذين تقدم ذكرهم قطعت لهم ثياب من نار اي خيطت وسويت وشبهت النار
بالثياب لانها لباس لهم كالثياب وقوله قطعت اي تقطع لهم في الاخرة فالموعود منه كالواقع المحقق
قال الله تعالى واذ قال الله يا عيسى ابن مريم أانت قلت للناس اي يقول الله تعالى ويحتمل ان
يقال اعدت الان تلك الثياب لهم ليلبسوها اذا صاروا الى النار وقال سعيد ابن جبير من نار من
نحاس فتلك الثياب من نحاس قد اذيبت وهي السرابيل المذكورة في قطران وليس في الانية شي
اذا حمي يكون اشد حرا منه وقيل المعنى ان النار قد احاطت بهم كاحاطة الثياب المقطوعة اذا لبسوها
عليهم فصارت من هذا الوجه ثيابا لانها بالاحاطة كالثياب مثل وجعلنا الليل لباسا يصب من فوق
روسهم الحميم اي الما الحار المغلى بنار جهنم وروى الترمذي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الحميم ليصب على روسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما في جوفه حتى يمرق من
قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قال حديث حسن صحيح غريب يصهر يذاب به ما في بطونهم
والصهر اذابة الشحم والصهارة ما ذاب منه يقال صهرت الشي فانصهر اي اذبته فذاب فهو صهير
قال ابن احمد يصف فرخ قطاه • تروي لقى القي في صفصف • تصهره الشمس فما ينصهر •
اي تذيبه الشمس فيصبر على ذلك والجلود اي وتحرق الجلود اي يشوى الجلود فان الجلود لا تذاب
ولكن يضم في كل شي ما يليق به فهو كما تقول اتيته فاطعمني ثريدا اي والله لبنا قارصا اي وسقاني
لبنا وقال الشاعر • فعلفتها تبنا وما بارد • ولهم مقامع من حديد اي يضربون بها ويدفعون
الواحدة مقمعة ومقمع ايضا كالمجن يضرب به على راس الفيل وقد قمعته اذا ضربته بها وقمعته
فانقمع بمعنى اي قهرته واذللته فانقمع قال ابن السكيت اقمعت الرجل عني اقماعا اذا اطلع عليك
فرددته عنك وقيل المقامع المطارق وهي المرازب ايضا وفي الحديث بيد كل ملك من خزنة جهنم
مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين الفا وقيل المقامع سياط من نار وسميت
بذلك لانها تقمع المضروب اي تذلله قوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اي من النار اعيدوا
فيها بالضرب بالمقامع وقال ابن ظبيان ذكر لنا انهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش بهم
وتفور فتلقي من فيها الى اعلا ابوابها فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان اليها بالمقامع وقيل
اذا اشتد غمهم فيها فروا فمن خلص منهم الى شفيرها اعادتهم الملائكة فيها بالمقامع ويقولون
لهم ذوقوا عذاب الحريق اي المحرق مثل الاليم والوجيع وقيل الحريق مثل الاسم من الاحتراق

عرق الشيء بالنار واحترق والاسم الحرقة والحريق والذوق مماسة يحصل معها ادراك الطعم وهو
هنا توسع والمراد به ادراكهم الالم قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
جنات تجري من تحتها الانهار لما ذكر احد الخصمين وهو الكافر ذكر حال الخصم الاخر وهو المومن
يحلون فيها من اساور من ذهب من صلة والاساورة جمع اسورة واسورة واحدها سوار وفيه
ثلاث لغات ضم السين وكسرها واسوار قال المفسرون لما كانت الملوك تلبس في الدنيا الاساور
والتيجان جعل ذلك لاهل الجنة وليس احد من اهل الجنة الا وفي يده ثلاثة اسورة سوار من ذهب
وسوار من فضة وسوار من لولو قال هنا وفي فاطر من اساور من ذهب ولولوا وقال في سورة
الانسان وحلوا اساور من فضة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة سمعت خليلي صلى الله
عليه وسلم يقول تبلغ الحلية من المومن حيث يبلغ الوضوء وقيل تحلى النسا بالذهب والرجال
بالفضة وفيه نظر والقران يرده ولولوا قرا نافع وابن القعقاع وشيبة وعاصم هنا بالف وكذلك
قرا يعقوب والجحدري وعيسى ابن عمر بالنصب هنا والخفض في فاطر اتباعا للمصحف ولانها كتبت
هنا بالف وهناك بغير الف الباقون بالخفض في الموضعين وكان ابو بكر لا يهمز اللولو في كل
القران وهو ما يستخرج من البحر من جوف الصدف قال القشيري والمراد ترصيع السوار باللولو
ولا يبعد ان يكون في الجنة سوار من لولو مصمت قلت وهو ظاهر القران بل نصه وقال ابن
الانباري من قرا ولولو بالخفض وقف عليه ولم يقف على الذهب وقال السجستاني من نصب
اللولو فالوقف الكافي من ذهب لان المعنى ويحلون لولوا قال ابن الانباري وليس كما قال
لانا اذا خفضنا اللولو نسقناه على لفظ الاساور واذا نصبناه نسقناه على تاويل الاساور
كانا قلنا يحلون فيها اساور ولولوا فهو في النصب بمنزلته في الخفض فلا معنى لقطعه من الاول
قوله تعالى ولباسهم فيها حرير اي جميع ما يلبسونه من فرشهم ولباسهم وستورهم حرير وهو
اعلى مما في الدنيا بكثير وروى النساي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لبس الحرير
في الدنيا لم يلبسه في الاخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربه في الاخرة ثم قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لباس اهل الجنة وشراب اهل الجنة وانية اهل الجنة فان قيل فقد سوى النبي صلى الله
عليه وسلم بين هذه الاشيا الثلاثة وانه يحرمها في الاخرة فهل يحرمها اذا دخل الجنة قلنا
نعم اذا لم يتب منها حرمها في الاخرة وان دخل الجنة نعم لا يستحله ما حرم الله عليه في الدنيا
لا يقال انما يحرم ذلك في الوقت الذي يعذب في النار ويطول مقامه في الموقف فاما اذا
دخل الجنة فلا لان حرمان شيء من لذات الجنة لمن كان في الجنة نوع عقوبة ومواخذة
والجنة ليست بدار عقوبة ولا مواخذة فيها بوجه فانا لا نقول ما ذكرتموه محتمل لولا ما جاء
ما يدفع هذا الاحتمال ويرده من ظاهر الحديث الذي ذكرناه وما رواه الايمة من حديث ابن
عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الاخرة والاصل
التمسك بالظاهر حتى يرد نص يدفعه بل قد ورد نص على صحة ما ذكرناه وهو ما رواه ابو داود
الطيالسي في مسنده ثنا هاشم عن قتادة عن داود السراج عن ابي سعيد الخدري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وان دخل
الجنة لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو وهذا نص صريح واسناده صحيح فان كان وان دخل الجنة
لبسه اهل الجنة ولم يلبسه هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم فهو الغاية في البيان وان
كان من كلام الراوي على ما ذكر فهو اعلم بالمقال واقعد بالحال ومثله لا يقال بالراي والله
اعلم وكذلك من شرب الخمر ولم يتب ومن استعمل انية الذهب والفضة وكما لا يشتهي منزلة
من هو ارفع منه وليس ذلك بعقوبة كذلك لا يشتهي خمر الجنة ولا حريرها ولا يكون ذلك
عقوبة وقد ذكرنا هذا كله في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله وذكرنا فيها ان شجر
الجنة وثمارها تتفتق عن ثياب الجنة وقد ذكرناه في سورة الكهف قوله تعالى
وهدوا الى الطيب من القول اي ارشدوا الى ذلك قال ابن عباس يريد لا اله الا الله
والحمد لله وقيل القران ثم قيل هذا في الدنيا هدوا الى الشهادة وقراة القران وهدوا الى
صراط الحميد الى صراط الله وصراط الله دينه وهو الاسلام وقيل هدوا في الاخرة الى الطيب
من القول وهو الحمد لله لانهم يقولون غدا الحمد لله الذي هدانا لهذا الحمد لله الذي اذهب

عنا الحزن فليس في الجنة لغو ولا كذب فما يقولونه فهو طيب القول وقد هدوا في الجنة الى صراط الله
اذ ليس في الجنة شيء من مخالفة امر الله وقيل الطيب من القول ما ياتيهم من الله من البشارة الحسنة
وهدوا الى صراط الحميد اي الى طريق الجنة قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله الى
قوله اليم فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ان الذين كفروا ويصدون اعاد الكلام الى مشركي العرب
حين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام عام الحديبية وذلك انه لم يعلم لهم صد
قبل ذلك الجمع الا ان يريد صدهم لافراد من الناس فقد وقع ذلك في صدر المبعث والصد المنع
اي وهم يصدون وبهذا حسن عطف المستقبل على الماضي وقيل الواو زايدة ويصدون خبر ان
وهذا مفسد للمعنى المقصود وانما الخبر محذوف مقدر عند قوله والباد تقديره خسروا اذ
هلكوا وجا ويصدون مستقبلا اذ هو فعل يديمونه كما جا قوله الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر
الله فكانه قال ان الذين كفروا من شانهم الصد ولو قال ان الذين كفروا وصدوا لجاز قال
النحاس وفي كتابي عن ابي اسحاق قال وجايز ان يكون وهو الوجه الخبر نذقه من عذاب اليم
قال ابو جعفر وهذا غلط ولست اعرف ما الوجه فيه لانه جا بخبر ان جزما وايضا فانه جواب
الشرط ولو كان خبر ان لبقي الشرط بلا جواب ولا سيما والفعل الذي في الشرط مستقبل فلا بد له من
جواب الثانية قوله تعالى والمسجد الحرام قيل انه المسجد نفسه وهو ظاهر القران لانه لم يذكر غيره
وقيل الحرم كله لان المشركين صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه عنه عام الحديبية فنزل
خارجا عنه قال الله تعالى وصدوكم عن المسجد الحرام وقال سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من
المسجد الحرام وهذا صحيح لكنه قصد هنا بالذكر المهم المقصود من ذلك الثالثة قوله تعالى الذي
جعلناه للناس اي للصلاة والطواف والعبادة وهو كقوله ان اول بيت وضع للناس سوا العاكف
فيه والباد العاكف المقيم والملازم والبادي اهل البادية ومن يقدم عليهم يقول سوا في تعظيم
حرمته وقضا النسك فيه الحاضر والذي ياتيه من البلاد فليس اهل مكة احق من النازع اليه
وقيل ان المساواة انما هي في دوره ومنازله ليس المقيم فيها اولى من الطاري عليها وهذا على ان
المسجد الحرام الحرم كله وهذا قول مجاهد ومالك رواه عنه ابن القاسم وروي عن عمر وابن عباس
وجماعة الى ان القادم له النزول حيث وجد وعلى رب المنزل ان يوويه شا او ابى وقال ذلك سفيان
الثوري وغيره وكذلك كان الامر في الصدر الاول كانت دورهم بغير ابواب حتى كثرت السرقة
فاتخذ رجل بابا فانكر عليه عمر وقال اتغلق بابا في وجه حاج بيت الله فقال انما اردت حفظ
متاعهم من السرقة فتركه فاتخذ الناس الابواب وروي عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ايضا
انه كان يامر في الموسم بقلع ابواب دور مكة حتى يدخلها الذي يقدم فينزل حيث شا وكانت
الفساطيط تضرب في الدور وروي عن مالك ان الدور ليست كالمسجد ولاهلها الامتناع منها
والاستبداد وهذا هو العمل اليوم وقال بهذا جمهور من الامة وهذا الخلاف ينبني على اصلين
احدهما ان دور مكة هل هي ملك لاربابها ام للناس وللخلاف سببان احدهما هل فتح مكة كان
عنوة فتكون مغنومة لكن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقسمها واقرها لاهلها ولمن جا بعدهم كما فعل
عمر رضي الله عنه بارض السواد وعفا لهم عن الخراج كما عفا عن سبيهم واسترقاقهم احسانا اليهم
دون ساير الكفار فتبقى على ذلك لا تباع ولا تكرى ومن سبق الى موضع كان اولى به وبهذا
قال مالك وابو حنيفة والاوزاعي او كان فتحها صلحا واليه ذهب الشافعي فتبقى ديارهم بايديهم
وفي املاكهم يتصرفون كيف شاوا وروي عن عمر انه اشترى دار صفوان ابن امية باربعة الاف
وجعلها سجنا وهو اول من حبس في السجن في الاسلام على ما تقدم بيانه في اية المحاربين
من سورة المايدة وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حبس في تهمة وكان طاوس يكره السجن
بمكة ويقول لا ينبغي لبيت عذاب ان يكون في بيت رحمة قلت الصحيح ما قاله مالك وعليه
تدل ظواهر الاخبار الثابتة وانها فتحت عنوة قال ابو عبيد ولا نعلم مكة يشبهها شيء من البلاد
وروى الدارقطني عن علقمة ابن نضلة قال توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر
وعمر رضي الله عنهما وما تدعى رباع مكة الا السوايب من احتاج سكن ومن استغنى اسكن وزاد
في رواية وعثمان وروي ايضا عن علقمة ابن نضلة الكناني قال كانت تدعى بيوت مكة على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر السوايب لا تباع من احتاج سكن ومن استغنى

اسكن وروي ايضا عن عبد الله ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حرم مكة فحرام بيع رباعها واكل ثمنها وقال من اكل من اجر بيوت مكة شيا فانما ياكل نارا قال الدارقطني كذا رواه ابو حنيفة مرفوعا ووهم فيه ووهم ايضا في قوله عبيد الله ابن ابي يزيد وانما هو ابن ابي زياد القداح والصحيح انه موقوف واسند الدارقطني ايضا عن عبد الله بن عمرو قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مناخ لا تباع رباعها ولا تواجر بيوتها وروى ابو داود عن عايشة قالت قلت يا رسول الله الا نبني لك بمنى بيتا او بناء يظلك من الشمس فقال لا انما هو مناخ من سبق اليه وتمسك الشافعي رضي الله عنه بقوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم فاضافها اليهم وقال عليه السلام يوم الفتح من اغلق بابه فهو امن ومن دخل دار ابي سفيان فهو امن الرابعة قرا جمهور الناس سواء بالرفع وهو على الابتدا والعاكف خبره وقيل الخبر سواء وهو مقدم اي العاكف فيه والبادي سواء وهو قول ابي علي والمعنى الذي جعلناه للناس قبلة او متعبدا العاكف فيه والبادي سواء وقرا حفص عن عاصم سواء بالنصب وهي قراة الاعمش وذلك يحتمل ايضا وجهين احدهما ان يكون مفعولا ثانيا لجعل ويرتفع العاكف به لانه مصدر فاعمل عمل اسم الفاعل لانه في معنى مستو والوجه الثاني ان يكون حالا من الضمير في جعلناه وقرات فرقة سواء بالنصب العاكف بالخفض والبادي عطفا على الناس التقدير الذي جعلناه للناس العاكف والبادي والبادي قراه ابن كثير في الوقف والوصل بالياء ووقف ابو عمرو بغير يا ووصل بالياء وقرا نافع بغير يا في الوصل والوقف واجمع الناس على الاستوا في نفس المسجد الحرام واختلفوا في مكة وقد ذكرناه الخامسة ومن يرد فيه بالحاد بظلم شرط وجوابه نذقه من عذاب اليم والالحاد في اللغة الميل الا ان الله تعالى بين ان الميل بالظلم هو المراد واختلف في الظلم فروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس ومن يرد فيه بالحاد بظلم قال الشرك وقال عطا الشرك والقتل وقيل معناه صيد حمامه وقطع شجره ودخوله غير محرم وقال ابن عمر كنا نتحدث ان الالحاد فيه ان يقول الانسان لا والله وبلى والله وكلا والله ولذلك كان له فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فكان اذا اراد الصلاة دخل فسطاط الحرم واذا اراد بعض شانه دخل فسطاط الحل صيانة للحرم عن قولهم كلا والله وبلى والله حين عظم الله الذنب فيه وكذلك كان لعبد الله بن عمرو بن العاصي فسطاطان احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل واذا اراد ان يصلي صلى في الحرم فقيل له في ذلك فقال ان كنا لنتحدث ان من الالحاد في الحرم ان نقول كلا والله وبلى والله والمعاصي تضاعف بمكة كما تضاعف الحسنات فتكون المعصية معصيتين احداهما بنفس المخالفة والثانية باسقاط حرمة البلد الحرام وهكذا الاشهر الحرم سوا وقد تقدم وروى ابو داود عن يعلى بن امية ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احتكار الطعام في الحرم الحاد فيه وهو قول عمر ابن الخطاب والعموم ياتي على هذا كله السادسة ذهب قوم من اهل التاويل منهم الضحاك وابن زيد الى ان هذه الاية تدل على ان الانسان يعاقب على ما ينويه من المعاصي بمكة وان لم يعمله وقد روي نحو ذلك عن ابن مسعود وابن عمر قالوا لو هم رجل بقتل رجل بهذا البيت وهو بعدن ابين لعذبه الله قلت هذا صحيح وقد جا هذا المعنى في سورة ن والقلم مبينا على ما ياتي بيانه هناك ان شا الله تعالى السابعة الباء في بالحاد زائدة كزيادتها في قوله تعالى تنبت بالدهن وعليه حملوا قول الشاعر

• نحن بنو جعدة اصحاب الفلج • نضرب بالسيف ونرجو بالفرج •

اراد نرجو الفرج وقال الاعشى • ضمنت برزق عيالنا ارماحنا • اي رزق وقال اخر

• الم ياتيك والانباء تنمي • بما لاقت لبون بني زياد •

اي ما لاقت والباء زائدة وهو كثير وقال الفرا سمعت اعرابيا وسالته عن شي فقال ارجو بذلك اي ارجو ذاك وقال الشاعر • بواد يمان ينبت الشث صدره • واسفله بالمرخ والسهان • اي المرخ وهو قول الاخفش والمعنى عنده ومن يرد فيه الحادا بظلم وقال الكوفيون دخلت الباء لان المعنى بان تلحد والباء مع ان تدخل وتحذف ويجوز ان يكون التقدير ومن يرد الناس فيه بالحاد وهذا الالحاد والظلم يجمع جميع المعاصي من الكفر الى الصغاير فلعظم حرمة المكان توعد الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب عليها الا في

مكة

مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم وقد ذكرناه انفا قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت الى قوله والركع السجود فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت اي واذكر اذ بوانا يقال بواته منزلا وبوات له كما يقال مكنتك ومكنت لك فاللام في قوله لابراهيم صلة للتاكيد كقوله ردف لكم وهذا قول الفرا وقيل بوانا لابراهيم مكان البيت اي اريناه اصله ليبنيه وكان قد درس بالطوفان وغيره فلما جات مدة ابراهيم عليه السلام امره الله ببنيانه فجا الى موضعه وجعل يطلب اثرا فبعث الله ريحا فكشفت عن اساس ادم فرتب قواعده عليه حسب ما تقدم بيانه في البقرة وقيل بوانا نازلة منزلة فعل يتعدى باللام كنحو جعلنا اي جعلنا لابراهيم مكان البيت مبوا وقال الشاعر • كم من اخ لي ماجد • بواته بيدي لحدا •

الثانية ان لا تشرك هي مخاطبة لابراهيم عليه السلام في قول الجمهور وقرا عكرمة ان لا يشرك بالياء على نقل معنى القول الذي قيل له قال ابو حاتم ولا بد من نصب الكاف على هذه القراة بمعنى ان لا يشرك وقيل ان ان مخففة من الثقيلة وقيل مفسرة وقيل زايدة مثل فلما ان جا البشير وفي الاية طعن على من اشرك من قطان البيت اي هذا كان الشرط على ابيكم فمن بعده وانتم فلم تفوا بل اشركتم وقالت فرقة الخطاب من قوله ان لا تشرك لمحمد صلى الله عليه وسلم وامر بتطهير البيت والاذان بالحج والجمهور على ان ذلك لابراهيم وهو الاصح وتطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدما وقيل عنى به التطهير عن الاوثان كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان وذلك ان جرهما والعمالقة كانت لهم اصنام في محل البيت وحوله قبل ان يبنيه ابراهيم وقيل المعنى نزهه عن ان يعبد فيه صنم وهذا امر باظهار التوحيد فيه وقد مضى ما للعلما في تنزيه المسجد الحرام وغيره وهذا امر باظهار التوحيد فيه كفاية في براءة والقايمون هم المصلون وذكر تعالى من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود قوله تعالى واذن في الناس بالحج الى قوله عميق فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى واذن في الناس بالحج قرا جمهور الناس واذن بتشديد الذال وقرا الحسن ابن ابي الحسن وابن محيصن واذن بتخفيف الذال ومد الالف ابن عطية وتصحف هذا على ابن جني فانه حكى عنهما واذن على انه فعل ماض واعرب عن ذلك بان جعله عطفا على بوانا والاذان الاعلام وقد تقدم في براءة الثانية لما فرغ ابراهيم عليه السلام من بناء البيت وقيل له اذن في الناس بالحج قال يا رب وما يبلغ صوتي قال اذن وعلي الابلاغ فصعد ابراهيم خليل الله جبل ابي قبيس وصاح يا ايها الناس ان الله قد امركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار فحجوا فاجابه من كان في اصلاب الرجال وارحام النسا لبيك اللهم لبيك فمن اجاب يومئذ حج على قدر الاجابة ان اجاب مرة فمرة وان اجاب مرتين فمرتين وجرت التلبية على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير وروي عن ابي الطفيل قال قال لي ابن عباس اتدري ما كان اصل التلبية قلت لا قال لما امر ابراهيم عليه السلام ان يوذن في الناس بالحج خفضت له الجبال رووسها ورفعت له القرى فنادى في الناس بالحج فاجابه كل شي لبيك اللهم لبيك وقيل ان الخطاب لابراهيم تم عند قوله والسجود ثم خاطب الله عز وجل محمدا عليه السلام فقال واذن في الناس بالحج اي اعلمهم بالحج وقول ثالث ان الخطاب من قوله ان لا تشرك مخاطبة للنبي عليه السلام وهذا قول اهل النظر لان القران انزل على النبي صلى الله عليه وسلم فكل ما فيه من المخاطبة فهي له الا ان يدل دليل قاطع على غير ذلك وههنا دليل اخر يدل على ان المخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وهو ان لا تشرك بي بالتاء وهذا مخاطبة لمشاهد وابراهيم عليه السلام غايب فالمعنى على هذا واذ بوانا لابراهيم مكان البيت جعلنا لك الدليل على توحيد الله جل وعز وعلى ان ابراهيم كان يعبد الله وحده وقرا جمهور الناس بالحج بفتح الحا وقرا ابن ابي اسحاق في كل القران بكسرها وقيل ان نداء ابراهيم من جملة ما امر به من شرايع الدين والله اعلم الثالثة قوله تعالى ياتوك رجالا وعلى كل ضامر وعده اجابة النداء الى حج البيت ما بين راجل وراكب وانما قال ياتوك وان كانوا ياتون الكعبة لان المنادي ابراهيم فمن اتى الكعبة حاجا فكانه اتى ابراهيم لانه اجاب نداه وفيه تشريف ابراهيم ابن عطية رجالا جمع راجل مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب وقد يقال في الجمع رجال بالتشديد مثل كافر وكفار وقرا ابن ابي اسحاق وعكرمة رجالا بضم الراء وتخفيف الجيم وهو قليل في

ابنية الجمع ورويت عن مجاهد وقرا مجاهد رجالي على وزن فعالي فهو مثل كسالي قال النحاس في جمع راجل خمسة اوجه رجال مثل ركاب وهذا الذي روي عن عكرمة ورجال مثل قيام ورجله ورجل ورجالة والذي روي عن مجاهد رجالا غير معروف والاشبه به ان يكون غير منون مثل كسارى وسكارى ولو نون لكان على فعال وفعال في الجمع قليل وقدم الرجال على الركبان في الذكر لزيادة تعبهم في المشي وعلى كل ضامر ياتين معنى ضامر معنى ضوامر قال الفرا ويجوز ياتي على اللفظ والضامر البعير المهزول الذي اتعبه السفر يقال ضمر يضمر ضمورا فوصفها الله تعالى بالمآل الذي انتهت عليه الى مكة وذكر سبب الضمور فقال ياتين من كل فج عميق اي اثر فيها طول السفر ورد الضمير الى الابل تكرمة لها لقصدها الحج مع اربابها كما قال والعاديات ضبحا في خيل الجهاد تكرمة لها حين سعت في سبيل الله الرابعة قال بعضهم انما قال رجالا لان الغالب خروج الرجال الى الحج دون الاناث فقوله رجالا من قولك هذا رجل وهذا فيه بعد لقوله وعلى كل ضامر يعني الركبان فدخل فيه الرجال والنسا ولما قال تعالى رجالا وبداهم دل على ان حج الراجل افضل من حج الراكب قال ابن عباس ما اسى على شي فاتني الا اكون حججت ماشيا فاني سمعت الله عز وجل يقول ياتوك رجالا وقال ابن ابي نجيح حج ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ماشيين وقرا اصحاب ابن مسعود ياتون وهي قراة ابن ابي عبلة والضحاك والضمير للناس الخامسة لا خلاف في جواز الركوب والمشي واختلفوا في الافضل منهما فذهب مالك والشافعي في اخرين الى ان الركوب افضل اقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم ولكثرة النفقة ولتعظيم شعائر الحج باهبة الركوب وذهب غيرهم الى ان المشي افضل لما فيه من المشقة على النفس ولحديث ابي سعيد قال حج النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه مشاة من المدينة الى مكة وقال اربطوا اوساطكم بازركم ومشى خلط الهرولة خرجه ابن ماجة في سننه ولا خلاف في ان الركوب في الوقوف بعرفة افضل واختلفوا في الطواف والسعي والركوب عند مالك في المناسك كلها افضل للاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم السادسة استدل بعض العلما بسقوط ذكر البحر من هذه الاية على ان فرض الحج بالبحر ساقط قال مالك في الموازية لا اسمع للبحر ذكرا وهذا تانيس لا انه يلزم من سقوط ذكره سقوط الفرض فيه وذلك ان مكة ليست في ضفة بحر فياتيها الناس في السفن ولا بد لمن ركب البحر ان يصير في اتيان مكة اما راجلا واما على ضامر فانما ذكرت حالتا الوصول واسقاط فرض الحج بمجرد البحر ليس بالكثير ولا بالقوي فاما اذا اقترن به عدو وخوف او هول شديد او مرض يلحق شخصا فمالك والشافعي وجمهور الناس على سقوط الوجوب بهذه الاعذار وانه ليس بسبيل يستطاع قال ابن عطية وذكر صاحب الاستظهار في هذا المعنى كلاما ظاهره ان الوجوب لا يسقط بشي من هذه الاعذار وهذا ضعيف قلت واضعف من ضعيف وقد مضى في البقرة بيانه والفج الطريق الواسعة والجمع فجاج وقد مضى في الانبيا والعميق معناه البعيد وقراة الجماعة ياتين وقرا اصحاب عبد الله ياتون وهذا للركبان وياتين للجمال كانه قال وعلى ابل ضامرة ياتين من كل فج عميق اي بعيد ومنه بير عميقة اي بعيدة القعر ومنه وقاتم الاعماق خاوي المخترق السابعة واختلفوا في الواصل الى البيت هل يرفع يديه عند رؤيته ام لا فروى ابو داود قال سيل جابر بن عبد الله عن الرجل يرى البيت ويرفع يديه فقال ما كنت ارى ان احدا يفعل هذا الا اليهود وقد حججنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يفعله وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ترفع الايدي في سبع مواطن افتتاح الصلاة واستقبال البيت والصفا والمروة والموقفين والجمرتين والى حديث ابن عباس هذا ذهب الثوري وابن المبارك واحمد واسحاق وضعفوا حديث جابر لان مهاجرا المكي راويه مجهول وكان ابن عمر يرفع يديه عند رؤية البيت وعن ابن عباس مثله قوله تعالى ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله الى قوله بالبيت العتيق فيه ثلاث وعشرون مسألة الاولى قوله تعالى ليشهدوا اي اذن بالحج ياتوك رجالا وركبانا ليشهدوا اي ليحضروا والشهود الحضور ومنافع لهم اي المناسك كعرفات والمشعر الحرام وقيل المغفرة وقيل التجارة وقيل هو عموم اي ليحضروا منافع لهم اي ما يرضي الله تعالى من امر الدنيا والاخرة قاله مجاهد وعطا واختاره ابن العربي فانه يجمع ذلك كله من نسك وتجارة ومغفرة ومنفعة دنيا واخرى ولا خلاف في

ان

ان المراد بقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم التجارة الثانية ويذكروا اسم الله في ايام معلومات قد مضى في البقرة الكلام في الايام المعلومات والمعدودات والمراد بذكر اسم الله ذكر التسمية عند الذبح والنحر مثل قولك بسم الله والله اكبر اللهم منك ولك ومثل قولك عند الذبح ان صلاتي ونسكي الاية وكان الكفار يذبحون على اسما اصنامهم فبين الرب ان الواجب الذبح على اسم الله وقد مضى في الانعام الثالثة واختلف العلما في وقت الذبح يوم النحر فقال مالك بعد صلاة الامام وذبحه الا ان يوخر تاخيرا يتعدى فيه فيسقط الاقتدا وراعى ابو حنيفة الفراغ من الصلاة دون ذبح والشافعي دخول وقت الصلاة هذه رواية المزني عنه وهو قول الطبري وذكر الربيع في البويطي قال قال الشافعي ولا يذبح احد حتى يذبح الامام الا ان يكون ممن لا يذبح فاذا صلى وفرغ من الخطبة حل الذبح وهذا كقول مالك وقال احمد اذا انصرف الامام فاذبح وهو قول ابراهيم واصح هذه الاقوال قول مالك لحديث جابر بن عبد الله قال صلى بنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر بالمدينة فتقدم رجال فنحروا وظنوا ان النبي صلى الله عليه وسلم قد نحر فامر النبي صلى الله عليه وسلم من كان نحر ان يعيد بنحر اخر ولا ينحروا حتى ينحر النبي صلى الله عليه وسلم خرجه مسلم والترمذي وقال وفي الباب عن جابر وجندب وانس وعويمر ابن اشقر وابن عمر وابي زيد الانصاري وهذا حديث حسن صحيح والعمل على هذا عند اهل العلم ان لا يضحي بالمصر حتى يصلي الامام وقد احتج ابو حنيفة بحديث البرا وفيه ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه واصاب سنة المسلمين خرجه مسلم ايضا فعلق الذبح على الصلاة ولم يذكر الذبح وحديث جابر يقيده وكذلك حديث البرا ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر فمن فعل ذلك فقد اصاب سنتنا الحديث وقال ابو عمر ابن عبد البر لا اعلم اختلافا بين العلما ان من ذبح قبل الصلاة وكان من اهل المصر انه غير مضح لقوله عليه السلام من ذبح قبل الصلاة فتلك شاة لحم الرابعة واما اهل البوادي ومن لا امام له فمشهور مذهب مالك يتحرى وقت ذبح الامام او اقرب الايمة اليه وقال ربيعة وعطا فيمن لا امام له ان ذبح قبل طلوع الشمس لم يجزه ويجزيه ان ذبح بعده وقال اهل الراي يجزيهم من بعد الفجر وهو قول ابن المبارك ذكره عنه الترمذي وتمسكوا بقوله تعالى ليذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام فاضاف النحر الى اليوم وهل اليوم من طلوع الفجر او من طلوع الشمس قولان ولا خلاف انه لا يجزي ذبح الاضحية قبل طلوع الفجر من يوم النحر الخامسة واختلفوا كم ايام النحر فقال مالك ثلاثة يوم النحر ويومان بعده وبه قال ابو حنيفة والثوري واحمد ابن حنبل وروي ذلك عن ابي هريرة وانس ابن مالك من غير اختلاف عنهما وقال الشافعي اربعة يوم النحر وثلاثة بعده وبه قال الاوزاعي وروي ذلك عن علي رضي الله عنه وابن عباس وابن عمر وروي عنهم ايضا مثل قول مالك واحمد وقيل هو يوم النحر خاصة وهو العاشر من ذي الحجة روي عن ابن سيرين وعن سعيد ابن جبير وجابر ابن زيد انهما قالا النحر في الامصار يوم واحد وفي منى ثلاثة ايام وعن الحسن البصري في ذلك ثلاث روايات احداها كما قال مالك والثانية كما قال الشافعي والثالثة الى اخر يوم من ذي الحجة فاذا اهل هلال المحرم فلا اضحى قلت وهو قول سليمان بن يسار وابي سلمة بن عبد الرحمن ورويا حديثا مرسلا مرفوعا خرجه الدارقطني الضحايا الى هلال ذي الحجة ولم يصح ودليلنا قوله تعالى في ايام معلومات الاية وهذا جمع قلة لكن المتيقن منه الثلاثة وما بعد الثلاثة غير متيقن فلا يعمل به قال ابو عمر ابن عبد البر اجمع العلما على ان يوم النحر يوم اضحى واجمعوا ان لا اضحى بعد انسلاخ ذي الحجة ولا يصح عندي في هذه الا قولان احدهما قول مالك والكوفيين والاخر قول الشافعي والشاميين وهذان القولان مرويان عن الصحابة فلا معنى للاشتغال بما خالفهما لان ما خالفهما لا اصل له في السنة ولا في قول الصحابة وما خرج عن هذين فمتروك لهما وقد روي عن قتادة قول سادس وهو ان الاضحى يوم النحر وستة ايام بعده وهذا ايضا خارج عن قول الصحابة فلا معنى له السادسة واختلفوا في ليالي النحر هل تدخل مع الايام فيجوز فيها الذبح او لا فروي عن مالك في المشهور انها لا تدخل فلا يجوز الذبح بالليل

وعليه جمهور اصحابه واصحاب الراي لقوله تعالى ويذكروا اسم الله في ايام فذكر الايام وذكر
الايام دليل على ان الذبح في الليل لا يجوز وقال ابو حنيفة والشافعي واحمد واسحاق وابو
ثور الليالي داخلة في الايام ويجزي الذبح فيها وروي عن مالك واشهب نحوه ولاشهب
تفريق بين الهدي والضحية فاجاز الهدي ليلا ولم يجز الضحية ليلا السابعة قوله تعالى
على ما رزقهم اي على ذبح ما رزقهم من بهيمة الانعام هي الانعام هنا الابل والبقر والغنم
وبهيمة الانعام هي الانعام فهو كقولك صلاة الاولى ومسجد الجامع الثامنة فكلوا منها امر معناه
الندب عند الجمهور ويستحب للرجل ان ياكل من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثر مع تجويزهم
الصدقة بالكل واكل الكل وشذت طايفة فاوجبت الاكل والاطعام بظاهر الامر ولقوله عليه
السلام فكلوا وادخروا وتصدقوا قال الكيا قوله فكلوا منها واطعموا يدل على انه لا يجوز بيع جميعه
ولا التصدق بجميعه التاسعة دما الكفارات لا ياكل منها اصحابها ومشهور مذهب مالك انه لا
ياكل من ثلاث جزا الصيد ونذر المساكين وفدية الاذى وياكل ما سوى ذلك اذا بلغ محله واجبا
كان او تطوعا ووافقه على ذلك جماعة من السلف وفقها الامصار العاشرة فان اكل مما منع منه فهل
يغرم قدر ما اكل او يغرم هديا كاملا قولان في مذهبنا وبالاول قال ابن الماجشون قال ابن
العربي وهو الحق لا شي عليه غيره وكذلك لو نذر هديا للمساكين فياكل منه بعد ان بلغ محله
لا يغرم الا ما اكل خلافا للمدونة لان النحر قد وقع والتعدي انما هو على اللحم فيغرم قدر ما تعدى
فيه قوله تعالى وليوفوا نذورهم يدل على وجوب اخراج النذر وان كان دما او هديا او غيره
ويدل ذلك على ان النذر لا يجوز ان ياكل منه وفاء بالنذر وكذلك جزاء الصيد وفدية الاذى
لان المطلوب ان ياتي به كاملا من غير نقص لحم ولا غيره فان اكل من ذلك كان عليه هدي
كامل والله اعلم الحادية عشر هل يغرم قيمة اللحم او يغرم طعاما ففي كتاب محمد عن عبد الملك انه
يغرم طعاما والاول اصح لان الطعام انما هو في مقابلة الهدي كله عند تعذره عبادة وليس
حكم التعدي حكم العبادة الثانية عشر فان عطب من هذا الهدي المضمون الذي هو جزا الصيد
وفدية الاذى ونذر المساكين شي قبل محله اكل منه صاحبه واطعم منه الاغنيا والفقرا ومن احب
ولا يبيع من لحمه ولا جلده ولا من قلايده شيا قال اسماعيل ابن اسحاق لان الهدي المضمون اذا
عطب قبل ان يبلغ محله كان عليه بدله ولذلك جاز له ان ياكل منه صاحبه ويطعم واذا عطب
الهدي التطوع قبل ان يبلغ محله لم يجز ان ياكل منه ولا يطعم لانه لم يكن عليه بدله خيف ان
يفعل ذلك بالهدي وينحر من غير ان يعطب فاحتيط على الناس وبذلك مضى العمل وروى
ابو داود عن ناجية الاسلمي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث معه بهدي وقال
ان عطب منها شي فانحره ثم اصبغ نعله في دمه ثم خل بينه وبين الناس ولهذا الحديث
قال مالك والشافعي في احد قوليه واحمد واسحاق وابو ثور واصحاب الراي ومن اتبعهم
في الهدي التطوع لا ياكل منها سايقها شيا ويخلي بينها وبين الناس ياكلونها وفي صحيح مسلم
ولا تاكلها انت ولا احد من اهل رفقتك وبظاهر هذا النهي قال ابن عباس والشافعي في
قوله الاخر واختاره ابن المنذر فقالا لا ياكل منها ولا سايقها ولا احد من اهل رفقته لا يوجد
الا في حديث ابن عباس وليس ذلك في حديث هشام بن عروة عن ابيه عن ناجية وهو
عندنا اصح من حديث ابن عباس وعليه العمل عند الفقها ويدخل في قوله عليه السلام خل
بينها وبين الناس اهل رفقته وغيرهم وقال الشافعي وابو ثور ما كان من الهدي اصله
واجبا فلا ياكل منه وما كان تطوعا ونسكا اكل منه واهدى وادخر وتصدق والمتعة
والقران عنده نسك ونحوه مذهب الاوزاعي وقال ابو حنيفة واصحابه ياكل من هدي
المتعة والتطوع ولا ياكل مما سوى ذلك مما وجب بحكم الاحرام وحكي عن مالك لا ياكل من دم
الفساد وعلى قياس هذا لا ياكل من دم الجبر كقول الشافعي والاوزاعي وتمسك مالك
بان جزاء الصيد جعله الله للمساكين بقوله تعالى او كفارة طعام مساكين وقال في فدية
الاذى ففدية من صيام او صدقة او نسك وقال صلى الله عليه وسلم لكعب ابن عجرة
اطعم ستة مساكين مدين لكل مسكين او صم ثلثة ايام او انسك بشاة ونذر المساكين
مصرح به واما غير ذلك من الهدايا فهو باق على اصل قوله والبدن جعلناها لكم من شعاير

الله

الله الى قوله فكلوا منها وقد اكل النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه من الهدي الذي جا
به وشربا من مرقه وكان عليه السلام قارنا في اصح الاقوال والروايات فكان هديه على هذا واجبا
فما تعلق به ابو حنيفة غير صحيح والله اعلم وانما اذن الله سبحانه في الاكل من الهدايا لاجل ان العرب
كانت لا ترى ان تاكل من نسكها فامر الله سبحانه نبيه عليه السلام بمخالفتهم فلا جرم كذلك شرع
وبلغ وكذلك فعل حين اهدى واحرم صلى الله عليه وسلم فكلوا منها قال بعض العلما قوله تعالى فكلوا
منها ناسخ لفعلهم لانهم كانوا يحرمون لحوم الضحايا على انفسهم ولا ياكلون منها كما قلناه في الهدايا فنسخ
الله ذلك بقوله فكلوا منها وبقول النبي صلى الله عليه وسلم من ضحى فلياكل من ضحيته ولانه عليه السلام
اكل من اضحيته وهديه وقال الزهري من السنة ان ياكل اولا من الكبد الرابعة عشر ذهب اكثر العلما
الى انه يستحب ان يتصدق بالثلث ويطعم الثلث وياكل هو واهله الثلث وقال ابن القاسم
عن مالك ليس عندنا في الضحايا قسم معلوم موصوف قال مالك في حديثه وبلغني عن ابن مسعود
وليس عليه العمل روى الصحيح وابو داود قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة ثم قال يا ثوبان
اصلح لحم هذه الشاة قال فما زلت اطعمه منها صلى الله عليه وسلم حتى قدم المدينة وهذا نص في
الغرض واختلف قول الشافعي فمرة قال ياكل النصف ويتصدق بالنصف لقوله تعالى فكلوا منها
واطعموا البايس الفقير فذكر شخصين وقال مرة ياكل ثلثا ويهدي ثلثا ويطعم ثلثا لقوله تعالى
فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر فذكر ثلاثة الخامسة عشر المسافر مخاطب بالاضحية كما يخاطب
بها الحاضر اذ الاصل عموم الخطاب بها وهو قول كافة العلما وخالف في ذلك ابو حنيفة والنخعي
وروي عن علي والحديث حجة عليهم واستثنى مالك من المسافرين الحاج بمنى فلم ير عليه اضحية
وبه قال النخعي وروي ذلك عن الخليفتين ابي بكر وعمر وجماعة من السلف لان الحاج انما هو
مخاطب في الاصل بالهدي فاذا اراد ان يضحي جعله هديا والناس غير الحاج انما امروا بالاضحية
ليتشبهوا باهل منى فيحصل لهم حظ من اجرهم السادسة عشر اختلف العلما في الادخار على اربعة
اقوال روي عن علي وابن عمر رضي الله عنهما من وجه صحيح انه لا يدخر من الضحايا بعد ثلاث
وروياه عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي وقالت جماعة ما روي من النهي عن الادخار
منسوخ فيدخر الى اي وقت احب وبه قال ابو سعيد الخدري وبريدة الاسلمي وقالت فرقة
يجوز الاكل منها مطلقا وقالت طايفة ان كانت بالناس حاجة اليها فلا يدخر لان النهي انما
كان لعلة وهي قوله عليه السلام انما نهيتكم من اجل الدافة التي دفت ولما ارتفعت ارتفع المنع
المتقدم لارتفاع موجبه لا لانه منسوخ وتنشا هنا مسيلة اصولية وهي السابعة عشر وهي
الفرق بين رفع الحكم بالنسخ ورفعه لارتفاع علته اعلم ان المرفوع بالنسخ لا يحكم به ابدا والمرفوع
لارتفاع علته يعود الحكم لعود العلة فلو قدم على اهل بلدة ناس محتاجون في زمان الاضحى
ولم يكن عند اهل ذلك البلد سعة يسدون بها فاقتهم الا الضحايا لتعين عليهم الا يدخروها
فوق ثلاث كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم الثامنة عشر الاحاديث الواردة في هذا الباب بالمنع
والاباحة صحاح ثابتة وقد جا المنع والاباحة معا كما هو منصوص في حديث عايشة وسلمة
ابن الاكوع وابي سعيد الخدري رواها الصحيح وروى الصحيح عن ابي عبيد مولى ابن ازهر
انه شهد العيد مع عمر ابن الخطاب قال ثم صليت العيد مع علي بن ابي طالب قال فصلى لنا
قبل الخطبة ثم خطب الناس فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نهاكم ان تاكلوا لحوم
نسككم فوق ثلاث ليال فلا تاكلوها وروي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
نهى ان توكل لحوم الاضاحي فوق ثلاث وروى ابو داود عن نبيشة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انا كنا نهيناكم عن لحومها فوق ثلاث لكي تسعكم جا الله بالسعة فكلوا وادخروا
واتجروا الا وان هذه الايام ايام اكل وشرب وذكر لله عز وجل قال ابو جعفر النحاس وهذا
القول احسن ما قيل في هذا حتى تتفق الاحاديث ولا تتضاد ويكون قول امير المومنين علي
ابن ابي طالب وعثمان رحمهما الله محصور لان الناس كانوا في شدة محتاجون ففعل كما فعل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدمت الدافة والدليل على هذا ما حدثنا ابراهيم ابن شريك
قال ثنا احمد قال ثنا ليث قال حدثنا الحارث بن يعقوب عن يزيد بن ابي يزيد عن امراته
انها سالت عايشة عن لحوم الاضاحي فقالت قدم علينا علي بن ابي طالب من سفر فقدمنا اليه

منه فأبى أن يأكل حتى يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله فقال كل من ذي الحجة إلى
ذي الحجة وقال الشافعي من قال بالنهي عن الادخار ومن قال بالنهي والرخصة سمعهما جميعا
فعمل بمقتضاهما والله أعلم وسيأتي في سورة الكوثر الاختلاف في وجوب الأضحية وندبيتها
وأنها ناسخة لكل ذبح تقدمها إن شاء الله تعالى التاسعة عشر قوله تعالى وأطعموا البائس
الفقير المفترض صفة البائس وهو الذي ناله البؤس وشدة الفقر فقال بئس يبأس بأسا
إذا افتقر فهو بائس وقد يستعمل فيمن نزلت به نازلة دهر وإن لم يكن فقيرا ومنه قوله عليه السلام
لكن البائس سعد ابن خولة ويقال رجل بئيس أي شديد وقد بؤس بأسا إذا اشتد ومنه
قوله وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أي شديد وكلما كان التصدق بلحم الأضحية أكثر
كان الأجر أوفر وفي القدر الذي يجوز أكله خلاف وقد ذكرناه فقيل النصف لقوله فكلوا وأطعموا
وقيل الثلثان لقوله ألا فكلوا وادخروا واتجروا أي اطلبوا الأجر بالإطعام واختلف في الأكل
والإطعام فقيل واجبان وقيل مستحبان وقيل بالفرق بين الأكل والإطعام فالأكل مستحب
والإطعام واجب وهو قول الشافعي الموفية عشرين قوله تعالى ثم ليقضوا تفثهم أي ثم ليقضوا
بعد نحر الضحايا والهدايا ما بقي عليهم من أمر الحج كالحلق ورمي الجمار وإزالة شعث ونحوه
قال ابن عرفة أي ليزيلوا عنهم أدرانهم وقال الأزهري التفث الأخذ من الشارب وقص
الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة وهذا عند الخروج من الإحرام وقال النضر ابن شميل
التفث في كلام العرب لا يعرف إلا من قول ابن عباس وأهل التفسير وقال الحسن هو إزالة
قشف الإحرام وقيل التفث مناسك الحج كله رواه ابن عمر وابن عباس قال ابن العربي
لو صح عنهما لكان حجة لشرف الصحبة والإحاطة باللغة قال وهذه اللفظة غريبة لم يجد
أهل العربية فيها شعرا ولا أحاطوا بها خبرا لكني تتبعت لغة فرأيت أبا عبيدة معمر ابن المثنى
قال إنه قص الأظفار وأخذ الشارب وكل ما يحرم على المحرم إلا النكاح قال ولم يجي فيه
شعر يحتج به وقال صاحب العين التفث هو الرمي والحلق والتقصير والذبح وقص
الأظفار والشارب والإبط وذكر الزجاج والفراء نحوه ولا أراه أخذوه إلا من قول العلماء
وقال قطرب تفث الرجل إذا كثر وسخه قال أمية ابن أبي الصلت حفوا رؤسهم لم يحلقوا تفثا
ولم يسلوا لهم قملا وصيبانا وما أشار إليه قطرب هو الذي قاله ابن وهب عن مالك وهو
الصحيح في التفث وهذه صورة إلقاء التفث لغة وأما حقيقته الشرعية فإذا نحر الحاج
أو المعتمر هديه وحلق رأسه وأزال وسخه وتطهر وتنقى ولبس فقد أزال تفثه ووفى نذره
والنذر ما لزم الإنسان والتزمه قلت ما حكاه عن قطرب وذكر من الشعر قد ذكرناه في تفسير
الماوردي وذكر بيتا آخر فقال • قضوا تفثا ونحبا ثم ساروا • إلى نجد وما انتظروا عليا •
وقال الثعلبي وأصل التفث في اللغة الوسخ تقول العرب للرجل تستقذره ما أتفثك أي
ما أوسخك وأقذرك قال أمية بن أبي الصلت •

• ساخين آباطهم لم يقذفوا تفثا • وينزعوا عنهم قملا وصيبانا •

الماوردي قيل لبعض الصلحاء ما المعنى في شعث المحرم قال ليشهد الله منك الإعراض عن العناية
بنفسك فيعلم صدقك في بذلها لطاعته الحادية والعشرون وليوفوا نذورهم أمروا بوفاء النذر
مطلقا إلا ما كان معصية لقوله عليه السلام لا وفاء لنذر في معصية الله وقوله من نذر
أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصيه فلا يعصه وليطوفوا بالبيت العتيق الطواف
المذكور في هذه الآية طواف الإفاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري لا خلاف
بين المتأولين في ذلك الثانية والعشرون للحج ثلاثة أطواف طواف القدوم وطواف
الإفاضة وطواف الوداع قال إسماعيل بن إسحاق طواف القدوم سنة وهو ساقط
عن المراهق وعن المكي وعن كل من يحرم بالحج من مكة قال والطواف الواجب الذي لا يسقط
بوجه من الوجوه هو طواف الإفاضة الذي يكون بعد عرفة قال الله تعالى ثم ليقضوا
تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق قال فهذا هو الطواف المفترض في كتاب
الله عز وجل وهو الذي يحل به الحاج من إحرامه كله قال الحافظ أبو عمر ما ذكره إسماعيل
في طواف الإفاضة هو قول مالك عند أهل المدينة وهي رواية ابن وهب وابن نافع وأشهب

عنه وهو قول جمهور أهل العلم من فقهاء أهل الحجاز والعراق وقد روى ابن القاسم في غير
موضع من المدونة ورواه أيضا عن مالك الطواف الواجب طواف القادم مكة قال ومن نسي
الطواف في حين دخوله مكة أو نسي شوطا منه أو نسي السعي أو شوطا منه حتى يرجع إلى بلده
ثم ذكر فإن لم يكن أصاب النساء رجع إلى مكة حتى يطوف بالبيت ويركع ويسعى بين الصفا والمروة
ثم يهدي وإن أصاب النساء رجع فطاف وسعى ثم اعتمر وأهدى وهذا كقوله فيمن نسي طواف
الإفاضة سواء فعلى هذه الرواية الطوافان جميعا واجبان والسعي أيضا وأما طواف الصدر
وهو المسمى بطواف الوداع فروى ابن القاسم وغيره عن مالك فيمن طاف طواف الإفاضة على
غير وضوء أنه يرجع من بلده فيفيض إلا أن يكون تطوع بعد ذلك وهذا مما أجمع عليه مالك
وأصحابه وأنه يجزيه تطوعه عن الواجب المفترض عليه من طوافه وكذلك أجمعوا أن من فعل
في حجه شيئا تطوع به من عمل الحج وذلك الشيء واجب في الحج قد جاز وقته فإن تطوعه ذلك يصير
للواجب لا للتطوع بخلاف الصلاة فإذا كان التطوع ينوب عن الفرض في الحج كان الطواف
لدخول مكة أحرى أن ينوب عن طواف الإفاضة إلا أن إسماعيل وغيره وهو من مذهب ابن
القاسم لا ينوب عندهم عن طواف الإفاضة إلا ما كان من الطواف بعد رمي جمرة العقبة يوم
النحر أو بعده للوداع ورواية ابن عبد الحكم عن مالك بخلاف ذلك لأن فيها أن طواف الدخول
مع السعي ينوب عن طواف الإفاضة لمن رجع إلى بلده مع الهدي كما ينوب طواف الإفاضة مع
السعي لمن لم يطف ولم يسع حين دخوله مكة مع الهدي أيضا عن طواف القدوم ومن قال هذا قال
إنما قيل لطواف الدخول واجب ولطواف الإفاضة واجب لأن بعضهما ينوب عن بعض ولأنه قد
روي عن مالك أنه يرجع من نسي أحدهما من بلده على ما ذكرناه ولأن الله عز وجل لم يفترض على
الحاج إلا طوافا واحدا بقوله وأذن في الناس بالحج وقال في سياقة الآية وليطوفوا بالبيت
العتيق والواو عندهم في هذه الآية وغيرها لا توجب رتبة إلا بتوقيف وأسند الطبري
عن عمرو بن أبي سلمة قال سألت زهيرا عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو
طواف الوداع وهذا يدل على أنه واجب وهو أحد قولي الشافعي لأنه عليه السلام رخص للحائض
أن تنفر دون أن تطوفه ولا يرخص إلا في الواجب الثالثة والعشرون اختلف المتأولون في
وجه صفة البيت بالعتيق فقال مجاهد والحسن العتيق القديم يقال سيف عتيق وقد عتق
أي قدم وهذا قول يعضده النظر وفي الصحيح أنه أول مسجد وضع في الأرض وقيل عتيقا لأن
الله أعتقه من أن يتسلط عليه جبار بالهوان إلى انقضاء الزمان قال معناه ابن الزبير ومجاهد
وفي الترمذي عن عبد الله ابن الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما سمي البيت
العتيق لأنه لم يظهر عليه جبار قال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلا فإن ذكر ذاكر الحجاج ابن يوسف ونصبه المنجنيق على الكعبة حتى كسرها قيل له إنما أعتقها
عن كفار الجبابرة لأنهم إذا أتوا بأنفسهم متمردين ولحرمة البيت غير معتقدين وقصدوا الكعبة
بالسوء فعصمت منهم ولم تنلها أيديهم كان ذلك دلالة على أن الله عز وجل صرفهم عنها قسرا فأما
المسلمون الذين اعتقدوا حرمتها فإنهم إن كفوا عنها لم يكن في ذلك من الدلالة على منزلتها عند
الله مثل ما يكون منها في كف الأعداء فقصر الله تعالى هذه الطائفة على الكف بالنهي والوعيد
ولم يتجاوزه إلى الصرف بالإلجاء والاضطرار وجعل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وقالت
طائفة سمي عتيقا لأنه لم يملك موضعه قط وقالت فرقة سمي عتيقا لأنه أعتق من غرق
الطوفان قاله ابن جبير وقيل العتيق الكريم والعتق الكرم قال طرفة يصف أذن الفرس

• ومؤللتان تعرف العتق فيهما • كسامعتي مذعورة وسط ربرب •

كذا ذكره الشيخ طرفة المعروف أنه لامرئ القيس أوله أو ثان وعتق الرقيق الخروج من ذل
الرق إلى كرم الحرية ويحتمل أن يكون العتيق صفة مدح تقتضي جودة الشيء كما قال عمر حملت
على فرس عتيق الحديث والقول الأول أصح للنظر والحديث الصحيح قال مجاهد خلق الله البيت
قبل الأرض بألفي عام وسمي عتيقا لهذا والله أعلم قوله تعالى ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو
خير له إلى قوله سحيق فيه ثمان مسائل الأولى قوله تعالى ذلك ذلك أن يحتمل أن يكون في موضع
رفع بتقدير فرضكم ذلك أو الواجب ذلك ويحتمل أن يكون في موضع نصب بتقدير امتثلوا ذلك

وبحو هذه الاشارة البليغة قول زهير ٭
٭ هذا وليس كمن يعيى بخطبته ٭ وسط الندا اذا ما قايل نطقا ٭

والحرمات ومقصوده هنا هي افعال الحج المشار اليها في قوله ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم ويدخل في ذلك تعظيم المواضع قاله ابن زيد وغيره وجمع ذلك ان تقول الحرمات امتثال الامر من فرايضه وسننه وقوله فهو خير له عند ربه اي التعظيم خير من خيرات ينتفع به وليست للتفضيل وانما هو عدة بخير الثانية قوله تعالى واحلت لكم اي بهيمة الانعام ان تاكلوها وهي الابل والبقر والغنم الا ما يتلى عليكم اي في الكتاب من المحرمات وهي الميتة والموقوذة واخواتها ولهذا اتصال بامر الحج فان في الحج الذبح فبين ما يحل ذبحه واكل لحمه وقيل الا ما يتلى عليكم غير محل الصيد وانتم حرم الثالثة قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان الرجس الشي القذر والوثن التمثال من خشب او حديد او ذهب او فضة ونحوها وكانت العرب تنصبها وتعبدها والنصارى تنصب الصليب وتعبده وتعظمه فهو كالتمثال ايضا وقال عدي ابن حاتم اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال الق هذا الوثن عنك اي الصليب واصله من وثن الشي اي اقام في مقامه وسمي الصنم وثنا لانه ينصب ويركز في مكانه فلا يبرح عنه يريد اجتنبوا عبادة الاوثان روي عن ابن عباس وابن جريج وسماها رجسا لانها سبب الرجز وهو العذاب وقيل وصفها بالرجس والرجس النجس فهي نجسة حكما وليست النجاسة وصفا ذاتيا للاعيان وانما هي وصف شرعي من احكام الايمان فلا تزال الا بالايمان كما لا يجوز الطهارة الا بالماء الرابعة من في قوله من الاوثان قيل انها لبيان الجنس فيقع نهيه عن رجس الاوثان فقط ويبقى ساير الارجاس نهيها في غير هذا الموضع ويحتمل ان تكون لابتداء الغاية فكانه نهاهم عن الرجس عاما ثم عين لهم مبداه الذي منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ومن قال ان من للتبعيض قلب معنى الاية وافسده الخامسة قوله تعالى واجتنبوا قول الزور والزور الباطل والكذب وسمي زورا لانه امثيل عن الحق ومنه تزاور عن كهفهم وهذ بيته زور اي مايله وكل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور وورد في الخبر انه عليه السلام قام خطيبا فقال عدلت شهادة الزور بالشرك بالله قالها مرتين او ثلاثا يعني انها قد جمعت مع عبادة الوثن في النهي عنها السادسة هذه الاية تضمنت الوعيد على الشهادة بالزور وينبغي للحاكم اذا عثر على الشاهد بالزور ان يعزره وينادي عليه ليعرف لئلا يغتر بشهادته احد ويختلف الحكم في شهادته اذا تاب فان كان من اهل العدالة المشهور بها المبرز فيها لا تقبل لانه لا سبيل الى علم حاله في التوبة اذ لا يستطيع ان يفعل من القربات اكثر مما هو عليه وان كان دون ذلك فشمر في العبادة وزادت حاله في التقى قبل شهادته وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان من اكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور وقول الزور وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكيا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت السابعة حنفا، معناه مستقيمين او مسلمين مايلين الى الحق ولفظ حنفا من الاضداد تقع على الاستقامة وتقع على الميل وحنفا نصب على الحال وقيل حنفا حجاجا وهذا تخصيص لا حجة معه الثامنة قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء اي هو يوم القيامة بمنزلة من لا يملك لنفسه نفعا ولا يدفع عن نفسه ومعنى فتخطفه الطير اي تقطعه بمخالبها وقيل هذا عند خروج روحه وصعود الملايكة بها الى السما الدنيا فلا يفتح لها فيرمى بها الى الارض كما في حديث البرا وقد ذكرناه في التذكرة والسحيق البعيد ومنه قوله تعالى فسحقا لاصحاب السعير وقوله عليه السلام فسحقا فسحقا قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعاير الله الاية فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ذلك فيه ثلاثة اوجه قيل يكون في موضع رفع على خبر ابتدا اي ذلك امر الله ويجوز ان يكون في موضع رفع على خبر ابتدا محذوف ويجوز ان يكون في موضع نصب اي اتبعوا ذلك الثانية قوله تعالى ومن يعظم شعاير الله الشعاير جمع شعيرة وهو كل شي لله تعالى فيه امر اشعر به واعلم ومنه شعار القوم في الحرب اي علامتهم التي يتعارفون بها ومنه اشعار البدنة وهو الطعن في جانبها الايمن حتى يسيل الدم فيكون علامة فهي تسمى شعيرة بمعنى المشعورة فشعاير الله اعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك وقال قوم المراد هنا تسمين البدن والاهتبال بامرها والمغالاة بها قاله ابن عباس ومجاهد وجماعة وفيه اشارة لطيفة وذلك

ان اصل شرا البدن انما يحمل على فعل ما لا بد منه فلا يدل على الاخلاص فاذا عظمها مع حصول الاجزا بما دونه فلا يظهر له عمل الا تعظيم الشرع وهو من تقوى القلوب والله اعلم الثالثة الضمير في انها عايد على الفعلة التي يتضمنها الكلام ولو قال فانه لجاز وقيل انها راجعة الى الشعاير اي فان تعظيم الشعاير فحذف المضاف لدلالة الكلام عليه فرجعت الكناية الى الشعاير الرابعة قوله تعالى فانها من تقوى القلوب فقرى القلوب بالرفع على انها فاعلة بالمصدر الذي هو تقوى واضاف الى القلب لان حقيقة التقوى في القلب ولهذا قال عليه السلام في صحيح الحديث التقوى هاهنا واشار الى صدره الخامسة قوله تعالى لكم فيها منافع يعني البدن من الركوب والدر والنسل والصوف وغير ذلك اذا لم يبعثها ربها هديا فاذا بعثها فهو الاجل المسمى قاله ابن عباس فاذا صارت بدنا هديا فالمنافع فيها ايضا ركوبها عند الحاجة وشرب لبنها بعد ري فصيلها وفي الصحيح عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال انها بدنة قال اركبها قال انها بدنة قال اركبها ويلك في الثانية او في الثالثة وروي عن جابر بن عبد الله وسيل عن ركوب الهدي فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول اركبها بالمعروف اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا والاجل المسمى على هذا القول نحرها قاله عطا ابن ابي رباح السادسة ذهب بعض العلما الى وجوب ركوب البدنة لقوله عليه السلام اركبها وممن اخذ بظاهره احمد واسحاق واهل الظاهر وروى ابن نافع عن مالك لا باس بركوب البدنة ركوبا غير فادح والمشهور انه لا يركبها الا ان اضطر اليها لحديث جابر فانه مقيد والمقيد يقضي على المطلق وبنحو ذلك قال الشافعي وابو حنيفة ثم اذا ركبها عند الحاجة نزل قاله اسماعيل القاضي وهو الذي يدل عليه مذهب مالك وهو خلاف ما ذكره ابو القسم انه لا يلزمه النزول وحجته اباحة النبي صلى الله عليه وسلم له الركوب فجاز له استصحابه وقوله اذا الجيت اليها حتى تجد ظهرا يدل على صحة ما قاله الشافعي وابو حنيفة وما حكاه اسماعيل عن مذهب مالك وقد جا صريحا ان النبي صلى الله عليه وسلم راى رجلا يسوق بدنة وقد جهد فقال اركبها وقال ابو حنيفة والشافعي ان نقصها الركوب المباح فعليه قيمة ذلك ويتصدق به السابعة قوله تعالى ثم محلها الى البيت العتيق يريد انها تنتهي الى البيت وهو الطواف فقوله محلها ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ان شعاير الحج كلها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي ينتهي الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التاويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطا وقال عطا ينتهي الى مكة وقال الشافعي الى الحرم وهذا بنا على ان الشعاير هي البدن ولا وجه لتخصيص الشعاير مع عمومها والغا خصوصية ذكر البيت والله اعلم قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا الاية لما ذكر تعالى الذبايح بين انه لم يخل منها امة والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد اي ولكل جماعة مومنة جعلنا منسكا والمنسك الذبح واراقة الدم قاله مجاهد يقال نسك اذا ذبح ينسك نسكا والذبيحة نسيكة وجمعها نسك ومنه قوله او صدقة او نسك والنسك ايضا الطاعة وقال الازهري في قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا انه يدل على موضع النحر في هذا الموضع اراد مكان نسك ويقال منسك ومنسك لغتان وقرى بهما قرى الكوفيون الا عاصما بكسر السين الباقون بفتحها وقال الفرا المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير او شر وقيل مناسك الحج لتردد الناس اليها وقال ابن عرفة في قوله ولكل امة جعلنا منسكا اي مذهبا من طاعة الله يقال نسك نسك قومه اذا سلك مذهبهم وقيل منسكا عيدا قاله الفرا وقيل حجا قاله قتادة والقول الاول اظهر لقوله تعالى ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام اي على ذبح ما رزقهم فامر تعالى عند الذبح بذكره وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم الى اخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم فكذلك الامر في الذبيحة انما ينبغي ان تخلص له قوله تعالى فله اسلموا معناه لحقه ولوجهه ولانعامه امنوا واسلموا ويحتمل ان يريد الاستسلام اي له اطيعوا وانقادوا قوله تعالى وبشر المخبتين المخبت المتواضع الخاشع من المومنين والخبت ما انخفض من الارض اي بشرهم بالثواب الجزيل قال عمرو بن اوس المخبتين الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقال مجاهد فيما روى عنه سفيان عن ابن ابي نجيح المخبتون المطمينون بامر الله عز وجل قوله تعالى الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وجلت اي خافت وحذرت مخالفته فوصفهم بالخوف والوجل عند ذكره وذلك لقوة يقينهم ومراعاتهم لربهم وكانهم بين

بديه ووصفهم بالصبر واقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الاية قوله تعالى وبشر
المخبتين نزلت في ابي بكر وعمر وعلي رضوان الله عليهم وقرا الجمهور الصلاة بالخفض على الاضافة
وقرا ابو عمرو الصلاةَ بالنصب على توهم النون وان حذفها للتخفيف لطول الاسم وانشد سيبويه
الحافظوا عورة العشيرة بالنصب الثانية هذه الاية نظير قوله تعالى انما المومنون الذين اذا ذكر
الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون وقوله تعالى الله نزل
احسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله هذه حالة العارفين بالله الخائفين من سطوته وعقوبته لا كما يفعله
جهال العوام والمبتدعة الطغاة من الزعيق والزئير ومن النهاق الذي يشبه نهاق الحمير
فيقال لمن تعاطى ذلك وزعم ان ذلك وجد وخشوع انك لم تبلغ ان تساوي حال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ولا حال اصحابه في المعرفة بالله تعالى والخوف منه والتعظيم لجلاله ومع
ذلك فكانت حالهم عند المواعظ الفهم عن الله والبكا خوفا من الله وكذلك وصف الله تعالى
احوال اهل المعرفة عند سماع ذكره وتلاوة كتابه ومن لم يكن كذلك فليس على هديهم ولا على
طريقتهم قال الله تعالى واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما
عرفوا من الحق يقولون ربنا امنا فاكتبنا مع الشاهدين فهذا وصف حالهم وحكاية مقالهم
ثم كان مستنا فليستن ومن تعاطى احوال المجانين والجنون فهو من اخسهم حالا والجنون
فنون روى الصحيح عن انس بن مالك ان الناس سالوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى احفوه
في المسالة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال سلوني لا تسالوني عن شي الا بينته لكم
ما دمت في مقامي هذا فلما سمع ذلك القوم ارموا ورهبوا ان يكون بين امر قد حضر قال
انس فجعلت التفت يمينا وشمالا فاذا كل انسان لاف راسه في ثوبه يبكي وذكر الحديث
وقد مضى القول في هذه المسالة باشبع من هذا في الانفال والحمد لله قوله تعالى والبدن
جعلناها لكم من شعاير الله فيها عشر مسايل الاولى قوله تعالى والبدن وقرا ابن اسحاق
والبدُن لغتان واحدتها بدنة كما يقال ثمرة وثمر وثُمُر وخشبة وخشب وخُشُب وفي التنزيل
وكان له ثمر وقرى ثمر لغتان وسميت بدنة لانها تبدن والبدانة السمن وقيل ان هذا
الاسم خاص بالابل وقيل البدن جمع بدن بفتح البا والدال ويقال بدن الرجل بضم الدال
اذا سمن وبدن بتشديدها اذا كبر واسن وفي الحديث اني قد بدنت اي كبرت واسننت
وروي بدُنت وليس له معنى لانه خلاف صفته صلى الله عليه وسلم ومعناه كثرة اللحم
يقال بدن الرجل يبدن بدنا وبدانة فهو بادن اي ضخم الثانية اختلف العلما في البدن
هل تطلق على غير الابل من البقر ام لا فقال ابن مسعود وعطا والشافعي لا وقال مالك وابو
حنيفة نعم وفايدة الخلاف فيمن نذر بدنة فلم يجد البدنة او لم يقدر عليها وقدر على البقرة
فهل تجزيه ام لا فعلى مذهب مالك تجزيه والصحيح ما ذهب اليه الشافعي وعطا لقوله
عليه السلام في الحديث الصحيح في يوم الجمعة من راح في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة
ومن راح في الساعة الثانية فكانما قرب بقرة الحديث فتفريقه عليه السلام بين البدنة والبقرة
يدل على ان البقرة لا يقال عليها بدنة والله اعلم وايضا قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يدل
على ذلك فان هذا الوصف خاص بالابل والبقر يضجع ويذبح كالغنم على ما ياتي ودليلنا
ان البدنة ماخوذة من البدانة وهو الضخامة والضخامة توجد فيهما جميعا والله اعلم
وايضا فان البقرة في التقرب الى الله تعالى باراقة الدم بمنزلة الابل حتى تجوز البقرة
في الضحايا عن سبعة كالابل وهذا حجة لابي حنيفة حيث وافقه الشافعي على ذلك وليس
ذلك في مذهبنا وحكى ابن شجرة انه يقال في الغنم بدنة وهو قول شاذ والبدن هي
الابل التي تهدى الى الكعبة والهدي عام في الابل والبقر والغنم الثالثة قوله تعالى
من شعاير الله نص في انها بعض الشعاير وقوله لكم فيها خير يريد به المنافع التي تقدم
ذكرها والصواب عمومه في خير الدنيا والاخرة الرابعة قوله تعالى فاذكروا اسم الله
عليها صواف اي انحروها على اسم الله وصواف اي قد صفت قوايمها والابل تنحر قياما معقولة
واصل هذا الوصف في الخيل يقال صفن الفرس فهو صافن اذا قام على ثلاث قوايم

وثني

وثني سنبك الرابعة والسنبك طرف الحافر والبعير اذا ارادوا نحره تعقل احدى يديه فيقوم
على ثلاث قوايم وقرا الحسن والاعرج ومجاهد وزيد بن اسلم وابو موسى الاشعري صوافي اي
خوالص لله عز وجل لا تشركون به في التسمية على نحرها احدا وعن الحسن ايضا صوافٍ بكسر الفا
وتنوينها مخففة وهي بمعنى التي قبلها لكن حذفت اليا تخفيفا على غير قياس صوافَّ قراة الجمهور
بفتح الفا وشدها من صف يصف وواحد صواف صافة وواحد صوافي صافية وقرا ابن مسعود
وابن عباس وابن عمر وابو جعفر محمد بن علي صوافن بالنون جمع صافنة ولا يكون واحدها
صافنا لان فاعلا لا يجمع على فواعل الا في حروف مختصة لا يقاس عليها وهي فارس وفوارس
وهالك وهوالك وخالف وخوالف والصافنة هي التي قد رفعت احدى يديها بالعقل لئلا
تضطرب ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد وقال عمرو بن كلثوم

تركنا الخيل عاكفة عليه • مقلدة اعنتها صفونا • وقال اخر
الف الصفون فما يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا •

وقال ابو عمر الجرمي الصافن عرق في مقدم الرجل فاذا ضرب على الفرس رفع رجله وقال الاعشى

وكل كميت كجذع السحوق • يرنو الفنا اذا ما صفن •

الخامسة قال ابن وهب اخبرني ابن ابي ذيب انه سال ابن شهاب عن الصواف فقال تقيدها
ثم تصفها وقال لي مالك بن انس مثله وكافة العلما على استحباب ذلك الا ابا حنيفة والثوري
فانهما اجازا ان تنحر باركة وقياما وشذ عطا فخالف واستحب نحرها باركة والصحيح ما عليه
الجمهور لقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها معناه سقطت بعد نحرها ومنه وجبت الشمس وفي صحيح
مسلم عن زياد بن جبير ان ابن عمر اتى على رجل وهو ينحر بدنته باركة فقال ابعثها قايمة مقيدة
سنة نبيكم صلى الله عليه وسلم وروى ابو داود عن ابي الزبير عن جابر واخبرني عبد الرحمن
ابن سابط ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا ينحرون البدنة معقولة اليسرى
قايمة على ما بقي من قوايمها السادسة قال مالك فان ضعف انسان او تخوف ان تنقلب بدنته فلا
ارى باسا ان ينحرها معقولة والاختيار ان تنحر الابل قايمة غير معقولة الا ان يتعذر ذلك فتعقل
ولا تعرقب الا ان يخاف ان يضعف عنها ولا يقوى عليها ونحرها باركة افضل من ان تعرقب وكان
ابن عمر ياخذ الحربة بيده في عنفوان ايده فينحرها في صدرها ويخرجها من سنامها فلما اسن كان
ينحرها باركة لضعفه ويمسك معه الحربة رجل واخر بخطامها السابعة ويضجع البقر والغنم
ولا يجوز النحر قبل الفجر من يوم النحر باجماع وكذلك الاضحية لا تجوز قبل الفجر فاذا طلع الفجر
حل النحر بمنى وليس عليهم انتظار نحر امامهم بخلاف الاضحية في ساير البلاد والمنحر منى
لكل حاج ومكة لكل معتمر ولو نحر الحاج بمكة والمعتمر بمنى لم يخرج واحد منهما ان شا الله الثامنة
قوله تعالى فاذا وجبت جنوبها يقال وجبت الشمس اذا سقطت ووجب الحايط اذا سقط

قال قيس ابن الخطيم • اطاعت بنو عوف اميرا نهاهم • عن السلم حتى كان اول واجب •

وقال ابن حجر الم تكسف الشمس البدر والكواكب للجبل الواجب فقوله تعالى فاذا وجبت جنوبها
يريد اذا سقطت على جنوبها ميتة كنى عن الموت بالسقوط على الجنب كما كنى عن النحر والذبح
بقوله تعالى فاذكروا اسم الله عليها والكنايات في اكثر المواضع ابلغ من التصريح قال الشاعر

فتركته جزر السباع ينشنه • ما بين قلة راسه والمعصم •

وقال • وضربت قرني كبشها فتجدلا • اي سقط مقتولا الى الجدالة وهي الارض

ومثله كثير والوجوب للجنب بعد النحر علامة نزول الدم وخروج الروح منها فهو وقت
الاكل اي وقت قرب الاكل لانها انما تبتدا بالسلخ وقطع شي من الذبيحة يطبخ ولا تسلخ حتى
تبرد لان ذلك من باب التعذيب ولهذا قال عمر رضي الله عنه لا تعجلوا الانفس ان تزهق التاسعة
قوله تعالى فكلوا منها امر معناه الندب وكل العلما يستحب ان ياكل الانسان من هديه وفيه اجر
وامتثال اذ كان اهل الجاهلية لا ياكلون من هديهم كما تقدم وقال ابو العباس ابن سريج الاكل
والاطعام مستحبان وله الاقتصار على ايهما شا وقال الشافعي الاكل مستحب والاطعام واجب
فان اطعم جميعها اجزاه وان اكل جميعها لم يجزه وهذا فيما كان تطوعا فاما واجبات الدما فلا
يجوز ان ياكل منها شيا حسب ما تقدم بيانه العاشرة قوله تعالى واطعموا القانع والمعتر

قال مجاهد وابراهيم والطبري قوله واطعموا امر اباحة والقانع السايل يقال قنع الرجل يقنع قنوعا اذا سال بفتح النون في الماضي وكسرها في المستقبل يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته ولم يسال مثل حمد يحمد قناعة وقنعا وقنعانا قاله الخليل ومن الاول قول الشماخ

• لمال المرء يصلحه فيغني • مفاقره اعف من القنوع •

وقال ابن السكيت من العرب من ذكر القنوع بمعنى القناعة وهي الرضى والتعفف وترك المسئلة وروي عن ابي رجا انه قرا واطعموا القنع ومعنى هذا مخالف الاول يقال قنع الرجل فهو قنع اذا رضي واما المعتر فهو الذي يطيف بك يطلب ما عندك سايلا كان او ساكتا وقال محمد بن كعب القرظي ومجاهد وابراهيم والكلبي والحسن بن ابي الحسن المعتر المعترض من غير سوال قال زهير • على مكثريهم رزق من يعتريهم • وعند المقلين السماحة والبذل •

وقال مالك احسن ما سمعت ان القانع الفقير والمعتر الزاير وروي عن الحسن انه قرا والمعتري ومعناه كمعنى المعتر يقال اعتره واعتراه وعره وعراه اذا تعرض لما عنده او طلبه ذكره النحاس قوله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماوها فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى لن ينال الله قال ابن عباس كان اهل الجاهلية يضرجون البيت بدما البدن فاراد المسلمون ان يفعلوا ذلك فنزلت الاية والنيل لا يتعلق بالباري تعالى ولكنه عبر عنه تعبيرا مجازيا عن القبول المعنى لن يصل اليه وقال ابن عباس لن يصعد اليه ابن عيسى لن يقبل لحومها ولا دماوها ولكن يصل اليه التقوى منكم اي ما اريد به وجهه فذلك الذي يقبله ويرفع اليه ويسمعه ويثيب عليه ومنه الحديث انما الاعمال بالنيات والقراة لن ينال الله بالياء فيهما وعن يعقوب بالتاء فيهما نظرا الى اللحوم الثانية قوله تعالى كذلك سخرها لكم من سبحانه علينا بتذليلها وتمكيننا من تصريفها وهي اعظم منا ابدانا واقوى منا اعضا ذلك ليعلم العبد ان الامور ليست على ما يظهر الى العبد من التدبير وانما هي بحسب ما يدبرها العزيز القدير فيغلب الصغير الكبير ليعلم الخلق ان الغالب هو الله الواحد القهار فوق عباده الثالثة قوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم ذكر سبحانه ذكر اسمه عليها في الاية قبلها فقال فاذكروا اسم الله عليها وذكر هنا التكبير وكان ابن عمر يجمع بينهما اذا نحر هديه فيقول بسم الله والله اكبر وهذا من فقهه رضي الله عنه وفي الصحيح عن انس قال ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين قال ورايته يذبحهما بيده ورايته واضعا قدمه على صفاحهما وسمى وكبر وقد اختلف العلما في هذا فقال ابو ثور التسمية متعينة كالتكبير في الصلاة وكافة العلما على استحباب ذلك فلو قال ذكرا اخر فيه اسم من اسما الله واراد به التسمية جاز وكذلك لو قال الله اكبر فقط او لا اله الا الله قاله ابن حبيب فلو لم يرد التسمية لم يجز عن التسمية ولا توكل قاله الشافعي ومحمد بن الحسن وكره كافة العلما من اصحابنا وغيرهم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التسمية في الذبح او ذكره وقالوا لا يذكر هنا الا الله وحده واجاز الشافعي الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند الذبح الرابعة ذهب الجمهور الى ان قول المضحي اللهم تقبل مني جائز وكره ذلك ابو حنيفة والحجة عليه ما رواه الصحيح عن عايشة وفيه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به واستحب بعضهم ان يقول ذلك بنص الاية ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم وكره مالك قولهم اللهم منك واليك وقال هذه بدعة واجاز ذلك ابن حبيب من اصحابنا والحسن والحجة لهما ما رواه ابو داود عن جابر بن عبد الله قال ذبح النبي صلى الله عليه وسلم يوم الذبح كبشين اقرنين موجيين املحين فلما وجههما قال اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وقرا الى قوله وانا اول المسلمين اللهم منك واليك عن محمد وامته بسم الله والله اكبر ثم ذبح فلعل مالكا لم يبلغه هذا الخبر او لم يصح عنده او راى العمل يخالفه وعلى هذا يدل قوله انه بدعة والله اعلم الخامسة قوله تعالى وبشر المحسنين روي انها نزلت في الخلفا الاربعة حسب ما تقدم في الاية التي قبلها فاما ظاهر اللفظ فيقتضي العموم في كل محسن قوله تعالى ان الله يدافع عن الذين امنوا الاية روي انها نزلت بسبب المومنين لما كثروا بمكة واذاهم الكفار وهاجر من هاجر الى ارض الحبشة اراد بعض مومني مكة ان يقتل من امكنه من الكفار ويغتال ويغدر ويحتال فنزلت

هذه الاية الى قوله كفور فوعد فيها سبحانه بالمدافعة ونهى افصح نهي عن الخيانة والغدر وقد مضى في الانفال التشديد في الغدر وانه ينصب للغادر لوا عند استه بقدر غدرته يقال هذه غدرة فلان وقيل المعنى يدفع عن المومنين بان يديم توفيقهم حتى يتمكن الايمان من قلوبهم فلا يقدر الكفار على امالتهم عن دينهم وان جرى اكراه فيعصمهم حتى لا يرتدوا بقلوبهم وقيل يدفع عن المومنين باعلايهم بالحجة ثم قتل كافر مومنا نادر وان فيدفع الله عن ذلك المومن بان قبضه الى رحمته وقرا نافع يدافع ولولا دفاع وقرا ابو عمرو وابن كثير يدفع ولولا دفع وقرا عاصم وحمزة والكسائي يدافع ولولا دفع ويدافع بمعنى يدفع مثل عاقبت اللص وعافاه الله والمصدر دفاعا وحكى الزهراوي ان دفاعا مصدر دفع كحسبت حسابا قوله تعالى اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى اذن للذين يقاتلون قيل هذا بيان قوله ان الله يدفع عن الذين امنوا اي يدفع عنهم غوايل الكفار بان يبيح لهم القتال وينصرهم وفيه اضمار اي اذن للذين يصلحون للقتال في القتال فحذف لدلالة الكلام على المحذوف وقال الضحاك استاذن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتال الكفار اذ اذوهم بمكة فانزل الله ان الله لا يحب كل خوان كفور فلما هاجر نزلت اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وهذا ناسخ لكل ما في القران من اعراض وترك صفح وهي اول اية نزلت في القتال قال ابن عباس وابن جبير نزلت عند هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة وروى النسايي والترمذي عن ابن عباس قال لما اخرج النبي صلى الله عليه وسلم من مكة قال ابو بكر اخرجوا نبيهم ليهلكن فانزل الله اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير فقال ابو بكر لقد علمت انه سيكون قتال وهذا حديث حسن وقد روى غير واحد عن سفيان عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير مرسل وليس فيه عن ابن عباس الثانية في هذه الاية دليل على ان الاباحة من الشرع خلافا للمعتزلة لان قوله اذن معناه ابيح وهو لفظ موضوع في اللغة لاباحة كل ممنوع وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وغير موضع وقرى اذن بفتح الهمزة اي اذن الله يقاتلون بكسر التاء اي يقاتلون عدوهم وقرى يقاتلون بفتح التاء اي يقاتلهم المشركون وهم المومنون ولهذا قال بانهم ظلموا اي اخرجوا من ديارهم قوله تعالى الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق فيه مسيلة الاولى قوله تعالى الذين اخرجوا هذا احد ما ظلموا به وانما اخرجوا لقولهم ربنا الله وحده فقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثنا منقطع اي لكن لقولهم ربنا الله قاله سيبويه وقال الفرا يجوز ان يكون في موضع خفض يقدر بهام رده على الباء وهو قول ابي اسحاق الزجاج والمعنى عنده الذين اخرجوا من ديارهم بلا حق الا بان يقولوا ربنا الله اي اخرجوا بتوحيدهم اخرجهم اهل الاوثان فالذين اخرجوا في موضع خفض بدلا من قوله للذين يقاتلون الثانية قال ابن العربي قال علماونا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يوذن له في الحرب ولم تحل له الدما انما يومر بالدعا الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل مدة من عشرة اعوام لاقامة حجة الله تعالى عليهم ووفا بوعده الذي امتن به بفضله في قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فاستمر الناس في الطغيان وما استدلوا بواضح البرهان وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من قومه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم عن بلادهم فمنهم من فر الى ارض الحبشة ومنهم من خرج الى المدينة ومنهم من صبر على الاذى فلما عتت قريش على الله تعالى وردوا امره وكذبوا نبيه عليه السلام وعذبوا من امن به وعبده ووحده وصدق نبيه عليه السلام واعتصم بدينه اذن الله لرسوله في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وانزل اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا الى قوله الامور الثالثة في هذه الاية دليل على ان نسبة الفعل الموجود من الملجا الملجى الى الذي الجاه واكرهه لان الله تعالى نسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معنى تقدير الذنب والزامه وهذه الاية مثل قوله تعالى اذ اخرجه الذين كفروا والكلام فيهما واحد وقد تقدم في براة والحمد لله الرابعة قوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض اي لولا ما شرعه الله تعالى للانبيا والمومنين من قتال الاعدا لاستولى اهل الشرك وعطلوا ما بينته ارباب الديانات من مواضع العبادات ولكنه دفع بان اوجب القتال ليتفرغ اهل الدين للعبادة فالجهاد

امر مستقلم في الامم وبه صلحت الشرايع واجتمعت المتعبدات فكانه قال اذن في القتال فليقاتل المومنون ثم قوي هذا الامر في القتال بقوله ولولا دفع الله الناس الاية اي لولا القتال والجهاد لتغلب على الحق في كل امة فمن استبشع من النصارى والصابيين الجهاد فهو مناقض لمذهبه اذ لولا القتال لما بقي الدين الذي يذب عنه وايضا هذه المواضع التي اتخذت قبل تحريفهم وتبديلهم وقبل نسخ تلك الملل بالاسلام انما ذكرت لهذا المعنى اي لولا هذا الدفع لهدم في زمان موسى الكنايس وفي زمن عيسى الصوامع والبيع وفي زمن محمد عليهما السلام المساجد لهدمت من هدمت البنا اي نقضته فانهدم قال ابن عطية هذا اصوب ما قيل في تاويل الاية وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال ولولا دفع الله باصحاب محمد الكفار عن التابعين فمن بعدهم وهذا وان كان فيه دفع قوم بقوم الا ان معنى القتال اليق كما تقدم وقال مجاهد ولولا دفع الله ظلم قوم بشهادة العدول وقالت فرقة ولولا دفع الله ظلم الظلمة بعدل الولاة وقال ابو الدردا لولا ان الله عز وجل يدفع بمن في المساجد عمن ليس في المساجد وبمن يغزو عمن لا يغزو لاتاهم العذاب وقالت فرقة ولولا دفع الله العذاب بدعا الفضلا والاخيار الى غير ذلك من التفصيل المفسد لمعنى الاية وذلك ان الاية ولا بد تقتضي مدفوعا من الناس ومدفوعا عنه فتامله الخامسة قال ابن خويز منداد تضمنت هذه الاية المنع من هدم كنايس اهل الذمة وبيعهم وبيوت نيرانهم ولا يتركون ان يحدثوا ما لم يكن ولا يزيدون في البنيان ولا ارتفاعا ولا ينبغي للمسلمين ان يدخلوها ولا يصلوا فيها ومتى احدثوا زيادة وجب نقضها وينقض ما وجد في بلاد الحرب من البيع والكنايس وانما لم ينقض ما في بلاد الاسلام لاهل الذمة لانها جرت مجرى بيوتهم واموالهم التي عاهدوا عليها في الصيانة ولا يجوز ان يمكنوا من الزيادة لان في ذلك اظهار اسباب الكفر وجايز ان ينقض المسجد ليعاد بنيانه وقد فعل ذلك عثمان بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم السادسة قري لهدمت بتخفيف الدال وتشديدها صوامع جمع صومعة وزنها فوعلة وهي بنا مرتفع حديد الاعلى يقال صمع الثريدة اي رفع راسها وحدده ورجل اصمع القلب اي حاد الفطنة والاصمع من الرجال الحديد القول وقيل هو الصغير الاذن من الناس وغيرهم وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وبعبادة الصابيين قاله قتادة ثم استعمل في مئذنة المسلمين والبيع جمع بيعة وهي كنيسة النصارى وقال الطبري وقيل هي كنايس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضي ذلك وصلوات قال الزجاج والحسن هي كنايس اليهود وهي بالعبرانية صلوتا وقال ابو عبيدة الصلوات بيوت تبنى للنصارى في البراري يصلون فيها في اسفارهم تسمى صلوتا فعربت فقيل صلوات وفي صلوات تسع قراات ذكرها ابن عطية صلوات صلوات صلوات على وزن فعول صلوب بالبا بواحدة جمع صليب صلوث بالثا المثلثة على وزن فعول صلوات بضم الصاد واللام والف بعد الواو وصلوتا بضم الصاد واللام وقصر الالف بعد الثا المثلثة صلويثا بكسر الصاد والثا المثلثة وذكر النحاس وروي عن عاصم الجحدري انه قرا وصلوت بالثا معجمة بثلاث ولا ادري افتح الصاد ام ضمها قلت فعلى هذا يجي تسع عشرة قراة وقال ابن عباس الصلوات الكنايس ابو العالية الصلوات مساجد الصابيين ابن زيد هي صلوات المسلمين تنقطع اذا دخل عليهم العدو وتهدم المساجد فعلى هذا استعير الهدم للصلوات من حيث تعطل او اراد موضع صلوات فحذف المضاف وعلى قول ابن عباس والزجاج وغيرهم يكون الهدم حقيقة وقال الحسن هدم الصلوات تركها قطرب هي الصوامع الصغار ولم يسمع لها واحد وذهب خصيف الى ان القصد بهذه الاسما تقسيم متعبدات الامم فالصوامع للرهبان والبيع للنصارى والصلوات لليهود والمساجد للمسلمين قال ابن عطية والاظهر فيها انها قصد بها المبالغة في ذكر المتعبدات وهذه الاسما تشترك الامم في مسمياتها الا البيعة فانها مختصة بالنصارى في لغة العرب ومعاني هذه الاسما هي في الامم التي لهم كتاب على قديم الدهر ولم يذكر في هذه الاية المجوس ولا اهل الاشراك لان هولا ليس لهم ما تجب حمايته ولا يوجد ذكر الله الا عند اهل الشرايع وقال النحاس يذكر فيها اسم الله الذي يجب في كلام العرب على حقيقة النظر ان يكون يذكر فيها اسم الله عايد على المساجد لا على غيرها لان

الضمير

الضمير يليها ويجوز ان يعود على صوامع وما بعدها ويكون المعنى وقت شرايعهم واقامتهم الحق السابعة فان قيل لم قدمت مساجد اهل الذمة ومصلياتهم على مساجد المسلمين قيل لانها اقدم بنا وقيل لقربها من الهدم وقرب المساجد من الذكر كما اخر السابق في قوله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات الثامنة قوله تعالى ولينصرن الله من ينصره اي من ينصر دينه ونبيه ان الله لقوي اي قادر قال الخطابي القوي يكون بمعنى القادر ومن قوي على شي فقد قدر عليه عزيز اي جليل شريف قاله الزجاج وقيل الممتنع الذي لا يرام وقد بيناهما في الكتاب الاسني في شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة قال الزجاج الذين في موضع نصب ردا على من يعني في قوله ولينصرن الله من ينصره وقال غيره الذين في موضع خفض ردا على قوله اذن للذين يقاتلون ويكون الذين ان مكناهم في الارض اربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمكن في الارض غيرهم وقال ابن عباس المراد المهاجرون والانصار والتابعون باحسان وقال قتادة هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة هم اهل الصلوات الخمس وقال الحسن وابو العالية هم هذه الامة اذا فتح الله عليهم اقاموا الصلاة وقال ابن ابي نجيح يعني الولاة وقال الضحاك هو شرط شرطه الله عز وجل على من اتاه الملك وهذا حسن قال سهل بن عبد الله الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على السلطان وعلى العلما الذين ياتونه وليس على الناس ان يامروا السلطان لان ذلك لازم له واجب عليه ولا يامروا العلما فان الحجة قد وجبت عليهم قوله تعالى وان يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية اي كان قبلك انبيا كذبوا فصبروا الى ان اهلك الله المكذبين فاقتد بهم واصبر وكذب موسى اي كذبه فرعون وقومه فاما بنوا اسرايل فما كذبوه فلهذا لم يعطفه على ما قبله فيكون وقوم موسى فامليت للكافرين اي اخرت عنهم العقوبة ثم اخذتهم فعاقبتهم فكيف كان نكير استفهام بمعنى التغيير اي فانظر كيف كان تغييري ما كانوا فيه من النعم بالعذاب والهلاك فكذلك افعل بالمكذبين من قريش قال الجوهري النكير والانكار تغيير المنكر والمنكر واحد المناكير قوله تعالى وكاين من قرية اهلكناها اي اهلكنا اهلها وقد مضى في ال عمران الكلام في كاين وهي ظالمة اي بالكفر فهي خاوية على عروشها تقدم في الكهف وبير معطلة وقصر مشيد قال الزجاج وبير معطلة معطوف على من قرية اي ومن اهل قرية ومن اهل بير والفرا يذهب الى ان وبير معطوف على عروشها وقال الاصمعي سالت نافع بن ابي نعيم ايهمز البير والذيب فقال ان كانت العرب تهمزها فاهمزها واكثر الرواة عن نافع بهمزها الا ورشا فان روايته عنه بغير همز فيهما والاصل الهمز ومعنى معطلة متروكة قاله الضحاك وقيل خالية من اهلها لهلاكهم وقيل غايرة الما وقيل معطلة من دلايها وارشيتها والمعنى متقارب وقصر مشيد قال قتادة والضحاك ومقاتل رفيع طويل قال عدي بن زيد شاده مرمرا وجلله كلسا فللطير في ذراه وكور اي برفعه وقال سعيد ابن جبير وعطا وعكرمة ومجاهد مجصص من الشيد وهو الجص قال الراجز

كحية الما بين الطين والشيد

لا تحسبني وان كنت امرا غمرا

وقال امرؤ القيس ولا اطما الا مشيدا بجندل وقال ابن عباس مشيد اي حصين وقاله الكلبي وهو مفعل بمعنى مفعول كمبيع بمعنى مبيوع وقال الجوهري والمشيد المعمول بالشيد والشيد بالكسر كل شي طليت به الحايط من جص او بلاط وبالفتح المصدر تقول شاده يشيده شيدا جصصه والمشيد بالتشديد المطول وقال الكسائي المشيد للواحد من قوله تعالى وقصر مشيد والمشيد للجمع من قوله في بروج مشيدة وفي الكلام مضمر محذوف تقديره وقصر مشيد مثلها معطل ويقال ان هذه البير والقصر بحضرموت معروفان فالقصر مشرف على قلة جبل لا يرتقى اليه بحال والبير في سفحه لا تقر الريح شيا سقط فيه الا اخرجته واصحاب القصور ملوك الحضر واصحاب الابار ملوك البدو اي فاهلكنا هولا وهولا وذكر الضحاك وغيره فيما ذكر الثعلبي وابو بكر محمد بن الحسن المقري وغيرهما ان البير الرس وكانت بعدن باليمن بحضرموت في بلد يقال له حضورا نزل بها اربعة الاف ممن امن بصالح ونجوا من العذاب ومعهم صالح فمات صالح فسمي المكان حضرموت لان صالحا لما حضره مات فبنوا حضورا وقعدوا على هذه

البير وامروا عليهم رجلا يقال له العلس ابن جلاس بن سويد فيما ذكر القزويني الثعلبي جهلس
ابن جلاس وكان حسن السيرة فيهم عادلا وجعلوا وزيره سنجاريب بن سواده فاقاموا دهرا
وتناسلوا حتى كثروا وكانت البير تسقي المدينة كلها وباديتها وجميع ما فيهما من الدواب والغنم
والبقر وغير ذلك لانها كانت لها بكرات كثيرة منصوبة عليها ورجال كثيرون موكلون بها وابازن
بالنون من رخام وهي شبه الحياض كثيرة تملا للناس واخر للدواب واخر للبقر واخر للغنم والهوام
يستقون عليها بالليل والنهار ويتداولون ولم يكن لهم ما غيرها وطال عمر الملك الذي امروه فلما جاءه
الموت اطلي بدهن لتبقى صورته لا تتغير وكذلك كانوا يفعلون اذا مات منهم الميت وكان ممن
يكرم عليهم فلما مات شق ذلك عليهم وراوا ان امرهم قد فسد وضجوا جميعا بالبكا واغتنمها الشيطان
منهم فدخل في جثة الملك بعد موته بايام كثيرة فكلمهم وقال اني لم امت ولكن تغيبت عنكم حتى
ارى صنيعكم ففرحوا اشد الفرح وامر خاصته ان يضربوا له حجابا بينه وبينهم ويكلمهم من ورايه كيلا
يعرف الموت في صورته فنصبوا صنما من وراء الحجاب لا ياكل ولا يشرب واخبرهم انه لا يموت ابدا وانه
الاه لهم وذلك كله يتكلم به الشيطان على لسانه فصدق كثير منهم وارتاب بعضهم وكان المومن
المكذب منهم اقل من المصدق له فكلما تكلم ناصح لهم زجر وقهر فاصفقوا على عبادته فبعث الله
اليهم نبيا كان الوحي ينزل عليه في النوم دون اليقظة كان اسمه حنظلة ابن صفوان فاعلمهم
ان الصورة صنم لا روح له وان الشيطان قد اضلهم وان الله لا يتمثل بالخلق وان الملك لا يجوز
ان يكون شريكا لله ووعظهم ونصحهم وحذرهم سطوة ربهم ونقمته فاذوه وعادوه وهو
يتعهدهم بالموعظة ولا يغبهم بالنصيحة حتى قتلوه في السوق وطرحوه في بير فعند ذلك
اصابتهم النقمة فباتوا شباعا رواء من الماء واصبحوا والبير قد غار ماوها وتعطل رشاوها
فصاحوا باجمعهم وضج النسا والولدان وضجت البهايم عطشا حتى عمهم الموت وشملهم الهلاك
وخلفهم في ارضهم السباع وفي منازلهم الثعالب والضباع وتبدلت جناتهم واموالهم
بالسدر وشوك العضاه والقتاد فلا يسمع فيها الا عزيف الجن وزئير الاسد نعوذ بالله
من سطواته ومن الاصرار على ما يوجب نقماته قال السهيلي واما القصر المشيد فقصر بناه
شداد بن عاد بن ارم لم يبن في الارض مثله فيما ذكروا وزعموا وحاله ايضا كحال هذه البير
المذكورة في الجاسه بعد الانس واقفاره بعد العمران وان احدا لا يستطيع ان يدنو منه
على اميال لما يسمع فيه من عزيف الجن والاصوات المنكرة بعد النعيم والعيش الرغد وبها الملك
وانتظام الاهل كالسلك فبادوا وما عادوا فذكرهم الله في هذه الاية موعظة وعبرة وتذكرة
وذكرا وتحذيرا من مغبة المعصية وسوء عاقبة المخالفة نعوذ بالله من ذلك ونستجير به من
سوء المال وقيل ان الذي اهلكهم بخت نصر على ما تقدم في سورة الانبيا في قوله وكم قصمنا من
قرية فتعطلت بيرهم وخربت قصورهم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض يعني كفار مكة
فيشاهدوا هذه القرى فيتعظوا ويحذروا عقاب الله ان ينزل بهم كما نزل بمن قبلهم فتكون
لهم قلوب يعقلون بها اضاف العقل الى القلب لانه محله كما ان السمع محله الاذن وقد قيل
ان العقل محله الدماغ وروي عن ابي حنيفة وما اراها عنه صحيحة فانها لا تعمى الابصار
قال الفرا الها عماد ويجوز ان يقال فانه وهي قراءة عبد الله بن مسعود والمعنى واحد
التذكير على الخبر والتانيث على الابصار او القصة اي فان الابصار لا تعمى او فان القصة
لا تعمى الابصار اي ابصار العيون ثابتة لهم ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي عن درك
الحق والاعتبار وقال قتادة البصر الناظر جعل بلغة ومنفعة والبصر النافع في القلب
وقال مجاهد لكل عين اربعة اعين يعني لكل انسان اربعة اعين عينان في راسه لدنياه
وعينان لقلبه في اخرته فان عميت عينا راسه وابصرت عينا قلبه فلم يضره عماه شيا وان
ابصر عينا راسه وعميت عينا قلبه فلم ينفعه نظره شيا وقال قتادة وابن جبير نزلت هذه
الاية في ابن ام مكتوم الاعمى قال ابن عباس ومقاتل لما نزلت ومن كان في هذه اعمى قال
ابن ام مكتوم يا رسول الله فانا في الدنيا اعمى افاكون في الاخرة اعمى فنزلت فانها لا تعمى الابصار
ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي من كان في هذه اعمى بقلبه عن الاسلام فهو في الاخرة
في النار قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب نزلت في النضر ابن الحارث وهو قوله ايتنا بما

تعدنا

تعدنا ان كنت من الصادقين وقيل نزلت في ابي جهل بن هشام وهو قوله اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك ولن يخلف الله وعده اي في انزال العذاب قال الزجاج استعجلوا العذاب
فاعلمهم الله انه لا يفوته شي وقد نزل بهم في الدنيا يوم بدر قوله تعالى وان يوما عند
ربك كالف سنة مما تعدون قال ابن عباس ومجاهد يعني من الايام التي خلق الله فيها
السموات والارض عكرمة يعني من ايام الاخرة اعلمهم الله اذ استعجلوه بالعذاب في ايام قصيرة
انه ياتيهم به في ايام طويلة قال الفرا هذا وعيد لهم بامتداد عذابهم في الاخرة اي يوم من
ايام عذابهم في الاخرة الف سنة وقيل المعنى وان يوما في الخوف والشدة في الاخرة كالف
سنة من سني الدنيا فيها خوف وشدة وكذلك يوم النعيم قياسا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي
مما يعدون واختاره ابو عبيد لقوله ويستعجلونك الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو
حاتم قوله تعالى وكاين من قرية امليت لها اي امهلتها مع عتوها ثم اخذتها اي بالعذاب
والي المصير قوله تعالى قل يا ايها الناس يعني اهل مكة انما انا لكم نذير اي منذر مخوف وقد
تقدم في البقرة الانذار في اولها مبين اي ابين لكم ما تحتاجون اليه من امر دينكم فالذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم يعني الجنة والذين سعوا في اياتنا اي في ابطال
اياتنا معاجزين اي مغالبين مشاقين قاله ابن عباس الفرا معاندين وقال عبد الله
ابن الزبير معجزين اي مثبطين عن الاسلام وقال الاخفش معاجزين الزجاج اي ظانين
انهم يعجزوننا لانهم ظنوا ان لا بعث وظنوا ان الله لا يقدر عليهم وقاله قتادة وكذلك معنى
قراة ابن كثير وابي عمرو معجزين بلا الف مشددا ويجوز ان يكون معناه انهم معجزون المومنين
في الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالايات قاله السدي وقيل اي ينسبون من اتبع محمد
عليه السلام الى العجز كقولهم جهلة وفسقا اولئك اصحاب الجحيم قوله تعالى وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى تمنى
اي قرا وتلى القى الشيطان في امنيته اي قراءته وتلاوته وقد تقدم في البقرة قال ابن عطية
وجاء عن ابن عباس انه كان يقرا وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ذكره مسلمة
ابن القاسم بن عبد الله ورواه سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال مسلمة فوجدنا
المحدثين معتصمين بالنبوة على قراءة ابن عباس لانهم تكلموا بامور عالية من انباء الغيب خطرات
ونطقوا بالحكمة الباطنة فاصابوا فيما تكلموا وعصموا فيما نطقوا كعمر بن الخطاب في قصة سارية
وما تكلم به من البراهين العالية قلت وقد ذكر هذا الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد وقد
حدثني ابي رحمه الله ثنا علي بن حرب ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو عن ابن عباس انه قرا وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث قال ابو بكر فهذا حديث لا يوخذ به على ان ذلك
قران والمحدث هو الذي يوحى اليه في نومه لان رويا الانبيا وحي الثانية قال العلما هذه
الاية مشكلة من جهتين احداهما ان قوما يرون ان الانبيا صلى الله عليهم فيهم مرسلون وفيهم
غير مرسلين وغيرهم يذهب الى انه لا يجوز ان يقال نبي حتى يكون مرسلا والدليل على صحة
هذا قوله جل وعز وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي فاوجب للنبي صلى الله عليه
وسلم الرسالة وان معنى نبي انبا عن الله عز وجل ومعنى انبا عن الله جل وعز الارسال
بعينه وقال الفرا الرسول الذي ارسل الى الخلق بارسال جبريل عليه السلام اليه عيانا والنبي
الذي تكون نبوته الهاما او مناما فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا قال المهدوي وهذا
هو الصحيح ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا وكذلك ذكر القاضي عياض في كتاب الشفا
قال والصحيح والذي عليه الجم الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واحتج بحديث
ابي ذر وان الرسل من الانبيا ثلث ماية وثلثة عشر اولهم ادم واخرهم محمد صلى الله
عليه وسلم والجهة الاخرى التي فيها الاشكال وهي الثالثة الاحاديث المروية في نزول هذه
الاية وليس منها شي يصح وكان مما يموه به الكفار على عوامهم قولهم حق الانبيا ان لا يعجزوا
عن شي فلم لا ياتينا محمد بالعذاب وقد بالغنا في عداوته وكانوا يقولون ايضا ينبغي ان لا
يجري عليهم سهو وغلط فبين الرب سبحانه انهم بشر والاتيان بالعذاب هو الله على ما
يريد ويجوز على البشر السهو والنسيان والغلط الى ان يحكم الله اياته وينسخ حيل

السيطان روي الليث عن يونس عن الزهري عن ابي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم اذا هوي فلما بلغ افرايتم اللات والعزي ومناة
الثالثة الاخري سها فقال فان شفاعتهم ترتجي فلقيه المشركون والذين في قلوبهم مرض
فسلموا عليه وفرحوا فقال ان ذلك من الشيطان فانزل الله وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الاية قال النحاس وهذا حديث منقطع وفيه هذا الامر العظيم وكذا حديث قتادة
وزاد فيه وانهن لهن الغرانيق العلي وافظع من هذا ما ذكره الواقدي عن كثير بن زيد عن المطلب
ابن عبد الله قال فسجد المشركون كلهم الا الوليد بن المغيرة فانه اخذ ترابا من الارض فرفعه
الي جبهته وسجد عليه وكان شيخا كبيرا ويقال انه ابو احيحة سعيد بن العاصي حتى نزل جبريل
عليه السلام فقرا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال له جيتك به وانزل الله لقد كدت تركن
اليهم شيا قليلا قال النحاس وهذا حديث منكر منقطع ولا سيما من حديث الواقدي وفي
البخاري ان الذي اخذ قبضة من تراب ورفعها الي جبهته هو امية ابن خلف وسيا تي كلام ابن
النحاس علي الحديث ان شا الله اخر الباب قال ابن عطية وهذا الحديث الذي فيه الغرانيق
العلي وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور
بل يقتضي مذهب اهل الحديث ان الشيطان القي ولا يعينون هذا السبب ولا غيره ولا خلاف
ان القا الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها وقعت الفتنة ثم اختلف الناس في صورة هذه
الالقا فالذي في التفسير وهو مشهور القول ان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم بتلك الالفاظ
علي لسانه وحدثني ابي رضي الله عنه انه لقي بالمشرق من شيوخ العلما والمتكلمين من قال
هذا لا يجوز علي النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ وانما الامر ان الشيطان
نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله عليه وسلم افرايتم اللات والعزي ومناة
الثالثة الاخري وقرب صوته من صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامر علي المشركين
وقالوا محمد قراها وقد روي نحو هذا التاويل عن الامام ابي المعالي وقيل الذي القي شيطان
الانس كقوله عز وجل والغوا فيه قال قتادة هو ما تلاه ناعسا وقال القاضي عياض في كتاب
الشفا بعد ان ذكر الدليل علي صدق النبي صلى الله عليه وسلم وان الامة اجمعت فيما طريقه
البلاغ انه معصوم فيه من الاخبار عن شي بخلاف ما هو عليه لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا او غلطا
اعلم اكرمك الله ان لنا في الكلام علي مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني
علي تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه بسند
سليم متصل ثقة وانما اولع به وبمثله المفسرون والمورخون المولعون بكل غريب المتلقفون من
الصحف كل صحيح وسقيم قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه يروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا ما رواه شعبة عن ابن جبير عن ابن عباس فيما احسب الشك في
الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة ولم يسنده عن شعبة الا امية بن
خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس فقد
بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوي هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه
مع وقوع الشك فيه الذي ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة معه واما حديث الكلبي فما لا
يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار رحمه الله والذي منه في الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا والنجم بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس
هذا توهينه من طريق النقل واما الماخذ الثاني فهو مبني علي تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا
الله من صحته ولكن علي كل حال فقد اجاب ايمة المسلمين عنه باجوبة منها الغث والسمين
والذي يظهر ويترجح في تاويله علي تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل
القران ترتيلا ويفصل الاي تفصيلا في قراته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك
السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث
يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح
ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك علي ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها ما عرف منه فيكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه

الاشاعة

الاشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة وقد قال الله تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا
نبي الاية قلت وهذا التاويل احسن ما قيل في هذا وقد قال سليمان بن حرب ان في بمعنى عند اي
القي الشيطان في قلوب الكفار عند تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم لقوله عز وجل ولبثت فينا اي عندنا
وهذا هو معني ما حكاه ابن عطية عن ابيه عن علما المشرق واليه اشار القاضي ابو بكر ابن العربي وقال
قبله ان هذه الاية نص في غرضنا دليل علي صحة مذهبنا اصل في براة النبي صلى الله عليه وسلم
مما ينسب اليه انه قاله وذلك ان الله تعالى قال وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى
القى الشيطان في امنيته اي في تلاوته فاخبر تعالى ان من سنته في رسله وسيرته في انبيايه اذا
قالوا عن الله تعالى قولا زاد الشيطان فيه من قبل نفسه كما يفعل سائر المعاصي تقول القيت في
الدار كذا والقيت في الكيس كذا فهذا نص في الشيطان انه زاد في الذي قاله النبي صلى الله عليه
وسلم لان النبي صلى الله عليه وسلم تكلم به ثم ذكر معنى كلام عياض الى ان قال وما هدي لهذا الا الطبري
لجلالة قدره وصفا فكره وسعة باعه في العلم وشدة ساعده في النظر فكانه اشار الى هذا الغرض
وصوب علي هذا المرمى وقرطس بعد ما ذكر في ذلك روايات كثيرة كلها باطل لا اصل لها ولو شا ربك
لما رواها احد ولا سطرها ولكنه فعال لما يريد واما غيره من التاويلات مما حكاه قوم ان الشيطان
اكرهه حتى قال كذا فهو محال اذ ليس للشيطان قدرة علي سلب الانسان الاختيار قال الله تعالى
مخبرا عنه وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي ولو كان للشيطان هذه القدرة
لما بقي لاحد من بني ادم قوة في طاعته ومن توهم ان للشيطان هذه القوة فهو قول الثنوية والمجوس
في ان الخير من الله والشر من الشيطان ومن قال جرى ذلك علي لسانه سهوا قال لا يبعد انه كان سمع
الكلمتين من المشركين وكانتا علي حفظه فجرى عند قراة السورة ما كان في حفظه سهوا وعلي هذا
يجوز السهو عليهم ولا يقرون عليه وانزل الله هذه الاية تمهيدا لعذره وتسلية له لئلا يقال انه رجع
عن بعض قراته وبين ان مثل هذا جري علي الانبيا سهوا والسهو انما ينتفي عن الله تعالى وقد
قال ابن عباس ان شيطانا يقال له الابيض كان قد اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة
جبريل عليه السلام والقى في قراة النبي تلك الغرانيق العلي وان شفاعتهن لترتجي وهذا التاويل
وان كان اشبه مما قبله فالتاويل الاول عليه المعول فلا يعدل عنه الي غيره لاختيار العلما المحققين
اياه وضعف الحديث مغن عن كل تاويل والحمد لله ومما يدل علي ضعفه ايضا وتوهينه من الكتاب
قوله تعالى وان كادوا ليفتنونك الايتين فانهما ترد ان الخبر الذي رووه لان الله تعالى ذكر
انهم كادوا يفتنونه حتى يفتري وانه لولا ان ثبته لكان يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله
عصمه من ان يفتري وثبته حتى لم يركن اليهم قليلا فكيف كثيرا وهم يروون في اخبارهم الواهية انه
زاد علي الركون والافتراء بمدح الهتهم وانه قال عليه السلام افتريت علي الله وقلت ما لم يقل
وهذا ضد مفهوم الاية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا مثل قوله تعالى ولولا
فضل الله عليك ورحمته لهمت طايفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من
شي قال القشيري ولقد طالبته قريش وثقيف اذ مر بالهتهم ان يقبل بوجهه اليها ووعدوه
بالايمان به ان فعل ذلك فما فعل ولا كان ليفعل قال ابن الانباري ما قارب الرسول ولا ركن
وقال الزجاج اي كادوا ودخلت ان واللام للتاكيد وقد قيل ان معنى تمنى حدث لا تلا روي
عن علي ابن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله عز وجل الا اذا تمنى قال الا اذا حدث القى الشيطان
في امنيته قال في حديثه فينسخ الله ما يلقي الشيطان قال فيبطل الله ما يلقي الشيطان قال
النحاس وهذا من احسن ما قيل في الاية واعلاه واجله وقد قال احمد بن محمد بن حنبل بمصر
صحيفة في التفسير رواها علي بن ابي طلحة لو رحل رجل فيها الي مصر قاصدا ما كان كثيرا والمعنى
عليه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حدث نفسه القى الشيطان في حديثه علي جهة الحيلة
فيقول لو سالت الله عز وجل ان يغنمك ليتسع المسلمون ويعلم الله عز وجل ان الصلاح في غير
ذلك فيبطل ما يلقي الشيطان كما قال ابن عباس وحكي الكسايي والفرا جميعا تمنى اذا حدث
نفسه وهذا هو المعروف في اللغة وحكيا ايضا تمنى اذا تلا روي عن ابن عباس ايضا وقاله
مجاهد والضحاك وغيرهما وقال ابو الحسن ابن مهدي ليس هذا التمني من القران والوحي
في شي وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اصفرت يداه من المال وراي ما باصحابه من سوء الحال

تمنى الدنيا بقلبه ووسوسة الشيطان وذكر المهدوي عن ابن عباس ان المعنى اذا حدث القى
الشيطان في حديثه وهو اختيار الطبري قلت قوله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الاية
يرد حديث النفس وقد قال ابن عطية لاخلاف ان القاء الشيطان انما هو لالفاظ مسموعة بها
وقعت الفتنة فالله اعلم قال النحاس ولو صح الحديث واتصل اسناده لكان المعنى فيه صحيحا
ويكون معنى سها اسقط ويكون تقديره افرايتم اللات والعزى وتم الكلام ثم اسقط والغرانيق
العلى يعني الملائكة فان شفاعتهم يعود الضمير على الملائكة واما من روى فانهن الغرانيق العلى
ففي روايته اجوبة منها ان يكون القول محذوفا كما تستعمل العرب في اشياء كثيرة ويجوز ان يكون
بغير حذف ويكون توبيخا لان قبله افرايتم ويكون هذا احتجاجا عليهم فان كان في الصلاة فقد
كان الكلام مباحا في الصلاة وقد روي في هذه القصة انه كان مما يقرا افرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى والغرانقة العلى وان شفاعتهن لترتجى روي معناه عن مجاهد وقال
الحسن اراد بالغرانيق العلى الملائكة وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار
كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة
بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجا الشفاعة من الملائكة صحيح فلما
تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر الهتهم ولبس عليهم الشيطان بذلك نسخ الله ما القى
الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس
كما نسخ كثير من القران ورفعت تلاوته قال القشيري وهذا غير سديد لقوله فينسخ الله ما
يلقي الشيطان اي يبطله وشفاعة الملائكة غير باطلة والله عليم حكيم عليم بما اوحى الى نبيه
حكيم في خلقه قوله تعالى ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة اي ضلالة للذين في قلوبهم
مرض اي شرك ونفاق والقاسية قلوبهم فلا تلين لامر الله قال الثعلبي وفي الاية دليل
على ان الانبيا يجوز عليهم السهو والنسيان والغلط بوسواس الشيطان او عند شغل القلب
حتى يغلط ثم ينبه ويرجع الى الصحيح وهو معنى قوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله
اياته ولكن انما يكون الغلط على حسب ما يغلط احدنا فاما ما يضاف اليه من قولهم تلك الغرانيق
العلى فكذب على النبي صلى الله عليه وسلم لان فيه تعظيم الاصنام ولا يجوز ذلك على الانبيا كما لا
يجوز ان يقرا بعض القران ثم ينشد شعرا ويقول غلطت وظننته قرانا وان الظالمين لفي شقاق
بعيد اي الكافرين لفي خلاف وعصيان ومشاقة لله ولرسوله وقد تقدم في البقرة قوله
تعالى وليعلم الذين اوتوا العلم اي من المومنين وقيل اهل الكتاب انه اي ان الذي احكم من
ايات القران هو الحق من ربك فيومنوا به فتخبت له قلوبهم اي تخشع وتسكن وقيل تخلص
وان الله لهادي الذين امنوا قرا ابو حيوة وان الله لهاد الذين امنوا بالتنوين الى صراط
مستقيم اي يثبتهم على الهداية قوله تعالى ولا يزال الذين كفروا في مرية منه يعني في شك
من القران قاله ابن جريج وغيره من الذين وهو الصراط المستقيم وقيل مما القى الشيطان
على لسان محمد صلى الله عليه وسلم ويقولون ما باله ذكر الاصنام بخير ثم ارتد عنها وقرا ابو عبد
الرحمن السلمي في مرية بضم الميم والكسر اعرف ذكره النحاس حتى تاتيهم الساعة اي القيامة
بغتة اي فجاة او ياتيهم عذاب يوم عقيم قال الضحاك عذاب يوم لا ليلة له وهو يوم القيامة
النحاس سمي يوم القيامة عقيما لانه ليس يعقب بعده يوما مثله وهو معنى قول الضحاك
والعقيم في اللغة عبارة عمن لا يكون له ولد ولما كان الولد يكون بين الابوين وكانت الايام
تتوالى قبل وبعد جعل الاتباع فيها بالبعدية كهيئة الولادة ولما لم يكن بعد ذلك اليوم يوم
وصف بالعقيم وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة المراد عذاب يوم بدر ومعنى عقيم لا مثل
له في عظمه لان الملائكة قاتلت فيه ابن جريج لانهم لم ينظروا فيه الى الليل بل قتلوا قبل المسا
فصار يوما لا ليلة له وقيل لانه لم يكن فيه رافة ولا رحمة وكان عقيما من كل خير ومنه قوله
تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم اي التي لا خير فيها ولا تاتي بمطر ولا رحمة قوله تعالى
الملك يومئذ لله يحكم بينهم يعني يوم القيامة هو لله وحده لا منازع له فيه ولا مدافع والملك
هو اتساع المقدرة لمن له تدبير الامور ثم بين حكمه فقال فالذين امنوا وعملوا الصالحات في
جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين قلت ويحتمل ان تكون الاشارة

بيومئذ ليوم بدر وقد حكم فيه باهلاك الكافر وسعادة المومن وقد قال عليه السلام لعمر وما
يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم قوله تعالى والذين
هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية افرد ذكر المهاجرين الذين ماتوا وقتلوا تفضيلا لهم
وتشريفا على سائر الموتى وسبب نزول هذه الاية انه لما مات بالمدينة عثمان بن مظعون وابو سلمة
ابن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل في سبيل الله افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه
الاية مسوية بينهم وان الله يرزق جميعهم رزقا حسنا وظاهر الشريعة يدل على ان المقتول افضل وقد
قال بعض اهل العلم ان المقتول في سبيل الله والميت في سبيل الله شهيد ولكن للمقتول مزية ما اصابه
في ذات الله وقال بعضهم هما سواء واحتج بالاية وبقوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وبحديث ام حرام فانها صرعت عن دابتها فماتت
ولم تقتل وقال لها النبي صلى الله عليه وسلم انت من الاولين وبقول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث
عبد الله بن عتيك من خرج من بيته مجاهدا في سبيل الله فخر عن دابته فمات او لدغته حية فمات
او مات حتف انفه فقد وقع اجره على الله ومن مات قعصا فقد استوجب الماب وذكر ابن
المبارك عن فضالة بن عبيد في حديث ذكر فيه رجلين احدهما اصيب في غزاة بمنجنيق والاخر
مات هناك فجلس فضالة عند الميت فقيل له تركت الشهيد ولم تجلس عنده فقال ما ابالي من
اي حفرتيهما بعثت ثم تلى قوله تعالى والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الاية كلها
وقال سليمان بن عامر كان فضالة بن دبوس اميرا على الارباع فخرج بجنازة رجلين احدهما
قتيل والاخر متوفى فراى ميل الناس مع جنازة القتيل الى حفرته فقال اراكم ايها الناس تميلون
مع القتيل فوالذي نفسي بيده ما ابالي من اي حفرتيهما بعثت اقروا قوله تعالى والذين هاجروا
في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا هكذا ذكره الثعلبي في تفسيره وهو معنى ما ذكره ابن المبارك
واحتج من قال ان للمقتول زيادة فضل بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سيل اي
الجهاد افضل قال من اريق دمه وعقر جواده واذا كان من اريق دمه وعقر جواده افضل
الشهدا علم انه من لم يكن بتلك الصفة مفضول قرا ابن عامر واهل الشام قتلوا بالتشديد على
التكثير الباقون بالتخفيف ليدخلنهم مدخلا يرضونه اي الجنان قراه اهل المدينة مدخلا بفتح
الميم اي دخولا وضمها الباقون وقد مضى في سبحان وان الله لعليم حليم قال ابن عباس عليم
بنياتهم حليم عن عقابهم قوله تعالى ذلك ومن عاقب ذلك في موضع رفع اي ذلك الامر
الذي قصصنا عليك قال مقاتل نزلت في قوم مشركي مكة لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا
من المحرم فقالوا ان اصحاب محمد يكرهون القتال في الشهر الحرام فاحملوا عليهم فناشدهم المسلمون
ان لا يقاتلوهم في الشهر الحرام فابى المشركون الا القتال فحملوا عليهم فثبت المسلمون ونصرهم
الله على المشركين فحصل في انفس المسلمين من القتال في الشهر الحرام شي فنزلت هذه وقيل
نزلت في قوم من المشركين مثلوا بقوم من المسلمين قتلوهم يوم احد فعاقبهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمثله فمعنى من عاقب بمثل ما عوقب به اي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه
فسمى جزا العقوبة عقوبة لاستوا الصورة الفعلين في الصورة فهو مثل وجزا سيئة سيئة
مثلها ومثل فمن اعتدى عليكم وقد تقدم ثم بغي عليه اي بالكلام والازعاج من وطنه وذلك
ان المشركين كذبوا نبيهم واذوا من امن به فاخرجوهم من مكة وظاهروا على اخراجهم لينصرنه الله اي
لينصرن الله محمدا عليه السلام واصحابه فان الكفار بغوا عليهم ان الله لعفو غفور اي عفا عن
المومنين ذنوبهم وقتالهم في الشهر الحرام وستر قوله تعالى ذلك بان الله يولج الليل في
النهار اي ذلك الذي قصصت عليك من نصر المظلوم هو بان الله الذي اولج الليل في النهار فلا
يقدر احد على ما اقدر عليه اي من قدر على هذا قدر على ان ينصر عبده وقد مضى في ال عمران
معنى يولج الليل في النهار وان الله سميع بصير سميع الاقوال بصير الافعال فلا يعزب عنه
مثقال ذرة ولا دبيب نملة الا يعلمها ويسمعها ويبصرها قوله تعالى ذلك بان الله هو الحق اي
ذو الحق فدينه الحق وعبادته حق والمومنون يستحقون منه النصر بحكم وعده الحق وان ما يدعون
من دونه هو الباطل اي الاصنام التي لا استحقاق لها في العبادة وقرا نافع وابن كثير وابن
عامر وابو بكر وان ما يدعون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم الباقون بالياء على الخبر هنا وفي

لقمان واختاره ابو عبيد وان الله هو العلي اي العالي علي كل شيء بقدرته والعالي عن الاشباه
والانداد المتقدس عما يقول الظالمون من الصفات التي لا تليق بجلاله الكبير اي الموصوف بالعظمة
والجلال وكبر الشان وقيل الكبير ذو الكبريا والكبريا عبارة عن كمال الذات اي له الوجود المطلق
ابدا وازلا فهو الاول القديم والاخر الباقي بعد فنا خلقه قوله تعالى الم تر ان الله انزل
من السما ما فتصبح الارض مخضرة دليل علي كمال قدرته اي من قدر علي هذا قدر علي اعادة الحياة
بعد الموت كما قال فاذا انزلنا عليها الما اهتزت وربت ومثله كثير فتصبح ليس بجواب فيكون
منصوبا وانما هو خبر عند الخليل وسيبويه قال الخليل المعنى انتبه انزل الله من السما ما
فكان كذا وكذا كما قال الم تسل الربع القوا فينطق . وهل يخبرك اليوم بيدا سملق . معناه
قد سالته فنطق وقال الفرا الم تر خبر كما تقول في الكلام اعلم ان الله جل وعز ينزل من
السما ما فتصبح الارض مخضرة اي ذات خضرة كما تقول مبقلة ومسبعة اي ذات بقل وسباع
وهو عبارة عن استعجالها اثر نزول الما بالنبات واستمرارها كذلك عادة قال ابن عطية
وروي عن عكرمة انه قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح
مقصودا به صباح ليلة المطر وذهب الي ان ذلك الاخضرار يتاخر في سائر البلاد وقد شاهدت
هذا في السوس الاقصى نزل المطر ليلة بعد قحط اصبحت تلك الارض الرملة التي تسفها الرياح
قد اخضرت بنبات ضعيف رقيق ان الله لطيف خبير قال ابن عباس خبير بما ينطوي عليه
العبد من القنوط عند تاخير المطر لطيف بارزاق عباده وقيل لطيف باستخراج النبات من
الارض خبير بحاجتهم وفاقتهم قوله تعالى له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
وكل محتاج الي تدبيره واتقانه وان الله لهو الغني الحميد فلا يحتاج الي شيء وهو المحمود
في كل حال قوله تعالى الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض ذكر نعمة اخرى فاخبر انه سخر
لعباده ما يحتاجون اليه من الدواب والشجر والانهار والفلك اي وسخر لكم الفلك في حال
جريها وقرا عبد الرحمن الاعرج والفلك رفعا على الابتدا وما بعده خبره الباقون بالنصب
نسقا علي قوله ما في الارض ويمسك السما ان تقع وقال الكوفيون لئلا تقع وامساكه لها
خلق السكون فيها حالا بعد حال الا باذنه اي الا باذن الله بالوقوع فتقع باذنه اي بارادته
وتخليته ان الله بالناس لرؤوف رحيم اي في هذه الاشيا التي سخرها لهم قوله تعالى وهو
الذي احياكم اي بعد ان كنتم نطفا ثم يميتكم عند انقضا اجالكم ثم يحييكم اي للحساب والثواب
والعقاب ان الانسان لكفور اي جحود لما ظهر من الايات الدالة علي قدرته ووحدانيته
قال ابن عباس يريد الاسود بن عبد الاسد وابا جهل ابن هشام والعاص بن هشام
وجماعة من المشركين وقيل انما قال ذلك لان الغالب علي الانسان كفر النعم كما قال وقليل
من عبادي الشكور قوله تعالى ولكل امة جعلنا منسكا اي شرعا هم ناسكوه اي عاملون
به فلا ينازعنك في الامر اي لا ينازعنك احد منهم فيما يشرع لامتك فقد كانت الشرائع
في كل عصر وروت فرقة ان هذه الاية نزلت بسبب جدال الكفار في امر الذبايح وقولهم
للمومنين تاكلون ما ذبحتم ولا تاكلون ما ذبح الله من الميتة فكان ما قتل الله احق ان
تاكلوه مما قتلتم انتم بسكاكينكم فنزلت الاية بسبب هذه المنازعة وقد مضى هذا في الانعام
والحمد لله وتقدم في هذه السورة ما للعلما في قوله تعالى منسكا وقوله هم ناسكوه يعطي
ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه وقال الزجاج فلا ينازعنك
في الامر اي فلا يجادلنك ودل علي هذا وان جادلوك ويقال قد نازعوه فكيف قال فلا
ينازعنك فالجواب ان المعنى فلا تنازعهم انت نزلت الاية قبل الامر بالقتال تقول لا يضاربنك
فلان فلا تضاربه انت فيجري هذا في باب المفاعلة ولا يقال لا يضربنك زيد وانت
تريد لا تضرب زيدا وقرا ابو مجلز فلا ينزعنك في الامر اي لا يستخفنك ولا يغلبنك
عن دينك وقراءة الجماعة من المنازعة ولفظ النهي في القرانين للكفار والمراد النبي صلى
الله عليه وسلم وادع الى ربك اي الي توحيده ودينه والايمان به انك لعلى هدى اي دين
مستقيم اي قويم لا اعوجاج فيه قوله تعالى وان جادلوك اي خاصموك يا محمد
يريد مشركي مكة فقل الله اعلم بما تعملون يريد من تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم عن ابن

عباس

عباس وقال مقاتل نزلت علي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسرى وهو في السما السابعة
لما راى من ايات ربه الكبرى فاوحى الله اليه وان جادلوك بالباطل فادفعهم بقولك الله اعلم
بما تعملون من الكفر والتكذيب فامره الله بالاعراض عن مماراتهم صيانة له عن الاشتغال
بتعنتهم ولا جواب لصاحب العناد الله يحكم بينكم يوم القيامة يريد بين النبي وقومه فيما كنتم
فيه تختلفون يريد في خلافكم ايايه فتعرفون حينئذ الحق من الباطل مسئلة في هذه
الاية ادب حسن علمه الله عباده في الرد علي من جادل تعنتا ومراء الا يجاب ولا يناظر ويدفع
بهذا القول الذي علمه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان هذه الاية منسوخة بالسيف
يعني السكوت عن مخالفة والاكتفا بقوله الله يحكم بينكم قوله تعالى الم تعلم ان الله
يعلم ما في السماء والارض اي واذ قد علمت يا محمد هذا وايقنته فاعلم انه يعلم ايضا ما انتم
مختلفون فيه فهو يحكم بينكم وقد قيل انه استفهام تقرير للغير ان ذلك في كتاب اي كلما
يجري في العالم فهو مكتوب عند الله في ام الكتاب ان ذلك علي الله يسير وقيل المعنى ان كتاب
القلم الذي امره ان يكتب ما هو كاين الي يوم القيمة علي الله يسير قوله تعالى ويعبدون كفار
قريش من دون الله ما لم ينزل به سلطانا اي حجة وبرهانا وقد تقدم في ال عمران وما ليس لهم
به علم وما للظالمين من نصير قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران تعرف
في وجوه الذين كفروا المنكر اي الغضب والعبوس يكادون يسطون اي يبطشون والسطوة شدة
البطش يقال سطا به يسطو اذا بطش به كان ذلك بضرب او بشتم وسطا عليه بالذين يتلون
عليهم اياتنا وقال ابن عباس يسطون يبسطون اليهم ايديهم محمد بن كعب اي يقعون بهم الضحاك اي
ياخذونهم اخذا باليد والمعنى واحد واصل السطو القهر والله ذو سطوات اي اخذات شديدة قل
افانبيكم بشر من ذلكم النار اي اكره من هذا القران الذي تسمعونه هو النار فكانهم قالوا ما الذي
هو شر فقيل هو النار وقيل اي هل انبيكم بشر مما يلحق تالي القران منكم هو النار فيكون هذا
وعيدا لهم علي سطوتهم بالذين يتلون القران ويجوز في النار الرفع والنصب والخفض فالرفع
علي هو النار او هي النار والنصب بمعنى اعني وعلي اضمار بفعل مثل الثاني او يكون محمولا على
المعنى اي اعرفكم بشر من ذلكم النار والخفض علي البدل وعدها الله الذين كفروا في القيامة وبئس
المصير اي المرجع الذي يصيرون اليه وهو النار قوله تعالى يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا
له هذا متصل بقوله ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وانما قال ضرب مثل لان
حجج الله تعالي عليهم بضرب الامثال لهم اقرب الي افهامهم فان قيل فاين المثل المضروب ففيه
وجهان الاول قال الاخفش ليس ثم مثل وانما المعنى ضربوا لي مثلا فاستمعوا قولهم يعني ان
الكفار جعلوا لله مثلا بعبادتهم غيره فكانه قال جعلوا لله شبيها في عبادتي فاستمعوا خبر
هذا الشبه الثاني قول القتبي وان المعنى يا ايها الناس مثل من عبد الهة لم تستطع ان تخلق
ذبابا وان يسلبها الذباب شيئا لم تستطع ان تستنقذه منه وقال النحاس المعنى ضرب الله
عز وجل ما يعبد من دونه مثلا قال وهذا من احسن ما قيل فيه اي بين الله لكم شبها
ولمعبودكم ان الذين تدعون من دون الله قراءة العامة تدعون بالتاء وقرا السلمي وابو
العالية ويعقوب يدعون بالياء علي الخبر والمراد الاوثان الذي عبدوهم من دون الله وكانت
حول الكعبة وهي ثلاث مائة وستون صنما وقيل السادة الذين صرفوهم عن طاعة الله
تعالى وقيل الشياطين الذين حملوهم علي معصية الله تعالي والاول اصوب لن يخلقوا
ذبابا الذباب اسم واحد للذكر والانثى والجمع القليل اذبة والكثير ذبان علي مثل
غراب واغربة وغربان وسمي به لكثرة حركته الجوهري والذباب معروف الواحدة ذبابة
ولا تقل ذبانة والمذبة ما يذب به الذباب وذباب اسنان الابل حدها وذباب السيف
طرفه الذي يضرب به وذباب العين انسانها والذبابة البقية من الدين وذبب النهار
اذا لم يبق منه الا بقية والتذبذب التحرك والذبذبة نوس الشي المعلق في الهوى
والذبذب الذكر لتردده وفي الحديث من وقي شر ذبذبه وهذا مما لم يذكروا عن قوله
وفي الحديث وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه الاستنقاذ والانقاذ التخليص
قال ابن عباس كانوا يطلون اصنامهم بالزعفران فتجف فياتي فيختلسه وقال

السدي كانوا يجعلون للاصنام طعاما فيقع عليه الذباب فياكل منه قوله تعالى ضعف الطالب
والمطلوب قيل الطالب الالهة والمطلوب الذباب وقيل بالعكس وقيل الطالب عابد الصنم
والمطلوب الصنم فالطالب يطلب الى هذا الصنم بالتقرب اليه والصنم المطلوب اليه وقد
قيل لا يسلبهم الذباب شيئا راجع الى الله في فرض ابداعهم حتى يسلبهم المصير لها والموقات
منها وخص الذباب لاربعة امور تخصه لمهانته وضعفه ولاستقذاره وكثرته فاذا كان
هذا الذي هو اضعف الحيوانات واحقره لا يقدر من عبدوه من دون الله على خلق مثله
ودفع اذيته فكيف يجوز ان يكونوا الهة معبودين وارباب مطاعين وهذا من اقوى حجة
واوضح برهان قوله تعالى ما قدروا الله حق قدره اي ما عظموه حق عظمته حيث جعلوا
هذه الاصنام شركا له وقد مضى في الانعام ان الله لقوي عزيز قوله تعالى الله يصطفي
من الملائكة رسلا ومن الناس ختم السورة بان الله اصطفى محمدا لتبليغ الرسالة اي ليس
بعث محمد امرا بدعا وقيل ان الوليد ابن المغيرة قال اانزل عليه الذكر من بيننا فنزلت
الاية واجرى الاخبار اليه سبحانه ان الله سميع لاقوال عباده بصير بمن يختاره من خلقه
لرسالته يعلم ما بين ايديهم يريد ما قدموا وما خلفهم يريد ما خلفوا مثل قوله في يس
انا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا يريد بين ايديهم واثارهم يريد ما خلفوا والى الله ترجع
الامور قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقدم في اول السورة انها فضلت
بسجدتين وهذه السجدة الثانية لم يرها مالك وابو حنيفة من العزايم لانه قرن الركوع
بالسجود وان المراد بها الصلاة المفروضة وخص الركوع والسجود تشريفا للصلاة وقد
مضى القول في الركوع والسجود مبينا في البقرة والحمد لله قوله تعالى واعبدوا ربكم اي
امتثلوا امره وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات التي صح وجوبها من غير هذا الموضع
قوله تعالى وجاهدوا في الله حق جهاده قيل عنى به جهاد الكفار وقيل هو اشارة الى
امتثال جميع ما امر الله به والانتهاء عن كل ما نهى عنه اي جاهدوا انفسكم في طاعة الله
وردها عن الهوى وجاهدوا الشيطان في رد وسوسته والظلمة في رد ظلمهم والكافرين
على كفرهم قال ابن عطية وقال مقاتل هذه الاية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم
وكذا قال هبة الله ان قوله حق جهاده وقوله في الاية الاخرى حق تقاته منسوخ
بالتخفيف الى الاستطاعة في هذه الاوامر ولا حاجة الى تقدير النسخ فان هذا هو المراد
من اول الحكم لان حق جهاده ما ارتفع عنه الحرج وقد روى سعيد بن المسيب قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم خير دينكم ايسره وقال ابو جعفر النحاس وهذا مما لا يجوز ان يقع
فيه نسخ لانه واجب على الانسان كما روى حيوة بن شريح يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم
قال المجاهد من جاهد نفسه لله عز وجل وكما روى ابو غالب عن ابي امامة ان رجلا سال
النبي صلى الله عليه وسلم اي الجهاد افضل عند الجمرة الاولى فلم يجبه ثم ساله عند الجمرة الثانية
فلم يجبه ثم ساله عند جمرة العقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم اين السايل فقال انا ذا فقال
عليه السلام كلمة عدل عند سلطان جاير قوله تعالى هو اجتباكم اي اختاركم للذب عن
دينه والتزام امره وهذا تاكيد للامر بالمجاهدة اي وجب عليكم ان تجاهدوا لان الله اختاركم
له قوله تعالى وما جعل عليكم في الدين من حرج فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى من حرج
اي من ضيق وقد تقدم في الانعام وهذه الاية تدخل في كثير من الاحكام وهي مما خص الله
بها هذه الامة روى معمر عن قتادة قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان
يقال للنبي اذهب فلا حرج عليك وقيل لهذه الامة وما جعل عليكم في الدين من حرج والنبي
شهيد على امته وقيل لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس ويقال للنبي سل تعطه وقيل
لهذه الامة ادعوني استجب لكم الثانية واختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله فقال
عكرمة هو ما احل من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكت يمينك وقيل المراد قصر الصلاة
والافطار للمسافر وصلاة الايماء لمن لا يقدر على غيره وحط الجهاد عن الاعمى والاعرج والمريض
والعديم الذي لا يجد ما ينفق في غزوه والغريم ومن له والدان وحط الاصر الذي كان على بني
اسرائيل وقد مضى تفصيل اكثر هذه الاشياء وروي عن ابن عباس والحسن البصري ان هذا

في تقديم الاهلة وتاخيرها في الفطر والاضحى والصوم فاذا اخطات الجماعة هلال ذي الحجة
فوقفوا قبل عرفة بيوم او وقفوا يوم النحر اجزاهم على خلاف فيه بيناه في كتاب المقتبس في شرح
موطا مالك ابن انس ومما ذكرناه في المعنى في الباب وكذلك الفطر والاضحى لما رواه حماد بن زيد
عن ايوب عن محمد بن المنكدر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فطركم
يوم تفطرون واضحاكم يوم تضحون خرجه ابو داود والدارقطني ولفظه ما ذكرناه والمعنى
باجتهادكم من غير حرج يلحقكم وقد روى الائمة انه عليه السلام ما سئل يوم النحر عن شيء فما سئل
عن امر مما ينسى المرء او يجهل من تقديم الامور بعضها قبل بعض واشباهها الا قال فيها افعل ولا حرج
الثالثة قال العلماء رفع الحرج انما هو لمن استقام على منهاج الشرع واما السلابة والسراق
واصحاب الحدود فعليهم الحرج وهم جاعلوه في انفسهم بمفارقتهم الدين وليس في الشرع اعظم
حرجا من الزام ثبوت رجل لاثنين في سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج قوله
تعالى ملة ابيكم قال الزجاج المعنى اتبعوا ملة ابيكم ابراهيم النصب على تقدير حذف الكاف
كانه قال كملة وقيل المعنى وافعلوا الخير فعل ابيكم فاقام الفعل مقام الملة وابراهيم هو ابو
العرب قاطبة وقيل الخطاب لجميع المسلمين وان لم يكن الكل من ولده لان حرمة ابراهيم على المسلمين
كحرمة الوالد على الولد هو سماكم المسلمين من قبل قال ابن زيد والحسن هو راجع الى ابراهيم
والمعنى هو سماكم المسلمين من قبل النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا اي في حكمه ان اتبع
محمدا فهو مسلم قال ابن زيد وهو معنى قوله ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة
لك قال النحاس وهذا القول مخالف لقول علماء الامة روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال
سماكم الله عز وجل المسلمين من قبل اي في الكتب المتقدمة وفي هذا القران قاله مجاهد وغيره
ليكون الرسول شهيدا عليكم اي بتبليغه اياكم وتكونوا شهداء على الناس ان رسلهم قد بلغتهم
كما تقدم في البقرة فاقيموا الصلاة واتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير تقدم

سورة المومنين مكية كلها في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد افلح المومنون الى قوله خالدون فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى قد
افلح المومنون روى البيهقي من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما خلق الله
جنة عدن وغرس اشجارها بيده قال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون وروى النسائي
عن عبد الله بن السايب قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فصلى في قبل
الكعبة فخلع نعليه فوضعهما عن يساره فافتتح سورة المومنين فلما جاء ذكر موسى او عيسى عليهما
السلام اخذته سعلة فركع خرجه مسلم بمعناه وفي الترمذي عن عمر ابن الخطاب قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا انزل عليه الوحي يسمع عند وجهه كدوي النحل وانزل عليه يوما
فمكثنا ساعة فسري عنه فاستقبل القبلة فرفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وارضنا
وارض عنا ثم قال انزل علي عشر ايات من اقامهن دخل الجنة ثم قرا قد افلح المومنون حتى ختم
عشر ايات صححه ابن العربي وقال النحاس معنى من اقامهن من قام عليهن ولم يخالف ما فيهن كما
تقول فلان يقوم بعمله ثم نزل بعد هذه الايات فرض الوضوء والحج فدخل معهن وقرا طلحة
ابن مصرف قد افلح المومنون بضم الالف على الفعل المجهول اي ابقوا في الثواب والخير
وقد مضى في اول البقرة معنى الفلاح لغة ومعنى والحمد لله الثانية قوله تعالى خاشعون
روى المعتمر عن خالد عن محمد بن سيرين قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينظر الى السماء في
الصلاة فانزل الله عز وجل هذه الاية الذين هم في صلاتهم خاشعون فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ينظر حيث يسجد وفي رواية هشيم كان المسلمون يلتفتون في الصلاة
وينظرون حتى انزل الله تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون فاقبلوا
على صلاتهم ونظروا امامهم وقد تقدم ما للعلماء في حكم المصلي الى حيث ينظر في البقرة عند
قوله فول وجهك شطر المسجد الحرام وتقدم ايضا معنى الخشوع لغة ومعنى في البقرة ايضا عند

قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين والخشوع محله القلب فاذا خشع خشعت الجوارح لخشوعه اذ هو ملكها حسب ما بيناه اول البقرة وكان الرجل من العلما اذا قام الى الصلاة وقام اليها يهاب الرحمن ان يمد بصره الى شي وان يحدث نفسه بشي من الدنيا وقال عطا هو ان لا يعبث بشي من جسده في الصلاة وابصر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يعبث بلحيته في الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى الصلاة فان الرحمة تواجهه فلا يحركن الحصا رواه الترمذي وقال الشاعر

• الا في الصلاة الخير والفضل اجمع • لان بها الارباب لله تخضع •
• واول فرض من شريعة ديننا • واخر ما يبقى اذا الدين يرفع •
• فمن قام للتكبير لاقته رحمة • وكان كعبد باب مولاه يقرع •
• وصار لرب العرش حين صلاته • نجيا فيا طوباه لو كان يخشع •

وروى ابو عمران الجوني قال قيل لعايشة ما كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت اتقرون سورة المومنين قال نعم قالت اقروا فقرى عليها قد افلح المومنون حتى بلغ يحافظون وروى النساي عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلحظ في صلاته يمينا وشمالا ولا يلوي عنقه خلف ظهره وقال كعب ابن مالك في حديثه الطويل ثم اصلي قريبا منه يعني من النبي صلى الله عليه وسلم واسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتي نظر الي واذا التفت نحوه اعرض عني ولم يامره باعادة الثالثة اختلف الناس في الخشوع هل هو من فرايض الصلاة او من فضايلها ومكملاتها على قولين والصحيح الاول ومحله القلب وهو اول علم يرفع من الناس قاله عبادة ابن الصامت رواه الترمذي من حديث جبير بن نفير عن ابي الدردا وقال هذا حديث حسن غريب وقد خرجه النساي من حديث جبير بن نفير ايضا عن عوف بن مالك الاشجعي من طريق صحيحة قال ابو عيسى ومعاوية ابن صالح ثقة عند اهل الحديث ولا نعلم احدا تكلم فيه غير يحيى بن سعيد القطان قلت معاوية بن صالح ابو عمرو ويقال ابو عمر الحضرمي الحمصي قاضي الاندلس سيل عنه ابو حاتم الرازي فقال صالح الحديث يكتب حديثه ولا يحتج به واختلف فيه قول يحيى بن معين ووثقه عبد الرحمن ابن مهدي واحمد بن حنبل وابو زرعة الرازي واحتج به مسلم في صحيحه وتقدم في البقرة معنى اللغو والزكاة فلا معنى للاعادة وقال الضحاك ان اللغو هنا الشرك وقال الحسن انه المعاصي كلها فهذا قول جامع يدخل فيه قول من قال هو الشرك وقول من قال هو الغنا كما روى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر على ما ياتي في لقمان بيانه ومعنى فاعلون اي مودون وهي فصيحة وقد جات في كلام العرب قال امية بن ابي الصلت • المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات •

الرابعة قوله تعالى والذين هم لفروجهم الاية قال ابن العربي في غريب القران ان هذه الايات الثلاث عامة في الرجال والنسا كساير الفاظ القران التي هي محتملة لهم فانها عامة فيهم الا قوله والذين هم لفروجهم حافظون فانما خاطب بها الرجال خاصة دون الزوجات بدليل قوله الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم وانما عرف حفظ المراة فرجها من ادلة اخر كايات الاحصان عموما وخصوصا وغير ذلك من الادلة قلت وعلى هذا التاويل في الاية فلا يحل لامراة ان يطاها من تملكه اجماعا من العلما لانها غير داخلة في الاية ولكنها لو اعتقته بعد ملكها له جاز ان يتزوجها كما يجوز لغيره عند الجمهور وروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة والشعبي والنخعي انها لو اعتقته حين ملكته كانا على نكاحهما قال ابو عمر ولا يقول هذا احد من فقها الامصار لانه بملكها عندهم يبطل النكاح بينهما وليس ذلك بطلاق وانما هو فسخ للنكاح وانه لو اعتقته بعد ملكها له لم يراجعها الا بنكاح جديد ولو كانت في عدة منه الخامسة قال محمد بن عبد الحكم سمعت حرملة ابن عبد العزيز قال سالت مالكا عن الرجل يجلد عميرة فتلا هذه الاية والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون وهذا لانهم يكنون عن الذكر بعميرة وفيه يقول الشاعر • اذا حللت بواد لا انيس به • فاجلد عميرة لا داء ولا حرج •
ويسميه اهل العراق الاستمنا وهو استفعال من المني واحمد بن حنبل على ورعه يجوزه ويحتج بانه اخراج فضلة من البدن فجاز عند الحاجة اصله الفصد والحجامة وعامة العلما على تحريمه

وقال بعض العلما انه كالفاعل بنفسه وهي معصية احدثها الشيطان واجراها بين الناس حتى صارت قيلة ويا ليتها لم تقل ولو قام الدليل على جوازها لكان ذو المروة يعرض عنها لدناتها فان قيل انها خير من نكاح الامة قلت نكاح الامة ولو كانت كافرة على مذهب بعض العلما خير من هذا وان كان قد قال به قايل ايضا ولكن الاستمنا ضعيف في الدليل عار بالرجل الدني فكيف بالرجل الكبير السادسة قوله تعالى الا على ازواجهم قال الفرا اي من ازواجهم اللاتي احل الله لهم لا يجاوزون او ما ملكت ايمانهم في موضع خفض معطوفة على ازواجهم وما مصدرية وهذا يقتضي تحريم الزنا وما قلناه من الاستمنا ونكاح المتعة لان المتمتع بها لا تجري مجرى الزوجات لا ترث ولا تورث ولا يلحق به ولدها ولا يخرج من نكاحها بطلاق يستانف لها وانما يخرج بانقضا المدة التي عقدت عليها وصارت كالمستاجرة ابن العربي ان قلنا ان نكاح المتعة جايز فهي زوجة الى اجل ينطلق عليها اسم الزوجية وان قلنا بالحق الذي اجمعت عليه الامة من تحريم نكاح المتعة لما كانت زوجة فلم تدخل في الاية قلت وفايدة هذا الخلاف هل يجب الحد ولا يلحق كالزنا الصريح او يدفع الحد ولا يلحق كالزنا الشبهة ويلحق الولد قولان لاصحابنا وقد كان للمتعة في التحليل والتحريم احوال فمن ذلك انها كانت مباحة ثم حرمها رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن خيبر ثم حللها في غزاة الفتح ثم حرمها بعد قاله ابن خويز منداد من اصحابنا وغيره واليه اشار ابن العربي وقد مضى في النسا القول فيها مستوفى والحمد لله السابعة قوله تعالى فمن ابتغى وراء ذلك فهم العادون فسمى من نكح ما لا يحل عاديا واوجب عليه الحد لعدوانه واللايط عاد قرانا ولغة بدليل قوله بل انتم قوم عادون كما تقدم في الاعراف فوجب ان يقام الحد عليهم وهذا ظاهر لا غبار عليه قلت فيه نظر ما لم يكن جاهلا او متاولا وان كان الاجماع منعقدا على ان قوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين خص به الرجال دون النسا فقد روى معمر عن قتادة قال تسررت امراة غلامها فذكر ذلك لعمر فسالها ما حملك على ذلك قالت كنت اراه يحل لي بملك يميني كما تحل للرجال المراة بملك اليمين فاستشار عمر في رجمها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تاولت كتاب الله على غير تاويله لا رجم عليها فقال عمر لا جرم والله لا احلك لحر بعده ابدا عاقبها بذلك ودرا الحد عنها وامر العبد ان لا يقربها وعن ابي بكر بن عبد الله انه سمع اباه يقول انا حضرت عمر ابن عبد العزيز جاته امراة بغلام لها وضي فقالت اني استسررته فمنعني بنو عمي عن ذلك وانما انا بمنزلة الرجل تكون له الوليدة فيطاها فانه عني بني عمي فقال عمر اتزوجت قبله قالت نعم قال اما والله لولا منزلتك من الجهالة لرجمتك بالحجارة ولكن اذهبوا به فبيعوه الى من يخرج به الى غير بلدها وورا بمعنى سوى وهو مفعول بابتغى اي من طلب سوى الازواج والولايد المملوكة له وقال الزجاج اي فمن ابتغى ما بعد ذلك فمفعول الابتغا محذوف وورا ظرف وذلك يشار به الى كل مذكور مونثا كان او مذكرا فاوليك هم العادون اي المجاوزون الحد من عدا اي جاوز الحد وجازه الثامنة قوله تعالى والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون قرا الجمهور لاماناتهم بالجمع وابن كثير بالافراد والامانة والعهد يجمع كل ما يحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولا وفعلا وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك وغاية ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد وكل عهد فهو امانة فيما تقدم فيه قول او فعل او معتقد التاسعة قرا الجمهور صلواتهم وحمزة والكساي صلاتهم بالافراد وهذا الافراد اسم جنس فهو في معنى الجمع والمحافظة على الصلاة اقامتها والمبادرة اليها اوايل اوقاتها واتمام ركوعها وسجودها وقد تقدم في البقرة مستوفى ثم قال اوليك هم الوارثون اي من عمل بما ذكر في هذه الايات فهم الوارثون اي يرثون منازل اهل النار من الجنة وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكنا في الجنة ومسكنا في النار فاما المومنون فياخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويجعل الكفار في منازلهم في النار خرجه ابن ماجة بمعناه عن ابي هريرة ايضا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فاذا مات فدخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اوليك هم الوارثون اسناده صحيح ويحتمل ان يسمى الحصول على الجنة وراثة من حيث حصولها دون غيرهم فهو اسم مستعار على الوجهين والفردوس

ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها خرجه الترمذي من حديث الربيع بنت النضر أم حارثة وقال
حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى
الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة قال أبو حاتم محمد بن حبان قوله صلى الله عليه وسلم فإنه أوسط يريد
أن الفردوس في وسط الجنان في العرض وهو أعلى الجنة يريد في الارتفاع وهذا كله يصحح قول
أبي هريرة إن الفردوس جبل الجنة التي تتفجر منها أنهار الجنة واللفظة فيما قال مجاهد رومية
عربت وقيل هي فارسية عربت وقيل حبشية وإن ثبت ذلك فهو وفاق بين اللغات وقال
الضحاك هو عربي وهو الكرم والعرب تقول للكروم فراديس هم فيها خالدون فأنث على معنى
الجنة قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين إلى قوله أحسن الخالقين فيه خمس
مسائل الأولى قوله تعالى ولقد خلقنا الإنسان الإنسان هنا آدم عليه السلام قاله قتادة وغيره
لأنه استل من الطين ويجيء الضمير في قوله ثم جعلناه عائدا على ابن آدم وإن كان لم يذكر لشهرة
الأمر فإن المعنى لا يصلح إلا له نظير ذلك حتى توارت بالحجاب وقيل المراد بالسلالة ابن آدم
قاله ابن عباس وغيره والسلالة على هذا صفوة الماء يعني المني والسلالة فعالة من السل
وهو استخراج الشيء من الشيء يقال سللت الشعر من العجين والسيف من الغمد فانسل
ومنه قوله • فسلي ثيابي من ثيابك تنسل • فالنطفة سلالة والولد سليل وسلالة عني
به الماء يسيل من الظهر سيلا قال الشاعر •

• فجاءت به عضب الأديم غضنفرا • سلالة فرج كان غير حصين •

وقال آخر • وهل هند إلا مهرة عربية • سليلة أفراس تجللها بغل •

وقوله من طين أي أن الأصل آدم وهو من طين قلت أي من طين خالص فأما ولده فهو من
طين ومني حسب ما بيناه في أول سورة الأنعام وقال الكلبي السلالة الطين إذا عصرته
انسل من بين أصابعك فالذي يخرج هو السلالة الثانية قوله تعالى من نطفة قد مضى
القول في النطفة والعلقة والمضغة وما في ذلك من الأحكام في أول الحج والحمد لله على
ذلك الثالثة قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر اختلف الناس في الخلق الآخر فقال ابن
عباس والشعبي وأبو العالية والضحاك وابن زيد هو نفخ الروح فيه بعد أن كان جمادا
وعن ابن عباس خروجه إلى الدنيا وقال قتادة عن فرقة نبات شعره الضحاك خروج إلى
الدنيا الأسنان ونبات الشعر مجاهد كمال شبابه وروي عن ابن عمر والصحيح أنه عام في هذا
وفي غيره من النطق والإدراك وحسن الحجا وتحصيل المعقولات إلى أن يموت الرابعة
قوله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين يروى أن عمر بن الخطاب لما سمع صدر الآية إلى
قوله خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا أنزلت
وفي مسند الطيالسي ونزلت ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين الآية فلما نزلت قلت
أنا تبارك الله أحسن الخالقين فنزلت تبارك الله أحسن الخالقين ويروى أن قائل ذلك معاذ
ابن جبل ويروى أن قائل ذلك عبد الله بن أبي سرح وبهذا السبب ارتد وقال آتي بمثل ما
يأتي محمد وفيه نزلت ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن
قال سأنزل مثل ما أنزل الله على ما تقدم في الأنعام بيانه وقوله تعالى فتبارك تفاعل من
البركة أحسن الخالقين أتقن الصانعين يقال لمن صنع شيئا خلقه ومنه قول الشاعر •

• ولأنت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري •

وذهب بعض الناس إلى نفي هذه اللفظة عن الناس وإنما يضاف الخلق إلى الله تعالى
وقال ابن جريج إنما قال أحسن الخالقين لأنه تعالى قد أذن لعيسى عليه السلام أن يخلق
واضطرب بعضهم في ذلك ولا تنفى اللفظة عن البشر في معنى الصنع وإنما هي منفية بمعنى
الاختراع والإيجاد من العدم مسألة من هذه الآية قال ابن عباس لعمر حين سأل مشيخة
الصحابة عن ليلة القدر فقالوا الله أعلم فقال عمر ما تقول يا ابن عباس فقال يا أمير المؤمنين
إن الله خلق السموات سبعا والأرضين سبعا وخلق ابن آدم من سبع وجعل رزقه في سبع
فأراها في ليلة سبع وعشرين فقال عمر رضي الله عنه أعجزكم أن تأتوا بمثل ما أتى هذا الغلام
الذي لم تجتمع شؤون رأسه وهذا الحديث بطوله في مسند ابن أبي شيبة فأراد ابن عباس خلق

ابن

ابن آدم من سبع بهذه الآية وبقوله جعل رزقه في سبع بقوله فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا
وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا الآية السبع منها لابن آدم والأب للأنعام والقضب
يأكله ابن آدم ويسمن به النساء هذا قول وقيل القضب البقول لأنها تقضب فهي رزق ابن
آدم والسابعة هي الأنعام إذ هي من أعظم رزق ابن آدم قوله تعالى ثم إنكم بعد ذلك لميتون
أي بعد الخلق والحياة الناس ويقال في هذا المعنى لمائتون ثم أخبر بالبعث بعد الموت
فقال ثم إنكم يوم القيامة تبعثون قوله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال أبو
عبيدة أي سبع سموات وحكي عنه أنه يقال طارقت الشيء أي جعلت بعضه فوق بعض فقيل
للسموات طرائق لأن بعضها فوق بعض والعرب تسمي كل شيء فوق شيء طريقة وقيل لأنها
طرائق الملائكة وما كنا عن الخلق غافلين قال بعض العلماء أي عن خلق السماء وقال أكثر
المفسرين أي عن الخلق كلهم من أن تسقط عليهم فتهلكهم قلت ويحتمل أن يكون المعنى وما كنا عن
الخلق غافلين أي في القيامة بمصالحه وحفظه وهو معنى الحي القيوم على ما تقدم قوله تعالى
وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض فيه أربع مسائل الأولى هذه الآية من نعم الله
على خلقه ومما امتن به عليهم ومن أعظم المنن الماء الذي هو حياة الأبدان ونماء الحيوان والماء
المنزل من السماء على قسمين هذا الذي ذكر الله سبحانه وأخبر عنه بأنه استودعه في الأرض وجعله
فيها مختزنا لسقي الناس يجدونه عند الحاجة إليه وهو ماء الأنهار والعيون وما يستخرج من
الآبار وروي عن ابن عباس وغيره أنه إنما أراد الأنهار الأربعة سيحان وجيحان والنيل والفرات
وقال مجاهد ليس في الأرض ماء إلا وهو من السماء وهذا ليس على إطلاقه وإلا فالأجاج ثابت
في الأرض فيمكن أن يقيد قوله بالماء العذب ولا محالة أن الله تعالى قد جعل في الأرض ماء وأنزل من السماء
ماء وقد قيل إن قوله وأنزلنا من السماء ماء إشارة إلى الماء العذب وأن أصله من البحر رفعه تعالى
بلطفه وحسن تقديره من البحر إلى السماء حتى طاب بذلك الرفع والتصعيد ثم أنزله إلى الأرض لينتفع
به ولو كان الأمر إلى ماء البحر لما انتفع به من ملوحته الثانية قوله تعالى بقدر أي على مقدار مصلح لأنه
لو كثر أهلك ومنه قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم وإنا على ذهاب به
لقادرون يعني الماء المختزن وهذا تهديد ووعيد أي في قدرتنا إذهابه وتغويره ويهلك
الناس بالعطش وتهلك مواشيهم وهذا كقوله تعالى قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا أي غائرا فمن
يأتيكم بماء معين الثالثة ذكر النحاس قرئ على أبي يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن يونس عن جامع بن
سوادة قال حدثنا سعيد بن سابق قال ثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أنزل الله جل وعز من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار
سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر
مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة في أسفل درجة من درجاتها على جناحي
جبريل عليه السلام فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف
معايشهم وذلك قوله جل ثناؤه وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض فإذا كان عند
خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جل وعز جبريل عليه السلام فرفع من الأرض القرآن والعلم
وجميع الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون
فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا الرابعة كل ما نزل من السماء
مختزنا كان أو غير مختزن فهو طاهر مطهر يغتسل به ويتوضأ منه على ما يأتي في الفرقان بيانه
قوله تعالى فأنشأنا لكم به جنات فيه مسألتان الأولى قوله تعالى فأنشأنا أي جعلنا ذلك
سبب النبات وأوجدناه به وخلقناه وذكر تعالى النخيل والأعناب لأنها ثمرة الحجاز
بالطائف والمدينة وغيرهما قاله الطبري ولأنها أيضا أشرف الثمار فذكرها تشريفا لها وتنبيها
عليها لكم فيها أي في الجنات فواكه من غير الرطب والعنب ويحتمل أن يعود على النخيل والأعناب
خاصة إذ فيها مراتب وأنواع والأول أعم لسائر الثمرات الثانية من حلف ألا يأكل فاكهة ففي
الرواية عندنا يحنث بالباقلاء الخضراء وما أشبهها وقال أبو حنيفة لا يحنث بأكل القثاء والخيار
والجزر لأنها من البقول لا من الفاكهة وكذلك الجوز واللوز والفستق لأن هذه الأشياء لا تعد
من الفاكهة وإن أكل تفاحا أو خوخا أو مشمشا أو تينا أو إجاصا يحنث وكذلك البطيخ لأن هذه

الاشيا تو كل على جهة التفكه مثل الطعام وبعده فكانت فاكهة وكذلك يابس هذه الاشيا
الا البطيخ اليابس لان ذلك لا يوكل الا في بعض البلدان ولا يحنث باكل البطيخ الهندي لانه لا يعد
من الفواكه وان اكل عنبا ورمانا او رطبا لا يحنث وخالفه صاحباه فقالا يحنث لان هذه الاشيا
من اعز الفواكه وتوكل على وجه التنعم والافراد لها بالذكر في كتاب الله لكمال معانيها كتخصيص
جبريل وميكائيل من الملائكة واحتج ابو حنيفة بان قال عطف هذه الاشيا على الفاكهة مرة
فقال فيها فاكهة ونخل ورمان ومرة عطف الفاكهة على هذه الاشيا فقال وفاكهة وابا والمعطوف
غير المعطوف عليه ولا يليق بالحكمة ذكر الشي الواحد بلفظين مختلفين في موضع المنة والعنب
والرمان يكتفى بهما في بعض البلدان فلا يكون فاكهة ولان ما كان فاكهة لا فرق بين رطبه ويابسه
ويابس هذه الاشيا لا تعد فاكهة فكذلك رطبها قوله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت
بالدهن وصبغ للاكلين فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى وشجرة معطوفة على جنات واجاز
الفرا الرفع لانه لم يظهر الفعل بمعنى وثم شجرة ويريد بها شجرة الزيتون وافردها بالذكر لعظيم منافعها
في ارض الشام والحجاز وغيرهما من البلاد وقلة تعاهدها بالسقي والحفر وغير ذلك من المراعاة
في ساير الاشجار وتخرج في موضع الصفة من طور سيناء اي انبتها الله في الاصل من هذا الجبل
الذي بارك فيه وطور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام
قاله ابن عباس وغيره وقد تقدم في البقرة والاعراف والطور الجبل في كلام العرب وقيل
هو مما عرب من كلام العجم وقال ابن زيد هو جبل بيت المقدس ممدود من مصر الى ايلة واختلف
في سينا فقال قتادة معناه الحسن ويلزم على هذا التاويل ان ينون الطور على النعت
وقال مجاهد معناه مبارك وقال معمر عن فرقة معناه شجر ويلزمهم ان ينونوا الطور
وقال الجمهور هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وعن مجاهد ايضا سينا حجر بعينه اضيف
الجبل اليه لوجوده عنده وقال مقاتل كل جبل يحمل الثمار فهو سينا اي حسن وقرا الكوفيون
بفتح السين على وزن فعلا وفعلا في كلام العرب كثير يمنع من الصرف في المعرفة والنكرة
لان في اخرها الف التانيث والف التانيث ملازمة لما هي فيه وليس في الكلام فعلا ويكون
من قرا سينا بكسر السين جعله فعلالا فالهمزة فيه كهمزة حربا ولم يصرف في هذه الاية
لانه جعل اسم بقعة وزعم الاخفش انه اسم اعجمي الثانية قوله تعالى تنبت بالدهن قرا الجمهور
تنبت بفتح التا وضم البا والتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرا
ابن كثير وابو عمرو بضم التا وكسر البا واختلف في التقدير على هذه القراة فقال ابو
علي الفارسي التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول محذوف وقيل الباء زايدة مثل
ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وهذا مذهب ابي عبيدة وقال الشاعر

نضرب بالسيوف ونرجوا بالفرج • وقال اخر •

هن الحراير لا ربات احمرة • سود المحاجر لا يقران بالسور •

ونحو هذا قاله ابو علي ايضا وقد تقدم وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى
في قراة الجمهور وهو مذهب الفرا وابي اسحاق ومنه قول زهير •

• رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم • قطينا بها حتى اذا انبت البقل •

اي نبت وقرى الزهري والحسن والاعرج تنبت بالدهن برفع التاء ونصب البا قال
ابن جني والزجاج هي باء الحال اي تنبت ومعها دهنها وفي قراة ابن مسعود
تخرج بالدهن وهي باء الحال ابن درستويه الدهن الماء اللين وتنبت من الانبات وقرا زر
ابن حبيش تنبت بضم التاء وكسر الباء الدهن بحذف الباء ونصبه وقرا سليمان بن عبد الملك
والاشهب بالدهان والمراد من الاية تعديد نعمة الزيت على الانسان وهي من اركان النعم
التي لا غنى بالصحة عنها ويدخل في معنى الزيتون شجر الزيت كله على اختلافه بحسب الاقطار
الثالثة قوله تعالى وصبغ للاكلين قراة الجمهور وقرات فرقة واصباغ بالجمع وقرا عامر بن عبد
قيس ومتاعا والمراد به الزيت الذي يصطبغ به الاكل يقال صبغ وصباغ مثل دبغ ودباغ
ولبس ولباس وكل ادام يوتدم به فهو صبغ حكاه الهروي وغيره واصل الصبغ ما يلون به
الثوب وشبه الادام به لان الخبز يكون بالصبغ اذا غمس فيه وقال مقاتل الادم الزيتون

والدهن

والدهن الزيت وقد جعل الله في هذه الشجرة اداما ودهنا فالصبغ على هذا الزيتون الرابعة
لا خلاف ان كل ما يصطبغ فيه من المايعات كالزيت والسمن والعسل والرب والخل وغير
ذلك من الامراق انه ادام وقد نص رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخل فقال نعم الادام
الخل رواه تسعة من الصحابة سبعة رجال وامراتان وممن رواه في الصحيح جابر وعايشة
وخارجة وعمر وابنه عبيد الله وابن عباس وابو هريرة وسمرة ابن جندب وانس وام هاني
الخامسة واختلف فيما كان جامدا كاللحم والتمر والزيتون وغير ذلك من الجوامد فالجمهور
ان ذلك كله ادام فمن حلف ان لا ياكل اداما فاكل لحما او جبنا حنث وقال ابو حنيفة لا يحنث وخالفه
صاحباه وقد روي عن ابي يوسف مثل قول ابي حنيفة والبقل ليس بادام ولو في التنبيه
في قولهم جميعا عن الشافعي في البرو جهان والمشهور انه ليس باداه لقوله في التنبيه وقيل يحنث
والصحيح ان هذا كله ادام وقد روي ابو داود عن يوسف عن عبد الله بن سلام قال رايت النبي
صلى الله عليه وسلم اخذ كسرة من خبز شعير فوضع عليها تمرة فقال هذه ادام هذه وقال صلى الله
عليه وسلم سيد ادام الدنيا والاخرة اللحم ذكره ابو عمر وترجم البخاري باب الادام وساق حديث
عايشة ولان الادام ماخوذ من الموادمة وهي الموافقة وهذه الاشيا توافق الخبز فكان اداما
وفي الحديث عنه عليه السلام ايتدموا ولو بالما ولابي حنيفة ان حقيقة الادام الموافقة في الاجتماع
على وجه لا يحتمل الفصل كالخل بل يجاوزه كالبطيخ والتمر والعنب والحاصل ان كل ما يحتاج ويوكل
وحده لا يكون اداما والله اعلم السادسة روي الترمذي من حديث عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة
هذا حديث لا يعرف الا من حديث عبد الرزاق وكان يضطرب فيه فربما ذكر فيه عن عمر عن
النبي صلى الله عليه وسلم وربما رواه على الشك فقال احسبه عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
وقال مقاتل خص الطور بالزيتون لان اول الزيتون نبت منها وقيل ان الزيتون اول شجرة
نبتت في الدنيا بعد الطوفان والله اعلم قوله تعالى وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونها الايات الى اخرها تقدم القول فيها في النحل والحمد لله وفي هود قصة السفينة
ونوح وركوب البحر في غير موضع قوله تعالى وعليها اي وعلى الانعام في البر وعلى
الفلك في البحر تحملون وانما يحمل في البر على الابل فيجوز ان ترجع الكناية الى بعض الانعام
وروي ان رجلا ركب بقرة في الزمان الاول فانطقها الله تعالى معه فقالت انما خلقت
لهذا وانما خلقت للحرث قوله تعالى ما لكم من اله غيره قري بالخفض ردا على اللفظ وبالرفع
ردا على المعنى وقد مضى في الاعراف قوله تعالى ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل
عليكم اي يسودكم ويشرف عليكم بان يكون متبوعا ونحن له تبع ولو شا الله لانزل ملايكة
اي لو شا الله ان لا يعبد شي سواه لجعل رسوله ملكا ما سمعنا بهذا اي بمثل دعوته وقيل
ما سمعنا بمثله بشرا اتى برسالة ربه في ابائنا الاولين اي في الامم الماضية قال ابن عباس والبا
في بهذا زايدة اي ما سمعنا هذا كاينا في ابائنا ثم عطف بعضهم على بعض فقالوا ان هو يعنون
نوحا الا رجل به جنة اي جنون لا يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين اي انتظروا موته وقيل
حتى يستبين جنونه وقال الفراء ليس يراد بالحين هاهنا وقت بعينه انما هو كقوله دعه الى يوم
ما فقال حين تمادوا على كفرهم رب انصرني بما كذبون اي انتقم ممن لم يطعني ولم يسمع رسالتي
فاوحينا اليه اي ارسلنا اليه رسولا من السما ان اصنع الفلك على ما تقدم بيانه قوله تعالى
فاذا استويت اي علوت انت ومن معك على الفلك راكبين فقل الحمد لله اي احمدوا الله على
تخليصه اياكم من القوم الظالمين ومن الغرق والحمد لله كلمة كل شاكر لله وقد مضى في الفاتحة
بيانه قوله تعالى فاسلك فيها اي ادخل فيها واجعل فيها يقال سلكته في كذا واسلكته
فيه اذا ادخلته قال عبد مناف ابن ربيع الهذلي •

• حتى اذا اسلكوهم في قتايده • شلا كما تطرد الجمالة الشردا •

من كل زوجين اثنين قرا حفص من كل بالتنوين الباقون بالاضافة وقد ذكر وقال الحسن
لم يحمل نوح في السفينة الا ما يلد ويبيض فاما البق والذباب والدود فلم يحمل شيا منها وانما
يخرج من الطين وقد مضى القول في السفينة والكلام فيها مستوفى في قوله تعالى وقل رب انزلني

منزلا مباركا قراه العامة منزلا بضم الميم وفتح الزاي على المصدر الذي هو الانزال اي انزلني انزالا مباركا وقرا زر بن حبيش وابو بكر عن عاصم والمفضل منزلا بفتح الميم وكسر الزاي على الموضع اي انزلني موضعا مباركا الجوهري والمنزل بفتح الميم والزاي المنزل وهو الحلول تقول نزلت نزولا ومنزلا يقال ان ذكرك الدار منزلها جمل بكيت فرفع العين مصدر يحيل نصب المنزل لانه مصدر وانزله غيره واستنزله بمعنى ونزله تنزيلا والتنزيل ايضا الترتيب قال ابن عباس ومجاهد هذا حين خرج من السفينة مثل قوله اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وقيل حين دخلها فعلى هذا يكون قوله مباركا يعني بالسلامة والنجاة قلت وبالجملة فالاية تعليم من الله عز وجل لعباده اذا ركبوا واذا نزلوا ان يقولوا هذا بل واذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا وروي عن علي رضي الله عنه انه كان اذا دخل المسجد قال اللهم انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين قوله تعالى ان في ذلك لايات اي في امر نوح والسفينة واهلاك الكافرين لايات اي دلالات على كمال قدرة الله تعالى وانه ينصر انبياءه ويهلك اعداءهم وان كنا لمبتلين اي ما كنا الا مبتلين الامم قبلكم اي مختبرين لهم بارسال الرسل اليهم ليظهر المطيع والعاصي فيتبين للملائكة حالهم لا ان يستجد الرب علما وقيل اي نعاملهم معاملة المختبرين وقد تقدم هذا المعنى في البقرة وغيرها وقيل وان كنا اي وقد كنا قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك قوم نوح قرنا اخرين قيل هم قوم عاد فارسلنا فيهم رسولا منهم يعني هودا لانه ما كانت امة انشئت في اثر قوم نوح الا عاد وقيل هم قوم ثمود فارسلنا فيهم رسولا يعني صالحا قالوا والدليل عليه قوله تعالى اخر الاية فاخذتهم الصيحة نظيرها واخذ الذين ظلموا الصيحة قلت وممن اخذوا بالصيحة ايضا اصحاب مدين قوم شعيب فلا يبعد ان يكونوا هم والله اعلم منهم من عشيرتهم يعرفون مولده ومنشاه ليكون سكونهم الى قوله اكثر قوله تعالى وقال الملأ اي الاشراف والقادة والرؤساء من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الاخرة يريد بالبعث والحساب واترفناهم في الحياة الدنيا اي وسعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا وصاروا يؤتون بالترفه وهي مثل النعمة ما هذا الا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون فلا فضل له عليكم لانه محتاج الى الطعام والشراب كانتم وزعم الفراء ان معنى ويشرب مما تشربون على حذف من اي مما تشربون منه وهذا لا يجوز عند البصريين ولا يحتاج الى حذف البتة لان ما اذا كان مصدرا لم يحتج الى عائد فان جعلتها بمعنى الذي حذفت المفعول ولم يحتج الى اضمار من ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون يريد لمغبونون بترككم الهتكم واتباعكم اياه من غير فضيلة له عليكم ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون اي مبعوثون من قبوركم وان الاولى في موضع نصب بوقوع يعدكم عليها والثانية بدل منها هذا مذهب سيبويه والمعنى ايعدكم انكم مخرجون اذا متم قال الفراء والجرمي وابو العباس المبرد ان الثانية مكررة للتوكيد لما طال الكلام كان تكريرها حسنا وقال الاخفش المعنى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما يحدث اخراجكم فان الثانية في موضع رفع بفعل مضمر كما تقول اليوم القتال فالمعنى اليوم يحدث القتال وقال ابو اسحاق ويجوز ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون لان معنى ايعدكم ايقول لكم قوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون قال ابن عباس هي كلمة للبعد كانهم قالوا بعيد ما توعدون اي ان هذا لا يكون ما يذكر من البعث وقال ابو علي هو بمنزلة الفعل اي بعد ما توعدون وقال ابن الانباري وفي هيهات لك بخفض التاء يروى عن ابي جعفر هو ابن القعقاع وهيهات لك بالخفض والتنوين يروى عن عيسى بن عمر وهيهات لك برفع التاء الثعلبي وبها قرا نصر بن عاصم وابو العالية وهيهات لك بالرفع والتنوين وبها قرا ابو حيوة الشامي ذكره الثعلبي ايضا وهيهاتا لك بالنصب والتنوين قال الاحوص

تذكرت اياما مضين من الصبا ... وهيهات هيهاتا اليك رجوعها

واللغة السابعة ايهات ايهات وانشد الفراء

فايهات ايهات العقيق ومن به ... وايهات اهل بالعقيق نواصله

قال المهدوي وقرا عيسى الهمداني هيهات هيهات بالاسكان قال ابن الانباري ومن العرب من

يقول ايهان بالنون ومنهم من يقول ايها بلا نون وانشد الفراء

ومن دوني الاعيار والقنع كله ... وكتمان ايها ما اشت وابعد

فهذه عشر لغات فمن قال هيهات بفتح التاء جعله مثل اين وكيف وقيل لانهما اداتان مركبتان مثل خمسة عشر وبعلبك ورام هرمز وتقف على الثاني بالهاء كما تقول خمس عشرة وسبع عشرة وقال الفراء نصبها كنصب ثمت وربت ويجوز ان يكون الفتح اتباعا للالف والفتحة التي قبلها ومن كسره جعله مثل امس وهؤلاء قال وهيهات هيهاتا اليك رجوعها قال الكسائي ومن كسر التاء وقف عليها بالهاء فيقول هيهاه ومن نصبها وقف بالتاء وان شاء بالهاء ومن ضمه فعلى مثل منذ وقط وحيث ومن قرا هيهات بالتنوين فهو جمع ذهب به الى التكثير كانه قال بعدا بعدا وقيل خفض ونون تشبيها بالاصوات بقولهم غاق وطاق وقال الاخفش يجوز في هيهات ان يكون جماعة فتكون التاء التي فيها تاء الجميع التي للتانيث ومن قرا هيهات جاز ان يكون اخلصها اسما معربا فيه معنى البعد ولم يجعله اسما للفعل فيبنيه وقيل يشبه التاء بتاء الجمع كقوله فاذا افضتم من عرفات قال الفراء وكاني استحب الوقف على التاء لان من العرب من يخفض التاء على كل حال فكانها مثل عرفات وملكوت وما اشبه ذلك وكان مجاهد وعيسى ابن عمر وابو عمرو بن العلاء والكسائي وابن كثير يقفون عليها هيهاه بالهاء وقد روي عن ابي عمرو ايضا انه كان يقف على هيهات بالتاء وعليه بقية القراء لانها حرف قال ابن الانباري من جعلهما حرفا واحدا لا يفرد احدهما من الاخر وقف على الثاني بالهاء ولم يقف على الاول فيقول هيهات هيهاه كما تقول خمس عشرة على ما تقدم ومن نوى افراد احدهما من الاخر وقف فيهما جميعا بالهاء والتاء لان اصل الهاء تاء قوله تعالى ان هي الا حياتنا الدنيا هي كناية عن الدنيا اي ما الحياة الا ما نحن فيه لا الحياة الاخرة التي تعدنا بعد البعث نموت ونحيا يقال كيف قالوا نموت ونحيى وهم لا يقرون بالبعث ففي هذا اجوبة منها ان يكون المعنى نكون مواتا اي نطفا ثم نحيى في الدنيا وقيل فيه تقديم وتاخير اي ان هي الا حياتنا الدنيا نحيى فيها ونموت كما قال واسجدي واركعي وقيل نموت يعني الاباء ونحيى يعني الاولاد وما نحن بمبعوثين بعد الموت قوله تعالى ان هو الا رجل يعنون الرسول الا رجل افترى اي اختلق على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين قال رب انصرني بما كذبون تقدم قال عما قليل اي عن قليل وما زائدة مؤكدة ليصبحن نادمين على كفرهم واللام لام القسم اي والله ليصبحن فاخذتهم الصيحة في التفاسير صاح بهم جبريل عليه السلام صيحة واحدة مع الريح التي اهلكهم الله بها فماتوا عن اخرهم فجعلناهم غثاء اي هلكى هامدين كغثاء السيل وهو ما يحمله من بالي الشجر من الحشيش والقصب مما يبس وتفتت فبعدا للقوم الظالمين اي هلاكا لهم وقيل بعدا لهم من رحمة الله وهو منصوب على المصدر ومثله سقيا له ورعيا قوله تعالى ثم انشانا من بعدهم اي من بعد هلاك هؤلاء قرونا اي امما اخرين قال ابن عباس يريد بني اسرائيل وفي الكلام حذف فكذبوا انبياءهم فاهلكناهم ما تسبق من امة اجلها من صلة اي ما تسبق امة الوقت الموقت لها ولا تتاخره مثل قوله فاذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ومعنى تترا تتواتر ويتبع بعضهم بعضا ترغيبا وترهيبا قال الاصمعي واترت كتبي عليه اتبعت بعضها بعضا الا ان بين كل واحد منها وبين الاخر مهلة وقال غيره المتواترة التتابع بغير مهلة وقرا ابن كثير وابو عمرو تترا بالتنوين على انه مصدر ادخل فيه التنوين على فتح الراء كقولك حمدا وشكرا فالوقف على هذا على الالف المعوضة من التنوين ويجوز ان يكون ملحقا بجعفر فيكون مثل ارطى وعلقى كما قال يستن في علقى وفي مكور فاذا وقف على هذا الوجه جازت الامالة على ان ينوي الوقف على الالف الملحقة وقرا ورش بين اللفظين مثل سكرى وغضبى وهو اسم جمع مثل شتى واسرى واصله وترا من المواترة والتواتر فقلبت الواو تاء مثل التقوى والتكلان وتجاه ونحوها وقيل هو من الوتر وهو الفرد فالمعنى ارسلناهم فردا فردا النحاس وعلى هذا يجوز تترا بكسر التاء الاولى وموضعها نصب على المصدر لان المعنى ثم ارسلنا واترنا ويجوز ان يكون في موضع الحال اي متواترين فاتبعنا بعضهم بعضا بالهلاك وجعلناهم احاديث جمع احدوثة وهي ما يتحدث به كاعاجيب جمع اعجوبة وهي ما يتعجب منه قال الاخفش انما يقال صار فلان حديثا اي عبرة ومثلا كما قال في اية اخرى فجعلناهم احاديث ومزقناهم كل ممزق قلت وقد يقال فلان حديث حسن اذا كان

معتبدا بذكر ذلك ومنه قول ابن دريد وانما المرء حديث حسن فكن حديثا حسنا لمن وعى قوله
تعالى ثم ارسلنا موسى واخاه الى اخر الاية تقدم ومعنى عالين متكبرين قاهرين كثيرهم
بالظلم كما قال ان فرعون علا في الارض فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا الاية تقدم ايضا
ومعنى من المهلكين اي بالغرق في البحر قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة
وخص موسى بالذكر لان التوراة انزلت عليه في الطور وهرون خليفة في قومه ولو قال
اتيناهما جاز كما قال ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان قوله تعالى وجعلنا ابن مريم وامه
اية تقدم في الانبيا القول فيه واويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين الربوة المكان المرتفع
وقد تقدم في البقرة والمراد بها هنا في قول ابي هريرة فلسطين وعنه ايضا الرملة وروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس وابن المسيب وابن سلام دمشق وقال كعب
وقتادة بيت المقدس وقال كعب وهي اقرب الارض الى السما بثمانية عشر ميلا قال
• وكنت هميدا تحت رمس بربوة • تعاودني ريح جنوب وشمال •
وقال ابن زيد مصر وروى سالم الافطس عن سعيد بن جبير واويناهما الى ربوة قال النشز
من الارض ذات قرار اي مستوية يستقر عليها وقيل ذات ثمار ولاجل الثمار يستقر فيها
الساكنون ومعين ماء جار ظاهر للعيون يقال معين ومعن كما يقال رغيف ورغف قاله علي
ابن سليمان وقال الزجاج هو الماء الجاري في العيون فالميم على هذا زايدة كزيادة في مبيع
وكذلك الميم زايدة في قول من قال انه الماء الذي يرى بالعين وقيل انه فعيل بمعنى مفعول
قال علي بن سليمان يقال معن الماء اذا اجري فهو معين ومعيون ابن الاعرابي معن الما يمعن
معونا اذا جرى وسهل وامعن ايضا وامعنته ومياه معنان قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من
الطيبات واعملوا صالحا فيه ثلاث مسايل الاولى روى الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ايها الناس ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله امر المومنين بما امر به
المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يديه الى السما
يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك
الثانية قال بعض العلما الخطاب في هذه الاية للنبي صلى الله عليه وسلم وانه اقامه مقام
الرسل كما قال الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود وقال الزجاج هذه مخاطبة
للنبي صلى الله عليه وسلم ودل الجمع على ان الرسل كلهم كذا امروا اي كلوا من الحلال وقال
الطبري الخطاب لعيسى روي انه كان ياكل من غزل امه والمشهور عنه انه كان ياكل من بقل
البرية ووجه خطابه لعيسى ما ذكرناه من تقديره لمحمد صلى الله عليه وسلم تشريفا له وقيل
ان هذه المقالة خوطب بها كل نبي لان هذه طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها فيكون
المعنى وقلنا يا ايها الرسل كلوا من الطيبات كما تقول لتاجر يا تجار ينبغي ان تجتنبوا الربا فانت
تخاطبه بالمعنى وقد اقترن بذلك ان هذه المقالة تصلح لجميع صنفه فلم يخاطبوا قط مجتمعين
صلوات الله عليهم اجمعين وانما خوطب كل واحد في عصره قال الفرا هو كما تقول للرجل
الواحد كفوا عنا اذاكم الثالثة سوى الله سبحانه وتعالى بين النبيين والمومنين في الخطاب
بوجوب اكل الحلال وتجنب الحرام ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى اني بما تعملون
عليم صلى الله على رسله وانبيايه واذا كان هذا معهم فما ظن كل الناس بانفسهم وقد مضى
القول في الطيبات والرزق في غير موضع والحمد لله وفي قوله عليه السلام يمد يديه دليل على
مشروعية مد اليدين عند الدعا الى السما وقد مضى الخلاف في هذا والكلام فيه والحمد لله
وقوله عليه السلام فاني يستجاب لذلك على جهة الاستبعاد اي انه ليس اهلا لاجابة دعايه لكن
يجوز ان يستجيب الله له تفضلا ولطفا وكرما قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة المعنى هذا الذي تقدم ذكره
هو دينكم وملتكم فالزموه والامة هنا الدين وقد تقدم محامله ومنه قوله تعالى انا
وجدنا اباءنا على امة اي على دين وقال النابغة
• حلفت فلم اترك لنفسك ريبة • وهل ياثمن ذو امة وهو طايع •

الثانية

الثانية قري وان هذه بكسر ان على القطع وبفتحها وتشديد النون قال الخليل هي في موضع
نصب لما زال الخافض اي انا عالم بان هذا دينكم الذي امرتكم ان تومنوا به وقال الفرا ان متعلقة
بفعل مضمر وتقديره واعلموا ان هذه امتكم وهي عند سيبويه متعلقة بقوله فاتقون والتقدير
فاتقون لان امتكم واحدة وهذا كقوله تعالى وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اي لان
المساجد لله فلا تدعوا معه غيره وكقوله لايلاف قريش اي فليعبدوا رب هذا البيت لايلاف
قريش الثالثة هذه الاية تقوي ان قوله تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير
حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلق اتصال قوله وانصال
قوله فتقطعوا امامان قوله وانا ربكم فاتقون وان كان قيل للانبيا فامتهم داخلون فيه بالمعنى
فيحسن بعد ذلك اتصال فتقطعوا اي افترقوا يعني الامم اي جعلوا دينهم اديانا بعد ما امروا بالاجتماع
ثم ذكر تعالى ان كلا منهم معجب برايه وضلالته وهذه غاية الضلال الرابعة هذه الاية تنظر الى
قوله صلى الله عليه وسلم الا ان من قبلكم من اهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وان
هذه الامة ستفترق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة
الحديث خرجه ابو داود ورواه الترمذي وزاد قالوا ومن هي يا رسول الله قال ما انا عليه واصحابي
خرجه من حديث عبد الله بن عمرو وهذا يبين ان الافتراق المحذر منه في الاية والحديث انما هو
في اصول الدين وقواعده لانه قد اطلق عليها مللا واخبر ان التمسك بشي من تلك الملل موجب
لدخول النار ومثل هذا لا يقال في الفروع فانه لا يوجب تعديد الملل ولا عذاب النار قال
الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا قوله تعالى زبرا يعني كتبا وضعوها وضلالات
الفوها قاله ابن زيد وقيل انهم فرقوا الكتب فاتبعت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة
الزبور وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبدل قاله قتادة وقيل اخذ كل فريق منهم كتابا امن به
وكفر بما سواه وزبرا بضم البا قراءة نافع جمع زبور والاعمش وابو عمرو بخلاف عنه زبرا بفتح
البا اي قطعا كقطع الحديد كقوله اتوني زبر الحديد كل حزب اي فريق وملة بما لديهم اي
عندهم من الدين فرحون اي معجبون به وهذه الاية مثال لقريش خاطب محمدا عليه السلام
في شانهم متصلا بقوله فذرهم في غمرتهم اي فذرها ولا الذين هم بمنزلة من تقدم ولا يضيق
صدرك بتاخر العذاب عنهم فلكل شي وقت والغمرة في اللغة ما يغمرك ويعلوك واصله الستر
ومنه الغمر الحقد لانه يغطي القلب والغمر الما الكثير لانه يغطي الارض وغمر الرداء الذي يشمل
الناس بالعطا قال • غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا • غلقت لضحكته رقاب المال •
والمراد هنا الحيرة والغفلة والضلالة ودخل فلان في غمار الناس اي زحمتهم وقوله حتى حين
قال مجاهد حتى الموت فهو تهديد لا توقيت كما يقال سياتي لك يوم قوله تعالى ايحسبون
انما نمدهم به من مال وبنين ما بمعنى الذي اي ايحسبون يا محمد ان الذي نعطيهم في الدنيا من المال
والاولاد هو ثواب لهم انما هو استدراج واملا ليس اسراعا في الخيرات وفي خبر ان ثلاثة
اقوال احدها انه محذوف وقال الزجاج المعنى نسارع لهم به في الخيرات وحذفت به وقال
هشام الضرير قولا دقيقا قال انما هو الخيرات فصار المعنى نسارع لهم فيه ثم اظهر فقال
في الخيرات ولا حذف فيه على هذا التقدير ومذهب الكسايي ان انما حرف واحد فلا يحتاج الى
تقدير حذف ويجوز الوقف على قوله وبنين ومن قال انما حرفان فلا بد من ضمير يرجع من الخبر
الى اسم ان ولم يتم الوقف على وبنين وقال السجستاني لا يحسن الوقف على وبنين لان يحسبون
يحتاج الى مفعولين فتمام المفعولين في الخيرات قال ابن الانباري وهذا خطا لان ان كافية
من اسم ان وخبرها ولا يجوز ان يوتى بعد ان بمفعول ثان وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وعبد
الرحمن بن ابي بكرة يسارع بالياء على ان يكون فاعله امدادنا وهذا يجوز على ان يكون على
غير حذف اي يسارع لهم الامداد ويجوز ان يكون فيه حذف ويكون المعنى يسارع الله لهم وقري
يسارع لهم في الخيرات وفيه ثلاثة تقادير احدها على حذف به ويجوز ان يكون يسارع الامداد
ويجوز ان يكون لهم اسم ما لم يسم فاعله ذكره النحاس قال المهدوي وقرا الحر النحوي نسرع لهم
في الخيرات وهو معنى قراءة العامة لقوله عنهم بل لا يشعرون ان ذلك فتنة لهم واستدراج قوله
تعالى ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون لما فرغ ذكر الكفرة وتوعدهم عقب ذلك بذكر المومنين

المسارعين في الخيرات ووعدهم وذكر ذلك بابلغ صفاتهم ومشفقون خايفون وجلون مما
خوفهم الله تعالى والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قال الحسن يوتون الاخلاص ويخافون
ان لا يقبل منهم وروى الترمذي عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت سالت رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة قالت عايشة اهم
الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون
وهم يخافون ان لا يقبل منهم اولئك يسارعون في الخيرات وقال الحسن لقد ادركت اقواما كانوا من
حسناتهم ان ترد عليهم اشفق منكم على سياتكم ان تعذبوا عليها وقرات عايشة وابن عباس والنخعي
والذين يوتون ما اتوا مقصورا من الاتيان قال الفرا ولو صحت هذه القراة عن عايشة لم
تخالف قراة الجماعة لان الهمز من العرب من يلزم فيه الالف في كل الحالات اذا كتب فيكتب سيل
الرجل بالف بعد السين ويستهزون بالف بين الزاء والواو وشي بالف بعد اليا فغير مستنكر في
مذهب هاولاء ان يكتب يوتون بالف بعد اليا فيحتمل هذا اللفظ بالبنا على هذا الخط قراتين
يوتون ما اتوا ويوتون ما اتوا وينفرد ما عليه الجماعة باحتمال تاويلين احدهما والذين يعطون
ما اعطوا من الزكاة والصدقة وقلوبهم خايفة والاخر والذين يوتون الملايكة والذين
يكتبون الاعمال على العباد ما اتوا وقلوبهم وجلة فحذف مفعول في هذا الباب لوضوح معناه
كما حذف في قوله جل وعز فيه يغاث الناس وفيه يعصرون فالمعنى يعصرون السمسم والعنب
فاختزل المفعول لوضوح تاويلهم ويكون الاصل في الحرف على هجايه الموجود في الامام ياتون بالف
مبدلة من الهمزة فيكتب الالف واوا لتاخي حروف المد واللين في الخفا حكاه ابن الانباري قال
النحاس المعروف من قراة ابن عباس والذين يوتون ما اتوا وهي القراة المروية عن النبي صلى
الله عليه وسلم وعن عايشة رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا كما روي في الحديث والوجل
نحو الاشفاق والخوف فالتقي والتايب خوفه المعاينة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله
انهم الى ربهم راجعون تنبيه على الخاتمة وفي صحيح البخاري وانما الاعمال بالخواتيم واما
المخلط فينبغي له ان يكون تحت خوف من ان ينفذ عليه الوعيد بتخليطه وقال بعض اصحاب
الخواطر وجل العارف من طاعته اكثر وجلا من وجله من مخالفته لان المخالفة تمحوها التوبة
والطاعة تطلب بتصحيح الغرض انهم اي لانهم او من اجل انهم الى ربهم راجعون قوله تعالى
يسارعون في الخيرات اي في عمل الخيرات اي في الطاعات كي ينالوا بذلك اعلى الغرفات والدرجات
وقري يسرعون في الخيرات اي يكونوا سراعا اليها ويسارعون على معنى يسابقون من سابقهم
اليها فالمفعول محذوف قال الزجاج يسارعون ابلغ من يسرعون وهم لها سابقون احسن
ما قيل فيه انهم يسبقون الى اوقاتها ودل بهذا ان الصلاة في اول الوقت افضل كما تقدم في
البقرة وكل من تقدم في شي فقد سابق اليه وكل من تاخر عنه فقد سبقه وفاته فاللام
في لها على هذا القول بمعنى الى كما قال بان ربك اوحى لها اي اوحى اليها وانشد سيبويه

تجانف عن جو اليمامة ناقتي • وما قصدت من اهلها لسوايكا •

وعن ابن عباس في معنى وهم لها سابقون سبقت لهم من الله السعادة فلذلك يسارعون
في الخيرات وقيل المعنى وهم من اجل الخيرات سابقون قوله تعالى ولا نكلف نفسا الا وسعها
قد مضى في البقرة وانه ناسخ لجميع ما ورد في الشرع من تكليف ما لا يطاق ولدينا كتاب ينطق
بالحق اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب احصا الاعمال الذي ترفعه الملايكة واضافه الى نفسه
لان الملايكة كتبت فيه اعمال العباد بامره فهو ينطق بالحق وفي هذا تهديد وتاييس من الحيف
والظلم ولفظ النطق يجوز في الكتاب والمراد ان النبيين تنطق بما فيه والله اعلم وقيل عنى
اللوح المحفوظ وقد اثبت فيه كل شي فهم لا يجاوزون ذلك وقيل الاشارة بقوله ولدينا كتاب
القران فالله اعلم وكل محتمل والاول اظهر قوله تعالى بل قلوبهم في غمرة من هذا قال مجاهد
اي في غطاء وغفلة وعماية من القران ويقال غمره الماء اذا غطاه ونهر غمر يغطي من دخله ورجل
غمر يغمره اراء الناس وغمارهم اي فيما يغطيه من الجمع وقيل بل قلوبهم في غمرة اي حيرة وعمى اي مما
وصف من اعمال البر في الايات المتقدمة قاله قتادة او من الكتاب الذي ينطق بالحق ولهم
اعمال من دون ذلك هم لها عاملون قال قتادة ومجاهد اي لهم خطايا لا بد ان يعملوها من دون

الحق

الحق وقال الحسن وابن زيد المعنى ولهم اعمال رديئة لم يعملوها من دون ما هم عليه لا بد ان يعملوها
دون اعمال المومنين فيدخلون بها النار لما سبق لهم من الشقوة ويحتمل ثالثا انه ظلم الخلق مع
الكفر بالخالق ذكره الماوردي والمعنى متقارب حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب يعني بالسيف
يوم بدر قاله ابن عباس وقال الضحاك يعني بالجوع حين قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم
اشدد وطاتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط والجوع
حتى اكلوا العظام والميتة والكلاب والجيف واهلك الاموال والاولاد اذا هم يجارون اي يضجون
ويستغيثون واصل الجوار رفع الصوت بالتضرع كما يفعل الثور قال الاعشى يصف بقرة

• فطافت ثلاثا بين يوم وليلة • وكان النكير ان تضيف وتجارا •

وقال الجوهري الجوار مثل الخوار يقال جار الثور يجار اي صاح وقرا بعضهم عجلا جسدا له جوار
حكاه الاخفش وجار الرجل الى الله تضرع بالدعا قتادة يصرخون بالتوبة فلا تقبل منهم قال

• يراوح من صلوات المليك • فطورا سجودا وطورا جوارا •

وقال ابن جريج حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب هم الذين قتلوا ببدر اذا هم يجارون هم الذين
بمكة فجمع بين القولين المتقدمين وهو حسن لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون اي من عذابنا لا تمنعون
ولا ينفعكم جزعكم وقال الحسن لا تنصرون بقبول التوبة وقيل معنى هذا النهي الاخبار اي انكم ان
تضرعتم لم ينفعكم قوله تعالى قد كانت اياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون الايات يريد
بها القران تتلى عليكم اي تقرا قال الضحاك قبل ان تعذبوا بالقتل وتنكصون ترجعون وراكم
مجاهد تستاخرون واصله ان ترجع القهقرى قال الشاعر

• زعموا انهم على سبل الحق وانا نكص على الاعقاب •

وهو هنا استعارة للاعراض عن الادبار عن الحق وقرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه على ادباركم
بدل على اعقابكم تنكصون بضم الكاف مستكبرين حال والضمير في به قال الجمهور هو عايد
على الحرم او المسجد او البلد الذي هو مكة وان لم يتقدم له ذكر لشهرته في الامر اي يقولون نحن
اهل الحرم فلا نخاف وقيل المعنى انهم يعتقدون في نفوسهم ان لهم بالمسجد والحرم اعظم الحقوق
على الناس والمنازل فيستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عايد على
القران من حيث ذكرت الايات والمعنى يحدث لكم سماع اياتي كبرا وطغيانا فلا تومنوا به قال
ابن عطية وهذا قول جيد النحاس والقول الاول اولى والمعنى انهم يفتخرون بالحرم ويقولون
نحن اهل حرم الله قوله تعالى سامرا تهجرون فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى سامرا تهجرون
سامرا نصب على الحال ومعناه سمارا وهو الجماعة يتحدثون بالليل ماخوذ من السمر وهو ظل
القمر قال الثوري يقال الظل القمر السمر ومنه السمرة في اللون ويقال له الفخت ومنه قيل فاخته
وقرا ابو رجا سمارا وهو جمع سامر كما قال • الست ترى السمار والناس احوالي •
وفي حديث قيلة اذا جاز وحي من السامر يعني من القوم الذين يسمرون بالليل فهو اسم مفرد
بمعنى الجمع كالحاضر وهم القوم النازلون على الماء والباقر جمع البقر والجامل جمع الابل ذكورتها واناثها
ومنه قوله تعالى ثم يخرجكم طفلا اي اطفالا لا يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ
من السمر وهو ما يقع على الاشجار من ضوء القمر قال الجوهري والسامر ايضا السمار وهم القوم
الذين يسمرون كما يقال للحاج حجاج قال الشاعر

• من دونهم ان جيتهم سمرا • عزف القيان ومجلس غمر •

فقال سمرا لان معناه ان جيتهم ليلا وجدتهم وهم يسمرون وابنا سمير الليل والنهار لانه يسمر
فيهما يقال لا افعله ما سمر ابنا سمير ابدا ويقال السمير الدهر وابناه الليل والنهار ولا افعله سمير
الليالي قال الشنفري • هنالك لا ارجو حياة تسرني • سمير الليالي مبسلا بالجرايم •
والسمار بالفتح اللبن الرقيق وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم
لانها تجلس في الصحرا فترى الطوالع من الغوارب وكانت قريش تسمر حول الكعبة مجالس في
اباطيلها وكفرها فعابهم الله بذلك وتهجرون قري بضم التا وكسر الجيم من اهجر اذا نطق بالفحش وبنصب
التا وضم الجيم من هجر المريض اذا هذى ومعناه يتهجرون يهوسون وسي من القول في النبي صلى الله
عليه وسلم وفي القران عن ابن عباس وغيره النانية روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال

انما كره السمر حين نزلت هذه الاية مستكبرين به سامرا تهجرون يعني ان الله تعالى ذم اقواما يسمرون في غير طاعة الله تعالى اما في هذيان واما في اذاية وكان الاعمش يقول اذا رايت الشيخ لم يكتب الحديث فاصفعه فانه من شيوخ القمر يعني يجتمعون في ليالي القمر فيتحدثون بايام الخلفاء والامراء ولا يحسن يتوضا للصلاة الثالثة روى مسلم عن ابي برزة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوخر العشاء الى ثلث الليل ويكره النوم قبلها والحديث بعدها قال العلماء اما الكراهية للنوم قبلها فلئلا يعرضها للفوات عن كل وقتها ولهذا قال عمر فمن نام فلا نامت عينه ثلاثا وممن كره النوم قبلها عمر وابنه عبد الله وابن عباس وغيرهم وهو مذهب مالك ورخص فيه بعضهم منهم علي وابو موسى وغيرهم وهو مذهب الكوفيين وشرط بعضهم ان يجعل معه من يوقظه للصلاة وروي عن ابن عمر مثله واليه ذهب الطحاوي واما كراهية الحديث بعدها فلان الصلاة قد كفرت خطاياه فينام على سلامة وقد ختم الكتاب صحيفته بالعبادة فان هو سمر وتحدث فيملوها بالهوس ويجعل خاتمتها اللغو والباطل وليس هذا من فعل المومنين وايضا فان السمر في الحديث مظنة غلبة النوم عليه اخر الليل فينام عن قيام اخر الليل وربما ينام عن صلاة الصبح وقد قيل انما يكره السمر بعدها لما روي جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والسمر بعد هداة الرجل فان احدكم لا يدري ما يبث الله من خلقه اغلقوا الابواب واوكوا السقاء وخمروا الاناء واطفيوا المصابيح وروي عن عمر انه كان يضرب الناس على الحديث بعد العشاء ويقول اسمرا اول الليل ونوما اخره اريحوا كتابكم حتى انه روي عن ابن عمر انه قال من قرض بيت شعر بعد العشاء لم يقبل له صلاة حتى يصبح واسنده شداد بن اوس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقد قيل ان الحكمة في كراهة الحديث بعدها انما هو لما ان الله تعالى جعل الليل سكنا اي يسكن فيه فاذا تحدث الانسان فيه فقد جعله كالنهار الذي هو منصرف المعاش فكانه قصد الى مخالفة حكمة الله التي اجرى عليها وجوده فقال وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا الرابعة هذه الكراهة انما تختص بما لا يكون من قبيل القرب والاذكار وتعليم العلم ومسامرة الاهل وبتعلم المصالح وما شابه ذلك فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف ما يدل على جواز ذلك بل على ندبيته وقد قال البخاري باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء وذكر ان قرة بن خالد قال انتظرنا الحسن وراث علينا حتى جاء قريبا من وقت قيامه فجاء فقال دعانا جيراننا هولاء ثم قال انس انتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة حتى كان شطر الليل فجاء فصلى ثم خطبنا فقال ان الناس قد صلوا وانكم لم تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة قال الحسن فان القوم لا يزالون في خير ما انتظروا الخير قال باب السمر مع الضيف والاهل وذكر حديث ابي بكر بن عبد الرحمن ان اصحاب الصفة كانوا فقراء الحديث اخرجه مسلم ايضا وقد جاء في حراسة الثغور وحفظ العساكر بالليل من الثواب الجزيل والاجر العظيم ما هو مشهور في الاخبار وقد مضى من ذلك جملة في اخر ال عمران والحمد لله قوله تعالى افلم يدبروا القول يعني القران وهو كقوله افلا يتدبرون القران وسمي القران قولا لانهم خوطبوا به ام جاءهم ما لم يات اباءهم الاولين فانكروه واعرضوا عنه وقيل ام بمعنى بل اي بل جاءهم ما لا عهد لهم ولا لابائهم به فلذلك انكروه وتركوا التدبر له وقاله ابن عباس وقيل المعنى ام جاءهم امان من العذاب وهو شيء لم يات اباءهم الاولين فتركوا الامر قوله تعالى ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون هذا تستعمله العرب على معنى التوقيف والتقبيح فيقولون الخير احب اليك ام الشر اي قد اخترت الشر فتجنبه وقد عرفوا رسولهم وانه من اهل الصدق والامانة ففي اتباعه النجاة والخير لولا العنت قال سفيان بلى قد عرفوه ولكنهم حسدوه قوله تعالى ام يقولون به جنة اي ام يحتجون في ترك الايمان به بانه مجنون فليس هو هكذا لزوال امارات الجنون عنه بل جاءهم بالحق يعني القران والتوحيد الحق والدين الحق واكثرهم اي كلهم للحق كارهون حسدا وبغيا وتقليدا قوله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم الحق هنا هو الله سبحانه قاله الاكثرون منهم مجاهد وابن جريج وابو صالح وغيرهم وتقديره في العربية ولو اتبع صاحب الحق قاله النحاس وقد قيل هو مجاز اي لو وافق الحق اهواءهم فجعل موافقته اتباعا مجازا اي لو كانوا يكفرون بالرسل ويعصون الله جل وعز

ثم

ثم لا يعاقبون ولا يجازون على ذلك اما عجزا واما جهلا لفسدت السموات والارض وقيل المعنى ولو كان الحق ما يقولون من اتخاذ الهة من دون الله جل وعز لتنافت الالهة واراد بعضهم ما لا يريده بعض فاضطرب التدبير وفسدت السموات والارض واذا فسدتا فسد من فيهما وقيل لو اتبع الحق اهواءهم اي بما يهواه الناس ويشتهونه لبطل نظام العالم لان شهوات الناس الانقياد للحق وقيل الحق القران اي لو نزل القران بما يحبون لفسدت السموات والارض ومن فيهن اشارة الى من يعقل من ملايكة السموات وانس الارض وجنها الماوردي وقال الكلبي يعني وما بينهما من خلق وهي قراة ابن مسعود لفسدت السموات والارض وما بينهما من خلق فيكون على تاويل الكلبي وقراة ابن مسعود محمولا على فساد من يعقل وما لا يعقل من حيوان وجماد وظاهر التنزيل في قراة الجمهور يكون محمولا على فساد ما يعقل من الحيوان لان ما لا يعقل تابع لما يعقل في الصلاح والفساد فعلى هذا ما يكون من الفساد يعود على من في السموات من الملايكة بان جعلت اربابا وهي مربوبة وعبدت وهي مستعبدة وفساد الانس يكون على وجهين احدهما باتباع الهوى وذلك مهلك الثاني بعبادة غير الله وذلك كفر واما فساد ما عدا ذلك فيكون على وجه التبع لانهم مدبرون بذوي العقول فعاد فساد المدبرين عليهم قوله تعالى بل اتيناهم بذكرهم اي بما فيه شرفهم وعزهم قاله السدي وسفيان وقال قتادة اي بما لهم فيه ذكر ثوابهم وعقابهم ابن عباس اي ببيان الحق وذكر ما لهم فيه حاجة من امر الدين فهم عن ذكرهم معرضون قوله تعالى ام تسالهم خرجا اي اجرا على ما جيتهم به قاله الحسن وغيره فخراج ربك خير وقرا حمزة والكساي والاعمش ويحيى ابن وثاب خراجا بالالف الباقون بغير الف وكلهم قرا فخراج بالالف الا ابن عامر وابا حيوة فانهما قراه بغير الف والمعنى ام تسالهم رزقا فرزق ربك خير وهو خير الرازقين اي ليس يقدر احد ان يرزق مثل رزقه ولا ينعم مثل انعامه وقيل اي ما يوتيك الله من الاجر على طاعتك له والدعاء اليه خير من عرض الدنيا وقد عرضوا عليك اموالهم حتى تكون كاغنى رجل من قريش فلم تجبهم الى ذلك قال معناه الحسن والخرج والخراج واحد الا ان اختلاف الكلام احسن قاله الاخفش وقال ابو حاتم الخرج الجعل والخراج العطاء المبرد الخرج المصدر والخراج الاسم وقال النضر بن شميل سالت ابا عمرو بن العلاء عن الفرق بين الخرج والخراج فقال الخراج ما لزمك والخرج ما تبرعت وعنه ان الخرج من الرقاب والخراج من الارض ذكر الاول الثعلبي والثاني الماوردي قوله تعالى وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم اي الى دين قويم والصراط في اللغة الطريق فسمي الدين طريقا لانه يودي الى الجنة فهو طريق اليها وان الذين لا يومنون بالاخرة اي بالبعث عن الصراط لناكبون قيل هو مثل الاول وقيل انهم عن طريق الجنة لعادلون حتى يصيروا الى النار نكب عن الطريق ينكب نكوبا اذا عدل عنه ومال الى غيره ومنه نكبت الريح اذا لم تستقم على مجرى وشر الريح النكباء قوله تعالى ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر اي لو رددناهم الى الدنيا ولم ندخلهم النار وامتحناهم للجوا في طغيانهم قال السدي في معصيتهم يعمهون قال الاعمش يترددون وقال ابن جريج ولو رحمناهم يعني في الدنيا وكشفنا ما بهم من ضر اي من قحط وجوع للجوا لتمادوا في طغيانهم وضلالتهم وتجاوزهم الحد يعمهون يترددون ويخبطون ولقد اخذناهم بالعذاب قال الضحاك بالجوع وقيل بالامراض وقيل بالامراض والحاجة والجوع وقيل بالقتل والجوع فما استكانوا لربهم اي ما خضعوا وما يتضرعون اي ما يخشعون لله جل وعز في الشدائد تصيبهم قال ابن عباس نزلت في قصة ثمامة بن اثال لما اسرته السرية واسلم وخلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبيله حال بين مكة وبين الميرة وقال والله لا ياتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى ياذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ الله قريشا بالقحط والجوع حتى اكلوا الميتة والكلاب والعلهز قيل وما العلهز قال كانوا ياخذون الصوف والوبر فيبلونه بالدم ثم يشوونه وياكلونه فقال له ابو سفيان انشدك الله والرحم اليس تزعم ان الله بعثك رحمة للعالمين قال بلى قال فوالله ما اراك الا قتلت الاباء بالسيف وقتلت الابناء بالجوع فنزلت ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر قوله يعمهون قوله تعالى حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد قال عكرمة هو باب من ابواب جهنم عليه من الخزنة اربعمائة الف سود وجوههم

كالجثة ابابهم قد قلعت الرحمة من قلوبهم اذ ابلعوه فتحه الله جل وعز عليهم وقال ابن
عباس هو قتلهم بالسيف يوم بدر مجاهد هو القحط الذي اصابهم حتى اكلوا العلهز من الجوع
على ما تقدم وقيل فتح مكة اذا هم فيه مبلسون اي يائسون متحيرون لا يدرون ما يصنعون
كالآيس من الفرج ومن كل خير وقد تقدم في الانعام قوله تعالى وهو الذي انشا
لكم السمع والابصار عرفهم كثرة نعمه وكمال قدرته قليلا ما تشكرون اي ما تشكرون الا
شكرا قليلا وقيل اي لا تشكرون البتة قوله تعالى وهو الذي ذراكم في الارض اي نشركم
وبثكم وخلقكم واليه تحشرون اي تجمعون للجزا قوله تعالى وهو الذي يحيي ويميت
وله اختلاف الليل والنهار اي جعلهما مختلفين كقولك لك الاجر والصلة اي انك توجر
وتوصل قاله الفرا وقيل اختلافهما نقصان احدهما وزيادة الاخر وقيل اختلافهما في النور
والظلمة وقيل تكررهما يوم بعد ليلة وليلة بعد يوم ويحتمل خامسا اختلاف ما مضى فيهما
من سعادة وشقا وضلال وهدى افلا تعقلون كنه قدرته وربوبيته ووحدانيته وانه
وانه لا يجوز ان يكون له شريك من خلقه وانه قادر على البعث ثم عيرهم بقولهم واخبر
عنهم انهم قالوا مثل ما قال الاولون قالوا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
هذا لا يكون ولا يتصور لقد وعدنا نحن واباؤنا هذا من قبل اي من قبل مجي محمد صلى
الله عليه وسلم فلم نر له حقيقة ان هذا اي ما هذا الا اساطير الاولين اي اباطيلهم وترهاتهم
وقد تقدم هذا كله قال الله تعالى قل يا محمد لهم جوابا عما قالوه لمن الارض ومن فيها
يخبر بربوبيته ووحدانيته وملكه الذي لا يزول وقدرته التي لا تحول فسيقولون لله ولا
بد لهم من ذلك فقل افلا تذكرون اي افلا تعقلون وتعلمون ان من قدر على خلق ذلك
ابتدا فهو على احيا الموتى بعد موتهم قادر قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم
سيقولون لله قل افلا تتقون تريد افلا تخافون حيث تجعلون لي ما تكرهون زعمتم
ان الملائكة بناتي وكرهتم لانفسكم البنات قل من بيده ملكوت كل شي تريد السموات
وما فوقها وما بينهن والارضين وما تحتهن وما بينهن وما لا يعلمه احد الا هو وقال مجاهد
ملكوت كل شي خزاين كل شي الضحاك ملك كل شي والملكوت من صفات المبالغة كالجبروت
والرهبوت وقد مضى في الانعام وهو يجير ولا يجار عليه اي يمنع ولا يمنع منه وقيل
يجير يومن من شا ولا يجار عليه ان لا يومن من اخافه ثم قيل هذا في الدنيا اي من اراد الله
خوفه واهلاكه لم يمنعه منه مانع ومن اراد نظره وامنه لم يمنعه من نظره وامنه مانع وقيل
هذا في الاخرة اي لا يمنعه من مستحق الثواب مانع ولا يدفعه عن مستوجب العذاب دافع
فاني تسحرون اي كيف تخدعون وتصرفون عن طاعته وتوحيده او كيف يخيل اليكم ان
تشركوا به من لا يضر ولا ينفع والسحر هو التخييل وكل هذا احتجاج على العرب المقرين بالصانع
وقرا ابو عمرو سيقولون الله في الموضعين الاخرين وهي قراة اهل العراق الباقون لله ولا
خلاف في الاول انه لله لانه جواب لقل لمن الارض ومن فيها فلما تقدمت اللام في لمن رجعت
في الجواب ولا خلاف انه مكتوب في جميع المصاحف بغير الف واما من قرا سيقولون الله فلان
السوال بغير اللام واما من قراه باللام في الاخرين وليس في السوال لام فلانه معنى قل من
رب السموات السبع ورب العرش العظيم قل لمن السموات السبع ورب العرش العظيم فكان
الجواب لله حين قدرت اللام في السوال وعلة الثانية انه كتب الله بلا لام قال الشاعر

اذا قيل من رب المزالف والقرى * ورب الجياد الجرد قيل لخالد

اي لمن المزالف ودلت هذه الايات على جواز جدال الكفار واقامة الحجة عليهم وقد تقدم
في البقرة ونبهت على ان من ابتدا بالخلق والاختراع والايجاد والابداع هو المستحق
للالوهية والعبادة قوله تعالى بل اتيناهم بالحق اي بالقول الصدق لا ما تقوله
الكفار من اثبات الشريك ونفي البعث وانهم لكاذبون ان الملائكة بنات الله فقال
تعالى ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من اله من زايدة والتقدير ما اتخذ الله
ولدا كما زعمتم ولا كان معه اله فيما خلق وفي الكلام حذف والمعنى لو كانت معه الهة لانفرد
كل اله بخلقه ولعلا بعضهم على بعض اي ولغالب وطلب القوي الضعيف كالعادة بين

الملوك

الملوك وكان الضعيف المغلوب لا يستحق الالهية وهذا الذي يدل على نفي الشريك يدل على
نفي الولد ايضا لان الولد ينازع الاب في الملك منازعة الشريك سبحان الله عما يصفون تنزيها
له عن الولد والشريك عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون تنزيه وتقديس وقرا نافع
وابو بكر وحمزة والكسائي عالم بالرفع على الاستيناف اي هو عالم الغيب الباقون بالخفض على الصفة
لله وروى رويس عن يعقوب عالم اذا وصل خفضا وعالم اذا ابتدا رفعا قوله تعالى قل
رب اما تريني ما يوعدون علمه ما يدعوا به اي قل رب اي يا رب ان اريتني ما يوعدون من العذاب
فلا تجعلني في القوم الظالمين اي في نزول العذاب بهم بل اخرجني منهم وقيل النداء معترض وما
في اما زايدة وقيل ان اصل اما ان ما فان شرط وما شرط فجمع بين الشرطين توكيدا والجواب فلا
تجعلني في القوم الظالمين اي اذا اردت بهم عقوبة فاخرجني منهم وكان عليه السلام يعلم ان الله
تعالى لا يجعله في القوم الظالمين اذا نزل بهم العذاب ومع هذا امره الرب بهذا الدعا والسوال
ليعظم اجره وليكون في كل الاوقات ذاكرا لربه قوله تعالى وانا على ان نريك ما نعدهم لقادرون
نبه على ان خلاف المعلوم مقدور وقد اراه الله ذلك فيهم بالجوع والسيف ونجاه الله ومن امن
به من ذلك قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن السيئة امره بالصفح ومكارم الاخلاق فما كان
منها لهذه فهو محكم باق في الامة ابدا وما فيها من معنى موادعة الكفار وترك التعرض لهم والصفح
عن امورهم فمنسوخ بالقتال نحن اعلم بما يصفون اي من الشرك والتكذيب وهذا يقتضي انها
اية موادعة والله اعلم قوله تعالى وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين فيه مسيلتان الاولى
قوله تعالى من همزات الهمزات جمع همزة والهمز في اللغة النخس والدفع يقال همزه ولمزه ونخسه
دفعه قال الليث الهمز كلام من ورا القفا واللمز مواجهة والشيطان يوسوس فيهمس في وسواسه
في صدر ابن ادم وهو قوله اعوذ بك من همزات الشياطين اي نزغات الشياطين الشاغلة عن
ذكر الله وفي الحديث كان يتعوذ من همز الشيطان ولمزه وهمسه قال ابو الهيثم اذا اسر الكلام
واخفاه فذلك الهمس من الكلام وسمي الاسد هموسا لانه يمشي بخفة فلا يسمع صوت وطيه
وقد تقدم في طه الثانية امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم والمومنين بالتعوذ من الشيطان
في همزاته وهي سورات الغضب التي لا يملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التي كانت تصيب المومنين
مع الكفار فتقع المحادة فلذلك اتصلت بهذه الاية فالنزغات وسورات الغضب الواردة من
الشيطان هي المتعوذ منها في الاية وقد تقدم في اخر الاعراف بيانه مستوفى وفي اول الكتاب
ايضا وروى علي بن حرب بن محمد الطايي ثنا سفيان عن ايوب عن محمد بن حبان ان خالدا
كان يورق من الليل فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فامره ان يتعوذ بكلمات الله التامة
من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون وفي كتاب ابي داود
قال عمرو همزه الموتة وقال ابن ماجه الموتة يعني الجنون والتعوذ ايضا من الجنون وكيد
وفي قراة ابي رب عايذا بك من همزات الشياطين وعايذا بك ان يحضرون اي يكونوا معي في
اموري فانهم اذا حضروا الانسان كانوا معدين للهمز واذا لم يكن حضور فلا همز وفي صحيح مسلم عن
جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الشيطان يحضر احدكم عند كل شي
من شانه حتى يحضره عند طعامه فاذا سقطت من احدكم اللقمة فليمط ما كان بها من اذى
ثم لياكلها ولا يدعها للشيطان فاذا فرغ فليلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة
قوله تعالى حتى اذا جا احدهم الموت قال رب ارجعون عاد الكلام الى ذكر المشركين اي
قالوا ائذا متنا الى قوله ان هذا الا اساطير الاولين ثم احتج عليهم وذكرهم قدرته على كل شي
ثم قال هم مصرون على ذلك حتى اذا جا احدهم الموت تيقن ضلالته وعاين الملايكة التي
تقبض روحه كما قال ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملايكة قال رب ارجعون تمنى
الرجعة كي يعمل صالحا فيما ترك وقد يكون القول في النفس قال الله عز وجل ويقولون في
انفسهم لولا يعذبنا الله فاما قوله ارجعون وهو مخاطب ربه عز وجل ولم يقل ارجعني
فقيل جا على تعظيم الذكر للمخاطب وقيل استغاثوا بالله جل وعز اولا فقال قايلهم رب
ثم رجع الى مخاطبة الملايكة فقال ارجعون على جهة التكثير اي ارجعني ارجعني ارجعني وهكذا
قال المازني في قوله القيا في جهنم قال معناه الق الق قال الضحاك المراد به اهل الشرك

قلت ليس سؤال الرجعة مختصا بالكافر فقد يسألها المومن كما في اخر سورة المنافقين على
ما ياتي ودلت الاية على ان احدا لا يموت حتى يعرف اضطرارا اهو من اولياء الله ام من اعداء الله
ولولا ذلك لما سال الرجعة فيعلموا ذلك قبل نزول الموت وذواقه لعلي اعمل صالحا قال
ابن عباس يريد اشهد ان لا اله الا الله فيما تركت اي فيما ضيعت وتركت العمل به من الطاعات
وقيل فيما تركت من مالي فاتصدق ولعل تتضمن ترددا وهذا الذي يسال الرجعة قد استيقن
العذاب وهو يوطن نفسه على العمل قطعا من غير تردد فالتردد يرجع اما الى رده الى
الدنيا واما الى التوفيق اي اعمل صالحا ان وفقتني اذ ليس على قطع من وجود القدرة والتوفيق
لو رد الى الدنيا كلا هذه كلمة رد اي ليس الامر على ما يظنه من ان يجاب الى الرجوع الى
الدنيا بل هو كلام يطيح في ادراج الريح وقيل لو اجيب الى ما يطلب لما وفى بما يقول كما قال
ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل كلا انها كلمة هو قائلها ترجع الى الله تعالى اي لا خلف
في خبره وقد اخبر انه لن يوخر نفسا اذا جاء اجلها واخبر بان هذا الكافر لا يومن وقيل انها
كلمة هو قائلها عند الموت ولكن لا تنفع ومن ورائهم برزخ اي ومن امامهم وبين ايديهم وقيل
من خلفهم برزخ اي حاجز بين الموت والبعث قاله الضحاك ومجاهد وابن زيد وعن مجاهد
ايضا ان البرزخ هو الحاجز بين الميت والرجوع الى الدنيا وعن الضحاك هو ما بين الدنيا
والاخرة ابن عباس حجاب السدي اجل قتادة بقية الدنيا وقيل الامهال الى يوم القيامة
حكاه ابن عيسى الكلبي هو الاجل ما بين النفختين وبينهما اربعون سنة وهذه الاقوال
متقاربة وكل حاجز بين شيئين فهو برزخ قال الجوهري البرزخ الحاجز بين الشيئين والبرزخ
ما بين الدنيا والاخرة من وقت الموت الى البعث فمن مات فقد دخل في البرزخ وقال رجل
بحضرة الشعبي رحمه الله فلان قد صار من اهل الاخرة فقال لم يصر من اهل الاخرة ولكنه
صار من اهل البرزخ وليس من الدنيا ولا من الاخرة واضيف يوم الى يبعثون لانه ظرف
زمان والمراد بالاضافة المصدر قوله تعالى فاذا نفخ في الصور المراد بهذا النفخ النفخة
الثانية فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون قال ابن عباس لا يفتخرون بالانساب في
الاخرة كما يفتخرون بها في الدنيا ولا يتساءلون فيها كما يتساءلون في الدنيا من اي قبيلة انت
ولا من اي نسب ولا يتعارفون لهول ما اذهلهم وعن ابن عباس ان ذلك في النفخة الاولى
حين يصعق من في السماوات ومن في الارض الا من شاء الله فلا انساب بينهم يومئذ ولا
يتساءلون ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وسال
رجل ابن عباس عن هذه الاية وقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فقال لا يتساءلون
في النفخة الاولى لانه لا يبقى على الارض حي فلا انساب ولا تساؤل واما قوله واقبل بعضهم
على بعض يتساءلون فانهم اذا دخلوا الجنة تساءلوا وقال ابن مسعود انما عنى في هذه الاية
النفخة الثانية وقال ابو عمر زاذان دخلت على ابن مسعود فوجدت اصحاب الخير اليمنة
قد سبقوني اليه فناديت باعلى صوتي يا عبد الله بن مسعود من اجل اني رجل اعجمي ادنيت
هولاء واقصيتني فقال ادنه فدنوت حتى ما كان بيني وبينه جليس فسمعته يقول يوخذ
بيد العبد او الامة يوم القيامة فينصب على رووس الاولين والاخرين ثم ينادي مناد هذا
فلان ابن فلان من كان له حق فلياتي الى حقه فتفرح المراة ان يدور لها الحق على ابيها او
على زوجها او على اخيها او على ابنها ثم قرا ابن مسعود فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فيقول الرب سبحانه اتت حقوقهم فيقول يا رب قد فنيت الدنيا فمن اين اوتيهم
فيقول الرب للملائكة خذوا من حسناته فاعطوا كل انسان بقدر طلبته فان كان وليا لله
فضلت من حسناته مثقال حبة من خردل فضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة ثم قرا ابن مسعود
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها الاية وان كان شقيا قالت الملائكة
رب فنيت حسناته وبقي طالبون فيقول الله تعالى خذوا من اعمالهم فاضيفوا الى سياته
وصكوا له صكا الى جهنم قوله تعالى فمن ثقلت موازينه الاية تقدم الكلام فيها قوله تعالى
تلفح وجوههم النار ويقال تنفح بمعناه ومنه ولئن مستهم نفحة الا ان تلفح ابلغ باسا يقال
لفحته النار والسموم بحرها احرقته ولفحته بالسيف لفحة اذا ضربته به ضربة خفيفة وهم فيها

كالحوت

كالحون قال ابن عباس عابسون وقال اهل اللغة الكلوح تكشر في عبوس والكالح الذي
قد تشمرت شفتاه وبدت اسنانه قال الاعشى

ولو المقدم لا مثل له ساعة الشدق عن الباب كلح

وقد كلح الرجل كلوحا وكلاحا وما اقبح كلحته يراد به الفم وما حواليه ودهر كالح اي شديد وعن
ابن عباس ايضا وهم فيها كالحون يريد كالذي كلح وتقلصت شفتاه وسال صديده وقال
ابن مسعود الم تر الى الراس المشيط بالنار وقد بدت اسنانه وقلصت شفتاه وفي الترمذي عن
ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته قال هذا حديث
صحيح غريب قوله تعالى قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم شقوتنا
وقرا الكوفيون الا عاصما شقاوتنا وهذه القراءة مروية عن ابن مسعود والحسن ويقال شقا وشقا
بالمد والقصر واحسن ما قيل في معناه غلبت علينا لذاتنا واهواونا فسمى اللذات والاهوا شقوة
لانهما يوديان اليها كما قال عز وجل ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا
لان ذلك يوديهم الى النار وقيل ما سبق في علمك وكتب علينا في ام الكتاب من الشقاوة وقيل
حسن الظن بالنفس وسوء الظن بالخلق وكنا قوما ضالين اي كنا في فعلنا ضالين عن الهدى
وليس هذا اعتذارا منهم انما هو اقرار ويدل على ذلك قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
طلبوا الرجعة الى الدنيا كما طلبوها عند الموت فان عدنا الى الكفر فانا ظالمون لانفسنا بالعود
اليه فيجابون بعد الف سنة اخسئوا فيها ولا تكلمون اي ابعدوا في جهنم كما يقال للكلب اخسا
اي ابعد خسات الكلب خسا طردته وخسا الكلب بنفسه خسوا يتعدى ولا يتعدى وانخسا
الكلب ايضا وذكر ابن المبارك قال ثنا سعيد بن ابي عروبة عن قتادة يذكره عن ابي ايوب
عن عبد الله بن عمرو بن العاصي قال ان اهل جهنم يدعون مالكا فلا يجيبهم اربعين عاما ثم يرد
عليهم انكم ماكثون قال هانت والله دعوتهم على مالك ورب مالك قال ثم يدعون ربهم فيقولون
ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال
فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين قال ثم يرد عليهم اخسئوا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس
القوم بعدها بكلمة وما هو الا الزفير والشهيق في نار جهنم فشبه اصواتهم بصوت الحمير اولها
زفير واخرها شهيق خرجه الترمذي مرفوعا بمعناه من حديث ابي الدرداء وقال قتادة
صوت الكفار في النار كصوت الحمار اوله زفير واخره شهيق وقال ابن عباس يصير لهم نباح
كنباح الكلاب وقال محمد بن كعب القرظي بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة
بطوله ذكره ابن المبارك وقد ذكرناه بكماله في التذكرة وفي اخره ثم مكث عنهم ما شاء الله ثم
ناداهم الم تكن اياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قال فلما سمعوا صوته قالوا الان يرحمنا
فقالوا عند ذلك ربنا غلبت علينا شقوتنا اي الكتاب الذي كتب علينا وكنا قوما ضالين ربنا
اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك اخسئوا فيها ولا تكلمون فانقطع عند ذلك
الدعا والرجاء اقبل بعضهم على بعض ينبح بعضهم في وجه بعض واطبقت عليهم قوله تعالى
انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا امنا الاية قال مجاهد هم بلال وخباب وصهيب وفلان
وفلان من ضعفاء المسلمين كان ابو جهل واصحابه يهزون بهم فاتخذتموهم سخريا بالضم قراءة
نافع وحمزة والكسائي هاهنا وفي ص وكسر الباقون قال النحاس وفرق ابو عمرو بينهما فجعل
المكسورة من جهة التهزو والمضمومة من جهة السخرة ولا يعرف هذا التفريق الخليل ولا سيبويه
ولا الكسائي ولا الفراء قال الكسائي هما لغتان بمعنى واحد كما يقال عصي وعصي ولجي ولجي
وحكى الثعلبي عن الكسائي والفراء الفرق الذي ذكره ابو عمرو وان الكسر بمعنى الاستهزاء والسخرية
بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل وقال المبرد انما يوخذ التفريق بين المعاني
عن العرب واما التاويل فلا يكون والكسر في سخري في المعنيين جميعا لان الضمة تستثقل في
مثل هذا حتى انسوكم ذكري اي حتى اشتغلتم بالاستهزاء بهم عن ذكري وكنتم منهم تضحكون
استهزاء بهم واضاف الانساء الى المومنين لاشتغالهم عن ذكره وتعدي شوم استهزائهم بالمومنين
الى استيلاء الكفر على قلوبهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وصبروا على طاعتي انهم هم الفايزون

قرا حمزة والكساي بكسر الهمزة على ابتدا المدح من الله تعالى لهم وفتح الباقون اي لانهم هم
الفايزون ويجوز نصبه بوقوع الجزا عليه تقديره اي جزيتهم الفوز بالجنة قلت وينظر الى
معنى هذا قوله تعالى في اخر المطففين فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون الى اخر السورة
علما باني بيانه هنا كان شا الله ويستفاد من هذا التحذير من السخرية والاستهزا بالضعفا
والمساكين والاحتقار لهم والازرا عليهم والاشتغال بهم فيما لا يعني وان ذلك مبعد من الله عز وجل
وعز قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض قيل يعني في القبور وقيل هو سوال لهم في مدة حياتهم
في الدنيا وهذا السوال للمشركين في عرصات القيامة او في النار وعدد سنين بفتح النون على
انه جمع مسلم ومن العرب من يخفضها وينونها قالوا لبثنا يوما او بعض يوم انساهم شدة العذاب
مدة مكثهم في القبور وقيل لان العذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا ما كانوا فيه من العذاب
من النفخة الاولى الى الثانية وذلك انه ليس من احد قتله نبي او قتل نبيا او مات بحضرة نبي الا
عذب من ساعة يموت الى النفخة الاولى ثم يمسك عنه العذاب فيكون كالماحي بنفخ الثانية
وقيل استقصروا مدة لبثهم في الدنيا وفي القبور وراوه يسيرا بالنسبة الى ما هم بصدده فاسال
العادين اي سل الحساب الذين يعرفون ذلك فانا قد نسيناه او فاسال الملايكة الذين كانوا
معنا في الدنيا الاول قول قتادة والثاني قول مجاهد وقرا ابن كثير وحمزة والكساي قل كم
لبثتم في الارض على الامر ويحتمل ثلث معان احدها قولوا كم لبثتم فاخرج الكلام مخرج
الامر للواحد والمراد الجماعة اذ كان المعنى مفهوما الثاني ان يكون امرا للملك ليسالهم يوم البعث
عن قدر مكثهم في الدنيا او اراد قل ايها الكافر كم لبثتم وهو الثالث الباقون قال كم على الخبر
اي قال الله لهم او قالت الملايكة لهم كم لبثتم وقرا حمزة والكساي ايضا قل ان لبثتم الا قليلا
الباقون قال على الخبر على ما ذكر من التاويل في الاول اي ما لبثتم في الارض الا قليلا وذلك
ان مكثهم في القبور وان طال كان متناهيا وقيل هو قليل بالنسبة الى مكثهم في النار لانه لا نهاية
لو انكم كنتم تعلمون قوله تعالى افحسبتم انما خلقناكم عبثا اي مهملين كما خلقت البهايم لا
ثواب لها ولا عقاب عليها مثل قوله ايحسب الانسان ان يترك سدى اي يريد كالبهايم مهملا لغير
فايدة قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي ان الله تعالى خلق الخلق عبيدا ليعبدوه
فيثيبهم على العبادة ويعاقبهم على تركها فان عبدوه فهم اليوم له عبيد احرار كرام من رق الدنيا
ملوك في دار السلام وان رفضوا العبودية فهم اليوم عبيد اباق سقاط لئام وغدا اعدا في
السجون بين اطباق النيران وعبثا نصب على الحال عند سيبويه وقطرب وقال ابو عبيدة
هو نصب على المصدر او لانه مفعول له وانكم الينا لا ترجعون فتجازون باعمالكم وقرا حمزة
والكساي ترجعون بفتح التا وكسر الجيم من الرجوع قوله فتعالى الله الملك الحق
عن الاولاد والشركا والانداد عن ان يخلق شيا عبثا او سفها لانه الحكيم لا اله الا هو رب
العرش الكريم ليس في القران غيرها وقرا ابن محيصن وروي عن ابن كثير الكريم بالرفع نعتا
لله قوله تعالى ومن يدع مع الله الها اخر لا برهان له به اي لا حجة له عليه فانما حسابه عند
ربه اي هو يعاقبه ويحاسبه انه الهاء ضمير الامر والشان لا يفلح الكافرون وقرا الحسن وقتادة
لا يفلح بالفتح من كذب وجحد ما جيت به وكفر نعمتي ثم امر نبيه عليه السلام بالاستغفار لتقتدي
به الامة وقيل امرهم بالاستغفار والاستر واسند الثعلبي من حديث ابي لهيعة عن عبد الله بن
هبيرة عن حنش بن عبد الله الصنعاني عن عبد الله بن مسعود انه مر بمصاب مبتلى فقرا
في اذنه افحسبتم انما خلقناكم عبثا حتى ختم السورة فبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا
قرات في اذنه فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو ان رجلا موقنا قراها على جبل لزال

سورة النور مدنية باجماع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سورة انزلناها الاية مقصود هذه السورة ذكر احكام العفاف
والستر وكتب عمر رضي الله عنه الى اهل الكوفة علموا نساكم سورة النور وقالت عايشة رضي الله

عنها لا تنزلوا النسا الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن سورة النور والمغزل وفرضناها
قري بتخفيف الراء اي فرضنا عليكم وعلى من بعدكم ما فيها من الاحكام وبالتشديد اي انزلنا فيها
فرايض مختلفة وقرا ابو عمرو فرضناها بالتشديد اي قطعناها في الانزال نجما نجما والفرض القطع
ومنه فرضة القوس وفرايض الميراث وفرض النفقة وعنه ايضا فرضناها فصلناها وبيناها
وقيل هو على التكثير لكثرة ما فيها من الفرايض والسورة في اللغة اسم للمنزلة الشريفة
ولذلك سميت السورة من القران سورة قال زهير

الم تر ان الله اعطاك سورة • ترى كل ملك دونها يتذبذب

وقد مضى في مقدمة الكتاب والقول فيها وقري سورة بالرفع على انها مبتدا وخبرها
انزلناها قاله ابو عبيدة والاخفش وقال الزجاج والفرا والمبرد سورة رفع لانها خبر الابتدا
لانها نكرة ولا يبتدا بالنكرة في كل موضع اي هذه سورة ويحتمل ان يكون قوله سورة ابتدا
وما بعدها صفة لها اخرجتها عن حد النكرة المحضة فحسن الابتدا لذلك ويكون الخبر في قوله
الزانية والزاني وقري سورة بالنصب على تقدير انزلنا سورة انزلناها وقال الشاعر

والذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

او تكون منصوبة باضمار فعل اي اتلوا سورة وقال الفراهي حال من الها والالف والحال من
المكني يجوز ان يتقدم عليه قوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة
الى قوله المومنين فيه احدى وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى الزانية والزاني كان
الزنا في اللغة معروفا قبل الشرع مثل اسم السرقة والقتل وهو اسم لوطء الرجل امراة في فرجها من
غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها وان شيت قلت هو ادخال فرج في فرج مشتهى طبعا محرم
شرعا فاذا كان ذلك وجب الحد وقد مضى الكلام في حد الزنا وحقيقته وما للعلما في ذلك
وهذه الاية ناسخة لاية الحبس واية الاذى اللتين في سورة النسا باتفاق الثانية قوله
تعالى مائة جلدة هذا حد الزاني الحر البالغ البكر وكذلك الزانية البكر البالغة الحرة وثبت بالسنة
تغريب عام على الخلاف في ذلك واما المملوكات فالواجب خمسون جلدة لقوله تعالى فان اتين
بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وهذا في الامة ثم العبد في معناها واما
المحصن في الاحرار فعليه الرجم دون الجلد ومن العلما من يقول يجلد مائة ثم يرجم وقد مضى هذا
كله ممهدا في النسا فاغنى عن اعادته والحمد لله الثالثة قرا الجمهور الزانية والزاني بالرفع
وقرا عيسى بن عمر الثقفي الزانية بالنصب وهو اوجه عند سيبويه لانه عنده كقولك زيدا اضرب
ووجه الرفع عنده خبر ابتدا تقديره فيما يتلى عليكم الزانية والزاني واجمع الناس على الرفع
وان كان القياس عند سيبويه النصب واما الفرا والمبرد والزجاج فان الرفع عندهم هو
الاوجه والخبر في قوله فاجلدوا لان المعنى الزانية والزاني مجلودان بحكم الله وهو قول جيد
وهو قول اكثر النحاة وان شيت قدرت الخبر ينبغي ان يجلدا وقرا ابن مسعود والزان بغير
يا الرابعة ذكر الله سبحانه الذكر والانثى والزاني كان يكفي منهما فقيل ذكرهما للتاكيد كما قال
والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ويحتمل ان يكون ذكرهما هنا لئلا يظن ظان ان الرجل
لما كان هو الواطي والمراة محل ليست بواطية فلا يجب عليها حد فذكرها رفعا لهذا الاشكال
الذي اوقع جماعة من العلما منهم الشافعي فقالوا لا كفارة على المراة في الوطء في رمضان لانه
قال جامعت اهلي في نهار رمضان فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كفر فامره بالكفارة
والمراة ليست بمجامعة ولا واطية الخامسة قدمت الزانية في هذه الاية من حيث كان في ذلك
الزمان زنا النسا فاشيا وكان لاما العرب وبغايا الوقت رايات وكن مجاهرات بذلك وقيل لان
الزنا في النسا اعر وهو لاجل الحبل اضر وقيل لان الشهوة في المراة اكثر وعليها اغلب فصدرها
تغليظا لتردع شهوتها وان كان قد ركب فيها حيا لكنها اذا زنت ذهب الحيا كله وايضا
فان العار بالنسا الحق اذ موضوعهن الحجب والصيانة فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما السادسة
الالف واللام في قوله الزانية والزاني للجنس وذلك يعطي انها عامة في جميع الزناة ومن
قال بالجلد مع الرجم قال السنة جاءت بزيادة حكم فيقام مع الجلد وهو قول اسحاق بن
راهويه والحسن بن ابي الحسن وفعله علي بن ابي طالب بشراحة وقد مضى في النسا بيانه وقال

الجمهور وهي خاصة في البكرين واستدلوا على انها غير عامة بخروج العبيد والاما منها السابعة
نص الله سبحانه ما يجب على الزانيين اذا شهد بذلك عليهما على ما ياتي واجمع العلما على القول
به واختلفوا فيما يجب على الرجل يوجد مع المراة في ثوب واحد فقال اسحاق بن راهويه يضرب
كل واحد منهما ماية وروي ذلك عن عمر وعلي وليس يثبت ذلك عنهما وقال عطا وسفيان
الثوري يوديان وبه قال مالك واحمد على قدر مذاهبهم في الادب قال ابن المنذر والاكثر
ممن رايناه يري عقاب وجد على هذه الحال الادب وقد مضى في هود اختيار ما في هذه المسيلة
والحمد لله الثامنة قوله تعالى فاجلدوا واوخلت الفا لانه موضع امر والامر مضارع للشرط
وقال المبرد فيه معنى الجزا اي ان زنى واي فافعلوا به كذا ولهذا دخلت الفا وهكذا السارق
والسارقة فاقطعوا ايديهما التاسعة لاخلاف ان المخاطب بهذا الامر الامام ومن ناب منابه
وزاد مالك والشافعي السادة في العبيد قال الشافعي في كل جلد وقطع وقال مالك في الجلد
دون القطع وقيل الخطاب للمسلمين لان اقامة مراسم الدين واجبة على المسلمين ثم الامام ينوب
عنهم اذ لا يمكنهم الاجتماع على اقامة الحدود العاشرة اجمع العلما على ان الجلد بالسوط يجب
والسوط الذي يجب ان يجلد به يكون بين سوطين لا شديدا ولا لينا روي مالك عن
زيد بن اسلم ان رجلا اعترف على نفسه بالزنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسوط فاتي بسوط مكسور فقال فوق هذا فاتي بسوط
جديد لم تقطع ثمرته فقال دون هذا فاتي بسوط قد ركب به ولان فامر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجلد الحديث قال ابو عمر هكذا روي هذا الحديث مرسلا جميع رواة الموطا
ولا اعلمه يستند بهذا اللفظ من وجه من الوجوه وقد روي معمر عن يحيى بن ابي كثير عن النبي
صلى الله عليه وسلم مثله سوا وقد تقدم في المايدة ضرب عمر الجارود في الخمر بسوط تام
يريد وسطا الحادية عشر اختلف العلما في تجريد المجلود في الزنا فقال مالك وابو حنيفة
وغيرهما يجرد ويترك على المراة ما يسترها دون ما يقيها الضرب وقال الاوزاعي الامام مخير
ان شا جرد وان شا ترك وقال الشعبي والنخعي لا يجرد ولكن يترك عليه قميص قال
ابن مسعود لا يحل في هذه الامة تجريد ولا مد وبه قال الثوري الثانية عشر اختلف العلما
في كيفية ضرب الرجال والنسا فقال مالك الرجل والمراة في الحدود كلها سوا لا يقام واحد
منهما ولا يجزي عنده الا في الظهر واصحاب الراي والشافعي يرون ان يجلد الرجل وهو واقف
وهو قول علي بن ابي طالب وقال الليث ابن سعد وابو حنيفة والشافعي الضرب في الحدود
كلها وفي التعزير مجردا قايما غير ممدود الا حد القذف فانه يضرب وعليه ثيابه وحكاه
المهدوي في التحصيل عن مالك وينزع عنه الحشو والفرو وقال الشافعي ان كان مده صلاحا
مد الثالثة عشر واختلفوا في المواضع التي تضرب من الانسان في الحدود فقال مالك الحدود
كلها لا تضرب الا في الظهر وكذلك التعزير وقال الشافعي واصحابه يتقي الوجه والفرج
وتضرب ساير الاعضا وروي عن علي واشار ابن عمر بالضرب الى رجلي امة جلدها في الزنا قال
ابن عطية والاجماع في تسليم الوجه والعورة والمقاتل واختلفوا في ضرب الراس فقال
الجمهور يتقي الراس وقال ابو يوسف يضرب الراس وروي عن عمر وابنه فقالا يضرب الراس
وضرب عمر صبيغا في راسه وكان تعزيرا لا حدا ومن حجة مالك ما ادرك عليه الناس وقوله
عليه السلام البينة والا حد في ظهرك وسياتي الرابعة عشر الضرب الذي يجب هو ان يكون
مولما لا يجرح ولا يبضع ولا يخرج الضارب يده من تحت ابطه وبه قال الجمهور وهو قول
علي وابن مسعود واتي عمر برجل في حد فاتي بسوط بين سوطين وقال للضارب اضرب
ولا يري ابطك واعط كل عضو حقه واتي رضي الله عنه بشارب فقال لابعثنك الى رجل
لا تاخذه فيك هواده فبعثه الى مطيع ابن الاسود العدوي فقال اذا اصبحت الغد فاضربه
الحد فجا عمر وهو يضربه ضربا شديدا فقال قتلت الرجل كم ضربته قال ستين قال
اقص عنه بعشرين قال ابو عبيد قوله اقص عنه بعشرين يقول اجعل شدة هذا الضرب
الذي ضربته قصاصا بالعشرين التي بقيت ولا تضربه العشرين وفي هذا الحديث من الفقه
ان ضرب الشارب ضرب خفيف وقد اختلف العلما في اشد الحدود ضربا وهي الخامسة عشر

فقال

فقال مالك واصحابه والليث ابن سعد الضرب في الحدود كلها سوا ضرب غير مبرح ضرب بين
ضربين وهو قول الشافعي وقال ابو حنيفة واصحابه التعزير اشد الضرب وضرب الزنا
اشد من الضرب في الخمر وضرب الشارب اشد من ضرب القذف وقال الثوري ضرب الزنا
اشد من ضرب القذف وضرب القذف اشد من ضرب الخمر احتج مالك بورود التوقيف على عدد
الجلدات ولم يرد في شي منها تخفيف ولا تثقيل عمن يجب التسليم له احتج ابو حنيفة بفعل عمر فانه
ضرب في التعزير ضربا اشد منه في الزنا احتج الثوري بان الزنا لما كان اكثر عددا في الجلدات
استحال ان يكون القذف ابلغ في النكاية وكذلك الخمر لانه لم يثبت فيه الحد الا بالاجتهاد وسبيل
مسايل الاجتهاد لا يقوى قوة مسايل التوقيف السادسة عشر الحد الذي اوجب الله في الزنا والخمر
والقذف وغير ذلك ينبغي ان يقام بين يدي الحكام ولا يقيمه الا فضلا الناس وخيارهم يختارهم
الامام كذلك وكذلك كانت الصحابة تفعل كلما وقع لهم شي من ذلك رضي الله عنهم وسبب ذلك انه
قيام بقاعدة شرعية وقربة تعبدية تجب المحافظة على فعلها وقدرها ومحلها وحالها بحيث لا يتعدى
شي من شروطها ولا احكامها فان دم المسلم وحرمته عظيمة فيجب مراعاته بكل ما امكن روي الصحيح
عن حصين ابن المنذر ابي ساسان قال شهدت عثمان بن عفان اتي بالوليد قد صلى الصبح
ركعتين ثم قال ازيدكم قال فشهد عليه رجلان احدهما حمران انه شرب الخمر وشهد اخر انه راه
يتقيا فقال عثمان انه لم يتقيا حتى شربها فقال يا علي قم فاجلده فقال علي قم يا حسن فاجلده
فقال الحسن ول حارها من تولى قارها فكانه وجد عليه فقال يا عبد الله بن جعفر قم فاجلده
فجلده وعلي يعد الحديث وقد تقدم في المايدة فانظر قول عثمان للامام علي قم فاجلده
السابعة عشر نص الله تعالى على عدد الجلد في الزنا والقذف وثبت التوقيف في الخمر على
ثمانين من فعل عمر في جميع الصحابة على ما تقدم في المايدة فلا يجوز ان يتعدى الحد في ذلك
كله قال ابن العربي وهذا ما لم يتتابع الناس في الشر ولا احلولت لهم المعاصي حتى يتخذوها ضراوة
ويعطفون عليها بالهوادة فلا يتناهوا عن منكر فعلوه فحينئذ تتعين الشدة ويزاد الجلد
لاجل زيادة الذنب وقد اتي عمر بسكران في رمضان فضربه ماية ثمانين حد الخمر وعشرين
لهتك حرمة الشهر فهكذا يجب ان تركب العقوبات على تغليظ الجنايات وهتك الحرمات وقد
لعب رجل بصبي فضربه الوالي ثلثماية سوط فلم يغير مالك حين بلغه فكيف لو راي زماننا
هذا بهتك الحرمات والاستهتار بالمعاصي والتظاهر بالمناكر وبيع الحدود واستيفاء العبيد
لها في منصب القضاة لمات كمدا ولم يجالس احدا وحسبنا الله ونعم الوكيل قلت ولهذا المعنى
والله اعلم زيد في حد الخمر حتى انتهى الى ثمانين روي الدارقطني ثنا القاضي الحسين بن اسماعيل
ثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي ثنا صفوان بن عيسى ثنا اسامة بن زيد عن الزهري قال
اخبرني عبد الرحمن بن ازهر قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وهو يتخلل
الناس يسال عن منزل خالد بن الوليد فاتي بسكران قال فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لمن عنده فضربوه بما في ايديهم قال وحثا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه التراب
قال ثم اتي ابو بكر بسكران قال فتوخى الذي كان من ضربهم يوميذ فضرب اربعين قال
الزهري ثم اخبرني حميد بن عبد الرحمن عن ابن وبرة الكلبي قال ارسلني خالد بن الوليد
الى عمر قال فاتيته ومعه عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وعلي وطلحة والزبير وهم
معه متكيون في المسجد فقلت ان خالد بن الوليد ارسلني اليك وهو يقرا عليك السلام
ويقول ان الناس قد انهمكوا في الخمر وتحاقروا العقوبة فيه فقال عمر هم هولا عندك
فاسالهم فقال علي نراه اذا سكر هذا واذا هذى افترى وعلى المفتري ثمانون قال فقال
عمر ابلغ صاحبك ما قال قال فجلد خالد ثمانين وعمر ثمانين قال وكان عمر اذا اتي بالرجل
الضعيف الذي كانت منه الزلة ضربه اربعين قال وجلد عثمان ايضا ثمانين واربعين
ومن هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم لو تاخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين ابوا ان
ينتهوا في رواية لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعمقهم وروي حاتم بن
يحيى عن سفيان عن مسعر عن عطا بن ابي مروان ان عليا ضرب النجاشي في الخمر
ماية جلدة ذكره ابو عمر ولم يذكر سببا الثامنة عشر قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين

ابتداي لا تمتنعوا عن اقامة الحدود شفقة على المحدود ولا تخففوا الضرب من غير
ايجاع هذا قول جماعة اهل التفسير وقال الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير لا تاخذكم بهما
رافة قالوا في الضرب والجلد وقال ابو هريرة اقامة حد بارض خير لاهلها من مطر
اربعين ليلة ثم قرا هذه الاية والرافة ارق الرحمة وقري رافة بفتح العين على وزن فعلة
وقري رافة على وزن فعالة ثلاث لغات وهي كلها مصادر واشهرها الاولى من روف اذا رق
ورحم ويقال رافه ورافه مثل كابه وكابة وقد رافت به وروفت به والروف من صفات
الله تعالى العطوف الرحيم التاسعة عشر قوله تعالى في دين الله اي في حكم الله كما قال
ما كان لياخذ اخاه في دين الملك اي في حكمه وقيل في دين الله اي في طاعة الله وشرعه
فيما امركم به من اقامة الحدود ثم قررهم على معنى التثبت والحض بقوله ان كنتم مومنين بالله وهذا
كما تقول لرجل تحضه ان كنت رجلا فافعل كذا اي هذه افعال الرجال الموفية عشرون
قوله تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين قيل لا يشهد التعذيب الا من لا يستحق التاديب
قال مجاهد رجل فما فوقه الى الف وقال ابن زيد لا بد من حضور اربعة قياسا على الشهادة
على الزنا وان هذا باب منه وهو قول مالك والليث والشافعي وقال عكرمة وعطا لا بد
من اثنين وهذا مشهور قول مالك فراها موضع شهادة وقال الزهري ثلاثة لانه اقل
الجمع الحسن واحد فصاعدا وعنه عشرة الربيع ما زاد على الثلاثة وحجة مجاهد قوله
تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة وقوله وان طايفتان ونزلت في تقاتل رجلين فكذلك
قوله وليشهد عذابهما طايفة من المومنين والواحد يسمى طايفة الى الالف وقاله ابن عباس وابراهيم
وامر ابو برزة الاسلمي بجارية قد زنت وولدت فالقي عليها ثوبا وامر ابنيه ان يضرباها خمسين
ضربة غير مبرح ولا خفيف لكن مولم ودعا جماعة ثم تلى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين
الحادية والعشرون اختلف في المراد بحضور الجماعة على المقصد بها الاغلاظ على الزناة والتوبيخ
بحضرة الناس فان ذلك يردع المحدود ومن شهده وحضره يتعظ به ويزدجر لاجله
ويشيع حديثه فيعتبر به من بعده او الدعا لهما بالتوبة والرحمة قولان للعلما الثانية والعشرون
روي حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال
ثلاثا في الدنيا وثلاثا في الاخرة فاما اللواتي في الدنيا فيذهب البها ويورث الفقر وينقص
العمر واما اللواتي في الاخرة فيوجب السخط وسو الحساب والخلود في النار وعن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعمال امتي تعرض علي في كل جمعة مرتين فاشتد
غضب الله على الزنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان اطلع
الله على امتي فغفر لكل مومن لا يشرك بالله شيا الا خمسة ساحرا او كاهنا او عاقا لوالديه او
مدمن خمر او مصر على الزنا قوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة فيه سبع مسايل
الاولى اختلف العلما في معنى هذه الاية على ستة اوجه من التاويل الاول ان يكون
مقصد الاية تشنيع الزنا وتبشيع امره وانه محرم على المومنين واتصال هذا المعنى بما
قبل حسن بليغ ويريد بقوله لا ينكح اي لا يطا فيكون النكاح بمعنى الجماع وردد القصة
مبالغة واخذا من كلا الطرفين ثم زاد تقسيم المشركة والمشرك من حيث الشرك اعم في
المعاصي من الزنا فالمعنى الزاني لا يطا في وقت زناه الا زانية من المسلمين او من هي احسن
منها من المشركات وقد روي عن ابن عباس واصحابه ان النكاح في هذه الاية الوطي
وانكر ذلك الزجاج وقال لا يعرف النكاح في كتاب الله الا بمعنى التزويج وليس كما قال
وفي القران حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه النبي صلى الله عليه وسلم انه بمعنى الوطي وقد
تقدم في البقرة وذكر الطبري ما ينحو اليه هذا التاويل عن سعيد بن جبير وابن عباس
وعكرمة ولكن غير مخلص ولا مكمل وحكاه الخطابي عن ابن عباس وان معناه الوطي اي
لا يكون زنا الا بزانية ويفيد انه زنى في الجهتين فهذا قول الثاني ما رواه ابو داود
والترمذي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان مرثد بن ابي مرثد كان يحمل الاسارى
بمكة وكان بمكة بغي يقال لها عناق وكانت صديقته قال فجيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا رسول الله انكح عناق قال فسكت عني فنزلت الزانية لا ينكحها الا زان او مشرك

فدعاني

فدعاني فقراها علي وقال لا تنكحها لفظ ابي داود وحديث الترمذي اكمل قال الخطابي
هذا خاص بهذه المراة اذ كانت كافرة فاما الزانية المسلمة فان العقد عليها لا يفسخ الثالث
انها مخصوصة في رجل من المسلمين ايضا استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح
امراة يقال لها ام مهزول وكانت من بغايا الزانيات وشرطت ان تنفق عليه فانزل الله
هذه الاية قاله عمرو بن العاص ومجاهد الرابع انها نزلت في اهل الصفة وكانوا قوما
من المهاجرين ولم يكن لهم بالمدينة مساكن ولا عشاير فنزلوا صفة المسجد وكانوا اربعماية رجل
يلتمسون الرزق بالنهار وياوون الى الصفة بالليل وكان بالمدينة بغايا متعالنات بالفجور
مخاصيب بالكسوة والطعام فهم اهل الصفة ان يتزوجوهن فياوون الى مساكنهن وياكلون
من طعامهن وكسوتهن فنزلت هذه الاية صيانة لهم عن ذلك قاله ابن ابي صالح الخامس
ذكره الزجاج وغيره عن الحسن وذلك انه قال المراد الزاني المحدود والزانية المحدودة
قال وهذا حكم من الله فلا يجوز لزان محدود ان يتزوج الا محدودة قال وهذا حكم من
الله وفي مصنف ابي داود عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينكح
الزاني المجلود الا مثله وروي ان محدودا تزوج غير محدودة ففرق علي رضي الله عنه
بينهما قال ابن العربي وهذا معنى لا يصح نظرا كما لم يثبت نقلا وهل يصح ان يوقف نكاح
من حد من الرجال على نكاح من حد من النسا فباي اثر يكون ذلك وعلى اي اصل يقاس من
الشريعة قلت وحكى هذا القول الكيا عن بعض اصحاب الشافعي المتاخرين وان الزاني
اذا تزوج غير زانية فرق بينهما لظاهر الاية قال الكيا وان هو عمل بالظاهر فيلزمه عليه
ان يجوز للزاني التزوج بالمشركة ويجوز للزانية ان تزوج نفسها من مشرك وهذا في
غاية البعد وهو خروج عن الاسلام بالكلية وربما قال هولا ان الاية منسوخة في
المشرك خاصة دون الزانية السادس انها منسوخة روى مالك عن يحيى بن سعيد
عن سعيد بن المسيب قال الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا
زان او مشرك قال نسختها الاية التي بعدها وانكحوا الايامى منكم وقاله ابن عمر
وقال دخلت الزانية في ايامى المسلمين قال ابو جعفر النحاس وهذا القول عليه اكثر
العلما واهل الفتيا يقولون ان من زنا بامراة فله ان يتزوجها وهو قول ابن عمر
وسالم وجابر بن زيد وعطا وطاوس ومالك بن انس وهو قول ابي حنيفة واصحابه
وقال الشافعي القول فيها كما قال سعيد بن المسيب ان شا الله هي منسوخة قال ابن
عطية وذكر الاشراك في الاية يضعف هذه المناحي قال ابن العربي والذي عندي
ان النكاح لا يخلو ان يراد به الوطء كما قال ابن عباس او العقد فان اريد به الوطء فان معناه
لا يكون زنى الا بزانية وذلك عبارة عن ان الوطيين من الرجل والمراة زنى من الجهتين
ويكون تقدير الاية وطء الزانية لا يقع الا من زان او مشرك وهذا يوثر عن ابن عباس
وهو معنى صحيح فان قيل فاذا زنى بالغ بصبية او عاقل بمجنونة او مستيقظ بنايمة
فان ذلك من جهة الرجل زنى فهذا زان نكح غير زانية فيخرج المراد عن بابه الذي تقدم
قلنا هو زنى من كل جهة الا ان احدهما سقط فيه الحد والاخر ثبت فيه وان اريد به العقد
كان معناه ان يتزوج الزانية التي قد زنت ودخل بها ولم يستبريها يكون بمنزلة الزاني
الا انه لا حد عليه لاختلاف العلما في ذلك واما اذا عقد عليها ولم يدخل بها حتى يستبريها
فذلك جايز اجماعا وقيل ليس المراد في الاية ان الزاني لا ينكح قط الا زانية اذ قد يتصور
ان يتزوج غير زانية ولكن المعنى ان من تزوج بزانية فهو زان فكانه قال لا ينكح الزانية
الا زان فقلب الكلام وذلك انه لا ينكح الزانية الا وهو راض بزناها وانما يرضى بذلك
اذا كان هو ايضا يزني السابعة في هذه الاية دليل على ان التزوج بالزانية صحيح واذا زنت
زوجة الرجل لم يفسد النكاح واذا زنى الزوج لم يفسد نكاحه مع زوجته وهذا على ان الاية
منسوخة وقيل انها محكمة وسياتي الكلام فيه روي ان رجلا زنى بامراة في زمن ابي بكر رضي
الله عنه فجلدهما ما يتجلدة ثم زوج احدهما من الاخر مكانه ونفاهما سنة وروي مثل ذلك
عن عمر وابن مسعود وجابر وقال ابن عباس اوله سفاح واخره نكاح ومثل ذلك مثل رجل سرق

من حائط ثمرة ثم اتى صاحب البستان فاشترى منه ثمرة فما سرق حرام وما اشترى حلال وبهذا اخذ الشافعي وابو حنيفة وراوا ان الما لا حرمة له وروي عن ابن مسعود انه قال اذا زنى الرجل بالمراة ثم نكحها بعد ذلك فهما زانيان ابدا وبهذا اخذ مالك فراى انه لا ينكحها حتى يستبريها من مايه الفاسد لان النكاح له حرمة ومن حرمته ان لا يصب على ما السفاح فيختلط الحرام بالحلال ويمتزج ما المهانة بما العزة الرابعة قال ابن خويز منداد من كان معروفا بالزنى او بغيره من الفسوق معلنا به فتزوج الى اهل بيت ستر وغرهم من نفسه فلهم الخيار في البقا معه او فراقه وذلك كعيب من العيوب واحتج بقوله عليه السلام لا ينكح الزاني المجلود الا مثله قال ابن خويز منداد وانما ذكر المجلود لاشتهاره بالفسق وهو الذي يجب ان يفرق بينه وبين غيره فاما من لم يشتهر بالفسق فلا الخامسة قال قوم من المتقدمين الاية محكمة غير منسوخة وعند هولا من زنى فسد النكاح بينه وبين زوجته واذا زنت الزوجة فسد النكاح بينها وبين زوجها وقال قوم من هولا لا ينفسخ النكاح بذلك ولكن يومر الرجل بطلاقها اذا زنت ولو امسكها اثم ولا يجوز التزوج بالزانية ولا من الزاني بل لو ظهرت التوبة فحينئذ يجوز النكاح السادسة وحرم ذلك على المومنين اي نكاح اوليك البغايا فيزعم بعض اهل التاويل ان نكاح اوليك البغايا حرمه الله على امة محمد عليه السلام ومن اشهرهن عناق السابعة حرم الله الزنا في كتابه فحيث ما زنى الرجل فعليه الحد وهذا قول مالك والشافعي وابو ثور وقال اصحاب الراي في الرجل المسلم اذا كان في دار الحرب بامان وزنى هنالك ثم خرج لم يحد قال ابن المنذر دار الحرب ودار الاسلام واحد من زنى فعليه الحد على ظاهر قوله الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة

قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الى قوله غفور رحيم فيه ست وعشرون مسالة الاولى هذه الاية نزلت في القاذفين قال سعيد بن جبير كان سببها ما قيل في عايشة ام المومنين رضي الله عنها وقيل بل نزلت بسبب القذفة عاما لا في تلك النازلة وقال ابن المنذر لم نجد في اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا يدل على تصريح القذف وظاهر كتاب الله مستغنى به دالا على القذف الذي يوجب الحد واهل العلم على ذلك مجمعون الثانية قوله تعالى والذين يرمون يريد يشتمون واستعير له اسم الرمي لانه اذاية بالقول كما قال النابغة وجرح اللسان كجرح اليد وقال اخر

رماني بامر كنت منه ووالدي * بريا ومن جال الطوي رماني *

ويسمى قذفا ومنه الحديث ان ابن امية قذف امراته بشريك بن سحما اي رماها الثالث ذكر الله في الاية النسا من حيث هن اهم ورميهن بالفاحشة ابشع وانكى للنفوس وقذف الرجال داخل في حكم الاية بالمعنى واجماع الامة على ذلك وهذا نحو نصه على الخنزير ودخل شحمه وغضاريفه ونحو ذلك بالمعنى وبالاجماع وحكى الزهراوي ان المعنى والانفس المحصنات فهي بلفظها تعم الرجال والنسا ويدل على ذلك قوله والمحصنات من النسا وقال قوم اراد بالمحصنات الفروج كما قال والتي احصنت فرجها فيدخل فيه فروج الرجال والنسا وقيل انما ذكر المراة الاجنبية اذا قذفت ليعطف عليها قذف الرجل زوجته والله اعلم وقرا الجمهور والمحصنات بفتح الصاد وكسرها يحيى بن وثاب والمحصنات العفايف في هذا الموضع وقد مضى في النسا ذكر الاحصان ومراتبه والحمد لله الرابعة للقذف شروط عند العلما تسعة شرطان في القاذف وهما العقل والبلوغ لانهما اصلا التكليف اذ التكليف ساقط دونهما وشرطان في الشي المقذوف به وهو ان يقذف بوطء يلزم فيه الحد وهو الزنا واللواط او بنفيه من ابيه دون ساير المعاصي وخمسة في المقذوف وهي العقل والبلوغ والاسلام والحرية والعفة عن الفاحشة التي رمي بها كان عفيفا من غيرها ام لا وانما شرطنا في المقذوف العقل والبلوغ كما شرطناهما في القاذف وان لم يكونا من معاني الاحصان لاجل ان الحد انما وضع للزجر عن الاذاية بالمضرة الداخلة على المقذوف ولا مضرة على من عدم العقل والبلوغ اذ لا يوصف الوطء منهما ولا فيهما بانه زنى الخامسة اتفق العلما على انه اذا صرح بالزنى كان قذفا ورميا موجبا للحد فان عرض ولم يصرح فقال مالك هو قذف وقال الشافعي وابو حنيفة لا يكون قذفا حتى يقول اردت به القذف والدليل لما قاله مالك هو ان

موضوع

موضوع الحد في القذف انما هو لازالة المعرة التي اوقعها القاذف بالمقذوف فاذا حصلت المعرة بالتعريض وجب ان يكون قذفا كالتصريح والمعول على الفهم وقد قال تعالى مخبرا عن شعيب انك لانت الحليم الرشيد اي السفيه الضال فعرضوا له بالسب بكلام ظاهره المدح في احد التاويلات حسب ما تقدم في هود وقال تعالى في ابي جهل ذق انك انت العزيز الكريم وقال حكاية عن مريم يا اخت هرون ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا فمدحوا اباها ونفوا عن امها البغا اي الزنا وعرضوا لمريم بذلك ولذلك قال وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وكفرهم معروف والبهتان العظيم هو التعريض لها اي ما كان ابوك امرا سوء وما كانت امك بغيا اي انت بخلافهما وقد اتيت بهذا الولد وقال تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين فهذا اللفظ قد فهم منه ان المراد به ان الكفار على غير هدى وان الله ورسوله على الهدى ففهم من هذا التعريض ما يفهم من صريحه وقد حبس عمر رضي الله عنه الحطيئة لما قال

دع المكارم لا ترحل لبغيتها * واقعد فانك انت الطاعم الكاسي *

لانه شبهه بالنسا في انهن يطعمن ويسقين ويكسون ولما سمع قول النجاشي

* قبيلة لا يغدرون بذمة * ولا يظلمون الناس حبة خردل *

قال ليت الخطاب كذلك وانما اراد الشاعر ضعف القبيلة ومثله كثير السادسة الجمهور من العلما على انه لا حد على من قذف رجلا من اهل الكتاب او امراة منهم وقال الزهري وسعيد بن المسيب وابن ابي ليلى عليه الحد اذا كان لها ولد من مسلم وفيه قول ثالث وهو انه اذا قذف النصرانية تحت المسلم جلد الحد قال ابن المنذر وجل العلما مجمعون وقايلون بالقول الاول ولم ادرك احدا ولا لقيته يخالف في ذلك واذا قذف النصراني المسلم الحر فعليه ما على المسلم ثمانون جلدة لا اعلم في ذلك اختلافا السابعة والجمهور من العلما على ان العبد اذا قذف حرا يجلد اربعين لانه حد يتشطر بالرق كحد الزنا وروي عن ابن مسعود وعمر بن عبد العزيز وقبيصة بن ذويب يجلد ثمانين وجلد ابو بكر بن محمد عبدا قذف حرا ثمانين وبه قال الاوزاعي احتج الجمهور بقول الله تعالى فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب وقال الاخرون فهمنا هنالك ان حد الزنا لله تعالى وانه ربما كان اخف فيمن قلت نعم الله عليه وافحش فيمن عظمت نعم الله عليه واما حد القذف فحق للادمي وجب للجناية على عرض المقذوف والجناية لا تختلف بالرق والحرية وربما قالوا لو كان يختلف لذكر كما ذكر في الزنا قال ابن المنذر والذي عليه عوام علما الامصار القول الاول وبه اقول الثامنة واجمع العلما على ان الحر لا يجلد للعبد اذا افترى عليه لتباين مرتبتهما ولقوله عليه السلام من قذف مملوكه بالزنى اقيم عليه الحد يوم القيامة الا ان يكون كما قال خرجه البخاري ومسلم وفي بعض طرقه من قذف عبده بزنا ثم لم يثبت اقيم عليه يوم القيامة الحد ثمانون ذكره الدارقطني قال العلما وانما كان ذلك في الاخرة لارتفاع الملك واستوا الشريف والوضيع والعبد والحر ولم يكن لاحد فضل الا بالتقوى ولما كان ذلك تكافا الناس في الحدود والحرمة واقتص من كل واحد لصاحبه الا ان يعفو المظلوم عن الظالم وانما لم تتكافا في الدنيا ليلا تدخل الداخلة على المالكين من مكافاتهم لهم فلا تصح لهم حرمة ولا فضل في منزلة وتبطل فايدة التسخير حكمة من الحكيم العليم لا اله الا هو التاسعة قال مالك والشافعي فيمن قذف من يحسبه عبدا فاذا هو حر فعليه الحد وقاله الحسن البصري العاشرة واختلف العلما فيمن قال لرجل يا من وطي بين الفخذين فقال ابن القاسم عليه الحد لانه تعريض وقال اشهب لا حد عليه لانه نسبه الى فعل لا يعد زنا اجماعا الحادية عشرة اذا رمى صبية يمكن وطيها قبل البلوغ بالزنا كان قذفا عند مالك وقال ابو حنيفة والشافعي وابو ثور ليس بقذف لانه ليس بزنا اذ لا حد عليها ويعزر قال ابن العربي والمسالة محتملة مشكلة لكن مالك طلب حماية عرض المقذوف وغيره راعى حماية ظهر القاذف وحماية عرض المقذوف اولى لان القاذف كشف ستره بطرف لسانه فلزمه الحد قال ابن المنذر وقال احمد في الجارية بنت تسع يجلد قاذفها وكذلك الصبي اذا بلغ عشرا ضرب قاذفه قال اسحاق اذا قذف غلاما يطا مثله فعليه الحد والجارية اذا جاوزت تسعا مثل ذلك قال ابن المنذر لا يحد من قذف من لم يبلغ لان ذلك كذب ويعزر على الاذى قال ابو عبيد في حديث علي عليه السلام ان امراة

جاءته فذكرت ان زوجها اتى جاريتها فقال ان كنت صادقة رجمناه وان كنت كاذبة جلدناك فقالت ردوني الى اهلي غيرى نغرة قال ابو عبيد في هذا الحديث من الفقه ان على الرجل اذا واقع جارية امراته الحد وفيه ايضا اذا قذفه بذلك قاذف كان على قاذفه الحد الا تسمع قوله وان كنت كاذبة جلدناك ووجه هذا كله اذا لم يكن الفاعل جاهلا بما ياتي وبما يقول فان كان جاهلا وادعى بشبهة درئ عنه الحد في ذلك كله وفيه ايضا ان رجلا لو قذف رجلا بحضرة حاكم وليس المقذوف بحاضر انه لا شي على القاذف حتى يجي فيطلب حده لانه لا يدري لعله يصدقه الا ترى ان عليا عليه السلام لم يعرض لها وفيه ان الحاكم اذا قذف عنده رجل ثم جاء المقذوف فطلب حقه اخذه الحاكم بالحد بسماعه الا تراه يقول وان كنت كاذبة جلدناك وهذا لانه من حقوق الناس قلت اختلف هل هو من حقوق الله او من حقوق الادميين وسياتي قال ابو عبيد قال الاصمعي سالني شعبة عن قوله غيرى نغرة فقلت له هو ماخوذ من نغر القدر وهو غليانها وفورها يقال منه نغرت تنغر ونغرت تنغر اذا غلت فمعناه انها ارادت ان جوفها يغلي من الغيظ والغيرة لما لم تجد عنده ما تريد قال ورايت فلانا يتنغر على فلان اي يغلي جوفه عليه غيظا الثانية عشرة من قذف زوجة من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم حد حدين قاله مسروق قال ابن العربي والصحيح انه حد واحد لعموم قوله والذين يرمون المحصنات الاية ولا يقتضي شرفهن زيادة في حد من قذفهن لان شرف المنزلة لا يوثر في الحدود ولا نقصها يوثر في الحد بتنقيص والله اعلم وسياتي الكلام فيمن قذف عائشة رضي الله عنها هل يقتل ام لا الثالثة عشرة قوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهدا الذي يفتقر الى اربعة شهدا دون سائر الحقوق هو الزنا رحمة بعباده وسترا لهم وقد تقدم في النسا الرابعة عشرة من شرط اداء الشهود الشهادة عند مالك ان يكون ذلك في مجلس واحد فان افترقت لم تكن شهادة وقال عبد الملك تقبل شهادتهم مجتمعين ومفترقين فراى مالك ان اجتماعهم تعبد وبه قال ابن الحسن وراى عبد الملك ان المقصد اداء الشهادة واجتماعها وقد حصل وهو قول عثمان البتي وابو ثور واختاره ابن المنذر لقوله تعالى ثم لم ياتوا باربعة شهدا وقوله فان لم ياتوا بالشهدا ولم يذكر مفترقين ولا مجتمعين الخامسة عشرة فان تمت الشهادة الا انهم لم يعدلوا فكان الحسن البصري والشعبي يريان الا حد على الشهود ولا على المشهود وبه قال احمد والنعمان ومحمد بن الحسن وقال مالك اذا شهد عليه اربعة بالزنا فان كان احدهم مسخوطا عليه او عبدا يجلدون جميعا وقال سفيان الثوري واحمد واسحاق في اربعة عميان يشهدون على امراة بالزنا يضربون السادسة عشرة فان رجع احد الشهدا وقد رجم المشهود عليه في الزنا فقالت طائفة يغرم ربع الدية ولا شي على الاخرين وكذلك قال قتادة وحماد وعكرمة وابو هاشم ومالك واحمد واصحاب الراي وقال الشافعي ان قال عمدت ليقتل فالاوليا بالخيار ان شاوا قتلوا وان شاوا عفوا واخذوا ربع الدية وعليه الحد وقال الحسن البصري يقتل وعلى الاخرين ثلاثة ارباع الدية وقال ابن سيرين اذا قال اخطات واردت غيره فعليه الدية كاملة وان قال تعمدت قتل به وبه قال ابن شبرمة السابعة عشرة واختلف العلما في حد القذف هل هو من حقوق الله او حقوق الادميين او فيه شائبة منهما الاول قال ابو حنيفة والثاني قول مالك والشافعي والثالث قاله بعض المتاخرين وفائدة الخلاف انه ان كان حقا لله وبلغ الامام اقامه وان لم يطلب ذلك المقذوف ونفعت القاذف التوبة فيما بينه وبين الله تعالى ويتشطر فيه الحد بالرق كالزنا وان كان حقا للادمي فلا يقيمه الا الامام الا بمطالبة المقذوف ويسقط بعفوه ولم تنفع القاذف التوبة حتى يحلله المقذوف الثامنة عشرة قوله تعالى باربعة شهدا قراءة الجمهور على اضافة الاربعة الى الشهدا وقرا عبد الله ابن مسلم بن يسار وابو زرعة بن عمرو بن جرير باربعة بالتنوين شهدا وفيه اربعة اوجه يكون في موضع جر على النعت لاربعة او بدلا ويجوز ان يكون حالا من نكرة او تمييزا وفي الحال والتمييز نظر اذ الحال من نكرة والتمييز مجموع وسيبويه يرى ان تنوين العدد وترك اضافته انما يجوز في الشعر وقد حسن ابو الفتح عثمان بن جني هذه القراة

وحسب

واحسب على قراة الجمهور قال النحاس ويجوز ان يكون شهدا في موضع نصب بمعنى ثم لم يحضروا اربعة شهدا التاسعة عشرة حكم شهادة الاربعة ان يكون على معاينة يرون ذلك كالمرود في المكحلة على ما تقدم في النسا في نص الحديث وان تكون في موطن واحد على قول مالك وان اضطرب واحد منهم جلد الثلاثة كما فعل عمر في امر المغيرة ابن شعبة وذلك انه شهد عليه بالزنا ابو بكرة ونفيع ابن الحرث واخوه نافع وقال الزهراوي عبد الله بن الحرث وزياد اخوهم لام وهو مستلحق وشبل بن معبد البجلي فلما جاوا لاداء الشهادة توقف زياد ولم يودها جلد عمر الثلاثة المذكورين الموفية عشرين قوله تعالى فاجلدوهم الجلد الضرب والمجالدة المضاربة في الجلود او بالجلود ثم استعير الجلد لغير ذلك من سيف وغيره ومنه قول قيس بن الخطيم

اجالدهم يوم الحديقة حاسرا • كان يدي بالسيف مخراق لاعب •

ثمانين نصب على المصدر وجلدة تمييز ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا هذا يقتضي مدة اعمارهم ثم حكم عليهم بانهم فاسقون اي خارجون عن طاعة الله عز وجل الحادية والعشرون قوله تعالى الا الذين تابوا في موضع نصب على الاستثنا ويجوز ان يكون في موضع خفض على البدل والمعنى لا تقبلوا لهم شهادة ابدا الا الذين تابوا واصلحوا بعد القذف فان الله غفور رحيم فتضمنت الاية ثلاثة احكام في القاذف جلده ورد شهادته ابدا وفسقه فالاستثنا غير عامل في جلده باجماع الا ما روي عن الشعبي على ما ياتي وعامل في فسقه باجماع واختلف الناس في عمله في رد الشهادة فقال شريح القاضي وابراهيم النخعي والحسن البصري وسفيان الثوري وابو حنيفة لا يعمل الاستثنا في رد شهادته وانما يزول فسقه عند الله تعالى واما شهادة القاذف لا تقبل البتة ولو تاب واكذب نفسه ولا بحال من الاحوال وقال الجمهور الاستثنا عامل في رد الشهادة فاذا تاب القاذف قبلت شهادته وانما كان ردها لعلة الفسق فاذا زال بالتوبة قبلت شهادته مطلقا قبل الحد وبعده وهو قول عامة الفقها ثم اختلفوا في صورة توبته فمذهب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه والشعبي وغيره ان توبته لا تكون الا بان يكذب نفسه في ذلك القذف الذي حد فيه وهكذا فعل عمر فانه قال للذين شهدوا على المغيرة من اكذب نفسه اجزت شهادته فيما استقبل ومن لم يفعل لم اجز شهادته فاكذب الشبل بن معبد ونافع ابن الحارث بن كلدة انفسهما وتابا وابى ابو بكرة ان يفعل فكان لا تقبل شهادته وحكى هذا القول النحاس عن اهل المدينة وقالت فرقة منها مالك رحمه الله وغيره توبته ان يصلح ويحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بتكذيب وحسبه الندم على قذفه والاستغفار منه وترك العود الى مثله وهو قول ابن جرير ويروى عن الشعبي انه قال الاستثنا من الاحكام الثلاثة اذا تاب وظهرت توبته لم يحد وقبلت شهادته وزال عنه التفسيق لانه قد صار ممن يرضى من الشهدا وقد قال الله عز وجل واني لغفار لمن تاب الاية الثانية والعشرون اختلف علماونا رحمهم الله متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم واشهب وسحنون لا تسقط حتى يجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته وقال الشيخ ابو الحسن اللخمي شهادته في مدة الاجل موقوفة ورجح القول بان التوبة انما تكون بالتكذيب في القذف والا فاي رجوع لعدل ان قذف وحد وبقي على عدالته الثالثة والعشرون واختلفوا ايضا على القول بجواز شهادته بعد التوبة في اي شي تجوز فقال مالك رحمه الله تجوز في كل شي مطلقا وكذلك كل من حد في شي من الاشيا رواه ابن نافع وابن عبد الحكم عن مالك وهو قول ابن كنانة وذكر الوقار عن مالك انه لا تقبل شهادته فيما حد فيه خاصة وتقبل فيما سوى ذلك وهو قول مطرف وابن الماجشون وروى العتبي عن اصبغ وسحنون مثله قال سحنون من حد في شي من الاشيا فلا تجوز شهادته في مثل ما حد فيه وقال مطرف وابن الماجشون من حد في قذف او زنا فلا تجوز شهادته في شي من وجوه الزنا ولا في قذف ولا لعان وان كان عدلا ورويا عن مالك واتفقوا على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا الرابعة والعشرون الاستثنا اذا تعقب جملا معطوفة عاد الى جميعها عند مالك والشافعي واصحابهما وعند ابي حنيفة وجل اصحابه يرجع الاستثنا الى اقرب مذكور وهو الفسق ولهذا لا تقبل شهادته فان

الاستثنا راجع الى الفسق خاصة لا الى قبول الشهادة وسبب الخلاف في هذا الاصل سببان احدهما هل هذه الجمل في حكم الجملة الواحدة للعطف الذي فيها او لكل جملة حكم نفسها في الاستقلال وحرف العطف محسن لا مشرك وهو الصحيح في عطف الجمل لجواز عطف الجمل المختلفة بعضها على بعض على ما يعرف في النحو السبب الثاني تشبيه الاستثنا بالشرط في عوده الى الجمل المتقدمة فانه يعود الى جميعها عند الفقها او لا يشبه به لانه من باب القياس في اللغة وهو فاسد على ما يعرف في اصول الفقه والاصل ان كل ذلك محتمل ولا ترجيح فتعين ما قال القاضي من الوقف ويتايد الاشكال بانه قد جا في كتاب الله جل وعز كلا الامرين فان اية المحاربة فيها عود الضمير الى الجميع باتفاق واية قتل المومن خطا فيها رد الاستثنا الى الاخيرة باتفاق واية القذف محتملة للوجهين فتعين الوقف من غير تحكم قال علماونا وهذا نظر كلي اصولي ويترجح قول مالك والشافعي رحمهما الله من جهة نظر الفقه الجزوي بان يقال الاستثنا راجع الى الفسق والتوبة جميعا الا ان يفرق بين ذلك بخبر يجب التسليم له واجمعت الامة على ان التوبة تمحو الكفر فيجب ان يكون ما دون ذلك اولى والله اعلم قال ابو عبيد الاستثنا يرجع الى الجمل السابقة قال وليس من نسب الى الزنا باعظم جرما من مرتكب الزنا ثم الزاني اذا تاب قبلت شهادته لان التايب من الذنب كمن لا ذنب له واذا قبل الله التوبة من العبد كان العباد بالقبول اولى مع ان مثل هذا الاستثنا موجود في مواضع من القران منها قوله انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله الى قوله الا الذين تابوا ولا شك ان هذا الاستثنا الى الجميع وقال الزجاج وليس القاذف باشد جرما من الكافر فحقه اذا تاب واصلح ان تقبل شهادته قال وقوله ابدا اي ما دام قاذفا كما يقال لا تقبل شهادة الكافر ابدا فان معناه ما دام كافرا وقال الشعبي للمخالف في هذه المسالة يقبل الله توبته ولا تقبلون شهادته ثم ان كان الاستثنا يرجع الى الجملة الاخيرة عند اقوام من الاصوليين فقوله فاوليك هم الفاسقون تعليل لا جملة مستقلة بنفسها اي لا تقبلوا شهادتهم لفسقهم فاذا زال الفسق فلم لا تقبل شهادتهم ثم توبة القاذف اكذابه نفسه كما قال عمر لقذفة المغيرة بحضرة الصحابة من غير نكير مع اشاعة القضية وشهرتها من البصرة الى الحجاز وغير ذلك من الاقطار ولو كان تاويل الاية ما تاوله الكوفيون لم يجز ان يذهب علم ذلك عن الصحابة ولقالوا لعمر لا يجوز قبول توبة القاذف ابدا ولم يسعهم السكوت عن القضا بتحريف تاويل الكتاب فسقط قولهم والله المستعان الخامسة والعشرون قال القشيري ولا خلاف انه اذا لم يجلد القاذف بان مات المقذوف قبل ان يطالب القاذف بجلده او لم يرفع الى السلطان او عفى المقذوف فالشهادة معطوف على الجلد او لم يرفع الى السلطان او عفى المقذوف فالشهادة معطوف على الجلد قال الله تعالى فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا وعند هذا قال الشافعي هو قبل ان يحد شر منه حين حد لان الحدود كفارات فكيف تردون شهادته في احسن حاليه دون اخسهما قلت هكذا قال ولا خلاف وقد تقدم عن ابن الماجشون انه بنفس القذف ترد شهادته وهو قول الليث والاوزاعي ترد شهادته وان لم يحد لانه بالقذف يفسق لانه من الكباير فلا تقبل شهادته حتى تصح براته باقرار المقذوف له بالزنا او بقيام البينة عليه السادسة والعشرون قوله تعالى واصلحوا يريد اظهار التوبة وقيل واصلحوا العمل فان الله غفور رحيم حيث تابوا وقبل توبتهم قوله تعالى والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم الى قوله تواب حكيم فيه ثلاثون مسالة الاولى قوله تعالى ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم بالرفع على البدل ويجوز النصب على الاستثنا وعلى خبر يكون فشهادة احدهم اربع شهادات بالرفع على الابتدا والخبر اي فشهادة احدهم التي تزيل عنه حد القذف اربع شهادات وقرا اهل المدينة وابو عمرو اربع بالنصب لان معنى فشهادة ان يشهد والتقدير فعليهم ان يشهد احدهم اربع شهادات او فالامر ان يشهد احدهم اربع شهادات ولا خلاف في الثانية انه منصوب بالشهادة والخامسة رفع بالابتدا والخبر ان وصلتها ومعنى المخففة كمعنى المثقلة لان معناها انه وقرا ابو عبد الرحمن وطلحة وعاصم في رواية حفص والخامسة بالنصب بمعنى وتشهد الشهادة الخامسة الباقون

بالرفع

بالرفع على الابتدا والخبر في ان لعنة الله عليه اي والشهادة الخامسة قوله لعنة الله عليه الثانية في سبب نزولها وهو ما رواه ابو داود عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك ابن سحما فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك قال يا رسول الله اذا راى احدنا رجلا على امراته يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة والا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق ولينزلن الله في امري ما يبرئ ظهري من الحد فنزلت والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم فقرا حتى بلغ من الصادقين الحديث بكماله وقيل لما نزلت الاية المتقدمة في الذين يرمون المحصنات وتناول ظاهرها الازواج وغيرهم قال سعد بن معاذ يا رسول الله اني وجدت مع امراتي رجلا امهله حتى اتي باربعة والله لاضربنه بالسيف غير مصفح عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتعجبون من غيرة سعد لانا اغير منه والله اغير مني وفي الفاظ سعد روايات مختلفة هذا نحو معناها ثم جا من بعد ذلك هلال بن امية الواقفي فرمى زوجته بشريك ابن سحما البلوي على ما ذكرنا وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الاية عند ذلك فجمعهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد وتلاعنا فتلكات المراة عند الخامسة لما وعظت وقيل انها موجبة ثم قالت لا افضح قومي ساير اليوم فالتعنت وفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وولدت غلاما كانه جمل اورق على النعت المكروه ثم كان الغلام بعد ذلك اميرا بمصر وهو لا يعرف لنفسه ابا وجا ايضا عويمر العجلاني فرمى امراته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال كانت قبل وانها سبب الاية وقيل نازلة عويمر بن اشقر كانت قبل وهو حديث صحيح ان القاذف لزوجه عويمر وهلال بن امية خطا قال الطبري يستنكر قوله في الحديث هلال بن امية وانما القاذف عويمر بن زيد بن الجد العجلاني شهد احدا مع النبي صلى الله عليه وسلم رماها بشريك ابن السحما والسحما امه قيل لها ذلك لسوادها وهو ابن عبدة بن الجد بن العجلان كذلك كان يقول اهل الاخبار وقيل قرا النبي صلى الله عليه وسلم على الناس في الخطبة يوم الجمعة والذين يرمون المحصنات فقال عاصم بن عدي الانصاري جعلني الله فداك لو ان رجلا فتكلم فاخبره بما جرى جلد ثمانين وسماه المسلمون فاسقا فلا تقبل شهادته فكيف لاحدنا عند ذلك باربعة شهود والى ان يلتمس اربعة شهود فقد فرغ الرجل من حاجته فقال عليه السلام كذلك انزلت يا عاصم بن عدي فخرج عاصم سامعا مطيعا فاستقبله هلال بن امية يسترجع فقال ما وراك قال شر وجدت شريك ابن السحما على بطن امراتي خولة يزني بها وخولة هذه بنت عاصم بن عدي كذا في هذا الطريق ان الذي وجد مع امراته شريكا هو هلال بن امية والصحيح خلافه حسب ما تقدم بيانه قال الكلبي والاظهر ان الذي وجد مع امراته شريكا عويمر العجلاني لكثرة ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن بين العجلاني وامراته واتفقوا على ان هذا الزاني هو شريك ابن عبدة وامه السحما وكان عويمر وخولة بنت قيس وشريك ابن عم عاصم وكانت هذه القصة في شعبان سنة تسع من الهجرة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك الى المدينة قاله الطبري وروى الدارقطني عن عبد الله بن جعفر قال حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لاعن بين عويمر العجلاني وامراته مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وانكر حملها الذي في بطنها وقال هو لابن السحما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هات امراتك فقد نزل القران فيكما فلاعن بينهما بعد العصر عند المنبر على حمل في طريقه الواقدي عن الضحاك ابن عثمان عن عمران بن ابي انس قال سمعت عبد الله بن جعفر يقول فذكره الثالثة قوله سبحانه والذين يرمون ازواجهم عام في كل رمي سوا قال زنيت او يا زانية او رايتها تزني او هذا الولد ليس مني فان الاية مشتملة عليه ويجب اللعان ان لم يات باربعة شهدا وهذا قول جمهور العلما وعامة الفقها وجماعة اهل الحديث وقد روي عن مالك مثل ذلك وكان مالك يقول لا يلاعن الا ان يقول رايتك تزني او ينفي حملا او ولدا منها وقول ابي الزناد ويحيى بن سعيد والبتي مثل قول مالك ان الملاعنة لا تجب بالقذف وانما تجب بالروية او نفي الحمل مع دعوى الاستبرا هذا هو المشهور عن مالك وقاله

ابن القاسم والصحيح الاول لعموم قوله والذين يرمون ازواجهم قال ابن العربي وظاهر القران
يكفي لايجاب اللعان بمجرد القذف من غير روية فلتعولوا عليه لاسيما وفي الحديث الصحيح ارايت
رجلا وجد مع امراته رجلا فقال النبي صلى الله عليه وسلم فاذهب فات بها ولم يكلفه ذكر الروية
واجمعوا ان الاعمى يلاعن اذا قذف امراته ولو كانت الروية من شرط اللعان ما لاعن الاعمى قاله
ابو عمر وقد ذكر ابن القصار عن مالك ان لعان الاعمى لا يجوز الا ان يقول لمست فرجه في فرجها
والحجة لمالك ومن اتبعه ما رواه ابو داود عن ابن عباس قال جا هلال بن امية وهو احد الثلاثة
الذين تيب عليهم فجا من ارضه عشاء فوجد عند اهله رجلا فراي بعينه وسمع باذنه فلم يهجه
حتى اصبح ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني جيت اهلي عشاء فوجدت
عندهم رجلا فرايت بعيني وسمعت باذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه
فنزلت والذين يرمون ازواجهم الاية وذكر الحديث وهو نص على ان الملاعنة التي قضى فيها
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما كانت في الروية فلا يجب ان يتعدى ذلك ومن قذف امراته
ولم يذكر روية حد لعموم قوله والذين يرمون المحصنات الرابعة اذا نفى الحمل فانه يلتعن لانه
اقوى من الروية ولا بد من ذكر عدم الوطء والاستبرا بعده واختلف علماونا في الاستبرا
فقال المغيرة ومالك في احد قوليهما يجزي في ذلك حيضة وقال مالك ايضا لا ينفيه الا بثلاث
حيض والصحيح الاول لان براءة الرحم من الشغل يقع بها كما في استبرا الامة وانما راعينا
الثلاث حيض في العدد لحكم اخر يأتي بيانه في الطلاق ان شاء الله وحكى اللخمي عن مالك
انه قال مرة لا ينفى الولد بالاستبرا لان الحيض ياتي على الحمل وقاله اشهب في كتاب ابن المواز
وقاله المغيرة وقال لا ينفى الولد الا بخمس سنين لانه اكثر مدة الحمل على ما تقدم الخامسة اللعان
عندنا يكون في كل زوجين حرين كانا او عبدين مومنين او كافرين فاسقين او عدلين وبه
قال الشافعي ولا لعان بين الرجل وامته ولا بينه وبين ام ولده وقد قيل لا ينتفي ولد الامة
عنه الا بيمين واحدة بخلاف اللعان وقد قيل انه اذا نفى ولد ام الولد لاعن والاول تحصيل
مذهب مالك وهو الصواب وقال ابو حنيفة لا يصح اللعان الا من زوجين حرين مسلمين وذلك
لان اللعان عنده شهادة وعندنا وعند الشافعي يمين فكل من صحت يمينه صح قذفه ولعانه
واتفقوا على انه لا بد ان يكونا مكلفين وفي قوله صلى الله عليه وسلم وجد مع امراته رجلا دليل
على ان الملاعنة تجب على كل زوجين لانه لم يخص رجلا من رجل ولا امراة من امراة ونزلت اية
اللعان على هذا الجواب فقال والذين يرمون ازواجهم لم يخص زوجا من زوج والى هذا
ذهب مالك واهل المدينة وهو قول الشافعي واحمد واسحاق وابي عبيد وابي ثور وايضا
فان اللعان يوجب فسخ النكاح فاشبه الطلاق فكل من يجوز طلاقه يجوز لعانه واللعان
ايمان لا شهادات قال الله تعالى لشهادتنا احق من شهادتهما اي ايماننا وقال اذا جاءك
المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال اتخذوا ايمانهم جنة وقال عليه السلام
لولا الايمان لكان لي ولها شان واما ما احتج به الثوري وابو حنيفة فهي حجج لا تقوم على ساق
منها حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اربعة ليس بينهم لعان ليس بين الحر والامة لعان وليس بين الحرة والعبد
لعان وليس بين المسلم واليهودية لعان وليس بين المسلم والنصرانية لعان اخرجه الدارقطني
من طرق ضعفها كلها وروي عن الاوزاعي وابن جريج وهما امامان عن عمرو بن شعيب
عن ابيه عن جده قوله ولم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا من جهة النظر ان
الازواج لما استثنوا من جملة الشهدا بقوله ولم يكن لهم شهدا الا انفسهم وجب ان لا يلاعن
الا من تجوز شهادته وايضا فلو كانت يمينا ما رددت والحكمة في ترديدها قيامها في الاعداد
مقام الشهود في الزنا قلنا هذا يبطل بيمين القسامة فانها تكرر وليست بشهادة اجماعا
والحكمة في تكرارها التغليظ في الفروج والدما قال ابن العربي والفيصل في انها يمين لا
شهادة ان الزوج يحلف لنفسه في اثبات دعواه وتخليصه من العذاب وكيف يجوز لاحد
ان يدعي في الشريعة ان شاهدا يشهد لنفسه بما يوجب حكما على غيره هذا بعيد في الاصل
معدوم في النظر السادسة اختلف العلما في ملاعنة الاخرس فقال مالك والشافعي يلاعن

لانه

لانه ممن يصح طلاقه وظهاره وايلاوه اذا فهم ذلك عنه وقال ابو حنيفة لا يلاعن لانه ليس من
اهل الشهادة ولانه قد ينطق بلسانه فينكر اللعان فلا يمكننا اقامة الحد عليه وقد تقدم هذا المعنى
في سورة مريم عليها السلام والحمد لله السابعة قال ابن العربي راى ابو حنيفة عموم الاية فقال ان
الرجل اذا قذف زوجته بالزنا قبل ان يتزوجها فانه يلاعن ونسي ان ذلك قد تضمنه قوله والذين
يرمون المحصنات وهذا رماها محصنة غير زوجة وانما يكون اللعان في قذف يلحق فيه النسب وهذا
قذف لا يلحق فيه نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية الثامنة اذا قذفها بعد الطلاق نظرت
فان كان هنالك نسب فلا يوجب لعانا كما لو قذف اجنبية اذا قذفها بعد الطلاق نظرت فان كان هنالك
نسب يريد ان ينفيه او حمل يتبرا منه لاعن والا لم يلاعن وقال عثمان البتي لا يلاعن بحال لانها
ليست بزوجة وهذا ينتقض عليه بالقذف قبل الزوجية كما ذكرناه انفا بل هذا اولى لان النكاح قد
تقدم وهو يريد الانتفا من النسب وتبرئته من ولد يلحق به فلا بد من اللعان واذا لم يكن هنالك
حمل يرجى ولا نسب يخاف تعلقه لم يكن للعان فايدة فلا يحكم به وكان قذفا مطلقا داخلا تحت عموم
قوله والذين يرمون المحصنات الاية فوجب عليه الحد وبطل ما قال البتي لظهور فساده التاسعة
لا ملاعنة بين الرجل وزوجته بعد انقضا العدة الا في مسالة واحدة وهي ان يكون الرجل غايبا
فتاتي امراته بولد في مغيبه وهو لا يعلم فيطلقها فتنقضي عدتها ثم يقدم فينفيه فله ان يلاعنها
ها هنا بعد العدة وكذلك لو قدم بعد وفاتها ونفى الولد لاعن لنفسه وهي ميتة بعد مدة من العدة
ويرثها لانها ماتت قبل وقوع الفرقة بينهما العاشرة اذا انتفى من الحمل ووقع ذلك بشرطه لاعن قبل
الوضع وبه قال الشافعي وقال ابو حنيفة لا يلاعن الا بعد ان تضع لانه يحتمل ان يكون ريحا او دا
من الادوا ودليلنا النص الصريح بان النبي صلى الله عليه وسلم لاعن قبل الوضع وقال ان جاءت به
كذا فهو لابيه وان جاءت به كذا فهو لفلان فجاءت به على النعت المكروه الحادية عشر اذا قذف بالوطء
في الدبر لاعن وقال ابو حنيفة لا يلاعن وبناه على اصله في ان اللواط لا يوجب الحد وهو فاسد لان
الرمي به معرة وقد دخلت تحت عموم قوله والذين يرمون ازواجهم وقد تقدم في الاعراف والمومنين
انه يجب به الحد الثانية عشر قال ابن العربي من غريب امر هذا الرجل انه اذا قذف زوجته وامها
بالزنا انه ان حد للام سقط امر البنت وان لاعن البنت لم يسقط حد الام وهذا لا وجه له وما رايت
لهم شيا يحكى وهذا باطل جدا فانه خص عموم الاية في البنت وهي زوجة بحد الام من غير اثر ولا اصل
قاس عليه الثالثة عشر اذا قذفها ثم زنت قبل التعانه فلا حد ولا لعان وبهذا قال ابو
حنيفة والشافعي واكثر اهل العلم وقال الثوري والمزني لا يسقط الحد عن القاذف وزنى المقذوف
بعد ان قذف لا يقدح في حصانته المتقدمة ولا يرفعها لان الاعتبار بالحصانة والعفة في القذف
في حال القذف لا بعده كما لو قذف مسلما فارتد المقذوف بعد القذف وقبل ان يحد القاذف لم يسقط
الحد عنه وايضا فان الحدود كلها معتبرة بوقت الوجوب لا بوقت الاقامة ودليلنا هو انه قد ظهر
قبل استيفا اللعان والحد معنى لو كان موجودا في الابتدا منع صحة اللعان ووجوب الحد فكذلك
اذا طرا في الثاني كما اذا شهد شاهدان ظاهرهما العدالة فلا يحكم الحاكم بشهادتهما حتى ظهر فسقهما بان
زنيا او شربا خمرا لم يجز للحاكم ان يحكم بشهادتهما تلك وايضا فان الحكم بالعفة والاحصان يوخذ من
طريق الظاهر لا من حيث القطع واليقين وقد قال عليه السلام ظهر المومن حمى فلا يحد القاذف
الا بدليل قاطع وبالله التوفيق الرابعة عشر من قذف امراته وهي كبيرة لا تحمل تلاعنا هو لدفع
الحد وهي لدرء العذاب فان كانت صغيرة لا تحمل لاعن هو لدفع الحد ولم تلاعن هي لانها لو اقرت لم يلزمها
الحد وقال ابن الماجشون لا حد على قاذف من لم تبلغ قال اللخمي فعلى هذا لا لعان على زوج الصغيرة
التي لا تحمل الخامسة عشر اذا شهد اربعة على امراة بالزنا احدهم زوجها فان الزوج يلاعن وتحد الشهود
الثلاثة وهو احد قولي الشافعي والقول الثاني انهم لا يحدون وقال ابو حنيفة اذا شهد الزوج
والثلاثة ابتدا قبلت شهادتهم وحدت المراة ودليلنا قوله تعالى والذين يرمون المحصنات الاية
فاخبر ان من قذف محصنا ولم يات باربعة شهدا حد والزوج رام لزوجته فخرج عن ان يكون احد الشهود
والله اعلم السادسة عشر اذا ظهر بامراته حمل فترك ان ينفيه لم يكن له نفيه بعد سكوته وقال شريح و
مجاهد له ان ينفيه ابدا وهذا خطا لان سكوته بعد العلم به رضى به كما لو اقر به ثم ينفيه فانه لا
يقبل منه والله اعلم السابعة عشر فان اخر ذلك الى ان وضعت وقال رجوت ان يكون ريحا ينفش او

سقطت فاستريح من القذف ضل لنفيه بعد وضعه مدة فاما اذا تجاوزها لم يكن له ذلك فقد اختلف في ذلك فنحن نقول ان لم يكن له عذر في سكوته حتى مضت ثلاثة ايام فهو راض به ليس له نفيه بما جرت به العادة من تمكنه من الحاكم فلم يفعل لم يكن له نفيه من بعد ذلك وبهذا قال مالك انه ان ترك اليوم واليومين لم يكن له نفيه وقال ابو حنيفة لا اعتبر مدة وقال ابو يوسف ومحمد يعتبر فيه اربعون يوما مدة النفاس قال ابن القصار والدليل لقولنا هو ان نفي ولده محرم عليه واستلحاق ولد ليس منه محرم عليه فلا بد ان يوسع عليه لكي ينظر فيه ويفكر هل يجوز له نفيه او لا وانما جعلنا الحد ثلاثة لانه اول حد الكثرة وآخر حد القلة وقد جعلت ثلاثة ايام يختبر بها حال المصراة فكذلك ينبغي ان يكون هنا واما ابو يوسف ومحمد فليس اعتبارهم باولى من اعتبار مدة الولادة والرضاع اذ لا شاهد لهم في الشريعة وقد ذكرنا نحن شاهدا في الشريعة من مدة المصراة الثامنة عشر قال ابن القصار اذا قالت امراة لزوجها او لاجنبي يا زانية بالهاء وكذلك الاجنبي للاجنبي فلست اعرف فيه نصا لاصحابنا ولكن عندي يكون قذفا وعلى قايله الحد وقد زاد حرفا وبه قال الشافعي ومحمد بن الحسن وقال ابو حنيفة وابو يوسف لا يكون قذفا واتفقوا انه اذا قال لامراته يا زان انه قذف والدليل على انه يكون في الرجل قذفا هو ان الخطاب اذا فهم منه معناه ثبت حكمه سواء كان بلفظ عجمي او عربي الا ترى انه اذا قال للمراة زنيت بفتح التاء كان قذفا لان معناه يفهم منه ولابي حنيفة وابي يوسف انه اجاز ان يخاطب المونث بخطاب المذكر لقوله وقال نسوة يصلح ان يكون قوله يا زان للمونث قذفا ولما لم يجز ان يونث فعل المذكر اذا تقدم عليه لم يكن خطابه بالمونث حكم والله اعلم التاسعة عشر يلاعن في النكاح الفاسد وجملته لا نعلم خلافا ان كان فراشا ويلحق النسب فيه يجري اللعان عليه الموفية عشرين اختلفوا في الزوج اذا ابى من اللعان فقال ابو حنيفة لا حد عليه لان الله تعالى جعل على الاجنبي الحد وعلى الزوج اللعان فلما لم ينتقل اللعان الى الاجنبي لم ينتقل الحد الى الزوج ويسجن ابدا حتى يلاعن لان الحدود لا توخذ قياسا وقال مالك والشافعي وجمهور الفقهاء ان لم يلتعن الزوج حد لان اللعان له براءة كالشهود للاجنبي فان لم يات الاجنبي باربعة شهداء حد فكذلك الزوج ان لم يلتعن وفي حديث العجلاني ما يدل على هذا القول ان سكت سكت على غيظ وان قتلت قتلت وان نطقت جلدت الحادية والعشرون واختلفوا ايضا هل للزوج ان يلاعن مع شهوده فقال مالك والشافعي يلاعن كان له شهود او لم يكن لان الشهود ليس لهم عمل في غير درء الحد واما رفع الفراش ونفي الولد فلا بد فيه من اللعان وقال ابو حنيفة واصحابه انما جعل اللعان للزوج اذا لم يكن له شهود غير نفسه لقوله ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الثانية والعشرون البداية في اللعان بما بدا الله به وهو الزوج وفائدته درء الحد عنه ونفي النسب منه لقوله عليه السلام البينة والا حد في ظهرك ولو بدئ بالمراة قبله لم يجز لانه عكس ما رتبه الله وقال ابو حنيفة يجزيه وهذا باطل لانه خلاف القران وليس له اصل يرده اليه ولا معنى يقوى به بل المعنى لنا لان المراة اذا بدات باللعان فتنفي ما لم يثبت وهذا لا وجه له الثالثة والعشرون وكيفية اللعان ان يقول الحاكم للملاعن قل اشهد بالله لرايتها تزني ورايت فرج الزاني في فرجها كالمرود في المكحلة وما وطيتها بعد رويتي وان شئت قلت لقد زنت وما وطئتها بعد زناها يردد ما شاء من هذين اللفظين اربع مرات فان نكل عن هذه الايمان او عن شي منها حد واذا نفى حملا قال اشهد بالله لقد استبراتها وما وطئتها بعد وما هذا الحمل مني ويشير اليه فيحلف بذلك اربع مرات ويقول في كل يمين منها واني لمن الصادقين في قولي هذا عليها ثم يقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت من الكاذبين وان شاء قال ان كنت كاذبا فيما ذكرت عنها فاذا قال ذلك سقط عنه الحد وانتفى عنه الولد فاذا فرغ الرجل من التعانه قامت المراة بعده فحلفت بالله اربع ايمان تقول فيها اشهد بالله انه لكاذب او انه لمن الكاذبين فيما ادعاه علي وذكر عني وان كانت حاملا قالت وان حملي هذا منه ثم تقول في الخامسة وعلي غضب الله ان كان صادقا او ان كان من الصادقين في قوله ذلك ومن اوجب اللعان بالقذف يقول في كل شهادة من الاربع اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميتها به من الزنى ويقول في الخامسة علي لعنة الله ان كنت

كاذبا

كاذبا فيما رميتها به من الزنى وتقول هي اشهد بالله انه لكاذب فيما رماني به من الزنى وتقول في الخامسة علي غضب الله ان كان صادقا فيما رماني به من الزنى وقال الشافعي يقول الملاعن اشهد بالله اني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة بنت فلان ويشير اليها ان كانت حاضرة يقول ذلك اربع مرات ثم يقعده الامام ويذكره الله ويقول اني اخاف ان لم تكن صدقت ان تبوء بلعنة الله فان رآه يريد ان يمضي على ذلك امر من يضع يده على فيه ويقول ان قولك وعلي لعنة الله ان كنت من الكاذبين موجبة فان ابى تركه يقول ذلك لعنة الله علي ان كنت من الكاذبين فيما رميتها به من الزنى احتج بما رواه ابو داود عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر رجلا حيث امر المتلاعنين ان يضع يده على فيه عند الخامسة يقول انها موجبة الرابعة والعشرون اختلف العلماء في حكم من قذف امراته برجل سماه هل يحد له ام لا فقال مالك عليه اللعان لزوجته وحد للمرمي به وبه قال ابو حنيفة لانه قاذف لمن لم تكن له ضرورة الى قذفه وقال الشافعي لا حد عليه لان الله عز وجل لم يجعل على من رمى زوجته بالزنى الا حدا واحدا بقوله والذين يرمون ازواجهم ولم يفرق بين من ذكر رجلا بعينه وبين من لم يذكر وقد رمى العجلاني زوجته بشريك وكذلك هلال بن امية فلم يحد واحد منهما قال ابن العربي وظاهر القران لنا لان الله تعالى وضع الحد في قذف الاجنبي والزوجة مطلقين ثم خص حد الزوجة بالخلاص باللعان وبقي الاجنبي على مطلق الاية وانما لم يحد العجلاني لشريك ولا هلال لانه لم يطلبه وحد القذف لا يقيمه الامام الا بعد المطالبة اجماعا منا ومنه الخامسة والعشرون اذا فرغ المتلاعنان من تلاعنهما جميعا تفرقا وخرج كل واحد منهما على باب من المسجد الجامع غير الباب الذي يخرج منه صاحبه ولو خرجا من باب واحد لم يضر ذلك لعانهما ولا خلاف في انه لا يكون اللعان الا في مسجد جامع يجمع فيه الجمعة بحضرة السلطان او من يقوم مقامه من الحكام وقد استحب جماعة من اهل العلم ان يكون اللعان في الجامع بعد العصر وتلتعن النصرانية مع زوجها المسلم في الموضع الذي تعظمه من كنيستها بمثل ما تلتعن فيه المسلمة السادسة والعشرون قال مالك واصحابه وبتمام اللعان تقع الفرقة بين المتلاعنين ولا يجتمعان ابدا ولا يتوارثان ولا يحل له مراجعتها ابدا لا قبل زوج ولا بعده وهو قول الليث بن سعد وزفر بن الهذيل والاوزاعي وقال ابو حنيفة وابو يوسف ومحمد بن الحسن لا تقع الفرقة بعد فراغهما من اللعان حتى يفرق الحاكم بينهما وهو قول الثوري لقول ابن عمر فرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المتلاعنين فاضاف الفرقة اليه ولقوله عليه السلام لا سبيل لك عليها وقال الشافعي اذا اكمل الزوج الشهادة والالتعان فقد زال فراش امراته التعنت او لم تلتعن قال وانما التعان المراة فانما هو لدرء الحد عنها لا غير وليس لالتعانها في زوال الفراش معنى ولما كان لعان الزوج ينفي الولد ويسقط الحد رفع الفراش وكان عثمان البتي لا يرى المتلاعنين ينتقض شيئا من عصمة الزوجين حتى يطلق وهذا قول لم يتقدمه اليه احد من الصحابة على ان البتي قد استحب للملاعن ان يطلق بعد اللعان ولم يستحسنه قبل ذلك فدل على ان اللعان عنده قد احدث حكما وبقول عثمان قال جابر بن زيد فيما ذكره الطبري وحكاه اللخمي عن محمد بن ابي صفرة ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة واحتج اهل هذه المقالة بانه ليس في كتاب الله تعالى اذا لاعن او لاعنت يجب وقوع الفرقة وبقول عويمر كذبت عليها ان امسكتها فطلقها ثلاثا قال ولم ينكر النبي صلى الله عليه وسلم ذلك عليه ولم يقل لم قلت هذا وانت لا تحتاج اليه لان باللعان قد طلقت والحجة لمالك في المشهور ومن وافقه قوله عليه السلام لا سبيل لك عليها وهذا اعلام منه ان تمام اللعان رفع سبيله عليها وليس تفريقه بينهما باستيناف حكم وانما كان بتنفيذ ما اوجب الله بينهما من المباعدة وهو معنى اللعان في اللغة السابعة والعشرون ذهب الجمهور من العلماء ان المتلاعنين لا يتناكحان ابدا وان اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد ولم ترجع اليه ابدا وعلى هذا السنة التي لا شك فيها ولا اختلاف وذكر ابن المنذر عن عطاء ان الملاعن اذا اكذب نفسه بعد اللعان لم يحد وقال قد تفرقا بلعنة من الله وقال ابو حنيفة ومحمد اذا اكذب نفسه جلد الحد ولحق به الولد وكان خاطبا من الخطاب ان شاء وهو قول سعيد بن المسيب والحسن وسعيد بن جبير وعبد العزيز بن ابي سلمة وقالوا يعود النكاح حلالا كما لحق به الولد لانه لا فرق بين شي من ذلك وحجة الجماعة قوله عليه السلام لا

سبيل لك عليها ولم يقل الآن تكذب نفسك وروى ابن اسحاق وجماعة عن الزهري قال
مضت السنة انهما اذا تلاعنا فرق بينهما فلا يجتمعان ابدا ورواه الدارقطني ورواه مرفوعا
من حديث سعيد بن جبير عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال المتلاعنان اذا افترقا
لا يجتمعان ابدا وروي عن علي وعبد الله قالا مضت السنة ان لا يجتمع المتلاعنان [illegible]
ابدا الثامنة والعشرون اللعان يفتقر الى اربعة اشيا عدد الالفاظ وهو اربع شهادات
على ما تقدم والمكان وهو ان يقصد به اشرف البقاع بالبلدان ان كان بمكة فعند الركن
والمقام وان كان بالمدينة فعند المنبر وان كان ببيت المقدس فعند الصخرة وان كان
في سائر البلدان ففي مساجدها وان كانا كافرين بعث بهما الى الموضع الذي يعتقدان تعظيمه
ان كانا يهوديين فالكنيسة وان كانا مجوسيين ففي بيت النار وان كانا لا دين لهما مثل
الوثنيين فانه يلاعن بينهما في مجلس حكمه والوقت وذلك بعد العصر وجمع الناس وذلك
ان يكون هناك اربعة انفس فصاعدا فاللفظ وجمع الناس مشروطان والزمان والمكان مستحبان
التاسعة والعشرون من قال ان الفراق لا يقع الا بتمام التعانهما فعليه لو مات احدهما قبل
تمامه ورثه الاخر ومن قال لا يقع الا بتفريق الامام فان مات احدهما قبل ذلك وتمام اللعان ورثه
الاخر وعلى قول الشافعي ان مات احدهما قبل ان تلتعن المراة لم يتوارثا الموروثة فلا توارث
قال ابن القصار تفريق اللعان عندنا ليس بفسخ وهو مذهب المدونة ان اللعان حكم تفريقه
حكم الطلاق ويعطى لغير المدخول بها نصف الصداق وفي مختصر ابن الجلاب لا شيء لها وهذا على
ان تفريق اللعان فسخ قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم الايات العشر فيه
ثمان وعشرون مسئلة الاولى قوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم عصبة خبر ان
ويجوز نصبها على الحال ويكون الخبر لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم وسبب نزولها ما
رواه الايمة من حديث الافك الطويل في قصة عائشة رضوان الله عليها وهو خبر صحيح
مشهور اغنى اشتهاره عن ذكره وسياتي مختصرا واخرجه البخاري تعليقا وحديثه اتم
قال وقال اسامة عن هشام ابن عروة عن ابيه عن عائشة واخرجه ايضا عن محمد بن كثير
عن اخيه سليمان من حديث مسروق عن ام رومان ام عائشة انها قالت لما رميت عائشة
خرت مغشيا وعن موسى بن اسماعيل من حديث ابي وائل قال حدثني مسروق بن الاجدع
قال حدثتني ام رومان وهي ام عائشة قالت بينا انا قاعدة انا وعائشة اذ ولجت امراة
من الانصار فقالت فعل الله بفلان وفعل فقالت ام رومان وما ذاك قالت ابني فيمن
حدث الحديث قالت وما ذاك قالت كذا وكذا قالت عائشة سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالت وابو بكر قالت نعم فخرت مغشيا عليها فما افاقت الا وعليها حمى بنافض
فطرحت عليها ثيابها فغطيتها فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما شان هذه قلت يا رسول
الله اخذتها الحمى بنافض قال فلعل في حديث تحدث به قالت نعم فقعدت عائشة
فقالت والله لئن حلفت لا تصدقوني ولئن قلت لا تعذروني مثلي ومثلكم كيعقوب
وبنيه والله المستعان على ما تصفون قالت فانصرف ولم يقل شيا فانزل الله عذرها
قالت بحمد الله لا بحمد احد ولا بحمدك قال ابو عبد الله الحميدي كان بعض من لقينا من
الحفاظ البغداديين يقول الارسال في هذا الحديث ابين واستدل على ذلك بان ام رومان
توفيت في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومسروق لم يشاهد النبي صلى الله عليه وسلم
بلا خلاف وللبخاري من حديث عبيد الله بن عبد الله بن ابي مليكة ان عائشة كانت
تقرا اذ تلقونه بالسنتكم وتقول الولق الكذب قال ابن ابي مليكة وكانت اعلم بذلك
من غيرها لانه نزل فيها قال البخاري وقال معمر ابن راشد عن الزهري وكان حديث
الافك في غزوة المريسيع قال ابن اسحاق وذلك سنة ست وقال موسى ابن عقبة
سنة اربع واخرج البخاري من حديث معمر عن الزهري قال قال لي الوليد بن عبد
الملك ابلغك ان عليا كان فيمن قذف قال قلت لا ولكن قد اخبرني رجلان من قومك
ابو سلمة بن عبد الرحمن وابو بكر ابن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ان عائشة قالت
لهما كان علي مسلما في شانها واخرجه ابو بكر الاسماعيلي في كتابه المخرج على الصحيح

من

من وجه اخر من حديث معمر عن الزهري وفيه قال كنت عند الوليد بن عبد الملك فقال الذي
تولى كبره منهم علي بن ابي طالب فقلت لا حدثني سعيد ابن المسيب وعروة وعلقمة وعبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة كلهم يقول سمعت عائشة تقول والذي تولى كبره منهم عبد الله بن ابي
واخرج البخاري ايضا من حديث الزهري عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله
ابن ابي الثانية قوله تعالى بالافك الافك الكذب والعصبة ثلاثة رجال قاله ابن عباس وعنه
ايضا من الثلاثة الى العشرة ابن عيينة اربعون رجلا مجاهد من عشرة الى خمسة عشر واصلها في اللغة
وكلام العرب الجماعة الذين يتعصب بعضهم لبعض والخير حقيقته ما زاد نفعه على ضره والشر ما زاد
ضره على نفعه وان خيرا لا شر فيه هو الجنة وشرا لا خير فيه هو جهنم فاما البلا النازل على الاوليا
فهو خير لان ضرره من الالم قليل في الدنيا وخيره هو الثواب الكثير في الاخرى فنبه الله تعالى
عائشة واهلها وصفوان اذ الخطاب لهم في قوله لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لرجحان النفع
والخير على جانب الشر الثالثة لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة معه في غزوة بني المصطلق
وهي غزوة المريسيع وقفل ودنى من المدينة اذن ليلة بالرحيل قامت حين اذنوا بالرحيل فمشت
حتى جاوزت الجيش فلما فرغت من شانها اقبلت الى الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من جزع
ظفار قد انقطع فرجعت فالتمسته فحبسها ابتغاوه فوجدته وانصرفت فلم تجد احدا وكانت
شابة قليلة اللحم فرفع الرجال هودجها ولم يشعروا بزوالها منه فلما لم تجد احدا اضطجعت في مكانها
رجاء ان تفتقد فيرجع اليها فنامت في الموضع ولم يوقظها الا قول صفوان بن المعطل انا لله
وانا اليه راجعون وذلك انه كان تخلف وراء الجيش لحفظ الساقة وقيل انها استيقظت لاسترجاعه
ونزل عن ناقته وتنحى عنها حتى ركبت عائشة واخذ يقودها حتى بلغ بها الجيش في نحر الظهيرة
فوقع اهل الافك في مقالتهم وكان الذي يجتمع اليه فيه ويستوشيه ويشعله عبد الله بن ابي
ابن سلول المنافق وهو الذي راى صفوان اخذا بزمام ناقة عائشة فقال والله ما نجت منه
وما نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل وكان من قاله حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة
وحمنة بنت جحش هذا اختصار الحديث وهو بكماله واتقانه في البخاري ومسلم وهو في مسلم
اكمل ولما بلغ صفوان قول حسان في الافك جاء فضربه بالسيف ضربة على راسه وقال

تلق ذباب السيف عني فانني ۔ غلام اذا هوجيت ليس بشاعر

فاخذ جماعة حسان ولببوه وجاءوا به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاهدر رسول الله صلى
الله عليه وسلم جرح حسان فاستوهبه اياه وهذا يدل ان حسان ممن تولى الكبر على ما ياتي والله
اعلم وكان صفوان هذا صاحب ساقة رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزواته لشجاعته وكان
من خيار الصحابة وقيل كان حصورا لا ياتي النسا ذكره ابن اسحاق من طريق عائشة وقيل كان
له ابنان يدل على ذلك حديثه المروي مع امراته وقول النبي صلى الله عليه وسلم في ابنيه لهما
اشبه به من الغراب بالغراب وقوله في الحديث والله ما كشفت كنف انثى قط يريد بزنا وقتل
شهيدا رضي الله عنه في غزوة ارمينية سنة تسع عشرة في زمان عمر وقيل ببلاد الروم سنة
ثمان وخمسين في زمان معاوية الرابعة قوله تعالى لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم يعني
ممن تكلم بالافك ولم يسم من اهل الافك الا حسان ومسطح وحمنة وعبد الله وجهل الغير
قاله عروة بن الزبير وقد ساله عن ذلك عبد الملك بن مروان وقال الا انهم كانوا عصبة
كما قال الله وفي مصحف حفصة عصبة اربعة الخامسة قوله تعالى والذي تولى كبره منهم
وقرا حميد الاعرج ويعقوب كبره بضم الكاف قال الفرا وهو وجه جيد لان العرب تقول
فلان تولى عظم كذا وكذا اي اكبره وروي عن عائشة انه حسان وانها قالت حين عمي لعل
العذاب العظيم الذي اوعده الله به ذهاب بصره رواه عنها مسروق وروي عنها انه عبد الله
ابن ابي وهو الصحيح وقاله ابن عباس وحكى ابو عمر بن عبد البر ان عائشة برات حسان من
الفرية وقالت انه لم يقل شيا وقد انكر حسان ان يكون قال شيا من ذلك في قوله

حصان رزان ما تزن بريبة ۔ وتصبح غرثى من لحوم الغوافل
حليلة خير الناس دينا ومنصبا ۔ نبي الهدى والمكرمات الفواضل
عقيلة حي من لؤي بن غالب ۔ كرام المساعي مجدها غير زائل

• مهذبة قد طيب الله خيمها • وطهرها من كل شين وباطل •
• فإن كان ما بلغت عني قلته • فلا رفعت سوطي إلي أناملي •
• فكيف وودي ما حييت ونصرتي • لآل رسول الله زين المحافل •
• له رتب عال على الناس فضلها • تقاصر عنها سورة المتطاول •

وقد روي أنه لما أنشدها حصان رزان قالت له لست كذلك تريد أنك وقعت في الغوافل وهذا تعارض ويمكن الجمع بأن يقال إن حسانا لم يقل ذلك نصا وتصريحا ويكون عرض بذلك وأومأ إليه فنسب ذلك إليه والله أعلم وقد اختلف الناس فيه هل خاض في الإفك أم لا وهل جلد الحد أم لا فالله أعلم أي ذلك كان وهي المسألة السادسة فروى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي صلى الله عليه وسلم جلد في الإفك رجلين وامرأة مسطحا وحسان وحمنة وذكره الترمذي وذكره القشيري عن ابن عباس قال جلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أبي ثمانين جلدة وله في الآخرة عذاب النار قال القشيري والذي ثبت في الأخبار أنه ضرب ابن أبي وضرب حسان وحمنة وأما مسطح فلم يثبت عنه قذف صريح ولكنه كان يسمع ويشيع من غير تصريح السابعة قال الماوردي وغيره اختلفوا هل حد النبي صلى الله عليه وسلم أصحاب الإفك على قولين أحدهما أنه لم يحد أحدا من أصحاب الإفك لأن الحدود إنما تقام بإقرار أو ببينة ولم يتعبده الله أن يقيمها بإخباره عنها كما لم يتعبده بقتل المنافقين وقد أخبره بكفرهم قلت وهذا فاسد مخالف لنص القرآن فإن الله عز وجل يقول والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء أي على صدق قولهم فاجلدوهم ثمانين جلدة والقول الثاني أن النبي صلى الله عليه وسلم حد أهل الإفك عبد الله بن أبي ومسطح ابن أثاثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش وفي ذلك قال شاعر

• لقد ذاق حسان الذي كان أهله • وحمنة إذ قالوا هجيرا ومسطح •
• وابن سلول ذاق في الحد خزية • كما خاض في إفك من القول يفصح •
• تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم • وسخطة ذي العرش الكريم فأبرحوا •
• وآذوا رسول الله فيها فجللوا • مخازي تبقى عمموها وفضحوا •
• فصبت عليهم محصدات كأنها • شآبيب قطر من ذرى المزن تسفح •

قلت المشهور من الأخبار والمعروف عند العلماء أن الذي حد حسان ومسطح وحمنة ولم يسمع بحد لعبد الله بن أبي روى أبو داود عن عائشة قالت لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا القرآن فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم وسماهم حسان بن ثابت ومسطح ابن أثاثة وحمنة بنت جحش وفي كتاب الطحاوي ثمانين ثمانين قال علماؤنا وإنما لم يحد عدو الله ابن أبي لأن الله تعالى قد أعد له في الآخرة عذابا عظيما فلو حد في الدنيا لكان ذلك نقصا من عذابه في الآخرة وتخفيفا عنه مع أن الله قد شهد ببراءة عائشة وبكذب كل من رماها فقد حصلت فائدة الحد إذ مقصوده إظهار كذب القاذف وبراءة المقذوف كما قال وإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون وإنما حد هؤلاء المسلمون ليكفر عنهم إثم ما صدر عنهم من القذف حتى لا يبقى عليهم تبعة من ذلك وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحدود إنها كفارة لمن أقيمت عليه كما في حديث عبادة بن الصامت ويحتمل أن يقال إنما ترك حد ابن أبي استئلافا لقومه واحتراما لابنه وإطفاء لثائرة الفتنة المتوقعة من ذلك وقد كان ظهر مبادئها من سعد بن عبادة ومن قومه كما في صحيح مسلم والله أعلم الثامنة قوله تعالى لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا الآية هذا عتاب من الله سبحانه للمؤمنين في ظنهم حين قال أصحاب الإفك ما قالوا قال ابن زيد ظن المؤمنون أن المؤمن لا يفجر بأمه قاله المهدوي ولولا بمعنى هلا وقيل المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان أبعد وروي أن هذا النظر السديد وقع من أبي أيوب الأنصاري وامرأته وذلك أنه دخل عليها فقالت له يا أبا أيوب أسمعت ما قيل فقال نعم وذلك الكذب أكنت أنت يا أم أيوب تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعائشة والله أفضل منك قالت أم أيوب نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاب الله على المؤمنين إذ لم يفعله جميعهم التاسعة قوله تعالى بأنفسهم قال النحاس معنى بأنفسهم بإخوانهم

فأوجب

فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلا يقذف أحدا ويذكره بقبيح لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه وتوعد من ترك ذلك ومن نقله قلت ولأجل هذا قال العلماء إن الآية أصل في أن درجة الإيمان التي حازها الإنسان ومنزلة الصلاح التي حلها المرء ولبسة العفاف التي يستتر بها المسلم لا يزيلها عنه خبر محتمل وإن شاع إذا كان أصله فاسدا أو مجهولا العاشرة قوله تعالى لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء هذا توبيخ لأهل الإفك ولولا بمعنى هلا أي هلا جاؤوا بأربعة شهداء على ما زعموا من الافتراء وهذا رد على الحكم الأول وإحالة على الآية السابقة في آية القذف الحادية عشرة قوله تعالى فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون أي هم في حكم الله كاذبون وقد يعجز الرجل عن إقامة البينة وهو صادق في قذفه ولكنه في حكم الشرع وظاهر الأمر كاذب لا في علم الله وهو سبحانه إنما رتب الحدود على حكمه الذي شرعه في الدنيا لا على مقتضى علمه الذي تعلق بالإنسان على ما هو عليه فإنما يبنى على ذلك حكم الآخرة قلت ومما يقوي هذا المعنى ويعضده ما خرجه البخاري عن عمر بن الخطاب أنه قال أيها الناس إن الوحي قد انقطع وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم فمن أظهر لنا خيرا أمناه وقربناه وليس لنا من سريرته شيء الله يحاسبه في سريرته ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه وإن قال إن سريرته حسنة وأجمع العلماء أن أحكام الدنيا على الظاهر وأن السرائر إلى الله عز وجل الثانية عشرة قوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته فضل رفع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لا يظهر والعرب وحذف جواب لولا لأنه قد ذكر مثله بعد قال الله عز وجل ولولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم أي بسبب ما قلتم في عائشة عذاب عظيم في الدنيا والآخرة وهذا عتاب من الله بليغ ولكنه برحمته ستر عليكم في الدنيا ويرحم في الآخرة من أتاه تائبا والإفاضة الأخذ في الحديث وهو الذي وقع عليه العتاب يقال أفاض القوم في الحديث أي أخذوا فيه الثالثة عشرة قوله تعالى إذ تلقونه بألسنتكم قراءة محمد بن السميفع بضم التاء وسكون اللام وضم القاف من الإلقاء وهذه قراءة بينة وقرأ أبي وابن مسعود إذ تتلقونه من التلقي بتاءين وقرأ جمهور السبعة بحذف التاء الواحدة وإظهار الذال دون إدغام وهو أيضا من التلقي وقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي بإدغام الذال في التاء وقرأ ابن كثير بإظهار الذال وإدغام التاء في التاء وهذه قراءة قلقة لأنها تقتضي اجتماع ساكنين وليست كالإدغام في قراءة من قرأ فلا تناجوا ولا تنابزوا لأن دونه الألف الساكنة وكونها حرف لين حسنت هناك ما لا يحسن مع سكون الذال وقرأ ابن يعمر وعائشة رضي الله عنها وهم أعلم الناس بهذا الأمر تلقونه بفتح التاء وكسر اللام وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل يلق ولقا إذا كذب واستمر عليه فجاؤوا بالمتعدي شاهدا على غير المتعدي قال ابن عطية وعندي أنه أراد إذ تلقون فيه فحذف حرف الجر فاتصل الضمير وقال الخليل وأبو عمرو أصل الولق الإسراع يقال جاءت الإبل تلق أي تسرع قال • لما رأوا جيشا عليهم قد طرق • جاؤوا بأسراب من الشام ولق • إن الحصين زلق وزملق • جاءت به عنس من الشام تلق • يقال رجل زلق وزملق مثال هدبد وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل أن يجامع قال الراجز إن الحصين زلق وزملق والولق أيضا أخف الطعن وقد ولقه يلقه ولقا يقال ولقه بالسيف ولقات أي ضربات فهو مشترك الرابعة عشرة قوله تعالى وتقولون بأفواهكم مبالغة وإلزام وتأكيد والضمير في تحسبونه عائد على الحديث والخوض فيه والإذاعة له وهينا أي شيئا يسيرا لا يلحقكم فيه إثم وهو عند الله في الوزر عظيم وهذا مثل قوله عليه السلام في حديث القبرين إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أي بالنسبة إليكم الخامسة عشرة قوله تعالى لولا إذ سمعتموه إلى حكيم لجميع أي كان ينبغي عليكم أن تنكروه ولا يتعاطاه بعضكم من بعض على جهة الحكاية والنقل وأن تنزهوا الله عن أن يقع هذا من زوج نبيه عليه السلام وأن تحكموا على هذه المقالة بأنها بهتان وحقيقة البهتان أن تقول في الإنسان ما ليس فيه والغيبة أن تقول في الإنسان ما فيه وهذا المعنى قد جاء في صحيح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم وعظهم تعالى في العودة إلى مثل هذه الحالة وأن مفعول من أجله بتقدير كراهية أن ونحوه السادسة عشرة قوله تعالى إن كنتم مؤمنين توقيف وتأكيد كما تقول ينبغي لك أن تفعل كذا وكذا إن كنت رجلا السابعة عشرة قوله تعالى يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا يعني في عائشة لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول

عند بعينه او في من كان في مرتبته من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لما في ذلك من اذاية رسول
الله صلى الله عليه وسلم في عرضه واهله وذلك كفر من فاعله الثامنة عشر قال هشام بن عمار
سمعت مالكا يقول من سب ابا بكر وعمر ادب ومن سب عايشة قتل لان الله تعالى يقول يعظكم
الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مومنين فمن سب عايشة فقد خالف القران ومن خالف
القران قتل قال ابن العربي قال اصحاب الشافعي من سب عايشة رضي الله عنها ادب كما في ساير
المومنين وليس قوله ان كنتم مومنين في عايشة لان ذلك كفر وانما هو كما قال عليه السلام لا يومن من لا يامن
جاره بوايقه ولو كان سلب الايمان في سب من سب عايشة حقيقة لكان سلبه في قوله لا يزني
الزاني حين يزني وهو مومن حقيقة قلنا ليس كما زعمتم ان اهل الافك رموا عايشة المطهرة
بالفاحشة فبراها الله فكل من سبها بما براها الله منه مكذب لله ومن كذب الله فهو كافر
فهذا طريق قول مالك وهي سبيل الاية لاهل البصاير ولو ان رجلا سب عايشة بغير ما براها الله منه
لكان جزاوه الادب التاسعة عشر قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة اي تفشوا يقال
شاع الشيء شيوعا وشيعا وشيعانا وشيعوعة اي ظهر وتفرق في الذين امنوا اي في المحصنين
والمحصنات والمراد بهذا اللفظ العام عايشة وصفوان والفاحشة الفعل القبيح المفرط القبح وقيل
الفاحشة في هذه الاية القول السيء لهم عذاب اليم في الدنيا اي الحد وفي الاخرة عذاب النار
اي للمنافقين فهو مخصوص وقد بينا ان الحد للمومنين كفارة وقال الطبري معناه ان مات
مصرا غير تايب والله يعلم اي يعلم مقدار عظم هذا الذنب والمجازاة عليه ويعلم كل شيء وانتم لا تعلمون
روي من حديث ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل شد عضد امري
من الناس في خصومة لا علم له بها فهو في سخط الله حتى ينزع عنها وايما رجل حال بشفاعته
دون حد من حدود الله ان يقام فقد عاند الله حقا واقدم على سخطه وعليه لعنة الله
تتابع الى يوم القيامة وايما رجل اشاع على رجل مسلم كلمة وهو منها بري يرى ان يشينه بها في
الدنيا كان حقا على الله ان يرميه بها في النار ثم تلا مصداقه من كتاب الله تعالى ان الذين
يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الاية الموفية عشرون قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان يعني مسالكه ومذاهبه المعنى لا تسلكوا الطريق الذي يدعوكم
اليها الشيطان وواحد الخطوات خطوة وهو ما بين القدمين والخطوة بالفتح المصدر
يقال خطوت خطوة وجمعها خطوات وتخطى الينا فلان ومنه الحديث انه راى رجلا يتخطى رقاب
الناس يوم الجمعة وقرا الجمهور خطوات بضم الطاء وسكنها عاصم والاعمش وقرا الجمهور ما زكى
بتخفيف الكاف اي ما اهتدى ولا اسلم ولا عرف رشدا وقيل ما زكى اي ما صلح يقال زكا يزكو زكا
اي صلح وشددها الحسن وابو حيوة اي ان تزكيته لكم وتطهيره وهدايته انما هي بفضله لا
باعمالكم وقال الكسايي يا ايها الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان معترض وقوله ما زكى
منكم من احد ابدا جواب لقوله اولا وثانيا ولولا فضل الله الحادية والعشرون قوله تعالى ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة الاية المشهور من الروايات ان هذه الاية نزلت في قصة ابي بكر
ابن ابي قحافة رضي الله عنه ومسطح ابن اثاثة وذلك انه كان ابن بنت خالته وكان من المهاجرين
البدريين المساكين وهو مسطح ابن اثاثة ابن عباد المطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف
ومسطح لقب وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته وقرابته فلما وقع امر الافك وقال فيه مسطح ما قال
حلف ابو بكر ان لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة ابدا فجا مسطح فاعتذر وقال انما كنت اغشى
مجلس حسان فاسمع ولا اقول فقال له ابو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل ومر على يمينه
فنزلت الاية وقال الضحاك وابن عباس ان جماعة من المومنين قطعوا منافعهم عن كل من
قال في الافك وقالوا والله لا نصل من تكلم في شان عايشة فنزلت الاية في جميعهم والاول
اصح غير ان الاية تتناول الامة الى يوم القيامة بان لا يغتاظ ذو فضل وسعة فيحلف
ان لا ينفع من هذه صفته غابر الدهر روي في الصحيح ان الله لما انزل ان الذين جاوا بالافك
عصبة منكم عشر ايات قال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره والله لا انفق عليه شيا
ابدا بعد الذي قال لعايشة فانزل الله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم والسعة الى قوله
الا تحبون ان يغفر الله لكم قال عبد الله ابن المبارك هذه ارجى اية في كتاب الله فقال ابو

بكر

بكر والله اني لاحب ان يغفر الله لي فرجع الى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال لا انزعها
منه ابدا الثانية والعشرون في هذه الاية دليل على ان القذف وان كان كبيرا لا يحبط الاعمال
لان الله تعالى وصف مسطحا بعد قوله بالهجرة والايمان وكذلك ساير الكباير ولا يحبط الاعمال
غير الشرك قال الله تعالى لين اشركت ليحبطن عملك الثالثة والعشرون من حلف على شي لا يفعله
وراى فعله اولى منه اتاه وكفر عن يمينه او كفر عن يمينه واتاه كما تقدم في المايدة وراى الفقها ان
من حلف ان لا يفعل سنة من السنن او مندوبا وابد ذلك انها جرحة في شهادته ذكره الباجي في
المنتقى الرابعة والعشرون قوله تعالى ولا ياتل معناه يحلف وزنها يفتعل من الالية وهي اليمين
ومنه قوله تعالى للذين يولون من نسايهم وقد تقدم في البقرة وقالت فرقة معناه يقصر من
قولك الوت في كذا اذا قصرت فيه ومنه قوله تعالى لا يالونكم خبالا الخامسة والعشرون قوله
تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم تمثيل وحجة اي كما تحبون عفو الله عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن
دونكم وينظر الى هذا المعنى قوله عليه السلام من لا يرحم لا يرحم السادسة والعشرون قال بعض
العلما هذه ارجى اية في كتاب الله تعالى من حيث لطف الله بالقذفة العصاة بهذا اللفظ وقيل
ارجى اية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقد قال
تعالى في اية اخرى والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاون عند
ربهم ذلك هو الفضل الكبير فشرح الفضل الكبير في هذه الاية وبشر به المومنين في تلك ومن
ايات الرجا قوله تعالى يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم وقوله الله لطيف بعباده وقال بعضهم
ارجى اية في كتاب الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وذلك ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يرضى ببقا احد من امته في النار السابعة والعشرون قوله تعالى ان يوتوا اي لا يوتوا
فحذف لا كقول القايل فقلت يمين الله ابرح قاعدا ذكره الزجاج وعلى قول ابي عبيدة لا حاجة
الى اضمار لا وليعفوا من عفا الربع اي درس فهو محو الذنب حتى يعفوا كما يعفوا اثر الربع قوله
تعالى ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المومنات فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى
المحصنات تقدم في النسا واجمع العلما على ان حكم المحصنين في القذف حكم المحصنات قياسا
واستدلالا وقد بيناه اول السورة والحمد لله واختلف فيمن المراد بهذه الاية فقال سعيد بن
جبير هي في رماة عايشة رضوان الله عليها خاصة وقال قوم هي في عايشة وساير ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس والضحاك وغيرهما ولا تنفع التوبة ومن قذف
غيرهن من المحصنات فقد جعل الله له توبة لانه قال والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا
باربعة شهدا الى قوله الا الذين تابوا فجعل الله لهولا توبة ولم يجعل لاوليك توبة قاله الضحاك
وقيل هو الوعيد لمن اصر على القذف ولم يتب وقيل نزلت في عايشة الا انه يراد بها كل من
اتصف بهذه الصفة وقيل انه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين
يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمونث واختاره النحاس وقيل نزلت في
مشركي مكة لانهم يقولون للمراة اذا هاجرت انما خرجت لتفجر الثانية لعنوا في الدنيا والاخرة
قال العلما ان كان المراد بهذه الاية المومنون من القذفة فالمراد باللعنة الابعاد وضرب الحد
واستيحاش المومنين منهم وهجرهم لهم وزوالهم عن رتبة العدالة والبعد عن الثنا الحسن على
السنة المومنين وعلى قول من قال هي خاصة لعايشة تترتب هذه الشدايد في جانب عبد الله
ابن ابي واشباهه وعلى قول من قال نزلت في مشركي مكة فلا كلام فانهم مبعدون ولهم في
الاخرة عذاب عظيم ومن اسلم فالاسلام يجب ما قبله وقال ابو جعفر النحاس من احسن ما
قيل في تاويل هذه الاية انه عام لجميع الناس القذفة من ذكر وانثى ويكون التقدير ان الذين
يرمون الانفس المحصنات فدخل في هذا المذكر والمونث وكذا في الذين يرمون الا انه غلب
المذكر على المونث قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم قراة العامة بالتا واختاره ابو
حاتم وقرا الاعمش ويحيى وحمزة والكسايي وخلف يشهد باليا واختاره ابو عبيد لان الجار
والمجرور قد حال بين الاسم والفعل والمعنى يوم تشهد السنة بعضهم على بعض بما كانوا يفعلون
من القذف والبهتان وقيل تشهد عليهم السنتهم ذلك اليوم بما تكلموا به وايديهم وارجلهم اي
وتتكلم الجوارح بما عملوا في الدنيا قوله تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق برفع الحق على

انه نعت لله عز وجل قال ابو عبيد ولولا كراهة خلاف الناس لكان الوجه الرفع ليكون نعتا
لله عز وجل وتكون موافقة لقراءة أبي وذلك ان جرير بن حازم قال رأيت في مصحف أبي يوفيهم
الله الحق دينهم قال النحاس وهذا الكلام من ابي عبيدة غير مرضي لانه احتج بما هو مخالف
للسواد الاعظم ولا حجة ايضا فيه لانه لو صح هذا انه في مصحف أبي كذا جاز ان تكون القراءة
يومئذ يوفيهم الله الحق دينهم يكون دينهم بدلا من الحق وعلى قراءة العامة دينهم الحق يكون نعتا
لدينهم والمعنى حسن لان الله جل وعز ذكر المسيئين وأعلم انه يجازيهم بالحق كما قال جل وعز
وهل يجازى الا الكفور لان مجازاة الله جل وعز للكافر والمسيء بالحق والعدل ومجازاته للمحسن
بالاحسان والفضل ويعلمون ان الله هو الحق المبين اسمان من اسمائه سبحانه وقد ذكرناها
في غير موضع وخاصة في الكتاب الاسنى قوله تعالى الخبيثات للخبيثين الآية قال ابن
زيد المعنى الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون للخبيثات وكذا الطيبات
للطيبين والطيبون للطيبات وقال مجاهد وابن جبير وعطاء وأكثر المفسرين المعنى الكلمات
الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال وكذا الخبيثون من الناس للخبيثات من القول
وكذا الكلمات الطيبات من القول للطيبين من الناس والطيبون من الناس للطيبات من
القول قال النحاس في كتاب معاني القرآن وهذا احسن ما قيل في هذه الآية ودل على
صحة هذا القول اولئك مبرؤون مما يقولون اي عائشة وصفوان مما يقول الخبيثون والخبيثات
وقيل ان هذه الآية مبنية على قوله الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة الآية فالخبيثات الزواني
والطيبات العفائف وكذا الطيبون والطيبات واختار هذا القول النحاس ايضا وهو معنى
قول ابن زيد اولئك مبرؤون مما يقولون يعني به الجنس وقيل عائشة وصفوان فجمع كما
قال فان كان له اخوة والمراد اخوان قاله الفراء ومبرؤون يعني منزهين مما رموا به قال
بعض اهل التحقيق ان يوسف عليه السلام لما رمي بالفاحشة برأه الله على لسان ابنها عيسى
صلوات الله عليه وان عائشة لما رميت بالفاحشة برأها الله بالقرآن فما رضي لها ببراءة صبي
ولا نبي حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان وروي عن علي بن زيد بن جدعان عن
جدته عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امرأة لقد نزل
جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتزوجني
ولقد تزوجني بكرا وما تزوج بكرا غيري ولقد توفي صلى الله عليه وسلم وان رأسه لفي
حجري ولقد قبر في بيتي ولقد حفت الملائكة بيتي وان كان الوحي لينزل عليه وهو
في اهله فينصرفون عنه وان كان لينزل عليه وانا معه في لحافه فما يبينني عن جسده
واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت طيبة وعند
طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما يعني قوله اولئك لهم مغفرة ورزق كريم وهو الجنة
قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على
اهلها فيه تسع عشرة مسألة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا لما
خصص الله سبحانه ابن آدم الذي كرمه وفضله بالمنازل وسترهم فيها عن الابصار
وملكهم الاستمتاع بها على الانفراد وحجر على الخلق ان يطلعوا على ما فيها من خارج او
يلجوها من غير اذن اربابها ادبهم بما يرجع الى الستر عليهم لئلا يطلع احد منهم على عورة
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطلع في بيت قوم
بغير اذنهم حل لهم ان يفقؤوا عينه وقد اختلف في تأويله فقال بعض العلماء ليس هذا
على ظاهره فان فقأ فعليه الضمان والخبر منسوخ وكان قبل نزول قوله تعالى وان عاقبتم
فعاقبوا ويحتمل ان يكون خرج على وجه الوعيد لا على وجه الحتم والخبر اذا كان مخالفا لكتاب
الله تعالى فلا يجوز العمل به وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتكلم بالكلام في الظاهر وهو
يريد شيئا آخر كما جاء في الخبر ان عباس بن مرداس لما مدحه قال لبلال قم فاقطع لسانه
وانما اراد بذلك ان يدفع اليه شيئا ولم يرد به القطع في الحقيقة وكذلك هذا يحتمل ان يكون
ذكر فقء العين والمراد ان يعمل به عمل حتى لا ينظر بعد ذلك في بيت غيره وقال بعضهم
لا ضمان عليه ولا قصاص وهو الصحيح ان شاء الله لحديث انس على ما يأتي انه سبب

نزول

نزول هذه الآية ما رواه الطبري وغيره عن عدي بن ثابت ان امرأة من الانصار قالت
يا رسول الله اني اكون في بيتي على حال لا احب ان يراني عليها احد لا والد ولا ولد فيأتي الأب
فيدخل علي وانه لا يزال يدخل علي رجل من اهلي وانا على تلك الحال فكيف اصنع فنزلت
الآية فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله أفرأيت الخانات والمساكن في طرق الشام ليس فيها
ساكن فأنزل الله ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الثانية مد الله سبحانه التحريم
في دخول بيت ليس هو بيتك الى غاية هي الاستئناس وهو الاستئذان قال ابن وهب قال
مالك الاستئناس فيما نرى والله اعلم الاستئذان وكذا في قراءة أبي وابن عباس وسعيد
ابن جبير حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها وقيل ان معنى تستأنسوا تستعلموا اي تستعلموا
من في البيت قال مجاهد بالتنحنح او باي وجه امكن ويتأنى قدر ما يعلم انه قد شعر به ويدخل
اثر ذلك وقال معناه الطبري ومنه قوله تعالى فان آنستم منهم رشدا اي علمتم وقال الشاعر

آنست نبأة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء

قلت وفي سنن ابن ماجة حدثنا ابو بكر بن ابي شيبة ثنا عبد الرحيم بن سليمان عن واصل
ابن السائب عن ابي سورة عن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله هذا السلام فما الاستئناس
قال يتكلم الرجل بتسبيحة وتكبيرة وتحميدة ويتنحنح يؤذن اهل البيت قلت وهذا نص في ان
الاستئناس غير الاستئذان كما قال مجاهد ومن وافقه الثالثة ولهذا روي عن ابن عباس وبعض
الناس يقول عن سعيد بن جبير حتى تستأنسوا خطأ او وهم من الكاتب انما هو حتى تستأذنوا
وهذا غير صحيح عن ابن عباس وغيره فان مصاحف الاسلام كلها قد ثبتت فيها حتى تستأنسوا
وصح الاجماع فيها من لدن مدة عثمان فهي التي لا يجوز خلافها واطلاق الخطأ والوهم على الكاتب
في لفظ اجمع الصحابة عليه قول لا يصح عن ابن عباس وقد قال جل وعز لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون
وقد روي عن ابن عباس ان في الكلام تقديما وتأخيرا والمعنى حتى تسلموا على اهلها وتستأنسوا
حكاه ابو حاتم قال ابن عطية ومما ينفي هذا القول عن ابن عباس وغيره ان تستأنسوا متمكنة في
المعنى بينة الوجه في كلام العرب وقد قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم أستأنس يا رسول الله
وعمر واقف على باب الغرفة الحديث المشهور وذلك يقتضي انه طلب الانس به صلى الله عليه
وسلم فكيف يخطئ ابن عباس اصحاب الرسول في مثل هذا قلت قد ذكرنا من حديث ابي ايوب
ان الاستئناس انما يكون قبل السلام وتكون الآية على بابها لا تقديم فيها ولا تأخير وانه
اذا دخل سلم والله اعلم الخامسة السنة في الاستئذان ثلاث مرات لا يزاد عليها قال ابن وهب
قال مالك الاستئذان ثلاث مرات لا احب ان يزيد احد عليها الا من علم انه لم يسمع فلا ارى بأسا
ان يزيد اذا استيقن انه لم يسمع وصورة الاستئذان ان يقول الرجل السلام عليكم أأدخل فان
اذن له دخل وان امره بالرجوع انصرف وان سكت عنه استأذن ثلاثا ثم ينصرف من بعد الثلاث
وانما قلنا ان السنة في الاستئذان ثلاث مرات لا يزاد عليها لحديث ابي موسى الاشعري الذي
استعمله مع عمر بن الخطاب وشهد به لابي موسى ابو سعيد الخدري ثم ابي بن كعب وهو حديث
مشهور اخرجه الصحيح وهو نص صريح فان فيه فقال يعني عمر ما منعك ان تأتينا فقلت
اتيت فسلمت على بابك ثلاثا فلم ترد علي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
استأذن احدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع واما ما ذكرناه من صورة الاستئذان فما رواه
ابو داود عن ربعي قال حدثنا رجل من بني عامر استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو في بيت فقال أألج فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج الى هذا فعلمه الاستئذان
فقل له قل السلام عليكم أأدخل فسمعه الرجل فقال السلام عليكم أأدخل فأذن له النبي صلى
الله عليه وسلم فدخل وذكره الطبري وقال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامة له
يقال لها روضة قولي لهذا يقول السلام عليكم أأدخل الحديث وروي ان ابن عمر آذته الرمضاء يوما
فأتى فسطاط امرأة من قريش فقال السلام عليكم أأدخل فقالت المرأة ادخل بسلام فاعاد
فاعادت فقال لها قولي ادخل فقالت ذلك فدخل فتوقف لما قالت بسلام لاحتمال اللفظ ان تريد
بسلامك لا بشخصك السادسة قال علماؤنا رحمة الله عليهم انما خص الاستئذان بثلاث لان

الغائب من الكلام اذا كرر ثلاثا سمع وفهم ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا تكلم بكلمة
اعادها ثلاثا حتى يفهم عنه واذا سلم على قوم سلم عليهم ثلاثا واذا كان الغالب هذا فاذا
لم يوذن له بعد ثلاث ظهر ان رب المنزل لا يريد الاذن او لعله يمنعه من الجواب عنه عذر
لا يمكنه قطعه فينبغي للمستاذن ان ينصرف لان الزيادة على ذلك قد تقلق رب المنزل وربما
يضره الالحاح حتى ينقطع عما كان مشغولا به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي ايوب
حين استاذن عليه فخرج مستعجلا فقال لعلنا اعجلناك الحديث وروى عقيل عن ابن شهاب
قال اما سنة التسليمات الثلاث فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى سعد بن عبادة
فقال السلام عليكم فلم يردوا ثم قال السلام عليكم فلم يردوا فانصرف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما فقد سعد تسليمه عرف انه انصرف فخرج سعد في اثره حتى ادركه فقال
وعليك السلام يا رسول الله انما اردنا ان نستكثر من تسليمك وقد والله سمعنا فانصرف رسول
الله صلى الله عليه وسلم مع سعد حتى دخل بيته قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا من
قبل ذلك ورواه الوليد بن مسلم عن الاوزاعي قال سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني
محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قال زارنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزلنا
فقال السلام عليكم ورحمة الله قال فرد سعد ردا خفيفا قال قيس فقلت الا تاذن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذره يكثر علينا من السلام الحديث اخرجه ابو داود
وليس فيه قال ابن شهاب فانما اخذ التسليم ثلاثا من قبل ذلك قال ابو داود ورواه
عمر بن عبد الواحد وابن سماعة عن الاوزاعي مرسلا لم يذكرا قيس بن سعد السابعة روي
عن ابن عباس ان الاستيذان ترك العمل به الناس الابواب وقرعها والله اعلم روى ابو
داود عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى باب قوم لم يستقبل
الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الايمن او الايسر فيقول السلام عليكم السلام عليكم
وذلك ان الدور لم يكن عليها يومئذ ستور الثامنة فان كان الباب مردودا فله ان يقف
حيث شاء منه ويستاذن وان شاء دق الباب لما رواه ابو موسى الاشعري ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان في حائط بالمدينة على قف البير فمد رجليه في البير فدق الباب ابو
بكر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له وبشره بالجنة هكذا رواه عبد الرحمن
ابن ابي الزناد وتابعه صالح بن كيسان ويونس بن يزيد فرووه جميعا عن ابي الزناد
عن ابي سلمة عن عبد الرحمن بن نافع عن ابي موسى وخالفهم محمد بن عمرو وابن الليثي فرواه
عن ابي الزناد عن ابي سلمة عن نافع بن عبد الحرث عن النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
واسناد الاول اصح والله اعلم التاسعة وصفة الدق ان يكون خفيفا بحيث يسمع ولا يعنف
في ذلك فقد روى انس بن مالك قال كانت ابواب النبي صلى الله عليه وسلم تقرع بالاظافير
ذكره ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب في جامعه العاشرة روى الصحيحان وغيرهما عن
جابر بن عبد الله قال استاذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت انا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انا انا كانه كره ذلك قال علماؤنا انما كره النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك لان قوله انا لا يحصل بها تعريف وانما الحكم في ذلك ان يذكر اسمه كما فعل عمر ابن الخطاب
وابو موسى لان في ذكر الاسم اسقاط كلفة السؤال والجواب ثبت عن عمر رضي الله عنه
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة له فقال السلام عليك يا رسول الله السلام
عليكم ايدخل عمر وفي صحيح مسلم ان ابا موسى جاء الى عمر ابن الخطاب فقال السلام عليكم
هذا ابو موسى السلام عليكم هذا الاشعري الحديث الحادية عشر ذكر الخطيب في جامعه
عن علي بن عاصم الواسطي قال قدمت البصرة فاتيت منزل شعبة فدققت عليه الباب فقال
من هذا قلت انا فقال يا هذا ما لي صديق يقال له انا ثم خرج الي فقال حدثني محمد بن المنكدر
عن جابر بن عبد الله قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة لي فطرقت عليه الباب
فقال من هذا قلت انا فقال انا انا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره قولي هذا او قوله
هذا وذكر عن عمر بن شبة ثنا محمد بن سلام عن ابيه قال دققت على عمرو بن عبيد الباب
فقال لي من هذا قلت انا فقال لا يعلم الغيب الا الله قال الخطيب سمعت علي ابن المحسن القاضي

يحكي

يحكي عن بعض الشيوخ انه كان اذا دق بابه يقال من ذا فقال الذي على الباب انا م دق الثانية
عشرة لكل قوم من الاستيذان عرفهم في العبارة كما رواه ابو بكر الخطيب مسندا عن ابي عبد الملك
مولى ام مسكين بنت عاصم بن عمر بن الخطاب قال ارسلتني مولاتي الى ابي هريرة فجاء معي فلما قام
بالباب قال اندراي قالت اندرون وذكر عن احمد بن صالح قال كان الدراوردي من اهل اصبهان
نزل بالمدينة فكان يقول للرجل اذا اراد ان يدخل اندرون فلقبه اهل المدينة الدراوردي
الثالثة عشرة روى ابو داود عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن امية بعثه الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم بلبن وجداية وضغابيس والنبي صلى الله عليه وسلم باعلى مكة فدخلت فلم اسلم
فقال ارجع فقل السلام عليكم وذلك بعدما اسلم صفوان بن امية وروى ابو الزبير عن جابر
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يبدا بالسلام فلا تاذنوا له وذكر ابن جريج اخبرني عطا
قال سمعت ابا هريرة يقول اذا قال الرجل ادخل ولم يسلم فقال لا حتى ياتي بالمفتاح فقلت
السلام قال نعم وروى ان حذيفة جاءه رجل فنظر الى ما في البيت فقال السلام عليكم
ادخل فقال حذيفة اما بعينك فقد دخلت واما باستك فلم تدخل الرابعة عشرة ومما يدخل في هذا
الباب ما رواه ابو داود عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رسول الرجل الى الرجل
اذنه اي اذا ارسل اليه فقد اذن له في الدخول يبينه قوله صلى الله عليه وسلم اذا دعي احدكم
فجاء مع الرسول فان ذلك له اذن اخرجه ابو داود ايضا على الصحيح عن ابي هريرة الخامسة عشرة
فان وقعت العين على العين فالسلام قد تعين ولا تعد رويتك اذنا لك في دخولك عليه فاذا قضيت
حق السلام لانك الوارد عليه تقول ادخل فان اذن لك والا رجعت السادسة عشرة هذه الاحكام
كلها انما هي في بيت ليس لك فاما بيتك الذي تسكنه فان كان فيه اهلك فلا اذن عليها الا انك
تسلم اذا دخلت قال قتادة اذا دخلت بيتك سلم على اهلك فهم احق من سلمت عليهم فان
كان فيه معك امك واختك فقالوا تنحنح واضرب برجلك حتى ينتبها لدخولك لان الاهل
لا حشمة بينك وبينها واما الام والاخت فقد يكونا على حالة لا تحب ان تراهما فيها قال ابن
القاسم قال مالك ويستاذن الرجل على امه واخته اذا اراد ان يدخل عليهما وقد روى عطاء
ابن يسار ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم استاذن على امي قال نعم قال اني اخدمها
قال استاذن عليها فعاوده ثلاثا قال اتحب ان تراها عريانة قال لا قال فاستاذن
عليها ذكره الطبري السابعة عشرة فان دخل بيت نفسه وليس فيه احد فقال علماؤنا يقول
السلام علينا من ربنا التحيات الطيبات المباركات لله السلام رواه ابن وهب عن النبي
صلى الله عليه وسلم وسنده ضعيف وقال قتادة اذا دخلت بيتا ليس فيه احد فقل السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين فانه يومر بذلك قال وذكر لنا ان الملائكة ترد عليهم قال
ابن العربي والصحيح ترك السلام والاستيذان والله اعلم قلت قول قتادة حسن قوله
تعالى فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فان لم
تجدوا الضمير في تجدوا للبيوت التي هي بيوت الغير وحكى الطبري عن مجاهد انه قال
معنى قوله فان لم تجدوا فيها احدا اي لم يكن لكم فيها متاع وضعف الطبري هذا التاويل
وكذلك هو في غاية الضعف وكان مجاهدا راى ان البيوت غير مسكونة انما تدخل دون اذن
اذا كان للداخل فيها متاع وراى لفظة المتاع متاع البيت الذي هو البسط والثياب وهذا
كله ضعيف والصحيح ان هذه الاية مرتبطة بما قبلها والاحاديث التقدير يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا فان اذن لكم فادخلوا والا فارجعوا كما فعل
عليه السلام مع سعد وابو موسى رضي الله عنهما فان لم تجدوا فيها احدا ياذن لكم فلا تدخلوها
حتى تجدوا اذنا واسند الطبري عن قتادة قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمري
كله هذه الاية فما ادركتها ان استاذن على بعض اخواني فيقول لي ارجع فارجع وانا مغتبط
لقوله تعالى هو ازكى لكم الثانية سوا كان الباب مغلقا او مفتوحا لان الشرع قد
اغلقه بالتحريم للدخول حتى يفتحه الاذن من ربه بل يجب عليه ان ياتي الباب ويحاول الاذن
على صفة لا يطلع منه على البيت لا في اقباله ولا في انقلابه فقد روى علماؤنا عن عمر بن الخطاب
انه قال من ملا عينه من قاعة بيت فقد فسق وروى الصحيح عن سهل بن سعد ان رجلا اطلع

عليك بغير اذن لخذفته بحصاة ففقأت عينه ما كان عليك من جناح الثالثة اذا ثبت
ان الاذن شرط في دخول المنزل فانه يجوز من الصغير والكبير وقد كان انس بن مالك دون
البلوغ يستاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك الصحابة مع ابنائهم وغلمانهم رضي
الله عنهم وسياتي لهذا مزيد بيان في اخر السورة ان شا الله تعالى الرابعة والله بما تعملون
عليم توعد لاهل التجسس على البيوت وطلب الدخول على غفلة للمعاصي والنظر الى ما لا يحل
ولغيرهم ممن يقع في محظور قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة
فيها متاع لكم فيه مسيلتان الاولى روي ان بعض الناس لما نزلت اية الاستيذان تعمق
في الامر فكان لا ياتي موضعا خربا ولا مسكونا الا سلم واستاذن فنزلت هذه الاية اباح الله
فيها رفع الاستيذان انما هي لاجل خوف الكشفة على الحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم الثانية
اختلف العلما في المراد بهذه البيوت فقال محمد بن الحنفية وقتادة ومجاهد هي الفنادق التي
في طرق السابلة قال مجاهد لا يسكنها احد بل هي موقوفة لياوي اليها كل ابن السبيل وفيها
متاع لهم اي استمتاع وعن محمد بن الحنفية ايضا ان المراد بها دور مكة ويبينه قول مالك
وهذا على القول بانها غير متملكة وان الناس شركا فيها وان مكة اخذت عنوة وقال ابن
زيد والشعبي هي حوانيت القيساريات قال الشعبي لانهم جاوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا
للناس هلم وقال عطا المراد بها الخرب التي يدخلها الانسان للبول والغايط ففي هذا
ايضا متاع وقال جابر بن زيد ليس يعني بالمتاع الجهاز ولكن ما سواه من الحاجة اما
منزل ينزله قوم من ليل او نهار او خربة يدخلها لقضا حاجة او دار ينظر اليها فهذا متاع
وكل منافع الدنيا متاع قال ابو جعفر النحاس وهذا شرح حسن من قول امام من ايمة
المسلمين وهو موافق للغة والمتاع في كلام العرب المنفعة ومنه امتع الله بك ومنه
فمتعوهن قلت واختاره ايضا القاضي ابو بكر ابن العربي وقال اما من فسر المتاع بانه جميع
الانتفاع فقد طبق المفصل وجا بالفيصل وبين ان الداخل فيها انما هو لما له من الانتفاع
فالطالب يدخل في الخانكات وهي المدارس لطلبة العلم والساكن يدخل الخانات وهي الفنادق
اي الفنادق والزبون يدخل الدكان للابتياع والحاقن يدخل الخلا للحاجة وكل ياتي على
وجهه من بابه واما قول ابن زيد والشعبي فقول وذلك ان بيوت القيساريات محظورة
باموال الناس غير مباحة لكل من اراد دخولها باجماع ولا يدخلها الا من اذن له ربها بل
اربابها موكلون بدفع الناس قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الى قوله
يصنعون فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم وصل
تعالى بذكر الستر ما يتعلق به من امر النظر يقال غض بصره يغضه غضا قال الشاعر عنترة

فغض الطرف انك من نمير • ولا كعبا بلغت ولا كلابا • وقال
واغض طرفي ما بدت لي جارتي • حتى يواري جارتي ماواها •

ولم يذكر تعالى ما يغض البصر عنه ويحفظ الفرج غير ان ذلك معلوم بالعادة وان المراد
منه المحرم دون المحلل وفي البخاري وقال سعيد بن ابي الحسن للحسن ان نسا العجم
يكشفن صدورهن وروسهن قال اصرف بصرك يقول الله تعالى قل للمومنين يغضوا
من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقال قتادة عما لا يحل لهم وقل للمومنات يغضضن من
ابصارهن ويحفظن فروجهن خاينة الاعين النظر الى ما نهي عنه الثانية قوله تعالى
من ابصارهم من زايدة كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل من للتبعيض لان من
النظر ما يباح وقيل الغض النقصان يقال غض فلان من فلان اي وضع منه فالبصر
اذا لم يمكن من عمله فهو موضوع منه ومنقوص فمن صلة الغض وليست للتبعيض
ولا للزيادة الثالثة البصر هو الباب الاكبر الى القلب واعمر طرق الحواس اليه وبحسب ذلك
كثر السقوط من جهته ووجب التحذير منه وغضه واجب عن جميع المحرمات وكل ما يخشى
الفتنة من اجله وقد قال صلى الله عليه وسلم اياكم والجلوس على الطرقات فقالوا يا رسول
الله ما لنا من مجالسنا بد نتحدث فيها فقال فاذا ابيتم الا المجلس فاعطوا الطريق حقه
قالوا وما حق الطريق يا رسول الله قال غض البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف

والنهي عن المنكر رواه ابو سعيد الخدري خرجه البخاري ومسلم وقال صلى الله عليه وسلم لعلي
لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وليست لك الثانية وروى الاوزاعي قال حدثني هارون
ابن رياب ان غزوان وابا موسى الاشعري كانا في بعض مغازيهم فكشفت جارية فنظر اليها
غزوان فرفع يده فلطم عينه حتى نفرت فقال انك للحاظة الى ما يضرك ولا ينفعك فلقي ابا موسى
فساله فقال ظلمت عينك فاستغفر الله وتب فان لها اول نظرة وعليها ما كان بعد ذلك قال الاوزاعي
وكان غزوان ملك نفسه فلم يضحك حتى مات رضي الله عنه وفي صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله
قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجاة فامرني ان اصرف بصري وهذا
يقوي قول من يقول ان من للتبعيض لان النظرة الاولى لا تملك فلا تدخل تحت خطاب تكليف
اذ وقوعها لا يتاتى ان يكون مكتسبا فلا يكون مكلفا بها فوجب التبعيض لذلك ولم يقل ذلك
في الفرج لانها تملك ولقد كره الشعبي ان يديم الرجل النظر الى ابنته وامه واخته وزمانه خير من
زماننا هذا وحرام على الرجل ان ينظر الى ذات محرمه نظر شهوة يرددها الرابعة قوله تعالى
ويحفظوا فروجهم اي يستروها عن ان يراها من لا يحل وقيل ويحفظوا فروجهم اي عن الزنا وعلى
هذا القول لو قال من فروجهم لجاز والصحيح ان الجميع مراد واللفظ عام وروى بهز بن حكيم بن معاوية
القشيري عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما ناتي منها وما نذر قال احفظ عورتك
الا من زوجتك او ما ملكت يمينك قال الرجل يكون مع الرجل قال ان استطعت ان لا يراها فافعل
قلت فالرجل يكون خاليا فقال الله احق ان يستحيى منه الناس وقد ذكرت عايشة رضي الله عنها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحالها معه فقالت ما رايت ذلك منه ولا راى ذلك مني الخامسة
بهذه الاية حرم العلما نصا دخول الحمام بغير ميزر وقد روي عن ابن عمر انه قال اطيب ما انفق
الرجل درهما يعطيه للحمام في خلوة وصح عن ابن عباس انه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة فدخوله جايز
للرجال بالميازر وكذلك النسا للضرورة لغسلهن من الحيض او النفاس او مرض يلحقهن والاولى
بهن والافضل لهن غسلهن ان امكن ذلك في بيوتهن فقد روى احمد بن منيع ثنا الحسن بن موسى
ثنا ابن لهيعة ثنا زبان عن سهل بن معاذ عن ابيه عن ام الدردا انه سمعها تقول لقيني رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد خرجت من الحمام فقال من اين يا ام الدردا فقالت من الحمام فقال والذي
نفسي بيده ما من امراة تضع ثيابها في غير بيت احد من امهاتها الا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين
الرحمن عز وجل وخرج ابو بكر البزار عن طاوس عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم احذروا بيتا يقال له الحمام قالوا يا رسول الله ينقي الوسخ قال فاستتروا قال ابو محمد عبد الحق
هذا اصح اسناد حديث في هذا الباب انه الناس يرسلونه عن طاوس واما ما خرجه ابو داود في
هذا من الحظر والاباحة فلا يصح منه شي لضعف الاسانيد وكذلك ما خرجه الترمذي قلت اما دخول
الحمام في هذه الازمان فحرام على اهل الفضل والدين لغلبة الجهل على الناس واستسهالهم اذا توسطوا
الحمام رموا ميازرهم حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قايما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديا عن
عورته ما بين فخذيه ولا احد يغير عليه هذا امر الرجال فكيف بالنسا لا سيما بالديار المصرية اذ
حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي عن اعين الناس سواتر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
السادسة قال العلما فان استتر فليدخل بعشرة شروط الاول ان لا يدخل الا بنية التداوي او
بنية التطهير عن الرحضا الثاني ان يتعمد اوقات الخلوة او قلة الناس الثالث ان يستر عورته
بازار صفيق الرابع ان يكون نظره الى الارض او يستقبل الحايط لئلا يقع نظره على محظور الخامس
ان يغير ما يرى من منكر برفق يقول استتر سترك الله السادس ان دلكه احد لا يمكنه من عورته
من سرته الى ركبتيه الا امراته او جاريته وقد اختلف في الفخذين هل هما عورة ام لا السابع
ان يدخله باجرة معلومة بشرط او بعادة الثامن ان يصب الما على قدر الحاجة التاسع ان لم يقدر على
دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون اديانهم على كرايه العاشر ان يتذكر به جهنم فان لم يمكنه ذلك
كله فليستتر وليجتهد في غض البصر ذكر الترمذي ابو عبد الله في نوادر الاصول من حديث طاوس
عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا بيتا يقال له الحمام قيل يا رسول الله
انه يذهب الوسخ ويذكر النار فقال ان كنتم لا بد فاعلين فادخلوه مستترين وخرج من حديث
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام وذلك

لانه اذا دخله سال الله الجنة واستعاذ به من النار ويبني البيت يدخله الرجل بيت العروس وذلك لانه
يرغب في الدنيا ويبغيه الاخرة قال ابو عبد الله فهذا لاهل الغفلة صير الله هذه الدنيا بما فيها سببا
للذكر لاهل الغفلة ليذكروا بها اخرتهم فاما اهل اليقين فقد صارت الاخرة نصب اعينهم فلا بيت
حمام يزعجه ولا بيت عروس يستفزه لقد دقت الدنيا بما فيها من الصنفين والزينتين في جنب الاخرة
حتى ان جميع نعيم الدنيا في اعينهم كنثارة الطعام من مائدة عظيمة وجميع شدائد الدنيا في اعينهم كتفلة
عوقب بها مجرم او مسي قد كان استوجب القتل او الصلب من جميع عقوبات اهل الدنيا السابعة قوله
تعالى ذلك ازكى لكم اي غض البصر وحفظ الفرج اطهر في الدين وابعد من دنس الاثام ان الله خبير اي
عالم بما تصنعون تهديد ووعيد قوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن الى قوله من زينتهن
فيه ثلاث وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى قل للمومنات خص الله سبحانه الاناث هنا بالخطاب
على طريق التاكيد فان قوله قل للمومنين يكفي لانه قول عام يتناول الذكر والانثى من المومنين حسب كل
خطاب عام في القران واظهر التضعيف في يغضضن ولم يظهر في يغضوا لان لام الفعل من الثاني ساكنة
ومن الاول متحركة وهما في موضع جزم جوابا وبدا بالغض قبل الفرج لان البصر رايد للقلب كما ان
الحمى رايد الموت واخذ هذا المعنى بعض الشعرا فقال •

• الم تر ان العين للقلب رايد • فما تالف العينان فالقلب الف •

وفي الخبر النظر سهم من سهام ابليس مسموم فمن غض بصره اورثه الله الحلاوة في قلبه وقال
مجاهد اذا اقبلت المراة جلس الشيطان على راسها فزينها لمن ينظر فاذا ادبرت جلس على عجزها
فزينها لمن ينظر وعن خالد بن ابي عمران قال لا تتبعن النظرة النظرة فربما نظر العبد نظرة نغل منها
قلبه كما ينغل الاديم فلا ينتفع به فامر الله سبحانه المومنين والمومنات بغض الابصار عما لا يحل
فلا يحل للرجل ان ينظر الى المراة ولا المراة الى الرجل فان علاقته بها كعلاقتها به وقصدها منه
كقصده منها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان
الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر
الحديث وقال الزهري في النظر الى التي لم تحض من النسا لا يصلح النظر الى شي منهن ممن يشتهى
النظر اليهن وان كانت صغيرة وكره عطا النظر الى الجواري التي يبعن بمكة الا ان يريد ان يشتري
وفي الصحيحين عنه عليه السلام انه صرف وجه الفضل عن الخثعمية حين سالته وطفق الفضل
ينظر اليها وقال عليه السلام الغيرة من الايمان والمذا من النفاق والمذا هو ان يجمع الرجل بين
النسا والرجال ثم يخليهم يماذي بعضهم بعضا ماخوذ من المذي وقيل هو ارسال الرجال الى النسا
من قولهم مذيت الفرس اذا ارسلتها ترعى وكل ذكر يمذي وكل انثى تقذي فلا يحل لامراة تومن
بالله واليوم الاخر ان تبدي زينتها الا لمن تحل له او لمن هي محرمة عليه على التابيد فهو امن ان
يتحرك طبعه اليها لوقوع الياس له منها الثانية روى الترمذي عن نبهان مولى ام سلمة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لها ولميمونة وقد دخل عليها ابن ام مكتوم احتجبا فقالتا انه اعمى قال
افعميا وان انتما الستما تبصرانه فان قيل هذا الحديث لا يصح عند اهل النقل لان رواية عن ام سلمة
نبهان مولاها وهو ممن لا يحتج بحديثه وعلى تقدير صحته فان ذلك منه عليه السلام تغليظ على
ازواجه لحرمتهن كما غلظ عليهن امر الحجاب كما اشار اليه ابو داود وغيره من الايمة ويبقى معنى الحديث
الصحيح الثابت وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم امر فاطمة بنت قيس ان تعتد في بيت ام شريك
ثم قال تلك امراة يغشاها اصحابي اعتدي عند ابن ام مكتوم فانه رجل اعمى تضعين ثيابك ولا
يراك قلنا قد استدل بعض العلما بهذا الحديث على ان المراة يجوز لها ان تطلع من الرجل على ما لا
يجوز للرجل ان يطلع من المراة كالراس ومعلق القرط واما العورة فلا فعلى هذا يكون مخصصا
لعموم قوله تعالى وقل للمومنات يغضضن من ابصارهن وتكون من للتبعيض كما هي في الاية
قبلها قال ابن العربي انما امرها بالانتقال من بيت ام شريك الى بيت ام مكتوم لان ذلك اولى
بها من بقائها في بيت ام شريك اذ كانت ام شريك موثرة بكثرة الداخل اليها فيكثر الراي لها وفي بيت
ام مكتوم لا يراها احد فكان امساك بصرها عنه اقرب من ذلك واولى فرخص لها في ذلك والله
اعلم الثالثة امر الله سبحانه النسا بان لا يبدين زينتهن للناظرين الا ما استثناه من الناظرين
في باقي الاية حذارا من الافتتان ثم استثنى ما يظهر من الزينة واختلف الناس في قدر ذلك

فقال

فقال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وزاد ابن جبير الوجه وقال سعيد بن جبير ايضا
وعطا والاوزاعي الوجه والكفان والثياب وقال ابن عباس وقتادة والمسور بن مخرمة ظاهر
الزينة هو الكحل والسواك والخضاب الى نصف الساق والقرطة والفتخ ونحو هذا فمباح ان تبديه
المراة لكل من دخل عليها من الناس وذكر الطبري عن قتادة في معنى نصف الذراع حديثا عن النبي
عليه السلام وذكر اخر عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يحل لامراة تومن بالله واليوم
الاخر اذا عركت ان تظهر الا وجهها ويديها الى ها هنا وقبض على نصف الذراع قال ابن عطية ويظهر
لي بحكم الفاظ الاية ان المراة مامورة بان لا تبدي وان تجتهد في الاخفا لكل ما هو زينة ووقع الاستثنا
فيما يظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او اصلاح شان ونحو ذلك فما ظهر على هذا الوجه مما تودي اليه
الضرورة في النسا فهو المعفو عنه قلت هذا قول حسن الا انه لما كان الغالب من الوجه والكفين
ظهورهما عادة وعبادة وذلك في الصلاة والحج فيصلح ان يكون الاستثنا راجعا اليهما يدل على ذلك ما رواه
ابو داود عن عايشة ان اسما ابنة ابي بكر دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليها ثياب
رقاق فاعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا اسما ان المراة اذا بلغت المحيض لم يصلح
ان يرى منها الا هذا واشار الى وجهه وكفيه فهذا اقوى في جانب الاحتياط ولمراعاة فساد
الناس فلا تبدي المراة من زينتها الا ما ظهر من وجهها وكفيها والله الموفق لا رب غيره
وقد قال ابن خويز منداد من علماينا ان المراة اذا كانت جميلة وخيف من وجهها وكفيها الفتنة
فعليها ستر ذلك وان كانت عجوزا او مقبحة جاز ان تكشف وجهها وكفيها الرابعة الزينة على
قسمين خلقية ومكتسبة فالخلقية وجهها فانه اصل الزينة وجمال الخلقة ومعنى الحيوانية لما
فيه من المنافع وطرق العلوم واما الزينة المكتسبة فهي ما تحاوله المراة في تحسين خلقها كالثياب والحلي
والكحل والخضاب ومنه قوله تعالى خذوا زينتكم وقال الشاعر ياخذن زينتهن احسن ما ترى واذا عطلن
فهن خير عواطل الخامسة من الزينة ظاهر وباطن فما ظهر فمباح ابداوه لكل الناس من المحارم
والاجانب وقد ذكرنا ما للعلما فيه واما ما بطن فلا يحل ابداوه الا لمن سماهم الله في هذه الاية
او حل محلهم واختلف في السوار فقالت عايشة هو من الزينة الظاهرة لانه في اليدين وقال
مجاهد هو من الزينة الباطنة لانه خارج من الكفين وانما يكون في الذراع قال ابن العربي
واما الخضاب فهو من الزينة الباطنة اذا كان في القدمين السادسة قوله تعالى وليضربن
بخمرهن على جيوبهن قرا الجمهور بسكون اللام التي هي للامر وقرا ابو عمرو في رواية عباس بكسرها
على الاصل لان اصل لام الامر الكسر وحذفت الكسرة لثقلها وانما تسكينها كتسكين عضد وفخذ
وليضربن في موضع جزم بالامر الا انه بني على حالة واحدة اتباعا للماضي عند سيبويه وسبب
هذه الاية ان النسا كن في ذلك الزمان اذا غطين رووسهن بالاخمرة وهي المقانع سدلنها من ورا
الظهر قال النقاش كما يصنع النبط فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله
تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيية ذلك ان تضرب المراة بخمارها على جيبها لتستر صدرها روى
البخاري عن عايشة انها قالت رحم الله نسا المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن على
جيوبهن شققن ازرهن فاختمرن بها ودخلت على عايشة حفصة بنت اخيها عبد الرحمن
وقد اختمرت بشي يشف عن عنقها وما هنالك فشقته عليها وقالت انما يضرب بالكثيف الذي يستر
السابعة الخمر جمع الخمار وهو ما يغطى به راسها ومنه اختمرت المراة وتخمرت وهي حسنة الخمرة والجيوب
جمع الجيب وهو موضع القطع من الدرع والقميص وهو من الجوب وهو القطع
ومشهور القراة ضم الجيم من جيوبهن وقرا بعض الكوفيين بكسرها بسبب اليا كقراتهم ذلك في بيوت
وشيوخ والنحويون القدما لا يجيزون هذه القراة ويقولون بيت وبيوت كفلس وفلوس
وقال الزجاج يجوز ان يبدل من الضمة كسرة فاما ما روي عن حمزة من الجمع بين الضم والكسر فمحال
لا يقدر احد ان ينطق به الا على الايما الى ما لا يجوز قال مقاتل على جيوبهن اي على صدورهن
يعني على مواضع جيوبهن الثامنة في هذه الاية دليل على ان الجيب انما يكون في الثوب
موضع الصدر وكذلك كانت الجيوب في ثياب السلف رضوان الله عليهم على ما يصنعه النسا
عندنا بالاندلس واهل الديار المصرية من الرجال والصبيان وغيرهم وقد ترجم البخاري رحمه
الله باب جيب القميص من عند الصدر وغيره وساق حديث ابي هريرة قال ضرب رسول الله

صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد قد اضطرت
ايديهما الى تراقيهما الحديث وقد تقدم بكماله وفيه قال ابو هريرة فانا رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول باصبعه هكذا في جيبه فلو رايته يوسعها ولا توسع فهذا يبين لك ان
جيبه عليه السلام كان في صدره لانه لو كان في منكبيه لم تكن يداه مضطرة الى ثدييه وتراقيه
وهذا اسند الاحسن الناسعة قوله تعالى لبعولتهن البعل هو الزوج والسيد في كلام العرب
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث جبريل اذا ولدت الامة بعلها يعني سيدها اشارة
الى كثرة السراري بكثرة الفتوحات فياتي الاولاد من الاماء فتعتق كل ام بولدها فكانه سيدها
الذي من عليها بالعتق اذ كان العتق حاصلا لها من سببه قاله ابن العربي قلت وعنه قوله
عليه السلام في مارية اعتقها ولدها فنسب العتق اليه وهذا من احسن تاويلات هذا الحديث
والله اعلم مسئلة الزوج والسيد يرى الزينة من المراة واكثر من الزينة اذ كل محل من بدنها
حلال له لذة ونظرا ولهذا بدا بالبعولة لان اطلاعهم يقع على اعظم من هذا قال الله تعالى
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين العاشرة
اختلف الناس في جواز نظر الرجل الى فرج المراة على قولين احدهما يجوز لانه اذا جاز له التلذذ
به فالنظر اولى وقيل لا يجوز لقول عائشة رضي الله عنها في ذكر حالها مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما رايت ذلك منه ولا راى ذلك مني والاول اصح وهذا محمول على الادب قاله ابن
العربي وقد قال اصبغ من علمائنا يجوز له ان يلحسه بلسانه وقال ابن خويز منداد اما الزوج
والسيد فيجوز ان ينظر الى سائر الجسد وظاهر الفرج دون باطنه وكذلك المراة يجوز ان
تنظر الى عورة زوجها والامة الى عورة سيدها قلت وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال النظر الى الفرج يورث الطمس اي العمى اي في الناظر وقيل ان الولد بينهما يولد اعمى والله
اعلم الحادية عشر لما ذكر تعالى الازواج وبدا بهم ثنى بذوي المحارم وسوى بينهم في ابداء الزينة
ولكن تختلف مراتبهم بحسب ما في نفوس البشر فلا مرية ان كشف الاب والاخ على المراة
احوط من كشف ولد زوجها وتختلف مراتب ما يبدا لهم فيبدا للاب ما لا يجوز ابداؤه لولد
الزوج وقد ذكر القاضي اسماعيل عن الحسن والحسين رضوان الله عليهما انهما كانا لا يريان
امهات المومنين وقال ابن عباس ان رويتهما لهن تحل قال اسماعيل احسب ان الحسن والحسين
ذهبا في ذلك الى ان ابنا البعولة لم يذكروا في الاية التي في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وهي قوله لا جناح عليهن في ابائهن وقال في سورة النور ولا يبدين زينتهن الاية فذهب
ابن عباس الى هذه الاية وذهب الحسن والحسين الى الاية الاخرى الثانية عشر قوله تعالى
او ابناء بعولتهن يريد ذكور اولاد الازواج ويدخل فيه اولاد الاولاد وان سفلوا من
ذكران كانوا او اناث كبني البنين وبني البنات وكذلك اباء البعولة والاجداد وان علوا
من جهة الذكران لاباء الاباء واباء الامهات وكذلك ابناؤهن وان سفلوا وكذلك ابناء البنات
وان سفلن وكذا ابناء البعولة وان سفلوا فيستوي فيه اولاد البنين واولاد البنات وكذلك
اخوانهن وهم من ولده الاباء والامهات او احد الصنفين وكذلك بنو الاخوة وبنو الاخوات
وان سفلوا من ذكران كانوا او اناث كبني بني الاخوات وبني بنات الاخوات وهذا كله
في معنى ما حرم من المناكح فان ذلك على المعاني في الولادات وهولا محارم وقد تقدم في
النسا والجمهور على ان العم والخال كسائر المحارم في جواز النظر لهما الى ما لا يجوز لهم وليس
في الاية ذكر الرضاع وهو كالنسب على ما تقدم وعند الشعبي وعكرمة ليس العم والخال من
المحارم قال عكرمة لم يذكرهما في الاية لانهما تبعان لابنائهما الثالثة عشر قوله تعالى او نسائهن
يعني المسلمات ويدخل في هذا الاماء المومنات ويخرج منه نساء المشركين من اهل الذمة
وغيرهم فلا يحل لامراة مومنة ان تكشف شيئا من بدنها بين يدي امراة مشركة الا ان تكون
امة لها فذلك قوله او ما ملكت ايمانهن وكان ابن جريج وعبادة بن نسي وهشام القاري
يكرهون ان تقبل النصرانية المسلمة او ترى عورتها ويتاولون او نسائهن وقال عبادة
ابن نسي وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي عبيدة بن الجراح انه بلغني ان نساء اهل الذمة يدخلن
الحمامات مع نساء المسلمين فامنع من ذلك وحل دونه فانه لا يجوز ان ترى الذمية عرية المسلمة

قال فعند ذلك قام ابو عبيدة وابتهل وقال ايما امراة تدخل الحمام من غير عذر لا تريد الا
ان تبيض وجهها فسود الله وجهها يوم تبيض الوجوه وقال ابن عباس لا يحل للمسلمة ان تراها
يهودية او نصرانية لئلا تصفها لزوجها وفي هذه المسئلة خلاف للفقهاء فان كانت الكافرة امة
لمسلمة جاز ان تنظر الى سيدتها واما غيرها فلا لانقطاع الولاية بين اهل الاسلام واهل الكفر
ولما ذكرناه والله اعلم الرابعة عشر قوله تعالى او ما ملكت ايمانهن ظاهر الاية يشمل العبيد والاماء
المسلمات والكتابيات وهو قول جماعة من اهل العلم وهو الظاهر من مذهب عائشة وام سلمة
رضي الله عنهما وقال ابن عباس لا باس ان ينظر المملوك الى شعر مولاته وقال اشهب سئل
مالك اتلقي المراة خمارها بين يدي الخصي فقال نعم اذا كان مملوكا لها او لغيرها واما الحر فلا
وان كان فحلا كبيرا وغدا عليه لا هيئة له ولا منظر فلينظر الى شعرها قال اشهب قال مالك
ينظر الغلام الوغد الى شعر سيدته ولا احب الغلام الزوج وقال سعيد بن المسيب لا تغرنكم
هذه الاية او ما ملكت ايمانهن انما عني بها الاماء ولم يعن بها العبيد وكان الشعبي يكره ان ينظر
المملوك الى شعر مولاته وهو قول عطاء ومجاهد وروى ابو داود عن انس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى فاطمة بعبد قد وهبه لها قال وعلى فاطمة ثوب اذا غطت راسها لم يبلغ الى رجليها
واذا غطت به رجليها لم يبلغ الى راسها فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى من ذلك قال
انه لا باس عليك انما هو ابوك وغلامك الخامسة عشر قوله تعالى والتابعين غير اولي الاربة
من الرجال اي غير اولي الحاجة والاربة الحاجة اربت الى كذا اربا وارب والارب والاربة
والماربة والارب الحاجة والجمع مارب اي حوائج ومنه قوله تعالى ولي فيها مارب اخرى
وقد تقدم وقال طرفة • اذا المرء قال الجهل والحوب والخنا • تقدم يوما ثم ضاعت ماربه •
واختلف الناس في معنى قوله او التابعين غير اولي الاربة من الرجال فقيل هو الاحمق
الذي لا حاجة به الى النساء وقيل الابله وقيل الرجل يتبع القوم فياكل معهم ويرتفق بهم
وهو ضعيف لا يكترث للنساء ولا يشتهيهن وقيل العنين وقيل الخصي وقيل المخنث وقيل
الشيخ الكبير والصبي الذي لم يدرك وهذا الاختلاف كله متقارب المعنى ويجتمع فيمن لا فهم
له ولا همة ينتبه بها الى امر النساء وبهذه الصفة كان هيت المخنث عند رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما سمع منه ما سمع من وصف محاسن المراة بادية ابنة غيلان امر بالاحتجاب
منه اخرج حديثه مسلم وابو داود ومالك في الموطا وغيرهم عن هشام بن عروة عن عائشة
قال ابو عمر ذكر عبد الملك بن حبيب عن حبيب كاتب مالك قلت لمالك ان سفيان زاد
في حديث ابنة غيلان ان مخنثا يقال له هيت وليس في كتابك هيت فقال مالك
صدق هو كذلك وغربه النبي صلى الله عليه وسلم الى الحمى وهو موضع في ذي الحليفة ذات
الشمال من مسجدها قال حبيب وقلت لمالك وقال سفيان في الحديث اذا قعدت
تبنت واذا تكلمت تغنت قال مالك صدق هو كذلك قال ابو عمر ما ذكره حبيب كاتب
مالك عن سفيان انه قاله في الحديث يعني حديث هشام ابن عروة ان مخنثا يدعى
هيتا فغير معروف عند احد من رواه عن هشام لا ابن عيينة ولا غيره وانما ذكره عن ابن جريج
ولم يقل في نسق الحديث ان مخنثا يدعى هيتا وانما ذكره عن ابن جريج بعد
تمام الحديث وكذلك قوله عن سفيان انه يقول في الحديث اذا قعدت تبنت واذا تكلمت
تغنت هذا ما لم يقله سفيان ولا غيره في حديث هشام بن عروة وهذا اللفظ لا يوجد
الا من رواية الواقدي والعجب ان يحكيه عن سفيان ويحكي عن مالك انه كذلك فصارت
رواية عن مالك ولم يروه عن مالك غير حبيب ولا ذكره عن سفيان غيره ايضا والله
اعلم وحبيب كاتب مالك متروك الحديث ضعيف عند جميعهم لا يكتب حديثه ولا يلتفت
الى ما يجي به ذكر الواقدي والكلبي ان هيتا المخنث قال لعبد الله بن امية المخزومي
وهو اخو ام سلمة لابيها وامها عاتكة عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له وهو
في بيت اخته ام سلمة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع ان فتح الله عليكم الطائف فعليك
ببادية ابنة غيلان بن سلمة الثقفي فانها تقبل باربع وتدبر بثمان مع ثغر كالاقحوان
ان جلست تبنت وان تكلمت تغنت بين رجليها كالاناء المكفو ثم قال قيس

تعترف الطرف وهي لاهية • كانما شف وجهها نزف • بين مشكوك النسا خلقتها • قصدا فلا جبلة
ولا قضف • تنام عن كبر شأنها فاذا • قامت رويدا تكاد تنقصف • فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لقد غلغلت النظر اليها يا عدو الله ثم اجلاه عن المدينة الى الحمى فلما قال افتتحت الطائف
تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له منه بريهة في قول الكلبي فلم يزل هيت بذلك المكان
حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فلما ولي ابو بكر كلم فيه فابى ان يرده فلما ولي عمر كلم فيه
فابى ثم كلم فيه عثمان بعده وقيل انه قد كبر وضعف واحتاج فاذن له كل جمعة يدخل فيسأل
ويرجع الى مكانه قال وكان هيت مولى لعبد الله بن ابي امية المخزومي وكان له طويس ايضا فمن
ثم قبل المخنث قال ابو عمر يقال بادية بالبا وبادنة بالنون والصواب فيه عندهم باليا
وهو قول الزبير وكذلك ذكره الزبير باليا • السادسة عشر وصف التابعين بغير لان التابعين
غير مقصودين باعيانهم فصار اللفظ كالنكرة وغير لا يتمحض نكرة فجاز ان تجري وصفا على المعرفة
وان شئت قلت هو بدل والقول فيها كالقول في غير المغضوب عليهم وقرا عاصم وابن عامر غير
بالنصب فيكون استثنا اي يبدين زينتهن للتابعين الا ذا الاربة منهم ويجوز ان يكون حالا
اي والذين يتبعونهن عاجزين عنهن قاله ابو حاتم وذو الحال ما في التابعين من الذكر
السابعة عشر قوله تعالى او الطفل اسم جنس بمعنى الجمع والدليل على ذلك نعته بالذين وفي مصحف
حفصة او الاطفال على الجمع ويقال طفل ما لم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطلعون بالوطء اي لم يكشفوا
عن عورات النسا للجماع لصغرهن وقيل لم يبلغوا ان يطيقوا النسا يقال ظهرت على كذا اي علمته وظهرت
على كذا اي قهرته والجمهور على سكون الواو من عورات لاستثقال الحركة على الواو وروي عن
ابن عامر فتح الواو مثل جفنة وجفنات وحكى الفرا انها لغة قيس عورات الثامنة عشر اختلف
العلما في وجوب ستر ما سوى الوجه والكفين منه على قولين احدهما لا يلزم لانه لا تكليف
عليه وهو الصحيح والاخر يلزم لانه قد يشتهي وقد تشتهي هي ايضا فان راهق فحكمه حكم البالغ
في وجوب الستر ومثله الشيخ الذي سقطت شهوته اختلف فيه ايضا على قولين كما في الصبي
والصحيح بقا الحرمة قاله ابن العربي التاسعة عشر اجمع المسلمون على ان السوءتين عورة من
الرجال والمراة وان المراة كلها عورة الا وجهها ويديها فانهم اختلفوا فيهما وقال اكثر
العلما في الرجل من سرته الى ركبتيه عورة لا يجوز ان ترى وقد مضى في الاعراف القول في
هذا مستوفى الموفية عشرين قال اصحاب الراي عورة المراة مع عبدها من السرة الى الركبة
ابن العربي وكانهم ظنوها رجلا او ظنوه امراة والله تعالى قد حرم المراة على الاطلاق لنظر
او لذة ثم استثنى اللذة للازواج وملك اليمين ثم استثنى الزينة لاثني عشر شخصا العبد
منهم فما لنا ولذلك هذا نظر فاسد واجتهاد عن السداد متباعد وقد تاول بعض الناس قوله
او ما ملكت ايمانهن على الاما دون العبيد منهم سعيد ابن المسيب فكيف يحملون على العبيد ثم
يلحقون بالنسا هذا بعيد جدا قاله ابن العربي وقد قيل ان التقدير او ما ملكت ايمانهن
من غير اولي الاربة او التابعين غير اولي الاربة حكاه المهدوي الحادية والعشرون قوله
تعالى ولا يضربن بارجلهن الاية اي لا تضرب المراة برجلها اذا مشت ليسمع صوت خلخالها
فاسماع صوت الزينة كابدا الزينة واشد والغرض التستر اسند الطبري عن المعتمر عن
ابيه انه قال زعم حضرمي ان امراة اتخذت برتين من فضة واتخذت جزعا فجعلت في ساقها
فمرت على القوم فضربت برجلها الارض فوقع الخلخال على الجزع فصوت فنزلت هذه الاية
وسماع هذه الزينة اشد تحريكا للشهوة من ابدائها قاله الزجاج الثانية والعشرون من
فعل ذلك منهن فرحا بحليهن فهو مكروه ومن فعل ذلك منهن تبرجا وتعرضا للرجال فهو حرام
مذموم وكذلك من ضرب بنعله من الرجال ان فعل ذلك تعجبا حرم فان العجب كبيرة وان
فعل ذلك تبرجا لم يجز الثالثة والعشرون قال مكي رحمه الله ليس في كتاب الله اية اكثر ضماير
من هذه جمعت خمسة وعشرين ضميرا للمومنات من مخفوض ومرفوع قوله تعالى وتوبوا الى
الله جميعا ايها المومنون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وتوبوا امر فلا خلاف بين الامة
في وجوب التوبة وانها فرض متعين وقد مضى الكلام فيها في النسا وغيرها فلا معنى لاعادة
ذلك والمعنى وتوبوا الى الله فانكم لا تخلون من سهو وتقصير في ادا حقوق الله فلا تتركوا

التوبة

التوبة في كل حال الثانية قرا الجمهور اية بالفتح للها وقرا ابن عامر بضمها ووجهه ان يجعل الها من
نفس الكلمة فيكون اعراب المنادي فيها وضعف ابو علي ذلك جدا وقال اخر الاسم ولو جاز ضم
الها هنا لاقترانها بالكلمة لجاز ضم الميم في اللهم لاقترانها بالكلمة في كلام طويل والصحيح انه
اذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قراة فليس الا اعتقاد الصحة في اللغة فان القران هو
الحجة وانشد الفرا • يا ايها القلب اللحوح النفس • افق عن البيض الحسان اللعس •
اللعس لون الشفة اذا كانت تضرب الى سواد قليلا وذلك يستملح يقال شفة لعسا
وفتية ونسوة لعس وبعضهم يقف ايه وبعضهم يقف ايها بالالف لان علة حذفها في الوصل انما
هو سكونها وسكون اللام فاذا كان الوقف ذهبت العلة فرجعت الالف كما ترجع اليا اذا وقفت
على محلي من قوله غير محلي الصيد وهذا الاختلاف الذي ذكرناه كذلك هو في يا ايه وايه المقلات
قوله تعالى وانكحوا الايامى منكم فيه سبع مسايل الاولى هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح
اي زوجوا من لا زوج له منكم فانه طريق التعفف والخطاب للاوليا وقيل للازواج والصحيح الاول
اذ لو اراد الازواج لقال وانكحوا بغير همز وكانت الالف للوصل وفي هذا دليل على ان المراة ليس
لها ان تنكح نفسها بغير ولي وهو قول اكثر العلما وقال ابو حنيفة اذا زوجت الثيب او البكر نفسها بغير
ولي كفوا لها جاز وقد مضى هذا في البقرة مستوفى الثانية اختلف العلما في هذا الامر على ثلاثة
اقوال فقال علماونا يختلف الحكم في ذلك باختلاف حال المومن من خوف العنت ومن عدم صبره
ومن قوته على الصبر وزوال خشية العنت عنه واذا خاف الهلاك في الدين او الدنيا او فيهما فالنكاح
حتم وان لم يخش شيا وكانت الحال مطلقة فقال الشافعي النكاح مباح وقال مالك وابو حنيفة
هو مستحب تعلق الشافعي بانه قضا لذة فكان مباحا كالاكل والشرب وتعلق علماونا بالحديث
الصحيح من رغب عن سنتي فليس مني الثالثة قوله تعالى الايامى منكم اي الذين لا ازواج لهم
من الرجال والنسا واحدهم ايم قال ابو عمر ايامى مقلوب ايايم واتفق اهل اللغة على ان الايم في
الاصل هي المراة التي لا زوج لها بكرا كانت او ثيبا حكى ذلك ابو عمرو والكسائي وغيرهما تقول العرب
تايمت المراة اذا اقامت لا تتزوج وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انا وامراة سفعا الخدين
تايمت على ولدها الصغار حتى بلغوا او يغنيهم الله من فضله كهاتين في الجنة وقال الشاعر
• فان تنكحي انكح وان تتايمي • وان كنت افتى منكم اتايم •
ويقال ايم بين الايمة وقد امت هي وامت انا قال الشاعر
• لقد امت حتى لامني كل صاحب • رجا سليمى ان تئيم كما امت •
قال ابو عبيدة يقال رجل ايم وامراة ايم واكثر ما يكون في النسا وهو كالمستعار في الرجال
وقال امية بن ابي الصلت • لله در بني علي ايم منهم وناكح •
وقال قوم هذه الاية ناسخة لحكم قوله والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك وحرم ذلك على
المومنين وقد بيناه في اول السورة والحمد لله الرابعة المقصود من قوله تعالى وانكحوا الايامى
منكم الحرائر والاحرار ثم بين حكم المماليك فقال والصالحين من عبادكم وامائكم وقرا الحسن والصالحين
من عبيدكم وعبيد اسم للجمع قال الفرا ويجوز وامائكم بالنصب ترده على الصالحين يعني الذكور
والاناث والصلاح الايمان وقيل المعنى ينبغي ان تكون الرغبة في تزويج الاما والعبيد اذا كانوا
صالحين فيجوز تزويجهم ولكن لا ترغيب فيه ولا استحباب كما قال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا
ثم قد يجوز الكتابة وان لم يعلم في العبد خيرا ولكن الخطاب ورد في الترغيب والاستحباب
وانما يستحب كتابة من فيه خير الخامسة اكثر العلما على ان للسيد ان يكره عبده وامته على النكاح
وهو قول مالك وابي حنيفة وغيرهما قال مالك ولا يجوز ذلك اذا كان ضررا وروي نحوه عن الشافعي
ثم قال ليس للسيد ان يكره العبد على النكاح وقال النخعي كانوا يكرهون المماليك على النكاح ثم
ويغلقون عليهم الابواب تمسك اصحاب الشافعي فقالوا العبد مكلف فلا يجبر على النكاح لان
التكليف يدل على ان العبد كامل من جهة الادمية وانما يتعلق به المملوكية فيما كان حظا للسيد
في بضعها لتستوفيه فاما بضع العبد فلا حق له فيه ولاجل ذلك لا تباح السيدة لعبدها هذه عمدة
اهل خراسان والعراق وعمدتهم ايضا الطلاق فانه يملكه العبد بتملك عقده ولعلماينا النكتة العظمى
في ان مالكية العبد استغرقتها مالكية السيد ولذلك لا تتزوج الا باذنه باجماع والنكاح وبابه انما

هو من المصالح ومصلحة العبيد موكولة الى السيد هو يراها ويقيمها للعبد الثالثة قوله تعالى ان يكونوا فقراء
يغنهم الله من فضله رجع الكلام الى الاحرار اي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمراة
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضى الله واعتصاما من
معاصيه وقال ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح وتلى هذه الاية وقال عمر رضي الله عنه
عجبي ممن لا يطلب الغنى في النكاح وقد قال تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وروي
هذا المعنى عن ابن عباس ايضا ومن حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ثلاثة كلهم حق على الله عونه المجاهد في سبيل الله والناكح يريد العفاف والمكاتب يريد
الاداء اخرجه ابن ماجة في سننه فان قيل فقد نجد الناكح لا يستغني قلنا لا يلزم ان يكون
هذا على الدوام بل لو كان في لحظة واحدة لصدق الوعد وقد قيل يغنيه اي يغني النفس
وفي الصحيح ليس الغنى عن كثرة العرض انما الغنى غنى النفس وقد قيل ليس وعد لا يقع فيه
خلف بل المعنى ان المال غاد ورائح فارجوا الغنى وقيل المعنى يغنهم الله من فضله ان شاء
كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وقال يبسط الرزق لمن يشاء وقيل المعنى ان يكونوا
فقراء الى النكاح يغنهم الله بالحلال ليتعففوا عن الزنا الرابعة هذه الاية دليل على تزويج
الفقير ولا يقول كيف اتزوج وليس لي مال فان رزقه على الله وقد زوج النبي صلى الله عليه وسلم
المراة التي اتته تهب له نفسها لمن ليس له الا ازار واحد وليس لها بعد ذلك فسخ النكاح بالاعسار
لانها دخلت عليه وانما يكون ذلك اذا دخلت على اليسار فخرج معسرا او طرا الاعسار بعد
ذلك لان الجوع لا صبر عليه قاله علماؤنا وقال النقاش هذه الاية حجة على من قال ان القاضي
يفرق بين الزوجين اذا كان الزوج فقيرا لا يقدر على النفقة لان الله تعالى قال يغنهم
ولم يقل يفرق وهذا انتزاع ضعيف وليس هذه الاية حكما فيمن عجز عن النفقة وانما هي
وعد بالاغنا لمن تزوج فقيرا فاما من تزوج موسرا واعسر بالنفقة فانه يفرق بينهما قال
الله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته ونفحات الله مامولة في كل حال موعود
بها قوله تعالى وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله فيه اربع
مسائل الاولى قوله تعالى وليستعفف الخطاب لمن يملك امر نفسه لا لمن زمامه بيد غيره
فانه يقوده الى ما يراه كالمحجور قولا واحدا والامة والعبد على احد قولي العلماء الثانية
واستعفف وزنه استفعل ومعناه طلب ان يكون عفيفا فامر الله تعالى بهذه الاية كل
من تعذر عليه النكاح ولا يجده باي وجه تعذر ان يستعفف ثم لما كان اغلب الموانع على النكاح
عدم المال وعد بالاغناء من فضله فيرزقه ما يتزوج به او يجد امراة ترضى باليسير من
الصداق او تزول عنه شهوة النسا وروى النسائي عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ثلاثة كلهم حق على الله عز وجل عونه المجاهد في سبيل الله والناكح الذي يريد
العفاف والمكاتب الذي يريد الاداء الثالثة قوله تعالى لا يجدون نكاحا اي طول نكاح
فحذف المضاف وقيل النكاح هاهنا ما تنكح به المراة من المهر والنفقة كاللحاف اسم لما
يلتحف به واللباس اسم لما يلبس فعلى هذا لا حذف في الاية قاله جماعة من المفسرين وحملهم
على هذا قوله تعالى حتى يغنيهم الله من فضله فظنوا ان المامور بالاستعفاف انما هو من
عدم المال الذي يتزوج به وفي هذا القول تخصيص المامورين بالاستعفاف وذلك ضعيف
بل الامر بالاستعفاف متوجه لكل من تعذر عليه النكاح باي وجه تعذر كما قدمناه والله
اعلم الرابعة من تاقت نفسه الى النكاح فان وجد الطول فالمستحب ان يتزوج وان لم يجد
الطول فعليه بالاستعفاف ما امكن ولو بالصوم فان الصوم له وجاء كما في الخبر الصحيح
ومن لم تتق نفسه الى النكاح فالاولى التخلي لعبادة الله تعالى وفي الخبر خيركم الخفيف
الحاذ الذي لا اهل له ولا ولد وقد تقدم جواز نكاح الاما عند عدم الطول للحرة في النساء
والحمد لله ولما لم يجعل الله بين العفة والنكاح درجة دل على ان ما عداهما محرم ولا يدخل
فيه ملك اليمين لانه بنص اخر مباح وهو قوله او ما ملكت ايمانكم فجاءت فيه زيادة ويبقى
على التحريم الاستمنا ردا على احمد وكذلك يخرج عنه نكاح المتعة بنسخه وقد تقدم هذا
في المومنين قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا

فيه

فيه ست عشرة مسألة الاولى قوله تعالى والذين يبتغون الكتاب الذين في موضع رفع وعند
الخليل وسيبويه في موضع نصب على اضمار فعل لان بعده امرا ولما جرى ذكر العبيد والاما
فيما سبق وصل به ان العبد ان طلب الكتابة فالمستحب كتابته فربما يقصد بالكتابة ان يستقل
ويكتسب ويتزوج اذا اراد فيكون اعف له قيل نزلت في غلام لحويطب بن عبد العزى يقال
له صبيح وقيل صبيح طلب من مولاه ان يكاتبه فابى فانزل الله هذه الاية فكاتبه حويطب على
مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فاداها وقتل بحنين في الحرب ذكره القشيري وحكاه
النقاش وقال مكي هو صبيح القبطي غلام حاطب بن ابي بلتعة وعلى الجملة فان الله تعالى امر
المومنين كافة ان يكاتب منهم كل من له مملوك وطلب المملوك الكتابة وعلم سيده منه خيرا الثانية
الكتاب والمكاتبة سوا مفاعلة مما لا تكون الا بين اثنين لانها معاقدة بين السيد وعبده يقال
كاتب يكاتب كتابا ومكاتبة كما يقال قاتل قتالا ومقاتلة فالكتاب في الاية مصدر كالقتال
والجلاد والدفاع وقيل الكتاب هاهنا هو الكتاب المعروف الذي يكتب فيه الشي وذلك انهم
كانوا اذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى انفسهم بذلك كتابا فالمعنى يطلبون العتق الذي يكتب به
الكتاب فيدفع اليهم الثالثة معنى المكاتبة في الشرع هو ان يكاتب الرجل عبده على مال يوديه
منجما عليه فاذا اداه فهو حر ولها حالتان الاولى ان يطلبها العبد ويجيبه السيد فهذا مطلق الاية
وظاهرها الثانية ان يطلبها العبد وياباها السيد وفيها قولان الاول لعكرمة وعطا ومسروق
وعمرو بن دينار والضحاك ابن مزاحم وجماعة اهل الظاهر ان ذلك واجب على السيد وقال علما
الامصار لا يجب ذلك وتعلق من اوجبها بمطلق الامر وافعل بمطلقه على الوجوب حتى ياتي الدليل
بغيره وروي ذلك عن عمر ابن الخطاب وابن عباس واختاره الطبري واحتج داود ايضا بان
سيرين ابا محمد بن سيرين سال انس بن مالك الكتابة وهو مولاه فابى انس بن مالك فرفع عليه
عمر الدرة وتلى فكاتبوهم فكاتبه انس قال داود وما كان عمر ليرفع الدرة على انس فيما له مباح
ان لا يفعله وتمسك الجمهور بان الاجماع منعقد على انه لو ساله ان يبيعه من غيره لم يلزمه ذلك
ولم يجبر عليه وان ضوعف له في الثمن وكذلك لو قال له اعتقني او دبرني او زوجني لم يلزمه
ذلك باجماع فكذلك الكتابة لانها معاوضة فلا تصح الا عن تراض وقولهم مطلق الامر
يقتضي الوجوب صحيح لكن اذا عري عن قرينة تقتضي صرفه عن الوجوب وتعليقه هنا
بشرط علم الخير فيه تعلق الوجوب على امر باطن وهو علم السيد بالخيرية واذا قال العبد كاتبني
وقال السيد لم اعلم فيك خيرا وهو امر باطن فيرجع فيه اليه ويعول عليه وهذا قوي في بابه
الرابعة واختلف العلماء في قوله تعالى خيرا فقال ابن عباس وعطا المال مجاهد المال والادا
الحسن والنخعي الدين والامانة وقال مالك سمعت بعض اهل العلم يقول هو القوة على الاكتساب
والادا وعن الليث نحوه وهذا قول الشافعي وقال عبيدة السلماني اقامة الصلاة والخير وقال
الضحاك وقول من قال انه المال لا يصح عندنا لان العبد مال لمولاه فكيف يكون له مال والمعنى
عندنا ان علمتم فيهم الدين والصدق وعلمتم انهم يعاملونكم على انهم متعبدون بالوفا لكم بما عليهم من
الكتابة والصدق في المعاملة فكاتبوهم وقال ابو عمر لا يقال ان الخير هنا المال انكر ان يقال
ان علمتم فيهم مالا وانما يقال علمت فيه الخير والصلاح والامانة ولا يقال علمت فيه المال
وانما يقال علمت عنده المال قلت وحديث بريرة يرد قول من قال ان الخير المال على ما ياتي
الخامسة اختلف العلماء في كتابة من لا حرفة له فكان ابن عمر يكره ان يكاتب عبده اذا لم تكن له
حرفة ويقول تامرني ان اكل اوساخ الناس ونحوه عن سلمان الفارسي وروى حكيم بن حزام
قال كتب عمر ابن الخطاب الى عمير ابن سعد اما بعد فانه من قبلك من المسلمين ان يكاتبوا ارقاءهم
على مسئلة الناس وكرهه الاوزاعي واحمد واسحاق ورخص في ذلك مالك وابو حنيفة والشافعي
وروي عن علي رضي الله عنه ان ابن التياح مؤذنه قال له اكاتب وليس لي مال قال
نعم ثم حض الناس على الصدقة علي فاعطوني ما فضل عن مكاتبتي فاتيت عليا فقال اجعلها
في الرقاب وقد روي عن مالك كراهة ذلك وان الامة التي لا حرفة لها يكره كتابتها لما تؤدي اليه
من فسادها والحجة في السنة لا فيما خالفها روى الائمة عن عائشة قالت دخلت علي بريرة
فقالت ان اهلي كاتبوني على تسع اواق في تسع سنين كل سنة اوقية فاعينيني الحديث فهذا

دليل على أن للسيد أن يكاتب عبده وهو لا شيء معه ألا ترى أن بريرة جاءت عائشة تخبرها
بأنها كاتبت أهلها وسألتها أن تعينها وذلك كان في أول كتابتها قبل أن تؤدي شيئا كذلك ذكر
ابن شهاب عن عروة أن عائشة أخبرته أن بريرة جاءت تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت من
كتابتها شيئا أخرجه البخاري وأبو داود وفي هذا دليل على إجازة كتابة الأمة وهي غير
ذات صنعة ولا حرفة ولا مال ولم يسأل النبي صلى الله عليه وسلم هل لها كسب أو عمل واصب أو مال
ولو كان هذا واجبا لسأل عنه ليقع حكمه عليه لأنه بعث مبينا معلما صلى الله عليه وسلم وفي هذا
الحديث ما يدل على أن من تأول في قوله تعالى إن علمتم فيهم خيرا أن المال الخير ليس بالتأويل
الجيد وأن الخير المذكور هو القوة على الاكتساب مع الأمانة والله أعلم السادسة الكتابة
تكون بقليل المال وكثيره وتكون على أنجم لحديث بريرة وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء
والحمد لله فلو كاتبه على ألف درهم ولم يذكر أجلا نجمت عليه بقدر سعايته وإن كره السيد
قال الشافعي لا بد فيها من أجل وأقلها ثلاثة أنجم كما اختلفوا إذا وقعت على نجم واحد فأكثر أهل
العلم يجيزونها على نجم واحد وقال الشافعي لا يجوز على نجم واحد ولا تجوز حالة البتة وإنما ذلك
عتق على صفة كأنه قال إذا أديت كذا وكذا فأنت حر وليست كتابة قال ابن العربي واختلف
العلماء والسلف في الكتابة إذا كانت حالة على قولين واختلف قول علمائنا كاختلافهم والصحيح
في النظر أن الكتابة مؤجلة كما وردها الأثر في حديث بريرة حين كاتبت أهلها على تسع أواق
في كل عام أوقية وكما فعلت الصحابة وكذلك سميت كتابة لأنها تكتب ويشهد عليها فقد
استوسق الاسم والأثر وعضده المعنى فإن المال إن جعله حالا وكان عند العبد شيء فهو
مال مقاطعة وعقد مقاطعة لا عقد كتابة وقال ابن خويز منداد إذا كاتبه على مال معجل
كان عتقا على مال ولم تكن كتابة وأجاز غيره من أصحابنا الكتابة الحالة وسماها قطاعة
وهو القياس لأن الأجل إنما هو فسحة للعبد في التكسب ألا ترى أنه لو جاء بالنجم عليه قبل محله
لوجب على السيد أن يأخذه ويتعجل المكاتب عتقه ويجاوز الكتابة الحالة قال الكوفيون
قلت لم يرد عن مالك نص في الكتابة الحالة والأصحاب يقولون إنها جائزة ويسمونها قطاعة
وأما قول الشافعي إنها لا تجوز على أقل من ثلاثة أنجم فليس بصحيح لأنه لو كان صحيحا لجاز لغيره
أن يقول لا تجوز على أقل من خمسة أنجم لأنها أقل النجوم التي كانت على عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في بريرة وعلم بها النبي صلى الله عليه وسلم وقضى فيها وكان بصواب الحجة أولى
روى البخاري عن عائشة أن بريرة دخلت عليها تستعينها في كتابتها وعليها خمسة أواق نجمت
عليها في خمس سنين وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت جاءت
بريرة فقالت إني كاتبت أهلي على تسع أواق الحديث وظاهر الروايتين تعارض غير أن حديث
هشام أولى لاتصاله وانقطاع حديث يونس لقول البخاري وقال الليث حدثني يونس ولأن
هشاما أثبت في حديث أبيه وجده من غيره والله أعلم السابعة المكاتب عبد ما بقي عليه من
مال الكتابة شيء لقوله عليه السلام المكاتب عبد ما بقي عليه من مكاتبته درهم أخرجه أبو
داود عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وروي عنه أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
أيما عبد كاتب على مائة دينار فأداها إلا عشرة دنانير فهو عبد وهذا قول مالك والشافعي وأبي
حنيفة وأصحابهم والثوري وأحمد وإسحاق وأبي ثور وداود والطبري وروي ذلك عن أبي
عمر من وجوه عن زيد بن ثابت وعائشة وأم سلمة لم يختلف عنهم في ذلك رضي الله عنهم وروي
ذلك عن عمر ابن الخطاب وبه قال ابن المسيب والقاسم وسالم وعطا قال مالك وكل من أدركنا
ببلدنا يقول ذلك وفيها قول آخر روي عن علي أنه إذا أدى الشطر فهو غريم وبه قال النخعي وروي
ذلك عن عمر رضي الله عنه والإسناد عنه بأن المكاتب إذا أدى الشطر فلا رق عليه وعن علي أيضا
يعتق منه بقدر ما أدى وعنه أيضا أن العتاقة تجري عليه بأول نجم يؤديه وقال ابن مسعود
إذا أدى ثلث الكتابة فهو عتيق غريم وهو قول شريح وعن ابن مسعود لو كانت الكتابة
مائتي دينار وقيمة العبد مائة دينار فأدى العبد المائة التي هي قيمته عتق وهو قول النخعي
أيضا وقول سابع إذا أدى الثلاث أرباع وبقي الربع فهو غريم ولا يعود عبدا قاله عطا
ابن أبي رباح رواه ابن جريج عنه وحكي عن بعض السلف أنه بنفس عقد الكتابة حر وهو

غريم

غريم بالكتابة ولا يرجع إلى الرق أبدا وهذا القول يرده حديث بريرة لصحته عن النبي صلى
الله عليه وسلم وفيه دليل واضح على أن المكاتب عبد ولولا ذلك ما بيعت بريرة ولو كان فيها شيء من
العتق ما أجاز بيع ذلك إذ من سنته المجتمع عليها أن لا يباع الحر وكذلك كتابة سلمان وجويرية فإن
النبي صلى الله عليه وسلم حكم لجميعهم بالرق حتى أدوا الكتابة وهي حجة للجمهور في أن المكاتب عبد ما
بقي عليه شيء وقد ناظر علي بن أبي طالب زيد بن ثابت في المكاتب فقال لعلي أكنت راجمه لو زنى أو مجيزا
شهادته لو شهد فقال علي لا فقال زيد هو عبد ما بقي عليه شيء وقد روى النسائي عن ابن عباس
وعلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال المكاتب يعتق منه بقدر ما أدى ويقام عليه الحد
بقدر ما أدى ويرث بقدر ما يعتق منه وإسناده صحيح وهو حجة لما روي عن علي ويعتضد بما رواه
أبو داود عن نبهان مكاتب لأم سلمة قال سمعت أم سلمة تقول قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا كان لإحداكن مكاتب وكان عنده ما يؤدي فلتحتجب منه وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن
صحيح إلا أنه يحتمل أن يكون خطابا مع زوجاته أخذا بالاحتياط والورع في حقهن كما قال لسودة احتجبي
منه مع أنه قد حكم بأخوته لها وبقوله لعائشة وحفصة أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه يعني ابن أم
مكتوم وقد تقدم هذا المعنى الثامنة أجمع العلماء على أن المكاتب إذا حل عليه نجم من نجومه أو نجمان
أو نجومه كلها فوقف السيد عن مطالبته وتركه بحاله أن الكتابة لا تنفسخ ما داما على ذلك ثابتين
التاسعة قال مالك ليس للعبد أن يعجز نفسه إذا كان له مال ظاهر وإن لم يظهر له مال فذلك
إليه وقال الأوزاعي لا يمكن من تعجيز نفسه إذا كان قويا على الأداء وقال الشافعي له أن يعجز نفسه
علم له مال أو قوة على الكتابة أو لم يعلم فإذا قال قد عجزت وأبطلت الكتابة فذلك إليه وقال مالك
إذا عجز المكاتب فكل ما قبضه منه سيده قبل العجز حل له كان من كسبه أو من صدقة عليه وأما ما أعين به
على فكاك رقبته فلم يف ذلك بكتابته كان لكل من أعانه الرجوع بما أعطى أو تحلل منه المكاتب
ولو أعانوه صدقة لا على فكاك رقبته فذلك إن عجز حل لسيده ولو تم به فكاكه وبقيت منه فضلة
فإن كان بمعنى الفكاك ردها إليهم بالحصص أو يحللونه منها هكذا حمله مذهب مالك فيما ذكر ابن القاسم
وقال أكثر أهل العلم إن ما قبض السيد منه من كتابته وما فضل بيده بعد عجزه من صدقة أو غيرها
فهو لسيده يطيب له أخذ ذلك كله هذا قول الشافعي وأبي حنيفة وأصحابهما وأحمد بن حنبل ورواية
عن شريح وقال الثوري يجعل السيد ما أعطاه في الرقاب وهو قول مسروق والنخعي ورواية عن
شريح وقالت طائفة ما قبض منه السيد فهو له وما فضل بعد العجز فهو له دون سيده وهذا قول
بعض من ذهب إلى أن العبد يملك وقال إسحاق ما أعطي بحال الكتابة رد على أربابه العاشرة حديث
بريرة على اختلاف طرقه وألفاظه يتضمن أن بريرة وقع فيها بيع بعد كتابة تقدمت واختلف
الناس في بيع المكاتب بسبب ذلك وقد ترجم البخاري باب بيع المكاتب إذا رضي وإلى
جواز بيعه للعتق إذا رضي المكاتب بالبيع ولو لم يكن عاجزا ذهب ابن المنذر والداودي وهو
الذي ارتضاه أبو عمر ابن عبد البر وبه قال ابن شهاب وأبو الزناد وربيعة غير أنهم قالوا لأنه
رضاه بالبيع عجز منه وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما لا يجوز بيع المكاتب ما دام مكاتبا حتى
يعجز ولا يجوز بيع كتابته بحال وهو قول الشافعي بمصر وكان بالعراق يقول بيعه جائز وأما بيع
كتابته فغير جائزة وأجاز مالك بيع الكتابة فإن أداها عتق وإلا كان رقيقا لمشتري الكتابة
ومنع من ذلك أبو حنيفة لأنه بيع غرر واختلف قول الشافعي في ذلك بالمنع والإجازة وقالت
طائفة يجوز بيع المكاتب على أن يمضي في كتابته فإن أدى عتق وكان ولاؤه لمن ابتاعه ولو عجز
فهو عبد له وبه قال النخعي وعطا والليث وأحمد وأبو ثور وقال الأوزاعي لا يباع المكاتب
إلا للعتق ويكره أن يباع قبل عجزه وهو قول أحمد وإسحاق قال أبو عمر في حديث بريرة إجازة
بيع المكاتب إذا رضي بالبيع ولم يكن عاجزا عن أداء نجم قد حل عليه خلاف قول من زعم أن بيع
المكاتب غير جائز إلا بالعجز لأن بريرة لم تذكر أنها عجزت عن أداء نجم ولا أخبرت بأن النجم قد حل عليها
ولا قال لها النبي صلى الله عليه وسلم أعاجزة أنت أم هل حل عليك نجم فلم تؤديه ولو لم يجز بيع المكاتب
والمكاتبة إلا بالعجز عن أداء ما قد حل لكان النبي صلى الله عليه وسلم قد سألها أعاجزة هي أم لا وما
كان ليأذن في شرائها إلا بعد علمه صلى الله عليه وسلم أنها عاجزة ولو عن أداء نجم واحد قد حل
عليها وفي حديث الزهري أنها لم تكن قضت من كتابتها شيئا ولا أعلم في هذا الباب حجة أصح من

حديث بريرة هذا ولم يرو عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء يعارضه ولا في شيء من الاخبار
دليل على عجزها استدل من منع من بيع المكاتب بامور منها أن قالوا ان الكتابة المذكورة
لم تكن انفسخت وان قولها كاتبت اهلي معناه انها راودتهم عليها وقدر وامبلغها واجلها ولم
يعقدوها وظاهر الاحاديث خلاف هذا اذ قوله منها فيها وقيل ان بريرة عجزت عن الاداء فاتفقت
هي واهلها على فسخ الكتابة وحينئذ صح البيع الا ان هذا انما ينبني على قول من يقول ان
تعجيز المكاتب غير مفتقر الى حكم حاكم اذا اتفق العبد والسيد عليه لان الحق لا يعدوهما وهو
المذهب المعروف وقال سحنون لا بد من السلطان وهذا انما خاف ان يتواطيا على ترك حق الله
ويدل على صحته انها عجزت ما روي ان بريرة جاءت عايشة تستعينها في كتابتها ولم تكن قضت
من كتابتها شيا فقالت لها عايشة ارجعي الى اهلك فان احبوا ان اقضي عنك كتابتك فعلت
فظاهر هذا ان جميع كتابتها او بعضها استحق عليها لانه لا يقضى من الحقوق الا ما وجبت
المطالبة والله اعلم هذا التاويل مناسبة ما لهم وفيها من المدخل ما بيناه وقال ابن المنذر
ولا اعلم حجة لمن قال ليس له بيع المكاتب الا ان يقول لعل بريرة عجزت قال الشافعي واظهر
معانيه ان لمالك المكاتب بيعه للحادية عشر المكاتب اذا ادى كتابته عتق ولا يحتاج الى ابتداء
عتق من السيد وكذلك ولده الذين ولدوا في كتابته من امته يعتقون بعتقه ويرقون
برقه لان ولده بمنزلته من امته بمثابته اعتبارا بالحر وكذلك ولد المكاتبة فان كان لها ولد
قبل الكتابة لم يدخل في الكتابة الا بشرط الثانية عشر واتوهم من مال الله الذي اتاكم هذا
امر للسادة باعانتهم في مال الكتابة اما بان يعطوهم شيا مما في ايديهم اعني ايدي السادة او
يحطوا عنهم شيا من مال الكتابة قال مالك يوضع عن المكاتب من اخر كتابته وقد وضع ابن
عمر خمسة الاف من خمسة وثلاثين الفا واستحسن علي رضي الله عنه ان يكون ذلك ربع الكتابة
قال الزهري وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم واستحسن ابن مسعود والحسن بن ابي الحسن
ثلثها وقال قتادة عشرها ابن جبير يسقط عنه شيا ولم يحده وهو قول الشافعي واستحسنه الثوري
قال الشافعي والشيء اقل شيء يقع عليه اسم شيء ورأي مالك رحمه الله هذا الامر على الندب ولم ير لقدر
الوضيعة حدا احتج الشافعي بمطلق الامر في قوله واتوهم ورأى ان عطفا لواجب على الندب معلوم
في القران ولسان العرب كما قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما كان
مثله قال ابن العربي وذكره قبله اسماعيل بن اسحاق والقاضي جعل الشافعي الايتاء واجبا والكتابة
غير واجبة فجعل الاصل غير واجب والفرع واجبا وهذا لا نظير له فصارت دعوى محضة فان قيل يكون
ذلك كالنكاح لا يجب فاذا انعقد وجبت احكامه منها المتعة قلنا عندنا لا تجب المتعة فلا معنى
لاصحاب الشافعي وقد كاتب عثمان بن عفان عبده وحلف ان لا يحطه في حديث طويل قلت
وقد قال الحسن والنخعي وبريدة انما الخطاب بقوله واتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا على
المكاتبين وان يعينوهم في فكاك رقابهم وقال زيد بن اسلم انما الخطاب للولاة بان يعطوا المكاتبين
من مال الصدقة حظهم وهو الذي تضمنه قوله تعالى وفي الرقاب وعلى هذين القولين فليس لسيد
المكاتب ان يضع شيا عن مكاتبه ودليل هذا انه لو اراد حط شيء من نجوم الكتابة لقال وضعوا عنهم
كذا الثالثة عشر اذا قلنا ان المراد بالخطاب السادة فرأى عمر ابن الخطاب ان يكون ذلك من اول نجومه
مبادرة الى الخير خوفا ان لا يدرك اخرها ورأى مالك رحمه الله وغيره ان يكون الوضع من اخر نجم وعلة
ذلك انه اذا وضع من اول نجم ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي
شبه الصدقة وهذا قول عبد الله بن عمر وعلي وقال مجاهد يترك له من كل نجم قال ابن العربي
والاقوى عندي ان يكون في اخرها لان الاسقاط ابدا انما يكون في اخر باب الديون والمكاتب اذا
بيع للعتق رضي منه بعد الكتابة وقبض بايعه ثمنه لم يجب عليه ان يعطيه من ثمنه شيا سوا
باعه للعتق او لغير عتق وليس ذلك كالسيد يودي اليه مكاتبه كتابته فيوتيه منها او يضع عنه
من اخرها نجما او ما شاء على ما امر الله به في كتابه لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يامر موالي بريرة باعطائها
مما قبضوا شيا وان كانوا قد باعوها للعتق الرابعة عشر اختلفوا في صفة عقد الكتابة فقال
ابن خويز منداد صفتها ان يقول السيد لعبده كاتبتك على كذا وكذا نجما اذا اديته فانت حر او يقول
له اد الي الفا في عشرة انجم وانت حر فيقول العبد قد قبلت ونحو ذلك من الالفاظ فمتى اداها عتق

وكذلك

وكذلك لو قال العبد كاتبني فقال السيد قد فعلت او قد كاتبتك قال ابن العربي وهذا لا يلزم
لان لفظ القران لا يقتضيه والحال يشهد له فان ذكره فحسن وان تركه فهو معلوم لا يحتاج اليه
ومسايل هذا الباب وفروعه كثيرة وقد ذكرنا من اصوله جملة فيها لمن اقتصر عليها كفاية والله
الموفق للهداية الخامسة عشر في ميراث المكاتب واختلف العلما في ذلك على ثلاثة اقوال
فمذهب مالك ان المكاتب اذا هلك وترك مالا اكثر مما بقي عليه من كتابته وله ولد ولدوا في
كتابته او كاتب عليهم ورثوا ما بقي من المال بعد قضا كتابته لان حكمهم كحكمه وعليهم السعي فيما بقي
من كتابته لو لم يخلف مالا ولا يعتقون الا بعتقه ولو ادى عنهم ما رجع بذلك عليهم لانهم يعتقون
عليه فهم اولى بميراثه لانهم مساوون له في جميع حاله والقول الثاني انه يودى عنه من ماله جميع
كتابته ويجعل كانه قد مات حرا ويرثه جميع ولده وسوا في ذلك من كان حرا قبل موته من ولده
ومن كاتب عليهم او ولدوا في كتابته لانهم قد استووا في الحرمة كلهم حين تادت عنهم كتابتهم وروي
هذا القول عن علي وابن مسعود ومن التابعين عن عطا والحسن وطاوس وابراهيم وبه قال
فقها الكوفة سفيان الثوري وابو حنيفة واصحابه والحسن ابن صالح بن حي واليه ذهب اسحاق
والقول الثالث ان المكاتب اذا مات قبل ان يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وكل ما يخلفه من
المال فهو لسيده ولا يرثه احد من اولاده الا الاحرار ولا الذين معه في كتابته لانه لما مات قبل
ان يودي جميع كتابته فقد مات عبدا وماله لسيده فلا يصح عتقه بعد موته لانه محال ان يعتق
عبد بعد موته وعلى ولده الذين كاتب عليهم او ولدوا في كتابته ان يسعوا فيما بقي من الكتابة
ويسقط عنهم منها قدر حصته فان ادوا عتقوا لانهم كانوا فيها تبعا لابيهم وان لم يودوا ذلك رقوا
هذا قول الشافعي وبه قال احمد بن حنبل وهو قول عمر ابن الخطاب وزيد بن ثابت وعمر بن عبد
العزيز والزهري وقتادة قوله تعالى ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا روي عن
جابر بن عبد الله وابن عباس ان هذه الاية نزلت في عبد الله بن ابي وكانت له جاريتان احداهما
تسمى معاذة والاخرى مسيكة فكان يكرههما على الزنا ويضربهما عليه ابتغا الاجر وكسب الولد فشكتا
ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الاية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين ومعاذة هذه
ام خولة التي جادلت النبي صلى الله عليه وسلم في زوجها وفي صحيح مسلم عن جابر ان جارية لعبد الله
ابن ابي يقال لها مسيكة واخرى يقال لها اميمة فكان يكرههما على الزنا فشكتا ذلك الى النبي صلى
الله عليه وسلم فانزل الله عز وجل ولا تكرهوا فتياتكم على البغا الى قوله ان الله غفور رحيم
قوله تعالى ان اردن تحصنا راجع الى الفتيات وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فحينئذ يمكن
ويتصور ان يكون السيد مكرها ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن
فلا يتصور ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للزنا فهذا امر في سادة
وفتيات وحالهم هذه والى هذا المعنى اشار ابن العربي فقال انما ذكر الله تعالى ارادة التحصين
من المراة لان ذلك هو الذي يصور الاكراه فاما اذا كانت هي راغبة في الزنا لم يتصور اكراه فحصلوه
وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين فقال بعضهم قوله ان اردن تحصنا راجع الى الايامى قال الزجاج
والحسين بن الفضل في الكلام تقديم وتاخير اي وانكحوا الايامى والصالحين من عبادكم ان اردن
تحصنا وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ونحو ذلك مما يضعف والله الموفق قوله
تعالى لتبتغوا عرض الحياة الدنيا اي الشيء الذي تكسبه الامة بفرجها والولد يسترق فيباع وقيل
كان الزاني يفتدي ولده من المزني بها بمائة من الابل يدفعها الى سيدها قوله تعالى ومن يكرههن
اي يقهرهن فان الله من بعد اكراههن غفور لهن رحيم بهن وقرا ابن مسعود وجابر بن عبد الله
وابن جبير لهن غفور بزيادة لهن وقد مضى الكلام في الاكراه في النحل والحمد لله ثم عدد تعالى
على المومنين نعمه فيما انزل اليهم من الايات المنيرات وفيما ضرب لهم من امثال الماضين من الامم
ليقع التحفظ مما وقع اولئك فيه قوله تعالى الله نور السموات والارض الاية النور في كلام
العرب الاضوا المدركة بالبصر واستعمل مجازا فيما صح من المعاني ولاح فيقال منه كلام له نور ومنه
الكتاب المنير ومنه قول الشاعر • نسب كان عليه من شمس الضحى • نورا ومن فلق الصباح عمودا •
والناس يقولون فلان نور البلد وشمس العصر وقمره وقال • بانك شمس والملوك كواكب •
وقال اخر • هلا خصصت من البلاد بمقصد • قمر القبايل خالد بن يزيد •

وقال اخر • اذا سار عبد الله من مرو ليلة • فقد سار منها نورها وجمالها •
فيجوز ان يقال تعالى نور من جهة المدح لانه اوجد الاشيا ونور جميع الاشيا منه ابتداوها وعنه
صدورها وهو سبحانه ليس من الاضواء المذكورة جل وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد
قال هشام الجوالقي وطايفة من المجسمة هو نور لا كالانوار وجسم لا كالاجسام وهذا كله محال
على الله تعالى عقلا ونقلا على ما يعرف في موضعه من علم الكلام ثم ان قولهم متناقض فان
قولهم جسم او نور حكم عليه بحقيقة ذلك وقولهم لا كالانوار ولا كالاجسام نفي لما اثبتوه من الجسمية
والنور وذلك متناقض وتحقيقه في علم الكلام والذي اوقعهم في ذلك ظواهر اتبعوها منها هذه
الاية وقوله عليه السلام اذا قام من الليل يتهجد يقول اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض وقال
عليه السلام وقد سيل هل رايت ربك فقال رايت نورا الى غير ذلك من الاحاديث واختلف العلما
في تاويل هذه الاية فقيل المعنى اي به وبقدرته انارت اضواوها واستقامت امورها وقامت مصنوعاتها
فالكلام على التقريب للذهن كما يقال الملك نور اهل البلد اي به قوام امرها وصلاح جملتها لجريان
اموره على سنن السداد فهو في الملك مجاز وهو في صفة الله حقيقة محضة اذ هو الذي ابدع
الموجودات وخلق العقل نورا هاديا لان ظهور الموجود به حصل كما حصل بالضوء ظهور المبصرات
تبارك الله لا رب غيره قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما قال ابن عرفة اي منور السموات
والارض وكذا قال الضحاك والقرظي كما يقولون فلان غياثنا اي مغيثنا وفلان زادي اي
مزودي قال جرير • وانت لنا نور وغيث وعصمة • ونبت لمن يرجوا نداك وريق •
اي ذو ورق وقال مجاهد مدبر الامور في السموات والارض ابي بن كعب والحسن وابو العالية مزين السموات
بالشمس والقمر والنجوم ومزين الارض بالانبيا والعلما والمومنين وقال ابن عباس وانس المعنى
الله هادي اهل السموات والارض والاول اعم للمعاني واصح مع التامل قوله تعالى مثل
نوره اي صفة دلايله التي يقذفها في قلب المومن والدلايل تسمى نورا وقد سمى الله تعالى كتابه
نورا فقال وانزلنا اليكم نورا مبينا وسمى نبيه نورا فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين
وهذا لان الكتاب يهدي ويبين وكذلك الرسول ووجه الاضافة الى الله تعالى انه مثبت
الدلالة ومبينها وواضعها وتحتمل الاية معنى اخر ليس فيه مقابلة جزء من المثل به بل وقع التشبيه
فيه جملة بجملة وذلك انه يريد مثل نور الله الذي هو هداه واتقانه صنعة كل مخلوق وبراهينه
الساطعة التي هي ابلغ صفات النور الذي بين ايدي الناس فمثل نور الله في الوضوح كهذا
الذي هو منتهاكم ايها البشر والمشكاة الكوة في الحايط غير النافذة قاله ابن جبير وجمهور
المفسرين وهي اجمع للضوء والمصباح فيها اكثر انارة منه في غيرها واصلها الوعا يجعل فيها الشي
والمشكاة وعا من ادم كالدلو يبرد فيها الما وهو على وزن مفعلة كالمقراة والمصفاة قال
الشاعر • كان عينيه مشكاتان في حجر • قيضا اقتياضا باطراف المناقير •
وقيل المشكاة عمود القنديل الذي فيه الفتيلة وقال مجاهد في القنديل وقال في زجاجة
لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه في غير الزجاج والمصباح الفتيل بناره كانها كوكب
دري اي في الانارة والضوء وذلك يحتمل معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها
في نفسها لصفايها وجودة جوهرها كذلك وهذا التاويل ابلغ في التعاون على النور وقال الضحاك
الكوكب الدري الزهرة قوله تعالى توقد من شجرة اي من زيت شجرة فحذف المضاف
والمباركة المنماة والزيتون من اعظم الثمار نما والرمان كذلك والعيان يقتضي ذلك وقول
ابي طالب يرثي مسافر بن ابي عمرو وليث بن امية بن عبد شمس •
• ليت شعري مسافر بن ابي عمرو • وليت يقولها المحزون •
• بورك الميت الغريب كما • بورك نبع الرمان والزيتون •
وقيل من بركتها ان اغصانها تورق من اسفلها الى اعلاها وقال ابن عباس في الزيتونة
منافع يسرج بالزيت وهو ادام ودهان ودباغ ووقود يوقد بحطبه وتفله وليس فيه
شي الا وفيه منفعة حتى الرماد يغسل به الابريسم وهي اول شجرة نبتت في الدنيا واول شجرة
نبتت بعد الطوفان وتنبت في منازل الانبيا والارض المقدسة ودعا لها سبعون نبيا
بالبركة منهم ابراهيم ومنهم محمد صلى الله عليه وسلم فانه قال اللهم بارك في الزيت والزيتون قاله

مرتين قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فقال ابن عباس وعكرمة وقتادة وغيرهم الشرقية
التي تصيبها الشمس اذا شرقت ولا تصيبها اذا غربت لان لها سترا والغربية عكسها اي انها شجرة في
صحرا ومنكشف من الارض لا يواريها عن الشمس شي وهو اجود لزيتها فليست خالصة للشرق
فتسمى شرقية ولا للغرب فتسمى غربية بل هي شرقية غربية وقال الطبري عن ابن عباس انها
شجرة في دوحة قد احاطت بها فهي غير منكشفة من جهة الشرق ولا من جهة الغرب قال ابن
عطية وهذا قول لا يصح عن ابن عباس لان الثمرة التي بهذه الصفة يفسد جناها وذلك مشاهد
في الوجود وقال الحسن ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانما هو مثل ضربه الله لنوره ولو كانت
في الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية الثعلبي وقد افصح القران بانها من شجر الدنيا لانها بدل من
الشجرة فقال زيتونة وقال ابن زيد انها من شجر الشام فان الشام لا شرقي ولا غربي وشجر الشام
هي افضل الشجر وهي الارض المباركة وشرقية نعت لزيتونة ولا ليست تحول بين النعت والمنعوت
ولا غربية عطف عليه قوله تعالى يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار مبالغة في حسنه وصفايه
وجودته نور على نور اي اجتمع في المشكاة ضوء المصباح الى ضوء الزجاجة والى ضوء الزيت فصار
لذلك نور على نور واعتقلت هذه الانوار في المشكاة فصارت كانور ما يكون فكذلك براهين الله
واضحة وهي برهان بعد برهان وتنبيه بعد تنبيه كارساله الرسل وانزاله الكتب ومواعظ تتكرر فيها لمن
له عقل معتبر ثم ذكر تعالى هداه لنوره من شا واسعد من عباده وذكر تفضله للعباد في ضرب
الامثال ليقع لهم العبرة والنظر المودي الى الايمان وقرا عبد الله بن عباس ابن ابي ربيعة وابو
عبد الرحمن السلمي الله نور بفتح النون والواو المشددة واختلف المتاولون في عود الضمير في نوره
على من يعود فقال كعب الاحبار وابن جبير هو عايد على محمد صلى الله عليه وسلم اي مثل نور
محمد قال ابن الانباري الله نور السموات والارض وقف حسن ثم يبتدي مثل نوره كمشكاة فيها
مصباح على معنى نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابي ابن كعب وابن جبير ايضا والضحاك هو
عايد على المومنين وفي قراة ابي مثل نور المومنين وروي انه في قراته مثل نور المومن وروي انه
فيها مثل نور من امن به وقال الحسن هو عايد على القران والايمان قال مكي وعلى هذه
الاقوال فيها يوقف على قوله والارض قال ابن عطية وهذه الاقوال فيها عود الضمير على من لم
يجر له ذكر وفيه مقابلة جزء من المثال بجزء من الممثل فعلى من قال الممثل به محمد صلى الله عليه وسلم
وهو قول كعب الاحبار فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو النبوة
وما يتصل بها من عمله وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هو الوحي والملايكة رسل الله اليه
وسببه المتصل به والزيت هو الحجج والبراهين والايات التي تضمنها الوحي ومن قال الممثل به المومن
وهو قول ابي فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم والزجاجة قلبه وزيتها هو الحجج والحكمة
التي تضمنها قال ابي فهو على احسن الحال يمشي في الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الاموات ومن
قال ان الممثل به هو القران والايمان فتقدير الكلام مثل نوره الذي هو الايمان في صدر المومن
في قلبه كمشكاة اي كهذه الجملة وهذا القول ليس في مقابلة التشبيه كالاولين لان المشكاة ليست
تقابل الايمان وقالت طايفة الضمير في نوره عايد على الله تعالى وهذا قول ابن عباس فيما
ذكر الثعلبي والماوردي والمهدوي وقد تقدم معناه ولا يوقف على هذا القول على والارض قال
المهدوي الهاء لله عز وجل والتقدير الله هادي اهل السموات والارض مثل هداه في قلوب المومنين
كمشكاة روي ذلك عن ابن عباس وكذلك قال زيد بن اسلم والحسن ان الهاء لله عز وجل وكان
ابي وابن مسعود يقرانها مثل نوره في قلب المومن كمشكاة قال محمد بن علي الترمذي فاما
غيرهما فلم يقراها في التنزيل هكذا وقد وافقهما والتاويل ان ذلك نوره في قلب المومن وتصديقه
في اية اخرى يقول افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه واعتل الاولون بان قالوا
لا يجوز ان تكون الهاء لله عز وجل لان الله عز وجل لا حد لنوره وامال الكسايي فيما روى عنه ابو عمر
الدوري الالف من مشكاة وكسر الكاف التي قبلها وقرا نصر بن عاصم زجاجة بفتح الزاي والزجاجة
كذلك وهي لغة وقرا ابن عامر وحفص عن عاصم دري بضم الدال وشد اليا ولهذه القراة وجهان اما
ان ينسب الكوكب الى الدر لبياضه وصفايه واما ان يكون اصله دريء مهموز فعيل من الدرء وهو
الدفع وخففت الهمزة ويقال للنجوم العظام التي لا يعرف اسماوها الدراري بغير همز فلعلهم

حققوا الهمزة والاصل من الدرء الذي هو الدفع وقرا حمزة وابو بكر عن عاصم دري بالهمز والمد وهو
فعيل من الدرء بمعنى انها تدفع بعضها بعضا وقرا الكسائي وابو عمرو دري بكسر الدال والهمز من الدرء والدفع
مثل السكير والفسيق قال سيبويه اي يدفع بعض ضوءه بعضا من لمعانه قال النحاس وضعف ابو
عبيد قراة ابي عمرو والكسائي تضعيفا شديدا لان تاولها درات اي دفعت اي كوكب يجري من
الافق الى الافق واذا كان التاويل على ما تاوله لم يكن في الكلام فايدة ولا كان لهذا الكوكب مزية
على اكثر الكواكب الا ترى انه لا يقال جاني انسان من بني ادم ولا ينبغي ان يتاول لمثل ابي عمرو والكسائي
مع علمهما وجلالتهما هذا التاويل البعيد ولكن التاويل لهما على ما روي عن محمد بن يزيد ان معناهما
في ذلك كوكب مندفع بالنور كما يقال اندرا الحريق اي اندفع وهذا تاويل صحيح لهذه القراة وحكى
سعيد بن مسعدة انه يقال درا الكوكب بضوءه اذا امتد ضوءه وعلا وقال الجوهري في الصحاح
ودرا علينا فلان يدرو درا اي طلع مفاجاة ومنه كوكب دري على فعيل مثل سكير وخمير لشدة توقده
وتلالوه وقد درا الكوكب دروا قال ابو عمرو بن العلا سالت رجلا من سعد بن بكر من اهل ذات عرق
فقلت هذا الكوكب الضخم ما تسمونه قال الدري وكان من افصح الناس قال النحاس فاما قراة حمزة
فاهل اللغة جميعا قالوا هي لحن لا تجوز لانه ليس في كلام العرب اسم على فعيل وقد اعترض ابو عبيد في
هذا فاحتج لحمزة فقال ليس هو فعيل وانما هو فعول مثل سبوح ابدل من الواو يا كما قالوا عتي
قال ابو جعفر النحاس وهذا الاعتراض والاحتجاج من اعظم الغلط واشده لان هذا لا يجوز
البتة ولو جاز ما قال لقيل في سبوح سبيح وهذا لا يقوله احد وليس عتي من هذا والفرق بينهما
واضح بين لانه ليس يخلو عتي من احدى جهتين اما ان يكون جمع عات فيكون البدل فيه لازما لان
الجمع باب تغيير والواو لا تكون طرفا في الاسما وقبلها ضمة فلما كان مثل هذه ساكن وقبل الساكن
ضمة والساكن ليس بحاجز حصين ابدل من الضمة كسرة فقلبت الواو يا وان كان عتي واحدا كان
بالواو اولى وجاز قلبها قال الجوهري قال ابو عبيد ان ضممت الدال قلت دري يكون منسوبا الى
الدر على فعلي ولم تهمز لانه ليس في كلام العرب فعيل ومن همزه من القرا فانما اراد فعول مثل سبوح
فاستثقل فرد بعضه الى الكسر وحكى الاخفش عن بعضهم دري من درأته وهمزها وجعلها على
فعيل مفتوحة الاول قال وذلك من تلالوه قال الثعلبي وقرا سعيد بن المسيب وابو رجا دري
بفتح الدال مهموزا قال ابو حاتم هذا خطا لانه ليس في الكلام فعيل فان صح عنهما فهما حجة توقد
قراءة شيبة ونافع وايوب وسلام وابن عامر واهل الشام وحفص يوقد بيا مضمومة وتخفيف القاف
وضم الدال وقرا الحسن والسلمي وابو جعفر وابو عمرو بن العلا توقد مفتوحة الحروف كلها مشددة
القاف واختارها ابو حاتم وابو عبيد قال النحاس وهاتان القراتان متقاربتان لانهما جميعا
للمصباح وهو اشبه بهذا الوصف لانه الذي يبين ويضي وانما الزجاجة وعاء له وتوقد فعل
ماض من توقد يتوقد ويوقد فعل مستقبل من اوقد يوقد وقرا نصر بن عاصم توقد والاصل على
قراته تتوقد حذف احدى التائين لان الاخرى تدل عليها وقرا الكوفيون توقد بالتا يعنون
الزجاجة فهاتان القراتان على تانيث الزجاجة من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية
تقدم القول فيه يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار على تانيث النار وزعم ابو عبيد انه لا يعرف
الا هذه القراة وحكى ابو حاتم ان السدي روي عن ابي مالك عن ابن عباس انه قرا ولو لم
يمسسه نار باليا قال محمد بن يزيد التذكير على انه تانيث غير حقيقي وكذا سبيل المونث عنده
قال ابن عمر المشكاة جوف محمد عليه السلام والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله
في قلبه يوقد من شجرة مباركة اي ان اصله من ابراهيم وهو شجرته فاوقد الله في قلب محمد عليه
السلام النور كما جعله في قلب ابراهيم عليه السلام وقال محمد بن كعب المشكاة ابراهيم والزجاجة اسماعيل
والمصباح محمد صلوات الله عليهم اجمعين سماه الله مصباحا كما سماه سراجا فقال وداعيا الى
الله باذنه وسراجا منيرا توقد من شجرة مباركة وهي ادم عليه السلام بورك في نسله وكثر
منه الانبيا كانوا من صلبه لا شرقية ولا غربية اي لم تكن يهوديا ولا نصرانيا وانما كان حنيفا
مسلما وانما قال ذلك لان اليهود تصلي قبل المغرب والنصارى قبل المشرق يكاد زيتها يضي
اي تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل ان اوحى الله اليه نور على
نور نبي من نسل نبي وقال الضحاك شبه عبد المطلب بالمشكاة وعبد الله بالزجاجة والنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم بالمصباح كان في قلبهما فورث النبوة من ابراهيم من شجرة اي شجرة التقى والرضوان
وعشيرة الهدى والايمان شجرة اصلها نبوة وفرعها مروة واغصانها تنزيل وورقها تاويل وخدمها
جبريل وميكائيل قال القاضي ابو بكر ابن العربي ومن غريب الامر ان بعض الفقها قال ان هذا مثل
ضربه الله تعالى لابراهيم ومحمد ولعبد المطلب وابنه عبد الله فالمشكاة هي الكوة بلغة الحبشة فشبه
عبد المطلب بالمشكاة فيها القنديل وهو الزجاجة وشبه عبد الله بالقنديل وهو الزجاجة ومحمد
كالمصباح من اصلابهما وكانه كوكب دري وهو المشتري توقد من شجرة مباركة يعني ارث النبوة من
ابراهيم عليه السلام وهو الشجرة المباركة يعني حنيفية لا شرقية ولا غربية لا يهودية ولا نصرانية
يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه نار يقول يكاد ابراهيم يتكلم بالوحي من قبل ان يوحى اليه نور على
نور ابراهيم ثم محمد صلى الله عليه وسلم قال القاضي وهذا كله عدول عن الظاهر وليس يمتنع في
التمثيل ان يتوسع المرء فيه قلت وكذلك جميع الاقوال لعدم ارتباطه بالاية ما عدا القول الاول
وان هذا مثل ضربه الله لنوره ولا يمكن ان يضرب لنوره المعظم مثلا تنبيها لخلقه الا ببعض خلقه
لان الخلق لقصورهم لا يفهمون الا بانفسهم ومن انفسهم ولولا ذلك ما عرف الله الا الله وحده قاله
ابن العربي قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المومن كما يكاد الزيت الصافي يضي
قبل ان تمسه النار فان مسته النار زاد ضوءه كذلك قلب المومن يكاد يعمل بالهدى قبل ان ياتيه
العلم فاذا جاءه العلم زاد هدى على هدى ونورا على نور كقول ابراهيم من قبل ان تجيئه المعرفة
هذا ربي من قبل ان يخبره احد ان له ربا فلما اخبره الله انه ربه زاد هدى فقال له ربه اسلم قال
اسلمت لرب العالمين ومن قال ان هذا مثل للقران في قلب المومن قال كما ان هذا المصباح يستضاء
به ولا ينقص فكذلك القران يهتدى به ولا ينقص فالمصباح القران والزجاجة قلب المومن
والمشكاة لسانه وفمه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضي ولو لم تمسسه تكاد
حجج القران تتضح ولو لم يقرا نور على نور يعني ان القران نور من الله تعالى لخلقه مع ما اقام لهم
من الدلايل والاعلام قبل نزول القران فازدادوا بذلك نورا على نور ثم اخبر ان هذا النور المذكور
عزيز وانه لا يناله الا من اراد الله هداه فقال يهدي الله لنوره من يشا ويضرب الله الامثال
للناس اي يبين الاشباه تقريبا الى الافهام والله بكل شي عليم اي بالمهتدي والضال وروي عن
ابن عباس ان اليهود قالوا يا محمد كيف يخلص نور الله تعالى من دون السما فضرب الله تعالى
ذلك مثلا لنوره قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الى قوله وايتاء الزكاة فيه تسع عشرة
مسيلة الاولى قوله تعالى في بيوت اذن الله ان ترفع الباء في بيوت تضم وتكسر وقد تقدم واختلف
في الفاء في قوله في فقيل هي متعلقة بمصباح وقيل بيسبح له فعلى هذا التاويل يوقف على عليم
قال ابن الانباري سمعت ابا العباس يقول في حال للمصباح والزجاجة والكوكب كانه قال وهي
في بيوت وقال الترمذي الحكيم محمد بن علي في بيوت منفصل كانه يقول الله في بيوت اذن الله
ان ترفع وبذلك جاءت الاخبار انه من جلس في المسجد فانما يجالس ربه وكذا ما جاء في الخبر
فيما يحكى عن التوراة ان المومن اذا مشى الى المسجد قال الله تبارك اسمه عبدي زارني وعلي
قراه ولن ارضى له قرا دون الجنة قال ابن الانباري ان جعلت في متعلقة بيسبح او رافعة للرجال
حسن الوقف على قوله والله بكل شي عليم وقال الرماني هي متعلقة بتوقد وعليه فلا يوقف
على عليم فان قيل فما الوجه اذا كان البيوت متعلقة بتوقد في توحيد المصباح والمشكاة وجمع
البيوت ولا تكون مشكاة واحدة الا في بيت واحد قيل هذا من الخطاب المتلون الذي يفتح
بالتوحيد ويختم بالجميع كقوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا ونحوه وقيل رجع الى كل واحد
من البيوت وقيل هو كقوله تعالى وجعل القمر فيهن نورا وانما هو في واحدة منها واختلف
الناس في البيوت هنا على خمسة اقوال الاول انها المساجد المخصوصة لله تعالى بالعبادة
وانها تضي لاهل السما كما تضي النجوم لاهل الارض قاله ابن عباس ومجاهد والحسن الثاني
هي بيوت بيت المقدس عن الحسن ايضا الثالث بيوت النبي صلى الله عليه وسلم عن مجاهد ايضا
الرابع هي البيوت كلها قاله عكرمة وقوله يسبح له فيها بالغدو والاصال يقوي انها المساجد
وقول خامس انها المساجد الاربعة التي لم يبنها الا نبي الكعبة وبيت اريحا ومسجد المدينة
ومسجد قبا قاله ابن بريدة وقد تقدم ذلك في براة قلت الاظهر القول الاول لما رواه انس

ابن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب الله عز وجل فليحبني ومن احبني
فليحب اصحابي ومن احب اصحابي فليحب القران ومن احب القران فليحب المساجد فانها
افنية الله ابنيته اذن الله في رفعها وبارك له فيها ميمونة ميمون اهلها محفوظة محفوظ اهلها
هم في صلاتهم والله عز وجل في حوائجهم هم في مساجدهم والله من ورائهم الثانية قوله تعالى
اذن الله ان ترفع اذن معناه امر وقضى وحقيقته الاذن العلم والتمكين دون حظر فان
اقترن بذلك امر وانفاذ كان اقوى وترفع قيل معناه تبنى وتعلى قاله مجاهد وعكرمة ومنه
قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال صلى الله عليه وسلم من بنى مسجدا من
ماله بنى الله له بيتا في الجنة وفي هذا المعنى احاديث كثيرة تحض على بنيان المساجد وقال
الحسن البصري وغيره معنى ترفع تعظم ويرفع شانها وتطهر من الانجاس والاقذار ففي
الحديث ان المسجد لينزوي من النجاسة كما ينزوي الجلد من النار وروى ابن ماجة في سننه عن
ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخرج اذى من المسجد بنى الله
له بيتا في الجنة وروي عن عايشة قالت امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نتخذ المساجد
في الدور وان تطهر وتطيب الثالثة اذا قلنا ان المراد بنيانها فهل تزين وتنقش اختلف
في ذلك فكرهه قوم واباحه اخرون فروى حماد بن سلمة عن ايوب عن ابي قلابة عن انس وقتادة
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد
اخرجه ابو داود وفي البخاري وقال انس يتباهون بها ثم لا يعمرونها الا قليلا وقال ابن عباس
لتزخرفنها كما زخرفت اليهود والنصارى وروى الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول
من حديث ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زخرفتم مساجدكم وحليتم
مصاحفكم فالدبار عليكم احتج من اباح ذلك بان فيه تعظيم المساجد والله تعالى امر بتعظيمها
في قوله في بيوت اذن الله ان ترفع يعني تعظم وروي عن عثمان انه بنى مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم بالساج وحسنه قال ابو حنيفة لا باس بنقش المساجد بالذهب وروي عن عمر
ابن عبد العزيز انه نقش مسجد النبي صلى الله عليه وسلم وبالغ في عمارته وتزيينه وذلك في زمن
ولايته قبل خلافته فلم ينكر عليه احد ذلك وذكر ان الوليد ابن عبد الملك انفق في عمارة
مسجد دمشق وفي تزيينه مثل خراج الشام ثلث مرات وروي ان سليمان بن داود عليهما
السلام بنى مسجد بيت المقدس وبالغ في تزيينه الرابعة ومما تصان عنه المساجد وتنزه عنه
الروائح الكريهة والاقوال السيئة وغير ذلك على ما نبينه وذلك من تعظيمها وقد صح في حديث
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في غزوة تبوك من اكل من هذه الشجرة يعني الثوم فلا
ياتين المساجد وفي حديث جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكل من هذه
البقلة الثوم وقال مرة من اكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا فان الملائكة تتاذى
مما يتاذى منه بنو ادم وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في خطبته ثم انكم ايها الناس تاكلون
شجرتين لا اراهما الا خبيثتين هذا البصل والثوم لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وجد
ريحهما من الرجل في المسجد امر به فاخرج الى البقيع فمن اكلهما فليمتهما طبخا خرجه مسلم في صحيحه
قال العلما واذا كانت العلة في اخراجه من المسجد انه يتاذى به ففي القياس ان كل من تاذى
به جيرانه في المسجد بان يكون ذرب اللسان سفيها عليهم او كان ذا رائحة قبيحة لا تريمه لسوء
صناعته او عاهة مودية كالجذام وشبهه وكل ما يتاذى به الناس كان لهم اخراجه ما كانت
العلة موجودة فيه حتى تزول وكذلك يجتنب مجتمع الناس حيث كان لصلاة او غيرها
كمجالس العلم والولايم وما اشبهها من اكل الثوم وما في معناه مما له رائحة كريهة توذي الناس
ولذلك جمع بين البصل والثوم والكراث واخبر ان ذلك مما يتاذى به قال ابو عمر بن عبد
البر وقد شاهدت شيخنا ابا عمر احمد بن عبد الملك بن هشام رحمه الله افتى في رجل شكاه جيرانه
واتفقوا عليه انه يوذيهم في المسجد بلسانه ويده فشور فيه فافتى باخراجه من المسجد وابعاده
عنه وان لا يشاهدهم الصلاة اذ لا سبيل مع جنونه واستطالته الى السلامة منه فذاكرته
يوما امره وطالبته بالدليل فيما افتى به من ذلك وراجعته فيه القول فاستدل بحديث الثوم
وقال هو عندي اكثر اذى من اكل الثوم وصاحبه يمنع من شهود الجماعة في المسجد قلت

وفي الاثار المرسلة ان الرجل ليكذب الكذبة فيتباعد عنه الملك من نتن ريحه فعلى هذا يخرج
من عرف منه الكذب والتقول بالباطل فان ذلك يوذي الخامسة اكثر العلما على ان المساجد كلها
سواء لحديث ابن عمر وقال بعضهم انما خرج النهي على مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من اجل جبريل
ونزوله فيه ولقوله في حديث جابر فلا يقربن مسجدنا والاول اصح لانه ذكر الصفة في الحكم وهي
المسجدية وذكر الصفة في الحكم تعليل وقد روى الثعلبي باسناده عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يبعث الله يوم القيمة مساجد الدنيا كانها نجائب بيض قوائمها من العنبر واعناقها من
الزعفران ورؤسها من المسك وازمتها من الزبرجد الاخضر وقوامها والموذنون فيها يسوقونها
وعمارها متعلقون بها فتجوز عرصات القيامة كالبرق الخاطف فيقول اهل الموقف هولا ملايكة
مقربون وانبيا مرسلون فينادي ما هولا بملايكة ولا انبيا ولكنهم اهل المساجد والمحافظون على
الصلوات من امة محمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل انما يعمر مساجد الله من امن بالله وهذا عام
في كل مسجد وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان
ان الله تعالى يقول انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر وقد تقدم السادسة وتصان
المساجد ايضا عن البيع والشرا وجميع الاشتغال لقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي دعا الى الجمل
الاحمر لا وجدت انما بنيت المساجد لما بنيت له خرجه مسلم من حديث سليمان بن بريدة عن ابيه ان
النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى قام رجل من دعا الى الجمل الاحمر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا وجدت
انما بنيت المساجد لما بنيت له وهذا يدل على ان الاصل ان لا يعمل في المسجد غير الصلاة والاذكار وقراة
القران وكذا جا مفسرا من حديث انس قال بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذ جا اعرابي فقام يبول في المسجد فقال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه
مه مه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تزرموه دعوه فتركوه حتى بال ثم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم دعاه فقال له ان هذه المساجد لا تصلح لشي من هذا البول ولا القذر انما هي لذكر الله
والصلاة وقراة القران او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فامر رجلا من القوم فجا بدلو
من ما فشنه عليه خرجه مسلم ومما يدل على هذا من الكتاب قوله الحق ويذكر فيها اسمه وقوله صلى الله
عليه وسلم لمعاوية بن الحكم السلمي ان هذه المساجد لا يصلح فيها شي من كلام الناس انما هو التسبيح
والتكبير وقراة القران او كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث بطوله خرجه مسلم في صحيحه
وحسبك وسمع عمر ابن الخطاب رضي الله عنه صوت رجل في المسجد فقال ما هذا الصوت اتدري
اين انت وكان خلف بن ايوب جالسا في مسجده فاتاه غلامه يساله عن شي فقام وخرج من المسجد
واجابه فقيل له في ذلك فقال ما تكلمت في المسجد بكلام الدنيا منذ كذا وكذا فكرهت ان اتكلم اليوم
السابعة روى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه نهى عن تناشد الاشعار في المسجد وعن البيع والشرا فيه وان يتحلق الناس يوم الجمعة
قبل الصلاة قال وفي الباب عن بريدة وجابر وانس حديث عبد الله بن عمرو حديث حسن
قال محمد بن اسماعيل رايت محمدا واسحاق وذكر غيرهما يحتجون بحديث عمرو بن شعيب وقد كره قوم من
اهل العلم البيع والشرا في المسجد وبه يقول احمد واسحاق وروي ان عيسى بن مريم عليهما السلام
اتى على اقوام يتبايعون في المساجد فجعل رداه مخراقا ثم جعل يسعى عليهم ضربا ويقول يا ابنا
الافاعي اتخذتم مساجد الله اسواقا هذا سوق الاخرة قلت وقد كره بعض اصحابنا تعليم الصبيان
في المساجد وروي انه من باب البيع وهذا اذا كان باجرة فلو كان بغير اجرة لمنع ايضا من وجه اخر
وهو ان الصبيان لا يتحرزون عن الاقذار والوسخ فيودي ذلك الى عدم تنظيف المساجد وقد
امر صلى الله عليه وسلم بتنظيفها فقال جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وسل سيوفكم واقامة
حدودكم ورفع اصواتكم وخصوماتكم واجمروها في الجمع واجعلوا على ابوابها المطاهر في اسناده
العلا بن كثير الدمشقي مولى بني امية وهو ضعيف عندهم ذكره ابو احمد بن عدي الجرجاني الحافظ
وذكر ابو احمد ايضا من حديث علي بن ابي طالب قال صليت العصر مع عثمان امير المومنين فراى خياطا
في ناحية المسجد فامر باخراجه فقيل له يا امير المومنين انه يكنس المسجد ويغلق الابواب ويرش
احيانا فقال عثمان اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول جنبوا صناعكم من مساجدكم
هذا حديث غير محفوظ في اسناده محمد بن مجيب الثقفي وهو ذاهب الحديث قلت ما ورد في المعنى

وان كان طريقه لينا فهو صحيح معين يدل على صحته ما ذكرناه قبل قال الترمذي وقد روي عن
بعض اهل العلم من التابعين رخصة في البيع والشرا في المسجد وقد روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم في غير حديث رخصة في انشاد الشعر في المسجد قلت اما تناشد الاشعار فاختلف في
ذلك فمن مانع مطلقا ومن مجيز مطلقا والاولى التفصيل وهو ان ينظر الى الشعر فان كان مما يقتضي
الثنا على الله جل وعز او على رسوله صلى الله عليه وسلم او الذب عنهما كما كان شعر حسان او يتضمن الحض
على الخير والوعظ والزهد في الدنيا والتقلل منها فهو حسن في المساجد وغيرها كقول القايل

• طوفي يا نفس كي اقصد فردا صمدا • وذريني لست ابغي غير ربي احدا •
• فهو انسي وجليسي ودعي الناس فما ان تجدي من دونه ملتحدا •

وما لم يكن كذلك لم يجز لان الشعر في الغالب لا يخلو عن الفواحش والكذب والتزين بالباطل ولو سلم
من ذلك فاقل ما فيه اللغو والهذر والمساجد منزهة عن ذلك لقوله في بيوت اذن الله ان ترفع
وقد يجوز انشاده في المسجد كقول القايل

• كفحل العذاب القرد يضربه الندى • تعلى الندى في متنه وتحدرا • وقول الاخر
• اذا سقط السما بارض قوم • رعيناه وان كانوا غضابا •

فهذا النوع وان لم يكن فيه حمد ولا ثنا يجوز لانه خال عن الفواحش والكذب وسيأتي ذكر
الاشعار الجايزة وغيرها بما فيه كفاية في الشعرا ان شا الله تعالى وقد روى الدارقطني من
حديث هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة رضي الله عنها قالت ذكر عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم الشعر فقال هو كلام حسنه حسن وقبيحه قبيح وفي الباب عن عبد الله بن عمرو بن العاص
وابي هريرة وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره في السنن قلت واصحاب الشافعي يأثرون
هذا الكلام عن الشافعي وانه لم يتكلم به غيره وكانهم لم يقفوا على الاحاديث في ذلك والله اعلم
الثامنة واما رفع الصوت فان كان مما يقتضي مصلحة للرافع صوته دعي عليه بنقيض قصده لحديث
بريده المتقدم وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سمع رجلا ينشد
ضالة في المسجد فليقل لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا والى هذا ذهب مالك وجماعة
حتى كرهوا رفع الصوت في المسجد في العلم وغيره واجاز ابو حنيفة واصحابه ومحمد بن مسلمة من
اصحابنا رفع الصوت فيه في الخصومة والعلم قالوا لانهم لا بد لهم من ذلك ممنوع بل لم يلزم من ذلك
لوجهين احدهما بملازمة الوقار والحرمة وباحضار ذلك بالبال والتحرز من نقيضه والثاني انه اذا
لم يتمكن من ذلك فليتخذ لذلك موضعا يخصه كما فعل عمر حيث بنى رحبة تسمى البطيحا وقال من اراد
ان يلغط او ينشد شعرا يعني في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فليخرج الى هذه الرحبة وهذا يدل
على ان عمر كان يكره انشاد الشعر في المسجد ولذلك بنى البطيحا خارجه التاسعة واما النوم في
المسجد لمن احتاج الى ذلك من رجل او امراة من الغربا ومن لا بيت له فجايز لان في البخاري وقال
ابو قلابة عن انس قدم رهط من عكل على النبي صلى الله عليه وسلم فكانوا في الصفة وقال
عبد الرحمن بن ابي بكر كان اصحاب الصفة فقرا وفي الصحيحين عن ابن عمر انه كان ينام وهو شاب
اعزب لا اهل له في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم لفظ البخاري وترجم باب نوم المراة في
المسجد وادخل حديث عايشة في قصة السوداء التي اتهمها اهلها بالوشاح قالت عايشة فكان
لها خبا في المسجد او حفش الحديث ويقال كان مبيت عطا ابن ابي رباح في المسجد اربعين سنة
العاشرة روى مسلم عن ابي حميد او عن ابي اسيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
احدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليقل اللهم اني اسالك من فضلك
خرجه ابو داود كذلك الا انه زاد بعد قوله اذا دخل احدكم المسجد فليسلم وليصل على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم ليقل اللهم افتح الحديث وروى ابو ماجه عن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله والسلام على رسول الله اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب
رحمتك وفضلك وروي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل احدكم
المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فليسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم وخرج ابو داود عن حيوه
ابن شريح قال لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني انك حدثت عن عبد الله بن عمرو بن العاص

عن

عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا دخل المسجد قال اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم
وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم قال نعم قال فاذا قال ذلك قال الشيطان حفظ مني
ساير اليوم الحادية عشر روى مسلم عن ابي قتادة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل
احدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس وعنه قال دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس بين ظهراني الناس قال فجلست فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منعك ان تركع ركعتين
قبل ان تجلس فقلت يا رسول الله رايتك جالسا والناس جلوس قال فاذا دخل احدكم المسجد فلا يجلس
حتى يركع ركعتين قال العلما جعل صلى الله عليه وسلم للمسجد مزية يتميز بها عن ساير البيوت وهو ان
لا يجلس حتى يركع وعامة العلما على ان الامر بالركوع على الندب والترغيب وقد ذهب داود واصحابه
الى ان ذلك على الوجوب وهذا باطل ولو كان الامر على ما قالوه لحرم دخول المسجد على المحدث الحدث
الاصغر حتى يتوضا ولا قايل به فيما اعلم والله اعلم فان قيل فقد روى ابراهيم بن يزيد عن الاوزاعي عن
يحيى بن ابي كثير عن ابي سلمة عن عبد الرحمن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل
احدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين فاذا دخل احدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله
جاعل من ركعتيه في بيته خيرا وهذا يقتضي التسوية بين المسجد والبيت قيل له هذه الزيادة
في الركوع عند دخول البيت لا اصل لها قال ذلك البخاري وانما يصح في هذا الحديث ابي قتادة الذي
تقدم لمسلم وابراهيم هذا لا اعلم روى عنه الا سعد بن عبد الحميد ولا اعلم له الا هذا الحديث الواحد
قاله محمد بن عبد الحق الثانية عشر روى سعيد بن زبان حدثني ابي عن ابيه عن جده عن ابي هند
رضي الله عنه قال حمل تميم يعني الداري من الشام الى المدينة قناديل وزيتا ومقطا فلما انتهى
الى المدينة وافق ذلك ليلة الجمعة فامر غلاما يقال له ابو البزاد فقام فنشط المقط وعلق القناديل
وصب فيها الما والزيت وجعل فيها الفتل فلما غربت الشمس امر ابا البزاد فاسرجها وخرج رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى المسجد فاذا هو بها تزهر فقال من فعل هذا قالوا تميم الداري يا رسول الله
فقال نورت الاسلام نور الله عليك في الدنيا والاخرة اما انه لو كانت لي ابنة لزوجتكها قال نوفل
ابن الحرث لي ابنة يا رسول الله تسمى المغيرة ابنة نوفل فافعل فيها ما اردت فانكحه اياها زبان بفتح
الزاي والبا وتشديدها بنقطة واحدة من تحتها ينفرد بالتسمي به سعيد وحده فهو ابو عثمان
سعيد بن زبان بن فايد بن زبان بن ابي هند وابو هند هذا مولى بني بياضة حجام النبي صلى الله
عليه وسلم والمقط جمع المقاط وهو الحبل فكانه مقلوب المقاط والله اعلم وروى ابن ماجه عن ابي
سعيد الخدري قال اول من سرج في المساجد تميم الداري وروي عن انس ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من اسرج في مسجد سراجا لم تزل الملايكة وحملة العرش يصلون عليه ويستغفرون له
ما دام ذلك الضو فيه وان كنس غبار المسجد نقد الحور العين قال العلما ويستحب ان ينور البيت
الذي يقرا فيه القران بتعليق القناديل ونصب الشموع فيه ويزاد في شهر رمضان في انوار المساجد
الثالثة عشر قوله تعالى يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اختلف العلما في وصف الله تعالى
المسبحين فقيل هم المراقبون امر الله الطالبون رضاه الذين لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شي
من امور الدنيا وقال كثير من الصحابة نزلت هذه الاية في اهل الاسواق الذين اذا سمعوا الندا
بالصلاة تركوا كل شغل وبادروا وراى سالم ابن عبد الله اهل الاسواق وهم مقبلون الى الصلاة
فقال هولا الذين اراد الله بقوله لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وروى ذلك عن ابن مسعود
وقرا عبد الله بن عامر وعاصم في رواية ابي بكر عنه والحسن يسبح بفتح البا كان على معنيين احدهما
ان يرتفع رجال بفعل مضمر دل عليه الظاهر المعنى يسبحه رجال فيوقف على هذا على الاصال وقد ذكر
سيبويه مثل هذا وانشد

• ليبك يزيد ضارع لخصومة • ومختبط مما تطيح الطوايح •

المعنى يبكيه ضارع وعلى هذا تقول ضرب زيد عمرو وعلى معنى ضربه عمرو والوجه الاخر ان
يرتفع رجال بالابتدا والخبر في بيوت اي في بيوت اذن الله ان ترفع رجال ويسبح له فيها حال
من الضمير في ترفع كانه قال ان ترفع مسبحا له فيها ولا يوقف على الاصال على هذا التقدير
ومن قرا يسبح بكسر البا لم يقف على الاصال لان يسبح فعل للرجال والفعل مضطر الى فاعله ولا
اضمار فيه وقد تقدم القول في الغدو والاصال في اخر الاعراف والحمد لله الرابعة عشر قوله
تعالى يسبح له فيها معناه يصلي وقال ابن عباس كل تسبيح في القران صلاة ويدل عليه قوله

بالغدو والاصال اي بالغداة والعشي وقال اكثر المفسرين اراد الصلاة المفروضة فالغدو
صلاة الصبح والاصال صلاة الظهر والعصر والعشاين لان اسم الاصال يجمعها الخامسة
عشر روي ابو داود عن ابي امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من خرج من بيته
متطهرا الى صلاة مكتوبة فاجره كاجر الحاج المحرم ومن خرج الى تسبيح الضحى لا ينصبه الا
اياه فاجره كاجر المعتمر وصلاة على اثر صلاة كتاب في عليين وخرج عن بريدة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال بشر المشائين في الظلم الى المساجد بالنور التام يوم القيمة وفي صحيح
مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من غدا الى المسجد او راح اعد الله
له منزلا في الجنة كلما غدا او راح الى غير الصبح من الزيادة كما ان احدكم لو زاره من يحب زيارته
لاجتهد في كرامته ذكره الثعلبي وخرج مسلم في حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من تطهر في بيته ثم مشى الى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرايض
الله كانت خطواته احداها تحط خطيئة والاخرى ترفع درجة وعنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل في جماعة تزيد على صلاته في بيته وصلاته في سوقه بضعا
وعشرين درجة وذلك ان احدهم اذا توضا فاحسن الوضوء ثم اتى المسجد لا ينهزه الا الصلاة
لا يريد الا الصلاة فلم يخط خطوة الا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد
فاذا دخل المسجد كان في الصلاة ما كانت الصلاة هي تحبسه والملايكة يصلون على احدكم
ما دام في مجلسه الذي صلى فيه يقولون اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يوذ فيه
ما لم يحدث فيه في رواية ما يحدث قال يفسو ويضرط وقال حكيم بن زريق قيل لسعيد ابن
المسيب احضور الجنازة احب اليك ام الجلوس في المسجد فقال من صلى على جنازة فله قيراط
ومن شهد دفنها فله قيراطان والجلوس في المسجد احب الي لان الملايكة تقول اللهم اغفر
له اللهم ارحمه اللهم تب عليه وروي عن الحكم بن عمير صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا في الدنيا اضيافا واتخذوا المساجد بيوتا
وعودوا قلوبكم الرقة واكثروا التفكر والبكا ولا يختلفن بكم الاهوا تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون وقال ابو الدرداء لابنه ليكن المسجد بيتك فاني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المساجد بيوت المتقين ومن كانت المساجد بيته
ضمن الله تعالى له بالروح والراحة والجواز على الصراط وكتب ابو صادق الازدي الى شعيب
ابن الحبحاب ان عليك بالمساجد فالزمها فانه بلغني انها كانت مجالس الانبيا وقال ابو ادريس
الخولاني المساجد مجالس الكرام من الناس وقال مالك بن دينار بلغني ان الله تبارك وتعالى
يقول اني اهم بعذاب عبادي فانظر الى عمار المساجد وجلسا القران وولدان الاسلام فيسكن
غضبي وروي عنه عليه السلام انه قال سيكون في اخر الزمان رجال ياتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحبها فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال ابن المسيب
من جلس في مسجد فانما يجالس ربه فاحقه ان يقول الا خيرا وقد مضى من تعظيم المساجد
وحرمتها ما فيه كفاية وقد جمع بعض العلما في ذلك خمس عشرة خصلة فقال من حرمة المسجد
ان يسلم وقت الدخول ان كان القوم جلوسا وان لم يكن في المسجد احد قال السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وان يركع ركعتين قبل ان يجلس وان لا يشتري فيه ولا يبيع ولا يسل
فيه سهما ولا سيفا ولا يطلب فيه ضالة ولا يرفع فيه صوتا بغير ذكر الله ولا يتكلم فيه باحاديث
الدنيا ولا يتخطى رقاب الناس ولا ينازع في المكان ولا يضيق على احد في الصف ولا يمر بين يدي
مصلي ولا يبزق ولا يتنخم ولا يتمخط فيه ولا يفرقع اصابعه او يعبث بشي من جسده وان ينزه
عن النجاسات والصبيان والمجانين واقامة الحدود وان يكثر ذكر الله ولا يغفل عنه فاذا فعل
هذه الخصال فقد ادى حق المسجد وكان المسجد حرزا له وحصنا من الشيطان الرجيم وفي الخبر
ان مسجدا ارتفع باهله الى السما يشكوهم الى الله لما يتحدثون فيه من احاديث الدنيا وروى
الدارقطني عن عامر الشعبي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اقتراب الساعة
ان يرى الهلال قبلا فيقال لليلتين وان تتخذ المساجد طرقا وان يظهر موت الفجاة هذا يرويه
عبد الكبير ابن المعافي عن شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبي عن انس وغيره يرويه

عن

عن الشعبي مرسلا والله اعلم وقال ابو حاتم عبد الكبير بن معافا ثقة كان يعد من الابدال
وفي البخاري عن ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مر في شي من مساجدنا او اسواقنا
بنبل فلياخذ بنصالها لا يعقر بكفه مسلما وخرج مسلم عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم البزاق في المسجد خطيئة وكفارتها دفنها وعن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت
على اعمال امتي حسنها وسيئها فوجدت في محاسن اعمالها الاذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوي
اعمالها النخاعة تكون في المسجد لا تدفن وخرج ابو داود عن الفرج بن فضالة عن ابي سعيد الخدري
قال رايت واثلة بن الاسقع في مسجد دمشق بصق على الحصير ثم مسحه برجله فقيل له لم فعلت
هذا قال لاني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله فرج بن فضالة ضعيف وايضا فلم يكن في
مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم حصر والصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بصق على
الارض ودلكه بنعله اليسرى ولعل واثلة انما اراد هنا بالحصير عليه السادسة عشر لما قال
تعالى رجال وخصصهم بالذكر دل على ان النسا لا حظ لهن في المساجد اذ لا جمعة عليهن ولا جماعة
وان صلاتهن في بيوتهن افضل وروى ابو داود عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
صلاة المراة في بيتها افضل من صلاتها في حجرتها وصلاتها في مخدعها افضل من صلاتها في بيتها
السابعة عشر قوله تعالى لا تلهيهم تجارة عن بيع الله ولا بيع عن ذكر الله خص التجارة بالذكر
لانها اعظم ما يشتغل بها الانسان عن الصلاة فان قيل فلم كرر ذكر البيع والتجارة تشمله قيل اراد
بالتجارة الشرا لقوله ولا بيع نظيره قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها قاله الواقدي
وقال الكلبي التجار هم الجلاب المسافرون والباعة هم المقيمون عن ذكر الله اختلف في تاويله
فقال عطا يعني حضور الصلاة وقاله ابن عباس وقال المكتوبة وقيل عن الاذان ذكره يحيى بن
سلام وقيل عن ذكره باسمائه الحسنى اي يوحدونه ويمجدونه والاية نزلت في اهل الاسواق قاله
ابن عمر قال سالم جاز عبد الله ابن عمر بالسوق وقد اغلقوا حوانيتهم وقاموا ليصلون في جماعة
فقال فيهم نزلت رجال لا تلهيهم تجارة الاية وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هم الذين
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وقيل ان رجلين كانا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
احدهما بياعا فاذا سمع الندا بالصلاة فان كان الميزان بيده طرحه ولا يضعه وضعا وان كان
بالارض لم يرفعه وكان الاخر قينا يعمل السيوف للتجارة فكان اذا كانت مطرقته على السندان
ابقاها موضوعة وان كان قد رفعها القاها من ورا ظهره اذا سمع الاذان فانزل الله هذا ثناء
عليهما وعلى كل من اقتدى بهما الثامنة عشر قوله تعالى واقام الصلاة هذا يدل على ان المراد بقوله
عن ذكر الله غير الصلاة لانه يكون تكرارا يقال اقام الصلاة اقامة والاصل اقواما فقلبت حركة
الواو على القاف فانقلبت الواو الفا وبعدها الف ساكنة فحذفت احداهما واثبت الهاء لئلا تحذفها
فتجحف فلما اضيفت قام المضاف مقام الها فجاز حذفها وان لم تضف لم يجز حذفها الا ترى انك
تقول وعد عدة ووزن زنة فان اضفت حذفت الها وانشد الفرا
ان الخليط اجدوا البين فانجردوا واخلفوك عد الامر الذي وعدوا
يريد عدة فحذفت الها لما اضاف روي من حديث انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ياتي الله يوم القيامة بمساجد الدنيا كلها بجيب الحديث وقد تقدم وعن علي رضي الله عنه انه قال
ياتي على الناس زمان لا يبقى من الاسلام الا اسمه ولا من القران الا رسمه يعمرون مساجدهم
وهي من ذكر الله خراب شر اهل ذلك الزمن علماوهم منهم تخرج الفتنة واليهم تعود يعني انهم
يعلمون ولا يعملون بواجبات ما علموا التاسعة عشر قوله تعالى وايتاء الزكاة قيل الزكاة المفروضة
قاله الحسن وقال ابن عباس الزكاة هنا طاعة الله والاخلاص اذ ليس لكل مومن مال يخافون
يوما يعني يوم القيامة تتقلب فيه القلوب والابصار يعني من هوله وحذر الهلاك والتقلب
التحول والمراد قلوب الكفار وابصارهم فتقلب القلوب انتزاعها من اماكنها الى الحناجر فلا هي
ترجع الى اماكنها ولا هي تخرج واما تقلب الابصار فالزرق بعد الكحل والعمى بعد البصر وقيل تتقلب
القلوب بين الطمع في النجاة والخوف من الهلاك والابصار تنظر من اي ناحية يعطون كتبهم
والى اي ناحية يوخذ بهم وقيل ان قلوب الشاكين تتحول عما كانت عليه من الشك وكذلك
ابصارهم لرويتهم اليقين وذلك مثل قوله تعالى فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد

فاكان يراه في الدنيا عيانا يراه رشدا الان ذلك لا ينفعهم في الاخرة وقيل تقلب على جمرة جهنم
كقوله يوم تقلب وجوههم في النار وتقلب افيدتهم وابصارهم في قول من جعل المعنى تقلبها
على لهب النار وقيل تقلب بان تلحقها النار مرة وتنضجها مرة وقيل ان تقلب القلوب وجيبها وتقلب
الابصار النظر بها الى نواحي الاهوال ليجزيهم الله احسن ما عملوا فذكر الجزاء على الحسنات ولم يذكر الجزا
على السيات وان كان يجازي عليها لامرين احدهما انه ترغيب فاقتصر على ذكر الرغبة الثاني انه
في صفة قوم لا تكون منهم الكباير فكانت صغايرهم مغفورة ويزيدهم من فضله يحتمل وجهين
احدهما ما يضاعفه من الحسنة بعشر امثالها الثاني ما يتفضل به من غير جزاء والله يرزق من يشاء
بغير حساب اي من غير ان يحاسبه على ما اعطاه او لا نهاية لعطايه وروي انه لما نزلت هذه الاية
امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنا مسجد قبا فحضر عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله
قد افلح من بنى المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال وصلى فيها قايما وقاعدا قال نعم
يا ابن رواحة قال ولم يبت لله الا ساجدا قال نعم يا ابن رواحة كف عن السجع فما اعطي
عبد شيا شرا من طلاقة في لسانه ذكره الماوردي قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب
بقيعة لما ضرب مثل المومن ضرب مثل الكافر قال مقاتل نزلت في شيبة بن ربيعة بن
عبد شمس كان يترهب ملتمسا للدين فلما خرج صلى الله عليه وسلم كفر ابو سهل في اهل الكتاب
الضحاك في اعمال الخير للكافر كصلة الرحم ونفع الحيوان والسراب ما يرى نصف النهار في
اشتداد الحر كالما في ملصق بالارض والال الذي يكون ضحى كالما الا انه يرتفع عن الارض
حتى يصير كانه بين الارض والسما وسمي السراب سرابا لانه ينسرب اي يجري كالما يقال سرب
الفحل اي مضى وسار في الارض ويسمى الال ايضا ولا يكون الا في البرية والحر فيغتر به العطشان
قال الشاعر • فكنت كمهراق الذي في سقايه • لرقراق ال فوق رابية صلدا •
وقال اخر • فلما كففنا الحرب كانت عهودهم • كلمع سراب بالفلا متالق •
وقال امرؤ القيس • الم انض المطي بكل خرق • طويل الطول لماع السراب •
والقيعة جمع القاع مثل جيره وجار قاله الهروي وقال ابو عبيدة قيعة وقاع واحد حكاه
النحاس والقاع ما انبسط من الارض واتسع ولم يكن فيه نبت وفيه يكون السراب واصل القاع
الموضع المنخفض الذي يستقر فيه الماء وجمعه قيعان قال الجوهري والقاع المستوي من
الارض والجمع اقوع واقواع وقيعان صارت الواو يا لكسرة ما قبلها والقيعة مثل القاع وهو
ايضا من الواو وبعضهم يقول هو جمع يحسبه الظمان اي العطشان ماء اي يحسب السراب ما حتى
اذا جاءه لم يجده شيئا مما قدراه ووجد ارضا لا ماء فيها وهذا مثل ضربه الله للكفار يعولون
على ثواب اعمالهم فاذا قدموا على الله وجدوا ثواب اعمالهم محيطة بالكفر اي لم يجد شيئا كما لم
يجد صاحب السراب الا ارضا لا ماء فيها فهو يهلك او يموت ووجد الله عنده اي وجد الله بالمرصاد
فوفاه حسابه اي جزاء عمله قال امرؤ القيس
• فولى مدبرا يهوي حثيثا • وايقن انه لاقى الحسابا •
وقيل وجد وعد الله بالجزاء على عمله وقيل وجد امر الله عند حشره والمعنى متقارب وقرى
بقيعات المهدوي يجوز ان تكون الالف مشبعة من فتحة العين ويجوز انه يكون مثل رجل
عزه وعزها للذي لا يضرب النسا ويجوز انه يكون جمع قيعة ويكون على هذا بالتا في الوصل
والوقف وروي عن نافع وابي جعفر وشيبة الظمان بغير همز والمشهور عنهما الهمز يقال
ظما يظما ظما فهو ظمان وان خففت الهمزة قلت الظمان وقوله والذين كفروا ابتدا اعمالهم
ابتدا ثان والكاف من كسراب الخبر والجملة خبر عن الذين ويجوز ان يكون اعمالهم بدلا من
الذين كفروا اي اعمال الذين كفروا كسراب فحذف المضاف قوله تعالى او كظلمات في بحر
لجي ضرب تعالى مثلا اخر للكفار اي اعمالهم كسراب بقيعة او كظلمات قال الزجاج ان شيت
مثل بالسراب وان شيت مثل بهذه الظلمات فاو للاباحة حسب ما تقدم من القول في او
كصيب وقال الجرجاني الاية الاولى في ذكر اعمال الكفار والثانية في ذكر كفرهم ونسق الكفر
على اعمالهم لان الكفر ايضا من اعمالهم وقد قال الله تعالى يخرجهم من الظلمات الى النور اي
من الكفر الى الايمان وقال تعالى او كظلمات اي وكذي ظلمات ودل على هذا المضاف قوله

اذا اخرج يده فالكناية تعود الى المضاف المحذوف قال القشيري فعند الزجاج التمثيل
وقع لاعمال الكفار وعند الجرجاني لكفر الكافر وعند ابي علي للكافر وقال ابن عباس في رواية
هذا مثل قلب الكافر في بحر لجي قيل هو منسوب الى اللجة وهو الذي لا يدرك قعره واللجة
معظم الما والجمع لجج واللج البحر اذا تلاطمت امواجه ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال من ركب البحر اذا التج فقد برئت منه الذمة والتج الامر اذا عظم واختلط وقوله
حسبته لجة اي ما له عمق ولججت السفينة اي خاضت اللجة بضم اللام فاما اللجة بفتح اللام فاصوات
الناس تقول سمعت لجة الناس اي اصواتهم وصخبهم قال ابن النجم في لجة امسك فلانا عن فل
والتجت الاصوات اي اختلطت وعظمت يغشاه موج اي يعلو ذلك البحر اللجي موج من فوقه موج
اي من فوق الموج موج ومن فوق هذا الموج الثاني سحاب فيجتمع خوف الموج وخوف الريح
وخوف السحاب وقيل المعنى يغشاه موج من بعده موج فيكون الموج يتبع بعضه بعضا حتى
كان بعضه فوق بعض وهو اخوف ما يكون اذا توالى موجه وتقارب ومن فوق هذا الموج
سحاب وهو اعظم للخوف من وجهين احدهما انه قد غطى النجوم التي يهتدى بها الثاني الريح
التي تنشا مع السحاب والمطر الذي ينزل منه ظلمات بعضها فوق بعض قرى ابن محيصن والبزي
عن ابن كثير سحاب ظلمات بالاضافة والخفض قنبل سحاب منونا ظلمات بالجر والتنوين الباقون
بالرفع والتنوين قال المهدوي من قرا من فوقه سحاب ظلمات بالاضافة فلان السحاب
يرتفع وقت هذه الظلمات فاضيف اليها كما يقال سحاب رحمة اذا ارتفع في وقت المطر ومن قرا
سحاب ظلمات جر ظلمات على التاكيد لظلمات الاول او البدل منها وسحاب ابتدا ومن فوقه الخبر
ومن قرا سحاب ظلمات فالظلمات خبر ابتدا محذوف التقدير هي ظلمات او هذه ظلمات قال ابن
الانباري ومن فوقه موج غير تام لان قوله من فوقه سحاب صلة للموج والوقف على قوله
من فوقه سحاب حسن ثم تبتدي ظلمات بعضها فوق بعض على معنى هي ظلمات بعضها فوق بعض
وروي عن اهل مكة انهم قروا ظلمات على معنى او كظلمات بعضها فوق بعض فعلى هذا المذهب
لا يحسن الوقف على السحاب ثم قيل المراد بهذه الظلمات ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة الليل
وظلمة البحر فلا يبصر من كان في هذه الظلمات شيا ولا كوكبا وقيل المراد بالظلمات اعمال الكافر
وبالبحر اللجي قلبه وبالموج فوق الموج ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب
الرين والختم والطبع على قلبه روي معناه عن ابن عباس وغيره اي لا يبصر بقلبه نور الايمان
كما ان صاحب الظلمات في البحر اذا اخرج يده لم يكد يراها وقال ابي ابن كعب الكافر يتقلب في
خمس من الظلمات كلامه ظلمة وعمله ظلمة ومدخله ظلمة ومصيره يوم القيامة الى الظلمات في
النار وبيس المصير اذا اخرج يده يعني الناظر لم يكد يراها ولم يكد وهو معنى قول الحسن ومعنى لم
يكد لم يطمع ان يراها وقال الفرا كاد صلة اي لم يرها كما تقول ما كدت اعرفه وقال المبرد يعني لم
يرها الا من بعد الجهد كما تقول ما كدت اراك من الظلمة وقد رآه بعد ياس وشدة وقيل معناه
قرب من الروية ولم يرها كما يقال كاد العروس يكون اميرا وكاد النعام يطير وكاد المنتعل يكون راكبا
النحاس واصح الاقوال في هذا ان المعنى لم يقارب رويتها فاذا لم يقارب رويتها فلم يرها روية
بعيدة ولا قريبة ومن لم يجعل الله له نورا يهتدي به اظلمت عليه الامور وقال ابن عباس اي من
لم يجعل الله له دينا فما له من دين ومن لم يجعل الله له نورا يمشي به يوم القيامة لم يهتد الى الجنة
كقوله ويجعل لكم نورا تمشون به وقال الزجاج ذلك في الدنيا والمعنى من لم يهده الله لم يهتد
وقال مقاتل ابن سليمان نزلت في عتبة ابن ربيعة كان يلتمس الدين في الجاهلية ولبس المسوح
ثم كفر في الاسلام الماوردي في شيبة ابن ربيعة وكان يترهب في الجاهلية ويلبس الصوف
ويطلب الدين فكفر في الاسلام قلت وكلاهما مات كافرا فلا يبعد ان يكونا هما المراد بالاية
وغيرهما وقد قيل نزلت في عبد الله بن جحش فكان اسلم وهاجر الى ارض الحبشة ثم تنصر بعد اسلامه
وذكر الثعلبي وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلقني من نوره وخلق ابا بكر
من نوري وخلق عمر وعايشة من نور ابي بكر وخلق المومنين من نور عمر وخلق المومنات من
امتي من نور عايشة فمن لم يحبني ويحب ابا بكر وعمر وعايشة فما له من نور فنزلت
ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور قوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات ومن

في الارض والطير صافات لما ذكر وضوح الايات زاد في الحجج والبينات وبين ان مصنوعاته
تدل بتغيرها على ان لها صانعا قادرا على الكمال فله بعث الرسل وقد بعثهم وايدهم بالمعجزات
واخبروا بالجنة والنار والخطاب في الم تعلم للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه الم تعلم والمراد الكل
ان الله يسبح له من في السموات من الملائكة ومن في الارض من الجن والانس والطير صافات قال
مجاهد وغيره الصلاة للانسان والتسبيح لما سواه من الخلق وقال سفيان للطير صلاة ليس
فيها ركوع ولا سجود وقيل ان ضربها باجنحتها صلاة وان اصواتها تسبيح حكاه النقاش وقيل
التسبيح هاهنا ما يرى في المخلوق من اثر الصنعة ومعنى صافات مصطفات الاجنحة في الهوا
وقرا الجماعة والطير بالرفع عطفا على من وقال الزجاج ويجوز والطير بمعنى مع الطير قال النحاس
وسمعته يجيز قمت وزيدا بمعنى مع زيد قال وهو اجود من الرفع قال فان قلت قمت انا وزيد
كان الاجود الرفع ويجوز النصب كل قد علم صلاته وتسبيحه يجوز ان يكون المعنى كل قد علم الله
صلاته وتسبيحه اي علم صلاة المصلي وتسبيح المسبح ولهذا قال والله عليم بما يفعلون اي لا يخفى
عليه طاعتهم ولا تسبيحهم ومن هذه الجهة يجوز نصب كل عند البصريين والكوفيين باضمار فعل
يفسره ما بعده قال مجاهد الصلاة للانسان وقيل المعنى قد علم كل مصل ومسبح صلاة نفسه
وتسبيحه الذي كلف وقرا بعض الناس كل قد علم صلاته وتسبيحه غير مسمى الفاعل وذكر بعض
النحويين ان بعضهم قرا كل قد علم صلاته وتسبيحه فيجوز ان يكون تقديره كل قد علمه الله
صلاته وتسبيحه ويجوز ان يكون المعنى كل قد علم غيره صلاته وتسبيحه اي صلاة نفسه فيكون
التعليم الذي هو الافهام والمراد الخصوص لان من الناس من لم يعلم ويجوز ان يكون المعنى كل قد
استدل منه المستدل فعبر عن الاستدلال بالتعليم قاله المهدوي والصلاة هنا بمعنى التسبيح
وكرر تاكيدا كقوله يعلم السر والنجوى والصلاة قد تسمى تسبيحا قاله القشيري ولله ملك السموات
والارض والى الله المصير تقدم في غير موضع **قوله تعالى** الم تر ان الله يزجي سحابا ذكر من حججه
شيا اخر اي الم تر بعيني قلبك يزجي سحابا اي يسوق الى حيث يشا والريح تزجي السحاب تزجي
ولدها اي تسوقه ومنه زجا الخراج يزجو زجاء ممدودا اذا تيسرت جبايته وقال النابغة

اني اتيتك من اهلي ومن وطني * ازجي حشاشة نفس ما بها رمق * وقال ايضا

اسرت عليه من الجوزاء سارية * تزجي الشمال عليه جامد البرد *

ثم يؤلف بينه اي يجمعه عند انشائه ليقوى ويتصل ويكثف والاصل في التاليف الهمز تقول
تالف وقرئ يولف بالواو تخفيفا والسحاب واحد في اللفظ ولكن معناه جمع ولهذا قال ينشئ
السحاب وبين لا يقع الا لاثنين فصاعدا فكيف جاز بينه والجواب ان بينه هاهنا لجماعة السحاب
كما تقول الشجر قد جلست بينه لانه جمع وذكر الكناية على اللفظ قال معناه الفراء وجواب اخر
وهو ان يكون السحاب واحدا فجاز ان يقال بينه لانه مشتمل على قطع كثيرة كما قال بين الدخول
فحومل فاوقع بين على الدخول وهو واحد لاشتماله على مواضع وكما تقول ما زلت ادور بين الكوفة
اماكن كثيرة قاله الزجاج وغيره وزعم الاصمعي ان هذا لا يجوز وكان يروي بين الدخول وحومل ثم
يجعله ركاما اي مجتمعا يركب بعضه بعضا كقوله تعالى وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا
سحاب مركوم والركم جمع الشي يقال منه ركم الشي يركمه ركما اذا جمعه والقى بعضه على بعض
وارتكم الشي وتراكم اذا اجتمع والركمة الطين المجموع والركام الرمل المتراكب وكذلك السحاب
وما اشبهه ومرتكم الطريق بفتح الكاف جادته فترى الودق يخرج من خلاله في الودق قولان
احدهما انه البرق قاله ابو الاشهب العقيلي ومنه قول الشاعر

اثرن عجاجة وخرجن منها * وخروج الودق من خلل السحاب *

الثاني انه المطر قاله الجمهور ومنه قول الشاعر * فلا مزنة ودقت ودقها * ولا ارض ابقل ابقالها *
وقال امرؤ القيس * فدمعهما ودق وسح وديمة * وسكب وتوكاف وتنهملان *
يقال ودقت السحابة فهي وادقة وودق المطر يدق ودقا اي قطر وودقت اليه دنوت منه
وفي المثل ودق العير الى الماء اي دنا منه يضرب لمن خضع للشي لحرصه عليه والموضع مودق
وودقت به ودقا استانست به ويقال لذات الحافر اذا ارادت الفحل ودقت تدق ودقا
واودقت واستودقت واتان ودوق وفرس ودوق ووديق ايضا وبها وداق والوديقة شدة

الحر

الحر وخلال جمع خلل مثل الجبل والجبال وهي فرجه ومخارج القطر منه وقد تقدم في البقرة ان
كعبا قال ان السحاب غربال المطر لولا السحاب حين ينزل الماء من السماء لافسد ما يقع عليه من الارض
وقرا ابن عباس والضحاك وابو العالية من خلله على التوحيد وتقول كنت في خلال القوم اي
وسطهم وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل خلق الله في السماء جبالا من برد فهو ينزل منها
بردا وفيه اضمار اي ينزل من جبال البرد بردا فالمفعول محذوف ونحو هذا قول الفراء لان التقدير
عنده من جبال برد فالجبال عنده هي البرد وبرد في موضع خفض ويجب ان يكون على قوله
المعنى من جبال برد فيها بتنوين جبال وقيل ان الله تعالى خلق في السماء جبالا فيها برد فيكون
التقدير وينزل من السماء من جبال فيها برد ومن صلة وقيل المعنى وينزل من السماء قدر جبال
او مثل جبال من برد الى الارض فمن الاولى للغاية لان ابتداء الانزال من السماء والثانية للتبعيض
لان البرد بعض الجبال والثالثة لتبيين الجنس لان جنس تلك الجبال من البرد وقال الاخفش
ان من في الجبال والبرد في موضع نصب اي ينزل من السماء بردا يكون كالجبال والله اعلم فيصيب به
من يشاء ويصرفه عن من يشاء فيكون اصابته نقمة وصرفه نعمة وقد مضى في البقرة والرعد ان
من قال حين يسمع الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ثلاثا عوفي مما يكون
في ذلك الرعد يكاد سنا برقه اي ضوء ذلك البرق الذي في السحاب يذهب بالابصار من شدة
بريقه وضوئه قال الشماخ * وما كادت اذا رفعت سناها * ليبصر ضوءها الا البصير *
وقال امرؤ القيس * يضيء سناه او مصابيح راهب * اهان السليط في الذبال المفتل *
فالسنا مقصور ضوء البرق والسنا ايضا نبت يتداوى به والسناء من الرفعة ممدود وكذلك قراءة
طلحة بن مصرف سناء بالمد على المبالغة في شدة الضوء والصفا فاطلق عليه اسم الشرف والحسب فهو
ممدود واصلهما واحد وهو الالتماع وقرا طلحة بن مصرف سنا برقه قال احمد بن يحيى وهو جمع
برقة قال النحاس البرقة المقدار من البرق والبرقة المرة الواحدة وقرا الجحدري وابن القعقاع
يذهب بالابصار بضم اليا وكسر الهاء من الاذهاب وتكون الباء في الابصار صلة زائدة الباقون
يذهب بالابصار بفتح اليا والهاء والباء للالصاق والبرق دليل على تكاثف السحاب ونذير بقوة
المطر ومحذر من نزول الصواعق يقلب الله الليل والنهار قيل تقليبهما ان ياتي باحدهما بعد الاخر
وقيل تقليبهما نقصهما وزيادتهما وقيل هو تغيير النهار بظلمة السحاب مرة وبضوء الشمس اخرى
وكذا الليل مرة بتغيير ظلمة السحاب ومرة بضوء القمر قاله النقاش وقيل تقليبهما باختلاف
ما يقدر فيهما من خير وشر ونفع وضر ان في ذلك اي في الذي ذكرناه من تقلب الليل والنهار واحوال
المطر والصيف والشتا لعبرة اي اعتبارا لاولي الابصار اي لاهل البصائر من خلقه **قوله تعالى**
والله خلق كل دابة من ماء قرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي والله خالق كل بالاضافة
الباقون خلق على الفعل قيل ان المعنيين في القراءتين صحيحان اخبر الله عز وجل بخبرين ولا ينبغي
ان يقال في هذا احدى القراءتين اصح من الاخرى وقد قيل ان خلق لشيء مخصوص وانما يقال خالق
على العموم كما قال جل وعز الخالق الباري وفي الخصوص الحمد لله الذي خلق السموات والارض وكذا هو
الذي خلقكم من نفس واحدة فكذا يجب ان يكون والله خالق كل دابة من ماء والدابة كل ما دب على
الارض من الحيوان يقال دب يدب فهو داب والهاء للمبالغة وقد تقدم في البقرة من ماء لم يدخل
في هذا الجن والملائكة لانا لم نشاهدهم ولم يثبت انهم خلقوا من ماء بل في الصحيح ان الملائكة خلقوا
من نور والجان من نار وقد تقدم وقال المفسرون من ماء اي من نطفة قال النقاش اراد امنية الذكور
وقال جمهور النظرة اراد ان خلقة كل حيوان فيها ماء كما خلق ادم من الماء والطين وعلى هذا يتخرج
قول النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ الذي سال في غزاة بدر ممن انتما فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم نحن من ماء الحديث وقال قوم لا يستثنى الجن والملائكة بل كل حيوان خلق من الماء وخلق النار
من الماء وخلق الريح من الماء اذ اول ما خلق الله تعالى من العالم الماء ثم خلق منه كل شيء فمنهم من يمشي
على بطنه المشي على البطن للحيات والحوت ونحوه من الدود وغيره وعلى الرجلين للانسان والطير
اذا مشى والاربع لساير الحيوان وفي مصحف ابي ومنهم من يمشي على اكثر فعم بهذه الزيادة جميع الحيوان
كالسرطان والخشاش ولكنه قران لم يثبته اجماع لكن قال النقاش انما اكتفى في القول بذكر ما
يمشي على اربع عن ذكر ما يمشي على اكثر لان جميع الحيوان انما اعتماده على اربع وهي قوام مشيه

قال ابن عطية والظاهر ان تلك الارجل الكثيرة ليست باطلا بل هي محتاج اليها في تنقل الحيوان
وهي كلها تتحرك في تصرفه وقال بعضهم ليس في الكتاب ما يمنع من المشي على اكثر من اربع اذا
لم يقل ليس منها من يمشي على اكثر من اربع وقيل فيه اضمار اي ومنهم من يمشي على اكثر من اربع كما وقع
في مصحف ابي والله اعلم ودابة تشمل من يعقل وما لا يعقل فغلب من يعقل لما اجتمع مع من يعقل
لانه المخاطب والمتعبد ولذلك قال فمنهم وقال من يمشي فاشار بالاختلاف الى ثبوت الصانع
اي لولا ان للجميع صانعا مختارا لما اختلفوا بل كانوا من جنس واحد وهو كقوله تسقى بماء واحد
ونفضل بعضها على بعض ان في ذلك لايات يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شيء قدير خلقه وتدبير
لقد انزلنا ايات مبينات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم تقدم بيانه في غير موضع قوله
تعالى ويقولون امنا بالله وبالرسول يعني المنافقين يقولون بالسنتهم امنا بالله وبالرسول
من غير يقين ولا اخلاص واطعنا اي ويقولون وكذبوا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما
اولئك بالمومنين قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون فيه
اربع مسائل الاولى قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله قال الطبري وغيره ان رجلا من
المنافقين اسمه بشر كانت بينه وبين رجل من اليهود حكومة في ارض فدعاه اليهودي الى التحاكم
عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابى من ذلك وقال ان محمدا يحيف علينا
فلنحكم كعب ابن الاشرف فنزلت الاية فيه وقيل نزلت في المغيرة بن وايل من بني امية كان بينه
وبين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه حكومة في ماء وارض فامتنع المغيرة ان يحاكم عليا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال انه يبغضني فنزلت الاية ذكره الماوردي
وقال ليحكم ولم يقل ليحكما لان المعني الرسول صلى الله عليه وسلم وانما بدا بذكر الله اعظاما لله واستفتاح
كلام الثانية قوله تعالى وان يكن لهم الحق ياتوا اليه مذعنين اي طائعين منقادين لعلمهم انه
عليه السلام يحكم بالحق يقال اذعن فلان لحكم فلان يذعن اذعانا وقال النقاش مذعنين خاضعين
مجاهد مسرعين الاخفش وابن الاعرابي مقرين افي قلوبهم مرض شك وريب ام ارتابوا ام حدث
لهم شك في نبوته وعدله ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله اي يجور في الحكم والظلم واتى
بلفظ الاستفهام لانه اشد في التوبيخ وابلغ في الذم كقول جرير في المدح

۝ ألستم خير من ركب المطايا ۝ واندى العالمين بطون راح ۝

بل اولئك هم الظالمون اي المعاندون الكافرون لاعراضهم عن حكم الله تعالى الثالثة القضا يكون
للمسلمين اذا كان الحكم بين المعاهد والمسلم ولا حق لاهل الذمة فيه واذا كان بين ذميين فذلك
اليهما فان جا قاضي الاسلام فان شاء حكم وان شاء اعرض كما تقدم في المايدة الرابعة هذه الاية
دليل على وجوب اجابة الداعي الى الحاكم لان الله سبحانه ذم من دعي الى رسوله ليحكم بينهم وبين
خصمه باقبح الذم فقال افي قلوبهم مرض الاية قال ابن خويز منداد واجب على كل من دعي
الى مجلس الحاكم ان يجيب ما لم يعلم ان الحاكم فاسق او عداوة بين المدعي والمدعى عليه واسند
الزهراوي عن الحسن بن ابي الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دعاه خصمه الى حكم من
حكام المسلمين فلم يجب فهو ظالم ولا حق له ذكره الماوردي ايضا قال ابن العربي وهذا حديث باطل
فاما قوله فهو ظالم فكلام صحيح واما قوله فلا حق له فلا يصح ويحتمل انه يريد انه على غير الحق
قوله تعالى انما كان قول المومنين اذا دعوا الى الله ورسوله اي الى كتاب الله وحكم رسوله
ان يقولوا سمعنا واطعنا قال ابن عباس اخبر بطاعة المهاجرين والانصار وان كان ذلك فيما
يكرهون اي هذا قولهم وهولاء لو كانوا مومنين لكانوا يقولون سمعنا واطعنا فالقول نصب
على خبر كان واسمها في قوله ان يقولوا نحو وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وقيل
انما قول المومنين وكان صلة في الكلام كقوله كيف نكلم من كان في المهد صبيا وقرا ابن القعقاع
ليحكم بينهم غير مسمى الفاعل علي بن ابي طالب انما كان قول بالرفع قوله تعالى ومن يطع
الله ورسوله فيما امر به وحكم ويخش الله ويتقه قرا حفص ويتقه باسكان القاف على نية
الجزم قال الشاعر ۝ ومن يتق فان الله معه ۝ ورزق الله موتاب وغادي ۝
وكسرها الباقون لان جزمه بحذف اخره واسكن الهاء ابو عمرو وابو بكر واختلس الكسرة يعقوب
وقالون عن نافع والمسيبي عن ابي عمرو وحفص واشبع كسرة الهاء الباقون فاولئك هم الفايزون

ذكر

ذكر اسلم وان رجلا من دهاقين الروم قام على راسه وهو يقول انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فقال له عمر ما شانك قال اسلمت لله قال هل لهذا سبب قال نعم اني قرات
التوراة والزبور والانجيل وكثيرا من كتب الانبيا فسمعت اسيرا يقرا اية من القران جمع فيها كل ما
في هذه الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت قال ما هذه الاية قال قوله تعالى ومن
يطع الله في الفرايض ورسوله في السنن ويخش الله فيما مضى من عمره ويتقه فيما بقي من عمره فاولئك
هم الفايزون ذكر اسلم ان عمر بينا هو قائم في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والفايز من نجى من النار
وادخل الجنة فقال عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم قوله تعالى واقسموا
بالله جهد ايمانهم عاد الى ذكر المنافقين فانه لما بين كراهتهم لحكم النبي صلى الله عليه وسلم اتوه
فقالوا والله لو امرتنا ان نخرج من ديارنا ونسائنا واموالنا لخرجنا ولو امرتنا بالجهاد لجاهدنا
فنزلت هذه الاية اي واقسموا بالله انهم يخرجون معك في المستانف ويطيعون جهد ايمانهم اي طاقة
ما قدروا ان يحلفوا وقال مقاتل من حلف بالله فقد اجهد في اليمين وقد مضى في الانعام بيان
هذا وجهد منصوب على مذهب المصدر تقديره اقساما بليغا قل لا تقسموا وتم الكلام طاعة
معروفة اي طاعة معروفة اولى بكم من ايمانكم او ليكن منكم طاعة معروفة وقول معروف باخلاص
القلب ولا حاجة الى اليمين وقال مجاهد المعنى قد عرفت طاعتكم وهي الكذب والتكذيب اي المعروف
منكم الكذب دون الاخلاص ان الله خبير بما تعملون من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل
قوله تعالى قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول باخلاص الطاعة وترك النفاق فان تولوا
اي فان تتولوا فحذف احدى التايين ودل على هذا ان بعده وعليكم ولم يقل وعليهم فانما عليه ما
حمل اي من تبليغ الرسالة وعليكم ما حملتم اي من الطاعة له عن ابن عباس وغيره وان تطيعوه
تهتدوا جعل الاهتداء مقرونا بطاعته وما على الرسول الا البلاغ المبين قوله تعالى
وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض نزلت في ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما قاله مالك وقيل ان سبب هذه الاية ان بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم شكا
جهد مكافحة العدو وما كانوا فيه من الخوف على انفسهم وانهم لا يضعون اسلحتهم فنزلت الاية
وقال ابو العالية مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عشر سنين بعدما اوحي اليه خايفا
هو واصحابه يدعون الى الله سرا وجهرا ثم امر بالهجرة الى المدينة وكانوا فيها خايفين يصبحون
ويمسون في السلاح فقال رجل يا رسول الله ما ياتي علينا يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال
عليه السلام لن تلبثوا الا يسيرا حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديد
ونزلت هذه الاية واظهر الله نبيه على جزيرة العرب فوضعوا السلاح وامنوا قال النحاس فكان
في هذه الاية دلالة على نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله جل وعز انجز ذلك الوعد
قال الضحاك في كتاب النقاش هذه تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي لانهم اهل الايمان
وعملوا الصالحات وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون والى
هذا القول مال ابن العربي في احكامه واختاره وقال قال علماونا هذه الاية دليل على خلافة
الخلفا الاربعة رضي الله عنهم وان الله استخلفهم ورضي امانتهم وكانوا على الدين الذي ارتضى
لهم لانهم لم يتقدمهم احد في الفضيلة الى يومنا هذا فاستقر الامر لهم وقاموا بسياسة المسلمين
وذبوا عن حوزة الدين فنفذ الوعد فيهم واذا لم يكن هذا الوعد لهم نجز وفيهم نفذ وعليهم
ورد ففيمن يكون اذن وليس بعدهم مثلهم الى يومنا هذا فلا يكون فيما بعده رضي الله عنهم
وحكى هذا القول القشيري عن ابن عباس واحتجوا بما رواه سفينة مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكا قال سفينة امسك خلافة
ابي بكر سنتان وخلافة عمر عشر وخلافة عثمان اثنتا عشرة سنة وخلافة علي ست وقال
قوم هذا وعد لجميع الامة في ملك الارض كلها تحت كلمة الاسلام كما قال عليه السلام زويت
لي الارض فرايت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتي ما زوي لي منها واختار هذا القول
ابن عطية في تفسيره حيث قال والصحيح في الاية انها في استخلاف الجمهور واستخلافهم
هو ان يملكهم البلاد ويجعلهم اهلها كالذي جرى في الشام والعراق وخراسان والمغرب قال
ابن العربي قلنا لهم هذا وعد عام في النبوة والخلافة واقامة الدعوة وعموم الشريعة فنفذ

الوعد في كل احد بعذره وعلى حاله حتى في المتقين والعصاة والائمة وليس للخلافة محل تنفذ
فيه الموعدة الكريمة الا من تقدم من الخلفا ثم ذكر قبل هذا اعتراضا وانفصالا لا معناه فانه قيل
هذا الامر لا يصح الا في ابا بكر وحده فاما عمر وعثمان فقتلا غيلة وعلي قد نوزع في الخلافة
قلت ليس في ضمن الامن السلامة من الموت باي وجه كان واما علي فلم يكن نزاله في الحرب
مذهبا للامن وليس من شرط الامن رفع الحرب انما شرطه ملك الانسان لنفسه باختياره لا كما
كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم قال في اخر كلامه وحقيقة الحال انهم كانوا
مقهورين فصاروا قاهرين وكانوا مطلوبين فصاروا طالبين فهذا نهاية الامن والعز قلت
هذه الحالة لم تختص بالخلفا الاربعة رضي الله عنهم حتى يخصوا بها من عموم الاية بل شاركهم
في ذلك جميع المهاجرين بل وغيرهم الا ترى الى اغزا قريش المسلمين في احد وغيرها وخاصة
الخندق حتى اخبر تعالى عن جميعهم فقال اذ جاوكم من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت
الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا
زلزالا شديدا ثم ان الله رد الكافرين لم ينالوا خيرا ومن المومنين واورثهم ارضهم وديارهم
وهو المراد بقوله ليستخلفنهم في الارض وقوله كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل اذ
اهلك الجبابرة بمصر واورثهم ارضهم وديارهم فقال واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون هـ
خايفين ثم ان الله تعالى امنهم ومكنهم وملكهم فصح ان الاية عامة لامة محمد صلى الله عليه وسلم
غير مخصوصة اذ التخصيص لا يكون الا بخبر ممن يجب التسليم ومن الاصل المعلوم التمسك بالعموم
وجا في معنى تبديل خوفهم بالامن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اصحابه ما ياتي علينا
يوم نامن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تلبثون الا قليلا حتى يجلس الرجل منكم
في الملا العظيم محتبيا ليس عليه حديدة وقال صلى الله عليه وسلم والله ليتمن الله هذا
الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه ولكنكم تستعجلون
خرجه مسلم في صحيحه وكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم فالاية معجزة النبوة لانها اخبار عما سيكون
فكان قوله تعالى ليستخلفنهم في الارض فيه قولان احدهما يعني ارض مكة لان المهاجرين
سالوا الله تعالى ذلك فوعدوا كما وعدت بنو اسرايل قال معناه النقاش الثاني بلاد العرب
والعجم قال ابن العربي وهو الصحيح لان ارض مكة محرمة على المهاجرين قال النبي صلى الله
عليه وسلم لكن البايس سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مات بمكة وقال
في الصحيح ايضا يمكث المهاجر بمكة بعد قضا نسكه ثلاثا واللام في ليستخلفنهم جواب قسم مضمر
لان الوعد قول مجازها قال الله للذين امنوا وعملوا الصالحات والله ليستخلفنهم في الارض
فيجعلهم ملوكا وسكانها كما استخلف الذين من قبلهم يعني بني اسرايل اهلك الجبابرة بمصر والشام
واورثهم ارضهم وديارهم وقراة العامة كما استخلف بفتح التا واللام لقوله وعد وقوله ليستخلفنهم
وقرا عيسى بن عمر وابو بكر والمفضل عن عاصم استخلف بضم التا وكسر اللام على الفعل المجهول
وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وهو الاسلام كما قال ورضيت لكم الاسلام دينا وقد تقدم
وروى سليم ابن عامر عن المقداد بن الاسود قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما على ظهر الارض بيت حجر ولا مدر الا ادخله الله كلمة الاسلام بعز عزيز او ذل ذليل اما
بعزهم فيجعلهم من اهلها واما بذلهم فيدينون لها ذكره المهدوي حجة لمن قال ان المراد بالارض
بلاد العرب والعجم وهو القول الثاني على ما تقدم انفا وليبدلنهم قرا ابن محيصن وابن كثير
ويعقوب وابو بكر بالتخفيف من ابدل وهي قراة الحسن واختيار ابي حاتم الباقون بالتشديد
من بدل وهي اختيار ابي عبيد لانها اكثر ما في القران قال الله تعالى لا تبديل لكلمات
الله وقال واذا بدلنا اية ونحوه وهما لغتان قال النحاس وحكى محمد بن الجهم عن الفرا قال
قرا عاصم والاعمش وليبدلنهم مشددة وهذا غلط عن عاصم وقد ذكر بعده غلطا اشد منه
وهو انه حكى عن سائر الناس التخفيف قال النحاس وزعم احمد بن يحيى ان بين التخفيف
والتثقيل فرقا وانه يقال بدلته اي غيرته وابدلته ازلته وجعلت غيره قال النحاس وهذا
القول صحيح كما تقول ابدل لي هذا الدرهم اي ازله واعطني غيره وتقول قد بدلت
بعدنا اي غيرت غير انه قد يستعمل احدهما موضع الاخر والذي ذكره اكثر وقد مضى هذا في النسا

والجهد

والجهد بعد ذكرنا في سورة ابراهيم الدليل من السنة على ان بدل معناه ازالة العين فتامله هناك
وقرى عسى ربنا ان يبدلنا مخففا ومثقلا يعبدونني هو في موضع الحال اي في حال عبادتهم اياه
بالاخلاص ويجوز ان يكون استينافا على طريق الثنا عليهم لا يشركون بي شيا فيه اربعة اقوال احدها لا يعبدون
الها غيري حكاه النقاش الثاني لا يراون بعبادتي احدا الثالث لا يخافون غيري قاله ابن عباس الرابع
لا يحبون غيري قاله مجاهد ومن كفر بعد ذلك اي بهذه النعم والمراد كفران النعمة لانه قال تعالى
فاوليك هم الفاسقون والكافر بالله فاسق بعد هذا الانعام وقبله قوله تعالى واقيموا الصلاة
واتوا الزكاة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون تقدم فاعاد الامر بالعبادة تاكيدا قوله تعالى
لا تحسبن الذين كفروا هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد بالنصر وقراة العامة تحسبن
بالتا خطابا وقرا ابن عامر وحمزة وابو حيوة يحسبن بالياء بمعنى لا يحسبن الذين كفروا انفسهم
معجزين الله في الارض لان الحسبان يتعدى الى مفعولين وهذا قول الزجاج وقال الفرا وابو علي
يجوز ان يكون الفعل للنبي عليه السلام اي لا يحسبن محمد الذين كفروا معجزين فالذين مفعول اول
ومعجزين مفعول ثان وعلى القول الاول الذين كفروا فاعل انفسهم مفعول اول وهو محذوف مراد
معجزين مفعول ثان قال النحاس وما علمت احدا من اهل العربية بصريا ولا كوفيا الا وهو يخطي قراة
حمزة فمنهم من يقول هي لحن لانه لم يات الا بمفعول واحد ليحسبن وممن قال هذا ابو حاتم وقال
الفرا هو ضعيف واجازه على ضعفه على انه يحذف المفعول الاول وقد بيناه كما قال النحاس وسمعت
علي بن سليمان يقول في هذه القراة يكون الذين كفروا في موضع نصب قال ويكون المعنى ولا يحسبن
الكافر الذين كفروا معجزين في الارض قلت وهذا موافق لما قاله الفرا وابو علي الا ان الفاعل هناك
النبي صلى الله عليه وسلم وفي هذا القول الكافر ومعجزين معناه فايتين وقد تقدم وماواهم
النار ولبيس المصير اي المرجع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم الى
قوله حكيم فيه ثمان مسايل الاولى قال العلما هذه الاية خاصة والتي قبلها عامة لانه قال يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها ثم خص هنا فقال
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم فخص في هذه الاية بعض المستاذنين وكذلك ايضا يتاول القول
في الاولى في جميع الاوقات عموما وخص في هذه الاية بعض الاوقات فلا يدخل فيها عبد ولا امة
وغدا كان او ذا منظر الا بعد الاستيذان قال مقاتل نزلت في اسما بنت مرثد دخل عليها غلام
لها كبير فاشتكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت عليه الاية وقيل سبب نزولها دخول
مدلج على عمر وسياتي الثانية اختلف العلما في المراد بقوله تعالى ليستاذنكم على ستة اقوال
الاول انها منسوخة قاله ابن المسيب وابن جبير الثاني انها ندب غير واجبة قاله ابو قلابة قال انما
امروا بهذا نظرا لهم الثالث عنى بها النسا قاله ابو عبد الرحمن السلمي وقال ابن عمر هي في الرجال
دون النسا وهو القول الرابع والخامس كان ذلك واجبا اذ كانوا لا غلق لهم ولا ابواب ولو
عاد الحال لعاد الوجوب حكاه المهدوي عن ابن عباس السادس انها محكمة واجبة ثابتة
على الرجال والنسا وهو قول اكثر اهل العلم منهم القاسم وجابر بن زيد والشعبي واضعفها
قول السلمي لان الذين لا يكون للنسا في كلام العرب انما يكون للنسا اللاتي او اللواتي وقول
ابن عمر يستحسنه اهل النظر لان الذين للرجال في كلام العرب وان كان يجوز ان يدخل معهم
النسا فانما يقع ذلك بدليل والكلام على ظاهره غير ان في اسناده ليث بن ابي سليم واما قول
ابن عباس فروى ابو داود عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول اية لم يومن
بها اكثر الناس اية الاستيذان واني لامر جاريتي هذه تستاذن علي قال ابو داود وكذلك
رواه عطا عن ابن عباس يامر به وروى عكرمة ان نفرا من اهل العراق قالوا يا ابن عباس كيف
ترى في هذه الاية التي امرنا فيها بما امرنا ولا يعمل بها قول الله عز وجل يا ايها الذين امنوا
ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر
وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا
عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم قال ابو داود وقرا القعنبي الى عليم حكيم قال ابن عباس ان
الله حليم رحيم بالمومنين يحب الستر وكان الناس ليس لبيوتهم ستور ولا حجال فربما
دخل الخادم او الولد او يتيمه والرجل على اهله فامرهم الله بالاستيذان في تلك العورات فجا

الله بالستور والخير فلم ار احدا يعمل بذلك قلت هذا متن حسن وهو يرد قول سعيد بن جبير فانه ليس بمنسوخ ولكن على انها كانت على حال ثم زالت فان كان مثل ذلك الحال فحكمها قايم كما كان بل حكمها اليوم ثابت في كثير من مساكين المسلمين في البوادي والصحاري ونحوها وروى وكيع عن سفيان عن موسى بن ابي عايشة عن الشعبي يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات قال يزيد ثلث دفعات قال فوركا القران في المايكة والصبيان وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجميع قال ابن عبد البر ما قاله من هذا وان كان له وجه فانه غير معروف عن العلما في تفسير الاية التي نزع بها والذي عليه جمهورهم في قوله ثلث مرات اي في ثلث اوقات ويدل على صحة هذا القول ذكره فيها من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا الرابعة ادب الله عز وجل عباده في هذه الاية بان يكون العبيد اذ لا بال لهم والاطفال الذين لم يبلغوا الحلم الا انهم عقلوا معاني الكشفة ونحوها يستاذنون على اهليهم في هذه الاوقات الثلث وهي الاوقات التي تقتضي عادة الناس الانكشاف فيها وملازمة التعري فما قبل الفجر وقت الخروج من ثياب النوم ولبس ثياب النهار ووقت القايلة وقت التجرد وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اي فعلا واشتد حره وبعد صلاة العشا وقت التعري للنوم فالتكشف غالب في هذه الاوقات يروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الانصار يقال له مدلج الى عمر ابن الخطاب ظهيرة ليدعوه فوجده نايما قد اغلق عليه الباب فدق الغلام الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شي فقال عمر وددت ان الله نهى ابناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الاية قد انزلت فخر ساجدا شكرا لله عز وجل وهي مكية الخامسة قوله تعالى والذين لم يبلغوا الحلم منكم اي الذين لم يحتلموا من احراركم قاله مجاهد وذكر اسمعيل بن اسحاق كان يقول ليستاذنكم الذين لم يبلغوا الحلم مما ملكت ايمانكم على التقديم والتاخير وان الاية في الاما وقرا الجمهور بضم اللام وسكنها الحسن بن ابي الحسن لثقل الضمة وكان ابو عمرو يستحسنها وثلث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلثا انما امروا بالاستيذان في ثلثة مواطن والظرفية في ثلث بينه من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشا وقد مضى معناه ولا يجب ان يستاذن ثلث مرات في كل وقت ثلث عورات لكم قرا جمهور السبعة ثلث عورات برفع ثلث وقرا حمزة والكساي وابو بكر عن عاصم ثلث بالنصب على البدل من الظرف في قوله ثلث مرات قال ابو حاتم النصب ضعيف مردود وقال الفرا الرفع احب الي قال وانما اخترت الرفع لان المعنى هذه الخصال ثلث عورات والرفع عند الكساي بالابتدا والخبر عنده ما بعده ولم يقل بالعايد وقال ايضا بالابتدا قال والعورات الساعات التي تكون فيها العورة الا انه قرا بالنصب والنصب فيه قولان احدهما انه مردود على قوله ثلث مرات ولهذا استبعده الفرا وقال الزجاج المعنى ليستاذنكم اوقات ثلث عورات فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعورات جمع عورة وبابه في الصحيح ان يجي على فعلات بفتح العين كجفنة وجفنات ونحو ذلك وسكنوا العين في المعتل كبيضة وبيضات لان فتحه داع الى اعتلاله فلم يفتح لذلك فاما قول الشاعر

ابو بيضات رايح ومعتد * عجلان ذا زاد وغير مزود

السادسة قوله تعالى ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن اي في الدخول من غير ان تستاذنوا وان كنتم متبذلين طوافون بمعنى هم طوافون قال الفرا كقولك في الكلام انما هم خدمكم وطوافون عليكم واجاز الفرا نصب طوافين لانه نكرة والمضمر في عليكم معرفة ولا يجيز البصريون ان يكون حالا من المضمرين اللذين في عليكم وفي بعضكم لاختلاف العاملين ولا يجوز مررت بزيد ونزلت على عمرو العاقلين على النعت لهما ومعنى طوافون عليكم اي يطوفون عليكم وتطوفون عليهم ومنه الحديث في الهرة انما هي من الطوافين او الطوافات فمنع في الثلث العورات من دخولهم علينا لان حقيقة العورة كل شي لا مانع دونه ومنه قوله ان بيوتنا عورة اي سهلة للمدخل

فبين العلة الموجبة للاذن وهي الخلوة في حال العورة فتعين امتثاله وتعذر نسخه ثم رفع الجناح بقوله ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض اي يطوف بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الايات الكاف في موضع نصب اي يبين الله لكم اياته الدالة على متعبداته بيانا مثل ما يبين لكم هذه الاشيا والله عليم حكيم تقدم السابعة قوله تعالى ومن بعد صلاة العشا يريد العتمة وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا تغلبنكم الاعراب على اسم صلاتكم الا انها العشا وهم يعتمون بالابل وفي رواية فانها في كتاب الله العشا وانها تعتم بحلاب الابل وفي البخاري عن ابي برزة كان النبي صلى الله عليه وسلم يوخر العشا وقال انس اخر النبي صلى الله عليه وسلم العشا وهذا يدل على العشا الاولى وفي الصحيح فصلاها يعني العصر بين العشايين المغرب والعشا وفي الموطا وغيره ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لاتوهما ولو حبوا وفي مسلم عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الصلاة نحوا من صلاتكم وكان يوخر العتمة بعد صلاتكم شيا وكان يخفف الصلاة قال القاضي ابو بكر بن العربي وهذه اخبار متعارضة لا يعلم منها الاول من الاخر بالتاريخ ونهيه عليه السلام عن تسمية المغرب عشا وعن تسمية العشا عتمة ثابت ولا مرد له من اقوال الصحابة فضلا عمن عداهم وقد كان ابن عمر يقول من قال صلاة العتمة فقد اثم وقال ابن القاسم قال مالك ومن بعد صلاة العشا فالله سماها صلاة العشا فاحب النبي صلى الله عليه وسلم ان تسمى بما سماها الله به ويعلمها الانسان اهله وولده ولا يقول عتمة الا عند خطاب من لا يفهم وقد قال حسان

وكانت لا يزال بها انيس * خلال مروجها نعم وشاء

فدع هذا ولكن من لطيف * يورقني اذا ذهب العشاء

وقد قيل ان هذا النهي عن اتباع الاعراب في تسميتهم العشا عتمة انما كان لئلا يعدل بها عما سماها الله تعالى في كتابه اذ قال ومن بعد صلاة العشا فكانه نهي ارشاد الى ما هو الاولى وليس على جهة التحريم ولا على ان تسميتها العتمة لا يجوز الا ترى انه قد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اطلق عليها ذلك وقد اباح تسميتها بذلك ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقيل انما نهي عن ذلك تنزيها لهذه العبادة الشرعية الدينية عن ان يطلق عليها ما هو اسم لفعلة دنيوية وهي الحلبة التي كانوا يحلبونها في ذلك الوقت ويسمونها العتمة ويشهد لهذا قوله فانها تعتم بحلاب الابل الثامنة روى ابن ماجة في سننه ثنا عثمان بن ابي شيبة ثنا اسمعيل بن عياش عن عمارة بن غزية عن انس بن مالك عن عمر ابن الخطاب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول من صلى في جماعة اربعين ليلة لا تفوته الركعة الاولى من صلاة العشا كتب الله له بها عتقا من النار وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى العشا في جماعة فكانما قام نصف ليلة ومن صلى الفجر في جماعة فكانما قام الليل كله وروى الدارقطني في سننه عن سبيع او تبيع عن كعب قال من توضا فاحسن الوضوء وصلى العشا الاخرة وصلى بعدها اربع ركعات فاتم ركوعهن وسجودهن ويعلم ما يقترى فيهن كن له بمنزلة ليلة القدر قوله تعالى واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الاية قرا الحسن الحلم فحذف الضمة لثقلها والمعنى ان الاطفال امروا بالاستيذان في الاوقات الثلث المذكورة وابيح لهم الامر في غير ذلك كما ذكرنا ثم امر تعالى في هذه الاية ان يكونوا اذا بلغوا الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله عز وجل لاحكامه وايضاح حلاله وحرامه وقال فليستاذنوا ولم يقل فليستاذنوكم وقال في الاولى ليستاذنكم لان الاطفال غير مخاطبين ولا متعبدين وقال ابن جريج قلت لعطا واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا قال واجب على الناس ان يستاذنوا اذا احتلموا احرارا كانوا او عبيدا وقال ابو اسحاق الفزاري قلت للاوزاعي ما حد الطفل الذي يستاذن قال اربع سنين قال لا يدخل على امراة حتى يستاذن وقال الزهري اي يستاذن الرجل على امه وفي هذا المعنى نزلت هذه الاية قوله تعالى والقواعد من النسا اللاتي لا يرجون نكاحا الى قوله سميع عليم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى والقواعد من النسا القواعد واحدها قاعد بلا ها ليدل حذفها على انه قعود الكبر كما قالوا امراة حامل ليدل بحذف الها انه حمل حبل قال الشاعر فلو ان ما في بطنه بين نسوة * حبلن وان كن القواعد عقرا

وقالوا في غير ذلك قاعدة في بيتها وحامله على ظهرها بالهاء والقواعد ايضا اساس البيت واحده
قاعده بالهاء الثانية قوله تعالى القواعد من النساء اللواتي قعدن عن التصرف من السن وقعدت عن الولد
والمحيض هذا قول اكثر العلما قال ربيعة هي التي اذا رايتها تستقذرها من كبرها وقال ابو
عبيدة اللاتي قعدت عن الولد وليس ذلك بمستقيم لان المراة تقعد عن الولد وفيها مستمتع
قاله المهدوي الثالثة قوله تعالى فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة
انما خص القواعد بذلك لانصراف الانفس عنهن اذ لا مذهب للرجال فيهن فابيح لهن ما لم يبح
لغيرهن وازيل عنهن كلفة التحفظ المتعب لهن الرابعة قرا ابن مسعود وابي وابن عباس
ان يضعن من ثيابهن بزيادة من قال ابن عباس وهو الجلباب وروي عن ابن مسعود
ايضا من جلابيبهن والعرب تقول امراة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها وقال قوم الكبيرة
التي ايست من النكاح لو بدا شعرها فلا باس فعلى هذا يجوز لها وضع الخمار والصحيح انها كالشابة
في التستر الا ان الكبيرة تضع الجلباب الذي يكون فوق الدرع والخمار قاله ابن مسعود وابن جبير
وغيرهما الخامسة قوله تعالى غير متبرجات بزينة اي غير مظهرات ولا متعرضات بالتزين لينظر
اليهن فان ذلك من اقبح الاشيا وابعده عن الحق والتبرج التكشف والظهور للعيون ومنه
بروج مشيدة وبروج السما والاسوار اي لا حائل دونها يسترها وقيل لعائشة رضي الله عنها
يا ام المومنين ما تقولين في الخضاب والصباغ والتمائم والقرطين والخلخال وخاتم الذهب
ورقاق الثياب فقالت يا معشر النسا قصتكن قصة امراة واحدة احل الله لكن الزينة غير
متبرجات غير خارجات من بيوتهن وعلى هذا يلزم ان يقال اذا كانت في بيتها فلا بد لها من
جلباب فوق الدرع وهذا بعيد الا اذا دخل عليها اجنبي ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن
واستعفافهن عن وضع الثياب والتزامهن ما يلزم الشباب افضل لهن وخير وقرا ابن مسعود
وان يتعففن بغير سين ثم قيل من التبرج ان تلبس المراة ثوبين رقيقين يصفانها روى الصحيح
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم
سياط كاذناب البقر يضربون بها الناس ونسا كاسيات عاريات مميلات مائلات روسهن كاسنمة
البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا قال ابن
العربي انما جعلهن كاسيات لان الثياب عليهن وانما وصفهن بانهن عاريات لان الثوب اذا رق
يصفهن ويبدي محاسنهن وذلك حرام قلت هذا احد التاويلين للعلما في هذا المعنى ه
والثاني انهن كاسيات من الثياب عارية من لباس التقوى الذي قال الله تعالى فيه ولباس
التقوى ذلك خير وانشدوا • اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى • تقلب عريانا وان كان كاسيا •
• وخير لباس المرء طاعة ربه • ولا خير فيمن كان لله عاصيا •
وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا نائم
رايت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك ومر عمر بن الخطاب
وعليه قميص يجره قالوا ماذا اولت ذلك يا رسول الله قال الدين فتاويله صلى الله عليه وسلم القميص بالدين
ماخوذ من قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير والعرب تكني عن الفضل والعفاف بالثياب
كما قال شاعرهم • ثياب بني عوف طهارى نقية • وقد قال صلى الله عليه وسلم لعثمان ان الله
سيلبسك قميصا فان ارادوك ان تخلعه فلا تخلعه فعبر عن الخلافة بالقميص وهي استعارة حسنة
معروفة قلت هذا التاويل اصح التاويلين وهو اللائق بهن في هذه الازمان وخاصة الشباب
فانهن يتزين ويخرجن متبرجات فهن كاسيات بالثياب عاريات من التقوى حقيقة ظاهرا وباطنا
حيث تبدي زينتها ولا تبالي بمن ينظر اليها بل ذلك مقصودهن وذلك مشاهد في الوجود منهن
فلو كان عندهن شي من التقوى لما فعلن ذلك ولم يعلم احد ما هنالك ومما يقوي هذا التاويل
ما ذكر من وصفهن في بقية الحديث في قوله روسهن كاسنمة البخت ضرب من الابل عظام الاجسام
عظام الاسنمة شبه روسهن بها لما رفعن من ضفائر شعورهن على اوساط روسهن وهذا مشاهد
معلوم والناظر اليهن ملوم قال صلى الله عليه وسلم ما تركت من بعدي فتنة اضر على الرجال من
النسا خرجه البخاري قوله تعالى ليس على الاعمى حرج اختلف العلما في تاويل هذه الاية
على اقوال ثمانية اقربها هل هي منسوخة او ناسخة او محكمة فهذه ثلاثة اقوال الاول انها

منسوخة

منسوخة في قوله تعالى ولا على انفسكم الى اخر الاية قاله عبد الرحمن بن زيد قال هذا شي قد
انقطع كانوا في اول الاسلام ليس على ابوابهم اغلاق فكانت الستور مرخاة فربما جا الرجل فدخل البيت
وهو جائع وليس فيه احد فسوغ الله عز وجل ان ياكل منه ثم صارت الاغلاق على البيوت فلا يحل
لاحد ان يفتحها فذهب هذا وانقطع قال صلى الله عليه وسلم لا يحتلبن احد ماشية احد الا باذنه
الحديث خرجه الائمة الثاني انها ناسخة قاله جماعة روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال لما
انزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل قال المسلمون ان الله عز وجل
قد نهانا ان ناكل اموالنا بيننا بالباطل وان الطعام من افضل الاموال فلا يحل لاحد منا ان ياكل
عند احد فكف الناس عن ذلك فانزل الله عز وجل ليس على الاعمى حرج الى او ما ملكتم مفاتحه
قال هو الرجل يوكل الرجل بضيعته قلت علي بن ابي طلحة هذا هو مولى بني هاشم سكن الشام
يكنى ابا الحسن ويقال ابا محمد واسم ابيه ابا طلحة سالم تكلم في تفسيره فقيل انه لم ير ابن عباس والله
اعلم الثالث انها محكمة قاله جماعة من اهل العلم ممن يقتدى بقولهم منهم سعيد بن المسيب وعبيد الله
ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود وروى الزهري عن عروة عن عائشة قالت كان المسلمون يوعبون
في النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانوا يدفعون مفاتحهم الى ضمناهم ويقولون ان احتجتم
فكلوا فكانوا يقولون انما احلوه لنا عن طيب نفس فانزل الله عز وجل ليس عليكم جناح ان تاكلوا
من بيوتكم او بيوت ابائكم الى اخر الاية قال النحاس يوعبون ان يخرجون باجمعهم في المغازي
يقال اوعب بنو فلان لبني فلان اذا جاءوهم باجمعهم وقال ابن السكيت اوعب بنو فلان جلاء
فلم يبق ببلدهم منهم احد وجا الفرس بركض وعيب اي باقصى ما عنده وفي الحديث في الانف
اذا استوعب جدعه الدية اذا لم يترك منه شي واستيعاب الشي استيصاله ويقال بيت وعيب
اذا كان واسعا يستوعب كل ما جعل فيه والضمنى الزمنى واحدهم ضمن مثل زمن قال
النحاس وهذا القول من اجل ما روي في الاية لما فيه عن الصحابة والتابعين من التوقيف ان
الاية نزلت في شي بعينه وقال ابن العربي وهذا كلام منتظم لاجل تخلفهم عنهم في الجهاد وبقي
اموالهم بايديهم لكن قوله او ما ملكتم مفاتحه قد اقتضاه فكان هذا القول بعيدا جدا لكن
المختار ان يقال ان الله رفع الحرج عن الاعمى فيما يتعلق بالتكليف الذي يشترط فيه البصر وعن
الاعرج فيما يشترط في التكليف به من المشي وما يتعذر من الافعال مع وجود العرج وعن المريض
فيما يوثر المرض في اسقاطه كالصوم وشروط الصلاة واركانها والجهاد ونحو ذلك ثم قال
بعد ذلك مبينا وليس عليكم حرج في ان تاكلوا من بيوتكم فهذا معنى صحيح وتفسير بين مفيد
يعضده الشرع والعقل ولا يحتاج في تفسير الاية الى نقل قلت والى هذا اشار ابن عطية
فقال فظاهر الاية وامر الشريعة يدل على ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر
وتقتضي نيتهم فيه الاتيان بالاكمل ويقتضي العذر ان يقع منهم الانقص فالحرج مرفوع عنهم
في هذا فاما ما قال الناس في هذا الحرج هنا وهي الثانية فقال ابن زيد هو الحرج في الغزو
اي لا حرج عليهم في تاخرهم وقوله ولا على انفسكم الاية معنى مقطوع من الاول وقالت فرقة الاية
كلها في معنى المطاعم قالت وكانت العرب ومن بالمدينة قبل المبعث تتجنب الاكل مع اهل
الاعذار فبعضهم كان يفعل ذلك تقذرا لجولان اليد من الاعمى ولانبساط الجلسة من الاعرج
ولرائحة المريض وعلاته وهي اخلاق جاهلية وكبر فنزلت الاية مودبة وبعضهم كان يفعل
ذلك تحرجا من غير اهل الاعذار اذ هم مقصرون عن درجة الاصحا في الاكل لعدم الروية
في الاعمى وللعجز عن المزاحمة في الاعرج ولضعف المريض فنزلت الاية في اباحة الاكل معهم
وقال ابن عباس في كتاب الزهراوي ان اهل الاعذار تحرجوا في الاكل مع الناس من اجل
عذرهم فنزلت الاية مبيحة لهم وقيل كان الرجل اذا ساق اهل العذر الى بيته فلم يجد فيه شيئا
ذهب به الى بيوت قرابته فتحرج اهل الاعذار من ذلك فنزلت الاية الثالثة قوله تعالى ولا
على انفسكم هنا ابتدا كلام اي ولا عليكم ايها الناس ولكن لما اجتمع المخاطب وغير المخاطب غلب
المخاطب لينتظم الكلام وذكر بيوت القرابات وسقط منها بيوت الابنا فقال المفسرون ذلك لانها
داخلة في قوله في بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته وفي الخبر انت ومالك لابيك ولانه ذكر
الاقربا بعد ولم يذكر الاولاد قال النحاس وعارض بعضهم هذا القول فقال هذا تحكم على كتاب

الله بل الاولى في الظاهر ان لا يكون الابن مخالفا لهولاء وليس الاحتجاج بما روي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انت ومالك لابيك بقوي لوهاء هذا الحديث وانه لو صح لم تكن فيه حجة اذ قد يكون
النبي صلى الله عليه وسلم علم ان مال ذلك المخاطب لابيه وقد قيل ان معنى انت لابيك ومالك مبتدا
اي ومالك لك والقاطع لهذا التوارث بين الاب والابن وقال الترمذي الحكيم ووجه قوله
تعالى ولا على انفسكم ان تاكلوا من بيوتكم كانه يقول مساكنكم التي فيها اهاليكم واولادكم فيكون
للاهل والولد هناك شي قد افادهم هذا الرجل الذي له المسكن فليس عليه حرج ان ياكل معهم
من ذلك القوت او يكون للزوجة والولد هناك شي قد افادهم هذا الرجل من ملكهم فليس عليه
في ذلك حرج الرابعة قوله تعالى او بيوت ابايكم الى او بيوت خالاتكم قال بعض العلما هذا اذا
اذنوا له في ذلك وقال اخرون اذنوا له او لم ياذنوا فله ان ياكل لان القرابة التي بينهم هي
اذن منهم بذلك العطف ان تاكل هذا من شيهم ويسروا بذلك اذا علموا ابن العربي اباح لنا الاكل
من جهة النسب من غير استيذان اذا كان الطعام مبذولا فان كان محوزا دونهم لم يكن لهم اخذه
ولا يجوز ان يجاوزوا الى الادخار ولا الى ما ليس بماكول وان كان غير محوز عنهم الا باذن منهم
الخامسة قوله تعالى او ما ملكتم مفاتحه يعني مما اختزنتم وصار في قبضتكم وعظم ذلك ما
ملكه الرجل في بيته وتحت غلقه وذلك هو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين
يدخل في الاية الوكلا والعبيد والاجرا قال ابن عباس عني وكيل الرجل على ضيعته وخازنه
على ماله فيجوز له ان ياكل مما هو قيم عليه وذكر معمر عن قتادة عن عكرمة قال اذا ملك الرجل
المفتاح فهو خازن فلا باس ان يطعم الشي اليسير ابن العربي للخازن ان ياكل مما يخزن اجماعا
وهذا اذا لم تكن له اجرة فاما اذا كانت له اجرة على الخزن حرم الاكل وقرا سعيد بن جبير ملكتم
بضم الميم وكسر اللام وتشديدها وقرا ايضا مفاتيحه بيا بين التا والحا جمع مفتاح وقد مضى في
الانعام وقرا قتادة مفتاحه على الافراد وقال ابن عباس نزلت هذه الاية في الحرث بن
عمرو خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا وخلف مالك بن زيد على اهله فلما رجع
وجده مجهودا فسأله عن حاله فقال تحرجت ان اكل من طعامك بغير اذنك فانزل الله هذه
الاية السادسة قوله تعالى او صديقكم الصديق بمعنى الجمع وكذلك العدو قال الله تعالى فانهم
عدو لي وقال جرير ۝ دعون الهوى ثم ارتمين قلوبنا ۝ باسهم اعدا وهن صديق ۝
والصديق من يصدقك في مودته وتصدقه في مودتك ثم قيل ان هذا منسوخ بقوله لا تدخلوا
بيوت النبي الا ان يوذن لكم وقوله فان لم تجدوا فيها احدا فلا تدخلوها الاية وقوله عليه
السلام لا يحل مال امري مسلم الا بطيبة نفس منه وقيل هي محكمة وهو اصح ذكر محمد بن ثور عن
معمر قال دخلت بيت قتادة فابصرت فيه رطبا فجعلت اكله فقال ما هذا فقلت ابصرت رطبا
في بيتك فاكلت قال احسنت قال الله او صديقكم وذكر عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله
او صديقكم قال اذا دخلت بيت صديقك من غير مؤامرته لم يكن بذلك باس وقال معمر قلت
لقتادة الا اشرب من هذا الحب قال انت لي صديق فما هذا الاستيذان وكان صلى الله عليه
وسلم يدخل حايط ابي طلحة المسمى ببيرحا ويشرب من ما فيها طيب بغير اذنه على ما قاله
علماونا قالوا والما متملك لاهله واذا جاز الشرب من ما الصديق بغير اذنه جاز الاكل من
ثماره وطعامه اذا علم ان نفس صاحبه تطيب به لتفاهته ويسير مونته او لما بينهما من
المودة ومن هذا المعنى اطعام ام حرام له صلى الله عليه وسلم اذ نام عندها لان الاغلب ان ما في البيت
من الطعام هو للرجل وان يد زوجته في ذلك عارية وهذا كله ما لم يتخذ الاكل خبنة ولم يقصد
بذلك وقاية ماله وكان تافها يسيرا السابعة قرن الله عز وجل في هذه الاية الصديق بالقرابة
المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال ابن عباس في كتاب النقاش الصديق اوكد من
القرابة الا ترى استغاثة الجهنميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم قلت ولهذا لا تجوز
عندنا شهادة الصديق لصديقه كما لا تجوز شهادة القريب لقريبه وقد مضى بيان هذا
والعلة فيه في النسا وفي المثل ايهم احب اليك اخوك او صديقك قال اخي اذا كان صديقي
الثامنة قوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا قيل انها نزلت في بني ليث
ابن بكر وهم حي من بني كنانة كان الرجل منهم لا ياكل وحده ويمكث اياما جايعا حتى يجد من يواكله

ومن

ومنه قول بعض الشعرا ۝ اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له اكيلا فاني لست اكله وحدي ۝
قال ابن عطية وكانت هذه السيرة موروثة عندهم عن ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانه كان
لا ياكل وحده وكان بعض العرب اذا كان له ضيف لا ياكل الا ان ياكل مع ضيفه فنزلت الاية
مبينة سنة الاكل ومذهبة كل ما خالفها من سيرة العرب ومبيحة من اكل المنفرد ما كان عند العرب
محرما نحت به نحو كرم الخلق فافرطت في الزامه وان احضار الاكيل حسن ولكن بان لا يحرم الانفراد
التاسعة قوله تعالى جميعا او اشتاتا جميعا نصب على الحال واشتاتا جمع شت والشت المصدر
بمعنى التفرق يقال شت القوم اي تفرقوا وقد ترجم البخاري في صحيحه باب ليس على الاعمى حرج
ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج الاية والنهد والاجتماع ومقصوده فيما قاله علماونا
في هذا الباب اباحة الاكل جميعا وان اختلفت احوالهم في الاكل وقد سوغ النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فصارت تلك سنة في الجماعات التي تدعى الى الطعام في النهد والولايم وفي الاملاق
في السفر وما ملكت مفاتحه بامانة او قرابة او صداقة فلك ان تاكل مع القريب او الصديق
ووحدك والنهد ما يجمعه الرفقا من مال او طعام على قدر في النفقة ينفقونه بينهم وقد تناهدوا
عن صاحب العين وقال ابن دريد يقال من ذلك تناهد القوم الشي بينهم الهروي وفي حديث
الحسن اخرجوا نهدكم فانه اعظم للبركة واحسن لاخلاقكم النهد ما تخرجه الرفقة عند المناهدة
وهو استقسام النفقة بالسوية في السفر وغيره والعرب تقول هات نهدك بكسر النون قال
المهلب وطعام النهد لم يوضع للاكلين على انهم ياكلون بالسواء وانما ياكل كل واحد على قدر نهمته وقد
ياكل الرجل اكثر من غيره وقد قيل ان تركها اشبه بالورع وان كانت الرفقة تجتمع كل يوم على
طعام احدهم فهو احسن من النهد لانهم لا يتناهدون الا ليصيب كل واحد منهم من ماله واذا كانوا
يوما عند هذا ويوما عند هذا بلا شرط فانما يكونون اضيافا والضيف ياكل بطيب نفس مما يقدم
اليه وقال ايوب السختياني انما كان النهد ان القوم كانوا يكونون في السفر فيسبق بعضهم
الى المنزل فيذبح ويهيي الطعام ثم ياتيهم ثم يسبق ايضا الى المنزل فيفعل مثل ذلك فقالوا ان هذا
الذي تصنع كلنا يجب ان نصنع مثله فتعالوا نجعل بيننا شيا لا يتفضل بعضنا على بعض فوضعوا
النهد بينهم وكان الصلحا اذا تناهدوا تحرى افضلهم ان يزيد على ما يخرجه اصحابه وان لم يرضوا
بذلك منه اذا اعلموه فعله سرا دونهم العاشرة قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا الاية اختلف المتاولون
في اي البيوت اراد فقال ابراهيم النخعي والحسن اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها من ضيفكم
فان لم يكن في المساجد احد فالسلام ان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر عبد
الرزاق انا معمر عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في قوله تعالى فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على
انفسكم قال جابر بن عبد الله وابن عباس ايضا وعطا ابن ابي رباح قالوا ويدخل في ذلك البيوت
غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين قال
ابن العربي القول بالعموم في البيوت هو الصحيح ولا دليل على التخصيص واطلق القول ليدخل
تحت هذا العموم كل بيت كان للغير او لنفسه فاذا دخل بيتا لغيره استاذن كما تقدم فاذا دخل
بيتا لنفسه سلم كما ورد في الخبر يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وعليه حمل ابن عمر
البيت الفارغ ان لا يلزم السلام فانه ان كان المقصود الملائكة فالملائكة لا تفارق العبد بحال
اما انك اذا دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بان تقول ما شا الله لا قوة الا بالله وقد تقدم في الكهف
وقال القشيري في قوله اذا دخلتم بيوتا والاوجه ان يقال ان هذا عام في دخول كل بيت
فان كان فيه ساكن مسلم يقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وان لم يكن فيه ساكن يقول السلام
علينا وعلى عباد الله الصالحين وان كان في البيت من ليس بمسلم قال السلام على من اتبع الهدى
او السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وذكر ابن خويز منداد قال كتب الي ابو العباس الاصم
قال نا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن وهب قال ثنا جعفر بن ميسرة عن زيد بن اسلم
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلتم بيوتا فسلموا على اهلها واذكروا اسم الله فان
احدكم اذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى على طعامه يقول الشيطان لاصحابه ادركتم
المبيت والعشا قلت هذا الحديث ثبت معناه مرفوعا من حديث جابر خرجه مسلم وفي كتاب
ابي داود عن ابي مالك الاشجعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ولج الرجل بيته فليقل

اللهم اني اسالك خير المولج وخير المخرج بسم الله ولجنا وبسم الله خرجنا وعلى الله ربنا توكلنا
ثم ليسلم على اهله الحديث غريب قوله تعالى تحية مصدر لان قوله فسلموا معناه فحيوا ووصفها
بالبركة لان فيها الدعا واستجلاب مودة المسلم عليه ووصفها ايضا بالطيب لان سامعها يستطيبها
والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن اي كما بين لكم سنة دينكم في
هذه الاشيا يبين لكم سائر ما بكم حاجة اليه في دينكم قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا
بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستاذنوه فيه مسيلتان الاولى
قوله تعالى انما المومنون انما في هذه الاية للحصر المعنى لا يتم ولا يكمل ايمان من امن بالله ورسوله
الا بان يكون من الرسول سامعا غير معنت في ان يكون الرسول يريد اكمال امر فيريد هو افساده
بزواله في وقت الجمع ونحو ذلك وبين تعالى في اول السورة انه انزل ايات بينات وانما النزول
على محمد صلى الله عليه وسلم فختم السورة بتاكيد الامر في متابعته عليه السلام ليعلم ان اوامره
كاوامر القران الثانية واختلف في الامر الجامع ما هو فقيل المراد به ما للامام حاجة الى جميع
الناس فيه لمراعاة مصلحة من اقامة سنة في الدين او لترهيب عدو باجتماعهم وللحروب قال
الله تعالى وشاورهم في الامر فاذا كان امر يشملهم نفعه وضره جمعهم للتشاور في ذلك والامام
الذي يترقب اذنه هو امام الامرة فلا يذهب احد لعذره الا باذنه فاذا ذهب باذنه ارتفع عنه
الظن السيء وقال مكحول والزهري الجمعة من الامر الجامع وامام الصلاة ينبغي ان يستاذن
اذا قدمه امام الامرة اذا كان يرى المستاذن قال ابن سيرين كانوا يستاذنون الامام على
المنبر فلما كثر ذلك قال زياد من جعل يده على فيه فليخرج دون اذن وقد كان هذا بالمدينة
حتى ان سهيل بن ابي صالح رعف يوم الجمعة فاستاذن الامام وظاهر الاية يقتضي ان يستاذن
امير الامرة الذي هو في مقعد النبوة فانه ربما كان له راي في حبس ذلك الرجل لامر من
امور الدين واما امام الصلاة فقط فليس ذلك اليه لانه وكيل على جزء من اجزاء الدين الذي
هو في مقعد النبوة وروي ان هذه الاية نزلت في حفر الخندق حين جاءت قريش وقائدها
ابو سفيان وغطفان وقائدها عيينة بن حصن فضرب النبي صلى الله عليه وسلم الخندق على المدينة
وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة فكان المنافقون يتسللون لواذا من العمل ويعتذرون
باعذار كاذبة ونحوه روى اشهب وابن عبد الحكم عن مالك وكذلك قال محمد بن اسحاق وقال
مقاتل نزلت في عمر رضي الله عنه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك في الرجعة
فاذن له وقال انطلق فوالله ما انت بمنافق يريد بذلك ان يسمع المنافقين وقال ابن عباس
انما استاذن عمر في العمرة فقال عليه السلام لما اذن له يا ابا حفص لا تنسنا في صالح دعائك
قلت والصحيح الاول لتناوله جميع الاقوال واختار ابن العربي ما ذكره في نزول الاية عن
مالك وابن اسحاق وان ذلك مخصوص في الحرب قال والذي يبين ذلك امران احدهما
قوله في الاية الاخرى قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا وذلك ان المنافقين كانوا
يتلوذون ويخرجون عن الجماعة ويتركون رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر الله جميعهم
بان لا يخرج احدهم حتى ياذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك يتبين ايمانه الثاني
قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه واي اذن في الحدث والامام يخطب وليس للامام خيار
في منعه ولا ابقائه وقد قال فاذن لمن شئت منهم فبين بذلك انه مخصوص في الحرب
قلت القول بالعموم اولى وارفع واحسن واعلى فاذن لمن شئت منهم فكان النبي صلى الله
عليه وسلم بالخيار ان شاء اذن وان شاء منع وقال قتادة قوله فاذن لمن شئت منهم
منسوخة بقوله عفا الله عنك لم اذنت لهم واستغفر لهم الله اي لخروجهم عن الجماعة ان علمت
لهم عذرا ان الله غفور رحيم قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا
يريد يصيح من بعيد يا ابا القاسم بل عظموه كما قال في الحجرات ان الذين يغضون اصواتهم
عند رسول الله الاية وقال سعيد بن جبير ومجاهد المعنى قولوا يا رسول الله في رفق
ولين ولا تقولوا يا محمد بتجهم وقال قتادة امرهم ان يشرفوه ويفخموه ابن عباس لا تتعرضوا
لدعاء الرسول عليكم باسخاطه فان دعوته موجبة قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا
التسلل والانسلال الخروج واللواذ من الملاوذة وهي ان تستتر بشيء مخافة من يراك فكان

المنافقين

المنافقين يتسللون عن صلاة الجمعة لواذا مصدر في موضع الحال اي متلاوذين اي يلوذ
بعضهم ببعض ينضم اليه استتارا من رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن على المنافقين
اثقل من يوم الجمعة وحضور الخطبة حكاه النقاش مضى القول فيه وقيل كانوا يتسللون
في الجهاد رجوعا عنه يلوذ بعضهم ببعض وقال الحسن لواذا فرارا من الجهاد ومنه قول حسان وقريش
تجول منكم لواذا لم تحافظ وخف منها الحلوم وصحت واوها لتحركها في لاوذ يقال لاوذ يلاوذ ملاوذة
ولواذا ولاذ يلوذ لياذا انقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها اتباعا للاذ في الاعتلال فاذا كان مصدر
فاعل لم يعل لان فاعل لا يجوز ان يعل قوله تعالى فليحذر الذين يخالفون عن امره هذه الاية
احتج الفقهاء على ان الامر على الوجوب ووجهها ان الله تبارك وتعالى قد حذر من مخالفة امره وتوعد
بالعقاب عليها بقوله ان تصيبهم عذاب اليم فتحرم مخالفته فيجب امتثال امره والفتنة هنا
القتل قاله ابن عباس عطا الزلازل والاهوال جعفر بن محمد سلطان جائر يسلط عليهم وقيل
الطبع على القلوب بشوم مخالفة الرسول والضمير في امره قيل هو عائد الى امر الله قاله يحيى
ابن سلام وقيل الى امر رسوله عليه السلام قاله قتادة ومعنى يخالفون عن امره اي يعرضون
عنه وقال ابو عبيدة والاخفش عن في هذا الموضع زايدة وقال الخليل وسيبويه ليست
بزايدة والمعنى يخالفون بعد امره كما قال لم تنتطق عن تفضل ومنه قوله ففسق عن امر ربه اي بعد
امر ربه وان في موضع نصب بيحذر ولا يجوز عند اكثر النحويين حذر زيدا وهو في ان جائز
لان حروف الخفض تحذف معها قوله تعالى الا ان لله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
قد يعلم ما انتم عليه فهو يجازيكم به ويعلم هنا بمعنى علم ويوم يرجعون اليه بعد ما كان
في خطاب رجع في خبر وهذا يقال له خطاب التلوين فينبيهم بما عملوا اي يخبرهم باعمالهم ويجازيهم
بها والله بكل شيء عليم من اعمالهم واحوالهم ختمت السورة بما تضمنت من التفسير والحمد لله على التيسير

سورة الفرقان مكية كلها في قول الجمهور

وقال ابن عباس وقتادة الا ثلاث ايات منها نزلت بالمدينة وهي والذين لا يدعون مع الله
الها اخر الى قوله وكان الله غفورا رحيما وقال الضحاك هي مدنية وفيها ايات مكية قوله والذين
لا يدعون مع الله الها اخر الايات ومقصود هذه السورة ذكر موضع عظم القران وذكر مطاعن
الكفار في النبوة والرد على مقالاتهم فمن جملتها قولهم ان القران افتراه محمد عليه السلام وانه ليس من
عند الله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبارك الذي نزل الفرقان على عبده الاية تبارك اختلف في معناه فقال
الفراء في العربية وتقدس واحد وهما للعظمة وقال الزجاج تبارك تفاعل من البركة قال
ومعنى البركة الكثرة من كل ذي خير وقيل تبارك وتعالى وقيل تعالى عطاؤه اي زاد وكثر
وقيل المعنى دام وثبت انعامه قال النحاس وهذا اولاها في اللغة والاشتقاق من برك الشيء
اذا ثبت ومنه برك الجمل والطير على الماء اي دام وثبت فاما القول الاول فمخلط لان التقديس
انما هو من الطهارة وليس من ذا في شيء قال الثعلبي ويقال تبارك الله ولا يقال المتبارك
ولا مبارك لانه ينتهي في اسمائه وصفاته الى حيث ورد التوقيف وقال الطرماح تباركت لا معطي
لشيء منعته وليس لما اعطيت يا رب مانع وقال اخر تباركت ما تقدر يقع ولك الشكر
قلت قد ذكر بعض العلماء في اسمائه الحسنى المبارك وذكرناه ايضا في كتابنا فان كان وقع اتفاق
على انه لا يقال فيسلم للاجماع وان كان وقع فيه اختلاف فكثير من الاسماء اختلف في عده كالدهر
وغيره وقد نبهنا على ذلك هنالك والحمد لله والفرقان القران وقيل انه اسم لكل منزل كما قال
ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان وفي تسميته فرقانا وجهان احدهما لانه فرق بين الحق والباطل
والمومن والكافر الثاني لان فيه بيان ما شرع من حلال وحرام حكاه النقاش على عبده يريد
محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا اسم يكون فيها مضمر يعود على عبده لانه اولى لانه
اقرب اليه ويجوز ان يكون يعود على الفرقان وقرا عبد الله بن الزبير على عباده ويقال انذر
اذا خوف وقد تقدم في اول البقرة والنذير المحذر من الهلاك الجوهري والنذير المنذر والنذير

الانذار والمراد بالعالمين هنا الانس والجن لان النبي صلى الله عليه وسلم قد كان رسولا اليهما ونذيرا
لهما وانه خاتم الانبيا ولم يكن غيره عام الرسالة الا نوح عليه السلام فانه عم برسالته جميع الانس بعد
الطوفان لانه بدا به الخلق قوله تعالى له ملك السموات والارض عظم تعالى نفسه ولم يتخذ
ولدا نزه سبحانه نفسه عما قاله المشركون من ان الملايكة اولاد الله تعالى يعني بنات الله سبحانه
وتعالى وعما قالت اليهود عزير ابن الله جل الله وعما قالت النصارى المسيح ابن الله تعالى الله
عن ذلك ولم يكن له شريك في الملك كما قال عبدة الاوثان وخلق كل شي لا كما قال المجوس والثنوية
ان الشيطان او الظلمة تخلق بعض الاشيا ولا كما يقول من قال للمخلوق قدرة الايجاد فالاية
رد على هولا وقدره تقديرا اي قدر كل شي مما خلق بحكمته على ما اراد لا عن سهوة وغفلة بل جرت
المقادير على ما خلق الله الى يوم القيامة وبعد القيامة فهو الخالق المقدر فاياه فاعبدوا
قوله تعالى واتخذوا من دونه الهة ذكر ما صنع المشركون على جهة التعجيب في اتخاذهم
الالهة مع ما اظهر من الدلالة على وحدانيته وقدرته لا يخلقون شيا يعني الالهة وهم يخلقون
لما اعتقد الكفار فيها انها تضر وتنفع عبر عنها كما يعبر عما يعقل ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
اي لا دفع ضر وجلب نفع فحذف المضاف وقيل لا يقدرون ان يضروا انفسهم او ينفعوها بشي
ولا لمن يعبدهم لانها جمادات ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا اي لا يميتون احدا ولا يحيونه
والنشور الاحيا بعد الموت ونشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم قال الاعشى

حتى يقول الناس مما راوا • يا عجبا للميت الناشر •

قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني مشركي قريش وقال ابن عباس القايل منهم ذلك
النضر بن الحرث وكذا كلما كان في القران فيه ذكر الاساطير قال محمد بن اسحاق وكان مؤذيا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان هذا يعني القران الا افك افتراه اي كذب اختلقه واعانه عليه قوم
اخرون يعني اليهود قاله مجاهد وقال ابن عباس المراد بقوله قوم اخرون ابو فكيهة
مولى الحضرمي وعداس وجبر وكان هولا الثلاثة من اهل الكتاب وقد مضى في النحل ذكرهم
فقد جاوا ظلما اي بظلم وقيل المعنى فقد اتوا ظلما وزورا وقالوا اساطير الاولين قال الزجاج
واحد الاساطير اسطورة مثل احدوثة واحاديث وقال غيره اساطير جمع اسطار مثل
اقوال واقاويل اكتتبها يعني محمدا فهي تملى عليه اي تلقى عليه وتقرا بكرة واصيلا حتى تحفظ
وتملى اصله تملل فابدلت اللام الاخيرة يا من التضعيف كقولهم تقضى البازي وشبهه
قوله تعالى قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض اي قل يا محمد انزل هذا القران
الذي يعلم السر فهو عالم الغيب فلا يحتاج الى معلم وذكر السر دون الجهر لانه من علم السر فهو في
الجهر اعلم ولو كان القران ماخوذا من اهل الكتاب وغيرهم لما زاد عليها وقد جا بفنون تخرج
عنها فليس ماخوذا منها وايضا لو كان ماخوذا من هولا لتمكن المشركون منه ايضا كما تمكن محمد
صلى الله عليه وسلم فهلا عارضوه فبطل اعتراضهم من كل وجه انه كان غفورا رحيما يريد
غفورا لاوليايه رحيما بهم قوله تعالى وقالوا مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق
فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى وقالوا ذكر شيا اخر من مطاعنهم والضمير في قالوا لقريش
وذلك انهم كان لهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس مشهور وقد تقدم في سبحان
ذكره ابن اسحاق في السيرة وغيره مضمنه ان سادتهم عتبة بن ربيعة وغيره اجتمعوا معه
فقالوا يا محمد ان كنت تحب الرياسة وليناك علينا وان كنت تحب المال جمعنا لك من اموالنا
فلما ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك رجعوا في باب الاحتجاج معه فقالوا ما
بالك وانت رسول الله تاكل الطعام وتقف في الاسواق فعيروه باكل الطعام لانهم ارادوا
ان يكون الرسول ملكا وعيروه بالمشي في الاسواق حين راوا الاكاسرة والقياصرة والملوك
الجبابرة يترفعون عن الاسواق وكان عليه السلام يخالطهم في اسواقهم ويامرهم وينهاهم
فقالوا هذا يطلب ان يتملك علينا فما له يخالف سيرة الملوك فاجابهم الله بقوله وانزل على
نبيه وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق فلا تغتم
ولا تحزن فانها شكاة ظاهر عنك عارها الثانية دخول الاسواق مباح للتجارة وطلب
المعاش وكان عليه السلام يدخلها لحاجته ولتذكرة الخلق بامر الله ودعوته ويعرض نفسه

فيها على القبايل لعل الله ان يرجع بهم الى الحق وفي البخاري في صفته ليس بفظ ولا غليظ
ولا سخاب في الاسواق وقد تقدم في الاعراف وذكر السوق مذكور في غير ما حديث ذكره
اهل الصحيح وتجارة الصحابة فيها معروفة وخاصة المهاجرين كما قال ابو هريرة وان اخواننا
من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالاسواق خرجه البخاري وسياتي لهذه المسيلة زيادة بيان
في هذه السورة ان شا الله تعالى قوله تعالى لولا انزل عليه ملك اي هلا فيكون معه نذيرا
جواب الاستفهام او يلقى في موضع رفع والمعنى او هل يلقى اليه كنز او هل تكون له جنة ياكل
منها بالياء قرا المدنيون وابو عمرو وعاصم وقرا ساير الكوفيين بالنون والقراتان حسنتان يؤديان
عن معنى وان كانت القراة بالياء ابين ذكره النحاس وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا
تقدم في سبحان والقايل عبد الله بن الزبعري فيما ذكره الماوردي قوله تعالى انظر كيف ضربوا
لك الامثال اي ضربوا لك هذه الامثال ليتوصلوا الى تكذيبك فضلوا عن سبيل الحق وعن بلوغ
ما ارادوا فلا يستطيعون سبيلا الى تصحيح ما قالوه فيك قوله تعالى تبارك الذي ان شاء
جعل لك خيرا من ذلك جنات شرط ومجازاة ولم يدغم جعل لك لان الكلمتين منفصلتان ويجوز
الادغام لاجتماع المثلين ويجعل لك في موضع جزم عطفا على موضع جعل ويجوز ان يكون في موضع
رفع مقطوعا من الاول وكذلك قرا اهل الشام وروي عن عاصم ايضا ويجعل لك بالرفع اي وسيجعل
لك في الاخرة قصورا قال مجاهد كانت قريش ترى البيت من حجارة قصرا كاينا ما كان والقصر في
اللغة الحبس وسمي القصر قصرا لان من فيه مقصور عن ان يوصل اليه وقيل العرب تسمي بيوت
الطين القصر وما يتخذ من الصوف والشعر البيت حكاه القشيري وروى سفيان عن حبيب بن
ابي ثابت عن خيثمة قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان شيت ان نعطيك خزاين الدنيا ومفاتحها
ولم نعط ذلك من قبلك ولا نعطيه احدا بعدك وليس ذلك بناقصك في الاخرة شيا وان شيت
جمعنا لك في الاخرة فقال يجمع لي ذلك في الاخرة فانزل الله عز وجل تبارك الذي ان شاء جعل
لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا ويروى ان هذه الاية انزلها
رضوان خازن الجنان للنبي صلى الله عليه وسلم وفي الخبر ان رضوان لما نزل سلم على النبي صلى الله عليه
وسلم ثم قال يا محمد رب العزة يقريك السلام وهذا اسفط من نور يتلالا يقول لك ربك
هذه مفاتيح خزاين الدنيا مع انه لا ينقص مما لك في الاخرة مثل جناح بعوضة فنظر النبي صلى
الله عليه وسلم الى جبريل كالمستشير له فضرب جبريل بيده الارض يشير ان تواضع فقال يا رضوان
لا حاجة لي فيها الفقر احب الي وان اكون عبدا صابرا شكورا فقال رضوان اصبت اصاب الله بك
وذكر الحديث قوله تعالى بل كذبوا بالساعة يريد يوم القيامة واعتدنا لمن كذب بالساعة
سعيرا يريد جهنم تتلظى عليهم اذا راتهم من مكان بعيد اي من مسيرة خمس مائة عام سمعوا لها
تغيظا وزفيرا قيل المعنى اذا راتهم خزانها سمعوا لها تغيظا وزفيرا حرصا على عذابهم والاول
اصح لما روي مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كذب على متعمدا فليتبوا بين عيني
جهنم مقعدا قيل يا رسول الله ولها عينان قال اما سمعتم الله يقول اذا راتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا يخرج عنق من النار له عينان تبصران ولسان ينطق فيقول وكلت
بكل من جعل مع الله الها اخر فلهو ابصر بهم من الطير بحب السمسم فيلتقطه وفي رواية فيخرج عنق
من النار فيلتقط الكفار لقط الطاير حب السمسم ذكره رزين في كتابه وصححه ابن العربي في قبسه
وقال اي تفصلهم عن الخلق في المعرفة كما يفصل الطاير حب السمسم من التربة وخرجه الترمذي في
حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان
يبصران واذنان تسمعان ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع
الله الها اخر وبالمصورين وفي الباب عن ابي سعيد قال ابو عيسى هذا حديث غريب صحيح
وقال الكلبي سمعوا لها تغيظا كتغيظ بني ادم وصوتا كصوت الحمار وقيل فيه تقديم وتاخير سمعوا
لها زفيرا وعلموا لها تغيظا وقال قطرب التغيظ لا يسمع ولكن يرى والمعنى راوا لها تغيظا وسمعوا
لها زفيرا كقول الشاعر • ورايت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا •
اي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها اي فيها تغيظا وزفيرا للمعذبين كما قال لهم فيها زفير وشهيق وفي
واللام بمعنى في يقال افعل هذا في الله ولله قوله تعالى واذا القوا منها مكانا ضيقا مقرنين قال

قتادة ذكر لنا ان عبد الله كان يقول ان جهنم لتضيق على الكفار كتضييق الزج على الرمح ذكره
ابن المبارك في رقايقه وكذا قال ابن عباس ذكره الثعلبي والقشيري عنه وحكاه الماوردي
عن عبد الله بن عمرو ومعنى مقرنين مكتفين قاله ابو صالح وقيل مصفدين قد قرنت ايديهم
الى اعناقهم في الاغلال وقيل قرنوا مع الشياطين اي قرن كل واحد منهم الى شيطانه قاله يحيى
ابن سلام وقد مضى هذا في سورة ابراهيم وقال عمرو بن كلثوم ٭
٭ فابوا بالنهاب وبالسبايا ٭ وابنا الملوك مقرنينا ٭
دعوا هنالك ثبورا اي هلاكا قاله الضحاك ابن عباس ويلا وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال اول من يقول ابليس وذلك انه اول من يكسى حلة من النار فتوضع على حاجبيه
ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول واثبوراه وانتصب على المصدر اي ثبرنا ثبورا
قاله الزجاج وقال غيره هو مفعول به قوله تعالى لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا
كثيرا فان هلاككم اكثر من ان تدعوا مرة واحدة وقال ثبورا لانه مصدر يقع للقليل والكثير
فلذلك لم يجمع وهو كقولك ضربته ضربا كثيرا وقعد قعودا طويلا ونزلت الايات في ابن خطل
واصحابه قوله تعالى قل اذلك خير ام جنة الخلد التي وعد المتقون ان قيل كيف قال
اذلك خير ولا خير في النار فالجواب ان سيبويه حكى عن العرب الشقا احب اليك ام السعادة
وقد علم ان السعادة احب اليه وقيل ليس هو من باب افعل منك وانما هو كقولك عنده
خير قال النحاس وهذا قول حسن كما قال ٭ فشركما لخيركما الفداء ٭
وقيل انما قال ذلك لان الجنة والنار قد دخلتا في باب المنازل فقال ذلك لتفاوت ما بين
المنزلتين وقيل هو مردود على قوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الاية وقيل
هو مردود على قوله او يلقى اليه كنز او تكون له جنة ياكل منها وقيل انما قال ذلك على معنى
علمكم واعتقادكم ايها الكفار وذلك انهم لما كانوا يعملون عمل اهل النار صاروا كانهم يقولون
ان في النار خيرا قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤون ... النعيم خالدين كان على ربك وعدا
مسئولا قال الكلبي وعد الله المومنين الجنة جزاء على اعمالهم فسالوه ذلك الوعد فقالوا
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك وهو معنى قول ابن عباس وقيل ان الملايكة تسال لهم
الجنة دليله قوله ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم الاية وهو قول محمد بن كعب
القرظي وقيل معنى وعدا مسئولا اي واجبا وان لم يسال كالذي حكي عن العرب لاعطينك
الفا وعدا مسئولا يعني انه واجب لك فتساله وقال زيد بن اسلم سالوا الله الجنة
في الدنيا ورغبوا اليه بالدعا فاجابهم في الاخرة الى ما سالوه واعطاهم ما طلبوه وهذا
يرجع الى القول الاول قوله تعالى ويوم يحشرهم قرا ابن محيصن وحمزة وابن كثير
ويعقوب وابو عمرو في رواية الدوري يحشرهم بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لقوله
في اول الكلام كان على ربك وعدا مسئولا وفي اخره انتم اضللتم عبادي هولاء الباقون
بالنون على التعظيم وما يعبدون من دون الله من الملايكة والانس والجن والمسيح وعزير
قاله مجاهد وابن جريج وقال الضحاك وعكرمة الاصنام فيقول قراة العامة بالياء وهو
اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا ابن عباس وابو حيوة بالنون على التعظيم انتم اضللتم
عبادي هولاء ام هم ضلوا السبيل وهذا استفهام توبيخ للكفار قالوا سبحانك اي قال المعبودون
من دون الله سبحانك اي تنزيها لك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من
اوليا فان قيل فان كانت الاصنام التي تعبد تحشر فكيف تنطق وهي جماد قيل له ينطقها
الله عز وجل يوم القيامة كما تنطق الايدي والارجل وقرا الحسن وابو جعفر ان نتخذ
بضم النون وفتح الخا على الفعل المجهول فقد تكلم في هذه القراة النحويون فقال
ابو عمرو بن العلا وعيسى ابن عمر لا يجوز ان نتخذ قال ابو عمرو ولو كانت نتخذ لحذفت من
الثانية فقلت ان نتخذ من دونك اوليا كذا قال ابو عبيدة لا يجوز نتخذ لان الله تعالى
ذكر من مرتين ولو كان كما قرا لقال ان نتخذ من دونك اوليا وقيل من الثانية صلة قال
النحاس ومثل ابي عمرو على جلالته ومحله يستحسن ما قال لانه جا ببينة وشرح ما قال
انه يقال ما اتخذت رجلا وليا فيجوز ان يقع هذا للواحد بعينه ثم يقال ما اتخذت من

رجل

رجل وليا فيكون نفيا عاما وقولك وليا تابع لما قبله ولا يجوز ان تدخل فيه من لانه لا فايدة
في ذلك ولكن متعتهم واباءهم في الدنيا بالصحة والغنى وطول العمر بعد موت الرسل صلوات
الله عليهم حتى نسوا الذكر اي تركوا ذكرك فاشركوا بك بطرا وجهلا فعبدونا من غير ان امرناهم
بذلك وفي الذكر قولان احدهما القران المنزل على الرسل تركوا العمل به قاله ابن زيد الثاني
الشكر على الاحسان اليهم والانعام عليهم انهم كانوا قوما بورا اي هلكى قاله ابن عباس ماخوذ
من البوار وهو الهلاك وقال ابو الدردا رضي الله عنه وقد اشرف على اهل حمص يا اهل حمص
هلم الى اخ لكم ناصح فلما اجتمعوا حوله قال ما لكم لا تستحيون تبنون ما لا تسكنون وتجمعون
ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون ان من كان قبلكم بنوا مشيدا وجمعوا عبيدا واملوا بعيدا
فاصبح جمعهم بورا وما لهم غرورا ومساكنهم قبورا فقوله بورا اي هلكى وفي خبر اخر فاصبحت
منازلهم بورا اي خالية لا شي فيها وقال الحسن بورا لا خير فيهم ماخوذ من بوار الارض وهو
تعطيلها من الزرع فلا يكون فيها خير وقال شهر بن حوشب البوار الفساد والكساد ماخوذ
من قولهم بارت السلعة اذا كسدت كساد الفاسد ومنه الحديث نعوذ بالله من بوار الايم
وهو اسم مصدر كالزور يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع والمذكر والمونث قال ابن الزبعرى
٭ يا رسول المليك ان لساني ٭ راتق ما فتقت اذ انا بور ٭
٭ اذ اباري الشيطان في سنن الغي ٭ ومن مال ميله مثبور ٭
وقال بعضهم الواحد بائر والجمع بور كما يقال عائذ وعوذ وهائد وهود وقيل بوار بحيا عن
الحق قوله تعالى فقد كذبوكم بما تقولون اي يقول الله تعالى عند تبري المعبودين فقد
كذبوكم بما تقولون اي في قولكم انهم الهة فما يستطيعون يعني الالهة صرف العذاب عنكم ولا نصركم
وقيل فما يستطيع هولاء الكفار لما كذبهم المعبودون صرفا للعذاب ولا نصرا من الله وقال ابن زيد
المعنى فقد كذبوكم ايها المومنون هولاء الكفار بما جاءكم به محمد وعلى هذا فمعنى بما تقولون اي
بما تقولون من الحق وقال ابو عبيد المعنى بما تقولون فما تستطيعون صرفا عن الحق الذي هداكم
الله اليه ولا نصرا لانفسهم بما ينزل بهم من العذاب بتكذيبهم اياكم وقراة العامة تقولون بالتاء على
الخطاب وقد بيناه معناه وحكى الفرا انه يقرا فقد كذبوكم مخففا بما تقولون وكذا قرا مجاهد والبزي
بالياء ويكون معنى يقولون بقولهم وقرا ابو حيوة بما يقولون فما يستطيعون بتاء على الخطاب لمتخذي
الشركا ومن يظلم منكم قال ابن عباس من يشرك منكم ثم مات على شركه نذقه اي في الاخرة عذابا
كبيرا اي شديدا كقوله ولتعلن علوا كبيرا قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الى قوله بصيرا
فيه تسع مسايل الاولى قوله تعالى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الاية نزلت جوابا للمشركين حيث
قالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق وقال ابن عباس لما عير المشركون رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا ما لهذا الرسول ياكل الطعام الاية حزن النبي صلى الله عليه
وسلم لذلك فنزلت تعزية له فقال جبريل عليه السلام السلام عليك يا رسول الله ربك يقريك
السلام ويقول لك وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام ويمشون في الاسواق
اي يبتغون المعايش في الدنيا الثانية قوله تعالى الا انهم لياكلون الطعام اذا دخلت
اللام لم يكن في ان الا الكسر ولو لم تكن اللام ما جاز ايضا الا الكسر لانها مستانفة هذا قول جميع
النحويين قال النحاس الا ان علي ابن سليمان حكى لنا عن محمد ابن يزيد انه قال يجوز في ان هذه
الفتح وان كان بعدها اللام واحسبه وهما قال ابو اسحاق الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى
وما ارسلنا قبلك رسلا الا انهم لياكلون الطعام ثم حذف رسلا لان في قوله من المرسلين ما يدل
عليه فالموصوف محذوف عند الزجاج ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال
عن الفرا ان المحذوف من والمعنى الا من انهم لياكلون الطعام وشبهه بقوله وما منا الا له مقام
معلوم وقوله وان منكم الا واردها وهذا قول الكسايي ايضا وتقول العرب ما بعثت اليك من
الناس الا من انه ليطيعك فصلة من قال الزجاج وهذا خطا لان من موصولة فلا يجوز حذفها
وقال اهل المعاني المعنى وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل انهم لياكلون ودليله قوله تعالى
ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقال ابن الانباري كسرت انهم بعد الا للاستيناف
باضمار واو اي والا انهم وذهبت فرقة الى ان قوله لياكلون كناية عن الحديث قلت وهذا بليغ

أي معناه ومثله ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان
الطعام ويمشون في الأسواق قرا الجمهور ويمشون بفتح اليا وسكون الميم وتخفيف السين وقرا علي
وابن عوف وابن مسعود بضم اليا وفتح الميم وشد الشين المفتوحة يعني يدعون إلى المشي ويحملون
عليه وقرا أبو عبد الرحمن السلمي بضم اليا وفتح الميم وضم الشين المشددة وهو بمعنى يمشون قال

* أمشي بأعضاد المياه وأتقي * قلائص منها صعبة وركوب * وقال كعب بن زهير
* تظل يسابع الجو ضامرة * ولا تمشي بواديه الاراجيل *

يعني تمشي أنثا هذه الآية أصل في تناول الأسباب وطلب المعاش بالتجارة والصناعة
وغير ذلك وقد مضى هذا المعنى في غير موضع لكنا نذكر في ذلك ما يكفي فنقول قال لي بعض
مشايخ هذا الزمان في كلام جرى إن الأنبيا عليهم السلام إنما بعثوا ليسنوا الأسباب للضعفا
فقلت مجيبا له هذا قول لا يصدر إلا من الجهال الأغبيا والرعاع السفها أو من طاعن في الكتاب
والسنة العليا وقد أخبر الله في كتابه عن أصفيائه ورسله وأنبيائه بالأسباب والاحتراف
فقال وقوله الحق وعلمناه صنعة لبوس لكم وقال وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم
ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق قال العلما أي يتجرون ويحترفون وقال عليه
السلام جعل رزقي تحت ظل سيفي وقال فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا وكان الصحابة رضي
الله عنهم يتجرون ويحترفون في أموالهم ولمن خالفهم من الكفار يقاتلون أتراهم ضعفا
بل هم كانوا الأقويا وبهم الخلف الصالح اقتدى وطريقهم فيه الهدى والاهتدا فإن قال إنما
تناولوها لأنهم أئمة الاقتدا فتناولوها مباشرة في حق الضعفا فأما في حق أنفسهم فلا وبيان
ذلك أصحاب الصفة قلت لو كان ذلك لوجب عليهم وعلى الرسول أن يبين البيان لما ثبت في
القرآن وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل وقال إن الذين يكتمون ما أنزلنا من
البينات والهدى وهذا من البينات والهدى وأما أصحاب الصفة فإنهم كانوا ضيف الإسلام
عند ضيق الحال فكان عليه السلام إذا أتته صدقة خصهم بها وإذا أتته هدية أكلها
معهم وكانوا مع هذا يحتطبون ويسقون الما إلى أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا وصفهم
البخاري وغيره ثم لما فتح الله عليهم البلاد ومهد لهم المهاد تأمروا وبالأسباب أمروا ثم
إن هذا القول يدل على ضعف النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه لأنهم أيدوا بالملائكة وثبتوا
بها فلو كانوا أقويا ما احتاجوا إلى تأييد الملائكة وتثبيتهم إذ ذلك سبب من أسباب النصر
نعوذ بالله من قول وإطلاق يؤول إلى هذا بل القول بالأسباب والوسائط سنة الله
وسنة رسوله وهو الحق المبين والطريق المستقيم الذي انعقد عليه إجماع المسلمين وإلا
كان يكون قوله الحق وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الآية مقصورة على
الضعفا وجميع الخطابات كذلك وفي التنزيل حيث خاطب موسى الكليم اضرب بعصاك
البحر وقد كان قادرا على فلق البحر دون عصا وكذلك مريم عليها السلام وهزي إليك
بجذع النخلة وقد كان قادرا على سقوط الرطب دون هز ولا تعب ومع هذا كله فلا ننكر
أن يكون رجل يلطف به ويعان أو يجاب دعوته أو يكرم بكرامة في خاصة نفسه أو لأجل
غيره ولا تهد لذلك القواعد الكلية والأمور الجملية هيهات هيهات لا يقال فقد قال
تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون فإنما نقول صدق الله العظيم وصدق رسوله الكريم
وإن الرزق هنا المطر بإجماع أهل التأويل بدليل قوله وينزل من السماء رزقا وقال
ونزلنا من السماء ما فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ولم نشاهد ينزل من السما على
الخلق أطباق الخبز ولا جفان اللحم بل الأسباب أصل في وجود ذلك وهو معنى قوله عليه
السلام اطلبوا الرزق في خبايا الأرض أي بالحرث والحفر والغرس وقد يسمى الشي بما
يؤول إليه فسمي المطر رزقا لأنه عنه يكون الرزق وذلك مشهور في كلام العرب قال عليه
السلام لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يسأل أحدا أعطاه أو منعه
وهذا فيما يخرج بغير تعب من الحشيش والحطب ولو قدر رجل بالجبال منقطعا عن الناس
لما كان له بد من الخروج إلى ما يخرجه الأكام وظهور الأعلام حتى يتناول من ذلك ما يعيش به
وهو معنى قوله عليه السلام لو أنكم كنتم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير

تغدوا

تغدوا خماصا وتروح بطانا فغدوها ورواحها سبب فالعجب العجب ممن يدعي التجريد والتوكل
على التحقيق ويقعد على ثنيات الطريق ويدعي الطريق المستقيم والمنهج الواضح القويم ثبت
في البخاري عن ابن عباس قال كان أهل اليمن يحجون فلا يتزودون ويقولون نحن المتوكلون
فإذا قدموا سألوا الناس فأنزل الله تعالى وتزودوا ولم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم
وأصحابه رضوان الله عليهم أنهم خرجوا إلى أسفارهم بغير زاد وكانوا المتوكلين حقا والتوكل
اعتماد القلب على الرب في أن يلم عليه شعثه ويجمع عليه أربه ثم يتناول الأسباب بمجرد الأمر
وهذا هو الحق سأل رجل الإمام أحمد بن حنبل فقال إني أريد الحج على قدم التوكل فقال اخرج
وحدك فقال لا إلا مع الناس فقال له أنت إذا متكل على أجربتهم وقد أتينا على هذا في كتاب
قمع الحرص بالزهد والقناعة ورد ذل السؤال بالكتب والشفاعة الرابعة خرج مسلم عن
أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحب البلاد إلى الله مساجدها وأبغض
البلاد إلى الله أسواقها وخرج البزار عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا تكونن إن استطعت أول من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فإنها معركة الشيطان
وبها ينصب رايته أخرجه أبو بكر البرقاني مسندا عن أبي محمد عبد الغني بن سعيد الحافظ من
رواية عاصم عن عثمان النهدي عن سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكن أول
من يدخل السوق ولا آخر من يخرج منها فيها باض الشيطان وفرخ ففي هذه الأحاديث ما يدل
على كراهة دخول الأسواق لا سيما في هذه الأزمان التي تخالط فيها الرجال النسوان وهكذا
قال علماؤنا لما كثر الباطل في الأسواق وظهرت فيها المناكر كره دخولها لأرباب الفضل والمقتدى
بهم في الدين تنزيها لهم عن البقاع التي يعصى الله فيها فحق على من ابتلاه الله بالسوق أن
يخطر بباله أنه قد دخل محل الشيطان ومحل جنوده وأنه إن أقام هناك هلك ومن كانت هذه
حاله اقتصر منه على قدر ضرورته وتحرز من سو عاقبته وبليته الخامسة تشبيه النبي صلى
الله عليه وسلم السوق بالمعركة تشبيه حسن وذلك أن المعركة موضع القتال سمي بذلك
لتعارك الأبطال فيه ومصارعة بعضهم لبعض فشبه السوق وفعل الشيطان بها ونيله منهم
بما يحملهم من المكر والخديعة والتساهل في البيوع الفاسدة والكذب والأيمان الكاذبة واختلاط
الأصوات وغير ذلك بمعركة الحرب ومن يصرع فيها السادسة قال ابن العربي أما أكل الطعام
فضرورة الخلق لا عار ولا درك فيه وأما الأسواق فسمعت مشيخة أهل العلم يقولون لا يدخل
الأسوق الكتب والسلاح وعندي أنه يدخل كل سوق للحاجة إليه ولا يأكل فيها لأن ذلك إسقاط
للمروة وهدم للحشمة ومن الأحاديث الموضوعة الأكل في الأسواق دناءة قلت ما ذكره مشيخة
أهل العلم فنعما هو فإن ذلك خال عن النظر إلى النسوان ومخالطتهن إذ ليس ذلك من حاجتهن
وأما غيرها من الأسواق فمشحونة منهن وقلة الحيا قد غلب عليهن حتى ترى المرأة في القيساريات
وغيرهن قاعدة متبرجة بزينتها وهذا من المنكر الفاشي في زماننا هذا نعوذ بالله من سخطه
السابعة خرج أبو داود الطيالسي في مسنده نا حماد بن زيد قال نا عمرو بن دينار قهرمان
ابن الزبير عن سالم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال من دخل سوقا من هذه الأسواق فقال
لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
وهو على كل شي قدير كتب الله له ألف ألف حسنة وبنى له بيتا في الجنة وقال هذا حديث غريب
وقال ابن العربي هذا إذا لم يقصد في تلك البقعة سواه ليعمرها بالطاعة إذا عمرت بالمعصية
وليحليها بالذكر إذا عطلت بالغفلة وليعلم الجهلة ويذكر الناسين الثامنة قوله تعالى وجعلنا
بعضكم لبعض فتنة أتصبرون أي إن الدنيا دار بلا وامتحان فأراد سبحانه أن يجعل بعض
العبيد فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مؤمن وكافر فالصحيح فتنة للمريض والغني فتنة
للفقير والفقير الصابر فتنة للغني ومعنى هذا أن كل واحد مختبر بصاحبه فالغني ممتحن بالفقير
فعلى الغني أن يواسيه ولا يسخر منه والفقير ممتحن بالغني عليه أن لا يحسده ولا يأخذ منه إلا ما أعطاه
وأن يصبر كل واحد منهما على الحق كما قال الضحاك في معنى أتصبرون أي على الحق وأصحاب البلايا
يقولون لم لم نعاف والأعمى يقول لم لم أجعل كالبصير وهكذا صاحب كل آفة والرسول المخصوص
بكرامة النبوة فتنة لأشراف الناس من الكفار في عصره وكذلك العلما وحكام العدل ألا ترى إلى قوله

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فالفتنة ان يحسد المبتلى المعافى ويحقر المعافى
المبتلى والصبر ان يحبس كلاهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر اتصبرون محذوف الجواب يعني
ام لا تصبرون فيقتضي جوابا كما قاله المزني وقد اخرجته الفاقة فرأى خصيا في مراكب ومناكب
فخطر بباله شيء فسمع من يقرأ الآية اتصبرون فقال بلى نصبر ونحتسب وقد تلا ابن القاسم صاحب
مالك هذه الآية حين رأى اشهب بن عبد العزيز في مملكته عابرا عليه ثم اجاب نفسه بقوله سنصبر
وعن ابي الدرداء انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم
وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للشديد من الضعيف وويل للضعيف من
الشديد وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعضهم لبعض فتنة وهو قوله
وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون اسنده الثعلبي رحمه الله وقال مقاتل نزلت في ابي جهل بن
هشام والوليد بن المغيرة والعاصي بن وائل وعقبة بن ابي معيط وعتبة بن ربيعة والنضر بن
الحرث حين راوا ابا ذر وعبد الله بن مسعود وعمارا وبلالا وصهيبا وعامر بن فهيرة وسالما مولى
ابي حذيفة ومهجعا مولى عمر بن الخطاب وجبرا مولى الحضرمي ودونهم فقالوا على سبيل الاستهزاء
انسلم فنكون مثل هؤلاء فانزل الله تعالى يخاطب هؤلاء المؤمنين اتصبرون على ما ترون من هذه
الحال الشديدة والفقر فالتوقيف باتصبرون خاص للمؤمنين المحققين من امة محمد صلى الله عليه
وسلم كأنه جعل امهال الكفار والتوسعة عليهم فتنة للمؤمنين اي اختبارا لهم ولما صبر المسلمون
نزل فيهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا التاسعة قوله تعالى وكان ربك بصيرا اي بكل امرئ وبمن
يصبر او يجزع وبمن يؤمن وبمن لا يؤمن وبمن ادى ما عليه من الحق ومن لا يؤدي وقيل اتصبرون
اي اصبروا مثل فهل انتم منتهون اي انتهوا فهو امر للنبي صلى الله عليه وسلم بالصبر قوله
تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا يريد لا يخافون البعث ولقاء الله اي لا يؤمنون بذلك
قال ۞ اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ۞ وخالفها في بيت نوب عوامل ۞
وقيل لا يرجون لا يبالون قال ۞ لعمرك ما ارجو اذا كنت مسلما ۞ على اي جنب كان في الله مصرعي ۞
وقال ابن شجرة لا يأملون قال ۞ اترجو امة قتلت حسينا ۞ شفاعة جده يوم الحساب ۞
لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا ان محمدا عليه السلام صادق الوعد او نرى ربنا عيانا فيخبرنا
برسالته نظيره قوله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض الى قوله او تأتي بالله
والملائكة قبيلا قال الله تعالى لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا حيث سألوا الله
الشطط لان الملائكة لا ترى الا عند الموت او عند نزول العذاب والله تعالى لا تدركه
الابصار وهو يدرك الابصار فلا عين تراه وقال مقاتل عتوا علوا في القول والعتو اشد
الكفر وافحش الظلم واذا لم يكتفوا بالمعجزات وهذا القرآن فكيف يكتفون بالملائكة وهم لا يميزون
بينهم وبين الناس ولابد لهم من معجزة يقيمها انه ملك وليس للقوم طلب معجزة بعد ان شاهدوا
معجزة وان يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين يريد ان الملائكة لا يراها احد الا عند
الموت فتبشر المؤمنين بالجنة وتضرب المشركين والكفار بمقامع الحديد حتى تخرج انفسهم
ويقولون حجرا محجورا يريد تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من قال لا اله الا الله
واقام شرائعها عن ابن عباس وغيره وقيل ان ذلك يوم القيامة قاله مجاهد وعطية العوفي
قال عطية اذا كان يوم القيامة تلقى المؤمن بالبشرى فاذا رأى ذلك الكافر تمناه فلم يره من الملائكة
وانتصب يوم يرون بتقدير لا بشرى يومئذ للمجرمين يوم يرون الملائكة ويومئذ تأكيد ليوم
يرون قال النحاس لا يجوز ان يكون يوم يرون منصوبا ببشرى لان ما في حيز النفي لا يعمل فيما
قبله ولكن فيه تقدير ان يكون المعنى يمنعون البشارة يوم يرون الملائكة ودل على هذا الحذف
ما بعده ويجوز ان يكون التقدير لا بشرى تكون يوم يرون الملائكة ويومئذ مؤكد ويجوز ان
يكون المعنى اذكر يوم يرون الملائكة ثم ابتدأ فقال لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا
محجورا اي وتقول الملائكة حراما محرما ان تكون لهم البشرى الا للمؤمنين قال الشاعر ۞
۞ الا اصبحت اسماء حجرا محرما ۞ وقال اخر
۞ حنت الى النخلة القصوى فقلت لها ۞ حجر حرام الا تلك الدهاريس ۞
وروي عن الحسن انه قال ويقولون حجرا وقف من قول المجرمين فقال الله تعالى محجورا عليهم

ان يعاذوا

ان يعاذوا او يجاروا فحجر الله ذلك عليهم يوم القيامة والاول قول ابن عباس وبه قال الفراء قال
ابن الانباري وقرأ الحسن وابو رجاء حجرا بضم الحاء والناس على كسرها وقيل ان ذلك من قول الكفار
قالوه لانفسهم قاله قتادة فيما ذكر الماوردي وقيل هو من قول الكفار للملائكة وهي كلمة
استعاذة وكانت معروفة في الجاهلية فكان اذا لقي الرجل من يخافه قال حجرا محجورا اي حرام عليك
التعرض لي وانتصابه على معنى حجرت عليك او حجر الله عليك كما تقول سقيا ورعيا اي ان المجرمين
اذا راوا الملائكة يلقونهم في النار قالوا نعوذ بالله منكم ذكره القشيري وحكى معناه المهدوي عن
مجاهد وقيل حجرا من قول المجرمين محجورا من قول الملائكة اي قالوا للملائكة نعوذ بالله منكم ان
تتعرضوا لنا فتقول الملائكة محجورا ان تعاذوا من شر هذا اليوم قاله الحسن قوله تعالى وقدمنا
الى ما عملوا من عمل هذا تنبيه على عظم قدر يوم القيامة اي قصدنا في ذلك الى ما كان يعمله المجرمون
من عمل من عند انفسهم يقال قدم فلان الى امر كذا اي قصده وقال مجاهد قدمنا اي عمدنا قال الراجز
وقدم الخوارج الضلال الى عباد ربهم فقالوا ان دماءكم لنا حلال وقيل هو قدوم الملائكة اخبر به عن نفسه
تعالى لما كان بامره فجعلناه هباء منثورا اي لا ينتفع به اي ابطلناه بالكفر وليس هو من ذوات الهمز وانما
همزت لالتقاء الساكنين والتصغير هبي في موضع الرفع ومن العرب من يقول هبو في موضع الرفع حكاه النحاس
وواحده هباة والجمع اهباء قال الحرث بن حلزة فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كانه اهباء وروى
الحرث عن علي قال الهباء المنثور شعاع الشمس الذي يدخل من الكوة وقال الازهري الهباء ما يخرج من
الكوة مع ضوء الشمس يشبه بالغبار وتأويله ان الله احبط اعمالهم حتى صارت بمنزلة الهباء المنثور فاما
الهباء المنبث فهو ما تثيره الخيل بسنابكها من الغبار والمنبث المتفرق وقال ابن عرفة الهبوة والهباء التراب
الدقيق الجوهري ويقال له اذا ارتفع هبا يهبو هبوا واهبيته انا والهبوة الغبرة قال رؤبة ۞
۞ تبدو لنا اعلامه بعد الغرق ۞ في قطع الآل وهبوات الدقق ۞
وموضع هابي التراب اي كان ترابه مثل الهباء في الرقة وقيل انه الرماد وقيل انه ما يجي من يابس اوراق
الشجر قاله ابن عباس وقتادة وقال ابن عباس ايضا انه الماء المهراق وقيل انه الرماد قاله عبيد بن يعلى
قوله تعالى اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا واحسن مقيلا تقدم القول فيه عند قوله قل اذلك
خير ام جنة الخلد قال النحاس والكوفيون يجيزون العسل احلى من الخل وهذا قول مردود لان معنى
فلان خير من فلان انه اكثر خيرا منه ولا حلاوة في الخل ولا يجوز ان يقال النصراني خير من اليهودي
لانه لا خير فيهما فيكون احدهما ازيد في الخير ولكن يقال اليهودي شر من النصراني فعلى هذا كلام العرب
ومستقرا على الظرف اذا قدر على غير باب افعل منك فالمعنى لهم خير في مستقر واذا كان من باب افعل منك
فانتصابه على البيان قاله النحاس والمهدوي قال قتادة واحسن مقيلا منزلا ومأوى وقيل
هو على ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ
من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار ذكره المهدوي
وقال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة من نهار الدنيا حتى يقيل هؤلاء في الجنة وهؤلاء
في النار ثم قرأ ان مقيلهم لالى الجحيم كذا هي في قراءة ابن مسعود وقال ابن مسعود الحساب من ذلك
اليوم في اوله فلا ينتصف النهار من يوم القيامة حتى يقيل اهل النار في النار واهل الجنة
في الجنة ومنه ما روي قيلوا فان الشياطين لا تقيل وذكر قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول
هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المؤمن حتى يكون اخف
عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام اي واذكر
يوم تشقق السماء وقرأ عاصم والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي وابو عمرو تشقق بتخفيف الشين
واصله تتشقق بتاءين فحذفوا الاولى تخفيفا واختاره ابو عبيد الباقون تشقق بتشديد
الشين على الادغام واختاره ابو حاتم وكذلك في ق وبالغمام اي عن الغمام والباء وعن يتعاقبان كما تقول
رميت بالقوس وعن القوس روي ان السماء تتشقق عن سحاب ابيض رقيق مثل الضبابة ولم
يكن الا لبني اسرائيل في تيههم فتنشق السماء عنه وهو الذي قال تعالى هل ينظرون الا ان يأتيهم
الله في ظلل من الغمام وتنزل الملائكة من السموات ويأتي الرب عز وجل في الثمانية الذين يحملون
العرش لفصل القضاء على ما يجوز ان يحمل عليه اتيانه لا على ما تحمل عليه صفات المخلوقين من الحركة

والانشقاق وقال ابن عباس تنشق سماء الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الارض من
الجن والانس ثم تنشق السماء الثانية فينزل اهلها وهم اكثر ممن في سماء الدنيا ثم كذلك
حتى تنشق السماء السابعة ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش وهو معنى قوله ونزل الملائكة
تنزيلا اي من السماء الى الارض لحساب الثقلين وقيل ان السماء تنشق بالغمام الذي بينها وبين
الناس فبتشقق الغمام تتشقق السماء فاذا انشقت السماء انتقض تركيبها وطويت ونزلت الملائكة
الى مكان سواها وقرا ابن كثير وننزل الملائكة بالنصب من الانزال الباقون ونزل الملائكة
بالرفع دليله تنزيلا ولو كان على الاول لقال انزالا وقد قيل ان نزل وانزل بمعنى فجاء تنزيلا
على نزل وقد قرا عبد الوهاب عن ابي عمرو ونزل الملائكة وقرا ابن مسعود وانزل الملائكة
وقرا ابي بن كعب ونزلت الملائكة وعنه وتنزلت الملائكة قوله تعالى الملك يومئذ الحق
للرحمن الملك مبتدا والحق صفة له وللرحمن الخبر لان الملك الذي يزول وينقطع ليس بملك
فبطلت يومئذ املاك المالكين وانقطعت دعاويهم وزال كل ملك وملكه وبقي الملك الحق لله
وحده وكان يوما على الكافرين عسيرا اي لما ينالهم من الاهوال ويلحقهم من الخزي والهوان
وهو على المؤمنين اخف من صلاة مكتوبة على ما تقدم في الحديث وهذه الاية دالة عليه لانه
اذا كان على الكافرين عسيرا فهو على المؤمنين يسير يقال عسر يعسر وعسر يعسر قوله تعالى
ويوم يعض الظالم الماضي عضضت وحكى الكسائي عضضت بفتح الضاد الاولى وجاء التوقيف
عن اهل التفسير منهم ابن عباس وسعيد بن المسيب ان الظالم هاهنا يراد به عقبة بن ابي معيط
وان خليله امية بن خلف فعقبة قتله علي بن ابي طالب عليه السلام وذلك انه كان في الاسارى
يوم بدر فامر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فقال اقتل دونهم فقال نعم بكفرك وعتوك فقال
من للصبية فقال النار فقام علي رضي الله عنه فقتله وامية قتله النبي صلى الله عليه وسلم
فكان هذا من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم لانه خبر عنهما بهذا فقتلا على الكفر ولم يسميا في
الاية لانه ابلغ في الفائدة ليعلم ان هذا سبيل كل ظالم قبل تغيره في معصية الله عز وجل قال
ابن عباس وقتادة وغيرهما وكان عقبة قد هم بالاسلام فمنعه منه ابي بن خلف وكانا
خدينين وان النبي صلى الله عليه وسلم قتلهما جميعا قتل عقبة يوم بدر صبرا وابي بن خلف في
المبارزة يوم احد ذكره القشيري والثعلبي والاول ذكره النحاس وقال السهيلي ويوم
يعض الظالم على يديه هو عقبة بن ابي معيط وكان صديقا لامية بن خلف الجمحي ويروى
لابي بن خلف اخي امية وكان قد صنع وليمة فدعا اليها قريشا ودعا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فابى ان ياتيه الا ان يسلم وكره عقبة ان يتاخر عن طعامه من اشراف قريش احد
فاسلم ونطق بالشهادتين فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم واكل من طعامه فعاتبه
خليله امية بن خلف او ابي بن خلف وكان غائبا فقال عقبة رايت عظيما ان لا ياكل من طعامي
رجل من اشراف قريش فقال له خليله لا ارضى حتى ترجع وتبصق في وجهه وتطا عنقه
وتقول كيت وكيت ففعل عدو الله ما امره به خليله فانزل الله عز وجل ويوم يعض
الظالم على يديه قال الضحاك لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم رجع
بصاقه في وجهه وشوى وجهه وشفتيه حتى اثر في وجهه واحرق خديه فلم يزل اثر ذلك
في وجهه حتى قتل وعضه يديه فعل النادم الحزين لاجل طاعة خليله يقول يا ليتني اتخذت
مع الرسول سبيلا في الدنيا يعني طريقا الى الجنة يا ويلتا دعا بالويل والثبور على مخالفة
الكافر ومتابعته لشيء لم اتخذ فلانا خليلا يعني امية وكنى عنه ولم يصرح باسمه لئلا يكون
هذا الوعد مخصوصا به ولا مقصورا بل يتناول جميع من فعل مثل فعلهما وقال مجاهد
وابو رجاء الظالم عام في كل ظالم وفلان الشيطان واحتج لصاحب هذا القول بان بعده
وكان الشيطان للانسان خذولا وقرا الحسن يا ويلتي وقد مضى في هود بيانه والخليل
الصاحب والصديق وقد مضى في النساء بيانه لقد اضلني عن الذكر اي يقول هذا النادم
لقد اضلني من اتخذته في الدنيا خليلا عن القران والايمان به وقيل عن الذكر عن الرسول
وكان الشيطان للانسان خذولا قيل هذا من قول الله لا من قول الظالم وتمام الكلام على
هذا عند قوله بعد اذ جاءني والخذل الترك من الاعانة ومنه خذلان ابليس للمشركين لما ظهر

لهم في صورة سراقة بن مالك فلما راى الملائكة تبرا منهم وكل من صد عن سبيل الله واطيع في معصية
الله فهو شيطان للانسان خذولا عند نزول العذاب والبلاء ولقد احسن من قال

تجنب قرين السوء واصرم حباله ... فان لم تجد عنه محيصا فداره
واحبب حبيب الصدق واحذر مراءه ... تنل منه صفو الود ما لم تماره
وفي الشيب ما ينهى الحليم عن الصبا ... اذا اشتعلت نيرانه في عذاره

وقال اخر

اصحب خيار الناس حيث لقيتهم ... خير الصحابة من يكون عفيفا
والناس مثل دراهم ميزتها ... فوجدت منها فضة وزيوفا

وفي الصحيح حديث ابي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد منه ريحا
منتنة لفظ مسلم واخرجه ابو داود من حديث انس وذكر ابو بكر البزار عن ابن عباس قال قيل
يا رسول الله اي جلسائنا خير قال من ذكركم بالله رؤيته وزاد في علمكم منطقه وذكركم بالاخرة عمله وقال
مالك بن دينار انك ان تنقل الاحجار مع الابرار خير لك من ان تاكل الخبيص مع الفجار وانشد

وصاحب خيار الناس تنج مسلما ... وصاحب شرار الناس يوما فتندما

قوله تعالى وقال الرسول يا رب يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يشكوهم الى الله تعالى ان قومي
اتخذوا هذا القران مهجورا اي قالوا فيه غير الحق من انه سحر وشعر قاله مجاهد والنخعي وقيل معنى
مهجورا اي متروكا فعزاه الله تبارك وتعالى وسلاه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين
اي كما جعلنا لك يا محمد عدوا من مشركي قومك وهو ابو جهل في قول ابن عباس فكذلك جعلنا لكل نبي
عدوا من مشركي قومه فاصبر لامري كما صبروا فاني هاديك وناصرك على كل من ناواك وقد قيل ان
قول الرسول يا رب انما يقوله يوم القيامة اي هجروا القران وهجروني وكذبوني وقال انس قال النبي صلى
الله عليه وسلم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة متعلقا
به يقول يا رب العالمين ان عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه ذكره الثعلبي وكفى
بربك هاديا ونصيرا نصب على الحال او التمييز اي يهديك وينصرك فلا تبال بمن عاداك وقال
ابن عباس عدو النبي صلى الله عليه وسلم ابو جهل لعنه الله قوله تعالى وقال الذين كفروا لولا
نزل عليه القران جملة واحدة اختلف في قائل ذلك على قولين احدهما انهم كفار قريش قاله ابن
عباس الثاني انهم اليهود حين راوا نزوله مفرقا قالوا هلا انزل عليه جملة واحدة كما انزلت التوراة
على موسى والانجيل والزبور فقال الله تعالى كذلك اي فعلنا ذلك لنثبت به فؤادك نقوي به
قلبك فتعيه وتحمله لان الكتب المتقدمة انزلت على انبياء يكتبون ويقرءون والقران نزل على نبي
امي ولان من القران الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب لمن سال عن امور ففرقناه ليكون اوعى
عند النبي صلى الله عليه وسلم وايسر على العامل به فكان كلما نزل وحي جديد زاده قوة قلب
فان قيل هلا انزل القران دفعة واحدة وحفظه اذا كان ذلك في قدرته قيل في قدرة الله تعالى
ان يعلمه الكتاب والقران في لحظة واحدة ولكنه لم يفعل ولا معترض عليه في حكمه وقد
بينا وجه الحكمة في ذلك وقد قيل ان قوله كذلك من كلام المشركين اي لولا نزل عليه القران
جملة واحدة كذلك اي كالتوراة والانجيل فيتم الوقف على كذلك ثم يبتدئ لنثبت به فؤادك
ويجوز ان يكون الوقف على قوله جملة واحدة ثم يبتدئ كذلك لنثبت به فؤادك اي انزلناه
كذلك متفرقا لنثبت به فؤادك قال ابن الانباري والوجه الاول اجود لما احسن والقول
الاول اجود واحسن والقول الثاني قد جاء به التفسير ثنا محمد بن عثمان الفسير قال حدثنا
منجاب قال ثنا بشر بن عمارة عن ابي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى انا انزلناه
في ليلة القدر قال نزل القران جملة واحدة من عند الله عز وجل في اللوح المحفوظ الى
السفرة الكرام الكاتبين في السماء فنجمه السفرة الكرام على جبريل عليه السلام عشرين ليلة
ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم عشرين سنة قال فهو قوله فلا اقسم بمواقع النجوم
يعني نجوم القران وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقران كريم فلما لم ينزل القران على النبي صلى
الله عليه وسلم جملة واحدة قال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة فقال الله
تبارك وتعالى كذلك لنثبت به فؤادك يا محمد ورتلناه ترتيلا يقول ورسلناه ترسيلا يقول

شيئا بعد شيء ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا يقول لو نزلنا عليك القرآن
جملة واحدة ثم سألوك لم يكن عندك ما تجيب ولكن نمسك عليك فإذا سألوك أجبت قال النحاس
وكان ذلك من علامات النبوة لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه وهذا لا يكون إلا من نبي فكان
ذلك تثبيتا لفؤادك وأفئدتهم ويدل على هذا ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا
ولو نزل جملة واحدة بما فيه من الفرائض لثقل عليهم وعلم الله عز وجل أن الصلاح في إنزاله
متفرقا لأنهم ينبهون به مرة بعد مرة ولو نزل جملة واحدة لزال معنى التنبيه وفيه ناسخ ومنسوخ
فكانوا يتعبدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله عز وجل فيه الصلاح ثم ينزل النسخ بعد
ذلك فمحال أن ينزل جملة واحدة افعلوا ولا تفعلوا قال النحاس والأولى أن يكون
التمام جملة واحدة لأنه إذا وقف على كذلك صار المعنى كالتوراة والإنجيل والزبور ولم يتقدم
لها ذكر قال الضحاك وأحسن تفسيرا أي تفصيلا والمعنى أحسن من مثلهم تفصيلا فحذف
لعلم السامع وقيل كان المشركون يستمدون من أهل الكتاب وكان قد غلب على أهل الكتاب
التحريف والتبديل فكان ما يأتي به النبي صلى الله عليه وسلم أحسن تفسيرا مما عندهم لأنهم كانوا
يخلطون الحق بالباطل والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل ولهذا قال تعالى ولا تلبسوا
الحق بالباطل وقيل لا يأتونك بمثل في صفة عيسى أنه خلق من غير أب وأم قوله تعالى
الذين يحشرون على وجوههم تقدم في سبحان أولئك شر مكانا لأنهم في جهنم قال مقاتل قال
الكفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إنه شر الخلق فنزلت الآية وأضل سبيلا أي دينا
وطريقا ونظم الآية ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأنت منصور عليهم بالحجج الواضحة وهم
محشورون على وجوههم قوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب يريد التوراة وجعلنا معه
أخاه هرون وزيرا تقدم في طه فقلنا اذهبا الخطاب لهما وقيل إنما أمر موسى صلى الله عليه
وسلم بالذهاب وحده في المعنى وهذا بمنزلة قوله نسيا حوتهما وقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان
وإنما يخرج من أحدهما قال النحاس وهذا مما لا ينبغي أن يجترأ به على كتاب الله عز وجل وقد
قال عز وجل فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو
أن يطغى قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى فأتياه فقولا إنا رسولا ربك ونظير هذا ومن
دونهما جنتان وقد قال تعالى ثم أرسلنا موسى وأخاه هرون بآياتنا قال القشيري
وقوله في موضع آخر اذهبا إلى فرعون إنه طغى لا ينافي هذا لأنهما إذا كانا مأمورين فكل
واحد مأمور ويجوز أن يقال أمر موسى أولا ثم لما قال واجعل لي وزيرا من أهلي قال اذهبا
إلى فرعون إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا يريد فرعون وهامان والقبط فدمرناهم في الكلام
إضمار أي فكذبوهما فدمرناهم تدميرا أي أهلكناهم إهلاكا قوله تعالى وقوم نوح لما
كذبوا الرسل في نصب قوم أربعة أقوال العطف على الهاء والميم في دمرناهم الثاني بمعنى اذكر الثالث
بإضمار فعل يفسره ما بعده والتقدير وأغرقنا قوم نوح أغرقناهم الرابع أنه منصوب بأغرقناهم
قاله الفراء ورده النحاس قال لأن أغرقنا ليس مما يتعدى إلى مفعولين فيعمل في المضمر وفي قوم
نوح لما كذبوا الرسل ذكر الجنس والمراد نوح وحده لأنه لم يكن في ذلك الوقت رسول إليهم إلا
نوح وحده فنوح إنما بعث بلا إله إلا الله وبالإيمان بما ينزل الله فلما كذبوه كان في ذلك
تكذيبا لكل من بعث بعده بهذه الكلمة وقيل إن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل لأنهم
لا يفرق بينهم في الإيمان ولأنه ما من نبي إلا يصدق بسائر أنبياء الله فمن كذب نبيا فقد
كذب كل من صدقه من النبيين أغرقناهم أي بالطوفان على ما تقدم في هود وجعلناهم
للناس آية أي علامة ظاهرة على قدرتنا وأعتدنا للظالمين أي المشركين من قوم نوح عذابا
أليما أي في الآخرة وقيل أي هذه سبيلي في كل ظالم قوله تعالى وعادا وثمودا وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كله معطوف على قوم نوح إذا كان قوم نوح منصوبا على العطف
أو بمعنى اذكر ويجوز أن يكون كله منصوبا على أنه معطوف على المضمر في دمرناهم أو على المضمر
في جعلناهم وهو اختيار النحاس لأنه أقرب إليه ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار فعل أي
اذكر عادا الذين كذبوا هودا فأهلكهم الله بالريح العقيم وثمودا كذبوا صالحا فأهلكهم الله
بالرجفة وأصحاب الرس والرس في كلام العرب البئر التي تكون غير مطوية والجمع رساس قال

الشاعر تنابلة يحفرون الرساسا يعني آبار المعادن قال ابن عباس سألت كعبا عن أصحاب
الرس قال صاحب يس الذي قال يا قوم اتبعوا المرسلين فقتله قومه ورسوه في بئر لهم
يقال لها الرس طرحوه فيها وكذا قال مقاتل والسدي هم أصحاب يس أهل أنطاكية والرس
بئر بأنطاكية قتلوا فيها حبيبا النجار مؤمن آل يس فنسبوا إليها وقال علي رضي الله عنه هم قوم
كانوا يعبدون شجرة صنوبر فدعا عليهم نبيهم وكان من ولد يهوذا فيبست الشجرة فقتلوه ورسوه
في بئر فأظلتهم سحابة سوداء فأحرقتهم وقال ابن عباس هم قوم بأذربيجان قتلوا الأنبياء فجفت
أشجارهم وزروعهم فماتوا جوعا وعطشا وقال وهب بن منبه كانوا أهل بئر يقعدون عليها
وأصحاب مواشي وكانوا يعبدون الأصنام فأرسل الله إليهم شعيبا فكذبوه وآذوه وتمادوا
على كفرهم وطغيانهم فبينما هم حول البئر في منازلهم انهارت بهم وبديارهم فخسف الله بهم
فهلكوا جميعا وقال قتادة أصحاب الرس وأصحاب الأيكة أمتان أرسل الله إليهم شعيبا فكذبوه
وآذوه وتمادوا على كفرهم وطغيانهم فعذبهما الله بعذابين قال قتادة والرس قرية بفلج اليمامة
وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر حيا دليله ما روى محمد بن كعب القرظي عمن حدثه
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أول الناس يدخل الجنة يوم القيامة عبد أسود وذلك أن الله
تعالى بعث نبيا إلى قومه فلم يؤمن به إلا ذلك الأسود فحفر أهل القرية بئرا وألقوا فيها نبيهم
حيا وأطبقوا عليه حجرا ضخما فكان ذلك العبد الأسود يحتطب على ظهره ويبيعه ويأتيه بطعامه
وشرابه فيعينه الله على تلك الصخرة حتى يدليه إليه فبينما هو يحتطب إذ نام فضرب الله
على أذنه سبع سنين نائما ثم هب من نومه فتمطى واتكأ لشقه الآخر فضرب الله على أذنه
سبع سنين ثم هب فاحتمل حزمة الحطب وباعها وأتى بطعامه وشرابه إلى البئر فلم يجده وكان
قومه قد أراهم الله آية فاستخرجوه وآمنوا به وصدقوه ومات ذلك النبي قال النبي صلى
الله عليه وسلم إن ذلك الأسود لأول من يدخل الجنة ذكر هذا الخبر المهدوي والثعلبي وقال
هؤلاء آمنوا بنبيهم فلا يجوز أن يكونوا أصحاب الرس لأن الله تعالى أخبر عن أصحاب الرس
أنه دمرهم إلا أن يدمروا بأحداث أحدثوها بعد نبيهم وقال الكلبي أصحاب الرس قوم أرسل
الله إليهم نبيا فأكلوه وهم أول من عمل نساؤهم السحق ذكره الماوردي وقيل هم أصحاب الأخدود
الذي حفروا الأخاديد وحرقوا فيها المؤمنين وسيأتي وقيل هم بقايا من قوم ثمود وأن
الرس البئر المذكور في الحج في قوله وبئر معطلة على ما تقدم وفي الصحاح والرس اسم
بئر كانت لبقية من ثمود وقال جعفر بن محمد عن أبيه أصحاب الرس قوم كانوا يستحسنون
السحق وكان نساؤهم كلهم سحاقات وروي من حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال إن من أشراط الساعة أن يكتفي الرجال بالرجال والنساء بالنساء وذلك السحق
وقيل الرس ماء ونخل لبني أسد وقيل الثلج المتراكم في الجبال ذكره القشيري وما ذكرناه أولا
وهو المعروف وهو كل حفر احتفر كالقبر والمعدن والبير قال أبو عبيدة الرس كل ركية لم تطو
وجمعها رساس قال الشاعر • وهم سائرون إلى أرضهم • تنابلة يحفرون الرساسا •
والرس في قول زهير اسم واد في قوله • بكرن بكورا واستحرن بسحرة • فهن لوادي الرس كاليد للفم •
ورسست رسا حفرت بئرا ورس الميت أي قبر والرس الإصلاح بين الناس والإفساد أيضا
وقد رسست بينهم فهو من الأضداد وقد قيل في أصحاب الرس غير ما ذكرنا ذكره الثعلبي
وغيره وقرونا بين ذلك كثيرا أي أمما لا يعلمهم إلا الله بين قوم نوح وعاد وثمود وأصحاب
الرس وعن الربيع بن خثيم أنه اشتكى فقيل له ألا تتداوى فإن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد أمر به فقال لقد هممت بذلك ثم فكرت فيما بيني وبين نفسي فإذا عاد وثمود وأصحاب
الرس وقرونا بين ذلك كثيرا كانوا أقوى وأشد حرصا على جمع المال فكان فيهم أطباء فلا
الناعت منهم بقي ولا المنعوت فأبى أن يتداوى فما مكث إلا خمسة أيام حتى مات
رحمه الله وكلا ضربنا له الأمثال قال الزجاج أي وأنذرنا كلا ضربنا له الأمثال وبينا
لهم الحجة ولم نضرب لهم الأمثال الباطلة كما تفعله هؤلاء الكفرة وقيل انتصب على تقدير وذكرنا
كلا ونحوه لأن ضرب الأمثال تذكير ووعظ ذكره المهدوي والمعنى واحد وكلا تبرنا تتبيرا
أي أهلكنا بالعذاب وتبرت الشيء كسرته وقال المؤرج والأخفش معناه دمرناهم تدميرا

بتدل التا والبا من الدال والميم قوله تعالى ولقد اتوا على القرية يعني مشركي مكة والقرية
قرية قوم لوط ومطر السوء الحجارة التي امطروا بها افلم يكونوا يرونها في اسفارهم ليعتبروا قال
ابن عباس كانت قريش في تجارتها الى الشام تمر بمداين قوم لوط كما قال تعالى وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل وقال وانهما لبامام مبين وقد تقدم بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يصدقون
بالبعث ويجوز ان يكون معنى يرجون يخافون ويجوز ان يكون على بابه ويكون معناه بل كانوا
لا يرجون ثواب الاخرة قوله تعالى واذا راوك ان يتخذونك الا هزوا جواب اذا ان يتخذونك
لان معناه يتخذونك وقيل الجواب محذوف وهو قالوا او يقولون اهذا الذي وقوله ان يتخذونك
الا هزوا كلام معترض ونزلت في ابي جهل كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم مستهزئا اهذا
الذي بعث الله رسولا والعائد محذوف اي بعثه الله رسولا ورسولا نصب على الحال والتقدير
اهذا الذي بعثه الله مرسلا اهذا رفع بالابتدا والذي خبره ورسولا نصب على الحال وبعث
في صلة الذي واسم الله عز وجل رفع ببعث ويجوز ان يكون مصدرا لان معنى بعث ارسل ويكون
معنى رسولا رسالة على هذا والالف للاستفهام على معنى التقرير والاحتقار ان كاد ليضلنا اي
قالوا قد كاد ان يصرفنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها اي حبسنا انفسنا على عبادتها قال الله
تعالى وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا يريد من اضل دينا اهم ام محمد عليه
السلام وقد راوه في يوم بدر قوله تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه عجب نبيه صلى الله
عليه وسلم من اضرارهم على الشرك واصرارهم عليه مع اقرارهم بانه خالقهم ورازقهم ثم يعمد الى
حجر يعبده من غير حجة قال الكلبي وغيره كانت العرب اذا هوي الرجل منهم شيا عبده من
دون الله فاذا راى احسن منه ترك الاول وعبد الاحسن فعلى هذا يعني ارايت من اتخذ
الهه هواه بحذف الجار وقال ابن عباس الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلى هذه الاية قال
الشاعر

• لعمر ابيها لو تبدت لناسك • قد اعتزل الدنيا باحدى المناسك •
• لصلى لها قبل الصلاة لربه • ولا ارتد في الدنيا باعمال فاتك •

وقيل اتخذ الهه هواه اي اطاع هواه وعن الحسن لا يهوى شيا الا اتبعه والمعنى واحد
افانت تكون عليه وكيلا اي حفيظا وكفيلا حتى تردّه الى الايمان وتخرجه من هذا الفساد
اي ليست الهداية والضلالة موكولتين الى مشيئتك وانما عليك التبليغ وهذا رد على القدرية
ثم قيل انها منسوخة باية القتال وقيل لم تنسخ لان الاية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
قوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون ولم يقل انهم لان منهم من علم انه
يومن وذمهم عز وجل بهذا ام تحسب ان اكثرهم يسمعون سماع قبول او يفكرون فيما تقول
فيعقلونه اي هم بمنزلة من لا يعقل ولا يسمع وقيل المعنى انهم لما لم ينتفعوا بما يسمعون فكانهم
لم يسمعوا والمراد اهل مكة وقيل ام بمعنى بل في مثل هذا الموضع ان هم الا كالانعام في الاكل
والشرب ولا يفكرون في الاخرة بل هم اضل اذ لا حساب ولا عقاب على الانعام وقال
مقاتل البهائم تعرف ربها وتهتدي الى مراعيها وتنقاد لاربابها التي تعقلها وهولا لا ينقادون
ولا يعرفون ربهم الذي خلقهم ورزقهم وقيل ان البهائم ان لم تعقل صحة التوحيد والنبوة
لم تعتقد بطلان ذلك ايضا قوله تعالى الم تر الى ربك كيف مد الظل يجوز ان تكون
هذه الروية من روية العين ويجوز ان تكون من العلم قال الحسن وقتادة وغيرهما مد
الظل من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وقيل هو من غيبوبة الشمس الى طلوعها والاول
اصح والدليل عليه انه ليس من ساعة اطيب من تلك الساعة فان فيها يجد المريض راحة
والمسافر وكل ذي علة وفيها ترد نفوس الاموات والارواح منهم الى الاجساد وتطيب
نفوس الاحيا فيها وهذه الصفة مفقودة بعد المغرب وقال ابو العالية نهار الجنة
هكذا واشار الى ساعة المصلين صلاة الفجر قال ابو عبيدة الظل بالغداة والفي بالعشي
لانه يرجع بعد زوال الشمس سمي فيا لانه فا من المشرق الى جانب المغرب قال الشاعر
وهو حميد بن ثور يصف سرحة وكنى بها عن امراة قال

• فلا الظل من برد الضحى يستطيعه • ولا الفي من برد العشي يذوق •

وقال ابن السكيت الظل ما نسخته الشمس والفي ما نسخ الشمس وحكى ابو عبيدة عن روبة

قال

قال كلما كانت عليه الشمس فهو ظل ولو شا لجعله ساكنا اي دايما مستقرا لا تنسخه الشمس
قال ابن عباس يريد الى يوم القيمة وقيل المعنى لو شا لمنع الشمس الطلوع ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا اي جعلنا الشمس بنسخها الظل عند مجيئها دالة على ان الظل شي ومعنى لان
الاشيا تعرف باضدادها ولولا الشمس ما عرف الظل ولولا النور ما عرفت الظلمة والدليل
فعيل بمعنى الفاعل وقيل بمعنى المفعول كالقتيل والدهين والخضيب
اي دللنا الشمس على الظل حتى ذهبت به اي اتبعناها اياه فالشمس دليل اي حجة وبرهان
وهو الذي يكشف المشكل ويوضحه ولم يونث الدليل وهو صفة الشمس لانه في معنى الاسم
كما يقال الشمس برهان والشمس حق ثم قبضناه يريد ذلك الظل الممدود الينا قبضا يسيرا
يتيسر علينا وكل امر علينا يسير فالظل مكثه في هذا الجو بمقدار طلوع الفجر الى طلوع الشمس
فاذا طلعت الشمس صار الظل مقبوضا وخلفه في هذا الجو شعاع الشمس فاشرق على
الارض وعلى الاشيا الى وقت غروبها فاذا غربت فليس هناك ظل انما ذلك بقية نور
النهار وقال قوم قبضه بغروب الشمس لانها ما لم تغرب فالظل فيه بقية وانما يتم زواله
بمجي الليل ودخول الظلمة عليه وقيل ان هذا القبض وقع بالشمس لانها اذا طلعت اخذ
الظل في الذهاب شيا فشيا قاله ابو مالك وابراهيم التيمي وقيل ثم قبضناه اي قبضنا
ضيا الشمس بالفي قبضا يسيرا وقيل يسيرا اي سريعا قاله الضحاك وقال قتادة خفيا
اي اذا غابت الشمس قبض الظل قبضا خفيا كلما قبض جز منه جعل مكانه جز من الليل
الظلمة وليس يزول دفعة واحدة فهذا معنى قول قتادة وهو قول مجاهد قوله تعالى
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا فيه اربع مسايل الاولى
قوله تعالى وهو الذي جعل لكم الليل لباسا يعني سترا للخلق يقوم مقام اللباس في ستر
البدن وقال الطبري وصف الليل باللباس تشبيها من حيث يستر الاشيا ويغشاها
الثانية قال ابن العربي ظن بعض الغفلة ان من صلى عريانا في الظلام اجزاه لان
الليل لباس وهذا يوجب ان يصلي في بيته عريانا اذا اغلق عليه بابه والستر في الصلاة
عبادة تختص بها ليست لاجل نظر الناس ولا حاجة الى الاطناب في هذا الثالثة
قوله تعالى والنوم سباتا اي راحة لابدانكم بانقطاعكم عن الاشغال واصل السبات
من التمدد يقال سبتت المراة شعرها اي نقضته وارسلته ورجل مسبوت اي ممدود
الخلقة وقيل للنوم سبات لانه بالتمدد يكون وفي التمدد معنى الراحة وقيل السبت
القطع فالنوم انقطاع عن الاشتغال ومنه سبت اليهود لانقطاعهم عن الاعمال فيه
وقيل السبت الاقامة في المكان فكان السبات سكون ما وثبوت عليه فالنوم سبات
على معنى انه سكون عن الاضطراب والحركة وقال الخليل السبات نوم ثقيل اي جعلنا
نومكم ثقيلا ليكمل الاجمام والراحة الرابعة قوله تعالى وجعل النهار نشورا من الانتشار
للمعاش اي النهار سبب للاحيا للانتشار شبه اليقظة فيه بتطابق الاحيا مع الاماتة
وكان عليه السلام اذا اصبح قال الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور
قوله تعالى وهو الذي ارسل الرياح نشرا بين يدي رحمته تقدم في الاعراف مستوفى
قوله تعالى وانزلنا من السما ما طهورا فيه خمس عشرة مسالة الاولى قوله تعالى ما
طهورا اي يتطهر به كما يقال وضو للما الذي يتوضا به وكل طهور طاهر وليس كل طاهر
طهورا فالطهور بفتح الطا الاسم وكذلك الوضوء والوقود وبالضم المصدر هذا هو
المعروف في اللغة قال ابن الانباري فبين ان الما المنزل من السما طاهر في نفسه مطهر
لغيره فان الطهور بنا مبالغة في طاهر وهذه المبالغة اقتضت ان يكون طاهرا مطهرا
والى هذا ذهب الجمهور وقيل ان طهورا بمعنى طاهر وهو قول ابي حنيفة وتعلق بقوله
تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا يعني طاهرا وبقول الشاعر

خليلي هل في نظرة بعد توبة • اداوي بها قلبي علي فجور
الى رجح الاكفال غين من الصبا • عذاب الثنايا ريقهن طهور

فوصف الريق بانه طهور وليس بمطهر وتقول العرب رجل نوم وليس ذلك بمعنى انه منيم

وانما يرجع ذلك الى فعل نفسه وقد اجاب علماؤنا عن هذا انه لو وصف شراب الجنة بانه
طهور يفيد التطهير عن اوضار الذنوب وعن خسايس الصفات كالغل والحسد فاذا شربوا
هذا الشراب يطهرهم الله عن رحض الذنوب واوضار الاعتقادات الذميمة فجاؤوا الله بقلب
سليم ودخلوا الجنة بصفات التسليم وقيل لهم حينئذ سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
ولما كان حكمه في الدنيا ان الحكم للحدث بجريان الماء على الاعضاء كانت تلك حكمته ورحمته
في الاخرة واما قول الشاعر ريقهن طهور لعذوبته وتعلقه بالقلوب وطيبته في النفوس
وسكون غليل المحب برشفه حتى كانه الماء الطهور وبالجملة فان الاحكام الشرعية لا تثبت
بالمجازات الشعرية فان الشعراء يتجاوزون في الاستغراق ويستغرقون حد الصدق الى
الكذب ويسترسلون في القول حتى يخرجهم ذلك الى البدعة والمعصية وربما وقعوا في
الكفر من حيث لا يشعرون الا ترى الى قول بعضهم *

* ولو لم تلا في صفحات الارض رجليها * لما كنت ادري علة للتيمم *

وهذا كفر صراح نعوذ بالله قال القاضي ابو بكر ابن العربي هذا منتهى تباين كلام العلماء
وهو بالغ في غنية الالفي ما سلك من طريق العربية فوجدت فيه مطلقا مشرقا وهو ان
بناء فعول للمبالغة الا ان المبالغة قد تكون في الفعل المتعدي كما قال الشاعر *

* ضروب بنصل السيف سوق سمانها * وقد تكون في الفعل القاصر كما قال الشاعر

* نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل * فانما توخذ طهورية الماء لغيره من الحسن

نظافة ومن الشرع طهارة لقوله عليه السلام لا يقبل الله صلاة بغير طهور واجمعت
الامة لغة وشريعة على ان وصف طهور يختص بالماء ولا يتعدى الى ساير المايعات
وهي طاهرة فكان اقتضاؤهم بذلك على الماء اول دليل على ان الطهور هو المطهر وهو
بناء فعول لوجه اخر ليس من هذا كله وهو العبارة به عن الالة للفعل لا عن الفعل
كقولنا وقود وسحور بفتح الواو فانه عبارة عن الحطب والطعام المتسحر به فوصف الماء
بانه طهور بفتح الطاء ايضا يكون خبرا عن الالة التي يتطهر بها فاذا ضمت الواو في الوقود
والسحور والطهور عاد الى الفعل وكان خبرا عنه فثبت بهذا ان اسم المفعول بفتح الفاء
يكون بناء للمبالغة ويكون خبرا عن الالة التي يتطهر به وهو الذي خطر ببال الحنفية ولكن
قصرت اشداقها عن لوكه وبعد هذا يقف البيان على المبالغة والالة على الدليل مثاله
قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقوله عليه السلام جعلت لي الارض مسجدا
وطهورا يحتمل المبالغة ويحتمل العبارة عن الالة فلا حجة فيه لعلمائنا لكن يبقى قوله
ليطهركم به نص في ان فعله يتعدى لغيره الثانية المياه المنزلة من السماء والمودعة في
الارض طاهرة على اختلاف الوانها وطعومها وروايحها حتى يخالطها غيرها والمخالط للماء
على ثلاثة اضرب ضرب يوافقه في صفتيه جميعا فاذا خالطه فغيره لم يسلبه وصفا منهما
لموافقته لهما وهو التراب والضرب الثاني يوافقه في احدى صفتيه وهي الطهارة فاذا
خالطه فغيره سلبه ما خالفه فيه وهو التطهير كماء الورد وساير الطهارات والضرب
الثالث يخالفه في الصفتين جميعا فاذا خالطه فغيره سلبه الصفتين لمخالفته لهما فيهما
وهو النجس الثالثة ذهب المصريون من اصحاب مالك الى ان قليل الماء يفسده قليل
النجاسة وان الكثير لا يفسده الا ما غير لونه او طعمه او ريحه من المغيرات ولم يحدوا بين
القليل والكثير حدا يوقف عنده الا ان ابن القاسم روى عن مالك في الجنب يغتسل في حوض
من الحياض الذي تسقى منه الدواب ولم يكن غسل ما به من الاذى انه قد افسده وهو
مذهب ابن القاسم واشهب وابن عبد الحكم ومن اتبعهم من المصريين الا ابن وهب فانه
يقول في الماء بقول المدنيين من اصحاب مالك وقولهم ما حكاه ابو مصعب عنهم وعنه ان
الماء لا تفسده النجاسة الحالة فيه قليلا كان او كثيرا الا ان تظهر فيه النجاسة وتغير منه
طعما او ريحا او لونا وذكر احمد بن المعذل ان هذا قول مالك بن انس في الماء والى هذا ذهب
اسماعيل ابن اسحاق ومحمد بن بكير وابو الفرج الابهري وساير المنتحلين لمذهب مالك
من البغداديين وهو قول الاوزاعي والليث ابن سعد والحسن بن صالح وداود بن علي

وهو

وهو مذهب اهل البصرة وهو الصحيح في النظر وجيد الاثر وقال ابو حنيفة اذا وقعت
نجاسة في الماء افسدته كثيرا كان او قليلا اذا تحققت نقطة بول في بركة فان كانت البركة
تتحرك طرفاها بتحرك احدهما فالكل نجس وان كانت حركة الطرفين لا يتحرك به الاخر لم ينجس
وفي المجموعة نحو مذهب ابي حنيفة وقال الشافعي بحديث القلتين وهو حديث مطعون فيه
اختلف في اسناده ومتنه اخرجه ابو داود والترمذي وخاصة الدارقطني فانه صدر به كتابه
وجمع طرقه قال ابن العربي وقد رام الدارقطني على امامته ان يصحح حديث القلتين فلم يستطع وقال
ابو عمر بن عبد البر واما ما ذهب اليه الشافعي من حديث القلتين فمذهب ضعيف من جهة النظر
غير ثابت في الاثر لانه قد تكلم فيه جماعة من اهل العلم بالنقل ولان القلتين لا يوقف على حقيقة
مبلغهما في اثر ثابت ولا اجماع ولو كان ذلك حدا لازما لوجب على العلماء البحث ليقفوا على حد ما حده
صلى الله عليه وسلم لانه من اصل دينهم وفرضهم ولو كان ذلك كذلك ما ضيعوه فلقد بحثوا عما هو ادونه
من ذلك والطف قلت وفيما ذكر ابن المنذر في القلتين من الخلاف ما يدل على عدم التوقيف فيهما
والتحديد وفي سنن الدارقطني عن حماد بن زيد عن عاصم بن المنذر قال القلال الخوابي العظام
وعاصم هذا هو احد الرواة ويظهر من قول الدارقطني انها مثل قلال هجر لسياقه حديث الاسراء عن
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت لي سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل
قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة وذكر الحديث قال ابن العربي وتعلق علماؤنا بحديث ابي سعيد
الخدري في بير بضاعة رواه النسائي والترمذي وابو داود وغيرهم وهو ايضا حديث ضعيف
لا قدم له في الصحة فلا تعويل عليه وقد فاوضت الطوسي الاكبر في هذه المسالة فقال ان اخلص
المذاهب في هذه المسالة مذهب مالك فان الماء طهور ما لم يتغير احد اوصافه اذ لا حديث في
الباب يعول عليه وانما المعول على ظاهر القران وهو قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا
وهو ما دام بصفاته فاذا تغير عن شيء منها خرج عن الاسم لخروجه عن الصفة ولذلك لما لم يجد
البخاري امام الحديث والفقه في الباب خبرا يعول عليه قال باب اذا تغير وصف الماء وادخل
الحديث الصحيح ما من احد يكلم في سبيل الله الا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون
لون دم والريح ريح مسك فاخبر صلى الله عليه وسلم ان الدم بحاله وعليه رائحة المسك ولم تخرجه
الرائحة عن صفة المذمومة ولذلك قال علماؤنا اذا تغير الماء بريح جيفة على طريقه وساحله
لم يمنع ذلك الوضوء منه ولو تغير بها وقد وضعت فيه لكان ذلك نجسا للمخالطة والاول
مجاورة قلت وقد استدل به ايضا على نقيض ذلك وهو ان تغير الرائحة يخرجه عن اصله
ووجه هذا الاستدلال ان الدم لما استحالت رائحته الى رائحة المسك خرج عن كونه مستخبثا
وانه صار مسكا وان المسك بعض دم الغزال فكذلك الماء اذا تغيرت رائحته والى هذا النظر ويل
ذهب الجمهور في الماء والى الاول ذهب عبد الملك قال ابو عمر جعلوا الحكم للرائحة دون اللون
وكان الحكم لها فاستدلوا عليها في زعمهم بهذا الحديث وهذا لا يفهم منه معنى تسكن اليه النفس
ولا في الدم معنى الماء فيقاس عليه ولا يشتغل بمثل هذا الفقهاء وليس من شان اهل العلم الغرضية
والاشكال وانما شانهم ايضاحه وبيانه ولذلك اخذ الميثاق عليهم لتبيننه للناس ولا يكتمونه
والماء لا يخلو ان تغيره بنجاسة او بغير نجاسة فان كان بنجاسة وتغير فقد اجمع العلماء على انه
غير طاهر ولا مطهر وكذلك اجمعوا انه اذا تغير بغير نجاسة انه طاهر على اصله وقال الجمهور
انه غير مطهر الا ان يكون تغيره من تربته وحماته وما اجمعوا عليه فهو الحق الذي لا اشكال
فيه ولا التباس معه الرابعة المتغير بقراره كزرنيخ او جير يجري عليه او تغير بطحلب او ورق
شجر ينبت عليه لا يمكن الاحتراز منه فاتفق العلماء ان ذلك لا يمنع من الوضوء به لعدم الاحتراز
منه والانفكاك عنه وقد روى ابن وهب عن مالك انه غيره اولى منه للمخالطة قال علماؤنا
رحمة الله عليهم ويكره الوضوء بسؤر النصراني وسؤر الكفار والمدمن للخمر وما اكل الجيف
كالكلاب وغيرها ومن توضا بسؤرهم فلا شيء عليه حتى يستيقن النجاسة قال البخاري
وتوضا عمر من بيت نصرانية ذكر سفيان بن عيينة قال حدثونا عن زيد بن اسلم عن ابيه
قال لما كنا بالشام اتيت عمر ابن الخطاب بماء يتوضا به فقال من اين جئت بهذا الماء فما رايت
ماء عذبا ولا ماء سماء اطيب منه قال فقلت جئت به من بيت هذه العجوز النصرانية فلما توضا اتاها

فقال ايتها العجوز اسلمي تسلمي بعث الله محمدا بالحق قال فكشفت عن راسها فاذا مثل الثغامة فقالت عجوز كبيرة وانما اموت الان فقال عمر اللهم اشهد اخرجه الدارقطني ثنا الحسن بن اسماعيل قال ثنا احمد بن ابراهيم البوسنجي قال ثنا سفيان فذكره ورواه ايضا عن الحسين بن اسماعيل قال ثنا خالد بن اسلم ثنا سفيان عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر توضا من بيت نصرانية اتاها فقال ايتها العجوز اسلمي وذكر الحديث بمثل ما تقدم السادسة واما الكلب اذا ولغ في الماء فقال مالك يغسل الاناء سبعا ولا يتوضا به وهو طاهر وقال الثوري يتوضا بذلك ويتيمم معه وهو قول عبد الملك بن عبد العزيز ومحمد بن مسلمة وقال ابو حنيفة الكلب نجس ويغسل الاناء منه لانه نجس وبه قال الشافعي واحمد واسحاق وقد كان مالك يفرق بين ما يجوز اتخاذه من الكلاب وبين ما لا يجوز اتخاذه منها في غسل الاناء من ولوغه وتحصيل مذهبه انه طاهر عنده لا ينجس ولوغه شيئا ولغ فيه طعاما ولا غيره الا انه استحب هراقة ما ولغ فيه من الما ليسارة مونته وكلب البادية والحاضرة سوا يغسل الاناء سبعا على كل حال منه تعبدا هذا ما استقر عليه مذهبه عند المناظرين من اصحابه ذكر ابن وهب قال ثنا عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن ابيه عن عطا عن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحياض التي تكون فيما بين مكة والمدينة فقيل ان الكلاب والسباع ترد عليها فقال لها ما اخذت في بطونها ولنا ما بقي شراب وطهور اخرجه الدارقطني وهذا نص على طهارة الكلاب وطهارة ما تلغ فيه وفي البخاري عن ابن عمر ان الكلاب كانت تقبل وتدبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يرشون شيئا من ذلك وكان عمر بحضرة الصحابة لصاحب الحوض الذي سال عمرو بن العاصي هل يرد حوضك السباع فقال عمر يا صاحب الحوض لا تخبرنا فانا نرد على السباع وترد علينا اخرجه مالك والدارقطني ولم يفرق بين السباع والكلاب من جملتها ولا حجة للمخالف في الامر باراقة ما ولغ فيه وان ذلك للنجاسة وانما امر باراقته لان النفس تعافه لا للنجاسة لان التنزه من الاقذار مندوب اليه او تغليظا عليهم لانهم نهوا عن اقتنايها قال ابو عمر والحسن فلما لم ينتهوا عن ذلك غلظ عليهم في الما لقلته عندهم في البادية حتى يشتد عليهم فيمتنعوا من اقتنايها واما الامر بغسل الانا فعبادة لا للنجاسة كما ذكرنا بدليلين احدهما ان الغسل قد دخله العدد الثاني انه قد جعل للتراب فيه مدخل لقوله عليه السلام وعفروه الثامنة بالتراب ولو كان للنجاسة لما كان للعدد ولا للتراب فيه مدخل كالبول وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهر وما ولغ فيه طاهرا والهر سبع لا خلاف في ذلك لانه يفترس وياكل الميتة فكذلك الكلب وما كان مثله من السباع لانه اذا جا نص في احدهما كان نصا في الاخر وهذا من اقوى انواع القياس هذا لو لم يكن هناك دليل وقد ذكرنا النص على طهارته فسقط قول المخالف والحمد لله السابعة ما مات في الما مما لا دم فيه فلا يضر الما ان لم يغير ريحه فان انتن لم يتوضا به وكذلك ما كان له دم سايل من دواب الما كالحوت والضفدع لم يفسد ذلك الما موته فيه الا ان يتغير رايحته فان تغيرت رايحته وانتن لم يجز التطهر به ولا الوضوء منه وليس بنجس عند مالك فاما ما له نفس سايلة فمات في الما ونزع مكانه ولم يتغير لونه ولا طعمه ولا ريحه فهو طاهر مطهر وسوا كان الما قليلا او كثيرا عند المدنيين واستحب بعضهم ان ينزح من ذلك الما دلا لتطيب النفس به ولا يحدون في ذلك حدا لا يتعدى ويكرهون استعمال ذلك الما قبل نزح الدلا فان استعمله احد في غسل او وضوء جاز اذا كانت حاله ما وصفنا وقد كان بعض اصحابنا لمن يتوضا بهذا الما وان لم يتغير ان يتيمم فيجمع بين الطهارتين احتياطا فان لم يفعل وصلى بذلك الما اجزاه وروي الدارقطني عن محمد ابن سيرين ان زنجيا وقع في زمزم يعني فمات فامر به ابن عباس فاخرج وامر بها ان تنزح قال فغلبتهم عين جاءتهم من الركن فامر بها فدست بالقباطي والمطارف حتى نزحوها فلما نزحوها انفجرت عليهم واخرجه عن ابي الطفيل ان غلاما وقع في بير زمزم فنزحت وهذا يحتمل ان يكون الما تغير والله اعلم وروي شعبة عن مغيرة عن ابراهيم انه كان يقول كل نفس سايلة لا يتوضا منها ولكن رخص في الخنفسا والعقرب والجراد اذا وقعن في الركا فلا باس به قال شعبة واظنه قد ذكر الوزغة اخرجه الدارقطني ثنا الحسن بن اسماعيل قال ثنا محمد بن الوليد قال ثنا محمد بن جعفر

قال

قال حدثنا شعبة فذكره الثامنة ذهب الجمهور من الصحابة وفقها الامصار وساير التابعين بالحجاز والعراق الى ان ما ولغ فيه الهر من الما طاهر وانه لا باس بالوضوء بسوره لحديث ابي قتادة اخرجه مالك وغيره وقد روي عن ابي هريرة فيه خلاف وروي عن عطا ابن ابي رباح وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين انهم امروا باراقة ما ولغ فيه الهر وغسل الاناء منه واختلف في ذلك عن الحسن ويحتمل ان يكون للحسن راي فيه نجاسة ليصح مخرج الروايتين عنه قال الترمذي لما ذكر حديث مالك في الباب عن عايشة وابي هريرة هذا حديث حسن صحيح وهو قول اكثر اهل العلم من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين ومن بعدهم مثل الشافعي واحمد واسحاق لم يروا بسور الهر باسا وهذا احسن شي في الباب وقد جود مالك الحديث عن اسحاق بن عبد الله عن ابي طلحة ولم يات به احد اتم من مالك قال الحافظ ابو عمر الحجة عند التنازع والاختلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد صح من حديث ابي قتادة انه اصغى لها الانا حتى شربت الحديث وعليه اعتماد الفقها في كل مصر الا ابا حنيفة ومن قال بقوله فانه كان يكره سوره وقال ان توضا به احد اجزاه ولا اعلم حجة لمن كره الوضوء بسور الهر احسن من انه لم يبلغه حديث ابي قتادة وبلغه حديث ابي هريرة في الكلب فقاس الهر عليه وقد فرقت السنة بينهما في باب التعبد في غسل الانا ومن حجته السنة خاصمته ومن خالفها مطرح وبالله التوفيق ومما يحتج به ما رواه قرة بن خالد عن محمد ابن سيرين عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال طهور الانا اذا ولغ فيه الهر ان يغسل مرة او مرتين شك قرة وهذا الحديث لم يرفعه الا قرة ابن خالد وقرة ثقة ثبت قلت هذا الحديث لم يرفعه الدارقطني ومتنه طهور الانا اذا ولغ فيه الكلب ان يغسل سبع مرات الاولى بالتراب والهرة مرة او مرتين شك قرة قال ابو بكر كذا رواه ابو عاصم مرفوعا ورواه غيره عن قرة ولوغ الكلب مرفوعا وولوغ الهر موقوفا وروي ابو صالح عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يغسل الانا من ولوغ الهر كما يغسل من الكلب قال الدارقطني لا يثبت هذا مرفوعا والمحفوظ عنه قول ابي هريرة واختلف عنه وذكر معمر وابن جريج عن ابن طاوس عن ابيه انه كان يجعل الهر مثل الكلب وعن مجاهد انه قال يلغ فيه السنور قال اغسله سبع مرات التاسعة الما المستعمل طاهر اذا كان اعضا المتوضي به طاهرة الا ان مالكا وجماعة من الفقها كانوا يكرهون الوضوء منه وقال مالك لا خير فيه ولا احب لاحد ان يتوضا به فان فعل وصلى لم ار عليه اعادة الصلوة وليتوضا لما يستقبل وقال ابو حنيفة والشافعي واصحابهما لا يجوز استعماله في رفع الحدث ومن توضا به اعاد لانه ليس بما مطلق ويتيمم واجده لانه ليس بواجد ما وقال بقولهم في ذلك اصبغ ابن الفرج وهو قول الاوزاعي واحتجوا بالصنابحي خرجه مالك وبحديث عمرو بن عبسة اخرجه مسلم وغير ذلك من الاثار وقالوا الما اذا توضا به خرجت الخطايا معه فوجب التنزه عنه لانه ما الذنوب قال ابو عمر وهذا عندي لا وجه له لان الذنوب لا تنجس الما لانها لا اشخاص لها ولا اجسام تمازج الما فتفسده وانما معنى قوله خرجت الخطايا مع الما اعلام بان الوضوء للصلاة عمل يكفر الله به السيات عن عباده المومنين رحمة منه بهم وتفضلا عليهم وقال ابو ثور وداود مثل قول مالك وان الوضوء بالما المستعمل جايز لانه ما طاهر لا ينضاف اليه شي وهو ما مطلق واحتجوا باجماع الامة على طهارته اذا لم يكن في اعضا المتوضي نجاسة والى هذا ذهب ابو عبد الله المروزي محمد بن نصر وروي عن علي ابن ابي طالب وابن عمر وابي امامة وعطا ابن ابي رباح والحسن البصري ومكحول والنخعي والزهري انهم قالوا فيمن نسي مسح راسه فوجد في لحيته بللا انه يجزيه ان يمسح بذلك البلل راسه فهولاء كلهم اجازوا الوضوء بالما المستعمل وروي عبد السلام بن صالح ثنا اسحاق بن سويد عن العلا ابن زياد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مرضيا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وقد اغتسل وقد بقيت لمعة من جسده لم يصبها الما فقلنا يا رسول الله لمعة لم يصبها الما فكان له شعر وارد فقال بشعره هكذا على المكان فبله اخرجه الدارقطني وقال عبد السلام بن صالح هذا بصري وليس بقوي وغيره من الثقات يرويه عن اسحاق عن العلا مرسل وهو الصواب العاشرة الراوي الثقة عن اسحاق بن سويد العدوي عن العلا بن زياد العدوي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتسل الحديث فيما ذكره هشيم قال ابن العربي مسيلة الما المستعمل انما تنبني على اصل اخر وهو ان الالة اذا ادي بها فرض هل يودي بها فرض اخر

ام لا تمنع ذلك المخالف قياسا على الرقبة اذا ادي بها فرض عتق لم يصلح ان تكون في اداء فرض
اخر وهذا باطل من القول فان العتق اذا اتى على الرق اتلفه فلا يبقى محل لاداء الفرض الاخر
وبتطهيره من الماء ما تلف من الاعضاء حسا كما تلف الرق في الرقبة بالعتق حكما وهذا القياس فاسد
الحادية عشر لم يفرق مالك واصحابه بين الماء يقع فيه النجاسة وبين النجاسة يرد الماء عليها وكذا
كان الماء او غيره لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الماء لا ينجسه شيء الا ما غلب عليه فغير
طعمه او ريحه او لونه وفرقت الشافعية فقالوا اذا وردت النجاسة على الماء تنجس واختاره ابن
العربي وقال من اصول الشريعة في احكام المياه ان ورود النجاسة على الماء ليس كورود الماء على
النجاسة لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث اذا استيقظ احدكم من نومه فلا يغمس يده في
الاناء حتى يغسلها ثلاثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده فمنع من ورود اليد على الماء وامر بافراد
الماء عليها وهذا اصل بديع في الباب ولولا وروده على النجاسة قليلا كان او كثيرا لما طهرت وقد
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في بول الاعرابي في المسجد صبوا عليه ذنوبا من ماء
وقال شيخنا ابو العباس واستدلوا ايضا بحديث القلتين فقالوا اذا كان الماء دون القلتين
فحلت فيه نجاسة تنجس وان لم تغيره وان ورد ذلك القدر فاقل على النجاسة فاذهب عينها
بقي الماء على طهارته وازال النجاسة وهذه مناقضة اذ المخالطة قد حصلت في الصورتين
وتفريقهم بورود الماء على النجاسة وورودها عليه فرق صوري ليس فيه من الفقه شيء وليس
الباب باب التعبدات بل من باب عقلية المعاني فانه من باب ازالة النجاسة واحكامها ثم
هذا كله منهم يرده قوله عليه السلام الماء طهور لا ينجسه شيء الا ما غير لونه او طعمه او ريحه
قلت الحديث اخرجه الدارقطني عن رشدين بن سعد ابن الحجاج عن معاوية بن صالح عن راشد
ابن سعد عن ابي امامة الباهلي وعن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم وليس فيه ذكر اللون
وقال لم يرفعه غير رشدين عن معاوية بن صالح وليس بالقوي واحسن منه في الاسناد الا
ما رواه ابو اسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب عن عبيد الله بن رافع بن خديج عن
ابي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله انتوضا من بير بضاعة وهي بير يلقى فيها الحيض
ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الماء طهور لا ينجسه شيء اخرجه
ابو داود والترمذي والدارقطني كلهم بهذا الاسناد قال ابو عيسى هذا حديث حسن وقد
جود ابو اسامة هذا الحديث لم يرو حديث ابي سعيد في بير بضاعة احسن مما روى ابو اسامة
هذا الحديث نص في ورود النجاسة على الماء وقد حكم صلى الله عليه وسلم بطهارته وطهوره
قال ابو داود قدرت بير بضاعة بردائي مددته عليها ثم ذرعته فاذا عرضها ستة اذرع وسالت
الذي فتح لي باب البستان فادخلني اليه هل غير بناؤها عما كانت عليه فقال لا ورايت فيها ماء
متغير اللون فكان هذا دليلا لنا على ما ذكرناه عن ابن العربي قال الفقها في وسط السبخة
فماؤها يكون متغيرا من قرارها والله اعلم الثانية عشر الماء الطاهر المطهر الذي يجوز به الوضوء
وغسل النجاسة هو الماء القراح الصافي من ماء السماء والانهار والبحار والعيون والابار وما
عرفه الناس ماء مطلقا غير مضاف الى شيء يخالطه كما خلقه الله عز وجل صافيا ولا يضره
لون ارضه على ما بيناه وخالف في هذه الجملة ابو حنيفة وعبد الله بن عمرو وعبد الله ابن
عمر فاما ابو حنيفة فاجاز الوضوء بالنبيذ في السفر وجوز ازالة النجاسة بكل مائع طاهر
فاما بالدهن والمرق ومحتنم وانه لا يجوز ازالتها به الا ان اصحابه يقولون اذا ان الـ
النجاسة به جاز وكذلك عنده النار والشمس حتى ان جلد الميتة اذا جف في الشمس طهر
من غير دباغ وكذلك النجاسة على الارض اذا جفت بالشمس فانه يطهر ذلك الموضع بحيث يجوز
الصلاة فيه ولكنه لا يجوز التيمم بذلك قال ابن العربي لما وصف الله سبحانه الماء بانه طهور
وامتن بانزاله من السماء ليطهرنا به دل على اختصاصه بذلك ولذلك قال عليه السلام لاسماء بنت
الصديق حين سالته عن دم الحيض يصيب الثوب حتيه ثم اقرصيه ثم اغسليه بالماء فلذلك لم
يلحق غير الماء بالماء لما في ذلك من ابطال الامتنان وليست النجاسة عينا محسوسا حتى يقال
كلما ازالها فقد قام به الفرض وانما النجاسة حكم شرعي عين لها صاحب الشرع الماء فلا يلحق
به غيره اذ ليس في معناه ولانه لو لحق به لاسقطه والفرع اذا عاد الحاقه بالاصل في اسقاطه

سقط

سقط في نفسه وقد كان تاج السنة ذو العز بن المرتضى الدبوسي يسميه فرخ دما قلت واما
ما استدل به على استعمال النبيذ فاحاديث واهية ضعاف لا يقوم شيء منها على ساق ذكرها
الدارقطني وضعفها ونص عليها وكذلك ضعف ما روي عن ابن عباس موقوفا النبيذ وضوء من
لم يجد الماء في طريقه ابن محرز متروك الحديث وكذلك ما روي عن علي انه قال لا باس بالوضوء بالنبيذ
الحجاج وابو ليلى ضعيفان وضعف حديث ابن مسعود وقال تفرد به ابن لهيعة وهو ضعيف
الحديث وذكر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله بن مسعود اشهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن قال لا قال الشيخ هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة
رواته واخرج الترمذي حديث ابن مسعود قال سالني النبي صلى الله عليه وسلم ما في اداوتك
فقلت نبيذ فقال تمرة طيبة وماء طهور قال فتوضا منه قال ابو عيسى وانما روي هذا الحديث
عن ابي زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم وابو زيد رجل مجهول عند اهل الحديث
لا نعرف له رواية غير هذا الحديث وقد راي بعض اهل العلم الوضوء بالنبيذ وهو قول الشافعي
واحمد واسحاق ان ابتلي رجل بهذا وتوضا بالنبيذ ثم تيمم احب الي قال ابو عيسى وقول من
يقول لا يتوضا بالنبيذ اقرب الى الكتاب واشبه لان الله تعالى قال فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا وهذه المسئلة بطولها في كتاب الخلاف وعمدتهم التمسك بلفظ الكتاب حسب ما تقدم في
المائدة بيانه فاعلم الثالثة عشر قال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وقال ليطهركم به توقف
جماعة في ماء البحر لانه ليس بمنزل من السماء طهورا حتى رووا عن عبد الله بن عمرو وابن عمر انه
لا يتوضا به لانه نار ولانه طبق جهنم ولكن النبي صلى الله عليه وسلم بين حكمه حين قال لمن ساله
هو الطهور ماؤه الحل ميتته اخرجه مالك وقال فيه ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وهو قول
اكثر الفقها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منهم ابو بكر وعمر وابن عباس لم يروا بماء البحر باسا وقد
كره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الوضوء بماء البحر منهم ابن عمر وعبد الله بن عمرو وقال
عبد الله بن عمرو هو نار وقال ابو عمر وقد سال ابو عيسى فقلت للبخاري هشيم يقول فيه ابن
برزة فقال وهم فيه انما هو المغيرة بن ابي بردة قال ابو عمر لا ادري ما هذا من البخاري رحمه الله
ولو كان صحيحا لاخرجه في مصنفه الصحيح الاعلى الاسناد وهذا الحديث لا يحتج اهل الحديث
بمثل اسناده وهو عندي صحيح لان العلماء تلقوه بالقبول والعمل به ولا يخالف في جملته احد
من الفقها وانما الخلاف بينهم في بعض معانيه وقد جمع جمهور العلماء وجماعة ائمة الفتوى بالامصار
من الفقهاء ان البحر طهور ماؤه وان الوضوء به جائز الا ما روي عن عبد الله بن عمر بن
الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاصي انهما كرها الوضوء بماء البحر ولم يتابعهما احد من فقهاء
الامصار على ذلك ولا عرج عليه ولا التفت اليه لحديث هذا الباب وهذا يدلك على اشتهار
الحديث عندهم وعملهم به وقبولهم له وهو اولى عندهم من الاسناد الظاهر الصحة لمعنى ترده
الاصول وبالله التوفيق قال ابو عمر صفوان بن سليم مولى حميد ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري
من عباد اهل المدينة واتقاهم لله ناسكا كثير الصدقة بما وجد من قليل وكثير كثير العمل
خايفا لله يكنى ابا عبد الله سكن المدينة لم ينتقل عنها ومات بها سنة اثنتين وثلاثين ومائة
ذكر عبد الله بن احمد بن حنبل قال سمعت ابي يقول صفوان بن سليم يقال ثقة من خيار
عباد الله وفضلاء المسلمين واما سعيد ابن سلمة فلم يرو عنه فيما علمت الا صفوان والله اعلم
ومن كانت هذه حاله فهو مجهول لا تقوم به حجة عند جميعهم واما المغيرة بن ابي بردة فقيل
عنه انه غير معروف في حملة العلم كسعيد بن سلمة وقال ليس بمجهول قال ابو عمر المغيرة بن ابي
بردة وجدت ذكره في مغازي موسى ابن نصير بالمغرب وكان موسى يستعمله على الخيل
وفتح الله له في بلاد البربر فتوحات في البر والبحر روى الدارقطني من غير طريق مالك عن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره ماء البحر فلا طهره الله قال اسناده
صحيح الرابعة عشر قال ابن العربي توهم قوم ان الماء اذا فضلت منه فضلة لا يتوضا به وهو مذهب
باطل فقد ثبت عن ميمونة انها قالت اجنبت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم فاغتسلت من
جفنة وفضلت فضلة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ليغتسل منها فقلت اني قد اغتسلت منه
فقال ان الماء ليس عليه جنابة وان الماء لا يجنب قال ابن عمر ورد في هذا الباب مرفوعة

في النهي عن ان يتوضا الرجل بفضل المراة وزاد بعضهم في بعضها ولكن ليغترفا جميعا فقالت
طايفة لا يجوز ان يغترف الرجل مع المراة في اناء واحد لان كل واحد منهما متوضي بفضل صاحبه
وقال اخرون ما كره من ذلك ان تنفرد المراة بالانا ثم يتوضي الرجل بعدها بفضلها وكل واحد
منهم روي بما ذهب اليه اثرا والذي ذهب اليه الجمهور من العلما وجماعة فقها الامصار انه لا باس ان
يتوضا الرجل بفضل المراة والمراة بفضل الرجل انفردت المراة بالانا او لم تنفرد وفي مثل هذا
اثار كثيرة صحاح والذي نذهب اليه ان الما لا ينجسه شي الا ما ظهر فيه من النجاسات او غلب عليه
منها فلا وجه للاشتغال بما لا يصح من الاثار والاقوال والله المستعان وروي الترمذي عن
ابن عباس قال حدثتني ميمونة قالت كنت اغتسل انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من انا
واحد من الجنابة قال هذا حديث حسن صحيح وروي البخاري عن عايشة قالت كنت اغتسل
انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من انا واحد يقال له الفرق وفي صحيح مسلم عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بفضل ميمونة وروي الترمذي عن ابن عباس
قال اغتسل بعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يتوضا منه فقالت يا رسول الله اني كنت
جنبا فقال ان الما لا يجنب قال هذا حديث حسن صحيح وهو قول سفيان الثوري ومالك
والشافعي وروي الدارقطني عن عمرة عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اتوضا انا والنبي صلى
الله عليه وسلم من انا واحد وقد اصابت الهرة منه قبل ذلك قال هذا حديث صحيح وروي
ايضا عن رجل من بني غفار قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضل طهور المراة وفي
الباب عن عبد الله بن سرجس وكره بعض الفقها فضل طهور المراة وهو قول احمد بن اسحاق
الخامسة عشر روي الدارقطني عن زيد بن اسلم مولى عمر ابن الخطاب ان عمر ابن الخطاب رضي الله
عنه كان يسخن الما في قمقمة ثم يغتسل به قال هذا اسناد صحيح وروي عن عايشة قالت
دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سخنت ما في الشمس فقال لا تفعلي يا حميرا
فانه يورث البرص رواه خالد بن اسماعيل المخزومي عن هشام بن عروة عن ابيه عن عايشة
وهو متروك ورواه عمرو بن الاعشم عن فليح عن الزهري عن عروة عن عايشة وهو متروك
الحديث ولم يروه غيره عن فليح ولا يصح عن الزهري قاله الدارقطني السادسة عشر كل انا طاهر
فجايز الوضو منه الا انا الذهب والفضة لنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن اتخاذهما وذلك
والله اعلم للتشبه بالاعاجم والجبابرة لا لنجاسة فيهما ومن توضا فيهما اجزاه وضوه وكان
عاصيا باستعمالهما وقد قيل لا يجزي الوضو في احدهما والاول اكثر قاله ابو عمر وكل جلد ذكي
فجايز استعماله للوضو وغير ذلك وكان مالك يكره الوضو في انا جلد الميتة بعد الدباغ
على اختلاف من قوله وقد تقدم في النحل قوله تعالى لنحيي به اي بالمطر بلدة ميتا بالجدوبة
والمحل وعدم النبات قال كعب المطر روح الارض يحييها الله وقال ميتا ولم يقل ميتة لان المعنى
البلد والبلدة واحد قاله الزجاج وقيل اراد بالبلد المكان ونسقيه قراة العامة بضم
النون وقرا عمر ابن الخطاب وعاصم والاعمش نسقيه بفتح النون مما خلقنا انعاما واناسي
كثيرا اي بشرا كثيرا واناسي واحده انسي نحو جمع القرقور قراقير وقراقر في قول الاخفش
والمبرد واحد قولي الفرا وله قول اخر وهو ان يكون واحده انسانا ثم تبدل من النون
يا فتقول اناسي والاصل اناسين مثل سرحان وسراحين وبستان وبساتين فجعلوا اليا عوضا من النون
وعلى هذا يجوز سراحي وبساتي لا فرق بينهما قال الفرا ويجوز اناسي بتخفيف اليا لانهم
اسقطوا اليا التي فيما بين لام الفعل وعينه مثل قراقير وقراقر وقال كثيرا ولم يقل
كثيرين لان فعيلا قد يراد به الكثرة نحو وحسن اوليك رفيقا قوله تعالى ولقد
صرفناه بينهم ليذكروا يعني القران وقد جرى ذكره في اول السورة قوله تبارك الذي
نزل الفرقان وقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاني وقوله اتخذوا هذا القران مهجورا
فابى اكثر الناس الا كفورا اي جحودا له وتكذيبا به وقيل ولقد صرفناه بينهم هو المطر
وروي عن ابن عباس وابن مسعود وانه ليس عام باكثر مطرا من عام ولكن الله يصرفه
حيث يشا فما زيد لبعض نقص من غيرهم فهذا معنى التصريف وقيل صرفناه بينهم وابلا وطلا
وطشا ورهاما ورذاذا وقيل تصريفه تنويع الانتفاع به في الشرب والسقي والزراعات به

والطهارات

والطهارات وسقي البساتين والغسل وغيره ليذكروا فابى اكثر الناس الا كفورا قال عكرمة
هو قولهم في الانوا مطرنا بنو كذا قال النحاس ولا يعلم من اهل التفسير اختلاف انه الكفر هاهنا قولهم
مطرنا بنو كذا وكذا وان نظيره فعل النجم كذا وكل من نسب اليه فعلا فهو كافر وروي الربيع بن صبيح
قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فلما اصبح قال النبي صلى الله عليه
وسلم اصبح الناس فيها رجلين شاكر وكافر فاما الشاكر فيحمد الله تعالى على سقياه وغياثه واما
الكافر فيقول مطرنا بنو كذا وكذا متفق على صحته بمعناه وسياتي في الواقعة ان شا الله تعالى وروي
من حديث ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من سنة امطر من اخرى ولكن
اذا عمل قوم بالمعاصي صرف الله ذلك الى غيرهم فاذا عصوا جميعا صرف الله ذلك الى الفيافي والبحار
وقيل التصريف راجع الى الريح وقد مضى بيانه في البقرة وقرا حمزة والكسائي ليذكروا مخففة
الذال من الذكر الباقون مثقلا من التذكير اي ليذكروا نعم الله ويعلموا ان من انعم بها لا يجوز
الاشتراك به والتذكير قريب من الذكر غير ان التذكير يطلق فيما بعد عن القلب فيحتاج الى تكلف
في التذكير قوله تعالى ولو شينا لبعثنا في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم كما قسمنا المطر ليخف
عليك اعبا النبوة ولكنا لم نفعل بل جعلناك نذيرا للكل لترتفع درجتك فاشكر نعمة الله عليك
فلا تطع الكافرين اي فيما يدعونك اليه من اتباع الهتهم وجاهدهم به قال ابن عباس بالقران ابن
زيد بالاسلام وقيل بالسيف وهذا فيه بعد لان السورة مكية ونزلت قبل الامر بالقتال جهادا
كبيرا لا يخالطه فتور قوله تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات الاية عاد الكلام
الى ذكر النعم ومرج خلى وخلط وارسل قال مجاهد ارسلهما وافاض احدهما في الاخر قال ابن
عرفة مرج البحرين اي خلطهما فهما يلتقيان يقال مرجته اذا خلطته ومرج الدين والامر اختلط
واضطرب ومنه قوله تعالى في امر مريج ومنه قوله عليه السلام لعبد الله بن عمرو بن العاصي اذا
رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا هكذا وشبك بين اصابعه فقلت
له كيف اصنع عند ذلك جعلني الله فداك قال الزم بيتك واملك عليك لسانك وخذ ما تعرف
ودع ما تنكر وعليك بخاصة امر نفسك ودع عنك امر العامة خرجه النسايي وابو داود وغيرهما
وقال الازهري مرج البحرين خلى بينهما يقال مرجت الدابة اذا خليتها ترعى وقال ثعلب المرج
الاجرا فقوله مرج البحرين اي اجراهما وقال الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل
وافعل بمعنى هذا عذب فرات اي عذب شديد العذوبة وهذا ملح اجاج اي فيه ملوحة ومرارة
وروي عن طلحة انه قرا وهذا ملح بفتح الميم وكسر اللام وجعل بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته
لا يغلب احدهما على صاحبه كما قال في سورة الرحمن مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان
وحجرا محجورا اي سترا مستورا يمنع احدهما من الاختلاط بالاخر فالبرزخ الحاجز والحجر المانع وقال
الحسن يعني بحر فارس وبحر الروم وقال ابن عباس يلتقيان في كل عام وبينهما برزخ قضا من
قضايه وحجرا محجورا حراما محرما ان يعذب هذا الملح بالعذب او يملح هذا العذب بالملح قوله
تعالى وهو الذي خلق من الما بشرا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وهو الذي خلق من
الما بشرا اي خلق من النطفة انسانا فجعله اي جعل الانسان نسبا وصهرا وقيل من الما اشارة
الى اصل الخلقة في ان كل حي مخلوق من الما وفي هذه الاية تعديد النعمة على الناس في ايجادهم
بعد العدم والتنبيه على العبرة في ذلك الثانية قوله تعالى فجعله نسبا وصهرا النسب والصهر
معنيان يعمان كل قربى يكون بين ادميين قال ابن العربي النسب عبارة عن خلط الما بين الذكر
والانثى على وجه الشرع فان كان بمعصية كان خلقا مطلقا ولم يكن نسبا محققا ولذلك لم يدخل
تحت قوله حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وبنته من الزنا ليست ببنت له في اصح القولين لعلماينا
واصح القولين في الدين واذا لم يكن نسب شرعا فلا صهر شرعا فلا يحرم الزنا بنت ام ولا ام بنت
وما يحرم من الحلال لا يحرم من الحرام لان الله امتن بالنسب والصهر على عباده ورفع قدرهما وعلق
الاحكام في الحل والحرمة عليهما فلا يلحق الباطل بهما ولا يساويهما قلت اختلف الفقها في نكاح
الرجل ابنته من زنا او اخته او بنت ابنه من زنا فحرم ذلك قوم منهم ابن القاسم وهو قول ابي حنيفة
واصحابه واجاز ذلك اخرون منهم عبد الملك ابن الماجشون وهو قول الشافعي وقد مضى
هذا في النسا مجودا قال الفرا النسب الذي لا يحل نكاحه وقاله الزجاج وهو قول علي بن ابي طالب

رضي الله عنه واشتقاق الصهر من صهرت الشيء اذا خلطته فكل واحد من الصهرين قد
خالط صاحبه فسميت المناكح صهرا لاختلاط الناس بها وقيل الصهر قرابة النكاح
فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله
قاله الاصمعي وقال ابن الاعرابي الاختان ابو المراة واخوها وعمها كما قال الاصمعي والصهر
زوج ابنة الرجل واخوه وابوه وعمه وقال محمد بن الحسن في رواية ابي سليمان الجوزجاني
اختان الرجل ازواج بناته واخواته وعماته وخالاته وكل ذات محرم منه واصهاره كل ذي
رحم محرم من زوجته قال النحاس الاولى في هذا ان يكون القول في الاصهار ما قال الاصمعي
وان يكون من قبلهما جميعا يقال صهرت الشيء اي خلطته فكل واحد منهما قد خلط صاحبه
والاولى في الاختان ما قاله محمد بن اسحاق لجهتين احداهما الحديث المرفوع روى محمد بن
اسحاق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي اسامة بن زيد عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اما انت يا علي فختني وابو ولدي وانت مني وانا منك فهذا يدل
على ان زوج البنت ختن والجهة الاخرى ان اشتقاق الختن من ختنه اذا قطعه فكان الزوج
قد انقطع عن اهله وقطع زوجته عن اهلها وقال الضحاك الصهر قرابة الرضاع قال ابن
عطية وذلك عندي وهم اوجبه ان ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع
وفي رواية اخرى ومن الصهر خمس يريد قول الله عز وجل حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم
واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت فهذا هو النسب ثم يريد بالصهر قوله
تعالى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين ثم ذكر المحصنات ومحمل هذا
ان ابن عباس اراد حرم من الصهر مع ما ذكر معه فقد نبه بما ذكر الى عظمه وهو الصهر لا ان
الرضاع صهر وانما الرضاع عديل النسب يحرم منه ما يحرم من النسب بحكم الحديث المأثور فيه ومن
روى وحرم من الصهر خمس اسقط من الآية الجمع بين الاختين والمحصنات وهن ذوات
الازواج وحكى الزهراوي قولا النسب من جهة البنين والصهر من جهة البنات قلت
وابن عطية جعل الرضاع مع ما تقدم نسبا وهو قول الزجاج قال ابو اسحاق النسب الذي
ليس بصهر من قوله جل وعز حرمت عليكم امهاتكم الى قوله وان تجمعوا بين الاختين والصهر من
له التزويج قلت وذكر هذا القول النحاس وقال لان المصاهرة من جهتين تكون وقال
ابن سيرين نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه لانه جمعه معه
نسب وصهر قال ابن عطية فاجتماعهما وكادة حرمة الى يوم القيامة وكان ربك قديرا على خلق
ما يريده قوله تعالى ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم لما عدد النعم
وبين كمال قدرته عجب من المشركين في اشراكهم به من لا يقدر على نفع ولا ضر اي ان الله
هو الذي خلق ما ذكره ثم هؤلاء لجهلهم يعبدون من دونه امواتا جمادات لا تنفع ولا تضر وكان
الكافر على ربه ظهيرا روي عن ابن عباس ان الكافر هنا ابو جهل لعنه الله يستظهر
بعبادة الاوثان على اوليائه وقال عكرمة الكافر ابليس ظهر على عداوة ربه وقال
مطرف هو الشيطان وقال الحسن ظهيرا اي معينا للشيطان على المعاصي وقيل المعنى وكان
الكافر على ربه هينا ذليلا لا قدر له ولا وزن عنده من قول العرب ظهرت به اي جعلته
خلف ظهرك ولم تلتفت اليه ومنه قوله تعالى واتخذتموه وراءكم ظهريا اي هينا ومنه قول
الفرزدق • تميم بن بدر لا تكونن حاجتي • بظهر فلا يعيا علي جوابها •
هذا معنى قول ابي عبيدة وظهير بمعنى مظهور اي كفر الكافر هين على الله والله مستهين
به لان كفره لا يضره وقيل وكان الكافر على ربه وهو الصنم الذي يعبده قويا عاليا يعمل
به ما يشاء لان الجماد لا قدرة له على دفع ونفع قوله تعالى وما ارسلناك الا مبشرا
ونذيرا اي مبشرا بالجنة ونذيرا من النار وما ارسلناك وكيلا ولا مسيطرا قل ما اسالكم
عليه من اجر مزيد ما جئتكم به من القرآن والوحي ومن للتاكيد الا من شاء لكن من شاء فهو
استثناء منقطع والمعنى لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا بانفاقه من ماله في سبيل الله فلينفق
ويجوز ان يكون متصلا ويقدر حذف المضاف التقدير الا اجر من شاء ان يتخذ الى ربه
سبيلا باتباع ديني حتى ينال كرامة الدنيا والآخرة قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت

تقدم

تقدم معنى التوكل في آل عمران وهذه السورة وانه اعتماد القلب على الله تعالى في كل الامور
وان الاسباب وسائط امر بها من غير اعتماد عليها وسبح بحمده اي نزه الله تعالى عما يصفه هؤلاء
الكفار اليه من الشركاء والتسبيح والتنزيه وقد تقدم وقيل وسبح اي صل له وتسمى الصلاة
تسبيحا وكفى به بذنوب عباده خبيرا اي عليما فيجازيهم بها قوله تعالى الذي خلق السموات
والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والذي في موضع خفض نعتا
للحي وقال بينهما ولم يقل بينهن لانه اراد الصنفين والنوعين والشيئين كقول القطامي •
• الم يحزنك ان حبال قيس • وتغلب قد تباينتا انقطاعا •
اراد وحبال تغلب فثنى والحبال جمع لانه اراد الشيئين والنوعين الرحمن فاسال به خبيرا قال
الزجاج المعنى فاسال عنه وقد حكى هذا جماعة من اهل اللغة ان الباء تكون بمعنى عن كما قال
سال سائل بعذاب واقع وقال الشاعر • هلا سالت الخيل يا ابنة مالك • ان كنت جاهلة بما لم تعلمي •
وقال امرؤ القيس • فان تسالوني بالنساء فانني • خبير بادواء النساء طبيب •
اي عن النساء وعما لم تعلمي وانكره علي بن سليمان وقال اهل النظر ينكرون ان تكون الباء
بمعنى عن لان في هذا افساد المعاني قال لا يقول العرب لو لقيت فلانا للقيك به الاسد المعنى على هذا
فاسال بسؤالك اياه خبيرا وكذلك قال ابن جبير الخبير الله تعالى فخبيرا نصب على المفعول به
بالسؤال قلت قول الزجاج يخرج على وجه حسن وهو ان يكون الخبير غير الله اي فاسال عنه
خبيرا اي عالما به اي بصفاته واسمائه وقيل المعنى فاسال له خبيرا فهو نصب على الحال من الهاء المضمرة
قال المهدوي ولا يحسن حالا اذ لا يخلو ان يكون الحال من السائل او من المسؤول ولا يصح كونها
حالا من الفاعل لان الخبير لا يحتاج ان يسال غيره ولا تكون من المفعول لان المسؤول عنه وهو
الرحمن خبير ابدا والحال في اغلب الامر يتغير وينتقل الا ان يحمل على انها حال مؤكدة
مثل وهو الحق مصدقا فيجوز واما الرحمن ففي رفعه ثلاثة اوجه يكون بدلا من المضمر الذي
في استوى ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره فاسال به خبيرا ويجوز الخفض بمعنى وتوكل
على الحي الذي لا يموت الرحمن يكون نعتا ويجوز النصب على المدح قوله تعالى واذا قيل لهم
اسجدوا للرحمن اي لله تعالى قالوا وما الرحمن على جهة الانكار والتعجب اي ما نعرف الرحمن
الا رحمان اليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وزعم القاضي ابو بكر ابن العربي انهم انما جهلوا الصفة
لا الموصوف واستدل على ذلك بقوله وما الرحمن ولم يقولوا ومن الرحمن قال ابن الحصار
فكانه رحمه الله لم يقرأ الآية الاخرى وهم يكفرون بالرحمن انسجد لما تامرنا هذه قراءة المدنيين
والبصريين اي لما تامرنا انت يا محمد واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقرأ الاعمش وحمزة
والكسائي يامرنا بالياء يعنون الرحمن كذا تأوله ابو عبيد قال ولو اقروا ان الرحمن امرهم ما كانوا
كفارا قال النحاس وليس يجب ان يتأول على الكوفيين في قراءتهم هذا التأويل البعيد ولكن
الاولى ان يكون التأويل لهم انسجد لما يامرنا النبي صلى الله عليه وسلم فتصح القراءة على هذا وان
كانت الاولى ابين واقرب متناولا وزادهم نفورا اي زادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن
نفورا عن الدين وكان سفيان الثوري يقول في هذه الآية الهي زادني لك خضوعا ما زاد اعداءك
نفورا قوله تعالى تبارك الذي جعل في السماء بروجا اي منازل وقد تقدم ذكرها وجعل
فيها سراجا بالتوحيد وقرأ حمزة والكسائي سرجا يريدون النجوم العظام الوقادة والقراءة الاولى
عند ابي عبيد اولى لانه تأول السرج النجوم فيجيء المعنى نجوما قال النحاس والتأويل لهم ان ابان
ابن تغلب قال السرج النجوم الدراري قال الثعلبي كالزهرة والمشتري وزحل والسماكين
ونحوها وقمرا منيرا ينير الارض اذا طلع وروى عصمة عن الاعمش وقمرا بضم القاف واسكان
الميم وهذه قراءة شاذة ولو لم يكن فيها الا ان احمد بن حنبل وهو امام المسلمين في وقته قال
لا تكتبوا ما يحكيه عصمة الذي يروي القراءات وقد اولع ابو حاتم السجستاني بذكر ما يرويه عصمة
هذا قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى خلفة
قال ابو عبيد الخلفة كل شيء بعد شيء فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه ويقال
للمبطون اصابه خلفة اي قيام وخلفة هنا ذلك ومنه خلفة النبات وهو ورق يخرج بعد
الورق الاول في الصيف ومن هذا المعنى قول زهير بن ابي سلمى •

بها العين والآرام يمشين خلفة * وأطلاؤها ينهضن من كل مجثم

الريم ولد الظبي وجمعه آرام يقول إذا ذهب فوج جاء فوج ومنه قول زهير يصف امرأة تنتقل من منزل في الشتاء الى منزل في الصيف دأبا * ولها بالماطرون إذا أكل النمل الذي جمعا

خلفة حتى إذا ارتبعت * سكنت من جلق بيعا

في بيوت وسط دسكرة * حولها الزيتون قد ينعا

وقال مجاهد خلفة من الخلاف هذا أبيض وهذا أسود والأول أقوى وقيل يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة والنقصان وقيل هو من باب حذف المضاف أي جعل الليل والنهار ذا خلفة أي اختلاف لمن أراد أن يذكر أي يتذكر فيعلم أن الله لم يجعله كذلك عبثا فيعتبر في مصنوعات الله ويشكر الله تعالى على نعمه عليه في العقل والفكر والفهم وقال عمر بن الخطاب وابن عباس والحسن معناه من فاته شيء من الخير بالليل أدركه بالنهار ومن فاته بالنهار أدركه بالليل وفي الصحيح ما من امرئ تكون له صلاة بالليل فيغلبه عليها نوم فيصلي ما بين طلوع الشمس الى صلاة الظهر إلا كتب الله له أجر صلاته وكان نومه عليه صدقة وروى مسلم عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نام عن حزبه أو شيء منه فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر إلا كتب له كأنما قرأه من الليل الثانية قال ابن العربي سمعت ذا الشهيد الأكبر يقول إن الله خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة إذ الكمال للأول الخالق فما أمكن الرجل من دفع النوم بقلة الأكل والسهر في طاعة الله فليفعل ومن الغبن العظيم أن يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوا وينام سدس النهار راحة فيذهب ثلثاها ويبقى له من العمر عشرون سنة ومن الجهالة والسفاهة أن يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره في لذة ثابتة عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم الثالثة الأشياء لا تتفاضل بأنفسها فإن الجواهر والأعراض من حيث الوجود متماثلة وإنما يقع التفاضل بالصفات وقد اختلف أي الوقتين أفضل الليل أم النهار وفي الصوم غنية في الدلالة والله أعلم قاله ابن العربي قلت والليل عظيم قدره أمر نبيه عليه السلام بقيامه فقال ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال قم الليل على ما يأتي بيانه ومدح المؤمنين على قيامه فقال تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال عليه السلام والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل وفيه ساعة يستجاب فيها الدعاء وفيه ينزل الرب تبارك وتعالى من يدعوني فأستجيب له حسبما يأتي بيانه إن شاء الله الرابعة قرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف وهي قراءة ابن وثاب والنخعي وطلحة وفي مصحف أبي يتذكر بزيادة تاء وقرأ الباقون يذكر بتشديد الكاف ويذكر ويذكر بمعنى واحد وقيل معنى يذكر بالتخفيف أي يذكر ما نسيه في أحد الوقتين في الوقت الثاني أو ليذكر تنزيه الله وتسبيحه فيهما أو أراد شكورا يقال شكر يشكر شكرا وشكورا وهذا الشكر على أنه جعلهما قواما لمعايشهم وكأنهم لما قالوا وما الرحمن قالوا هو الذي يقدر على هذه الأشياء

قوله تعالى وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا الآية لما ذكر جهالات المشركين وطعنهم في القرآن والنبوة ذكر عباده المؤمنين أيضا وذكر صفاتهم وأضافهم الى عبوديته تشريفا لهم كما قال سبحان الذي أسرى بعبده وقد تقدم فمن أطاع الله وعبده وشغل سمعه وبصره ولسانه وقلبه بما أمره فهو الذي يستحق اسم العبودية ومن كان بعكس هذا شمله قوله تعالى أولئك كالأنعام يعني في عدم الاعتبار كما تقدم في الأعراف فكأنه قال وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض فحذف هم كقولك زيد الأمير أي زيد هو الأمير فالذين خبر مبتدأ محذوف قاله الأخفش وقيل الخبر في آخر السورة أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وما بين المبتدأ والخبر أوصاف لهم وما تعلق بها قال الزجاج ويجوز أن يكون الخبر الذين يمشون على الأرض ويمشون عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم فذكر المعظم من ذلك لا سيما وفي الانتقال في الأرض معاشرة الناس وخلطتهم وقوله تعالى هونا الهون مصدر الهين وهو من السكينة والوقار وفي التفسير يمشون على الأرض

حلما

حلماء متواضعين يمشون في اقتصاد والقصد والتؤدة وحسن السمت من أخلاق النبوة وقال صلى الله عليه وسلم أيها الناس عليكم بالسكينة فإن البر ليس في الإيضاع وروي في صفته صلى الله عليه وسلم إذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب التقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشي وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الواسع الخطوة أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق وتثبت دون عجلة كما قال كأنما ينحط من صبب قاله القاضي عياض وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع في مشيه جبلة لا تكلفا قال الزهري سرعة المشي تذهب بهاء الوجه قال ابن عطية يريد الإسراع الحثيث لأنه يخل بالوقار والخير في التوسط وقال زيد بن أسلم كنت أسأل عن تفسير قوله الذين يمشون على الأرض هونا فما وجدت من ذلك شفاء فرأيت في المنام من جاءني فقال لي هم الذين لا يريدون أن يفسدوا في الأرض قال القشيري وقيل لا يمشون لإفساد ومعصية بل في طاعة الله والأمور المباحة من غير هزل وقد قال تعالى ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور وقال ابن عباس بالطاعة والمعروف والتواضع الحسن حلماء إن جهل عليهم لم يجهلوا وقيل لا يتكبرون على الناس قلت وهذه كلها معان متقاربة ويجمعها العلم بالله والخوف منه والمعرفة بأحكامه والخشية من عذابه وعقابه جعلنا الله منهم بفضله ومنه وذهبت فرقة الى أن هونا مرتبط بقوله يمشون على الأرض أي أن المشي هو هون قال ابن عطية ويشبه أن يتأول هذا على أن يكون أخلاق ذلك الماشي هونا مناسبة لمشيه فيرجع القول الى نحو ما بيناه وأما أن يكون المراد صفة المشي وحده فباطل لأنه رب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكفأ في مشيه كأنما يمشي في صبب وهو عليه السلام الصدر في هذه الأمة وقوله عليه السلام من مشى منكم في طمع فليمش رويدا إنما أراد في عقد نفسه ولم يرد المشي وحده ألا ترى أن المبطلين المتحلين بالدين تمسكوا بصورة المشي فقط حتى قال فيهم الشاعر ذما لهم * كلهم يمشي رويدا كلهم يطلب صيدا *

قلت وفي عكسه أنشد ابن العربي لنفسه * تواضعت في العلياء والأصل كابر * وحزت قصاب السبق بالهون في الأمر * سكون فلا خبث السريرة أصله * وجل سكون الناس من عظم الكبر *

قوله تعالى وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال النحاس ليس سلاما من التسليم إنما هو من التسلم تقول العرب سلاما أي تسلما منك أي براءة منك منصوب على أحد أمرين يجوز أن يكون منصوبا بقالوا ويجوز أن يكون مصدرا وهذا قول سيبويه قال ابن عطية والذي أقوله أن قالوا هو العامل في سلاما لأن المعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما سدادا أي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين فقالوا على هذا التأويل عامل في قوله سلاما على طريقة النحويين وذلك أنه بمعنى قولا وقالت فرقة ينبغي للمخاطب أن يقول للجاهل سلاما بهذا اللفظ أي سلمنا سلاما وتسليما ونحو هذا فيكون العامل فيه فعلا من لفظه على طريقة النحويين قلت هذه الآية كانت قبل آية السيف نسخ منها ما يخص الكفرة وبقي أدبها في المسلمين الى يوم القيامة وذكر سيبويه النسخ في هذه الآية في كتابه وما تكلم فيه على نسخ سواه رجح به أن المراد السلامة لا التسليم لأن المؤمنين لم يؤمروا قط بالسلام على الكفرة والآية مكية فنسختها آية السيف قال النحاس ولا نعلم لسيبويه كلاما في معنى الناسخ والمنسوخ إلا في هذه الآية قال سيبويه لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين لكنه على معنى قولك تسلما منكم ولا خير ولا شر بيننا وبينكم قال المبرد كان ينبغي أن يقال لم يؤمر المسلمون يومئذ بحربهم ثم أمروا بحربهم قال محمد بن يزيد أخطأ سيبويه في هذا وأساء العبارة ابن العربي لم يؤمر المسلمون يومئذ أن يسلموا على المشركين ولا نهوا عن ذلك بل أمروا بالصفح والهجر الجميل وقد كان عليه السلام يقف على أنديتهم ويحييهم ويدانيهم ولا يداهنهم وقد اتفق الناس على أن السفيه من المؤمنين إذا جفاك يجوز أن تقول له سلام عليك قلت هذا القول أشبه بدلائل السنة وقد بينا في سورة مريم اختلاف العلماء في جواز التسليم على الكفار فلا حاجة الى دعوى النسخ والله أعلم وقد ذكر النضر بن شميل قال حدثني الخليل

سئل الصلوة حاتم الأصم
صلوة على اصراح بصل

فقال رسول الله صلعم
ان الله سبحانه اذا خلق العبد للجنة
استعمله بعمل اهل الجنة حتى يموت
على افضل عمل من اعمال اهل الجنة
فيدخله به الجنة واذا خلق العبد
للنار استعمله بعمل اهل النار
حتى يموت على عمل من اعمال اهل
النار فيدخله به النار ذكره ابو بكر

عبد الله ابن احمد المؤذن كنت اطوف
بالبيت

المؤذن يؤذن في المنارة اربعين
وقعت عينه في بنت نصرانيه

خاتم اصم سل نباش

ابي ذكريا الزاهد مع شاوي

عمر استاذ محمد صا

اكراد الخناس

اشد الحسرة يوم القيامة ثلثة مملوك

وغنى جمع المال

وعالم سوء ينجو الناس

اذا استغل العلماء بجمع الحلال صار

العوام اكلة الشبهة

قرائة صبى مع استاده

قال ابن ابار بيعة الاعرابي وكان من اعلم من رايت فاذا هو في سطح فسلمنا فرد علينا السلام
وقال لنا استووا منقبا متحيرين ولم ندر ما قال فقال لنا اعرابي الي جنبه امركم ان ترتفعوا
قال الخليل هو من قول الله عز وجل ثم استوى الي السماء وهي دخان فصعدنا اليه فقال هل لكم
في خبز فطير ولبن هجير وما نمير فقلنا الساعة فارقناه فقال سلاما فلم ندر ما قال فقال الاعرابي
انه سالكم متاركة لاخير فيها ولا شر قال الخليل هو من قول الله عز وجل واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما قال ابن عطية رحمه الله ورايت في بعض التواريخ ان ابراهيم بن المهدي وكان من المايلين
علي علي رضي الله عنه قال يوما بحضرة المامون وعنده جماعة كنت اري علي بن ابي طالب رضي الله عنه
في النوم فكنت اجمعه الي قنطرة فيذهب فتقدمني في عبورها فكنت اقول انما تدعي هذا الامر
ونحن احق به منك فما رايت له في الجواب بلاغة كما تذكر عنه قال المامون وبما ذا جاوبك قال
فكان يقول لي سلاما سلاما قال الراوي وكان ابراهيم بن المهدي لا يحفظ الاية او ذهب عنه
في ذلك الوقت فنبه المامون علي الاية من حضره وقال هو والله اعلم علي بن ابي طالب وقد
جاوبك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيى وكانت رويا لا محالة صحيحة قوله تعالى والذين
يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الزجاج يقال بات يبيت اذا ادركه الليل نام او لم ينم قال
امرو القيس • فبتنا قياما عند راس جوادنا • يزاولنا عن نفسه ونزاوله •
وانشدوا في صفة الاوليا • امنع جفونك ان تذوق مناما • واذر الدموع علي الخدود سجاما •
• واعلم بانك ميت ومحاسب • يامن علي سخط الجليل اقاما •
• لله قوم اخلصوا في حبه • فرضي بهم واختصهم خداما •
• قوم اذا جن الظلام عليهم • قاموا هنالك سجدا وقياما •
• خمص البطون من التعفف ضمر • لا يعرفون سوى الحلال طعاما •
وقال ابن عباس من صلى ركعتين او اكثر بعد العشا فقد بات ساجدا وقايما قوله تعالى
والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم اي هم مع طاعتهم مشفقون خايفون وجلون من
عذاب الله ابن عباس يقولون ذلك في سجودهم وقيامهم ان عذابها كان غراما اي لازما دايما
غير مفارق ومنه سمي الغريم لملازمته ويقال فلان مغرم بكذا اي لازم له مولع به هذا معناه
في كلام العرب فيما ذكر ابن الاعرابي وابن عرفة وغيرهما قال الاعشى • ان يعاقب يكن غراما وان
يعط جزيلا فانه لا يبالي • قال الحسن قد علموا ان كل غريم يفارق غريمه الا غريم جهنم وقال
الزجاج الغرام اشد العذاب وقال ابن زيد الغرام الشر وقال ابو عبيدة الهلاك والمعنى
واحد وقال محمد بن كعب طالبهم الله تعالى بثمن النعيم في الدنيا فلما لم ياتوا به غرمهم ثمنها
بادخالهم النار انها سات مستقرا ومقاما اي بيس المستقر وبيس المقام اي انهم يقولون ذلك عن
علم واذا قالوه عن علم كانوا اعرف بعظم قدرها يطلبون فيكون ذلك اقرب الي النجح قوله
تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا الاية اختلف المفسرون في تاويل هذه الاية
فقال ومن احسن ما قيل في معناه ان من انفق في غير طاعة الله فهو الاسراف ومن امسك
عن طاعة الله عز وجل فهو الاقتار ومن انفق في طاعة الله تبارك وتعالى فهو القوام وقال
ابن عباس من انفق ماية الف في حق فليس بسرف ومن انفق درهما في غير حقه فهو سرف
ومن منع من حق عليه فقد قتر وقاله مجاهد وابن زيد وغيرهما وقال عون بن عبد الله
الاسراف ان تنفق مال غيرك قال ابن عطية وهذا وغيره مرتبط بالاية والوجه ان يقال
ان النفقة في معصية امر قد حظرت الشريعة قليله وكثيره وكذلك التعدي على مال الغير
وهاولا الموصوفون منزهون عن ذلك واما التاديب في هذه الاية هو في نفقة الطاعات
في المباحات فادب الشرع فيها ان لا يفرط الانسان حتى يضيع حقا اخر وعيالا ونحو هذا وان
لا يضيق ايضا ويقتر حتى يجيع العيال ويفرط في الشح والحسن في ذلك هو القوام اي العدل
والقوام في كل واحد بحسب عياله وحاله وخفة ظهره وصبره وجلده علي الكسب او ضد هذه
الخصال وخير الامور اوساطها ولهذا ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ان يتصدق بجميع
ماله لان ذلك بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك ونعم ما قال ابراهيم النخعي
هو الذي لا يجيع ولا يعري ولا ينفق نفقة يقول الناس قد اسرف وقال يزيد بن حبيب هم

الذين لا يلبسون الثياب للجمال ولا ياكلون طعاما للذة وقال يزيد ايضا في هذه الاية اوليك
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون ثوبا للجمال ولكن
كانوا يريدون من الطعام ما يسد عنهم الجوع ويقويهم علي عبادة ربهم ومن اللباس ما يستر عوراتهم ويكنهم
من الحر والبرد وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال
له عمر الحسنة بين سيتين ثم تلى الاية وقال عمر ابن الخطاب كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي شيا الا اشتراه
فاكله وفي سنن ابن ماجة عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من السرف
ان تاكل كلما اشتهيت قال ابو عبيدة لم يزيدوا علي المعروف ولم يبخلوا كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الي عنقك ولا تبسطها كل البسط وقال الشاعر •
• ولا تغل في شيء من الامر واقتصد • كلا طرفي قصد الامور ذميم •
وقال اخر • اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتهت • ولم ينهها تاقت الي كل باطل •
• وساقت اليه الاثم والعار بالذي • دعته اليه من حلاوة عاجل •
وقال عمر لابنه عاصم يا بني كل في نصف بطنك ولا تطرح ثوبا حتى تستخلقه ولا تكن من قوم
يجعلون ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم فلها تقرطي •
• اذا انت قد اعطيت بطنك سوله • وفرجك نالا منتهى الذم اجمعا •
ولم يقتروا قرا حمزة والكسائي والاعمش وعاصم ويحيى ابن وثاب علي اختلاف عنهما يقتروا بفتح
اليا وضم التا وهي قراة حسنة من قتر يقتر وهذا القياس في اللازم مثل قعد يقعد وقرا ابو
عمرو وابن كثير بفتح اليا وكسر التا وهي لغة معروفة حسنة وقرا اهل المدينة وابن عامر وابو بكر
عن عاصم بضم اليا وكسر التا قال الثعلبي كلها لغات صحيحة النحاس وتعجب ابو حاتم من قراة
اهل المدينة هذه لان اهل المدينة عنده لا يقع في قراتهم الشاذ وانما يقال اقتر يقتر اذا افتقر
كما قال عز وجل وعلي المقتر قدره وتاول ابو حاتم لهم ان المسرف يفتقر سريعا وهذا تاويل بعيد
ولكن التاويل لهم ان ابا عمرو الجرمي حكى عن الاصمعي انه يقال للانسان اذا اضيق قتر يقتر
وقتر يقتر واقتر يقتر فعلى هذا تصح القراة والله اعلم وان كان فتح اليا اصح واقرب متنا ولا
واشهر واعرف وقرا ابو عمرو والناس قواما بفتح القاف يعني عدلا وقرا حسان بن عبد الرحمن
قواما بكسر القاف اي مبلغا وسدادا وملاك حال والقوام بالكسر ما يدوم عليه الامر ويستقر
وقيل هما لغتان بمعنى وقواما خبر كان واسمها مقدر فيها اي كان الانفاق بين الاسراف والقتر
قواما قاله الفرا وله قول اخر يجعل بين اسم كان وينصبها لان هذه الالفاظ كثر استعمالها فتركت
علي حالها في موضع الرفع وقال النحاس ما ادري ما وجه هذا لان بين اذا كانت في موضع رفع
رفعت كما يقال بين عينيه احمر قوله تعالى والذين لا يدعون مع الله الها اخر اخراج •
لعباده المومنين من صفات الكفرة في عبادتهم الاوثان وقتلهم النفس بواد البنات وغير
ذلك من الظلم والاغتيال والغارات ومن الزنا الذي كان عندهم مباحا وقال من صرف
هذه الاية عن ظاهرها من اهل المعاني لا يليق بمن اضافهم الرحمن اليه اضافة الاختصاص
وذكرهم ووصفهم من صفات المعرفة والتشريف وقوع هذه الامور القبيحة منهم حتى يمدحوا
بنفيها عنهم لانهم اعلى واشرف فقال معناها لا يدعون الهوى الها ولا يذلون انفسهم بالمعاصي
فيكونون قتلا لها ومعنى الا بالحق اي لا بسكين الصبر وسيف المجاهدة لا ينظرون الي دنيا
ليست لهم بمحرم بشهوة فيكون سفاحا بل بالضرورة فيكون كالنكاح قال شيخنا ابو العباس
وهذا كلام رايق غير انه عند السبر مايق وهي بنتعة بالطينة ونزعة باطنية واما صح تشريف
عباد الله باختصاص الاضافة بعد ان تحلوا بتلك الصفات الحميدة وتخلوا عن نقايض ذلك
من الاوصاف الذميمة فبدا في صدر هذه الايات بصفات التحلي تشريفا لهم ثم اعقبها
بصفات التخلي تبعيدا لها والله اعلم قلت ومما يدل علي بطلان ما ادعاه هذا القايل من
ان تلك الامور ليست علي ظاهرها ما روي مسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال قلت
يا رسول الله اي الذنب اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال
ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله
تصديقها والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق

ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما والاثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد
وقتادة هذه الاية ومنه قول الشاعر
* جزى الله ابن عروة حيث امسى * عقوقا والعقوق له اثام *
اي جزاء وعقوبة وقال عبد الله بن عمرو وعكرمة ومجاهد ان اثاما واد في جهنم جعله
الله عقابا للكفرة قال الشاعر * لقيت المهالك في حربنا * وبعد المهالك يلقى اثاما *
وقال السدي جبل فيها قال * وان مقامنا ندعو عليكم * بابطح ذي المجاز له اثام *
وفي صحيح مسلم ايضا عن ابن عباس ان ناسا من اهل الشرك قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا
فاتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن ولو تخبرنا ان لما عملنا
كفارة فنزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق
ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما ونزل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الاية وقد
قيل ان هذه الاية يا عبادي نزلت في وحشي قاتل حمزة قاله سعيد بن المسيب وابن عباس
وسياتي في الزمر بيانه وقوله تعالى الا بالحق اي بما يحق ان تقتل به النفوس من كفر بعد
ايمان او زنا بعد احصان على ما تقدم بيانه في الانعام ولا يزنون اي يستحلون الفروج بغير
نكاح ولا ملك يمين ودلت الاية على انه ليس بعد الكفر اعظم من قتل النفس بغير الحق
ثم الزنا ولهذا ثبت في حد الزنا القتل لمن كان محصنا او اقصى الجلد لمن كان غير محصن قوله
تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف بتشديد قرا نافع وابن عباس وحمزة والكسائي
يضاعف ويخلد جزما وقرا ابن كثير يضعف بتشديد العين وطرح الالف وبالجزم في يضعف
ويخلد وقرا طلحة بن سليمان نضعف بضم النون وكسر العين المشددة العذاب نصب ويخلد
جزم وهي قراءة ابي جعفر وشيبة وقرا عاصم في رواية ابي بكر يضاعف ويخلد بالرفع
فيهما على القطع والاستئناف وقرا طلحة ابن سليمان وتخلد بالتاء على معنى مخاطبة الكافر
وروي عن ابن عمرو ويخلد بضم الياء من تحت وفتح اللام قال ابو علي وهي غلط من
جهة الرواية ويضاعف بالجزم بدل من يلق الذي هو جزاء الشرط قال سيبويه مضاعفة
العذاب لقي الاثام قال الشاعر * متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تاججا *
واما الرفع ففيه قولان احدهما ان تقطعه مما قبله والاخر ان يكون محمولا على المعنى
كان قائلا قال ما لقي الاثام فقيل له يضاعف له العذاب ومهانا معناه ذليلا خاسئا
مبعدا مطرودا قوله تعالى الا من تاب لا خلاف بين العلماء ان الاستثناء عامل في الكافر
والزاني واختلفوا في القاتل من المسلمين على ما تقدم بيانه في النساء ومضى في المائدة
القول في جواز التراخي في الاستثناء في اليمين وهو مذهب ابن عباس مستدلا بهذه
الاية قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات قال النحاس من احسن ما قيل
فيه انه يكتب موضع كافر مؤمن وموضع عاص مطيع قال مجاهد والضحاك ان يبدلهم
الله من الشرك الايمان وروي نحوه عن الحسن وقوم يتاولون التبديل في الاخرة وليس
كذلك انما التبديل في الدنيا يبدلهم ايمانا من الشرك واخلاصا من الشك واحصانا
من الفجور وقال الزجاج ليس يجعل مكان السيئة الحسنة ولكن يجعل مكان السيئة التوبة
والحسنة مع التوبة وروى ابو ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان السيئات تبدل بحسنات
وروي معناه عن سلمان الفارسي وسعيد بن جبير وغيرهما وقال ابو هريرة ذلك
في الاخرة فيمن غلبت حسناته على سيئاته فيبدل الله السيئات حسنات وفي الخبر ليتمنين اقوام
انهم اكثروا من السيئات قيل ومن هم قال الذين يبدل الله سيئاتهم حسنات رواه ابو هريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره القشيري والثعلبي وقيل التبديل عبارة عن الغفران
اي يغفر الله لهم تلك السيئات لا ان يبدلها حسنات قلت ولا يبعد في كرم الله تعالى اذا
صحت توبة العبد ان يضع مكان كل سيئة حسنة وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ
واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اخر اهل الجنة دخولا الجنة واخر اهل
النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا

عنه

عنه كبارها فتعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا فيقول نعم لا
يستطيع ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال ان لك مكان كل سيئة حسنة
فيقول يا رب قد عملت اشياء لا اراها ها هنا فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى
بدت نواجذه وقال ابو طويل يا رسول الله ارايت رجلا عمل الذنوب كلها فلم يترك منها شيئا وهو
في ذلك لم يترك حاجة ولا داجة الا اقتطعها فهل لذلك من توبة قال هل اسلمت قال اما انا فاشهد ان
لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد انك عبد الله ورسوله قال نعم تفعل الخيرات وتترك
الشرات فيجعلهن الله لك كلهن خيرات قال وغدراتي وفجراتي يا نبي الله قال نعم قال الله اكبر فما
زال يكبر حتى توارى ذكره الثعلبي وقال بشر بن عبيد وكان عالما بالنحو والعربية الحاجة
التي تقطع على الحاج اذا توجهوا والداجة التي تقطع عليهم اذا قفلوا وكان الله غفورا رحيما قوله
تعالى ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا لا يقال من قام فانه يقوم فكيف قال من
تاب فانه يتوب فقال ابن عباس المعنى من امن من اهل مكة وهاجر ولم يكن قتل وزنى بل عمل
صالحا وادى الفرائض فانه يتوب الى الله متابا اي فاني قد فضلتهم وحين قدمهم على من قاتل النبي صلى
الله عليه وسلم واستحل المحارم وقال القفال يحتمل ان تكون الاية الاولى فيمن تاب من المشركين
ولهذا قال الا من تاب وامن ثم عطف عليه من تاب من المسلمين واتبع توبته عملا صالحا فله حكم
التائبين ايضا وقيل اي من تاب بلسانه ولم يحقق ذلك بفعله فليست تلك التوبة نافعة بل من
تاب وعمل صالحا فحقق توبته بالاعمال الصالحات فهو الذي تاب الى الله متابا اي تاب
حق التوبة وهي النصوح ولذلك اكد بالمصدر فمتابا مصدر معناه التاكيد كقوله وكلم الله موسى
تكليما اي فانه يتوب الى الله حقا فيقبل الله توبته حقا قوله تعالى والذين لا يشهدون
الزور فيه مسالتان الاولى قوله تعالى لا يشهدون الزور يعني لا يحضرون الكذب والباطل
ولا يشاهدونه والزور كل باطل زور وزخرف واعظمه الشرك وتعظيم الانداد وبه فسر ابن
عباس وفي رواية عن ابن عباس انه اعياد المشركين عكرمة لعب كان في الجاهلية يسمى بالزور
مجاهد هو الغناء وقاله محمد بن الحنفية ايضا ابن جريج الكذب وروي عن مجاهد وقال علي
ابن ابي طلحة ومحمد بن علي المعنى لا يشهدون بالزور من الشهادة لا من المشاهدة قال ابن العربي
اما القول بانه الكذب فصحيح لان كل ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه لعب كان في
الجاهلية فانه يحرم ذلك الى الكذب يرجع واما من قال انه لعب كان في الجاهلية فانه يحرم
وذلك اذا كان فيه قمار او جهالة او امر يعود على الكفر واما القول بانه الغناء فليس ينتهي الى
هذا الحد قلت من الغناء ما ينتهي سماعه الى التحريم وذلك كالاشعار التي توصف فيها الصور
المستحسنة والخمر وغير ذلك مما يحرك الطباع ويخرجها عن الاعتدال او يثير كامنا من حب اللهو
مثل قول بعضهم * ذهبي اللون تحسب من * وجنتيه النار تقتدح *
* خوفوني من فضيحته * ليته وافى وافتضح *
لا سيما ان اقترن بذلك شبابات وطارات مثل ما يفعل اليوم في هذه الازمان على ما بيناه
في غير هذا الموضع واما من قال انها شهادة الزور وهي الثانية وكان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه يجلد شاهد الزور اربعين جلدة ويسخم وجهه ويحلق راسه ويطوف به في السوق
وقال اكثر اهل العلم لا تقبل له شهادة ابدا فان تاب وحسنت توبته فامره الى الله ولا تقبل
شهادته حسبما تقدم بيانه في سورة الحج فتامله هناك قوله تعالى واذا مروا باللغو
وهو كل سقط من فعل او قول يدخل فيه الغناء واللهو وغير ذلك مما قاربه ويدخل فيه سفه
المشركين واذاهم للمؤمنين وذكر النساء وغير ذلك من المنكر وقال مجاهد اذا اوذوا صفحوا وروي
عنه اذا ذكروا النكاح كنوا عنه وقال الحسن اللغو المعاصي كلها وهذا جامع وكراما معناه
معرضين منكرين لا يرضونه ولا يمالئون عليه ولا يجالسون اهله اي مروا مرور الكرام الذين لا
يدخلون في الباطل يقال تكرم فلان عما يشينه اي تنزه واكرم نفسه عنه وروي ان عبد الله
ابن مسعود سمع غناء فاسرع وذهب فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد اصبح ابن ام عبد
كريما وقيل من المرور باللغو كريما ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر قوله تعالى والذين اذا
ذكروا بايات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا فيه مسالتان الاولى قوله تعالى والذين اذا ذكروا

بآيات ربهم أي إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعادهم فلم يتغافلوا حتى يكونوا بمنزلة من لا يسمع وقال لم يخروا ليس ثم خرور كما يقال قعد يبكي وإن كان غير قاعد قاله الطبري واختاره قال ابن عطية وهو أن يخروا صما وعميانا هي صفة للكفار وهو عبارة عن إعراضهم وقرن ذلك بقولهم قعد فلان يتمنى وقام فلان يبكي وأنت لم تقصد الإخبار بقعود ولا قيام وإنما هي توطئات في الكلام والعبارة قال ابن عطية فكأن المستمع للذكر قائم القناة قويم الأمر فإذا أعرض وضل كان ذلك خرورا وهو السقوط على غير نظام وترتيب وإن كان قد شبه به الذي يخر ساجدا لكن أصله على غير ترتيب وقيل أي إذا تليت عليهم آيات الله وجلت قلوبهم فخروا سجدا وبكيا ولم يخروا عليها صما وعميانا وقال الفراء أي لم يقعدوا على حالهم الأول كأن لم يسمعوا الثانية قال بعضهم إن من سمع رجلا يقرأ سجدة يسجد معه لأنه قد سمع آيات الله تتلى عليه قال ابن العربي وهذا لا يلزم إلا القارئ وحده وأما غيره فلا يلزمه ذلك إلا في مسألة واحدة وهو أن الرجل إذا تلا القرآن وقرأ السجدة فإن كان الذي جلس معه وإن لم يلتزم السماع معه فلا يسجد عليه وقد مضى هذا في الأعراف قوله تعالى والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين قال الضحاك أي مطيعين لك وفيه جواز الدعاء بالولد وقد تقدم والذرية تكون واحدا وجمعا فكونها للواحد قوله رب هب لي من لدنك ذرية طيبة وهب لنا من لدنك وليا وكونها للجمع ذرية ضعافا وقد مضى في البقرة القول في اشتقاق الذرية مستوفى وقرأ نافع وابن كثير وابن عباس والحسن وذرياتنا وقرأ أبو عمرو وحمزة وطلحة وعيسى وذريتنا بالإفراد قرة أعين نصب على المفعول أي قرة أعين لنا وهذا نحو قوله عليه السلام اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيه وقد تقدم في آل عمران بيانه وفي مريم أيضا وذلك أن الإنسان إذا بورك له في ماله وولده قرت عينه بأهله وعياله حتى إذا كانت عنده زوجة اجتمعت له فيها أمانيه من جمال وعفة ونظر وحوطة أو كانت عنده ذرية محافظون على الطاعة معاونون له على وظائف الدين والدنيا لم يلتفت إلى زوج أحد ولا إلى ولده فتسكن عينه عن الملاحظة ولا تمتد عينه إلى ما ترى فذلك حين قرة العين وسكون النفس ووحد قرة لأنه مصدر تقول قرت عينك قرة وقرة العين يحتمل أن تكون من القر وهو الأشهر والقر البرد لأن العرب تتأذى بالحر وتستروح إلى البرد وأيضا فإن دمع السرور بارد ودمع الحزن سخن فمن هذا يقال أقر الله عينك وأسخن الله عين العدو قال الشاعر

فكم سخنت بالأمس عين قريرة ... وقرت عيون دمعها الآن ساكب

قوله تعالى واجعلنا للمتقين إماما أي قدوة يقتدى بنا في الخير وهذا لا يكون إلا أن يكون الداعي متقيا قدوة وهذا هو قصد الداعي وفي الموطأ إنكم أيها الرهط أئمة يقتدى بكم وكان ابن عمر يقول في دعائه اللهم اجعلني من أئمة المتقين وقال إماما ولم يقل أئمة على الجمع لأن الإمام مصدر يقال أم القوم فلان إماما مثل الصيام والقيام وقال بعضهم أراد أئمة كما يقول القائل أميرنا هؤلاء يعني أمراءنا وقال الشاعر

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي ... إن العواذل لسن لي بأمير

أي أمراء وكان أبو القاسم القشيري شيخ الصوفية يقول الإمامة بالدعاء لا بالدعوى يعني بتوفيق الله وتيسيره ومنته لا بما يدعيه كل واحد لنفسه وقال إبراهيم النخعي لم يطلبوا الرياسة بل بأن يكونوا قدوة في الدين وقال ابن عباس اجعلنا أئمة في التقوى يقتدي بنا المتقون وقيل هو من المقلوب مجازه واجعل المتقين لنا إماما وقاله مجاهد والقول الأول أظهر وإليه يرجع قول ابن عباس ومكحول ويكون فيه دليل على أن طلب الرياسة في الدين ندب وإمام واحد يدل على جمع لأنه مصدر كالقيام قال الأخفش الإمام جمع آم من أم يؤم جمع على فعال نحو صاحب وصحاب وقائم وقيام قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بما صبروا أولئك خبر وعباد الرحمن في قول الزجاج على ما تقدم وهو أحسن ما قيل فيه وما تخلل بين المبتدأ وخبره أوصافهم من التحلي والتخلي

وهو

وهو أربعة عشر التواضع والحلم والتهجد والخوف وترك الإسراف والإقتار والنزاهة عن الشرك والزنا والقتل والتوبة وتجنب الكذب والعفو عن المسيء وقبول المواعظ والابتهال والغرفة الدرجة الرفيعة وهي أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلى مساكن الدنيا حكاه ابن شجرة وقال الضحاك الغرفة الجنة بما صبروا أي بصبرهم على أمر ربهم وطاعة نبيهم عليه السلام وقال محمد بن علي بن الحسين بما صبروا على الفقر والفاقة وقال الضحاك بما صبروا عن الشهوات ويلقون فيها تحية وسلاما قرأ أبو بكر والمفضل والأعمش ويحيى وحمزة والكسائي وخلف ويلقون مخففة واختاره الفراء قال لأن العرب تقول فلان يتلقى بالسلام وبالتحية وبالخير بالباء وقلما يقولون فلان يلقى السلامة وقرأ الباقون ويلقون واختاره أبو حاتم لقوله تعالى ولقاهم نضرة وسرورا قال أبو جعفر النحاس وما ذهب إليه الفراء واختاره غلط لأنه يزعم لو كانت يلقون كانت في العربية بتحية وسلام وقال كما يقال فلان يتلقى بالسلام وبالخير فمن عجيب ما في هذا أنه قال يتلقى والآية يلقون والفرق بينهما بين لأنه يقال فلان يتلقى بالتحية ولا يجوز حذف الباء فكيف يشبه هذا ذاك وأعجب من هذا أن في القرآن ولقاهم نضرة وسرورا لا يجوز أن تقرأ بغيره وهذا يبين أن الأولى خلاف ما قال والتحية من الله والسلام من الملائكة وقيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم والأظهر أنهما بمعنى واحد وأنهما من قبل الله تعالى دليله قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام وسيأتي خالدين نصب على الحال فيها حسنت مستقرا ومقاما قوله تعالى قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم هذه آية مشكلة تعلقت بها الملحدة يقال ما عبأت بفلان أي ما باليت به أي ما كان له عندي وزن ولا قدر وأصل يعبأ من العبء وهو الثقل وقول الشاعر

كأن بصدره وبجانبيه ... عبيرا بات يعبؤه عروس

أي يجعل بعضه على بعض فالعبء الحمل الثقيل والجمع أعباء والعبء المصدر وما استفهام ظهر في أثناء كلام الزجاج وصرح به الفراء وليس يبعد أن تكون نافية لأنك إذا حكمت بأنها استفهام فهو نفي خرج مخرج الاستفهام كما قال هل جزاء الإحسان إلا الإحسان قال ابن الشجري وحقيقة القول عندي أن موضع ما نصب والتقدير أي عبء يعبأ بكم أي مبالاة يبالي ربي بكم لولا دعاؤكم أي لولا دعاؤه إياكم لتعبدوه والمصدر الذي هو الدعاء على هذا القول مضاف إلى مفعوله وهو اختيار الفراء وفاعله محذوف وجواب لولا محذوف كما حذف في قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض تقديره هنا لم يعبأ بكم ودليل هذا القول قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون فالخطاب لجميع الناس فكأنه قال لقريش منهم أي ما يبالي الله بكم ولا بخلقكم لولا عبادتكم إياه لو كانت وذلك الذي يعبأ بالبشر من أجله ونحو هذا قراءة ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون فالخطاب بما يعبأ لجميع الناس ثم يقول لقريش فأنتم قد كذبتم ولم تعبدوه فسوف يكون التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم إليه في الشدائد ونحو ذلك بيانه فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين ونحو هذا وقيل ما يعبأ بكم أي بمغفرة ربكم ولا هو عنده عظيم لولا دعاؤكم معه الآلهة والشركاء بيانه ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم قاله الضحاك وقال الوليد بن أبي الوليد بلغني فيها أي ما خلقتكم ولي حاجة إليكم إلا أن تسألوني فأغفر لكم وأعطيكم وروى وهب بن منبه أنه كان مكتوبا في التوراة وعزتي ما خلقتك لأربح عليك إنما خلقتك لتربح علي فاتخذني بدلا من كل شيء فأنا خير لك من كل شيء قال ابن جني قرأ ابن الزبير وابن عباس فقد كذب الكافرون قال الزهراوي والنحاس وهي قراءة ابن مسعود وهي على التفسير للتاء والميم في كذبتم وذهب القتبي والفارسي إلى أن الدعاء مضاف إلى الفاعل والمفعول محذوف والأصل لولا دعاؤكم آلهة من دونه وجواب لولا محذوف تقديره في هذا الوجه لم يعذبكم ونظير قوله لولا دعاؤكم آلهة قوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فقد كذبتم بما دعيتم إليه هذا على القول الأول وكذبتم بتوحيد الله على الثاني فسوف يكون لزاما أي يكون تكذيبكم ملازما لكم والمعنى فسوف يكون جزاء التكذيب كما قال ووجدوا ما عملوا حاضرا أي جزاء ما عملوا

وقوله ذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اي جزا ما كنتم تكفرون وحسن اضمار التكذيب لتقدم ذكر فعله لانك لما ذكرت الفعل دل بلفظه على مصدره كما قال ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم اي لكان الايمان وقوله وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر ومثله كثير وجمهور المفسرين على ان المراد باللزام هاهنا ما نزل بهم يوم بدر وهو قول ابن مسعود وابي ابن كعب وابي مالك ومجاهد وعن هذا في صحيح مسلم عن عبد الله وقد مضت البطشة والدخان واللزام وسيأتي مبينا في سورة الدخان ان شا الله تعالى وقالت فرقة هو توعد بعذاب الاخرة وعن ابن مسعود ايضا اللزام التكذيب نفسه اي لا يعطون التوبة منه ذكره الزهراوي فيدخل في هذا يوم بدر وغيره من العذاب اي الذي يلزمونه وقال ابو عبيد لزاما فيصلا اي فسوف يكون فيصلا بينكم وبين المومنين والجمهور من القرا على كسر اللام وانشد ابو عبيد لصخر

• فاما ينجوا من حتف ارض فقد لقيا حتوفهما لزاما •

ولزاما وملازمة واحد وقال الطبري لزاما يعني عذابا دايما لازما وهلاكا مفنيا يلحق بعضكم ببعض كقول ابي ذويب • ففاجاه بعادية لزام كما يتفجر الحوض اللقيف •

يعني باللزام الذي يتبع بعضه بعضا وباللقيف المتساقط الحجارة المتهدم قال النحاس وحكى ابو حاتم عن ابي زيد قال سمعت قعنبا ابا السمال يقرا لزاما بفتح اللام قال ابو جعفر يكون مصدر لزم والكسر اولى يكون مثل قتال ومقاتلة كما اجمعوا على الكسر في قوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما واجل مسمى قال غيره اللزام بالكسر مصدر لازم لزاما مثل خاصم خصاما واللزام بالفتح مصدر لزم لزاما مثل سلم سلاما اي سلامة فاللزام بالفتح اللزوم واللزام الملازمة والمصدر في القرانين وقع موقع اسم الفاعل فاللزام وقع موقع ملازم واللزام وقع موقع لازم كما قال تعالى قل ارايتم ان اصبح ماوكم غورا اي غايرا قال النحاس وللفرا قول في اسم يكون قال يكون مجهولا وهذا غلط لان المجهول لا يكون خبره الا جملة كما قال عز وجل انه من يتق ويصبر وكما حكى النحويون كان زيد منطلق يكون في كان مجهول ويكون المبتدا وخبره خبر المجهول والتقدير كان الحديث فاما ان يقال كان منطلقا ويكون في كان مجهول فلا يجوز عند احد علمناه والله اعلم

سورة الشعرا مكية

وقال مقاتل منها مدني الاية التي يذكر فيها الشعرا وقوله اولم تكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرايل وقال ابن عباس وقتادة مكية الا اربع ايات منها نزلت بالمدينة من قوله والشعرا يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مايتان وسبع وعشرون اية وفي رواية ست وعشرون اية وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة من الذكر الاول واعطيت طه وطسم من الواح موسى واعطيت فواتح القران وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش واعطيت المفصل نافلة وعن البرا بن عازب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله اعطاني السبع الطوال مكان التوراة واعطاني المين مكان الانجيل واعطاني الطواسيم مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قراهن نبي قبلي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم قرا الاعمش ويحيى وابو بكر والمفضل وحمزة والكسائي وخلف بامالة الطا مشبعا في هذه الاية وفي اختيها وقرا نافع وابو جعفر وشيبة والزهري بين اللفظين واختاره ابو عبيد وابو حاتم وقرا الباقون بالفتح مشبعا قال الثعلبي وهي كلها لغات فصيحة وقد مضى في طه قول النحاس في هذا قال النحاس وقرا المدنيون وابو عمرو وعاصم والكسائي طسم بادغام النون في الميم والفرا يقولون باخفا النون وقرا الاعمش وحمزة طسين ميم باظهار النون قال النحاس النون الساكنة والتنوين اربعة اقسام عند سيبويه يبينان عند حروف الحلق ويدغمان عند الرا واللام والميم والواو واليا ويقلبان ميما عند البا ويكونان من الخياشيم اي لا يبينان فعلى هذه الاربعة الاقسام التي نصها سيبويه لا تجوز

هذه

هذه القراة لانه ليس هاهنا حرف من حروف الحلق فتبين النون عنده ولكن في ذلك وجه وهو ان حروف المعجم حكمها ان يوقف عليها فاذا وقف عليها تبينت النون قال الثعلبي الادغام اختيار ابي عبيدة وابي حاتم قياسا على كل القران وانما اظهرها اولئك للتبيين والتمكين وادغمها هولا لمجاورتها حروف الفم قال النحاس وحكى ابو اسحاق في كتابه فيما يجري وفيما لا يجري انه يجوز ان يقال طاسين ميم بفتح النون وضم الميم كما يقال هذا معدي كرب وقال ابو حاتم قرا خالد طسين ميم ابن عباس طسم قسم وهو اسم من اسما الله تعالى والمقسم عليه ان نشا ننزل عليهم من السما اية وقال قتادة اسم من اسما القران اقسم الله به مجاهد وهو اسم السورة ويحسن افتتاح السورة الربيع حساب مدة قوم وقيل قارعة تحل بقوم وطسم وطس واحد قال • وفاوكما كالربع اشجاه طاسمه • بان تسعدا والدمع اشفاه ساجمه •

وقال القرظي اقسم الله بطوله وسنايه وملكه وقال عبد الله بن محمد بن عقيل الطا طور سينا والسين اسكندرية والميم مكة وقال ابو جعفر بن محمد بن علي الطا شجرة طوبى والسين سدرة المنتهى والميم محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم وقيل الطا من الطاهر والسين من القدوس وقيل من السميع وقيل من السلام والميم من المجيد وقيل من الرحيم وقيل من الملك وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة والطواسين والطواسيم سور في القران جمعت على غير قياس وانشد ابو عبيد • وبالطواسيم التي قد ثلثت • وبالحواميم التي قد سبعت •

وقال الجوهري والصواب ان تجمع بذوات وتضاف الى واحد فيقال ذوات طسم وذوات حاميم قوله تعالى تلك ايات رفع على اضمار مبتدا اي هذه تلك ايات الكتاب المبين التي كنتم وعدتم لانهم قد وعدوا في التوراة والانجيل بانزال القران وقيل تلك بمعنى هذه لعلك باخع نفسك اي قاتل نفسك ومهلكها وقد مضى في الكهف بيانه الا يكونوا مومنين اي لتركهم الايمان قال الفرا ان في موضع نصب لانها جزا قال النحاس وانما يقال ان مكسورة لانها جزا كذا المتعارف والقول في هذا ما قاله ابو اسحاق في كتابه في القران قال ان في موضع نصب مفعول من اجله والمعنى لعلك قاتل نفسك لتركهم الايمان ان نشا ننزل عليهم من السما اية اي معجزة ظاهرة وقدرة باهرة فتصير معارفهم ضرورية ولكن سبق القضا بان تكون المعارف نظرية وقال ابو حمزة اليماني في هذه الاية بلغني ان هذه الاية صوت يسمع من السما في النصف من شهر رمضان تخرج به العواتق من البيوت وتضج له الارض وهذا فيه بعد لان المراد قريش لا غيرهم فظلت اعناقهم لها خاضعين قال مجاهد اعناقهم كبراوهم قال النحاس ومعروف في اللغة يقال جا في عنق من الناس اي روساهم قال ابو زيد والاخفش اعناقهم جماعاتهم يقال جاني عنق من الناس اي جماعة وقيل انما اراد اصحاب الاعناق فحذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه وقال قتادة المعنى لو شا لانزل اية يذلون بها فلا يلوي احد منهم عنقه الى معصية وقال ابن عباس نزلت فينا وفي بني امية ستكون لنا عليهم الدولة فتذل لنا اعناقهم بعد صعوبة ذكره الثعلبي والغزنوي والله اعلم وخاضعين وخاضعة هنا سوا قاله عيسى بن عمر واختاره المبرد والمعنى انهم اذا ذلت رقابهم ذلوا فالاخبار عن الرقاب اخبار عن اصحابها ويسوغ في كلام العرب ان تترك الخبر عن الاول ويخبر عن الثاني قال الراجز

• طول الليالي اسرعت في نقضي • طوين طولي وطوين عرضي •

فاخبر عن الليالي وترك الطول وقال جرير

• ارى مر السنين اخذن مني • كما اخذ السرار من الهلال •

وانما جاز ذلك لانه لو اسقط مر وطول من الكلام لم يفسد معناه وكذلك رد الفعل الى الكناية في قوله فظلت اعناقهم لها خاضعين لانه لو اسقط الاعناق لما فسد الكلام ولادى ما بقي من الكلام عنه حتى يقول فظلوا لها خاضعين وعلى هذا اعتمد الفرا وابو عبيد والكسائي تذهب الى ان المعنى خاضعيهم وهذا خطا عند البصريين والفرا ومثل هذا الحذف لا يقع في شي من الكلام قاله النحاس قوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين تقدم مثله في الانبيا فقد كذبوا اي اعرضوا ومن اعرض عن شي ولم يقبله فهو تكذيب له فسياتيهم انبا ما كانوا به يستهزءون وعيد لهم اي فسوف ياتيهم عاقبة ما كذبوا

والذي استهزوا به قوله تعالى اولم يروا الى الارض كم انبتنا فيها من كل زوج كريم نبه
تعالى على عظمته وقدرته وانهم لو راوا بقلوبهم ونظروا ببصايرهم لعلموا انه الذي يستحق ان
يعبد اذ هو القادر على خلق كل شي والزوج اللون قاله الفرا وكريم حسن شريف واصل
الكريم في اللغة الشرف والفضل فنخلة كريمة اي فاضلة كثيرة الثمر ورجل كريم شريف
فاضل صفوح ونبتت الارض وانبتت بمعنى وقد تقدم في البقرة والله سبحانه المخرج للنبات
والمنبت له وروي عن الشعبي انه قال الناس من نبات الارض فمن صار منهم الى الجنة فهو
كريم ومن صار الى النار فهو لئيم ان في ذلك لاية اي فيما ذكر من الانبات في الارض لدلالة
على ان الله تعالى قادر لا يعجزه شي وما كان اكثرهم مومنين اي مصدقين لما سبق من علمي
فيهم وكان هنا صلة في قول سيبويه تقديره وما اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم
يريد المنيع المنتقم من اعدايه الرحيم باوليايه قوله تعالى واذ نادى ربك موسى اذ في موضع
نصب والمعنى واتل عليهم اذ نادى ربك موسى ويدل على هذا ان بعده واتل عليهم نبا ابراهيم
ذكره النحاس وقيل المعنى واذكر اذ نادى كما صرح به في قوله واذكر اخا عاد وقوله واذكر عبادنا
ابراهيم وقوله واذكر في الكتاب مريم وقيل المعنى واذ نادى ربك موسى كان كذا وكذا والندا
الدعا بيا فلان اي قال ربك يا موسى ان ايت القوم الظالمين ثم اخبر من هم فقال قوم فرعون الا يتقون
فقوم بدل ومعنى الا يتقون الا يخافون عقاب الله وقيل هذا من الايما الى النبي لانه امره ان ياتي
القوم الظالمين ودل قوله الا يتقون على انهم لا يتقون وعلى انه امرهم بالتقوى وقيل المعنى قل
لهم الا تتقون وجا بالياء لانه غيب وقت الخطاب ولو جا بالتاء لجاز ومثله قوله قل للذين
كفروا ستغلبون بالتاء والياء وقد قرا ابو حازم وعبيد بن عمير الا تتقون بتاءين اي قل لهم الا تتقون
قال رب اي قال موسى رب اني اخاف ان يكذبون اي في الرسالة والنبوة ويضيق صدري
لتكذيبهم اياي وقراة العامة ويضيق ولا ينطلق بالرفع على الاستيناف وقرا يعقوب وعيسى
ابن عمر وابو حيوة ويضيق ولا ينطلق بالنصب فيهما ردا على قوله ان يكذبون قال الكسائي
القراة بالرفع يعني في يضيق صدري ولا ينطلق لساني يعني نسقا على اني اخاف قال الفرا ويقرا
بالنصب حكي ذلك عن الاعرج وطلحة وعيسى ابن عمر وكلاهما له وجه قال النحاس الوجه
الرفع لان النصب عطف على يكذبون وهذا بعيد يدل على ذلك قوله واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي فهذا يدل على ان هذا كذا ومعنى ولا ينطلق لساني في المحاجة على ما احب وكان
في لسانه عقدة على ما تقدم في طه فارسل الى هرون اي ارسل اليه جبريل بالوحي واجعله
رسولا معي ليوازرني ويظاهرني ويعاونني ولم يذكر هنا ليعينني لان المعنى كان معلوما وقد
صرح به في طه قوله واجعل لي وزيرا من اهلي وفي القصص ارسله معي ردا يصدقني وكان
موسى اذن له في هذا السوال ولم يكن ذلك استعفا من الرسالة بل طلب من يعينه ففي هذا دليل
على ان من لا يستقل بامر ويخاف من نفسه تقصيرا ان ياخذ من يستعين به ولا يلحقه في ذلك
لوم ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون الذنب هنا قتل القبطي واسمه فاتور على ما ياتي في
القصص بيانه وقد مضى في طه ذكره وخاف موسى ان يقتلوه به ودل على ان الخوف قد
يصحب الانبيا والفضلا والاوليا مع معرفتهم بالله وان لا فاعل الا هو اذ قد يسلط من يشا على
من يشا قال كلا اي كلا لن يقتلوك فهو ردع وزجر عن هذا الظن وامر بالثقة بالله تعالى اي
ثق بالله وانزجر عن خوفك منهم فانهم لا يقدرون على قتلك ولا يقوون عليه فاذهبا اي
انت واخوك فقد جعلته رسولا معك باياتنا اي ببراهيننا وبالمعجزات وقيل اي مع اياتنا
انا معكم يريد نفسه سبحانه مستمعون اي سامعون ما يقولون وما يجاوبون وانما اراد
بذلك تقوية قلبيهما وانه حافظهما ومعينهما والاستماع انما يكون بالاصغا ولا يوصف الباري
سبحانه بذلك وقد وصف سبحانه نفسه بانه السميع البصير وقال في طه اسمع وارى
وقال معكم فاجراهما مجرى الجمع لان الاثنين جماعة ولا يجوز ان يكون لهما ولمن ارسلا اليه
ويجوز ان يكون لجميع بني اسرايل قوله تعالى فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب
العالمين قال ابو عبيدة رسول بمعنى رسالة والتقدير على هذا انا ذوو رسالة رب العالمين
قال الهذلي ° الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر ° وقال اخر

لعز

° لقد كذب الواشون ما فهت عندهم ° بسر ولا ارسلتهم برسول °
وقال اخر ° الا ابلغ ابا عمرو رسولا ° فاني عن فتاحتكم غني ° وقال العباس بن مرداس
° الا من مبلغ عني خفافا ° رسولا بيت اهلك منتهاها °
يعني رسالة فلذلك انثها قال ابو عبيدة ويجوز ان يكون الرسول في معنى الاثنين والجمع تقول
العرب هذا رسولي ووكيلي وهذان رسولي ووكيلي وهولاء رسولي ووكيلي ومنه قوله تعالى
فانهم عدو لي وقيل معناه ان كل واحد منا رسول رب العالمين ان ارسل معنا بني اسرايل اي
اطلقهم وخل سبيلهم حتى يسيروا معنا الى فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم
اربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلثين الفا فانطلقا الى فرعون فلم
ياذن لهما سنة في الدخول عليه فدخل البواب على فرعون فقال ها هنا انسان يزعم انه رسول
رب العالمين فقال فرعون ايذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه واديا الرسالة وروى
وهب وغيره انهما دخلا على فرعون وجداه وقد اخرج سباعا من اسد ونمور وفهود وهو يتفرج
عليها فخاف سواسها ان تبطش بموسى وهرون فاسرعوا اليها واسرعت السباع الى موسى وهرون
فاقبلت تلحس اقدامهما وتبصبص اليهما باذنابها وتلصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من
ذلك فقال ما انتما فقالا انا رسول رب العالمين فعرف موسى لانه نشا في بيته فقال الم نربك فينا
وليدا على جهة المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبثت
فينا سنين فمتى كان هذا الذي تدعيه ثم قرعه بقتل القبطي وهو قوله وفعلت فعلتك التي
فعلت والفعلة بفتح الفا المرة من الفعل وقرا الشعبي فعلتك بكسر الفا والفتح اولى لانها المرة
الواحدة والكسر بمعنى الهيئة والحال اي فعلتك التي تعرف فكيف تدعي مع علمنا احوالك
ان الله ارسلك وقال الشاعر ° كان مشيتها من بيت جارتها ° مر السحابة لا ريث ولا عجل °
ويقال كان ذلك ايام الردة والردة وانت من الكافرين قال الضحاك اي في قتلك القبطي اذ هو
نفس لا يحل قتله وقيل اي بنعمتي التي كانت لنا عليك من التربية والاحسان اليك قاله ابن
زيد الحسن من الكافرين في اني الاهك السدي من الكافرين بالله لانك كنت معنا على ديننا
هذا الذي تعيبه وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا
احد عشر عاما غير اشهر فقال فعلتها اذا اي فعلت تلك الفعلة يريد قتل القبطي وانا اذا
من الضالين اي من الجاهلين فنفى عن نفسه الكفر واخبر انه فعل ذلك على الجهل وكذا
قال مجاهد من الضالين من الجاهلين ويقال لمن جهل شيا ضل عنه وقيل وانا من الضالين
من الناسين قاله ابو عبيدة وقيل وانا من الضالين عن النبوة ولم ياتني عن الله فيه شي
فليس علي فيما فعلته في تلك الحالة توبيخ وبين بهذا ان التربية فيهم لا تنافي النبوة
والحلم على الناس وان القتل خطا او في وقت لم يكن فيه شرع لا ينافي النبوة وقوله
ففررت منكم لما خفتكم اي خرجت من بينكم الى مدين كما في سورة القصص فخرج منها خايفا
يترقب وذلك حين القتل فوهب لي ربي حكما يعني النبوة عن السدي وغيره الزجاج تعليمه
التوراة التي فيها حكم الله وقيل علما وفهما وجعلني من المرسلين قوله تعالى وتلك
نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرايل اختلف الناس في معنى هذا الكلام فقال السدي
والطبري والفرا هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار بالنعمة كانه
يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبدت غيري وتركتني ولكن لا يدفع ذلك رسالتي
وقيل هو من موسى على جهة الانكار اي اتمن علي بان ربيتني وليدا وانت قد استعبدت
بني اسرايل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان ان لا تقتلهم ولا تستعبدهم فانهم قومي
فكيف تذكر احسانك الي على الخصوص قال معناه قتادة وغيره وقيل فيه تقدير
استفهام اي او تلك نعمة قاله الاخفش والفرا ايضا وانكره النحاس وغيره قال النحاس
وهذا لا يجوز لان الف الاستفهام تحدث معنى وحذفها محال الا ان يكون في الكلام ام كما
قال الشاعر ° تروح من الحي ام تبتكر ° ولا اعلم بين النحويين اختلافا في هذه الا شيا
قاله الفرا قال يجوز حذف الف الاستفهام في افعال الشك وحكى ترى زيدا منطلقا
بمعنى اترى وحكى علي ابن سليمان يقول في هذا انما اخذه من الفاظ العامة قال الثعلبي

قال الفراء ومن قال انها انكار قال معناه او تلك نعمة على طريق الاستفهام كقوله هذا ربي
اهم الجاهلون قال الشاعر • رموني وقالوا يا خويلد لم ترع • فقلت وانكرت الوجوه هم هم •
وانشد الغزنوي شاهدا على ترك الالف قواهم •
لم انس يوم الرحيل وقفتها • وجفنها من دموعها شرق •
وقولها والركاب واقفة • تتركني هكذا وتنطلق • قلت ففي هذا حذف الف
الاستفهام مع عدم ام خلاف قول النحاس وقال الضحاك ان الكلام خرج مخرج التبكيت
والتبكيت يكون باستفهام وبغير استفهام والمعنى لو لم تقتل بني اسرائيل لرباني ابواي فاي
نعمة لك علي فانت تمن علي بما لا يجب ان تمن به وقيل معناه كيف تمن علي بالتربية وقد
اهنت قومي ومن اهين قومه ذل وان عبدت في موضع رفع على البدل من نعمة ويجوز
ان يكون في موضع نصب بمعنى لان عبدت بني اسرائيل اي اتخذتهم عبيدا يقال عبدته
واعبدته بمعنى قاله الفراء وانشد • علام يعبدني قومي وقد كثرت • فيهم اباعر ما شاءوا وعبدان •
قوله تعالى قال فرعون وما رب العالمين لما غلب موسى فرعون بالحجة ولم يجد اللعين
من تقريره على التربية وغير ذلك حجة رجع الى معارضة موسى في قوله رسول رب
العالمين فاستفهمه استفهاما عن مجهول من الاشيا قال مكي وغيره كما يستفهم عن الاجناس
فلذلك استفهم بما قال مكي وقد ورد له استفهام بمن في موضع اخر ويشبه انها مواطن فاتى
موسى بالصفات الدالة على الله من مخلوقاته التي لا يشاركه فيها مخلوق وقد سال فرعون عن
الجنس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فعلم موسى جهله فاضرب عن سواله
واخبره بعظيم قدرة الله التي تبين للسامع انه لا مشاركة لفرعون فيها فقال فرعون
الا تستمعون على معنى الاغراء والتعجب من سفه المقالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون
ربهم ومعبودهم والفراعنة قبله كذلك فزاد موسى في البيان بقوله ربكم ورب ابائكم
الاولين فجاء بدليل يفهمونه عنه لانهم يعلمون انه قد كان لهم ابا وانهم قد فنوا وانه لابد
من مغير وانهم قد كانوا بعد ان لم يكونوا وانهم لابد لهم من مكون فقال فرعون حينئذ
على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي ليس يجيبني عما اسال فاجابه
موسى عليه السلام عن هذا بان قال رب المشرق والمغرب اي ليس ملكه كملكك لانك
انما تملك بلدا واحدا لا يجوز امرك في غيره ويموت فيه من لا تحب ان يموت والذي ارسلني
يملك المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون وقيل علم موسى عليه السلام ان قصده
في السوال معرفة من سال عنه فاجاب بما هو الطريق الى معرفة الرب اليوم ثم لما
انقطع فرعون لعنه الله في باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغليب فتوعد موسى
بالسجن ولم يقل فما رب العالمين على ان هذا الاله ارسلك لان فيه الاعتراف بان ثم الها غيره
وفي توعده بالسجن ضعف وكان فيما يروى يفزع منه فزعا شديدا حتى كان اللعين لا يمسك
بوله وروي ان سجنه كان اشد من القتل فكان اذا سجن احدا لا يخرجه من سجنه حتى
يموت فكان مخوفا ثم لما كان عند موسى عليه السلام من امر الله تعالى ما لا يرعه توعد
فرعون فقال له على جهة اللطف به والطمع في ايمانه اولو جئتك بشيء مبين فيتضح لك به
صدقي فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناءه موضع معارضة فقال له فات به ان
كنت من الصادقين ولم يحتج الشرط الى جواب عند سيبويه لان ما تقدم يكفي منه فالقى
موسى عصاه من يده فكان ما اخبر الله من قصته وقد تقدم بيان ذلك وشرحه في
الاعراف الى اخر القصة وقول السحرة لما توعدهم فرعون بقطع الايدي والارجل لا ضير
اي لا ضر علينا فيما يلحقنا من عذاب الدنيا اي انما عذابك ساعة فنصبر لها وقد لقينا
الله مومنين وهذا يدل على شدة استبصارهم وقوة ايمانهم قال مالك دعا موسى عليه
السلام فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة امنوا به في يوم واحد يقال
لا ضير ولا ضور ولا ضر ولا ضرر ولا ضارورة بمعنى واحد قاله الهروي وانشد ابو عبيدة
• فانك لا يضورك بعد حول • اظبي كان امك ام حمار •
وقال الجوهري ضاره يضوره ويضيره ضيرا وضورا اي ضره قال الكسائي سمعت بعضهم

يقول

لا ينفعني ذلك ولا يضورني والتضور الصياح والتلوي عند الضرب او الجوع والضورة بالضم
الرجل الحقير الصغير الشان انا الى ربنا منقلبون يريد ننقلب الى رب كريم رحيم انا نطمع ان
يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المومنين ان في موضع نصب اي لان كنا واجاز الفرا كسرها
على ان تكون مجازاة ومعنى اول المومنين اي عند ظهور الاية ممن كان في جانب فرعون قال
الفرا اول مومني زمانهم وانكره الزجاج وقال قد روي انه امن معه ستمائة الف وسبعون الفا
وهم الشرذمة القليلون الذين قال فيهم فرعون ان هاولا لشرذمة قليلون روي ذلك
عن ابن مسعود وغيره قوله تعالى واوحينا الى موسى ان اسر بعبادي انكم متبعون لما كان من
سنة الله تعالى في عباده انجا المومنين المصدقين من اوليايه المعترفين برسالة رسله وانبيايه
واهلاك الكافرين المكذبين لهم من اعدايه امر موسى ان يخرج بني اسرايل ليلا وسماهم عباده
لانهم امنوا بموسى ومعنى انكم متبعون اي يتبعكم فرعون وقومه ليردوكم وفي ضمن هذا الكلام تعريفهم
ان الله ينجيهم منهم فخرج موسى عليه السلام ببني اسرايل سحرا فترك الطريق الى الشام على يساره
وتوجه نحو البحر فكان الرجل من بني اسرايل يقول له في ترك الطريق فيقول هكذا امرت فلما
اصبح فرعون وعلم بسري موسى ببني اسرايل خرج في اثرهم وبعث الى مداين مصر لتلحقه
العساكر فروي انه لحقه ومعه مائة الف ادهم من الخيل حاشى سائر الالوان وروي ان بني
اسرايل كانوا ستمائة الف وسبعين الفا والله اعلم بصحة ذلك وانما اللازم من الاية الذي
يقطع به ان موسى عليه السلام خرج بجمع عظيم من بني اسرايل وان فرعون تبعه باضعاف ذلك
قال ابن عباس كان مع فرعون الف جبار عليه تاج وكلهم امير خيل والشرذمة الجمع القليل
المحتقر والجمع الشراذم قال الجوهري الشرذمة الطايفة من الناس والقطعة من الشي وثوب
شراذم اي قطع وانشد الثعلبي قول الراجز • جا الشتا وثيابي اخلاق • شراذم يضحك منها التواق •
التواق من الرجال الذي يروض الامور ويصلحها قاله في الصحاح واللام في قوله لشرذمة
لام توكيد وكثيرا ما تدخل في خبر ان الا ان الكوفيين لا يجيزون ان زيدا لسوف يقوم
والدليل على انه جايز قوله تعالى فلسوف تعلمون وهذه لام التوكيد بعينها وقد دخلت على سوف
قاله النحاس وانهم لنا لغايظون اي اعدا لنا لمخالفتهم ديننا وذهابهم باموالنا التي استعاروها
على ما تقدم وماتت ابكارهم تلك الليلة وقد مضى هذا القول في الاعراف وطه مستوفى يقال
غاظني كذا واغاظني والغيظ الغضب ومنه التغيظ والاغتياظ اي غاظونا بخروجهم من غير
اذن وانا لجميع حذرون اي مجتمع مستعد اخذنا حذرنا واسلحتنا وقرى حاذرون ومعناه
معنى حذرون وقيل حاذرون اي مودون في السلاح وحذرون اي خايفون شرهم قال
الجوهري وقرى وانا لجميع حذرون وحاذرون وحذرون بضم الذال حكاه الاخفش
ومعنى حاذرون متاهبون قال النحاس حذرون قراة المدنيين وابي عمرو وقرا اهل
الكوفة حاذرون ويروى عن عبد الله بن مسعود وابن عباس وحادرون بالدال
غير المعجمة قراة ابي عباد وحكاها المهدوي عن ابن ابي عمار والثعلبي والماوردي عن
سميط بن عجلان قال النحاس ابو عبيدة يذهب الى ان معنى حذرون وحاذرون واحد
وهو قول سيبويه واجاز هو حذر زيدا كما يقال حاذر زيدا وانشد •
• حذر امورا لا تضير وامن • ما ليس منجيه من الاقدار •
وزعم ابو عمر الجرمي انه يجوز هو حذر زيدا على حذف من فاما اكثر النحويين فيفرقون بين
حذر وحاذر منهم الكسائي والفرا ومحمد بن يزيد فيذهبون الى ان معنى حذر في خلقته
الحذر اي متيقظ منتبه فاذا كان هكذا لم يتعد ومعنى حاذر مستعد وبهذا جا التفسير
عن المتقدمين قال عبد الله بن مسعود في قول الله عز وجل وانا لجميع حاذرون قال
مودون في السلاح والكراع مقوون فهذا ذاك بعينه وقوله حاذرون مودون معهم
اداه وقد قيل ان المعنى معنا سلاح وليس معهم سلاح يحرضهم على القتال فاما حادرون
بالدال المهملة فمشتق من قولهم عين حدرة اي ممتلية اي نحن ممتليون غيظا عليهم ومنه
قول الشاعر • وعين لها حدرة بدرة • شقت مآقيهما من اخر •
وحكى اهل اللغة انه يقال رجل حادر اذا كان ممتلي اللحم فيجوز ان يكون المعنى الامتلا من

السلاح المهدوي لهاذر القوي الشديد قوله تعالى فاخرجناهم من جنات وعيون
يعني من ارض مصر وعن عبد الله بن عمرو قال كانت الجنات بحافتي النيل في الشقين جميعا
من اسوان الى رشيد وبين الجنات زروع والنيل سبعة خلجان خليج الاسكندرية وخليج
سخا وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهي متصلة لا ينقطع
منها شي عن شي فالزروع ما بين الخلجان كلها وكانت ارض مصر كلها تروى من ستة عشر
ذراعا بما قدروا ودبروا من قناطرها وجسورها وخلجها فلذلك سمي النيل اذا غلق ستة
عشر ذراعا نيل السلطان ويخلع على ابن ابي الرداد وهذه الحال مستمرة الى الان وانما قيل
نيل السلطان لانه حينئذ يجب الخراج على الناس وكانت ارض مصر جميعها تروى من اصبع واحده
من سبعة عشر ذراعا وكان اذا غلق النيل سبعة عشر ذراعا ونودي عليه اصبع واحد من
ثمانية عشر ذراعا ازداد في خراجها الف الف دينار فاذا خرج عن ذلك ونودي عليه
اصبعا واحدا من تسعة عشر ذراعا نقص من خراجها الف الف دينار وسبب هذا ما كان
ينصرف في المصالح والخلجان والجسور والاهتمام بعمارتها فاما الان فان اكثرها لا يروى
حتى ينادي اصابع من تسعة عشر ذراعا بمقياس مصر فاما اعمال الصعيد الاعلى فان
فيها ما لا يتكامل ريه الا بعد دخول في الذراع الثاني والعشرين بالصعيد الاعلى قلت
اما ارض مصر فلا تروى جميعها الا من عشرين ذراعا واصابع لعلو الارض وعدم الاهتمام
بعمارة جسورها وهو من عجائب الدنيا وذلك انه يزيد اذا انصبت المياه في جميع الارض
حتى يسيح على جميع ارض مصر وتبقى البلاد كالاعلام لا يوصل اليها الا بالمراكب والقياسا
ويروى عن عبد الله بن عمرو بن العاصي انه قال نيل مصر سيد الانهار سخر الله له كل
نهر بين المشرق والمغرب وذلل الله له الانهار فاذا اراد ان يجري نيل مصر امر كل نهر
ان يمده فامدته الانهار بمائها وفجر له عيونا فاذا انتهى الى ما اراد الله عز وجل اوحى
الله تبارك وتعالى الى كل ماء ان يرجع الى عنصره وقال قيس ابن الحجاج لما افتتحت مصر
اتى اهلها الى عمرو بن العاصي حين دخل بؤنه من اشهر القبط فقالوا له ايها الامير ان
لنيلنا هذا سنة لا يجري الا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا اذا كان لاثني عشر ليلة تخلو
من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين ابويها ارضينا ابويها وحملنا عليها من الحلي والثياب
افضل ما يكون ثم القيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون في الاسلام ليهدم ما قبله
فاقاموا بؤنه وابيب ومسرى لا يجري قليل ولا كثير وهموا بالجلاء فلما راى ذلك عمرو بن
العاصي كتب الى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فاعلمه بالقصة فكتب اليه عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه انك قد اصبت بالذي فعلت وان الاسلام ليهدم ما قبله ولا يكون هذا
وبعث اليه بطاقة في داخل كتابي فالقها في النيل اذا اتاك كتابي فلما قدم كتاب
عمر الى عمرو بن العاصي اخذ البطاقة ففتحها فاذا فيها من عبد الله عمر امير المومنين الى
نيل مصر اما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجر وان كان الله الواحد القهار هو
الذي يجريك فاسال الله الواحد القهار ان يجريك فالقى البطاقة في النيل قبل الصليب
بيوم وقد تهيا اهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لا تقوم مصلحتهم فيها الا بالنيل فلما
القى البطاقة اصبحوا يوم الصليب وقد اجراه الله تبارك وتعالى في ليلة واحدة ستة
عشر ذراعا وقد قطع الله تلك السيرة عن اهل مصر من تلك السنة وقال كعب الاحبار
وقد قطع الله تلك السيرة عن اربعة انهار من الجنة ووضعها الله في الدنيا سيحان وجيحان
فالنيل والفرات فسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة والنيل نهر
العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وقال ابن لهيعة الدجلة نهر اللبن في
الجنة قلت الذي في الصحيح من هذا حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة لفظ مسلم وفي حديث
الاسراء من حديث انس عن مالك بن صعصعة عن رجل من قومه قال وحدث نبي الله
صلى الله عليه وسلم انه راى اربعة انهار يخرج من اصلها نهران ظاهران ونهران باطنان
فقلت يا جبريل ما هذه الانهار قال اما النهران الباطنان فنهران في الجنة واما الظاهران

فالنيل والفرات لفظ مسلم وقال البخاري من طريق شريك عن انس فاذا هو في السماء الدنيا
بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما ثم مضى
في السماء فاذا هو بنهر اخر عليه قصر من لولو وزبرجد فضرب بيده فاذا هو مسك اذفر
فقال ما هذا يا جبريل قال هذا هو الكوثر الذي خبا لك ربك وذكر الحديث والجمهور على ان
المراد بالعيون عيون الماء وقال سعيد بن جبير المراد عيون الذهب وفي الدخان كم تركوا
من جنات وعيون وزروع قيل انهم كانوا يزرعون ما بين الجبلين من اول مصر الى اخرها وليس
في الدخان وكنوز وكنوز جمع كنز وقد مضى في براءة والمراد بها هنا الخزائن وقيل الدفائن
وقال الضحاك الانهار وفيه نظر لان العيون تشملها ومقام كريم قال ابن عمر وابن عباس
ومجاهد المراد الكريم المنابر وكانت الف منبر لالف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه وقيل
مجالس الرؤسا والامرا حكاه ابن عيسى وهو قريب من الاول وقال سعيد بن جبير المنازل
الحسان وقال ابن لهيعة سمعت ان المقام الكريم الفيوم وقيل كان يوسف عليه السلام
قد كتب على مجلس من مجالسه لا اله الا الله ابراهيم خليل الله فسماها الله كريمة بهذا
وقيل مرابط الخيل لتفرد الزعما بارتباطها عدة وزينة فصار مقامها اكرم منزول ذكره الماوردي
والاظهر انها المساكن الحسان كانت تكرم عليهم والمقام في اللغة الموضع من قولك قام يقوم
وكذلك المقامات واحدها مقامة كما قال

وفيهم مقامات حسان وجوههم ۞ واندية ينتابها القول والفعل

والمقام ايضا المصدر من قام والمقام بالضم الموضع من اقام والمصدر ايضا من اقام يقيم
قوله تعالى كذلك واورثناها بنوا اسرايل يريد ان جميع ما ذكره الله من الجنات والعيون
والكنوز والمقام الكريم اورثه الله بني اسرايل قال الحسن وغيره رجع بنوا اسرايل الى مصر
بعد هلاك فرعون وقومه وقيل اراد بالوراثة هنا ما استعاروه من حلي ال فرعون بامر
الله تعالى قلت وكلا الامرين حصل لهم فاتبعوهم مشرقين اي فتبع فرعون وقومه بني
اسرايل قال السدي حين اشرقت الشمس بالشعاع وقال قتادة حين اشرقت الارض
بالضيا قال الزجاج يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضاءت واختلف في
تاخر فرعون وقومه عن موسى وبني اسرايل على قولين احدهما لاشتغالهم بدفن ابكارهم
لان الوبا في تلك الليلة وقع فيهم فقوله مشرقين حال لقوم فرعون الثاني ان سحابة
اظلتهم وظلمة فقالوا نحن بعد في الليل فما تقشعت عنهم حتى اصبحوا وقال ابو عبيدة معنى
فاتبعوهم مشرقين ناحية المشرق وقرا الحسن وعمرو بن ميمون فاتبعوهم مشرقين بالتشديد
والف الوصل اي نحو المشرق ماخوذ من قولهم شرق وغرب اذا سارا نحو المشرق والمغرب
ومعنى الكلام قدرنا ان يرثها بنوا اسرايل بلادهم قوله تعالى فلما تراء الجمعان اي تقابلا
الجمعان بحيث يرى كل فريق صاحبه وهو تفاعل من الروية قال اصحاب موسى انا لمدركون
اي قرب منا العدو ولا طاقة لنا بهم وقراة عبيد ابن عمير والاعرج والزهري لمدركون
بتشديد الدال من ادرك قال الفرا حفر واحتفر بمعنى واحد وكذلك لمدركون
ولمدركون بمعنى واحد النحاس وليس كذلك يقول النحويون الحذاق انما يقولون مدركون
ملحقون ومدركون مجتهد في لحاقهم كما يقال كسبت بمعنى اصبت وظفرت واكتسبت بمعنى
اجتهدت وطلبت وهذا معنى قول سيبويه رحمه الله تعالى قوله تعالى كلا ان معي
ربي سيهدين لما لحق فرعون بجمعه جمع موسى وقرب منه وراى بنوا اسرايل العدو القوي
والبحر امامهم ساءت ظنونهم وقالوا لموسى على جهة التوبيخ والجفا انا لمدركون فرد عليهم
قولهم وزجرهم وذكرهم وعد الله سبحانه بالهداية والظفر كلا اي لم يدركوكم ان معي ربي
سيهدين اي معي بالنصر والظفر على العدو سيهدين اي سيدلني على طريق النجاة فلما عظم
البلاء على بني اسرايل وراوا من الجيوش ما لا طاقة لهم بها امر الله تعالى موسى ان يضرب
البحر بعصاه وذلك انه عز وجل اراد ان تكون الاية متصلة بموسى ومتعلقة بفعل يفعله
والا فضرب العصا ليس بفارق للبحر ولا معين على ذلك بذاته الا بما اقترن به من قدرة
الله تعالى واختراعه وقد مضى في البقرة قصة هذا البحر لما انفلق صار فيه اثني عشر

طريقا على عدد اسباط بني اسرائيل ووقف الما بينها كالطود العظيم اي الجبل العظيم والطود الجبل وقال امرؤ القيس • فبينا المرء في الاحيا طود • رماه الناس عن كثب فمالا •
وقال الاسود بن يعفر • حلوا بانقرة يسيل عليهم • ما الفرات يجي من اطواد •
جمع طود اي جبل فصار لموسى واصحابه طريقا في البحر يبسا فلما خرج اصحاب موسى وتكامل اخر اصحاب فرعون على ما تقدم في يونس انصب عليهم وغرق فقال بعض اصحاب موسى ما غرق فرعون فنبذ على ساحل البحر حتى نظروا اليه وروى ابن القاسم عن مالك قال خرج مع موسى عليه السلام رجلان من التجار الى البحر فلما اتوا اليه قالا له بما امرك الله قال امرت ان اضرب البحر بعصاي هذه فينفلق فقالا له افعل ما امرك الله فلن يخلفك ثم القيا انفسهما في البحر تصديقا له فما زال كذلك البحر حتى دخل فرعون ومن معه ثم ارتد كما كان وقد مضى هذا المعنى في البقرة قوله تعالى وازلفنا ثم الاخرين اي قربناهم الى البحر يعني فرعون وقومه قاله ابن عباس وغيره قال الشاعر
• وكل يوم مضى او ليلة سلفت • فيها النفوس الى الاجال تزدلف •
ابو عبيدة ازلفنا جمعنا ومنه قيل لليلة المزدلفة ليلة جمع وقرا عبد الله بن الحرث وابي بن كعب وابن عباس وازلقنا بالقاف على معنى اهلكناهم من قولهم ازلقت الفرس فهي مزلق اذا القت ولدها وانجينا موسى ومن معه اجمعين ثم اغرقنا الاخرين يعني فرعون وقومه ان في ذلك لاية اي علامة لانه علامة على قدرة الله تعالى وما كان اكثرهم مومنين لانه لم يومن من قوم فرعون الا مومن ال فرعون واسمه حزقيل وابنته اسية وهي بنت حزقيل ومريم بنت ناموسى هو مي المعجوز الذي دلت على قبر يوسف الصديق عليه السلام وذلك ان موسى عليه السلام لما خرج ببني اسرائيل من مصر اظلم عليهم القمر فقال لقومه ما هذا فقال علماوهم ان يوسف عليه السلام لما حضره الموت اخذ علينا موثقا من الله ان لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فايكم يدري اين قبره قالوا ما يعلمه الا عجوز لبني اسرائيل فارسل اليها فقال دليني على قبر يوسف فقالت لا والله لا افعل حتى تعطيني حكمي قال وما حكمك قالت حكمي ان اكون معك في الجنة فثقل عليه فقيل له اعطها حكمها فدلتهم عليه فاحتفروه واستخرجوا عظامه فلما اقلوها فاذا الطريق مثل ضوء النهار وفي رواية فاوحى الله تعالى اليه ان اعطها ففعل فاتت بهم الى بحيرة فقالت انضبوا هذا الما فانضبوا واستخرجوا عظام يوسف عليه السلام فتبينت لهم الطريق مثل ضوء النهار وقد مضى في يوسف وروى ابو بردة عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل باعرابي فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حاجتك قال ناقة ارحلها واعنز احلبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجزت ان تكون مثل عجوز بني اسرائيل فقال اصحابه وما عجوز بني اسرائيل فذكر لهم هذه العجوز التي احتكمت على موسى ان تكون معه في الجنة قوله تعالى واتل عليهم نبا ابراهيم نبه المشركين على فرط جهلهم اذ رغبوا عن اعتقاد ابراهيم ودينه وهو ابوهم والنبا الخبر اي اقصص عليهم يا محمد يا ابن ابراهيم خبره وحديثه وعيبه على قومه ما تعبدون وانما قال ذلك ملزما لهم الحجة والجمهور من القراء على تخفيف الهمزة الثانية وهو احسن الوجوه لانهم قد اجمعوا على تخفيف الثانية من كلمة واحدة نحو ادم وان شئت حققتها فقلت يا ابراهيم وان شئت حققت الاولى وثم وجه خامس الا انه بعيد في العربية وهو ان تدغم الهمزة كما يقال رآس للذي يبيع الروس وانما بعد لانك تجمع بين همزتين كانهما من كلمة واحدة وحسن فيما قال لانه لا ياتي الا مدغما اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون اي اي شي تعبدون قالوا نعبد اصناما وكانت اصنامهم من ذهب وفضة ونحاس وحديد وخشب فنظل لها عاكفين اي فنقيم على عبادتها وليس المراد وقتا معينا بل هو اخبار عما هم فيه وقيل كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل وكانوا في الليل يعبدون الكواكب يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله

ليلا

ليلا قال هل يسمعونكم قال الاخفش فيه حذف والمعنى هل يسمعون منكم او هل يسمعون دعاكم كما قال القايل • القيل منكوبا دوابرها • قد احكمت حكمات القد والا تقا •
قال والابق الكتان فحذف والمعنى واحكمت حكمات الابق وفي الصحاح والابق بالتحريك القنب وروي عن قتادة انه قرا هل يسمعونكم بضم اليا اي يسمعونكم اصواتهم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون اي هل تنفعكم هذه الاصنام وترزقكم او تملك لكم خيرا ان عصيتم وهذا استفهام لتقرير الحجة فاذا لم ينفعوا ولم يضروا فما معنى عبادتكم لها قالوا وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فزعوا الى التقليد من غير حجة ولا دليل وقد مضى القول فيه قال ابراهيم افرايتم ما كنتم تعبدون من هذه الاصنام انتم واباوكم الاقدمون الاولون فانهم عدو لي واحد يودي عن جماعة وكذلك يقال للمراة هي عدو الله وعدوة الله حكاهما الفرا وقال علي ابن سليمان من قال عدوة الله فاثبت الها قال هي بمعنى معادية ومن قال عدو للمونث والجمع جعله بمعنى النسب ووصف الجماعة بالعداوة بمعنى انهم عدو لي ان عبدتهم يوم القيامة كما قال كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا وقال الفرا هذا من المقلوب مجازه فاني عدو لهم لانه من عاديته عاداك ثم قال الا رب العالمين قال الكلبي الا من عبد رب العالمين اي الا عابد رب العالمين فحذف المضاف قال ابو اسحاق الزجاج قال النحويون هذا استثنا من الاول على انهم كانوا يعبدون الله عز وجل ويعبدون معه الاصنام فاعلمهم انه تبرا مما يعبدون الا الله وتاوله الفرا على الاصنام وحدها والمعنى عنده فانهم لو عبدتهم عدو لي يوم القيامة على ما ذكرنا وقال الجرجاني تقديره افرايتم ما كنتم تعبدون انتم واباوكم الاقدمون الا رب العالمين فانهم عدو لي والا بمعنى دون وسوى كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي دون الموتة الاولى قوله تعالى الذي خلقني فهو يهدين اي يرشدني الى الدين والذي هو يطعمني ويسقين اي يرزقني ودخول هو تنبيه على ان غيره لا يطعم ولا يسقي كما تقول زيد هو الذي فعل كذا اي لم يفعله غيره واذا مرضت فهو يشفين قال مرضت رعاية للادب والا فالمرض والشفا من الله عز وجل جميعا ونظيره قول فتى موسى وما انسانيه الا الشيطان والذي يميتني ثم يحيين يريد البعث وكانوا ينسبون الموت الى الاسباب فبين ان الله هو الذي يحيي ويميت وكله بغير يا يهدين يسقين لان الحذف في روس الاي حسن لتتفق كلها وقد قرا ابن ابي اسحاق على جلالته ومحله من العربية هذه كلها باليا لانها اسم وانما دخلت النون لعلة فان قيل فهذه صفة لجميع الخلق فكيف جعلها ابراهيم دليلا على هدايته ولم يهتد بها غيره قيل انما ذكرها احتجاجا على وجوب الطاعة لان من انعم وجب ان يطاع ولا يعصى ليلتزم غيره من الطاعة ما قد التزمها وهذا الزام صحيح قلت وقد تجوز بعض اهل الاشارات في غوامض المعاني فعدل عن ظاهر ما ذكرناه الى ما يدفعه بداية العقول من انه ليس المراد من ابراهيم فقال والذي يطعمني ويسقين اي يطعمني لذة الايمان ويسقين حلاوة القبول ولهم في قوله واذا مرضت فهو يشفين وجهان احدهما اذا مرضت بمخالفته شفاني برحمته الثاني اذا مرضت بمقاساة الخلق شفاني بمشاهدة الحق وقال جعفر ابن محمد الصادق اذا مرضت بالذنوب شفاني بالتوبة وتاولوا قوله والذي يميتني ثم يحيين على ثلاثة اوجه فالذي يميتني بالمعاصي يحييني بالطاعات الثاني يميتني بالخوف يحييني بالرجا الثالث يميتني بالطمع ويحييني بالقناعة وقول رابع يميتني بالعدل ويحييني بالفضل وقول خامس يميتني بالفراق ويحييني بالتلاق وقول سادس يميتني بالجهل ويحييني بالعقل الى غير ذلك مما ليس بشي منه مراد الاية فان هذه التاويلات الغامضة والامور الباطنة انما تكون لمن حذق وعرف الحق واما من كان في عمى عن الحق ولا يعرف الحق فكيف ترمز له الامور الباطنة وتترك الامور الظاهرة هذا محال والله اعلم قوله تعالى واجعل لي لسان صدق في الاخرين قال ابن عباس هو اجتماع الامم عليه وقال مجاهد الثنا الحسن وقال ابن عطية هو الثنا وعلو المكانة باجتماع من المفسرين ولذلك اجاب الله دعوته وكل امة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جا بها محمد صلى الله عليه وسلم قال مكي وقيل معناه سواله ان يكون من ذريته في اخر الزمان من يقوم بالحق فاجيبت

الدعوة في محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عطية وهذا معنى حسن الا ان لفظ الاية لا يعطيه الا بتحكم على اللفظ وقال القشيري اراد بالدعا الحسن الى قيام الساعة بان زيادة الثواب مطلوبة في حق كل احد قلت وقد فعل ذلك اذ ليس احد يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم الا وهو يصلي على ابراهيم وخاصة في الصلوات وعلى المنابر التي هي افضل الحالات وارفع المقامات والصلاة دعا بالرحمة والمراد باللسان القول واصله جارحة الكلام قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة وقد تكني العرب بها عن الكلمة قال الاعشى

وان اتتني لسان لا اسر بها ... من علو لا عجب منها ولا سخر

قال الجوهري يروى من علو بضم الواو وفتحها وكسرها اي اتاني خبر من اعلى والتانيث للكلمة وكان قد اتاه خبر مقتل اخيه المنتشر وروى اشهب عن مالك قال قال الله عز وجل واجعل لي لسان صدق في الاخرين لا باس ان يحب ان يثنى عليه صالحا ويرى في عمل الصالحين اذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى والقيت عليك محبة مني وقال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا اي حبا في قلوب عباده وثنا حسنا فنبه تعالى بقوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين على استحباب اكتساب ما يورث الثنا الحسن والذكر الجميل قال الليث بن سليمان اذ هي الحياة الثانية كما قال قد مات قوم وهم في الناس احيا قال ابن العربي وقال المحققون من شيوخ الزهد هذا دليل على الترغيب في العمل الصالح الذي يكسب الثنا الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاثة وفي رواية انه كذلك في الغرس والزرع وكذلك فيمن مات مرابطا يكتب له عمله الى يوم القيامة وقد بيناه في ال عمران والحمد لله قوله تعالى واجعلني من ورثة جنة النعيم دعا بالجنة وبمن يرثها وهو يرد قول بعضهم لا اسال جنة ولا نارا قوله تعالى واغفر لابي انه كان من الضالين كان ابوه وعده في الظاهر ان يؤمن به فاستغفر له لهذا فلما بان انه لا يفي بما قال تبرا منه وقد تقدم هذا المعنى انه كان من الضالين اي من المشركين وكان زائدة فلا تخزني يوم يبعثون اي لا تفضحني على رؤوس الاشهاد او لا تعذبني يوم القيامة وفي البخاري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يلقى ابراهيم اباه فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني يوم يبعثون فيقول الله تعالى اني حرمت الجنة على الكافرين انفرد به البخاري رحمه الله قوله تعالى يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم بدل من يوم الاول اي يوم لا ينفع مال ولا بنون احدا فالمراد بقوله ولا بنون الاعوان لان الابن اذا لم ينفع فغيره متى ينفع وقيل ذكر البنين لانه جرى ذكر والد ابراهيم اي لم ينفعه ابراهيم الا من اتى الله بقلب سليم هو استثنا من الكافر الذي لا ينفعه ماله ولا بنوه وقيل هو استثنا من غير الجنس اي لكن من اتى الله بقلب سليم فانه ينفعه لسلامة قلبه وخص القلب بالذكر لانه الذي اذا سلم سلمت الجوارح واذا فسد فسدت سائر الجوارح وقد تقدم في اول البقرة واختلف في القلب السليم فقيل من الشك والشرك فاما الذنوب فليس يسلم منها احد قاله قتادة وابن زيد واكثر المفسرين وقال سعيد بن المسيب القلب السليم الصحيح وهو قلب المؤمن لان قلب الكافر والمنافق مريض قال الله تعالى في قلوبهم مرض وقال ابو عثمان السياري هو القلب الخالي عن البدعة المطمئن الى السنة وقال الحسن سليم من افة المال والبنين وقال الحسن السليم في اللغة اللديغ فمعناه انه قلب كاللديغ من خوف الله وقال الضحاك السليم الخالص قلت وهذا القول يجمع شتات الاقوال المتقدمة وهو حسن اي الخالص من الاوصاف الذميمة والمتصف بالاوصاف الجميلة والله اعلم وقد روي عن عروة انه قال يا بني لا تكونوا لعانين فان ابراهيم لم يلعن شيا قط قال الله تعالى اذ جاء ربه بقلب سليم وقال محمد بن سيرين القلب السليم ان يعلم ان الله حق وان الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة اقوام افئدتهم مثل افئدة الطير يريد والله اعلم انها مثلها في انها خالية من كل ذنب سليمة من كل عيب لا خبرة لهم بامور الدنيا كما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله البله هنا هو الذي طبع على الخير وهو غافل عن الشر لا يعرفه وقال القتيبي البله هم الذين غلبت عليهم سلامة الصدر وحسن الظن بالناس قوله تعالى وازلفت الجنة للمتقين اي قربت وادنيت لهم ليدخلوها وقال الزجاج قرب دخولهم اياها ونظرهم اليها وبرزت الجحيم اي اظهرت الجحيم يعني جهنم للغاوين يعني الكافرين الذين ضلوا عن الهدى اي تظهر جهنم لاهلها قبل ان يدخلوها حتى يستشعروا الروع والحزن كما يستشعر اهل الجنة الفرح لعلمهم انهم يدخلون الجنة وقيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله من الاصنام والانداد هل ينصرونكم او ينتصرون لانفسهم وهذا كله توبيخ فكبكبوا فيها اي قلبوا على رؤوسهم وقيل دهوروا والقي بعضهم على بعض وقيل جمعوا ماخوذ من الكبكبة وهي الجماعة قاله الهروي وقال النحاس هو مشتق من كوكب الشي اي معظمه والجماعة من الخيل كوكب وكبكبة وقال ابن عباس جمعوا فطرحوا في النار وقال مجاهد دهدهوا وقال مقاتل قذفوا والمعنى واحد تقول دهورت الشي اذا جمعته ثم قذفته في مهواة يقال هوى بيده فتور اللقمة اذا كبرها ويقال في الدعا كب الله عدو المسلمين ولا يقال اكبه وكبكبه اي كبه وقلبه ومنه قوله تعالى فكبكبوا فيها والاصل كببوا فابدل من الباء الوسطى كافا استثقالا لاجتماع الباءات قاله السدي والضمير في كبكبوا لمشركي قريش والغاوون الالهة وجنود ابليس من كان من ذريته وقيل كل من دعا الى عبادة الاصنام فاتبعه وقال قتادة والكلبي ومقاتل الغاوون هم الشياطين وقيل انما تلقى الاصنام في النار وهي حديد ونحاس ليعذب بها غيرهم قالوا وهم فيها يختصمون يعني الانس والشياطين والغاوين والمعبودين اختصموا حينئذ تالله ان كنا لفي ضلال مبين اي في خسران وتبار وحيرة عن الحق اذ اتخذنا مع الله الهة فعبدناها كما يعبد [illegible] قوله اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وانتم لا تستطيعون الان نصرنا ولا نصر انفسكم وما اضلنا الا المجرمون يعني الشياطين الذين زينوا لنا عبادة الاصنام وقيل اسلافنا الذين قلدناهم قال ابو العالية وعكرمة المجرمون ابليس وابن ادم القاتل هو اول من سن الكفر والقتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين اي شفعاء يشفعون لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين ولا صديق حميم اي صديق مشفق وكان علي رضي الله عنه يقول عليكم بالاخوان فانهم عدة الدنيا وعدة الاخرة الا تسمع الى قول اهل النار فما لنا من شافعين ولا صديق حميم الزمخشري جمع الشافع لكثرة الشافعين ووحد الصديق لقلته الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق فهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما يهمك فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكما انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق الجمع والحميم القريب الخاص ومنه حامة الرجل اي اقرباؤه واصل هذا من الحميم وهو الماء الحار ومنه الحمام والحمى لحامة الرجل الذي يحرقهم ما احرقه كما يقال هم خزانته اي يحزنهم ما يحزنه ويقال حم الشي واحم اذا قرب ومنه الحمى لانها تقرب من الاجل وقال علي بن عيسى انما سمي القريب حميما لانه يحمى لغضب صاحبه فجعله ماخوذا من الحمية وقال قتادة يذهب الله عز وجل يوم القيامة مودة الصديق ورقة الحميم ويجوز ولا صديق حميم بالرفع على موضع شافعين لان من شافعين في موضع رفع وجمع صديق اصدقا وصدقا وصداق ولا يقال صدق للفرق بين النعت وغيره وحكى الكوفيون انه يقال في جمعه صدقان قال النحاس وهذا بعيد لان هذا جمع ما ليس بنعت نحو رغيف ورغفان وحكوا ايضا صديق واصادق وافاعل انما هو جمع افعل اذا لم يكن نعتا نحو اشجع واشاجع ويقال صديق للواحد والجماعة والمراة قال الشاعر

نصبن الهوى ثم ارتمين قلوبنا ... باعين اعدا وهن صديق

ويقال فلان صديقي اي اخص اصدقائي وانما يصغر على جهة المدح كقول حباب بن المنذر انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ذكره الجوهري قال النحاس وجمع حميم احما واحمة وكرهوا افعلا فيه للتضعيف فلو ان لنا كرة ان في موضع رفع المعنى فلو وقع لنا رجوع الى الدنيا لامنا حتى يكون لنا شفعا كما تواخينا لا ينفعهم التذكر والتمني وانما قالوا ذلك حين تشفع الملائكة

والمومنون قال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليقول في الجنة
ما فعل فلان وصديقه في الجحيم فلا يزال يشفع له حتى يشفعه الله فيه فاذا نجا قال المشركون
فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال الحسن ما اجتمع ملا على ذكر الله فيهم عبد من اهل
الجنة الا شفعه الله فيهم وان اهل الايمان ليشفع بعضهم في بعض وهم عند الله شافعون
مشفعون وقال كعب ان الرجلين كانا صديقين في الدنيا فيمر احدهما بصاحبه وهو يجر
الى النار فيقول له اخوه الا ما بقي لي الا حسنة واحدة انجو بها خذها انت يا اخي فتنجو بها
مما ارى وابقى انا واياك من اصحاب الاعراف قال فيامر الله بهما جميعا فيدخلان الجنة ان في
ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم تقدم مثله قوله تعالى
كذبت قوم نوح المرسلين قال كذبت والقوم مذكر لان المعنى كذبت جماعة قوم نوح وقال
المرسلين لان من كذب رسولا فقد كذب الرسل لان كل رسول يامر بتصديق جميع الرسل وقيل
كذبوا نوحا في النبوة وفيما اخبرهم به من مجيء الرسل بعده وقيل ذكر الجنس والمراد نوح وقد
مضى هذا في الفرقان اذ قال لهم اخوهم نوح اي ابن ابيهم وهي اخوة نسب لا اخوة دين وقيل
هي اخوة المجانسة قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه وقد مضى هذا في
الاعراف وقيل هو من قول العرب يا اخا بني تميم يريدون يا واحدا منهم قال الزمخشري ومنه
بيت الحماسة • ولا يسالون اخاهم حين يندبهم • في النائبات على ما قال برهانا •
الا تتقون اي الا تتقون الله في عبادة الاصنام اني لكم رسول امين اي صادق فيما ابلغكم عن
الله تعالى وقيل امين فيما بينكم فانهم كانوا عرفوا امانته وصدقه من قبل كمحمد صلى الله عليه
وسلم في قريش فاتقوا الله اي استتروا بطاعة الله من عقابه واطيعون فيما امركم به من
الايمان وما اسالكم عليه من اجر اي لا طمع لي في مالكم ان اجري اي ما جزائي الا على رب العالمين
فاتقوا الله واطيعون كرر تاكيدا قوله تعالى قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون فيه
مسالتان الاولى قوله تعالى انؤمن لك اي نصدق لك في قولك واتبعك الارذلون الواو
واو الحال وفيه اضمار قد اي وقد اتبعك الارذلون جمع الارذل والمكسر اراذل والانثى
الرذلى والجمع الرذل قال النحاس ولا يجوز حذف الالف واللام في شيء من هذا عند احد
من النحويين علمناه وقرا ابن مسعود والضحاك ويعقوب الحضرمي وغيرهم واتباعك
الارذلون قال النحاس وهي قراة حسنة وهذه الواو اكثرها تتبعها الاسما والافعال
بقد واتباع جمع تبع وتبع يكون للواحد والجمع قال الشاعر
• له تبع قد يعلم الناس انه • على من يداني صيف وربيع •
وارتفاع اتباعك يجوز ان يكون بالابتدا والارذلون الخبر التقدير انومن لك وانما اتباعك
الارذلون ويجوز ان يكون معطوفا على المضمر في انومن لك التقدير انومن لك نحن واتباعك
الارذلون فنعد منهم وحسن ذلك الفصل بقوله لك وقد مضى القول في الاراذل في هود
مستوفى وتزيده هاهنا بيانا وهي المسالة الثانية فقيل ان الذين امنوا به بنوه ونساؤه
وكنائنه وبنو ابنيه واختلف هل كان معهم غيرهم ام لا وعلى اي الوجهين كان فالكل صالحون
وقد قال نوح رب نجني ومن معي من المومنين والذين معه هم الذين اتبعوه ولا يلحقهم
من قول الكفرة شين ولا ذم بل الارذلون هم المكذبون لهم قال السهيلي وقد اغوى كثير من
العوام بمقالة رويت في تفسير هذه الاية هم الحاكة والحجامون ولو كانوا حاكة كما زعموا لكان
ايمانهم بنبي الله واتباعهم له مشرفا كما شرف بلال وسلمان بسبقهما للاسلام فهما من وجوه
اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن اكابرهم فلا ذرية نوح كانوا حاكة ولا حجامين ولا قول
الكفرة في الحاكة والحجامين ان كانوا امنوا بهم ارذلون ما يلحق اليوم بحاكتنا ذما ولا نقصا
لان هذه حكاية عن قول الكفرة الا ان يجعل الكفر حجة ومقالتهم اصلا فهذا جهل عظيم
وقد اعلم الله تعالى ان الصناعات ليست بضائرة في الدين قوله تعالى قال وما
علمي بما كانوا يعملون كان زائدة والمعنى وما علمي بما يعملون اي لم اكلف العلم باعمالهم انما كلفت
ان ادعوهم الى الايمان والاعتبار بالايمان لا بالحرف والصنائع وكانهم قالوا انما اتبعك هولاء
الضعفا طمعا في العزة والمال فقال اني لم اقف على باطن امرهم وانما الي ظاهرهم وقيل المعنى

اني لم اعلم ان الله يهديهم ويضلكم ويرشدهم ويغويكم ويوفقهم ويخذلكم ان حسابهم اي في
اعمالهم وايمانهم الا على ربي لو تشعرون وجواب لو محذوف اي لو شعرتم ان حسابهم على ربهم لما
عبتموهم بصنائعهم وقراة العامة تشعرون بالتاء على المخاطبة للكفار وهو الظاهر وقرا
ابن ابي عبلة ومحمد بن السميقع لو يشعرون بالياء كانه خبر عن الكفار وترك الخطاب نحو قوله
حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وروي ان رجلا سال سفيان عن امراة زنت وقتلت ولدها
وهي مسلمة هل يقطع لها بالنار فقال سفيان ان حسابهم الا على ربي لو تشعرون وقوله وما انا
بطارد المومنين اي لخساسة احوالهم واشغالهم وكانهم طلبوا منه طرد الضعفا كما طلبه
قريش ان انا الا نذير مبين يعني ان الله ما ارسلني اخص ذوي الغنا دون الفقرا انما انا
رسول ابلغكم ما ارسلت به فمن اطاعني فذلك السعيد عند الله وان كان فقيرا قوله تعالى
قالوا لئن لم تنته يا نوح عن سب الهتنا وعيب ديننا لتكونن من المرجومين اي بالحجارة قاله
قتادة وقال ابن عباس ومقاتل من المقتولين قال الثمالي كل مرجومين في القران
فهو القتل الا في مريم لئن لم تنته لارجمنك اي لاسبنك وقيل من المرجومين اي من المشتومين
قاله السدي ومنه قول ابي داود قال رب ان قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحا
ونجني ومن معي من المومنين قال ذلك لما يئس من ايمانهم والفتح الحكم وقد تقدم
فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون يريد السفينة وقد مضى ذكرها والمشحون المملو
والشحن ملو السفينة بالناس والدواب وغيرهم ولم يونث الفلك هاهنا لان الفلك
هاهنا واحد لا جمع ثم اغرقنا بعد الباقين اي بعد انجائنا نوحا ومن امن ان في ذلك
لاية وما كان اكثرهم مومنين وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت عاد
المرسلين التانيث بمعنى القبيلة والجماعة وتكذيبهم المرسلين كما تقدم اذ قال لهم اخوهم
هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر
ان اجري الا على رب العالمين بين المعنى وقد تقدم قوله تعالى اتبنون بكل ريع
اية تعبثون الريع ما ارتفع من الارض في قول ابن عباس وغيره جمع ريعة وكم ريع
ارضك اي كم ارتفاعها وقال قتادة الريع الطريق ومنه قول الضحاك والكلبي ومقاتل
والسدي وقال ابن عباس ايضا ومنه قول المسيب بن علس • في الال يخفضها ويرفعها
ريع يلوح كانه سحل • شبه الطريق بثوب ابيض النساج ومعروف في اللغة ان يقال
لما ارتفع من الارض ريع وللطريق ريع قال الشاعر
• طراق الخوافي مشرف فوق ريعة • ندى ليله في ريشه يترقرق •
وقال عمارة الريع الجبل الواحد ريعة والجمع رياع وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين
وعنه الثنية الصغيرة وعنه المنظرة وقاله عكرمة ومقاتل كانوا يهتدون بالنجوم
اذا سافروا فبنوا على الطريق اميالا طوالا عبثا ليهتدوا بها يدل عليه قوله اية اي
علامة وعن مجاهد الريع بنيان الحمام دليله تعبثون اي تلعبون اي تبنون بكل مكان
مرتفع اية علما تلعبون بها على معنى ابنية الحمام وبروجها وقيل تعبثون بمن يمر في
الطريق اي تبنون بكل موضع مرتفع لتشرفوا على السابلة فتسخروا منهم وقال الكلبي
انه عبث العشارين باموال من يمر بهم ذكره الماوردي وقال ابن الاعرابي الريع
الصومعة والريع البرج من الحمام يكون في الصحرا والريع التل العالي وفي الريع
لغتان كسر الراء وفتحها وجمعه ارياع ذكره قوله تعالى وتتخذون مصانع اي منازل
قاله الكلبي وقيل حصونا مشيدة قاله ابن عباس ومجاهد ومنه قول الشاعر
• تركن ديارهم منهم قفارا • وهدمن المصانع والبروجا •
وقيل قصورا مشيدة وقاله مجاهد ايضا وعنه بروج الحمام وقاله السدي قلت وفيه
بعد عن مجاهد لانه تقدم عنه في الريع انه بنيان الحمام فيكون تكرارا في الكلام وقال
قتادة ماخذ للماء تحت الارض وكذا قال الزجاج انها مصانع الماء واحدتها مصنعة
ومصنع ومنه قول لبيد • بلينا وما تبلى النجوم الطوالع • وتبقى الجبال بعدنا والمصانع •
الجوهري المصنعة كالحوض يجمع فيه ماء المطر وكذا المصنعة بضم النون والمصانع الحصون

وقال قتادة قال ابو عبيدة بناء لكل بنا مصنعة وحكاه المهدوي وقال عبد الرزاق
المصانع عندنا بلغة اليمن القصور العادية لعلكم تخلدون اي تخلدوا وقيل لعل استفهام
بمعنى التوبيخ اي فهل تخلدون كقولك لعلك تشتمني اي هل تشتمني وروي معناه عن ابن
زيد وقال الفرا كيما تخلدون لا تتفكرون في الموت وقال ابن عباس وقتادة اي كانكم خالدون
باقون فيها وفي بعض القراات كانكم مخلدون ذكره النحاس وحكى قتادة انها كانت في بعض
القراات كانكم خالدون قوله تعالى واذا بطشتم بطشتم جبارين البطش السطوة والاخذ
بالعنف وقد بطش به يبطش ويبطش بطشا وباطشه مباطشة وقال ابن عباس ومجاهد
البطش العسف قتلا بالسيف وضربا بالسوط ومعنى ذلك فعلتم ذلك ظلما وقال مجاهد ايضا
هو ضرب بالسياط ورواه مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر فيما ذكر ابن العربي وقيل هو القتل
بالسيف في غير حق حكاه يحيى بن سلام وقال الكلبي والحسن هو القتل على الغضب من
غير تثبت فكله يرجع الى قول ابن عباس وقيل انه المواخذة على العمد والخطا من غير عفو
ولا ابقا قال ابن العربي ويويده ما قال مالك قول الله تعالى ذكره عن موسى فلما ان اراد
ان يبطش بالذي هو عدو لهما قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان
تريد الا ان تكون جبارا في الارض وذلك ان موسى عليه السلام لم يسل عليه سيفا ولا طعنه
برمح وانما وكزه وكانت منيته في وكزته والبطش يكون باليد واقله الوكز والدفع ويليه
السوط والعصا ويليه الحديد والكل مذموم الا بحق والاية نزلت خبرا عمن تقدم من الامم
ووعظا من الله عز وجل لنا في مجانبة ذلك الفعل الذي ذمهم به وانكره عليهم قلت وهذه
الاوصاف المذمومة قد صارت في كثير من هذه الامة يبطشون بالناس بالسوط والعصا
في غير حق وقد اخبر صلى الله عليه وسلم ان ذلك يكون كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من اهل النار لم ارهما قوم معهم سياط كاذناب
البقر يضربون بها الناس ونسا كاسيات عاريات مائلات مميلات روسهن كاسنمة البخت
المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وخرج
ابو داود ومن حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا تبايعتم
بالعينة واخذتم اذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه
حتى ترجعوا الى دينكم جبارين قتالين والجبار القتال من غير حق وكذلك قوله تعالى
ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض قاله الهروي وقيل الجبار المتسلط العاتي ومنه
قوله تعالى وما انت عليهم بجبار اي بمسلط وقال الشاعر

سلبنا من الجبار بالسيف ملكه • عشيا واطراف الرماح شوارع •

قوله تعالى فاتقوا الله واطيعون تقدم واتقوا الذي امدكم بما تعلمون اي من الخيرات
ثم فسرها بقوله امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون اي سخر ذلك وتفضل بها عليكم
فهو الذي يجب ان يعبد ويشكر ولا يكفر اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم ان كفرتم به
واصررتم على ذلك قالوا سوا علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين كل ذلك عندنا سوا
لا نسمع منك ولا نلوي على ما تقوله وروى العباس عن ابي عمرو وبشر عن الكسائي اوعظت
مدغمة الظا في التا وهو بعيد لان الظا حرف اطباق انما يدغم فيما قرب منه جدا وكان
مثله ومخرجه ان هذا الا خلق الاولين اي دينهم عن ابن عباس وغيره وقال الفرا عادة
الاولين وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي خلق الاولين قال الهروي وقوله عز وجل ان
هذا الا خلق الاولين فمعناه عادتهم والعرب تقول حدثنا فلان باحاديث الخلق اي
بالخرافات والاحاديث المفتعلة وقال ابن الاعرابي الخلق الدين والطبع والخلق المروة
قال النحاس خلق الاولين عند الفرا يعني عادة الاولين وحكى لنا محمد بن الوليد عن
محمد بن يزيد قال خلق الاولين مذهبهم وما جرى عليهم امرهم قال ابو جعفر والقولان
متقاربان ومنه الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا اي
احسنهم مذهبا وعادة وما يجري عليه الامر في طاعة الله عز وجل ولا يجوز ان يكون من كان
حسن الخلق فاضلا ولا ان يكون اكمل ايمانا من السيي الخلق الذي ليس بفاجر قال ابو جعفر

حكى

حكى لنا عن محمد بن يزيد ان معنى خلق الاولين تكذيبهم وتخرصهم غير انه كان يميل الى القراة الاولى
لان فيها مدح ابايهم واكثر ما جا في القران في صفة مدحهم لابايهم وقولهم انا وجدنا اباءنا على امة
وعن ابي قلابة انه قرا خلق بضم الخا واسكان اللام تخفيف خلق ورواها ابن جبير عن اصحاب
نافع عن نافع وقد قيل ان معنى خلق الاولين دين الاولين ومنه قوله فليغيرن خلق الله اي
دين الله وخلق الاولين عادة الاولين حياة ثم موت ولا بعث وقيل ما هذا الذي انكرت علينا من
البنيان والبطش الا عادة من قبلنا فنحن نقتدي بهم وما نحن بمعذبين على ما نفعل وقيل
المعنى خلق اجسام الاولين اي ما خلقنا الا كخلق الاولين الذين خلقوا قبلنا وماتوا ولم ينزل
بهم شي مما تحذرونا به من العذاب فكذبوه فاهلكناهم اي بريح صرصر عاتية على ما ياتي في الحاقة
ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين قال بعضهم اسلم معه ثلاث مائة الف وستون وهلك
باقيهم وان ربك لهو العزيز الرحيم قوله تعالى كذبت ثمود المرسلين ذكر قصة صالح وقومه وهم
ثمود وكانوا يسكنون الحجر كما تقدم في الحجر وهي ذوات نخل وزروع ومياه اتتركون فيما ها هنا يعني
في الدنيا امنين من الموت والعذاب قال ابن عباس كانوا معمرين لا يبقى البنيان مع اعمارهم
ودل على هذا قوله واستعمركم فيها فقرعهم صالح ووبخهم وقال اتظنون انكم باقون في الدنيا بلا
موت في جنات وعيون وزروع ونخل طلعها هضيم قال الزمخشري فان قلت لم قال ونخل
بعد قوله وجنات والجنات تتناول النخل اول شي كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج
حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال
زهير

كان عيني في غربي مقتلة • من النواضح تسقي جنة سحقا •

يعني النخل والنخلة السحوق البعيدة الطول قلت فيه وجهان احدهما ان يخص النخل
بافراده بعد دخوله في جملة ساير الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها والثاني ان يريد
بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل والطلعة هي التي
تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه وشماريخه وهضيم قال ابن عباس لطيف ما دام في كفراه والهضيم اللطيف الدقيق
ومنه قول امرى القيس • هضيم الكشح ريا المخلخل • الجوهري ويقال للطلع هضيم ما لم
يخرج من كفراه لدخول بعضه في بعض والهضيم من النسا اللطيفة الكشحين ونحوه حكى
المهدوي قال هو المنضم في وعائه قبل ان يظهر ومنه رجل اهضم الجنبين اي منضمهما هذا قول
اهل اللغة وحكى الماوردي وغيره في ذلك اثني عشر قولا احدها انه الرطب اللين قاله عكرمة
الثاني هو المذنب من الرطب قاله سعيد بن جبير قال النحاس وروى ابو اسحاق عن يزيد وهو
ابن ابي زياد كوفي ويزيد بن ابي مريم شامي ونخل طلعها هضيم قال منه ما قد ارطب ومنه مذنب
الثالث الذي ليس فيه نوى قاله الحسن الرابع انه المتهشم المتفتت اذا مس تفتت قاله مجاهد
وقال ابو العالية يتهشم في الفم الخامس هو الذي قد ضم بركوب بعضه بعضا قاله الضحاك
ومقاتل السادس انه الملاصق بعضه ببعض قاله ابو صخر السابع انه الطلع حين يتفرق ويخضر
وقاله الضحاك ايضا الثامن انه اليانع النضيج قاله ابن عباس التاسع انه المكتنز قبل ان ينشق
عنه القشر حكاه ابن شجرة قال كان حمول تحل عليه هضيم العاشر انه الرخو قاله
الحسن الحادي عشر انه الرخص اللطيف اول ما يخرج وهو الطلع النضيد قاله الهروي الثاني عشر
انه المري قاله ابن الاعرابي فهو فعيل بمعنى فاعل اي هني مري من انهضام الطعام والطلع اسم مشتق
من الطلوع وهو الظهور ومنه طلوع الشمس والقمر والنبات قوله تعالى وتنحتون من
الجبال بيوتا فرهين النحت النجر والبري نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية
والمنحت ما ينحت به وفي الصافات قال اتعبدون ما تنحتون وكانوا ينحتونها من الجبال لما طالت
اعمارهم وتهدم بناوهم من المدر وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهين بغير الف الباقون فارهين بالف
وهما بمعنى واحد في قول ابي عبيدة وغيره مثل عظاما نخرة وناخرة وحكاه قطرب وحكى فره
يفره فهو فاره وفره يفره فهو فره وفاره اذا كان نشيطا وهو نصب على الحال وفرق بينهما قوم
فقالوا فارهين حاذقين بنحتها قاله ابو عبيدة وروي عن ابن عباس وابي صالح وغيرهما
وقال عبد الله بن شداد فارهين متجبرين وروي عن ابن عباس ايضا ان معنى فرهين

بنبر الفارهين بطرين وقال مجاهد وروي عنه شرهين الضحاك كيسين قتادة معجبين
وعنه ناعمين وعنه ايضا امنين وهو قول الحسن وقيل متجبرين قاله الكلبي والسدي ومنه
قول الشاعر • الي فره يماجد كل امر • قصدت له لاختبر الطباعا •
وقيل معجبين قاله خصيف وقال ابن زيد اقويا وقيل فرهين فرحين قال الاخفش والعرب
تعاقب بين الها والحا تقول فرهته وفرحته فالفره الاشر الفرح يعني المرح مذموم قال
الله تعالى ولا تمش في الارض مرحا وقال ان الله لا يحب الفرحين فاتقوا الله واطيعون ولا
تطيعوا امر المسرفين قيل المراد الذين عقروا الناقة وقيل التسعة رهط الذين يفسدون
في الارض ولا يصلحون قال السدي وغيره اوحى الله تعالى الي صالح ان قومك سيعقرون
ناقتك فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل فقال لهم صالح انه سيولد في شهركم هذا غلام
يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا يولد في هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة
منهم في هذا الشهر فذبحوا ابناهم ثم ولد للعاشر فابي ان يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك
فكان ابن العاشر ازرق احمر فنبت نباتا سريعا فكان اذا مر بالتسعة فراوه قالوا لو كان
ابناونا احيا لكانوا مثل هذا وغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل ابنايهم فتعصبوا
وتقاسموا بالله لنبيتنه واهله قالوا نخرج الي سفر فيري الناس سفرنا فنكون في غار حتى
اذا كان الليل وخرج صالح الي مسجده اتيناه فقتلناه ثم قلنا ما شهدنا مهلك اهله وانا
لصادقون فيصدقوننا ويعلمون انا قد خرجنا الي سفر وكان صالح لا ينام معهم في مسجده
فاذا اصبح اتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار ارادوا ان يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم فراي
ذلك ناس ممن كان قد اطلع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله اما رضي صالح ان امر
فقتلوا اولادهم حتى قتلهم فاجمع اهل القرية على عقر الناقة وقال ابن عباس انما اجتمع
التسعة على سب صالح بعد عقرهم الناقة وانذارهم العذاب على ما ياتي بيانه في سورة النمل
ان شا الله قالوا انما انت من المسحرين هو من السحر في قول مجاهد وقتادة على ما قال
المهدوي اي اصبت بالسحر فبطل عقلك لانك بشر مثلنا فلم تدعي الرسالة دوننا وقيل من
المعللين بالطعام والشراب قاله ابن عباس والكلبي ومجاهد فيما ذكر الثعلبي وهو على هذا
القول من السحر وهو الريه اي بشر لك سحر اي ريه تاكل وتشرب كمثلنا قال امرو القيس •
• فان تسالينا فيم نحن فاننا • عصافير من هذا الانام المسحر •
وقال ايضا ونسحر بالطعام وبالشراب فات باية ان كنت من الصادقين في قولك قال هذه
ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال ابن عباس قالوا ان كنت صادقا فادع الله يخرج لنا
من هذا الجبل ناقة عشرا فتضع ونحن ننظر وترد هذا الما فتشرب وتغدو علينا بمثله لبنا فدعا
وفعل الله ذلك فقال هذه ناقة لها شرب اي حظ اي لكم شرب يوم ولها شرب يوم فكانت اذا
كان يوم شربها شربت ماهم كله اول النهار وتسقيهم اللبن اخر النهار واذا كان يوم شربهم كان
لانفسهم ومواشيهم وارضهم ليس لهم في يوم ورودها ان يشربوا من شربها شيا ولا لها ان تشرب
من يومهم من ماهم شيا قال الفرا الشرب الحظ من الما قال النحاس فاما المصدر فيقال فيه
شرب شربا وشربا وشربا واكثرها المضمومة لان المكسورة والمفتوحة يشتركان مع شي اخر
فيكون الشرب الحظ من الما ويكون الشرب جمع شارب كما قال • فقلت للشرب في درني وقد ثملوا •
الا ان ابا عمرو بن العلا والكسائي يختاران الشرب بالفتح في المصدر ويحتجان برواية بعض
العلما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انها ايام اكل وشرب ولا تمسوها بسوء لا يجوز اظهار
التضعيف ها هنا لانهما حرفان متحركان من جنس واحد فياخذكم جواب النهي ولا يجوز حذف
الفا منه والجزم كما جا في الامر الا شيا روي عن الكسائي انه يجيزه فعقروها فاصبحوا نادمين
اي على عقرها لما ايقنوا بالعذاب وذلك انه انظرهم ثلاثا فظهرت عليهم العلامة في كل يوم
وندموا فلم ينفع الندم عند معاينة العذاب وقيل لم ينفعهم الندم لانهم لم يتوبوا بل طلبوا
صالحا عليه السلام ليقتلوه لما ايقنوا بالعذاب وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد اذ لم
يقتلوه معها وهو بعيد ان في ذلك لاية الي اخره تقدم ويقال انه ما امن به من تلك الامم
الا الفان وثمانمائة رجل وامراة وقيل كانوا اربعة الاف وقال كعب كان قوم صالح اثني

عشر الف قبيل كل قبيل نحو اثني عشر الفا سوى النسا والذرية ولقد كان قوم عاد مثلهم ست
مرات قوله تعالى كذبت قوم لوط المرسلين مضى معناه وقصته في الاعراف وهود مستوفى والحمد
لله قوله تعالى اتاتون الذكران من العالمين كانوا ينكحونهم في ادبارهم وكانوا يفعلون ذلك
بالغربا على ما تقدم في الاعراف وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم يعني فروج النسا فان
الله خلقها للنكاح قال ابراهيم بن المهاجر قال لي مجاهد كيف يقرا عبد الله وتذرون ما خلق لكم
ربكم من ازواجكم قلت وتذرون ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم قال الفرج كما قال فاتوهن من حيث
امركم الله بل انتم قوم عادون اي متجاوزون لحدود الله قالوا لين لم تنته يا لوط عن مقولك هذا
لتكونن من المخرجين اي من بلدنا وقريتنا قال اني لعملكم من القالين يعني اللواط من
القالين اي المبغضين والقلا البغض قليته اقليه قلا وقلا قال فلست بمقلي الخلال ولا قالي
رب نجني واهلي مما يعملون اي من عذاب عملهم دعا الله لما يئس من ايمانهم ان لا يصيبه من عذابهم قال
تعالى فنجيناه واهله اجمعين ولم يكن الا ابنته على ما تقدم في هود الا عجوزا في الغابرين روى
سعيد عن قتادة قال غبرت في عذاب الله اي بقيت وابو عبيدة يذهب الي المعنى من الباقين
في الهرم اي بقيت حتى ذهبت قال النحاس يقال للذاهب غابر وللباقي غابر كما قال •
• لا تكسع الشول باغبارها • انك لا تدري من الناتج •
وكما قال • فما وني محمد مذ ان غفر • له الاله ما مضى وما غبر •
اي ما بقي والاغبار بقيات الالبان ثم دمرنا الاخرين اي اهلكناهم بالخسف والحصب قال
مقاتل خسف الله بقوم لوط وارسل الحجارة على من كان خارجا من القرية وامطرنا عليهم مطرا
يعني الحجارة فسا مطر المنذرين وقيل ان جبريل خسف بقريتهم وجعل عاليها سافلها ثم اتبعها
الله بالحجارة ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مومنين لم يكن فيها مومن الا بيت لوط وابنتاه قوله
تعالى كذب اصحاب الايكة المرسلين الايك الشجر الكثير الملتف الواحدة ايكة ومن قرا اصحاب
الايكة فهي الغيضة ومن قرا ليكة فهو اسم القرية التي كانوا فيها وان الايكة اسم البلد فشي لا
يثبت ولا يعرف قايله فيثبت علمه ولو عرف من قاله لكان فيه نظر لان اهل العلم جميعا من اهل
التفسير والعلم بكلام العرب على خلافه وروى عبد الله بن وهب عن جرير بن حازم عن قتادة
قال ارسل شعيب عليه السلام الي امتين من قومه من اهل مدين والي اصحاب الايكة قال
والايكة غيضة من شجر ملتف وروى سعيد عن قتادة قال كان اصحاب الايكة اهل غيضة
وشجر وكانت عامة شجرهم الدوم وهو شجر المقل وروى ابن جبير عن الضحاك قال خرج اصحاب
الايكة يعني حين اصابهم الحر فانضموا الي الغيضة والشجر فارسل الله عليهم سحابة فاستظلوا
تحتها فلما تكاملوا تحتها احرقوا ولو لم يكن في هذا الا ما روي عن ابن عباس قال الايكة الشجر
ولا نعلم بين اهل اللغة اختلافا ان الايكة الشجر الملتف فاما احتجاج بعض من احتج بقراة
من قرا في هذين الموضعين بالفتح انه في السواد ليكة فلا حجة فيه والقول فيه ان اصله
الايكة ثم خففت الهمزة فالقيت حركتها على اللام فسقطت واستغنت عن الف الوصل لان
اللام قد تحركت فلا يجوز على هذا الا الخفض كما تقول بالاحمر تحقق الهمزة ثم تخففها فتقول
بالاحمر فان شيت كتبته في الخط على ما كتبته اولا وان شيت كتبته بالحذف ولم يجز الا
الخفض فكذا لا يجوز في ليكة الا الخفض قال سيبويه واعلم ان ما لا ينصرف اذا دخلت
الالف واللام او اضيف انصرف ولم نعلم احدا خالف سيبويه في هذا وقال الخليل الايكة
غيضة تنبت السدر والاراك ونحوهما من ناعم الشجر اذ قال لهم شعيب ولم يقل اخوهم شعيب
لانه لم يكن اخا لاصحاب الايكة في النسب فلما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان منهم وقد
مضى في الاعراف القول في نسبه قال ابن زيد ارسل الله شعيبا الي قومه اهل مدين
والي اهل البادية وهم اصحاب الايكة وقاله قتادة وقد ذكرناه الا تتقون تخافون الله
اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون الاية وانما كان جواب هولا الرسل واحدا على
صيغة واحدة لانهم متفقون على الامر بالتقوى والطاعة والاخلاص في العبادة والامتناع
من اخذ الاجر على تبليغ الرسالة اوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين الناقصين للكيل
والوزن وزنوا بالقسطاس المستقيم اي اعطوا الحق وقد مضى في سبحان وغيرها ولا تبخسوا

الناس اشياهم ولا تعثوا في الارض مفسدين تقدم في هود وفي غيرها واتقوا الذي
خلقكم والجبلة الاولين قال مجاهد الجبلة هي الخليقة وجبل فلان على كذا اي خلق
فالخلق جبلة وجبلة وجبلة وجبلة ذكره النحاس في معاني القران والجبلة عطف على الكاف
والميم قال الهروي الجبلة والجبلة والجبل والجبل لغات وهو الجمع ذو العدد الكثير من
الناس ومنه قوله تعالى جبلا كثيرا اي خلقا كثيرا قال النحاس في كتاب اعراب القران له
ويقال الجبلة والجمع فيهما جبال وتحذف الضمة والكسرة من البا وكذلك التشديد من اللام
فيقال جبلة وجبل ويقال جبلة وجبل ويقال جبلة وجبال وتحذف الهاء من هذا كله وقرا
الحسن باختلاف عنه والجبلة الاولين بضم الجيم والبا وروي عن شيبة والاعرج البا فوق
بالكسر قال الشاعر • والموت اعظم حادث • فيما يمر على الجبلة •
قالوا انما انت من المسحرين الذين يأكلون الطعام والشراب على ما تقدم وان نظنك لمن الكاذبين
اي ما نظنك الا من الكاذبين في انك رسول الله تعالى فاسقط علينا كسفا من السما اي جانبا
من السما وقطعة منه فننظر اليه كما قال وان يروا كسفا من السما ساقطا يقولوا سحاب مركوم وقيل
ارادوا انزل علينا العذاب وهي مبالغة في التكذيب قال ابو عبيدة الكسف جمع كسفة وكسف
مثل سدرة وسدر وقرا السلمي وحفص كسفا جمع كسفة ايضا وهي القطعة من الشي يقال اعطني
كسفة من ثوبك والجمع كسف وكسف ويقال الكسف والكسفة واحد وقال الاخفش من قرا
كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد مضى في سبحان وقال الهروي
ومن قرا كسفا فجمعه اكساف وكسوف كانه قال او تسقطها علينا طبقا واحدا وهو من كسفت
الشي كسفا اذا غطيته ان كنت من الصادقين قال ربي اعلم بما تعملون تهديد اي انما علي
التبليغ فليس العذاب الذي تستعجلون الي وهو يجازيكم فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة
قال ابن عباس اصابهم حر شديد فارسل الله سحابة فهربوا اليها ليستظلوا بها فلما صاروا
تحتها صيح بهم فهلكوا وقيل اقامها الله فوق روسهم والهبها عليهم حرا حتى ماتوا من الرمد
وكان من اعظم يوم في الدنيا عذابا وقيل بعث الله عليهم سموما فخرجوا الى الايكة يستظلون
بها فاضرمها الله عليهم نارا فاحترقوا وعن ابن عباس ايضا وغيره ان الله تعالى فتح عليهم
بابا من ابواب جهنم وارسل عليهم هدة وحرا شديدا فاخذ بانفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم
ينفعهم ذلك ولا نفعهم ظل ولا ما فانضجهم الحر فخرجوا هربا الى البرية فبعث الله عز وجل
سحابة فاظلتهم فوجدوا لها بردا وروحا وريحا طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا
تحت السحابة الهبها الله تعالى عليهم نارا ورجفت بهم الارض فاحترقوا كما يحترق الجراد
المقلي فصاروا رمادا وذلك قوله تعالى فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها
وقوله فاخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم وقيل ان الله تعالى حبس
عنهم الريح سبعة ايام وسلط عليهم الحر حتى اخذ بانفاسهم ولم ينفعهم ظل ولا ما فكانوا
يدخلون الاسراب ليتبردوا فيها فيجدوها اشد حرا من الظاهر فهربوا الى البرية فاظلتهم
سحابة وهي الظلة فوجدوا لها بردا ونسيما فامطرت نارا فاحترقوا وقال يزيد الجريري
سلط الله عليهم الحر سبعة ايام ولياليهن ثم رفع لهم جبل من بعيد فاتاه رجل فاذا تحته
انهار وعيون وشجر وما بارد فاجتمعوا كلهم تحته فوقع عليهم الجبل وهو الظلة وقال
قتادة بعث الله شعيبا الى امتين اصحاب الايكة واصحاب مدين فاهلك اصحاب الايكة
بالظلة واما اصحاب مدين فصاح بهم جبريل صيحة فهلكوا اجمعين ان في ذلك لاية وما
كان اكثرهم مومنين قيل امن بشعيب من الفئتين تسع مائة انسان قوله تعالى وانه
لتنزيل رب العالمين عاد الى ما تقدم في اول السورة من اعراض المشركين عن القران نزل
به الروح الامين نزل مخففا قراة نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون نزل مشددا به
الروح الامين نصبا وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله وانه لتنزيل وهو مصدر
نزل والحجة لمن قرا بالتخفيف ان يقول ليس هذا بمقدر لان المعنى وان القران لتنزيل
رب العالمين نزل به جبريل اليك كما قال قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
اي يتلوه عليك فيعيه قلبك وقيل ليثبت قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي

مبين

مبين اي لئلا يقولوا لسنا نفهم ما تقول وانه لفي زبر الاولين اي وان ذكر نزوله لفي زبر
الاولين يعني الانبيا وقيل ان ذكر محمد عليه السلام في كتب الاولين كما قال يجدونه مكتوبا
عندهم في التوراة والانجيل والزبر الكتب الواحد زبور كرسول ورسل وقد تقدم قوله
تعالى اولم تكن لهم اية ان يعلمه علما بني اسرائيل قال مجاهد يعني عبد الله بن سلام وسلمان
وغيرهما ممن اسلم وقال ابن عباس بعث اهل مكة الى اليهود وهم بالمدينة يسالونهم عن محمد
عليه السلام فقالوا ان هذا لزمانه وانا لنجد في التوراة نعته وصفته فيرجع لفظ العلما
الى كل من كان له علم بكتبهم اسلم او لم يسلم على هذا القول وانما صارت شهادة اهل الكتاب حجة على
المشركين لانهم كانوا يرجعون في اشيا من امور الدين الى اهل الكتاب لانهم يظنون بهم علما
وقرا ابن عامر اولم تكن لهم اية بالتا ان يعلمه الباقون اولم يكن لهم اية بالنصب على الخبر واسم يكن ان يعلمه والتقدير
اولم يكن علم علما بني اسرائيل الذين اسلموا اية واضحة وعلى القراة الاولى اسم كان اية والخبر
ان يعلمه اي علم علما بني اسرائيل وقرا عاصم الجحدري ان تعلمه علما بني اسرائيل ولو نزلناه على بعض
الاعجمين اي على رجل ليس بعربي اللسان فقراه عليهم بغير لغة العرب لما امنوا وقالوا لا
نفقه نظيره ولو جعلناه قرانا اعجميا الاية وقيل معناه ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما
امنوا به انفة وكبرا يقال رجل اعجم واعجمي اذا كان غير فصيح وان كان عربيا ورجل عجمي
وان كان فصيحا ينسب الى اصله لان الفرا اجاز ان يقال رجل عجمي بمعنى اعجمي وقرا الحسن على بعض
الاعجميين مشددة بيايين جعله نسبة ومن قرا الاعجمين فقيل انه جمع اعجم وفيه بعد لان
ما كان من الصفات الذي مونثه فعلا لا يجمع مونثه بالواو والنون ولا مونثه بالالف والتا
لا يقال احمرون ولا حمراوات وقيل ان اصله الاعجميين كقراة الجحدري ثم حذفت يا النسب وجعل
جمعه باليا والنون دليلا عليها قاله ابو الفتح عثمان بن جني وهو مذهب سيبويه قوله
تعالى كذلك سلكناه يعني القران اي الكفر به في قلوب المجرمين لا يومنون به وقيل سلكنا
التكذيب في قلوبهم فذلك الذي منعهم من الايمان قاله يحيى بن سلام وقال عكرمة القسوة
والمعنى متقارب وقد مضى في الحجر واجاز الفرا الجزم في لا يومنون لان فيه معنى الشرط
والمجازاة وزعم ان من شان العرب اذا وضعت لا موضع كي لا في مثل هذا ربما جزمت
ما بعدها وربما رفعت فيقولون ربطت الفرس لا ينفلت بالرفع والجزم قال لانه معناه
ان لم اربطه ينفلت والرفع عنده بمعنى كي لا ينفلت وانشد لبعض بني عقيل
• وحتى راينا احسن الفعل بيننا • مساكنة لا يعرف الشر عارفه •
فرفع لما حذف كي ومن الجزم قول الاخر • لطالما حلاتماها لا ترد • فخلياها والسجال تبترد •
قال النحاس وهذا كله في يومنون خطا عند البصريين ولا يجوز الجزم بلا جازم ولا يكون
شي يعمل عملا فاذا حذف عمل عملا اقوى من عمله وهو موجود فهذا احتجاج بين حتى يروا
العذاب الاليم فياتيهم بغتة اي العذاب وقرا الحسن فتاتيهم بالتا والمعنى فتاتيهم الساعة
بغتة فاضمرت لدلالة العذاب الواقع فيها ولكثرة ما في القران من ذكرها فقال رجل للحسن
وقد قرا فتاتيهم يا ابا سعيد انما ياتيهم العذاب بغتة فانتهره وقال انما هي الساعة تاتيهم
بغتة اي فجاة وهم لا يشعرون بانيانها فيقولوا هل نحن منظرون اي مؤخرون وممهلون
يطلبون الرجعة هنالك فلا يجابون اليها قال القشيري وقوله فياتيهم ليس عطفا على
قوله حتى يروا بل هو جواب قوله لا يومنون فلما كان جوابا للنفي انتصب وكذلك فيقولوا
قوله تعالى افبعذابنا يستعجلون قال مقاتل قال المشركون للنبي صلى الله عليه
وسلم يا محمد الى متى تعدنا بالعذاب ولا تاتي به فنزلت افبعذابنا يستعجلون افرايت ان
متعناهم سنين يعني في الدنيا والمراد اهل مكة في قول الضحاك وغيره ثم جاهم ما كانوا
يوعدون من العذاب والهلاك ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ما الاولى استفهام معناه التقرير
وهو في موضع نصب باغنى وما الثانية في موضع رفع ويجوز ان تكون الثانية نفيا لا
موضع لها من الاعراب وقيل ما الاولى حرف نفي وما الثانية في موضع رفع باغنى والها
العايدة محذوفة والتقدير ما اغنى عنهم الزمان الذي كانوا يمتعونه وعن الزهري ان عمر
ابن عبد العزيز كان اذا اصبح امسك بلحيته ثم يقرا افرايت ان متعناهم سنين ثم جاهم ما كانوا

يعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون ثم يبكي ويقول •

• نهارك يا مغرور سهو وغفلة • وليلك نوم والردى لك لازم •
• فلا انت في الايقاظ يقظان حازم • ولا انت في النوام ناج فسالم •
• تسر بما يفنى وتفرح بالمنى • كما سر باللذات في النوم حالم •

قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون اي رسل ذكرى قال الكسائي ذكرى في موضع نصب على الحال النحاس وهذا لا يحصل والقول فيه قول الفرا وابي اسحاق انها في موضع نصب على المصدر قال الفرا اي يذكرون ذكرى وهذا قول صحيح لان معنى الا لها منذرون الا لها مذكرون وذكرى لا يتبين فيه الاعراب لان فيها الفا مقصورة ويجوز ذكرى بالتنوين ويجوز ان يكون ذكرى في موضع رفع على اضمار مبتدا قال ابو اسحاق اي انذارنا ذكرى وقال الفرا ذلك ذكرى وتلك ذكرى وقال ابن الانباري قال بعض المفسرين ليس في الشعرا وقف تام الا قوله الا لها منذرون وهذا وقف حسن ثم يبتدي ذكرى على معنى هي ذكرى او يذكرهم ذكرى والوقف على ذكرى اجود وما كنا ظالمين في تعذيبهم حيث قدمنا الحجة عليهم واعذرنا اليهم قوله تعالى وما تنزلت به الشياطين يعني القران بل نزل به الروح الامين وما ينبغي لهم وما يستطيعون انهم عن السمع لمعزولون اي برمي الشهب كما مضى في الحجر بيانه وقرا الحسن ومحمد بن السميقع وما تنزلت به الشياطون قال المهدوي وهو غير جايز في العربية ومخالف للخط وقال النحاس وهذا غلط عند جميع النحويين وسمعت علي بن سليمان يقول سمعت محمد بن يزيد يقول هذا من غلط العلما انما يكون بدخول شبهة لما راى الحسن في اخره يا ونونا وهو في موضع رفع اشبه عليه بالجمع المسلم فغلط وفي الحديث احذروا زلة العالم وقد قرا هو مع الناس واذا خلوا الى شياطينهم ولو كان هذا بالواو في موضع رفع لوجب حذف النون للاضافة وقال الثعلبي قال الفرا غلط الشيخ يعني الحسن فقيل ذلك للنضر بن شميل فقال ان جاز ان يحتج بقول روبة والعجاج وذويهما جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه مع انا نعلم انهما لم يقرا بذلك الا وقد سمعا في ذلك شيا وقال المورج ان كان الشيطان من شاط يشيط كان لقراءتهما وجه وقال يونس بن حبيب سمعت اعرابيا يقول دخلنا بساتين من ورايها بساتون فقلت ما اشبه هذا بقراءة الحسن قوله تعالى فلا تدع مع الله الها اخر فتكون من المعذبين قيل المعنى قل لمن كفر فتكون من المعذبين وقيل هو مخاطبة له عليه السلام وان كان لا يفعل هذا لانه معصوم مختار ولكنه خوطب بهذا والمقصود غيره ودل على هذا قوله وانذر عشيرتك الاقربين اي لا يتكلوا على نسبهم وقرابتهم فيدعوا ما يجب عليهم قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين خص عشيرته الاقربين بالانذار لتنحسم اطماع ساير عشيرته واطماع الاجانب في مفارقته اياهم على الشرك وعشيرته الاقربون قريش وقيل بنو عبد مناف ووقع في صحيح مسلم وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين وظاهر هذا انه كان قرانا يتلى وانه نسخ اذ لم يثبت نقله في المصحف ولا تواتر ويلزم على ثبوته اشكال وهو انه كان يلزم عليه الا ينذر الا من امن من عشيرته فان المومنين هم الذين يوصفون بالاخلاص في دين الاسلام وفي حب النبي عليه السلام لا المشركون لانهم ليسوا على شي من ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم دعا عشيرته كلهم مومنهم وكافرهم وانذر جميعهم ومن معهم ومن ياتي بعدهم صلى الله عليه وسلم فلم يثبت ذلك نقلا ولا معنى وروى مسلم من حديث ابي هريرة قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا فاجتمعوا فعم وخص فقال يا بني كعب ابن لوي انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد شمس انقذوا انفسكم من النار يا بني هاشم انقذوا انفسكم من النار يا بني عبد المطلب انقذوا انفسكم من النار يا فاطمة انقذي نفسك من النار فاني لا املك لكم من الله شيا غير ان لكم رحما سابلها ببلالها الثانية في هذا الحديث والاية دليل على ان القرب في الانساب لا ينفع مع البعد في الاسباب ودليل على جواز صلة المومن

الكافر

الكافر وارشاده ونصيحته لقوله ان في الدين الاية على ما ياتي بيانه هناك قوله تعالى واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين تقدم في الحجر وسبحان يقال خفض جناحه اذا لان فان عصوك اي خالفوك فقل اني بري مما تعملون اي بري من معصيتكم اياي لان عصيانهم اياه عصيان لله عز وجل لانه عليه السلام لا يامر الا بما يرضاه ومن تبرا منه فقد تبرا الله منه قوله تعالى وتوكل على العزيز الرحيم اي فوض امرك اليه فانه العزيز الذي لا يغالب الرحيم الذي لا يخذل اولياءه وقراءة العامة وتوكل بالواو وكذلك هو في مصاحفهم وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء وكذلك في مصاحف المدينة والشام الذي يراك حين تقوم الى الصلاة في قول اكثر المفسرين ابن عباس وغيره وقال مجاهد يعني حين تقوم حيثما كنت وتقلبك في الساجدين قال مجاهد وقتادة في المصلين وقال ابن عباس اي في اصلاب الابا ادم ونوح وابراهيم حتى اخرجه نبيا وقال عكرمة يراك قايما وراكعا وساجدا وقاله ابن عباس ايضا وقيل المعنى انه يرى تقلبك في صلاتك من خلفك كما ترى بين عينيك من قدامك وروي عن مجاهد ذكره الماوردي والثعلبي وكان عليه السلام يرى من خلفه كما يرى من بين يديه وذلك ثابت في الصحيح وفي تاويل الاية بعيد هو السميع العليم تقدم قوله تعالى هل انبيكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم انما قال تنزل لانه اكثر ما يكون في الهوا وانها تمر في الريح يلقون السمع واكثرهم كاذبون تقدم في الحجر فيلقون السمع صفة الشياطين واكثرهم يرجع الى الكهنة وقيل الى الشياطين قوله تعالى والشعرا يتبعهم الغاوون فيه ست مسايل الاولى قوله والشعرا يتبعهم الشعرا جمع شاعر مثل جاهل وجهلا قال ابن عباس هم يتبعهم ضلال الانس والجن وقيل الغاوون الزايلون عن الحق ودل بهذا ايضا ان الشعرا غاوون لانهم لو لم يكونوا غاوين ما كان اتباعهم كذلك وقد قدمنا في سورة النور ان من الشعر ما يجوز انشاده ويكره ويحرم وروى مسلم من حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال ردفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هل معك من شعر امية ابن ابي الصلت شي قلت نعم قال هيه فانشدته مائة بيت هكذا صوابه هذا السند وصحيح روايته وقد وقع لبعض رواة مسلم عن عمرو بن الشريد عن الشريد ابيه وهو وهم لان الشريد هو الذي اردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم واسم ابي الشريد سويد وفي هذا دليل على حفظ الاشعار والاعتنا بها اذا تضمنت الحكم والمعاني المستحسنة شرعا وطبعا وانما استكثر النبي صلى الله عليه وسلم من شعر امية لانه كان حكيما الا ترى قوله عليه السلام وكاد امية ابن ابي الصلت ان يسلم فاما ما تضمن ذكر الله وحمده والثنا عليه فذلك مندوب اليه كقول القايل الحمد لله العلي المنان صار الثريد في روس العيدان او ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم او مدحه كقول العباس • من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق • ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق • بل نطفة تركب السفين وقد • الجم نسرا واهله الغرق • تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق • فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا يفضض الله فاك او الذب عنه كقول حسان

• هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •

وهي ابيات ذكرها مسلم في صحيحه وهو في السير اتم او الصلاة عليه كما روى زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فراى مصباحا في بيت تنفش صوفا وتقول •

• على محمد صلاة الابرار • صلى عليه الطيبون الاخيار •
• قد كنت قواما بكا بالاسحار • يا ليت شعري والمنايا اطوار •

هل يجمعني وحبيبي الدار • يعني النبي صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكي وكذلك ذكر اصحابه ومدحهم رضي الله عنهم ولقد احسن محمد بن سابق حيث قال •

• اني رضيت عليا للهدى علما • كما رضيت عتيقا صاحب الغار •
• وقد رضيت ابا حفص وشيعته • وما رضيت بقتل الشيخ في الدار •
• كل الصحابة عندي قدوة علم • فهل علي بهذا القول من عار •
• ان كنت تعلم اني لا احبهم • الا من اجلك فاعتقني من النار •

وقال اخر فاحسن • حب النبي رسول الله مفترض • وحب اصحابه نور وبرهان •

• من كان يعلم أن الله خالقه • لا يرمين أبا بكر ببهتان •
• أما عليّ فمشهور فضائله • والبيت لا يستوي إلا بأركان •
• ولا أبا حفص الفاروق صاحبه • ولا الخليفة عثمان بن عفان •

قال ابن العربي وأما الاستعارات في التشبيهات فمأذون فيها وإن استغرقت الحد وتجاوزت المعتاد فبذلك يضرب الملك الموكل بالرؤيا المثل وقد أنشد كعب بن زهير النبي صلى الله عليه وسلم

• بانت سعاد فقلبي اليوم متبول • متيم إثرها لم يفد مكبول •
• وما سعاد غداة البين إذ رحلوا • إلا أغن غضيض الطرف مكحول •
• تجلو عوارض ذي ظلم إذا ابتسمت • كأنه منهل بالراح معلول •

فجاء في هذه القصيدة من الاستعارات والتشبيهات بكل بديع والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع ولا ينكر في تشبيهه ريقها بالراح وأنشد أبو بكر رضي الله عنه

• فقدنا الوحي إذ وليت عنا • وودعنا من الله الكلام •
• سوى ما قد تركت لنا رهينا • توارثه القراطيس الكرام •
• فقد أورثتنا ميراث صدق • عليك به التحية والسلام •

فإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمعه وأبو بكر ينشده فهل للتقليد والاقتداء موضع أرفع من هذا قال أبو عمر ولا ينكر الحسن من الشعر أحد من أهل العلم ولا من أولي النهى وليس أحد من كبار الصحابة وأهل العلم وموضع القدوة إلا وقد قال الشعر أو تمثل به أو سمعه فرضيه ما كان حكمة أو مباحا ولم يكن فيه فحش ولا خنا ولا لمسلم أذى فإن كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء لا يحل سماعه ولا قوله وروى أبو هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول أصدق كلمة أو أشعر كلمة قالتها العرب قول لبيد ألا كل شيء ما خلا الله باطل • أخرجه مسلم وزاد وكاد أمية بن أبي الصلت أن يسلم وروي عن ابن سيرين أنه أنشد شعرا فقال له بعض جلسائه مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر فقال ويلك يا لكع وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا في القوافي فحسنه حسن وقبيحه قبيح قال وقد كانوا يتذاكرون الشعر قال وسمعت ابن عمر ينشد

• يحب الخمر من مال الندامى • ويكره أن تفارقه الفلوس •

وكان عبيد الله بن عتبة بن مسعود أحد فقهاء المدينة العشرة ثم المشيخة السبعة شاعرا مجيدا مقدما وللزبير بن بكار القاضي في أشعاره كتاب وكانت له زوجة تسمى عثمة فعتب عليها في بعض الأمر فطلقها وله فيها أشعار كثيرة منها قوله

• تغلغل حب عثمة في فؤادي • فباديه مع الخافي يسير •
• تغلغل حيث لم يبلغ شراب • ولا حزن ولم يبلغ سرور •
• أكاد إذا ذكرت العهد منها • أطير لو أن إنسانا يطير •

وقال ابن شهاب قلت له تقول الشعر في نسكك وفضلك فقال إن المصدور إذا نفث برأ ألا ينفث فأما الشعر المذموم الذي لا يحل سماعه وصاحبه ملوم فهو المتكلم بالباطل حتى يفضلوا أجبن الناس على عنترة وأشحهم على حاتم وأن يبهتوا البريء ويفسقوا التقي وأن يفرطوا في القول بما لم يفعله المرء رغبة في تسلية النفس وتحسين القول كما روي عن الفرزدق أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات • وبت أفض أغلاق الختام • فقال قد وجب عليك الحد فقال يا أمير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وأنهم يقولون ما لا يفعلون وروي أن النعمان بن عدي بن نضلة كان عاملا لعمر بن الخطاب فقال

• ألا هل أتى الحسناء أن حليلها • بميسان يسقى في زجاج وحنتم •
• إذا شئت غنتني دهاقين قرية • ورقاصة تجذو على كل منسم •
• فإن كنت ندماني فبالأكبر اسقني • ولا تسقني بالأصغر المتثلم •
• لعل أمير المؤمنين يسوءه • تنادمنا بالجوسق المتهدم •

فبلغ ذلك عمر فأرسل إليه بالقدوم عليه وقال إي والله يسوءني فقال يا أمير المؤمنين ما فعلت شيئا مما قلت وإنما كانت فضلة من القول وقد قال الله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون فقال له عمر أما عذرك فقد درأ عنك الحد ولكن لا تعمل لي عملا أبدا وذكر الزبير بن بكار قال حدثني مصعب بن عثمان أن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة لم يكن له هم إلا عمر بن أبي ربيعة والأحوص فكتب إلى عامله على المدينة إني قد عرفت عمر والأحوص بالخبث والشر فإذا أتاك كتابي هذا فاشدد عليهما واحملهما إلي فلما أتاه الكتاب حملهما إليه فأقبل على عمر فقال هيه

• فلم أر كالتجمير منظر ناظر • ولا كليالي الحج أفلتن ذا هوى •
• وكم مالئ عينيه من شيء غيره • إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى •

أما والله لو اهتممت بحجك لم تنظر إلى شيء غيرك فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فمتى يفلتون ثم أمر بنفيه فقال يا أمير المؤمنين أو خير من ذلك فقال ما هو فقال أعاهد الله أني لا أعود لمثل هذا الشعر ولا أذكر النساء في الشعر أبدا وأجدد توبة قال أو تفعل قال نعم فعاهد الله على توبته وخلاه ثم دعا بالأحوص فقال هيه فقال

• الله بيني وبين قيمها • يهرب مني بها وأتبعه •

بل الله بين قيمها وبينك ثم أمر بنفيه فكلمه فيه رجال من الأنصار فأبى وقال والله لا أرده ما كان لي سلطان فإنه فاسق مجاهر فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه فلا يحل سماعه ولا إنشاده في مسجد ولا غيره كمنثور الكلام القبيح في ذلك ونحوه روى إسماعيل بن عياش عن عبد الله بن عون عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الشعر كحسن الكلام وقبيح الشعر كقبيح الكلام رواه إسماعيل عن عبد الله بن عون الشامي وحديثه عن أهل الشام صحيح فيما قال يحيى بن معين وغيره وروى عبد الله بن عمرو ابن العاصي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشعر بمنزلة الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام الثالثة روى مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا خير من أن يمتلئ شعرا وفي الصحيح أيضا عن أبي سعيد الخدري قال بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعرج إذ عرض شاعر ينشد فقال رسول الله صلى الله عليه السلام خذوا الشيطان أو أمسكوا الشيطان لأن يمتلئ جوف رجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا قال علماؤنا إنما فعل النبي صلى الله عليه وسلم هذا مع هذا الشاعر لما علم من حاله فلعل هذا الشاعر كان ممن قد عرف من حاله أنه قد اتخذ الشعر طريقا للتكسب فيفرط في المدح إذا أعطي وفي الهجو والذم إذا منع فيؤذي الناس في أموالهم وأعراضهم ولا خلاف في أن من كان على مثل هذه الحالة فكل ما يكتسبه بالشعر حرام وكل ما يقوله من ذلك حرام عليه ولا يحل الإصغاء إليه بل يجب الإنكار عليه فإن لم يمكن ذلك لمن خاف من لسانه قطعا تعين عليه أن يداريه بما استطاع ويدافعه بما أمكن ولا يحل أن يعطي شيئا ابتداء لأن ذلك عون على المعصية فإن لم يجد من ذلك بدا أعطاه بنية وقاية العرض فما وقى به المرء عرضه كتب له به صدقة وقوله لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا حتى يريه القيح المدة يخالطها دم يقال قاح الجرح يقيح وتقيح وقيح وبريه قال الأصمعي هو من الوري على مثال الرمي وهو أن يدوي جوفه يقال منه رجل موري مشدد غير مهموز وفي الصحاح ورى القيح جوفه يريه وريا إذا أكله وأنشد اليزيدي قالت له وريا إذا تنحنح وهذا الحديث أحسن ما قيل في تأويله أن الذي غلب عليه الشعر وامتلأ صدره منه دون علم سواه ولا شيء من الذكر ممن يخوض به في الباطل ويسلك به مسالك لا تحمد له كالمكثر من اللغط والهذر والغيبة وقبيح القول ومن كان الغالب عليه الشعر لزمته هذه الأوصاف المذمومة الدنية لحكم العادة الأدمية وهذا المعنى هو الذي أشار إليه البخاري في صحيحه لما بوب على هذا الحديث باب ما يكره أن يكون الغالب على الإنسان الشعر وقيل في تأويله أن المراد بذلك الشعر الذي هجي به النبي صلى الله عليه وسلم أو غيره وهذا ليس بشيء لأن القليل من هجو النبي صلى الله عليه وسلم وكثيره سواء في أنه كفر ومذموم وكذلك هجو غير النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين محرم قليله وكثيره وحينئذ لا يكون لتخصيص الذم بالكثير معنى الرابعة قال الشافعي الشعر نوع من الكلام حسنه كحسن الكلام وقبيحه كقبيح الكلام يعني أن الشعر ليس يكره لذاته وإنما يكره لتضمنه وقد كان عند العرب عظيم الموقع قال الأول منهم وجرح اللسان كجرح اليد وقال النبي صلى الله عليه وسلم في الشعر الذي يرد به حسان على المشركين

الا الاسوع فيهم من رشق النبل اخرجه مسلم وروى الترمذي وصححه عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وعبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول خلوا بني
الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل الخليل عن خليله
فقال عمر يا ابن رواحة في حرم الله وبين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهو اسرع فيهم من نضح النبل الخامسة قوله تعالى والشعراء
يتبعهم الغاوون لم يختلف القراء في رفع الشعراء فيما علمت ويجوز النصب على اضمار فعل يفسره يتبعهم
وبه قرا عيسى بن عمر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا والسارق والسارقة وحمالة
الحطب وسورة انزلناها وقرا نافع والحسن وشيبة والسلمي يتبعهم مخففا والباقون يتبعهم
وقال الضحاك تهاجى رجلان احدهما انصاري والاخر مهاجري على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
مع كل واحد غواة قومه وهم السفهاء فنزلت وقال ابن عباس وعنه هم الرواة للشعر وروي
عنه علي بن ابي طلحة انهم الكفار يتبعهم ضلال الجن والانس وقد ذكرناه وروى غضيف عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من احدث هجاء في الاسلام فاقطعوا لسانه وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما افتتح مكة رن ابليس رنة فاجتمع اليه ذريته فقال
ايسوا ان ترتد امة محمد على الشرك بعد يومكم هذا ولكن افشوا فيهما يعني مكة والمدينة
الشعر السادسة قوله تعالى الم تر انهم في كل واد يهيمون يقول في كل لغو يخوضون فلا
يتبعون سنن الحق لان من اتبع الحق وعلم انه يكتب عليه ما يقوله تثبت ولم يكن هائما يذهب
على وجهه لا يبالي ما قال قيل نزلت في عبد الله بن الزبعرى ومسافر بن عبد مناف وامية بن
ابي الصلت فانهم يقولون ما لا يفعلون قيل انها نزلت في ابي عزة الجمحي حيث قال

• الا ابلغا عني النبي محمدا • بانك حق والمليك حميد •

• ولكن اذا ذكرت بدرا واهلها • تاوه مني اعظم وجلود •

ثم استثنى شعراء المؤمنين حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وكعب بن
زهير ومن كان على طريقهم من القول الحق فقال الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وانما يكون الانتصار بالحق وبما حده الله عز وجل فان
تجاوز ذلك فقد انتصر بالباطل وقال ابو الحسن المبرد لما نزلت والشعراء يتبعهم الغاوون
جاء حسان وكعب بن مالك وابن رواحة يبكون الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا نبي
الله انزل الله تعالى هذه الاية وهو تعالى يعلم انا شعراء فقال اقرؤوا ما بعدها الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات انتم وانتصروا من بعد ما ظلموا انتم اي بالرد على المشركين قال
صلى الله عليه وسلم انتصروا ولا تقولوا الا حقا ولا تذكروا الاباء والامهات فقال حسان لابي
سفيان • هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذاك الجزاء •

• وان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء •

• اتشتمه ولست له بكفؤ • فشركما لخيركما الفداء •

• لساني صارم لا عيب فيه • وبحري لا تكدره الدلاء •

وقال كعب يا رسول الله ان الله قد انزل في الشعراء ما قد علمت فكيف ترى فيه فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكانما ترمونهم به نضح
النبل وقال كعب • جاءت سخينة كي تغالب ربها • وليغلبن مغالب الغلاب •
فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد مدحك الله يا كعب في قولك هذا وروى الضحاك عن ابن
عباس انه قال قوله والشعراء يتبعهم الغاوون منسوخ بقوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات
قال المهدوي والصحيح عن ابن عباس انه استثناء وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
وفي هذا تهديد لمن انتصر بظلم وقال شريح سيعلم الظالمون كيف يخلصون من بين يدي
الله تعالى فالظالم ينتظر العقاب والمظلوم ينتظر النصر وقرا ابن عباس اي منفلت ينفلتون
بالفاء والتاء ومعناهما واحد ذكره الثعلبي ومعنى اي منقلب ينقلبون اي مصير يصيرون
واي مرجع يرجعون لان مصيرهم الى النار وهو اقبح مصير ومرجعهم الى العقاب وهو شر
مرجع والفرق بين المنقلب والمرجع ان المنقلب الانتقال الى ضد ما هو فيه والمرجع العود

العود من حال هو فيها الى حال كان عليها فصار كل مرجع منقلبا وليس كل منقلب مرجعا
والله اعلم ذكره الماوردي واي منصوب بينقلبون وهو بمعنى المصدر ولا يجوز ان يكون منصوبا
بسيعلم لان ايا وسائر اسماء الاستفهام لا يعمل فيها ما قبلها فيما ذكر النحويون قال النحاس وحقيقة
القول في ذلك ان الاستفهام معنى وما قبله معنى اخر فلو عمل فيه ما قبله لدخل بعض المعاني في بعض
والله اعلم

: سورة النمل مكية :

كلها في قول الجميع وهي ثلاث وتسعون اية وقيل اربع وتسعون والله اعلم

: بسم الله الرحمن الرحيم :

قوله تعالى طس تلك ايات القران وكتاب مبين اي هذه السورة وقد مضى الكلام في الحروف
المقطعة في البقرة وغيرها وتلك بمعنى هذه اي هذه السورة ايات القران وايات كتاب مبين
وذكر القران بلفظ المعرفة وقال وكتاب مبين بلفظ النكرة وهما في معنى المعرفة كما تقول فلان
رجل عاقل وفلان الرجل العاقل والكتاب هو القران فجمع له بين الصفتين بانه قران وانه
كتاب لانه ما يظهر بالكتابة ويظهر بالقراءة وقد مضى اشتقاقهما في البقرة وقال في سورة الحجر
الر تلك ايات الكتاب وقران مبين فاخرج الكتاب بلفظ المعرفة والقران بلفظ النكرة وذلك
لان القران والكتاب اسمان يصلح لكل واحد منهما ان يجعل معرفة وان يجعل صفة ووصفه بالمبين
لانه يبين فيه امره ونهيه وحلاله وحرامه ووعده ووعيده وقد تقدم قوله تعالى هدى
وبشرى للمؤمنين هدى في موضع نصب على الحال من الكتاب اي تلك ايات الكتاب هادية ومبشرة
ويجوز فيه الرفع على الابتداء اي هو هدى وان شئت على حذف حرف الصفة اي فيه هدى ويجوز
ان يكون الخبر للمؤمنين ثم وصفهم فقال الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالاخرة
هم يوقنون وقد مضى في البقرة بيانه هذا قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة اي لا
يصدقون بالبعث زينا لهم اعمالهم قيل اعمالهم السيئة حتى راوها حسنة وقيل زينا لهم اعمالهم الحسنة
فلم يعملوها وقال الزجاج جعلنا جزاءهم على كفرهم ان زينا لهم ما هم فيه فهم يعمهون اي يترددون في
اعمالهم الخبيثة وفي ضلالتهم عن ابن عباس ابو العالية يتمادون قتادة يلعبون الحسن يتحيرون
وقال الزجاج اطرافه في مهمه اعمى الهدى كالحائرين العمه قوله تعالى اولئك الذين لهم سوء العذاب
وهو جهنم وهم في الاخرة هم الاخسرون في الاخرة يتبين وليس بمتعلق بالاخسرين فان من
الناس من خسر الدنيا وربح الاخرة وهؤلاء خسروا الاخرة بكفرهم فهم اخسر كل خاسر وانك لتلقى
القران اي يلقى عليك فتتلقاه وتعلمه وتاخذه من لدن حكيم عليم لدن بمعنى عند الا انها مبنية
غير معربة لانها لا تتمكن وفيها لغات ذكرت في الكهف وهذه الاية بساط وتمهيد لما يريد ان يسوق
في الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه قوله تعالى اذ قال موسى لاهله
اذ منصوب بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر قوله وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم
خذ يا محمد من اثار حكمته وعلمه قصة موسى اذ قال لاهله اني انست نارا اي ابصرتها من بعد قال
خالد بن خلده • انست نباة وافزعها القناص عصرا وقد دنا الامساء •
سآتيكم منها بخبر او اتيكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون قرا عاصم وحمزة والكسائي بشهاب قبس
بتنوين شهاب والباقون بغير تنوين على الاضافة اي بشعلة نار واختاره ابو عبيد وابو
حاتم وزعم الفراء في ترك التنوين انه بمنزلة قولهم ولدار الاخرة ومسجد الجامع وصلاة الاولى
اضافة الشيء الى نفسه اذا اختلفت اسماؤه قال النحاس اضافة الشيء الى نفسه محال عند
البصريين لان معنى الاضافة في اللغة ضم الشيء الى الشيء فمحال ان يضم الى نفسه وانما يضاف
الشيء الى الشيء ليتبين به معنى الملك او النوع فمحال ان يتبين انه مالك نفسه او من نوعها
وشهاب قبس اضافة النوع والجنس كما تقول هذا ثوب خز وخاتم حديد وشبهه والشهاب
كل ذي نور نحو الكوكب والعود الموقد والقبس اسم لما يقتبس من جمر وما اشبهه فالمعنى بشهاب من
قبس يقال اقتبست قبسا والاسم قبس كما تقول قبضت قبضا والاسم القبض ويجوز ان يكون
اسما غير صفة فاما كونه صفة فلا لانهم قالوا اقتبسه اقتبسه قبسا والقبس المقبوس واذا كان

صفته فالاحسن ان يكون نعتا والاضافة فيه اذا كان غير صفة احسن وهي اضافة النوع الى
جنسه كخاتم فضة وشبهه ولو قرئ نصب قبس على البيان او الحال لجاز للنحاس ويجوز في غير
القران بشهابا قبسا على انه مصدر او بيان او حال لعلكم تصطلون اصل الطاء تاء فابدل
منها طاء لان الطاء مطبقة والصاد مطبقة فكان الجمع بينهما حسنا ومعناه يستدفئون من البرد
يقال اصطلى يصطلي اذا استدفا قال الشاعر •
• النار فاكهة الشتا فمن يرد • اكل الفواكه شاتيا فليصطل •
قال كل ابيض ذي نور فهو شهاب ابو عبيدة الشهاب النار قال ابو النجم •
• كانما كان شهابا واقدا • اضاء ضوءا ثم صار خامدا •
قال محمد بن يحيى اصل الشهاب عود في احد طرفيه جمرة والاخر لا نار فيه وقول النحاس فيه
حسن والشهاب الشعاع المضي ومنه قيل للكوكب الذي يمد ضوءه في السما وقال الشاعر •
• في كفه صعدة مثقفة • فيها سنان كشعلة القبس •
قوله تعالى فلما جاءها اي فلما جاء موسى الذي ظن انه نار وهي نور قال وهب ابن منبه فلما
راى موسى النار وقف قريبا منها فراها تخرج من فرع شجرة خضرا شديدة الخضرة يقال
لها العليق لا تزداد النار الا عظما وتضرما ولا تزداد الشجرة الا خضرة وحسنا فعجب منها
واهوى اليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت اليه فخافها فتاخر عنها ثم لم تزل تطمعه ويطمع
فيها الى ان وضح امرها على انها مامورة لا يدري من امرها الى ان نودي ان بورك من في النار ومن
حولها وقد مضى هذا المعنى في طه نودي اي ناداه الله كما قال وناديناه من جانب الطور الايمن
ان بورك قال الزجاج ان في موضع نصب اي بانه قال ويجوز ان تكون في موضع رفع جعلها
اسم ما لم يسم فاعله وحكى ابو حاتم ان في قراة ابي وابن عباس ومجاهد ان بوركت النار ومن
حولها قال ومثل هذا لا يوجد باسناد صحيح ولو صح لكان على التفسير وتكون البركة راجعة
الى النار ومن حولها الملائكة وموسى وحكى الكسائي عن العرب باركك الله وبارك فيك
قال الثعلبي العرب تقول باركك الله وبارك فيك وبارك عليك وبارك لك اربع لغات قال
الشاعر • فبوركت مولودا وبوركت ناشيا • وبوركت عند الشيب اذ انت اشيب •
الطبري قال بورك من في النار على لغة من يقول باركك الله وبارك له وبارك عليه
وبارك منه بمعنى اي بورك على من في النار وهو موسى او على من قرب منها لا انه كان في وسطها
وقال السدي كان في النار ملائكة فالتبريك عائد الى موسى والملائكة اي بورك فيك
يا موسى وفي الملائكة الذين هم حولها وهذا تحية من الله تعالى لموسى وتكرمة له كما حيا
ابراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه قال رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت وقول
ثالث قاله ابن عباس والحسن وسعيد ابن جبير قدس من في النار وهو الله سبحانه عنى
به نفسه تقدس وتعالى قال ابن عباس ومحمد بن كعب النار نور الله عز وجل نادى الله
موسى وهو في النور وتاويل هذا ان موسى عليه السلام راى نورا عظيما فظنه نارا وهذا
لان الله تعالى ظهر لموسى باياته وكلامه من النار لا انه متحيز فيها ولكن يظهر في كل فعل
فيعلم به وجود الفاعل وقيل عبر بهذا اي بورك من في النار سلطانه وقدرته وقيل اي
بورك ما في النار من امر الله تعالى الذي جعله علامة قلت ومما يدل على صحة قول
ابن عباس ما خرجه مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه واللفظ له عن ابي موسى قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه
حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه كل شي ادركه بصره ثم قرا ابو عبيدة ان بورك
من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين خرجه البيهقي ايضا ولفظ مسلم عن ابي
موسى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله عز وجل لا ينام
ولا ينبغي له ان ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع اليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار
قبل عمل الليل حجابه النور وفي رواية ابي بكر النار لو كشفه لاحرقت سبحات وجهه ما
انتهى اليه بصره من خلقه قال ابو عبيد يقال السبحة جلال وجهه ومنها قيل سبحان الله
انما هو تعظيم له وتنزيه وقوله لو كشفها يعني لو رفع الحجاب عن اعينهم ولم يثبتهم لرؤيته

لاحترقوا

لاحترقوا وما استطاعوها وقال ابن جريج النار حجاب من الحجب وهي سبعة حجب حجاب العزة
وحجاب الملك وحجاب السلطان وحجاب النار وحجاب النور وحجاب الغمام وحجاب الماء وبالحقيقة
فالمخلوق المحجوب والله تعالى لا يحجبه شي فكانت النار نورا وانما ذكره بلفظ النار لان موسى
حسبه نارا والعرب تضع احدهما موضع الاخر وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها فاسمعه
تعالى كلامه من ناحيتها واظهر له ربوبيته من جهتها وهو كما روي انه مكتوب في التوراة جا الله من
سينا واشرف من ساعير واستعلى من جبال فاران فمجيئه من سينا بعثته موسى منها واشرافه
من ساعير بعثته المسيح منها واستعلاوه من فاران بعثته محمدا صلى الله عليه وسلم وفاران
مكة وسياتي في القصص لاسماعه سبحانه كلامه من الشجرة زيادة بيان ان شا الله تعالى
قوله تعالى وسبحان الله رب العالمين تنزيها وتقديسا لله رب العالمين وقد تقدم في غير
موضع والمعنى اي ويقول من حولها وسبحان الله فحذف وقيل ان موسى قاله حين فرغ من سماع
النداء استعانة بالله تعالى وتنزيها له قاله السدي وقيل هو من قول الله تعالى ومعناه وبورك
فيمن يسبح لله رب العالمين حكاه ابن شجرة قوله تعالى يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم الهاء
عماد وكنيت مكناية في قول الكوفيين والصحيح انها كناية عن الامر والشان اي ان الامر والشان
انا الله العزيز الحكيم الغالب الذي ليس كمثله شي الحكيم في امره وفعله وقيل قال موسى
يا رب من الذي نادى فقال انه اي ان المنادي لك انا الله قوله تعالى والق عصاك قال
وهب بن منبه ظن موسى ان الله امره ان يرفضها فرفضها وقيل انما قال له ذلك ليعلم موسى ان المكلم
له هو الله وان موسى رسوله وكل نبي فلا بد له من اية في نفسه يعلم بها نبوته وفي الاية حذف
اي والق عصاك فالقاها من يده فصارت حية فلما راها تهتز كانها جان وهي الحية الخفيفة الصغيرة
الجسم وقال الكلبي لا صغيرة ولا كبيرة وقيل انها قلبت له اولا حية صغيرة فلما انس منها
قلبت حية كبيرة وقيل انقلبت مرة حية صغيرة ومرة حية تسعى وهو الانثى ومرة ثعبانا
وهو الذكر الكبير من الحيات وقيل المعنى انقلبت ثعبانا فاهتزت كانها جان لها عظم الثعبان وخفة
الجان واهتزازه حية تسعى وجمع الجان جنان ومنه الحديث نهي عن قتل الجنان التي في البيوت
ولى مدبرا خائفا على عادة البشر ولم يعقب اي لم يرجع قاله مجاهد وقال قتادة لم يلتفت
يا موسى لا تخف اي من الحية وضررها اني لا يخاف لدي المرسلون وتم الكلام ثم استثنى استثناء
منقطعا فقال الا من ظلم وقيل انه استثنا من محذوف والمعنى اي لا يخاف لدي المرسلون وانما
يخاف غيرهم ممن ظلم الا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فانه لا يخاف قاله الفرا قال النحاس
الاستثنا من محذوف محال لانه استثنا من شي لم يذكر ولو جاز هذا لجاز اني لا اضرب القوم
الا زيدا بمعنى اني لا اضرب القوم انما اضرب غيرهم الا زيدا وهذا ضد البيان والمجي بما لا يعرف
معناه وزعم الفرا ايضا ان بعض النحويين يجعل الا بمعنى الواو اي ولا من ظلم قال الشاعر •
• وكل اخ مفارقه اخوه • لعمر ابيك الا الفرقدان •
قال النحاس وكون الا بمعنى الواو لانك اذا قلت جاءني اخوتك الا زيدا اخرجت زيدا مما دخل
فيه الاخوة واذا قلت جاءني اخوتك وزيدا ادخلت زيدا فيما دخل فيه الاخوة فلا تشبه
بينهما ولا تقارب وفي الاية قول اخر وهو ان يكون الاستثنا متصلا والمعنى الا من ظلم من
المرسلين باتيان الصغائر التي لا يسلم منها احد سوى ما روي في يحيى بن زكريا عليه السلام
وما ذكره الله تعالى في نبينا عليه السلام من قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
ذكره المهدوي واختاره النحاس قال علم الله من عصى منهم فاستثناه فقال الا من ظلم ثم
بدل حسنا بعد سوء اي فانه يخاف وان كنت قد غفرت له قال الضحاك يعني ادم وداود
عليهما السلام الزمخشري كالذي فرط من ادم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن
موسى عليه السلام بوكزه القبطي فان قال قائل فما معنى الخوف بعد التوبة والمغفرة قيل له
هذا سبيل العلما بالله عز وجل ان يكونوا خائفين من معاصيهم وجلين وهم ايضا لا يامنون
ان يكون قد بقي من اشراط التوبة شي لم ياتوا به فهم يخافون من المطالبة به وقال الحسن وابن
جريج قال الله تعالى لموسى اني اخفتك لقتلك النفس قال الحسن وكانت الانبيا تذنب
فتعاقب قال الثعلبي والقشيري والماوردي وغيرهم فالاستثنا على هذا صحيح اي الا من ظلم

نفسه من المرسلين والنبيين فيما فعل من صغيرة قبل النبوة وكان موسى خاف من قتل القبطي وتاب منه وقد قيل انهم بعد النبوة معصومون من الصغاير والكباير وقد مضى هذا في البقرة قلت والاول اصح لتنصلهم من ذلك في القيامة كما في حديث الشفاعة واذا احدث المقرب حدثا فهو وان غفر له ذلك الحدث فاثر ذلك الحدث باق وما دام الاثر والتهمة قايمة فالخوف كاين لا خوف العقوبة ولكن خوف العظمة والمتهم عند السلطان يجد للتهمة حرارة تؤديه الى ان تكدر عليه صفا الثقة وموسى عليه السلام قد كان منه الحدث في ذلك الفرعوني ثم استغفر واقر بالظلم على نفسه فغفر له ثم قال بعد المغفرة رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين ثم ابتلي من الغد بالفرعوني الاخر واراد ان يبطش به فصار حدثا اخر بهذه الارادة وانما ابتلي من الغد لقوله فلن اكون ظهيرا وتلك كلمة اقتدار من قوله لن افعل فعوقب بالارادة حين اراد ان يبطش ولم يفعل فسلط عليه الاسرايلي حتى افشى سره لان الاسرايلي لما راه تشمر للبطش ظن انه يريده فافشى عليه فقال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ففر الفرعوني واخبر فرعون بما افشى الاسرايلي على موسى وكان القتيل بالامس مكتوما امره لا يدري من قتله فلما علم فرعون بذلك وجه في طلب موسى ليقتله اشتد الطلب واخذوا بمجامع الطرق جا رجل يسعى فقال يا موسى ان الملا يامرون بك ليقتلوك الاية فخرج كما اخبر الله عز وجل فخوف موسى انما كان خوفه من اجل هذا الحديث فهو وان قربه ربه واكرمه واصطفاه بالكلام فالتهمة الباقية ولت به ولم يعقب [sic: wording unclear] قوله تعالى وادخل يدك في جيبك تخرج بيضا من غير سوء تقدم في طه القول فيه وفي تسع ايات قال النحاس احسن ما قيل فيه ان هذه الاية داخلة في تسع ايات قال المهدوي المعنى القي عصاك وادخل يدك في جيبك فهما ايتان في تسع ايات وقال معناه القشيري كما تقول خرجت في عشرة نفر وانت احدهم اي خرجت عاشر عشرة ففي بمعنى من لقربها منها كما تقول خذ لي عشرا من الابل فيها فحلان اي منها وقال الاصمعي في قول امرء القيس ●

● وهل يعمن من كان احدث عهده ● ثلاثين شهرا في ثلاثة احوال ●

في بمعنى من وقيل بمعنى مع فالايات عشرة منها اليد والتسع الفلق والعصا والجراد والقمل والطوفان والدم والضفادع والسنين والطمسة وقد تقدم بيان جميعه الى فرعون وقومه قال الفرا في الكلام اضمار لدلالة الكلام عليه اي انك مبعوث او مرسل الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله وقد تقدم قوله تعالى فلما جاءتهم اياتنا مبصرة اي واضحة بينة قال الاخفش ويجوز مبصرة وهو مصدر كما يقال الولد مجبنة قالوا هذا سحر مبين جروا على عادتهم في التكذيب فلهذا قال وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين اي تيقنوا انها من عند الله وانها ليست سحرا ولكنهم كفروا بها وتكبروا ان يومنوا بموسى وهذا يدل على انهم كانوا معاندين وظلما وعلوا منصوبان على نعت مصدر محذوف اي وجحدوا بها جحودا ظلما وعلوا والبا زايدة اي وجحدوها قاله ابو عبيدة فانظر يا محمد كيف كان عاقبة المفسدين اي اخر امر الكافرين الطاغين اي انظر ذلك بعين قلبك وتدبر فيه الخطاب والمراد غيره قوله تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما اي فهما قاله قتادة وقيل علما بالدين والحكم وغيرهما وعلمناه صنعة لبوس لكم وقيل صنعة الكيميا وهو شاذ وانما الذي اتاهما النبوة والخلافة في الارض والزبور وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وفي الاية دليل على شرف العلم وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد اوتي فضلا على كثير من عباد الله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات وقد تقدم هذا في غير موضع قوله تعالى وورث سليمان داود قال الكلبي كان لداود صلى الله عليه وسلم تسعة عشر ولدا ذكورا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة المال لكان جميع اولاده فيه سوى وقال ابن العربي قال فلو كان وراثة مال لانقسمت على العدد فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده قال ابن عطية داود

من

من بني اسرايل وكان ملكا وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة بمعنى صار اليه ذلك بعد موت ابيه فسمي ميراثا تجوزا وهذا نحو قوله العلما ورثة الانبيا ويحتمل قوله عليه السلام انا معشر الانبيا لا نورث ان يريد ان ذلك من فعل الانبيا وسيرتهم وان كان فيهم من ورث ماله كزكريا على اشهر الاقوال فيه وهذا كما تقول انا معشر المسلمين انما شغلتنا العبادة والمراد بان ذلك فعل الاكثر ومنه ما حكى سيبويه انا معشر العرب اقرى الناس لضيف وقد تقدم هذا المعنى في مريم وان الصحيح القول الاول لقوله عليه السلام انا معشر الانبيا لا نورث فهو عام ولا يخرج منه شي الا بدليل قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود واقضى منه وكان داود اشد تعبدا من سليمان قال غيره ولم يبلغ احد من الانبيا ما بلغ ملكه فان الله سبحانه وتعالى سخر له الانس والجن والطير والوحش واتاه ما لم يوت احدا من العالمين وورث اباه في الملك والنبوة وقام بشريعته وكل نبي جا بعد موسى ممن بعث او لم يبعث فانما كان بشريعة موسى الى ان بعث المسيح عليه السلام فنسخها وبينه وبين الهجرة نحو من الف وثمان مائة سنة واليهود تقول الف وثلثماية واثنان وستون سنة وقيل ان بين موته وبين مولد النبي صلى الله عليه وسلم نحوا من الف وسبعماية سنة واليهود تنقص منها ثلثماية وعاش نيفا وخمسين سنة قوله تعالى وقال يا ايها الناس اي قال سليمان لبني اسرايل على جهة الشكر لنعم الله علمنا منطق الطير اي تفضل الله علينا على ما ورثنا من داود العلم والنبوة والخلافة في الارض في ان فهمنا من اصوات الطير المعاني التي في نفوسها قال مقاتل في الاية كان سليمان جالسا اذ مر به طاير يطوف فقال لجلسايه اتدرون ما يقول هذا الطاير انها قالت لي السلام عليك ايها الملك المسلط والنبي لبني اسرايل اعطاك الله الكرامة واظهرك على عدوك اني منطلق الى فراخي ثم امر بك الثانية وانه سيرجع الينا الثانية ثم رجع فقال انه يقول السلام عليك ايها الملك المسلط ان شيت ان تاذن لي كيما اكتسب على افراخي حتى يشبوا ثم اتيك فافعل بي ما شيت فاخبرهم سليمان بما قال فاذن له فانطلق وقال فرقد السبخي مر سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبي الله قال انه يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا ومر بهدهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخا فقال له سليمان احذر يا هدهد فقال يا نبي الله هذا صبي ولا عقل له فانا اسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حبالة الصبي وهو في يديه فقال هدهد ما هذا قال ما رايتها حين وقعت فيها يا نبي الله قال ويحك فانك ترى الما تحت الارض اما ترى الفخ فقال يا نبي الله اذا نزل القضا عمي البصر وقال كعب صاح ورشان عند سليمان بن داود فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت هذا الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا وصاح عنده طاوس فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح عنده هدهد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح عنده صرد فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وقيل ان الصرد هو الذي دل ادم على مكان البيت وهو اول من صام ولذلك يقال له الصرد الصوام روي عن ابي هريرة وصاحت عنده طيطوى فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول كل حي ميت وكل جديد بال وصاحت خطافة عنده فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتلها وقيل ان ادم خرج من الجنة فاشتكى الى الله الوحشة فانسه الله تعالى بالخطاف والزمها البيوت فهي لا تفارق بني ادم انسا لهم قال ومعها اربع ايات من كتاب الله عز وجل لو انزلنا هذا القران على جبل الى اخرها وتمد صوتها بقوله العزيز الحكيم وهدرت حمامة عند سليمان فقال اتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربي الاعلى عدد ما في سمواته وارضه وصاح قمري عند سليمان فقال اتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال انه يقول سبحان ربي العظيم المهيمن وقال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن العشار والحدا تقول كل شي هالك الا وجهه والقطاة

فتقول من سكت سلم والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والضفدع يقول سبحان المذكور بكل
مكان وقال مكحول صاح دراج عند سليمان فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول
الرحمن على العرش استوى وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح قال
اذكروا الله يا غافلين وقال الحسن بن علي ابن ابي طالب قال النبي صلى الله عليه وسلم النسر
اذا صاح قال يا ابن ادم عش ما شئت فآخرك الموت واذا صاحت العقاب قالت في البعد عن
الناس الراحة واذا صاح القنبر قالت الهي العن مبغضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرا الحمد
لله رب العالمين الى اخرها فيقول ولا الضالين ويمد بها صوته كما يمد القاري قال قتادة
والشعبي انما هذا الامر في الطير خاصة لقوله علمنا منطق الطير والنملة طاير اذ قد
توجد لها اجنحة قال الشعبي وكذلك كانت هذه النملة ذات جناحين وقالت فرقة بل كان
في جميع الحيوان وانما ذكر الطير لانه كان جندا من جند سليمان يظله بجناحه عن الشمس
وفي البعث في الامور فخص بالذكر لكثرة مداخلته ولان امر سائر الحيوان نادر وغيره متردد
تردد امر الطير وقال ابو جعفر النحاس والمنطق قد يقع لما يفهم بغير كلام والله عز وجل
اعلم بما اراده قال ابن العربي من قال انه لا يعلم الا منطق الطير فنقصان عظيم وقد
اتفق الناس على انه كان يفهم كلام من لا يتكلم ويخلق له فيه القول من النبات فكان كل
نبت يقول له انا شجر كذا انفع من كذا واضر من كذا فما ظنك بالحيوان قوله تعالى واوتينا
من كل شيء اي من كل شيء منا اليه حاجة من النبوة والعلم والحكمة والمال وتسخير الجن
والانس والطير والرياح والوحش والدواب وكانا نبي السما والارض ان هذا لهو
الفضل المبين اي الظاهر المعظم لفضيلتنا قوله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن
والانس والطير فهم يوزعون فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى وحشر اي جمع والحشر
الجمع ومنه قوله عز وجل وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا واختلف الناس في مقدار جند
سليمان عليه السلام فيقال كان معسكره مائة فرسخ في مائة خمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها
ثلاث مائة منكوحة وسبعمائة سرية قال ابن عطية اختلف في معسكره ومقدار جنده
اختلافا شديدا غير ان الصحيح ان ملكه كان عظيما ملا الارض فانقادت له المعمورة كلها
فهم يوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم ويكفون وقال قتادة لكل صنف وزعة في رتبتهم
ومواضعهم من الكرسي ومن الارض اذا مشوا فيها يقال وزعته ووزعا اي كففته والوازع
في الحرب الموكل في الصفوف يزع من تقدم منهم روى محمد بن اسحاق عن اسما بنت ابي بكر
قالت لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى يعني يوم الفتح قال ابو قحافة
وقد كف بصره يوميذ لابنته اظهري بي على ابي قبيس قالت فاشرفت به عليه فقال
ما ترين قالت ارى سوادا مجتمعا قال تلك الخيل قالت وارى رجلا من السواد مقبلا
ومدبرا قال ذلك الوازع يمنعها ان تنتشر وذكر تمام الخبر ومن هذا قوله في الحديث ما راى
الشيطان يوما هو اصغر ولا ادحر ولا احقر ولا اغيظ منه في يوم عرفة وما ذلك الا لما راى من تنزل
الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ما راى يوم بدر قيل وما راى يوم بدر يا رسول الله
قال اما انه راى جبريل يزع الملايكة خرجه الموطا ومن هذا المعنى قول النابغة •

• على حين عاتبت المشيب على الصبا • وقلت الما اصح والشيب وازع •

وقال اخر • ولما تلاقينا جرت من جفوننا • دموع وزعنا غربها بالاصابع •

وقال اخر • ولا يزع النفس اللجوج عن الهوى • من الناس الا وافر العقل كامله •

وقيل هو من التوزيع بمعنى التفريق والقوم اوزاع اي طوايف وفي القصة ان الشياطين نسجت
له بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في ابريسم وكان يوضع له كرسي من ذهب وحوله ثلاثة
الاف كرسي من ذهب وفضة فتقعد الانبيا على كراسي الذهب والعلما على كراسي الفضة
قوله تعالى في الاية دليل على اتخاذ الامام والحكام وزعة يكفون الناس ويمنعهم من تطاول
بعضهم على بعض لا يمكن الحكام ذلك بانفسهم وقال ابن عون سمعت الحسن يقول وهو في
مجلس قضايه لما راى ما يصنع الناس الا وزعة وقال الحسن ايضا لا بد للناس من وازع

امن

ام من سلطان يكفهم وذكر ابن القاسم قال حدثنا مالك ان عثمان بن عفان كان يقول ما يزع
الامام اكثر مما يزع القران اي من الناس قال ابن القاسم قلت لمالك ما يزع قال يكف قال القاضي
ابو بكر ابن العربي وقد جهل قوم المراد بهذا الكلام فظنوا ان المعنى ان قدرة السلطان تردع
اكثر مما تردع حدود القران هذا جهل بالله وحكمته فان الله ما وضع الحدود الا مصلحة عامة
كافة قايمة لقوام الخلق لا زيادة عليها ولا نقصان معها ولا مصلحة سواها ولكن الظلمة
خاسوا عليها وقصروا عنها واتوا ما اتوا بغير نية ولم يقصدوا وجه الله في القضا بها فلم يرتدع
الخلق بها ولو حكموا بالقران واخلصوا النية لاستقامة الامور وصلح الجمهور قوله تعالى حتى
اذا اتوا على وادي النمل قالت نملة يا ايها النمل الى قوله فتبسم ضاحكا من قولها فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل قال قتادة ذكر لنا انه واد بارض الشام
وقال كعب هو بالطايف قالت نملة يا ايها النمل قال الشعبي كان لتلك النملة جناحان فصارت
من الطير فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه وقد مضى هذا ويا تي وقرا سليمان التيمي
نملة والنملة بفتح النون وضم الميم وعنه ايضا ضمهما جميعا وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة
حركتها وقلة قراريها قال كعب مر سليمان عليه السلام بوادي السدير من اودية الطايف فاتى
على وادي النمل فقالت نملة تمشي وكانت عرجا اسمها تاخي وهي مثل الذيب في العظم فنادت
ايها النمل الاية قال الزمخشري سمع سليمان كلامها من ثلاثة اميال وكانت تمشي وهي عرجا
تتكاوس وقيل كان اسمها طاخية وقال السهيلي ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام
وقالوا اسمها طوبيا ولا ادري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضهم بعضا ولا الادميون
يمكنهم تسمية واحدة منهم باسم علم لانه لا يتميز للادميين بعضهم من بعض ولا هم ايضا واقعون
تحت ملكة بني ادم كالخيل والكلاب ونحوها فان العلمية فيما كان كذلك موجودة عند
العرب فان قيل ان العلمية موجودة في الاجناس كثعالة واسامة وجعار وقثام في الضبع
ونحو هذا كثير فليس اسم النملة من هذا لانهم زعموا انه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين
ساير النمل وثعالة ونحوه لا يختص بواحدة من الجنس بل كل واحد رايته من ذلك الجنس فهو
ثعالة وكذلك اسامة وابن اوى وابن عرس وما اشبه ذلك فان صح ما قالوه فله وجه
وهو ان يكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة او في الزبور او في بعض
الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم وعرفها به الانبيا قبل سليمان او بعضهم وخصت بالتسمية
لنطقها وايمانها فهذا وجه ومعنى قولنا بايمانها انها قالت للنمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده
وهم لا يشعرون فقوله وهم لا يشعرون التفاتة مومن اي من عدل سليمان وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها
الا بان لا يشعرون وقد قيل ان تبسم سليمان سرورا بهذه الكلمة ولذلك اكد التبسم بقوله ضاحكا
اذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضى الا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم
تبسم المستهزيين وتبسم الضحك انما هو عن سرور ولا يسر نبي بامر دنيا وانما سر بما كان من الدين
وقولها وهم لا يشعرون اشارة الى الدين والعدل والرافة ونظيره قوله للنملة في جند سليمان
وهم لا يشعرون قول الله تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم فتصيبكم منهم معرة بغير علم
التفاتا الى انهم لا يقصدون هدر مومن الا ان المثني على جند سليمان النملة باذن الله والمثني
على جند محمد صلى الله عليه وسلم هو الله عز وجل بنفسه لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من
الفضل على جند غيره من الانبيا كما لمحمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جميع النبيين صلى
الله عليهم اجمعين وقرا شهر ابن حوشب مسكنكم بسكون السين على الافراد وفي مصحف ابي
مساكنكن لا يحطمنكن ذكره النحاس اي لا يكسرنكم بوطيهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي
وافهم الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان عليه السلام وقال وهب امر الله تعالى
الريح ان لا يتكلم احد بشي الا طرحته في سمع سليمان بسبب ان الشياطين ارادت كيده وقد
قيل ان هذا الوادي كان ببلاد اليمن وانها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد قاله
الكلبي وقال نوف الشامي وشقيق ابن سلمة كان نمل ذلك كهيئة الذباب في العظم
وقال بريدة الاسلمي كهيئة النعاج قال محمد بن علي الترمذي فان كان على هذه الخلقة
والخلقة لها صوت وانما افتقد صوت النمل الان لصغر خلقها والا فالاصوات في الطيور

والبهايم كابنه وذلك منطقهم وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك وهو قوله وان
من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم قلت وقوله لا يحطمنكم يدل على قول
الكلبي اذ لو كانت كهيئة الذباب والنعاج لما حطمت بالوطي والله اعلم وقال ادخلوا
مساكنكم لجاعلي خطاب الادميين لان النمل هاهنا اجري مجري الادميين حين نطق كما
ينطق الادميين قال ابو اسحاق الثعلبي ورايت في بعض الكتب ان سليمان قال لها لما حذرت
النمل اخفت ظلمي اما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة
اما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني لم ارد حطم النفوس وانما اردت حطم القلوب خشية
ان يتمنين مثل ما اعطيت او يفتتن بالدنيا او يشتغلن بالنظر الي ملكك عن التسبيح والذكر
فقال لها سليمان عظيني فقالت النملة اما علمت لم سمي ابوك داود قال لا قال لانه داوي
جرحه فوري هل علمت لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم الناحية علي ما اوتيته بسلامة
صدرك وان لك ان تلحق بابيك ثم قالت اتدري لم سخر الله لك الريح قال لا قالت اخبرك ان الدنيا
كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا ومضت مسرعة الي قومها فقالت هل عندكم من شي
نهديه الي نبي الله فقالوا وما قدر ما نهدي له والله ما عندنا الا نبقة واحدة قالت حسنة ايتوني
بها فاتوها بها فحملتها واقبلت تشق الانس والجن والعلما والانبيا علي البساط حتى وضعت
بين يديه ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه وانشات تقول

الم ترنا نهدي الي الله ماله • وان كان عنه ذا غني فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدره • لاقصر عنه البحر يوما وساحله
ولكننا نهدي الي من نحبه • فيرضى به عنا ويشكر فاعله
وما ذاك الا من كريم فعاله • والا فما في ملكنا ما يشاكله

فقال لها بارك الله فيكم فهم بتلك اشكر خلق الله تعالى واكثر خلق الله قال ابن عباس نهي
النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل اربع من الدواب الهدهد والصرد والنملة والنحلة خرجه
ابو داود في صحيحه وصححه ابو محمد عبد الحق وروي من حديث ابي هريرة قال اول من
صام الصرد ولما خرج ابراهيم عليه السلام من الشام الي الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه
والصرد فكان الصرد دليله الي الموضع والسكينة مقداره فلما صار الي البقعة وقفت السكينة
علي موضع البيت ونادت يا ابراهيم ابن علي مقدار ظلي وقد تقدم في الاعراف سبب النهي
عن قتل الصرد وفي النحل النهي عن قتل النحل والحمد لله الثانية قرا الحسن لا يحطمنكم ايضا
وعن ابي رجا لا يحطمنكم والحطم الكسر حطمته حطما اي كسرته وتحطم والتحطيم التكسير وهم
لا يشعرون يجوز ان يكون حالا من سليمان وجنوده والعامل في الحال قالت اي قالت ذلك
في حال غفلة الجنود كقولك قمت والناس غافلون او حالا من النمل ايضا والعامل قالت على
ان المعنى النمل لا يشعرون ان سليمان يفهم مقالتها وفيه بعد وسياتي الثالثة روي مسلم من
حديث ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نملة قرصت نبيا من الانبيا فامر
بقرية النمل فاحرقت فاوحي الله تعالى اليه ان قرصتك نملة اهلكت امة من الامم تسبح الله ومن
طريق اخر فهلا نملة واحدة قال علماونا يقال ان هذا النبي هو موسى عليه السلام وانه قال
يا رب تعذب اهل قرية بمعاصيهم وفيهم الطايع فكان احب ان يريه ذلك من عنده فسلط الله
عليه الحر حتى التجا الي شجرة مستروحا الي ظلها وعندها قرية النمل فغلبه النوم فلما وجد
لذة النوم لدغته نملة فاضجرته فدلكهن بقدمه فاهلكهن واحرق تلك الشجرة التي عندها
مساكنهم فاراه العبرة في ذلك اية لما لدغتك نملة فكيف اصبت الباقين بعقوبتها يريد ان
ينبهه ان العقوبة من الله تعالى تعم فتصير رحمة على المطيع وطهارة وبركة وشرا ونقمة
على العاصي وعلى هذا فليس في الحديث ما يدل على كراهة ولا حظر في قتل النمل فان من اذاك
حل لك دفعه عن نفسك ولا احد من خلقه اعظم حرمة من المومن وقد ابيح لك دفعه
عنك بقتل وضرب على المقدار فكيف بالهوام والدواب التي سخرت لك وسلطت عليه فاذا
اذاك ابيح لك قتله وروي عن ابراهيم قال ما اذاك من النمل فاقتله وقوله الا نملة واحدة
دليل على ان الذي يوذي يوذي ويقتل وكلما كان القتل لنفع او دفع ضرر فلا باس به عند العلما

واطلق

واطلق له نملة ولم يخص تلك النملة التي لدغت من غيرها لانه ليس المراد القصاص لانه لو اراده
لقال الا نملتك التي لدغتك ولكن قال الا نملة مكان نملة فعلم البري والجاني في ذلك ليعلم انه
اراد ان ينبهه لمسالته ربه في عذاب اهل القرية وفيهم المطيع والعاصي وقد قيل ان هذا النبي كانت
العقوبة للحيوان بالتحريق له جايزة في شرعه ولذلك انما عاتبه الله تعالى في احراق الكثير
من النمل لا في اصل الاحراق من النمل وقوله فهلا نملة واحدة وهذا بخلاف شرعنا فان النبي
صلى الله عليه وسلم قد نهي عن التعذيب بالنار وقال لا يعذب بالنار وكذلك ايضا كان قتل
النمل مباحا في شرعنا فقد جا من حديث ابن عباس وابي هريرة النهي عن ذلك وقد كره
مالك قتل النمل الا ان يضر ولا يقدر على دفعه الا بالقتل وقد قيل ان هذا النبي انما عاتبه
الله حين انتقم لنفسه باهلاك جمع اذاه واحد وكان الاولي به الصفح والصبر ولكن وقع
للنبي ان هذا النوع موذ لبني ادم اعظم من حرمة غيره من الحيوان غير الناطق فلو انفرد له
هذا النظر ولم ينضم اليه التشفي الطبيعي لم يعاتب والله اعلم ولكن لما انضاف اليه التشفي
الذي دل عليه سياق الحديث عوتب عليه الرابعة قوله في ان قرصتك نملة اهلكت امة من الانبيا
تسبح الله مقتضي هذا انه تسبيح بمقال ونطق كما اخبر الله عن النمل ان لها منطقا وفهمه
سليمان عليه السلام معجزة له وتبسم من قولها وهذا يدل دلالة واضحة على ان للنمل نطقا
وقولا ولكن لا يسمعه احد الا من شا الله تعالى ممن خرقت له العادة من نبي او ولي ولا ينكر
هذا من حيث انا لا نسمع ذلك فانه لا يلزم من عدم الادراك عدم المدرك في نفسه ثم ان
الانسان يجد من نفسه قولا وكلاما ولا يسمع منه الا اذا انطق بلسانه وقد خرق الله
العادة لنبينا صلى الله عليه وسلم فاسمعه كلام النفس من قوم تحدثوا مع انفسهم واخبرهم
بما في نفوسهم كما قد نقل منه الكثير من ايمتنا في معجزاته صلى الله عليه وسلم وكذلك قد وقع
لكثير من اكرمه الله تعالى من الاوليا مثل ذلك في غير ما قضية واياه عني النبي صلى الله عليه
وسلم بقوله ان في امتي محدثون وان عمر منهم وقد مضي هذا المعنى في تسبيح الجماد في سبحان
وانه تسبيح لسان ومقال لا تسبيح دلالة والحمد لله الخامسة قوله تعالى فتبسم ضاحكا من
قولها الاية وقرا ابن السميقع ضحكا بغير الف وهو منصوب على المصدر بفعل محذوف يدل
عليه تبسم كانه قال ضحك ضحكا هذا مذهب سيبويه وهو عند غير سيبويه منصوب بنفس
تبسم لانه في معنى ضحك ومن قرا ضاحكا فهو منصوب على الحال من الضمير في تبسم والمعنى
تبسم مقدارا لضحك لان الضحك يستغرق التبسم والتبسم دون الضحك وهو اوله يقال
بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمبتسم الثغر مثل المجلس من جلس يجلس
ورجل بسام وبسام كثير التبسم فالتبسم ابتدا الضحك والضحك عبارة عن الابتدا والانتها
الا ان الضحك يقتضي مزيدا على التبسم فاذا زاد ولم يضبط الانسان نفسه قيل قهقهة
والتبسم ضحك الانبيا عليهم السلام في غالب امرهم وفي الصحيح عن جابر بن سمرة وقيل له
اكنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم كثيرا فانه لا يقوم من مصلاه الذي
يصلي به الصبح والغداة حتى تطلع الشمس فاذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فياخذون
في امر الجاهلية فيضحكون ويتبسم وفيه عن سعيد قال كان رجل من المشركين قد احرق في
المسلمين فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارم فداك ابي وامي قال فنزعت له بسهم ليس فيه
نصل فاصبت جنبه فسقط فانكشفت عورته فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى
نظرت الي نواجذه فكان عليه السلام في اكثر احواله يتبسم فكان يضحك في احوال اخر ضحكا
اعلي من التبسم واقل من الاستغراق الذي يبدو فيه اللهوات وكان في النادر عند افراط
تعجبه ربما ضحك فبدت نواجذه وقد كره العلما منه الكثرة كما قال لقمان لابنه يا بني اياك
وكثرة الضحك فانها تميت القلب وقد روي مرفوعا من حديث ابي ذر وغيره وضحك النبي
صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه حين رمي سعد الرجل فاصابه انما كان سرورا
باصابته لا بانكشاف عورته فانه المنزه عن ذلك صلى الله عليه وسلم السادسة لا اختلاف
عند العلما ان الحيوان كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي رحمة الله عليه الحمام اعقل
الطير قال ابن عطية والنمل حيوان فطن قوي شمام جدا يدخر ويتخذ القري ويشق الحب

نظمتين لئلا ينبت ويشق الكزبرة اربع قطع لانها تنبت اذا انشقت نصفين ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقي سائره عدته قال ابن العربي وهذه من خواص العلوم عندنا وقد ادركها النمل بخلق الله ذلك لها قال الاستاذ ابو المظفر شاهبور الاسفرايني ولا يبعد ان تدرك البهائم حدوث العالم وحدث المخلوقات ووحدانية الاله ولكننا لا نفهم عنه ولا يفهم عنا اما ان نطلبها وهي تفرمنا بحكم الجنسية قوله تعالى قال رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى والدي وان اعمل صالحا ترضاه ان مصدرية واوزعني اي الهمني ذلك واوصله من وزع فكانه قال كفني عما يسخطك وقال ابن اسحاق يزعم اهل الكتاب ان ام سليمان هي امراة اوريا التي امتحن الله بها داود وانه بعد موت زوجها تزوجها داود فولدت له سليمان عليه السلام وسياق لهذا مزيد بيان ان شا الله تعالى وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين عن ابي زيد وقيل المعنى في جملة عبادك الصالحين قوله تعالى وتفقد الطير فقال ما لي لا ارى الهدهد اي احز فقصة الهدهد فيه ثمان عشرة مسئلة الاولى ذكر تعالى شيا اخر مما جرى له من مسيره الذي كان فيه من قصة النمل ما تقدم والتفقد تطلب ما غاب عنك من شي والطير اسم جامع والواحد طائر والمراد بالطير هنا جنس الطير وجماعتها وكانت تصحبه في سفره وتظله باجنحتها واختلف الناس في معنى تفقد الطير فقالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العناية بامور الملك والتهمم بكل جزو منها وهذا ظاهر الاية وقالت فرقة بل تفقد الطير من موضع الهدهد حين غاب فكان ذلك سبب تفقد الطير ليتبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام انما طلب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الما على كم هو من وجه الارض لانه كان نزل في مفازة عدم فيها الما فان الهدهد كان يرى باطن الارض وظاهرها وكان يخبر سليمان بموضع الما وكانت الجن تخرجه من ساعة يسيرة تسلخ عنه وجه الارض كما تسلخ شاة قاله ابن عباس فيما روى عن ابن سلام قال ابو مجلز قال ابن عباس لعبد الله بن سلام اريد ان اسالك عن ثلاث مسائل قال اتسالني وانت تقرا القران قال نعم ثلاث مرات قال لم تفقد سليمان الهدهد دون سائر الطير قال احتاج الى الما ولم يعرف عمقه او قال مسافته وكان الهدهد يعرف ذلك دون الطير فتفقده وقال في كتاب النقاش كان الهدهد مهندسا وروى ان نافع بن الازرق سمع ابن عباس يذكر شان الهدهد فقال له قف يا وقاف كيف يرى الهدهد باطن الارض وهو لا يرى الفخ حين يقع فيه قال ابن عباس اذا جا القدر عمي البصر وقال مجاهد قيل لابن عباس كيف تفقد الهدهد من الطير فقال نزل منزلا ولم يدر ما بعد الما فكان الهدهد مهتديا اليه فاراد ان يساله قال مجاهد كيف يهتدي والصبي يضع له الحبالة فيصيده فقال اذا جا القدر عمي البصر قال ابن العربي ولا يقدر على هذا الجواب الا عالم القران قال المولف رضي الله عنه هذا الجواب قد قاله الهدهد لسليمان كما تقدم وانشدوا

اذا اراد الله امرا بامرئ • وكان ذو عقل وراي ونظر •
وحيلة يعملها في دفع ما يأتي • به مكروه اسباب القدر •
غطى عليه سمعه وعقله • وسله من ذهنه سل الشعر •
حتى اذا انفذ فيه حكمه • رد عليه عقله ليعتبر •

قال الكلبي لم يكن له في مسيره الا هدهد واحد والله اعلم الثانية في هذه الاية دليل على تفقد الامام احوال رعيته والمحافظة عليهم فانظر الى الهدهد مع صغره كيف لم يخف على سليمان حاله فكيف بعظام الملك ويرحم الله عمر فانه كان على سيرته قال لو ان سخلة على شاطي الفرات اخذها الذيب ليسال عنها عمر فما ظنك بوال تذهب على يديه البلدان ويضيع الرعية ويضيع الرعيان وفي الصحيح عن عبد الله بن عباس ان عمر بن الخطاب خرج الى الشام حتى اذا كان بسرغ لقيه امرا الاجناد ابو عبيدة واصحابه فاخبروه ان الوبا قد وقع بالشام الحديث قال علماونا هذه الخروج من عمر بعد ما فتح بيت المقدس سنة سبع عشرة على ما ذكره خليفة ابن خياط وكان يتفقد احوال رعيته واحوال امرايه بنفسه فقد دل القران والسنة وقد بينا ما يجب على الامام من تفقد احوال رعيته ومباشرة ذلك بنفسه والسفر الى ذلك وان طال ورحم الله ابن المبارك حيث يقول

وهل

• وهل افسد الدين الا الملوك • واحبار سوء ورهبانها •

الثالثة قوله تعالى ما لي لا ارى الهدهد اي ما للهدهد لا اراه فهو من القلب الذي يعرف معناه وهو كقولك ما لي اراك كئيبا اي ما لك والهدهد طير معروف وهدهدته صوته قال ابن عطية انما مقصد الكلام الهدهد غاب لكنه اخذ اللازم عن مغيبه وهو ان لا يراه فاستفهم على جهة التوقيف على اللازم وهذا ضرب من الايجاز والاستفهام الذي في قوله ما لي ناب مناب الالف الذي يحتاجه ام وقيل انما قال ما لي لا ارى الهدهد لانه اعتبر حال نفسه اذ علم انه اوتي الملك العظيم وسخر له الخلق فقد لزمه حق الشكر باقامة الطاعة وادامة العدل فلما فقد نعمة الهدهد توقع ان يكون قصر في حق الشكر فلاجله سلبها فجعل يتفقد نفسه فقال ما لي قال ابن العربي وهكذا تفعل شيوخ الصوفية اذا فقدوا امالهم تفقدوا اعمالهم هذا في الاداب فكيف بنا اليوم ونحن نقصر في الفرايض وقرا ابن محيصن وابن كثير وعاصم والكسائي وهشام وايوب ما لي بفتح اليا وكذلك في يس وما لي لا اعبد واسكنها حمزة ويعقوب وقرا الباقون وابو عمرو بفتح اليا في يس واسكان هذه قال ابو عمرو لان هذه التي استفهام والاخرى انتفا واختار ابو حاتم وابو عبيدة الاسكان فقال ما لي وقال ابو جعفر النحاس زعم قوم انهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان مبتدا وبين ما كان معطوفا على ما قبله وهذا ليس بشي وانما هي يا النفس من العرب من يفتحها ومنهم من يسكنها فقروا باللغتين واللغة الفصيحة في يا النفس ان تكون مفتوحة لانها اسم وهي على حرف واحد فكان الاختيار ان لا يسكن فيجحف بالاسم وقوله ام كان بمعنى بل الرابعة قوله تعالى لاعذبنه عذابا شديدا او لاذبحنه دليل على ان الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد اما انه يرفق بالمحدود في الزمان والصفة روي عن ابن عباس ومجاهد وابن جريج ان تعذيبه للطير كان بان ينتف ريشه قال ابن جريج ريشه اجمع وقال يزيد بن رومان جناحاه وفعل سليمان هذا بالهدهد اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنوبته ورتبته وكان اباح الله له ذلك كما اباح ذبح البهايم والطير للاكل وغيره من المنافع والله اعلم وفي نوادر الاصول قال ثنا سليمان عن حميد ابي الربيع الايادي قال ثنا عون بن عمارة عن الحسين الجعفي عن الزبير بن حريب عن عكرمة قال انما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لانه كان بارا بابويه وسياتي وقيل تعذيبه ان يجعل مع اضداده وعن بعضهم اضيق السجون معاشرة الاضداد وقيل لالزمنه خدمة اقرانه وقيل ايداعه القفص وقيل ان يجعله للشمس بعد نتفه وقيل بتبعيده عن خدمتي والملوك يودبون بالهجران وقال الجنيد بتفريق الفه وهو فعل موكد بالنون الثقيلة وهي لازمة هي او الخفيفة قال ابو حاتم ولو قري لاعذبنه او لاذبحنه جاز او ليأتيني بسلطان مبين اي بحجة ظاهرة بينة وليست اللام في ليأتيني لام القسم لانه لا يقسم سليمان على فعل الهدهد ولكنه لما جاء في اثر قوله لاعذبنه وهو مما جاء به القسم اجراه مجراه وقرا ابن كثير وحده او ليأتينني الخامسة قوله تعالى فمكث غير بعيد اي الهدهد والجمهور من القرا على ضم الكاف وقرا عاصم وحده بفتحها ومعناه في القراءتين اقام قال سيبويه مكث يمكث مثل عظم يعظم فهو مكيث مثل عظيم ومكث يمكث فهو ماكث مثل حمد يحمد فهو حامد والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان والمعنى بقي سليمان بعد التفقد والوعيد غير طويل او غير وقت طويل ويحتمل ان يكون الهدهد وهو الاكثر فجا فقال احطت بما لم تحط به وهي المسئلة السادسة اي علمت ما لم تعلمه من الامر فكان في هذا رد على من قال ان الانبيا تعلم الغيب وحكى الفرا احط يدغم الطا في التا وحكى احت بقلب الطا تا وتدغم السابعة قوله تعالى وجيتك من سبا بنبا يقين اعلم سبحانه سليمان انه لم يكن يعلمه ودفع عن نفسه ما توعده به من الذبح والعذاب وقرا الجمهور سبا بالصرف وقرا ابن كثير وابو عمرو وسبا بفتح الهمزة وترك الصرف فالاول على انه اسم رجل نسب اليه قوم وعليه قول الشاعر •

• الواردون وتيم في ذرى سبا • قد عض اعناقهم جلد الجواميس •

وانكر الزجاج ان يكون اسم رجل وقال سبا اسم مدينة تعرف بمارب اليمن بينها وبين صنعا ثلاث ايام قلت وقع في عيون المعاني للغزنوي ثلاثة فراسخ سبا ساده الذي بعث اليه النبي عن الف وانشد النابغة الجعدي • من سبا الحاضرين مارب • اذ يبنون من دون سيله العرما •

قال فمن لم يصرف لانه اسم مدينة ومن صرف وهو الاكثر فلانه اسم البلد فيكون مذكرا سمي به
مذكر وقيل اسم امراة سميت بها المدينة والصحيح انه اسم رجل كذا وقع في كتاب الترمذي
من حديث فروة ابن مسيك المرادي عن النبي صلى الله عليه وسلم وسياتي ان شا الله تعالى
قال ابن عطية وخفي هذا الحديث عن الزجاج فخبط عشوا وزعم الفرا ان الرواسي سال ابا
عمرو بن العلا عن سبا قال ما ادري ما هو قال النحاس وتاول الفرا على ابي عمرو انه منعه من
الصرف لانه مجهول وانه اذا لم يعرف الشي لم ينصرف قال النحاس وابو عمرو اجل من ان يكون هذا
وليس في حكاية الرواسي عنه دليل انه انما منعه من الصرف لانه لم يعرفه وانما قال لا اعرفه ولو
سيل نحوي عن اسم فقال لا اعرفه لم يكن في هذا دليل على انه منعه من الصرف بل الحق على
غير هذا والواجب اذا لم يعرفه ان يصرفه لان اصل الاسما الصرف وانما يمنع الشي من الصرف
لعلة داخلة عليه فالاصل ثابت بيقين فلا يزول بما لا يعرف وذكر كلاما كثيرا عن النحاة وقال
في اخره والقول في سبا ما جا في التوقيف فيه انه في الاصل اسم رجل فان صرفته فلانه قد صار
اسما للحي وان لم تصرفه جعلته اسما للقبيلة مثل ثمود الا ان الاختيار عند سيبويه الصرف وحجته
في ذلك قاطعة لان هذا الحي يقع له التذكير والتانيث كان التذكير اولى لانه الاصل والاخف
الثامنة وفي الاية دليل على ان الصغير يقول للكبير والمتعلم للعالم عندي ما ليس عندك اذا
تحقق ذلك وتيقنه هذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته وعلمه لم يكن عنده علم
بالاستيذان وكان التيمم عند عمار وغيره وغاب عن عمر وابن مسعود حتى قال لا يتيمم الجنب
وكان حكم الاذن في ان تنفر الحايض عند ابن عباس ولم يعلمه عمر ولا زيد ابن ثابت وكان
غسل راس المحرم معلوما عند ابن عباس وخفي عن المسور ابن مخرمة ومثله كثير فلا يطول به
التاسعة قوله تعالى اني وجدت امراة تملكهم لما قال الهدهد وجيتك من سبا بنبا يقين
قال سليمان وما ذاك الخبر قال اني وجدت امراة تملكهم يعني بلقيس بنت شراحيل تملك اهل
سبا ويقال كيف خفي على سليمان مكانها وكانت المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهي
مسيرة ثلاث بين صنعا ومارب فالجواب ان الله عز وجل اخفى ذلك عنه لمصلحة كما اخفى على
يعقوب مكان يوسف ويروى ان احد ابويها كان من الجن قال ابن العربي وهذا امر تنكره
الملحدة ويقولون الجن لا ياكلون ولا يتلذذون كذبوا لعنهم الله اجمعين ذلك صحيح ونكاحهم
جايز عقلا وان صح نقلا فبها ونعمت قال المولف خرج ابو داود من حديث عبد الله بن
مسعود انه قال قدم وفد الجن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد انه امتك
ان يستنجوا بعظم او روثة او حممة فان الله تعالى جاعل لنا فيها رزقا وفي صحيح مسلم قال
لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام اخوانكم وفي البخاري من حديث
ابي هريرة قال فقلت ما بال العظم والروثة قال هما من طعام الجن وانه اتاني وفد جن
نصيبين ونعم الجن فسالوني الزاد فدعوت الله ان لا يمروا بعظم ولا روثة الا وجدوا عليها طعاما
وهذا كله نص في انهم يطعمون واما نكاحهم فقد تقدمت الاشارة اليه في سبحان عند قوله
وشاركهم في الاموال والاولاد وروى وهب ابن جرير بن حازم عن الخليل بن احمد عن
عثمان بن حاضر قال كانت ام بلقيس من الجن يقال لها بلعمة بنت شيصبان وسياتي لهذا
مزيد بيان ان شا الله تعالى العاشرة روى البخاري من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما بلغه ان اهل فارس قد ملكوا بنت كسرى قال لن يفلح قوم ولوا امرهم امراة قال
القاضي ابو بكر ابن العربي هذا نص في ان المراة لا تكون خليفة ولا خلاف فيه ونقل عن محمد
ابن جرير الطبري انه يجوز ان تكون المراة قاضية ولم يصح ذلك عنه ولعله نقل عنه كما نقل
عن ابي حنيفة انها انما تقضي فيما تشهد فيه وليس بان تكون قاضية على الاطلاق ولا بان
يكتب لها مسطور بان فلانة مقدمة على الحكم وانما ذلك كسبيل التحكيم والاستنابة في
القضية الواحدة وهذا هو الظن بابي حنيفة وابن جرير وقد روي عن عمر انه قدم امراة على
حسبة السوق ولم يصح فلا تلتفتوا اليه فانما هو من دسايس المبتدعة في الاحاديث وقد
تناظر في هذه المسالة القاضي ابو الطيب المالكي الاشعري مع ابي الفرج ابن طرار شيخ الشافعية

فقال

فقال ابو الفرج الدليل على ان المراة يجوز ان تحكم ان الغرض من الاحكام تنفيذ القاضي لها
وسماع البينة عليها والفصل بين الخصوم فيها وذلك ممكن من المراة كامكانه من الرجل فاعترض
عليه القاضي ابو بكر ونقض كلامه بالامامة الكبرى فان الغرض منه حفظ الثغور وتدبير الامور
وحماية البيضة وقبض الخراج ورده على مستحقه وذلك يتاتى من المراة كتاتيه من الرجل
قال ابن العربي وليس كلام الشيخين في هذه المسالة بشي فان المراة لا يتاتى منها ان تبرز الى
المجلس ولا تخالط الرجال ولا تفاوضهم مفاوضة النظير للنظير لانها ان كانت شابة حرم النظر
اليها وكلامها وان كانت برزة لا يجمعها والرجال مجلس واحد تزدحم فيه معهم وتكون مناظرة
لهم ولن يفلح من تصور هذا ولا من اعتقده الحادية عشر قوله تعالى واوتيت من كل شي مبالغة
اي مما تحتاجه المملكة وقيل المعنى اوتيت من كل شي في زمانها فحذف المفعول لان الكلام دل
عليه ولها عرش عظيم اي سرير ووصفه بالعظم في الهيئة ورتبة السلطان قيل كان من ذهب
تجلس عليه وقيل ان العرش هنا الملك والاول اصح لقوله تعالى ايكم ياتيني بعرشها قال الزمخشري
فان قلت كيف سوى الهدهد بين عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظم قلت بين
الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابنا جنسها من
الملوك ووصف عرش الله بالعظم تعظيم له بالنسبة الى ما خلق من السماوات والارض قال ابن
عباس كان طول عرشها ثمانين ذراعا وعرضه اربعين ذراعا وارتفاعه ثلاثين ذراعا مكللا
بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وقوايمه من زبرجد اخضر قتادة وقوايمه لولوا
وجوهر وكان مسترا بالديباج والحرير عليه سبعة مغاليق قال مقاتل كان ثمانين ذراعا
في ثمانين ذراعا وارتفاعه من الارض ثمانين ذراعا وهو مكلل بالجواهر ابن اسحاق وكان
يخدمها النسا معها لخدمتها ستماية امراة قال ابن عطية واللازم من الاية انها امراة ملكت على
مداين اليمن ذات ملك عظيم وسرير عظيم وكانت كافرة من قوم كفار الثانية عشر قوله
تعالى وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله قيل كانت هذه الامة ممن يعبد
الشمس لانهم كانوا زنادقة فيما يروى وقيل كانوا مجوسا يعبدون الانوار روي عن نافع
ان الوقف على عرش قال المهدوي فعظيم على هذا متعلق بما بعده وكان ينبغي ان يكون عظيم
ان وجدتها اي عظيم وجودي اياها كافرة وقال ابن الانباري ولها عرش عظيم وقف حسن
لا يجوز ان يقف على العرش ويبتدي عظيم وجدتها الا على من فتح لان عظيم نعت للعرش
فلو كان متعلقا بوجدتها لقلت عظيمة وجدتها وهذا محال من كل وجه وقد حدثني ابو
بكر محمد بن الحسين بن شهريار قال ثنا ابو عبد الله الحسين ابن الاسود العجلي عن بعض اهل
العلم انه قال الوقف على عرش والابتدا عظيم على معنى عظيم عبادتهم الشمس والقمر قال وسمعت
ابن دريد يذم هذا الوقف ويحتج بان عرشها احقر وادق شانا من ان يصفه الله بالعظم قال
ابن الانباري والاختيار عندي ما ذكرته اولا اذ ليس على اضمار عبادة الشمس والقمر
دليل وغير منكر ان يصف الهدهد عرشها بالعظم اذ راه متناهي الطول والعرض وجريه على اعراب
عرش دليل على انه نعته وزين لهم الشيطان اعمالهم اي ما هم فيه من الكفر فصدهم عن السبيل
اي عن طريق التوحيد وبين بهذا ان ما ليس بسبيل التوحيد فليس بسبيل ينتفع به على
التحقيق فهم لا يهتدون الى الله والى توحيده الثالثة عشر قوله تعالى الا يسجدوا لله قرا
ابو عمرو وعاصم ونافع وحمزة والكسائي انلا يسجدوا بتشديد بان لا قال ابن الانباري فموضع
لا يهتدون غير تام لمن شدد الا لان المعنى وزين لهم الشيطان ان لا يسجدوا قال النحاس
هي ان دخلت عليها لا وان في موضع نصب قال الاخفش زين لهم اي زين لهم لئلا يسجدوا قال
الكسائي بصدهم ان لا يسجدوا وهو في الوجهين مفعول له وقال اليزيدي وعلي
ابن سليمان ان بدل من اعمالهم في موضع نصب وقال ابو عمرو ان في موضع خفض على البدل
من السبيل وقيل العامل فيها لا يهتدون اي فهم لا يهتدون ان يسجدوا لله اي لا يعلمون ان
ذلك واجب عليهم وعلى هذا القول لا زايدة كقوله ما منعك ان لا تسجد اي ما منعك ان تسجد
وعلى هذه القراة فليس بموضع سجدة لان ذلك خبر عنهم بترك السجود اما بالتزيين او بالصد
او بمنع الاهتدا وقرا الزهري والكسائي وغيرهما الا يسجدوا لله بمعنى الا يا هولا اسجدوا لله

لان يا ينادى بها الاسماء دون الافعال وانشد سيبويه
يا لعنة الله والاقوام كلهم ۞ والصالحين على سمعان من جار
وحكى بعضهم سماعا عن العرب الا يا ارحموا الا يا اصدقوا يريدون الا يا قوم ارحموا اصدقوا
فعلى هذه القراءة اسجدوا في موضع جزم بالامر والوقف عليه الا يا ثم يبتدئ فيقول اسجدوا
قال الكسائي ما كنت اسمع الاشياخ يقرؤنها الا بالتخفيف على نية الامر وفي قراءة عبد الله
هلا تسجدون لله بالتاء والنون وفي قراءة ابي الا تسجدوا لله فهاتان القراءتان حجة لمن
خفف الزجاج وقراءة التخفيف تقتضي وجوب السجود دون التشديد واختار ابو حاتم
وابو عبيد قراءة التشديد وقال التخفيف وجه حسن الا ان فيه انقطاع الخبر عن امر
سبا ثم يرجع بعد الى ذكرهم والقراءة بالتشديد خبر يتبع بعضه بعضا لا انقطاع في وسطه وبنحوه قال
النحاس قراءة التخفيف بعيدة لان الكلام يكون معترضا وقراءة التشديد يكون الكلام بها متسقا
وايضا فان السواد على غير هذه القراءة لانه قد حذف منها الفان وانما يختصر مثل هذا بحذف
الف واحدة نحو يا عيسى ابن مريم ابن الانباري وسقطت الف اسجدوا كما تسقط مع هؤلاء اذا
ظهر ولما سقطت الف يا واتصلت بها الف اسجدوا سقطت بعد سقوطها دلالة على الاختصار
وايثارا لما يخف ويقل الفاظه قال الجوهري اخر كتابه قال بعضهم ان يا في هذا الموضع انما
هو للتنبيه كانه قال الا اسجدوا فلما دخل عليه يا للتنبيه سقطت الالف التي في اسجدوا لانه
الف وصل وذهبت الالف التي في يا لاجتماع الساكنين لانها والسين ساكنتان قال ذو الرمة
الا يا اسلمي يا دارمي على البلى ۞ ولا زال منهلا بجرعائك القطر
وقال الجرجاني هو كلام معترض من الهدهد او سليمان او من الله تعالى اي الا ليسجدوا كقوله
قل للذين امنوا يغفروا قيل انه امر اي ليغفروا وينتظم على هذا كتابة المصحف اي ليس ها هنا
نداء قال ابن عطية قيل هو من كلام الهدهد الى قوله العظيم وهذا قول ابن زيد وابن اسحاق
ويعترض بانه غير مخاطب فكيف يتكلم في معنى شرع ويحتمل ان يكون من قول سليمان لما اخبره
الهدهد عن القوم ويحتمل ان يكون من الله تعالى فهو اعتراض بين الكلامين وهو الثابت
مع التامل وقراءة التشديد في ان لا تعطي ان الكلام للهدهد وقراءة التخفيف تمنعه والتخفيف
يقتضي الامر بالسجود لله عز وجل للامر على ما بيناه وقال الزمخشري فان قلت اسجدة التلاوة
واجبة في القراءتين جميعا ام لا او في احداهما قلت هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة
اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لتركها واحدى القراءتين امر بالسجود والاخرى ذم للتارك
قال مولفه رضي الله عنه وقد اخبر الله عن الكفار بانهم لا يسجدون كما في الانشقاق وسجد
النبي صلى الله عليه وسلم فيها كما ثبت في صحيح البخاري وغيره وكذلك النمل والله اعلم قال
الزمخشري وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف دون التشديد فغير مرجوع اليه
الذي يخرج الخبء خبء السماء قطرها وخبء الارض كنوزها ونباتها وقال قتادة الخبء السر
النحاس وهذا اولى اي ما غاب في السموات والارض ويدل عليه ما يخفون وما يعلنون اي يقبل
عذر رعيته ويدرأ العقوبة عنهم في ظاهر احوالهم بباطن اعتذارهم لان سليمان لم يعاقب
الهدهد حين اعتذر اليه وانما صار صدق الهدهد عذرا لانه اخبر بما يقتضي الجهاد وكان
سليمان حبب اليه الجهاد وفي الصحيح لا احد احب اليه العذر من الله من اجل ذلك بعث الله
النبيين مبشرين ومنذرين وقد قبل عمر عذر النعمان بن عدي ولم يعاقبه ولكن للامام ان
يمتحن ذلك اذا تعلق به حكم من الاحكام الشرعية كما فعل سليمان فانه لما قال الهدهد اني وجدت
امراة تملكهم واوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم لم يستفزه الطمع ولا استجره حب الزيادة في
الملك الى ان يعرض له حتى قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فغاظه
حينئذ ما سمع وطلب الانتهاء الى ما اخبر وتحصيل علم ما غاب عنه من ذلك فقال سننظر اصدقت
ام كنت من الكاذبين ونحو منه ما رواه الصحيح عن المسور بن مخرمة حين استشار عمر الناس
في اعلام المراة وهي التي يضرب بطنها فتلقي جنينها فقال المغيرة بن شعبة شهدت النبي صلى
الله عليه وسلم قضى فيه بغرة عبد او وليدة فقال عمر ائتني بمن يشهد معك قال فشهد له
محمد بن مسلمة وفي رواية قال لا تبرح حتى تاتي بالمخرج من ذلك فخرجت فوجدت محمد بن مسلمة

بخبر

يثبت به فشهد ونحوه حديث ابي موسى في الاستئذان وغيره والله اعلم السادسة عشر قوله
تعالى اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم قال الزجاج فيها خمسة اوجه فالقهي اليهم باثبات اليا
في اللفظ وبحذف اليا واثبات الكسرة دالة عليها فالقه اليهم وبضم الها واثبات الواو على الاصل
فالقهو اليهم وبحذف الواو واثبات الضمة فالقه اليهم واللغة الخامسة قرا بها حمزة باسكان
الها فالقه اليهم قال النحاس وهذا عند البصريين لا يجوز الا على حيلة بعيدة تكون بقدر الوقف
وسمعت علي بن سليمان يقول لا يلتفت الى هذه العلة ولو جاز ان يصل وهو ينوي الوقف
لجاز ان يحذف الاعراب من الاسماء وقال اليهم على لفظ الجمع ولم يقل اليها لانه قال وجدتها
وقومها يسجدون للشمس من دون الله فكانه قال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما منه بامر
الدين واشتغالا به عن غيره وبني الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع وكذلك ذكر وهب في قصص
هذه الاية ان الهدهد وصل فالفى دون هذه الملكة حجب جدرات فعمد الى كوة كانت بلقيس
صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها اياها فدخل ورمى الكتاب على بلقيس وهي
فيما يروى نائمة فلما انتبهت وجدته فراعها وظنت انه قد دخل عليها احد ثم قامت فوجدت حالها
كما عهدت فنظرت الى الكوة تهمما بامر الشمس فنظرت الهدهد وقال وهب وابن زيد كانت
لها كوة مستقبلة مطلع الشمس فاذا طلعت الشمس سجدت فسدها الهدهد بجناحه فارتفعت
الشمس ولم تعلم فلما استبطات الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة اليها فلما رات الخاتم
ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان عليه السلام كان في خاتمه فقرأته فجمعت الملا من
قومها فخاطبتهم بما ياتي بعد وقال مقاتل حمل الهدهد هذا الكتاب بمنقاره فطار حتى وقف
على راس المراة وحولها الجنود والعساكر فرفرف ساعة والناس ينظرون اليه فرفعت المراة
راسها فالقى الكتاب في حجرها السابعة عشر في هذه الاية دليل على ارسال الكتب الى المشركين
وتبليغهم الدعوة ودعائهم للاسلام وقد كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى كسرى وقيصر
والى كل جبار كما تقدم في ال عمران قوله تعالى ثم تول عنهم اي امره بالتولي ليكون حسب
ما يتادب به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعتهم قاله وهب ابن منبه وقال
ابن زيد امره بالتولي بمعنى الرجوع اليه اي القه وارجع قال وقوله فانظر ماذا يرجعون
في معنى التقديم على قوله ثم تول واتساق رتبة الكلام اظهر اي القه ثم تول وفي خلال ذلك
فانظر اي انتظر وقيل فاعلم كقوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي اعلم ماذا يرجعون اي
ماذا يجيبون او ماذا يردون من القول وقيل فانظر ماذا يرجعون فيما بينهم من الكلام قوله
تعالى قالت يا ايها الملا اني القي الي كتاب كريم فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى قالت
يا ايها الملا في الكلام حذف والمعنى فذهب فالقاه اليهم فسمعها تقول يا ايها الملا ثم وصفت
الكتاب بالكريم اما لانه من عند عظيم في نفسها ونفوسهم فعظمته اجلالا لسليمان عليه
السلام وهذا قول ابن زيد واما انها اشارت الى انه مطبوع عليه بالخاتم فكرامة الكتاب
ختمه وروي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لانه بدا فيه ببسم الله الرحمن الرحيم
وقد قال عليه السلام كل كلام لا يبدا فيه ببسم الله فهو اجذم وقيل لا يفعل ذلك الا الجلة وفي
حديث ابن عمر انه كتب الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين يبايعه من عبد الله لعبد الملك
ابن مروان امير المؤمنين اني اقر لك بالسمع والطاعة ما استطعت وان بني قد اقروا بذلك وقيل
توهمت انه كتاب جاء من السماء اذ كان الموصل طيرا وقيل كريم حسن كقوله ومقام كريم اي
مجلس حسن وقيل وصفته بذلك لما تضمن من لين القول والموعظة في الدعاء الى عبادة الله
عز وجل وحسن الاستعطاف والاستلطاف من غير ان يتضمن سبا ولا لعنا ولا ما يغير النفس
ومن غير كلام نازل ولا مستغلق على عادة الله عز وجل وحسن الاستعطاف والاستلطاف
من غير ان يتضمن سبا الا ترى الى قول الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم ادع الى سبيل
ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله لموسى وهرون فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى
وكلها وجوه حسان وهذا احسنها وقد روي انه لم يكتب بسم الله الرحمن الرحيم احد قبل سليمان
وفي قراءة ابي وانه بزيادة واو الثانية الوصف بالكريم في الكتاب غاية الوصف الا ترى
الى قوله تعالى انه لقران كريم واهل الزمان يصفون الكتاب بالحكمة والابر المبرورات

كان الملك قالوا العزيز واستطوا الكريم عقله وهو افضلها خصلة فاما الوصف بالعزيز فقد
وصف به القران فقال تعالى وانه لكتاب عزيز فهذه عزته وليست لاحد الا له فاجتنبوه
في كتبكم واجعلوا بدلها العالي توفية بحق الولاية وحيطة لها لزيادة قال القاضي ابو بكر ابن
العربي الثالثة كان رسم المتقدمين اذا كتبوا ان يبدوا بانفسهم من فلان الى فلان وبذلك
جات الاثار وروى الربيع عن انس قال ما كان احد اعظم حرمة من النبي صلى الله عليه
وسلم وكان اصحابه اذا كتبوا بدوا بانفسهم وقال ابن سيرين قال النبي صلى الله عليه وسلم
ان اهل فارس اذا كتبوا بدوا بعظمايهم فلا يبدا الرجل الا بنفسه قال ابو الليث في كتاب
البستان له ولو بدا بالمكتوب اليه جاز لان الامة قد اجمعت عليه وفعلوه لمصلحة راوا في ذلك
او نسخ ما كان من قبل فالاحسن في زماننا هذا ان يبدا بالمكتوب اليه ثم بنفسه لان البداية
بنفسه تعد منه استخفافا بالمكتوب اليه وتكبرا عليه الا ان يكتب الى عبد من عبيده او غلام من
غلمانه الرابعة اذا ورد على انسان كتاب بالتحية او نحوها ينبغي ان يرد الجواب لان الكتاب من
الغايب كالسلام من الحاضر وروي عن ابن عباس انه كان يرى رد الكتاب واجبا كما كان يرى
رد السلام والله اعلم الخامسة اتفقوا على كتب بسم الله الرحمن الرحيم في اول الكتب وفي اول
الرسايل وعلى ختمها لانها ابعد من الريبة وعلى هذا جرى الرسم وبه جا الاثر عن عمر ابن الخطاب
رضي الله عنه انه قال ايما كتاب لم يكن مختوما فهو اغلف وفي الحديث كرم الكتاب ختمه وقال
بعض الادبا من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به لان الختم ختم وقال انس لما اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه ختم فاصطنع خاتما
ونقش على فصه لا اله الا الله محمد رسول الله فكاني انظر الى وبيصه وبياضه في كفه السادسة
قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم وانه بالكسر فيهما اي وان الكلام او وان مبتدا
هذا الكلام هو بسم الله الرحمن الرحيم واجاز الفرا انه من سليمان وانه بسم الله بفتحهما جميعا
على ان يكونا في موضع رفع بدل من الكتاب بمعنى القي الي انه من سليمان واجاز ان يكونا في
موضع نصب على حذف الخافض اي لانه من سليمان ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان
وتصديره ببسم الله وقرا الاشهب العقيلي ومحمد ابن السميقع الا تغلوا بالغين المعجمة وروي
عن وهب ابن منبه من غلا يغلو اذا تكبر وتجاوز وهي راجعة الى معنى قراة الجماعة واتوني
مسلمين اي منقادين طايعين مومنين قوله تعالى قالت يا ايها الملا افتوني في امري
الملا اشراف القوم وقد مضى في البقرة القول فيه قال ابن عباس كان معها الف قيل وقيل
اثنا عشر الف قيل مع كل قيل مائة الف والقيل الملك دون الملك الاعظم فاخذت في حسن
الادب في مشاورتهم في امرها واعلمتهم ان ذلك مطرد عندها في كل امر يعرض بقولها
ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون فكيف في هذه النازلة الكبرى فراجعها الملا بما يقر عينها من
اعلامهم اياها بالقوة والباس ثم سلموا الامر الى نظرها وهذه محاورة حسنة من الجميع قال قتادة
ذكر لنا انه كان لها ثلثمائة وثلثة عشر رجلا هم اهل مشورتها كل منهم على عشرة الاف الثانية
في هذه الاية دليل على صحة المشاورة وقد قال لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر
في ال عمران اما استعانة بالارا واما مداراة للاوليا وقد مدح الله الفضلا بقوله وامرهم شورى
بينهم فالمشاورة من الامر القديم وخاصة في الحرب فهذه بلقيس امراة جاهلية كانت تعبد
الشمس قالت يا ايها الملا افتوني في امري ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون لتختبر عزمهم
على مقاومة عدوهم وحزمهم فيما يقيم امرهم وامضاهم على الطاعة لها بعلمها بانهم ان لم يبذلوا
انفسهم واموالهم ودماهم دونها لم يكن لها طاقة بمقاومة عدوها وان لم يجتمع امرهم وحزمهم وجدهم
كان ذلك عونا لعدوهم عليهم وان لم تختبر ما عندهم وتعلم قدر عزمهم لم تكن على بصيرة من امرهم
وربما كان في استبدادها برايها وهن في طاعتها ودخلة في تقدير امرهم وكان في مشاورتهم واخذ
رايهم عون على ما تريده من قوة شوكتهم وشدة مدافعتهم الا ترى الى قولهم في جوابهم
نحن اولو قوة واولو باس شديد قال ابن عباس كان من قوة احدهم انه يركض فرسه حتى
اذا احتدم ضمه بفخذيه فحبسه بقوته الثالثة قوله تعالى والامر اليك فانظري ماذا تامرين
سلموا الامر الى نظرها مع ما اظهروا لها من القوة والباس والشدة فلما فعلوا ذلك اخبرت عند

ذلك

ذلك بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي هذا الكلام خوف على قومها وحيطة لهم واستعظام
لامر سليمان عليه السلام وكذلك يفعلون قيل هو من قول بلقيس تاكيدا للمعنى الذي ارادته وقال
ابن عباس هو من قول الله عز وجل معرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته بذلك ومخبرا به وقال
وهب لما قرات عليهم الكتاب لم تعرف اسم الله فقالت ما هذا فقال بعض القوم ما نظن هذا الا
عفريت عظيم من الجن يقتدر به هذا الملك على ما يريده فسكتوه وقال الاخر اراهم ثلاثة من
العفاريت فسكتوه فقال شاب قد علمت يا سيدة الملوك ان سليمان ملك قد اعطاه الله ملك السما
ملكا عظيما فهو لا يتكلم بكلمة الا بدا فيها بتسمية الله والله اسم مليك السما والرحمن الرحيم نعوته
فعندها قالت افتوني في امري فقالوا نحن اولو قوة واولو باس شديد في القتال ونحو
ذلك والامر اليك ردوا امرهم اليها لما جربوا على رايها من البركة فانظري ماذا تامرين
قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها وجعلوا اعزة اهلها اذلة اهانوا اشرافها ليستقيم
لهم الامور فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون قال ابن الانباري وجعلوا اعزة اهلها
اذلة هذا وقف تام فقال الله تعالى تحقيقا لقولها وكذلك يفعلون وشبيه به في سورة
الاعراف قال الملا من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم تم الكلام
فقال فرعون فماذا تامرون وقال ابن شجرة هو من قول بلقيس فالوقف وكذلك يفعلون
اي وكذلك يفعل سليمان اذا دخل بلادنا قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية فيه ست مسايل
الاولى قوله تعالى واني مرسلة اليهم بهدية هذا من حسن نظرها وتدبيرها اي اني اجرب
هذا الرجل بهدية واعطيه فيها نفايس الاموال واغرب عليه بامور المملكة فان كان ملكا
دنياويا ارضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك وان كان نبيا لم يرضه المال ولازمنا في امر الدين فينبغي
ان نومن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة اكثر الناس في تفصيلها قال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس بلبنة من ذهب فرات الرسل الحيطان من ذهب فصغر عندهم ما جاوا
به وقال مجاهد ارسلت بماتي غلام وماتي جارية وروي عن ابن عباس باثني عشر وصيفا
مذكرين قد البستهم زي الغلمان واثني عشر غلاما مونثين قد البستهم زي النسا وعلى يدي
الوصايف اطباق مسك وعنبر وباثنتي عشرة نجيبة تحمل الذهب والفضة وبخرزتين احداهما
مثقوبة والاخرى غير مثقوبة والاخرى مثقوبة ثقبا معوجا وبقدح لا شي فيه وعصا كانوا
يتوارثونها ملوك حمير وانفذت الهدية مع جماعة من قومها وقيل كان الرسول واحدا ولكن كان
في صحبته اتباع وخدم وقيل ارسلت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر ابن عمرو وضمت اليه رجالا
ذوي اراء وعقول والهدية مائة وصيف ومائة وصيفة قد خولف بينهم في اللباس وقالت للغلمان
اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تانيث يشبه كلام النسا وقالت للجواري اذا كلمكم فكلموه بكلام
فيه غلظ يشبه كلام الرجال فيقال ان الهدهد جا فاخبر سليمان بذلك كله وقيل ان الله تعالى
اخبر سليمان بذلك فامر سليمان عليه السلام ان يبسط من موضعه الى خمسة فراسخ بلبنات الذهب
والفضة ثم قال لجنوده اي الدواب رايتم احسن في البر والبحر قالوا يا نبي الله رايناها في البحر
كذا دواب منقطة مختلفة الوانها لها اجنحة واعراف ونواصي فامر بها فجات فشدت على الميدان
وعلى يساره وعلى لبنات الذهب والفضة والقوا اليها علوفها ثم قال للجن علي باولادكم احسن
ما يكون من الشباب فاقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان على كرسيه في مجلسه ووضع
له اربعة الاف كرسي من ذهب عن يمينه ومثلها عن شماله واجلس عليها الانبيا والعلما وامر
الشياطين والجن ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر السباع والوحوش والهوام والطير فاصطفوا
فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التي
لم تر اعينهم احسن منها تروث على لبنات الذهب والفضة تقاصرت اليهم انفسهم ورموا ما معهم
من الهدية وفي بعض الروايات ان سليمان لما امرهم بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة
امرهم ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر بساط من الارض غير مفروش فلما مروا بها خافوا ان
يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان فلما راوا الشياطين راوا منظرا هايلا فظيعا ففزعوا
وخافوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لا باس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن
والانس والبهايم والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان عليه

السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقد كانت قالت لرسلها ان نظر اليكم نظر مغضب فاعلموا انه ملك فلا يهولنكم منظره فانا اعز منه وان رايت الرجل هشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل فتفهموا قوله وردوا الجواب فاخبر الهدهد سليمان بذلك على ما تقدم وكانت عمدت الى حقة من ذهب فجعلت فيها درة يتيمة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب وكتبت كتابا مع رسولها تقول فيه ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء والوصائف واخبر بما في الحقة وعرفني راس العصا من اسفلها واثقب الدرة ثقبا مستويا وادخل خيط الخرزة واملا القدح ماء ليس من الارض ولا من السما فلما وصل الرسول ووقف بين يدي سليمان عليه السلام اعطاه الملكة فنظر فيه وقال اين الحقة فاتاه جبريل فاخبره بما فيها ثم اخبرهم سليمان فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الخرزة فسال سليمان الجن والانس عن ثقبها فعجزوا فقال للشياطين ما الراي فيها فقالوا ترسل الى الارضة فارسل الى الارضة فاخذت شعرة في فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها الخيط فقالت دودة بيضا انا لها يا نبي الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تجعل رزقي في الفواكه قال ذلك لك ثم ميز بين الغلمان قال السدي امرهم بالوضوء فجعل الرجل يحدر الماء على اليد والرجل حدرا وجعل الجواري يصببن من اليد اليسرى على اليمنى ومن اليمنى على اليسرى فميز بينهم بهذا وقيل كانت الجارية تاخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تحمله على الاخرى ثم تضرب به على الوجه والغلام كان ياخذه من الآنية يضرب به في الوجه والجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد والجارية تصب الماء صبا والغلام يحدر على يديه فميز بينهم بهذا وروى يعلى ابن مسلم عن سعيد ابن جبير قال ارسلت بلقيس بمائتي وصيف ووصيفة وقالت ان كان نبيا فسيعلم الذكور من الاناث فامرهم فتوضؤوا فمن توضا منهم فبدا بمرفقه قبل كفه قال هو من الاناث ومن بدا بكفه قبل مرفقه قال هو من الذكور ثم ارسل العصا الى الهوى فقال اي الراسين سبق الى الارض فهو اصلها وامر بالخيل فاجريت حتى عرقت وملا القدح من عرقها ثم رد سليمان الهدية فروي انه لما صرفت الهدية عليها واخبرها رسولها بما شاهد قالت لها هذا امر من السما الثانية كان النبي صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ولا يقبل الصدقة وكذلك كان سليمان وجميع الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين وانما جعلت بلقيس قبول الهدية او ردها علامة على ما في نفسها على ما ذكرناه من كون سليمان ملكا او نبيا لانه قال لها في كتابه الا تعلوا علي واتوني مسلمين وهذا لا تقبل فيه فدية ولا يوخذ عنه هدية وليس من هذا الباب الذي تقرر في الشريعة من قبول الهدية بسبيل وانما هي رشوة وبيع الحق بالباطل وهي الرشوة التي لا تحل واما الهدية المطلقة للتحبب والتواصل فانها جائزة من كل احد وعلى كل احد وهذا ما لم تكن من مشرك الثالثة فان كانت من مشرك ففي الحديث عن وفد المشركين يعني رفدهم وعطاياهم وروي عنه عليه السلام انه قبلها كما في حديث مالك عن ثور ابن زيد الديلي وغيره فقال جماعة من العلما بالنسخ فيها وقال آخرون ليس فيها ناسخ ولا منسوخ والمعنى فيها انه كان لا يقبل هدية من يطمع بالظهور عليه واخذ بلده ودخوله في الاسلام وبهذه الصفة كانت حالة سليمان عليه السلام فعن مثل هذا نهي ان تقبل هديته حملا على الكف عنه وهذا احسن تاويل للعلما في هذا فانه جمع بين الاحاديث وقيل غير هذا الرابعة الهدية مندوب اليها وهي مما تورث المودة وتذهب العداوة روى مالك عن عبد الله بن عطا الخراساني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تصافحوا يذهب الغل وتهادوا تحابوا وتذهب الشحنا وروى معاوية ابن الحكم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فانه يضعف الود ويذهب بغوايل الصدور وقال الدارقطني تفرد به ابن بحر عن ابيه عن مالك ولم يكن بالمرضي ولا يصح عن مالك ولا عن الزهري وعن ابن شهاب قال بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تهادوا بينكم فان الهدية تذهب السخيمة قال ابن وهب سالت يونس عن السخيمة ما هي فقال الغل وهذا الحديث وصله الوقاصي عثمان عن الزهري وهو ضعيف وعلى الجملة

فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية وفيه الاسوة الحسنة ومن فضل الهدية مع اتباع السنة انها تزيل حزازات النفوس وتكسب المهدي والمهدى اليه رقة في اللقا والجلوس ولقد احسن من قال

هدايا الناس بعضهم لبعض ۞ تولد في قلوبهم الوصالا ۞
وتزرع في الضمير هوى وودا ۞ وتكسبهم اذا حضروا جمالا ۞

وقال آخر

ان الهدايا لها حظ اذا وردت ۞ احظى من الابن عند الوالد الحدث ۞

الخامسة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال جلساؤكم شركاؤكم بما وجه الكرم والمروة فان لم يفعل فلا يجبر عليه وقال ابو يوسف ذلك في الفواكه ونحوها وقال بعضهم هم شركاوه في السرور لا في الهدية والخبر محمول في مثل اصحاب الصفة والخوانق والرباطات واما اذا كانت فقها من الفقها اختص بها فلا شركة فيها لاصحابه فان اشركهم فذلك جود وكرم منه السادسة قوله تعالى فناظرة بم يرجع المرسلون قال قتادة يرحمها الله ان كانت لعاقلة في اسلامها وشركها قد علمت ان الهدية تقع موقعا من الناس وسقطت الالف في بم للفرق بين ما الخبرية وقد يجوز اثباتها قال

على ما قام يشتمني لئيم ۞ كخنزير تمرغ في رماد ۞

قوله تعالى فلما جاء سليمان اي جاء سليمان الرسول بالهدية قال اتمدونني بمال قرا حمزة ويعقوب والاعمش بنون واحدة مشددة بعدها يا في اللفظ قال ابن الانباري فهذه الرواية يجب فيها اثبات اليا عند الوقف ليصح لها موافقتها المصحف والاصل في النون التشديد فخفف التشديد من هذا الموضع كما خفف اشهد انك عالم والاصل انك عالم وعلى هذا المعنى بني الذي قرا تشاقون فيهم اتحاجوني في الله وقد هدان وقد قالت الرجال يضر يوسف وتعيضه وبني واصله يضربوني لانها ادغام يضر بوني وتعيضه وفي قال الشاعر

ترهبيني والجيد منك لليلى ۞ والحشا والبغام والعينان ۞

والاصل ترهبينني فخفف ومعنى اتمدونني اتزيدونني مالا الى ما تشاهدونه من اموالي قوله تعالى فما اتاني الله خير مما اتاكم اي ما اعطاني الله من الاسلام والملك والنبوة خير مما اعطاكم فلا افرح بالمال واتاني وقفت في كل المصاحف بغير يا وقرا ابو عمرو ونافع وحفص اتاني الله بيا مفتوحة فاذا وقفوا حذفوا واما يعقوب فانه يثبتها في الوقف ويحذف في الاصل لالتقا الساكنين الباقون بغير يا في الحالين بل انتم بهديتكم تفرحون لانكم اهل مفاخرة ومكاثرة في الدنيا قوله تعالى ارجع اليهم اي قال سليمان للمنذر ابن عمرو امير الوفد ارجع اليهم بهديتهم فلناتينهم بجنود لا قبل لهم بها لام قسم واللام لها الازم قال النحاس وسمعت ابا الحسن ابن كيسان يقول هي لام توكيد ولام امر ولام خفض وهذا قول الحذاق من النحويين لانهم يردون الشي الى اصله وهذا لا يتهيا الا لمن درب في العربية ومعنى لا قبل لهم بها اي لا طاقة لهم عليها ولنخرجنهم منها اي من ارضهم اذلة وهم صاغرون وقيل منها اي من قرية سبا وقد سبق ذكر القرية في قوله ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها اذلة قد سلبوا ملكهم وعزهم وهم صاغرون بها نوين اذلا من الصغر هو الذل ان لم يسلموا فرجع اليها رسولها فاخبرها فقالت قد عرفت انه ليس بملك ولا طاقة لنا بقتال نبي من انبيا الله ثم امرت بعرشها فجعل في سبعة ابيات بعضها في جوف بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها وغلقت الابواب وجعلت الحرس عليه وتوجهت اليه في اثنا عشر الف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة الف قال ابن عباس وكان سليمان مهيبا لا يبتدي بشي حتى يكون هو يسال عنه فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يا نبي الله فقال سليمان لجنوده وقال وهب وغيره للجن ايكم ياتيني بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين وقال عبد الله بن شداد كانت بلقيس على فرسخ من سليمان لما قال ايكم ياتيني بعرشها وكانت خلفت عرشها بسبا ووكلت به حفظة وقيل انها بعثت بالهدية بعثت رسلها في جندها لتغافص سليمان عليه السلام بالقتل قبل ان يتاهب سليمان لها ان كان طالب ملك فلما علم ذلك قال ايكم ياتيني بعرشها قال ابن عباس كان امره بالاتيان بالعرش قبل ان يكتب الكتاب اليها ولم يكتب اليها حتى جاءه العرش قال ابن عطية وظاهر الآيات ان هذه المقالة من سليمان عليه السلام هي بعد مجي هديتها ورده اياها وبعثه الهدهد بالكتاب وعلى هذا جمهور المتاولين واختلفوا في فايدة استدعا عرشها فقال قتادة ذكر

له يعظم كونه فاراد اخذه قبل ان يعصمها وقومها الاسلام ويحمي اسلامهم والاسلام على هذا
الدين وهو قول ابن جريج وقال ابن زيد استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله
ويجعله دليلا على نبوته لاخذه من بيوتها دون جيش ولا حرب وقوله مسلمين على هذا التاويل
بمعنى مستسلمين وهو قول ابن عباس وقال ابن زيد ايضا اراد ان يختبر عقلها ولهذا قال
نكروا لها عرشها ننظر اتهتدي وقيل خافت الجن ان يتزوج بها سليمان عليه السلام فيولد
منها فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان فقالت لسليمان في عقلها خلل فاراد ان
يمتحنها بعقلها وقيل اراد ان يختبر بها صدق الهدهد في قوله ولها عرش عظيم قال الطبري
وعن قتادة احب ان يراه لما وصفه الهدهد والقول الاول عليه اكثر اهل العلم كقوله تعالى قبل
ان ياتوني مسلمين ولانها لو اسلمت لحظر عليه مالها فلا يؤتى به الاباذنها فروي انه كان
من ذهب وفضة مرصعا بالجوهر والياقوت وانه كان في جوف سبعة ابيات عليه سبعة
اغلاق قوله تعالى قال عفريت من الجن كذا قرا الجمهور وقرا ابو رجا وعيسى الثقفي عفرية
وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وفي الحديث ان الله يبغض العفرية النفرية
اتباع لعفرية قال قتادة هي الداهية قال النحاس يقال للشديد بمعصية اذا كان معه خبث
ودهاء عفر وعفرية وعفريت وعفارية وقيل عفريت اي رئيس وقرات فرقة قال عفر بكسر العين
ابن عطية قال النحاس من قال عفرية جمعه على عفار ومن قال عفريت فله في الجمع ثلاثة
اوجه ان شا قال عفاريت وان شا قال عفار لان التا زائدة كما يقال طواغ في جمع طواغيت
وان شا عوض من الطا يا فقال عفاري والعفريت من الشياطين القوي المارد والتا زائدة
وقد قيل تعفرت الرجل اذا تخلق بالاذاية قال وهب بن منبه اسم هذا العفريت كودن
ذكره النحاس وقيل ذكوان ذكره السهيلي وقال شعيب الجبائي اسمه دعوان وروي عن ابن
عباس انه صخر الجني ومن هذا الاسم قول ذي الرمة

كانه كوكب في اثر عفرية • مصوب في سواد الليل منقضب • وانشد الكسائي

فقال شيطان لهم عفريت • ما لكم ملك ولا تثبيت •

وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عفريتا من الجن
جعل يفتك علي البارحة ليقطع الصلاة وان الله امكنني منه فذعته وذكر الحديث وفي
البخاري تفلت علي البارحة مكان جعل يفتك وفي الموطا عن يحيى بن سعيد انه قال
اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم فراى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت
رسول الله صلى الله عليه وسلم راه فقال جبريل الا اعلمك كلمات تقولهن اذا قلتهن طفيت
شعلته وخر لفيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى فقال اعوذ بوجه الله الكريم
وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السما ومن شر
ما يعرج فيها ومن شر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل الا طارق
يطرق بخير يا رحمن قوله تعالى انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك يعني مجلسه الذي
يحكم فيه واني عليه لقوي امين اي قوي على حمله امين على ما فيه ابن عباس على فرج
المراة ذكره المهدوي فقال سليمان اريد اسرع من ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك اكثر المفسرين على ان الذي عنده علم من الكتاب
اصف بن برخيا وهو من بني اسرائيل وكان صديقا يحفظ اسم الله الاعظم الذي اذا دعي
الله به اجاب واذا سئل به اعطى وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان اسم الله الاعظم الذي دعا به اصف يا حي يا قيوم وقيل هو بلسانهم اهيا شراهيا
وقال الزهري دعا الذي عنده اسم الله الاعظم يا الهنا واله كل شيء الها واحدا
لا اله الا انت ايتني بعرشها فمثل بين يديه وقال مجاهد دعا فقال يا الهنا واله
كل شيء يا ذا الجلال والاكرام قال السهيلي الذي عنده علم من الكتاب هو اصف بن
برخيا ابن خالة سليمان وكان عنده اسم الله الاعظم من اسما الله تعالى وقيل هو
سليمان نفسه ولا يصح في سياق الكلام مثل هذا التاويل قال ابن عطية وقالت
فرقة هو سليمان عليه السلام والمخاطبة في هذا التاويل للعفريت لما قال انا اتيك به

قبل ان يرتد اليك طرفك واستدل قايلو هذه المقالة بقول سليمان هذا من فضل ربي قلت
ما ذكر ابن عطية قاله النحاس في معاني القران له وهو قول حسن ان شا الله قال بعض هو ملك
ارسله الله عند قول العفريت قال السهيلي وذكر محمد بن الحسن المقري انه ضبة بن اد وهذا
لا يصح البتة لان ضبة هو ابن اد بن طابخة واسمه عمرو بن الياس بن مضر بن نزار بن معد ومعد
كان في مدة بخت نصر وذلك بعد عهد سليمان بدهر طويل فاذا لم يكن معد في عهد سليمان فكيف
ضبة ابن اد وهو بعده بخمسة ابا وهذا بين لمن تامله قال ابن لهيعة هو الخضر عليه السلام
وقال ابن زيد الذي عنده علم من الكتاب رجل صالح كان في جزيرة من جزاير البحر خرج
ذلك اليوم ينظر من ساكن الارض وهل يعبد الله ام لا فوجد سليمان فدعا باسم من اسما الله
فجيء بالعرش وقول سابع انه رجل من بني اسرائيل اسمه يمليخا كان يعلم اسم الله الاعظم ذكره
القشيري قال ابن ابي بزة الرجل الذي عنده علم من الكتاب اسمه اسطوم كان عابدا في
بني اسرائيل ذكره الغزنوي وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان عليه السلام اما ان الناس
يرون انه كان معه اسم وليس ذلك كذلك انما كان رجلا من بني اسرائيل عالما اتاه الله علما
وفقها قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال هات قال انت نبي الله فان دعوت
الله اجابك فدعا الله سليمان فجاء الله بالعرش وقول تاسع وهو انه جبريل عليه السلام قاله
النخعي وروي عن ابن عباس وعلم الكتاب على هذا علمه بكتب الله تعالى المنزلة او بما في
اللوح المحفوظ وقيل علم كتاب سليمان الى بلقيس قال ابن عطية والذي عليه الجمهور من
الناس انه رجل صالح من بني اسرائيل اسمه اصف بن برخيا وروي انه صلى ركعتين ثم قال يا نبي
الله امدد بصرك نحو اليمن فمد بصره نحو اليمن فاذا بالعرش فما رد سليمان بصره الا وهو عنده قال
مجاهد هو ادامة النظر حتى يرتد طرفه خاسيا حسيرا وقيل اراد مقدار ما يفتح عينه ثم يطرف
وهو كما تقول افعل كذا في لحظة عين وهذا اشبه لانه ان كان هذا الفعل من سليمان فهو
معجزة وان كان من اصف وغيره من اولياء الله تعالى فهو كرامة وكرامة الولي معجزة للنبي
قال القشيري وقد انكر كرامات الاولياء من قال ان الذي عنده علم من الكتاب هو سليمان قال
للعفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك وعندهم ان اما فعل العفريت فليس من
المعجزات ولا من الكرامات فان الجن يقدرون على مثل هذا ولا يقطع جوهر في حال واحد مكانين
بل يتصور ذلك بان يعدم الله الجوهر في اقصى الشرق ثم يعيده في الحالة الثانية التي بعد العدم
في اقصى الغرب او يعدم الاماكن المتوسطة ثم يعيدها قاله القشيري ورواه ابن وهب عن مالك
وقد قيل بل جي به في الهوى قال مجاهد وكان بين سليمان والعرش كما بين الكوفة والحيرة
وقال مالك كانت باليمن وسليمان عليه السلام بالشام وفي التفاسير انخرق بعرش بلقيس
مكانه الذي هو فيه ثم نبع بين يدي سليمان قال عبد الله بن شداد وظهر العرش من نفق تحت
الارض والله اعلم اي ذلك كان قوله تعالى فلما راه مستقرا عنده قال هذا من فضل ربي
اي هذا النصر والتمكين من فضل الله ليبلوني قال الاخفش المعنى لينظر اشكر ام كفر وقال
غيره معنى ليبلوني ليتعبدني وهو مجاز والاصل في الابتلا الاختبار اي ليختبرني اشكر نعمته
ام كفرها ومن شكر فانما يشكر لنفسه اي لا يرجع نفع ذلك الا الى نفسه حيث استوجب بشكره
تمام النعمة ودوامها والمزيد منها والشكر قيد النعمة الموجودة وبه تنال النعمة المفقودة ومن
كفر فان ربي غني كريم اي عن الشكر كريم في التفضيل قوله تعالى قال نكروا لها عرشها
اي غيروه قيل جعلوا اسفله اعلاه واعلاه اسفله وقيل غيروه بزيادة او نقصان قال
الفرا وغيره انما امر بتنكيره لان الشياطين قالوا له ان في عقلها شيا فاراد ان يمتحنها وقيل خافت
الجن ان يتزوجها سليمان فيولد له منها ولد فيبقوا مسخرين لال سليمان ابدا فقالوا لسليمان
انها ضعيفة العقل ورجلها كرجل الحمار فقال نكروا لها عرشها لنعرف عقلها وكان لسليمان ناصح
من الجن فقال كيف لي ان ارى قدميها من غير ان اسالها كشفها فقال انا اجعل في هذا القصر
ما واجعل فوق الما زجاجا حتى تظن انه ما فترفع ثوبها فترى قدميها وهو هذا الصرح الذي
اخبر الله تعالى عنه قوله تعالى فلما جاءت يريد بلقيس قيل لها اهكذا عرشك قالت كانه
هو شبهته به لانها خلفته تحت الاغلاق فلم تقر بذلك ولم تنكر فهم سليمان عليه السلام كمال

عقلها قال عكرمة كانت حكيمة فقالت كانه هو وقال مقاتل عرفته ولكن شبهت عليهم كما
شبهوا عليها ولو قيل لها اهذا عرشك لقالت نعم وقال الحسن ابن الفضل ايضا وقيل اراد سليمان
ان يظهر لها ان الجن مسخرون له وكذلك الشياطين لتعرف انها نبوه وتؤمن وقيل هذا في مقابلة
تعميتها الامر في باب العرش والجواري واوتينا العلم من قبلها قيل هو من قول بلقيس اي واوتينا
العلم بصحة نبوة سليمان من قبل هذه الاية في العرش وكنا مسلمين منقادين لامره وقيل هو
من قول سليمان اي اوتينا العلم بقدرة الله على ما نشا من قبل هذه المرة وقيل واوتينا العلم
باسلامها ومجيئها طائعة من قبل مجيئها وهو من كلام قول سليمان قوله تعالى وصدها
ما كانت تعبد من دون الله الوقف على من دون الله حسن والمعنى منعها من ان تعبد الله ما
كانت تعبد من الشمس والقمر فما على هذا التاويل في موضع رفع النحاس المعنى اي صدها عبادتها
من دون الله وعبادتها اياها عن ان تعلم ما علمنا ويجوز ان يكون ما في موضع نصب ويكون
التقدير وصدها سليمان عما كانت تعبده من دون الله اي حال بينها وبينه ويجوز ان يكون
المعنى وصدها الله اي منعها الله عن عبادتها غيره فحذفت عن وتعدي الفعل نظيره واختار
موسى قومه اي من قومه وانشد سيبويه

• نبئت عبد الله بالجو اصبحت • كراما مواليها لئيما صميمها •

وزعم ان المعنى عنده نبئت عن عبد الله انها كانت من قوم كافرين قرا سعيد ابن جبير انها
بفتح الهمزة وهي في موضع نصب بمعنى لانها ويجوز ان يكون بدلا من ما فيكون في موضع رفع
ان كانت ما فاعلة وعلى ان فاعلة الصدر والكسر على الاستئناف قوله تعالى قيل لها
ادخلي الصرح دخلت الى وعدي الفعل وابو العباس يغلط في هذا قال لان دخل يدل على
مدخول وكان الصرح صحنا من زجاج تحته ما وفيه الحيتان عمله ليريها ملكا اعظم من
ملكها قاله مجاهد وقال قتادة كان من قوارير خلفه ما حسبته لجة اي ما وقيل الصرح القصر
عند ابي عبيدة كما قال • تحسب اعلامهن الصروحا • وقيل الصرح الصحن كما يقال هذه
صرحة الدار وقاعتها بمعنى وحكى ابو عبيد في الغريب المصنف ان الصرح كل بنا عالي مرتفع
من الارض وان الممرد الطويل قال النحاس اصل هذا انه يقال لكل ما عمل عملا واحدا
صرح من قولهم لبن صريح اذا لم يشبه ما ومن قولهم صرح بالامر ومنه عربي صريح وقيل
عمله ليختبر قول الجن ان امها من الجن ورجلها رجل حمار قاله وهب ابن منبه فلما رات
اللجة فزعت وظنت انها قصد بها الغرق وتعجبت من كون كرسيه على الما ورات ما هالها
ولم يكن لها بد من الامتثال للامر فكشفت عن ساقيها فاذا هي من احسن النسا ساقا سليمة
ما قالت الجن غير انها كانت كثيرة فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان بعد ان صرف بصره
عنها انه صرح ممرد من قوارير والممرد المحكوك المملس ومنه الامرد وتمرد الرجل اذا ابطا
خروج لحيته بعد ادراكه قاله الفرا ومنه الشجرة المردا التي لا ورق عليها ورملة مردا اذا
كانت لا تنبت والممرد ايضا المطول ومنه قيل للحصن مارد ابو صالح طويل على هيئة النخلة
ابن شجرة واسع في طوله وعرضه قال

• غدوت صباحا باكرا فوجدتهم • قبيل الضحى في السابري الممرد •

اي الدروع الواسعة وعند ذلك اسلمت بلقيس واذعنت وسلمت واقرت على نفسها بالظلم
على ما يأتي ولما راى سليمان عليه السلام قدميها قال لنا صحة من الشياطين كيف لي ان اقلع
هذا الشعر من غير مضرة بالجسد فدله على عمل النورة فكانت النورة والحمامات من يومئذ
فراى ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقال سعيد بن عبد
العزيز في كتاب النقاش تزوجها وردها الى ملكها باليمن فكان ياتيها على الريح في كل
شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات في زمانه وفي بعض الاخبار ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال كانت بلقيس من احسن نسا العالمين ساقا وهي من ازواج سليمان
عليه السلام في الجنة فقالت عائشة هي احسن ساقين مني فقال عليه السلام انت احسن
ساقين منها في الجنة ذكره القشيري وذكر الثعلبي عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اول من اتخذ الحمامات سليمان بن داود عليه السلام فلما الصق ظهره الى الجدار

حتى

خشية حرها قال اواه من عذاب الله ثم احبها حبا شديدا واقرها على ملكها باليمن وامر الجن
فبنوا لها ثلاث حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا سلحون وبينون وغمدان ثم كان سليمان
يزورها في كل شهر مرة ويقيم عندها ثلاثة وحكى الشعبي ان ناسا من حمير حفروا مقبرة
الملوك فوجدوا فيها قبرا معقودا فيه امراة عليها حلة منسوجة بالذهب وعند راسها
لوح من رخام فيه مكتوب

• يا ايها الاقوام عوجوا معا • واربعوا في مقبري العيسا •
• لتعلموا اني تلك التي • قد كنت ادعى الدهر بلقيسا •
• شيدت قصر الملك في حمير • قومي وقدما كان ماموسا •
• وكنت في ملكي وتدبيرها • ارغم في الله المغاطيسا •
• بعلي سليمان النبي الذي • قد كان للتوراة دريسا •
• وسخر الريح له مركبا • تهب احيانا ورامسا •
• مع ابن داود الذي • قدسه الرحمن تقديسا •

وقال محمد بن اسحاق ووهب ابن منبه لم يتزوجها سليمان وانما قال لها اختاري زوجا فقالت
مثلي لا ينكح وقد كان لي من الملك ما كان فقال لا بد في الاسلام من ذلك فاختارت ذا تبع ملك
همدان فزوجه اياها وردها الى اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن ان يطيعه فبنى لها المصانع
ولم يزل اميرا حتى مات سليمان وقال قوم لم يرد فيه خبر صحيح لا في انه تزوجها ولا في انه زوجها
وهي بلقيس بنت السرح ابن الهداهد ابن اد بن هدد بن الشرح ابن الحارث ابن قيس ابن
صيفي ابن سبا ابن يشجب ابن يعرب بن قحطان ابن عابر بن شالخ ابن ارفخشذ ابن سام ابن
نوح وكان جدها الهداهد ملك عظيم الشان قد ولد له اربعون ولدا كلهم ملوك وكان ملك
ارض اليمن كلها وكان ابوها السرح يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفوا لي وابى ان يتزوج
فيهم فتزوج امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت له بلقمة وهي بلقيس ولم
يكن له ولد غيرها وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم احد ابوي بلقيس جنيا
فمات ابوها واختلف عليها قومها فرقتين وملكوا امرهم رجلا فسات سيرته حتى فجر بنسا
رعيته فادركت بلقيس الغيرة فعرضت عليه نفسها فتزوجته فسقته الخمر حتى حزت راسه
ونصبته على باب دارها فملكوها وقال ابو بكرة ذكرت بلقيس عند النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا يفلح قوم ولوا امرهم امراة ويقال ان سبب تزوج ابيها من الجن انه كان وزيرا لملك
عات يغتصب نسا الرعية وكان الوزير غيورا فلم يتزوج فصحب مرة في طريقه رجلا لا يعرفه
فقال هل لك من زوجة قال لا اتزوج ابدا فان ملك بلدنا يغتصب النسا من ازواجهن
قال لئن تزوجت ابنتي لم يغتصبها ابدا قال بل يغتصبها قال انا قوم من الجن لا يقدر علينا فتزوج
ابنته فولدت له بلقيس ثم ماتت الام وابتنت بلقيس قصرا في الصحرا فتحدث ابوها بحديثها
غلطا فنمي للملك خبرها فقال له يا فلان تكون عندك هذه البنت الجميلة وانا لا اتزوج بها
وانت تعلم حبي للنسا وامر بحبسه فارسلت اليه بلقيس اني بين يديك فتجهز للمسير الى قصرها
فلما هم بالدخول بمن معه اخرجت اليه جواري من بنات الجن مثل صورة الشمس وقالت له الا تستحيي
قالت لك سيدتنا ادخل بهولاء الرجال معك على اهلك فامرهم بالانصراف ودخل وحده
واغلقت عليه الباب وقتلته بالنعال ثم قطعت راسه ورمت به الى عسكره فامروها عليهم فلم
تزل كذلك الى ان بلغ الهدهد خبرها سليمان عليه السلام وذلك ان سليمان لما نزل في بعض
منازله قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السما فابصر طول الدنيا
وعرضها فابصر الدنيا يمينا وشمالا فراى بستانا لبلقيس فيه هدهد وكان اسم ذلك الهدهد
عنفير فقال عنفير اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت واين تريد قال اقبلت من الشام
مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان قال ملك الجن والانس والشياطين والطير
والوحش والريح وكل ما بين السما والارض فمن اين انت قال من هذه البلاد ملكها امراة
يقال لها بلقيس تحت يدها اثنا عشر الف قايد تحت كل قايد
مائة الف مقاتل من سوى النسا والذراري فانطلق معه ونظر الى بلقيس وملكها ثم رجع الى
سليمان وقت العصر وكان سليمان قد فقده وفاتت الصلاة فلم يجده وكان نوابه على غير ما قال ابن

ابن عباس في رواية وقعت نفحة من الشمس فقال لمن يرا الطير هذا موضع من قال يا نبي الله
هذا موضع الهدهد قال واين ذهب قال لا ادري اصلح الله الملك وغضب سليمان وقال لاعذبنه
عذابا شديدا الاية ثم دعا بالعقاب سيد الطير واعزمها واشدها باسا فقال
ما تريد يا نبي الله قال علي بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السما حتى لزق
بالسماء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدي احدكم فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض
نحوه وانشب فيه مخلبه فقال له الهدهد اسالك بالله الذي اقدرك وقواك علي الا رحمتني
فقال له الويل لك وثكلتك امك ان نبي الله سليمان حلف ليعذبنك او ليذبحنك ثم اتي به
فلقيته النسور وسائر عساكر الطير فقالوا الويل لك لقد توعدك نبي الله فقال وما قدري
وما انا اما استثنى قالوا بلي انه قال او لياتيني بسلطان مبين ثم دخل على سليمان فرفع راسه
وارخى ذنبه وجناحه تواضعا لسليمان فقال له سليمان اين كنت عن خدمتك ومكانك لاعذبنك
عذابا شديدا او لاذبحنك فقال الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ووقوفي
بين يديك فاقشعر جلد سليمان وارتعد وعفا عنه وقال عكرمة انما صرف الله تعالى سليمان
عن ذبح الهدهد لانه كان بارا بوالديه ينقل الطعام اليهما فيزقهما ثم قال له سليمان ما الذي
ابطا بك فقال الهدهد ما اخبر عن امر بلقيس وعرشها وقومها حسب ما تقدم بيانه قال
الماوردي والقول بان ام بلقيس جنية مستنكر من العقول لتباين الجنسين واختلاف الطبعين
وتفارق الحسين لان الادمي جسماني والجن روحاني وخلق الله تعالى الادمي من صلصال
كالفخار وخلق الجان من مارج من نار ويمتنع الامتزاج مع هذا التباين ويستحيل التناسل
مع هذا الاختلاف قال المولف قد مضى القول في هذا والعقل لا يحيله مع ما جا من الخبر
في ذلك واذا نظر في اصل الخلق فاصله الما على ما تقدم بيانه ولا بعد في ذلك والله اعلم
وفي التنزيل وشاركهم في الاموال والاولاد وقد تقدم وقال تعالى لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان قوله تعالى قالت رب اني ظلمت نفسي اي بالشرك الذي كانت عليه قاله ابن
شجرة وقال سفيان اي بالظن الذي توهمته في سليمان لانها امرت بدخول الصرح حسبته
لجة وان سليمان يريد تغريقها فيه فلما بان لها انه صرح ممرد من قوارير علمت انها ظلمت نفسها
بذلك الظن وكسرت ان لانها مبتداة بعد القول ومن العرب من يفتحها فيعمل فيها القول
واسلمت مع سليمان اذا سكنت مع فهي حرف جا لمعنى بلا خلاف عند النحويين واذا فتحتها ففيها
قولان احدهما انها بمعنى الظرف اسم والاخر انها حرف خافض مبني على الفتح قاله النحاس
قوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله تقدم معناه فاذا هم فريقان
يختصمون قال مجاهد اي مومن وكافر والخصومة ما بينه الله تعالى في قوله اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه الى قوله كافرون وقيل تخاصمهم ان كل فرقة قالت نحن على الحق دونكم قوله تعالى
قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة قال مجاهد بالعذاب قبل الرحمة والمعنى كم
تؤخرون الايمان الذي يجلب اليكم الثواب وتقدمون الكفر الذي يوجب العقاب وكان
الكفار يقولون لفرط الانكار ايتنا بالعذاب وقيل اي لم تفعلون ما تستحقون به المعاجلة
بالعقاب لانهم انسوا بتعجيل العذاب لولا تستغفرون الله اي هلا تتوبون الى الله من الشرك
لعلكم ترحمون لكي ترحموا وقد تقدم قوله تعالى قالوا اطيرنا بك وبمن معك اي تشاءمنا
والشوم النحس ولا شي اضر بالراي ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار
بقرة او نعيق غراب يرد قضا او يدفع مقدورا فقد جهل وقال الشاعر

طيرة الدهر لا ترد قضا ۝ فاعذر الدهر لا تشبه بلوم
ليس يوم الا وفيه سعود ۝ ونحوس تجري لقوم فقوم
اي يوم يخصه بسعود ۝ والمنايا ينزلن في كل يوم

وقد كانت العرب اكثر الناس طيرة وكانت اذا ارادت سفرا نفرت طائرا فان طار يمنة سارت
وتيمنت وان طار شمالا رجعت وتشاءمت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال
اقروا الطير على وكناتها على ما تقدم بيانه في المائدة قال طائركم عند الله اي مصائبكم بل
انتم قوم تفتنون اي تمتحنون وقيل تعذبون بذنوبكم قوله تعالى وكان في المدينة تسعة

رهط

رهط اي في مدينة صالح وهي الحجر تسعة رهط اي تسعة رجال من ابنا اشرافهم قال الضحاك
كان هولاء التسعة عظماء المدينة وكانوا يفسدون ويامرون بالفساد فجلسوا عند صخرة عظيمة
فقلبها الله عليهم وقال عطا بن ابي رباح بلغني انهم كانوا يقرضون الدنانير والدراهم
وذلك من الفساد وقاله سعيد بن المسيب وقيل فسادهم انهم يتبعون عورات الناس ولا يسترون
عليهم وقيل غير هذا واللازم من الاية ما قاله الضحاك وغيره انهم كانوا من اوجه القوم واغناهم
وكانوا اهل كفر ومعاص جمة وجملة امرهم انهم يفسدون ولا يصلحون والرهط اسم للجماعة فكانهم
كانوا رؤسا يتبع كل واحد منهم جملة والجمع ارهط وارهاط قال يا بؤس للحرب التي وضعت
الاراهط فاستراحوا وهولاء المذكورون كانوا اصحاب قدار عاقر الناقة ذكره ابن عطية واختلف
في اسمائهم فقال الغزنوي واسماؤهم قدار بن سالف ومصدع واسلم ودهما ودهيم ودعمي ودعيم
وقتال وصداق قال الثعلبي واسماؤهم قدار بن سالف ومصدع بن دهر فاتبعهم سبعة
هو بلع بن ميلع ودعمي بن غنم وذواب بن مهرج واربعة لم تعرف اسماؤهم وذكر الزمخشري
اسماءهم عن وهب بن منبه قال الهذيل بن عبد رب غنم ابن غنم ورياب بن مهرج مصدع
ابن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان بن صفي قدار بن
سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابنا اشرافهم السهيلي
ذكر النقاش التسعة الذين كانوا يفسدون في الارض ولا يصلحون وسماهم باسمائهم وذلك
لا ينضبط برواية غير اني اذكره على وجه الاجتهاد والتخمين ولكن نذكره على ما وجدناه في
كتاب محمد بن حبيب وهم مصدع بن دهر ويقال دهم وقدار بن سالف وهريم وصواب
ورياب وداب وهرمي وردعن بن جمرة قلت وقد ذكر الماوردي اسماءهم عن ابن عباس فقال
هم رعي ورعيم وهرمي وهريم وداب وصواب ورياب ومسطع وقدار وكانوا بارض الحجر وهي
ارض الشام قوله تعالى قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله يجوز ان يكون تقاسموا
فعلا مستقبلا وهي امر اي قال بعضهم لبعض احلفوا ويجوز ان يكون ماضيا في معنى الحال
كانه قال متقاسمين بالله وهذا التاويل قراة عبد الله يفسدون في الارض ولا يصلحون
تقاسموا بالله وليس فيها قالوا لنبيتنه واهله ثم لنقولن لوليه قراة العامة بالنون فيهما
واختاره ابو حاتم وقرا حمزة والكسائي بالتاء فيهما وضم التاء واللام على الخطاب اي انهم تخاطبوا
بذلك واختاره ابو عبيد وقرا مجاهد وحميد بالياء فيهما وضم الياء واللام على الخبر والبيات
مباغتة العدو ليلا ومعنى لوليه اي لرهط صالح الذي له ولاية الدم ما شهدنا مهلك اهله
اي ما حضرنا قتله ولا ندري من قتله وقتل اهله وانا لصادقون في انكارنا لقتله والمهلك
بمعنى الاهلاك ويجوز ان يكون الموضع وقرا حفص والسلمي بفتح الميم واللام اي الهلاك
يقال ضرب يضرب مضربا اي ضربا وقرا المفضل وابو بكر بفتح الميم وكسر اللام فيكون اسم
المكان كالمجلس لموضع الجلوس ويجوز ان يكون مصدرا كقوله تعالى اليه مرجعكم اي رجوعكم
ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون مكرهم ما روي ان هولاء التسعة لما كانوا في صدر الثلاثة
الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيء العذاب اتفقوا وتحالفوا على ان ياتوا دار
صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين به قالوا فان كان كاذبا في وعيده قتلناه وقتلنا به ما
فيتحقق وان كان صادقا كنا عجلناه قبلنا وشفينا نفوسنا قاله مجاهد وغيره قال ابن
عباس ارسل الله تعالى تلك الليلة الملائكة فامتلات بهم دار صالح فاتاهم التسعة شاهرين سيوفهم
فقتلتهم الملائكة رضخا بالحجارة فيرون الحجارة ولا يرون من يرميها وقال قتادة خرجوا
مسرعين الى صالح فسلط عليهم ملك بيده صخرة فقتلهم وقال السدي نزلوا على جرف
من الارض فانهار بهم فاهلكهم الله تحته وقيل اختفوا في غار قريب من دار صالح فانحدرت
عليهم صخرة فشدختهم جميعا فهذا كان مكرهم ومكر الله مجازاتهم على ذلك فانظر كيف كان عاقبة
مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين اي بالصيحة التي اهلكتهم وقد قيل ان هلاك الكل كان بصيحة
جبريل والاظهر ان التسعة هلكوا بعذاب مفرد ثم هلك الباقون بالصيحة والدمدمة وكان
الاعمش وابن ابي اسحاق وعاصم وحمزة والكسائي يقرؤون انا بالفتح قال ابن الانباري فعلى
هذا المذهب لا يحسن الوقف على عاقبة مكرهم لان انا دمرناهم خبر كان ويجوز ان تجعلها في موضع

نصب من قول الفرا وحفص من قول الكسائي على معنى فانا دمرناهم ولانا دمرناهم ويجوز ان في
محلها في موضع نصب على الاتباع لموضع كيف فمن هذه المذاهب لا يحسن الوقف على مكرهم
وقرا ابن كثير ونافع وابو عمرو انا دمرناهم بكسر الالف على الاستيناف فعلى هذا المذهب يحسن
الوقف على مكرهم قال النحاس ويجوز ان تنصب عاقبة على خبر كان وتكون انا في موضع رفع
على انها اسم كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا تبيينا للعاقبة والتقدير هي انا
دمرناهم قال ابو حاتم وفي حرف ابي ان دمرناهم تصديقا لفتحها قوله تعالى فتلك بيوتهم
خاوية بما ظلموا قراة الجماعة بالنصب على الحال عند الفرا والنحاس اي خالية عن اهلها خرابا ليس
فيها ساكن قال الكسائي وابو عبيدة خاوية نصب على القطع مجازه فتلك بيوتهم الخاوية فلما
قطع منها الالف واللام نصب كقوله وله الدين واصبا وقرا عاصم ابن عمرو ونصر ابن عاصم الجحدري
بالرفع على انها خبر ابتدا محذوف اي هي خاوية او بدل من بيوتهم لان النكرة تبدل من المعرفة ان
في ذلك لايات لقوم يعلمون وانجينا الذين امنوا بصالح وكانوا يتقون الله ويخافون عقابه
قيل امن بصالح قدر اربعة الاف رجل والباقون خرج بابدانهم في قول مقاتل وغيره خراج
مثل الحمص وكان في اليوم الاول احمر ثم صار من الغد اصفر ثم صار في الثالث اسود وكان عقر
الناقة يوم الاربعا وهلاكهم يوم الاحد قال مقاتل نفقت تلك الخراجات وصاح جبريل بهم
خلال ذلك صيحة فخمدوا وكان ذلك ضحوة وخرج صالح بمن امن معه الى حضرموت فلما
دخلها مات صالح فسميت حضرموت قال الضحاك ثم بنى الاربعة الاف مدينة يقال لها
حاضورا على ما تقدم بيانه في قصة اصحاب الرس قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه
اي وارسلنا لوطا او اذكر لوطا اذ قال لقومه وهم اهل سدوم اتاتون الفاحشة وهي الفعلة
الشنيعة القبيحة وانتم تبصرون انها فاحشة وهو اعظم لذنوبكم وقيل ياتي بعضكم بعضا
وانتم تنظرون اليه وكانوا لا يستترون عتوا منهم وتمردا ايتكم لتاتون الرجال شهوة من
دون النسا اعاد ذكرها لفرط قبحها وشنعها بل انتم قوم تجهلون اما التحريم او العقوبة
واختار الخليل وسيبويه تخفيف الهمزة من ايتكم فاما الخط فالسبيل فيه ان يكتب بالفين
كلها على الوجوه لانها همزة مبتداة دخلت عليها الف الاستفهام قوله تعالى فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا ال لوط من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي عن ادبار الرجال يقولون
ذلك استهزا منهم قاله مجاهد وقال قتادة عابوهم والله بغير عيب بانهم يتطهرون من اعمال
السو فانجيناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرين قرا عاصم قدرنا مخففا والمعنى واحد
يقال قد قدرت الشي قدرا وقدرته وامطرنا عليهم مطرا فسا مطر المنذرين اي من انذر فلم
يقبل الانذار وقد مضى بيان هذا في الاعراف وهود قوله تعالى قل الحمد لله وسلام على
عباده الذين اصطفى قال الفرا قال اهل المعاني قيل للوط قل الحمد لله على هلاكهم وخالفه
جماعة من العلما والقرا في هذا وقالوا هو مخاطبة لنبينا صلى الله عليه وسلم اي قل الحمد لله على
هلاك كفار الامم الخالية قال النحاس وهذا اولى لان القران منزل على النبي صلى الله عليه
وسلم وكلما فيه فهو مخاطب به عليه السلام الا ما لم يصح معناه الا لغيره وقيل المعنى قل الحمد
لله وسلام على عباده الذين اصطفى يعني امة عليه السلام قال الكلبي اصطفاهم الله بمعرفته
وطاعته وقال ابن عباس وسفيان هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل امر رسوله صلى الله
عليه وسلم ان يتلو هذه الايات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على كل شي
وحكمته وان يستفتح بحمده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده تعليم حسن وتوقيف
على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول ما
يلقي الى السامعين واصغايهم وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها السمع ولقد توارث العلما
والخطبا والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسوله صلى الله عليه وسلم
امام كل علم مفاد وقبل كل ذي عظة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المرسلون فاجروا عليه اوايل
كتبهم في الفتوح والتهاني وغير ذلك من الحوادث التي لها شان قوله تعالى الذين
اصطفى اختارهم لرسالته وهم الانبيا عليهم السلام دليله قوله عز وجل وسلام على المرسلين الله
خير واجاز ابو حاتم آلله خير بهمزتين النحاس ولا نعلم احدا تابعه على ذلك لان هذه المدة انما

جي

جي بها فرقا بين الاستفهام والخبر وهذه الف التوقيف وخير هنا ليس بمعنى افضل
فانما هو مثل قول الشاعر • اتهجوه ولست له بكفو • فشركما لخيركما الفدا •
فالمعنى فيه الشر منكما الذي فيه الخير الفدا ولا يجوز ان تكون بمعنى من اذا قلت فلان
شر من فلان ففي كل واحد منهما شر وقيل المعنى الخير في هذا ام في هذا الذي تشركونه في
العبادة وحكى سيبويه السعادة احب اليك ام الشقا وهو يعلم ان السعادة احب اليه وقيل
هو على بابه من التفضيل والمعنى الله خير اما يشركون اي اثوابه خير ام عقاب ما تشركون وقيل
قال لهم ذلك لانهم كانوا يعتقدون ان في عبادة الاصنام خيرا فخاطبهم الله عز وجل على اعتقادهم
وقيل اللفظ لفظ الاستفهام ومعناه الخبر وقرا ابو عمرو وعاصم ويعقوب يشركون بيا على
الخبر الباقون بالتا على الخطاب وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وكان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا قرا هذه يقول الله خير وابقى واجل واكرم قال ابو حاتم قوله تعالى امن خلق
السموات والارض قال ابو حاتم تقديره الهتكم خير امن خلق السموات والارض وقدر على
خلقهن وقيل المعنى اعبادة ما تعبدون من اوثانكم خير ام عبادة من خلق السموات والارض
فهو مردود على ما قبله من المعنى وفيه معنى التوبيخ لهم والتنبيه على قدرة الله عز وجل وعجز
الهتهم وانزلنا من السما ما فانبتنا به حدايق ذات بهجة الحديقة البستان الذي عليه حايط
والبهجة المنظر الحسن قال الفرا الحديقة البستان المحظر عليه فان لم يكن عليه حايط فهو
البستان وليس بحديقة قال قتادة وعكرمة الحدايق النخل ذات بهجة والبهجة الزينة
والحسن يبهج به من راه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها ما للنفي ومعناه الحظر والمنع من فعل هذا
اي ما كان لكم ولا يتهيا لكم ولا يقع تحت قدرتكم ان تنبتوا شجرها لعجزكم عن مثلها لان
ذلك اخراج الشي من العدم للوجود قلت وقد يستدل من هذا على منع تصوير شي سوا كان
له روح ام لم يكن وهو قول مجاهد ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
ومن اظلم ممن ذهب يخلق خلقا كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة وليخلقوا شعيرة رواه
مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله
عز وجل فذكره فعم بالذم والتهديد والتقبيح كل من تعاطى تصوير شي مما خلقه الله وضاهاه
في التشبيه من خلقه فيما انفرد به سبحانه من الخلق والاختراع وهذا واضح وذهب الجمهور
الى ان تصوير ما ليس فيه روح يجوز وهذا هو الاكتساب به وقد قال ابن عباس للذي
ساله ان يصنع الصور ان كنت لا بد فاعلا فاصنع الشجر وما لا نفس له خرجه مسلم ايضا
والمنع اولى لما ذكرنا والله اعلم وسياتي لهذا مزيد بيان في سبا ان شا الله تعالى ثم قال
على جهة التوبيخ االه مع الله اي هل معبود مع الله يعينه على ذلك بل هم قوم يعدلون بالله
غيره وقيل يعدلون من العدل والحق اي يكفرون وقيل اله مرفوع بمعنى تقديره امع الله
ويكم اله والوقف على مع الله حسن قوله تعالى امن جعل الارض قرارا اي مستقرا وجعل
خلالها انهارا اي مثل دجلة والفرات وجعل لها رواسي يعني جبالا ثوابت تمسكها وتمنعها
من الحركة وجعل بين البحرين حاجزا مانعا من قدرته لئلا يختلط الاجاج بالعذب وقال
ابن عباس سلطانا من قدرته فلا هذا يغير ذاك وذاك لا يغير هذا والحجز المنع االه مع الله
اي اذا ثبت انه لا يقدر على هذا غيره فلم تعبدون ما لا يضر ولا ينفع بل اكثرهم لا يعلمون
يعني كانهم يجهلون الله فلا يعلمون ما يجب له من الوحدانية قوله تعالى امن يجيب
المضطر اذا دعاه قال ابن عباس هو ذو الضرورة المجهود وقال السدي الذي لا حول
له ولا قوة وقال ذو النون هو الذي قطع العلائق عما سوى الله وقال ابو جعفر
وابو عثمان النيسابوري هو المفلس وقال سهل بن عبد الله هو الذي اذا رفع يديه
الى الله داعيا لم تكن له وسيلة من طاعة قدمها وجا رجل الى مالك ابن دينار فقال له انا
اسالك بالله ان تدعو الي فانا مضطر قال اذا فاساله فانه يجيب المضطر اذا دعاه قال الشاعر
• واني لادعو الله والامر ضيق • علي فما ينفك ان يتفرجا •
• ورب اخ سدت عليه وجوهه • اصاب لها لما دعا الله مخرجا •
الثانية روي في مسند ابي داود الطيالسي عن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم في دعا المضطر اللهم رحمتك فلا تكلني الي نفسي طرفة عين واصلح لي شاني كله
لا اله الا انت الثالثة ضمن الله سبحانه اجابة المضطر اذا دعاه واخبر بذلك عن نفسه والسبب
في ذلك ان الضرورة اليه باللجا تنشا عن الاخلاص وقطع القلب عما سواه وللاخلاص
عنده سبحانه موقع وذمة وجد من مومن او كافر طايع او فاجر كما قال تعالي حتى اذا
كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل
مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الي البر اذا هم يشركون فاجابهم
عند ضرورتهم ووقوع اخلاصهم مع علمه انهم يعودون الي كفرهم وشركهم وقال تعالي
فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين الاية فيجيب المضطر لموضع اضطراره واخلاصه
وفي الحديث ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة
الوالد على ولده ذكره صاحب كتاب الشهاب وهو حديث صحيح وفي صحيح مسلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال لمعاذ لما وجهه الي اليمن واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها
وبين الله حجاب وفي كتاب الشهاب اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على الغمام يقول الله
تبارك وتعالي وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين وهو صحيح ايضا وخرج ابن جري
من حديث ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم بابي لا اردها ولو كانت من كافر وكذلك ان
كان فاجرا في دينه ففجور الفاجر وكفر الكافر لا يعود منه نقص ولا وهن على مملكة
سيده فلا يمنعه ما قضي للمضطر من اجابته ونصر اجابته للمظلوم بالنصرة على ظالمه
بما شا سبحانه من قهر له او اقتصاص منه او تسليط ظالم اخر عليه يقهره وكما قال عز وجل
وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا واكد سرعة اجابتها بقوله تحمل على الغمام ومعناه
والله اعلم ان الله عز وجل يوكل ملائكة تتلقى دعوة المظلوم وتحملها على الغمام فيعرجوا
بها الي السما فتقبله الدعا لتراها الملائكة كلهم فيظهر منهم معاونة المظلوم وشفاعة منهم
له في اجابة دعوته رحمة له وفي هذا تحذير من الظلم جملة لما فيه من سخط الله
ومعصيته ومخالفته امره حيث قال على لسان نبيه في صحيح مسلم وغيره يا عبادي اني
حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث فالمظلوم مضطر ويقرب
منه المسافر لانه منقطع عن الاهل والوطن منفرد عن الصديق والحميم لا يسكن قلبه الي
مسعد ولا معين لغربته فتصدق ضرورته الي المولي فيخلص اليه في اللجا وهو المجيب
للمضطر اذا دعاه وكذا دعوة الوالد على ولده لا تصدر منه مع ما يعلم من حنته عليه وشفقته
الا عند تكامل عجزه عنه وصدق ضرورته واياسه من بر ولده مع وجود اذيته فيسرع
الحق الي اجابته قوله تعالي ويكشف السوء اي الضر وقال الكلبي الجور ويجعلكم خلفا
الارض اي سكانها يهلك قوما وينشي اخرين وفي كتاب النقاش اي ويجعل اولادكم
خلفا منكم وقال الكلبي خلفا من الكفار ينزلون ارضهم ويعملون بطاعة الله فيها بعد
كفرهم االه مع الله على جهة التوبيخ كانه قال امع الله ويلكم اله فالاله مرفوع بمع ويجوز
ان يكون مرفوعا باضمار فعل اي االه مع الله يفعل ذلك فتعبدوه والوقف على مع الله حسن
قليلا ما يذكرون قرا ابو عمرو وهشام ويعقوب يذكرون بالياء على الخبر كقوله بل اكثرهم
لا يعلمون وتعالي الله عما يشركون فاخبر فيما قبلها وما بعدها واختاره ابو حاتم الباقون
بالتاء خطابا لقوله ويجعلكم خلفا الارض قوله تعالي امن يهديكم اي يرشدكم الطريق
في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم الي البلاد التي تتوجهون اليها بالليل وقيل جعل مفاوز
البر التي لا اعلام فيها ولجج البحار كانها ظلمات لانه ليس فيها علم يهتدي به ومن يرسل
الرياح نشرا بين يدي رحمته اي قدام المطر باتفاق اهل التاويل االه مع الله يفعل ذلك
ويعينكم عليه تعالي الله عما يشركون من دونه قوله تعالي امن يبدو الخلق ثم يعيده
كانوا يقرون انه الخالق الرازق فالزمهم الاعادة اي اذا قدر على الابتدا فمن ضرورته القدرة
على الاعادة وهو اهون عليه االه مع الله يخلق ويرزق ويبدي ويعيد قل هاتوا برهانكم
اي حجتكم ان لي شريكا او حجتكم في انه صنع احد شيئا من هذه الاشيا غير الله ان كنتم
صادقين قوله تعالي قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم قال

اخفي

اخفي غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احد لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في
المشركين حين سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن قيام الساعة ومن في موضع والمعنى قل لا يعلم
احد الغيب الا الله فالله بدل من من قاله الزجاج قال الفرا وانما رفع ما بعد الا لان ما قبلها
جحد كقولك ما ذهب احد الا ابوك والمعنى واحد قال الزجاج ومن نصب نصب على الاستثنا
يعني في الكلام قال النحاس وسمعته يحتج بهذه الاية قلت قد مضى هذا في الانعام
مستوفي وقالت عايشة من زعم ان محمدا يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله
تعالي يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله خرجه مسلم وروي انه دخل
على الحجاج منجم فاعتقله الحجاج ثم اخذ حصيات فعدهن ثم قال كم في يدي من حصاة فحسب
المنجم ثم قال كذا فاصاب ثم اعتقله واخذ حصيات لم يعدهن فقال كم في يدي فحسب فاخطا
ثم حسب فاخطا فقال ايها الامير اظنك لا تعرف عددها قال لا قال فاني لا اصيب قال فما
الفرق قال ان الذي احصيته خرج عن حد الغيب وهذا لم تحصه فهو غيب ولا يعلم من
في السموات والارض الغيب الا الله وقد مضى هذا في ال عمران قوله تعالي بل ادرك
علمهم في الاخرة هذه قراة اكثر اهل الناس منهم عاصم وشيبة ونافع ويحيى ابن وثاب
والاعمش وحمزة والكسائي وقرا ابو جعفر وابن كثير وابو عمرو وحميد بل ادرك من الادراك
وقال عطا ابن يسار واخوه سليمان بن يسار والاعمش بل ادرك غير مهموز مشددا
وقرا ابن محيصن بل ادرك على الاستفهام وقرا ابن عباس بلى باثبات اليا ادارك بهمزة قطع
والدال مشددة والف بعدها قال النحاس واسناده اسناد صحيح هو من حديث شعبة
يرفعه الي ابن عباس هارون القاري ان قراة ابي بل تدارك علمهم فالقراة الاولي والاخرة
معناهما واحد لان اصل ادارك تدارك ادغمت الدال في التا وجي بالف الوصل وفي معناه
قولان احدهما ان المعنى بل تكامل علمهم في الاخرة لانهم راوها وعدوا به معاينة فتكامل
علمهم به والقول الاخر ان المعنى بل تتابع علمهم اليوم في الاخرة فقالوا تكون وقالوا
لا تكون والقراة الثانية فيها ايضا قولان احدهما ان معناه كمل في الاخرة مثل الاول قال
مجاهد معناه يدرك علمهم في الاخرة ويعلمونها اذا عاينوها حين لا ينفعهم علمها لانهم
كانوا في الدنيا مكذبين والقول الاخر انه على معنى الانكار وهو مذهب ابي اسحاق واستدل
على صحة هذا القول بان بعده بل هم منها عمون اي لم يدرك علمهم علم الاخرة وقيل بل ضل
وغاب علمهم في الاخرة فليس لهم فيها علم والقراة الثالثة بل ادرك فهو بمعنى بل ادارك علمهم
وقد يجي افتعل وتفاعل بمعنى ولذلك صحح ازدوجوا حين كان بمعنى تزاوجوا القراة الرابعة
ليس فيها الا قول واحد يكون فيه معنى الانكار كما تقول اانا قاتلك فيكون المعنى لم يدرك
وعليه ترجع قراة ابن عباس بلى ادرك علمهم في الاخرة اي لم يدرك قال الفرا وهو وجه
حسن كانه وجهه الي الاستهزا بالمكذبين بالبعث كقولك لرجل تكذبه بلى لعمري قد
ادركت السلف وانت تروي ما لا اروي وانت تكذبه وقراة سابعة بل ادرك بفتح اللام
عدل الي الفتحة لخفتها وقد حكي نحو ذلك عن قطرب في قم الليل فانه عدل الي الفتح
وكذلك بع الثوب ونحوه وذكر الزمخشري في الكتاب وقري بل ادرك بهمزتين بل
ادرك بالف بينهما بلى ادرك بلى ادرك ام تدارك ام ادرك فهذه اثنتا عشرة قراة ثم اخذ
يعلل وجوه القراات وقال فان قلت فما وجه قراة بل ادرك على الاستفهام قلت هو
استفهام على وجه الانكار لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي
بمعنى بل والهمزة واما من قرا بلى ادرك على الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون انكر
عليهم بكونها واذا انكر عليهم بكونها لم يتحصل لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكاين
تابع للعلم بكون الكاين في الاخرة في شان الاخرة ومعناها بل هم في شك منها اي في الدنيا بل
هم منها عمون اي بقلوبهم واحدهم عمو وقيل عم واصله عميون حذفت اليا لالتقا الساكنين
ولم يجز تحريكها لثقل الحركة فيها قوله تعالي وقال الذين كفروا يعني مشركي مكة
اذا كنا ترابا واباونا اينا لمخرجون هكذا يقرا نافع هنا وفي سورة العنكبوت وقرا ابو عمرو
باستفهامين الا انه خفف الهمزة وقرا عاصم وحمزة ايضا باستفهامين الا انهم خففوا الهمزتين

وكلما ذكرناه من السورتين واحد وقرا الكسائي وابن عامر ورويس ابذا بهمزتين اننا سوى بين على الخبر في هذه السورة وفي سورة العنكبوت باستفهامين قال ابو جعفر النحاس القراءة اذا كنا ترابا واباونا اينا لموافقته للخط حسنة وقد عارض فيها ابو حاتم فقال وهذا معنى كلامه اذ ليس باستفهام واينا استفهام وفيه ان فكيف يجوز ان يعمل ما في حيز الاستفهام فيما قبله وكيف يجوز ان تعمل فيما بعدان فيما قبلها وكيف يجوز غدا ان زيدا خارج فاذا كان فيه استفهام كان ابعد وهذا اذا سئل عنه كان مشكلا لما ذكره قال ابو جعفر وسمعت محمد ابن الوليد يقول سالنا ابي العباس عن اية من القران صعبة مشكلة وهي قول الله عز وجل وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد فقال ان عمل في اذا ينبئكم كان محالا لانه لا يخبر في ذلك الوقت وان عمل فيه ما بعدان كان المعنى صحيحا وكان خطا في العربية ان يعمل ما قبل ان فيما بعدها وهذا سؤال بين رايت ان يذكر في السورة التي هو فيها فاما ابو عبيد فمال الى قراة نافع ورد على من جمع بين استفهامين واستدل بقوله تعالى افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم وبقوله افان مت فهم الخالدون وهذا الرد على ابي عمرو وعاصم وحمزة وطلحة والاعرج لا يلزم منه شي ولا يشبه ما جا به من الاية شيا والفرق بينهما ان الشرط وجوابه بمنزلة شي واحد ومعنى افان مت فهم الخالدون افان مت خلدوا ونظير هذا قولك ان بدر منطلق ولا يقال ان بدر منطلق لانها بمنزلة شي واحد وليس كذا الاية لان الثاني جملة قايمة بنفسها فتصلح فيها الاستفهام والاول كلام يصلح فيه الاستفهام فاما من حذف الاستفهام من الثاني واثبته في الاول فقرا ايذا كنا واباونا فحذفه من الثاني لان في الكلام دليلا عليه بمعنى الانكار قوله تعالى هذا نحن واباونا من قبل ان هذا الا اساطير الاولين تقدم في سورة المومنين وكانت الانبيا يقربون امر البعث مبالغة في التحذير وكلما هو ات فقريب قل سيروا في الارض اي قل لهولاء الكفار سيروا في الارض بلاد الشام والحجاز واليمن فانظروا اي بعقولكم وبصايركم فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لرسلهم ولا تحزن عليهم اي على كفار مكة ان لم يومنوا ولا تكن في ضيق حرج مما يمكرون نزلت في المستهزيين الذين اقتسموا عقاب مكة وقد تقدم وقري في ضيق بالكسر وقد مضى في اخر النحل ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين اي وقت يجينا العذاب بتكذيبنا ان كنتم صادقين قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون اي اقترب لكم ودنا منكم بعض الذي تستعجلون اي من العذاب قال ابن عباس وهو من ردفه اذا تبعه وجا في اثره وتكون اللام ادخلت لان المعنى اقترب لكم ودنا لكم او تكون متعلقة بالمصدر وقيل معناه معكم وقال ابن شجرة تبعكم ومنه ردف المراة لانه تبع لها من خلفها ومنه قول ابي ذويب

• عاد السواد بياضا في مفارقه • لا مرحبا ببياض الشيب ان ردفا •

وارد فامر لغة في ردفه مثل تبعه واتبعه بمعنى قال خزيمة ابن مالك بن فهد

• اذا الجوزاء اردفت الثريا • ظننت بال فاطمة الظنونا •

يعني فاطمة بنت يذكر ابن عنزة احد القارظين وقال الفراء ردف لكم دنا لكم ولهذا قال لكم وقيل يقال ردفه وردف له بمعنى فتزاد اللام للتوكيد عن الفرا ايضا كما تقول نقدته ونقدت له وكلته ووزنته وكلت له ووزنت له ونحو ذلك بعض الذي تستعجلون من العذاب فكان ذلك يوم بدر وقيل عذاب القبر وان ربك لذو فضل على الناس اي في تاخير العقوبة وادرار الرزق ولكن اكثرهم لا يشكرون فضله ونعمه وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون الامور وقرا ابن محيصن وحميد ما تكن صدورهم من كننت الشي اذا سترته هنا وفي القصص تقديره ما تكن صدورهم عليه فكان الضمير الذي في الصدور كالجسم السائر ومن قرا تكن فهو المعروف يقال اكننت الشي اخفيته في نفسك قوله تعالى وما من غايبة في السما والارض الا في كتاب مبين قال الحسن الغايبة هنا القيامة وقيل ما غاب عنهم من عذاب السما والارض حكاه النقاش وقال ابن شجرة الغايبة هنا جميع ما اخفى الله تعالى عن خلقه وغيبه عنهم وهذا عام وانما دخلت الها في غايبة اشارة الى الجمع اي ما من خصلة غايبة عن الخلق الا والله عالم بها قد اثبتها في ام الكتاب عنده

فكيف

فكيف يخفى عليه ما يسر هولاء وما يعلنونه وقيل اي كل شي هو مثبت في ام الكتاب يخرجه للاجل المؤجل عنده فالذي تستعجلونه من العذاب اجل مضروب لا يتاخر عنه ولا يتقدم عليه والكتاب اللوح المحفوظ اثبت الله فيه ما اراد ليعلم بذلك ما يشا من ملايكته قوله تعالى ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون وذلك انهم اختلفوا في كثير من الاشيا حتى لعن بعضهم بعضا فنزلت والمعنى ان هذا القران يبين لهم ما اختلفوا فيه لو اخذوا به وذلك ما حرفوه من التوراة والانجيل وما سقط من كتبهم من الاحكام وانه يعني القران لهدى ورحمة وما سقط من كتبهم من الاحكام للمومنين لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بحكمه اي يقضي بين بني اسرايل فيما اختلفوا فيه في الاخرة فيجازي المحق والمبطل وقيل يقضي بينهم في الدنيا فيظهر ما حرفوه وهو العزيز المنيع الغالب الذي لا يرد امره العليم الذي لا يخفى عليه شي قوله تعالى فتوكل على الله اي فوض اليه امرك واعتمد عليه فانه ناصرك انك على الحق المبين اي الظاهر لمن تبين وجه الصواب انك لا تسمع الموتى يعني الكفار لتركهم التدبر فهم كالموتى الذين لا حس لهم ولا عقل وقيل هذا فيمن علم الله انه لا يومن ولا تسمع الصم الدعا يعني الكفار الذين هم بمنزلة الصم عن قبول المواعظ فاذا دعوا الى الخير اعرضوا وولوا كانهم لا يسمعون نظيره صم بكم عمي كما تقدم وقرا ابن محيصن وحميد وابن كثير وابن ابي اسحاق وعباس عن ابي عمرو ولا يسمع بفتح اليا والميم الصم رفعا على الفاعل الباقون تسمع مضارع اسمعت الصم نصبا مسالة قد احتجت عايشة رضي الله عنها في انكارها ان النبي صلى الله عليه وسلم اسمع موتى بدر بهذه الاية ونظرت في الامر بقياس عقلي ورفعت مع هذه الاية وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انتم باسمع منهم قال ابن عطية فيشبه ان قصة بدر خرق عادة لمحمد صلى الله عليه وسلم في ان رد الله اليهم ادراكا سمعوا به مقالة ولولا اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم لحملنا نداه اياهم على معنى التوبيخ لمن بقي من الكفرة وعلى معنى شفا صدور المومنين قلت روى البخاري حدثنا عبد الله بن محمد سمع روح ابن عبادة قال ثنا سعيد ابن ابي عروبة عن قتادة وذكر لنا انس بن مالك عن ابي طلحة ان النبي صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر باربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوي من اطواء بدر خبيث مخبث وكان اذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال فلما كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها ثم مشى واتبعه اصحابه قالوا ما نرى ينطلق الا لبعض حاجته حتى قام على شفير الركي فجعل يناديهم باسمايهم واسما ابايهم يا فلان ابن فلان ايسركم انكم اطعتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قال فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ما انتم باسمع لما اقول منهم قال قتادة احياهم الله حتى اسمعهم الله قوله توبيخا وتصغيرا ونقمة وحسرة وندما خرجه مسلم ايضا قال البخاري حدثني عثمان قال حدثنا عبدة عن هشام عن ابيه عن ابن عمر قال وقف النبي صلى الله عليه وسلم على قليب بدر فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ثم قال انهم الان ليعلمون ان الذي كنت اقول لهم هو الحق ثم قرات عايشة انك لا تسمع الموتى حتى قرات الاية وقد عورضت هذه الاية بقصة بدر وبالسلام على القبور وبما روي في ذلك من ان الارواح تكون على شفير القبور في اوقات وبان الميت يسمع قرع النعال اذا انصرفوا عنه الى غير ذلك ولولا سماع الميت لم يسلم عليه وهذا واضح وقد بيناه في كتاب التذكرة قوله تعالى وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم اي بكفرهم اي ليس في وسعك خلق الايمان في قلوبهم وقرا حمزة وما انت تهدي العمي عن ضلالتهم كقوله افانت تهدي العمي الباقون بهادي وهي اختيار ابي عبيدة وابي حاتم وفي الروم مثله وكلهم وقف على بهادي بالبا في هذه السورة وبغير يا في الروم اتباعا للمصحف الا يعقوب فانه وقف فيهما جميعا بالبا واجاز الفرا وابو حاتم وما انت بهاد العمي وهي الاصل في حرف عبد الله وما انت تهدي العمي ان تسمع اي ما تسمع الا من يومن باياتنا قال ابن عباس اي الا من خلقته للسعادة فهم مخلصون للتوحيد قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم اختلف في معنى وقع القول وفي الدابة فقيل معنى وقع القول عليهم وجب الغضب

عليهم قاله قتادة وقال مجاهد اي حق القول عليهم بانهم لا يومنون وقال ابن عمر وابو سعيد
الخدري رضي الله عنهما اذا لم يامروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وجب السخط عليهم وقال عبد
الله بن مسعود وقوع القول يكون بموت العلما وذهاب العلم ورفع القران وقال عبد الله
اكثروا تلاوة القران قبل ان يرفع قالوا هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال
قال يسري عليهم ليلا فيصبحون منه فقرا وينسون لا اله الا الله ويقعون في قول الجاهلية
واشعارهم وذلك حين وقع القول عليهم قلت اسنده ابو بكر البزار قال ثنا عبد الله بن
يوسف الثقفي قال ثنا عبد المجيد ابن عبد العزيز عن موسى ابن عبيدة عن صفوان بن سليم
عن ابن لعبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن ابيه انه قال اكثروا من زيارة هذا البيت من
قبل ان يرفع وينسى الناس مكانه واكثروا من تلاوة القران من قبل ان يرفع قال يا عبد
الرحمن هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الرجال قال يصبحون فيقولون كنا نتكلم
بكلام ونقول قولا فيرجعون الى شعر الجاهلية واحاديث الجاهلية وذلك حين يقع القول
عليهم وقيل القول هو قوله تعالى ولكن حق القول مني لاملان جهنم فوقوع القول وجوب
العذاب على هولاء اي فاذا صاروا الى حد لا تقبل توبتهم ولا يولد لهم مولود فحينئذ تقوم القيمة
ذكره القشيري وقول ثان قالت حفصة بنت سيرين سالت ابا العالية عن قول الله
عز وجل واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم فقال اوحى الله الى نوح
انه لن يومن من قومك الا من قد امن فكانما كان على وجهي غطا كشف قال النحاس وهذا
من احسن الجواب لان الناس ممتحنون لان فيهم مومنين وصالحين ومن قد علم الله عز وجل
انه سيومن ويتوب فلهذا امهلوا وامروا باخذ الجزية فاذا زال هذا وجب القول عليهم
فصاروا كقوم نوح قال الله عز وجل انه لن يومن من قومك الا من قد امن قلت وجميع
الاقوال عند التامل ترجع الى معنى واحد والدليل عليه اخر الاية ان الناس كانوا باياتنا
لا يوقنون وقرى ان بفتح الهمزة وسياتي وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث اذا خرجن لا ينفع نفسا ايمانها طلوع الشمس من
مغربها والدجال ودابة الارض وقد مضى القول في ذلك واختلف في تعيين هذه الدابة
وصفتها ومن اين تخرج اختلافا كثيرا ذكرناه في كتاب التذكرة ونذكره هنا ان شا الله تعالى
مستوفى فاول الاقوال انه فصيل ناقة صالح وهو اصحها والله اعلم لما ذكره ابو داود الطيالسي
في مسنده عن حذيفة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال لها ثلاث
خرجات من الدهر فتخرج في اقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن
زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى دون ذلك فيفشو ذكرها في اهل البادية ويدخل
ذكرها القرية يعني مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بينا الناس في اعظم
المساجد على الله حرمة وخيرها واكرمها على الله المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي ترغو
بين الركن والمقام تنفض عن راسها التراب فارفض الناس منها وثبتت عصابة من المومنين
وعرفوا انهم لم يعجزوا فبدات بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كانها الكوكب الدري وولت
في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتاتيه
من خلفه فتقول له يا فلان الان تصلي فتقبل عليه فتسمه في وجهه ثم تنطلق وتشترك
الناس في الاموال ويصطحبون في الامصار يعرف المومن من الكافر حتى ان المومن يقول
يا كافر اقضني حقي وموضع الدليل من هذا الحديث انه الفصيل قوله وهي ترغو والرغا انما
هو للابل وذلك ان الفصيل لما قتلت الناقة هرب فانفتح له حجر فدخل في جوفه ثم
انطبق عليه الحجر فهو فيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وروي انها دابة مزغبة شعرا
ذات قوايم طولها ستون ذراعا ويقال انها الجساسة وهو قول عبد الله بن عمرو وروي
عن عبد الله بن عمر انها على خلقة الادميين وهي في السحاب وقوايمها في الارض وروي
انها جمعت من خلق كل حيوان وذكر الثعلبي والماوردي ان راسها راس ثور وعينها عين خنزير
واذنها اذن فيل وقرنها قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها
لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوايمها قوايم بعير بين كل مفصل ومفصل

اثنا

اثنا عشر ذراعا الزمخشري بذراع ادم عليه السلام تخرج معها عصى موسى وخاتم سليمان فتنكت
في وجه المومن بعصى موسى نكتة بيضا فيبيض وجهه وتنكت في وجه الكافر بخاتم سليمان فيسود
وجهه قاله ابن الزبير رضي الله عنهما وفي كتاب النقاش عن ابن عباس ان الدابة الثعبان
المشرف على جدار الكعبة التي اقتلعها العقاب حين ارادت قريش بناء الكعبة وحكى الماوردي
عن محمد بن كعب عن علي ابن ابي طالب انه سيل عن الدابة فقال والله ما لها ذنب وان لها
للحية قال الماوردي وفي هذا القول منها اشارة الى انها من الانس وان لم يصرح به قلت
ولهذا والله اعلم قال بعض المتاخرين من المفسرين ان تكون هذه الدابة انسانا متكلما يناظر
اهل البدع والكفر ويجادلهم لينقطعوا فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة قال
شيخنا الامام ابو العباس احمد بن عمر القرطبي في كتاب المفهم له وانما كان عند هذا القايل الاقرب
لقوله تعالى تكلمهم وعلى هذا فلا تكون في هذه الدابة اية خاصة خارقة للعادة ولا تكون من
من جملة العشرة الايات المذكورة في الحديث لان وجود المناظرين والمحتجين على اهل البدع
كثير بلا اية خاصة فلا ينبغي ان يذكر مع العشرة وترتفع خصوصية وجودها اذا وقع القول ثم
فيه العدول عن تسمية هذا الانسان المناظر الفاضل العالم الذي على اهل الارض باسم الانسان
او بالعالم او بالامام الى ان يسمى بدابة وهذا خروج عن عادة الفصحا وعن تعظيم العلما وليس
ذلك داب العقلا فالاولى ما قاله اهل التفسير والله بحقايق الامور عليم قلت قد رفع الاشكال
في هذه الدابة ما ذكرناه من حديث حذيفة فليعتمد عليه واختلف في اي موضع تخرج فقال
عبد الله بن عمر تخرج من جبل الصفا بمكة يتصدع فتخرج منه وقال عبد الله بن عمرو نحوه
وقال لو شيت ان اضع قدمي على موضع خروجها لفعلت وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم ان الارض تنشق عن الدابة وعيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون من
ناحية المسعى وانها تخرج من الصفا فتسم بين عيني المومن هو مومن سمة كانها كوكب دري
وتسم بين عيني الكافر نكتة سودا كافر وقال في الخبر انها ذات وبر وريش ذكره المهدوي
وعن ابن عباس انها تخرج من شعب فتمس راسها السحاب ورجلاها في الارض لم يخرجا وتخرج
معها عصا موسى وخاتم سليمان وعن حذيفة تخرج ثلاث خرجات خرجة في بعض البوادي
ثم تكمن وخرجة في القرى يتقاتل فيها الامرا حتى تكثر الدما وخرجة من اعظم المساجد واكرمها
وافضلها واشرفها الزمخشري تخرج من بين الركن حذا دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد
فقوم يهربون وقوم يقفون نظارا وروي عن قتادة انها تخرج من تهامة وروي انها تخرج من
مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح عليه السلام وقيل من ارض الطايف قال ابو قبيل ضرب
عبد الله بن عمر ارض الطايف برجله وقال من هنا تخرج الدابة التي تكلم الناس وقيل من
بعض اودية تهامة قاله ابن عباس وقيل من صخرة من شعب اجياد قاله عبد الله بن عمرو وقيل
من بحر سدوم قاله وهب بن منبه ذكر هذه الثلاثة الاقوال الاخيرة الماوردي في كتابه وذكر
البغوي ابو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز قال حدثنا علي بن الجعد عن فضيل عن
مرزوق الرقاشي الاعز وسيل عنه يحيى ابن معين فقال ثقة عن عطية العوفي عن ابن عمر
قال تخرج الدابة من صدع في الكعبة كجري الفرس ثلاثة ايام لا تخرج ثلثها قلت فهذه
اقوال الصحابة والتابعين في خروج الدابة وصفتها وهي ترد قول من قال من المفسرين ان
الدابة انما هي انسان تتكلم بمناظرة اهل البدع والكفر وقد روى ابو امامة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال تخرج الدابة فتسم الناس على خراطيمهم ذكره الماوردي وقرا العامة تكلمهم بتشديد
التا وسكون الام مكسورة من الكلام قراة العامة يدل عليه قراة ابي تنبيهم وقال السدي
تكلمهم ببطلان الاديان سوى دين الاسلام وقيل تكلمهم بما يسوهم وقيل تكلمهم بلسان ذلق
فتقول بصوت يسمعه من قرب ومن بعد ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون اي بخروجي
لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وقرا ابو زرعة وابن عباس والحسن
وابو رجا تكلمهم بفتح التا من الكلم وهو الجرح قال عكرمة اي تسمهم وقال ابو الجوزا سالت
ابن عباس عن هذه الاية تكلمهم او تكلمهم فقال هي والله تكلمهم وتكلمهم تكلم المومن
تكلم المومن وتكلم الكافر والفاجر اي تجرحه قال ابو حاتم تكلمهم كما تقول تجرحهم فذهب

الي انه يكثر من تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون وقرا الكوفيون وابن ابي اسحاق بالفتح وقرا اهل الحرمين واهل الشام واهل البصرة ان بكسر الهمزة قال النحاس في المفتوحة قولان وكذلك المكسورة قال الاخفش المعني بان الناس وكذا قرا ابن مسعود بان وقال ابو عبيدة موضعها نصب بوقوع الفعل عليها اي تخبرهم ان الناس لا يوقنون وقرا الكسائي والفرا بالكسر على الاستيناف قال الاخفش هي بمعني تقول ان الناس يعني الكفار كانوا باياتنا لا يوقنون يعني بالقران وبمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك حين لا يقبل الله من كافر ايمانا ولم يبق الا مومنون وكافرون في علم الله قبل خروجها قوله تعالى ويوم نحشر من كل امة فوجا اي زمرة وجماعة ممن يكذب باياتنا يعني بالقران وباعلامنا الدالة على الحق فهم يوزعون اي يدفعون ويساقون الي موضع الحساب وكم وزعنا من خميس جحفل وكم حبونا من رئيس مسحل وقال قتادة يوزعون اي يرد اولهم على اخرهم حتي اذا جاوا وقال اي قال الله اكذبتم باياتي التي انزلتها على رسلي وبالايات التي اقمتها دليلا على توحيدي ولم تحيطوا بها علما اي ببطلانها حتي تعرضوا عنها ولم تتفكروا فيها ووقع القول عليهم بما ظلموا اي وجب العذاب عليهم وقيل يختم على افواههم فهم لا ينطقون قاله اكثر المفسرين الم يروا انا جعلنا الليل ليسكنوا فيه اي يستقرون وينامون والنهار مبصرا اي يبصر فيه لسعي الرزق ان في ذلك لايات لقوم يومنون بالله ذكر الدلالة على الاهية وقدرته اي الم يعلموا كمال قدرتنا فيومنوا قوله تعالى ويوم ينفخ في الصور اي واذكر يوم او ذكرهم يوم ينفخ في الصور ومذهب الفرا المعني وذلكم يوم ينفخ في الصور واجاز فيه الحذف والصحيح في الصور انه قرن ينفخ فيه اسرافيل وقال مجاهد كهيئة البوق وقيل هو البوق بلغة اهل اليمن وقد مضي في الانعام بيانه وما للعلما في ذلك ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات خلق الصور فاعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الي السما ينتظر متي يومر بالنفخة قلت يا رسول الله ما الصور قال قرن والله عظيم والذي بعثني بالحق ان عظم دارة فيه كعرض السما والارض فينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الاولي نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة البعث والقيام لرب العالمين وذكر الحديث ذكره علي بن معبد والطبري والثعلبي وغيرهم وصححه ابن العربي وقد ذكرته في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هنالك وان الصحيح في النفخ في الصور انهما نفختان لا ثلاث وان نفخة الفزع انما تكون راجعة الي نفخة الصعق لان الامرين لازمان لها اي فزعوا فزعا ماتوا منه او الي نفخة البعث وهو اختيار القشيري وغيره فانه قال في كلامه على هذه الاية والمراد النفخة الثانية اي يحيون فزعين يقولون من بعثنا من مرقدنا هذا ويعاينون من الامر ما يهولهم وما يفزعهم وهذا النفخ كصوت البوق لتجتمع الخلق في ارض الجزا وقال الماوردي ويوم ينفخ في الصور هو يوم النشور من القبور قال وفي هذا الفزع قولان احدهما انه الاسراع والاجابة الي الندا من قولهم فزعت اليك في كذا اي اسرعت الي ندايك في معونتك والقول الثاني ان الفزع هنا هو الفزع المعهود من الخوف والحزن لانهم ازعجوا من قبورهم ففزعوا وخافوا وهذا اشبه القولين قلت والسنة الثابتة من حديث ابي هريرة وحديث عبد الله بن عمرو يدل على انهما نفختان لا ثلاث خرجهما مسلم وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وهو الصحيح ان شا الله تعالى انهما نفختان قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فاستثني كما استثني في نفخة الفزع فدل على انهما واحدة وقد روي ابن المبارك عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون سنة يميت الله بها كل حي والاخري يحيي الله بها كل ميت فان قيل فقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة الي قوله فانما هي زجرة واحدة وهذا يقتضي بظاهره انها ثلاث قيل له ليس كذلك وانما المراد بالزجرة النفخة الثانية التي يكون عنها خروج الخلق من قبورهم كذلك قال ابن عباس ومجاهد وعطا وابن زيد وغيرهم قال مجاهد هما صيحتان اما الاولي

فيمت

فيمت كل شي باذن الله واما الاخري فيحيي كل شي باذن الله وقال عطا الراجفة القيامة والرادفة البعث وقال ابن زيد الراجفة الموت والرادفة الساعة والله اعلم الا من شا الله اختلف في هذا المستثني من هم ففي حديث ابي هريرة انهم الشهدا عند ربهم يرزقون انما يصل الفزع الي الاحيا وهو قول سعيد بن جبير انهم الشهدا عند ربهم متقلدوا السيوف حول العرش قال القشيري والانبيا داخلون في جملتهم لان لهم الشهادة مع النبوة وقيل الملايكة قال الحسن استثني طوايف من الملايكة يموتون بين النفختين قال مقاتل يعني جبريل وميكاييل واسرافيل وملك الموت وقيل الحور العين وقيل هم المومنون لان الله تعالى قال عقيب هذا من جا بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يوميذ امنون قال بعض العلما والصحيح انه لم يرد في تعيينهم خبر صحيح والكل محتمل قلت خفي عليه حديث ابي هريرة وقد صححه القاضي ابو بكر ابن العربي فليعول عليه لانه نص في التعيين وغيره اجتهاد والله اعلم وقيل غير هذا مما ياتي في الزمر وقوله ففزع من في السموات ماض وينفخ مستقبل فيقال كيف عطف ماض على مستقبل فزعم الفرا ان هذا محمول على المعني لان المعني اذا نفخ في الصور ففزع الا من شا الله نصب على الاستثنا وكل اتوه داخرين وقرا ابو عمرو وعاصم والكسائي ونافع وابن عامر اتوه جعلوه فعلا مستقبلا وقرا الاعمش وحمزة وحفص عن عاصم وكل اتوه مقصورا على الفعل الماضي وكذلك قراه ابن مسعود وعن قتادة وكل اتاه داخرين قال النحاس وفي كتابي عن ابي اسحاق في القران وكل اتوه وحد على لفظ كل وهذا القول غلط قبيح لانه اذا قال وكل اتوه وجد على لفظ كل وحدا فلم يوحدوا وانما جمع ولو وحد لقال اتاه ولكن من قال اتوه جمع على المعني وجا به ماضيا لانه رده الي فزع ومن قرا وكل اتوه حمله على المعني ايضا وقال اتوه لانها جملة منقطعة من الاول قال ابن نصر حكي عن ابي اسحاق رحمه الله ما لم يقله ونص ابي اسحاق وكل اتوه داخرين ويقرا اتوه فمن وحد فللفظ كل ومن جمع فلمعناها يريد ما اتي في القران او غيره من توحيد خبر كل فعلي اللفظ او جمع فعلي المعني فلم ياخذ ابو جعفر هذا المعني قال المهدوي ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو فعل من الاتيان وحمل على معني كل دون لفظها ومن قرا وكل اتوه داخرين فهو اسم الفاعل من اتي يدل على ذلك قوله تعالى وكلهم اتيه يوم القيمة فردا ومن قرا وكل اتاه حمله على لفظ كل دون معناها وحمل داخرين على المعني ومعناه صاغرين عن ابن عباس وقتادة وقد مضي في النحل قوله تعالى وتري الجبال تحسبها جامدة قال ابن عباس اي قايمة وهي تسير سيرا حثيثا قال القتبي وذلك ان الجبال تجمع وتسير وهي في روية العين كالقايمة وهي تسير وكذلك كل شي عظيم وجمع كثير يقصر عنه النظر لكثرته وبعد ما بين اطرافه وهو في حسبان الناظر كالواقف وهو يسير قال النابغة في وصف جيش

بارعن مثل الطود تحسب انهم ... وقوف لحاج والركاب تهملج

قال القشيري وهذا يوم القيامة اي هي لكثرتها كانها جامدة اي واقفة في راي العين وان كان في انفسها تسير سير السحاب والسحاب المتراكم يظن انها واقفة وهي تسير اي تمر مر السحاب حتي لا يبقي منها شي قال الله تعالى وسيرت الجبال فكانت سرابا ويقال ان الله تعالى وصف الجبال بصفات مختلفة ترجع كلها الي تفريغ الارض منها وابراز ما كانت تواريه فاول الصفات الاندكاك وذلك قبل الزلزلة ثم تصير كالعهن المنفوش وذلك اذا صارت السما كالمهل وقد جمع الله بينهما فقال يوم تكون السما كالمهل وتكون الجبال كالعهن والحالة الثالثة ان تصير كالهبا وذلك ان تتقطع بعد ان كانت كالعهن والحالة الرابعة ان تنسف لانها مع الاحوال المتقدمة قارة في مواضعها والارض تحتها غير بارزة فتنسف عنها لتبرز فاذا نسفت فبارسال الرياح عليها والحالة الخامسة ان الرياح ترفعها على وجه الارض فتظهرها شعاعا في الهوا كانها غبار فمن نظر اليها من بعد حسبها لتكاثفها اجسادا جامدة وهي بالحقيقة مارة الا ان مرورها من ورا الرياح كانها مندكة متفتتة والحالة السادسة ان تكون سرابا فمن نظر الي مواضعها لم يجد فيها شيا كالسراب قال مقاتل تقع على الارض فتسوي بها ثم قيل هذا مثل قال الماوردي وفيما ضرب له ثلاثة اقوال احدها انه مثل ضربه الله للدنيا

يظن الناظر إليها أنها واقفة كالجبال وهي آخذة بحظها من الزوال كالسحاب قال سهل
ابن عبد الله الثاني أنه مثل ضرب للإيمان تحسبه ثابتاً في القلب وعمله صاعد إلى
السماء الثالث أنه مثل ضرب للنفس عند خروج الروح والروح تسير إلى العرش صنع الله
الذي أتقن كل شيء أي هذا من فعل الله وهو فعل منه فهو متقن وترى من رؤية
العين ولو كانت من رؤية القلب لتعدت إلى مفعولين والأصل ترأى فألقيت حركة
الهمزة على الراء فتحركت الراء وحذفت الهمزة وهذا سبيل تخفيف الهمزة إذا كان قبلها
ساكن إلا أن التخفيف لازم لترى وأهل الكوفة يقرؤون تحسبها بفتح السين وهو
القياس لأنه من حسب يحسب إلا أنه قد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خلافها أنه
قرأ بالكسر في المستقبل فيكون على فعل يفعل مثل نعم ينعم وبئس يبئس وحكى
بئس يبئس من السالم لا يعرف في كلام العرب غير هذه الأحرف وهي تمر مر السحاب
تقديره مراً مثل مر السحاب فأقيمت الصفة مقام الموصوف والمضاف مقام المضاف
إليه مقامه فالجبال تزال من أماكنها من على وجه الأرض وتجمع وتسير كما تسير
السحاب ثم تكسر فتعود إلى الأرض كما قال وبست الجبال بساً فكانت هباءً منبثاً صنع
الله عند الخليل وسيبويه منصوب على أنه مصدر لأنه لما قال عز وجل وهي تمر
مر السحاب دل على أنه قد صنع ذلك صنعاً ويجوز النصب على الإغراء أي انظروا صنع
الله فعلى هذا يوقف على السحاب ولا يوقف عليه على التقدير الأول ويجوز رفعه
على تقدير ذلك صنع الله الذي أتقن كل شيء أي أحكمه ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم رحم الله من عمل عملاً فأتقنه وقال قتادة معناه أحسن كل شيء والإتقان
الإحكام يقال رجل تقن أي حاذق بالأشياء وقال الزهري أصله من ابن تقن وهو
رجل من عاد لم يكن يسقط له سهم فضرب به المثل يقال أرمى من ابن تقن وهو
رجل من عاد ثم يقال لكل حاذق تقن بالأشياء إنه خبير بما تفعلون بالتاء على الخطاب
قراءة الجمهور وقرأ ابن كثير وهشام وأبو عمرو وهشام بالياء قوله تعالى من جاء
بالحسنة فله خير منها قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما الحسنة لا إله إلا
الله وقال أبو معشر وابن عباس رضي الله عنهما كان إبراهيم يحلف بالله الذي لا إله
إلا هو ولا يستثني أن الحسنة لا إله إلا الله محمد رسول الله وقال علي بن الحسين بن علي
رضي الله عنهما غزا رجل فكان إذا خلا بمكان قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له فخرج
عليه رجل فارس عليه ثياب بيض فقال له والذي نفسي بيده إنها الكلمة التي قال
الله تعالى من جاء بالحسنة الآية وروى أبو ذر قال قلت يا رسول الله أمن الحسنات
لا إله إلا الله قال من أفضل الحسنات في رواية قال نعم هي أحسن الحسنات ذكره
البيهقي وقال قتادة من جاء بالحسنة الإخلاص والتوحيد وقيل أداء الفرائض
كلها قلت إذا أتى بلا إله إلا الله على حقيقتها وما يجب لها على ما تقدم بيانه في
سورة إبراهيم فقد أتى بالتوحيد والإخلاص والفرائض فله خير منها قال ابن
عباس أي وصل إليه الخير منها وقاله مجاهد وقيل فله الجزاء الجميل وهو الجنة وليس
خير للتفضيل قال عكرمة وابن جريج أما أن يكون له خير منها يعني الإيمان فلا
فإنه ليس شيء خير ممن قال لا إله إلا الله ولكن له منها خير وقيل فله خير منها للتفضيل
أي ثواب الله خير من عمل العبد وقوله وذكره وكذلك رضوان الله خير للعبد من فعل
العبد قاله ابن عباس وقيل يرجع هذا إلى الأضعاف فإن الله تعالى يعطيه بالواحدة
عشراً وبالإيمان في مدة يسيرة الثواب الأبدي قاله محمد بن كعب وعبد الرحمن ابن
زيد وهم من فزع يومئذ آمنون قرأ عاصم وحمزة والكسائي من فزع يومئذ بالإضافة
قال أبو عبيد وهذا أعجب إلي لأنه أعم التأويلين أن يكون الأمن جميع فزع ذلك
اليوم وإذا قال من فزع يومئذ صار كأنه فزع دون فزع قال القشيري وقرئ
من فزع بالتنوين ثم قيل يعني به فزعاً واحداً كما قال لا يحزنهم الفزع الأكبر وقيل
عني الكثرة لأنه مصدر والمصدر صالح للكثرة قلت فعلى هذا تكون القراءتان بمعنى

قال

قال المهدوي ومن قرأ من فزع يومئذ انتصب يومئذ بالمصدر الذي هو فزع ويجوز
أن تكون صفة لفزع ويكون متعلقاً بمحذوف لأن المصادر يخبر عنها بأسماء الزمان ويوصف
بها ويجوز أن يتعلق باسم الفاعل الذي هو آمنون والإضافة على الاتساع في الظروف
ومن حذف التنوين وفتح الميم بناه لأنه ظرف زمان وليس الإعراب في ظرف زمان متمكناً
فلما أضيف إلى غير متمكن ولا معرب بني وأنشد سيبويه

على حين ألهى الناس جل أمورهم ● فندلاً زريق المال ندل الثعالب ●

قوله تعالى ومن جاء بالسيئة أي بالشرك قاله ابن عباس والنخعي وأبو هريرة ومجاهد
والحسن وهو إجماع من أهل التأويل في أن الحسنة لا إله إلا الله وأن السيئة الشرك في هذه
الآية فكبت وجوههم في النار قال ابن عباس ألقيت وقال الضحاك طرحت يقال كببت
الإناء أي قلبته على وجهه واللازم منه أكب وقلما يأتي هذا في كلام العرب هل تجزون
أي يقال لهم هل تجزون ثم يجوز أن يكون من قول الله عز وجل ويجوز أن يكون من قول
الملائكة إلا ما كنتم تعملون أي إلا جزاء عملكم قوله تعالى إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة
الذي حرمها يعني مكة التي عظم الله حرمتها أي جعلها حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم
فيها أحد ولا يصاد فيها صيد ولا يعضد فيها شجر على ما تقدم بيانه في غير موضع وقرأ ابن
عباس التي حرمها نعتاً للبلدة وقراءة الجماعة الذي وهو في موضع نصب نعت لرب ولو كان
بالألف واللام لقلت المحرمها فإن كان نعتاً للبلدة قلت المحرمها هي لا بد من إظهار المضمر
مع الألف واللام لأن الفعل جرى على من هو غير له فإن قلت التي حرمها لم يحتج أن تقول
هي وله كل شيء خلقاً وملكاً وأمرت أن أكون من المسلمين أي المنقادين لأمره الموحدين له وأن
أتلو القرآن أي وأمرت أن أتلو القرآن أي أقرأه فمن اهتدى فله ثواب هدايته ومن ضل
فليس علي إلا البلاغ نسختها آية القتال قال النحاس وأن أتلو نصب بأن قال الفراء وفي
إحدى القراءتين وأن اتل وزعم أنه في موضع جزم بالأمر فلذلك حذف منه الواو قال
النحاس ولا نعرف أحداً قرأ هذه القراءة وهي مخالفة لجميع المصاحف قوله تعالى وقل
الحمد لله أي على نعمه وعلى ما هدانا سيريكم آياته أي في أنفسكم وفي غيركم كما قال سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم فتعرفونها أي في دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسكم
وفي السموات وفي الأرض نظيره قوله عز وجل وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم
أفلا تبصرون وما الله بغافل عما تعملون قرأ أهل المدينة وأهل الشام وحفص عن عاصم
بالتاء خطاباً كقوله سيريكم آياته فتعرفونها فيكون الكلام على نسق واحد الباقون بالياء
على أن يرد إلى ما قبله من قوله فمن اهتدى أخبر عن تلك الآية كملت السورة والحمد لله

سورة القصص مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطاء وقال ابن عباس وقتادة إلا آية نزلت بين مكة والمدينة
وقال ابن سلام بالجحفة في وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وهو
قوله عز وجل إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد وقال مقاتل فيها من المدني
الذين آتيناهم الكتاب إلى قوله لا نبتغي الجاهلين وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى طسم تقدم الكلام فيه تلك آيات الكتاب المبين تلك في موضع رفع
بمعنى هذه تلك وآيات بدل منها ويجوز أن يكون تلك في موضع نصب بنتلو وآيات بدل منها
أيضاً وتنصبها أيضاً كما تقول زيداً ضربت والمبين أي المبين بركته وخيره والمبين الحق من
الباطل والحلال من الحرام وقصص الأنبياء ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويقال بان الشيء
وبان وأبان اتضح نتلو عليك من نبإ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون ذكر تعالى قصة
موسى وفرعون وقارون واحتج على مشركي قريش وبين أن قرابة قارون من موسى لم تنفعه
مع كفره وكذلك قرابة قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم وبين أن فرعون علا وتجبر فكان ذلك

من كفروان يجتنب العلو في الارض وكذلك التعزز بكثرة المال وهما من سيرة فرعون وقارون
نتلوا عليك اي يقرا عليك جبريل بامرنا من نبا موسى وفرعون اي من خبرهما ومن للتبعيض ومن
نبا مفعول نتلوا اي نتلوا عليك بعض خبرهما كقوله تعالى تنبت بالدهن ومعنى بالحق
اي بالصدق الذي لاريب فيه ولا كذب لقوم يؤمنون اي يصدقون بالقران ويعلمون
انه من عند الله فاما من لم يؤمن فلا يعتقد انه حق قوله تعالى ان فرعون علا في
الارض اي استكبر وتجبر قاله ابن عباس والسدي وقال قتادة علا في نفسه عن عبادة
ربه بكفره وادعايه الربوبية وقيل بملكه وتسلطه فصار عاليا على من تحت يده في
الارض اي في ارض مصر وجعل اهلها شيعا اي فرقا واصنافا في الخدمة قال الاعشى
• وبلدة يرهب الجواب دلجتها • حتى تراه عليها يبتغي الشيعا •
يستضعف طايفة منهم اي من بني اسرايل بذبح ابنايهم ويستحيي نساهم انه كان من المفسدين
تقدم القول في هذا في البقرة عند قوله يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم وذلك
ان الكهنة قالوا له ان مولودا يولد في بني اسرايل يذهب ملكك على يديه او قال المنجمون
له ذلك او راي رويا وعبرت كذلك قال الزجاج العجب من حمقه لم يدر ان الكاهن ان صدق
فالقتل لا ينفع وان كذب فلا معنى للقتل وقيل جعلهم شيعا فاستسخر كل قوم من بني اسرايل
في شغل انه كان من المفسدين في الارض بالعمل او بالمعاصي والتجبر قوله تعالى ونريد
ان نمن على الذين استضعفوا في الارض اي نتفضل عليهم وننعم وهذه حكاية مضت ونجعلهم
ايمة قال ابن عباس سادة في الخير مجاهد دعاه الى الخير قتادة ولاة وملوكا دليله قوله
عز وجل وجعلكم ملوكا قلت وهذا اعم لان الملك امام يوتم به ونجعلهم الوارثين لملك فرعون
يرثون ملكه ويسكنون مساكن القبط وهذا معنى قوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني
اسرايل بما صبروا قوله تعالى ونمكن لهم في الارض اي نجعلهم مقتدرين على الارض
واهلها حتى يستولي عليها يعني ارض الشام ومصر ونري فرعون وهامان وجنودهما
اي نريد ان نري فرعون وقرا الاعمش ويحيى وحمزة والكساي وخلف ويرى بالياء على
انه فعل ثلاثي من راى فرعون وهامان وجنودهما رفعا لانه الفاعل الباقون نري بضم
النون وكسر الراء على انه فعل رباعي من ارى يري وهو على نسق الكلام لان قبله ونريد
وبعده ونمكن فرعون وهامان وجنودهما نصبا بوقوع الفعل واجاز الفراء ويري فرعون
بضم الياء وكسر الراء وفتح الياء بمعنى ويري الله فرعون منهم ما كانوا يحذرون وذلك انهم
اخبروا ان اهلاكهم على يدي رجل من بني اسرايل فكانوا على وجل منهم فاراهم الله ما كانوا يحذرون
قال قتادة كان حازي لفرعون والحازي المنجم قال له انه سيولد في هذه السنة مولود
يذهب بملكك فامر فرعون بقتل الولدان في تلك السنة وقد تقدم قوله تعالى واوحينا الى
ام موسى ان ارضعيه قد تقدم معنى الوحي ومحامله واختلف في هذا الوحي الى ام موسى
فقالت فرقة كان قولا في منامها وقال قتادة كان الهاما وقالت فرقة كان بملك تمثل لها
قال مقاتل اتاها بذلك جبريل فعلى هذا هو وحي اعلام لا الهام واجمع الكل على انها لم تكن
نبية وانما ارسال الملك اليها على نحو تكليم الملك للاقرع والابرص والاعمى للحديث
المشهور خرجه البخاري ومسلم وقد ذكرناه في سورة براءة وغير ذلك مما روي من تكليم
الملايكة من غير نبوة وقد سلمت على عمران بن حصين فلم يكن بذلك نبيا واسمها ايارخا
وقيل ايارخت فيما ذكر السهيلي وقال الثعلبي واسم ام موسى لوخا بنت هاند بن لاوي بن يعقوب
ان ارضعيه بكسر النون والف وصل حذفت همزة ارضع تخفيفا ثم كسرت النون لالتقا الساكنين
قال مجاهد وكان الوحي بالرضاع قبل الولادة وقال غيره بعدها قال السدي لما ولدت
ام موسى امرت ان ترضعه عقيب الولادة وتصنع به ما في الاية لان الخوف كان عقيب
الولادة وقال ابن جريج امرت برضاعه اربعة اشهر في بستان فاذا خافت ان يصيح لان
لبنها لا يكفيه صنعت به هذا والاول اظهر الا ان الاخر يعضده قوله فاذا خفت عليه وا ذا
لما يستقبل من الزمان فيروى انها اتخذت له تابوتا من بردي وقيرته بالقار من داخله
ووضعت فيه موسى والقته في نيل مصر وقد مضى خبره في طه قال ابن عباس ان بني

مطلب اسم ام موسى عم

اسرايل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي فسلط الله عليهم القبط وساموهم
سوء العذاب الى ان نجاهم الله على يد موسى قال وهب بلغني ان فرعون ذبح في طلب موسى سبعين
الف وليد ويقال تسعون الف ويروى انها حين اقتربت وضربها الطلق كانت بعض القوابل
الموكلات بحبالى بني اسرايل مصافية لها فقالت لتنفعني حبك اليوم فعالجتها فلما وقع الى الارض
هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت ما جيتك الا لاقتل
مولودك واخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه فلما خرجت
جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور نارا ولم تعلم ما تصنع لما طاش عقلها
فطلبوا فلم يلقوا شيا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاه من التنور وقد جعل الله عليه
النار بردا وسلاما قوله تعالى ولا تخافي ولا تحزني فيه وجهان احدهما لا تخافي عليه الغرق قاله
ابن زيد الثاني لا تخافي عليه الضيعة قاله يحيى ابن سلام ولا تحزني فيه ايضا وجهان احدهما
لا تحزني لفراقه قاله ابن زيد الثاني لا تحزني ان يقتل قاله يحيى بن سلام فقيل انها جعلته
في تابوت طوله خمسة اشبار وعرضه خمسة اشبار وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته في
اليم بعد ان ارضعته اربعة اشهر حكاه الكلبي وحكي انه لما فرغ النجار من صنعة التابوت ثم اتى
فرعون يخبره فبعث معه من ياخذه فطمس الله عينيه وقلبه فلم يعرف الطريق فايقن انه
المولود الذي خوف منه فرعون فامن من ذلك الوقت وهو مومن ال فرعون ذكره الماوردي
قال ابن عباس فلما توارى عنها ندمها الشيطان وقالت في نفسها لو ذبح عندي فواريته
وكفنته كان احب الي من القايه في البحر فقال الله عز وجل انا رادوه اليك وجاعلوه من
المرسلين اي الى اهل مصر حكى الاصمعي قال سمعت جارية اعرابية تنشد وتقول •
• استغفر الله لذنبي كله • قتلت انسانا بغير حله •
• مثل الغزال ناعما في دله • فانتصف الليل ولم اصله •
فقلت قاتلك الله ما افصحك او يعد هذا افصاحة مع قوله واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه
الاية فجمع في اية واحدة بين امرين ونهيين وبشارتين قوله تعالى فالتقطه ال فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا لما كان التقاطهم اياه يودي الى كونه لهم عدوا وحزنا فاللام في ليكون
لام العاقبة ولام الصيرورة لانهم انما اخذوه ليكون لهم قرة عين فكان ذلك لهم عدوا وحزنا
فذكر الحال بالمال كما قال الشاعر • وللمنايا تربي كل مرضعة • ودورنا لخراب الدهر نبنيها •
اخر • فللموت ما تلد الوالدات • كما لخراب الدهر تبنى المساكن •
اي فعاقبة البنا الخراب وان كان في الحال مفروحا به والالتقاط وجود الشي من غير طلب
ولا ارادة والعرب تقول لما وجدته من غير طلب ولا ارادة التقطه التقاطا ولقيته فلانا التقاطا ومنه اللقطة وقد مضى
ما في ذلك من الاحكام في سورة يوسف ما فيه كفاية وقرا الاعمش ويحيى وحمزة والكساي
وخلف وحزنا بضم الحا وسكون الزاي الباقون بفتحهما واختاره ابو عبيدة وابو حاتم قال
للتفخيم به وهما لغتان مثل العدم والعدم والسقم والسقم والرشد والرشد ان فرعون
وهامان وجنودهما كانوا خاطيين اي عاصين مشركين اثمين قوله تعالى وقالت
امراة فرعون قرة عين لي ولك يروى ان اسية امراة فرعون رات التابوت في اليم فامرت بسوقه اليها وفتحته فرات فيه صبيا صغيرا
فرحمته واحبته فقالت لفرعون قرة عين لي ولك اي هو قرة عين لي ولك فقرة خبر ابتداء
مضمر قاله الكساي وقال النحاس وفيه وجه اخر بعيد ذكره ابو اسحاق يكون رفعا بالابتدا
والخبر لا تقتلوه وانما بعد لانه يصير المعنى انه معروف بانه قرة عين وجاز ان يكون المعنى اذا كان قرة عين لي ولك فلا تقتلوه وقيل
تم الكلام عند قوله ولك النحاس والدليل على هذا ان في قراة عبد الله بن مسعود وقالت
امراة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك ويجوز النصب بمعنى لا تقتلوه قرة عين لي ولك
وقالوا لا تقتلوه ولم تقل لا تقتله فهي تخاطب فرعون كما يخاطب الجبارون وكما
يخبرون عن انفسهم وقالت لا تقتلوه فان الله اتى به من ارض اخرى وليس من بني
اسرايل عسى ان ينفعنا فنصيب منه خيرا او نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى
من فرعون فوهبه لها وكان فرعون لما راى الرويا وقصها على كهنته وعلمايه على ما تقدم
قالوا له ان غلاما من بني اسرايل يفسد ملكك فاخذ بني اسرايل بذبح الاطفال فراى انه

يقطع نسلهم فعاد فذبح عاما وترك عاما فولد هرون في عام الاستحيا وولد موسى في عام
الذبح قوله تعالى وهم لا يشعرون هذا ابتدا كلام من الله تعالى وهم لا يشعرون ان هـ
هلاكهم بسببه وقيل هو من كلام المراة اي وبنو اسرايل لا يدرون انا التقطناه وهم لا يشعرون
الا انه ولدنا واختلف المتاولون في الوقت الذي قالت فيه امراة فرعون قرة عين لي ولك
فقالت فرقة كان ذلك عند التقاطهم التابوت لما اشعرت فرعون به ولما اعلمته سبق الى
وهمه من بني اسرايل وان ذلك قصد به ليتخلص من الذبح فقال علي بالذباحين فقالت امراته
ما ذكر فقال فرعون اما لي فلا قال النبي صلى الله عليه وسلم لو قال فرعون نعم لامن بموسى
ولكان قرة عين له وقال السدي بل ربته حتى درج فراي فرعون فيه شهامة وظنه من
بني اسرايل واخذه في يده فمد موسى يده ونتف لحية فرعون فهم حينيذ بذبحه وحينيذ
خاطبته بهذا وجربته له في الجمرة والياقوتة فاحترق لسانه وعلق العقدة على ما تقدم في طه
قال الفرا سمعت محمد بن مروان الذي يقال له السدي يذكر عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن
عباس انه قال قرة عين لي ولك لا ثم قالت تقتلوه قال الفرا وهو لحن قال ابن الانباري
وانما حكم عليه باللحن لانه لو كان كذلك لكان تقتلونه بالنون لان الفعل المستقبل مرفوع حتى
يدخل عليه الناصب او الجازم فالنون فيه علامة الرفع قال الفرا ويقويك على رده قراة
عبد الله بن مسعود وقالت امراة فرعون لا تقتلوه قرة عين لي ولك قوله تعالى واصبح
فواد ام موسى فارغا قال ابن مسعود ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وابو عمران
الجوني وابو عبيدة فارغا اي خاليا من ذكر كل شي في الدنيا الا من ذكر موسى وقال الحسن
ايضا وابن اسحاق وابن زيد فارغا من الوحي اذ اوحي اليها حين امرت ان تلقيه في
البحر ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهده اليها ان يرده ويجعله من المرسلين
فقال لها الشيطان يا ام موسى كرهت ان يقتل فرعون موسى فغرقتيه في اليم ثم بلغها انه ولدها
وقع في يد فرعون فانساها عظم البلا ما كان من عهد الله اليها وقال ابو عبيدة فارغا
من الحزن لعلمها انه لم يغرق وقاله الاخفش ايضا وقال العلا بن زياد فارغا
وقال الكسايي ناسيا وقيل والها رواه سعيد بن جبير ابن القاسم عن مالك هو ذهاب
العقل والمعنى انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها من شدة الفزع
والدهش ونحوه قوله تعالى وافيدتهم هوا اي جوف لا عقول لها كما تقدم في سورة
ابراهيم وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب
يعقلون بها ويدل عليه قراة من قرا فزعا النحاس اصح هذه الاقوال الاول والذين
قالوه اعلم بكتاب الله عز وجل فاذا كان فارغا من كل شي الا من ذكر موسى فهو فارغ
من الوحي وقال ابو عبيدة فارغا من الغم غلط قبيح لان بعده ان كادت لتبدي به
لولا ان ربطنا على قلبها وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كادت تقول
وا ابناه وقرا فضالة بن عبيد الانصاري رضي الله عنه ومحمد بن السميقع وابو العالية
وابن محيصن فزعا بالفا والعين المهملة من الفزع اي خايفا عليه ان يقتل ابن عباس
قرعا بالقاف والرا والعين المهملتين وهي راجعة الى قراة الجماعة فارغا ولذلك
قيل للراس الذي لا شعر فيه اقرع لفراغه من الشعر وحكى قطرب ان بعض اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم قرا فرغا بالفا والرا والغين المعجمة من غير الف وهو كقوله
هدرا وباطلا يقال دماوهم بينهم فرغ اي هدر والمعنى بطل قلبها وذهب وبقيت
لا قلب لها من شدة ما ورد عليها وفي قوله عز وجل واصبح وجهان احدهما انها القته
ليلا فاصبح فوادها في النهار فارغا الثاني انها القته نهارا ومعنى اصبح اي صار
كما قال الشاعر * مضى الخلفا بالامر الرشيد * واصبحت المدينة للوليد *
ان كادت اي انها كادت فلما حذفت الكناية سكنت النون فهي ان المخففة ولذلك
دخلت اللام لتبدي به اي لتظهر امره من تبدى يبدو اذا ظهر قال ابن عباس اي تصيح
عند القايه وا ابناه السدي كادت تقول لما حملت لارضاعه وحضانته هو ابني وقيل
انه لما شب سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها وضاق صدرها وكادت

تقول

تقول هو ابني وقيل الهاء في به عايدة الى الوحي كادت تبدي بالوحي الذي اوحيناه
اليها ان نرده عليها والاول اظهر قال ابن مسعود كادت تقول انا امه وقال الفرا ان كادت
لتبدي باسمه لضيق صدرها لولا ان ربطنا على قلبها قال قتادة بالايمان السدي بالعصمة
وقيل بالصبر والربط على القلب الهام الصبر لتكون من المومنين من المصدقين بوعد الله حين
قال لها انا رادوه اليك وقال لتبدي به ولم يقل لتبديه لان حروف الصفات قد تزاد في
الكلام تقول اخذت الحبل وبالحبل وقيل اي لتبدي القول به قوله تعالى وقالت لاخته قصيه
اي قالت ام موسى لاخت موسى اتبعي اثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران وافق اسمها
اسم مريم ام عيسى عليه السلام ذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك ان اسمها
كلثمة وقال السهيلي كلثوم جا ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لخديجة اشعرت ان الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم اخت موسى
واسية امراة فرعون فقالت الله اخبرك بهذا فقال نعم فقالت بالرفا والبنين فبصرت
به عن جنب اي بعد قاله مجاهد ومنه الاجنبي قال الشاعر

* فلا تحرمني نايلا عن جنابة * فاني امرو وسط القباب غريب *

واصله عن مكان جنب وقال ابن عباس عن جنب اي عن جانب وقرا النعمان بن سالم عن
جانب اي عن ناحية وقيل عن شوق وحكى ابو عمرو بن العلا انها لغة جذام يقولون جنبت
اليك اي اشتقت وقيل عن جنب اي عن مجانبة لها منه فلم يعرفوا انها امه بسبيل وقال قتادة
جعلت تنظر اليه بناحية كانها لا تريده وكان يقرا عن جنب بفتح الجيم واسكان النون وهم لا يشعرون
انها اخته لانها كانت تمشي على ساحل البحر حتى راتهم قد اخذوه قوله تعالى وحرمنا عليه
المراضع من قبل اي منعناه من الارتضاع من قبل اي من قبل مجي امه واخته والمراضع جمع مرضع
ومن قال المراضع فهو جمع مرضاع ومفعال يكون للتكثير ولا تدخل الها فيه فرقا بين المذكر
والمونث لانه ليس بجار على الفعل ولكن من قال مرضاعة جا بالها للمبالغة كما يقال مطرابة
قال ابن عباس لا يوتى بمرضع فيقبلها وهذا تحريم منع لا تحريم شرع قال امرو القيس

* جالت لتصرعني فقلت لها اقصري * اني امرو صرعي عليك حرام *

اي ممتنع فلما رات اخته ذلك قالت هل ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم الاية فقالوا لها
عند قولها وهم له ناصحون وما يدريك لعلك تعرفين اهله فقالت لا ولكنهم يحرصون على مسرة
الملك ويرغبون في ظئره وقال السدي وابن جريج قيل لها لما قالت وهم له ناصحون
قد عرفت اهل هذا الصبي فدلينا عليهم فقالت اردت وهم للملك ناصحون فدلتهم على ام
موسى فانطلقت اليها بامرهم فجات بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو
يبكي يطلب الرضاع فدفعه اليها فلما وجد الصبي ريح امه قبل ثديها وقال ابن زيد
استرابوها حين قالت ذلك فقالت وهم للملك ناصحون وقيل انها لما قالت هل ادلكم
على اهل بيت يكفلونه لكم وكانوا يبالغون بطلب مرضعة يقبل ثديها فقالوا من هي فقالت
امي فقيل لها لبن فقالت نعم لبن هرون وكان ولد في سنة لا يقتل فيها الصبيان فقالوا
صدقت والله وهم له ناصحون اي فيهم شفقة ونصح فروي انه قيل لام موسى حين
ارتضع منها كيف ارتضع منك ولم يرتضع من غيرك فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن
لا اكاد اوتى بصبي الا ارتضع مني قال ابو عمران الجوني وكان فرعون يعطي ام موسى
كل يوم دينارا قال الزمخشري فان قلت كيف حل لها ان تاخذ الاجر على رضاع ولدها
قلت ما كانت تاخذه على وجه الاستباحة فرددناه الى امه اي رددناه وقد عطف الله
قلب العدو عليه ووفينا لها بالوعد كي تقر عينها اي بولدها ولا تحزن ان وعد الله
حق اي لتعلم وقوعه فانها كانت عالمة بان رده اليها سيكون ولكن اكثرهم يعني اكثر الناس
لا يعلمون يعني آل فرعون لا يعلمون اي كانوا في غفلة عن التقدير وسر القضا
وقيل اي اكثر الناس لا يعلمون ان وعد الله في كل ما وعد حق قوله تعالى ولما بلغ
اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قد مضى الكلام في الاشد في الانعام وقول ربيعة
ومالك انه الحلم اولى ما قيل فيه لقوله تعالى حتى اذا بلغوا النكاح اول الاشد واقصاه اربع

وثلاثون سنة وهو قول سفين الثوري قال ابن عباس بلغ اربعين سنة والحكم الحكمة
قبل النبوة وقيل الفقه في الدين وقد مضى بيانها في البقرة وغيرها والعلم الفهم في قول
السدي وقيل النبوة وقال مجاهد الفقه محمد بن اسحاق اي العلم بما في دينه ودين ابايه وكان
له تسعة من بني اسرايل يسمعون منه ويقتدون به ويجتمعون اليه وكان هذا قبل النبوة
وكذلك نجزي المحسنين اي كما جزينا ام موسى لما استسلمت لامر الله والقت ولدها في البحر
وصدقت بوعد الله فرددنا ولدها اليها بالتحف والطرف وهي امنة ثم وهبنا له العقل
والحكمة والنبوة وكذلك نجزي المحسنين قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها
قيل لما عرف موسى عليه السلام ما هو عليه من الحق في دينه عابوا عليه قوم فرعون وفشا ذلك
منه فخافوه وخافهم فكان لا يدخل مدينة فرعون الا خايفا مستخفيا وقال السدي كان موسى
في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان الذي يركب اليه حين كان يدعى موسى
ابن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مداين مصر يقال لها منف قال مقاتل
على راس فرسخين من مصر ثم علم موسى بركوب فرعون فركب بعده ولحق بتلك القرية في تلك
القايلة وهو وقت الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشا والعتمة وقال ابن اسحاق
بل المدينة مصر نفسها وكان موسى في هذا الوقت قد اظهر خلاف فرعون وعاب عليهم عبادة
الاصنام فدخل مدينة فرعون يوما على حين غفلة من اهلها قال سعيد ابن جبير وقتادة
وقت الظهيرة والناس نيام وقال ابن زيد كان فرعون قد نابذ موسى واخرجه من
المدينة وغاب عنها سنين وجاء والناس على غفلة بنسيانهم لامره وبعد عهدهم به وكان
ذلك يوم عيد وقال الضحاك طلب ان يدخل المدينة وقت غفلة اهلها فدخلها حين علم
منهم ذلك فكان منه من قتل الرجل من قبل ان يومر بقتله فاستغفر ربه فغفر له ويقال
في الكلام دخلت المدينة حين غفل اهلها ولا يقال على حين غفل اهلها فدخلت على في
هذه الغفلة لان الغفلة هي المقصودة وكان هذا كما تقول جيت على غفلة وان شيت
قلت جيت على حين غفلة وكذا الاية فوجد فيها رجلين يقتتلان المعنى اذا نظر اليهما
الناظر قال هذا من شيعته اي من بني اسرايل وهذا من عدوه اي من قوم فرعون فاستغاثه
الذي من شيعته اي طلب نصره وعونه وكذا قال في الاية بعدها فاذا الذي استنصره
بالامس يستصرخه اي يستغيث به على قبطي اخر وانما اغاثه لان نصر المظلوم دين على
الامم وفرض في جميع الشرايع قال قتادة اراد القبطي ان يسخر الاسرايلي ليحمل حطبا لمطبخ
فرعون فابى عليه فاستغاث بموسى قال سعيد بن جبير وكان خبازا لفرعون فوكزه
موسى قال قتادة بعصاه وقال مجاهد بكفه اي دفعه والوكز واللكز واللهز واللكم
بمعنى واحد وهو الضرب بجميع الكف مجموعا كعقد ثلاثة وسبعين وقرا ابن مسعود فلكزه
وقيل في اللكز في اللحي والوكز على القلب وحكى الثعلبي ان في مصحف عبد الله فنكزه
بالنون والمعنى واحد وقال الجوهري عن ابي عبيدة اللكز الضرب بالجمع على الصدر
وقال ابو زيد في جميع الجسد واللهز الضرب بجميع اليد في الصدر مثل اللكز عن ابي
عبيدة ايضا وقال ابو زيد هو بالجمع في اللهازم والرقبة والرجل ملهز بكسر الميم وقال
الاصمعي نكزه اي ضربه ودفعه الكسائي نهزه مثل نكزه ووكزه اي ضربه ودفعه ولهده
لهدا اي دفعه لهده فهو ملهود وكذلك لهده قال طرفة يذم رجلا •

• بطي عن الداعي سريع الى الخنا • ذلول باجماع الرجال ملهد •

اي مدفع وانما شدد للكثرة وقالت عايشة رضي الله عنها فلهدني رسول الله صلى
الله عليه وسلم لهدة اوجعتني خرجه مسلم ففعل موسى عليه السلام ذلك وهو لا يريد
قتله انما قصد دفعه فكانت فيه نفسه وهو معنى فقضى عليه وكل شي اتيت عليه
وفرغت منه فقد قضيت عليه قال ومن عصنه فقضى عليه الا تسمع قال هذا من عمل
الشيطان اي من اغوايه قال الحسن لم يكن يحل قتل الكافر يوميذ في تلك الحال لانها
كانت حال كف عن القتال انه عدو مضل مبين اي خبير بعد خبير قال رب اني ظلمت
نفسي فاغفر لي فغفر له ندم موسى عليه السلام على ذلك والوكز الذي كان فيه ذهاب

النفس فحمله ندمه على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه قال قتادة عرف والله المخرج
فاستغفر ثم لم يزل صلى الله عليه وسلم يعدد ذلك على نفسه مع علمه بانه قد غفر له حتى انه
في القيامة يقول اني قتلت نفسا لم اومر بقتلها وانما عدده على نفسه ذنبا وقال ظلمت نفسي
فاغفر لي من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يومر وايضا فان الانبيا يشفقون مما لا يشفق
منه غيرهم قال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا القتل وانما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمه
قال وقد قيل ان هذا كان قبل النبوة وقال كعب كان اذ ذاك ابن اثنتي عشرة سنة وكان قتله
مع ذلك خطا فان الوكزة واللكزة في الغالب لا تقتل روى مسلم عن سالم بن عبد الله انه
قال يا اهل العراق ما اسالكم عن الصغيرة واركبكم للكبيرة سمعت ابا عبد الله بن عمر يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الفتنة تجي من هاهنا واوما بيده نحو المشرق من حيث
يطلع قرن الشمس وانتم يضرب بعضكم رقاب بعض وانما قتل الذي قتل من ال فرعون خطا
فقال الله تعالى وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا قوله تعالى قال
رب بما انعمت علي اي من المعرفة والحكمة والتوحيد فلن اكون ظهيرا للمجرمين اي عونا على الكافرين
قال القشيري ولم يقل بما انعمت علي من المغفرة لان هذا قبل الوحي وما كان عالما بان الله
قد غفر له ذلك القتل وقال الماوردي بما انعمت علي فيه وجهان احدهما من المغفرة وكذلك ذكر
المهدوي والثعلبي قال المهدوي بما انعمت علي بالمغفرة فلن اعين بعدها مجرما وقال الثعلبي
بما انعمت علي بالمغفرة فلن تعاقبني الوجه الثاني من الهداية قلت قوله فغفر له يدل على المغفرة
والله اعلم قال الزمخشري قوله تعالى بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره
اقسم بانعامك علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال
رب اعصمني بحق ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة
المجرمين اما صحبة فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد
مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة
الاسرايلي المودية الى القتل الذي لم يحل له قتله وقيل اراد اني وان اسات في هذا القتل
الذي لم اومر به فلا اترك نصرة المسلمين على المجرمين فعلى هذا كان الاسرايلي مومنا ونصرة
المومن واجبة في جميع الشرايع وقيل في بعض الروايات ان ذلك الاسرايلي كان كافرا وانما
قيل له انه من شيعته لانه كان اسرايليا ولم يرد الموافقة في الدين فعلى هذا ندم لانه اعان
كافرا على كافر فقال لا اكون بعدها ظهيرا للكافرين اي فلا تجعلني يا رب ظهيرا للمجرمين وقال
الفرا المعنى اللهم فلن اكون ظهيرا للمجرمين وزعم ان قوله هذا قول ابن عباس على الحقيقة
لا ما حكاه الفرا لان ابن عباس قال لم يستثن فابتلي من ثاني يوم والاستثنا لا يكون في الدعا
لا يقال اللهم اغفر لي ان شيت واعجب الاشيا ان الفرا روى ان ابن عباس قال هذا ثم
حكى عنه قوله قلت قد مضى هذا المعنى ملخصا مبينا في سورة النحل وانه خبر لا دعا وعن
ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شا الله وهذا نحو قوله
ولا تركنوا الى الذين ظلموا قال سلمة بن نبيط بعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك بعطا
اهل بخارا وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى اعفاه فقال له ما عليك ان تعطيهم
انت ولا ترزاهم شيا قال لا احب ان اعين الظلمة على شي من امرهم وقال عبيد الله بن الوليد
الرصافي قلت لعطا ابن ابي رباح ان لي اخا ياخذ بقلمه وانما يحسب ما يدخل ويخرج وله
عيال ولو ترك ذلك لاحتاج وادان قال من الراس قلت خالد بن الوليد القسري قال
اما تقرا ما قال العبد الصالح رب بما انعمت علي فلن اكون ظهيرا للمجرمين قال ابن عباس
فلم يستثن فابتلي ثانية فاعانه الله فلا يعينهم اخوك فان الله يعينه قال عطا فلا
يحل لاحد ان يعين ظالما ولا يكتب له ولا يصحبه وانه ان فعل شيا من ذلك فقد صار معينا
للظالمين وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان
الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم
ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله
قدميه على الصراط يوم تزل فيه الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه ازل الله قدميه

على الصراط يوم تدحض فيه الاقدام وفي الحديث من مشى مع ظالم فقد اجرم والمشي مع
الظالم الا ان يكون مجرما الا اذا مشى معه ليعينه لانه ارتكب نهي الله تعالى في قوله سبحانه
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان قوله تعالى فاصبح في المدينة خائفا يترقب قد
تقدم في طه وغيرها ان الانبيا صلوات الله عليهم يخافون ردا على من قال غير ذلك وان الخوف
لا ينافي المعرفة بالله ولا التوكل عليه فقيل اصبح خائفا من قتل القبطي ان يوخذ به
وقيل خائفا من قومه ان يسلموه وقيل خائفا من الله تعالى يترقب قال سعيد بن جبير
يتلفت من الخوف وقيل ينتظر الطلب وينتظر ما يتحدث به الناس وقال قتادة يترقب اي
يترقب الطلب وقيل خرج يستخبر الخبر ولم يكن احد علم بقتل القبطي غير الاسرائيلي واصبح
يحتمل ان يكون بمعنى صار اي لما قتل صار خائفا ويحتمل ان يكون دخل في الصباح اي صباح
اليوم الذي يلي يومه وخائفا منصوب على انه خبر اصبح وان شئت على الحال ويكون الظرف
في موضع الخبر فاذا الذي استنصره بالامس يستصرخه اي فاذا صاحبه الاسرائيلي الذي خلصه
بالامس يقاتل قبطيا اخر اراد ان يسخره والاستصراخ الاستغاثة وهو من الصراخ وذلك
لان المستغيث يصوت ويصرخ في طلب الغوث قال •

• كنا اذا ما اتانا صارخ فزع • كان الصراخ له قرع الظنابيب •

قيل كان هذا الاسرائيلي المستنصر السامري يستسخره طباخ فرعون في موضع الخبر ويجوز
ان يكون في موضع نصب على الحال وامس اليوم الذي قبل يومك وهو مبني على الكسر
لالتقا الساكنين فاذا دخله الالف واللام والاضافة تمكن فاعرب بالرفع والفتح عند
اكثر النحويين ومنهم من يبنيه ومنه الالف واللام وحكى سيبويه وغيره ان من العرب من
يجري امس مجرى ما لا ينصرف في موضع الرفع خاصة وربما اضطر الشاعر ففعل هذا في الخفض
والنصب قال الشاعر • لقد رايت عجبا مذ امسا • فخفض بمذ ما مضى واللغة الجيدة
الرفع فاجرى امس في الخفض مجراه في الرفع على اللغة الثانية قال له موسى انك لغوي
مبين والغوي الخائب لانك تشاد من لا تطيقه وقيل من الضلال لانه قتلت بسببك امس
رجلا وتدعوني اليوم لاخر والغوي فعيل من اغوى يغوي وهو بمعنى مغو وهو
كالوجيع والاليم بمعنى الموجع والمولم وقيل الغوي بمعنى الغاوي اي انك لغوي في
قتال من لا تطيق دفع شره عنك وقال الحسن انما قال للقبطي انك لغوي مبين في
استسخار هذا الاسرائيلي وهم ان يبطش به يقال بطش يبطش ويبطش والضم اقيس
لانه فعل لا يتعدى قال يا موسى اتريد ان تقتلني قال ابن جبير اراد موسى ان يبطش
بالقبطي فتوهم الاسرائيلي لانه يريده لانه اغلظ له في القول فقال اتريد ان تقتلني
كما قتلت نفسا بالامس فسمع القبطي الكلام فافشاه وقيل اراد ان يبطش الاسرائيلي
بالقبطي فنهاه موسى فخاف منه فقال اتريد ان تقتلني كما قتلت نفسا بالامس ان
تريد اي ما تريد الا ان تكون جبارا في الارض اي قتالا قال عكرمة والشعبي لا يكون
الانسان جبارا حتى يقتل نفسين بغير حق وما تريد ان تكون من المصلحين الذين
يصلحون بين الناس قوله تعالى وجا رجل قال اكثر اهل التفسير هذا الرجل
هو حزقيل ابن صبورا مومن ال فرعون وكان ابن عم فرعون ذكره الثعلبي وقيل طالوت
ذكره السهيلي وقال المهدوي عن قتادة اسمه شمعون مومن ال فرعون وقيل سمعان
وقال الدارقطني لا يعرف سمعان بالسين المهملة الا مومن ال فرعون وروي ان فرعون
امر بقتل موسى فسبق ذلك الرجل بالخبر فقال يا موسى ان الملا ياتمرون بك اي يتشاورون
في قتلك بالقبطي الذي قتلته بالامس وقيل يامر بعضهم بعضا وقال النمر بن تولب •

• ارى الناس قد احدثوا شيمة • وفي كل حادثة يوتمر •

فاخرج اني لك من الناصحين فخرج منها خائفا يترقب اي ينتظر الطلب قال رب نجني
من القوم الظالمين وقيل الظالم الجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل بظلم ولا
ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله تعالى
قوله تعالى ولما توجه تلقا مدين قال عسى ربي ان يهديني سوا السبيل لما خرج

موسى عليه السلام فارا بنفسه منفردا خائفا لا شي معه من زاد ولا راحلة ولا حذا نحو مدين
بالنسب الذي بينهم وبينه لان مدين من ولد ابراهيم وموسى من ولد يعقوب بن اسحاق بن
ابراهيم وراي حاله وعدم معرفته بالطريق وخلوه من زاد وغيره اسند امره الى الله تعالى
بقوله عسى ربي ان يهديني سوا السبيل وهذه حالة المضطر قلت روي انه كان يتقوت ورق
الشجر وما وصل حتى سقط خف قدميه قال ابو مالك وكان فرعون وجه في طلبه وقال لهم
اطلبوه ببنيات الطريق فان موسى لا يعرف الطريق فجا ملك راكب فرسا ومعه عنزة فقال
لموسى اتبعني فاتبعه فهداه الى الطريق فيقال انه اعطاه العنزة وكانت عصاه ويروى ان
عصاه انما اخذها لرعيه الغنم من مدين وهو اكثر واصح وقال مقاتل والسدي ان الله
بعث اليه جبريل والله اعلم وبين مصر ومدين ثمانية ايام قاله ابن جبير والناس وكان
ملك مدين لغير فرعون قوله تعالى ولما ورد ما مدين الى قوله على ما نقول وكيل فيه اربع
وعشرون مسألة الاولى قوله تعالى ولما ورد ما مدين مشى موسى عليه السلام حتى ورد
ما مدين اي بلغها وورود الما معناه بلغه لانه دخل فيه ولفظة الورود قد تكون بمعنى
الدخول في المورود وقد تكون بمعنى الاطلاع عليه والبلوغ اليه وان لم يدخل فورود
موسى هذا الما كان بالوصول اليه ومنه قول زهير •

• فلما وردنا الما زرقا جمامه • وضعن عصي الحاضر المتخيم •

وقد تقدمت هذه المعاني في قوله وان منكم الا واردها ومدين لا ينصرف اذ هي بلدة معروفة
قال الشاعر • رهبان مدين لو راوك تنزلوا • والعصم من شعف الجبال الفادر •
وقيل قبيلة من ولد مدين بن ابراهيم وقد مضى في الاعراف القول فيه والامة الجمع الكثير
ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جا منها فوصل الى المرأتين
قبل وصوله الامة ووجدهما تذودان ومعناها تحبسان وتمنعان ومنه قوله عليه السلام
فلا يذادن رجال عن حوضي ووجد في بعض المصاحف امراتين حابستين تذودان يقال
ذاد يذود اذا حبس وذدت الشي ايه حبسته قال الشاعر •

• ابيت على باب القوافي كانما • اذود بها سربا من الوحش نزعا •

اي احبس وامنع وقيل تذودان تطردان قال •

• لقد سلبت عصاك بنو تميم • فما تدري باي عصى تذود •

اي تطرد وتكف وتمنع ابن سلام تمنعان غنمهما لئلا تختلط بغنم الناس فحذف المفعول
اما ايهاما على المخاطب واما استغنا بعلمه قال ابن عباس تذودان غنمهما عن الما خوفا من
السقاة الاقويا قتادة تذودان الناس عن غنمهما قال النحاس والاول اولى لان بعده
قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعا ولما راى موسى عليه السلام ذلك منهما قال ما خطبكما اي
ما شانكما قال روبة • يا عجبا ما خطبه وخطبي • ابن عطية وكان استعمال السوال
بالخطب انما هو عن مصاب او مضطهد او من يشفق عليه او ياتي بمنكر من الامر فكانه في
الجملة في شر فاخبرتاه بخبرهما وان اباهما شيخ كبير فالمعنى لا يستطيع لضعفه ان يباشر امر
غنمه وانهما لضعفهما وقلة طاقتهما لا يقدران على مزاحمة الاقويا وان عادتهما التاني حتى
يصدر الرعا الناس عن الما ويخلى وحينئذ يردان وقرا ابن عامر وابو عمرو يصدر رون صدر
وهو ضد ورد اي يرجع الرعا والباقون يصدر بضم اليا من اصدر حتى يصدروا مواشيهم
من ورودهم والرعا جمع راع مثل تاجر وتجار وصاحب وصحاب قالت فرقة كانت الابار
مكشوفة وكان زحام الناس يمنعهما فلما اراد موسى ان يسقي لهما زحم الناس وغلبهم على
الما حتى سقا ففي هذا الغلب الذي كان منه وصفته احداهما بالقوة وقالت فرقة انهما
كانتا يتبعان فضالتهم في الصهاريج فان وجدتا في الحوض بقية كان ذلك سقيهما وان لم
يكن فيه بقية عطشت غنمهما فرق لهما موسى فعمد الى بير كانت مغطاة والناس يسقون
من غيرها وكان حجرها لا يرفعه الا سبعة قاله ابن زيد وقال ابن جريج عشرة ابن عباس
ثلاثون الزجاج اربعون فرفعه وسقى للمرأتين فعن رفع الصخرة وصفته بالقوة وقيل
انه بيرهم كانت واحدة وانه رفع عنها الحجر بعد انفصال السقاة اذ كانت عادة المرأتين شرب

العضلات وروى عمرو ابن ميمون عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال لما استقى
الرعا غطوا على البير صخرة لا يقلها الا عشرة رجال فجا موسى فاقتلعها واستقى ذنوبا واحدا
لم يحتج الى غيره فسقى لهما الثانية ان قيل كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلام
ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية قيل ليس ذلك بمحظور والدين لا يأباه واما المروة فالناس
مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب
اهل البدو غير مذهب الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة الثالثة قوله تعالى
ثم تولى الى الظل اي الى ظل سمرة قاله ابن مسعود فتعرض لسوال ما يطعمه بقوله اني لما
انزلت الي من خير فقير كان لم يذق طعاما سبعة ايام وقد لصق بطنه بظهره فعرض بالدعا
ولم يصرح بسوال هكذا روى جميع المفسرين انه طلب في هذا الكلام ما ياكله فالخير يكون
بمعنى الطعام كما في هذه الاية ويكون بمعنى المال كما قال ان ترك خيرا وقوله وانه لحب
الخير لشديد ويكون بمعنى القوة كما قال اهم خير ام قوم تبع ويكون بمعنى العبادة كقوله
واوحينا اليهم فعل الخيرات قال ابن عباس وقد بلغ به الجوع واخضر لونه من اكل البقل
في بطنه وانه لاكرم الخلق على الله ويروى انه لم يصل الى مدين حتى سقط باطن قدميه
وفي هذا معتبر واشعار لهوان الدنيا على الله وقال ابو بكر بن طاهر في قوله اني لما
انزلت الي من خير فقير اي لما انزلت الي من فضلك وغناك فقير الى ان تغنيني بك عمن
سواك قلت ما ذكره اهل التفسير اولى فان الله تعالى انما اغناه بواسطة شعيب قال
الله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعرا كذب
اصحاب الايكة المرسلين اذ قال لهم شعيب قال قتادة بعث الله اليهم شعيبا الى اصحاب
الايكة واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف الخلاف في اسم ابيه الرابعة قوله تعالى
فجاته احداهما تمشي على استحيا في هذا الكلام اختصار يدل عليه الظاهر قدره ابو
اسحاق فذهبتا الى ابيهما سريعتين وكانت عادتهما الابطا في السقي فحدثتاه بما كان
من امر الرجل الذي سقى لهما فامر الكبرى من بنتيه وقيل الصغرى ان تدعوه له فجاته
فقالت على ما في الاية قال عمرو بن ميمون لم تكن سلفع من النسا خراجة ولاجة وقد
جات ساترة وجهها بكم درعها قاله عمر ابن الخطاب وروي ان اسم احداهما ليا والاخرى
صفورا ابنتا يترون ويترون هو شعيب وقيل ابن اخي شعيب وان شعيبا كان قد
مات واكثر الناس على انهما ابنتا شعيب عليه السلام وهو ظاهر القران قال الله تعالى
والى مدين اخاهم شعيبا كذا في سورة الاعراف وفي سورة الشعرا كذب اصحاب الايكة
المرسلين اذ قال لهم شعيب قال قتادة بعث الله تعالى شعيبا الى اصحاب الايكة
واصحاب مدين وقد مضى في الاعراف الخلاف فيه اي في اسم ابيه وروي ان موسى عليه
السلام لما جاته بالرسالة قام يتبعها وكان بين موسى وبين ابيها ثلاثة اميال فهبت
ريح فضمت ثوبها فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر اليها فقال ارجعي خلفي
وارشديني الى الطريق بصوتك وقيل ان موسى قال ابتدا كوني ورائي فاني رجل عبراني
لا انظر في ادبار النسا ودليني على الطريق يمينا ويسارا فذلك سبب وصفها له بالامانة
قاله ابن عباس فوصل موسى الى داعيه فقص عليه امره من اوله الى اخره فانسه بقوله
لا تخف نجوت من القوم الظالمين وكانت مدين خارجة عن مملكة فرعون وقرب اليه
طعاما فقال موسى لا اكل انا اهل بيت لا نبيع دينا بملء الارض ذهبا فقال شعيب عليه
السلام ليس هذا عوض السقي ولكن عادتي وعادة ابائي قرى الضيف واطعام الطعام
فحينئذ اكل موسى الخامسة قوله عز وجل يا ابت استاجره دليل على ان الاجارة كانت
عندهم مشروعة معلومة وكذلك كانت في كل ملة وهي من ضرورة الخليقة ومصلحة
الخلطة بين الناس خلافا للاصم حيث كان عن سماعها اصم السادسة قوله تعالى اني اريد
ان انكحك الاية فيه عرض الرجل ابنته على الرجل وهذه سنة قائمة عرض صالح مدين ابنته
على صالح بني اسرائيل وعرض عمر ابن الخطاب ابنته حفصة على ابي بكر وعثمان وعرضت الموهوبة
نفسها على النبي صلى الله عليه وسلم فمن الحسن عرض الرجل وليته والمراة نفسها على الرجل

الصالح

الصالح اقتداء بالسلف الصالح قال ابن عمر لما تايمت حفصة قال عمر لعثمان ان شئت
انكحتك حفصة ابنة عمر الحديث انفرد باخراجه البخاري السابعة وهذه الاية دليل على ان
النكاح للولي لا حظ للمراة فيه لان صالح مدين تولاه وبه قال فقها الامصار وخالف في
ذلك ابو حنيفة وقد تقدم الثامنة هذه الاية تدل على ان للاب ان يزوج ابنته البكر البالغ
من غير استيذان وبه قال مالك واحتج بهذه الاية وهو ظاهر قوي في الباب واحتجاجه
بها يدل على انه كان يعول على الاسرائيليات كما تقدم ويقول مالك في هذه المسالة قال
الشافعي وكثير من العلما وقال ابو حنيفة اذا بلغت الصغيرة فلا يزوجها احد الا برضاها
لانها بلغت حد التكليف فاما يزوجها بغير رضاها لانه لا اذن لها ولا رضى بغير خلاف التاسعة
استدل اصحاب الشافعي بقوله اني اريد ان انكحك على ان النكاح موقوف على لفظ التزويج
والانكاح وبه قال ربيعة وابو ثور وابو عبيدة وداود ومالك على اختلاف عنه وقال علماونا
في المشهور ينعقد النكاح بكل لفظ يقتضي التمليك على التابيد اما الشافعية فلا حجة لهم
في الاية لانه شرع من قبلنا وهم لا يرونه حجة في شي من المشروع عندهم واما ابو حنيفة
واصحابه والثوري والحسن بن حي فقالوا ينعقد النكاح بلفظ الهبة وغيره اذا كان قد
اشهد عليه لان الطلاق يقع بالتصريح وبالكناية قالوا فكذلك النكاح قالوا والذي خص
به النبي صلى الله عليه وسلم تعري البضع من العوض لا النكاح بلفظ الهبة وتابعهم ابن القاسم
فقال ان وهب ابنته وهو يريد انكاحها فلا احفظ عن مالك فيه شيا وهو عندي جائز
كالبيع كما لا ينعقد بلفظ النكاح هبة شي من الاموال وايضا فان النكاح يفتقر الى التصريح
لتقع الشهادة عليه وهو ضد الطلاق فكيف يقاس عليه وقد اجمعوا على ان النكاح لا ينعقد
ابحت لك واحللت لك فكذلك الهبة وقال صلى الله عليه وسلم استحللتم فروجهن بكلمة
الله يعني القران وليس في القران عقد النكاح بلفظ الهبة وانما فيه التزويج والنكاح
وفي اجازة النكاح بلفظ الهبة ابطال بعض خصوصية النبي صلى الله عليه وسلم العاشرة قوله
تعالى احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لا عقد لانه لو كان عقدا لعين المعقود عليها
له لان العلما وان كانوا قد اختلفوا في جواز البيع اذا قال بعتك احدى عبدي هذين
بثمن كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشي من الخيار لا يلصق
بالنكاح الحادية عشر قال مكي في هذه الاية خصايص في النكاح منها انه لم يعين الزوجة
ولا حد اول الامد وجعل المهر اجارة ودخل ولم ينقد شيا قلت فهذه اربع مسايل تضمنتها
المسالة الحادية عشر الاولى من الاربع قال علماونا اما التعيين فيشبه انه كان في ثاني
حال المراوضة وانما عرض الامر مجملا وعين بعد ذلك وقد قيل انه زوجه صفورا وهي
الصغرى وروي عن ابي ذر قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان سئلت اي
الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واوفاهما وان سئلت اي المراتين تزوج فقل الصغرى
وهي التي جاءت خلفه وهي التي قالت يا ابت استاجره ان خير من استاجرت القوي الامين
قيل ان الحكمة في تزويجه الصغرى منهما قبل الكبرى وان كانت الكبرى احوج الى الرجال
انه توقع ان يميل اليها لانه راها في رسالته وماشاها في اقباله الى ابيها معها فلو عرض
عليه الكبرى ربما اظهر له الاختيار وهو يضمر غيره وقيل غير هذا والله اعلم وفي بعض
الاخبار انه تزوج بالكبرى حكاه القشيري الثانية واما ذكر من اول المدة فليس في
الاية ما يقتضي اسقاطه بل هو مسكوت عنه فاما سماه والا فهو من اول وقت العقد
الثالثة واما النكاح بالاجارة فظاهر من الايات وهو امر قد قرره شرعنا وجرى في
حديث الذي لم يكن عنده الا شي من القران رواه الايمة وفي بعض طرقه فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تحفظ من القران فقال سورة البقرة والتي تليها قال
فعلمها عشرين اية وهي امراتك واختلف العلما في هذه المسالة على ثلاثة اقوال كرهه
مالك ومنعه ابن القاسم واجازه ابن حبيب وهو قول الشافعي واصحابه قالوا يجوز ان
يكون منفعة الحر صداقا كالخياطة والبنا وتعليم القران وقال ابو حنيفة لا يصح ويجوز
بان يتزوجها بان يخدمها عبده سنة او يسكنها داره سنة لان العبد والدار مال وليس خدمتها

بنفسه مال وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جايز لقوله تعالى
واللاتي تخافون نشوزهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد
النكاح موبد فهما متنافيان وقال ابن القاسم يفسخ قبل البنا ويثبت بعده وقال اصبغ
ان تقدمه شي ففيه خلاف وان لم ينقد وهو اشد فان نزل مضى على كل حال بدليل
قصة شعيب قاله مالك واشهب وعول على هذه الاية جماعة من المتاخرين والمتقدمين
في هذه النازلة قال ابن خويزمنداد تضمنت هذه الاية النكاح على الاجارة والعقد
صحيح ويكره ان يجعل الاجارة مهرا وينبغي ان يكون المهر مالا لانه قال عز وجل ان تبتغوا
باموالكم محصنين هذا قول اصحابنا جميعا الا بعضهم واما قوله ودخل ولم ينقد فقد اختلف الناس
في هذا هل دخل حين عقد ام حين سافر فان كان حين عقد فما نقد وقد منع العلما من الدخول
حتى ينقد ولو ربع دينار قاله ابن القاسم فان دخل قبل ان ينقد مضى لان المتاخرين من
اصحابنا قالوا بتعجيل الصداق او شي منه مستحب على انه ان كان رعيه الغنم الصداق
فقد نقد الشروع في الخدمة وان كان دخل حين سافر فطول الانتظار في النكاح جايز وان
كان مدى العمر بغير شرط واما ان كان بشرط فلا يجوز الا ان يكون الغرض صحيحا مثل التاهب
للبنا والانتظار صلاح حال او وجه للدخول ان كانت صغيرة مضى عليها علماونا الثالثة
عشر في هذه الاية اجتماع اجارة ونكاح وقد اختلف العلما في ذلك على ثلاثة اقوال
قال مالك في ثمانية ابي زيد يكره ابتدا فان وقع مضى وقال ايضا هو وابن القاسم
في المشهور لا يجوز ويفسخ قبل الدخول وبعده لاختلاف مقاصدهما كسائر العقود المتباينة
الثالث اجاز ذلك اشهب واصبغ قال ابن العربي وهذا هو الصحيح وعليه تدل الاية
وقد قال مالك النكاح اشبه شي بالبيوع فاي فرق بين اجارة وبيع او بين بيع ونكاح
فرع وان اصدقها تعليم شعر مباح صح قال المزني وذلك مثل قول الشاعر

• يقول العبد فايدتي ومالي • وتقوى الله افضل ما استفادا •

وان اصدقها تعليم شعر فيه هجو او فحش كان كما لو اصدقها خمرا او خنزيرا الثالثة عشر
قوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج ذكر الخدمة مطلقا وقال مالك انه جايز
ويحمل على العرف فلا يحتاج في التسمية الى الخدمة وهو ظاهر قصة موسى فانه ذكر اجارة
مطلقة وقال ابو حنيفة والشافعي لا يصح حتى يسمي لانه مجهول وقد ترجم البخاري
في باب من استاجر اجيرا فبين له الاجل ولم يبين له العمل لقوله تعالى على ان تاجرني ثماني حجج
قال المهلب ليس كما ترجم لان العمل عندهم كان معلوما من سقي وحرث ورعي وما شاكل
اعمال البادية في مهنة اهلها فهذا متعارف وان لم يبين له اشخاص الاعمال ولا مقاديرها
مثل ان يقول له انك تحرث كذا من السنة وترعى كذا من السنة فهذا انما هو على المعهود
من خدمة البادية وانما يجوز لا يجوز عند الجميع ان تكون المدة مجهولة والعمل مجهول
غير معهود لا يجوز حتى يعلم قال ابن العربي وقد ذكر اهل التفسير انه عين له رعية الغنم
ولم يرو من طريق صحيح ولكن قالوا ان صاحب مدين لم يكن له عمل الا رعية الغنم فكان ما علم
من حاله قايم مقام التعيين للخدمة الرابعة عشر اجمع العلما على انه جايز ان يستاجر
الراعي شهورا معلومة لرعاية غنم معدودة معينة وفيها تفصيل لعلمائنا قال ابن
القاسم لا يجوز حتى يشترط الخلف ان ماتت وهي رواية ضعيفة جدا وقد استاجر صالح
مدين موسى على غنمه وقد راها ولم يشترط خلفا وان كانت مطلقة غير مسماة ولا
معينة جازت عند علمائنا وقال ابو حنيفة والشافعي لا تجوز لجهالتها عول علماونا
على العرف حسبما ذكرناه انفا وانه يعطي بقدر ما يحتمل قوته وزاد بعض علمائنا فقال
انه لا يجوز حتى يعلم المستاجر قدر قوته فان صالح مدين علم قدر قوة موسى برفع
الحجر الخامسة عشر قال مالك وليس على الراعي ضمان وهو مصدق فيما هلك او سرق
لانه امين كالوكيل وقد ترجم البخاري باب اذا ابصر الراعي والوكيل شاة تموت او شيا
يفسد فاصلح ما يخاف الفساد وساق حديث كعب بن مالك عن ابيه انه كانت لهم غنم
ترعى بسلع فابصرت جارية لنا شاة من غنمنا موتا فكسرت حجرا فذبحتها به فقال لهم كلوها

قالوا

قالوا حتى اسال النبي صلى الله عليه وسلم او ارسل الى النبي صلى الله عليه وسلم من يساله وانه
سال النبي صلى الله عليه وسلم فامره باكلها قال عبد الله فيعجبني انها امة وانها ذبحت قال
المهلب فيه من الفقه تصديق الراعي والوكيل فيما ايتمنا عليه حتى يظهر عليهما دليل الخيانة
والكذب وهو قول مالك وجماعة وقال ابن القاسم اذا خاف الموت على شاة فذبحها لم يضمن
ويصدق اذا جاء بها مذبوحة وقال غيره يضمن حتى يبين ما قال السادسة عشر اختلف ابن
القاسم واشهب اذا انزى الراعي على اناث الماشية بغير اذن اربابها فهلكت فقال ابن القاسم
لا ضمان عليه لان الانزا من صلاح المال ونمايه وقال اشهب عليه الضمان وقول ابن
القاسم فيما تلف باجتهاده اذا كان من اهل الصلاح وممن يعلم اشفاقه على المال واما ان كان
من اهل الفسوق والفساد واراد صاحب المال ان يضمنه فعل لانه لا يصدق انه راى بالشاة
موتا لما عرف من فسقه السابعة عشر لم ينقل ما كانت اجرة موسى عليه السلام ولكن روى يحيى
ابن سلام ان صالح مدين جعل لموسى كل سخلة توضع خلاف لون امها فاوحى الله تعالى الى
موسى ان الق عصاك بينهن تلدن خلاف شبههن كلهن وقال غير يحيى بل جعل له كل بلقا
تولد فولدن له كلهن بلقا وذكر القشيري ان شعيبا لما استاجر موسى قال له ادخل بيت
كذا وخذ عصا من العصي التي في البيت فاخرج موسى عصا وكان اخرجها ادم من الجنة
وتوارثها الانبيا حتى صارت الى شعيب فامره شعيب ان يلقيها في البيت وياخذ عصا اخرى
فدخل واخرج تلك العصا وكذلك سبع مرات لا يقع في يده الا تلك العصا فعلم شعيب ان له
شانا فلما اصبح قال له سق الاغنام الى مفرق الطريق فخذ عن يمينك وليس بها عشب كثير
ولا تاخذ عن يسارك فان بها عشبا كثيرا وتنينا كبيرا يقتل المواشي فساق المواشي الى مفرق
الطريق فاخذت نحو اليسار ولم يقدر موسى على ضبطها فنام موسى فخرج التنين فقامت
العصا وصارت شعبتاها حديدا وحاربت التنين حتى قتلته وعادت الى موسى عليه
السلام فلما انتبه موسى راى العصا مخضبة بالدم والتنين مقتولا فعاد الى شعيب
عشية وكان شعيب ضريرا فمس الاغنام فاذا اثر الخصب باد عليها فساله القصة فاخبره
بها ففرح شعيب وقال كلما ولدت هذه المواشي هذه السنة قالب لون اي ذات لونين
فهو لك فجا جميع السخال تلك السنة ذات لونين فعلم شعيب ان لموسى عند الله مكانه
وروى عيينة بن حصن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجر موسى نفسه بشبع
بطنه وعفة فرجه فقال له شعيب لك منها يعني من نتاج غنمه ما جات به قالب لون
ليس فيه عزوز ولا فشوش ولا عموس ولا ضبوب ولا مكسه ولا ثعول قال الهروي العزوز
النكبة ماخوذ من العزاز وهي الارض الصلبة وقد تعززت الشاة والفشوش التي ينفش
لبنها من غير حلب وذلك لسعة الاحليل ومثله الفتوح والثرور ومنه [illegible]
الوطب اي لا تخرجن غضبك وكبرك من راسك ويقال من الفشاء اذا خرج منه الريح ومنه
الحديث ان الشيطان يفش بين اليتي احدكم حتى يخيل اليه انه احدث اي ينفخ نفخا
ضعيفا والعموس الصغيرة الضرع وهي ايضا الكميشة سميت بذلك لانكماش ضرعها وهو
تقلصه ومنه يقال رجل كميش الازار والكشور مثل الكموش والضبوب الضيقة
ثقب الاحليل والضب الحلب بشدة العصر والثعول للشاة التي لها زيادة حلمة وهي
الثعلا والثعل للشاة التي لها زيادة حلمة وهي الثعلا والثعل زيادة السن وتلك الزيادة
هي الثعل ورجل اثعل والثعل يخرج اللبن قال الهروي وتفسير قالب لون في الحديث
على انها جات على غير الوان امها الثامنة عشر الاجارة بالعوض المجهول لا تجوز
فان ولادة الغنم غير معلومة وان من البلاد الخصبة ما يعلم ولاد الغنم فيها وعددها
وسلامة سخالها كديار مصر وغيرها بيد ان ذلك لا يجوز في شرعنا لان النبي صلى الله عليه
وسلم نهى عن الغرر ونهى عن المضامين والملاقيح فالمضامين ما في بطون الاناث
والملاقيح ما في اصلاب الفحول او على خلاف ذلك قال الشاعر • ملقوحة في بطن
ناب حامل • وقد مضى في سورة الحجر بيانه على ان راشد بن معمر اجاز الاجارة على
الغنم بالثلث والربع وقال ابن سيرين وعطا ينسج الثوب بنصيب منه وبه قال احمد

التاسعة عشر الكفاءة في النكاح معتبرة واختلف العلماء هل في الدين والمال والحسب
او في بعض ذلك والصحيح جواز نكاح الموالي العربيات والقرشيات لقوله تعالى ان اكرمكم
عند الله اتقاكم وقد جاء موسى الى صالح مدين غريبا طريدا وحيدا جائعا عريانا فانكحه
ابنته لما تحقق من دينه وراى من حاله واعرض عما سوى ذلك وقد تقدمت هذه المسئلة موعبة
والحمد لله الموفية عشرون قال بعضهم هذا الذي جرى من شعيب لم يكن ذكر صداق
للمراة وانما كان اشتراطا لنفسه على ما يفعله الاعراب فانها تشترط صداق بناتها وتقول
لي كذا في خاصة نفسي وترك المهر مفروضا ونكاح التفويض جائز قال ابن العربي هذا
الذي تفعله الاعراب هو حلوان وزيادة على المهر فهو حرام لا يليق بالانبيا فاما
اذا اشترط الولي شيا لنفسه فقد اختلف العلما فيما يخرجه الزوج من يده ولا يدخل
في يد المراة على قولين احدهما انه جائز والاخر لا يجوز والذي يصح عندي التقسيم
فان المراة لا تخلوا اما ان تكون بكرا او ثيبا فان كانت ثيبا جاز لان نكاحها بيدها وانما
يكون للولي هنا سوى المباشرة ولا يمتنع اخذ العوض كما ياخذه الوكيل على عقد البيع وان
كانت بكرا كان العقد بيده فكانه عوض بالنكاح لغير الزوج وذلك باطل فان وقع فسخ
قبل البنا وثبت بعده على مشهور الرواية الحادية والعشرون لما ذكر الشرط واعقبه بالطوع
في العشر خرج كل واحد منهما على حكمه ولم يلحق الاخر بالاول ولا اشترط الفرض والطوع
ولذلك يكتب في العقود الشروط المتفق عليها ثم قال وتطوع بكذا فيجري الشرط على
سبيله والطوع على حكمه وانفصل الواجب من التطوع وقيل ومن لفظ شعيب حسن
في لفظ العقود في النكاح انكحه اياها اولى من انكحها اياه على ما ياتي بيانه في الاحزاب
وجعل شعيب الثمانية اعوام شرطا ووكل العاشرة الى المروة الثانية والعشرون قوله
تعالى ذلك بيني وبينك ايما الاجلين قضيت فلا عدوان علي فلما فرغ كلام شعيب
قرره موسى عليه السلام وكرر معناه على جهة التوثق في ان الشرط انما وقع في ثماني حجج
وايما استفهام منصوب بقضيت والاجلين مخفوض باضافة اي اليهما وما صلة للتاكيد
وفيه معنى الشرط وجوابه فلا عدوان وان عدوان منصوب بلا وقال ابن كيسان
ما في موضع خفض باضافة اي اليهما وهي نكرة والاجلين بدل منها وكذلك قوله فبما رحمة
من الله لنت لهم اي رحمة بدل من ما قال مكي وكان يتلك لطف في ان يجعل شيا زايدا في
القران ويخرج له وجها يخرجه من الزيادة وقرا الجمهور عدوان بضم العين وابو حيوة
بكسرها وقرا الحسن ايما بسكون اليا وقرا ابن مسعود اي الاجلين ما قضيت ومعنى لا عدوان
لا تبعة علي ولا طلب في الزيادة عليه والعدوان التجاوز في غير الواجب والحجج هي
السنون قال النابغة • لمن الديار بقية الحجر • اقوين من حجج ومن دهر
الواحدة حجة بكسر الحا والله على ما نقول وكيل قيل هو من قول موسى وقيل هو من قول
والد المراة فاكتفى الصالحون صلوات الله عليهم اجمعين في الاشهاد عليهما ولم يشهد
احدا من الخلق وقد اختلف العلما في وجوب الاشهاد في النكاح الثالثة والعشرون
على قولين احدهما انه لا ينعقد الا بشاهدين وبه قال ابو حنيفة والشافعي وقال
مالك انه ينعقد دون شهود لانه عقد معاوضة فلا يشترط فيه الاشهاد كالبيع وانما
يشترط فيه الاعلان والتصريح وفرق ما بين النكاح والسفاح الدف وقد مضت
هذه المسئلة في البقرة مستوفى وفي البخاري عن ابي هريرة ان رجلا من بني اسرايل
سال بعض بني اسرايل ان يسلفه الف دينار فقال ايتني بالشهدا فقال كفى بالله
شهيدا فقال ايتني بوكيل فقال كفى بالله وكيلا قال صدقت فدفعها اليه وذكر
الحديث قوله تعالى فلما قضى موسى الاجل وسار باهله فيه ثلاث مسايل الاولى قوله
تعالى فلما قضى موسى الاجل قال سعيد ابن جبير سالني رجل من النصارى اي الاجلين
قضى موسى فقلت لا ادري حتى اقدم على حبر العرب فاساله اعني ابن عباس فقدمت
عليه فسالته فقال قضى اكملهما واوفاهما فاعلمت النصراني فقال صدق والله هذا
العالم وروي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سال في ذلك جبريل فاخبره انه

قضى عشر سنين وحكى الطبري عن مجاهد انه قضى عشرا وعشرا بعدها قال ابن عطية وهذا ضعيف
الثانية قوله تعالى وسار باهله فيه دليل على ان الرجل يذهب باهله حيث شا لما له عليها من
فضل القوامية وزيادة الدرجة الا ان يلتزم لها امرا والمومنون عند شروطهم واحق الشروط ان
يوفى بها ما استحللتم به من الفروج الثالثة قوله تعالى انس من جانب الطور نارا الاية تقدم
القول في ذلك في طه والجذوة والجذوة الجمر والجمع جذى وجذى قال مجاهد في قوله
تعالى او جذوة من النار اي قطعة من الجمر وهي بلغة جميع العرب وقال ابو عبيدة الجذوة مثل
الجذمة وهي القطعة الغليظة من الخشب كان في طرفها نار او لم تكن وقال ابن مقبل •
• باتت حواطب ليلى يلتمسن لها • جزل الجذى غير خوار ولا دعر • وقال اخر
• والقى على قبس من النار جذوة • شديدا عليها حميها ولهيبها •
قوله تعالى فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن من الاولى
والثانية لابتدا الغاية اي اتاه النداء من شاطئ الواد الايمن من قبل الشجرة ومن الشجرة بدل
من قوله من شاطئ الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطئ وشاطئ الوادي
وشطه وجانبه والجمع شطان وشواطئ ذكره القشيري وقال الجوهري ويقال شاطئ الاودية
ولا يجمع وشاطات الرجل اذا مشيت على شاطئ ومشى هو على الشاطئ الاخر الايمن اي عن يمين
موسى وقيل عن يمين الجبل في البقعة المباركة وقرا الاشهب العقيلي في البقعة بفتح البا وقولهم
بقاع يدل على بقعة كما يقال جفنة وجفان ومن قال بقعة قال بقع مثل غرفة وغرف من
الشجرة اي من ناحية الشجرة قيل كانت شجرة العليق وقيل كانت سمرة وقيل عوسج ومنها كانت
عصاه ذكره الزمخشري وقيل عناب والعوسج اذا عظم يقال له الغرقد وفي الحديث انه شجر
اليهود فاذا نزل عيسى وقتل اليهود الذين مع الدجال فلا يختفي احد منهم خلف شجرة الا نطقت
وقالت يا مسلم هذا اليهودي ورائي فتعال فاقتله الا الغرقد فانه من شجر اليهود فلا ينطق خرجه
مسلم قال المهدوي وكلم الله تعالى موسى عليه السلام من فوق عرشه واسمعه كلامه من الشجرة
على ما شا ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالانتقال والزوال وشبه ذلك من صفات المخلوقين
قال ابو المعالي واهل الحق يقولون من كلمه الله تعالى وخصه بالرتبة العليا والغاية القصوى
فيدرك كلامه القديم المتقدس عن مشابهة الحروف والاصوات والعبارات والنغمات وضروب
اللغات كما ان من خصه الله بمنازل الكرامات واكمل عليه نعمته ورزقه رويته يرى الله سبحانه
منزها عن مماثلة الاجسام واحكام الحوادث ولا مثل له سبحانه في ذاته ولا صفاته واجمعت
الامة على ان الرب تعالى خصص موسى عليه السلام بكلامه وغيره من المصطفين من الملايكة
بكلامه قال الاستاذ ابو اسحاق اتفق اهل الحق على ان الله تعالى خلق في موسى عليه السلام
معنى من المعاني ادرك به كلامه كان في اختصاصه في سماعه وانه قادر على مثله في جميع
خلقه واختلفوا في نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هل سمع ليلة الاسرى كلام الله وهل سمع جبريل
كلامه على قولين وطريق احدهما النقل المقطوع به وذلك مفقود واتفقوا على سماع الخلق له
عند قراءة القران على انهم سمعوا العبارة التي عرفوا بها معناه دون سماعه له في عينه وقال
عبد الله بن سعيد بن كلاب ان موسى عليه السلام فهم كلام الله القديم من اصوات مخلوقة
اثبتها الله تعالى في بعض الاجسام قال ابو المعالي وهذا مردود بل يجب اختصاص موسى
عليه السلام بادراك كلام الله خرقا للعادة ولو لم يقل ذلك لم يكن لموسى عليه السلام اختصاص
بتكليم الله اياه والرب تعالى اسمعه كلامه العزيز وخلق له علما ضروريا حتى علم انه سمع كلام
الله وان الذي كلمه وناداه هو الله رب العالمين وقد ورد في الاقاصيص ان موسى عليه السلام
قال سمعت كلام ربي من جميع جوارحي ولم اسمعه من جهة واحدة من جهاتي وقد مضى هذا
المعنى في البقرة مستوفى ان يا موسى ان في موضع نصب بحذف حرف الجر اي بان يا موسى اني انا
الله رب العالمين نفي لربوبية غيره سبحانه وصار بهذا الكلام من اصطفاه الله عز وجل الى
رسله لانه لا يصير رسولا الا بعد امره بالرسالة والامر بها انما يكون بعد هذا الكلام قوله
تعالى وان الق عصاك عطف على ان يا موسى وتقدم الكلام في هذا في النمل وطه ومدبرا
نصب على الحال وكذلك موضع قوله ولم يعقب نصب على الحال ايضا يا موسى اقبل ولا تخف قال

وحب قيل له ارجع الي حيث كنت فرجع فلف ذراعيه علي يده فقال له الملك ارايت
ان اراد الله ان يصيبك بما تحاذر اكان ينفعك لفك يدك قال لا ولكني ضعيف خلقت
من ضعيف وكشف يده فادخلها في فم الحية فعادت عصاه انك من الامنين مما تحاذر
قوله تعالى اسلك يدك في جيبك الاية تقدم القول فيها واضمم اليك جناحك من الرهب
من متعلقه بولي اي ولي مدبرا من الرهب وقرا حفص والسلمي وعيسى ابن عمرو بن ابي اسحاق
من الرهب بفتح الراء والها جزم والباقون بفتح الرا والها واختاره ابو عبيدة وابو حاتم
لقوله تعالى ويدعوننا رغبا ورهبا ولغاتها وهو بمعنى الخوف والمعنى اذا هالك امر يدك
وشعاعها ادخلها في جيبك واردها اليك تعد كما كانت وقيل امره الله عز وجل ان يضم
يده الي صدره فيذهب عنه خوف الحية عن مجاهد وغيره ورواه الضحاك عن بن عباس
فقال ابن عباس ليس من احد يدخله رعب بعد موسى عليه السلام ثم يدخل يده فيضعها
علي صدره الا ذهب عنه الرعب ويحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان كاتبا كان يكتب
بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل فانكسر قلمه فقام وضرب بقلمه الارض فقال له
عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك ولتفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها من
نفسي وقيل المعنى اضمم يدك الي صدرك ليذهب الله ما في صدرك من الخوف وكان موسى
يرتعد خوفا من ال فرعون واما من الثعبان وضم الجناح وهو السكون لقوله واخفض
لهما جناح الذل من الرحمة يريد الرفق وكذلك قوله واخفض جناحك لمن اتبعك من
المومنين اي ارفق بهم وقال الفرا اراد بالجناح عصاه وقال بعض اهل المعاني الرهب
الكم بلغة حمير وبني حنيفة قال مقاتل سالتني اعرابية شيا وانا اكل فملات الكف
واومات اليها فقالت هاهنا في رهبي اي في كمي وقال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول
لاخر اعطني ما في رهبك فسالته عن الرهب فقال الكم فعلي هذا يكون اضمم يدك واخرجها
من الكم لانه تناول العصا ويده في كمه وقوله اسلك يدك في جيبها يدل علي انها اليد
اليمنى لان الجيب علي اليسار ذكره القشيري قلت وما فسروه من ضم اليد الي الصدر يدل
علي ان الجيب موضعه الصدر وقد مضى في سورة النور بيانه الزمخشري ومن بدع التفاسير
ان الرهب الكم بلغة حمير وانهم يقولون اعطني ما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة
وهل سمع من الاثبات الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية
وكيف تطبيقه المفصل كساير كلمات التنزيل علي ان موسى صلوات الله عليه كان عليه ليلة
المناجاة الا زرماعة من صوف بلا كمين لها قال القشيري واضمم اليك جناحك يريد
اليدين ان قلنا يريد الامن من فزع الثعبان وقيل اضمم اليك جناحك اي شمر واستعد
لتحمل اعبا الرسالة قلت فعلى هذا قيل انك من الامنين اي من المرسلين لقوله تعالى
اني لا يخاف لدي المرسلون قال ابن بحر فصار علي هذا التاويل رسولا بهذا القول
وقيل انما صار رسولا بقوله فذانك برهانان من ربك والبرهانان اليد والعصا وقرا
ابن كثير وابو عمرو فذانك بتشديد النون وخففها الباقون وروى ابو عمارة عن ابي
الفضل عن ابي عن ابن كثير فذانك بالتشديد والياء وعن ابي عمرو ايضا قال هي لغة
هذيل فذانيك بالتخفيف والياء ولغة قريش فذانك كما قرا ابو عمرو ايضا وابن كثير
وفي تعليله خمسة اقوال قيل شدد النون عوضا من الالف الساقطة في ذانك الذي
هو تثنية ذا المرفوع وهو رفع بالابتدا والف ذا محذوف لدخول الف التثنية عليها
ولم يلتفت الي التقاء الساكنين لان اصله فذاانك فحذف الالف الاول عوضا من النون
الشديدة وقيل التشديد للتاكيد كما ادخلوا اللام في ذلك قال مكي وقيل ان من
شدد انما بناه علي لغة من قال في الواحد ذلك فلما بنى اثبت اللام بعد نون التثنية
ثم ادغم اللام في النون علي حكم ادغام الثاني في الاول والاصل ان يدغم الاول ابدا في
الثاني الا ان يمنع من ذلك علة فيدغم الثاني في الاول والعلة التي منعت في هذا
ان يدغم الاول في الثاني انه لو فعل ذلك لصار في موضع النون التي تدل علي التثنية
لام مشددة وفتد قيل انه لما ثنى اثبت اللام في ذلك قبل النون ثم ادغم اللام في

الثاني علي اصول الادغام فصارت نونا مشددة وقيل شددت فرقا بينها وبين الظاهر
التي تسقط للاضافة نونه لان ذات لا تضاف وقيل للفرق بين الاسم المتمكن وبينها وكذلك
العلة في تشديد النون في اللذين وهذان قال ابو عمرو انما اختص ابو عمرو هذه الحروف
بالتشديد دون كل تثنية من جنسه لقلة حروفه فقراه بالتثقيل ومن قرا فذانيك بياء
مع تخفيف النون فالاصل عنده فذانك بالتشديد فابدل من النون الثانية يا كراهة التضعيف
كما قالوا لا املاه في لا امله فابدلوا اللام الثانية الفا ومن قرا بيا بعد النون المشددة فوجهه
انه اشبع كسرة النون فتولدت عنها اليا قوله تعالى فارسله معي ردا يصدقني معينا مشتقا
من اردته اي اعنته والردء العون قال الشاعر

الم تر ان اصرم كان ردي ٭ وخير الناس في قل ومال ٭

النحاس وقد اردأه وردأه اي اعانه وترك همزه تخفيفا وبه قرا نافع وهو بمعنى المهموز قال
المهدوي ويجوز ان يكون ترك الهمز من قولهم اردى علي المائة اذا زاد عليها وكان المعنى ارسله
معي زيادة في تصديقي قاله مسلم بن جندب وانشد قول الشاعر

٭ واسمر خطيا كان كعوبه نوى القسب قد اردى ذراعا علي العشر ٭

كذا انشد الماوردي هذا البيت قد اردى وانشد الغزنوي والجوهري في الصحاح قد اربى
والقسب الصلب والقسب تمر يابس يتفتت في الفم صلب النواة قال يصف رمحا واسمر
البيت كما تقدم قال الجوهري ردوا الشي يرد ورداه فهو ردي اي فاسد واردأته افسدته
واردأته ايضا بمعنى اعنته وتقول اردته بنفسي اي كنت له ردا وهو العون قال الله
فارسله معي ردا يصدقني قال النحاس وقد حكي ردأته ردا وجمع ردي اردا وقرا الكسائي
وعاصم وحمزة يصدقني بالرفع وجزمه الباقون وهو اختيار ابو حاتم علي جواب الدعا واجاز
ابو عبيدة الرفع علي الحال من الها في ارسله اي ارسله ردا مصدقا حالة التصديق انزل
علينا مائدة من السما تكون لنا اي كائنة صرف حال الي الاستقبال ويجوز ان يكون صفة
لقوله ردا اي اخاف ان يكذبون اذا لم يكن وزيرا ولا معينا لانهم لا يكادون يفقهون عني
فقال الله عز وجل سنشد عضدك باخيك اي نقويك به وهذا تمثيل لان قوة اليد بالعضد
قال طرفة ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها عضد ويقال في دعا للخير شد الله عضدك
وفي ضده فت الله في عضدك ونجعل لكما سلطانا اي حجة وبرهانا فلا يصلون اليكما
بالاذى بآياتنا اي تمتنعان منهم باياتنا فيجوز ان يوقف علي اليكما ويكون في الكلام تقديم
وتاخير وقيل التقدير انتما ومن اتبعكما الغالبون باياتنا قاله الاخفش والطبري قال
المهدوي وفي هذا تقديم الصلة علي الموصول الا ان يقدر انتما غالبان باياتنا انتما ومن
اتبعكما الغالبون وعني بالايات ساير معجزاته التي جا بها عليه السلام قوله تعالى فلما
جاءهم موسى باياتنا بينات اي ظاهرات واضحات قالوا ما هذا الا سحر مفترى اي مختلق
مكذوب وما سمعنا بهذا في ابائنا الاولين وقيل ان هذه الايات ما احتج به موسى في اثبات
التوحيد من الحجج العقلية وقيل هي معجزاته وقال موسى قراءة العامة بالواو وقرا ابن كثير
ومجاهد قال بلا واو وكذلك هو في مصاحف اهل مكة ربي اعلم بمن جا بالهدى اي بالرشاد
من عنده ومن تكون قراءة الكوفيين الا عاصم بالياء والباقون بالتاء وقد تقدم هذا عاقبة الدار
اي دار الجزاء انه الهاء ضمير الامر والشان لا يفلح الظالمون قوله تعالى وقال فرعون يا ايها
الملا ما علمت لكم من اله غيري قال بن عباس كان بين قوله هذا وقوله انا ربكم الاعلى
اربعون سنة وكذب عدو الله بل علم انه له ربا هو خالقه وخالق قومه ولئن سالتهم من
خلقهم ليقولن الله ثم قال فاوقد لي يا هامان علي الطين اي اطبخ لي الاجر عن ابن عباس
وقال قتادة هو اول من صنع الاجر وبنى به ولما امر فرعون وزيره هامان ببنا الصرح
جمع وزيره العمال قيل خمسين الف بنا سوى الاتباع والاجرا وامر بطبخ الاجر والجص ونجر
الخشب وضرب المسامير فبنوا ورفعوا البنا وشيدوه بحيث لم يبلغه بنيان منذ خلق الله
السموات والارض وكان البانى لا يقدر ان يقوم علي راسه حتى اراد الله ان يفتنهم فيه
فحكى السدي ان فرعون صعد السطح ورمى بنشابة نحو السما فرجعت اليه ملطخة دما فقال

قد قتلت آل موسى روي ان جبريل عليه السلام بعثه الله تعالى عند مقالته فضرب السطح بجناحه فقطعه ثلاث قطع قطعة على عسكر فرعون قتلت منه الف الف وقطعة في البحر وقطعة في الغرب وهلك كل من عمل فيه شيئا فالله اعلم بصحة ذلك واني لاظنه من الكاذب الظن هناك شك وكسر على الشك لانه قد راى من البراهين ما لا يخيل على ذي فطرة قوله تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق اي تعظم هو وجنوده اي عن الايمان بموسى في الارض بغير الحق اي بالعدوان اي لم تكن لهم حجة تدفع ما جاء به موسى وظنوا انهم الينا لا يرجعون اي توهموا انه لا معاد ولا بعث وقرا نافع وابن محيصن وشيبة وحمزه والكسائي لا يرجعون بفتح اليا وكسر الجيم على انه يسمى الفاعل الباقون يرجعون على الفعل المجهول وهو اختيار ابي عبيدة فالاول اختيار ابي حاتم فاخذناه وجنوده وكانوا الفي الف وستمائة الف فنبذناهم في اليم اي طرحناهم في البحر المالح قال قتادة بحر من ورا مصر يقال له اساف اغرقهم الله فيه وقال وهب والسدي المكان الذي اغرقهم الله فيه بناحية القلزم يقال له بطن مريره وهو الى اليوم غضبان وقال مقاتل يعني بحر النيل وهذا ضعيف وهو المشهور الاول فانظر يا محمد كيف كان عاقبة الظالمين اي اخر امورهم وجعلناهم ائمة اي جعلناهم زعما يتبعون على الكفر فيكون عليهم وزرهم ووزر من اتبعهم حتى يكون عقابهم اكثر وقيل جعل الله الملا من قومه رؤسا السفلة منهم فهم يدعون الى جهنم وقيل ائمة يؤتم بهم في العبر ويتعظ بهم اهل البصاير يدعون الى النار اي الى عمل اهل النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة اي امرنا العباد بلعنتهم فمن ذكرهم لعنهم وقيل اي الزمناهم اللعن اي المبعد عن الخير ويوم القيامة هم من المقبوحين اي الهالكين الممقوتين قاله ابن كيسان وابو عبيدة وقال ابن عباس المشوهين الخلقة بسواد الوجوه وزرقة العيون وقيل من المبعدين يقال قبحه الله اي نحاه من كل خير وقبحه اذا جعله قبيحا وقال ابو عمرو وقبحت وجهه بالتخفيف معناه قبحت قال الشاعر

الا قبح الله البراجم كلها • وجدع يربوعا وعفر دارما •

وانتصب يوم على الحمل على المواضع في هذه الدنيا واستغنى عن حرف العطف في قوله من المقبوحين كما استغنى عنه في قوله سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويجوز ان يكون العامل في يوم مضمرا يدل عليه قوله وهم من المقبوحين فيدل عليه قوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين ويجوز ان يكون العامل في يوم قوله وهم من المقبوحين وان كان الظرف متقدما ويجوز ان يكون يوم مفعولا على السعة كانه قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ولعنة يوم القيامة قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب يعني التوراة قاله قتادة قال يحيى ابن سلام هو اول كتاب نزل فيه الفرايض والحدود والاحكام وقيل الكتاب هنا ست من المثاني السبع التي انزلها الله على محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس ورواه مرفوعا من بعد ما اهلكنا القرون الاولى قال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اهلك الله قوما ولا قرنا ولا امة ولا اهل قرية بعذاب من السما ولا من الارض منذ انزل الله التوراة على موسى غير القرية التي مسخت قردة الم تر الى قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى اي من بعد قوم نوح وعاد وثمود وقيل من بعد ما اغرقنا فرعون وقومه وخسفنا بقارون بصاير للناس اي اتيناه الكتاب بصاير اي ليتبصروا وهدى اي من الضلالة لمن عمل بها ورحمة لمن امن بها لعلهم يتذكرون اي ليذكروا هذه النعمة فيقيموا على ايمانهم في الدنيا ويثقوا بثوابهم في الاخرة قوله تعالى وما كنت اي ما كنت يا محمد بجانب الغربي اي بجانب الجبل الغربي قال الشاعر • اعطاك من اعطى الهدى النبيا • نورا يزين المنبر الغربيا •

اذ قضينا الى موسى الامر اي كلفناه امرنا ونهينا والزمناه عهدنا وقيل اي قضينا الى موسى امرك وذكرناك بخير ذكر قال ابن عباس اذ قضينا اي اخبرنا ان امة محمد خير الامم وما كنت من الشاهدين اي من الحاضرين ولكنا انشانا قرونا اي من بعد موسى فتطاول عليهم العمر حتى نسوا الذكر اي عهده وامر نظيره فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وظاهر

هذا بوجه ان يكون خبرا للنبي عليه السلام ذكرى ذلك الوقت وانه سيبعثه ولكن طال الامد وغلبت القسوة فنسي القوم ذلك ولقد اتينا موسى الكتاب واخذنا على قومه العهود ثم تطاول العهد فكفروا فارسل محمدا بجدد الدين ودعا الخلق اليه وقوله عز وجل وما كنت ثاويا في اهل مدين اي مقيما كمقام موسى وشعيب بينهم قال العجاج • فبات حيث يدخل الثوي • اي الضيف المقيم وقوله تتلوا عليهم اياتنا اي تذكرهم بالوعد والوعيد ولكنا كنا مرسلين اي ارسلناك في اهل مكة واتيناك كتابا فيه هذه الاخبار ولولا ذلك لما علمتها قوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا اي كلم لم يحضر جانب الطور اذ نادينا موسى لما اتى الميقات مع السبعين وروى عمرو بن دينار يرفعه قال نودي يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني فذلك قوله وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقال ابو هريرة وفي رواية عن ابن عباس ان الله تعالى قال يا امة محمد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني وغفرت لكم قبل ان تستغفروني ورحمتكم قبل ان تسترحموني قال وهب وذلك ان موسى لما ذكر الله له فضل محمد وامته قال يا رب ارنيهم قال الله تعالى انك لن تدركهم وان شئت ناديتهم فاسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا امة محمد فاجابوا من اصلاب ابائهم فقال قد اجبتكم من قبل ان تدعوني ومعنى الاية على هذا ما كنت بجانب الطور اذ كلمنا موسى فناديناه امتك واخبرناه بما كتبناه لك ولامتك من الرحمة الى اخر الدنيا ولكن فعلنا ذلك رحمة منا بكم قال الاخفش رحمة نصب على المصدر اي ولكن رحمناك رحمة وقال الزجاج هو مفعول من اجله اي فعل ذلك بك لاجل الرحمة النحاس اي لم تشهد قصص الانبيا ولا تليت عليك ولكنا بعثناها واوحيناها اليك للرحمة وقال الكسائي على خبر كان والتقدير ولكن كان رحمة قال ويجوز الرفع بمعنى ولكن فعل ذلك رحمة لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك يعني العرب اي لم تشاهد تلك الاخبار ولكن اوحيناها اليك رحمة بمن ارسلت اليه لتنذرهم بها لعلهم يتذكرون قوله تعالى ولولا ان تصيبهم مصيبة يريد قريشا وقيل اليهود مصيبة اي عقوبة ونقمة بما قدمت ايديهم من الكفر والمعاصي وخص الايدي بالذكر لان الغالب من الكسب انما يقع بها وجواب لولا محذوف اي لولا ان يصيبهم عذاب بسبب معاصيهم المتقدمة فيقولوا ربنا لولا اي هلا ارسلت الينا رسولا لما بعثنا الرسل وقيل عاجلناهم بالعقوبة وبعث الرسل ازاحة للكفار كما تقدم في سبحان واخر طه فنتبع اياتك نصب على جواب التحضيض ونكون عطف عليه من المومنين من المصدقين وقد احتج بهذه الاية من قال ان العقل يوجب الايمان والشكر لانه قال بما قدمت ايديهم وذلك موجب للعقاب اذ تقرر الوجوب قبل بعثة الرسل وانما يكون ذلك بالعقل قال القشيري والصحيح ان المحذوف لولا كذا لما احتيج الى تجديد الرسل اي هولا الكفار غير معذورين اذا بلغتهم الشرايع السابقة والدعا الى التوحيد ولكن تطاول العهد بالرسل ويظن ان ذلك عذر ولو عذر فقد يقول قايل منهم طال العهد بالرسل ويظن ان ذلك عذر ولا عذر لهم بعد ان بلغتهم خبر الرسل ولكن اكملنا ازاحة العذر واتممنا البينات فبعثناك يا محمد اليهم وقد حكم الله بانه لا يعاقب عبدا الا بعد اكمال البيان والحجة وبعثة الرسل قوله تعالى فلما جاءهم الحق من عندنا يعني محمدا صلى الله عليه وسلم قالوا يعني الكفار كفار مكة لولا اي هلا اوتي مثل ما اوتي موسى من العصا واليد البيضا وانزل عليه القران جملة واحدة كالتوراة وكان بلغهم ذلك من امر موسى قبل محمد فقال الله تعالى اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل قالوا ساحران تظاهرا اي موسى ومحمد تعاونا على السحر قال الكلبي بعثت قريش الى اليهود وسالوهم عن بعث محمد وشانه فقالوا انا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الجواب اليهم قالوا ساحران تظاهرا وقالوا ان اليهود علموا المشركين وقالوا قولوا لمحمد لولا اوتيت مثل ما اوتي موسى فانه اوتي التوراة دفعة واحدة فهذا الاحتجاج وارد على اليهود بما اوتي موسى حين قالوا في موسى وهارون ساحران وقالوا انا بكل كافرون بكل واحد منهما وقرا الكوفيون سحران بغير الف اي الانجيل والقران وقيل التوراة والفرقان قاله الفرا وقيل التوراة والانجيل قاله ابو رزين الباقون ساحران بالف وفيه ثلاثة تاويل

احدهما موسى ومحمد عليهما السلام وهذا قول مشركي العرب وبه قال ابن عباس والحسن
الثاني موسى وهارون وهذا قول اليهود لهما في ابتداء الرسالة وبه قال سعيد ابن
جبير ومجاهد وابن زيد فيكون الكلام احتجاجا عليهم وهذا يدل على ان المحذوف في قوله
ولولا ان تصيبهم مصيبة لما جددنا بعثة الرسل لان اليهود اعترفوا بالنبوات ولكنهم
حرفوا وغيروا واستحقوا العقاب فقال قد اكملنا ازاحة عذرهم ببعثة محمد صلى الله
عليه وسلم الثالث عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا قول اليهود اليوم وبه قال قتادة
وقيل اولم يكفروا اي جميع اليهود بما اوتي موسى في التوراة من ذكر المسيح وذكر الانجيل
والقران قرأوا موسى ومحمد ساحران والكتابين سحرين قل فأتوا بكتاب من عند
الله هو اهدى منهما اتبعه اي قل يا محمد اذ كفرتم معشر اليهود بهذين الكتابين فأتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما ليكون ذلك عذرا لكم في الكفر ان كنتم صادقين
في انهما ساحران او فأتوا بكتاب هو اهدى منهما بكتابي موسى ومحمد عليهما السلام وهذا
يقوي قراءة الكوفيين وكتاب نكرة قال واذا اجزمت وهو الوجه فعلى الشرط قوله
تعالى فان لم يستجيبوا لك يا محمد ان يأتوا بكتاب من عند الله فاعلم انما يتبعون اهواءهم
اي اراء قلوبهم وما يستحسنونه ويحببه لهم الشيطان وانه لا حجة لهم ومن اضل ممن اتبع هواه
بغير هدى من الله اي لا احد اضل منه ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى
ولقد وصلنا لهم القول اي اتبعنا بعضه بعضا وبعثنا رسولا بعد رسول وقرا الحسن
وصلنا مخففا وقال ابو عبيدة والاخفش معنا وصلنا اتممنا كصلتك الشيء وقال ابن
عيينة والسدي بينا وقاله ابن عباس وقال مجاهد فصلنا وكذلك كان يقرؤها وقال
ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الاخرة حتى كانهم الاخرة في الدنيا وقال اهل
المعاني والينا وتابعنا القران يتبع بعضه بعضا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ونصايح
ومواعظ اراده ان يتذكروا فيفلحوا واصلها من وصل الحبال بعضها ببعض قال الشاعر
• فقل لبني مروان ما بال ذمة • وحبل ضعيف ما يزال يوصل • وقال امرؤ القيس
• درير كخذروف الوليد امره • تقلب كفيه بخيط موصل •
والضمير في لهم لقريش عن مجاهد وقيل هو لليهود وقيل هو لهم جميعا والاية رد
على من قال هلا اوتي القران جملة واحدة لعلهم يتذكرون فيخافون ان ينزل بهم
ما نزل بمن قبلهم قاله علي بن عيسى وقيل لعلهم يتعظون بالقران عن عبادة الاصنام
حكاه النقاش قوله تعالى الذين اتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون اخبر ان
قوما ممن اوتوا الكتاب من بني اسرائيل من قبل القران يؤمنون بالقران كعبد الله بن
سلام وسلمان ويدخل فيه من اسلم من علماء النصارى وهم اربعون رجلا قدموا مع
جعفر بن ابي طالب المدينة اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية نفر اقبلوا من الشام
وكانوا ائمة النصارى منهم بحيرا الراهب وابرهة والاشرف وعامر وايمن وادريس ونافع
كذا سماهم الماوردي وانزل الله فيهم هذه الاية والتي بعدها اولئك يؤتون اجرهم
مرتين بما صبروا قاله قتادة وعنه ايضا انها نزلت في عبد الله بن سلام وتميم الداري
والجارود العبدي وسلمان الفارسي اسلموا فنزلت فيهم هذه الاية وعن رفاعة بن
قرظة نزلت في عشرة انا احدهم وقال الزهري نزلت في النجاشي واصحابه ووجه
باثني عشر رجلا فجلسوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وكان ابو جهل واصحابه قريبا
منهم فامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فلما قاموا من عنده تبعهم ابو جهل ومن معه فقال
لهم خيبكم الله من ركب وقبحكم من وفد لم تلبثوا ان صدقتموه وما راينا ركبا احمق منكم
ولا اجهل فقالوا سلام عليكم لم نال انفسنا رشدا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم وقد تقدم هذا
في المائدة عند قوله واذا سمعوا ما انزل الى الرسول مستوفى وقال ابو العالية هؤلاء قوم
امنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد ادرك بعضهم من قبله اي من قبل
القران قيل لمحمد عليه السلام هم به اي بالقران او بمحمد صلى الله عليه وسلم يؤمنون واذا
يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من ربنا اي اذا قرئ عليهم القران قالوا صدقنا بما فيه

انا كنا

انا كنا من قبله اي من قبل نزوله او من قبل بعث محمد صلى الله عليه وسلم مؤمنين اي موحدين
او مؤمنين بانه سيبعث محمد وينزل عليه القران قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين
بما صبروا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى اولئك يؤتون اجرهم مرتين ثبت في صحيح مسلم
عن ابي موسى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل من اهل
الكتاب امن بنبيه وادرك النبي صلى الله عليه وسلم فامن به واتبعه وصدقه فله اجران
وعبد مملوك ادى حق الله عز وجل وحق سيده فله اجران ورجل كانت له امة فغذاها فاحسن
غذاءها ثم ادبها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها فله اجران ثم قال الشعبي للخراساني خذ
هذا الحديث بغير شيء فقد كان الرجل يرحل فيما دون هذا الحديث الى المدينة خرجه البخاري
ايضا قال علماؤنا لما كان كل واحد من هؤلاء مخاطبا بامرين من جهتين استحق كل واحد
منهما اجرين فالكتابي كان مخاطبا من جهة نبيه ثم انه خوطب من جهة نبينا فاجابه واتبعه
فله اجر الملتين وكذلك العبد هو مامور من جهة الله تعالى ومن جهة سيده ورب الامة لما
قام بما خوطب به من تربيته امته وادبها فقد احياها احياء التربية ثم انه لما اعتقها وتزوجها
احياها احياء الحرية التي الحقها فيه بمنصبه فقد قام بما امر فيها فاجر كل واحد منهما اجرين ثم ان
كل واحد من الاجرين مضاعف في نفسه الحسنة بعشر امثالها فتضاعف الاجور ولذلك
قيل ان العبد الذي يقوم بحق سيده وحق الله تعالى افضل من الحر وهو الذي ارتضاه ابو
عمر ابن عبد البر وغيره وفي الصحيح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
للعبد المملوك المصلح اجران والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت
ان اموت وانا مملوك قال سعيد ابن المسيب وبلغنا ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه
لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعبد
المملوك المصلح اجران والذي نفسي بيده لولا الجهاد في سبيل الله والحج وبر امي لاحببت
ان اموت وانا مملوك قال سعيد بن المسيب وبلغنا ان ابا هريرة لم يكن يحج حتى ماتت امه
لصحبتها وفي الصحيح ايضا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعما
للعبد المملوك الذي يتوفى يحسن عبادة الله وصحابة سيده نعما له الثانية قوله تعالى
بما صبروا عام في صبرهم على ملتهم ثم على هذه وعلى الاذى الذي يلقونه من الكفار وغير
ذلك الثالثة قوله تعالى ويدرءون بالحسنة السيئة اي يدفعون درأت اذا دفعته والدرء
الدفع وفي الحديث ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم قيل يدفعون بالاحتمال والكلام
الحسن الاذى وقيل يدفعون بالتوبة والاستغفار الذنوب وعلى الاول فهو وصف
لمكارم الاخلاق اي من قال لهم سوءا لاينوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه فهذه
اية مهادنة وهي من صدر الاسلام وهي مما نسختها اية السيف وبقي حكمها فيما دون الكفر
يتعاطاه امة محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ومنه قوله عليه السلام لمعاذ واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن ومن الخلق الحسن دفع المكروه والاذى والصبر
على الجفا بالاعراض عنه ولين الحديث الرابعة قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون اثنى عليهم
بانهم ينفقون من اموالهم في الطاعات وفي رسم الشرع وفي ذلك حض على الصدقات وقد
يكون الانفاق من الابدان بالصوم والصلاة ثم مدحهم ايضا على اعراضهم عن اللغو كما قال
واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا سمعوا ما قال لهم المشركون من الاذى والشتم اعرضوا عنه
اي لم يشتغلوا به وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي حيا ركنه مثل قوله واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اي لنا ديننا ولكم دينكم سلام عليكم اي امنا لكم فانا لا نحاربكم ولا نسابكم وليس
من التحية في شيء قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال ولا نبتغي الجاهلين اي لا نطلبهم
للجدال والمراجعة والمشاتمة قوله تعالى انك لا تهدي من احببت الاية قال الزجاج
اجمع المسلمون انها نزلت في ابي طالب قلت والصواب ان يقال اجمع المفسرون على انها نزلت
في شان ابي طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وهو نص البخاري ومسلم وقد تقدم ذلك في
براءة قال ابو روق قوله ولكن الله يهدي من يشاء اشارة الى العباس وقاله قتادة وهو
اعلم بالمهتدين قال مجاهد لمن قدر له ان يهتدي وقيل معنى من احببت اي من احببت ان

يهتدي قال جبير بن مطعم لم يسمع احد الوحي يلقى على النبي صلى الله عليه وسلم الا ابا بكر
الصديق فانه سمع جبريل وهو يقول يا محمد اقرا انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي
من يشا وهو اعلم بالمهتدين قوله تعالى وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا
هذا قول مشركي مكة قال ابن عباس قال ذلك من قريش الحرث بن عثمان بن نوفل
ابن عبد مناف القرشي قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان قولك حق ولكن
يمنعنا ان نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة ان يتخطفنا العرب من ارضنا يعني مكة
لاجتماعهم على خلافنا ولا طاقة لنا بهم وكان هذا من تعللاتهم فاجاب الله تعالى عما
اعتل به فقال اولم نمكن لهم حرما امنا اي ذا امن وذلك ان العرب كانت في الجاهلية يغير
بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا واهل مكة امنون حيث كانوا بحرمة الحرم فاخبر
انه قد امنهم بحرمة البيت ومنع عنهم عدوهم فلا يخافون ان تستحل العرب حرمة في
قتالهم والتخطف الانتزاع بسرعة وقد تقدم قال يحيى بن سلام يقول كنتم امنين
في حرمي تاكلون رزقي وتعبدون غيري افتخافون اذا عبدتموني وامنتم يجبى اليه
ثمرات كل شيء اي يجمع اليه الثمرات ثمرات كل ارض وبلد عن ابن عباس وغيره يقال جبي
الماء في الحوض اي جمعته والجابية الحوض العظيم وقرا نافع تجبى بالتا لاجل الثمرات
الباقون بالياء لقوله كل شيء واختاره ابو عبيد قال لانه حال بين الاسم المؤنث وبين
فعله حائل وايضا فان الثمرات جمع وليس بتانيث حقيقي رزقا من لدنا اي من عندنا
ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعقلون اي هم غافلون عن الاستدلال وان من رزقهم
وامنهم فيما مضى حال كفرهم يرزقهم لو اسلموا ويمنع الكفار في اسلامهم ورزقا نصب
على المفعول من اجله ويجوز نصبه على المصدر بالمعنى لان معنى تجبى ترزق وقرا
تجنى بالنون من الجني وتعديته بالى كقوله يجنى الي منه ويجبى الي الخاسه قوله
تعالى وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها بين لمن توهم انه لو امن لقاتلته العرب
ان الخوف في ترك الايمان اكثر فكم من قوم كفروا ثم حل بهم البوار والبطر الطغيان
بالنعمة قاله الزجاج اي في معيشتها فلما حذف في تعدي الفعل قاله المازني كقوله
واختار موسى قومه اكثرها هو منصوب على التفسير كما قال ابطرك مالك وبطرته
ونظيره عنده الا من سفه نفسه وكذا عنده فان طبن لكم عن شيء منه نفسا ونصب
المعارف على التفسير محال عند البصريين لان معنى التفسير والتمييز ان يكون واحدا
نكرة يدل على الجنس وقيل انتصب ببطرت ومعنى بطرت جهلت فالمعنى جهلت شكر
معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا اي لم تسكن بعد هلاكهم الا قليلا
من المساكن واكثرها خراب والاستثنا يرجع الى المساكن اي بعضها يسكن قاله الفرا
واعترض عليه فقيل لو كان كذلك في ان الاستثنا يرجع الى المساكن لقال الا قليل
برفع اذا كان المضروب قليلا وان انتصب كان القليل صفة للضرب اي الا ضربا قليلا
والمعنى اذا فتلك مساكنهم لم يسكنها الا المسافرون عبر بالطريق يوما او بعض
يوم اي لم يسكن من بعدهم الا سكونا قليلا وكذا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر
او مار الطريق يوما او ساعة وكنا نحن الوارثين اي لما خلفوا بعد هلاكهم قوله
تعالى وما كان ربك مهلك القرى اي القرى الكافرة اهلها حتى يبعث في امها رسولا
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل في امها اي في اعظمها رسولا ينذرهم وقال الحسن
في اوايلها قلت ومكة اعظم القرى لحرمتها واولها لقوله ان اول بيت وضع للناس
وخصت بالاعظم لبعثة الرسول فيها لان الرسل تبعث الى الاشراف وهم يسكنون
المداين وهي ام ما حولها وقد مضى هذا المعنى في اخر سورة يوسف يتلوا عليهم اياتنا
يتلوا في موضع الصفة اي تاليا اي يخبرهم ان العذاب ينزل بهم ان لم يؤمنوا وما كنا مهلكي
القرى وسقطت النون للاضافة مثل الظالمي اهلها الا واهلها ظالمون اي لم اهلكهم
الا وقد استحقوا الاهلاك لاصرارهم على الكفر بعد الاعذار اليهم وفي هذا بيان
لعدله وتقدسه عن الظلم اخبر تعالى انه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم

ولا

ولا يهلكهم بكونهم ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم
حجة عليهم ونزه ذاته ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال عز من قائل وما كان ربك ليهلك القرى
بظلم واهلها مصلحون فنص في قوله بظلم اي لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما لهم
منه وان حاله في غناه وحكمته منافية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال
وما كان الله ليضيع ايمانكم قوله تعالى وما اوتيتم من شيء اي يا اهل مكة فمتاع الحياة الدنيا
وزينتها اي تتمتعون بها مدة حياتكم او مدة في حياتكم فاما ان تزولوا عنها او تزول عنكم
وما عند الله خير وابقى اي افضل وادوم يريد الدار الاخرة وهي الجنة افلا تعقلون ان
الباقي افضل من الفاني وقرا ابو عمرو يعقلون بالياء الباقون بالتاء على الخطاب وهو
الاختيار لقوله وما اوتيتم قوله تعالى افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه يعني الجنة
وما فيها من الثواب كمن متعناه متاع الحياة الدنيا فاعطي منها بعض ما اراد ثم هو يوم
القيامة من المحضرين قال ابن عباس نزلت في حمزة ابن عبد المطلب وفي ابي جهل ابن
هشام وقال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب
نزلت في حمزة وعلي وفي ابي جهل وعمارة ابن الوليد وقيل في عمار وفي الوليد بن المغيرة
قال السدي قال القشيري والصحيح انها نزلت في المومن والكافر على التعميم الثعلبي
وبالجملة فانها نزلت في كل كافر متع في الدنيا بالعافية والغنى وله في الاخرة النار وفي
كل مومن صبر على بلاء الدنيا ثقة بوعد الله وله في الاخرة الجنة قوله تعالى ويوم
يناديهم اي ينادي الله يوم القيامة هولاء المشركين فيقول اين شركاي الذين زعمتم انهم ينصرونكم
ويشفعون لكم قال الذين حق عليهم القول اي حقت عليهم كلمة العذاب وهم الرؤسا
قاله الكلبي وقال قتادة هم الشياطين ربنا هولاء الذين اغوينا اي دعوناهم الى
الغي فقيل لهم اغويتموهم قالوا اغويناهم كما غوينا يعنون اضللناهم كما كنا ضالين
تبرانا اليك اي تبرا بعضنا من بعض والشياطين يتبرون ممن اطاعهم والرؤسا يتبرون
ممن قبل منهم كما قال الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقيل للكفار
اي ادعوا شركاءكم اي استغيثوا بالهتكم التي عبدتموها في الدنيا لتنصركم وتدفع عنكم
فدعوهم اي استغاثوا فلم يستجيبوا اي فلم يجيبوهم ولم ينتفعوا بهم ورأوا العذاب لو انهم
كانوا يهتدون قال الزجاج جواب لو محذوف والمعنى لو انهم كانوا يهتدون لانجاهم
الهدى ولما صاروا الى العذاب وقيل المعنى ودوا حين راوا العذاب يوم القيامة لو انهم كانوا
المرسلين اي يقول الله لهم ماذا كان جوابكم لمن ارسل اليكم من النبيين لما بلغوكم من رسالاتي
فعميت عليهم الانباء يومئذ اي خفيت عليهم الحجج قاله مجاهد لان الله قد اعذر اليهم في الدنيا
فلا يكون لهم عذر ولا حجة يوم القيامة والانبياء تسمى حججهم انباء لانها كانت اخبارا يخبرونها
فهم لا يتساءلون اي لا يسال بعضهم بعضا عن الحجج لان الله تعالى ادحض حججهم قاله
الضحاك وقال ابن عباس لا يتساءلون اي لا ينطقون بحجة ولا يتساءلون في تلك الحجة
ولا يدرون ما يجيبون به من هول تلك الساعة ثم يجيبون بعد ذلك كما اخبر عن
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين وقال مجاهد لا يتساءلون بالانساب وقيل لا يسال
بعضهم بعضا ان يحمل من ذنوبه شيا حكاه ابن عيسى فاما من تاب اي من الشرك وامن
اي صدق وعمل صالحا ادى الفرائض واكثر من النوافل فعسى اولئك ان يكونوا من
المفلحين اي من الفايزين بالسعادة وعسى من الله واجبة قوله تعالى وربك
يخلق ما يشا ويختار هذا متصل بذكر الشركا الذين عبدوهم واختاروهم لشفاعة اي الاختيار
الى الله تعالى في الشفعا لا الى المشركين وقيل هو جواب الوليد بن المغيرة حين قال
لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني نفسه زعم وعروة بن مسعود
الثقفي من الطايف وقيل هو جواب اليهود اذ قالوا لو كان الرسول الى محمد غير جبريل
لامنا به قال ابن مسعود والمعنى وربك يخلق ما يشا ويختار من يشا لنبوته وحكى
النقاش ان المعنى وربك يخلق ما يشا من خلقه يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ويختار
الانصار لدينه قلت وفي كتاب البزار مرفوعا صحيحا عن جابر ان الله تعالى اختار

اصحابي عن العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي من اصحابي كلهم اربعة يعني ابا بكر
وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وفي اصحابي خير واختار امتي على سائر الامم واختار لي من
امتي اربعة قرون وحكى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن وهب بن منبه عن ابيه
في قوله عز وجل وربك يخلق ما يشاء ويختار قال من النعم الضان ومن الطير الحمام والوقف
التام ويختار قال علي بن سليمان وهذا وقف تام ولا يجوز ان تكون ما في موضع نصب بيختار
لانها لو كانت في موضع نصب لم يعد عليها شيء قال وفي هذا رد على القدرية قال النحاس
ويختار اي ويختار الرسل ما كان لهم الخيرة اي ليس يرسل من اختاروه هم وقال ابو اسحاق
ويختار وهذا وقف تام المختار ويجوز ان يكون ما في موضع نصب بيختار ويكون المعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة قال القشيري والصحيح الاول لاطباقهم الوقف على قوله
قال المهدوي وهو اشبه بمذهب اهل السنة وما من قوله ما كان لهم الخيرة نفي عام لجميع
الاشياء ان يكون للعبد فيها سوى اكتسابه بقدر الله عز وجل الثعلبي ما كان لهم
الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى
ان الخيرة لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها اي ليس لاحد من خلقه ان يختار
عليه واجاز الزجاج وغيره ان يكون ما منصوبا بيختار وانكر الطبري ان تكون ما نافية
لئلا يكون المعنى انهم لم تكن لهم الخيرة فيما مضى وهي لهم فيما يستقبل ولانه لم يتقدم كلام بنفي
قال المهدوي ولا يلزم ذلك لان ما ينفي الحال والاستقبال كليس ولذلك عملت عملها ولان
الاي كانت تنزل على النبي صلى الله عليه وسلم على ما يسال عنه وعلى ما هم مصرون عليه من
الاعمال وان لم يكن ذلك في النص وفي تقديره الاية عند الطبري ويختار لولاية الخيرة
من المشركين كانوا يختارون خيار اموالهم فيجعلونه لالهتهم فقال الله تعالى وربك
يخلق ما يشاء ويختار للهداية من خلقه من سبقت له السعادة في علمه كما اختار المشركون
خيار اموالهم لالهتهم فما على هذا المعنى بمعنى الذي والخيرة رفع بالابتداء والجملة
خبر كان وشبهه بقولك كان زيد ابوه منطلق وفيه ضعف اذ ليس في الكلام عائد
يعود على اسم كان الا ان يقدر فيه حذف فيجوز على بعد وقد روي معنى ما قاله الطبري
عن ابن عباس قال الثعلبي وما نفي اي ليس لهم الاختيار على الله وهذا اصوب لقوله
تعالى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم
فهو الصواب قال محمود الوراق • توكل على الرحمن في كل حاجة • اردت فان الله يقضي ويقدر
• اذا ما يرد ذو العرش امرا بعبده • يصبه وما للعبد لا يتخير •
• وقد يهلك الانسان من وجه حذره • وينجو بحمد الله من حيث يحذر •
وقال اخر • العبد ذو ضجر والرب ذو قدر • والدهر ذو دول والرزق مقسوم •
• والخير اجمع فيما اختار خالقنا • وفي اختيار سواه اللوم والشوم •
قال بعض العلماء لا ينبغي لاحد ان يقدم على امر من امور الدنيا حتى يسال الله الخيرة
في ذلك بان يصلي ركعتين صلاة الاستخارة يقرا في الركعة الاولى بعد الفاتحة
قل يا ايها الكافرون وفي الركعة الثانية قل هو الله احد واختار بعض المشايخ ان يقرا
في الركعة الاولى وربك يخلق ما يشاء ويختار الاية وفي الركعة الثانية وما كان لمؤمن
ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة من امرهم وكل حسن ثم يدعو
بهذا الدعاء بعد السلام وهو ما رواه البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القران
يقول اذا هم احدكم بالامر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم يقول اللهم اني استخيرك
بعلمك واستقدرك بقدرتك واسالك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم
ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في معاشي وديني
وعاقبة امري او قال في عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي فيه اللهم
وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال في عاجل
امري واجله فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به قال ويسمي

في

في حاجته وروت عايشة عن ابي بكر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا
اراد امرا قال اللهم خر لي واختر لي وروي انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له يا انس اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الى ما يسبق قلبك فان
الخير فيه قال العلماء وينبغي له ان يفرغ قلبه من جميع الخواطر حتى لا يكون مائلا الى امر من
الامور فعند ذلك ما يسبق الى قلبه يعمل عليه فان الخير فيه ان شاء الله وان عزم على سفر
فيتوخى سفره يوم الخميس او يوم الاثنين اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نزه نفسه
سبحانه بقوله الحق فقال سبحان الله وتعالى اي تنزيها وتقديسا وتعالى عما يشركون وربك
يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون يظهرون وقرا ابن محيصن وحميد تكن بفتح التاء وضم
الكاف وقد تقدم هذا في النمل يمدح سبحانه بانه عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شيء وهو
الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة وله الحكم واليه ترجعون تقدم معناه وانه المنفرد
بالوحدانية وان جميع المحامد انما تجب له وان لا حكم الا له واليه المصير قوله تعالى قل
ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا اي دايما ومنه قول طرفة •
• لعمرك ما امري علي بغمة • نهاري ولا ليلي علي بسرمد •
بين سبحانه انه مهد اسباب المعيشة ليقوموا بشكر نعمه من اله غير الله ياتيكم بضياء اي بنور تطلبون
فيه المعيشة وقيل بنهار تبصرون فيه معايشكم وتصلح فيه الثمار والنبات افلا تسمعون
سماع فهم وقبول قل ارايتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة من اله غير الله
ياتيكم بليل تسكنون فيه اي تستقرون فيه من النصب افلا تبصرون ما انتم فيه من
الخطا في عبادة غيره فاذا اقررتم بانه لا يقدر على ايتاء الليل والنهار غيره فلم تشركون به
ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه اي فيهما وقيل الضمير للزمان وهو الليل
والنهار ولتبتغوا من فضله اي لتطلبوا من رزقه فيه اي في النهار فحذف ولعلكم تشكرون
الله على ذلك قوله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون اعاد
الضمير لاختلاف الحالين ينادون مرة فيقال لهم اين شركاي الذين تزعمون الاصنام فلا
يستجيبون فتظهر حيرتهم ثم ينادون مرة اخرى فيسكتون وهو توبيخ وزيادة خزي
والمناداة هنا ليست من الله لان الله تعالى لا يكلم الكفار لقوله تعالى ولا يكلمهم الله يوم
القيامة لكنه تعالى يامر من يوبخهم ويبكتهم ويقيم الحجة عليهم في مقام الحساب وقيل يحتمل
ان يكون من الله وقوله لا يكلمهم الله حين يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون وقال شركاوهم
لانهم جعلوا لهم نصيبا من اموالهم ونزعنا من كل امة شهيدا اي نبيا عن مجاهد وقيل هم عدول
الاخرة يشهدون على العباد باعمالهم في الدنيا والاول اظهر لقوله تعالى فكيف اذا جئنا
من كل امة بشهيد وشهيد كل امة رسولها الذي يشهد عليها والشهيد الحاضر اي احضرنا
رسولهم المبعوث اليهم فقلنا هاتوا برهانكم اي حجتكم فعلموا ان الحق لله اي علموا صدق
ما جاءت به الانبياء وضل عنهم اي ذهب عنهم وبطل ما كانوا يفترون يختلقونه من الكذب
على الله تعالى من معبود معه يعبد قوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى لما قال
تعالى وما اوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها بين ان قارون اوتيها واغتر بها
ولم تعصمه من عذاب الله كما لم تعصم فرعون ولستم ايها المشركون باكثر عددا ومالا من قارون
وفرعون فلم ينفع فرعون جنوده واموالها ولم ينفع قارون قرابته من موسى ولا كنوزه
قال النخعي وقتادة وغيرهما كان ابن عم موسى لحا وهو قارون ابن يصهر ابن قاهث ابن لاوي
ابن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقال ابن اسحاق كان بن عم موسى لاب وام
وقيل كان ابن خالته ولم ينصرف للعجمة والتعريف وما كان على وزن فاعول اعجميا لا يحسن
فيه الالف واللام لم ينصرف في المعرفة وانصرف في النكرة فان حسنت فيه الالف واللام انصرف
ان كان اسما لمذكر نحو طاووس وراقود قال الزجاج ولو كان قارون من قرب الشيء لانصرف
فبغى عليهم بغيه اي نزل في طول ثوبه شبرا قاله شهر ابن حوشب وفي الحديث لا ينظر الله
الى من جر ازاره بطرا وقيل بغيه كفره بالله عز وجل قاله الضحاك وقيل بغيه استخفافه بهم
لكثرة ماله وولده قاله قتادة وقيل بغيه نسبة ما اتاه الله من الكنوز الى نفسه بعلمه

وحيلته قاله ابن بحر وقيل بعينه ثوله اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان في هرون
فما لي وروى انه لما جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة لموسى والحبورة لهرون يقرب
القربان ويكون راسا فيهم وكان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون
في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما وليس لي شي الى متى اصبر قال موسى هذا صنع
الله قال والله لا اصدقك حتى تاتيني باية فامر روسا بني اسرايل ان يجي كل واحد منهم
بعصاه فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا يحرسون عصيهم
بالليل فاصبحوا واذا بعصى هارون تهتز ولها ورق اخضر كانت من شجر اللوز فقال
قرون ما هو بأعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم وقال يحيى بن
سلام وابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بني اسرايل فتعدى عليهم وظلمهم
وكان منهم وقول سابع روي عن ابن عباس قال لما امر الله تعالى موسى برجم الزاني
عمد قارون الى امراة بغي فاعطاها مالا وحملها الى ان ادعت على موسى انه زنا بها وانه
احبلها فعظم على موسى ذلك واحلفها بالله الذي فلق البحر لبني اسرايل وانزل التوراة
على موسى الا صدقت فتداركها فقالت اشهد بانك بري وان قارون اعطاني مالا وحملني
على ان قلت ما قلت وانت الصادق وقارون الكاذب فجعل الله امر قارون الى موسى وامر
الارض ان تطيعه فجاه وهو يقول للارض يا ارض خذيه يا ارض خذيه وهي تاخذه
شيا وهو يستغيث يا موسى الى ان ساخ في الارض هو وداره وجلساوه الذين كانوا معه
على مذهبه وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى استغاث بك عبادي فلم ترحمهم اما انهم
لو دعوني لوجدوني قريبا مجيبا ابن جريج بلغنا انهم يخسف بهم كل يوم قامة فلا يبلغون
الى اسفل الارض الى يوم القيامة وذكر ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج حدثني ابراهيم
ابن راشد قال حدثني داود بن مهران عن الوليد بن مسلم عن مروان بن جناح عن
يونس ابن ميسرة ابن حليس قال لقي قرون يونس في ظلمات البحر فنادى قرون يونس
فقال يونس تب الى الله فانك تجده عند اول قدم ترجع بها اليه فقال يونس ما منعك
من التوبة قال ان توبتي جعلت الى ابن عمي فابى ان يقبل مني وفي الخبر اذا وصل
قرون الى قرار الارض السابعة نفخ اسرافيل في الصور والله اعلم قال السدي وكان
اسم البغي سبرتا وبذل لها قارون الف درهم قتادة وكان قطع البحر ببني اسرايل
وكان يسمى المنور من حسن صوته بالتوراة ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري
قوله تعالى واتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه الاية قال عطا اصاب كنزا من كنوز
يوسف عليه السلام وقال الوليد بن مروان انه كان يعمل الكيميا ما ان مفاتحه ان واسمها
وخبرها في صلة ما وما مفعوله اتينا قال النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول
ما اقبح ما يقول الكوفيون في الصلة انه لا يجوز ان تكون صلة الذي واخواته ان
وما عملت فيه وفي القران ما ان مفاتحه وهو جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح فيه ومن
قال مفتاح قال مفاتيح ومن قال هي الخزاين فواحدها مفتح بالفتح لتنوا بالعصبة
اوسن ما قيل فيه ان المعنى لتنوي العصبة اي تميلهم بثقلها فلما انفتحت التا دخلت البا
كما قالوا هو يذهب بالبوس ويذهب البوس واختصاولتنوا بالعصبة تحمل العصبة
تنوا اي تنهض متثاقلة كقولك قم بنا اي اجعلنا نقوم يقال نا ينوا نوا اذا انهض
بثقله قال الشاعر • تنوا باخراها تلاما قيامها • وتمشي الهوينا عن قريب فتبهر •
وقال اخر • اخذت فلم املك ونوت فلم اقم • كاني من طول الزمان مقيد •
وناي بي وناي اذا اثقلني عن ابي دريد وقال ابو عبيدة لتنوا بالعصبة مقلوب
والمعنى لتنوا بها العصبة اي تنهض بها ابو زيد نوت بالحمل اي نهضت قال الشاعر
• انا وجدنا خلفا بيس الخلف • عبدا اذا ما ناء بالحمل وقف •
والاول معنى قول بن عباس وابي صالح والسدي وهو قول الفرا واختاره النحاس
كما يقال ذهبت به واذهبته وجيت به واجاته وابنته وقمت به فاما قولهم عندي
باسماه وباه فهو ايتاع كان يجب ان يقال واناه ومثل هنا في الشي ورايت واحوه

ما قدم وما حدث وقيل هو ما خوذ من النائي وهو البعد ومنه قول الشاعر •
• ينوءن عنا وما تنوء بهم • فاتقلب منهم رهينا حيث ما كانوا •
وقرا ابو فيل بن ميسرة لتنوا بالياء اي لينوا الواحد منها او المذكور فحمل على المعنى وقال ابو
عبيدة قلت لروبة بن العجاج في قوله •
• فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق •
ان كنت اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كل ذلك
واختلف في العصبة وهي الجماعة التي يتعصب بعضهم لبعض على احد عشر قولا الاول ثلثة
رجال قاله ابن عباس وعنه ايضا من الثلثة الى العشرة وقال مجاهد العصبة هنا ما بين العشرين
الى خمسة ذكر الاول الثعلبي والثاني القشيري والماوردي والثالث المهدوي وقال ابو
صالح والحكم ابن عيينة وقتادة والضحاك اربعون رجلا السدي ما بين العشرة الى الاربعين
وقال قتادة ايضا وقال عكرمة ما بين العشرة الى الاربعين وقال عكرمة منهم من يقول
اربعون ومنهم من يقول سبعون وهو قول ابي صالح ان العصبة سبعون رجلا ذكره الماوردي
والاول ذكره عنه الثعلبي وقيل ستون رجلا وقال سعيد بن جبير ست او سبع وقال
عبد الرحمن بن زيد ما بين الثلثة والتسعة وهو النفر وقال الكلبي عشرة لقول اخوة
يوسف ونحن عصبة وقاله مقاتل وقال خيثمة وجدت في الانجيل ان مفاتيح خزاين قارون
وقر ستين بغلا غرا محجلة وانها لتنوء بها من ثقلها ما يزيد مفتح منها على اصبع لكل مفتح
منها كنز مال لو قسم كثر منها على اهل البصرة لكفاهم قال مجاهد كانت المفاتيح من جلود
الابل وقيل من جلود البقر لتخف عليه وكانت تحمل معه اذا ركب على سبعين بغلا فيما
ذكر القشيري وقيل على اربعين بغلا وهو قول الضحاك وعنه ايضا ان مفاتحه اوعيته
وعنه ايضا وكذا قال ابو صالح ان المراد بالمفاتح الخزاين فالله اعلم اذ قال له قومه لا
تفرح اي المومنون من بني اسرايل قاله السدي وقال يحيى بن سلام القوم هنا موسى
وقال الفرا هو جمع اريد به واحد كقوله الذين قال لهم الناس ان الناس وانما هو نعيم
ابن مسعود على ما تقدم لا تفرح اي لا تاشر ولا تبطر ان الله لا يحب الفرحين اي البطرين قاله
مجاهد والسدي قال الشاعر • ولست بمفراح اذا الدهر سرني • ولا جازع من صرفه المتقلب •
وقال الزجاج المعنى لا تفرح بالمال فان الفرح بالمال لا يودي حقه وقال بهوداين عبد الله لا تفرح لا تفسد
قال الشاعر • اذا انت لم تبرح تودي امانة • وتحمل اخرى افرحتك الودايع •
اي افسدتك وقال ابو عمرو افرحه الدين اثقله وانشد اذا انت البيت وافرحه سره
فهو مشترك قال الزجاج والفرحين والفارحين سوا وفرق بينهما الفرا فقال معنى الفرحين
الذين هم في حال فرح والفارحين الذين يفرحون في المستقبل وزعم انه مثله طمع وطامع
وميت ومايت ويدل على خلاف ما قال قول الله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ولم
يقل مايت وقال مجاهد ايضا معنى لا تفرح لا تبغ ان الله لا يحب الفرحين اي الباغين
قال ابن بحر اي لا تبخل ان الله لا يحب الباخلين قوله تعالى وابتغ فيما اتاك الله
الدار الاخرة اي اطلب فيما اعطاك الله من الدنيا الدار الاخرة وهي الجنة فان من حق المومن
ان يصرف الدنيا فيما ينفعه في الاخرة لا في التجبر والبغي ولا تنس نصيبك من الدنيا
اختلف فيه فقال ابن عباس والجمهور لا تضيع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك
اذ الاخرة لا يعمل لها فنصيب عمره وعمله الصالح فيها والكلام على هذا التاويل شدة
في الموعظة وقال الحسن وقتادة معناه لا تضيع حظك من دنياك في تمتعك بالحلال
وطلبك اياه ونظرك لعاقبته في دنياك فالكلام على هذا التاويل فيه بعض الرفق
به واصلاح الامر الذي يشتهيه وهذا مما يجب استعماله مع الموعظ خشية النبوه من
الشدة قاله ابن عطية قلت وهذان التاويلان قد جمعهما ابو عمر في قوله واحرث
لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا وعن الحسن قدم الفضل
وامسك ما يبلغ وقال مالك هو الاكل والشرب بلا سرف وقيل اراد بنصيبه الكفن
فهذا وعظ متصل كانهم قالوا لا تنس انك تترك جميع مالك الا نصيبك هذا الذي هو

الكفن ونحو هذا قول الشاعر • نصيبك مما تجمع الدهر كله • رداءان تلوى فيهما وحنوط •
وقال آخر • هي القناعة لا تبغي بها بدلا • فيها النعيم وفيها راحة البدن •
• انظر لمن ملك الدنيا بأجمعها • هل راح منها بغير القطن والكفن •
قال ابن العربي وأبدع ما فيه عندي قول قتادة ولا تنس نصيبك من الدنيا وما أحسن
هنا وأحسن كما أحسن الله إليك أي أطع الله واعبده كما أنعم عليك ومنه الحديث ما الإحسان
قال أن تعبد الله كأنك تراه وقيل هو أمر بصلة المساكين أي ما لكا أراد الرد على
الغالين في العبادة والتقشف قال النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى ويشرب
العسل ويستعمل الشوا ويشرب الماء البارد وقد مضى هذا في غير موضع ولا تبغ الفساد
في الأرض أي لا تعمل بالمعاصي إن الله لا يحب المفسدين قوله تعالى قال إنما أوتيته
على علم عندي يعني علم التوراة وكان فيما روي من أقرأ الناس لها ومن أعلمهم بها وكان
أحد العلماء السبعين الذين اختارهم موسى للميقات وقال ابن زيد إنما أوتيته لعلمه
بفضلي ورضاه عني فقوله عندي معناه أن عندي أن الله تعالى آتاني هذه الكنوز على
علم منه باستحقاقي إياها لفضل فيّ وقيل أوتيته على علم عندي بوجوه التجارة والمكاسب
قاله علي بن عيسى ولم يعلم أن الله تعالى لو لم يسهل له اكتسابها لما اجتمعت عنده وقال
ابن عباس على علم عندي بصنعة الذهب وأشار إلى علم الكيميا وحكى النقاش أن موسى
عليه السلام علمه الثلث من صنعة الكيميا ويوشع الثلث وهرون الثلث فخدعهما قارون
وكان على إيمانه حتى علم ما عندهما وعمل الكيميا فكثرت أمواله وقيل إن موسى علم الكيميا
ثلاثة نفر يوشع بن نون وطالوت وقارون واختار الزجاج القول الأول وأنكر قول
من قال إنه يعمل الكيميا قال لأن الكيميا باطل لا حقيقة له وقيل إن موسى علم أخته
علم الكيميا وكانت زوجة قرون وعلمت أخت موسى قارون والله أعلم قوله تعالى
أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله أي بالعذاب من القرون أي الأمم الكافرة الخالية من
هو أشد منه قوة وأكثر جمعا أي للمال ولو كان المال يدل على فضل لما أهلكهم وقيل القوة
الآلات والجمع الأعوان والأنصار والكلام خرج مخرج التقريع من الله تعالى لقرون
أي أولم يعلم قرون أن الله قد أهلك من قبله من القرون ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون
أي لا يسألون سؤال استعتاب كما قال فهم لا يستعتبون وما هم من المعتبين وإنما
يسألون سؤال تقريع وتوبيخ لقوله فوربك لنسألنهم أجمعين قاله الحسن وقال
مجاهد لا تسأل الملائكة غدا عن المجرمين لأنهم يعرفون بسيماهم فإنهم يحشرون سود
الوجوه زرق العيون وقال قتادة لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم لظهورها وكثرتها
بل يدخلون النار بلا حساب وقيل لا يسأل مجرمو هذه الأمة عن ذنوب الأمم الخالية
الذين عذبوا في الدنيا وقيل أهلك من أهلك من القرون عن علم منه بذنوبهم
فلم يحتج إلى مسئلتهم عن ذنوبهم قوله تعالى فخرج على قومه في زينته قال
الذين يريدون الحياة الدنيا الآية أي على بني إسرائيل فيما رآه زينة من متاع
الحياة الدنيا من الدواب والثياب والتجمل في يوم عيد قال الغزنوي في يوم
السبت في زينته أي مع زينته قال الشاعر •
• إذا ما قلوب القوم طارت مخافة • من الموت أرسوا بالنفوس المواجد •
أي مع النفوس وكان خرج في سبعين ألفا من تبعه عليهم المعصفرات وكان أول من
صبغ له الثياب المعصفرة قال السدي مع ألف جوار بيض على بغال بيض بسروج من
ذهب على قطف الأرجوان قال ابن عباس خرج على البغال الشهب مجاهد براذين
بيض عليها سروج الأرجوان وعليهم المعصفرات وكان ذلك أول يوم رئي فيه المعصفر
قال قتادة خرج على أربعة آلاف دابة عليهم ثياب حمر وألف بغل أبيض عليها
قطف حمر قال ابن جريج خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان ومعه ثلثمائة
جارية على البغال الشهب عليهن الثياب الحمر وقال ابن زيد خرج في سبعين
ألفا عليهم المعصفرات الكلبي خرج في ثوب أخضر كان الله أنزله على موسى من الجنة

فخرج

سرقه منه قارون وقال جابر بن عبد الله رضي الله عنه كانت زينته القرمز
قلت القرمز صبغ أحمر مثل الأرجوان والأرجوان في اللغة صبغ أحمر ذكره القشيري
قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم
أي نصيب وافر من الدنيا ثم قيل هذا من قول قوم موسى ذلك الوقت تمنوا مثل ما له
رغبة في الدنيا وقيل هو من قول أقوام لم يؤمنوا بالآخرة ولا رغبوا فيها وهم الكفار
قوله تعالى وقال الذين أوتوا العلم وهم أحبار موسى الذين تمنوا مكانه ويلكم ثواب
الله خير يعني الجنة لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون أي لا يؤتى الأعمال
الصالحة ولا يؤتى الجنة في الآخرة إلا الصابرون على طاعة الله وجاز ضميرها لأنها المعنية
بقوله ثواب الله قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض قال مقاتل لما أمر الله تعالى
الأرض فابتلعته قالت بنو إسرائيل إنما أهلكه ليرث ماله لأنه كان ابن عمه أخي أبيه فخسف
الله تعالى بداره وبجميع أمواله بعده بثلثة أيام قال فأوحى الله إلى موسى إني لا أعيد
طاعة الأرض إلى أحد بعدك أبدا يقال خسف المكان يخسف خسوفا ذهب في الأرض
وخسف الله به الأرض خسفا أي غاب به ومنه قوله تعالى فخسفنا به وبداره الأرض
وخسف هو في الأرض وخسف به وخسوف القمر كسوفه قال ثعلب كسفت الشمس وخسف
القمر هذا أجود الكلام والخسف النقصان يقال رضي فلان بالخسف أي بالنقيصة وما كان
له من فئة أي جماعة وعصابة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين لنفسه الممتنعين
مما نزل به من الخسف فيروى أن قرون كان يسفل كل يوم بقدر قامة حتى إذا بلغ قعر الأرض
السفلى نفخ إسرافيل في الصور وقد تقدم والله أعلم قوله تعالى وأصبح الذين تمنوا
مكانه بالأمس أي صاروا يسترجعون على ذلك التمني ويقولون ويكأن الله هو الذي يقدم قال
النحاس أحسن ما قيل في هذا قول الخليل وسيبويه ويونس والكسائي أن القوم تنبهوا
وتنبهوا فقالوا وي والمتندم من العرب يقول في حال ندامته وي قال الجوهري وقد يدخل وي
كلمة تعجب ويقال ويك وقد تدخل وي على كأن المخففة والمشددة تقول ويكأن الله قال الخليل هي
مفصولة تقول وي ثم تبتدئ فتقول كأن قال الثعلبي وقال الفراء هي كلمة تقرير كقولك
أما ترى إلى صنع الله وإحسانه وذكر أن أعرابية قالت لزوجها أين ابنك فقال ويكأنه
وراء البيت أي أما ترينه وقال ابن عباس والحسن ويك كلمة ابتداء وتحقيق تقديره
إن الله يبسط الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة ألا في قولك ألا تفعل وأما في قولك أما بعد
قال الشاعر • سالتاني الطلاق إذ رأتاني • قل مالي قد جئتماني بنكر •
• ويكأن من يكن له نشب يحـ • ـبب ومن يفتقر يعش عيش ضر •
وقال قطرب إنما هو ويلك فأسقطت لامه وضمت الكاف التي هي للخطاب إلى وي قال
عنترة • ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها • قول الفوارس ويك عنتر أقدم •
وأنكره النحاس وغيره وقالوا إن المعنى لا يصح عليه لأن القوم لم يخاطبوا أحدا فيقولوا
له ويلك ولو كان كذلك لكان إنه بالكسر وأيضا فإن حذف اللام من ويلك وقال بعضهم
لا يجوز وقال بعضهم التقدير ويلك اعلم أنه فأضمر اعلم ابن الأعرابي ويكأن الله أي
اعلم وقيل معناه ألم تر أن الله وقال القتبي معناه رحمة لك بلغة حمير وقال الكسائي
وي فيه معنى التعجب ويروى أيضا الوقف على وي وقال كلمة تفجع ومن قال
ويك وقف على الكاف فمعناه أعجب لأن الله يبسط الرزق وأعجب لأنه لا يفلح الكافرون
وينبغي أن تكون الكاف حرف خطاب لا اسما لأن وي ليست مما يضاف وإنما كتبت
متصلة لأنها لما كثر استعمالها جعلت مع ما بعدها كشيء واحد لولا أن من الله علينا
بالإيمان والرحمة وعصمنا من مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي لخسف بنا وقرأ
الأعمش لولا منّ الله علينا وقرأ حفص لخسف مسمى الفاعل الباقون على ما لم يسم فاعله
وهو اختيار أبي عبيد لأن في حرف عبد الله لانخسف بنا كما تقول انطلق بنا وكذلك
قرأ الأعمش وطلحة بن مصرف واختار قراءة الجماعة أبو حاتم لوجهين أحدهما قوله فخسفنا
به وبداره والثاني قوله لولا أن من الله علينا فهو أن يضاف إلى الله تعالى لقربه

انه منكر او لي وبك انه لا يفلح الظالمون عند الله قوله تعالى تلك الدار الاخرة يعني الجنة وقال ذلك على جهة التعظيم لها والتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا رفعة وتكبرا على الايمان والمومنين ولا فسادا عملا بالمعاصي قاله ابن جريج ومقاتل وقال عكرمة البطين الفساد اخذ المال بغير حق وقال الكلبي الدعا الى غير عبادة الله وقال يحيى بن سلام هو قتل الانبيا والمومنين والعاقبة للمتقين قال الضحاك الجنة قال ابو معاوية الذي لا يريد علوا هو من لم يجزع من ذلها ولم ينافس في عزها وارفعهم عند الله اشدهم تواضعا واعزهم غدا الزمهم ذلك اليوم وروي سفين بن عيينة عن اسماعيل بن ابي خالد قال مر علي ابن الحسين وهو راكب على مساكين ياكلون كسرا لهم فسلم عليهم فدعوه الى طعامهم فتلى هذه الاية للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ثم نزل فاكل معهم ثم قال قد اجبتكم فاجيبوني فحملهم الى منزله فاطعمهم وكساهم وصرفهم حرجه ابو القاسم الطبري بن سليمان بن احمد قال ثنا عبد الله بن احمد ابن حنبل قال حدثني ابي قال ثنا سفين بن عيينة فذكره وقيل لفظ الدار الاخرة يشمل الثواب والعقاب والمراد انما ينتفع من اتقى ومن لم يتق فتلك الدار عليه لا له لانها تضره ولا تنفعه قوله تعالى من جاء بالحسنة فله خير منها تقدم في النمل وقال عكرمة ليس شي خير من لا اله الا الله فله خير منها ومن جاء بالسيئة اي بالشرك فلا يجزى الذين عملوا السيات الا ما كانوا يعملون اي يعاقب بما يليق بعمله قوله تعالى ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد ختم السورة ببشارة نبيه عليه السلام برده الى مكة قاهرا لاعدايه وقيل هو بشارة له بالجنة والاول اكثر وهو عن جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم قال القتيبي معاد الرجل بلده لانه ينصرف ثم يعود وقال مقاتل خرج النبي صلى الله عليه وسلم من الغار ليلا مهاجرا في غير الطريق مخافة الطريق فلما رجع الى الطريق ونزل الجحفة عرف الطريق الى اهل مكة فاشتاق اليها فقال له جبريل ان الله يقول ان الذي فرض عليك القران لرادك الى معاد اي الى مكة ظاهرا عليها قال ابن عباس نزلت هذه الاية بالجحفة ليست مكية ولا مدنية وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس الى معاد قال الى الموت وعن مجاهد ايضا وعكرمة والزهري والحسن ان المعنى لرادك الى يوم القيامة وهو اختيار الزجاج يقال بيني وبينك المعاد اي يوم القيمة لان الناس يعودون فيه احيا وفرض معناه انزل وعن مجاهد ايضا وابي مالك وابي صالح الى الجنة وهو قول ابي سعيد الخدري وابن عباس ايضا لانه دخلها ليلة الاسرا وقيل لان اباه ادم خرج منها قل ربي اعلم اي قل للكفار مكة اذا قالوا انك لفي ضلال مبين انا ام انتم قوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك اي ما علمت انا نرسلك الى الخلق وننزل عليك القران الا رحمة من ربك قال الكسائي هو استثنا منقطع بمعنى لكن فلا تكونن ظهيرا للكافرين اي عونا لهم ومساعدا وقد تقدم في هذه السورة قوله تعالى ولا يصدنك عن ايات الله بعد اذ انزلت اليك يعني اقوالهم وكذبهم واذاهم ولا تلتفت نحوه وامض لامرك وشانك وقرا يعقوب يصدنك بجزم النون وقرى يصدنك من اصده بمعنى صده وهي لغة في كلب قال الشاعر ◦ اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم ◦ صدود السواقي عن انوف الحوايم ◦ وادع الى ربك الى التوحيد وهذا يتضمن المهادنة والموادعة وهذا كله منسوخ باية السيف وسبب هذه الاية ما كانت قريش تدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تعظيم اوثانهم وعند ذلك القى الشيطان في امنيته امر الغرانيق على ما تقدم والله اعلم قوله تعالى ولا تدع مع الله الها اخر اي لا تعبد معه غيره فانه لا اله الا هو نفي لكل معبود واثبات لكل شي هالك الا وجهه قال مجاهد معناه الا هو وقال الصادق دينه وقال ابو العالية وسفيان اي الا ما اريد به وجهه اي ما يقصد اليه بالقربة قال ◦ استغفر الله ذنبا لست محصيه ◦ رب العباد اليه الوجه والعمل ◦

وقال

وقال محمد بن يزيد حدثني الثوري قال سالت ابا عبيدة عن قوله تعالى كل شي هالك الا وجهه قال الا جاهه كما تقول لفلان جاه في الناس اي جاه له الحكم في الاولى والاخرى واليه ترجعون قال الزجاج وجهه منصوب على الاستثنا ولو كان في غير القران كان الا وجهه بالرفع بمعنى كل شي غير وجهه هالك كما قال ◦

◦ وكل اخ مفارقه اخوه ◦ لعمر ابيك الا الفرقدان ◦

والمعنى كل اخ غير الفرقدين مفارقه اخوه واليه ترجعون بمعنى يرجعون اليه والله اعلم

سورة العنكبوت مكية كلها

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر ومدنية كلها في احد قولي ابن عباس وقتادة وفي القول الاخر لهما وهو قول يحيى بن سلام انها مكية الا عشر ايات من اولها فانها نزلت بالمدينة في شان من كان من المسلمين بمكة وقال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه نزلت بين مكة والمدينة وهي تسع وستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم احسب الناس ان يتركوا تقدم القول في اوايل السور وقال ابن عباس المعنى انا الله اعلم وقيل اسم للسورة وقيل اسم للقران احسب استفهام اريد به التقرير والتوبيخ ومعناه الظن ان يتركوا في موضع نصب بحسب وهي وصلتها مقام المفعولين على قول سيبويه وان الثانية من ان يقولوا في موضع نصب على احد جهتين بمعنى لان يقولوا او بان يقولوا او على ان يقولوا والجهة الاخرى ان يكون على التكرير التقدير الم احسب الناس ان يتركوا احسبوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون قال ابن عباس وغيره يريد بالناس قوما من المومنين كانوا بمكة وكان الكفار من قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام كسلمة بن هشام وعياش ابن ابي ربيعة والوليد ابن الوليد وعمار بن ياسر وياسر ابيه وسمية امه وعدة من بني مخزوم وغيرهم فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر ان يمكن الله الكفار من المومنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الاية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله في عباده اختبارا للمومنين وفتنة قال ابن عطية وهذه الاية وان كانت نزلت بهذا السبب او ما في معناه من الاقوال فهي باقية في امة محمد صلى الله عليه وسلم موجود حكمها بقية الدهر وذلك ان الفتنة من الله باقية في ثغور المسلمين بالاسر ونكاية العدو وغير ذلك واذا اعتبر ايضا كل موضع ففيه ذلك بالامراض وانواع المحن ولكن التي تشبه نازلة المومنين مع قريش هي ما ذكرناه من امر العدو وفي كل ثغر قلت ما احسن ما قال ولقد صدق فيما قال رضي الله عنه وقال مقاتل نزلت في مهجع مولى عمر بن الخطاب كان اول قتيل من المسلمين يوم بدر رماه عامر ابن الحضرمي بسهم فقتله فقال النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ سيد الشهدا مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته فنزلت الم احسب الناس ان يتركوا وقال الشعبي نزلت مفتتح هذه السورة في اناس كانوا بمكة من المسلمين فكتب اليهم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الحديبية انه لن يقبل منكم اقرار الاسلام حتى تهاجروا فخرجوا فاتبعهم المشركون فاذوهم فنزلت فيهم هذه الاية الم احسب الناس ان يتركوا فكتبوا اليهم نزلت فيكم اية كذا فقالوا نخرج وان اتبعنا احد قاتلناه فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم من نجا ونزل فيهم ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وهم لا يفتنون يمتحنون اي اظن الذين جزعوا من اذى المشركين ان يقنع منهم ان يقولوا انا مومنون ولا يمتحنون في ايمانهم وانفسهم واموالهم بما يتبين به حقيقة ايمانهم قوله تعالى ولقد فتنا الذين من قبلهم اي ابتلينا الماضين كالخليل القي في النار وكقوم نشروا بالمناشير في دين الله فلم يرجعوا عنه روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا الا تستنصر الا تدعوا لنا فقال قد كان من قبلكم ياخذ الرجل فيحفر له في الارض فيجعل له فيها فيجا بالمنشار فيوضع على

راسه فيجعل بنصفين ويمشط بامشاط الحديد لحمه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله
ليتمن هذا الامر حتى يسير الراكب من صنعا الى حضرموت لا يخاف الا الله والذيب على غنمه
ولكنكم تستعجلون وخرج ابن ماجة عن ابي سعيد الخدري قال دخلت على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يوعك فوضعت يدي عليه فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف فقلت يا رسول الله
ما اشدها عليك قال انا كذلك يضاعف لنا البلا ويضاعف لنا الاجر قلت يا رسول الله اي
الناس اشد بلا قال الانبيا ثم الامثل فالامثل يبتلى الرجل على حسب دينه ان كان دينه
صلبا اشتد بلاوه وان كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه فما يبرح البلا على العبد
حتى يتركه يمشي على الارض ما عليه من خطية وروي عبد الرحمن بن زيد ان عيسى عليه السلام
كان له وزير فركب يوما فاخذه السبع فاكله فقال عيسى يا رب وزيري في دينك وعوني
على بني اسرايل وخليفتي فيهم سلطت عليه كلبا فاكله قال نعم كانت له عندي منزلة لم يجد
عمله يبلغها فابتليته بذلك لابلغه بذلك المنزلة وقال وهب قرات في كتاب رجل
من الحواريين اذا سلك بك سبيل البلا فقر عينك وان سلك بك عن سبيلهم قوله تعالى
فليعلمن الله الذين صدقوا اي فليرين الله الذين صدقوا في ايمانهم وقد مضى هذا المعنى
في البقرة وغيرها قال الزجاج ليعلم صدق الصادق بوقوع صدقه منه وقد علم الصادق
من الكاذب قبل ان يخلقهما ولكن القصد قصد وقوع العلم بما يجازي عليه وانما يعلم
صدق الصدق كاينا وقوعه وقد علم انه سيقع وقال النقاش فيه قولان احدهما ان
يكون صدقوا مشتقا من الصادقين والكذب مشتقا من الكاذبين الذي هو ضد
الصدق ويكون المعنى فليبين الله الذين صدقوا فقالوا نحن مومنون واعتقدوا مثل ذلك
وقوله والذين كذبوا حين اعتقدوا غير ذلك والقول الاخر ان يكون صدقوا مشتقا
من كذب اذا انهزم فيكون المعنى ليعلم الله الذين ثبتوا في الحرب والذين انهزموا كما قال
الشاعر ● ليث بعثر يصطاد الرجال اذا ما الليث كذب عن اقرانه صدقا ●
فجعل ليعلمن في موضع فليبين مجازا وقراة الجماعة فليعلمن بفتح اليا واللام وقرا علي
ابن ابي طالب بضم اليا وكسر اللام وهي تبين معنى ما قاله الزجاج ويحتمل ثلاثة معان
الاول ان يعلم في الاخرة هولا الصادقين والكاذبين بمنازلهم من ثوابه وعقابه
باعمالهم في الدنيا بمعنى يوقفهم على ما كان منهم الثاني ان يكون المفعول الاول محذوفا
تقديره فليعلمن الناس والعالم هولا الصادقين والكاذبين اي يفضحهم ويشهرهم
هولا في الخير وهولا في الشر وذلك في الدنيا والاخرة الثالث ان يكون ذلك من
العلامة اي يضع لكل طايفة علامة يشتهر بها فالاية على هذا تنظر الى قول النبي
صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداها قوله تعالى ام حسب الذين
يعملون السيات ان يسبقونا اي يفوتونا ويعجزونا قبل ان نواخذهم بما يعملون قال
ابن عباس يريد الوليد ابن المغيرة وابا جهل والاسود والعاصي ابن هشام وشيبة
وعتبة والوليد بن عتبة وعقبة ابن ابي معيط وحنظلة ابن ابي سفيان والعاصي
ابن وايل سا ما يحكمون اي بيس الحكم حكموا في صفات ربهم وان الله على كل شي قدير
وما في موضع نصب بمعنى سا شيا او حكما يحكمون ويجوز ان تكون في موضع رفع بمعنى
سا الشي او الحكم حكمهم وهذا قول الزجاج وقدرها ابن كيسان تقديرين اخرين
خلاف ذينك احدهما ان تكون موضع ما يحكمون بمنزلة شي واحد كما تقول اعجبني
ما صنعت اي صنيعك فما والفعل مصدر في موضع رفع والتقدير الاخر ان يكون ما لا
موضع لها من الاعراب وقد قامت مقام الاسم وكذلك نعم وبيس قال ابو الحسن بن
كيسان وانا اختار ان اجعل لها موضعا في كل ما اقدر عليه نحو قوله عز وجل فبما رحمة
من الله وكذا فبما نقضهم وكذا ايما الاجلين ما في موضع خفض في هذا كله وما
بعدها تابع لها وكذا ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة ما في موضع نصب
وبعوضة تابع لها قوله تعالى من كان يرجوا لقا الله فان اجل الله لات يرجوا
بمعنى يخاف من قول الهذلي في وصف عسال ● اذا لسعته النحل لم يرج لسعها ●

واجمع اهل التفسير على ان المعنى من كان يخاف الموت فليعمل عملا صالحا فانه لا بد ان ياتيه
ذكره الزجاج قال الزجاج معنى يرجوا لقا الله ثواب الله ومن في موضع رفع بالابتدا
وكان في موضع خبر وهي في موضع جزم بالشرط ويرجوا في موضع خبر كان والمجازات فان
اجل الله لات وهو السميع العليم ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه اي ومن جاهد في الدين
وصبر على قتال الكفار واعمال الطاعات فانما يسعى لنفسه اي ثوابه ذلك له ولا يرجع الى
الله نفع من ذلك ان الله لغني عن العالمين اي عن اعمالهم وقيل المعنى من جاهد عدوه لنفسه
لا يريد وجه الله فليس لله حاجة بجهاده قوله تعالى والذين امنوا اصدقوا وعملوا
الصالحات لنكفرن عنهم سياتهم اي لنغطينها عنهم بالمغفرة لهم ولنجزينهم احسن الذي كانوا
يعملون اي باحسن اعمالهم وهي الطاعات ثم قيل يحتمل ان يكفر عنهم كل معصية عملوها في الشرك
ويثابوا على ما عملوا من حسنة في الاسلام ويحتمل ان يكفر عنهم سياتهم في الكفر والاسلام
قوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا الاية نزلت في سعيد بن ابي وقاص فيما
روى الترمذي قال نزلت في اربع ايات فذكر قصة فقالت ام سعد اليس قد امر الله بالبر والله
لا اطعم طعاما ولا اشرب شرابا حتى اموت او تكفر قال فكانوا اذا ارادوا ان يطعموها شجروا فاها
فنزلت هذه الاية ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بي الاية قال ابو
عيسى هذا حديث حسن صحيح وروي عن سعد انه قال كنت برا بامي فاسلمت فقالت لتدعن
دينك او لا اكل ولا اشرب او اموت فتعيرني ويقول يا قاتل امه وبقيت يوما ويوما فقلت يا امه
لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني هذا فان شيت فكلي وان شيت فلا
تاكلي فلما رات ذلك اكلت ونزلت وان جاهداك لتشرك بي وقال ابن عباس نزلت في عياش
ابن ابي ربيعة اخي ابي جهل لامه وقد فعلت امه مثل ذلك وعنه ايضا نزلت في جميع الامة
اذ لا يصبر على بلا الله الا صديق وحسنا نصب عند البصريين على التكرير اي وصينا حسنا
وقيل هو على القطع تقديره ووصيناه بالحسن كما تقول وصيته خيرا اي بالخير وقال اهل الكوفة
تقديره ووصينا الانسان ان يفعل حسنا فيقدر له فعل قال الشاعر
● عجبت من دهما اذ تشكونا ● ومن ابي دهما اذ يوصينا ● خيرا بها كانما خافونا ●
اي يوصينا ان نفعل بها خيرا كقوله فطفق مسحا اي يمسح مسحا وقيل تقديره ووصيناه امرا
ذا حسن فاقيمت الصفة مقام الموصوف وحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل
معناه الزمناه حسنا وقراة العامة حسنا بضم الحا واسكان السين وقرا ابو رجا وابو العالية
والضحاك بفتح الحا والسين وقرا الجحدري احسانا على المصدر وكذلك في مصحف ابي
التقدير ووصينا الانسان ان يحسن اليهما احسانا ولا ينتصب بوصينا لانه قد استوفى مفعوله
الي مرجعكم في طاعة الوالدين في معنى الكفر فانبيكم بما كنتم تعملون والذين امنوا وعملوا
الصالحات لندخلنهم في الصالحين كرر تعالى التمثيل بحالة المومنين العاملين لتحرك النفوس
الى نيل مراتبهم وقوله لندخلنهم في الصالحين مبالغة على معنى فالذين هم في نهاية الصلاح وابعد
غاياته واذا تحصل للمومنين هذا الحكم تحصل ثمره وجزاوه وهو الجنة قوله تعالى ومن
الناس من يقول امنا بالله نزلت في المنافقين كانوا يقولون امنا بالله فاذا اوذي في
الله جعل فتنة اي اذاهم كعذاب الله في الاخرة فارتد عن ايمانه وقيل جزع من ذلك كما
يجزع من عذاب الله ولا يصبر على الاذية في الله ولين جا نصر من ربك ليقولن هولا
المرتدون انا كنا معكم وهم كاذبون فقال الله لهم اوليس الله باعلم بما في صدور العالمين
يعني الله اعلم بما في صدورهم منهم بانفسهم قال مجاهد نزلت في ناس كانوا يومنون
بالسنتهم ولم تومن قلوبهم فاذا اصابهم بلا من الله او مصيبة في انفسهم افتتنوا وقال
الضحاك نزلت في ناس من المنافقين بمكة كانوا يومنون فاذا اوذوا رجعوا الى الشرك
وقال عكرمة كان قوم قد اسلموا فاكرههم المشركون على الخروج معهم الى بدر فقتل بعضهم
فانزل الله ان الذين توفاهم الملايكة ظالمي انفسهم فكتب بها المسلمون من المدينة الى
المسلمين بمكة فخرجوا فلحقهم المشركون فافتتن بعضهم ببعض فنزلت هذه الاية فيهم
وقيل نزلت في عياش ابن ابي ربيعة اسلم وهاجر ثم اوذي وضرب فارتد وانما عذبه ابو جهل

والحرث وكانا اخوته وقال ابن عباس ثم عاش بعد ذلك بدهر وحسن اسلامه وليعلمن
الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين قال قتادة نزلت ذلك في القوم الذين ردهم المشركون
الي مكة قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم جزم
علي الامر قال الفرا والزجاج هو امر في تاويل الشرط والجزا اي ان تتبعوا سبيلنا نحمل خطاياكم كما
قال
• فقلت ادعي وادع فان اندى • لصوت ان ينادي داعيان •
اي ان دعوت دعوت قال المهدوي وجا وقوع انهم لكاذبون بعده علي الحمل علي المعنى لان
المعنى ان اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فلما كان الامر يرجع الى المعنى الي الخبر اوقع عليه التكذيب
كما يوقع علي الخبر قال مجاهد قال المشركون من قريش نحن وانتم لا نبعث فان كان عليكم وزر
فعلينا اي ان نحن نحمل عنكم ما يلزمكم والحمل هاهنا بمعنى الحمالة لا الحمل على الظهور وروي ان
قايل ذلك الوليد بن المغيرة وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم يعني ما يحمل عليهم من سيات
من ظلموه بعد فراغ حسناتهم روي معناه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ال عمران
قال ابو امامة الباهلي يوتى بالرجل يوم القيمة وهو كثير الحسنات ولا يزال يقتضي حسناته
ثم يطالب فيقول الله عز وجل اقتصوا من عبدي فتقول الملائكة ما بقيت له حسنات
فيقول خذوا من سيات المظلوم فاحملوا عليه ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليحملن
اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقال قتادة من دعي الي ضلالة كان عليه وزرها ووزر
من عمل بها ولا ينقص من اوزارهم شيا نظيره قوله عز من قايل ليحملوا اوزارهم كاملة يوم
القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وينظر الي هذا قوله عليه السلام ليحملوا اوزارهم
كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم وينظر الي هذا قوله عليه السلام من
سن في الاسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من
اوزارهم شيا روي من حديث ابي هريرة وغيره وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم
من دعى الي هدي فاتبع عليه وامن به فله من اجور من اتبعه لا ينقص من ذلك من اجورهم
شيا وايما داع دعا الي ضلالة فاتبع عليها وعمل بها بعده فعليه مثل اوزار من عمل بها لا ينقص
ذلك من اوزارهم شيا ثم قرا الحسن وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت هذا مرسل وهو
معنى حديث ابي هريرة خرجه مسلم ونص حديث انس بن مالك عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال ايما داع دعى الي ضلالة فاتبع فان له مثل اوزار من اتبعه ولا ينقص
من اوزارهم شيا وايما داع دعا الي هدي فاتبع فان له مثل اجور من اتبعه ولا ينقص
من اجورهم شي خرجه ابن ماجة في السنن وفي الباب عن ابي جحيفة وجرير وقد قيل ان
المراد اعوان الظلمة وقيل اصحاب البدع اذا اتبعوا عليها وقيل محدثوا السنن الجارية اذا عمل
بها من بعدهم من لعين متقارب والحديث يجمع ذلك كله قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الي
قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ذكر قصة نوح تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم
اي ابتلي النبيون قبلك بالكفار فصبروا وخص نوحا بالذكر لانه اول رسول ارسل الي
الارض وقد امتلات كفرا علي ما تقدم بيانه في هود فانه لم يلق نبي من قومه ما لقي نوح
علي ما تقدم في هود عن الحسن وروي قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول
نبي ارسل نوح قال قتادة وبعث من الجزيرة واختلف في مبعث عمره فقيل مبلغ عمره ما ذكره
الله تعالى في كتابه قال قتادة لبث فيهم قبل ان يدعوهم ثلاث مائة سنة ودعاهم ثلاث
مائة سنة ولبث بعد الطوفان ثلاث مائة سنة وخمسين سنة وقال ابن عباس بعث
نوح لاربعين سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق ستين
سنة حتى كثر الناس وفشوا وعنه ايضا بعث وهو ابن مايتين وخمسين سنة ولبث
فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الطوفان مايتي سنة وقال وهب عمر نوح الفا
واربع ماية سنة وقال كعب الاحبار لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما وعاش
بعد الطوفان سبعين عاما فكان مبلغ عمره الف سنة وعشرين عاما وقال عون بن ابي
شداد بعث نوح وهو ابن خمسين وثلثماية سنة ولبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما
وعاش بعد الطوفان ثلثماية وخمسين سنة فكان مبلغ عمره الف سنة وستماية سنة وخمسين

سنة ونحوه عن الحسن قال الحسن لما اتى ملك الموت لنوح ليقبض روحه قيل له يا نوح كم عشت
في الدنيا قال ثلثماية قبل ان ابعث والف سنة الا خمسين عاما في قومي وثلثماية سنة وخمسين
بعد الطوفان قال ملك الموت كيف وجدت الدنيا قال نوح مثل دار لها بابان دخلت من هذا
وخرجت من هذا وروي من حديث انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث الله نوحا
الي قومه بعثه وهو ابن خمسين ومايتي سنة فلبث في قومه الف سنة الا خمسين عاما وبقي
بعد الطوفان خمسين ومايتي سنة فلما اتاه ملك الموت قال يا نوح يا اكبر الانبيا ويا طويل
العمر ويا مجاب الدعوة كيف رايت الدنيا قال مثل رجل بني له بيت له بابان فدخل من واحد
وخرج من واحد وقيل دخل من احدهما وخرج هنيهة ثم خرج من الباب الاخر وقال
ابن الوردي بني نوح بيتا من قصب فقيل له لو بنيت غير هذا فقال هذا كثير لمن يموت وقال
مهاجر لبث نوح في قومه الف سنة الا خمسين عاما في بيت من شعر فقيل له يا نبي الله ابن
بيتا فيقول اموت اليوم اموت غدا قال وهب بن منبه مرت بنوح خمس ماية سنة لم يقرب النسا
وجلا من الموت وقال مقاتل وجويبر ان ادم عليه السلام حين كبر ورق عظمه فقال يا رب
الي متى الدواسي قال حتى يولد لك ولد مختون فولد له نوح بعد عشرة ابطن وهو ابن الف
سنة الا ستين عاما وقال بعضهم والله اعلم فكان نوح بن لامك ابن متوشلخ ابن ادريس
وهو خنوخ بن برد ابن مهلاييل بن قينان بن انوش بن شيث بن ادم وكان اسم نوح السكن
لان الناس بعد ادم سكنوا اليه فهو ابوهم وولد له سام وحام ويافث فولد سام العرب
وفارس والروم وفي كل هولا خير وولد حام القبط والسودان والبربر وولد يافث الترك
والصقالبة وياجوج وماجوج وليس في شي من هولا خير وقال ابن عباس في ولد سام
بياض وادمة وفي ولد حام سواد وبياض وفي ولد يافث الصفرة والحمرة وكان له ولد رابع
وهو كنعان الذي غرق والعرب تسميه يام وسمي نوح نوحا لانه ناح على قومه الف سنة
الا خمسين عاما يدعوهم الي الله فاذا كفروا بكى نوح وناح عليهم وذكر القشيري ابو القاسم
عبد الكريم في كتاب التحبير له يروي ان نوحا عليه السلام كان اسمه سكن وانما سمي نوحا لكثرة
بكايه علي خطيته واوحى الله تعالى الي نوح لم تنوح فسمي نوحا فقال يا رسول الله فاي شي كانت
خطيته فقال انه مر بكلب فقال في نفسه ما اقبحه فاوحى الله تعالى اليه اخلق انت احسن
من هذا وقال يزيد الرقاشي انما سمي نوحا لطول ما ناح على نفسه فان قيل لم قال الف
سنة الا خمسين عاما ولم يقل تسع ماية وخمسين عاما ففيه جوابان احدهما ان المقصود به
تكثير العدد وكان ذكره الالف في اللفظ واكثر في العدد الثاني ما روي انه اعطي من العمر
الف سنة فوهب من عمره خمسين سنة لبعض ولده فلما حضرته الوفاة رجع في استكمال
الالف فذكر الله سبحانه ذلك تنبيها على ان النقيصة كانت من جهته فاخذهم الطوفان
قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة المطر الضحاك الغرق وقيل الموت روته عايشة
رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنه قول الشاعر افناهم طوفان موت جارف
النحاس يقال لكل كثير مطيف بالجمع من مطر او قتل او موت طوفان وهم ظالمون جملة في
موضع الحال والف سنة منصوب على الظرف الا خمسين عاما منصوب على الاستثنا من
الموجب وهو عند سيبويه بمنزلة المفعول لانه مستغنى عنه كالمفعول فاما المبرد ابو العباس
محمد بن يزيد فهو عنده مفعول محض كانك قلت استثنيت زيدا تنبيه روي حسان بن
غالب بن نجيح ابو القاسم المصري ثنا مالك بن انس عن الزهري عن ابن المسيب عن ابي
ابن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جبريل يذاكرني فضل عمر فقلت له
يا جبريل ما بلغ فضل عمر قال لي يا محمد لو لبثت معك ما لبث نوح في قومه ما بلغت لك
فضل عمر ذكره الخطيب ابو بكر احمد بن ثابت البغدادي وقال تفرد برفعه حسان بن
غالب عن مالك وليس بثابت من حديثه قوله تعالى فانجيناه واصحاب السفينة
معطوف على الها وجعلناها اية للعالمين الها والالف في جعلناها للسفينة او للعقوبة
او للنجاة ثلاثة اقوال قوله تعالى وابراهيم قال الكسائي وابراهيم منصوب
بانجينا يعني انه معطوف على الها واجاز ان يكون معطوفا على نوح والمعنى وارسلنا

ابراهيم ذ قول ثالث ان يكون منصوبا بمعنى واذكر ابراهيم اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه
اي افردوه بالعبادة واتقوه اي اتقوا عقابه وعذابه ذلكم خير لكم اي من عبادة الاوثان
ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون قوله تعالى انما تعبدون من دون الله اوثانا اي اصناما
قال ابو عبيدة الصنم ما يتخذ من ذهب او فضة او نحاس والوثن ما يتخذ من جص وحجارة
الجوهري الوثن الصنم والجمع وثن واوثان مثل اسد واساد وتخلقون افكا قال الحسن
معنى تخلقون تنحتون فالمعنى انما تعبدون الاوثان وتخلقون الكذب وقرا ابو عبد
الرحمن وتخلقون وتفري وتخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من تخلق
بمعنى تكذب وتخرص وقري افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك
مخففا منه كالكذب واللعب وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا ذا افك
وباطل واوثانا نصب بتعبدون وما كافة ويجوز في غير القران رفع اوثان على ان تجعل
ما اسما لان وتعبدون صلته وحذفت الهاء لطول الاسم وجعلت اوثان خبر ان فاما
وتخلقون افكا فهو منصوب بالفعل لا غير وكذا لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق
اي اصرفوا رغبتكم في ارزاقكم الى الله فاياه فاسالوه ووحدوه دون غيره وان تكذبوا فقد
كذب امم من قبلكم قيل هو من قول ابراهيم اي التكذيب عادة الكفار وليس على الرسل
الا التبليغ قوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده قراءة العامة بالياء على
الخبر والتوبيخ لهم وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم قال ابو عبيد لذكر الامم كانه قال
اولم ير الامم كيف وقرا ابو بكر والاعمش وابن وثاب وحمزة والكسائي وخلف تروا بالتاء
خطابا لقوله وان تكذبوا خطابا لقريش ليس من قول ابراهيم ثم يعيده يعني الخلق والبعث
وقيل المعنى اولم يروا كيف يبدئ الله الثمار فتحيى ثم تفنى ثم يعيدها ابدا وكذلك يبدا خلق
الانسان ثم يهلكه بعد ان خلق منه ولدا ومن الولد ولدا وكذلك سائر الحيوان اي فاذا رايتم
قدرته على الابتداء والايجاد فهو القادر على الاعادة ان ذلك على الله يسير لانه اذا اراد
امرا قال له كن فيكون قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض
فانظروا كيف بدا الخلق على كثرتهم وتفاوت هيئاتهم واختلاف السنتهم والوانهم وطبائعهم
وانظروا الى مساكن القرون الماضية وديارهم واثارهم كيف اهلكهم لتعلموا بذلك كمال قدرة
الله ثم الله ينشئ النشاة الاخرة وقرا ابن عمرو وابن كثير النشاة الاخرة وقرا ابو عمرو وبن
كثير النشاة بفتح الشين والمد وهما لغتان مثل الرافة والرافة وشبهه الجوهري انشاه الله
خلقه والاسم النشاة بالمد عن ابي عمرو بن العلاء ان الله على كل شيء قدير يعذب من يشا
اي بعدله ويرحم من يشا اي بفضله واليه تقلبون ترجعون وتردون وما انتم بمعجزين
في الارض ولا في السما قال الفرا معناه ولا من في السما بمعجز الله وهو غامض في العربية
للضمير الذي لم يظهر في الثاني وهو كقول حسان

• فمن يهجو رسول الله منكم • ويمدحه وينصره سواء •

اراد ومن يمدحه وينصره سوا فاضمر من وقال عبد الرحمن ابن زيد ونظيره قوله سبحانه
وما منا الا له مقام معلوم اي من له والمعنى ان الله لا يعجزه اهل الارض في الارض ولا في
اهل السما ان عصوه وقال قطرب ولو كنتم في السما لو كنتم فيها كما تقول لا يفوتني فلان بالبصرة
ولو صار اليها وقيل لا يستطيعون هربا في الارض ولا في السما وقال المبرد المعنى ولا من
في السما على ان من ليست موصولة ولكن تكون نكرة وفي السما صفة لها فاقيمت الصفة
مقام الموصوف ورد ذلك علي ابن سليمان وقال لا يجوز وقال ان من اذا كانت نكرة فلا
بد من وصفها فصفتها كالصلة ولا يجوز حذف الموصول وترك الصلة قال والمعنى ان
الناس خوطبوا بما يعقلون والمعنى لو كنتم في السما ما اعجزتم كما قال ولو كنتم في بروج
مشيدة وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير ويجوز نصير بالرفع على الموضع وتكون
من زايدة والذين كفروا بايات الله اي بالقران او بما نصب من الادلة والاعلام اولئك
يئسوا من رحمتي اي من الجنة ونسب الناس اليهم والمعنى ايسوا وهذه الايات
اعتراض بها تعالى تذكيرا وتحذيرا لاهل مكة ثم عاد الخطاب الى قصة ابراهيم فقال فما

كان

كان جواب قومه حين دعاهم الى الله الا ان قالوا اقتلوه او حرقوه ثم اتفقوا على تحريقه
فانجاه الله من النار اي من اذى النار ان في ذلك اي في انجائه من النار العظيمة حتى لم تحرقه
بعد ما القي فيها لايات وقراءة العامة جواب بنصب الباء على انه خبر كان وان قالوا في محل الرفع
اسم كان وقرا سالم الافطس وعمرو بن دينار جواب بالرفع على انه اسم كان وان في موضع الخبر
نصبا وقال ابراهيم انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا قرا حفص وحمزه
مودة بينكم والاعمش عن ابي بكر عن عاصم وابن وثاب والاعمش مودة بينكم الباقون فاما
قراءة ابن كثير ففيها ثلاثة اوجه ذكر الزجاج منها وجهين احدها ان المودة ارتفعت على خبر ان
وتكون ما بمعنى الذي والتقدير ان الذين اتخذتموه من دون الله اوثانا مودة بينكم والوجه
الاخر ان يكون على اضمار مبتدا اي هي مودة او تلك مودة بينكم والمعنى الفتكم او جماعتكم مودة
بينكم قال ابن الانباري اوثانا وقف حسن لمن رفع المودة باضمار ذلك مودة بينكم ومن رفع
المودة على انها خبر ان لم يقف والوجه الثالث الذي لم يذكره انه تكون مودة رفعا بالابتداء وفي
الحياة الدنيا خبره فاما اضافة مودة الى بينكم فانه جعل بينكم اسما غير ظرف والنحويون يقولون
جعله مفعولا على السعة وحكى سيبويه • يا سارق الليلة اهل الدار •
ولا يجوز ان يضاف اليه وهو ظرف لعلة ليس هذا موضع ذكرها ومن رفع مودة ونونها فعلى
معنى ما ذكرنا وبينكم بالنصب ظرفا ومن نصب مودة ولم ينونها جعلها مفعولة بوقوع الاتخاذ
عليها وجعل انما حرفا واحدا ولم يجعلها بمعنى الذي ويجوز نصب المودة على انه مفعول من
اجلها كما تقول جئتك ابتغاء الخير وقصدت فلانا مودة له بينكم بالخفض ومن نون مودة
ونصبها فعلى ما ذكر بينكم بالنصب من غير اضافة قال ابن الانباري ومن قرا مودة بينكم ومودة
بينكم لم يقف على الاوثان يتحابون عليها وعلى عبادتها في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا تتبرا الاوثان من عبادها والرؤسا من السفلة
كما قال الله عز وجل الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وماواكم النار وهو
خطاب لعبدة الاوثان والرؤسا منهم والاتباع وقيل تدخل فيه الاوثان لقوله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قوله تعالى فامن له لوط اول من صدق بابراهيم
حين راى النار عليه بردا وسلاما لوط قال ابن اسحاق امن لوط بابراهيم وكان ابن اخته
وامنت به سارة وكانت بنت عمه وقال اني مهاجر الى ربي قال هو ابراهيم عليه السلام قال
قتادة هاجر من كوثا وهي قرية من سواد الكوفة الى حران ثم الى الشام ومعه ابن
اخيه لوط ابن هاران بن تارح وامراته سارة الكلبي هاجر من ارض حران الى فلسطين
وهو اول من هاجر من ارض الكفر قال مقاتل هاجر ابراهيم وهو ابن خمس وسبعين سنة
وقيل ان الذي قال اني مهاجر الى ربي لوط عليه السلام وذكر البيهقي عن قتادة قال
ان اول من هاجر الى الله عز وجل باهله عثمان بن عفان رضي الله عنه قال قتادة
سمعت النضر بن انس يقول سمعت ابا حمزة يعني انس بن مالك يقول خرج عثمان بن
عفان ومعه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ارض الحبشة فابطا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم خبرهم فقدمت امراة من قريش فقالت يا محمد رايت ختنك ومعه
امراته قال على اي حال رايتهما قالت رايته قد حمل امراته على حمار من هذه الدبابة وهو
يسوقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صحبهما الله ان عثمان لاول من هاجر باهله
بعد لوط قال البيهقي هذا في الهجرة الاولى واما الهجرة الثانية الى الحبشة فهي فيما
زعم الواقدي سنة خمس من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى ربي اي الى رضى ربي والى
حيث امرني انه هو العزيز الحكيم وتقدم الكلام في الهجرة في النسا وغيرها قوله تعالى
ووهبنا له اسحاق ويعقوب اي من الله بالاولاد فوهب له اسحاق ولدا ويعقوب ولد
ولد وانما وهب له اسحاق من بعد اسماعيل ويعقوب من اسحاق وجعلنا في ذريته
النبوة والكتاب فلم يبعث الله نبيا بعد ابراهيم الا من صلبه ووحد الكتاب لانه
اراد المصدر كالنبوة والمراد التوراة والانجيل فهو عبارة عن الجمع فالتوراة انزلت
على موسى من ولد ابراهيم والانجيل على عيسى من ولده والقران على محمد من ولده

صلى الله عليه وسلم وآتيناه اجره في الدنيا يعني اجتماع اهل الملل عليه قاله عكرمة وروى
سفيان عن حميد بن قيس قال امر سعيد بن جبير انسانا ان يسال عكرمة عن قوله
جل ثناؤه وآتيناه اجره في الدنيا فقال عكرمة اهل الملل كلها تدعيه وتقول هو منا
فقال سعيد بن جبير صدق وقال قتادة هو مثل قوله وآتيناه في الدنيا حسنة اي عافية
وعملا صالحا وثناء حسنا وذلك ان كل دين اهله يتولونه وقيل آتيناه اجره في الدنيا ان اكثر
الانبياء من ولده وانه في الآخرة لمن الصالحين ليس في الآخرة داخلا في الصلة وانما هو
تبيين وقد مضى في البقرة بيانه وكل هذا حث على الاقتدا بابراهيم في الصبر على الدين
الحق قوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه قال الكسائي المعنى وانجينا لوطا اي
ارسلنا لوطا قال وهذا الوجه احب الي ويجوز ان يكون المعنى واذكر لوطا اذ قال لقومه
موبخا ومحذرا انكم لتاتون الفاحشة ما سبقكم بها من احد من العالمين انكم تقدم القراة
في هذا وبيانها في سورة الاعراف وقد تقدم قصة لوط وقومه في الاعراف وهود ايضا
وتقطعون السبيل قيل كانوا قطاع الطريق قاله ابن زيد وقيل كانوا ياخذون الناس من
الطرق لقضا الفاحشة حكاه ابن شجرة وقيل انه قطع النسل بالعدول عن النسا الى الرجال قال الوهب
ابن منبه اي استغنوا بالرجال عن النسا قلت ولعل الجميع كان فيهم فكانوا يقطعون الطريق
لاخذ الاموال والفاحشة ويستغنون عن النسا بذلك وتاتون في ناديكم المنكر النادي
المجلس واختلف في المنكر الذي كانوا ياتونه فيه فقالت فرقة كانوا يحذفون النسا
بالحصا ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم وروته ام هاني عن النبي صلى الله عليه وسلم
قالت ام هاني سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل وتاتون في ناديكم
المنكر قال كانوا يحذفون من يمر بهم ويسخرون منه فذلك المنكر الذي كانوا ياتونه
اخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده وذكره النحاس والثعلبي والمهدوي والماوردي
وذكر الثعلبي وقال معاوية قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قوم لوط كانوا يجلسون
في مجالسهم وعند كل رجل قصعة فيها الحصا للحذف فاذا مر بهم عابر قذفوه فايهم اصابه
كان اولى به يعني يذهب به للفاحشة وذلك قوله عز وجل وتاتون في ناديكم المنكر وقالت
عايشة وابن عباس والقاسم بن ابي بزة والقاسم ابن محمد انهم كانوا يتضارطون في
مجالسهم وقال مجاهد ومنصور كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا
وعن مجاهد كان من امرهم لعب الحمام وتطريف الاصابع بالحنا والصفير والحذف ونبذ الحيا
في جميع امورهم قال ابن عطية وقد توجد هذه الامور في بعض عصاة امة محمد صلى
الله عليه وسلم فالتناهي واجب قال مكحول عشرة في هذه الامة من اخلاق قوم لوط
مضغ العلك وتطريف الاصابع بالحنا وحل الازرار ونقض الاصابع والعمامة التي تلف
حول الراس والتشابك ورمي الجلاهق والصفير والحذف واللوطية وعن ابن عباس
قال ان قوم لوط كان فيهم ذنوب غير الفاحشة منها انهم يتظالمون فيما بينهم ويشتم
بعضهم بعضا ويتضارطون في مجالسهم ويحذفون ويلعبون بالنرد والشطرنج
ويلبسون المصبغات ويتناقرون بالديكة ويتناطحون بالكباش ويطرفون اصابعهم
بالحنا ويتشبه الرجال بلباس النسا والنسا بلباس الرجال ويضربون المكوس على
كل عابر ومع هذا كله كانوا يشركون بالله وهم اول من ظهر على ايديهم اللوطية والسحاق
فلما وقفهم لوط عليه السلام على هذه القبايح رجعوا الى التكذيب واللجاج فقالوا
ايتنا بعذاب الله اي ان ذلك لا يكون ولا يقدر عليه وهم لم يقولوا هذا الا وهم مصممون على
اعتقاد كذبه وليس يصح في الفطرة ان يكون معاندا ثم قال هذا ثم استنصر لوط
عليه السلام ربه فبعث عليهم ملايكة لعذابهم فجاوا ابراهيم اولا مبشرين بنصرة لوط
على قومه حسب ما تقدم بيانه في هود وغيرها وقرا الاعمش ويعقوب وحمزه
والكسائي لننجينه واهله بالتخفيف وشدد الباقون وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة
والكسائي انا منجوك واهلك بالتخفيف وشدد الباقون وقرا ابن كثير وابو بكر
وحمزة والكسائي انا منجوك واهلك بالتخفيف وشدد الباقون وهما لغتان انجا ونجا

يعني

يعني وقد تقدم وقرا ابن عامر انا منزلون بالتشديد وهي قراة ابن عباس الباقون بالتخفيف
وقوله ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون قال قتادة هي الحجارة التي ابقيت وقاله ابو
العالية وقيل ان الله يرجم بها قوما من هذه الامة قال ابن عباس هي اثار منازلهم الخربة وقال
مجاهد هو الما الاسود على وجه الارض وكل ذلك باق قوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا
اي وارسلنا الى مدين وقد تقدم ذكرهم وفسادهم في الاعراف وهود وارجوا اليوم الاخر
قال يونس النحوي اي اخشوا الآخرة التي فيها الجزا على الاعمال ولا تعثوا في الارض
مفسدين اي لا تكفروا فانه اصل كل فساد والعثو والعثي اشد الفساد عثي يعثي وعثا يعثو
بمعنى واحد وقد تقدم وارجوا اليوم الاخر اي صدقوا به فان القوم كانوا ينكرونه قوله
تعالى وعادا وثمودا قال الكسائي قال بعضهم هو راجع الى اول السورة اي ولقد فتنا
الذين من قبلهم وفتنا عادا وثمودا قال واحب الي ان يكون على فاخذتهم الرجفة واخذت
عادا وثمودا وزعم الزجاج ان التقدير واهلكنا عادا وثمودا وقيل المعنى واذكر عادا اذ
ارسلنا اليهم هودا فكذبوه فاهلكناهم وثمودا ايضا ارسلنا اليهم صالحا فكذبوه فاهلكناهم
بالصيحة كما اهلكنا عادا بالريح العقيم وقد تبين لكم يا معشر الكفار من مساكنهم بالحجر والاحقاف
ايات في هلاكهم فحذف فاعل التبين وزين لهم الشيطان اعمالهم اي اعمالهم الخبيثة فحسبوها
رفيعة فصدهم عن السبيل اي عن طريق الحق وكانوا مستبصرين فيه قولان احدهما وكانوا
مستبصرين في الضلالة قاله مجاهد والاخر وكانوا مستبصرين في الضلالة قد عرفوا
الحق من الباطل بظهور البراهين وهذا القول اشبه لانه انما يقال فلان مستبصر اذا عرف
الشي على الحقيقة قال الفرا كانوا عقلا ذوي بصاير فلم تنفعهم بصايرهم وقيل اتوا ما اتوا وقد
تبين لهم ان عاقبتهم العذاب قوله تعالى وقارون وفرعون وهامان قال الكسائي ان شيت
كان محمولا على عاد وكان فيه ما فيه وان شيت كان على فصدهم عن السبيل وصد قارون
وفرعون وهامان وقيل اي واهلكنا هولا بعد ان جاتهم الرسل فاستكبروا في الارض عن
عبادة الله وما كانوا سابقين اي فايتين وقيل سابقين في الكفر بل قد سبقهم للكفر قرون
كثيرة فاهلكناهم فكلا اخذنا بذنبه قال الكسائي فكلا منصوب باخذنا اي باخذنا
كلا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا يعني قوم لوط والحاصب ريح ياتي بالحصبا وهي
الحصا الصغار وتستعمل في كل عذاب ومنهم من اخذته الصيحة يعني ثمودا واهل مدين
ومنهم من خسفنا به الارض يعني قارون ومنهم من اغرقنا قوم نوح وقوم فرعون وما
كان الله ليظلمهم لانه انذرهم وامهلهم وبعث اليهم الرسل وازاح العذر قوله تعالى مثل
الذين اتخذوا من دون الله اوليا كمثل العنكبوت قال الاخفش كمثل العنكبوت
وقف تام ثم قص قصتها فقال اتخذت بيتا قال ابن الانباري وهذا غلط لان اتخذت
صلة للعنكبوت كانه قال كمثل التي اتخذت بيتا فلا يحسن الوقف على الصلة دون
الموصول وهو بمنزلة قولك كمثل الحمار يحمل اسفارا فيحمل صلة للحمار ولا يحسن الوقف على
الحمار دون يحمل وقال الفرا هو مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه الهة لا تنفعه
ولا تضره كما ان بيت العنكبوت لا يقيها حرا ولا بردا ولا يحسن الوقف على العنكبوت لانه لما
قصد بالتشبيه لبيتها الذي لا يقيها من شي شبهت الالهة التي لا تنفع ولا تضر به وان اوهن
البيوت اي اضعف البيوت لبيت العنكبوت قال الضحاك ضرب مثلا لضعف الهتهم ووهنها
فشبهها ببيت العنكبوت لو كانوا يعلمون لو متعلقة ببيت العنكبوت اي لو علموا ان عبادة
الاوثان كاتخاذ بيت العنكبوت التي لا تغني عنهم شيا وان هذا مثلهم لما عبدوها لا انهم
لا يعلمون ان بيت العنكبوت ضعيف وقال النحاه ان تا العنكبوت اخرها مزيدة لانها
تسقط في التصغير والجمع وهي مونثة وحكى الفرا تذكيرها وانشد
على هطالهم منهم بيوت ۞ كان العنكبوت هو ابتناها
ويروى على هطالهم منهم بيوت قال الجوهري والهطال اسم جبل والعنكبوت الدويبة
المعروفة التي تنسج نسجا رقيقا مهلهلا عن الهوا ويجمع عناكيب وعناكب وعكاب
وعكب واعكب وقد يحكى انه يقال عنكب وعكنباه قال الشاعر

كأنما يسقط من لعابها بيت عنكباه على زمامها

ويصغر فيقال عنيكيب وقد حكي عن يزيد بن ميسرة ان العنكبوت شيطان مسخها الله تعالى
وقال عطا الخراساني نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود حين كان جالوت يطلبه ومرة
على النبي صلى الله عليه وسلم ولذلك نهي عن قتلها ويروى عن علي رضي الله عنه انه قال
طهروا بيوتكم من نسج العنكبوت فان تركه في البيت يورث الفقر ومنع الخمير يورث الفقر
قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما بمعنى الذي ومن للتبعيض ولو كانت زايدة
للتوكيد لانقلب المعنى والمعنى ان الله يعلم ضعف ما تعبدون من دونه وقرا عاصم وابو عمرو
ويعقوب يدعون بالياء وهي اختيار ابي عبيد لذكر الامم قبلها الباقون بالتاء على الخطاب
قوله تعالى وتلك الامثال اي هذا المثل وغيره مما ذكر في البقرة والحج وغيرها نضربها
للناس وما يعقلها اي يفهمها الا العالمون اي العالمون بالله روى جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال العالم بالله من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه قوله
تعالى خلق الله السموات والارض بالحق اي بالعدل والقسط وقيل بكلامه وقدرته وذلك هو
الحق ان في ذلك لاية للمؤمنين اي علامة ودلالة للمؤمنين المصدقين قوله تعالى اتل ما اوحي
اليك من الكتاب الاية فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى اتل امر بالتلاوة والدوب عليها
وقد مضى في طه الوعيد فيمن اعرض عنها وفي مقدمة الكتاب الامر بالحض عليها والكتاب
يراد به القران الثانية قوله تعالى واقم الصلاة تم هنا واقم الصلاة ان الخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وامته واقامة الصلاة اداؤها في وقتها بقراءتها وركوعها وسجودها وقعودها
وتشهدها وجميع شروطها وقد تقدم بيان ذلك في البقرة فلا معنى للاعادة الثالثة قوله
تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر يريد ان الصلاة الخمس هي التي يكفر ما بينها من
الذنوب لقال عليه السلام ارايتم لو ان نهرا بباب احدكم يغتسل فيه كل يوم هل يبقى من
درنه شيء قالوا لا يبقى من درنه شيء قال فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن
الخطايا خرجه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال فيه حديث حسن صحيح وقال ابن عمر
الصلاة هنا القران والمعنى الذي يتلى في الصلاة ينهى عن الفحشاء وعن الزنا والمعاصي قلت
ومنه الحديث الصحيح قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين يريد قراءة الفاتحة وقال
حماد بن سلمان وابن جريج والكلبي العبد ما دام في صلاته لا ياتي فحشاء ولا منكرا اي ان
الصلاة تنهى ما دمت فيها قال ابن عطية وهذه عجمة واين هذا مما رواه انس بن مالك
قال كان فتى من الانصار يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدع شيئا من الفواحش والسرقة
الا ركبه فقيل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته ستنهاه فلم يلبث ان تاب وصلحت
حاله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم الم اقل لكم وفي الاية تاويل ثالث وهو الذي
ارتضاه المحققون وقال به مشيخة الصوفية وذكره المفسرون فقيل المراد باقم الصلاة
ادامتها والقيام بحدودها ثم اخبر حكما منه بان الصلاة تنهى صاحبها وممتثلها عن الفحشاء والمنكر
وذلك لما فيها من تلاوة القران المشتمل على الموعظة والصلاة تشغل كل بدن المصلي فاذا دخل
المصلي في محرابه وخشع واخبت لربه وتذكر انه واقف بين يدي مولاه وانه مطلع عليه
ويراه صلحت لذلك نفسه وتذللت وخامرها ارتقاب الله تعالى وظهرت على جوارحه
هيبتها ولم يكد يفتر من ذلك حتى تظله صلاة اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى
هذه الاخبار لان صلاة المؤمن هكذا ينبغي ان تكون قلت لا سيما وان اشعر نفسه ان هذا
ربما يكون اخر عمله وهو ابلغ في المقصود واتم في المراد فان الموت ليس له سن محدود ولا زمن
مخصوص ولا مرض معلوم وهذا مما لا خلاف فيه وروي عن بعض السلف انه كان اذا قام
الى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال اني واقف بين يدي الله تعالى وحق لي هذا
مع ملوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك فهذه صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر ومن كانت
صلاته دايرة حول الاجزاء لا خشوع فيها ولا تذكر ولا فضايل كصلاتنا وليتها تجزي فتلك
تترك صاحبها من منزلته حيث كان فان كان على طريقة معاص يبعده من الله تركته الصلاة
يتمادى على بعده وعلى هذا يخرج الحديث المروي عن ابن مسعود وابن عباس والحسن قولهم

من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزده من الله الا بعدا وقد روي ان الحسن ارسله عن
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك غير صحيح السند وقال ابن عباس سمعت ابي رضي الله عنه
يقوله فاذا اقررناه فنظر معناه فغير جايز ان يقول ان نفس صلاة العاصي تبعده من الله
حتى كانها معصية وانما يتخرج ذلك على انها لا تؤثر في تقريبه من الله بل تتركه في حالته
ومعاصيه من الفحشاء والمنكر تبعده فلم تزده الصلاة الا تقرير ذلك البعد الذي كان
سبيله فكانها بعدته حين لم تكف بعده عن الله وقيل لابن مسعود ان فلانا كثير الصلاة
فقال انها لا تنفع الا من اطاعها قلت وعلى الجملة فالمعنى المقصود بالحديث لم تزده من الله
الا بعدا ولم يزدد بها من الله الا مقتا اشارة الى ان مرتكب الفحشاء والمنكر لا قدر لصلاته لغلبة
المعاصي على صاحبها وقيل هو خبر بمعنى الامر اي لينته المصلي عن الفحشاء والمنكر والصلاة بنفسها
لا تنهى ولكنها سبب الانتهاء وهو كقوله هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق وقوله ام انزلنا عليهم
سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون الرابعة قوله تعالى ولذكر الله اكبر اي ذكر الله لكم بالثواب
والثناء عليكم اكبر من ذكركم له في عبادتكم وصلواتكم قال معناه ابن مسعود وابن عباس وابو
الدرداء وسلمان والحسن وابو قرة وهذا اختيار الطبري وروي مرفوعا من حديث موسى بن
عقبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل ولذكر الله اكبر
قال ذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل ذكركم الله في صلاتكم وفي قراءة القران
افضل من كل شيء وقيل المعنى ان ذكر الله اكبر مع المداومة من الصلاة في النهي عن الفحشاء والمنكر
وقال الضحاك ولذكر الله عند ما يحرم فيترك اجل الذكر وقيل المعنى ولذكر الله النهي عن
الفحشاء والمنكر اي اكبر اي كبير واكبر يكون بمعنى كبير وقال ابن زيد وقتادة معناه ولذكر
الله اكبر من كل شيء اي افضل من العبادات كلها بغير ذكر وقيل ذكر الله يمنع من المعصية فان
من كان ذاكرا له لا يخالفه قال ابن عطية وعندي ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق
اي هو الذي ينهى عن الفحشاء والمنكر فالجزء الذي منه في الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل
في غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله مراقب له وثواب ذلك الذاكر ان
يذكره الله تعالى كما في الحديث من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته
في ملا خير منهم والحركات التي في الصلاة لا تاثير لها في نهي والذكر النافع هو مع العلم
واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففي رتبة اخرى وذكر الله
تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة لذكر العبد ربه قال الله عز
وجل فاذكروني اذكركم وباقي الاية ضرب من الوعيد والحث على المراقبة قوله تعالى ولا
تجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن الاية فيه مسالتان الاولى اختلف العلماء في قوله
تعالى ولا تجادلوا فقال مجاهد هي محكمة فيجوز مجادلة اهل الكتاب بالتي هي احسن
على معنى الدعاء لهم الى الله عز وجل والتنبيه على حججه واياته رجاء اجابتهم الى الايمان لا على
طريق الاغلاظ والمخاشنة وقوله على هذا الا الذين ظلموا معناه ظلموكم والا فكلهم ظلمة
على الاطلاق وقيل المعنى لا تجادلوا من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب
المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن امن معه الا بالتي هي احسن بالموافقة فيما حدثوكم به
من اخبار اوايلهم وغير ذلك وقوله على هذا التاويل الا الذين ظلموا يريد به من بقي على
كفره منهم ممن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم وعلى هذا ايضا محكمة وقيل هذه الاية
منسوخة باية القتال قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله قاله قتادة الا الذين
ظلموا اي جعلوا لله ولدا وقالوا يد الله مغلولة وان الله فقير فهؤلاء المشركون في سقوط
الجزية فانتصروا قال النحاس وغيره من قال هي منسوخة احتج بان الاية مكية ولم يكن
في ذلك الوقت قتال مفروض ولا طلب جزية ولا غير ذلك وقول مجاهد حسن لان احكام
الله عز وجل ينبغي ان لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر او حجة من معقول
واختار هذا القول ابن العربي قال مجاهد وسعيد بن جبير وقوله الا الذين ظلموا منهم
معناه الا الذين نصبوا للمؤمنين الحرب فجدالهم بالسيف حتى يسلموا او يعطوا الجزية قوله
وقولوا امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم روى البخاري عن ابي هريرة قال كان اهل

الكتاب يقرؤن التوراة ويفسرونها عن ابي هريرة بالعربية لاهل الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل اليكم وروي عبد الله بن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تسالوا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل وفي البخاري عن حميد بن عبد الرحمن سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال ان كان من اصدق هولاء المحدثين الذين يحدثون عن الكتاب وان كان مع ذلك لنبلوا عليه الكذب قوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب الاية فيه ثلاث مسايل الاولى وما كنت تتلوا من قبله الضمير في قبله عايد الى الكتاب وهو القران المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم اي ما كنت يا محمد تقرا قبله ولا تختلف الى اهل الكتاب بل انزلناه عليك في غاية الاعجاز والتضمن للغيوب وغير ذلك فلو كنت ممن تقرا كتابا وتخط حروفا لارتاب المبطلون اي من اهل الكتاب وكان لهم في ارتيابهم متعلق وقالوا الذي نجده في كتبنا انه امي لا يكتب ولا يقرا وليس به قال مجاهد كان اهل الكتاب يجدون في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم لا يخط ولا يقرا فنزلت هذه الاية قال النحاس دليلا على نبوته لقريش لانه لا يكتب ولا يخالط اهل الكتاب ولم يكن بمكة اهل الكتاب فجاءهم باخبار الانبيا والامم وزالت الريبة والشك الثانية ذكر النقاش في تفسير هذه الاية عن الشعبي انه قال ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى كتب واسند ايضا حديثا الى ابي كبشة السلولي مضمنه انه صلى الله عليه وسلم قرا صحيفة لعيينة بن حصين واخبر بمعناها قال ابن عطية وهذا كله ضعيف وقول الباجي رحمه الله منه قلت وقع في صحيح مسلم من حديث البرا في صلح الحديبية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي اكتب الشرط بيننا بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال له المشركون لو نعلم انك رسول الله تابعناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله فامر عليا ان يمحاها فقال علي والله لا امحاها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارني مكانها فاراه مكانها فمحاها وكتب بن عبد الله قال علماونا رضي الله عنهم ظاهر هذا انه عليه السلام محا تلك الكلمة التي هي رسول الله بيده وكتب مكانها ابن عبد الله وقد رواه البخاري باظهر من هذا فقال فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب فكتب وزاد في طريق اخرى ولا يحسن ان يكتب فقالت جماعة بجواز هذا الظاهر عليه وانه كتب بيده منهم السمناني وابو ذر والباجي وراوا ان ذلك غير قادح في كونه اميا ولا معارض لقوله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ولا لقوله انا امة امية لا نكتب ولا نحسب بل راوه زيادة في معجزاته واستظهارا على صدقه وصحة رسالته وذلك انه كتب من غير تعلم لكتابه ولا تعاطي لاسبابها وانما اجرى الله تعالى على يده وقلمه حركات بانت عنها خطوط مفهومها ابن عبد الله لمن قراها فكان ذلك خارقا للعادة وذلك ابلغ في معجزاته واعظم في فضايله ولا يزول عنه اسم الامي بذلك ولذلك قال الراوي عنه في هذه الحالة ولا يحسن ان يكتب فبقي عليه اسم الامي مع كونه قال كتب قال شيخنا ابو العباس احمد بن عمر وقد انكر هذا من متفقهة الاندلس وغيرهم وشددوا النكير فيه ونسبوا قايله الى الكفر وذلك دليل على عدم العلوم النظرية وعدم التوقف في تكفير المسلمين ولم يتفطنوا لان تكفير المسلم كقتله على ما جاء عنه عليه السلام في الصحيح لا سيما رمي من شهد اهل عصره بالعلم والفضل والامامة على ان المسئلة ليست قطعية بل مستندها ظواهر اخبار احاد صحيحة على ان العقل لا يحيلها وليس في الشريعة قاطع يحيل وقوعها قلت وقال بعض المتاخرين من قال هي اية خارقة للعادة فيقال له كانت تكون اية لا تنكر لولا انها مناقضة لاية اخرى وهو كونه اميا في امية امة قامت الحجة وافحم الجاحد وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله تعالى يده فيكتب فتكون اية وانما الاية ان لا يكتب والمعجزات يستحيل ان تتدافع وانما معنى كتب واخذ القلم اي امر من يكتب به من كتابه وكان كتبة الوحي بين يديه صلى الله عليه وسلم ستة وعشرون كاتبا الثالثة ذكر القاضي عياض عن

معاوية

معاوية انه كان يكتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم قال القاضي وهذا وان لم تصح الرواية انه كان عليه السلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة قلت هذا هو الصحيح في الباب انه ما كتب ولا حرفا واحدا وانما امر من يكتب وكذلك ما قرا ولا تهجا فان قيل فقد تهجا النبي صلى الله عليه وسلم حين ذكر الدجال فقال مكتوب بين عينيه ك ف ر وقلتم ان المعجزة قايمة في كونه اميا قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الاية وقال انا امة امية لا نكتب ولا نحسب فكيف هذا فالجواب ما نص عليه السلام في حديث حذيفة والحديث كالقران يفسر بعضه بعضا ففي حديث حذيفة يقرؤه كل مومن كاتب وغير كاتب فقد نص في ذلك على غير الكاتب ممن يكون اميا وهذا من اوضح ما يكون جليا قوله تعالى بل هو ايات بينات قال ومثله وهذا بصاير ولو كانت هذه لجاز ونظيره هذا رحمة من ربي قال الحسن اعطيت هذه الامة الحفظ وكان من قبلها لا يقرؤن كتابهم الا نظرا فاذا اطبقوه لم يحفظوا ما فيه الا النبيون فقال كعب في صفة هذه الامة انهم علماء حكماء وهم في الفقه انبيا في صدور الذين اوتوا العلم اي ليس هذا القران كما يقوله المبطلون من انه سحر وشعر ولكنه علامات ودلايل يعرف بها دين الله واحكامه وهي كذلك في صدور الذين اوتوا العلم وهم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم والمومنون به يحفظونه ويقرونه ووصفهم بالعلم لانهم ميزوا بافهامهم بين كلام الله وكلام البشر والشياطين وقال قتادة وابن عباس بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم من اهل الكتاب يجدونه مكتوبا عندهم في كتبهم بهذه الصفة اميا لا يقرا ولا يكتب ولكنهم ظلموا انفسهم وكتموا وهذا اختيار الطبري ودليل هذا القول قراة ابن مسعود وابن السميقع بل هذا ايات بينات وكان عليه السلام ايات لا اية واحدة لانه دل على اشيا كثيرة من امر الدين فلهذا قال بل هو ايات بينات وقيل بل هو ذو ايات بينات فحذف المضاف وما يجحد باياتنا الا الظالمون اي الكافرون لانهم جحدوا نبوته وما جا به قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه هذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه هلا انزل عليه اية كايات الانبيا قيل كما جا صالح بالناقة وموسى بالعصا وعيسى باحيا الموتى اي قل لهم يا محمد انما الايات عند الله فهو ياتي بها كما يريد اذا شا ارسلها وليست عندي وانما انا نذير مبين وقرا ابن كثير وابو بكر وحمزة والكسائي اية بالتوحيد وجمع الباقون وهو اختيار ابي عبيد لقوله قل انما الايات قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم هذا جواب لقولهم لولا انزل عليه اية من ربه اي اولم يكف المشركين من الايات هذا الكتاب المعجز الذي قد تحديتهم بان ياتوا بمثله او بسورة منه فعجزوا ولو اتيتهم بايات موسى وعيسى لقالوا سحر ونحن لا نعرف السحر والكلام مقدور لهم ومع ذلك عجزوا عن المعارضة وقيل ان سبب نزول هذه الاية ما رواه ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن يحيى ابن جعدة قال اتي النبي صلى الله عليه وسلم بكتف فيه كتاب فقال كفى بقوم ضلالة ان يرغبوا عما جا به نبيهم الى ما جا به نبي غير نبيهم او كتاب غير كتابهم فانزل الله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم الاية اخرجه الدارمي ابو محمد في مسنده وذكر اهل التفسير في كتبهم وفي مثل هذا قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنهما لو كان موسى ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي وفي مثله قال صلى الله عليه وسلم ليس منا من لم يتغن بالقران اي يستغني به عن غيره وهذا تاويل البخاري رحمه الله في الاية واذا كان لقاريه بكل حرف عشر حسنات فاكثر على ما ذكرناه في مقدمة الكتاب فالرغبة عنه الى غيره ضلال وخسران وغبن ونقصان ان في ذلك اي في القران لرحمة في الدنيا والاخرة وقيل رحمة في الدنيا باستنقاذهم به من الضلالة وذكرى في الدنيا بارشادهم به الى الحق لقوم يومنون قوله تعالى قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا اي قل للمكذبين لك كفى بالله شهيدا يشهد لي بالصدق فيما ادعيته من اني رسوله وان هذا القران كتابه يعلم ما في السموات والارض اي لا يخفى عليه شيء وهذا احتجاج عليهم في صحة شهادته عليهم لانهم قد اقروا بعلمه فلزمهم ان يقروا

بينها دته والذين امنوا بالباطل قال يحيى بن سلام بابليس وقيل بعبادة الاوثان والاصنام قاله ابن شجرة وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل بما اشركوا به من الاوثان واضافوا اليه من الاولاد والاضداد اولئك هم الخاسرون انفسهم واعمالهم في الاخرة قوله تعالى ويستعجلونك بالعذاب لما انذرهم العذاب قالوا لفرط الانكار عجل لنا هذا العذاب وقيل ان قايل ذلك النضر بن الحرث وابو جهل حين قالا ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولولا اجل مسمى في نزول العذاب قال ابن عباس يعني هو ما وعدتك الا اعذب قومك واوخرهم الى يوم القيامة بيانه بل الساعة موعدهم وقال الضحاك هو مدة اعمارهم في الدنيا وقيل المراد بالاجل المسمى النفخة الاولى قاله يحيى بن سلام وقال الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجره وقيل هو القتل يوم بدر وبالجملة فلكل عذاب اجل لا يتقدم ولا يتاخر دليله لكل نبا مستقر وليأتينهم يعني العذاب الذي يستعجلونه وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة اي يستعجلون وقد اعد لهم جهنم وانها ستحيط بهم لا محالة فما معنى الاستعجال وقيل نزلت في عبد الله بن ابي امية واصحابه من المشركين حين قالوا او تسقط السما كما زعمت علينا كسفا قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل هو متصل بما هو قبله اي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم فاذا غشيهم العذاب احاطت بهم جهنم وانما قال من تحت ارجلهم للمقاربة والا فالغشيان من فوق قال

اعلفتها تبنا وما باردا وقال الاخر •

• لقد كان قود الجياد الى العدا • عليهن غاب من قنى ودروع •

ونقول ذوقوا قرا اهل المدينة والكوفة ونقول بالنون الباقون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله قل كفى بالله ويحتمل ان يكون الملك الموكل بعذابهم يقول ذوقوا والقراءتان ترجع الى معنى اي نقول الملك بامرنا ذوقوا قوله تعالى يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة هذه الاية نزلت في تحريض المومنين الذين كانوا بمكة على الهجرة في قول مقاتل والكلبي فاخبرهم تعالى بسعة ارضه وان البقاء في بقعة على اذى الكفار ليس بصواب بل الصواب ان يلتمس عبادة الله في ارضه مع صالحي عباده اي ان كنتم في ضيق من اظهار الايمان بها فهاجروا الى المدينة فانها واسعة لاظهار التوحيد بها وقال ابن جبير وعطا ان الارض التي فيها الظلم والمنكر يترتب فيها هذه الاية وتلزم فيها الهجرة الى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد ان ارضي واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير ان رحمتي واسعة وعنه ايضا ان رزقي لكم واسع فابتغوه في الارض قال سفيان الثوري اذا كنت بارض غالية فانتقل الى غيرها تملا فيه جرابك خبزا بدرهم وقيل المعنى ان ارضي التي هي الجنة واسعة فاعبدون حتى اورثكموها فاياي فاعبدون اياي منصوب بفعل مضمر اي فاعبدوا اياي فاعبدون فاستغنى باحد الفعلين عن الثاني والفا في قوله فاياي بمعنى الشرط اي ان ضاق بكم موضع فاياي فاعبدون لان ارضي واسعة قوله تعالى كل نفس ذايقة الموت ثم الينا ترجعون تقدم في ال عمران وجاء ذكره هنا تحقيرا لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المومنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة انه يموت او يجوع ونحو هذا فحقر الله شان الدنيا اي انتم لا محالة ميتون ومحشورون الينا فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه والى ما يمتثل ثم وعد المومنين العاملين بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزا الذي ينالونه ثم نعتهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقرا ابو عمرو ويعقوب والجحدري وابن ابي اسحاق وابن محيصن والاعمش وحمزة والكسائي وخلف يا عبادي باسكان اليا وفتحها الباقون ان ارضي فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من فر بدينه من ارض الى ارض ولو قيد شبر استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم ومحمد عليهما السلام ثم الينا ترجعون قرا السلمي وابو بكر عن عاصم يرجعون بالياء لقوله كل نفس ذايقة الموت الباقون بالتا لقوله تعالى يا عبادي الذين امنوا وانشد بعضهم

• الموت في كل حين ينشر الكفنا • ونحن في غفلة عما يراد بنا •

لا تركن

• لا تركنن الى الدنيا وزهرتها • وان توشحت من اثوابها الحسنا •
• اين الاحبة والجيران ما فعلوا • اين الذين هم كانوا لها سكنا •
• سقاهم الموت كاسا غير صافية • فصيرتهم تحت اطباق الثرى رهنا •

وقرا ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي لنثوينهم بالثا مكان البا من الثوا وهو الاقامة اي لنعطينهم غرفا يثوون فيها وقرا رويس عن يعقوب والجحدري والسلمي لنبوينهم بالبا مكان الثا الباقون لنبوينهم اي لننزلنهم غرفا جمع غرفة وهي العلية المشرفة وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق او المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال امنوا بالله وصدقوا المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها فقام اليه اعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن اطاب الكلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب الجنة من كتاب التذكرة والحمد لله قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اسند الواحدي عن يزيد بن هارون قال حدثنا الحجاج بن منهال عن الزهري وهو عبد الرحيم بن عطا عن عطا عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من التمر فقال يا ابن عمر ما لك لا تاكل فقلت لا اشتهيه يا رسول الله قال لكني اشتهيه وهذه صبيحة رابعة لو شيت لدعوت ربي فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم قلت وهذا ضعيف يضعفه انه عليه السلام كان يدخر لاهله قوت سنتهم اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة واهل اليقين والايمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روي ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للمومنين بمكة حين اذاهم المشركون اخرجوا الى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة قالوا ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم اي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك انتم يرزقكم الله في دار الهجرة وهذا اشبه من القول الاول وتقدم الكلام في كاين وان هذه اي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد اي كثير من العدد من دابة قال مجاهد يعني الطير والبهايم تاكل بافواهها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي لا تقدر على رزقها الله يرزقها اينما توجهت واياكم اي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك انتم يرزقكم الله في دار الهجرة وهذا اشبه من القول الاول وتقدم الكلام في كاي وان هذه اي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند سيبويه والخليل كالعدد اي كثير من العدد من دابة قال مجاهد يعني الطير والبهايم تاكل بافواهها ولا تحمل شيا الحسن تاكل لوقتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها اي لا تقدر على رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وقيل الحمل بمعنى الحمالة وحكى النقاش ان المراد النبي صلى الله عليه وسلم ياكل ولا يدخر قلت وليس بشي لاطلاق لفظ الدابة وليس مستعملا في العرف اطلاقها على الادمي فكيف على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى هذا في النمل عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم قال ابن عباس الدواب هو كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر الا ابن ادم والنمل والفار وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها الله يرزقها واياكم يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الحول والعاجز حتى لا يغتر الجلد انه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز انه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح

بشهادته والذين آمنوا بالباطل قال يحيى بن سلام بإبليس وقيل بعبادة الأوثان والأصنام
قاله ابن شجرة وكفروا بالله لتكذيبهم برسله وجحدهم لكتابه وقيل بما أشركوا به من الأوثان
وأضافوا إليه من الأولاد والأضداد أولئك هم الخاسرون أنفسهم وأعمالهم في الآخرة قوله
تعالى ويستعجلونك بالعذاب لما أنذرهم العذاب قالوا لفرط الإنكار عجل لنا هذا العذاب
وقيل إن قائل ذلك النضر بن الحرث وأبو جهل حين قالا إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر
علينا حجارة من السماء وقولهم ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب وقوله ولولا أجل مسمى في نزول
العذاب قال ابن عباس يعني هو ما وعدتك أن لا أعذب قومك وأؤخرهم إلى يوم القيامة بيانه
بل الساعة موعدهم وقال الضحاك مدة أعمارهم في الدنيا وقيل المراد بالأجل المسمى النفخة
الأولى قاله يحيى بن سلام وقيل الوقت الذي قدره الله لهلاكهم وعذابهم قاله ابن شجرة
وقيل هو القتل يوم بدر وبالجملة فلكل عذاب أجل لا يتقدم ولا يتأخر دليله لكل نبإ مستقر
لجاءهم العذاب الذي يستعجلونه وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون لا يعلمون بنزوله عليهم يستعجلونك
بالعذاب وإن جهنم لمحيطة أي يستعجلون وقد أعد لهم جهنم وأنها ستحيط بهم لا محالة فما معنى
الاستعجال وقيل نزلت في عبد الله بن أبي أمية وأصحابه من المشركين حين قالوا أو تسقط
السماء كما زعمت علينا كسفا قوله تعالى يوم يغشاهم العذاب من فوقهم قيل هو متصل
بما هو قبله أي يوم يصيبهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم فإذا غشيهم العذاب
أحاطت بهم جهنم وإنما قال من تحت أرجلهم للمقاربة وإلا فالغشيان من فوق أعلى قال
علفتها تبنا وماء باردا وقال الآخر

● لقد كان قود الجياد إلى العدا ● عليهن غاب من قنى ودروع ●

ونقول ذوقوا قرأ أهل المدينة والكوفة ويقول بالياء واختاره أبو عبيد لقوله
قل كفى بالله ويحتمل أن يكون الملك الموكل بهم يقول ذوقوا والقراءتان ترجع إلى معنى أي يقول
الملك بأمرنا ذوقوا قوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة هذه الآية نزلت
في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة في قول مقاتل والكلبي فأخبرهم تعالى
بسعة أرضه وأن البقاء في بقعة على أذى الكفار ليس بصواب بل الصواب أن يلتمس عبادة
الله في أرضه مع صالحي عباده أي إن كنتم في ضيق من إظهار الإيمان بها فهاجروا إلى المدينة
فإنها واسعة لإظهار التوحيد بها وقال ابن جبير وعطاء إن الأرض التي فيها الظلم والمنكر
يترتب بها هذه الآية وتلزم الهجرة إلى بلد حق وقاله مالك وقال مجاهد إن أرضي
واسعة فهاجروا وجاهدوا وقال مطرف بن الشخير إن رحمتي واسعة وعنه أيضا إن رزقي
لكم واسع فابتغوه في الأرض قال الثوري إذا كنت بأرض غالية فانتقل إلى غيرها تملأ فيه
جرابك خبزا بدرهم وقيل المعنى إن أرضي التي هي الجنة واسعة فاعبدون حتى أورثكموها
فإياي فاعبدون إياي منصوب بفعل مضمر أي فاعبدوا إياي فاعبدون فاستغنى
بأحد الفعلين عن الثاني والفاء في قوله فإياي بمعنى الشرط أي إن ضاق بكم موضع فإياي
فاعبدون لأن أرضي واسعة قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون
تقدم في آل عمران وإنما ذكره هنا تحقيرا لأمر الدنيا ومخاوفها كأن بعض المؤمنين نظر في
عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه من مكة أنه يموت أو يجوع ونحو هذا فحقر الله شأن
الدنيا أي أنتم لا محالة ميتون ومحشورون إلينا فالبدار إلى طاعة الله والهجرة إليه
وإلى ما يمتثل ثم وعد المؤمنين العاملين بسكنى الجنة تحريضا منه تعالى وذكر الجزاء الذي
ينالونه ثم نعتهم بقوله الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وقرأ أبو عمرو ويعقوب والجحدري
وابن أبي إسحاق وابن محيصن والأعمش وحمزة والكسائي وخلف يا عبادي بإسكان
الياء وفتحها الباقون إن أرضي فتحها ابن عامر وسكنها الباقون وروي أن رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من فر بدينه من أرض إلى أرض ولو قيد شبر استوجب الجنة وكان
رفيق إبراهيم ومحمد عليهما السلام ثم إلينا ترجعون قرأ السلمي وأبو بكر عن عاصم يرجعون
بالياء لقوله كل نفس ذائقة الموت الباقون بالتاء لقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا وأنشد
بعضهم

● الموت في كل حين ينشر الكفنا ● ونحن في غفلة عما يراد بنا ●

لا تركني

● لا تركنن إلى الدنيا وزهرتها ● وإن توشحت من أثوابها الحسنا ●
● أين الأحبة والجيران ما فعلوا ● أين الذين هم كانوا لها سكنا ●
● سقاهم الموت كأسا غير صافية ● فصيرتهم تحت أطباق الثرى رهنا ●

وقرأ ابن مسعود والأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي لنثوينهم بالثاء مكان الباء من
الثواء وهو الإقامة أي لنعطينهم غرفا يثوون فيها وقرأ رويس عن يعقوب والجحدري
والسلمي لنبوئنهم بالياء مكان النون الباقون لنبوئنهم أي لننزلنهم غرفا جمع غرفة وهي
العلية المشرفة وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من
المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال
بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وخرج الترمذي عن علي رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها
وبطونها من ظهورها فقام إليه أعرابي فقال لمن هي يا رسول الله قال لمن أطاب الكلام وأطعم
الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب
الجنة من كتاب التذكرة والحمد لله قوله تعالى وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها
وإياكم أسند الواحدي عن يزيد بن هارون قال حدثنا الجراح بن منهال عن الزهري
وهو عبد الرحمن بن عطاء عن عطاء عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت لا
أشتهيه يا رسول الله قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني
مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف
اليقين قال والله ما برحنا حتى نزلت وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو
السميع العليم قلت وهذا ضعيف يضعفه أنه عليه السلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم
اتفق عليه البخاري ومسلم وكانت الصحابة يفعلون ذلك وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة
لمن بعدهم من المتقين المتوكلين وقد روى ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
للمؤمنين بمكة حين آذاهم المشركون اخرجوا إلى المدينة وهاجروا ولا تجاوروا الظلمة قالوا
ليس لنا بها دار ولا عقار ولا من يطعمنا ولا من يسقينا فنزلت وكأي من دابة لا تحمل رزقها
الله يرزقها وإياكم أي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك أنتم يرزقكم الله في دار الهجرة
وهذا أشبه من القول الأول وتقدم الكلام في كأين وأن هذه أي دخلت عليها كاف التشبيه
وصار فيها معنى كم والتقدير عند الخليل وسيبويه كالعدد أي كثير من العدد من دابة
قال مجاهد يعني الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئا لغد وقيل لا تحمل رزقها أي لا
تقدر على رزقها الله يرزقها أينما توجهت وإياكم أي ليس معها رزقها مدخرا وكذلك
أنتم يرزقكم الله في دار الهجرة وهذا أشبه من القول الأول وتقدم الكلام في كأي وأن هذه
أي دخلت عليها كاف التشبيه وصار فيها معنى كم والتقدير عند سيبويه والخليل كالعدد
أي كثير من العدد من دابة قال مجاهد يعني الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل
شيئا للحبس تأكل لوقتها ولا تدخر لغد وقيل لا تحمل رزقها أي لا تقدر على رزقها الله يرزقها
وإياكم وهو السميع العليم وقيل الحمل بمعنى الحمالة وحكى النقاش أن المراد النبي صلى الله عليه
وسلم يأكل ولا يدخر قلت وليس بشيء لإطلاق لفظ الدابة وليس مستعملا في العرف إطلاقها
على الآدمي فكيف على النبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى هذا في النمل عند قوله تعالى
وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم قال ابن عباس الدواب
هو كل ما دب من الحيوان فكله لا يحمل رزقه ولا يدخر إلا ابن آدم والنمل والفأر وعن بعضهم
رأيت البلبل يحتكر في حضنه ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها الله يرزقها وإياكم يسوي
بين الحريص والمتوكل في رزقه وبين الراغب والقانع وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر
الجلد أنه مرزوق بجلده ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه وفي الصحيح عن النبي صلى الله
عليه وسلم لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح

بطانا دهو السميع لقولكم لا بجدها ينفق بالمدينة العليم بما في قلوبكم قوله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض لما عير المشركون المسلمين بالفقر وقالوا لو كنتم على حق لم تكونوا فقرا وكان هذا تمويها وكان في الكفار وقتل ايضا ازال هذه الشبهة وكذا قول من قال ان هاجرنا لم نجد ما ننفق اي فاذا اعترفتم بان الله خالق هذه الاشيا فكيف تشركون في الرزق من بيده تكوين الكائنات لا يعجز عن رزق العبد ولهذا وصله بقوله الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده ويقدر له فانى يوفكون اي كيف يكفرون بتوحيدي وينقلبون عن عبادتي الله يبسط الرزق لمن يشا من عباده اي لا يختلف امر الرزق بالايمان والكفر فالتوسيع والتقتير منه فلا يعتبر بالفقر فكل شي بقضائه وقدره ان الله بكل شي عليم من احوالكم واموركم وقيل عليم بما يصلحكم من اقتار وتوسع قوله تعالى ولئن سالتهم من نزل من السما ما اي من السحاب مطرا فاحيى به الارض من بعد موتها اي جدبها وقحط اهلها ليقولن الله اي فاذا اقررتم بذلك فلم تشركون به وتنكرون الاعادة واذا قدر على ذلك فهو القادر على اغنا المومنين فكرر تاكيدا قل الحمد لله وسلام اي على ما اوضح من الحجج والبراهين على قدرته بل اكثرهم لا يعقلون اي لا يتدبرون هذه الحجج وقيل الحمد لله على اقرارهم بذلك وقيل على انزاله الما واحيا الارض وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب اي شي يلهى به ويلعب اي ليس ما اعطاه الله الاغنيا من الدنيا الا وهو يضمحل ويزول كاللعب الذي لا حقيقة له ولا ثبات قال بعضهم الدنيا ان بقيت لك لم تبق لها وانشد

• تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت • وتحدث من بعد الامور امور •
• وتجري الليالي باجتماع وفرقة • وتطلع فيها انجم وتغور •
• فمن ظن ان الدهر باق سروره • فذاك محال لا يدوم سرور •
• عفى الله عمن صير الهم واحدا • وايقن ان الدائرات تدور •

قلت وهذا كله في امور الدنيا من المال والجاه والملبس واما ما كان منها فهو من الاخرة وهو الذي يبقى كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام اي ما ابتغي به ثوابه ورضاه وان الدار الاخرة لهي الحيوان اي دار الحياة الباقية التي لا تزول ولا موت فيها وزعم ابو عبيدة ان الحيوان والحياة والحي بكسر الحا واحد كما قال وقد يري ان الحياة حي وغيره يقول ان الحي جمع على فعول مثل عصي والحيوان يقع على كل شي حي وحيوان عين في الجنة وقيل اصل حيوان حييان فابدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين لو كانوا يعلمون ايضا كذلك قوله تعالى فاذا ركبوا في الفلك يعني السفن وخافوا الغرق دعوا الله مخلصين اي صادقين في نياتهم وتركوا عبادة الاصنام ودعاها فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون اي يدعون معه غيره وما لم ينزل به سلطانا وقيل اشراكهم ان يقول قائلهم لولا الله والريس والملاح لغرقنا فيجعلون ما فعل الله من النجاة قسمة بين الله تعالى وبين خلقه قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وليتمتعوا قيل هي لام كي اي لكي يكفروا ولكي يتمتعوا وقيل انهم لم يشركون ليكون ثمرة شركهم ان يجحدوا نعم الله ويتمتعوا بالدنيا وقيل هي لام امر معناه التهديد والوعيد اي اكفروا بما اعطيناكم من النعمة والنجاة من البحر وتمتعوا ودليل هذا قراءة ابي وتمتعوا ابن الانباري ويقوي هذا قراءة الاعمش ونافع وحمزة وليتمتعوا بجزم اللام النحاس وليتمتعوا لام كي ويجوز ان يكون لام امر لان اصل لام الامر الكسر الا انه امر فيه معنى التهديد ومن قرا وليتمتعوا باسكان اللام لم يجعلها لام كي لان لام كي لا يجوز اسكانها وهي قراءة ابن كثير والمسيبي وقالون عن نافع والكسائي وحمزة وحفص عن عاصم الباقون بكسر اللام وقرا ابو العالية ليكفروا بما اتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون تهديد ووعيد قوله تعالى اولم يروا انا جعلنا حرما امنا قال عبد الرحمن بن زيد هي مكة وهم قريش امنهم الله تعالى فيها ويتخطف الناس من حولهم قال الضحاك يقتل بعضهم بعضا ويسبي بعضهم بعضا والخطف الاخذ بسرعة وقد مضى في القصص وغيرها فاذكرهم الله هذه النعمة ليذعنوا له بالطاعة اي جعلت لهم حرما امنوا فيه من السبي والغارة والقتل وخلصتهم في البر كما

خلصتهم

خلصتهم في البحر فصاروا يشركون في البر ولا يشركوا في البحر فهذا تعجب من تناقض احوالهم افبالباطل يومنون قال قتادة ابالشرك وقال يحيى بن سلام ابابليس وبنعمة الله يكفرون وقال ابن عباس ابنعمة الله وقال ابن سجرة ابنعمة الله واحسانه وقال ابن سلام اما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى وحكى النقاش ابا طعامهم من جوع وامنهم من خوف يكفرون وهذا تعجب وانكار خرج مخرج الاستفهام قوله تعالى ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم ممن جعل مع الله شركا وولدا واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها وكذب بالحق لما جاءه قال يحيى بن سلام بالقران السدي بالتوحيد ابن سجرة بمحمد صلى الله عليه وسلم وكل قول يتناول القولين اليس في جهنم مثوى للكافرين اي مستقر وهو استفهام تقرير قوله تعالى والذين جاهدوا اي جاهدوا الكفار فينا اي لطلب مرضاتنا قال وقال السدي وغيره ان هذه الاية نزلت قبل فرض القتال قال ابن عطية فهي قبل الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن بن ابي الحسن الاية في العباد وقال عباس وابراهيم بن ادهم هي في الذين يعملون بما يعلمون وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم ونزع بعض العلما بقوله واتقوا الله ويعلمكم الله وقال عمر بن عبد العزيز انما قصر بنا عن علم ما جهلنا تقصيرنا في العمل بما علمنا ولو عملنا ببعض ما علمنا لاورثنا علما لا تقوم به ابداننا قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله وقال ابو سليمان الداراني ليس الجهاد في الاية قتال الكفار فقط بل هو نصر الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين وعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله وهو الجهاد الاكبر وقال ابن عيينة لابن المبارك اذا رايت الناس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين واهل الثغور فان الله تعالى يقول لنهدينهم وقال الضحاك معنى الاية والذين جاهدوا في الهجرة لنهدينهم سبل الثبات على الايمان ثم قال مثل السنة في الدنيا كمثل الجنة في العقبى من دخل الجنة في العقبى سلم كذلك من لزم السنة في الدنيا سلم وقال عبد الله بن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وهذا يتناول بعموم الطاعة جميع الاقوال ونحوه قول عبد الله بن الزبير قال تقول الحكمة من طلبني فلم يجدني فليطلبني في موضعين ان يعمل باحسن ما يعلمه ويجتنب اسوا ما يعلمه وقال الحسين ابن الفضل فيه تقديم وتاخير اي الذين هديناهم والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يعني طريق الجنة قال السري النقاش يوفقهم لدين الحق وقال يوسف ابن اسباط المعنى لنخلص نياتهم وصدقاتهم وصلواتهم وصيامهم وان الله لمع المحسنين لام توكيد ودخلت في مع على احد وجهين ان تكون اسما ولام التوكيد انما تدخل على الاسما او حرفا فيدخل عليها لان فيها معنى الاستقرار كما تقول ان زيدا لفي الدار ومع اذا اسكنت فهي حرف لا غير واذا فتحت جاز ان تكون اسما وان تكون حرفا والاكثر ان تكون حرفا جا لمعنى وتقدم للاحسان والمحسن في البقرة وغيرها وهو بمعنى انه معهم بالنصر والمعونة والحفظ والهداية ومع الجميع بالاحاطة والقدرة فبينت المعيتين نوعا كمل الحمد لله وحده

سورة الروم مكية كلها من غير خلاف وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون روى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فاعجب ذلك المومنين فنزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض الى قوله يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشا قال ففرح المومنون بظهور الروم على فارس قال هذا حديث غريب من هذا الوجه هكذا قرا نصر بن علي الجهضمي غلبت الروم ورواه ايضا من حديث ابن عباس

بآية منه قال ابن عباس في قول الله عز وجل الم غلبت الروم في ادنى الارض قال غلبت
وغلبت قال كان المشركون يحبون ان تظهر فارس على الروم لانهم واياهم اهل اوثان
وكان المسلمون يحبون ان تظهر الروم على فارس لانهم اهل كتاب فذكروه لابي بكر فذكره
ابو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما انهم سيغلبون فذكره ابو بكر لهم فقالوا
اجعل بيننا وبينك موعدا اجلا فان ظهرنا كان لنا كذا وان ظهرتم كان لكم كذا وكذا
فجعل اجل خمس سنين فلم يظهروا فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال الا جعلته
الى دون قال اراه العشر قال ابو سعيد والبضع ما دون العشر قال ثم ظهرت
الروم بعد قال فذلك قوله الم غلبت الروم الى قوله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله
قال سفيان سمعت انهم ظهروا عليهم يوم بدر قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح
غريب وروى ايضا عن نيار بن مكرم الاسلمي قال لما نزلت الم غلبت الروم في ادنى الارض
وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين وكانت فارس يوم نزلت هذه الاية قاهرين
للروم وكان المسلمين يحبون ظهور الروم عليهم لانهم واياهم اهل كتاب وفي ذلك قول الله
تعالى ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم وكانت قريش
تحب ظهور فارس لانهم واياهم ليسوا باهل كتاب ولا ايمان ببعث فلما انزل الله
تعالى هذه الاية خرج ابو بكر الصديق رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة الم غلبت
الروم في ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين قال ناس من قريش
لابي بكر فذلك بيننا وبينكم زعم صاحبك ان الروم ستغلب فارسا في بضع سنين افلا
نراهنك على ذلك قال بلى وذلك قبل تحريم الرهان فارتهن ابو بكر والمشركون
وتواضعوا الرهان وقالوا لابي بكر كم تجعل البضع ثلاث سنين الى تسع سنين فسم بيننا
وبينك وسطا ننتهي اليه قال فسموا بينهم ست سنين قال فمضت الست سنين قبل
ان يظهروا فاخذ المشركون رهن ابي بكر فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس
فعاب المسلمون على ابي بكر تسميته ست سنين قال لان الله تعالى قال في بضع سنين
قال واسلم عند ذلك ناس كثير قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب صحيح وروى
القشيري وابن عطية وغيرهما انه لما نزلت الايات خرج بها ابو بكر الى المشركين فقال
اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيغلبون في بضع سنين
فقال له ابي بن خلف واخوه امية وقيل ابو سفيان بن حرب يا ابا فصيل يعرضون بكنيته
يا بكر فلنناحبك اي نراهنك في ذلك فراهنهم ابو بكر قال قتادة وذلك قبل ان يحرم
القمار وجعلوا الرهان خمس قلائص والاجل ثلاث سنين وقيل جعلوا الرهان ثلاث
قلائص ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال بئس ما احتطت فان البضع ما بين
الثلاث والتسع والعشر ولكن ارجع فزدهم في الرهان واستزدهم في الاجل ففعل ابو بكر
فجعلوا القلائص مائة والاجل تسع سنين فغلبت الروم في اثناء الاجل وقال الشعبي
فظهروا في تسع سنين القشيري المشهور في الروايات ان ظهور الروم كانت في السابعة
من غلبة فارس للروم ولعل رواية الشعبي تصحيف في السبع الى التسع من بعض
النقلة وفي بعض الروايات انه جعل القلائص سبعة الى تسع سنين ان اخر فتوح كسرى
ابرويز فتح فيه القسطنطينية حتى بنا فيها بيت النار فاخبر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فساءه ذلك فانزل الله تعالى هاتين الايتين وحكى النقاش وغيره ان ابا بكر
الصديق رضي الله عنه لما اراد الهجرة مع النبي صلى الله عليه وسلم تعلق به ابي بن خلف
وقال له اعطني كفيلا بالخطر ان غلبت فكفل به ابنه عبد الرحمن بالكفيل فاعطاه كفيلا
ثم مات ابي بمكة من جرح جرحه النبي صلى الله عليه وسلم وظهرت الروم على فارس يوم
الحديبية على راس تسع سنين من مناحبتهم وقال الشعبي لم تمض تلك المدة حتى غلبت
الروم فارس وربطوا خيلهم بالمداين وبنوا رومية فقمر ابو بكر ابيا واخذ مال الخطر من
ورثته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به فتصدق به وقال المفسرون
ان سبب غلبة الروم فارس امراة كانت في فارس لا تلد الا الملوك والابطال فقال لها

كسرى

كسرى اريد ان استعمل احد بنيك على جيش اجهزه الى الروم فقالت هذا هرمز اروغ من ثعلب
واحذر من صقر وهذا فرخان احد من سنان وهذا شهربراز احلم من كذا فاختر قال
فاخترت الحليم وولاه فسار الى الروم باهل فارس فظهر على الروم قال عكرمة وغيره ان شهربراز
لما غلب الروم خرب ديارها حتى بلغ الخليج فقال اخوه فرخان لقد رايتني جالسا على سرير
كسرى فكتب كسرى الى شهربراز ارسل الي براس فرخان فلم يفعل فكتب كسرى الى فارس اني قد
استعملت عليكم فرخان وعزلت شهربراز وكتب الى فرخان اذا ولي ان يقتل شهربراز فاراد فرخان
قتل شهربراز فاخرج له شهربراز ثلاث صحايف من كسرى يامره بقتل فرخان وراجعته ابدا في امرك ثم تقتلني
انت بكتاب واحد فرد الملك الى اخيه وكتب شهربراز الى قيصر ملك الروم فتعاونا على كسرى
فغلبت الروم فارس ومات كسرى وجا الخبر الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ففرح من
معه من المسلمين فذلك قوله تعالى الم غلبت الروم في ادنى الارض وهي يعني ارض الشام
عكرمة باذرعات وهي ما بين بلاد العرب والشام وقيل ان قيصر كان بعث رجلا يدعى يحنس
وبعث كسرى شهربراز فالتقيا باذرعات وبصرى وهي ادنى بلاد الشام الى ارض العرب
والعجم مجاهد بالجزيرة وهي موضع بين العراق والشام مقاتل بالاردن وفلسطين وادنى
معناه اقرب قال ابن عطية فان كانت الواقعة باذرعات فهي من ادنى الارض بالقياس الى
مكة وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله

• تنورتها من اذرعات واهلها • بيثرب ادنى دارها نظر عالي •

وان كانت الواقعة بالجزيرة فهي ادنى بالقياس الى ارض كسرى فان كانت بالاردن فهي ادنى
الى ارض الروم فلما طرى ذلك وغلبت الروم سر الكفار فبشر الله عباده بان الروم سيغلبون
وتكون الدولة لهم في الحرب وقد مضى الكلام في فواتح السور وقرا ابو سعيد الخدري
وعلي بن ابي طالب ومعاوية بن قرة غلبت بفتح الغين واللام وتاويل ذلك ان الذي
طرا يوم بدر انما كانت الروم غلبت فعز ذلك على كفار قريش وسر بذلك المسلمون فبشر الله
عباده انهم سيغلبون ايضا في بضع سنين ذكر هذا التاويل ابو حاتم قال ابو جعفر النحاس
قراءة اكثر الناس غلبت بضم الغين وكسر اللام وروي عن ابن عمر وابي سعيد انهما قرا غلبت
الروم وقرا سيغلبون وحكى ابو حاتم ان عصمة هذا ضعيف وابو حاتم كثير الحكاية عنه
والحديث يدل على ان القراءة غلبت بضم الغين وكان في هذا الاخبار دليل على نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم لان الروم غلبتها فارس فكان هذا من علم الغيب الذي اخبر الله عز وجل
به مما لم يكن وامر ابا بكر ان يراهنهم على ذلك وان يبالغ في الرهان ثم حرم الرهان بعد ونسخ
بتحريم القمار قال ابن عطية والقراءة بضم الغين اصح واجمع الناس على سيغلبون انه بفتح
اليا يراد به الروم وروي عن ابن عمر انه قرا ايضا بضم اليا في سيغلبون وفي هذه القراءة
قلب للمعنى الذي تظاهرت الروايات به قال ابو جعفر النحاس ومن قرا سيغلبون فالمعنى
عنده وفارس من بعد غلبهم اي من بعد ان غلبوا سيغلبون وروي ان ايقاع الروم بالفرس
كان يوم بدر كما في حديث ابي سعيد الخدري حديث الترمذي وروي ان ذلك كان يوم
الحديبية وان الخبر وصل يوم بيعة الرضوان قاله عكرمة وقتادة قال ابن عطية وفي كلي
اليومين كان نصر من الله تعالى للمومنين وقد ذكر الناس ان سبب سرور المسلمين بغلبة
الروم وهمهم ان تغلب انما هو ان الروم اهل كتاب كالمسلمين فهم من اهل الاوثان كما تقدم
بيانه في الحديث وروى النحاس وقول اخر وهو اولى انه فرحهم انما كان لانجاز وعد الله
جل وعز اذ كان فيه دليل على النبوة لانه اخبر جل وعز بما يكون في بضع سنين فكان
فيه ابن عطية ويشبه ان يعلل ذلك بما يقتضيه النظر من محبة ان يغلب العدو الاصغر
لانه ايسر مونة ومتى غلب الاكبر كثر الخوف منه فتامل هذا المعنى مع ما كان رسول الله صلى
الله عليه وسلم ترجاه من ظهور دينه وشرع الله الذي بعثه به وغلبته على الامم وارادة
كفار مكة ان يرميه الله بملك يستاصله ويريح منهم وقيل سرورهم انما كان بنصر رسول الله
صلى الله عليه وسلم على المشركين لان جبريل اخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
حكاه القشيري قلت ويحتمل ان يكون سرورهم بالمجموع من ذلك فسروا بظهورهم على عدوهم

وبظهور الروم ايضا وبانجاز وعد الله وقرا ابو حيوة الشامي ومحمد بن السميقع من بعد غلبهم سيغلبون بسكون اللام وهما لغتان مثل الضعف والضعف وزعم الفراء ان الاصل من بعد غلبتهم فحذفت التا كما حذفت في قوله عز وجل واقام الصلاة واصله واقامة الصلاة قال النحاس وهذا غلط لا يخيل على كثير من اهل النحو لان اقامة الصلاة مصدر قد حذفت منه لاعتلال فعله فجعلت التا عوضا من المحذوف وغلب ليس بمعتل ولا حذف منه شي وقد حكى الاصمعي طرد طردا وحلب حلبا وغلب غلبا فاي حذف في هذا وهل يجوز ان يقال في الاكل الاكلة وما اشبه هذا قوله في بضع سنين حذفت الها من بضع فرقا بين المذكر والمونث وقد مضى الكلام فيه في يوسف وفتحت النون من سنين لانه جمع مسلم ومن العرب من يقول في بضع سنين كما يقول في غسلين وجاز ان يجمع سنة جمع من يعقل بالواو والنون والياء لانه قد حذف منها شي فجعل هذا الجمع عوضا من النقص الذي في واحده لان اصل سنة سنهة او سنوة وكسرت السين منه دلالة على ان جمعه خارج عن قياسه ونمطه هذا قول البصريين ويلزم الفراء ان يضمها لانه يقول الضمة دليل على الواو وقد حذفت من سنة في احد القولين ولا يضمها احد علمناه قوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اخبر الله تعالى بانفراده بالقدرة وان ما في العالم من غلبة وغيرها انما هي منه وبارادته وقدرته فقال لله الامر اي انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد اي من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقيل من قبل كل شي ومن بعد كل شي ومن قبل ومن بعد ظرفان بنيا على الضم لانهما تعرفا بحذف ما اضيفا اليه وصارا متضمنين ما حذف فخالفا تعريف الاسما واشبها الحروف في التضمين فبنيا وخصا بالضم لشبههما بالمنادى المفرد في انه اذا نكر واضيف زال بناوه وكذلك هما فضما ويقال من قبل ومن بعد على انهما نكرتان وقال الزجاج المعنى من متقدم ومن متاخر ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله تقدم ذكره ينصر من يشا يعني من اوليايه لان نصره مختص بغلبة اوليايه لاعدايه فاما غلبة اعدايه لاوليايه فليس بنصره انما هو ابتلا وقد يسمى ظفرا وهو العزيز في نقمته الرحيم لاهل طاعته قوله تعالى وعد الله لا يخلف الله وعده لان كلامه صدق ولكن اكثر الناس لا يعلمون وهم الكفار وهم اكثر وقيل المراد مشركو مكة وانتصب وعد الله على المصدر اي وعد ذلك وعدا ثم بين تعالى مقدار ما يعلمون فقال يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعني امر معايشهم ودنياهم متى يزرعون ومتى يحصدون وكيف يغرسون قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة وقال الضحاك هو بنيان قصورها وتشقيق انهارها وغرس اشجارها والمعنى واحد وقيل هو ما يلقيه الشيطان اليهم من امور الدنيا عند استراقهم السمع من سماء الدنيا قاله سعيد بن جبير وقيل الظاهر والباطن كما قال في موضع اخر ام بظاهر من القول قلت وقول ابن عباس اشبه بظاهر الحياة الدنيا حتى لقد قال الحسن بلغ والله من علم احدهم بالدنيا انه ينقد الدرهم فيخبرك بوزنه ولا يحسن ان يصلي وقال ابو العباس المبرد قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوايج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة اي عن العلم بها والعمل لها غافلون قال بعضهم

وممن البليتان يرى لك صاحبا • في صورة الرجل السميع المبصر •
فطن بكل مصيبة في ماله • واذا يصاب بدينه لم يشعر •

قوله تعالى اولم يتفكروا في انفسهم ظرف للتفكر وليس بمفعول تعدى اليه يتفكروا بحرف جر لانهم لم يومروا ان يتفكروا في انفسهم انما امروا ان يستعملوا التفكر في خلق السموات والارض وانفسهم حتى يعلموا ان الله لم يخلق السموات والارض وغيرها الا بالحق قال الزجاج في الكلام حذف اي فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق قال الفرا معناه الا للحق يعني الثواب والعقاب وقيل الا لاقامة الحق وقيل بالحق بالعدل وقيل بالحكمة والمعنى متقارب وقيل بالحق اي انه هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته واجل مسمى اي للسموات والارض اجل ينتهيان اليه وهو يوم القيامة وفي هذا

تنبيه

تنبيه على الفنا وعلى ان لكل مخلوق اجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسي وقيل واجل مسمى اي خلق ما خلق في وقت سماه لان يخلق ذلك الشي فيه وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون اللام للتوكيد والتقدير لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتاخير اي لكافرون بالبعث بعد الموت وتقول ان زيدا في الدار لجالس ولو قلت ان زيدا لفي الدار لجالس جاز فان قلت ان زيدا جالس لفي الدار لم يجز لان اللام لا يوتى بها توكيدا للاسم ان وخبرها واذا جيت بهما لم يجز ان تاتي بها وكذا ان قلت ان زيدا لجالس لفي الدار لم يجز قوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا بابصارهم وقلوبهم كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض اي قلبوها للزراعة لان اهل مكة لم يكونوا اصحاب حرث قال الله تعالى تثير الارض وعمروها اكثر مما عمروها اي عمروها اولئك اكثر مما عمرها هولا فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم وجاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات وقيل بالاحكام فكفروا ولم يومنوا فما كان الله ليظلمهم بان اهلكهم من غير ذنب ولا رسل ولا حجة ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالشرك والعصيان قوله تعالى ثم كان عاقبة الذين اساوا السواى ان كذبوا بايات الله اي السو فعلى من السو تانيث الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن وقيل يعني بها هاهنا النار قاله ابن عباس ومعنى اساوا اشركوا دل عليه ان كذبوا بايات الله فالسواى اي اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة ان كذبوا بايات الله فالمعنى اي لان كذبوا قاله الكسايي وقيل بان كذبوا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ثم كان عاقبة الذين بالرفع اسم كان ويجوز ان يكون اسمها التكذيب فيكون التقدير ثم كان التكذيب عاقبة الذين اساوا والسواى يكون السواى مصدرا لاساوا او صفة لمحذوف اي الخلة وروي عن الاعمش انه قرا ثم كان عاقبة الذين اساوا السو ان كذبوا بايات الله وقيل بمحمد والقران قاله الكلبي مقاتل بالعذاب ان ينزل بهم الضحاك بمعجزات محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا بها يستهزون قوله تعالى الله يبدا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون قرا ابو عمرو وابو بكر يرجعون بالياء الباقون بالتاء ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن وقرا ابو عبد الرحمن السلمي يبلس بفتح اللام والمعروف في اللغة ابلس الرجل اذا سكت وانقطعت حجته ولم يومل ان تكون له حجة وقريب منه عبس كما قال العجاج

• يا صاح هل تعرف رسما مكرسا • قال نعم اعرفه وابلسا •

وقد زعم بعض النحويين ان ابليس مشتق من هذا وانه ابلس لانه انقطعت حجته النحاس ولو كان كما قال لوجب ان ينصرف وهو في القران غير منصرف وقال الزجاج المبلس الساكت المنقطع في حجته اليايس من ان يهتدي اليها ولم يكن لهم من شركايهم اي ما عبدوه من دون الله شفعا وكانوا بشركايهم كافرين قالوا ليسوا الهة فتبروا منها وتبرات منهم حسب ما تقدم في غير موضع قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون يعني المومنين من الكافرين ثم بين كيف تفرقهم فقال فاما الذين امنوا قال النحاس سمعت الزجاج يقول معنى اما دع ما كنا فيه وخذ في غيره وكذا قال سيبويه ان معناها مهما يكن من شي فخذ غير ما كنا فيه فهم في روضة يحبرون قال الضحاك الروضة الجنة والرياض الجنان وقال ابو عبيدة الروضة ما كان اسفل فاذا كان مرتفعا فهو ترعة وقال غيره احسن ما تكون الروضة اذا كانت في موضع مرتفع غليظ كما قال الاعشى

• ما روضة من رياض الحزن معشبة • خضرا جاد عليها مسبل هطل •
• يضاحك الشمس منها كوكب شرق • موزر بعميم النبت مكتهل •
• يوما باطيب منها نشر رايحة • ولا باحسن منها اذ دنا الاصل •

الا انه لا يقال لها روضة الا اذا كان فيها نبت فاما اذا لم يكن فيها نبت وكانت مرتفعة فهي ترعة وقد قيل في الترعة غير هذا وقال القشيري والروضة عند العرب ما ينبت حول الغدير من البقول ولم يكن عند العرب احسن منه الجوهري والجمع روض ورياض صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها والروض نحو من نصف القربة وفي الحوض روضة من ماء اذا غطى اسفله وانشد ابو عمرو

• وروضة سقيت منها بضوي •

يحبرون قال الضحاك وبن عباس يكرمون وقيل ينعمون قال مجاهد وقتادة وقيل يسرون السدي يفرحون والحبرة عند العرب السرور والفرح ذكره الماوردي وقال الجوهري والحبر والحبور يقال حبره يحبره بالضم حبرا وحبره قال الله تعالى فهم في روضة يحبرون اي ينعمون ويكرمون ويسرون ورجل محبور يقول من الحبور النحاس وحكى الكساي حبرته اي اكرمته ونعمته وسمعت علي بن سليمان يقول هو مشتق من قولهم على اسنانه حبره اثر فيحبرون يتبين عليهم اثر النعيم والحبر من هذا مشتق قال الشاعر

• لا تملأ الدلو وعرق فيها • اما ترى حبار من يسقيها •

وقيل اصله من التحبير وهو التحسين فيحسنون يحسنون ويقال ايضا فلان حسن الحبر والسبر بالفتح وهذا كانه مصدر قولك حبرته حبرا اذا احسنته والاول احسن منه الحديث يخرج رجل من النار ذهب حبره وسبره وقال يحيى بن ابي كثير في روضة يحبرون قال السماع في الجنة وقاله الاوزاعي قال اذا احد اهل الجنة في السماع لم تبق شجرة في الجنة الا ردت وردت الغنا بالتسبيح والتقديس وقال الاوزاعي ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم زاد غير الاوزاعي ولم تبق شجرة في الجنة الا وردت ولم يبق ستر ولا باب الا ارتج وانفتح ولم تبق حلقة الا طنت بالوان طنينها ولم تبق اجمة من اجام الذهب الا وقع اهبوب الصوت في مقاصبها فزمرت تلك المقاصب بفنون الزمر ولم تبق جارية من جوار الحور العين الا غنت باغانيها والطير بالحانها واوحى الله تعالى الى الملايكة ان جاوبوهم واسمعوا عبادي الذين نزهوا اسماعهم عن مزامير الشياطين فيجاوبون باصوات والحان روحانيين فتختلط هذه الاصوات فتصير رجة واحدة ثم يقول الله جل ذكره يا داود قم عند ساق عرشي فمجدني فيندفع داود بتمجيد ربه بصوت يغمر الاصوات ويجليها ويضاعف اللذة فذلك قوله تعالى فهم في روضة يحبرون ذكره الترمذي الحكيم وذكر الثعلبي رحمه الله من حديث ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يذكر الناس فذكر الجنة وما فيها من الازواج والنعيم وفي اخريات القوم اعرابي فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع فقال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من كل بيضا خمصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلايق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال رجل ابا الدرداء بما يتغنين فقال بالتسبيح والخمصانية المرهفة الاعلى الخمصانية البطن الضخمة الاسفل قلت وهذا كله من النعيم والسرور والاكرام فلا تعارض بين ذلك الاقوال واين هذا من قوله الحق فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين على ما ياتي وقوله عليه السلام فيها ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقد روي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس من فضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا ذكره الزمخشري قوله تعالى واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا تقدم الكلام فيه ولقاء الاخرة اي بالبعث فاولئك في العذاب محضرون اي مقيمون وقيل مجموعون وقيل معذبون وقيل نازلون ومنه قوله تعالى اذا حضر احدكم الموت اي نزل به قاله ابن شجرة والمعنى متقارب قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فسبحان الله الاية فيه ثلاثة اقوال الاول انه خطاب للمومنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الاوقات قال ابن عباس الصلوات الخمس في القران قيل له ابن فقال قال الله تعالى فسبحان الله حين تمسون صلاة المغرب والعشا وحين تصبحون صلاة الفجر وعشا العصر وحين تظهرون الظهر وقاله الضحاك وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا وقتادة ان الاية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والعصر والظهر قالوا والعشا الاخرة هي في اية اخرى في وزلفا من الليل وفي ذكر اوقات العورة وقال النحاس اهل التفسير على ان هذه الاية فسبحان الله حين تمسون

وحين

وحين تصبحون في الصلاة وسمعت علي بن سليمان يقول حقيقته عندي فسبحوا الله في الصلوات لان التسبيح يكون في الصلاة وهو القول الثاني والقول الثالث فسبحوا الله حين تمسون وحين تصبحون ذكره الماوردي وذكر القول الاول ولفظه فيه فصلوا لله حين تمسون وحين تصبحون وفي تسمية الصلاة بالتسبيح وجهان احدهما لما تضمنها من ذكر التسبيح في الركوع والسجود الثاني ماخوذ من السبحة والسبحة الصلاة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم يكون لهم سبحة يوم القيامة اي صلاة النافلة وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بين الكلام بدوب للحمد على نعمه والاية وقيل معنى وله الحمد اي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد والاول اظهر فان الحمد لله من تعظيم نوع الله والحض على عبادته ودوام نعمته فيكون نوعا اخر خلاف الصلاة والله اعلم وبدا بصلاة المغرب لان الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان بدا بصلاة الظهر اذ هي اول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم قال الماوردي وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لان الانسان في النهار متقلبا في احوال توجب الحمد لله عليها وفي الليل على خلوة تنزيه الله من الاسوا فيها فلذلك صار الحمد بالنهار اخص فسميت به صلاة الليل الثالثة قرا عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون فيه يحذف منه تخفيفا والقول فيه كالقول في واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيا وعشيا قال الجوهري العشي والعشية من صلاة المغرب الى العتمة يقال اتيته عشية امس وعشي امس وتصغير العشي عشيان على غير مكبره كانهم صغروا عشيانا والجمع عشيات وقيل في تصغيره عشيشان والجمع عشيشيات وتصغير العشية عشيشية والجمع عشيشيات والعشا بالمد والكسر مثل العشي والعشا ان المغرب والعشا وزعم قوم ان العشا من زوال الشمس الى طلوع الفجر وانشدوا

• غدونا غدوة سحرا بليل • عشا بعد ما انتصف النهار •

الماوردي والفرق بين المسا والعشا ان المسا بدو الظلام بعد المغيب والعشا اخر النهار عند ميل الشمس للمغيب وهو ماخوذ من عشا العين وهو نقص النور من الناظر كنقص نور الشمس قوله يخرج الحي من الميت الاية بين كمال قدرته اي كما احيى الارض باخراج النبات بعد همودها كذلك يحييكم بالبعث وفي هذا دليل على صحة القياس وقد مضى في ال عمران بيان يخرج الحي من الميت قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب اي من علامات ربوبيته ووحدانيته ان خلقكم من تراب اي خلق اباكم منه والفرع كالاصل وقد مضى بيان هذا في الانعام وان في موضع رفع بالابتدا وكذا ان خلق لكم من انفسكم ازواجا ثم اذا انتم بشر تنتشرون ثم انتم عقلا ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر على هذا فهو اهل للعبادة والتسبيح ومعنى خلق لكم من انفسكم ازواجا اي نسا تسكنون اليها من انفسكم اي من نطف الرجال ومن جنسكم وقيل المراد حوا خلقها من ضلع ادم قاله قتادة وجعل بينكم مودة ورحمة قال ابن عباس ومجاهد المودة الجماع والرحمة الولد قاله الحسن وقيل المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم على بعض وقال السدي المودة المحبة والرحمة الشفقة وروي معناه عن ابن عباس قال المودة حب الرجل امراته والرحمة رحمته اياها ان يصيبها بسوء ويقال ان الرجل اصله من الارض وفيه قوة الارض وفيه الفرج الذي منه بدو خلقه يحتاج الى سكن وخلقت المراة سكنا للرجل قال الله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب الاية وقال ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها فاول ارتفاق الرجل المراة سكونه اليها بما فيه من غليان القوة وذلك ان الفرج اذا تحمل فيه هيج ماء الصلب اليه فاليها يسكن وبها يتخلص من الهايج وللرجال خلق البضع منهن قال الله تعالى وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم فاعلم الله عز وجل الرجال ان ذلك الموضع خلق منهن للرجال فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج فان منعته فهي ظالمة وفي حرج عظيم ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو

امراته الي فراشها فتابي عليه الا كان الذي في السما ساخطا عليها حتي يرضي عنها وفي
لفظ اخر اذا باتت المراة هاجرة زوجها لعنتها الملايكة حتي تصبح ومن اياته خلق السموات
والارض تقدم في البقرة وكانوا يعترفون بان الله هو الخالق واختلاف السنتكم والوانكم
اللسان في الفم وفيه اختلاف اللغات ومن العربية والعجمية والتركية والرومية واختلاف
الالوان في الصور من البياض والسواد والحمرة فلا يكاد يري احد الا وانت تفرق بينه
وبين الاخر وليس فعل هذه الاشيا من فعل النطفة ولا من فعل الابوين فلا بد من فاعل
فعلم ان الفاعل هو الله تعالي فهذا من ادل دليل علي المدبر الباري ان في ذلك لايات
للعالمين اي للبر والفاجر وقرا حفص للعالمين بكسر اللام جمع عالم ومن اياته منامكم بالليل
والنهار قيل في هذه الاية تقديم وتاخير والمعني ومن اياته منامكم بالليل وابتغاوكم من
فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطف عليه والواو تقوم مقام حرف
الجر اذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلا علي
الموت والتصرف بالنهار دليلا علي البعث ان في ذلك لايات لقوم يسمعون يريد سماع تفهم
وتدبر وقيل يسمعون الحق فيتبعونه وقيل يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل يسمعون
القران فيصدقونه والمعني متقارب وقيل كان منهم من اذا تلي القران وهو حاضر سد
اذنيه حتي لا يسمع فبين الله عز وجل هذه الدلايل ومن اياته يريكم البرق خوفا وطمعا
قيل المعني ان يريكم فحذف ان لدلالة الكلام عليه قال طرفه
• الا ايها ذا اللايمي احضر الوغي • وان اشهد اللذات هل انت مخلدي •
وقيل هو علي التقديم والتاخير اي ويريكم البرق من اياته وقيل اي ومن اياته يريكم
البرق كما قال الشاعر • وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخري ابتغي العيش اكدح •
وقيل اي من اياته يريكم البرق خوفا وطمعا من اياته قاله الزجاج فيكون عطفا جملة
علي جملة خوفا اي للمسافر وطمعا للمقيم قاله قتادة الضحاك خوفا من الصواعق وطمعا
في الغيث يحيي بن سلام خوفا من البرد ان يهلك الزرع وطمعا في المطر ان يحيي الزرع
ابن بحر خوفا ان يكون البرق برقا خلبا لا يمطر وطمعا ان يكون ممطرا وانشد قول الشاعر
• لا يكن برقك برقا خلبا • ان خير البرق ما الغيث معه • وقال اخر
• فقد ارد المياه بغير زاد • سوي عدي لها برق الغمام •
والبرق الخلب الذي لا غيث فيه كانه خادع ومنه قيل لمن يعد ولم يحقق انما انت
كبرق خلب والخلب ايضا السحاب الذي لا مطر فيه ويقال برق خلب بالاضافة وينزل
من السما ما فيحيي به الارض بعد موتها ان في ذلك لايات لقوم يعقلون تقدم ومن
اياته ان تقوم السما والارض بامره ان في محل رفع كما تقدم اي قيامها واستمساكها بقدرته
بلا عمد وقيل بتدبيره وحكمته اي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل بامره باذنه والمعني
واحد ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا انتم تخرجون اي الذي فعل هذه الاشيا قادر
علي ان يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي
المطاع مدعوه كما قال القايل • دعوت كليبا فكانما دعوت براس الطود او هو اسرع •
يريد براس الطود الصدي او الحجر اذا تدهده وانما عطف هذا علي قيام السموات والارض
ثم لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره علي مثله هو ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا يبقي
نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال ثم نفخ فيه اخري فاذا هم قيام ينظرون
واذا الاولي في قوله تعالي اذا دعاكم للشرط والثانية في قوله اذا انتم للمفاجاة وهي
تنوب مناب الفا في جواب الشرط واجمع القرا علي فتح التا هاهنا في تخرجون واختلفوا
في التي في الاعراف فقرا اهل المدينة ومنها تخرجون بضم التا وقرا اهل العراق بالفتح
واليه يميل ابو عبيد والمعنيان متقاربان الا ان اهل المدينة فرقوا بينهما لنسق الكلام
فنسق الكلام في التي في الاعراف بالضم اشبه اذ كان الموت ليس من فعلهم وكذا الاخراج
والفتح في سورة الروم اشبه بنسق الكلام اي اذا دعاكم خرجتم اي اطعتم فالفعل اشبه
وهذا الخروج انما هو نفخة اسرافيل النفخة الاخرة علي ما تقدم ويأتي وقري يخرجون

بضم

بضم اليا وفتحها ذكره الزمخشري لم يزد علي هذا شيا ولم يذكر ما ذكرناه من الفرق والله اعلم وله
من في السموات والارض خلقا وملكا وعبدا كل له قانتون روي عن ابي سعيد الخدري عن النبي
صلي الله عليه وسلم كل قنوت في القران فهو طاعة قال النحاس مطيعون طاعة انقياد
وقيل قانتون مقرون بالعبودية اما قالة واما دلالة قاله عكرمة وابو مالك والسدي وقال ابن
عباس قانتون مصلون الربيع ابن انس كل له قانتون اي قايم يوم القيامة كما قال يوم يقوم
الناس لرب العالمين اي للحساب الحسن كل له قايم بالشهادة انه عبد له سعيد بن جبير قانتون
مخلصون قوله تعالي وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده اما بدو خلقه فبعلوقه في الرحم
قبل ولادته واما اعادته فاحياوه بعد الموت بالنفخة الثانية للبعث فجعل ما علم من ابتدا خلقه
دليلا علي ما يخفي من اعادته استدلالا بالشاهد علي الغايب ثم اكد ذلك بقوله وهو اهون
عليه وقرا ابن مسعود وابن عمر يبدي الخلق من ابدا يبدي دليله قوله تعالي انه يبدو الخلق
ثم يعيده دليل قراة العامة قوله سبحانه كما بداكم تعودون واهون بمعني هين اي الاعادة
هين عليه قاله الربيع بن خيثم والحسن فاهون بمعني هين لانه ليس اهون علي الله من شي
قاله ابو عبيدة ومن جعل اهون يعبر عن تفضيل شي علي شي فقوله مردود بقوله تعالي
وكان ذلك علي الله يسيرا وبقوله ولا يوده حفظهما والعرب تقول افعل بمعني فاعل ومنه قول
الفرزدق • ان الذي سمك السما بني لنا • بيتا دعايمه اعز واطول •
اي دعايمه عزيزة طويلة وقال اخر • لعمرك ما ادري واني لاوجل • علي اينا تعدو المنية اول •
اراد اني لوجل وانشد ابو عبيدة ايضا • اني لامنحك الصدود وانني • قسما اليك مع الصدود لاميل •
اراد لمايل وانشد احمد بن يحيي • تمني رجال ان اموت وان امت • فتلك سبيل لست فيها باوحد •
اراد بواحد وقال اخر • لعمرك ان الزبرقان لباذل • لمعروفه عند السنين وافضل •
اي وفاضل ومنه قولهم الله اكبر انما معناه الله الكبير وروي معمر عن قتادة قال في قراة
عبد الله بن مسعود وهو عليه هين وقال مجاهد وعكرمة والضحاك ان المعني ان الاعادة
اهون عليه اي علي الله من البداية اي ايسر وان كان جميعه علي الله تعالي هينا وقاله
ابن عباس ووجهه ان هذا مثل ضربه الله تعالي لعباده يقول اعادة الشي علي الخلايق اهون
من ابتدايه فينبغي ان يكون البعث لمن قدر علي البداية عندكم وفيما بينكم اهون عليه من الانشا
وقيل الضمير في عليه للمخلوق وهو اهون عليه اي علي الخلق يصاح بهم صيحة واحدة
فيقومون ويقال لهم كونوا فيكونون فذلك اهون عليه من ان يكونوا نطفا ثم علقا ثم
مضغا ثم اجنة ثم اطفالا ثم غلمانا ثم شبانا ثم رجالا او نسا وقاله ابن عباس وقطرب وقيل
هو اهون اسهل قال • وهان علي اسما ان شطت النوي • يحن اليها واله ويتوق •
اي سهل عليها وقال الربيع بن خيثم في قوله تعالي وهو اهون عليه قال ما شي علي الله
بعزيز عكرمة تعجب الكفار من احيا الله الموتي فنزلت هذه الاية وله المثل الاعلي اي ما اراده
جل وعز كان وقال الخليل المثل الصفة اي وله الوصف الاعلي في السما والارض كما قال
مثل الجنة التي وعد المتقون اي صفتها وقد مضي الكلام في ذلك وعن مجاهد المثل الاعلي
قول لا اله الا الله ومعناه اي الذي له الوصف الاعلي اي الارفع الذي هو الوصف بالوحدانية
وكذا قال قتادة ان المثل الاعلي شهادة ان لا اله الا الله ويعضده قوله عز وجل ضرب
لكم مثلا من انفسكم علي ما نبينه ايضا ان شا الله وقال الزجاج وله المثل الاعلي في السموات
والارض اي قوله وهو اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول
وقال ابن عباس اي ليس كمثله شي وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالي ضرب لكم مثلا
من انفسكم فيه مسيلتان الاولي قوله تعالي من انفسكم ثم قال من شركا ثم قال من ما ملكت
ايمانكم فمن الاولي للابتدا كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شي منكم وهي انفسكم
والثانية للتبعيض والثالثة زايدة لتاكيد الاستفهام والاية نزلت في كفار قريش كانوا
يقولون في التلبية لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك قاله سعيد بن جبير وقال
قتادة هذا مثل ضربه الله تعالي للمشركين والمعني هل يرضي احدكم ان يكون مملوكه في ماله
ونفسه مثله فاذا لم ترضوا لانفسكم بهذا فكيف جعلتم لله شركا الثانية قال بعض العلما

هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك أنه لما قال جل وعز ضرب لكم مثلا من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم الآية فيجب أن يقولوا ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا فيقال لهم فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد الله تعالى فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكا لله تعالى في شيء من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضا بالمال والعمل والقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك قوله تعالى بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم لما قامت الحجة عليهم ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك فمن يهدي من أضل الله أي لا هادي لمن أضله الله تعالى وفي هذا رد على القدرية وما لهم من ناصرين قوله تعالى فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله فيه ثلاث مسائل الأولى قال الزجاج فطرة منصوب بمعنى اتبع فطرة الله قال لأن معنى فأقم وجهك لأن معنى ذلك فطر الله الناس على ذلك فطرة وقيل معنى ذلك اتبعوا دين الله الذي خلق الناس له وعلى هذا القول يكون الوقف على حنيفا تام وعلى القولين الأولين يكون متصلا فلا يوقف على حنيفا وسميت الفطرة دينا لأن الناس يخلقون له قال جل وعز وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ويقال عليها بمعنى لها كقوله تعالى وإن أسأتم فلها والخطاب بأقم وجهك للنبي صلى الله عليه وسلم أمره بإقامة وجهه للدين المستقيم وهو دين الإسلام وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل وحنيفا معناه معتدلا مائلا عن جميع الأديان المحرفة الثابتة في الصحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد إلا يولد على الفطرة وفي رواية على هذه الملة أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ثم يقول أبو هريرة واقرءوا إن شئتم فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله في رواية حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين لفظ مسلم الثانية واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكورة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة منها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما قالوا وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للناس يوما ألا أحدثكم بما حدثني الله في كتابه أن الله خلق آدم وبنيه حنفاء مسلمين وأعطاهم المال حلالا لا حرام فيه فجعلوا مما أعطاهم الله حلالا وحراما الحديث وبقوله صلى الله عليه وسلم خمس من الفطرة فذكر منها قص الشارب وهي من سنن الإسلام وعلى هذا التأويل فيكون معنى الحديث أن الطفل خلق سليما من الكفر على الميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم حين أخرجهم من صلبه وأنهم إذا ماتوا قبل أن يدركوا في الجنة أولاد مسلمين كانوا أو أولاد كفار وقال آخرون الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله تعالى عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ قالوا والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر المبتدئ واحتجوا بما روي عن ابن عباس أنه قال لم أكن أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها أي ابتدأتها قال المروزي كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه قال أبو عمر في كتاب التمهيد له ما رسمه مالك في موطئه وذكر في أبواب القدر فيه من الآثار يدل على أن مذهبه في ذلك نحو هذا والله أعلم ومما احتج به ما روي عن كعب القرظي في قوله تعالى فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة قال

من

قال من ابتدأ الله خلقه للضلالة صيره إلى الضلالة وإن عمل بأعمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه على الهدى صيره إلى الهدى وإن عمل بعمل الضلالة ابتدأ الله خلق إبليس على الضلالة وعمل بأعمال السعادة مع الملائكة ثم رده الله إلى ما ابتدأ عليه خلقه قال وكان من الكافرين قلت وقد مضى قول كعب هذا في الأعراف وجاء معناه مرفوعا عن ابن عباس من حديث عائشة رضي الله عنها قالت دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنازة غلام من الأنصار فقلت يا رسول الله طوبى لهذا عصفور من عصافير الجنة لم يعمل الشر ولم يدركه قال أو غير ذلك يا عائشة إن الله تعالى خلق للجنة أهلا خلقهم وهم في أصلاب آبائهم وخلق النار وخلق لها أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم خرجه ابن ماجه في السنن وخرج أبو عيسى الترمذي عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده كتابان فقال أتدرون ما هذان الكتابان فقلنا لا يا رسول الله إلا أن تخبرنا فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا ثم قال للذي في شماله هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا وذكر الحديث وقال فيه حديث حسن وقالت فرقة ليس المراد بقوله تعالى الناس وقوله عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة العموم وإنما المراد بالناس المؤمنون إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد وقد ثبت أنه خلق أقواما للنار كما قال تعالى ولقد ذرأنا لجهنم وأخرج الذرية من صلب آدم سوداء وبيضاء وقال في الغلام الذي قتله الخضر طبع يوم طبع كافرا وروى أبو سعيد الخدري قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر بنهار وفيه وكان فيما حفظنا أنه قال ألا إن بني آدم خلقوا طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمنا ويحيى مؤمنا ويموت مؤمنا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا ومنهم من يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت مؤمنا ومنهم حسن القضاء حسن الطلب ذكره حماد بن زيد كذا قال مسلمة في مسند الطيالسي ثنا علي بن زيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد قالوا والعموم بمعنى الخصوص كثير في لسان العرب ألا ترى إلى قوله عز وجل تدمر كل شيء بأمر ربها ولم تدمر السموات والأرض وقوله فتحنا عليهم أبواب كل شيء ولم تفتح عليهم أبواب الرحمة وقال إسحاق بن راهويه الحنظلي تم الكلام عند قوله فأقم وجهك للدين حنيفا ثم قال فطرة الله أي فطر الله الخلق فطرة إما لجنة أو نار وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم في قوله كل مولود يولد على الفطرة ولهذا قال لا تبديل لخلق الله قال شيخنا أبو العباس من قال هي سابقة السعادة والشقاوة فهذا إنما يليق بالفطرة المذكورة في القرآن لأن الله تعالى قال لا تبديل لخلق الله وأما في الحديث فلا لأنه قد أخبر في بقية الحديث بأنها تبدل وتغير وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكأنه قال كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته واحتجوا على أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق بقول الله عز وجل الحمد لله فاطر السموات والأرض يعني خالقهن وبقوله تعالى وما لي لا أعبد الذي فطرني يعني خلقني وبقوله الذي فطرهن يعني خلقهن قالوا فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قالوا وإنما المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعا وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء يعني سالمة هل تحسون فيها من جدعاء يعني مقطوعة الأذن فمثل قلوب بني آدم بالبهائم لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها فيقال هذه بحائر وهذه سوائب يقول فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم السائمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم وعصم الله أقلهم قالوا ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أوليتهم ما انتقلوا عنه أبدا وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون قالوا ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل حين ولادته يعقل كفرا أو إيمانا لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئا قال الله تعالى والله أخرجكم

اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا نفى لا يعلم شيئا استحال منه كفر او ايمان او معرفة
او انكار قال ابو عمر ابن عبد البر هذا اصح ما قيل في معنى الفطرة الذي يولد الناس عليها
ومن الحجة ايضا هذا في قوله تعالى انما تجزون ما كنتم تعملون وكل نفس بما كسبت رهينة ومن
لم يبلغ وقت العمل لم يرتهن بشي وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ولما اجمعوا على
دفع القود والقصاص والحدود والاثام عنهم في دار الدنيا كانت الاخرة اولى بذلك
والله اعلم ويستحيل ان تكون الفطرة المذكورة كل الاسلام كما قال ابن شهاب لان الاسلام والايمان
قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح وهذا معدوم من الطفل لا يجهل ذلك ذو
عقل واما قول الاوزاعي سالت الزهري عن رجل عليه رقبة ايجزي عنه الصبي ان يعتقه
وهو رضيع قال نعم لانه ولد على الفطرة يعني الاسلام فانما اجزى عتقه عند من اجازه
لان حكمه حكم ابويه وخالفهم اخرون فقالوا لا يجزي في الرقاب الواجبة الا من صام وصلى
وليس في قوله تعالى كما بداكم تعودون ولا في ان يختم الله للعبد بما قضاه له وقدره عليه
دليل على ان الطفل يولد حين يولد مومنا او كافرا لما شهدت له العقول انه في ذلك الوقت ليس ممن
يعقل ايمانا ولا كفرا والحديث الذي جاء فيه ان الناس خلقوا على طبقات ليس من الاحاديث
الذي لا مطعن فيها لانه انفرد به علي ابن زيد بن جدعان وقد كان شعبة يتكلم فيه
على انه يحتمل قوله يولد مومنا اي يولد ليكون مومنا ويولد ليكون كافرا على سابق علم
الله فيه وليس في قوله في الحديث خلقت هولاء للجنة وخلقت هولاء للنار اكثر من مراعاة
ما يختم به لهم لا انهم في حين طفوليتهم ممن يستحق جنة او نارا او يعقل كفرا او ايمانا قلت والى
ما اختاره ابو عمر واحتج له ذهب غير واحد من المحققين منهم ابن عطية في تفسيره في معنى
الفطرة وشيخنا ابو العباس قال ابن عطية والذي يعتمد عليه في تفسير هذه اللفظة
انها الخلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة ومهياة لان يميز بها مصنوعات
الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويومن به فكانه تعالى قال اقم وجهك
للدين الذي هو الحنيف وهو فطرة الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض
ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه
وذكر الابوين انما هو مثال للعوارض التي هي كثيرة وقال شيخنا في عبارته ان الله خلق
قلوب بني ادم موهلة لقبول الحق كما خلق اعينهم واسماعهم قابلة للمرئيات والمسموعات
فما دامت باقية على ذلك القبول وعلى تلك الاهلية ادركت الحق ودين الاسلام هو
الدين الحق وقد دل على صحة هذا المعنى قوله كما تنتج البهيمة بهيمة جمعا هل تحسون
فيها من جدعا يعني ان البهيمة تلد ولدها كامل الخلقة سليما من الافات فلو ترك
على اصل تلك الخلقة لبقي كاملا بريا من العيوب لكن يتصرف فيه فيجدع انفه ويوسم
وجهه فيطرا عليه الافات والنقايص فيخرج عن الاصل وكذلك الانسان وهو تشبيه
واقع ووجهه واضح قلت وهذا القول مع القول الاول موافق له في المعنى وان ذلك
بعد الادراك حين عقلوا امر الدنيا وتاكدت حجة الله عليهم بما نصبت من الايات
الظاهرة من خلق السموات والارض والشمس والقمر والبر والبحر واختلاف الليل والنهار
فلما عملت اهواوهم فيهم اتتهم الشياطين فدعتهم الى اليهودية والنصرانية فذهبت
باهوائهم يمينا وشمالا وانهم ان ماتوا صغارا فهم في الجنة اعني جميع الاطفال لان الله
تعالى لما اخرج ذرية ادم من صلبه في صورة الذر اقروا له بالربوبية وهو قوله
تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم
قالوا بلى شهدنا ثم اعادهم في صلب ادم بعد ان اقروا له بالربوبية وانه الله لا اله
غيره ثم يكتب العبد في بطن امه شقيا او سعيدا على الكتاب الاول فمن كان في الكتاب
الاول شقيا عمر حتى يجري عليه القلم فينقض الميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم
بالشرك ومن كان في الكتاب الاول سعيدا عمر حتى يجري عليه القلم فيصير سعيدا ومن
مات صغيرا من اولاد المسلمين قبل ان يجري عليه القلم فهو مع ابائهم في الجنة ومن كان
من اولاد المشركين فمات قبل ان يجري عليه القلم فليس يكونون مع ابائهم لانهم ماتوا على

الميثاق

الميثاق الاول الذي اخذ عليهم في صلب ادم ولم ينقض الميثاق ذهب الى هذا جماعة من اهل
التاويل وهو يجمع بين الاحاديث ويكون معنى قوله عليه السلام لما سيل عن اولاد المشركين
فقال الله اعلم بما كانوا عاملين يعني لو بلغوا ودل على هذا التاويل ايضا حديث البخاري
عن سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم الحديث الطويل حديث الرويا وفيه قوله صلى
الله عليه وسلم واما الرجل الطويل الذي في الروضة فهو ابراهيم عليه السلام واما الولدان
حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيل يا رسول الله واولاد المشركين وهذا نص يرفع
الخلاف وهو اصح شي روي في هذا الباب وغيره من الاحاديث فيها علل وليست من احاديث
الايمة الفقها قاله ابو عمر ابن عبد البر وقد روي من حديث انس قال سيل رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن اولاد المشركين فقال لم تكن لهم حسنات فيجزوا بها فيكونوا من ملوك
الجنة ولم تكن لهم سيات فيعاقبوا عليها فيكونوا من اهل النار فهم خدم لاهل الجنة ذكره يحيى
ابن سلام في التفسير له وقد زدنا هذه المسالة بيانا في كتاب التذكرة وذكرنا في كتاب
المقتبس في شرح موطا مالك بن انس ما ذكره ابو عمر ابن عبد البر في ذلك والحمد لله وذكر
اسحاق بن راهويه قال ثنا يحيى بن ادم قال انا جرير بن حازم عن ابي رجا العطاردي
قال سمعت ابن عباس يقول لا يزال امر هذه الامة مواتيا او متقاربا او كلمة تشبه هاتين
حتى يتكلموا او ينظروا في الاطفال والقدر قال يحيى بن ادم فذكرته لابن المبارك فقال
ايسكت الانسان على الجهل قلت فتامر بالكلام قال فسكت وقال ابو بكر الوراق فطرة الله
التي فطر الناس عليها هي الفقر والفاقة وهذا حسن فانه منذ ولد الى حين يموت فقير
محتاج نعم وفي الاخرة قوله تعالى لا تبديل لخلق الله اي هذه الفطرة لا تبديل لها
من جهة الخالق ولا يجي الامر على خلاف هذا بوجه اي لا يشقى من خلقه سعيدا ولا
يسعد من خلقه شقيا وقال مجاهد المعنى لا تبديل لدين الله وقاله قتادة وابن جبير
والضحاك وابن زيد والنخعي قالوا هذا معناه في المعتقدات وقال عكرمة وروي عن ابن
عباس وعمر ابن الخطاب ان المعنى لا تغيير لخلق الله من البهايم ان تخصى فحولها فيكون
معناه النهي عن خصي الفحول من الحيوان وقد مضى هذا في النسا ذلك الدين القيم اي
ذلك القضاء المستقيم قاله ابن عباس وقال مقاتل ذلك الحساب البين وقيل ذلك الدين
القيم دين الاسلام هو الدين القيم المستقيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون اي لا يتفكرون
فيعلمون ان لهم خالقا معبودا والها قديما سبق قضاوه ونفذ حكمه قوله تعالى منيبين
اليه اختلف في معناه فقيل راجعين اليه بالتوبة والاخلاص وقال يحيى بن سلام والفرا
مقبلين اليه وقال عبد الرحمن بن زيد مطيعين له وقيل تائبين اليه ومنه قول قيس
ابن الاسلت . فان تابوا فان بني سليم . وقومهم هوازن قد انابوا .
والمعنى واحد فان تاب وتاب واناب معناه الرجوع وقال الماوردي وفي اصل الانابة
قولان احدهما ان اصله القطع ومنه اخذ اسم الناب لانه قاطع فكانت الانابة هي الانقطاع
الى الله عز وجل بالطاعة الثاني اصله الرجوع مع ناب ينوب اذا رجع مرة بعد اخرى
ومنه النوبة لانها الرجوع الى عادة الجوهري واناب الى الله اقبل وتاب والنوبة واحدة
النوب تقول جاءتك نوبتك ونيابتك وهم يتناوبون النوبة فيما بينهم في الما وغيره
وانتصب على الحال قال محمد بن يزيد لان معنى اقم وجهك فاقيموا وجوهكم منيبين
وقال الفرا المعنى فاقم وجهك ومن معك منيبين وقيل انتصب على القطع اي فاقم
وجهك انت وامتك المنيبين اليه لان الامر له امر لامته فحسن ان يقول منيبين اليه
وقد قال الله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتم النسا واتقوه اي خافوه وامتثلوا ما امركم
به واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين وقد مضى هذا مبينا في النسا والكهف
وغيرها من الذين فرقوا دينهم تاوله ابو هريرة وعايشة وابو امامة انه لاهل القبلة
من اهل الاهواء والبدع وقد مضى في الانعام بيانه وقال الربيع بن انس الذين
فرقوا دينهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى وقاله قتادة ومعمر وقرا حمزة والكسايي
فارقوا دينهم وقد قرا بذلك علي بن ابي طالب فارقوا دينهم الذي يجب اتباعه وهو

التوحيد وكانوا شيعا اي فرقا قاله الكلبي وقيل اديانا قاله مقاتل كل حزب بما لديهم
فرحون اي مسرورون معجبون لانهم لم يتبينوا الحق وعليهم ان يتبينوه وقيل كان هذا
قبل ان ينزل الفرايض وقول ثالث ان العاصي لله عز وجل قد يكون فرحا بمعصيته
وقد كان السلطان وقطاع الطريق والله اعلم وزعم الفرا انه يجوز ان يكون التمام ولا
تكونوا من المشركين ويكون المعنى من الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعا على الاستيناف وانه
يجوز ان يكون متصلا بما قبله النحاس واذا كان بما قبله فهو عند البصريين على البدل
باعادة الحرف كما قال جل وعز وقال الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن امن منهم
ولو كان بلا حرف لجاز قوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة دعوا
ربهم يدعون ان يرفع ذلك عنهم منيبين اليه قال ابن عباس مقبلين عليه بكل قلوبهم
لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب عجب نبيه من المشركين في ترك الانابة الى الله
تعالى مع تتابع الحجج عليهم اي اذا مس هولاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم اي
استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الاصنام لعلمهم بانه لا فرج
عندها ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي عافية ونعمة اذا فريق منهم بربهم يشركون اي يشركون
به في العبادة قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم قيل هي لام كي وقيل هي لام امر فيه
معنى التهديد كما قال جل وعز فمن شا فليومن ومن شا فليكفر فتمتعوا فسوف تعلمون
تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله وليتمتعوا اي مكناهم من ذلك لكي يتمتعوا فهو
اخبار عن غايب مثل ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب بعد الاخبار عن غايب
اي تمتعوا ايها الفاعلون لهذا قوله تعالى ام انزلنا عليهم سلطانا استفهام فيه
معنى التوقيف قال الضحاك سلطانا اي كتابا وقاله قتادة والربيع بن انس
واضاف الكلام الى الكتاب توسعا وزعم الفرا ان العرب تونث السلطان تقول قضت
به عليك السلطان فاما البصريون فالتذكير عندهم افصح وبه جا القران والتانيث
عندهم جايز لانه بمعنى الحجة اي حجة تنطق بشرككم قاله ابن عباس والضحاك ايضا
وقال علي بن سليمان عن ابي العباس محمد بن يزيد قال سلطان جمع سليط مثل
رغيف ورغفان فتذكيره على معنى الجمع وتانيثه على معنى الجماعة وقد مضى في ال
عمران الكلام في السلطان ايضا مستوفى والسلطان ما يدفع به الانسان عن نفسه
امرا يستوجب به عقوبة كما قال او لياتيني بسلطان مبين قوله تعالى
واذا اذقنا الناس رحمة فرحوا بها يعني الخصب والسعة والعافية قاله يحيى بن سلام
النقاش النعمة والمطر وقيل الامن والدعة والمعنى متقارب فرحوا بها اي بالرحمة
وان تصبهم سيئة اي بلا وعقوبة قاله مجاهد السدي قحط المطر بما قدمت ايديهم اي
بما عملوا من المعاصي اذا هم يقنطون اي ييسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال
الحسن ان القنوط ترك فرايض الله سبحانه في السر قنط يقنط وهي قراة العامة وقنط
يقنط وهي قراة ابي عمرو والكسائي ويعقوب وقرا الاعمش قنط يقنط بالكسر فيهما
مثل حسب يحسب والاية صفة للكافر يقنط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قال

كحمار السوء ان اعلفته * رمح الناس وان جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الايمان في قلبه بهذه المثابة وقد مضى في غير موضع فاما المومن
فيشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة قوله تعالى اولم يروا ان الله يبسط
الرزق لمن يشا ويقدر اي يوسع الخير في الدنيا لمن يشا ويضيق فلا يجب ان يدعوهم
الفقر الى القنوط ان في ذلك لايات لقوم يومنون قوله تعالى فات ذا القربى
حقه فيه ثلاث مسايل الاولى لما تقدم انه سبحانه يبسط الرزق ويقدر امر من
وسع عليه الرزق ان يوصل الى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم والمراد هو وامته لانه قال ذلك خير للذين يريدون وامر باعطا ذي القربى
لقرب رحمه وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول
الله صلى الله عليه وسلم الصدقة على الاقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة

وقد

وقد اعتقت وليدة اما انك لو اعطيتها اخوالك كان اعظم لاجرك الثانية واختلف في هذه
الاية فقيل هي منسوخة باية المواريث وقيل لا نسخ بل للقريب حق لازم في البر على كل
حال وهو الصحيح قال مجاهد وقتادة صلة الرحم فرض من الله عز وجل حتى قال
مجاهد لا تقبل الصدقة من احد ورحمه محتاجة وقيل المراد بالقربى اقربا النبي صلى الله
عليه وسلم والاول اصح فان حقهم مبين في كتاب الله عز وجل في قوله فان لله خمسه
وللرسول ولذي القربى وقيل ان الامر بالايتا لذي القربى على جهة الندب قال الحسن
حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر والمسكين قال ابن عباس اي اطعم السايل
الطواف وابن السبيل الضيف فجعل الضيافة فرضا وقد مضى جميع هذا مبسوطا مبينا
في مواضعه والحمد لله الثالثة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي اعطا الحق افضل
من الامساك اذا اريد بذلك وجه الله والتقرب اليه واوليك هم المفلحون اي الفايزون
بمطلوبهم من الثواب في الاخرة وقد تقدم في البقرة القول فيه قوله تعالى وما اتيتم من
ربا ليربوا في اموال الناس فيه اربع مسايل الاولى لما ذكر ما يراد به وجهه ويثيب عليه ذكر
غير ذلك من الصفة وما يراد به ايضا وجهه وقرا الجمهور اتيتم بالمد بمعنى اعطيتم وقرا ابن كثير
ومجاهد وحميد بغير مد بمعنى ما فعلتم من ربا كما تقول اتيت صوابا واتيت خطا واجمعوا
على المد في قوله وما اتيتم من زكاة فالربا الزيادة وقد مضى في البقرة معناه وهو هناك
محرم وها هنا حلال وثبت بهذا انه قسمان منه حلال ومنه حرام قال عكرمة في قوله وما اتيتم
من ربا ليربوا في اموال الناس قال الربا ربوان ربا حلال وربا حرام فاما الربا الحلال فهو
الذي يهدى يلتمس ما هو افضل منه وعن الضحاك في هذه الاية هو الربا الحلال الذي
يهدى ليثاب افضل منه لا له ولا عليه ليس له فيه اجر وليس عليه فيه اثم وكذلك قال
ابن عباس قال وما اتيتم من ربا يريد هدية الرجل الشي يرجو ان يثاب افضل منه
فذلك الذي لا يربوا عند الله ولا يوجر صاحبه ولكن لا اثم عليه وفي هذا المعنى نزلت
الاية قال ابن عباس وابن جبير وطاوس ومجاهد هذه اية نزلت في هبة الثواب
قال ابن عطية وما جرى مجراها مما يصنعه الانسان ليجازى عليه كالسلام وغيره فهو
وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وقاله القاضي ابو بكر بن العربي
وفي كتاب النساي عن عبد الرحمن بن علقمة قال قدم وفد ثقيف على رسول الله صلى
الله عليه وسلم ومعهم هدية وصدقة فان كانت هدية فانما يبتغى بها وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقضا الحاجة وان كانت صدقة فانما يبتغى بها وجه الله قالوا بل هدية
فقبلها منهم وقعد معهم يسايلهم ويسايلونه وقال ابن عباس ايضا وابراهيم النخعي نزلت
في قوم يعطون قراباتهم واخوانهم على معنى نفعهم وتمويلهم والتفضل عليهم وليزيدوا في
اموالهم على وجه النفع لهم وقال الشعبي معنى الاية ان ما خدم الانسان به احدا وخف
له لينتفع في دنياه فان ذلك النفع الذي يجزى به الخدمة لا يربوا عند الله وقيل هذا
كان حراما على النبي صلى الله عليه وسلم على الخصوص قال الله تعالى ولا تمنن تستكثر
فنهي ان يعطي شيا فياخذ اكثر منه عوضا وقيل انه الربا المحرم فمعنى لا يربوا عند الله على
هذا القول لا يحكم به لاخذه بل هو ماخوذ منه قال السدي نزلت هذه الاية في ربا
ثقيف لانهم كانوا يعملون بالربا وتعمله فيهم قريش الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي
صريح الاية فيمن يهب يطلب الزيادة من اموال الناس في المكافاة قال المهلب
اختلف العلما فيمن وهب هبة يطلب ثوابها وقال انما اردت الثواب فقال مالك ينظر
فيه فان كان مثله ممن يطلب الثواب من الموهوب له فله ذلك مثل هبة الفقير للغني
وهبة الخادم لصاحبه وهبة الرجل لاميره ومن فوقه وهو احد قولي الشافعي وقال
ابو حنيفة لا يكون له ثواب اذا لم يشترط وهو قول الشافعي الاخر قال والهبة للثواب
باطل لا ينفعه لانها بيع بثمن مجهول واحتج الكوفي بان موضوع الهبة التبرع فلو اوجبنا
فيه العوض لبطل معنى التبرع وصارت في معنى المعاوضات والعرب قد فرقت بين لفظ
البيع ولفظ الهبة فجعلت لفظ البيع على ما يستحق فيه العوض والهبة بخلاف ذلك ودليلنا

ما رواه مالك في موطاه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال ايما رجل وهب هبة يرى
انه للثواب فهو على هبته حتى يرضى منها ونحوه عن علي رضي الله عنه قال المواهب ثلاثة
موهبة يراد بها وجه الله وموهبة يراد بها وجوه الناس وموهبة يراد بها الثواب يرجع بها
صاحبها اذا لم يثب منها وترجم البخاري رحمه الله والله اعلم باب المكافاة
في الهبة وساق حديث قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب
عليها واثاب على لقحة ولم ينكر على صاحبها حين انكر الثواب وانما انكر سخطه للثواب
وكان زايدا على القيمة خرجه الترمذي الثالثة ما ذكره علي رضي الله عنه وتفصله من
الهبة صحيح وذلك ان الواهب لا يخلو في هبته من ثلاثة احوال احدها ان يريد بها
وجه الله تعالى ويبتغي عليها الثواب منه والثاني ان يريد بها وجوه الناس رياء ليحمدوه
عليها ويثنوا عليه من اجلها والثالث ان يريد بها الثواب من الموهوب له وقد مضى
الكلام فيه وقال صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات وانما لكل امرء ما نوى فاما اذا
اراد بهبته وجه الله تعالى وابتغى عليه الثواب من عنده فله ذلك عند الله بفضله
ورحمته قال الله عز وجل وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون
وكذلك من يصل قرابته ليكون غنيا حتى لا يكون كلا فالنية في ذلك متبوعة فان كان
ليتظاهر بذلك دينا فليس لوجه الله وان كان لما عليه من حق القرابة وبينهما من
شجنة الرحم فانه لوجه الله واما من اراد بهبته وجوه الناس رياء ليحمدوه عليها ويثنوا
عليه من اجلها فلا منفعة له في هبته لا ثواب في الدنيا ولا اجر في الاخرة قال الله
عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رياء
الناس واما من اراد بهبته الثواب من الموهوب له فله ما اراد بهبته وله ان يرجع
فيها ما لم يثب بقيمتها على مذهب ابن القاسم او ما لم يرض منها بازيد من قيمتها وعلى ظاهر
قول عمر وعلي وهو قول مطرف في الواضحة ان الهبة ما كانت قايمة العين وان زادت
او نقصت فللواهب الرجوع فيها وان اثابه الموهوب فيها اكثر منها وقد قيل انها
اذا كانت قايمة العين لم تتغير فانه ياخذ ما شاء وقيل تلزمه القيمة كنكاح التفويض
واما اذا كان بعد فوت الهبة فليس له الا القيمة اتفاقا قاله ابن العربي الرابعة
ليربوا قرا جمهور القراء السبعة ليربوا بالياء واسناد الفعل الى الربا وقرا نافع وحده بضم
التاء ساكنة بمعنى المخاطبة بمعنى تكونوا ذوي زيادات وهذه قراءة ابن عباس والحسن
وقتادة والشعبي قال ابو حاتم هي قراءتنا وقرا مالك ليربوها بضمير مونث فلا يربوا
عند الله اي فلا يزكوا ولا يثيب عليه لانه لا يقبل الا ما اريد به وجهه وكان خالصا
له وقد تقدم في النساء وما اتيتم من زكاة قال ابن عباس اي من صدقة تريدون
وجه الله فاولئك هم المضعفون اي ذلك الذي يقبله ويضاعفه له عشرة اضعافه
او اكثر قال من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة وقال
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة
وقال فاولئك هم المضعفون ولم يقل فانتم المضعفون لانه رجع من المخاطبة الى
الغيبة مثل قوله حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وفي معنى المضعفين قولان
احدهما يضاعف لهم الحسنات كما ذكرنا والاخر انهم قد اضعف لهم الخير والنعيم
اي هم اصحاب اضعاف كما يقال فلان مقو اذا كانت له ابل قوية او له اصحاب اقويا
ومسمن اذا كانت ابله سمانا ومعطش اذا كانت ابله عطاشا ومضعف اذا كانت ابله
ضعيفة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من الخبيث المخبث الشيطان
الرجيم فالمخبث الذي اصحابه خبثاء ويقال فلان ردي اي هو ردي في نفسه
ومردي اصحابه اردياء قوله تعالى الله الذي خلقكم ابتداء وخبره وعاد الكلام
الى الاحتجاج على المشركين وانه الخالق الرازق المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام
هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء لا يفعل ثم نزه نفسه عن الانداد والاضداد
والصاحبة والاولاد بقوله سبحانه وتعالى عما يشركون واضاف الشركاء اليهم لانهم

كانوا

كانوا يسمونهم بالالهة والشركاء ويجعلون لهم من اموالهم قوله تعالى ظهر الفساد في البر
والبحر اختلف في معنى الفساد والبر والبحر فقال قتادة والسدي الفساد الشرك وهو اعظم
الفساد وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد فساد البر قتل ابن ادم اخاه قابيل قتل هابيل
وفي البحر بالملك الذي كان ياخذ كل سفينة غصبا وقيل الفساد القحط وقلة النبات وذهاب
البركة ونحوه قال ابن عباس هو نقصان البركة باعمال العباد كي يتوبوا قال النحاس وهو
احسن ما قيل في الاية وعنه ايضا ان الفساد في البحر انقطاع صيده بذنوب بني ادم قال
ابن عطية فاذا قل المطر قل الغوص عنده واخفق الصيادون وعميت دواب البحر وقال
ابن عباس اذا مطرت السماء تفتحت الاصداف في البحر فما وقع فيها من السماء فهو لولو وقيل
الفساد كساد الاسعار وقلة المعاش وقيل الفساد المعاصي وقطع السبيل والظلم اي صار
هذا العمل مانعا من الزرع والعمارات والتجارات والمعنى كله متقارب والبر والبحر هما
المعروفان المشهوران في اللغة وعند الناس لا ما قاله بعض العباد ان البر اللسان والبحر
القلب لظهور ما على اللسان وخفاء ما في القلب وقيل البر الفيافي والبحر القرى قاله
عكرمة والعرب تسمي الامصار البحار وقال قتادة البر اهل العمود والبحر اهل القرى
والريف وقال ابن عباس ان البر ما كان من المدن والقرى على غير نهر والبحر ما كان على
شط نهر قال اما والله ما هو بحركم هذا ولكن كل قرية على ماء جار فهي بحر وقال معناه النحاس
قال في معناه قولان احدهما ظهر الجدب في البر اي في البوادي وقراها وفي البحر اي في
مدن البحر مثل واسال القرية اي ظهر قلة الغيث وغلاء السعر بما كسبت ايدي الناس ليذيقهم
عقاب بعض الذي عملوا ثم حذف والقول الاخر انه ظهرت المعاصي من قطع السبيل والظلم
فهذا هو الفساد على الحقيقة والاول مجاز الا انه على الجواب الثاني فيكون في الكلام
حذف واختصار ودل عليه ما بعده ويكون المعنى ظهرت المعاصي في البر والبحر فحبس الله
عنهما الغيث واغلى سعرهم ليذيقهم عقاب بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون لعلهم يتوبون
وقال بعض الذي عملوا لان معظم الجزاء في الاخرة والقراءة ليذيقهم بالياء وقرا ابن عباس
بالنون وهي قراءة السلمي وابن محيصن وقنبل ويعقوب على التعظيم اي نذيقهم عقوبة بعض
ما عملوا قوله تعالى قل سيروا في الارض اي قل لهم يا محمد سيروا في الارض ليعتبروا
بمن قبلهم وينظروا كيف كان عاقبة من كذب الرسل كان اكثرهم مشركين اي كافرين
فاهلكوا قوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم قال الزجاج اي اقم قصدك واجعل جهتك
اتباع الدين القيم يعني الاسلام وقيل المعنى اوضح الحق وبالغ في الاعذار واشتغل
بما انت فيه ولا تحزن عليهم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله اي لا يرده الله عنهم فاذا لم
يرده لم يتهيا لاحد دفعه ويجوز عند سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد الا ان
يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة يومئذ يصدعون قال ابن عباس معناه
يتفرقون وقال الشاعر * وكنا كندماني جذيمة حقبة * من الدهر حتى قيل لن يتصدعا *
اي لن يتفرقا نظيره قوله يومئذ يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير والاصل
يتصدعون ويقال تصدع القوم اذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لانه يفرق شعب
الراس قوله تعالى من كفر فعليه كفره اي جزاء كفره ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون لانفسهم في الاخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه مهد الصبي والمهاد
الفراش وقد مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها وتمهيد
العذر بسطه وقبوله والتمهيد التمكن وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد فلانفسهم يمهدون
قال في القبر قوله تعالى ليجزي الذين امنوا اي يمهدون لانفسهم ليجزيهم الله من
فضله وقيل يصدعون ليجزيهم الله اي ليميز الكافر من المسلم انه لا يحب الكافرين ومن
اياته ان يرسل الرياح مبشرات اي ومن اعلام كمال قدرته ارسال الرياح مبشرات اي بالمطر
لانها تتقدمه وقد مضى في الحجر بيانه وليذيقكم من رحمته يعني الغيث والخصب ولتجري
الفلك اي في البحر عند هبوبها وانما زاد بامره لان الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا
بد من ارساء السفن والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها بامره ولتبتغوا من فضله

يعني الرزق بالتجارة ولعلكم تشكرون هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى هذا كله مبينا قوله تعالى ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات اي بالمعجزات والحجج النيرات فانتقمنا اي فكفروا فانتقمنا من كفر وكان حقا علينا نصر المؤمنين حقا خبر كان ونصر اسمها وكان ابو بكر يقف على حقا اي وكان عقابنا حقا ثم قال علينا نصر المؤمنين ابتدا وخبر اي اخبرنا به ولا خلف في خبرنا وروي من حديث ابي الدرداء قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من مسلم يذب عن عرض اخيه الا كان حقا على الله تعالى ان يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا وكان حقا علينا نصر المؤمنين ذكره النحاس والثعلبي والزمخشري وغيرهم قوله تعالى الله الذي يرسل الرياح قرا ابن محيصن وابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالتوحيد والباقون بالجمع قال ابو عمرو وكل ما كان بمعنى الرحمة فهو جمع وما كان بمعنى العذاب فهو موحد وقد مضى في البقرة معنى هذه الاية وفي غيرها كسفا جمع كسفة وهي القطعة وفي قراءة الحسن وابي جعفر وعبد الرحمن الاعرج وابن عامر كسفا باسكان السين وهي ايضا جمع كسفة كما يقال سدرة وسدر وعلى هذه القراءة يكون المضمر الذي بعده عائدا عليه اي فترى الودق اي المطر يخرج من خلال الكسف لان كل جمع بينه وبين واحده الهاء لا غير فالتذكير فيه حسن ومن قرا كسفا فالضمير عنده عائد على السحاب وفي قراءة الضحاك وابي العالية وابن عباس فترى الودق يخرج من خلله ويجوز ان يكون خلل جمع خلال فاذا اصاب به اي بالمطر من يشاء من عباده اذا هم يستبشرون يفرحون بنزول المطر عليهم وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله لمبلسين اي يائسين مكتئبين قد ظهر الحزن عليهم لاحتباس المطر عنهم ومن قبله تكرير عند الاخفش معناه التاكيد واكثر النحويين على هذا القول قاله النحاس وقال قطرب ان قبل الاول للانزال والثاني للمطر وقيل المعنى من قبل تنزيل الغيث عليهم من قبل الزرع ودل على الزرع المطر اذ بسببه يكون ودل عليه ايضا فراوه مصفرا على ما ياتي وقيل المعنى من قبل السحاب من قبل رؤيته واختار هذا القول النحاس اي من قبل رؤية السحاب لمبلسين اي ليائسين وقد تقدم ذكر السحاب قوله تعالى فانظر الى اثر رحمة الله يعني المطر اي انظروا نظر استبصار واستدلال اي استدلوا بذلك على ان من قدر عليه قادر على احياء الموتى وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي آثار بالجمع الباقون بالتوحيد لانه مضاف الى مفرد والاثر فاعل يحيي ويجوز ان يكون الفاعل اسم الله عز وجل ومن قرا آثار بالجمع فلان رحمة الله يجوز ان يراد بها الكثرة كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وقرا الجحدري وابو حيوة وغيرهما كيف تحيي الارض بتاء ذهب بالتانيث الى لفظ الرحمة لان اثر الرحمة يقوم مقامها فكانه هو الرحمة اي كيف تحيي الرحمة الارض والآثار ويحيي اي يحيي الله جل وعز او المطر او الاثر فيمن قرا بالياء وكيف يحيي الارض في موضع نصب على الحال على الحمل على المعنى لان اللفظ لفظ استفهام والحال خبر والتقدير فانظر الى اثر رحمة الله محيية للارض بعد موتها ان ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير استدلال بالشاهد على الغائب قوله تعالى ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا يعني الريح والريح يجوز تذكيره وقال محمد بن يزيد لا يمتنع تذكير كل مؤنث غير حقيقي نحو اعجبني الدار وشبهه وقيل فراوا السحاب وقال ابن عباس الزرع وهو الاثر والمعنى فراوا الاثر مصفرا واصفرار الزرع بعد اخضراره يدل على يبسه وكذا السحاب يدل على انه لا يمطر والريح على انها لا تلقح لظلوا من بعده يكفرون اي ليظلن وحسن وقوع الماضي في موضع المستقبل لما في الكلام من معنى المجازاة والمجازاة لا تكون الا بالمستقبل قاله الخليل وغيره قوله تعالى فانك لا تسمع الموتى اي وضحت الحجج يا محمد لكنهم لالفهم تقليد الاسلاف في الكفر ماتت عقولهم وعميت ابصارهم فلا يتهيا لك اسماعهم وهدايتهم وهذا رد على القدرية ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا اي لا يسمع مواعظ الله الا المؤمنين الذين يصغون الى ادلة التوحيد وخلقت لهم الهداية وقد مضى في النمل ووقع قوله بهاد العمي ها بغير ياء قوله تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ذكر استدلالا آخر على قدرته في نفس الانسان ليعتبر وهو

من ضعف من نطفة ضعيفة وقيل من ضعف اي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولية والصغر ثم جعل من بعد ضعف قوة يعني الشبيبة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يعني الهرم وقرا عاصم وحمزة بفتح الضاد فيهن الباقون بالضم لغتان والضم لغة النبي صلى الله عليه وسلم وقرا الجحدري من ضعف ثم جعل من ضعف بالفتح فيهما من ضعف بالضم خاصة اراد ان يجمع بين اللغتين وقال الفراء الضم لغة قريش والفتح لغة تميم الجوهري الضعف والضعف خلاف القوة وقيل الضعف بالفتح في الراي وبالضم في الجسد ومنه الحديث في الرجل الذي كان يخدع في البيوع انه يبتاع وفي عقدته ضعف وشيبة مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة يخلق ما يشاء يعني من قوة وضعف وهو العليم بتدبيره القدير على ارادته واجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانيا او ثالثا قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون اي يحلف المشركون ما لبثوا غير ساعة ليس في هذا رد لعذاب القبر اذ كان قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير طريق انه تعوذ منه وامر ان يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال سمع النبي صلى الله عليه وسلم ام حبيبة وهي تقول اللهم امتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبابي ابي سفيان وباخي معاوية فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لقد سالت الله لآجال مضروبة وارزاق مقسومة ولكن سليه ان يعيذك من عذاب جهنم او عذاب القبر في احاديث مشهورة خرجها البخاري ومسلم وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة وفي معنى ما لبثوا غير ساعة قولان احدهما انه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة فلهذا قالوا ما لبثنا غير ساعة والقول الآخر انهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية او ضحاها كان لم يلبثوا الا ساعة من نهار وان كانوا قد اقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون قال الله تعالى كذلك كانوا يؤفكون اي كانوا يكذبون في الدنيا يقال افك الرجل اذا صرف عن الصدق والخير وارض مافوكة ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة من اهل النظر ان القيامة لا يجوز ان يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله عز وجل كذلك كانوا يؤفكون اي كما صرفوا عن الحق في قسمهم انهم ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون وقال ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا قوله تعالى وقال الذين اوتوا العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث اختلف في الذين اوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الانبياء وقيل علماء الامم وقيل مؤمنو هذه الامة وقيل جميع المؤمنين اي يقول المؤمنون للكفار ردا عليهم لقد لبثتم في قبوركم الى يوم البعث والفاء في قوله فهذا يوم البعث جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث وحكى يعقوب عن بعض القراء وهي قراءة الحسن الى يوم البعث بالتحريك فهذا مما فيه حرف من حروف الحلق وقيل معنى في كتاب الله في حكم الله وقيل في الكلام تقديم وتاخير اي قال الذين اوتوا العلم في كتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث قاله مقاتل وقتادة والسدي والقشيري وعلى هذا اوتوا العلم بمعنى كتاب الله وقيل الذين حكم لهم في الكتاب بالعلم فهذا يوم البعث اي اليوم الذي كنتم تنكرونه قوله تعالى فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اي لا ينفعهم العلم بالقيامة ولا الاعتذار يومئذ وقيل لما رد عليهم المؤمنون سالوا الرجوع الى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ولا هم يستعتبون اي ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال استعتبته فاعتبني اي استرضيته فارضاني وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة اعتبته ازلت عتبه وسياتي في فصلت بيانه وقرا عاصم وحمزة والكسائي فيومئذ لا ينفع بالياء والباقون بالتاء قوله تعالى ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون اليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل قوله تعالى ولئن جئتهم باية اي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرها ليقولن الذين كفروا يا معشر المؤمنين ان انتم الا مبطلون اي تتبعون الباطل والسحر كذلك اي كما طبع

الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون ادلة التوحيد فاصبر ان وعد الله حق اي اصبر على اذاهم فان الله ينصرك ولا يستخفنك اي لا يستفزنك عن دينك الذين لا يوقنون قيل هو النضر بن الحرث والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته يقال استخف فلان فلانا اي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع جزم بالنهي اكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما يبنى الشيئان اذا ضم احدهما الى الاخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول اللذون في موضع الرفع وقد مضى في الفاتحة

سورة لقمان عليه السلام مكية

غير آيتين منها قاله قتادة اولهما ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام الى آخر الآيتين وقال ابن عباس ثلاث آيات اولهن ولو ان ما في الارض وهي اربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تلك آيات الكتاب الحكيم مضى الكلام في فواتح السور وتلك في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هذه تلك ويقال تلك آيات الكتاب الحكيم بدلا من تلك والكتاب القرآن والحكيم المحكم اي لا خلل فيه ولا تناقض وقيل ذو الحكمة وقيل الحاكم هدى ورحمة بالنصب على الحال مثل هذه ناقة الله لكم آية وهذه قراءة المدنيين وابي عمرو وعاصم والكسائي وقرا حمزة هدى ورحمة بالرفع وهو من وجهين احدهما على اضمار مبتدا لانه اول آية والاخر ان يكون خبر تلك والمحسن الذي يعبد الله كانه يراه فان لم يكن يراه فانه يراه وقيل هم المحسنون في الدين وهو الاسلام قال الله تعالى ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله وهو محسن الآية الذين يقيمون الصلاة في موضع الصفة ويجوز الرفع على القطع بمعنى هم الذين والنصب باضمار اعني وقد مضى الكلام في هذه الآية والتي بعدها في البقرة وغيرها قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث من في موضع رفع بالابتدا ولهو الحديث الغنا في قول ابن مسعود وابن عباس وغيرهما الغنا وهو ممنوع بالكتاب والسنة والتقدير من يشتري ذا لهو او ذات لهو مثل واسأل القرية او يكون التقدير لما كان انما اشتراها يشتريها ويبالغ في ثمنها كانه اشتراها للهو قلت هذه احدى الثلاث آيات التي استدل بها العلما على كراهة الغنا والمنع منه والآية الثانية قوله وانتم سامدون قال ابن عباس هو الغنا بالحميرية اسمدي لنا اي غني لنا والآية الثالثة قوله عز وجل واستفزز من استطعت منهم بصوتك قال مجاهد الغنا والمزامير وقد مضى في سبحان الكلام فيه وروى الترمذي عن ابي امامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام في مثل هذا انزلت الآية ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله الى آخر الآية قال ابو عيسى هذا حديث غريب انما يروى من حديث القاسم عن ابي امامة والقاسم ثقة وعلي بن يزيد يضعف في الحديث قاله محمد بن اسماعيل قال ابن عطية وبهذا فسر ابن مسعود وابن عباس وجابر بن عبد الله ومجاهد وذكره ابو الفرج الجوزي عن الحسن وسعيد بن جبير وقتادة والنخعي قلت هذا اعلى ما قيل في هذه الآية وحلف على ذلك ابن مسعود بالله الذي لا اله الا هو ثلاث مرات انه الغنا روى سعيد بن جبير عن ابي الصهبا البكري قال سئل عبد الله بن مسعود عن قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث فقال الغنا والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وعن ابن عمر هو الغنا وكذلك قال عكرمة وميمون بن مهران ومكحول وروى شعبة وسفيان عن الحكم وحماد عن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود الغنا ينبت النفاق في القلب وقاله مجاهد وزاد ان لهو الحديث المعازف والغنا وقال القاسم بن محمد الغنا

باطل

باطل والباطل في النار وقال ابن القاسم سالت مالكا عنه فقال قال الله تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال افحق هو وترجم البخاري قوله تعالى كل لهو باطل اذا شغل عن طاعة الله ومن قال لصاحبه تعال اقامرك وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث الى آخر الآية وعن الحسن ايضا هو الشرك والكفر وتاوله قوم على الاحاديث التي يتلهى بها اهل الباطل واللعب وقيل نزلت في النضر بن الحرث لانه اشترى كتب الاعاجم رستم واسفنديار فكان يجلس بمكة فاذا قالت قريش ان محمدا قال كذا ضحك منه وحدثهم باحاديث ملوك الفرس ويقول حديثي هذا احسن من حديث محمد حكاه الفراء والكلبي وغيرهما وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه وهذا القول والاول ظاهر في الشرا وقالت طايفة الشرا في هذه الآية مستعار وانما نزلت الآية في احاديث قريش وتلهيهم بامر الاسلام وخوضهم في الباطل قال ابن عطية فكان ترك ما يجب فعله وامتثال هذه المنكرات شراها على حد قوله اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى واستبدلوا الكفر بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وقال مطرف شرا لهو الحديث استحبابه قال قتادة ولعله لا ينفق فيه مالا ولكن سماعه شراوه قلت القول الاول اولى ما قيل في هذا الباب للحديث المرفوع فيه وقول الصحابة والتابعين فيه وقد زاد الثعلبي والواحدي في حديث ابي امامة وما من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربان بارجلهم حتى يكون هو الذي يسكت وروى الترمذي وغيره من حديث انس وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صوتان ملعونان فاجران انهى عنهما صوت مزمار ورنة شيطان عند نغمة ومرح ورنة عند مصيبة لطم خدود وشق جيوب وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت بكسر المزامير خرجه ابو طالب الغيلاني وخرج ابن بشران عن عكرمة عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعثت بهدم المزامير والطبل وروى الترمذي من حديث علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فعلت امتي خمس عشرة خصلة حل بها البلا فذكر منها اذا اتخذت القينات والمعازف وفي حديث ابي هريرة وظهرت القينات والمعازف وروى ابن المبارك عن مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس الى قينة يسمع منها صب في اذنه الآنك يوم القيامة وروى اسد بن موسى عن عبد العزيز بن ابي سلمة عن محمد بن المنكدر قال بلغنا ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين عبادي الذين كانوا ينزهون انفسهم واسماعهم عن اللهو ومزامير الشيطان ادخلوهم رياض الجنة واخبروهم اني احللت عليهم رضواني وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر مثله وزاد بعد قوله المسك ثم يقول للملايكة اسمعوهم حمدي وشكري وثنائي واخبروهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد روي مرفوعا هذا المعنى من حديث ابي موسى الاشعري انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من استمع الى صوت غنا لم يوذن له ان يسمع الروحانيين فقيل ومن الروحانيون يا رسول الله قال قرا اهل الجنة خرجه الترمذي الحكيم ابو عبد الله في نوادر الاصول وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مع نظايره فمن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة الى غير ذلك وكل ذلك صحيح المعنى على ما بيناه هناك ومن رواية مكحول عن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعنده جارية مغنية فلا تصلوا عليه ولهذه الآثار وغيرها قال العلما بتحريم الغنا وهي المسالة الثانية وهو الغنا المعهود عند المشتهرين به الذي يحرك النفوس ويبعثها على الهوى والغزل والمجون الذي يحرك الساكن ويبعث الكامن فهذا النوع اذا كان في شعر يشبب فيه

بذكر النسا ووصف محاسنهن وذكر الخمور والمحرمات لا يختلف في تحريمه لانه اللهو والغنا
المذموم بالاتفاق فاما من سلم من ذلك فيجوز القليل منه في اوقات الفرح كالعرس والعيد
وعند التنشيط على الاعمال الشاقة كما كان في حفر الخندق وحدو انجشة وسلمة ابن
الاكوع فاما ما ابتدعته الصوفية اليوم من الادمان على سماع المغاني بالالات المطربة
من الشبابات والطار والمعازف والاوتار فحرام ابن العربي فاما طبل الحرب فلا حرج فيه
لانه يقيم النفوس ويرهب العدو وفي اليراعة تردد والدف مباح قال القشيري ضرب
بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم دخل المدينة فهم ابو بكر بالزجر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا ابا بكر دعهن يا ابا بكر حتى تعلم اليهود ان ديننا فسيح
فكن يضربن ويقلن نحن بنات النجار حبذا محمد من جار وقد قيل ان الطبل في النكاح
كالدف وكذلك الالات المشهرة للنكاح يجوز استعمالها فيه بما يحسن من الكلام ولم يكن
فيه رفث اما الاشتغال بالغنا على الدوام فسفه ترد به الشهادة فان لم يدم لم ترد
وذكر اسحاق بن عيسى الطباع قال سألت مالكا عما يرخص فيه اهل المدينة من
الغنا فقال انما يفعله عندنا الفساق وذكر ابو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري قال
اما مالك بن انس فانه نهى عن الغنا وعن استماعه وقال اذا اشترى جارية ووجدها
مغنية كان له ردها بالعيب وهو مذهب سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد فانه
حكى عنه زكريا الساجي انه كان لا يرى به باسا وقال ابن خواز منداد فاما مالك فيقال
عنه انه كان عالما بالصناعة وكان مذهبه تحريمها وروي عنه انه قال تعلمت هذه الصناعة
وانا غلام شاب فقالت لي امي اي بني ان هذه الصناعة يصلح لها من كان صبيح الوجه
ولست كذلك فاطلب العلوم الدينية فصحبت ربيعة فجعل الله في ذلك خيرا قال
ابو الطيب الطبري واما مذهب ابي حنيفة فانه يكره الغنا مع اباحته شرب النبيذ ويجعل
سماع الغنا من الذنوب وكذلك مذهب سائر اهل الكوفة ابراهيم والشعبي وحماد
والثوري وغيرهم لا اختلاف بينهم في ذلك وكذلك لا يعرف بين اهل البصرة خلاف في
كراهية ذلك والمنع الا ما روي عن عبيد الله بن الحسن العنبري انه كان لا يرى به باسا
واما مذهب الامام الشافعي رحمه الله قال الغنا مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه
فهو سفيه ترد شهادته وذكر ابو الفرج الجوزي عن امامه احمد بن حنبل ثلاث
روايات قال وقد ذكر اصحابنا عن ابي بكر الخلال وصاحبه عبد العزيز اباحة الغنى
وانما اشاروا الى ما كان في زمانهما من القصايد الزهديات قال وعلى هذا يحمل لم
يكرهه احمد ويدل عليه انه سئل عن رجل مات وخلف ولدا وجارية مغنية فاحتاج
الصبي الى بيعها فقال تباع على انها ساذجة لا على انها مغنية فقيل له انها تساوي
ثلاثين الفا ولعلها اذا بيعت ساذجة تساوي عشرين الفا فقال لا تباع الا على
انها ساذجة قال ابو الفرج وانما قال احمد هذا لان هذه الجارية المغنية لا تغني
بقصايد الزهد بل بالاشعار المطربة المثيرة الى العشق وهذا دليل على ان الغنى
محظور اذ لو لم يكن محظورا ما جاز تفويت المال على اليتيم وصار هذا كقول ابي طلحة
للنبي صلى الله عليه وسلم عندي خمر لايتام فقال ارقها فلو جاز استصلاحها لما
امر بتضييع مال اليتامى قال الطبري فقد اجمع علما الامصار على كراهة الغنا
والمنع به وانما فارق الجماعة ابراهيم بن سعد وعبيد الله العنبري وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم ومن فارق الجماعة مات ميتة
جاهلية قال ابو الفرج وقال القفال من اصحابنا لا تقبل شهادة المغني والرقاص
قلت واذ قد ثبت ان هذا الامر لا يجوز فاخذ الاجرة عليه لا يجوز وقد ادعى ابو
عمر ابن عبد البر الاجماع على تحريم الاجرة على ذلك وقد مضى في الانعام عند قوله
وعنده مفاتح الغيب وحسبك السادسة قال القاضي ابو بكر ابن العربي واما سماع
القينات فيجوز للرجل ان يسمع غنا جاريته اذ ليس شي منها عليه حراما لا من
ظاهرها ولا من باطنها فكيف يمنع من التلذذ بصوتها اما انه لا يجوز انكشاف النسا

للرجال

للرجال ولا هتك الاستار ولا سماع الرفث فاذا خرج ذلك الى ما لا يحل ولا يجوز منع من اوله
واجتث من اصله وقال ابو الطيب الطبري اما سماع الغنا من المراة التي ليست بمحرم فان
اصحاب الشافعي قالوا لا يجوز سواء كانت حرة او مملوكة قال وقال الشافعي وصاحب الجارية
اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته ثم غلظ القول فيه فقال فهي دياثة وانما
جعل صاحبها سفيها لانه دعى الناس الى الباطل ومن دعى الناس الى الباطل كان سفيها
الخامسة قوله تعالى ليضل عن سبيل الله قراه العامة بضم اليا اي ليضل غيره عن طريق
الهدى واذا اضل غيره فقد ضل وقرا ابن كثير وابن محيصن وحميد عن عمرو ورويس وابن
ابي اسحاق بفتح اليا على اللازم اي ليضل هو نفسه ويتخذها هزوا قراه المدنيون وابو
عمرو وعاصم بالرفع عطفا على من يشتري ويجوز ان يكون مستانفا وقرا الاعمش وحمزة
والكسائي ويتخذها بالنصب عطفا على ليضل ومن الوجهين جميعا لا يحسن الوقف على
قوله بغير علم والوقف على قوله هزوا والها في يتخذها كناية عن الايات ويجوز ان تكون
كناية عن السبيل لان السبيل يونث ويذكر اولئك لهم عذاب مهين اي شديد يهينهم قال
الشاعر ● ولقد جزعت الى النصارى بعدما ● لقي الصليب من العذاب مهينا ●
قوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا يعني القران ولى اي اعرض مستكبرا نصب على الحال
كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا ثقلا وصمما وقد تقدم فبشره بعذاب اليم تقدم ايضا
قوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم لما ذكر عذاب الكفار
ذكر نعيم المومنين خالدين فيها اي دائمين وعد الله حقا اي وعدهم الله هذا وعدا حقا لا
خلف فيه وهو العزيز الحكيم تقدم ايضا قوله تعالى خلق السموات بغير عمد ترونها تكون
ترونها في موضع خفض على النعت لعمد فيمكن ان يكون ثم عمد ولكن لا يرى ويجوز ان يكون
في موضع نصب على الحال من السموات ولا عمد ثم البتة النحاس وسمعت علي ابن سليمان
يقول الاولى ان يكون مستانفا ولا عمد ثم قاله مكي ويكون بغير عمد التمام وقد مضى في الرعد
الكلام في هذه الاية والقى في الارض رواسي اي جبالا ثوابت ان تميد في موضع نصب
اي كراهية ان تميد والكوفيون يقدرونه بمعنى لئلا تميد وبث فيها من كل دابة وانزلنا
من السما ما فانبتنا فيها من كل زوج كريم عن ابن عباس من كل لون حسن وتاول الشعبي
على الناس لانهم مخلوقون من الارض قال من كان منهم يصير الى الجنة فهو الكريم ومن
كان منهم يصير الى النار فهو اللئيم وقد تاول غيره ان النطفة مخلوقة من تراب وظاهر
القران يدل على هذا قوله تعالى هذا خلق الله مبتدا وخبر والخلق بمعنى المخلوق
اي هذا الذي ذكرته مما تعاينون خلق الله اي مخلوق الله اي خلقها من غير شريك فاروني
معاشر المشركين ماذا خلق الذين من دونه يعني الاصنام بل الظالمون اي المشركون
في ضلال مبين اي خسران ظاهر وما استفهام في موضع رفع بالابتدا وخبره ذا وذا بمعنى
الذي وخلق واقع على ها محذوفة تقديره فاروني اي شي خلق الذين من دونه
والجملة في موضع نصب باروني وتضمر الها مع خلق تعود على الذي اي فاروني الاشيا
التي خلقها الذين من دونه وعلى هذا القول تقول ماذا تعلمت استفهام نحو ويجوز
ان يكون ما في موضع نصب باروني وذا زايد وعلى هذا تقول ماذا تعلمت استفهام نحوا
قوله تعالى ولقد اتينا لقمان الحكمة مفعولان ولم ينصرف لقمان لان في اخره الفا
ونونا زايدتين فاشبه فعلان الذي انثاه فعلى فلم ينصرف في المعرفة لان ذلك ثقل ثان
وانصرف في النكرة لان احد الثقلين قد زال قاله النحاس وهو لقمان بن باعورا بن
ناحور وهو ازر ابو ابراهيم كذا نسبه محمد بن اسحاق وقيل هو لقمان بن عنقا بن سرون
وكان نوبيا من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب كان ابن اخت ايوب وقال مقاتل
ذكر انه كان ابن خالة ايوب الزمخشري وهو لقمان بن باعورا بن ناحور ابن تارح وهو
ازر ابو ابراهيم كذا نسبه محمد بن اسحاق وقيل هو لقمان بن عنقا بن سرون وكان نوبيا
من اهل ايلة ذكره السهيلي قال وهب كان ابن اخت ايوب او ابن خالته وكان من
اولاد ازر وعاش الف سنة وادرك داود عليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل

حبث داود فلما بعث داود قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفي اذ كفيت وقال
الواقدي كان قاضيا في بني اسرائيل وقال سعيد بن المسيب كان لقمان اسود من سودان
مصر ذا مشافر اعطاه الله تعالى الحكمة ومنعه النبوة وعلى هذا جمهور اهل التاويل
انه كان وليا ولم يكن نبيا وقال بنبوته عكرمة والشعبي وعلى هذا تكون الحكمة والنبوة
والصواب انه كان رجلا حكيما بحكمة الله تعالى وهو الصواب في المعتقدات والتفقه
في الدين في العقل قاضيا في بني اسرائيل اسود مشقق الرجلين ذا مشافر اي عظيم
الشفتين قاله ابن عباس وغيره وروي من حديث ابن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكر حسن اليقين احب الله فاحبه
فمن عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة يحكم بالحق فقال يا رب ان خيرتني قبلت
العافية وتركت البلا وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصمني ذكره بن عطية
وزاد الثعلبي فقالت له الملايكة بصوت لا يراهم لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل
واكدرها يغشاه المظلوم من كل مكان ان يعن فبالحري ان ينجو وبالخطا ان يخطو طريق
الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الاخرة
تفتنه الدنيا ولا تصيبه الاخرة فعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي
الحكمة فقام يتكلم بها ثم نادى داود بعده فقبلها يعني الخلافة فلم يشترط ما اشترط
لقمان فهوى في الخطية غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته
فقال له داود طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرف عنك البلا واعطي داود
الخلافة وابتلي بالبلا والفتنة وقال قتادة خير الله تعالى لقمان بين النبوة
والحكمة فاختار النبوة على الحكمة فاتاه جبريل عليه السلام وهو نايم فذر عليه الحكمة
فاصبح وهو ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال
انه لو ارسل الي بالنبوة عزمة لرجوت فيها العون منه ولكنه خيرني فخفت ان
اضعف عن النبوة فكانت الحكمة احب الي واختلف في صنعته فقيل كان خياطا قاله
سعيد بن المسيب وقال لرجل اسود لا تحزن من انك اسود فانه كان من خير الناس
ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان وكان يحتطب كل يوم لمولاه حزمة
حطب وقال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام
رقيق وان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وقيل كان راعيا فراه رجل كان يعرفه
قبل ذلك فقال الست عبد بني فلان قال بلى قال فما بلغ بك ما ارى قال
قدر الله واداء الامانة وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني قاله عبد الرحمن بن زيد
ابن جابر وقال خالد الربعي كان نجارا فقال له سيده اذبح لي شاة وايتني باطيبها
مضغتين فاتاه باللسان والقلب فقال له ما كان فيهما شي اطيب من هذين فسكت
ثم امره بذبح شاة اخرى ثم قال له الق اخبثها مضغتين فالقى اللسان والقلب فقال
له امرتك ان تاتيني باطيب مضغتين فاتيتني باللسان والقلب وامرتك ان تلقي
اخبثها فالقيت اللسان والقلب فقال له ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث
منهما اذا خبثا قلت هذا معناه مرفوع في غير ما حديث من ذلك قوله صلى الله عليه
وسلم الا وان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهي القلب وجا في اللسان اثار كثيرة صحيحة وشهيرة منها قوله عليه السلام من
وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة ما بين لحييه ورجليه وحكم لقمان كثيرة ماثورة
هذا منها وقيل له اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان راه الناس مسيا قلت وهذا
ايضا مرفوع معنى قال صلى الله عليه وسلم كل امتي معافى الا المجاهرون وان من
المجاهرة ان يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت كذا
البارحة وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر ربه عنه رواه ابو هريرة خرجه
البخاري وقال وهب بن منبه قرات من حكمة لقمان ارجح من عشرة الاف باب وروي
انه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدروع وقد لين الله له الحديد كالطين

فاراد

فاراد ان يساله فادركته الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال
الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما قوله تعالى ان اشكر لله
فيه تقديران احدهما ان تكون بمعنى اي مفسرة اي قلنا له اشكر والقول الاخر انها في
موضع نصب والفعل داخل في صلتها كما حكى سيبويه كتبت اليه ان قم الا ان هذا الوجه
عنده بعيد وقال الزجاج المعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة لان يشكر لله تعالى وقيل اي
بان اشكر لله فشكر فكان حكيما بشكره والشكر لله طاعته فيما امر به وقد مضى القول
في حقيقته لغة ومعنى في البقرة وغيرها ومن يشكر فانما يشكر لنفسه اي من يطع الله
فانما يعمل لنفسه لان نفع الثواب عايد اليه ومن كفر اي كفر النعم فلم يوحد الله فان الله غني
عن عبادة خلقه حميد في فعله قوله تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني قال
السهيلي اسم ابنه ثاران في قول الطبري والقتبي وقال الكلبي مشكم وقيل انعم حكاه
النقاش وحكى القشيري ان ابنه وامراته كانا كافرين فما زال يعظهما حتى اسلما قلت
ويدل على هذا قوله لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله
قال لما نزلت الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم شق ذلك على اصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقالوا اينا لا يظلم نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هو كما
تظنون انما هو كما قال لقمان لابنه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم واختلف
في قوله ان الشرك لظلم عظيم فقيل انه من كلام لقمان وقيل هو خبر من الله تعالى منقطعا
من كلام لقمان متصلا به في تاكيد المعنى ويويد هذا الحديث الماثور انه لما نزلت
الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اشفق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا اينا لم يظلم فانزل الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فسكن اشفاقهم وانما يسكن
اشفاقهم بان يكون خبرا من الله تعالى وقد يسكن الاشفاق بان يذكر الله ذلك عن
عبد قد وصفه بالحكمة والسداد واذ في موضع نصب بمعنى اذكر وقال الزجاج في
كتابه في القران ان اذ في موضع نصب باتينا والمعنى ولقد اتينا لقمان الحكمة اذ قال
النحاس واحسبه غلطا لان في الكلام واوا تمنع من ذلك وقال يا بني بكسر اليا لانها
دالة على اليا المحذوفة ومن فتحها فلخفة الفتحة عنده وقد مضى في يوسف القول في
هذا وقوله يا بني ليس هو على حقيقة التصغير وان كان على لفظه وانما هو على
وجه الترقيق كما يقال للرجل يا اخي وللصبي هو كويس قوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه حسنا الى قوله بما كنتم تعملون فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى ووصينا الانسان
هذه الايتان اعتراض بين اثنا وصية لقمان وقيل ان هذا مما اوصى به لقمان ابنه اخبر
الله به عنه اي قال لقمان لابنه لا تشرك بالله ولا تطع في الشرك والديك فان الله وصى
بهما في طاعتهما مما لا يكون شركا ومعصية لله تعالى وقيل اي واذ قال لقمان لابنه فقلنا
للقمان فيما اتيناه من الحكمة ووصينا الانسان بوالديه اي قلنا له اشكر لله وقلنا
له ووصينا الانسان وقيل واذ قال لقمان لابنه لا تشرك ونحن وصينا الانسان بوالديه
حسنا وامرنا الناس وامر لقمان به ابنه ذكر هذه الاقوال القشيري والصحيح ان هذه
الايتين نزلتا في شان سعيد بن ابي وقاص كما تقدم في العنكبوت وعليه جماعة المفسرين
وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين لا تراعى في ركوب كبيرة ولا ترك فريضة على الاعيان
وتلزم طاعتهما في المباحات ويستحسن في ترك الطاعات الندب ومنه امر الجهاد الكفاية
والاجابة للام في الصلاة مع امكان الاعادة على ان هذا اقوى من الندب لكن
يعلل بخوف هلكة عليها ونحوه مما يبيح قطع الصلاة فلا يكون اقوى من الندب وخالف
الحسن في هذا التفصيل فقال ان منعته امه من شهود العشا شفقة فلا يطعها الثانية
لما خص الله تعالى الام بدرجة ذكر الحمل وبدرجة ذكر الرضاع حصل لها بذلك ثلاث
مراتب وللاب واحدة واشبه ذلك قوله صلى الله عليه وسلم حين قال له رجل من
ابر قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك فجعل له
الربع من المبرة كالاية وقد مضى هذا كله في سبحان الثالثة قوله تعالى وهنا على وهن

اي حملته في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفا على ضعف وقيل المراة ضعيفة الخلقة ثم
يضعفها الحمل وقرا عيسى الثقفي وهنا على وهن بفتح الهاء فيهما ورويت عن ابي عمرو وهما بمعنى
واحد قال قعنب بن ام صاحب • هل للعواذل من ناه فيزجرها • ان العواذل فيها الاين والوهن •
يقال وهن يهن ووهن يوهن ووهن يهن مثل ورم يرم وانتصب وهنا على المصدر ذكره
القشيري النحاس على المفعول الثاني باسقاط حرف الجر اي حملته بضعف على ضعف
وقرا الجمهور وفصاله وقرا الحسن ويعقوب وفصله وهما لغتان اي وفصاله في انقضاء
عامين والمقصود من الفصال الفطام فعبر بغايته ونهايته ويقال انفصل عن كذا اي
تميز وبه سمي الفصيل الرابعة الناس مجمعون على العامين في مدة الرضاع في باب الاحكام
والنفقات واما في تحريم اللبن فحددت فرقة بالعام لا زيادة ولا نقص وقالت فرقة
العامان وما اتصل بهما من الشهر ونحوه اذا كان متصل الرضاع وقالت فرقة العامان
وما اتصل ان فطم الصبي قبل العامين وترك اللبن فان ما شرب بعد ذلك في الحولين
لا يحرم وقد مضى هذا في البقرة مستوفى الخامسة قوله تعالى ان اشكر لي وان في موضع
نصب في قول الزجاج وان المعنى ووصينا الانسان بوالديه ان اشكر لي النحاس واجود
منه ان تكون مفسرة والمعنى قلنا له ان اشكر لي ولوالديك قيل الشكر لله على نعمة الايمان
وللوالدين على نعمة التربية وقال سفيان بن عيينة من صلى الصلوات الخمس فقد
شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات فقد شكرهما السادسة قوله تعالى
وان جاهداك الاية قد بينا ان هذه الاية والتي قبلها نزلتا في سعد بن ابي وقاص
لما اسلم وان امه وهي حمنة بنت ابي سفيان بن امية حلفت ان لا تاكل كما تقدم في الاية
قبلها السابعة قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا نعت لمصدر محذوف اي صاحبا
معروفا يقال صاحبه مصاحبة ومصاحبا ومعروفا اي ما يحسن والاية دليل على صلة
الابوين الكافرين بما امكن من المال ان كانا فقيران والاية القول والدعاء الى الاسلام
برفق وقد قالت اسما بنت ابي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم وقد قدمت عليها خالتها
وقيل امها من الرضاعة فقالت يا رسول الله ان امي قدمت علي وهي راغبة افاصلها قال
نعم وراغبة قيل معناه عن الاسلام قال ابن عطية والظاهر عندي انها راغبة
في الصلة وما كانت لتقدم على اسما لولا حاجتها ووالدة اسما هي قتيلة بنت عبد العزى
ابن عبد اسعد وام عايشة وعبد الرحمن هي ام رومان قديمة الاسلام الثامنة قوله
تعالى واتبع سبيل من اناب الي وصية لجميع العالم كان المامور الانسان واناب معنى
امال ورجع الى الشي وهذه سبيل الانبيا والصالحين وحكى النقاش ان المامور سعد
والذي اناب ابو بكر وقال ان ابا بكر لما اسلم اتاه سعد وعبد الرحمن بن عوف وعثمان
وطلحة وسعيد والزبير فقالوا امنت قال نعم فنزلت فيه امن هو قانت اناء الليل
فلما سمعها الستة امنوا فانزل الله فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها الى
قوله اولئك الذين هداهم الله وقيل الذي اناب النبي صلى الله عليه وسلم وقال
ابن عباس ولما اسلم سعد اسلم معه اخواه عامر وعويمر فلم يبق منهم مشرك الا عتبة
ثم توعد عز وجل بالبعث من القبور والرجوع اليه للجزا والتوقيف على صغيرة
الاعمال وكبيرها قوله تعالى يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الاية
المعنى وقال لقمان لابنه يا بني وهذا القول من لقمان انما قصد به اعلام ابنه بقدر
قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي امكنه ان يفهمه لان الخردلة يقال ان الحس لا يدرك
لها ثقلا اذ لا ترجح ميزانا اذ لو كان للانسان رزق مثقال حبة خردل في هذه
المواضع جاء الله بها حتى يسوقها الى من هي رزقه اي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن
اداء الفرائض وعن اتباع سبيل من اناب الي قلت ومن هذا المعنى قول النبي صلى الله
عليه وسلم لعبد الله بن مسعود لا تكثر همك ما يقدر يكون وما ترزق ياتيك وقد نطقت
هذه الاية بان الله قد احاط بكل شي علما واحصى كل شي عددا سبحانه لا شريك له
وروي ان ابن لقمان سال اباه عن الحبة تقع في سفل البحر ايعلمها الله فراجعه الله •

بهذه الاية وقيل المراد انه اراد الاعمال والمعاصي والطاعات اي ان تك الحسنة او الخطيئة
مثقال حبة يات بها الله اي لا تفوت الانسان المقدر وقوعها منه وبهذا المعنى يتحصل
في الموعظة ترجية وتخويف مضاف الى تبيين قدرة الله تعالى وفي القول الاول ليس
فيه ترجية ولا تخويف قوله تعالى مثقال حبة عبارة تصلح للجواهر اي قدر حبة
وتصلح للاعمال اي ما تزنه على جهة المماثلة قدر حبة ومما يؤيد قول من قال هي للجواهر
قراة عبد الكريم الجزري فتكن بكسر الكاف وشد النون من الكن الذي هو الشي المغطى
وقرا جمهور القرا ان تك بالتاء من فوق مثقال بالنصب على خبر كان واسمها مضمر تقديره
مسالتك على ما روي او المعصية او الطاعة على القول الثاني ويدل على صحة قول ابن لقمان
لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها الله فقال لقمان له يا بني انها
ان تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة او في السموات الاية فما زال ابنه يضطرب
حتى مات قاله مقاتل والضمير في انها ضمير القصة كقولك انها هند قايمة اي القصة انها
ان تك مثقال حبة والبصريون يجيزون انها زيد ضربته بمعنى ان القصة والكوفيون
لا يجيزون هذا الا في المونث كما ذكرنا وقرا نافع مثقال بالرفع وعلى هذا تك يرجع الى
خردلة اي ان تك حبة من خردل وقيل اسند الى المثقال فعلا فيه علامة التانيث
من حيث انضاف الى مونث هو منه لان مثقال الحبة من الخردل اما سيية او حسنة كما قال
فله عشر امثالها فانث وان كان المثل مذكرا لانه اراد الحسنات وهذا كقول الشاعر •

• مشين كما اهتزت رماح تسفهت • اعاليها مر الرياح النواسم •

وتك ها هنا بمعنى تقع فلا تقتضي خبرا قوله تعالى فتكن في صخرة قيل معنى الكلام
المبالغة والانتها في التفهيم اي ان قدرته تعالى تنال ما يكون في تضاعيف صخرة وما
يكون في السما والارض وقال ابن عباس الصخرة تحت الارضين السبع وعليها الارض
وقيل هي الصخرة التي على ظهر الحوت وقال السدي هي صخرة ليست في السموات والارض
بل هي وراء سبع ارضين عليها ملك قايم لانه قال او في السموات او في الارض وفيهما غنية
عن قوله فتكن في صخرة وهذا الذي قاله ممكن ويمكن ان يقال قوله فتكن في صخرة
تاكيد كقوله اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق وقوله سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا قوله تعالى يا بني اقم الصلاة الاية فيه ثلاث مسايل الاولى قوله
تعالى اقم الصلاة وصى ابنه بعظم الطاعات وهي الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر وهذا انما يريد به بعد ان يمتثل ذلك هو في نفسه ويزدجر عن المنكر وهنا هي
الطاعات والفضايل اجمع ولقد احسن من قال •

• وابدا بنفسك فانهها عن غيها • فاذا انتهت عنه فانت حكيم •

في ابيات تقدم في البقرة ذكرها الثانية قوله تعالى واصبر على ما اصابك يقتضي حضا
على تغيير المنكر وان نالك ضرر فهو اشعار بان المغير يوذى احيانا وهذا القدر على
جهة الندب والقوة في ذات الله واما على اللزوم فلا وقد مضى الكلام في هذا
مستوفى في ال عمران والمايدة وقيل امره بالصبر على شدايد الدنيا في الامراض
وغيرها وان لا يخرج من الجزع الى معصية الله عز وجل وهذا قول حسن لانه يعم
الثالثة قوله تعالى ان ذلك من عزم الامور قال ابن عباس من حقيقة الايمان الصبر
على المكاره وقيل اي اقامة الصلاة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر من عزم الامور
اي مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل انه يريد ان ذلك من مكارم الاخلاق
وعزايم اهل الحزم السالكين طريق النجاة وقول ابن جريج اصوب قوله تعالى
ولا تصاعر خدك للناس الاية فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ولا تصاعر خدك
للناس قرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسايي وابن محيصن تصاعر بالف بعد الصاد
وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر والحسن ومجاهد تصعر وقرا الجحدري تصعر بسكون
الصاد والمعنى متقارب والصعر الميل ومنه قول الاعرابي وقد اقام الدهر صعري
بعد ان اقمت صعره ومنه قول عمرو بن حني التغلبي •

* وكنا اذا الجبار صعر خده * اقمناه من ميله فيقوم *

وانشده الطبري فتقوما قال ابن عطية وهو خطا لان قافية الشعر محفوظة في بيت اخر اقمنا له من خده المتصعر قال الهروي ولا تصاعر اي لا تعرض عنهم تكبرا عليهم يقال اصاب البعير صعر وصيد اذا اصابه داء يلوي منه عنقه ثم يقال للمتكبر فيه صعر وصيد فمعنى لا تصعر اي لا تلزم خدك الصعر وفي الحديث ياتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والاصعر المعرض بوجهه كبرا واراد رذالة الذين لا دين لهم وفي الحديث كل صعار ملعون اي كل ذي ابهة وكبر انتهى فمعنى الاية ولا تمل خدك للناس كبرا عليهم واعجابا واحتقارا لهم وهذا تاويل ابن عباس وجماعة وقيل هو ان تلوي شدقك اذا ذكر الرجل عندك كانك تحتقره فالمعنى اقبل عليهم متواضعا مونسا مستانسا واذا حدثك اصغرهم فاصغ اليه حتى يكمل حديثه وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم قلت ومن هذا الباب ما رواه مالك عن ابن شهاب عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تباغضوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث فالتدابر الاعراض وترك الكلام والسلام ونحوه وانما قيل للاعراض تدابر لان من ابغضته اعرضت عنه ووليته دبرك وكذلك يصنع هو بك ومن احببته اقبلت عليه بوجهك وواجهته لتسره ويسرك فمعنى التدابر موجود في تصعير الخد وبه فسر مجاهد الاية وقال ابن خويز منداد قوله ولا تصاعر خدك للناس كانه نهي ان يذل الانسان نفسه من غير حاجة ونحو ذلك روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس للانسان ان يذل نفسه انتهى قوله تعالى ولا تمش في الارض مرحا اي متبخترا متكبرا مصدر في موضع الحال وقد مضى في سبحان وهو النشاط والمشي مرحا في غير شغل وفي غير حاجة واهل هذا الخلق ملازمون للفخر والخيلاء فالمرح مختال في نفسه روي يحيى بن جابر الطائي عن ابن عايذ الازدي عن غضيف بن الحرث قال اتيت بيت المقدس انا وعبد الله بن عبيد بن عمير قال فجلسنا الى عبد الله بن عمرو بن العاص فسمعته يقول ان القبر يكلم العبد اذا وضع فيه فيقول يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم اني بيت الوحدة الم تعلم اني بيت الظلمة الم تعلم اني بيت الحق يا ابن ادم ما غرك بي لقد كنت تمشي حولي فدادا قال ابن عايذ قلت لغضيف ما الفداد يا ابا اسما قال كبعض مشيتك يا ابن اخي احيانا وقال ابو عبيد والمعنى ذا مال كثير وذا خيلا وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله له يوم القيامة والفخور هو الذي يعدد ما اعطي ولا يشكر الله قاله مجاهد وفي اللفظة الفخر بالنسب وغير ذلك قوله تعالى واقصد في مشيك واغضض من صوتك فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى واقصد في مشيك الاية لما نهاه عن الخلق الذميم رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي ان يستعمله فقال واقصد في مشيك اي توسط فيه والقصد ما بين الاسراع والبطو اي لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بها المومن فاما ما روي عنه عليه السلام انه كان اذا مشى اسرع وقول عايشة فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت والله اعلم وقد مدح الله سبحانه من هذه صفته حسبما تقدم بيانه في الفرقان الثانية قوله تعالى واغضض من صوتك اي انقص منه اي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج اليه فان الجهر باكثر من الحاجة تكلف يوذي والمراد بذلك التواضع رفع الاذان باكثر من طاقته لقد خشيت ان ينشق مريطاؤك والموذن ابو محذورة سمرة بن معير والمريطا ما بين السرة الى العانة الثالثة قوله تعالى ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي اقبحها واوحشها ومنه اتانا بوجه منكر والحمار مثل في الذم البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا انهم يكنون عنه ويرغبون عن التصريح فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشيا المستقذرة وقد عد في مساوي الاداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرحلة وكان عليه السلام يركبه

تواضعا وتواضعا لله عز وجل الرابعة في الاية دليل على توقيف قبح رفع الصوت في المخاطبة والملاحاة بقبح اصوات الحمير لانها عالية وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رات شيطانا وقد روي انه ما صاح حمار ولا نبح كلب الا ان يرى شيطانا وقال سفيان الثوري صياح كل شي تسبيح الا نهيق الحمار وقال عطا نهيق الحمار دعا على الظلمة الخامسة وفي هذه الاية ادب من الله تعالى بترك الصياح في وجوه الناس تهاونا بهم او بترك الصياح جملة وكانت العرب تفخر بجهارة الصوت الجهير وغير ذلك فمن كان منهم اشد صوتا كان اعز ومن كان اخفض كان اذل حتى قال شاعرهم

* جهير الكلام جهير العطاس * جهير الروا جهير النغم *
* ويعدو على الاين عدو الظليم * ويعلو الرجال بخلق عمم *

فنهى الله سبحانه عن هذه الخلق الجاهلية بقوله ان انكر الاصوات لصوت الحمير اي لو ان شيا يهاب لصوته لكان الحمار فجعلهم في المثل سوا السادسة قوله تعالى لصوت الحمير اللام للتاكيد ووحد الصوت وان كان مضافا الى الجماعة لانه مصدر والمصدر يدل على الكثرة وهو مصدر صات يصوت صوتا فهو صايت ويقال صوت تصويتا فهو مصوت ورجل صات اي شديد الصوت بمعنى صايت كقولهم رجل مال ونال اي كثير المال والنوال قوله تعالى الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض ذكر نعمه على بني ادم وانه سخر لهم ما في السموات والارض من شمس وقمر ونجوم وملايكة تحوطهم وتجر اليهم منافعهم وما في الارض عام في الجبال والاشجار والثمار وما لا يحصى واسبغ عليكم نعمه اي اكملها واتمها وقرا ابن عباس ويحيى ابن عمارة واصبغ بالصاد على بدلها من السين لان حروف الاستعلاء تجتذب السين من سفلها الى علوها فتردها صادا والنعم جمع نعمة كسدرة وسدر بفتح الدال وهي قراءة نافع وابي عمرو وحفص والباقون نعمة على الافراد والافراد يدل على الكثرة كقوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهي قراءة ابن عباس من وجوه صحاح وقيل ان معناها الاسلام قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس وقد سأله عن هذه الاية الظاهرة الاسلام وما حسن من خلقك والباطنة ما ستر عليك من سيء عملك هذا ان سعيد بن جبير قال في قول الله عز وجل ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم قال ليدخلكم الجنة وتمام نعمة الله عز وجل على العبد ان يدخله الجنة فكذا لما كان الاسلام يوول امره الى الجنة سمي نعمة وقيل الظاهرة الصحة وكمال الخلق والباطنة المعرفة والعقل وقال المحاسبي الظاهرة نعم الدنيا والباطنة نعم العقبى وقيل الظاهرة ما يرى بالابصار من المال والجاه والجمال في الناس وفي توفيق الطاعات والباطنة ما يجده المرء في نفسه من العلم بالله وحسن اليقين وما يدفعه الله عن العبد من الافات وقد سرد الماوردي في هذا اقوالا تسعة كلها ترجع الى هذا قوله تعالى ومن الناس من يجادل في الله بغير علم تقدم في الحج وغيرها نزلت في يهودي جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اخبرني عن ربك من اي شي هو فجات صاعقة فاخذته قاله مجاهد وقد مضى هذا في الرعد وقيل انها نزلت في النضر بن الحرث كان يقول ان الملايكة بنات الله قاله ابن عباس يجادل يخاصم بغير علم اي بغير حجة ولا هدى ولا كتاب منير اي نير بين الا الشيطان فيما يلقي اليهم وان الشياطين ليوحون الى اوليايهم ليجادلوكم ولا تقليدا الاسلاف كما في الاية بعد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير فيتبعونه قوله تعالى ومن يسلم وجهه الى الله وهو محسن اي يخلص عبادته وقصده الى الله وهو محسن لان العبادة من غير احسان ولا معرفة لا تنفع نظيره ومن يعمل من الصالحات وهو مومن وفي حديث جبريل قال فاخبرني عن الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك فقد استمسك بالعروة الوثقى قال ابن عباس لا اله الا الله وقد مضى في البقرة وقرا علي بن ابي طالب والسلمي وعبد الله بن مسلم ابن يسار ومن يسلم النحاس ويسلم في هذا اعرف كما قال عز وجل فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعني ومعنى اسلمت وجهي الى الله اي قصدت بعبادتي الى الله عز وجل ويكون يسلم على التكثير الا ان المستعمل في سلمت انه بمعنى دفعت يقال سلمت في الحنطة وقد يقال اسلمت الزمخشري قرا علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومن يسلم بالتشديد يقال اسلم امرك

وسلم امرك الى الله فان قلت ماله عدي بالى وقد عدي باللام في قوله بلى من اسلم وجهه
لله قلت معناه مع اللام انه جعل وجهه وهو ذاته ونفسه سالما لله اي خالصا له ومعناه
مع الى راجع الى انه سلم اليه نفسه كما يسلم الرجل المتاع اذا دفع اليه والمراد التوكل عليه والتفويض
الى الله والى الله عاقبة الامور اي مصيرها قوله تعالى ومن كفر فلا يحزنك كفره الينا
مرجعهم فننبئهم بما عملوا اي نجازيهم ان الله عليم بذات الصدور نمتعهم قليلا اي نبقيهم في
الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها ثم نضطرهم اي نلجئهم ونسوقهم الى عذاب غليظ وهو عذاب
جهنم ولفظ من يصلح للواحد والجمع فلهذا قال كفره ثم قال مرجعهم وما بعده على المعنى قوله
تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله اي هم يعترفون بان الله خالقهم
فلم يعبدون غيره قل الحمد لله على ما هدانا له من دينه وليس الحمد لغيرهم ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي لا يتفكرون ولا يتدبرون لله ما في السموات وما في الارض اي ملكا وخلقا ان الله هو الغني
عن خلقه وعن عبادتهم وانما امرهم لينفعهم الحميد اي المحمود على صنعه قوله تعالى ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام الاية لما احتج على المشركين بما احتج بين ان معاني كلامه
سبحانه لا تنفد وانها لا نهاية لها وقال القفال لما ذكر انه سخر لهم ما في السموات وما في الارض
وانه اسبغ النعم نبه على ان الاشجار لو كانت اقلاما والبحار مدادا فكتب بها عجايب صنع الله
الدالة على قدرته ووحدانيته لم تنفد العجايب قال القشيري فرد معنى الكلمات على
المقدورات وحمل الاية على الكلام القديم اولى والمخلوق لا بد له من نهاية واذا نفيت
النهاية عن مقدوراته فهو نفي النهاية عن ما يقدر في المستقبل على ايجاده فاما ما حصره
الوجود فلا بد من تناهيه والقديم لا نهاية له على التحقيق وقد مضى الكلام في معنى
كلمات الله في اخر الكهف وقال ابو علي المراد بالكلمات والله اعلم ما في المقدور دون
ما خرج منه الى الوجود وهذا نحو ما قاله القفال وانما الغرض الاعلام بكثرة معاني كلمات
الله وهي في نفسها غير متناهية وانما قرب الامر على افهام البشر بما يتناهى لانه غاية ما
يعهده البشر من الكثرة لا انها تنفد باكثر من هذه الاقلام والبحور ومعنى نزول الاية
يدل على ان المراد بالكلمات الكلام القديم قال ابن عباس ان سبب هذه الاية ان اليهود
قالت يا محمد كيف عنينا بهذا القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة
فيها كلام الله واحكامه وعندك انها تبيان كل شيء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم التوراة قليل من كثير ونزلت هذه الاية والاية مدنية قال ابو جعفر النحاس قد
تبين ان الكلمات ها هنا يراد بها العلم وحقايق الاشيا لانه جل وعز علم قبل ان يخلق
الخلق ما هو خالق في السموات والارض من شيء وعلم ما فيهن من مثاقيل الذر وعلم الاجناس
كلها وما فيها من شعر وعضو وما في الشجرة من ورقة وما فيها من ضروب الخلق وما
يتصرف فيه من ضروب الطعوم والالوان فلو سمي كل دابة وحدها وسمى اجزاها على
ما علم من قليلها وكثيرها وما تحولت عليه من الاحوال وما زاد فيها في كل زمان وبين
كل شجرة وحدها وما تفرعت اليه وقدر ما ييبس من ذلك في كل زمان وبين كل
معجزة وحدها وما تفرعت اليه وقدر ما يبس من ذلك في كل زمان ثم كتب البيان على
كل واحد منها ما احاط الله جل ثناوه منها ثم كان البحر مدادا لذلك البيان الذي بين
الله عز وجل عن تلك الاشيا يمده من بعده سبعة ابحر لكان البيان على تلك الاشيا
اكثر قلت هذا معنى قول القفال وهو حسن ان شا الله وقال قوم ان قريشا قالت
سيتم هذا الكلام لمحمد وينحسر فنزلت وقال السدي قالت قريش ما اكثر كلام محمد فنزلت
قوله تعالى والبحر يمده من بعده قرا الجمهور بالرفع على الابتدا وخبره في الجملة التي
بعدها والجملة في موضع الحال كانه قال والبحر هذه حاله كذا قدرها سيبويه وقال بعض
النحويين هو عطف على ان لانها في موضع رفع بالابتدا وقرا ابو عمرو وابن ابي اسحاق والبحر
بالنصب على العطف على ما وهي اسم ان وقيل اي ولو ان البحر يمده اي يزيد فيه وقرا
ابن هرمز والحسن يمده من امد قالت فرقة هما بمعنى واحد وقالت فرقة واحد الشي بعضه
بعضا كما تقول مد النيل في الخليج اي زاد فيه وامد الشي ما ليس منه وقد مضى هذا في

البقرة

في البقرة وال عمران وقرا ابو جعفر بن محمد والبحر مداده ما نفدت كلمات الله تقدم ان الله
عزيز حكيم تقدم ايضا وقال ابو عبيدة البحر ها هنا الما العذب الذي ينبت الاقلام واما الملح
فلا ينبت الاقلام قوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة قال الضحاك ما ابتدا
خلقكم جميعا الا كخلق نفس واحدة قال النحاس وهكذا قدره النحويون بمعنى الا كخلق نفس
مثل واسال القرية وقال مجاهد لانه يقول للقليل والكثير كن فيكون ونزلت الاية في ابي
ابن خلف وابي الاسدين ونبيه ومنبه ابني الحجاج ابن السباق قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى خلقنا اطوارا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم تقول انا نبعث خلقا جديدا
جميعا في ساعة واحدة فانزل الله عز وجل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة لان الله تعالى
لا يصعب عليه ما يصعب على العباد وخلقه للعالم كخلقه لنفس واحدة ان الله سميع لما
يقولون بصير بما يفعلون قوله تعالى الم تر ان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل تقدم في الحج والانعام وسخر الشمس والقمر اي ذللهما بالطلوع والافول تقديرا للاجال
واتماما للمنافع كل يجري الى اجل مسمى قال الحسن الى يوم القيامة قتادة الى وقته في طلوعه
وافوله لا يعدوه ولا يقصر عنه وان الله بما تعملون خبير اي من قدر على هذه الاشيا فلا بد
من ان يكون عالما بها والعالم بها عالم باعمالكم وقراة العامة تعملون بالتا وخطابا وقرا السلمي
ونصر بن عاصم والدوري عن ابي عمرو بالياء على الخبر ذلك اي فعل الله ذلك لتعلموا وتقروا
بان الله هو الحق وان ما يدعون من دونه هو الباطل اي الشيطان قاله مجاهد وقيل ما
اشركوا به الله تعالى من الاصنام والاوثان وان الله هو العلي الكبير العلي في مكانته الكبير
في سلطانه قوله تعالى الم تر ان الفلك اي السفن تجري في موضع الخبر في البحر بنعمة
الله اي بلطفه بكم وبرحمته لكم في خلاصكم منه وقرا ابن هرمز بنعمات الله جمع نعمة وهو
جمع السلامة وكان الاصل تحريك العين فاسكنت ليريكم من اياته من للتبعيض اي يريكم
جري السفن قاله يحيى بن سلام وقال ابن شجرة من اياته ما تشاهدون من قدرة الله
تعالى فيه النقاش ما يرزقهم الله منه وقال الحسن مفتاح البحار السفن ومفتاح الارض
الطرق ومفتاح السما الدعا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي صبار لقضايه شكور على
نعمايه وقال اهل المعاني اراد لكل مومن بهذه الصفة لان الصبر والشكر من افضل خصال
الايمان والاية العلامة والعلامة لا تستبين في صدر كل مومن انما تستبين لمن صبر على
البلا وشكر على الرخا قال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصف الايمان واليقين
الايمان كله الم تر الى قوله تعالى ان في ذلك لاية لكل صبار شكور وقوله ان في ذلك لايات
للموقنين وقال عليه السلام الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر قوله تعالى
واذا غشيهم موج كالظلل قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي كالسحاب وقال قتادة
جمع ظلة شبه الموج بها لكبرها وارتفاعها قال ابن النابغة في وصف بحر

وغاشيهن اخضر ذو ظلال • على حافاته دلق الدناف •

وانما شبه الموج وهو واحد بالظلل وهو جمع لان الموج ياتي شيا بعد شي ويركب بعضه
بعضا كالظلل وقيل هو بمعنى الجمع وانما لم يجمع لانه مصدر واصله من الحركة والازدحام
ومنه ماج البحر والناس يموجون قال كعب

• نجينا الى موج من البحر وسطه • احابيش منهم حاسر ومقنع •

وقرا محمد بن الحنفية موج كالظلال جمع ظل دعوا الله مخلصين له الدين موحدين له لا
يدعون لخلاصهم سواه وقد تقدم فلما نجاهم يعني من البحر الى البر فمنهم مقتصد قال ابن
عباس موف بما عاهد عليه الله في البحر وقال الحسن مقتصد مومن متمسك بالتوحيد
والطاعة وقال مجاهد مقتصد في القول مضمر في الكفر وقيل في الكلام حذف والمعنى
فمنهم مقتصد ومنهم كافر ودل على المحذوف قوله تعالى وما يجحد باياتنا الا كل ختار
كفور الختار الغدار والختر اسوا الغدر قال عمرو بن معدي كرب

• فانك لو رايت ابا عمير • ملات يديك من غدر وختر •

وقال الاعشى

• بالابلق الفرد من تيما منزله • حصن حصين وجار غير ختار •

قال الجوهري الختر الغدر يقال ختره فهو ختار والماوردي وهو قول الجمهور وقال ابن عطية انه الجاحد ويقال ختر يختر ويختر بالضم والكسر ختراً ذكره القشيري وجحد الآيات انكارها فقاقاً والجحد بالآيات انكار دلايلها قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم يعني الكافر والمومن اي خافوه ووحدوه واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا تقدم معنى يجزي في البقرة وغيرها فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة من الولد لم يبلغوا الحنث لم تمسه النار الا تحلة القسم وقال من ابتلي بشي من هذه البنات فاحسن اليهن كن له حجابا من النار قيل له المعنى بهذه الآية انه لا يحمل والد ذنب ولده ولا مولود ذنب والده ولا يواخذ احدهما عن الآخر والمعنى بالأخبار ان ثواب الصبر على الموت والاحسان الى البنات يحجب العبد عن النار ويكون الولد سابقا له الى الجنة ان وعد الله حق اي بالبعث فلا تغرنكم اي تخدعنكم الحياة الدنيا بزينتها وما تدعو اليه فتتكلوا عليها وتركنوا اليها وتتركوا العمل للآخرة ولا يغرنكم بالله الغرور وقراءة العامة هنا وفي سورة الملايكة والحديد بفتح الغين وهو الشيطان في قول مجاهد وغيره وهو الذي يغر الخلق ويمنيهم الدنيا ويلهيهم عن الآخرة وفي سورة النسا يعدهم ويمنيهم وقرا سماك بن حرب وابو حيوة وابن السميقع بضم الغين اي لا تغتروا كانه مصدر غر يغر غرورا قال سعيد بن جبير هو ان يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة قوله تعالى ان الله عنده علم الساعة الآية زعم الفرا ان هذا معنى النفي اي ما يعلمه احد الا الله عز وجل قال ابو جعفر النحاس وانما صار فيه معنى النفي والايجاب بتوقيف الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك لانه صلى الله عليه وسلم قال في قول الله عز وجل وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو هذه قلت قد ذكرنا في سورة الانعام حديث ابن عمر في هذا اخرجه البخاري وفي حديث جبريل قال اخبرني عن الساعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما المسول عنها باعلم من السايل هن خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الآية فقال الرجل صدقت لفظ ابي داود الطيالسي وقال عبد الله بن مسعود كل شي اوتي نبيكم صلى الله عليه وسلم غير خمس ان الله عنده علم الساعة الآية وقال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مرسل فمن ادعى انه يعلم شيا من هذه فقد كفر بالقرآن لانه خالفه ثم الانبيا يعلمون كثيرا من الغيب بتعريف الله اياهم والمراد ابطال كون الكهنة والمنجمين ومن يستسقي بالانوا وقد يعرف بطول التجارب اشيا من ذكورة الحمل وانوثته الى غير ذلك حسب ما ذكرناه في الانعام وقد تختلف التجربة وتنكسر العادة ويبقى العلم لله وحده وروي ان يهوديا كان يحسب حساب النجوم فقال لابن عباس ان شيت انباتك بحكم ابنك وانه يموت بعد عشرة ايام وانت لا تموت حتى تعمى وانا لا يحول علي الحول حتى اموت قال فاين موتك يا يهودي قال لا ادري فقال ابن عباس صدق الله وما تدري نفس باي ارض تموت فرجع ابن عباس فوجد ابنه محموما ومات بعد عشرة ايام ومات اليهودي قبل الحول ومات ابن عباس اعمى قال ابن حسين راوي هذا الحديث هذا اعجب الاحاديث وقال مقاتل ان هذه الآية نزلت في رجل من اهل البادية اسمه الوارث ابن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الآية ذكره القشيري والماوردي وروى ابو المليح عن ابي عزة الهذلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله تعالى قبض روح عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتى يقدمها ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى قوله باي ارض تموت ذكره الماوردي واخرجه ابن ماجة من حديث ابن مسعود بمعناه وقد ذكرناه في كتاب التذكرة مستوفى وقراءة العامة وينزل مشددا وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسايي مخففا وقرا ابي بن كعب باية ارض الباقون باي ارض

قال

قال الفرا اكتفي بتانيث الارض عن تانيث اي وقيل اي بالارض المكان فذكر قال

فلا مزنة ودقت ودقها ولا ارض ابقل ابقالها

وقال الاخفش يجوز مررت بجارية اي جارية واي جارية وشبه سيبويه تانيث اي بتانيث كل في قولهم كلتهن ان الله عليم خبير نعت لعليم او خبر بعد خبر تمت السورة

سورة السجدة مكية

غير ثلث آيات نزلت بالمدينة وهي قوله افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الى تمام الآيات قاله مقاتل والكلبي وقال غيرهما الا خمس آيات من قوله تعالى تتجافى جنوبهم الى الذي كنتم به تكذبون وهي ثلثون آية وقيل تسع وعشرون آية وفي الصحيح عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في صلاة الفجر يوم الجمعة الم تنزيل السجدة وهل اتى على الانسان حين من الدهر الحديث وخرج الدارمي ابو محمد في مسنده عن جابر بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا الم تنزيل السجدة وتبارك الذي بيده الملك قال الدارمي واخبرنا ابو المغيرة قال حدثنا عبدة عن خالد بن معدان قال اقروا المنجية وهي الم تنزيل فانه بلغني ان رجلا كان يقراها ما يقرا شيا غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فانه كان يكثر قراءتي فشفعها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم تنزيل الكتاب الاجماع على رفع تنزيل الكتاب ولو كان منصوبا على المصدر لجاز كما قرا الكوفيون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم وتنزيل رفع بالابتدا والخبر لا ريب فيه او خبر على اضمار مبتدا اي هذا تنزيل او المتلو تنزيل او هذه الحروف تنزيل ودلت الم على ذكر الحروف ويجوز ان يكون لا ريب فيه في موضع الحال من الكتاب ومن رب العالمين الخبر قال مكي وهو احسنها ومعنى لا ريب فيه من رب العالمين لا شك فيه انه من عند الله فليس بسحر ولا كهانة ولا اساطير الاولين قوله تعالى ام يقولون افتراه بل هو الحق هذه ام المنقطعة التي تتقدر ببل والف الاستفهام اي بل ايقولون وهي تدل على خروج من حديث الى حديث فانه عز وجل اثبت انه تنزيل رب العالمين وان ذلك مما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله ام يقولون افتراه اي افتعله واختلقه بل هو الحق من ربك كذبهم في دعوى الافترا لتنذر قوما قال قتادة يعني قريشا كانوا امة امية لم ياتهم نذير من قبل محمد صلى الله عليه وسلم ولتنذر متعلق بما قبلها فلا يوقف على من ربك ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف التقدير انزله لتنذر قوما فيجوز الوقف على من ربك وما في قوله ما اتاهم نفي من نذير صلة ونذير في محل الرفع وهو المعلم المخوف وقيل المراد بالقوم اهل الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما قاله ابن عباس ومقاتل وقيل كانت الحجة ثابتة لله عز وجل عليهم بانذار من تقدم من الرسل وان لم يروا رسولا وقد تقدم هذا المعنى قوله تعالى الله الذي خلق السموات والارض عرفهم كمال قدرته ليسمعوا القرآن ويتاملوه ومعنى خلق ابدع واوجد بعد العدم وبعد ان لم تكن شيا في ستة ايام من يوم الاحد الى آخر يوم الجمعة قال الحسن من ايام الدنيا وقال ابن عباس ان اليوم من الايام الستة التي خلق الله فيها السموات والارض مقداره الف سنة من سني الدنيا وقال الضحاك في ستة آلاف سنة اي في مدة ستة ايام من ايام الآخرة ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف والبقرة وغيرها وذكرنا ما للعلما في ذلك مستوفى في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وليست ثم للترتيب وانما هي بمعنى الواو ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي ما للكافرين من ولي يمنع من عذابهم ولا شفيع ويجوز الرفع على الموضع افلا تتذكرون في قدرته ومخلوقاته قوله تعالى يدبر

الامر من السماء الى الارض قال ابن عباس ينزل القضا والقدر وقيل ينزل الوحي مع جبريل
وروى عمرو بن مرة عن عبد الرحمن بن سابط قال يدبر امر الدنيا اربعة جبريل وميكاييل
واسرافيل وملك الموت صلوات الله عليهم اجمعين فاما جبريل فموكل بالرياح والجنود واما
ميكاييل فموكل بالقطر واما اسرافيل فهو ينزل بالامر عليهم واما ملك الموت فموكل بقبض الارواح
وقد قيل ان العرش موضع التدبير كما ان ما دون العرش موضع التفصيل قال الله تعالى
ثم استوى على العرش يدبر الامر يفصل الايات وما دون السموات موضع التصريف قال
الله تعالى ولقد صرفناه بينهم ليذكروا قوله تعالى ثم يعرج اليه قال يحيى بن سلام
هو جبريل يصعد الى السما بعد نزوله بالوحي النقاش هو الملك الذي يدبر الامر من
السما الى الارض وقيل انها اخبار اهل الارض تصعد اليه مع حملتها الملايكة قاله
ابن شجرة في يوم كان مقداره الف سنة مما تعدون وقيل ثم يعرج اليه اي يرجع ذلك
الامر والتدبير اليه بعد انقضا الدنيا في يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة
وعلى الاقوال المتقدمة فالكناية في يعرج عن الملك ولم يجز له ذكر لانه مفهوم من المعنى
وقد جا صريحا في سال سايل قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه والضمير في اليه
يعود على السما على لغة من يذكرها او على مكان الملك الذي يرجع اليه او على اسم الله
تعالى او الى الموضع الذي امره فيه فاذا رجعت الى الله فقد رجعت الى الله اي الى سدرة
المنتهى فانه اليها يرتفع ما يصعد به من الارض وما ينزل مما يهبط به اليها ثبت معنى ذلك
في صحيح مسلم والهاء في مقداره راجعة الى التدبير والمعنى كان مقدار ذلك التدبير الف
سنة من سني الدنيا اي يقضي امر كل شي لالف سنة في يوم ثم احدثم يلقيه الى الملايكة
فاذا امضته قضى لالف سنة اخرى ثم كذلك ابدا قاله مجاهد وقيل الها للعروج وقيل
المعنى انه يدبر امر الدنيا الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر فيحكم فيه في يوم
كان مقداره الف سنة وقيل المعنى يدبر امر الشمس في طلوعها وغروبها ورجوعها الى
موضعها من الطلوع في يوم كان مقداره في المسافة الف سنة وقال ابن عباس المعنى
كان مقداره لو ساره غير الملك الف سنة لان النزول خمس مائة والصعود خمس مائة
وروي ذلك عن جماعة من المفسرين وهو اختيار الطبري ذكره المهدوي وهو معنى
القول الاول اي ان جبريل لسرعة سيره يقطع مسيرة الف سنة في يوم من ايامكم
ذكره الزمخشري وذكر الماوردي عن ابن عباس والضحاك ان الملك يصعد في يوم مقداره
الف سنة فيكون مقدار نزوله خمس مائة سنة ومقدار صعوده خمس مائة سنة على
قول قتادة والسدي وعلى قول ابن عباس والضحاك النزول الف سنة والصعود
الف سنة مما تعدون اي مما يحسبون من ايام الدنيا وهذا اليوم عبارة عن زمان يتقدر
بالف سنة من سني العالم وليس بيوم يستوعب نهارا بين ليلتين لان ذلك ليس عند
الله والعرب قد تعبر عن مدة العصر باليوم كما قال الشاعر

يومان يوم مقامات واندية ⁂ ويوم سير الى الاعدا تاويب

وليس يريد يومين مخصوصين وانما اراد ان زمانهم ينقسم شطرين فعبر عن كل
واحد من الشطرين بيوم وقرا ابن ابي عبلة يعرج على البنا للمفعول وقرى تعدون
بالياء فاما قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمشكل مع هذه الاية وقد
سال عبد الله بن فيروز الديلمي عبد الله بن عباس عن هذه الاية وعن قوله في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة فقال ايام سماها الله تعالى وما ادري ما هي واكره
ان اقول فيها ما لا اعلم ثم سئل عنها سعيد بن المسيب فقال لا ادري فاخبرته
بقول ابن عباس فقال ابن المسيب للسايل هذا ابن عباس اتقى ان يقول فيها
وهو اعلم مني ثم تكلم العلماء في ذلك فقيل ان اية سال سايل هي اشارة الى يوم القيمة
بخلاف هذه الاية والمعنى ان الله تعالى جعله في صعوبته على الكفار كخمسين الف
سنة قاله ابن عباس والعرب تصف ايام المكروه بالطول وايام السرور بالقصر قال

ويوم كظل الرمح قصر طوله ⁂ دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

وقيل

وقيل ان يوم القيمة فيه ايام فمنه ما مقداره الف سنة ومنه ما مقداره خمسون الف سنة
وقيل اوقات مختلفة يعذب الكافر بجنس من العذاب الف سنة ثم ينتقل الى جنس اخر مدته
خمسون الف سنة وقيل مواقف القيامة خمسون موقفا كل موقف الف سنة فمعنى يعرج اليه
في يوم كان مقداره الف سنة اي مقدار وقت او موقف من يوم القيامة وقال النحاس اليوم في اللغة
بمعنى الوقت فالمعنى تعرج الملايكة والروح اليه في وقت كان مقداره خمسين الف سنة
وعن وهب بن منبه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال ما بين اسفل الارض الى العرش
وذكر الثعلبي عن مجاهد وقتادة والضحاك في قوله تعالى تعرج الملايكة والروح اليه في
يوم كان مقداره خمسين الف سنة اراد من الارض الى سدرة المنتهى التي فيها جبريل يقول
تعالى يسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة خمسين الف سنة في يوم واحد
من ايام الدنيا وقوله اليه يعني الى المكان الذي امرهم الله تعالى ان يعرجوا اليه وهذا كقول
ابراهيم اني ذاهب الى ربي سيهدين اراد ارض الشام وقال ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله
اي الى المدينة وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اتاني ملك من ربي تعالى
برسالة ثم رفع رجله فوضعها فوق السما والاخرى فوق الارض لم يرفعها بعد قوله تعالى
ذلك عالم الغيب والشهادة اي علم ما غاب عن الخلق وما حضرهم وذلك بمعنى انا حسب ما تقدم
بيانه في اول البقرة وفي الكلام معنى التهديد والوعيد اي اخلصوا افعالكم واقوالكم
فاني اجازي عليها قوله تعالى الذي احسن كل شي خلقه قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
خلقه باسكان اللام وفتحها الباقون واختاره ابو عبيد وابو حاتم طلبا لسهولتها وهو فعل
ماض في موضع خفض نعت لشي والمعنى على ما روي عن ابن عباس احكم كل شي خلقه لانه
لا يقدر احد ان ياتي بمثله وهو دال على خالقه ومن اسكن اللام فهو مصدر عند سيبويه
لان قوله احسن كل شي يدل على خلق كل شي خلقا فهو مثل صنع الله وكتاب الله عليكم وعند
غيره منصوب على البدل من كل اي الذي احسن خلق كل شي وهو مفعول ثان عند بعض
النحويين على ان يكون معنى احسن افهم وعلم فيتعدى الى مفعولين اي افهم كل شي خلقه
وقيل منصوب على التفسير والمعنى احسن كل شي خلقا وقيل هو منصوب باسقاط الخافض
حرف الجر والمعنى احسن كل شي في خلقه وروي معناه عن ابن عباس واحسن اي اتقن واحكم
فهو احسن من جهة ما هو لمقاصده اريد لها ومن هذا المعنى قال ابن عباس وعكرمة
ليست است القرد بحسنة ولكنها متقنة محكمة وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد احسن كل شي
خلقه اي اتقنه وهو مثل قوله تعالى اعطى كل شي خلقه اي لم يخلق الانسان على خلق البهيمة
ولا خلق البهيمة على خلق الانسان ويجوز خلقه بالرفع على تقدير ذلك خلقه وقيل هو عموم
في اللفظ والمعنى اي جعل كل شي خلقه حسنا حتى جعل الكلب في خلقه حسنا قاله ابن عباس
وقال قتادة ليست في است القرد حسنة قوله تعالى وبدا خلق الانسان من طين يعني
ادم ثم جعل نسله من سلالة من ما مهين تقدم في المومنين وغيرها وقال الزجاج من ما
مهين ضعيف وقال غيره مهين لا خطر له عند الناس ثم سواه رجع الى ادم اي سوى خلقه
ونفخ فيه من روحه ثم رجع الى ذريته فقال وجعل لكم السمع والابصار وقيل ثم جعل ذلك
الماء المهين خلقا معتدلا وركب فيه الروح واضافه الى نفسه تشريفا وايضا فانه من فعله
وخلقه كما اضاف العبد اليه بقوله عبدي وعبر عنه بالنفخ لان الروح في جنس الريح وقد
مضى هذا مبينا في النسا وغيرها قليلا ما تشكرون اي ثم انتم لا تشكرون بل تكفرون قوله
تعالى وقالوا ايذا ضللنا في الارض هذا قول منكري البعث اي هلكنا وبطلنا وصرنا ترابا
واصله من قول العرب ضل الماء في اللبن اذا ذهب والعرب تقول للشي غلب عليه غيره حتى
خفي فيه اثره قد ضل قال الاخطل

كنت القذى في موج اكدر مزبد ⁂ قذف الاتي به فضل ضلالا

وقال قطرب معنى ضللنا غبنا في الارض وانشد قول النابغة

فاب مضلوه بعين جلية ⁂ وغودر بالجولان حزم ونايل

وقرا ابن محيصن ويحيى بن يعمر ضللنا بكسر اللام وهي لغة قال الجوهري وقد ضللت اضل

قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي بهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل وهو ناد وهي الضلال لكم والتلك لكم واضله اي اضاعه واهلكه يقال اضل الميت اذا دفن قال واب مضلوه البيت ابن السكيت اضللت بعيري اذا ذهب منك وضللت المسجد والدار اذا لم تعرف موضعهما وكذلك كل شيء مقيم لا يهتدي له وفي الحديث لعلي اضل الله يريد اضل عنه اي اخفى عليه من قوله تعالى اذا ضللنا في الارض اي خفينا واضله الله فضل تقول انك تهدي الضال ولا تهدي المضال وقرا الاعمش والحسن صللنا بالصاد اي انتنا وهي قراة علي بن ابي طالب رضي الله عنه النحاس ولا يعرف في اللغة صللنا ولكن يقال اصل اللحم واصل وصل واخم اذا انتن الجوهري صل اللحم يصل بالكسر صلولا اي انتن مطبوخا كان او نيا قال الحطيئة

ذاك فتى يبذل ذا قدره ۔ لا يفسد اللحم لديه الصلول ۔

واصل مثله انا لفي خلق جديد اي نخلق بعد ذلك خلقا جديدا ويقرا ابنا النحاس وفي هذا سؤال صعب من العربية يقال ما العامل في اذا و اذ لا يعمل ما بعدها فيما قبلها والسؤال في الاستفهام اشد لان ما بعد الاستفهام اجدر ان لا يعمل فيما قبلها من ان كيف وقد اجتمعا فالجواب على قراة من قرا ائنا ان العامل ضللنا وعلى قراة من قرا اذا ان العامل مضمر والتقدير ابنعث اذا متنا وفيه ايضا سؤال اخر يقال اين جواب اذا على القراة الاولى لان فيها معنى الشرط فالقول بعد ذلك ان بعدها فعلا ماضيا فلذلك جاز هذا بل هم بلقاء ربهم كافرون اي ليس لهم جحود قدرة الله تعالى عن الاعادة لانهم يقرون بقدرته ولكنهم اعتقدوا ان لا حساب عليهم وانهم لا يلقون الله قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل يتوفاكم ملك الموت لما ذكر استبعادهم للبعث ذكر توفيهم وانه يعيدهم يتوفاكم من التوفي وهو اخذ الشيء وافاه وقبضه جميعا يقال توفاه الله اي استوفى روحه وتوفيت مالي من فلان اي استوفيته ملك الموت واسمه عزرائيل ومعناه عبد الله كما تقدم في البقرة وتصرفه كله بامر الله عز وجل وبخلقه واختراعه وروي في الحديث ان البهائم كلها يتوفى الله ارواحها دون ملك الموت كانه يعدم حياتها ذكره ابن عطية قلت وقد روي خلافه وان ملك الموت يتوفى جميع ارواح الخلق حتى البرغوث والبعوضة روى جعفر بن محمد عن ابيه قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم لملك الموت عند راس رجل من الانصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ارفق بصاحبي فانه مؤمن فقال له ملك الموت عليه السلام يا محمد طب نفسا وقر عينا فاني بكل مؤمن رفيق واعلم ان ما من اهل بيت ولا مدر ولا شعر في بر ولا بحر الا وانا اتصفحهم في كل يوم خمس مرات حتى لانا اعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بانفسهم والله يا محمد لو اني اردت ان اقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو الامر بقبضها قال جعفر بن علي بلغني انه يتصفحهم عند مواقيت الصلاة ذكره الماوردي وذكر الخطيب ابو بكر احمد بن علي بن ثابت البغدادي قال حدثني ابو محمد الحسن بن محمد الخلال قال ثنا ابو محمد عبد الله بن عثمان الصفار قال ثنا ابو بكر حامد المصري قال ثنا يحيى بن ايوب العلاف قال ثنا سليمان ابن مهير الكلاعي قال حضرت مالك بن انس فاتاه رجل فساله ابا عبد الله البراغيث املك الموت يقبض ارواحها قال فاطرق مالك طويلا ثم قال الها انفس قال نعم قال فملك الموت يقبض ارواحها الله يتوفى الانفس حين موتها قال ابن عطية وكذلك ذكره الحديث وكذلك الامر في بني ادم الا انه نوع شرف يتصرف ملك وملائكة معه في قبض ارواحهم فخلق الله تعالى ملك الموت وخلق على يديه قبض الارواح واستلالها من الاجسام واخراجها منه وخلق جندا يكونون معه يعملون عمله بامره فقال تعالى ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة وقال توفته رسلنا وقد مضى هذا المعنى في الانعام والباري خالق الكل الفاعل حقيقة لكل فعل قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها الذي خلق الموت والحياة يحيي ويميت فملك الموت

يقبض والاعوان يعالجون والله يزهق الروح وهذا هو الجمع بين الاي والاحاديث لكنه لما كان ملك الموت متولي ذلك بالوساطة والمباشرة اضيف التوفي اليه كما اضيف الخلق للملك كما تقدم في الحج وروي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث شاء وقد روي هذا المعنى مرفوعا وقد ذكرناه في التذكرة وروي ان ملك الموت لما وكله الله بقبض الارواح قال رب جعلتني اذكر بسوء ويشتمني بنو ادم فقال الله تعالى اني اجعل لهم اسبابا من الامراض والاسقام ينسبون الموت اليها فلا يذكرك احد الا بخير وقد ذكرناه في التذكرة مستوفى وقد ذكرنا انه الذي يدعو الارواح فتجيبه ثم يقبضها ويسلمها الى ملائكة الرحمة او العذاب بما فيه شفا لمن اراد الوقوف على ذلك الثانية استدل بهذه الاية بعض العلماء على جواز الوكالة من قوله وكل بكم اي بقبض الارواح قال ابن العربي وهذا اخذ من لفظه لا من معناه ولو اطرد ذلك لقلنا في قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا انها نيابة عن الله تعالى ووكالة في تبليغ رسالته ولقلنا ايضا في قوله عز وجل واتوا الزكاة انه وكالة فان الله تعالى ضمن الرزق لكل دابة وخص الاغنياء بالاغذية واوعدهم بان رزق الفقراء عندهم وامر بتسليمه اليهم مقدرا معلوما في وقت معلوم دبره من علمه وانفذه من حكمه وقدره بحكمته والاحكام لا تتعلق بالالفاظ الا ان ترد على موضوعاتها الاصلية في مقاصدها المطلوبة فان ظهرت في غير مقصدها لم تعلق عليها الا ترى ان البيع والشراء معلوم اللفظ والمعنى وقد قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة ولا يقال هذه الاية دليل على جواز مبايعة السيد لعبده لان المقصد مختلفان اما انه اذا لم يكن بد من المعاني فيقال ان هذه الاية دليل على ان للقاضي ان يستنيب من ياخذ الحق ممن هو عليه قسرا دون ان يكون له في ذلك فعل او يرتبط به رضى اذا وجد ذلك قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم ابتداء وخبر قال الزجاج والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم مخاطبة لامته فالمعنى ولو ترى يا محمد منكري البعث يوم القيامة لرايت العجب ومذهب ابي العباس غير هذا وان يكون المعنى يا محمد قل للمجرم ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم لندمت على ما كان منك ناكسوا رؤوسهم اي من الندم والخزي والحزن والذل والغم عند ربهم اي عند محاسبة ربهم وجزاء اعمالهم ربنا اي يقولون ربنا ابصرنا ما كنا نكذب وسمعنا ما كنا نكر وقيل ابصرنا صدق وعيدك وسمعنا تصديق رسلك ابصروا حين لا ينفعهم البصر وسمعوا حين لا ينفعهم السمع فارجعنا اي الى الدنيا نعمل صالحا انا موقنون اي مصدقون بالبعث قاله النقاش وقيل مصدقون بالذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم انه حق قال يحيى بن سلام قال سفيان الثوري فاكذبهم الله تعالى فقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقيل معنى انا مومنون وقيل معنى انا موقنون اي زالت عنا الشكوك الان وكانوا يسمعون ويبصرون في الدنيا ولكن لم يكونوا يتدبرون وكانوا كمن لا يبصر ولا يسمع فلما تنبهوا في الاخرة صاروا حينئذ كانهم سمعوا وابصروا وقيل اي ربنا لك الحجة فقد ابصرنا رسلك وعجائب خلقك في الدنيا وسمعنا كلامهم فلا حجة لنا فهذا اعتراف منهم ثم طلبوا ان يردوا الى الدنيا ليؤمنوا قوله تعالى ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها قال محمد بن كعب القرظي لما قالوا ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون رد عليهم بقوله ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها يقول لو شئت لهديت الناس جميعا فلم يختلف منهم احد ولكن حق القول مني الاية ذكره ابن المبارك في رقائقه في حديث فيه طول وقد ذكرناه في التذكرة النحاس ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها في معناه قولان احدهما انه في الدنيا والاخر ان سياق الكلام يدل على انه في الاخرة اي لو شئنا لرددناهم الى الدنيا والمحنة كما سالوا ولكن حق القول مني لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين اي حق القول مني لاعذبن من عصاني وعلم الله عز وجل انه لو ردهم لعادوا كما قال عز وجل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وهذه الهداية معناها خلق المعرفة في القلب وتاويل المعتزلة ولو شئنا لاكرهناهم على الهداية باظهار الايات الهائلة لكن لا يحسن منه فعله

لانه ينقض الغرض المجري بالتكليف اليه وهو الثواب الذي لا يستحق الا بما يفعله المكلف
باختياره وقالت الامامية في تاويلها انه يجوز انه يريد هداها الى طريق الجنة في الاخرة
ولم يعاقب احدا لكن حق القول منه انه يملا جهنم فلا يجب على الله عندنا هداية الكل اليها
قالوا بل الواجب هداية المعصومين فاما من له ذنب فجائز هدايته الى النار جزاء على افعاله
وفي جواز ذلك منع لقطعهم على ان المراد هداها الى الايمان وقد تكلم العلما عليهم في هذين
التاويلين بما فيه كفاية في الدين واقرب ما لهم في الجواب ان يقال فقد بطل عندنا
وعندكم ان يهديهم سبحانه على طريق الالجا والاجبار والاكراه فصار يودي ذلك الى مذهب
الجبرية وهو مذهب رذل عندنا وعندكم فلم يبق الا ان المهتدين من المومنين انما هداهم
الله الى الايمان والطاعة على طريق الاختيار حتى يصح التكليف فمن شاء امن واطاع
اختيارا لا اجبارا قال الله تعالى لمن شاء منكم ان يستقيم وقال فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
ثم عقب هاتين الايتين بقوله وما تشاوون الا ان يشاء الله ولهذا فرطت المجبرة لما راوا ان هدايتهم
معذوق بمشية الله تعالى فقالوا الخلق مجبورون في طاعتهم كلها التفاتا الى قوله
وما تشاوون الا ان يشاء الله وفرطت القدرية لما راوا ان هدايتهم الى الايمان معذوقة
بمشية العباد فقالوا الخلق خالقون لافعالهم التفاتا منهم الى قوله تعالى لمن شاء
منكم ان يستقيم ومذهبنا هو الاقتصاد في الاعتقاد وهو مذهب بين مذهبين المجبرة
والقدرية وخير الامور اوساطها وذلك ان اهل الحق قالوا نحن نفرق بين ما اضطررنا
اليه وبين ما اخترناه وهو انا ندرك تفرقة بين حركة الارتعاش الواقعة في يد الانسان
بغير محاولته وارادته ولا مقرونة بقدرته وبين حركة الاختيار اذا حرك يده حركة
مماثلة لحركة الارتعاش ومن لا يفرق بين الحركتين حركة الارتعاش وحركة الاختيار
وهما موجودتان في ذاته ومحسوستان في يده بمشاهدته وادراك حاسته فهو
معتوه في عقله ومختل في حسه وخارج من حزب العقلاء وهذا هو الحق المبين وهو
طريق بين طريقي الافراط والتفريط وكلا طرفي قصد الامور ذميم وبهذا الاعتبار اختار
اهل النظر من العلماء ان سموا هذه المنزلة بين المنزلتين من كسب واخذوا هذه التسمية من
كتاب الله العزيز وهو قوله سبحانه لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت قوله تعالى فذوقوا
بما نسيتم لقاء يومكم هذا فيه قولان احدهما انه من النسيان الذي لا ذكر معه اي لم تعملوا
لهذا اليوم فكنتم بمنزلة الناسين والاخر ان نسيتم بمعنى تركتم وكذا انا نسيناكم واحتج
محمد بن يزيد بقوله عز وجل ولقد عهدنا الى ادم من قبل فنسي قال والدليل على انه
بمعنى ترك ان الله عز وجل اخبر عن ابليس انه قال ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين فلو كان ادم ناسيا لكان قد ذكره وانشد •
• كانه خارجا من جنب صفحته • سفود شرب نسوه عند مفتاد • اي تركوه ولو
كان من النسيان لكان قد عملوا به مرة قال الضحاك نسيتم اي تركتم امري يحيى بن سلام
اي تركتم الايمان بالبعث في هذا اليوم نسيناكم تركناكم من الخير قاله السدي مجاهد
تركناكم في العذاب وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبنا الفعل على ان واسمها تشديد في
الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الروس والخزي والغم
بسبب نسيان الله وذوقوا العذاب المخلد وهو الدايم الذي لا انقطاع له في جهنم
بما كنتم تعملون يعني في الدنيا من المعاصي وقد يعبر بالذوق عما يطرا على النفس وان
لم يكن مطعوما لاحساسها به كاحساسها بذوق المطعوم قال عمرو بن ابي ربيعة •
• فذق هجرها ان كنت تزعم انه • رشادا الا يا رب ما كذب الزعم •
الجوهري وذقت ما عند فلان اي خبرته وذقت القوس اذا جذبت وترها لتنظر ما
شدتها واذاقه الله وبال امره قال طفيل •
• فذوقوا كما ذقنا غداة محجر من الغيظ في اكبادنا والتحوب •
وتذوقته اي ذقته شيا بعد شي وامر مستذاق اي مجرب معلوم قال الشاعر
• وعهد الغانيات كعهد قين • ونت عنه الجعايل مستذاق •

والذواق

والذواق الملول قوله تعالى انما يومن باياتنا الذين اذا ذكروا بها هذه تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم اي انهم لالفهم الكفر لا يومنون بك انما يومنون
بك وبالقران المتدبرون له والمتعظون به وهم الذين اذا قري عليهم القران خروا سجدا
قال ابن عباس كذا قال المهدوي وهذا على مذهب من يرى الركوع عند قراءة السجدة واستدل
بقوله عز وجل وخر راكعا واناب وقيل المراد به السجود وعليه اكثر العلما اي خروا سجدا لله
على وجوههم تعظيما لاياته وخوفا من سطوته وعذابه وسبحوا بحمد ربهم اي خلطوا التسبيح
بالحمد اي نزهوه وحمدوه فقالوا في سجودهم سبحان الله وبحمده سبحان ربي الاعلى وبحمده
اي تنزيها لله عن المشركين وقال سفيان وسبحوا بحمد ربهم اي صلوا حمدا لربهم وهم
لا يستكبرون كما استكبر اهل مكة عن السجود قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي
ترتفع وتنبو عن مواضع الاضطجاع وهو في موضع نصب على الحال اي متجافية جنوبهم والمضاجع
جمع مضطجع وهو موضع النوم ويحتمل عن وقت الاضطجاع ولكنه مجاز والحقيقة اولى ومنه قول
عبد الله بن رواحة • وفينا رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الصبح ساطع •
• يبيت يجافي جنبه عن فراشه • اذا استثقلت بالمشركين المضاجع •
قال الزجاج والرماني التجافي والتجفي الى جهة فوق وكذلك هو في الصفح عن المخطي في سبب
ونحوه والجنوب جمع جنب وفيما تتجافى جنوبهم عن المضاجع لاجله قولان احدهما لذكر الله تعالى
اما في صلاة واما في غير صلاة قاله ابن عباس والضحاك الثاني للصلاة وفي الصلاة التي تتجافى
جنوبهم لاجلها اربعة اقوال احدها التنفل بالليل قاله الجمهور من المفسرين وعليه اكثر الناس وهو
الذي فيه المدح وهو قول مجاهد والاوزاعي ومالك بن انس والحسن بن ابي الحسن وابي العالية
وغيرهم ويدل عليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين لانهم جوزوا على ما اخفوا بما
خفي والله اعلم وسياتي بيانه وفي قيام الليل احاديث كثيرة منها حديث معاذ بن جبل ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال له الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيية كما يطفي
الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون اخرجه
ابو داود الطيالسي في مسنده والقاضي اسماعيل بن اسحاق وابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث
حسن صحيح الثاني صلاة العشا التي يقال لها العتمة قاله الحسن وعطا وفي الترمذي عن انس بن
مالك في هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة قال
هذا حديث حسن غريب الثالث التنفل ما بين المغرب والعشا قاله قتادة وعكرمة وروى ابو
داود عن انس بن مالك في هذه الاية تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما
رزقناهم ينفقون قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشا الرابع قال الضحاك تجافي الجنب
هو ان يصلي الرجل العشا والصبح في جماعة وقاله ابو الدرداء وعبادة قلت وهذا قول حسن وهو
يجمع الاقوال بالمعنى وذلك ان منتظر العشا الى ان يصليها في صلاة وذكر لله عز وجل كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل في صلاة ما انتظر الصلاة وقال انس المراد بالاية انتظار
صلاة العشا الاخرة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوخرها الى نحو ثلث الليل قال ابن عطية
وكانت الجاهلية ينامون من اول الغروب ومن اي وقت شا الانسان فجا انتظار وقت العشا
غريبا شاقا ومصلي الصبح في جماعة لا سيما في اول الوقت كما كان عليه السلام يصليها والعادة
ان من حافظ على هذه الصلاة في اول الوقت يقوم سحرا يتوضا ويصلي ويذكر الله عز وجل
الى ان يطلع الفجر فقد حصل التجافي اول الليل واخره هذا ما رواه مسلم من حديث عثمان بن
عفان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من صلى العشا في جماعة فكانما قام
نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكانما قام الليل كله ولفظ الترمذي وابو داود في
هذا الحديث من شهد العشا في جماعة كان له قيام نصف ليلة ومن صلى العشا والفجر في جماعة
كان له قيام ليلة وقد مضى في سورة النور عن كعب فيمن صلى بعد العشا الاخرة اربع ركعات
كن له بمنزلة ليلة القدر وجاءت اثار حسان في فضل الصلاة بين المغرب والعشا وقيام
الليل ذكر ابن المبارك قال نا يحيى بن ايوب قال نا محمد بن الحجاج او ابن ابي الحجاج انه
سمع عبد الكريم يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ركع عشر ركعات بين المغرب

والعشا كان له قصرا في الجنة فقال عمر بن الخطاب اذا تكثر قصورنا وبيوتنا يا رسول الله قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اكثر وافضل او قال اطيب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
قال صلاة الاوابين الخلوة التي بين المغرب والعشا حتى يثوب الناس الى الصلاة وكان عبد
الله بن مسعود يصلي في تلك الساعة ويقول ساعة الغفلة بين المغرب والعشا ذكره ابن المبارك
ورواه الثعلبي مرفوعا عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من جفت جنباه المضاجع
ما بين المغرب والعشا بني له قصران في الجنة مسيرة عام وفيهما من الشجر ما لو نزلها اهل المشرق
والمغرب لاوسعتهم فاكهة وهي صلاة الاوابين وغفلة الغافلين وان من الدعا المستجاب الذي
لا يرد الدعا بين المغرب والعشا فصل في فضل التجافي ذكر ابن المبارك عن ابن عباس قال
اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحامدون لله على كل حال
فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادي ثانية ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين
كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال
فيقومون فيسرحون الى الجنة قال ثم ينادي ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين
كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه
القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة ذكره الثعلبي مرفوعا عن اسما بنت يزيد قال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جا مناد فنادى بصوت
تسمعه الخلايق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم
عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم ينادي الثانية ستعلمون اليوم من اولى بالكرم ليقم
الحامدون لله على كل حال في السرا والضرا فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم
يحاسب سائر الناس وذكر ابن المبارك قال ثنا معمر عن رجل عن ابي المصلى بن الشخير عن ابي
ذر قال ثلثة يضحك الله اليهم ويستبشر الله بهم رجل قام من الليل وترك فراشه ودفيه ثم
توضا فاحسن الوضوء ثم قام الى الصلاة فيقول الله تعالى لملائكته ما حمل عبدي على ما صنع
فيقولون ربنا انت اعلم به منا فيقول انا اعلم به ولكن اخبروني فيقولون رجيته شيا فرجاه
وخوفته شيا فخافه فيقول اشهدكم اني قد امنته مما خاف واوجبت له ما رجاه قال
ورجل كان في سرية فلقي العدو فانهزم اصحابه وثبت هو حتى يقتل او يفتح الله عليهم فيقول
الله لملائكته مثل هذه القصة ورجل سرى في ليلة حتى اذا كان في اخر الليل نزل هو واصحابه
وقام هو يصلي فيقول الله لملائكته فذكر القصة قوله تعالى يدعون ربهم في موضع
نصب على الحال اي داعين ويحتمل ان يكون صفة مستانفة اي تتجافى جنوبهم وهم ايضا
في كل حال يدعون ليلهم ونهارهم خوفا مفعول من اجله ويجوز ان يكون مصدرا وطمعا
مثله اي خوفا من العذاب وطمعا في الثواب ومما رزقناهم ينفقون تكون ما بمعنى الذي
ويكون مصدرا وفي كلا الوجهين يجب ان يكون منفصلة من من وينفقون قيل معناه
الزكاة المفروضة وقيل النوافل وهذا القول امدح قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي
لهم من قرة اعين قرا حمزة ما اخفي لهم باسكان اليا وفتحها الباقون وفي قراة عبد الله
ما نخفي بالنون مضمومة وروى المفضل عن الاعمش ما يخفى لهم باليا المضمومة وفتح الفا
وقرا ابن مسعود وابو هريرة من قرات اعين فمن اسكن اليا في قوله ما اخفي فهو مستقبل
والف الف المتكلم وما في موضع نصب باخفي وهي استفهام والجملة في موضع نصب
لوقوعها موقع المفعولين والضمير العايد عليها محذوف ومن فتح اليا فهو فعل ماض
مبني للمفعول وما في موضع رفع بالابتدا والخبر اخفي وما بعده والضمير في اخفي عايد
على ما قال الزجاج وقرا ما اخفي لهم بمعنى ما اخفى الله لهم وهي قراة محمد بن كعب وما في موضع
نصب المهدوي ومن قرا قرات اعين فهو جمع قرة وحسن الجمع فيه لاضافته الى جمع والافراد
لانه مصدر وهو اسم للجنس وقال ابو بكر الانباري وهذا غير مخالف للمصحف لان تا
قرة تكتب تا على لغة من يجري الوصل على الوقف كما كتبوا رحمت الله بالتا ولا تستنكر سقوط
الالف من قرات في الخط وهو موجود في اللفظ كما لم يستنكر سقوط الالف من السماوات
وهي ثابتة في اللسان والنطق والمعنى المراد انه اخبر تعالى بما لهم من النعيم الذي لم تعلمه

نفس

نفس ولا بشر ولا ملك وفي معنى هذه الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل
اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما
اطلعكم عليه ذخرا بله ما اطلعكم عليه ثم قرا فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين اخرجه الصحيح
من حديث سهل بن سعد الساعدي وقال ابن مسعود في التوراة مكتوب على الله للذين
تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال ابن عباس
الامر في هذا اجل واعظم من ان يعرف تفسيره قلت وهذه الكرامة انما هي لاعلى اهل الجنة منزلا
كما جاء في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سال
موسى عليه السلام ربه فقال يا رب ما ادنى اهل الجنة منزلة قال هو رجل ياتي بعدما يدخل
اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول اي رب كيف وقد نزلت الناس منازلهم واخذوا
اخذاتهم فيقال له اترضى ان يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت ربي فيقول
لك ذلك ومثله معه ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربي فيقال هذا لك
وعشرة امثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربي قال رب فاعلاهم
منزلة قال اولئك الذين اردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع اذن
ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه من قول الله تعالى في كتابه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم
من قرة اعين الاية وقد روي عن المغيرة موقوفا قوله وخرج مسلم ايضا عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا
عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعكم عليه ثم قرا فلا
تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن سيرين المراد النظر الى الله تعالى وقال
الحسن اخفى القوم اعمالا فاخفى الله لهم ما لا عين رات ولا اذن سمعت قوله تعالى افمن كان مومنا
كمن كان فاسقا لا يستوون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان
فاسقا لا يستوون اي ليس المومن كالفاسق فلهذا اثبنا هولا المومنين الثواب العظيم قال
ابن عباس وعطا بن يسار نزلت الاية في علي بن ابي طالب والوليد بن عقبة بن ابي معيط
تلاحيا فقال له اسكت فانك فاسق ... وروي وابلا في الكتيبة
حسدا اسكت فانك فاسق فنزلت الاية وذكر الزجاج والنحاس انها نزلت في علي وعقبة بن ابي
معيط قال ابن عطية وعلى هذا يلزم ان تكون الاية مكية لان عقبة لم يكن بالمدينة وانما
قتل في طريق مكة منصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر وعرض في القول الاخر
باطلاق اسم الفسق على الوليد وذلك يحتمل ان يكون في صدر الاسلام الوليد لشي كان فيه
نفسه او لما روي من نقله عن بني المصطلق ما لم يكن حتى نزلت فيه ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا
على ما ياتي في الحجرات بيانه ويحتمل ان يطلق الشريعة ذلك عليه لانه كان على طرف مما يبغي وهو
الذي شرب الخمر في زمن عثمان رضي الله عنه وصلى بالناس الصبح ثم التفت وقال اتريدون
ان ازيدكم ونحو هذا مما يطول ذكره الثانية لما قسم الله تعالى المومنين والفاسقين الذين
فسقهم بالكفر لان التكذيب يقتضي ذلك نفى المساواة بين المومن والكافر ولهذا منع
القصاص بينهما اذ من شرط وجوب القصاص المساواة بين القاتل والمقتول وبذلك احتج
علماونا على ابي حنيفة في قتله المسلم بالذمي وقال اراد نفي المساواة ههنا في الاخرة
في الثواب وفي الدنيا في العدالة ونحن حملناه على عمومه وهو اصح اذ لا دليل يخصه قاله
ابن العربي الثالثة قوله تعالى لا يستوون قال الزجاج وغيره من يصلح للواحد والجمع
النحاس لفظه من يودي عن الجماعة فلهذا قال لا يستوون هذا قول كثير من النحويين
وقال بعضهم لا يستوون لاثنين لان الاثنين جمع لانه واحد جمع مع اخر وقاله الزجاج
ايضا والحديث يدل على هذا القول لانه عن ابن عباس وغيره قال نزلت الاية في ...
في علي بن ابي طالب كرم الله وجهه والوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال الشاعر
اليس الموت بينهما سواء اذا ماتوا وصاروا في القبور
قوله تعالى اما الذين امنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات الماوى اخبر عن مقر الفريقين
غدا فللمومنين جنات الماوى اي ياوون الى الجنات فاضاف الجنات الى الماوى لان ذلك

الموضع بتضمن جنات نزلا اي ضيافة والنزل ما يهيا للنازل والضيف وقد مضى في اخر
ال عمران وهو نصب على الحال من الجنات اي لهم الجنات معدة ويجوز ان يكون مفعولا له واما
الذين فسقوا اي خرجوا عن الايمان الى الكفر فماواهم النار اي مقامهم فيها كلما ارادوا ان يخرجوا
منها اعيدوا فيها اي اذا دفعهم لهب النار الى اعلاها ردوا الى موضعهم فيها لانهم يطمعون في الخروج
منها وقد مضى هذا في الحج وقيل لهم اي تقول لهم خزنة جهنم او يقول الله لهم ذوقوا عذاب
النار الذي كنتم به تكذبون والذوق يستعمل محسوسا ومعنى وقد مضى في هذه السورة
بيانه قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قال الحسن
وابو العالية والضحاك وابي بن كعب وابراهيم النخعي العذاب الادنى مصائب الدنيا واسقامها
مما يبتلى بها العبيد حتى يتوبوا وقاله ابن عباس وعنه ايضا انه الحدود وقال ابن مسعود
والحسين بن علي وعبد الله بن الحارث هو القتل بالسيف يوم بدر وقال مقاتل الجوع سبع
سنين بمكة حتى اكلوا الجيف قاله مجاهد وعنه ايضا العذاب الادنى عذاب القبر وقاله
البراء بن عازب وقالوا الاكبر عذاب يوم القيامة قال القشيري وقيل عذاب القبر
وفيه نظر لقوله لعلهم يرجعون اي يرجع من بقي منهم ولا خلاف ان العذاب الاكبر عذاب
جهنم الا ما روي عن جعفر بن محمد انه خروج المهدي بالسيف والادنى غلاء السعر وقد
قيل ان معنى قوله يرجعون على قول مجاهد والبراء لعلهم يريدون الرجوع رجوعا
كما سميت ارادة القيام قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة ودل عليه قراءة من قرا
يرجعون على البنا للمفعول ذكره الزمخشري قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم
لنفسه ممن ذكر بايات ربه اي بحججه وعلاماته ثم اعرض عنها بترك القبول انا من المجرمين
منتقمون لاعراضهم قوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من
لقائه اي فلا تكن يا محمد في شك من لقاء موسى قاله ابن عباس وقد لقيه ليلة الاسرى
قتادة المعنى فلا تكن في شك من لقاء موسى الكتاب بالقبول ولقد اتينا موسى
الكتاب فاوذي وكذب فلا تكن في شك من انه سيلقاك ما لقيه من التكذيب
والاذى قال مجاهد فالهاء عائدة على محذوف والمعنى من لقائها لاقى النحاس وهذا
قول غريب الا انه من رواية عمرو بن عبيد وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى
قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم فلا تكن في مرية من لقائه فجا معترضا بين
ولقد اتينا موسى الكتاب وبين وجعلناه هدى لبني اسرائيل والضمير في جعلناه
فيه وجهان احدهما جعلنا موسى قاله قتادة الثاني جعلنا الكتاب قاله الحسن
وجعلنا منهم ايمة اي قادة وقدوة يقتدى بهم في دينهم والكوفيون يقرون ايمة
قال النحاس وهو لحن عند جميع النحويين لانه جمع بين همزتين في كلمة واحدة وهو
من دقيق النحو وشرحه ان الاصل ايمة ثم القيت حركة الميم على الهمزة وادغمت
الميم وخففت الهمزة الثانية لئلا يجتمع همزتان والجمع بين همزتين في حرف
بعيد فاما في حرف واحد فلا يجوز الا تخفيف الثانية نحو قولك ادم واخرون
ويقال هذا اوم من هذا وايم بالواو والياء وقد مضى في براة يهدون بامرنا
اي يهدون الخلق الى طاعتنا بامرنا اي امرناهم بذلك وقيل بامرنا اي لامرنا اي يهدون
الناس لديننا ثم قيل المراد الانبياء قاله قتادة وقيل الفقهاء والعلماء لما صبروا قراة
العامة لما بفتح اللام وتشديد الميم وفتحها اي حين صبروا وقرا يحيى وحمزة والكسائي
وخلف ورويس عن يعقوب لما صبروا اي لصبرهم جعلناهم ايمة واختاره ابو
عبيد اعتبارا بقراة ابن مسعود بما صبروا وهذا الصبر صبر على الدين وعلى البلا
وقيل صبروا على الدنيا ان ربك هو يفصل بينهم اي يقضي ويحكم بين المومنين والكفار
فيجازي كلا بما يستحق وقيل يقضي بين الانبيا وبين قومهم حكاه النقاش قوله
تعالى اولم يهد لهم وقرا ابو عبد الرحمن السلمي وقتادة وابو زيد عن يعقوب نهد لهم
بالنون فهذه قراة بينة قال النحاس وبالياء فيها اشكال لانه يقال الفعل لا يخلو من
فاعل فاين الفاعل ليهد فتكلم النحويون في هذا فقال الفرا كم في موضع رفع بيهد وهذا

نقض

نقض لاصول النحويين في قولهم ان الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله ولا في كم بوجه اعني ما قبلها
ومذهب ابي العباس ان يهد يدل على الهدى والمعنى اولم يبين لهم الهدى والمعنى اولم يهد الله
لهم فيكون معنى اليا والنون واحدا اي اولم يبين لهم اهلاكنا القرون الكافرة من قبلهم وقال
الزجاج كم في موضع نصب باهلكنا يمشون في مساكنهم يحتمل الضمير في يمشون ان يعود على الماشين
في مساكن المهلكين اي وهولاء يمشون ولا يعتبرون ويحتمل ان يعود على المهلكين فيكون حالا
والمعنى اهلكناهم ماشين في مساكنهم ان في ذلك لايات اي علامات افلا يسمعون ايات الله وعظاته فيتعظون
قوله تعالى اولم يروا انا نسوق الما الى الارض الجرز اي اولم يعلموا كمال قدرتنا بسوقنا الما
الى الارض اليابسة التي لا نبات فيها لنحييها الزمخشري الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع
اما لعدم الما واما لانه رعي وازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله
فنخرج به زرعا قال ابن عباس هي ارض باليمن وقال مجاهد هي ابين وقال عكرمة هي
الارض الظما وقال الضحاك هي الارض الميتة العطشى وقال الفرا هي الارض التي لا نبات فيها
وقال الاصمعي هي الارض التي لا تنبت شيا وقال محمد بن يزيد يبعد ان تكون لارض
بعينها لدخول الالف واللام الا انه يجوز على قول من قال ابن عباس والضحاك والاسناد
عن ابن عباس صحيح لا مطعن فيه وهذا انما هو نعت والنعت للمعرفة بالالف واللام وهو
مشتق من قولهم رجل جروز اذا كان لا يبقي شيا الا اكله قال الراجز

خب جروز واذا جاع بكى * وياكل التمر ولا يلقي النوى

وكذلك ناقة جروز اذا كانت تاكل كل شي تجده وسيف جراز اي قاطع وجرزت الجراد الزرع
اذا استاصلته بالاكل وحكى الفرا وغيره انه يقال ارض جرز وجرز وجرز وجرز وكذلك بخل
ورغب ورهب في الاربعة اربع لغات وقد روي ان هذه الارض لا انهار فيها وهي بعيدة
من البحر وانما ياتيها في كل عام واديان فيزرعون ثلاث مرات في كل عام وعن مجاهد ايضا
ارض النيل فنخرج به اي بالما زرعا تاكل منه انعامهم وانفسهم من الكلا والحشيش وانفسهم
من الحب والخضر والفواكه افلا يبصرون هذا فيعلمون انا نقدر على اعادتهم ونخرج يخرج
معطوف على نسوق او منقطعا مما قبله تاكل منه انعامهم في موضع نصب على النعت قوله
تعالى ويقولون متى هذا الفتح متى في موضع رفع ويجوز ان يكون في موضع نصب على
الظرف وقال قتادة الفتح القضا وقال الفرا والقتبي يعني فتح مكة واولى من هذا ما
قاله مجاهد قال يعني يوم القيامة ويروى ان المومنين قالوا سيحكم الله عز وجل بيننا
يوم القيامة فيثيب المحسن ويعاقب المسي فقال الكفار على التهزي متى يوم الفتح اي
هذا الحكم ويقال للحاكم فاتح وفتاح لان الاشيا تنفتح على يديه وتنفصل وفي القران
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وقد مضى هذا في البقرة وغيرها قل يوم الفتح على
الظرف واجاز الفرا الرفع لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون اي يوخرون
ويمهلون للتوبة ان كان يوم الفتح يوم بدر او فتح مكة ففي بدر قتلوا وفي يوم الفتح
هربوا فلحقهم خالد بن الوليد قوله تعالى فاعرض عنهم قيل معناه اعرض عن سفههم ولا
تجبهم الا بما امرت به وانتظر انهم منتظرون اي انتظر يوم الفتح يوم يحكم الله لك عليهم ابن
عباس فاعرض عنهم اي عن مشركي قريش ان هذا منسوخ بالسيف في براة في قوله
فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وانتظر اي موعدي لك قيل يعني يوم بدر انهم منتظرون
اي ينتظرون بكم حوادث الزمان وقيل الاية منسوخة وقد يعترض الاعراض مع الامر
بالقتال كالهدنة وغيرها وقيل اعرض عنهم بعدما بلغت الحجة وانتظر انهم منتظرون
ان قيل كيف ينتظرون القيامة وهم لا يومنون ففي هذا جوابان احدهما ان يكون المعنى
انهم منتظرون الموت وهو من اسباب القيامة فيكون هذا مجازا والاخر ان فيهم من
يشك ومنهم من يومن بالقيامة فيكون هذا جوابا لهذا الصنف والله اعلم وقرا ابن
السميقع انهم منتظرون بفتح الظا قال ابو حاتم الصحيح الكسر اي انتظر عذابهم انهم منتظرون
هلاكك وقد قيل ان قراة ابن السميقع بفتح الظا معناها انتظر هلاكهم فانهم احقا بان
ينتظر هلاكهم يعني انهم هالكون لا محالة وانتظر ذلك فان الملائكة في السما ينتظرونه ذكره

الزمخشري وهو معنى قول الفرا والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده

سورة الاحزاب مدنية

في قول جميعهم نزلت في المنافقين وايذائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعنهم فيه وفي مناكحته وغيرها وهي ثلاث وسبعون اية وكانت هذه السورة تعدل سورة البقرة وكانت فيها اية الرجم الشيخ والشيخة فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم ذكره ابو بكر الانباري عن ابي بن كعب وهذا يحمله اهل العلم على ان الله تعالى رفع من الاحزاب اليه على ما في ايدينا وان اية الرجم رفع لفظها وقد حدثنا احمد بن الهيثم بن خالد قال ثنا ابو عبيد القاسم بن سلام قال ثنا ابن ابي مريم عن ابن لهيعة عن ابي الاسود عن عروة عن عايشة قالت كانت سورة الاحزاب تعدل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مايتين اية فلما كتب المصحف لم يقدر منها الا على ما هي الان قال ابو بكر فمعنى هذا من قول ام المومنين عايشة رضي الله عنها ان الله تعالى رفع من سورة الاحزاب ما يزيد على ما عندنا قلت هذا وجه من وجوه النسخ وقد تقدم في البقرة القول فيه مستوفى وروى زر عن ابي بن كعب انه قال كم تقرؤون سورة الاحزاب قلت ثلاثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرات منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القران واما ما يحكى ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة فاكلتها الداجن فمن تاليف الملاحدة والروافض

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله ضمت اي لانه نداء مفرد والتنبيه لازم لها والنبي نعت لاي عند النحويين الا الاخفش فانه يقول انه صلة لاي مكي ولا يعرف في كلام العرب اسم مفرد صلة لشيء النحاس وهو خطا عند اكثر النحويين لان الصلة لا تكون الا جملة والاحتيال له فيما قال انه لما كان نعتا لازما سمي صلة وهكذا الكوفيون يسمون نعت النكرة صلة لها ولا يجوز نصبه على الموضع عند اكثر النحويين واجازه المازني جعله كقولك يا زيد الظريف بنصب الظريف على موضع زيد مكي وهذا نعت يستغنى عنه ونعت اي لا يستغنى عنه فلا يجوز نصبه على الموضع وايضا فان نعت اي هو المنادى في المعنى فلا يجوز نصبه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاق وكان يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم فنزلت وقيل انها نزلت فيما ذكر الواحدي والقشيري والثعلبي والماوردي وغيرهم في ابي سفيان بن حرب وعكرمة ابن ابي جهل وابي الاعور عمرو بن سفيان نزلوا المدينة على عبد الله ابن ابي بن سلول راس المنافقين بعد احد وقد اعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن ابي سرح وطعمة ابن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر ابن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاعة ومنعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا فقال عمر يا رسول الله ايذن لنا في قتلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني قد اعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجوا من المدينة فنزلت الاية يا ايها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين من اهل مكة يعني ابا سفيان وابا الاعور وعكرمة والمنافقين من اهل المدينة يعني عبد الله بن ابي وطعمة بن عبد الله ابن ابي سرح فيما نهيت عنه ولا تمل اليهم ان الله كان عليما حكيما بما يفعلهم الزمخشري روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة ابن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في

الموادعة التي كانت بينهم وبينه وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارفض ذكر الهتنا وذكر الخبر بمعنى ما تقدم وان الاية نزلت في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم ويزوجه شيبة بن ربيعة ابنته وخوفه منافقو المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت النحاس ودل بقوله ان الله كان عليما حكيما انه كان يميل اليهم استدعا لهم الى الاسلام اي لو علم الله عز وجل ان ميلك اليهم فيه منفعة لما نهاك عنهم لانه حكيم ثم قيل الخطاب له ولامته قوله تعالى واتبع ما يوحى اليك من ربك يعني القران وفيه زجر عن اتباع مراسم الجاهلية وامر بجهادهم ومنابذتهم وفيه دليل على ترك اتباع الاراء مع وجود النص والخطاب له ولامته ان الله كان بما تعملون خبيرا قراءة العامة بالتاء على الخطاب وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا السلمي وابو عمرو وابن ابي اسحاق يعملون بالياء على الخبر وكذلك في قوله بما يعملون بصيرا وتوكل على الله اي اعتمد عليه في كل احوالك فهو الذي يمنعك ولا يضرك من خذلك وكفى بالله وكيلا اي حافظا وقال شيخ من اهل الشام قدم على النبي صلى الله عليه وسلم وفد من ثقيف فطلبوا ان يمتعهم باللات والعزى سنة وهي الطاغية التي كانت ثقيف تعبدها وقالوا لتعلم قريش منزلتنا عندك فهم النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا اي كافيا لهم ما تخافه منهم وبالله في موضع رفع لانه الفاعل ووكيلا نصب على البيان او الحال قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فيه مسئلتان الاولى قال مجاهد نزلت في رجل من قريش كان يدعى ذا القلبين من دهايه وكان يقول ان لي في جوفي قلبين اعقل بكل واحد منهما افضل من عقل محمد قال وكان من فهر الواحدي والقشيري وغيرهما نزلت في جميل بن معمر الفهري وكان رجلا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما يحفظ هذه الاشياء الا وله قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بهما افضل من عقل محمد فلما هزم المشركون يوم بدر ومعهم جميل بن معمر رآه ابو سفيان في العير وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال ابو سفيان ما حال الناس فقال انهزموا قال فما بال احدى نعليك في يدك والاخرى في رجلك قال ما شعرت الا انهما في رجلي فعرفوا يومئذ انه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده وقال السهيلي كان جميل بن معمر الجمحي وهو ابن معمر ابن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح واسم جمح تيم وكان يدعى ذا القلبين فنزلت فيه الاية وفيه يقول الشاعر * وكيف ثوائي بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر * قلت كذا قالوا جميل بن معمر وقال الزمخشري جميل بن اسد الفهري وقال ابن عباس سببها ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان لانه ربما كان في شيء فنزع في غيره نزعة ثم عاد الى شانه الاول فقالوا ذلك عنه فاكذبهم الله عز وجل وقيل نزلت في عبد الله بن خطل وقال الزهري وابن حبان نزل ذلك تمثيلا في زيد بن حارثة لما تبناه النبي صلى الله عليه وسلم فالمعنى كما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا يكون ولد واحد لرجلين قال النحاس وهذا قول ضعيف لا يصح في اللغة وهو من منقطعات الزهري رواه معمر عنه وقيل هو مثل ضرب للظاهر كما لا يكون للرجل قلبان كذلك لا يكون امراة المظاهر امه حتى يكون له امان وقيل كان الواحد من المنافقين يقول لي قلب يامرني بكذا وقلب يامرني بكذا فالمنافق ذو قلبين فالمقصود رد النفاق وقيل لا يجتمع الكفر والايمان بالله في قلب كما لا يجتمع قلبان في جوف فالمعنى لا يجتمع اعتقادان متغايران في قلب ويظهر من الاية بجملتها نفي اشيا كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت واعلام بحقيقة الامر والله اعلم الثانية القلب بضعة صغيرة على هيئة الصنوبرة خلقها الله تعالى في الادمي وجعلها محلا للعلم فيحصي به العبد من العلوم ما لا يسع في اسفار يكتبه الله بالخط الالهي ويضبطه فيه بالحفظ الرباني حتى يحصيه ولا ينسى منه شيئا وهو بين لمتين لمة من الملك ولمة من الشيطان كما قال عليه السلام خرجه الترمذي وقد مضى في البقرة

وهو محل الخطرات والوساوس ومكان الكفر والايمان وموضع الاصرار والانابة ومجرى الانزعاج والطمأنينة والمعنى في الآية انه لا يجتمع في القلب الكفر والايمان والهدى والضلال والانابة والاصرار وهذا ينفي لكلما توجه احد في ذلك من حقيقة او مجاز والله اعلم قال الشاعر الله تعالى عز وجل في هذه الآية بقلبين ويكون في هذا المعنى على المنافقين الذين تقدم ذكرهم اي انما هو قلب واحد فاما فيه ايمان واما فيه كفر لان درجة النفاق كانها متوسطة فنفاها الله وبينا انه قلب واحد وعلى هذا النحو يستشهد الانسان بهذه الآية حين ينسى شيئا او وهم يقول على جهة الاعتذار ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه الرابعة قوله تعالى وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم يعني قول الرجل لامرأته انت علي كظهر امي وذلك مذكور في سورة المجادلة على ما يأتي ان شاء الله تعالى الخامسة قوله تعالى وما جعل ادعياءكم ابناءكم اجمع اهل التفسير على ان هذا نزل في زيد بن حارثة وروى الأئمة عن ابن عمر قال ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد حتى نزلت ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله وكان زيد فيما روي عن انس بن مالك وغيره مسبيا من الشام سبته خيل من تهامة فابتاعه حكيم بن حزام بن خويلد فوهبه لعمته خديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فاعتقه وتبناه فاقام عنده مدة ثم جاء عمه وابوه يرغبان في فدائه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل البعث خيراه فان اختاركما فهو لكما دون فداء فاختار الرق على رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه فقال محمد عند ذلك صلى الله عليه وسلم عند ذلك يا معشر قريش اشهدوا انه ابني يرثني وارثه وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضي ذلك عمه وابوه وانصرفا وكان ابوه لما سباه عادوا الى الشام ويقول

بكيت على زيد ولم ادر ما فعل • احي يرجى ام اتى دونه الاجل •

• فوالله لا ادري وان لسائل • اغالك بعدي السهل ام غالك الجبل •

• فيا ليت شعري هل لك الدهر اوبة • فحسبي من الدنيا رجوعك لي بجل •

• تذكرنيه الشمس عند طلوعها • وتعرض ذكراه اذا غربها افل •

• وان هبت الارياح هيجن ذكره • فيا طول ما حزني عليه وما وجل •

• ساعمل نص العيس في الارض جاهدا • ولا اسأم التطواف او تسأم الابل •

• حياتي او تأتي علي منيتي • فكل امرئ فان وان غره الامل •

فاخبر انه بمكة فجاء اليه فهلك عنده وروي انه جاء اليه فخيره النبي صلى الله عليه وسلم كما ذكرنا وانصرف وسيأتي من ذكره وشرفه وفضله شفاء عند قوله فلما قضى زيد منها وطرا ان شاء الله وقتل زيد بمؤتة من ارض الشام سنة ثمان من الهجرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم امره في تلك الغزاة وقال ان قتل زيد فجعفر فان قتل جعفر فعبد الله بن رواحة فقتل الثلاثة في تلك الغزوات رضوان الله عليهم ولما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نعي زيد وجعفر بكى وقال اخواي ومؤنساي ومحدثاي قوله تعالى ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله الى قوله رحيما فيه ست مسائل الاولى قوله تعالى ادعوهم لآبائهم نزلت في زيد بن حارثة على ما تقدم بيانه وفي قول ابن عمر ما كنا ندعو زيد بن حارثة الا زيد بن محمد دليل على ان التبني كان معمولا به في الجاهلية والاسلام يتوارث به ويتناصر الى ان نسخ الله ذلك بقوله ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله اي اعدل فرفع الله حكم التبني ومنع من اطلاق لفظه وارشد بقوله الى ان الاولى والاعدل ان ينسب الرجل الى ابيه نسبا فيقال كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبه جلده وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له نصيب الذكر من اولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان وقال النحاس هذه الآية ناسخة لما كانوا عليه من التبني وهو من نسخ السنة بالقرآن فامر ان يدعوا من دعوا الى ابيه المعروف فان لم يكن له اب معروف نسبوه الى وليه فان لم يكن له ولي معروف قال يا اخي يعني في الدين قال الله تعالى انما المؤمنون

الذين اذا ذكر الله الثانية لو نسبه انسان الى ابيه من التبني فان كان على جهة الخطأ وهو ان يسبق لسانه الى ذلك من غير قصد فلا اثم ولا مؤاخذة لقوله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به وكذلك لو دعوت رجلا لغير ابيه وانت ترى انه ابوه ليس عليك بأس قاله قتادة ولا يجري هذا المجرى ما غلب عليه اسم التبني كالحال في المقداد بن عمرو فانه كان غلب عليه اسم نسب التبني فلا يكاد يعرف الا بالمقداد بن الاسود فان الاسود بن عبد يغوث كان قد تبناه في الجاهلية وعرف به فلما نزلت الآية قال المقداد انا ابن عمرو ومع ذلك فبقي الاطلاق عليه ولم يسمع فيمن مضى من عصى مطلق ذلك كله وان كان متعمدا وكذلك سالم مولى ابي حذيفة كان يدعى لابي حذيفة وغيرها ولا من يتبنى وانتسب لغير ابيه وشهد بذلك وغلب عليه وذلك بخلاف الحال في زيد بن حارثة فانه لا يجوز ان يقال فيه زيد بن محمد فان قاله احد متعمدا عصى لقوله تعالى ولكن ما تعمدت قلوبكم اي فعليكم الجناح والله اعلم ولذلك قال بعده وكان الله غفورا رحيما اي غفورا للعمد رحيما برفع اثم الخطأ الثالثة وقد قيل ان قول الله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به مجمل اي وليس عليكم جناح في شيء اخطأتم به وكانت فتيا عطاء وكثير من العلماء على هذا اذا حلف رجل ان لا يفارق غريمه حتى يستوفي منه حقه فاخذ منه ما يرى انه جيد من دنانير فوجدها زيوفا انه لا شيء عليه وكذلك عنده اذا حلف ان لا يسلم على فلان فسلم عليه وهو لا يعرفه لانه لم يتعمد ذلك وما في موضع خفض رد على ما التي مع اخطأتم ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدأ والتقدير ولكن الذي تؤاخذون به ما تعمدت قلوبكم قال قتادة وغيره من نسب رجلا الى غير ابيه وهو يرى انه ابوه خطأ فذلك الذي رفع الله فيه الجناح قال هو ان يقول في المخاطبة يا بني على غير تبن قوله تعالى ذلكم قولكم بافواهكم تأكيد لبطلان القول اي انه قول لا حقيقة في الوجود انما هو قول لساني فقط وهذا كما تقول انا امشي اليك على قدم فانما تريد بذلك المبرة وهذا كثير وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع والله يقول الحق الحق نعت لمصدر محذوف اي يقول القول الحق وهو يهدي معناه يبين فهو يتعدى بغير حرف جر الخامسة الادعياء جمع الدعي وهو الذي يدعى ابنا لغير ابيه او يدعي غير ابيه والمصدر الدعوة بالكسر فامر تعالى بدعاء الادعياء الى آبائهم للصلب فمن جهل ذلك فيه ولم تشتهر انسابهم كان مولى واخا في الدين وذكر الطبري ان ابا بكرة قرأ هذه الآية وقال انا ممن لا يعرف ابوه فانا اخوكم في الدين ومولاكم وروي عن ولو علم والله ان اباه حمار لانتمى اليه ورجال الحديث يقولون في ابي بكرة نفيع بن الحارث السادسة روي في الصحيح عن سعد بن ابي وقاص وابي بكرة كلاهما قال سمعته اذناي ووعاه قلبي محمدا صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير ابيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام وفي حديث ابي ذر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ليس من رجل ادعى لغير ابيه وهو يعلمه الا كفر قوله تعالى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم الى قوله مسطورا فيه تسع مسائل الاولى النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم هذه الآية ازال الله بها احكاما كانت في صدر الاسلام منها انه عليه السلام كان لا يصلي على ميت عليه دين فلما فتح الله عليه الفتوح قال انا اولى بالمؤمنين من انفسهم فمن توفي وعليه دين فعلي قضاؤه ومن ترك مالا فلورثته اخرجه الصحيحان وفيهما ايضا فايكم ما ترك دينا او ضياعا فانا مولاه قال ابن العربي فانقلبت الآن الحال بالذنوب فان تركوا مالا ضويق العصبة فيه وان تركوا ضياعا اسلموا اليه فهذه تفسير الولاية المذكورة بتفسير النبي صلى الله عليه وسلم وتنبيه ولا عطر بعد عروس قال ابن عطية قال بعض العلماء العارفين هو اولى بهم من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم الى النجاة قال ابن عطية ويؤيد هذا قوله عليه السلام انا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها تقحم الفراش قلت هذا قول حسن في هذه الآية وتفسيرها والحديث الذي ذكر اخرجه مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما مثلي ومثل امتي كمثل رجل استوقد نارا فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه وانا آخذ بحجزكم وانتم تقتحمون فيه وعن جابر مثله قال وانتم تفلتون من يدي قال العلماء الحجزة للسراويل والمعقد للازار فاذا اراد الرجل امساك من يخاف سقوطه اخذ بذلك الموضع منه وهذا مثل لاجتهاد نبينا صلى الله عليه

وسلم في نجاتنا وحرصه على تخلصنا من الهلكات التي بين ايدينا فهو اولى بنا من انفسنا وجهلنا
بقدر ذلك وغلبة شهواتنا علينا وظفر عدونا اللعين بنا صرنا احقر من الفراش واذل من الفراش
لا حول ولا قوة الا بالله وقيل اولى بهم اي اذا امر بشي ودعت النفس الى غيره كان امر النبي
صلى الله عليه وسلم اولى وقيل اولى بهم اي هو اولى بان يحكم على المومنين فينفذ حكمه في انفسهم اي فيما
يحكمون به لانفسهم مما يخالف حكمه الثانية قال بعض اهل العلم يجب على الامام ان يقضي من بيت
المال دين الفقرا اقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم فانه قد صرح بوجوب ذلك عليه حيث قال
فالي قضاوه والضياع بفتح الضاد مصدر ضاع ثم جعل اسما لما هو بصدد ان يضيع من عيال
وبنين لا كافل لهم ومال لا قيم له وسميت الارض ضيعة لانها معرضة للضياع ويجمع ضياعا بكسر صيعًا
الضاد الثالثة قوله تعالى وازواجه امهاتهم شرف تعالى ازواج نبيه عليه السلام بان جعلهن
امهات المومنين اي في وجوب التعظيم والمبرة والاجلال وحرمة النكاح على الرجال وحجبهن
رضي الله عنهن بخلاف الامهات وقيل لما كانت شفقتهن عليهم كشفقة الامهات انزلن منزلة
الامهات ثم هذه الامومة لا توجب ميراثا كامومة التبني وجاز تزويج بناتهن ولا يجعلن اخوات
للناس وسياتي عدد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في اية التخيير ان شا الله تعالى واختلف
الناس هل هن امهات الرجال والنسا ام امهات الرجال خاصة على قولين فروى الشعبي عن
مسروق عن عايشة رضي الله عنها ان امراة قالت لها يا امه فقالت لها لست لك بام انما انا ام
رجالكم قال ابن العربي وهو الصحيح قلت لا فايدة لاختصاص الحصر في الاباحة للرجال
دون النسا والذي يظهر لي انهن امهات الرجال والنسا تعظيما لحقهن على الرجال والنسا يدل
عليه صدر الاية النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهذا يشمل الرجال والنسا ضرورة ويدل
على ذلك حديث ابي هريرة وجابر فيكون قوله وازواجه امهاتهم عايدا الى الجميع ثم ان في مصحف
ابي بن كعب امهاتهم وهو اب لهم وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب وازواجه وهذا كله
يوهن ما رواه مسروق وان صح من جهة الترجيح وان لم يصح سقط الاستدلال به في
التخصيص وبقينا على الاصل الذي هو العموم الذي يسبق الى الفهم والله اعلم الرابعة قوله
تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين قيل انه
اراد بالمومنين الانصار وبالمهاجرين قريشا وفيه قولان احدهما انه ناسخ للتوارث
بالهجرة حكى سعيد عن قتادة قال كان نزل في سورة الانفال والذين امنوا ولم
يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا فتوارث المسلمون بالهجرة فكان لا يرث الاعرابي
المسلم من قريبه المسلم المهاجر شيا ثم نسخ ذلك في هذه السورة بقوله واولوا الارحام
بعضهم اولى ببعض الثاني ان ذلك ناسخ للتوارث بالحلف والمواخاة في الدين روى هشام
ابن عروة عن ابيه عن الزبير واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله وذلك
انا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا اموال لنا فلما وجدنا الانصار نعم الاخوان
فاخيناهم فاورثونا واورثناهم فاخى ابو بكر خارجة بن زيد واخيت انا كعب بن مالك
فجيت فوجدت السلاح قد اثقله فوالله لقد مات عن الدنيا ما ورثه غيري حتى انزل
الله عز وجل هذه الاية فرجعنا الى موارثتنا وثبت عن عروة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اخى بين الزبير وبين كعب بن مالك فارتث كعب يوم احد فجا الزبير يقوده من زمام
راحلته فلو مات يوميذ كعب عن الضح والريح لورثه الزبير فانزل الله عز وجل واولوا
الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فبين الله ان القرابة اولى من الحلف فتركت
الوراثة بالحلف وورثوا بالقرابة وقد مضى في الانفال الكلام في توريث ذوي الارحام
وقوله في كتاب الله يحتمل ان يريد القران ويحتمل ان يريد اللوح المحفوظ الذي قضى
فيه احوال خلقه ومن المومنين متعلق باولى لا بقوله واولوا الارحام بالاجماع لان ذلك
يوجب تخصيصا ببعض المومنين ولا خلاف في عمومها وهذا حل اشكالها قاله ابن العربي
الخامسة واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله من المومنين والمهاجرين يجوز
ان يتعلق من المومنين باولوا فيكون التقدير واولوا الارحام من المومنين والمهاجرين
ويجوز ان يكون المعنى اولى من المومنين وقال المهدوي وقيل ان معناه واولوا الارحام

بعضهم

بعضهم اولى ببعض في كتاب الله الا ما يجوز لازواج النبي صلى الله عليه وسلم ان يدعين امهات
المومنين السادسة واختلف في كونهن كالامهات في المحرم واباحة النظر على وجهين احدهما هن
محرم ولا يحرم النظر اليهن الثاني ان النظر اليهن محرم لان تحريم نكاحهن انما كان حفظا لحق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهن وكان من حفظ حقه تحريم النظر اليهن لان عايشة رضي
الله عنها كانت اذا ارادت دخول رجل عليها امرت اختها اسما ان ترضعه ليصير ابنا لاختها من
الرضاعة فيصير محرما يستبيح النظر واما اللاتي طلقهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حياته
فقد اختلف في ثبوت هذه الحرمة لهن على ثلاثة اوجه احدها تثبت لهن هذه الحرمة تغليبا
لحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم الثاني لا يثبت ذلك لهن بل هن كسائر النسا لان النبي
صلى الله عليه وسلم قد اثبت عصمتهن وقال ازواجي في الدنيا هن ازواجي في الاخرة الثالث
من دخل بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منهن ثبتت حرمتها وحرم نكاحها وان طلقها حفظا
لحرمته وحراسة لخلوته ومن لم يدخل بها لم يثبت لها هذه الحرمة وقد هم عمر ابن الخطاب رضي
الله عنه برجم امراة فارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنكحت فقالت لم هذا وما ضرب علي رسول
الله صلى الله عليه وسلم حجابا ولا سميت ام المومنين فكف عنها السابعة قال قوم لا يجوز ان
يسمى النبي صلى الله عليه وسلم ابا لقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن يقال مثل
الاب للمومنين كما قال انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم الحديث خرجه ابو داود والصحيح انه يجوز
ان يقال انه ابو المومنين اي في الحرمة وقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم اي في النسب وسياتي
وقرا ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم وازواجه وسمع عمر هذه القراة فانكرها وقال حكها
يا غلام فقال له انها في مصحف ابي فذهب اليه فساله فقال له ابي انه كان يلهيني القران
ويلهيك الصفق بالاسواق واغلظ لعمر وقد قيل في قول لوط عليه السلام هولا بناتي انما
اراد المومنات اي تزوجوهن وقد تقدم السابعة قال قوم لا يقال بناته اخوات المومنين ولا
لاخوالهن اخوال المومنين وخالاتهن قال الشافعي تزوج الزبير اسما بنت ابي بكر وهي اخت
عايشة ولم يقل هي خالة المومنين واطلق قوم هذا وقالوا معاوية خال المومنين يعني في
الحرمة لا في النسب الثامنة قوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليايكم معروفا يريد الاحسان في الحياة
والوصية عند الموت اي ان ذلك جايز قاله قتادة والحسن وعطا وابن الحنفية قال محمد بن
الحنفية نزلت في اجازة الوصية لليهودي والنصراني اي يفعل هذا مع الولي والقريب وان
كان كافرا فالمشرك ولي في النسب لا في الدين فيوصى له بوصية واختلف العلما هل يجعل الكافر
وصيا فجوز بعض ومنع بعض ورد النظر الى السلطان في ذلك بعض منهم مالك رحمه الله وذهب
مجاهد وابن زيد والرماني الى ان المعنى الى اوليايكم من المومنين ولفظ الاية يعضد هذا
المذهب وتعميم الولي ايضا حسن وولاية النسب لا تدفع الكافر وانما تدفع ان يلقى اليه بالمودة
كولي الاسلام التاسعة قوله تعالى كان ذلك في الكتاب مسطورا الكتاب يحتمل الوجهين
المذكورين المتقدمين في كتاب الله ومسطورا من قولك سطرت الكتاب اذا اثبته اسطارا
وقال قتادة اي مكتوبا عند الله عز وجل ان لا يرث كافر مسلما قال قتادة وفي بعض القراة
كان ذلك عند الله مكتوبا وقال القرظي كان ذلك في التوراة قوله تعالى واذ اخذنا من
النبيين ميثاقهم اي عهدهم على الوفا بما حملوا وان يبشر بعضهم ببعض ويصدق بعضهم بعضا اي
كان مسطورا حيث كتب الله ما هو كاين وحين اخذ الله المواثيق من الانبيا ومنك يا محمد ومن
نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وانما خص هولا الخمسة لانهم اصحاب الشرايع والكتب
واولوا العزم من الرسل وايمة الامم ويحتمل ان يكون هذا تعظيما في قطع الولاية بين المسلمين
والكافرين وهذا مما لا يختلف فيه شرايع الانبيا ان كان في ابتدا الاسلام توارث بالهجرة
والهجرة سبب متوكد في الديانة ثم توارثوا بالقرابة مع الايمان وهو سبب وكيد فاما التوارث
بين مومن وكافر فلم يكن في دين احد من الانبيا الذين اخذ عليهم المواثيق فلا تداهنوا في
الدين ولا تمايلوا الكفار ونظيره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى قوله ولا تتفرقوا ومن
ترك التفرق في الدين ترك موالاة الكفار وقيل اي النبي اولى بالمومنين من انفسهم كان
ذلك في الكتاب مسطورا وماخوذا به المواثيق من الانبيا واخذنا منهم ميثاقا غليظا اي

اي عهدا وثيقا عظيما على الوفي بما التزموا من تبليغ الرسالة وان يصدق بعضهم بعضًا
والميثاق هو اليمين بالله تعالى فالميثاق الثاني تاكيد للميثاق الاول باليمين وقيل الاقرار
هو الاقرار بالله تعالى والثاني في امر النبوة ونظير هذا قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق
النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه الاية
اي اخذ عليهم ان يعلنوا ان محمدا رسول الله ويعلن محمد انه لا نبي بعده وقدم محمد في الذكر
لما روي قتادة عن الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل عن قوله
عز وجل واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح قال كنت اولهم في الخلق واخرهم
في البعث وقال مجاهد هذا في ظهر ادم عليه السلام قوله تعالى ليسال الصادقين عن
صدقهم فيه اربعة اوجه احدها ليسال الانبيا عن تبليغهم الرسالة الى قومهم حكاه النقاش
وفي هذا تنبيه اي اذا كان الانبيا يسالون فكيف من سواهم الثاني ليسال الانبيا عن ما
اجابهم به قومهم حكاه علي بن عيسى الثالث ليسال الانبيا عن الوفا بالميثاق الذي اخذه
عليهم حكاه بن شجرة الرابع ليسال الافواه الصادقة عن القلوب المخلصة وفي التنزيل فلنسالن
الذين ارسل اليهم ولنسالن المرسلين وقد تقدم وقيل فايدة سوالهم توبيخ الكفار كما قال
انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين واعتدنا للكافرين عذابا اليما وهو عذاب جهنم
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاتكم جنود الاية يعني يوم
الاحزاب غزوة الخندق والاحزاب وبني قريظة وكانت حالا شديدة معقبة بنعمة ورخا
وغبطة وتضمنت احكاما كثيرة وايات باهرات عزيزة ونحن نذكر من ذلك بعون الله ما يكفي
في عشر مسايل الاولى اختلف في اي سنة كانت فقال ابن اسحاق كانت في شوال في السنة
الخامسة وقال بن وهب وبن القاسم عن مالك كانت وقعة الخندق سنة اربع وهي وبني
قريظة في يوم واحد وبين بني قريظة والنضير اربع سنين قال بن وهب وسمعت مالكا
يقول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقتال من المدينة وذلك قوله اذ جاوكم من
فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر قال ذلك يوم الخندق
وجات قريش من هاهنا واليهود من هاهنا والنجدية من هاهنا يريد مالك ان الذين جاوا
من فوقكم بني قريظة ومن اسفل منهم قريش وغطفان وكان سببها ان نفرا من اليهود منهم
كنانة ابن الربيع بن ابي الحقيق وسلام بن ابي الحقيق وسلام بن مشكم وحيي بن اخطب
النضريون وهوذة بن قيس وابو عمار من بني وايل وهم كلهم يهود هم الذين حزبوا الاحزاب
والبوا اجمعوا وخرجوا من نفر من بني النضير ونفر من بني اسرايل فاتوا مكة فدعوا الى
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وواعدوهم من انفسهم بعون من انتدب الى ذلك
فاجابهم اهل مكة الى ذلك ثم خرج اليهود المذكورون الى غطفان فدعوهم الى مثل ذلك ثم
فاجابوهم فخرجت قريش يقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقايدهم
عيينة بن حصن بن بدر الفزاري على فزارة والحرث بن عوف المري على بني مرة ومسعود
ابن رخيلة على اشجع فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم باجتماعهم وخروجهم
شاور اصحابه واشار عليه سلمان بحفر الخندق فرضي رايه وقال المهاجرون يومئذ
سلمان منا وقال الانصار سلمان منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا
اهل البيت وكان الخندق اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس اذا حوصرنا خندقنا فعمل المسلمون في الخندق
مجتهدين ونكص المنافقون وجعلوا يتسللون لواذا فنزلت فيهم ايات من القران
ذكرها ابن اسحاق وغيره وكان من فرغ من المسلمين من حصته عاد الى غيره حتى كمل
الخندق وكانت فيه ايات بينات وعلامات للنبوة قلت ففي هذا الذي ذكرناه من
الخبر من الفقه وهي الثانية مشاورة السلطان اصحابه وخاصته في امر القتال
وقد مضى ذلك في ال عمران والنمل وفيه التحصن من العدو بما امكن من الاسباب
واستعمالها وقد مضى ذلك في غير موضع وفيه ان حفر الخندق يكون مقسوما على
الناس فمن فرغ منهم عاون من لم يفرغ فالمسلمون يد على من سواهم وفي البخاري

ومسلم عن البرا بن عازب قال لما كان يوم الاحزاب وخندق رسول الله صلى الله عليه
وسلم رايته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وكان كثير الشعر
فسمعته يرتجز بكلمات بن رواحة وهو يقول

اللهم لولا انت ما اهتدينا ۝ ولا تصدقنا ولا صلينا ۝
فانزلن سكينة علينا ۝ وثبت الاقدام ان لاقينا ۝

واما ما كان فيه من الايات وهي الثالثة فروى النساي عن ابي سكينة رجل من المحررين
عن رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما امر النبي صلى الله عليه وسلم
بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واخذ المعول ووضع رداه ناحية الخندق وقال وتمت كلمات ربك الاية فندر ثلث
الحجر وسلمان الفارسي قايم ينظر فبرق مع ضربة رسول الله صلى الله عليه وسلم برقة ثم
ضرب الثانية وقال وتمت الاية فندر الثلث الاخر فبرقت برقة فراها سلمان ثم ضرب
الثالثة وقال وتمت الاية فندر الثلث الباقي وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاخذ رداه وجلس قال كذا قال سلمان يا رسول الله رايتك حين ضربت ما
تضرب ضربة الا كانت معها برقة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت ذلك يا
سلمان قال اي والذي بعثك بالحق يا رسول الله قال فاني حين ضربت الضربة
الاولى رفعت لي مداين كسرى وما حولها ومداين كثيرة حتى رايتها بعيني قال له من حضره
من اصحابه يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم ويخرب بايدينا بلادهم
فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الضربة الثانية فرفعت لي مداين قيصر
وما حولها حتى رايتها بعيني قالوا يا رسول الله ادع الله ان يفتحها علينا ويغنمنا ذراريهم
ويخرب بايدينا بلادهم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضربت الثالثة فرفعت لي
مداين الحبشة وما حولها حتى رايتها بعيني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة
ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم وخرجه ايضا عن البرا قال لما امرنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان نحفر الخندق عرض لنا صخرة لا ياخذ فيها المعاول فاشتكينا ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى ثوبه واخذ المعول
وقال بسم الله فضرب ضربة فكسر ثلث الصخرة ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح الشام
والله اني لانظر الى قصورها الحمر الان من مكاني هذا قال ثم ضرب اخرى وقال بسم
الله فكسر ثلثا اخر ثم قال الله اكبر اعطيت مفاتيح فارس والله اني لابصر قصر المداين الابيض
ثم ضرب الثالثة وقال بسم الله فقطع الحجر وقال الله اكبر اعطيت مفاتيح اليمن والله اني
لابصر باب صنعا صححه ابو محمد عبد الحق الرابعة فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الخندق اقبلت قريش في نحو من عشرة الاف بمن معهم من كنانة واهل تهامة واقبلت
غطفان بمن معها من اهل نجد حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم والمسلمون حتى نزلوا بظهر سلع في ثلاثة الاف وضربوا عسكرهم والخندق بينهم
وبين المشركين واستعمل على المدينة ابن ام مكتوم في قول ابن شهاب وخرج عدو الله ابن
حيي بن اخطب النضري حتى اتى كعب بن اسد القرظي وكان صاحب عقد بني قريظة ورئيسهم وكان قد
وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاقده وعاهده فلما سمع كعب ابن اسد بحيي
ابن اخطب غلق دونه باب حصنه وابى ان يفتح له فقال له افتح لي يا اخي فقال لا
افتح لك فانك رجل مشوم تدعوني الى خلاف محمد وانا قد عاقدته وعاهدته ولم ار
منه الا وفا وصدقا فلست بناقض ما بيني وبينه قال حيي افتح لي حتى اكلمك وانصرف
عنك قال لا افعل قال انما تخاف ان اكل معك جشيشك فغضب كعب وفتح له فقال له
كعب انما جيتك بعز الدهر جيتك بقريش وسادتها وغطفان وقادتها وقد تعاقدوا
على ان يستاصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جيتني والله بذل الدهر وبجهام لا غيث
فيه ويحك يا حيي بن اخطب دعني فلست بفاعل ما تدعوني اليه فلم يزل حيي
يفتله ويعزه حتى رجع اليه وعاقده وهو على خذلان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه

وان يصبر معهم وقال له حيي بن اخطب ان انصرفت قريش وغطفان دخلت عندك بمن
معه من يهود فلما انتهى خبر كعب وحيي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عباده
وهو سيد الخزرج وسيد الاوس سعد بن معاذ وبعث معهما عبد الله بن رواحه وخوات
ابن جبير وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا الى بني قريظة فان كان ما
قيل لنا حقا فالحنوا لنا لحنا ولا تفتوا في اعضاد الناس وان كان كذبا فاجهروا به للناس
فانطلقوا حتى اتوهم فوجدوهم على اخبث ما قيل لهم عنهم وقالوا من رسول الله وقالوا من
لا عهد له عندنا فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه وكانت فيه حدة فقال له سعد بن
عبادة دع عنك مشاتمتهم فالذي بيننا وبينهم اكبر من ذلك ثم اقبل سعد وسعيد حتى
اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم في جماعة المسلمين فقالا عضل والقاره يعرضان
بالقاره باصحاب الرجيع خبيب واصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
يا معشر المسلمين وعظم ذلك البلا واشتد الخوف واتى المسلمين عدوهم من فوقهم يعني من
فوق الوادي من قبل المشرق ومن اسفل منهم من بطن الوادي من قبل المغرب حتى ظنوا
بالله الظنون واظهر المنافقون كثيرا مما كانوا يسرون فمنهم من قال ان بيوتنا عورة
فليسقرفا ليها فانا نخاف عليها وممن قال ذلك اوس بن قيظي ومنهم من قال يعدنا محمد
ان نفتح كنوز كسرى وقيصر واحدنا اليوم لا يامن على نفسه يذهب الى الغايط وممن
قال ذلك معتب بن قشير احد بني عمرو بن عوف فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر لم يكن بينهم حرب الا الرمي بالنبل والحصى
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه اشتد على المسلمين بعث الى عيينة بن حصن
الفزاري والى الحرث بن الحرث بن عوف المري وهما قايدا غطفان فاعطاهما ثلث
ثمار المدينة لينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا ويرجعوا بقومهما عنهم وكانت
هذه المقالة مراوضة ولم تكن عقدا فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما انهما قد
انابا ورضيا اتيا سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فذكرا ذلك لهما واستشارهما فقالا
يا رسول الله هذا امر تحبه فنصنعه لك او شي امرك الله به فنسمع له ونطيع او امر تصنعه
لنا قال بل امر اصنعه لكم والله ما اصنعه الا اني قد رايت العرب قد رمتكم عن قوس
واحدة فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله والله لقد كنا نحن وهولا القوم على
الشرك بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وما طمعوا قط ان ينالوا منها ثمرة
الا شرا او قرا فحين اكرمنا الله بالاسلام وهدانا له واعزنا بك نعطيهم اموالنا والله
لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
انتم وذاك وقال لعيينة وللحرث انصرفا فليس لكما عندنا الا السيف وتناول سعد
الصحيفة وليس فيها شهادة فمحاها الكاتبة قام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون
على قتالهم والمشركون يحاصرونهم ولا قتال بينهم الا ان فوارس من قريش منهم ود بن
عمرو العامري من بني عامر بن لوي وعكرمة بن ابي جهل وهبيرة ابن ابي وهب وضرار
ابن الخطاب الفهري وكانوا فرسان قريش وشجعانها ثم اقبلوا حتى وقفوا على الخندق
فلما راوه قالوا ان هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا ضيقا من
الخندق فضربوا خيلهم فاقتحمت بهم وجاوزوا الخندق وصاروا بين الخندق وبين
سلع وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا
منها واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن عبد ود قد اثبتته الجراح يوم بدر
فلم يشهد احدا واراد يوم الخندق ان يرى مكانه فلما وقف هو وخيله نادى من
يبارز فبرز له علي بن ابي طالب وقال له يا عمرو انك عاهدت الله فيما بلغنا انك
لا تدعى الى احدى خلتين الا اخذت احداهما قال نعم قال فاني ادعوك الى الله
والى الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك الى البراز قال يا ابن اخي والله
ما احب ان اقتلك لما كان بيني وبين ابيك فقال له علي وانا احب ان اقتلك فحمي
عمرو بن عبد ود ونزل عن فرسه فعقره وصار نحو علي فتنازلا وتجاولا وثار النقع

بينهما

بينهما حتى جال دونهما فانجلى النقع حتى رئي علي على صدر عمرو يقطع راسه فلما راى
اصحابه انه قد قتله علي اقتحموا بخيلهم الثغرة منهزمين هاربين وقال علي رضي الله عنه
في ذلك

نصر الحجارة من سفاهة رايه • ونصرت دين محمد بصواب •
فاذلته فتركته متجدلا • كالجذع بين دكادك وروابي •
وعففت عن اثوابه ولو انني • كنت المقطر بزني اثوابي •
لا تحسبن الله خاذل دينه • ونبيه يا معشر الاحزاب •

قال ابن هشام واكثر اهل العلم بالسير يشك فيها لعلي قال ابن هشام والقى عكرمة
ابن ابي جهل يومئذ رمحه وهو منهزم فقال حسان بن ثابت في ذلك •

فر والقى لنا رمحه • لعلك عكرم لم تفعل •
ووليت تعدو كعدو الظليم • ما ان تجور عن المعدل •
ولم تلق ظهرك مستانسا • كان قفاك قفا فرعل •

قال ابن هشام فرعل صغير الضباع وكانت عايشة رضي الله عنها في حصن حارثة وام سعد
ابن معاذ معها وعلى سعد درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه وفي يده حربته وهو يقول

لبث قليلا يلحق الهيجا جمل • لا باس بالموت اذا كان الاجل •

ورمي سعد بن معاذ بسهم فقطع منه الاكحل واختلف فيمن رماه فقيل رماه حبان ابن
قيس بن العرقة احد بني عامر بن لوي فلما اصابه قال له خذها وانا ابن العرقة فقال
له سعد رضي الله عنه عرق الله وجهك في النار وقيل ان الذي رماه خفاجة ابن عاصم
ابن حبان وقيل بل الذي رماه ابو اسامة الجشمي حليف بني مخزوم وحسان مع صفية
بنت عبد المطلب حين ضربت اليهودي ذكره ابن اسحاق وغيره قالت صفية بنت عبد
المطلب رضي الله عنها كنا يوم الاحزاب في حصن حسان بن ثابت وحسان معنا في
النسا والصبيان والنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه في نحر العدو ولا يستطيعون الانصراف
الينا فاذا يهودي يدور فقلت لحسان انزل اليه فاقتله فقال ما انا بصاحب هذا يا ابنة
عبد المطلب فاخذت عمودا ونزلت من الحصن فقتلته فقلت يا حسان انزل فاسلبه فلم
يمنعني من سلبه الا انه رجل فقال ما لي بسلبه حاجة يا ابنة عبد المطلب قال فنزلت
فسلبته قال ابو عمر بن عبد البر وقد انكر هذا عن حسان جماعة من اهل السير وقالوا لو
كان في حسان من الجبن ما وصفتم لهجاه بذلك الذين كان يهاجيهم في الجاهلية والاسلام
ولهجي بذلك ابنه العرب مثل النجاشي وغيره السادسة واتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم نعيم بن مسعود ابن عامر الاشجعي فقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم قومي
باسلامي فمرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل واحد من
غطفان فلو خرجت فخذلت عنا ان استطعت كان احب الينا من بقايك معنا فاخرج فان
الحرب خدعه فخرج نعيم بن مسعود حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال
يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا قل فلست عندنا بمتهم قال
ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم البلد بلدكم فيه اموالكم وابناوكم ونساوكم وان قريشا وغطفان
قد جاوا لحرب محمد واصحابه وقد ظاهرتموهم عليه فان راوا نهزة اصابوها وان كان غير
ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به فلا تقاتلوا مع القوم حتى
تاخذوا منهم رهنا ثم خرج حتى اتى قريشا فقال لهم قد عرفتم ودي لكم معشر قريش وفراقي
محمدا وقد بلغني امر اري من الحق ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال تعلمون ان
معشر يهود قد ندموا على ما كان من خذلانهم محمدا وارسلوا اليه انا قد ندمنا على ما فعلنا
فهل يرضيك ان ناخذ من قريش وغطفان رجالا ونسلمهم اليك تضرب اعناقهم ثم
نكون معك على من بقي منهم حتى نستاصلهم ثم اتى غطفان فقال مثل ذلك فلما كانت ليلة
السبت وكان من صنع الله عز وجل لرسوله والمومنين ارسل ابو سفيان الى بني قريظة
عكرمة بن ابي جهل في نفر من قريش وغطفان يقول لهم انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف
والحافر فاغدوا صبيحة غد للقتال حتى نناجز محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسلوا

انهم ان اليوم يوم السبت وقد علمتم ما نالنا من تعدي في السبت ومع ذلك فلا نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا فلما رجع الرسول بذلك قالوا والله صدقنا نعيم بن مسعود
فردوا اليهم الرسل وقالوا والله لا نعطيكم رهنا ابدا فاخرجوا معنا ان شئتم والا فلا
عهد بيننا وبينكم فقالوا بنو قريظة صدق والله نعيم ابن مسعود وخذل الله بينهم
واختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا في ليال شديدة البرد فجعلت الريح
تقلب ابنيتهم وتكفئوا قدورهم السابعة فلما اتصل برسول الله صلى الله عليه وسلم
اختلاف امرهم بعث حذيفة ابن اليمان ليأتيه بخبرهم فاتاهم واستتر في جماعتهم
وسمع ابو سفيان يقول يا معشر قريش ليتعرف كل امرء جليسه فقال حذيفة فاخذت
بيد جليسي وقلت من انت فقال انا فلان ثم قال ابا سفيان ويحكم يا معشر قريش
انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف واخلفتنا بنو قريظة ولقينا
من هذه الريح ما ترون ما يستمسك لنا بناء ولا يثبت لنا قدر ولا يقوم لنا نار فارتحلوا
فاني مرتحل ووثب على جمله فاحل عقاله بيده الا وهو قائم قال حذيفة ولولا عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الي اذ بعثني قال لي مر الي القوم فاعلم ما هم عليه ولا
تحدث شيئا لقتلته بسهم ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند رحيلهم فوجدته
قائما يصلي في مرط لبعض نسائه مراجل قال ابن هشام المرجل ضرب من وشي اليمن
فاخبرته فحمد الله وخبر حذيفة هذا مذكور في صحيح مسلم وفيه زيادة عظيمة رواه
جرير عن الاعمش عن ابراهيم التيمي عن ابيه قال كنا عند حذيفة فقال رجل لو ادركت
رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلت معه وابليت فقال حذيفة انت كنت تفعل
ذلك لقد رايتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الاحزاب واخذتنا ريح شديدة
وقر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا رجل ياتيني بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة
فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتينا بخبر القوم جعله الله معي يوم القيامة
فسكتنا فلم يجبه منا احد ثم قال الا رجل ياتيني بخبر القوم فسكتنا فلم يجبه منا احد
فقال قم يا حذيفة فاتنا بخبر القوم فلم اجد بدا اذ دعاني باسمي ان اقوم قال اذهب
فاتني بخبر القوم ولا تذعرهم علي فلما وليت من عنده جعلت كانما امشي في حمام حتى
اتيتهم فرايت ابا سفيان يصلي ظهره بالنار فوضعت سهما في كبد القوس فاردت ان
ارميه فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تذعرهم علي ولو رميته لاصبته
فرجعت وانا امشي في مثل الحمام فلما اتيته فاخبرته بخبر القوم وفرغت قررت فالبسني
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فضل عباءة كانت عليه يصلي فيها فلم ازل نائما
حتى اصبحت قال قم يا نومان ولما اصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذهب
الاحزاب رجع الى المدينة ووضع المسلمون سلاحهم فاتاه جبريل صلى الله عليه وسلم
في صورة دحية بن خليفة الكلبي على بغلة عليها قطيفة وديباج فقال له يا محمد
انكنتم قد وضعتم سلاحكم فما وضعت الملائكة سلاحها ان الله يامرك ان تخرج
الى بني قريظة واني متقدم اليهم فمزلزل بهم حصونهم فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهي الثانية منزلنا ديا فنادى لا يصلين احد العصر الا في بني قريظة فتخوف
ناس فوت الوقت فصلوا دون بني قريظة وقال اخرون لا نصلي العصر الا حيث
امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وان فاتنا الوقت قال فما عنف واحدا من
الفريقين وفي هذا من الفقه تصويب المجتهدين وقد مضى بيانه في الانبيا
وكان سعد بن معاذ اذا اصابه السهم دعا ربه فقال اللهم ان كنت ابقيت من
حرب قريش فابقني لها فانه لا قوم احب ان اجاهدهم من قوم كذبوا رسولك واخرجوه
اللهم وان كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني في بني
قريظة وروى ابن وهب عن مالك قال بلغني ان سعد بن معاذ مر بعائشة
رضي الله عنها ونساء معها في الاطم الذي فارع وعليه درع مقلصة مشمر الكمين
وبه اثر صفرة وهو يرتجز لبث قليلا يدرك الهيجا جمل لا باس بالموت اذا كان الاجل

فقالت

فقالت عائشة رضي الله عنها لست اخاف ان يصاب سعد اليوم الا من اطرافه فاصيب في
اكحله وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالت عائشة ما رايت رجلا اجمل من سعد
ابن معاذ حاشى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاصيب في اكحله ثم قال اللهم ان كان حرب
بني قريظة لم يبق منه شيء فاقبضني اليك وان كان قد بقيت منه بقية حتى اجاهد مع رسولك
اعداءه فلما حكم في بني قريظة توفي ففرح الناس وقالوا نرجوا ان يكون قد استجيب دعوته
التاسعة ولما خرج المسلمون الى بني قريظة اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية علي بن
ابي طالب واستخلف على المدينة ابن ام مكتوم ونهض علي وطائفة معه حتى اتوا بني قريظة
ونازلوهم فسمعوا سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف علي الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لا تبلغ اليهم وعرض له فقال له اظنك الا سمعت منهم شتمي لو
راوني لكفوا عن ذلك ونهضوا اليهم فلما راه امسكوا فقال لهم نقضتم العهد يا اخوة القردة
اخزاكم الله وانزل بكم نقمته فقالوا ما كنت جاهلا يا محمد فلا تجهل علينا ونزل رسول الله
صلى الله عليه وسلم فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة وعرض عليهم سيدهم ثلاث خصال ليختاروا
ايها شاءوا اما ان يسلموا ويتبعوا محمدا على ما جاء به فيسلموا قال فتحرزوا اموالكم ونساءكم وابناءكم
فوالله لتعلمون انه الذي تجدونه مكتوبا في كتابكم واما ان تقتلوا ابناءهم ونساءهم ثم
يتقدمون فيقاتلون حتى يموتوا من اخرهم واما ان يبيتوا المسلمين ليلة السبت في حين
طمانينتهم فيقتلونهم قتلا فقالوا له اما الاسلام فلا نسلم ولا نخالف حكم التوراة واما قتل
ابناءنا ونساءنا فما جزاء المساكين منا ان نقتلهم ونحن لا نتعدى في السبت ثم بعثوا الى ابي
لبابة وكانوا حلفاء بني عمرو بن عوف وسائر الاوس فاتوهم فجهشوا اليه ابناؤهم ورجالهم
ونساؤهم وقالوا له يا ابا لبابة اترى ان ننزل على حكم محمد قال نعم واشار بيده الى حلقه
انه الذبح ان فعلتم ثم ندم ابو لبابة في الحين وعلم انه خان الله ورسوله وانه امر لا يستره الله
عليه عن نبيه صلى الله عليه وسلم فانطلق الى المدينة ولم يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم
فربط نفسه في سارية واقسم لا يبرح مكانه حتى يتوب الله عليه فكانت امراته تحله
لوقت الصلاة قال ابن عيينة وغيره فيه نزلت يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول
وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واقسم ان لا يدخل ارض بني قريظة ابدا مكانا اصاب
فيه الذنب فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من فعل ابي لبابة فقال اما انه لو اتاني
لاستغفرت له واما اذ فعل ما فعل فلست اطلقه حتى يطلقه الله عز وجل فانزل الله تعالى
في امر ابي لبابة واخرون اعترفوا بذنوبهم الاية فلما نزل فيه القران امر رسول الله صلى
الله عليه وسلم باطلاقه فلما اصبح بنو قريظة نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالوا يا رسول الله قد علمت انهم حلفاؤنا وقد استوهب عبد الله بن ابي سلول في بني
النضير حلفاء بني الخزرج فلم يكن حظنا اوكس ان ينقص عندك من حظ غيرنا فهم موالينا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الاوس الا ترضون ان يحكم فيهم رجل منكم
قالوا بلى قال فذلك الى سعد بن معاذ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
ضرب له خيمة في المسجد ليعوده من قريب في مرضه من جرحه الذي اصابه في الخندق
فحكم فيهم بان يقتل المقاتلة ويسبى الذرية والنساء وتقسم اموالهم فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقد حكمت فيهم بحكم الله تعالى من فوق سبع ارقعة وامر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاخرجوا الى موضع بسوق المدينة اليوم زمن ابن اسحاق فخندق
لهم خنادق ثم امر عليه السلام فضربت اعناقهم في تلك الخنادق وقتل يومئذ حيي بن اخطب
وكعب بن اسد وكانا راس القوم وكانوا من الستماية الى السبعماية وكان في حيي حلة
تفاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الانملة انملة انملة لئلا يسلبها مجموعة فلما
نظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اتي به ويداه الى عنقه بحبل قال اما والله
ما لمت نفسي في عداوتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم قال ايها الناس لا باس بامر
الله وكتابه وقدره وملحمة كتبت على بني اسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وقتل
من نسائهم امراة واحدة وهي بنانة امراة الحكم القرظي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته

وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل من انبت منهم وترك من لم ينبت وكان عطية
القرظي ممن لم ينبت فاستحياه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مذكور في الصحابة ووهب
رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن شماس ولد الزبير بن باطا فاستحياهم
منهم عبد الرحمن بن الزبير اسلم ايضا وله صحبة ووهب ايضا عليه السلام رفاعة بن شموال
القرظي لام المنذر سلمى بنت قيس اخت سليط بن قيس من بني النجار وكانت قد صلت القبلتين
فاسلم رفاعة وله صحبة ورواية وروى ابن وهب وابن القاسم عن مالك قال اتى ثابت
ابن قيس بن شماس الى ابن باطا وكانت له عنده يد وقال له قد استوهبتك من رسول
الله صلى الله عليه وسلم ليدك التي لك عندي قال ذلك يفعل الكريم بالكريم قال
وكيف يعيش رجل لا ولد له ولا اهل قال فاتى ثابت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر ذلك له فاعطاه اهله وولده فاتاه فاعلمه فقال كيف يعيش رجل لا مال له فاتى
ثابت الى النبي صلى الله عليه وسلم فطلبه فاعطاه ماله فرجع اليه فاخبره قال ما فعل ابن ابي
الحقيق الذي كان وجهه مراة صينية قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب
ابن قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فما فعلت الفئتان قال قتلتا قال برئت
ذمتك ولن اصب فيها دلوا ابدا يعني النخل فالحقني بهم فابى ان يقتله فقتله غيره واليد
التي كانت لابن باطا عند ثابت انه اسره يوم بعاث فجز ناصيته فاطلقه العاشره وقسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اموال بني قريظة فاسهم للفارس ثلاثة اسهم وللراجل
سهما وقد قيل للفارس سهمان وللراجل سهم وكانت الخيل للمسلمين يومئذ ستة وثلاثين
فرسا ورفع النبي صلى الله عليه وسلم من سبيهم ريحانة بنت عمرو بن خنافة احد بني عمرو
ابن قريظة فلم تزل عنده الى ان مات صلى الله عليه وسلم وقيل ان غنيمة قريظة هي
اول غنيمة قسم فيها للفرس والراجل واول غنيمة جعل فيها الخمس وقد تقدم ان اول ذلك
كان في بعث عبد الله بن جحش فالله اعلم قال ابو عمرو يحتمل ان يكون غنيمة قريظة
اول غنيمة جرى فيها الخمس بعد نزول قوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله
خمسه وللرسول الاية وكان عبد الله بن جحش قد خمس قبل ذلك في بعثه ثم نزل القران
بمثل ما فعله وكان ذلك من فضائله رحمة الله عليه وكان فتح قريظة في اخر ذي
القعدة واول ذي الحجة من السنة الخامسة من الهجرة فلما تم امر بني قريظة اجيبت دعوة
الرجل الصالح الفاضل سعد بن معاذ فانفجر جرحه وانفتح عرقه وجرى دمه ومات
رضي الله عنه وهو الذي اتى في الحديث فيه اهتز لموته عرش الرحمن يعني سكان العرش
من الملائكة فرحوا بقدوم روحه واهتزوا له وقال ابن القاسم عن مالك حدثني
يحيى بن سعيد قال لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون الف ملك ما نزلوا الى
الارض قبلها قال مالك ولم يستشهد يوم الخندق احد من المسلمين الا اربعة او خمسة
قلت الذي استشهد من الخندق من المسلمين ستة نفر فيما ذكر اهل العلم بالسير سعد
ابن معاذ ابو عمرو من بني عبد الاشهل وانس بن اوس ابن عتيك وعبد الله بن سهيل
وكلاهما ايضا من بني عبد الاشهل والطفيل بن ثعلبة والنعمان بن غنمة وكلاهما من
بني سلمة وكعب بن زيد من بني دينار ابن النجار اصابه سهم غرب فقتله رضي الله عنه
وقتل من الكفار ثلاثة منبه بن عثمان بن عبيد بن السباق ونوفل بن عبد الله
ابن المغيرة المخزومي اقتحم الخندق فتورط فيه فقتل وغلب المسلمون على جسده فروي
عن الزهري انهم اعطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جسده عشرة الاف درهم
فقال لا حاجة لنا بجسده ولا بثمنه فخلى بينهم وبينه وعمرو بن عبد ود قتله علي
مبارزة وقد تقدم واستشهد يوم قريظة من المسلمين خلاد بن سويد بن ثعلبة
ابن عمرو من بني الحارث بن الخزرج طرحت عليه امراة من بني قريظة رحى فقتلته ومات
في الحصار ابو سنان بن محصن بن حرثان الاسدي اخو عكاشة ابن محصن فدفنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقبرة بني قريظة التي يتدافن فيها المسلمون
السكان بها اليوم ولم يصب غيرها ذين ولم يغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق

واسند الدارمي ابو محمد في مسنده اخبرنا يزيد بن هارون عن ابن ابي ذئب عن المقبري
عن عبد الرحمن بن ابي سعيد الخدري عن ابيه قال حبسنا يوم الخندق حتى ذهب هوي
من الليل حتى كفينا وذلك قول الله عز وجل وكفى الله المومنين القتال وكان الله قويا عزيزا
فامر النبي صلى الله عليه وسلم بلالا فاقام فصلى الظهر فاحسن كما كان يصليها في وقتها ثم امره
فاقام العشاء فصلاها وذلك قبل ان ينزل فان خفتم فرجالا او ركبانا خرجه النسائي ايضا
وقد مضت هذه المسالة في طه وقد ذكرنا في هذه الغزاة احكاما كثيرة لمن تاملها في مسايل
عشرة ثم نرجع الى اول الاي وهي تسع عشرة اية تضمنت ما ذكرنا قوله تعالى اذ جاءتكم جنود
يعني الاحزاب فارسلنا عليهم ريحا قال مجاهد هي الصبا ارسلت على الاحزاب يوم الخندق
حتى القت قدورهم ونزعت فساطيطهم قال والجنود الملائكة وقال ولم تقاتل يومئذ
وقال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلقي لنصرة النبي صلى الله عليه وسلم
فقالت الشمال ان محوة لا تسري بليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا وروى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت
عاد بالدبور وكانت هذه الريح معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لان النبي عليه السلام والمسلمين
كانوا قريبا لم يكن بينهم وبينها الا عرض الخندق وكانوا في عافية منها ولا خبر عندهم بها وجنودا
لم تروها وقرى بالياء اي لم يرها المشركون قال المفسرون بعث الله عليهم الملائكة فقلعت
الاوتاد وقطعت اطناب الفساطيط واطفات النيران واكفات القدور وجالت الخيل
بعضها في بعض وارسل الله عليهم الرعب وكثر تكبير الملائكة في جوانب العسكر حتى كان
سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي فاذا اجتمعوا قال لهم النجا النجا لما بعث الله عليهم
من الرعب وكان الله بما تعملون بصيرا وقرى يعملون بالياء على الخبر وهي قراءة ابي عمرو الباقون
بالتاء يعني من حفر الخندق والتحرز من العدو وقوله تعالى اذ جاوكم من فوقكم اي في موضع
نصب بمعنى واذكر كذا اذ قالت طائفة منهم من فوقكم يعني من فوق الوادي وهو
اعلاه من قبل المشرق جاء منه عوف بن مالك في بني نصر وعيينة بن حصن في اهل نجد
وطليحة بن خويلد الاسدي في بني اسد ومن اسفل منكم يعني من بطن الوادي من قبل
المغرب جاء منه ابو سفيان بن حرب على اهل مكة ويزيد بن جحش على قريش وجاء ابو الاعور
السلمي ومعه حيي بن اخطب اليهودي في يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل من
وجه الخندق قوله تعالى واذ زاغت الابصار اي شخصت وقيل مالت فلم تلتفت
الا الى عدوها دهشا من فرط الهول وبلغت القلوب الحناجر زالت عن اماكنها فالقلوب
حتى بلغت الحناجر وهي الحلاقيم واحدها حنجرة فلولا ان الحلوق ضاقت عليها لخرجت قاله
قتادة وقيل هو على معنى المبالغة على مذهب العرب على اضمار كاد قال

اذا ما غضبنا غضبة مضرية ... هتكنا حجاب الشمس او قطرت دما

اي كادت تقطر ويقال ان الرية تنتفخ عند الخوف فيرتفع القلب حتى يكاد يبلغ الحنجرة
مثلا ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره ويقال انه مثل مضروب في شدة الخوف ببلوغ
القلوب الحناجر وان لم تزل عن اماكنها مع بقاء الحياة قال معناه عكرمة وحماد بن زيد
عن ايوب عن عكرمة بلغ فزعها والاظهر انه قال اضطراب القلب وضربانه اي كانه لشدة
اضطرابه بلغ الحنجرة والحنجرة والحنجور بزيادة النون حرف الحلق وتظنون بالله
الظنونا قال الحسن ظن المنافقون ان المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم ينصرون
وقيل هو خطاب للمنافقين اي قلتم هلك محمد واصحابه واختلف القراء في قوله تعالى
الظنونا والرسولا والسبيلا اخر السورة فاثبت الفاتها في الوصل والوقف نافع وابن
عامر وروي عن ابي عمرو والكسائي تمسكا بخط المصحف مصحف عثمان وجميع المصاحف
في جميع البلدان واختاره ابو عبيد الا انه قال لا ينبغي للقارئ ان يدرج القراءة بعدهن
لكن يقف عليهن قالوا ولان العرب تفعل ذلك في قوافي اشعارهم ومصاريعها

نحن جلبنا القرح القوافلا ... تستنفر الاواخر الاوايلا

وقرا ابو عمرو والجحدري ويعقوب وحمزة بحذفها في الوصل والوقف معا قالوا هي زايدة

في الخط كان يثبت الالف في قوله ولا وضعوا خلالكم فكتبوها كذلك وغير هذا واما الشعر فموضع ضرورة بخلاف القرآن فانه افصح اللغات ولا ضرورة فيه قال ابن الانباري ولم يخالف المصحف من قرا الظنون والسبيل والرسول بغير الف في الحروف الثلاثة وخطهن في المصحف بالف لان الالف التي في اطعنا والداخلة في اول السورة والظنون والسبيل كفي من الالف المتطرفة المتأخرة كما كفت الف ابي جاد من الف هواز وفيه حجة اخرى ان الالف انزلت منزلة الفتحة وما يلحق دعامة للحركة التي تسبق والنية فيه السقوط فلما عومل على هذا كانت الالف مع الفتحة كالشيء الواحد يوجب الوقف سقوطها ويعمل على ان ضرورة الالف في الخط لا توجب موضعها في اللفظ وانها كالالف في ساحران وفي فاطر السموات وفي واعدنا موسى وما يشبههن مما يحذف في الخط وهو موجود في اللفظ وهو مشتق من الخط وفيه حجة ثالثة انه من كتبت على لغة من يقول لقيت الرجلا وقري على لغة من يقول لقيت الرجل بغير الف اخبرنا احمد بن يحيى عن جماعة من اهل اللغة انهم رووا عن العرب قام الرجلو بالواو ومررت بالرجلي بالياء في الوصل والوقف ولقيت الرجلا بالالف في الحالتين قال الشاعر •

• اسائلة عميرة عن ابيها • خلال الجيش تعترف الركابا •

فاثبت الالف في الركاب بناء على هذه اللغة وقال الاخر •

• اذا الجوزاء اردفت الثريا • ظننت بآل فاطمة الظنونا •

وعلى هذه اللغة بنى نافع وغيره وقرا ابن كثير وابن محيصن والكسائي اي باثباتها في الوقف وحذفها في الوصل قال ابن الانباري ومن وصل بغير الف ووقف بالف لجائز ان يحتج بان الالف احتاج اليها عند السكت حرصا على بقاء الفتحة وان الالف تدعمها وتقويها قوله تعالى هنالك ابتلي المومنون هنا للمكان من القريب من المكان وهنالك للبعيد وهناك للوسط ويشار به الى الوقت اي عند ذلك اختبر المومنون ليتبين المومن من المنافق وكان هذا الابتلاء بالخوف والقتل والجوع والحصر والنزال وزلزلوا زلزالا شديدا اي حركوا تحريكا قال الزجاج كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح نحو قلقلته قلقالا وقلقالا وزلزلوا زلزالا شديدا والكسر اجود لان غير المضاعف على الكسر نحو دحرجته دحراجا وقراءة العامة بكسر الزاي وقرا عاصم والجحدري زلزالا بفتح الزاي قال ابن سلام اي حركوا بالخوف تحريكا شديدا وقال الضحاك هو ازاحتهم عن اماكنهم حتى لم يكن لهم الا موضع الخندق وقيل انه اضطرابهم عما كانوا عليه فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه وهنالك يجوز ان يكون العامل فيه ابتلي فلا يوقف على هنالك قوله تعالى واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض اي شك ونفاق ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي باطلا من القول وذلك ان طعمة بن ابيرق ومعتب ابن قشير وجماعة نحوا من سبعين رجلا قالوا يوم الخندق كيف يعدنا كنوز كسرى وقيصر ولا يستطيع احدنا ان يتبرز وانما قالوا ذلك لما فشا في اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من قوله عند ضرب الصخرة على ما تقدم في حديث النسائي فانزل الله عز وجل هذه الاية قوله تعالى واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا الطائفة تقع على الواحد فما فوقه وعني به هنا اوس بن قيظي والد عرابة بن اوس الذي يقول فيه الشماخ •

• اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •

ويثرب هي المدينة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبة وطابة وقال ابو عبيدة يثرب اسم الارض والمدينة ناحية منها السهيلي وسميت يثرب لان الذي نزلها من العماليق اسمه يثرب بن عبيل بن مهلائيل بن عوض بن عملاق بن لاوذ بن ارم وفي بعض هذه الاسماء اختلاف وبنو عبيل هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فيها وبها سميت الجحفة لا مقام لكم بفتح الميم قراءة العامة وقرا حفص والسلمي والجحدري وابو حيوة بضم الميم يكون مصدرا من اقام يقيم اي لا اقامة اي موضعا

يقيمون

يقيمون فيه ومن فتح فهو اسم مكان اي لا موضع لكم يقيمون فيه ومن فتح فهو اسم مكان اي لا موضع لكم تقيمون فيه فارجعوا اي الى منازلكم امروهم بالهروب من عسكر النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس قالت اليهود لعبد الله بن ابي بن سلول واصحابه من المنافقين ما الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان واصحابه فارجعوا الى المدينة فانا مع القوم فانتم آمنون قوله تعالى ويستاذن فريق منهم النبي في الرجوع الى منازلهم وهم بنو حارثة بن الحرث في قول ابن عباس وقال يزيد بن رومان قال ذلك اوس بن قيظي عن ملا من قومه يقولون ان بيوتنا عورة اي سائبة ضائعة ليست بحصينة وهي مما يلي العدو وقيل ممكنة للسراق لخلوها من الرجال يقال دار معورة وذات عورة اذا كان يسهل دخولها يقال عور المكان عورا فهو عور وبيوت عورة واعور فهو معور وقيل عورة ذات عورة وكل ذلك ليس بممنوع ولا مستور فهو عورة قاله الهروي وقرا ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو رجاء العطاردي بكسر الواو عورة يعني متصدعة الجدار فيها خلل تقول العرب دار فلان عورة اذا لم تكن حصينة وقد اعور الفارس اذا بدا فيه خلل للطعن والضرب قال الشاعر •

• متى تلقهم لم تلق في البيت معورا • ولا الضيف مفجوعا ولا الجار مرملا •

الجوهري والعورة كل حال يتخوف منه في ثغر او حرب النحاس يقال اعور المكان اذا تبينت فيه عورة واعور الفارس اذا تبين فيه موضع الخلل المهدوي ومن كسر الواو في عورة فهو شاذ ومثله قولهم رجل عور اي لا شي له وكان العباس ان يعل فيقال عاره كيوم راح ورجل مال اصلهما روح ومول ثم قال تعالى وما هي بعورة تكذيبا لهم وردا عليهم فيما ذكروه ان يريدون الا فرارا اي ما يريدون الا الهرب قيل من القتل وقيل من الدين وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في قبيلتين من الانصار بني حارثة وبني سلمة وهموا ان يتركوا مراكزهم يوم الخندق وفيهم انزل الله تعالى اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا الاية فلما نزلت هذه الاية قالوا والله ما ساءنا ما كنا هممنا به اذ الله ولينا وقال السدي الذي استاذنه منهم رجلان من الانصار من بني حارثة احدهما ابو عرابة بن اوس والاخر اوس بن قيظي قال الضحاك ورجع ثمانون رجلا بغير اذنه قوله تعالى ولو دخلت عليهم من اقطارها اي البيوت او المدينة اي من نواحيها وجوانبها الواحد قطر وهو الجانب والناحية وكذلك القتر لغة في القطر ثم سئلوا الفتنة لاتوها اي لجاءوها هذا على قراءة نافع وابن كثير بالقصر وقرا الباقون بالمد اي لاعطوها من انفسهم وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقد جاء في الحديث ان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعذبون في الله ويسئلون الشرك فكل اعطى ما سالوه الا بلالا وفيه دليل على قراءة المد من الاعطاء ويدل على قراءة القصر قوله ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار فهذا يدل على لاتوها مقصورا وفي الفتنة هنا وجهان احدهما سئلوا القتال في العصبية لاسرعوا اليه قاله الضحاك الثاني ثم سئلوا الشرك لاجابوا اليه مسرعين قاله الحسن وما تلبثوا بها اي بالمدينة بعد اعطاء الكفر الا قليلا حتى يهلكوا قاله السدي والقتبي والحسن والفراء وقال اكثر المفسرين اي وما احتبسوا عن فتنة الشرك الا قليلا ولاجابوا بالشرك مسرعين وذلك لضعف نياتهم ولفرط نفاقهم فلو اختلطت بهم الاحزاب لاظهروا الكفر قوله تعالى ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل اي من قبل غزوة الخندق وبعد بدر قال قتادة وذلك انهم غابوا عن بدر وراوا ما اعطى الله اهل بدر من الكرامة والنصر فقالوا لئن اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وقال يزيد بن رومان بنو حارثة هموا يوم احد ان يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله ان لا يعودوا لمثلها فذكر الله لهم الذي اعطوه من انفسهم وكان عهد الله مسئولا اي مسئولا عنه قال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لنفسك ولربك ما شئت فقال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم واموالكم واولادكم فقالوا فما لنا اذا فعلنا ذلك يا نبي الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الاخرة فذلك قوله تعالى وكان عهد الله مسئولا اي ان الله

لبالهم عند يوم القيامة قوله تعالى قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل
اي من حضر اجله مات او قتل فلا ينفع الفرار واذا لا تمتعون الا قليلا اي في الدنيا بعد
الفرار الى ان تنقضي آجالكم وكل ما هو آت قريب وروى الساجي عن يعقوب الحضرمي
واذا لا يمتعون بياء وفي بعض الروايات نصب باذن والرفع بعين ولا تمتعون نصب
باذن والرفع بعين ولا يمتعون نصب باذن واذن ملغاة ويجوز اعمالها فهذا حكمها اذا
كان قبلها الواو والفاء فاذا كانت مبتدأ نصبت بها فقلت اذا اكرمك قوله تعالى
قل من ذا الذي يعصمكم من الله اي يمنعكم منه ان اراد بكم سوءا اي هلاكا او اراد بكم رحمة
اي خيرا ونصرا وعافية ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اي لا قريبا ينفعهم
ولا ناصرا ينصرهم قوله تعالى قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لاخوانهم هلم
الينا اي المعترضين منكم لان يصدوا الناس عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو مشتق
من عاقني عن كذا اي صرفني عنه وعوق على التكثير والقائلين لاخوانهم هلم الينا على لغة
اهل الحجاز وغيرهم يقولون هلموا للجماعة وهلمي للمرأة لان الاصل ها التي للتنبيه ضمت اليها
لم فحذفت الالف استخفافا وبنيت على الفتح ولم يجز فيها الكسر والضم لانها لا تنصرف
ومعنى هلم اقبل وهولاء طائفتان اي منكم من يثبط ويعوق والعوق المنع والصرف يقال
عاقه يعوقه عوقا وعوقه واعتاقه بمعنى واحد قال مقاتل هم عبد الله بن ابي واصحابه
المنافقون والقائلون لاخوانهم هلم الينا فيه ثلاثة اقوال احدها انهم المنافقون قالوا
للمسلمين ما محمد واصحابه الا اكلة راس وهو هالك ومن معه فهلم الينا الثاني انهم اليهود
من بني قريظة قالوا لاخوانهم من المنافقين هلم الينا اي تعالوا الينا فارقوا محمدا فانه
هالك وان ابا سفيان ان ظفر لم يبق منكم احدا الثالث ما حكاه ابن زيد ان رجلا من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بين الرماح والسيوف فقال اخوه وكان من ابيه وامه هلم الينا
قد تبع بك وباصحابك فقال له كذبت والله لاخبرنه بامرك وذهب الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليخبره فوجده قد نزل عليه جبريل عليه السلام بقوله تعالى قد يعلم الله المعوقين
منكم والقائلين لاخوانهم هلم الينا ذكره الثعلبي والماوردي ايضا ولفظه قال ابن
زيد هذا يوم الاحزاب انطلق رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فوجد اخاه بين
يديه رغيف وشواء ونبيذ فقال انت في هذا ونحن بين الرماح والسيوف فقال هلم
الى هنا فقد تبع لك ولاصحابك والذي تحلف به لا يستقل بها محمد ابدا فقال كذبت
فذهب بها الى النبي صلى الله عليه وسلم يخبره فوجده قد نزل عليه جبريل بهذه الاية
ولا ياتون الباس الا قليلا خوفا من الموت وقيل لا يحضرون القتال الا رياء وسمعة قوله
تعالى اشحة عليكم اي بخلاء عليكم اي بالحفر في الخندق والنفقة في سبيل الله قاله
مجاهد وقتادة وقيل بالقتال معكم وقيل بالنفقة على فقرائكم ومساكينكم وقيل اشحة
بالغنائم اذا اصابوها قاله السدي وانتصب على الحال قال الزجاج ونصبه عند
الفراء من اربع جهات احدها ان يكون على الذم ويجوز ان يكون عنده نصبا بمعنى
يعوقون اشحة ويجوز ان يكون التقدير والقائلين اشحة ويجوز عنده ولا ياتون
الباس الا قليلا ياتونه اشحة اي اشحة على الفقراء بالغنيمة حكاه النحاس ولا يجوز
ان يكون العامل فيه المعوقين ولا القائلين لئلا يفرق بين الصلة والموصول
ابن الانباري الا قليلا غير تام لان اشحة متعلق بالاول فهو منتصب من اربعة
اوجه احدها ان تنصبه على القطع من المعوقين كانه قال قد يعلم الله المعوقين
منكم الذين يعوقون عند القتال ويشحون على الانفاق على فقراء المسلمين ويجوز
ان يكون منصوبا على القطع اي وهم اشحة ويجوز ان تنصبه على القطع مما في ياتون
كانه قال ولا ياتون الناس الا جبناء بخلاء ويجوز ان تنصب على اشحة على الذم
فمن هذا الوجه الرابع يحسن ان تقف على قوله الا قليلا اشحة عليكم وقف حسن
ومثله اشحة على الخير حال من المضمر في سلقوكم وهو العامل فيه فاذا جاء الخوف
رايتهم ينظرون اليك تدور اعينهم كالذي يغشى عليه من الموت وصفهم بالجبن وكذا

بك

سبيل الجبان ينظر يمينا وشمالا محددا بصره وربما غشي عليه وفي الخوف وجهان
احدهما من قتال العدو اذا اقبل قاله السدي الثاني في الخوف من النبي صلى الله عليه
وسلم اذا غلب قاله ابن شجرة رايتهم ينظرون اليك خوفا من القتال على القول الاول
ومن النبي صلى الله عليه وسلم على الثاني تدور اعينهم لذهاب عقولهم حتى لا يصح منهم
النظر الى جهة وقيل لشدة خوفهم ان ياتيهم القتل حذرا من كل جهة فاذا ذهب الخوف
سلقوكم بالسنة حداد وحكى الفراء صلقوكم بالصاد وخطيب مسلق ومصلق اذا
كان بليغا واصل الصلق الصوت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لعن الله الصالقة
والحالقة والشاقة قال الاعشى فيهم المجد والسماحة والنجدة فيهم والخاطب المسلاق
قال قتادة معنى سلقوا السنتهم فيكم في وقت قسمة الغنيمة يقولون اعطنا فانا قد
شهدنا معكم فعند الغنيمة اشح قوم وابسطهم لسانا ووقت الباس اجبن قوم واخوفهم
قال النحاس هذا قول حسن لان بعده اشحة على الخير وقيل المعنى بالغوا في مخاصمتكم
والاحتجاج عليكم وقال القتبي المعنى آذوكم بالكلام الشديد والسلق الاذى ومنه قول
الشاعر * ولقد سلقنا هوازنا بنواهل حتى انحنينا *
اشحة على الخير اي على الغنيمة قاله يحيى بن سلام وقيل على المال ان ينفقوه في
سبيل الله قاله السدي اولئك لم يؤمنوا قال بقلوبهم وان كان ظاهرهم الايمان والمنافق
كافر على الحقيقة لوصف الله عز وجل لهم بالكفر فاحبط الله اعمالهم اي لم يثبهم عليها
اذ لم يقصدوا وجه الله تعالى بها وكان ذلك على الله يسيرا يحتمل وجهين احدهما وكان
نفاقهم على الله هينا قوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا اي لجبنهم يظنون
الاحزاب لم ينصرفوا وكانوا انصرفوا ولكنهم لم يتباعدوا في السير وان يات الاحزاب اي
وان يرجع الاحزاب اليهم للقتال يودوا لو انهم بادون في الاعراب تمنوا ان يكونوا مع
الاعراب حذرا من القتال وتربصا للدوائر وقرا طلحة بن مصرف لو انهم بدى في الاعراب
يقال باد وبدى مثل غاز وغزى ويمد مثل صائم وصوام بدا فلان يبدو اذا خرج الى البادية
وهي البداوة والبداوة بالكسر والفتح واصل الكلمة من البدو وهو الظهور يسالون
وقرا يعقوب في رواية رويس يتساءلون عن انبائكم اي عن اخبار النبي صلى الله عليه
وسلم يتحدثون اما هلك محمد واصحابه اما غلب ابو سفيان واحزابه اي يودوا لو انهم
بادون في الاعراب سائلون عن انبائكم من غير مشاهدة القتال لفرط جبنهم وقيل
اي هم ابدا لجبنهم يسالون عن اخبار المؤمنين وهل اصيبوا وقيل منهم في اطراف المدينة
من لم يحضر الخندق جعلوا يسالون عن اخباركم ويتمنون هزيمة المسلمين ولو كانوا فيكم
ما قاتلوا الا قليلا اي رميا بالنبل والحجارة على طريق الرياء والسمعة ولو كان ذلك على
الله لكان قليلا كثيرا قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة فيه مسئلتان
الاولى قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله هذا عتاب
للمتخلفين عن القتال اي كان لكم قدوة في النبي صلى الله عليه وسلم حيث بذل نفسه لنصرة
دين الله في خروجه الى الخندق والاسوة القدوة وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة الباقون
بالكسر وهما لغتان والجمع فيهما واحد عند الفراء والعلة عنده في الضم على لغة من كسر في
واحدة القرى بين ذوات الواو وذوات الياء فيستوون كسوة وكسى ولحية ولحى الجوهري
والاسوة والاسوة بالكسر والضم لغتان والجمع اسى واسى وروى عقبة بن حسان
الهجري عن مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
قال في جوع النبي صلى الله عليه وسلم ذكره الخطيب ابو بكر احمد وقال تفرد به عقبة بن حسان
عن مالك ولم اكتبه الا بهذا الاسناد الثانية قوله تعالى اسوة الاسوة القدوة والاسوة
ما يتاسى به اي ما يتعزى به فيقتدى في جميع افعاله ويتعزى به في جميع احواله
فلقد شج وجهه وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلف الا صابرا محتسبا
وشاكرا راضيا وعن انس بن مالك عن ابي طلحة قال شكونا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الجوع ورفعنا عن حجر حجر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين خرجه

ابو عيسى الترمذي وقال فيه حديث غريب وقال صلى الله عليه وسلم لما شج اللهم اغفر
لقومي فانهم لا يعلمون وقد تقدم لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر قال سعيد بن جبير
المعنى لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر لقاء الله بايمانه وتصديق بالبعث الذي فيه جزاء
الافعال وقيل اي لمن كان يرجوا ثواب الله في اليوم الاخر ولا يجوز عند الحذاق من النحويين
ان يكتب يرجوا الا بغير الف اذا كان للواحد لان العلة التي في الجمع ليست في الواحد وذكر
الله كثيرا خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وقيل ان لمن بدل من قوله لكم ولا يجيزه البصريون
لان الغايب لا يبدل من المخاطب وانما اللام من لمن متعلقة بحسنة واسوة اسم كان ولكم
الخبر واختلف فيمن اريد بهذا على قولين احدهما المنافقون عطفا على ما تقدم من خطابهم
الثاني المومنون لقوله لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر واختلف في هذه الاسوة بالنبي
صلى الله عليه وسلم هل هي على الايجاب او على الاستحباب على قولين احدهما على الايجاب
حتى يقوم دليل على الاستحباب الثاني على الاستحباب حتى يقوم دليل على الايجاب
ويحتمل ان يحمل على الايجاب في امور الدين وعلى الاستحباب في امور الدنيا قوله تعالى
ولما راى المومنون الاحزاب ومن العرب من يقول راي على القلب قالوا هذا ما وعدنا
الله ورسوله يريد قوله تعالى في سورة البقرة ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم الاية فلما راوا الاحزاب يوم الخندق قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله
قاله قتادة وقول ثان رواه كثير بن عبد الله بن عمرو المازني عن ابيه عن جده قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذكرت الاحزاب فقال اخبرني جبريل عليه السلام
ان امتي ظاهرة عليها يعني على قصور الحيرة ومداين كسرى فابشروا بالنصر فاستبشر
المسلمون وقالوا الحمد لله موعد صدق اذ وعدنا بالنصر بعد الحصر فطلعت الاحزاب
فقال المومنون هذا ما وعدنا الله ورسوله ذكره الماوردي وما وعدنا ان جعلت ما بمعنى
الذي فالها محذوفة وان جعلتها مصدرا لم يحتج الى عايد وما زادهم الا ايمانا وتسليما
قال الفرا وما زادهم النظر الى الاحزاب وقال علي بن سليمان راي يدل على الروية وتانيث
الروية غير حقيقي والمعنى ما زادهم الروية الا ايمانا بالرب وتسليما للقضا قاله الحسن
ولو قال ما زادوهم لجاز ولما اشتد الامر على المسلمين من المقام في الخندق قام عليه
السلام على التل الذي عليه مسجد الفتح في بعض الليالي وتوقع ما وعده الله من
النصر وقال من يذهب ليا تينا بخبرهم وله الجنة فلم يجبه احد فنظر الى جانبه وقال
من هذا فقال حذيفة الم تسمع كلامي منذ الليلة قال حذيفة فقلت يا رسول الله
منعني ان اجيبك قال انطلق حتى تدخل في القوم فتسمع كلامهم وتاتيني بخبرهم اللهم
احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن شماله حتى ترده الي انطلق ولا تحدث شيا
حتى تاتيني فانطلق حذيفة بسلاحه ورفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده
يقول يا صريخ المكروبين ويا مجيب المضطرين اكشف همي وغمي وكربي فقد ترى حالي
وحال اصحابي فنزل جبريل فقال ان الله سمع دعوتك وكفاك هول عدوك فخر رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبسط يديه وارخى عينيه وهو يقول شكرا شكرا كما رحمتني
ورحمت اصحابي واخبره جبريل عليه السلام ان الله مرسل عليهم ريحا فبشر اصحابه
بذلك قال حذيفة فانتهيت اليهم واذا نيرانهم تتقد فاقبلت ريح شديدة فيها حصبا
فما تركت لهم نارا الا اطفاتها ولا بنا الا طرحته وجعلوا يتترسون من الحصبا وقام ابو
سفين الى راحلته وصاح في قريش النجا النجا وفعل كذلك عيينة بن حصن والحرث
ابن عوف والاقرع بن حابس وتفرقت الاحزاب واصبح رسول الله صلى الله عليه
وسلم فعاد الى المدينة وبه من الشعث ما شا الله فجاته فاطمة بغسول فكانت تغسل
راسه فاتاه جبريل عليه السلام فقال وضعت السلاح ولم تضعه اهل السما ما زلت اتبعهم
حتى جاوزت بهم الروحا ثم قال انهض الى بني قريظة وقال ابو سفين ما زلت اسمع
بقعقعة السلاح حتى جاوزت الروحا قوله تعالى من المومنين رجال رفع
بالابتدا وصلح الابتدا بالنكرة لان صدقوا في موضع النعت فمنهم من قضى نحبه من في

موضع

موضع رفع بالابتدا وكذا ومنهم من ينتظر والخبر في المجرور والنحب النذر والعهد يقولون منه
نحبت انحب بالضم قال الشاعر • واذ نحبت كلب على الناس انهم • احق بتاج الماجد المتكرم •
وقال اخر • قد نحب المجد علينا نحبا • وقال اخر • انحب فيقضى ام ضلال وباطل •
وروى البخاري ومسلم والترمذي عن انس قال قال عمي انس بن النضر سميت به ولم يشهد
بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم فكبر عليه فقال اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
غبت عنه اما والله لين اراني الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بعد ليرين الله ما
اصنع قال فهاب ان يقول غيرها فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد من العام
المستقبل فاستقبله سعد بن مالك فقال يا ابا عمرو اين قال واها لريح الجنة اجدها دون
احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت
عمتي الربيع بنت النضر فما عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا لفظ مسلم وقال هذا حديث
حسن صحيح وقالت عايشة رضي الله عنها في قوله تعالى من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية منهم طلحة بن عبيد الله ثبت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى اصيبت يده فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة الجنة وفي الترمذي عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل سله عمن قضى نحبه من هو وكانوا لا يجترون على مسالته يوقرونه
ويهابونه فساله الاعرابي فاعرض عنه ثم ساله فاعرض عنه ثم اني اطلعت من باب المسجد
وعلي ثياب خضر فلما راني النبي صلى الله عليه وسلم قال اين السايل عمن قضى نحبه قال هذا
حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث يونس ابن بكير وقيل النحب الموت اي مات على ما عاهد
عليه عن ابن عباس والنحب ايضا الوقت والمدة يقال قضى فلان نحبه اذا مات وقال ذو
الرمة • عشية فر الحارثيون بعد ما • قضى نحبه في ملتقى الخيل هوبر •
والنحب ايضا الحاجة والهمة يقول قائلهم ما لي عندهم نحب وليس المراد بالاية والمعنى
في هذا الموضع بالنحب النذر كما قدمنا اولا اي منهم من بذل جهده على الوفا بعهده حتى قتل
مثل حمزة وسعد بن معاذ وانس بن النضر وغيرهم ومنهم من ينتظر الشهادة وما بدلوا تبديلا
عهدهم ونذرهم وروى البيهقي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف
من احد مر على مصعب بن عمير وهو على طريقه فوقف عليه ودعا له ثم قرا هذه الاية من
المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا
تبديلا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهد ان هولاء شهدا عند الله يوم القيامة
فاتوهم وزوروهم والذي نفسي بيده لا يسلم عليهم احد الى يوم القيامة الا ردوا عليه وقد
روي عن ابن عباس انه قرا فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل تبديلا قال
ابو بكر الانباري وهذا الحديث عند اهل العلم مردود لخلافه الاجماع ولان فيه طعنا على
المومنين والرجال الذين مدحهم الله وشرفهم بالصدق والوفا فما يعرف فيهم مغير وما وجد
من جماعتهم مبدل رضي الله عنهم ليجزي الله الصادقين في الاخرة بصدقهم ويعذب
المنافقين في الاخرة ان شا اي ان شا ان يعذبهم لم يوفقهم للتوبة وان لم يشا ان يعذبهم
تاب الله عليهم قبل الموت ان الله كان غفورا رحيما قوله تعالى ورد الله الذين كفروا
بغيظهم لم ينالوا خيرا قال محمد بن عمرو يرفعه الى عايشة قالت الذين كفروا ها هنا ابو سفين
وعيينة بن بدر رجع ابو سفين الى تهامة ورجع عيينة الى
نجد وكفى الله المومنين القتال بان ارسل عليهم جنودا وريحا حتى رجعوا ورجعت بنوا
قريظة الى صياصيهم فكفى امر قريظة بالرعب وكان الله قويا عزيزا امره عزيز لا يغلب
قوله تعالى الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم يعني الذين عاونوا الاحزاب
قريشا وغطفان وهم بنو قريظة وقد مضى خبرهم من صياصيهم اي حصونهم واحدها صيصة
قال الشاعر • فاصبحت الثيران صرعى واصبحت • نسا تميم يبتدرن الصياصيا •
ومنه قيل لشوكة الحايك التي بها يسوي السداة واللحمة صيصة قال دريد بن الصمة
• نجيت اليه والرماح تنوشه • كوقع الصياصي في النسيج الممدد •

ومنه صيصية الديك التي في رجله وصياصي البقر قرونها لانها تمتنع بها وربما كانت
تركب في الرماح كان الاسنة ويقال جذ الله صيصيته اي اصله وقذف في قلوبهم الرعب
فريقا تقتلون وهم الرجال وتاسرون فريقا وهم النسا والذرية علي ما تقدم واورثكم ارضهم
وديارهم واموالهم وارضا لم تطوها بعد قال يزيد بن رومان وابن زيد ومقاتل يعني حنين
ولم يكونوا نالوها فوعدهم الله اياها وقال قتادة كنا نتحدث انها مكة قال الحسن هي
فارس والروم وقال عكرمة كل ارض تفتح الي يوم القيامة وكان الله علي كل شي قديرا فيه وجهان
احدهما علي ما اراد بعباده من نقمة او عفو قدير قاله محمد بن اسحاق الثاني علي ما اراد ان
يفتحه من الحصون والقري قدير قاله النقاش وقيل وكان الله علي كل شي مما وعدكموه قديرا
لا ترد قدرته ولا يجوز عليه العجز تعالي ويقال وتاسرون بكسر السين وضمها حكاه الفرا قوله
تعالي يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها الي قوله عظيما فيه ثمان
مسايل الاولي قوله تعالي يا ايها النبي قل لازواجك قال علماونا هذه الاية متصلة بمعني ما
تقدم من المنع من ايذاء النبي صلي الله عليه وسلم وكان قد تادي ببعض الزوجات قيل سالنه
شيا من عرض الدنيا وقيل زيادة في النفقة وقيل اذينه بغيرة بعضهن علي بعض وقيل
امر صلي الله عليه وسلم بتلاوة هذه الاية عليهن وتخييرهن بين الدنيا والاخرة وقال
الشافعي رحمه الله ان من ملك زوجة فليس عليه تخييرها وامر رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان يخير نساءه فاخترنه وجملة ذلك ان الله سبحانه خير النبي صلي الله عليه وسلم من ان
يكون نبيا ملكا وعرض عليه مفاتيح خزاين الدنيا وبين ان يكون نبيا مسكينا فشاور جبريل
فاشار عليه بالمسكنة فاختارها فلما اختارها وهي اعلي المنزلتين امره الله عز وجل ان
يخير زوجاته فربما كان فيهن من يكره المقام معه علي الشدة تنزيها له وقيل ان السبب
الذي اوجب التخيير لاجله ان امراة من ازواجه سالته ان يصوغ لها حلقة من ذهب
فصاغ لها حلقة من فضة وطلاها بالذهب وقيل بالزعفران فابت الا ان تكون من ذهب
فنزلت اية التخيير فخيرهن فقلن اخترنا الله ورسوله وقيل ان واحدة منهن اختارت الفراق والله
اعلم وروي البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن
علي رسول الله صلي الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم قال
فاذن لابي بكر فدخل ثم جا عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلي الله عليه وسلم جالسا
حوله نساوه واجما ساكتا قال فقال والله لاقولن شيا اضحك النبي صلي الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لو رايت بنت خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك النبي
صلي الله عليه وسلم وقال هن حولي كما تري يسالنني النفقة فقام ابو بكر الي عايشة يجا عنقها
وقام عمر الي حفصة يجا عنقها كلاهما يقول تسالن رسول الله صلي الله عليه وسلم ما ليس عنده
فقلن والله لا نسال رسول الله صلي الله عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهرا او
تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتي بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما
قال فبدا بعايشة فقال يا عايشة اني اريد ان اعرض عليك امرا احب ان لا تعجلي فيه حتي
تستشيري ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلا عليها الاية فقالت افيك يا رسول الله
استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك
بالذي قلت فقال لا تسالني امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا
ولكن بعثني معلما ميسرا وروي الترمذي عن عايشة قالت لما امر رسول الله صلي الله عليه
وسلم بتخيير ازواجه بدا بي فقال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي
حتي تستامري ابويك قالت وقد علم ان ابواي لم يكونا ليامراني بفراقه قالت ثم قال
ان الله يقول يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين
امتعكن واسرحكن سراحا جميلا حتي بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما فقلت افي هذا
استامر ابواي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وفعل ازواج النبي صلي الله عليه
وسلم مثل ما فعلت قال هذا حديث حسن صحيح قال العلما اما امر النبي صلي الله عليه وسلم
عايشة ان تشاور ابويها لانه كان يحبها وكان يخاف ان يحملها فرط الشباب علي ان تختار

فراقه

فراقه ويعلم من ابويها انهما لا يشيران عليها بفراقه الثانية قوله تعالي قل لازواجك كان
للنبي صلي الله عليه وسلم ازواج منهن من دخل بها ومنهن من عقد عليها ولم يدخل بها ومنهن
من خطبها فلم يتم نكاحه معها فمنهن خديجة بنت خويلد بن اسد بن عبد العزي بن قصي بن
كلاب وكانت قبله عند ابي هالة واسمه زرارة ابن النباش الاسدي وكانت قبله عند عتيق
ابن عايذ ولدت منه غلاما اسمه عبد مناف وولدت من ابي هالة هند ابن ابي هالة وعاش
الي زمان الطوفان فمات فيه ويقال ان الذي عاش الي الطاعون هند بن هند وسمعت
نادبته تقول حين مات واهند بن هنداه واربيب رسول الله صلي الله عليه وسلم ولم يتزوج
رسول الله صلي الله عليه وسلم علي خديجة حتي ماتت وكان يوم تزوجها رسول الله صلي الله
عليه وسلم بنت اربعين سنة وتوفيت بعد ان مضي من النبوة سبع سنين وقيل عشر وكانت
لها حين توفيت خمس وستون سنة وهي اول امراة امنت به وجميع اولاده منها غير ابراهيم قال
حكيم ابن حزام توفيت خديجة فخرجنا بها من منزلها حتي دفناها بالحجون ونزل رسول الله
صلي الله عليه وسلم في حفرتها ولم تكن يوميذ سنة الجنازة الصلاة عليها ومنهن سودة بنت
زمعة بن قيس ابن عبد شمس العامرية اسلمت قديما وبايعت وكانت عند ابن عم لها يقال له
السكران بن عمرو واسلم ايضا وهاجرا جميعا الي ارض الحبشة في الهجرة الثانية فلما قدما مكة
مات زوجها وقيل مات بالحبشة فلما حلت خطبها رسول الله صلي الله عليه وسلم فتزوجها ودخل
بها بمكة وهاجر بها الي المدينة فلما كبرت اراد طلاقها فسالته ان لا يفعل ذلك وان يدعها في
نسايه وجعلت ليلتها لعايشة حسب ما هو مذكور في الصحيح فامسكها وتوفيت بالمدينة
في شوال سنة اربع وخمسين ومنهن عايشة ابنة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكانت مسماة
لجبير بن مطعم فخطبها رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله دعني اسلها
من جبير سلا رفيقا فتزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم قبل الهجرة بمكة بسنتين وقيل
بثلاث سنين وبني بها بالمدينة وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين ومات صلي الله
عليه وسلم وهي بنت ثمان عشرة سنة ولم يتزوج بكرا غيرها وماتت سنة تسع وخمسين وقيل ثمان
وخمسين ومنهن حفصة بنت عمر بن الخطاب القرشية العدوية تزوجها رسول الله صلي
الله عليه وسلم ثم طلقها فاتاه جبريل فقال ان الله يامرك ان تراجع حفصة فانها صوامة
قوامة فراجعها قال الواقدي وتوفيت في شعبان سنة خمس واربعين في خلافة معاوية
وهي ابنة ستين سنة وقيل ماتت في خلافة عثمان بالمدينة ومنهن ام سلمة واسمها
هند بنت ابي امية المخزومية واسم ابي امية سهيل تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم
في ليال بقين من شعبان سنة اربع زوجها منه ابنها سلمة علي الصحيح وكان عمر ابنها صغيرا
وتوفيت في سنة تسع وخمسين وقيل سنة ثنتين وستين والاول اصح وصلي عليها
سعيد بن زيد وقيل ابو هريرة وقبرت بالبقيع وهي بنت اربع وثمانين سنة ومنهن
ام حبيبة واسمها رملة بنت ابي سفيان بعث رسول الله صلي الله عليه وسلم عمرو بن امية
الضمري الي النجاشي ليخطب عليه ام حبيبة فزوجه اياها وذلك سنة سبع من الهجرة واصدق
النجاشي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم اربعمائة دينار وبعث بها مع شرحبيل بن
حسنة وتوفيت سنة اربع واربعين وقال الدارقطني كانت ام حبيبة تحت عبيد الله بن
جحش فمات بارض الحبشة علي النصرانية فزوجها النجاشي النبي صلي الله عليه وسلم وامهرها
عنه اربعة الاف وبعث بها اليه مع شرحبيل بن حسنة ومنهن زينب بنت جحش بن رياب
الاسدية وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلي الله عليه وسلم زينب وكان اسم ابيها
برة فقالت يا رسول الله بدل اسم ابي فان برة حقيرة فقال لها النبي صلي الله عليه وسلم
لو كان ابوك مومنا سميناه باسم رجل منا اهل البيت ولكن قد سميته جحشا والجحش اكبر
من البرة ذكر هذا الحديث الدارقطني تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم بالمدينة
في سنة خمس من الهجرة وتوفيت سنة عشرين وهي بنت ثلاث وخمسين ومنهن زينب
بنت خزيمة بن الحرث بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة الهلالية
كانت تسمي في الجاهلية ام المساكين لاطعامها اياهم تزوجها رسول الله صلي الله عليه وسلم

في رمضان على راس احدي وثلاثين شهرا من الهجرة فمكث عنده ثمانية اشهر وتوفيت
في حياته في اخر ربيع الاول على راس تسعة وثلاثين شهرا ودفنت بالبقيع ومنهن جويرية
بنت الحارث بن ابي ضرار الخزاعية المصطلقية اصابها في غزوة بني المصطلق فوقعت في سهم
ثابت بن قيس بن شماس وكاتبها فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابتها وتزوجها وذلك
في شعبان سنة ست وكان اسمها برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية وتوفيت
في ربيع الاول سنة ست وخمسين وقيل سنة خمسين وهي ابنة خمس وستين ومنهن صفية
بنت حيي بن اخطب الهارونية سباها النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر واصطفاها لنفسه
واسلمت واعتقها وجعل عتقها صداقها وفي الصحيح ايضا وقعت في سهم دحية الكلبي فاشتراها
رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعة ارؤس وماتت في سنة ست وماتت مرجعه من حجة
الوداع ودفنها بالبقيع وقال الواقدي ماتت سنة عشرين وصلى عليها عمر قال ابو الفرج
الجوزي وسمعت من يقول انه كان يطاها بملك اليمين ولم يعتقها قلت فهذا والله اعلم
لم يذكرها ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي في عداد ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ومنهن
ميمونة بنت الحرث الهلالية تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بسرف على عشرة اميال من
مكة وذلك في سنة سبع من الهجرة في عمرة القضية وهي اخر امراة تزوجها رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهي اللاتي دخلن بهن رضي الله عنهن فاما من تزوجها ولم يدخل بها فمنهن
الكلابية واختلفوا في اسمها فقيل فاطمة وقيل عمرة وقيل العالية قال الزهري تزوج
فاطمة بنت الضحاك الكلابية واستعاذت منه فطلقها وكانت تقول انا الشقية تزوجها
في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة وتوفيت سنة ستين ومنهن اسما ابنة النعمان بن
ابي الجون بن الحرث الكندية وهي الجونية قال قتادة لما دخل عليها دعاها فقالت تعالى
انت فطلقها وقال غيره هي التي استعاذت منه وفي البخاري قال تزوج رسول الله صلى
الله عليه وسلم اميمة بنت شراحيل فلما دخل عليها بسط يده اليها فكانها كرهت ذلك فامر
ابا اسيد ان يكسوها ثوبين وفي لفظ اخر قال ابو اسيد اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجونية فلما دخل عليها قال هبي لي نفسك فقالت وهل تهب الملكة نفسها للسوقة
فاهوى بيده لتضعها عليها لتسكن فقالت اعوذ بالله منك قال قد عذت بمعاذ ثم خرج علينا
فقال يا ابا اسيد اكسها رازقيين والحقها باهلها ومنهن قتيلة بنت قيس اخت الاشعث بن قيس
زوجها اياه الاشعث ثم انصرف الى حضرموت فحملها اليه فبلغه وفاة النبي صلى الله عليه وسلم
فردها الى بلاده فارتدت وارتدت معه ثم تزوجها عكرمة بن ابي جهل فوجد ابو بكر من ذلك
وجدا شديدا فقال له عمر انها والله ما هي من ازواجه ما خيرها ولا حجبها ولقد براها الله
منه بالارتداد وكان عروة ينكر ان يكون تزوجها ومنهن ام شريك الازدية واسمها غزية
بنت جابر بن حكيم وكانت قبله عند ابي بكر بن ابي سلمى فطلقها النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يدخل بها وهي التي وهبت نفسها وقيل ان التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
خولة بنت حكيم ومنهن خولة ابنة الهذيل بن هبيرة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فهلكت قبل ان تصل اليه ومنهن شراف ابنة خليفة اخت دحية تزوجها ولم يدخل بها ومنهن
ليلى ابنة الخطيم اخت قيس تزوجها وكانت غيورا فاستقالته فاقالها ومنهن عمرة
بنت معاوية الكندية تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم قال الشعبي تزوج امراة من كندة
فجيء بها بعدما مات ومنهن ابنة جندب بن ضمرة الجندعية قال بعضهم تزوجها رسول
الله صلى الله عليه وسلم وانكر بعضهم وجود ذلك ومنهن الغفارية قال بعضهم تزوج
امراة من غفار فامرها فنزعت ثيابها فراى بياضا فقال الحقي باهلك ويقال انما راى
البياض بالكلابية فهولاء اللاتي عقد عليهن ولم يدخل بهن صلى الله عليه وسلم فاما من
خطبهن فلم يتم نكاحه معهن ومن وهبت له نفسها ومنهن ام هاني بنت ابي طالب واسمها
فاختة خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة مصبية واعتذرت اليه فعذرها
ومنهن ضباعة بنت عامر كذا ومنهن صفية بنت بشامة من نضلة خطبها النبي صلى الله
عليه وسلم وكان اصابها سبا فخيرها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان شئت انا وان شئت

زوجك

زوجتك فقالت زوجني فارسها فلعنتها بنو تميم قاله ابن عباس ومنهن ام شريك وقد تقدم
ذكرها ومنهن ليلى بنت الخطيم وقد تقدم ذكرها ومنهن خولة بنت حكيم بن امية وهبت نفسها
للنبي صلى الله عليه وسلم فارجاها فتزوجها عثمان بن مظعون ومنهن جمرة بنت الحرث بن عوف
المزني خطبها النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابوها ان بها سوءا ولم يكن بها فرجع اليها ابوها وقد
برصت وهي ام شبيب ابن البرصا الشاعر ومنهن سودة القرشية خطبها النبي صلى الله عليه وسلم
وكانت مصبية فقالت اخاف ان يتضاغى صبيتي عند راسك فحمدها ودعا لها ومنهن امراة لم يذكر
اسمها قال مجاهد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة فقالت استامر ابي فلقيت اباها فاذن
لها فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قد التحفنا لحافا غيرك فهولاء جميع ازواج النبي
صلى الله عليه وسلم وكان له من السراري سريتان مارية القبطية وريحانة في قول قتادة وقال
غيره كانت له اربع مارية وريحانة واخرى جميلة اصابها في السبي وجارية وهبتها له زينب
بنت جحش الثالثة قوله تعالى ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها ان شرط وجوابه فتعالين
فعلق التخيير على شرط وهذا يدل على ان التخيير والطلاق المعلقين على شرط صحيحان فينفذان
ويمضيان خلافا للجهال المبتدعة الذين يزعمون ان الرجل اذا قال لزوجته انت طالق ان
دخلت الدار انه لا يقع الطلاق ان دخلت الدار لان الطلاق الشرعي هو المنجز في الحال
لا غير الرابعة قوله تعالى فتعالين هو جواب الشرط وهو فعل جماعة النساء من قولك تعالى
وهو دعا الى الاقبال اليه يقال تعالى بمعنى اقبل وضع لمن له جلالة ورفعة ثم صار في
الاستعمال لكل داع الى الاقبال واما في هذا الموضع فهو على اصله فان الداعي هو رسول
الله صلى الله عليه وسلم امتعكن قد تقدم الكلام في المتعة في البقرة وقرئ امتعكن بضم
العين وكذا اسرحكن بضم الحاء على الاستيناف والسراح الجميل هو ان يكون طلاقا للسنة من
غير ضرار ولا منع واجب لها الخامسة اختلف العلما في كيفية تخيير النبي صلى الله عليه وسلم
ازواجه على قولين الاول انه خيرهن باذن الله في البقا على الزوجية او الطلاق فاخترن
البقا قالت عايشة ومجاهد وعكرمة والشعبي وابن شهاب وربيعة ومنهم من قال انما
خيرهن بين الدنيا فيفارقهن او بين الاخرة فيمسكهن لتكون لهن المنزلة العليا كما كانت
لزوجهن ولم يخيرهن في الطلاق ذكره الحسن وقتادة ومن الصحابة علي فيما رواه عنه
احمد بن حنبل انه قال لم يخير رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه الا بين الدنيا والاخرة
قلت القول الاول اصح لقول عايشة رضي الله عنها لما سئلت عن الرجل يخير امراته فقالت
قد خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم افكان طلاقا في رواية فاخترناه فلم يعده طلاقا
ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا التخيير المامور بين البقا والطلاق ولذلك
قال لعايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك الحديث
ومعلوم انه لم يرد الاستيمار في اختيار الدنيا وزينتها على الاخرة فثبت ان الاستيمار
انما وقع في الفرقة والنكاح والله اعلم السادسة اختلف العلما في المخيرة اذا اختارت
زوجها فقال جمهور العلما من السلف وغيرهم وايمة الفتوى انه لا يلزمه طلاق لا واحدة
ولا اكثر هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي وابن مسعود وزيد بن ثابت وابن
عباس وعايشة ومن التابعين عطا ومسروق وسليمان ابن يسار وربيعة وابن شهاب
وروي عن علي وزيد ايضا ان اختارت زوجها فواحدة بائنة وهو قول الحسن البصري
والليث وحكاه الخطابي والنقاش عن مالك وتعلق بان قوله اختاري كناية في ايقاع
الطلاق فاذا اضافه اليها وقعت طلقة كقوله انت باين والصحيح ايضا الاول لقول
عايشة خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده علينا طلاقا اخرجه
الصحيحان قال ابن المنذر وحديث عايشة يدل على ان المخيرة اذا اختارت زوجها لم
يكن ذلك طلاقا ويدل على ان اختيارها نفسها يوجب الطلاق ويدل على معنى ثالث
وهو ان المخيرة اذا اختارت نفسها انها تطليقة يملك زوجها رجعتها اذ غير جايز ان
يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف ما امره الله وروي هذا عن عمر وابن مسعود
وابن عباس وبه قال ابن ابي ليلى والثوري والشافعي وروي عن علي انها اذا اختارت

نفسها انها واحدة باينة وهو قول ابي حنيفة واصحابه وبه قال ابن خواز منداد عن
مالك وروي عن زيد بن ثابت انها اذا اختارت نفسها انها ثلاث وهو قول الحسن البصري وبه
قال مالك والليث لان الملك انما يكون بذلك وروي عن علي رضي الله عنه انها اذا اختارت
نفسها فليس بشي وروي عن علي رضي الله عنه ايضا انها اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية
السابعة ذهب جماعة من المدنيين وغيرهم الى ان التمليك والتخيير سوا والقضا ما قضت
فيهما جميعا وهو قول عبد العزيز بن ابي سلمة قال ابن شعبان وقد اختاره كثير من اصحابنا
وهو قول جماعة من اهل المدينة قال ابو عمر وعلى هذا القول اكثر الفقها والمشهور من مذهب
مالك الفرق بينهما وذلك ان التمليك عند مالك هو قول الرجل لامراته قد ملكتك اي قد
ملكتك ما جعل الله لي من الطلاق واحدة او اثنتين او ثلثا فلما جاز ان يملكها بعض ذلك دون
بعض وادعى ذلك كان القول قوله مع يمينه اذا ناكرها وقالت طايفة من اهل المدينة له المناكرة
في التمليك وفي التخيير سوا في المدخول بها والاول قول مالك في المشهور وروي ابن خواز منداد
عن مالك ان للزوج ان يناكر المخيرة في الثلث وتكون طلقة باينة كما قال ابو حنيفة وبه قال
ابن الجهم قال سحنون وعليه اكثر اصحابنا وتحصيل مذهب مالك ان المخيرة اذا اختارت نفسها
وهي مدخول بها فهو الطلاق كله وان انكر زوجها فلا نكير له وان اختارت واحدة فليس
بشي وانما الخيار البتات اما اخذته واما تركته لان معنى التخيير التسريح قال الله تعالى في
اية التخيير فتعالين امتعكن واسرحكن سراحا جميلا فمعنى التسريح البتات قال الله تعالى
الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان والتسريح بالاحسان هي الطلقة الثالثة
روي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم كما تقدم ومن جهة المعنى ان قوله اختاريني او اختاري
نفسك يقتضي ان لا يكون له عليها سبيل اذا اختارت نفسها ولا يملك منها شيا اذ قد جعل
الله اليها ان تخرج ما تملكه منها او تقيم معه اذا اختارته فاذا اختارت البعض من الطلاق لم
تعمل بمقتضى اللفظ وكانت بمنزلة من خير بين شيين فاختار غيرهما واما التي لم يدخل بها
فله مناكرتها في التخيير والتمليك اذا زاد على واحدة لانها تبين في الحال الثامنة اختلفت
الرواية عن مالك متى يكون لها الخيار فقال مرة لها الخيار ما دامت في المجلس قبل القيام
او الاشتغال بما يدل على الاعراض فان لم تختر ولم تقض شيا حتى افترقا من مجلسهما بطل
ما كان من ذلك اليها وعلى ذلك اكثر الفقها وقال مرة لها الخيار ابدا ما لم يعلم انها تركت وذلك
يعلم بان تمكنه من نفسها بوطء او مباشرة فعلى هذا ان منعت نفسها ولم تختر شيا كان له
رفعها الى الحاكم لتوقع او تسقط فان ابت اسقط الحاكم تمليكها وعلى القول الاول اذا اخذت
في غير ذلك من حديث او عمل او مشي او ما ليس من التخيير بشي كما ذكرنا سقط تخييرها
واحتج بعض اصحابه لهذا القول بقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث
غيره وايضا فان الزوج اطلق لها القول ليعرف الخيار منها فصار كالعقد بينهما فان قبلته
والا سقط كالذي يقول قد وهبت لك او بعتك فان قبل والا كان الملك باقيا بحاله
هذا قول الثوري والكوفيين والليث والاوزاعي والشافعي وابو ثور وهو اختيار ابن
القاسم ووجه الرواية الثانية ان ذلك قد صار في يدها وملكته على زوجها بتمليكه اياها
فلما ملكت ذلك وجب ان يبقى في يدها كبقايه في يد زوجها قلت وهذا هو الصحيح لقوله
عليه السلام لعايشة اني ذاكر لك امرا فلا عليك ان لا تستعجلي حتى تستامري ابويك رواه
الصحيح وخرجه البخاري وصححه الترمذي وقد تقدم في اول الباب وهو حجة لمن قال
انه اذا اخبر الرجل امراته او ملكها ان لها ان تقضي في ذلك وان افترقا من مجلسهما روي
هذا عن الحسن والزهري وقاله مالك في احدى روايتيه قال ابو عبيد والذي عندنا
في هذا الباب اتباع السنة في عايشة في هذا الحديث حين جعل لها التاخير الى ان تستامر
ابويها ولم يجعل قيامها من مجلسها خروجا من الامر قال المروزي هذا اصح الاقاويل عندي
وقاله ابن المنذر والطحاوي قوله تعالى يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة فيه
ثلاث مسايل الاولى قال العلما لما اختارت نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول الله
صلى الله عليه وسلم شكرهن الله على ذلك فقال تكرمة لهن لا يحل لك النسا من بعد ولا ان

تبدل

تبدل بهن من ازواج الاية وبين حكمهن عن غيرهن فقال وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا
ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وجعل ثواب طاعتهن وعقاب معصيتهن اكثر مما لغيرهن فقال
يا نسا النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضعف لها العذاب ضعفين لشرف منزلتهن وفضل
درجتهن وتقدمهن على ساير النسا اجمع وكذلك بينت الشريعة في غير ما موضع حسبما تقدم بيانه
في غير موضع انه كلما تضاعفت الحرمات فهتكت تضاعفت العقوبات ولذلك ضوعف حد الحر
على العبد والثيب على البكر وقيل لما كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم في مهبط الوحي وفي منزل
اوامر الله ونواهيه قوي الامر عليهن ولزمهن بسبب مكانتهن اكثر مما يلزم غيرهن فضوعف لهن
الاجر والعذاب وقيل انما ذلك لعظم الضرر في جرايمهن بايذا النبي صلى الله عليه وسلم فكانت
العقوبة على قدر عظم الجريمة في ايذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة واختار هذا القول الكيا الثانية قال
قوم لو قدر الزنا من واحدة منهن وقد اعاذهن الله من ذلك لكانت تحد حدين لعظم قدرها
كما يزاد حد الحرة على الامة والعذاب بمعنى الحد قال الله تعالى وليشهد عذابهما طايفة من المومنين
وعلى هذا فمعنى الضعفين معنى المثلين او المرتين وقال ابو عبيدة ضعف الشي شيان حتى
يكون ثلثة وقال ابو عمرو فيما حكى الطبري عنه يضاعف اليه عذابان مثله فيكون ثلثة
اعذبة وضعفه الطبري وكذلك هو غير صحيح وان كان له باللفظ تعلق الاحتمال وكون
الاجر مرتين مما يفسد هذا القول لان العذاب في الفاحشة بازا الاجر في الطاعة قاله ابن
عطية وقال النحاس فرق ابو عمرو بين يضعف ويضاعف مرتين وقرا يضعف لهذا وقال ابو
عبيدة يضاعف لها العذاب يجعل لها ثلثة اعذبة قال النحاس التفريق الذي جا به ابو عمرو
وابو عبيدة لا يعرفه احد من اهل اللغة علمته والمعنى في يضاعف ويضعف واحد اي يجعل
ضعفين كما تقول ان دفعت الي درهما دفعت لك ضعفيه اي مثليه يعني درهمين ويدل على
هذا نوتها اجرها مرتين ولا يكون العذاب اكثر من الاجر وقال في موضع اخر اتهم ضعفين
من العذاب اي مثلين وروي معمر عن قتادة يضاعف لها العذاب ضعفين قال عذاب الدنيا
وعذاب الاخرة قال القشيري ابو نصر الظاهر انه اراد بالضعفين المثلين لانه قال نوتها اجرها
مرتين فاما في الوصايا لو اوصى لانسان بضعفي نصيب ولده فهو وصية بان يعطى مثل نصيبه
ثلاث مرات فان الوصايا تجري على العرف فيما بين الناس وكلام الله يرد تفسيره الى كلام
العرب والضعف في كلام العرب المثل الى ما زاد وليس بمقصور على مثلين يقال هذا ضعف
هذا اي مثله وهذا ضعفاه اي مثلاه فالضعف في الاصل زيادة غير محصورة قال الله
تعالى فاولئك لهم جزا الضعف بما عملوا ولم يرد مثلا ولا مثلين كل هذا قول الازهري وقد تقدم
في النسا الاختلاف في حد من قذف واحدة منهن والحمد لله الثالثة قال ابو رافع كان عمر
رضي الله عنه كثيرا ما يقرا سورة يوسف وسورة الاحزاب في الصبح وكان اذا قرا وبلغ يا نسا
النبي رفع بها صوته فقيل له في ذلك فقال اذكرهن العهد قرا الجمهور من يات بالياء وكذلك
من يقنت حملا على لفظ من والقنوت الطاعة وقد تقدم وقرا يعقوب من تات وتقنت بالتا
من فوق حملا على المعنى وقال قوم الفاحشة اذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط واذا وردت
منكرة فهي ساير المعاصي واذا وردت منعوتة فهي عقوق الزوج وفساد عشرته وقالت
فرقة بل قوله بفاحشة مبينة تعم جميع المعاصي وكذلك الفاحشة كيف وردت وقرا ابن كثير
مبينة بفتح اليا وقرا نافع وابو عمرو بكسرها وقرات فرقة يضاعف بكسر العين على اسناد الفعل
الى الله تعالى وقرا ابو عمرو فيما روى خارجة نضاعف بالنون المضمومة ونصب العذاب
وهذه قراة ابن محيصن وهذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص وقرا نافع
وحمزة والكسايي يضاعف بالياء وفتح العين العذاب رفعا وهي قراة الحسن وابن كثير وعيسى
وقرا ابن كثير وابن عامر نضعف بالنون وكسر العين المشددة العذاب نصبا قال مقاتل
هذا التضعيف في العذاب انما هو في الاخرة لان ايتا الاجر مرتين ايضا في الاخرة وهذا
حسن لان نسا النبي صلى الله عليه وسلم لا ياتين بفاحشة توجب حدا وقد قال ابن
عباس ما بغت امراة نبي قط وانما خانت في الايمان والطاعة وقال بعض المفسرين العذاب

الذي توعدون به ضعفين هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وكذلك الأجر قال ابن عطية
وهذا ضعيف اللهم الا ان تكون ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لا ترفع عنهم حدود الدنيا
عذاب الآخرة على ما هي حال الناس عليه بحكم حديث عبادة بن الصامت وهذا امر لم يرو في
ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره واهل التفسير على ان الرزق الكريم الجنة
ذكره النحاس قوله تعالى يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ان اتقيتن يعني في الفضل
والشرف وقال كاحد ولم يقل كواحدة لان احدا نفي عن المذكر والمؤنث والواحد والجماعة
وقد يقال على ما ليس بادمي يقال ليس بها احد لا شاة ولا بعير وانما خص النساء بالذكر
لان فيمن تقدم آسية ومريم وقد اشار الى هذا قتادة وقد تقدم في آل عمران الاختلاف
في التفضيل بينهن فتامله هناك ثم قال ان اتقيتن اي خفتن الله فبين ان الفضيلة انما تتم
لهن بشرط التقوى لما منحهن الله من صحبة الرسول وعظيم المحل منه ونزول القرآن في حقهن
قوله تعالى فلا تخضعن بالقول في موضع جزم بالنهي الا انه كان مبني كما بني الماضي هذا
مذهب سيبويه الا ان يكون القول امرهن الله ان يكون قولهن جزلا وكلامهن فصلا ولا
يكون على وجه يظهر في القلب علاقة بما يظهر عليه من اللين كما كانت الحال في نساء العرب
عليهن من مكالمة الرجال بترخيم الصوت ولينه مثل كلام المريبات والمومسات فنهاهن عن مثل
هذا قوله تعالى فيطمع بالنصب على جواب النهي الذي في قلبه مرض اي شك ونفاق عن قتادة
والسدي وقيل تشوق الفجور وهو الفسق والغزل قاله عكرمة وهذا اصوب وليس للمنافق
مدخل في هذه الآية وقال ابو حاتم ان الاعرج قرا فيطمع بفتح الياء وكسر الميم النحاس احسب
هذا غلطا وان يكون قرا فيطمع بفتح الياء وكسر العين على فيخضعن فهذا وجه جيد حسن
ويجوز فيطمع بمعنى فيطمع الخضوع او القول قوله تعالى وقلن قولا معروفا قال ابن عباس
امرهن بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمرأة تندب اذا خاطبت الاجانب وكذا المحرمات
عليها بالمصاهرة الى الغلظة في القول من غير رفع صوت فان المرأة مامورة بخفض الكلام
وعلى الجملة فالقول المعروف هو الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس قوله تعالى
وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى وقرن
قرا الجمهور وقرن بكسر القاف وقرا عاصم ونافع بفتحها فاما القراءة الاولى فتحتمل وجهين
احدهما ان تكون من الوقار وقر يقر وقارا اي سكن والامر قر وللنساء قرن مثل عدن وزن
والوجه الثاني وهو قول المبرد ان يكون من القرار تقول قررت بالمكان بفتح الراء والاصل
اقررن بكسر الراء فحذفت الراء الاولى تخفيفا كما قالوا في ظللت ظلت ومسست مست ونقلوا
حركتها الى القاف واستغني عن الف الوصل لتحرك القاف قال ابو علي بل على ان ابدلت الراء
ياء كراهة التضعيف كما ابدلت في قيراط ودينار ويصير للياء حركة الحرف المبدل منه فالتقدير
اقرين ثم تلقى حركة الياء على القاف كراهة تحرك الياء بالكسر فتسقط الياء لاجتماع الساكنين
وتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فيصير قرن واما قراءة اهل المدينة وعاصم فعلى لغة
العرب قررت في المكان اذا اقمت فيه بكسر الراء بفتح القاف من باب حمد يحمد وهي لغة اهل
الحجاز ذكرها ابو عبيد في الغريب المصنف عن الكسائي وهو من اجل مشايخه وذكرها الزجاج
وغيره والاصل اقررن حذفت الراء الاولى لثقل التضعيف والقيت حركتها على القاف فتقول
قرن قال الفراء هو كما تقول هل حست صاحبك اي هل احسست وقال ابو عثمان المازني قررت
به عينا بالكسر لا غير من قرة العين ولا يجوز قررت في المكان بالكسر وانما هو قررت بفتح الراء وما
انكره من هذا لا يقدح في القراءة اذا ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فيستدل بما ثبت عنه من
القراءة على صحة اللغة وزعم ابو حاتم ايضا ان قرن لا مذهب له في كلام العرب قال النحاس
واما قول ابي حاتم لا مذهب له فقد خولف فيه وفيه مذهبان احدهما ما حكاه الكسائي
والآخر ما سمعت علي بن سليمان يقول قال وهو من قررت به عينا اقر والمعنى واقررن به
عينا في بيوتكن وهو وجه حسن الا ان الحديث يدل على ان الاول كما روي ان عمارا قال
لعائشة رضي الله عنها ان الله قد امرك ان تقري في منزلك فقالت يا ابا اليقظان ما زلت
قوالا بالحق فقال الحمد لله الذي جعلني كذلك على لسانك وقرا ابن ابي عبلة واقررن بالف

وصل وقرئ الاولى مكسورة الثانية معنى هذه الآية الامر بلزوم البيت وان كان الخطاب
لنساء النبي صلى الله عليه وسلم فقد دخل غيرهن فيه بالمعنى هذا لو لم يرد دليل يخص جميع النساء
كيف والشريعة طافحة بلزوم النساء بيوتهن والانكفاف عن الخروج منها الا لضرورة على ما
تقدم في غير موضع فامر الله تعالى نساء النبي صلى الله عليه وسلم بملازمة بيوتهن وخاطبهن
بذلك تشريفا لهن ونهاهن عن التبرج واعلم انه فعل الجاهلية الاولى فقال ولا تبرجن تبرج
الجاهلية الاولى وقد تقدم معنى التبرج في النور وحقيقته اظهار ما ستره احسن وهو
ماخوذ من السعة يقال في اسنانه برج اذا كانت متفرقة قاله المبرد واختلف الناس في
الجاهلية الاولى فقيل في الزمن الذي ولد فيه ابراهيم عليه السلام كانت المرأة تلبس الدرع
من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال وقال الحكم بن عيينة ما بين
آدم ونوح وهي ثمانمائة سنة وحكيت لهم سير ذميمة وقال ابن عباس ما بين نوح وادريس
الكلبي ما بين نوح وابراهيم قيل ان المرأة كانت تلبس الدرع من اللؤلؤ غير مخيط الجانبين
وتلبس الثياب الرقاق ولا تواري بدنها وقالت فرقة ما بين موسى وعيسى الشعبي ما بين
عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم ابو العالية هي زمان داود وسليمان كان فيه للمرأة قميص
من الدر غير مخيط الجانبين وقال ابو العباس المبرد والجاهلية الاولى كما تقول الجاهلية
الجهلاء قال وكان النساء في الجاهلية الجهلاء يظهرن ما يقبح اظهاره حتى كانت المرأة تجلس مع
زوجها وخلها فينفرد خلها بما فوق الازار الى الاعلى وينفرد زوجها بما دون الازار الى الاسفل وربما
سال احدهما صاحبه البدل وقال مجاهد كان النساء يتمشين بين الرجال فذلك التبرج قال
ابن عطية والذي يظهر عندي انه اشار للجاهلية التي لحقنها فامرن بالنقلة عن سيرتهن
فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة لانهم كانوا لا غيرة عندهم فكان امر النساء دون
حجبة وجعلها اولى بالنسبة الى ما كن عليه وليس المعنى ان ثم جاهلية اخرى وقد اوقع اسم
الجاهلية على تلك المدة التي قبل الاسلام فقالوا جاهلي في الشعراء وقال ابن عباس في البخاري
سمعت ابي في الجاهلية يقول الى غير هذا قلت وهذا قول حسن ويعترض بان العرب كانت اهل
قشف وضنك في الغالب وان التنعم واظهار الزينة انما جرى في الازمان السابقة وهي المراد بالجاهلية
الاولى المقصود من الآية مخالفة من قبلهن من المشية على تغنيج وتكسير واظهار المحاسن
للرجال الى غير ذلك مما لا يجوز شرعا وذلك يشمل الاقوال كلها ويعمها فيلزمن البيوت فان
مست الحاجة الى الخروج فليكن على تبذل وتستر تام والله الموفق الثانية ذكر الثعلبي
وغيره ان عائشة رضي الله عنها كانت اذا قرأت هذه الآية تبكي حتى تبل خمارها وهي مصيبة
ثابتة فيما تناولت ماجورة فيما فعلت اذ كل مجتهد في الاحكام مصيب وقد تقدم في النحل
اسم هذا الرجل وبه يعرف ذلك اليوم قوله تعالى واقمن الصلاة وآتين الزكاة واطعن
الله ورسوله اي فيما امر ونهى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قال الزجاج قيل
يراد به نساء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل يراد به نساؤه واهله الذين هم اهل بيته على
ما ياتي بيانه بعد واهل البيت نصب على المدح قال وان شئت على البدل قال ويجوز الرفع
والخفض قال النحاس ان خفض على انه بدل من الكاف والميم لم يجز عند ابي العباس
محمد بن يزيد قال لا يبدل من المخاطبة ولا من المخاطب لانهما لا يحتاجان الى تبيين قوله تعالى
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة هذه الالفاظ تعطي ان اهل البيت نساؤه
وقد اختلف اهل العلم في اهل البيت من هم فقال عطاء وعكرمة وابن عباس هم زوجاته خاصة
لا رجل معهن وذهبوا الى ان اهل البيت اريد به مساكن النبي صلى الله عليه وسلم لقوله
واذكرن ما يتلى في بيوتكن وقالت فرقة منهم الكلبي هم علي وفاطمة والحسن والحسين خاصة
وفي هذا احاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم واحتجوا بقوله تعالى ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا بالميم ولو كان للنساء خاصة لكان عنكن ويطهركن الا انه
يحتمل ان يكون خرج على لفظ الاهل كما يقول الرجل لصاحبه كيف اهلك اي امراتك ونساؤك
فيقول هم بخير قال الله تعالى اتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت

والذي يظهر من الآية انها عامة في جميع اهل البيت من الازواج وغيرهم وانما قال ويطهركم
لان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليا وحسنا وحسينا كان فيهم واذا اجتمع المذكر والمونث
غلب المذكر فاقتضت الايات ان الزوجات من اهل البيت لان الاية فيهن والمخاطبة لهن يدل
عليه سياق الكلام عليه والله اعلم اما ان ام سلمة قالت نزلت هذه الاية في بيتي فدعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كسا خيبري
وقال هولاء اهل بيتي وقرا الاية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت ام
سلمة وانا معهم يا نبي الله قال انت على مكانك وانت على خير اخرجه الترمذي وغيره وقال
هذا حديث غريب وقال القشيري وقالت ام سلمة ادخلت راسي الكسا وقلت انا منهم
قال نعم وقال الثعلبي هم بنوا هاشم فهذا على ان البيت يراد به بيت النسب فيكون العباس
واعمامه وبنوا اعمامه منهم وروي نحوه عن زيد بن ارقم رضي الله عنه وعلى قول الكلبي
يكون قوله واذكرن مخاطبة امر الله عز وجل ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الموعظة
وتعديد النعمة بذكر ما يتلى في بيوتهن من ايات الله والحكمة قال اهل العلم بالتاويل
ايات الله القران والحكمة والسنة والصحيح ان قوله واذكرن منسوق على ما قبله وقال
عنكم لقوله اهل فاهل مذكر فسماهن وان كن اناث باسم المذكر فلذلك صار عنكم ولا اعتبار بقول
الكلبي واشباهه فانه يوجد له اشيا في اهل التفسير مما لو كان في زمان السلف الصالح
لمنعوه من ذلك وحجروا عليه فالايات كلها من قوله يا ايها النبي قل لازواجك الى قوله
ان الله كان لطيفا خبيرا منسوق بعضها على بعض فكيف في الوسط كلاما منفصلا لغيرهن
وانما هذا شي جرى في الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه الاية
دعا عليا وفاطمة والحسن والحسين فعمد النبي صلى الله عليه وسلم الى كسا فلفها عليهم ثم
الوى بيده الى السما فقال اللهم هولاء اهلي اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فهذه
دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم لهم بعد نزول الاية احب ان يدخلهم في الاية التي
خوطب بها الازواج فذهب الكلبي ومن وافقه فصيرها لهم خاصة وهي دعوة لهم
خارجة من التنزيل الثانية لفظ الذكر يحتمل ثلاث معان احدها اي اذكرن موضع النعمة
اذ صيركن في بيوت يتلى فيها ايات الله والحكمة الثاني اذكرن ايات الله واقدرن
قدرها وفكرن فيها حتى تكون منكن على بال لتتعظن بمواعظ الله ومن كان هذا حاله
فان يحسن افعاله والثالث اذكرن بمعنى احفظن واقران والزمنه الالسنة فكانه
يقول واحفظن اوامر الله ونواهيه وهو الذي يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة
فامرهن الله ان يخبرن بما انزل من القران في بيوتهن وما يرين من افعال النبي صلى
الله عليه وسلم ويسمعن من اقواله حتى يبلغن ذلك الى الناس فيعملون عليه ويقتدون
وهذا يدل على جواز قبول خبر الواحد من الرجال والنسا في الدين الثالثة قال
ابن العربي في هذه الاية مسلة بديعة وهي ان الله تعالى امر نبيه عليه السلام بتبليغ
ما نزل عليه من القران وتعليم ما علمه من الدين فكان اذا قرا على واحد او ما اتفق
سقط عنه الفرض وكان على من سمعه ان يبلغه الى غيره ولا يلزمه ان يذكره لجميع
الصحابة ولا كان عليه اذا اعلم ذلك الازواج ان يخرج الى الناس فيقول لهم نزل كذا
ولا كان كذا ولهذا قلنا يجوز العمل بخبر بسرة في ايجاب الوضوء من مس الذكر لانها
روت ما سمعت وبلغت ما وعت ولا يلزم ان يبلغ ذلك الرجال كما قال ابو حنيفة
على انه قد نقل سعد بن ابي وقاص وابن عمر قوله تعالى ان المسلمين والمسلمات
الاية فيه مسلتان الاولى روى الترمذي عن ام عمارة الانصارية انها اتت النبي
صلى الله عليه وسلم فقالت ما ارى كل شي الا للرجال وما ارى النسا يذكرن بشي
فنزلت هذه الاية ان المسلمين والمسلمات والمومنين والمومنات الاية هذا حديث
غريب والمسلمون اسم ان والمسلمات عطف عليه ويجوز رفعه عند البصريين فاما
الفرا فلا يجوز عنده الا فيما لا يتبين فيه الاعراب الثانية بدا تعالى في هذه الاية
بذكر الاسلام الذي يعم الايمان وعمل الجوارح ثم ذكر الايمان تخصيصا له وتنبيها على انه

عظم الاسلام ودعامته والقانت العابد المطيع والصادق معناه فيما عوهد عليه
ان يفي به والصابر عن الشهوات وعلى الطاعات في المكره والمنشط والخاشع الخائف لله
والمتصدق بالفرض والنفل وقيل بالفرض خاصة والاول امدح والصايم كذلك والحافظين
فروجهم والحافظات اي عما لا يحل من الزنا وغيره وفي قوله والحافظات حذف يدل عليه
المتقدم تقديره والحافظاتها فاكتفى بما تقدم وفي الذاكرات ايضا مثله ونظيره قول الشاعر
وكمتا مدماه كان متونها جرى فوقها واستشعرت لون مذهب
وروى سيبويه لون مذهب وانما يجوز الرفع على حذف الها كانه قال واستشعرته فيمن عرفه
لونا والذاكر قيل في ادبار الصلوات وغدوا وعشيا وفي المضاجع وعند الانتباه من النوم
وقد تقدم هذا كله مفصلا في مواضعه وما يترتب عليه من الفوايد والاحكام فاغنى عن
الاعادة والحمد لله قال مجاهد لا يكون ذاكرا لله عز وجل كثيرا حتى يذكره قايما وجالسا ومضطجعا
وقال ابو سعيد الخدري من ايقظ اهله بالليل وصليا اربع ركعات كتبا من الذاكرين الله كثيرا
والذاكرات قوله تعالى وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الخيرة
من امرهم فيه اربع مسايل الاولى روى قتادة وابن عباس ومجاهد في سبب نزول هذه الاية
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب زينب بنت جحش وكانت بنت عمته فظنت ان الخطبة
لنفسه فلما تبين انه يريدها لزيد كرهت وابت وامتنعت فنزلت الاية فاذعنت زينب حينيذ
وتزوجته في رواية فامتنعت وامتنع اخوها عبد الله لنسبها من قريش وان زيدا كان بالامس
عبدا الى ان نزلت هذه الاية فقال له اخوها مرني بما شئت فزوجها من زيد وقيل انها نزلت
في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وكانت وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها
من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها وقالوا انما اردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجنا غيره فنزلت الاية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد قاله ابن زيد وقال الحسن ليس
لمومن ولا مومنة اذا امر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم بامر ان يعصياه الثانية لفظ
ما كان وما ينبغي ونحوهما معناه الحظر والمنع فيجي لحظر الشي والحكم بانه لا يكون كما في هذه الاية
وربما كان لامتناع ذلك الشي عقلا كقوله ما كان لكم ان تنبتوا شجرها وربما كان العلم بامتناعه
شرعا كقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا وربما كان في المندوبات كما تقول ما كان لك
يا فلان ان تترك النوافل ونحوه الثالثة في هذه الاية دليل بل نص في ان الكفاة لا تعتبر
في الاحساب وانما تعتبر في الاديان خلافا لمالك والشافعي والمغيرة وسحنون وذلك ان
الموالي تزوجت في قريش تزوج زيد زينب بنت جحش وتزوج المقداد بن الاسود ضباعة
بنت الزبير وزوج ابو حذيفة سالما من هند بنت الوليد بن عتبة وتزوج بلال اخت عبد
الرحمن بن عوف وقد تقدم هذا المعنى في غير موضع الرابعة قوله تعالى ان يكون لهم الخيرة قرا
الكوفيون ان يكون بالياء وهو اختيار ابي عبيد لانه قد فرق بين المونث وبين فعله الباقون
بالتاء لان اللفظ مونث فتانيث فعله حسن والتذكير على ان الخيرة بمعنى التخيير فالخيرة مصدر بمعنى
الاختيار وقرا ابن السميقع الخيرة باسكان الياء وهذه الاية في ضمن قوله تعالى النبي اولى
بالمومنين من انفسهم ثم توعد تعالى واخبر ان من يعص الله ورسوله فقد ضل وهذا ادل
دليل على ما ذهب اليه الجمهور من فقهاينا وفقها اصحاب الامام الشافعي وبعض الاصوليين
من ان صيغة افعل للوجوب في اصل وضعها لان الله تبارك وتعالى نفى خيرة المكلف عند
سماع امره وامر رسوله ثم اطلق على ما بقيت له خيرة عند صدور الامر اسم المعصية ثم علق على
المعصية بذلك الضلال فلزم حمل الامر على الوجوب والله اعلم قوله تعالى واذ تقول للذي
انعم الله عليه وانعمت عليه الى قوله وكان امر الله مفعولا فيه تسع مسايل الاولى روى
الترمذي قال حدثنا داود بن الزبرقان عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن عايشة
قالت لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول
للذي انعم الله عليه يعني بالاسلام وانعمت عليه بالعتق فاعتقته امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه الى قوله
وكان امر الله مفعولا وان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوجها قالوا تزوج حليلة

ابنه فانزل الله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير فلبث حتى صار رجلا يقال له زيد ابن محمد
فانزل الله تعالى ادعوهم لابائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا اباهم فاخوانكم في
الدين ومواليكم فلان مولى فلان وفلان اخو فلان هو اقسط عند الله قال ابو عيسى
هذا حديث قد روي عن داود بن ابي هند عن الشعبي عن مسروق عن عايشة قالت
لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم هذه الاية واذ تقول للذي
انعم الله عليه وانعمت عليه هذا الحرف لم يرو بطوله قلت هذا القدر هو الذي اخرجه
مسلم في صحيحه وهو الذي صححه الترمذي في جامعه وفي البخاري عن انس بن مالك
ان هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه نزلت في شان زينب بنت جحش وزيد بن
حارثة وقال عمر بن مسعود وعايشة والحسن ما انزل الله على رسوله اشد عليه من هذه
الاية وقال الحسن وعايشة لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيا من الوحي لكتم
هذه الاية لشدتها عليه وروي في الخبر انه امسى زيد فاوى الى فراشه قالت زينب لم
يستطعني زيد وما امتنع منه غير ما منعه الله مني فلا يقدر علي هذه رواية ابي عصمة نوح
ابن ابي مريم رفع الحديث الى زينب انها قالت وذكر في بعض الروايات ان زيدا تورم
ذكره حين اراد ان يقربها فهذا قريب من ذلك وجا زيد الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال ان زينب تؤذيني بلسانها وتفعل وتفعل واني اريد ان اطلقها فقال له امسك
عليك زوجك واتق الله الاية فطلقها زيد فنزلت واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت
عليه الاية واختلف الناس في تاويل هذه الاية فذهب قتادة وبن زيد وجماعة من
المفسرين منهم الطبري وغيره الى النبي صلى الله عليه وسلم وقع منه استحسان لزينب
بنت جحش وهي في عصمة زيد وكان حريصا على ان يطلقها زيد فتزوجها هو ثم ان زيد
لما اخبره بانه يريد فراقها ويشكو منها غلظة قول وعصيان امر واذى باللسان وتعظما
بالشرف قال له اتق الله اي فيما تقول عنها وامسك عليك زوجك وهو يخفي الحرص
على طلاق زيد اياها وهذا الذي كان يخفي في نفسه ولكنه لزم ما يجب من الامر بالمعروف
وقال مقاتل زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش من زيد فمكثت
عنده حينا ثم انه عليه السلام اتى زيدا يوما يطلبه فابصر زينب قايمة وكانت بيضا
جميلة جسيمة من اتم نسا قريش فهويها وقال سبحان الله مقلب القلوب فسمعت زينب
بنت جحش بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن زيد فقال يا رسول الله ايذن لي في طلاقها فان
فيها كبرا تعظم علي وتؤذيني بلسانها فقال عليه السلام امسك عليك زوجك واتق
الله وقيل ان الله بعث ريحا فرفعت الستر وزينب متفضلة في منزلها فراى زينب
فوقعت في نفسه ووقع في نفسها انها وقعت في نفس النبي صلى الله عليه وسلم وذلك
لما جا يطلب زيدا فجا زيد فاخبرته بذلك فوقع في نفس زيد ان يطلقها وقال بن عباس
وتخفي في نفسك الحب لها وتخشى الناس ان تستحييهم وقيل تخاف وتكره لايمة المسلمين
لو قلت طلقها ويقولون امر رجلا بطلاق امراته ثم نكحها حين طلقها والله احق ان تخشى
ولا تامر زيدا بامساك زوجته بعد ان اعلمك الله انها ستكون زوجتك فعاتبه الله على
جميع هذا وروي عن علي ابن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى الله اليه
ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله ايها فلما تشكى زيد للنبي صلى الله
عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله في قولك وامسك عليك زوجك وهو
يعلم انه يفارقها وهذا هو الذي اخفى في نفسه ولم يرد ان يامره بالطلاق لما علم انه
سيتزوجها وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج
زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي
الناس في شي قد اباحه الله له بان قال امسك مع علمه بانه يطلق واعلمه ان الله
احق بالخشية اي في كل حال قال علماونا وهذا القول احسن ما قيل في تاويل هذه الاية

وهو

وهو الذي عليه اهل التحقيق من المفسرين والعلما الراسخين كالزهري والقاضي بكر بن
العلا القشيري والقاضي ابو بكر بن العربي وغيرهم فالمراد بقوله وتخشى الناس انما هو ارجاف
المنافقين بانه نهى عن تزويج نسا الابنا وتزوج زوجة ابنه فاما ما روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم هوي زينب امراة زيد وربما اطلق بعض المجان لفظ عشق فهذا انما يصدر عن جاهل
بعصمة النبي صلى الله عليه وسلم عن مثل هذا او مستخف بحرمته صلى الله عليه وسلم قال
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول واسند الى علي بن الحسين قوله فعلي بن حسين جا بهذا من
خزانة العلم جوهرا من الجواهر ودرا من الدرر انه انما عتب الله عليه في انه قد اعلمه ان ستكون
هذه من ازواجك فكيف قال بعد ذلك لزيد امسك عليك زوجك واخذتك خشية الناس
ان يقولوا تزوج امراة ابنه والله احق ان تخشاه وقال النحاس قال بعض العلما ليس
هذا من النبي صلى الله عليه وسلم خطية الا ترى انه لم يومر بالتوبة ولا بالاستغفار منه وقد
يكون الشي ليس بخطية الا ان غيره احسن منه واخفى ذلك في نفسه خشية ان يفتتن الناس
الثانية قال ابن العربي فان قيل لاي معنى قال له امسك عليك زوجك وقد اخبره الله
انها زوجه قلنا اراد ان يختبر منه ما لم يعلمه الله من رغبته فيها او رغبته عنها فابدا له زيد من
النفرة عنها والكراهة فيها ما لم يكن علمه منه في امرها فان قيل كيف يامره بالتمسك بها وقد
علم ان الفراق لا بد منه وهذا تناقض قلنا بل هو صحيح للمقاصد الصحيحة لاقامة الحجة
ومعرفة العاقبة الا ترى ان الله تعالى يامر العبد بالايمان وقد علم انه لا يومن فليس في مخالفة
متعلق الامر لمتعلق العلم ما يمنع من الامر به شرعا عقلا وحكما وهذا من نفيس العلم فتيقنوه
وتقبلوه وقوله واتق الله اي في طلاقها فلا تطلقها واراد نهي تنزيه لا نهي تحريم لان الاولى
ان لا يطلق وقيل اتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر واذى الزوج وتخفي في نفسك قيل
تعلق قلبه وقيل مفارقة زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها لان الله قد اعلمه بذلك
الثالثة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد ما اجد في نفسي اوثق منك فاخطب
زينب علي قال فذهبت ووليتها ظهري توقيرا للنبي صلى الله عليه وسلم وخطبتها ففرحت
وقالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي عز وجل فقامت الى مسجدها ونزل القران فتزوجها
النبي صلى الله عليه وسلم ودخل بها قلت معنى هذا الحديث ثابت في الصحيح وترجم له
النسائي صلاة المراة اذا خطبت واستخارتها ربها روى الايمة واللفظ لمسلم عن انس قال
لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها علي قال فانطلق
زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري ونكصت على عقبي فقلت يا زينب
ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما انا بصانعة شيا حتى اوامر ربي
فقامت الى مسجدها ونزل القران وجا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير
اذن قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز واللحم حين امتد
النهار الحديث في رواية حتى تركوه وفي رواية عن انس ايضا قال ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم اولم على امراة من نسايه ما اولم على زينب فانه ذبح شاة قال علماونا فقوله عليه السلام
لزيد فاذكرها علي اي اخطبها كما بينه الحديث الاول وهذا امتحان لزيد واختبار له حتى
يظهر صبره وانقياده قلت وقد يستنبط من هذا انه يقول الانسان لصاحبه اخطب علي
فلانة لزوجه المطلقة منه ولا حرج في ذلك والله اعلم الرابعة لما وكلت امرها الى الله
تعالى وصح تفويضها اليه تولى الله انكاحها ولذلك قال فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها
وروى الامام جعفر بن محمد عن ابايه عن النبي صلى الله عليه وسلم وطرا زوجناكها ولما اعلم
الله بذلك دخل عليها بغير اذن ولا تجديد عقد ولا تقرير صداق ولا شي مما يكون شرطا
في حقوقنا ومشروعا لنا وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم التي لا يشاركه فيها
احد باجماع من المسلمين ولهذا كانت زينب تفاخر نسا النبي صلى الله عليه وسلم وتقول
زوجكن اباوكن وزوجني الله تعالى اخرجه النسائي عن انس بن مالك قال كانت زينب
تفخر على نسا النبي صلى الله عليه وسلم تقول ان الله عز وجل انكحني من السما وفيها نزلت

اية الحجاب رضي الله عنها وسياتي الخامسة المنعم عليه في هذه الاية هو زيد بن حارثة
كان تبناه وقد تقدم خبره في أول السورة وروي ان عمه لقيه يوما وكان ورد مكة في شغل
له فقال له ما اسمك يا غلام قال زيد قال ابن من قال ابن حارثة قال ابن من قال
ابن شراحيل الكلبي قال فما اسم امك قال سعدى وكنت في اخوالي طي فضمه الى صدره
وارسل الى اخيه وقومه فحضروا واراد ان يقيم معهم فقالوا لمن انت قال لمحمد
ابن عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابننا فرده علينا فقال اعرض عليه فان اختاركم فخذوا
بيده فبعث الى زيد وقال هل تعرف هولاء قال نعم هذا ابي وهذا اخي وهذا عمي فقال
له النبي صلى الله عليه وسلم فاي صاحب كنت لك فبكى وقال لم سالتني عن ذلك قال اخيرك
فان احببت ان تلحق بهم فالحق وان كنت اردت ان تقيم فانا من قد عرفت فقال ما
اختار عليك احدا فجذبه عمه وقال يا زيد اخترت العبودية على ابيك وعمك قال اي والله
العبودية عند محمد احب الي من ان اكون عندكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا
اني وارث وموروث فلم يزل يقال زيد بن محمد الى ان نزل قوله ادعوهم لابائهم ونزل ما
كان محمد ابا احد من رجالكم السادسة قال الامام ابو القاسم عبد الرحمن السهيلي رضي
الله عنه كان يقال زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لابائهم فقال انا زيد بن حارثة
وحرم عليه ان يقول انا زيد بن محمد فلما نزع عنه هذا الشرف وهذا الفخر منه وعلم الله
وحشته من ذلك شرفه بخصيصة لم يخص بها احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
وهي انه سماه في القران فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا يعني من زينب ومن ذكره
الله تعالى باسمه في الذكر الحكيم حتى صار اسمه قرانا يتلى في المحاريب نوه به غاية
التنويه فكان في هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة محمد صلى الله عليه وسلم له الا ترى
الى قول ابي بن كعب حين قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقرا عليك سورة
كذا فبكى وقال او ذكرت هنالك وكان بكاوه من الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف
بمن صار اسمه قرانا يتلى مخلدا يتلوه اهل الدنيا اذا قروا القران واهل الجنة كذلك
ابدا لا يزال على السنة المومنين كما لم يزل مذكورا على الخصوص عند رب العالمين اذ القران
كلام الله القديم وهو باق لا يبيد واسم زيد هذا في الصحف المكرمة المرفوعة
المطهرة يذكرها في التلاوة السفرة الكرام البررة وليس ذلك لاسم من اسماء المومنين
الا النبيين من الانبيا او لزيد بن حارثة تعويضا من الله تعالى له مما نزع عنه وزاد في
الاية اذ قال واذ تقول للذي انعم الله عليه اي بالايمان فدل على انه من اهل الجنة
علم ذلك قبل ان يموت وهذه فضيلة اخرى رضي الله عنه السابعة قوله تعالى وطرا
الوطر كل حاجة للمرء فيها همة والجمع الاوطار قال ابن عباس اي بلغ ما اراد من حاجته
يعني الجماع وفيه اضمار اي لما قضى وطره منها طلقها زوجناكها وقراءة اهل البيت زوجتكها
وقيل الوطر عبارة عن الطلاق قاله قتادة الثامنة ذهب بعض الناس من هذه الاية
ومن قول شعيب اني اريد ان انكحك الى ان ترتيب هذا المعنى في المهور ينبغي ان يكون
انكحه اياها فيقدم ضمير الزوج كما في الايتين وكذلك قوله عليه السلام لصاحب الرداء
اذهب فقد انكحتكها بما معك من القران قال ابن عطية وهذا غير لازم لان الزوج
في الاية مخاطب فحسن تقديمه وفي المهور الزوجان فقدم من شئت ولم يبق ترجيح
الا بدرجة الرجال وانهم القوامون التاسعة قوله تعالى زوجناكها دليل على ثبوت
الولي في النكاح وقد تقدم الخلاف فيه وذكر روي ان عايشة وزينب تفاخرتا فقالت
عايشة انا التي جاء بي الملك الى النبي صلى الله عليه وسلم في سرقة من حرير فيقول
هذه امراتك اخرجه الصحيح وقالت زينب انا التي زوجني الله من فوق سبع سموات
وقال الشعبي كانت تقول زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث
ما من نسايك امراة تدل بهن ان جدي وجدك واحد وان الله قد انكحك اياي من السما
وان السفير في ذلك جبريل وروي عن زينب انها قالت لما وقعت في قلب رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يستطع زيد وما امتنع منه غيرها يبغضه الله قوله تعالى

سنة

سنة الله في الذين خلوا من قبل هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة اعلمهم ان هذا
ونحوه من السنن الاقدم في الانبياء ان ينالوا ما احله لهم اي سن لمحمد صلى الله عليه وسلم في
التوسعة عليه في النكاح سنة الانبيا الماضية كداود وسليمان فكان لداود مائة امراة وثلاثمائة
سرية وذكر الثعلبي عن مقاتل وابن الكلبي ان الاشارة الى داود عليه السلام حيث جمع
الله بينه وبين من فتن بها وسنة نصب على المصدر اي سن الله له سنة واسعة والذين
خلوا هم الانبيا بدليل وصفهم بعد بقوله الذين يبلغون رسالات الله قوله تعالى ما كان
محمد ابا احد من رجالكم الى قوله عليما فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ما كان محمد ابا احد
من رجالكم لما تزوج زينب قال الناس تزوج امراة ابنه فنزلت الاية اي ليس هو بابن حتى
يحرم عليه حليلته ولكنه ابو امته في التبجيل والتعظيم وان نساه عليهم حرام فاذهب الله بهذه
الاية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم واعلم ان محمدا لم يكن ابا احد من الرجال المعاصرين
له في الحقيقة ولم يقصد بهذه الاية ان النبي لم يكن له ولد فقد ولد له ذكور ابراهيم والقاسم
والطيب والمطهر ولكن لم يعش له ابن حتى يصير رجلا واما الحسن والحسين فكانا طفلين
ولم يكونا رجلين معاصرين له الثانية قوله تعالى ولكن رسول الله قال الاخفش والفرا
اي ولكن كان رسول الله واجازا ولكن رسول الله وخاتم بالرفع وكذلك قرا ابن ابي عبلة
وبعض الناس ولكن بالرفع على معنى هو رسول الله وخاتم النبيين وقرات فرقة ولكن بشد
النون ونصب رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه اسم لكن والخبر محذوف وخاتم قرا عاصم
وحده بفتح التاء بمعنى انهم به ختموا فهو كالخاتم والطابع لهم وقرا الجمهور بكسر التاء بمعنى
انه ختمهم اي جا اخرهم وقيل الخاتم والخاتم لغتان مثل طابع وطابع ودانق ودانق وطابق
من اللحم وطابق الثالثة قال ابن عطية هذه الالفاظ عند جماعة علما الامة خلفا وسلفا
متلقاة على العموم التام مقتضية نصا انه لا نبي بعده صلى الله عليه وسلم وما ذكره القاضي
ابن الطيب في كتابه المسمى بالهداية من تجويز الاحتمال في الفاظ هذه الاية ضعيف وما
ذكره الغزالي في هذه الاية وفي هذا المعنى في كتابه الذي سماه بالاقتصاد الحاد عندي
وتطرق خبيث الى تشويش عقيدة المسلمين في ختم محمد صلى الله عليه وسلم النبوة فالحذر
الحذر منه والله الهادي برحمته قلت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا نبوة
بعدي الا ما شا الله قال ابو عمر يعني الرويا والله اعلم التي هي جزء منها كما قال عليه
السلام ليس يبقى بعدي من النبوة الا الرويا الصالحة وقرا ابن مسعود من رجالكم ولكن
نبيا ختم النبيين قال الرماني ختم به عليه السلام الاستصلاح فمن لم يصلح به فميوس
من صلاحه قلت ومن هذا المعنى قوله عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وفي صحيح
مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل الانبيا كمثل رجل بنى دارا
فاتمها واكملها الا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون منها ويقولون لولا موضع
اللبنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا موضع اللبنة جئت فختمت الانبيا ونحوه عن
ابي هريرة غير انه قال فانا اللبنة وانا خاتم النبيين قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا الاية امر تعالى عباده بان يذكروه ويشكروه ويكثروا من ذلك على ما انعم به
عليهم وجعل تعالى ذلك دون حد لسهولته على العبد ولعظم الاجر فيه قال ابن عباس
لم يعذر احد في ترك ذكر الله الا من غلب على عقله وروى ابو سعيد عن النبي صلى الله عليه
وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقيل الذكر الكثير ما جرى على الاخلاص من القلب
والقليل ما يقع على حكم النفاق كالذكر باللسان قوله تعالى وسبحوه بكرة واصيلا اي
اشغلوا السنتكم في معظم احوالكم بالتسبيح والتهليل والتحميد والتكبير قال مجاهد
وهذه كلمات يقولهن الطاهر والمحدث والجنب وقيل ادعوه قال جرير

فلا تنس تسبيح الضحى ان يوسف ٭ دعا ربه فاختاره حين سبحا

وقيل المراد صلوا لله بكرة واصيلا والصلاة تسمى تسبيحا وخص الفجر والمغرب والعشا
بالذكر لانها احق بالتحريض عليها لاتصالها باطراف الليل قال قتادة والطبري الاشارة
الى صلاة الغداة وصلاة العصر والاصيل العشي وجمعه اصائل والاصيل بمعنى الاصل وجمعه

اصال قاله المبرد وقال غيره اصيل جمع اصل كرغيف جمع رغف وقد تقدم مسئلة هذه الاية
مدنية فلا تعلق لها بما روي عن ان الصلاة اول ما فرضت اولا صلاة بين في طرفي النهار والرواية
بذلك ضعيفة فلا التفات اليها ولا معول عليها وقد تعين الكلام في كيفية فرض الصلاة وما
للعلماء في ذلك في سجن ولحديث قوله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية قال
ابن عباس لما انزل ان الله وملائكته يصلون على النبي قال المهاجرون والانصار هذا
لك يا رسول الله خاصة وليس لنا فيه شي فانزل الله هذه الاية قلت وهذه نعمة من الله تعالى
على هذه الامة من اكبر النعم ودليل على فضلها على سائر الامم وقد قال كنتم خير امة
اخرجت للناس الصلاة من الله للعبد هي رحمته له وبركته له به وصلاة الملائكة دعاؤهم
للمؤمنين واستغفارهم لهم كما قال ويستغفرون للذين امنوا وسياتي وفي الحديث ان
بني اسرائيل سالوا موسى عليه السلام ايصلي ربك عز وجل فاعظم ذلك فاوحى الله عز وجل
ان صلاتي بان رحمتي سبقت غضبي قاله النحاس وقال ابن عطية وروت فرقة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قيل له يا رسول الله كيف صلاة الله على عباده قال سبوح قدوس
رحمتي سبقت غضبي واختلفوا في تاويل هذا القول فقيل انه كلمة من كلام الله وهي
صلاته على عباده وقيل سبوح قدوس من كلام محمد صلى الله عليه وسلم وقدمه بين
يدي نطقه باللفظ الذي هو صلاة الله ورحمتي سبقت غضبي من حيث فهم من السائل
انه توهم في صلاة الله على عباده وجها لا يليق بالله عز وجل فقدم التنزيه والتعظيم
بين يدي اخباره قوله تعالى ليخرجكم من الظلمات الى النور اي من الضلالة الى الهدى
ومعنى هذا التثبيت على الهداية لانهم كانوا في وقت الخطاب على الهداية ثم اخبر تعالى
برحمته للمؤمنين تانيسا لهم فقال وكان بالمؤمنين رحيما قوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه
سلام اختلف في الضمير الذي في يلقونه على من يعود فقيل على الله تعالى اي كان بالمؤمنين
رحيما فهو يؤمنهم من عذاب الله يوم القيامة وفي ذلك اليوم يلقونه وتحيتهم اي تحية
بعضهم لبعض سلام اي سلامة لنا ولكم من عذاب الله وقيل هذه التحية من الله تعالى
المعنى فيسلمهم من الافات او يبشرهم بالامن من المخافات يوم يلقونه اي يوم القيامة بعد
دخول الجنة قال معناه الزجاج واستشهد بقوله عز وجل تحيتهم فيها سلام وقيل يوم
يلقونه اي يوم يلقون ملك الموت وقد ورد انه لا يقبض روح مؤمن حتى يسلم عليه قوله
تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الاية هذه الاية فيها تانيس للنبي
صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وتكريم لجميعهم وهذه الاية تضمنت من اسمائه صلى الله
عليه وسلم ستة اسما ولنبينا صلى الله عليه وسلم اسما كثيرة وسمات جليلة وقد ذكرها
في الكتاب والسنة والكتب المتقدمة وقد سماه الله تعالى في كتابه محمدا واحمد قال
صلى الله عليه وسلم فيما روي عنه الثقات العدول لي خمسة اسما انا محمد وانا احمد
وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا
العاقب وفي صحيح مسلم عن حديث جبير بن مطعم وقد سماه الله تعالى رؤوفا رحيما
وفيه ايضا عن ابي موسى الاشعري قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا
نفسه اسماء فقال انا محمد وانا احمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الرحمة وقد
تتبع القاضي ابو الفضل عياض في كتابه المسماة بالشفا ما جاء في كتاب الله وسنة
رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما نقل في الكتب القديمة واطلاق الامة اسماء كثيرة وصفات
عديدة صدقت عليه صلى الله عليه وسلم مسمياتها ووجدت فيه معانيها وقد ذكر
القاضي ابو بكر ابن العربي في احكامه في هذه الاية من اسماء النبي صلى الله عليه وسلم
سبعة وستين اسما وذكر صاحب وسيلة المتعبدين الى متابعة سيد المرسلين عن ابن
عباس ان لمحمد صلى الله عليه وسلم مائة وثمانين اسما من ارادها وجدها هنالك
وقال ابن عباس لما نزلت هذه الاية دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا
ومعاذا فبعثهما الى اليمن وقال اذهبا فبشرا ولا تنفرا ويسرا ولا تعسرا فانه قد انزل علي وقرا
الاية قوله تعالى شاهدا قال سعيد عن قتادة شاهدا على امته بالتبليغ اليهم وعلى

سائر الامم بتبليغ انبيائهم ونحو ذلك ومبشرا معناه للمؤمنين برحمة الله وبالجنة ونذيرا
معناه للعصاة والمكذبين من النار وعذاب الخلد وداعيا الى الله الدعاء الى الله هو
تبليغ التوحيد والاخذ به ومكافحة الكفرة وباذنه معناه هنا بامره اياك وتقديره
اياك وتقديره في ذلك في وقته واوانه وسراجا منيرا استعارة للنور الذي يتضمنه شرعه
وقيل وسراجا منيرا اي هاديا من ظلم الضلالة وانت كالمصباح المضيء ووصفه بالانارة لان
من السرج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم ثلاثة تضيق الصدر
خادم بطي وسراج لا يضي ومائدة ينتظر لها من يجي وسئل بعضهم عن الوحشة فقال
ظلام ساتر وسراج فاتر واسند النحاس قال ثنا محمد بن ابراهيم الرازي قال ثنا عبد الرحمن
ابن محمد المحاربي عن شيبان النحوي قال ثنا عكرمة عن قتادة عن ابن عباس قال لما
نزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ومعاذا فقال انطلقا فبشرا ولا تعسرا فانه قد
نزل علي الليلة اية انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا من النار وداعيا الى الله قال شهادة
ان لا اله الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا قال بالقران قال الزجاج وسراجا اي وذا
سراج منير اي كتاب نير واجاز ايضا ان يكون بمعنى وتاليا كتاب الله قوله تعالى
وبشر المؤمنين الواو عاطفة على جملة والمعنى منقطع من الذي قبله امره تعالى ان يبشر المؤمنين
بالفضل الكبير من الله عز وجل وعلى قول الزجاج ذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا يكون
معطوفا على الكاف في ارسلناك قال ابن عطية قال لنا ابي رضي الله عنه هذه من ارجى
اية عندي في كتاب الله لان الله تعالى قد امر نبيه عليه السلام ان يبشر المؤمنين بان
لهم من الله فضلا كبيرا وقد بين تعالى الفضل الكبير في قوله تعالى والذين امنوا وعملوا
الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤون عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير فالاية التي
في هذه السورة خبر والتي في حم عسق تفسير لها ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تطعهم
فيما يشيرون به عليك من المداهنة في الدين ولا تمالئهم الكافرين ابي سفيان وعكرمة
وابي الاعور السلمي قالوا يا محمد لا تذكر الهتنا بسوء نتبعك والمنافقين عبد الله بن ابي
وعبد الله بن ابي سرح وعبد الله بن سعد وطعمة بن ابيرق حثوا النبي صلى الله عليه
وسلم على اجابتهم بعلة المصلحة ودع اذاهم اي دع ان تؤذيهم مجازاة على اذايتك اياهم فامره
تبارك وتعالى بترك معاقبتهم والصفح عن زللهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول
ونسخ على هذه الاية من التاويل ما يخص الكافرين وناسخه اية السيف وفيه معنى ثان
اي اعرض عن اقوالهم وما يؤذونك ولا تشتغل به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل
وهذا تاويل مجاهد والاية منسوخة بقوله وكفى بالله وكيلا وفيه قوة الكلام وعد بنصر والوكيل
الحافظ القائم على الامر قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات
ثم طلقتموهن لما جرت قصة زيد وتطليقه زينب وكانت مدخولا بها وخطبها النبي صلى الله
عليه وسلم بعد انقضاء عدتها كما بيناه خاطب الله المؤمنين بحكم الزوجة تطلق قبل البناء
وبين ذلك الحكم للامة فالمطلقة اذا لم تكن ممسوسة لا عدة لها بنص الكتاب واجماع الامة
على ذلك فان دخل بها فعليها العدة اجماعا الثانية النكاح في الوطء وتسمية العقد نكاحا
لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتها الخمر اثما لانه سبب في اقتراف الاثم ولم
يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى العقد لانه في معنى الوطء وهو من اداب
القران الكناية عنه بلفظ الملامسة والمماسة والقربان والتغشي والاتيان الثالثة
استدل بعض العلماء بقوله تعالى وان طلقتموهن وبمهلة ثم على ان الطلاق لا يكون الا بعد
نكاح وان من طلق المراة قبل نكاحها وان عينها فان ذلك لا يلزمه وقال هذا نيف على
ثلاثين من صاحب وتابع وامام سمى البخاري منهم اثنين وعشرين وقد روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم لا طلاق قبل نكاح ومعناه ان الطلاق لا يقع حتى يحصل النكاح قال
حبيب بن ثابت قال سئل علي بن الحسين رضي الله عنه عن رجل قال لامراة ان تزوجتك

فانت طالق فقال ليس بشيء ذكره الله النكاح قبل الطلاق وقالت طايفة من اهل العلم
ان طلاق المعينة الشخص او القبيلة او البلد لازم قبل النكاح منهم مالك وجميع اصحابه وجمع
عظيم من علما الامة وقد مضى في براة الكلام فيها ودليل الفريقين ولجمهور فاذا قال كل
امراة اتزوجها الى عشرين سنة وان تزوجت من ولد فلان او بني فلان فهي طالق لازمه
الطلاق ما لم يخف العنت على نفسه في طول السنين او يكون عمره في الغالب لا يبلغ ذلك فله ان
يتزوج وانما لم يلزمه الطلاق اذا عم لانه ضيق على نفسه المناكح فلو منعناه ان لا يتزوج لحرج
وخيف عليه العنت وقد قال بعض اصحابنا ان وجد ما يتسرى به لم ينكح وليس بشيء وذلك
لان الضرورات والاعذار ترفع الاحكام فيصير هذا من حيث الضرورة كمن لم يحلف قال ابن
خويز منداد والرابعة استدل داود ومن قال بقوله ان المطلقة الرجعية اذا راجعها زوجها
قبل ان تنقضي عدتها ولا عدة مستقبلة لانها مطلقة قبل الدخول بها وقال عطا ابن
ابي رباح وفرقة تمضي في عدتها من طلاقها الاول وهو احد قولي الشافعي لان طلاقه
لها اذا لم يمسها في حكم من طلقها في عدتها قبل ان يراجعها ومن طلق امراته في كل طهر مرة
بنت ولم تستانف وقال مالك اذا فارقها قبل ان يمسها انها لا تبني على ما مضى من عدتها
وانها تنشئ من يوم طلقها عدة مستقبلة وقد ظلم زوجها نفسه واخطا ان كان ارتجعها ولا حاجة
له بها وعلى هذا اكثر اهل العلم لانها في حكم الزوجات المدخول بهن في النفقة والسكنى
وغير ذلك فلذلك تستانف العدة من يوم طلقت وهو قول جمهور فقها الامصار والكوفة
ومكة والمدينة والشام وقال الثوري اجمع الفقها عندنا على ذلك الخامسة فلو كانت
بائنة غير مبتوتة فتزوجها في العدة ثم طلقها قبل الدخول فقد اختلفوا في ذلك ايضا
فقال الشافعي ومالك وزفر وعثمان البتي لها نصف الصداق وتتم بقية العدة الاولى
وهو قول الحسن وعطا وعكرمة وابن شهاب وقال ابو حنيفة وابو يوسف والثوري
والاوزاعي لها مهر كامل للنكاح الثاني وعدة مستقبلة جعلوها في حكم المدخول بها
لاعتدادها من مائه وقال داود لها نصف الصداق وليس عليها بقية العدة الاولى
ولا عدة مستقبلة فالاولى ما قاله مالك والشافعي والله اعلم السادسة هذه الاية
مخصصة لقوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلثة قروء ولقوله واللائي يئسن
من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلثة اشهر وقد مضى في البقرة ومضى فيها
الكلام في المتعة فاغنى عن الاعادة هنا وسرحوهن سراحا جميلا فيه وجهان احدهما
انه دفع المتعة بحسب اليسر والعسر قاله ابن عباس الثاني انه طلاقها طاهرا من غير جماع
قاله قتادة وقيل سرحوهن بعد الطلاق الى اهلهن فلا يجتمع الرجل والمطلقة في
موضع واحد السابعة قوله تعالى فمتعوهن قال سعيد هي منسوخة بالاية التي في
البقرة وهي قوله وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فلم
يذكر المتعة وقد مضى هذا في البقرة مستوفى وقوله سرحوهن طلقوهن والتسريح
كناية عن الطلاق عند ابي حنيفة لانه يستعمل في غيره فيحتاج الى النية وعند
الشافعي صريح وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة حيلة بسببه
من غير بدعة قوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك الى قوله رحيما فيه
تسع عشرة مسئلة الاولى روى السدي عن ابي صالح عن ام هاني بنت ابي طالب
قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل
الله عز وجل انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء
الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن
معك قالت فلم اكن احل له لاني لم اهاجر كنت من الطلقا اخرجه ابو عيسى وقال
هذا حديث حسن لا نعرفه الا من هذا الوجه قال ابن العربي وهذا ضعيف جدا
ولم يات هذا الحديث من طريق صحيح يحتج بها الثانية لما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه فاخترنه حرم عليه التزويج لغيرهن والاستبدال بهن مكافاة
لهن على فعلهن والدليل على ذلك قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد الاية وهل

كان

كان يحل له ان يطلق واحدة منهن بعد ذلك فقيل لا يحل له ذلك جزاء لهن على اختيارهن
وقيل كان يحل له ذلك كغيره من الناس ولكن لا يتزوج بدلها ثم نسخ هذا التحريم فاباح
له ان يتزوج بمن شا عليهن من النسا والدليل عليه قوله تعالى انا احللنا لك ازواجك والاحلال
يقتضي تقدم حظر وزوجاته اللاتي في حياته لم تكن محرمات عليه وانما كان حرم عليه
التزويج بالاجنبيات فانصرف الاحلال اليهن ولانه قال في سياق الاية وبنات عمك الاية
معلوم انه لم يكن تحته احد من بنات عمه ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا خالاته فثبت انه
احل له التزويج بهذا ابتداء وهذه الاية وان كانت متقدمة في التلاوة فهي متاخرة النزول
على الاية المنسوخة بها كاية الوفاة في البقرة وقد اختلف الناس في تاويل قوله احللنا لك
ازواجك فقيل المراد بها ان الله تعالى احل له ان يتزوج كل امراة يوتيها مهرها قاله ابن زيد
والضحاك فعلى هذا تكون الاية مبيحة جميع النسا حاشى ذوات المحارم وقيل المراد احللنا
لك ازواجك اي الكاينات عندك لانهن قد اخترنك على الدنيا والاخرة قاله
الجمهور من العلما وهو الظاهر لان قوله اتيت ماض ولا يكون الفعل الماضي بمعنى الاستقبال
الا بشروط ويجي الامر على هذا التاويل ضيقا على النبي صلى الله عليه وسلم ويويده على هذا
التاويل ما قاله ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج في اي الناس شا وكان
يشق ذلك على نسائه فلما نزلت هذه الاية وحرم عليه بها النسا الا من سمي سر نساوه
بذلك قلت والقول الاول اصح لما ذكرناه ويدل ايضا على صحته ما اخرجه الترمذي عن عطا
قال قالت عايشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل الله له النسا قال هذا
حديث حسن صحيح الثالثة قوله تعالى وما ملكت يمينك احل الله السراري لنبيه صلى الله
عليه وسلم ولامته مطلقا واحل الازواج لنبيه مطلقا واحله للخلق بعدد وقوله مما افاء الله
عليك من الكفار والغنيمة قد تسمى فيا اي مما افاء الله عليك من النسا الماخوذة على وجوه
القهر والغلبة الرابعة قوله تعالى وبنات عمك وبنات عماتك اي احللنا لك ذلك زائدا الى
الازواج اللاتي اتيت اجورهن على قول الجمهور لانه لو اراد احللنا لك كل امراة تزوجت واتيت
اجرها لما قال بعد ذلك وبنات عمك وبنات عماتك لان ذلك داخل فيما تقدم قلت وهذا
لا يلزم وانما خص هولا بالذكر تشريفا لهن كما قال فيهما فاكهة ونخل ورمان والله اعلم الخامسة
قوله تعالى اللاتي هاجرن معك فيه قولان الاول لا يحل لك من قرابتك كبنات عمك العباس
وغيره من بنات عبد المطلب وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف ابن زهرة الا من اسلم
كقوله صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم الناس من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله
عنه الثاني لا يحل لك منهن الا من هاجر الى المدينة لقوله تعالى والذين امنوا ولم يهاجروا
ما لكم من ولايتهم من شي حتى يهاجروا ومن لم يهاجر لم يكمل ومن لم يكمل لم يصلح للنبي صلى الله
عليه وسلم الذي كمل وشرف وعظم صلى الله عليه وسلم السادسة قوله تعالى معك المعية
هنا الاشتراك في الهجرة لا في الصحبة فيها فمن هاجر حل له كان في صحبته اذ هاجر
او لم يكن يقال دخل فلان معي وخرج معي اي كان عمله كعملي وان لم يكن فيه مقترنا ولو قلت
خرجنا معا لاقتضى ذلك المعنيين جميعا الاشتراك في الفعل والاقتران السابعة ذكر
الله عز وجل العم فردا والعمات جمعا وكذلك قال خالك وخالاتك والحكمة في ذلك ان
العم والخال في الاطلاق اسم جنس كالشاعر والراجز وليس كذلك العمة والخالة وهذا
عرف لغوي جا الكلام عليه بغاية البيان لرفع الاشكال وهذا دقيق فتاملوه قاله
ابن العربي الثامنة قوله تعالى وامراة مومنة عطف على واحللنا لك المعنى فاحللنا لك
امراة تهب نفسها من غير صداق وقد اختلف في هذا المعنى فروي عن ابن عباس انه قال
لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امراة الا بعقد نكاح او ملك يمين فاما الهبة فلم
يكن عنده منهن احد وقال قوم بل كانت عنده موهوبة قلت والذي في الصحيحين
يقوي هذا القول ويعضده روى مسلم عن عايشة انها قالت كنت اغار على اللاتي وهبن
انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول اما تستحي امراة تهب نفسها لرجل حتى
انزل الله ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا فقلت والله ما ارى ربك الا يسارع

في هواك وروي البخاري عن عايشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم من اللاي وهبن انفسهن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل هذا انهن كن غير واحدة والله اعلم الزمخشري قيل هي
الموهاب اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك بنت
جابر وخولة بنت حكيم قلت وفي بعض هذا اختلاف قال قتادة هي ميمونة بنت الحرث وقال
الشعبي هي زينب بنت خزيمة ام المساكين امراة من الانصار وقال علي بن الحسين والضحاك
ومقاتل هي ام شريك بنت جابر الاسدية وقال عروة بن الزبير ام حكيم بنت الاوقص
الاسلمية التاسعة وقد اختلف في اسم الواهبة نفسها فقيل هي ام شريك الانصارية اسمها
عزية وقيل هي ميمونة بنت الحرث حين خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل هي ام شريك العامرية
وكانت عند ابي العكر الازدي وقيل عند الطفيل بن الحارث فولدت له شريكا وقيل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم تزوجها ولم يثبت ذلك والله اعلم العاشرة قرا جمهور الناس ان وهبت بكسر
الالف وهذا يقتضي استيناف الامر اي ان وقع فهو حلال له وقد روي عن ابن عباس ومجاهد
انهما قالا لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امراة موهوبة وقد دللنا على خلافه وروي
الايمة من طريق سهل وغيره في الصحاح ان امراة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
جيت اهب لك نفسي فسكت حتى قام رجل فقال زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة فلو كانت
هذه الهبة غير جايزة لما سكت رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لا يقر على الباطل اذا سمعه
غير انه يحتمل ان يكون سكوته منتظرا بيانا فانزلت الاية بالتحليل والتخيير فاختار تركها
وزوجها من غيره ويحتمل ان يكون سكت ناظرا في ذلك حتى قام الرجل لها طالبا وقرا الحسن
البصري وابي بن كعب والشعبي ان وهبت بفتح الالف وقرا الاعمش وامراة مومنة وهبت
قال النحاس وكسر ان اجمع للمعاني لانه قيل انهن نساوه ان كان المعنى على واحدة بعينها
لان الفتح على البدل من امراة او بمعنى لان الحادية عشر قوله تعالى مومنة يدل على ان
الكافرة لا تحل له قال امام الحرمين وقد اختلف في تحريم الحرة الكافرة عليه قال ابن العربي
والصحيح عندي تحريمها عليه وبهذا يتميز علينا فانه كان من جانب الفضايل والكرامة
حظه منه اكثر وما كان من جانب النقايص فجانبه عنها اظهر فجوز لنا نكاح الحراير الكتابيات
وقصر هو صلى الله عليه وسلم لجلالته على المومنات واذا كان لا يحل له من لم يهاجر لفضل نقصان
الهجرة فاحرى ان لا تحل له الكتابية الكافرة لنقصان الكفر الثانية عشر قوله تعالى ان وهب
نفسها دليل على ان النكاح عقد معاوضة على صفات مخصوصة قد تقدمت في النسا وغيرها
وقال الزجاج معنى ان وهبت نفسها للنبي حلت وقرا الحسن انه وهبت بفتح الهمزة وان
في موضع نصب قال الزجاج اي لان وقال غيره ان وهبت بدل الاشتمال من امراة الثالثة
عشر قوله تعالى ان اراد النبي ان يستنكحها خالصة لك اي اذا وهبت المراة نفسها وقبلها النبي
صلى الله عليه وسلم حلت له وان لم يقبلها لم يلزم ذلك كما اذا وهب لرجل شيا فلا يجب عليه
القبول بيد ان مكارم الاخلاق تقتضي ان يقبل من الواهب هبته ويري الاكارم ان ردها
هجنة في العادة ووصمة على الواهب واذاية لقلبه فبين الله ذلك في حق رسوله
وجعله قرانا يتلى ليرفع عنه الحرج ويبطل بطل الناس في عادتهم وقولهم الرابعة عشر
قوله تعالى خالصة لك من دون المومنين اي هبة النسا انفسهن غير جايز وان هذا اللفظ
من الهبة لا يتم عليه نكاح الا ما روي عن ابي حنيفة وصاحبيه فانهم قالوا اذا وهبت فاشهد
هو على نفسه بمهر فذلك جايز قال ابن عطية فليس في قولهم الا تجويز العبارة ولفظة
الهبة والا فالافعال التي اشترطوها هي افعال النكاح بعينه وقد تقدمت هذه المسيلة
في القصص مستوفاة والحمد لله السادسة عشر خص الله رسوله صلى الله عليه وسلم في احكام
الشريعة بمعان لم يشاركه فيها احد في باب الفرض والتحريم والتحليل مزية على الامة
وهبت له ومرتبة خص بها ففرضت عليه اشيا ما فرضت على غيره وحرمت عليه افعال لم
يحرم عليهم وحللت له اشيا لم تحل لهم منها متفق عليه ومختلف فيه فاما ما فرض عليه
فتسعة الاول التهجد بالليل الثاني الضحى الثالث الاضحى الرابع الوتر وهو يدخل في
قسم التهجد بالليل الثاني الضحى الثالث الاضحى الرابع الوتر وهو يدخل في قسم التهجد

الخامس السواك السادس قضى دين من مات معسرا الثامن تخيير النسا التاسع اذا عمل
عملا اثبته واما ما حرم عليه فجملته عشر الاولى تحريم الزكاة عليه وعلى آله الثاني صدقة
التطوع عليه وفي آله تفصيل باختلاف العلما الثالث خاينة الاعين وهو ان يظهر خلاف ما يضمر او ينخدع
عما يجب وقد ذم بعض الكفار عند اذنه ثم الان له القول عند دخوله الرابع حرم عليه اذا لبس
لامته ان يخلعها او يحكم الله بينه وبين محاربه الخامس الاكل متكيا السادس اكل الاطعمة الكريهة
الرايحة السابع التبدل بازواجه وسياتي الثامن نكاح امراة تكره صحبته التاسع نكاح الحرة
الكتابية العاشر نكاح الامة وحرم الله عليه اشيا لم يحرمها على غيره تنزيها له وتطهيرا فحرم
عليه الكتابة وقول الشعر وتعليمه تاكيدا لحجته وبيانا لمعجزته قال الله تعالى وما كنت
تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك وذكر النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم ما مات
حتى كتب والاول هو المشهور وحرم عليه ان يمد عينيه الى ما متع به الناس قال الله تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم الاية واما ما احل الله له صلى الله عليه وسلم
فجملته ستة عشر الاول صفي المغنم الثاني الاستبداد بخمس الخمس او الخمس الثالث الوصال
الرابع الزيادة على اربع نسوة الخامس النكاح بلفظ الهبة السادس النكاح بغير ولي السابع
النكاح بغير صداق الثامن نكاحه في حالة الاحرام التاسع سقوط القسم بين الازواج عنه
وسياتي العاشر اذا وقع بصره على امراة وجب على زوجها طلاقها وحل له نكاحها قال
ابن العربي هكذا قال امام الحرمين وقد مضى ما للعلما في قصة زيد في هذا المعنى الحادي
عشر انه اعتق صفية وجعل عتقها صداقها الثاني عشر دخوله مكة بغير احرام وفي حقنا فيه
اختلاف الثالث عشر القتال بمكة الرابع عشر انه لا يورث وانما ذكر هذا في قسم التحليل لان
الرجل اذا قارب الموت فالمرض زال عنه اكثر ملكه ولم يبق له الا الثلث خالصا وبقي ملك
رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما تقرر بيانه في اية المواريث وسورة مريم بيانه
ايضا الخامس عشر بقاء زوجيته من بعد الموت السادس عشر اذا طلق امراة تبقى حرمته عليها
فلا تنكح وهذه الاقسام الثلاثة تقدم معظمها مفصلا في مواضعها وياتي ان شا الله السابعة
عشر قوله تعالى ان يستنكحها خالصة لك من دون المومنين اي ينكحها يقال نكح واستنكح مثل
عجب واستعجب وعجل واستعجل ويجوز ان يرد الاستنكاح بمعنى طلب النكاح او طلب الوطي
وخالصة نصب على الحال قال الزجاج وقيل حال من ضمير متصل بفعل مضمر دل عليه المضمر
تقديره احللناها لك ازواجك واحللنا لك امراة مومنة احللناها خالصة بلفظ الهبة وبغير
صداق الثامنة عشر قوله تعالى من دون المومنين فايدته ان الكفار وان كانوا مخاطبين
بفروع الشريعة عندنا فليس لهم في ذلك دخول لان تصريف الاحكام انما يكون فيهم على تقدير
الاسلام وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم اي ما اوجبنا على المومنين وهو ان
لا يتزوجوا الا اربع نسوة بمهر وبينة وولي قال معناه ابي ابن كعب وقتادة وغيرهما
التاسعة عشر قوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق في امرك فيما يحتاج اليه
السعة اي بينا هذا البيان وشرحنا هذا الشرح لكيلا يكون عليك حرج فلكي لام متعلقة بقوله
انا احللنا لك ازواجك اي فلا يضيق قلبك حتى يظهر منك انك قد اثمت عند ربك في
شي ثم انس تعالى جميع المومنين بغفرانه ورحمته فقال تعالى وكان الله غفورا رحيما
قوله تعالى ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا فيه احدى عشر مسيلة الاولى
قوله تعالى ترجي قري مهموزا وغير مهموز وهما لغتان يقال ارجيت الامر وارجاته اذا
اخرته وتووي تضم يقال اوي واوى اليه ممدودة الالف ضم اليه واوي مقصورة الالف
انضم اليه الثانية واختلف العلما في تاويل هذه الاية واصح ما قيل فيها التوسعة على
النبي صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته وهذا القول
هو الذي يناسب ما مضى وهو الذي ثبت معناه في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها
قالت كنت اغار على اللاي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك القسم
فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته وهذا القول هو الذي يناسب ما مضى وهو
الذي ثبت معناه في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها قالت كنت اغار على اللاي وهبن

انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقول وهبت المراة نفسها لرجل فلما انزل
الله عز وجل ترجي من تشا منهن وتووي اليك من تشا ومن ابتغيت ممن عزلت قالت
قلت والله ما ارى ربك الا يسارع في هواك قال ابن العربي هذا الذي ثبت في الصحيح
هو الذي ينبغي ان يعول عليه والمعنى المراد هو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مخيرا في
ازواجه ان شا ان يقسم قسم وان شا ان يترك القسم ترك فخص النبي صلى الله عليه وسلم
بان جعل الامر اليه فيه لكنه كان يقسم من قبل نفسه دون فرض ذلك عليه تطييبا لنفوسهن
وصونا لهن عن اقوال الغيرة التي تؤدي الى ما لا ينبغي وقيل كان القسم واجبا على النبي صلى
الله عليه وسلم ثم نسخ الوجوب عنه بهذه الاية قال ابو رزين كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد هم بطلاق بعض نسايه فقلن له اقسم لنا ما شيت فكان ممن اوى عايشة وحفصة وام
سلمة وزينب فكانت قسمتهن من نفسه وماله سوى بينهن وكان ممن ارجى سودة وجويرية
وام حبيبة وميمونة وصفية فكان يقسم لهن ما شا وقال ابن عباس وغيره المعنى في طلاق
من شا ممن حصل في عصمته وامساك من شا وقيل غير هذا وعلى كل معنى فالاية معناها التوسعة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم والاباحة وما اخترناه اصح والله اعلم الثالثة لما ذهب
هبة الله في الناسخ والمنسوخ الى ان قوله ترجي من تشا منهن الاية ناسخ لقوله تعالى لا
يحل لك النسا من بعد الاية وقال ليس في كتاب الله ناسخ تقدم على المنسوخ سوى
هذا وكلامه يضعف من جهات وفي البقرة عدة المتوفى عنها اربعة اشهر وعشر وهو ناسخ
للحول وقد تقدم عليه الرابعة قوله تعالى ومن ابتغيت ممن عزلت ابتغيت طلبت والابتغا
الطلب وعزلت ازلت والعزلة الازالة اي ان اردت ان تووي اليك امراة ممن عزلتهن من
القسمة وتضمها اليك فلا باس عليك في ذلك وكذلك حكم الارجا فدل احد الطرفين على
الثاني الخامسة قوله تعالى فلا جناح عليك اي لا ميل يقال جنحت السفينة اي مالت الى
الارض اي لا ميل عليك باللوم والتوبيخ السادسة قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن
قال قتادة وغيره اي ذلك التخيير الذي خيرناك في صحبتهن ادنى الى رضاهن اذ كان من
عندنا لانهن اذا علمن ان الفعل من الله قرت اعينهن بذلك ورضين لان المرء اذا علم انه لا حق
له في شي كان راضيا بما اوتي منه وان قل وان علم ان له حقا لم يقنعه ما اوتي منه واشتد
غيرته عليه وعظم حرصه فيه فكان ما فعل الله لرسوله من تفويض الامر اليه في احوال
ازواجه اقرب الى رضاهن معه والى استقرار اعينهن بما يسمح به لهن دون ان يتعلق قلوبهن
باكثر منه وقرى تقر اعينهن بضم التا ونصب الاعين وتقر اعينهن على البنا للمفعول وكان
عليه السلام مع هذا يشدد على نفسه في رعاية التسوية بينهن تطييبا لنفوسهن ويقول
اللهم هذه قدرتي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك يعني قلبه لايثاره عايشة دون
ان يكون يظهر ذلك في شي من فعله وكان في مرضه الذي توفي فيه يطاف به محمولا على بيوت
ازواجه الى ان استحلهن ان يقيم في بيت عايشة قالت عايشة اول ما اشتكى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في بيت ميمونة فاستاذن ازواجه ان يمرض في بيتها يعني عايشة
قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له الحديث خرجه الصحيح وفي الصحيح
ايضا عن عايشة قالت ان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتفقد يقول اين انا اليوم
اين انا غدا استبطا ليوم عايشة قالت فلما كان يومي قبضه الله بين سحري ونحري
صلى الله عليه وسلم السابعة على الرجال ان يعدل بين نسايه لكل واحدة منهن يوما وليلة
هذا قول عامة العلما وذهب بعضهم الى وجوب ذلك في الليل دون النهار ولا يسقط
حق الزوجة مرضها ولا حيضها ويلزمه المقام عندها في يومها وليلتها وعليه ان يعدل
بينهن في مرضه كما يفعل في صحته الا ان يعجز عن الحركة فيقيم حيث غلب عليه المرض
فاذا صح استانف القسم والاما والحراير والكتابيات والمسلمات في ذلك سوا قال
عبد الملك للحرة ليلتان وللامة ليلة واما السراير فلا قسم بينهن وبين الحراير ولا حظ
لهن فيه الثامنة ولا يجمع بينهن في منزل واحد الا برضاهن ولا يدخل لاحداهن في يوم
الاخرى وليلتها لغير حاجة واختلف في دخوله لحاجة وضرورة فالاكثرون على جوازه

ملك

ملك وغيره وفي كتاب ابن حبيب منعه وروى ابن بكير عن مالك عن يحيى بن سعيد عن ان
معاذ بن جبل كانت له امراتان فاذا كان يوم هذه لم يشرب من بيت الاخرى الما قال ابن
بكير وحدثنا مالك عن يحيى بن سعيد ان معاذ بن جبل كانت له امراتان ماتتا في الطاعون
فاسهم بينهما ايهما تدلى اول التاسعة قال مالك ويعدل بينهن في النفقة والكسوة اذا كن
معتدلات الحال ولا يلزم ذلك في المختلفات المناصب واجاز مالك ان يفضل احداهما في
الكسوة على غير وجه الميل فاما الحب والبغض فخارجان عن الكسب ولا يتاتى العدل فيهما وهو
المعنى بقوله عليه السلام في قسمه اللهم هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك
اخرجه النساي وابو داود وعن عايشة رضي الله عنها وفي كتاب ابي داود يعني القلب واليه
الاشارة بقوله ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسا ولو حرصتم وقوله والله يعلم ما في قلوبكم
وهذا هو وجه تخصيصه بالذكر هنا تنبيها منه لنا على انه يعلم ما في قلوبنا من ميل بعضنا
الى بعض من عندنا من النسا دون بعض وهو العالم بكل شي لا يخفى عليه شي في الارض ولا
في السما يعلم السر واخفى سمح في ذلك اذ لا يستطيع العبد ان يصرف قلبه عن ذلك الميل والى
ذلك يعود قوله وكان الله غفورا رحيما وقد قيل في قوله تعالى ذلك ادنى ان تقر اعينهن
وهي العاشرة اي ذلك اقرب ان لا يحزن اذا لم يجمع احداهن مع الاخرى ويعاين الاثرة والميل
وروى ابو داود عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت له امراتان فمال
الى احداهما جا يوم القيامة وشقه مايل ويرضين بما اتيتهن كلهن واجاز ابو حاتم والزجاج
ويرضين بما اتيتهن كلهن على التوكيد للمضمر الذي في اتيتهن والفرا لا يجيزه لان المعنى
ليس عليه اذ كان المعنى وترضى كل واحدة منهن وليس المعنى بما اعطيتهن كلهن النحاس
والذي قاله حسن الحادية عشرة قوله تعالى والله يعلم ما في قلوبكم خبر عام والاشارة الى
ما في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم من محبة شخص دون شخص وكذلك يدخل
في المعنى ايضا وفي البخاري عن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش
ذات السلاسل قال فاتيته فقلت اي الناس احب اليك قال عايشة فقلت من الرجال فقال
ابوها قلت ثم من قال عمر بن الخطاب فعد رجالا وقد تقدم القول في القلب بما فيه كفاية
في اول البقرة وفي اول السورة يروى ان لقمان الحكيم كان عبدا نجارا فقال له سيده اذبح شاة
وايتني باطيبها بضعتين فاتاه بالقلب واللسان ثم امره بذبح شاة اخرى فقال له الق اخبثها
بضعتين فالقى اللسان والقلب فقال امرتك ان تلقي اخبثها بضعتين فالقيت اللسان والقلب
فقال ليس شي اطيب منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا قوله تعالى لا يحل لك النسا
من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج فيه سبع مسايل الاولى اختلف العلما في تاويل قوله
لا يحل لك النسا من بعد على اقوال سبعة الاول انها منسوخة بالسنة والناسخ لها حديث
عايشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النسا وقد تقدم الثاني انها
منسوخة باية اخرى روى الطحاوي عن ام سلمة قالت لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى احل الله له ان يتزوج من النسا ما شا الا ذات محرم وذلك قول الله عز وجل ترجي
من تشا منهن قال النحاس وهذا والله اعلم اولى ما قيل في الاية وهو وقول عايشة واحد
في النسخ وقد يكون ان عايشة ارادت احل له ذلك بالقران وهو مع هذا قول علي بن ابي طالب
وابن عباس وعلي بن الحسين والضحاك وقد عارض بعض فقها الكوفيين فقال محال ان
تنسخ هذه الاية يعني ترجي من تشا منهن لا يحل لك النسا من بعد وهي قبلها في المصحف
الذي اجمع عليه المسلمون ورجح قول من قال نسخت بالسنة قال النحاس وهذه المعارضة
لا تلزم وقايلها غالط لان القران بمنزلة سورة واحدة كما صح عن ابن عباس انزل الله القران
جملة واحدة الى سما الدنيا في شهر رمضان ويبين لك ان اعتراض هذا لا يلزم قوله عز وجل
والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج منسوخ
على قول اهل التاويل لا يعلم بينهم خلافا بالاية التي قبلها والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا الثالث انه صلى الله عليه وسلم حظر عليه ان
يتزوج على نسايه لانهن اخترن الله ورسوله والدار الاخرة هذا قول الحسن وابن سيرين وابي

ونحوه وكذلك اذا فرغوا منه جلسوا كذلك فنهى الله المومنين عن امثال ذلك في بيت النبي
صلى الله عليه وسلم ودخل في نهيه سائر المومنين والتزم الناس ادب الله تعالى لهم
في ذلك فمنعهم من الدخول الا باذن عند الاكل لا قبله لانتظار نضج الطعام الثانية في قوله
عز وجل بيوت النبي دليل على ان البيت للرجل ويحكم له به فان الله اضافه فان قيل فقد قال
تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة الاية قلنا اضافة البيوت الى النبي
اضافة ملك واضافة البيوت الى الازواج اضافة محل بدليل انه جعل فيها الاذن للنبي صلى
الله عليه وسلم والاذن انما يكون للمالك الثالثة واختلف العلماء في بيوت النبي صلى الله
عليه وسلم اذ كان يسكن فيها اهله بعد موته هل هي ملك لهن ام لا على قولين فقالت طائفة
كانت ملكا لهن بدليل انهن سكن فيها بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاتهن وذلك
ان النبي صلى الله عليه وسلم وهب ذلك لهن في حياته الثاني ان ذلك كان اسكانا كما
يسكن الرجل اهله ولم يكن هبة وتمادى سكناهن بها الى الموت وهذا هو الصحيح وهو
الذي ارتضاه ابو عمر بن عبد البر وابن العربي وغيرهم فان ذلك من مونتهن التي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استثناها لهن كما استثنى لهن نفقاتهن حين قال لا يقتسم
ورثتي دينارا ولا درهما ما تركت بعد نفقة اهلي ومونة عاملي فهو صدقة هكذا قال
اهل العلم قالوا ويدل على ذلك ان مساكنهن لم يرثها عنهن ورثتهن قالوا ولو كان ذلك ملكا
لهن كان لا شك قد ورثه عنهن ورثتهن قالوا وفي ترك ورثتهن ذلك دليل على انها لم
تكن لهن ملكا وانما كان لهن سكنى حياتهن فلما توفين جعل ذلك زيادة في المسجد الذي
يعم المسلمين نفعه كما جعل ذلك الذي كان لهن من النفقات في تركة رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما مضين لسبيلهن فزيد الى اصل المال فصرف في منافع المسلمين مما يعم جميعهم نفعه
والله الموفق وقوله تعالى غير ناظرين اناه اي غير منتظرين وقت نضجه واناه مقصور
وفيه لغات كسر الهمزة قال الشيباني • وكسرى اذ تقسمه بنوه • باسياف كما اقتسم اللحام •
• تمخضت المنون له بيوم • انى ولكل حاملة تمام •
وقرا ابن ابي عبلة غير ناظرين مجرورا صفة لطعام الزمخشري وليس بالوجه لانه جرى
على غير ما هو له فمن حق ضمير ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقول غير ناظرين اناه انتم كقولك
هند زيد ضاربته هي وانا بفتحها وانا بفتح الهمزة والمد قال الحطيئة
• وانيت العشا الى سهيل • او الشعرى فطال بي الاناء •
يعني اي طلوع سهيل واناه مصدر انى الشي يانى اذا فرغ وحان وادرك الرابعة قوله
تعالى ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاكد المنع وخص وقت الدخول بان يكون عند الاذن
على جهة الادب وحفظ الحضرة الكريمة من المباسطة المكروهة قال ابن العربي وتقدير
الكلام ولكن اذا دعيتم واذن لكم في الدخول فادخلوا والا فنفس الدعوة لا تكون اذنا
كافيا في الدخول والفا في جواب اذا لازمة لما فيها من معنى المجازاة الخامسة قوله تعالى
فاذا طعمتم فانتشروا امر تعالى بعد الطعام بان يفترق جمعهم وينتشر والمراد الزام الخروج
من المنزل عند انقضا المقصود من الاكل والدليل على ذلك ان الدخول حرام وانما جاز
لاجل الاكل فاذا انقضى الاكل زال السبب المبيح وعاد التحريم الى اصله السادسة في
هذه الاية دليل على ان الضيف ياكل على ملك المضيف لا على ملك نفسه فانه قال فاذا
طعمتم فانتشروا فلم يجعل له اكثر من الاكل ولا اضاف اليه سواه وبقي الملك على اصله
السابعة قوله تعالى ولا مستانسين لحديث عطف على قوله غير ناظرين وغير منصوبة
على الحال من الكاف والميم في لكم اي غير ناظرين ولا مستانسين والمعنى المقصود لا تمكثوا
مستانسين بالحديث كما فعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في وليمة زينب ان ذلكم
كان يوذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق اي لا يمتنع من بيانه واظهاره ولما
كان ذلك يقع من البشر لعلة الاستحيا نفى عن الله تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر
وفي الصحيح عن ام سلمة قالت جات ام سليم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
يا رسول الله ان الله لا يستحيي من الحق فهل على المراة من غسل اذا احتلمت فقال رسول الله صلى

الله عليه وسلم اذا رات الما الثامنة قوله تعالى واذا سالتموهن متاعا الاية روى ابو داود الطيالسي
عن انس بن مالك قال قال عمر وافقت ربي في اربع الحديث وفيه قلت يا رسول الله لو ضربت على نسائك
الحجاب فانه يدخل عليهن البر والفاجر فانزل الله عز وجل واذا سالتموهن متاعا فاسالوهن من وراء
حجاب واختلف في المتاع فقيل ما يتمتع به من العواري وقيل فتوى وقيل صحف القران والصواب
انه عام في جميع ما يمكن ان يطلب من المواعين وسائر المرافق للدين والدنيا التاسعة في هذه الاية
دليل على ان الله تعالى اذن في مسالتهن من وراء حجاب في حاجة تعرض او مسالة يستفتين فيها ويدخل
في ذلك جميع النسا بالمعنى وبما تضمنته اصول الشريعة من ان المراة كلها عورة بدنها وصوتها كما تقدم
فلا يجوز كشف ذلك الا لحاجة كالشهادة عليها او دا يكون ببدنها او سوالها عما يعرض ويتعين عندها
العاشرة استدل بعض العلما باخذ الناس عن ازواج النبي صلى الله عليه وسلم من ورا حجاب على
جواز شهادة الاعمى بان الاعمى يطا زوجته بمعرفته بكلامها وعلى اجازة شهادته اكثر العلما ولم يجزها
ابو حنيفة والشافعي وغيرهما قال ابو حنيفة يجوز في الانساب وقال الشافعي لا يجوز الا فيما راه
قبل ذهاب بصره الحادية عشرة قوله تعالى ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن يريد من الخواطر التي تعرض
للرجال في امر النسا وللنسا في امر الرجال اي ذلك انفى للريبة وابعد للتهمة واقوى في الحماية وهذا يدل
على انه لا ينبغي لاحد ان يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له فان مجانبة ذلك احسن لحاله واحصن
لنفسه واتم لعصمته الثانية عشرة قوله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله الاية هذا تكرار للعلة
وتاكيد لحكمها وتاكيد العلل اقوى في الاحكام الثالثة عشرة قوله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده
ابدا روى اسماعيل بن اسحاق قال نا محمد بن عبيد قال نا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان رجلا
قال لو قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجت عايشة فانزل الله تعالى وما كان لكم ان توذوا
رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الاية ونزلت وازواجه امهاتهم وقال القشيري ابو نصر
عبد الرحيم قال ابن عباس قال رجل من سادات قريش من العشرة الذين كانوا مع النبي صلى الله
عليه وسلم على حرا في نفسه لو توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عايشة وهي ابنة عمي قال
مقاتل هو طلحة بن عبيد الله قال ابن عباس وندم هذا الرجل على ما حدث به نفسه فمشى الى مكة
على رجليه وحمل على عشرة افراس في سبيل الله واعتق رقيقا فكفر الله عنه قال ابن عطية روي انها
نزلت بسبب ان بعض الصحابة قال لو مات رسول الله صلى الله عليه وسلم لتزوجت عايشة فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فتاذى به هكذا كنى عنه ابن عباس ببعض الصحابة وحكى
مكي عن معمر انه قال هو طلحة بن عبيد الله قلت كذا حكى النحاس عن معمر انه طلحة ولا يصح قال
ابن عطية لله در ابن عباس وهذا عندي لا يصح على طلحة بن عبيد الله قال شيخنا الامام ابو
العباس القرطبي وقد حكي هذا القول عن بعض فضلا الصحابة وحاشاهم عن مثله وانما الكذب
في نقله وانما يليق مثل هذا القول بالمنافقين الجهال روي ان رجلا من المنافقين قال حين تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم ام سلمة بعد ابي سلمة وحفصة بعد خنيس بن حذافة ما بال محمد يتزوج
نساءنا والله لو قد مات لاجلنا السهام على نسائه فنزلت الاية في هذا فحرم الله نكاح ازواجه
من بعده وجعل لهن حكم الامهات وهذا من خصائصه تمييزا لشرفه وتنبيها على مرتبته صلى الله عليه
وسلم قال الشافعي رحمه الله وازواجه صلى الله عليه وسلم اللاتي مات عنهن لا يحل لاحد نكاحهن
ومن استحل ذلك كان كافرا لقوله تعالى وما كان لكم ان توذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه
من بعده ابدا وقد قيل انما منع من التزوج بزوجاته لانهن ازواجه في الجنة وان المراة في الجنة
لاخر ازواجها قال حذيفة لامراته ان سرك ان تكوني زوجتي في الجنة ان جمعنا الله فيها فلا
تزوجي من بعدي فان المراة لاخر ازواجها وقد ذكرنا ما للعلما في هذا في كتاب التذكرة من ابواب
الجنة الرابعة عشرة اختلف العلما في ازواج النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته هل بقين ازواجا
ام زال النكاح بالموت واذا زال النكاح بالموت فهل عليهن عدة ام لا فقيل عليهن العدة لانه توفي
عنهن والعدة عبادة وقيل لا عدة عليهن لانها مدة تربص لا ينتظر بها الاباحة وهو الصحيح لقوله
عليه السلام ما تركت بعد نفقة عيالي وروي اهلي وهذا اسم خاص بالزوجية فابقى عليهن النفقة
والسكنى مدة حياتهن لكونهن ازواجه في الاخرة وقطعا عن سائر الناس لان الرجل لا يعلم
كونه مع اهله في دار واحدة فربما كان احدهما في الجنة والاخر في النار فبهذا انقطع السبب في حق

الخلق ويبقى في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام ازواجي في الجنة هن ازواجي
في الآخرة وقال عليه السلام كل سبب ينقطع الا سببي ونسبي فانه باق الى يوم القيامة الرابعة
عشر فاما ازواجه عليه السلام اللاتي فارقهن في حياته مثل الكلبية وغيرها فهل كان يحل لغيره
نكاحهن فيه خلاف والصحيح جواز ذلك لما روي ان الكلبية التي فارقها رسول الله صلى الله عليه
وسلم تزوجها عكرمة بن ابي جهل على ما تقدم وقيل ان الذي تزوجها الاشعث بن قيس الكندي
قال القاضي ابو الطيب الذي تزوجها مهاجر بن ابي امية ولم ينكر ذلك احد فدل انه اجماع الخامسة
عشر قوله تعالى ان ذلكم كان عند الله عظيما يعني اذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم او نكاح ازواجه
فجعل ذلك من جملة الكبائر ولا ذنب اعظم منه السادسة عشر قد بينا سبب نزول الحجاب من
حديث انس وقول عمر وكان يقول لسودة اذا خرجت وكانت امرأة طويلة فقد رأيناك يا سودة
حرصا على ان ينزل الحجاب فانزل الله تعالى اية الحجاب ولا بعد في نزول الآية عند هذه الاسباب
كلها والله اعلم بيد انه لما ماتت زينب بنت جحش قال لا يشهد جنازتها الا ذو محرم منها مراعاة
للحجاب الذي نزل بسببها فدلته اسماء بنت عميس على سترها في النعش في القبة واعلمته انها
رأت ذلك في بلاد الحبشة فصنعه عمر وروي ان ذلك صنع في جنازة فاطمة بنت رسول الله صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما الباري
سبحانه وتعالى عالم ما بدا وما خفي وما كان وما لم يكن لا يخفى عليه ماض بتقضيه ولا مستقبل
بآتيه وهذا على العموم يمدح به وهو اهل المدح والحمد والمراد هاهنا التوبيخ والوعيد لمن تقدم
التعريض به في الآية قبلها ممن اشير اليه بقوله ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ومن اشير اليه في قوله
وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فقيل لهم في هذه الآية ان الله
تعالى يعلم ما تخفونه من هذه المعتقدات والخواطر المكروهة ويجازيكم عليها فصارت هذه
الآية منعطفة على ما قبلها مبينة لها والله اعلم قوله تعالى لا جناح عليهن في آبائهن فيه
ثلاث مسائل الاولى لما نزلت اية الحجاب قال الآباء والابناء والاقارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ونحن ايضا نكلمهن من وراء حجاب فنزلت هذه الآية الثانية ذكر الله في هذه الآية من يحل للمرأة
البروز له ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين وقد يسمى العم ابا قال الله تعالى
نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحاق وكان العم قال الزجاج العم والخال ربما
يصفان المرأة لولدهما فان المرأة تحل لابن العم وابن الخال فكره لها الرؤية وقد كره الشعبي
وعكرمة ان تضع المرأة خمارها عند عمها وخالها وقيل ذكر في هذه الآية بعض المحارم وذكر
الجميع في سورة النور فهذه الآية بعض تلك وقد مضى الكلام هناك مستوفى والحمد لله
الثالثة قوله تعالى واتقين الله لما ذكر الله تعالى الرخصة في هذه الاصناف وانجزمت الاباحة
عطف بامرهن بالتقوى عطف جملة وهذا في نهاية البلاغة والايجاز كانه قال اقتصرن
على هذا واتقين الله فيه ان تتعدينه الى غيره وخص النساء بالذكر وعينهن في هذا الامر
لقلة تحفظهن وكثرة استرسالهن والله اعلم ثم توعد تعالى بقوله ان الله كان على كل شيء شهيدا
قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية هذه الآية شرف الله بها رسوله
عليه السلام حياته وموته وذكر منزلته منه وطهر بها سوء فعل من استصحب في جهته فكرة سوء
او في امر زوجاته ونحو ذلك والصلاة من الله رحمة ورضوان ومن الملائكة الدعاء والاستغفار
ومن الامة الدعاء والتعظيم لامره مسألة اختلف العلماء في الضمير في قوله يصلون فقالت
فرقة الضمير فيه لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته فلا يصحبه الاعتراض
الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال له
رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب انت قل ومن يعص الله ورسوله اخرجه الصحيح
قالوا لانه ليس لاحد ان يجمع ذكر الله مع غيره في ضمير ولله ان يفعل في ذلك ما يشاء وقالت
فرقة في الكلام حذف تقديره ان الله يصلي وملائكته يصلون وليس في الآية اجتماع
في ضمير وذلك جائز للبشر فعله ولم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم بئس الخطيب لهذا المعنى
وانما قاله لان الخطيب وقف على ومن يعصهما وسكت سكتة واستدلوا بما رواه ابو داود
عن عدي بن حاتم ان خطيبا خطب عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ومن يطع الله ورسوله

ومن يعصهما فقال قم او اذهب بئس الخطيب انت اصلح له بعد ذلك جميع كلامه فقال قل ومن
يعص الله ورسوله كما في كتاب مسلم وهو يؤيد القول الاول فانه لم يقف على ومن يعصهما وقرأ
ابن عباس وملائكته بالرفع على موضع اسم الله قبل دخول ان والجمهور بالنصب عطفا على المكتوبة
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما الآية امر تعالى عباده بالصلاة على نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم دون انبيائه تشريفا له ولا خلاف في ان الصلاة عليه فرض في العمر
مرة وفي كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يغفلها الا من لا خير
فيه الزمخشري فان قلت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة ام مندوبة
قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي الحديث من ذكرت
عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل له يا رسول الله ارأيت قول الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند مسلم فيصلي علي الا قال
ذلك الملكان له غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذلك الملكين امين ولا اذكر عند عبد
مسلم فلا يصلي علي الا قال ذلك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته لذلك الملكين امين
ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قال في اية السجدة وتشميت العاطس
وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر وكذا في اظهار الشهادتين والذي
يقتضيه الاحتياط الصلاة عند كل ذكر لما ورد من الاخبار في ذلك الثانية واختلفت الآثار
في صفة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فروى مالك عن ابي مسعود الانصاري قال اتانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد بن عبادة فقال له بشير بن سعد امرنا
الله ان نصلي عليك يا رسول الله فكيف نصلي عليك قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم
حتى تمنينا انه لم يسأله ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ال ابراهيم في العالمين انك حميد
مجيد والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة مثله باسقاط قوله في العالمين وقوله
والسلام كما قد علمتم ورواه النسائي عن طلحة وفي الباب عن كعب بن عجرة وابي حميد الساعدي
وابي سعيد الخدري وعلي بن ابي طالب وابي هريرة وبريدة الخزاعي وزيد بن خارجة ويقال
ابن حارثة اخرجها ائمة الحديث في كتبهم وصحح الترمذي حديث كعب بن عجرة واخرجه مسلم
في صحيحه مع حديث ابي حميد الساعدي قال ابو عمر روى شعبة والثوري عن الحكم بن عبد
الرحمن بن ابي ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما جاء
رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله هذا السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة
فقال قل اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وعلى ال محمد
كما باركت على ال ابراهيم انك حميد مجيد وهذا اللفظ حديث الثوري لا حديث شعبة وهو
يدخل في التفسير المسند لقول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية فبين كيف الصلاة
عليه وعلمهم في التحيات كيف السلام عليه وهو قوله السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
وروى المسعودي عن عون بن عبد الله عن ابي فاختة عن الاسود عن عبد الله انه قال
اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلاة عليه فانكم لا تدرون لعل ذلك يعرض
عليه قالوا فعلمنا قال قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه
مقاما محمودا يغبطه به الاولون والاخرون اللهم صل على محمد وعلى ال محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما باركت على ابراهيم وال
ابراهيم انك حميد مجيد وروينا بالاسناد المتصل في كتاب الشفا للقاضي عياض عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
عدهن في يدي جبريل وقال هكذا انزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى ال محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى ال محمد كما
باركت على ابراهيم وعلى ال ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى ال محمد كما

ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما
تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد قال ابن العربي من هذه الروايات صحيح
ومنها سقيم واصحها ما رواه مالك فاعتمدوه ورواية غير مالك من زيادة الرحمة مع الصلاة
وغيرها لا يقوى وانما على الناس ان ينظروا في اديانهم نظرهم في اموالهم وهم لا ياخذون
في البيع دينارا معيبا وانما يختارون السالم الطيب كذلك لا يوخذ من الروايات عن النبي صلى
الله عليه وسلم الا ما صح سنده لئلا يدخل في حيز الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فبينا هو يطلب الفضل اذا به قد اصاب النقص بل ربما اصاب الخسران المبين الثالثة في
فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من صلى
علي صلاة صلى الله عليه بها عشرا وقال سهل بن عبد الله الصلاة على محمد افضل العبادات
لان الله تعالى تولاها هو وملائكته ثم امر بها المومنين وسائر العبادات ليس كذلك
قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسال الله حاجة فليبدا بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ثم يسال الله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فان الله يقبل
الصلاتين وهو اكرم من ان يرد ما بينهما وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب انه
قال الدعاء يحجب دون السماء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فاذا جاءت الصلاة على
النبي صلى الله عليه وسلم رفع الدعاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم
تزل الملائكة تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب الرابعة واختلف العلماء في الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة فالذي عليه الجم الغفير والجمهور الكثير ان ذلك
من سنن الصلاة ومستحباتها قال ابن المنذر يستحب ان لا يصلي احد صلاة الا صلى فيها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك تارك فصلاته مجزية في مذهب مالك
واهل المدينة وسفيان الثوري واهل الكوفة من اصحاب الراي وغيرهم وهو قول جل
اهل العلم وحكي عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد
مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلاة الاعادة واوجب اسحاق الاعادة مع
تعمد تركها دون النسيان وقال ابو عمر قال الشافعي اذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم
في التشهد الاخير بعد التشهد وقبل التسليم اعاد الصلاة قال وان صلى عليه قبل ذلك
لم يجزه وهذا قول حكاه عنه حرملة بن يحيى لا يكاد يوجد هكذا عن الشافعي الا من
رواية حرملة عنه وهو من كبار اصحابه الذين كتبوا كتبه وقد تقلده اصحاب الشافعي
ومالوا اليه وناظروا عليه وهو عندهم تحصيل مذهبه وزعم الطحاوي انه لم يقل به احد
من اهل العلم غيره وقال الخطابي وهو من اصحاب الشافعي وليست بواجبة في الصلاة
وقال جماعة الفقهاء الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض
الصلاة عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع عليه في هذه المسئلة
جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي علمه النبي صلى الله
عليه وسلم ليس فيه الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من روى التشهد عنه
صلى الله عليه وسلم وقال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما تعلمون الصبيان
في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر وليس فيه ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
قلت قد قال بوجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة محمد بن المواز
من اصحابنا فيما ذكر ابن القصار وعبد الوهاب واختاره ابن العربي للحديث الصحيح ان
الله امرنا ان نصلي عليك فكيف نصلي عليك فعلم الصلاة ووقتها فتعينت كيفية ووقتا
وذكر الدارقطني عن ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين انه قال لو صليت صلاة لم اصل
فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على اهل بيته لرايت انها لا تتم وروي مرفوعا
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم والصواب انه قول ابي جعفر قاله الدارقطني الخامسة
قوله تعالى وسلموا تسليما قال القاضي ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبي
صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه
عند حضورهم قبره وعند ذكره وروى النسائي عن عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى في وجهه فقلت انا لنرى البشرى
في وجهك فقال انه اتاني الملك فقال يا محمد ان ربك يقول اما يرضيك انه لا يصلي عليك احد الا
صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشرا وعن محمد بن عبد الرحمن ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من احد يسلم علي اذا مت الا جاءني سلامه مع جبريل يقول يا محمد
هذا فلان بن فلان يقرا عليك السلام فاقول وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وروى النسائي عن
عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض
يبلغوني من امتي السلام قال القشيري والتسليم قولك سلام عليك قوله تعالى ان الذين
يوذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والاخرة فيه مسئلتان الاولى اختلف العلماء في اذية
الله بماذا يكون فقال الجمهور من العلماء معناه بالكفر ونسبة الصاحبة والولد والشريك
اليه ووصفه بما لا يليق كقول اليهود لعنهم الله وقالت اليهود يد الله مغلولة والنصارى
المسيح ابن الله والمشركين بنات الله والاصنام شركاوه وفي صحيح البخاري قال الله تعالى
كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك الحديث وقد تقدم في سورة مريم
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال الله تبارك وتعالى يوذيني ابن ادم يقول
يا خيبة الدهر فلا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره فاذا شئت
قبضتهما هكذا جاء الحديث موقوفا على ابي هريرة في هذه الرواية وقد جاء مرفوعا عنه
يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار اخرجه ايضا مسلم وقال عكرمة
معناه بالتصوير والتعرض لفعل ما لا يفعله الا الله بنحت الصور وغيرها وقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لعن الله المصورين قلت وهذا مما يقوي قول مجاهد في المنع من
تصوير الشجر وغيرها اذ كل ذلك صفة اختراع وتشبه بفعل الله الذي انفرد به سبحانه
وتعالى وقد تقدم هذا في سورة النمل والحمد لله وقالت فرقة ذلك على حذف مضاف
تقديره يوذون اولياء الله واما اذية رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كل ما يوذيه من
الاقوال في غير معنى واحد ومن الافعال ايضا فاما قولهم فساحر شاعر كاهن مجنون واما فعلهم
فكسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وبمكة القاء السلى على ظهره وهو ساجد الى غير ذلك
وقال ابن عباس نزلت في الذين طعنوا عليه حين اتخذ صفية بنت حيي واطلق ايذاء
الله ورسوله وقيد ايذاء المومنين والمومنات [illegible] الثانية قال علماونا والطعن
في تامير اسامة بن زيد اذاية له عليه السلام روى الصحيح عن ابن عمر قال بعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعثا وامر عليهم اسامة بن زيد فطعن الناس في امارته فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تطعنوا في امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من
قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة وان كان لمن احب الناس الي وان هذا لمن احب الناس
الي بعده وهذا البعث والله اعلم هو الذي جهزه رسول الله صلى
الله عليه وسلم مع اسامة وامره عليهم وامره ان يغزو ابنى وهي القرية التي عند موتة الموضع
الذي قتل فيه زيد ابوه مع جعفر بن ابي طالب وعبد الله بن رواحة وامره ان ياخذ بثار
ابيه فطعن من في قلبه ريب في امارته من حيث انه من الموالي ومن حيث انه كان صغير
السن لانه كان اذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة فمات النبي صلى الله عليه وسلم وقد برز هذا
البعث عن المدينة ولم ينفصل بعد عنها فنفذه ابو بكر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
الثالثة في هذا الحديث اوضح دليل على جواز امامة المفضول على غيره ما عدا الامامة
الكبرى وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم سالما مولى ابي حذيفة على الصلاة بقبا
فكان يومهم وفيهم ابو بكر وعمر وغيرهم من كبراء قريش وروى الصحيح عن عامر بن واثلة
الاسقع ان نافع بن عبد الحارث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال من استعملت
على هذا الوادي قال ابن ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا قال فاستخلفت
عليهم مولى قال انه قارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرائض قال اما ان نبيكم قد قال ان الله
يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع به اخرين الرابعة كان اسامة رضي الله عنه الحب بن الحب
وبذلك كان يدعى وكان اسود شديد السواد وكان زيد ابوه ابيض من القطن هكذا ذكره

ابو داود عن احمد بن صالح وقال غير احمد كان زيد ازهر اللون وكان اسامة شديد الادمة
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب اسامة وهو صغير ويمسح مخاطه وينقي انفه
ويقول لو كان اسامة جارية لزيناه وجهزناه وحببناه الى الازواج وقد ذكر ان سبب ارتداد
العرب بعد النبي صلى الله عليه وسلم انه لما كان عليه السلام في حجة الوداع بجبل عرفة عشية
عرفة عند النفر احتبس النبي صلى الله عليه وسلم بسبب اسامة فقالوا ما احتبس الا لاجل
هذا احتقارا له فكان قولهم هذا سببا لارتدادهم ذكره البخاري في التاريخ بمعناه والله اعلم
الخامسة كان عمر رضي الله عنه يفرض لاسامة في العطا خمسة الاف ولابنه عبد الله الفين
فقال له عبد الله فضلت علي اسامة وقد شهدت ما لم يشهد فقال ان اسامة كان احب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك واباه كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
من ابيك ففضل رضي الله عنه محبوب رسول الله صلى الله عليه وسلم على محبوبه وهكذا
يجب ان يحب ما احب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغض ما ابغض وقد قابل مروان
ان هذا الحب بنقيضه وذلك انه مر باسامة بن زيد وهو يصلي عند باب البيت بيت النبي
صلى الله عليه وسلم فقال له مروان انما اردت ان يرى مكانك فقد راينا مكانك ففعل الله
بك وافعل قولا قبيحا فقال له اسامة انك اذيتني وانك فاحش متفحش وقد سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يبغض الفاحش المتفحش فانظر ما بين الفعلين
وقس ما بين الرجلين فقد اذى بنو امية النبي صلى الله عليه وسلم وما قصروا في محابه
قوله تعالى لعنوا معناه ابعدوا من كل خير واللعن في اللغة الابعاد ومنه قول اللعان
واعد لهم عذابا مهينا تقدم في غير موضع قوله تعالى والذين يوذون المومنين والمومنات
اذاية المومنين والمومنات هي ايضا بالافعال والاقوال القبيحة كالبهتان والتكذيب
الفاحش المختلق وهذه الاية نظير للاية التي في النساء ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم
به بريا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا كما قال هنا وقد قيل ان من الاذاية تعييره بحسب مذموم
او حرفة دنية او بشي يثقل عليه اذا سمعه لان اذاه في الجملة حرام وقد ميز الله تعالى بين
اذاه واذى الرسول واذى المومنين فجعل الاول كفرا والثاني كبيرة فقال في اذى المومنين
فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وقد بيناه وروي ان عمر بن الخطاب قال لابي بن كعب
قرات البارحة هذه الاية ففزعت منها والذين يوذون المومنين والمومنات بغير ما اكتسبوا
الاية والله اني لاضربهم وانهرهم فقال له ابي يا امير المومنين لست منهم انما انت معلم ومقوم
وقد قيل ان سبب نزول هذه الاية ان عمر راى جارية من الانصار فضربها وكره ما راى
من زينتها فخرج اهلها فاذوا عمر باللسان فانزل الله هذه الاية وقد قيل نزلت في علي
فان المنافقين كانوا يوذونه ويكذبون عليه رضي الله عنه قوله تعالى يا ايها النبي
قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين قد مضى الكلام في تفضيل الازواج واحدة واحدة
قال قتادة رضي الله عنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تسع خمس من قريش
عايشة وحفصة وام حبيبة وسودة وام سلمة وثلاث من سائر العرب ميمونة وزينب
بنت جحش وجويرية وواحدة من بني هارون صفية واما بناته فكان صلى الله عليه
وسلم له اولاد ذكور واناث فالذكور من اولاده القاسم امه خديجة وبه كان يكنى صلى
الله عليه وسلم وهو اول من مات من اولاده وعاش سنتين وقال عروة ولدت خديجة
للنبي صلى الله عليه وسلم القاسم والطاهر وعبد الله والطيب وقال ابو بكر البرقي ويقال
ان الطاهر هو الطيب وهو عبد الله وابراهيم امه مارية القبطية ولد في ذي الحجة سنة
ثمان من الهجرة وتوفي ابن ستة عشر شهرا وقيل ثمانية عشر ذكره الدارقطني وتوفي
بالبقيع وقال صلى الله عليه وسلم ان له مرضعا يتم رضاعه في الجنة وجميع اولاد النبي
صلى الله عليه وسلم من خديجة سوى ابراهيم وكل اولاده ماتوا في حياته غير فاطمة
واما الاناث من اولاده فمنهن فاطمة الزهراء ابنة خديجة ولدت وقريش تبني البيت قبل النبوة
بخمس سنين وهي اصغر بناته وتزوجها علي رضي الله عنه في السنة الثانية من الهجرة
في رمضان وبنى بها في ذي الحجة وقيل تزوجها في رجب وتوفيت بعد رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم بيسير وهي اول من لحقه من اهل بيته رضي الله عنها ومنهن زينب امها خديجة تزوجها
ابن خالتها ابو العاص بن الربيع وكانت ام الربيع هالة بنت خويلد اخت خديجة واسم ابي العاص
لقيط وقيل هاشم وقيل هشيم وقيل مهشم وكانت اكبر بناته صلى الله عليه وسلم وتوفيت سنة
ثمان من الهجرة ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبرها ومنهن رقية امها خديجة تزوجها عتبة
ابن ابي لهب قبل النبوة فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل عليه تبت يدا ابي لهب قال
ابو لهب لابنه راسي من راسك حرام حتى تطلق ابنته ففارقها ولم يكن بنى بها واسلمت حين اسلمت
امها خديجة وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم هي واخواتها حين بايعه النساء وتزوجها
عثمان بن عفان وكانت نساء قريش يقلن حين تزوجها عثمان

• احسن شخصين راى انسان • رقية وبعلها عثمان •

وهاجرت معه الى ارض الحبشة الهجرتين وكانت اسقطت من عثمان سقطا ثم ولدت بعد ذلك
عبد الله وكان عثمان يكنى به في الاسلام وبلغت ست سنين فنقره ديك في وجهه فمات ولم يكن
له نسل بعد ذلك وهاجرت الى المدينة ومرضت ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتجهز الى بدر
فخلف عثمان عليها فتوفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر على راس سبعة عشر شهرا من
الهجرة وقدم زيد بن حارثة بشيرا من بدر فدخل المدينة حين سوي التراب على رقية ولم يشهد
دفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهن ام كلثوم امها خديجة تزوجها عتيبة بن ابي لهب
اخو عتبة قبل النبوة وامره ابوه ان يفارقها للسبب المذكور في امر رقية ولم يكن دخل بها فلم تزل
بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلمت حين اسلمت امها وبايعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم مع اخواتها حين بايعه النساء وهاجرت الى المدينة حين هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما توفيت رقية تزوجها عثمان وبذلك سمي ذا النورين وتوفيت في حياة النبي صلى الله
عليه وسلم في شعبان سنة تسع من الهجرة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرها ونزل
في حفرتها علي والفضل واسامة وذكر الزبير ابن بكار ان اكبر ولد النبي صلى الله عليه وسلم القاسم
ثم زينب ثم عبد الله وكان يقال له الطيب والطاهر وولد بعد النبوة ومات صغيرا ثم ام كلثوم
ثم فاطمة ثم رقية فمات القاسم بمكة ثم مات عبد الله الثانية لما كانت عادة العربيات التبذل وكن
يكشفن وجوههن كما يفعل الاماء وكان ذلك داعية الى نظر الرجال اليهن وتشعب الفكرة فيهن
امر الله رسوله ان يامرهن بارخاء الجلابيب عليهن اذا اردن الخروج الى حوائجهن وكن يتبرزن
في الصحراء قبل ان يتخذ الكنف فيقع الفرق بينهن وبين الاماء فتعرف الحرائر بسترهن فيكف عن
معارضتهن من كان عزبا او شابا وكانت المراة من نساء المومنين قبل نزول هذه الاية تتبرز
للحاجة فيتعرض لها بعض الفجار يظن انها امة فتصيح به فيذهب فشكوا ذلك الى النبي صلى
الله عليه وسلم ونزلت الاية بسبب ذلك قال معناه الحسن وغيره الثالثة قوله تعالى من جلابيبهن
الجلابيب جمع جلباب وهو ثوب اكبر من الخمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه الرداء وقد
قيل انه القناع والصحيح انه الثوب الذي يستر جميع البدن وفي صحيح مسلم عن ام عطية قلت
يا رسول الله احدانا لا يكون لها جلباب قال لتلبسها اختها من جلبابها الرابعة واختلف الناس
في صورة ارخائه فقال ابن عباس وعبيدة السلماني ذلك ان تلويه المراة حتى لا يظهر منها الا عين
واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويه فوق الجبين وتشده ثم تعطفه
على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه وقال الحسن تغطي نصف وجهها
الخامسة امر الله سبحانه جميع النساء بالستر وان ذلك لا يكون الا بما لا يصف جلدها الا اذا كانت
مع زوجها فلها ان تلبس ما شاءت لان له ان يستمتع بها كيف شاء ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم
استيقظ ليلة فقال سبحان الله ماذا انزل الليلة من الفتن وماذا فتح من الخزائن من
يوقظ صواحب الحجرات كاسية في الدنيا عارية في الاخرة وروي ان دحية الكلبي لما رجع من
عند هرقل فاعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبطية فقال اجعل صديعا لك قميصا واعط
صاحبتك صديعا تختمر به والصديع النصف ثم قال له مرها تجعل تحتها شيئا لئلا يصف وذكر
ابو هريرة رقة ثياب النساء فقال الكاسيات العاريات الناعمات الشقيات ودخل نسوة من
بني تميم على عائشة رضي الله عنها عليهن ثياب رقاق فقالت عائشة ان كنتن مومنات فليس هذا

بلباس المومنات وان كنتن غير مومنات فتحتجبن وادخلت امراة عروس على عايشة رضي الله
عنها وعليها خمار رقيق معصفر فلما راتها قالت لن تومن بسورة النور امراة تلبس هذا وبث عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نسا كاسيات عاريات مايلات مميلات روسهن مثل اسنمة البخت
لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وقال عمر رضي الله عنه ما يمنع المراة المسلمة اذا كانت لها حاجة ان
تخرج في اطمارها او اطمار جارتها مستخفية لا يعلم بها احد حتى ترجع الى بيتها النساء دينه قوله
تعالى ذلك ادنى ان يعرفن اي الحراير حتى لا يختلطن بالاما فاذا عرفن لم يقابلن بادني من المعارضة
مراقبة لرتبة الحرية فيقطع الاطماع عنهن وليس المعنى ان تعرف المراة حتى تعلم من هي وكان عمر
رضي الله عنه اذا راى امراة قد تقنعت ضربها بالدرة محافظة على زي الحراير وقد قيل انه يجب
الستر والتقنع الان في حق الجميع من الحراير والاما وهذا كما ان اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم منعوا النسا المساجد بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله لا تمنعوا اما
الله مساجد الله حتى قالت عايشة رضي الله عنها الى وقت هذا المنهن من الخروج الى المساجد
لما منعت نسا بني اسرايل وكان الله غفورا رحيما لما سلف للنسا في ترك الجلابيب قبل هذا الامر
المشروع قوله تعالى لين لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة
لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى لين لم
ينته المنافقون الاية اهل التفسير على ان الاوصاف الثلاثة لشي واحد كما روى سفيان ابن
عيينة عن منصور عن ابي رزين قال المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في
المدينة قال هم شي واحد يعني انهم قد جمعوا هذه الاشيا والواو مقحمة كما قال

الى الملك القرم وابن الهمام • وليث الكتيبة في المزدحم

اراد الى الملك القرم ابن الهمام ليث الكتيبة وقد مضى في البقرة وقيل كان منهم قوم يرجفون
وقوم يتبعون النسا للزينة وقوم يشككون المسلمين قال عكرمة وشهر بن حوشب الذين
في قلوبهم مرض يعني الذين في قلوبهم الزنا وقال طاوس نزلت هذه الاية في امر النسا وقال
سلمة بن كهيل نزلت في اصحاب الفواحش والمعنى متقارب وقيل المنافقون والذين في قلوبهم
مرض شي واحد عبر عنهم بلفظين دليله اية المنافقين في اول البقرة والمرجفون في المدينة
قوم كانوا يخبرون المومنين بما يسوءهم من عدوهم فيقولون اذا خرجت سرايا رسول الله صلى
الله عليه وسلم انهم قد قتلوا او هزموا وان العدو قد اتاكم قاله قتادة وغيره وقيل كانوا يقولون
اصحاب الصفة قوم عزاب فهم الذين يتعرضون للنسا وقيل هم قوم من المسلمين ينطقون بالاخبار
الكاذبة حبا للفتنة وقد كان في اصحاب الافك قوم مسلمون ولكنهم خاضوا حبا للفتنة وقال
ابن عباس الارجاف التماس الفتنة والارجاف اشاعة الباطل والكذب والباطل للاغتمام به
وقيل تحريك القلوب يقال رجفت الارض اي تحركت وتزلزلت ترجف رجفا والرجفان
الاضطراب الشديد والرجاف البحر سمي به لاضطرابه قال الشاعر

• المطعمون اللحم كل عشية • حتى تغيب الشمس في الرجاف •

والارجاف واحد الاراجيف وقد ارجفوا في الشي اي خاضوا فيه قال الشاعر

• فانا وان عيرتمونا بقتله • وارجف بالاسلام باغ وحاسد •

اخر

• ابا الاراجيف يا ابن اللوم توعدني • وفي الاراجيف خلت اللوم والخور •

فالارجاف حرام لان فيه اذاية فدلت الاية على تحريم الايذا بالارجاف الثانية قوله تعالى
لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم فتستاصلهم بالقتل وقال ابن عباس لم ينتهوا عن اذاء النسا
وان الله عز وجل قد اغراه بهم ثم انه قال عز وجل ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره
وانه امره بلعنهم وهذا هو الاغرا وقال محمد بن يزيد قد اغراه بهم في الاية التي تلي هذه
مع اتصال الكلام بها وهو قوله عز وجل اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فهذا فيه معنى
الامر بقتلهم واخذهم اي هذا حكمهم اذا كانوا مقيمين على النفاق والارجاف وفي الحديث
عن النبي صلى الله عليه وسلم خمس يقتلن في الحل والحرم فهذا فيه معنى الامر كالاية سوا
النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية وقيل انهم قد انتهوا عن الارجاف فلم يغر بهم ولام
لنغرينك لام القسم واليمين واقعة عليها وادخلت اللام في ان توطية لها قوله تعالى

ثم لا يجاورونك فيها اي في المدينة الا قليلا نصب على الحال من الضمير في يجاورونك فكان
الامر كما قال عز وجل لانهم لم يكونوا الا اقلا فهذا احد جوابي الفرا وهو الاولى عنده اي لا يجاورونك
الا في حال قلتهم والجواب الاخر ان يكون المعنى الا وقتا قليلا اي لا يبقون معك الا مدة يسيرة
اي لا يجاورونك فيها الا جوارا يسيرا حتى يهلكوا فيكون نعتا لمصدر او ظرف محذوف ودل على
ان من كان معك ساكنا بالمدينة فهو جار وقد مضى في النسا الرابعة قوله تعالى ملعونين هذا
تمام الكلام عند محمد بن يزيد وهو منصوب على الحال وقال ابن الانباري قليلا ملعونين
وقف حسن النحاس ويجوز ان يكون التمام الا قليلا وينصب ملعونين على الشتم كما قال عيسى بن
عمر وامراته حمالة الحطب وقد حكي عن بعض النحويين انه قال يكون المعنى اينما ثقفوا اخذوا
ملعونين وهذا خطا لا يعمل ما كان مع المجازاة فيما قبله وقيل معنى الاية انهم ان اصروا على النفاق لم يكن لهم
مقام بالمدينة الا وهم مطرودون ملعونون وقد فعل بهم هذا فانه لما نزلت سورة براءة جمعوا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم فقام اخوانهم من
المسلمين وتولوا اخراجهم من المسجد الخامسة قوله تعالى سنة الله نصب على المصدر اي سن الله
جل وعز فيمن ارجف بالانبيا واظهر نفاقه ان يوخذ ويقتل ولن تجد لسنة الله تبديلا اي تحويلا
وتغييرا حكاه النقاش وقال السدي يعني ان من قتل بحق فلا دية على قاتله المهدي وفي هذه
الاية دليل على جواز ترك انفاذ الوعيد والدليل على ذلك بقا المنافقين معه حتى مات
والمعروف من اهل الفضل اتمام وعدهم وتاخير وعيدهم وقد مضى هذا في ال عمران وغيرها قوله
تعالى يسالك الناس عن الساعة هولاء المذكورون رسول الله صلى الله عليه وسلم لما توعدوا بالعذاب
سالوا عن الساعة استبعادا وتكذيبا موهمين انها لا تكون قل انما علمها عند الله اي اجبهم عن
سوالهم وقل علمها عند الله وليس في اخفا الله وقتها عني ما يبطل نبوتي وليس من شرط النبي
ان يعلم الغيب بغير تعليم من الله عز وجل وما يدريك اي ما يعلمك لعل الساعة تكون قريبا اي في
زمان قريب وقال صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى
خرجه اهل الصحيح وقيل اي ليست الساعة تكون قريبا فحذف هاء التانيث ذهابا بالساعة
الى اليوم كقوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين ولم يقل قريبة ذهابا بالرحمة الى العفو
اذ ليس تانيثها اصليا وقد مضى هذا مستوفى وقيل انما اخفى وقت الساعة ليكون العبد
مستعدا لها في كل وقت قوله تعالى ان الله لعن الكافرين اي طردهم وابعدهم واللعن
الطرد والابعاد عن الرحمة وقد مضى في البقرة بيانه واعد لهم سعيرا خالدين فيها ابدا
في بنا السعير لانها بمعنى النار لا يجدون وليا ولا نصيرا ينجيهم من عذاب الله والخلود فيه
قوله تعالى يوم تقلب وجوههم في النار وقراءة العامة بضم التا وفتح اللام على الفعل
المجهول وقرا عيسى الهمداني وابن اسحاق نقلب بنون وكسر اللام على معنى نقلب السعير
وجوههم وقرا ابو حيوة بالضم تقلب عنه وابو جعفر وشيبة تقلب بفتح التا والقاف على معنى
تتقلب وهذا التقلب تغيير الوانهم بلفح النار فتسود مرة وتخضر اخرى واذا بدلت جلودهم
بجلود اخر فحينئذ يتمنون انهم ما كفروا يا ليتنا اي يقولون يا ليتنا ويجوز ان يكون المعنى
يقولون يوم تقلب وجوههم في النار يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا اي لم نكفر فننجو
من هذا العذاب كما نجا المومنون وهذه الالف تقع في الفواصل فيوقف عليها ولا يوصل بها
وكذا السبيلا وقد مضى اول السورة وقرا الحسن انا اطعنا ساداتنا بكسر التا جمع سادة وكان
في هذا ازجر عن التقليد والسادة جمع السيد وهو فعلة مثل كتبة وفجرة وساداتنا جمع
الجمع والسادة والكبرا قال مقاتل هم المطعمون في غزوة بدر والاظهر العموم في القادة والروسا
في الشرك والضلالة اي اطعناهم في معصيتك وما دعونا اليه فاضلونا السبيلا اي عن السبيل
وهو التوحيد فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب والاضلال لا يتعدى الى مفعولين من
غير توسط حرف الجر كقوله لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني قوله تعالى ربنا اتهم ضعفين
من العذاب قال قتادة عذاب الدنيا وعذاب الاخرة وقيل عذاب الكفر وعذاب الاضلال
اي عذبهم مثلي ما تعذبنا فانهم ضلوا واضلوا والعنهم لعنا كبيرا قرا ابن مسعود واصحابه
ويحيى وعاصم الباقون بالتا واختاره ابو حاتم وابو عبيد والنحاس لقوله تعالى اولئك

بلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وهذا اللعن كبير وقال محمد بن ابي السري رايت في المنام كاني
في مسجد عسقلان وكان رجلا يناظرني فيمن يبغض اصحاب محمد فقال والعنهم لعنا كبيرا
ثم كررها حتى غاب عني لا يقولها الا بالبا وقراة الثا ترجع في المعنى الى الثا لان ما كبر كان عظيما
المعنى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا موسى لما ذكر تعالى المنافقين
والكفار الذين اذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين حذر المومنين من التعرض
للايذا ونهاهم عن التشبه ببني اسرايل في اذايتهم نبيهم موسى واختلف الناس فيما اوذي به
محمد صلى الله عليه وسلم فحكى النقاش ان اذايتهم محمدا قولهم زيد بن محمد وقال ابو وايل
اذايته انه عليه السلام قسم قسما فقال رجل من الانصار ان هذه القسمة ما اريد بها
وجه الله فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فغضب وقال رحم الله موسى لقد اوذي
باكثر من هذا فصبر واما اذاية موسى صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس وجماعة هي ما
تضمنه حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وذلك انه قال كانت بنو اسرايل
يغتسلون عراة وكان موسى عليه السلام يتستر كثيرا ويخفي بدنه فقال قوم هو ادر
وابرص او به افة فانطلق ذات يوم يغتسل في عين بارض الشام وجعل ثيابه على صخرة
ففر الحجر بثيابه واتبعه موسى يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا من بني اسرايل
فنظروا اليه وهو من احسنهم خلقا واعدلهم صورة وليس به ما قالوا فهو قوله
فبراه الله مما قالوا اخرجه البخاري ومسلم كانت بنو اسرايل يغتسلون عراة ينظر بعضهم
الى سواة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل
معنا الا انه ادر قال فذهب يوما يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه قال فجمح موسى
عليه السلام باثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو اسرايل الى سواة موسى وقالوا
والله ما بموسى من باس فقام الحجر حتى نظر اليه قال فاخذ ثوبه فطفق بالحجر ضربا
قال ابو هريرة والله انه بالحجر ندب ستة او سبعة ضرب موسى بالحجر فهذا قول وروي
ابن عباس عن علي بن ابي طالب انه قال اذوا موسى بان قالوا قتل هرون وذلك ان
موسى وهرون خرجا من فحص التيه الى جبل فمات هرون فيه فجا موسى فقالت بنو
اسرايل لموسى انت قتلته وكان الين لنا منك واشد حيا فاذوه بذلك فامر الله عز وجل
ملايكته فحملوه حتى طافوا به في بني اسرايل وراوا اية عظيمة دلتهم على صدق موسى ولم
يكن فيه اثر وقد قيل ان الملايكة تكلمت بموته ولم يعرف موضع قبره الا الرخم وان الله
تعالى جعله اصم ابكم ومات هرون قبل موسى في التيه ومات موسى قبل انقضا مدة
التيه بشهرين حكى القشيري عن علي بن ابي طالب ان الله تعالى احيا هرون فاخبرهم
انه لم يقتله ومات وقد قيل ان اذية موسى رميهم اياه بالسحر والجنون والصحيح الاول
ويحتمل ان فعلوا كل ذلك فبراه الله من جميع ذلك مسيلة في وضع موسى عليه السلام
ثوبه على الحجر ودخوله في الما عريانا دليل على ذلك وهو مذهب الجمهور ومنعه ابن ابي
ليلى واحتج بحديث لم يصح وهو قوله عليه السلام لا تدخلوا الما الا بميزر فان للما
عامرا قال القاضي عياض وهو ضعيف عند اهل العلم قلت اما انه يستحب التستر
رواه اسرايل عن عبد الاعلى ان الحسين بن علي دخل غديرا وعليه برد له متوشحا به
فلما خرج قيل له قال انما تسترت ممن يراني ولا اراه من ربي والملايكة فان قيل كيف
نادى موسى عليه السلام الحجر ندا من يعقل قيل لانه صدر عن الحجر فعل من يعقل وحجر منادى
مفرد محذوف حرف الندا كما قال تعالى يوسف اعرض عن هذا وثوبي منصوب بفعل
مضمر التقدير اعطني ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه قوله تعالى وكان عند
الله وجيها اي عظيما والوجيه عند العرب العظيم القدر الرفيع المنزلة ويروى انه كان
اذا سال الله شيا اعطاه اياه وقرا ابن مسعود وكان عبدا لله وقيل معنى وجيها اي
كلمه تكليما قال ابو بكر الانباري في كتاب الرد زعم من طعن في القران ان المسلمين صحفوا
وكان عند الله وجيها وان الصواب عنده وكان عبد الله وجيها وذلك يدل على ضعف
مقصده ونقصان فهمه وقلة علمه وذلك ان الاية لو حملت على قوله وقرئت وكان عند

الله

الله لنقص الثنا على موسى عليه السلام وذلك ان وجيها يكون عند اهل الدنيا وعند اهل
زمانه وعند اهل الاخرة فلا يوقف على مكان المدح لانه ان كان وجيها عند بني الدنيا كان
ذلك انعاما من الله عليه لا يبين عليه معه ثنا من الله فلما اوضح الله تعالى موضع المدح
بقوله وكان عند الله وجيها استحق الشرف واعظم الرفعة بان الوجاهة عند الله من غير
اللاعظمة صدرت عن نبي الله لفخر الثنا واعظم للمدح قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا
الله وقولوا قولا سديدا اي قصدا وحقا وقال ابن عباس اي صوابا وقال قتادة ومقاتل
يعني قولوا قولا سديدا في شان زينب ولا تنسبوا النبي صلى الله عليه وسلم الى ما لا يحل وقال
عكرمة وابن عباس ايضا القول السداد لا اله الا الله وقيل هو الذي يوافق ظاهره باطنه وقيل
هو ما اريد به وجه الله دون غيره وقيل هو الاصلاح بين المتشاجرين وهو ماخوذ من
تسديد السهم ليصاب به الغرض والقول السداد يعم الخيرات فهو عام في جميع ما ذكر وغير
ذلك وظاهر الاية يعطي انه انما اشار الى ما يكون خلافا للاذى الذي قيل في جهة الرسول
وجهة المومنين ثم وعد جل وعز بانه يجازي على القول السداد باصلاح الاعمال وغفران
الذنوب وحسبك بذلك درجة ورفعة ومنزلة ومن يطع الله ورسوله اي فيما امر به ونهى
عنه فقد فاز فوزا عظيما قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال لما
بين تعالى في هذه السورة من الاحكام ما بين امر بالتزام اوامره والامانة تعم جميع وظايف
الدين على الصحيح من الاقوال وهو قول الجمهور وروى الحكيم الترمذي ابو عبد الله قال
ثنا اسمعيل بن نصر عن صالح بن عبد الله عن محمد بن يزيد بن جوهر عن الضحاك عن ابن عباس
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله لادم يا ادم اني عرضت الامانة على السموات
والارض فلم تطقها فهل انت حاملها بما فيها قال وما فيها يا رب قال ان حملتها اجرت وان ضيعتها
عذبت فاحتملها بما فيها فلم يلبث في الجنة الا قدر ما بين صلاة الاولى الى العصر حتى اخرجه
الشيطان منها فالامانة هي الفرايض التي ايتمن الله عليها العباد وقد اختلف في تفاصيل
بعضها على اقوال فقال ابن مسعود هي في امانات الاموال كالودايع وغيرها وروي عنه انها في كل
الفرايض واشدها امانة المال وقال ابي بن كعب من الامانة ان ايتمنت المراة على فرجها وقال
ابو الدردا غسل الجنابة امانة وان الله تعالى لم يامن ابن ادم على شي من دينه غيرها وفي حديث
مرفوع الامانة الصلاة ان شيت قلت قد صليت وان شيت قلت لم اصل وكذلك الصيام وغسل
الجنابة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق الله من الانسان فرجه وقال هذه
امانة استودعتكها فلا تلبسها الا بحق فان حفظتها حفظتك فالفرج امانة والاذن امانة
والعين امانة واللسان امانة والبطن امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن لا امانة
له وقال السدي هي ايتمان ادم ابنه قابيل على ولده واهله وخيانته اياه في قتل اخيه وذلك
ان الله تعالى قال له يا ادم هل تعلم ان لي بيتا في الارض قال اللهم لا قال فان لي بيتا بمكة
فاته فقال للسما احفظي ولدي بالامانة فابت وقال للارض احفظي ولدي بالامانة فابت
فقال للجبال فابت فقال لقابيل احفظ ولدي بالامانة فقال نعم تذهب وترجع فتجد
ولدك كما يسرك فرجع فوجده قد قتل اخاه فذلك قوله انا عرضنا الامانة على السموات والارض
والجبال الاية وروى معمر عن الحسن ان الامانة عرضت على السموات والارض والجبال قالت
وما فيها قيل لها ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت فقالت لا قال مجاهد فلما خلق
الله تعالى ادم عرضها عليه قال وما هي قال ان احسنت اجرتك وان اسات عذبتك قال
فقد تحملتها يا رب قال مجاهد فما كان بين ان تحملها الى ان خرج من الجنة الا قدر ما بين
الظهر والعصر وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال قال الامانة الفرايض عرضها الله عز وجل على السموات والارض
والجبال ان ادوها اثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك واشفقوا من غير معصية ولكن
تعظيما لدين الله عز وجل الا يقوموا به ثم عرضها على ادم فقبلها بما فيها قال النحاس وهذا
القول هو الذي عليه اهل التفسير وقيل لما حضرت ادم صلى الله عليه وسلم الوفاة امر ان يعرض
الامانة على الخلق فعرضها فلم يقبلها الا بنوه وقيل هذه الامانة هي ما اودعه الله في السموات

والارض والجبال والخلق من الدلايل على ربوبيته ان يظهروها فاظهروها الا الانسان فانه كتمها وجحدها قال بعض المتكلمين ومعنى عرضنا اظهرنا كما تقول عرضت الجارية على البيع والمعنى انا عرضنا الامانة وتضييعها على اهل السموات واهل الارض من الملايكة والانس والجن فابين ان يحملنها اي ان يحملن وزرها كما قال جل وعز وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وحملها الانسان قال الحسن المراد الكافر والمنافق انه كان ظلوما لنفسه جهولا بربه فيكون على هذا الجواب مجازا مثل واسال القرية ومنه جوابا اخر على ان تكون حقيقة انه عرض على السموات والارض والجبال الامانة وتضييعها وهي الثواب والعقاب اي اظهر لهن ذلك فلم يحملن وزرها واشفقن وقالت لا نبتغي ثوابا ولا عقابا وكل يقول هذا امر لا نطيقه ونحن لك سامعون ومطيعون فيما امرن به وسخرن له قاله الحسن وغيره قال العلماء معلوم ان الجماد لا يفهم ولا يجيب فلا بد من تقدير الحياة على القول الاخر وهذا العرض في هذه الاية عرض تخيير لا الزام والعرض على الانسان الزام قال القفال وغيره العرض في هذه الاية ضرب مثل اي ان السموات والارض على كبر اجرامها لو كانت بحيث يجوز تكليفها لثقل عليها تقلد الشرايع بما فيها من الثواب والعقاب اي ان التكليف امر حقه ان تعجز عنه السموات والارض والجبال وقد كلفه الانسان وهو ظلوم جهول لو عقل وهذا كقوله لو انزلنا هذا القران على جبل قال وتلك الامثال نضربها للناس قال القفال واذا تقرر في انه تعالى يضرب الامثال وورد علينا من الخبر ما لا يخرج الا على ضرب المثل وجب حمله عليه وقال قوم ان الاية من المجاز اي انا اذا قايسنا ثقل الامانة بقوة السماء والارض والجبال راينا انها لا تطيقها وانها لو تكلمت لابين واشفقن فعبر عن هذا المعنى بقوله انا عرضنا الامانة الاية وهذا كما تقول عرضت الحمل على البعير فاباه وانت تريد قايست قوته بثقل الحمل فرايت انها تقصر عنه وقيل عرضنا بمعنى عارضنا الامانة بالسموات والارض والجبال فضعفت عن هذه الامانة بثقلها عليها وقيل ان عرض الامانة على السموات والارض والجبال انما كان من ادم عليه السلام وذلك ان الله تعالى لما استخلفه على ذريته وسلطه على جميع ما في الارض من الانعام والطير والوحش وعهد اليه عهدا امره فيه ونهاه وحرم واحل فقبله ولم يزل عاملا به فلما ان حضرته الوفاة سال الله ان يعلمه من يستخلف بعده ويقلده من الامانة ما تقلده فامره ان يعرض ذلك على السموات والارض بالشرط الذي اخذ عليه من الثواب ان اطاع ومن العقاب ان عصى فابين ان يقبلنه شفقا من عذاب الله ثم امره ان يعرض ذلك على الارض والجبال كلها فابتاه ثم امره ان يعرض على ولده فعرض عليه فقبله بالشرط ولم يهب منه ما تهيبت السموات والارض والجبال انه كان ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تقلد لربه قال الترمذي الحكيم ابو عبد الله محمد بن علي عجبت من هذا القايل من اين اتى بهذه القصة فان نظرنا الى الاثار وجدناها خلاف ما قال وان نظرنا الى باطنه وجدناه بعيدا مما قال وذلك انه كرر ذكر الامانة ولم يذكر ما الامانة الا انه يومي في مقالته الى انه سلط على جميع ما في الارض وعهد الله اليه عهدا فيما امره ونهاه وحلله وحرمه وزعم انه يعرض على السموات والارض والجبال فما تصنع السموات والارض والجبال بالحلال والحرام وبالتسليط على الانعام والطير والوحش وكيف اذا عرضه على ولده فقبله في اعناق ولده من بعده وفي مسند الخبر في التنزيل انه عرض الامانة على السموات والارض والجبال حتى ظهر الاباء منهم ثم ذكر ان الانسان حملها اي من قبل نفسه لا انه حمل ذلك وسماه ظلوما لنفسه جهولا بما فيها واما الاثار التي هي بخلاف ما ذكر فحدثني ابي رحمه الله قال ثنا الفيض بن الفضل الكوفي قال ثنا السري بن اسماعيل عن عامر الشعبي عن مسروق عن عبد الله بن مسعود قال لما خلق الله الامانة مثلها صخرة ثم وضعها حيث شاء ثم دعا لها السموات والارض والجبال ليحملنها وقال لهن ان هذه الامانة ولها ثواب وعليها عقاب قالوا يا رب لا طاقة لنا بها واقبل الانسان من قبل ان يدعى فقال للسموات والارض والجبال ما وقوفكم قالوا دعانا ربنا ان نحمل هذه فاشفقنا منها ولم نطقها قال فحركها بيده وقال لو شيت ان احملها

لحملتها

لحملتها فحملها حتى بلغ بها الى ركبتيه ثم وضعها وقال والله لو شيت ان ازداد لازددت قال دونك فحملها حتى بلغ بها حقويه ثم وضعها وقال والله لو شيت ان ازداد لازددت قالوا دونك فحملها حتى بلغ بها على عاتقه فلما اهوى ليضعها قالوا مكانك ان هذه الامانة لها ثواب وعليها عقاب وامرنا ربنا ان نحملها فاشفقنا منها وحملتها انت من غير ان تدعى لها فهي في عنقك وفي اعناق ذريتك الى يوم القيامة انك كنت ظلوما جهولا وذكر اخبارا عن الضحاك والتابعين تقدم اكثرها وحملها الانسان اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلوم لنفسه وقال قتادة للامانة جهول بقدر ما دخل فيه وهذا تاويل ابن عباس وابن جبير وقال الحسن جهولا بربه قال ومعنى حملها خان فيها وقال الزجاج والاية في الكافر والمنافق والعصاة على قدرهم على هذا التاويل وقال ابن عباس واصحابه والضحاك وغيره الانسان ادم تحمل الامانة فما تم له يوم حتى عصى المعصية التي اخرجته من الجنة وعن ابن عباس ان الله تعالى قال لادم اتحمل هذه الامانة بما فيها قال وما فيها قال ان احسنت جزيت وان اسات عوقبت قال انا احملها بما فيها بين اذني وعاتقي قال الله تعالى له اني سامعينك قد جعلت لبصرك حجابا فاغلقه عما لا يحل لك ولفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما احللت لك وقال قوم الانسان النوع كله وهذا حسن مع عموم الامانة كما ذكرناه اولا وقال السدي الانسان قابيل والله اعلم ليعذب الله المنافقين والمنافقات اللام في ليعذب متعلقة بحمل اي حملها ليعذب العاصي ويثيب المطيع فهي لام التعليل لان العذاب نتيجة حمل الامانة وقيل بعرضنا اي عرضنا الامانة على الجميع ثم قلدناها الانسان ليظهر شرك المشرك ونفاق المنافق ليعذبهم الله وايمان المومن ليثيبه الله ويتوب الله قراءة الحسن بالرفع من الاول اي يتوب الله عليهم بكل حال وكان الله غفورا رحيما خبر بعد خبر لكان ويجوز ان يكون نعتا لغفور ويجوز ان يكون حالا من المضمر والله اعلم

سورة سبا مكية في قول الجميع

الا اية واحدة منها اختلف فيها وهي قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم فقالت فرقة هي مكية والمراد المومنون اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وقالت فرقة هي مدنية والمراد بالمومنين من اسلم بالمدينة كعبد الله بن سلام وغيره قاله مقاتل وقال قتادة هم امة محمد صلى الله عليه وسلم المومنون به كاينا من كان وهي اربع وخمسون اية والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض الذي في موضع خفض على النعت او على البدل ويجوز ان يكون في موضع رفع على اضمار مبتدا وان يكون في موضع نصب بمعنى اعني وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد بالرفع والنصب والخفض والحمد الكامل والثنا الشامل كله لله اذ النعم كلها منه وقد مضى الكلام فيه في اول الفاتحة وله الحمد في الاخرة قيل هو قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل هو قوله واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فهو المحمود في الاخرة كما انه المحمود في الدنيا وهو المالك للاخرة كما انه المالك للاولى وهو الحكيم في فعله الخبير بامر خلقه قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض اي ما يدخل فيها من قطر وغيره كما قال فسلكه ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات وما هي له كفات وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والبرد والصواعق والارزاق والمقادير والبركات وقرا علي بن ابي طالب وما ننزل بالنون والتشديد وما يعرج فيها من الملايكة واعمال العباد قاله الحسن وغيره وهو الرحيم الغفور قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تاتينا الساعة قيل المراد اهل مكة قال مقاتل قال ابو سفيان لكفار مكة واللات والعزى لا تاتينا الساعة ابدا ولا نبعث فقال الله تعالى قل يا محمد بلى وربي لتاتينكم روى هرون عن طلق المعلم قال سمعت اشياخنا يقرون قل بلى وربي ليانينكم البعث او امره كما قال هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة او ياتي امر ربك فهولاء الكفار مقرون بالابتداء منكرون الاعادة وهو نقض لما اعترفوا بالقدرة على البعث وقالوا وان قدر لا يفعل فهذا تحكم بعد ان اخبر على

السنة الرسل انه يبعث الخلق واذا ورد الخبر بشي وهو ممكن في الفعل مقدور فتكذيب
من وجب صدقه محال عالم الغيب بالرفع قراة نافع وابن كثير على الابتدا وخبره لا يعزب
عنه وقرا عاصم وابو عمرو عالم الغيب بالخفض اي الحمد لله عالم فعلى هذه القراة لا يحسن الوقف على
قوله لتاتينكم وقرا حمزة والكسائي علام الغيب على المبالغة والنعت لا يعزب عنه اي لا يغيب عنه
ويعزب ايضا قال الفرا والكسر احب الي قال النحاس وهي قراة يحيى ابن وثاب وهي لغة
معروفة يقال عزب يعزب ويعزب اذا بعد وغاب مثقال ذرة اي قدر نملة صغيرة في السموات
ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالفتح فيهما عطفا على ذرة وقراة العامة بالرفع عطفا
على مثقال الا في كتاب مبين فهو العالم بما خلق ولا يخفى عليه شي ليجزي منصوب بلام كي
والتقدير لتاتينكم ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالثواب والكافرين بالعقاب
اوليك يعني المومنين لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم وهو الجنة قوله تعالى والذين
سعوا في اياتنا اي في ابطال ادلتنا والتكذيب باياتنا معاجزين مسابقين يحسبون
انهم يفوتوننا وان الله لا يقدر على بعثهم في الاخرة وظنوا انا نهملهم فهولا لهم عذاب
من رجز اليم يقال عاجزه واعجزه اذا غالبه وسبقه واليم قراة نافع بالكسر نعتا للرجز
فان الرجز هو العذاب قال الله تعالى فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السما وقرا ابن كثير
وحفص عن عاصم عذاب من رجز اليم برفع الميم هنا وفي الجاثية نعتا للعذاب وقرا ابن
كثير وابن محيصن وحميد بن قيس ومجاهد وابو عمرو معجزين اي مثبطين اي ثبطوا الناس
عن الايمان بالمعجزات وايات القران قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك
من ربك هو الحق لما ذكر الذين سعوا في ابطال النبوة بين ان الذين اوتوا العلم يرون
ان القران حق قال مقاتل الذين اوتوا العلم هم مومنوا اهل الكتاب وقال ابن عباس هم
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جميع المومنين وهو اصح لعمومه والروية بمعنى
العلم وهو في موضع نصب عطفا على ليجزي اي ليجزي ويرى قاله الزجاج والفرا وفيه
نظر لان قوله ليجزي متعلق بقوله لتاتينكم الساعة ولا يقال لتاتينكم الساعة ليرى الذين
اوتوا العلم ان القران حق فانهم يرون القران حقا وان لم ياتهم الساعة والصحيح انه رفع
على الاستيناف ذكره القشيري قلت واذا كان ليجزي متعلقا بمعنى اثبت ذلك في كتاب
مبين فيحسن عطف ويرى اي واثبت ايضا ليرى الذين اوتوا العلم ان القران حق فانهم
يرون ان القران حق ويجوز ان يكون مستانفا الذي في موضع نصب على انه مفعول اول
ليرى هو الحق مفعول ثان وهو فاصلة والكوفيون يقولون عماد ويجوز الرفع على ان
يكون مبتدا والحق خبره والجملة في موضع نصب والمفعول الثاني والنصب اكثر فيما كانت
فيه الالف واللام عند جميع النحويين وكذا ما كان نكرة لا يدخله الالف واللام فيشبه
المعرفة فان كان الخبر اسما معروفا نحو قولك كان اخوك هو زيد فزعم الفرا ان الاختيار
فيه الرفع وكذا كان محمد هو عمرو وعلته في اختياره الرفع انه لما لم تكن فيه الالف واللام
اشبه النكرة في قولك كان زيد هو جالس لان هذا لا يجوز فيه الا الرفع ويهدي الى صراط
العزيز الحميد اي يهدي القران الى طريق الاسلام الذي هو دين الله ودل بقوله العزيز
على انه لا يغالب وبقوله الحميد لا يليق به صفة العجز قوله تعالى وقال الذين كفروا
هل ندلكم على رجل وان شيت ادغمت اللام في النون لقربها منها ينبيكم اذا مزقتم كل
ممزق هذا اخبار عمن قال لا تاتينا الساعة اي هل نرشدكم الى رجل ينبيكم اي يقول
لكم انكم تبعثون بعد البلى في القبور وهذا صادر عن فرط انكارهم الزمخشري
فان قلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباوه بالبعث
شايعا عندهم فما معنى قولهم هل ندلكم على رجل ينبيكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة
عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والهزو والسخرية
فاخرجوه مخرج التحلي ببعض الاحاجي التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين
به وبامره واذا في موضع نصب والعامل ينبيكم قاله النحاس ولا يجوز ان يكون
العامل فيها ما بعدها لانه لا يعمل فيما قبله وان لا يتقدم عليهما ما بعدها ولا معمولها والجار

الزجاج

الزجاج ان يكون العامل فيها محذوفا والتقدير اذا مزقتم كل ممزق بعثتم او ينبيكم بانكم
تبعثون اذا مزقتم المهدوي ولا يعمل فيه مزقتم لانه مضاف اليه والمضاف اليه لا يعمل في المضاف
واجازه بعضهم على ان يجعل اذا للمجازاة فيعمل فيها حينيذ ما بعدها لانها غير مضافة اليه واكثر
ما يقع اذا للمجازاة في الشعر ومعنى مزقتم كل ممزق فرقتم كل تفريق والمزق خرق الاشيا
يقال ثوب مزيق وممزوق ومتمزق وممزق قوله تعالى افترى على الله كذبا لما دخلت
الف الاستفهام استغنيت عن الف الوصل فحذفتها وكان فتح الف الاستفهام فرقا بينها وبين
الف الوصل وقد مضى هذا في سورة مريم عند قوله تعالى اطلع الغيب مستوفى ام به جنة هذا
مردود على ما تقدم من قول المشركين والمعنى قال المشركون افترى على الله كذبا والافترا
الاختلاق ام به جنة اي جنون فهو يتكلم بما لا يدري ثم رد عليهم فقال بل الذين لا يومنون بالاخرة
في العذاب والضلال البعيد اي ليس الامر كما قالوا بل هو اصدق الصادقين ومن انكر البعث فهو
غدا في العذاب واليوم في الضلال عن الصواب اذ صاروا الى تعجيز الاله ونسبة الافترا
الى من ايده الله بالمعجزات قوله تعالى افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السما والارض
اعلم الله تعالى ان الذي قدر على خلق السموات والارض وما فيهن قادر على البعث وعلى تعجيل
العقوبة لهم فاستدل بقدرته عليهم وان السموات والارض ملكه وانهما محيطتان بهم من كل جانب
فكيف يامنون الخسف والكسف كما فعل بقارون واصحاب الايكة وقرا حمزة والكسائي ان يشا
يخسف بهم الارض او يسقط عليهم كسفا من السما بالياء في الثلاثة اي ان يشا الله امر الارض فتخسف
بهم او السما فتسقط عليهم كسفا الباقون بالنون على التعظيم وقرا السلمي وحفص كسفا بفتح السين
الباقون بالاسكان وقد تقدم بيانه في سبحان وغيرها ان في ذلك لاية اي في هذا الذي
ذكرناه من قدرتنا لاية اي دلالة ظاهرة لكل عبد منيب اي تايب راجع الى الله بقلبه وخص
المنيب بالذكر لانه المنتفع بالفكرة في حجج الله واياته قوله تعالى ولقد اتينا داود منا
فضلا بين تعالى لمنكري نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ان ارسال الرسل ليس امرا بدعا بل ارسلنا الرسل
وايدناهم بالمعجزات واحللنا بمن خالفهم العقاب اتينا اعطينا فضلا اي امرا فضلناه به على غيره
واختلف في هذا الفضل على تسعة اقوال الاول النبوة الثاني الزبور الثالث العلم قال الله
تعالى ولقد اتينا داود وسليمان علما الرابع
القوة قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد الخامس تسخير الجبال والناس قال الله تعالى
يا جبال اوبي معه السادس التوبة فغفرنا له ذلك الاية السابع الحكم بالعدل يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض الثامن الانة الحديد والنا له الحديد التاسع حسن الصوت وكان داود
عليه السلام ذا صوت حسن ووجه حسن وحسن الصوت هبة من الله تعالى وتفضل منه وهو
المراد بقوله عز وجل يزيد في الخلق ما يشا على ما ياتي وقال صلى الله عليه وسلم لابي موسى لقد
اوتيت مزمارا من مزامير ال داود قال العلما المزمار والمزمور الصوت الحسن وبه سميت الزمارة
مزمارا وقد استحسن كثير من فقها الامصار القراة بالتزيين والترجيع وقد مضى هذا في مقدمة
الكتاب والله اعلم قوله تعالى يا جبال اوبي معه اي وقلنا يا جبال اوبي معه اي سبحي
معه لانه جل وعز قال انا سخرنا الجبال معه يسبحن قال ابو ميسرة هو التسبيح بلسان الحبشة
ومعنى تسبيح الجبال هو ان الله تعالى خلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها
ما يسمع من المسبح معجزة لداود صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى سيري معه حيث شا من
التاويب الذي هو سير النهار اجمع وينزل الليل قال ابن مقبل •

لحقنا بحي اوبوا السير بعدما • دفعنا شعاع الشمس والطرف يجنح •

وقرا الحسن وقتادة وغيرهما اوبي معه اي ارجعي معه من اب يووب اذا رجع اوبا واوبة
وقيل المعنى تصرفي معه على ما يتصرف عليه داود بالنهار فكان اذا قرا الزبور صوتت الجبال
معه واصغت اليه الطير فكانها فعلت ما فعل وقال وهب بن منبه المعنى نوحي معه
والطير تسعده على ذلك فكان اذا نادى بالنياحة اجابته الجبال بصداها وعكفت الطير
عليه من فوقه فصدى الجبال الذي يسمعه الناس انما كان من ذلك اليوم الى هذه الساعة فايد
بمساعدة الجبال والطير لييلا يجد فترة فاذا دخلت الفترة اهتاج اي ثار وتحرك وقوي بمساعدة

الجبال والطير لئلا يجد فترة وكان قد اعطي من الصوت ما يتزاحم الوحوش على صوته وكان
الما الجاري ينقطع عن الجري وقوفا لصوته والطير بالرفع قراة ابن ابي اسحاق ونصر عن عاصم
وابن هرمز ومسلمة بن عبد الملك عطفا على لفظ الجبال او على المضمر في اوبي وحسنه الفصل
مع الباقون بالنصب عطفا على موضع يا جبال اي نادينا الجبال والطير قاله سيبويه وعند ابي عمرو
ابن العلا باضمار فعل على معنى وسخرنا له الطير وقال الكسائي هو معطوف على واتيناه الطير
حملا على ولقد اتينا داود منا فضلا النحاس ويجوز ان يكون مفعولا معه كما تقول استوى
الماء والخشبة وسمعت الزجاج يجيز قمت وزيدا فالمعنى اوبي معه ومع الطير والنا له الحديد
قال ابن عباس صار عنده كالشمع وقال الحسن كالعجين فكان يعمله من غير نار وقال السدي
كان الحديد في يده كالطين المبلول والعجين والشمع يصرفه كيف شاء من غير ادخال نار ولا ضرب
مطرقة وقاله مقاتل وكان يفرغ من الدرع في بعض اليوم او بعض الليل ثمنها الف درهم
وقيل اعطي قوة يلين بها الحديد وسبب ذلك ان داود لما ملك بني اسرائيل لقي ملكا وداود
يظنه انسانا وداود متنكر خرج يسال عن نفسه وسيرته في بني اسرائيل في خفا فقال داود
لذلك الشخص الذي تمثل له ما قولك في هذا الملك داود فقال له الملك نعم العبد لولا خلة
منه قال داود وما هي قال يرتزق من بيت المال ولو اكل من عمل يده لتمت فضايله فرجع فدعى
الله في ان يعلمه صنعة ويسهلها عليه فعلمه صنعة لبوس كما قال جل وعز في سورة الحديد
فالان له الحديد فصنع الدروع فكان يصنع الدرع فيما بين يومه وليلته يساوي الف درهم
حتى ادخر منها كثيرا وتوسعت معيشته منزله ويتصدق على الفقرا والمساكين وكان ينفق
من بيت المال في مصالح المسلمين وهو اول من اتخذ الدروع وصنعها وكانت قبل ذلك صفايح
ويقال انه كان يبيع كل درع منها باربعة الاف والدرع مونثة اذا كانت للحرب ودرع المراة
مذكر مسيلة في هذه الاية دليل على تعلم اهل الفضل الصنايع وان التحرف بها لا ينقص من
مناصبهم بل ذلك زيادة في فضلهم وفضايلهم اذ يحصل لهم التواضع في انفسهم والاستغنا
عن غيرهم وكسب الحلال الخلي عن الامتنان وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان
خير ما اكل المومن من عمل يده وان نبي الله داود كان ياكل من عمل يده وقد مضى هذا في الانعام
مجودا قوله تعالى ان اعمل سابغات اي دروعا سابغات اي كوامل تامات واسغات
يقال سبغ الدرع والثوب وغيرهما اذا غطى كل ما هو عليه وفضل عنه وقدر في السرد
قال قتادة كانت الدروع قبله صفايح فكانت ثقالا فلذلك امر هو بالتقدير فيما يجمع
من الخفة والحصانة اي قدر ما تاخذ من هذين المعنيين بقسطه اي لا تقصد الحصانة
فتثقل ولا الخفة فتزيل المنعة وقال ابن زيد التقدير الذي امر به هو في قدر الحلقة اي
لا تعملها صغيرة فتضعف ولا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فينال لابسها وقال
ابن عباس التقدير الذي امر به هو في المسمار اي لا تعمل مسمار الدرع رقيقا فيقلق ولا
غليظا فيقصم الحلق وروي يقصم بالقاف والفا ايضا رواية في السرد نسج حلق الدرع ومنه
قيل لصانع الدرع السراد والزراد تبدل من السين الزاي كما يقال سراط وزراط والسرد
الخرز يقال سرد يسرد اذا خرز والمسرد الاشفى ويقال سراد وقال الشماخ

• فظنت بتاعا خيلنا في بيوتكم • كما تابعت سرد العنان الخوارز •

والسراد المسير الذي يخرز به قال لبيد

• يشد صفاحها بالروق شزرا • كما خرج السراد من النقال •

ويقال قد سرد الحديث والصوم فالسرد فيهما ان يجي به ولا في نسق واحد ومنه سرد
الكلام ومنه حديث عايشة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يسرد الحديث كسردكم كان يحدث
الحديث لو اراد العاد ان يعده لاحصاه قال سيبويه ومنه رجل مسرد اي جري قال
لا تدقق المسمار فيقلق ولا تغلظه فيفصم ذلك في الدرع وهمان يحكمها فيجعل نظام حلقها ولا يغير مختلف قال
لبيد

• صنع الحديد مضاعفا اسراده • لينال طول العيش غير مروم •

وقال ابو ذويب

• وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع السوابغ تبع •

واعملوا صالحا اي عملا صالحا وهذا خطاب لداود واله كما قال اعملوا ال داود شكرا اي بما تعملون

بصير قوله تعالى ولسليمان الريح قال الزجاج التقدير وسخرنا لسليمان الريح وقراه
عاصم في رواية ابي بكر عنه الريح بالرفع على الابتدا والمعنى له تسخير الريح او بالاستقرار اي ولسليمان
الريح ثابتة وفيه ذلك المعنى الاول فان قال قايل اذا اعطيت زيدا درهما ولعمرو دينارا فرفعته
لم يكن فيه معنى الاول وجاز ان يكون لم يعطه الدينار وقيل الامر كذا وكذلك الاية على خلف في هذا
من جهة المعنى لانه قد علم انه لم يسخرها احد الا الله عز وجل غدوها شهر ورواحها شهر اي مسيرة
شهر قال الحسن كان يغدو من دمشق فيقيل باصطخر وبينهما مسيرة شهر للمسرع ثم يروح من
اصطخر ويبيت بكابل وبينهما شهر للمسرع قال السدي كانت تسير به في اليوم مسيرة شهرين
وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان سليمان اذا جلس نصبت حواليه اربع مائة الف
كرسي ثم جلس روسا الانس مما يليه وجلس سفلة الانس مما يليهم وجلس روسا الجن مما يلي
سفلة الانس وجلس سفلة الجن مما يليهم وموكل بكرسي طاير لعمل قد عرفه ثم تقلهم الريح
والطير تظلهم من الشمس فيغدو من بيت المقدس الى اصطخر فيبيت ببيت المقدس ثم قرا ابن
عباس غدوها شهر ورواحها شهر وقال وهب ذكر لي ان امرا لا بناحية دجلة مكتوبا فيها كتبه
بعض صحابة سليمان اما من الجن واما من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن رايحون منه ان شا الله فبايتون الشام وقال الحسن شغلت سليمن الخيل
حتى فاتته صلاة العصر فعقر الخيل فابدله الله خيرا منها واسرع ابدله الريح تجري بامره حيث
شا غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن زيد كان مستقر سليمان بمدينة تدمر وكان امر
الشياطين قبل شخوصه من الشام الى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الابيض
والاصفر وفيه يقول النابغة • الا سليمان اذ قال الاله له • قم في البرية فاحددها عن الفند •

• وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •
• فمن اطاعك فانفعه بطاعته • كما اطاعك وادلله على الرشد •
• ومن عصاك فعاقبه معاقبة • تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد •

ووجدت هذه الابيات منقورة في صخرة بارض كشكر انشاهن بعض اصحاب سليمان عليه السلام

• ونحن ولا حول سوى حول ربنا • نروح الى الاوطان من ارض تدمر •
• اذا نحن رحنا كان ريث رواحنا • مسيرة شهر والغدو لاخر •
• اناس شروا الله طوعا نفوسهم • بنصر ابن داود النبي المطهر •
• لهم في معالي الدين فضل ورحمة • وان نسبوا يوما فمن خير معشر •
• متى يركبوا الريح المطيعة اسرعت • مبادرة عن شهرها لم تقصر •
• تظلهم طير صفوف عليهم • متى رفرفت من فوقهم لم تنفر •

قوله تعالى واسلنا له عين القطر النحاس عن ابن عباس وغيره اسيلت له مسيرة ثلاثة
ايام كما يسيل الما وكانت بارض اليمن ولم يذب النحاس فيما روي لاحد قبله وكان لا يذوب من
قبله ذايب وانما ينتفع الناس اليوم بما اخرج الله لسليمان قال قتادة اسال الله عينا
يستعملها فيما يريد وقيل لعكرمة الى اين سالت فقال لا ادري وقال ابن عباس ومجاهد
والسدي اجريت له عين الصفر ثلاثة ايام بلياليهن قال القشيري وتخصيص الاسالة
بثلاثة ايام لا يدري ما حده ولعله وهم من الناقل اذ في رواية عن مجاهد انها سالت من
صنعا ثلاث ليال مما يليها وهذا يشير الى بيان الموضع لا الى بيان المدة فالظاهر انه
جعل النحاس لسليمان في معدنه عينا تسيل كعيون المياه دلالة على نبوته قال الخليل القطر
النحاس المذاب قلت دليله قراة من قرا من قطران ومن الجن من يعمل بين يديه باذن
ربه اي باذن امره ومن يزغ منهم عن امرنا اي الذي امرناه به من طاعة سليمان نذقه من
عذاب السعير اي في الاخرة قاله اكثر المفسرين وقيل ذلك في الدنيا وذلك ان الله تعالى
وكل بهم فيما روي عن السدي ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن امر سليمان ضربه بذلك
السوط ضربة من حيث لا يراه فاحرقته ومن في موضع نصب بمعنى وسخرنا له من الجن من
يعمل ويجوز ان يكون في موضع رفع كما تقدم في الريح قوله تعالى يعملون له ما يشا من
محاريب وتماثيل فيه ثمان مسايل الاولى قوله تعالى من محاريب المحاريب في اللغة كل موضع

يرتفع وقيل الذي يصلى فيه محراب لانه يجب ان يرفع و[illegible] قال الضحاك من محاريب
أي مساجد وكذا قال قتادة وقال مجاهد المحراب دون القصور وقال ابو عبيدة المحراب أشرف
بيوت الدار قال امرؤ القيس • وماذا علينا ان ذكرت اوانسا كغزلان رمل في محاريب اقيال •
وقال عدي بن زيد • كدمى العاج في المحاريب او كالبيض في الروض زهره مستنير •
وقيل هو ما يرقى اليه بالدرج كالغرفة الحسنة كما قال اذ تسوروا المحراب وقوله فخرج عليهم
من المحراب اي اشرف عليهم وفي الخبر انه امر ان يعمل حول كرسيه الف محراب فيها الف رجل
عليهم المسوح يصرخون الى الله دائبا وهو على الكرسي في موكبه والمحاريب حوله ويقول لجنوده
اذا ركب سبحوا الله الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال هللوه الى ذلك العلم فاذا بلغوه قال
كبروه الى ذلك العلم الآخر فتلج الجنود بالتسبيح والتهليل لجة واحدة الثانية قوله تعالى وتماثيل
جمع تمثال قيل كانت من زجاج ونحاس ورخام تماثيل اشياء ليست بحيوان وهو كل ما صور على
مثل صورة غيره من حيوان او غير حيوان وذكر انها صور الانبياء عليهم السلام والعلماء وكانت
تصور في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا قال صلى الله عليه وسلم ان اولئك
كان اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اي ليتذكروا
عبادتهم فيجتهدوا في العبادة وهذا يدل على ان التصوير كان مباحا في ذلك الزمان ونسخ
ذلك بشرع محمد عليه الصلاة والسلام وسيأتي لهذا الامر بيان في سورة نوح عليه السلام
وقيل التماثيل طلسمات كان يعملها ويحرم على كل مصور ان يتجاوزها فلا يتجاوزها فيعمل
تمثالا للذباب او للبعوض او للتماسيح في مكان ويأمرهم ان لا يتجاوزوه فلا يتجاوزه
واحد ابدا ما دام ذلك التمثال قائما وواحد التماثيل تمثال بكسر التاء قال •

• ويا رب يوم قد لهوت وليلة • بآنسة كأنها خط تمثال •

وقيل ان هذه التماثيل رجال اتخذهم من نحاس وسأل ربه ان ينفخ فيها الروح ليقاتلوا
في سبيل الله ولا يحيك فيهم السلاح ويقال ان اسفنديار كان منهم والله اعلم وروي انهم
عملوا له اسدين في اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له
ذراعيهما واذا قعد اظله النسران باجنحتهما الثالثة حكى مكي في الهداية له ان فرقة تجوز التصوير
وتحتج بهذه الاية قال ابن عطية وذلك خطأ وما احفظ عن احد من ائمة العلم من
يجوزه قلت ما حكاه مكي ذكره النحاس قبله قال النحاس قال قوم عمل الصور جائز لهذه
الاية ولما اخبر الله جل وعز عن المسيح وقال قوم قد صح النهي عن النبي صلى الله عليه
وسلم عنها والتوعد لمن عملها او اتخذها فنسخ الله عز وجل بهذا ما كان مباحا قبله وكانت
الحكمة في ذلك لانه بعث عليه السلام والصور تعبد فكان الاصلح ازالتها الرابعة التمثال
على قسمين حيوان وموات والموات على قسمين جماد ونام وقد كانت الجن تصنع لسليمان
جميعه لعموم قوله وتماثيل وفي الاسرائيليات ان التماثيل من الطير كانت على كرسي سليمان
فان قيل لا عموم لقوله وتماثيل فانه اثبات في نكرة والاثبات في النكرة لا عموم له انما
العموم في النفي في النكرة قلنا كذلك هو بيد انه قد اقترن بهذا الاثبات في النكرة
ما يقتضي حمله على العموم وهو قوله ما يشاء فاقتران المشيئة به يقتضي العموم له فان قيل
كيف استجاز الصور المنهي عنها قلنا كان ذلك جائزا في شرعه ونسخ ذلك بشرعنا كما بينا
والله اعلم وعن ابي العالية لم يكن اتخاذ الصور اذ ذاك محرما الخامسة مقتضى الاحاديث يدل
على ان الصور ممنوعة ثم جاء الا ما كان رقما في ثوب فخص من جملة الصور ثم ثبتت الكراهية
فيه بقوله عليه السلام لعائشة في الثوب اخريه عني فاني كلما رايته ذكرت الدنيا ثم
بهتكه الثوب المصور على عائشة منع منه ثم بقطعها له وسادتين حتى تغيرت الصورة وخرجت
عن هيئتها بان جواز ذلك اذا لم تكن الصورة فيه متصلة الهيئة ولو كانت متصلة الهيئة لم
يجز لقولها في النمرقة المصورة اشتريتها لك لتقعد عليها وتتوسدها فمنع منه وتوعد
عليه وتبين بحديث الصلاة الى الصور ان ذلك جائز في الرقم في الثوب ثم نسخه المنع
منه فهكذا استقر الامر فيه والله اعلم قاله ابن العربي السادسة روى مسلم عن عائشة
قالت كان لنا ستر فيه تمثال طائر وكان الداخل اذا دخل استقبله فقال لي رسول الله صلى

الله

الله عليه وسلم حولي هذا فاني كلما دخلت فرأيته ذكرت الدنيا قالت وكانت لنا قطيفة كنا نقول
علمها حرير فكنا نلبسها وعنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا مستترة بقرام فيه
صور فتلون وجهه ثم تناول الستر فهتكه ثم قال ان من اشد الناس عذابا يوم القيامة
الذين يشبهون بخلق الله عز وجل وعنها انه كان لها ثوب فيه تصاوير ممدود الى سهوة فكان
النبي صلى الله عليه وسلم يصلي اليه فقال اخريه عني قالت فاخرته عنه فجعلته وسائد
قال بعض العلماء ويمكن ان يكون تهتيكه عليه السلام الثوب وامره بتاخيره ورعا لان محل
النبوة والرسالة الكمال فتامله السابعة قال المزني عن الشافعي ان دعي رجل الى عرس فراى
صورة ذات روح او صورا ذات ارواح لم يدخل ان كانت منصوبة وان كانت توطا فلا باس
وان كانت صور الشجر ولم يختلفوا ان التصاوير في الستور المعلقة مكروهة غير محرمة وكذلك
عندهم ما كان خرطا او نقشا في البناء واستثنى بعضهم ما كان رقما في ثوب لحديث سهل بن حنيف
قلت لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم المصور ولم يستثن وفي الترمذي عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج عنق من النار له عينان تبصران واذنان تسمعان
ولسان ينطق يقول اني وكلت بثلاثة بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله الها اخر وبالمصورين
قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب وفي البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون يدل على المنع
من تصوير شيء اي شيء كان وقد قال جل وعز ما كان لكم ان تنبتوا شجرها على ما تقدم بيانه
الثامنة وقد استثني من هذا الباب لعب البنات لما ثبت عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجها وهي بنت سبع سنين وزفت اليه وهي بنت تسع ولعبها معها ومات عنها وهي بنت ثمان
عشرة سنة وعنها ايضا قالت كنت العب بالبنات عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان لي صواحب
يلعبن معي فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل يتقمعن منه فيسربهن الي فيلعبن
معي خرجهما مسلم قال العلماء وذلك للضرورة الى ذلك وحاجة البنات حتى يتدربن على تربية
اولادهن ثم انه لا بقاء لذلك وكذلك ما يصنع من الحلاوة او من العجين لا بقاء له فرخص في ذلك
والله اعلم قوله تعالى وجفان كالجواب قال ابن عرفة الجوابي جمع الجابية وهي حفيرة كالحوض
وقال مجاهد كحياض الابل وقال ابن القاسم عن مالك كالجوبة من الارض والمعنى متقارب
وكان يقعد على الجفنة الواحدة الف رجل النحاس وجفان كالجواب الاولى ان يكون بالياء ومن
حذف الياء قال سبيل الالف واللام ان تدخل على النكرة فلا يغيرها عن حالها فلما كان يقال
جواب ودخلت الالف واللام اقر على حاله فحذف الياء وواحد الجوابي جابية وهي القدر العظيمة
والحوض العظيم الكبير الذي يجبى فيه الشيء اي يجمع ومنه جبيت الخراج وجبيت الجراد اي جعلت
الكساء فجمعته فيه الا ان ليثا روى عن مجاهد قال الجوابي جمع جوبة والجوبة الحفرة الكبيرة
تكون في الجبل فيها ماء المطر وقال الكسائي جبوت الماء في الحوض وجبيته اي جمعته والجابية
الحوض الذي يجبى فيه الماء للابل قال •

• تروح على آل المحلق جفنة • كجابية الشيخ العراقي تفهق •

ويروى يفي الذم على آل المحلق جفنة كجابية السيح ذكره النحاس قوله تعالى وقدور
راسيات قال سعيد بن جبير هي قدور النحاس تكون بفارس وقال الضحاك هي قدور
تعمل من الجبال غيره قد نحتت من الجبال الصم مما عملت له الشياطين اثافيها منها منحوتة هكذا
من الجبال ومعنى راسيات ثوابت لا تحمل ولا تحرك لعظمها قال ابن العربي وكذلك كانت قدور
عبد الله بن جدعان يصعد اليها في الجاهلية بسلم وعنها عبر طرفة بن العبد بقوله
كالجوابي لا تني مترعة لقرى الاضياف او للمحتضر قال ابن العربي ورأيت برباط ابي سعيد
قدر الصوفية على نحو ذلك فانهم يطبخون جميعا وياكلون جميعا من غير استئثار واحد منهم
على احد قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور قد مضى معنى
الشكر في البقرة وغيرها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فتلا هذه الاية ثم قال
ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي آل داود فقلنا ما هن فقال العدل في الرضا
والغضب والقصد في الغنى والفقر وخشية الله في السر والعلانية خرجه الترمذي الحكيم

ابو عبد الله بن عطا بن يسار عن ابي هريرة وروي ان داود عليه السلام قال يارب كيف اطيق شكرك على نعمك والهامي وقدرتي على شكرك نعمة لك فقال ياداود الان عرفتني وقد مضى هذا المعنى في سورة ابراهيم وان الشكر حقيقته الاعتراف بالنعمة للمنعم واستعمالها في المعصية وقليل من يفعل ذلك لان الخير اقل من الشر والطاعة اقل من المعصية بحسب سابق التقدير وقال مجاهد لما قال الله عز وجل اعملوا ال داود شكرا قال داود لسليمان ان الله قد ذكر الشكر فاكفني صلاة النهار اكفك صلاة الليل قال لا اقدر قال فاكفني قال الفاريابي اراه قال الى صلاة الظهر قال نعم فكفاه وقال الزهري اعملوا ال داود شكرا اي قولوا الحمد لله وشكرا نصب على جهة المفعول اي اعملوا عملا هو الشكر وكان الصيام والصلاة والعبادات كلها هي في نفسها الشكر اذ سدت مسده ويبين هذا قوله الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وهو المراد بقوله وقليل من عبادي الشكور وقد قال سفيان بن عيينة في تاويل قوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك ان المراد بالشكر الصلوات الخمس وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه فقالت له عايشة ما تصنع هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا انفرد باخراجه مسلم فظاهر القران والسنة ان الشكر بعمل الابدان دون الاقتصار على عمل اللسان فالشكر بالافعال عمل الاركان والشكر بالاقوال عمل اللسان قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور يحتمل ان تكون مخاطبة لال داود ويحتمل ان تكون مخاطبة لمحمد عليه السلام قال ابن عطية وعلى كل وجه ففيه تنبيه وتحريض وسمع عمر بن الخطاب رجلا يقول اللهم اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعا فقال الرجل اردت قوله تعالى وقليل من عبادي الشكور فقال عمر رضي الله عنه كل الناس اعلم منك يا عمر وروي ان سليمان عليه السلام كان ياكل الشعير ويطعم اهله الخشكار ويطعم المساكين الدرمك وقد قيل انه كان ياكل الرماد ويتوسده والاول اصح اذ الرماد ليس بقوت وروي انه ما شبع قط فقيل له في ذلك فقال اخاف ان شبعت ان انسى الجايع وهذا من الشكر ومن القليل فتامله قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت اي فلما حكمنا على سليمان بالموت حتى صار كالامر المفروغ منه ووقع به الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تاكل منساته وذلك انه كان متكيا على المنساة وهي العصا بلسان الحبشة في قول السدي وقيل هي بلغة اهل اليمن ذكره القشيري فمات كذلك وبقي خافي الحال الى ان سقط ميتا لانكسار العصا لاكل الارضة اياها فعلم موته بذلك فكانت الارضة دالة على موته اي سببا لظهور موته وكان سال الله ان لا يعلموا بموته حتى تمضي عليه سنة واختلفوا في سبب سواله لذلك على قولين احدهما ما قاله قتادة وغيره قال كانت الجن تدعي علم الغيب فلما مات سليمان وخفي موته عليهم تبينت الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ابن مسعود اقام حولا والجن تعمل بين يديه حتى اكلت الارضة منساته فسقط ويروى انه لما سقط لم يعلم منذ مات فوضعت الارضة على العصا فاكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك فوجدوه قد مات منذ سنة وقيل كان رؤسا الجن سبعة وكانوا منقادين لسليمان عليه السلام وكان داود اسس بيت المقدس فلما مات اوصى الى سليمان في اتمام مسجد بيت المقدس فامر سليمان الجن به فلما دنا وفاته قال لاهله لا تخبروهم بموتي حتى يتموا بنا المسجد وكان بقي لاتمامه سنة وفي الخبر ان ملك الموت كان صديقه فساله عن اية موته فقال ان تخرج من موضع سجودك شجرة يقال لها الخرنوبة فلم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت في بيت المقدس شجرة فيسالها ما اسمك فتقول الشجرة كذا وكذا فيقول ولاي شي انت فتقول لكذا وكذا فيامر بها فتقطع وتغرس في بستان له ويكتب منافعها ومضارها واسمها وما تصلح له في الطب فبينما هو يصلي ذات يوم اذ راى شجرة نبتت بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاي شي انت قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان ما كان الله ليخربه وانا حي انت التي على وجهك هلاكي وهلاك بيت المقدس فنزعها وغرسها في حايطه ثم قال اللهم عم عن الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب اشيا وانهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفنه وتحنط ودخل المحراب فقام يصلي واتكا على عصاه على كرسيه فمات ولم

تعلم

تعلم الجن الى ان مضت سنة وتم بنا بيت المقدس قال ابو جعفر النحاس وهذا احسن ما قيل في الاية ويدل على صحته الحديث المرفوع روى ابراهيم بن طهمان عن عطا بن السايب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي الله سليمان اذا صلى راى شجرة نابتة بين يديه فيسالها ما اسمك فان كانت لغرس غرست وان كانت لدوا كتبت فبينما هو يصلي ذات يوم واذا شجرة نابتة بين يديه فقال ما اسمك قالت الخروب فقال لاي شي انت قالت لخراب هذا البيت قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكا عليها حولا لا يعلمون الغيب فنظروا في مقدار ذلك فوجدوه سنة وفي قراة ابن مسعود وابن عباس تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا وقرا يعقوب في رواية رويس تبينت الجن على ما لم يسم فاعله ونافع وابو عمرو تاكل منساته بالف بين السين والتا من غير همز والباقون بهمزة مفتوحة موضع الالف لغتان الا ان ابن ذكوان اسكن الهمزة تخفيفا قال الشاعر

اذا دببت على المنساة من كبر ❊ فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وقال اخر ❊ ضربنا بمنساة وجهه ❊ فصار بذاك مهينا ذليلا

وقال اخر ❊ امن اجل حبل لا اباك ضربته ❊ بمنساة قد جر حبلك احبلا

وقال اخر ❊ وقايم قد قام من تكاته ❊ كقومة الشيخ الى منساته

واصلها من نسات الغنم اي زجرتها وسقتها فسميت العصا بذلك لانه يزجر بها الشي ويساق قال طرفه

امون كالواح الاران نساتها ❊ على لاحب كانه ظهر برجد

فسكن همزها قال النحاس واشتقاقها يدل على انها مهموزة لانها مشتقة من نساته اي اخرته ودفعته فقيل لها منساة لانها يدفع بها الشي ويوخر وقال مجاهد وعكرمة هي العصا ثم قرا منساته ابدلت الهمزة الفا فان قيل البدل من الهمز قبيح جدا وانما يجوز في الشعر على بعد وشذوذ وابو عمرو بن العلا لا يغيب عنه مثل هذا لاسيما واهل المدينة على هذه القراة فالجواب على هذا ان العرب استعملت في هذه الكلمة البدل ونطقوا بها هكذا كما يقع البدل في غير هذا ولا يقاس عليه حتى قال ابو عمرو لست ادري ممن هو الا انها غير مهموزة لان ما كان مهموزا فقد يترك همزه وما لم يكن مهموزا لم يجز همزه بوجه المهدوي ومن قرا بهمزة ساكنة فهو شاذ بعيد لان هاء التانيث لا يكون ما قبلها الا متحركا او الفا لكنه يجوز ان يكون مما سكن من المفتوح استخفافا ويجوز ان يكون لما ابدلت الهمزة الفا على غير قياس قلب الالف همزة كما قلبوها في قولهم العالم والخاتم وروي عن سعيد بن جبير من مفصولة نساته مهموزة مكسورة التا فقيل انه من سية القوس في لغة من همزها وقد روي همز سية القوس عن روبة قال الجوهري سية القوس ما عطف من طرفيها والجمع سيات والهاء عوض من الواو والنسبة اليها سيوي قال ابو عبيدة كان روبة يهمز سية القوس وساير العرب لا يهمزونها وفي دابة الارض قولان احدهما انها الارضة قاله ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقد قري دابة الارض بفتح الرا وهو جمع الارضة ذكره المهدوي الثاني انها دابة تاكل العيدان قال الجوهري والارضة بالتحريك دويبة تاكل الخشب يقال ارضت الخشبة تورض ارضا بالتسكين فهي ماروضة اذا اكلتها قوله تعالى فلما خر اي سقط تبينت الجن قال الزجاج اي تبينت الجن موته وقال غيره المعنى تبينت امر الجن مثل واسال القرية وفي التفسير بالاسانيد الصحاح عن ابن عباس قال اقام سليمان ابن داود صلى الله عليه وسلم حولا لا يعلم بموته وهو متكيا على عصاه والجن منصرفة فيما كان امرها به ثم سقط بعد حول فلما خر تبينت الانس ان لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وهذه القراة من ابن عباس على جهة التفسير وفي الخبر ان الجن شكرت ذلك للارضة فاينما كانت ياتونها بالما قال السدي والطين الم تر الى الطين الذي في جوف الخشب فانه مما تاتيها الشياطين شكرا وقالت لو كنت تاكلين الطعام والشراب لاتيناك بهما وان في موضع رفع على البدل من الجن والتقدير تبين امر الجن فحذف المضاف اي تبين وظهر للانس لهم امر الجن انهم لا يعلمون الغيب وهذا بدل الاشتمال ويجوز ان يكون في موضع نصب على تقدير حذف اللام ولبثوا اقاموا والعذاب المهين السخرة والحمل والبنيان وغير ذلك فعمر

سليمان ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه اربعون سنة فملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة
وابتدأ في بنيان بيت المقدس وهو ابن سبع عشرة سنة وقال السدي وغيره كان عمر سليمان
اثنتين وستين سنة وملك وهو ابن سبع عشرة سنة وابتدأ في بنيان بيت المقدس وهو
ابن عشرين سنة وكان ملكه خمسين سنة وحكي ان سليمان عليه السلام ابتدأ بنيان بيت
المقدس في السنة الرابعة من ملكه وقرب بعد فراغه اثني عشر الف ثور ومائة وعشرين
الف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيدا وقام على الصخرة رافعا يديه
الى الله تعالى بالدعا فقال اللهم انت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا
المسجد اللهم فاوزعني شكرك على ما انعمت علي وتوفني على ملتك ولا تزغ قلبي بعد
اذ هديتني اللهم اني اسالك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذنب دخل
للتوبة الا غفرت له وتبت عليه ولا خائف الا امنته ولا سقيم الا شفيته ولا فقير الا
اغنيته والخامسة ان لا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه الا من اراد الحادا او ظلما يا رب
العالمين ذكره الماوردي قلت وهذا اصح مما تقدم انه لم يفرغ بناوه الا بعد موته بسنة
والدليل على صحة هذا ما خرجه النساي وغيره باسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سال الله تعالى خلالا ثلاثة
حكما يصادف حكمه فاوتيه وسال الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسال الله حين
فرغ من بناء المسجد ان لا ياتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه ان يخرجه الا كيوم ولدته
امه وقد ذكرنا هذا الحديث في الاسرا وذكرنا بناءه في سبحان والحمد لله قوله تعالى
لقد كان لسبا في مساكنهم اية قرا نافع وغيره بالصرف والتنوين على انه اسم حي وهو في الاصل
اسم رجل جا بذلك التوقيف عن النبي صلى الله عليه وسلم روى الترمذي قال حدثنا ابو
كريب وعبد بن حميد قالا ثنا ابو اسامة عن الحسن بن الحكم النخعي قال حدثنا ابو سبرة
النخعي عن فروة بن مسيك المرادي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله
الا اقاتل من ادبر من قومي من اقبل منهم فاذن لي في قتالهم وامرني فلما خرجت من عنده
سال عني ما فعل الغطيفي فاخبر اني قد سرت قال فارسل في اثري فردني فاتيته وهو في
نفر من اصحابه فقال ادع القوم فمن اسلم منهم فاقبل منه ومن لم يسلم فلا تعجل حتى احدث
اليك قال وانزل في سبا ما انزل فقال رجل يا رسول الله وما سبا ارض او امراة قال ليس بارض
ولا امراة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم اربعة فاما الذين
تشاءموا فلخم وجذام وغسان وعاملة واما الذين تيامنوا فالازد والاشعريون وحمير
وكندة ومذحج وانمار فقال رجل يا رسول الله وما انمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة وروي
هذا عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو عيسى هذا حديث حسن غريب
وقرا ابن كثير وابو عمرو لسبا بغير صرف جعله اسما للقبيلة وهو اختيار ابي عبيد واستدل
على انه اسم قبيلة ان بعده في مساكنهم النحاس ولو كان كما قال لكان في مساكنها وقد
مضى في النمل زيادة لهذا المعنى وقال الشاعر في الصرف

* الواردون وتيم في ذرى سبا * قد عض اعناقهم جلد الجواميس *

وقال اخر في الصرف * من سبا الحاضرين مارب اذ * يبنون من دون سيله العرما *

وقرا قنبل وابو حيوة والجحدري لسبا باسكان الهمزة في مساكنهم قراءة العامة على الجمع
وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم لان لهم مساكن كثيرة وليس بمسكن واحد وقرا ابراهيم
وحمزة وحفص مسكنهم موحدا الا انهم فتحوا الكاف وقرا يحيى والاعمش والكسائي
موحدا كذلك الا انهم كسروا الكاف قال النحاس ومسكن في هذا ابين لانه يجمع اللفظ
والمعنى فاذا قلت مسكنهم كان فيه تقديرات احدها ان يكون واحدا يودي عن الجمع
والاخر ان يكون مصدرا لا يثنى ولا يجمع كما قال جل وعز ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم فجا بالسمع موحدا وكذا مقعد صدق ومسكن مثل مسجد خارج عن القياس
ولا يوجد مثله الا سماعا اية اسم كان اي علامة دالة على قدرة الله عز وجل على ان
لهم خالقا خلقهم وان كل الخلائق لو اجتمعوا على ان يخرجوا من الخشبة ثمرة لم يمكنهم ذلك

ولم

ولم يهتدوا الى اختلاف اجناس الثمار والوانها وطعومها وروايحها وازهارها وفي ذلك
ما يدل على انها لا تكون الا من عالم قادر جنتان يجوز ان تكون بدلا من اية ويجوز ان تكون خبر
ابتدا محذوف فيوقف على هذا الوجه لانه وليس بتمام قال الزجاج اي الاية جنتان فجنتان
رفع لانه خبر ابتدا محذوف وقال الفرا رفع تفسيرا للاية ويجوز ان تنصب اية على انها خبر كان
ويجوز ان تنصب الجنتين على الخبر ايضا في غير القران وقال عبد الرحمن بن زيد ان الاية التي
كانت لاهل سبا في مساكنهم انهم لم يروا فيها بعوضة قط ولا ذبابا ولا برغوثا ولا قملة ولا عقربا
ولا حية ولا غيرها من الهوام واذا جاهم الركب في ثيابهم القمل والدواب فاذا نظروا الى بيوتهم
ماتت الدواب وقيل ان الاية هي الجنتان كانت المراة تمشي فيهما وعلى راسها مكتل فيمتلي من
انواع الفواكه من غير ان تمسها بيدها قاله قتادة وروي ان الجنتين كانتا بين جبلين باليمن
قال سفيان وجد فيهما قصران مكتوب على احدهما نحن بنينا سلحين في سبعين خريفا دايبين
وعلى الاخر مكتوب نحن بنينا صرواح مقيل ومراح فكانت احدى الجنتين عن يمين الوادي والاخرى
عن شماله قال القشيري ولم يرد جنتين اثنتين بل اراد من الجهتين يمنة ويسرة اي كانت بلادهم ذات
بساتين واشجار وثمار تستتر الناس بظلالها كلوا من رزق ربكم اي قيل لهم كلوا ولم يكن ثم امر
ولكنهم تمكنوا من تلك النعم وقيل اي قالت الرسل لهم قد اباح الله لكم هذه النعم فاشكروه
بالطاعة من رزق ربكم اي من ثمار الجنتين واشكروا له يعني على ما رزقكم بلدة طيبة هذا
كلام مستانف اي هذه بلدة طيبة اي كثيرة الثمار وقيل غير سبخة وقيل طيبة ليس فيها هوام
لطيب هوايها قال مجاهد هي صنعا ورب غفور اي والمنعم بها عليكم رب غفور يستر ذنوبكم
فجمع لهم بين المغفرة لذنوبهم وطيب بلدهم ولم يجمع ذلك لجميع خلقه وقيل انما ذكر المغفرة
مشيرا الى ان الرزق قد يكون فيه حرام وقد مضى القول في هذا في البقرة وقيل انما امتن
عليهم بعفوه عن عذاب الاستيصال بتكذيب من كذبوه من سالف الانبيا الى ان استداموا
الاصرار فاستوصلوا قوله تعالى فاعرضوا اي عن امره واتباع رسله بعد ان كانوا مسلمين
قال السهيلي وهب بعث الى اهل سبا ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم قال القشيري وكان لهم رييس
يلقب بالحمار وكانوا في زمن الفترة بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم وسلامه وقيل كان له
ولد فمات فرفع راسه الى السما فبزق وكفر فلهذا يقال اكفر من حمار وقال الجوهري وغيره
اكفر من حمار وهو رجل من عاد مات له اولاد فكفر كفرا عظيما فلا يمر بارضه احد الا دعاه الى الكفر
فان اجابه والا قتله ثم لما سال السيل بجنتهم تفرقوا في البلاد على ما ياتي ولهذا قيل في
المثل تفرقوا ايادي سبا وقيل الاوس والخزرج منهم فارسلنا عليهم سيل العرم العرم فيما
روي عن ابن عباس السد فالتقدير سيل السد العرم وقال عطا العرم اسم الوادي قتادة
العرم وادي سبا كان يجتمع اليه مسايل من الاودية قيل من البحر واودية اليمن فردموا ردما
بين جبلين وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة ابواب بعضها فوق بعض فكانوا يسقون من
الاعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجاتهم فاخصبوا وكثرت اموالهم فلما كذبوا الرسل
سلط الله عليهم الفار فنقب الردم قال وهب كانوا يزعمون انهم يجدون في علمهم وكهانتهم
انه يخرب سدهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا الى جانبها هرة فلما جا ما
اراد الله بهم اقبلت فارة حمرا الى بعض تلك الهرر فساورتها حتى استاخرت عن الجحر ثم وثبت
ودخلت في الفرجة التي كان عندها ونقبت السد حتى اوهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جا
السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الما على اموالهم فغرقها ودفن بيوتهم وقال
الزجاج العرم اسم الجرذ الذي نقب السكر عليهم وهو الذي يقال له الخلد قاله قتادة ايضا
فنسب السيل اليه لانه سببه وقال ابن الاعرابي ايضا العرم من اسما الفار وقال مجاهد
وابن ابي نجيح العرم ما احمر ارسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه وعن ابن عباس ايضا
ان العرم المطر الشديد وقيل العرم سكون الرا وعن الضحاك كانوا في الفترة بين عيسى ومحمد
عليهم السلام وقال عمرو بن شرحبيل العرم المسناة وقاله الجوهري قال ولا واحد لها من لفظها
ويقال واحدها عرمة وقال محمد بن يزيد العرم كل شي حاجز بين شيين وهو الذي
يسمى السكر وهو جمع عرمة النحاس وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة فهو

العرم والمسنّاة هي التي يسميها أهل مصر الجسر فكانوا يفتحونها إذا شاءوا فإذا رويت
جنّاتهم سدّوها قال الهروي المسنّاة الضفيرة تبنى للسيل ترده سميت مسنّاة لأن فيها مفاتح
الماء وحكى أن العرم سدّ بنته بلقيس زوجة سليمان عليه السلام وهو المسنّاة بلغة حمير
بنته بالصخر والقار وجعلت له أبوابًا ثلاثة بعضها فوق بعض وهو مشتق من العرامة
وهي الشدة يقال رجل عارم أي شديد وعرمت العظم أعرمه وأعرمه عرمًا إذا عرقته
وكذلك عرمت الإبل الشجر أي نالت منه والعُرام بالضم العُراق من العظم والشجر وتعرّمت
العظم تعرّقته وصبي عارم بيّن العُرام بالضم أي شرس وقد عرم يعرم ويعرُم عرامة بالفتح والعرم
العرم عن الجوهري قوله تعالى وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وقرأ أبو عمرو
أكل خمط بغير تنوين مضافًا قال أهل التفسير والخمط الأراك الجوهري الخمط ضرب من
الأراك له حمل يؤكل وقال أبو عبيدة هو كل شجرة ذي شوك فيه مرارة لا يمكن أكله المبرد
الخمط كل ما تغيّر إلى ما لا يشتهى واللبن خمط إذا حمض والأولى عنده في القراءة ذواتي أكل
خمط بالتنوين على أنه نعت لأكل أو بدل منه لأن الأكل هو الخمط بعينه عنده فأما الإضافة
فباب جوازها أن يكون تقديرها ذواتي أكل حموضة وأكل مرارة وقال الأخفش والإضافة
أحسن في كلام العرب نحو قولهم ثوب خزّ والخمط اللبن الحامض وذكر أبو عبيد أن اللبن
إذا ذهب عنه حلاوة الحلب ولم يتغير طعمه فهو سامط وإن أخذ شيئًا من الريح فهو خامط
وخميط فإن أخذ شيئًا من طعم فهو ممحل فإذا كان فيه طعم الحلاوة فهو فوهه وتخمّط الفحل
هدر وتخمّط فلان أي تغضّب وتكبّر وتخمّط البحر أي التطم وخمطت الشاة أخمطها خمطًا إذا
نزعت جلدها وشويتها فهو خميط والخمطة الخمر التي قد أخذت ريح الإدراك كريح التفاح
ولم تدرك بعد ويقال هي الحامضة قاله الجوهري وقال الجوهري في أدب الكاتب يقال
للحامضة خمطة ويقال الخمطة التي قد أخذت شيئًا من الريح وأنشد
عقار كماء النيّ ليست بخمطة ◦ ولا خلّة يكوي الشروب شهابها
والأثل قال الفراء هو شبيه بالطرفاء إلا أنه أعظم منه طولًا ومنه اتخذ منبر رسول الله صلى
الله عليه وسلم وللأثل أصول غليظة يتخذ منها الأبواب وورقه كورق الطرفاء الواحدة
أثلة والجمع أثلات وقال الحسن الأثل الخشب قتادة هو ضرب من الخشب يشبه الطرفاء
رأيته بفيد وقيل هو السمر وقال أبو عبيدة هو شجر النضار وشيء من سدر قليل قال
الفراء هو السمر ذكره النحاس وقال الأزهري السدر من الشجر سدران بري لا ينتفع به ولا
يصلح ورقه للغسول وله ثمر عفص لا يؤكل وهو الذي يسمى الضال والثاني سدر ينبت
على الماء وثمره النبق وورقه غسول يشبه شجر العناب قال قتادة بينما شجر القوم من
خير الشجر إذ صيّره الله من شر الشجر بأعمالهم فأهلك أشجارهم المثمرة وأنبت بدلها الأراك
والطرفاء والسدر البري وأشجار البوادي لا تسمى جنة وبستانًا ولكن لما وقعت الثانية
في مقابلة الأولى أطلق لفظ الجنة وهو كقوله وجزاء سيئة سيئة ويحتمل أن يرجع قوله
قليل إلى جملة ما ذكر من الخمط والأثل والسدر قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا
أي هذا التبديل جزاء كفرهم وموضع ذلك نصب أي جزيناهم ذلك بكفرهم وهل يجازى إلا
الكفور قراءة العامة يجازى بياء مضمومة وزاي مفتوحة الكفور رفعًا على ما لم يسم فاعله
وقرأ يعقوب وحفص وحمزة والكسائي نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب واختاره
أبو عبيد وأبو حاتم قالا لأن قبله جزيناهم ولم يقل جوزوا النحاس والأمر في هذا واسع
والمعنى فيه بيّن ولو قال قائل خلق الله آدم صلى الله عليه وسلم من طين وقال آخر خلق آدم
من طين لكان المعنى واحدًا مسألة في هذه الآية سؤال ليس في السورة أشد منه وهو
أن يقال لم خص الله المجازاة بالكفور ولم يذكر أصحاب المعاصي فتكلم العلماء في هذا فقال قوم ليس
يجازى بهذا الجزاء الذي هو الاصطلام والإهلاك إلا من كفر وقال مجاهد يجازى بمعنى
يعاقب وذلك أن المؤمن يكفر عنه سيئاته والكافر يجازى بكل سوء عمله فالمؤمن يجزى ولا
يجازى لأنه يثاب وقال طاوس هو المناقشة في الحساب وأما المؤمن فلا يناقش الحساب
وقال قطرب خلاف هذا فجعلها في أهل المعاصي غير الكفار وقال المعنى على من كفر بالنعم

وعمل

وعمل بالكبائر النحاس وأولى ما قيل في هذه الآية وأجلّ ما روي فيها أن الحسن قال مثلًا بمثل
وعن عائشة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حوسب هلك فقلت
يا نبي الله فأين قوله تعالى فسوف يحاسب حسابًا يسيرًا قال إنما ذلك العرض ومن نوقش الحساب
هلك وهذا إسناد صحيح وشرحه أن الكافر يكافأ على أعماله ويحاسب عليها ويحبط ما عمل من خير
ويبين هذا قوله عز وجل في الأول ذلك جزيناهم بما كفروا وفي الثاني وهل يجازى ومعنى يجازى
يكافأ بكل عمل ومعنى جزيناهم وفيناهم فهذا حقيقة اللغة وإن كان جازى يقع بمعنى جزى مجازًا
قوله تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة قال الحسن يعني بين اليمن
والشام والقرى التي بورك فيها الشام والأردن وفلسطين والبركة قيل إنها كانت أربعة آلاف
وسبعمائة قرية بورك فيها بالشجر والثمر والماء ويحتمل أن يكون باركنا فيها بكثرة العدد قرى
ظاهرة وقال ابن عباس يريد بين المدينة والشام وقال قتادة معنى ظاهرة متصلة على
الطريق يغدون فيقيلون في قرية ويروحون فيبيتون في قرية وقيل كان على كل ميل قرية
بسوق وهو سبب أمن الطريق قال الحسن كانت المرأة تخرج معها مغزلها وعلى رأسها مكتلها
فيمتلي من كل الثمار وكان ما بين الشام واليمن كذلك وقيل ظاهرة أي مرتفعة قاله المبرد وإنما قيل
لها ظاهرة لظهورها أي إذا خرجت من هذه ظهرت لك الأخرى فكانت قرى ظاهرة أي معروفة
يقال هذا أمر ظاهر أي معروف وقدرنا فيها السير أي جعلنا فيها السير بين قراهم وبين القرى
التي باركنا فيها سيرًا مقدرًا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية والمبيت في أخرى وإنما بالغ
[illegible] القرى أي جعلنا بين كل قريتين نصف يوم يكون المقيل في قرية والمبيت في أخرى
وإنما يبالغ الإنسان في السير لعدم الزاد والماء ولخوف الطريق فإذا وجد الزاد والأمن
لم يحمل على نفسه المشقة ونزل أينما أراد سيروا فيها أي وقلنا لهم سيروا فيها أي في هذه المسافة
فهو أمر تمكين أي كانوا يسيرون فيها إلى مقاصدهم إذا أرادوا آمنين فهو أمر بمعنى الخبر وفيه
إضمار القول ليالي وأيامًا ظرفان آمنين نصب على الحال وقيل ليالي وأيامًا بلفظ النكرة تنبيهًا
على قصر أسفارهم أي كانوا لا يحتاجون إلى طول السفر لوجود ما يحتاجون إليه قال قتادة
كانوا يسيرون غير خائفين ولا جياع ولا ظماء وكانوا يسيرون مسيرة أربعة أشهر في أمان لا يحرك
بعضهم بعضًا ولو لقي الرجل قاتل أبيه لم يحركه قوله تعالى فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا
لما بطروا وطغوا وسئموا الراحة ولم يصبروا على العافية تمنوا طول الأسفار والكدح في المعيشة
كقول بني إسرائيل ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها الآية وكالنضر بن الحارث حين
قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فأجابه الله وقتل يوم
بدر بالسيف صبرًا فكذلك هؤلاء تبددوا في الدنيا ومزقوا كل ممزق وجعل بينهم وبين الشام
فلوات ومفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الأزواد وقراءة العامة ربنا بالنصب على أنه
نداء مضاف وهو منصوب لأنه مفعول به لأن معناه ناديت ودعوت باعد سألوا المباعدة
في أسفارهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن محيصن وهشام عن ابن عامر ربنا كذلك على الدعاء بعّد من
التبعيد النحاس وباعد وبعّد واحد في المعنى كما تقول قارب وقرّب وقرأ أبو صالح ومحمد بن الحنفية
وأبو العالية ونصر بن عاصم ويعقوب ويروى عن ابن عباس ربنا رفعًا باعد بفتح العين
والدال على الخبر تقديره لقد باعد ربنا بين أسفارنا كأن الله تعالى يقول لهم قربنا لهم أسفارهم
فقالوا أشرًا وبطرًا لقد بوعدت علينا أسفارنا واختار هذه القراءة أبو حاتم قال لأنهم ما
طلبوا التبعيد إنما طلبوا أقرب من ذلك القرب بطرًا وعجبًا مع كفرهم وقراءة يحيى بن يعمر
وعيسى بن عمر وتروى عن ابن عباس ربنا بعّد بين أسفارنا بشد العين من غير ألف وفسرها
ابن عباس قال شكوا أن ربهم باعد بين أسفارهم وقراءة سعيد بن أبي الحسن أخي الحسن
البصري ربنا بعُد بينُ أسفارنا ربنا نداء مضاف ثم أخبروا بعد ذلك فقالوا بعُد بينُ أسفارنا
ورفع بين بالفعل أي بعُد ما يتصل بأسفارنا وروى الفراء وأبو إسحاق قراءة سادسة مثل
الذي قبلها في ضم العين إلا أنك تنصب بين على أنه ظرف وتقديره في العربية بعُد سيرنا
بين أسفارنا النحاس وهذه القراءات إذا اختلفت معانيها لم يجز أن يقال إحداها أجود من
الأخرى كما لا يقال ذلك في أخبار الآحاد إذا اختلفت معانيها ولكن خبر عنهم أنهم دعوا ربهم

ان يبعد بين اسفارهم بطروا وملوا وحزنهم انهم لما فعل ذلك بهم حبروا به وشكوا كما قال
ابن عباس وظلموا انفسهم اي بكفرهم فجعلناهم احاديث اي يتحدث باخبارهم وتقديره في
العربية ذوي احاديث ومزقناهم كل ممزق اي لما لحقهم ما لحقهم تفرقوا وتمزقوا قال الشعبي
فلحقت الانصار بيثرب وغسان بالشام والازد بعمان وخزاعة بتهامة وكانت العرب تضرب
بهم المثل فتقول تفرقوا ايدي سبا وايادي سبا اي مذاهب سبا وطرقها ان في ذلك لايات
لكل صبار شكور الصبور الذي يصبر عن المعاصي وهو تكثير صابر يمدح بهذا الاسم فان اردت
انه صبر عن المعصية لم يستعمل فيه الاصبار عن كذا شكور لنعمه وقد مضى هذا المعنى في البقرة
قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فيه اربع قراات قرا ابو جعفر وشيبة ونافع
وابو عمرو وابن كثير وابن عامر ويروي عن مجاهد ولقد صدق بالتخفيف ابليس بالرفع ظنه
بالنصب اي في ظنه قال الزجاج وهو على المصدر اي صدق عليهم ظنا ظنه اذ صدق في
ظنه فنصب على المصدر او على الظرف وقال ابو علي ظنه نصب لانه مفعول به اي صدق
الظن الذي ظنه اذ قال لاقعدن لهم صراطك المستقيم وقال لاغوينهم اجمعين ويجوز تعدية
الصدق الى المفعول به ويقال صدق الحديث اي في الحديث وقرا ابن عباس ويحيى ظنه
بالنصب بوقوع الفعل عليه قال مجاهد ظن ظنا فكان كما ظن فصدق ظنه وقرا ابو جعفر
ابن محمد وابو الهجاج صدق عليهم بالتخفيف ابليس بالنصب ظنه بالرفع قال ابو حاتم
لا وجه لهذه القراءة عندي والله اعلم وقد اجاز هذه القراءة الفرا وذكرها الزجاج جعل
الظن فاعل صدق وابليس مفعول به والمعنى ان ابليس سوّل له ظنه فيهم شيئا فصدق
ظنه فكانه قال ولقد صدق عليهم ظن ابليس وعلى متعلقة بصدق كما تقول صدق عليك
فيما ظننته بك ولا تتعلق بالظن لاستحالة تقدم شيء من الصلة على الموصول والقراءة
الرابعة ولقد صدق عليهم ابليس ظنه برفع ابليس والظن مع التخفيف في صدق على
ان يكون ظنه بدلا من ابليس وهو بدل الاشتمال ثم قيل هذا في اهل سبا اي كفروا وغيروا
وبدلوا بعد ان كانوا مسلمين الا قوما امنوا برسلهم وقيل هذا عام اي صدق ابليس ظنه
على الناس كلهم الا من اطاع الله قاله مجاهد وقال الحسن لما اهبط ادم من الجنة ومعه حوا
وهبط ابليس قال ابليس اما اذا اصبت من الابوين ما اصبت فالذرية اضعف واضعف
فكان ذلك ظنا من ابليس فانزل الله عز وجل ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقال ابن عباس
ان ابليس قال خلقت من نار وخلق ادم من طين والنار تحرق كل شيء لاحتنكن ذريته الا
قليلا فصدق ظنه عليهم وقال زيد بن اسلم ان ابليس قال يا رب ارايت هولاء الذين
كرمتهم وشرفتهم وفضلتهم علي لا تجد اكثرهم شاكرين ظنا منه فصدق عليهم ظنه فاتبعوه
قال الحسن ما ضربهم بسوط ولا بعصا وانما ظن ظنا فكان كما ظن بوسوسته الا فريقا من
المومنين نصب على الاستثنا وفيه قولان احدهما انه يراد به بعض المومنين لان كثيرا من
المومنين من يذنب وينقاد لابليس في بعض المعاصي اي ما سلم من المومنين ايضا الا فريق
وهم المعنيون بقوله ان عبادي ليس لك عليهم سلطان فاما ابن عباس فعنه انه قال هم
المومنون كلهم فمن على هذا للتبيين لا للتبعيض فان قيل كيف علم ابليس صدق ظنه وهو
لا يعلم الغيب قيل له لما نفذ له في ادم ما نفذ غلب على ظنه انه ينفذ له مثل ذلك في ذريته
وقد وقع له تحقيق ما ظن وجواب اخر وهو ان ما اجيب من قوله تعالى واستفزز من
استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فاعطي القوة والاستطاعة فظن
انه يملكهم كلهم بذلك فلما راى انه تاب على ادم وانه سيكون له نسل يتبعونه الى الجنة وقال
ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين علم ان له تبعا ولادم تبعا
فظن ان تبعه اكثر من تبع ادم لما وضع في يديه من سلطان الشهوات ووضعت الشهوات
في اجواف الادميين فخرج على ما ظن حيث نفخ فيهم وزين في اعينهم تلك الشهوات
ومدهم اليها بالاماني والخدايع فصدق عليهم الظن الذي ظنه والله اعلم قوله تعالى
وما كان له عليهم من سلطان اي لم يقهرهم ابليس على الكفر وانما كان الدعا والتزيين
والسلطان القوة وقيل الحجة اي لم تكن له حجة يستتبعهم بها وانما اتبعوه بشهوة وتقليد

وهوا

وهوا نفسي لا عن حجة ودليل الا لنعلم من يومن بالاخرة يريد علم الشهادة الذي يقع به
الثواب والعقاب فاما الغيب فقد علمه جل وعز ومذهب الفرا ان يكون المعنى الا لنعلم ذلك
عندهم كما قال اين شركاي اي على قولكم وعندكم وليس قوله الا لنعلم بجواب وما كان له عليهم
من سلطان في ظاهره انما هو محمول على المعنى اي وما جعلنا له عليهم سلطانا الا لنعلم فالاستثنا
منقطع اي لا سلطان له عليهم ولكنا ابتليناهم بوسوسته لنعلم فالا بمعنى لكن وقيل هو
متصل اي وما كان له عليهم سلطان غير انا سلطناه عليهم ليتم الابتلا وقيل كان زايدة اي وما له
عليهم من سلطان كقوله كنتم خير امة اي انتم خير امة وقيل لما اتصل طرف منه بقصته مسببا
قال وما كان لابليس عليهم اولئك الكفار من سلطان وقيل وما كان له في قضايانا السابق
سلطان عليهم وقيل الا لنعلم الا لنظهر وهو كما تقول النار تحرق الحطب فيقول اخر لا بل
الحطب يحرق النار فيقول الاول تعال حتى نجرب النار والحطب لنعلم ايها يحرق صاحبه
اي لنظهر ذلك وان كان معلوما لهم ذلك وقيل الا لتعلموا انتم وقيل اي لنعلم اولياونا والملايكة
كقوله انما جزا الذين يحاربون الله ورسوله اي يحاربون اوليا الله ورسوله وقيل اي ليميز
كقوله ليميز الله الخبيث من الطيب وقد مضى هذا المعنى في البقرة وغيرها وقرى الزهري
الا ليعلم على ما لم يسم فاعله وربك على كل شيء حفيظ اي انه عالم بكل شيء وقيل يحفظ كل
شيء على العبد حتى يجازيه به قوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله اي هذا
الذي يمضي ذكره من امر داود وسليمان وقصة سبا من اثاري وقدرتي فقل يا محمد لهولاء المشركين هل
عند شركايكم قدرة على شيء من ذلك وهذا خطاب توبيخ وفيه اضمار اي ادعوا الذين زعمتم انهم
الهة لكم من دون الله لينفعكم او ليدفع عنكم ما قضاه الله عز وجل عليكم فانهم لا يملكون ذلك ولا
يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير اي ما
لله من هولاء من معين على خلق شيء بل الله المنفرد بالايجاد فهو الذي يعبد وعبادة غيره محال
قوله تعالى ولا تنفع الشفاعة اي شفاعة الملايكة وغيرهم عنده اي عند الله الا لمن اذن
له قراة العامة اذن بفتح الهمزة لذكر الله جل وعز اولا وقرا ابو عمرو وحمزة والكسايي اذن
بضم الهمزة على ما لم يسم فاعله والاذن هو الله جل وعز ومن يجوز ان يرجع الى الشافعين
ويجوز ان يرجع الى المشفوع لهم حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ابن عباس خلي عن قلوبهم
الفزع وقطرب اخرج ما فيها مجاهد كشف عن قلوبهم الغطا يوم القيامة اي ان الشفاعة لا
تكون من احد هولاء المعبودين من دون الله من الملايكة والانبيا والاصنام الا ان الله
ياذن للملايكة والانبيا في الشفاعة وهم على غاية الفزع من الله كما قال وهم من خشيته
مشفقون والمعنى انه اذا اذن لهم في الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا لما يقترن بتلك
الحال من الامر الهايل والخوف ان يقع في تنفيذ ما اذن لهم فيه ما لا يرضي فاذا سري عنهم قالوا للملايكة
فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحي بالاذن ماذا قال ربكم اي ماذا امر الله به فيقولون
لهم قال الحق وهو انه اذن لكم في الشفاعة للمومنين وهو العلي الكبير فلله ان يحكم في عباده
بما يريد ثم يجوز ان يكون هذا الاذن لهم في الدنيا في شفاعة اقوام ويجوز ان يكون في الاخرة
وفي الكلام اضمار اي ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له فيفزع لما يرد عليه من الاذن
تهيبا لكلام الله عز وجل حتى اذا ذهب الفزع عن قلوبهم اجاب بالانقياد وقيل هذا الفزع
يكون اليوم للملايكة في كل امر يامر به الرب اي لا تنفع الشفاعة الا من الملايكة
الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله تعالى دون الجمادات والشياطين وفي صحيح الترمذي
عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله في السما امرا ضربت الملايكة
باجنحتها خضعانا لقوله كانها سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال
ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير قال والشياطين بعضهم فوق بعض قال حديث حسن
صحيح وقال النواس بن سمعان قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله ان يوحي بالامر
تكلم بالوحي اخذت السموات منه رجفة او رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع اهل
السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجدا فيكون اولهم يرفع راسه جبريل فيكلمه الله من
وحيه بما اراد ثم يمر جبريل بالملايكة كلما مر بسما سالة ملايكتها ماذا قال ربنا يا جبريل

فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم كما قال جبريل فينتهي
جبريل بالوحي حيث امره الله تعالى وذكر البيهقي عن ابن عباس في قوله عز وجل حتى اذا
فزع عن قلوبهم قال كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السما يستمعون منه الوحي وكان
اذا نزل الوحي يسمع له صوت كامرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على اهل سما الا صعقوا
فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم يقول كان العام
كذا او يكون كذا فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة به فتخبر الكهنة الناس يكون كذا وكذا فيجدون
الامر كذلك فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم دحروا بالشهب فقالت العرب حين لم
تخبرهم الجن بذلك هلك من في السما فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيرا وصاحب البقر
ينحر كل يوم بقرة وصاحب الغنم شاة حتى اسرعوا في اموالهم فقالت ثقيف وكانت
اعقل العرب ايها الناس امسكوا على اموالكم فانه لم يمت من في السما وانما هذا الشي
يا معشر الناس ترون معالمكم من النجوم كما هي والشمس والقمر والليل والنهار قال فقال
ابليس لقد حدث اليوم في الارض حدث فاتوني من تربة كل ارض فاتوه بها فجعل
يشمها فلم يشم تربة مكة قال من ها هنا جا الحديث فنصتوا فاذا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قد بعث وقد مضى هذا الحديث مرفوعا مختصرا في سورة الحجر وقد مضى القول ايضا
في رجمهم بالشهب واحراقهم بها وياتي في سورة الجن بيان ذلك ان شا الله تعالى وقيل
انما يفزعون من قيام الساعة قال الكلبي وكعب كان بين عيسى ومحمد عليهما السلام
فترة خمس مائة وخمسون سنة لا يجي فيها الرسل فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم
كلم الله جبريل بالرسالة فلما سمعت الملايكة ظنوا انها الساعة قد قامت فصعقوا مما
سمعوا فلما انحدر جبريل جعل يمر بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون روسهم ويقول بعضهم لبعض
ماذا قال ربكم فلم يدروا ما قال ولكنهم قالوا قال الحق وهو العلي الكبير وذلك ان محمدا
عند اهل السموات من اشراط الساعة وقال الضحاك ان الملايكة المعقبات الذين
يختلفون الى اهل الارض يكتبون اعمالهم يرسلهم الرب تبارك وتعالى فاذا انحدروا
سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم اسفل من الملايكة انه من امر الساعة فيخرون
سجدا ويصعقون حتى يعلموا انه ليس من امر الساعة وهذا تنبيه من الله تعالى واخبار
ان الملايكة مع اصطفايهم ورفعتهم لا يمكنهم ان يشفعوا لاحد حتى يوذن لهم فاذا اذن
لهم وسمعوا صعقوا وهذا حالهم فكيف تشفع هذه الاصنام او كيف تومّلون الشفاعة
ولا تعترفون بالقيامة وقال الحسن وابن زيد ومجاهد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب
المشركين قال مجاهد والحسن وابن زيد في الاخرة عند نزول الموت اقامة للحجة عليهم
قالت الملايكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا قالوا الحق فاقروا حين لا ينفعهم الاقرار
اي قالوا قال الحق وقراة العامة فزع عن قلوبهم مسمى الفاعل وفاعله ضمير يرجع
الى اسم الله عز وجل ومن بناه للمفعول فالجار والمجرور في موضع رفع والفعل في المعنى
لله عز وجل والمعنى في القراتين ازيل الفزع عن قلوبهم حسب ما تقدم بيانه ومثله
اشكاه اذا ازال عنه ما يشكوه وقرا الحسن فزع مثل قراة العامة الا انه خفف الزاي والجار
والمجرور في موضع رفع ايضا وهو كقولك انصرف عن كذا الى كذا وكذا معنى فرغ بالراء
والغين المعجمة والتخفيف غير مسمى الفاعل رويت عن الحسن ايضا وقتادة وعنهما
ايضا فرغ بالراء والغين المعجمة مسمى الفاعل والمعنى فرغ الله قلوبهم اي كشف عنها
اي فرغها من الفزع والخوف والى ذلك يرجع البنا للمفعول على هذه القراة وعن الحسن
ايضا فزع قوله تعالى قل من يرزقكم من السموات والارض لما ذكر ان الهتهم لا
يملكون مثقال ذرة مما يقدر عليه الرب قرر ذلك فقال قل يا محمد للمشركين من يرزقكم من
السموات والارض اي من يخلق لكم هذه الارزاق الكاينة من السموات اي عن المطر
والشمس والقمر والنجوم وما فيها من المنافع والارض اي الخارجة من الارض عن الما
والنبات اي لا يمكنهم ان يقولوا هذا فعل الهتنا فيقولون لا ندري فقل ان الله يفعل
ذلك الذي يعلم ما في نفوسكم وان قالوا الله يرزقنا فقد تقررت الحجة فان الله ينبغي

ان

ان يعبد وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين هذا على وجه الانصاف في الحجة كما
يقول القايل احدنا لكاذب وهو يعلم انه صادق وان صاحبه كاذب والمعنى ما نحن
وانتم على امر واحد بل على امرين متضادين واحد الفريقين مهتد وهو نحن والاخر
ضال وهو انتم فكذبهم باحسن من تصريح التكذيب والمعنى انتم الضالون حين اشركتم بالذي
يرزقكم من السموات والارض او اياكم معطوف على اسم ان ولو عطف على الموضع
لكان او انتم ويكون لعلى هدى للاول لا غير واذا قلت او اياكم كان للثاني اولى وحذفت
من الاولى ويجوز ان يكون للاول وهو اختيار المبرد قال ومعناه معنى قول المستبصر
لصاحبه على صحة الوعيد والاستظهار بالحجة الواضحة احدنا كاذب وقد عرف المعنى
كما تقول انا افعل كذا وتفعل انت كذا واحدنا مخطي وقد عرف انه المخطي فكذا وانا او اياكم
لعلى هدى او في ضلال مبين واو عند البصريين على بابها وليست للشك لكنها على ما
تستعمله العرب في مثل هذا اذا لم يرد المخبر ان يبين وهو عالم بالمعنى وقال ابو عبيدة والفرا
هي بمعنى الواو وتقديره وانا على هدى واياكم لفي ضلال مبين وقال جرير
اثعلبة الفوارس او رياحا ° عدلت بهم طهية والخشابا °
يعني اثعلبة ورياحا ° فلما اشتد الحرب فينا ° تاملنا رياحا او رزاما °
قوله تعالى قل لا تسالون عما اجرمنا اي اكتسبنا ولا نسال عما تعملون اي انما
اقصد بما ادعوكم اليه الخير لكم لا انه ينالني ضرر كفركم وهذا كما قال لكم دينكم ولي دين والله
مجازي الجميع فهذه اية مهادنة ومتاركة وهي منسوخة بالسيف وقيل نزل هذا قبل اية
السيف قوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا يريد يوم القيامة ثم يفتح بيننا بالحق فيثيب
المهتدي ويعاقب الضال وهو الفتاح اي القاضي بالحق العليم باحوال الخلق وهذا كله
منسوخ باية السيف قوله تعالى قل اروني الذين الحقتم به شركا يكون ارى هنا من روية
القلب فيكون شركا المفعول الثالث اي عرفوني هذه الاصنام والاوثان التي جعلتموها
شركا لله عز وجل هل شاركت في خلق شي فبينوا ما هو والا فلم تعبدونها ويجوز ان يكون
من روية البصر فيكون شركا حالا كلا اي ليس الامر كما زعمتم وقيل ان كلا رد لجوابهم المحذوف
كانه قال اروني الذين الحقتم به شركا قالوا هي الاصنام فقال كلا اي ليس له شركا بل هو
الله العزيز الحكيم قوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا اي وما
ارسلناك الا للناس كافة اي عامة ففي الكلام تقديم وتاخير وقال الزجاج اي وما
ارسلناك الا جامعا للناس بالانذار والابلاغ والكافة بمعنى الجامع وقيل معناه كافا
للناس تكفهم عما هم فيه من الكفر وتدعوهم الى الاسلام والها للمبالغة وقيل الا كافة
حذف المضاف اي ذا منع للناس من ان ينفروا عن تبليغك او ذا منع لهم من الكفر ومنه
كف الثوب لانه ضم طرفيه بشيرا اي بالجنة لمن اطاع ونذيرا من النار لمن كفر ولكن اكثر
الناس لا يعلمون ما عند الله وهم المشركون وكانوا في ذلك الوقت اكثر من المومنين عددا
ويقولون متى هذا الوعد اي موعدكم لنا بقيام الساعة ان كنتم صادقين فقال الله تعالى
قل يا محمد لكم ميعاد يوم لا تستاخرون عنه ساعة ولا تستقدمون فلا يغرنكم تاخيره والميعاد
الميعاد وتعيين هذا الميعاد وقت البعث وقيل وقت حضور الموت اي لكم قبل يوم
القيامة وقت معين تموتون فيه فتعلمون حقيقة قولي وقيل اراد بهذا اليوم يوم
بدر لان ذلك اليوم كان ميعاد عذابهم في الدنيا في حكم الله تعالى واجاز النحويون
ميعاد يوما يكون ظرفا وتكون الها في عنه ترجع الى يوم ولا يصح ميعاد يوم لا تستاخرون
بغير تنوين واضافة يوم الى ما بعده اذا قدرت الها عايدة على اليوم لان ذلك يكون من
اضافة الشي الى نفسه من اجل الها التي في الجملة ويجوز ذلك على ان تكون الها للميعاد
لا لليوم قوله تعالى وقال الذين كفروا يريد كفار قريش لن نومن بهذا القران ولا
بالذي بين يديه قال سعيد عن قتادة ولا بالذي بين يديه من الكتب والانبيا
عليهم السلام وقيل من الاخرة وقال ابن جريج قايل ذلك ابو جهل بن هشام وقيل
ان اهل الكتاب قالوا للمشركين صفة محمد في كتابنا فسلوه فلما سالوه فوافق ما قالوا

اهل الكتاب قال المشركين لن نومن بهذا القران ولا بالذي بين يديه قبله من التورية والانجيل بل نكفر بالجميع وكان قبل ذلك يراجعون اهل الكتاب ويحتجون بقولهم فظهر بهذا تناقضهم وقلة علمهم ثم اخبر الله تعالى عن حالهم فيما لهم فقال ولو ترى يا محمد اذ الظالمون موقوفون عند ربهم اي محبوسون في موقف الحساب يتراجعون الكلام فيما بينهم باللوم والعتاب بعد ان كانوا في الدنيا اخلا متناصرين وجواب لو محذوف اي لرايت امرا هايلا فظيعا ثم ذكر اي شي يرجع من القول بينهم فقال يقول الذين استضعفوا في الدنيا من الكافرين للذين استكبروا وهم القادة والروسا لولا انتم لكنا مومنين اي اغويتمونا واضللتمونا واللغة الفصيحة لولا انتم ومن العرب من يقول لولاكم حكاها سيبويه يكون لولا تخفض المضمر ويرتفع المظهر بعدها ويحذف خبره ومحمد بن يزيد يقول لا يجوز لولاكم لان المضمر عقيب المظهر فلما كان المظهر مرفوعا بالاجماع وجب ان يكون المضمر ايضا مرفوعا قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى هو استفهام بمعنى الانكار اي ما رددناكم نحن عن الهدى ولا اكرهناكم بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين اي مشركين مصرين على الكفر وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار المكر اصله في كلام العرب الاحتيال والخديعة وقد مكر به يمكر فهو ماكر ومكار وقال الاخفش هو على تقدير هذا مكر الليل والنهار قال النحاس والمعنى والله اعلم بل مكركم في الليل والنهار اي مسارتكم الينا ودعاوكم لنا الى الكفر حملنا على هذا وقال سفين الثوري بل عملكم في الليل والنهار وقتادة بل مكركم بالليل والنهار صدنا فاضيف المكر اليهما لوقوعه فيهما وهو كقوله تعالى ان اجل الله اذا جاء لا يوخر فاضاف الاجل الى نفسه ثم قال فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون اذ كان الاجل لهم وهذا من قبيل قولك ليله قايم ونهاره صايم قال المبرد اي بل مكركم الليل والنهار اي كما تقول العرب نهاره صايم وليله قايم وانشد لجرير

• لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنايم •

وانشد سيبويه

• فنام ليلي وتجلى همي •

اي نمت فيه ونظيره والنهار مبصرا وقرا قتادة بل مكر الليل والنهار بتنوين مكر ونصب الليل والنهار والتقدير بل مكر كاين في الليل والنهار فحذف وقرا سعيد بن جبير بل مكر بفتح الكاف وشد الرا بمعنى الكرور وارتفاعه بالابتدا والخبر محذوف ويجوز ان يرتفع بفعل مضمر دل عليه انحن صددناكم كانهم لما قالوا لهم انحن صددناكم عن الهدى قالوا بل صدنا مكر الليل والنهار وروي سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار وقال مر الليل والنهار عليهم فغفلوا وقيل طول السلامة فيهما كقوله فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون وقرا راشد بل مكر الليل والنهار بالنصب كما تقول رايته مقدم الحاج وانما يجوز هذا فيما يعرف لو قلت رايته مقدم زيد لم يجز ذكره النحاس اذ تامروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي اشباها وامثالا ونظرا قال محمد بن يزيد فلان ند فلان اي مثله ويقال ندير وانشد

• اينما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد •

وقد مضى هذا في البقرة واسروا الندامة اي اظهروها وهو من الاضداد يكون بمعنى الاخفا والابدا قال امرو القيس •

• تجاوزت احراسا واهوال معشر • على حراص لو يسرون مقتلي •

وروى يشرون وقيل واسروا الندامة اي تبينت الندامة في اسرار وجوههم وقيل الندامة لا تظهر وانما تكون في القلب وانما يظهر ما يتولد عنها حسب ما تقدم بيانه في سورة يونس وال عمران وقيل اظهروا الندامة فتوهم قلوبهم لتاكره فتكون من المومنين وقيل اسروا الندامة فيما بينهم ولم يجهروا القول بها كما قال واسروا النجوى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا الاغلال جمع غل يقال في رقبته غل من حديد ومنه قيل للمراة السية الخلق غل قمل واصله ان الغل كان يكون من قد وعليه شعر فيقمل وغلت يده الى عنقه وقد غل فهو مغلول يقال ماله ال وغل والغل ايضا والغلة حرارة العطش وكذلك الغليل يقال منه غل الرجل يغل غليلا فهو مغلول على ما لم يسم فاعله عن الجوهري اي جعلت الجوامع في اعناق

التابعين

التابعين والمتبوعين قيل من غير هولاء الفريقين وقيل يرجع الى الذين كفروا اليهم وقيل تم الكلام عند قوله لما راوا العذاب ثم ابتدا فقال وجعلنا الاغلال بعد ذلك في اعناق ساير الكفار هل يجزون الا ما كانوا يعملون في الدنيا قوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها قال قتادة اي اغنياوها ورووساوها وجبابرتها وقادة الشر للرسل انا بما ارسلتم به كافرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا اي فضلنا عليكم بالاموال والاولاد ولو لم يكن ربكم راضيا بما نحن عليه من الدين والفضل لم يخولنا ذلك وما نحن بمعذبين لان من احسن اليه فلا يعذبه فرد الله عليهم قولهم وما احتجوا به من الغنى فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشا اي يوسعه ويقدر ويقتر اي ان الله هو الذي يفاضل بين عباده في الارزاق امتحانا لهم فلا يدل شي من ذلك على ما في العواقب فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الاخرة فلا تظنوا اموالكم واولادكم تغني عنكم شيا غدا ولكن اكثر الناس لا يعلمون هذا لانهم لا يتاملون ثم قال تاكيدا وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى قال مجاهد اي قربى والزلفة القربة وقال الاخفش اي ازلافا وهو اسم المصدر فيكون موضع قربى نصبا كانه قال بالتي تقربكم عندنا ازلافا وزعم الفرا ان التي تكون للاموال وللاولاد جميعا وله قول اخر وهو مذهب ابي اسحاق الزجاج يكون المعنى وما اموالكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ثم حذف خبر الاول لدلالة الثاني عليه وانشد الفرا

• نحن بما عندنا وانت بما • عندك راض والراي مختلف •

ويجوز في غير القران باللتين وباللاتي وباللواتي وبالذين للاولاد خاصة اي لا تزيدكم اي لا تزيدكم الاموال عندنا رفعة ودرجة ولا تقربكم تقريبا الا من امن وعمل صالحا قال سعيد بن جبير الا من امن وعمل صالحا فلن يضره ماله وولده في الدنيا وروى ليث عن طاوس انه كان يقول اللهم ارزقني الايمان والعمل وجنبني المال والولد فاني سمعت فيما اوحيت وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من امن وعمل صالحا قلت قول طاوس فيه نظر والمعنى والله اعلم جنبني المال والولد المطغيين او اللذين لا خير فيهما فاما المال الصالح والولد الصالح للرجل الصالح فنعم هذا وقد مضى هذا في ال عمران ومريم والفرقان ومن في موضع نصب على الاستثنا المنقطع اي لكن من امن وعمل صالحا فايمانه وعمله يقربانه مني وزعم الزجاج انه في موضع نصب بالاستثنا على البدل من الكاف والميم التي في تقربكم النحاس وهذا القول غلط لان الكاف والميم للمخاطب فلا يجوز البدل ولو جاز هذا لجاز رايتك زيدا وقول ابي اسحاق هذا هو قول الفرا الا ان الفرا لا يقول بدل لانه ليس من لفظ الكوفيين ولكن قوله يوول الى ذلك وزعم ان مثله الا من اتى الله بقلب سليم يكون منصوبا عنده بينفع واجاز الفرا ان يكون من في موضع رفع بمعنى ما هو الا من امن كذا قال ولست احصل معناه فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا يعني قوله من جاء بالحسنة فله عشر امثالها فالضعف الزيادة اي لهم جزاء التضعيف وهو من باب اضافة المصدر الى المفعول وقيل لهم جزاء الاضعاف فالضعف في معنى الجمع واضافة الجزاء الى الضعف كاضافة الشي الى نفسه نحو حق اليقين وصلاة الاولى اي لهم الجزاء المضعف للواحد عشرة الى ما يريد الله من الزيادة وبهذه الاية استدل من فضل الغنى على الفقر وقال محمد بن كعب ان المومن اذا كان غنيا تقيا اتاه الله اجره مرتين بهذه الاية وهم في الغرفات امنون قراة العامة جزاء الضعف بالاضافة وقرا الزهري ويعقوب ونصر بن عاصم جزاء منونا منصوبا الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء الضعف مرفوعا على ان الضعف بدل من جزاء وقرا الجمهور ايضا في الغرفات على الجمع وهو اختيار ابي عبيد لقوله لنبوينهم من الجنة غرفا وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة وخلف في الغرفة على التوحيد لقوله تعالى اولئك يجزون الغرفة والغرفة قد يراد بها اسم الجمع واسم الجنس قال ابن عباس هي غرف من ياقوت وزبرجد ودر وقد مضى بيان ذلك امنون من العذاب والموت والاسقام والاحزان والذين يسعون في اياتنا اي في ابطال ادلتنا وحجتنا وكتابنا

معاجزين معاندين يحسبون انهم يفوتوننا بانفسهم فاولئك في العذاب محضرون اي في
جهنم تحضرهم الزبانية فيها قوله تعالى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر
له كرره تاكيدا وما انفقتم من شيء فهو يخلفه اي قل يا محمد لهؤلاء المغترين بالاموال والاولاد
ان الله يوسع على من يشاء فلا تغتروا بالاموال والاولاد بل انفقوا في طاعة الله فان
ما انفقتم في طاعة الله فهو يخلفه عليكم يقال اخلف له واخلف عليه اي يعطيكم خلفه وبدله
وذلك البدل اما في الدنيا واما في الاخرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما
اللهم اعط منفقا خلفا واعط ممسكا تلفا وفيه ايضا عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله قال لي انفق انفق عليك الحديث وهذه اشارة الى الخلف في الدنيا
بمثل المنفق بها اذا كانت النفقة في طاعة الله وقد لا يكون الخلف في الدنيا فيكون كالدعا
كما تقدم سوا في الاجابة او التكفير او الادخار هاهنا مثله في الاجر مسئلة روى الدارقطني
وابو احمد بن عدي عن عبد الحميد الهلالي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وما انفق الرجل على نفسه واهله كتب له صدقة وما
وقى الرجل به عرضه فهو صدقة وما انفق الرجل من نفقة فعلى الله خلفها الا ما كان من
نفقة في بنيان او معصية قال عبد الحميد قلت لابن المنكدر ما وقى الرجل عرضه قال
يعطي الشاعر وذا اللسان عبد الحميد وثقه ابن معين قلت اما ما انفق في معصية فلا خلاف
انه غير مثاب عليه ولا مخلوف له واما البنيان فما كان منه ضروريا يكن الانسان ويحفظه
فذلك مخلوف عليه ومأجور ببنائه وذلك لحفظ بنيته وستر عورته قال صلى الله
عليه وسلم ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز
والماء وقد مضى هذا في الاعراف مستوفى قوله تعالى وهو خير الرازقين لما كان يقال
في الانسان انه يرزق عياله والامير جنده قال وهو خير الرازقين والرازق من المخلوق
يرزق لكن ذلك من مال يملك عليهم ثم ينقطع والله تعالى يرزق من خزائن لا تفنى ولا
تتناهى ومن اخرج من عدم الى الوجود فهو الرازق على الحقيقة كما قال ان الله هو الرزاق
ذو القوة المتين قوله تعالى ويوم يحشرهم جميعا هذا متصل بقوله ولو ترى اذ
الظالمون موقوفون اي لو تراهم في هذه الحالة لرايت امرا فظيعا والخطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم والمراد هو وامته ثم قال ولو تراهم ايضا يوم يحشرهم جميعا العابدين والمعبودين
اي نجمعهم للحساب ثم نقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قال سعيد عن قتادة
هذا استفهام كقوله عز وجل لعيسى اانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله
قال النحاس فالمعنى ان الملائكة صلى الله عليهم اذا اكذبتهم كان في ذلك تبكيت لهم فهو
استفهام توبيخ للعابدين قالوا سبحانك اي تنزيها لك انت ولينا من دونهم اي انت ربنا
الذي نتولاه ونطيعه ونعبده ونخلص في العبادة له بل كانوا يعبدون الجن اي يطيعون
ابليس واعوانه وفي التفسير ان حيا يقال لهم بنو مليح من خزاعة كانوا يعبدون الجن
ويزعمون ان الجن تتراءى لهم وانهم ملائكة وانهم بنات الله وهو قوله وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا قوله تعالى فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا اي شفاعة ونجاة ولا
ضرا اي عذابا وهلاكا وقيل اي لا تملك الملائكة دفع ضر عن عابديهم فحذف المضاف
ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون يجوز ان يقول الله لهم
او الملائكة ذوقوا قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران قالوا
ما هذا الا رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يريد ان يصدكم عما كان يعبد اباؤكم
اي اسلافكم من الالهة التي كانوا يعبدونها وقالوا ما هذا الا افك مفترى يعنون القران
اي ما هو الا كذب مختلق وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين فتارة
قالوا سحر وتارة قالوا افك ويحتمل ان يكون منهم من قال سحر ومنهم من قال افك قوله
تعالى وما اتيناهم من كتب يدرسونها اي لم يقرؤوا في كتاب اوتوه بطلان ما جئت به ولا
سمعوه من رسول بعث اليهم كما قال ام اتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم

وجه

وجه يتشبث به ولا شبهة متعلق كما يقول اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتاب
وشرائع ومستندون الى رسول من رسل الله صلى الله عليه وسلم ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله الحق وكذب
الذين من قبلهم اي كذب قبلهم اقوام كانوا اشد من هؤلاء بطشا واكثر اموالا واولادا واوسع عيشا
كثمود وعاد وما بلغوا اي ما بلغ اهل مكة معشار ما اتينا تلك الامم والمعشار والعشر سواء لغتان
وقيل المعشار عشر العشير الجوهري ومعشار الشيء عشره ولا يقولون هذا في شيء سوى العشر وقيل
ما بلغ الذين من قبلهم معشار ما اعطيناهم حكاه النحاس وقيل ما اعطى الله تعالى من قبلهم معشار
ما اعطيناهم من العلم والبيان والحجة والبرهان قال ابن عباس فليس امة اعلم من امته ولا كتاب
ابين من كتابه وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من الف جزء
الماوردي وهو الاظهر لان المراد به المبالغة في التقليل فكذبوا رسلي فكيف كان نكير اي عقابي
في الامم وفيه محذوف وتقديره فاهلكناهم فكيف كان نكيري قوله تعالى قل انما اعظكم بواحدة
تمم الحجة على المشركين اي قل لهم يا محمد انما اعظكم اي اذكركم واحذركم سوء عاقبة ما انتم فيه
بواحدة اي بكلمة واحدة مشتملة على جميع الكلام تقتضي نفي الشرك والالهية قال مجاهد هي
لا اله الا الله وهذا قول ابن عباس والسدي وعن مجاهد ايضا بطاعة الله وقيل بالقران لانه يجمع كل
المواعظ وقيل تقديره بخصلة واحدة ثم بينها بقوله ان تقوموا لله مثنى وفرادى فيكون ان في
موضع خفض على البدل من واحدة او في موضع رفع على اضمار مبتدا اي هي ان تقوموا ومذهب
الزجاج انها في موضع نصب بمعنى لان تقوموا وهذا القيام معناه القيام الى طلب الحق لا القيام
الذي هو ضد القعود وهو كما قال تعالى وان تقوموا لليتامى بالقسط مثنى وفرادى اي وحدانا
ومجتمعين قاله السدي وقيل منفردا برايه ومشاورا لغيره وهذا قول ماثور وقال القتبي مناظرا
مع غيره ومفكرا في نفسه وكله متقارب ويحتمل رابعا ان المثنى عمل النهار والفرادى عمل الليل لانه
في النهار معان وفي الليل وحيد قاله الماوردي وقيل انما قال مثنى وفرادى لان الذهن حجة
الله تعالى على عباده وهو العقل فاوفرهم عقلا اوفرهم حظا من الله فاذا كانوا فرادى
كانت فكرة واحدة واذا كانوا مثنى تقابل الذهنان فتراءى من العلم لهما ما اضعف على الانفراد ثم
تتفكروا ما بصاحبكم من جنة الوقف عند ابي حاتم وابن الانباري على ثم تتفكروا اهل جربتم على
صاحبكم كذبا او رايتم فيه جنة او في احواله من فساد او اختلف الى احد ممن يدعي العلم بالسحر
او تعلم الاقاصيص وقرا الكتب او عرفتموه بالطمع في اموالكم او تقدرون على معارضته في سورة
واحدة فاذا عرفتم بهذا الفحص صدقه فما بال هذه المعاندة ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب
شديد وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الاية وانذر عشيرتك الاقربين
ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا
من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا اليه فقال يا بني فلان يا بني فلان يا بني فلان يا بني
عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا اليه فقال ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا
الجبل اكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال فقال ابو
لهب تبا لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه الاية تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا
قرا الاعمش الى اخر السورة قوله تعالى قل ما سالتكم من اجر اي جعل على تبليغ الرسالة
فهو لكم اي ذلك الجعل لكم ان كنت سالتكموه ان اجري الا على الله وهو على كل شيء شهيد اي رقيب وعالم
وحاضر لاعمالي واعمالكم لا يخفى عليه شيء فهو يجازي الجميع قوله تعالى قل ان ربي يقذف
بالحق اي يبين الحجة ويظهرها قال قتادة بالحق اي بالوحي وعنه الحق القران قال ابن
عباس اي يقذف الباطل بالحق علام الغيوب وقرا عيسى بن عمر علام الغيوب على انه بدل اي
قل ان ربي علام الغيوب يقذف بالحق قال الزجاج والرفع من وجهين على الموضع لان الموضع
موضع رفع او على البدل مما في يقذف قال النحاس وفي الرفع وجهان اخران يكون في مثل هذا الكثير
في كلام العرب اذا اتى بعد خبر ان ومثله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار وقرا الغيوب بالحركات
الثلاث فالغيوب بالخفض والرفع كالبيوت والغيوب بالنصب كالصبور وهو الامر الذي غاب
وخفي جدا قوله تعالى قل جاء الحق قال سعيد عن قتادة يريد القران النحاس والتقدير
جاء صاحب الحق اي الكتاب الذي فيه البراهين والحجج وما يبدئ الباطل وما يعيد قال قتادة

الشيطان اي ما يخلق الشيطان احدا وما يعيد فما نفي ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى اي شيء اي جا الحق فاي شيء يبقى للباطل حتى يعيده ويبدئه اي فلم يبق منه شيء كقوله فهل ترى لهم من باقية اي لا ترى قوله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وذلك ان الكفار قالوا تركت دين ابائك فقال قل لهم يا محمد ان ضللت كما تزعمون فانما اضل على نفسي وقراءة العامة ضللت بفتح اللام وقرا يحيى بن وثاب وغيره قل ان ضللت بكسر اللام وفتح الضاد من اضل والضلال والضلالة ضد الرشاد وقد ضللت بفتح اللام اضل بكسر الضاد قال الله تعالى قل ان ضللت فانما اضل على نفسي وهذه لغة نجد وهي الفصيحة واهل العالية يقولون ضللت بالكسر اضل اي اثم ضلالتي على نفسي وان اهتديت فبما يوحي الي ربي من الحكمة والبيان انه سميع قريب اي سميع ممن دعاه قريب الاجابة وقيل وجه النظم قل ان ربي يقذف بالحق ويبين الحجة وضلال من ضل لا يبطل الحجة ولو ضللت لاضررت بنفسي لا انه يبطل حجة الله واذا اهتديت فذلك فضل الله اذ ثبتني على الحجة انه سميع قريب قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت ذكر احوال الكفار في وقت ما يضطرون فيه الى معرفة الحق والمعنى لو ترى اذ فزعوا في الدنيا عند نزول الموت او غيره من باس الله تعالى بهم روي معناه عن ابن عباس الحسن هو فزعهم في القبور من الصيحة وعنه ان ذلك الفزع انما هو اذا خرجوا من قبورهم وقاله قتادة وقال ابن معقل اذا عاينوا عقاب الله جل جلاله يوم القيامة السدي هو فزعهم يوم بدر حين ضربت اعناقهم بسيوف الملائكة فلم يستطيعوا فرارا ولا رجوعا الى التوبة سعيد بن جبير هو الجيش الذي يخسف به في البيدا فيبقى منهم رجل فيخبر الناس بما لقي اصحابه فيفزعون فهذا هو فزعهم فلا فوت فلا قال ابن عباس مجاهد فلا مهرب واخذوا من مكان قريب اي من القبور وقيل من حيث كانوا فهم من الله قريب لا يعجزونه ولا يفوتونه وقال ابن عباس نزلت في ثمانين الفا يغزون في اخر الزمان الكعبة ليخربوها فكما يخسفون البيدا يخسف بهم فهو الاخذ من مكان قريب قلت وفي هذا المعنى خبر مرفوع عن حذيفة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين اهل المشرق والمغرب فبيناهم كذلك اذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فورة ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المغرب فيسير الجيش نحو المشرق حتى ينزلوا بارض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة يعني مدينة بغداد قال فيقتلون اكثر من ثلاثة الاف ويفضحون بها اكثر من مائة امراة يشقون بطونهم ويقتلون اكثر من مائة امراة ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من ولد العباس ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيدا بعث الله جبريل عليه السلام اذهب فابدهم فيضربها ضربة برجله يخسف الله بهم وذلك قوله تعالى ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب فلا يبقى منهم الا رجلان احدهما بشير والاخر نذير وجوههما من جهينة ولذلك جا القول وعند جهينة الخبر اليقين وقيل اخذوا من مكان قريب اي قبضت ارواحهم من اماكنها فلم يمكنهم الفرار من الموت وهذا على قول من يقول هذا الفزع عند النزع ويجوز ان يكون هذا من الفزع الذي هو بمعنى الاجابة يقال فزع الرجل اي اجاب الصارخ الذي يستغيث به اذا نزل به خوف ومنه الخبر اذ قال للانصار انكم لتقلون عند الطمع وتكثرون عند الفزع ومن قال اراد الخسف او القتل في الدنيا كيوم بدر قال اخذوا في الدنيا قبل ان يوخذوا في الاخرة ومن قال هو فزع يوم القيامة قال اخذوا من بطن الارض الى ظهرها وقيل اخذوا من مكان قريب من جهنم فالقوا فيها قوله تعالى وقالوا امنا به اي بالقران وقال مجاهد بالله عز وجل الحسن بالبعث قتادة بالرسول عليه السلام وانى لهم التناوش من مكان بعيد قال ابن عباس والضحاك التناوش الرجعة اي يطلبون الرجعة الى الدنيا ليومنوا وهيهات من ذلك ومنه قول الشاعر

تمنى ان يووب الى مي • وليس الى تناوشها سبيل •

وقال السدي هو التوبة اي طلبوها وقد بعدت لانه انما تقبل التوبة في الدنيا وقيل التناوش التناول قال ابن السكيت يقال للرجل اذا تناول رجلا ليأخذ برأسه ولحيته ناشه ينوشه نوشا وانشد • فهي تنوش الحوض نوشا من علا • نوشا به تقطع اجواز الفلا • اي تتناول ما الحوض من فوق وتشرب شربا كثيرا وتقطع بذلك الشرب فلوات فلا تحتاج الى ما اخر قال ومنه المناوشة في القتال وذلك اذا تدانى الفريقان ورجل نوش اي ذو بطش والتناوش التناول والانتياش مثله قال الراجز • كانت تنوش العنق انتياشا •

وقوله تعالى وانى لهم التناوش من مكان بعيد يقول انى لهم تناول الايمان في الاخرة وقد كفروا به في الدنيا وقرا ابو عمرو والكسائي والاعمش وحمزة وانى لهم التناؤش بالهمز من مكان بعيد فكيف تكون وانى لهم البعد من مكان بعيد قال ابو جعفر والقراءة جائزة حسنة ولها وجهان في كلام العرب ولا يتاول بها هذا المتناول فاحد الوجهين ان يكون الاصل غير مهموز ثم همزت الواو لان الحركة فيها خفية وذلك كثير في كلام العرب وفي المصحف الذي نقلته الجماعة عن الجماعة واذا الرسل اقتت والاصل وقتت لانه مشتق من الوقت ويقال في جمع دار ادور والوجه الاخر ذكره ابو اسحاق قال يكون مشتقا من النيش وهو الحركة في ابطاء اي من اين لهم الحركة فيما قد بعد يقال ناشت الشي اخذته من بعد والنيش الشي البطي قال الجوهري التناوش بالهمز التباعد والتاخر وقد ناشت الامر اناشه ناشا اخرته فانتاش ويقال فعلته نئيشا اي اخيرا قال الشاعر

تمنى نئيشا ان يكون اطاعني • وقد حدثت بعد الامور امور •

وقال اخر

• فقدت زمانا عن طلابك للعلى • وجيت نئيشا بعدما فاتك الخير •

وقال الفرا الهمز وترك الهمز في التناوش متقارب مثل ذمت الرجل وذامته اي عبته من مكان بعيد اي من الاخرة روى ابو اسحاق التيمي عن ابن عباس وانى لهم قال الرد سالوه وليس بحين رد قوله تعالى وقد كفروا به من قبل اي بالله وقيل بمحمد من قبل يعني في الدنيا ويقذفون بالغيب العرب تقول لكل من تكلم بما لا يحقه هو يقذف ويرجم بالغيب من مكان بعيد على جهة التمثيل لمن يرجم ولا يصيب اي يرمون بالظن فيقولون لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار رجما منهم بالظن قاله قتادة وقيل يقذفون اي يرمون في القران فيقولون سحر وشعر واساطير الاولين وقيل في محمد فيقولون ساحر شاعر كاهن مجنون من مكان بعيد اي ان الله بعد لهم ان يعلموا صدق محمد وقيل اراد البعد عن القلب اي من مكان بعيد عن قلوبهم وقرا مجاهد ويقذفون بالغيب غير مسمى الفاعل اي يرمون به وقيل يقذف به اليهم من يغويهم ويضلهم قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون في الدنيا من اموالهم واهليهم ومذهب قتادة ان المعنى انهم كانوا يشتهون لما راوا العذاب ان يقبل منهم ان يطيعوا الله عز وجل وينتهوا الى ما يامرهم به الله فحيل بينهم وبين ذلك لان ذلك انما كان في الدنيا وقد زالت في ذلك والاصل حول فقلبت حركة الواو على الحا فانقلبت يا ثم حذفت حركتها لثقلها كما فعل باشياعهم ال اشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة من قبل اي بمن مضى من القرون السالفة الكافرة انهم كانوا في شك من امر الرسل والبعث والجنة والنار وقيل من الدين والتوحيد والمعنى واحد مريب اي يستراب به يقال اراب الرجل اي صار ذا ريبة فهو مريب ومن قال هو من الريب الذي هو الشك والتهمة قال يقال شك مريب كما يقال عجب عجيب وشعر شاعر في التاكيد

سورة فاطر مكية في قول الجميع وهي خمس واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والارض يجوز في فاطر ثلاثة اوجه الخفض على النعت والرفع على اضمار مبتدا والنصب على المدح وحكى سيبويه الحمد لله اهل الحمد وكذا جاعل الملائكة والفاطر الخالق وقد مضى في يوسف وغيرها والفطر الشق عن الشي يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشي تشقق وسيف فطار اي فيه تشقق قال عنترة

• وسيفي كالعقيقة فهو كمعي • سلاحي لا افل ولا فطارا •

والفطر الابتداء والاختراع قال ابن عباس كنت لا ادري ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان في بير فقال احدهما انا فطرتها اي انا ابتدأتها والفطر حلب الناقة

بالسابة والابهام والمراد بذكر السموات والارض العالم كله وبنبه بهذا على ان من قدر على
الابتدا قدر على الاعادة جاعل الملايكة رسلا يجوز فيه التنوين لانه لما مضى رسلا مفعول
ثان ويقال على اضمار فعل لان فاعلا اذا كان لما مضى لم يعمل فيه شيا واعماله على انه مستقبل
حذف التنوين منه تخفيفا وقرا الضحاك الحمد لله فطر السموات والارض على الفعل الماضي جاعل
الملايكة رسلا الرسل منهم جبريل وميكايل واسرافيل وملك الموت صلوات الله عليهم اجمعين
وقرا الحسن جاعل الملايكة بالرفع وقرا خليد بن نشيط جعل الملايكة وكله ظاهر اولي اجنحة نعت
اي اصحاب اجنحة مثنى وثلاث ورباع اي اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة قال قتادة
بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم اربعة ينزل بها من السما الى الارض ويعرجون
من الارض الى السما وهي مسيرة كذا في وقت واحد اي جعلهم رسلا قال يحيى بن سلام الى الانبيا
وقال السدي الى العباد برحمة او نقمة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم راى جبريل عليه السلام له ست مائة جناح وعن الزهري ان جبريل عليه السلام
قال له يا محمد لو رايت اسرافيل ان له لاثني عشر الف جناح منها جناح بالمشرق وجناح بالمغرب
وان العرش لعلى كاهله وانه في الاحايين ليتضاءل لعظمة الله حتى يعود مثل الوضع والوضع
العصفور الصغير حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته واولو اسم جمع لذو كما ان هولا اسم جمع
لذا ونظيرهما في المتمكنة المخاض والخلفة وقد مضى الكلام في مثنى وثلاث ورباع في
النسا وانه غير منصرف يزيد في الخلق ما يشا اي في خلق الملايكة في قول اكثر المفسرين
ذكره المهدوي وقال الحسن يزيد في الخلق اي في اجنحة الملايكة ما يشا وقال الزهري
وابن جريج يعني حسن الصوت وقد مضى الكلام فيه في مقدمة الكتاب وقال ابن الهيثم
الفارسي رايت النبي صلى الله عليه وسلم في منامي فقال انت الهيثم الذي تزين القران
بصوتك جزاك الله خيرا وقال قتادة يزيد في الخلق ما يشا الملاحة في العينين والحسن
في الانف والحلاوة في الفم وقيل الخط الحسن وقال مهاجر الكلاعي قال النبي صلى الله
عليه وسلم الخط الحسن يزيد الكلام وضوحا وقيل الوجه الحسن وقيل الخبر في هذه الاية
هو الحسن الصوت والصوت الحسن والشعر الحسن ذكره القشيري النقاش هو الشعر
الجعد وقيل العقل والتمييز وقيل العلوم والصنايع ان الله على كل شي قدير من الزيادة
والنقصان الزمخشري والاية مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال
وصورة وتمام في الاعضا وقوة في البطش وحصافة في العقل وجزالة في الراي وجراة
في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان ولباقة في الكلام وحسن هاهنا في مـ
اوله الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به وصف قوله تعالى ما يفتح الله للناس من
رحمة فلا ممسك لها واجاز النحويون في غير القران فلا ممسك له على لفظ ما ولها على
المعنى واجازوا وما يمسك فلا مرسل لها واجازوا وما يفتح الله للناس من رحمة بالرفع تكون
ما بمعنى الذي اي ان الرسل بعثوا رحمة للناس فلا يقدر على ارسالهم ومثلهما يا يتهم فيه
من مطر او رزق فلا يقدر احد ان يمسكه وما يمسك من ذلك فلا يقدر احد على ان يرسله
وقيل هو الدعا قاله الضحاك ابن عباس من توبة وقيل من توفيق وهداية قلت
ولفظ الرحمة يجمع ذلك اذ هي منكرة للاشاعة والابهام فهي متنا ولة لكل رحمة على البدل
فهي عام في جميع ما ذكر وفي الموطا مالك انه بلغه ان ابا هريرة كان يقول اذا اصبح وقد
مطر الناس مطرنا بنوا الفتح ثم يتلوا هذه الاية ما يفتح الله للناس من رحمة الاية
وهو العزيز الحكيم تقدم قوله تعالى يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم معنى هذا
الذكر الشكر هل من خالق غير الله يجوز في غير القراة الرفع والنصب والخفض فالرفع
من وجهين احدهما بمعنى هل من خالق الا الله بمعنى ما خالق الا الله والوجه الثاني
ان يكون نعتا على الموضع لان المعنى هل خالق غير الله ومن زايدة والنصب على الاستثنا
والخفض على اللفظ قال حميد الطويل قلت للحسن من خلق الشر فقال سبحان الله
هل من خالق غير الله بالخفض انما قرون ما لرفع يرزقكم من السما اي المطر والارض
اي النبات لا اله الا هو فاني تؤفكون من الافك بالفتح وهو الصرف يقال ما افكك عن

كذا

كذا اي ما صرفك عنه وقيل من الافك بالكسر وهو الكذب ويرجع هذا ايضا الى ما تقدم لانه
قول مصروف عن الصدق والصواب اي من اين يقع لكم التكذيب بتوحيد الله والاية
حجة على القدرية لانه نفى خالقا غير الله وهم يثبتون معه خالقين على ما تقدم في غير موضع
قوله تعالى وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذبت رسل من قبلك يعزي نبيه ويسلي
صلى الله عليه وسلم وليتاسى بمن قبله في الصبر والى الله ترجع الامور وقرا الاعرج والحسن
ويعقوب وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة ويحيى والكسائي
وخلف بفتح التا على انه مسمى الفاعل واختاره ابو عبيد لقوله تعالى الا الى الله تصير الامور
الباقون ترجع على الفعل المجهول قوله تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق هذا وعظ
للمكذبين للرسول عليه السلام بعد ايضاح الدليل على صحة قوله ان البعث والثواب والعقاب
حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا قال سعيد بن جبير غرور الحياة الدنيا ان يشتغل الانسان
بنعيمها ولذاتها عن عمل الاخرة حتى يقول يا ليتني قدمت لحياتي ولا يغرنكم بالله الغرور
قال ابن السكيت وابو حاتم الغرور الشيطان وغرور جمع غر وغر مصدر ويكون الغرور
مصدرا وهو بعيد عند غير ابي اسحاق لان غررته متعد والمصدر المتعدي انما هو على
فعل نحو ضربته ضربا الا في اشيا يسيرة لا يقاس عليها قالوا لزمته لزوما ونهكه المرض
نهوكا فاما معنى الحرف فاحسن ما قيل فيه ما قاله سعيد بن جبير قال الغرور بالله ان
يكون الانسان يعمل بالمعاصي ثم يتمنى على الله المغفرة وقراة العامة الغرور بفتح الغين وهو
الشيطان اي لا يغرنكم بوسوسته في انه يتجاوز عنكم لفضلكم وقرا ابو حيوة وابو سماك
العدوي ومحمد بن السميقع الغرور برفع الغين وهو الباطل اي لا يغرنكم الباطل قال ابن
السكيت والغرور بالضم ما اغتر به من متاع الدنيا قال الزجاج ويجوز ان يكون الغرور
جمع غار مثل قاعد وقعود الزمخشري او مصدر غره كاللزوم والنهوك النحاس او جمع
غر وشبه بقولهم نهكه المرض نهوكا ولزمه لزوما قوله تعالى ان الشيطان لكم عدو
فاتخذوه عدوا اي فعادوه ولا تطيعوه ويدلكم على عداوته اخراجه اباكم من الجنة وضمانه
اضلالكم في قوله ولاضلنهم ولامنينهم الاية وقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لاتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم الاية فاخبرنا جل وعز ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا
قصته وما فعل بابينا ادم صلوات الله عليه وكيف انتدب لعداوتنا وغرورنا من قبل وجودنا
وبعده ونحن على ذلك نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا وكان الفضيل بن عياض
يقول يا كذاب يا مفتري اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر
وقال ابن السماك يا عجبا لمن عصى المحسن بعد معرفته باحسانه واطاع اللعين بعد معرفته
بعداوته وقد مضى هذا المعنى في البقرة مجودا وعدوا في قوله ان الشيطان لكم عدو يجوز
ان يكون بمعنى معادي فيثنى ويجمع ويونث ويكون بمعنى النسب فيكون موحدا بكل حال كما قال
جل وعز فانهم عدو لي وفي المونث على هذا ايضا عدو النحاس فاما قول بعض النحويين ان
الواو خفيفة فجا واما لما الحظا بل الواو حرف خلقة فيما لا يعتراض به كما ان الحال مو قع
بعدها العمل حزبه اي اشياعه ليكونوا من اصحاب السعير فهذه عداوته الذين كفروا
لهم عذاب شديد يكون الذين بدلا من اصحاب فيكون بدلا في موضع خفض او يكون بدلا
من حزبه فيكون في موضع نصب او يكون بدلا من الواو فيكون في موضع رفع بالابتدا ويكون
خبره لهم عذاب شديد وكانه سبحانه بين حال موافقته ومخالفته ويكون الكلام قد
تم في قوله من اصحاب السعير ثم ابتدا فقال الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين
امنوا وعملوا الصالحات في موضع رفع بالابتدا ايضا وخبره اي لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير
وهو الجنة قوله تعالى افمن زين له سوء عمله من في موضع رفع بالابتدا وخبره
محذوف قال الكسائي والذي يدل عليه قوله تعالى فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
فالمعنى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا ذهبت نفسك عليهم حسرات قال وهذا كلام عربي
ظريف لا يعرفه الا قليل وذكره الزمخشري عن النحاس قال النحاس والذي قاله الكسائي
احسن ما قيل في الاية لما ذكره من الدلالة على المحذوف والمعنى ان الله عز وجل نهى نبيه عن

عن شدة الاغتمام بهم والحزن عليهم كما قال عز وجل فلعلك باخع نفسك قال اهل التفسير
قاتل قال نضر بن علي سألت الاصمعي عن قول النبي صلى الله عليه وسلم في اهل اليمن
هم ارق قلوبا وانجع طاعة ما معنى انجع فقال انصح فقلت له ان اهل التفسير مجاهدا
وغيره يقولون في قول الله عز وجل لعلك باخع نفسك معناه قاتل نفسك فقال هو من
ذاك بعينه كانه من شدة النصح لهم قاتل نفسه وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم
وتاخير مجازه افمن زين له سوء عمله فراه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان
الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقيل الجواب محذوف المعنى افمن زين له سوء عمله
كمن هدي ويكون يدل عليه هذا المحذوف فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء وقرا
يزيد بن القعقاع فلا تذهب نفسك وفيمن زين له سوء عمله اربعة اقوال احدها انهم
اليهود والنصارى والمجوس قاله ابو قلابة ويكون سوء عمله معاندة الرسول الثاني
انهم الخوارج رواه عمر ابن القاسم فيكون سوء عمله تحريف التاويل الثالث الشيطان
قاله الحسن ويكون سوء عمله الاغواء الرابع كفار قريش قاله الكلبي ويكون سوء عمله
الشرك وقيل انها نزلت في العاص بن وائل السهمي والاسود ابن المطلب وقال
غيره نزلت في ابي جهل بن هشام فراه حسنا اي صوابا قاله الكلبي وقيل جميلا قلت
والقول بان المراد كفار قريش اظهر الاقوال لقوله تعالى ليس عليك هداهم وقوله
ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر وقوله فلعلك باخع نفسك على اثارهم ان لم
يؤمنوا بهذا الحديث وقوله لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين وقوله في هذه الاية
فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وهذا ظاهر بين اي لا ينفع تاسفك على مقامهم على كفرهم
فان الله اضلهم وهذه الاية ترد على القدرية قولهم على ما تقدم افمن زين له سوء عمله
فراه حسنا يريد ان يهديه وانما ذلك الى الله لا اليك والذي اليك هو التبليغ وقرا
حمزة وشيبة وابن محيصن فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصبا على المفعول
والمعنيان متقاربان حسرات منصوب مفعول من اجله اي فلا تذهب نفسك للحسرات
وعليهم صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا وهو بيان للمتحسر عليه
عليه ولا يجوز ان يتعلق بالحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته ويجوز ان يكون حالا
كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير •
• مشق الهواجر لحمهن مع السرى • حتى ذهبن كلاكلا وصدورا •
يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قول الاخر •
• فعلى اثرهم تساقط نفسي • حسرات وذكرهم لي سقام •
ان الله عليم بما يصنعون قوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير
سحابا فسقناه الى بلد ميت ميت وميت واحد وكذا ميتة وميتة هذا قول الحذاق
من النحويين وقال محمد بن يزيد هذا قول البصريين ولم يستثن احدا واستدل على ذلك
بدلائل قاطعة وانشد • ليس من مات فاستراح بميت • انما الميت ميت الاحياء •
• انما الميت من يعيش كئيبا • كاسفا باله قليل الرجا •
قال فهل ترى بين ميت وميت فرقا وانشد •
• هينون لينون ايسار بنو يسر • سواس مكرمة ابناء ايسار •
قال فقد اجمعوا على ان هينون ولينون واحد وكذا ميت وميت وسيد وسيد
وقال فسقناه بعد ان قال الله الذي ارسل الرياح وهو من باب تلوين الخطاب
وقال ابو عبيدة سبيله فتسوقه لانه قال فتثير سحابا الزمخشري فان قلت لم جاء
فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده قلت لتحكي الحال التي تقع فيها اثارة
الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا
يفعلون بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال
تابط شرا • باني قد لقيت الغول تهوي • بسهب كالصحيفة صحصحان •
• فاضربها بلا دهش فخرت • صريعا لليدين وللجران •

لانه

لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها بزعمه على ضرب الغول كانه يبصرهم
اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك
سوق السحاب الى البلد الميت لما كانا من الدلائل على القدرة الباهرة قيل فسقنا واحيينا
معدولا بهما عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه وقراءة العامة الرياح
وقرا ابن محيصن وابن كثير والاعمش ويحيى وحمزة والكسائي الريح توحيدا وقد مضى هذه
الاية والكلام فيها مستوفى وكذلك النشور اي كذلك تحيون بعد ما متم من نشر الانسان
نشورا فالكاف في محل الرفع اي مثل احياء الموات نشور الاموات وعن ابي رزين العقيلي
قال قلت يا رسول الله كيف يحيي الله الموتى وما اية ذلك في خلقه قال اما مررت بوادي
اهلك ممحلا ثم مررت به يهتز خضرا قلت نعم يا رسول الله قال فكذلك يحيي الله الموتى
وتلك ايته في خلقه وقد ذكرنا هذا الخبر في الاعراف مستوفى قوله تعالى من كان
يريد العزة التقدير عند الفراء من كان يريد علم العزة الذي لا ذلة معها لان العزة كانت
تؤدي الى ذلة فانما هي تعرض للذلة والعزة التي لا ذل معها لله عز وجل جميعا منصوبا
على الحال وقدر الزجاج معناه من كان يريد بعبادته الله جل وعز العز والعزة له سبحانه
فان الله جل وعز يعزه في الاخرة والدنيا قلت وهذا احسن وروي مرفوعا على ما ياتي
فلله العزة جميعا ظاهر هذا اياس السامعين من عزته وتعريفهم ان ما وجب له من ذلك
لا مطمع فيه لغيره فتكون الالف واللام للعهد عند العالمين به سبحانه وبما وجب له من
ذلك وهو المفهوم من قوله الحق في سورة يونس فلا يحزنك قولهم ان العزة لله
جميعا ويحتمل ان يريد سبحانه ان ينبه ذوي الاقدار والهمم من اين تنال العزة ومن
اين تستحق فتكون الالف واللام للاستغراق وهو المفهوم من هذه الايات هذه
السورة فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها بافتقار وذل وسكون وخضوع
وجدها عنده ان شاء الله غير ممنوعة ولا محجوبة عنه قال صلى الله عليه وسلم من
تواضع لله رفعه الله ومن طلبها من غيره وكله الى من طلبها عنده وقد ذكر قوما طلبوا
العزة عند من سواه فقال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ايبتغون
عندهم العزة فان العزة لله جميعا فانبأك صريحا لا اشكال فيه ان العزة له يعز بها من
يشاء ويذل من يشاء وقال صلى الله عليه وسلم مفسرا لقوله من كان يريد العزة فلله العزة
جميعا من اراد عز الدارين فليطع العزيز وهذا معنى قول الزجاج ولقد احسن من قال
• واذا تذللت الرقاب تواضعا • منا اليك فعزها في ذلها •
فمن كان يريد العزة لينال الفوز الاكبر ويدخل دار العزة ولله العزة فليقصد بالذلة
الله سبحانه والاعتزاز به فانه من اعتز بالله اعزه الله قوله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب
وتم الكلام ثم يبتدئ والعمل الصالح يرفعه على معنى يرفعه الله او يرفع صاحبه ويجوز
ان يكون المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب فيكون الكلام متصلا على ما ياتي بيانه
والصعود هو الحركة الى فوق وهو العروج ايضا ولا يتصور ذلك في الكلام لانه عرض
لكن ضرب صعوده مثلا لقبوله لان موضع الثواب فوق وموضع العذاب اسفل وقال
الزجاج يقال ارتفع الامر الى القاضي اي علمه فهو بمعنى العلم وخص الكلام الطيب بالذكر
لبيان الثواب عليه وقوله اليه اي الى الله يصعد الكلم وقيل يصعد الى سمائه والمحل
الذي لا يجري فيه لاحد غيره حكم وقيل اي يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعات العبد
الى السماء والكلم الطيب هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة وقيل هو التحميد والتمجيد
وذكر الله ونحوه وانشدوا • لا ترض من رجل حلاوة قوله • حتى يزين ما يقول فعاله •
• فاذا وزنت فعاله بمقاله • فتوازنا فاخاء ذاك جمال •
وقال ابن المقفع • قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر •
وقيل فيه • لا يكون المقال الا بفعل • كل قول بلا فعال هباء •
• ان قولا بلا فعال جميل • ونكاحا بلا ولي سواء •

وقرأ الضحاك يُصعد بضم الياء وقرأ جمهور الناس الكلم جمع كلمة وقرأ أبو عبد الرحمن الكلام قلت فالكلام هاهنا قد يطلق بمعنى الكلم وبالعكس وعليه يخرج قول أبي القاسم أقسام الكلام ثلاثة فوضع الكلام موضع الكلم والله أعلم والعمل الصالح يرفعه قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما المعنى والعمل الصالح يرفع الكلم الطيب وفي الحديث لا يقبل الله قولا إلا بعمل ولا يقبل قولا وعملا إلا بنية ولا يقبل قولا وعملا ونية إلا بإصابة السنة قال ابن عباس فإذا ذكر العبد الله وقال كلاما طيبا وأدى فرائضه ارتفع قوله مع عمله وإذا قال ولم يؤد فرائضه رد قوله على عمله قال ابن عطية وهذا قول يرده معتقد أهل السنة ولا يصح عن ابن عباس والحق أن العاصي التارك للفرائض إذا ذكر الله وقال كلاما طيبا فإنه مكتوب له متقبل منه وله حسناته وعليه سيئاته والله تعالى يتقبل من كل من اتقى الشرك وأيضا فإن الكلم الطيب عمل صالح وإنما يستقيم قول من يقول إن العمل هو الرافع للكلم بأن يتأول أنه يزيده في رفعه وحسن موقعه إذا تعاضد معه كما أن صاحب الأعمال من صلاة وصيام وغير ذلك إذا تخلل أعماله كلم طيب وذكر الله كانت الأعمال أشرف فيكون قوله والعمل الصالح يرفعه موعظة وتذكرة وحضا على الأعمال وأما الأقوال التي هي أعمال في نفوسها كالتوحيد والتسبيح فمقبولة قال ابن العربي إن كلام المرء بذكر الله إن لم يقترن به عمل صالح لا ينفع لأن من خالف قوله فعله فهو وبال عليه وتحقيق هذا أن العمل إذا وقع شرطا في قبول القول أو مرتبطا فإنه لا قبول له إلا به وإن لم يكن شرطا فيه فإن كلمه الطيب يكتب له وعمله السيء يكتب عليه وتقع الموازنة بينهما ثم يحكم الله بالفوز والربح والخسران قلت ما قاله ابن العربي تحقيق والظاهر أن العمل الصالح شرط في قبول القول الطيب وقد جاء في الآثار أن العبد إذا قال لا إله إلا الله بنية صادقة نظرت الملائكة إلى عمله فإن كان العمل موافقا لقوله صعدا جميعا وإن كان عمله مخالفا وقف قوله حتى يتوب من عمله فعلى هذا العمل الصالح يرفع الكلم الطيب إلى الله تعالى والكناية في يرفعه ترجع إلى الكلم الطيب وهذا قول ابن عباس وشهر بن حوشب وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وأبي العالية والضحاك وعلى أن الكلم الطيب هو التوحيد فهو الرافع للعمل الصالح يرفعه الكلم الطيب والكناية تعود على العمل الصالح وروي هذا القول عن شهر بن حوشب قال الكلم الطيب القرآن والعمل الصالح يرفعه القرآن وقيل تعود على الله عز وجل أي أن العمل الصالح يرفعه الله على الكلم الطيب لأن العمل تحقيق الكلم والعامل أكثر تعبا من القائل وهذا هو حقيقة الكلام لأن الله هو الرافع الخافض والثاني والأول مجاز ولكنه سائغ جائز قال النحاس القول الأول أولاها وأصحها لعلو من قال به وأنه في العربية أولى لأن القراء على رفع العمل ولو كان المعنى والعمل الصالح يرفعه الله أو العمل الصالح يرفعه الكلم الطيب لكان الاختيار نصب العمل ولا نعلم أحدا قرأه منصوبا إلا شيئا روي عن عيسى بن عمر أنه قال قرأه أناس والعمل الصالح يرفعه الله وقيل والعمل الصالح يرفع صاحبه وهو الذي أراد العزة وعلم أنها تطلب من الله تعالى ذكره القشيري الثالثة ذكروا عن ابن عباس أن الكلب يقطع الصلاة فقرأ هذه الآية إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذا استدلال بعموم على مذهب السلف في القول بالعموم وقد دخل في الصلاة بشروطها فلا يقطعها عليه شيء إلا بثبوت ما يوجب ذلك من مثل ما انعقدت به من قرآن أو سنة أو إجماع وقد تعلق من رأى ذلك بقوله عليه السلام يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب الأسود فقلت ما بال الكلب الأسود من الكلب الأبيض من الكلب الأحمر فقال إن الأسود شيطان خرجه مسلم وقد جاء ما يعارض هذا وهو ما خرجه عن ابن أخي ابن شهاب أنه سأل عمه عن الصلاة يقطعها شيء فقال لا يقطعها شيء أخبرني عروة بن الزبير عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم فيصلي من الليل وإني لمعترضة بينه وبين القبلة على فراش أهله قوله تعالى والذين يمكرون السيئات ذكر الطبري في كتاب آداب النفوس حدثني يونس بن عبد الأعلى قال ثنا سفيان عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب الأشعري في قوله عز وجل والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور قال هم أصحاب الرياء وقول قول ابن

عباس ومجاهد وقتادة وقال أبو العالية هم الذين مكروا بالنبي صلى الله عليه وسلم لما اجتمعوا في دار الندوة وقال الكلبي يعني الذين يعملون السيئات في الدنيا مقاتل يعني الشرك فتكون السيئات مفعولة ويقال بار يبور إذا هلك وبطل وبارت السوق إذا كسدت ومنه نعوذ بالله من بوار الأيم وقوله وكنتم قوما بورا أي هلكى والمكر ما عمل على سبيل الاحتيال والخديعة وقد مضى في سبأ قوله تعالى والله خلقكم من تراب قال سعيد عن قتادة يعني آدم عليه السلام والتقدير على هذا خلق أصلكم من تراب ثم من نطفة قال أي التي أخرجها من ظهور آبائكم ثم جعلكم أزواجا قال أي زوج بعضكم بعضا فالذكر زوج الأنثى ليتم البقاء في الدنيا إلى انقضاء مدتها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه أي جعلكم أزواجا فيتزوج الذكر بالأنثى فيتناسلون بعلم الله فلا يكون حمل ولا وضع إلا والله عالم به فلا يخرج شيء عن تدبيره وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب سماه معمرا بما هو صائر إليه قال سعيد بن جبير عن ابن عباس وما يعمر من معمر إلا كتب عمره كم هو سنة كم هو شهرا كم هو يوما كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى يستوفي أجله وقال ابن جبير قال فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره فالهاء على هذا للمعمر وعن سعيد أيضا يكتب عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان حتى يأتي إلى آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة ومذهب الفراء في معنى وما يعمر من معمر أي ما يكون من عمره ولا ينقص من عمره بمعنى معمر آخر أي ولا ينقص الآخر من عمره إلا في كتاب فالكناية في عمره ترجع إلى آخر غير الأول وكنى عنه بالهاء كأنه الأول ومثله قولك عندي درهم ونصفه أي نصف آخر وقيل إن الله كتب عمر الإنسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب وهذا مثل قوله عليه السلام من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه أي أنه يكتب له في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا وكذا سنة فإن وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطلع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان وقد مضى هذا المعنى عند قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت والكناية على هذا ترجع إلى العمر وقيل المعنى وما يعمر من معمر أي هرم ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب أي بقضاء من الله جل وعز روي معناه عن الضحاك واختاره النحاس قال وهو أشبهها بظاهر التنزيل وروي نحوه عن ابن عباس فالهاء على هذا يجوز أن تكون للمعمر ويجوز أن تكون لغير المعمر إن ذلك على الله يسير أي كتابة الأعمال والآجال غير متعذر عليه وقراءة العامة ينقص بضم الياء وفتح القاف وقرأت فرقة منهم يعقوب ينقص بفتح الياء وضم القاف أي لا ينقص من عمره شيء يقال نقص الشيء بنفسه ونقصه غيره وزاد بنفسه وزاده غيره متعد ولازم وقرأ الأعمش والزهري عن عمره بتخفيف الميم وضمها الباقون وهما لغتان مثل السحق والسحق ويسير أي إحاطة طول الأعمار وقصرها لا يتعذر عليه شيء منها ولا يعزب والفعل منه يسر ولو سميت به إنسانا انصرف لأنه فعيل قوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات فيه أربع مسائل الأولى قوله تعالى وما يستوي البحران قال ابن عباس فرات حلو وأجاج مر وقرأ طلحة هذا ملح أجاج بفتح الميم وكسر اللام بغير ألف فأما المالح فهو الذي يجعل فيه الملح وقرأ عيسى وابن أبي إسحاق سيغ شرابه مثل سيد وميت ومن كل تأكلون لحما طريا لا اختلاف أنه منهما جميعا وقد مضى في النحل الكلام فيه الثانية قوله تعالى وتستخرجون حلية تلبسونها مذهب أبي إسحاق أن الحلية إنما تستخرج من الملح فقيل منهما لأنهما مختلطان وقال غيره إنما تستخرج الأصداف التي فيها الحلية من الدر وغيره من المواضع التي فيها العذب والملح نحو العيون فهو مأخوذ منهما لأن في البحر عيونا عذبة وبينهما يخرج اللؤلؤ عند التمازج وقيل من مطر السماء وقال محمد بن يزيد قولا رابعا قال إنما تستخرج الحلية من الملح خاصة النحاس وهذا أحسنها وليس هذا عنده لأنهما مختلطان ولكن جمعا ثم أخبر عن أحدهما كما قال عز وجل وهو الذي جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وكما تقول لو رأيت الحسن والحجاج لرأيت خيرا وكما تقول لو رأيت الأصمعي وسيبويه لملأت يدك لغة

ويخرجون
ونغوا فقد عرفت معنى هذا وهو كلام فصيح كثير فكذا ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون
حلية تلبسونها فاجتمعا في الاول وانفرد الملح بالثانية الثالثة وفي قوله تعالى تلبسونها
دليل على ان لباس كل شي بحسبه فالخاتم يجعل في الاصبع والسوار في الذراع والقلادة
في العنق والخلخال في الرجل وفي البخاري والنسائي عن ابن سيرين قال قلت لعبيدة
افتراش الحرير كلبسه قال نعم وفي الصحاح عن انس فقمت الى حصير لنا قد اسود من طول
ما لبس الحديث الرابعة قوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر قال النحاس اي في الملح خاصة
ولولا ذلك لقال فيهما وقد مخرت السفينة تمخر اذا شقت الماء وقد مضى هذا في النحل لتبتغوا
من فضله قال مجاهد التجارة في الفلك الى البلدان البعيدة في مدة قريبة كما تقدم في
البقرة وقيل ما يستخرج من حليته ويصاد من حيتانه ولعلكم تشكرون الله على ما
اتاكم من فضله وقيل على ما انجاكم من هوله قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج
النهار في الليل تقدم في ال عمران وغيرها وسخر الشمس كل يجري لاجل مسمى تقدم في لقمان
بيانه ذلكم الله ربكم اي هذا الذي من صنعه ما تقرر هو الخالق المدبر والقادر المقتدر
فهو الذي يعبد والذين تدعون من دونه يعني الاصنام ما يملكون من قطمير اي لا يقدرون
عليه ولا على خلقه والقطمير القشرة الرقيقة البيضا التي بين الثمرة والنواة قاله اكثر
المفسرين وقال ابن عباس هو شق النواة وهو اختيار المبرد وعن قتادة ايضا ان
القطمير القمع الذي على راس النواة الجوهري ويقال هي النكتة البيضا التي في ظهر النواة
تنبت منها النخلة قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاكم اي ان تستغيثوا بهم في النوائب
لا يسمعوا دعاكم لانها جماد لا تبصر ولا تسمع ولو سمعوا ما استجابوا لكم اذ ليس كل سامع
ناطقا وقال قتادة لو سمعوا لم ينفعوكم وقيل اي لو جعلنا لهم عقولا وحياة فسمعوا دعاكم
لكانوا اطوع لله منكم فلما استجابوا لكم على الكفر ويوم القيامة يكفرون بشرككم اي يجحدون
انكم عبدتموهم ويتبرون منكم ويجوز ان يرجع هذا الى المعبود مما يعقل كالملايكة والجن
والانبيا والشياطين اي يجحدون ان يكون ما فعلتموه حقا وانهم امروكم بعبادتهم كما اخبر
عن عيسى بقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ويجوز ان يندرج فيه الاصنام ايضا اي
يحييها الله حتى تخبر انها ليست اهلا للعبادة ولا ينبيك مثل خبير هو الله جل وعز اي
لا احد اخبر بخلق الله من الله فلا ينبيك مثله في علمه قوله تعالى يا ايها الناس انتم
الفقرا الى الله اي المحتاجون اليه في بقايكم وكل احوالكم الزمخشري فان قلت لم عرف
الفقرا قلت قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقرا وان كانت الخلايق
كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف
كان افقر وقد شهد الله سبحانه على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا
وقال الله الذي خلقكم من ضعف ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقرا فان قلت قد
قوبل الفقرا بالغني فما فايدة الحميد قلت لما اثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وليس كل غني
نافع بغناه الا اذا كان الغني جوادا منعما فاذا جاد وانعم حمده المنعم عليهم واستحق
عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على انه الغني النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم
المستحق بانعامه عليهم ان يحمدوه وتخفيفا الهمزة الثانية اجود الوجوه عند الخليل
ويجوز تخفيف الاولى وحدها وتخفيفهما جميعا والله هو الغني الحميد تكون هو زايدة
فلا يكون لها موضع من الاعراب وتكون مبتداة فتكون موضعها رافعا قوله تعالى ان يشا
يذهبكم اي يفنيكم ويات بخلق جديد اي اطوع منكم وازكى وما ذلك على الله بعزيز اي ممتنع
عزيز متعذر وقد مضى هذا في ابراهيم قوله تعالى ولا تزر وازرة وزر اخرى تقدم
الكلام فيه وهو مقطوع مما قبله والاصل توزر حذفت الواو اتباعا لتزر وازرة نعت
لمحذوف اي نفس وازرة وكذا وان تدع مثقلة قال الفرا اي نفس مثقلة او دابة
قال وهذا يقع للذكر والمونث قال الاخفش اي وان تدع مثقلة انسانا الى حملها وهو
ذنوبها والحمل ما كان على الظهر والحمل حمل المراة وحمل النخلة حكاها الكسائي بالفتح
لا غير وحكى ابن السكيت ان حمل النخلة يفتح ويكسر لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى القدير

علي

على قول الاخفش ولو كان الانسان المدعو ذا قربى واجاز الفرا ولو كان ذو قربى وهذا
جايز عند سيبويه ومثله وان كان ذو عسرة فنظرة فتكون كان بمعنى وقع او يكون الخبر
محذوفا اي وان كان فيمن تطالبون ذو عسرة وحكى سيبويه الناس مجزيون باعمالهم ان
خيرا فخير على هذا وخيرا فخير على الاول وحكى سيبويه روي عن عكرمة انه قال بلغني
ان اليهودي والنصراني يرى الرجل المسلم يوم القيامة فيقول له الم اكن قد اسديت اليك يدا
الم اكن قد احسنت اليك فيقول بلى فيقول انفعني فلا يزال المسلم يسال الله تعالى حتى
ينقص من عذابه وان الرجل لياتي الى ابيه يوم القيامة فيقول الم اكن بك بارا وعليك
مشفقا واليك محسنا وانت ترى ما انا فيه فهب لي حسنة من حسناتك او احمل عني سيئة
من سيئاتي فيقول ان الذي سالتني ليسير ولكني اخاف مثل ما تخاف وان الاب ليقول
لابنه مثل ذلك فيرد عليه نحوا من هذا وان الرجل ليقول لزوجته الم اكن احسن العشيرة
لك فاحملي عني خطيئة لعلي انجو فتقول ان ذلك ليسير ولكني اخاف مما تخاف منه ثم تلى
عكرمة وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شي ولو كان ذا قربى وقال الفضيل بن عياض
هي المراة تلقى ولدها فتقول يا بني الم يكن بطني لك وعاء الم يكن حجري لك وطاء الم يكن ثديي لك
سقاء فيقول بلى يا اماه فتقول يا بني قد اثقلتني ذنوبي فاحمل عني منها ذنبا واحدا فيقول
اليك عني يا اماه فاني بذنبي عنك مشغول انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اي انما
يقبل انذارك من يخشى عقاب الله وهو كقوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن
بالغيب اي ومن اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقري ومن ازكى فانما يزكي لنفسه اي ومن
اهتدى فانما يهتدي لنفسه وقري ومن ازكى فانما يزكي لنفسه والى الله المصير اي اليه
يرجع جميع الخلق قوله تعالى وما يستوي الاعمى والبصير اي الكافر والمومن والجاهل
والعالم مثل قل لا يستوي الخبيث والطيب ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور
قال الاخفش والحرور لا تكون الا مع شمس النهار والسموم يكون بالليل وقيل عكسه
وقال روبة ابن العجاج الحرور يكون بالنهار خاصة والسموم يكون بالليل خاصة حكاه
المهدوي وقال الفرا السموم لا يكون الا بالنهار والحرور يكون فيهما النحاس وهذا اصح
لان الحرور فعول من الحر وفيه معنى التكثير اي الحر المودي قلت وفي صحيح مسلم عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قالت النار رب اكل بعضي بعضا
فاذن لي اتنفس فاذن لها بنفسين نفس في الشتا ونفس في الصيف فما وجدتم من
برد او زمهرير فمن نفس جهنم وما وجدتم من حر او حرور فمن نفس جهنم وروي من
حديث الزهري عن ابي سعيد عن ابي هريرة فما تجدون من الحر من سمومها وشدة ما
تجدون من البرد من زمهريرها وهذا يجمع تلك الاقوال وان السموم والحرور يكون
بالليل والنهار فالجنة ذات ظل دايم كما قال تعالى اكلها دايم وظلها والنار ذات حرور
قال معناه السدي وقال ابن عباس اي ظل الليل وحر السموم بالنهار قطرب الحرور
الحر والظل البرد وما يستوي الاحيا ولا الاموات قال ابن قتيبة الاحيا العقلا والاموات
الجهال قتادة هذه كلها امثال اي كما لا يستوي هذه الاشيا كذلك لا يستوي الكافر والمومن
ان الله يسمع من يشا اي يسمع اولياه الذين خلقهم لجنته وما انت بمسمع من في القبور اي
الكفار الذين امات قلوبهم اي كما لا يسمع من مات كذلك لا يسمع من مات قلبه وقرا الحسن
وعيسى الثقفي وعمرو بن ميمون بمسمع من في القبور بحذف التنوين تخفيفا اي هم بمنزلة القبور
انهم لا ينتفعون بما يسمعونه ولا يقبلونه قوله تعالى ان انت الا نذير اي رسول منذر
فليس عليك الا البلاغ ليس لك من الهدى شي انما الهدى بيد الله جل وعز قوله تعالى
انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا اي بشيرا بالجنة اهل طاعته ونذيرا بالنار اهل معصيته
وان من امة الا خلا فيها نذير اي سلف فيها نبي قال ابن جريج الا العرب قوله تعالى
وان يكذبوك يعني كفار قريش فقد كذب الذين من قبلهم انبياهم يسلي رسوله صلى الله
عليه وسلم جاتهم رسلهم بالبينات اي بالمعجزات الظاهرات والشرايع الواضحات وبالزبر
اي الكتب المكتوبة وبالكتاب المنير الواضح وكرر الزبر والكتاب وهما واحد لاختلاف

للمنطيب وقيل برجع البينات والزبر والكتاب الى معنى واحد وهو ما انزل على الانبيا
من الكتب ثم اخذت الذين كفروا فكيف كان نكير اي كيف كان عقوبتي لهم واثبت ورش
عن نافع وتثبيت اليا في نكيري حيث وقعت في الوصل ودون الوقف واثبتها يعقوب
في الحالين وقد مضى هذا كله والحمد لله قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السما ما هذه
الروية روية القلب والعلم اي الم ينته علمك ورايت بقلبك ان الله انزل فان واسمها
وخبرها سدت مسد مفعولي الروية فاخرجنا به ثمرات هو من باب تلوين الخطاب مختلفا
الوانها نصبت مختلفا نعتا لثمرات والوانها رفع بمختلف وصلح ان يكون نعتا لثمرات لما عاد
عليه من ذكره ويجوز في غير القران رفعه ومثله رايت رجلا خارجا ابوه به اي بالما وهو
واحد والثمرات مختلفة ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلفا الوانها الجدد جمع جدة وهي
الطرايق المختلفة الالوان وان كان الجمع جرادا وترابا قال الاخفش ولو كان جمع جديد
لقال جدد بضم الجيم والدال نحو سرير وسرر وقال زهير
كانه اسفع الخدين ذو جدد ٭ طاو ويرتع بعد الصيف عريانا ٭
وقيل ان الجدد القطع ماخوذ من جددت الشي اذا قطعته حكاه ابن بحر قال الجوهري
والجدة الخطة التي في ظهر الحمار تخالف لونه والجدة الطريقة والجمع جدد وقال تعالى ومن
الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها اي طرايق تخالف لون الجبل ومنه قولهم ركب فلان
جدة من الامر اذا راي فيه رايا وكسا مخطط فيه خطوط مختلفة الزمخشري وقرا الزهري
جدد بالضم جمع جديدة وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدايد كسفينة وسفن وسفاين
وقد فسر بها قول ابي ذويب ٭ جون السراة له جدايد اربع ٭
وروي عنه جددة بفتحتين وهي الطريق الواضح المسفر موضعه موضع الطريق والخطوط
الواضحة المنفصل بعضها من بعض ومن الناس والدواب قري من الدواب مخففا ونظير
هذا التخفيف قراة من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقا الساكنين فحرك
ذلك اولهما وحذف هذا اخرهما قاله الزمخشري والانعام مختلف الوانه اي فيهم الاحمر والابيض
والاسود وغير ذلك وكل ذلك دليل على صانع مختار وقال مختلف الوانه فذكر الضمير
مراعاة لمن قاله الموخر وقال ابو بكر بن عياش انما ذكر الكناية لاجل الانعام ردوده الى ما
مضمرة بجانبه ومن الناس والدواب والانعام ما هو مختلف الوانه اي ابيض واحمر واسود
وغرابيب سود قال ابو عبيدة الغربيب الشديد السواد ففي الكلام تقديم وتاخير
والمعنى ومن الجبال سود غرابيب والعرب تقول للشديد السواد الذي لونه لون
الغراب اسود غربيب قال الجوهري وتقول هذا اسود غربيب اي شديد السواد واذا
قلت غرابيب سود تجعل السود بدلا من غرابيب لان توكيد الالوان لا يتقدم وفي
الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض الشيخ الغربيب يعني الذي يخضب
بالسواد قال امرؤ القيس ٭ العين طامحة واليد سابحة ٭ والرجل لاحقة والوجه غربيب ٭
وقال اخر يصف كرما ٭ ومن تعاجيب خلق الله غاطية ٭ يعصر منها ملاحي وغربيب ٭
كذلك هنا تمام الكلام اي كذلك تختلف احوال العباد في الخشية ثم استانف فقال انما
يخشى الله من عباده العلما يعني بالعلما الذين يخافون قدرته فمن علم انه عز وجل قدير
ايقن بمعاقبته على المعصية كما روى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس انما يخشى
الله من عباده العلما قال الذين علموا ان الله على كل شي قدير وقال الربيع بن انس
من لم يخش الله فليس بعالم وقال مجاهد انما العالم من خشي الله عز وجل وعن ابن
مسعود كفى بخشية الله علما وبالاغترار جهلا وقيل لسعد بن ابراهيم من افقه اهل
المدينة قال اتقاهم لربه عز وجل وعن مجاهد قال انما الفقيه من يخاف الله وعن علي
رضي الله عنه قال ان الفقيه حق الفقيه من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يرخص
لهم في معاصي الله ولم يومنهم من عذاب الله ولم يدع القران رغبة عنه الى غيره انه لا
خير في عبادة لا علم فيها ولا علم لا فقه فيه ولا قراة لا تدبر فيها واسند الدارمي
عن مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فضل العالم على العابد

كفضلي على ادناكم ثم تلا هذه الاية انما يخشى الله من عباده العلما ان الله وملايكته واهل
سماواته وارضه والنون في البحر يصلون على الذين يعلمون الناس الخير الخبر مرسل قال الدارمي
وحدثنا ابو النعمان قال حدثنا حماد بن زيد عن يزيد بن حازم قال حدثني عمي جرير بن يزيد
انه سمع تبيعا يحدث عن كعب قال اني لاجد نعت قوم يتعلمون لغير العمل ويتفقهون لغير
العبادة ويطلبون الدنيا بعمل الاخرة ويلبسون جلود الضان قلوبهم امر من الصبر فبي يغترون
او بي يخادعون فبي حلفت لاتيحن لهم فتنة تذر الحليم فيهم حيرانا خرجه الترمذي مرفوعا
من حديث ابي الدردا وقد كتبناه في مقدمة الكتاب والحمد لله الزمخشري فان قلت فما وجه
قراة من قرا انما يخشى الله بالرفع من عباده العلما بالنصب وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى
عن ابي حنيفة قلت الخشية في هذه القراة استعارة والمعنى انما يجلهم ويعظمهم كما يجل
المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله عزيز غفور تعليل لوجوب
الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل الطاعة والعفو عنهم والمعاقب
والمثاب حقه ان يخشى قوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة ٭
وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية هذه اية القرا العاملين العالمين الذين يقيمون الصلاة
الفرض والنفل وكذا في الانفاق وقد مضى في مقدمة الكتاب ما ينبغي ان يتخلق به قارى
القران يرجون تجارة لن تبور قال احمد بن يحيى خبر ان يرجون ويزيدهم من فضله قيل
الزيادة الشفاعة في الاخرة وهذه مثل الاية الاخرى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله الى قوله ويزيدهم من فضله وقوله في اخر النسا واما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
اجورهم ويزيدهم من فضله وهناك يبينه انه غفور للذنوب شكور يقبل القليل من
العمل الخالص ويثيب عليه الجزيل من الثواب قوله تعالى والذي اوحينا اليك من الكتاب
يعني القران هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير قوله تعالى ثم
اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الى قوله ولا
يمسنا فيها لغوب فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من
عبادنا ثم قال فمنهم ظالم لنفسه وقد تكلم العلما فيها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم
قال النحاس فمن اصح ما روي في ذلك ما روي عن ابن عباس فمنهم ظالم لنفسه قال الكافر
ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال بعض فرقتان ويكون التقدير في العربية
فمنهم من عبادنا ظالم لنفسه اي كافر وقال الحسن اي فاسق ويكون الضمير الذي في يدخلونها
عايدا على المقتصد والسابق لا على الظالم وعن عكرمة وقتادة والضحاك والفرا ان المقتصد
المومن العاصي والسابق التقي على الاطلاق قالوا وهذه الاية نظير قوله في سورة الواقعة
وكنتم ازواجا ثلاثة قالوا وبعيد ان يكون ممن يصطفي ظالم ورواه مجاهد عن ابن عباس
قال مجاهد فمنهم ظالم لنفسه اصحاب المشامة ومنهم مقتصد اصحاب الميمنة ومنهم سابق
بالخيرات السابقون من الناس كلهم وقيل الضمير في يدخلونها يعود على الثلاث الاصناف
على ان لا يكون الظالم ها هنا كافرا ولا فاسقا وممن روي عنه هذا القول عمر وعثمان وابو
الدردا وابن مسعود وعقبة بن عمرو وعايشة والتقدير على هذا القول ان يكون الظالم
لنفسه الذي عمل الصغاير والمقتصد قال محمد بن يزيد هو الذي يعطي الدنيا حقها والاخرة
حقها فيكون جنات عدن يدخلونها عايدا على الجميع على هذا الشرح والتبيين وروي
عن ابي سعيد الخدري وقال كعب الاحبار استوت مناكبهم ورب الكعبة وتفاضلوا
باعمالهم وقال ابو اسحاق السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وروى
اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية وقال كلهم في الجنة وقرا
عمر بن الخطاب هذه الاية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا
ناج وظالمنا مغفور له فعلى هذا القول يقدر مفعول الاصطفا من قوله اورثنا الكتاب
الذين اصطفينا من عبادنا مضافا فحذف كما حذف المضاف في واسال القرية اي اصطفينا
دينهم فبقي اصطفيناهم فحذف العايد الى الموصول كما حذف في قوله ولا اقول للذين
تزدري اعينكم اي تزدريهم فالاصطفا اذا موجه الى دينهم كما قال تعالى ان الله اصطفى

ثم الذين قال النحاس وقول ثالث يكون الظالم صاحب الكبائر والمقتصد الذي لم يستحق
الجنة بزيادة حسناته على سيئاته فيكون جنات عدن يدخلونها للذين سبقوا
بالخيرات لا غير وهذا قول جماعة من اهل النظر لان النظير في حقيقة النظر لما يليه اولى
قلت القول الوسط اولاها واصحها ان شاء الله لان الكافر والمنافق لم يصطفوا بحمد الله
ولا اصطفى دينهم وهو قول ستة من الصحابة وحسبك وسنزيد بيانا وايضاحا في باقي
الاية الثانية قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب اي اعطينا والميراث عطا حقيقة او مجازا فانه
يقال فيما صار للانسان بعد موت اخر والكتاب هاهنا يريد به معاني الكتاب وعلمه
واحكامه وعقايده وكان الله تعالى لما اعطى امة محمد صلى الله عليه وسلم القران وهو
قد تضمن معاني الكتب المنزلة فكانه ورث امة محمد عليه السلام الكتاب الذي كان في
الامم قبلنا اصطفينا اي اخترنا واشتقاقه من الصفو وهو الخلوص من شوائب الكدر
واصله اصفونا فابدلت التاء طاء والواو ياء من عبادنا قيل المراد امة محمد صلى الله عليه
وسلم واله ولم يرثوه وقيل المصطفون الانبيا توارثوا الكتاب بمعنى انه انتقل عن
بعضهم الى اخر قال الله تعالى وورث سليمان داود وقال يرثني ويرث من ال
يعقوب فاذا جاز ان يكون النبوة موروثة فكذلك الكتاب فمنهم ظالم لنفسه من وقع
في صغيرة قال ابن عطية وهذا قول مردود من غير ما وجه قال الضحاك معنى فمنهم
ظالم لنفسه اي من ذريتهم ظالم لنفسه وهو المشرك الحسن من امهم على ما تقدم ذكره من
الخلاف في الظالم والاية في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلف عبارات ارباب القلوب
في الظالم والمقتصد والسابق فقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم
والظالم الجاهل وقال ذو النون المصري الظالم الذاكر الله بلسانه فقط والمقتصد
الذاكر بقلبه والسابق الذي لا ينساه وقال الانطاكي الظالم صاحب الاقوال والمقتصد
صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وقال ابن عطا الظالم الذي يحب الله من
اجل الدنيا والمقتصد الذي يحبه من اجل العقبى والسابق الذي يحبه اسقط مراده
بمراد الحق وقيل الظالم الذي يعبد الله خوفا من النار والمقتصد الذي يعبد الله طمعا
في الجنة والسابق الذي يعبده لوجهه لا لسبب وقيل الظالم الزاهد في الدنيا لانه
ظالم لنفسه فترك لها حظا وهي المعرفة والمحبة والمقتصد العارف والسابق المحب وقيل
الظالم الذي يجزع عند البلاء والسابق المتلذذ بالبلاء وقيل الظالم الذي يعبد الله على
الغفلة والعادة والمقتصد الذي يعبد الله على الرغبة والرهبة والسابق الذي يعبده
على الهيبة وقيل الظالم الذي اعطي فمنع والمقتصد الذي اعطي فبذل والسابق الذي
منع فشكر واثر يروى عن عابد من السفيا فقال كيف كان حال اخوانكم بالبصرة قال
بخير ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا فقال هذه عادة الكلاب عندنا ببلخ عبادنا
ان منعوا شكروا وان اعطوا اثروا وقيل الظالم من استغنى بماله والمقتصد من استغنى
بدينه والسابق من استغنى بربه وقيل الظالم التالي للقران ولا يعمل به والمقتصد
التالي للقران ويعمل به والسابق القاري للقران العامل به والعالم به وقيل السابق
الذي يدخل المسجد قبل تاذين المؤذن والظالم الذي يدخل المسجد وقد اقيمت
الصلاة لانه ظلم نفسه الاجر فلم يحصل له ما حصله غيره وقال بعض اهل العلم في هذا
بل السابق الذي يدرك الوقت والجماعة فيدرك الفضيلتين والمقتصد الذي فاتته
الجماعة لم يفرط في الوقت والظالم الغافل عن الصلاة حتى يفوت الوقت والجماعة
فهو اولى بالظلم وقيل الظالم الذي يحب نفسه والمقتصد الذي يحب دينه والسابق
الذي يحب ربه وقيل الظالم الذي ينتصف ولا ينصف والسابق الذي ينصف ولا ينتصف
وقالت عايشة رضي الله عنها السابق الذي اسلم قبل الهجرة والمقتصد من اسلم
بعد الهجرة والظالم من لم يسلم الا بالسيف وهم كلهم مغفور لهم قلت ذكر هذه الاقوال
وزيادة عليها الثعلبي في تفسيره وبالجملة فهما طرفان وواسطة وهو المقتصد
الملازم للقصد وهو ترك الميل ومنه قول جابر بن حني التغلبي *

* تعالى الملوك السلم ما قصدوا لنا * وليس علينا قتلهم بمحرم *
اي نعاطيهم الصلح ما ركبوا بنا القصد اي ما لم يجوروا وليس قتلهم بمحرم علينا ان جاروا فلذلك
كان المقتصد منزلة فوق المنزلتين فهو فوق الظالم لنفسه دون السابق بالخيرات ذلك هو
الفضل الكبير يعني ايراثنا الكتاب لهم وقيل الاصطفاء مع علمنا بعيوبهم هو الفضل الكبير وقيل
وعد الجنة لهولاء الثلاثة فضل كبير الثالثة وتكلم الناس في تقديم الظالم على المقتصد
والسابق فقيل التقديم في الذكر لا يقتضي تشريفا كقوله تعالى لا يستوي اصحاب النار واصحاب
الجنة وقيل قدم الظالم لكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصد قليل بالاضافة اليهم
والسابقون اقل من القليل ذكره الزمخشري ولم يذكر غيره وقيل قدم الظالم لتاكيد الرجا
في حقه اذ ليس له شي يتكل عليه الا رحمة ربه واتكل المقتصد على حسن ظنه والسابق اتكل
على طاعته وقيل قدم الظالم لئلا ييأس من رحمة الله واخر السابق لئلا يعجب بعمله وقال جعفر
ابن محمد بن الامام علي الصادق صلوات الله عليهم قدم الظالم ليخبر انه لا يتقرب اليه الا بصرف
رحمته وكرمه وان الظلم لا يؤثر في الاصطفائية اذا كانت ثم عناية ثم ثنى بالمقتصدين لانهم
بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين لئلا يامن احد مكر الله وكلهم في الجنة بحرمة كلمة الاخلاص
لا اله الا الله محمد رسول الله وقال محمد بن علي الترمذي جمعهم في الاصطفاء ازالة للعلل عن
العطاء لان الاصطفاء يوجب الارث لا الارث يوجب الاصطفاء ولذلك قيل في الحكمة صحح النسبة
ثم ادع في الميراث وقيل اخر السابق ليكون اقرب الى الجنان والثواب كما قدم الصوامع والبيع
في سورة الحج على المساجد لتكون الصوامع اقرب الى الهدم والخراب وتكون المساجد اقرب الى
ذكر الله وقيل ان الملوك اذا ارادوا الجمع بين الاشياء بالذكر قدموا الادنى كقوله لشديد
العقاب وقوله وانه لغفور رحيم وقوله يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وقوله
لا يستوي اصحاب النار واصحاب الجنة قلت ولقد احسن من قال *
* وغاية هذا الجود انت وانما * يوافي الى الغايات في اخر الامر *
الرابعة قوله تعالى جنات عدن يدخلونها جمعهم في الدخول لانه ميراث والعاق والبار
في الميراث سوا اذا كانوا معترفين بالنسب فالعاصي والمطيع مقترين بالرب وقرئ جنة عدن
على الانفراد كانها جنة مختصة بالسابقين لقلتهم على ما تقدم وجنات عدن بالنصب على اضمار
فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها وهذا الجميع وهو الصحيح ان شاء
الله وقرا ابو عمرو يدخلونها بضم اليا وفتح الخا قال لقوله يحلون وقد مضى في الحج
الكلام في قوله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد
لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور قال ابو ثابت دخل رجل المسجد فقال
اللهم ارحم غربتي وانس وحدتي ويسر لي جليسا صالحا فقال ابو الدردا لئن كنت صادقا
فلانا اسعد بذلك منك سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال فيجي هذا السابق
فيدخل الجنة بغير حساب واما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا واما الظالم لنفسه فيحبس
في المقام ويحزن ثم يدخل الجنة ثم الذين قالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور وفي لفظ اخر واما الذين ظلموا انفسهم فاولئك يحبسون في طول المحشر
ثم هم الذين تلقاهم الله برحمته فهم الذين يقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان
ربنا لغفور شكور الى قوله ولا يمسنا فيها لغوب وقيل هو الذي يوجد عنه في مقابح
يعني يكفر عنه بما يصيبه من الهم والحزن ومنه قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به يعني في
الدنيا قال الثعلبي وهذا التاويل اشبه بالظاهر لانه قال جنات عدن يدخلونها
ولقوله الذين اصطفينا من عبادنا فالكافر والمنافق لم يصطفوا قلت وهذا هو الصحيح
وقد قال صلى الله عليه وسلم كل المنافق الذي يقرا القران واخبر الحق سبحانه ان المنافق
في الدرك الاسفل من النار وكثير من الكفار اليهود والنصارى يقرونه في زماننا هذا
وقال مالك قد يقرا القران من لا خير فيه والنصب التعب واللغوب الاعيا قوله تعالى
والذين كفروا لهم نار جهنم لما ذكر اهل الجنة واحوالهم ومقالتهم ذكر اهل النار واحوالهم

ومقاتلهم لا يقضى عليهم فيموتوا مثل لا يموت فيها ولا يحيى ولا يخفف عنهم
من عذابها مثل كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب كذلك نجزي كل
كفور اي كافر بالله ورسوله وقرا الحسن فيموتون بالنون ولا يكون للنفي حينئذ جواب ويكون
عطفا على يقضى تقديره لا يقضى عليهم ولا يموتون كقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون
بالنون في المصحف لانه راس اية ولا يقضى عليهم فيموتوا لانه راس اية ويجوز في كل واحد منهما
ما جاز في صاحبه وهم يصطرخون فيها اي يستغيثون في النار بالصوت العالي والصراخ
الصوت العالي والصارخ المستغيث والمستصرخ المغيث قال •
• كنا اذا ما اتانا صارخ فزع • كان الصراخ له قرع الظنابيب •
ربنا اخرجنا اي يقولون ربنا اخرجنا من جهنم وردنا الى الدنيا نعمل صالحا قال ابن
عباس نقل لا اله الا الله غير الذي كنا نعمل اي من الشرك اي نؤمن بدل
الكفر ونطيع بدل المعصية ونمتثل امر الرسل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر هذا جواب
دعائهم اي فيقال لهم فالقول مضمر وترجم البخاري باب من بلغ ستين سنة فقد اعذر
الله اليه في العمر لقوله عز وجل اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعني الشيب
حدثنا عبد السلام بن مطهر قال حدثنا عمر بن علي قال ثنا معن بن محمد الغفاري
عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله
الى امرئ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة قال الخطابي اعذر اليه اي بلغ به اقصى العذر ومنه
قولهم قد اعذر من انذر اي اقام عذر نفسه في تقديم نذارته والمعنى ان من عمره الله ستين
سنة لم يبق له عذر لان الستين قريب معترك المنايا وهو سن الانابة والخشوع وترقب
المنية ولقاء الله تعالى ففيه اعذار بعد اعذار الاول بالنبي صلى الله عليه وسلم والمرتان في
الاربعين والستين قال علي وابن عباس وابي هريرة في تاويل قوله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر
فيه من تذكر انه ستون سنة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في موعظته
ولقد ابلغ في الاعذار من تقدم في الانذار وانه لينادي مناد من قبل الله تعالى ابناء الستين
اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير وذكر الترمذي الحكيم من حديث عطاء بن ابي
رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودي
ابناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وعن ابن عباس
ايضا انه بلغ اربعون سنة وعن الحسن البصري ومسروق مثله ولهذا القول ايضا وجه
وهو صحيح والحجة له قوله عز وجل حتى اذا بلغ اشده وبلغ اربعين سنة الاية ففي الاربعين
تناهي العقل وما قبل ذلك وما بعده منتقص عنه والله اعلم وقال مالك ادركت اهل
العلم ببلدنا وهم يطلبون الدنيا والعلم ويخالطون الناس حتى ياتي لاحدهم اربعين سنة
فاذا اتت عليهم اعتزلوا واشتغلوا بالقيامة حتى ياتيهم الموت وقد مضى هذا المعنى
في سورة الاعراف والحمد لله وخرج ابن ماجه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين واقلهم من يجوز ذلك قوله تعالى
وجاءكم النذير واختلف فيه فقيل القران وقيل الرسول قاله زيد بن علي وابن زيد
وقال ابن عباس وعكرمة وسفيان ووكيع والحسين ابن الفضل والفرا والطبري هو
الشيب وقيل النذير الحمى وقيل موت الاهل والاقارب وقيل كمال العقل والنذير
بمعنى الانذار قلت فالشيب والحمى وموت الاهل كله انذار بالموت قال صلى الله عليه
وسلم الحمى رائد الموت قال الازهري معناه ان الحمى رسول الموت اي كانها تشعر
بقدومه وتنذر بمجيئه والشيب نذير ايضا لانه ياتي في سن الاكتهال وهو علامة
لمفارقته سن الصبا الذي هو سن اللهو واللعب قال •
• رايت الشيب من نذر المنايا • لصاحبه وحسبك من نذير •
وقال اخر • فقلت لها المشيب نذير عمري • ولست مسودا وجه النذير •
واما موت الاهل والاقارب والاصحاب والاخوان فانذار بالرحيل في كل وقت
واوان وحين وزمان قال • اراك تحملهم ولست تردهم • وكاني بك قد حملت فلم ترد •

وقال

وقال اخر • الموت في كل حين ينشر الكفنا • ونحن في غفلة عما يراد بنا •
واما كمال العقل فيه تعرف حقائق الامور وتفصل بين الحسنات والسيئات فالعاقل يعمل
لاخرته ويرغب فيما عند ربه فهو نذير واما محمد صلى الله عليه وسلم فبعثه الله جل وعز مبشرا
ونذيرا الى عباده قطعا لحججهم قال الله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل
وقال وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا قوله تعالى فذوقوا يريد عذاب جهنم لانكم
ما اعتبرتم ولا اتعظتم فما للظالمين من نصير اي مانع من عذاب الله قوله تعالى ان الله
عالم غيب السموات والارض انه عليم بذات الصدور وقد تقدم معناه في غير موضع والمعنى علم
انه لو ردكم الى الدنيا لم تعملوا صالحا كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وعالم اذا كان بغير
تنوين صح ان يكون للماضي والمستقبل واذا كان منونا لم يجز ان يكون للماضي قوله تعالى
هو الذي جعلكم خلائف في الارض قال قتادة خلفا بعد خلف وقرنا بعد قرن والخلف
هو التالي للمتقدم ولذلك قيل لابي بكر يا خليفة الله فقال لست بخليفة الله ولكني خليفة
رسول الله وانا راض بذلك فمن كفر فعليه كفره اي جزاء كفره وهو العقاب والعذاب ولا
يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا اي بغضا وغضبا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا
اي هلاكا وضلالا قوله تعالى قل ارايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله شركاءكم
منصوب بالرؤية ولا يجوز رفعه وقد يجوز الرفع عند سيبويه في قولهم علمت زيدا ابو من
هو لان زيدا في المعنى مستفهم عنه ولو قلت ارايت زيدا ابو من هو لم يجز الرفع والفرق بينهما
ان معنى هذا اخبرني عنه وكذا معنى هذا اخبروني عن شركائكم الذين تدعون من دون
الله اعبدتموهم لان لهم شركة في خلق السموات ام خلقوا من الارض شيئا ام اتيناهم كتابا اي
ام عندهم كتاب انزلناه اليهم بالشركة وكان في هذا رد على من عبد غير الله عز وجل لانهم لا
يجدون في كتاب من الكتب ان الله امر ان يعبد غيره فهم على بينة منه قرا ابن كثير وابو عمرو
وحمزة وحفص عن عاصم على بينة بالتوحيد وجمع الباقون والمعنيان متقاربان الا ان
قراءة الجمع اولى لانه لا يخلو من قراة على بينة من ان يكون خالف السواد الاعظم او يكون
جاء به على لغة من قال جاءني طلحت فوقفت بالتاء وهذه لغة شاذة قليلة قاله النحاس
وقال ابو حاتم وابو عبيد الجمع اولى لموافقته الخط لانها في مصحف عثمان بينات بالالف
والتاء بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اي ما يعد الظالمون بعضهم بعضا الا
غرورا اي اباطيل تغر وهو قول السادة للسفلة ان هذه الالهة تنفعكم وتقربكم وقيل ان
الشياطين تعد المشركين ذلك وقيل وعدهم بانهم ينصرون عليهم قوله تعالى ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا لما بين ان الهتهم لا تقدر على خلق شيء من السموات والارض
بين ان خالقهما وممسكهما هو الله فلا يوجد حادث الا بايجاده ولا يبقى الا ببقائه وان في
موضع نصب بمعنى كراهية ان تزولا او لئلا تزولا او يحمل على المعنى لان المعنى ان الله يمنع السموات
والارض من ان تزولا فلا حاجة على هذا الى اضمار وهذا قول الزجاج ولئن زالتا ان
امسكهما من احد من بعده قال الفراء اي ولو زالتا ما امسكهما من احد من بعده وان بمعنى ما
قال وهو مثل قوله ولئن ارسلنا ريحا فراوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون وقيل المراد
زوالها يوم القيامة وعن ابراهيم قال دخل رجل من اصحاب ابن مسعود الى كعب الاحبار
يتعلم منه العلم فلما رجع قال له ابن مسعود ما الذي اصبت من كعب قال سمعت كعبا
يقول ان السماء تدور على قطبة مثل قطبة الرحا في عمود على منكب ملك فقال له عبد الله
وددت انك انقلبت براحلتك ورحلها كذب كعب ما ترك يهوديته ان الله تعالى يقول
ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ان السموات لا تدور ولو كانت تدور لكانت
قد زالت وعن ابن عباس نحوه وانه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال
وما سمعته يقول قال سمعته يقول ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب ما ترك
يهوديته بعد ان الله تعالى يقول ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا والسموات
سبع والارضون سبع ولكن لما ذكرهما اجراهما مجرى شيئين فعادت الكناية اليهما وهو
كقوله تعالى ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم ختم الاية بقوله انه

انه كان حليما غفورا لان المعنى فيما ذكره بعض اهل النار وقيل ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا من كفر الكافرين وقولهم اتخذ الله ولدا قال الكلبي لما قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله كادت السموات والارض ان تزولا عن امكنتهما فمنعهما فانزل الله هذه الاية وهو كقوله تعالى لقد جئتم شيئا ادا تكاد السموات يتفطرن منه الاية قوله تعالى واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير هم قريش اقسموا قبل ان يبعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فلعنوا من كذب نبيه منهم واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير اي نبي ليكونن اهدى من احدى الامم اي ممن كذب الرسل من اهل الكتاب وكانت العرب تتمنى ان يكون منهم رسول كما كان الرسل في بني اسرائيل فلما جاءهم ما تمنوه وهو النذير من انفسهم نفروا عنه ولم يومنوا به استكبارا اي عتوا عن الايمان ومكر السيء اي مكر العمل السيء وهو الكفر وخدع الضعفاء وصدهم عن الايمان ليكثر اتباعهم وانث من احدى الامم لتانيث امة قاله الاخفش وقرا حمزة والاعمش ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء بحذف الاعراب من الاول واثبته في الثاني قال الزجاج وهو لحن وانما صار لحنا لانه حذف الاعراب منه وزعم المبرد انه لا يجوز في كلام ولا في شعر لان حركات الاعراب لا يجوز حذفها لانها دخلت للفرق بين المعاني وقد اعظم بعض النحويين ان يكون الاعمش على جلالته ومحله يقرا بهذا قال انما كان يقف عليه فغلط من ادى عنه قال والدليل على هذا انه تمام الكلام اعرب باتفاق والحركة في الثاني اثقل منها في الاول لانها ضمة بين كسرتين وقد احتج بعض النحويين لحمزة في هذا بقول سيبويه وانه انشد هو وغيره اذا اعوججن قلت صاحب قوم وقال الاخر

• فاليوم اشرب غير مستحقب • اثما من الله ولا واغل •

وهذا لا حجة فيه لان سيبويه لم يجزه وانما حكاه عن بعض النحويين والحديث اذا قيل فيه عن بعض العلماء لم يكن فيه حجة فكيف وانما جاء به على الشذوذ لضرورة الشعر وقد خولف فيه وزعم الزجاج ان ابا العباس انشده • اذا اعوججن قلت صاحب قوم • وانه انشد • فاليوم اشرب غير مستحقب • ذكر جميعه النحاس الزمخشري وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله الحركات ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا وقال المهدوي ومن سكن الهمزة من قوله ومكر السيء فهو على تقدير الوقف عليه ثم اجرى الوصل مجرى الوقف او على انه اسكن الهمزة لتوالي الكسرات والياءات كما قال • فاليوم اشرب غير مستحقب • قال القشيري وقرا حمزة ومكر السيء بسكون الهمزة وخطاه اقوام وقال قوم لعله وقف عليه لانه تمام الكلام فغلط الراوي وروى ذلك عنه في الادراج وقد سبق الكلام في امثال هذا وقلنا ما ثبت بالاستفاضة او التواتر ان النبي صلى الله عليه وسلم قراه فلا بد من جوازه ولا يجوز ان يقال انه لحن ولعل مراد من صار الى التخطئة ان غيره افصح منه وان كان هو فصيحا ولا يحيق المكر السيء الا باهله اي لا ينزل عاقبة الشرك الا بمن اشرك وقيل هذا اشارة الى قتلهم ببدر قال الشاعر

• وقد دفعوا المنية فاستقلت • ذراعا بعد ما كانت تحيق •

اي تنزل وهذا قول قطرب وقال الكلبي يحيق بمعنى يحيط والحوق الاحاطة يقال حاق به كذا اي احاط به وعن ابن عباس ان كعبا قال له اني اجد في التوراة من حفر لاخيه المسلم حفرة وقع فيها فقال ابن عباس فاني اوجدك في القران ذلك فقال اين فقرا ولا يحيق المكر السيء الا باهله وفي امثال العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وروى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تمكر فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغ ولا تعن باغيا فان الله تعالى يقول ومن نكث فانما ينكث على نفسه وقال انما بغيكم على انفسكم وقال بعض الحكماء

• يا ايها الظالم في فعله • والظلم مردود على من ظلم •
• الى متى انت وحتى متى • تحصي المصيبات وتنسى النعم •

وفي الحديث المكر والخديعة في النار فقوله في النار يعني في الاخرة تدخل اصحابهما في النار لانهما من اخلاق الكفار لا من اخلاق المومنين الاخيار ولهذا قال عليه السلام في سياق الحديث وليس من اخلاق المومن المكر والخديعة والخيانة وفي هذا ابلغ تحذير على التخلق بهذه الاخلاق الذميمة والخروج عن اخلاق الايمان الكريمة قوله تعالى فهل ينظرون الا سنة الاولين اي انما ينتظرون العذاب الذي نزل بالكفار الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا اي اجرى الله العذاب على الكفار ويجعل ذلك سنة فيهم فهو يعذب بمثله من استحقه لا يقدر احد ان يبدل ذلك ولا ان يحول العذاب عن نفسه الى غيره والسنة الطريقة والجمع سنن وقد مضى في ال عمران واضافها الى الله عز وجل وقال في موضع اخر سنة من قد ارسلنا قبلك من رسلنا فاضاف الى القوم لتعلق الامر بالجانبين وهو كالاجل تارة يضاف الى الله وتارة الى القوم قال الله ان اجل الله لات وقال فاذا جاء اجلهم قوله تعالى اولم يسيروا في الارض بين السنة التي ذكرها اي اولم يروا انا انزلنا بعاد وثمود ومدين وامثالهم لما كذبوا الرسل فتدبروا ذلك بنظرهم الى مساكنهم ودورهم وبما سمعوا على التواتر بما حل بهم افليس فيه عبرة وبيان لهم ليسوا خيرا من اولئك ولا اقوى بل كانوا اولئك اقوى دليله قوله وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الارض اي اذا اراد انزال عذاب بقوم لم يعجزه ذلك انه كان عليما قديرا قوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا اي من الذنوب ما ترك على ظهرها من دابة قال ابن مسعود يريد جميع الحيوان مما دب ودرج قال قتادة وقد فعل ذلك زمن نوح عليه السلام وقال الكلبي من دابة يريد الانس والجان دون غيرهما لانهما مكلفان بالعقل وقال ابن جريج والاخفش والحسين بن الفضل اراد بالدابة هنا الناس وحدهم دون غيرهم قلت والاول اظهر لانه عن صحابي كبير قال ابن مسعود كاد الجعلان يعذب في جحره بذنب ابن ادم وقال يحيى بن ابي كثير امر رجل بالمعروف ونهى عن المنكر فقال له رجل عليك بنفسك فان الظالم لا يضر الا نفسه فقال ابو هريرة كذبت والله الذي لا اله الا هو ثم قال والذي نفسي بيده ان الحبارى لتموت هزلا في وكرها بظلم الظالم وقال الثمالي ويحيى بن سلام في هذه الاية يحبس الله المطر فيهلك كل شيء وقد مضى في البقرة نحو هذا عن عكرمة ومجاهد في تفسير ويلعنهم اللاعنون هم الحشرات والبهائم يصيبهم الجدب بذنوب علماء السوء الكاتمين فيلعنونهم وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى ويلعنهم اللاعنون قال دواب الارض ولكن يوخرهم الى اجل مسمى قال مقاتل الاجل المسمى هو ما وعدهم في اللوح المحفوظ وقال يحيى هو يوم القيامة فان الله كان بعباده بصيرا اي بمن يستحق العقاب منهم بصيرا ولا يجوز ان يكون العامل في اذا بصيرا كما لا يجوز اليوم ان زيدا خارجا ولكن العامل فيها جاء لشبهها بحروف المجازاة والاسماء التي يجازى بها يعمل فيها ما بعدها وسيبويه لا يرى المجازاة باذا الا في الشعر كما قال

• اذا قصرت اسيافنا كان وصلها • خطانا الى اعدائنا فنضارب •

سورة يس عليه السلام مكية باجماع

وهي ثلاث وثمانون اية الا ان فرقة قالت ان قوله ونكتب ما قدموا واثارهم نزلت في بني سلمة من الانصار حين ارادوا ان يتركوا ديارهم وينتقلوا الى جوار مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما ياتي وفي كتاب ابي داود عن معقل بن يسار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اقرءوا يس على موتاكم وذكر الاجري من حديث ام الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ميت يقرا عليه يس الا هون عليه وفي مسند الدارمي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له في تلك الليلة خرجه ابو نعيم الحافظ ايضا وروى الترمذي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس ومن قرا يس كتب الله له بقراءتها

قراءة القرآن عشر مرات قال هذا حديث غريب وفي اسناده هرون ابو محمد شيخ مجهول وفي
الباب عن ابي بكر الصديق ولا يصح حديث ابي بكر من قبل اسناده واسناده ضعيف وعن
عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في القرآن لسورة تشفع لقارئها ويغفر
لمستمعها الا وهي سورة يس تدعى في التوراة المعمة قيل يا رسول الله وما المعمة قال تعم صاحبها
بخير الدنيا وتدفع عنه اهاويل الآخرة وتدعى الدافعة والقاضية قيل يا رسول الله وكيف
ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضي له كل حاجة ومن قرأها عدلت له عشرين حجة
ومن سمعها كانت له كالف دينار تصدق بها في سبيل الله ومن كتبها وشربها ادخلت جوفه
الف دواء والف نور والف يقين والف رحمة والف هدى ونزع عنه كل داء وغل ذكره
الثعلبي من حديث عائشة والترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابي بكر الصديق
رضي الله عنه مسندا وفي مسند الدارمي عن شهر بن حوشب قال قال ابن عباس من
قرأ يس حين يصبح اعطي يسر يومه حتى يمسي ومن قرأها في صدر ليله اعطي يسر ليلته حتى
يصبح وذكر النحاس عن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس من
قرأها نهارا كفي همه ومن قرأها ليلا غفر له ذنبه وقال شهر بن حوشب يقرأ اهل الجنة طه
ويس فقط رفع هذه الاخبار الثلاثة الماوردي فقال روى الضحاك عن ابن عباس قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأها في ليلة
اعطي يسر تلك الليلة ومن قرأها في يوم اعطي يسر ذلك اليوم وان اهل الجنة يرفع عنهم
القرآن فلا يقرؤون شيئا الا طه ويس وقال يحيى بن ابي كثير بلغني من قرأ سورة يس
ليلا لم يزل في فرح حتى يصبح ومن قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني
من جربها ذكره الثعلبي وابن عطية قال ابن عطية ويصدق ذلك التجربة وذكر الترمذي
الحكيم في نوادر الاصول عن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن الصلت عن عمر بن ثابت عن محمد
ابن مروان عن ابي جعفر قال من وجد في قلبه قساوة فليكتب يس في جام بزعفران
ثم يشربه حدثني ابي رحمه الله قال ثنا اصرم بن حوشب عن نفيه عن بقية ابن الوليد
عن معتمر بن اشرف عن محمد بن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن
افضل من كل شيء دون الله وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه فمن وقر
القرآن فقد وقر الله ومن لم يوقر القرآن لم يوقر الله وحرمة القرآن عند الله كحرمة الوالد
على ولده القرآن شافع مشفع وماحل مصدق فمن شفع له القرآن شفع ومن محل به
القرآن صدق ومن جعله امامه قاده الى الجنة ومن جعله خلفه ساقه الى النار حملة
القرآن هم المحفوفون برحمة الله الملبسون نور الله المعلمون كلام الله من والاهم فقد
والى الله ومن عاداهم فقد عادى الله يقول الله تعالى يا حملة القرآن استجيبوا لربكم
بتوقير كتابه يزدكم حبا ويحببكم الى عباده يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ويدفع عن تالي القرآن بلوى
الآخرة ومن استمع آية من كتاب الله كان له افضل مما تحت العرش الى التخوم وان في
كتاب الله لسورة تدعى العزيزة يدعى صاحبها الشريف يوم القيامة تشفع لصاحبها اكثر
من ربيعة ومضر وهي سورة يس وذكر الثعلبي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها
حسنات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يس في يس اوجه من القراءات قرأ اهل المدينة والكسائي يس
والقرآن الحكيم بادغام النون في الواو وقرأ ابو عمرو والاعمش وحمزة يس باظهار
النون وقرأ عيسى بن عمر ياسين بنصب النون وقرأ ابن عباس وابن ابي اسحاق ونصر بن
عاصم يس بالكسر وقرأ هرون الاعور ومحمد بن السميفع يس بضم النون فهذه خمس
قراءات القراءة الاولى بالادغام على ما يجب في العربية لان النون تدغم في الواو ومن
بين قال سبيل حروف الهجاء ان يوقف عليها وانما يكون الادغام في الادراج وذكر
سيبويه النصب وجعله من جهتين احداهما ان يكون مفعولا ولا يصرفه لانه عنده

اسم

اسم اعجمي بمنزلة هابيل والتقدير اذكر يس وجعله سيبويه اسما للسورة وقوله الآخر
ان يكون مبنيا على الفتح مثل اين وكيف واما الكسر فزعم الفراء انه مشبه بقول العرب
جير لا افعل فعلى هذا يكون يس قسما قاله ابن عباس وقيل مشبه بامس وحذام وهؤلاء
ورقاش واما الضم فمشبه بقول العرب حيث لا افعل فعلى هذا لا تكون يس قسما قاله ابن عباس
وشبه بامس وحذام وهؤلاء ورقاش واما الضم فمشبه بمنذ وحيث وقط وبالمنادى المفرد
اذا قلت يا رجل قال ابن السميفع وهرون وقد جاء في تفسيرها يا رجل فالاولى بها الضم
قال ابن الانباري يس وقف حسن لمن قال هو افتتاح للسورة ومن قال معنى يس
يا رجل لم يقف عليه وروي عن ابن عباس وغيرها ان معناه يا انسان وقالوا في قوله تعالى سلام
على آل ياسين اي على آل محمد وقال سعيد بن جبير هو اسم من اسماء محمد صلى الله عليه وسلم
ودليله انك لمن المرسلين قال السيد الحميري

يا نفس لا تمحضي بالنصح جاهدة ❊ على المودة الا آل ياسينا

وقال ابو بكر الوراق معناه يا سيد البشر وقيل انه اسم من اسماء الله قاله مالك روى عنه
اشهب قال سألته هل ينبغي لاحد ان يتسمى بيس قال ما اراه ينبغي لقول الله يس
والقرآن الحكيم يقول هذا اسمي يس قال ابن العربي هذا كلام بديع وذلك ان العبد يجوز له
ان يتسمى باسم الرب اذا كان فيه معنى منه كقوله عالم وقادر ومريد ومتكلم وانما منع مالك
من التسمية بيس لانه اسم من اسماء الله لا يدرى معناه فربما كان معناه ينفرد به الرب فلا يجوز
ان يقدم عليه العبد فان قيل فقد قال الله سلام على آل ياسين قلنا ذلك مكتوب بهجاء فتجوز
التسمية به وهذا الذي ليس بمتهجى هو الذي تكلم مالك عليه لما فيه من الاشكال والله اعلم
وقال بعض العلماء افتتح الله هذه السورة بالياء والسين وفيهما مجمع الخير ودل المفتتح على
انه قلب والقلب امير على الجسد وكذلك يس امير على سائر السور مشتمل على جميع القرآن
ثم اختلفوا فيه ايضا فقال سعيد بن جبير وعكرمة هو بلغة الحبشة وقال الشعبي هو
بلغة طي الحسن بلغة كلب الكلبي هو بالسريانية فتكلمت به العرب فصار من لغتهم وقد
مضى هذا المعنى في طه وفي مقدمة الكتاب مستوفى وقد سرد القاضي عياض اقوال
المفسرين في معنى يس فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لي عند
ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان له قلت وذكر الماوردي عن علي رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى اسماني في القرآن بسبعة
اسماء محمد واحمد وطه ويس والمزمل والمدثر وعبد الله قاله القاضي وحكى ابو عبد الرحمن
السلمي عن جعفر الصادق انه اراد يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم
وهو من اسماء الله سبحانه وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان
وعن ابن الحنفية يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله به قبل ان يخلق السماء
والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين ثم قال والقرآن الحكيم فان قدر انه من
اسمائه صلى الله عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق رسالته والشهادة
بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم
من ايمانه اي طريق لا اعوجاج فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى
لاحد من انبيائه بالرسالة في كتابه الا له وفيه من تعظيمه وتمجيده على تأويل من قال
انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم انتهى كلامه وحكى القشيري
قال ابن عباس قالت كفار قريش لست مرسلا وما ارسلك الله الينا فاقسم الله بالقرآن
المحكم ان محمدا من المرسلين والحكيم المحكم حتى لا يتعرض لبطلان وتناقض كما قال احكمت
آياته وكذلك احكم في نظمه ومعانيه فلا يلحقه خلل وقد يكون الحكيم في حق الله بمعنى
الحاكم بكسر الكاف كالعليم بمعنى العالم على صراط مستقيم اي دين مستقيم وهو الاسلام وقال
الزجاج على طريق الانبياء الذين تقدموك قال وانك لمن المرسلين خبر ان وانك على صراط
مستقيم خبر ثان اي انك لمن المرسلين وانك على صراط مستقيم وقيل المعنى لمن المرسلين على

استقامة فيكون قوله على صراط مستقيم من صلة المرسلين اي انك لمن المرسلين الذين
ارسلوا على طريقة مستقيمة كقوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله اي الصراط الذي
امر الله به قوله تعالى تنزيل العزيز الرحيم قرا عامر وحفص والاعمش ويحيى وحمزة
والكسائي وخلف تنزيل بنصب اللام على المصدر اي نزل الله ذلك تنزيلا واضاف المصدر
فصار معرفة كقوله فضرب الرقاب اي فضربا للرقاب الباقون تنزيل بالرفع على خبر ابتداء
محذوف اي هو تنزيل او الذي انزل اليك تنزيل العزيز الرحيم هنا وقرئ تنزيل بالجر
على البدل من القران والتنزيل يرجع الى القران وقيل الى النبي صلى الله عليه وسلم اي
انك لمن المرسلين وانك تنزيل العزيز الرحيم فالتنزيل على هذا بمعنى الارسال قال الله
تعالى قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا وكما قال قد انزل الله المطر وارسله بمعنى ومحمد
صلى الله عليه وسلم رحمة الله انزلها من السما ومن نصب قال انك لمن المرسلين ارسالا من
العزيز الرحيم والعزيز المنتقم ممن خلفه الرحيم باهل طاعته قوله تعالى لتنذر قوما
ما انذر اباوهم فهم غافلون ما لا موضع لها من الاعراب عند اكثر اهل التفسير منهم قتادة
لانها نفي والمعنى لتنذر قوما ما اتى اباهم قبلك نذير وقيل هي بمعنى الذي فالمعنى
لتنذرهم مثل ما انذر اباوهم قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ايضا وقيل ان ما والفعل
مصدر اي لتنذر قوما انذار ابائهم ثم يجوز ان تكون العرب قد بلغتهم بالتواتر اخبار
الانبيا فالمعنى لم ينذروا برسول من انفسهم ويجوز ان يكون بلغهم الخبر ولكن غفلوا
واعرضوا ونسوا ويجوز ان يكون هذا خطابا لقوم لم يبلغهم خبر نبي وقد قال الله وما
اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير وقال لتنذر قوما ما
اتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون اي لم ياتهم نبي وعلى قول من قال بلغهم خبر
الانبيا فالمعنى فهم معرضون الان متغافلون عن ذلك ويقال للمعرض عن الشي انه
غافل عنه وقيل فهم غافلون عن عقاب الله قوله تعالى لقد حق القول على اكثرهم
اي وجب العذاب على اكثرهم فهم لا يومنون بانذارك وهذا فيمن سبق في علم الله
انه لا يومن ويموت على كفره ثم بين سبب تركهم الايمان فقال انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قيل نزلت في ابي جهل بن هشام وصاحبيه المخزوميين وذلك ان ابا جهل
حلف لين راى محمدا يصلي ليرضخن راسه بحجر فلما راه ذهب فرفع حجرا ليرميه فلما اوما اليه رجعت يده الى عنقه
والتصق الحجر بيده قاله ابن عباس وعكرمة وغيرهما فهو على هذا تمثيل اي هو بمنزلة
من غلت يده الى عنقه فلما عاد الى اصحابه اخبرهم بما راى فقال الرجل الثاني
وهو الوليد بن المغيرة انا ارضخ راسه فاتاه وهو يصلي على حالته ليرميه بالحجر
فاعمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه
فقال والله ما رايته ولو رايته لشدخت راسه فقال الثالث والله لاشدخن
انا راسه ثم اخذ الحجر وانطلق فرجع القهقرى ينكص على عقبيه حتى خر على قفاه
مغشيا عليه فقيل له ما شانك قال شان عظيم رايت الرجل فلما دنوت منه واذا بفحل
يخطر بذنبه ما رايت فحلا قط اعظم منه حال بيني وبينه فو اللات والعزى
لو دنوت منه لاكلني فانزل الله عز وجل انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى
الاذقان فهم مقمحون وقرا ابن عباس انا جعلنا في ايمانهم وقال الزجاج وقرئ
انا جعلنا في ايديهم قال النحاس وهذه القراة تفسير ولا يقرا بما خالف المصحف
وفي الكلام حذف على قراة الجماعة التقدير انا جعلنا في اعناقهم وفي ايديهم
اغلالا فهي الى الاذقان فهي كناية عن الايدي لا عن الاعناق والعرب
تحذف مثل هذا ونظيره سرابيل تقيكم الحر وتقديره وسرابيل تقيكم البرد فحذف
لان ما وقى من الحر وقى من البرد لان الغل اذا كان في العنق فلا بد ان يكون
في اليدين لا سيما وقد قال الله تعالى فهي الى الاذقان فقد علم انه يراد به الايدي
فهم مقمحون اي رافعوا روسهم لا يستطيعون الاطراق لان من غلت يده الى
ذقنه ارتفع راسه روي عبد الله بن يحيى ان علي بن ابي طالب عليه السلام اراهم

الاجتاع

الاجتاع بجعل يده تحت لحيته والصقهما ورفع راسه قال النحاس وهذا اجل ما روي فيه
وهو ماخوذ مما حكاه الاصمعي قال يقال اقمحت الدابة اذا جذبت لجامها لترفع راسها قال
النحاس والقاف مبدلة من الكاف لقربها منها كما يقال قهرته وكهرته قال الاصمعي يقال
اكمحت الدابة اذا جذبت عنانه حتى تنتصب راسه قال ومنه قول الشاعر والراس مكمح
ويقال اكمحتها واكفحتها وكبحتها هذه وحدها بلا الف عن الاصمعي وقمح البعير قموحا اذا
رفع راسه عند الحوض وامتنع من الشرب فهو بعير قامح وقمح يقال شرب فتقمح وانقمح
بمعنى اذا رفع راسه وترك الشرب ريا وقد قامحت ابلك اذا وردت ولم تشرب ورفعت راسها
من دا يكون بها او برد وهي ابل مقامحة وبعير قامح وناقة مقامح ايضا والجمع قماح على غير
قياس قال بشر يصف سفينة • ونحن على جوانبها قعود • نغض الطرف كالابل القماح •
والاقماح رفع الراس وغض البصر يقال اقمحه الغل اذا ترك راسه مرفوعا من ضيقه وشهرا
قماح اشد ما يكون من البرد وهما الكانونان سميا بذلك لان الابل اذا وردت اذاها برد
الما فقامحت روسها ومنه قمحت السويق وهو مثل ضربه الله لهم في امتناعهم من الهدى
كامتناع المغلول قاله يحيى بن سلام وابو عبيدة وكما يقال فلان حمار اي لا يبصر الهدى وكما
قال لهم عن الرشد اغلال وافتاد وفي الخبر ان ابا ذويب كان يهوى امراة في الجاهلية فلما اسلم
راودته فابى وانشا يقول • فليس كعهد الدار يا ام مالك • ولكن احاطت بالرقاب السلاسل •
• وعاد الفتى كالكهل ليس بقايل • سوى العدل شيا فاستراح العواذل •
اراد منعنا بموانع الاسلام عن تعاطي الزنا والفسق وقال الفرا ايضا هذا ضرب مثل اي
حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله وهو كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك
وقاله الضحاك وقيل اي هولاء اي صاروا في الاستكبار عن الحق كمن جعل في يده غل جمعت
الى عنقه فبقي رافعا راسه ولا يخفضه وغاضا بصره لا يفتحه والمتكبر يوصف بانتصاب
العنق وقال الازهري اراد ان ايديهم لما غلت عند اعناقهم رفعت الاغلال اذقانهم وروسهم
صعودا كالابل ترفع راسها وهذا المنع بخلق الكفر في قلوب الكفار وعند قوم سلبهم التوفيق
عقوبة لهم على كفرهم وقيل الاية اشارة الى ما يفعل باقوام غدا في النار من وضع الاغلال في
اعناقهم والسلاسل كما قال تعالى اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل واخبر عنه بلفظ الماضي
فهم مقمحون تقدم تفسيره وقال مجاهد مقمحون مغلولون عن كل خير قوله تعالى وجعلنا
من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الاية قال مقاتل لما عاد ابو جهل الى اصحابه ولم يصل الى النبي صلى الله عليه
وسلم وسقط الحجر من يده اخذ الحجر رجل اخر من بني مخزوم وقال انا اقتله بهذا الحجر فلما دنا
من النبي صلى الله عليه وسلم طمس الله على بصره فلم ير النبي صلى الله عليه وسلم فرجع الى اصحابه فلم
يبصرهم حتى نادوه فهذا معنى الاية وقال محمد بن اسحاق في روايته جلس عتبة وشيبة ابنا
ربيعة وابو جهل وامية بن خلف يرصدون النبي صلى الله عليه وسلم ليبلغوا من اذاه فخرج
عليهم صلى الله عليه وسلم وهو يقرا يس وفي يده تراب فرماهم به وقرا وجعلنا من بين ايديهم
سدا ومن خلفهم سدا فاطرقوا حتى مر عليهم عليه السلام وقد مضى هذا في سورة سبحان ومضى
في الكهف الكلام في سدا بضم السين وفتحها وهما لغتان فاغشيناهم اي فاغشينا ابصارهم
وقد مضى في اول البقرة وقرا ابن عباس وعكرمة ويحيى بن يعمر فاعشيناهم بالعين غير معجمة من
العشا في العين وهو ضعف بصره حتى لا يبصر بالليل قال •
• متى تاته تعشو الى ضو ناره • وقال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن
نقيض له شيطانا فهو له قرين والمعنى متقارب كما قال •
• ومن الحوادث لا ابا لك انني • ضربت علي الارض بالاسداد •
• لا اهتدي فيها لموضع بلدة • بين العذيب وبين ارض مراد •
فهم لا يبصرون اي الهدى قاله قتادة وقيل محمدا حين ايتمروا على قتله قاله السدي وقال
الضحاك وجعلنا من بين ايديهم سدا اي الدنيا ومن خلفهم سدا اي الاخرة اي عموا عن البعث
وعموا عن قبول الشرايع في الدنيا قال الله تعالى وقيضنا لهم قرنا فزينوا لهم ما بين ايديهم
وما خلفهم اي زينوا لهم الدنيا ودعوهم الى التكذيب بالاخرة وقيل على هذا من بين ايديهم

سدا اي اغتروا بالدنيا ومن خلفهم سدا اي كذبوا بالاخرة وقيل ما بين ايديهم الاخرة
وما خلفهم الدنيا وسواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون تقدم في البقرة والاية
رد على القدرية وغيرهم وعن ابن شهاب ان امير المومنين عمر بن عبد العزيز احضر غيلان
القدري فقال يا غيلان بلغني انك تتكلم بالقدر فقال يكذبون علي يا امير المومنين ثم
قال يا امير المومنين ارايت قول الله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج نبتليه
فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا فقال اقرا يا غيلان فقرا
حتى بلغ الى قوله فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا فقال اقرا فقرا وما تشاوون الا ان يشاء الله
فقال يا امير المومنين ما شعرت ان هذا في كتاب الله قط فقال له يا غيلان اقرا اول
سورة يس فقرا حتى بلغ وسواء عليهم أأنذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون فقال غيلان
والله يا امير المومنين لكاني لم اقراها قط قبل اليوم اشهد يا امير المومنين اني تائب فقال
عمر اللهم ان كان صادقا فتب عليه وثبته وان كان كاذبا فسلط عليه من لا يرحمه واجعله
اية للمومنين فاخذه هشام فقطع يديه ورجليه وصلبه قال ابن عون فانا رايته مصلوبا
على باب دمشق فقلنا ما شانك يا غيلان فقال اصابتني دعوة الرجل الصالح عمر بن عبد
العزيز قوله تعالى انما تنذر من اتبع الذكر يعني القران وعمل به وخشي الرحمن بالغيب
اي ما غاب من عذابه وناره قاله قتادة وقيل اي يخشاه في مغيبه عن ابصار الناس
وانفراده بنفسه فبشره بمغفرة واجر كريم اي الجنة قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى
ونكتب ما قدموا واثارهم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى انا نحن نحيي الموتى اخبر
تعالى باحياء الموتى ردا على الكفرة وقال الضحاك والحسن اي نحييهم بالايمان بعد
الجهل والاول اظهر اي نحييهم بالبعث للجزاء ثم توعدهم بذكره كتب الاثار وهي الثانية
واحصى كل شيء وكل ما يصنعه الانسان قال قتادة معناه من عمل وقاله مجاهد وابن
زيد ونظيره قوله علمت نفس ما قدمت واخرت وقوله ينبأ الانسان يومئذ بما قدم
واخر وقال اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون فالاثار
المراد التي تبقى وتذكر بعد الانسان من خير او شر يجازى عليها من اثر حسن كعلم علموه او
كتاب صنفوه او بناء بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها
بعض الظلام على المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدثه فيه صد عن ذكر الله من
الحان وملاه وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها وقيل هي اثار المشائين الى المساجد
وعلى هذا المعنى تاول الاية عمر وابن عباس وسعيد بن جبير وعن ابن عباس ايضا ان
معنى واثارهم خطاهم الى المساجد قال النحاس وهو اولى ما قيل فيه لانه قال ان الاية
نزلت في ذلك لان الانصار كانت منازلهم بعيدة عن المسجد وفي الحديث مرفوعا الى النبي
صلى الله عليه وسلم قال يكتب له برجل حسنة ويحط عنه برجل سيئة ذاهبا وراجعا اذا
خرج الى المسجد قلت وفي الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال كانت بنو سلمة في
ناحية المدينة فارادوا النقلة الى قرب المسجد فنزلت هذه الاية انا نحن نحيي الموتى
ونكتب ما قدموا واثارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اثاركم تكتب فلم
تنتقلوا قال هذا حديث غريب من حديث الثوري وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد
الله قال اراد بنو سلمة ان يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية قال فبلغ
ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا بني سلمة دياركم تكتب اثاركم فقالوا ما كان يسرنا
انا كنا تحولنا وقال ثابت البناني مشيت مع انس بن مالك الى الصلاة فاسرعت
فحبسني فلما انقضت الصلاة قال اما علمت ان الاثار تكتب فهذا احتجاج بالاية وقاله
قتادة ومجاهد ايضا والحسن الاثار في هذه الاية الخطا الى الجمعة وواحد الاثار اثر
ويقال اثر الثالثة في هذه الاحاديث المفسرة لمعنى الاية دليل على ان البعد من المسجد
اعظم فلو كان بجوار مسجد فهل له ان يجاوزه الى الابعد اختلف فيه فروي عن انس انه
كان يجاوز المحدث الى القديم وروي عن غيره الابعد فالابعد من المسجد اعظم اجرا
وكره الحسن وغيره هذا وقال لا يدع مسجدا قربه وياتي غيره وهذا مذهب مالك وفي

تخطي

تخطي مسجده الى المسجد الاعظم فيه قولان وخرج ابن ماجه من حديث انس بن مالك
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الرجل بصلاة وصلاته في مسجد القبائل بخمس
وعشرين صلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسمائة صلاة الرابعة وكل منصوب
على الاعراب الاول وتكتب جزم على جواب ذلك الامر وكل نصب بفعل مضمر يدل عليه احصيناه كانه
قال وكل شيء احصيناه ويجوز رفعه بالابتداء الا ان نصبه اولى ليعطف ما عمل فيه الفعل وهو
قول الخليل وسيبويه في امام مبين اي في كتاب مقتدى به وهو الذي هو حجة وقال مجاهد وقتادة وابن
زيد اراد اللوح المحفوظ وقالت فرقة اراد صحائف الاعمال قوله تعالى واضرب لهم مثلا
اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون هذه القرية هي انطاكية في قول جميع المفسرين فيما ذكر الماوردي
نسبت الى اهل انطبيس وهو اسم الذي بناها ثم غير لما عرب ذكره السهيلي ويقال فيها انتاكية بالتاء
بدل الطاء وكان بها فرعون يقال له انطيخس بن انطيخس يعبد الاصنام ذكره المهدوي وحكاه
ابو جعفر النحاس عن كعب ووهب فارسل الله تعالى اليه ثلاثة وهم صادق وصدوق وشلوم
هو الثالث هذا قول الطبري وقال غيره شمعون ويوحنا وحكى النقاش سمعان ويحيى ولم
يذكر صادقا وصدوقا ويجوز ان يكون مثلا واصحاب القرية مفعولين لاضرب او اصحاب
القرية بدلا من مثلا اي اضرب لهم مثل اصحاب القرية فحذف المضاف امر النبي صلى الله عليه
وسلم بانذار هؤلاء المشركين ان يحل بهم ما حل بكفار اهل القرية المبعوث اليهم ثلاث رسل قيل
رسل من الله على الابتداء وقيل ان عيسى بعثهما الى انطاكية الى الدعاء الى الله وهو قوله تعالى اذ
ارسلنا اليهم اثنين واضاف الرب ذلك الى نفسه لان عيسى ارسلهما بامر الرب وكان ذلك حين
رفع عيسى الى السماء فكذبوهما قيل ضربوهما وسجنوهما فعززنا بثالث على التخفيف وشدد الباقون
قال الجوهري وقوله تعالى فعززنا بثالث يخفف ويشدد اي قوينا وشددنا قال الاصمعي
انشدني فيه ابو عمرو بن العلاء للمتلمس اجد اذا رحلت تعزز لحمها واذا تشد بنسعها لا تنبس اي لا
ترغو فعلى هذا تكون القراءتان بمعنى وقيل التخفيف بمعنى غلبنا وقهرنا ومنه وعزني في
الخطاب والتشديد بمعنى قوينا وكثرنا وفي القصص ان عيسى ارسل اليهم رسولين فلقيا شيخا
يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فدعوه الى الله وقالا نحن رسولا عيسى
ندعوك الى طاعة الله فطالبهما بالمعجزة فقالا نحن نشفي المرضى وكان له ابن مجنون وقيل مريض
على الفراش فمسحاه فقام باذن الله صحيحا فقام الرجل وقيل هو الذي جاء من اقصى المدينة
يسعى ففشا امرهما وشفيا كثيرا من المرضى فارسل الملك اليهما وكان يعبد الاصنام يستخبرهما
فقالا نحن رسولا عيسى عليه السلام فقال وما ايتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونبرئ المريض
باذن الله وندعوك الى عبادة الله وحده فهم الملك بضربهما وقال وهب حبسهما الملك
وجلدهما مائة جلدة فانتهى الخبر الى عيسى فارسل ثالثا قيل شمعون الصفا راس الحواريين
لينصرهما فعاشر حاشية الملك حتى تمكن منهم واستانسوا به ورفعوا حديثه الى الملك
فانس به واظهر موافقته في دينه فرضي الملك طريقته ثم قال يوما للملك بلغني انك حبست
رجلين دعواك الى الله فلو سالت عنهما ما وراءهما فقال ان الغضب حال بيني وبين سؤالهما
قال فلو احضرتهما فامر بذلك فقال لهما شمعون ما برهانكما على ما تدعيان فقالا نبرئ الاكمه
والابرص فجيء بغلام ممسوح العينين موضع عينيه كالجبهة فدعوا ربهما فانشق له موضع
البصر فاخذا بندقتين طينا فوضعاها في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك
وقال ان ها هنا غلاما مات منذ سبعة ايام ولم ادفنه حتى يجيء ابوه فهل يحييه ربكما فدعوا
الله علانية ودعا شمعون سرا فقام الميت حيا فقال للناس اني مت منذ سبعة ايام فوجدت
مشركا فادخلت في سبعة اودية من النار فاحذركم ما انتم فيه فامنوا بالله ثم فتحت
ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وصاحبيه حتى احياني
الله وانا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان عيسى روح الله وكلمته وان
هؤلاء هم رسل الله قالوا له وهذا شمعون ايضا معهم قال نعم وهو افضلهم فاعلمهم شمعون
انه رسول المسيح اليهم فاثر قوله في الملك ودعاه الى الله فامن الملك في قوم كثير وكفر
اخرون وحكى القشيري ان الملك امن ولم يؤمن قومه وصاح جبريل صيحة فمات كل من

بقي منهم من الكفار وروي ان عيسى لما امرهم ان يذهبوا الى تلك القرية قالوا يا نبي
الله انا لا نعرف ان نتكلم بالسنتهم ولغاتهم فدعا الله لهم فناموا بمكانهم فهبوا من نومتهم
وقد حملتهم الملائكة فالقتهم بارض انطاكية فكلم كل واحد منهم صاحبه بلغة القوم فذلك
قوله وايدناه بروح القدس فقالوا جميعا انا اليكم مرسلون فقالوا ما انتم الا بشر مثلنا
تاكلون الطعام وتمشون في الاسواق وما انزل الرحمن من شيء ان انتم الا تكذبون يامر
به ولا ينهى عنه ان انتم الا تكذبون في دعواكم الرسالة فقالت الرسل ربنا يعلم انا
اليكم لمرسلون وان كذبتمونا وما علينا الا البلاغ المبين في ان الله واحد قالوا لهم انا
تطيرنا بكم اي تشاءمنا بكم قال مقاتل حبس عنهم المطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم
وقيل انهم اقاموا ينذرونهم عشر سنين لئن لم تنتهوا اي عن انذاركم لنرجمنكم قال الفرا
لنقتلنكم قال وعامة ما في القران من الرجم معناه القتل وقال قتادة هو على بابه
من الرجم بالحجارة وقيل لنشتمنكم وقد تقدم جميعه وليمسنكم منا عذاب اليم قيل هو القتل
وقيل هو التعذيب المولم وقيل القتل كالسلخ والقطع والصلب فقالت الرسل طائركم
معكم اي بشؤمكم معكم اي حظكم من الخير والشر معكم ولازم في اعناقكم وليس هو من شؤمنا
قال معناه الضحاك وقال قتادة اعمالكم معكم ابن عباس معناه الارزاق والاقدار
تتبعكم الفرا طائركم معكم رزقكم وعملكم والمعنى واحد وقرا الحسن اي تطيركم ان ذكرتم قال
قتادة ان ذكرتم تطيرتم وفيه تسعة اوجه من القراة قرا اهل المدينة اين ذكرتم
بتخفيف الهمزة الثانية وقرا اهل الكوفة ائن بتحقيق الهمزتين والوجه الثالث ائن
ذكرتم بهمزتين بينهما الف ادخلت الالف كراهة للجمع بين الهمزتين والوجه الرابع ان
بهمزة بعدها الف وبعد الالف همزة مخففة والقراة الخامسة ان بهمزتين بعدهما الف
والوجه السادس ان بهمزتين مخففتين مفتوحتين بينهما الف النحاس هذه القراة
قراة ابي رزين قلت وحكاها الثعلبي عن زر بن حبيش وابن السميفع وقرا عيسى
ابن عمر والحسن البصري طائركم معكم اين ذكرتم بمعنى حيث وقرا ابن القعقاع والحسن
وطلحة ذكرتم بالتخفيف ذكر جميعه النحاس وذكر المهدوي عن طلحة بن مصرف وعيسى
الهمداني اين ذكرتم بالمد على ان همزة الاستفهام دخلت على همزة مفتوحة فهذه
تسع قراات وقرا ابن هرمز طيركم معكم ان ذكرتم اي لان وعظتم وهو كلام مستانف اي
ان وعظتم تطيرتم وقيل انما تطيروا لما بلغهم ان كل نبي دعا قومه فلم يجيبوه كان
عاقبتهم الهلاك بل انتم قوم مسرفون قال قتادة مسرفون في تطيركم يحيى بن
سلام مسرفون في كفركم وقال يحيى ابن بحرها هنا الفساد ومعناه بل انتم قوم مفسدون
وقيل مسرفون مشركون والاسراف مجاوزة الحد والمشرك يجاوز الحد قوله تعالى
وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب بن مري وكان نجارا وقيل اسكافا وقيل
قصارا وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل هو حبيب بن اسرائيل النجار وكان ينحت
الاصنام وهو ممن امن بالنبي صلى الله عليه وسلم وبينهما ستمائة سنة كما امن به تبع الاكبر
وورقة بن نوفل وغيرهما ولم يومن بنبي احد الا بعد ظهوره قال وهب كان حبيب مجذوما
ومنزله عند اقصى باب من ابواب المدينة وكان يعكف على عبادة الاصنام سبعين سنة
يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره فما استجابوا له فلما ابصر الرسل دعوه الى عبادة
الله فقال هل من اية قالوا نعم ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك فقال ان هذا
لعجيب اني ادعو هذه الالهة سبعين سنة تفرج عني فلم تستطع تفرجه فكيف في غداة
واحدة قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر فامن ودعوا ربهم
فكشف الله ما به كان لم يكن به باس فاقبل حينئذ على التكسب فاذا امسى تصدق
بكسبه فاطعم عياله نصفا وتصدق بنصف فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم فقال
يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا الاية وقال قتادة كان يعبد الله
في غار فلما سمع بخبر المرسلين جاء يسعى فقال للمرسلين اتطلبون على ما جئتم به اجرا
قالوا لا ما اجرنا الا على الله قال ابو العالية فاعتقد صدقهم وامن بهم واقبل على

قومه

قومه فقال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون اي لو كانوا متهمين
لطلبوا منكم المال وهم مهتدون فاهتدوا بهم وما لي لا اعبد الذي فطرني قال قتادة قالوا
له فانت على دينهم فقال وما لي لا اعبد الذي فطرني اي خلقني واليه ترجعون وهذا
احتجاج منه عليهم واضاف الفطرة الى نفسه لان ذلك نعمة عليه توجب الشكر والبعث اليهم لان
ذلك وعيد يقتضي الزجر فكان اضافة النعمة الى نفسه اظهر شكرا واضافة البعث الى
الكافر ابلغ اثرا أأتخذ من دونه الهة يعني اصناما ان يردن الرحمن بضر يعني ما اصابه من السقم
لا تغن عني شفاعتهم شيئا ولا ينقذون يخلصوني مما انا فيه من البلاء اني اذا اي ان فعلت ذلك
لفي ضلال مبين اي خسران ظاهر اني امنت بربكم فاسمعون اي فاشهدوا اي كونوا شهودي بالايمان
وقال كعب ووهب انما قال ذلك لقومه اني امنت بربكم الذي كفرتم به وقيل انه لما قال لقومه
اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسالكم اجرا رفعوه الى الملك وقالوا قد تبعت عدونا فطول معهم
الكلام ليشغلهم بذلك عن قتل الرسل الى ان قال اني امنت بربكم فوثبوا عليه فقتلوه قال ابن
مسعود وطئوا عليه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره والقي في بير وهي الرس وهم اصحاب
الرس وفي رواية انهم قتلوا الرسل الثلاثة وقال السدي رموه بالحجارة وهو يقول اللهم
اهد قومي حتى قتلوه وقال الكلبي حفروا حفرة وجعلوه فيها وردموا فوقه التراب فمات
ردما وقال الحسن حرقوه حرقا وعلقوه من سور المدينة وقبره في سور انطاكية حكاه الثعلبي
وقال القشيري وقال الحسن لما اراد القوم ان يقتلوه رفعه الله الى السماء فهو في الجنة
لا يموت الا بفناء السماء وهلاك الجنة فاذا اعاد الله الجنة ادخلها وقيل نشروه بالمنشار حتى
خرج من بين رجليه فوالله ما خرجت روحه الا الى الجنة فدخلها فذلك قوله قيل
ادخل الجنة فلما شاهدها قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي اي بغفران ربي لي فما مع
الفعل بمنزلة المصدر وقيل بمعنى الذي والعائد من الصلة محذوف ويجوز ان يكون استفهاما
فيه معنى التعجب كانه قال ليت قومي يعلمون باي شيء غفر لي ربي قاله الفرا واعترضه الكسائي
فقال لو صح هذا لقال بم من غير الف وقال الفرا يجوز ان يقال بما بالالف وهو استفهام وانشد
فيه ابياتا الزمخشري بم غفر لي ربي بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد
علمت بما صنعت هذا وبم صنعت المهدوي واثبات الالف في الاستفهام قليل فيوقف على هذا
على يعلمون وقال جماعة معنى قيل ادخل الجنة وجبت لك الجنة فهو خبر بانه قد استحق دخول
الجنة لان دخولها يستحق بعد البعث قلت والظاهر من الاية انه لما قتل قيل له ادخل
الجنة قال قتادة فادخله الله الجنة وهو فيها حي يرزق اراد قوله تعالى ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون على ما تقدم في ال عمران بيانه قوله
تعالى قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل عما وجد من قوله عند ذلك
الفوز العظيم الذي هو بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقري من المكرمين وفي معنى
تمنيه قولان احدهما انه تمنى ان يعلموا بحاله ليعلموا حسن ماله وحميد عاقبته الثاني تمنى بذلك
ليومنوا مثل ايمانه فيصيروا الى مثل حاله قال ابن عباس نصح قومه حيا وميتا رفعه
القشيري فقال وفي الخبر انه عليه السلام قال في هذه الاية نصح لهم في حياته وبعد
موته قال ابن ابي ليلى سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن ابي طالب
وهو افضلهم ومومن ال فرعون وصاحب يس فهم الصديقون ذكره الزمخشري مرفوعا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي هذه الاية تنبيه عظيم ودلالة على وجوب
كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والتروف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل
البغي والتشمر في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به
والدعاء عليه الا ترى كيف تمنى الخير لقاتليه والباغين عليه الغوائل وهم كفرة عبدة الاصنام
ولما قتل حبيب غضب الله له وعجل النقمة على قومه وما انزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما
كنا منزلين اي ما انزلنا عليهم من رسالة ولا نبي بعد قتله قاله قتادة ومجاهد والحسن
قال الحسن الجند الملائكة النازلون بالوحي على الانبياء وقيل الجند العساكر اي لم احتج
في هلاكهم الى ارسال جنود ولا جيوش ولا عساكر بل اهلكتهم بصيحة واحدة قال

معناه ابن مسعود وغيره فقوله وما كنا منزلين تصغير لامرهم اي اهلكناهم بصيحة
واحدة من بعد ذلك الرجل او من بعد رفعه الى السما وقيل المعنى وما كنا منزلين على من
كان قبلهم الزمخشري فان قلت فلم انزل الجنود من السما يوم بدر والخندق فقال فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وقال بالف من الملايكة مردفين بثلثة الاف من الملايكة منزلين
بخمسة الاف من الملايكة مسومين قلت انما يكفي ملك واحد فقد اهلكت مداين قوم لوط
بريشة من جناح جبريل عليه السلام وبلاد ثمود من صالح بصيحة ولكن الله تعالى فضل محمدا
صلى الله عليه وسلم بكل شي على كبار الانبيا واولي العزم من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه
من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوته احدا فمن ذلك انه انزل له جنودا من السما كانه اشار بقوله
وما انزلنا وما كنا منزلين الى ان انزال الجنود من عظايم الامور التي لا يوهل لها الا مثلك وما كنا
نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة واحدة قراها العامة صيحة واحدة بالنصب على تقدير ما كانت
عقوبتهم الا صيحة بالرفع هنا وفي قوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون
جعلوا الكون بمعنى الوقوع والحدوث فكانه قال ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وانكر
هذه القراة ابو حاتم وكثير من النحويين بسبب التانيث فهو ضعيف كما يكون ما قامت الا هند
ضعيفا من حيث كان المعنى ما قام احد الا هند قال ابو حاتم فلو كان كما قرا ابو جعفر لقال ان
كان الا صيحة واحدة وقدره غيره ما وقعت عليهم الا صيحة واحدة وكان بمعنى وقع كثير
في كلام العرب وقرا ابو عبد الرحمن بن الاسود ويقال انه في حرف عبد الله كذلك ان كانت
الا زقية واحدة وهذا مخالف للمصحف وايضا فان اللغة المعروفة زقا يزقو اذا صاح ومنه
المثل اثقل من الزواقي فكان يجب على هذا ان تكون زقوة ذكره النحاس قلت وقال الجوهري الزقو
والزقي مصدر وقد زقا الصدا يزقو زقا اي صاح وكل صايح زاق والزقية الصيحة قلت
وعلى هذا يقال زقوة وزقية لغتان فالقراة صحيحة لا اعتراض عليها فاذا هم خامدون اي
ميتون هامدون تشبيها بالرماد لا اعتراض عليها فاذا هم خامدون الخامد وقال قتادة
هلكى والمعنى واحد قوله تعالى يا حسرة على العباد منصوب لانها نكرة ولا يجوز فيه
غير النصب عند البصريين وفي حرف ابي يا حسرة العباد على الاضافة وحقيقة الحسرة
في اللغة ان يلحق الانسان من الندم ما يصير به حسيرا وزعم الفرا ان الاختيار النصب وانه
لو رفعت النكرة الموصولة لصلح واستشهد باشيا منها انه سمع من العرب يا مهتم بامرنا لا تهتم وانشد
يا دار غيرها البلى تغييرا قال النحاس وفي هذا ابطال باب النداء او اكثره لانه يرفع
النكرة المحضة ويرفع ما هو بمنزلة المضاف في طوله ويحذف التنوين متوسطا ويرفع
ما هو في المعنى مفعول بغير علة اوجبت ذلك فاما ما حكاه عن العرب فلا يشبه ما اجازه لان
تقديره يا ايها المهتم بامرنا وتقدير البيت يا ايتها الدار ثم حول المخاطبة اي يا هولا غير هذه الدار
البلى كما قال الله جل وعز حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم فحسرة منصوب في النداء كما
تقول يا رجلا اقبل ومعنى هذا النداء حضور الحسرة الطبري المعنى يا حسرة من العباد على
انفسهم وتندما وتلهفا في استهزايهم برسل الله عليهم السلام ابن عباس يا حسرة على العباد
اي يا ويلا على العباد وعنه ايضا حل هولا محل من يتحسر عليهم وروى الربيع عن انس عن
ابي العالية ان العباد ها هنا الرسل وذلك ان الكفار لما راوا العذاب قالوا يا حسرة على العباد
فتحسروا على قتلهم وترك الايمان بهم فتمنوا الايمان حين لم ينفعهم الايمان وقاله مجاهد وقال
الضحاك انها حسرة الملايكة على الكفار حين كذبوا الرسل وقيل يا حسرة على العباد من قول
الرجل الذي جاء من اقصى المدينة يسعى لما وثب القوم وقيل ان الرسل الثلثة هم الذين
قالوا لما قتل القوم ذلك الرجل الذي جاء من اقصى المدينة وحل بالقوم العذاب يا حسرة
على العباد هولا كان ينبغي ان يكونوا قد امنوا وقيل هذا من قول القوم قالوا لما قتلوا الرجل
وفارقتهم الرسل او قتلوا الرجل مع الرسل الثلثة على اختلاف الروايات يا حسرة على هولا
الرجل وعلى هذا الرجل ليتنا امنا بهم في الوقت الذي ينفع الايمان وتم الكلام على هذا
ثم ابتدا فقال ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزون وقرا ابن هرمز ومسلم بن جندب
وعكرمة يا حسرة على العباد بسكون الها للحرص على البيان وتقرير المعنى في النفس اذ كان

موضع

موضع وعظ وتنبيه والعرب تفعل ذلك في مثله وان لم يكن موضعا للوقف ومن ذلك
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقطع قراته حرفا حرفا حرصا على البيان والافهام
ويجوز ان يكون على العباد متعلقا على الحسرة ويجوز ان يكون متعلقا بمحذوف لا بالحسرة فكانه
قدر الوقف على الحسرة فاسكن الها ثم قال على العباد اي اتحسر على العباد وعن ابن عباس
والضحاك وغيرهما يا حسرة العباد مضاف بحذف على وهو خلاف المصحف وجاز ان يكون من
باب الاضافة الى الفاعل فيكون العباد فاعلين كانهم اذا شاهدوا العذاب تحسروا فكانه
قال يا قيام زيد ويجوز ان يكون من باب الاضافة الى المفعول فيكون العباد مفعولين وكان
العباد يتحسر عليهم من يشفق لهم وقراة من قرا يا حسرة على العباد مقوية لهذا المعنى قوله
تعالى الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون قال سيبويه ان بدل من كم ومعنى
كم هاهنا الخبر فلذلك جاز ان يبدل منها ما ليس باستفهام والمعنى الم يروا ان القرون الذين اهلكناهم
انهم اليهم لا يرجعون وقال الفرا كم في موضع نصب من وجهين احدهما بيروا واستشهد على هذا
بانه في قراة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والوجه الاخر ان يكون كم في موضع نصب باهلكنا
قال النحاس القول الاول محال لان كم لا يعمل فيها ما قبلها لانها استفهام ومحال ان يدخل
الاستفهام في حيز ما قبله وكذا حكمها اذا كانت خبرا وان كان سيبويه قد اوما الى هذا فجعل
انهم بدلا من كم وقد رد ذلك محمد بن يزيد اشد رد وقال كم في موضع نصب باهلكنا وانهم في
موضع نصب والمعنى عنده بانهم اي الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون بالاستيصال قال
والدليل على هذا انه في قراة عبد الله الم يروا من اهلكنا قبلهم من القرون انهم اليهم لا يرجعون
بكسر الهمزة على الاستيناف وهذه الاية رد على من زعم ان من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد
الموت وان كل لما جميع لدينا محضرون يريد يوم القيامة للجزا وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
وان كل لما بتشديد لما وخفف الباقون فان مخففة من الثقيلة وما بعدها رفع بالابتدا
وما بعده الخبر وبطل عملها حين تغير لفظها ولزمت اللام في الخبر فرقا بينها وبين ان التي بمعنى
ما وما عند ابي عبيدة زايدة والتقدير عنده وان كل لجميع قال الفرا ومن شدد جعل لما
بمعنى الا وان بمعنى ما اي ما كل الا جميع كقوله تعالى ان هو الا رجل به جنة وحكى سيبويه في
قوله سالتك بالله لما فعلت وزعم الكسايي انه لا يعرف هذا وقد مضى هذا المعنى في هود وفي
حرف ابي وان منهم الا جميع لدينا محضرون قوله تعالى واية لهم الارض الميتة احييناها
نبههم الله تعالى بهذا على احيا الموتى وذكرهم توحيده وكمال قدرته وهي الارض الميتة
احياها بالنبات واخراج الحب منها فمنه اي من الحب ياكلون وبه يتغذون وشدد اهل
المدينة الميتة وخفف الباقون وقد تقدم وجعلنا فيها جنات اي في الارض جنات اي
بساتين من نخيل واعناب وخصصهما بالذكر لانهما اعلى الثمار وفجرنا فيها من العيون اي
في البساتين لياكلوا من ثمره الها في ثمره تعود على ما العيون لان الثمر منها ندرج قاله الجرجاني
والمهدوي وغيرهما وقيل اي لياكلوا من ثمر ما ذكرنا كما قال وان لكم في الانعام لعبرة نسقيكم
مما في بطونها وقرا حمزة والكسايي من ثمره بضم الثا والميم وفتحهما الباقون وعن الاعمش
ضم الثا واسكان الميم وقد مضى الكلام فيه في الانعام وما عملته ايديهم ما في موضع خفض
على العطف على من ثمره اي ومما عملته ايديهم وقرا الكسايي وما عملت بغير ها الباقون عملته
على الاصل من غير حذف وحذف الصلة ايضا في الكلام كثير لطول الاسم ويجوز ان تكون
ما نافية لا موضع لها فلا تحتاج الى صلة ولا راجع اي ولم تعمله ايديهم من الزرع الذي انبته
الله لهم وهذا قول ابن عباس والضحاك ومقاتل وقال غيرهما المعنى ومن الذي عملته
ايديهم اي من الثمار ومن اصناف الحلاوات والاطعمة ومما اتخذوا من الحبوب بعلاج كالخبز
والدهن المستخرج من السمسم والزيتون وقيل يرجع ذلك الى ما يغرسه الناس روي معناه
عن ابن عباس ايضا افلا يشكرون نعمه قوله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها نزه
نفسه عن قول الكفار اذ عبدوا غيره مع ما راوه من نعمه واثار قدرته وفيه
تقدير الامر اي سبحوه ونزهوه عما لا يليق به وقيل فيه معنى التعجب اي عجبا لهولا في
كفرهم مع ما يشاهدونه من هذه الايات ومن تعجب من شي قال سبحان الله والازواج

الانواع والاصناف فكل صنف زوج لانه مختلف في الالوان والطعوم والاشكال والصغر
والكبر فاختلافها هو ازدواجها وقال قتادة يعني الذكر والانثى مما تنبت الارض يعني
من النبات لانه اصناف ومن انفسهم يعني وخلق منهم اولادا ازواجا ذكورا واناثا ومما لا يعلمون
اي من اصناف خلقه في البر والبحر والسما والارض ثم يجوز ان يكون ما يخلقه لا يعلمه البشر
وتعلمه الملايكة ويجوز ان لا يعلمه مخلوق ووجه الاستدلال في الاية انه اذا انفرد بالخلق
فلا ينبغي ان يشرك به قوله تعالى واية لهم الليل نسلخ منه النهار اي وعلامة دالة على
توحيده وقدرته ووجوب الاهيته والسلخ الكشط والنزع يقال سلخه الله من دينه ثم
يستعمل بمعنى الاخراج وقد جعل ذهاب الضو ومجي الظلمة كالسلخ من الشي وظهور المسلوخ
فهو استعارة ومظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا اي دخلنا في ظلام الليل واظهرنا
دخلنا في وقت الظهر وكذلك اصبحنا واضحينا وامسينا وقيل منه بمعنى عنه والمعنى نسلخ
عنه ضيا النهار فاذا هم مظلمون اي في ظلمة لان ضو النهار يتداخل في الهوا فيضي فاذا خرج
منه اظلم قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها يجوز ان يكون تقديره واية لهم الشمس
ويجوز ان يكون الشمس مرفوعا باضمار فعل يفسره الثاني ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتدا
تجري في موضع الخبر اي جارية وفي صحيح مسلم عن ابي ذر سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال يوما اتدرون اين تذهب هذه الشمس قالوا الله ورسوله اعلم قال ان هذه
تجري حتى تنتهي الي مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي
ارجعي من حيث جيت فترجع فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيا حتى
تنتهي الى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يقال لها ارتفعي من حيث
جيت فتصبح طالعة من مطلعها ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيا حتى تنتهي الى مستقرها
تحت العرش فيقال لها ارتفعي اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعة من مغربها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تدرون متى ذاكم حين لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن امنت
من قبل او كسبت في ايمانها خيرا ولفظ البخاري عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم لابي ذر حين غربت الشمس تدري اين تذهب قلت الله ورسوله اعلم قال
فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستاذن فيوذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل
منها وتستاذن فلا يوذن لها يقال لها ارجعي من حيث جيت فتطلع من مغربها فذلك
قوله عز وجل والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ولفظ الترمذي عن ابي
ذر قال دخلت المسجد حين غابت الشمس والنبي صلى الله عليه وسلم جالس فقال
النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر اتدري اين تذهب هذه قال قلت الله ورسوله اعلم قال
فانها تذهب فتستاذن في السجود فيوذن لها وكانها قد قيل لها اطلعي من حيث جيت
فتطلع من مغربها قال ثم قرا وذلك مستقر لها قال وذلك قراة عبد الله قال ابو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وقال عكرمة ان الشمس اذا غربت دخلت محرابا تحت العرش
تسبح الله حتى تصبح فاذا اصبحت استعفت ربها من الخروج فيقول لها الرب ولم
ذلك قالت اني اذا خرجت عبدت من دونك فيقول لها الرب اخرجي فليس عليك من
ذلك شي سابعث اليهم جهنم مع سبعين الف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها وقال
الكلبي وغيره المعنى تجري الى ابعد منازلها في الغروب ثم ترجع الى ادنى منازلها فمستقرها
بلوغها الموضع الذي لا تتجاوزه بل ترجع منه كالانسان يقطع مسافة حتى يبلغ اقصى
مقصوده فيقضي وطره ثم يرجع الى منزله الاول الذي ابتدا منه سفره وعلى هذا تبلغ الشمس
اقصى منازلها وهو مستقرها اذا طلعت الهنعة وذلك اليوم اطول الايام في السنة
وتلك الليلة اقصر الليالي فالنهار خمسة عشر ساعة والليل تسع ساعات ثم تاخذ
في النقصان وترجع الشمس فاذا طلعت الثريا استوى الليل والنهار وكل واحد
اثنا عشر ساعة ثم تبلغ ادنى منازلها وتطلع النعايم وذلك اليوم اقصر الايام والليل
خمسة عشر ساعة حتى اذا طلع فرغ الدلو المؤخر استوى الليل والنهار فياخذ الليل
من النهار كل يوم عشر ثلث ساعة كل شهر ساعة كاملة حتى يستويا وياخذ الليل

حتى

حتى يبلغ خمسة عشر ساعة وياخذ النهار من الليل كذلك وقال الحسن ان للشمس في
السنة ثلثماية وستين مطلعا تنزل في كل يوم مطلعا لا تنزله الى الحول فهي تجري في
تلك المنازل وهي مستقرها وهو معنى الذي قبله سوا وقال ابن عباس انها اذا غربت
وانتهت الى الموضع الذي لا تتجاوزه استقرت تحت العرش الى ان تطلع قلت ما قاله ابن
عباس يجمع الاقوال فتامله وقيل الى انتها امدها عند انقضا الدنيا وقرا ابن مسعود
وابن عباس والشمس تجري لا مستقر لها اي انها تجري في الليل والنهار لا وقوف لها ولا قرار
الى ان يكورها الله يوم القيامة وقد احتج من خالف المصحف فقال انا اقرا بقراة ابن مسعود
وابن عباس قال ابو بكر الانباري وهذا باطل مردود على من نقله لان ابا عمرو روى عن مجاهد
عن ابن عباس وابن كثير روى عن مجاهد عن ابن عباس والشمس تجري لمستقر لها فهذان
السندان عن ابن عباس اللذان يشهد ان بصحتهما الاجماع يبطلان ما روي بالسند الضعيف
مما يخالف مذهب الجماعة وما اتفقت عليه الامة قلت والاحاديث الثابتة التي ذكرناها ترد
قوله فما اجراه على كتاب الله فتامله وقوله لمستقر لها اي الى مستقرها والمستقر موضع القرار
ذلك تقدير اي الذي ذكر من امر الليل والنهار والشمس تقدير العزيز العليم قوله تعالى
والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله والقمر
يكون تقديره واية لهم القمر ويجوز ان يكون والقمر مرفوعا على الابتدا وقرا الكوفيون وابن
عامر والقمر بالنصب على اضمار فعل وهو اختيار ابي عبيد قال لانك قبله فعلا وبعده
فعلا قبله نسلخ وبعده قدرناه النحاس واهل العربية جميعا فيما علمت على خلاف ما قاله
منهم الفرا قال الرفع اعجب الي وانما كان الرفع عندهم اولى لانه معطوف على ما قبله ومعناه
واية لهم القمر وقوله ان قبله نسلخ فقبله ما هو اقرب منه وهو تجري وقبله والشمس بالرفع
والذي ذكره بعده وهو قدرناه قد عمل في الهاء قال ابو حاتم الرفع اولى لانك شغلت الفعل
عنه بالضمير فرفعته بالابتدا ويقال القمر ليس هو المنازل فكيف قال قدرناه منازل ففي
هذا جوابان احدهما قدرناه ذا منازل مثل واسيل القرية والتقدير الاخر قدرنا له منازل
ثم حذفت اللام وكان حذفها حسنا لتعدي الفعل الى مفعولين مثل واختار موسى قومه
سبعين رجلا لميقاتنا والمنازل ثمانية وعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منها بمنزل وهي
الشرطين ۝ والبطين ۝ والثريا ۝ والدبران ۝ والهقعة ۝ والهنعة ۝ والذراع ۝
والنثرة ۝ والطرف ۝ والجبهة ۝ والخراتان ۝ والصرفة ۝ والعوا ۝ والسماك ۝
والغفر ۝ والزبانا ۝ والاكليل ۝ والقلب ۝ والشولة ۝ والنعايم ۝ والبلدة ۝
وسعد الذابح ۝ وسعد بلع ۝ وسعد السعود ۝ وسعد الاخبية ۝ والفرغ المقدم ۝
والفرغ المؤخر ۝ وبطن الحوت ۝ فاذا صار القمر في اخرها عاد الى اولها فيقطع الفلك على
المنازل وهي منقسمة على البروج لكل برج منزلتان وثلث فللحمل الشرطين والبطين وثلث
الثريا وللثور ثلثا الثريا والدبران وثلثا الهقعة ثم كذلك الى سايرها واعلم ان السنة
منقسمة على اربع فصول لكل فصل سبع منازل فاولها الربيع واوله خمسة عشر يوما
من اذار وعدد ايامه اثنان وتسعون يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج الحمل والثور
والجوزا وسبعة منازل الشرطين والبطين والثريا والدبران والهقعة والهنعة
والذراع ثم يدخل فصل الصيف في خمسة وعشرين يوما من حزيران وعدد ايامه اثنان
وتسعون يوما تقطع الشمس فيه ثلاثة بروج السرطان والاسد والسنبلة وسبعة
منازل وهي النثرة والطرف والجبهة والخراتان والصرفة والعوا والسماك ثم يدخل فصل
الخريف في خمسة عشر يوما من ايلول وعدد ايامه احد وتسعون يوما تقطع الشمس فيه
ثلاثة بروج وهي الميزان والعقرب والقوس وسبعة منازل الغفر والزبانا والاكليل
والقلب والشولة والنعايم والبلدة ثم فصل الشتا في خمسة عشر يوما من كانون الاول
وعدد ايامه تسعون يوما وربما كان احدا وتسعين يوما تقطع فيه الشمس ثلاثة بروج
وهي الجدي والدلو والحوت وسبعة منازل سعد الذابح وسعد بلع وسعد السعود وسعد
الاخبية والفرغ المقدم والفرغ المؤخر وبطن الحوت وهذه قسمة السريانيين لشهورها

تشرين الاول تشرين الثاني كانون الاول كانون الثاني اشباط اذار نيسان ايار
حزيران تموز اب ايلول وكلها احدى وثلثون الا تشرين الثاني ونيسان وحزيران
وايلول فهي ثلثون وشباط ثمانية وعشرون يوما وربع يوم واردنا بهذا ان ينظر
في قدرة الله تعالى في ذلك قوله تعالى والقمر قدرناه منازل فاذا كانت الشمس في منزل
اهل الهلال بالمنزل الذي بعده وكان الفجر منزلتين من قبله فاذا كانت الشمس بالثريا
في خمسة وعشرين يوما من نيسان كان الفجر بالشرطين واهل الهلال بالدبران ثم يكون لكل
ليلة منزلة حتى يقطع في ثمان وعشرين ليلة ثمانيا وعشرين منزلة وقد قطعت
الشمس منزلتين فتقطعهما ثم يستهل في المنزلة التي بعد منزلة الشمس فذلك تقدير العزيز
العليم وقد مضى في الحجر تسمية البروج تاما والحمد لله وقيل ان الله تعالى خلق الشمس
من نار ثم كساها النور عند الطلوع فاما نور الشمس فمن نور العرش واما نور القمر فمن نور
الكرسي فذلك اصل الخلقة وهذه الكسوة فاما الشمس فتركت كسوتها على حالها لتشعشع
وتشرق واما القمر فامر الروح الامين جناحه على وجهه فمحا ضوءه بسلطان الجناح وذلك
انه روح والروح سلطانه غالب على الاشيا فبقي ذلك المحو على ما يراه الخلق ثم جعل في غلاف
ثم جعل له مجرى في كل ليلة يبدو للخلق من ذلك الغلاف قدر ما يقمر لهم حتى ينتهي
بدوه ويراه الخلق بكماله واستدارته ثم لا يزال يعود الى الغلاف في كل ليلة شيء منه فينقص
من الروية والاقمار بقدر ما زاد في البدو ويبتدي في النقصان من الناحية التي لا تراه
الشمس وهو ناحية المغرب حتى يعود كالعرجون القديم وهو العذق المنقوس لتسعه ودقته
وانما قال القمر لانه يتراءى بعض الخلق بياضه الى ان يستتر الثانية حتى عاد كالعرجون
الزجاج هو عود العذق الذي عليه الشماريخ وهو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
اي سار في منازله فاذا كان في اخرها دق واستقوس وضاق حتى صار كالعرجون وعلى
هذا فالنون زايدة وقال قتادة هو العذق اليابس المنحني من النخلة تعليه كالعرجون
القديم قال العرجون الذي يبقى من الكبائس في النخلة اذا قطعت والقديم البالي
الخليل في باب الرباعي العرجون اصل العذق وهو اصفر عريض يشبه به الهلال اذا انحنى
الجوهري العرجون اصل العذق الذي يعوج ويقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا
وعرجته ضربته بالعرجون فالنون على قول هولا اصلية ومنه شعر اعشى بني قيس
• شرق المسك والعبير بها • فهي صفرا كعرجون القمر •
فالعرجون اذا عتق ويبس وتقوس شبه به القمر في دقته وصفرته ويقال له ايضا
الاهان والكباسة والعنو واهل مصر يسمونه الاسباط وقرى العرجون بوزن
الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبرزيون ذكره الزمخشري وقال هو عود العذق ما بين
شماريخه الى منبته من النخلة الى الثمر قوله القديم قال الزمخشري القديم المحول
واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه القمر به من ثلثة اوجه وقيل اقل الموصوف
بالقديم الحول فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصية عتق
من مضى له حول او اكثر قلت قد مضى في البقرة ما يترتب على الاهلة من الاحكام والحمد
لله قوله تعالى لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر رفعت الشمس بالابتدا ولا يجوز
ان تعمل لا في معرفة وقد تكلم العلما في معنى هذه الاية فقال بعضهم معناها ان الشمس
لا تدرك القمر فتبطل معناه اي لكل واحد منهما سلطان على حياله فلا يدخل احدهما على الاخر
فيذهب سلطانه الى ان يبطل الله ما دبره من ذلك فتطلع الشمس من مغربها على ما تقدم
في اخر سورة الانعام بيانه والحمد لله وقيل اذا اطلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع
القمر لم يكن للشمس ضوء روي معناه عن ابن عباس والضحاك وقال مجاهد اي لا يشبه
ضوء احدهما ضوء الاخر وقال قتادة لكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جا سلطان
هذا ذهب هذا وقال الحسن انهما لا يجتمعان في السما ليلة الهلال خاصة اي لا تبقى
الشمس حتى يطلع القمر ولكن اذا غربت طلع القمر يحيى ابن سلام لا تدرك الشمس القمر
ليلة البدر خاصة لانه يبادر بالمغيب قبل طلوعها وقيل معناه اذا اجتمعا في السما

كان

كان احدهما بين يدي الاخر في منازل لا يشتركان فيها قاله ابن عباس ايضا وقيل القمر في
سما الدنيا والشمس في السما الرابعة فهي لا تدركه ذكره النحاس والمهدوي قال النحاس
واحسن ما قيل في معناه واسنه مما لا يدفع ان سير القمر سير سريع والشمس لا تدركه في السير
ذكره المهدوي ايضا فاما قوله سبحانه وجمع الشمس والقمر فذلك حين حبس الشمس عن الطلوع
على ما تقدم بيانه في اخر الانعام ويأتي في سورة القيامة ايضا جمعهما علامة لانقضاء الدنيا
وقيام الساعة كل يعني من الشمس والقمر والنجوم في فلك يسبحون اي يجرون وقيل يدورون
ولم يقل يسبح لانه وصفها بفعل من يعقل وقال الحسن الشمس والقمر والنجوم في فلك بين السما
والارض غير ملصقة ولو كانت ملصقة ما جرت ذكره الثعلبي والماوردي واستدل بعضهم
بقوله تعالى ولا الليل سابق النهار على ان النهار مخلوق قبل الليل وان الليل لم يسبقه بخلق
وقيل كل واحد منهما يجي وقته ولا يسبق صاحبه الى ان يجمع بين الشمس والقمر يوم القيامة كما
قال وجمع الشمس والقمر وانما هذا التعاقب الان ليتم مصالح العباد وليعلموا عدد السنين والحساب
ويكون الليل للاجماع والاستراحة والنهار للتصرف كما قال تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار
لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله وقال وجعلنا نومكم سباتا اي راحة لابدانكم من عمل
النهار فقوله ولا الليل سابق النهار اي غالب النهار يقال سبق فلان فلانا اي غلبه وذكر
المبرد قال سمعت عمارة يقرا ولا الليل سابق النهار قال فقلت ما هذا قال اردت سابق
النهار فحذفت التنوين لانه اخف قال النحاس يجوز ان يكون النهار منصوبا بغير تنوين
ويكون التنوين حذف لالتقاء الساكنين قوله تعالى واية لهم يحتمل ثلثة معان احدها
عبرة لهم لان في الايات اعتبارا الثاني نعمة عليهم لان في الايات انعاما الثالث انذار لهم
لان في الايات انذارا انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون من اشكلها في السورة لانهم هم
المحمولون فقيل المعنى واية لهم اي لاهل مكة انا حملنا ذرية القرون الماضية في الفلك المشحون
فالضميران مختلفان ذكره المهدوي وحكاه النحاس عن علي بن سليمان انه سمعه يقوله وقيل
الضميران جميعا لاهل مكة على ان تكون ذرياتهم اولادهم وضعفاءهم فالفلك على القول الاول
سفينة نوح وعلى الثاني تكون اسما للجنس خبر جل وعز بلطفه وامتنانه انه خلق السفن
يحمل فيها من يصعب عليه المشي والركوب من الذرية والضعفا فيكون الضميران على هذا
متفقين وقيل الذرية الابا والاجداد حملهم الله تعالى في سفينة نوح عليه السلام فالابا
ذرية والابنا ذرية لان منهم ذرا الابنا وقول رابع ان الذرية النطف حملها الله تعالى في
بطون النسا تشبيها بالفلك المشحون قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه ذكره الماوردي
وقد مضى في البقرة اشتقاق الذرية والكلام فيها مستوفى والمشحون المملو الموقر والفلك
يكون واحدا وجمعا وقد تقدم في يونس القول فيه قوله تعالى وخلقنا لهم من مثله
ما يركبون والاصل يركبونه فحذفت الها لطول الاسم وانه راس اية وفي معناها ثلثة
اقوال مذهب مجاهد وقتادة وجماعة من اهل التفسير وروي عن ابن عباس ان معنى
من مثله للابل خلقها للركوب في البر مثل السفن المركوبة في البحر والعرب تشبه الابل بالسفن
قال طرفة • كان حدوج المالكية غدوة • خلايا سفين بالنواصف من دد •
جمع خلية وهي السفينة العظيمة والقول الثاني انه للابل والدواب وكل ما يركب والقول
الثالث انه للسفن النحاس وهو اصحها لانه متصل الاسناد عن ابن عباس وخلقنا لهم
من مثله ما يركبون قال خلق لهم سفنا امثالها يركبون فيها وقال ابو مالك انها السفن
الصغار خلقها مثل السفن الكبار وروي عن ابن عباس ايضا والحسن وقال الضحاك وغيره
هي السفن المتخذة بعد سفينة نوح قال الماوردي ويجي على مقتضى تاويل علي رضي الله
عنه في ان الذرية في الفلك المشحون هي النطف في بطون النسا قول خامس في قوله
وخلقنا لهم من مثله ما يركبون ان يكون تاويله النسا خلقن لركوب الازواج لكن لم اره
محكيا قوله تعالى وان نشا نغرقهم اي في البحر فترجع الكناية الى اصحاب الذرية او الى
الجميع وهذا يدل على صحة قول ابن عباس ومن قال ان المراد من مثله السفن لا الابل
فلا صريخ لهم اي لا مغيث لهم روى سعيد عن قتادة وروى شيبان عنه فلا منعة لهم

ومعناها متقاربان وصريخ بمعنى مصرخ وفعيل بمعنى فاعل ويجوز فلا صريخ لهم لان
بعده ما لا يجوز فيه الا الرفع لانه معرفة وهو ولا هم ينقذون والنحويون يختارون
لا رجل في الدار ولا زيد ومعنى ينقذون يخلصون من الغرق وقيل من العذاب الا رحمة منا
قال الكسائي نصب على الاستثنا وقال الزجاج نصب مفعول من اجله اي للرحمة ومتاعا
معطوف عليه الى حين الموت قاله قتادة يحيى بن سلام الى القيامة اي الا ان نرحمهم ونمتعهم
الى اجالهم وان الله عجل عذاب الامم السالفة واخر عذاب امة محمد صلى الله عليه وسلم وان كذبوه
الى الموت والقيامة قوله تعالى واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قال قتادة
معنى اتقوا ما بين ايديكم اي من الوقائع فيمن كان قبلكم من الامم وما خلفكم من الاخرة ابن
عباس وابن جبير ومجاهد ما بين ايديكم ما مضى من الذنوب وما خلفكم ما ياتي من الذنوب
الحسن ما بين ايديكم ما مضى من اجلكم وما خلفكم ما بقي منه وقيل ما بين ايديكم من الدنيا
وما خلفكم من عذاب الاخرة قاله سفيان وحكى عكس هذا القول الثعلبي عن ابن عباس
قال ما بين ايديكم من امر الاخرة وما عملوا لها وما خلفكم من امر الدنيا فاحذروها ولا تغتروا
بها وقيل ما بين ايديكم ما ظهر لكم وما خلفكم ما خفي عنكم والجواب محذوف والتقدير اذا
قيل ذلك لهم اعرضوا دليله قوله بعد وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين
فاكتفى بهذا عن ذلك قوله تعالى واذا قيل لهم انفقوا مما رزقكم الله اي تصدقوا على
الفقرا قال الحسن يعني اليهود امروا باطعام الفقرا وقيل هم المشركون قال لهم فقرا اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم اعطونا ما زعمتم من اموالكم انها لله وذلك قوله وجعلوا لله مما
ذرا من الحرث والانعام نصيبا فحرموهم وقالوا لو شا الله اطعمكم استهزا فلا نطعمكم حتى ترجعوا
الى ديننا قالوا انطعم اي انرزق وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا امروا بالصدقة
على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وكانوا يسمعون المومنين يعلقون افعال
الله بمشيته فيقولون لو شا الله لاغنى فلانا ولو شا لاعز ولو شا لكان كذا وكذا فاخرجوا
هذا الجواب مخرج الاستهزا بالمومنين وبما كانوا يقولون من تعليق الامور بمشية الله
تعالى وقيل قالوا هذا تعلقا بقول المومنين لهم انفقوا مما رزقكم الله اي فاذا كان الله
رزقنا فهو قادر على ان يرزقكم فلم تلتمسوا الرزق منا وكان هذا الاحتجاج باطلا لان
الله عز وجل اذا ملك عبدا مالا ثم اوجب عليه فيه حقا فكانه انتزع ذلك القدر منه
فلا معنى للاعتراض وقد صدقوا في قولهم لو شا الله اطعمهم ولكن كذبوا في الاحتجاج
ومثله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا وقوله قالوا نشهد انك لرسول الله
والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون ان انتم الا في ضلال
مبين قيل هو من قول الكفار للمومنين اي في سوال المال وفي اتباعكم محمدا قال معناه
مقاتل وغيره وقيل هو من قول اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لهم وقيل من قول الله
تعالى للكفار حين ردوا بهذا الجواب وقيل ان ابا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم
مساكين المسلمين فلقيه ابو جهل فقال يا ابا بكر اتزعم ان الله قادر على اطعام هولا
قال نعم قال فما باله لم يطعمهم قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالغنى وامر الفقرا بالصبر
وامر الاغنيا بالاطعام فقال والله يا ابا بكر ما انت الا في ضلال اتزعم ان الله قادر على
اطعام هولا وهو لا يطعمهم ثم تطعمهم انت فنزلت هذه الاية ونزل قوله تعالى فاما من
اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى الايتين وقيل نزلت الاية في قوم
من الزنادقة وقد كان فيهم اقوام يتزندقون فلا يومنون بالصانع واستهزوا
بالمسلمين بهذا القول ذكره القشيري والماوردي قوله تعالى ويقولون متى
هذا الوعد ان كنتم صادقين لما قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم قالوا متى
هذا الوعد وكان هذا استهزا منهم ايضا اي لا تحقيق لهذا الوعد قال الله تعالى
ما ينظرون اي ما ينتظرون الا صيحة واحدة وهي نفخة اسرافيل تاخذهم وهم
يخصمون اي يختصمون في امور دنياهم فيموتون في مكانهم وهذه نفخة الصعق
وفي يخصمون خمس قراات قرا ابو عمرو وابن كثير وهم يخصمون بفتح اليا والخا وتشديد

الصاد

الصاد وكذا روى ورش عن نافع فاما اصحاب القراات واصحاب نافع فاما اصحاب القراات
واصحاب نافع سوى ورش فرووا عنه وهم يخصمون باسكان الخا وتشديد الصاد على
الجمع بين ساكنين وروى يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة وهم يخصمون باسكان الخا
وتخفيف الصاد من خصمه وقرا عاصم والكسائي وهم يخصمون بكسر الخا وتشديد الصاد
ومعناه يخصم بعضهم بعضا وقيل تاخذهم وهم عند انفسهم يختصمون في الحجة انهم لا يبعثون
وقد روى ابن جبير عن ابي بكر عن عاصم وحماد كسر اليا والخا والتشديد قال النحاس
القراة الاولى ابينها والاصل فيها يختصمون فادغمت التا في الصاد فنقلت حركتها على
الخا وفي حرف ابي وهم يختصمون واسكان الخا لا يجوز لانه جمع بين ساكنين وليس احدهما
حرف مد ولين وقيل اسكنوا الخا على اصلها والمعنى يخصم بعضهم بعضا فحذف المضاف
وجاز ان يكون المعنى يخصمون مجادلهم عند انفسهم فحذف المفعول قال الثعلبي وهي
قراة ابي بن كعب قال النحاس فاما الاصل فيه ايضا يختصمون فادغمت التا في الصاد
ثم كسرت الخا لالتقا الساكنين وزعم الفرا ان هذه القراة اجود واكثر فترك ما هو اولى من
القا حركة التا على الخا واجلب لها حركة اخرى وجمع بين يا وكسرة وزعم انه اجود واكثر
وكيف يكون اكثر وبالفتح قراة الخلق من اهل مكة واهل البصرة واهل المدينة وما روي عن
عاصم من كسر اليا والخا فللاتباع وقد مضى هذا في البقرة في يخطف ابصارهم وفي يونس
في يهدي وقال عكرمة في قوله عز وجل الا صيحة واحدة قال هي النفخة الاولى في الصور
وقال ابو هريرة ينفخ في الصور والناس في اسواقهم فمن حالب لقحة ومن ذارع ثوبا ومن
مار في حاجة وروى نعيم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقوم الساعة
والرجلان قد نشرا ثوبهما يتبايعانه فما يطويانه حتى تقوم الساعة والرجل يليط
حوضه ليسقي ماشيته فما يسقيها حتى تقوم الساعة والرجل يخفض ميزانه فما يرفعه
حتى تقوم الساعة والرجل يرفع الاكلة الى فيه فما يبتلعها حتى تقوم الساعة وفي حديث
عبد الله بن عمرو واول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله قال فيصعق ويصعق الناس
الحديث فلا يستطيعون توصية اي لا يستطيع بعضهم ان يوصي بعضا لما في يده من
حق وقيل لا يستطيع ان يوصي بعضهم بعضا بالتوبة والاقلاع بل يموتون في
اسواقهم ومواضعهم ولا الى اهلهم يرجعون اذ ماتوا وقيل ان المعنى ولا الى اهلهم
يرجعون لا يرجعون اليهم قولا قال قتادة ولا الى اهلهم يرجعون اي الى منازلهم
لانهم قد اعجلوا عن ذلك قوله تعالى ونفخ في الصور هذه النفخة للنشاة وقد بينا
في سورة النمل انهما نفختان لا ثلاث وهذه الاية دالة على ذلك وروى المبارك ابن
فضالة عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين النفختين اربعون
سنة الاولى يميت الله بها كل حي والاخرى يحيي الله عز وجل بها كل ميت وقال
قتادة الصور جمع صورة اي نفخ في صور الارواح وصورة وصور مثل سورة البنا وسور
قال العجاج • ورب ذي سرادق محجور • سرت اليه في اعالي السور •
وقد روي عن ابي هريرة انه قرا ونفخ في الصور النحاس والصحيح ان الصور باسكان
الواو القرن جا بذلك التوقيف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك معروف في
كلام العرب انشد اهل اللغة • نحن نطحناهم غداة الغورين • بالضابحات في غبار النقعين •
نطحا شديدا لا كنطح الصورين • وقد مضى هذا في الانعام مستوفى فاذا هم من الاجداث
اي من القبور وقرى بالفا من الاجداف ذكره الزمخشري يقال جدث وجدف واللغة
الفصيحة الجدث بالثا والجمع اجدث واجداث قال المتنخل الهذلي
• عرفت باجدث فنعاف عرق • علامات كتحبير النماط •
[illegible] الى ربهم ينسلون اي يخرجون قاله ابن عباس وقتادة ومنه
قول امرئ القيس • فسلي ثيابي من ثيابك تنسل • ومنه قيل للولد نسل لانه يخرج
من بطن امه وقيل يسرعون والنسلان والعسلان الاسراع في السير ومنه مشية
الذئب قال • عسلان الذئب امسى قاربا • برد الليل عليه فنسل •

يقال عسل الذئب ونسل يعسل وينسل من باب ضرب يضرب ويقال ينسل بالضم أيضا
هو الإسراع في المشي فالمعنى يخرجون مسرعين وفي التنزيل ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس
واحدة وقال يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر وفي سأل سائل يوم يخرجون من الأجداث
كأنهم إلى نصب يوفضون أي يسرعون وفي الخبر شكونا إلى النبي صلى الله عليه وسلم الضعف فقال
عليكم بالنسل أي بالإسراع في المشي فإنه ينشط قوله تعالى قالوا يا ويلنا قال ابن الأنباري
يا ويلنا وقف حسن ثم يبتدئ من بعثنا وروي عن بعض القراء يا ويلنا من بعثنا بكسر من والثا
من البعث روي ذلك عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف
على قوله يا ويلنا حتى يقول من مرقدنا وفي قراءة أبي بن كعب من أهبنا بالوصل من مرقدنا هذا
دليل على صحة مذهب العامة قال المهدوي قرأ ابن أبي ليلى قالوا يا ويلتنا بزيادة تاء
وهو تأنيث الويل ومثله يا ويلتا أألد وأنا عجوز وقرأ علي رضي الله عنه يا ويلنا من بعثنا
فمن متعلقة بالويل أو حال من ويلنا فتتعلق بمحذوف كأنه قال يا ويلنا كائنا من بعثنا وكما
يجوز أن يكون خبرا عنه كذلك يجوز أن يكون حالا منه ومن من قوله من مرقدنا متعلقة
بنفس البعث ثم قيل كيف قالوا هذا وهم من المعذبين في قبورهم فالجواب أن أبي بن كعب
قال ينامون نومة فيقولون يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال أبو بكر الأنباري لا يحمل
هذا الحديث على أن هبنا من لفظ القرآن كما قال من طعن في القرآن ولكنه تفسير بعثنا
أو معبر عن بعض معانيه قال أبو بكر وكذا حفظته من هبنا بغير ألف في هبنا مع تسكين
نون من والصواب فيه على طريقة اللغة من اهبنا بفتح النون على أن فتحة همزة أهب
ألقيت على نون من وأسقطت الهمزة كما قالت العرب من اخبرك من اعلمك وهم يريدون
من أخبرك ويقال أهببت النائم فهب النائم أنشدنا أحمد بن يحيى النحوي

وعاذلة هبت بليل تلومني ... ولم يعترني قبل ذاك عذول

وقال أبو صالح إذا نفخ النفخة الأولى رفع العذاب عن أهل القبور وهجعوا هجعة إلى
النفخة الثانية وبينهما أربعون سنة فذلك قولهم من بعثنا من مرقدنا وقاله ابن
عباس وقتادة وأهل المعاني أن الكفار إذا عاينوا جهنم وما فيها من أنواع العذاب
صار ما عذبوا به في قبورهم إلى جنب عذابها كالنوم قال مجاهد فقال لهم المؤمنون
هذا ما وعد الرحمن وقال قتادة فقال لهم من هدى الله هذا ما وعد الرحمن وصدق
المرسلون وقال الفراء فقال لهم الملائكة هذا ما وعد الرحمن النحاس وهذه الأقوال
متفقة لأن الملائكة من المؤمنين وممن هدى الله عز وجل وعلى هذا يتأول قول الله
عز وجل إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية وكذا الحديث المؤمن
عند الله خير مما خلق ويجوز أن تكون الملائكة صلى الله عليهم وغيرهم من المؤمنين
قالوا لهم هذا ما وعد الرحمن وقيل إن الكفار لما قال بعضهم لبعض من بعثنا من مرقدنا
صدقوا الرسل لما عاينوا ما أخبروهم به ثم قالوا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون
فكذبنا به أقروا حين لا ينفعهم الإقرار وكان حفص يقف على من مرقدنا ثم يبتدي
فيقول هذا قال ابن الأنباري من بعثنا من مرقدنا وقف حسن ثم يبتدي هذا ما وعد
الرحمن ويجوز أن يقف على مرقدنا هذا فيخفض هذا على الإتباع للمرقد ويبتدي ما وعد
الرحمن على معنى بعثكم ما وعد الرحمن أي بعثكم وعد الرحمن النحاس التمام على من
مرقدنا وهذا في موضع رفع بالابتداء وخبره ما وعد الرحمن ويجوز أن يكون في موضع
خفض على النعت لمرقدنا فيكون التمام من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن في موضع رفع من
ثلاث جهات ذكر أبو إسحاق منها اثنتين قال يكون بإضمار هذا والجهة الثانية أن
يكون بمعنى بعثكم ما وعد الرحمن إن كانت إلا صيحة واحدة يعني أن بعثهم وإحياءهم
كان بصيحة واحدة وهو قول إسرافيل أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة
والعظام المتفرقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وهذا
معنى قوله الحق يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج وقال مهطعين إلى
الداعي على ما يأتي وفي قراءة ابن مسعود وإن صح عنه إن كانت إلا زقية واحدة والزقية

الصيحة

الصيحة وقد تقدم فإذا هم جميع لدينا محضرون فإذا هم جميع مبتدأ وخبره وجميع
نكرة ومحضرون من صفته ومعنى محضرون مجموعون أحضروا موقف الحساب وهو معنى
قوله وما أمر الساعة إلا كلمح البصر قوله تعالى فاليوم لا تظلم نفس شيئا أي لا ينقص من
ثواب عمل ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون ما في محل نصب من وجهين الأول أنه مفعول ثان
لما لم يسم فاعله والثاني بنزع حرف الصفة تقديره إلا بما كنتم تعملون قوله
تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة
ومجاهد شغلهم افتضاض العذارى وذكر الترمذي الحكيم في كتاب مشكل القرآن له حدثنا
محمد بن حميد الرازي حدثنا يعقوب القمي عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن
شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل
فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى حدثنا محمد بن حميد قال حدثنا هارون بن
المغيرة عن نهشل عن الضحاك عن ابن عباس بمثله وقال أبو قلابة بينما الرجل من أهل
الجنة مع أهله إذ قيل له تحول إلى أهلك فيقول أنا مع أهلي مشغول فيقال تحول أيضا إلى أهلك
وقيل أصحاب الجنة في شغل بما هم فيه من اللذات والنعيم عن الاهتمام بأهل المعاصي
ومصيرهم إلى النار وما هم فيه من أليم العذاب وإن كان فيهم أقرباؤهم وأهلوهم قاله
سعيد بن المسيب وغيره وقال وكيع يعني في السماع وقال ابن كيسان يعني في شغل
أي في زيارة بعضهم بعضا وقيل في ضيافة الله تعالى وروي أنه إذا كان يوم القيامة
نادى مناد أين عبادي الذين أطاعوني وحفظوا عهدي بالغيب فيقومون كأن وجوههم
البدر والكوكب الدري ركبانا على نجب من نور أزمتها من الياقوت تطير بهم على رؤوس الخلائق
حتى يقوموا بين يدي العرش فيقول الله جل وعز لهم السلام على عبادي الذين أطاعوني
وحفظوا عهدي بالغيب أنا اصطفيتكم وأنا اجتبيتكم وأنا اخترتكم اذهبوا فادخلوا الجنة من
غير حساب فلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيمرون على الصراط كالبرق الخاطف فتفتح
لهم أبوابها ثم إن الخلق في المحشر موقوفون فيقول بعضهم لبعض يا قوم أين فلان وفلان
فيقول حين يسأل بعضهم بعضا فينادي مناد إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون وشغل
وشغل لغتان قرئ بهما مثل الرعب والرعب والسحت والسحت وقد تقدم فاكهون قال الحسن
مسرورون وقال ابن عباس فرحون مجاهد والضحاك معجبون ناعمون والمعنى متقارب
والفكاهة المزاح والكلام الطيب وقرأ أبو جعفر وشيبة والأعرج فكهون بغير ألف وهما لغتان
كالفاره والفره والحاذر والحذر قاله الفراء وقال الكسائي وأبو عبيدة الفاكه ذو الفاكهة
مثل شاحم ولاحم وتامر ولابن والفكه المتفكه والمتنعم وفكهون بغير ألف في قول قتادة
معجبون وقال أبو زيد يقال رجل فكه إذا كان طيب النفس ضحوكا وقرأ طلحة بن مصرف
فاكهين نصبه على الحال هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون مبتدأ وخبره ويجوز أن
يكون هم توكيدا وأزواجهم عطف على المضمر ومتكئون نعت لقوله فاكهون وقراءة
العامة في ظلال بكسر الظاء والألف وقرأ ابن مسعود وعبيد بن عمير والأعمش ويحيى وحمزة
والكسائي وخلف في ظلل بضم الظاء من غير ألف فالظلال جمع ظل وظلل جمع ظلة على الأرائك
يعني السرر في الحجال واحدها أريكة مثل سفينة وسفائن قال الشاعر

كأن احمرار الورد فوق غصونه ... بوقت الضحى في روضة المتضاحك
خدود عذارى قد خجلن من الحيا ... تهادين بالريحان فوق الأرائك

وفي الخبر عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة
كلما جامعوا نساءهم عادوا أبكارا وقال ابن عباس إن الرجل من أهل الجنة ليعانق الحوراء سبعين
سنة لا يملها ولا تمله كلما أتاها وجدها بكرا وكلما رجع إليها عادت إليه شهوته فيجامعها بقوة
سبعين رجلا لا يكون بينهما مني يأتي من غير مني منه ولا منها لهم فيها فاكهة ابتداء وخبر
ولهم ما يدعون الدال الثانية مبدلة من تاء لأنه يفتعلون من دعا أي من دعا بشيء أعطيه
قال أبو عبيدة تمنى يدعون يتمنون من الدعاء وقيل المعنى أن من ادعى منهم شيئا فهو
له لأن الله تعالى قد طبعهم على ألا يدعي أحد إلا ما يجمل ويحسن أن يدعيه وقال يحيى

ابن سلام يدعون يشتهون ابن عباس يسئلون والمعنى متقارب قال ابن الانباري
ولهم ما يدعون وقف حسن ثم تبتدي سلام على معنى ذلك لهم سلام ويجوز ان يرفع
السلام على معنى ولهم ما يدعون مسلم خالص فعلى هذا المذهب لا يحسن الوقف على
ما يدعون وقال الزجاج سلام مرفوع على البدل من ما اي ولهم ان يسلم الله
عليهم وهذا منى اهل الجنة وروي من حديث جرير بن عبد الله البجلي قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم بينا اهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم
فاذا الرب تعالى قد اطلع عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا اهل الجنة فذلك
قوله تعالى سلام قولا من رب رحيم فينظر اليهم وينظرون اليه فلا يلتفتون الى
شي من النعيم ما داموا ينظرون اليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركاته عليهم
في ديارهم ذكره الثعلبي والقشيري ومعناه ثابت في صحيح مسلم وقد بيناه في يونس
عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة ويجوز ان تكون نكرة وسلام نعتا لها
ولهم ما يدعون مسلم ويجوز ان تكون ما رفعا بالابتدا وسلام خبر عنها وعلى هذه
الوجوه لا يوقف على ولهم ما يدعون وفي قراة ابن مسعود سلاما يكون مصدرا وان
شئت في موضع الحال اي ولهم ما يدعون ذا سلام او سلامة او مسلما فعلى هذا المذهب
لا يحسن الوقف على يدعون وقرا محمد بن كعب القرظي سلم على الاستيناف كانه قال ذلك
سلم لهم لا يتنازعون فيه ويكون ولهم ما يدعون تام ويجوز ان يكون سلام بدلا من
قوله ولهم ما يدعون وخبر ما يدعون لهم ويجوز ان يكون سلام خبرا اخر ويكون معنى
الكلام انه لهم خالص من غير منازع فيه قولا مصدر على معنى قال الله ذلك قولا او بقوله
ودل على الفعل المحذوف لفظ مصدره ويجوز ان يكون المعنى ولهم ما يدعون قولا اي عدة
من الله تعالى فعلى هذا المذهب الثاني لا يحسن الوقف على قوله سلام تام وهذا خطا لان
القول خارج مما قبله قوله تعالى وامتازوا اليوم ايها المجرمون ويقال تميزوا وامازوا
وامتازوا بمعنى ومزته فانماز وامتاز وميزته فتميز اي يقال لهم هذا عند الوقوف
للسؤال حين يؤمر اهل الجنة الى الجنة اي اخرجوا من جملتهم قال الله تعالى قتادة عزلوا
عن كل خير وقال الضحاك يمتاز المجرمون بعضهم من بعض فيمتاز اليهود فرقة والنصارى
فرقة في النار بيتا يدخل فيه ويرد بابه فيكون فيه ابدا لا يرى ولا يرى وقال داود
ابن الجراح فيمتاز المسلمون من المجرمين الا اصحاب الاهوا فيكونون مع المجرمين قوله
تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم العهد هنا بمعنى الوصية اي الم اوصكم وابلغكم على السنة
الرسل ان لا تعبدوا الشيطان اي لا تطيعوه في معصيتي قال الكسائي لا للنهي وان
اعبدوني بكسر النون على الاصل ومن ضم كره كسرة بعدها ضمة هذا صراط مستقيم اي
عبادتي دين قويم قوله تعالى ولقد اضل منكم جبلا اي اغوى جبلا كثيرا اي خلقا
كثيرا قاله مجاهد قتادة جموعا كثيرة الكلبي امما كثيرة والمعنى واحد وقرا اهل المدينة
وعاصم جبلا بكسر الجيم والبا وابو عمرو وابن عامر جبلا بضم الجيم واسكان البا الباقون
جبلا بضم الجيم والبا وتخفيف اللام وشددها الحسن وابن ابي اسحاق وعيسى ابن
عمر وعبد الله بن عبيد والنضر بن انس وقرا ابو يحيى والاشهب العقيلي جبلا بكسر
الجيم واسكان البا وتخفيف اللام فهذه خمس قرآت قال المهدوي والثعلبي وكلها لغات
بمعنى الخلق النحاس ابينها القراة الاولى والدليل على ذلك انهم قد اجمعوا على ان قروا
والجبلة الاولين فيكون جبلا جمع جبلة والاشتقاق فيه كله واحد وانما هو من جبل
الله عز وجل الخلق اي خلقهم وقد ذكرت قراة سادسة وهي ولقد اضل منكم جيلا كثيرا
بالياء وحكي عن الضحاك ان الجيل الواحد عشرة الاف والكثير ما لا يحصيه الا الله عز وجل
ذكره الماوردي افلم تكونوا تعقلون عداوته وتعلموا ان الواجب طاعة الله هذه جهنم
اي تقول لهم خزنتها هذه جهنم التي وعدتم فكذبتم بها وروي عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة جمع الله الانس والجن والاولين
والاخرين في صعيد واحد ثم اشرف عنق من النار على الخلايق فاحاط بهم ثم ينادي مناد

هذه جهنم التي كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون فحينئذ تجثوا الامم على ركبها
وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد قوله
تعالى اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون في صحيح
مسلم عن انس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل
تدرون مما اضحك قلنا الله ورسوله اعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يا رب الم تجرني
من الظلم قال يقول بلى فيقول فاني لا اجيز على نفسي الا شاهدا مني قال فيقول كفى
بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين شهودا قال فيختم على فيه فيقال لاركانه
انطقي قال فتنطق باعماله قال ثم يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا
فعنكن كنت اناضل خرجه ايضا من حديث ابي هريرة وفيه ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك
فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه
ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه
وخرج الترمذي عن معاوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال
واشار بيده الى الشام فقال من ها هنا الى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون يوم القيامة
على وجوهكم على افواهكم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على الله وان اول
ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه الفدام مصفاة الكوز والابريق
قاله الليث قال ابو عبيد يعني انهم منعوا الكلام حتى تكلم افخاذهم فشبه ذلك بالفدام الذي يجعل
على الابريق ثم قيل في سبب الختم اربعة اوجه احدها لانهم قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
فختم الله على افواههم حتى نطقت جوارحهم قاله ابو موسى الاشعري الثاني ليعرفهم اهل الموقف
فيتميزون منهم قاله ابن زياد الثالث لان اقرار غير الناطق ابلغ في الحجة من اقرار الناطق لخروجه
مخرج الاعجاز وان كان يوما لا يحتاج الى اعجاز الرابع ليعلم ان اعضاءه التي كانت اعوانا في
حق نفسه صارت عليه شهودا في حق ربه فان قيل لم قال وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم
فجعل ما كان من اليد كلاما وما كان من الرجل شهادة قيل لان اليد مباشرة لعمله والرجل حاضرة
وقول الحاضر على غيره شهادة وقول الفاعل على نفسه اقرار بما قال او فعل فلذلك عبر عما
صدر عن الايدي بالقول وعما صدر عن الارجل بالشهادة وقد روي عن عقبة بن عامر
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول عظم الانسان يتكلم يوم يختم على فيه
فخذه من الرجل اليسرى ذكره الماوردي والمهدوي وقال ابو موسى الاشعري اني لاحسب
اول ما ينطق منه فخذه اليمنى ذكره المهدوي ايضا قال الماوردي فاحتمل ان يكون تقدم
الفخذ بالكلام على ساير الاعضا لان لذة معاصيه يدركها بحواسه التي في الشطر الاسفل
منها الفخذ فجاز لقربه منها ان يتقدم في الشهادة عليها قال وتقدمت اليسرى لان الشهوة
في ميامن الاعضا اقوى في مياسرها فلذلك تقدمت اليسرى على اليمنى لقلة شهوتها قلت
او بالعكس لغلبة الشهوة او كلاهما معا والكف فان بمجموع ذلك يكون تمام الشهوة واللذة
والله اعلم قوله تعالى ولو نشا لطمسنا على اعينهم فاستبقوا الصراط فانى يبصرون
حكى الكسائي طمس يطمس ويطمس والمطموس والطميس عند اهل اللغة الاعمى الذي ليس
في عينيه شق قال ابن عباس المعنى لاعميناهم عن الهدى فلا يهتدون ابدا الى طريق الحق
وقال الحسن والسدي المعنى لتركناهم عميا يترددون فالمعنى لاعميناهم فلا يبصرون طريقا
الى تصرفهم في منازلهم ولا غيرها وهذا اختيار الطبري وقوله فاستبقوا الصراط اي استبقوا
الصراط ليجوزوا فانى يبصرون اي فمن اين يبصرون وقال عطا ومقاتل وقتادة وروي
عن ابن عباس ولو نشا لفقانا اعين ضلالتهم واعميناهم عن غيهم وحولنا ابصارهم من
الضلالة الى الهدى فاهتدوا وابصروا رشدهم وبادروا الى طريق الاخرة ثم قال فانى يبصرون
ولم نفعل ذلك بهم اي فكيف يهتدون وعين الهدى مطموسة على الضلال باقية وقد روي
عن عبد الله بن سلام في تاويل هذه الاية غير ما تقدم وتاولها على انها في يوم القيامة
وقال اذا كان يوم القيامة ومد الصراط نادى مناد ليقم محمد صلى الله عليه وسلم وامته
فيقومون برهم وفاجرهم يتبعونه ليجوزوا الصراط فاذا صاروا عليه طمس الله اعين فجارهم

فاستبقوا الصراط فانى يبصرون حتى يجاوزوه ثم ينادي مناد ليتبع عيسى صلى الله عليه
وسلم فيتبعه فيتبعونه برهم وفاجرهم فيكون سبيلهم تلك السبيل وكذا سائر الانبيا ذكره النحاس
وقد ذكرناه في التذكرة بمعناه حسب ما ذكره ابن المبارك في رقائقه وذكر القشيري وقال
ابن عباس احد الاسود بن عبد الاسود حجرا ومعه جماعة من بني مخزوم ليطرحه على النبي صلى
الله عليه وسلم فطمس الله على بصره والصق الحجر بيده فما ابصره ولا اهتدى ونزلت الاية فيه
والمطموس هو الذي لا يكون بين جفنيه شق ماخوذ من طمس الريح الاثر قاله الاخفش
والقتبي قوله تعالى ولو نشا لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون المسخ
تبديل الخلقة وقلبها حجرا او جمادا او بهيمة قال الحسن اي لاقعدناهم فلا يستطيعون ان يمضوا
امامهم ولا يرجعوا وراءهم وكذلك الجماد لا يتقدم ولا يتاخر وقد يكون المسخ تبديل صورة الانسان
بهيمة ثم تلك البهيمة لا تعقل موضعا تقصده فتتحير فلا تقبل ولا تدبر ابن عباس المعنى
لو نشا لاهلكناهم في مساكنهم وقيل لو نشا لمسخناهم في المكان الذي اجترؤا فيه على المعصية
ابن سلام هذا كله يوم القيامة يطمس الله اعينهم على الصراط وقرا الحسن والسلمي وزر بن
حبيش وعاصم في رواية ابي بكر مكاناتهم على الجمع الباقون على التوحيد وقرا ابو حيوة فما
استطاعوا مضيا بفتح الميم والمضي بضم الميم مصدر مضى يمضي مضيا اذا ذهب قوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق قرا عاصم وحمزة ننكسه بضم النون الاولى وتشديد الكاف من
التنكيس الباقون ننكسه بضم النون الاولى وتشديد الكاف من التنكيس الباقون ننكسه
بفتح النون الاولى وضم الكاف من نكست الشي انكسه نكسا قلبته على راسه فانتكس قال
قتادة المعنى انه يصير الى حال الهرم الذي يشبه حال الصبا وقال سفيان في قوله تعالى
ومن نعمره ننكسه في الخلق اذا بلغ ثمانين سنة تغير جسمه وضعفت قوته قال الشاعر
من عاش اخلقت الايام جدته * وخانه الثقتان السمع والبصر *
فطول الشباب يصير الشباب هرما والزيادة نقصا والقوة ضعفا وهذا هو الغالب
وقد تعوذ صلى الله عليه وسلم من ان يرد الى ارذل العمر وقد مضى في النحل بيانه افلا يعقلون
ان من فعل هذا بكم قادر على ان يبعثكم وقرا نافع وابن ذكوان تعقلون بالتاء الباقون
بالياء قوله تعالى وما علمناه الشعر فيه اربع مسايل الاولى اخبر تعالى عن حال نبيه
صلى الله عليه وسلم ورد قول من قال من الكفار انه شاعر وان القران شعر بقوله وما
علمناه الشعر وما ينبغي له وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الشعر
ولا يزنه وكان اذا حاول انشاد بيت قديم متمثلا كسر وزنه وانما كان يحرز المعاني فقط
من ذلك انه انشد يوما قول طرفة
* ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * وياتيك من لم تزوده بالاخبار *
وانشد يوما وقد قيل من اشعر الناس فقال
* الم ترياني كلما جيت طارقا * وجدت بها وان لم تطيبي طيبا *
وانشد يوما * اتجعل نهبي ونهب العبيد * بين الاقرع وعيينة *
وقد كان عليه السلام ربما انشد البيت المستقيم في النادر روي انه انشد بيت بن رواحه
* يبيت يجافي جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالمشركين المضاجع *
وقال الحسن بن ابي الحسن انشد عليه السلام * كفى بالاسلام والشيب للمرء ناهيا *
فقال ابو بكر يا نبي الله انما قال الشاعر
* هريرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا *
فقال ابو بكر او عمر اشهد انك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي
له وعن الخليل بن احمد كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من
الكلام ولكن لا يتاتى له الثانية اصابته الوزن احيانا لا يوجب انه يعلم الشعر وكذلك
ما ياتي احيانا من نثر كلامه ما يدخل في وزن كقوله يوم حنين وغيره هل انت الا اصبع
دميت * وفي سبيل الله ما لقيت * وقوله * انا النبي لا كذب * انا ابن عبد المطلب *
فقد ياتي مثل ذلك في ايات القران وفي كل كلام وليس ذلك شعرا ولا في معناه

كقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وقوله نصر من الله وفتح قريب
وبشر المومنين وقوله وجفان كالجواب وقدور راسيات الى غير ذلك من الايات وقد
ذكر ابن العربي منها ايات وتكلم عليها واخرجها عن الوزن على ان ابا الحسن الاخفش قال
في قوله انا النبي لا كذب ليس بشعر وقال الخليل في كتاب العين ان ما جا من السجع على جزئين
لا يكون شعرا وروي عنه انه منهوك الرجز وقد قيل لا يكون منهوك الرجز الا ما وقف على البا
من قوله انا النبي لا كذب ومن قوله عبد المطلب ولم يعلم كيف قاله النبي صلى الله عليه وسلم
قال ابن العربي والاظهر من حاله انه قال لا كذب البا مرفوعة ويخفض البا من عبد المطلب
على الاضافة قال النحاس وقال بعضهم انما الرواية بالاعراب واذا كانت بالاعراب لم يكن شعرا
لانه اذا فتح البا من البيت الاول او ضمها او نونها وكسر البا من البيت الثاني خرج عن وزن
الشعر وقال بعضهم ليس هذا الوزن من الشعر وهذا مكابرة العيان لان اشعار العرب
على هذا قد رواها الخليل وغيره واما قوله هل انت الا اصبع دميت فقيل انه من بحر السريع
وذلك لا يكون الا اذا كسرت التا من دميت فان سكن لم يكون شعرا بحال لان هاتين الكلمتين
على هذه الصفة لا تكون فعولا ولا مدخل لفعول في بحر السريع ولعل النبي صلى الله عليه
وسلم قالها ساكنة التا او متحركة التا من غير اشباع والمعول عليه في الانفصال على تسليم
ان هذا شعر ويسقط الاعتراض ولا يلزم منه ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بالشعر
ولا شاعرا ان التمثيل بالبيت النادر واصابة القافيتين من الرجز وغيره لا يوجب ان يكون
قايلها عالما بالشعر ولا يسمى شاعرا باتفاق العلما كما ان من خاط خيطا لا يكون خياطا قال
ابو اسحاق الزجاج معنى وما علمناه الشعر وما علمناه ان يشعر اي ما جعلناه شاعرا وهذا لا
يمنع ان ينشد شيا من الشعر قال النحاس وهذا احسن ما قيل في هذا وقد قيل انما خبر الله
جل وعز انه ما علمه الله الشعر ولم يخبر انه لا ينشد شعرا وهذا ظاهر الكلام وقيل فيه قول بين
زعم صاحبه انه اجماع من اللغة وذلك انهم قالوا كل من قال قولا موزونا لا يقصد به الى شعر
فليس بشعر وانما وافق الشعر وهذا قول بين قالوا وانما الذي نفاه الله عن نبيه صلى الله
عليه وسلم فهو العلم بالشعر واصنافه واعاريضه وقوافيه والاتصاف بقوله ولم يكن موصوفا
بذلك بالاتفاق الا ترى ان قريشا تراوضت فيما يقولون للعرب فيه اذا قدموا عليهم الموسم
فقال بعضهم نقول انه شاعر فقال اهل الفطنة منهم والله لتكذبنكم العرب فانهم يعرفون
اصناف الشعر فوالله ما يشبه شيا منها وما قوله بشعر وقال انيس اخو ابي ذر لقد وضعت قوله
على اقرا الشعر فلم يلتيم انه شعر اخرجه مسلم وكان انيس من اشعر العرب وكذلك قال عتبة بن
ربيعة لما كلمه والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر على ما ياتي من خبره في سورة فصلت ان
شا الله تعالى وكذلك قال غيرهما من فصحا العرب العربا واللسن البلغا ثم ان ما يجري
على اللسان من موزون الكلام لا يعد شعرا وانما يعد منه ما يجري على وزن الشعر مع القصد
اليه فقد يقول القايل حدثنا شيخ لنا وينادي يا صاحب الكسائي ولا يعد هذا شعرا وقد
كان رجل ينادي في مرضه وهو من عرض العامة العقلا اذهبوا بي الى الطبيب وقولوا
قد اكتوى الثالثة روى ابن القاسم عن مالك انه سيل عن انشاد الشعر فقال لا تكثرن منه
فمن عيبه ان الله تبارك وتعالى يقول وما علمناه الشعر وما ينبغي له قال ولقد بلغني ان
عمر ابن الخطاب رضي الله عنه كتب الى ابي موسى الاشعري ان اجمع الشعرا وسلهم عن الشعر
وهل بقي معهم معرفه واحضر لبيدا ذلك قال فجمعهم فسالهم فقالوا انا لنعرفه ونقوله وسيل
لبيد فقال ما قلت بيت شعر منذ سمعت الله تعالى يقول الم ذلك الكتاب لا ريب فيه
قال ابن العربي هذه الاية ليست من عيب الشعر كما لم يكن قوله وما كنت تتلو من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك من عيب الكتابة فلما لم تكن الامية من عيب الخط كذلك لا يكون
نفي النظم عن النبي صلى الله عليه وسلم من عيب الشعر روي ان المامون قال لابي علي
المنقري بلغني انك امي وانك لا تقيم الشعر وانك تلحن فقال يا امير المومنين اما اللحن
فربما سبق لساني منه بشي واما الامية وكسر الشعر فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يكتب ولا يقيم الشعر فقال له سالتك عن ثلاثة عيوب فيك فزدتني رابعا وهذا الجهل

باجاهل ان ذلك كان للنبي صلى الله عليه وسلم فضيلة وهو فيك وفي امثالك نقيصة
وانما منع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لنفي الظنة عنه لا لعيب في الشعر والكتابة الرابعة
قوله تعالى وما ينبغي له اي يقوله وجعل الله عز وجل ذلك علما من اعلام نبيه عليه
السلام لئلا تدخل الشبهة على من ارسل اليه فيظن انه قوي على القران بما في طبعه من
القوة على الشعر ولا اعتراض لملحد على هذا بما يتفق الوزن فيه من القران وكلام الرسول
لان ما وافق وزنه وزن الشعر ولم يقصد به الى الشعر ليس بشعر ولو كان شعرا لكان
كل من نطق بموزون من العامة الذين لا يعرفون الوزن شاعرا على ما تقدم بيانه وقال
الزجاج معنى وما ينبغي له اي ما يتسهل له قول الشعر لا الانشاد ان هو الا ذكر هذا الذي
يتلوه عليكم الا ذكر وقران مبين قوله تعالى لينذر من كان حيا اي حي القلب قاله
قتادة الضحاك عاقلا وقيل المعنى لينذر من كان مؤمنا في علم الله هذا على قراءة التا
خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وهي قراءة نافع وابن عامر وقرا الباقون بالياء على معنى
لينذر الله عز وجل او لينذر محمد صلى الله عليه وسلم او لينذر القران وروي عن ابن
السميفع لينذر بفتح اليا والذال ويحق القول على الكافرين اي يجب الحجة بالعذاب
على الكفرة قوله تعالى اولم يروا انا خلقنا لهم هذه رؤية القلب اي اولم ينظروا ويه
ويعتبروا ويتفكروا مما عملت ايدينا اي مما ابدعناه وعملناه من غير واسطة ولا وكالة
ولا شركة وما بمعنى الذي وحذفت الهاء لطول الاسم وان جعلت ما مصدرية
لم تحتج الى اضمار الها انعاما جمع نعم والنعم مذكر فهم لها مالكون ضابطون قاهرون
وذللناها لهم اي سخرناها لهم حتى يقود الصبي الجمل العظيم ويضربه كيف شاء لا يخرج
عن طاعته فمنها ركوبهم قراءة العامة بفتح الراء اي مركوبهم كما يقال ناقة حلوب اي محلوب
وقرا الاعمش والحسن وابن السميفع فمنها ركوبهم بضم الراء على المصدر وروي عن
عائشة انها قرات فمنها ركوبتهم وكذا في مصحفها والركوبة واحد مثل الحلوب والحلوبة
والحمول والحمولة حكى النحويون الكوفيون ان العرب تقول امراة صبور وشكور
بغير ها ويقولون شاة حلوبة وناقة ركوبة لانهم ارادوا ان يفرقوا بين ما كان
له الفعل وبين ما كان له الفعل واقعا عليه فحذفوا الها مما كان فاعلا واثبتوها
فيما كان مفعولا كما قال عنترة ٭ فيها اثنتان واربعون حلوبة ٭ سودا كخافية الغراب
الاسحم ٭ فيجب ان يكون على هذا ركوبتهم فاما البصريون فيقولون حذفت الها
على النسب والحجة للقول الاول ما رواه الجرمي عن ابي عبيدة قال الركوبة تكون
للواحد والجماعة والركوب لا تكون الا للجماعة فعلى هذا يكون لتذكير الجمع وزعم
ابو حاتم انه لا يجوز فمنها ركوبهم بضم الراء لانه مصدر والركوب ما يركب واجاز
الفرا فمنها ركوبهم بضم الراء كما تقول فمنها اكلهم ومنها شربهم ومنها ياكلون من لحمانها
ولهم فيها منافع من اصوافها واوبارها واشعارها وشحومها ولحومها وغير ذلك
ومشارب يعني البانها ولم ينصرف لانها من الجموع الذي لا نظير لها في الواحد افلا
يشكرون الله على نعمه قوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة اي قد راوا هذه
الايات من قدرتنا ثم اتخذوا من دوننا الهة لا قدرة لها على فعل لعلهم ينصرون اي لما
يرجون من نصرتها لهم ان نزل بهم عذاب ومن العرب من يقول لعله ان يفعل
لا يستطيعون نصرهم يعني الالهة وجمعوا بالواو والنون لانه اخبر عنهم بخبر الادميين
وهم يعني الكفار لهم اي للالهة جند محضرون قال الحسن يمنعون منهم ويدفعون
عنهم وقال قتادة اي يغضبون لهم في الدنيا وقيل المعنى انهم يعبدون الالهة
ويقومون بها فهم لها بمنزلة الجند وهي لا تستطيع ان تنصرهم وهذه الاقوال
الثلاثة متقاربة المعنى وقيل اي الالهة جند للعابدين محضرون معهم في النار
فلا يدفع بعضهم عن بعض وقيل معناه وهذه الاصنام لهؤلاء الكفار جند الله
عليهم في جهنم لانهم يلعنونهم ويتبرؤون من عبادتهم وقيل الالهة جند لهم محضرون
يوم القيامة لاعانتهم في ظنونهم وفي الخبر انه يمثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا

من

من دون الله فيتبعونه الى النار فهم لهم جند محضرون قلت ومعنى هذا الخبر ثابت في
صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وفي الترمذي عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الله
الناس يوم القيامة في صعيد واحد ثم يطلع عليهم رب العالمين فيقول الا يتبع كل انسان
ما كان يعبد فيمثل لصاحب الصليب صليبه ولصاحب التصاوير تصاويره ولصاحب النار ناره
فيتبعون ما كانوا يعبدون ويبقى المسلمون وذكر الحديث بطوله فلا يحزنك قولهم هذه
اللغة الفصيحة ومن العرب من يقول يحزنك والمراد تسلية نبيه عليه السلام اي لا يحزنك
قولهم شاعر ساحر وتم الكلام ثم استانف فقال انا نعلم ما يسرون من القول والعمل وما
يظهرون فنجازيهم بذلك قوله تعالى اولم ير الانسان قال ابن عباس الانسان هو عبد
الله بن ابي وقال سعيد بن جبير هو العاص بن وائل السهمي وقال الحسن هو امية بن
خلف وقال قتادة ومجاهد هو ابي بن خلف الجمحي وقاله ابن اسحاق ورواه ابن وهب عن
مالك انا خلقناه من نطفة وهو اليسير من الما نطف اذا قطر فاذا هو خصيم مبين اي مجادل
في الخصومة مبين للحجة يريد بذلك انه صار بعد ان لم يكن شيئا مذكورا خصيما مبينا وذلك
انه اتى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فقال يا محمد اترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم نعم ويبعثك الله ويدخلك النار فنزلت هذه الاية قوله تعالى وضرب
لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
وضرب لنا مثلا ونسي خلقه اي ونسي انا انشاناه من نطفة ميتة فركبنا فيه الحياة اي
جوابه من نفسه حاضر ولهذا قال عليه السلام نعم ويبعثك الله ويدخلك النار ففي هذا دليل
على صحة القياس لان الله عز وجل احتج على منكري البعث بالنشاة الاولى قال من يحيي العظام
وهي رميم اي بالية رم العظم فهو رميم ورمام وانما قال رميم ولم يقل رميمة لانها معدولة عن
فاعلة وما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان مصروفا عن اعرابه كذلك وما كانت امك بغيا
اسقط الها لانها مصروفة عن باغية وقيل ان هذا الكافر قال للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت
ان سحقتها واذريتها في الرياح ايعيدها الله فنزلت قل يحييها الذي انشاها اول مرة اي من
غير شيء فهو قادر على اعادته في النشاة من شيء وهو عجم الذنب ويقال عجب الذنب بالبا
وهو بكل خلق عليم اي كيف يبدي ويعيد الثانية في هذه الاية دليل على ان في العظام
حياة وانها تنجس بالموت وهو قول ابي حنيفة وبعض اصحاب الشافعي وقال الشافعي
رضي الله عنه لا حياة فيها وقد تقدم هذا في النحل فان قيل اراد بقوله من يحيي العظام
اصحاب العظام واقامة المضاف مقام المضاف اليه كثير في اللغة موجود في الشريعة قلنا انما
يكون اذا احتيج لضرورة وليس هاهنا ضرورة تدعو الى هذا الاضمار ولا يفتقر الى هذا
التقدير اذ الباري سبحانه قد اخبر به وهو قادر عليه والحقيقة تشهد له فان الاحساس
الذي هو علامة الحياة موجودة فيه قاله ابن العربي قوله تعالى الذي جعل لكم من
الشجر الاخضر نارا نبه تعالى على وحدانيته ودل على كمال قدرته في احيا الموتى بما يشاهدونه
من اخراج المحرق اليابس من العود الندي الرطب وذلك ان الكافر قال النطفة حارة رطبة
بطبع الحياة فخرج منها الحياة والعظم بارد يابس بطبع الموت فكيف تخرج منه الحياة
فانزل الله تعالى الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا اي ان الشجر الاخضر من الما والما بارد
رطب ضد النار وهما لا يجتمعان فاخرج الله منه النار فهو القادر على اخراج الضد من
الضد وهو على كل شيء قدير ويعني بالاية ما في المرخ والعفار فالعفار الزند وهو الاعلى
والمرخ الزندة وهي الاسفل يؤخذ منهما غصنان مثل المسواكين يقطران ما فيحك بعضهما
ببعض فيخرج منهما النار وقال من الشجر الاخضر ولم يقل الخضر وهو جمع لانه رده
الى اللفظ ومن العرب من يقول الشجر الخضر كما قال عز وجل من شجر من زقوم فمالئون
منها البطون ثم قال تعالى محتجا اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان
يخلق مثلهم اي امثال المنكرين للبعث وقرا سلام ابو المنذر ويعقوب الحضرمي يقدر
على ان يخلق مثلهم على انه فعل بلى اي ان خلق السموات والارض اعظم من خلقهم فالذي
خلق السموات والارض يقدر على ان يبعثهم وهو الخلاق العليم وقرا الحسن الخالق من عنده

لخالق قوله تعالى انما امره اذا اراد شيا ان يقول له كن فيكون قرا الكسائي فيكون بالنصب
عطفا على يقول اي اذا اراد خلق شي لا يحتاج الى تعب ومعالجة وقد مضى هذا في غير موضع
فسبحان الذي بيده ملكوت كل شي نزه نفسه تعالى عن العجز والشرك وملكوت وملكوتي
في كلام العرب بمعنى ملك والعرب تقول جبروتي خير من رحموتي وقال سعيد عن قتادة
ملكوت كل شي مفاتح كل شي وقرا طلحة بن مصرف وابراهيم التيمي والاعمش ملكة وهو
بمعنى ملكوت الا انه خلاف المصحف واليه ترجعون اي تردون وتصيرون بعد مماتكم وقراءة
العامة بالتا على الخطاب وقرا السلمي وزر بن حبيش واصحاب عبد الله يرجعون باليا على
الخبر والله اعلم

سورة والصافات مكية في قول الجميع

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا هذه قراءة
اكثر القرا وقرا حمزة بالادغام فيهن وهذه القراة التي نفر منها احمد بن حنبل لما سمعها
النحاس وهي بعيدة في العربية من ثلاث جهات احداهن ان التا ليست من مخارج الصاد
ولا من مخرج الزاي ولا من مخرج الذال ولا من اخواتهن وانما اختاها الطا والدال
واخت الزاي الصاد والسين واخت الذال الظا والثا والجهة الثانية ان التا في كلمة
وما بعدها في كلمة اخرى والجهة الثالثة انك اذا ادغمت جمعت بين ساكنين من كلمتين
وانما يجوز الجمع بين ساكنين في مثل هذا اذا كان في كلمة واحدة نحو دابة وشابة ومجاز
قراة حمزة ان التا قريبة المخرج من هذه الحروف والصافات قسم الواو بدل من البا والمعنى
برب الصافات والزاجرات عطف عليه ان الهكم لواحد جواب القسم واجاز الكسائي فتح
ان في القسم والمراد بالصافات وما بعدها الى قوله فالتاليات ذكرا الملايكة في قول
ابن مسعود وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة تصف في السما
كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة وقيل تصف اجنحتها في الهوا واقفة فيه حتى يامرها
الله بما يريد وهذا كما يقوم العبيد بين يدي ملوكهم صفوفا وقال الحسن صفا لصفوفهم
عند ربهم في صلاتهم وقيل هي الطير دليله قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
والصف ترتيب الجمع على خط كالصف في الصلاة والصافات جمع الجمع يقال جماعة
صافة ثم يجمع صافات وقيل الصافات جماعة الناس المومنين اذا قاموا صفا في الصلاة
او في الجهاد ذكره القشيري فالزاجرات الملايكة في قول ابن عباس وابن مسعود
ومسروق وغيرهم على ما ذكرناه اما لانها تزجر السحاب وتسوقه في قول السدي
واما لانها تزجر عن المعاصي بالمواعظ والنصايح وقال قتادة هي زواجر القران
فالتاليات ذكرا الملايكة تقرا كتاب الله تعالى قاله ابن مسعود وابن عباس والحسن
ومجاهد وابن جبير والسدي وقيل المراد جبريل عليه السلام وحده فذكر بلفظ الجمع
لانه كبير الملايكة فلا يخلو من جنود واتباع وقال قتادة المراد كل من تلا ذكر الله
تعالى وكتبه وقيل هي آيات القران وصفها بالتلاوة كما قال تعالى ان هذا القران يقص
على بني اسرائيل ويجوز ان يقال لآيات القران تاليات لان بعض الحروف يتبع بعضا
ذكره القشيري وذكر الماوردي ان المراد بالتاليات الانبيا يتلون الذكر على اممهم
فان قيل ما حكم الفا اذا جاءت عاطفة في الصفات قيل له اما ان تدل على ترتيب معانيها
في الوجود كقوله • يا لهف زيابة للحارث الصابح فالغانم فالآيب •
كانه قال الذي صبح فغنم فآب واما على ترتيبها في التفاوت من بعض الوجوه كقولك
خذ الافضل فالاكمل واعمل الاحسن فالاجمل واما على ترتيب موصوفاتها في ذلك كقوله
رحم الله المحلقين فالمقصرين فالذي فعلى هذه القراءتين الثلاث ينساق امر الفا العاطفة في
الصفات قاله الزمخشري ان الهكم لواحد جواب القسم قال مقاتل وذلك ان الكفار
بمكة قالوا اجعل الالهة الها واحدا وكيف يسع الخلق فرد اله فاقسم الله بهولا تشريفا

ونزلت

ونزلت الاية قال ابن الانباري وهو وقف حسن ثم يبتدي رب السموات والارض على معنى هو
رب السموات قال النحاس ويجوز ان يكون بدلا من واحد قلت وعلى هذين الوجهين لا يوقف على
لواحد وحكى الاخفش رب السموات ورب المشارق بالنصب على النعت لاسم ان بين سبحانه
معنى وحدانيته والوهيته وكمال قدرته بانه رب السموات والارض اي خالقهما ومالكهما وما بينهما
ورب المشارق اي مالك مطالع الشمس ابن عباس للشمس كل يوم مشرق ومغرب وذلك ان الله
تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وخمسة وستين كوة في مطلعها ومثلها في مغربها على عدد ايام السنة
الشمسية تطلع كل يوم في كوة منها وتغيب في كوة لا تطلع في تلك الكوة الا في ذلك اليوم من العام
المقبل ولا تطلع الا وهي كارهة فتقول رب لا تطلعني على عبادك فاني اراهم يعصونك ذكره ابو
عمر في كتاب التمهيد وابن الانباري في كتاب الرد عن عكرمة قال قلت لابن عباس ارايت
ما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم في امية بن ابي الصلت آمن شعره وكفر قلبه قال هو حق فما انكرتم
من ذلك قلت انكرنا قوله • والشمس تطلع كل آخر ليلة • حمرا يصبح لونها يتورد •
• ليست بطالعة لهم في رسلها • الا معذبة والا تجلد •
ما بال الشمس تجلد فقال والذي نفسي بيده ما طلعت شمس قط حتى ينخسها سبعون الف
ملك فيقولون لها اطلعي اطلعي فتقول لا اطلع على قوم يعبدوني من دون الله فياتيها ملك فيستقل لضيا
بني آدم فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن الطلوع فتطلع بين قرنيه فيحرقه الله تعالى
تحتها وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلعت الا بين قرني شيطان ولا غربت
الا خرت لله ساجدة فياتيها شيطان يريد ان يصدها عن السجود فتغرب بين قرنيه
فيحرقه الله تعالى تحتها فذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا غربت الا بين قرني شيطان
لفظ ابن الانباري وذكر عن عكرمة عن ابن عباس قال صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
امية بن ابي الصلت في هذا الشعر • زحل وثور تحت رجل يمينه • والنسر للاخرى وليث مرصد •
• والشمس تطلع كل آخر ليلة • حمرا يصبح لونها يتورد •
• ليست بطالعة لهم في رسلها • الا معذبة والا تجلد •
قال عكرمة فقلت لابن عباس يا مولاه اتجلد الشمس فقال انما اضطره الروي الى الجلد لكنها تخاف
العقاب ودل بذكر المطالع على المغارب فلهذا لم يذكر المغارب وهو كقوله سرابيل تقيكم الحر وخص
المشارق بالذكر لان الشروق قبل الغروب وقال في سورة الرحمن رب المشرقين ورب المغربين
اراد بالمشرقين اقصى مطلع تطلع منه الشمس في الايام الطوال واقصر يوم في الايام القصار
على ما تقدم في يس والله اعلم قوله تعالى انا زينا السما الدنيا بزينة الكواكب قال قتادة
خلقت النجوم ثلاثا رجوما للشياطين ونورا يهتدى بها وزينة للسما الدنيا وقرا مسروق والاعمش
والنخعي وعاصم وحمزة بزينة مخفوض منون الكواكب خفض على البدل من الزينة لانها هي وقرا
ابو بكر كذلك الا انه نصب الكواكب بالمصدر الذي هو زينة والمعنى بان زينا الكواكب فيها
ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني كانه قال انا زيناها بزينة اعني الكواكب وقيل انها بدل
من زينة على الموضع ويجوز بزينة الكواكب بمعنى بان زينتها الكواكب او بمعنى هي الكواكب
الباقون بزينة الكواكب على الاضافة والمعنى زينا السما الدنيا بتزيين الكواكب اي بحسن الكواكب
ويجوز ان يكون كقراة من نون الا انه حذف التنوين استخفافا وحفظا مصدر اي حفظناها حفظا
من كل شيطان مارد لما اخبر ان الملايكة تنزل بالوحي من السما بين انه حرس السما عن استراق
السمع بعد ان زينها بالكواكب والمارد العاتي من الجن والانس والعرب تسميه شيطانا قوله
تعالى لا يسمعون الى الملا الاعلى قال ابو حاتم لئلا يسمعوا ثم حذف ان فرفع الفعل والملا
الاعلى اهل السما الدنيا فما فوقها وسمي الكل منهم اعلى بالاضافة الى ملا الارض
والضمير في يسمعون للشياطين وقرا جمهور الناس يسمعون بسكون السين وتخفيف الميم وقرا
حمزة وعاصم في رواية حفص لا يسمعون بتشديد السين والميم من التسمع فنفى على القراة
الاولى سماعهم وان كانوا يستمعون وهو المعنى الصحيح ويعضده قوله انهم عن السمع لمعزولون
وينفى على القراة الاخيرة ان يقع منهم استماع او سماع قال مجاهد كانوا يتسمعون ولكن
لا يسمعون وروي عن ابن عباس لا يسمعون الى الملايكة قال هم لا يسمعون ولا يتسمعون واصل

يسمعون يتسمعون فادغمت التاء في السين لقربها منها واختاره ابو عبيد لان العرب لا تكاد تقول سمعت اليه ويقذفون من كل جانب دحورا اي يرمون من كل جانب اي بالشهب دحورا مصدر لان معنى يقذفون يدحرون دحرته دحرا ودحورا اي طردته وقرا السلمي ويعقوب الحضرمي دحورا بفتح الدال يكون مصدرا على الفعول واما الفرا فقدره على انه اسم الفاعل اي ويقذفون بما يدحرهم اي بدحورهم ثم حذفت الباء والكوفيون يستعملون هذا كثيرا تمرون الديار ولم تعوجوا واختلف هل كان هذا القذف قبل المبعث او بعده لاجل المبعث على قولين وجاءت الاحاديث بذلك على ما ياتي من ذكرها في سورة الجن عن ابن عباس وقد يمكن الجمع بينهما ان يقال ان الذين قالوا لم تكن الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ثم رميت اي لم تكن ترمى رميا يقطعها عن السمع ولكنها كانت ترمى وقتا ولا ترمى وقتا وترمى من جانب ولا ترمى من جانب ولعل الاشارة بقوله تعالى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الى هذا المعنى وهو انهم كانوا لا يقذفون الا من بعض الجوانب فصاروا يرمون واصبا وانما كانوا من قبل كالمتجسسة من الانس يبلغ الواحد منهم حاجته ولا يبلغها غيره ويسلم واحد ولا يسلم غيره بل يقبض عليه ويعاقب وينكل فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم زيد في حفظ السماء واعدت لهم شهب لم تكن من قبل ليدحروا عن جميع جوانب السماء ولا يقروا في مقعد من المقاعد التي كانت لهم منها فصاروا لا يقدرون على سماع شيء مما يجري فيها الا ان يختطف احد منهم بخفة حركته خطفة فيتبعه شهاب ثاقب قبل ان ينزل الى الارض فيلقيها الى اخوانه فيحرقه فبطلت من ذلك الكهانة وحصلت الرسالة والنبوة فان قيل ان هذا القذف ان كان لاجل النبوة فلم دام بعد النبي صلى الله عليه وسلم فالجواب انه دام بدوام النبوة فان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر ببطلان الكهانة فقال ليس منا من تكهن فلو لم تحرس بعد موته لعادت الجن الى تسمعها وعادت الكهانة ولا يجوز ذلك بعد ان بطل ولان قطع الحراسة عن السماء اذا وقع لاجل النبوة فعادت الكهانة دخلت الشبهة على ضعفاء المسلمين ولم يؤمن ان يظنوا ان الكهانة انما عادت لتناهي النبوة فصح ان الحكمة تقتضي دوام الحراسة في حياة النبي عليه السلام وبعد ان توفاه الله الى كرامته صلى الله عليه وعلى اله ولهم عذاب واصب اي دائم عن مجاهد وقتادة وقال ابن عباس شديد الكلبي والسدي وابو صالح موجع اي الذي يصل وجعه الى القلب ماخوذ من الوصب وهو المرض الا من خطف الخطفة استثناء من قوله ويقذفون من كل جانب وقيل الاستثناء يرجع الى غير الوحي لقوله تعالى انهم عن السمع لمعزولون فيسترق الواحد منهم شيئا مما كان يتفاوض فيه الملائكة مما سيكون في العالم قبل ان يعلمه اهل الارض وهذا لخفة اجسام الشياطين فيرجمون بالشهب حينئذ وروي في هذا الباب احاديث صحاح مضمنها ان الشياطين كانت تصعد الى السماء فتقعد للسمع واحدا فوق واحد فيتقدم الاجسر نحو السماء ثم الذي يليه ثم الذي يليه فيقضي الله تعالى الامر من امر الارض فيتحدث به اهل السماء فيسمعه منهم الشيطان الادنى فيلقيه الى الذي تحته فربما احرقه شهاب وقد القى الكلام وربما لم يحرقه جملة على ما بيناه فتنزل تلك الكلمة الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة فيصدق الجاهلون الجميع كما بيناه في الانعام فلما جاء الله بالاسلام حرست السماء بشدة فلا يفلت شيطان سمع بتة والكواكب الراجمة هي التي يراها الناس تنقض قال النقاش ومكي وليست بالكواكب الجارية في السماء لان تلك لا ترى حركتها وهذه الراجمة ترى حركتها لانها قريبة منا وقد مضى في هذا الباب في سورة الحجر من البيان ما فيه كفاية وذكرنا في سبا حديث ابي هريرة وفيه والشياطين بعضهم فوق بعض وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وفيه عن ابن عباس ويخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى اوليائهم فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يحرفونه ويزيدون قال هذا حديث حسن صحيح والخطف اخذ الشيء بسرعة خطف وخطف وخطف وخطف وخطف والاصل في المشددات اختطف فادغمت التاء في الطاء لانها اختها وفتحت الخاء لان حركة التاء القيت عليها ومن كسرها فلالتقاء الساكنين ومن كسر الطاء اتبع الكسر الكسر فاتبعه شهاب ثاقب اي مضيء قاله الضحاك والحسن وغيرهما وقيل المراد كواكب النار تتبعهم حتى تسقطهم في البحر وقال ابن عباس في الشهب تحرقهم من غير موت وليست الشهب التي يرجم بها من

الكواكب

الكواكب الثوابت يدل على ذلك رؤية حركاتها والثابتة تجري ولا يرى حركاتها لبعدها وقد مضى هذا وجمع شهاب شهب والقياس في القليل اشهبة وان لم يسمع من العرب وثاقب معناه مضيء قاله الحسن ومجاهد وابو مجلز ومنه قوله وزندك اثقب ازنادها اي اضوا وحكى الاخفش في الجمع شهب ثقب وثواقب وثقاب وحكى الكسائي ثقبت النار تثقب ثقابة وثقوبا اذا اتقدت واثقبتها انا وقال زيد بن اسلم في الثاقب انه المستوقد من قولهم اثقب زندك اي استوقد نارك قاله الاخفش وانشد قول الشاعر

بينما المرء شهاب ثاقب ● ضرب الدهر سناه فخمد

فاستفتهم اي سلهم يعني اهل مكة ماخوذ من استفتاء المفتي اهم اشد خلقا ام من خلقنا قال مجاهد اي من خلقنا من السموات والارض والجبال والبحار وقيل يدخل فيه الملائكة وما سلف من الامم الماضية يدل على ذلك انه اخبر عنهم بمن قال سعيد بن جبير الملائكة وقال غيره من الامم الماضية وقد هلكوا وهم اشد خلقا منهم نزلت في ابي الاشد بن كلدة سمي بابي الاشد لشدة بطشه وقوته في البلد ذكره ونظير هذه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله ءانتم اشد خلقا ام السماء انا خلقناهم من طين لازب اي لاصق قال ابن عباس ومنه قول علي رضي الله عنه تعلم فان الله زادك بسطة واخلاق خير كلها لازب وقال قتادة وابن زيد يعني لاصق الماوردي والفرق بين اللاصق واللازق ان اللاصق هو الذي قد لصق بعضه ببعض واللازق هو الذي يلتزق بما اصابه وقال عكرمة لازب لزج سعيد ابن جبير اي جيد حر يلصق باليد مجاهد لازب لازم والعرب تقول طين لازب ولازم تبدل الباء من الميم ومثله قولهم لاتب ولازم على ابدال الباء من الميم واللازب الثابت يقول صار الشيء ضربة لازب وهذا يصح من لازم قال النابغة

لا تحسبون الخير لا شر بعده ● ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وحكى الفراء عن العرب طين لاتب بمعنى لازب واللاتب الثابت تقول منه لتب يلتب لتبا ولتوبا مثل لزب يلزب بالضم لزوبا وانشد ابو الجراح في اللاتب

فان يك هذا من نبيذ شربته ● فاني من شرب النبيذ لتائب

صداع وتوصيم العظام وفترة ● وغم مع الاشراق في الجوف لاتب

واللاتب ايضا اللاصق مثل اللازب عن الاصمعي حكاه الجوهري وقال السدي والكلبي في اللازب انه الخالص مجاهد والضحاك هو المنتن قوله تعالى بل عجبت ويسخرون قراءة اهل المدينة وابي عمرو وعاصم بفتح التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم اي بل عجبت مما نزل عليك من القران وهم يسخرون به وهي قراءة شريح وان الله لا يعجب من شيء وانما يعجب من لا يعلم وقيل المعنى بل عجبت من انكارهم البعث وقرا الكوفيون الا عاصما بضم التاء واختارها ابو عبيد والفراء وهي مروية عن علي وابن مسعود رواه شعبة عن الاعمش عن ابي وائل عن عبد الله بن مسعود انه قرا بل عجبت بضم التاء ويروى عن ابن عباس قال الفراء في قوله سبحانه بل عجبت ويسخرون قراها الناس بنصب التاء ورفعها والرفع احب الي لانها عن علي وعبد الله وابن عباس قال ابو زكريا الفراء العجب ان اسند الى الله عز وجل فليس معناه من الله كمعناه من العباد وكذلك قوله الله يستهزئ بهم ليس ذلك من الله كمعناه من العباد وفي هذا بيان الكسر لقول شريح حيث انكر القراءة بها روى جرير عن الاعمش عن ابي وائل شقيق بن سلمة قال قراها عبد الله يعني ابن مسعود بل عجبت ويسخرون قال شريح ان الله لا يعجب من شيء انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرته لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رايه ان عبد الله كان اعلم من شريح وكان يقروها عبد الله بل عجبت قال الهروي وقال بعض الائمة معنى قوله بل عجبت بل جازيتهم على عجبهم لان الله تعالى اخبر عنهم في غير موضع من التعجب بالخلق وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقالوا ان هذا لشيء عجاب اكان للناس عجبا ان اوحينا الى رجل منهم فقال تعالى بل عجبت بل جازيتهم على التعجب قلت وهذا تمام معنى قول الفراء واختاره البيهقي وقال علي بن سليمان معنى القراءتين واحد والتقدير قل يا محمد بل عجبت لان النبي صلى الله عليه وسلم مخاطب بالقران

النحاس وهذا قول حسن واضمار القول كثير البيهقي والاول اصح المهدوي ويجوز ان يكون
اخبارا عن نفسه بالعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم مقام العجب
من المخلوقين كما يحمل اخباره تعالى عن نفسه بالضحك لمن رضي عنه على ما جاء في الخبر عن النبي
صلى الله عليه وسلم على انه اظهر له من رضاه عنه ما يقوم له مقام الضحك من المخلوقين مجازا واتساعا
قال الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه عجبا وليس بعجب في الحقيقة كما قال
تعالى ويمكرون ويمكر الله معناه ويجازيهم الله على مكرهم ومثله في الحديث عجب ربكم من الكم
وقنوطكم وقد يكون العجب بمعنى وقوع ذلك العمل عند الله عظيما فيكون معنى قوله بل عجبت اي بل
عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معنى حديث عقبة بن عامر قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة قال البيهقي وقد
يكون هذا الحديث وما ورد من امثاله انه يعجب ملائكته من كرمه ورافته بعباده حين حملهم
على الايمان به بالقتال والاسر في السلاسل حتى اذا امنوا ادخلهم الجنة وقيل معنى بل عجبت
بل انكرت حكاه النقاش وقال الحسين بن الفضل التعجب من الله انكار الشيء وتعظيمه وهو
لغة العرب وقد جاء في الخبر عجب ربكم من الكم وقنوطكم ويسخرون قيل الواو واو الحال اي عجبت
منهم في حال سخريتهم وقيل تم الكلام عند قوله بل عجبت ثم استانف فقال ويسخرون مما جئت
به اذا تلوته عليهم وقيل ويسخرون منك اذا دعوتهم قوله تعالى واذا ذكروا اي وعظوا
بالقران في قول قتادة لا يذكرون لا ينتفعون به وقال سعيد اي اذا ذكر لهم ما حل بالمكذبين
من قبلهم اعرضوا عنه ولم يتدبروا واذا راوا اية اي معجزة يستسخرون اي يسخرون في قول
قتادة ويقولون انها سحر واستسخر وسخر بمعنى مثل استقر وقر واستعجب وعجب
وقيل يستسخرون اي يستدعون السخري من غيرهم وقال مجاهد يستهزءون وقيل اي
يظنون ان تلك الاية سخرية وقالوا ان هذا الا سحر مبين اي اذا عجزوا عن مقابلة المعجزات
بشيء قالوا هذا سحر وتخييل وخداع ائذا متنا اي انبعث اذا متنا فهو استفهام انكار منهم
وسخرية او اباؤنا الاولون اي او تبعث اباؤنا دخلت الف الاستفهام على حرف العطف وقرا
نافع او اباؤنا بسكون الواو وقد مضى هذا في سورة الاعراف في قوله تعالى او امن اهل
القرى قوله تعالى قل نعم اي نعم تبعثون وانتم داخرون اي صاغرون اذلاء لانهم اذا
راوا وقوع ما انكروه فلا محالة يذلون وقيل اي ستقوم القيامة وان كرهتم فهذا امر واقع
على رغمكم وان انكرتموه اليوم بزعمكم فانما هي زجرة واحدة اي صيحة واحدة قاله الحسن وهي
النفخة الثانية وسميت الصيحة زجرة لان مقصودها الزجر اي يزجر بها كزجر الابل
والخيل عند السوق فاذا هم قيام ينظرون اي ينظر بعضهم الى بعض وقيل المعنى ينتظرون
ما يفعل بهم وقيل هي مثل قوله فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا وقيل ينظرون الى
البعث الذي انكروه قوله تعالى قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين نادوا على انفسهم بالويل
لانهم يومئذ يعلمون ما حل بهم وهو منصوب على انه مصدر عند البصريين وزعم الفراء
ان تقديره يا وي لنا ووي بمعنى حزن النحاس ولو كان كما قال لكان منفصلا وهو في
المصحف متصل ولا نعلم احدا يكتبه الا متصلا ويوم الدين يوم الحساب وقيل يوم الجزاء
هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون اي هذا يوم الحكم بين الناس فيتبين المحق من المبطل
ففريق في الجنة وفريق في السعير قوله تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم هو من
قول الله تعالى للملائكة اي احشروا المشركين وازواجهم اي اشياعهم في الشرك والشرك
ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم فيحشر الكافر مع الكافر قاله قتادة وابو العالية
وقال عمر بن الخطاب في قول الله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم قال الزاني
مع الزانية وشارب الخمر مع شارب الخمر وصاحب السرقة مع اصحاب السرقة وقال ابن
عباس وازواجهم اي اشباههم وهذا يرجع الى قول عمر وقيل وازواجهم نساؤهم الموافقات
على الكفر قاله مجاهد والحسن ورواه النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب وقال الضحاك
وازواجهم قرناؤهم من الشياطين وهذا قول مقاتل ايضا يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة
وما كانوا يعبدون من دون الله اي من الاصنام والشياطين وابليس فاهدوهم الى صراط

الجحيم

الجحيم اي سوقوهم الى النار وقيل فاهدوهم اي دلوهم يقال هديته الى الطريق وهديته
الطريق اي دللته عليه واهديت الهدية وهديت العروس ويقال هديتها اي جعلتها بمنزلة
الهدية قوله تعالى وقفوهم انهم مسئولون وحكى عيسى بن عمر انهم بفتح الهمزة قال الكسائي
اي لانهم وبانهم يقال وقفت الدابة اقفها وقفا فوقفت هي وقوفا يتعدى ولا يتعدى اي
احبسوهم وهذا يكون قبل السوق الى الجحيم وفيه تقديم وتاخير اي قفوهم للحساب ثم
سوقوهم الى النار وقيل يساقون الى النار اولا ثم يحشرون للحساب اذا قربوا من النار انهم
مسئولون عن اعمالهم واقوالهم وافعالهم قاله الكلبي والقرظي والضحاك عن خطاياهم
ابن عباس عن لا اله الا الله وعنه ايضا عن ظلم الخلق وفي هذا كله دليل على ان الكافر
يحاسب وقد مضى في الحجر الكلام فيه وقيل سؤالهم ان يقال لهم الم ياتكم رسل منكم اقامة
للحجة ويقال لهم ما لكم لا تناصرون على جهة التقريع والتوبيخ اي ينصر بعضكم بعضا فيمنعه
من عذاب الله وقيل هو اشارة الى قول ابي جهل يوم بدر نحن جميع منتصر واصله تتناصرون
فطرحت احدى التائين تخفيفا وشدد البزي التاء في الوصل قال الله تعالى بل هم اليوم
مستسلمون قال قتادة مستسلمون في عذاب الله عز وجل ابن عباس خاضعون ذليلون
الحسن منقادون الاخفش ملقون بايديهم والمعنى متقارب واقبل بعضهم على بعض الى
بعض يعني الرؤساء والاتباع يتساءلون يتخاصمون ويقال لا يتساءلون فسقطت لا النحاس
وانما غلط الجاهل باللغة فتوهم ان هذا من قوله فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
بالارحام فيقول له احدهم اسالك بالرحم الذي بيني وبينك كما جاء ان الرجل ليسر ان يصح له على
ابيه او على ابنه حق فياخذه منه لانها الحسنات والسيئات وفي حديث آخر رحم الله امرا كان
لاخيه عنده مظلمة من مال او عرض فاتاه فاستحله قبل ان يطالبه به فياخذ من حسناته
فان لم تكن له حسنات زيد عليه من سيئات المطالب ويتساءلون ها هنا انما هو ان يسال بعضهم
بعضا ويوبخه في انه اضله او فتح له بابا من المعصية يبين ذلك ان بعده انكم كنتم تاتوننا
عن اليمين قال مجاهد هو قول الكفار للشياطين قتادة هو قول الانس للجن وقيل هو
من قول الاتباع للمتبوعين دليله قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
يرجع بعضهم الى بعض القول الاية قال سعيد عن قتادة اي تاتوننا عن طريق الخير
وتصدونا عنها وعن ابن عباس نحو منه وقيل تاتوننا عن اليمين التي نحبها ونتفاءل
بها لتغرونا بذلك من جهة النصح والعرب تتفاءل بما جاء عن اليمين وتسميه السانح وقيل
تاتوننا عن اليمين تاتوننا مجيء من اذا حلف لنا صدقناه وقيل تاتوننا من قبل الدين فتهونون
علينا امر الشريعة وتنفروننا عنها قلت وهذا القول حسن جدا لان من جهة الدين يكون
الخير والشر واليمين بمعنى الدين اي كنتم تزينون لنا الضلالة وقيل اليمين بمعنى القوة اي
تمنعوننا بقوة وغلبة وقهر قال الله تعالى فراغ عليهم ضربا باليمين اي بالقوة وقوة الرجل
في يمينه كما قال الشاعر ۞ اذا ما راية رفعت لمجد ۞ تلقاها عرابة باليمين ۞
اي بالقوة والقدرة وهذا قول ابن عباس وقال مجاهد تاتوننا عن اليمين اي من قبل
الحق انه معكم وكله متقارب المعنى قالوا بل لم تكونوا مؤمنين قال قتادة هذا قول الشياطين
لهم وقيل من قول الرؤساء اي لم تكونوا مؤمنين قط حتى ننقلكم منه الى الكفر بل كنتم على الكفر
فاقمتم عليه للالف والعادة وما كان لنا عليكم من سلطان اي من حجة في ترك الحق بل كنتم قوما
طاغين اي ضالين متجاوزين للحد فحق علينا قول ربنا هذا ايضا من قول المتبوعين اي
وجب علينا وعليكم قول ربنا فكلنا ذائقوا العذاب كما كتب الله واخبر على السنة الرسل لاملان
جهنم من الجنة والناس اجمعين وهذا موافق للحديث ان الله جل وعز كتب للنار اهلا
وللجنة اهلا لا يزاد فيهم ولا ينقص منهم فاغويناكم اي زينا لكم ما كنتم عليه من الكفر انا كنا
غاوين بالوسوسة والاستدعاء قال جل وعز فانهم يومئذ في العذاب مشتركون الضال
والمضل انا كذلك اي مثل هذا الفعل نفعل بالمجرمين اي بالمشركين انهم كانوا اذا قيل لهم
لا اله الا الله يستكبرون اي اذا قيل لهم قولوا فانفوا القول ويستكبرون في موضع نصب على خبر
كان ويجوز ان يكون في موضع رفع على انه خبر ان وكان ملغاة ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم

لابي طالب عند موته واجتماع قريش قولوا لا اله الا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ابوا وانفوا من ذلك وقال ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انزل الله تعالى في كتابه فذكر قوما استكبروا فقال انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وقال تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المومنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها وهي لا اله الا الله محمد رسول الله استكبر عنها المشركون يوم الحديبية يوم كاتبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على قضية المدة ذكر هذا الخبر البيهقي والذي قبله القشيري قوله تعالى ويقولون اينا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون فرد الله جل وعلا عليهم فقال بل جا بالحق يعني القران والتوحيد وصدق المرسلين فيما جاوا به من التوحيد انكم لذايقوا العذاب الاليم الاصل لذايقون فحذفت النون استخفافا وحذفت للاضافة ويجوز النصب كما انشد سيبويه فالفيته غير مستعتب ولا ذاكر الله الا قليلا واجاز سيبويه والمقيمي الصلاة على هذا وما تجزون الا ما كنتم تعملون اي الا بما عملتم من الشرك الا عباد الله المخلصين استثنا ممن يذوق العذاب وقرا اهل المدينة والكوفة المخلصين بفتح اللام يعني الذين اخلصهم الله لطاعته ودينه وولايته الباقون بكسر اللام اي الذين اخلصوا لله العبادة وقيل هو استثنا منقطع اي انكم ايها المجرمون ذايقوا العذاب الاليم لكن عباد الله المخلصين لا يذوقوا العذاب قوله تعالى اولئك لهم رزق معلوم يعني المخلصين اي لهم عطية معلومة لا تنقطع قال قتادة يعني الجنة وقال غيره يعني رزق الجنة وقيل هي الفواكه التي ذكر قال مقاتل حين يشتهونه وقال ابن السايب انه بمقدار الغداة والعشي قال الله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا فواكه جمع فاكهة قال الله تعالى وامددناهم بفاكهة وهي الثمار كلها رطبها ويابسها قاله ابن عباس وهم مكرمون اي ولهم اكرام من الله جل وعز برفع الدرجات وسماع كلامه ولقايه في جنات النعيم اي في بساتين يتنعمون فيها وقد تقدم ان الجنان سبع في سورة يونس منها النعيم قوله تعالى على سرر متقابلين قال عكرمة ومجاهد لا ينظر بعضهم في قفا بعض تواصلا وتحاببا وقيل الاسرة تدور كيف شاوا فلا يرى احد قفا بعض وقال ابن عباس على سرر مكللة بالدر والياقوت والزبرجد السرير ما بين صنعا الى الجابية وما بين عدن الى ايلة وقيل تدور باهل المنزل الواحد والله اعلم قوله تعالى يطاف عليهم بكاس من معين لما ذكر مطاعمهم ذكر شرابهم والكاس عند اهل اللغة اسم شامل لكل انا مع شرابه فان كان فارغا فليس بكاس قال الضحاك والسدي كل كاس في القران فهي الخمر والعرب تقول للانا اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر قالوا انا وقدح النحاس وحكى من يوثق به من اهل اللغة ان العرب تقول للقدح اذا كان فيه خمر كاس فاذا لم يكن فيه خمر فهو قدح كما يقال للخوان اذا كان عليه طعام مايدة فاذا لم يكن عليه طعام لم تقل له مايدة قال ابو الحسن ابن كيسان ومنه ظعينة للهودج اذا كانت فيه المراة وقال الزجاج بكاس من معين اي من خمر تجري كما تجري العيون على وجه الارض والمعين الجاري الظاهر بيضا صفة للكاس وقيل للخمر لذة للشاربين قال الحسن خمر الجنة اشد بياضا من اللبن لذة قال الزجاج اي ذات لذة فحذف المضاف وقيل هو مصدر جعل اسما اي بيضا لذيذة يقال شراب لذ ولذيذ مثل نبت غض وغضيض

فاما قول القايل

ولذ كطعم الصرخدي تركته ... بارض العدا من خشية الحدثان

فانه يريد النوم وقيل بيضا اي لم يعتصرها الرجال بايديهم لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم ولا يصيبهم منها مرض ولا صداع ولا هم عنها ينزفون اي لا تذهب عقولهم بشربها يقال الخمر غول للحلم والحرب غول للنفوس اي تذهب بها ويقال نزف الرجل ينزف فهو منزوف ونزيف اذا سكر قال امرو القيس

واذ هي تمشي كمشي النزيف ... يصرعه بالكثيب البهر

وقال ايضا

نزيف اذا قامت لوجه تمايلت ... تراشي الفواد الرخص الا تخفرا

وقال اخر

فلثمت فاها اخذا بقرونها ... شرب النزيف ببرد ماء الحشرج

وقرا حمزة والكسائي بكسر الزاي من انزف القوم اذا حان منهم النزف وهو السكر يقال احصد الزرع اذا حان حصاده واقطف الكرم اذا حان قطافه واركب المهر اذا حان ركوبه وقيل

المعين

المعنى لا ينفدون شرابهم لانه دايم يقال انزف الرجل فهو منزوف اذا فنيت خمره قال الحطيئة

لعمري لين انزفتم او صحوتم ... لبيس الندامى كنتم ال ابجرا

النحاس والقراة الاولى ابين واصح في المعنى لان معنى ينزفون عند جلة اهل التفسير منهم مجاهد لا تذهب عقولهم فنفى الله عز وجل عن خمر الجنة الافات التي تلحق في الدنيا من خمرها من الصداع والسكر ومعنى ينزفون الصحيح فيه انه يقال انزف الرجل اذا نفد شرابه وهو يبعد ان يوصف به شراب اهل الجنة ولكن مجازه ان يكون بمعنى لا ينفد ابدا وقيل لا ينزفون بكسر الزاي لا يسكرون ذكره الزجاج وابو علي على ما ذكره القشيري المهدوي ولا يكون معناه يسكرون لان قبله لا فيها غول اي لا تغتال عقولهم فيكون تكريرا ويسوغ ذلك في الواقعة ويجوز ان يكون معنى لا فيها غول لا يمرضون فيكون معنى ولا هم عنها ينزفون لا يسكرون او لا ينفد شرابهم قال قتادة الغول وجع البطن وكذا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد لا فيها غول قال لا فيها وجع بطن الحسن صداع وهو قول ابن عباس لا فيها غول ولا فيها صداع وحكى الضحاك عنه انه قال في الخمر اربع خصال السكر والصداع والقي والبول فذكر الله خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال مجاهد وابن كيسان معنى وهذه الاقوال متقاربة وقال الكلبي لا فيها غول اي اثم نظيره لا لغو فيها ولا تاثيم وقال الشعبي والسدي وابو عبيدة لا تغتال عقولهم فتذهب بها ومنه قول الشاعر

وما زالت الكاس تغتالنا ... وتذهب بالاول الاول

اي تصرع واحدا واحدا وانما صرف الله تعالى السكر عن اهل الجنة لئلا ينقطع الالتذاذ عنهم بنعيمهم وقال اهل المعاني الغول فساد يلحق في خفا يقال اغتاله اغتيالا اذا افسد عليه امره في خفية ومنه الغول والغيلة وهو القتل خفية قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اتراب اي نسا قد قصرن طرفهن على ازواجهن فلا ينظرن الى غيرهم قاله ابن عباس ومجاهد ومحمد بن كعب وغيرهم ما حكي عكرمة قاصرات الطرف اي محبوسات على ازواجهن والتفسير الاول ابين لانه ليس في الاية مقصورات ولكن في موضع اخر مقصورات ياتي بيانه وقاصرات ماخوذ من قولهم قد اقتصر على كذا اذا اقتنع به وعدل عن غيره قال امرو القيس

من القاصرات الطرف لو دب محول ... من الذر فوق الاتب منها لاثرا

ويروى فوق الخد والاول ابلغ والاتب القميص والمحول الصغير من الذر وقال مجاهد ايضا معناه لا يغرن عين عظام العيون الواحدة عينا قاله السدي مجاهد عين حسان العيون الحسن العين بياض العين الشديدة سوادها والاول اشهر في اللغة يقال رجل اعين واسع العين بين العين والجمع عين واصله فعل بالضم فكسرت العين لئلا تنقلب الواو يا ومنه قيل لبقر الوحش عين والثور اعين والبقرة عينا كانهن بيض مكنون اي مصون قال الحسن وابن زيد شبههن ببيض النعام تكنها النعامة بالريش من الريح والغبار فلونه ابيض في صفرة وهو احسن الوان النسا وقال ابن عباس وابن جبير والسدي شبههن ببطن البيض قبل ان يقشر وتمسه الايدي وقال عطا شبههن بالسحا الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيض ونحوه قول الطبري قال هو القشر الرقيق الذي على البيضة بين ذلك وروي نحو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم والعرب تشبه المراة بالبيضة لصفايه وبياضه قال امرو القيس

وبيضة خدر لا يرام خباوها ... تمتعت من لهو بها غير معجل

وتقول العرب اذا وصفت الشي بالحسن والنظافة كانه بيض مكنون النعام المغطى بالريش وقيل المكنون المصون عن الكسر اي انهن عذارى وقيل المراد بالبيض اللولو كقوله تعالى وحور عين كامثال اللولو المكنون اي في اصدافه قاله ابن عباس ايضا قول الشاعر

وهي بيضا مثل لولوة الغواص ... ميزت من جوهر مكنون

وانما ذكر المكنون والبيض جمع لانه رد النعت الى اللفظ قوله تعالى فاقبل بعضهم على بعض يتسالون اي يتفاوضون فيما بينهم احاديثهم في الدنيا وهو من تمام الانس في الجنة وهو معطوف على معنى يطاف عليهم المعنى يشربون فيتحادثون على الشراب

كعادة الشراب قال بعضهم • وما بقيت من اللذات إلا • أحاديث الكرام على المدام •
فتقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم وعليهم قوله تعالى قال قائل أي من أهل
الجنة إني كان لي قرين أي صديق ملازم يقول أإنك لمن المصدقين أي بالبعث والجزاء
وقال سعيد بن جبير قرينه شريكه وقد مضى في الكهف ذكرهما وقصتهما والاختلاف في
اسميهما مستوفى عند قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين ومنهما أنزل الله عز وجل قال
قائل منهم إني كان لي قرين إلى من المحضرين وقيل أراد بالقرين قرينه من الشيطان كان يوسوس
إليه بإنكار البعث وقرئ أإنك لمن المصدقين بتشديد الصاد رواه علي بن كيسة عن سليم
عن حمزة قال النحاس ولا يجوز أإنك لمن المصدقين لأنه لا معنى للصدقة ها هنا وقال
القشيري وفي قراءة عن حمزة أإنك لمن المصدقين بتشديد الصاد واعترض عليه بأن
هذا من التصديق لا من التصدق والاعتراض باطل لأن القراءة إذا صحت عن النبي صلى
الله عليه وسلم فلا مجال للطعن فيها فالمعنى أإنك لمن المصدقين بالمال طلبا في ثواب الآخرة
أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون أي مجزيون محاسبون بعد الموت فقال الله
تعالى لأهل الجنة هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف حال ذلك القرين وقيل هو من
قول الملائكة وليس هل أنتم مطلعون باستفهام إنما هو بمعنى الأمر أي اطلعوا قاله ابن
الأعرابي وغيره ومنه لما نزلت آية الخمر قام عمر قائما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم
ثم رفع رأسه إلى السماء ثم قال يا رب بيانا شافيا في الخمر فنزلت فهل أنتم منتهون
قال فنادى عمر انتهينا يا ربنا وقرأ ابن عباس هل أنتم مطلعون بإسكان
الطاء خفيفة فأطلع بقطع الألف مخففة هل معنى هل أنتم مقبلون فأقبل قال النحاس
فأطلع فرآه فيه قولان أحدهما أن يكون فعلا مستقبلا أي فأطلع أنا ويكون منصوبا على
أنه جواب الاستفهام والقول الثاني أن يكون فعلا ماضيا ويكون اطلع وأطلع واحدا قال
الزجاج يقال طلع وأطلع بمعنى واحد وقد حكي هل أنتم مطلعونِ بكسر النون وأنكره
أبو حاتم وغيره النحاس وهو لحن ولا يجوز لأنه جمع بين النون والإضافة ولو كان
مضافا لكان هل أنتم مطلعيّ وإن كان سيبويه والفراء قد حكياه مثله وأنشدا
• هم القائلون الخير والآمرونه • إذا ما خشوا من محدث الأمر معظما •
وأنشد الفراء والفاعلونه وأنشد سيبويه وحده ولم يرتفق والناس محتضرونه
وهذا شاذ خارج عن كلام العرب وما كان مثل هذا لم يحتج به في كتاب الله عز وجل
ولا يدخل في الفصيح وقد قيل في توجيهه أنه أجرى اسم الفاعل مجرى المضارع لقربه
منه فجرى مطلعون مجرى يطلعون ذكره أبو الفتح عثمان بن جني وأنشد
• أرأيت إن جئت به أملودا • مرجلا ويلبس البرودا •
أقائلن أحضروا الشهودا • فأجرى أقائلن مجرى أتقولن وقال ابن عباس في قوله
تعالى هل أنتم مطلعون فأطلع فرآه أن في الجنة كوى ينظر أهلها منها إلى النار وأهلها
وكذلك قال كعب فيما ذكر ابن المبارك قال إن بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن
أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى فاطلع فرآه
في سواء الجحيم أي في وسط النار والحسك حواليه قاله ابن مسعود ويقال تعبت حتى
انقطع سوائي أي وسطي وقال أبو عبيدة قال لي عيسى بن عمر كنت أكتب يا أبا عبيدة
حتى ينقطع سوائي وعن قتادة قال قال بعض العلماء لولا أن الله عز وجل عرفه إياه لما
عرفه لقد تغير حبره وسبره فعند ذلك يقول تالله إن كدت لتردين إن مخففة من الثقيلة
دخلت على كاد كما تدخل على كان ونحوه إن كان ليضلنا واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين في النار وقال الكسائي لتردين أي لتهلكني
والردى الهلاك وقال المبرد لو قيل لتردين لتوقعني في النار لكان جائزا ولولا نعمة ربي
أي عصمته وتوفيقه بالاستمساك بعروة الإسلام والبراءة من القرين السوء وما بعد لولا
مرفوع بالابتداء عند سيبويه والخبر محذوف لكنت من المحضرين قال الفراء أي لكنت
معك في النار محضرا وأحضر لا يستعمل مطلقا إلا في الشر قاله الماوردي قوله تعالى

أفما

أفما نحن بميتين وقرئ بمائتين والهمزة في أفما للاستفهام دخلت على فاء العطف والمعطوف محذوف
معناه أنحن مخلدون منعمون فما نحن بميتين ولا معذبين إلا موتتنا الأولى يكون استثناء ليس من
الأول ويكون مصدرا لأنه منعوت وهو من قول أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت ويقال يا أهل
الجنة خلود بلا موت ويا أهل النار خلود بلا موت وقيل هو من قول المؤمن على جهة الحديث بنعمة
الله في أنهم لا يموتون ولا يعذبون أي هذه حالنا وصفتنا وقيل هو من قول المؤمن توبيخا
للكافر لما كان ينكره من البعث وأنه ليس إلا الموت في الدنيا ثم قال المؤمن مشيرا إلى ما هو فيه
إن هذا لهو الفوز العظيم يكون هو مبتدأ وما بعده خبر عنه والجملة خبر إن ويجوز أن يكون
هو فاصلة لمثل هذا فليعمل العاملون يحتمل أن يكون من كلام المؤمن لما رأى ما أعد الله له في
الجنة وما أعطاه قال لمثل هذا العطاء والفضل فليعمل العاملون نظيره ما قال له الكافر أنا
أكثر منك مالا وأعز نفرا ويحتمل أن يكون من قول الملائكة وقيل هو من قول الله عز وجل لأهل
الدنيا أي قد سمعتم ما في الجنة من الخيرات والجزاء ولمثل هذا الجزاء فليعمل العاملون النحاس
وتقدير الكلام والله أعلم فليعمل العاملون لمثل هذا فإن قال قائل الفاء في العربية تدل على
أن الثاني بعد الأول فكيف صار ما بعدها ينوى به التقديم فالجواب أن التقديم مثل التأخير
لأن حق حروف الخفض وما بعدها أن تكون متأخرة قوله تعالى أذلك خير نزلا مبتدأ وخبر
وهو من قول الله عز وجل نزلا على البيان والمعنى أنعيم الجنة خير نزلا أم شجرة الزقوم خير نزلا
والنزل في اللغة الرزق الذي له سعة النحاس وكذا النزل إلا أنه يجوز أن يكون
النزل بإسكان الزاي لغة ويجوز أن يكون أصله النزل ومنه أقيم للقوم نزلهم واشتقاقه أنه
الغذاء الذي يصلح أن ينزلوا معه ويقيموا فيه وقد مضى هذا في آخر سورة آل عمران وشجرة
الزقوم مشتقة من التزقم وهو البلع على جهد لكراهتها ونتنها قال المفسرون وهي في الباب
السادس وأنها تحيا بلهب النار كما تحيا الشجرة ببرد الماء فلا بد لأهل النار من أن يتحدر إليها من
كان فوقها فيأكلون منها وكذلك يصعد إليها من كان أسفل واختلف فيها هل هي من شجر الدنيا
التي تعرفها العرب أم لا على قولين أحدهما أنه معروفة من شجر الدنيا ومن قال بهذا اختلفوا
فيها فقال قطرب إنها شجرة مرة تكون بتهامة من أخبث الشجر وقال غيره بل هو كل نبات
قاتل الثاني أنه لا يعرف من شجر الدنيا فلما نزلت هذه الآية في شجرة الزقوم قال كفار
قريش ما نعرف هذه الشجرة فقدم عليهم رجل من إفريقية فسألوه فقال هو عندنا الزبد
والتمر فقال ابن الزبعرى أكثر الله في بيوتنا الزقوم فقال أبو جهل لجاريته زقمينا فأتته
بزبد وتمر ثم قال لأصحابه تزقموا هذا الذي يخوفنا به محمد يزعم أن النار تنبت الشجر
والنار تحرق الشجر قوله تعالى إنا جعلناها فتنة للظالمين أي المشركين وذلك أنهم
قالوا كيف تكون في النار شجرة وهي تحرق الشجر وقد مضى هذا المعنى في سبحان واستخفافهم
في هذا كقولهم في قوله تعالى عليها تسعة عشر ما الذي يخصص هذا العدد حتى قال بعضهم
أنا أكفيكم منهم كذا فاكفوني الباقين فقال الله تعالى وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا
والفتنة الاختبار وكان هذا القول منهم جهلا إذ لا يستحيل في العقل أن يخلق الله في
النار شجرا من جنسها لا تأكلها النار كما يخلق الله فيها الأغلال والقيود والحيات والعقارب
وخزنة النار وقيل هذا الاستبعاد الذي وقع للكفار هو الذي وقع الآن للملحدة حتى
حملوا الجنة والنار على نعيم أو عقاب تتخلله الأرواح وحملوا وزن الأعمال والصراط واللوح
والقلم على معان زوروها في أنفسهم دون ما فهمه المسلمون من موارد الشرع وإذا ورد خبر
الصادق بشيء موهوم في العقل فالواجب تصديقه وإن جاز أن يكون له تأويل ثم التأويل
إن يكون في موضع إجماع المسلمين على أنه تأويل باطل لا يجوز والمسلمون مجمعون على الأخذ
بهذه الآية دون مصير إلى علم الباطن وقيل إنها فتنة أي عقوبة للظالمين كما قال ذوقوا
فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون قوله تعالى إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم أي
في قعر النار ومنها منشؤها ثم هي متفرعة في جهنم طلعها ثمرها سمي طلعا لطلوعه كأنه رؤوس الشياطين
قيل يعني الشياطين بأعيانها شبهها برؤوسهم لقبحهم ورؤوس الشياطين متصور في النفوس
وإن كان غير مرئي ومن ذلك قولهم لكل قبيح هو كصورة الشيطان ولكل صورة حسنة هو

كصورة ملك ومنه قوله تعالى مخبرا عن صواحب يوسف ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم
وهذا تشبيه تخييلي روي معناه عن ابن عباس والقرطبي ومنه قول امري القيس
ومسنونة زرق كانياب اغوال . ولما كانت الغول لا تعرف لكن لما تصور في قبحها من النفوس
وقد قال الله تعالى شياطين الانس والجن فردة الا تسمى شياطين مرتبة وفي الحديث
الصحيح ولكان تخيلها رؤس الشياطين وقد ادعى كثير من العرب رؤية الشياطين والغيلان
وقال الزجاج والفرا الشياطين حيات لها رؤس واعراف فهي من اقبح الحيات واخبثها
واخفها جسما قال الراجز وقد شبه المراة بحية لها عرف
عنجرد تحلف حين احلف . كمثل شيطان الحماط اعرف .
الواحدة حماطة والاعرف الذي له عرف وقال الشاعر يصف ناقته
تلاعب مثنى حضرمي كانه . تعمج شيطان بذي خروع قفر .
الثني الاعوجاج في السير وسهم عموج يتلوى في ذهابه وتعمجت الحية اذا تلوت في مرها
وقال تصف زمام الناقة تلاعب مثنى حضرمي كانه . تعمج شيطان بذي خروع قفر .
وقيل انما شبه ذلك بنبت قبيح في اليمن يقال له الاستن والشيطان قال النحاس وليس
ذلك معروفا عند العرب الزمخشري هو شجر خشن منتن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤس
الشياطين النحاس وقيل الشياطين ضرب من الحياط قباح لانهم لا ياكلون منها فمالئون
منها البطون فهذا طعامهم وفاكهتهم بدل رزق اهل الجنة وقال في الغاشية ليس لهم
طعام الا من ضريع وسياتي ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم اي بعد الاكل من الشجرة الشوب
الخلط والشوب والشرب لغتان كالفقر والفقر والفتح اشهر قال الفرا شاب طعامه
وشرابه اذا خلطهما بشي يشوبهما شوبا وشوابة فاخبر انه يشاب لهم والحميم الماء الحار ليكون
اشنع قال الله تعالى وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم السدي يشاب لهم الحميم بغساق
اعينهم وصديد من قيحهم ودمايهم وقيل يمزج لهم الزقوم بالحميم ليجمع لهم بين مرارة الزقوم
وحرارة الحميم تغليظا لعذابهم وتجديدا للبلايهم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قيل ان هذا يدل
على انهم كانوا حين اكلوا الزقوم في عذاب غير النار ثم يردون اليها وقال مقاتل الحميم
خارج الجحيم فهم يوردون الحميم لشربه ثم يردون الى الجحيم لقوله تعالى هذه جهنم التي
يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم ان وقرا ابن مسعود ثم ان منقلبهم لالى
الجحيم وقال ابو عبيدة يجوز ان تكون ثم بمعنى الواو القشيري ولعل الحميم في موضع من
جهنم على طرف منها قوله تعالى انهم الفوا اباءهم ضالين اي صادفوهم كذلك فاقتدوا
بهم فهم على اثارهم يهرعون اي يسرعون عن قتادة وقال مجاهد كهيئة الهرولة قال
الفرا الاهراع الاسراع برعدة وقال ابو عبيدة يهرعون يستحثون من خلفهم ونحوه
قول المبرد قال المهرع المستحث يقال جاء فلان يهرع الى النار اذا استحثه البرد اليها
وقيل يزعجون من شدة الاسراع قال المفضل الزجاج يقال هرع واهرع اذا استحث
وازعج قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين اي من الامم الماضية ولقد ارسلنا
فيهم منذرين اي رسلا انذروهم العذاب فكفروا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
اي اخر امرهم الا عباد الله المخلصين اي الذين استخلصهم الله من الكفر وقد تقدم
وقيل هو استثناء من المنذرين وقيل هو من قوله تعالى ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين
قوله تعالى ولقد نادانا نوح من النداء الذي هو استغاثة ودعا قيل هو بمسئلة
هلاك قومه فقال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فلنعم المجيبون له كنا فنجيناه
واهله يعني اهل دينه وهم من امن معه وكانوا ثمانين على ما تقدم من الكرب العظيم
وهو الغرق وجعلنا ذريته هم الباقين قال ابن عباس لما خرج نوح من السفينة مات
من معه من الرجال والنسا الا ولده ونساءه فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين
وقال سعيد بن المسيب كان ولد نوح ثلاثة والناس كلهم من ولد نوح فسام ابو العرب
وفارس والروم واليهود والنصارى وحام ابو السودان من المشرق الى المغرب السند والهند
والنوب والزنج والحبشة والقبط والبربر وغيرهم ويافث ابو الصقالبة والترك واللان والخزر

ويأجوج ومأجوج وما هنالك وقال قوم كان لغير ولد نوح ايضا نسل بدليل قوله ذرية من
حملنا مع نوح وقوله قلنا يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم
ثم يمسهم منا عذاب اليم فعلى هذا معنى الاية وجعلنا ذريته هم الباقين دون ذرية من كفر فانا
اغرقنا اولئك قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين اي تركنا عليه ثناء حسنا في كل امة فانه
محبب الى الجميع حتى ان في المجوس من يقول انه افريدون روي معناه عن مجاهد وغيره وزعم
الكسائي ان فيه تقديرين احدهما وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح اي تركنا عليه هذا
الثنا الحسن وهذا مذهب ابي العباس المبرد اي تركنا عليه هذه الكلمة باقية يعني يسلمون عليه
تسليما ويدعون له وهو من الكلام المحكي كقوله تعالى سورة انزلناها والقول الاخر ان يكون
المعنى وابقينا عليه وتم الكلام ثم ابتدا فقال سلام على نوح اي سلامة له من ان يذكر بسوء في
الاخرين قال الكسائي وفي قراءة ابن مسعود سلاما منصوب بتركنا اي تركنا عليه ثناء حسنا
سلاما وقيل في الاخرين اي في امة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل في الانبياء اذ لم يبعث بعده
نبي الا امر بالاقتداء به قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقال سعيد بن
المسيب وبلغني ان من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم يلدغه عقرب ذكره ابو عمر في
التمهيد وفي الموطا عن خولة بنت حكيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من نزل منزلا فليقل
اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق فانه لن يضره شي حتى يرتحل وفيه عن ابي هريرة
ان رجلا من اسلم قال ما نمت هذه الليلة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من اي شي
قال لدغتني عقرب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما انك لو قلت حين امسيت اعوذ
بكلمات الله التامات كلها من شر ما خلق لم تضرك قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين
اي نبقي عليهم الثناء الحسن والكاف في موضع نصب اي جزاء كذلك انه من عبادنا المؤمنين
هذا بيان احسانه قوله تعالى ثم اغرقنا الاخرين اي من كفر وجمعه اخر والاصل
فيه ان يكون معه من الا انها حذفت لان المعنى معروف ولا يكون اخر الا وقبله شي
من جنسه وثم ليس للتراخي هاهنا بل هو لتعديد النعم كقوله اومسكينا ذا متربة ثم كان
من الذين امنوا اي ثم اخبركم اني قد اغرقت الاخرين وهم الذين تاخروا عن الايمان قوله
تعالى وان من شيعته لابراهيم قال ابن عباس اي من اهل دينه وقال مجاهد اي على
منهاجه وسنته قال الاصمعي الشيعة الاعوان وهو ماخوذ من الشياع وهو الحطب
الصغار التي يوقد مع الكبار حتى يستوقد وقال الكلبي والفرا المعنى وان من شيعة
محمد لابراهيم فالهاء في شيعته على هذا لمحمد عليه السلام وعلى الاول لنوح وهو اظهر
لانه هو المذكور اولا وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وكان بين
نوح وابراهيم الفان وستمائة واربعون سنة حكاه الزمخشري قوله تعالى
اذ جاء ربه بقلب سليم اي مخلص من الشرك والشك وقال عوف الاعرابي سالت محمد
ابن سيرين ما القلب السليم فقال الناصح لله عز وجل في خلقه وذكر الطبري عن
غالب القطان وعوف وغيرهما عن محمد بن سيرين انه كان يقول للحجاج مسكين ابو
محمد ان عذبه الله فبذنبه وان غفر له فهنيا له وان كان قلبه سليما فقد اصاب الذنوب
من هو خير منه قال عوف فقلت لمحمد ما القلب السليم قال ان يعلم ان الله حق
وان الساعة قائمة وان الله يبعث من في القبور وقال هشام بن عروة كان ابي
يقول لنا يا بني لا تكونوا لعانين الم تروا الى ابراهيم لم يلعن شيئا قط فقال تعالى اذ جاء
ربه بقلب سليم ويحتمل مجيه الى ربه وجهين احدهما عند دعائه الى توحيده وطاعته
الثاني عند القائه في النار اذ قال لابيه وهو ازر وقد مضى الكلام فيه وقومه
ماذا تعبدون تكون ما في موضع رفع بالابتداء وذا خبره ويجوز ان تكون ماذا في موضع
نصب بتعبدون ائفكا نصب على المفعول به بمعنى اتريدون افكا قال المبرد والافك
اسوا الكذب وهو الذي لا يثبت ويضطرب ومنه ائتفكت بهم الارض الهة بدلا من افك
دون الله تريدون اي تعبدون ويجوز ان يكون حالا بمعنى اتريدون الهة من دون
الله افكين فما ظنكم برب العالمين اي ما ظنكم به اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره فهو تحذير

مثل قولك ما غرك بربك الكريم وقيل المعنى اي شي توهمتموه حتى اشركتم به غيره
قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن زيد عن ابيه ارسل اليه
ملكهم ان غدا عيدنا فاخرج معنا فنظر الى نجم طالع فقال ان هذا يطلع مع سقمي وكان علم
النجوم عندهم مستعملا منظورا فيه فاوهمهم هو من تلك الجهة واراهم من معتقدهم عذرا
لنفسه وذلك انهم كانوا اهل رعاية وفلاحة وهاتان المعيشتان يحتاج فيهما الى نظر في النجوم
وقال ابن عباس كان علم النجوم من النبوة فلما حبس الله تعالى الشمس على يوشع بن نون
ابطل ذلك فنظر ابراهيم فيها علما نبويا وحكى جويبر عن الضحاك كان علم النجوم باقيا الى
زمن عيسى عليه السلام حتى دخلوا عليه في موضع لا يطلع عليه فقالت لهم مريم من
اين علمتم بموضعه قالوا من النجوم فدعا ربه عند ذلك فقال اللهم لا تفهمهم في علمها فلا
يعلم علم النجوم احد فصار حكمها في الشرع محظورا وعلمها في الناس مجهولا قال الكلبي
وكانوا بقرية بين الكوفة والبصرة يقال لها هرمز جرد وكانوا ينظرون في النجوم
فهذا قول وقال الحسن المعنى انهم لما كلفوه الخروج معهم تفكر فيما يعمل فالمعنى
على هذا انه نظر فيما نجم له من الراي اي فيما طلع له منه فعلم ان كل حي يسقم فقال اني سقيم
الخليل والمبرد يقال للرجل اذا فكر في نفسه يدبره نظر في النجوم وقيل كانت الساعة
التي دعوه الى الخروج معهم فيها ساعة معتاده فيها الحمى وقيل المعنى فنظر فيما نجم من
الاشيا فعلم ان لها خالقا ومدبرا وانه يتغير لتغيرها فقال اني سقيم وقال الضحاك
معنى سقيم سأسقم سقم الموت لان من كتب عليه الموت يسقم في الغالب ثم يموت وهذا
تورية وتعريض كما قال للملك لما سأله عن سارة هي اختي يعني اخوة الدين وقال
ابن عباس وابن جبير والضحاك ايضا اشار لهم الى مرض وسقم يعدي كالطاعون وكانوا
يهربون من الطاعون ولذلك تولوا عنه مدبرين اي فارين منه خوفا من العدوى
وروى الترمذي الحكيم قال ثنا ابي قال ثنا عمرو بن حماد عن اسباط عن السدي عن
ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن الهمداني عن ابن مسعود قال قال
ابو ابراهيم ان لنا عيدا لو خرجت معنا لاعجبك ديننا فلما كان يوم العيد خرجوا اليه
وخرج معهم فلما كان ببعض الطريق القى نفسه وقال اني سقيم اشتكي رجلي فوطئوا
رجلي وهو صريع فلما مضوا نادى في اخرهم وتالله لاكيدن اصنامكم قال ابو عمر احمد
وهذا ليس بمعارض لما قال ابن عباس وابن جبير لانه يحتمل ان يكون قد اجتمع له امران
قلت وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكذب النبي ابراهيم عليه السلام الا
ثلاث كذبات الحديث وقد مضى في سورة الانبيا وهو يدل على انه لم يكن سقيما وانما
عرض لهم وقد قال جل وعز انك ميت وانهم ميتون فالمعنى اني سقيم فيما استقبل
فتوهموا انه سقيم الساعة وهذا من معاريض الكلام على ما ذكرنا ومنه المثل السائر
كفى بالسلامة داء وقول لبيد • دعوت ربي بالسلامة جاهدا • ليصحني فاذا السلامة داء •
وقد مات رجل فجاة فالتف عليه الناس وقالوا قد مات وهو صحيح فقال اعرابي
اصحيح من الموت في عنقه فابراهيم صادق لكن لما كان الانبيا لقرب محلهم واصطفائهم
عد هذا ذنبا ولهذا قال والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وقد مضى هذا
كله مبينا والحمد لله وقيل اراد سقيم النفس لكفركم والنجوم يكون جمع نجم ويكون واحدا
مصدرا قوله تعالى فراغ الى الهتهم قال السدي ذهب اليهم وقال ابو مالك
جا اليهم وقال قتادة مال اليهم وقال الكلبي اقبل عليهم وقيل عدل والمعنى
متقارب راغ يروغ روغا وروغانا اذا مال وطريق رائغ اي مائل وقال الشاعر
• ويريك من طرف اللسان حلاوة • ويروغ عنك كما يروغ الثعلب •
فقال الا تاكلون فخاطبها كما يخاطب من يعقل لانهم انزلوها بتلك المنزلة وكذا
ما لكم لا تنطقون قيل كان بين يدي الاصنام طعام تركوه ليا كلوه اذا رجعوا من العيد
وانما تركوه لتصيبه بركة اصنامهم بزعمهم وقيل تركوه للسدنة وقيل قرب هو اليها
طعاما على جهة الاستهزا فقال الا تاكلون ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين

لانها اقوى والضرب بها اشد قاله الضحاك والربيع بن انس وقيل المراد باليمين
اليمين التي حلفها حين قال وتالله لاكيدن اصنامكم وقال الفرا وثعلب ضربا بالقوة واليمين
القوة وقيل بالعدل واليمين هاهنا العدل ومنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل
لاخذنا منه باليمين اي بالعدل فالعدل لليمين والجور للشمال الا ترى ان العدو عن الشمال
والمعاصي عن الشمال والطاعة عن اليمين ولذلك قال انكم كنتم تاتوننا عن اليمين اي من
قبل الطاعات فاليمين هو الموضع العدل من المسلم والشمال موضع الجور الا ترى انه بايع
الله بيمينه يوم الميثاق فالبيعة باليمين فلذلك يعطى كتابه غدا بيمينه لانه وفى بالبيعة
ويعطى الناكث للبيعة الهارب برقبته من الله بشماله لان الجور هناك فقوله فراغ عليهم
ضربا باليمين اي بذلك العدل الذي كان بايع الله عليه يوم الميثاق ثم وفى له هاهنا
فجعل تلك الاوثان جذاذا اي فتاتا كالجذيذة وهي السويق وليس من قبل القوة قاله
الترمذي الحكيم فاقبلوا اليه يزفون قرا حمزة يزفون بضم اليا الباقون اي يزفون
قاله ابن زيد قتادة والسدي يمشون وقيل المعنى يمشون بجمعهم على مهل امنين ان
يصيب احد الهتهم بسو وقيل المعنى يتسللون تسللا بين المشي والعدو ومنه زفيف
النعامة وقال الضحاك يسعون وحكى يحيى بن سلام يرعدون غضبا وقيل يختالون
وهي مشية الخيلا قاله مجاهد ومنه اخذ زفاف العروس الى زوجها وقال الفرزدق •
• وجا قريع الشول الى الها يزف وجات خلفه وهي زفف •
ومن قرا يزفون فمعناه يزفون غيرهم اي يحملونهم على التزفيف وعلى هذا فالمفعول محذوف
قال الاصمعي ازففت الابل اي حملتها على ان تزف وقيل هما لغتان يقال زف القوم
وازفوا وزففت العروس وازففتها وازددتها بمعنى والمزفة المحفة التي تزف فيها العروس
حكى ذلك عن الخليل النحاس يزفون بضم اليا زعم ابو حاتم انه لا يعرف هذه اللغة وقد عرفها
جماعة من العلما منهم الفرا وشبهها بقولهم اطردت الرجل اي صيرته الى ذلك وطردته نحيته
وانشد هو وغيره • تمنى حصين ان يسود جذاعه • فامسى حصين قد اذل واقهرا •
اي صير الى ذلك فكذلك يزفون يصيرون الى الزفيف قال محمد بن يزيد الزفيف
الاسراع وقال ابو اسحاق الزفيف اول عدو النعام وقال ابو حاتم وزعم الكسائي
ان قوما قروا فاقبلوا اليه يزفون خفيفة من وزف يزف مثل وزن يزن قال النحاس
فهذه حكاية ابي حاتم وابو حاتم لم يسمع من الكسائي شيا وروى الفرا وهو صاحب الكسائي
عن الكسائي انه لا يعرف يزفون مخففة قال الفرا وانا لا اعرفها قال ابو اسحاق وقد
عرفها غيرهما وزف يزف اذا اسرع قال النحاس ولا نعلم احدا قرا يزفون قلت هي قراة عبد
الله بن يزيد فيما ذكر المهدوي الزمخشري ويزفون على البنا للمفعول ويزفون من
زفاه اذا حداه كان بعضهم يزف بعضا لتسارعهم اليه وذكر الثعلبي عن الحسن ومجاهد
وابن السميفع يرفون بالرا من رفيف النعام وهو ركض بين المشي والطيران قوله
تعالى قال اتعبدون ما تنحتون فيه حذف اي قالوا من فعل هذا بالهتنا فقال محتجا
اتعبدون ما تنحتون اي تعبدون اصناما انتم تنحتونها بايديكم والنحت النجر والبري
نحته ينحته بالكسر نحتا اي براه والنحاتة البراية والمنحت ما ينحت به والله خلقكم
وما تعملون ما في موضع نصب اي وخلق ما تعملونه من الاصنام يعني الخشب والحجارة
وغيرها قوله بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن وقيل ان ما استفهام ومعناه
التحقير لعملهم وقيل هي نفي والمعنى وما تعملون ذلك لكن الله خالقه والاحسن ان يكون
ما مع الفعل مصدرا والتقدير والله خلقكم وعملكم وهذا مذهب اهل السنة ان
الافعال خلق لله عز وجل واكتساب للعباد وفي هذا ابطال مذاهب القدرية والجبرية
وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله خالق كل صانع وصنعته
ذكره الثعلبي وخرجه البيهقي من حديث حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله عز وجل صنع كل صانع وصنعته فهو الخالق وهو الصانع سبحانه وقد
بيناها في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى قالوا ابنوا له بنيانا

اي نشأ وربا في امره لما علمهم بالحجة حسب ما تقدم في الانبياء بيانه فقالوا ابنوا له بنيانا تملونه حطبا فتضرمونه ثم القوه فيها وهو الجحيم قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله في السماء ثلاثون ذراعا وملوه نارا وطرحوه فيها وقال عبد الله بن عمرو بن العاص فلما صار في البنيان قال حسبي الله ونعم الوكيل والالف واللام في الجحيم تدل على الكناية اي في جحيمه اي في جحيم ذلك البنيان وذكر الطبري ان قايلا ذلك اسمه الهيزن رجل من اعراب فارس وهم الترك وهو الذي جاء فيه الحديث بينما رجل يمشي في حلة له يتبختر فيها فخسف به فهو يتجلجل في الارض الى يوم القيامة فارادوا به كيدا اي بابراهيم والكيد المكر اي احتالوا لاهلاكه فجعلناهم الاسفلين المقهورين المغلوبين اذ انفذت حجته من حيث لم يمكنهم دفعها ولم ينفذ فيه مكرهم ولا كيدهم قوله تعالى وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين فيه مسئلتان الاولى هذه الاية اصل في الهجرة والعزلة واول من فعل ذلك ابراهيم عليه السلام وذلك حين خلصه الله من النار قال اني ذاهب الى ربي اي مهاجر من بلد قومي ومولدي الى حيث اتمكن من عبادة ربي فانه سيهديني فيما نويت الى الصواب قال مقاتل هو اول من هاجر من الخلق مع لوط وسارة الى الارض المقدسة وهي ارض الشام وقيل ذاهب بعملي وعبادتي وقلبي ونيتي فعلى هذا ذهابه بالعمل لا بالبدن وقد مضى بيان هذا في الكهف مستوفى وعلى الاول بالمهاجرة بالشام وبيت المقدس وقيل خرج الى حران فاقام بها مدة ثم قيل قال ذلك لمن فارقه من قومه فيكون ذلك توبيخا وقيل قاله لمن هاجر معه من اهله فيكون ذلك منه تبشيرا وقيل قال هذا قبل القائه في النار وفيه على هذا القول تاويلان احدهما اني ذاهب الى ما قضاه علي ربي الثاني اني ميت كما يقال لمن مات قد ذهب الى الله تعالى لانه عليه السلام تصور انه يموت بالقائه في النار على المعهود من حالها في تلف ما يلقى فيها الى ان قيل لها كوني بردا وسلاما فحينئذ سلم ابراهيم منها وفي قوله سيهدين على هذا القول تاويلان احدهما سيهدين الى الخلاص منها الثاني الى الجنة وقال سليمان بن صرد وهو ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم لما ارادوا القاء ابراهيم في النار جعلوا يجمعون له الحطب فجعلت المراة العجوز تحمل على ظهرها وتقول اذهب به الى هذا الذي يذكر الهتنا فلما ذهب به ليطرح في النار قال اني ذاهب الى ربي سيهدين فلما طرح في النار قال حسبي الله ونعم الوكيل فقال الله تعالى يا نار كوني بردا وسلاما فقال ابو لوط وكان ابن عمه ان النار لم تحرقه من اجل قرابته مني فارسل الله عنقا من النار فاحرقه الثانية قوله تعالى رب هب لي من الصالحين لما عرفه الله انه مخلصه دعا الله ليعضده بولد يانس به في غربته وقد مضى في آل عمران القول في هذا وفي الكلام حذف اي هب لي ولدا صالحا من الصالحين وحذف مثل هذا كثير قال الله تعالى فبشرناه بغلام حليم اي انه يكون حليما في كبره فكانه بشر ببقاء ذلك الولد لان الصغير لا يوصف بذلك وكانت البشرى على السنة الملائكة كما تقدم في هود ويأتي ايضا في الذاريات قوله تعالى فلما بلغ معه السعي الى قوله تعالى ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين فيه سبع عشرة مسئلة الاولى قوله تعالى فلما بلغ معه السعي اي فوهبنا له الغلام فلما بلغ معه المبلغ الذي يسعى فيه الولد مع ابيه في امور دنياه معينا له على اعماله قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك وقال مجاهد فلما بلغ معه السعي اي شب وادرك سعيه سعي ابراهيم وقال الفراء كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقال ابن عباس هو الاحتلام قتادة مشى مع ابيه الحسن ومقاتل هو سعي العقل الذي تقوم به الحجة ابن زيد هو السعي في العبادة ابن عباس صام وصلى الم تسمع ان الله عز وجل يقول وسعى لها سعيها واختلف العلماء في المامور بذبحه فقال اكثرهم الذبيح اسحاق وممن قال بذلك العباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله وهو الصحيح عنه روى الثوري وابن جريج يرفعانه الى ابن عباس قال الذبيح اسحاق وهو الصحيح عن عبد الله بن مسعود ان رجلا قال له يا ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذلك يوسف بن يعقوب ابن اسحاق ذبيح الله بن ابراهيم

خليل

خليل الله صلى الله عليه وسلم وقد روى حماد بن زيد يرفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحاق ابن ابراهيم صلى الله عليه وسلم وروى ابو الزبير عن جابر قال الذبيح اسحاق وذلك مروي ايضا عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعن عبد الله بن عمر ان الذبيح اسحاق وهو قول عمر رضي الله عنه فهولاء سبعة من الصحابة ومن التابعين وغيرهم علقمة والشعبي ومجاهد وسعيد بن جبير وكعب الاحبار وقتادة ومسروق وعكرمة والقاسم بن ابي بزة وعطاء ومقاتل وعبد الرحمن بن سابط والزهري والسدي وعبد الله بن ابي الهذيل ومالك ابن انس كلهم قالوا الذبيح اسحاق وعليه اهل الكتابين اليهود والنصارى واختاره غير واحد منهم النحاس والطبري وغيرهما قال سعيد بن جبير اري ابراهيم ذبح اسحاق في المنام فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى اتى به المنحر بمنى فلما صرف الله عنه الذبح وامره ان يذبح الكبش وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة طويت له الاودية والجبال وقال الاخرون هو اسماعيل وممن قال ذلك ابو هريرة وابو الطفيل عامر بن واثلة وروي ذلك عن ابن عمر وابن عباس ايضا ومن التابعين سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف ابن مهران ومجاهد والربيع بن انس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وعلقمة وسئل ابو سعيد الضرير عن الذبيح فانشد

ان الذبيح هديت اسماعيل ٭ نطق القران بذاك والتنزيل ٭
شرف به خص الاله نبينا ٭ واتى به التفسير والتاويل ٭
ان كنت امته فلا تنكر له ٭ شرفا به قد خصه التفضيل ٭

وعن الاصمعي قال سالت ابا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا اصمعي اين عزب عنك عقلك ومتى كان اسحاق بمكة وانما كان اسماعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع ابيه والمنحر بمكة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الذبيح اسماعيل والاول اكثر عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن اصحابه وعن التابعين واحتجوا بان الله عز وجل قد اخبر عن ابراهيم حين فارق قومه فهاجر الى الشام مع امراته سارة وابن اخيه لوط فقال اني ذاهب الى ربي سيهدين انه دعا فقال رب هب لي من الصالحين فقال تعالى فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب ولان الله تعالى قال وفديناه بذبح عظيم فذكر ان الفدى في الغلام الحليم الذي بشر به ابراهيم وانما بشر باسحاق لانه قال فبشرناه باسحاق وقال هنا بغلام حليم وذلك قبل ان يعرف هاجر وقبل ان يصير له اسماعيل وليس في القران انه بشر بولد الا اسحاق احتج من قال انه اسماعيل بان الله تعالى وصفه بالصبر دون اسحاق في قوله تعالى واسماعيل واليسع وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح ووصفه بصدق الوعد في قوله انه كان صادق الوعد لانه وعد اباه من نفسه الصبر على الذبح فوفى به ولان الله تعالى قال فبشرناه باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب وكيف يومر بذبح اسحاق وقبل انجاز الوعد في يعقوب وايضا ورد في الاخبار تعليق قرن الكبش في الكعبة فدل على ان الذبيح اسماعيل ولو كان اسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس وهذا الاستدلال كله ليس بقاطع اما قولهم كيف يامره بذبحه وقد وعده ان يكون نبيا فانه يحتمل ان يكون المعنى وبشرناه بنبوته بعد ان كان من امره ما كان قاله ابن عباس ولعله امر بذبح اسحاق بعد ان ولد لاسحاق يعقوب ويقال لم يرد في القران ان يعقوب يولد له من اسحاق واما قولهم ولو كان الذبيح اسحاق لكان الذبح يقع ببيت المقدس فالجواب عنه ما قاله سعيد بن جبير على ما تقدم وقال الزجاج الله اعلم ايهما الذبيح وهذا مذهب ثالث الثانية قوله تعالى قال يا بني اني ارى في المنام اني اذبحك فانظر ماذا ترى قال مقاتل راى ذلك ابراهيم عليه السلام ثلاث ليال متتابعات وقال محمد بن كعب كانت الرسل ياتيهم الوحي من الله تعالى ايقاظا ورقودا فان الانبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت في الخبر المرفوع قال صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء تنام عيوننا ولا تنام قلوبنا وقال ابن عباس رويا الانبياء وحي واستدل بهذه الاية

وقال السدي لما بشر ابراهيم باسحاق قبل ان يولد له قال هو اذا لله ذبيح فقيل له في
منامه قد نذرت نذرا فف بنذرك ويقال ان ابراهيم راي في ليلة التروية كان قايلا يقول
ان الله يامرك بذبح ابنك فلما اصبح روى في نفسه اي فكر اهذا الحلم من الله او من الشيطان
فسمي يوم التروية فلما كانت الليلة الثانية راي ذلك ايضا وقيل له الوعد فلما اصبح عرف ان
ذلك من الله فسمي يوم عرفة وروي انه لما ذبحه قال جبريل الله اكبر الله اكبر فقال
الذبيح لا اله الا الله والله اكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقي سنة وقد اختلف
الناس في وقوع هذا الامر فيه الثالثة فقال اهل السنة ان نفس الذبح لم يقع وانما وقع
الامر بالذبح قبل ان يقع الذبح ولو وقع لم يتصور رفعه فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل
لانه لو حصل الفراغ من امتثال الامر بالذبح ما تحقق الفدا وقوله تعالى قد صدقت الرؤيا
اي حققت ما نبهناك عليه وفعلت ما امكنك ثم امتنعت لما منعناك هذا اصح ما قيل به في
هذا الباب وقالت طايفة ليس هذا مما ينسخ بوجه لان معنى ذبحت الشي قطعته واستدل
على هذا بقول مجاهد قال اسحاق لابراهيم لا تنظر الي فترحمني ولكن اجعل وجهي الى الارض
فاخذ ابراهيم السكين فامرها على حلقه فانقلبت فقال له ما لك قال انقلبت السكين ه
فقال اطعني بها طعنا وقال بعضهم كان كلما قطع جزا التام وقالت طايفة وجد حلقه
نحاسا او مغشيا بنحاس وكان كلما اراد قطعا وجد منعا وهذا كله جايز في القدرة الالهية
لكنه يفتقر الى نقل صحيح فانه امر لا يدرك بالنظر وانما طريقه الخبر وانما جرى ذلك
لبيان الله تعالى لعظم الرتبة اسماعيل وابراهيم صلوات الله عليهما وكان اولى بالبيان
من الفدا وقال بعضهم ان ابراهيم ما امر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الاوداج وانهار
الدم وانما راى انه اضجعه للذبح فتوهم انه امر بالذبح الحقيقي فلما اتى ما امر به من الاضطجاع
قيل له قد صدقت الرويا وهذا كله خارج عن المفهوم ولا يظن بالخليل والذبيح ان يفهما
من هذا الامر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم وايضا لو صحت هذه الاشيا لما
احتيج الى الفدا الرابعة قوله تعالى فانظر ماذا ترى قرا اهل الكوفة غير عاصم ماذا تري
بضم التا وكسر الرا من اري يري قال الفرا اي فانظر ماذا تري من صبرك وجزعك قال
الزجاج لم يقل هذا احد غيره وانما قال العلما ماذا تبصر اي ماذا تريك نفسك من الراي وانكر
ابو عبيدة تري وقال انما يكون هذا من رؤية العين خاصة وكذا قال ابو حاتم النحاس
وهذا غلط وهذا يكون من رؤية العين وغيرها وهو مشهور يقال اريت فلانا الصواب
واريته رشده وهذا ليس من رؤية العين الباقون ترى مضارع رايت وقد روي عن
الضحاك والاعمش ترى غير مسمى الفاعل ولم يقل له ذلك على جهة المؤامرة في امر الله وانما
شاوره ليعلم صبره لامر الله او لتقر عينه اذا راى من ابنه طاعة الله في امر الله قال يا ابت
افعل ما تؤمر اي ما تؤمر به فحذف الجار كما حذف من قوله امرتك الخير فافعل ما امرت به
فوصل الفعل الى الضمير فصار تؤمره ثم حذفت الها كقوله وسلام على عباده الذين اصطفى
اي اصطفاهم على ما تقدم وما بمعنى الذي ستجدني ان شا الله من الصابرين قال
بعض اهل الاشارة لما استثنى وفقه الله للصبر وقد مضى الكلام في يا ابت وكذلك في
يا بني في يوسف وغيرها الخامسة قوله تعالى فلما اسلما اي انقادا لامر الله وقرا ابن مسعود
وابن عباس ومجاهد رضوان الله عليهم فلما سلما اي فوضا امرهما الى الله عز وجل وقال
ابن عباس استسلما وقال قتادة اسلم احدهما نفسه لله عز وجل واسلم الاخر ابنه وتله
للجبين قال قتادة كبه وحول وجهه الى القبلة وجواب لما محذوف عند البصريين
تقديره فلما اسلما وتله للجبين فديناه بكبش وقال الكوفيون الجواب ناديناه
والواو زايدة مقحمة كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اي اوحينا
وقوله وهم من كل حدب ينسلون واقترب اي اقترب وقوله فلما جاوها وفتحت ابوابها
وقال اي قال لهم وقال امرؤ القيس ۝ فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى ۝
اي انتحى والواو زايدة وقال ايضا ۝ حتى اذا امتلأت بطونكم ۝ ورايتم ابناكم شبوا ۝
۝ وقلبتم ظهر المجن لنا ۝ ان اللئيم الفاجر الخب ۝

اراد

اراد قلبتم النحاس والواو من حروف المعاني لا يجوز ان تزاد وفي الخبر ان الذبيح قال
لابراهيم عليه السلام حين اراد ذبحه اشدد رباطي حتى لا اضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح
عليها شي من دمي فتراه امي فتحزن واسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت اهون علي واقذفني
للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى الشفرة فاجزع واذا اتيت امي فاقراها مني
السلام فلما جر ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ثم ضرب به
على جبينه وحز في قفاه فلم تعمل السكين شيئا فذلك قوله تعالى وتله للجبين كذلك قال ابن عباس
معناه كبه على جبهته فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرويا فالتفت فاذا بكبش ذكره المهدوي
وقد تقدمت الاشارة الى عدم صحته وان المعنى لما اعتقد الوجوب وتهيا للعمل هذا بهيئة
الذابح وهذا بصورة المذبوح اعطيا محلا للذبح فدا ولم يكن هناك مر سكين وعلى هذا يتصور
النسخ قبل الفعل على ما تقدم والله اعلم قال الجوهري وتله للجبين اي صرعه كما تقول كبه
لوجهه الهروي والتل الدفع والصرع ومنه حديث ابي الدردا رضي الله عنه وتركوك لمتلك
اي لمصرعك وفي حديث اخر فجاوا بناقة كوما فتلها اي اناخها وفي الحديث بينا انا نايم اتيت
بمفاتيح خزاين الارض فتلت في يدي قال ابن الانباري اي فالقيت في يدي يقال تللت
الرجل اذا القيته وقال ابن الاعرابي فصبت في يدي والتل الصب ويقال تل يتل اذا صب
وتل يتل بالكسر اذا سقط قلت وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتي بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره اشياخ فقال للغلام
اتاذن لي ان اعطي هولا فقال الغلام لا والله لا اوثر بنصيبي منك احدا قال فتله رسول
الله صلى الله عليه وسلم في يده يريد جعله في يده وقال بعض اهل الاشارة ان ابراهيم ادعى
محبة الله ثم نظر الى الولد بالمحبة فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فقيل له يا ابراهيم اذبح ولدك
في مرضاتي فشمر واخذ السكين واضجع ولده ثم قال اللهم تقبله مني في مرضاتك فاوحى
الله اليه يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح الولد وانما المراد ان ترد قلبك الينا فلما رددت قلبك بكليته
الينا رددنا ولدك اليك وقال كعب وغيره لما راى ابراهيم ذبح ولده في منامه قال الشيطان
والله لين لم افتن عند هذا ال ابراهيم لا افتن منهم احدا ابدا فتمثل الشيطان لهم في صورة
الرجل ثم اتى ام الغلام وقال اتدرين اين يذهب ابراهيم بابنك قالت لا قال انه يذهب به
ليذبحه قالت كلا هو ارأف به من ذلك فقال انه يزعم ان ربه امره بذلك قالت فان كان ربه
امره بذلك فقد احسن ان يطيع ربه ثم اتى الغلام فقال اتدري اين يذهب بك ابوك قال
لا قال فانه يذهب بك ليذبحك قال ولم قال زعم ان ربه امره بذلك قال فليفعل ما امره الله به
سمعا وطاعة لامر الله ثم جا ابراهيم فقال اين تريد والله اني لاظن ان الشيطان قد جاك في
منامك فامرك بذبح ابنك فعرفه ابراهيم فقال اليك عني يا عدو الله فوالله لامضين لامر ربي
فلم يصب الملعون منهم شيئا وقال ابن عباس لما امر ابراهيم بذبح ابنه عرض له الشيطان
عند جمرة العقبة فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه
بسبع حصيات ثم عرض له عند الجمرة الاخرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم
لامر الله تعالى واختلف في المكان الذي اراد ذبحه فيه فقيل بمكة في المقام وقيل في المنحر بمنى
عند الجمار التي رمى بها ابليس قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد وكعب وسعيد بن المسيب
وحكي عن سعيد بن المسيب انه ذبحه على الصخرة التي باصل ثبير بمنى وقال ابن جبير
ذبحه بالشام وهو من بيت المقدس على ميلين والاول اكثر فانه ورد في الاخبار تعليق
قرن الكبش في الكعبة يدل على انه ذبحه بمكة وقال ابن عباس فوالذي نفسي بيده لقد
كان اول الاسلام وان راس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة قد وحش يعني يبس
اجاب من قال ان الذبح وقع بالشام لعل الراس حمل من الشام الى مكة والله اعلم السادسة
قوله تعالى انا كذلك نجزي المحسنين اي نجزيهم بالخلاص من الشدايد في الدنيا والاخرة
ان هذا لهو البلا المبين اي النعمة الظاهرة يقال ابلاه الله ابلا وبلا اذا انعم عليه وقد
يقال بلاه قال زهير ۝ فابلاهما خير البلا الذي يبلو ۝
وزعم قوم انه جا بالمعنيين وقال اخر بل الثاني من بلا يبلو اذا اختبر ولا يقال

من الاختبار الابتلاء وبلوه ويقال من الابتلاء ابلوه وبلوه واصل هذا كله من الاختبار وان يكون بالخير والشر قال الله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال ابو زيد هذا في البلاء الذي نزل به في ان يذبح ابنه قال وهذا من البلاء المكروه السابعة قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم الذبح اسم المذبوح وجمعه ذبوح كالطحن اسم للمطحون والذبح بالفتح المصدر عظيم اي عظيم القدر ولم يرد عظيم الجثة وانما عظم قدره لانه فدي به الذبيح او لانه متقبل قال النحاس عظيم في اللغة يكون للكبير وللشريف واهل التفسير على انه هاهنا للشريف اي المتقبل وقال ابن عباس هو الكبش الذي تقرب به هابيل وكان في الجنة يرعى حتى فدى الله به اسماعيل وعنه ايضا انه كبش ارسله الله من الجنة كان قد رعى في الجنة اربعين خريفا وقال الحسن ما فدي اسماعيل الا بتيس من الاروى اهبط عليه من ثبير فذبحه ابراهيم فداء عن ابنه وهذا قول علي رضي الله عنه فلما راه ابراهيم اخذه فذبحه واعتق ابنه وقال يا بني اليوم وهبت لي وقال ابو اسحاق الزجاج وقد قيل انه فدي بوعل والوعل التيس الجبلي واهل التفسير على انه فدي بكبش الثامنة في هذه الاية دليل على ان الاضحية بالغنم افضل من الابل والبقر وهذا مذهب مالك واصحابه قالوا افضل الضحايا الفحول من الضان واناث الضان خير من فحول المعز وفحول المعز خير من اناثها واناث المعز خير من الابل والبقر وحجتهم قوله سبحانه وفديناه بذبح عظيم اي ضخم الجثة اي بكبش وذلك كبش لا جمل ولا بقرة وروى مجاهد وغيره عن ابن عباس انه ساله رجل اني نذرت ان انحر ابني فقال يجزيك كبش سمين ثم قرا وفديناه بذبح عظيم وقال بعضهم لو علم الله حيوانا افضل من الكبش لفدى به اسحاق وضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين واكثر ما ضحى به الكباش وذكر ابن ابي شيبة عن ابن علية عن ليث عن مجاهد قال الذبح العظيم الشاة التاسعة واختلفوا ايما افضل الاضحية او الصدقة بثمنها فقال مالك واصحابه الضحية افضل الا بمنى لانه ليس موضع الاضحية حكاه ابو عمر وقال ابن المنذر روينا عن بلال انه قال ما ابالي الا اضحي الا بديك ولان اضعه في يتيم قد ترب فيه هكذا قال المحدث احب الي من ان اضحي به وهذا قول الشعبي ان الصدقة افضل وبه قال مالك وابو ثور وفيه قول ثان وهو ان الضحية افضل هذا قول ربيعة وابي الزناد وبه قال اصحاب الراي زاد ابو عمر واحمد بن حنبل قالوا الضحية افضل من الصدقة لان الضحية سنة وكيدة كصلاة العيد ومعلوم ان صلاة العيد افضل من سائر النوافل وكذلك صلوات السنن افضل من التطوع كله قال ابو عمر وقد روي في فضل الضحايا اثار حسان فمنها ما رواه سعيد بن داود بن ابي الزنبر عن مالك عن ثور بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نفقة بعد صلة الرحم افضل عند الله من اهراق الدم قال ابو عمر وهو حديث غريب من حديث مالك وعن عائشة قالت يا ايها الناس ضحوا وطيبوا انفسا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد توجه باضحيته الى القبلة الا كان دمها وقرنها وصوفها حسنات محضرات في ميزانه يوم القيامة فان الدم ان وقع في التراب فانما يقع في حرز الله حتى يوفيه صاحبه يوم القيامة ذكره ابو عمر في كتاب التمهيد وخرج الترمذي ايضا عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عمل ابن ادم من عمل يوم النحر احب الى الله من اهراق الدم انه ليأتي يوم القيامة بقرونها واشعارها واظلافها وان الدم ليقع من الله بمكان قبل ان يقع الى الارض فطيبوا بها نفسا قال وفي الباب عن عمران بن حصين وزيد بن ارقم وهذا حديث حسن العاشرة الضحية ليست بواجبة ولكنها سنة وقال عكرمة كان ابن عباس يبعثني يوم الاضحى بدرهمين اشتري له لحما ويقول من لقيت فقل هذه اضحية ابن عباس قال ابو عمر وحمل هذا وما روي عن ابي بكر وعمر انهما لا يضحيان عند اهل العلم لئلا يعتقد فيها للمواظبة عليها انها واجبة فرض وكانوا ائمة يقتدي بهم من بعدهم ممن ينظر في دينه اليهم لانهم الواسطة بين النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم وبين امته فساغ لهم من الاجتهاد في ذلك ما لا يسوغ لغيرهم وقد حكى الطحاوي في مختصره قال ابو حنيفة الاضحية واجبة على المقيمين الواجدين من اهل الامصار ولا تجب على المسافر قال ويجب على الرجل من الاضحية على ولده الصغير مثل الذي يجب عليه في نفسه وخالفه ابو يوسف ومحمد فقالا ليست بواجبة ولكنها سنة غير مرخص لمن وجد السبيل اليها في تركها قال وبه ناخذ قال ابو عمر وهذا قول مالك قال لا ينبغي لاحد تركها مسافرا او مقيما فان تركها فبئس ما صنع الا ان يكون له عذر الا الحاج بمنى وقال الامام الشافعي هي سنة على جميع الناس وعلى الحاج بمنى وليست بواجبة وقد احتج من اوجبها بان النبي صلى الله عليه وسلم امر ابا بردة ابن نيار ان يعيد ضحية اخرى لان ما لم يكن فرضا لا يؤمر فيه بالاعادة احتج الاخرون بحديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا دخل العشر واراد احدكم ان يضحي قالوا فلو كان ذلك واجبا لم يجعل ذلك الى ارادة المضحي وهو قول ابي بكر وعمر وابي مسعود البدري وبلال الحادية عشرة الذي يضحى به باجتماع المسلمين الازواج الثمانية وهي الضان والمعز والابل والبقر قال ابن المنذر وقد حكي عن الحسن بن صالح انه قال يضحى ببقرة الوحش عن سبعة وبالظبي عن رجل وقال الامام الشافعي في لو نزا ثور وحشي على بقرة انسية او ثور انسي على بقرة وحشية لا يجوز شيء من هذا اضحية وقال اصحاب الراي جائز لان ولدها بمنزلة امه وقال ابو ثور يجوز اذا كان منسوبا الى الانعام الثانية عشرة قد مضى في سورة الحج الكلام في وقت الذبح والاكل من الاضحية مستوفى وفي صحيح مسلم عن انس قال ضحى النبي صلى الله عليه وسلم بكبشين املحين اقرنين ذبحهما بيده وسمى وكبر ووضع رجله على صفاحهما في رواية قال ويقول بسم الله والله اكبر وقد مضى في اخر الانعام حديث عمران بن حصين ومضى في المائدة القول في التذكية وبيانها وما يذكى به وان ذكاة الجنين ذكاة امه مستوفى وفي صحيح مسلم عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر بكبش اقرن يطا في سواد ويبرك في سواد وينظر في سواد فاتي به ليضحي به فقال يا عائشة هلمي المدية ثم قال اشحذيها بحجر ففعلت ثم اخذها واخذ الكبش فاضجعه ثم ذبحه ثم قال بسم الله اللهم تقبل من محمد وال محمد ومن امة محمد ثم ضحى به وقد اختلف العلماء في هذا فكان الحسن البصري يقول في الاضحية بسم الله والله اكبر هذا منك ولك تقبل من فلان وقال مالك ان فعل ذلك حسن وان لم يفعل وسمى الله اجزاه وقال الشافعي والتسمية على الذبيحة بسم الله فان زاد بعد ذلك شيئا من ذكر الله او صلى على محمد عليه السلام لم اكرهه وقال اللهم تقبل مني او قال تقبل من فلان فلا باس به وقال النعمان يكره ان يذكر مع اسم الله غيره يكره ان يقول اللهم تقبل من فلان عند الذبح وقال لا باس اذا كان قبل التسمية وقبل ان يضجع للذبح وحديث عائشة يرد هذا القول وقد تقدم ان ابراهيم عليه السلام قال لما اراد ذبح ابنه الله اكبر والحمد لله فبقي سنة الثالثة عشرة روى البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ماذا يتقى من الضحايا فاشار بيده وقال اربع وكان البراء يشير بيده ويقول يدي اقصر من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم العرجاء البين ظلعها والعوراء البين عورها والمريضة البين مرضها والعجفاء التي لا تنقي لفظ مالك ولا خلاف فيه واختلف في اليسير من ذلك وفي الترمذي عن علي رضي الله عنه قال امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نستشرف العين والاذن وان لا نضحي بمقابلة ولا مدابرة ولا شرقاء ولا خرقاء قال والمقابلة ما قطع طرف اذنها والمدابرة ما قطع من جانب الاذن والشرقاء المشقوقة والخرقاء المثقوبة وقال هذا حديث حسن صحيح وفي الموطا عن نافع ان عبد الله بن عمر كان يتقي من الضحايا والبدن التي لم تسن والتي نقص من خلقها قال مالك وهذا احب ما سمعت الي قال القتبي لم تسنن اي لم تنبت اسنانها كانها لم تعط اسنانا وهذا كما يقال فلان لم يلبن اي لم يعط لبنا ولم يسمن اي لم يعط سمنا ولم يعسل اي لم يعط عسلا وهذا مثل النهي في الاضاحي عن الهتماء وقال ابو عمر ولا باس ان يضحى عند مالك بالشاة الهتماء اذا كان سقوط اسنانها من الكبر والهرم وكانت سمينة فان كانت ساقطة الاسنان وهي فتية لم يجز ان يضحى بها لانه عيب غير خفيف

والنقصان كله مكروه وشرحه وتفصيله في كتب الفقه وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم استفرهوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم ذكره الزمخشري الرابعة عشر ودلت الاية
على ان من نذر نحر ابنه او ذبحه ان الله يفديه بكبش كما فدى به ابراهيم ابنه قال ابن عباس
وعنه رواية اخرى ينحر مائة من الابل كما فدى بها عبد المطلب ابنه روى الروايتين عنه الشعبي
وروي عن القاسم بن محمد تجزيه كفارة يمين وقال مسروق لا شي عليه وقال الشافعي
هو معصية يستغفر الله منها وقال ابو حنيفة هي كلمة يلزمه بها في ولده ذبح شاة ولا يلزمه
في غير ولده شيا وقال محمد عليه في الحلف بنحر عبده مثل الذي عليه في الحلف بنحر ولده
اذا حنث وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال انا انحر ولدي عند مقام ابراهيم في يمين
ثم حنث فعليه هدي قال ومن نذر ان ينحر ابنه ولم يقل عند مقام ولا اراده ولا شي عليه
قال ومن جعل ابنه هديا اهدى عنه قال القاضي ابن العربي يلزمه شاة كما قال
ابو حنيفة لان الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعا فالزم الله تعالى
ابراهيم ذبح الولد واخرجه عنه بذبح شاة كذلك اذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه ان يذبح
شاة لان الله تعالى قال ملة ابيكم ابراهيم والايمان التزام اصلي والنذر التزام فرعي
فيجب ان يكون محمولا عليه فان قيل كيف يومر ابراهيم بذبح الولد وهي معصية والامر بالمعصية
لا يجوز قلنا هذا اعتراض على كتاب الله تعالى ولا يكون ذلك ممن يعتقد الاسلام فكيف
بمن يفتي في الحلال والحرام وقد قال الله تعالى افعل ما تومر والذي يجلو الالتباس
عن قلوب الناس في ذلك ان المعاصي والطاعات ليست باوصاف ذاتية للاعيان وانما
الطاعة عبارة عما تعلق به الامر من الافعال والمعصية عما تعلق به النهي عن الافعال
فلما تعلق الامر بذبح الولد اسماعيل من ابراهيم صار طاعة وابتلاء وقد قال الله تعالى ان
هذا لهو البلاء المبين في الصبر على ذبح الولد والنفس ولما تعلق النهي بنا في ذبح ابنائنا
صار معصية لو كان يقصد ذبح الولد بنذره ولا نوى الفدا فان قيل فلو وقع ذلك
وقصد المعصية ولم ينو الفدا قلنا لو قصد ذلك لم يضره في قصده ولا اثر في نذره لان ذبح
الولد صار عبارة عن ذبح الشاة شرعا الخامسة عشر قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين
اي على ابراهيم ثنا جميلا في الامم بعده فما من امة الا تصلي عليه وتحبه وقيل هو دعا
ابراهيم عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الاخرين وقال عكرمة هو السلام على
ابراهيم اي سلاما منا وقيل سلامة له من الافات مثل سلام على نوح في العالمين حسب
ما تقدم كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين اي من الذين اعطوا العبودية حقها
حتى استحقوا الاضافة الى الله تعالى السادسة عشر قوله تعالى وبشرناه باسحاق نبيا
من الصالحين قال ابن عباس بشر بنبوته وذهب الى ان البشارة كانت مرتين فعلى
هذا الذبيح هو اسحاق بشر بنبوته جزاء على صبره ورضاه بامر ربه واستسلامه له
وباركنا عليه وعلى اسحاق اي ثنينا عليه النعمة وقيل كثرنا ولدهما اي باركنا على ابراهيم
واولاده وعلى اسحاق حين اخرج انبيا بني اسرائيل من صلبه وقد قيل ان الكناية في عليه
تعود على اسماعيل وانه هو الذبيح قال المفضل الصحيح الذي يدل عليه القران
انه اسماعيل وذلك انه قص قصة الذبيح فلما قال في اخر القصة وفديناه بذبح عظيم
ثم قال سلام على ابراهيم كذلك نجزي المحسنين قال وبشرناه باسحاق نبيا من الصالحين
وباركنا عليه وعلى اسحاق اي على اسماعيل وعلى اسحاق كني عنه لانه قد تقدم ذكره
ثم قال ومن ذريتهما فدل على انها ذرية اسماعيل واسحاق وليس تختلف الرواة
في ان اسماعيل كان اكبر من اسحاق بثلاث عشرة سنة قلت قد ذكرنا اولا ما يدل
على ان اسحاق اكبر من اسماعيل وان المبشر به هو اسحاق بنص التنزيل فاذا كانت
البشارة باسحاق نصا فالذبيح لا شك هو اسحاق وبشر به ابراهيم مرتين الاولى
بولادته والثانية بنبوته كما قال ابن عباس ولا تكون النبوة الا في حال الكبر
ونبيا نصب على الحال والهاء في وباركنا عليه عائدة الى ابراهيم وليس لاسماعيل في الاية
ذكر حتى ترجع الكناية اليه واما ما روي من طريق معاوية قال سمعت رجلا يقول للنبي

صلى

صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال معاوية ان عبد
المطلب لما حفر بير زمزم نذر ان سهل الله عليه امرها ليذبحن احد ولده لله فسهل الله عليه
امرها فوقع السهم على عبد الله فمنعه اخواله بنو مخزوم وقالوا افد ابنك ففداه بمائة من
الابل وهو الذبيح واسماعيل هو الذبيح الثاني فلا حجة فيه لان سنده لا يثبت على ما ذكرناه
في كتاب الاعلام في معرفة رسول الله عليه السلام ولان العرب تجعل العم ابا قال الله تعالى
نعبد الهك واله ابايك ابراهيم واسماعيل واسحاق وقال تعالى ورفع ابويه على العرش
وهما ابوه وخالته وكذلك ما روي عن الشاعر الفرزدق عن ابي هريرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم لو صح اسناده فكيف والفرزدق في نفسه مقال السابعة عشر قوله تعالى ومن
ذريتهما محسن وظالم لما ذكر البركة في الذرية والكثرة قال منهم محسن ومنهم مسي وان
المسي لا ينفعه بنوة النبوة فاليهود والنصارى وان كانوا من ولد اسحاق والعرب
وان كانوا من ولد اسماعيل فلا بد من الفرق بين المحسن والمسي والمومن والكافر وفي
التنزيل وقالت اليهود والنصارى نحن ابنا الله واحباوه الاية اي ابنا رسل الله فرءوا
لانفسهم فضلا وقد تقدم قوله تعالى ولقد مننا على موسى وهرون لما ذكر انجا
اسحاق من الذبح وما من به عليه بعد من النبوة ذكر ما من به ايضا على موسى وهرون من
ذلك وقوله من الكرب العظيم اي من الرق الذي لحق بني اسرائيل وقيل من الغرق الذي لحق
فرعون ونصرناهم قال الفرا الضمير لموسى وهرون وحدهما وهذا على ان الاثنين جمع
دليله قوله واتيناهما وهديناهما وقيل الضمير لموسى وهارون وقومهما وهذا هو الصواب
لان قبله ونجيناهما وقومهما والكتاب المستبين التورية يقال استبان كذا اي صار بينا
واستبانه فلان مثل تبين الشي بنفسه وتبينه فلان والصراط المستقيم الدين
القويم الذي لا اعوجاج فيه وهو دين الاسلام وتركنا عليهما في الاخرين يريد الثنا
الجميل سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزي المحسنين انهما من عبادنا المومنين تقدم
قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين قال المفسرون الياس نبي من بني اسرائيل
وروي عن ابن مسعود قال اسرائيل هو يعقوب والياس هو ادريس وقرا وان ادريس
وقاله عكرمة وقال هو في مصحف عبد الله وان ادريس لمن المرسلين وانفرد بهذا
القول وقال ابن عباس هو عم اليسع وقال ابن اسحاق وغيره كان القيم بامر بني
اسرائيل بعد يوشع كالب بن يوقنا ثم حزقيل ثم لما قبض الله حزقيل النبي عليه السلام
عظمت الاحداث في بني اسرائيل ونسوا عهد الله وعبدوا الاوثان من دونه فارسل
الله اليهم الياس نبيا وتبعه اليسع وامن به فلما عتا عليه بنو اسرائيل دعا ربه ان يريحه
منهم فقيل له اخرج يوم كذا وكذا الى موضع كذا فما استقبلك من شي فاركبه ولا تهبه
فخرج ومعه اليسع فقال يا الياس ما تامرني فقذف اليه بكسائه من الجو الاعلى فكان
ذلك علامة استخلافه اياه على بني اسرائيل وكان ذلك اخر العهد به وقطع الله عن الياس
لذة المطعم والمشرب وكساه الريش والبسه النور وطار مع الملايكة فكان انسيا ملكيا
سماويا ارضيا قال ابن قتيبة وذلك لان الله تعالى قال لالياس سلني اعطيك قال
ترفعني اليك وتوخر عني مذاقة الموت فصار يطير مع الملايكة وقال بعضهم كان قد
مرض واحس بالموت فبكى فاوحى الله اليه لم تبكي حرصا على الدنيا او جزعا من الموت
او خوفا من النار قال لا ولا شي من هذا وعزتك انما جزعي كيف يحمدك الحامدون
بعدي ولا احمدك ويذكرك الذاكرون بعدي ولا اذكرك ويصوم الصايمون بعدي ولا
اصوم ويصلي المصلون ولا اصلي فقيل له يا الياس وعزتي لاوخرنك الى وقت لا يذكرني
فيه ذاكر يعني يوم القيامة وقال عبد العزيز بن ابي رواد ان الخضر والياس عليهما السلام
يصومان شهر رمضان في كل عام ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام وذكر ابن
ابي الدنيا انهما يقولان عند افتراقهما عن الموسم ما شا الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله
ما شا الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله ما شا الله ما شا الله ما شا الله ما يكون من
نعمة فمن الله ما شا الله ما شا الله ما شا الله توكلت على الله حسبنا الله ونعم الوكيل وقد

معصى في الكهف وذكر من طريق مكحول عن انس قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بفج الناقة عند الحجر اذا نحن بصوت يقول اللهم اجعلني من امة محمد المرحومة المغفور لها المتوب عليها المستجاب لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا انس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فاذا انا برجل ابيض اللحية والراس عليه ثياب بيض طوله اكثر من ثلثماية ذراع فلما نظر الي قال انت رسول النبي قلت نعم قال ارجع اليه فاقريه مني السلام وقل هذا اخوك الياس يريد لقاك فجا النبي صلى الله عليه وسلم وانا معه حتى اذا كنا قريبا منه تقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخرت فتحدثا طويلا فنزل عليهما من السما شي يشبه السفرة فدعواني فاكلت معهما فاذا فيها كماة ورمان وكرفس فلما اكلت قمت فتنحيت وجات سحابة فاحتملته فاذا انا انظر الى بياض ثيابه فيها تهوي به فقلت للنبي صلى الله عليه وسلم بابي انت وامي هذا الطعام الذي اكلنا من السما نزل عليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم سالته عنه فقال ياتيني جبريل به في كل اربعين يوما اكلة وفي كل حول شربة من زمزم وربما رايته على الجب يملا بالدلو فيشرب وربما سقاني قوله تعالى اذ قال لقومه يعني لبني اسرايل الا تتقون يعني الله جل وعز وتخافون عقابه اتدعون بعلا اسم صنم كانوا يعبدونه وبذلك سميت مدينتهم بعلبك قاله مقاتل اختلف الناس في قوله عز وجل بعلا فقالت طايفة البعل ها هنا الصنم وقالت طايفة البعل ها هنا ملك وقال ابن اسحاق امراة كانوا يعبدونها والاول اكثر وروى الحكم بن ابان عن عكرمة عن ابن عباس اتدعون بعلا قال ربا النحاس والقولان صحيحان اي اتدعون صنما عملتموه ربا يقال هذا بعل الدار اي ربها فالمعنى اتدعون ربا اختلقتموه واتدعون بمعنى اتسمون حكى ذلك سيبويه وقال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي البعل الرب بلغة اليمن وسمع ابن عباس رجلا من اهل اليمن يسوم ناقة بمنى فقال من بعل هذه اي من ربها ومنه سمي البعل زوجا قال ابو داود

ورايت بعلك في الوغا ❊ متقلدا سيفا ورمحا ❊

مقاتل صنم كسره الياس وهرب منهم وقيل كان من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله اربعة اوجه فتنوا به وعظموه حتى اخدموه اربعماية سادن وجعلوهم انبياه فكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس وهم اهل بعلبك من بلاد الشام وبه سميت مدينتهم بعلبك كما ذكرنا وتذرون احسن الخالقين اي احسن من قيل له خالق وقيل المعنى احسن الصانعين لان الناس يصنعون ولا يخلقون الله ربكم ورب اباكم الاولين بالنصب في الاسما الثلثة قرا الربيع بن خثيم والحسن بن ابي اسحاق وابن وثاب والاعمش وحمزة والكساي واليها يذهب ابو عبيد وابو حاتم وحكى ابو عبيد انها على النعت قال النحاس وهو غلط وانما هو على البدل ولا يجوز النعت لانه ليس بتحلية وقرا ابن كثير وابو عمرو وعاصم وابو جعفر وشيبة ونافع بالرفع قال ابو حاتم بمعنى هو الله ربكم قال النحاس واولى مما قال انه مبتدا وخبر بغير اضمار ولا حذف ورايت علي بن سليمن يذهب الى ان الرفع اولى واحسن لان قبله راس اية فالاستيناف اولى قال ابن الانباري من نصب او رفع لم يقف على احسن الخالقين على جهة التمام لان الله مردود على احسن الخالقين من الوجهين جميعا قوله تعالى فكذبوه اخبر عن قوم الياس انهم كذبوه فانهم لمحضرون اي في العذاب الا عباد الله المخلصين اي من قومه فانهم نجوا من العذاب وقرى المخلصين وقد تقدم وتركنا عليه في الاخرين تقدم سلام على ال ياسين قرا الاعرج وشيبة ونافع وقرا عكرمة وابو عمرو وابن كثير وحمزة والكساي سلام على الياسين وقرا الحسن سلام على الياسين بوصل الالف كانها ياسين دخلت عليها الالف واللام التي للتعريف والمراد الياس عليه السلام وعليه وقع التسليم ولكنه اسم اعجمي والعرب تضطرب في هذه الاسما الاعجمية ويكثر تغييرهم

لها قال ابن جني العرب تتلاعب بالاسما الاعجمية تلاعبا فياسين والياس والياسين شي واحد الزمخشري وكان حمزة اذا وصل نصب واذا رفع وقرى على ال ياسين وادريس وادراسين على انها لغات في الياس وادريس ولعل لزيادة اليا والنون في السريانية معنى النحاس ومن قرا سلام على ال ياسين فكانه والله اعلم جعل اسمه وياسين ثم سلم على اله اي على اهل دينه ومن كان على مذهبه وعلم انه اذا سلم على اله من اجله فهو داخل في السلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على ال ابي اوفى وقال الله عز وجل ادخلوا ال فرعون اشد العذاب ومن قرا الياسين فللعلما فيه غير قول فروى هرون عن ابن ابي اسحاق قال الياسين مثل ابراهيم يذهب الى انه اسم له وابو عبيدة يذهب الى انه جمع التسليم على انه واهل بيته سلم عليهم وانشد قد نى من نصر الخبيبين قدى يقال قدني وقدى بمعنى حسب وانما يريد ابا خبيب عبد الله ابن الزبير فجمعه على ان من كان على مذهبه داخل معه وغير ابي عبيدة يرويه الخبيبين على التثنية يريد عبد الله ومصعبا ورايت علي بن سليمن يشرحه باكثر من هذا قال العرب تسمي قوم الرجل باسم الرجل الجليل منهم فيقولون المهالبة على انهم سموا كل رجل منهم بالمهلب قال فعلى هذا سلام على الياسين سمى كل رجل منهم بالياس وقد ذكر سيبويه في كتابه شيا من هذا الا انه ذكر ان العرب تفعل هذا على جهة النسبة فيقولون الاشعرون يريدون به النسب المهدوي ومن قرا الياسين فهو جمع يدخل فيه الياس فهو جمع الياسي فحذفت يا النسبة كما حذفت يا النسبة في الجمع المكسر في نحو المهالبة في جمع مهلبي كذلك حذفت في المسلم فقيل المهلبون وقد حكى سيبويه الاشعرون والنميرون يريد الاشعريين والنميريين السهيلي وهذا لا يصح بل هي لغة في الياس ولو اراد ما قالوه لادخل الالف واللام كما تدخل في المهالبة والاشعريين فكان يقول سلام على الالياسين لان العلم اذا جمع ينكر حتى يعرف بالالف واللام فالياس عليه السلام فيه ثلاث لغات النحاس واحتج ابو عبيد في قراته سلام على الياسين وانه اسمه كما ان اسمه الياس لانه ليس في السورة سلام على ال لغيره من الانبيا صلى الله عليهم وسلم فكما سمى الانبيا كذا سمي هو وهذا الاحتجاج اصله لابي عمرو وهو غير لازم لانا بينا قول اهل اللغة انه اذا سلم على اله من اجله فهو سلام عليه والقول بان اسمه الياسين يحتاج الى دليل ورواية تعتمد في الامر اشكال قال الماوردي وقرا الحسن سلام على ياسين باسقاط الالف واللام وفيه وجهان احدهما انهم ال محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس الثاني انهم ال ياسين فعلى هذا في دخول الزيادة في ياسين وجهان احدهما انها زيدت لتساوي الاي كما قال في موضع طور سينا وفي موضع اخر طور سينين فعلى هذا يكون السلام على اهله دونه وتكون الاضافة اليه تشريفا له الثاني انها دخلت للجمع فيكون داخلا في جملتهم فيكون السلام عليهم وعليه قال السهيلي قال بعض المتكلمين في معاني القران ال ياسين ال محمد عليه السلام ونزع الى قول من قال في تفسير ياسين يا محمد وهذا القول يبطل من وجوه كثيرة احدها ان سياقة الكلام في قصة الياسين يلزم ان تكون كما هي في قصة ابراهيم ونوح وموسى وهرون وان التسليم راجع اليهم ولا معنى للخروج عن مقصود الكلام لقول قيل في تلك الاية الاخرى مع ضعف ذلك القول ايضا فان يس وحم والم ونحو ذلك القول فيها واحد وانما هي حروف مقطعة اما ماخوذة من اسما الله تعالى كما قال ابن عباس واما من صفات القران واما كما قال الشافعي سر في كل كتاب سر وسره في القران فواتح القران وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي خمسة اسما ولم يذكر فيها يس وايضا فان يس جات التلاوة فيها بالسكون والوقف ولو كان اسما للنبي صلى الله عليه وسلم لقال ياسين بالضم كما قال تعالى يوسف ايها الصديق واذ ابطل هذا القول لما ذكرناه فالياسين هو الياس المذكور وعليه وقع التسليم وقال ابو عمرو بن العلا هو مثل ادريس وادراسين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المومنين وان لوطا لمن المرسلين تقدم قوله تعالى وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه واهله اجمعين الا عجوزا في الغابرين تقدم قصة لوط ثم دمرنا الاخرين اي بالعقوبة وانكم لتمرون عليهم مصبحين خاطب العرب

اي يمرون على منازلهم واثارهم مصبحين وقت الصباح وبالليل يمرون عليهم ايضا وتم
الكلام ثم قال فلا تعقلون تعتبرون وتتدبرون قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين
اذ ابق الى الفلك المشحون الى قوله للبث في بطنه الى يوم يبعثون فيه ثمان مسايل الاولى
قوله تعالى وان يونس لمن المرسلين يونس هو ذا النون وهو ابن متى وهو ابن العجوز الذي
نزل عليها الياس فاستخفا عندها من قومه ستة اشهر ويونس صبي يرضع وكانت ام يونس
تخدمه بنفسها وتوانسه ولا تدخر عنه كرامة عليها ثم ان الياس سيم ضيق البيوت فلحق
بالجبال ومات ابن المراة يونس فخرجت في اثر الياس تطوف وراه في الجبال حتى وجدته
فسالته ان يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجا الياس الى الصبي بعد اربعة عشر يوما من
موته فتوضا وصلى ودعا الله فاحيا الله يونس بن متى بدعوة الياس عليه السلام ارسل الله
يونس الى اهل نينوى من ارض الموصل وكانوا يعبدون الاصنام ثم تابوا حسب ما تقدم بيانه
في سورة يونس ومضى في الانبيا قصة يونس في خروجه مغاضبا واختلف في رسالته هل
كانت قبل التقام الحوت اياه او بعده فقال الطبري عن شهر بن حوشب ان جبريل عليه
السلام اتى يونس فقال انطلق الى اهل نينوى فانذرهم ان العذاب قد حضرهم قال
التمس حمارا فقال الامر اعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست
السفينة لا تقدم ولا تاخر قال فساهموا قال فسهم فجا الحوت يبصبص بذنبه فنودي
الحوت ايا حوت انا لم نجعل لك يونس رزقا انما جعلناك له حرزا ومسجدا قال فالتقمه الحوت
من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم انطلق حتى مر به على دجلة ثم انطلق حتى القاه في
نينوى حدثني الحرث قال حدثنا الحسن قال ثنا ابو هلال قال ثنا شهر ابن حوشب عن
ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت واستدل هولاء بان الرسول
لا يخرج مغاضبا لربه فكان ما جرى منه قبل النبوة وقال اخرون كان ذلك منه بعد
دعايه من ارسل اليهم ما امره الله بدعايهم اليه وتبليغه اياهم رسالة ربه ولكنه وعدهم
نزول ما كان حذرهم من باس الله في وقت وقته لهم ففارقهم اذ لم يتوبوا ولم يراجعوا الطاعة
لله فلما اظل القوم العذاب وغشيهم كما قال تعالى في تنزيله تابوا الى الله فرفع الله العذاب
عنهم وبلغ يونس سلامتهم وارتفاع العذاب الذي كان وعدهموه فغضب من ذلك وقال وعدتهم
وعدا فكذب وعدي فذهب مغاضبا لربه وكره الرجوع اليهم وقد جربوا عليه الكذب رواه
سعيد بن جبير عن ابن عباس وقد مضى بيانه هنا في الانبيا وهو الصحيح على ما ياتي
عند قوله تعالى وارسلناه الى مائة الف او يزيدون ولم ينصرف يونس لانه اسم اعجمي ولو
كان عربيا لانصرف وان كانت في اوله اليا لانه ليس في الكلام يفعل الا انك اذا سميت بيعفر
صرفته وان سميته بيغفر لم تصرفه الثانية قوله تعالى اذ ابق قال المبرد اصل ابق تباعد
ومنه غلام ابق وقال غيره انما قيل ليونس ابق لانه خرج بغير امر الله جل وعز مستترا
من الناس الى الفلك المشحون اي المملو والفلك يذكر ويونث ويكون واحدا وجمعا وقد
تقدم وقال الترمذي الحكيم سماه ابقا لانه ابق عن العبودية وانما العبودية ترك الهوى
وبذل النفس عند امور الله فلما لم يبذل النفس عندها استفزت عليه العزمة من الملك حسب
ما تقدم بيانه في الانبيا واتزهواه لزمه اسم الابق وكانت عزمة الملك في امر الله لا في امر
نفسه وبحظ حق الله لا بحظ نفسه فتحرى يونس ولم يصب الصواب عند الله فسماه ابقا
ومليما الثالثة قوله تعالى فساهم قال المبرد اي فقارع قال واصله من السهام التي تجال
فكان من المدحضين قال من المغلوبين قال الفرا دحضت حجته وادحضها الله واصله من
الزلق قال الشاعر

قتلنا المدحضين بكل فج ٭ فقد قرت بقتلهم العيون ٭

اي المغلوبين الرابعة قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم اي اتى بما يلام عليه فاما الملوم
فهو الذي يلام استحق ذلك او لم يستحق وقيل المليم المعيب يقال لام الرجل اذا عمل شيا
فصار معيبا بذلك العمل فلولا انه كان من المسبحين قال الكسائي لم تكسر ان لدخول اللام
لان اللام ليست لها والامر كما قال انما اللام في جواب لولا فلولا انه كان من المسبحين
اي من المصلين للبث في بطنه الى يوم يبعثون عقوبة له اي يكون بطن الحوت قبرا له الى

يوم

يوم القيامة عطا سبعة ايام واختلف كم اقام في بطن الحوت فقال السدي والكلبي ومقاتل
ابن سليمان اربعين يوما الضحاك عشرين يوما مقاتل بن حيان ثلاثة ايام وقيل ساعة واحدة
الخامسة روى الطبري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد
الله جل ذكره حبس يونس في بطن الحوت اوحى الى الحوت ان خذه ولا تخدش لحما ولا تكسر
عظما فاخذه ثم هوى به الى مسكنه من البحر فلما انتهى به الى اسفل البحر سمع يونس في نفسه
حسا فقال ما هذا فاوحى الله تبارك وتعالى اليه وهو في بطن الحوت قال فسمعت الملايكة
تسبيحه فقالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة قال ذلك عبدي يونس عصاني
فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فامر الله تعالى الحوت فقذفه في الساحل كما قال الله
تعالى وهو سقيم وكان سقمه الذي وصفه الله تعالى ذكره انه القاه الحوت على الساحل كالصبي
المنفوس قد نشر اللحم والعظم وقد روي ان الحوت سار مع السفينة رافعا راسه يتنفس فيه يونس
ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه سالما لم يتغير منه شي فاسلموا ذكره الزمخشري في تفسيره
وقال ابن العربي اخبرني غير واحد من اصحابنا عن امام الحرمين ابي المعالي عبد الملك بن عبد الله
ابن يوسف الجويني انه سيل عن الباري في جهة فقال لا هو يتعالى عن ذلك قيل له ما الدليل
عليه قال الدليل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فقيل له ما وجه
الدليل من هذا الخبر فقال لا اقوله حتى ياخذ ضيفي هذا الف دينار يقضي بها دينا فقام رجلان
فقالا هي علينا فقال لا يتبع بها اثنين لانه يشق عليه فقال واحد هي علي فقال ان يونس بن متى
رمى بنفسه في البحر فالتقمه الحوت وصار في قعر البحر في ظلمات ثلاث ونادى لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين كما اخبر الله ولم يكن محمد حين جلس على الرفرف الاخضر وارتقى به صعدا
حتى انتهى به الى موضع يسمع فيه صريف الاقلام وناجاه ربه بما ناجاه به واوحى اليه ما اوحى
باقرب من الله من يونس في بطن الحوت في ظلمة البحر السادسة ذكر الطبري ان يونس عليه
السلام لما ركب في السفينة اصاب اهلها عاصف من الريح فقالوا هذه بخطيئة احدكم فقال يونس
وعرف انه هو صاحب الذنب هذه خطيئتي فالقوني في البحر وانهم ابوا عليه حتى افاضوا
بسهامهم فساهم فكان من المدحضين فقال لهم قد اخبرتكم ان هذا الامر بذنبي وانهم ابوا عليه
حتى افاضوا بسهامهم الثانية فكان من المدحضين وانهم ابوا ان يلقوه في البحر حتى عادوا بسهامهم
الثالثة فكان من المدحضين فلما راى ذلك القى نفسه في البحر وذلك تحت الليل فابتلعه
الحوت وروي انه لما ركب السفينة تقنع ورقد فساروا غير بعيد اذ جاءتهم ريح كادت السفينة ان
تغرق فاجتمع اهل السفينة فدعوا فقالوا ايقظوا الرجل النايم يدعو معنا فدعا الله معهم
فرفع الله عنهم تلك الريح ثم انطلق يونس الى مكانه فانطلق فجاءت ريح كادت السفينة ان تغرق
فايقظوه ودعوا الله فارتفعت الريح قال فبينما هم كذلك اذ رفع حوت عظيم راسه اليهم
اراد ان يبتلع السفينة فقال لهم يونس يا قوم هذا من اجلي فلو طرحتموني في البحر لسرتم ولذهب
الريح عنكم والروع فقالوا لا نطرحك حتى نتساهم فمن وقعت عليه رميناه في البحر قال فتساهموا
فوقع على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فقالوا لا نفعل حتى نتساهم مرة
اخرى ففعلوا فوقع على يونس فقال لهم يا قوم اطرحوني فمن اجلي اتيتم فذلك قول الله
عز وجل فساهم فكان من المدحضين اي وقع السهم عليه فانطلقوا به الى صدر السفينة ليلقوه
في البحر فاذا بحوت فاتح فاه ثم جاءوا به الى جانب السفينة فاذا بالحوت ثم رجعوا به الى الجانب
الاخر فاذا بالحوت فاتح فاه فلما راى ذلك القى بنفسه فالتقمه الحوت فاوحى الله تعالى الى الحوت
اني لم اجعله لك رزقا ولكن جعلت بطنك له وعاء فمكث في بطن الحوت اربعين ليلة فنادى
في الظلمات لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم
وكذلك ننجي المومنين وقد تقدم وياتي هنا من العفو ان القرعة كانت معمولا بها
في شرع من قبلنا وجاءت في شرعنا على ما تقدم في ال عمران بيانه قال ابن العربي وقد وردت
القرعة في الشرع في ثلاث مواطن الاول كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد سفرا اقرع
بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها معه الثاني ان النبي صلى الله عليه وسلم رفع اليه ان

رجلا اعتق ستة أعبد لا مال له غيرهم فاقرع بينهم فاعتق اثنين وارق اربعة الثالث
ان رجلين اختصما اليه في مواريث قد درست فقال اذهبا وتوخيا الحق واستهما وليحلل
كل واحد منكما صاحبه فهذه ثلاثة مواطن وهي القسم في النكاح والعتق والقسمة وجريان
القرعة فيها لرفع الاشكال وحسم داء التشهي واختلف علماؤنا في القرعة بين الزوجات في
الغزو على قولين الصحيح منهما الاقتراع وبه قال فقهاء الامصار وذلك ان السفر بجميعهن لا يمكن
واختيار واحدة منهن ايثار فلم يبق الا القرعة وكذلك في مسئلة الاعبد الستة فان كل اثنين
منها ثلث وهو القدر الذي يجوز له فيه العتق في مرض الموت وتعيينها بالتشهي لا يجوز شرعا
فلم يبق الا القرعة وكذلك التشاجر اذا وقع في اعيان المواريث لم يميز الحق الا القرعة فصارت
اصلا في تعيين المستحق اذا اشكل قال والحق عندي ان تجري في كل مشكل فذلك ابين
لها واقوى لفصل الحكم فيها واجلى لرفع الاشكال عنها ولذلك قلنا ان القرعة بين الزوجات
في الطلاق كالقرعة بين الاماء في العتق السابعة الاقتراع على القاء الادمي في البحر لا يجوز وانما
كان ذلك في يونس وزمانه مقدمة لتحقيق برهانه وزيادة في ايمانه فانه لا يجوز لمن كان
عاصيا ان يقتل ولا يرمى به في النار او البحر وانما تجري عليه الحدود والتعزير على مقدار
جنايته وقد ظن بعض الناس ان البحر اذا هال على القوم فاضطروا الى تخفيف السفينة ان
القرعة تضرب عليهم فيطرح بعضهم تخفيفا وهذا فاسد فانها لا تخف برمي بعض الرجال
وانما ذلك في الاموال ولكنهم يصبرون على قضاء الله عز وجل الثامنة اخبر الله عز وجل ان
يونس كان من المسبحين وان تسبيحه كان سبب نجاته ولذلك قيل ان العمل الصالح يرفع
صاحبه اذا عثر قال ابن عباس من المسبحين من المصلين قال قتادة كان يصلي قبل ذلك
فحفظه الله عز وجل فنجاه وقال الربيع بن انس لولا انه كان له قبل ذلك عمل صالح للبث
في بطنه الى يوم يبعثون قال ومكتوب في الحكمة ان العمل الصالح يرفع ربه اذا عثر وقال
مقاتل من المسبحين من المصلين المطيعين قبل المعصية وقال وهب من العابدين وقال
الحسن ما كان له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا في حال الرخا فذكره الله به في
حال البلاء وان العمل الصالح ليرفع عن صاحبه واذا عثر وجد متكئا قلت ومن هذا المعنى
قوله صلى الله عليه وسلم من استطاع منكم ان تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل فيجتهد العبد
ويحرص على خصلة من صالح عمله يخلص فيها بينه وبين ربه ويدخرها ليوم فاقته وفقره
ويخبأها بجهده ويسترها عن خلقه يصل اليه نفعها احوج ما كان اليه وقد خرج البخاري ومسلم
من حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة نفر في رواية ممن كان
قبلكم يتماشون اخذهم المطر فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم الغار صخرة من الجبل
فقال بعضهم لبعض انظروا اعمالا عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله يفرجها عنكم
الحديث بكماله وهو مشهور شهرته اغنت عن تمامه وقال سعيد بن جبير لما قال في بطن
الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قذفه الحوت وقيل من المسبحين من
المصلين في بطن الحوت قلت والاظهر انه تسبيح اللسان الموافق للجنان وعليه يدل حديث
ابي هريرة المذكور قبل الذي ذكره الطبري قال فسبح في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه
قالوا يا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا بارض غريبة ويكون على هذا القول زائدة اي فلولا انه
من المسبحين وفي كتاب ابي داود عن سعيد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال دعاء ذي النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين لم يدع به
رجل مسلم في شيء قط الا استجيب له وقد مضى هذا في سورة الانبيا عليهم السلام فكان
قبل مصليا مسبحا في بطن الحوت كذلك وفي الخبر فنودي الحوت انا لم نجعل يونس
لك رزقا انما جعلناك له حرزا ومسجدا وقد تقدم قوله تعالى فنبذناه بالعراء وهو
سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين الراوي ان الحوت قذفه بساحل قريب من الموصل
وقال ابن قسيط عن ابي هريرة طرح يونس بالعراء وانبت الله عليه يقطينة فقلنا يا ابا هريرة
وما اليقطينة قال شجرة الدبا هيأ الله له اروية وحشية تاكل من خشاش الارض ومن خشاش
الارض فتفشج عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال سعيد بن جبير عن

ابن عباس قال خرج به يعني الحوت حتى لفظه من ساحل البحر فطرحه مثل الصبي المنفوس
لم ينقص من خلقه شيء وقيل ان يونس لما القاه الحوت على ساحل البحر انبت الله عليه شجرة
من يقطين وهي فيما ذكر شجرة القرع يتقطر عليه من اللبن حتى رجعت اليه قوته ثم رجع ذات
يوم الى الشجرة فوجدها يبست فحزن وبكى عليها فعوتب فقيل له احزنت على شجرة وبكيت عليها
ولم تحزن على مائة الف وزيادة من بني اسرائيل من اولاد ابراهيم خليلي اسرى في ايدي العدو
واردت اهلاكهم جميعا وقيل هي شجرة التين وقيل شجرة الموز تغطى بورقها واستظل باغصانها
وافطر على ثمارها والاكثر على انها شجرة اليقطين على ما ياتي ثم ان الله تبارك وتعالى اجتباه
فجعله من الصالحين ثم امره ان ياتي قومه ويخبرهم ان الله تعالى قد تاب عليهم فعمد اليهم حتى
لقي راعيا فسأله عن قوم يونس وعن حالهم وكيف هم فاخبره انهم بخير وانهم على رجاء ان يرجع
اليهم رسولهم فقال له فاخبرهم اني قد لقيت يونس فقال لا استطيع الا بشاهد فسمى
له عنزا من غنمه فقال هذه تشهد لك انك لقيت يونس قال وماذا قال وهذه شجرة تشهد
لك وهذه البقعة التي انت فيها تشهد لك انك لقيت يونس قال وماذا قال وهذه شجرة
تشهد لك انك لقيت يونس وانه رجع الراعي الى قومه فاخبرهم انه لقي يونس فكذبوه وهموا
به شرا فقال لا تعجلوا علي حتى اصبح فلما اصبح غدا بهم الى البقعة التي فيها يونس فاستنطقها
فاخبرتهم انه لقي يونس واستنطق الشاة والشجرة فاخبرتاهم انه لقي يونس ثم ان يونس اتاهم
بعد ذلك ذكر هذا الخبر وما قبله الطبري رحمه الله ونبذناه طرحناه وقيل تركناه بالعراء
بالصحراء قال ابن الاعرابي الاخفش بالفضاء ابو عبيدة الواسع من الارض الفراء العراء المكان
الخالي قال وقال ابو عبيدة العراء وجه الارض وانشد لرجل من خزاعة

رفعت رجلا لا اخاف عثارها * ونبذت بالعراء ثيابي

وحكى الاخفش في قوله وهو سقيم وسقام وقال في هذه السورة فنبذناه بالعراء
وهو مذموم والجواب ان الله جل وعز اخبر ههنا انه نبذه بالعراء وهو غير مذموم ولولا رحمة
الله عز وجل لنبذ بالعراء وهو مذموم قاله النحاس قوله وانبتنا عليه شجرة من يقطين
اليقطين شجرة الدبا يعني عليه اي عنده كقوله تعالى ولهم علي ذنب اي عندي وقيل عليه
بمعنى له شجرة من يقطين اليقطين شجرة الدبا وقيل غيرها ذكره ابن الاعرابي وفي الخبر
الدبا والبطيخ من الجنة وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال المبرد يقال لكل شجرة ليس
لها ساق يفترش ورقها على الارض يقطينة نحو الدبا والبطيخ والحنظل فان كان لها ساق
يقلها فهي شجرة فقط وان كانت قائمة اي بعروق تفترش فهي نجمة وجمعها نجم قال الله تعالى
والنجم والشجر يسجدان وروي نحوه عن ابن عباس والحسن ومقاتل قالوا كل نبت يمتد
وينبسط على الارض ولا يبقى على استواء وليس له ساق نحو القثاء والبطيخ والقرع والحنظل
فهو يقطين وقال سعيد بن جبير هو كل شيء ينبت ثم يموت من عامه فيدخل في هذا الموز
قلت وهو مما له ساق الجوهري واليقطين ما لا ساق له كشجر القرع ونحوه الزجاج اشتقاق
اليقطين من قطن بالمكان اي اقام به فهو يفعيل وقيل هو اسم اعجمي وقيل انما خص اليقطين
بالذكر لانه لا يقع عليه ذباب وقيل ما كان ثم يقطين فانبته الله في الحال القشيري وفي
الاية ما يدل على انه كان مفرشا ليكون له ظل الثعلبي كانت تظله فرأى خضرتها فاعجبته
فيبست فجعل يحزن عليها فقيل له يا يونس انت الذي لم تخلق ولم تسق ولم تنبت تحزن على
شجرة فانا الذي خلقت مائة الف من الناس او يزيدون تريد مني ان استاصلهم في ساعة
واحدة وقد تابوا وتبت عليهم فاين رحمتي يا يونس انا ارحم الراحمين وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه كان ياكل الثريد باللحم والقرع وكان يحب القرع ويقول انها شجرة
اخي يونس وقال انس قدم للنبي صلى الله عليه وسلم مرق فيه دبا وقديد فجعل يتتبع
الدبا من حوالي القصعة قال انس فلم ازل احب الدبا يومئذ خرجه الائمة قوله تعالى
وارسلناه الى مائة الف او يزيدون قد تقدم عن ابن عباس ان رسالة يونس عليه السلام
انما كانت بعد ما نبذه الحوت وليس له طريق الا عن شهر بن حوشب النحاس واجود منه
اسنادا واصح ما حدثناه علي بن الحسين قال حدثنا علي بن محمد قال ثنا عمرو العنقزي قال

ثنا اسرايل عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون قال ثنا عبد الله بن مسعود في بيت المال عن يونس النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يونس وعد قومه العذاب واخبرهم ان ياتيهم الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وخرجوا فجاروا الى الله عز وجل واستغفروا فكف الله عنهم العذاب وغدا يونس عليه السلام ينتظر العذاب فلم ير شيئا وكان من كذب ولم تكن له بينة قتل فخرج يونس مغاضبا فاتى قوما في سفينة فحملوه وعرفوه فلما دخل السفينة ركدت السفينة والسفن تسير يمينا وشمالا فقالوا ما لسفينتكم قالوا لا ندري فقال يونس عليه السلام ان فيها عبدا ابق من ربه عز وجل وانها لن تسير حتى تلقوه قالوا اما انت يا نبي الله فانا لا نلقيك فاقترعوا فمن قرع فليقع فاقترعوا فقرعهم يونس ثلاث مرات او قال ثلاثا فوقع وقد وكل الله به حوتا فابتلعه وهو يهوي به الى قرار الارض فسمع يونس عليه السلام تسبيح الحصا فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قال ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت قال فنبذناه بالعراء وهو سقيم قال كهيئة الفرخ الممعوط الذي ليس عليه ريش قال وانبت الله عليه شجرة من يقطين فنبتت فكان يستظل بها ويصيب منها فيبست فبكى عليها فاوحى الله عز وجل اليه ابتكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة الف او يزيدون اردت ان تهلكهم قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو بغلام يرعى قال يا غلام من انت قال من قوم يونس قال فاذا جئت اليهم فاخبرهم انك لقيت يونس قال ان كنت يونس فقد علمت انه من كذب قتل اذا لم تكن له بينة قال تشهد لي هذه الشجرة وهذه البقعة قال مرهما فقال لهما يونس اذا جاءكما هذا الغلام فاشهدا له قالتا نعم قال فرجع الغلام الى قومه وكان في منعه وكان له اخوة فاتى الملك فقال اني قد لقيت يونس وهو يقرا عليك السلام قال فامر به ان يقتل فقالوا ان له بينة فارسلوا معه فاتى الشجرة والبقعة فقال لهما انشدكما بالله عز وجل اتشهدان اني لقيت يونس قالتا نعم قال فرجع القوم مذعورين يقولون تشهد له الشجرة والارض فاتوا الملك فاخبروه بما راوا قال عبد الله فتناول الملك يد الغلام فاجلسه في مجلسه فقال انت احق بهذا المكان مني قال عبد الله فاقام لهم ذلك الغلام امرهم اربعين سنة قال ابو جعفر النحاس فقد تبين في هذا الحديث ان يونس كان قد ارسل قبل ان يلتقمه الحوت بهذا الاسناد الذي لا يؤخذ بالقياس وفيه ايضا من الفائدة ان قوم يونس امنوا وندموا قبل ان يروا العذاب لان فيه انه اخبرهم انه ياتيهم العذاب الى ثلاثة ايام ففرقوا بين كل والدة وولدها وهذا هو الصحيح في الباب فاثم يكن حكم الله عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال الاية وقال بعض العلماء انهم راوا مخايل العذاب فتابوا وهذه الاية نسخ وقد تقدم ما للعلماء في سورة يونس فلينظر هناك قوله تعالى او يزيدون قد مضى في البقرة محامل او وفي قوله تعالى او اشد قسوة وقال الفراء او بمعنى بل وقال غيره انها بمعنى الواو ومنه قول الشاعر

• فلما اشتد امر الحرب فينا • تاملنا رياحا او رزاما •

اي ورزاما وهذا كقوله تعالى وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب وقرا جعفر ابن محمد الى مائة الف ويزيدون بغير همز فيزيدون في موضع رفع بانه خبر مبتدا اي وهم يزيدون النحاس ولا يصح هذان القولان عند البصريين وانكروا كون او بمعنى بل وبمعنى الواو لان بل للاضراب عن الاول والايجاب لما بعده وتعالى الله عز وجل عن ذلك او الخروج من شيء الى شيء وليس هذا موضع ذلك والواو معناه خلاف معنى او فلو كان احدهما بمعنى الاخر لبطلت المعاني ولو جاز ذلك لكان وارسلناه الى اكثر من مائة الف اخصر وقال المبرد المعنى وارسلناه الى جماعة لو رايتموهم لقلتم هم مائة الف او اكثر وانما خوطب العباد على ما يعرفون وقيل هو كما تقول جاءني زيد او عمرو وانت تعرف من جاءك منهما الا انك ابهمت على المخاطب وقال الاخفش والزجاج اي او يزيدون في تقديركم وقال ابن عباس زادوا على مائة الف عشرين الفا ورواه ابي بن كعب مرفوعا وعن ابن عباس ايضا ثلاثين الفا الحسن والربيع بضعا وثلاثين الفا وقال مقاتل بن حيان سبعين الفا فامنوا فمتعناهم الى حين اي الى منتهى اجالهم

قوله

قوله تعالى فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون لما ذكر اخبار الماضين تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم احتج على كفار قريش في قولهم ان الملائكة بنات الله فقال فاستفتهم وهو معطوف على مثله في اول السورة وان تباعدت بينهما المسافة اي فاسال يا محمد اهل مكة الربك البنات وذلك ان جهينة وخزاعة وبني مليح وبني سلمة وعبد الدار زعموا ان الملائكة بنات الله وهذا سؤال توبيخ ام خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون اي حاضرون لخلقنا اياهم اناثا وهذا كما قال جل وعز وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اشهدوا خلقهم ثم قال الا انهم من افكهم وهو اسوا الكذب ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قولهم ان لله ولدا وهو الذي لا يلد ولا يولد وان بعد الا مكسورة لانها مبتدا وحكى سيبويه انها تكون بعد اما مفتوحة ومكسورة فالفتح على ان تكون اما بمعنى حقا والكسر على ان تكون ما بمعنى الا النحاس وسمعت علي بن سليمان يقول يجوز فتحها بعد الا تشبيها باما فاما في الاية فلا يجوز الا كسرها لان بعدها اللام وتمام الكلام لكاذبون ثم يبتدي اصطفى على معنى التقريع والتوبيخ كانه قال ويحكم اصطفى البنات اي اختار البنات وترك البنين وقراءة العامة اصطفى بقطع الالف لانها الف استفهام دخلت على الف الوصل فحذفت الف الوصل وبقيت الف الاستفهام مفتوحة مقطوعة على حالها مثل اطلع الغيب على ما تقدم وقرا ابو جعفر وشيبة ونافع وحمزة اصطفى بوصل الالف على الخبر بغير استفهام واذا ابتدا كسر الهمزة وزعم ابو حاتم انه لا وجه لها لان بعدها ما لكم كيف تحكمون فالكلام جار على التوبيخ من جهتين احداهما ان يكون تبيينا وتفسيرا لما قالوه من الكذب ويكون ما لكم كيف تحكمون منقطعا مما قبله والجهة الثانية انه قد حكى النحويون منهم الفراء ان التوبيخ يكون باستفهام وبغير استفهام كما قال عز وجل اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وقيل اي على اضمار القول اي ويقولون اصطفى البنات او يكون بدلا من قوله ولد الله لان ولادة البنات واتخاذهن اصطفاء لهن فابدل مثال الماضي من مثال الماضي فلا يوقف على هذا على لكاذبون افلا تذكرون في انه لا يجوز ان يكون له ولد ام لكم سلطان مبين حجة وبرهان فاتوا بكتابكم اي بحجتكم ان كنتم صادقين في قولكم قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا اكثر اهل التفسير ان الجنة ها هنا الملائكة روى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال قالوا يعني كفار قريش الملائكة بنات الله عز وجل فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه فمن امهاتهن قالوا مخدرات الجن وقال اهل الاشتقاق قيل لهم جنة لانهم لا يرون وقال مجاهد انهم بطن من بطون الملائكة يقال لهم الجنة وروي عن ابن عباس وروى اسرائيل عن السدي عن ابي مالك قال انما قيل لهم جنة لانهم خزان على الجنان والملائكة كلهم جنة نسبا مصاهرة قال قتادة والكلبي ومقاتل قالت اليهود لعنهم الله ان الله صاهر الجن فكانت الملائكة من بينهم وقال مجاهد والسدي ومقاتل ايضا القائل ذلك كنانة وخزاعة قالوا ان الله خطب الى سادات الجن فزوجوه من سروات بناتهم فالملائكة بنات الله من سروات الجن وقال الحسن اشركوا الشيطان في عبادة الله فهو النسب الذي جعلوه قلت قول الحسن في هذا احسن دليله قوله تعالى اذ نسويكم برب العالمين اي في العبادة وقال ابن عباس والضحاك والحسن ايضا هو قولهم ان الله تعالى وابليس اخوان تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا قوله تعالى ولقد علمت الجنة اي الملائكة انهم لمحضرون يعني قائلي هذا القول محضرون النار قاله قتادة وقال مجاهد للحساب الثعلبي الاول اولى لان الاحضار تكرر في هذه السورة ولم يرد الله به غير العذاب سبحان الله عما يصفون اي تنزيها لله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانهم ناجون من النار قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فانكم وما تعبدون ما بمعنى الذي وقيل بمعنى المصدر اي فانكم وعبادتكم لهذه الاصنام وقيل فانكم وما تعبدون من دون الله يقال فتنا فلانا وفتنا له ما انتم عليه اي على الله بفاتنين اي بمضلين النحاس اهل التفسير مجمعون فيما علمت ان المعنى ما انتم بمضلين احدا الا من قدر الله عز وجل عليه ان يضل وقال الشاعر

• فرد بنعمته كيده عليه وكان لنا فاتنا •

اي مضلا النار منه في هذه الاية رد على القدرية قال عمرو بن ذر قدمنا على عمر بن عبد
العزيز فذكر عنده القدر فقال عمر لو اراد الله ان لا يعصى ما خلق ابليس وهو راس الخطيئة
وان في ذلك لعلما في كتاب الله عز وجل عرفه من عرفه وجهله من جهله ثم قرا انكم وما تعبدون
ما انتم عليه بفاتنين الا من كتب الله عز وجل عليه انه يصلى الجحيم وقال فصلت هذه الاية بين
الناس وفيها من المعاني ان الشياطين لا يضلون احدا الا من كتب الله عليه انه لا يهتدي
ولو علم الله عز وجل انه يهتدي حال بينه وبينهم وعلى هذا قوله تعالى واجلب عليهم بخيلك
ورجلك اي لست تصل منهم الى شيء الا الى ما في علمي وقال لبيد بن ربيعة في تثبيت القدر فاحسن

• ان تقوى ربنا خير نفل • وباذن الله ريثي وعجل •
• احمد الله فلا ند له • بيديه الخير ما شا فعل •
• من هداه سبل الخير اهتدى • ناعم البال ومن شا اضل •

قال الفرا اهل الحجاز يقولون فتنته واهل نجد يقولون افتنته الا انه روي عن الحسن
انه قرا الا من هو صال الجحيم بضم اللام قال النحاس وجماعة اهل التفسير يقولون انه لحن لانه
لا يجوز هذا قاض المدينة ومن احسن ما قيل فيه ما سمعت علي بن سليمان يقوله قال هو
محمول على المعنى لان معنى من جماعة فالتقدير صالون فحذفت النون للاضافة وحذفت
الواو لالتقاء الساكنين وقيل اصله فاعل الا انه قلب من صال الى صالي ثم حذفت اليا
وبقيت اللام مضمومة فهو مثل شفا جرف هار ووجه ثالث اي تحذف لام صال تخفيفا
ويجري الاعراب على عينه كما حذف فيها من قولهم ما باليت به بالة واصلها بالية من بالي
كعافية من عافي ونظيره قراة من قرا وجنى الجنتين دان وله الجوار المنشآت اجرى الاعراب
على العين والاصل في قراة الجماعة صالي بالياء فحذفها الكاتب من الخط لسقوطها من اللفظ
قوله تعالى وما منا الا له مقام معلوم هذا من قول الملائكة تعظيما لله عز وجل وانكارا
منهم عبادة من عبدهم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون قال مقاتل هذه الثلاث
ايات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى فتاخر جبريل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اهنا تفارقني فقال ما استطيع ان اتقدم عن مكاني وانزل الله
تعالى في كتابه عن قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم الايات فالتقدير عند الكوفيين
وما منا الا من له مقام معلوم فحذف الموصول وتقديره عند البصريين وما منا ملك
الا له مقام معلوم اي مكان معلوم في العبادة قاله ابن مسعود وابن جبير وقال ابن
عباس ما في السموات موضع شبر الا وعليه ملك يصلي ويسبح وقالت عائشة قال النبي
صلى الله عليه وسلم ما في السما موضع قدم الا عليه ملك ساجد او قائم وعن ابي ذر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السما
وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله والله لو
تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنسا على الفراش ولخرجتم
الى الصعدات تجارون الى الله لوددت اني كنت شجرة تعضد خرجه ابو عيسى الترمذي
وقال فيه حديث حسن غريب ويروى من غير هذا الوجه ان ابا ذر قال لوددت اني
كنت شجرة تعضد ويروى عن ابي ذر موقوفا وقال قتادة كان يصلي النسا والرجال
جميعا حتى نزلت هذه الاية وما منا الا له مقام معلوم قال فتقدم الرجال وتاخر النسا
وانا لنحن الصافون وقال الكلبي صفوفهم كصفوف اهل الدنيا في الارض وفي صحيح
مسلم عن جابر بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في
المسجد فقال الا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها فقلنا يا رسول الله كيف
تصف الملائكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف وكان
عمر يقول اذا قام الى الصلاة اقيموا صفوفكم واستووا انما يريد الله بكم هدي الملائكة
ويقرا وانا لنحن الصافون تاخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر وقد مضى في
سورة الحجر بيانه وقال ابو مالك كان الناس يصلون متبددين فامرهم النبي صلى الله
عليه وسلم ان يصطفوا وقال الشعبي جا جبريل او ملك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

تقوم

تقوم او تقعد من ثلثي الليل ونصفه وثلثه ان الملائكة تصلي وتسبح ما في السما ملك فارغ
وقيل انا لنحن الصافون اجنحتنا في الهوا وقوفا ننتظر ما نومر به وقيل اي لنحن الصافون
حول العرش وانا لنحن المسبحون اي المصلون قاله قتادة وقيل اي المنزهون الله عما اضافه
اليه المشركون والمراد انهم يخبرون انهم يعبدون الله بالتسبيح والصلاة وليسوا معبودين
ولا بنات الله وقيل وما منا الا له مقام معلوم من قول الرسول صلى الله عليه وسلم والمومنون
للمشركين اي لكل واحد منا ومنكم في الاخرة مقام معلوم وهو مقام الحساب وقيل اي منا من له
مقام الخوف ومنا من له مقام الرجا ومنا من له مقام الاخلاص ومنا من له مقام الشكر الى غيرها من
المقامات قلت والاظهر ان ذلك راجع الى قول الملائكة والله اعلم قوله تعالى وان كانوا
ليقولون عاد الى الاخبار عن المشركين اي كانوا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم اذا عيروا
بالجهل قالوا لو ان عندنا ذكرا من الاولين اي لو بعث الينا نبي ببيان الشرع لاتبعناه ولما خففت
ان دخلت على الفعل ولزمتها اللام فرقا بين النفي والايجاب والكوفيون يقولون ان بمعنى
ما واللام بمعنى الا وقيل معنى لو ان عندنا ذكرا اي كتابا من كتب الانبيا لكنا عباد الله المخلصين
اي لو جانا ذكر كما جا الانبيا لاخلصنا العبادة فكفروا به اي بالذكر القران تقديره على حذف اي
فجاهم محمد صلى الله عليه وسلم فكفروا به وهذا تعجب منهم اي فقد جاهم نبي وانزل عليهم كتاب
فيه بيان ما يحتاجون اليه فكفروا وما وفوا بما قالوا فسوف يعلمون قال الزجاج يعلمون
مغبة كفرهم قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين قال الفرا اي بالسعادة
وقيل اراد بالكلمة قوله عز وجل كتب الله لاغلبن انا ورسلي قال الحسن لم يقتل من اصحاب
الشرائع قط احد انهم لهم المنصورون اي سبق الوعد بنصرهم بالحجة والغلبة وان جندنا
لهم الغالبون على المعنى ولو كان على اللفظ لكان هو الغالب مثل جند ما هنالك مهزوم
من الاحزاب وقال الشيباني جا هاهنا على الجمع من اجل انه راس اية قوله تعالى فتول
عنهم اي اعرض عنهم حتى حين قال قتادة الى الموت وقال الزجاج الى الوقت الذي امهلوا اليه
وقال ابن عباس يعني القتل ببدر وقيل يعني فتح مكة وقيل الاية منسوخة باية السيف
وابصرهم فسوف يبصرون قال قتادة سوف يبصرون حين لا ينفعهم الابصار وعسى من
الله للوجوب وعبر بالابصار عن تقريب الامر اي عن قريب يبصرون وقيل المعنى فسوف يبصرون
العذاب يوم القيامة افبعذابنا يستعجلون كانوا يقولون من فرط تكذيبهم متى هذا
العذاب اي لا تستعجلوه فانه واقع بكم قوله تعالى فاذا نزل بساحتهم اي العذاب
قال الزجاج وكان عذاب هولا بالقتل ومعنى بساحتهم اي بدارهم عن السدي وغيره
والساحة والسحسحة في اللغة فنا الدار الواسع الفرا نزل بساحتهم ونزل بهم سوا فسا
اضمار اي فبئس الصباح صباحهم وخص الصباح بالذكر لان العذاب كان ياتيهم فيه ومنه الحديث
الذي رواه انس رضي الله عنه لما اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين
الى مزارعهم ومعهم المساحي فقالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم
الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فسا صباح المنذرين وهو يبين معنى فاذا نزل بساحتهم
يريد النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى سبحان ربك رب العزة عما يصفون
فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى سبحان ربك نزه نفسه سبحانه عما اضاف اليه المشركون
رب العزة على البدل ويجوز النصب على المدح والرفع بمعنى هو رب العزة عما يصفون اي من
الصاحبة والولد وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى سبحان الله فقال هو تنزيه
الله عن كل سو وقد مضى في البقرة مستوفى الثانية سيل محمد بن سحنون عن معنى رب
العزة لم جاز ذلك والعزة من صفات الذات ولا يقال رب القدرة ونحوها من صفات
ذاته جل وعز فقال العزة تكون صفة ذات وصفة فعل فصفة الذات نحو قوله فلله
العزة جميعا وصفة الفعل نحو قوله رب العزة والمعنى رب العزة التي يتعازز بها الخلق فيما
بينهم فهي من خلق الله عز وجل وقد جا في التفسير ان العزة هاهنا يراد بها الملائكة قال
وقال بعض علماينا من حلف بعزة الله فان اراد عزته التي هي صفته فحنث فعليه الكفارة
وان اراد التي جعلها الله بين عباده فلا كفارة عليه اما ورب العزة يحتمل وجهين احدها

مالك العزة الذي رب كل شيء متعزز من ملك او متجبر قلت وعلى الوجهين فلا كفارة
اذا نوى بها الصفات التي لله وروي من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان يقول قبل ان يسلم سبحان ربك رب العزة عما يصفون الى اخر السورة ذكره
الثعلبي قلت قرأت على الشيخ الامام الحافظ ابي علي الحسن بن محمد بن محمد بن
عمروك البكري بالجزيرة قبالة الجزيرة المنصورة من الديار المصرية قال اخبرتنا الحرة ام
المؤيد زينب بنت عبد الرحمن بن الحسن الشعري بنيسابور في المرة الاولى قال ثنا ابو محمد
اسماعيل بن ابي بكر القاري قال حدثنا ابو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي قال ثنا
ابو سهل بشر بن احمد الاسفرايني قال ثنا ابو سليمان داود بن الحسين البيهقي قال ثنا
ابو زكريا يحيى بن يحيى ابن عبد الرحمن التميمي النيسابوري قال ثنا هشيم عن ابي هرون
العبدي عن ابي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير
مرة ولا مرتين يقول في اخر صلاته او حين ينصرف سبحان ربك رب العزة عما يصفون
وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين قال الماوردي روى الشعبي قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال الاوفى من الاجر يوم القيامة
فليقل اخر مجلسه حين يريد ان يقوم سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين وذكره الثعلبي من حديث علي رضي الله عنه مرفوعا
الرابعة قوله تعالى وسلام على المرسلين اي الذين بلغوا عن الله تعالى التوحيد
والرسالة وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم علي فسلموا على المرسلين
فانما انا رسول من المرسلين وقيل معنى وسلام على المرسلين اي امن لهم من الله عز وجل
لهم يوم الفزع الاكبر والحمد لله رب العالمين اي على ارسال الانبياء مبشرين ومنذرين
اي على جميع ما انعم الله به على الخلق اجمعين وقيل على هلاك المشركين دليله فقطع دابر
القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قلت والكل مراد والحمد لله ومعنى يصفون يكذبون
والتقدير عما يصفون من الكذب صدق الله العظيم ورسوله الكريم والحمد لله

سورة ص مكية في قول الجميع وهي ست وثمانون اية وقيل ثمان وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ص قراءة العامة ص بجزم الدال على الوقف لانه حرف من حروف الهجاء مثل
الم والمر وقرا ابي بن كعب والحسن بن ابي اسحاق ونصر بن عاصم صاد بكسر الدال بغير
تنوين ولقراءته مذهبان احدهما انه من صادى يصادي اذا عارض ومنه فانت له تصدى
اي تعارض والمصاداة المعارضة وهو التصدي وهو ما يعارض الصوت في الاماكن
الخالية فالمعنى صاد القرآن بعملك اي عارضه بعملك وقابله به فاعمل باوامره وانته
عن نواهيه النحاس وهذا المذهب يروى عن الحسن انه فسر به قراءته رواية صحيحة
وعنه ان المعنى اتله وتعرض لقراءته والمذهب الاخر ان تكون الدال مكسورة لالتقاء الساكنين
وقرا عيسى بن عمر صاد بفتح الدال ومثله ق ون بفتح اخرها وله في ذلك ثلاثة مذاهب
احداهن ان يكون بمعنى اتل صاد والثاني ان تكون فتحت لالتقاء الساكنين واختار
الفتح للاتباع ولانه اخف الحركات والثالث ان يكون منصوبا على القسم بغير حرف
كقولك الله لافعلن وقيل نصب على الاغراء وقيل معناه صاد محمد قلوب الخلق واستمالها
حتى امنوا به وقرا ابن ابي اسحاق ايضا صاد بكسر الدال والتنوين على ان يكون مخفوضا
على حذف حرف القسم وهذا بعيد وان كان سيبويه قد اجاز مثله ويجوز ان يكون
مشبها بما لا يتمكن من الاصوات وغيرها وقرا هرون الاعور ومحمد بن السميقع ص وق
ون بضم اخرهن لانه المعروف بالبناء في غالب الحال نحو منذ وقط وبعد وقبل وصاد
اذا جعلته اسما للسورة لم ينصرف لانك اذا سميت مؤنثا بمذكر لم ينصرف وان قلت
حروف وقال ابن عباس وجابر بن عبد الله وقد سئلا عن ص فقالا لا ندري ما هي

وقال

وقال عكرمة سال نافع بن الازرق ابن عباس عن ص فقال ص كان بحرا بمكة وكان
عليه عرش الرحمن اذ لا ليل ولا نهار وقال سعيد بن جبير ص بحر يحيي الله به الموتى بين
النفختين وقال الضحاك معناه صدق الله وعنه ان ص قسم اقسم الله به وهو من اسمائه
تعالى وقاله السدي وروي عن ابن عباس وقال محمد بن كعب هو مفتاح اسم الله تعالى
صمد وصانع المصنوعات وصادق الوعد وقال قتادة هو اسم من اسماء الرحمن وعنه اسم من
اسماء القرآن وقال مجاهد هو فاتحة السورة وقيل هو مما استاثر الله تعالى بعلمه وهو معنى
القول الاول وقد تقدم جميع هذا في البقرة قوله تعالى والقرآن خفض بواو القسم
والواو بدل من الباء اقسم بالقرآن تنبيها على جلالة قدره فان فيه بيان كل شيء وشفاء
لما في الصدور ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم ذي الذكر خفض على النعت وعلامة
خفضه الياء وهو اسم معتل والاصل فيه ذوي على فعل قال ابن عباس ومقاتل معنى ذي
الذكر ذي البيان الضحاك ذي الشرف اي من امن به كان له شرف في الدارين كما قال تعالى لقد
انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي شرفكم وايضا القرآن شريف في نفسه لاعجازه واشتماله
على ما لا يشتمل عليه غيره وقيل ذي الذكر اي فيه ذكر ما يحتاج اليه من امر الدين وقيل ذي الذكر
اي فيه ذكر اسماء الله وتمجيده وقيل اي ذي الموعظة والذكر وجواب القسم محذوف واختلف
فيه على اوجه فقيل جواب القسم ص لان معناه حق فهي جواب لقوله والقرآن كما تقول
حقا والله نزل والله وجب والله فيكون الوقف من هذا الوجه على قوله والقرآن ذي
الذكر حسنا وعلى في عزة وشقاق تماما قاله ابن الانباري وحكى معناه الثعلبي عن الفراء
وقيل الجواب بل الذين كفروا في عزة وشقاق عن قبول الحق وعداوة لمحمد صلى الله
عليه وسلم او والقرآن ذي الذكر ما الامر كما يقولون من انك ساحر كذاب لانهم يعرفونك بالصدق
والامانة بل هم في تكبر عن قبول الحق وهو كقوله ق والقرآن المجيد بل عجبوا وقيل الجواب
كم اهلكنا كانه قال والقرآن كم اهلكنا فلما تأخرت كم حذفت اللام منها كقوله تعالى والشمس
وضحاها ثم قال قد افلح اي لقد افلح قال المهدوي وهذا مذهب الفراء ابن الانباري فمن
هذا الوجه لا يتم الوقف على قوله في عزة وشقاق وقال الاخفش جواب القسم ان كل الا كذب
الرسل فحق عقاب ونحوه قوله تعالى تالله ان كنا لفي ضلال مبين وقوله والسماء والطارق
ان كل نفس ابن الانباري وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وكثرت الايات والقصص
وقال الكسائي جواب القسم قوله ان ذلك لحق تخاصم اهل النار ابن الانباري وهذا اقبح
من الاول لان الكلام اشد طولا فيما بين القسم وجوابه وقيل الجواب قوله ان هذا لرزقنا
ما له من نفاد وقال قتادة الجواب محذوف تقديره والقرآن ذي الذكر لتبعثن ونحوه
قوله تعالى بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي في تكبر وامتناع من قبول الحق كما قال
جل وعز واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم والعزة عند العرب الغلبة والقهر
يقال من عز بز يعني من غلب سلب ومنه وعزني في الخطاب اراد غلبني وقال جرير

يعز على الطريق بمنكبيه * كما ابترك الخليع على القداح

اراد يغلب والشقاق اي في اظهار خلاف ومباينة وهو من الشق كانهم في شق وذلك
في شق وقد مضى في البقرة مستوفى قوله تعالى كم اهلكنا من قبلهم من قرن اي من قوم
كانوا امنع من هؤلاء يعني اهل مكة فنادوا اي بالاستغاثة عند التوبة والنداء رفع الصوت
ومنه الخبر القه على بلال فانه اندى منك صوتا اي ارفع ولات حين مناص قال الحسن نادوا
بالتوبة وليس حين التوبة ولا حين ينفع العمل النحاس وهذا تفسير منه لقوله جل
وعز ولات حين مناص فاما اسرائيل فروى عن ابي اسحاق عن التميمي عن ابن عباس
ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار قال ضبط القوم جميعا قال الكلبي كانوا
اذا قاتلوا فاضطروا قال بعضهم لبعض مناص اي عليكم بالفرار والهزيمة فلما اتاهم
العذاب قالوا مناص فقال الله جل وعز ولات حين مناص قال القشيري وعلى هذا
فالتقدير فنادوا مناص فحذف لدلالة بقية الكلام عليه اي ليس الوقت وقت ما تنادون
به وفي هذا نوع تحكم اذ يبعد ان يقال كل من هلك من القرون كانوا يقولون مناص عند

الاضطرار وقيل معنى ولات حين مناص اي لا خلاص فهو نصب بوقوع لا عليه قال القشيري وفيه نظر لانه لا معنى على هذا للواو في ولات حين مناص وقال الجرجاني اي فنادوا وحين لا مناص اي ساعة لا منجا ولا فوت فلما قدم لا واخر حين اقتضى ذلك الواو كما تقتضي الحال اذا جعل ابتداء وخبرا مثل قولك جاء زيد راكبا فاذا جعلته مبتدا وخبرا اقتضى الواو مثل جاءني زيد وهو راكب فحين ظرف لقوله فنادوا والمناص بمعنى التاخر والفرار والخلاص اي نادوا لطلب الخلاص في وقت لا يكون لهم فيه خلاص قال الفراء النوص التاخر وانشد لامرئ القيس

* امن ذكر ليلى اذ نأتك تنوص *

يقال ناص عن قرنه ينوص نوصا ومناصا اي فر وراغ النحاس ويقال ناص ينوص اذا تقدم قلت فعلى هذا يكون من الاضداد والنوص الحمار الوحشي واستناص اي تاخر قاله الجوهري وتكلم النحويون في ولات وفي الوقف عليه وكثر فيه ابو عبيد القاسم ابن سلام في كتاب القراءات وكل ما جاء به الا يسيرا مردود فقال سيبويه لات مشبهة بليس والاسم فيها مضمر اي ليس احياننا حين مناص وحكى ان من العرب من يرفع بها فيقول ولات حين مناص وحكى ان الرفع قليل ويكون الخبر محذوفا كما كان الاسم محذوفا في النصب اي ولات حين مناص لنا والوقف عليها عند سيبويه والفراء ولات بالتاء ثم يبتدي حين مناص وهو قول ابن كيسان والزجاج قال ابو الحسن ابن كيسان والقول كما قال سيبويه لانه شبهها بليس فكما يقال ليست يقال لات والوقوف عليها عند الكسائي بالهاء ولاه وهو قول المبرد محمد بن يزيد وحكي عنه علي ابن سليمان ان الحجة في ذلك انها دخلت عليها الهاء لتانيث الكلمة كما يقال ثمة وربه وقال القشيري وقد يقال ثمت بمعنى ثم وربت بمعنى رب فكانهم زادوا في لا ها فقالوا لاه كما قالوا في ثم ثمه ثم عند الوصل صارت تاء وقال الثعلبي وقال اهل اللغة ولات حين مفتوحتان كانهما كلمة واحدة وانما هي لا زيدت فيها التاء نحو رب وربت وثم وثمت قال ابو زبيد الطائي

* طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان ليس حين بقاء *

وقال اخر

* تذكر حب ليلى لات حينا * وامسى الشيب قد قطع القرينا *

ومن العرب من يخفض بها وانشد الفراء

* فلتعرفن خلائقا مشمولة * ولتندمن ولات ساعة مندم *

وكان الكسائي والفراء والخليل وسيبويه والاخفش يذهبون الى ولات التاء منقطعة من حين ويقولون معناها وليست وكذلك هو في المصاحف الجدد والعتق بقطع التاء من حين والى هذا كان يذهب ابو عبيدة معمر ابن المثنى وقال ابو عبيد القاسم بن سلام الوقف عندي على هذا الحرف ولا والابتداء تحين مناص قال المهدوي وذكر ابو عبيد ان التاء في المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وهو خلاف قول المفسرين ومن حجة ابي عبيد ان قال انا لم نجد العرب تزيد هذه التاء الا في حين واوان والان وانشد لابي وجزة السعدي

* العاطفون تحين ما من عاطف * والمطعمون زمان من مطعم *

وانشد لابي زبيد الطائي

* طلبوا صلحنا ولات اوان * فاجبنا ان ليس حين بقاء *

فادخل التاء في اوان قال ابو عبيد ومن ادخالهم التاء في الان حديث ابن عمر وسأله رجل عن عثمان بن عفان رضي الله عنه فذكر مناقبه ثم قال اذهب بهذه تلان معك وكذلك قول الشاعر

* نولي قبل يوم نأي جمانا * وصلينا كما زعمت تلانا *

قال ابو عبيد ثم مع هذا كله اني تعمدت النظر في الذي يقال له الامام مصحف عثمان ابن عفان فوجدت التاء متصلة مع حين قد كتبت تحين قال ابو جعفر النحاس اما البيت الاول الذي انشده لابي وجزة فرواه العلماء باللغة على اربعة اوجه كلها على خلاف ما انشده وفي احدها تقديران رواه ابو العباس محمد بن يزيد العاطفون ولات ما من عاطف والرواية الثانية العاطفون ولات حين تعاطف والرواية الثالثة رواها ابن كيسان العاطفونه حين ما من عاطف جعلها هاء في الوقف وتاء في الادراج وزعم انها لبيان الحركة شبهت بالتاء والرواية الرابعة العاطفونة حين ما من عاطف وفي

هذه

هذه الرواية تقديران احدهما وهو مذهب اسماعيل بن اسحاق ان الهاء في موضع نصب كما تقول الضاربون زيدا فاذا كنيت قلت الضاربوه واجاز سيبويه في الشعر الضاربونه زيدا فجاء اسماعيل بالبيت على مذهب سيبويه في اجازته مثله والتقدير الاخر العاطفونه على ان الهاء لبيان الحركة كما تقول مربنا المسلمونه في الوقف ثم اجريت في الوصل مجراها في الوقف كما قرا اهل المدينة فلا ما اغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه واما البيت الثاني فلا حجة له فيه لانه يوقف ولات اوان بالخفض وانما يقع ما بعد لات مرفوعا او منصوبا وان كان قد روي عن اسماعيل بن عمر انه قرا ولات حين مناص فبنى لات على الكسر ونصب حين فاما ولات اوان ففيه تقديران قال الاخفش فيه مضمر اي ولات حين اوان قال النحاس وهذا القول بين الخطا والتقدير الاخر عن ابي اسحاق قال تقديره ولات اواننا فحذف المضاف اليه فوجب ان لا يعرب وكسره لالتقاء الساكنين وانشده محمد بن يزيد ولات اوان بالرفع واما البيت الثالث فبيت مولد لا يعرف قائله ولا يصح به حجة على ان محمد بن يزيد رواه كما زعمت الان وقال غيره المعنى كما زعمت الان فاسقط الهمزة من ان والنون واما احتجاجه من حديث ابن عمر لما ذكر للرجل مناقب عثمان فقال له اذهب بها تلان الى اصحابك فلا حجة فيه لان المحدث انما يروي هذا على المعنى والدليل على هذا ان مجاهدا روى عن ابن عمر هذا الحديث وقال فيه اذهب فاجهد جهدك ورواه اخر اذهب بها الان معك واما احتجاجه بانه وجدها في الامام تحين فلا حجة لان معنى الامام انه امام المصاحف فان كان مخالفا لها فليس بامام لها وفي المصاحف كلها ولات ولو لم يكن في هذه الا هذا الاحتجاج لكان مقنعا وجمع مناص مناوص قوله تعالى وعجبوا ان جاءهم منذر منهم ان في موضع نصب والمعنى من ان جاءهم قيل هو متصل بقوله في عزة وشقاق اي في عزة وشقاق كم اهلكنا معترض وقيل لا بل هذا ابتداء كلام اي ومن جهلهم انهم اظهروا التعجب من ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر اي يجيء بالكلام المموه الذي يخدع به الناس وقيل يفرق بسحره بين الوالد والولد والرجل وزوجته كذاب اي في دعوة النبوة قوله تعالى اجعل الالهة الها واحدا اي صير الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب اي عجيب وقرا السلمي عجاب بالتشديد والعجاب والعجيب سواء بمعنى وقد فرق الخليل بين عجيب وعجاب فقال العجيب العجب والعجاب الذي قد تجاوز حد العجب قال والطويل الذي فيه طول والطوال الذي قد تجاوز حد الطول وقال الجوهري العجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك العجيبة وقال مقاتل عجاب لغة ازد شنوءة وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض ابو طالب فجاءت قريش اليه وجاء النبي صلى الله عليه وسلم وعند راس ابي طالب مجلس فقال يا ابن اخي ما تريد من قومك فقال يا عم اريد منهم كلمة تدين لهم بها العرب ويؤدي اليهم بها الجزية العجم فقال كلمة واحدة فقال نعم قال لا اله الا الله فقالوا اجعل الالهة الها واحدا قال فنزل فيهم القرآن ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق حتى بلغ ان هذا الا اختلاق خرجه الترمذي ايضا بمعناه وقال هذا حديث حسن صحيح وقيل لما اسلم عمر ابن الخطاب رضي الله عنه شق على قريش اسلامه فاجتمعوا الى ابي طالب وقالوا اقض بيننا وبين ابن اخيك فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخي هؤلاء قومك يسالك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال وما ذا يسالوني قالوا ارفضنا وارفض ذكر الهتنا وندعك والهك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل لله ابوك لنعطينكها وعشر امثالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا اجعل الالهة الها واحدا فكيف يسع الخلق كلهم اله واحد فانزل الله هذه الايات الى قوله كذبت قبلهم قوم نوح قوله تعالى وانطلق الملا منهم ان امشوا الملا الاشراف والانطلاق الذهاب بسرعة اي انطلق هؤلاء الكافرون من عند الرسول عليه السلام يقول بعضهم لبعض ان امشوا اي امضوا على ما كنتم عليه

ولا تدخلوا في دينه واصبروا على الهتكم وقيل هو اشارة الى مشيهم الى ابي طالب في
مرضه كما سبق وفي رواية محمد بن اسحاق انهم ابو جهل بن هشام وشيبة وعتبة ابنا ربيعة
ابن عبد شمس وامية بن خلف والعاص بن وائل وابو معيط جاؤوا الى ابي طالب فقالوا
انت سيدنا فانصفنا في انفسنا واكفنا امر ابن اخيك وسفهاء معه فقد تركوا الهتنا وطعنوا
في ديننا فارسل ابو طالب الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ان قومك يدعونك الى السواء
والنصفة فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوهم الى كلمة واحدة فقال ابو جهل وعشرا
فقال تقولون لا اله الا الله فنفروا وقالوا اجعل الالهة الها واحدا ان هذا الايات ان
امشوا ان في موضع نصب والمعنى بان امشوا والمعنى ان يمشي اي وانطلق الملأ منهم
ان امشوا وهذا تفسير انطلقوا لانهم تكلموا بهذا اللفظ وقيل المعنى وانطلق الاشراف
منهم فقالوا للعوام امشوا واصبروا على الهتكم اي على عبادة الهتكم ان هذا اي هذا الذي
جاء به محمد عليه السلام لشيء يراد اي يراد باهل الارض من زوال نعم قوم وغير تنزل
بهم وقيل ان هذا لشيء يراد كلمة تحذير اي انما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا
ونكون له اتباعا فيحكم فينا بما يريد فاحذروا ان تطيعوه وقال مقاتل ان عمر لما
اسلم وقوي به الاسلام شق ذلك على قريش فقالوا ان اسلام عمر في قوة الاسلام
لشيء يراد قوله تعالى ما سمعنا بهذا في الملة الاخرة قال ابن عباس والقرظي
وقتادة ومقاتل والكلبي والسدي يعنون ملة عيسى النصرانية وهي اخر الملل
فالنصارى يجعلون مع الله الها وكان مجاهد وقتادة ايضا يعنون ملة قريش
وقال الحسن ما سمعنا ان هذا يكون في اخر الزمان وقيل اي ما سمعنا من اهل الكتاب
ان محمدا رسول حق ان هذا الا اختلاق اي كذب وتخرص عن ابن عباس وغيره يقال
خلق واختلق اي ابتدع وخلق الله عز وجل الخلق من هذا اي ابتدعهم على غير مثال
قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا هو استفهام انكار والذكر هنا القران
انكروا اختصاصه بالوحي من بينهم فقال الله تعالى بل هم في شك من ذكري اي من
وحيي وهو القران اي قد علموا انك لم تزل صدوقا فيما بينهم وانما شكوا فيما انزلته
عليك هل هو من عندي ام لا بل لما يذوقوا عذاب اي انما اغتروا بطول الامهال
ولو ذاقوا عذابي على الشرك لزال عنهم الشك ولما قالوا ذلك ولكن لا ينفع الايمان
يومئذ ولما بمعنى لم وما زائدة كقوله عما قليل وبما نقضهم ميثاقهم قوله تعالى
ام عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب قيل ام لهم هذا فيمنعوا محمدا عليه السلام
ما انعم الله عز وجل عليه من النبوة وام قد ترد بمعنى التقريع اذا كان الكلام متصلا
بكلام قبله كقوله تعالى الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ام يقولون
افتراه وقد قيل ان قوله ام عندهم خزائن رحمة ربك متصل بقوله وعجبوا ان
جاءهم منذر منهم فالمعنى ان الله عز وجل يرسل من يشاء لان خزائن السموات
والارض له ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما اي فان ادعوا ذلك فليرتقوا
في الاسباب اي فليصعدوا الى السموات وليمنعوا الملائكة من انزال الوحي على محمد
يقال رقي يرقى وارتقى يرتقي اذا صعد ورقى يرقي رقيا مثل رمى يرمي رميا
من الرقية وقال الربيع بن انس الاسباب ارق من الشعر واشد من الحديد
ولكن لا ترى والاسباب في اللغة كل ما يوصل به الى المطلوب من حبل او غيره وقيل
الاسباب ابواب السماء التي تنزل الملائكة منها قاله مجاهد وقتادة قال زهير
ولو رام اسباب السماء بسلم • وقيل الاسباب السموات نفسها اي فليصعدوا سماء سماء
وقال السدي في الاسباب في الفضل والدين وقيل فليعملوا في اسباب القوة
ان طلبوا النجاة وهو معنى قول ابي عبيدة وقيل الاسباب الحبال يعني ان
وجدوا حبلا او سببا يصعدون فيه الى السماء فليرتقوا وهذا امر توبيخ وتعجيز
ثم وعد نبيه صلى الله عليه وسلم النصر عليهم فقال جند ما هنالك ما صلة
وتقديره هم جند جند خبر ابتداء محذوف مهزوم اي مغلوب وقيل قد انقطعت حجتهم

لانهم

لانهم لا يصلون الى ان يقولوا هذا التاويل ويقال تهزمت القربة اذا انكسرت
وهزمت الجيش كسرته والكلام مرتبط بما قبل اي الذين كفروا في عزة وشقاق وهم
جند من الاحزاب مهزومون فلا يحزنك عزتهم وشقاقهم فاني اهزم جمعهم واسلب
عزهم وهذا تانيس للنبي صلى الله عليه وسلم وقد فعل بهم هذا في يوم بدر قال قتادة
وعد الله انه سيهزمهم وهم بمكة فجاء تاويلها يوم بدر وهنالك اشارة لبدر وهو موضع
تحزبهم لقتالهم محمد وقيل المراد بالاحزاب الذين اتوا المدينة وتحزبوا على النبي صلى
الله عليه وسلم وقد مضى ذلك في الاحزاب والاحزاب الجند كما يقال جند من قبائل
شتى وقيل اراد بالاحزاب القرون الماضية من الكفار اي هؤلاء جند على طريقة
كقوله تعالى فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني اي على ديني ومذهبي وقال
الفراء المعنى هم جند مغلوب اي ممنوع عن ان يصعد الى السماء وقال القتبي يعني انهم جند
لهذه الالهة مهزوم فهم لا يقدرون على ان يدعوا لشيء من الهتهم ولا لانفسهم شيئا من خزائن
رحمة الله ولا من ملك السموات والارض قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح الاية ذكرها
تعزية لنبيه عليه السلام وتسلية له اي هؤلاء من قومك يا محمد جند من الاحزاب المتقدمين
الذين تحزبوا على انبيائهم وقد كانوا اقوى من هؤلاء فاهلكوا وذكر الله تعالى القوم
بلفظ التانيث واختلف اهل العربية في ذلك على قولين احدهما انه قد يجوز فيه
التذكير والتانيث الثاني انه مذكر اللفظ لا يجوز تانيثه الا ان يقع المعنى على
العشيرة والقبيلة فيغلب في اللفظ حكم المعنى المضمر تنبيها عليه كقوله تعالى كلا انها
تذكرة فمن شاء ذكره وان كان اللفظ مقتضيا للتانيث ووصف فرعون بانه ذو الاوتاد
وقد اختلف في تاويل ذلك فقال ابن عباس المعنى ذو البناء المحكم وقال الضحاك
كان كثير البنيان والبنيان يسمى اوتادا وعن ابن عباس ايضا وقتادة وعطا انه كان
له اوتاد وارسان وملاعب يلعب له عليها وعن الضحاك ايضا ذو القوة والبطش وقال
الكلبي ومقاتل كان يعذب الناس بالاوتاد وكان اذا غضب على احد مده مستلقيا بين
اربعة اوتاد في الارض ويرسل عليه العقارب والحيات حتى يموت وقيل كان يشبح المعذب
بين اربع سوار كل طرف من اطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد ويتركه
حتى يموت وقيل ذو الاوتاد اي ذو الجنود الكثيرة فسميت الجنود اوتادا لانهم يقوون
امره كما يقوي الوتد البيت وقال ابن قتيبة العرب تقول هم في عز ثابت الاوتاد وملك
ثابت الاوتاد يريدون انه دائم شديد واصل هذا ان البيت من بيوت الشعر انما يثبت ويقوم
بالاوتاد قال الاسود بن يعفر • ولقد غنوا فيها بانعم عيشة • في ظل ملك ثابت الاوتاد •
وواحد الاوتاد وتد بالكسر وبالفتح لغة وقال الاصمعي يقال وتد واتد كما يقال شغل شاغل
وانشد • لاقت على الماء جذيلا واتدا • ولم يكن يخلفها المواعدا •
يقال شبه الرجل بالجذل وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة اي الغيضة وقد
مضى ذكرها في الشعراء وقرا نافع وابن كثير وابن عامر ليكة بفتح اللام والتاء من غير
همز وهمز الباقون وكسروا التاء وقد تقدم هذا اولئك الاحزاب اي هم الموصوفون
بالقوة والكثرة كقولك فلان هو الرجل ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب
اي فنزل بهم العذاب كذلك التكذيب واثبت يعقوب الياء في عذابي وعقابي في الحالين
وحذفها الباقون في الحالين ونظير هذه الاية قوله عز وجل وقال الذي امن يا قوم
اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل داب قوم نوح وعاد وثمود فسمى هذه
الامم احزابا قوله تعالى وما ينظر هؤلاء الا صيحة اي نفخة القيامة اي ما ينتظرون
بعد ان اصيبوا ببدر الا صيحة القيامة وقيل ما ينتظر احياؤهم الان الا الصيحة التي هي النفخة
في الصور كما قال ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون
توصية وهذا اخبار عن قرب القيامة والموت وقيل اي ما ينتظر كفار اخر هذه الامة
المكذبين بدينه اولئك الا صيحة واحدة وهي النفخة وقال عبد الله بن عمر لم تكن صيحة
في السماء الا بغضب من الله عز وجل على اهل الارض ما لها من فواق اي من ترداد عن ابن

عباس ومجاهد مالها رجوع قتادة من مثنوية السدي مالها من افاقة وقرا حمزة والكسائي ما لها من فواق بضم الفا الباقون بالفتح الجوهري والفواق والفواق ما بين الحلبتين من الوقت لانها تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لتدر ثم تحلب يقال ما اقام عنده الا فواقا وفي الحديث العيادة قدر فواق ناقة وقوله تعالى ما لها من فواق يقرا بالفتح والضم اي ما لها من نظرة وراحة وافاقة والفيقة بالكسر اسم اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين صارت الواو ياء لكسرة ما قبلها قال الاعشى يصف بقرة

حتى اذا فيقة في ضرعها اجتمعت • جات لترضع شق النفس لو رضعا •

والجمع فيق مثل افواق مثل شبر واشبار ثم افاويق قال ابن همام السلولي

• وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها • افاويق حتى ما يدر لها ثعل •

والافاويق ايضا ما اجتمع في السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة وافاقت الناقة افاقة اي اجتمعت الفيقة في ضرعها فهي مفيق ومفيقة عن ابي عمرو والجمع مفاويق وقال الفرا وابو عبيدة وغيرهما من فواق بفتح الفا اي راحة اي لا يفيقون فيها كما يفيق المريض والمغشي عليه ومن فواق بضم الفا من انتظار وقد تقدم انها بمعنى وهو ما بين الحلبتين قلت والمعنى المراد انها ممتدة لا تقطع فيها وروى ابو هريرة قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في طائفة من اصحابه الحديث وفيه يامر الله عز وجل اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع اهل السموات واهل الارض الا من شا الله ويامره فيديمها ويطولها يقول الله عز وجل ما ينظر هولاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وذكر الحديث خرجه علي بن معبد وغيره كما ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال مجاهد عذابنا وكذا قال قتادة نصيبنا من العذاب الحسن نصيبنا من الجنة لنتنعم به في الدنيا وقاله سعيد بن جبير ومعروف في اللغة ان يقال للنصيب قط وللكتاب المكتوب بالجائزة قط قال الفرا القط في كلام العرب الحظ والنصيب ومنه قيل للصك قط وقال ابو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجوائز والجمع القطوط قال الاعشى

• ولا الملك النعمان يوم لقيته • بغبطته يعطي القطوط ويافق •

يعني كتب الجوائز ويروى بامته بدل بغبطته اي بنعمته وحاله الجليلة ويافق يصلح ويقال في جمع قط ايضا قططة وفي القليل اقط واقطاط ذكره النحاس وقال السدي سالوا ان يمثل لهم منازلهم من الجنة ليعلموا حقيقة ما يوعدون به وقال اسماعيل بن ابي خالد المعنى عجل لنا ارزاقنا وقيل معناه عجل لنا ما يكفينا من قولهم قطني اي يكفيني وقيل انهم قالوا ذلك استهزا لا لكتبهم التي يعطون فيها بايمانهم وشمائلهم حين تلي عليهم بذلك القران وهو قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه واما من اوتي كتابه وراء ظهره واصل القط هو القطع ومنه قط القلم فالقط القطعة من الشي كالقسم والقسم فاطلق على النصيب والكتاب والرزق لقطعه عن غيره الا انه في الكتاب اكثر استعمالا واقوى حقيقة قال امية بن الصلت

• قوم لهم ساحة العراق وما يجبى اليه والقط والقلم •

قبل يوم الحساب اي قبل القيامة في الدنيا ان كان الامر على ما يقول محمد وكل هذا استهزا منهم قوله تعالى اصبر على ما يقولون امر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر لما استهزوا به وهذه منسوخة باية السيف قوله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد انه اواب لما ذكر من اخبار الكفار وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم امر نبيه عليه السلام بالصبر على اذاهم وسلاه بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود عليه السلام وقصص الانبيا ليتسلى بصبر من صبر منهم وليعلم ان له في الاخرة اضعاف ما اعطيه داود وغيره من الانبيا وقيل المعنى اصبر على قولهم واذكر لهم اقاصيص الانبيا لتكون برهانا على صحة نبوتك وذا الايد اي ذا القوة في العبادة وكان يصوم يوما ويفطر يوما وذلك اشد الصوم وافضله وكان يصلي نصف الليل

وكان

وكان لا يفر اذا لاقى العدو وكان قويا في الدعا الى الله تعالى ويقال عنى بالايدي اظهار الشرف بهذه الاضافة ويقال الايد والايد كما تقول العيب والعاب قال لم يك ينادي فاسي اناد ومنه رجل ايد اي قوي وتايد الشي تقوى قال الشاعر

• اذا القوس وترها ايد رمى • فاصاب الكلى والذرى •

يقول اذا الله تعالى وتر القوس التي في السحاب رمى كلى الابل واسنمتها بالشحم يعني من النبات الذي يكون من المطر انه اواب قال الضحاك اي تواب وعن غيره انه كلما ذكر ذنبه او خطر بباله استغفر منه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة ويقال آب يؤوب اذا رجع كما قال

• وكل ذي غيبة يؤوب • وغائب الموت لا يؤوب •

فكان داود رجاعا الى طاعة الله ورضاه في كل امر فهو اهل لان يقتدى به قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق فيه اربع مسائل الاولى قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن في موضع نصب على الحال ذكر تعالى ما اتاه من البرهان والمعجزة وهو تسبيح الجبال معه قال مقاتل كان داود عليه السلام اذا ذكر الله تبارك وتعالى ذكرت الجبال معه وكان يفقه تسبيح الجبال وقال ابن عباس يسبحن يصلين وانما يكون هذا معجزة اذا راه الناس وعرفوه وقال محمد بن اسحاق اوتي داود من حسن الصوت ما يكون له في الجبال دوي حسن وما تصغي لحسنه الطير وتصوت معه فهذا تسبيح الجبال والطير وقيل سخرها الله عز وجل لتسير معه فذلك تسبيحها لانها دالة على تنزيه الله عن شبه المخلوقين وقد مضى القول في هذا في سبا وفي سبحان عند قوله تعالى وان من شي الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم وان ذلك تسبيح مقال على الصحيح من الاقوال والله اعلم بالعشي والاشراق ابيضاض الشمس بعد طلوعها يقال شرقت الشمس اذا طلعت واشرقت اذا اضات فكان داود يسبح اثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها الثانية روي ابن عباس انه قال كنت امر بهذه الاية بالعشي والاشراق ولا ادري ما هي حتى حدثتني ام هاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فدعا بوضو فتوضا ثم صلى صلاة الضحى وقال يا ام هاني هذه صلاة الاشراق وقال عكرمة قال ابن عباس كان في نفسي شي من صلاة الضحى حتى وجدتها في القران يسبحن بالعشي والاشراق قال عكرمة وكان ابن عباس لا يصلي صلاة الضحى ثم صلاها بعد وروي ان كعب الاحبار قال لابن عباس اني اجد في كتاب الله صلاة بعد طلوع الشمس وهي صلاة الاوابين فقال ابن عباس وانا اوجدك في القران ذلك في قصة داود يسبحن بالعشي والاشراق الثالثة صلاة الضحى نافلة مستحبة وهي في الغداة بازا العصر في العشي لا ينبغي ان تصلى حتى تبيض الشمس طالعة ويرتفع كدرها وتشرق بنورها كما لا تصلى العصر اذا اصفرت الشمس وفي صحيح مسلم عن زيد بن ارقم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلاة الاوابين حين ترمض الفصال والفصال والفصلان جمع فصيل وهو الذي يفطم من الرضاع من الابل والرمضا شدة الحر في الارض وخص الفصال هنا بالذكر لانها هي التي ترمض قبل انتهاء شدة الحر التي ترمض به امهاتها لقلة جلدها وذلك يكون في الضحى او بعده بقليل وهو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها قاله القاضي ابو بكر بن العربي ومن الناس من يبادر بها قبل ذلك استعجالا لاجل شغله فيخسر عمله لانه يصليها في الوقت المنهي عنه وياتي بغير ما هو عليه لا له الرابعة روى الترمذي من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى الضحى ثنتي عشرة ركعة بنى الله له قصرا من ذهب في الجنة قال حديث غريب وفي صحيح مسلم عن ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة فكل تسبيحة صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل امر بمعروف صدقة ونهي عن منكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى وفي الترمذي عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على شفعة الضحى غفر له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر

وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال أوصاني خليلي بثلاث لا أدعهن حتى
أموت صوم ثلاثة أيام من كل شهر وصلاة الضحى ونوم على وتر لفظ البخاري وقال
مسلم وركعتي الضحى وخرجه من حديث أبي الدرداء كما خرجه البخاري من حديث
أبي هريرة وهذا كله يدل على أن أقل الضحى ركعتان وأكثره ثنتا عشرة والله أعلم
والسلامى بضم السين عظام الأصابع والأكف والأرجل ثم استعمل في سائر عظم الجسد
ومفاصله وروي من حديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه خلق
كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل فمن كبر الله وحمد الله وهلل الله
وسبح الله واستغفر الله وعزل حجرا عن طريق الناس أو شوكة أو عظما عن طريق
الناس وأمر بمعروف أو نهى عن منكر عدد تلك الستين والثلاثمائة سلامى فإنه يمشي
يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار قال وربما قال يمسي خرجه مسلم وقوله ويجزي
من ذلك ركعتان أي يكفي من هذه الصدقات عن هذه الأعضاء ركعتان وذلك أن الصلاة
عمل لجميع أعضاء الجسد فإذا صلى فقد قام كل عضو بوظيفته التي عليه في الأصل والله
أعلم قوله تعالى والطير محشورة عطف محطوف على الجبال قال الفراء ولو قرئ والطير
محشورة لجاز لأنه لم يظهر الفعل قال ابن عباس كان داود عليه السلام إذا سبح جاوبته
الجبال واجتمعت عليه الطير فسبحت معه فاجتماعها عليه حشرها فالمعنى وسخرنا الطير
مجموعة إليه لتسبح لله تعالى معه وقيل أي وسخرنا الريح لتحشر الطيور إليه لتسبح معه أو
أمرنا الملائكة أن تحشر الطيور كل له أواب أي لداود أواب أي مطيع أي تأتيه وتسبح معه
وقيل الهاء لله عز وجل قوله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه حتى ثبت وقيل بالهيبة
وإلقاء الرعب منه في القلوب وقيل بكثرة الجنود وقيل بالتأييد والنصر وهذا اختيار
ابن العربي فلا ينفع الجيش الكثير التفافه على غير منصور وعلى غير معان وقال ابن
عباس رضي الله عنه كان داود أشد ملوك الأرض سلطانا كان يحرس محرابه كل
يوم ستة وثلاثون ألف رجل فإذا أصبح قيل ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله والملك
عبارة عن كثرة الملك وقد يكون للرجل ملك ولكن لا يكون ملكا حتى يكثر ذلك فلو ملك
الرجل دارا وامرأة لم يكن ملكا حتى يكون له خادم يكفيه مؤنة التصرف في المنافع التي
يفتقر إليها لضرورته الآدمية وقد مضى هذا المعنى في براءة وحقيقة الملك في النحل
مستوفى قوله تعالى وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب فيه مسألتان الأولى قوله
تعالى وآتيناه الحكمة أي النبوة عن السدي مجاهد العدل أبو العالية العلم بكتاب
الله تعالى قتادة السنة شريح العلم والفقه وفصل الخطاب قال أبو عبد الرحمن
السلمي وقتادة يعني الفصل في القضاء وهو قول ابن مسعود والحسن والكلبي
ومقاتل وقال ابن عباس بيان الكلام علي بن أبي طالب هو البينة على المدعي واليمين
على من أنكر وقاله شريح والشعبي وقتادة أيضا وقال أبو موسى الأشعري والشعبي
أيضا هو قوله أما بعد وهو أول من تكلم بها وقيل فصل الخطاب البيان الفاصل
بين الحق والباطل وقيل هو الإيجاز بجعل المعنى الكثير في اللفظ القليل والمعنى
في هذه الأقوال متقارب وقول علي رضي الله عنه يجمعه لأن مدار الحكم عليه في القضاء
ما عدا قول أبي موسى الثانية قال القاضي أبو بكر ابن العربي فأما علم القضاء فلعمر إلهك
إنه لنوع من العلم مجرد وفصل منه مؤكد عند معرفة الأحكام والبصر بالحلال والحرام
ففي الحديث أقضاكم علي وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل فقد يكون الرجل بصيرا
بأحكام الأفعال عارفا بالحلال والحرام ولا يقوم بفصل القضاء يروى أن علي بن أبي
طالب رضي الله عنه قال لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم حفر قوم زبية
للأسد فوقع فيها الأسد وازدحم الناس على الزبية فوقع فيها رجل وتعلق بآخر
وتعلق الآخر بالآخر حتى صاروا أربعة فجرحهم الأسد فيها فهلكوا وحمل القوم السلاح
وكاد يكون بينهم قتال فأتيتهم فقلت أتقتلون مائتي رجل من أجل أربعة أناسي تعالوا
أقض بينكم بقضاء فإن رضيتموه فهو قضاء بينكم وإن أبيتم رفعتم ذلك إلى رسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم فهو أحق بالقضاء فجعل للأول ربع الدية وجعل للثاني ثلث
الدية وجعل للثالث نصف الدية وجعل للرابع الدية وجعل الديات على من حضر
الزبية على القبائل الأربع فسخط بعضهم ورضي بعضهم ثم قدموا على رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقصوا عليه القصة فقال أنا أقضي بينكم فقال قائل إن عليا قد قضى
بيننا فأخبروه بما قضى علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم القضاء كما قضى علي في رواية
فأمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم قضاء علي وكذلك يروى في المعرفة بالقضاء أن أبا
حنيفة جاء إليه رجل فقال إن ابن أبي ليلى وكان قاضيا بالكوفة جلد امرأة مجنونة
قالت لرجل يا ابن الزانيين حدين في المسجد وهي قائمة فقال أخطأ من ستة أوجه
قال ابن العربي وهذا الذي قاله أبو حنيفة بالبديهة لا يدركه أحد بالروية إلا العلماء
فأما قضية علي فلا يدركها الشادي ولا يلحقها بعد التمرن في الأحكام إلا العاكف في
التمادي وتحقيقها أن هؤلاء الأربعة المقتولين خطأ بالتدافع على الحفرة من الحاضرين
عليها فلهم الديات على من حضر على وجه الخطأ بيد أن الأول مقتول بالمدافعة قاتل
ثلاثة بالمجاذبة فله الدية بما قتل وعليه ثلاثة أرباع الدية بالثلاثة الذين قتلهم
وأما الثاني فله ثلث الدية وعليه الثلثان بالاثنين الذين قتلهما بالمجاذبة وأما الثالث
فله نصف الدية وعليه النصف لأنه قتل واحدا بالمجاذبة فوقعت المحاصة وغرمت العواقل
هذا التقدير بعد القصاص الجاري بينهم وهذا من بديع الاستنباط وأما أبو حنيفة فإنه
نظر إلى المعاني المتعلقة فرآها ستة الأول المجنون لا حد عليه لأن الجنون يسقط التكليف
وهذا إذا كان القذف في حال الجنون وأما إذا كان يجن مرة ويفيق أخرى فإنه يحد
بالقذف في حال إفاقته والثاني قولها يا ابن الزانيين فجلدها حدين لكل أب حد فإنما
خطأه أبو حنيفة على مذهبه في أن حد القذف يتداخل لأنه عنده حق الله تعالى كحد
الخمر والزنا وأما الشافعي ومالك فإنهما يريان أن الحد بالقذف حق للآدمي فيتعدد بتعدد
المقذوف ولا يجوز إقامة حد القذف بإجماع من الأمة إلا بعد المطالبة فأما من يقول
إنه حق لله تعالى ومن يقول إنه حق للآدمي إذ لو كان حقا لله لما وقف على المطالبة كحد
الزنا الرابع والى بين الحدين ومن وجب عليه حدان فلم يوال عليه بينهما بل يحد لأحدهما
ثم يترك حتى يندمل الضرب ثم يقام الحد الآخر الخامس أنه حد المرأة ولا يحدها قائمة ولا
تحد المرأة إلا جالسة مستورة قال بعض الناس في زنبيل السادس أنه أقام الحد في المسجد
ولا يقام الحد فيه إجماعا وفي القصاص في المسجد وفي التعزير فيه خلاف قال القاضي فهذا
هو فصل الخطاب وعلم القضاء الذي وقعت الإشارة إليه على أحد التأويلات في الحديث المروي
أقضاكم علي وأما من قال إنه الإيجاز فذلك للعرب دون العجم ولمحمد صلى الله عليه وسلم دون
العرب وقد بين هذا بقوله وأوتيت جوامع الكلم وأما من قال إنه قوله أما بعد فكان النبي
صلى الله عليه وسلم يقول في خطبته أما بعد ويروى أنه من قالها في الجاهلية سحبان ابن
وائل أول من آمن بالبعث وأول من توكأ على عصا وعمر مائة وثمانين سنة ولو صح أن داود
قالها لم يكن ذلك منه بالعربية على هذا النظم وإنما كان بلسانه والله أعلم قوله تعالى
وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب إلى قوله وحسن مآب فيه أربع وعشرون مسألة الأولى
قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم الخصم يقع على الواحد والاثنين والجماعة لأن أصله
المصدر قال الشاعر ۞ وخصم غضاب ينفضون لحاهم ۞ كنفض البراذين العراب المخاليا ۞
النحاس ولا خلاف بين أهل التفسير أنه يراد به هاهنا ملكان وقيل تسوروا وإن كان
اثنين حملا على الخصم إذ كان بلفظ الجمع ومضارعا له مثل الركب والصحب وتقديره للاثنين
ذوا خصم وللجماعة ذوو خصم ومعنى تسوروا المحراب أتوه من أعلى سوره يقال تسورت
الحائط تسلقته والسور حائط المدينة وهو بغير همز وكذلك السور جمع سورة مثل بسرة
وبسر وهي كل منزلة من البناء ومنه سورة القرآن لأنها منزلة بعد منزلة مقطوعة عن الأخرى
وقد مضى في مقدمة الكتاب بيان هذا وقول النابغة
۞ ألم تر أن الله أعطاك سورة ۞ ترى كل ملك دونها يتذبذب ۞

يريد تشرفا ومنزلة فاما السور بالهمز فهو بقية الطعام في الانا ابن العربي والسور
الوليمة بالفارسية وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الاحزاب ان جابرا
قد صنع لكم سورا فحي هلا بكم والمحراب هنا الغرفة لانهم تسوروا عليه فيها قاله يحيى ابن
سلام وقال ابو عبيدة انه صدر المجلس ومنه محراب المسجد وقد مضى القول فيه في
غير موضع اذ دخلوا على داود جاءت اذ مرتين لانهما فعلان وزعم الفرا ان احدهما بمعنى لما وقول
اخر ان تكون الثانية مع ما بعدها تبيينا لما قبلها قيل انهما كانا انسيين قاله النقاش وقيل
ملكين قاله جماعة وعينهما جماعة فقالوا انهما جبريل وميكائيل وقيل ملكين في صورة انسيين
بعثهما الله تعالى اليه في يوم عبادته فمنعهما الحرس الدخول فتسوروا المحراب فما شعر
وهو في الصلاة الا وهما بين يديه جالسين وهو قوله تعالى وهل اتاك نبا الخصم
اذ تسوروا المحراب اي علوا ونزلوا عليه من فوق المحراب قاله سفيان الثوري وغيره وسبب
ذلك ما حكاه ابن عباس ان داود عليه السلام حدث نفسه ان ابتلي ان يعتصم فقيل له
انك ستبتلى وتعلم اليوم الذي تبتلى فيه فخذ حذرك فاخذ الزبور ودخل المحراب
ومنع من الدخول عليه فبينا هو يقرا الزبور اذ جا طاير كاحسن ما يكون من الطير فجعل
يدرج بين يديه فهم ان يتناوله بيده فاستدرج حتى وقع في كوة المحراب فدنا منه
لياخذه فانتقض فاطلع ليبصره فاشرف على امراة تغتسل فلما راته غطت جسدها بشعرها
قال السدي فوقعت في قلبه قال ابن عباس وكان زوجها غازيا في سبيل الله وهو
اوريا بن حنان فكتب داود الى امير الغزاة ان يجعل زوجها في حملة التابوت وكان حملة
التابوت اما ان يفتح الله عليهم او يقتلوا فقدمه فيهم فقتل فلما انقضت عدتها خطبها
داود واشترطت عليه ان ولدت غلاما ان يكون الخليفة بعده وكتبت عليه بذلك كتابا
واشهدت عليه خمسين رجلا من بني اسرايل فلم تستقر بذلك نفسه حتى ولدت سليمان
عليه السلام وشب وتسور الملكان وكان من شانهما ما قص الله في كتابه ذكره الماوردي
وغيره ولا يصح قال ابن العربي وهو امثل ما روي في ذلك قلت ورواه مرفوعا بمعناه
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول عن يزيد الرقاشي سمع انس بن مالك يقول سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي عليه السلام حين نظر الى المراة
فهم بها قطع على بني اسرايل بعثا واوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب
فلانا وسماه قال فقربه بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به
من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش الذي يقاتله
فقدم فقتل زوج المراة ونزل الملكان على داود عليه السلام فقصا عليه القصة وقال
سعيد عن قتادة كتب الى زوجها وذلك في حصار عمان مدينة بلقا ان ياخذوا بحلقة
الباب وفيه الموت الاحمر فتقدم فقتل وقال الثعلبي قال قوم من العلما انما امتحن
الله تعالى داود بالخطيئة لانه تمنى يوما على ربه منزلة ابراهيم واسحاق ويعقوب
وسال ان يمتحنه نحو ما امتحنهم ويعطيه نحو ما اعطاهم وكان داود قد قسم الدهر ثلاثة
ايام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه بنسايه واشتغاله وكان يجد فيما
يقرا من الكتب فضل ابراهيم واسحاق ويعقوب فقال يا رب ان الخير كله قد ذهب به
اباي فاوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها غيرهم فصبروا عليها ابتلي
ابراهيم بنمرود وبالنار وبذبح ابنه وابتلي اسحاق بالذبح وابتلي يعقوب بالحزن
على يوسف وذهاب بصره ولم تبتل انت بشي من ذلك فقال داود عليه السلام فابتلني
بمثل ما ابتليتهم واعطني مثل ما اعطيتهم فاوحى الله تعالى اليه انك مبتلى في شهر
كذا في يوم كذا في يوم الجمعة فلما كان ذلك اليوم دخل محرابه واغلق بابه وجعل يصلي
ويقرا الزبور فبينا هو كذلك اذ مثل له الشيطان في صورة حمامة من ذهب فيها من
كل حسن لون فوقعت بين رجليه فمد يده لياخذها فيدفعها لابن له صغير فطارت
حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت فنظر داود يرتفع في اثرها ليبعث
اليها من ياخذها فنظر امراة في بستان على شط بركة تغتسل قاله الكلبي وقال السدي

تغتسل

تغتسل عريانة على سطح لها فراى اجمل النسا خلقا فنظرت ظله فنقضت شعرها
فغطى بدنها فزاده اعجابا بها وكان زوجها اوريا ابن حنان في غزوة مع ايوب بن صوريا
ابن اخت داود فكتب داود الى ايوب ان ابعث باوريا الى مكان كذا وكذا وقدمه
امام التابوت وكان من قدم قبل التابوت لا يحل له ان يرجع وراه حتى يفتح الله عليه
او يستشهد فقدمه ففتح له فكتب الى داود يخبره بذلك قال الكلبي وكان اوريا سيف
الله في ارضه في زمان داود وكان اذا ضرب ضربة وكبر كبر جبريل عن يمينه وميكائيل
عن شماله وكبرت ملايكة السما بتكبيره حتى ينتهي ذلك الى العرش فتكبر ملايكة العرش
بتكبيره قال وكان سيوف الله هكذا ثلاثة كالب بن يوفنا في زمن موسى واوريا
في زمن داود وحمزة ابن عبد المطلب في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما كتب ايوب
الى داود يخبره ان الله قد فتح على اوريا كتب داود اليه ان ابعثه في بعث كذا وقدمه
امام التابوت ففتح الله عليه فقتل في الثالثة شهيدا فتزوج داود تلك المراة حين
انقضت عدتها فهي ام سليمان بن داود وقيل سبب امتحان داود عليه السلام ان نفسه
حدثته انه يطيق قطع يوم بغير مقارفة شي قال الحسن ان داود جزا الدهر اربعة
اجزا جزا لنسايه وجزا للعبادة وجزا لبني اسرايل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكونه ويبكيهم
ويوم للقضا فتذاكروا هل يمر على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فاضمر داود ذلك
انه يطيقه فاغلق الباب على نفسه يوم عبادته وامر ان لا يدخل عليه احد واكب
على قراة الزبور فوقعت حمامة من ذهب بين يديه وذكر نحو ما تقدم قال علماونا
وفي هذا دليل وهي الثانية على انه ليس للحاكم ان ينتصب للناس كل يوم وانه ليس
للانسان ان يترك وطي نسايه وان كان مشغولا بالعبادة وقد مضى هذا المعنى
في النسا وحكم كعب بذلك في زمن عمر بحضرته رضي الله عنهما وقد قال عليه السلام لعبد الله
ابن عمرو ان لزوجك عليك حقا الحديث وقال الحسن ايضا ومجاهد ان داود عليه السلام
قال لبني اسرايل حين استخلف والله لاعدلن بينكم ولم يستثن فابتلي بهذا وقال
ابو بكر الوراق كان داود كثير العبادة فاعجب بعمله وقال هل في الارض احد يعمل
كعملي فاوحى الله اليه جبريل فقال ان الله تعالى يقول لك اعجبت بعبادتك والعجب
ياكل العبادة كما تاكل النار الحطب فان اعجبت ثانية وكلتك الى نفسك قال يا رب
كلني الى نفسي سنة قال ان ذلك لكثير قال فشهرا قال ان ذلك لكثير قال يا رب
فكلني الى نفسي ساعة قال شانك بها قال فوكل الاحراس ولبس الصوف ودخل
المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينا هو في عبادته اذ وقع الطاير بين يديه فكان
من امر المراة ما كان وقال سفيان الثوري قال داود يوم يا رب ما من يوم الا ومن ال
داود لك فيه صايم وما من ليلة الا ومن ال داود لك فيها قايم فاوحى الله عز وجل
اليه يا داود منك ذلك او مني وعزتي لاكلنك الى نفسك قال يا رب اعف عني قال
اكلك الى نفسك سنة قال لا بعزتك قال فشهرا قال لا بعزتك قال فاسبوعا قال
لا بعزتك قال فساعة قال لا بعزتك قال فلحظة فقال له الشيطان وما قدر
لحظة قال كلني الى نفسي لحظة فوكله الله الى نفسه لحظة وقيل له هي في يوم كذا
اي في ساعة كذا فلما جا ذلك اليوم جعله للعبادة ووكل الاحراس حول مكانه قيل
اربعة الاف وقيل ثلاثين الفا وقيل ثلاثة عشر الفا وخلا بعبادة ربه
ونشر الزبور بين يديه فجاءت الحمامة فوقعت له فكان من امره في لحظته مع المراة ما
كان وارسل الله عز وجل اليه الملكان بعد ولادة سليمان وضربا له المثل بالنعاج
فلما سمع المثل ذكر خطيئته فخر ساجدا اربعين ليلة على ما ياتي الثالثة قوله تعالى
ففزع منهم لانهم اتياه ليلا في غير وقت دخول الخصوم وقيل لدخولهم عليه بغير
اذنه وقيل لانهم تسوروا عليه المحراب ولم ياتوه من الباب قال ابن العربي وكان محراب
داود عليه السلام من الامتناع بالارتفاع بحيث لا يرتقي اليه ادمي بحيلة الا ان يقيم
فيه ايام او اشهرا بحسب طاقته مع اعوان يكثر عددهم والات جمة مختلفة الانواع ولو قلنا

إنه يوصل إليه من باب المحراب لما قال الله تعالى مخبرا عن ذلك تسوروا المحراب إذ لا يقال تسوروا المحراب والغرفة لمن طلع من درجها وجاءها من أسفلها إلا أن يكون ذلك مجازا وإذا شاهدت الكوة التي منها دخل الخصمان علمت قطعا أنهما ملكان لأنهما من العلو بحيث لا تنالها الأيدي قال الثعلبي وقد قيل كان المتسوران أخوين من بني إسرائيل لأب وأم فلما قضى داود بينهما بقضية قال له ملك من الملائكة فهلا قضيت بذلك على نفسك يا داود قال الثعلبي والأول أحسن أنهما كانا ملكين نبها داود على ما فعل قلت وعلى هذا أكثر أهل التأويل فإن قيل كيف يجوز أن يقول الملكان خصمان بغى بعضنا على بعض وذلك كذب والملائكة عن مثله منزهة فالجواب عنه أنه لا بد في الكلام من تقدير فكأنهما قالا قدرنا كأنا خصمين بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق وعلى ذلك يحمل قولهما إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة لأن ذلك وإن كان بصورة الخبر فالمراد إيراده على طريق التقدير لينبه داود عليه السلام على ما فعل والله أعلم الثانية إن قيل لما فزع داود وهو نبي قد قويت نفسه بالنبوة واطمأنت بالوحي ووثقت بما آتاه الله من المنزلة وأظهر على يديه من الآيات وكان من الشجاعة في غاية المكانة قيل له ذلك سبيل الأنبياء قبله لم يأمنوا القتل والأذية ومنها كان يخاف ألا ترى إلى موسى وهرون عليهما السلام كيف قالا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى فقال الله عز وجل لا تخافا وقالت الرسل للوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك وكذا قال الملكان هنا لا تخف قال محمد بن إسحاق بعث الله إليه ملكين يختصمان إليه وهو في محرابه مثلا ضربه الله له ولأوريا فرآهما واقفين على رأسه فقال ما أدخلكما علي قالا لا تخف نحن خصمان بغى بعضنا على بعض جئناك لتقضي بيننا الخامسة قال ابن العربي فإن قيل كيف لم يأمر بإخراجهم إذ قد علم مطلبهم وهلا أدبهم وقد دخلوا عليه بغير إذن فالجواب عليه من أربعة أوجه الأول أنا لا نعلم كيفية شرعه في الحجاب والإذن فيكون الجواب بحسب تلك الأحكام وقد كان ذلك في ابتداء شرعنا مهملا عن هذه الأحكام حتى أوضحها الله ببيانه الثاني أنا لو نزلنا الجواب على أحكام الحجاب لاحتمل أن يكون الفزع الطارئ عليه أذهله عما كان يجب في ذلك له الثالث أنه أراد أن يستوفي كلامهما الذي دخلا له حتى يعلم آخر الأمر منه ويرى هل يحتمل التقحم بغير إذن أم لا وهل يقترن بذلك عذر لهما أم لا يكون لهما عذر منه فكان من آخر الحال ما انكشف له أنه بلاء ومحنة ومثل ضربه الله في القصة وأدب وقع على دعوى العصمة الرابع أنه يحتمل أن يكون في مسجد ولا إذن في المسجد لأحد إذ لا حجر فيه على أحد قلت وقول خامس ذكره القشيري وهو أنهما قالا لما لم يأذن لنا الموكلون بالحجاب توصلنا إلى الدخول بالتسور وخفنا أن يتفاقم الأمر بيننا فقبل داود عذرهم وأصغى إلى قولهم السادسة قوله تعالى خصمان إن قيل كيف قال خصمان وقبل هذا إذ تسوروا فقيل لأن الاثنين جمع قال الخليل كما تقول نحن فعلنا إذا كنا اثنين وقال الكسائي جمع لما كان خبرا فلما انقضى الخبر وجاءت المخاطبة خبر الاثنان عن أنفسهما فقالا خصمان وقال الزجاج المعنى نحن خصمان وقال غيره القول محذوف أي نقول خصمان بغى بعضنا على بعض قال الكسائي ولو كان بغى بعضهما على بعض لجاز الماوردي وكانا ملكين ولم يكونا خصمين ولا باغيين ولا يأتي منهما كذب وتقدير كلامهما ما تقول إن أتاك خصمان قالا بغى بعضنا على بعض وقيل أي نحن فريقان وقيل أي نحن فريقان من الخصوم بغى بعضنا على بعض وعلى هذا يحتمل أن كانت الخصومة بين اثنين ومع كل واحد جمع ويحتمل أن يكون لكل واحد من هذا الفريق خصومة مع واحد من الفريق الآخر فحضروا الخصومات ولكن ابتدأ منهم اثنان فعرف داود بذكر النعاج القصة وأغنى ذلك عن التعرض للخصومات الأخر والبغي التعدي والخروج عن الواجب يقال بغى الجرح إذا أفرخ وجعه وترامى إلى ما يفحش ومنه بغت المرأة إذا أتت بالفاحشة السابعة قوله تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أي لا تجر قاله السدي وحكاه أبو عبيدة شططت عليه وأشططت أي جرت وفي حديث تميم الداري إنك لشاطي أي جائر علي في الحكم وقال

قتادة

قتادة لا تمل الأخفش لا تسرف وقيل لا تفرط والمعنى متقارب والأصل فيه البعد من شطت الدار أي بعدت فأشط في القضية أي جار وأشط في السوم أي أشطط أي أبعد واشتطوا في طلبي أي أمعنوا قال أبو عمرو الشطط مجاوزة القدر في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس ولا شطط أي لا نقصان ولا زيادة وفي التنزيل لقد قلنا إذا شططا أي جورا من القول وبعدا عن الحق واهدنا إلى سواء الصراط أي أرشدنا إلى قصد السبيل الثامنة إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أي قال الملك الذي تكلم عن أوريا إن هذا أخي أي على ديني وأشار إلى المدعى عليه وقيل أخي أي صاحبي له تسع وتسعون نعجة وقرأ الحسن تسع وتسعون نعجة بفتح التاء فيهما وهي لغة شاذة وهي الصحيحة من قراءة الحسن قاله النحاس والعرب تكني عن المرأة بالنعجة والشاة لما هي عليه من السكون والمعجزة وضعف الجانب وقد يكنى عنها بالبقرة والحجرة والناقة لأن الكل مركوب قال ابن عون:

أنا أبوهن ثلاث هنه * رابعة في البيت صغراهنه
ونعجتي خمسا توفيهنه * ألا فتى سمح يجد بهنه
طي النقا في الجوع يطويهنه * ويل الرغيف ويله منهنه

وقال عنترة

يا شاة ما قنص لمن حلت له * حرمت علي وليتها لم تحرم
فبعثت جاريتي فقلت لها اذهبي * فتجسسي أخبارها لي واعلم
قالت رأيت من الأعادي غرة * والشاة ممكنة لمن هو مرتم
فكأنما التفتت بجيد جداية * رشا من الغزلان حر أرثم

وقال آخر

فرميت غفلة عينه عن شاته * فأصبت حبة قلبها وطحالها

وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء قال الحسين بن الفضل هذا من الملكين تعريض وتنبيه كقولهم ضرب زيد عمرا وما كان ضرب ولا نعاج على التحقيق كأنه قال نحن خصمان هذه حالنا قال أبو جعفر النحاس وأحسن ما قيل في هذا أن المعنى يقول خصمان بغى بعضنا على بعض على جهة المسألة كما تقول رجل يقول لامرأته كذا ما يجب عليه قلت وقد تأول المزني صاحب الشافعي هذه الآية وقوله صلى الله عليه وسلم من حديث ابن شهاب الذي خرجه الموطأ وغيره هو لك يا عبد ابن زمعة على نحو هذا قال المزني يحتمل هذا الحديث عندي والله أعلم أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم أجاب عن المسألة فأعلمهم بالحكم أن هذا إذا ادعى صاحب فراش وصاحب زنا إلا أنه قبل على عتبة قول أخيه سعد ولا على زمعة قول ابنه أنه ولد زنا لأن كل واحد منهما أخبر عن غيره وقد أجمع المسلمون أنه لا يقبل إقرار أحد على غيره وقد ذكر الله سبحانه في كتابه مثل ذلك في قصة داود والملائكة إذ دخلوا عليه ففزع منهم قالوا لا تخف ولم يكونوا خصمين ولا كان لكل واحد منهم تسع وتسعون نعجة ولكنهم كلموه على المسألة ليعرف بها ما أرادوا تعريفه فيحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم حكم في هذه القصة على المسألة وإن لم يكن أحد يؤنسني على هذا التأويل في الحديث فإنه عندي صحيح والله أعلم التاسعة قال النحاس وفي قراءة ابن مسعود إن هذا أخي كان له تسع وتسعون نعجة وكان هنا مثل قوله عز وجل وكان الله غفورا رحيما فأما قوله أنثى فهو تأكيد كما يقال رجل ذكر وهو تأكيد وإن قيل لما كان يقال هذه مائة نعجة وإن كان فيها من الذكور شيء يسير جاز أن يقال أنثى ليعلم أنه لا ذكر فيها وفي التفسير له تسع وتسعون نعجة امرأة قال ابن العربي إن كان جميعهن أحرارا فذلك شرعه وإن كن إماء فذلك شرعنا والظاهر أن شرع من تقدم قبلنا لم يكن محصورا بعدد وإنما الحصر في شرع محمد صلى الله عليه وسلم لضعف الأبدان وقلة الأعمار قال القشيري ويجوز أن يقال لم يكن له هذا العدد بعينه ولكن المقصود ضرب مثل كما تقول لو جئتني مائة مرة لم أقض حاجتك أي مرارا كثيرة قال ابن العربي قال بعض المفسرين لم يكن لداود مائة امرأة وإنما ذكر التسعة والتسعين مثلا المعنى هذا غني عن الزوجة وأنا مفتقر إليها وهذا فاسد من وجهين أحدهما أن العدول

عن الظاهر بغير دليل لا معنى ولا دليل يدل عليه ان شرع من قبلنا كان مقصورا ه
من النسا على ما في شرعنا الثاني انه روي البخاري وغيره ان سليمان عليه السلام قال
لاطوفن الليلة على كل امراة تلد كل امراة غلاما يقاتل في سبيل الله ونسي يقول ان
شا الله وهذا نص الماشرع قوله تعالى ولي نعجة واحدة اي امراة واحدة فقال اكفلنيها
اي انزل لي عنها حتى اكفلها وقال ابن عباس اعطنيها وعنه تحول لي عنها وقاله ابن
مسعود وقال ابو العالية ضمها الي حتى اكفلها وقال بن كيسان اجعلها كفلي ونصيبي
وعزني في الخطاب اي غلبني قال الضحاك ان تكلم كان افصح مني وان حارب كان
ابطش مني يقال عزه يعزه بضم العين في المستقبل عزا غلبه وفي المثل من عز بز اي
من غلب سلب والاسم العزة وهو القوة والغلبة قال
قطاة عزها شرك فباتت • تجاذبه وقد علق الجناح •
وقرا عبد الله بن مسعود وعبيد بن عمير وعازني في الخطاب اي غلبني من المعازة وهي
المغالبة عازه اي غالبه وقال ابن العربي واختلف في سبيل الغلبة فقيل معناه غلبني
ببيانه وقيل غلبني سلطانه لانه لما سالني لم يستطع خلافه كان ببلادنا اميرا يقال له
سير بن ابي بكر فكلمته في ان يسال لي رجلا حاجة فقال لي اما علمت ان طلب السلطان
للحاجة غصب لها فقلت اما اذا كان عدلا فلا فتعجبت من عجمته وحفظه لما تمثل به
وفطنته كما تعجب من جوابي له واستغربه الحادية عشرة قوله تعالى ولي نعجة واحدة اي
امراة واحدة فقال اكفلنيها اي انزل لي عنها قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه
قال النحاس فيقال ان هذه كانت خطيئة داود لانه قال لقد ظلمك من غير تثبت ولا
اقرار من الخصم هل كان هذا كذا ام لم يكن فهذا قول قلت وسيا في بيانه في المسئلة بعد
هذا وهو حسن ان شا الله تعالى قال ابو جعفر النحاس فاما قول العلما الذين لا يدفع
قولهم منهم عبد الله بن مسعود وبن عباس فانهم قالوا ما زاد داود على نبينا وعليه
الصلاة والسلام على ان قال للرجل انزل لي عن امراتك قال ابو جعفر فعاتبه الله عز
وجل على ذلك ونبهه وليس هذا بكبير من المعاصي ومن تخطى الي غير هذا فانما ياتي
بما لا يصح عن عالم ويلحقه فيه اثم عظيم كذا قال في كتاب اعراب القران وقال في
كتاب معاني القران له بمثله قال رضي الله عنه جاءت اخبار وقصص في امر داود
عليه السلام واوريا فاكثرها لا يصح ولا يتصل اسناده ولا ينبغي ان يجترا على مثلها
الا بعد المعرفة بصحتها واصح ما روي في ذلك ما رواه مسروق عن عبد الله بن مسعود
قال ما زاد داود عليه السلام على ان قال اكفلنيها اي انزل لي عنها اي تحول لي
عنها وضمها الي قال ابو جعفر فهذا اجل ما روي في هذا والمعنى عليه ان داود عليه
السلام سال اوريا ان يطلق امراته كما يسال الرجل الرجل ان يبيعه جاريته فنبهه
الله عز وجل على ذلك وعاتبه لما كان نبيا وكان له تسع وتسعون انكر عليه ان يتشاغل
بالدنيا بالتزيد منها فاما غير هذا فلا ينبغي الاجترا عليه قال ابن العربي واما
قولهم انها لما اعجبته امر بتقديم زوجها للقتل في سبيل الله فهذا باطل قطعا فان داود
صلى الله عليه وسلم لم يكن ليريق دمه في غرض نفسه وانما كان من الامر ان داود
قال لبعض اصحابه انزل عن اهلك وعزم عليه في ذلك كما يطلب الرجل من الرجل
الحاجة برغبة صادقة كانت في الاهل او في المال وقد قال سعيد بن الربيع لعبد
الرحمن بن عوف حين اخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ان لي زوجتين انزل
لك عن احسنهما فقال له بارك الله لك في اهلك وما يجوز فعله ابتدا يجوز طلبه
وليس في القران ان ذلك كان ولا انه تزوجها بعد زوال عصمة الرجل عنها ولا ولادتها
لسليمان فعمن يروي هذا ويسند وعلى من في نقله يعتمد وليس ياسره عن الثقات
الاثبات احد اما ان في سورة الاحزاب نكتة تدل على ان داود قد صارت له المراة
زوجة وذلك قوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في
الذين خلوا من قبل يعني في احد الاقوال تزويج داود المراة التي نظر اليها كما تزوج

البني صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الا ان تزويج زينب من غير سوال للزوج
في فرق بل امره بالتمسك بزوجتها وكان تزويج داود للمراة بسوال زوجها فراقها فكانت
هذه المنقبة لمحمد صلى الله عليه وسلم على داود مضافة الي مناقبه العلية ولكن قد قيل
ان معنى سنة الله في الذين خلوا من قبل تزويج الانبيا من غير صداق من وهب نفسه
لهم من النسا وقيل اراد بقوله سنة الله في الذين خلوا من قبل ان الانبيا صلوات الله
عليهم فرض لهم ما يمتسكون في النكاح وغيره وهذا اصح الاقوال وقد روي المفسرون ان داود
عليه السلام نكح ماية امراة وهذا نص القران وقد روي ان سليمان عليه السلام كانت
له ثلاث ماية امراة وسبع ماية جارية وربك اعلم وذكر الكيا الطبري في احكامه في قوله
تعالى وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب الاية ذكر المحققون الذين يرون تنزيه
الانبيا عليهم السلام عن الكباير الطبري ان داود كان قد اقدم على خطبة امراة قد خطبها
غيره يقال هو اوريا فمال القوم الي تزويجها من داود وراغبين فيه وزاهدين في الخاطب
الاول ولم يكن بذلك داود عليه السلام عارفا وقد كان يمكنه ان يعرف ذلك فيعدل عن هذه
الرغبة وعن الخطبة بها فلم يفعل بذلك من حيث اعجب بها اما وصفا او مشاهدة على غير تعمد
وقد كان لداود عليه السلام من النسا العدد الكثير وذلك الخاطب لا امراة له فنبهه الله تعالى
على ما فعل بما كان من تسور الملكين وما اورداه من التمثيل على وجه التعريض لكي يفهم من
ذلك موقع العتب فيعدل عن هذه الطريقة ويستغفر ربه من هذه الصغيرة الثانية عشر
قوله تعالى لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه الفتوي في النازلة بعد السماع من احد
الخصمين وقبل ان يسمع من الاخر بظاهر كقوله قال ابن العربي وهذا مما لا يجوز عند احد
ولا في ملة من الملل ولا يمكن ذلك للبشر وانما تقدير الكلام ان احد الخصمين ادعى والاخر
سلم في الدعوى فوقعت بعد ذلك الفتوي وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا جلس
لك الخصمان فلا تقض لاحدهما حتى تسمع من الاخر وقيل ان داود عليه السلام لم يقض
للاخر حتى اعترف صاحبه بذلك وقيل تقديره لقد ظلمك ان كان كذلك والله اعلم بتعيين
ما يمكن من هذه الوجوه قلت ذكر هذين الوجهين القشيري والماوردي وغيرهما قال
القشيري وقوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الي نعاجه من غير ان يسمع كلام الخصم مشكل
فيمكن ان يقال انما قال هذا بعد مراجعة الخصم الاخر وبعد اعترافه وقد روي هذا
وان لم يثبت روايته فهو معلوم من قراين الحال او اراد لقد ظلمك ان كان الامر على ما
تقول فسكته بهذا وصبره الي ان يسال خصمه قال ويحتمل ان يقال كان من شرعهم التعويل
على قول المدعي عند سكوت المدعي عليه اذا لم يظهر منه انكار بالقول وقال الحليمي
ابو عبد الله في كتاب منهاج الدين له ومما جاء في شكر النعمة المنتظرة اذا حضرت او كانت
خافية فظهرت السجود لله عز وجل وهل اتاك نبا الخصم اذ تسوروا المحراب الي
قوله لزلفى وحسن ماب اخبر الله عز وجل عن داود انه سمع قول المتظلم من الخصمين
ولم يخبر عنه انه سال الاخر انما حكى انه ظلمه فكان ظاهر ذلك انه راي في المتكلم مخايل
الضعف والهضيمة فحمل امره على انه مظلوم كما يقول ودعاه ذلك الي ان لا يسال
الخصم فقال له مستعجلا لقد ظلمك مع امكان انه لو ساله لكان يقول كانت لي ماية
نعجة ولا شي لهذا فسرق مني هذه النعجة فلما رايتها عنده قلت اردها فما قلت
له اكفلنيها وعلم اني مرافعه اليك فجرني قبل ان اجره وجاءك متظلما مني قبل ان اخبره
لتظن انه هو المحق واني انا الظالم ولما تكلم داود بما حملته العجلة عليه علم ان الله
عز وجل خلاه ونفسه في ذلك الوقت وهو الفتنة التي ذكرها وان ذلك لم يكن الا
عن تقصير منه فسجد لله تعالى شكرا على ان عصمه بان اقتصر على تظليم المشكو
ولم يزده على ذلك شيا من انتهار او ضرب او غيرهما مما يليق بمن تصور في القلب
انه ظالم فغفر الله له ثم اقبل عليه يعاتبه فقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله فبان بما اقتصه
الله تعالى من هذه الموعظة التي توخاه بها بعد المغفرة ان خطيئته انما كانت التقصير

في الحكم والمبادرة الى تظليم من لم يثبت عنده ظلمه ثم جاء عن ابن عباس رضي الله عنه
انه قال سجدها داود شكرا وسجدها النبي صلى الله عليه وسلم اتباعا فثبت ان السجود
للشكر سنة متواترة عن الانبيا صلوات الله عليهم اجمعين بسوال نعجتك اي بسواله
نعجتك فاضاف المصدر الى المفعول والقا الها من السوال وهو كقوله تعالى لا يسام
الانسان من دعاء الخير اي من دعايه الخير الثالثة عشر قوله تعالى وان كثيرا من
الخلطا يقال خليط وخلطا لا يقال طويل وطولا لثقل الحركة في الواو وفيه
وجهان احدهما انها الاصحاب الثاني في الشركا قلت اطلاق الخلطا فقال اكثر العلما
هو بان ياتي كل احد بغنمه فيجمعها راع واحد والدلو والمراح قال طاوس وعطا
لا يكون الخلطا الا الشركا وكان هذا خلاف للخبر وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يجمع
بين مفترق ولا يفرق بين مجتمع خشية الصدقة وما كان من خليطين فانهما
يتراجعان بينهما بالسوية وروي فانهما يترادان الفضل ولا موضع لتراد الفضل
بين الشركا فاعلمه واحكام الخلطة مذكورة في كتب الفقه ومالك واصحابه وجمع
من العلما من لا يرون على من ليس في حصته ما يجب فيه الزكاة وقال الربيع والليث
وجمع من العلما منهم الشافعي اذا كان في جميعها ما يجب فيها الزكاة اخذت منها الزكاة
قال مالك وان اخذ المصدق بهذا برا وابينهم للاختلاف في ذلك ويكون حكم
حاكم اختلف فيه الرابعة عشر قوله تعالى ليبغي بعضهم على بعض اي يتعدي ويظلم الا
الذين امنوا وعملوا الصالحات فانهم لا يظلمون احدا وقليل ما هم يعني الصالحين
وقليلهم ما زايدة وقيل ما بمعنى الذي تقديره وقليل الذين هم وسمع عمر رضي الله
عنه رجلا يقول في دعايه اللهم اجعلني من عبادك القليل فقال له عمر ما هذا الدعا
فقال اردت قول الله عز وجل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم فقال
عمر الناس افقه منك يا عمر الخامسة عشر قوله تعالى وظن داود انما فتناه اي ابتليناه
وظن بمعنى ايقن الا ان القراء شرحه بانه لا يجوز ان يكون في المعاين ان يكون الظن
الا بمعنى اليقين والقراءة فتناه بتشديد النون دون التاء وقرا عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فتناه بتشديد التاء والنون على المبالغة وقرا قتادة وعبيد بن عمير
وابن السميقع فتناه بتخفيفهما ورواه علي ابن نصر عن ابي عمرو والمراد به الملكان اللذان
دخلا على داود عليه السلام السادسة عشر قيل لما قضى داود بينهما في المسجد نظر
احدهما الى صاحبه فضحك فلم يفطن داود فاحبا ان يعرفها فصعدا الى السما حيال
وجهه فعلم داود عليه السلام ان الله تعالى ابتلاه بذلك ونبهه على ما ابتلاه قلت
وليس في القران ما يدل على القضا في المسجد الا هذه الاية وبها استدل من قال
بجواز القضا في المسجد ولو كان ذلك لا يجوز كما قال الشافعي لما اقرهم داود على ذلك
ويقول انصرفا الى موضع القضا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يقضون في المسجد وقد
قال مالك القضا في المسجد من الامر القديم يعني في اكثر الامور ولا باس ان
يجلس في رحبته ليصل اليه الضعيف والمشرك والحايض ولا يقيم فيه الحدود ولا
باس بخفيف الادب وقد قال اشهب يقضي في منزله واين احب السابعة عشر
قال مالك رحمه الله وكان الخلفا يقضون بانفسهم واول من استقضى معاوية
قال وينبغي للقضاة مشاورة العلما وقال عمر بن عبد العزيز لا يستقضى حتى يكون
عالما بانا من مضى مستشيرا لذوي الراي حليما نزيها قال ويكون ورعا قال مالك
وينبغي ان يكون مستيقظا كثير التحذر من الحيل وان يكون عالما بالشروط عارفا بما
لا بد له منه من العربية فان الاحكام تختلف باختلاف العبارات والدعاوي والاقرار
والشهادات والشروط التي تضمن حقوق المحكوم له وينبغي له ان يقول قبل انفاذ
الحكم للمطلوب ابقيت لك حجة فان قال لا حكم عليه ولا يقبل منه حجة بعد انفاذ حكمه
الا ان ياتي بما له وجه او بينة واحكام القضا والقضاة فيما لهم وعليهم مذكورة
في غير هذا الموضع الثامنة عشر قوله تعالى فاستغفر ربه اختلف المفسرون في الذنب

الذي

الذي استغفر منه على اقوال ستة الاول انه نظر الى المراة حتى شبع منها قال سعيد
ابن جبير انما كانت النظرة عمدا وقال ابو اسحاق ولم يتعمد داود النظر الى المراة لكنه
عاود النظر اليها فصارت الاولى والثانية عليه الثاني انه اغرى زوجها في حملة التابوت
الثالث انه نوى ان مات زوجها ان يتزوجها الرابع ان اوريا كان خاطب تلك المراة
فلما غاب خطبها داود فزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك اوريا فعتب الله على داود
اذ لم يتركها لخاطبها وقد كانت عنده تسع وتسعون امراة الخامس انه لم يجزع على قتل اوريا
كما كان يجزع على من هلك من الجند ثم تزوج امراته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب
الانبيا وان صغرت فهي عظيمة عند الله السادس انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع
من الاخر قال القاضي ابن العربي اما قول من قال انه حكم لاحد الخصمين قبل ان يسمع
من الاخر فلا يجوز على الانبيا وكذلك تعريض زوجها للقتل واما من قال انه نظر
اليها حتى شبع فلا يجوز ذلك عندي بحال لان طموح النظر لا يليق عندي بالاوليا المتجردين
للعبادة فكيف بالانبيا الذين هم وسايط الله المكاشفون بالغيب وحكى السدي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال لو سمعت رجلا يذكر ان داود عليه السلام قارف
من تلك المراة محرما لجلدته ستين ومائة لان حد الناس ثمانون وحد الانبيا ستون
ومائة ذكره الماوردي والثعلبي ايضا وقال الحارث الاعور عن علي من حدث بحديث
داود على ما يرويه القصاص معتقدا جلدته حدين لعظم ما ارتكب برمي من قد رفع الله
محله وارتضاه من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمهتدين قال ابن العربي وهذا مما لم
يصح عن علي فان قيل فما حكمه عندكم قلنا اما من قال ان نبيا زنا فانه يقتل واما من
نسب اليه دون ذلك من النظر والملامسة فقد اختلف الناس في ذلك فان صمم احد
على ذلك فيه ونسبه اليه قتلته فانه نبيا قص التعزير المامور به فاما قولهم انه وقع
بصره على امراة تغتسل عريانة فلما راته اسبلت شعرها فسترت جسدها فهذا لا حرج
عليه فيه باجماع من الامة لان النظرة الاولى المنظور اليه لا يتعلق بها اثم الناظر فاما
الثانية فلا اصل لها واما قولهم انه ان مات زوجها تزوجها فلا شي فيه اذ لم يعرض
للموت واما قولهم انه خطب على خطبته فروي باطل يرده القران والاثار التفسيرية
كلها وقد روى اشهب عن مالك قال بلغني ان تلك الحمامة اتت فوقعت قريبا من
داود عليه السلام وهي من ذهب فلما راها اعجبته فقام لياخذها فكانت قرب يديه
ثم صنع مثل ذلك مرتين ثم طارت واتبعها ببصره فوقعت عينه على تلك المراة وهي
تغتسل ولها شعر طويل فبلغني انه اقام اربعين ليلة ساجدا حتى نبت العشب من
دموع عينيه قال ابن العربي اما قول المفسرين ان الطاير درج عنده فهم ان ياخذه
واتبعه فهذا لا يناقض العبادة لانه مباح فعله لا سيما وهو حلال وطلب الحلال فريضة
وانما اتبع الطير لذاته لا لجماله فانه لا منفعة له فيه وانما ذكرهم لحسن الطاير حرفه في
الجمال لتمامه انه روي انه كان طايرا من ذهب فاتبعه لياخذه لانه من فضل الله سبحانه
كما روي في الصحيح ان ايوب عليه السلام كان يغتسل عريانا فخر عليه رجل من جراد فجعل
يحثي ويجعل في ثوبه فقال الله تعالى له يا ايوب الم اكن اغنيتك قال بلى يا رب ولكن لا
غنى لي عن بركتك وقال القشيري فهم داود لياخذه ليدفعه الى ابن له صغير فطار ووقع
على كوة البيت وقاله الثعلبي ايضا وقد تقدم التاسعة عشر قوله تعالى وخر راكعا واناب
اي خر ساجدا وقد يعبر عن السجود بالركوع قال الشاعر

فخر على وجهه راكعا * وتاب الى الله من كل ذنب

قال ابن العربي لا خلاف بين العلما ان المراد بالركوع ها هنا السجود فان السجود هو
الركوع والميل ها هنا هو الانحنا واخرها بصقل على الارض ولكنه قد يختص كل واحد
بهيئته ثم جاء على تسمية احدهما بالاخر فسمى السجود ركوعا وقال المهدوي وكان
ركوعهم سجودا وقيل بل كان سجودهم ركوعا وقال مقاتل فوقع من ركوعه ساجدا
نسخ وخر اي بما احسن بالارتقام الى الصلاة ثم وقع من الركوع الى السجود لاشتمالهما

جميعا الي الاعتا وانا ب اي تاب من خطيئته ورجع الي الله تعالى وقال الحسين
ابن الفضل سالني عبد الله بن طاهر وهو الوالي عن قول الله عز وجل وخر راكعا
هل يقال للراكع خر قلت لا قلت فما معنى الاية قلت معناها فخر بعد ان كان راكعا
اي سجد الموفية عشرين واختلف في سجدة داود هل هي من عزائم السجود المامور
به في القران ام لا فروي ابو سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر
ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم
اخر قراها فتشزن الناس للسجود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما توبة نبي
ولكني رايتكم تشزنتم للسجود ونزل وسجد وهذا لفظ ابو داود في البخاري وغيره عن
ابن عباس انه قال ص ليست من عزائم القران وقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يسجد فيها وقد روي من طريق عن ابن مسعود انه قال ص توبة نبي ولا يسجد
فيها وعن ابن عباس انها توبة نبي ونبيكم ممن امران يقتدي به قال ابن العربي
والذي عندي انها ليست موضع سجود ولكن النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها فسجدنا
بالاقتدا به ومعنى السجود ان داود سجد خاضعا لربه معترفا بذنبه تائبا من
خطيئته فاذا سجد احد فيها فليسجد بهذه النية فلعل الله ان يغفر له بحرمة داود الذي
اتبعه وسوا قلنا ان شرع من قبلنا شرع لنا ام لا فهذا امر مشروع في كل امة لكل احد
والله اعلم الحادية والعشرون قال ابن خوازمنداد قوله وخر راكعا واناب فيه
دلالة على ان السجود للشكر مفردا لا يجوز لانه ذكر معه الركوع وانما الذي يجوز ان ياتي
بركعتين شكرا فاما سجدة مفردة فلا وذلك ان البشارات كانت تاتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم والائمة بعده فلم ينقل عن احد منهم انه سجد شكرا ولو كان ذلك
مفعولا لهم لنقل نقلا متظاهرا لحاجة العامة الى جوازه وكونه قربة قلت وفي سنن
ابن ماجه عن عبد الله بن ابي اوفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى يوم بشر
براس ابي جهل ركعتين وخرج من حديث ابي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا اتاه امر يسره او يسر به خر ساجدا شكرا لله وهذا قول للامام الشافعي وغيره
الثانية والعشرون روى الترمذي وغيره واللفظ للغزنوي ان رجلا من الانصار
على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يصلي من الليل يستتر بشجرة وكان
يقرا ص والقران ذي الذكر فلما بلغ السجدة سجد وسجدت معه الشجرة فسمعها وهي
تقول اللهم اعظم لي بهذه السجدة اجرا وارزقني بها شكرا قلت خرج ابن ماجه
في سننه عن ابن عباس قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه رجل فقال
اني رايت البارحة فيما يرى النائم كاني اصلي الى اصل شجرة فقرات السجدة فسجدت
الشجرة لسجودي فسمعتها تقول اللهم احطط عني بها وزرا واكتب لي بها اجرا
واجعلها لي عندك ذخرا قال ابن عباس فرايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
قرا السجدة فسجد فسمعته يقول في سجوده مثل الذي اخبره الرجل عن قول
الشجرة وذكر الثعلبي عن ابي سعيد الخدري قال قلت يا رسول الله رايتني في النوم
كاني تحت شجرة والشجرة تقرا ص فلما بلغت السجدة فسجدت فسمعتها تقول
في سجودها اللهم اكتب لي بها اجرا وحط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها
مني كما تقبلت من عبدك داود سجدته فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم افسجدت
انت يا ابا سعيد فقلت لا والله يا رسول الله فقال والله لقد كنت احق بالسجود
من الشجرة ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم ص حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل ما
قالت الشجرة الثالثة والعشرون قوله تعالى فغفرنا له ذلك اي فغفرنا له ذنبه
قال ابن الانباري فغفرنا له ذلك تام ثم تبتدي وان له وقال القشيري ويجوز
الوقف على فغفرنا له ثم يبتدي ذلك وان له كقوله هذا وان للطاغين اي الامر
ذلك وقال عطا الخراساني وغيره ان داود سجد اربعين يوما حتى نبت المرعى
حول وجهه وغمر راسه فنادى اجائع انت فتطعم او عار فتكسى فنحب نحبة هاج المرعى

اي ينبغي لهم التقدم للسجود
حاشية

من

من حول جوفه فغفر له وستر لها فقال يا رب هذا ذنبي فيما بيني وبينك قد غفرته
وكيف بفلان وكذا وكذا رجلا من بني اسرائيل تركت اولادهم ايتاما ونساءهم ارامل
قال يا داود لا يجاوزني يوم القيمة ظلم امكنه منك ثم استوهبك منه بثواب الجنة قال
يا رب هكذا تكون المغفرة الهنية ثم قيل يا داود ارفع راسك فذهب ليرفع راسه فاذا
به قد نشب في الارض فاتاه جبريل فاقتلعه عن وجه الارض كما يقتلع من الشجرة صمغها
رواه الوليد بن مسلم عن ابن جابر عن عطا قال الوليد واخبرني منير ابن الزبير قال
فلزق موضع مساجده على الارض من فروة وجهه ما شا الله قال الوليد قال ابن لهيعة
فكان يقول في سجوده سبحانك هذا شرابي دموعي وهذا طعامي في رماد بين يدي
في رواية انه سجد اربعين يوما لا يرفع راسه الا للصلاة المكتوبة فبكى حتى نبت العشب
من دموعه وروي مرفوعا من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان داود مكث
اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على راسه واكلت الارض من جبينه وهو
يقول يا رب داود زل زلة بعد بها ما بين المشرق والمغرب رب ان لم تغفر ضعف داود وتغفر
ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فقال له جبريل بعد اربعين سنة يا داود
ان الله قد غفر لك الهم الذي قد هممت به وقال وهب ان داود عليه السلام نودي اني
قد غفرت لك فلم يرفع راسه حتى اتاه جبريل فقال له لم لا ترفع راسك وربك قد غفر لك
قال يا رب وكيف وانت لا تظلم احدا فقال الله لجبريل اذهب الى داود فقل له يذهب الى
قبر اوريا فيتحلل منه فانا اسمعه بذلك فلبس داود المسوح وجلس عند قبر اوريا ونادا
يا اوريا فقال لبيك من قطع هذا الذي قطع عني لذتي وايقظني فقال انا اخوك داود
اسالك ان تجعلني في حل فاني عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة فانت في حل وقال
الحسن وغيره كان داود عليه السلام بعد الخطيئة لا يجالس الا الخاطئين ويقول تعالوا
الى داود الخطا وكان لا يشرب شرابا الا مزجه بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس
في قصعة فلا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الرماد والملح فياكل ويقول
هذا اكل الخاطئين وكان قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر ثم صار بعده
الدهر كله وقام الليل كله وقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته منقوشة
في كفه فكان لا يبسطها لطعام ولا لشراب ولا لشي الا راها فابكته وان كان ليوتى
بالقدح ثلثاه ما فاذا تناوله ابصر خطيئته فما يضعه عن شفته حتى يفيض من دموعه
وروى الوليد بن مسلم حدثني ابو عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انما مثل عيني داود مثل القربتين ينطفان ولقد خد الدموع في خد داود
خديد الما في الارض قال الوليد وحدثنا عثمان بن ابي العاتكة انه كان من قول
داود اذ خلا من الخطيئة شدة قوله في الخطايا بين ان كان يقول اللهم لا تغفر
للخطائين ثم صار الى ان يقول رب اغفر للخطائين لكي تغفر لداود معهم سبحان
خالق النور الهي خرجت اسال اطبا عبادك ان يداووا خطيئتي فكلهم يدلني عليك
الهي اخطات خطيئة قد خفت ان تجعل حصادها عذابك يوم القيمة ان لم
تغفرها سبحان خالق النور الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض برحبها
علي واذا ذكرت رحمتك ارتدت الى روحي وفي الخبر ان داود عليه السلام كان اذا
علا المنبر رفع يمينه فاستقبل بها الناس ليريهم نقش خطيئته فكان يقول
الهي اذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الارض بما رحبت واذا ذكرت رحمتك ارتد الي
روحي رب اغفر للخطائين كي تغفر لداود معهم وكان يتعمد على سبخة اوفرشه من
الليف محشوة بالرماد فكان يستنقع دموعه تحت رجليه حتى تنفذ الافرشة
كلها وكان اذا كان يوم نوحه نادى مناديه في الطرق والاسواق والاودية والشعاب
وعلى رووس الجبال وافواه الغيران الا ان هذا يوم نوح داود فمن اراد ان يبكي على ذنبه
فلياتي داود فيساعده فيهبط السباع من الغيران والاودية وترتفع الاصوات حول
منبره والوحوش والطيور والسباع عكف وبنو اسرائيل حول منبره فاذا اخذ في العويل

والموج وأثارت الخرفات مناروموعه صارت الجماعة ضجة واحدة نوحا وبكا حتى
يموت حول منبره بشر كثير في مثل ذلك اليوم ومات داود عليه السلام فيما قيل يوم
السبت فجاءه ملك الموت وهو يصعد في محرابه وينزل فقال جئت لأقبض روحك فقال
دعني حتى أنزل وأرتقي فقال ما لي إلى ذلك نفدت الأيام والشهور والسنون والآثار
والأرزاق لما أنت بمؤثر بعدها أثرا قال فسجد داود على مرقاة من الدرج فقبض
نفسه على تلك الحال وكان بينه وبين موسى عليهما السلام خمسماية وتسعة وتسعون
سنة وقيل تسع وسبعون وعاش مائة سنة وأوصى إلى ابنه سليمان بالخلافة
الرابعة والعشرون قوله تعالى وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب قال محمد بن كعب
ومحمد بن قيس وإن له عندنا لزلفى قربة عندنا المغفرة وحسن مآب قال وأنه أول
من يشرب الكاس يوم القيمة وخطيئته منقوشة في يده فإذا رآها قيل يوم القيمة
لم يجد منها محرزا إلا أنه يلجأ إلى رحمة الله تعالى قال ثم يرى خطيئته فيقلق فيقال
له هاهنا ثم يرى فيقلق فيقال له هاهنا فذلك قوله عز وجل وإن له عندنا لزلفى
وحسن مآب ذكره الترمذي الحكيم قال ثنا الفضل بن محمد قال حدثنا عبد الملك بن
الأصبغ قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا إبراهيم بن محمد الفزاري عن عبد الملك
ابن أبي سليمان عن مجاهد فذكره قال الترمذي ولقد كنت أمر زمانا طويلا بهذه الآيات
فلا ينكشف لي المراد والمعنى من قوله ربنا عجل لنا قطنا والقط الصحيفة في اللغة
وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلى عليهم فأما من أوتي كتابه بيمينه وقال
إنكم ستجدون هذا كله في صحائفكم تعطونها بشمائلكم فقالوا ربنا عجل لنا قطنا
أي صحيفتنا قبل يوم الحساب قال الله تعالى اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود
ذا الأيد إنه أواب فقص قصة خطيئته إلى منتهاها فكيف أمره بالصبر على ما قالوا
وأمره بذكر داود فأي شيء أريد من هذا الذكر فكيف اتصل هذا بذاك فلا أقف على
شيء يسكن قلبي عليه حتى هداني الله له يوما فألهمته أن هؤلاء لما ذكروا قوله إنهم
يعطون كتبهم بشمائلهم فيها ذنوبهم وخطاياهم استهزاء بأمر الله وقالوا ربنا عجل
لنا قطنا قبل يوم الحساب فأوجعه ذلك من استهزائهم فأمره بالصبر على مقالتهم
وأن يذكر عبده داود سأل تحويل خطيئته أن يراها منقوشة في كفه فنزل به
ما نزل من أنه كان إذا رآها اضطرب وامتلأ القدح من دموعه وكان إذا رآها
بكى حتى ينفذ سبعة أفرشة من الليف محشوة بالرماد لما شاهدها بعد المغفرة
وبعد ضمان الخصم وأن الله تبارك وتعالى اسمه ليستوهبه منه وهو حبيبه
ووليه وصفيه فرؤية نقش الخطيئة بصورتها مع هذه المرتبة صنعت به هكذا
فكيف كان يحل بأعداء الله وعصاته من خلقه وأهل خزيه لو عجلت لهم صحائفهم
فنظروا إلى صور تلك الخطايا التي عملوها على الكفر والجحود وماذا يحل بهم إذا
نظروا إليها في تلك الصحائف وقد أخبرنا الله عنهم فقال فترى المجرمين مشفقين
مما فيه ويقولون يا ويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها
فداود صلوات الله عليه مع المغفرة والبشرى والعطف لم يقم لرؤية صورتها
وقد روينا في الحديث إذا رآها يوم القيمة منقوشة في كفه قلق حتى يقال له
هاهنا ثم يرى فيقلق ثم يقال له هاهنا ثم يرى فيقلق حتى يقرب فيسكن قوله
تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فيه مسئلتان المسألة الأولى قوله
تعالى إنا جعلناك خليفة في الأرض أي ملكناك لتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر
فتخلف من كان قبلك من الأنبياء والأئمة الصالحين وقد مضى في البقرة القول
في الخليفة وأحكامه مستوفى والحمد لله الثانية قوله تعالى فاحكم بين الناس
بالحق أي بالعدل وهو أمر على الوجوب وقد ارتبط هذا بما قبله وذلك أن الذي
عوتب عليه داود طلبه المرأة من زوجها وليس ذلك بعدل فقيل له بعد هذا
فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى أي لا تقتدي بهواك المخالف لأمر الله

فيضلك

فيضلك عن سبيل الله أي عن طريق الجنة إن الذين يضلون عن سبيل الله أي يحيدون
عنها ويتركونها لهم عذاب شديد في النار بما نسوا يوم الحساب أي بما تركوا من سلوك طريق
الله فقوله نسوا أي تركوا الإيمان به أو تركوا العمل به فصاروا كالناسين ثم قيل هذا لداود
لما أكرمه الله بالنبوة وقيل بعد أن تاب عليه وغفر خطيئته الثالثة الأصل في الأقضية قوله
تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق وقوله وأن احكم
بينهم بما أنزل الله تعالى وقوله تعالى لتحكم بين الناس بما أراك الله وقوله تعالى يا أيها الذين
آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط الآية وقد تقدم الكلام فيه الرابعة قال ابن عباس
في قوله تعالى يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى
فيضلك عن سبيل الله قال إن ارتفع لك الخصمان فكان لك في أحدهما هوى فلا تشته في نفسك
الحق له ليفلج على صاحبه فإن فعلت محوت اسمك من نبوتي ثم لا تكون خليفتي ولا أهل كرامتي
فدل هذا على بيان وجوب الحكم بالحق وأن لا يميل إلى أحد الخصمين لقرابة أو رجاء نفع أو سبب
يقتضي الميل من صحبة أو صداقة أو غيرهما وقال ابن عباس إنما ابتلي سليمان بن داود
عليهما السلام لأنه تقدم إليه خصمان فهوي أن يكون الحق لأحدهما وقال عبد العزيز بن أبي داود
بلغني أن قاضيا كان في زمن بني إسرائيل بلغ من اجتهاده أن طلب إلى ربه أن يجعل بينه وبينه
علما إذا قضى بالحق عرف ذلك وإذا قصر عرف ذلك فقيل له ادخل منزلك ثم مد يدك في جدارك
ثم انظر حيث تبلغ أصابعك من الجدار فاخطط عندها خطا فإذا أنت قمت من مجلس القضاء فارجع
إلى ذلك الخط فامدد يدك إليه فإنك متى كنت على الحق فإنك ستبلغه وإن قصرت عن الحق
قصر بك فكان يغدو إلى القضاء وهو مجتهد فكان لا يقضي إلا بالحق وكان إذا قام من مجلسه
وفرغ لم يذق طعاما ولا شرابا ولم يفض إلى أهله بشيء من الأمور حتى يأتي ذلك الخط فإذا بلغه
حمد الله وأفضى إلى كل ما أحل الله له من أهل أو مطعم أو مشرب فلما كان ذات يوم وهو في
مجلس القضاء أقبل إليه رجلان يريدانه فوقع في نفسه أنهما يريدان أن يختصما إليه وكان
أحدهما له صديقا وخدنا فتحرك قلبه عليه محبة أن يكون الحق له فيقضي له فلما أن تكلما
دار الحق على صاحبه فقضى عليه فلما قام من مجلسه ذهب إلى خطه كما كان يذهب كل يوم
فمد يده إلى الخط فإذا الخط قد ذهب وتشمر إلى السقف وهو لا يبلغه فخر ساجدا وهو
يقول يا رب شيئا لم أتعمده ولم أرده فبينه لي فقيل له أتحسبن أن الله تعالى لم يطلع على جور
قلبك حيث أحببت أن يكون الحق لصديقك فيقضي له به قد أردته وأحببته ولكن الله
قد رد الحق إلى أهله وأنت لذلك كاره وعن ليث قال تقدم إلى عمر بن الخطاب خصمان فأقامهما
ثم عادا فأقامهما ثم عادا ففصل بينهما فقيل له في ذلك فقال تقدما إلي فوجدت لأحدهما
ما لم أجد لصاحبه فكرهت أن أفصل بينهما على ذلك ثم عادا فوجدت بعض ذلك ثم عادا وقد
ذهب ذلك ففصلت بينهما وقال الشعبي كان بين عمر وأبي خصومة فتقاضيا إلى زيد بن
ثابت فلما دخلا عليه أشار لعمر على وسادته فقال عمر هذا أول جورك أجلسني وإياه مجلسا
واحدا فجلسا بين يديه الخامسة هذه الآية تمنع من حكم الحاكم بعلمه لأن الحكام لو
مكنوا أن يحكموا بعلمهم لم يشأ أحدهم إذا أراد أن يحفظ وليه ويهلك عدوه إلا ادعى علمه
فيما حكم به ونحو ذلك روي عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر قال لو رأيت رجلا على حد
من حدود الله ما أخذته حتى يشهد على ذلك غيري وروي أن امرأة جاءت إلى عمر فقالت
له احكم لي على فلان فإنك تعلم ما لي عنده فقال لها إن أردت أن أشهد لك فنعم وأما الحكم
فلا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بيمين وشاهد
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اشترى فرسا فجحده البائع فلم يحكم عليه بعلمه
وقال من يشهد لي فقام خزيمة فشهد فحكم خرج الحديث أبو داود وغيره وقد مضى في البقرة
قوله تعالى وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما باطلا أي هزلا ولعبا أي ما خلقناهما
إلا لأمر صحيح وهو الدلالة على قدرتنا ذلك ظن الذين كفروا أي حسبان الذين كفروا أن الله
خلقهما باطلا فويل للذين كفروا من النار ثم وبخهم فقال أم نجعل الذين آمنوا وعملوا
الصالحات والميم صلة تقديره أنجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في

الارض فكان في هذا رد على المرجية لانهم يقولون يجوز ان يكون المفسد كالصالح او ارفع
درجة منه وبعده ايضا ام نجعل المتقين كالفجار اي انجعل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
كالفجار قاله ابن عباس وقيل هو عام في المسلمين المتقين والفجار في الكافرين وهو
احسن وهو رد على منكري البعث الذين جعلوا مصير المطيع والعاصي الى شي واحد قوله
تعالى كتاب اي هذا كتاب انزلناه اليك يا محمد ليدبروا اي ليتدبروا فادغمت التاء في
الدال وفي هذا دليل على وجوب معرفة معاني القران ودليل على ان الترتيل افضل من
الهذ اذ لا يصح التدبر مع الهذ على ما بيناه في كتاب التذكرة وقال الحسن تدبر ايات الله
اتباعها وقراة العامة ليدبروا وقرا ابو جعفر وشيبة لتدبروا اياته بتخفيف الدال وهي
قراة علي رضي الله عنه والاصل لتتدبروا فحذف احدى التائين تخفيفا وليتذكر اولوا
الالباب اي اصحاب العقول واحدها لب وقد جمع على الب كما جمع بوس على ابوس ونعم
على انعم قال ابو طالب قلبي اليه مشرف الالب وربما اظهروا التضعيف في ضرورة الشعر كما قال
الكميت • اليكم ذوي ال النبي تطلعت • نوازع من قلبي ظماء والبب •
قوله تعالى ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه اواب لما ذكر داود ذكر سليمان
لما ذكر داود ذكر سليمان واواب معناه مطيع اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد
يعني الخيل جمع جواد للفرس اذا كان شديد الحضر كما يقال للانسان جواد اذا كان
كثير العطية غزيرها يقال قوم اجواد وخيل جياد جاد الرجل بماله يجود جودا فهو
جواد وقوم جود مثال قذال وقذل وانما سكنت الواو لانها حرف علة واجواد واجاود
وجوادا وكذلك امراة جواد ونسوة جود مثل نوار ونور قال الشاعر •
• صناع باشفاهان حصان بشكرها • جواد بقوت البطن والعرق زاخر •
ويقول مررنا بعقبة جواد وعقبتين جوادين وعقبا جياد وجاد الفرس اي صار رابعا
يجود جودة بالضم فهو جواد للذكر والانثى من خيل جياد واجياد واجاويد وقيل
انها الطوال الاعناق ماخوذ من الجيد وهو العنق لان طوال الاعناق من الخيل من
فراهتها وفي الصافنات ايضا وجهان احدهما ان صفونها قيامها قاله القتبي والفرا
الصافن في كلام العرب القايم من الخيل او غيرها ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال من سره ان يقوم له الرجال صفونا فليتبوا مقعده من النار اي يديمون
له القيام حكاه قطرب وانشد قول النابغة
• لنا قبة مضروبة بفنايها • عتاق المهاري والجياد الصوافن •
وهذا قول قتادة الثاني ان صفونها رفع احدى اليدين على طرف الحافر حتى يقوم على ثلاث
كما قال الشاعر • الف الصفون فما يزال كانه • مما يقوم على الثلاث كسيرا •
وقال عمرو بن كلثوم • تركنا الخيل عاكفة عليه • مقلدة اعنتها صفونا •
وهذا قول مجاهد وقال الكلبي غزا سليمان اهل دمشق ونصيبين فاصاب منهم الف
فرس وكان ابوه اصابها من العمالقة وقال الحسن بلغني انها كانت خيلا خرجت
من البحر لها اجنحة وقاله الضحاك وانها كانت خيلا اخرجت لسليمان من البحر لها
اجنحة وقاله الضحاك منقوشة ذات اجنحة ابن زيد اخرج الشيطان لسليمان
الخيل من البحر من مروج البحر وكانت لها اجنحة وكذلك قال علي رضي الله عنه كانت
عشرين فرسا ذوات اجنحة وقيل كانت مائة فرس وفي الخبر عن ابراهيم التيمي انها
كانت عشرين الفا والله اعلم وقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي يعني بالخير
الخيل والعرب تسميها كذلك وتعاقب بين الراء واللام فتقول انهملت العين وانهمرت
وختلت وخترت اذا خدعت قال الفرا الخير في كلام العرب والخيل واحد النحاس
في الحديث الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيامة فكانها سميت خيرا لهذا وفي الحديث
لما وفد زيد الخيل على النبي صلى الله عليه وسلم قال له انت زيد الخير وهو زيد بن
مهلهل الشاعر وقيل انما سميت خيرا لما فيها من المنافع وفي الخبر ان الله تعالى عرض على
ادم عليه السلام جميع الدواب وقال له اختر منها واحدا فاختار الفرس فقيل له اخترت

عزك

عزك فصار اسمه الخير من هذا الوجه وسميت خيلا لانها موسومة بالعز وسمي فرسا لانه
يفترس مسافات الجو افتراس الاسد وثبانا ويقطعها كالالتهام بيده على كل شي خبطا وتناولا
وسمي عربيا لانه جي به من بعد ادم لاسماعيل جزاء عن رفع قواعد البيت واسماعيل عربي
فصارت له نحلة من الله فسمي عربيا وحب مفعول في قول الفرا المعنى اني اثرت حب
الخير وغيره يقدره مصدرا اضيف الى المفعول اي احببت الخير حبا فالهاني عن ذكر ربي وقيل
ان معنى احببت قعدت وتاخرت من قولهم احب البعير اذا برك وتاخر واحب فلان اي
طال اسه قال ابو زيد يقال بعير محب وقد احب احبابا وهو ان يصيبه مرض او كسر
فلا يبرح مكانه حتى يبرا او يموت وقال ثعلب يقال ايضا للبعير الحسير محب فالمعنى
قعدت عن ذكر ربي وحب على هذا مفعول له وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان احببت
بمعنى لزمت من قوله مثل بعير السوء اذ احبا حتى توارت بالحجاب يعني الشمس كناية عن غير
مذكور مثل قوله تعالى ما ترك على ظهرها من دابة اي على ظهر الارض وتقول العرب هاجت
باردة اي هاجت الريح باردة وقال الله تعالى حتى اذا بلغت الحلقوم اي بلغت النفس الحلقوم
وقال تعالى انها ترمي بشرر كالقصر ولم يتقدم للنار ذكر وقال الزجاج انما يجوز الاضمار
اذا جرى ذكر الشي او دليل الذكر وقد جرى هاهنا الدليل وهو قوله بالعشي والعشي ما بعد
الزوال والتواري الاستتار عن الابصار والحجاب جبل اخضر محيط بالخلائق قاله قتادة وكعب وقيل
حتى توارت اي الخيل في المسابقة وذلك ان سليمان عليه السلام كان له ميدان مستدير
يسابق فيه بين الخيل حتى توارى عنه وتغيب عن عينه في المسابقة لان الشمس لم يجر
لها ذكر وذكر النحاس ان سليمان عليه السلام كان في صلاة فجي اليه بخيل لتعرض عليه قد
غنمت فاشار بيده لانه كان يصلي حتى توارت الخيل وسترتها جدر الاصطبلات فلما فرغ
من صلاته قال ردوها علي فطفق مسحا اي فاقبل يمسحها مسحا وفي معناه قولان احدهما
انه اقبل يمسح سوقها واعناقها بيده اكراما منه لها وليري ان الجليل لا يقبح ان يفعل مثل هذا
بخيله وقال قايل هذا القول كيف يقتلها وفي ذلك افساد المال ومعاقبة من لا ذنب له وقيل
المسح هاهنا هو القطع اذن له في قتلها قال الحسن والكلبي ومقاتل صلى سليمان الصلاة
الاولى وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه وكانت الف فرس فعرض عليه منها تسع مائة فتنبه
لصلاة العصر فاذا الشمس قد غربت وفاتت الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاغتم فقال
ردوها علي فردت فعقرها بالسيف قربة لله وبقي منها مائة فما في ايدي الناس من
الخيل العتاق اليوم فهي من نسل تلك الخيل قال القشيري وقيل ما كان في ذلك
الوقت صلاة الظهر ولا صلاة عصر بل كانت تلك الصلاة نافلة فشغل عنها وكان
سليمان عليه السلام رجلا مهيبا فلم يذكره احد ما نسي من الفرض او النفل وظنوا التاخر
مباحا فتذكر سليمان تلك الصلاة الفايتة وقال على سبيل التلهف اني احببت حب
الخير عن ذكر ربي اي عن الصلاة وامر برد الافراس اليه وامر بضرب عراقيبها واعناقها
ولم يكن ذلك معاقبة للافراس اذ ذبح البهايم جايز اذا كانت ماكولة بل عاقب نفسه حتى
لا تشغله الخيل بعد ذلك عن الصلاة ولعله عرقبها ليذبحها فحبسها بالعرقبة عن النفار
ثم ذبحها في الحال ليتصدق بلحمها او لان ذلك كان مباحا في شرعه فاتلفها لما شغلته
عن ذكر الله حتى يقطع عن نفسه ما يشغله عن الله فاثنى الله عز وجل عليه بهذا
وبين انه اثابه بان سخر له الريح فكان يقطع عليها من المسافة في يوم ما يقطع مثله
على الخيل في شهرين غدوا ورواحا وقد قيل ان في قوله ردوها علي للشمس لا للخيل
قال ابن عباس سالت عليا عن هذه الاية فقال ما بلغك فيها فقلت سمعت كعبا
يقول ان سليمان عليه السلام لما اشتغل بعرض الافراس حتى توارت الشمس بالحجاب
وفاتته الصلاة قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي اي اثرت حب الخير عن ذكر
ربي الاية ردوها علي يعني الافراس وكانت اربعة عشر فضرب سوقها واعناقها
بالسيف وان الله سلبه ملكه اربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل فقال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه كذب كعب لكن سليمان اشتغل بعرض الافراس للجهاد حتى توارت اي

غربت الشمس بالحجاب فقال يأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعني الشمس فردوها
حتى صلى العصر في وقتها وان الانبياء لا يظلمون لانهم معصومون قلت الاكثر في التفسير
ان الذي توارت بالحجاب هي الشمس وتركها لدلالة السامع عليها مما ذكره مما يرتبط بها ويتعلق
بذكرها حسب ما تقدم بيانه وكثيرا ما يضمرون الشمس قال لبيد

٭ حتى اذا القت يدا في كافر ٭ واجن عورات الثغور ظلامها ٭

والهاء في ردوها ومسحها قال الزهري وابن كيسان كان يمسح سوقها واعناقها وكان يكشف
الغبار عنها حبا لها وقاله الحسن وقتادة وابن عباس وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم
روي وهو يمسح فرسه بردائه وقال اني عوتبت الليلة في الخيل خرجه الموطا عن يحيى
ابن سعيد مرسلا وهو في غير الموطا مسند متصل عن مالك عن يحيى بن سعيد عن انس
وقد مضى في الانفال قوله عليه السلام واذا مسحوا بنواصيها واكفالها وروى ابن وهب عن
مالك انه مسح اعناقها وسوقها بالسيوف قلت وقد استدل الشبلي وغيره من الصوفية
في تقطيع ثيابهم وتخريقها بفعل سليمان هذا وهو استدلال فاسد لانه لا يجوز ان ينسب
الى نبي معصوم انه فعل الفساد والمفسرون اختلفوا في معنى الاية فمنهم من قال مسح
على اعناقها وسوقها اكراما لها وقال انت في سبيل الله فهذا اصلاح ومنهم من قال عرقبها
ثم ذبحها وذبح الخيل واكل لحمها جائز وقد مضى في النحل بيانه وعلى هذا فما فعل شيئا
فيه عليه جناح فاما اتلافها دون سبب صحيح لا لغرض صحيح فانه لا يجوز ومن الجائز ان يكون
في شريعة سليمان عليه السلام جواز ما فعل ولا يكون في شرعنا وقد قيل انما فعل بالخيل
ما فعل باباحة الله جل وعز له ذلك وقد قيل ان مسحه اياها وسمها بالكي وجعلها في سبيل
الله والله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان السوق ليست بمحل للوسم بحال وقد
يقال الكي على الساق علاط وعلى العنق وثاق والذي في الصحاح للجوهري علط
البعير علطا كواه في عنقه بسمة العلاط والعلاطان جانبا العنق قلت ومن قال
ان الهاء في ردوها ترجع للشمس فذلك من معجزاته وقد اتفق مثل ذلك لنبينا صلى الله
عليه وسلم خرجه الطحاوي في مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي
صلى الله عليه وسلم كان يوحى اليه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي فقال لا فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرأيتها
غربت ثم رأيتها بعدما غربت طلعت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في خيبر قال
الطحاوي وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات قلت وضعف ابو الفرج الجوزي
هذا الحديث فقال وغلو الرافضة في حب علي عليه السلام حملهم على ان وضعوا احاديث
كثيرة في فضائله منها ان الشمس غابت ففاتت عليا عليه السلام العصر فردت له
الشمس وهذا من حيث النقل محال ومن حيث المعنى فان الوقت قد فات وعودها
طلوع متجدد لا يرد الوقت ومن قال ان الهاء ترجع الى الخيل وانها كانت تبعد عن عين
سليمان في السباق ففيه دليل على المسابقة بالخيل وهو امر مشروع وقد مضى القول
فيه في يوسف قوله تعالى ولقد فتنا سليمان الاية قيل فتن سليمان بعدما
ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ذكره الزمخشري وفتنا اي ابتليناه
وعاقبناه وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال اختصم الى سليمان
عليه السلام فريقان احدهما من اهل جرادة امراة سليمان كان يحبها فهوي ان يقع
القضاء لهم ثم قضى بينهما بالحق فاصابه الذي اصابه عقوبة لذلك الهوى وقال
سعيد بن المسيب ان سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة ايام لا يقضي
بين احد ولا ينصف مظلوما من ظالم فاوحى الله تعالى اليه اني لم استخلفك لتحتجب
عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم وقال شهر بن حوشب ووهب ابن منبه
ان سليمان عليه السلام سبا بنت ملك غزاه في البحر في جزيرة من جزائر البحر يقال
لها صيدون فالقيت عليه محبتها وهي تعرض عنه لا تنظر اليه الا شزرا ولا تكلمه الا نزرا

وكان

وكان لا يرقى لها دمع حزنا على ابيها وكانت في غاية من الجمال ثم انها سالته ان يصنع
لها تمثالا على صورة ابيها حتى تنظر اليه فامر فصنع لها فعظمته وسجدت له وسجد معها
جواريها وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم حتى مضت اربعون ليلة وفشا خبره في
بني اسرائيل وعلم به سليمان فكسره وحرقه ثم ذراه في البحر وقيل ان سليمان لما اصاب ابنة
ملك صيدون واسمها جرادة فيما ذكر الزمخشري اعجب بها فعرض عليها الاسلام فابت فخوفها
فقالت اقتلني ولا اسلم فتزوجها وهي مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوت اربعين
يوما في خفية من سليمان الى ان اسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه اربعين يوما وقال
كعب الاحبار انه لما ظلم الخيل بالقتل سلب ملكه وقال الحسن انه قارب بعض نسائه في شيء
من حيض وغيره وقيل امر ان لا يتزوج امراة الا من بني اسرائيل فتزوج امراة من غيرهم
فعوقب عن ذلك والله اعلم قوله تعالى والقينا على كرسيه جسدا قيل شيطان في
قول اكثر اهل التفسير القى الله شبه سليمان عليه السلام عليه واسمه صخر بن عمير
صاحب البحر وهو الذي دل سليمان على الماس حين امر سليمان ببناء بيت المقدس فصوتت
الحجارة لما صنعت بالحديد فاخذوا الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة والفصوص وغيرها
ولا تصوت قال ابن عباس كان ماردا لا يقوى عليه جميع الشياطين ولم يزل يحتال حتى
ظفر بخاتم سليمان عليه السلام ابن داود وكان سليمان لا يدخل الكنيف بخاتمه فجاء صخر
في صورة سليمان حتى اخذ الخاتم من امراة من نساء سليمان وسليمان هارب حتى رد الله ام
ولد له يقال لها الامينة قاله شهر ووهب وقال ابن عباس وابن جبير اسمها جرادة فقام
اربعين يوما على ملك سليمان وسليمان هارب حتى رد الله عليه الخاتم والملك وقال
سعيد بن المسيب كان سليمان قد وضع خاتمه تحت فراشه فاخذه الشيطان من تحته
وقال مجاهد اخذه الشيطان من يد سليمان لان سليمان سال الشيطان وكان اسمه اصف
كيف تضلون الناس فقال له الشيطان اعطني خاتمك حتى اخبرك فاعطاه خاتمه فلما اخذ
الشيطان الخاتم جلس على كرسي سليمان متشبها بصورته داخلا على نسائه يقضي بغير الحق
ويامر بغير الصواب واختلف في اصابته لنساء سليمان فحكي عن ابن عباس ووهب بن منبه
انه كان ياتيهن في حيضهن وقال مجاهد منع اتيانهن وزال عن سليمان ملكه فخرج هاربا
الى البحر يتضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجر واذا اخبر الناس انه سليمان كذبوه
قال قتادة ثم ان سليمان عليه السلام لما استنكر بنو اسرائيل حكم الشيطان اخذ
حوتة من صياد قيل انه استطعمها وقال ابن عباس اخذها اجرة في حمل حوت وقيل
ان سليمان صادها فلما شق بطنها وجد خاتمه فيها بعد اربعين يوما من زوال ملكه
وهي عدد الايام التي عبد الصنم في داره وانما وجد الخاتم في بطن الحوت لان الشيطان
الذي اخذه القاه في البحر وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه بينا سليمان عليه السلام
على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط منه في البحر وكان ملكه في خاتمه وقال جابر
ابن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم كان نقش خاتم سليمان عليه السلام لا اله الا
الله محمد رسول الله وحكى يحيى بن ابي عمرو الشيباني ان سليمان وجد خاتمه بعسقلان
فمشى منها الى بيت المقدس تواضعا لله تعالى قال ابن عباس وغيره ثم ان سليمان لما رد
الله عليه ملكه اخذ صخرا الذي اخذ الخاتم ونقر له صخرة وادخله فيها وسد عليه باخرى
واوثقها بالحديد والرصاص وختم عليها بخاتمه والقاها في البحر وقال هذا محبسك
الى يوم القيامة وقال علي رضي الله عنه لما اخذ سليمان الخاتم اقبلت اليه الشياطين
والجن والانس والطير والوحش والريح وهرب الشيطان الذي خلف في اهله فاتى
جزيرة في البحر فبعث اليه الشياطين فقالوا لا نقدر عليه ولكنه يرد عينا في الجزيرة
في كل سبعة ايام يوما ولا نقدر عليه حتى يسكر قال فنزح سليمان عليه السلام ماءها
وجعل فيها خمرا فجاء يوم وروده فاذا هو بالخمر فقال والله انك لشراب طيب الا انك تطيشين
الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ثم عطش عطشا شديدا ثم اتاها فقال مثل مقالته ثم
شربها فغلبت على عقله فاروه الخاتم فقال سمعا وطاعة فاتوا به سليمان فاوثقه

وبعث به الى جبل فذكر انه جبل الدخان فقالوا ان الدخان الذي يرون من نفسه والما
الذي يخرج من الجبل من بوله وقال مجاهد اسم ذلك الشيطان اصف وقال السدي اسمه
حبقيق والله اعلم وقد ضعف هذا القول من حيث ان الشيطان لا يتصور بصورة الانبيا
ثم من المحال ان يلتبس على اهل مملكة سليمان الشيطان حتى يظنوا انهم مع نبيهم في حق وهم
مع الشيطان في باطل وقيل ان الجسد ولد ولد لسليمان وانه لما ولد اجتمعت الشياطين في
وقال بعضهم لبعض ان عاش له ابن لم ينفك مما نحن فيه من البلا والسخرة فتعالوا نقتل
ولده بحيلة فعلم سليمان بذلك فامر الريح حتى حملته الى السحاب وغدا ابنه في السحاب
خوفا من مضرة الشياطين فلم يشعر الا وقد وقع على كرسيه ميتا قال حكاه الشعبي فهو
الجسد الذي قال الله تعالى والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب وحكى النقاش وغيره ان
اكثر ما وطي سليمان جواريه طلبا للولد فولد له نصف انسان فهو كان الجسد الملقى على
كرسيه جات به القابلة فالقته هناك وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سليمان لاطوفن الليلة على تسعين امراة كلهن
ياتي بفارس يجاهد في سبيل الله فقال له صاحبه قل ان شا الله فلم يقل ان شا الله
فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن الا امراة واحدة جات بشق رجل وايم الذي نفس محمد بيده
لو قال ان شا الله لجاهدوا في سبيل الله فرسانا اجمعون وقيل ان الجسد هو اصف
ابن برخيا الصديق كاتب سليمان وذلك ان سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده
وكان فيه ملكه فاعاده الى يده فسقط فايقن بالفتنة فقال له اصف انك مفتون
ولذلك لا يتماسك الخاتم في يدك ففر الى الله تعالى تايبا من ذلك وانا اقوم مقامك
في عالمك الى ان يتوب الله عليك وذلك من حين افتتنت اربعة عشر يوما ففر سليمان
هاربا الى الله واخذ اصف الخاتم فوضعه في يده فثبت وكان عنده علم من الكتاب
وقام اصف في ملك سليمان وعياله بسيرته ويعمل بعمله الى ان رجع سليمان الى
منزله تايبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فقام اصف من مجلسه وجلس على
كرسيه واعاد الخاتم وقيل ان الجسد سليمان نفسه وذلك انه مرض مرضا شديدا حتى
صار جسدا وقد يوصف به المريض المضنى فيقال كالجسد الملقى والله تعالى اعلم

صفة كرسي سليمان عليه السلام

روي عن ابن عباس قال كان سليمان يوضع له ستماية كرسي ثم يجي اشراف الناس
فيجلسون مما يليه ثم ياتي اشراف الجن فيجلسون مما يلي الانس ثم يدعو الطير
فتظلهم ثم يدعو الريح فتقلهم وتسير بالغداة الواحدة مسيرة شهر وقال وهب
وكعب وغيرهما ان سليمان عليه السلام لما ملك بعد ابيه امر باتخاذ كرسي ليجلس عليه
للقضا وامر ان يعمل بديعا مهولا بحيث اذا راه مبطل او شاهد زور ارتدع وتهيب فامر
ان يعمل من انياب الفيلة مفصصة بالدر والياقوت والزبرجد وان يحف بنخل الذهب
فحف باربع نخلات من ذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر على راس نخلتين
منها طاووسان من ذهب وعلى راس نخلتين نسران من ذهب بعضها مقابل بعض وجعلوا
من جنبي الكرسي اسدين من ذهب على راس كل واحد منهم عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا
على النخل اشجار كروم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث
اظل عريش الكروم النخل والكرسي وكان سليمان عليه السلام اذا اراد صعوده وضع
قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسي كله بما فيه ودار الرحى المسرعة
وتنشر تلك النسور والطواويس اجنحتها ويبسط الاسدان ايديهما وتضرب الارض
باذنابهما وكذلك يفعل في كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى باعلاه اخذ النسران
اللذان على النخلتين تاج سليمان فوضعاه على راسه ثم يستدير الكرسي بما فيه وتدور
معه النسران والطاووسان والاسدان مايلات برووسها الى سليمان وينضحن عليه من
اجوافهن المسك والعنبر ثم تناوله حمامة من ذهب قايمة على عمود من اعمدة الجواهر فوق

الكرسي التوراة فيفتحها سليمان عليه السلام ويقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل
القضا قال ويجلس عظما بني اسرايل على الكراسي المفضضة عن يساره وهي الف كرسي ثم
تجي الطير تقدمهم ثم يتقدم الناس لفصل القضا فاذا تقدمت الشهود للشهادة دار
الكرسي بما فيه وعليه دوران الرحى المسرعة ويبسط الاسدان ايديهما وتضربان الارض
باذنابهما وتنشر النسران والطاووسان اجنحتهما فتفزع الشهود فلا يشهدون الا بالحق وقيل
ان الذي كان يدور بذلك الكرسي تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله له
صخر الجني فاذا احست بدورانه تلك النسور والاسدان والطاووسان التي في اسفل الكرسي
الى اعلاه درن معه فاذا وقف وقفن كلهن والتفات على راس سليمان وهو جالس ثم
ينضحن جميعا ما في اجوافهن من المسك والعنبر فلما توفي سليمان بعث بختنصر فاخذ الكرسي
فحمله الى انطاكية فاراد ان يصعد اليه ولم يكن له علم كيف يصعد اليه فلما وضع رجله ضرب
الاسد رجله فكسرها وكان سليمان اذا اصعد وضع قدميه جميعا ومات بختنصر وحمل الكرسي
الى بيت المقدس فلم يستطع قط ملك ان يجلس عليه ولكن لم يدر احد عاقبة امره ولعله رفع قوله
تعالى ثم اناب اي رجع الى الله تعالى وتاب وقد تقدم قوله تعالى قال رب اغفر لي وهب
لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي يقال كيف اقدم سليمان على طلب الدنيا مع ذمها من الله تعالى
وبغضه فيها وحقارتها فالجواب ان ذلك محمول عندنا العلما على ادا حقوق الله تعالى
وسياسة ملكه وترتيب منازل خلقه واقامة حدوده والمحافظة على رسومه وتعظيم شعايره
وظهور عبادته ولزوم طاعته ونظم قانون الحكم النافذ عليهم منه وتحقيق الموعود في انه
يعلم ما لا يعلم احد من خلقه حسبما صرح بذلك لملايكته فقال اني اعلم ما لا تعلمون وحاشى
سليمان عليه السلام ان يكون سواله طلبا لنفس الدنيا لانه هو والانبيا ازهد خلق الله
فيها وانما سال مملكتها لله كما سال نوح دمارها وهلاكها فكانا محمودين مجابين الى الله
تعالى فاجيب نوح فاهلك من عليها واعطي سليمان المملكة وقد قيل ان ذلك كان بامر
من الله عز وجل على الصفة التي علم الله انه لا يضبطه الا هو وحده دون ساير عباده او اراد
ان يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغي لاحد من بعدي وهذا فيه نظر والاول اصح ثم قال له هذا
عطاونا فامنن او امسك بغير حساب قال الحسن ما من احد الا ولله عليه تبعة في نعمه غير
سليمان بن داود فانه قال هذا عطاونا الاية قلت وهذا يرده ما روي في الخبر ان اخر
الانبيا دخولا الجنة سليمان بن داود عليه السلام لمكان ملكه في الدنيا وفي بعض الاخبار
يدخل الجنة بعد الانبيا باربعين خريفا ذكره صاحب القوت وهو حديث لا اصل له لانه
سبحانه اذا كان عطاوه لا تبعة فيه لانه من طريق المنة فكيف يكون اخر الانبيا دخولا الجنة
وهو سبحانه يقول وان له عندنا لزلفى وحسن ماب وفي الصحيح لكل نبي دعوة مستجابة
فتعجل كل نبي دعوته الحديث وقد تقدم فجعل له من قبل السوال حاجة مقضية فلذلك
لم يكن عليه تبعة ومعنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي اي ان يساله فكانه سال منع السوال
بعده حتى لا يتعلق به امل لاحد من بعده ليكون محله وكرامته من الله ظاهرة في خلق
السموات والارض فان الانبيا عليهم السلام لهم تنافس في المحل عنده فكل يحب ان
تكون له خصوصية يستدل بها على محله عنده ولهذا لما اخذ النبي صلى الله عليه وسلم
العفريت الذي اراد ان يقطع صلاته وامكنه الله منه اراد ربطه ثم تذكر قول اخيه
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده خاسيا فلو اعطي احد
بعده مثله ذهبت الخصوصية فكانه كره صلى الله عليه وسلم ان يزاحمه في تلك
الخصوصية بعد ان علم انه شي هو الذي خص به من سخرة الشياطين وانه اجيب الى
ان لا يكون لاحد بعده والله اعلم قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بامره رخا اي لينة
مع قوتها وشدتها حتى لا تضر باحد وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه وكان موكبه فيما
روي فرسخا في فرسخ ماية درجة بعضها فوق بعض في كل درجة صنف من الناس وهو
في اعلى درجة مع جواريها وخشمه وخدمه صلوات الله وسلامه عليه وذكر ابو نعيم
الحافظ قال حدثنا احمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن احمد بن حنبل قال حدثنا احمد

ابن محمد بن ايوب قال ثنا ابو بكر بن عياش عن ادريس بن وهب بن منبه قال حدثني
ابي قال كان لسليمان بن داود عليهما السلام الف بيت قوارير واسفله حديد فركب الريح
يوما فمر بحراث فنظر اليه الحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه
فالقته في اذن سليمان قال فنزل حتى اتى الحراث فقال اني سمعت قولك وانما مشيت اليك
لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه لتسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما اوتي آل داود فقال
الحراث اذهب الله همك كما اذهبت همي قوله تعالى حيث اصاب اي اراد قاله مجاهد والعرب
تقول اصاب الصواب واخطأ الجواب اي اراد الصواب واخطأ الجواب قاله ابن الاعرابي
وقال الشاعر • اصاب الكلام فلم يستطع • فاخطأ الجواب لدى المفصل •
وقيل اصاب اراد بلغة حمير وقال قتادة هو بلسان هجر وقيل حيث اصاب حيث ما قصد
وهو ماخوذ من اصابة السهم الغرض المقصود والشياطين كل بناء وغواص اي وسخرنا له
الشياطين وما سخرت لاحد قبله كل بناء بدل من الشياطين اي كل بناء منهم فهم يبنون له ما يشاء
• الا سليمان اذ قال الاله له • قم في البرية فاحددها عن الفند •
• وخيس الجن اني قد اذنت لهم • يبنون تدمر بالصفاح والعمد •
وغواص يعني في البحر يستخرجون له الدر فاول من استخرج له اللؤلؤ من البحر سليمان
عليه السلام وآخرين مقرنين في الاصفاد اي وسخرنا له مردة الشياطين حتى قرنهم في سلاسل
الحديد وقيود الحديد قاله قتادة السدي في الاغلال ابن عباس في وثاق ومنه قول الشاعر
• فآبوا بالنهاب وبالسبايا • وابنا الملوك مصفدينا •
قال يحيى بن سلام ولم يكن يفعل ذلك الا بكفارهم فاذا آمنوا اطلقهم ولم يسخرهم قوله
تعالى هذا عطاؤنا الاشارة بهذا الى الملك اي هذا الملك عطاؤنا فاعط من شئت او امنع
من شئت لا حساب عليك عن الحسن والضحاك وغيرهما قال الحسن ما انعم الله على احد
نعمة الا عليه فيها تبعة الا سليمان عليه السلام فان الله تعالى يقول هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب وقال قتادة الاشارة في قوله تعالى هذا عطاؤنا الى ما اعطيه من
القوة على الجماع وكانت له ثلاثمائة امراة وسبعمائة سرية وكان في ظهره ماء مائة رجل
رواه عكرمة عن ابن عباس ومعناه في البخاري وعلى هذا فامنن من يقال امنى يمني
ومنى يمني لغتان فاذا امرت من امنى قلت امن ويقال من منى يمني في الامر مني فاذا جئت
بنون الفعل نون الخفيفة قلت امنن ومن ذهب به الى المن قال من عليه فاذا اخرجه
مخرج الامر ابرز النونين لانه كان مضاعفا فقال امنن ويروى في الخبر انه سخر الشياطين
لمن شاء عليه بالعتق والتخلية وان شاء امسكه وقاله قتادة والسدي وعلى ما روي
عكرمة عن ابن عباس اي جامع من شئت من نسائك واترك جماع من شئت منهن لا حساب
عليك فان له عندنا لزلفى وحسن مآب اي ان انعمنا عليه في الدنيا فله عندنا في الآخرة
قربة وحسن مآب اي مرجع قوله تعالى واذكر عبدنا ايوب امر للنبي صلى الله عليه
وسلم بالاقتداء بهم في الصبر على المكاره ايوب بدل اذ نادى ربه اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب وقرأ عيسى ابن عمر اني بكسر الهمزة اي قال قال الفراء واجمعت القراء على ان
قرءوا بنصب بضم النون والتخفيف النحاس وهذا غلط وبعده مناقضة وغلط ايضا لانه
قال اجمعت القراء على هذا وحكى بعده انهم ذكروا عن يزيد ابن القعقاع انه قرأ بنصب بفتح
النون والصاد فغلط على ابي جعفر وانما قرأ ابو جعفر بنصب بضم النون والصاد كذا
حكاه ابو عبيد وغيره وهو مروي عن الحسن فاما بنصب فقراءة عاصم الجحدري ويعقوب
الحضرمي وقد رويت هذه القراءة عن الحسن وقد حكي بنصب بفتح النون وسكون الصاد
عن ابن جعفر وهذا كله عند اكثر النحويين بمعنى النصب فنصب ونصب كحزن وحزن وقد
يجوز ان يكون نصب جمع نصب كوثن ووثن ويجوز ان يكون نصب بمعنى نصب حذفت
منه الضمة فاما وما ذبح على النصب فقيل انه جمع انصاب وقال ابو عبيدة وغيره
النصب الشر والبلاء والنصب التعب والاعياء وقد قيل في معنى اني مسني الشيطان
بنصب وعذاب اي ما يلحقه من وسوسة لا غير والله اعلم ذكره النحاس وقيل ان النصب

ما اصابه

ما اصابه في بدنه والعذاب ما اصابه في ماله وفيه بعد وقال المفسرون ان ايوب
كان روميا من البثنية وكنيته ابو عبد الله في قول الواقدي اصطفاه الله بالنبوة وآتاه
جملة عظيمة من الثروة في انواع الاموال والاولاد وكان شاكرا لانعم الله مواسيا لعباد
الله برا رحيما ولم يؤمن به الا ثلاثة نفر وكان لابليس موقف من السماء السابعة في يوم من
العام فوقف به ابليس على عادته فقال الله له او قيل له عنه اقدرت من عبدي ايوب على
شيء فقال يا رب وكيف اقدر منه على شيء وقد ابتليته بالمال والعافية فلو ابتليته بالبلاء
والفقر ونزعت منه ما اعطيته لحال عن حاله ولخرج عن طاعتك قال الله تعالى قد
سلطتك على اهله وماله فانحط عدو الله فجمع عفاريت الجن فاعلمهم وقال قائل منهم
اكون اعصارا فيه نار فاهلك ماله فكان فجاء ايوب في صورة قيم ماله فاعلمه بما جرى فقال
الحمد لله هو اعطاه وهو منعه ثم جاء قصره باهله وولده فاحتمل القصر من نواحيه حتى
القاه على اهله وولده ثم جاء اليه واعلمه فالقى التراب على راسه وصعد ابليس الى السماء
فسبقته توبة ايوب قال يا رب سلطني على بدنه قال قد سلطتك على بدنه الا على لسانه
وقلبه وبصره فنفخ في جسده نفخة اشتعل منها فصار في جسده ثآليل فحكها باظفاره حتى
دميت ثم بالفخار حتى سقط لحمه وقال عند ذلك مسني الشيطان ولم يخلص الى شيء من حشوة
البطن لانه لا بقاء للنفس الا بها فهو يأكل ويشرب فمكث كذلك ثلاث سنين فلما غلبه ايوب
اعترض لامراته في هيئة اعظم من هيئة بني آدم في القدر والجمال وقال لها انا اله الارض
وانا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت ولو سجدت لي سجدة واحدة لرددت عليه ماله
وماله وهم عندي وعرض لها في بطن الوادي ذلك كله في صورته اي اظهره فاخبرت ايوب
فاقسم انه يضربها ان عافاه الله وذكروا كلاما طويلا في مراجعته لربه وتبريه من البلاء
الذي نزل به وان النفر الثلاثة الذين آمنوا به نهوه عن ذلك واعترضوا عليه وقيل استعان
به مظلوم فلم ينصره فابتلي من سببه ذلك وقيل استضاف يوما الناس فمنع فقيرا الدخول
فابتلي بذلك وقيل كان ايوب يغزو اهلها وكان له غنم في ولاية فداهن لاجلها بترك غزوه
فابتلي وقيل كان الناس يتعدون امراته ويقولون نخشى العدوى وكانوا يستقذرونها
فقال اهذا مسني الشيطان وامراته ليا بنت يعقوب وكان ايوب في زمان يعقوب وكانت
امه ابنة لوط وقيل كانت زوجة ايوب رحمة ابنة افراييم بن يوسف بن يعقوب عليهم السلام
ذكر القول الطبري رحمة الله عليه قال ابن العربي ما ذكره المفسرون من ان ابليس كان
له مكان في السماء السابعة يوما من العام فقول باطل لانه اهبط منها بلعنة وسخط الى الارض
فكيف يرقى الى محل الرضى ويجول في مقامات الانبياء ويخترق السموات العلى ويعلو الى
السماء السابعة الى منازل الانبياء فيقف موقف الخليل ان هذا لخطب من الجهالة عظيم واما
قولهم ان الله تعالى قال له هل قدرت على شيء من عبدي ايوب فباطل قطعا لان الله
عز وجل لا يكلم الكفار الذين هم من جند ابليس الملعون فكيف يكلم من تولى اضلالهم واما
قولهم ان الله قال قد سلطتك على ماله وولده فممكن من القدرة ولكنه بعيد في هذه
القصة وكذلك قولهم انه نفخ في جسده حين سلطه عليه فهو ابعد والباري سبحانه
قادر على ان يخلق ذلك كله من غير ان يكون للشيطان فيه كسب حتى تعره لعنة الله عليه
عبرا لتمكن من الانبياء في اموالهم واهليهم وانفسهم واما قولهم انه قال لزوجته انا اله
الارض ولو تركت ذكر الله وسجدت انت لي لعافيته فاعلموا انكم تعلمون انه لو عرض لاحدكم
ربه وقال هذا الكلام ما جاز عنده ان يكون الاها في الارض وانه يسجد له وانه يعافي
من البلاء فكيف ان يستريب زوجة نبي ولو كانت زوجة سوادي او فدم بربري ما ساغ
ذلك عندها واما تصويره الاموال والاهل في واد للمرأة فذلك ما لا يقدر عليه ابليس
بحال ولا هو في طريق السحر فيقال انه من جنسه ولو تصور لعلمت المرأة انه سحر كما نعلمه
نحن وهو فوقنا في المعرفة بذلك فانه لم يخل زمان قط من السحر وحديثه وجريه
بين الناس وتصويره قال القاضي والذي جرأهم على ذلك وتدرعوا به على ذكر هذا
قوله تعالى اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فلما رأوه قد شكى مس الشيطان اضافوا

البد من رابع ما سبق من التفسير في هذه الاقوال وليس الامر كما زعموا والافعال كلها خيرها وشرها في ايمانها وكفرها طاعتها وعصيانها خالقها هو الله لا شريك له في خلقه ولا في خلق شيء غيرها ولكن الشر لا ينسب اليه ذكرا وان كان موجودا منه خلقا ادبا ادبناه وبتحميد علمناه وكان من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم لربه به قوله من جملته والخير في يديك والشر ليس اليك على هذا المعنى ومنه قول ابراهيم واذا مرضت فهو يشفين وقال له الفتى للكليم وما انسانيه الا الشيطان واما قولهم انه استعان به مظلوم فلم يصرح لنا بصحة هذا القول ولا يخلو ان يكون قادرا على نصره فلا يحل لاحد تركه فيلام على انه عصى وهو منزه عن ذلك او كان عاجزا فلا شيء عليه واما قولهم انه داهن على غنمه الملك الكافر فلا تقل داهن ولكن قل داراه ودفع الكافر والظالم عن النفس والمال بالمال جائز ويحسن الكلام قال ابن العربي القاضي ابو بكر رضي الله عنه ولم يصح عن ايوب في امره الا ما اخبر الله عنه في كتابه في ايتين الاولى قوله تعالى وايوب اذ نادى ربه اني مسني الضر والثانية فيه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب واما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يصح عنه انه ذكره بحرف واحد الا قوله بينا ايوب يغتسل اذ خر عليه رجل من جراد من ذهب الحديث واذا لم يصح عنه فيه قران ولا سنة الا ما ذكرناه فمن الذي يوصل السامع الى ايوب خبره ام على لسان سمعه قال والاسرائيليات مرفوضة عند العلماء على البتات فاعرض عن سطورها بصرك واصمم عن سماعها اذنيك فانها لا تعطي فكرك الا خيالا ولا تزيد فؤادك الا خبالا وفي الصحيح واللفظ للبخاري ان ابن عباس قال يا معشر المسلمين تسالون اهل الكتاب وكتابكم الذي انزل على نبيكم احدث الاخبار بالله تقرءونه محضا لم يشب وقد حدثكم ان اهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا وكتبوا بايديهم الكتب فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسئلتهم فلا والله ما راينا رجلا منهم يسالكم عن الذي انزل عليكم وقد انكر النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الموطا على عمر قراءته التورية قوله تعالى اركض برجلك الركض الدفع بالرجل يقال ركض الدابة وركض ثوبه برجله وقال المبرد الركض التحريك ولهذا قال الاصمعي يقال ركضت الدابة ولا يقال ركضت هي لان الركض انما هو تحريك راكبها رجليه ولا فعل لها في ذلك وحكى سيبويه ركضت الدابة مثل جبرت العظم فجبر وحزنته فحزن وفي الكلام اضمار اي قلنا له اركض قال الكسائي وهذا لما عافاه الله هذا مغتسل بارد وشراب اي فركض فنبعت عين ماء فاغتسل به فذهب الداء من ظاهره ثم شرب منه فذهب الداء من باطنه وقال قتادة هما عينان بارض الشام في ارض يقال لها الجابية فاغتسل من احدهما فاذهب الله تعالى باطن دائه ونحوه عن الحسن ومقاتل قال مقاتل نبعت عين حارة واغتسل فيها فخرج صحيحا ثم نبعت عين اخرى فشرب منها ماء عذبا وقيل امر بالركض بالرجل ليتناثر عنه كل داء في جسده والمغتسل الماء الذي يغتسل به قاله القتبي وقيل انه الموضع الذي يغتسل فيه قاله مقاتل الجوهري واغتسل بالماء والغسول الماء الذي يغتسل به وكذلك المغتسل يقول هذا مغتسل بارد وشراب والمغتسل ايضا المغتسل الذي يغتسل فيه والمغسل والمغسل بكسر السين وفتحها مغسل الموتى والجمع المغاسل واختلف كم بقي ايوب في البلاء فقال ابن عباس سبع سنين وسبعة اشهر وسبعة ايام وسبع ساعات وقال وهب بن منبه اصاب ايوب البلاء سبع سنين وترك يوسف في السجن سبع سنين وعذب بخت نصر وحول في السباع سبع سنين ذكره ابو نعيم وقيل عشر سنين وقيل ثمان عشرة سنة رواه انس مرفوعا فيما ذكره الماوردي قلت وذكره ابن المبارك اخبرنا يونس عن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر يوما ايوب وما اصابه من البلاء وذكر ان البلاء الذي اصابه ثمان عشرة سنة وذكر الحديث القشيري وقيل اربعين سنة قوله تعالى ووهبنا له اهله ومثلهم معهم تقدم في الانبياء الكلام فيه رحمة منا اي نعمة منا وذكرى لاولي الالباب اي عبرة لذوي العقول قوله تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا

تحنث

تحنث فيه سبع مسائل الاولى كان ايوب حلف في مرضه ان يضرب امراته مائة جلدة وفي سبب ذلك اربعة اقوال احدها ما حكاه ابن عباس ان ابليس لقيها في صورة طبيب فدعته لمداواة ايوب فقال اداويه على انه اذا برئ قال انت شفيتني لا اريد جزاء سواه قالت نعم فاشارت على ايوب بذلك فحلف ليضربنها وقال ويحك ذلك الشيطان الثاني ما حكاه سعيد ابن المسيب انها جاءته بزيادة على ما كانت تاتيه من الخبز فخاف خيانتها فحلف ليضربنها الثالث ما حكاه يحيى بن سلام وغيره ان الشيطان اغواها ان تحمل ايوب على ان يذبح سخلة تقربا اليه وانه يبرا فذكرت ذلك له فحلف ليضربنها ان عوفي مائة وقيل باعت ذوائبها برغيفين اذ لم تجد شيئا تحمله الى ايوب وكان ايوب يتعلق بها اذا اراد القيام فلهذا حلف ليضربنها فلما شفاه الله امره ان ياخذ ضغثا فيضرب به فاخذ شماريخ قدر مائة فضربها ضربة واحدة وقيل الضغث قبضة حشيش مختلطة الرطب باليابس وقال ابن عباس انه اثكال النخل الجامع بشماريخه الثانية تضمنت الاية جواز ضرب الرجل امراته تاديبا وذلك ان امراة ايوب اخطات فحلف ليضربنها مائة فامره الله تعالى ان يضربها بعثكول من عثاكيل النخل وهذا لا يجوز في الحدود انما امره الله بذلك لئلا يضرب امراته فوق حد الادب وذلك انه ليس للزوج ان يضرب امراته فوق حد الادب ولهذا قال عليه السلام واضربوهن ضربا غير مبرح على ما تقدم في النساء بيانه الثالثة واختلف العلماء في هذا الحكم هل هو عام او خاص بايوب وحده فروي عن مجاهد انه عام للناس ذكره ابن العربي وحكى عن القشيري ان ذلك خاص بايوب وحكى المهدوي عن عطاء بن ابي رباح انه ذهب الى ان ذلك حكم باق وانه اذا ضرب بمائة قضيب ونحوه ضربة واحدة بر وروي نحوه عن الشافعي وروي نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم في المقعد الذي حملت منه الوليدة وامر ان يضرب بعثكول فيه مائة شمراخ ضربة واحدة قال القشيري وقيل لعطاء هل يعمل بهذا اليوم فقال ما انزل القران الا ليعمل به ويتبع ابن العربي وروي نحوه عن عطاء انه لايوب خاص وكذلك روى ابو زيد عن ابن القاسم عن مالك من حلف ليضربن عبده مائة فجمعها فضربه بها ضربة واحدة لم يبر قال بعض علمائنا يريد مالك قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا اي ان ذلك منسوخ بشريعتنا قال ابن المنذر وقد روينا عن علي انه جلد الوليد بن عقبة بسوط له طرفان اربعين جلدة وانكر مالك هذا وتلا قول الله تعالى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وهذا مذهب اصحاب الراي وقد احتج الشافعي بقوله بحديث وقد تكلم في اسناده والله اعلم قلت الحديث الذي احتج به الشافعي خرجه ابو داود في سننه قال حدثنا احمد بن سعيد الهمداني قال نا ابن وهب قال اخبرني يونس عن ابن شهاب قال اخبرني ابو امامة بن سهل بن حنيف انه اخبره بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الانصار انه اشتكى رجل منهم حتى اضني فعاد جلده على عظم فدخلت عليه جارية لبعضهم فهش لها فوقع عليها فلما دخل عليه رجال قومه يعودونه اخبرهم بذلك وقال استفتوا لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني قد وقعت على جارية دخلت علي فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا ما راينا باحد من الناس من الضر مثل الذي هو به لو حملناه اليك لتفسخت عظامه ما هو الا جلد على عظم فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة قال الشافعي واذا حلف ليضربن فلانا مائة جلدة او ضربا ولم يقل ضربا شديدا ولم ينو ذلك بقلبه يكفيه مثل هذا الضرب المذكور في الاية ولا يحنث قال ابن المنذر واذا حلف الرجل ليضربن عبده مائة فضربه ضربا خفيفا فهو بار عند الشافعي وابي ثور واصحاب الراي وقال مالك ليس الضرب الا الضرب الذي يولم الرابعة قوله تعالى ولا تحنث دليل على ان الاستثناء في اليمين لا يرفع حكمها اذا كان متراخيا وقد مضى القول فيه في المائدة يقال حنث في يمينه يحنث اذا لم يبر بها وعند الكوفيين الواو مقحمة اي فاضرب لا تحنث الخامسة قال ابن العربي قوله تعالى فاضرب به ولا تحنث يدل على احد وجهين اما ان يكون انه لم يكن في شرعهم كفارة وانما كان البر او الحنث

والثاني ان يكون صدر منه نذر لا يمين واذا كان النذر معينا فلا كفارة فيه عند مالك وابو حنيفة وقال الشافعي في كل نذر كفارة قلت قوله ان لم يكن في شرعهم كفارة فليس بصحيح فان ايوب عليه السلام لما بقي في البلا ثمان عشرة سنة كما في حديث ابن شهاب قال له صاحباه لقد اذنبت ذنبا ما اظن احدا بلغه فقال ايوب صلى الله عليه وسلم ما ادري ما تقولان غير ان ربي عز وجل يعلم اني كنت امر على الرجلان يتزاعمان فكل يحلف بالله او على النفر يتزاعمون فانقلب الى اهلي فاكفر عن ايمانهم ارادة ان لا ياثم احد يذكره ولا يذكره الا بحق فنادى ربه اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين وذكر الحديث فقد افادك هذا الحديث ان الكفارة كانت من شرع ايوب وان من كفر عن غيره بغير اذنه فقد قام بالواجب عنه وسقطت عنه الكفارة السادسة استدل بعض جهال المتزهدة وطغاة المتصوفة بقوله تعالى لايوب اركض برجلك على جواز الرقص قال ابو الفرج الجوزي وهذا احتجاج بارد لانه لو كان امر بضرب الرجل لينبع الما قال ابن عقيل اين الدلالة في مبتلى امر عند كشف البلا بان يضرب برجله الارض لينبع الما اعجازا من الرقص ولين جاز ان يكون تحريك رجل قد انحلها تحكم الهوام دلالة على جواز الرقص في الاسلام جاز ان يجعل قوله سبحانه لموسى اضرب بعصاك دلالة على ضرب الجماد بالقضبان نعوذ بالله من التلاعب بالشرع وقد احتج بعض قاصريهم بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا ومولانا فحجل ومنهم من احتج بان الحبشة زفنت والنبي صلى الله عليه وسلم ينظر اليهم والجواب اما الحجل فهو نوع من المشي يفعل عند الفرح فاين هو والرقص كذلك زفن الحبشة نوع من المشي يفعل عند اللقا للحرب السابعة قوله تعالى انا وجدناه صابرا اي على البلا نعم العبد انه اواب اي تواب رجاع مطيع وسيل سفيان عن عبدين ابتلي احدهما فصبر وانعم على الاخر فشكر فقال كلاهما سوا لان الله تعالى اثنى على عبدين احدهما صابر والاخر شاكر ثنا واحدا فقال في وصف ايوب نعم العبد انه اواب قلت وقد رد هذا الكلام صاحب القوت واستدل بقصة ايوب في تفضيل الفقير على الغني وذكر كلاما كثيرا شيد به كلامه وقد ذكرناه في غير هذا الموضع من كتاب منهاج العباد ومحجة السالكين والزهاد وخفي عليه ان ايوب عليه السلام كان احد الاغنيا من الانبيا قبل البلا وبعده وانما ابتلي بذهاب ماله وولده وعظيم الدا في جسده وكذلك الانبيا صلوات الله عليهم وسلامه صبروا على ما به امتحنوا وفتنوا فايوب عليه السلام دخل في البلا على صفة فخرج منه كما دخل فيه وما تغير منه حال ولا مقال فقد اجتمع مع ايوب في المعنى المقصود وهو عدم التغير الذي يفضل فيه بعض الناس بعضا وبهذا الاعتبار يكون الغني الشاكر والفقير الصابر سوا وهو كما قال سفيان والله اعلم وفي حديث ابن شهاب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان ايوب خرج لما كان يخرج اليه من حاجته فاوحى الله اليه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فاغتسل فاعاد الله لحمه وشعره وبشره على احسن ما كان ثم شرب فاذهب الله كل ما كان في جوفه من الم او ضعف وانزل الله عليه من السما ثوبين ابيضين فائتزر باحدهما وارتدى بالاخر ثم اقبل يمشي الى منزله وراث على امراته فاقبلت حتى لقيته وهي لا تعرفه فسلمت عليه وقالت اي يرحمك الله هل رايت هذا الرجل المبتلى قال من هو قالت نبي الله ايوب اما والله ما رايت احدا قط اشبه منك اذ كان صحيحا قال فاني ايوب واخذ ضغثا فضربها به فزعم ابن شهاب ان ذلك الضغث كان ثماما ورد الله اليه اهله ومثلهم معهم فاقبلت سحابة حتى سحلت في اندر قمحه حتى امتلا وقالت سحابة اخرى الى اندر شعيره وقطانيته فسحلت فيه ورقا حتى امتلا قوله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب عبادنا بالتوحيد صحيح رواه ابن عيينة عن عمرو عن عطا عنه وهي قراة مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير فعلى هذه القراة يكون ابراهيم بدلا من عبدنا واسحاق ويعقوب عطف والقراة بالجمع ابين وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويكون ابراهيم وما بعده على البدل النحاس وشرح هذا من العربية انك اذا قلت رايت اصحابنا زيدا وعمرا وخالدا فزيد وعمرو وخالد بدل وهم الاصحاب واذا قلت رايت صاحبنا زيدا وعمرا وخالدا

فزيد

فزيد وحده بدل وهو صاحبنا وزيد وعمرو وعطف على صاحبنا وليسا بداخلين في المصاحبة الا بدليل غير هذا غير انه قد علم ان قوله واسحاق ويعقوب داخل في العبودية وقد استدل بهذه الاية من قال ان الذبيح اسحاق لا اسماعيل وهو الصحيح على ما ذكرناه في كتاب الاعلام بمولد النبي صلى الله عليه وسلم اولي الايدي والابصار قال النحاس اما الابصار فمتفق على تاويلها انها البصاير في الدين والعلم واما الايدي فمختلف في تاويلها فاهل التفسير يقولون انها القوة في الدين وقوم يقولون الايدي جمع يد وهي النعمة اي هم اصحاب النعم الذي انعم الله عز وجل عليهم وقيل هم اصحاب النعم والاحسان لانهم قد احسنوا وقدموا خيرا وهذا اختيار الطبري وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار اي الذين اصطفاهم من الادناس واختارهم لرسالته ومصطفين جمع مصطفى والاصل مصتفى وقد مضى في البقرة عند قوله ان الله اصطفى لكم الدين والاخيار جمع خير وقرا الاعمش وعبد الوارث والحسن وعيسى الثقفي اولي الايدي بغير يا في الوصل والوقف على معنى اولي القوة في طاعة الله ويجوز ان يكون كمعنى قراة الجماعة وحذفت اليا تخفيفا قوله تعالى انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وقراة العامة بخالصة منونة وهي اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا نافع وشيبة وابو جعفر وهشام عن ابن عامر بخالصة ذكرى الدار بالاضافة فمن نون خالصة فذكرى الدار بدل منها التقدير انا اخلصناهم بان يذكروا الدار الاخرة ويتاهبوا لها ويرغبوا فيها ويرغبوا الناس فيها ويجوز ان يكون مصدرا لخلص خالصة وذكرى في موضع رفع بانها فاعلة والمعنى اخلصناهم بان خلصت لهم ذكرى الدار اي تذكير الدار الاخرة ويجوز ان تكون خالصة للاخلاص فحذفت الزيادة فيكون ذكرى على هذا في موضع نصب التقدير بان اخلصوا ذكرى الدار والدار يجوز ان يراد بها الدنيا اي ليتذكروا الدنيا ويزهدوا فيها ولتخلص لهم الثنا الحسن عليهم كما قال وجعلنا لهم لسان صدق عليا ويجوز ان يراد بها الدار الاخرة وتذكير الخلق بها ومن اضاف خالصة الى الدار فهي مصدر بمعنى الاخلاص والذكرى مفعول به اضيف اليه المصدر اي باخلاصهم ذكرى الدار ويجوز ان يكون مصدرا مضافا الى الفاعل والخالصة مصدر بمعنى الخلوص اي بان خلصت لهم ذكرى الدار وهي الدار الاخرة والدنيا على ما تقدم وقال ابن زيد معنى اخلصناهم اي يذكرون الاخرة ويرغبون فيها ويزهدون في الدنيا وقال مجاهد المعنى انا اخلصناهم بان ذكرنا الجنة لهم قوله تعالى واذكر اسماعيل واليسع وذا الكفل مضى ذكر اليسع في الانعام وذا الكفل في الانبيا وكل من الاخيار اي من اختير للنبوة هذا ذكر جميل في الدنيا وشرف يذكرون به في الدنيا ابدا وان للمتقين لحسن ماب اي لهم مع الذكر الجميل في الدنيا حسن المرجع في القيامة ثم بين ذلك بقوله جنات عدن والعدن في اللغة الاقامة يقال عدن بالمكان اذا اقام وقال عبد الله بن عمر ان في الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج فيه خمسة الاف باب على كل باب خمسة الاف حبرة لا يدخله الا نبي او صديق او شهيد مفتحة لهم الابواب رفعت الابواب لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الزجاج اي مفتحة لهم الابواب منها وقال الفرا مفتحة لهم ابوابها واجاز الفرا مفتحة لهم الابواب بالنصب وقال الفرا اي مفتحة الابواب ثم جيء بالتنوين فنصب وانشد هو وسيبويه

ونأخذ بعده بذناب عيش • اجب الظهر ليس له سنام •

وانما قال مفتحة ولم يقل مفتوحة لانهم تفتح لهم بالامر لا بالمس قال الحسن تكلم انفتحي فتنفتح انغلقي فتنغلق وقيل تفتح لهم الملايكة الابواب قوله تعالى متكين فيها هو حال قدمت على العامل فيها وهو قوله تعالى يدعون فيها اي يدعون في الجنات متكين فيها بفاكهة كثيرة اي بالوان الفواكه وشراب اي شراب كثير فحذفت لدلالة الكلام عليه قوله تعالى وعندهم قاصرات الطرف اي على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم وقد مضى في الصافات اتراب اي على سن واحد وميلاد امراة واحدة قد تساوين في الحسن والشباب بنات ثلاث وثلاثين سنة قال ابن عباس يريد الادميات واتراب جمع ترب وهو نعت لقاصرات لان قاصرات نكرة وان كان مضافا الى معرفة والدليل على ذلك ان الالف واللام يدخلانه كما قال • من القاصرات الطرف لو دب محول • من الذر فوق الاتب منها لاثرا •

قوله تعالى هذا ما توعدون ليوم الحساب اي هذا الجزا الذي وعدتم به وقراة العامة
بالتا اي ما توعدون ايها المومنون وقرا ابن كثير وابن محيصن وابو عمرو ويعقوب
بالياء على الخبر وهي قراة السلمي واختيار ابي عبيد وابي حاتم لقوله تعالى وان للمتقين
فهو خبر ليوم الحساب اي في يوم الحساب قال الاعشى المهيمن ما لهم لزمان السو حتى لها
افاق افاقوا اي في زمان السو قوله تعالى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد دليل على
ان نعيم الجنة دايم لا ينقطع كما قال عطا غير مجذوذ وقال لهم اجر غير ممنون قوله
تعالى هذا وان للطاغين لشر ماب لما ذكر ما للمتقين ذكر ما للطاغين قال الزجاج
هذا خبر ابتدا محذوف اي هذا الامر والامر هذا فيوقف قال ابن الانباري هذا وقف
حسن ثم تبتدي وان للطاغين وهم الذين كذبوا الرسل لشر ماب اي منقلب يصيرون اليه
ثم بين ذلك بقوله جهنم يصلونها فبيس المهاد اي بيس ما مهدوا لانفسهم او بيس الفراش
لهم ومنه مهد الصبي وقيل فيه حذف اي بيس موضع المهاد وقيل اي هذا الذي وصفت لهولا
المتقين ثم قال وان للطاغين لشر مرجع فيوقف على هذا ايضا قوله تعالى هذا
فليذوقوه حميم وغساق هذا في موضع رفع بالابتدا وخبره حميم على التقديم والتاخير
اي هذا حميم وغساق فليذوقوه ولا يوقف على فليذوقوه ويجوز ان يكون هذا في
موضع رفع بالابتدا وفليذوقوه في موضع الخبر ودخلت الفا للتنبيه الذي في هذا
فيوقف على فليذوقوه ويرتفع حميم على تقدير هذا حميم قال النحاس ويجوز ان يكون
المعنى الامر هذا وحميم وغساق اذا لم يجعلهما خبرا فرفعهما على معنى هو حميم وغساق والفرا
يرفعهما بمعنى منه غساق وانشد

حتى اذا ما اضا الصبح في غلس ❊ وغودر البقل ملوي ومحصود

وقال اخر

لها متاع واعوان غدون لها ❊ قتب وغرب اذا ما افرغ انسحقا

ويجوز ان يكون هذا في موضع نصب باضمار فعل يفسره فليذوقوه كما تقول زيدا
اضربه والنصب في هذا اولى فيوقف على فليذوقوه ويبتدي حميم وغساق على تقدير
هذا حميم وغساق وقراة اهل المدينة واهل البصرة وبعض الكوفيين بتخفيف السين
في وغساق وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وغساق بالتشديد وهما
لغتان بمعنى واحد في قول الاخفش وقيل معناهما مختلف فمن خفف فهو مثل عذاب
وجواب وصواب ومن شدد قال هو اسم فاعل نقل الى فعال للمبالغة نحو ضراب
وقتال وهو فعال من غسق يغسق فهو غساق وغاسق قال ابن عباس هو الزمهرير
يخوفهم ببرده وقال مجاهد ومقاتل هو الثلج البارد الذي قد انتهى برده وقال غيرهما
انه يحرق ببرده كما يحرق الحميم بحره وقال عبد الله بن عمرو هو قيح غليظ لو وقع شي
منه بالمشرق لانتن من في المغرب ولو وقع شي منه في المغرب لانتن من في المشرق وقال
قتادة هو ما يسيل من فروج الزناة ومن نتن لحوم الكفرة وجلودهم من الصديد والقيح
والنتن وقال محمد بن كعب هو عصارة اهل النار وهذا القول اشبه باللغة يقال
غسق الجرح يغسق غسقا اذا خرج منه ماء اصفر قال الشاعر

اذا ما تذكرت الحياة وطيبها ❊ الي جرى دمع من الليل غاسق

اي بارد ويقال ليل غاسق لانه ابرد من النهار وقال السدي الغساق الذي يسيل من
اعينهم ودموعهم يسقونه مع الحميم وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض النار
فيسقونه والصديد الذي يخرج من جلودهم والاختيار على هذا وغساق حتى يكون
مثل سيال وقال كعب الغساق عين في جهنم يسيل اليها سم كل ذي حمة من عقرب
وحية وقيل هو ماخوذ من الظلمة والسواد والغسق اول ظلمة الليل وقد غسق الليل
يغسق اذا اظلم وفي الترمذي من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال لو ان دلوا من غساق يهراق في الدنيا لانتن اهل الدنيا قلت وهذا اشبه
على الاشتقاق الاول كما بينا الا انه يحتمل ان يكون الغساق مع سيلانه اسود مظلما فيصح
الاشتقاقان والله اعلم قوله تعالى واخر من شكله ازواج قرا ابو عمرو واخر جمع اخرى

مثل

مثل الكبرى والكبر الباقون واخر مفرد مذكر وانكر ابو عمرو واخر لقوله تعالى ازواج
اي لا يخبر بواحد عن جماعة وانكر عاصم الجحدري واخر قال ولو كانت لاخر لكان من شكله
وكلا الردين لا يلزم والقراتان صحيحتان واخر اي وعذاب اخر سوى الحميم والغساق من
شكله قال قتادة من نحوه قال ابن مسعود هو الزمهرير وارتفع واخر بالابتدا
وازواج مبتدا ثان ومن شكله خبره والجملة خبر اخر ويجوز ان يكون واخر مبتدا
والخبر مضمر دل عليه هذا فليذوقوه حميم وغساق لان فيه دليلا على انه لهم فكانه
قال ولهم اخر ويكون من شكله ازواج صفة لاخر فالمبتدا متخصص بالصفة وازواج
مرفوع بالظرف ومن قرا واخرى اراد وانواع من العذاب اخر ومن جمع وهو يريد الزمهرير
فعلى انه جعل الزمهرير اجناسا فجمع لاختلاف الاجناس او على انه جعل لكل جزء منه زمهريرا
ثم جمع كما قالوا شابت مفارقه او على انه جمع لما في الكلام من الدلالة على جواز الجمع لانه
جعل الزمهرير الذي هو نهاية البرد بازاء الجمع في قوله هذا فليذوقوه حميم وغساق والضمير
في شكله يجوز ان يعود على الحميم وعلى الغساق او على معنى ولخر من شكل ما ذكرنا ورفع اخر
على قراة الجمع بالابتدا ومن شكله صفة له وفيه ذكر يعود على المبتدا وازواج خبر المبتدا
ولا يجوز ان يحمل على تقدير ولهم اخر ومن شكله صفة لاخر وازواج مرتفعة بالظرف
كما جاز في الافراد لان الصفة لا ضمير فيها من حيث ارتفع ازواج بالظرف ولا ضمير في الظرف
والها في شكله لا تعود على اخر لانه جمع والضمير مفرد قاله ابو علي وازواج اي اصناف
والوان من العذاب وقال يعقوب الشكل بالفتح المثل وبالكسر الدل قوله تعالى هذا
فوج مقتحم معكم قال ابن عباس هو ان القادة اذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الاتباع قالت
الخزنة للقادة هذا فوج يعني الاتباع والفوج الجماعة مقتحم معكم اي داخل النار معكم
فقالت السادة لا مرحبا بهم اي لا اتسعت منازلهم في النار والرحب السعة ومنه رحبة
المسجد وغيره وهو في مذهب الدعا فلذلك نصب قال النابغة

لا مرحبا بغد ولا اهلا به ❊ ان كان تفريق الاحبة في غد

قال ابو عبيدة العرب تقول لا مرحبا بك اي لا رحبت عليك الارض ولا اتسعت انهم صالوا النار
قيل هو من قول القادة اي انهم صالوا النار كما صليناها وقيل هو من قول الملايكة متصل
بقولهم هذا فوج مقتحم معكم قالوا بل انتم لا مرحبا بكم هو من قول الاتباع وحكى النقاش
ان الفوج الاول قادة المشركين ومطعموهم يوم بدر والفوج الثاني اتباعهم والظاهر من الاية
انها عامة في كل تابع ومتبوع انتم قدمتموه لنا اي دعوتمونا الى العصيان فبيس القرار
لنا ولكم قالوا يعني الاتباع ربنا من قدم لنا هذا قال الفرا من سوغ لنا هذا وسنه وقال
غيره من قدم لنا هذا العذاب بدعايه ايانا الى المعاصي فزده عذابا ضعفا في النار
عذابا بكفره وعذابا بدعايه ايانا فصار ذلك ضعفا وقال ابن مسعود معنى عذابا
ضعفا في النار الحيات والافاعي ونظير هذه الاية قوله ربنا هولا اضلونا فاتهم عذابا
ضعفا في النار قوله تعالى وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم
من الاشرار قال ابن عباس يريدون اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يقول ابو جهل اين بلال
اين صهيب اين عمار اولئك في الفردوس واعجبا لابي جهل مسكين اسلم ابنه عكرمة وابنته جويرية
واسلمت امه واسلم اخوه وكفر هو قال

ونورا اضا الارض شرقا ومغربا ❊ وموضع رجلي منه اسود مظلم

اتخذناهم سخريا قال مجاهد اتخذناهم سخريا في الدنيا فاخطانا ام زاغت عنهم الابصار
فلا نعلم مكانهم قال الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم ابصارهم في الدنيا
محقرة لهم وقيل معنى ام زاغت عنهم الابصار اي هم معنا في النار فلا نراهم وكان ابن كثير والاعمش
وابو عمرو وحمزة والكسائي يقرون من الاشرار اتخذناهم بحذف الالف في الوصل وكان
ابو جعفر وشيبة ونافع وعاصم وابن عامر يقرون اتخذناهم بقطع الالف على الاستفهام
وسقطت الف الوصل لانه قد استغني عنها فمن قرا بحذف الالف لم يقف على الاشرار قال الفرا والاستفهام
هنا بمعنى التوبيخ والتعجب ام زاغت عنهم الابصار اذا قرات بالاستفهام كانت ام للتسوية
واذا قرات بغير استفهام فهي بمعنى بل وقرا ابو جعفر ونافع وشيبة والمفضل وغيره ويحيى

والاعمش وحمزة والكسائي سخريا بضم السين الباقون بالكسر قال ابو عبيدة من كسر جعله
من الهزو ومن ضم جعله من التسخير وقد تقدم ان ذلك لحق تخاصم اهل النار لحق جزان وتخاصم
خبر مبتدا محذوف بمعنى هو تخاصم ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر ويجوز ان يكون بدلا من
ذلك على الموضع اي ان تخاصم اهل النار يعني قولهم لا مرحبا بكم الاية وشبهه من قول اهل النار
قوله تعالى قل انما انا منذر اي مخوف عقاب الله لمن عصاه وقد تقدم وما من اله اي
معبود الا الله الواحد القهار الذي لا شريك له رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار
بالرفع على النعت وان نصبت الاول نصبته ويجوز رفع الاول ونصب ما بعده على المدح والعزيز
معناه المنيع الذي لا مثل له الغفار الستار لذنوب خلقه قوله تعالى قل هو نبا عظيم اي
وقل يا محمد هو نبا عظيم اي ما انذرتكم به من الحساب والثواب والعقاب خبر عظيم القدر
ولا ينبغي ان يستخف به قال معناه قتادة نظيره قوله تعالى عم يتساءلون عن النبا العظيم
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعني القران الذي انباتكم به خبر جليل وقيل عظيم المنفعة
انتم عنه معرضون قوله تعالى ما كان لي من علم بالملا الاعلى اذ يختصمون الملا الاعلى
هم الملائكة في قول ابن عباس والسدي اختصموا في امر ادم حين خلق فقالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها وقال ابليس انا خير منه وفي هذا بيان ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخبر عن
قصة ادم وغيره وذلك لا يتصور الا بتاييد الاهي فقد قامت المعجزة على صدقه فما بالهم
اعرضوا عن تدبر القران ليعرفوا صدقه ولهذا وصل قوله بقوله قل هو نبا عظيم انتم عنه
معرضون وقول ثان رواه ابو الاشهب عن الحسن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سالني ربي فقال يا محمد فيما اختصم الملا الاعلى قلت في الكفارات والدرجات فقال
وما الكفارات قلت المشي على الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء في السبرات والتعقيب
في المساجد انتظار الصلوات بعد الصلوات قال وما الدرجات قلت افشاء السلام واطعام
الطعام والصلاة بالليل والناس نيام خرجه الترمذي بمعناه عن ابن عباس وقال فيه
حديث غريب وعن معاذ بن جبل ايضا وقال حديث حسن صحيح وقد كتبناه بكماله في
الكتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى واوضحنا اشكاله والحمد لله وقد مضى في يس
القول في المشي الى المساجد وان الخطا تكفر السيئات وترفع الدرجات وقيل الملا الاعلى
الملائكة والضمير في يختصمون لفرقتين يعني قول من قال منهم الملائكة بنات الله وقيل
الملا الاعلى ها هنا قريش يعني اختصامهم فيما بينهم سرا فاطلع الله نبيه على ذلك قوله
تعالى ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين وقرا ابو جعفر بن القعقاع الا انما بكسر الهمزة
لان الوحي قول كانه قال يقال لي انما انت نذير مبين ومن فتح جعلها في موضع رفع
لانها اسم ما لم يسم فاعله قال الفراء كانك قلت ما يوحى الي الا الانذار النحاس ويجوز
ان يكون في موضع نصب بمعنى الا لانما قوله تعالى اذ قال ربك للملائكة اذ من
صلة يختصمون المعنى ما كان لي من علم بالملا الاعلى حين يختصمون حين قال ربك
للملائكة اني خالق بشرا من طين وقيل واذ قال بدل من اذ يختصمون حين قال ربك
تتعلق بمحذوف لان المعنى ما كان لي من علم بكلام الملا الاعلى وقت اختصامهم فاذا
سويته اذا ترد الماضي الى المستقبل لانها تشبه حروف الشرط وجوابها كجوابه اي خلقته
ونفخت فيه من روحي اي من الروح الذي املكه ولا يملكه غيري فهذا معنى الاضافة وقد
مضى هذا المعنى مجودا في النساء في قوله في عيسى وروح منه فقعوا له ساجدين
نصب على الحال وهذا سجود تحية لا سجود عبادة وقد مضى في البقرة فسجد الملائكة
كلهم اجمعون اي امتثلوا الامر وسجدوا له خضوعا له وتعظيما لله بتعظيمه الا ابليس
انف من السجود له جهلا بان السجود له طاعة لله والانف من طاعة الله استكبار
كفر ولذلك كان من الكافرين باستكباره عن امر الله وقد مضى هذا الكلام في البقرة
مستوفى قوله تعالى قال يا ابليس ما منعك اي صرفك وصدك ان تسجد اي عن
ان تسجد لما خلقت بيدي اضاف خلقه الى نفسه تكريما له وان كان خالق كل
شيء وهذا كما اضاف الى نفسه الروح والبيت والناقة والمساجد فخاطب الخلق بما

يعرفونه

يعرفونه في تعاملهم فان الرئيس من المخلوقين لا يباشر شيئا بيده الا على سبيل الاعظام والتكرم
فذكر اليد هنا بمعنى هذا قال مجاهد اليد هنا بمعنى التاكيد والصلة مجازه لما خلقت انا
كقوله جل وعز دليل على انه ليس بمعنى النعمة والقوة والقدرة وانما هما صفتان من صفات
ذاته تعالى وقيل اراد باليد القدرة يقال ما لي بهذا الامر يد وما لي بالحمل الثقيل يدان ويدل
عليه ويدل عليه ان الخلق لا يقع الا بالقدرة بالاجماع وقال الشاعر

تحملت من ذلفاء ما ليس لي به * ولا للجبال الراسيات يدان

وقيل لما خلقت بيدي بغير واسطة استكبرت اي عن السجود ام كنت من العالين اي من
المتكبرين على ربك وقرا محمد بن صالح عن شبل عن ابن كثير واهل مكة بيدي استكبرت موصولة
الالف على الخبر وتكون ام منقطعة بمعنى بل مثل ام يقولون افتراه وشبهه ومن استفهم فام معادلة
لهمزة الاستفهام وهو تقرير وتوبيخ اي استكبرت بنفسك حين ابيت عن السجود لادم ام كنت
من القوم الذين يتكبرون فتكبرت لهذا قوله تعالى قال انا خير منه قال الفراء من العرب
من يقول انا اخير منه واشر منه وهذا هو الاصل الا انه حذف منه لكثرة الاستعمال خلقتني من
نار وخلقته من طين فضل النار على الطين وهذا جهل منه لان الجواهر متجانسة فقاس
فاخطا القياس وقد مضى في الاعراف بيانه قال فاخرج منها يعني من الجنة فانك رجيم اي
مرجوم بالكواكب والشهب وان عليك لعنتي اي طردي وابعادي من رحمتي الى يوم الدين تعريف
باصراره على الكفر لان اللعن منقطع حينئذ ثم بدخوله النار يظهر تحقيق اللعن قال رب
فانظرني الى يوم يبعثون وهي النفخة الاخرة اراد الملعون ان لا يموت فلم يجب الى ذلك واخر
الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم يموت الخلق فيه فاخر اليه تهاونا به قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين لما طرده بسبب ادم حلف بعزة الله انه يضل بني ادم بتزيين الشهوات وادخال الشبه
عليهم ومعنى لاغوينهم لاستدعينهم الى المعاصي وقد علم انه لا يصل الا الى الوسوسة ولا يفسد
الا من كان لا يصلح لو لم يوسوسه ولهذا قال الا عبادك منهم المخلصين اي الذين اخلصتهم لعبادتك
وعصمتهم مني وقد مضى في الحجر بيانه قوله تعالى قال فالحق والحق اقول هذه قراءة اهل
الحرمين واهل البصرة والكسائي وقرا ابن عباس ومجاهد وعاصم والاعمش وحمزة برفع الاول
واجاز الفراء فيه الخفض ولا اختلاف في الثاني انه منصوب باقول ونصب الاول على الاغراء
اي فاتبعوا الحق واستمعوا الحق والثاني بايقاع القول عليه وقيل هو بمعنى احق الحق اي
افعله قال ابو علي الحق الاول منصوب بفعل مضمر اي يحق الله الحق او على القسم وحذف حرف
الجر كما تقول الله لافعلن ومجازه قال فبالحق وهو الله تعالى اقسم بنفسه والحق اقول جملة
اعترضت بين القسم والمقسم عليه وهي توكيد القصة واذا جعل الحق منصوبا باضمار فعل
كان لاملان على ارادة القسم وقد اجاز الفراء وابو عبيدة ان يكون الحق منصوبا بمعنى حقا لاملان
جهنم وذلك عند جماعة من النحويين خطا لا يجوز زيدا لاضربن لان ما بعد اللام مقطوع
مما قبلها فلا يعمل فيه والتقدير على قولهما لاملان جهنم حقا ومن رفع الحق رفعه بالابتدا
اي فانا الحق والحق مني رويا جميعا عن مجاهد ويجوز ان يكون التقدير هذا الحق وقول
ثالث على مذهب سيبويه والفراء ان معنى فالحق لاملان جهنم بمعنى فالحق ان املا جهنم
وفي الخفض قولان وهي قراءة ابن السميقع وطلحة بن مصرف احدهما انه على حذف حرف
القسم هذا قول الفراء قال كما تقول الله عز وجل لافعلن وقد اجاز مثل هذا سيبويه
وغلطه فيه ابو العباس ولم يجز الخفض لان حروف الخفض لا تضمر والقول الاخر ان تكون
الفاء بدلا من واو القسم كما انشدوا * فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع *
لاملان جهنم منك اي من نفسك وذريتك وممن تبعك من بني ادم اجمعين قوله تعالى
قل ما اسالكم عليه من اجر اي من جعل على تبليغ الرسالة وكني به عن غير مذكور وقيل هو راجع
الى قوله اانزل عليه الذكر من بيننا وما انا من المتكلفين اي لا اتكلف ولا اتخرص ما لم اومر
به وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال من سئل عما لا يعلم فليقل لا اعلم ولا يتكلف
فان قوله لا اعلم علم وقد قال جل وعز لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما اسالكم عليه من اجر
وما انا من المتكلفين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات

منازع من مؤونته ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم وروى الدارقطني من حديث نافع
عن ابن عمر قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره فسار ليلا فمروا على
رجل جالس على مقراة له فقال له عمر يا صاحب المقراة اولغت السباع الليلة في مقراتك
فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا صاحب المقراة لا تخبره هذا متكلف لها ما حملت في بطونها
ولنا ما بقي شراب وطهور وفي الموطا عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ان عمر بن الخطاب
خرج في ركب فيهم عمرو بن العاص حتى وردوا حوضا فقال عمرو بن العاص لصاحب الحوض
يا صاحب الحوض هل ترد حوضك السباع فقال عمر بن الخطاب يا صاحب الحوض لا تخبرنا
فانا نرد على السباع وترد علينا وقد مضى القول في المياه في سورة الفرقان ان هو الا
ذكر يعني القران للعالمين من الجن والانس ولتعلمن نباه بعد حين اي نبا الذكر وهو
القران انه حق بعد حين قال قتادة بعد الموت وقاله الزجاج وقال ابن عباس وعكرمة
وابن زيد يعني يوم القيمة وقال الفرا بعد الموت وقبله اي لتظهر لكم حقيقة ما اقول
بعد حين اي في المستانف اذا اخذتكم سيوف المسلمين قال السدي وذلك يوم بدر وكان
الحسن يقول يا ابن ادم عند الموت ياتيك الخبر اليقين وسئل عكرمة عمن حلف ليصنعن
كذا الى حين قال ان من الحين ما لا يدرك كقوله تعالى ولتعلمن نباه بعد حين ومنه
ما يدرك كقوله تعالى توتي اكلها كل حين باذن ربها من صرام النخل الى طلوعه
ستة اشهر وقد مضى القول في هذا في البقرة وابراهيم والحمد لله وحده

سورة الزمر وتقال الغرف

قال وهب بن منبه من احب ان يعرف قضا الله في خلقه فليقرا سورة الغرف
وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر بن زيد وقال ابن عباس الا ايتين
نزلتا بالمدينة احداهما الله نزل احسن الحديث الاية والاخرى قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وقال اخرون الا سبع ايات من قوله قل يا عبادي الذين
اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى اخر السبع نزلت في وحشي واصحابه على
ما ياتي وروى الترمذي عن عايشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا
الزمر وبني اسرايل وهي خمس وسبعون اية وقيل ثنتان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تنزيل الكتاب تنزيل رفع بالابتدا وخبره من الله العزيز الحكيم ويجوز
ان يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل قاله الفرا واجاز الكسايي والفرا ايضا تنزيل على
انه مفعول به قال الكسايي اي اتبعوا واقروا تنزيل الكتاب وقال الفرا هو على
الاغرا مثل قوله كتاب الله عليكم اي الزموا والكتاب القران سمي بذلك لانه مكتوب
قوله تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق اي هذا تنزيل الكتاب من الله وقد انزلناه
بالحق اي بالصدق وليس بباطل وهزل فاعبد الله مخلصا فيه مسالتان الاولى
مخلصا نصب على الحال اي موحدا لا تشرك به شيا له الدين اي الطاعة وقيل العبادة وهو
مفعول به الا لله الدين الخالص الذي لا يشوبه شي وفي حديث الحسن عن ابي هريرة
ان رجلا قال يا رسول الله اني اتصدق بالشي واصنع الشي اريد به وجه الله وثنا
الناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيا شورك
فيه ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لله الدين الخالص وقد مضى هذا
المعنى في البقرة والنسا والكهف مستوفى الثانية قال ابن العربي هذه الاية
دليل على وجوب النية الخالصة في كل عمل واعظمه الوضو الذي هو شطر الايمان
خلافا لابي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك الذين يقولان ان الوضو يكفي من
غير نية وما كان ليكون من الايمان شطرا ولا ليخرج الخطايا من بين الاظافر والشعر
بغير نية قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا يعني الاصنام والخبر

محذوف اي قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قتادة كانوا اذا قيل لهم من ربكم
وخالقكم ومن خلق السموات والارض وانزل من السما ما قالوا الله قيل لهم فما معنى عبادتكم
الاصنام قالوا ليقربونا الى الله زلفى وليشفعوا لنا عنده قال الكلبي جواب هذا الكلام في
الاحقاف فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة الاية والزلفى القربة اي
ليقربونا اليه تقريبا فوضع زلفى موضع المصدر وفي قراة ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والذين
اتخذوا من دونه اوليا قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ذكره النحاس قال والحكاية
في هذا بينة ان الله يحكم بينهم اي بين اهل الاديان يوم القيمة فيجازي كلا بما يستحق ان
الله لا يهدي من هو كاذب كفار اي من سبق له القضا بالكفر لم يهتد اي للدين الذي ارتضاه
وهو دين الاسلام كما قال تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا وفي هذا رد على القدرية وغيرهم
على ما تقدم قوله تعالى لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشا اي لو اراد
ان يسمي احدا من خلقه بهذا ما جعله عز وجل اليهم سبحانه اي تنزيها له عن الولد هو الله
الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق اي هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة
والولد ومن كان هكذا فحقه ان يفرد بالعبادة لا ان يشرك به ونبه بهذا على ان له ان يتعبد
العباد بما شا وقد فعل قوله تعالى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال
الضحاك اي يلقي هذا على هذا وهذا على هذا وهذا على معنى التكوير في اللغة وهو طرح
الشي بعضه على بعض ومنه كور العمامة وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الاية قال
ما نقص من الليل دخل في النهار وما نقص من النهار دخل في الليل وهو معنى قوله تعالى
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وقيل تكوير الليل على النهار تغشيته اياه حتى يذهب
ضوه ويغشي النهار على الليل فيذهب ظلمته وهذا قول قتادة وهو معنى قوله تعالى
يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا وسخر الشمس والقمر اي بالطلوع والغروب لمنافع العباد
كل يجري لاجل مسمى اي في فلكه حتى ينصرم الدنيا وهو يوم القيامة حين تنفطر السما
وتنتثر الكواكب وقيل الاجل المسمى هو الذي ينتهي فيه سير الشمس والقمر الى المنازل المرتبة
لغروبها قال الكلبي يسيران الى اقصى منازلهما ثم يرجعان الى ادنى منازلهما لا يجاوزانه
وقد تقدم بيان هذا في سورة يس الا هو العزيز الغفار الا تنبيه اي تنبهوا فاني انا العزيز
الغالب الغفار الساتر لذنوب خلقه برحمته خلقكم من نفس واحدة يعني ادم عليه
السلام ثم جعل منها زوجها يعني حوا ليحصل التناسل وقد مضى هذا في الاعراف وغيرها
وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج اخبر عن الازواج بالنزول لانها تكونت بالنبات والنبات
بالما المنزل وهذا يسمى هذا التدريج ومثله قوله تعالى قد انزلنا عليكم لباسا الاية وقيل
انزل انشا وجعل وقال سعيد بن جبير خلق وقيل ان الله خلق هذه الانعام في الجنة
ثم انزلها الى الارض كما قيل في قوله تعالى وانزلنا الحديد فيه باس شديد فان ادم لما
اهبط الى الارض انزل معه الحديد وقيل انزل لكم من الانعام اي اعطاكم وقيل جعل
الخلق انزالا لان الخلق انما يكون بامر ينزل من السما فالمعنى خلق لكم كذا بامره النازل
قال قتادة من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضان اثنين ومن المعز اثنين
كل واحد زوج وقد تقدم هذا يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق قال قتادة
والسدي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما ابن زيد خلقا في بطون امهاتكم
من بعد خلقكم في ظهر ادم وقيل خلقا في ظهر الاب ثم خلقا في بطن الام ثم خلقا بعد
الوضع ذكره الماوردي في ظلمات ثلاث ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة قاله
ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك وقال ابن جبير في ظلمة المشيمة وظلمة
الرحم وظلمة الليل والقول الاول اصح وقيل ظلمة صلب الرجل وظلمة بطن المراة وظلمة
الرحم وهذا مذهب ابي عبيد اي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين ذلكم الله ربكم اي الذي
خلق هذه الاشيا هو ربكم لا اله الا هو فانى تصرفون اي كيف تنقلبون وتنصرفون
عن عبادته الى عبادة غيره وقرا حمزة امهاتكم بكسر الهمزة والميم والكسايي بكسر الهمزة وفتح
الميم الباقون بضم الهمزة وفتح الميم قوله تعالى ان تكفروا فان الله غني عنكم شرط

وجوابه ولا يرضى لعباده الكفر اي ان تكفروا الا يحب ذلك منهم وقال ابن عباس والسدي معناه لا يرضى لعباده المومنين الكفر وهم الذين قال الله فيهم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وكقوله عينا يشرب بها عباد الله اي المومنون وهذا على قول من لا يفرق بين الرضى والارادة وقيل لا يرضى الكفر وان اراده فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبارادته كفر ولا يرضاه ولا يحبه فهو يريد كون ما لا يرضاه وقد اراد الله عز وجل خلق ابليس وهو لا يرضاه فالارادة غير الرضا وهذا مذهب اهل السنة قوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم اي يرضى الشكر لكم لان تشكروا يدل عليه وقد مضى القول في الشكر في البقرة وغيرها ويرضى بمعنى يثيب ويثني فالرضى على هذا اما ثوابه فيكون صفة فعل لئن شكرتم لازيدنكم واما ثناؤه فهو صفة ذات ويرضه بالاسكان في الهاء قرا ابو جعفر وابو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم واشبع الضمة ابن ذكوان وابن كثير وابن محيصن والكسائي وورش عن نافع واختلس الباقون ولا تزر وازرة وزر اخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور تقدم في غير موضع قوله تعالى واذا مس الانسان يعني الكافر ضر اي الشدة من الفقر والبلاء دعا ربه منيبا اليه اي راجعا اليه مخبتا له مطيعا له مستغيثا به في ازالة تلك الشدة عنه ثم اذا خوله نعمة منه اي اعطاه وملكه يقال خولك الله الشي اي ملكك اياه وكان ابو عمرو بن العلاء ينشد ويقول

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا • وان يسالوا يعطوا وان ييسروا يغلوا •

وخول الرجل حشمه الواحد خائل وقال ابو النجم

• اعطى فلم يبخل ولم يبخل • كوم الذرى من خول المخول •

نسي ما كان يدعو اليه من قبل اي نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه فما على هذا الوجه لله عز وجل وهي بمعنى الذي وقيل بمعنى من كقوله ولا انتم عابدون ما اعبد والمعنى واحد وقيل نسي الدعاء الذي كان يتضرع به الى الله عز وجل اي ترك كون الدعاء منه الى الله فما والفعل على هذا القول مصدر وجعل لله اندادا اي اوثانا واصناما وقال السدي يعني اندادا من الرجال يعتمدون عليهم في جميع امورهم ليضل عن سبيله اي ليقتدي به الجهال قل تمتع بكفرك قليلا اي قل لهذا الانسان تمتع وهو امر تهديد فمتاع الدنيا قليل انك من اصحاب النار اي مصيرك الى النار قوله تعالى امن هو قانت اناء الليل بين تعالى ان المومن ليس كالكافر الذي مضى ذكره وقرا الحسن وابو عمرو وعاصم والكسائي امن بالتشديد وقرا نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والاعمش وحمزة امن بالتخفيف على معنى النداء كانه قال يا من هو قانت قال الفراء الالف بمنزلة يا تقول يا زيد اقبل وازيد اقبل وحكى ذلك سيبويه وجميع النحويين قال اوس بن حجر

ابني لبينى لستم بيد • الا يدا ليست لها عضد •

وقال ذو الرمة

• ادارا بحزوى هجت للعين عبرة • فما الهوى يرفض او يترقرق •

فالتقدير على هذا قل يا من هو قانت انك من اصحاب الجنة كما يقال في الكلام فلان لا يصلي ولا يصوم فيا من تصلي وتصوم ابشر فحذف لدلالة الكلام عليه وقيل ان الالف في امن الف استفهام اي امن هو قانت اناء الليل افضل ام من جعل لله اندادا والتقدير الذي هو قانت خير ومن شدد امن فالمعنى العاصون المتقدم ذكرهم خير ام من هو قانت فالجملة التي عادلت ام محذوفة والاصل ام من فادغمت في الميم النحاس وام بمعنى بل ومن بمعنى الذي والتقدير ام الذي هو قانت افضل ممن ذكر وفي قانت اربعة اوجه احدها انه المطيع قاله ابن مسعود الثاني انه الخاشع في صلاته قاله ابن شهاب الثالث انه القائم في صلاته قاله يحيى بن سلام الرابع انه الداعي لربه وقول ابن مسعود يجمع ذلك وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل قنوت في القران فهو طاعة لله عز وجل وروي عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الصلاة افضل فقال طول القنوت وتاوله جماعة من اهل العلم على انه طول القيام وروى عبيد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت فقال ما اعرف القنوت الا طول القيام

وقراءة

وقراءة القران وقال مجاهد من القنوت طول الركوع وغض البصر وكان العلماء اذا وقفوا في الصلاة غضوا ابصارهم وخضعوا ولم يلتفتوا في صلاتهم ولم يعبثوا ولم يذكروا شيئا من امر الدنيا الا ناسين قال النحاس اصل هذا ان القنوت الطاعة فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل فهذه الاشياء كلها في الطاعة وما هو اكثر منها كما قال نافع قال لي ابن عمر قم فصل فقمت اصلي وكان علي ثوب خلق فقال لي ارايت لو وجهتك في حاجة اكنت تمضي هكذا فقلت كنت اتزين قال فالله احق ان تتزين له واختلف في تعيين القانت هنا فذكر يحيى بن سلام انه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه هو ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقال ابن عمر هو عثمان رضي الله عنه وقال مقاتل انه عمار بن ياسر الكلبي وصهيب وابو ذر وابن مسعود وعن الكلبي ايضا انه مرسل يعني كان على هذه الحال اناء الليل قال الحسن ساعاته اوله واوسطه واخره وعن ابن عباس اناء الليل جوف الليل قال ابن عباس من احب ان يهون الله عليه يوم القيامة فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقايما يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه اي نعيم الجنة وعن الحسن انه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا متمن ولا يقف على قوله رحمة ربه امن هو قانت على معنى النداء لان قوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذا لا يستوي المطيع والعاصي وقال غيره الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به فاما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم انما يتذكر اولوا الالباب اي اصحاب العقول من المومنين قوله تعالى قل يا عبادي الذين امنوا اتقوا ربكم اي قل يا محمد يا عبادي المومنين اتقوا ربكم واجتنبوا معاصيه والتاء مبدلة من الواو وقد تقدم وقال ابن عباس يريد جعفر بن ابي طالب والذين خرجوا معه الى الحبشة ثم قال للذين احسنوا في هذه الدنيا حسنة يعني بالحسنة الاولى الطاعة وبالثانية الثواب في الجنة وقيل المعنى للذين احسنوا في الدنيا حسنة فيكون ذلك زيادة على ثواب الاخرة والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والكفاف والظفر والغنيمة قال القشيري والاول اصح لان الكافر قد نال نعم الدنيا قلت وينالها معه المومن ويزاد الجنة اذا شكر تلك النعم وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء الحسن وفي الاخرة الجزاء وارض الله واسعة فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل المعاصي وقد مضى القول في هذا مستوفى في النساء وقيل المراد ارض الجنة رغبهم في سعتها وسعة نعيمها كما قال وجنة عرضها السموات والارض والجنة قد تسمى ارضا قال الله تعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء والاول اظهر فانه امر بالهجرة اي ارحلوا من مكة الى حيث تامنون الماوردي ويحتمل ان يريد بسعة الارض سعة الرزق لانه يرزقهم من الارض فيكون معناه ورزق الله واسع وهو اشبه لانه اخرج سعتها مخرج الامتنان قلت فتكون الاية دليلا على الانتقال من الارض الغالية الى الارض الراخية كما قال سفيان كن في موضع تملا فيه جرابك خبزا بدرهم قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب اي بغير تقدير وقيل يزاد على الثواب لانه لو اعطي بقدر ما عمل لكان بحساب وقيل بغير حساب اي بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا والاعتماد قبله قوله عليه السلام مخبرا عن الله عز وجل الصوم لي وانا اجزي به قال اهل العلم كل اجر يكال كيلا ويوزن وزنا الا الصوم فانه يحثى حثوا ويغرف غرفا وحكي عن علي رضي الله عنه وقال مالك بن انس في قوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب قال هو الصبر على فجائع الدنيا واحزانها ولا شك ان كل من سلم فيما اصابه وترك ما نهي عنه فلا مقدار لاجره وقال قتادة لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان حدثني انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين فيوتى باهل الصدقة فيوفون اجورهم بالموازين وكذلك الصلاة والحج ويوتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر بغير حساب قال الله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب حتى يتمنى اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من الفضل وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول

الله صلى الله عليه وسلم يقول ادّ الفرائض تكن من اعبد الناس وعليك بالقناعة تكن من اغنى الناس يا بني ان في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى باهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان يصب عليهم الاجر صبا ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولفظ صابر يمدح به وانما هو لمن صبر عن المعاصي واذا اردت انه صبر على المصيبة قلت صابر على كذا قاله النحاس وقد مضى في البقرة مستوفى قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين تقدم اول السورة وامرت لان اكون اول المسلمين من هذه الامة وكذلك كان فانه اول من خالف دين ابائه وخلع الاصنام وحطمها واخلص لله وامن به ودعا اليه صلى الله عليه وسلم واللام في قوله لان اكون صلة زائدة قاله الجرجاني وغيره وقيل لام اجل وفي الكلام حذف اي امرت بالعبادة لان اكون قوله تعالى قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم يريد يوم القيامة وقال حين دعاه قومه الى دين ابائه قاله اكثر المفسرين وقال ابو حمزة الثمالي وابن المسيب هذه الاية منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فكانت هذه الاية من قبل ان يغفر ذنب النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى قل الله اعبد نصب باعبد مخلصا له ديني وطاعتي وعبادتي فاعبدوا ما شئتم من دونه امر تهديد ووعيد وتوبيخ كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وقيل منسوخة باية السيف قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة قال ميمون بن مهران عن ابن عباس ليس من احد الا وقد خلق الله عز وجل له زوجة في الجنة فاذا دخل النار خسر نفسه واهله في رواية عن ابن عباس فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والاهل الا ما كان له قبل ذلك وهو قوله تعالى اولئك هم الوارثون قوله تعالى لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل سمى ما تحتهم ظللا لانها تظل من تحتهم وهذه الاية نظير قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وقوله يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت ارجلهم ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون قال ابن عباس اوليائه اي يا اوليائي خافون وقيل هو عام في المؤمن والكافر وقيل هو خاص بالكافر قوله تعالى والذين اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها قال الاخفش الطاغوت جمع ويجوز ان يكون واحدة مؤنثة وقد تقدم اي تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها قال مجاهد وابن زيد هو الشيطان وقال الضحاك والسدي هو الاوثان وقيل انه الكاهن وقيل انه اسم اعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت وقيل انه اسم عربي مشتق من الطغيان وان في موضع نصب بدلا من الطاغوت تقديره والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت وانابوا الى الله اي رجعوا الى عبادته وطاعته لهم البشرى في الحياة الدنيا بالجنة في العقبى روي انها نزلت في عثمان رضي الله عنه وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير سالوا ابا بكر رضي الله عنه فاخبرهم بايمانه فامنوا وقيل نزلت في عمرو بن نفيل وابي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه قال ابن عباس هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به وقيل يستمعون القران وغيره فيتبعون القران وقيل يستمعون القران واقوال الرسول فيتبعون احسنه اي محكمه فيعملون به وقيل يستمعون عزما وترخيصا فياخذون بالعزم دون الرخص وقيل يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فياخذون بالعفو وقيل ان احسن القول على من جعل الاية فيمن وحد الله قبل الاسلام لا اله الا الله وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وابي ذر الغفاري وسلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت ان يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا احسن ما صار من القول اليهم اولئك الذين هداهم الله اي لما يرضاه واولئك هم اولو الالباب اي الذين انتفعوا بعقولهم قوله تعالى افمن حق عليه كلمة العذاب

افانت

افانت تنقذ من في النار كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرص على ايمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الاية قال ابن عباس يريد ابا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم وكرر الاستفهام في قوله افانت تاكيدا لطول الكلام وكذا قال سيبويه في قوله تعالى ايعدكم انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون على ما تقدم والمعنى افمن حق عليه كلمة العذاب افانت تنقذه والكلام شرط وجوابه وجيء بالاستفهام ليدل على التوقيف والتقرير وقال الفراء المعنى افانت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب تخلصه وما بعده مستانف وقال افمن حق عليه كلمة العذاب وقال في موضع اخر حقت كلمة العذاب لان الفعل اذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير والتانيث على ان التانيث هنا ليس بحقيقي بل الكلمة في معنى الكلام والقول اي افمن حق عليه قول العذاب قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لما بين ان للكفار ظللا من النار من فوقهم ومن تحتهم بين ان للمتقين غرفا فوقها غرف لان الجنة درجات يعلو بعضها بعضا ولكن ليس للاستدراك لانه لم يات بعد نفي كقولك ما رايت زيدا لكن عمرا بل هو لترك قصة الى قصة مخالفة للاولى كقولك جاءني زيد لكن عمرو لم يات غرف مبنية قال ابن عباس من زبرجد وياقوت تجري من تحتها الانهار اي هي جامعة لاسباب النزهة وعد الله نصب على المصدر لان معنى لهم غرف وعدهم الله ذلك وعدا ويجوز الرفع بمعنى ذلك وعد لا يخلف الله الميعاد اي ما وعد الفريقين قوله تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء اي انه لا يخلف الميعاد في احياء الخلق والتمييز بين المؤمن والكافر وهو قادر على ذلك كما انه قادر على انزال الماء من السماء انزل من السماء اي من السحاب ماء اي المطر فسلكه اي فادخله في الارض واسكنه فيها كما قال واسكناه في الارض ينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع ينبع وينبع بالرفع والنصب والخفض النحاس وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر ينباع من ذفرى غضوب جسرة ان معناه ينبع فاشبع الفتحة فصارت الفا نبوعا خرج والينبوع عين الماء والجمع الينابيع وقد مضى في سبحان ثم يخرج به زرعا اي بذلك الماء الخارج من ينابيع الارض زرعا هو للجنس اي زروعا تتشعب الوانا مختلفة حمرة وصفرة وزرقة وخضرة ونورا قال الشعبي والضحاك كل ماء في الارض فمن السماء نزل انما ينزل من السماء الى الصخرة ثم تقسم منها العيون والركايا ثم يهيج اي ييبس فتراه مصفرا اي بعد خضرته مصفرا قال المبرد قال الاصمعي يقال هاجت الارض تهيج اذا ادبر نبتها وولى قال وكذلك هاج النبت هياجا اي يبس وارض هائجة يبس بقلها او اصفر واهاجت الريح النبت ايبسته واهيجنا الارض اي وجدناها هائجة النبات وهاج هائجه اي ثار غضبه وهدأ هائجه اي سكنت فورته ثم يجعله حطاما اي فتاتا مكسرا من تحطم العود اذا تفتت من اليبس والمعنى ان من قدر على هذا قدر على الاعادة وقيل هو مثل ضربه الله للقران ولصدور من في الارض اي انزل من السماء قرانا فسلكه في قلوب المؤمنين ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه اي دينا مختلفا بعضه افضل من بعض فاما المؤمن فيزداد ايمانا ويقينا واما الذي في قلبه مرض فانه يهيج كما يهيج الزرع وقيل هو مثل ضربه الله للدنيا اي كما يتغير النبت الاخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد بهجتها ان في ذلك لذكرى لاولي الالباب قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام شرح فتح ووسع قال ابن عباس وسع صدره للاسلام حتى ثبت فيه وقال السدي وسع صدره بالاسلام للفرح به والطمانينة اليه فهذا لا يجوز ان يكون الشرح الا بعد الاسلام وعلى الوجه الاول ان يكون الشرح قبل الاسلام فهو على نور من ربه اي على هدى من ربه كمن طبع على قلبه واقساه ودل على هذا الحذف قوله فويل للقاسية قال المبرد يقال قسا القلب اذا صلب وكذلك عتا وعسا مقاربة لها وقلب قاس اي صلب لا يرق ولا يلين والمراد بمن شرح الله صدره هاهنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما وحكى النقاش انه عمر بن الخطاب وقال مقاتل عمار بن ياسر وعنه ايضا والكلبي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاية عامة

فمن شرح الله صدره بخلق الايمان فيه وروي مرة عن ابن مسعود قال قلنا يا رسول الله قوله عز وجل افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه كيف انشراح صدره قال اذا دخل النور القلب انشرح وانفتح قلنا يا رسول الله وما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله وخرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث ابن عمر ان رجلا قال يا رسول الله اي المومنين اكيس قال اكثرهم للموت ذكرا واحسنهم له استعدادا واذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع قالوا فما اية ذلك يا نبي الله قال الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت فذكر صلى الله عليه خصالا ثلاثة ولا شك ان من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الايمان فان الانابة انما هي اعمال البر لان دار الخلود انما وضعت جزا الاعمال البر الا ترى كيف ذكرها الله تعالى في مواضع تنزيله ثم قال بعقب ذلك جزا بما كنتم تعملون فالجنة جزا الاعمال فاذا انكمش العبد في اعمال البر فهو انابة الى دار الخلود واذا خمد حرصه عن الدنيا ولها عن طلبها واقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع فقد تجافى عن دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى فكان ناظرا في كل امر واقفا متادبا متثبتا حذرا يتورع عما لا يريبه الى ما لا يريبه فقد استعد للموت ورؤيته تصرف الاخرة عن الدنيا ورؤية الدنيا لحظ دار الغرور واذا احكم اموره بالتقوى وانما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي في القلب وقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله قيل المراد ابو لهب وولده ومعنى من ذكر الله ان قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره وقيل ان من بمعنى عن والمعنى قست عن قبول ذكر الله وهذا اختيار الطبري وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحاء فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي وقال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة اعظم من قسوة قلب وما غضب الله على قوم الا نزع الرحمة من قلوبهم قوله تعالى الله نزل احسن الحديث فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى احسن الحديث يعني القران لما قال فيتبعون احسنه بين ان احسن ما يسمع ما انزل الله وهو القران قال سعد بن ابي وقاص قال اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا فانزل الله عز وجل نزل احسن الحديث فقالوا لو قصصت علينا فنزل نحن نقص عليك احسن القصص قالوا فلو ذكرتنا فنزل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الاية وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا مله فقالوا له حدثنا فنزلت والحديث ما يحدث به المحدث وسمي القران حديثا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث به اصحابه وقومه وهو كقوله فباي حديث بعده يومنون وقوله افمن هذا الحديث تعجبون وقوله ان لم يومنوا بهذا الحديث اسفا وقوله ومن اصدق من الله حديثا وقوله فذرني ومن يكذب بهذا الحديث قال القشيري وتوهم قوم ان الحديث من الحدوث فليدل على ان كلامه محدث وهو وهم لانه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله ما ياتيهم من ذكر من ربهم محدث وقد قالوا ان الحدوث يرجع الى التلاوة لا الى المتلو وهو كالذكر مع المذكور اذا ذكرنا اسما الرب تعالى كتابا نصب على البدل من احسن الحديث ويحتمل ان يكون حالا منه متشابها يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا ليس فيه تناقض ولا اختلاف وقال قتادة يشبه بعضا في الاي والحروف وقيل يشبه كتب الله المنزلة على انبيائه لما يتضمنه من امر ونهي وترغيب وترهيب وان كان اعم واعجز ثم وصفه فقال مثاني تثنى فيه القصص والمواعظ والاحكام وثني للتلاوة فلا يمل تقشعر تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيه من الوعيد ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله اي عند اية الرحمة وقيل الى العمل بكتاب الله والتصديق بكتابه وقيل الى ذكر الله يعني الاسلام ومسيلة عن

اسما

اسما بنت ابي بكر رضي الله عنه قالت كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا قري عليهم القران كما نعتهم الله تدمع اعينهم وتقشعر جلودهم قيل لها فان اناسا اليوم اذا قري عليهم القران خر احدهم مغشيا عليه فقالت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقال سعيد بن عبد الرحمن الجمحي مر ابن عمر برجل من اهل القران ساقط فقال ما بال هذا قالوا انه اذا قري عليه القران وسمع ذكر الله سقط فقال ابن عمر انا لنخشى الله وما نسقط ثم قال ان الشيطان يدخل في جوف احدهم ما كان هذا صنيع اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال عمر بن عبد العزيز ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعون اذا قري عليهم القران فقال بيننا وبينهم ان يقعد احدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرا عليه القران من اوله الى اخره فان رمى بنفسه فهو صادق وقال ابو عمران الجوني وعظ موسى عليه السلام بني اسرايل ذات يوم فشق رجل قميصه فاوحى الله الى موسى قل لصاحب القميص لا يشق قميصه فاني لا احب المبذرين يشرح لي عن قلبه مسيلة قال زيد بن اسلم قرا ابي بن كعب عند النبي صلى الله عليه وسلم فرقوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اغتنموا الدعا عند الرقة فانها رحمة وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اقشعر جلد المومن من مخافة الله تحاتت عنه خطاياه كما تتحات عن الشجر البالية ورقها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا حرمه الله على النار وعن شهر بن حوشب عن ام الدردا قالت انما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة اما تجد الا قشعريرة قلت بلى قالت فادع الله فان الدعا عند ذلك مستجاب وعن ثابت البناني قال قال فلان اني لاعلم متى يستجاب لي قالوا ومن اين تعلم ذلك قال اذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي فذلك حين يستجاب لي يقال اقشعر جلد الرجل اقشعرارا فهو مقشعر والجمع قشاعر فتحذف الميم لانها زايدة يقال اخذته قشعريرة قال امرو القيس

فبت اكابد ليل التمام • والقلب من خشية مقشعر •

وقيل ان القران لما كان في غاية الجزالة والبلاغة فكانوا اذا راوا عجزهم عن معارضته اقشعرت الجلود منه اعظاما له وتعجبا من حسن ترصيفه وتهيبا لما فيه وهو كقوله تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله فالتصدع قريبا من الاقشعرار والخشوع قريبا من قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ومعنى لين القلب رقته وطمانينته وسكونه ذلك هدى الله اي القران هدى الله وقيل الذي وهبه الله لهولاء من خشية عقابه ورجا ثوابه هدى الله ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خذله فلا مرشد له وهو يرد على القدرية وغيرهم وقد مضى معنى هذا الكلام مستوفى في غير موضع والحمد لله وقف ابن كثير وابن محيصن على قوله هادي في الموضعين بالياء الباقون بغير يا قوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة قال عطا وابن زيد يرمى به مكتوفا في النار فاول شي تمس منه النار وجهه وقال مجاهد يجر على وجهه في النار وقال مقاتل هو ان الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه الى عنقه وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت فتشتعل النار من الحجر وهو معلق في عنقه فحرها ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه من اجل الاغلال والخبر محذوف قال الاخفش اي افمن يتقي بوجهه سوء العذاب افضل امن سعد مثل افمن يلقى في النار خير امن ياتي امنا يوم القيامة وقيل للظالمين اي وتقول الخزنة للكافرين ذوقوا ما كنتم تكسبون اي جزاء كسبكم من المعاصي ومثله هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون قوله تعالى كذب الذين من قبلهم فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فاذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا تقدم معناه وقال المبرد يقال لكل ما نال الجارحة من شي قد ذاقته اي وصل اليها كما وصل الحرارة والمرارة الى الذايق لهما قال والخزي المكروه والخزاية من الاستحيا ولعذاب الاخرة اكبر اي مما اصابهم في الدنيا لو كانوا يعلمون قوله تعالى

ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل اي من كل مثل ما يحتاجون اليه مثل قوله
تعالى ما فرطنا في الكتاب من شيء وقيل اي ما ذكرنا من اهلاك الامم السالفة مثل لهولاء
لعلهم يتذكرون يتعظون قرآنا عربيا نصب على الحال قال الاخفش لان قوله جل وعز
في هذا القرآن معرفة وقال علي ابن سليمان عربيا نصب على الحال وقرآنا توطية للحال كما
تقول مررت بزيد صالحا فقولك صالحا منصوب على الحال وقال الزجاج عربيا منصوب
على الحال وقرآنا توكيد غير ذي عوج النحاس احسن ما قيل فيه قول الضحاك قال غير
مختلف وهو قول ابن عباس ذكره الثعلبي وعن ابن عباس ايضا غير مخلوق ذكره المهدوي
وقال السدي فيما ذكر الثعلبي وقال عثمان بن عفان غير متضاد وقال مجاهد غير
ذي لبس وقال بكر بن عبد الله المزني غير ذي لحن وقيل غير ذي شك قاله السدي
فيما ذكر الماوردي قال ۝ وقد اتاك يقين غير ذي عوج ۝ من الاله وقول غير مكذوب ۝
لعلهم يتقون الكفر والكذب قوله تعالى ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون
قال الكسائي نصب رجلا لانه ترجمة للمثل وتفسير له وان شئت نصبته بنزع الخافض
مجازه ضرب الله مثلا برجل فيه شركاء متشاكسون قال الفراء اي مختلفون وقال
المبرد متعاسرون من شكس يشكس شكسا فهو شكس مثل عسر يعسر عسرا يقال رجل شكس
وشرس وضرس وضبس ويقال رجل ضفس وضبيس اي شرس عسر قاله الجوهري
والمتشاكس والمتشاخس الاختلاف يقال تشاكست احواله وتشاخست اسنانه ويقال
شاكسني فلان اي ماكسني وشاحني في حقي قال الجوهري رجل شكس بالسين اي صعب
الخلق قال الراجز ۝ شكس عبوس عنبس عذور ۝
وقوم شكس مثل رجال صدق وقوم صدق وقد شكس بالكسر شكاسة وحكى الفراء رجل
شكس وهو القياس وهذا مثل من عبد الهة كثيرة ورجلا سالما اي خالصا لسيد واحد
وهو مثل من يعبد الله وحده هل يستويان مثلا هذا الذي يخدم جماعة شركا
اخلاقهم مختلفة ونياتهم متباينة لا يلقاه رجل الا جره واستخدمه فهو يلقى منهم العنا
والنصب والتعب العظيم وهو مع ذلك كله لا يرضي واحدا منهم بخدمته لكثرة الحقوق
في رقبته والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه احد اذا اطاعه وحده عرف ذلك له وان اخطى
صفح عن خطايه فايهما اقل تعبا او على هدى مستقيم وقرأ اهل الكوفة واهل المدينة
ورجلا سلما وقرأ ابن عباس ومجاهد والحسن وعاصم الجحدري وابو عمرو وابن كثير ورجلا
سالما واختاره ابو عبيد لصحة التفسير فيه قال لان السالم الخالص ضد المشترك والسلم
ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا النحاس وهذا الاحتجاج لا يلزم لان الحرف اذا كان له
معنيان لم يحمل الا على احدهما وان كان السلم ضد الحرب فله موضع اخر كما يقال لك
في هذا المنزل شركا فصار سلما لك ويلزمه ايضا في سالم ما الزم غيره لانه يقال شيء
سالم اي لا عاهة به والقراءتان حسنتان قرأ بهما الايمة واختار ابو حاتم قراءة اهل
المدينة سلما قال وهذا الذي لا تنازع فيه وقرأ سعيد بن جبير وعكرمة وابو العالية
ونصر سلما بكسر السين وسكون اللام وسلما وسلما مصدران والتقدير ورجلا ذا سلم
فحذف المضاف ومثلا صفة على التمييز على الواحد لبيان الجنس الحمد لله بل اكثرهم
لا يعلمون الحق فيتبعونه قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وقرأ ابن محيصن وابن
ابي عبلة وعيسى بن عمر وابن ابي اسحاق انك مايت وانهم مايتون وهي قراءة حسنة
قرأ بها عبد الله بن الزبير النحاس ومثل هذا الالف في السواد ومايت في المستقبل
كثير في كلام العرب ومثله ما كان مريضا وانه لمارض من هذا الطعام وقال الحسن والفراء
والكسائي الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت والميت بالتخفيف من فارقته الروح
فلذلك لم يخفف هنا قال قتادة نعيت الى النبي صلى الله عليه وسلم نفسه ونعيت
اليكم انفسكم وقال ثابت البناني نعى رجل الى صلة بن اشيم اخا له فوافقه ياكل
فقال ادن فكل فقال قد نعي الي اخي منذ حين فقال وكيف وانا اول من اتاك بالخبر
قال ان الله تعالى نعاه الي فقال انك ميت وانهم ميتون وهو خطاب للنبي صلى الله عليه

وسلم اخبره بموته وموتهم فاحتمل خمسة اوجه احدها ان يكون ذلك تحذيرا من الاخرة
الثاني ان يذكره حثا على العمل الثالث ان يذكره توطية للموت الرابع لئلا يختلفوا في موته
كما اختلفت الامم في غيره حتى ان عمر رضي الله عنه لما انكر موته احتج ابو بكر رضي الله عنه بهذه
الاية فامسك الخامس ليعلمه ان الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره لتكثر
فيه السلوة وتقل فيه الحسرة ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يعني تخاصم الكافر
والمومن والظالم والمظلوم قاله ابن عباس وغيره وفي خبر فيه طول ان الخصومة تبلغ يوم
القيامة الى ان يحاج الروح الجسد وقال الزبير لما نزلت هذه الاية قلنا يا رسول الله اتكرر
علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم حتى يؤدي الى كل ذي
حق حقه فقال الزبير والله ان الامر لشديد وقال ابن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن
نرى هذه الاية نزلت فينا وفي اهل الكتابين ثم انكم يوم القيمة عند ربكم تختصمون فقلنا
وكيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد حتى رايت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
فعرفت انها فينا نزلت وقال ابو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد فما
كان هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا
وقال ابراهيم النخعي لما نزلت هذه الاية جعل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون
ما خصومتنا بيننا فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا بيننا وقيل تخاصمهم
هو تحاكمهم الى الله تعالى فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته ويردها في حسنات من
وجبت له وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال اتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع قال ان المفلس من
امتي من ياتي يوم القيامة بصيام وصلاة وزكاة وياتي قد شتم هذا وضرب هذا واكل مال
هذا وسفك دم هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل
ان يقضى ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار خرجه مسلم وقد مضى هذا
المعنى مجودا في آل عمران وفي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من كانت له عند اخيه مظلمة من عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم قبل ان لا يكون دينار ولا
درهم ان كان له عمل صالح اخذ بقدر مظلمته وان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه
فحمل عليه وفي الحديث المسند اول ما تقع الخصومات في الدنيا وقد ذكرنا هذا الباب كله في
التذكرة مستوفى قوله تعالى فمن اظلم اي لا احد اظلم ممن كذب على الله فزعم ان له ولدا
وشريكا وكذب بالصدق اذ جاءه يعني القرآن اليس في جهنم مثوى استفهام تقرير مثوى
وهذا يدل على ان ثوى هو اللغة الفصيحة حكى ابو عبيد اثوى وانشد قول الاعشى
۝ اثوى وقصر ليله ليزودا ۝ فمضت واخلف من قتيلة موعدا ۝
والاصمعي لا يعرف الا ثوى ويروي البيت اثوى والبيت عنده يتعدى ولا يتعدى قوله
تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به في موضع رفع بالابتدا وخبره اولئك هم المتقون واختلف
في الذي جاء بالصدق وصدق به فقال علي رضي الله عنه الذي جاء بالصدق النبي صلى
الله عليه وسلم وصدق به ابو بكر رضي الله عنه وقال مجاهد النبي عليه السلام وعلي
رضي الله عنه السدي الذي جاء بالصدق جبريل صلى الله عليه وسلم والذي صدق به محمد صلى
الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة الذي جاء بالصدق النبي صلى الله عليه وسلم
والذي صدق به المومنون واستدلوا على ذلك بقوله اولئك هم المتقون كما قال هدى
للمتقين وقال النخعي ومجاهد الذي جاء بالصدق وصدق به المومنون الذين يجيئون
بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذي اعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه فيكون الذي على
هذا بمعنى جمع كما يكون من بمعنى جمع وقيل بل حذفت منه النون لطول الاسم وتاوله
الشعبي على انه واحد وقال الذي جاء بالصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به محمد
صلى الله عليه وسلم فيكون على هذا خبرا جماعة كما يقال لمن تعظم هو فعلوا وزيد فعلوا كذا
وكذا وقيل ان ذلك عام في كل من دعا الى توحيد الله عز وجل قاله ابن عباس وغيره
واختاره الطبري وفي قراءة ابن مسعود والذي جاءوا بالصدق وصدقوا به وهذه قراءة

علي التفسير في قراة ابي صالح الكوفي والذي جا بالصدق وصدق به مخففا علي معنى وصدق بمجيه اي صدق في طاعة الله عز وجل وقد مضى في البقرة الكلام في الذي وانه يكون واحدا ويكون جمعا لهم ما يشاوون عند ربهم اي من النعيم في الجنة كما يقال لك اكرام عندي اي لك مني ذلك جزا المحسنين الثنا في الدنيا والثواب في الاخرة قوله تعالى ليكفر الله عنهم اسوا الذي عملوا اي يكرمهم ولا يواخذهم بما عملوا قبل الاسلام ويجزيهم اجرهم اي يثيبهم علي الطاعات في الدنيا باحسن الذي كانوا يعملون وهي الجنة قوله تعالى اليس الله بكاف عبده حذفت اليا من كاف لسكونها وسكون التنوين بعدها وكان الاصل ان لا تحذف في الوقف لزوال التنوين الا انها حذفت ليعلم انها كذلك في الوصل ومن العرب من يثبتها في الوقف علي الاصل فيقول كافي وقراة العامة عبده بالتوحيد يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم وقرا حمزة والكسائي عباده وهم الانبيا او الانبيا والمومنون بهم واختار ابو عبيد قراة الجماعة لقوله عقيبه ويخوفونك بالذين من دونه ويحتمل ان يكون العبد لفظ الجنس كقوله عز من قائل ان الانسان لفي خسر وعلى هذا تكون القراة الاولى راجعة الى الثانية والكفاية مثل الاصنام فانهم كانوا يخوفونه بالاصنام حتى قال ابراهيم عليه السلام وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وقال الجرجاني ان الله كاف عبده المومن وعبده الكافر هذا بالثواب وهذا بالعقاب قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه وذلك انهم خوفوا النبي صلى الله عليه وسلم مضرة الاوثان فقالوا اتسب الهتنا لين لم تكف عن ذكرها لتخبلك او تصيبك بسو وقال قتادة مشى خالد بن الوليد الى العزى ليكسرها بالفاس فقال له سادنها احذركها يا خالد فان لها شدة لا يقوم لها شي فعمد خالد الى العزى فهشم انفها حتى كسرها بالفاس وتخويفهم لخالد تخويف للنبي صلى الله عليه وسلم لانه الذي وجه خالدا ويدخل في الاية تخويفهم النبي صلى الله عليه وسلم بكثرة جمعهم وقوتهم كما قال ام يقولون نحن جميع منتصر ومن يضلل الله فما له من هاد تقدم ومن يهد الله فما له من مضل اليس الله بعزيز ذي انتقام اي ممن عاداه وعادى رسله قوله تعالى ولين سالتهم اي ولين سالتهم يا محمد من خلق السموات والارض ليقولن الله بين انهم مع عبادتهم الاوثان مقرون بان الله هو الخالق واذا كان الخالق هو الله فكيف يخوفونك بالهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى وانت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والارض قل افرايتم اي قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا افرايتم ان ارادني الله بضر شدة وبلا هل هن كاشفات ضره يعني هذه الاصنام او ارادني بنعمة ورخا هل هن ممسكات رحمته قال مقاتل فسالهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا وقال غيره قالوا لا تدفع شيا قدره الله ولكنها تشفع فنزلت قل حسبي الله وترك الجواب لدلالة الكلام عليه يعني فسيقولون لا فقل حسبي الله اي الله عليه توكلت اي اعتمدت وعليه فليتوكل المتوكلون يعتمد المعتمدون وقد تقدم الكلام في التوكل وقرا نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا عاصما كاشفات ضره بغير تنوين وقرا ابو عمرو وشيبة وهي المعروفة من قراة الحسن وعاصم هل هن كاشفات ضره ممسكات رحمته على التنوين بالاصل وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لانه اسم فاعل في معنى الاستقبال واذا كان كذلك كان التنوين اجود قال الشاعر

• الضاربون عميرا عن بيوتهم • يوم عمير ظالم عاد •

ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين وحذف التنوين على التخفيف فاذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالاضافة وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن قال الله تعالى هديا بالغ الكعبة وقال انا مرسلوا الناقة قال سيبويه ومثل ذلك غير محلي الصيد وانشد سيبويه •

• هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق •

وقال النابغة • احكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت • الى حمام سراع وارد الثمد •

معناه وارد الثمد فحذف التنوين مثل كاشفات ضره قوله تعالى قل يا قوم اعملوا علي مكانتكم اي عاملي علي مكانتي اي علي جهتي التي تمكنت عندي فسوف تعلمون وقرا

ابو

ابو بكر مكاناتكم وقد مضى في الانعام من ياتيه عذاب يخزيه اي يهينه ويذله اي في الدنيا وذلك بالجوع والسيف ويحل عليه اي في الاخرة عذاب مقيم قوله تعالى انا انزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انت عليهم بوكيل تقدم الكلام في هذا مستوفى في غير موضع قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها اي يقبضها عند فنا اجالها والتي لم تمت في منامها اختلف فيه فقيل يقبضها عن التصرف مع بقا ارواحها في اجسادها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى وهي النايمة فيطلقها بالتصرف الى اجل مسمى قاله ابن عيسى وقال الفرا المعنى ويقبض التي لم تمت في منامها عند انقضا اجالها قال وقد يكون توفيها نومها فيكون التقدير على هذا والتي لم تمت وفاتها نومها وقال ابن عباس وغيره من المفسرين ان ارواح الاحيا والاموات تلتقي في المنام فيتعارف ما شا الله منها فاذا اراد جميعها الرجوع الى الاجساد امسك الله ارواح الاموات عنده وارسل ارواح الاحيا الى اجسادها وقال سعيد بن جبير ان الله يقبض ارواح الاموات اذا ماتوا وارواح الاحيا اذا ناموا فيتعارف ما شا الله ان يتعارف فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى فيعيدها قال علي رضي الله عنه فما راته نفس النايم وهي في السما قبل ارسالها الى جسدها فهي الرويا الصادقة وما راته بعد ارسالها وقبل استقرارها في جسدها يلقيها الشياطين وتخيل اليها الاباطيل فهي الرويا الكاذبة وقال ابن زيد النوم وفاة والموت وفاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال كما تنامون فكذلك تموتون وكما توقظون فكذلك تبعثون وقال عمر النوم اخو الموت وروي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل يا رسول الله اينام اهل الجنة قال لا النوم اخو الموت والجنة لا موت فيها خرجه الدارقطني وقال ابن عباس في ابن ادم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه وهذا قول ابن الانباري والزجاج قال القشيري ابو نصر وفي هذا بعد اذ المفهوم من الاية ان النفس المقبوضة في الحالين شي واحد ولهذا قال فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى فالتي يقبض الله الروح في حالين في حالة النوم وحالة الموت فما يقبضه في حال النوم فمعناه انه يغمره بما يحبسه عن التصرف فكانه شي مقبوض وما يقبضه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله الى يوم القيامة وقوله ويرسل الاخرى اي يزيل الحابس عنه فيعود كما كان فتوفي الانفس في حالة النوم بازالة الحس وخلق الغفلة والافة في محل الادراك وتوفيها في حالة الموت بخلق الموت وازالة الحس بالكلية فيمسك التي قضى عليها الموت بان لا يخلق فيها الادراك كيف وقد خلق فيها الموت ويرسل الاخرى بان يعيد اليها الاحساس الثانية وقد اختلف الناس من هذه الاية في النفس والروح هل هما شي واحد وهو الذي يدل عليه الاثار الصحاح على ما نذكره في هذا الكتاب من ذلك حديث ام سلمة قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابي سلمة وقد شق بصره فاغمضه وقال ان الروح اذا قبض تبعه البصر وحديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الم تروا الانسان اذا مات شخص بصره قال فذلك حين يتبع بصره نفسه خرجهما مسلم وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تحضر الملايكة فاذا كان الرجل صالحا قالوا اخرجي ايتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السما وذكر الحديث واسناده صحيح خرجه ابن ماجة وقد ذكرناه في التذكرة وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال اذا خرجت روح المومن تلقاها ملكان يصعدان بها وذكر الحديث وقال بلال في حديث الوادي اخذ بنفسي يا رسول الله الذي اخذ بنفسك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مقابلا له في حديث زيد بن اسلم في حديث الوادي يا ايها الناس ان الله قبض ارواحنا ولو شا ردها الينا في حين غير هذا الحين والصحيح فيه انه جسم لطيف

شائك للاجسام المحسوسة تجذب وتخرج وفي اكفانه تلف وتدرج وبه الى السما تعرج لا تموت ولا تفنى وهو مما له اول وليس له اخر وهي بعينين ويدين وانه ذو ريح طيب وخبث كما في حديث ابي هريرة وهذه صفة الاجسام لا صفة الاعراض وقد ذكرنا الاخبار بهذا كله في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة وقال تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم يعني النفس عند خروجها من الجسد وهذه صفة الجسم والله اعلم الرابعة خرج البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اوى احدكم الى فراشه فلياخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه فاذا اراد ان يضطجع فليضطجع على شقه الايمن وليقل سبحانك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر لها قال البخاري وابن ماجه والترمذي فارحمها بدل فاغفر لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين زاد الترمذي واذا استيقظ فليقل الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي واذن لي بذكره وخرج البخاري عن حذيفة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده ثم يقول اللهم باسمك اموت واحيى واذا استيقظ قال الحمد لله الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور قوله تعالى فيمسك التي قضى عليها الموت هذه قراءة العامة على انه مسمى الفاعل الموت نصبا اي قضى الله عليها وهي اختيار ابي حاتم وابي عبيد لقوله في اول الاية الله يتوفى الانفس فهو يقضي عليها وقرا الاعمش ويحيى ابن وثاب وحمزة والكسائي قضي عليها الموت على ما لم يسم فاعله النحاس والمعنى واحد غير ان القراءة الاولى ابين واشبه بنسق الكلام لانهم قد اجمعوا على ويرسل وفي الاية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالالوهية وانه يفعل ما يشا ويحيي ويميت لا يقدر على ذلك سواه ان في ذلك لايات يعني في قبض الله نفس الميت لقوم يتفكرون وقال الاصمعي سمعت معتمرا يقول روح الانسان مثل كبة الغزل فيرسل الروح فتمضي ثم تمضي ثم تطوى فتجي فتدخل فمعنى الاية انه يرسل من الروح شي في حال النوم ومعظمها في البدن متصل بما يخرج منها اتصالا خفيا فاذا استيقظ المرء جذب معظم روحه ما انبسط منها فعاد وقيل غير هذا وفي التنزيل ويسالونك عن الروح قل الروح من امر ربي اي لا يعلم حقيقته الا الله وقد تقدم في سبحان قوله تعالى ام اتخذوا من دون الله شفعا اي بل اتخذوا يعني الاصنام وفي الكلام ما يتضمن ام اي ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون ام يتفكرون ولكنهم اتخذوا الهتهم شفعا قل اولو كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة ولا يعقلون لانها جمادات وهذا استفهام انكار قل لله الشفاعة جميعا نص في ان الشفاعة لله وحده كما قال من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه فلا شافع الا من شفاعته ولا يشفعون الا لمن ارتضى جميعا نصب على الحال فان قيل جميعا انما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة فالجواب ان الشفاعة مصدر والمصدر يودي عن الاثنين والجميع له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون قوله تعالى واذا ذكر الله وحده نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه وعلى الحال عند يونس اشمازت قال المبرد انقبضت وهو قول ابن عباس ومجاهد وقال قتادة نفرت واستكبرت وكفرت وتعصبت وقال المورخ انكرت واصل الاشمئزاز النفور والازورار قال عمرو بن كلثوم

اذا عض الثقاف بها اشمازت ۞ وولته عشوزنة زبونا ۞

نصب على الحال وقال ابن زيد اشمازت الرجل ذعر من الفزع وهو المذعور وكان المشركون اذا قيل لهم لا اله الا الله نفروا وكفروا واذا ذكر الذين من دونه يعني الاوثان حين القى الشيطان في امنية النبي صلى الله عليه وسلم عند قراءته سورة والنجم تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن ترتجى قاله جماعة من المفسرين اذا هم يستبشرون اي يظهر في وجوههم البشر والسرور قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض نصب لانه نداء مضاف وكذا عالم الغيب ولا يجوز عند سيبويه ان يكون نعتا انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وفي صحيح مسلم عن ابي سلمة بن عبد

الرحمن

الرحمن بن عوف قال سالت عائشة ام المومنين باي شي كان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح صلاته اذا قام من الليل قالت كان اذا قام من الليل افتتح صلاته اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشا الى صراط مستقيم ولما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم قرا قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون وقال سعيد بن جبير اني لاعرف موضع اية ما قراها احد قط فسال الله تعالى شيا الا اعطاه اياه قوله تعالى قل اللهم فاطر السموات والارض انت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون قوله تعالى ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب اي من سوء عذاب ذلك اليوم وقد مضى هذا في ال عمران والرعد وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من اجل ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال عملوا اعمالا توهموا انها حسنات فاذا هي سيات وقاله السدي وقيل عملوا اعمالا توهموا انهم يتوبون منها قبل الموت فادركهم الموت قبل ان يتوبوا وقد كانوا ظنوا انهم ينجون بالتوبة ويجوز ان يكونوا توهموا انه يغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار وقال سفيان الثوري في هذه الاية ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء هذه ايتهم وقصتهم وقال عكرمة بن عمار جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا فقيل له ما هذا الجزع قال اخاف اية من كتاب الله وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فانا اخشى ان يبدو لي ما لم اكن احتسب وبدا لهم اي ظهر لهم سيات ما كسبوا اي عقاب ما كسبوا من الكفر والمعاصي وحاق بهم اي احاط بهم ونزل ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى فاذا مس الانسان ضر دعانا قيل انها نزلت في ابي حذيفة بن المغيرة ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم عندي بوجوه المكاسب وعنه ايضا على علم على خير عندي وقيل على علم اي على علم من الله بفضلي وقال الحسن على علم اي بعلم علمني الله اياه وقيل المعنى انه قال قد علمت اني اذا اوتيت هذا في الدنيا ان لي عند الله منزلة فقال الله بل هي فتنة اي النعمة التي اوتيتها فتنة تختبر بها قال الفراء انث هي لتانيث الفتنة ولو كان بل هو فتنة لجاز النحاس التقدير بل عطيته فتنة ولكن اكثرهم لا يعلمون اي لا يعلمون ان اعطاءهم المال اختبار قوله تعالى قد قالها انث على تانيث الكلمة الذين من قبلهم يعني الكفار قبلهم كقارون وغيره حيث قال انما اوتيته على علم عندي فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما للجحد اي لم تغن عنهم اموالهم ولا اولادهم من عذاب الله شيا وقيل انها للاستفهام اي اي شي اغنى اعمالهم فاصابهم سيات ما كسبوا اي جزاء سيات اعمالهم وقد يسمى جزاء السيئة سيئة والذين ظلموا من هولاء الامة سيصيبهم سيات ما كسبوا اي بالجوع والسيف وما هم بمعجزين اي فائتين الله ولا سابقيه وقد تقدم قوله تعالى اولم يعلموا ان الله يبسط الرزق لمن يشا ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يومنون خص المومن بالذكر لانه هو الذي يتدبر الايات وينتفع بها ويعلم ان سعة الرزق قد تكون مكرا واستدراجا وتقتيره رفعة واعظاما قوله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وان شئت حذفت اليا لان النداء موضع حذف النحاس ومن اجل ما روي فيه ما رواه محمد بن اسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال لما اجتمعنا على الهجرة اتعدت انا وهشام بن العاص بن وائل السهمي وعياش بن ابي ربيعة ابن عتبة فقلنا الموعد اضاة بني غفار وقلنا من تاخر منا فليمض صاحباه فاصبحت انا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام واذا به قد فتن فافتتن فكنا نقول بالمدينة هولاء قد عرفوا الله عز وجل وامنوا برسوله ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة وكانوا هم ايضا يقولون هذا في انفسهم فانزل الله عز وجل في كتابه قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثتها الى هشام فلما قدمت عليه خرجت بها الى ذي طوى فقلت اللهم فهمنيها

فعرفنا انها نزلت فينا فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان قوم من المشركين قتلوا فاكثروا وزنوا فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم او بعثوا اليه ان ما تدعو اليه لحسن او تخبرنا ان لنا توبة فانزل الله عز وجل هذه الآية يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم ذكره البخاري بمعناه وقد مضى في اخر الفرقان وعن ابن عباس ايضا نزلت في اهل مكة قالوا يزعم محمد ان من عبد الاوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله الها اخر وقتلنا النفس التي حرم الله فانزل الله هذه الآية وقيل نزلت في قوم من المسلمين اسرفوا على انفسهم في العبادة وخافوا ان لا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية وقال ابن عباس ايضا وعطا نزلت في وحشي قاتل حمزة لانه ظن ان الله لا يقبل اسلامه روى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما اذ اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله قال فاني اشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت هل يقبل مني توبة فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انزلت والذين لا يدعون مع الله الها اخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله الا بالحق ولا يزنون الى اخر الآية فتلاها عليه فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فدعا به فتلاها عليه فقال لعلي انا ممن لا يشاء انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فنزلت يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الى قوله اليس في جهنم مثوى للمتكبرين قال عمر فكتبتها بيدي ثم بعثتها الى هشام ان الله يغفر الذنوب جميعا ولا يبالي انه هو الغفور الرحيم وفي مصحف ابن مسعود ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قال ابو جعفر النحاس وهذان القراءتان على التفسير اي يغفر الله لمن يشاء وقد عرف الله جل وعز من يشاء ان يغفر له وهو التائب او من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة ودل على انه يريد التائب ما بعده وانيبوا الى ربكم فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك واني لغفار لمن تاب فهذا لا اشكال فيه وقال علي بن ابي طالب ما في القران اية اوسع من هذه الآية قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقد مضى هذا في سبحان وقال عبد الله بن عمر وهذه ارجى اية في القران فرد عليهم ابن عباس وقال ارجى اية في القران قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وقد مضى في الرعد وقرئ ولا تقنطوا بكسر النون وفتحها وقد مضى في الحجر بيانه قوله تعالى وانيبوا الى ربكم اي ارجعوا اليه بالطاعة لما بين ان من تاب من الشرك يغفر له امر بالتوبة والرجوع اليه والانابة الرجوع الى الله بالاخلاص واسلموا له اي اخضعوا له واطيعوا من قبل ان ياتيكم العذاب في الدنيا ثم لا تنصرون اي لا تمنعون من عذابه وروي من حديث جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من السعادة ان يطيل الله عمر المرء في طاعة الله ويرزقه الانابة وان من الشقاوة ان يعمل المرء ويعجب بعمله قوله تعالى واتبعوا احسن ما انزل اليكم من ربكم من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون احسن ما انزل هو القران وكله حسن والمعنى ما قال الحسن الزموا طاعته واجتنبوا معصيته قال السدي الاحسن ما امر الله به في كتابه وقال ابن زيد يعني المحكمات وكلوا علم المتشابه الى عالمه وقيل انزل الله كتب التورية والانجيل والزبور ثم انزل القران وامر باتباعه فهو الاحسن وهو المعجز وقيل هذا احسن لانه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة وقيل يعني العفو لان الله تعالى خير نبيه عليه السلام بين العفو والقصاص وقيل ما علم الله النبي عليه السلام وليس بقران فهو حسن وما اوحي اليه من القران فهو الاحسن وقيل الاحسن ما انزل اليكم من اخبار الامم الماضية قوله تعالى ان

تقول

تقول نفس يا حسرتا ان في موضع نصب اي كراهة ان تقول وعند الكوفيين لئلا تقول وعند البصريين حذرا ان تقول وقيل اي من قبل ان تقول نفس لانه قال قبل هذا من قبل ان ياتيكم العذاب الزمخشري فان قلت لم نكرت قلت لان المراد بها بعض الانفس وهي نفس الكافر ويجوز ان يريد نفسا متميزة من الانفس اما باللجاج في الكفر شديدا او بعقاب عظيم ويجوز ان يراد التكثير كما قال الاعشى

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... اتاني كريم ينفض الراس مغضبا

وهو يريد افواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت ولا يقصد الا التكثير يا حسرتا والاصل يا حسرتي فابدل من اليا الف لانها اخف وامكن في الاستغاثة بمد الصوت وربما الحقوا بها الها انشد الفرا

يا مرحباه بحمار ناجيه ... اذا اتى قربته للسانيه

وربما الحقوا بها اليا بعد الالف لتدل على الاضافة وكذلك قراها ابو جعفر يا حسرتاي والحسرة الندامة على ما فرطت في جنب الله قال الحسن في طاعة الله وقال الضحاك اي في ذكر الله عز وجل قال يعني القران والعمل به قال ابو عبيدة في جنب الله في ثواب الله وقال الفرا الجنب القرب والجوار يقال فلان يعيش في جنب فلان اي في جواره ومنه والصاحب بالجنب اي على ما فرطت في طلب جواره وهي الجنة وقال الزجاج اي على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني اليه والعرب تسمي السبب والطريق الى الشي جنبا تقول تجرعت في جنبك غصصا اي لاجلك وسببك ولاجل مرضاتك وقيل في جنب الله اي في الجانب الذي يودي الى رضى الله عز وجل وثوابه والعرب تسمي الجانب جنبا قال الشاعر

قسم مجهود لذاك القلب ... الناس جنب والامير جنب

يعني الناس من جانب والامير من جانب وقال ابن عرفه اي تركت من امر الله يقول ما فعلت ذلك في جنب حاجتي قال كثير

الا تتقين الله في جنب عاشق ... له كبد حرا عليك تقطع

وكذا قال مجاهد اي ضيعت من امر الله ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما جلس رجل مجلسا ولا مشى ممشى ولا اضطجع مضطجعا لم يذكر الله عز وجل فيه الا كان عليه ترة يوم القيامة اي حسرة خرجه ابو داود بمعناه وقال ابراهيم التيمي من الحسرات يوم القيامة ان يرى الرجل ماله الذي اتاه الله في الدنيا يوم القيامة في ميزان غيره قد ورثه وعمل فيه بالحق كان له اجره وعلى الاخر وزره ومن الحسرات ان يرى الرجل عبده الذي خوله الله اياه في الدنيا اقرب منزلة من الله عز وجل ويرى رجلا يعرفه في الدنيا اعمى بصيرا يوم القيامة وعمي هو وان كنت لمن الساخرين اي وما كنت الا من المستهزئين بالرسول وبالقران في الدنيا وباولياء الله قال قتادة لم يكفه ان ضيع طاعة الله حتى سخر من اهلها ومحل ان كنت النصب على الحال كانه قال فرطت واني ساخر اي فرطت في حال سخريتي وقيل وما كنت الا في سخرية ولعب وباطل اي كان سعيي في عبادة غير الله قوله تعالى او تقول هذه النفس لو ان الله هداني اي ارشدني الى دينه لكنت من المتقين اي الشرك والمعاصي وهذا القول لو ان الله هداني لاهتديت قول صدق وهو قريب من احتجاج المشركين فيما اخبر الرب جل وعز عنهم في قوله سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا فهي كلمة حق اريد بها باطل كما قال علي رضي الله عنه لما قال قائل من الخوارج لا حكم الا لله او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة اي رجعة فاكون نصب على جواب التمني وان شئت كان معطوفا على كرة لان معناه ان اكر كما قال الشاعر

للبس عباءة وتقر عيني ... احب الي من لبس الشفوف

وانشد الفرا

فما لك منها غير ذكرى وخشية ... وتسال عن ركبانها اين يمموا

فنصب وتسال على موضع الذكرى لان معنى الكلام فما لك منها الا ان تذكر ومنه للبس اي لان البس عباءة وتقر عيني وقال ابو صالح كان رجل عالم في بني اسرائيل وجد رقعة ان العبد

يعمل الزمن الطويل بطاعة الله فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار وان الرجل
ليعمل بعمل اهل النار فيختم له بعمل رجل من اهل الجنة فيدخل الجنة فقال ولاي
شي اتعب نفسي فترك العمل واخذ في الفسوق والمعصية وقال لابليس لي عمر طويل
فتمتع في الدنيا ثم تتوب فاخذ في الفسوق وانفق ماله في الفجور فاتاه ملك الموت
في الذ ما كان فقال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله ذهب عمري في طاعة الشيطان
فندم حين لا ينفعه الندم فانزل الله خبره في القران وقال قتادة هولا اصناف
صنف منهم قال يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وصنف منهم قال لو ان الله هداني
لكنت من المتقين وقال اخر لو ان لي كرة فاكون من المحسنين فقال الله تعالى رادا
لكلامهم بلى قد جاتك اياتي قال الزجاج بلى جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي
ولكن معنى لو ان الله هداني ما هداني وكان هذا القايل قال ما هديت فقيل قد
بين لك طريق الهدى فكنت بحيث اردت ان تومن امكنك ان تومن من اياتي اي القران
وقيل عنى بالايات المعجزات ووضح الدليل فكنت بحيث اردت ان تومن فانكرته وكذبته
واستكبرت اي تكبرت عن الايمان وكنت من الكافرين وقال استكبرت وكنت وهو
خطاب المذكر لان النفس تقع على الذكر والانثى يقال ثلاثة انفس وقال المبرد تقول
العرب نفس واحد اي انسان واحد وروى الربيع بن انس عن ام سلمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قد جاتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وقرا الاعمش
بلى قد جاته اياتي وهذا يدل على التذكير والربيع بن انس لم يلحق ام سلمة الا ان القراة
جايزة لان النفس تقع للمذكر والمونث وقد انكر هذه القراة بعضهم وقال يجب اذا كسر
التا ان يقول وكنت من الكوافر او من الكافرات قال النحاس وهذا لا يلزم الا ترى ان
قبله ان تقول نفس ثم قال وان كنت من الساخرين ولم يقل من السواخر ولا من الساخرات
او من القوم الساخرين قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم
مسودة اي مما احاط بهم من غضب الله ونقمته وقال الاخفش ترى غير عامل في قوله
وجوههم مسودة انما هو ابتدا وخبر الزمخشري جملة في موضع الحال اذا كان ترى من روية
البصر ومفعول ثان ان كان من روية القلب اليس في جهنم مثوى للمتكبرين وبين
رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الكبر فقال عليه السلام سفه الحق وغمض الناس
اي احتقارهم وقد مضى في البقرة وغيرها وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي صلى
الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم القيمة كالذر يلحقهم الصغار حتى يوتى بهم الى سجن
في جهنم قوله تعالى وينجي وقرى وينجي الله الذين اتقوا اي من الشرك والمعاصي
بمفازتهم على التوحيد قراة العامة لانها مصدر وقرا الكوفيون بمفازاتهم وهو جايز
كما تقول بسعاداتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم تفسير هذه الاية من حديث ابي
هريرة قال يحشر الله مع كل امرء عمله فيكون عمل المومن معه في احسن صورة واطيب ريح
فكلما كان رعب وخوف قال له لا ترع فما انت بالمراد به ولا انت بالمعني به فاذا كثر
ذلك عليه قال فما احسنك من انت فيقول اما تعرفني انا عملك الصالح حملتني على ثقل
فوالله لاحملنك ولادفعن عنك فهي التي قال وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم
السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شي وهو على كل شي وكيل اي حافظ وقايم به
وقد تقدم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض وقيل مقلاد واكثر ما يستعمل
فيه اقليد والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وغيره وقال السدي خزاين السموات
والارض قال غيره خزاين السموات المطر وخزاين الارض النبات وفيه لغة اخرى
اقاليد وعليها يكون واحدها اقليدا قال الجوهري والاقليد المفتاح والمقلد مفتاح
كالمنجل وربما يقلد به الكلا كما يقلد القت اذا جعل حبالا اي يفتل والجمع المقاليد
واقلد البحر اي خنق كثيرا اي غرقهم كانه اغلق عليهم وخرج البيهقي عن ابن عمر ان عثمان
ابن عفان رضي الله عنه سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى
له مقاليد السموات والارض فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالني عنها احد

تفسيرها لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده استغفر الله ولا حول ولا قوة
الا بالله هو الاول والاخر والظاهر والباطن يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير
ذكره الثعلبي في تفسيره وزاد من قالها اذا اصبح واذا امسى عشر مرات اعطاه الله ست
خصال اولها يحرس من ابليس والثانية يحضره اثنا عشر الف ملك والثالثة يعطى قنطارا
من الاجر والرابعة ترفع له درجة والخامسة يزوجه الله من الحور العين والسادسة يكون
له من الاجر كمن قرا القران والتوراة والانجيل والزبور وله ايضا من الاجر كمن حج واعتمر
فتقبلت حجته وعمرته فان مات من ليلته مات شهيدا وروى الحارث عن علي قال
سالت النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير المقاليد فقال يا علي لقد سالت عن عظيم
المقاليد هو ان تقول عشرا اذا اصبحت وعشرا اذا امسيت لا اله الا الله والله اكبر وسبحان
الله والحمد لله واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله الاول والاخر والظاهر والباطن له
الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شي قدير من قالها عشر مرات اذا اصبح وعشرا اذا امسى
اعطاه الله خصالا ستا اولها يحرسه من الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان
والثانية يعطى قنطارا من الجنة هو اثقل في ميزانه من جبل احد والثالثة ترفع
له درجة لا ينالها الا الابرار والرابعة يزوجه الله من الحور العين والخامسة يشهده اثنا
عشر الف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة والسادسة
يكون له من الاجر كانما قرا التوراة والانجيل والزبور والفرقان وكمن حج واعتمر وقبل الله
حجته وعمرته فان مات من يومه او ليلته او شهره طبع بطابع الشهدا وقيل المقاليد الطاعة
يقال القى الي فلان بالمقاليد اي اطاعه فيما يامره فمعنى الاية له طاعة من في السموات
والارض والذين كفروا بايات الله اي بالقران والحجج والدلالات اوليك هم الخاسرون تقدم
قوله تعالى قل افغير الله تامروني اعبد وذلك حين دعوا النبي صلى الله عليه وسلم
الى ما هم عليه من عبادة الاصنام وقالوا هو دين ابايك وغير نصب باعبد على تقدير اعبد
غير الله فيما تامروني ويجوز ان ينتصب بتامروني على حذف حرف الجر التقدير اتامروني
بغير الله ان اعبده لان ان مقدرة وان والفعل مصدر وهي بدل من غير التقدير اتامروني
بعبادة غير الله وقرا نافع تامروني بنون واحدة مخففة وفتح اليا وقرا ابن عامر
تامرونني بنونين مخففتين على الاصل الباقون بنون واحدة مشددة على الادغام
واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة وقراة
نافع على حذف النون الثانية وانما كانت المحذوفة الثانية لان التكرير والتثقيل يقع
بها وايضا حذف الاولى لا يجوز لانها دلالة الرفع وقد مضى في الانعام بيانه عند
قوله تعالى اتحاجوني اعبد اي ان اعبد فلما حذف ان رفع قاله الكسايي ومنه قول الشاعر
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى • والدليل على صحة هذا الوجه قراة من قرا
اعبد بالنصب قوله تعالى ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لين اشركت
قيل ان في الكلام تقديما وتاخيرا والتقدير ولقد اوحي اليك لين اشركت واوحي الى
الذين من قبلك كذلك وقيل هو على بابه قال مقاتل اي اوحي اليك والى الانبيا قبلك
بالتوحيد والتوحيد محذوف ثم قال لين اشركت يا محمد ليحبطن عملك وهو خطاب للنبي
صلى الله عليه وسلم خاصة وقيل الخطاب له والمراد امته اذ قد علم الله انه لا يشرك
ولا يقع منه اشراك والاحباط الابطال والفساد قال القشيري فمن ارتد لم تنفعه طاعته
السابقة ولكن احباط الردة العمل مشروط بالموافاة على الكفر ولهذا قال من يرتدد منكم
عن دينه فيمت وهو كافر فاوليك حبطت اعمالهم فالمطلق ها هنا محمول على المقيد ولهذا
قلنا من حج ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام لا يجب عليه اعادة الحج قال الشيخ القرطبي رحمه الله
هذا مذهب الشافعي وعند مالك يجب عليه الاعادة وقد مضى في البقرة بيان هذا
مستوفى قوله تعالى بل الله فاعبد النحاس في كتابي عن ابي اسحاق لفظ اسم الله
جر وهو منصوب باعبد قال ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين قال
النحاس قال الفرا يكون منصوبا باضمار فعل وحكاه المهدوي عن الكسايي فاما الفا

فقال الزجاج انها للمجازاة وقال الاخفش هي زائدة وقال ابن عباس فاعبد اي فوحد وقال غيره بل الله فاطع وكن من الشاكرين لنعمه بخلاف المشركين قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره قال المبرد ما عظموه حق عظمته من قولك فلان عظيم القدر قال النحاس والمعنى على هذا ما عظموه حق عظمته اذ عبدوا معه غيره وهو خالق الاشيا ومالكها ثم اخبر عن قدرته وعظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه ثم نزه نفسه عن ان يكون ذلك بجارحة فقال سبحانه وتعالى عما يشركون وفي الترمذي عن عبد الله قال جا يهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والجبال على اصبع والخلايق على اصبع ثم يقول انا الملك فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال وما قدروا الله حق قدره قال هذا حديث حسن صحيح وفي البخاري عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله الارض يوم القيمة ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وفي الترمذي عن عايشة انها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قالت قلت فاين الناس يوميذ يا رسول الله قال على جسر جهنم في رواية على الصراط يا عايشة قال حديث حسن صحيح فقوله والارض ويقبض الله الارض عبارة عن قدرته واحاطته بجميع مخلوقاته يقال ما فلان الا في قبضتي بمعنى ما فلان الا في قدرتي والناس يقولون الاشيا في قبضته يريدون في ملكه وقدرته وقد يكون بمعنى القبض والطي افنا الشي واذهابه فقوله جل وعز والارض جميعا قبضته يوم القيامة يحتمل ان يكون المراد به والارض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهد قوله جميعا وقوله والسموات والارض موضع تفخيم فهو مقتضى للمبالغة وقوله والسموات مطويات بيمينه ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب وانما المراد بذلك الفنا والذهاب يقال قد انطوى عنا ما كنا فيه وجا غيره وانطوى عنا وهو بمعنى المضي والذهاب واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم يريد به الملك وقال لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة اي لاخذنا قوته وقدرته قال الفرا القوة والقدرة وانشد

اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين • وقال اخر

ولما رايت الشمس اشرق نورها • تناولت منها حاجتي بيميني •

فقلت شنيفا ثم فارات بعده • وكان على الايات غير امين •

وانما خص يوم القيمة بالذكر وان كانت قدرته شاملة لكل شي ايضا لان الدعاوي تنقطع ذلك اليوم كما قال والامر يوميذ لله وقال مالك يوم الدين حسب ما تقدم في الفاتحة وكذلك قال في الحديث ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وقد زدنا هذا الباب في التذكرة بيانا وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله ثم يطوي الارض بشماله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون بين بعد قبض الارض وطي السما وهو النفخ في الصور وانما هما نفختان يموت الخلق في الاولى منها ويحيون في الثانية وقد مضى الكلام في هذا في النمل والانعام ايضا والذي ينفخ في الصور هو اسرافيل عليه السلام وقد قيل انه يكون معه جبريل لحديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان صاحبي الصور بايديهما او في ايديهما قرنان يلاحظان النظر متى يومران خرجه ابن ماجه في السنن وفي كتاب ابي داود عن ابي سعيد الخدري قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصور وقال عن يمينه جبريل

وعن

وعن يساره ميكائيل واختلف في المستثنى منهم فقيل هم الشهدا متقلدين اسيافهم حول العرش روي مرفوعا من حديث ابي هريرة فيما ذكر القشيري ومن حديث عبد الله ابن عمر فيما ذكر الثعلبي وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله فقالوا يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى قال هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو اعلم فيقول يا رب بقي جبريل وميكائيل واسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس اسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول من بقي يا ملك الموت فيموت فيقول الله تعالى لجبريل يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدايم وعبدك جبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى لجبريل يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب ذكره الثعلبي وذكر النحاس ايضا من حديث محمد بن اسحاق عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله جل وعز فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله قال جبريل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت واسرافيل وفي هذا الحديث ان اخرهم موتا جبريل صلوات الله وسلامه عليه وحديث ابي هريرة في الشهدا اصح على ما تقدم في النمل وقال الضحاك هو رضوان والحور العين ومالك والزبانية وقيل عقارب اهل النار وحياتها وقال الحسن هو الله الواحد القهار وما يدع احدا من اهل السموات والارض الا اذاقه الموت قال قتادة الله اعلم بثنياه وقيل الاستثنا في قوله الا من شا الله يرجع الى من مات قبل النفخة الاولى اي فيموت من في السموات والارض الا من سبق موته لانهم كانوا قد ماتوا وفي الصحيحين وابن ماجه واللفظ له عن ابي هريرة قال قال رجل من اليهود بسوق المدينة والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الانصار يده فلطمه قال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قال الله عز وجل ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شا الله ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون فاكون اول من رفع راسه فاذا انا بموسى اخذ بقايمة من قوايم العرش فلا ادري ارفع راسه قبلي او كان ممن استثنى الله ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب خرجه الترمذي ايضا وقال فيه حديث حسن صحيح قال القشيري ومن حمل الاستثنا على موسى والشهدا فهولا قد ماتوا غير انهم احيا عند الله فيجوز ان تكون الصعقة بزوال العقل دون زوال الحياة ويجوز ان تكون بالموت ولا يبعد ان يكون الموت للحياة والحياة فكل ذلك مما يجوزه العقل والامر في وقوعه موقوف على خبر صدق قال الشيخ القرطبي رحمه الله جا في بعض طرق ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تخيروني على موسى فان الناس يصعقون فاكون اول من يفيق فاذا موسى باطش بجانب العرش فلا ادري اكان ممن صعق فافاق قبلي ام كان ممن استثنى الله خرجه مسلم ونحوه عن ابي سعيد الخدري والافاقة انما تكون عن غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة والله اعلم قوله تعالى فاذا هم قيام ينظرون اي فاذا الاموات من اهل الارض والسما احيا بعثوا من قبورهم واعيدت اليهم ابدانهم وارواحهم فقاموا ينظرون ماذا يومرون به وقيل قيام على ارجلهم ينظرون البعث الذي وعدوا به وقيل هذا النظر بمعنى الانتظار اي ينتظرون ما يفعل بهم واجاز الكسائي قياما بالنصب كما تقول خرجت فاذا زيد جالسا قوله تعالى واشرقت الارض بنور ربها اشرقت اضات يقال اشرقت

الشمس اذا اضات وشرقت اذا طلعت ومعنى بنور ربها بعدل ربها قاله الحسن وغيره وقال الضحاك بحكم ربها والمعنى واحد اي انارت واضات بعدل الله وقضايه بالحق بين عباده والظلم ظلمات والعدل نور وقيل ان الله يخلق نورا يوم القيمة يلبسه وجه الارض فتشرق الارض به وقال ابن عباس النور المذكور هاهنا ليس من نور الشمس والقمر بل هو نور يخلقه الله فيضي به الارض وروي ان الارض يوميذ من فضة تشرق بنور ربنا تعالى حين ياتي لفصل القضا والمعنى انها اشرقت بنور خلقه الله تعالى فاضاف النور اليه على حد اضافة الملك الى المالك وقيل انه اليوم الذي يقضي فيه بين خلقه لانه نهار لا ليل معه وقرا ابن عباس وعبيد بن عمير واشرقت الارض على ما لم يسم فاعله وهي قراة على التفسير وقد ضل قوم هاهنا فتوهموا ان الله جل وعز من جنس النور والضيا المحسوس وهو متعال عن مباينة المحسوسات بل هو منور السموات والارض فمنه كل نور خلقا وانشا وقال ابو جعفر النحاس وقوله جل وعز واشرقت الارض بنور ربها يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح تنظرون الى الله جل وعز لا تضامون في رويته وهو يروى على اربعة اوجه في الدنيا في النظر الى الملوك ولا تضارون لا يلحقكم ضير ولا تضامون لا ينضم بعضكم الى بعض ليسله ان يريه ولا تضارون لا يخالف بعضكم بعضا يقال ضاررته مضارة وضرارا اي خالفته قوله تعالى ووضع الكتاب قال ابن عباس يريد اللوح المحفوظ وقال قتادة يعني الكتب والصحف التي فيها اعمال بني ادم فاخذ بيمينه واخذ بشماله وجي بالنبيين اي جي بهم فيسلوا عما اجابتهم به اممهم والشهدا الذين يشهدون على الامم من امة محمد عليه السلام كما قال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقيل المراد بالشهدا الذين استشهدوا في سبيل الله فيشهدون يوم القيمة لمن ذب عن دين الله قاله السدي وقال ابن زيد هم الملايكة الذين يشهدون على الناس باعمالهم قال الله تعالى وجات كل نفس معها سايق وشهيد فالسايق يسوقها الى الحساب والشاهد يشهد عليها وهو الملك الموكل بالانسان على ما ياتي بيانه في ق وقضي بينهم بالحق اي بالصدق والعدل وهم لا يظلمون قال سعيد ابن جبير لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سياتهم ووفيت كل نفس ما عملت من خير او شر وهو اعلم بما يفعلون في الدنيا ولا حاجة به جل وعز الى كتاب ولا الى شاهد ومع ذلك فتشهد الكتب والشهود الزاما للحجة قوله تعالى وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا هذا بيان توفية كل نفس عملها فيساق الكافر الى النار والمومن الى الجنة والزمر الجماعات واحدها زمرة كظلمة وغرفة قال الاخفش وابو عبيدة زمرا جماعات متفرقة بعضها اثر بعض قال الشاعر

وترى الناس الى منزله زمرة تتبعها بعد زمرة

وقال اخر حتى احزالة زمر بعد زمر وقيل دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار حتى اذا جاوها فتحت ابوابها جواب اذا وهي سبعة ابواب وقد مضى في الحجر وقال لهم خزنتها واحدهم خازن نحو سادن وسدنة يقولون لهم تقريعا وتوبيخا الم ياتكم رسل منكم اي من انفسكم يتلون عليكم ايات ربكم اي الكتب المنزلة على الانبيا وينذرونكم اي يخوفونكم لقا يومكم هذا قالوا بلى قد جانا وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين وهي قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين المعنى قيل ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ادخلوا جهنم وقد مضى الكلام في ابوابها قال وهب تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم فانه ليقع في الدفعة الواحدة في النار بعدد ربيعة ومضر فبيس مثوى المتكبرين تقدم بيانه قوله تعالى وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا يعني من الشهدا والزهاد والعلما والقرا

وغيرهم ممن اتقى الله وعمل بطاعته وقال في حق الفريقين وسيق بلفظ واحد فسوق اهل النار طردهم اليها بالخزي والهوان كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس او قتل وسوق اهل الجنان سوق مراكبهم الى دار الكرامة والرضوان لانه لا يذهب بهم الا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها وقيل الواو هاهنا للعطف عطف جملة على جملة والجواب محذوف قال المبرد اي سعدوا وفتحت وحذف الجواب بليغ في كلام العرب وانشد

فلو انها نفس تموت جميعة ولكنها نفس تساقط انفسا

فحذف جواب لو والتقدير لكانت اروح وقال الزجاج حتى اذا جاوها دخلوها وهو قريب من الاول وقيل الواو زايدة قال الكوفيون وهو خطا عند البصريين وقد قيل ان زيادة الواو دليل ان الابواب فتحت لهم قبل ان ياتوا لكرامتهم على الله تعالى والتقدير حتى اذا جاوها وابوابها مفتحة بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب وحذف الواو في قصة اهل النار لانهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم اذلالا وترويعا لهم ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قال فاما الحكمة في اثبات الواو في الثاني وحذفها من الاول وقد تكلم فيه بعض اهل العلم بقول لا اعلم انه سبقه اليه احد وهو انه لما قال الله جل وعز في اهل النار حتى اذا جاوها فتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مغلقة ولما قال في اهل الجنة حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها دل بهذا على انها كانت مفتحة قبل ان يجيوها والله اعلم وقيل انها واو الثمانية وذلك ان من عادة قريش انهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية فاذا بلغوا السبعة قالوا وثمانية قاله ابو بكر بن عياش قال الله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما وقال التايبون العابدون ثم قال في الثامن والناهون عن المنكر وقال ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم وقال ثيبات وابكارا وقد مضى القول في هذا في براة مستوفى وفي الكهف ايضا قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد استدل من قال بهذا ان ابواب الجنة ثمانية وذكروا حديث عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد يتوضا فيبلغ او فيسبغ الوضوء ثم قال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شا خرجه مسلم وغيره وقد خرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيه فتح له ابواب الجنة الثمانية يوم القيامة بزيادة من وهو يدل على ان ابوابها اكثر من ثمانية وقد ذكرنا ذلك في كتاب التذكرة وانتهى عددها الى ستة عشر بابا وذكرنا هناك عظم ابوابها وسعتها حسب ما رواه في الحديث من ذلك لمن اراده وقف عليه هناك وقال لهم خزنتها قيل الواو ملغاة تقديره حتى اذا جاوها فتحت ابوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم اي في الدنيا قال مجاهد بطاعة الله وقيل بالعمل الصالح حكاه النقاش والمعنى واحد وقال مقاتل اذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان واصحابه سلام عليكم بمعنى التحية طبتم فادخلوها خالدين قال الشيخ القرطبي رحمه الله خرج البخاري حديث القنطرة هذا في جامعه من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا وحكى النقاش ان على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المومنون من احداهما فتطهر اجوافهم وذلك قوله تعالى وسقاهم ربهم شرابا طهورا ثم يغتسلون من الاخرى فتطيب

ابنا وهو نعمد ها يقولون لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
وهذا يروي معناه عن علي رضي الله عنه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
اي اذا دخلوا الجنة قالوا هذا واورثنا الارض اي ارض الجنة قيل انهم ورثوا الارض
التي كانت تكون لاهل النار لو كانوا مومنين قاله ابو العالية وابو صالح وقتادة
والسدي واكثر المفسرين وقيل انها ارض الدنيا على التقديم والتاخير مجازه
فنعم اجر العاملين قيل هو من قولهما اي نعم الثواب هذا وقيل من قول الله على
اي نعم ثواب المحسنين هذا الذي اعطيتهم قوله تعالى وترى الملائكة يا محمد
حافين اي محدقين من حول العرش في ذلك اليوم يسبحون بحمد ربهم متلذذين
بذلك لا متعبدين به اي يصلون حول العرش شكرا لربهم والحافون اخذ من حافات
الشي ونواحيه قال الاخفش واحدهم حاف وقال الفرا لا واحد له اذ لا يقع لهم
الاسم الا مجتمعين ودخلت من على حول لانه ظرف والفعل يتعدى الى الظرف
حرف وبغير حرف وقال الاخفش من زايدة اي حافين حول العرش وهذا
كقولهم ما جاني من احد فمن توكيد الثعلبي والعرب تدخل البا احيانا في التسبيح
وتحذفها احيانا فيقولون سبح بحمد ربك وسبح حمد الله قال الله تعالى سبح
اسم ربك الاعلى وقال وسبح بحمد ربك العظيم وقضي بينهم بالحق بين اهل
الجنة والنار وقيل قضي بين النبيين الذين يجي بهم مع الشهدا وبين امتهم
بالحق والعدل وقيل الحمد لله رب العالمين اي يقول المومنون الحمد لله على ما
اثابنا من نعمه واحسانه ونصرنا على من ظلمنا وقال قتادة في هذه الاية
افتتح الله اول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذي خلق السموات والارض
وجعل الظلمات والنور وختم بالحمد فقال وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله
رب العالمين فلزم الاقتدا به والاخذ في ابتدا كل امر بحمده وخاتمته بحمده
وقيل ان القول الحمد لله رب العالمين من قول الملائكة فعلى هذا يكون
حمدهم لله على عدله وقضائه وروي من حديث ابن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا على المنبر اخر السورة الزمر فتحرك المنبر مرتين

:. سورة المومن وتسمى سورة الطول وهي مكية :.

في قول الحسن وعطا وعكرمة وجابر وعن الحسن الا قوله وسبح بحمد ربك لان
الصلوات نزلت بالمدينة وقال ابن عباس وقتادة الا ايتين منها نزلتا
بالمدينة وهما ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان والتي بعدها
وهي خمس وثمانون اية وقيل ثنتان وثمانون اية وفي مسند الدارمي نا
جعفر بن عون عن مسعر عن سعد بن ابراهيم قال كن الحواميم يسمين العرايس
وروي من حديث انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحواميم ديباج
القران وروي عن ابن مسعود مثله قال الجوهري وابو عبيدة وال حم سورة في
القران قال ابن مسعود ال حم ديباج القران قال الفرا انما هو كقولك ال فلان
وال فلان كانه نسب السورة كلها الى حم قال الكميت

وجدنا لكم في ال حم اية • تاولها منا تقي ومعرب •

وقال ابو عبيدة هكذا رواها الاموي بالرا وكان ابو عمرو يرويها بالزا فاما قول
العامة الحواميم فليس من كلام العرب وقال ابو عبيدة الحواميم سور في القران
على غير قياس وانشد • وبالحواميم التي قد سبعت •
قال والاولى ان يجمع بذوات حم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لكل شي
ثمرة وان ثمرة القران ذوات حم هن روضات محصبات متجاورات فمن احب
ان يرتع في رياض الجنة فليقرا الحواميم وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل
الحواميم في القران مثل الحبرات في الثياب ذكرها الثعلبي وقال ابو عبيد وحدثني حجاج بن محمد

عن

عن ابي معشر عن محمد بن قيس قال راى رجل سبع جوار حسان مزينات في النوم
فقال لمن انتن بارك الله فيكن فقلن نحن لمن قرانا نحن ال حم •

:. بسم الله الرحمن الرحيم :.

قوله تعالى حم اختلف في معناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم حم اسم
من اسما الله تعالى وهي مفاتيح ربك وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم
وعنه الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة وعنه انه اسم من اسما الله تعالى اقسم
به وقال قتادة انه اسم من اسما القران مجاهد فواتح السور وقال عطا الخراساني
الحا افتتاح اسمه حميد وحليم وحنان وحكيم والميم افتتاح اسمه مالك ومجيد
ومنان ومتكبر ومصور ومحسن يدل عليهما روي انس ان اعرابيا سال النبي صلى
الله عليه وسلم ما حم قال لا نعرفها في لساننا فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بدو اسما وفواتح سور وقال الضحاك والكسائي معناه قضي ما هو كاين كانه اراد
الاشارة الى تهجي حم لا تضبر حم بضم الحا وتشديد الميم اي قضي ووقع قال
كعب بن مالك • فلما التقيناهم ودارت بنا الرحا • وليس لامر حمه الله مدفع •
وعنه ايضا ان المعنى حم امر الله اي كرب كما قال الشاعر •
• قد حم يومي فسر قوم • قوم بهم غفلة ونوم •
ومنه سميت الحمى لانها تقرب المنية والمعنى المراد قرب نصره لاوليايه وانتقامه
من اعدايه ومنه بدر وقيل حروف هجا قال الجرمي ولهذا تقرا ساكنة الحروف
فخرجت مخرج التهجي واذا سميت سورة بشي من هذه الحروف اعربت فتقول
قرات حم فتنصب قال الشاعر • يذكرني حم والرمح شاجر • فهلا تلا حم قبل التقدم •
وقرا عيسى بن عمر الثقفي حم بفتح الميم على معنى اقرا حم او لالتقا الساكنين
وابن ابي اسحاق وابو السمال بكسرها والامالة الكسر لالتقا الساكنين او على وجه
القسم وقرا ابو جعفر بقطع الحا من الميم الباقون بالوصل وكذا في حم عسق وقرا
ابو عمرو وحمزة والكسائي وخلف وابن ذكوان بالامالة في الحا وروي عن ابي
عمرو بين اللفظين وهي قراة نافع وابي جعفر وبقية الباقون بالفتح مشبعا
قوله تعالى تنزيل الكتاب ابتدا والخبر من الله العزيز العليم ويجوز ان
يكون تنزيل خبرا لمبتدا محذوف اي هذا تنزيل الكتاب ويجوز ان يكون حم
مبتدا وتنزيل خبره والمعنى ان القران انزله الله وليس منقولا ولا مما يجوز
ان يكذب به قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب قال
الفرا جعلهما كالنعت للمعرفة وهي نكرة وقال الزجاج هي خفض على البدل
النحاس وتحقيق الكلام في هذا وتلخيصه ان غافر الذنب وقابل التوب يجوز
ان يكونا معرفتين على انهما للماضي فيكونا نعتين ويجوز ان يكونا للمستقبل والحال
فيكونا نكرتين ولا يجوز ان يكونا نعتين على هذا ولكن يكون خفضهما على البدل
ويجوز النصب على الحال فاما شديد العقاب فهو نكرة ويكون خفضه على
البدل قال ابن عباس لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب لمن قال لا اله الا
الله شديد العقاب لمن يقل لا اله الا الله وقال ثابت البناني كنت الى سرادق
ابي مصعب بن الزبير في مكان لا تمر فيه الدواب قال فاستفتحت حم تنزيل
الكتاب من الله العزيز العليم فمر علي رجل على دابة فلما قلت غافر الذنب
قال قل يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي فلما قلت قابل التوب قال قل يا قابل
التوب تقبل توبتي فلما قلت شديد العقاب قال قل يا شديد العقاب
اعف عني فلما قلت ذي الطول قال قل يا ذا الطول طل علي بخير فقلت اليه
فاخذ ببصري فالتفت يمينا فلم ار شيا وقال اهل الاشارات غافر الذنب
فضلا وقابل التوب وعدا شديد العقاب عدلا لا اله الا هو اليه المصير

ورد او روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه افتقد رجلا ذا باس شديد
من اهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر
الى فلان سلام عليك وانا احمد الله اليك الذي لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم
حم تنزيل الكتاب الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه
اليه حتى تجده صاحيا ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما اتته الصحيفة
جعل يقرؤها ويقول قد وعدني الله ان يغفر لي وحذرني عقابه فلم يبرح
يرددها حتى بكى ثم نزع فاحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره
قال هكذا فاصنعوا اذا رايتم اخاكم قد زل زلة فسددوه وادعوا الله له ان
يتوب الله عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه والتوب يجوز ان يكون
مصدر اتاب يتوب توبا ويحتمل ان يكون جمع توبة كعوم وعومة وذوم وعزمة
وعزم ومنه قوله فلعوسا عقده وهي ساعات ويجوز ان يكون التوب بمعنى
التوبة قال ابو العباس الذي يسبق الى قلبي ان يكون مصدرا اي يقبل
هذا الفعل كما تقول قال قولا واذا كان جمعا فمعناه يقبل التوبات ذي الطول
على البدل وعلى النعت لانه معرفة واصل الطول الانعام والفضل يقال منه
اللهم طل علينا اي انعم وتفضل قال ابن عباس ذي الطول ذي النعم وقال
مجاهد ذي الغنا والسعة ومنه قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا اي غنى
وسعة وعن ابن عباس ايضا ذي الطول ذي الغنى عمن لا يقول لا اله الا الله
وقال عكرمة ذي الطول ذي المن قال الجوهري والطول بالفتح المن يقال
منه طال عليه ويطول عليه اذا امتن عليه وقال محمد بن كعب ذي الطول ذي
التفضل قال الماوردي والفرق بين المن والتفضل ان المن عفو عن ذنب
والتفضل احسان غير مستحق والطول ماخوذ من الطول كانه طال
بانعامه على غيره وقيل لانه طال بانعامه على غيره وقيل لانه طالت مدة
انعامه لا اله الا هو اليه المصير اي المرجع قوله تعالى ما يجادل في ايات الله
اي في دفع ايات الله الا الذين كفروا واستحل سبحانه على الجدال لمن في ايات الله
بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفا
نور الله وقد دل على ذلك في قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق
فاما الجدال فيها الايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة اهل العلم في استنباط
معانيها ورد اهل الزيغ عنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقد مضى هذا المعنى
في البقرة عند قوله الم تر الى الذي حاج ابراهيم في ربه مستوفى فلا يغررك وقرئ
فلا يغرك تقلبهم اي تصرفهم في البلاد فان وان امهلهم لا اهملهم بل اعاقبهم
قال ابن عباس يريد تجارتهم من مكة الى الشام والى اليمن وقيل لا يغررك
سلامتهم بعد كفرهم فان عاقبتهم الهلاك وقال ابو العالية ايتان ما اشدهما
على الذين يجادلون في القران قوله ما يجادل في ايات الله الا الذين كفروا
وقوله وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد قوله تعالى كذبت
قبلهم قوم نوح على تانيث الجماعة اي كذبت الرسل والاحزاب من بعدهم اي
والامم الذين تحزبوا على انبيائهم بالتكذيب نحو عاد وثمود فمن بعدهم وهمت
كل امة برسولهم لياخذوه اي ليحبسوه ويعذبوه وقال قتادة والسدي ليقتلوه
والاخذ يرد بمعنى الاهلاك كقوله فاخذتهم فكيف كان نكير والعرب تسمي
الاسير الاخيذ لانه ماسور للقتل وانشد قطرب قول الشاعر
فاما تاخذوني تقتلوني فلست الى خلود
وفي وقت اخذهم لرسولهم قولان احدهما عند دعائه لهم الثاني عند نزول العذاب
بهم وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق اي ليزيلوا ومنه مكان دحض اي مزلقة
والباطل داحض لانه يزلق ويزل فلا يستقر قال يحيى بن سلام جادلوا الانبيا

بالترك

بالترك ليبطلوا به الايمان فاخذتهم اي بالعذاب فكيف كان عقاب اي عاقبة
الامم المكذبة اي اليس وجدوه حقا قوله تعالى وكذلك حقت اي وجبت ولزمت
ماخوذ من الحق لانه اللازم كلمة ربك هذه قراءة العامة على التوحيد وقرا نافع
وابن عامر كلمات جمعا على الذين كفروا انهم قال الاخفش اي لانهم وبانهم قال
الزجاج ويجوز انهم بكسر الهمزة اصحاب النار اي المعذبون بها وتم الكلام ثم ابتدا
فقال الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين امنوا
وروي ان حملة العرش ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع
لا يرفعون طرفهم وهم اشراف الملائكة وافضلهم ففي الحديث ان الله تبارك وتعالى
امر جميع الملائكة ان يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على ساير
الملائكة ويقال خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقات
الطير المسرع ثمانين الف سنة وقيل حول العرش سبعون الف صف من الملائكة
يطوفون به مهللين ومكبرين ومن ورائهم سبعون الف صف قيام قد وضعوا ايديهم
على عواتقهم رافعين اصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة الف صف قد وضعوا
الايمان على الشمائل ما منهم احد الا وهو يسبح بما يسبح به الاخر وقرا ابن عباس العرش
بضم العين ذكره جميعه الزمخشري رحمه الله وقيل اتصل هذا بذكر الكفار لان المعنى والله
اعلم الذين يحملون العرش ومن حوله ينزهون الله عز وجل عما يقوله الكفار ويستغفرون
للذين امنوا اي يسالون لهم المغفرة من الله تعالى واقاويل اهل التفسير على ان
العرش هو السرير وانه جسم مجسم خلقه الله عز وجل وامر ملائكته بحمله وتعبدهم
بتعظيمه والطواف به كما خلق في الارض بيتا وامر بني ادم بالطواف به واستقباله في
الصلاة وروى ابراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر
ابن عبد الله الانصاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لي ان احدث
عن ملك من الملائكة من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام
ذكره البيهقي وقد مضى في البقرة في اية الكرسي عظم العرش وانه اعظم المخلوقات
خلقا وروى ايوب بن يزيد عن خالد بن معدان عن كعب الاحبار انه قال لما خلق
الله تعالى العرش قال لن يخلق الله خلقا اعظم مني فاهتز فطوقه الله بحية للحية
سبعون الف جناح في الجناح سبعون الف ريشة في كل ريشة سبعون الف وجه
في كل وجه سبعون الف فم في كل فم سبعون الف لسان يخرج من افواهها في كل يوم
من التسبيح عدد قطر المطر وعدد ورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد ايام الدنيا
وعدد الملائكة اجمعين فالتوت الحية بالعرش الى نصف الحية وهي ملتوية به وقال
مجاهد بين السماء السابعة وبين العرش سبعون الف حجاب حجاب نور وحجاب ظلمة
ربنا اي يقولون ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما اي وسعت رحمتك وعلمك كل شيء فلما
نقل الفعل على الرحمة والعلم نصب على التفسير فاغفر للذين تابوا اي عن الشرك
والمعاصي واتبعوا سبيلك اي دين الاسلام وقهم عذاب الجحيم اي اصرفه عنهم حتى
حجاب نور وحجاب ظلمة لا يصل اليهم قال ابراهيم النخعي كان اصحاب عبد الله يقولون
الملائكة خير من ابن الكواء هم يستغفرون لمن في الارض وابن الكواء يشهد عليهم
بالكفر قال ابراهيم وكانوا يقولون لا يحجبون الاستغفار عن احد من اهل القبلة
وقال مطرف بن عبد الله وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا
اغش عباد الله لعباد الله الشيطان وتلا هذه الاية وقال يحيى بن معاذ
الرازي لاصحابه في هذه الاية افهموها فما في العالم اية ارجى منها ان ملكا واحدا
لو سال الله ان يغفر لجميع المومنين لغفر لهم كيف وجميع الملائكة وحملة العرش
يستغفرون للمومنين وقال خلف بن هشام البزار القارئ كنت اقرا على سليم
ابن عيسى فلما بلغت ويستغفرون للذين امنوا بكى ثم قال يا خلف ما اكرم المومن على
الله نائما على فراشه والملائكة يستغفرون له قوله تعالى ربنا وادخلهم جنات

عدن روي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار ما جنات عدن قال قصور
من ذهب في الجنة يدخلها النبيون والصديقون وائمة العدل التي وعدتهم في
محل نصب نعتا للجنات ومن صلح في محل نصب عطفا على الهاء والميم في قوله وادخلهم
ومن صلح بالايمان من ابائهم وازواجهم وذرياتهم وقد مضى في الرعد نظير هذه الاية
قال سعيد بن جبير يدخل الرجل الجنة فيقول يا رب اين ابي وجدي وامي
ولدي وولد ولدي واين زوجاتي فيقال انهم لم يعملوا عملك فيقول يا رب كنت اعمل
لي ولهم فيقال ادخلوهم الجنة ثم تلا الذين يحملون العرش ومن حوله الى قوله
ومن صلح من ابائهم وازواجهم وذرياتهم ويقرب من هذه الاية قوله والذين
امنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم قوله تعالى وقهم السيئات
قال قتادة اي وقهم ما يسوؤهم وقيل التقدير وقهم عذاب السيئات وهو امر
من وقاه الله يقيه وقاية بالكسر اي حفظه ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته
اي بدخول الجنة وذلك الفوز العظيم النجاة من النار قوله تعالى ان الذين
كفروا ينادون لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم قال الاخفش لمقت هذه لام الابتدا
وقعت بعد ينادون لان معناه يقال لهم والندا قول وقال غيره المعنى يقال
لهم لمقت الله اياكم في الدنيا اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقت بعضكم
يوم القيامة لان بعضهم عادى بعضا ومقته يوم القيامة فاذعنوا عند ذلك وخضعوا
وطلبوا الخروج من النار وقال الكلبي يقول كل انسان من اهل النار لنفسه مقتك
يا نفس فتقول الملائكة لهم وهم في النار لمقت الله اياكم اذ انتم في الدنيا وقد
بعث اليكم الرسل فلم تؤمنوا اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال الحسن يعطون
كتابهم فاذا نظروا في سيئاتهم مقتوا انفسهم فينادون لمقت الله اياكم في الدنيا
اذ تدعون الى الايمان فتكفرون اكبر من مقتكم انفسكم اليوم وقال معناه مجاهد
وقال قتادة المعنى لمقت الله لكم اذ تدعون الى الايمان اكبر من مقتكم انفسكم اذا
عاينتم النار فان قيل كيف يصح ان يمقتوا انفسهم ففيه وجهان احدهما انهم احلوها
بالذنوب محل الممقوت الثاني انهم لما صاروا الى حال زال عنهم الهوى وعلموا ان
نفوسهم هي التي اوبقتهم في المعاصي مقتوها وقال محمد بن كعب القرظي ان اهل
النار لما يئسوا مما عند الخزنة وقال لهم مالك انكم ماكثون على ما ياتي قال
بعضهم لبعض يا هؤلاء انه قد نزل بكم من البلاء والعذاب ما قد ترون فلنصبر فلعل
الصبر ينفعنا كما صبر اهل الطاعة على طاعة الله فنفعهم الصبر اذ صبروا فاجمعوا
رايهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم ثم جزعوا فنادوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
ما لنا من محيص اي من ملجا فقام ابليس عند ذلك فقال ان الله وعدكم وعد
الحق ووعدتكم فاخلفتكم الى قوله ما انا بمصرخكم وما انتم بمصرخي يقول بمغن عنكم
شيئا اني كفرت بما اشركتمون من قبل فلما سمعوا مقالته مقتوا انفسهم قال
فنودوا لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم الى قوله فهل الى خروج من سبيل قال
فرد عليهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله
العلي الكبير ذكره ابن المبارك قوله تعالى ربنا امتنا اثنتين اختلف اهل
التاويل في معنى قولهم ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فقال ابن عباس
وابن مسعود وقتادة والضحاك كنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم
وقال السدي اميتوا في الدنيا ثم احياهم في قبورهم للمسالة ثم اميتوا ثم
احيوا في الاخرة وانما صار الى هذا لان لفظ الميت لا ينطلق في العرف على
النطفة واستدل العلما في هذا في اثبات سؤال القبر ولو كان الثواب والعقاب
للروح دون الجسد فما معنى الاحيا والاماتة والروح عند من يقصر احكام
الاخرة على الارواح لا تموت ولا تتغير ولا تفسد وهو حي لنفسه لا يتطرق اليه
موت ولا غشية ولا فنا وقال ابن زيد في قوله ربنا امتنا اثنتين الاية قال

خلقهم في ظهر ادم واستخرجهم واحياهم واخذ عليهم الميثاق ثم اماتهم ثم احياهم
في الدنيا ثم اماتهم وقد مضى هذا في البقرة فاعترفنا بذنوبنا اعترفوا حيث لا ينفعهم
الاعتراف وندموا حين لا ينفعهم الندم فهل الى خروج من سبيل اي هل من رد الى
الدنيا لنعمل بطاعتك نظيره فهل الى مرد من سبيل وقوله فارجعنا نعمل صالحا قوله
يا ليتنا نرد الاية قوله تعالى ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم ذلكم في موضع رفع
اي الامر ذلكم او ذلكم العذاب الذي انتم فيه بكفركم وفي الكلام متروك تقديره فا
جيبوا بان لا سبيل الى الرد وذلكم لانه اذا دعي الله اي وحد الله وحده كفرتم وانكرتم
ان تكون الالوهية له خاصة وان يشرك به بعد الرد الى الدنيا لو كان تؤمنوا تصدقوا
المشرك نظيره ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه فالحكم لله العلي الكبير عن ان يكون له
صاحبة او ولد قوله تعالى هو الذي يريكم اياته اي دلائل توحيده وقدرته
وينزل لكم من السماء رزقا جمع بين اظهار الايات وانزال الرزق لان بالايات قوام
الاديان وبالرزق قوام الابدان وهذه الايات هي السموات والارضون وما فيهما
وما بينهما من الشمس والقمر والنجوم والرياح والسحاب والبحار والانهار والعيون
والجبال والاشجار واثار قوم هلكوا وما يتذكر الا من ينيب اي يرجع الى طاعة الله
اي اعبدوه مخلصين له الدين اي العبادات وقيل الطاعات لله ولو كره الكافرون
عبادة الله فلا تعبدوا انتم غيره قوله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش على
اضمار مبتدا قال الاخفش ويجوز نصبه على المدح ومعنى رفيع الدرجات اي رفيع
الصفات وقال ابن عباس والكلبي وسعيد بن جبير رفيع السموات السبع
وقال يحيى بن سلام هو رفعة درجاته لاوليائه في الجنة فرفيع على هذا بمعنى
رافع فعيل بمعنى فاعل وهو على القول الاول من صفات الذات ومعناه الذي لا
ارفع قدرا منه وهو المستحق لدرجات المدح والثنا وهي اصنافها وابوابها لا مستحق
لها غيره قاله الحليمي وقد ذكرناه في كتاب الاسنى والعرش اي خالقه ومالكه لا انه
محتاج اليه وقيل هو من قولهم ثل عرش فلان اي زال ملكه وعزه فهو سبحانه ذو
العرش بمعنى ثبوت ملكه وسلطانه وقد بيناه في الاسنى يلقي الروح اي الوحي
والنبوة على من يشاء من عباده وسمي ذلك روحا لان الناس يحيون به اي يحيون
من موت الكفر كما يحيا الابدان بالروح وقال ابن زيد الروح القران قال الله تعالى
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقيل الروح جبريل قال الله تعالى نزل
به الروح الامين على قلبك وقال قل نزله روح القدس من ربك بالحق وقيل الروح
من قوله وقيل من قضائه وقيل من بمعنى الباء اي بامره على من يشاء من عباده
وهم الانبيا وهو ان يكونوا انبيا وليس لاحد فيهم صنع لينذر يوم التلاق اي انما
يبعث الرسول لانذار يوم البعث فقوله لينذر يرجع الى الرسول وقيل اي لينذر الله
ببعثه الرسل الى الخلق يوم التلاق قال ابن عباس والحسن وابن السميقع لتنذر
بالتا خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم يوم التلاق قال ابن عباس وقتادة يوم
يلتقي اهل السما واهل الارض وقاله قتادة ايضا وابو العالية ومقاتل يلتقي
فيه الخلق والخالق وقيل العابدون والمعبودون وقيل الظالم والمظلوم
وقيل يلتقي كل انسان بجزاء عمله وقيل يلتقي الاولون والاخرون على صعيد
واحد روي معناه عن ابن عباس وكله صحيح المعنى يوم هم بارزون يكون
بدلا من يوم الاول وقيل هو في موضع رفع بالابتدا بارزون خبره والجملة
في موضع خفض بالاضافة فلذلك حذفت التنوين من يوم وانما يكون هذا عند
سيبويه اذا كان الظرف بمعنى اذ تقول لقيتك يوم زيد امير فان كان بمعنى اذا لم
يجز نحو انا القاك يوم زيد امير ومعنى بارزون خارجون من قبورهم لا يسترهم
شي لان الارض يومئذ قاع صفصف لا عوج فيها ولا امت على ما تقدم في طه
بيانه لا يخفى على الله منهم شي قيل ان هذا هو العامل في يوم هم بارزون لا يخفى

يخفى عليه منهم شيء ومن اعمالهم يوم هم بارزون لمن الملك اليوم وذلك عند فنا الخلق
قال الحسن هو السايل تعالى وهو المجيب لانه يقول ذلك حين لا احد يجيبه
فيجيب نفسه فيقول لله الواحد القهار النحاس واصح ما قيل فيه ما رواه
ابو وايل عن بن مسعود قال يحشر الناس على ارض بيضا مثل الفضة لم يعص
الله عز وجل عليها فيومر مناديا ينادي لمن الملك اليوم فيقول العباد مومنهم
وكافرهم لله الواحد القهار فيقول المومنون هذا سرورا وتلذذا ويقول الكافرون
هذا غما وانقيادا وخضوعا فاما ان يكون هذا والخلق غير موجودين فبعيد
لانه لا فايدة فيه والقول الصحيح عن بن مسعود وليس هو مما يوخذ بالقياس
ولا بالتاويل قال الشيخ القرطبي رحمه الله والقول الاول ظاهر جدا لان المقصود
اظهار انفراده تعالى بالملك عند انقضا دعاوي المدعين وانتساب المنتسبين اذ قد
ذهب كل ملك ومتكبر وملكه وانقطعت انسابهم ودعاويهم ودل على هذا
قوله الحق عند قبض الارض وطي السما انا الملك اين ملوك الارض كما تقدم في
حديث ابي هريرة وفي حديث بن عمر ثم يطوي الارض بشماله ثم يقول انا الملك
اين الجبارون اين المتكبرون وعند قوله سبحانه لمن الملك اليوم هو انقطاع
من الدنيا وبعده يكون البعث والنشر قال محمد بن كعب قوله سبحانه لمن الملك
اليوم بين النفختين حين فني الخلايق وبقي الخالق فلا يرى غير نفسه مالكا
ولا مملوكا فيقول لمن الملك اليوم فلا يجيبه احد لان الخلق اموات فيجيب نفسه
فيقول لله الواحد القهار لانه بقي وحده وقهر خلقه وقيل انه ينادي مناد
فيقول لمن الملك اليوم فيجيب اهل الجنة لله الواحد القهار ذكره الزمخشري
فالله اعلم قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت اي يقال لهم اذا
اقروا بالملك يومئذ لله الواحد القهار وحده اليوم تجزى كل نفس من خير او شر
لا ظلم اليوم اي لا ينقص احد شيا مما عمله ان الله سريع الحساب اي لا يحتاج الى
تفكر وعقد يد كما يفعله الحساب لانه العالم الذي لا يعزب عن علمه شيء فلا
يوخر جزا احد للاشتغال بغيره وكما يرزقهم في ساعة واحدة يحاسبهم كذلك
في ساعة واحدة وقد مضى هذا المعنى في البقرة وفي الخبر لا ينتصف النهار
حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار قوله تعالى وانذرهم
يوم الازفة اي يوم القيامة سميت بذلك لانها قريبة اذ كل ما هو ات قريب وازف
فلان اي قرب يازف ازفا قال النابغة

ازف الترحل غير ان ركابنا * لما تزل برحالنا وكان قد

اي قرب ونظير هذه الاية ازفت الازفة اي قربت الساعة وكان بعضهم يتمثل ويقول

ازف الرحيل وليس لي من زاد * غير الذنوب لشقوتي ونكادي

اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين على الحال وهو محمول على المعنى قال الزجاج
المعنى اذ قلوب الناس لدى الحناجر في حال كظمهم واجاز الفراء ان يكون التقدير
وانذرهم كاظمين واجاز رفع كاظمين على انه خبر للقلوب وقال المعنى اذ هم
كاظمون وقال الكسائي يجوز رفع كاظمين على الابتدا وقد قيل ان المراد
بيوم الازفة يوم حضور المنية قاله قطرب وكذا اذ القلوب لدى الحناجر
عند حضور المنية والاول اظهر قال قتادة وقعت في الحناجر من المخافة
فهي لا تخرج ولا تعود في امكنتها وهذا لا يكون الا يوم القيامة كما قيل وافيدتهم
هوا وقيل هذا اخبار عن نهاية الجزع كما قال وبلغت القلوب الحناجر واضيف
اليوم الى الازفة على تقدير يوم القيامة الازفة اي يوم المجادلة الازفة
وعند الكوفيين هو من باب اضافة الشيء الى نفسه مثل مسجد الجامع
وصلاة الاولى ما للظالمين من حميم اي من قريب ينفع ولا شفيع يطاع فيشفع
فيهم قوله تعالى يعلم خاينة الاعين قال المورج فيه تقديم وتاخير اي

يعلم الاعين الخاينة وقال بن عباس هو الرجل يكون جالسا مع القوم فتمر المراة
فيسارقهم النظر اليها وعنه هو الرجل ينظر الى المراة فاذا نظرت اليه اصحابه غض
بصره فاذا راى منهم غفلة تدسس بالنظر فاذا نظروا اليه غض بصره وقد علم الله
عز وجل منه انه يود لو نظر الى عورتها وقال مجاهد هي مسارقة نظر الاعين الى ما
نهى الله عنه وقال قتادة هي الهمزة بعينه وايماضه فيما لا يحب الله تعالى وقال
الضحاك هو قول الانسان ما رايت وقد راى ورايت وما راى وقال السدي
انه الرمز بالعين وقال سفين هي النظرة بعد النظرة وقال الفرا خاينة
الاعين النظرة الثانية وما تخفي الصدور النظرة الاولى وقال بن عباس وما
تخفي الصدور اي هل يزني بها لو خلا بها ام لا وقيل وما تخفي الصدور تكنه
وتضمره ولما جي بعبد الله بن ابي سرح الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد
ما اطمان اهل مكة وطلب له الامان عثمان رضي الله عنه صمت رسول الله صلى
الله عليه وسلم طويلا ثم قال نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم ليضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا
اومات الي يا رسول الله فقال ان النبي لا يكون له خاينة الاعين والله يقضي
بالحق اي يجازي من غض بصره عن المحارم ومن نظر اليها ومن عزم على مواقعة
الفواحش اذا قدر عليها والذين يدعون من دونه يعني الاوثان لا يقضون
بشي لانها لا تعلم شيا ولا تقدر عليه ولا تملك وقراه العامة بالياء على الخبر
عن الظالمين وهي اختيار ابي حاتم وابي عبيد وقرا نافع وشيبة تدعون بالتا
ان الله هو السميع البصير هو زايدة فاصلة ويجوز ان يكون في موضع رفع
بالابتدا وما بعدها خبر عنها والجملة خبر ان قوله تعالى اولم يسيروا في
الارض فينظروا في موضع جزم عطف على يسيروا ويجوز ان يكون في موضع
نصب على انه جواب والجزم والنصب في التثنية والجمع واحد كيف كان عاقبة
اسم كان والخبر في كيف وواق في موضع خفض معطوفا على اللفظ ويجوز ان
يكون في موضع رفع على الموضع فرفعه وخفضه واحد وبقي الكسرة دالة
عليها وقد مضى الكلام في معنى هذه الاية في غير موضع فاغنى عن الاعادة
قوله تعالى ولقد ارسلنا موسى باياتنا وهي التسع الايات المذكورة في
قوله ولقد اتينا موسى تسع ايات بينات وقد مضى تعيينها وسلطان مبين
اي حجة واضحة بينة وهو يذكر ويونث وقيل اراد بالسلطان التوراة الى
فرعون وهامان وقارون خصهم بالذكر لان مدار التدبير في عداوة موسى
كان عليهم فرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الاموال والكنوز
فجمعه الله معهما لان عمله في الكفر والتكذيب كعملهما فقالوا ساحر كذاب لما
عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر قوله تعالى فلما جاهم بالحق من
عندنا وهي المعجزة الظاهرة قالوا اقتلوا ابنا الذين امنوا معه قال قتادة هذا
قتل غير القتل الاول لان فرعون كان امسك عن قتل الولدان وقت ولادة
موسى فلما بعث الله موسى عاد القتل على بني اسرايل عقوبة لهم فيمتنع الناس
من الايمان ولئلا يكثر جمعهم فيعتضدوا بالذكور من اولادهم فشغلهم الله تعالى
عن ذلك بما انزل عليهم من انواع العذاب كالضفادع والقمل والدم والطوفان
الى ان خرجوا من مصر فاغرقهم الله وهذا معنى قوله تعالى وما كيد فرعون
الا في ضلال اي في خسران وهلاك وان الناس لا يمتنعون من الايمان وان
فعل بهم مثل هذا فكيده يذهب باطلا قوله تعالى وقال فرعون ذروني
اقتل موسى وليدع ربه اقتل جزم لانه جواب الامر وليدع جزم لانه امر
وذروني ليس بمجزوم وان كان امرا ولكن لفظه لفظ المجزوم وهو مبني وقيل هذا
يدل على انه قيل لفرعون انا نخاف ان يدعو عليك فيجاب فقال وليدع ربه

اي لا يهولنكم ما يذكر من ربه فانه لا حقيقة له وانا ربكم الاعلى واني اخاف ان
يبدل دينكم وان يظهر في الارض الفساد ان لم يبدل دينكم فانه يظهر الفساد اي يقع
بين الناس بسببه الخلاف وقراة المدنيين وابي عبد الرحمن السلمي وابن عامر وابي
عمرو وان يظهر في الارض الفساد وقراه الكوفيين او بالف واليه يذهب ابو عبيد قال لان
فيه زيادة حرف وفيه فصل ولان او تكون بمعنى الواو النحاس وهذا عند حذاق
النحويين لا يجوز ان يكون بمعنى الواو ولما احتيج الى هذا ها هنا لان معنى الواو واني
اخاف الامرين جميعا ومعنى او لاحد الامرين اي اني اخاف ان يبدل دينكم فان اعوزه
ذلك اظهر في الارض الفساد قوله تعالى وقال موسى اني عذت بربي وربكم لما
هدده فرعون بالقتل استعاذ موسى بالله من كل متكبر اي متعظم عن الايمان بالله
وصفته انه لا يومن بيوم الحساب قوله تعالى وقال رجل مومن من ال فرعون
يكتم ايمانه فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وقال رجل مومن ذكر بعض المفسرين
ان اسم هذا الرجل حبيب وقيل شمعان بالشين المعجمة قال السهيلي وهو اصح
ما قيل فيه وفي تاريخ الطبري رحمه الله اسمه خبر وقيل حزقيل ذكره الثعلبي عن
ابن عباس واكثر العلماء الزمخشري واسمه سمعان او حبيب واختلف هل كان اسراييليا
او قبطيا فقال الحسن وغيره كان قبطيا وقيل انه كان ابن عم فرعون قاله السدي
قال وهو الذي نجا مع موسى عليه السلام ولهذا قال من ال فرعون وهو المراد
بقوله وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى قال يا موسى الاية وهذا قول مقاتل
وقال ابن عباس لم يكن من ال فرعون مومن غيره وامراة فرعون وغير المومن
من الذي انذر فقال ان الملا ياتمرون بك وفي هذا تسلية عليه السلام اي لا تعجب
من مشركي قومك وكان هذا الرجل له وجاهة عند فرعون فلهذا لم يتعرض له
بسوء وقيل هذا الرجل من بني اسراييل يكتم ايمانه من ال فرعون عن السدي ايضا
ففي الكلام على هذا تقديم وتاخير والتقدير وقال رجل مومن من ال فرعون فمن
جعل الرجل قبطيا فمن عنده متعلقة بمحذوف صفة لرجل التقدير وقال رجل
مومن منسوب من ال فرعون ومن جعله اسراييليا فمن متعلقة بيكتم في موضع
مفعول ثان ليكتم القشيري ومن جعله اسراييليا ففيه بعد لانه يقال كتمه امر
كذا ولا يقال كتم منه قال الله تعالى ولا يكتمون الله حديثا وايضا ما كان
جماعة من بني اسراييل مثل هذا القول الثانية قوله تعالى اتقتلون رجلا ان
يقول ربي الله ان في موضع نصب بنزع الخافض وقد جاءكم بالبينات يعني الايات
التسع وان يك كاذبا فعليه كذبه ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه ولكن
تلطفا في الاستكفاف واستنزالا عن الاذى ولو كان وان يكن بالنون جاز ولكن
حذفت النون لكثرة الاستعمال على قول سيبويه ولانها نون الاعراب على قول
ابي العباس وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم كل الذي يعدكم وانشد قول
لبيد . تراك امكنة اذا لم ارضها . او يرتبط بعض النفوس حمامها .
فبعض بمعنى كل لان البعض اذا اصابهم اصابهم الكل لا محالة لدخوله في الوعيد
وهذا ترقيق الكلام في الوعظ وذكر الماوردي ان البعض قد يستعمل في موضع
الكل مطلقا في الخطاب وتوسعا في الكلام كما قال الشاعر
. قد يدرك المتاني بعض حاجته . وقد يكون مع المستعجل الزلل .
وقيل ايضا قال ذلك لانه حذرهم انواعا من العذاب كل نوع منها مهلك فكانه
حذرهم ان يصيبهم بعض تلك الانواع وقيل وعدهم موسى بعذاب الدنيا او بعذاب
الاخرة ان الذين كفروا فالمعنى يصبكم احد العذابين وقيل اي يصبكم هذا العذاب
الذي يقوله في الدنيا وهو بعض الوعد ثم يترادف العذاب في الاخرة ايضا وقيل
وعدهم العذاب ان كفروا والثواب ان امنوا فاذا كفروا يصيبهم بعض ما وعدوا ان
الله لا يهدي من هو مسرف على نفسه كذاب على ربه اشارة الى موسى ويكون

هذا

هذا من قول فرعون المومن وقيل مسرف في عبادة كذاب في الرعاية اشارة
الى فرعون ويكون هذا من قول الله تعالى الثالثة قال القاضي ابو بكر ابن
العربي عن بعضهم ان المكلف اذا كتم ايمانه ولم يتلفظ بلسانه انه لا يكون مومنا
باعتقاده وقد قال مالك ان الرجل اذا نوى بقلبه طلاق زوجته انه يلزمه
كما يكون مومنا بقلبه وكافرا بقلبه فجعل مدار الايمان على القلب وانه كذلك
لكن ليس على الاطلاق وقد بيناه في اصول الفقه بما بيانه ان المكلف اذا نوى
الكفر بقلبه كان كافرا وان لم يتلفظ بلسانه واما اذا نوى الايمان بقلبه كان
كافرا ان يتلفظ بلسانه واما اذا نوى الايمان بقلبه فلا يكون مومنا حتى يتلفظ
بلسانه ولا تمنعه التقية والخوف من ان يتلفظ بلسانه فيما بينه وبين الله
تعالى انما تمنعه من ان يسمعه غيره وليس من شرط الايمان ان يسمعه الغير
في صحته من التكليف وانما يشترط سماع الغير له ليكف عن نفسه وماله الرابعة
روى البخاري ومسلم عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص
اخبرني باشد ما صنعه المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال بينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذ اقبل عقبة بن ابي معيط فاخذ
بمنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا
شديدا فاقبل ابو بكر فاخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم لفظ
البخاري خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول من حديث جعفر بن محمد
عن ابيه عن علي رضي الله عنهم قال اجتمعت قريش بعد وفاة ابي طالب بثلاث
فارادوا قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يمنعه عنه يوميذ غير ابو بكر
وله ظفيرتان فاقبل يجادل ويقاتل دارا ويقول باعلى صوته ويلكم اتقتلون رجلا
ان يقول ربي الله والله انه لرسول الله فقطعت احدى ظفيرتي ابي بكر يوميذ
فقال علي والله ليوم ابي بكر خير من مومن ال فرعون ان ذاك رجل كتم ايمانه
فاثنى الله عليه في كتابه وهذا ابو بكر اظهر ايمانه وبذل ماله ودمه لله عز وجل
قال الشيخ القرطبي رحمه الله قول علي رضي الله عنه ان ذلك رجل كتم ايمانه
يريد في اول امره بخلاف الصديق فانه اظهر ايمانه ولم يكتمه فالقران مصرح
بان مومن ال فرعون اظهر ايمانه لما اراد قتل موسى عليه السلام على ما ياتي بيانه
في نوادر الاصول ايضا عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالوا لها ما اشد شيا رايت
المشركين بلغوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان المشركون قعودا
في المسجد يتذاكرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يقول في الهتهم فبينما هم
كذلك اذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه باجمعهم وكانوا اذا سالوه عن
شي صدقهم فقالوا الست تقول كذا في الهتنا قال بلى فتشبثوا به باجمعهم فاتى
الصريخ الى ابي بكر فقيل له ادرك صاحبك فخرج من عندنا وان له غدائر فدخل
المسجد وهو يقول ويلكم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات
من ربكم فلهوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واقبلوا على ابي بكر فرجع الينا ابو
بكر فجعل لا يمس شيا من غدائره الا جاء معه وهو يقول تباركت يا ذا الجلال
والاكرام قوله تعالى يا قوم لكم الملك اليوم هذا من قول مومن ال فرعون
وفي قوله يا قوم دليل على انه قبطي ولذلك اضافهم الى نفسه فقال يا قوم ليكونوا
اقرب الى قبول وعظه لكم الملك فاشكروا الله على ذلك ظاهرين في الارض اي
غالبين وهو نصب على الحال اي في حال ظهوركم والمراد بالارض ارض مصر في قول
السدي وغيره كقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي في ارض مصر فمن ينصرنا
من باس الله ان جاءنا اي من عذاب الله تحذير لهم من نقمه ان كان موسى صادقا
فذكر وحذر فعلم فرعون ظهور حجته فقال ما اريكم الا ما ارى قال عبد الرحمن

ابن زيد بن اسلم ما اشير عليكم الا ما ارى لنفسي وما اهديكم الا سبيل الرشاد في تكذيب موسى والايمان بي قوله تعالى وقال الذي امن يا قوم زادهم في الوعظ اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب يعني ايام العذاب التي عذب فيها المتحزبون على الانبياء المذكورون فيما بعد قوله تعالى اني اخاف عليكم يوم التناد زاد في الوعظ والتخويف وافصح عن ايمانه اما مستسلما موطنا نفسه على القتل او واثقا بانهم لا يقصدونه بسوء وقد وقاه الله شرهم بقوله الحق فوقاه الله سيئات ما مكروا وقراءة العامة التناد بتخفيف الدال وهو يوم القيامة قال امية بن ابي الصلت

• وبث الخلق فيها اذ دحاها • فهم سكانها حتى التناد •

سمي بذلك لمناداة الناس بعضهم بعضا فينادي اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم وينادي اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا وينادي اصحاب النار ان افيضوا علينا من الماء وينادي المنادي ايضا بالشقوة والسعادة الا ان فلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها ابدا الا ان فلان بن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها ابدا وهذا عند وزن الاعمال وتنادي الملائكة اصحاب الجنة ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون وينادى حين يذبح الموت يا اهل الجنة خلود بلا موت ويا اهل النار خلود بلا موت وينادى كل قوم بامامهم الى غير ذلك من النداء وقرا الحسن وابن السميفع ويعقوب وابن كثير ومجاهد التنادي باثبات الياء في الوصل والوقف على الاصل وقرا ابن عباس والضحاك وعكرمة يوم التناد بتشديد الدال قال بعض اهل العربية هذا لحن لان معناه ند يند اذا مر على وجهه هاربا كما قال الشاعر

• وبرك هجود قد اثارت مخافتي • نواديها اسعى بعضب مجرد •

قال فلا معنى لهذا في القيامة قال ابو جعفر النحاس وهذا غلط والقراءة به حسنة على معنى يوم التنافر قال الضحاك وذلك اذا سمعوا زفير جهنم ندوا هربا فلا ياتوا قطرا من اقطار الارض الا وجدوا صفوفا من الملائكة فيرجعون الى المكان الذي كانوا فيه فذلك قوله يوم التناد وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار الاية وقوله والملك على ارجائها ذكره ابن المبارك بمعناه قال واخبرنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال نا عبد الجبار بن عبيد الله بن سلمان في قوله اني اخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالدمع فيبكون حتى لا ينفد الدمع ثم تستجيب لهم اعينهم بالدم فيبكون حتى ينفد الدم ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح قال يرسل عليهم من الله امر فيولون مدبرين ثم تستجيب لهم اعينهم بالقيح فيبكون القيح حتى ينفد القيح فتغور اعينهم كالخرق في الطين وقيل ان هذا يكون عند نفخ اسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الفزع ذكره علي بن معبد والطبري وغيرهما من حديث ابي هريرة وفيه فتكون الارض كالسفينة في البحر تضربها الامواج فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل ما في بطونها وتشيب الولدان وتتطاير الشياطين هاربة فتلقاها الملائكة تضرب وجوهها ويرى الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضا وهي التي يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم الاية الحديث بكماله وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وتكلمنا عليه هناك وروى علي بن نصر عن ابي عمرو اسكان الدال في التناد في الوصل خاصة وروى ابو معمر عن عبد الوارث زيادة الياء في الوصل خاصة وهو مذهب ورش والمشهور عن ابي عمرو حذفها في الحالين وكذلك قرا سائر السبعة سوى ورش على ما ذكرنا عنه وسوى ابن كثير على ما تقدم وقيل سمي يوم القيامة يوم التناد لان الكافر ينادي فيه بالويل والحسرة والثبور قاله ابن جريج وقيل فيه اضمار اي اني اخاف عليكم عذاب يوم التناد فالله اعلم يوم تولون مدبرين على البدل يوم التناد ومن يضلل الله فما له من هاد اي من خلق الله في قلبه الضلال فلا هادي له وفي قائله قولان احدهما

موسى

موسى والثاني مؤمن ال فرعون وهذا الاظهر والله اعلم قوله تعالى ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات قيل ان هذا من قول موسى وقيل من تمام وعظ مؤمن ال فرعون ذكرهم قديم عتوهم على الانبياء واراد يوسف بن يعقوب جاءهم بالبينات ارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار قال ابن جريج هو يوسف بن يعقوب بعثه الله تعالى رسولا الى القبط بعد موت الملك من قبل موسى بالبينات وهي الرؤيا وقال ابن عباس هو يوسف ابن افراثيم بن يوسف بن يعقوب اقام فيهم نبيا عشرين سنة وحكى النقاش عن الضحاك ان الله تعالى بعث اليهم رسولا من الجن يقال له يوسف وقال وهب بن منبه ان فرعون موسى فرعون يوسف عمر وغيره يقول هو اخر النحاس وليس في الاية ما يدل على انه هو لان النداء الى البينات يعني لمن معه ولمن بعده فقد جاءهم جميعا بها وعليهم ان يصدقوه بها فما زلتم في شك مما جاءكم به يعني اسلافكم حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا اي من يدعي الرسالة كذلك يضل الله اي مثل ذلك الضلال يضل الله من هو مسرف مشرك مرتاب شاك في وحدانية الله تعالى قوله تعالى الذين يجادلون في ايات الله اي في حججه الظاهرة بغير سلطان اي بغير حجة وبرهان والذين في موضع نصب على البدل من من وقال الزجاج اي كذلك يضل الله الذين يجادلون في ايات الله فالذين نصب قال ويجوز ان يكون رفعا على معنى هم الذين او على الابتداء والخبر كبر مقتا ثم قيل هذا من كلام مؤمن ال فرعون وقيل ابتداء خطاب من الله تعالى مقتا على البيان اي كبر جدالهم مقتا كقوله كبرت كلمة ومقت الله تعالى ذمه لهم ولعنه اياهم واحلال العذاب بهم كذلك اي كما طبع على قلوب هؤلاء المجادلين فكذلك يطبع اي يختم على كل قلب متكبر جبار حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق وقراءة العامة على كل قلب متكبر باضافة قلب الى المتكبر واختاره ابو حاتم وابو عبيد وفي الكلام حذف والمعنى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار فحذف كل الثانية لتقدم ما يدل عليه واذا لم يقدر حذف كل لم يستقم المعنى لانه يصير معناه انه يطبع على جميع قلبه وليس المعنى عليه وانما المعنى انه يطبع على قلوب المتكبرين الجبارين قلبا قلبا ومما يدل على حذف كل قول ابي داود

• اكل امرئ تحسبين امرا • ونار توقد بالليل نارا •

يريد وكل نار وفي قراءة ابن مسعود على قلب كل متكبر فهذه قراءة على التفسير وقراءة ابي عمرو وابن محيصن وابن ذكوان عن اهل الشام قلب منون على ان متكبرا نعت للقلب فكنى بالقلب عن الجملة لان القلب هو الذي يتكبر وسائر الاعضاء تبع له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح سائر الجسد واذا فسدت فسد سائر الجسد الا وهي القلب ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب قوله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لما قال مؤمن فرعون ما قال وخاف فرعون ان يتمكن كلام هذا المؤمن في قلوب القوم اوهم انه يمتحن ما جاء به موسى من التوحيد فان بان له صوابه لم يخفه عنهم وان لم يصح ثبتهم على دينهم فامر وزيره هامان ببناء الصرح وقد مضى في القصص ذكره لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات بدل من الاول واسباب السماء ابوابها في قول قتادة والزهري والسدي والاخفش وانشد

• ومن هاب اسباب المنايا ينلنه • ولو رام اسباب السماء بسلم •

وقال ابو صالح اسباب السماء طرقها وقيل الامور التي تستمسك بها السموات وكرر اسبابها تفخيما لان الشيء اذا ابهم ثم اوضح كان تفخيما لشانه والله اعلم فاطلع الى اله موسى فانظر اليه نظر مشرف عليه توهم انه جسم تحويه الاماكن وكان فرعون يدعي الالهية ويرى تحققها بالجلوس في مكان مشرف وقراءة العامة فاطلع بالرفع نسقا على قوله ابلغ وقرا الاعرج والسلمي وعيسى وحفص فاطلع بالنصب قال ابو عبيد على جواب لعلي بالفاء

النحاس ومعنى النصب خلاف معنى الرفع لان معنى النصب متى بلغت الاسباب اطلعت ومعنى الرفع لعلي ابلغ الاسباب ثم لعلي اطلع بعد ذلك الا ان ثم اشد تراخيا من الفاء وإني لأظنه كاذبا اي واني لاظن موسى كاذبا في ادعائه الها دوني وانما افعل ما افعل لازاحة العلة وهذا يوجب شك فرعون في امر الله وقيل ان الظن بمعنى اليقين اي وانا اتيقن انه كاذب وانما اقول ما اقوله لازالة الشبهة عمن لا يتيقن ما اتيقنه قوله تعالى وكذلك زين لفرعون سوء عمله اي كما قال هذه المقالة وارتاب زين له الشيطان او زين الله له سوء عمله اي الشرك والتكذيب وصد عن السبيل قراءة الكوفيين وصد على ما لم يسم فاعله وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم ويجوز على هذه القراءة وصِد بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد وهي قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة وقرا ابن ابي اسحاق وعبد الرحمن ابن ابي بكرة وصدٌّ عن السبيل بالرفع والتنوين الباقون وصَد بفتح الصاد والدال اي صد فرعون الناس عن السبيل وما كيد فرعون الا في تباب اي في خسران وضلال ومنه تبت يدا ابي لهب وقوله وما زادوهم غير تتبيب وفي موضع غير تخسير فهدم الله صرحه وغرقه وقومه على ما تقدم قوله تعالى وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني اهدكم هذا من تمام ما قال المؤمن آل فرعون اي اقتدوا بي في الدين اهدكم سبيل الرشاد اي طريق الهدى وهو الجنة وقيل من قول موسى وقرا معاذ بن جبل الرشّاد بتشديد الشين وهو لحن عند اكثر اهل العربية لانه انما يقال ارشد يرشد ولا يكون فعّال من افعل انما يكون من الثلاثي فان اردت التكثير في الرباعي قلت مفعال قال النحاس يجوز ان يكون رشاد بمعنى يرشد لا على انه مشتق منه ولكن كما يقال لآل من اللؤلؤ فهو بمعناه وليس جاريا عليه ويجوز ان يكون رشاد من رشد يرشد اي صاحب رشاد كما قال • كليني لهم يا اميمة ناصب • الزمخشري لم يجئ الا في عدة احرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز ان يكون نسبه الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل ووقع في المصحف اتبعون بغير ياء وقراها يعقوب وابن كثير بالاثبات في الوصل والوقف وحذفها ابو عمرو ونافع في الوقف واثبتوها في الوصل الا ورشا حذفها في الحالين وكذلك الباقون لانها وقعت في المصحف بغير ياء ومن اثبتها فعلى الاصل قوله تعالى يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع اي يتمتع بها قليلا ثم تنقطع وتزول وان الآخرة هي دار القرار اي الاستقرار والخلود ومراده بالدار الآخرة الجنة والنار لانهما لا يفنيان بين ذلك بقوله من عمل سيئة يعني الشرك فلا يجزى الا مثلها وهو العذاب ومن عمل صالحا قال ابن عباس يريد قول لا اله الا الله وهو مؤمن مصدق بقلبه لله وللانبياء فاولئك يدخلون الجنة بضم الياء على ما لم يسم فاعله وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن وابي عمرو ويعقوب وابي بكر عن عاصم يدل عليه يرزقون فيها بغير حساب الباقون يدخلون بفتح الياء قوله تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة اي الى طريق الايمان الموصل الى الجنان وتدعونني الى النار بين ان ما قال فرعون من قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد سبيل الغي عاقبته النار وكانوا دعوه الى اتباعه ولهذا قال تدعونني لاكفر بالله واشرك به ما ليس لي به علم وهو فرعون وانا ادعوكم الى العزيز الغفار لا جرم تقدم الكلام فيه ومعناه حقا اي ما تدعونني اليه ما بمعنى الذي ليس له دعوة في الدنيا الزجاج ليس له استجابة دعوة تنفع وقال غيره ليس له دعوة توجب له الالوهية في الدنيا ولا في الآخرة وقال الكلبي ليس له شفاعة في الدنيا ولا في الآخرة وكان فرعون اولا يدعو الناس الى عبادة الاصنام ثم دعاهم الى عبادة البقر فكانت تعبد ما كانت شابة فاذا هرمت امر بذبحها ثم دعا باخرى لتعبد ثم لما طال عليه الزمان قال انا ربكم الاعلى وان المسرفين هم اصحاب النار قال قتادة وابن سيرين يعني المشركين وقال مجاهد والشعبي هم السفهاء السافكون الدماء بغير حقها وقال عكرمة الجبارون والمتكبرون وقيل هم الذين تعدوا حدود الله وهذا جامع لما ذكر وان في المواضع الثلاثة في موضع نصب باسقاط

حرف

حرف الجر على ما حكاه سيبويه عن الخليل من ان لا جرم رد لكلام ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب ان ما تدعونني اليه كانه قد وجب بطلان ما تدعونني اليه وان مردنا الى الله وان المسرفين هم اصحاب النار قوله تعالى فستذكرون ما اقول لكم تهديد ووعيد وما يجوز ان يكون بمعنى الذي اي الذي اقوله لكم ويجوز ان تكون مصدرية اي فستذكرون قولي لكم اذا حل بكم العذاب وافوض امري الى الله اي اتوكل عليه واسلم امري اليه وقيل هذا يدل على انهم ارادوا قتله وقال مقاتل هرب هذا المؤمن الى الجبل فلم يقدروا عليه وقد قيل القائل موسى والاظهر انه مؤمن آل فرعون وهو قول ابن عباس قوله تعالى فوقاه الله سيئات ما مكروا اي من الحاق انواع العذاب فطلبوه فما وجدوه لانه فوض امره الى الله قال قتادة كان قبطيا فنجاه الله مع بني اسرائيل فالهاء على هذا للمؤمن آل فرعون وقيل انها لموسى على ما تقدم من الخلاف وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار قال الكسائي حاق يحيق حيقا وحيوقا اذا نزل ولزم ثم بين العذاب فقال النار يعرضون عليها وفيه ستة اوجه يكون رفعا على البدل من سوء ويجوز ان يكون مرفوعا بالابتداء وقال الفراء يكون مرفوعا بالعائد على معنى النار عليها يعرضون فهذه اربعة اوجه في الرفع واجاز الفراء النصب لان بعدها عائدا وقبلها ما يتصل به واجاز الاخفش الخفض على البدل من العذاب والجمهور على ان هذا العرض في البرزخ واحتج بعض اهل العلم في تثبيت عذاب القبر بقوله النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ما دامت الدنيا كذلك قال مجاهد وعكرمة ومقاتل ومحمد ابن كعب كلهم قال هذه الآية تدل على عذاب القبر الا تراه يقول عن عذاب الآخرة يوم القيامة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وفي الحديث عن ابن مسعود ان ارواح آل فرعون ومن كان مثلهم من الكفار تعرض على النار بالغداة والعشي فيقال هذه داركم وعنه ايضا ان ارواحهم في جوف طير سود تغدو على جهنم وتروح كل يوم مرتين فذلك عرضها وروى شعبة عن يعلى بن عطا قال سمعت ميمون بن مهران يقول كان ابو هريرة اذا اصبح ينادي اصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فاذا امسى نادى امسينا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمع ابا هريرة احد الا تعوذ من النار وفي حديث صخر بن جويرية عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكافر اذا مات عرض على النار بالغداة والعشي ثم تلا النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فان المؤمن اذا مات عرض روحه على الجنة بالغداة والعشي وخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي فان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه يوم القيامة قال الفراء في الغداة والعشي بمقادير ذلك في الدنيا وهو قول مجاهد قال غدوا وعشيا قال من ايام الدنيا وقال حماد بن محمد الفزاري قال رجل للاوزاعي راينا طيورا تخرج من البحر تاخذ ناحية الغرب بيضا صغارا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشا رجعت مثلها سودا قال تلك الطيور في حواصلها ارواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى اوكارها وقد احترقت رياشها وصارت سودا فينبت عليها في الليل ريشا بيضا وتتناثر السود ثم تغدو فتعرض على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكرها فذلك دابها ما كانت في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله تعالى ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وهو الهاوية قال الاوزاعي فبلغنا انهم الفا الف وستمائة الف وغدوا مصدر جعل ظرفا على السعة وعشيا عطف عليه وتم الكلام ثم تبتدي ويوم تقوم الساعة على ان تنصب يوما بقوله ادخلوا ويجوز ان يكون منصوبا بيعرضون على معنى يعرضون على النار في الدنيا ويوم تقوم الساعة فلا يوقف عليه وقرا نافع واهل المدينة وحمزة والكسائي ادخلوا بقطع الالف وكسر الخاء من ادخل وهي اختيار

ابي عبيد اي يامر الله الملايكة ان يدخلوهم ودليله النار يعرضون عليها الياتون
ادخلوا بوصل الف وضم الخاء من دخل اي يقال لهم ادخلوا ال فرعون اشد العذاب
وهو اختيار ابي حاتم قال في القراة الاولى مفعول اول واشد مفعول ثاني
بحذف الحرف وفي القراة الثانية منصوب لانه نداء مضاف وال فرعون من كان على
دينه وعلى مذهبه واذا كان من كان على دينه ومذهبه في اشد العذاب كان
هو اقرب الى ذلك وروي ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد يولد
مومنا ويحيا مومنا ويموت مومنا منهم يحيى بن زكريا ولد مومنا وحيي مومنا ومات
مومنا وان العبد يولد كافرا ويحيى كافرا ويموت كافرا منهم فرعون ولد كافرا وحيي
كافرا ومات كافرا ذكره النحاس وجعل الفرا في الاية تقديما وتاخيرا مجازه ادخلوا
ال فرعون اشد العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فجعل العرض في الاخره
وهو خلاف ما ذهب اليه الجمهور من انتظام الكلام على سياقه على ما تقدم والله اعلم
قوله تعالى واذ يتحاجون في النار اي يختصمون فيها فيقول الضعفا للذين
استكبروا عن الانقياد للانبيا انا كنا لكم تبعا فيما دعوتمونا اليه من الشرك في الدنيا
فهل انتم مغنون اي متحملون عنا نصيبا من النار اي جزءا من العذاب والتبع يكون
واحدا وجمعا في قول البصريين واحده تابع وقال اهل الكوفة هو جمع لا واحد
له كالمصدر ولذلك لم يجمع ولو جمع لقيل اتباع قال الذين استكبروا انا كل فيها اي في
جهنم قال الاخفش كل مرفوع بالابتدا واجاز الكساي والفرا انا كلا فيها بالنصب
على النعت والتاكيد للمضمر في انا وكذلك قرا ابن السميقع وعيسى بن عمر والكوفيون
يسمون التاكيد نعتا والتاكيد للمضمر في انا وكذلك قرا ابن السميقع ومنع من ذلك
سيبويه قال لان كلا لا تنعت ولا ينعت بها ولا يجوز فيه البدل لان المخبر عن نفسه
لا يبدل منه غيره وقال معناه المبرد لانها لا تشكلات فيبدل منها وهذا ايضا كلامه
ان الله قد حكم بين العباد اي لا يواخذ احدا بذنب احد فكل منا كافر قوله تعالى
وقال الذين في النار من الامم الكافرة ومن العرب من يقول اللذون على انه جمع
سالم معرب وقال الذين في الرفع بناه كما كان في الواحد مبنيا وقال الاخفش ضمت
النون الى الذي فاشبه خمسة عشر فبني على الفتح لخزنة جهنم خزنه جمع خازن
ويقال خزان وخزن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب يخفف جواب مجزوم
وان كان بالفا كان منصوبا الا ان الاكثر في كلام العرب في جواب الامر وما اشبهه
ان يكون مجزوما وعلى هذا جا القران بافصح اللغات كما قال ٠
قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ٠ قال محمد بن كعب القرظي
بلغني او ذكر لي ان اهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين
في النار لخزنة جهنم الاية فسالوا يوما واحدا يخفف عنهم فيه العذاب فرد عليهم
اولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا الاية الخبر بطوله وفي
الحديث عن ابي الدردا اخرجه الترمذي وغيره قال يلقى على اهل النار الجوع
حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون منه فيغاثوا بالضريع لا يسمن
ولا يغني من جوع فياكلونه فلا يغني عنهم شيا فيستغيثون فيغاثون بطعام
ذا غصة فيغصون به فيذكرون انهم كانوا في الدنيا يجيزون الغصص بالما
فيستغيثون بالشراب فيرفع لهم الحميم بالكلاليب فاذا دنا من وجوههم شواها
فاذا وقع في بطونهم قطع امعاهم وما في بطونهم فيستغيثون بالملايكة يقولون
ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيجيبوهم الم تك تاتيكم رسلكم بالبينات
الاية اي خسا ربنا قوله تعالى انا لننصر رسلنا ويجوز حذف الضمة
لثقلها فيقال رسلنا والمراد موسى عليه السلام والذين امنوا في موضع نصب
على الرسل والمراد المومن الذي وعظ وقيل هو عام في الرسل والمومنين ونصرهم
بالحجج والافلاح في قول ابي العالية وقيل بالانتقام من اعدايهم قال السدي

ما قتل قوم قط نبيا او قوما من دعاة الحق من المومنين الا بعث الله عز وجل من
ينتقم لهم فصاروا منصورين فيها وان قتلوا قوله تعالى ويوم يقوم الاشهاد
يعني يوم القيامة قال زيد بن اسلم الاشهاد اربعة الملايكة والنبيون والمومنون
والاجساد وقال مجاهد والسدي الاشهاد الملايكة تشهد للانبيا بالابلاغ
وعلى الامم بالتكذيب وقال قتاده الملايكة والانبيا ثم قيل الاشهاد جمع
شاهد مثل صاحب واصحاب النحاس ليس باب فاعل ان يجمع على افعال ولا
يقاس عليه ولكن ما جا منه مسموعا ادي على ما يسمع وكان على حذف الزايد
واجاز الاخفش والفرا ويوم تقوم الاشهاد بالتا على تانيث الجماعة وفي الحديث
عن ابي الدردا وبعض المحدثين يقول عن النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض
اخيه المسلم كان حقا على الله عز وجل ان يرد عنه نار جهنم ثم تلى انا لننصر رسلنا
والذين امنوا وعنه عليه السلام انه قال من حمى مومنا من منافق يغتابه بعث
الله عز وجل ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من النار ومن ذكر مسلما بشي يشينه وقفه
الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال يوم بدل من يوم الاول فلا تنفع
الظالمين معذرتهم قرا نافع والكوفيون ينفع بالياء الباقون بالتاء ولهم اللعنة
ولهم سوء الدار اللعنة البعد من رحمة الله وسوء الدار جهنم قوله تعالى ولقد
اتينا موسى الهدى هذا داخل في نصرة الرسل في الدنيا والاخرة اي اتيناه التوراة
والنبوه وسميت التوراة هدى بما فيها من الهدى والنور وفي التنزيل انا انزلنا
التوراة فيها هدى ونور واورثنا بني اسرايل الكتاب يعني التوراة جعلناها لهم
ميراثا هدى بدل من الكتاب ويجوز بمعنى هو هدى يعني ذلك الكتاب وذكرى
لاولي الالباب اي موعظة لاصحاب العقول قوله تعالى فاصبر ان وعد الله
حق اي فاصبر يا محمد على اذى المشركين كما صبر من قبلك ان وعد الله حق بنصرك
واظهارك كما نصرت موسى وبني اسرايل وقال الكلبي نسخ هذا باية السيف واستغفر
لذنبك اي لذنب امتك حذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقيل لذنب نفسك
على من يجوز الصغاير على الانبيا ومن قال لا يجوز قال هذا تعبد للنبي صلى الله
عليه وسلم بالدعا كما قال واتنا ما وعدتنا والفايدة زيادة الدرجات وان يصير
الدعا سنة لمن بعده وقيل الله من ذنبك صدر منك قبل النبوه وسبح بحمد ربك بالعشي
والابكار يعني صلاة العصر وصلاة الفجر قاله الحسن وقتادة وقيل هي صلاة كانت
بمكة قبل ان تفرض الصلوات الخمس ركعتان غدوة وركعتان عشية عن الحسن
ايضا ذكره الماوردي فيكون هذا مما نسخ والله اعلم وقوله بحمد ربك اي بالشكر له
والثنا عليه وقيل وسبح بحمد ربك اي استدم التسبيح في الصلاة وخارجا منها
لتشتغل بذلك عن استعجال النصر قوله تعالى ان الذين يجادلون يخاصمون
في ايات الله بغير سلطان اي بغير حجة اتاهم ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال
الزجاج المعنى ما في صدورهم الا كبر ما هم ببالغي ارادتهم فيه قدره على الحذف وقال
غيره المعنى ما هم ببالغي الكبر على غير الحذف لان هولا قوم راوا انهم ان اتبعوا النبي صلى
الله عليه وسلم قل ارتفاعهم ونقصت احوالهم وانهم يرتفعون اذا لم يكونوا تبعا فاعلم
جل وعز انهم لا يبلغوا الارتفاع الذي املوه بالتكذيب والمراد المشركون وقيل اليهود
فالاية مدنية على هذا كما تقدم اول السورة والمعنى ان تعظيم عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم وقالوا ان الدجال سيخرج عن قريب فيرد الملك الينا وتسير معه
الانهار وهو اية من ايات الله فنزلت الاية فيهم قاله ابو العالية وغيره وقد تقدم
في ال عمران انه يخرج ويطا البلاد كلها الا مكة والمدينة وقد ذكرنا خبره مستوفي
في كتاب التذكرة وهو يهودي واسمه صاف ويكنى ابا يوسف وقيل كل من كفر بالنبي
عليه السلام وهذا حسن لانه يعم وقال مجاهد معناه في صدورهم عظمة ما هم ببالغيها
والمعنى واحد وقيل المراد بالكبر الامر الكبير اي يطلبون النبوة او امرا كبيرا يصلون به

اليك من القتل ونحوه ولا يبلغون ذلك او يتمنون موتك قبل ان يتم دينك ولا
يبلغونه قوله تعالى فاستعذ بالله قيل من فتنة الدجال على قول من قال
ان الاية نزلت في اليهود وعلى القول الاخر من شر الكفار وقيل من مثل ما ابتلوا
به من الكبر والكفر انه هو السميع البصير هو يكون فاصلة ويكون مبتدا وما بعده
خبره والجملة خبر ان على ما تقدم قوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق
الناس مبتدا وخبره قال ابو العالية اي اعظم من خلق الدجال حين عظمته اليهود وقال
يحيى بن سلام هو احتجاج على منكري البعث اي هما اكبر من اعادة خلق الناس
فلم اعتقدوا العجز عنها ولكن اكثر الناس لا يعلمون قوله تعالى وما يستوي
الاعمى والبصير اي المومن والكافر والضال والمهتدي والذين امنوا وعملوا الصالحات
اي ولا يستوي العامل الصالح ولا المسيء الذي يعمل السيئات قليلا ما يتذكرون قراءة
العامة بالياء على الخبر واختاره ابو عبيد وابو حاتم لاجل ما قبله من الخبر وما بعده
وقرا الكوفيون بالتاء على الخطاب قوله تعالى ان الساعة لاتية هذه اللام لام التاكيد
دخلت في خبر ان وسبيلها ان تكون في اول الكلام لانها توكيد الجملة الا انها تزحلف عن
موضعها كذا قال سيبويه تقول ان عمرا لخارج وانما اخرت عن موضعها لئلا يجمع بينها
وبين ان لانهما يوديان عن معنى واحد وكذا لا يجمع بين ان وان عند البصريين
واجاز هشام ان ان زيدا منطلق حق فان حذفت حقا لم يجز عند احد النحويين
علمته قاله النحاس لا ريب فيه لا شك ولا مرية ولكن اكثر الناس لا يومنون اي لا
يصدقون بها وعندها يبين فرق ما بين الطائع والعاصي قوله تعالى وقال
ربكم ادعوني استجب لكم الاية روى النعمان بن بشير قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقول الدعا هو العبادة ثم قرا وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين قال ابو عيسى هذا حديث
حسن صحيح فدل هذا ان الدعا هو العبادة وكذا قال اكثر المفسرين وعلى هذا
وحدوني واعبدوني اتقبل عبادتكم واغفر لكم وقيل هو الذكر والدعا والسوال
قال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليسال احدكم ربه حاجته كلها حتى
في شسع نعله اذا انقطع ويقال الدعا هو ترك الذنوب وحكى قتادة ان كعب
الاحبار قال اعطيت هذه الامة ثلاثا لم تعطهن امة قبلهم الا نبي كان اذا ارسل
نبي قيل انت شاهد على امتك وقال تعالى لهذه الامة لتكونوا شهدا على
الناس وكان يقال للنبي ليس عليك في الدين من حرج وقال لهذه الامة وما
جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي ادعني استجب لك وقال
لهذه الامة ادعوني استجب لكم قال الشيخ القرطبي رحمه الله مثل هذا لا يقال
من جهة الراي وقد جا مرفوعا رواه ليث عن شهر بن حوشب عن عبادة بن
الصامت قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اعطيت امتي ثلاثا
لم تعط الا الانبيا كان الله تعالى اذا بعث النبي قال ادعني استجب لك وقال
لهذه الامة ادعوني استجب لكم وكان الله اذا بعث النبي قال له ما جعل عليك
في الدين من حرج وقال لهذه الامة ما جعل عليكم في الدين من حرج وكان الله
اذا بعث النبي جعله شهيدا على قومه وجعل هذه الامة شهدا على الناس ذكره
الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وكان خالد الربعي يقول عجبت لهذه الامة
ادعوني استجب لكم امرهم بالدعا ووعدهم الاجابة وليس بينهما شرط قال له
قايل مثل ماذا قال مثل قوله تعالى وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات فهاهنا
شرط وقوله وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان لهم قدم صدق فليس فيه
شرط العمل ومثل قوله فادعوا الله مخلصين له الدين فهاهنا شرط وقوله ادعوني
استجب لكم ليس فيه شرط فكانت الامة تفزع الى انبيائها في حوائجهم حتى
تسال الانبيا لهم ذلك وقد قيل ان هذا من باب المطلق والمقيد على ما تقدم

في البقرة بيانه اي استجب لكم ان شئت كقوله فيكشف ما تدعون اليه ان شاء
وقد تكون الاستجابة في عين المطلوب على حديث ابي سعيد الخدري على ما تقدم
في البقرة بيانه فتامله هناك وقرا ابن كثير وابن محيصن ورويس عن يعقوب
وعباس عن ابي عمرو وابو بكر والمفضل وعاصم سيدخلون بضم اليا وفتح الخا على
ما لم يسم فاعله الباقون يدخلون بفتح اليا وضم الخا ومعنى داخرين صاغرين
اذلا وقد تقدم قوله تعالى الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه جعل هاهنا
بمعنى خلق والعرب تفرق بين جعل اذا كانت بمعنى خلق وبين جعل اذا لم تكن
بمعنى خلق فاذا كانت بمعنى خلق فلا تعديها الا الى مفعول واحد واذا لم تكن
بمعنى خلق عدتها الى مفعولين نحو قوله انا جعلناه قرانا عربيا وقد مضى هذا
المعنى في غير موضع والنهار مبصرا مضيا لتبصروا فيه حوائجكم وتتصرفوا فيه في
معايشكم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون فضله وانعامه
عليهم قوله تعالى ذلكم الله ربكم خالق كل شي بين الدلالة على وحدانيته
وقدرته لا اله الا هو فانى تؤفكون اي كيف تنقلبون وتنصرفون عن الايمان
بعد ان بين لكم دلايله كذلك اي كما صرفتم عن الحق مع قيام الدليل عليه فكذلك
يصرف عن الحق الذين كانوا بايات الله يجحدون قوله تعالى الله الذي جعل
لكم الارض قرارا زاد في تاكيد التعريف والدليل اي جعل لكم الارض مستقرا لكم
في حياتكم وبعد الموت والسما بنا تقدم وصوركم فاحسن صوركم اي خلقكم
في احسن صورة وقرا ابو رزين والاشهب العقيلي صوركم بكسر الصاد وقال
الجوهري والصور بكسر الصاد لغة في الصور جمع صورة وينشد هذا البيت
على هذه اللغة يصف الجواري * اشبهن من بقر الخلصا اعينها
* وهن احسن من صيرانها صورا * وقد جمعهما الشاعر بقوله
* اذا لاح الصوار ذكرت ليلى * واذكرها اذا نفح الصوارا *
والصيار لغة فيه ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين
هو الحي اي الباقي الذي لا يموت لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين اي الطاعة
والعبادة الحمد لله رب العالمين قال الفرا هو خبر وفيه اضمار امر اي ادعوه واحمدوه
وقد مضى هذا كله في البقرة وغيرها وقال ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل
الحمد لله رب العالمين قوله تعالى قل اني نهيت اي قل يا محمد نهاني الله الذي هو
الحي ان لا اعبد غيره لما جاني البينات من ربي اي دلايل توحيده وامرت ان اسلم اذل
واخضع لرب العالمين وكانوا دعوه الى دين ابايه فامر ان يقول هذا قوله
تعالى هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا
اي اطفالا وقد تقدم هذا ثم لتبلغوا اشدكم وهي حالة اجتماع وتمام العقل وقد
مضى في الانعام بيانه ثم لتكونوا شيوخا بضم الشين قراة نافع وابن محيصن
وحفص وهشام ويعقوب وابو عمرو على الاصل لانه جمع فعل نحو قلب وقلوب
وراس وروس وقرا الباقون بكسر الشين لمراعاة اليا وكلاهما جمع كثرة وفي العدد
القليل اشياخ والاصل اشيخ مثل فلس وافلس الا ان الحركة في اليا ثقيلة
وقري شيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم اقتصر على الواحد
لان الغرض بيان الجنس وفي الصحاح جمع الشيخ شيوخ واشياخ وشيخة وشيخان
ومشايخ ومشيوخا والمراة شيخة قال عبيد * كانها شيخة رقوب *
وقد اشاخ الرجل يشيخ شيخا بالتحريك على اصله وشيخوخة واصل ياءها متحركة
فسكنت لانه ليس في الكلام فعول وشيخ تشييخا اي شاخ ودعوته يا شيخ للتبجيل
وتصغير الشيخ شييخ وشييخ ايضا بكسر الشين ولا تقل شويخ النحاس وان اضطر
شاعر جاز ان يقول اشيخ مثل عين واعين الا انه حسن في عين لانها
مونثة والشيخ من جاوز اربعين سنة ومنكم من يتوفى من قبل قال مجاهد اي من

قبل ان يكون شيخا او من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا ولتبلغوا اجلا مسمى
قال مجاهد الموت للكل واللام لام العاقبة ولعلكم تعقلون ذلك فتعلموا ان لا اله
غيره قوله تعالى هو الذي يحيي ويميت زاد في الشذا اي هو الذي يقدر على
الاحياء والاماتة او اقضى امرا اي اذا اراد فعله قال له كن فيكون ونصب فيكون ابن
عباس على جواب الامر وقد مضى في البقرة القول فيه قوله تعالى الم تر الى الذين
يجادلون في ايات الله انى يصرفون قال ابن زيد هم المشركون بدليل قوله الذين
كذبوا بالكتاب وبما ارسلنا به رسلنا وقال اكثر المفسرين نزلت في القدرية ابن
سيرين ان لم تكن هذه الاية نزلت في القدرية فلا ادري فيمن نزلت وقال ابو
قبيل لا احسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين امنوا وقال عقبة بن عامر
قال النبي صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الاية في القدرية ذكره المهدوي قوله
تعالى اذ الاغلال في اعناقهم اي عن قريب يعلمون بطلان ما هم فيه اذا ادخلوا
النار وغلت ايديهم الى اعناقهم قال التيمي لو ان غلا من اغلال جهنم وضع على
جبل لهضه حتى يبلغ الماء الاسود والوهض كسر الشي الرخو وقد وهضه والوهض
شدة الوطء وفي الحديث ان ادم عليه السلام حين اهبط من الجنة وهضه ابليس كانه
رمى به وغمزه في الارض قاله في الصحاح والسلاسل بالرفع قراءة العامة عطفا
على الاغلال قال ابو حاتم يسحبون مستانف على هذه القراءة وقال غيره هي
في موضع نصب على الحال والتقدير اذ الاغلال في اعناقهم والسلاسل مسحوبين
وقرا ابن عباس وابو الجوزاء وعكرمة وابن مسعود والسلاسل بالنصب يسحبون
بفتح اليا والتقدير في هذه القراة ويسحبون السلاسل قال ابن عباس اذا كانوا
يجرونها فهو اشد عليهم وحكى عن بعضهم والسلاسل بالجر ووجهه انه محمول
على المعنى اعناقهم في الاغلال والسلاسل قاله الفراء قال الزجاج وقرا والسلاسل
يسحبون بالخفض فالمعنى عنده وفي السلاسل يسحبون قال ابن الانباري والخفض
على هذا المعنى غير جائز لانك اذا قلت زيدا في الدار لم يحسن ان تضمر في فتقول
زيد الدار ولكن الخفض جائز على معنى اذ اعناقهم في الاغلال والسلاسل
فتخفض السلاسل على النسق على تاويل الاغلال لان الاغلال في تاويل الخفض
كما تقول خاصم عبد الله زيدا العاقلين فتنصب العاقلين ويجوز رفعهما لان احدهما
اذا خاصم عبد الله زيدا العاقلين فتنصب العاقلين ويجوز رفعهما لان احدهما
اذا خاصم صاحبه فقد خاصمه صاحبه انشد الفرا •

• قد سالم الحيات منه القدما • الافعوان والشجاع الشجعما •

فنصب الافعوان على الاتباع للحيات اذا سالمت القدم فقد سالمتها القدم
فمن نصب السلاسل او خفضها لم يقف عليها والجيم المتناهي في الحر وقيل الصديد
المغلي ثم في النار يسجرون اي يطرحون فيها فيكونون وقودا لها قاله مجاهد
يقال سجرت التنور اي اوقدته وسجرته ملاته والبحر المسجور اي المملوء
فالمعنى على هذا تملا بهم النار وقال الشاعر يصف وعلا •

• اذا شا طالع مسجوره • ترى حولها النبع والسماسما •

اي عينا مملوءة ثم قيل لهم اينما كنتم تعبدون من دون الله وهذا تقريع وتوبيخ
قالوا ضلوا عنا اي هلكوا وذهبوا عنا وتركونا في العذاب من ضل الماء في اللبن
اذا خفي وقيل اي صاروا بحيث لا نجدهم بل لم نكن ندعوا من قبل شيا اي شيا
يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وليس هذا انكار العبادة الصنم بل هو اعتراف
بان عبادتهم الاصنام كانت باطلة قال الله تعالى كذلك يضل الله الكافرين
اي كفعل بهؤلاء من الاضلال يضل كل كافر قوله تعالى ذلكم اي ذلكم العذاب
بما كنتم تفرحون بالمعاصي يقال لهم ذلك توبيخا اي ايما نالكم هذا بما كنتم
تظهرون في الدنيا من السرور في المعصية وكثرة المال والاتباع والصحة وقيل

ان

ان فرحهم بما عندهم انهم قالوا للرسل نحن نعلم انا لا نبعث ولا نعذب وكذا قال
مجاهد في قوله جل وعز فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وبما
كنتم تمرحون قال مجاهد وغيره اي تبطرون وتاشرون بطرا واشرا وقد مضى في
سبحان بيانه وقال الضحاك الفرح السرور والمرح العدوان وروى خالد عن
ثور عن معاذ قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البذخين الفرحين
ويحب كل قلب حزين ويبغض اهل بيت لحمين ويبغض كل
حبر سمين فاما اهل بيت لحمين فالذين ياكلون لحوم الناس بالغيبة واما الحبر
السمين فالمتحبر بعلمه ولا يخبر بعلمه الناس يعني المستكثر من علمه ولا ينتفع به
الناس ذكره الماوردي وقد قيل في اللحمين الذين يكثرون اكل اللحم ومنه قول
عمر اتقوا هذه المجازر فان لها ضراوة كضراوة الخمر ذكره الهروي والاول قول سفين الثوري
ادخلوا ابواب جهنم اي يقال لهم ذلك اليوم وقد قال الله تعالى لها سبعة ابواب
فبيس مثوى المتكبرين تقدم جميعه قوله تعالى فاصبر ان وعد الله حق
هذا تسلية للنبي عليه السلام اي انا ننتقم لك منهم اما في حياتك او في الاخرة فاما
نرينك في موضع جزم بالشرط وما زايدة للتوكيد وكذا النون وزال الجزم وبني
الفعل على الفتح او نتوفينك عطف عليه فالينا يرجعون الجواب قوله تعالى
ولقد ارسلنا رسلا من قبلك عزاه ايضا بما لقيت الرسل قبله منهم من قصصنا
عليك اي انباناك باخبارهم وما لقوا من قومهم ومنهم من لم نقصص عليك وما كان
لرسول ان ياتي باية الا من قبل نفسه الا باذن الله فاذا جاء امر الله اي اذا جاء الوقت
المسمى لعذابهم اهلكهم الله وانما التاخير لاسلام من علم الله اسلامه منهم ولمن في
اصلابهم من المومنين وقيل اشار بهذا الى القتل ببدر قضي بينهم بالحق وخسر
هنالك المبطلون الذين يتبعون الباطل والشرك قوله تعالى الله الذي جعل
لكم الانعام قال ابو اسحاق الزجاج الانعام ها هنا الابل لتركبوا منها ومنها تاكلون
فاحتج من منع اكل الخيل واباح اكل الجمال بان الله عز وجل قال في الانعام ومنها
تاكلون وقال في الخيل والبغال والحمير لتركبوها ولم يذكر اباحة اكلها
وقد مضى هذا في النحل مستوفى في قوله تعالى ولكم فيها منافع في الوبر والصوف
والشعر واللبن والزبد والسمن والجبن وغير ذلك ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم
اي تحمل الاثقال والاسفار وقد مضى في النحل بيان هذا كله فلا معنى لاعادته
ثم قال وعليها يعني الانعام في البر وعلى الفلك في البحر تحملون ويريكم اياته
اي اياته الدالة على وحدانيته وقدرته فيما ذكر فاي ايات الله تنكرون نصب
ايات تنكرون لان الاستفهام له صدر الكلام فلا يعمل فيه ما قبله ولو كان مع الفعل
ها لكان الاختيار في اي الرفع ولو كان الاستفهام بالالف او هل وكان بعدها اسم
بعده فعل معه ها لكان الاختيار النصب اي اذا كنتم لا تنكرون اي هذه الاشيا
من الله فلم تنكرون قدرته على البعث والنشر قوله تعالى افلم يسيروا في الارض
حتى يشاهدوا اثار الامم السالفة كانوا اكثر منهم عددا واشد قوة فما اغنى عنهم
ما كانوا يكسبون من الابنية والاموال وما ادلوا به من الاولاد والاتباع يقال
دلوت بفلان اليك اي لو استشفعت به اليك وعلى هذا ما للجحد اي فلم يغن عنهم ذلك
شيا وقيل ما للاستفهام اي اي شي اغنى عنهم كسبهم حين هلكوا ولم ينصرف اكثر لانه
على وزن افعل وزعم الكوفيون ان كل ما لا ينصرف فانه يجوز الا افعل من كذا فانه لا
يجوز صرفه بوجه في معرفة ولا غيرها اذا كانت معه من قال ابو العباس ولو كانت
من المانعة من صرفه لوجب ان لا يقال مررت بخير منه وشر من عمر قوله تعالى
فلما جاءتهم رسلهم بالبينات اي بالايات الواضحات فرحوا بما عندهم من العلم في معناه
ثلاثة اقوال قال مجاهد ان الكفار الذين فرحوا بما عندهم من العلم قالوا نحن
اعلم منهم لن نعذب ولن نبعث وقيل فرح الكفار بما عندهم من علم الدنيا نحو يعلمون

ظاهرا من الحياة الدنيا وقيل الذين فرحوا الرسل لما كذبهم قومهم اعلمهم جل وعز انه مهلك الكافرين ومنجيهم والمومنين فرحوا بما عندهم من العلم بنجاة المومنين وحاق بهم اي بالكفار ما كانوا به يستهزون اي عقاب استهزائهم بما جاء به الرسل قوله تعالى فلما راوا باسنا اي عاينوا العذاب قالوا امنا بالله وحده وكفرنا بالاوثان التي اشركناهم في العبودية فلم يك ينفعهم ايمانهم بالله عند معاينة العذاب وحين راوا الباس سنة الله مصدر لان العرب تقول سن يسن سنا وسنة اي سن الله عز وجل في الكفار انه لا ينفعهم الايمان اذا راوا العذاب وقد مضى هذا مبينا في النسا ويونس وان التوبة لا تقبل بعد روية العذاب وحصول العلم الضروري وقيل اي احذروا يا اهل مكة سنة الله في اهلاك الكفرة فسنة منصوب على التحذير والاغرا وخسر هنالك الكافرون قال الزجاج وقد كانوا خاسرين من قبل ذلك الا انه بين لنا الخسران لما راوا العذاب وقيل فيه تقديم وتاخير اي لم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا وخسر هنالك الكافرون كسنتنا في جمع الكافرين فسنة نصب بنزع الخافض اي كسنة الله في الامم كلها والله اعلم

سورة فصلت مكية

في قول الجميع وهي اربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل من الرحمن الرحيم قال الزجاج تنزيل رفع بالابتدا وخبره كتاب فصلت اياته وهذا قول البصريين وقال الفرا يجوز ان يكون رفعه على اضمار هذا ويجوز ان يقال كتاب بدل من قوله تنزيل وقيل نعت لقوله تنزيل وقيل حم اي هذه حم كما تقول باب كذا اي هو باب كذا فحم خبر ابتدا مضمر اي هو حم وقوله تنزيل مبتدا اخر وقوله كتاب خبره فصلت اياته اي بينت وفسرت قال قتادة ببيان حلاله من حرامه وطاعته من معصيته الحسن بالوعد والوعيد سفين بالثواب والعقاب وقري فصلت اي فرقت بين الحق والباطل او فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل اي تباعد من البلد قرانا عربيا في نصبه وجوه قال الاخفش هو نصب على المدح وقيل على اضمار فعل اي اذكر قرانا عربيا وقيل على اعادة الفعل اي فصلنا قرانا عربيا وقيل على الحال اي فصلت اياته في حال كونه قرانا عربيا وقيل لما شغل التفصيل بالايات حتى صارت بمنزلة الفاعل انتصب القران لوقوع البيان عليه وقيل على القطع لقوم يعلمون قال الضحاك اي القران منزل من عند الله وقال مجاهد اي يعلمون انه اله واحد في التوراة والانجيل وقيل يعلمون العربية فيعجزون عن مثله ولو كان غير عربي لما علموه قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا اصح والسورة نزلت تقريعا وتوبيخا لقريش في اعجاز القران بشيرا ونذيرا حالان من الايات والعامل فيه فصلت وقيل هما نعتان للقران او خبر مبتدا محذوف فاعرض اكثرهم اي اهل مكة فهم لا يسمعون سماعا ينتفعون به روي ان الريان بن حرملة قال قال الملا من قريش وابو جهل قد التبس علينا امر محمد فلو التمستم بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم اتانا ببيان من امره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما لا يخفى علي ان كان كذلك فقالوا ايته فحدثه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انت خير ام قصي بن كلاب انت خير ام هاشم انت خير ام عبد المطلب انت خير ام عبد الله فبم تشتم الهتنا وتضلل اباءنا وتسفه احلامنا وتذم ديننا فان كنت انما تريد الرياسة عقدنا لك الويتنا فكنت رئيسنا ما بقيت وان كنت تريد الباءة زوجناك عشر نسوة من اي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستغني به انت وعقبك من بعدك وان كان هذا الذي ياتيك

رئيا من الجن قد غلب عليك بذلنا لك من اموالنا في الطلب ما تتداوى به او نغلب فيك والنبي صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال قد فرغت يا ابا الوليد قال نعم فقال يا ابن اخي فاسمع قال اسمع قال بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت اياته قرانا عربيا الى قوله فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فوثب عتبة ووضع يده على فم النبي صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ليسكت ورجع الى اهله ولم يخرج الى قريش فجاءه ابو جهل وقال اصبوت الى محمد ام اعجبك طعامه فغضب عتبة واقسم ان لا يكلم محمدا ابدا ثم قال والله لقد تعلمون اني اكثر قريش مالا ولكني لما قصصت عليه القصة اجابني بشي والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ثم تلا عليهم ما سمع منه الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود وامسكت بفيه وناشدته بالرحم ان يكف وقد علمتم ان محمدا اذا قال شيا لم يكذب فوالله لقد خفت ان ينزل بكم العذاب يعني الصاعقة وقد روى هذا الخبر ابو بكر الانباري في كتاب الرد له عن محمد بن كعب القرظي وان النبي صلى الله عليه وسلم قرا حم حتى انتهى الى السجدة فسجد وعتبة مصغ يستمع قد اعتمد على يديه من وراء ظهره فلما قطع رسول الله صلى الله عليه وسلم القراة قال له يا ابا الوليد قد سمعت الذي قرات عليك فانت وذاك فانصرف عتبة الى قريش في ناديها فقالوا والله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي مضى به من عندكم ثم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال والله لقد سمعت من محمد كلاما ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا الكهانة فاطيعوني في هذه واتركوها لي خلوا محمدا وشانه واعتزلوه فوالله ليكونن لما سمعت من كلامه نبا فان اصابته العرب كفيتموه بايدي غيركم وان كان ملكا او نبيا كنتم اسعد الناس به لان ملكه ملككم وشرفه شرفكم فقالوا هيهات سحرك محمد يا ابا الوليد فقال هذا رايي لكم فاصنعوا ما شئتم قوله تعالى وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه الاكنة جمع كنان وهو الغطا وقد مضى في البقرة قال مجاهد الكنان للقلب كالجنة للنبل وفي اذاننا وقر اي صمم فكلامك لا يدخل اسماعنا وقلوبنا مستورة عن فهمه ومن بيننا وبينك حجاب اي خلاف في الدين لانهم يعبدون الاصنام وهو يعبد الله عز وجل قال معناه الفرا وغيره وقيل ستر مانع عن الاجابة وقيل ان ابا جهل استغشى على راسه ثوبا وقال يا محمد بيننا وبينك حجاب استهزاء منه حكاه النقاش وذكره القشيري فالحجاب هنا الثوب فاعمل اننا عاملون اي اعمل في هلاكنا فانا عاملون في مثل ذلك قال الكلبي اعمل لالاهك الذي ارسلك فانا نعمل لالهتنا التي نعبدها وقيل اعمل ما يقتضيه دينك فانا عاملون ما يقتضيه ديننا ويحتمل خامسا فاعمل لاخرتك فانا نعمل لدنيانا ذكره الماوردي قوله تعالى قل انما انا بشر مثلكم اي لست بملك بل انا من بني ادم قال الحسن علمه الله التواضع يوحى الي اي من السما على ايدي الملائكة انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه اي وجهوا وجوهكم بالدعا له والمسالة اليه كما يقول الرجل استقم الى منزلك اي لا تعرج على شي غير القصد الى منزلك واستغفروه اي من شرككم وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة قال ابن عباس لا يشهدون ان لا اله الا الله وهي زكاة الانفس وقال قتادة لا يقرون بالزكاة انها واجبة وقال المقاتل والضحاك لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة قرعهم بالشح الذي ياتف منه الفضلا وفيه دلالة على ان الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه وقال الفرا وغيره كان المشركون ينفقون النفقات ويسقون الحجيج ويطعمونهم فحرموا ذلك على من امن بمحمد صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية فيهم وهم بالاخرة هم كافرون فلهذا لا ينفقون في الطاعات ولا يستقيمون ولا يستغفرون الزمخشري فان قلت لم خص من بين اوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالاخرة قلت لان احب شي الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك اقوى دليل على ثباته الا ترى

الى قوله عز وعلا واسيل الذين ينفقون اموالهم ابتغا مرضات الله وتثبيتا من
انفسهم اي يثبتون انفسهم ويدلون علي ثباتها بانفاق الاموال وما خدع
المولفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقويت عصبيتهم ولانت شكيمتهم واهل الرده
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنعوا الزكاة فنصبت لهم
الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمومنين علي اداء الزكاة وتخويف شديد من
منعها حيث جعل المنع من اوصاف المشركين وقرن الكفر بالاخرة ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون قال ابن عباس غير مقطوع ماخوذ من مننت
الحبل اذا قطعته ومنه قول ذي الاصبع
• اني لعمرك ما بابي بذي غلق • علي الصديق ولا خيري بممنون • اخر
• فترى خلفها من الرجع والوقع منينا كانه اهباء •
يعني بالمنين الغبار المنقطع الضعيف وعن ابن عباس ايضا ومقاتل غير منقوص
ومنه المنون لانها تنقص منة الانسان اي قوته وقاله قطرب وانشد قول زهير
• فضل الجواد علي الخيل البطا فما • يعطي بذلك ممنونا ولا نزقا •
قال الجوهري فالمن القطع ويقال النقص ومنه قوله تعالى لهم اجر غير ممنون وقال
لبيد • غبسا كواسب لا يمن طعامها • وقال مجاهد غير ممنون غير
محسوب وقيل غير ممنون عليهم به قال السدي نزلت في الزمنى والمرضى والهرمى
اذا ضعفوا عن الطاعة كتب لهم من الاجر كاصح ما كانوا يعملون فيه قوله تعالى
قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين ائنكم بهمزتين بين والثانية بالف
بين همزتين وهو استفهام معناه التوبيخ امره بتوبيخهم والتعجب من فعلهم اي لم
تكفرون بالله وهو خالق السموات والارض في يومين الاحد والاثنين وتجعلون
له اندادا اي اضدادا وشركا ذلك رب العالمين وجعل فيها اي في الارض رواسي
من فوقها يعني الجبال قال ان الارض مادت علي وجه الما فقال لجبريل ثبتها
يا جبريل فنزل فامسكها فغلبته الرياح قال يا رب انت اعلم لقد غلبت فيها فثبتها
بالجبال وارساها وبارك فيها بما خلق فيها من المنافع قال السدي انبت فيها
شجرها وقدر فيها اقواتها قال السدي والحسن ارزاق اهلها ومصالحهم وقال
قتادة ومجاهد خلق فيها انهارها واشجارها ودوابها في يوم الثلاثا والاربعا
وقال عكرمة والضحاك معنى قدر فيها اقواتها اي ارزاق اهلها وما يصلح
لمعايشهم من التجارات والاشجار والمنافع في كل بلدة ما لم يجعله في الاخرى
ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة والاسفار من بلد الى بلد قال عكرمة حتى
انه في بعض البلاد ليتبايعون الملح بالذهب مثلا بمثل وقال مجاهد والضحاك
السابري في سابور والطيالسة من الري والحبر اليمانية من اليمن في اربعة ايام
يعني في تتمة اربعة ايام ومثاله قول القايل خرجت من البصرة الى بغداد
في عشرة ايام والى الكوفة في خمسة عشر يوما اي في تتمة خمسة عشر يوما قاله
معناه ابن الانباري وغيره سوا للسايلين قال الحسن المعنى في اربعة ايام
مستوية تامة الفرا في الكلام تقديم وتاخير والمعنى قدر فيها اقواتها سوا
للمحتاجين واختاره الطبري وقرا الحسن البصري ويعقوب الحضرمي سوا
للسايلين بالجر وعن ابن القعقاع سوا بالرفع فالنصب على المصدر وسوا بمعنى
استوا اي استوت استوا وقيل على الحال والقطع والجر على النعت لايام
او لاربعة اي في اربعة ايام مستوية تامة والرفع على الابتدا والخبر للسايلين
او على تقدير هذه سوا للسايلين وقال اهل المعاني معنى سوا للسايلين
اي خلق الارض وما فيها لمن سال ولمن لم يسال ويعطي من سال ومن لم يسال
قوله تعالى ثم استوى الى السما عمد الى خلقها وقصد لتسويتها والاستوا
من صفة الافعال على اكثر الاقوال يدل عليه قوله تعالى ثم استوى الى السما

فسواهن سبع سموات وقد مضى القول هناك وروي ابو صالح عن ابن عباس في
قوله ثم استوى الى السما يعني صعد امره الى السما وقاله الحسن ومن قال انه صفة
ذاتية زايدة قال استوى في الازل بصفاته ثم ترجع الى نقل السما من صفة الدخان
الى حالة الكثافة وكان ذلك الدخان من تنفس الما حين تنفس على ما مضى في البقرة
عن ابن مسعود وغيره فقال لها وللارض ايتيا طوعا او كرها اي جيا بما خلقت فيكما
من المنافع والمصالح واخرجاها لخلقي قال ابن عباس قال الله للسما اطلعي
شمسك وقمرك وكواكبك واجري رياحك وسحابك وقال للارض شقي انهارك واخرجي
شجرك وثمارك طايعتين او كارهتين قالتا اتينا طايعين وفي الكلام حذف اي
اتينا امرك طايعين وقيل معنى هذا الامر التسخير اي كونا فكانتا كما قال تعالى
انما قولنا لشي اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فعلى هذا قال تعالى ذلك
قبل خلقهما وعلى القول الاول قال ذلك بعد خلقهما وهو قول الجمهور وفي قوله
تعالى لهما وجهان احدهما انه قول تكلم به الثاني انها قدرة منه ظهرت لهما فقام
مقام الكلام في بلوغ المراد ذكره الماوردي قالتا اتينا طايعين فيه ايضا وجهان
احدهما انه ظهور الطاعة منهما حيث انقادا واجابا فقام مقام قولهما ومنه قول الراجز
• امتلا الحوض وقال قطني • مهلا رويدا قد ملات بطني •
يعني ظهر ذلك منه وقال اكثر اهل العلم بل خلق الله فيهما الكلام فتكلمتا كما
اراد تعالى قال ابو نصر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من
السما ما بحيالها فوضع الله تعالى فيه حرمه وقال طايعين ولم يقل طايعتين
على اللفظ والطايعات على المعنى لانهما سموات وارضون لانه اخبر عنهما وعمن
فيهما وقالتا وصفهن بالقول والاجابة وذلك من صفات من يعقل اجراهما في
الكناية مجرى من يعقل ومثله رايتهم لي ساجدين وقد تقدم وفي حديث ان
موسى عليه السلام قال يا رب لو ان السموات والارض حين قلت لهما ايتيا طوعا
او كرها عصتاك ما كنت صانعا بهما قال كنت امر دابة من دوابي فتبتلعهما قال
يا رب واين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال يا رب واين ذلك المرج قال
في علم من علمي ذكره الثعلبي وقرا ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة
آتيا بالمد والفتح وكذلك قوله اتينا طايعين على معنى اعطينا الطاعة من
انفسنا قالتا اعطينا طايعين فحذف المفعولين جميعا ويجوز وهو احسن ان
يكون اتينا فاعلنا فحذف مفعول واحد ومن قرا اتينا فالمعنى جينا بما فينا على
ما تقدم بيانه قوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي اكملهن
وفرغ منهن وقيل احكمهن كما قال
• وعليهما مسرودتان قضاهما • داود او صنع السوابغ تبع •
في يومين سوى الاربعة الايام التي خلق فيهن الارض فوقع خلق السموات
والارض في ستة ايام على ما تقدم في الاعراف بيانه ويوم من الستة الايام
كالف سنة مما تعدون وقال عبد الله بن سلام خلق الله الارض في
يومين وقدر فيها اقواتها في يومين وخلق السموات في يومين وخلق الارض
في يوم الاثنين والاحد وقدر فيها اقواتها يوم الثلاثا ويوم الاربعا وخلق
السموات في يوم الخميس ويوم الجمعة واخر ساعة في يوم الجمعة خلق الله ادم
في عجل وهي التي تقوم فيها الساعة وما خلق الله من دابة الا وهي تفزع من
يوم الجمعة الا الانس والشياطين على هذا اهل التفسير الا ما رواه مسلم في حديث
ابي هريرة وقال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال خلق الله
التربة يوم السبت الحديث وقد تكلمنا على اسناده في اول سورة الانعام واوحى
في كل سما امرها قال قتادة والسدي خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها
وافلاكها وخلق في كل سما خلقها من الملايكة والخلق الذي فيها من البحار

وجبال البرد والثلوج وهو قول ابن عباس قال وفي كل سماء بيت تحج اليه وتطوف به الملائكة بحذاء الكعبة والذي في السماء الدنيا هو البيت المعمور وقيل اوحى في كل سماء امرها اي اوحى فيها ما اراده وما امر به فيها والايحاء قد يكون امرا كقوله بان ربك اوحى لها وقوله واذ اوحيت الى الحواريين اي امرتهم وهو امر تكوين وزينا السماء الدنيا بمصابيح اي بكواكب تضيء وقيل ان الكواكب مختصة بالسماء الدنيا وحفظا اي وحفظناها حفظا اي من الشياطين الذين يسترقون السمع وهذا الحفظ بالكواكب التي ترجم بها الشياطين على ما تقدم في الحجر بيانه وظاهر هذه الاية يدل على ان الارض خلقت قبل السماء وقال في اية اخرى ام السماء بناها ثم قال والارض بعد ذلك دحاها فالدحو غير وهذا يدل على خلق السماء اولا فقال قوم خلقت الارض قبل السماء فاما قوله والارض بعد ذلك دحاها فالدحو غير الخلق فالله خلق الارض ثم خلق السموات ثم دحى الارض اي مدها وبسطها قاله ابن عباس وقد مضى هذا المعنى مجودا في البقرة والحمد لله ذلك تقدير العزيز العليم قوله تعالى فان اعرضوا يعني كفار قريش عما تدعوهم اليه يا محمد من الايمان فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اي خوفتكم هلاكا مثل هلاك عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم يعني من ارسل اليهم والى من قبلهم الا تعبدوا الا الله موضع ان نصب باسقاط الخافض اي بان لا تعبدوا قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة بدل الرسل فانا بما ارسلتم به كافرون من الانذار والتبشير قيل هذا استهزاء منهم وقيل اقرار منهم بارسالهم ثم بعده جحود وعناد قوله تعالى فاما عاد فاستكبروا في الارض على عباد الله هود ومن امن به بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اغتروا باجسامهم حين تهددهم بالعذاب وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن انفسنا بفضل قوتنا وذلك انهم كانوا ذوي اجسام طوال وخلق عظيم وقد مضى في الاعراف عن ابن عباس ان اطولهم كان مائة ذراع واقصرهم كان ستين ذراعا فقال الله تعالى ردا عليهم اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وقدرة وانما يقدر العبد باقدار الله فالله اقدر اذا وكانوا باياتنا يجحدون اي بمعجزاتنا يكفرون قوله تعالى فارسلنا عليهم ريحا صرصرا هذا تفسير الصاعقة التي ارسلها عليهم اي ريحا باردة شديدة البرد وشديدة الصوت والهبوب ويقال اصلها صرر من الصر فابدلوا مكان الراء الوسطى فاء الفعل كقولهم كبكبوا اصله كببوا وتجفجف الثوب اصله تجفف ابو عبيدة معنى صرصر شديدة عاصفة عكرمة وسعيد بن جبير شديدة البرد وانشد قطرب قول الحطيئة

المطعمون اذا هبت بصرصرة ... والحاملون اذا استودوا على الناس

استودوا اذا سئلوا الدية مجاهد الشديدة السموم وروى معمر عن قتادة قال باردة وقاله عطاء لان صرصر ماخوذ من صر والصر في كلام العرب البرد كما قال لها عذر كقرون النساء ركبن في يوم ريح وصر صرصر السدي الشديدة الصوت ومنه صر القلم والباب يصر صريرا اي صوت ويقال درهم صري وصري للذي له صوت اذا نقد قال ابن السكيت صرصر يجوز ان يكون من الصر وهو البرد ويجوز ان يكون من صرير الباب ومن الصرة وهي الصيحة ومنه فاقبلت امراته في صرة وصرصر اسم نهر بالعراق في ايام نحسات اي مشؤومات قاله مجاهد وقتادة كن اخر شوال من يوم الاربعاء الى يوم الاربعاء وذلك سبع ليال وثمانية ايام حسوما قال ابن عباس ما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وقيل نحسات باردات حكاه النقاش وقيل متتابعات عن ابن عباس وعطية الضحاك شدادا وقيل ذات غبار وعن ابن عيسى ومنه قول الراجز

قد اغتدي قبل طلوع الشمس ... للصيد في يوم قليل النحس

قال الضحاك وغيره امسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير

مطر

مطر وخرج قوم منهم الى مكة يستسقون بها لعاد وكان الناس في ذلك الزمان اذا نزل بهم جهد او بلاء طلبوا الى الله تعالى الفرج منه وكانت طلبتهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة منهم كثير شتى مختلفة اديانهم وكلهم يعظم لمكة عارف حرمتها ومكانها من الله تعالى وقال جابر وعبد الله والتيمي اذا اراد الله بقوم خيرا ارسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح واذا اراد بقوم شرا حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو نحسات باسكان الحاء على انه جمع نحس الذي هو مصدر وصف به الباقون نحسات بكسر الحاء اي ذوات نحس ومما يدل على ان النحس مصدر قوله في يوم نحس مستمر ولو كان صفة لم يضف اليوم اليه وبهذا كان يحتج ابو عمرو على قراءته واختاره ابو حاتم واختار ابو عبيد القراءة الثانية وقال لا تصح حجة ابي عمرو لانه اضاف اليوم الى النحس فاسكن وانما كان يكون حجة لو نون اليوم ونعت واسكن فقال في يوم نحس وهذا لم يقرا به احد نعلمه وقال المهدوي ولم يسمع في نحس الا الاسكان قال الجوهري وقرئ في قوله في يوم نحس على الصفة والاضافة اكثر واجود وقد نحس الشيء بالكسر فهو نحس ايضا قال الشاعر

ابلغ جذاما ولخما ان اخوتهم ... طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

ومنه قيل ايام نحسات لنذيقهم اي لكي نذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالريح العقيم ولعذاب الاخرة اخزى اي اعظم واشد وهم لا ينصرون قوله تعالى واما ثمود فهديناهم اي بينا لهم الهدى والضلال عن ابن عباس وغيره وقرا الحسن وابن ابي اسحاق وغيرهما واما ثمود بالنصب وقد مضى الكلام فيه في الاعراف فاستحبوا العمى على الهدى اي اختاروا الكفر على الايمان وقال ابو العالية اختاروا العمى على البيان السدي اختاروا المعصية على الطاعة فاخذتهم صاعقة العذاب الهون الهون بالضم الهوان وهون بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر اخو كنانة واسد واهانه استخف به والاسم الهوان والمهانة واضيفت الصاعقة الى العذاب لان الصاعقة اسم للمبيد المهلك فكانه قال مهلك العذاب اي العذاب المهلك والهون وان كان مصدرا فمعناه الاهانة والاهانة عذاب فجاز ان يجعل احدهما وصفا للاخر لان فكانه قال صاعقة الهون وهو كقولك عندي علم اليقين وعندي العلم اليقين ويجوز ان يكون الهون اسما مثل الدون يقال عذاب هون اي مهين كما قال ما لبثوا في العذاب المهين وقيل اي صاعقة العذاب ذي الهون بما كانوا يكسبون من تكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة على ما تقدم ونجينا الذين امنوا يعني صالحا ومن امن به اي ميزناهم على الكفار فلم يحل بهم ما حل بالكفار وهكذا تفعل يا محمد بمؤمني قومك وكفارهم قوله تعالى ويوم يحشر اعداء الله الى النار فهم يوزعون قرا نافع نحشر بالنون اعداء بالنصب الباقون يحشر بياء مضمومة اعداء بالرفع ومعناهما بين واعداء الله الذين كذبوا رسله وخالفوا امره فهم يوزعون يساقون ويدفعون الى جهنم قال قتادة والسدي يحبس اولهم على اخرهم حتى يجتمعوا قال ابو الاحوص فاذا تكاملت العدة بدا بالاكابر فالاكابر جرما وقد مضى الكلام في النمل في يوزعون مستوفى قوله تعالى حتى اذا ما جاءوها ما زائدة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون الجلود يعني بها الجلود باعيانها في قول اكثر المفسرين وقال السدي وعبيد الله بن ابي جعفر والفراء اراد بالجلود الفروج وانشد بعض الادباء لعامر بن جوين

المرء يسعى للسلامة والسلامة حسبه ... او سالم من قد تثنى جلده وابيض راسه

وقال جلده كناية عن فرجه وقالوا يعني الكفار لم شهدتم علينا قالوا انما كنا نحاول عنكم قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء لما خوطبت وخوطبت اجرت مجرى من يعقل وهو خلقكم اول مرة اي ركب الحياة فيكم بعد ان كنتم نطفا فمن قدر عليه قدر

على أن ينطق الجلود وغيرها وقيل وهو خلقكم أول مرة ابتداء كلام من الله وإليه
ترجعون وفي صحيح مسلم عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فضحك فقال هل تدرون مما أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة
العبد ربه يقول يا رب ألم تجرني من الظلم قال يقول بلى قال فيقول إني لا أجيز على
نفسي إلا شاهدا مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا وبالكرام الكاتبين
عليك شهودا قال فيختم على فيه فيقال لأركانه انطقي فتنطق بأعماله قال ثم
يخلى بينه وبين الكلام قال فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل وفي حديث
أبي هريرة ثم يقال الآن نبعث شاهدا عليك فيفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي
فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك
ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي يسخط الله عليه خرجه مسلم أيضا قوله
تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم يجوز أن يكون هذا من قول الروح
لهم ويجوز أن يكون من قول الله جل وعز أو الملائكة وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود
قال اجتمع في البيت ثلاثة نفر قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي قليل فقه
قلوبهم كثير شحم بطونهم فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع
إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا وقال الآخر إن كان يسمع إذا جهرنا فهو يسمع إذا أخفينا
فأنزل الله جل وعز وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم الآية
خرجه الترمذي فقال اختصم عند البيت ثلاثة نفر ثم ذكره بلفظه حرفا حرفا
وقال حديث حسن صحيح حدثنا هناد قال ثنا أبو معوية عن الأعمش عن عمارة
بن عمير عن عبد الرحمن بن يزيد قال قال عبد الله كنت مستترا بأستار الكعبة
فجاء ثلاثة نفر كثير شحم بطونهم قليل فقه قلوبهم قرشي وختناه ثقفيان أو
ثقفي وختناه قرشيان فتكلموا بكلام لم أفهمه فقالوا أترون الله يسمع كلامنا
هذا فقال الآخر إذا رفعنا أصواتنا سمعه وإذا لم نرفع أصواتنا لم يسمعه فقال
الآخر إن سمع منه شيئا سمعه كله فقال عبد الله فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه
وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم إلى قوله فأصبحتم من الخاسرين قال هذا حديث حسن قال الثعلبي
والثقفي عبد يا ليل وختناه ربيعة وصفوان بن أمية ومعنى تستترون
تستخفون في قول أكثر العلماء أي ما كنتم تستخفون من أنفسكم حذرا من شهادة
الجوارح عليكم لأن الإنسان لا يمكنه أن يخفي من نفسه عمله فيكون الاستخفاء بمعنى
ترك المعصية وقيل الاستتار بمعنى الاتقاء أي ما كنتم تتقون في الدنيا أن
يشهد عليكم جوارحكم في الآخرة فتتركوا المعاصي خوفا من هذه الشهادة وقال
معناه مجاهد قال قتادة وما كنتم تستترون أي تظنون أن يشهد عليكم
سمعكم بأن يقول سمعت الحق وما وعيته وسمعت ما لا يجوز من المعاصي ولا
أبصاركم فيقول رأيت آيات الله فما اعتبرت ونظرت إلى ما لا يجوز من المعاصي
ولا أبصاركم فيقول رأيت ولا جلودكم تقدم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا
مما تعملون روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله عليه السلام أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم قال يدعون
يوم القيامة مفدما أفواههم بفدام فأول ما يبين عن الإنسان فخذه وكفه
وقال عبد الله بن عبد الأعلى الشامي فأحسن

• العمر ينقص والذنوب تزيد • ويقال عثرة الفتى فيعود •
• هل يستطيع جحود ذنب واحد • رجل جوارحه عليه شهود •
• والمرء يسأل عن سنيه فيشتهي • تقليلها وعن الممات يحيد •

وعن معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من يوم يأتي على ابن
آدم إلا ينادي فيه يا ابن آدم أنا خلق جديد وأنا فيما تعمل عليك غدا شهيد فاعمل

خيرا أشهد لك به غدا فإني لو قد مضيت لم ترني أبدا ويقول الليل مثل ذلك ذكره
أبو نعيم الحافظ وقد ذكرناه في التذكرة في باب شهادة الأرض والليالي والأيام
والمال وقال محمد بن بشير فأحسن

• مضى أمسك الأدنى شهيدا معدلا • ويومك هذا بالفعال شهيد •
• فإن يك بالأمس اقترفت إساءة • فثن بإحسان وأنت حميد •
• ولا ترج فعل الخير منك إلى غد • لعل غدا يأتي وأنت فقيد •

قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم أي أهلككم فأوردكم النار قال قتادة
الظن هنا بمعنى العلم وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن
الظن بالله فإن قوما أساؤوا الظن بربهم فأهلكهم فذلك قوله وذلكم ظنكم الذي
ظننتم بربكم أرداكم وقال الحسن البصري إن قوما ألهتهم الأماني حتى خرجوا من
الدنيا وما لهم حسنة ويقول أحدهم إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن
بربه لأحسن العمل وتلا قوله تعالى وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم
من الخاسرين قال قتادة من استطاع منكم أن يموت وهو حسن الظن بربه فليفعل
فإن الظن اثنان ظن ينجي وظن يردي وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية هؤلاء
قوم كانوا يدمنون المعاصي ولا يتوبون منها ويتكلون على المغفرة حتى خرجوا من
الدنيا مفاليس ثم قرأ وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين قوله
تعالى فإن يصبروا فالنار مثوى لهم أي فإن يصبروا في الدنيا على أعمال أهل النار
فالنار مثوى لهم أي مقام لهم نظيره فما أصبرهم على النار على ما تقدم وإن يستعتبوا في
الدنيا وهم مقيمون على كفرهم فما هم من المعتبين وقيل المعنى فإن يصبروا في النار
أو يجزعوا فالنار مثوى لهم أي لا محيص لهم عنها ودل على الجزع قوله وإن يستعتبوا
لأن المستعتب جزع والمعتب المقبول عتابه قال الشاعر

• إن أك مظلوما فعبدا ظلمته • وإن تك ذا عتبى فمثلك يعتب •

أي مثلك من قبل الصلح والمراجعة إذا سئل قال الخليل العتاب مخاطبة الإدلال
ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته معاتبة وبينهم أعتوبة يتعاتبون بها يقال إذا
تعاتبوا أصلح ما بينهم العتاب وأعتبني فلان إذا عاد إلى مسرتي راجعا عن الإساءة
والاسم منه العتبى وهو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضي العاتب واستعتب وأعتب
بمعنى واستعتب أيضا طلب أن يعتب تقول استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني
فمعنى وإن يستعتبوا أي طلبوا الرضى لم ينفعهم ذلك بل لا بد لهم من النار وفي التفاسير
وإن يستقيلوا ربهم فما هم من المقالين وقرأ عبيد بن عمير وأبو العالية وإن يستعتبوا بفتح
التاء الثانية وضم الياء على الفعل المجهول فما هم من المعتبين بكسر التاء أي إن
أقالهم الله وردهم إلى الدنيا لم يعملوا بطاعته لما سبق لهم في علم الله تعالى من الشقاء
قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ذكره الهروي وقال ثعلب يقال أعتب
إذا غضب وأعتب إذا رضي قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء قال النقاش أي هيأنا
لهم شياطين وقيل سلطنا عليهم قرناء يزينون عندهم المعاصي وهؤلاء القرناء من الجن
والشياطين ومن الإنس أيضا أي سببنا لهم قرناء يقال قيض الله فلانا لفلان أي جاءه
به وأتاحه له ومنه قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء القشيري قال ويقال قيض الله لي رزقا أي
أتاحه كما كنت أطلبه والتقييض الإبدال ومنه المقايضة قايضت الرجل مقايضة
أي عاوضته بمتاع وهما قيضان كما تقول بيعان فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا
فحسنوه لهم حتى آثروه على الآخرة وما خلفهم حسنوا لهم ما بعد مماتهم ودعوهم إلى التكذيب
بأمر الآخرة عن مجاهد وقيل المعنى قيضنا لهم قرناء في النار فزينوا لهم أعمالهم في الدنيا
والمعنى قدرنا عليهم أن ذلك سيكون وحكمنا به عليهم وقيل المعنى أحوجناهم إلى
الأقران أي أحوج الفقير إلى الغني لينال منه والغني إلى الفقير ليستعين به
فزين بعضهم لبعض المعاصي وليس قوله وما خلفهم عطفا على ما بين أيديهم

بل المعنى وانسوهم ما خلفهم ففيه هذا الاضمار وقال ابن عباس ما بين ايديهم
تكذيبهم من الاخرة وما خلفهم التسويف والترغيب في الدنيا الزجاج ما بين
ايديهم ما عملوه وما خلفهم ما يعملون بعدهم وحق عليهم القول في ما عزموا على ان
يعملوه وقد تقدم قول مجاهد وقيل المعنى لهم مثل ما تقدم من المعاصي وما خلفهم
ما يعملون بعدهم وحق عليهم القول في امم اي وجب عليهم من العذاب ما وجب
على الامم الذين من قبلهم الذين كفروا لكفرهم وقيل في بمعنى مع فالمعنى هم داخلون
مع الامم الكافرة قبلهم فيما وقعوا فيه وقيل في امم ومثله قول الشاعر •

• ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا ففي اخرين قد افكوا •

يريد فانت في جملة اخرين لست في ذلك باوحد ومحل في امم النصب على الحال من
الضمير في عليهم اي حق عليهم القول كائنين في جملة امم انهم كانوا خاسرين اعمالهم
في الدنيا وانفسهم واهليهم يوم القيامة قوله تعالى وقال الذين كفروا لا
تسمعوا لهذا القران والغوا فيه لما اخبر تعالى عن كفر قوم هود وصالح وغيرهم
اخبر عن مشركي قريش انهم كذبوا القران فقالوا لا تسمعوا لهذا القران وقيل
يعني لا تسمعوا لا تطيعوا يقال سمعت لك اي اطعت لك قال ابن عباس قال
ابو جهل اذا قرا محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول وقيل انهم فعلوا ذلك
لما اعجزهم القران وقال مجاهد المعنى والغوا فيه بالمكاء والتصفيق والتخليط
في المنطق حتى يصير لغوا وقال الضحاك اكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول وقال
ابو العالية وابن عباس ايضا قعوا فيه وعيبوه لعلكم تغلبون محمدا على قراءته
فلا يظهر ولا يستميل القلوب وقرا عيسى بن عمر والجحدري وابن ابي اسحاق وابو حيوة
وبكر بن حبيب السهمي والغوا بضم الغين وهي لغة من لغا يلغو وقراءة الجماعة
من لغي يلغى قال الهروي وقوله والغوا فيه قيل عارضوه بكلام لا يفهم يقال لغيت
اللغو واللغي ولغي ثلاث لغات وقد مضى في البقرة اللغو وهو ما لا يعلم له حقيقة
ولا تحصيل قوله تعالى فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا قد تقدم ان
الذوق يكون محسوسا ويعني والعذاب الشديد ما يتوالى فلا ينقطع وقيل هو
العذاب في جميع اجزائهم ولنجزينهم اسوا الذي كانوا يعملون اي ولنجزينهم في
الاخرة جزاء قبح اعمالهم التي عملوها في الدنيا واسوا الاعمال الشرك قوله
تعالى ذلك جزاء اعداء الله النار اي ذلك العذاب الشديد ثم بينه بقوله النار
وهو مجاز الاية وذلك ابتدا وجزاء الخبر والنار بدل من جزاء او خبر مبتدا والجملة
في موضع بيان للجملة الاولى قوله تعالى وقال الذين كفروا يعني في النار
فذكره بلفظ الماضي والمراد المستقبل ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس
يعني ابليس وابن ادم قتل اخاه عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما ويشهد
لهذا القول الحديث المرفوع ما من مسلم يقتل ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل
من ذنبه لانه اول من سن القتل ويروى اسن القتل خرجه الترمذي وقيل
هو بمعنى الجنس وبني على التثنية لاختلاف الجنسين نجعلهما تحت اقدامنا سالوا
ذلك حتى يشتفوا منهم بان يجعلوهم تحت اقدامهم ليكونوا من الاسفلين في النار
وهو الدرك الاسفل سالوا ان يضعف الله عذاب من كان سبب ضلالتهم
من الجن والانس وقرا ابن محيصن والسوسي عن ابي عمرو وابن عامر وابو بكر
والمفضل ارنا باسكان الراء وعن ابي عمرو ايضا باختلاسها واشبع الباقون كسرتها
وقد تقدم في الاعراف قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الاية قال عطا عن ابن عباس نزلت هذه الاية في ابي بكر الصديق رضي الله
عنه وذلك ان المشركين قالوا ربنا الله والملائكة بناته وهولاء شفعاؤنا عند
الله فلم يستقيموا وقال ابو بكر ربنا الله وحده لا شريك له ومحمد صلى الله عليه وسلم
عبده ورسوله فاستقام وفي الترمذي عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله

عليه

عليه وسلم قرا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قال الناس ثم كفر
اكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام قال حديث غريب ويروى في هذه
الاية عن النبي صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر وعثمان وعلي معنى استقاموا
ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول الله قل لي في
الاسلام قولا لا اسال عنه احدا بعدك وفي رواية غيرك قال قل امنت بالله ثم استقم
زاد الترمذي قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسان نفسه وقال
هذا وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال ثم استقاموا لم يشركوا بالله
شيئا وروي عنه الاسود بن هلال انه قال لاصحابه ما تقولون في هاتين الايتين
ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم فقالوا
استقاموا فلم يذنبوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم بخطيئة فقال ابو بكر لقد حملتموها على
غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره ولم يلبسوا ايمانهم
بشرك اولئك لهم الامن وهم مهتدون وروي عن عمر رضي الله عنه انه قال على المنبر
وهو يخطب ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا والله على الطريقة لطاعته
ثم لم يروغوا روغان الثعالب وقال عثمان رضي الله عنه ثم اخلصوا العمل لله وحده
وعن علي رضي الله عنه ثم ادوا الفرائض واقوال التابعين بمعناها قال ابن زيد
وقتادة استقاموا على طاعة الله الحسن استقاموا على امر الله فعملوا بطاعته واجتنبوا
معصيته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة ان لا اله الا الله حتى ماتوا وقال
سفيان الثوري عملوا على وفاق ما قالوا وقال الربيع اعرضوا عما سوى الله وقال
الفضيل بن عياض زهدوا في الفانية ورغبوا في الباقية وقيل استقاموا اسرارا
كما استقاموا اقرارا وقيل استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وقال انس لما نزلت هذه
الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم هم امتي ورب الكعبة وقال الامام ابن فورك السين
سين الطلب مثل استسقى اي سالوا من الله ان يثبتهم على الدين وكان الحسن اذا قرا هذه
الاية قال اللهم انت ربنا فارزقنا الاستقامة قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذه
الاقوال وان تداخلت فتلخيصها اعتدلوا على طاعة الله تعالى عقدا وقولا وفعلا
وداموا على ذلك تتنزل عليهم الملائكة قال ابن زيد ومجاهد عند الموت وقال
مقاتل وقتادة اذا قاموا من قبورهم للبعث وقال ابن عباس هي بشرى تكون لهم من
الملائكة في الاخرة وقال وكيع وابن زيد البشرى في ثلاثة مواطن عند الموت
وفي القبر وعند البعث الا تخافوا اي بان لا تخافوا فحذف الجار وقال مجاهد
لا تخافوا الموت ولا تحزنوا على اولادكم فان الله خليفتكم عليهم وقال عطا بن ابي
رباح انه لا تخافوا رد ثوابكم فانه مقبول ولا تحزنوا على ذنوبكم فاني اغفرها لكم
وقال عكرمة لا تخافوا امامكم ولا تحزنوا على ما خلفكم وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون
قوله تعالى نحن اولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الاخرة اي تقول لهم الملائكة
الذين تتنزل عليهم بالبشارة نحن اولياؤكم قال مجاهد اي نحن قرناؤكم
الذين كنا معكم في الدنيا فاذا كان يوم القيامة قالوا لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة
وقال السدي نحن الحفظة لاعمالكم في الدنيا واولياؤكم في الاخرة ويجوز ان
يكون هذا من قول الله تعالى والله ولي المومنين ومولاهم ولكم فيها ما تشتهي
انفسكم اي من الملاذ ولكم فيها ما تدعون تسالون وتتمنون نزلا اي رزقا وضيافة وقد
تقدم في ال عمران وهو منصوب على المصدر اي انزلناه نزلا وقيل على الحال نازلا
اي لكم ما تدعون نازلين فيكون حالا من الضمير المرفوع في تدعون او من المجرور في لكم
قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا هذا توبيخ للذين
تواصوا باللغو في القران يعني اي كلام احسن من القران ومن احسن قولا من الداعي
الى الله وطاعته وهو محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن سيرين والسدي وابن زيد والحسن
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا تلا هذه الاية يقول هذا رسول

الله صلى الله عليه وسلم هذا حبيب الله هذا ولي الله هذا صفوة الله هذا خيرة
الله هذا والله احب اهل الارض الى الله اجاب الله في دعوته ودعا الناس الى ما
اجاب اليه وقالت عائشة رضي الله عنها وعكرمة وقيس بن ابي حازم ومجاهد
نزلت في المؤذنين قال الفضيل بن رفيدة كنت مؤذنا لاصحاب ابن مسعود فقال
لي عاصم بن هبيرة اذا اذنت فقلت الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله فقل وانا من المسلمين
ثم قرا هذه الاية ابن العربي والاول اصح لان الاية مكية والاذان مدني فانما يدخل
فيها بالمعنى لا بانه كان المقصود وقت القول ويدخل فيه ابو بكر الصديق حين
قال في النبي صلى الله عليه وسلم وقد خنقه الملعون اتقتلون رجلا ان يقول
ويتضمن كل كلام حسن فيه ذكر التوحيد والايمان قال الشيخ القرطبي رحمه الله
وقول ثالث وهو احسنها قال الشيخ هذه الاية عامة في كل من دعا الى الله وكذا
قال قيس بن ابي حازم قال نزلت في كل مؤمن قال معنى وعمل صالحا الصلاة
بين الاذان والاقامة قاله ابو امامة قال صلى ركعتين بين الاذان والاقامة
وقال عكرمة وعمل صالحا صلى وصام وقال الكلبي ادى الفرائض قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وهذا احسنها مع اجتناب المحارم وكثرة المندوب والله اعلم وقال
انني من المسلمين قال ابن العربي وما تقدم دل على الاسلام لكن لما كان الدعاء بالقول
والسيف يكون للاعتقاد ويكون للحجة وكان العمل للرياء والاخلاص دل على انه لا بد
من التصريح بالاعتقاد لله في ذلك وان العمل لوجهه مسألة لما قال تعالى
وقال انني من المسلمين ولم يقل له اشترط ان شاء الله كان في ذلك رد على من يقول
انا مسلم ان شاء الله قوله تعالى ولا تستوي الحسنة ولا السيئة قال الفراء لا صلة
اي ولا تستوي الحسنة والسيئة وانشد
• ما كان يرضى رسول الله فعلهم • والطيبان ابو بكر ولا عمر •
اراد ابو بكر وعمر اي لا يستوي ما انت عليه من التوحيد وما المشركون عليه من
الشرك قال ابن عباس الحسنة لا اله الا الله والسيئة الشرك وقيل الحسنة الطاعة
والسيئة الشرك وهو الاول بعينه وقيل الحسنة المداراة والسيئة الغلظة وقيل
الحسنة العفو والسيئة الانتصار وقال الضحاك الحسنة العلم والسيئة الفحش وقال
علي بن ابي طالب رضي الله عنه الحسنة حب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم
والسيئة بغضهم قوله تعالى ادفع بالتي هي احسن نسخت بالسيف وبقي المستحب
من ذلك حسن العشرة والاحتمال والاغضاء قال ابن عباس اي ادفع بحلمك جهل
من يجهل عليك وعنه ايضا هو الرجل يسب الرجل فيقول الاخر ان كنت صادقا
علي فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك وكذلك يروى في الاثر ان ابا بكر
رضي الله عنه قال لرجل نال ذلك منه وقال مجاهد بالتي هي احسن يعني السلام
اذا لقي من يعاديه وقاله عطاء وقول ثالث ذكره القاضي ابو بكر بن العربي
في الاحكام وهو المصافحة وفي الاثر تصافحوا يذهب الله الغل ولم ير مالك المصافحة
وقد اجتمع مع سفيان فتكلما فيها فقال سفيان قد صافح رسول الله صلى الله
عليه وسلم جعفرا حين قدم من ارض الحبشة فقال له مالك ذلك خاص فقال
سفيان ما خص رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصنا وما عمه يعمنا والمصافحة
ثابتة فلا وجه لانكارها وقد روى قتادة قال قلت لانس هل كانت المصافحة
في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم وهو حديث صحيح وفي
الاثر من تمام المحبة الاخذ باليد وفي حديث محمد بن اسحاق وهو امام مقدم
عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول
الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فقرع الباب فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم عريانا يجر ثوبه والله ما رايته عريانا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله قال
الشيخ القرطبي رحمه الله قد روي عن مالك جواز المصافحة وعليها جماعة العلماء

دفتر

وقد مضى ذلك في يوسف وذكرنا هناك حديث البراء بن عازب قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فياخذ احدهما بيد صاحبه مودة
بينهما الا نفضت ذنوبهما بينهما قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه
ولي حميم اي قريب صديق قال مقاتل نزلت في ابي سفيان بن حرب كان
موذيا للنبي صلى الله عليه وسلم فصار له وليا بعد ان كان له عدوا بالمصاهرة التي
وقعت بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم فصار وليا في الاسلام حميما بالقرابة
وقيل هذه الاية نزلت في ابي جهل بن هشام كان يؤذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فامره الله تعالى بالصبر عليه والصفح عنه ذكره الماوردي والاول
ذكره الثعلبي والقشيري وهو اظهر لقوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة
كانه ولي حميم وقيل كان هذا قبل الامر بالقتال قال ابن عباس امر الله تعالى في
هذه الاية بالصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا
الناس ذلك عصمهم الله تعالى من الشيطان وخضع لهم عدوهم روي ان رجلا شتم
قنبرا مولى علي بن ابي طالب فناداه يا قنبر دع شاتمك واله عنه ترضي الرحمن
وتسخط الشيطان وتعاقب شاتمك فما عوقب الاحمق بمثل السكوت عنه وانشدوا
• ولا اكف عن شتم اللئيم تكرما • اضر عليه من شتيمة حين يشتم • اخر
• وما شيء احب الى سفيه • اذا سب الكريم من الجواب •
• متاركة السفيه بلا جواب • اشد على السفيه من السباب •

وقال محمود الوراق

• سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب • وان كثرت منه لدي الجرائم •
• وما الناس الا واحد من ثلاثة • شريف ومشروف ومثل مقاوم •
• فاما الذي فوقي فاعرف قدره • واتبع فيه الحق والحق لازم •
• واما الذي دوني فان قال صنت عن • اجابته عرضي وان لام لائم •
• واما الذي مثلي فان زل او هفا • تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم •
وما يلقاها يعني هذه الفعلة الكريمة والخصلة الشريفة الا الذين صبروا بكظم
الغيظ واحتمال الاذى وما يلقاها الا ذو حظ عظيم اي نصيب وافر من الخير قاله ابن
عباس وقال قتادة الحظ العظيم الجنة قال الحسن والله ما عظم حظ قط دون الجنة
وقيل الكناية في يلقاها عن الجنة اي ما يلقاها الا الصابرون والمعنى متقارب
قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ تقدم في اخر الاعراف فاستعذ
بالله من كيده وشره انه هو السميع لاستعاذتك العليم بافعالك واقوالك قوله
تعالى ومن اياته اي علاماته الدالة على وحدانيته وقدرته الليل والنهار والشمس
والقمر وقد مضى في غير موضع ثم نهى عن السجود لهما لانهما وان كانا خلقين عجيبين
فليس ذلك لفضيلة لهما في انفسهما فيستحقان بها العبادة مع الله لان خالقهما هو الله
ولو شاء لاعدمهما او طمس نورهما واسجدوا لله الذي خلقهن وسجودهن فالكناية
ترجع الى الشمس والقمر والليل والنهار وقيل للشمس والقمر خاصة لان الاثنين جمع
وقيل الضمير عائد على معنى الايات ان كنتم اياه تعبدون وانما انث على جمع التكسير
ولم يجر على طريق التغليب للمذكر والمؤنث لانه فيما لا يعقل فان استكبروا يعني الكفار
عن السجود لله فالذين عند ربك من الملائكة يسبحون له بالليل والنهار وهم لا
يسامون اي لا يملون عبادته قال زهير
• سئمت تكاليف الحياة ومن يعش • ثمانين حولا لا ابا لك يسام •
مسألة هذه اية سجدة بلا خلاف واختلفوا في موضع السجود منها فقال
مالك موضعه ان كنتم اياه تعبدون لانه متصل بالامر وكان علي وابن مسعود يسجدون
عند قوله اياه تعبدون وقال ابن وهب والشافعي موضعه وهم لا يسامون لانه
تمام الكلام وغاية العبادة والامتثال به قال ابو حنيفة وكان ابن عباس يسجد

عند قوله يسامون وقال ابن عمر اسجد بالاخرة منهما وكذلك يروى عن مسروق وابي
عبد الرحمن السلمي وابراهيم النخعي وابي صالح ويحيى بن وثاب وطلحة وزبيد اليامي
والحسن وابن سيرين وكان ابو وايل وقتادة وبكر بن عبد الله يسجدون عند قوله يسامون
قال ابن العربي والامر قريب والله اعلم مسئلة ذكر ابن خويزمنداد ان هذه الاية
تضمنت صلاة كسوف الشمس والقمر وذلك ان العرب كانت تقول ان الشمس والقمر لا
يكسفان الا لموت عظيم فصلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الكسوف قال الشيخ القرطبي
رحمه الله صلاة الكسوف ثابتة في الصحاح البخاري ومسلم وغيرهما واختلفوا في كيفيتها
اختلافا كثيرا لاختلاف الاثار وحسبك بما في صحيح مسلم من ذلك وهو العمدة في الباب
والله الموفق للصواب قوله تعالى ومن اياته انك ترى الارض خاشعة الخطاب لكل
عاقل اي ومن اياته الدالة على انه يحيي الموتى انك ترى الارض خاشعة اي يابسة
جدبة هذا وصف الارض بالخشوع قال النابغة

رماد ككحل العين لايا ابينه * ونوى كجذم الحوض اثلم خاشع

والارض الخاشعة اليابسة التي لا نبت فيها وبلدة خاشعة اي مغبرة لا منزل بها ومكان
خاشع فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت اي بالنبات قاله مجاهد يقال اهتز الانسان اذا
تحرك ومنه * تراه كنصل السيف يهتز للندى * اذا لم تجد عند امرء السوء مطمعا *
وربت اي انتفخت وعلت وقيل ان تنبت قاله مجاهد اي تصدعت عن النبات بعد موتها
على هذا التقدير يكون في الكلام تقديم وتاخير وتقديره ربت واهتزت والاهتزاز
والربو قد يكونان قبل الخروج من الارض وقد يكونان بعد خروج النبات الى وجه
الارض فربوها ارتفاعها ويقال للموضع المرتفع ربوة ورابية فالنبات يتحرك للبروز
ثم يزداد في جسمه بالكبر طولا وعرضا وقرا ابو جعفر وخالد وربات ومعناه عظمت من
الربيه وقيل اهتزت اي استبشرت بالماء وربت اي انتفخت بالنبات والارض اذا
انشقت بالنبات وصفت بالضحك فيجوز وصفها بالاستبشار ايضا ويجوز ان يقال
الربو والاهتزاز واحد وهي حالة خروج النبات وقد مضى هذا المعنى في الحج ان
ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شي قدير تقدم في غير موضع قوله تعالى ان الذين
يلحدون في اياتنا اي يميلون عن الحق في ادلتنا والالحاد الميل والعدول ومنه
اللحد في القبر لانه اميل الى ناحية منه يقال الحد في دين الله اي حاد عنه وعدل
ولحد لغة فيه وهذا يرجع الى الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وهم
الذين الحدوا في اياته ومالوا عن الحق فقالوا ليس القران من عند الله او هو شعر
او سحر فالايات ايات القران قال مجاهد يلحدون في اياتنا اي عند تلاوة القران
بالمكا والتصدية واللغو والغنا وقال ابن عباس هو تبديل الكلام ووضعه في
غير موضعه وقال قتادة يلحدون في اياتنا يكذبون في اياتنا وقال السدي
يعاندون ويشاقون وقال ابن زيد يشركون ويكذبون والمعنى متقارب وقال
مقاتل نزلت في ابي جهل وقيل الايات المعجزات وهو يرجع الى الاول فان القران
معجز افمن يلقى في النار على وجهه وهو ابو جهل في قول ابن عباس وغيره خير ام من
ياتي امنا يوم القيمة قيل النبي صلى الله عليه وسلم قاله مقاتل وقيل عثمان وقيل
عمار بن ياسر وقيل حمزة وقيل هو عمر بن الخطاب وقيل ابو سلمة بن عبد الاسد
المخزومي وقيل المومنون وقيل انها على العموم فالذي يلقى في النار الكافر والذي
ياتي امنا يوم القيمة المومن قاله ابن بحر اعملوا ما شيتم امر تهديد اي بعد ما علمتم
انهما لا يستويان فلا بد لكم من الجزا انه بما تعملون بصير وعيد فتهدد ووعيد
قوله تعالى ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم الذكر ها هنا القران في قول الجميع
لان فيه ذكر ما يحتاج اليه من الاحكام والخبر محذوف ها لكو تنا او معذبون وقيل
الخبر اولئك ينادون والاول الاختيار قال النحاس عند النحويين جميعا فيما علمت
وانه لكتاب عزيز اي عزيز على الله وقيل كريم على الله وقيل عزيز اي اعزه الله فلا

يتطرق

يتطرق اليه باطل وقيل ينبغي ان يعز ويجل وان لا يلغى فيه وقيل عزيز من الشيطان ان
يبدله قاله السدي مقاتل منيع من الشيطان والباطل والسدي غير مخلوق فلا مثل له وقال
ابن عباس ايضا عزيز اي ممتنع عن الناس ان يقولوا مثله لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من
اي لا يكذبه شي مما انزل الله من قبل ولا ينزل بعده كتاب يبطله وينسخه قاله الكلبي وقال
السدي وقتادة لا ياتيه الباطل يعني الشيطان من بين يديه ولا من خلفه لا يستطيع ان
يغير ولا يزيد ولا ينقص وقال سعيد بن جبير لا ياتيه التكذيب من بين يديه ولا من خلفه
ابن جريج لا ياتيه الباطل فيما اخبر عما مضى ولا فيما اخبر عما يكون وعن ابن عباس من بين
يديه من الله تعالى ولا من خلفه يريد من جبريل صلى الله عليه وسلم ولا من محمد صلى
الله عليه وسلم تنزيل من حكيم حميد ابن عباس حكيم في خلقه حميد اليهم قتادة حكيم في
امره حميد الى خلقه قوله تعالى ما يقال لك اي من الاذى والتكذيب الا ما قد قيل للرسل
من قبلك يعزي نبيه ويسليه ان ربك لذو مغفرة لك ولاصحابك وذو عقاب اليم لاعدائك
وجيعا وقيل اي ما يقال لك من اخلاص العبادة لله الا ما قد اوحي الى من قبلك ولا خلاف
بين الشرايع فيما يتعلق بالتوحيد وهو كقوله ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لين
اشركت ليحبطن عملك اي لم يدعهم الا ما دعوا اليه جميع الانبيا فلا معنى لانكارهم عليك
وقيل هو استفهام اي اي شي يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وقيل ان ربك كلام
مبتدا وما قبله كلام تام اذا كان الخبر مضمرا وقيل هو متصل بما يقال لك ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب اي انما امرت بالانذار والتبشير قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا فيه
ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى ولو جعلناه قرانا اعجميا اي بلغة غير العرب لقالوا لولا فصلت
اياته اي بينت بلغتنا فاننا عرب لا نفهم الاعجمية فبين انه انزل بلسانهم ليتقرر به معنى
الاعجاز اذ هم اعلم الناس بانواع الكلام نظما ونثرا واذا عجزوا عن معارضته كان من ادل
الدليل على انه من عند الله ولو كان بلسان العجم لقالوا لا علم لنا بهذا اللسان الثانية
واذا ثبت هذا ففيه دليل على ان القران عربي وانه نزل بلغة العرب وانه ليس اعجميا
وانه اذا نقل عنها الى غيرها لم يكن قرانا الثالثة قوله تعالى ااعجمي وعربي قرا ابو بكر وحمزة
والكسائي ااعجمي وعربي بهمزتين مخففتين والعجمي الذي ليس من العرب كان فصيحا او
غير فصيح والاعجمي الذي لا يفصح كان من العرب او من العجم فالاعجم ضد الفصيح وهو
الذي لا يبين كلامه ويقال للحيوان غير الناطق اعجم ومنه صلاة النهار عجماء اي
لا يجهر فيها بالقراة فكانت النسبة الى الاعجم اكد لان الرجل العجمي الذي ليس من العرب
قد يكون فصيحا بالعربية والعربي قد يكون غير فصيح فالنسبة الى الاعجمي اكد في
البيان والمعنى اقران اعجمي ونبي عربي وهو استفهام انكار وقرا الحسن وابو العالية ونصر
بن عاصم والمغيرة وهشام عن ابن عامر اعجمي بهمزة واحدة على الخبر والمعنى لولا فصلت
اياته فكان منها عربي تفهمه العرب وعجمي تفهمه العجم وروى سعيد بن جبير قال قالت
قريش لولا انزل القران اعجميا وعربيا فيكون بعض اياته عجميا وبعضها عربيا فنزلت
الاية وانزل في القران من كل لغة فمنه السجيل وهي فارسية واصلها سنك كيل اي
طين وحجر ومنه الفردوس رومية ومنه وكذلك القسطاس وقرا اهل الحجاز وابو عمرو وابن
ذكوان وحفص على الاستفهام الا انهم لينوا الهمزة على اصولهم والقراة الصحيحة قراة
الاستفهام والله اعلم قوله تعالى قل هو للذين امنوا هدى وشفا لكل من امن به
من الشك والريب والاوجاع والذين لا يومنون في اذانهم وقر اي صمم عن سماع القران
ولهذا تواصوا باللغو فيه ونظيره هذه وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين
وقد مضى مستوفي وقرا العامة عمى على المصدر وقرا ابن عباس وعبد الله بن الزبير
وعمرو بن العاصي ومعاوية وسليمان بن قتة وهو عليهم عمي بكسر الميم اي لا يتبين لهم
واختار ابو عبيد القراة الاولى لاجماع الناس فيها ولقوله اولا هدى وشفا ولو
كان هاد وشاف لكان الكسر في عمي اجود ليكون نعتا مثلهما تقديره والذين لا يومنون
في تركه فقوله بمنزلة من في اذانهم وقر وهو يعني القران عليهم ذو عمى لانهم لا يفقهون فحذف

المضاف وقيل المعنى والوقر عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد العرب تقول
ذلك لمن لا يفهم على التمثيل وحكى اهل اللغة انه يقال للذي يفهم انت تسمع من قريب
ويقال للذي لا يفهم انت تنادى من بعيد اي كانه ينادى من مكان من موضع بعيد
منه فهو لا يسمع النداء ولا يفهمه وقال الضحاك ينادون يوم القيمة باقبح اسمايهم
من مكان بعيد فيكون ذلك اشد لتوبيخهم وفضيحتهم وقيل اي من لم يتدبر القران
صار كالاعمى الاصم وهو ينادى من مكان بعيد فينقطع صوت المنادي عنه وهو
لم يسمع وقال علي رضي الله عنه ومجاهد اي بعيد من قلوبهم وفي التفاسير فانما
ينادون من السما فلا يسمعون وحكى معناه النقاش قوله تعالى ولقد اتينا
موسى الكتاب يعني التوراة فاختلف فيه اي امن به قوم وكذب به قوم والكناية
ترجع الى موسى ولولا كلمة سبقت من ربك اي في امهال الخلق لقضي بينهم في تعجيل العذاب
وانهم لفي شك منه من القران مريب اي شديد الريبة وقد تقدم وقال الكلبي في
هذه الاية لولا ان الله اخر عذاب هذه الامة الى يوم القيامة لاتاهم العذاب كما فعل
بغيرهم من الامم وقيل تاخير العذاب لما يخرج من اصلابهم من المومنين قوله تعالى
من عمل صالحا فلنفسه شرط وجوابه ومن اسا فعليها والله جل وعز مستغن
عن طاعة العباد فمن اطاع فالثواب له ومن اسا فالعقاب عليه وما ربك بظلام للعبيد
نفى الظلم عن نفسه جل وعز قليله وكثيره واذا انتفت المبالغة انتفى غيرها دليله
قوله الحق ان الله لا يظلم الناس شيا وروى العدول الثقات والايمة الاثبات عن
الزاهد العدل عن امين الارض عن امين السما عن الرب جل وعز يا عبادي اني حرمت
الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا الحديث وايضا فهو الحكيم المالك وما يفعله
المالك في ملكه لا اعتراض عليه اذ له التصرف في ملكه بما يريد قوله تعالى اليه يرد
علم الساعة اي حين وقتها وذلك انهم قالوا يا محمد ان كنت نبيا فخبرنا عن قيام الساعة
فنزلت وما تخرج من ثمرة من زايدة اي وما تخرج ثمرة من اكمامها اي من اوعيتها
فالاكمام اوعية الثمرة واحدها كمة وهي كل ظرف لمال او غيره ولذلك سمي قشر الطلع
اعني كفراه الذي ينشق عن الثمرة كمة قال ابن عباس الكفرى قبل ان ينشق فاذا
انشقت فليست بكمة وسياتي لهذا مزيد بيان في سورة الرحمن وقرا نافع وابن
عامر وحفص من ثمرات على الجمع الباقون ثمرة بالتوحيد والمراد الجمع كقوله وما تحمل
من انثى والمراد الجمع يقول اليه يرد علم كل ما يرد اليه علم الثمار والنتاج ويوم يناديهم
اي ينادي الله المشركين اين شركاي الذين زعمتم في الدنيا انها الهة تشفع قالوا يعني
الاصنام وقيل المشركون ويحتمل ان يريدهم جميعا العابد والمعبود قالوا اذناك اسمعناك
واعلمناك يقال اذن يوذن اذا اعلم اذنتنا ببينها اسما رب ثاو يمل منه الثوا ما منا
من شهيد اي نعلمك ما منا احد يشهد بان لك شريكا لما عاينوا القيمة تبروا من الاصنام
وتبرات الاصنام منهم كما تقدم في غير موضع وضل عنهم اي بطل عنهم ما كانوا يدعون من
قبل في الدنيا وظنوا اي ايقنوا وعلموا ما لهم من محيص اي فرار عن النار وما هنا حرف
وليس باسم فلذلك لم يعمل فيه الظن وجعل الفعل ملغى تقديره وظنوا انهم ما لهم من
محيص ولا مهرب حاص يحيص حيصا ومحيصا اذا هرب وقيل ان الظن هنا الذي هو اغلب
الراي لا يشكون في انهم اصحاب النار ولكن لا يطمعون ان يخرجوا منها وليس يبعد ان
يكون لهم ظن ورجا الى ان يياسوا قوله تعالى لا يسام الانسان من دعا الخير اي
لا يمل من دعايه بالخير والخير هنا المال والصحة والسلطان والعز قال السدي
والانسان مراد به هاهنا الكافر قيل الوليد بن المغيرة وقيل عتبة بن شيبة ابني
ربيعة وامية بن خلف وفي قراة عبد الله لا يسام الانسان من دعا المال وان مسه
الشر الفقر والمرض فيوس من روح الله قنوط من رحمته وقيل يوس من اجابة الدعا
قنوط بسو الظن بربه وقيل يوس اي ييس من زوال ما به من المكروه قنوط اي يظن
انه يدوم والمعنى متقارب قوله تعالى ولين اذقناه رحمة منا عافية ورجا وغنى

من بعد ضرا مسته من بعد ضر وسقم وشدة وفقر ليقولن هذا لي اي هذا شي استحقه على الله
لرضاه بعملي فيرى النعمة حتما واجبا على الله تعالى ولم يعلم ان الله ابتلاه بالنعمة والمحنة
ليتبين شكره وصبره وقال ابن عباس هذا لي اي هذا من عندي وما اظن الساعة
قايمة ولين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى اي الجنة واللام للتاكيد يتمنى الاماني بلا
عمل قال الحسن بن محمد بن علي بن ابي طالب للكافر امنيتان اما في الدنيا فيقول
لين رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى واما في الاخرة فيقول يا ليتنا نرد ولا نكذب بايات
ربنا ويا ليتني كنت ترابا فلننبين الذين كفروا بما عملوا اي لنجزينهم قسم اقسم الله عليه
ولنذيقنهم من عذاب غليظ اي شديد قوله تعالى واذا انعمنا على الانسان اعرض
يريد الكافر اعرض ونا بجانبه وقال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وشيبة بن
ربيعة وامية بن خلف اعرضوا عن الايمان وتباعدوا عنه ومعنى نا بجانبه اي ترفع
عن الانقياد للحق وتكبر على انبيا الله وقيل نا تباعد يقال نايته ونايت عنه نايا بمعنى
اي بعدت عنه وانايته فانتاى اي ابعدته فبعد وتناوا تباعدوا والمنتاى الموضع البعيد
قال النابغة • فانك كالليل الذي هو مدركي • وان خلت ان المنتاى عنك واسع •
وقرا يزيد بن القعقاع وناء بجانبه بالالف قبل الهمزة فيجوز ان يكون من ناء اذا نهض
ويجوز ان يكون على قلب الهمزة بمعنى الاولى فاذا مسه الشر اي اصابه المكروه فذو دعا عريض
كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة يقال اطال فلان في الكلام واعرض في
الدعا اذا اكثر وقال ابن عباس فذو دعا عريض فذو تضرع واستغاثة والكافر يعرف
ربه في البلا ولا يعرفه في الرخا قوله تعالى قل ارايتم اي قل لهم يا محمد ارايتم يا معشر
المشركين ان كان هذا القران من عند الله ثم كفرتم به من اضل اي فاي الناس اضل اي لا
احد اضل منكم لفرط شقاقكم وعداوتكم وقيل قوله ان كان من عند الله يرجع الى الكتاب
المذكور في قوله ولقد اتينا موسى الكتاب والاول اظهر وهو قول ابن عباس قوله تعالى
سنريهم اياتنا في الافاق اي علامات وحدانيتنا وقدرتنا في الافاق يعني خراب منازل
الامم الخالية وفي انفسهم بالبلايا والامراض وقال ابن زيد في الافاق ايات السما وفي
انفسهم حوادث الارض وقال مجاهد في الافاق فتح القرى فيسر الله عز وجل لرسوله
صلى الله عليه وسلم وللخلفا من بعده ونصار دينه في افاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب
عموما وفي ناحية العرب خصوصا من الفتوح التي لم تتيسر امثالها لاحد من خلفا الارض
قبلهم ومن الظهور على الجبابرة والاكاسرة وتغلب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعفايهم
على اقويايهم واجرايه على ايديهم امورا خارجة من المعهود خارقة للعادات وفي انفسهم
فتح مكة وهذا اختيار الطبري وقاله المنهال بن عمرو والسدي وقال قتادة والضحاك
في الافاق وقايع الله في الامم وفي انفسهم يوم بدر وقال عطا وابن زيد ايضا في الافاق
يعني اقطار السموات والارض والشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والرياح
والامطار والرعد والبرق والصواعق والنبات والاشجار والجبال والبحار وغيرها
وفي الصحاح الافاق النواحي واحدها افق وافق مثل عسر وعسر ورجل افقي بفتح
الهمزة والفا اذا كان من افاق الارض حكاه ابن نصر وبعضهم يقول افقي بضمهما وهو
القياس وانشد غير الجوهري فقال •
اخذنا بافاق السما عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
وفي انفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة حتى سبيل الغايط والبول فان الرجل
يشرب وياكل من مكان واحد ويتميز ذلك من مكانين وبديع صنعة الله وحكمته
في عينيه اللتين هما قطرة ما ينظر بهما من السما الى الارض مسيرة خمسماية عام وفي
اذنيه اللتين يفرق بهما بين الاصوات المختلفة وغير ذلك من بديع حكمة الله فيه وقيل
وفي انفسهم من كونهم نطفا الى غير ذلك من انتقال احوالهم كما تقدم في المومنين بيانه
وقيل المعنى سنريهم ما اخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم من الفتن واخبار
الغيوب حتى يتبين لهم انه الحق فيه اربعة اوجه احدها انه القران الثاني الاسلام

جاءهم الرسول ودعاهم اليه والثاني ما يريهم الله ويفعل من ذلك هو الحق
والبرهان محمد صلى الله عليه وسلم هو الرسول الحق اولم يكف بربك في موضع رفع بانه
فاعل يكفي وانه بدل من ربك فهو رفع ان قدرته بدلا على الموضع وجر ان قدرته
بدلا على اللفظ ويجوز ان يكون نصبا بتقدير حذف اللام والمعنى اولم يكفهم ربك بما
دلهم عليه من توحيده لانه على كل شيء شهيد واذا شهد جاز عليه واذا كان المعنى
اولم يكف بربك في معاقبة الكفار وقيل المعنى اولم يكف بربك شاهدا على ان القران
من عند الله وقيل اي اولم يكفك من ربك انه على كل شيء مما يفعله العبد شهيد والشهيد
بمعنى العالم اي هو من الشهادة التي هي الحضور الا انهم في مرية من شك من لقاء
ربهم في الاخرة وقال السدي اي من البعث الا انه بكل شيء محيط اي احاط علمه
بكل شيء قاله السدي وقال الكلبي احاطت قدرته بكل شيء وقال الخطابي هو
الذي احاطت قدرته بجميع خلقه وهو الذي احاط بكل شيء علما واحصى كل شيء عددا
وهذا الاسم اكثر ما يجي في معرض الوعيد وحقيقته الاحاطة به واصله محيط نقلت
حركة اليا الى الحا فسكنت يقال منه احاط يحيط احاطة وحيطة ومن ذلك
حائط الدار واحيط بثمره يحوطها اهلها واحاطت الخيل بفلان اذا اخذته احرا حاضرا
من كل جهة ومنه قوله تعالى واحيط بثمره والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة الشورى مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اربع
آيات منها نزلت بالمدينة قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى الى اخرها وهي ثلاث وخمسون
اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم عسق قال عبد المومن سالت الحسين بن الفضل لم قطع حم
عسق ولم يقطع كهيعص والمر والمص فقال لانها حم عسق بين سور اولها حم فجرت
مجرى نظايرها قبلها وبعدها فكان حم مبتدا وعسق خبره ولانها عدت ايتين
واعدت اخواتها اللواتي كتبت جملة اية واحدة وقيل ان الحروف المعجمة كلها
في المعنى واحد من حيث انها اس البيان وقاعدة الكلام ذكره الجرجاني وكتب
حم عسق منفصلا وكهيعص متصلا لانه قيل حم اي حم ما هو كاين ففصلوا
بين ما يقدر فيه فعل وبين ما لا يقدر ثم لو فصل هذا ووصل ذا لجاز حكاه القشيري
وفي قراة بن مسعود وبن عباس حم سق قال ابن عباس وكان علي رضي الله
عنه يعرف الفتن بها وقال ارطاه بن المنذر قال رجل لابن عباس وعنده حذيفة
ابن اليمان اخبرني عن تفسير قوله تعالى حم عسق فاعرض عنه حتى عاد اليه ثلاثا
فاعرض عنه فقال لحذيفة بن اليمان انا انبيك بها قد عرفت لم تركها نزلت في
رجل من اهل بيته يقال له عبد الاله او عبد الله ينزل على نهر من انهار المشرق
يبني عليه مدينتين يشق النهر بينهما شقا فاذا اراد الله زوال ملكهم وانقطاع
دولتهم بعث على احداهما نارا ليلا فتصبح سودا مظلمة فتحترق كلها كانها لم تكن
مكانها فتصبح متعجبة كيف قلبت فما هو الا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار
عنيد ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق اي عزيمة من عزمات الله
وفتنة وقضا حم حم عين سين سيكون وقاف واقع في هاتين المدينتين ونظير
هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيها جبابرة الارض
تجبى اليها الخزاين تخسف بها وفي رواية بخسف باهلها فلهي اسرع ذهابا في الارض
من الوتد الجيد في الارض الرخوة وقرا ابن عباس حم سق بغير عين وكذلك هي
في مصحف عبد الله بن مسعود حكاه الطبري وروى نافع عن بن عباس الحا حلمه

والميم مجده والعين علمه والسين سناه والقاف قدرته اقسم الله بها وعن محمد بن
كعب اقسم الله بحلمه ومجده وعلمه وسناه وقدرته ان لا يعذب من عاذ بلا اله الا الله
مخلصا من قلبه وقال جعفر بن محمد وسعيد بن جبير الحا من الرحمن والميم من المجيد
والعين من العليم والسين من القدوس والقاف من القاهر وقال مجاهد فواتح السور
وقال عبد الله بن بريدة انه اسم الجبل المحيط بالدنيا وذكره القشيري واللفظ للثعلبي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الاية عرفت الكابة في وجهه فقيل له يا رسول
الله ما احزنك قال اخبرت ببلايا تنزل بامتي من خسف وقذف ونار تحشرهم وريح
تقذفهم في البحر وايات متتابعات متصلة بنزول عيسى وخروج الدجال والله اعلم
وقيل هذا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فالحا حوضه المورود والميم ملكه الممدود والعين
عزه الموجود والسين سناه المشهود والقاف قيامه في المقام المحمود وقربه في الكرامة
من الملك المعبود وقال بن عباس ليس من نبي صاحب كتاب الا وقد اوحي اليه حم
عسق فلذلك قال يوحي اليك والى الذين من قبلك المهدوي وقد جا في الخبرات
حم عسق اوحيت الى الانبيا المتقدمين وقرا ابن محيصن وبن كثير ومجاهد يوحى بفتح
الحا على ما لم يسم فاعله وروي عن عمر فيكون الجار والمجرور في موضع رفع لقيامه مقام
الفاعل ويجوز ان يكون اسم ما لم يسم فاعله مضمرا اي يوحى اليك القران الذي تضمنته
هذه السورة ويكون اسم الله مرفوعا باضمار فعل التقدير يوحيه الله اليك كقراة ابن
عامر وابي بكر يسبح له فيها بالغدو والاصال رجال اي يسبحه رجال وانشد سيبويه

ليبك يزيد ضارع لخصومة • ومختبط مما تطيح الطوايح •

فقال ليبك يزيد ثم من ينبغي ان يبكيه ضارع ويجوز ان يكون مبتدا والخبر محذوف
كانه قال الله يوحيه او على اضمار مبتدا اي الموحي الله او يكون مبتدا والخبر العزيز الحكيم
وقرا الباقون نوحي اليك بكسر الحا ورفع الميم على انه الفاعل له ما في السموات وما في
الارض وهو العلي العظيم تقدم في غير موضع قوله تعالى تكاد السموات قراه
العامه بالتا وقرا نافع وبن وثاب والكسائي بالبا يتفطرن قرا نافع وغيره بالتا والتشديد
في الطا وهي قراة العامة وقرا ابو بكر والمفضل وابو عبيد ينفطرن من الانفطار لقوله
اذا السما انفطرت ونحوه في مريم وقد مضى بيان هذا وقال ابن عباس تكاد السموات
يتفطرن اي تكاد كل واحدة منها تنفطر فوق التي تليها من قول المشركين اتخذ الله
ولدا وقال الضحاك والسدي اي يتشققن من عظمة الله وجلاله فوقهن فوق
الارضين من حيث انه لو لم يفعل قوله تعالى والملايكة يسبحون بحمد ربهم اي
ينزهونه عما لا يجوز وصفه وما لا يليق بجلاله وقيل يتعجبون من جراة المشركين فيذكر
التسبيح في موضع التعجب وعن علي رضي الله عنه ان تسبيحهم تعجبهم مما يرون من تعرضهم
لسخط الله وقال ابن عباس تسبيحهم خضوع لما يرون من عظمة الله ومعنى بحمد ربهم
بامر ربهم قاله السدي ويستغفرون لمن في الارض قال الضحاك لمن في الارض من
المومنين وقاله السدي بيانه في سورة المومن ويستغفرون للذين امنوا وعلى هذا
تكون الملايكة هنا حملة العرش وقيل جميع ملايكة السما وهو الظاهر من قول الكلبي
وقال وهب بن منبه وهو منسوخ بقوله ويستغفرون للذين امنوا قال المهدوي
والصحيح انه ليس بمنسوخ لانه خبر وهو خاص للمومنين وقال ابو الحسن الماوردي
عن الكلبي ان الملايكة لما رات الملكين الذين اختبروا وبعثا الى الارض ليحكما بينهم
فافتتنا بالزهرة وهربا الى ادريس وهو جد ابي نوح عليهما السلام وسالاه ان يدعو
لهما سبحت الملايكة بحمد ربهم واستغفرت لبني ادم قال ابو الحسن بن الحصار وقد
ظن بعض من جهل ان هذه الاية نزلت بسبب هاروت وماروت وانها منسوخة
بالاية التي في المومن وما علموا ان حملة العرش مخصوصون بالاستغفار للمومنين
خاصة ولله ملايكة اخر يستغفرون لمن في الارض الماوردي وفي استغفارهم
قولان احدهما من الذنوب والخطايا وهو ظاهر قول مقاتل الثاني انه طلب الرزق

قرب

لهم والسعة عليهم قاله الكلبي قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهو اظهر لان الارض تعم الكافر والمومن وهو قول مقاتل لا يدخل فيه الكافر وقد روي في الباب خبر رواه عاصم الاحول عن ابي عثمان عن سلمان قال ان العبد اذا كان يذكر الله في السر فنزل به الضر قالت الملائكة صوت معروف من ادمي ضعيف كان يذكر الله تعالى في السر فنزل به الضر فيستغفرون له فاذا كان لا يذكر الله في السر فنزلت به الضرا فلا يستغفرون له فهذا يدل على ان الاية في الذاكر لله تعالى في السرا والضرا فهي خاصة لبعض من في الارض من المومنين والله اعلم ويحتمل ان يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران في قوله ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا الى ان قال انه كان حليما غفورا وقوله ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم والا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما قال الزمخشري وقال مطرف وجدنا انصح عباد الله لعباد الله الملائكة ووجدنا اغش عباد الله لعباد الله الشيطان وقد تقدم الا ان الله هو الغفور الرحيم قال بعض العلما هيب وعظم جل وعز في الابتدا والطف وبشر في الانتها قوله تعالى والذين اتخذوا من دونه اوليا يعني اصناما يعبدونها الله حفيظ عليهم اي يحفظ اعمالهم ليجازيهم بها وما انت عليهم بوكيل وهذه منسوخة باية السيف وفي الخبر اطت السما وحق لها ان تئط اي صوتت من ثقل ما عليها لكثرتهم فيهم مع كثرتهم لا يفترون من عبادة الله وهولاء الكفار هم يشركون قوله تعالى وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا بيناه بلغة العرب وقيل اي انزلنا عليك قرانا عربيا بلسان قومك كما ارسلنا كل رسول بلسان قومه والمعنى واحد لتنذر ام القرى يعني مكة وقيل لمكة ام القرى لان الارض دحيت من تحتها ومن حولها من ساير الخلق وتنذر يوم الجمع وهو يوم القيامة لا ريب فيه لا شك فيه فريق في الجنة وفريق في السعير ابتدا وخبر واجاز الكسائي النصب على تقدير لتنذر فريقا في الجنة وفريقا في السعير قوله تعالى ولو شا الله لجعلهم امة واحدة قال الضحاك اهل دين واحد اهل ضلالة او اهل هدى ولكن يدخل من يشا في رحمته قال انس بن مالك في الاسلام والظالمون رفع على الابتدا والخبر ما لهم من ولي ولا نصير عطف على اللفظ ويجوز ولا نصير بالرفع على الموضع ومن زايدة قوله تعالى ام اتخذوا اي بل اتخذوا من دونه اوليا يعني اصناما فالله هو الولي اي وليك يا محمد وولي من اتبعك لا ولي سواه وهو يحيي الموتى يريد عند البعث وهو على كل شي قدير وغيره من الاوليا لا يقدر على شي قوله تعالى وما اختلفتم فيه من شي حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمومنين اي وما خالفكم فيه الكفار من اهل الكتاب والمشركين من امر الدين فقولوا لهم حكمه الى الله لا اليكم وقد حكم ان الدين هو الاسلام لا غيره وامور الشرايع انما تتلقى من بيان الله ذلكم الله ربي اي الموصوف بهذه الصفات هو ربي وحده وفيه اضمار اي قل لهم يا محمد ذلكم الله الذي يحيي الموتى ويحكم بين المختلفين هو ربي عليه توكلت اعتمدت واليه انيب ارجع قوله تعالى فاطر السموات والارض بالرفع على النعت لاسم الله او على تقدير هو فاطر ويجوز النصب على الندا والخفض على البدل من الها في عليه والفاطر المبدع والخالق وقد تقدم جعل لكم من انفسكم ازواجا قيل معناه اناثا وانما قال من انفسكم لانه خلق حوا من ضلع ادم وقال مجاهد نسلا بعد نسل ومن الانعام ازواجا يعني الثمانية التي ذكرها في الانعام ذكور الابل والبقر والضان والمعز واناثها يذروكم فيه اي يخلقكم وينشيكم فيه اي في الرحم وقيل في البطن وقال الفرا وابن كيسان فيه بمعنى به وكذلك قال الزجاج معنى يذروكم فيه يكثركم به اي يكثركم بجعلكم ازواجا اي حلايل لانهن سبب النسل وقيل ان الها في فيه للجعل ودل عليه جعل فكانه قال يخلقكم ويكثركم في الجعل ابن قتيبة يذروكم

فيه بعد ان الرحم مونثة ولم يتقدم لها ذكر ليس كمثله شي وهو السميع البصير قيل ان الكاف زايدة للتوكيد اي مثله شي قال وصاليات ككما يوثفين فادخل على الكاف كافا تاكيدا للتشبيه وقيل المثل زايدة للتوكيد وهو قول ثعلب اي ليس كهو شي نحو قوله تعالى فان امنوا بمثل ما امنتم به وفي حرف ابن مسعود فان امنوا بما امنتم به فقد اهتدوا وقال اوس بن حجر • وقتلى كمثل جذوع النخل يغشاهم مطر • منهم اي كجذوع والذي يعتقد في هذا الباب ان الله جل اسمه في عظمته وكبريايه وملكوته وحسنى اسمايه وعلي صفاته لا يشبه شيا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جا مما اطلقه الشرع على الخالق والمخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم جل وعز بخلاف صفات المخلوق اذ صفاتهم لا تنفك عن الاغراض والاعراض وهو تعالى منزه عن ذلك بل لم يزل باسمايه وصفاته على ما بيناه في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى وكفى في هذا قوله الحق ليس كمثله شي وقد قال بعض العلما المحققين اثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد الواسطي رحمه الله بيانا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا كفعله فعل ولا كصفته صفة حديثة كما استحال ان يكون للذات المحدثة صفة قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم قوله تعالى له مقاليد السموات والارض تقدم في الزمر بيانه النحاس والذي يملك المفاتيح يملك الخزاين يقال للمفتاح اقليد وجمعه على غير قياس كالمحاسن والواحد حسن يبسط الرزق لمن يشا ويقدر انه بكل شي عليم تقدم ايضا في غير موضع قوله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا اي الذي له مقاليد السموات والارض شرع لكم من الدين ما شرع لقوم نوح وابراهيم وموسى وعيسى ثم بين ذلك بقوله ان اقيموا الدين وهو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه ويوم الجزا وساير ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرايع التي هي مصالح الامم على حسب احوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقد تقدم القول فيه ومعنى شرع اي نهج واوضح وبين المسالك وقد شرع لهم يشرع شرعا اي سن والشارع الطريق الاعظم وشرع المنزل اذا كان على طريق نافذ وشرعت الابل اذا امكنتها من الشريعة وشرعت الاديم اذا سلخته وقال يعقوب اذا شققت ما بين رجليه وقال سمعت من ام الحمارس البكرية وشرعت في هذا الامر شروعا اي خضت ان اقيموا الدين ان في محل رفع على تقدير والذي وصى به نوحا ان اقيموا الدين ويوقف على هذا الوجه على عيسى وقيل هو نصب اي شرع لكم اقامة الدين وقيل هو جر بدلا من الها في به كانه قال به اقيموا الدين ولا يوقف على عيسى على هذين الوجهين ويجوز ان تكون ان مفسرة مثل ان امشوا فلا يكون لها محل من الاعراب الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي ثبت في الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة المشهور الكبير ولكن ايتوا نوحا فانه اول رسول بعثه الله الى اهل الارض فياتون نوحا فيقولون له انت اول رسول بعثه الله الى اهل الارض وهذا صحيح لا اشكال فيه كما ان ادم اول نبي بغير اشكال الا ان ادم لم تكن معه الا بنوه ولم تفرض له الفرايض ولا شرعت له المحارم وانما كان تنبيها على بعض الامور واقتصارا على ضرورات المعاش واخذا بوظايف الحياة والبقا واستقر المدى الى نوح فبعثه الله بتحريم الامهات والبنات والاخوات ووظف عليه الواجبات واوضح له الاداب في الديانات ولم يزل ذلك يتاكد بالرسل ويتناصر بالانبيا صلوات الله عليهم واحدا بعد واحد وشريعة بعد شريعة حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان اكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فكان المعنى اوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا يعني في الاصول التي لا تختلف فيها الشريعة وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج والتقرب الى الله تعالى بصالح العمل والزلف اليه بما يرد القلب والجارحة اليه والصدق والوفا بالعهد واداء الامانة وصلة الرحم وتحريم الكفر والقتل والزنا والاذاية للخلق كيف ما تصرفت

والاعتداء على الحيوان كيف ما دار واقتحام الدناءة وما يعود بخرم المروات فهذا كله مشروع دينا واحدا وملة متحدة لم تختلف على السنة الانبيا وان اختلفت اعدادهم وذلك قوله تعالى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر اي اجعلوه قائما يريد دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث ومن نكث فانما ينكث على نفسه واختلفت الشرائع وراء هذا في معاني حسبما اراده الله مما اقتضت المصلحة واوجبت الحكمة وضعه في الازمنة على الامم والله اعلم قال مجاهد لم يبعث الله نبيا قط الا وصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله بالطاعة فذلك دينه الذي شرع لهم وقال الوالبي عن ابن عباس وهو قول الكلبي وقال قتادة يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات والاخوات والبنات وما ذكره القاضي يجمع هذه الاقوال ويزيد عليها وخص نوحا وابراهيم وموسى وعيسى لانهم ارباب الشرائع قوله تعالى كبر على المشركين اي عظم عليهم ما تدعوهم اليه من التوحيد ورفض الاوثان ثم قال الله يجتبي اليه من يشاء اي يختار والاجتباء الاختيار اي يختار للتوحيد من يشاء ويهدي اليه من ينيب اي يستخلص لدينه من رجع اليه وما تفرقوا قال ابن عباس قال قتادة كبر على المشركين واشتد عليهم شهادة ان لا اله الا الله وحده وضاق بها ابليس وجنوده فابى الله عز وجل الا ان ينصرها ويعليها ويظهرها على من ناواها يعني قريشا الا من بعد ما جاءهم العلم محمد صلى الله عليه وسلم وكانوا يتمنون ان يبعث اليهم نبي دليله قوله تعالى في سورة فاطر واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير يريدون نبيا وقال في سورة البقرة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به على ما تقدم بيانه هناك وقيل امم الانبيا المتقدمين فانهم فيما بينهم اختلفوا لما طال بهم المدى فامن قوم وكفر قوم وقال ابن عباس ايضا يعني اهل الكتاب دليله في سورة المنفكين وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فالمشركون قالوا اخص بالنبوة واليهود حسدوه لما بعث وكذا النصارى بغيا بينهم اي بغيا من بعضهم على بعض طلبا للرياسة فليس تفرقهم لقصور في البيان والحجج ولكن للبغي والظلم والاشتغال بالدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك في تاخير العقاب عن هولاء الى اجل مسمى وهو القيامة لقوله تعالى والساعة موعدهم وقيل الى الاجل الذي قضى فيه بعذابهم لقضي بينهم اي بين من امن ومن كفر بنزول العذاب وان الذين اورثوا الكتاب يريد اليهود والنصارى من بعدهم اي من بعد المختلفين في الحق لفي شك من الذي اوصى به الانبيا والكتاب هنا التوراة والانجيل وقيل ان الذين اورثوا الكتاب قريش من بعدهم من بعد اليهود والنصارى لفي شك من الايمان او من محمد وقال مجاهد معنى من بعدهم من قبلهم يعني من قبل مشركي مكة وهم اليهود والنصارى قوله تعالى فلذلك فادع واستقم لما جاز ان يكون الشك لليهود والنصارى او لقريش قيل له فلذلك فادع اي فتبينت شكهم فادع الى الله اي الى ذلك الدين المشروع للانبيا ووصاهم به فاللام بمعنى الى كقوله بان ربك اوحى لها اي اليها وذلك بمعنى هذا وقد تقدم اول البقرة والمعنى فلهذا القران فادع وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى كبر على المشركين ما تدعوهم اليه فلذلك فادع وقيل ان اللام على بابها والمعنى فمن اجل ذلك الذي تقدم ذكره فادع واستقم قال ابن عباس اي الى القران فادع الخلق واستقم خطاب له عليه السلام قال قتادة اي استقم على امر الله وقال سفيان اي استقم على القران وقال الضحاك اي استقم على تبليغ الرسالة ولا تتبع اهواءهم اي لا تنظر الى خلاف من خالفك وقل امنت بما انزل الله من كتاب وامرت لاعدل بينكم اي ان اعدل كقوله وامرت ان اسلم لرب العالمين وقيل هي لام كي اي لكي اعدل قال ابن عباس وابو العالية لاسوي بينكم في الدين فاؤمن بكل كتاب وبكل رسول وقال غيرهما لاعدل في جميع الاحوال وقيل هذا العدل هو العدل في الاحكام وقيل هو في التبليغ الله ربنا وربكم لنا اعمالنا ولكم اعمالكم لا حجة بيننا وبينكم قال ابن عباس ومجاهد الخطاب لليهود اي لنا ديننا ولكم دينكم قال ثم نسخت بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون

بالله ولا باليوم الآخر الآية قال مجاهد ومعنى لا حجة بيننا وبينكم وقيل ليس بمنسوخ لان البراهين قد ظهرت والحجج قد قامت فلم يبق الا العناد وبعد العناد لا حجة ولا جدال قال النحاس ويجوز ان يكون معنى لا حجة بيننا وبينكم على ذلك القول لم يؤمر ان نحتج عليكم ونقاتلكم ثم نسخ هذا كما ان قائلا لو قال من قبل ان تحول القبلة لا تصل الى الكعبة ثم حول الناس بعد لجاز ان يقال نسخ ذلك الله يجمع بيننا يريد يوم القيمة واليه المصير اي فهو يحكم بيننا اذا صرنا اليه ويجازي كلا بما كان عليه وقيل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة وقد سالوا الرسول صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن دعوته ودينه الى دين قريش على ان يعطيه الوليد نصف ماله ويزوجه شيبة بابنته قوله تعالى والذين يحاجون في الله رجع الى المشركين من بعد ما استجيب له قال مجاهد من بعد ما اسلم الناس قال هولاء قوم توهموا ان الجاهلية تعود وقال الذين يحاجون في الله اليهود والنصارى ومحاجتهم قولهم نبينا قبل نبيكم وكان المشركون يقولون اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا فقال الله تعالى ان هولاء الذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة اي لا ثبات لها كالشي الذي يزل عن موضعه والهاء في له يجوز ان يكون لله عز وجل اي من بعد ما وحدوا الله وشهدوا له بالوحدانية ويجوز ان يكون للنبي صلى الله عليه وسلم اي من بعد ما استجيب لمحمد في دعوته من اهل بدر ونصر الله المومنين يقال دحضت حجته دحوضا بطلت وادحضها الله والادحاض الازلاق ومكان دحض ودحض ايضا بالتحريك اي زلق ودحضت رجله تدحض دحضا زلقت ودحضت الشمس عن كبد السما زالت وعليهم غضب يريد في الدنيا ولهم عذاب شديد يريد في الاخرة عذاب دائم قوله تعالى الله الذي انزل الكتاب يعني القران وسائر الكتب المنزلة بالحق اي بالصدق والميزان اي العدل قاله ابن عباس واكثر المفسرين والعدل يسمى ميزانا لان الميزان الة الانصاف والعدل وقيل الميزان ما بين في الكتب مما يجب على كل انسان ان يعمل به وقال قتادة الميزان العدل فيما امر به ونهى عنه وهذه الاقوال متقاربة المعنى وقيل هو الجزاء على الطاعة بالثواب وعلى المعصية بالعقاب وقيل انه الميزان نفسه الذي يوزن به انزله من السما وعلم العباد الوزن به لئلا يكون بينهم تظالم وتباخس قال الله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب بالحق والميزان ليقوم الناس بالقسط قال مجاهد هو الذي يوزن به ومعنى انزل الميزان هو الهامه للخلق ان يعملوه ويعملوا به وقيل الميزان محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينكم بكتاب الله وما يدريك لعل الساعة قريب فلم يخبره بها يحضه على العمل بالكتاب والعدل والسوية والعمل بالشرائع قبل ان يفاجئ اليوم الذي تكون فيه المحاسبة ووزن الاعمال فيوفي لمن اوفى ويطفف لمن طفف وكذلك قال فلعل الساعة قريب اي منك وانت لا تدري وقال قريب ولم يقل قريبة لان تانيثها غير حقيقي لانها كالوقت قاله الزجاج والمعنى لعل البعث او لعل مجي الساعة قريب وقال الكسائي قريب نعت ينعت به المونث والمذكر والجمع بمعنى ولفظ واحد قال الله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين قال الشاعر

وكنا قريبا والديار بعيدة * فلما وصلنا نصب اعينهم غبنا

قوله تعالى يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يعني على طريق الاستهزاء ظنا منهم انها غير اتية ام انها ما للضعف انها لا تكون والذين امنوا مشفقون منها اي خائفون وجلون لاستبطائهم انفسهم مع الجهد في الطاعة كما قال والذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون ويعلمون انها الحق اي انها لا شك فيها الا ان الذين يمارون اي يشكون ويخاصمون في قيام الساعة لفي ضلال بعيد اي عن الحق وطريق الاعتبار اذ لو تذكروا لعلموا ان الذي انشاهم من تراب ثم من نطفة الى ان بلغوا ما بلغوا قادر على بعثهم قوله تعالى الله لطيف بعباده

قال بن عباس حفي بهم وقال عكرمة بار بهم وقال السدي رفيق بهم وقال مقاتل لطيف بالبر والفاجر حيث لم يقتلهم جوعا بمعاصيهم وقال القرطبي لطيف بهم في العرض والمحاسبة قال غدا لا عند موافي الخلق للخلق موقف بسائلهم فيه الجليل ويلطف وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين يلطف بهم في الرزق من وجهين احدهما انه جعل رزقك من الطيبات والثاني انه لم يدفعه اليك مرة واحدة فتبذره وقال الحسين بن الفضل لطيف بهم في القران وتفصيله وتفسيره وقال الجنيد لطيف باوليائه حتى عرفوه ولو لطف باعدائه لما جحدوه وقال محمد بن علي الكتاني اللطيف بمن لجا اليه من عباده اذا يئس من الخلق توكل عليه ورجع اليه فحينئذ يقبله ويقبل عليه وجاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يطلع على القبور الدوارس فيقول امحت اثارهم واضمحلت صورهم وبقي عليهم العذاب وانا اللطيف وانا ارحم الراحمين خففوا عنهم العذاب فيخفف عنهم قال ابو علي الثقفي

امر ربنا امر العبور كانه • اخو لطفه والثوب فيه يخيف •
• ومن نسق فاه قدر الله رزقه • وربي بمن يلجا اليه لطيف •

وقيل اللطيف الذي ينشر من عباده المناقب ويستر عليهم المثالب وعلى هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم يا من اظهر الجميل وستر القبيح وقيل هو الذي يقبل القليل ويبذل الجزيل وقيل هو الذي يجبر الكسير وييسر العسير وقيل هو الذي لا يخاف الا عدله ولا يرجى الا فضله وقيل هو الذي يبذل لعبده النعمة فوق الهمة ويكلفه الطاعة فوق الطاقة قال الله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج يريد الله ان يخفف عنكم وقيل هو الذي يعين على الخدمة ويكثر المدحة وقيل هو الذي لا يعاجل من عصاه ولا يخيب من رجاه وقيل هو الذي لا يرد سائله ولا يوئس امله وقيل هو الذي يعفو عمن يهفو وقيل هو الذي يرحم من لا يرحم نفسه وقيل هو الذي اوقد في اسرار العارفين من المشاهدة سراجا وجعل الصراط المستقيم لهم منهاجا واجزل لهم من سحائب بره ماء ثجاجا وقد مضى في الانعام قول ابي العالية والجنيد ايضا وقد ذكرنا جميع هذا في كتاب الاسنى في شرح اسماء الله الحسنى عند اسمه اللطيف والحمد لله يرزق من يشاء ويحرم من يشاء وفي تفضيل قوم بالمال حكمة ليحتاج البعض الى البعض كما قال ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فكان هذا لطفا بالعباد وايضا ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني كما قال وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون على ما تقدم بيانه وهو القوي العزيز قوله تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه العمل والكسب وهو قول عبد الله بن عمر احرث لدنياك كانك تعيش ابدا واعمل لاخرتك كانك تموت غدا ومنه سمي الرجل حارثا والمعنى اي من طلب بما رزقناه حرثا لاخرته فادى حقوقه وانفق في اعزاز الدين فانما نعطيه ثواب ذلك للواحد عشرا الى سبعمائة فاكثر ومن كان يريد الدنيا اي طلب المال الذي اتاه الله رياسة الدنيا والتوصل الى المحظورات فانا لا نحرمه الرزق اصلا ولكن لا حظ له في الاخرة من ماله قال الله تعالى من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها الاية وقيل نزد له في حرثه نوفقه للعبادة ونسهلها عليه وقيل حرث الاخرة الطاعة اي من اطاع فله الثواب وقيل نزد له في حرثه اي نعطيه الدنيا مع الاخرة وقيل الاية في الغزو اي من اراد بغزوه الاخرة اوتي الثواب ومن اراد بغزوه الغنيمة اوتي منها قال القشيري والظاهر ان الاية في الكافر توسع عليه الدنيا اي لا ينبغي ان يغتر بذلك لان الدنيا لا تبقى وقال قتادة ان الله يعطي على نية الاخرة ما شاء من امر الدنيا

ولا يعطي على نية الدنيا الا الدنيا وقال ايضا يقول الله تعالى من عمل لاخرته زدناه في عمله واعطيناه في الدنيا ما كتبنا له ومن اثر دنياه على اخرته لم نجعل له نصيبا في الاخرة الا النار ولم يصب من الدنيا الا رزقا قد قسمناه له لا بد ان كان يؤتاه مع ايثار او غير ايثار وقال الشيخ القرطبي رحمه الله قول قتادة حسن والاية تعم روى جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال وقوله عز وجل من كان يريد حرث الاخرة من كان من الابرار يريد بعمله الصالح ثواب الاخرة نزد له في حرثه اي في حسناته ومن كان يريد حرث الدنيا اي من كان من الفجار يريد بعمله الحسن الصالح الدنيا نؤته منها ثم نسخ ذلك باية سبحان من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد والصواب ان هذا ليس بنسخ لان هذا خبر والاشياء كلها بارادة الله جل وعز الا ترى انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت وقد قال قتادة ما تقدم ذكره على وهو بين ان لا نسخ وقد ذكرنا في هود ان هذا من باب المطلق والمقيد وان النسخ لا يدخل في الاخبار والله المستعان اعلم الثاني لنا هذه الاية تبطل مذهب ابي حنيفة في قوله انه من توضا تبردا انه يجزيه عن فريضة الوضوء الموظف عليه فان فرض الوضوء من حرث الاخرة والتبرد من حرث الدنيا فلا يدخل احدهما على الاخر ولا تجزي نيته عنه بظاهر هذه الاية قاله ابن العربي قوله تعالى ام لهم شركاء اي الهم والميم صلة والهمزة للتقريع وهذا متصل بقوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا وقوله الله الذي انزل الكتاب بالحق كانوا لا يومنون به فهل لهم الهة شرعت لهم الشرك الذي لم ياذن به الله واذا استحال هذا فالله لم يشرع الشرك فمن اين تدينون به ولولا كلمة الفصل يوم القيامة حيث قال بل الساعة موعدهم لقضي بينهم في الدنيا فعاجل الظالم بالعقوبة واثاب الطائع وان الظالمين اي المشركين لهم عذاب شديد في الدنيا القتل والاسار والقهر وفي الاخرة عذاب النار وقرا ابن هرمز وان بفتح الهمزة على العطف على ولولا كلمة والفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بجواب لولا جائز ويجوز ان يكون موضع ان رفعا على تقدير وجب وان الظالمين لهم عذاب اليم فيكون منقطعا مما قبله كقراءة الكسر فاعلمه قوله تعالى ترى الظالمين مشفقين اي خائفين مما كسبوا اي من جزاء ما كسبوا والظالمون ههنا الكافرون بدليل التقسيم بين المومن والكافر وهو واقع بهم اي نازل بهم والذين امنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات الروضة الموضع النزه الكثير الخضرة وقد مضى في الروم لهم ما يشاءون عند ربهم اي من النعيم والثواب الجزيل ذلك هو الفضل الكبير اي لا يوصف ولا تهتدي العقول الى كنه صفته لان الحق اذا قال كبير فمن ذا الذي يقدر قدره قوله تعالى ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا قرئ يبشر من بشره ويبشر من ابشره ويبشر من بشر وفيه حذف اي يبشر الله به عباده المومنين ليتعجلوا السرور ويزدادوا جدا في الطاعات قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا اي قل يا محمد لا اسالكم على تبليغ الرسالة جعلا الا المودة في القربى قال الزجاج الا المودة استثناء ليس من الاول اي الا ان تودوني لقرابتي فتحفظوني والخطاب لقريش خاصة قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وابو مالك والشعبي وغيرهم قال الشعبي اكثر الناس علينا في هذه الاية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عنها فكتب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اوسط الناس في قريش فليس بطن من بطونهم الا وقد ولده فقال الله قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة الا ان تودوني في قرابتي منكم اي تراعوا ما بيني وبينكم فتصدقوني فالقربى ههنا قرابة الرحم كانه قال اتبعوني للقرابة ان لم تبتغوا في النبوة قال عكرمة وكانت قريش تصل ارحامها فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قطعته فقال صلوني كما كنتم تفعلون فالمعنى على هذا قل

لا اسالكم عليه اجرا لكن اذكركم قرابتي عليه انه استثنا ليس من الاول ذكره النحاس
وفي البخاري عن طاوس عن ابن عباس انه سيل عن قوله الا المودة في القربى
فقال سعيد بن جبير قربى ال محمد فقال ابن عباس عجلت ان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة فقال الا ان تصلوا ما بيني وبينكم من
القرابة فهذا قول وقيل القربى قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم اي لا اسالكم
اجرا الا ان تودوا قرابتي واهل بيتي كما امر باعطاهم سهم ذوي القربى وهذا قول
علي بن حسين وعمرو بن شعيب والسدي وفي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس
لما انزل الله تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قالوا يا رسول الله من
هولاء الذين نودهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ايضا ما روي عن علي رضي الله
عنه شكوت الى النبي صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال اما ترضى ان تكون
رابع اربعة اول من يدخل الجنة انا وانت والحسن والحسين وازواجنا عن ايماننا
وشمائلنا وذريتنا خلف ازواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على
من ظلم اهل بيتي واذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى احد من ولد عبد
المطلب ولم يجازه عليها اغدا اذا لقيني يوم القيامة وقال قتادة والحسن المعنى
الا ان تتوددوا الى الله وتتقربوا اليه بطاعته فالقربى على هذا بمعنى القربة يقال
قربة وقربى بمعنى كالزلفة والزلفى وروى قزعة بن سويد عن ابن ابي نجيح عن
مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا اسالكم على ما
اتيتكم به اجرا الا ان توادوا الله وتقربوا اليه بالطاعة وروى منصور وعوف عن
الحسن قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال تتوددون الى الله عز
وجل وتتقربون منه بطاعته وقال قوم الاية منسوخة وانما نزلت بمكة وكان
المشركون يوذون رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وامرهم
الله بمودة نبيه صلى الله عليه وسلم وصلة رحمه فلما هاجر اوته الانصار
ونصروه واراد الله ان يلحقه باخوانه من الانبيا حيث قالوا وما اسالكم عليه من
اجر ان اجري الا على رب العالمين فانزل الله تعالى قل ما سالتكم من اجر فهو
لكم ان اجري الا على الله فنسخت بهذه الاية وبقوله قل ما اسالكم عليه من اجر وما
انا من المتكلفين وقوله ام تسالهم خرجا فخراج ربك خير وقوله ام تسالهم اجرا فهم
من مغرم مثقلون قاله الضحاك والحسين بن الفضل ورواه جويبر عن الضحاك
عن ابن عباس قال الثعلبي وليس بالقوي وكفى قبحا بقول من يقول ان التقرب
الى الله بطاعته ومودة نبيه صلى الله عليه وسلم واهل بيته منسوخ وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على حب ال محمد جعل الله زوار قبره
الملايكة والرحمة ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة ومن مات
على بغض ال محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه ايس اليوم من رحمة الله
ومن مات على بغض ال محمد لم يرح رايحة الجنة ومن مات على بغض ال بيتي
فلا نصيب له في شفاعتي قال الشيخ القرطبي رحمه الله وذكر هذا الخبر الزمخشري
في تفسيره باطول من هذا فقال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
على حب ال محمد الا ومن مات على حب ال محمد مات مومنا مستكمل الايمان الا ومن
مات على حب ال محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير الا ومن مات على حب
ال محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها الا ومن مات على حب ال
محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة الا ومن مات على حب ال محمد جعل الله قبره
مزار ملايكة الرحمة الا ومن مات على حب ال محمد مات على السنة والجماعة قال
النحاس ومذهب عكرمة ليست بمنسوخة قال كانوا يصلون ارحامهم فلما بعث
النبي صلى الله عليه وسلم قطعوه فقال قل لا اسالكم عليه اجرا الا ان تودوني
وتحفظوني لقرابتي ولا تكذبوني قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا هو قول ابن

عباس

عباس في البخاري والشعبي عنه بعينه وعليه لا نسخ قال النحاس وقول الحسن
حسن ويدل على صحته الحديث المسند عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا
احمد بن محمد الازدي قال نا الربيع بن سليمان المرادي قال انا اسد بن موسى قال
نا قزعة وهو ابن سويد البصري قال نا عبد الله بن ابي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا اسالكم على ما اتيتكم به من البينات
والهدى اجرا الا ان توادوا الله جل وعز وان تتقربوا اليه بطاعته فهذا المبين عن
الله جل وعز قال هذا وكذا قالت الانبيا صلى الله عليهم ان اجري الا على الله
الثانية واختلفوا في سبب نزولها فقال ابن عباس لما قدم النبي صلى الله عليه
وسلم كانت تنوبه نوايب وحقوق لا يسعها ما في يديه فجمع له فقبلوا ثم اتوه
به فنزلت وقال الحسن نزلت حين تفاخرت الانصار والمهاجرون فقالت الانصار
نحن فعلنا وفخرت المهاجرون بقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم روى مقسم
عن ابن عباس قال سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطب فقال للانصار الم
تكونوا اذلا فاعزكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي الم تكونوا خايفين فامنكم
الله بي الا تردون علي فقالوا بم نجيبك قال تقولون الم يطردك قومك فاويناك
الم يكذبك قومك فصدقناك فعدد عليهم قال فجثوا على ركبهم فقالوا انفسنا
واموالنا لك فنزلت قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقال قتادة قال
المشركون لعل محمدا فيما يتعاطاه يطلب اجرا فنزلت هذه الاية ليحثهم على مودته
ومودة اقربائه قال الثعلبي وهذا اشبه بالاية لان السورة مكية قوله تعالى
ومن يقترف حسنة اي يكتسب واصل القرف الكسب يقال فلان يقرف لعياله اي يكسب
والاقتراف الاكتساب وهو ماخوذ من قولهم رجل قرفة اذا كان محتالا وقد مضى
في الانعام القول فيه وقال ابن عباس ومن يقترف حسنة قال المودة لال محمد
صلى الله عليه وسلم نزد له فيها حسنا اي نضاعف له الحسنة بعشر فصاعدا ان الله غفور
شكور قال قتادة غفور للذنوب شكور للحسنات وقال السدي غفور لذنوب
ال محمد عليه السلام شكور لحسناتهم قوله تعالى ام يقولون افترى على الله كذبا يعني
كفار قريش فقالوا ان محمدا اختلق الكذب على الله فان يشا الله يختم على قلبك قال
قتادة يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم الله انه لو افترى وانصل الكلام
بما قبل لان الله تعالى لما قال قل امنت بما انزل الله من كتاب فقال الله نزل
الكتاب بالحق قال انما ما للبينات ام يقولون افترى على الله كذبا يعني كفار قريش
قالوا ان محمدا اختلق الكذب على الله فان يشا الله يختم على قلبك قال قتادة
يطبع على قلبك فينسيك القران فاخبرهم الله انه لو افترى عليه لفعل بمحمد ما اخبرهم
به في هذه الاية وقال مجاهد ومقاتل ان يشا الله يربط على قلبك بالصبر
على اذاهم حتى لا يدخل قلبك مشقة من قولهم وقيل المعنى ان يشا يزل تمييزك
وقيل المعنى لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لطبع على قلبك قاله ابن عيسى
وقيل فان يشا الله يختم على قلوب الكفار وعلى السنتهم وعاجلهم بالعقاب
والخطاب له والمراد الكفار ذكره القشيري ثم ابتدا فقال ويمح الله الباطل قال
ابن الانباري يختم على قلبك تام وقال الكسائي فيه تقديم وتاخير مجازه والله
يمح الباطل فحذف منه الواو في المصحف وهو في موضع رفع كما حذفت من قوله
سندع الزبانية ويدع الانسان ولانه عطف على قوله يختم على قلبك وقال
الزجاج قوله ام يقولون افترى على الله كذبا وقوله ويمح الله الباطل احتجاج على
من انكر ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم اي لو كان ما اتى به النبي صلى الله عليه
وسلم اي لو كان ما اتى به باطلا لمحاه كما جرت به عادته في المفترين ويحق الحق اي الاسلام
فيثبته بكلماته اي بما انزل من القران انه عليم بذات الصدور اي بما في قلوب العباد
وقيل خاص والمعنى انك لو حدثت نفسك ان تفتري على الله كذبا لعلمه وطبع على

قلبك قوله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال بن عباس لما نزل قوله
تعالى قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى قال قوم في نفوسهم ما يريد الا ان
يحثنا على اقاربه من بعده فاخبر جبريل النبي صلى الله عليه وسلم وانهم قد اتهموه
فانزل ام يقولون افترى على الله كذبا الاية فقال القوم يا رسول الله فانا نشهد
انك صادق ونتوب فنزلت وهو الذي يقبل التوبة عن عباده قال بن عباس اي
عن اوليايه واهل طاعته والاية عامة وقد مضى الكلام في معنى التوبة واحكامها
وقد مضى هذا اللفظ في براة ويعفوا عن السيات اي عن الشرك قبل الاسلام ويعلم
ما يفعلون اي من الخير والشر وقرا حمزة والكساي وحفص وخلف بالتاء على الخطاب
وهي قراة بن مسعود واصحابه الباقون بالياء على الخبر واختاره ابو عبيد وابو حاتم
لانه بين خبرين الاول وهو الذي يقبل التوبة عن عباده والثاني ويستجيب
الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يقبل عبادة من اخلص له بقلبه واطاع ببدنه
وقيل يقبل مسالتهم اذا دعوه وقيل ويجيب دعا المومنين بعضهم لبعض يقال تاب
واستجاب بمعنى وقد مضى في البقرة وقال بن عباس ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات يشفعهم في اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعهم في اخوان اخوانهم
وقال المبرد معنى ويستجيب الذين امنوا الاجابة هكذا حقيقة معنى استفعل
فالذين في موضع رفع والكافرون لهم عذاب شديد قوله تعالى ولو بسط الله الرزق
لعباده لبغوا في الارض فيه مسيلتان الاولى في نزولها قيل انها نزلت في قوم من
اهل الصفة تمنوا سعة الرزق وقال خباب بن الارت فينا نزلت نظرنا الى اموال
بني النضير وقريظة وبني قينقاع فتمنيناها فنزلت ولو بسط معناه وسع وبسط الشي
نشره وبالصاد ايضا لبغوا في الارض طغوا وعصوا وقال بن عباس بغيهم طلبهم
منزلة بعد منزلة ودابة بعد دابة ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس وقيل اراد لو
اعطاهم الكثير لطلبوا ما هو اكثر منه لقوله لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى
لهما ثالث وهذا هو البغي وهو معنى قول بن عباس وقيل لو جعلناهم سواء في الرزق
لما انقاد بعضهم الى بعض ولتعطلت الصنايع وقيل اراد بالرزق المطر الذي هو
سبب الرزق اي لو ادام المطر لتشاغلوا به عن الدعا فيقبض تارة ليتضرعوا ويبسط
اخرى ليشكروا وقيل كانوا اذا اخصبوا اغار بعضهم على بعض فلا يبعد حمل البغي
على هذا الزمخشري لبغوا البغي وهو الظلم اي يبغي هذا على ذاك وذاك على هذا
لان الغنى مبطرة ماشرة وكفى بحال قرون عبرة ومنه قوله عليه السلام اخوف ما اخاف
على امتي زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمي ينبت بيننا • وبين بني رومان نبعا وشوحطا •

يعني انهم احرزوا لجدبوا انفسهم بالبغي والتفاني او من البغي وهو البذخ والكبر
اي لتكبروا في الارض وفعلوا ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد ولكن ينزل
بقدر ما يشا يجعل من يشا غنيا ومن يشا فقيرا الثانية قال علماونا افعال
الرب سبحانه لا تخلوا عن مصالح وان لم يجب على الله الاستصلاح فقد يعلم من
حال عبد انه لو بسط عليه قاداه ذلك الى الفساد فيزوي عنه الدنيا مصلحة له فليس
ضيق الرزق هوانا ولا توسعة الرزق فضيلة وقد اعطى قوما مع علمه بانهم
يستعملونه في الفساد ولو فعل بهم خلاف ما فعل لكانوا اقرب الى الصلاح والامر
على الجملة مفوض الى مشيته ولا يمكن التزام مذهب الاستصلاح في كل فعل من افعال
الله تعالى وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تبارك
وتعالى قال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة واني لاسرع شي الى نصرة
اوليايي واني لاغضب لهم كما يغضب الليث الحرد وما ترددت عن شي انا فاعله
ترددي في قبض روح عبدي يكره الموت وانا اكره اسايته ولا بد له منه وما تقرب
الي عبدي بمثل ادا ما افترضت عليه وما يزال عبدي المومن يتقرب الي بالنوافل

حتى احبه فاذا احببته كنت له سمعا وبصرا ولسانا ويدا ومويدا فان سالني اعطيته
وان دعاني اجبته وان من عبادي المومنين من يسالني الباب من العبادة واني
عليم لو اعطيته اياه لدخله العجب فافسده وان من عبادي المومنين لا يصلحه الا الغنى
ولو افقرته لافسده الفقر وان من عبادي المومنين من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته
لافسده الغنى واني لادبر عبادي لعلمي بقلوبهم فاني عليم خبير ثم قال انس اللهم اني من
عبادك المومنين من لا يصلحهم الا الغنى فلا تفقرني برحمتك قوله تعالى وهو
الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا قرا ابن كثير وبن محيصن وحميد ومجاهد وابو
عمرو ويعقوب وبن وثاب والاعمش وحمزة والكساي وينزل مخففا الباقون بالتشديد
وقرا ابن وثاب ايضا وغيرهما قنطوا بكسر النون وقد تقدم جميع هذا والغيث المطر
وسمي الغيث غيثا لانه يغيث الخلق وقد غاث الغيث الارض اي اصابها وغاث
الله البلاد يغيثها غيثا وغيثت الارض تغاث غيثا فهي ارض مغيثة ومغيوثة وعن
الاصمعي قال مررت ببعض قبايل العرب وقد مطروا فسالت عجوزا منهم كم اتاكم
المطر فقالت غثنا ما شينا غيثا اي مطرنا وقال ذو الرمة قاتل الله امة بني فلان
ما افصحها قلت لها كيف كان المطر عندكم فقالت غثنا ما شينا فذكر الاول الثعلبي والثاني
الجوهري وربما سمي السحاب والنبات غيثا والقنوط الاياس قاله قتادة وغيره قال
قتادة ذكر ان رجلا قال لعمر بن الخطاب امير المومنين قحط المطر وقل الغيث وقنط
الناس فقال مطرتم ان شا الله ثم قرا وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا
والغيث ما كان نافعا في وقته والمطر قد يكون ضارا ونافعا في وقته وغير وقته
قاله الماوردي وينشر رحمته قيل المطر وهو قول السدي وقيل ظهور الشمس بعد
المطر ذكره المهدوي وقال مقاتل نزلت في حبس المطر عن اهل مكة سبع سنين
حتى قنطوا ثم انزل الله المطر وقيل نزلت في الاعرابي الذي سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم المطر يوم الجمعة في خبر الاستسقا ذكره القشيري والله اعلم وهو الولي الحميد
الولي الذي ينصر اولياه الحميد المحمود بكل لسان قوله تعالى ومن اياته خلق
السموات والارض اي علاماته الدالة على قدرته وما بث فيهما من دابة قال مجاهد
يدخل في هذا الملايكة والناس وقد قال تعالى ويخلق ما لا تعلمون وقال
الفرا اراد وما بث في الارض دون السما كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان وانما يخرج
من الملح دون العذب وقال ابو علي تقديره وما بث في احدهما فحذف المضاف
وقوله يخرج منهما اي من احدهما وهو على جمعهم اي يوم القيامة اذا يشا قدير قوله
تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قرا نافع وبن عامر بما كسبت بغير فاء
الباقون بالفاء فيهما واختاره ابو عبيد وابو حاتم لكن زيادة في الحرف الاخر قال
المهدوي ان قدرت ان ما الموصولة جاز حذف الفا واثباتها والاثبات احسن وان
قدرتها التي للشرط لم يجز الحذف عند سيبويه واجازه الاخفش واحتج بقوله
تعالى وان اطعتموهم انكم لمشركون والمصيبة هنا الحدود على المعاصي قاله الحسن
وقال الضحاك ما تعلم رجل القران ثم نسيه الا بذنب قال الله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم ثم قال واي مصيبة اعظم من نسيان القران ذكره
ابن المبارك عن عبد العزيز بن ابي رواد عنه قال ابو عبيد انما هذا على الترك
فاما الذي هو دايب في تلاوته حريص على حفظه الا ان النسيان يغلبه فليس
من ذلك في شي ومما يحقق ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينسى الشي
من القران حتى يذكره من ذلك حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع
قراة رجل في المسجد فقال ماله رحمه الله لقد اذكرني ايات كنت انسيتها من سورة
كذا وكذا وقيل ما بمعنى الذي والمعنى الذي اصابكم فيما مضى بما كسبت ايديكم وقال
على رضي الله عنه هذه الاية ارجى اية في كتاب الله عز وجل واذا كان يكفر عني
بالمصايب ويعفوا عن كثير فاي شي بعد كفارته وعفوه وقد روي هذا المعنى مرفوعا

عنه رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله
حدثنا بها النبي صلى الله عليه وسلم ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية يا علي
ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم والله أكرم من أن يثني
عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا عنه في الدنيا فالله أحلم أن يعاقب به في الآخرة
بعد عفوه قال الحسن لما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من
اختلاج عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر إلا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وقال الحسن
دخلنا على عمران بن حصين فقال لابد أن أسئلك عما أرى بك من الوجع فقال عمران
يا أخي لا تفعل فوالله إني لأحب الوجع ومن أحبه كان أحب الناس إلى الله قال الله
تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فهذا مما كسبت يدي وعفو ربي عما بقي أكثر
وقال مرة الهمداني رأيت على كف شريح قرحة فقلت يا أبا أمية ما هذا قال هذا بما
كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال ابن عون إن محمد بن سيرين لما ركبه الدين اغتم لذلك
فقال إني لأعرف أصل هذا الغم هذا بذنب أصبته منذ أربعين سنة وقال أحمد بن
أبي الحواري قيل لأبي سليمان الداراني ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم فقال
لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم قال الله تعالى وما أصابكم من مصيبة
فبما كسبت أيديكم وقال عكرمة ما من نكبة أصابت عبدا فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله
ليغفره له إلا بها أو لينيل درجة لم يكن يوصل إليه إلا بها وروي أن رجلا قال لموسى
يا موسى سل الله لي في حاجة يقضيها لي هو أعلم بها ففعل موسى فلما نزل فإذا هو
بالرجل قد مزق السبع لحمه وقتله فقال موسى يا رب ما بال هذا فقال الله تعالى له
يا موسى إنه سألني درجة علمت أنه لا يبلغها بعمله فأصبته بما ترى لأجعلها وسيلة له في
نيل تلك الدرجة فكان أبو سليمان الداراني إذا ذكر هذا الحديث يقول سبحان من كان
قادرا على أن ينيله تلك الدرجة بلا بلوى ولكنه يفعل ما يشاء قال الشيخ القرطبي رحمه
الله ونظير هذه الآية في المعنى قوله تعالى من يعمل سوءا يجز به وقد مضى القول
فيه قال علماؤنا وهذا في حق المؤمنين فأما الكافر فعقوبته مؤخرة إلى الآخرة
وقيل هذا خطاب للكفار وكان إذا أصابهم شر قالوا هذا بشؤم محمد فرد عليهم وقال
بل ذلك بشؤم كفركم والأول أكثر وأظهر وأشهر قال ثابت البناني إنه كان يقال ساعات
الأذى يذهبن ساعات الخطايا ثم فيها قولان أحدهما أنها خاصة في البالغين أن
تكون عقوبة لهم وفي الأطفال أن تكون مثوبة لهم الثاني أنها عقوبة عامة للبالغين
في أنفسهم والأطفال في غيرهم من والد ووالدة ويعفو عن كثير أي عن كثير من المعاصي
ألا يكون عليها حدود وهو مقتضى قول الحسن وقيل أي يعفو عن كثير من العصاة
ألا يعجل عليهم بالعقوبة وما أنتم بمعجزين في الأرض أي بفائتين الله أي لن تعجزوه
ولن تفوتوه وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير تقدم في غير موضع قوله
تعالى ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام أي ومن آياته الدالة على قدرته
السفن الجارية في البحر كأنها من عظمها أعلام والأعلام الجبال وواحد الجوار
جارية قال الله تعالى إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية سميت جارية لأنها تجري
في الماء والجارية هي المرأة الشابة سميت بذلك لأنها يجري فيها ماء الشباب وقال
مجاهد الأعلام القصور واحدها علم ذكره الثعلبي وذكر الماوردي عن أنها الجبال
وقال الخليل كل شيء مرتفع عند العرب فهو علم قالت الخنساء ترثي أخاها صخرا
• وإن صخرا لتأتم الهداة به • كأنه علم في رأسه نار •
إن يشأ يسكن الرياح كذا قرأه أهل المدينة الرياح بالجمع فيظللن رواكد على ظهره
أي فتبقى السفن سواكن على ظهر البحر لا تجري ركد الماء ركودا سكن وكذلك الريح
والسفينة والشمس إذا قام قائم الظهيرة وكل ثابت في مكان فهو راكد وركد الميزان
استوى وركد القوم هدؤوا والمراكد المواضع التي يركد فيها الإنسان وغيره وقرأ
قتادة فيظللن بكسر اللام على أن يكون لغة مثل ظللت أظل وفتح اللام على اللغة

المشهورة

المشهورة إن في ذلك لآيات أي دلالات وعلامات لكل صبار شكور أي صبار على البلوى
شكور على النعماء قال قطرب نعم العبد الصبار الشكور الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي
صبر قال عون بن عبد الله
• فكم من منعم عليه غير شاكر • وكم من مبتلى غير صابر •
قوله تعالى أو يوبقهن بما كسبوا أي وإن يشأ يجعل الرياح عواصف فيوبق السفن أي
يغرقهن بذنوب أهلها ويعف عن كثير من أهلها قال يغرقهم معها حكاه الماوردي وقيل
ويعف عن كثير أي ويتجاوز عن كثير من الذنوب فينجيهم الله من الهلاك قال القشيري
والقراءة الفاشية ويعف بالجزم وفيها إشكال لأن المعنى إن يشأ يسكن الرياح فتبقى
تلك السفن رواكد ويهلكها بذنوب أهلها فلا يحسن عطف يعف على هذا لأنه يصير المعنى
إن يشأ يعف وليس المعنى ذلك بل المعنى الإخبار عن العفو من غير شرط المشيئة فهو
إذا عطف على المجزوم من حيث اللفظ لا من حيث المعنى وقد قرأ قوم ويعفو بالرفع وهي
جيدة في المعنى ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص يعني الكفار إذا توسطوا
البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله
ولا دافع لهم إذا أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة وقد مضى هذا المعنى في غير
موضع ومضى القول في ركوب البحر في البقرة وغيرها بما يغني عن إعادته وقرأ نافع
وابن عامر ويعلم بالرفع الباقون بالنصب فالرفع على الاستئناف بعد الشرط والجزاء كقوله
في سورة التوبة ويخزهم وينصركم عليهم ثم قال ويتوب الله على من يشاء رفعا ونظيره
في الكلام إن تأتني آتك وينطلق عبد الله أو على أنه خبر ابتداء محذوف والنصب على
الصرف كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين صرف من حال الجزم
إلى النصب استخفافا كراهية لتوالي الجزم كقول النابغة
• فإن يهلك أبو قابوس يهلك • ربيع الناس والبلد الحرام •
• ونمسك بعده بذناب عيش • أجب الظهر ليس له سنام •
وهذا معنى قول الفراء قال ولو جزم ويعلم جاز وقال الزجاج نصب على إضمار أن
لأن قبلها جزما تقول ما تصنع أصنع مثله وأكرمك وإن شئت قلت وأكرمك بالجزم
وفي بعض المصاحف وليعلم وهذا يدل على أن النصب بمعنى وليعلم أو لأن يعلم وقال
أبو علي والمبرد النصب بإضمار أن على أن يجعل الأول في تقدير المصدر أي ويكون
منه عفو وأن يعلم فلما حمله على الاسم أضمر أن كما تقول إن تأتني وتعطيني أكرمك فتنصب
تعطيني أي إن يكن منك إتيان وأن تعطيني ومعنى من محيص من فرار ومهرب قاله قطرب
السدي من ملجأ وهو مأخوذ من قولهم حاص به البعير حيصة إذا رمى به ومنه قولهم
فلان يحيص عن الحق أي يميل عنه قوله تعالى فما أوتيتم من شيء الآية يريد
من الغنى والسعة في الدنيا أي فإنما هو متاع في أيام قليلة تنقضي وتذهب فلا
ينبغي أن يتفاخر به والخطاب للمشركين وما عند الله خير وأبقى يريد الثواب
على الطاعة للذين آمنوا صدقوا ووحدوا وعلى ربهم يتوكلون نزلت في أبي بكر
الصديق رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله في طاعة الله فلامه الناس وجاء
في الحديث أنه أنفق ثمانين ألفا قوله تعالى والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش
وإذا ما غضبوا هم يغفرون فيه مسئلتان الأولى قوله تعالى والذين الذين في
موضع جر معطوف على قوله خير وأبقى للذين آمنوا أي وهو للذين يجتنبون
كبائر الإثم والواحد قد يراد به الجمع عند الإضافة كقوله وإن تعدوا نعمة الله وكما
جاء في الحديث درهمها وقفيزها الباقون بالجمع هنا وفي النجم والفواحش قال السدي
يعني الزنا قاله ابن عباس وقال كبير الإثم الشرك وقال قوم كبائر الإثم ما تقع
الصغائر مغفورة عند اجتنابها والفواحش داخلة في الكبائر ولكنها تكون أفحش
وأشنع كالقتل بالنسبة إلى الجرح والزنا بالنسبة إلى المراودة وقيل الفواحش والكبائر
بمعنى واحد فكرر لتعدد اللفظ أي يجتنبون المعاصي لأنها كبائر وفواحش وقال
مقاتل موجبات الحدود الثانية قوله تعالى وإذا ما غضبوا هم يغفرون أي يتجاوزون

ويحلمون عن ظلمهم وقيل نزلت في عمر حين شتم بمكة وقيل في ابي بكر حين لامه الناس
على انفاق ماله كله وحين شتم فحلم وعن علي رضي الله عنه قال اجتمع لابي بكر مال
مرة فتصدق به كله في سبيل الخير فلامه المسلمون وخطاه الكافرون فنزلت
وما اوتيتم من شيء الى قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وقال ابن عباس شتم رجل
من المشركين ابا بكر فلم يرد عليه شيا فنزلت الاية وهذه من محاسن الاخلاق يشفقون
على ظالمهم ويصفحون لمن جهل عليهم يطلبون بذلك ثواب الله تعالى وعفوه كقوله
تعالى في آل عمران والكاظمين الغيظ وهو ان يتناولك الرجل فتكظم غيظك عنه
وانشد بعضهم ٭ اني عفوت لظالمي ظلمي ٭ ووهبت له ذاك على علمي ٭
٭ مازال يظلمني وارحمه ٭ حتى بكيت له من الظلم ٭
قوله تعالى والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وامرهم شورى بينهم ومما
رزقناهم ينفقون فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى والذين استجابوا لربهم
واقاموا الصلاة قال عبد الرحمن بن زيد هم الانصار بالمدينة استجابوا الى الايمان
بالرسول حين انفذ اليهم اثني عشر نقيبا منهم قبل الهجرة واقاموا الصلاة اي ادوها لمواقيتها
بشروطها وهياتها الثانية قوله تعالى وامرهم شورى بينهم اي يتشاورون في
الشورى مصدر تشاور مثل البشرى والذكرى ونحوه فكانت الانصار قبل قدوم
النبي صلى الله عليه وسلم اذا ارادوا امرا تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله تعالى
به قاله النقاش وقال الحسن اي انهم لا يعجلون الى الراي في امورهم متفقون
لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم قال الحسن ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد
امورهم وقال الضحاك هو تشاورهم حين سمعوا بظهور رسول الله صلى الله عليه
وسلم وورود النقباء عليهم حتى اجتمع رايهم في دار ابي ايوب على الايمان به والنصرة
له وقيل تشاورهم فيما يعرض لهم فلا يستاثر بعضهم بخير دون بعض وقال
ابن العربي الشورى الفة الجماعة ومسبار للعقول وسبب الى الصواب وما
تشاور قوم قط الا هدوا وقد قال الحكيم ٭ اذا بلغ الراي المشورة فاستعن ٭ براي
لبيب او مشورة حازم ٭ ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ٭ مكان الخوافي نافع للقوادم
فمدح الله المشاورة في الامور بمدح القوم الذين كانوا يمتثلون ذلك وقد كان النبي
صلى الله عليه وسلم يشاور اصحابه في الاراء المتعلقة بمصالح الحروب وذلك في
الاراء كثير ولم يكن يشاورهم في الاحكام لانها منزلة من عند الله على جميع الاقسام
من الفرض والندب والمكروه والمباح والحرام واما الصحابة بعد استيثار الله تعالى
به علينا فكانوا يتشاورون في الاحكام ويستنبطونها من الكتاب والسنة واول
ما تشاور فيه الصحابة الخلافة فان النبي صلى الله عليه وسلم لم ينص عليها حتى
كان فيها بين ابي بكر والانصار ما سبق بيانه وقال عمر نرضى لدنيانا من رضيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وتشاوروا في اهل الردة فاستقر راي
ابي بكر على القتال وتشاوروا في الجد وميراثه وفي حد الخمر وعدده وتشاوروا
بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحروب حتى شاور عمر الهرمزان حين وفد
عليه مسلما في المغازي فقال له الهرمزان مثلها ومثل من فيها من الناس
من عدو المسلمين مثل طائر له ريش وله جناحان ورجلان فان كسر احد الجناحين
نهضت الرجلان بجناح والراس وان كسر الجناح الاخر نهضت الرجلان والراس
وان شدخ الراس ذهب الرجلان والجناحان والراس كسرى والجناح الواحد
قيصر والاخر فارس فمر المسلمين فلينفروا الى كسرى وذكر الحديث وقال بعض
العقلاء ما اخطات قط اذا حزبني امر شاورت قومي ففعلت الذي يرون فان
اصابوا فهم المصيبون وان اخطاوا فهم المخطئون الثالثة قد مضى في آل
عمران ما تضمنته الشورى عند قوله تعالى وشاورهم في الامر والمشورة بركة
والمشورة الشورى وكذلك المشورة بضم الشين تقول منه تشاورته في الامر

واستشرته

واستشرته بمعنى وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اذا كان امراؤكم خياركم واغنياؤكم سمحاءكم واموركم شورى بينكم فظهر الارض
خير لكم من بطنها واذا كان امراؤكم شراركم واغنياؤكم بخلاءكم واموركم الى نسائكم
فبطن الارض خير لكم من ظهرها قال حديث غريب قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون
اي ومما اعطيناهم يتصدقون وقد تقدم في البقرة قوله تعالى والذين اذا اصابهم
البغي هم ينتصرون الى قوله لمن عزم الامور فيه احدى عشرة مسالة الاولى قوله تعالى
والذين اذا اصابهم البغي اي اصابهم بغي المشركين قال ابن عباس وذلك ان المشركين
بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه واذوهم واخرجوهم من مكة
فاذن الله تعالى لهم بالخروج ومكن لهم في الارض ونصرهم على من بغى عليهم وذلك
قوله في سورة الحج اذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله الاية الذين اخرجوا الايات
كلها وقيل هو عام في كل بغي كل باغ من كافر وغيره اي اذا نالهم ظلم من ظالم لم يستسلموا
لظلمه وهذه اشارة الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقامة الحدود قال ابن العربي
ذكر الله الانتصار في البغي في معرض المدح وذكر العفو عن الجرم في موضع اخر في معرض
المدح فاحتمل ان يكون احدهما رافعا للاخر واحتمل ان يكون ذلك راجعا الى حالتين
احداهما ان يكون الباغي معلنا بالفجور وقحا في الجمهور موذيا للصغير والكبير فيكون
الانتقام منه افضل وفي مثله قال ابراهيم النخعي كانوا يكرهون ان يذلوا انفسهم
فتجترئ عليهم الفساق الثانية ان تكون الفلتة او يقع ذلك ممن يعترف بالزلة ويسال
المغفرة فالعفو ها هنا افضل وفي مثله نزلت وان تعفوا اقرب للتقوى وقوله
فمن تصدق به فهو كفارة له وقوله وليعفوا وليصفحوا الا تحبون ان يغفر الله لكم
قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا حسن وهكذا ذكر الكيا الطبري في احكامه
قال قوله تعالى والذين اذا اصابهم البغي هم ينتصرون يدل ظاهره على ان
الانتصار في هذا الموضع افضل الا ترى انه قرنه الى ذكر الاستجابة لله تعالى
واقامة الصلاة وهو محمول على ما ذكر ابراهيم النخعي انهم كانوا يكرهون للمؤمنين
ان يذلوا انفسهم فيجترئ عليهم الفساق فهذا فيمن تعدى واصر على ذلك والموضع
المامور فيه بالعفو اذا كان الجاني نادما مقلعا وقد قال عقيب هذه الاية ولمن
انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ويقتضي ذلك اباحة الانتصار لا الامر
به وقد عقبه بقوله ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور وهو محمول على الغفران
عن غير المصر فاما المصر على البغي والظلم فالافضل الانتصار منه بدلالة الاية
التي قبلها وقيل اي اذا اصابهم البغي تناصروا عليه حتى يزيلوه عنهم ويدفعوه
قاله ابن بحر وهو راجع الى العموم على ما ذكرنا الثانية قوله تعالى وجزاء سيئة
سيئة مثلها قال علماؤنا جعل الله المؤمنين صنفين صنف منهم يعفون عن الظالم
فبدا بذكرهم في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم
فبدا بذكرهم في قوله واذا ما غضبوا هم يغفرون وصنف ينتصرون من ظالمهم
حد الانتصار بقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فينتصرون ممن ظلمهم من غير ان يعتدي
قال مقاتل وهشام بن حجيرة هذا في المجروح ينتقم من الجارح بالقصاص دون غيره من
سب او شتم وقاله الشافعي وابو حنيفة وسفيان قال سفيان وكان ابن شبرمة
يقول ليس بمكة مثل هشام وتاول الشافعي في هذه الاية ان للانسان ان ياخذ
من مال من خانه مثل ما خانه بغير علمه واستشهد في ذلك بقول النبي
صلى الله عليه وسلم لهند زوج ابي سفيان خذي من ماله ما يكفيك وولدك فاجاز
لها ذلك بغير اذنه وقد مضى الكلام في هذا مستوفى في البقرة وقال ابن ابي نجيح
انه محمول على المقابلة من الجراح واذا قال اخزاه الله او لعنه الله ان يقول مثله
ولا يقابل القذف بقذف ولا الكذب بكذب وقال السدي قال انما مدح الله من
انتصر ممن بغى عليه من غير اعتداء بالزيادة على مقدار ما فعل به يعني كما كانت العرب

تفعله ويسمى الجزاء سيئة لانه في مقابلتها فالاول اساءة هذا في مال او بدن وهذا
الاقتصاص يسوءه بمثل ذلك ايضا وقد مضى هذا كله مستوفى الثالثة قوله تعالى فمن
عفا واصلح قال ابن عباس من ترك القصاص واصلح بينه وبين الظالم بالعفو فاجره
على الله اي الله يأجره على ذلك قال مقاتل فكان العفو من الاعمال الصالحة وقد مضى
في آل عمران في هذا ما فيه كفاية والحمد لله وذكر ابو نعيم الحافظ عن علي بن الحسين رضي
الله عنهم قال اذا كان يوم القيمة نادى مناد ايكم اهل الفضل فيقوم ناس من الناس
فيقال انطلقوا الى الجنة فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة قالوا
قبل الحساب قالوا نعم قالوا من انتم قالوا اهل الفضل قالوا وما كان فضلكم قالوا كنا
اذا جهل علينا حلمنا واذا ظلمنا صبرنا واذا اسيء علينا عفونا قال ادخلوا الجنة فنعم اجر
العاملين وذكر الحديث انه لا يحب الظالمين اي من بدأ بالظلم قاله سعيد بن جبير وقيل
لا يحب من يتعدى في الاقتصاص ويجاوز الحد قاله ابن عيسى الرابعة قوله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه اي المسلم اذا انتصر من الكافر فلا سبيل الى لومه بل يحمد على ذلك
مع الكافر ولا لوم ان انتصر الظالم من المسلم فالانتصار من الكافر حتم ومن المسلم مباح والعفو
مندوب الخامسة في قوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل دليل
على ان له ان يستوفي ذلك بنفسه وهذا ينقسم ثلاثة اقسام احدها ان يكون قصاصا
في بدن يستحقه آدمي فلا حرج عليه ان استوفاه من غير عدوان وثبت حقه عند
الحكام لكن يزجره الامام في تفرده بالقصاص لما فيه من الجراة على سفك الدم وان
كان حقه غير ثابت عند الحاكم فليس عليه فيما بينه وبين الله حرج وهو في الظاهر
مطالب وبفعله مواخذ ومعاقب والقسم الثاني ان يكون حق الله تعالى لا حق لادمي
فيه كحد الزنا وقطع السرقة فان لم يثبت ذلك عند حاكم اخذ به وعوقب عليه وان
ثبت عند حاكم نظر فان كان قطعا في سرقة سقط به الحد لزوال العضو المستحق قطعه
ولم يجب عليه في ذلك حق لان التعزير ادب وان كان جلدا لم يسقط به الحد لتعديه
به مع بقاء محله فكان ماخوذا بحكمه القسم الثالث ان يكون حقا في مال فيجوز
لصاحبه ان يغالب على حقه حتى يصل اليه ان كان من هو عالما به وان كان غير عالم
به نظر فان امكنه الوصول اليه عند المطالبة لم يكن له الا الاسترار باخذه وان
كان لا يصل اليه بالمطالبة لجحود من هو عليه من عدم بينة تشهد له ففي جواز استراره
باخذه مذهبان احدهما جوازه وهو قول مالك والشافعي الثاني المنع وهو
قول ابي حنيفة السادسة قوله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي
بعدوانهم عليهم في قول اكثر العلماء وقال ابن جريج اي يظلمونهم بالشرك المخالف لدينهم
ويبغون في الارض بغير الحق اي في النفوس والاموال في قول الاكثرين وقال
مقاتل بغيهم عملهم بالمعاصي وقال ابو مالك هو ما يرجوه كفار قريش ان يكون بمكة
غير الاسلام دينا وعلى هذا الحد قال ابن زيد ان هذا كله منسوخ بالجهاد وان هذا
للمشركين خاصة وقول قتادة انه عام وكذا يدل ظاهر الكلام وقد بيناه والحمد لله
السابعة قال ابن العربي هذه الاية في مقابلة الاية المتقدمة في براءة وهي قوله
ما على المحسنين من سبيل فكما نفى الله السبيل عمن احسن فكذلك بقاها على من ظلم واستوفى
بيان القسمين الثامنة واختلف علماؤنا في السلطان يضع على اهل بلد مالا
معلوما ياخذهم به ويؤدونه على قدر اموالهم هل لمن قدر على الخلاص من ذلك
ان يفعل وهو اذا تخلص اخذ سائر اهل البلد بتمام ما جعل عليهم فقيل لا وهو قول
سحنون من علمائنا وقيل نعم له ذلك ان قدر على الخلاص واليه ذهب ابو جعفر احمد بن
نصر الداودي ثم المالكي قال ويدل عليه قول مالك في الساعي ياخذ من احد
غنم الخلطاء شاة وليس في جميعها نصاب انها مظلمة على من اخذت له لا يرجع على اصحابه
بشيء قال ولست اخذ بما روي عن سحنون لان الظلم لا اسوة فيه ولا يلزم احدا ان يولج
نفسه في ظلم مخافة ان يضاعف الظلم على غيره والله سبحانه يقول انما السبيل على الذين

يظلمون الناس التاسعة واختلف العلماء في التحليل فكان ابن المسيب لا يحلل احدا من
عرض ولا مال وكان سليمان بن يسار ومحمد بن سيرين يحللان من العرض والمال ورأى
مالك التحليل دون العرض روى ابن القسم وابن وهب عن مالك وسئل عن قول
سعيد بن المسيب لا احلل احدا فقال ذلك يختلف فقلت له يا ابا عبد الله الرجل
يسلف الرجل فيهلك ولا وفاء له قال ارى ان يحلله وهو افضل عندي فان الله تعالى يقول
الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه فقيل له الرجل يظلم الرجل فقال لا ارى
ذلك وهو عندي مخالف للاول يقول الله تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس
ويقول تعالى ما على المحسنين من سبيل فلا ارى ان يجعله من ظلمه في حل قال ابن
العربي فصار في المسئلة ثلاثة اقوال احدها لا يحلله بحال قاله سعيد بن المسيب
الثاني يحلله قاله محمد بن سيرين الثالث ان كان مالا حلله وان كان ظالما لم يحلله
وهو قول مالك وجه الاول ان لا يحلل ما حرم الله فيكون كالتبديل لحكم الله ووجه
الثاني انه حقه فله ان يسقطه كما يسقط دمه وعرضه ووجه الثالث الذي اختاره مالك هو
ان الرجل اذا غلب على اداء حقك من الرفق به ان تحلله وان كان ظالما فمن الحق انك لا تتركه
لئلا تغتر الظلمة ويسترسلون في افعالهم القبيحة وفي صحيح مسلم حديث ابي اليسر الطويل
وفيه انه قال لغريمه اخرج الي فقد علمت اين انت فخرج فقال ما حملك على ان
اختبأت مني قال انا والله احدثك ثم لا اكذبك خشيت والله ان احدثك فاكذبك
وان اعدك فاخلفك وكنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت والله معسرا
قال قلت الله قال الله قال فاتى بصحيفته فمحاها فقال ان وجدت قضاء فاقض
والا فانت في حل وذكر الحديث قال ابن العربي وهذا في الحي الذي يرجى له الاداء
لسلامة الذمة ورجاء التحلل فكيف بالميت الذي لا محالة له ولا ذمة معه في التحلل
اذا حال فهو متحلل قال الجوهري العاشرة قال بعض العلماء ان من ظلم واخذ
له مال ولا ذمة فانما له ثوابه ما احتبس عنه الى موته ثم يرجع الثواب الى ورثته ثم
كذلك الى اخرهم لان المال يصير بعد الوارث قال ابو جعفر الداودي المالكي هذا صحيح
في النظر وعلى هذا القول ان مات الظالم قبل من ظلمه ولم يترك شيئا او ترك ما لم يعلم
وارثه فيه يظلم او تنتقل تباعة المظلوم الى ورثة الظالم لانه لم يبق للظالم ما يستوجبه
ورثة المظلوم الحادية عشر قوله تعالى ولمن صبر وغفر اي صبر على الاذى وغفر
ترك الانتصار لوجه الله وهذا فيمن ظلم مسلم وهو قول ابن زيد وقد تقدم وفي
تفسير ابن عباس ولمن انتصر بعد ظلمه يريد حمزة وعبيدة وعليا وجميع المهاجرين
رضوان الله عليهم فاولئك ما عليهم من سبيل يريد حمزة بن عبد المطلب وعبيدة
وعليا رضوان الله عليهم انما السبيل على الذين يظلمون الناس يريد عتبة بن
ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وابا جهل والاسود وكل من قاتل من
المشركين يوم بدر ويبغون في الارض يريدون بالظلم والكفر اولئك لهم عذاب
اليم يريد وجيع ولمن صبر وغفر يريد ابا بكر وعمر وابا عبيدة بن الجراح ومصعب
ابن عمير وجميع اهل بدر رضوان الله عليهم ان ذلك لمن عزم الامور حيث قبلوا الفداء
وصبروا على الاذى قوله تعالى ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده
هذا فيمن اعرض عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما دعاه اليه من الايمان بالله والمودة
في القربى ولم يصدقه في البعث وان متاع الدنيا قليل اي من اضله الله عن هذه
الاشياء فلا يهديه هاد قوله تعالى وترى الظالمين اي الكافرين لما راوا العذاب
يعني جهنم وقيل راوا العذاب عند الموت يقولون هل الى مرد من سبيل يريدون
ان يردوا الى الدنيا ليعملوا بطاعة الله تعالى فلا يجابون الى ذلك قوله تعالى
وتراهم يعرضون عليها اي على النار لانها عذابهم فكنى عن العذاب المذكور بحرف التانيث
لان ذلك العذاب هو النار وان شئت جهنم ولو راعى اللفظ لقال عليه ثم قيل هم
كون جميعا يعرضون على جهنم عند انطلاقهم اليها قاله الاكثرون وقيل آل فرعون خصوصا

تحبس ارواحهم في اجواف طير سود تغدوا على جهنم وتروح فهو عرضهم عليها قاله
ابن مسعود وقيل انهم عامة المشركين تعرض عليهم ذنوبهم في قبورهم وهذا
معنى قول ابي الحجاج خاشعين من الذل ذهب بعض القرا الى الوقف على خاشعين
وقوله من الذل متعلق بينظرون وقيل هو متعلق بخاشعين والخشوع الانكسار
والتواضع ومعنى ينظرون من طرف خفي اي لا يرفعون ابصارهم للنظر رفعا تاما لانهم
ناكسوا الروس والعرب تصف الذليل بغض الطرف كما يستعملون في ضده حديد النظر
اذا لم يتهم بريبة فيكون عليه منها غضاضة وقال مجاهد من طرف خفي اي ذليل
قال وانما ينظرون بقلوبهم لانهم يحشرون عميا وعين القلب طرف وقال قتادة
والسدي والقرظي وسعيد بن جبير يسارقون النظر من شدة الخوف وقيل المعنى
ينظرون من عين ضعيفة النظر وقال يونس من بمعنى البا اي ينظرون بطرف
خفي اي ضعيف من الذل والخوف ونحوه عن الاخفش وقال ابن عباس بطرف
ذابل ذليل وقيل اي يفزعون ان ينظروا اليها بجميع ابصارهم لما يرون من اصناف العذاب
وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اي يقول
المومنون في الجنة لما عاينوا ما حل بالكفار ان الخاسرين في الحقيقة ما صار اليه هولا
فانهم خسروا انفسهم لانهم في العذاب المخلد وخسروا اهليهم لان الاهل ان كان في النار
فلا انتفاع لهم وان كان في الجنة فقد حيل بينه وبينهم وقيل خسران الاهل انهم
لو امنوا لكان لهم اهل في الجنة من الحور العين وفي سنن ابن ماجه عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا له منزلان منزل في الجنة ومنزل
في النار فاذا مات فدخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم
الوارثون وقد تقدم وفي مسند الدارمي عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما من احد يدخله الله الجنة الا زوجه الله اثنين وسبعين زوجة من
الحور العين وسبعين من ميراثه من اهل النار ما منهن واحدة الا ولها قبل شهي وله
ذكر لا ينثني قال هشام بن خالد من ميراثه من اهل النار يعني رجالا دخلوا النار
فورث اهل الجنة نساوهم كما ورثت امراة فرعون الا ان الظالمين في عذاب مقيم اي
دايم لا ينقطع ثم يجوز ان يكون هذا من قول المومنين ويجوز ان يكون ابتدا من الله
تعالى قوله تعالى وما كان لهم من اوليا اي اعوانا ونصرا ينصرونهم من دون الله
اي من عذابه ومن يضلل الله فما له من سبيل اي طريق يصل به الى الحق في الدنيا
والجنة في الاخرة لانه قد سدت عليه طريق النجاة قوله تعالى استجيبوا لربكم
اي اجيبوا الى ما دعاكم اليه من الايمان به والطاعة استجاب واجاب بمعنى وقد
تقدم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يريد يوم القيمة لا يرده احد بعد ما حكم
الله به وجعله اجلا ووقتا ما لكم من ملجا اي من منجا يجيركم من العذاب وما لكم
من نكير اي ناصر ينصركم قاله مجاهد وقيل النكير بمعنى المنكر كالاليم بمعنى المولم
اي لا تجدون يومئذ منكرا لما ينزل بكم من العذاب حكاه ابن ابي حاتم وقاله الكلبي
الزجاج معناه انهم لا يقدرون ان ينكروا الذنوب التي يوقفون عليها وقيل اي انكار
لما ينزل بكم من العذاب والنكير والانكار تغيير المنكر قوله تعالى فان اعرضوا
اي عن الايمان فما ارسلناك عليهم حفيظا لاعمالهم حتى تحاسبهم عليها وقيل موكلا
بهم لا تفارقهم دون ان يومنوا اي ليس لك اكراههم على الايمان ان عليك الا البلاغ
وقيل نسخ هذا باية القتال وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة رخا وصحة
فرح بها بطر بها وان تصبهم سيئة بلا وشدة فان الانسان كفور اي لما تقدم من
النعمة فيعدد المصايب وينسى النعم قوله تعالى لله ملك السموات والارض
يخلق ما يشا فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى لله ما في السموات والارض ابتدا
وخبر يخلق ما يشا من الخلق يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور قال
عبيده وابو مالك ومجاهد والحسن والضحاك يهب لمن يشا اناثا لا ذكور او يهب لمن

يشا ذكورا لا اناث معهن وادخل الالف واللام على الذكور دون الاناث لانهم
اشرف فميزهم بسمة التعريف وقال واثلة بن الاسقع ان من يمن المراة تبكيرها
بالانثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى قال يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور
فبدا بالاناث او يزوجهم ذكرانا واناثا قال مجاهد هو ان تلد المراة غلاما ثم تلد جارية
ثم تلد غلاما ثم تلد جارية وقال محمد بن الحنفية هو ان تلد توما غلاما وجارية او
يزوجهم ذكرانا واناثا قال القتبي هاهنا التزويج هو الجمع بين البنين والبنات تقول
العرب زوجت ابلي اذا جمعت بين الصغار والكبار ويجعل من يشا عقيما اي لا يولد له
يقال رجل عقيم وامراة عقيم وعقمت المراة تعقم عقما مثل حمد يحمد وعقمت تعقم مثل
عظم يعظم واصله القطع ومنه الملك العقيم اي تقطع فيه الارحام بالقتل والعقوق
خوفا على الملك وريح عقيم لا يلقح فيها ولا شجرا ويوم القيمة يوم عقيم لانه لا يوم بعده
ويقال نسا عقم قال الشاعر ٭ عقم النسا فما يلدن شبيهه ٭ ان النسا بمثله عقم ٭
وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في الانبيا خصوصا وان عم حكمها وهب للوط البنات
ليس معهن ذكر ووهب لابراهيم الذكور ليس معهم انثى ووهب لاسماعيل واسحاق الذكور
والاناث وجعل عيسى ويحيى عقيمين ونحوه عن ابن عباس واسحاق بن بشر قال
بشر نزلت في الانبيا ثم عمت يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا عليه السلام لم يولد له ذكر
وانما ولد له ابنتان ويهب لمن يشا الذكور يعني ابراهيم لم يولد له انثى وولد له ثمانية
ذكور او يزوجهم ذكرانا واناثا يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد له اربع بنين
واربع بنات ويجعل من يشا عقيما يعني يحيى بن زكريا عليهم السلام لم يذكر عيسى ابن
العربي قال علماونا يهب لمن يشا اناثا يعني لوطا كان له بنات ولم يكن له ابن ويهب
لمن يشا الذكور يعني ابراهيم كان له بنون ولم يكن له بنات وقوله او يزوجهم ذكرانا
واناثا يعني ادم كانت حوا تلد كل بطن ولدين توامين ذكرا وانثى ويزوج الذكر من
هذا البطن من الانثى من البطن الاخر حتى احكم الله التحريم في شرع نوح عليه السلام
وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم كان له ذكور واناث من الاولاد القاسم والطيب والطاهر
وعبد الله وزينب وام كلثوم ورقية وفاطمة وكلهم من خديجة رضي الله عنها وابراهيم
وهو من مارية القبطية وكذلك قسم الله الخلق من لدن ادم الى زماننا الى ان تقوم
الساعة على هذا التقدير المحدود بحكمته البالغة ومشيته النافذة ليبقى النسل ويتمادى
الخلق وينفذ الوعد ويحق الامر وتعمر الدنيا وتاخذ الجنة وجهنم كل واحدة ما يملاها ويبقى
ففي الحديث ان النار لن تمتلي حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط واما الجنة
فيبقى منها فينشي الله لها خلقا اخر الثانية قال ابن العربي ان الله تعالى لعموم
قدرته وشديد قوته يخلق الخلق ابتدا من غير شي وبعظيم لطفه وبالغ حكمته يخلق
شيا من شي لا عن حاجة فانه قدوس عن الحاجات سلام عن الافات كما قال القدوس
السلام فخلق ادم من الارض وخلق حوا من ادم وخلق النشاة من بينهما منهما مرتبا
على الوطي كاينا عن الحمل موجودا في الجنين بالوضع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
اذا سبق ما الرجل ما المراة اذكرا واذا سبق ما المراة ما الرجل انثا وكذلك في الصحيح
ايضا اذا علا ما الرجل ما المراة اشبه الولد اعمامه واذا علا ما المراة ما الرجل اشبه الولد
اخواله قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا معنى حديث عايشة لا لفظه خرجه مسلم
من حديث عروة بن الزبير عنها ان امراة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم هل تغتسل
المراة اذا احتلمت وابصرت الما فقال نعم فقالت لها عايشة تربت يداك والت قالت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعيها وهل يكون الشبه الا من قبل ذلك اذا علا ماوها
ما الرجل اشبه الولد اخواله واذا علا ما الرجل ماها اشبه الولد اعمامه قال علماونا
فعلى مقتضى هذا الحديث ان العلو يقتضي الشبه وقد جا في حديث ثوبان خرجه
مسلم ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لليهودي ما الرجل ابيض وما المراة اصفر
فاذا اجتمعا فعلى مني الرجل اذكرا باذن الله واذا علا مني المراة مني الرجل انثا باذن الله

الحديث يحمل في هذا الحديث ايضا العلو بمقتضي الذكورة والانوثة فعلي مقتضى
الحديثين يلزم اقتران الشبه للاعمام والذكورة ان علا مني الرجل وكذلك يلزم ان علا
مني المراة اقتران الشبه للاخوال والانوثة للاخوال معلولة علة واحدة وليس
الامر كذلك بل الوجود بخلاف ذلك لانا نجد الشبه للاخوال والذكورة والشبه للاعمام
والانوثة فتاول متعين تاويل الحديثين والذي يتعين تاويله والذي في حديث
ثوبان فيقال ان ذلك العلو معناه سبق الما الي الرحم ووجهه ان العلو لما كان معناه
الغلبة من قولهم سابقني فلان فسبقته اي غلبته ومنه قوله تعالي وما نحن بمسبوقين
اي بمغلوبين قيل عليه علا ويويد هذا التاويل قوله في الحديث اذا سبق ما الرجل
ما المراة اذكرا واذا سبق ما المراة ما الرجل انثى وقد بني القاضي ابو بكر بن العربي
علي هذه الاحاديث بنا فقال ان للماين اربعة احوال الاول ان يخرج ما الرجل اولا الثاني
ان يخرج ما المراة اولا الثالث ان يخرج ما الرجل اولا ويكون اكثر الرابع ان يخرج ما
المراة اولا ويكون اكثر ويتم التقسيم بان يخرج ما الرجل اولا ثم يخرج ما المراة بعده
ويكون اكثر او بالعكس فاذا خرج ما الرجل اولا وكان اكثر جا الولد ذكرا بحكم السبق
وشبه الولد اعمامه بحكم الكثرة وان خرج ما المراة اولا وكان اكثر جا الولد انثى بحكم
السبق واشبه اخواله بحكم الغلبة وان خرج ما الرجل اولا لكن لما خرج ما المراة
بعده كان اكثر كان الولد ذكرا بحكم السبق واشبه اخواله بحكم غلبة ما المراة وان
سبق ما المراة لكن لما خرج ما الرجل كان اعلي من ما المراة كان الولد انثى بحكم سبق
ما المراة واشبه اعمامه بحكم غلبة ما الرجل قال وبانتظام هذه الاقسام يستتب
الكلام ويرتفع التعارض عن الاحاديث فسبحان الخالق العليم الثالثة قال علماونا
كانت الخلقة مستمرة ذكرا وانثى الي ان وقع في الجاهلية الاولي الخنثى فاتي به فريض
العرب ومعمرها عامر بن الظرب فلم يدر ما يقول فيه فلما جن عليه الليل تنكر موضعه
واقض عليه مضجعه وجعل يتقلب ويتقلب ويجي به الافكار وتذهب الي ان انكرت
خادمه حاله فقالت ما بك قال لها سهرت لامر قصدت فيه فلم ادر ما اقول فيه فقالت
ما هو قال لها رجل له ذكر وفرج كيف يكون حاله في الميراث قالت له الامة ورثه من
حيث يبول فعقلها واصبح فعرضها عليهم وانقلبوا بها راضين وجا الاسلام علي
ذلك فلم تنزل الا في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم علي رضي الله عنه فقضي
فيها وقد روي الفرضيون عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه سيل عن مولود له قبل وذكر من اين يورث قال من حيث يبول
وروي انه اتي بخنثى من الانصار فقال ورثوه من اول ما يبول وكذا روي محمد
ابن الحنفية عن علي ونحوه عن ابن عباس وبه قال ابن المسيب وابو حنيفة وابو
يوسف ومحمد وحكاه المزني عن الشافعي وقال قوم لا دلالة في البول فان خرج
البول منهما جميعا قال ابو يوسف يحكم له بالاكثر وانكره ابو حنيفة وقال اتكيله ولم
يجعل اصحاب الشافعي للكثرة حكما وحكي عن علي والحسن انهما قالا تعد اضلاعه
فان المراة تزيد علي الرجل بضلع واحد وقد مضي ما للعلما في هذا في اية المواريث
في النسا مجودا والحمد لله الرابعة قال القاضي ابو بكر بن العربي وقد انكر قوم
من روس العوام وجود الخنثى لان الله تعالي قسم الخلق الي ذكر وانثى قلنا هذا
جهل باللغة وغباوة عن مقطع الفصاحة وقصور عن معرفة سعة القدرة اما
قدرة الله سبحانه فانه واسع عليم واما ظاهر القران فلا ينفي وجود الخنثى لان
الله تعالي قال لله ملك السموات والارض يخلق ما يشا فهذا عموم مدح فلا يجوز
تخصيصه لان القدرة تقتضيه واما قوله يهب لمن يشا اناثا ويهب لمن يشا الذكور
او يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشا عقيما فهذا اخبار عن الغالب في الموجودات
وسكت عن ذكر النادر لدخوله تحت عموم الكلام الاول والوجود يشهد له والعيان
يكذب منكره وقد كان يقرا معنا برباط ابي سعيد علي الامام الشهيد من بلاد المغرب

حنثى

خنثى ليس له لحية وله ثديان وعنده جارية فربك اعلم به ومع طول الصحبة عقلني
الحيا عن سواله وبودي اليوم لو كاشفته عن حاله قوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا فيه ثلاث مسايل الاولي قوله تعالي وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
سبب ذلك ان اليهود قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم الا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت
نبيا كما كلمه موسي ونظر اليه فانا لن نومن لك حتي تفعل ذلك فقال النبي صلي الله
عليه وسلم ان موسي لم ينظر اليه فنزلت قوله الا وحيا ذكره النقاش والواحدي والثعلبي
وحيا قال مجاهد نفث ينفث في قلبه فيكون الهاما ومنه قوله عليه السلام ان روح
القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتي تستكمل رزقها واجلها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب خذوا ما حل ودعوا ما حرم او من وراء حجاب كما كلم موسي او يرسل رسولا كارساله
جبريل عليه السلام وقيل الا وحيا رويا يراها في المنام قاله زهير بن محمد او من وراء حجاب
قال زهير كما كلم موسي او يرسل رسولا قال زهير هو جبريل عليه السلام فيوحي باذنه
ما يشا وهذا الوحي من الرسل خطاب منهم الانبيا يسمعونه نطقا ويرونه عيانا
وهكذا كانت حال جبريل اذا نزل بالوحي علي النبي صلي الله عليه وسلم قال ابن عباس
نزل جبريل علي كل نبي فلم يره منهم الا محمد وعيسي وموسي وزكريا عليهم السلام فاما غيرهم
فكان وحيا الهاما في المنام وقيل الا وحيا بارسال جبريل او من وراء حجاب كما كلم موسي
او يرسل رسولا الي الناس كافة وقرا الزهري وشيبة ونافع او يرسل رسولا فيوحي باذنه
برفع الفعلين الباقون بنصبهما فالرفع علي الاستيناف اي وهو يرسل وقيل يرسل بالرفع في موضع
الحال والتقدير الا موحيا او مرسلا ومن نصب عطفه علي محل الوحي لان معناه وما كان
لبشر ان يكلمه الله الا ان يوحي او يرسل ويجوز ان يكون النصب علي تقدير حذف الجار
من ان المضمرة ويكون في موضع الحال التقدير او بان يرسل رسولا ولا يجوز ان يعطف
او يرسل بالنصب علي ان يكلم لفساد المعني لانه يصير ما كان لبشر ان يرسله او ان يرسل
اليه رسولا وهو قد ارسل الرسل من البشر وارسل اليهم الثانية احتج بهذه الاية من
راي فيمن حلف ان لا يكلم رجلا فارسل اليه رسولا انه حانث لان المرسل قد سمي فيها
مكلما للمرسل اليه الا ان ينوي المواجهة بالخطاب قال ابن المنذر واختلفوا في الرجل
ان لا يكلم فلانا وكتب اليه كتابا او ارسل اليه رسولا فقال الثوري الرسول ليس بكلام
وقال الشافعي لا يبين ان يحنث وقال النخعي والحكم في الكتاب يحنث وقال مالك
يحنث في الكتاب والرسول وقال مرة الرسول اسهل من الكتاب وقال ابن المنذر
لا يحنث في الكتاب والرسول قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهو قول مالك قال
ابو عمر ومن حلف ان لا يكلم رجلا فسلم عليه عامدا او ساهيا او سلم علي جماعة هو فيهم
حنث في ذلك كله عند مالك وان ارسل اليه رسولا وسلم عليه في الصلاة لم يحنث قال
الشيخ القرطبي رحمه الله يحنث في الرسول الا ان ينوي المشافهة وهو قول مالك وابن الماجشون
وقد مضي في اول مريم هذا المعني عن علماينا والحمد لله قوله تعالي وكذلك اوحينا
اليك روحا من امرنا فيه اربع مسايل الاولي قوله تعالي وكذلك اوحينا اليك
اي فكالذي اوحينا الي الرسل كذلك اوحينا اليك روحا اي نبوة قاله ابن عباس الحسن
وقتادة رحمة من عندنا السدي وحيا الكلبي كتابا الربيع هو جبريل الضحاك هو
القران وهو قول مالك بن دينار وسماه روحا لان فيه حياة من موت الجهل وجعله
من امره بمعني امرنا بانزاله علي من نشا من النظم المعجز والتاليف المعجب ويمكن
ان يحمل قوله ويسالونك عن الروح علي القران ايضا قل الروح من امر ربي اي يسالونك
من اين لك هذا القران قل انه من امر الله انزله علي معجزا ذكره القشيري وكان مالك
ابن دينار يقول يا اهل القران ماذا زرع القران في قلوبكم فان القران ربيع القلوب
كما ان الغيث ربيع الارض الثانية ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي لم تكن
تعرف طريق الي الايمان وظاهر هذا يدل علي انه ما كان قبل الايحا متصفا بالايمان
قال القشيري وهو من مجوزات العقول والذي صار اليه المعظم ان الله ما بعث نبيا

الايمان مومنا به قبل البعثة وبعده تحكم الان بثبت ذلك بتوقيف مقطوع به قال
القاضي ابو الفضل عياض واما عصمتهم من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف
والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شي من
ذلك وقد تعاضدت الاخبار والاثار عن الانبيا بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا
ونشاتهم على التوحيد والايمان على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة
ومن طالع سيرهم منذ صباهم الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال موسى وعيسى ويحيى
وسليمان وغيرهم عليهم السلام قال الله تعالى واتيناه الحكم صبيا قال المفسرون
اعطي يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه قال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان الا تلعب فقال ما للعب خلقت وقيل هو في قوله مصدقا بكلمة
من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلاث سنين فشهد له انه كلمة الله وروحه
وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني اجد ما في بطني يسجد
لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى لامه عند ولادتها اياه بقوله
لا تحزني على قراة من قرا من تحتها وعلى قول من قال ان المنادي عيسى ونص
على كلامه في مهده فقال اني عبد الله اتاني الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها
سليمان وكلا اتينا حكما وعلما وقد ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة
المرجوم وفي قصة الصبي ما اقتدى به ابوه داود وحكى الطبري ان عمره كان حين
اوتي الملك اثني عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو
طفل وقال المفسرون في قوله ولقد اتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل ابداء خلقه وقال بعضهم
لما ولد ابراهيم بعث الله اليه ملكا يامره عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره
بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده وقيل ان القا ابراهيم في النار
ومحنته كانت وهو ابن ست عشرة سنة وان ابتلا اسحاق بالذبح وهو ابن
سبع سنين وان استدلال ابراهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن
خمسة عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه
في الجب بقوله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الاية الى غير ذلك من
اخبارهم وقد حكى اهل السير ان امنة بنت وهب اخبرت ان نبينا محمدا صلى الله
عليه وسلم حين ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه الى السما وقال في حديثه
صلى الله عليه وسلم لما نشات بغضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشي مما كانت
الجاهلية تفعله الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف
نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا
باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة
ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اتيناه حكما وعلما قال
القاضي ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا نبي واصطفي ممن عرف بكفر
واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم ان القلوب
تنفر عمن كانت هذه سبيله قال القاضي وانا اقول قريشا قد رمت نبينا عليه
السلام بكل ما افترته كفار الامم انبياها بكل ما امكنها واختلقته مما نص الله عليه
او نقلته الينا الرواة ولم نجد في شي من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه الهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين
وبتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل
افظع واقطع في الحجة من توبيخه بنهيهم عن ترك الهتهم وما كان يعبد اباوهم
من قبل ففي اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان
لنقل وما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها كما حكاه الله عنهم الثالثة وتكلم العلما في نبينا محمد صلى الله عليه

وسلم هل كان متعبدا بدين قبل الوحي ام لا فمنهم من قال ذلك مطلقا واحاله
عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا على هذا على التحسين
والتقبيح وقالت طايفة اخرى بالوقف في امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه
بشي من ذلك اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان عندها في احدهما طريق
النقل وهذا مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان متعبدا بشرع من
قبله وعاملا به اختلف هولا في التعيين فذهبت طايفة الى انه كان على دين عيسى
فانه ناسخ لجميع الاديان والملل قبلها فلا يجوز ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم
على دين منسوخ وذهبت طايفة الى انه كان على دين ابراهيم لانه من ولده وهو ابو
الانبيا وذهبت طايفة الى انه كان على دين موسى لانه اقدم الاديان وذهبت
المعتزلة الى انه لابد ان يكون على دين ولكن عين الدين غير معلومة عنده وقد
ابطل هذه الاقوال كلها ايمتنا اذ هي اقوال متعارضة وليس فيها دلالة قاطعة وان
كان العقل يجوز كل ذلك والذي يقطع به انه عليه السلام لم يكن منسوبا الى واحد
من الانبيا نسبة تقتضي انه يكون واحدا من امته ومخاطبة بكل شريعته بل شريعته
مستقلة بنفسها منشية من عند الله الحاكم جل وعز وانه صلى الله عليه وسلم كان
مومنا بالله عز وجل ولا سجد لصنم ولا اشرك بالله ولا زنى ولا شرب الخمر ولا شهد
السامر ولا حضر حلف المطر ولا حلف المطيبين بل نزهه الله وصانه عن ذلك فان قيل
فقد روى عثمان بن ابي شيبة حديثا بسنده عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يشهد مع المشركين مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب
حتى تقوم خلفه فقال الاخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد فالجواب ان هذا الحديث انكره الامام احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او
شبيه بالموضوع وقال الدارقطني ان عثمان وهم في اسناده والحديث بالجملة
منكر غير متفق على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبي صلى الله عليه وسلم
خلافه عند اهل العلم من قوله بغضت الي الاصنام وقوله في قصة بحيرا حين استحلف
النبي صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام في سفرته مع عمه ابي
طالب وهو صغير وراى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم لا تسالني بهما فوالله ما ابغضت شيا قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله
الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك المعروف من سيرته عليه
السلام وتوفيق الله اياه له انه كان قبل نبوته يخالف المشركين في وقوفهم
بمزدلفة في الحج وكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فان
قيل فقد قال الله تعالى بل ملة ابراهيم وقال ان اتبع ملة ابراهيم وقال شرع لكم
من الدين الاية وهذا يقتضي ان يكون متعبدا بشرع فالجواب ان ذلك فيما لا تختلف
فيه الشرايع من التوحيد واقامة الدين على ما تقدم بيانه في غير موضع وفي
هذه السورة عند قوله شرع لكم من الدين والحمد لله الرابعة اذا تقرر هذا فاعلم
ان العلما اختلفوا في تاويل قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان
فقال جماعة معنى الايمان في هذه الاية شرايع الايمان ومعالمه ذكره الثعلبي
وقيل تفاصيل هذا الشرع اي كنت غافلا عن هذه التفاصيل ويجوز اطلاق لفظ
الايمان على تفاصيل الشرع ذكره القشيري وقيل ما كنت تدري قبل الوحي ان تقرا
القران ولا انه تدعو الخلق الى الايمان ونحوه عن ابي العالية وقال بكر القاضي
ولا الايمان الذي هو الفرايض والاحكام قال وكان قبل مومنا بتوحيده ثم نزلت
الفرايض التي لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا وهذه الاقوال الاربعة
متقاربة وقال ابن خزيمة عنى بالايمان الصلاة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع
ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس فيكون اللفظ عاما والمراد الخصوص وقال
الحسين بن الفضل اي ما كنت تدري ما الكتاب ولا اهل الايمان وهو من باب حذف

المضاف اي من الذي يومن ابوطالب او العباس او غيرهما وقيل ما كنت تدري شيئا اذ
كنت في المهد وقبل البلوغ وحكى الماوردي نحوه عن علي بن عيسى قال ما كنت تدري
ما الكتاب لولا الرسالة ولا الايمان لولا البلوغ وقيل ما كنت تدري ما الكتاب لولا
انعامنا عليك ولا الايمان لولا هدايتنا لك وهو محتمل وفي هذا الايمان وجهان احدهما
انه الايمان بالله وهذا يعرفه بعد بلوغه وقبل نبوته الثاني انه دين الاسلام
وهذا لا يعرفه الا بعد النبوة قال الشيخ القرطبي رحمه الله الصحيح انه عليه السلام
كان مومنا بالله عز وجل من حين نشا الى حين بلوغه على ما تقدم وقيل ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان اي كنت من قوم اميين لا يعرفون الكتاب ولا الايمان حتى تكون
قد اخذت ما جيتهم به عمن كان يعلم ذلك منهم وهو كقوله تعالى ما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون روي معناه عن ابن عباس ولكن
جعلناه قال ابن عباس والضحاك يعني الايمان السدي القران وقيل الوحي اي جعلنا
هذا الوحي نورا نهدي به من نشا اي من نختاره للنبوة كقوله يختص برحمته من
يشا ووحد الكناية لان الفعل في كثرة اسمايه بمنزلة الفعل في الاسم الواحد الا تري
انك تقول اقبالك وادبارك يعجبني فتوحدوهما اثنان وانك لتهدي اي تدعو وترشد
الى صراط مستقيم دين قويم لا اعوجاج فيه وقال علي الى كتاب مستقيم وقرا عاصم
الجحدري وحوشب وانك لتهدي على ما لم يسم فاعله وفي قراة ابي وانك لتدعو قال
النحاس وهذا لا يقرا به لانه مخالف للسواد وانما يحمل ما كان مثله على انه من قايله
على جهة التفسير قال سفيان في قوله عز وجل وانك لتهدي اي لتدعوا وروي معمر
عن قتادة في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم ولكل قوم هاد صراط الله بدل
من الاول بدل المعرفة من النكرة قال علي هو القران وقيل الاسلام النواس بن
سمعان عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي له ما في السموات وما في الارض ملكا
وعبدا وخلقا الا الى الله تصير الامور وعيد بالبعث والجزا قال سهل بن ابي
الجعد احترق مصحف فلم يبق منه الا قوله الا الى الله تصير الامور وغرق مصحف فانمحي
كله الا قوله الا الى الله تصير الامور

سورة الزخرف

مكية باجماع وقال مقاتل الا قوله واسيل من ارسلنا من قبلك من رسلنا وهي
تسع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب المبين تقدم الكلام فيه وقيل حم قسم والكتاب
المبين قسم ثان ولله ان يقسم بما شا والجواب انا جعلناه وقال ابن الانباري
من جعل جواب والكتاب حم كما تقول نزل والله وجب والله وقف على الكتاب
المبين ومن جعل جواب القسم انا جعلناه لم يقف على الكتاب المبين ومعنى
جعلناه اي سميناه ووصفناه ولذلك تعدى الى مفعولين كقوله ما جعل الله من
بحيرة وقال السدي انزلناه قرانا مجاهد قلناه الزجاج وسفيان الثوري
بيناه عربيا اي انزل بلسان العرب لان كل نبي انزل كتابه بلسان قومه قاله
سفيان الثوري وغيره وقال مقاتل لان لسان اهل السما عربي وقيل المراد بالكتاب
جمع الكتب المنزلة على الانبيا لان الكتاب اسم جنس فكانه اقسم بجميع ما انزل
من الكتب انه جعل القران عربيا والكناية في قوله جعلناه ترجع الى القران
وان لم يجر له ذكر في هذه السورة كقوله انا انزلناه في ليلة القدر لعلكم تعقلون
اي تفهمون احكامه ومعانيه فعلى هذا القول يكون خاصا للعرب دون العجم
قاله ابن عيسى وقال ابن زيد المعنى لعلكم تتفكرون فعلى هذا يكون خطابا
عاما للعرب والعجم ونعت الكتاب بالمبين لان الله بين فيه احكامه وفرايضه على ما تقدم
في غير موضع قوله تعالى وانه في ام الكتاب يعني القران في اللوح المحفوظ لعلي

حكيم اي رفيع محكم لا يوجد فيه اختلاف ولا تناقض قال الله تعالى وانه لقران
كريم في كتاب مكنون وقال بل هو قران مجيد في لوح محفوظ وقال ابن جريج
المراد اعمال الخلق من ايمان وكفر وطاعة ومعصية لعلي اي رفيع عن ان ينال فيبدل
حكيم اي محفوظ من نقص او تغيير وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره
ان يكتب ما يريد ان يخلق فالكتاب عنده ثم قرا وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم
وكسر الهمزة من ام الكتاب حمزة والكسايي وضم الباقون وقد تقدم قوله تعالى
افنضرب عنكم يعني القران عن الضحاك وغيره وقيل المراد بالذكر العذاب اي افنضرب
عنكم العذاب ولا نعاقبكم على اسرافكم وكفركم قاله مجاهد وابو صالح والسدي ورواه
العوفي عن ابن عباس وقال ابن عباس المعنى افحسبتم ان نصفح عنكم العذاب ولما
تفعلوا ما امرتم به وعنه ايضا ان المعنى اتكذبون بالقران ولا تعاقبون مجاهد وابو
صالح والسدي وقال السدي ايضا افنترككم المعنى سدي فلا نامركم ولا ننهاكم وقال
قتادة المعنى افنهلككم ولا نامركم ولا ننهاكم وعنه ايضا افنمسك عن انزال القران
من قبل انكم لا تومنون فلا ننزله عليكم وقال ابن زيد قال قتادة والله لو كان هذا
القران رفع حين رده اوايل هذه الامة لهلكوا ولكن الله كرره عليهم برحمته وقال
الكسايي افنطوي عنكم الذكر طيا فلا توعظون ولا تومرون وقيل الذكر التذكير فكانه
قال افنترك تذكيركم لانكم كنتم قوما مسرفين في قراة من فتح ومن كسرها جعلها للشرط
وما قبلها جوابا لها لان لم تعمل في اللفظ ونظيره وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مومنين
وقيل الجواب محذوف دل عليه ما تقدم كما تقول انت ظالم ان فعلت ومعنى الكسر
عند الزجاج للحال لان في الكلام معنى التقرير والتوبيخ ومعنى صفحا اعراضا يقال
صفحت عن فلان اذا اعرضت عن ذنبه وقد ضربت عنه صفحا اذا اعرضت عنه وتركته
والاصل فيه صفحة العنق يقال اعرضت عنه اي وليته صفحة عنقي قال الشاعر

صفوحا فما تلقاك الا بخيلة ۝ فمن مل منها ذلك الوصل ملت

وانتصب صفحا على المصدر لان معنى افنضرب افنصفح وقيل التقدير افنضرب
عنكم الذكر صافحين كما يقال جا فلان مشيا ومعنى مسرفين مشركين واختار ابو
عبيد الفتح في ان وهي قراة ابن كثير وابي عمرو وعاصم وابن عامر قال لان الله عاتبهم
على ما كان منهم وعلمه قبل ذلك من فعلهم قوله تعالى وكم ارسلنا من نبي في
الاولين كم هاهنا خبرية والمراد بها التكثير والمعنى ما اكثر ما ارسلنا من الانبيا
قال كم تركوا من جنات وعيون اي ما اكثر ما تركوا وما ياتيهم من نبي اي لم يكن ياتيهم
نبي الا كانوا به يستهزون كاستهزا قومك بك يعزي نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
ويسليه فاهلكنا اشد منهم بطشا اي قوما اشد منهم قوة ترجع الى المشركين المخاطبين
بقوله افنضرب عنكم الذكر صفحا فكنى عنهم بعد ان خاطبهم واشد نصب على الحال
وقيل هو مفعول اي فقد اهلكنا اشد واقوى من هولا المشركين في ابدانهم
واتباعهم ومضى مثل الاولين اي عقوبتهم عن قتادة وقيل صفتهم والاولين وخبرهم
بانهم اهلكوا على كفرهم حكاه النقاش والمهدوي والمثل الوصف والخبر قوله
تعالى ولين سالتهم يعني المشركين من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن
العزيز العليم فاقروا له بالخلق والايجاد ثم عبدوا معه غيره جهلا منهم بكمال القدرة
وهذا ابتدا اخبار عنه عن نفسه ولو كان هذا اخبارا عن قول الكفار لقال
الذي جعل لنا الارض مهادا فراشا وبساطا وقد تقدم وقرا الكوفيون مهدا وجعل
لكم فيها سبلا اي معايش وقيل طرقا لتسلكوا منها الى حيث اردتم لعلكم تهتدون
فتستدلوا بمقدوراته على قدرته وقيل لعلكم تهتدون في اسفاركم قاله ابو عيسى
وقيل لعلكم تعرفون نعمة الله عليكم قاله سعيد بن جبير وقيل تهتدون الى معايشكم
قوله تعالى والذي نزل من السما ما بقدر قال ابن عباس اي لا كما انزل على
قوم نوح بغير قدر حتى اغرقهم بل هو بقدر لا طوفان مغرق ولا قاصر عن الحاجة حتى

يكون معاشا لكم ولانعامكم فانشرنا اي احيينا به اي بالما بلدة ميتا اي مقفرة
من النبات كذلك تخرجون اي من قبوركم لان من قدر على هذا قدر على ذلك
وقد مضى في الاعراف مجودا وقرا يحيى بن وثاب والاعمش وحمزة والكساي وابن
ذكوان عن ابن عامر تخرجون بفتح التا وضم الرا والباقون على الفعل المجهول
قوله تعالى والذي خلق الازواج فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى والذي
خلق اي والله هو الذي خلق الازواج قال سعيد بن جبير اي الاصناف كلها
وقال الحسن الشتا والصيف والليل والنهار والسموات والارض والشمس
والقمر والجنة والنار وقيل الازواج الحيوان من ذكر وانثى قاله ابن عيسى وقيل
ازواج النبات كما قال وانبتنا فيها من كل زوج بهيج ومن كل زوج كريم وقيل
ما يتقلب فيه الانسان من خير وشر وايمان وكفر ونفع وضر وفقر وغنى
وصحة وسقم قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا القول يعم الاقوال ويجمعها
بعمومه وجعل لكم من الفلك السفن والانعام الابل ما تركبون في البر والبحر
لتستووا على ظهوره ذكر الكناية لانه رده الى ما في قوله ما تركبون قاله ابو عبيد
وقال الفرا اضاف الظهور الى واحد لان المراد به الجنس فصار الواحد في معنى
الجمع بمنزلة الجنس الثانية قال سعيد بن جبير الانعام الابل والبقر وقال
ابو معاذ الابل وحدها وهو الصحيح لقوله عليه السلام بينما رجل راكب بقرة اذ
قالت له لم اخلق لهذا وانما خلقت للحرث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
امنت بذلك انا وابو بكر وعمر وما هما في القوم وقد مضى هذا في اول سورة النحل
مستوفى والحمد لله الثالثة قوله تعالى لتستووا على ظهوره الاية وعطف اخرها
على احدهما ويحتمل ان يحمل ظاهرها باطنها لان الما غمره وستره وباطنها ظاهر لانه
انكشف للظاهرين وظهر للمبصرين الرابعة قوله تعالى ثم تذكروا نعمة ربكم
اذا استويتم عليه اي ركبتم وذكر النعمة هو الحمد لله على تسخير ذلك لنا في البر
والبحر وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا المركب وفي قراة علي بن ابي طالب سبحان
من سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين اي مطيقين في قول ابن عباس والكلبي وقال
الاخفش وابو عبيدة مقرنين ضابطين وقيل مماثلين في الايد والقوة من
قولهم هو قرن فلان اذا كان مثله في القوة ويقال فلان مقرن لفلان اي
ضابط له واقرنت كذا اي اطقته واقرن له اي اطاقه وقوي عليه كانه صار له
قرنا قال الله وما كنا له مقرنين اي مطيقين وانشد قطرب قول عمرو بن معدي
كرب

* لقد علم القبايل ما عقيل * لنا في النايبات بمقرنينا *

وقال اخر

* ركبتم صعبتي اشرا وحينا * ولستم للصعاب بمقرنينا *

والمقرن ايضا الذي عليه ضيعة تكون له ابل وغنم ولا معين له عليها او يكون يسقي
ابله ولا ذايد له يذودها قال ابن السكيت وفي اصله قولان احدهما انه ماخوذ من
الاقران يقال اقرن يقرن اقرانا اذا اطاق واقرنت كذا اذا اطقته واحكمته كانه جعله
في قرن وهو الحبل فاوثقه به وشده والثاني انه ماخوذ من المقارنة وهو
ان يقرن بعضها ببعض في السير يقول قرنت كذا بكذا اذا ربطته به وجعلته
قرينه الخامسة علمنا الله سبحانه وتعالى ما نقول اذا ركبنا الدواب وعرفنا
في اية اخرى على لسان نوح ما نقول اذا ركبنا السفن وهي قوله تعالى بسم الله
مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فكم من راكب دابة عثرت به او شمست
او تقحمت او طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين في سفينة انكسرت بهم فغرقوا
فلما كان الركوب مباشرة امر مخطور واتصالا باسباب من اسباب التلف كان
ينسى عند اتصاله به يومه وانه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من
قضايه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه مستعدا للقاء الله باصلاح من نفسه
والحذر من ان يكون ركوبه ذلك من اسباب موته في علم الله وهو غافل عنه حكى

سليمان

سليمان بن يسار ان قوما كانوا في سفر فكانوا اذا ركبوا قالوا سبحان الذي سخر لنا
هذا الاية وكان فيهم رجل على ناقة له رازم وهي التي لا تتحرك هزالا الرازم من
الابل الثابت على الارض لا يقوم من الهزال وقد رزمت الناقة ترزم وترزم رزوما
ورزاما قامت من الاعيا والهزال فلم تتحرك فهي رازم قاله الجوهري في الصحاح فقال
اما انا فاني لهذه لمقرن قال فقمصت به فدقت عنقه وروي ان اعرابيا ركب
قعودا له وقال اني لمقرن له فركضت به القعود حتى صرعته فاندقت عنقه ذكر
الاول الماوردي والثاني ابن العربي قال وما ينبغي لعبد ان يدع قول هذا وليس
بواجب ذكره باللسان وانما الواجب اعتقاده بالقلب اما انه يستحب له ذكره
باللسان فيقول متى ما ركب وخاصة في السفر اذا تذكر سبحان الذي سخر لنا هذا
الاية اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل والمال اللهم اني اعوذ بك من
وعثا السفر وكابة المنقلب والحور بعد الكور وسو المنظر في الاهل والمال يعني
بالحور بعد الكور تشتت امر الرجل بعد اجتماعه وقال عمرو بن دينار ركبت مع ابي
جعفر الى ارض له نحو حايط يقال لها مدركة فركب على جمل صعب فقلت له يا ابا جعفر
اما تخاف ان يصرعك فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال على سنام كل بعير
شيطان اذا ركبتموها فاذكروا اسم الله كما امركم ثم امتهنوها لانفسكم فانما يحمل الله
وقال علي بن ربيعة شهدت علي بن ابي طالب ركب دابة يوما فلما وضع رجله في الركاب
قال بسم الله فلما استوى على الدابة قال الحمد لله ثم قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا
وما كنا له مقرنين الاية ثم قال الحمد لله والله اكبر ثلاثا اللهم لا اله الا انت ظلمت
نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم ضحك فقلت له مم تضحك قال رايت
رسول الله صنع كما صنعت وقال كما قلت ثم ضحك فقلت له مم تضحك يا رسول الله قال
العبد اما عجبا لعبد ان يقول اللهم لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت يعلم انه لا يغفر الذنوب غيره خرجه ابو داود والطيالسي في مسنده وابو عبد
الله محمد بن خويز منداد في احكامه وذكر الثعلبي نحوه مختصرا على علي رضي الله عنه
ولفظه عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال بسم الله
فاذا استوى قال الحمد لله على كل حال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين
وانا الى ربنا لمنقلبون واذا نزلتم من الفلك والانعام فقولوا اللهم منزلا مباركا وانت
خير المنزلين وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد قال من ركب ولم يقل سبحان الذي سخر
لنا هذا وما كنا له مقرنين قال له الشيطان تغنه فان لم يحسن قال له تمنه ذكره النحاس
ويستعيذ بالله مقام من يقول لقرنايه تعالوا نتنزه على الخيل او في بعض
الزوارق فيركبون حاملين مع انفسهم اواني الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى
تمل طلاهم وهم على ظهور الدواب او في بطون السفن وهي تجري بهم لا يذكرون الا
الشيطان ولا يمتثلون الا اوامره الزمخشري ولقد بلغني ان بعض السلاطين ركب
وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمانت به الدار
فلم يشعر بمسيره ولا احس به فكم بين فعل اوليك الراكبين وبين ما امر الله به في هذه
الاية قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا اي عدلا عن قتادة يعني ما عبد
من دون الله عز وجل الزجاج والمبرد والجزء ها هنا البنات عجب المومنين من جهلهم
اذ اقروا بان خالق السموات والارض هو الله ثم جعلوا له شريكا او ولدا ولم يعلموا ان
من قدر على خلق السموات والارض لا يحتاج الى شي يعتضد به او يستانس به لان
هذا من صفات النقص قال الماوردي والجزء عند اهل العربية البنات يقال قد
اجزات المراة اذا ولدت البنات قال الشاعر

* ان اجزات حرة يوما فلا عجب * قد تجزي الحرة المذكار احيانا *

الزمخشري ومن التفاسير تفسير الجزء في الاناث وادعا ان الجزء في لغة العرب اسم
للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى

اشتقوا منه اجزات المراة ثم صنعوا بيتا وبيتا •
زوجتها من بنات الاوس مجزية •
• ان اجزات حرة يوما فلا عجب •
وَامّا قوله وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سالتهم اي ولئن سالتهم
عن خلق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده
جزءا ونسبوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزءا ان قالوا الملائكة بنات الله
فجعلوهم جزءا له وبعضا كما يكون الولد بضعة من والده وجزءا له وقرئ جزءا بضمتين
ان الانسان لكفور مبين قال الحسن يعد المصايب وينسى النعم مبين مظهر
الكفر قوله تعالى ام اتخذ مما يخلق بنات كما زعمتم ان الملائكة بنات الله فلفظه
لفظ الاستفهام ومعناه التوبيخ واصفاكم بالبنين يقال اصفيته الود اخلصته له
وصافيته وتصافينا تخالصنا عجب من اضافتهم الى الله اختيار البنات مع اختيارهم
لانفسهم البنين وهو مقدس عن ان يكون له ولد ان توهم جاهل انه اتخذ لنفسه
ولدا فهلا اضاف اليه ارفع الجنسين ولم جعل هولا لانفسهم اشرف الجنسين وله الاخس
وهذا كما قال الكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى واذا بشر احدهم بما ضرب
للرحمن مثلا وقيل اي بانه ولدت له بنت ظل وجهه اي صار وجهه مسودا قيل
بطلان مثله اي ضربه وقيل بما بشر به من الانثى دليله في سورة النحل واذا
بشر احدهم بالانثى ومن حالهم ان احدهم اذا قيل له قد ولدت له بنت اغتم وارتد
وجهه غيظا وتاسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب ان امراته وضعت انثى
فهجر البيت الذي فيه المراة فقالت • ما لابي حمزة لا ياتينا • يظل في البيت الذي يلينا •
• غضبان ان لا نلد البنينا • وانما ناخذ ما اعطينا •
وقرئ مسود ومسواد وعلى قراة الجماعة يكون وجهه اسم ظل ومسودا خبره ويجوز
ان يكون في ظل ضمير عايد على احد وهو اسمها ووجهه بدل من الضمير ومسودا خبر
ظل ويجوز ان يكون رفع وجهه بالابتدا ويرفع مسودا على انه خبره وظل اسمها والجملة
خبرها وهو كظيم اي حزين قال قتادة مكروب قال عكرمة وقيل ساكت حكاه ابن
ابي حاتم وذلك لفساد مثله وبطلان حجته ومن اجاز ان تكون الملائكة بنات الله
فقد جعل الملائكة شبها لله لان الولد من جنس الوالد وشبهه ومن اسود وجهه
بما يضاف اليه مما لا يرضى اولى ان يسود وجهه باضافة مثل ذلك الى من هو اجل
منه فكيف الى الله عز وجل وقد مضى في النحل في معنى هذه الاية ما فيه كفاية
قوله تعالى اومن ينشا في الحلية فيه مسالتان الاولى قوله تعالى اومن ينشا اي
يربى ويشب والنشو التربية يقال نشات في بني فلان نشا ونشوا اذا شببت
فيهم ونشي وانشي بمعنى وقرا ابن عباس والضحاك وابن وثاب وحفص وحمزه
والكسائي وخلف ينشا بضم اليا وفتح النون وتشديد الشين اي يربى ويكبر
في الحلية واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى وقرا الباقون ينشا بفتح اليا
واسكان النون واختاره ابو حاتم اي يرسخ وينبت واصله من نشا اي ارتفع
قال الهروي فينشا متعد وينشا لازم الثانية قوله تعالى في الحلية اي في الزينة
قال ابن عباس وغيره هن الجواري وزيهن غير زي الرجال قال مجاهد رخص للنسا
في الذهب والحرير وقرا هذه الاية قال الكيا في دلالة على اباحة الحلي للنسا باجماع
منعقد عليه والاخبار فيه لا تحصى قال الشيخ القرطبي رحمه الله روي عن ابي
هريرة انه كان يقول لابنته يا بنية اياك والتحلي بالذهب فاني اخاف عليك اللهب
قوله تعالى وهو في الخصام غير مبين اي في المجادلة والادلا بالحجة قال قتادة
ما تكلمت امراة ولها حجة الا جعلتها على نفسها وفي مصحف عبد الله وهو في الكلام
غير مبين ومعنى الاية يضاف الى الله من هذا وصفه اي لا يجوز ذلك وقيل المنشا في
الحلية اصنامهم التي صاغوها من ذهب وفضة وحلوها قاله ابن زيد والضحاك
ويكون معنى وهو في الخصام غير مبين على هذا القول اي ساكت عن الجواب ومن في

محل

محل نصب اي اتخذوا لله من ينشا في الحلية ويجوز ان يكون رفعا على الابتدا والخبر
مضمر قاله الفرا وتقديره او من كان على هذه الحالة يستحق العبادة وان شئت قلت
خفض ردا الى اول الكلام وهو قوله بما ضرب او على ما في قوله مما يخلق بنات
وكون البدل في هذين الموضعين ضعيف لكون الف الاستفهام حائلة بين البدل
والمبدل منه وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا قرا الكوفيون عباد بالجمع
واختاره ابو عبيد لان الاسناد فيها اعلى ولان الله تعالى انما كذبهم في قولهم انهم
بنات الله فاخبرهم انهم عبيد وانهم ليسوا ببناته وعن ابن عباس انه قرا وعباد
الرحمن فقال سعيد بن جبير ان في مصحفي عبد الرحمن فقال امحها واكتبها عباد
الرحمن وتصديق هذه القراة قوله بل عباد مكرمون وقوله افحسب الذين كفروا ان
يتخذوا عبادي من دوني اوليا وقوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد
امثالكم وقرا الباقون عند الرحمن بنون ساكنة واختاره ابو حاتم وتصديق
هذه القراة ان الذين عند ربك وقوله وما في السموات وما في الارض ومن عنده
والمقصود ايضاح كذبهم وبيان جهلهم في نسبة الاولاد الى الله ثم في تحكمهم بان
الملائكة اناث وهم بنات الله وذكر العباد مدح لهم اي كيف عبدوا من هو في نهاية
العبادة ثم كيف حكموا بانهم اناث من غير دليل والجعل هنا بمعنى القول والحكم تقول
جعلت زيدا اعلم الناس اي حكمت له بذلك اشهدوا خلقهم اي احضروا حالة خلقهم
حتى حكموا بانهم اناث وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم وقال فما يدريكم
انهم اناث فقالوا ذلك من ابائنا ونحن نشهد انهم لم يكذبوا في انهم اناث فقال
الله تعالى ستكتب شهادتهم ويسالون اي يسالون عنها في الاخرة وقرا نافع او
اشهدوا بهمزة استفهام داخلة على همزة مضمومة مسهلة ولا يد بين سوى ما روى المسيبي
عنه انه يمد وروى المفضل عن عاصم مثل ذلك وتحقيق الهمزتين والباقون اشهدوا
بهمزة واحدة للاستفهام وروي عن الزهري اشهدوا خلقهم على الخبر ستكتب قراءة
العامة بضم التا على الفعل المجهول شهادتهم رفعا وقرا السلمي وابن السميقع وهبيرة
عن حفص سنكتب بنون شهادتهم نصبا بتسمية الفاعل وعن ابي رجا ستكتب
شهاداتهم بالجمع قوله تعالى وقالوا لو شا الرحمن يعني قال المشركون على
طريق الاستهزا والسخرية لو شا الرحمن على زعمكم ما عبدنا هذه الملائكة
وهذا منهم كلمة حق اريد بها باطل وكل شي بارادة الله وارادته تجب وكذا
علمه فلا يمكن الاحتجاج بها وخلاف المعلوم والمراد مقدور وان لم يقع ولو عبدوا
الله بدل الاصنام لعلمنا ان الله اراد منهم ما حصل منهم وقد مضى هذا المعنى
في الانعام عند قوله سيقول الذين اشركوا لو شا الله ما اشركنا وفي يس انطعم
من لو يشا الله اطعمه وقوله ما لهم بذلك من علم مردود الى قوله وجعلوا
الملائكة الذين هم عند الرحمن اناثا اي ما لهم بقولهم الملائكة بنات الله من علم
قاله قتادة ومقاتل والكلبي وقال مجاهد وابن جريج يعني الاوثان ما لهم
بعبادة الاوثان من علم من صلة ان هم الا يخرصون اي يحدسون ويكذبون
فلا عذر لهم في عبادة غير الله وكان في ضمن كلامهم ان الله امرنا بهذا او رضي
ذلك منا ولهذا لم ينهنا ولم يعاجلنا بالعقوبة قوله تعالى ام اتيناهم كتابا
من قبله اي من قبل القران بما ادعوه فهم به مستمسكون يعملون بما فيه
بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة فيه مسالتان الاولى قوله تعالى على امة
اي على طريقة ومذهب قاله عمر بن عبد العزيز وكان يقراها وقتادة ومجاهد
على امة بكسر الالف والامة الطريقة قال الجوهري والامة بالكسر النعمة والامة
ايضا لغة في الامة وهي الطريقة والدين عن ابي عبيد قال عدي بن زيد
في النعمة ثم بعد الفلاح والملك والامة وارتهم هناك القبور عن غير الجوهري
وقال قتادة وعطية على امة على دين ومنه قول قيس بن الخطيم •

• كنا على أمة آبائنا • ويقتدي الأول بالآخر •
قال الجوهري والأمة الطريقة والدين يقال فلان لا أمة له أي لا دين له ولا
نحلة قال الشاعر • وهل يستوي ذو أمة وكفور •
وقال مجاهد وقطرب على دين على ملة وفي بعض المصاحف قالوا إنا وجدنا
آباءنا على ملة وهذه الأقوال متقاربة وحكي عن الفراء على قبلة الأخفش
على استقامة وأنشد قول النابغة
• حلفت فلم أترك لنفسك ريبة • وهل يأثمن ذو أمة وهو طائع •
الثاني وإنا على آثارهم مهتدون أي نهتدي بهم وفي الآية الأخرى مقتدون
أي نقتدي بهم والمعنى واحد وقال قتادة مقتدون متبعون وفي هذا دليل
على إبطال التقليد لذمه إياهم على تقليد آبائهم وتركهم النظر فيما دعاهم
إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقد مضى القول في هذا في البقرة مستوفى
وحكى مقاتل أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل
وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش أي وكما قال هؤلاء فقد قال من قبلهم
أيضا يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ونظيره ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل
من قبلك والمترف المتنعم والمراد هنا الملوك والجبابرة قوله تعالى قل
أولو جئتكم أي قل يا محمد لقومك أوليس قد جئتكم من عند الله بأهدى يريد
بأرشد مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون نفهم بكل ما أرسل
به الرسل فالخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولفظه لفظ الجمع لأن تكذيبه
تكذيب لمن سواه وقرئ قل وقال وجئتكم يعني أتتبعون آباءكم ولو جئتكم
بدين أهدى من دين آبائكم قالوا إنا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه
وإن جئتنا بما هو أهدى وقد مضى في البقرة القول في التقليد ولا
معنى لإعادته قوله تعالى فانتقمنا منهم بالقحط والقتل فانظر كيف
كان عاقبة المكذبين آخر أمر من كذب الرسل وقراءة العامة قل أولو جئتكم
بنون وألف على أن المخاطبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جميع الرسل
قوله تعالى وإذ قال إبراهيم أي ذكرهم إذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما
تعبدون براء يستعمل للواحد فما فوقه فلا يثنى ولا يجمع لأنه مصدر وضع
موضع النعت لا يقال براءان ولا براءون لأن المعنى ذو البراء وذوو البراء قال
الجوهري وتبرأت من كذا وأنا براء منه وخلاء منه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث لأنه
مصدر في الأصل مثل سمع سماعا فإذا قلت أنا بريء منه وخلي ثنيت وجمعت
وأنثت وقلت في الجمع نحن منه براء مثل فقيه وفقهاء وبراء أيضا مثل كرام
وكرام وأبراء مثل شريف وأشراف وأبرياء مثل نصيب وأنصباء وبريئون وامرأة
بريئة وهما بريئتان وهن بريئات وبرايا ورجل بريء وبراء مثل عجيب وعجاب
والبراء بالفتح أول ليلة من الشهر سميت بذلك لتبري القمر من الشمس إلا الذي
فطرني استثناء متصل لأنهم عبدوا الله مع آلهتهم قال قتادة كانوا يقولون
الله ربنا مع عبادة الأوثان ويجوز أن يكون منقطعا أي لكن الذي فطرني
فهو يهدين قال ذلك تعريضا بهم وتنبيها لقومه أن الهداية من ربه قوله
تعالى وجعلها كلمة باقية في عقبه فيه ثلاث مسائل الأولى قوله تعالى
وجعلها كلمة الضمير في جعلها عائد على قوله إلا الذي فطرني وضمير الفاعل
في جعلها لله عز وجل أي وجعل الله هذه الكلمة والمقالة باقية في عقبه
وهم ولده وولد ولده أي إنهم توارثوا البراءة عن عبادة غير الله وأوصى
بعضهم بعضا في ذلك والعقب من يأتي بعده وقال السدي هم آل محمد صلى
الله عليه وسلم وقال ابن عباس قوله في عقبه أي خلفه وفي الكلام تقديم
وتأخير والمعنى فإنه سيهدين لعلهم يرجعون وجعلها كلمة باقية في عقبه أي قال

لهم ذلك لعلهم يتوبون عن عبادة غير الله قال مجاهد وقتادة الكلمة لا إله
إلا الله قال قتادة لا يزال من عقبه من يعبد الله إلى يوم القيامة وقال
الضحاك الكلمة أن لا تعبدوا إلا الله عكرمة الإسلام لقوله تعالى هو سماكم المسلمين
القرظي وجعل وصية إبراهيم التي وصى بها بنيه وهو قوله يا بني إن الله اصطفى لكم
الدين الآية المذكورة في البقرة كلمة باقية في ذريته وبنيه وقال ابن زيد
الكلمة قوله أسلمت لرب العالمين وقرأ هو سماكم المسلمين من قبل وقيل الكلمة
النبوة قال ابن العربي ولم تزل باقية في ذرية إبراهيم والتوحيد هم أصله
وغيرهم فيه تبع لهم الثانية قال ابن العربي إنما كانت لإبراهيم في الأعقاب
موصولة بالأحقاب بدعوتيه المجابتين إحداهما في قوله إني جاعلك للناس
إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين فقد قال نعم إلا من
ظلم منهم فلا عهد الثانيتهما قوله واجنبني وبني أن نعبد الأصنام وقيل بل الأولى
قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين فكل أمة تعظمه بنوه وغيرهم ممن يجتمع
معه في سام أو نوح الثالثة قال ابن العربي جرى ذكر العقب هاهنا موصولا
في المعنى وذلك مما يدخل في الأحكام وترتب عليه عقود العمرى والتحبيس قال
النبي صلى الله عليه وسلم أيما رجل أعمر عمرى له ولعقبه فإنها للذي أعطيها لا ترجع
إلى الذي أعطاها لأنها أعطى عطاء وقعت فيه المواريث وهي ترد على أحد عشر
لفظا الأول الولد وهو عند الإطلاق عبارة عمن وجد من الرجل وامرأته في الإناث
والذكور وعن ولد الذكور دون الإناث لغة وشرعا ولذلك وقع الميراث على الولد
المعين وأولاد الذكور من المعين دون ولد الإناث لأنه من قوم آخرين ولذلك لم
يدخلوا في الحبس بهذا اللفظ قاله مالك في المجموعة وغيرها قال الشيخ القرطبي
رحمه الله هذا مذهب مالك وجميع أصحابه المتقدمين ومن حجتهم على ذلك
الإجماع على أن ولد البنات لا ميراث لهم مع قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم وقد
ذهب جماعة من العلماء أن ولد البنات من الأولاد والأعقاب يدخلون في الأحباس
بقول المحبس حبست على ولدي أو على عقبي وهذا اختيار أبي عمر بن عبد البر
وغيره واحتجوا بقول الله عز وجل حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم قالوا فلما حرم الله البنات
حرمت بذلك بنت البنت بإجماع علم أنها بنت ووجب أن تدخل في حبس أبيها إذا حبس
على ولده أو عقبه وقد مضى هذا المعنى في الأنعام مستوفى الثاني البنون
فإن قال هذا حبس على ابني فلا يتعدى الولد المعين ولا يتعدد ولو قال ولدي لتعدد
ويتعدد في كل من ولد وإن قال على بني دخل فيه الذكور والإناث قال مالك من تصدق
على بنيه وبني بنيه فإن بناته وبنات بناته يدخلن في ذلك روى عيسى عن ابن
القاسم فيمن حبس على بناته فإن بنات بنته يدخلن في ذلك مع بنات صلبه والذي
عليه جماعة أصحابه أن ولد البنات لا يدخلون في البنين فإن قيل فقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم في الحسن ابن ابنته إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين
فئتين عظيمتين من المسلمين قلنا هذا مجاز وإنما أشار به إلى تشريفه وتقديمه
ألا ترى أنه يجوز نفيه عنه فيقول الرجل في ولد بنته ليس بابني ولو كان حقيقة
ما جاز نفيه عنه لأن الحقائق لا تنتفي عن مسمياتها ألا ترى أنه ينسب إلى أبيه دون
أمه ولذلك قيل في عبد الله بن عباس إنه هاشمي وليس بهلالي وإن كانت أمه
هلالية قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا الاستدلال غير صحيح بل هو ولد على
الحقيقة في اللغة لوجود معنى الولادة فيه ولأن أهل العلم قد أجمعوا على تحريم بنت
البنت من قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وقال تعالى ومن ذريته داود وسليمان
إلى قوله من الصالحين فجعل عيسى من ذريته وهو ابن ابنته على ما تقدم بيانه هناك
فإن قيل فقد قال الشاعر • بنونا بنو أبنائنا وبناتنا • بنوهن أبناء الرجال الأباعد •
قيل لهم هذا الدليل عليه أن معنى قوله إنما هو أن ولد بنيه الذكران هم الذين لهم

حكم بينه والموارثة والعتب ان ولد بناته ليس لهم بنانه في ذلك اذ ينتسبون الي
غيره فاخبر بافتراقهم بالحكم مع اجتماعهم في التسمية ولم ينف عن ولد البنات اسم
الولد لانه ابنا وقد يقول الرجل في ولده ليس هذا بابني اذ لا يطيعني ولا يري لي
حقا ولا يريد بذلك نفي اسم الولد عنه وانما يريد ان ينفي عنه حكمه ومن استدل بهذا
البيت علي ان ولد البنت لا يسمي ولد الابن في اللسان حزبي ابنا ولا يسمي ولد الابنة
ابنا من اجل ان معني الولادة الذي اشتق منها اسم الولد فيه ابين واقوي لان ولد
الابنة هو ولدها بحقيقة الولادة وولد الابن انما هو ولده بما له مما كان سببا
للولادة ولم يخرج مالك رحمه الله اولاد البنات من حبس علي ولده من اجل ان اسم
الولد غير واقع عليه عنده في اللسان وانما اخرجهم منه قياسا علي الموارثة وقد مضي
هذا في الانعام وللحرسة اللفظ الثالث الذرية وهي ماخوذة من ذرا الله الخلق
فيدخل ولد البنات لقوله ومن ذريته داود وسليمان الي ان قال وزكريا ويحيى
وعيسى وانما كان من ذريته من قبل امه وقد مضي في البقرة اشتقاق الذرية
وفي البقرة وفي الانعام الكلام علي ومن ذريته الاية فلا معني للاعادة اللفظ
الرابع العقب وهو في اللغة عبارة عن شي بعد شي كان من جنسه او من غير جنسه
يقال اعقب الله بخير اي جاء بعد الشدة بالرخا واعقب الشيب السواد وعقب يعقب
عقوبا وعقبا اذا جا شيا بعد شي ولهذا قيل لولد الرجل عقيب والمعقاب من النسا
التي تلد ذكرا بعد انثي هكذا ابدا وعقب الرجل ولده وولد ولده الباقون بعده والعاقبة
الولد قال يعقوب في القران وجعلها كلمة باقية في عقبه وقيل الورثة كلهم
عقب والعاقبة الولد وكذلك قرا مجاهد هذا وقال بن زيد ها هنا هم الذرية
وقال بن شهاب هم الولد وولد الولد وقيل غيره علي ما تقدم عن السدي وفي
الصحاح والعقب بكسر القاف موخر القدم وهي موننه وعقب الرجل ايضا ولده
وولد ولده وفيه لغتان عقب وعقب بالتسكين وهي ايضا موننه عن الاخفش
وعقب فلان مكان ابنه عاقبة اي خلفه وهو اسم جا بمعني المصدر كقوله
ليس لوقعتها كاذبة ولا فرق عند احد من العلما بين لفظ العقب والولد في المعني
واختلف في الذرية والنسل فقيل انهما بمنزلة الولد والعقب لا يدخل ولد البنات
فيهما علي مذهب مالك وقيل انهم يدخلون فيهما وقد مضي الكلام في الذرية هنا
وفي الانعام اللفظ الخامس نسل وهذا عند علمائنا كقوله ولدي وولد ولدي
فانه يدخل فيه ولد البنات ويجب ان يدخلوا لان نسل بمعني خرج وولد البنات
قد خرجوا منه بوجه ولم يقترن به ما يخصه كما اقترن بقوله عقبي ما تناسلوا
وقال بعض علمائنا ان النسل بمنزلة الولد والعقب لا يدخل فيه ولد البنات
الا ان يقول المحبس نسل ونسل نسلي كما اذا قال عقبي وعقب عقبي فاما اذا قال
ولدي او عقبي مفردا فلا يدخل فيه البنات اللفظ السادس الال وهم الاهل
وهو اللفظ السابع قال بن القاسم هما سوا وهم العصبة والاخوة والاخوات
والبنات والعمات ولا يدخل فيه الخالات واصل اهل الاجتماع يقال مكان اهل
كان فيه جماعة وذلك بالعصبة ومن دخل في العقد والعصبة مشتقة منه وهي
احص به وفي حديث الافك يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا يعني عايشة
ولكن لا يدخل فيه الزوجة باجماع وان كانت اصل التاهل لا ثبوتها ليس بيقين
اذ قد يتبدل ربطها وينحل بالطلاق وقد قال مالك ال محمد كل تقي وليس من
هذا الباب وانما اراد ان الايمان اخص من القرابة فاشتملت عليه الدعوة وقصد
بالرحمة وقد قال اسحاق التونسي يدخل في الال والاهل كل من كان من جهة الابوين
فوفي الاشتقاق حقه وغفل عن العرب ومطلق الاستعمال وهذه المعاني انما
تنبني علي الحقيقة او علي العرف المستعمل عند الاطلاق فهذان لفظان اللفظ
الثاني من قرابة فيه اربعة اقوال الاول قال مالك في كتاب محمد بن عبدوس

ثم

ثم الاقرب فالاقرب بالاجتهاد ولا يدخل فيه ولد البنات ولا الخالات الثاني يدخل
فيه ولد البنات ولا ولد الخالات الثاني يدخل فيه اقاربه من قبل ابيه وامه قاله
علي بن زياد الثالث قال اشهب يدخل فيه كل رحم من الرجال والنسا الرابع قال
ابن كنانه يدخل فيه الاعمام والعمات والاخوال والخالات وبنات الاخت وقد قال
ابن عباس في تفسير قوله تعالي قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربي قال
الا ان تصلوا قرابة ما بيني وبينكم وقال لم يكن بطن من قريش الا كانت بينه وبين
النبي صلي الله عليه وسلم قرابة فهذا ينضبطه والله اعلم اللفظ التاسع العشيرة ويعضده
الحديث الصحيح ان الله تعالي لما انزل وانذر عشيرتك الاقربين دعا النبي صلي الله
عليه وسلم بطون قريش وسماهم كما تقدم ذكره وهم العشيرة الاقربون وسواهم
عشيرة في الاطلاق واللفظ يحمل علي الاخص الاقرب بالاجتهاد كما تقدم من قول
علمائنا اللفظ العاشر القوم يحمل ذلك علي الرجال خاصة دون النسا والقوم يشمل
الرجال والنسا وان كان الشاعر قد قال

وما ادري وسوف اخال ادري ۔ اقوم الحصن ام نسا

ولكن اراد ان الرجال اذا دعي قومهم للنصرة عني الرجال واذا دعاهم للحرمة دخل فيه
الرجال والنسا فتعمه الصفة وتخصه القرينة اللفظ الحادي عشر الموالي قال مالك
يدخل فيه موالي ابيه مع مواليه وقال بن وهب يدخل فيه اولاد مواليه قال ابن
العربي والذي يتحصل منه انه يدخل فيه من يرثه بالولا قال وهذه فصول الكلام
وفصوله المرتبطة بظاهر القران والسنة المبينة له والتفريع والتتميم في كتب المسايل
والله اعلم قوله تعالي بل متعت وقري بل متعنا هولا واباهم اي في الدنيا بالامهال
حتي جاهم الحق اي محمد صلي الله عليه وسلم بالتوحيد والاسلام الذي هو اصل
دين ابراهيم وهو الكلمة التي بقاها الله في عقبه ورسول مبين اي يبين لهم ما بهم
اليه حاجة ولما جاهم الحق يعني القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون جاحدون
وقالوا لولا نزل هذا القران اي هلا انزل هذا القران علي رجل وقري علي رجل بسكون الجيم
من القريتين عظيم كقوله يخرج منهما اللولو والمرجان اي من احدهما او علي احد رجلين
من القريتين القريتان مكة والطايف والرجلان الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن
عمرو بن مخزوم عم ابي جهل والذي من الطايف ابو مسعود عروة بن مسعود الثقفي
قاله قتادة وقيل عمير بن عبد ياليل الثقفي من الطايف وعتبة بن ربيعة من
مكة وهو قول مجاهد وعن بن عباس ان عظيم الطايف حبيب بن عمرو الثقفي وقال
السدي كنانة بن عبد بن عمرو وروي ان الوليد بن المغيرة وكان يسمي ريحانة قريش
كان يقول لو كان ما يقول محمد حق لنزل علي او علي ابي مسعود فقال الله تعالي
اهم يقسمون رحمة ربك يعني النبوة فيضعونها حيث شاوا نحن قسمنا بينهم معيشتهم
في الحياة الدنيا اي افقرنا قوما واغنينا قوما فاذا لم يكن امر الدنيا اليهم فكيف يفوض
امر النبوة اليهم قال قتادة تلقاه ضعيف القوة وقليل الحيلة عيي اللسان
وهو مبسوط له وتلقاه شديد الحيلة بسيط اللسان وهو مقتر عليه وقرا ابن
عباس ومجاهد وابن محيصن في رواية عنه معايشهم وقيل اي نحن اعطينا
عظيم القريتين ما اعطينا لا لكرامتهما علي وانا قادر علي نزع النعمة عنهما فاي
فضل وقدر لهما ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات اي فاضلنا بينهم فمن فاضل
ومفضول ورييس ومرووس قاله مقاتل وقيل بالحرية والرق فبعضهم مالك
وبعضهم مملوك وقيل بالغني والفقر فبعضهم غني وبعضهم فقير وقيل بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال السدي وابن زيد
خولا وخداما يسخر الاغنيا الفقرا فيكون بعضهم سببا لمعاش بعض وقال
قتادة والضحاك يعني ليملك بعضهم بعضا وقيل هو من السخرية التي بمعني الاستهزا
اي ليستهزي الغني بالفقير قال الاخفش سخرت به وسخرت منه وضحكت منه

وضحكت به وهزئت منه وبه كل يقال لغة والاسم السخرية بالضم والسخري والسخري بالضم
والكسر وكل الناس ضموا سخريا الا ابن محيصن ومجاهد فانهما قرا سخريا ورحمة ربك خير
مما يجمعون اي افضل مما يجمعون من الدنيا ثم قيل الرحمة النبوة وقيل الجنة وقيل
اداء الفرايض خير من كثرة النوافل وقيل ما يتفضل به عليهم خير مما يجمعون بجازيهم عليه
من لعاعهم قوله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفا من فضة فيه خمس مسايل الاولى قال العلما معنى الكلام ذكر حقارة
الدنيا وقلة خطرها وانها عنده من الهوان بحيث كان يجعل بيوت الكفرة ودرجها
ذهبا وفضة لولا غلبة حب الدنيا على القلوب فيحمل ذلك على الكفر قال الحسن
المعنى لولا ان يكفر الناس جميعا بسبب ميلهم الى الدنيا وتركهم الاخرة لاعطيناهم في الدنيا
ما وصفناه لهوان الدنيا عند الله عز وجل وعلى هذا اكثر المفسرين ابن عباس والسدي
وغيرهم وقال ابن زيد ولولا ان يكون الناس امة واحدة في طلب الدنيا واختيارها
على الاخرة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة وقال الكسائي المعنى لولا ان
يكون في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك لاعطينا الكفار من الدنيا هذا
لهوانها الثانية قرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين واسكان القاف على الواحد
ومعناه الجمع اعتبارا بقوله فخر عليهم السقف من فوقهم وقرا الباقون بضم السين والقاف
على الجمع مثل رهن ورهن قال ابو عبيد ولا ثالث لهما وقيل هو جمع سقيف نحو كثيب
وكثب ورغيف ورغف قاله الفرا وقيل هو جمع سقوف فيصير جمع الجمع سقف وسقوف
نحو فلس وفلوس ثم جعلوا فعولا كانه اسم واحد فجمعوه على فعل وروي عن مجاهد
سقفا باسكان القاف وقيل اللام في لبيوتهم بمعنى على اي على بيوتهم وقيل بدل
كما تقول فعلت هذا لزيد لكرامته على الله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس كذلك
قال هنا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا الثالثة قوله تعالى ومعارج يعني
الدرج قاله ابن عباس وهو قول الجمهور واحدها معراج والمعراج السلم ومنه ليلة
المعراج والجمع معارج ومعاريج مثل مفتاح ومفاتيح لغتان ومعاريج قرا ابو
رجا العطاردي وطلحة بن مصرف وهي المراقي والسلاليم قال الاخفش ان شيت
جعلت الواحد معرج ومعرج مثل مرقاة ومرقاة عليها يظهرون اي على المعارج يرتقون
ويصعدون يقال ظهرت على البيت اي علوت سطحه وهذا لان من علا شيا ارتفع
عليه ظهر للناظرين ويقال ظهرت على الشي اي علمته وظهرت على العدو اي غلبته وانشد
نابغة بني جعدة رسول الله صلى الله عليه وسلم •

• علونا السما عزة ومهابة • وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا •

اي مصعدا فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الى اين قال الى الجنة قال اجل
ان شا الله والله لقد مالت الدنيا باكثر اهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعل الرابعة
استدل بعض العلما بهذه الاية على ان السقف لا حق فيه لرب العلو لان الله تعالى
جعل السقوف للبيوت كما جعل الابواب لها وهذا مذهب مالك رحمه الله قال ابن
العربي وذلك لان البيت عبارة عن قاعة وجدار وسقف وباب فمن له البيت فله
اركانه ولا خلاف ان العلو الى السما واختلفوا في السفل فمنهم من قال هو له ومنهم
من قال ليس له في باطن الارض شي وفي مذهبنا القولان وقد بين حديث الاسرايلي
الصحيح فيما تقدم ان رجلا باع من رجل دارا فبناها فوجد فيها جرة من ذهب
فجا بها الى البايع فقال انما اشتريت الدار دون الجرة وقال البايع انما بعت الدار بما فيها
وكلهم يدفعها فقضى بينهم النبي صلى الله عليه وسلم ان يزوج احدهما ولده من بنت الاخر
ويكون المال لهما والصحيح ان العلو والسفل له الا ان يخرج عنهما بالبيع فاذا باع احدهما
احد الموضعين فله منه ما ينتفع به وباقيه للمبتاع منه الخامسة من احكام العلو
والسفل اذا كان العلو والسفل بين رجلين فيعتل السفل او يريد صاحبه هدمه
فذكر سحنون عن اشهب انه قال اذا اراد صاحب السفل ان يهدم واراد صاحب

العلو

العلو ان يبني علوه فليس لصاحب السفل ان يهدم الا من ضرورة ويكون هدمه له
ارفق لصاحب العلو لئلا ينهدم بانهدامه العلو وليس لرب العلو ان يبني على علوه شيا
لم يكن قبل ذلك الا الشي الخفيف الذي لا يضر بصاحب السفل ولو انكسرت خشبة من سقف
العلو لادخل مكانها خشبة ما لم تكن اثقل منها ويخاف ضررها على صاحب السفل قال
اشهب وباب الدار على صاحب السفل قال ولو انهدم السفل اجبر صاحبه على بنايه وليس
على صاحب العلو ان يبني السفل فان ابى صاحب السفل من البنا قيل له بع ممن يبني وروى ابن
القاسم عن مالك في السفل لرجل والعلو لاخر فاعتل السفل فان صلاحه على رب السفل
وعليه تعليق العلو حتى يصلح سفله لان عليه اما ان يحمله على بنيان او على تعليق وكذلك
لو كان على العلو علو فتعليق العلو الثاني على صاحب الاوسط وقد قيل ان تعليق العلو
الثاني على رب العلو حتى يبني الاسفل وحديث النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال مثل القايم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فاصاب
بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها فكان الذين في اسفلها اذا استقوا من الما مروا على من
فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نوذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا
هلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا اصل في هذا الباب وهو حجة
لمالك واشهب وفيه دليل على ان صاحب السفل ليس له ان يحدث على صاحب العلو ما يضر به
وانه ان احدث عليه ضررا لزمه اصلاحه دون صاحب العلو وان لصاحب العلو منعه من
الضرر لقوله عليه السلام فان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا ولا يجوز الاخذ على يد
الظالم او من هو ممنوع من احداث ما لا يجوز له في السنة وفيه دليل على استحقاق العقوبة
بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد مضى في الانفال وفيه دليل على جواز القرعة
واستعمالها وقد مضى في ال عمران فتامل كلا في موضعه تجده مبينا والحمد لله قوله
تعالى ولبيوتهم ابوابا اي وجعلنا لبيوتهم بدل اشتمال من قوله لمن يكفر بالرحمن ابوابا
اي من فضة وسررا كذلك وهو جمع السرير فيكون جمع الجمع يتكيون عليها الاتكا والتوكا
التحامل على الشي ومنه اتوكا عليها ورجل تكاة مثل همزة كثير الاتكا والتكاة ايضا ما يتكا
عليه واتكا على الشي فهو متكي والموضع متكا وطعنه حتى اتكاه على افعله اي القاه على
هيئة المتكي وتوكات على العصا واصل التا في جميع ذلك واو ففعل به ما فعل باتزن واتقد
وزخرفا الزخرف هنا الذهب عن ابن عباس وغيره نظيره او يكون لك بيت من زخرف
وقد تقدم وقال ابن زيد هو ما يتخذه الناس في منازلهم من الامتعة والاثاث وقال
الحسن النقوش واصله الزينة يقال زخرفت الدار اي زينتها وتزخرف فلان اي تزين
وانتصب زخرفا على معنى وجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وقيل بنزع الخافض والمعنى لجعلنا
لهم سقفا وابوابا وسررا من فضة ومن ذهب فلما حذف من قال وزخرفا فنصب وان كل
ذلك لما متاع الحياة الدنيا قرا عاصم وهشام عن ابن عامر وان كل ذلك لما متاع بالتشديد
والباقون بالتخفيف وقد ذكر هذا وروي عن ابي رجا كسر اللام من لما فعنده ما بمنزلة
الذي والعايد عليها محذوف والتقدير وان كل ذلك للذي هو متاع الحياة الدنيا وحذف
الضمير هاهنا كحذفه في قراة من قرا مثلا ما بعوضة فما فوقها وتماما على الذي احسن
ابو الفتح ينبغي ان يكون كل على هذه القراة منصوبة لان ان مخففة من الثقيلة وهي
اذا خففت وبطل عملها لزمتها اللام في اخر الكلام للفرق بينها وبين ان النافية التي بمعنى
ما نحو ان زيد لقايم ولا لام هنا سوى الجارة والاخرة عند ربك للمتقين يريد الجنة لمن
اتقى وخاف وقال كعب اني لاجد في بعض كتب الله المنزلة لولا ان يحزن عبدي المومن
لكللت راس عبدي الكافر بالاكليل ولا يتصدع ولا ينبض منه عرق بوجع وفي الترمذي
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر
وعن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تعدل عند الله
جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة وفي الباب عن ابي هريرة وقال حديث صحيح
غريب وانشدوا • لو كانت الدنيا جزا لمحسن • اذا لم يكن فيها معاش لظالم •

• لقد جاع فيها الانبياء كرامة • وقد شبعت فيها بطون البهائم • اخر
• تمتع من الايام ان كنت حازما • فانك فيها بين ناه وآمر •
• اذا ابقت الدنيا على المرء دينه • فما فاته منها فليس بضائر •
• فلم تزن الدنيا جناح بعوضة • ولا وزن ذر من جناح لطائر •
• فلم يرض بالدنيا ثوابا لمحسن • ولا رضي الدنيا عقابا لكافر •
قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وقرا ابن عباس
وعكرمة ومن يعش بفتح الشين ومعناه يعمى يقال منه عشي يعشى عشا اذا عمي ورجل
اعشى وامراة عشواء اذا كانت لا تبصر ومنه قول الاعشى •
• رأت رجلا غائب الوافدين • مختلف الخلق اعشى ضريرا • وقوله
• أأن رأت رجلا اعشى اضر به • ريب المنون ودهر مفسد خبل •
والباقون بالضم من عشا يعشو اذا لحقه ما يلحق الاعشى وقال الخليل العشو
هو النظر ببصر ضعيف وانشد •
• متى تأته تعشو الى ضوء ناره • تجد خير نار عندها خير موقد • اخر
• لنعم الفتى يعشو الى ضوء ناره • اذا الريح هبت والمكان جديب •
الجوهري والعشا مقصور مصدر الاعشى وهو الذي لا يبصر بالليل ويبصر بالنهار والمراة
عشواء وان واعشاه الله فعشي بالكسر يعشى عشى وهما يعشيان ولم يقولوا
يعشوان لان الواو لما صارت في الواحد ياء لكسرة ما قبلها تركت في التثنية على حالها وتعاشى
اري في نفسه انه اعشى والنسبة الى اعشى اعشوي والى العشية عشوي والعشواء الناقة
التي لا تبصر امامها فهي تخبط بيديها كل شيء وركب فلان العشواء اذا خبط امره على غير
بصيرة وفلان خابط خبط عشواء وهذه الآية تتصل بقوله اول السورة افنضرب عنكم
الذكر صفحا اي نواصل لكم الذكر فمن يعش عن ذلك الذكر بالاعراض عنه الى اقاويل
المضلين واباطيلهم نقيض له شيطانا اي نسبب له شيطانا جزاء له على كفره فهو له قرين
قيل في الدنيا يمنعه من الحلال ويبعثه على الحرام وينهاه عن الطاعة ويأمره بالمعصية
وهو معنى قول ابن عباس وقيل في الآخرة اذا قام من قبره قال ابو سعيد الخدري وفي
الخبر ان الكافر اذا خرج من قبره يشفع بشيطان لا يزال معه حتى يدخلا النار وان المؤمن
يشفع بملك حتى يقضي الله بين خلقه ذكره المهدوي قال القشيري والصحيح فهو له قرين
في الدنيا والآخرة وقال ابو الهيثم والازهري عشوت الى كذا اي قصدته وعشوت
عن كذا اي اعرضت عنه فتفرق بين الى وعن مثل ملت اليه وملت عنه وكذا قال قتادة يعش
يعرض وهو قول الفراء النحاس وهو غير معروف في اللغة وقال القرظي يولي ظهره والمعنى
واحد وقال ابو عبيدة والاخفش عنه وانكر القتبي عشوت بمعنى اعرضت قال وانما
الصواب تعاشيت والقول قول ابي الهيثم والازهري وكذلك جميع اهل المعرفة وقرا
السلمي وابن ابي اسحاق ويعقوب وعصمة عن عاصم وعن الاعمش يقيض بالياء لذكر الرحمن
اولا اي يقيض له الرحمن شيطانا الباقون بالنون وعن ابن عباس يقيض له شيطان
فهو له قرين اي ملازم ومصاحب قيل فهو كناية عن الشيطان على ما تقدم وقيل
عن الاعراض عن القرآن اي هو قرين للشيطان وانهم ليصدونهم عن السبيل اي وان الشياطين
ليصدونهم عن سبيل الهدى وذكر بلفظ الجمع لان من في قوله ومن يعش في معنى الجمع
ويحسبون اي ويحسب الكفار انهم مهتدون وقيل ويحسب الكفار ان الشياطين مهتدون
فيطيعونهم حتى اذا جاءنا على التوحيد قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وحفص يعني الكافر
يوم القيامة الباقون جاءانا على التثنية يعني الكافر وقرينه وقد جعلا في سلسلة
واحدة فيقول الكافر يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين اي مشرق الشتاء ومشرق الصيف
كما قال تعالى رب المشرقين ورب المغربين ونحوه قول مقاتل وقراءة التوحيد وان
كان ظاهرها الافراد فالمعنى لهما جميعا لانه قد عرف ذلك بما بعده كما قال •
• وعين لها حدرة بدرة • شقت مآقيهما من اخر •

قال مقاتل يتمنى الكافر ان بينهما بعد مشرق اطول يوم في السنة الى مشرق اقصر يوم
في السنة وكذلك قال بعد المشرقين وقال الفراء اراد المشرق والمغرب فغلب اسم احدهما
كما يقال القمران للشمس والقمر والعمران لابي بكر وعمر والبصرتان الكوفة والبصرة والعصران
الغداة والعصر وقال الشاعر • اخذنا بآفاق السماء عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
وانشد ابو عبيدة لجرير • ما كان يرضى رسول الله فعلهم • والعمران ابو بكر ولا عمر •
وانشد سيبويه • قدني من نصر الخبيبين قدي • يريد عبد الله ومصعبا ابني الزبير وانما
ابو خبيب عبد الله فبئس القرين اي فبئس الصاحب انت لانه يورده الى النار قال
ابو سعيد الخدري اذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير
الى النار قوله تعالى ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم اذ بدل من اليوم اي يقول الله
للكافر ولن ينفعكم اليوم اذ اشركتم في الدنيا هذا الكلام وهو قول الكافر يا ليت بيني
وبينك بعد المشرقين لا تنفع الندامة اليوم انكم بالكسر في العذاب مشتركون وهي
قراءة ابن عامر باختلاف عنه الباقون بالفتح وهي في موضع رفع تقديره ولن ينفعكم
اليوم اشتراككم في العذاب لان لكل واحد نصيبه الاوفر منه اعلم الله تعالى انه منع اهل
النار التأسي كما يتأسى اهل المصائب في الدنيا وذلك ان التأسي يستروحه اهل الدنيا
فيقول احدهم لي في البلاء والمصيبة اسوة فيسلي ذلك من حزنه كما قالت الخنساء •
• فلولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي •
• وما يبكون مثل اخي ولكن • اعزي النفس عنه بالتأسي •
فاذا كان في يوم الآخرة لم ينفعهم التأسي شيئا لشغلهم بالعذاب وقال مقاتل لن ينفعكم
الاعتذار والندم اليوم لان قرناءكم وانتم في العذاب مشتركون كما اشتركتم في الكفر
قوله تعالى افانت تسمع الصم او تهدي العمي يا محمد ومن كان في ضلال مبين اي ليس
لك ذلك فلا يضيق صدرك ان كفروا ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه رد
على القدرية وغيرهم وان الهدى والرشد والخذلان في القلب خلق الله يهدي من
يشاء ويضل من يشاء قوله تعالى فاما نذهبن بك يريد نخرجنك من مكة من اذى
قريش فانا منهم منتقمون او نرينك الذي وعدناهم وهو الانتقام منهم في حياتك
فانا عليهم مقتدرون قال ابن عباس قد اراه الله ذلك يوم بدر وهذا قول اكثر
المفسرين وقال الحسن وقتادة هي في اهل الاسلام يريد ما كان بعد النبي صلى الله
عليه وسلم من الفتن وتذهبن بك على هذا نتوفينك وقد كان بعد النبي صلى الله
عليه وسلم نقمة شديدة فاكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وذهب به فلم يره في امته
الا التي تقر به عينه وابقى النقمة بعده وليس من نبي الا وقد اري النقمة في امته
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم اري ما لقيت امته من بعده فما زال منقبضا
ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله عز وجل وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال اذا اراد الله بامة خيرا قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا واذا اراد
الله بامة عذابا عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوا امره قوله تعالى
فاستمسك بالذي اوحي اليك يريد القرآن وان كذب به من كذب انك على صراط مستقيم
يوصلك الى الله ورضاه وثوابه وانه لذكر لك ولقومك يعني القرآن شرف لك ولقومك
من قريش اذ نزل بلغتهم وعلى رجل منهم نظيره لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم اي
شرفكم فالقرآن نزل بلسان قريش واياهم خاطب فاحتاج اهل اللغات كلها الى لسانهم
كل من آمن بذلك فصاروا عيالا عليهم لان اهل كل لغة احتاجوا الى ان ياخذوا من
لغتهم حتى يقفوا على المعنى الذي عنى به من الامر والنهي وجميع ما فيه من الانباء
فشرفوا بذلك على سائر اهل اللغات ولذلك سمي عربيا وقيل بيان لك ولامتك فيما
بكم اليه حاجة وقيل تذكرة تذكرون به امر الدين وتعلمون به وقيل وانه لذكر لك
ولقومك يعني الخلافة فانها تكون في قريش لا تكون في غيرهم قال النبي صلى الله عليه
وسلم الناس تبع لقريش في هذا الشان مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم وقال

مالك هو قول حدثني ابي عن ابيه حكاه بن ابي سلمة عن ابيه عن مالك بن انس
فيما ذكر الماوردي والثعلبي وغيرهما قال بن العربي ولم اجد في الاسلام هذه الرتبة
لاحد الا لبغداد فان ابا التميمي بها يقولون حدثني ابي الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبذلك شرفت اقدارهم رزق الله بن عبد الوهاب ابي الفرج بن عبد العزيز
الحرث بن اسد بن الليث بن سليمان بن اسود بن سفين بن يزيد بن اكنية بن
عبد الله التميمي فكانا يقولون سمعنا ابانا رزق الله يقول سمعت ابي يقول
سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت ابي يقول سمعت علي
بن ابي طالب يقول وقد سئل عن الحنان المنان فقال الحنان الذي لا يقبل
على من اعرض عنه والمنان الذي لا يبدا بالنوايل قبل السوال والقايل سمعت عليا
اكنية بن عبد الله جدهم الاعلى والاقوى ان يكون المراد بقوله وانه لذكر لك ولقومك
يعني القران فلينا بين الكلام واليه يرجع المصير والله اعلم قال الماوردي ولقومك
فيهم قولان احدهما من اتبعك قاله قتادة وذكره الثعلبي عن الحسن الثاني لقومك
من قريش فيقال ممن هذا فيقال من العرب فيقال من اي العرب فيقال من قريش
قاله مجاهد قال الشيخ القرطبي رحمه الله والصحيح انه شرف لمن عمل به كان من قريش
او غيرهم روي بن عباس قال اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سرية او غزاة
فدعا فاطمة فقال يا فاطمة اشتري نفسك من الله فاني لا اغني عنك من الله شيا
وقال مثل ذلك لنسوته وقال مثل ذلك لعترته ثم قال نبي الله صلى الله عليه وسلم يا بنو
هاشم يا اولى الناس بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون ولا الموالي بأولى الناس
بامتي ان اولى الناس بامتي المتقون انما انتم من رجل وامراة وانتم كجمام الضاع ليس
لاحد على احد فضل الا بالتقوى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لينتهين اقوام يفتخرون بفحم من فحم جهنم او ليكونن شرا عند الله من الجعلان
التي تدفع النتن بانفها كلكم بنو ادم وادم من تراب ان الله اذهب عنكم الجاهلية
وفخرها بالاباء مومن تقي وفاجر شقي خرجهما الطبري وسياتي لهذا مزيد بيان
في الحجرات ان شا الله وسوف تسلون اي عن الشكر عليه قاله مقاتل والفرا وقال
ابن جريج اي تسلون انت ومن معك على ما اتاك وقيل تسالون عما عملتم فيه
والمعنى متقارب قوله تعالى واسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا
من دون الرحمن الهة يعبدون قال بن عباس وبن زيد لما اسري برسول الله
صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو مسجد بيت المقدس
بعث الله له ادم ومن ولد من المرسلين وجبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم
فاذن جبريل صلى الله عليه وسلم ثم اقام الصلاة ثم قال يا محمد تقدم فصل
بهم فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له جبريل صلى الله عليهما وسلم
يا محمد واسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اسل قد اكتفيت قال بن عباس وكانوا سبعين
نبيا منهم ابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فلم يسالهم لانه كان اعلم بالله منهم
في غير رواية بن عباس فصلوا خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة
صفوف المرسلون ثلاثة صفوف والنبيون اربعة وكان يلي ظهر رسول الله
صلى الله عليه وسلم ابراهيم خليل الله وعلى يمينه اسمعيل وعلى يساره اسحاق
ثم موسى ثم سائر المرسلين فامهم ركعتين فلما انفتل قام فقال ان ربي اوحى
الي ان اسالكم هل ارسل الله احد منكم يدعو الى عبادة غير الله فقالوا يا محمد انا
نشهد انا ارسلنا اجمعين بدعوة واحدة ان لا اله الا الله وانما يعبدون من
دونه باطل وانك خاتم النبيين وسيد المرسلين قد استبان ذلك لنا بامامتك
ايانا وان لا نبي بعدك الى يوم القيامة الا عيسى بن مريم فانه مامور ان يتبع اثرك
وقال سعيد بن جبير في قوله تعالى واسل من ارسلنا من قبلك من رسلنا قال

الفي

الفي الرسل ليلة اسري به وقال الوليد بن مسلم في قوله تعالى واسل من ارسلنا
من قبلك من رسلنا قال سالت عن ذلك خليد بن دعلج فحدثني عن قتادة قال
سالهم ليلة اسري به لقي الانبيا ولقي ادم ومالك خازن النار قال الشيخ القرطبي
رحمه الله هذا هو الصحيح في تفسير الاية ومن التي قبل رسلنا على هذا القول غير
زايدة وقال المبرد وجماعة من العلما ان المعنى وسل امم من قد ارسلنا من قبلك
من رسلنا وروي ان في قراة بن مسعود وسل الذين ارسلنا اليهم قبلك رسلنا
وهذه قراة مفسرة فمن على هذا زايدة وفي قول مجاهد والسدي والضحاك وقتادة
وعطا والحسن وبن عباس ايضا وسل موسى اهل الكتابين التوراة والانجيل وقيل
المعنى سل يا محمد عن الانبيا الذين ارسلنا قبلك فحذف عن والوقف على ارسلنا على
هذا تمام ثم ابتدا بالاستفهام على طريق الانكار وقيل المعنى وسل تباع من ارسلنا
من قبلك من رسلنا فحذف المضاف والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته
اجعلنا من دون الرحمة الهة يعبدون اخبر عن الالهة كما اخبر عمن يعقل فقال
يعبدون ولم يقل تعبد ولا يعبدن لان الالهة جرت عندهم مجرى من يعقل فاجري
الخبر عنهم مجرى الخبر عمن يعقل وسبب هذا الامر بالسوال ان اليهود والمشركين قالوا
للنبي صلى الله عليه وسلم ان ما جيت به مخالف لمن كان قبلك فامره الله بسواله الانبيا
على جهة التوقيف والتقرير لانه كان في شك منه واختلف اهل التاويل في سوال
النبي صلى الله عليه وسلم لهم على قولين احدهما انه سالهم فقالت الرسل بعثنا بالتوحيد
قاله الواقدي الثاني انه لم يسلهم ليقينه بالله عز وجل حتى حكى بن زيدان ميكايل
قال لجبريل هل سالك محمد عن ذلك فقال جبريل هو اشد ايمانا واعظم يقينا من ان
يسل عن ذلك وقد تقدم هذا المعنى في الروايتين حسب ما ذكرناه قوله تعالى ولقد
ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين لما علم النبي صلى الله عليه وسلم بانه منتقم له من
عدوه واقام الحجة باستشهاد الانبيا واتفاق الكل على التوحيد اكد ذلك بقصة موسى
وفرعون وما كان من فرعون من التكذيب وما نزل به وبقومه من الاغراق والتكذيب
اي ارسلنا موسى بالمعجزات وهي التسع الايات فكذب فجعلت العاقبة الجميلة له فكذلك
انت وقومه يضحكون استهزا وسخرية يوهمون اتباعهم ان تلك الايات سحر وتخييل
وانهم قادرون عليها وقوله وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها اي كانت ايات موسى
من كبار الايات وكانت كل واحدة اعظم مما قبلها وقال الا هي اكبر من اختها لان الاولى تقتضي
علما والثانية تقتضي علما فتنضم الثانية الى الاولى فيزداد الوضوح ومعنى الاخوة
المشاكلة والمناسبة كما يقال هذه صاحبة هذه اي هما قريبتان في المعنى واخذناهم بالعذاب
على تكذيبهم بتلك الايات كقوله ولقد اخذنا ال فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
والطوفان والجراد والقمل والضفادع وكانت هذه الايات الاخرة عذابا لهم وايات
لموسى لعلهم يرجعون من كفرهم وقالوا يا ايها الساحر نادوه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك
على حسب عادتهم وقيل كانوا يسمون العلما سحرة قاله قتادة بذلك على سبيل التعظيم قال
ابن عباس يا ايها الساحر يا ايها العالم وكان الساحر فيهم عظيما يوقرونه ولم يكن السحر صفة
ذم وقيل يا ايها الذي غلبنا بسحره يقال ساحرته فسحرته اي غلبته بالسحر كقول العرب
خاصمته فخصمته اي غلبته بالخصومة وفاضلته ففضلته ونحوها ويحتمل ان يكون ارادوا به
الساحر على الحقيقة على معنى الاستفهام فلم يلمهم على ذلك رجاء ان يومنوا وقرا بن عامر وابو
حيوة ويحيى بن الحارث ايه الساحر بغير الف والها مضمومة وعلتها ان الها خلطت بما
قبلها والزمت ضم اليا الذي اوجبه النداء المفرد وانشد الفرا
ايه القلب اللجوج النفس ۝ افق عن البيض الحسان اللعس ۝
فضم الها حملا على ضم اليا وقد مضى في النور معنى هذا ووقف ابو عمرو وبن ابي اسحاق
ويحيى والكسائي ايها بالالف على الاصل الباقون بغير الالف لانها كذلك وقعت في
المصحف ادع لنا ربك بما عهد عندك اي بما اخبرتنا عن عهده اليك انا ان امنا كشف

ننسله يكشف عنا انا لمهتدون اي فيما نستقبل فلما كشفنا عنهم العذاب اي فزعا فكشفنا اذا هم ينكثون اي ينقضون العهد الذي جعلوه على انفسهم بالايمان فلما كشف عنهم العذاب نكثوا قوله تعالى ونادى فرعون في قومه قيل لما راى تلك الايات خاف ميل القوم اليه فجمع قومه فقال فنادى بمعنى قال قاله ابو مالك فيجوز ان يكون عنده عظما القبط فرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم بشر عنه في جموع القبط وكانه نودي به فيهم وقيل امر مناديا في قومه فقال فنادى بمعنى فقال قاله ابن جريج قال يا قوم اليس لي ملك مصر اي لا ينازعني فيه احد قيل انه ملك منها اربعين فرسخا في مثلها حكاه النقاش وقيل المراد بالملك هنا الاسكندرية وهذه الانهار تجري من تحتي يعني انهار النيل ومعظمها اربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قال قتادة كانت جنانا وانهارا تجري من تحت قصوره وقيل من تحت سريره وقيل من تحتي قصر ر فما مر من غير صانع وقيل كان اذا امسك عنانه امسك النيل عن الجري قال القشيري ويجوز ظهور خوارق العادة على مدعي الربوبية ولا حاجة في تمييز الاله من غير الاله الى فعل خارق للعادة وقيل المعنى وهذه الانهار تجري من تحتي اي القواد والرؤسا والجبابرة يسيرون تحت لوائي قاله الضحاك وقيل اراد بالانهار الاموال وعبر عنها بالانهار لكثرتها وظهورها وقوله تجري من تحتي اي افرقها على من يتبعني لان الترغيب والقدرة في الاموال دون الانهار افلا تبصرون عظمتي وضعف موسى وقيل قدرتي على نفقتكم وعجز موسى والواو في هذه يجوز ان تكون عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال منها ويجوز ان تكون واو الحال واسم الاشارة مبتدا والانهار صفة لاسم الاشارة وتجري خبر للمبتدا وفتح اليا من تحتي اهل المدينة والبزي وابو عمرو واسكن الباقون وعن عبد الله بن طاهر انه ولي ما جرح اليها فلما شارفها وقع عليها بصره قال اهي القرية التي فخر بها فرعون حتى قال اليس لي ملك مصر والله لهي عندي اقل من ان ادخلها فاثنى عنانه ثم صرح بحاله فقال ام انا خير قال ابو عبيدة والسدي ام بمعنى بل وليست بحرف عطف على قول اكثر المفسرين والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير من هذا الذي هو مهين اي لا عز له فهو يمتهن في نفسه في حاجاته لحقارته وضعفه يعني ما كان في لسانه من العقدة على ما تقدم في طه وقال الفراء في ام وجهان ان شئت جعلتها من الاستفهام الذي جعل بام لاتصاله بكلام قبله وان شئت جعلتها نسقا على قوله اليس لي ملك مصر وقيل هي زائدة روى ابو زيد عن العرب انهم يجعلون ام زائدة والمعنى انا خير من هذا الذي هو مهين وقال الاخفش في الكلام حذف والمعنى افلا تبصرون ام تبصرون كما قال • ايا ظبية الوعسا بين جلاجل • وبين النقا انت ام ام سالم • اي انت احسن ام ام سالم ثم ابتدا فقال انا خير وقال الخليل وسيبويه المعنى افلا تبصرون ام انتم بصراء فعطف بام على افلا تبصرون لان معنى ام انا خير اي ام تبصرون وذلك انهم قالوا له انت خير منه كانوا عنده بصراء وروى عن عيسى الثقفي ويعقوب الحضرمي انهما وقفا على ام على ان يكون التقدير افلا تبصرون ام تبصرون فحذف تبصرون الثاني وقيل من وقف على ام جعلها زائدة وكانه وقف على تبصرون من قوله افلا تبصرون ولا يتم الكلام على تبصرون عند الخليل وسيبويه لان ام تقتضي الاتصال بما قبلها وقال قوم الوقف على قوله افلا تبصرون ثم ابتدا ام انا خير بمعنى بل انا خير انشد الفرا • بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحى • وصورتها ام انت في العين املح • فمعناه بل انت املح وذكر الفرا ان بعض القرا قرا اما انا خير ومعنى هذا الست خيرا وروى عن مجاهد انه وقف على ام ثم يبتدي انا خير وقد ذكرنا قوله تعالى فلولا اي هلا القي عليه اساورة من ذهب انما قال ذلك لانه كانت عادة الوقت وزي اهل الشرف وقرا حفص اسورة جمع سوار كخمار واخمرة وقرا ابي اساور جمع اسوار وابن مسعود اساوير الباقون اساورة جمع الاسورة فهو جمع الجمع ويجوز ان تكون اساورة جمع اسوار والحقت الها في الجمع عوضا من اليا فهو مثل زناديق وزنادقة وبطاريق وبطارقة

وشبهه وقال ابو عمرو بن العلا واحد الاساورة والاساور والاساوير اسوار وهي لغة في سوار وقال مجاهد كانوا اذا سوروا رجلا سوروه بسوارين وطوقوه بطوق ذهب علامة لسيادته فقال فرعون هلا القى رب موسى عليه اساورة من ذهب ان كان صادقا او جاء معه الملائكة مقترنين يعني متتابعين في قول قتادة ومجاهد يمشون معا ابن عباس يعاونونه على من خالفه والمعنى هلا ضم اليه الملائكة التي يزعم انها عند ربه حتى يتكثر بهم ويصرفهم على امره ونهيه فيكون ذلك اهيب في القلوب فاوهم قومه ان رسل الله ينبغي ان يكونوا كرسل الملوك في الشاهد ولم يعلم ان رسل الله انما ايدوا بالجنود السماوية وكل عاقل يعلم ان حفظ الله موسى مع تفرده ووحدته من فرعون مع كثرة اتباعه وامداد موسى بالعصا واليد البيضا كان ابلغ من ان يكون له اسورة او ملائكة يكونون اعوانا في قول مقاتل او دليلا على صدقه في قول الكلبي وليس يلزم هذا لان الاعجاز كاف وقد كان في الجايز ان يكذب مع مجي الملائكة كما كذب مع ظهور الايات وذكر فرعون حكاية عن لفظ موسى لانه لا يؤمن بالملائكة من لا يعرف خالقهم قوله تعالى فاستخف قومه قال ابن الانباري المعنى فاستجهل قومه فاطاعوه لخفة احلامهم وقلة عقولهم يقال استخفه الفرح اي ازعجه واستخفه اي حمله على الجهل ومنه ولا يستخفنك الذين لا يوقنون وقيل استفزهم بالقول فاطاعوه على التكذيب وقيل استخف قومه اي وجدهم خفاف العقول وهذا لا يدل على انه يجب ان يطيعوه فلا بد من اضمار بعد تقديره وجدهم خفاف العقول فدعاهم الى الغواية فاطاعوه وقيل اي استخف بقومه وقهرهم حتى اتبعوه يقال استخفه خلاف استثقله واستخف به اهانه انهم كانوا قوما فاسقين اي خارجين عن طاعة الله قوله تعالى فلما آسفونا انتقمنا منهم روى الضحاك عن ابن عباس اي غاظونا واغضبونا وروى عنه علي بن ابي طلحة اي اسخطونا قال الماوردي ومعناهما مختلف والفرق بينهما ان السخط اظهار الكراهة والغضب ارادة الانتقام القشيري والاسف هنا بمعنى الغضب والغضب من الله اما ارادة العقوبة فيكون من صفات الذات واما عين العقوبة فيكون من صفات الفعل وهو معنى قول الماوردي وقال عمر بن ذر يا اهل معاصي الله لا تغتروا بطول حلم الله عنكم واحذروا اسفه فانه قال فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل آسفونا اي اغضبوا رسلنا واولياءنا المؤمنين نحو السحرة وبني اسرائيل وهو كقوله يؤذون الله ويحاربون الله اي اولياءه ورسله قوله تعالى فجعلناهم سلفا اي جعلنا قوم فرعون سلفا قال ابو مجلز سلفا لمن عمل عملهم ومثلا لمن لم يعمل عملهم وقال مجاهد سلفا اخبارا لامة محمد صلى الله عليه وسلم ومثلا اي عبرة لهم وعنه ايضا سلفا لكفار قومك يتقدمونهم الى النار قتادة سلفا الى النار ومثلا عظة لمن ياتي بعدهم والسلف المتقدم يقال سلف يسلف سلفا مثل طلب طلبا اي تقدم ومضى وسلف له عمل صالح اي تقدم والقوم السلاف المتقدمون وسلف الرجل اباؤه المتقدمون والجمع اسلاف وسلاف وقراءة العامة سلفا بفتح السين واللام جمع سالف كخادم وخدم وراصد ورصد وحارس وحرس وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام قال الفرا هو جمع سليف نحو سرير وسرر وقال ابو حاتم هو جمع سلف نحو خشب وخشب وثمر وثمر ومعناهما المتقدم وقرا علي وابن مسعود وعلقمة وابو وايل والنخعي وحميد بن قيس سلفا بضم السين وفتح اللام جمع سلفة اي فرقة متقدمة قال المورج والنضر بن شميل سلفا جمع سلفة نحو غرفة وغرف وطرفة وطرف وظلمة وظلم قوله تعالى ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك الاية لما قال تعالى واسال من ارسلنا من قبلك الاية تعلق المشركون بامر عيسى وقالوا ما يريد محمد الا ان نتخذه الها كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم الها قاله قتادة ونحوه عن مجاهد قال ان قريشا قالت ان محمدا يريد ان نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى فانزل الله تعالى هذه الاية وقال ابن عباس اراد به مناظرة عبد الله بن الزبعرى السهمي حال كفره لما قالت له قريش ان محمدا يتلو انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الاية فقال لو حضرته لرددت عليه قالوا وما كنت تقول قال كنت اقول له هذا المسيح تعبده النصارى

واليهود تعبد عزيرا فهما من حصب جهنم فعجبت قريش من مقالته ورأوا أنه قد خصم
وذلك معنى قوله يصدون فأنزل الله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها
مبعدون ولو تأمل ابن الزبعرى الآية ما اعترض عليها لأنه قال وما تعبدون ولم يقل
ومن تعبدون وإنما أراد الأصنام ونحوها مما لا يعقل ولم يرد المسيح ولا الملائكة وإن كانوا
معبودين وقد مضى هذا في آخر سورة الأنبياء وروى ابن عباس أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لقريش لا خير في أحد يعبد من دون الله قالوا أليس تزعم أن عيسى
كان عبدا نبيا وعبدا صالحا فإن كان كما تزعم فقد كان يعبد من دون الله فأنزل
الله ولما ضرب ابن مريم مثلا الآية أي يضجون كضجيج الإبل عند حمل الأثقال وقرأ
نافع وابن عامر والكسائي يصدون بضم الصاد ومعناه يعرضون قاله النخعي وكسر
الباقون قال الكسائي هما لغتان مثل يعرشون ويعرشون وينمون وينمون ومعناه
يضجون قال الجوهري وصد يصد صديدا أي ضج وقيل إنه بالضم من الصدود وهو
الإعراض وبالكسر من الضجيج قاله قطرب واختارها أبو عبيد وأبو حاتم قال أبو عبيد
لو كانت من الصدود عن الحق لكانت إذا قومك عنه يصدون الفراء هما سواء منه وعنه
وقال ابن المسيب يصدون يضجون الضحاك يعجون ابن عباس يضحكون أبو عبيدة
من ضم فمعناه يعدلون فيكون المعنى من أجل المثل يعدلون ولا يعدى يصدون
بمن ومن كسر فمعناه يضجون فمن متصلة بيصدون والمعنى يضجون منه قوله
تعالى وقالوا أآلهتنا خير أم هو أي آلهتنا خير أم عيسى قاله السدي وقال خاصموه وقالوا
إن كان كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى و
والملائكة وعزيرا فأنزل الله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية قال قتادة أم
هو يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وفي قراءة ابن مسعود آلهتنا خير أم هذا وهو يقوي
قول قتادة أم هو يعنون محمدا فهو استفهام تقرير في أن آلهتهم خير وقرأ الكوفيون
ويعقوب أآلهتنا بتحقيق الهمزة ولين الباقون وقد تقدم ما ضربوه لك إلا جدلا
أي جدلا يعني ما ضربوا لك هذا المثل إلا إرادة الجدل لأنهم علموا أن المراد حصب جهنم
ما اتخذوه من الموات بل هم قوم خصمون مجادلون بالباطل وفي صحيح الترمذي عن
أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه
إلا أوتوا الجدل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ما ضربوه لك إلا جدلا
بل هم قوم خصمون قوله تعالى إن هو إلا عبد أنعمنا عليه أي ما عيسى إلا عبد
أنعم الله عليه بالنبوة وجعله مثلا لبني إسرائيل أي آية وعبرة يستدل بها على قدرة
الله تعالى فإن عيسى كان من غير أب ثم جعل له من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص
والأسقام كلها ما لم يجعل لغيره في زمانه مع أن بني إسرائيل كانوا يومئذ خير الخلق
وأحبه إلى الله عز وجل والناس دونهم ليس أحد عند الله عز وجل مثلهم وقيل
المراد بالعبد المنعم عليه محمد صلى الله عليه وسلم والأول أظهر ولو نشاء لجعلنا منكم
أي بدلا منكم ملائكة يكونون خلفا عنكم قاله السدي ونحوه عن مجاهد قال
ملائكة يعمرون الأرض بدلا منكم وقال الأزهري إن من قد تكون للبدل بدليل
هذه الآية قال الشيخ القرطبي رحمه الله هذا المعنى في براءة وغيرها وقيل لو نشاء
لجعلنا من الإنس ملائكة وإن لم تجر العادة بذلك والجواهر جنس واحد والاختلاف
في الأوصاف والمعنى لو نشاء لأسكنا الأرض الملائكة وليس في إسكاننا إياهم السماء
شرف حتى يعبدوا أو يقال لهم بنات الله ومعنى يخلفون يخلف بعضهم بعضا قوله
تعالى وإنه لعلم قال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير يريد القرآن لأنه يدل على
قرب مجيء الساعة وبه تعلم الساعة وأهوالها وقال ابن عباس ومجاهد والضحاك
والسدي وقتادة أيضا إنه خروج عيسى عليه السلام وذلك من أعلام الساعة
لأن الله ينزله من السماء قبيل قيام الساعة كما أن خروج الدجال من أعلام الساعة
وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك وإنه لعلم الساعة

بفتح العين واللام أي أمارة وقد روي عن عكرمة وإنه للعلم بلامين وذلك خلاف
المصاحف وعن عبد الله بن مسعود قال لما كان ليلة أسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم لقي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام فتذاكروا الساعة فبدأوا بإبراهيم فسألوه
عنها فلم يكن عنده منها علم ثم سألوا موسى فلم يكن عنده منها علم فرد الحديث إلى عيسى
ابن مريم قال قد عهد إلي فيما دون وجبتها فأما وجبتها فلا يعلمها إلا الله عز وجل فذكر
خروج الدجال قال فأنزل فأقتله وذكر الحديث خرجه ابن ماجه في سننه وفي صحيح
مسلم فبينما هو كذلك يبغي المسيح الدجال إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارة
البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه
قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ ولا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث
ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله الحديث وذكر الثعلبي والزمخشري وغيرهما
من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ينزل عيسى ابن مريم عليه السلام
على ثنية من الأرض المقدسة يقال لها أفيق بين ممصرتين وشعر رأسه دهين وبيده
حربة يقتل بها الدجال فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر والإمام يؤم
بهم فيتأخر الإمام فيتقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم
ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن
به وروى خالد عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنبياء إخوة أمهاتهم
شتى ودينهم واحد وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم إنه ليس بيني وبينه نبي وإنه
أول نازل فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويقاتل الناس على الإسلام قال الماوردي
وحكي أن عيسى عن قوم أنهم قالوا إذا نزل عيسى رفع التكليف لئلا يكون رسولا إلى
ذلك وهذا قول مردود لثلاثة أمور منها الحديث ولأن بقاء الدنيا يقتضي التكليف فيها
ولأنه ينزل آمرا بمعروف وناهيا عن منكر وليس يستنكر أن يكون أمر الله تعالى له مقصورا
على تأييد الإسلام والأمر به والدعاء إليه قال الشيخ القرطبي رحمه الله ثبت في صحيح
مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن
مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية ولتتركن القلاص
فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد وليدعون إلى المال فلا
يقبله أحد وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم
فيكم وإمامكم منكم وفي رواية فأمكم منكم قال ابن أبي ذئب تدري ما أمكم منكم قلت
تخبرني قال فأمكم بكتاب الله وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال علماؤنا رحمة
الله عليهم فهذا نص على أنه ينزل مجددا لدين النبي صلى الله عليه وسلم الذي درس
منه لا بشرع مبتدأ والتكليف باق على ما بيناه هنا وفي كتاب التذكرة وقيل وإنه
لعلم للساعة أي وإن إحياء عيسى الموتى دليل على الساعة وبعث الموتى قاله ابن
إسحاق قال الشيخ القرطبي رحمه الله ويحتمل أن يكون المعنى وإنه وإن محمدا صلى الله
عليه وسلم لعلم للساعة بدليل قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم السبابة
والوسطى خرجه البخاري ومسلم وقال الحسن أول أشراطها محمد صلى الله عليه وسلم
فلا تمترن بها أي فلا تشكون فيها يعني الساعة قاله يحيى بن سلام وقال
السدي فلا تكذبون بها ولا تجادلون فيها فإنها كائنة لا محالة واتبعون أي في التوحيد
وفيما أبلغكم عن الله هذا صراط مستقيم أي طريق قويم إلى الله أي إلى الجنة وأثبت الياء
يعقوب في قوله واتبعون في الحالين وكذلك وأطيعون وأبو عمرو وإسماعيل عن
نافع في الوصل دون الوقف وحذف الباقون في الحالين ولا يصدنكم الشيطان أي لا
تغتروا بوساوسه وشبه الكفار المجادلين فإن شرائع الأنبياء لم تختلف في التوحيد
ولا فيما أخبروا به من علم الساعة وغيرها مما تضمنته من جنة أو نار إنه لكم عدو مبين
تقدم في البقرة وغيرها قوله تعالى ولما جاء عيسى بالبينات قال ابن عباس
يريد إحياء الموتى وإبراء الأسقام وخلق الطير والمائدة وغيرها والإخبار بكثير من

العيوب وقال قتادة البينات هنا الانجيل قال قد جئتكم بالحكمة اي النبوة قاله السدي
ابن عباس علم ما يودي الى الجميل ويكف عن القبيح وقيل الانجيل ذكره القشيري والماوردي
ولابين لكم بعض الذي تختلفون فيه قال مجاهد من تبديل التوراة الزجاج المعنى
لابين لكم في الانجيل بعض الذي تختلفون فيه قال مجاهد من تبديل التوراة المعنى
لابين لكم بعض الذي تختلفون فيه وبين لهم في غير الانجيل بعض الذي اختلفوا فيه من
احكام التوراة على قدر ما سالوه ويجوز ان يختلفوا في اشيا غير ذلك لم يسالوه عنها وقيل
ان بني اسرائيل اختلفوا بعد موت موسى في اشيا من امر دينهم واشيا من امر دنياهم
فبين لهم امر دينهم ومذهب ابي عبيدة ان البعض بمعنى الكل ومنه قوله تعالى يصبكم
بعض الذي يعدكم وانشد الاخفش قول لبيد •
ترّاك امكنة اذا لم ارضها • او يعتلق بعض النفوس حمامها •
والموت لا يعتلق بعض النفوس دون بعض ويقال للمنية علوق وعلاقة وقال المفضل
البكري • وسايلة بثعلبة بن سير وقد علقت بثعلبة العلوق • وقال مقاتل هو كقوله
ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم يعني ما احل في الانجيل مما كان محرما في التوراة كلحم
الابل والشحم من كل حيوان وصيد السمك يوم السبت فاتقوا الله اي اتقوا الشرك ولا
تعبدوا الا الله وحده واذا كان هذا قول عيسى فكيف يجوز ان يكون الاها او ابن
اله واطيعون ما ادعوكم اليه من التوحيد وغيره ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه
اي عبادة الله صراط مستقيم وما سواه معوج ولا يودي سالكه الى الحق قوله
تعالى فاختلف الاحزاب من بينهم قال قتادة يعني ما بينهم وفيه قولان احدهما
انهم اهل الكتاب من اليهود والنصارى خالف بعضهم بعضا قاله مجاهد والسدي
الثاني فرق النصارى من النسطورية والملكية واليعاقبة اختلفوا في عيسى فقالت
النسطورية هو ابن الله وقالت اليعاقبة هو الله وقالت الملكية هو ثالث ثلاثة
احدهم الله قاله الكلبي ومقاتل وقد مضى هذا في مريم فويل للذين ظلموا اي كفروا
واشركوا كما في مريم من عذاب يوم اليم اي اليم عذابه ومثله ليل نايم اي ينام فيه
هل ينظرون يريد الاحزاب لا ينظرون الا الساعة يريد القيمة ان تاتيهم بغتة اي
فجاة وهم لا يشعرون لا يفطنون وقد مضى في غير موضع وقيل المعنى لا ينتظر مشركوا
العرب الا الساعة ويكون الاحزاب على هذا الذين تحزبوا على النبي صلى الله عليه
وسلم وكذبوه من المشركين ويتصل هذا بقوله ما ضربوه لك الا جدلا قوله تعالى
الاخلا يومئذ يوم القيمة بعضهم لبعض عدو اي اعدا يعادي بعضهم بعضا ويلعن
بعضهم بعضا الا المتقين فانهم اخلا في الدنيا والاخرة قال معناه ابن عباس ومجاهد
وغيرهما وحكى النقاش ان هذه الاية نزلت في امية بن خلف الجمحي وعقبة بن معيط
كانا خليلين وكان عقبة يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فقالت قريش قد صبا عقبة
ابن ابي معيط فقال له امية وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا ولم تتفل في وجهه
ففعل عقبة ذلك فنذر النبي صلى الله عليه وسلم قتله فقتله يوم بدر صبرا وقتل
امية في المعركة وفيهم نزلت هذه الاية وذكر الثعلبي عن علي رضي الله عنه في هذه
الاية قال كان خليلان مومنان وخليلان كافران فمات احد المومنين فقال
يا رب ان فلانا كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك وكان يامرني بالخير وينهاني
عن الشر ويخبرني اني ملاقيك يا رب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني واكرمه كما
اكرمتني فاذا مات خليله المومن جمع الله بينهما فيقول الله تعالى ليثن كل واحد
منكما على صاحبه فيقول يا رب انه كان يامرني بطاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالخير
وينهاني عن الشر ويخبرني اني ملاقيك فيقول الله تعالى نعم الخليل ونعم الاخ
ونعم الصاحب كان قال ويموت احد الكافرين فيقول يا رب ان فلانا كان ينهاني
عن طاعتك وطاعة رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير ملاقيك
فاسالك يا رب ان لا تهده بعدي وان تضله كما اضللتني وان تهينه كما اهنتني فاذا

مات

مات خليله الكافر قال الله تعالى لهما ليثن كل واحد منكما على صاحبه فيقول يا رب
انه كان يامرني بمعصيتك ومعصية رسولك ويامرني بالشر وينهاني عن الخير ويخبرني اني غير
ملاقيك فاسالك ان تضاعف عليه العذاب فيقول الله بيس الصاحب والاخ والخليل
كنت فيلعن كل واحد منهما صاحبه قال الشيخ القرطبي رحمه الله والاية عامة في كل مومن
ومتق وكافر ومضل قوله تعالى يا عبادي لا خوف عليكم اليوم الاية قال مقاتل ورواه
المعتمر بن سليمان عن ابيه ينادي مناد في العرصات يا عبادي لا خوف عليكم فيرفع اهل
العرصة روسهم فيقول المنادي الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس اهل الاديان
روسهم غير المسلمين وذكر المحاسبي في الرعاية وقد روي في الحديث ان المنادي ينادي يوم
القيامة يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون فيرفع الخلايق روسهم يقولون
نحن عباد الله ثم ينادي الثانية الذين امنوا باياتنا وكانوا مسلمين فينكس الكفار روسهم
ويبقى الموحدون رافعي روسهم ثم ينادي الثالثة الذين امنوا وكانوا يتقون فينكس اهل
الكباير روسهم ويبقى اهل التقوى رافعي روسهم قد ازال عنهم الخوف والحزن كما وعدهم لانه
اكرم الاكرمين لا يخذل وليه ولا يسلمه عند الهلكة وقرى يا عباد قوله تعالى الذين امنوا
قال الزجاج الذين نصب على النعت لعبادي لان عبادي منادى مضاف وقيل الذين امنوا
ابتدا وخبره محذوف تقديره هم الذين امنوا او الذين امنوا يقال لهم ادخلوا الجنة وقرا ابو بكر
وزر بن حبيش يا عبادي بفتح اليا واثبتها في الحالين وكذلك اثبتها نافع وابن عامر وابو
عمرو ورويس في الحالين وحذفها الباقون في الحالين لانها وقعت مثبتة في مصاحف المدينة
والشام لا غير ادخلوا الجنة اي يقال لهم ادخلوا الجنة انتم وازواجكم المسلمات في الدنيا
وقيل قرناوكم من المومنين وقيل زوجاتكم من الحور العين تحبرون تكرمون قاله ابن عباس
والكرامة في المنزلة الحسن تفرحون والفرح في القلب قتادة تنعمون والنعيم في البدن
مجاهد تسرون والسرور في العين ابن ابي نجيح تعجبون والعجب هاهنا درك ما يستطرف
يحيى بن ابي كثير هو التلذذ في السماع وقد مضى هذا في الروم قوله تعالى يطاف
عليهم بصحاف من ذهب واكواب فيها اربع مسايل الاولى يطاف عليهم بصحاف من ذهب
واكواب اي لهم في الجنة اطعمة واشربة يطاف بها عليهم في صحاف من ذهب واكواب
ولم يذكر الاطعمة والاشربة لانه يعلم انه لا معنى للاطافة بالصحاف والاكواب عليهم من غير
ان يكون فيها شي وذكر الذهب في الصحاف واستغنى به عن الاعادة في الاكواب كقوله
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات وفي الصحيحين عن حذيفة انه سمع النبي صلى الله عليه
وسلم يقول لا تلبسوا الحرير ولا الديباج ولا تشربوا في انية الذهب والفضة ولا تاكلوا في
صحافها فانها لهم في الدنيا ولكم في الاخرة وقد مضى في سورة الحج ان من اكل فيها في الدنيا
او لبس الحرير في الدنيا ولم يتب حرم ذلك في الاخرة تحريما موبدا والله اعلم وقال
المفسرون يطوف على ادناهم في الجنة منزلة سبعون الف غلام بسبعين الف صحيفة
من ذهب يغدى عليه بها في كل واحدة منها لون ليس في صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل
من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم اولها لا يشبه بعضه بعضا ويراح عليه بمثلها ويطوف
على ارفعهم درجة كل يوم سبعماية الف غلام مع كل غلام صحفة من ذهب فيها لون من
الطعام ليس في صاحبتها ياكل من اخرها كما ياكل من اولها ويجد طعم اخرها كما يجد طعم
اولها لا يشبه بعضه بعضا واكواب اي ويطاف عليهم باكواب كما قال ويطاف عليهم
باكواب من فضة واكواب وذكر ابن المبارك قال اخبرنا معمر عن رجل عن ابي قلابة قال
يوتون بالطعام والشراب فاذا كان في اخر ذلك اوتوا بالشراب الطهور فتضمر لذلك
بطونهم ويفيض عرقا من جلودهم اطيب من ريح المسك ثم قرا شرابا طهورا وفي صحيح مسلم
عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اهل الجنة
ياكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون قالوا فما بال الطعام
قال جشا ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد والتكبير في رواية كما يلهمون
النفس الثانية روى الايمة من حديث ام سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي

يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم وقال لا تشربوا في آنية
الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافها وهذا يقتضي التحريم ولا خلاف في ذلك واختلف
الناس في استعمالها في غير ذلك قال ابن العربي والصحيح أنه لا يجوز للرجال استعمالها
في شيء لقول النبي صلى الله عليه وسلم في الذهب والحرير هذان حرام لذكور أمتي حل لإناثها
والنهي عن الأكل والشرب فيهما يدل على تحريم استعمالهما لأنه نوع من المتاع فلم يجز أصله
الأكل والشرب ولأن العلة في ذلك استعجال أمر الآخرة وذلك يستوي فيه الأكل والشرب
وسائر أجزاء الانتفاع ولأنه صلى الله عليه وسلم قال هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة
فلم يجعل لنا فيها حظا في الدنيا إلا أنه إذا كان الإناء مضببا بهما أو فيه حلقة فقال
مالك لا يعجبني أن يشرب فيه وكذلك المرآة تكون فيها الحلقة من الفضة ولا يعجبني أن
ينظر فيها وجهه وقد كان عند أنس إناء مضبب بفضة وقال لقد سقيت فيه النبي صلى
الله عليه وسلم قال ابن سيرين كان فيه حلقة حديد فأراد أنس أن يجعل فيه حلقة فضة
فقال أبو طلحة لا تغيرن شيئا مما صنعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتركه الرابعة
إذا لم يجز استعمالها لم يجز اقتناؤها لأن ما لا يجوز استعماله لا يجوز اقتناؤه كالصنم والطنبور
وفي كتب علمائنا أنه يلزم الغرم في قيمتها لمن كسرها وهو معنى فاسد فإن كسرها واجب
فلا ثمن لقيمتها ولا يجوز تقويمها في الزكاة بحال وغير هذا لا يلتفت إليه قوله تعالى
بصحاف قال الجوهري الصحفة كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي أعظم القصاع
الجفنة ثم القصعة تليها تشبع العشرة ثم الصحفة تشبع الخمسة ثم المكيلة تشبع الرجلين
والثلاثة ثم الصحيفة تشبع الرجل والصحيفة الكتاب والجمع صحف وصحائف قوله
تعالى وأكواب قال الجوهري الكوب كوز لا عروة له والجمع أكواب قال الأعشى يصف الخمر

صريفية طيب طعمها * لها زبد بين كوب ودن
وقال آخر
متكئا تصفق أبوابه * يسعى عليه العبد بالكوب

وقال قتادة الكوب المدور القصير العنق القصير العروة والإبريق المستطيل العنق
الطويل العروة وقال الأخفش الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها وقال قطرب هي
الأباريق التي ليست لها عرى وقال مجاهد إنها الآنية المدورة الأفواه السدي هي التي
لا آذان لها ابن عزيز أكواب أباريق لا عرى لها ولا خراطيم واحدها كوب قال الشيخ القرطبي
رحمه الله وهو معنى قول مجاهد والسدي وهو مذهب أهل اللغة أنها التي لا آذان لها
ولا عرى قوله تعالى وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وروى الترمذي عن
سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
هل في الجنة من خيل قال إن الله إذا أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس
من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت قال وسأله رجل فقال يا رسول الله هل في الجنة
من إبل قال فلم يقل له ما قال لصاحبه فقال إن يدخلك الله الجنة لك فيها ما اشتهت
نفسك ولذت عينك وقرأ أهل المدينة وابن عامر وأهل الشام وفيها ما تشتهيه الأنفس
الباقون تشتهي الأنفس أي تشتهيه الأنفس تقول الذي ضربت زيد أي الذي ضربته
زيد وتلذ الأعين تقول لذ الشيء يلذ لذاذا ولذاذة ولذذت بالشيء ألذ بالكسر في
الماضي والفتح في المستقبل لذاذا ولذاذة إذا وجدته لذيذا والتذذت به بمعنى أي
في الجنة ما تستلذه العين فكان حسن المنظر وقال سعيد بن جبير وتلذ الأعين
النظر إلى الله عز وجل كما في الخبر أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم وأنتم فيها خالدون
باقون دائمون لأنها لو انقطعت لتنغصت قوله تعالى وتلك الجنة أي يقال لهم هذه
تلك الجنة التي كانت توصف لكم في الدنيا وقال ابن خالويه أشار تعالى إلى الجنة
بتلك وإلى جهنم بهذه ليخوف بجهنم ويؤكد التحذير منها وجعلها بالإشارة القريبة
كالحاضرة التي ينظر إليها التي أورثتموها بما كنتم تعملون قال ابن عباس خلق الله
لكل نفس جنة ونارا فالكافر يرث نار المسلم والمسلم يرث جنة الكافر وقد تقدم هذا
مرفوعا في قد أفلح المؤمنون من حديث أبي هريرة وفي الأعراف أيضا قوله تعالى

لكم

لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون الفاكهة معروفة وأجناسها الفواكه والفاكهاني
الذي يبيعها وقال ابن عباس هي الثمار كلها رطبها ويابسها أي لهم في الجنة سوى
الطعام والشراب فاكهة كثيرة يأكلون منها قوله تعالى إن المجرمين في عذاب
جهنم خالدون لما ذكر أحوال أهل النار ليبين فضل المطيع على العاصي لا يفتر عنهم
أي لا يخفف عنهم ذلك العذاب وهم فيه مبلسون أي آيسون من الرحمة وقيل
ساكتون سكوت يأس وقد مضى في الأنعام وما ظلمناهم بالعذاب ولكن كانوا هم
الظالمين أنفسهم بالشرك ويجوز ولكن كانوا هم الظالمون بالرفع على الابتداء والخبر
والجملة خبر كان قوله تعالى ونادوا يا مالك وهو خازن جهنم خلقه لغضبه
إذا زجر النار زجرة أكل بعضها بعضا وقرأ علي وابن مسعود رضي الله عنهما ونادوا
يا مال وذلك خلاف المصحف وقال أبو الدرداء وابن مسعود قرأ النبي صلى الله عليه
وسلم ونادوا يا مال باللام خاصة يعني رخم الاسم وحذف الكاف والترخيم الحذف
ومنه ترخيم الاسم في النداء وهو أن يحذف من آخره حرف أو أكثر فتقول في مالك
يا مال وفي حارث يا حار وفي فاطمة يا فاطم وفي عائشة يا عائش وفي مروان يا مرو
وهكذا قال يا حار لا أرمين منكم بداهية لم يلقها سوقة قبلي ولا ملك وقال امرؤ القيس

أحار ترى برقا أريك وميضه * كلمع اليدين في حبي مكلل
وقال أيضا
أفاطم مهلا بعض هذا التدلل * وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي
آخر
يا مرو إن مطيتي محبوسة * ترجو الحباء وربها لم ييأس

وفي صحيح الحديث أي قد ذكر في آخر الاسم المرخم وجهان أحدهما أن تبقيه
على ما كان عليه قبل الحذف والآخر أن تبنيه على الضم مثل يا زيد كأنك أنزلته
منزلته ولم تراع المحذوف وذكر أبو بكر الأنباري نا محمد بن يحيى المروزي نا محمد
وهو ابن سعدان نا حجاج عن شعبة عن الحكم عن عيينة عن مجاهد قال كنا لا
ندري ما الزخرف حتى وجدناه في قراءة عبد الله بيت من ذهب وكنا لا ندري ونادوا
يا مالك أو يا ملك بفتح اللام وكسرها حتى وجدناه في قراءة عبد الله ونادوا يا مال على
الترخيم قال أبو بكر لا يعمل بهذا الحديث لأنه مقطوع لا يقبل مثله في الرواية عن الرسول
عليه السلام وكتاب الله أحق أن يحتاط له وينفى عنه الباطل قال الشيخ القرطبي رحمه
الله وفي صحيح البخاري عن صفوان بن يعلى عن أبيه قال سمعت النبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ على المنبر ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك بإثبات الكاف وقال محمد بن كعب
القرظي بلغني أو ذكر لي أن أهل النار استغاثوا بالخزنة فقال الله تعالى وقال الذين
في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فسألوا يوما واحدا يخفف
عنهم فيه العذاب فردت عليهم قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا
فادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما يئسوا مما عند الخزنة نادوا مالكا وهو
عليهم وله مجلس في وسطها وجسور تمر عليها ملائكة العذاب فهو يرى أقصاها كما
يرى أدناها فقالوا يا مالك ليقض علينا ربك قالوا سألوا الموت قال فسكت عنهم لا يجيبهم
ثمانين سنة قال والسنة ستون وثلاثمائة يوم والشهر ثلاثون يوما واليوم كألف
سنة مما تعدون ثم لحظ إليهم بعد الثمانين فقال إنكم ماكثون وذكر الحديث ذكره ابن
المبارك وفي حديث أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فيقولون ادعوا مالكا
فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون قال الأعمش نبئت أن بين دعائهم
وبين إجابة مالك إياهم ألف عام خرجه الترمذي وقال ابن عباس يقولون ذلك
فلا يجيبهم ألف سنة ثم يقول إنكم ماكثون وقال مجاهد ونوف البكالي بين ندائهم
وإجابته إياهم مائة سنة وقال عبد الله بن عمرو أربعون سنة ذكره ابن المبارك
قوله تعالى لقد جئناكم بالحق يحتمل أن يكون هذا من قول مالك لهم أي إنكم ماكثون
لأنا جئناكم في الدنيا بالحق فلم تقبلوا ويحتمل أن يكون من كلام الله لهم اليوم أي بينا
لكم الأدلة وأرسلنا إليكم الرسل ولكن أكثركم قال ابن عباس ولكن أكثركم أي ولكن كلكم

وقيل اراد بالكثرة الرؤساء والقادة منهم واما الاتباع فما كان لهم اكراه للحق اي للاسلام
ودين الله كارهون قوله تعالى ام ابرموا امرا فانا مبرمون قال مقاتل نزلت في
تدبيرهم بالمكر بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة حين استقر امرهم على ما
اشار به ابو جهل عليهم ان يبرز من كل قبيلة رجل ليشتركوا في قتله فتضعف المطالبة بدمه
فنزلت هذه الاية وقتل الله جميعهم ببدر ابرموا احكموا والابرام الاحكام ابرمت الشي
احكمته وابرم الفتال اذا احكم الفتل وهو الفتل الثاني والاول سحيل كما قال من سحيل
ومبرم فالمعنى ام احكموا كيدا فانا محكمون لهم كيدا قاله ابن زيد ومجاهد قتادة ام احكموا
على التكذيب فانا محكمون على الجزا بالبعث قاله الكلبي ام قضوا امرا فانا قاضون عليهم بالعذاب
وام بمعنى بل وقيل ام ابرموا عطف على قوله اجعلنا من دون الرحمن الهة يعبدون وقيل
اي ولقد جئناكم بالحق فلم تسمعوا ام سمعوا فاعرضوا لانهم في انفسهم ابرموا امرا امنوا به
العقاب قوله تعالى ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ونجواهم اي ما يسرونه في انفسهم
ويتناجون به بينهم بلى نسمع ونعلم ورسلنا لديهم يكتبون اي الحفظة عندهم يكتبون
عليهم وروي ان هذا نزل في ثلاثة نفر كانوا بين الكعبة واستارها فقال احدهم اترى
ان الله يسمع كلامنا وقال الثاني اذا جهرتم سمع واذا اسررتم لم يسمع وقال الثالث
ان كان يسمع اذا اعلنتم فهو يسمع اذا اسررتم قاله محمد بن كعب وقد مضى هذا المعنى عن
ابن مسعود في سورة فصلت قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد الاية في معناه
قال ابن عباس والحسن والسدي المعنى ما كان للرحمن ولد فان بمعنى ما ويكون الكلام
على هذا تاما ثم يبتدي فانا اول العابدين اي الموحدين من اهل مكة على انه لا ولد له
والوقف على العابدين تام وقيل المعنى قل يا محمد ان ثبت لله ولد فانا اول من يعبد
ولده ولكن يستحيل ان يكون له ولد وهو كما تقول لمن تناظره ان ثبت ما قلت بالدليل
فانا اول من يعتقده وهذا مبالغة في الاستبعاد اي لا سبيل الى اعتقاده وهذا
ترفيق في الكلام كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين والمعنى على هذا
فانا اول العابدين لذلك الولد لان تعظيم الولد تعظيم للوالد وقال مجاهد المعنى ان
كان للرحمن ولد فانا اول من عبده وحده على انه لا ولد له وقال السدي ايضا المعنى
لو كان له ولد كنت اول من عبده على ان له ولدا ولكن لا ينبغي ذلك قال المهدوي فان
على هذه الاقوال للشرط وهو الاجود وهو اختيار الطبري لان لو كانت بمعنى ما يتوهم
معه ان المعنى لم يكن له فيما مضى وقيل ان معنى العابدين الانفين وقال بعض
العلما لو كان كذلك لكان العبدين وكذلك قرا ابو عبد الرحمن اليماني فانا اول العبدين
بغير الف يقال عبد يعبد عبدا بالتحريك اذا انف وغضب فهو عبد والاسم العبدة
مثل الانفة عن ابي زيد قال الفرزدق

اولئك احلاسي فجئني بمثلهم ۝ واعبد ان اهجو كليبا بدارم ۝ وينشد ايضا

اولاك اناس لو هجوني هجوتهم ۝ واعبد ان تهجا كليب بدارم ۝

وقال الجوهري وقال [illegible] عمرو وقوله تعالى فانا اول العابدين من الانف والغضب
وقاله الكسائي والقتبي حكاه الماوردي عنهما وقال الهروي وقوله تعالى فانا اول
العابدين قيل هو من عبد يعبد وقيل هو من عبد يعبد اي من الانفين وقال
ابن عرفة انما يقال عبد يعبد فهو عبد وقلما يقال عابد والقران لا ياتي بالقليل
من اللغة ولا الشاذ ولكن المعنى فانا اول من يعبد الله عز وجل على انه واحد
لا ولد له وروي ان امراة دخلت على زوجها فولدت منه لستة اشهر فذكر ذلك لعثمان
فامر برجمها فقال له علي قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال في اية اخرى
وفصاله في عامين فوالله ما عبد عثمان ان ارسل اليها ترد وقال عبد الله بن
وهب يعني ما استنكف ولا انف وقال ابن الاعرابي اول العابدين اي الغضاب
الانفين وقيل فانا اول العابدين اي انا اول من يعبده على الوحدانية مخالفا
لكم ابو عبيدة معناه الجاحدين وحكى عبد يعبد اي جحد وقرا اهل الكوفة الا عاصما

ولدا بضم الواو وسكون اللام الباقون وعاصم ولدا وقد تقدم سبحان رب السموات
والارض اي تنزيها له وتقديسا نزه نفسه عن كل ما يقتضي الحدوث وامر النبي عليه
السلام بالتنزيه عما يصفون اي عما يقولون من الكذب فذرهم يخوضوا ويلعبوا يعني
كفار مكة حين كذبوا بعذاب الاخرة اي اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم
حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون اما العذاب في الدنيا او في الاخرة وقيل ان هذا
منسوخ باية السيف وقيل هو محكم وانما اخرج مخرج التهديد وقرا ابن محيصن ومجاهد
وحميد وابن القعقاع وابن السميقع حتى يلقوا بفتح الياء واسكان اللام من غير الف
وفتح القاف هنا وفي الطور والمعارج الباقون يلاقوا قوله تعالى وهو الذي
في السماء اله وفي الارض اله هذا تكذيب لهم في ان لله شريكا وولدا اي هو المستحق
للعبادة في السماء والارض وقال عمر رضي الله عنه وغيره المعنى وهو الذي في السماء
اله وفي الارض وكذلك قرا والمعنى انه يعبد فيهما وروي انه قرا هو وابن مسعود وغيرهما
وهو الذي في السماء الله وفي الارض الله وهذا خلاف المصحف واله رفع على انه خبر
مبتدا محذوف اي وهو الذي في السماء هو اله قاله ابو علي وحسن حذفه لطول الكلام
وقيل في بمعنى على كقوله في جذوع النخل اي على جذوع النخل اي هو القادر على السماء
والارض وهو الحكيم العليم تقدم قوله تعالى وتبارك الذي له ملك السموات والارض
وما بينهما تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وعنده علم الساعة اي وقت قيامها واليه
ترجعون قرا ابن كثير وحمزة والكسائي واليه يرجعون بالياء الباقون بالتاء وكان
ابن محيصن وحميد ويعقوب وابن ابي اسحاق يفتحون اوله على اصولهم وضم الباقون
قوله تعالى ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى الا من شهد بالحق من في موضع الخفض واراد بالذين
يدعون عيسى وعزيرا والملائكة والمعنى ولا يملك هولا الشفاعة الا لمن شهد بالحق
وامن على علم وبصيرة قاله سعيد بن جبير وغيره قال وشهادة الحق لا اله الا الله وقيل
من في محل رفع اي ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة يعني الالهة في قول
قتادة اي لا يشفعون لعابديها الا من شهد بالحق يعني عزيرا وعيسى والملائكة فانهم
يشهدون بالحق والوحدانية لله وهم يعلمون حقيقة ما يشهدون به وقيل انها نزلت
ان النضر بن الحارث ونفرا من قريش قالوا ان كان ما يقول محمد حقا فنحن نتولى الملائكة وهم
احق بالشفاعة لنا منه فانزل الله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من
شهد بالحق اي اعتقدوا ان الملائكة والاصنام او الجن او الشياطين تشفع لهم ولا شفاعة
لاحد يوم القيامة الا من شهد بالحق يعني المومنين اذا اذن لهم قال ابن عباس الا من شهد
بالحق اي شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقيل اي لا يملك هولا العابدون
من عند الله ان يشفع لهم احد الا من شهد بالحق فان من شهد بالحق يشفع له ولا يشفع
لمشرك والا بمعنى لكن اي لا ينال المشركون الشفاعة لكن ينال الشفاعة من شهد بالحق فهو
استثنا منقطع ويجوز ان يكون متصلا لان في جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة
ويقال شفعته وشفعت له مثل كلته وكلت له وقد مضى في البقرة معنى الشفاعة
واشتقاقها فلا معنى لاعادتها وقيل الا من شهد بالحق الا من يشهد له الملائكة بانه
كان على الحق في الدنيا مع علمهم بذلك منه بان يكون الله اخبرهم به او بان شاهدوه على
الايمان الثانية قوله تعالى الا من شهد بالحق وهم يعلمون يدل على معنيين احدهما
ان الشهادة بالحق غير نافعة الا مع العلم وان التقليد لا يغني مع عدم العلم بصحة المقالة
والثاني ان شرط سائر الشهادات في الحقوق وغيرها ان يكون الشاهد عالما بها ونحوه
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رايت مثل الشمس فاشهد والا فدع وقد
مضى في البقرة قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله اي لاقروا بان الله
خلقهم بعد ان لم يكونوا شيئا فانى يوفكون اي كيف ينقلبون عن عبادته وينصرفون عنها
حتى اشركوا به غيره رجاء شفاعتهم له يقال افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي ومنه

قوله تعالى قالوا اجئتنا لتأفكنا عما وجدنا عليه اباءنا وقيل اي ولئن سالت الملائكة
وعيسى من خلقهم قالوا الله فانى يؤفكون اي فانى يؤفك هولاء في ادعائهم اياهم الهة
قوله تعالى وقيله يارب ان هولاء الاية فيه ثلاث مسايل قراءات الجر والنصب
والرفع فاما الجر فهي قراءة عاصم وحمزة وبقية السبعة بالنصب واما الرفع فهي قراءة
الاعرج وقتادة وابن هرمز ومسلم بن جندب فمن جر حمله على معنى وعنده علم
الساعة وعلم قيله ومن نصب فعلى معنى وعنده علم الساعة ويعلم قيله وهذا
اختيار الزجاج وقال الفراء والاخفش يجوز ان يكون قيله عطفا على قوله انا لا نسمع
سرهم ونجواهم قال ابن الانباري سالت ابا العباس محمد بن يزيد المبرد باي شي
تنصب القيل فقال انصبه على وعنده علم الساعة ويعلم قيله فمن هذا الوجه
لا يحسن الوقف على ترجعون ولا على تعلمون ويحسن الوقف على يكتبون واجاز
الفراء والاخفش ان ينصب القيل على معنى لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله كما ذكرنا
عنهما فمن هذا الوجه لا يحسن الوقف على يكتبون واجاز الفراء والاخفش ايضا ان
ينصب على المصدر كانه قال وقال قيله وشكا شكواه الى الله عز وجل كما قال كعب بن زهير

يمشي الوشاة جنابيها وقيلهم * انك يا ابن ابي سلمى لمقتول *

اراد ويقولون قيلهم ومن رفع قيله فالتقدير وعنده قيله او وقيله مسموع او وقيله هذا
القول الزمخشري والذي قالوه ليس بقوي في المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف
والمعطوف عليه بما لا يحسن اعتراضا ومع تنافر النظم واقوى من ذلك ووجه ان
يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم ايمن الله وامانة
الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله ان هولاء قوم لا يومنون جواب القسم كانه قيل
واقسم بقيله يارب قسمي ان هولاء قوم لا يومنون وقال ابن الانباري ويجوز في
العربية وقيله بالرفع على ان ترفعه بان هولاء قوم لا يومنون المهدوي او يكون
على تقدير وقيله قيله يارب فحذف قيله الاول الذي هو خبر وموضع يارب نصب
بالخبر المضمر ولا يمتنع ذلك من حيث امتنع حذف بعض الموصول وبقاء بعضه لان
حذف القول قد كثر حتى صار بمنزلة المذكور والهاء في قيله لعيسى وقيل لمحمد عليه
السلام وقد جرى ذكره اذ قال قل ان كان للرحمن ولد وقرا ابو قلابة يارب بفتح
الباء والقيل مصدر كالقول ومنه الخبر نهى عن قيل وقال ويقال قلت قولا وقيلا
وقالا وفي النساء ومن اصدق من الله قيلا قوله تعالى فاصفح عنهم اي اعرض
عنهم وقل سلام اي معروفا اي قل لمشركي اهل مكة فسوف تعلمون ثم نسخ هذا في
سورة براءة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم الاية وقيل هي محكمة
لم تنسخ وقراءة العامة فسوف يعلمون بالياء على انه خبر من الله تعالى لنبيه
بالتهديد وقرا نافع وابن عامر تعلمون بالتاء على انه من خطاب النبي صلى
الله عليه وسلم للمشركين بالتهديد وسلام رفع باضمار عليكم قاله الفراء ومعناه الامر
بتوديعهم بالسلام ولم يجعله تحية لهم حكاه النقاش وروى شعيب
ابن الحبحاب انه عرفه بذلك كيف السلام عليهم والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الدخان مكية

باتفاق الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الاية وهي سبع وخمسون اية
وقيل تسع وفي مسند الدارمي عن ابي رافع قال من قرا الدخان في ليلة
الجمعة اصبح مغفورا له وفي لفظ اخر وزوج من الحور العين رفعه الثعلبي
من حديث ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا الدخان في ليلة
الجمعة اصبح مغفورا له وفي لفظ اخر عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من قرا الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وعن
ابي امامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرا الدخان ليلة الجمعة او يوم الجمعة

بنى

بنى الله له بيتا في الجنة

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم والكتاب المبين ان جعلت حم جواب القسم تم الكلام عند قوله
المبين ثم تبتدي انا انزلناه وان جعلت انا كنا منذرين جواب القسم الذي هو
الكتاب وقفت على منذرين وابتدات فيها يفرق كل امر حكيم وقيل الجواب انا انزلناه
وانكره بعض النحويين من حيث كان صفة للمقسم به ولا تكون صفة المقسم به جوابا
للقسم والهاء في انزلناه للقران ومن قال اقسم بسائر الكتب فقوله انا انزلناه كنى
به عن غير القران على ما تقدم بيانه في اول الزخرف والليلة المباركة ليلة القدر
ويقال ليلة النصف من شعبان ولها اربعة اسماء الليلة المباركة وليلة البراءة
وليلة الصك وليلة القدر ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها على عباده من البركات
والخيرات والثواب وروى قتادة عن واثلة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انزلت
صحف ابراهيم في اول ليلة من رمضان وانزلت التوراة لست مضين من رمضان
وانزل الانجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان وانزل القران لاربع وعشرين مضت
من رمضان ثم قيل انزل القران كله الى السماء الدنيا في هذه الليلة ثم انزل نجما
نجما في سائر الايام على حسب اتفاق الاسباب وقيل كان ينزل في كل ليلة ما ينزل في سائر
السنة وقيل كان ابتداء الانزال في هذه الليلة وقال عكرمة الليلة المباركة هاهنا
ليلة النصف من شعبان والاول اصح لقوله تعالى انا انزلناه في ليلة القدر وقال
قتادة وابن زيد انزل الله القران كله ليلة القدر من ام الكتاب الى بيت العزة في
سماء الدنيا ثم انزله الله على نبيه صلى الله عليه وسلم في الليالي والايام في ثلاث
وعشرين سنة وقد مضى هذا المعنى في البقرة عند قوله تعالى شهر رمضان الذي
انزل فيه القران وياتي ان شاء الله قوله تعالى فيها يفرق كل امر حكيم قال
ابن عباس يحكم الله امر الدنيا الى قابل في ليلة القدر ما كان من حياة او موت او رزق
قاله قتادة ومجاهد والحسن وغيرهم وقيل الا الشقاء والسعادة فانهما لا يتغيران
قاله ابن عمر قال المهدوي ومعنى هذا القول امر الله عز وجل الملائكة بما يكون في
ذلك العام ولم يزل ذلك في علمه عز وجل وقال عكرمة هي ليلة النصف من شعبان
يبرم فيها امر السنة وينسخ الاحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم احد
ولا ينقص منهم احد وروى عثمان بن المغيرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
تقطع الاجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه
في الموتى وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ليلة النصف من شعبان فقوموا
ليلها وصوموا نهارها فان الله ينزل لغروب الشمس الى سماء الدنيا يقول الا مستغفر
فاغفر له الا مبتلى فاعافيه الا مسترزق فارزقه الا كذا الا كذا حتى يطلع الفجر ذكره
الثعلبي وخرجه الترمذي بمعناه عن عايشة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز
وجل ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب
وفي الباب عن ابي بكر الصديق قال ابو عيسى حديث عايشة لا نعرفه الا من
حديث الحجاج بن ارطاة عن يحيى بن ابي كثير عن عروة عن عايشة وسمعت محمدا
يضعف هذا الحديث وقال يحيى بن ابي كثير لم يسمع من عروة والحجاج بن ارطاة
لم يسمع من يحيى بن ابي كثير قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد ذكر حديث عايشة
مطولا صاحب كتاب العروس واختار ان الليلة التي يفرق فيها كل امر حكيم ليلة
النصف من شعبان وانها تسمى ليلة البراءة وقد ذكرنا قوله والرد عليه في غير
هذا الموضع وان الصحيح انما هي ليلة القدر على ما بيناه روى حماد بن سلمة قال انا
ربيعة بن كلثوم قال سال رجل الحسن وانا عنده فقال يا ابا سعيد ارايت ليلة
القدر افي كل رمضان قال اي والذي لا اله الا هو انها لفي كل رمضان انها الليلة
التي يفرق فيها كل امر حكيم فيها يقضي الله كل خلق واجل ورزق وعمل الى مثلها وقال

ابن عباس يكتب من ام الكتاب في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياة
ورزق ومطر حتى الحج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال في هذه الاية انك لترى
الرجل يمشي في الاسواق وقد وقع اسمه في الموتى وهذه الابانة لاحكام السنة انما
هي للملائكة الموكلين باسباب الخلق وقد ذكرنا هذا المعنى انفا قال القاضي ابو بكر
ابن العربي وجمهور العلما انها ليلة القدر ومنهم من قال انها ليلة النصف من شعبان
وهو باطل لان الله تعالى قال في كتابه الصادق القاطع شهر رمضان الذي انزل
فيه القران فنص على ان ميقات نزوله رمضان ثم عين من زمانه الليل ها هنا بقوله
في ليلة مباركة فمن زعم انه في غيره فقد اعظم الفرية على الله وليس في ليلة النصف
من شعبان حديث يعول عليه لا في فضلها ولا في نسخ الاجال فيها فلا تلتفتوا اليها
الزمخشري وقيل يبدا استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ في ليلة البراة ويقع الفراغ
في ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك
الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسماعيل صاحب سما الدنيا وهو
ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات اعماله
فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقرئ يفرق بالتشديد ويفرق
كل على بنائه للفاعل ونصب كل امر حكيم كل شان ذي حكمة اي مفعول على ما تقدم الحكمة
قوله تعالى امرا من عندنا قال النقاش الامر هو القران انزله الله من عنده وقال
ابن عيسى هو ما قضى الله في الليلة المباركة من احوال عباده وهو مصدر في موضع
الحال وكذلك رحمة من ربك وهما عند الاخفش حالان تقديره انزلناه امرين به وراحمين
المبرد امرا في موضع المصدر والتقدير انزلناه انزالا الفرا والزجاج امرا نصب بيفرق
كقولك يفرق فرقا فامر بمعنى فرق فهو مصدر مثل قولك يضرب ضربا وقيل يفرق
يدل على يومر فهو مصدر يعمل فيه ما قبله انا كنا مرسلين رحمة من ربك قال الفرا
رحمة مفعول بمرسلين والرحمة النبي صلى الله عليه وسلم وقال الزجاج رحمة مفعول له
من اجله اي ارسلناه للرحمة وقيل هي بدل من قوله امرا وقيل هي مصدر وفي قراة زيد
ابن علي امر من عندنا على هو امر وهي تنصر انتصابه على الاختصاص وقرا الحسن رحمة
على تلك هي رحمة وهي تنصر انتصابها بانه مفعول له الزمخشري امرا نصب على الاختصاص
جعل كل امر جزلا فخما بانه صفة بحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بان قال اعني بهذا
الامر امرا حاصلا من عندنا كاينا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا رب السموات
والارض قرا الكوفيون رب بالجر الباقون بالرفع ردا على قوله انه هو السميع العليم
وان شئت على الابتدا والخبر لا اله الا هو او يكون خبر ابتدا محذوف تقديره هو
رب السموات والارض والجر على البدل من ربك ولذلك ربكم ورب ابايكم الاولين
بالجر فيهما رواه الشيزري عن الكسائي الباقون بالرفع على الاستيناف ثم يحتمل ان
يكون هذا الخطاب مع المعترف بان الله خلق السموات والارض اي ان كنتم موقنين
به فاعلموا ان له ان يرسل الرسل وينزل الكتب ويجوز ان يكون الخطاب مع من لا
يعترف انه الخالق اي ينبغي ان يعرفوا انه الخالق وانه الذي يحيي ويميت وقيل
الموقن ها هنا هو الذي يريد اليقين ويطلبه كما تقول فلان ينجد اي يريد
نجدا ويتهم اي يريد تهامة لا اله الا هو يحيي ويميت اي هو خالق العالم فلا يجوز
ان يشرك به غيره ممن لا يقدر على خلق شي وهو يحيي ويميت اي يحيي الاموات
ويميت الاحيا ربكم ورب ابايكم الاولين مالككم ومالك من تقدم منكم واتقوا تكذيب
محمد لئلا ينزل بكم العذاب بل هم في شك يلعبون اي ليسوا على يقين فيما يظهرونه
من الايمان والاقرار في قولهم ان الله خالقهم وانما يقولونه لتقليد ابايهم من
غير علم فهم في شك وان توهموا انهم موقنون فهم يلعبون في دينهم لما يعن لهم من
غير حجة وقيل يلعبون يضيفون الى النبي صلى الله عليه وسلم الافترا استهزا
ويقال لمن اعرض عن الوعظ لاعب وهو كالصبي الذي يلعب فيفعل ما لا يدري

عاقبته

عاقبته قوله تعالى فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين ارتقب معناه انتظر اي
انتظر يا محمد بهولا الكفار يوم تاتي السما بدخان مبين وكذلك سمي الحافظ رقيبا وفي
الدخان اقوال ثلثة الاول انه من اشراط الساعة لم يجي بعد وانه يمكث في اربعون يوما يملا
ما بين السما والارض فاما المومن فتصيبه الساعة لم يجي بعد وانه يمكث في اربعون يوما
يملا ما بين السما والارض فاما المومن فيصيبه مثل الزكام واما الكافر فيدخل
في افواههم فينفذ مسامعهم ويضيق انفاسهم وهو من اثار جهنم يوم القيمة وممن قال
ان الدخان لم يات بعد علي وابن عباس وابن عمر وابو هريرة رضي الله عنه وزيد بن علي
والحسن وابن ابي مليكة وغيرهم وروى ابو سعيد الخدري مرفوعا انه دخان يهيج بالناس
يوم القيامة ياخذ المومن منه كالزكمة وينفخ الكافر حتى يخرج من كل مسمع منه ذكره
الماوردي وفي صحيح مسلم عن ابي الطفيل عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال اطلع
النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر فقال ما تذكرون قالوا نذكر الساعة قال
انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع الشمس
من مغربها ونزول عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم وياجوج وماجوج وثلاث
خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار تخرج
من اليمن تطرد الناس الزمخشري في رواية عن حذيفة ان الساعة لا تكون حتى تكون
عشر ايات خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف في جزيرة العرب والدخان والدجال
ودابة الارض وياجوج وماجوج وطلوع الشمس من مغربها ونار تخرج من قعر عدن
ترحل الناس وخرجه الثعلبي ايضا عن حذيفة قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم اول الايات خروجا الدجال والدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر
عدن ابين تسوق الناس الى المحشر تبيت معهم اذا باتوا وتقيل معهم اذا قالوا وتصبح
معهم اذا اصبحوا وتمسي معهم اذا امسوا قلت يا نبي الله وما الدخان قال هذه الاية
فارتقب يوم تاتي السما بدخان مبين يملا ما بين المشرق والمغرب يمكث اربعين يوما
وليلة اما المومن فيصيبه منه شبه الزكام واما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج
الدخان من فمه ومنخره واذنيه ودبره فهذا قول القول الثاني ان الدخان
ما اصاب قريشا من الجوع بدعا النبي صلى الله عليه وسلم حتى كان بين السما والارض
دخانا بين السما والارض قاله ابن مسعود قال وقد كشفه الله عنهم ولو كان يوم القيمة
لم يكشفه عنهم والحديث عنه بهذا في صحيح البخاري ومسلم والترمذي قال البخاري
حدثني يحيى قال نا ابو معوية عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد
الله انما كان هذا لان قريشا لما استعصت على النبي صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين
كسني يوسف فاصابهم قحط وجهد حتى اكلوا العظام فجعل الرجل ينظر الى السما
فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد فانزل الله تعالى فارتقب يوم
تاتي السما بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب اليم قال فاتي رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقيل يا رسول الله استسق الله لمضر فانها قد هلكت قال لمضر انك لجري
فاستسقى فسقوا فنزلت انكم عائدون فلما اصابتهم الرفاهية عادوا الى حالهم حين
اصابتهم الرفاهية فانزل الله عز وجل يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال
يعني يوم بدر قال ابو عبيدة والدخان الجدب القتبي سمي دخانا ليبس الارض
منه حتى يرتفع منها كالدخان القول الثالث انه يوم فتح مكة لما حجبت السما
الغبرة قاله عبد الرحمن الاعرج يغشى الناس هذا موضع الصفرا الدخان فان
كان قد مضى على ما قال ابن مسعود فهو خاص بالمشركين من اهل مكة وان كان
من اشراط الساعة فهو عام على ما تقدم هذا عذاب اليم اي يقول الله لهم هذا عذاب
اليم فمن قال ان الدخان قد مضى فقوله هذا عذاب اليم حكاية حال ماضية ومن
جعله مستقبلا فهو حكاية حال اتية وقيل هذا بمعنى ذلك وقيل اي يقوله الناس
لذلك الدخان هذا عذاب اليم وقيل هو اخبار عن دنو الامر كما تقول هذا الشتا

فاعدله قوله تعالى ربنا اكشف عنا العذاب اي يقولون ذلك اكشف عنا العذاب
انا مومنون اي نؤمن بك ان كشفته عنا قيل ان قريشا اتوا النبي صلى الله عليه وسلم
وقالوا ان كشف الله عنا هذا العذاب اسلمنا ثم نقضوا هذا القول قال قتادة العذاب
هنا الدخان وقيل الجوع حكاه النقاش قال الشيخ القرطبي رحمه الله لا تناقض فان
الدخان لم يكن الا من الجوع الذي اصابهم على ما تقدم وقد يقال للجوع والقحط الدخان
ليبس الارض في سنة الجدب وارتفاع الغبار بسبب قلة الامطار ولهذا يقال لسنة
الجدب الغبرا وقيل ان العذاب هنا الثلج قال الماوردي وهذا لا وجه له لان هذا
اما ان يكون في الاخرة او في اهل مكة ولم تكن مكة من بلاد الثلج غير انه مقول فحكيناه
قوله تعالى انى لهم الذكرى اي من اين يكون لهم التذكر والاتعاظ عند حلول العذاب
وقد جاءهم رسول مبين يبين لهم الحق والذكرى والذكر واحد قاله البخاري ثم تولوا
عنه اي اعرضوا قال ابن عباس اي متى يتعظون والله ابعدهم من الاتعاظ
والتذكر بعد توليهم عن محمد عليه السلام وتكذيبهم اياه وقيل اي انى ينفعهم قولهم
انا مومنون بعد ظهور العذاب غدا او بعد ظهور اعلام الساعة فقد صارت المعارف
ضرورية وهذا اذا جعلت الدخان اية مرتقبة وقالوا معلم مجنون اي علمه بشرا
وعلمه الكهنة والشياطين ثم هو مجنون وليس هو برسول قوله تعالى انا كاشفو
العذاب قليلا اي وقتا قليلا وعدا ان يكشف عنهم ذلك العذاب قليلا اي في زمان
قليل ليعلم انهم لا يفون بقولهم بل يعودون الى الكفر بعد كشفه قاله ابن مسعود فلما
كشف ذلك عنهم باستسقا النبي صلى الله عليه وسلم لهم عادوا الى تكذيبه ومن
قال ان الدخان منتظر قال اشار بهذا الى ما يكون من الفرجة بين اية واية من
ايات قيام الساعة ثم من قضي عليه بالكفر يستمر على كفره ومن هذا في القيمة
قال اي لو كشفنا عنكم لعدتم الى الكفر وقيل معنى انكم عائدون الينا اي مبعوثون
بعد الموت وقيل المعنى انكم الى نار جهنم ان لم تؤمنوا قوله تعالى يوم نبطش البطشة
الاية يوم محمول على ما دل عليه منتقمون اي ننتقم منهم يوم نبطش وابعده بعض
النحويين بسبب ان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها وقيل ان العامل فيه منتقمون وهو
بعيد ايضا لان ما بعد ان لا يعمل فيما قبلها ولا يحسن تعلقه بقوله عائدون ولا بقوله
انا كاشفو العذاب اذ ليس المعنى عليه ويجوز نصبه باضمار فعل كانه قال اذكر او
اذكروا ويجوز ان يكون المعنى انكم عائدون فاذا عدتم انتقمنا منكم يوم نبطش البطشة
الكبرى ولهذا وصل هذا بقصة فرعون فانهم وعدوا موسى الايمان ان كشف عنهم
العذاب ثم لم يومنوا حتى غرقوا وقيل انا كاشفو العذاب قليلا انكم عائدون كلام
تام ثم ابتدا يوم نبطش البطشة الاية اي ننتقم من جميع الكفار وقيل المعنى وارتقب
الدخان وارتقب يوم نبطش فحذف واو العطف كما تقول اتق النار اتق العذاب
والبطشة الكبرى في قول ابن مسعود يوم بدر وهو قول ابن عباس وابي بن كعب
ومجاهد والضحاك وقيل عذاب جهنم يوم القيامة قاله الحسن وعكرمة وابن عباس
ايضا الزجاج وقيل دخان يقع في الدنيا او جوع او قحط يقع قبل القيمة الماوردي
ويحتمل انها قيام الساعة لانها خاتمة بطشاته في الدنيا ويقال انتقم الله منه
اي عاقبه والاسم منه النقمة والجمع نقمات وقيل بالفرق بين النقمة والعقوبة
فالعقوبة بعد المعصية لانها من العاقبة والنقمة قد تكون قبلها قاله ابن عباس
وقيل العقوبة ما تقدرت والانتقام غير مقدر قوله تعالى ولقد فتنا قبلهم
قوم فرعون اي ابتليناهم ومعنى هذه الفتنة والابتلا الامر بالطاعة والمعنى
عاملناهم معاملة المختبر ببعثة موسى اليهم فكذبوا فاهلكوا فهكذا افعل باعدائك
يا محمد ان لم يومنوا وقيل فتناهم عذبناهم بالغرق وفي الكلام تقديم وتاخير
والتقدير ولقد جاء ال فرعون رسول كريم وفتناهم اي اغرقناهم لان الفتنة كانت
بعد مجي الرسل والواو لا ترتيب ومعنى كريم اي كريم في قومه وقيل كريم الاخلاق

بالتجاوز

بالتجاوز والصفح وقال الفراء كريم على الله اذ اختصه بالنبوة واسماع الكلام قوله
تعالى ان ادوا الي عباد الله قال ابن عباس المعنى جاءهم فقال ان اتبعوا افصاه
الله عبادي وقال مجاهد المعنى ارسلوا معي عباد الله واطلقوهم من العذاب فعباد
الله على هذا مفعول وقيل المعنى ادوا الي عباد الله ما وجب عليكم من حقوق الله
وقيل اي ادوا الي سمعكم حتى ابلغكم رسالة ربكم اني لكم رسول امين اي امين على
الوحي فاقبلوا نصحي وقيل امين على ما استاديه منكم فلا اخون فيه وان لا تعلوا
على الله اي لا تتكبروا عليه ولا ترتفعوا عن طاعته وقال قتادة لا تبغوا على الله ابن
عباس لا تفتروا على الله والفرق بين البغي والافترا ان البغي بالفعل والافترا
بالقول وقال ابن جريج لا تعظموا على الله يحيى بن سلام لا تستكبروا على عبادة
الله والفرق بين التعظيم والاستكبار ان التعظيم تطاول المقتدر والاستكبار
ترفع المحتقر ذكره الماوردي اني اتيكم بسلطان مبين قال قتادة بعذر بين
وقال يحيى بن سلام بحجة بينة والمعنى واحد اي برهان بين قوله تعالى
واني عذت بربي وربكم ان ترجمون كانهم توعدوه بالقتل فاستجار بالله قال
قتادة ترجموني بالحجارة وقال ابن عباس تشتموني فتقولوا ساحر كذاب واظهر
الذال من عذت نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم ويعقوب وادغم الباقون والادغام
طلب التخفيف والاظهار على الاصل ثم قيل اني عذت بالله فيما مضى لان الله وعده
فقال فلا يصلون اليكما وقال اني اعوذ كما تقول نشدتك بالله واقسمت عليك
بالله اي اقسم قوله تعالى وان لم تؤمنوا لي اي ان لم تصدقوني ولم تؤمنوا بالله
لاجل برهاني فاللام في لي لام اجل وقيل اي وان لم تؤمنوا بي كقوله فامن له لوط اي
به فاعتزلون اي دعوني كفافا لا لي ولا علي قاله مقاتل وقال اي كونوا بمعزل
مني وانا بمعزل منكم الى ان يحكم الله بيننا وقيل فخلوا سبيلي وكفوا عن اذاي والمعنى
متقارب قوله فدعا ربه فيه حذف اي فكفروا فدعا ربه ان هولا بفتح ان
اي بان هولا قوم مجرمون اي مشركون قد امتنعوا من اطلاق بني اسرائيل ومن الايمان
قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى فاسر بعبادي ليلا
اي فاجبنا دعاه واوحينا اليه ان اسر بعبادي اي بمن امن بك من بني اسرائيل ليلا
اي قبل الصباح انكم متبعون وقرا اهل الحجاز فاسر بوصل الالف وكذلك ابن كثير
من سرى والباقون فاسر بالقطع من اسرى وقد تقدم وتقدم خروج فرعون وراء
موسى في البقرة والاعراف وطه والشعرا ويونس واغراقه وانجا موسى فلا معنى
للاعادة الثانية امر موسى عليه السلام بالخروج ليلا وسير الليل في الغالب انما يكون
عن خوف والخوف يكون بوجهين اما من العدو فيتخذ الليل سترا مسدلا فهو من
اسرار الله تعالى واما من خوف المشقة على الدواب والابدان بحر او جدب فيتخذ
السرى مصلحة من ذلك وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسري ويدلج ويترفق ويستعجل
بحسب الحاجة وما تقتضيه المصلحة وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا
سافرتم في الخصب فاعطوا الابل حظها من الارض واذا سافرتم في السنة فبادروا
بها نقيها وقد مضى في النحل والحمد لله قوله تعالى واترك البحر رهوا انهم
جند مغرقون قال ابن عباس رهوا اي طريقا وقاله كعب والحسن وعن ابن عباس
ايضا سمتا الضحاك والربيع سهلا عكرمة يبسا كقوله فاضرب لهم طريقا في البحر
يبسا وقيل مفترقا مجاهد منفرجا وقال ابن عرفة عنه يابسا وعنه ساكنا وهو
المعروف في اللغة وقاله قتادة والهروي وقال غيرهما منفرجا وقال ابن عرفة
وهما يرجعان الى معنى واحد وان اختلف لفظاهما لانه اذا سكن جريه انفرج وكذلك كان
البحر يسكن جريه وانفرج لموسى عليه السلام والرهو هو عند العرب الساكن يقال
جات الخيل رهوا اي ساكنة قال
والخيل تمزع رهوا في اعنتها ... كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد

الجوهري ويقال افعل كذا رهوا اي ساكنا على هينتك وعيش راه اي ساكن رافه
وخمس راهن اذا كان سهلا ورها البحر اي اسكن وقال ابو عبيده رها بين رجليه يرهو
رهوا اي فتح ومنه قوله تعالى واترك البحر رهوا والرهو السير السهل يقال جات الخيل
رهوا قال بن الاعرابي رها يرهو في السير اي رفق قال القطامي في نعت الركاب ٭
٭ يمشين رهوا فلا الاعجاز خاذلة ٭ ولا الصدور على الاعجاز تتكل ٭
والرهو والرهوه المكان المرتفع المنخفض ايضا يجتمع فيه الما وهو من الاضداد وقال
ابو عبيد الرهو الجوبه تكون في محلة القوم يسيل فيها ما المطر وغيره وفي الحديث
انه قضى ان لا شفعة في فنا ولا طريق ولا منقبة المنقبة الطريق بين الدارين قاله
الهروي وفي الصحاح والركح والركحة ساحة الدار قال ابو عبيد في قول القطامي الا
ترى ما غشى الاركاحا والركح الافنيه والركحة قطعة من الزبد تبقى في الجفنة وجفنة
مرتكحة اي متكثرة بالزبد وارتكحت اليه اي استندت والركوح الى الشي الركون اليه
ولا ركح ولا رهو لجحرها والرهو المراه الواسعة الهن النضر بن شميل والرهو ضرب من
الطير ويقال هو الكركي وقال الهروي ويجوز ان يكون رهوا من نعت موسى عليه
السلام وقال القشيري سيرا ساكنا على هينتك فالرهو من نعت موسى وقومه لا من نعت
البحر اي اتركه رهوا كما هو قد انفرق فلا تامره بالانضمام حتى يدخل فرعون وقومه
قال قتادة اراد موسى ان يضرب البحر لما قطعه بعصاه حتى يلتيم وخاف ان يتبعه
فرعون فقيل له هذا وقيل ليس الرهو من السكون بل هو الفرجة بين الشيئين فقال
رها ما بين الرجلين اي فرج فقوله رهوا اي منفرجا وقال الليث الرهو مشي في سكون
يقال رها يرهو رهوا فهو راه وعيش راه وادع خافض وكذلك سهوا رهوا اي ساكنا
بغير شدة وقد ذكرناه انفا انهم اي ان فرعون وقومه جند مغرقون اخبر موسى
بذلك ليسكن قلبه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الاية كم للتكثير وقد
مضى الكلام في معنى هذه الاية في الشعرا سوى في ونعمة كانوا فيها فاكهين النعمه
بالفتح التنعم يقال نعمه الله وناعمه فتنعم وامراة منعمه ومناعمه بمعنى والنعمه
بالكسر اليد والصنيعة والمنة وما انعم به عليك وكذلك النعمى فان فتحت النون
مددت وقلت النعما والنعيم مثله وفلان واسع النعمة اي واسع المال جميعه عن
الجوهري وقال بن عمر المراد بالنعمة نيل مصر بن لهيعة الفيوم من ارض مصر لكثرة
خيرها وقيل ما كانوا فيه من السعة والدعه وقد يقال نعمة ونعمه بفتح النون وكسرها
حكاه الماوردي قال وفي الفرق بينهما وجهان احدهما انها بكسر النون في الملك وبفتحها
في البدن والدين قاله النضر بن شميل الثاني انها بالكسر من المنه وهو الافضال
والعطية وبالفتح من التنعيم وهو سعة العيش والراحة قاله بن زياد قال الشيخ
القرطبي رحمه الله هذا الفرق هو الذي وقع في الصحاح وقد ذكرناه وقرا ابو رجا
والحسن وابو الاشهب والاعرج ابو جعفر وشيبة فكهين بغير الف ومعناه اشرين
بطرين قال الجوهري قال فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس مزاحا
والفكه ايضا الاشر البطر وقري ونعمة كانوا فيها فاكهين اي اشرين بطرين وفاكهين
اي ناعمين القشيري فاكهين لاهين مازحين يقال انه لفاكه اي مزاح وفيه
فكاهه اي مزح الثعلبي وقيل هما لغتان كالحاذر والحذر والفاره والفره وقيل
ان الفاكه هو المستمتع باللذة كما يتمتع الاكل بانواع الفاكهة والفاكهة فضل عن القوت
الذي لا بد منه قوله تعالى واورثناها قوما اخرين قال الزجاج اي الامر
كذلك فيوقف على كذلك وقيل الكاف في موضع نصب على تقدير نفعل فعلا كذلك
لمن نريد اهلاكه وقال الكلبي كذلك افعل بمن عصاني وقيل كذلك كان امرهم فاهلكوا
واورثناها قوما اخرين يعني بني اسرايل ملكهم الله تعالى ارض مصر بعد ان كانوا فيها
مستعبدين فصاروا لها وارثين لوصول ذلك اليهم كوصول الميراث ونظيره واورثنا
القوم الذين كانوا يستضعفون الاية قوله تعالى فما بكت عليهم السما والارض

اي كفرهم

اي لكفرهم وما كانوا منظرين اي موخرين بالغرق وكانت العرب تقول عند موت السيد
منهم بكت له السما والارض اي عمت مصيبته الاشيا حتى بكته السما والارض والريح والبرق
وبكته الليالي الشاتيات قال الشاعر ٭
٭ الريح تبكي شجوه ٭ والبرق يلمع في غمامه ٭ وقال اخر ٭
٭ والشمس طالعة ليست بكاسفة ٭ تبكي عليك نجوم الليل والقمرا ٭ وقالت الخارجية
٭ ايا شجر الخابور ما لك مورقا ٭ كانك لم تجزع على ابن طريف ٭
وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكا عليه والمعنى انهم
هلكوا فلم تعظم مصيبتهم ولم يوجد لهم فقد وقيل في الكلام اضمار اي ما بكى عليهم
اهل السما والارض من الملايكة كقوله واسأل القرية بل سروا بهلاكهم قاله الحسن وروى
يزيد الرقاشي عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مومن
الا وله في السما بابان باب ينزل منه رزقه وباب يدخل منه كلامه وعمله فاذا مات
فقداه فبكيا عليه وتلى فما بكت عليهم السما والارض يعني انهم لم يعملوا على الارض عملا
صالحا تبكي عليهم لاجله ولا صعد لهم الى السما عمل صالح فتبكي فقد ذلك وقال مجاهد
ان السما والارض يبكيان على المومن اربعين صباحا قال ابو يحيى فعجبت من قوله
فقال اتعجب وما للارض لا تبكي على عبد كان لتكبيره وتسبيحه فيها دوي كدوي النحل
وقال علي وابن عباس رضي الله عنهما انه يبكي عليه مصلاه من الارض ومصعد عمله
من السما وتقدير الاية على هذا فما بكت عليهم مصاعد عملهم من السما ولا مواضع عبادتهم
من الارض وهو معنى قول سعيد بن جبير وفي بكا السما والارض ثلاثة اوجه احدها
انه كالمعروف من بكا الحيوان ويشبه ان يكون قول مجاهد وقال شريح الحضرمي قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغربا
يوم القيمة قيل من هم يا رسول الله قال الذين اذا فسد الناس صلحوا ثم قال الا لا
غربة على مومن وما مات مومن في غربة غايبا عنه بواكيه الا بكت عليه السما والارض
ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السما والارض ثم قال الا انهما لا يبكيان
على الكافر قال الشيخ القرطبي رحمه الله وذكر ابو نعيم حدثه محمد بن معمر قال
ثنا ابو شعيب الحراني قال نا يحيى بن عبد الله قال حدثنا الاوزاعي قال حدثني
عطا الخراساني قال ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا
شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقيل بكاوها حمرة اطرافها قاله علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وعطا والسدي والترمذي محمد بن علي وحكاه عن الحسن
لما قتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما احمرت له افاق السما اربعة اشهر
قال يزيد واحمرارها بكاوها وقال محمد بن سيرين اخبرونا ان الحمرة التي مع الشفق
لم تكن حتى قتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما وقال سليمان القاضي مطرنا
دما يوم قتل الحسين رضي الله عنه وقال الشيخ القرطبي رحمه الله روى الدارقطني
من حديث مالك بن انس عن نافع عن ابن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
الشفق الحمرة وعن عبادة بن الصامت وشداد بن اوس قالا الشفق شفقان الحمرة
والبياض فاذا غابت الحمرة حلت الصلاة وعن ابي هريرة قال الشفق الحمرة وهذا يرد
ما حكاه بن سيرين وقد تقدم في سبحان عن قرة بن خالد قال ما بكت السما على
احد الا على يحيى بن زكريا والحسين بن علي وحمرتها بكاوها وقال محمد بن علي الترمذي
والبكا ادرار الشي فاذا ادرت العين ماها قيل بكت واذا ادرت السما حمرتها قيل
بكت واذا ادرت الارض بغبرتها قيل بكت لان المومن نور ومعه نور الله فالارض
مضيئة بنوره وان غاب عن عينك فاذا فقدت نور المومن اغبرت فدرت باغبرارها
لانها كانت غبرا بخطا اهل الشرك وانما صارت مضيئة بنور المومن فاذا قبض المومن
منها درت بغبرتها وقال انس لما كان اليوم الذي دخل فيه النبي صلى الله عليه وسلم
المدينة اضا منها كل شي فلما كان اليوم الذي قبض فيه اظلم كل شي وانا لفي دفنه ما نفضنا

الايدي منه حين انكرنا قلوبنا واما بكا السما فحمرتها كما قال الحسن وقال نضر بن عاصم
ان اول الايات حمرة تظهر وانما ذلك لدنو الساعة فتذرو بالبكا لخلالها من انوار المومنين
وقيل بكاوها امارة تظهر منها تدل على حزن واسف قال الشيخ القرطبي رحمه الله والاظهر
القول الاول اذ لا استحالة في ذلك واذا كانت السموات والارض تسبح وتسمع وتتكلم كما
بيناه في سبحان ومريم وحم فصلت وكذلك تبكي مع ما جا في الخبر في ذلك والله اعلم قوله
تعالى ولقد نجينا بني اسرايل من العذاب المهين يعني ما كانت القبط تفعل بهم بامر فرعون
من قتل الابنا واستخدام النسا واستعبادهم اياهم وتكليفهم الاعمال الشاقة من
فرعون بدل من العذاب المهين فلا يتعلق من بقوله من العذاب لانه قد وصف وهو لا يعمل
بعد الوصف عمل الفعل وقيل اي نجيناهم من العذاب ومن فرعون انه كان عاليا من
المسرفين اي جبارا من المشركين وليس هذا علو مدح بل هو علو في الاسراف لقوله ان فرعون
علا في الارض وقيل هذا العلو هو الترفع عن عبادة قوله تعالى ولقد اخترناهم
يعني بني اسرايل على علم اي على علم منا بهم لكثرة الانبيا منهم على العالمين اي عالمي زمانهم بدليل
قوله لهذه الامة كنتم خير امة اخرجت للناس وهذا قول قتادة وغيره وقيل على كل العالمين
بما جعل فيهم من الانبيا وهذا خاصة لهم وليس لغيرهم حكاه ابن عيسى والزمخشري وغيرهما
ويكون قوله خير امة اي بعد بني اسرايل والله اعلم وقيل يرجع هذا الاختيار الى تخليصهم
من الغرق وايراثهم الارض بعد فرعون قوله تعالى واتيناهم من الايات اي معجزات
موسى ما فيه بلا مبين قال قتادة الايات انجاوهم من عدوهم وفلق البحر لهم وظل الغمام
عليهم وانزال المن والسلوى ويكون هذا الخطاب متوجها الى بني اسرايل وقيل انها العصا
واليد ويشبه ان يكون قول الفرا ويكون الخطاب متوجها الى قوم فرعون وقول ثالث
انه الشر الذي كفهم عنه والخير الذي امرهم به قاله عبد الرحمن بن زيد الخطاب متوجه
الى الفريقين معا من قوم فرعون وبني اسرايل في قوله بلا مبين اربعة اوجه احدها
نعمة ظاهرة قاله الحسن وقتادة كما قال تعالى وليبلي المومنين منه بلا حسنا وقال
زهير • فابلاهما خير البلا الذي يبلو • الثاني عذاب شديد •
قاله الفرا الثالث اختبار يتميز به المومن من الكافر قاله عبد الرحمن بن زيد وعنه ايضا
ابتلاوهم بالرخا والشدة ثم قرا ونبلوكم بالشر والخير فتنة قوله تعالى ان هولا
ليقولون يعني كفار قريش ان هي الا موتتنا الاولى ابتدا وخبر مثل ان هي الا فتنتك ان
هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمنشرين اي بمبعوثين فاتوا باباينا ان كنتم صادقين
انشر الله الموتى فنشروا وقد تقدم والمنشورون المبعوثون قيل ان قايل هذا
من كفار قريش ابو جهل قال يا محمد ان كنت صادقا في قولك فابعث لنا رجلين من
ابايناا احدهما قصي بن كلاب فانه كان رجلا صادقا لنسأله عما يكون بعد الموت
وهذا القول من ابي جهل من اضعف الشبهات لان الاعادة انما هي للجزا لا للتكليف وهو
قول قايل لو كان ان كان بينا بعدنا من الابنا فلم يرجع من مضى من الابا حكاه الماوردي
ثم قيل فاتوا باباينا مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم وحده كقوله رب ارجعون قاله
الفرا وقيل مخاطبة له ولاتباعه قوله تعالى اهم خير ام قوم تبع والامم المهلكة
واذا اهلكنا اوليك فكذا هولا وقيل المعنى اهم اظهر نعمة واكثر اموالا ام قوم تبع وقيل
اهم اعز واشد وامنع من قوم تبع وليس المراد بتبع رجلا واحدا بل المراد به ملوك
اليمن وكانوا يسمون ملوكهم التبابعة فتبع لقب للملك منهم كالخليفة للمسلمين وكسرى
للفرس وقيصر للروم وقال ابو عبيدة سمي كل واحد منهم تبعا لانه يتبع صاحبه
قال الجوهري والتبابعة ملوك اليمن واحدهم تبع والتبع ايضا الظل وقال يرد
المياه حضيرة ونفيضة ورد القطاة اذا اسمال يعني اذا قصر الظل بنصف النهار فالحرج
للقوم المنفضة بالتحريك الجماعة يبعثون في الارض لينظروا هل فيها عدو او خوف
وكذلك النفيضة نحو الطليعة قالت سلمى الجهنية ترثي اخاها اسعد يرد المياه
البيت والجمع النفايض ومعنى اسمال التبع اي رجع الظل الى اصل العود قال الجوهري

الجوهري

الجوهري هو الذي والتبع ايضا ضرب من الطير وقال السهيلي تبع اسم لكل ملك ملك
اليمن والشحر وحضرموت وان ملك اليمن وحدها لم يقل له تبع قاله المسعودي فمن
التبابعة الحارث الرايش وهو ابن همال ذي سدد وابرهة ذو المنار وعمرو ذو الاذعار
وشمر بن مالك الذي تنسب اليه سمرقند وافريقس بن قيس الذي ساق البربر الى ارض
افريقية من ارض كنعان وبه سميت افريقية والظاهر من الايات ان الله سبحانه انما اراد واحدا
من هولا وكانت العرب تعرفه بهذا الاسم اشد من معرفة غيره وكذلك قال عليه السلام
ولا ادري ابتع لعينا ام لا ثم قد روي عنه انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مومنا فهذا يدلك
على انه كان واحدا بعينه وهو والله اعلم ابو كرب الذي كسا البيت بعد ما اراد غزوه وبعد
ما غزا المدينة واراد خرابها ثم انصرف عنها لما اخبر انها مهاجر نبي اسمه احمد وقال شعرا
اودعه عند اهلها فكانوا يتوارثونه كابرا عن كابر الى ان هاجر النبي صلى الله عليه وسلم
فادوه اليه ويقال كان الكتاب والشعر عند ابي ايوب خالد بن زيد وفيه شهدت على احمد
انه رسول من الله باري النسم • فلو مد عمري الى عمره • لكنت وزيرا له وابن عم • وذكر
الزجاج وابن ابي الدنيا والزمخشري وغيرهم انه حفر قبر بصنعا ويقال بناحية حمير في الاسلام
فوجد فيه امراتان صحيحتان وعند روسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب هذا قبر
حبا ولميس ويروى ايضا حبا وتماضر ويروى ايضا هذا قبر رضوى وقبر حبى ابنتا تبع ماتتا
وهما يشهدان ان لا اله الا الله ولا يشركان به شيا وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما قال الشيخ
القرطبي رحمه الله وروى ابن اسحاق وغيره انه كان في الكتاب الذي كتبه اما بعد فاني امنت
بك وبكتابك الذي انزل عليك وانا على دينك وسنتك وامنت بربك ورب كل شي وامنت بكل
ما جا من ربك من شرايع الاسلام فان ادركتك فبها ونعمت وان لم ادركك فاشفع لي ولا تنسني يوم
القيامة فاني من امتك الاولين وتابعتك قبل مجيك وانا على ملتك وملة ابيك ابراهيم عليه
السلام وختم الكتاب ونقش عليه لله الامر من قبل ومن بعد وكتب على عنوانه الى محمد بن عبد
الله نبي الله ورسوله وخاتم النبيين ورسول رب العالمين صلى الله عليه وسلم من تبع الاول
وقد ذكرنا بقية خبره واوله في اللمع اللولوية في شرح العشريات النبوية للفازازي رحمه
الله وكان من اليوم الذي مات تبع الى اليوم الذي بعث فيه النبي صلى الله عليه وسلم
الف سنة لا تزيد ولا تنقص واختلف هل كان نبيا او ملكا فقال ابن عباس كان تبع
نبيا وقال كعب كان ملكا من الملوك وكان قومه كهانا وكان معهم قوم من اهل الكتاب
فامر الفريقين ان يقرب كل فريق منهم قربانا ففعلوا فتقبل قربان اهل الكتاب فاسلم
وقالت عايشة رضي الله عنها لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا وحكى قتادة ان تبعا كان
رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حير الحيرة واتى سمرقند فهدمها حكاه الماوردي وحكى
الثعلبي عن قتادة انه تبع الحميري وكان سار بالجيوش حتى حير الحيرة وبنى سمرقند
وقيل وهدم البلاد وقال الكلبي تبع هو ابو كرب اسعد بن ملكيكرب وانما سمي تبعا لانه
تبع من قبله وقال سعيد بن جبير هو الذي كسا البيت الحبرات وقال كعب ذم الله قومه
ولم يذمه وضرب بهم مثلا لقريش لقربهم من دارهم وعظمهم في نفوسهم فلما اهلكهم الله تعالى
ومن قبلهم لانهم كانوا مجرمين كان من اجرم مع ضعف وقلة عدد احرى بالهلاك وافتخر
اهل اليمن بهذه الاية اذ جعل الله قوم تبع خيرا من قريش وقيل سمي اولهم تبعا لانه
اتبع قرن الشمس وسافر في الشرق مع العساكر قوله تعالى والذين من قبلهم اهلكناهم
الذين في موضع رفع عطف على قوم تبع اهلكناهم صلته ويكون من قبلهم متعلقا به ويجوز
ان يكون من قبلهم صلة الذين ويكون في الظرف عايد الى الموصول واذا كان كذلك كان
اهلكناهم على احد امرين اما ان يقدر معه قد فيكون في موضع الحال او يقدر حذف موصوف
كانه قال قوم اهلكناهم والتقدير افلا يعتبرون انا اذا قدرنا على اهلاك المذكورين قدرنا
على اهلاك المشركين ويجوز ان يكون والذين من قبلهم ابتدا خبره اهلكناهم ويجوز ان يكون
الذين في موضع نصب باضمار فعل دل عليه اهلكناهم قوله تعالى وما خلقنا السموات
والارض الاية اي غافلين قاله مقاتل وقيل لاهين وهو قول الكلبي ما خلقناهما الا بالحق

اي الا بالامر الحق واظهاره من توحيد الله والزام طاعته وقد مضى هذا المعنى في الانبيا ولكن اكثرهم يعني اكثر الناس لا يعلمون ذلك قوله تعالى ان يوم الفصل ميقاتهم اجمعين يوم الفصل هو يوم القيامة وسمي بذلك لان الله يفصل فيه بين خلقه دليله قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم ولا اولادكم يوم القيامة يفصل بينكم ونظيره ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فيوم الفصل ميقات الكل كما قال ان يوم الفصل كان ميقاتا اي الوقت المجعول لتمييز المحسن من المسيء والفصل بينهما فريق في الجنة وفريق في السعير وهذا غاية في التحذير والوعيد والاختلاف بين الفصل قوله تعالى يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يوما بدل من يوم الاول والمولى الولي وهو ابن العم والناصر اي لا يدفع ابن العم عن ابن عمه ولا قريب عن قريبه ولا صديق عن صديقه ولا هم ينصرون اي لا ينصر المؤمن الكافر لقرابته ونظير هذه الاية واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا الا من رحم الله من رفع على البدل من المضمر في ينصرون كانك قلت لا يقوم احد الا فلان او على الابتدا والخبر مضمر كانه قال الا من رحم الله فمغفور له او فيغني عنه ويشفع وينصر او على البدل من مولى الاول كانه قال لا يغني الا من رحم الله وهو عند الكسائي والفرا على الاستثنا المنقطع اي لكن من رحم الله لا ينالهم ما يحتاجون فيه الى من ينفعهم من المخلوقين ويجوز ان يكون استثنا متصلا اي لا يغني قريب عن قريب الا المؤمنين فانه يؤذن لهم في شفاعة بعضهم لبعض انه هو العزيز الرحيم اي المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه كما قال شديد العقاب ذي الطول فقرن الوعد بالوعيد قوله تعالى ان شجرة الزقوم كل ما في كتاب الله من ذكر الشجرة فالوقف عليها بالهاء الا حرفا واحدا في سورة الدخان ان شجرت الزقوم طعام الاثيم قاله ابن الانباري والاثيم الفاجر قال ابو الدردا يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل يقول طعام اليتيم فلما لم يفهم قال له طعام الفاجر قال ابو بكر الانباري حدثني ابي نا نصر قال ابو عبيد نا نعيم بن حماد عن عبد العزيز بن محمد عن ابن عجلان عن عون بن عبد الله عن عتبة بن مسعود قال علم عبد الله بن مسعود رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم والرجل يقول طعام اليتيم فاعاد عليه عبد الله الصواب واعاد الرجل الخطا فلما راى عبد الله ان لسان الرجل لا يستقيم على الصواب قال له اما تحسن ان تقول طعام الفاجر قال بلى قال فافعل ولا حجة في هذا للجاهلين من اهل الزيغ انه يجوز ابدال الحرف من القران بغيره لان ذلك انما كان من عبد الله تقريبا للمتعلم وتوطئة منه له للرجوع الى الصواب واستعمال الحق والتكلم بالحرف على انزال الله وحكاية رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الزمخشري وبهذا استدل على ان ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه اجاز ابو حنيفة القراة بالفارسية على شريطة وهو ان يؤدي القاري المعاني على كمالها من غير ان يخرم منها شيا قالوا وهذه الشريطة تشهد انها اجازة كلا اجازة لان في كلام العرب خصوصا في القران الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه واساليبه من لطائف المعاني والاغراض ما لا يستقل باداية لسان من فارسية وغيرها وما كان ابو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقيق وروي عن علي بن الجعد عن ابي يوسف عن ابي حنيفة مثل قول صاحبيه في انكار القراة بالفارسية وشجرة الزقوم الشجرة التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة فاذا جاع اهل النار التجوا اليها فاكلوا منها فغلت في بطونهم كما يغلي الما الحار وشبه ما يصير منها الى بطونهم بالمهل وهو النحاس المذاب وقراة العامة تغلي بالتا حملا على الشجرة وقرا ابن كثير وحفص وابن محيصن ورويس عن يعقوب يغلي بالياء حملا على الطعام وهو في معنى الشجرة ولا يحمل على المهل لانه ذكر للتشبيه والاثيم الاثم من اثم ياثم اثما قاله القشيري وابن عيسى وقيل هو المشرك المكتسب للاثم قاله يحيى بن سلام وفي الصحاح وقد اثم الرجل بالكسر اثما ومأثما اذا وقع في الاثم فهو آثم واثيم واثوم ايضا فمعنى طعام الاثيم اي ذي الاثم

الفاجر هو ابو جهل وذلك انه قال يعدنا محمد ان في جهنم الزقوم وانما الثريد بالزبد والتمر فبين الله خلاف ما قاله وحكى النقاش عن مجاهد ان شجرة الزقوم ابو جهل قال الشيخ القرطبي رحمه الله ولا يصح هذا عن مجاهد وهو مردود بما ذكرناه في هذه الشجرة من سورة والصافات وسبحان ايضا قوله تعالى خذوه فاعتلوه اي يقال للزبانية خذوه يعني الاثيم فاعتلوه اي جروه وسوقوه والعتل ان ياخذ بتلابيب الرجل فتعتله اي تجره اليك لتذهب به الى حبس او بلية عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال يصف فرسا نفرعه فرعا ولسنا نعتله وفيه لغتان عتله وعتنه باللام والنون جميعا قاله ابن السكيت وقرا الكوفيون وابو عمرو فاعتلوه بالكسر وضم الباقون الى سواء الجحيم وسط الجحيم ثم صبوا فوق راسه من عذاب الحميم قال مقاتل يضرب مالك خازن النار ضربة على راس ابي جهل بمقمع من حديد فيتفتت راسه عن دماغه فيجري دماغه على جسده ثم يصب الملك فيه ماء حميما قد انتهى حره فيقع في بطنه فيقول الملك ذق العذاب ونظيره يصب من فوق رؤوسهم الحميم قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم قال ابن الانباري اجمعت القرا على كسر ان وروي عن الحسن عن علي رحمه الله ذق انك بفتح ان وبها قرا الكسائي فمن كسر ان وقف على ذق ومن فتحها لم يقف على ذق لان المعنى ذق لانك وبانك انت العزيز الكريم قال قتادة نزلت في ابي جهل وكان قد قال ما فيها اعز مني ولا اكرم فلذلك قيل له ذق انك انت العزيز الكريم وقال عكرمة التقى النبي صلى الله عليه وسلم وابو جهل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله امرني ان اقول لك اولى لك فاولى فقال باي شي تهددني والله ما تستطيع انت ولا ربك ان تفعلا بي شيا اني لمن اعز هذا الوادي واكرمه على قومي فقتله الله يوم بدر واذله ونزلت هذه الاية اي يقول له الملك ذق انك انت العزيز الكريم بزعمك وقيل هو على معنى الاستخفاف والتوبيخ والاستهزا والاهانة والتنقيص اي قال له انك انت الذليل المهان وهو كما قال قوم شعيب لشعيب انك لانت الحليم الرشيد يعنون السفيه الجاهل في احد التاويلات على ما تقدم وهذا قول سعيد بن جبير ان هذا ما كنتم به تمترون اي تقول لهم الملائكة ان هذا ما كنتم تشكون فيه في الدنيا قوله تعالى ان المتقين في مقام امين لما ذكر مستقر الكافرين وعذابهم ذكر نزل المؤمنين ونعيمهم وقرا نافع وابن عامر في مقام بضم الميم الباقون بالفتح قال الكسائي المقام المكان والمقام الاقامة كما قال ؛ عفت الديار محلها فمقامها ؛ قال الجوهري واما المقام والمقام فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الاقامة وقد يكون بمعنى موضع القيام لانك اذا جعلته من قام يقوم فمفتوح وان جعلته من اقام يقيم فمضموم لان الفعل اذا جاوز الثلاثة فالموضع مضموم الميم لانه مشبه ببنات الاربعة نحو دحرج وهذا مدحرجا وقيل المقام بالفتح المشهد والمجلس وبالضم يمكن ان يراد به المكان ويمكن ان يكون مصدرا ويقدر فيه المضاف اي في موضع اقامة امين يومن فيه من الافات في جنات وعيون بدل من مقام امين يلبسون من سندس واستبرق متقابلين اي بعضهم قفا بعض متواجهين يدور بهم مجلسهم حيث داروا والسندس ما رق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد مضى في الكهف قوله تعالى كذلك اي الامر كذلك الذي ذكرناه فيوقف على كذلك وقيل اي كما ادخلناهم الجنة وفعلنا بهم ما تقدم ذكره اكرمناهم بان زوجناهم حورا عينا وقد مضى الكلام في العين في والصافات والحور البيض في قول قتادة والعامة جمع حورا والحورا البيضا التي يرى ساقها من وراء ثيابها ويرى الناظر وجهه في كعبها كالمراة من رقة الجلد وبضاضة البشرة وصفا اللون ودليل هذا التاويل انها في حرف ابن مسعود بعيس عين وذكر ابو بكر الانباري انا احمد بن الحسين نا حسين نا عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا في حم الدخان بعيس عين لا يذوقون طعم الموت الا الموتة الاولى والعيس البيض ومنه قيل للابل البيض عيس واحدها بعير اعيس وناقة عيسا قال امرؤ القيس ؛

؛ يرعن الى صوتي اذا ما سمعنه كما ترعوي عيط الى صوت اعيسا ؛

يعني الحور هنا الحسان الناقيات البياض بحسن وذكر بن المبارك انا معمر عن ابي اسحاق عن عمرو بن ميمون الاودي عن بن مسعود قال ان المراة من الحور العين ليرى مخ ساقها من وراء اللحم والعظم ومن تحت سبعين حلة كما يرى الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال مجاهد انما سميت الحور حورا لانهن يحار الطرف في حسنهن وبياضهن وصفا لونهن وقيل انما قيل لهن حور لحور اعينهن والحور شدة بياض العين في شدة سوادها المراة حورا بينة الحور يقال حورت عينه احورارا واحور الشي ابيض قال الاصمعي ما ادري ما الحور في العين وقال ابو عمرو الحور ان تسود العين كلها مثل اعين الظبا والبقر قال وليس في بني ادم حور انما قيل للنسا حور العين لانهن شبهن بالظباء والبقر وقال العجاج باعين محورات بيض يعني الاعين النقيات البياض الشديدات سواد الحدق والعين جمع عينا وهي الواسعة العظيمة العينين وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مهور الحور العين قبضات التمر وفلق الخبز وعن ابي قرصافة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اخراج القمامة من المسجد مهور الحور العين القمامة الكناسة والجمع قمام وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كنس المساجد مهور الحور العين ذكرها الثعلبي رحمه الله وقد افردنا هذا المعنى بابا مفردا في كتاب التذكرة والحمد لله واختلف ايما افضل في الجنة نسا الادميات ام الحور فذكر بن المبارك قال وانا رشدين بن سعد عن ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة قال ان نسا الادميات من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وروي مرفوعا ان الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف وقيل ان الحور العين افضل لقوله عليه السلام في دعايه وابدله زوجا خيرا من زوجه والله اعلم وقرا عكرمة بحور عين مضاف والاضافة والتنوين في حور عين سوا قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة امنين قال قتادة امنين من الموت والوصب والشيطان وقيل امنين من انقطاع ما هم فيه من النعيم او من ان ينالهم من اكلها اذى او مكروه قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى اي لا يذوقون فيها الموت البتة لانهم خالدون فيها ثم قال الا الموتة الاولى على الاستثنا المنقطع اي لكن الموتة الاولى قد ذاقوها في الدنيا وانشد سيبويه

من كان اسرع في تفرق فالج ... فلبونه جربت معا واغدت

ثم استثنى بما ليس من الاول ... الا كناشرة الذي ضيعتم ... كالغصن في غلوايه المتنبت

وقيل ان الا بمعنى بعد كقولك ما كلمت رجلا اليوم الا رجلا عندك اي بعد رجل عندك وقيل الا بمعنى سوى اي سوى الموتة التي ماتوها في الدنيا كقوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف اي سوى ما قد سلف وهو كما تقول ما ذقت اليوم طعاما سوى ما اكلت امس وقال القتبي الا الموتة الاولى يعني ان المومن اذا اشرف على الموت استقبلته ملايكة الرحمة ويلقى الروح والريحان وكان موته في الجنة لاتصاله باسبابها فهو استثنا صحيح والموت عرض لا يذاق ولكن جعل كالطعام الذي يكره ذوقه فاستعير فيه لفظ الذوق ووقاهم عذاب الجحيم فضلا مصدر عمل فيه يدعون وقيل العامل فيه ووقاهم وقيل فعل مضمر وقيل معنى الكلام الذي قبله لانه تفضل منه عليهم اذ وفقهم في الدنيا الى اعمال يدخلون بها الجنة ذلك هو الفوز العظيم اي السعادة والربح العظيم والنجاة العظيم وقيل هو من قولك فاز فلان اي نال وظفر به قوله تعالى فانما يسرناه بلسانك يعني القران اي سهلناه بلغتك عليك وعلى من يقرؤه لعلهم يتذكرون اي يتعظون وينزجرون ونظيره ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر فختم السورة بالحث على اتباع القران وان لم يكن مذكورا كما قال في مفتتح السورة انا انزلناه في ليلة مباركة اي انزلناه في ليلة القدر على ما تقدم فارتقب انهم مرتقبون اي انتظر ما وعدتك من النصر عليهم انهم منتظرون لك الموت حكاه النقاش وقيل انتظر الفتح من ربك انهم منتظرون بزعمهم قهرك وقيل انتظر ان يحكم الله بينك وبينهم فانهم منتظرون بك ريب الحدثان

والمعنى متقارب وقيل ارتقب ما وعدتك من الثواب فانهم كالمنتظرين لما وعدتهم من العقاب وقيل ارتقب يوم القيامة فانه يوم الفصل وان لم يعتقدوا وقوع القيامة جعلوا كالمرتقبين لان عاقبتهم ذلك والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة الجاثية مكية

كلها في قول الحسن وجابر وعكرمة وقال بن عباس وقتادة الا اية هي قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله نزلت بالمدينة في عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذكره الماوردي وقال المهدوي والنحاس عن بن عباس انها نزلت في عمر رضي الله عنه شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة فاراد ان يبطش فانزل الله تعالى قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله ثم نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم فالسورة كلها مكية على هذا من غير خلاف فيه وهي سبع وثلاثون اية وقيل ست

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم حم مبتدا وتنزيل خبره وقال بعضهم حم اسم السورة وتنزيل الكتاب مبتدا وخبره من الله والكتاب القران والعزيز المنيع الحكيم في فعله وقد تقدم جميع هذا قوله تعالى ان في السموات والارض اي في خلقهما لايات للمومنين وفي خلقكم وما يبث من دابة ايات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما انزل الله من السما من رزق يعني المطر فاحيى به الارض بعد موتها الاية تقدم جميعه مستوفى في البقرة وغيرها وقراءة العامة وما يبث من دابة ايات وتصريف الرياح ايات بالرفع فيهما وقرا حمزة والكسايي بكسر التاء فيهما ولا خلاف في الاول انه بالنصب على اسم ان وخبرها في السموات ووجه الكسر في ايات الثاني فاما الثالث فقيل ان وجه النصب فيه تكرير ايات لما طال الكلام كما تقول ضربت زيدا زيدا وقيل انه على الحمل على ما عملت فيه ان على تقدير حذف في التقدير وفي اختلاف الليل والنهار ايات فحذفت في لتقدم ذكرها وانشد سيبويه في الحذف

اكل امرئ تحسبين امرا ... ونار توقد بالليل نارا

فحذف كل المضاف الى نار المجرورة لتقدم ذكرها وقيل هو من باب العطف على عاملين ولم يجزه سيبويه واجازه الاخفش وجماعة من الكوفيين فعطف واختلاف على قوله وفي خلقكم ثم قال وتصريف الرياح ايات فيحتاج الى العطف على عاملين والعطف على عاملين قبيح من اجل ان حروف العطف تنوب مناب العامل فلم تقو ان تنوب مناب عاملين مختلفين اذ لو ناب حرف العطف مناب رافع وناصب لكان رافعا ناصبا في حال واما قراءة الرفع فحملا على موضع ان مع ما عملت فيه وقد الزم النحويون في ذلك ايضا العطف على عاملين لانه عطف واختلاف على وفي خلقكم وعطف ايات على موضع ايات الاول ولكنه يقدر على تكرير في ويجوز ان ترفع على القطع مما قبله فترفعه بالابتدا وما قبله خبره ويكون عطف جملة على جملة وحكى الفرا رفع اختلاف وايات جميعا وجعل الاختلاف هو الايات قوله تعالى تلك ايات الله اي هذه ايات الله اي حججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وقدرته نتلوها عليك بالحق اي بالصدق الذي لا باطل ولا كذب فيه ويكون وقرى يتلوها بالياء فباي حديث بعد الله اي بعد حديث الله وقيل بعد قرانه واياته يومنون وقراءة العامة بالياء على الخبر وقرا ابن محيصن وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسايي تومنون بالتاء على الخطاب قوله تعالى ويل لكل افاك اثيم ويل واد في جهنم توعده من ترك الاستدلال باياته والافاك الكذاب والافك الكذب اثيم اي مرتكب الاثم والمراد فيما روي النضر بن الحارث وعن ابن عباس انه الحارث بن كلدة وحكى الثعلبي انه ابو جهل واصحابه يسمع ايات الله تتلى عليه يعني ايات القران ثم يصر مستكبرا اي يتمادى على كفره متعظما في نفسه عن

الانفتاد ماخوذ من صر الصرة اذا شدها قال معناه بن عباس وغيره وقيل اصله من
اصرار الحمار على العانه وهو ان ينحني عليها صارا اذنيه وان من كان مخففة من الثقيلة
كانه لم يسمعها والضمير ضمير الشان كما في قوله • كان طبيته تعطوا الى ناظر السلم •
ومحل الجملة النصب اي يصير مثل غير السامع وقد تقدم في اول لقمان الكلام في معنى هذه
الاية وتقدم معنى فبشره بعذاب اليم في البقرة قوله تعالى واذا علم من اياتنا شيئا
اتخذها هزوا ونحو قوله في الزخرف وانه المزيد والتم وقوله في ص ان جهنم انه كانوا استهزوا
فاتا الفاهم وحذى اولئك لهم عذاب مهين مذل مخزي من ورائهم جهنم اي من وراء
ما هم فيه من التعزز بالدنيا والتكبر عن الحق جهنم وقال بن عباس من ورائهم جهنم
اي امامهم نظيره من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد اي من امامه قال •
• اليس ورايي ان تراخت منيتي ادب مع الولدان ارجف كالنسر •
ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من المال والولد نظيره لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من
الله شيئا ولا ما اتخذوا من دون الله اولياء يعني الاصنام ولهم عذاب عظيم اي دائم
ومؤلم قوله تعالى هذا هدى ابتدا وخبر يعني القران وقال بن عباس يعني كل ما
جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فالذين كفروا بايات ربهم اي جحدوا دلايله لهم عذاب من رجز
اليم الرجز العذاب اي لهم عذاب من عذاب اليم دليله قوله فانزلنا على الذين ظلموا
رجزا من السما اي عذابا وقيل الرجز القذر مثل الرجس وهو كقوله ويسقى من ماء صديد اي
لهم عذاب من تجرع الشراب القذر وضم الرا من الرجز بن محيصن حيث وقع وقرا ابن كثير
وابن محيصن وحفص اليم بالرفع على معنى لهم عذاب اليم من رجز الباقون بالخفض نعت
للرجز قوله تعالى الله الذي سخر لكم الفلك فيه بامره لتجري في البحر بامره البحر
لتجري الفلك فيه بامره الاية ذكر كمال قدرته وتمام نعمته على عباده وبين انه خلق
ما خلق لمنافعهم وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يعني ان ذلك
فعله وخلقه واحسان منه وانعام وقرا ابن عباس والجحدري وغيرهما جميعا منة
بكسر الميم وتشديد النون وتنوين الها منصوبا على المصدر قال ابو عمرو وكذلك
سمعت مسلمة يقروها منة اي تفضلا وكرما وعن مسلمة بن محارب ايضا جميعا
منه على اضافة المن الى ها الكناية وهو عند ابي حاتم ابتدا محذوف اي ذلك
وهو منه وقراة الجماعة ظاهرة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون قوله تعالى قل للذين
امنوا يغفروا جزم على جواب قل تشبيها بالشرط والجزا كقولك قم تصب خيرا وقيل هو
على حذف اللام وقيل معنى قل لهم اغفروا ويغفروا فهو جواب امر محذوف ودل الكلام
عليه قاله علي بن عيسى واختاره ابن العربي ونزلت الاية بسبب ان رجلا من
قريش شتم عمر بن الخطاب فهم ان يبطش به قال ابن العربي وهذا لم يصح وذكر
الواحدي والقشيري وغيرهما عن بن عباس ان الاية نزلت في عمر مع عبد الله
ابن ابي في غزوة بني المصطلق فانهم نزلوا على بير يقال لها المريسيع فارسل عبد الله
غلامه ليستقي وابطا عليه فقال ما حبسك قال غلام عمر بن الخطاب قعد على فم
البير فما ترك احدا يستقي حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب ابي بكر
وملا لمولاه فقال عبد الله ما مثلنا ومثل هولا الا كما قيل سمن كلبك ياكلك فبلغ
عمر قوله فاشتمل على سيفه يريد التوجه اليه ليقتله فانزل الله هذه الاية رواية
عطا عن بن عباس وروي عن ميمون بن مهران قال لما نزلت من ذا الذي يقرض
الله قرضا حسنا قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص احتاج رب محمد قال فلما
سمع عمر بذلك اشتمل على سيفه وخرج في طلبه فجا جبريل عليه السلام الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال ان ربك يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام
الله واعلم ان عمر قد اشتمل على سيفه وخرج في طلب اليهودي فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم في طلبه فلما جا قال يا عمر ضع سيفك قال يا رسول الله صدقت
فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في طلبه اشهد انك ارسلت بالحق قال فان ربك

يقول

يقول قل للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله قال لا جرم والذي بعثك بالحق
لا ترى الغضب في وجهي قال الشيخ القرطبي رحمه الله وما ذكره المهدوي والنحاس فهو
رواية الضحاك عن بن عباس وهو قول القرظي والذي عليه يتوجه النسخ في الاية وعلى
ان الاية نزلت بالمدينة او في غزوة بني المصطلق فليست بمنسوخة ومعنى يغفروا يعفوا
ويتجاوزوا ومعنى لا يرجون ايام الله اي لا يرجون ثوابه وقيل اي لا يخافون باس
الله ونقمه وقيل الرجا كقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون له عظمة والمعنى
لا تخشون مثل عذاب الامم الخالية والايام يعبر بها عن الوقايع وقيل لا يأملون نصر الله
لاوليائه وايقاعه باعدايه وقيل المعنى لا يخافون البعث ليجزي قوما بما كانوا يكسبون
قراءة العامة ليجزي بالياء على معنى ليجزي الله وقرا حمزة والكسائي وبن عامر لنجزي بالنون
على التعظيم وقرا ابو جعفر والاعرج وشيبة ليجزى بياء مضمومة وفتح الزاي على الفعل المجهول
قوما بالنصب قال ابو عمرو وهذا لحن ظاهر وقال الكسائي معناه ليجزى الجزاء قوما نظيره وكذلك
ننجي المومنين قراءة بن عامر وابي بكر في سورة الانبيا قال الشاعر •
• ولو ولدت قفيرة جرو كلب • لسب بذلك الجرو الكلابا •
اي لسب السب قوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها الاية تقدم قوله
تعالى ولقد اتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة الحكم الفهم في الكتاب وقيل الحكم على
الناس والقضا والنبوة يعني الانبيا من وقت يوسف الى زمن عيسى ورزقناهم من
الطيبات اي الحلال من الاقوات والثمار والاطعمة التي كانت بالشام وقيل يعني المن والسلوى
في التيه وفضلناهم على العالمين اي على عالمي زمانهم على ما تقدم في الدخان بيانه واتيناهم
بينات من الامر قال بن عباس يعني امر النبي صلى الله عليه وسلم وشواهد نبوته بانه يهاجر
من تهامة الى يثرب وينصره اهل يثرب وقيل بينات الامر شرايع واضحات في الحلال
والحرام ومعجزات فما اختلفوا الا من بعد ما جاهم العلم يريد يوشع بن نون فامن بعضهم
وكفر بعضهم حكاه النقاش وقيل بعد ما جاهم العلم بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم فاختلفوا
فيها بغيا بينهم اي حسدا على النبي صلى الله عليه وسلم قاله معناه الضحاك وقيل معنى بغيا
اي بغي بعضهم على بعض يطلب الفضل والرياسة وقتلوا الانبيا فكذا مشركو عصرك يا محمد
قد جاتهم البينات ولكن اعرضوا عنها للمنافسة في الرياسة ان ربك يقضي بينهم اي يحكم
ويفصل يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون في الدنيا قوله تعالى ثم جعلناك على شريعة
من الامر فيه مسالتان الاولى قوله تعالى جعلناك على شريعة الشريعة في اللغة المذهب
والملة ويقال لمشرعة الما وهي مورد الشاربة شريعة ومنه الشارع لانه طريق الى المقصد
فالشريعة ما شرع الله لعباده من الدين والجمع الشرايع والشرايع في الدين المذاهب التي
شرعها الله لخلقه فمعنى جعلناك على شريعة من الامر اي على منهاج واضح من امر الدين يشرع
بك الى الحق وقال بن عباس على شريعة اي على هدى من الامر قتادة الشريعة الامر
والنهي والحدود والفرايض مقاتل البينة لانها طريق الى الحق الكلبي السنة لانه يستن
بطريقة من قبله من الانبيا ابن زيد الدين لانه طريق النجاة ابن العربي والامر يرد
في اللغة بمعنيين احدهما بمعنى الشان كقوله فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون
برشيد والثاني احد اقسام الكلام الذي يقابله النهي وكلاهما يصح ان يكون مرادا ها هنا
وتقديره ثم جعلناك على طريقة من الدين وهي ملة الاسلام كما قال تعالى ثم اوحينا اليك
ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ولا خلاف ان الله تعالى لم يغاير بين
الشرايع في التوحيد والمكارم والمصالح وانما خالف بينها في الفروع حسب ما علمه
سبحانه الثانية قال ابن العربي ظن بعض من يتكلم في العلم ان هذه الاية دليل على ان
شرع من قبلنا ليس بشرع لنا لان الله افرد النبي صلى الله عليه وسلم وامته في هذه الاية
بشريعة ولا ننكر ان النبي صلى الله عليه وسلم وامته منفردان بشريعة وانما الخلاف فيما
اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه من شرع من قبلنا في معرض المدح والثنا هل يلزم
اتباعه ام لا قوله تعالى ولا تتبع اهوا الذين لا يعلمون يعني المشركين وقال بن عباس

قريظة والنضير وعند نزلت لما دعته قريش الى دين ابائه قوله تعالى انهم لن
يغنوا عنك من الله شيئا اي ان اتبعت اهواءهم لا يدفعون عنك من عذاب الله شيئا
وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اي اصدقاء وانصار واحباب قال ابن عباس يريد
ان المنافقين اولياء اليهود والله ولي المتقين اي ناصرهم ومعينهم والمتقون هنا
الذين اتقوا الشرك والمعاصي قوله تعالى هذا بصائر ابتداء وخبر اي هذا
الذي انزلت عليك براهين ودلائل ومعالم للناس في الحدود والاحكام وقرئ
هذه بصائر اي هذه الايات وهدى اي رشد وطريق يؤدي الى الجنة لمن اخذ
به ورحمة في الاخرة لقوم يوقنون قوله تعالى ام حسب الذين اجترحوا السيئات
اي اكتسبوها والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وقد تقدم في المائدة ان نجعلهم
كالذين امنوا وعملوا الصالحات قال الكلبي الذين اجترحوا عتبة وشيبة ابنا
ربيعة والوليد بن عتبة والذين امنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحرث رضي
الله عنهم حين برزوا اليهم يوم بدر فقتلوهم وقيل نزلت في قوم من المشركين قالوا
انهم يعطون في الاخرة خيرا مما يعطاه المومن كما اخبر الرب عنهم في قوله ولئن رجعت
الى ربي ان لي عنده للحسنى وقوله ام حسب استفهام معطوف معناه الانكار واهل العربية
يجيزون ذلك من غير عطف اذا كان متوسطا للخطاب وقوم يقولون فيه اضمار
اي ولي المتقين افيعلم المشركون ذلك ام حسبوا انا نسوي بينهم وقيل هي ام المنقطعة
ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان وقراءة العامة سواء بالرفع على انه خبر ابتداء مقدم
اي محياهم ومماتهم سواء والضمير في محياهم ومماتهم يعود على الكفار اي محياهم محيا
سوء ومماتهم كذلك وقرا حمزة والكسائي والاعمش سواء بالنصب واختاره ابو عبيد
قال معناه نجعلهم سواء وقرا الاعمش ايضا وعيسى بن عمر ومماتهم بالنصب على معنى
سواء في محياهم ومماتهم فلما اسقط الخافض انتصب ويجوز ان يكون محياهم ومماتهم
بدلا من الهاء والميم في نجعلهم المعنى ان نجعل محياهم ومماتهم سواء كمحيا الذين امنوا
ومماتهم ويجوز ان يكون الضمير في محياهم ومماتهم للكفار والمومنين جميعا قال
مجاهد المومن يموت مومنا ويبعث مومنا والكافر يموت كافرا ويبعث كافرا
وذكر ابن المبارك اخبرنا شعبة عن عمرو بن مرة عن ابي الضحى عن مسروق قال
قال رجل من اهل مكة هذا مقام تميم الداري لقد رايته ذات ليلة حتى اصبح او
قرب ان يصبح يقرا اية من كتاب الله ويركع ويسجد ويبكي ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم الاية وقال بشير بت عند الربيع بن خثيم ذات ليلة
فقام يصلي فمر بهذه الاية فمكث ليلته حتى اصبح لم يعدها ببكاء شديد وقال
ابراهيم بن الاشعث كثيرا ما رايت الفضيل بن عياض يردد من اول الليل الى
اخره هذه الاية ونظيرها ثم يقول ليت شعري من اي الفريقين انت وكانت
هذه الاية تسمى مبكاة العابدين لانها محكمة وخلق الله السموات والارض اي
بالامر ولتجزى اي ولكي تجزى كل نفس بما كسبت في الاخرة وهم لا يظلمون قوله
تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه قال ابن عباس والحسن وقتادة ذلك الكافر
اتخذ دينه ما يهواه فلا يهوى شيئا الا ركبه وقال عكرمة افرايت من جعل الهه يعبده
ما يهواه او يستحسنه فاذا استحسن شيئا وهويه اتخذه الها قال سعيد بن جبير
كان احدهم يعبد الحجر فاذا راى ما هو احسن منه رمى به وعبد الاخر وقال مقاتل
نزلت في الحارث بن قيس السهمي احد المستهزئين لانه كان يعبد ما تهواه نفسه
وقال سفيان بن عيينة انما عبدوا الحجارة لان البيت حجارة وقيل المعنى افرايت
من ينقاد لهواه انقياده لالهه ومعبوده تعجيبا لذوي العقول من هذا الجهل
وقال الحسن بن الفضل في الاية تقديم وتاخير مجازه افرايت من اتخذ هواه
الهه هواه وقال الشعبي انما سمي الهوى لانه يهوي بصاحبه في النار
وقال ابن عباس ما ذكر الله هوى في القران الا ذمه قال الله تعالى واتبع هواه

مثله

فمثله كمثل الكلب وقال واتبع هواه وكان امره فرطا وقال بل اتبع الذين ظلموا
اهواءهم بغير علم فمن يهدي من اضل الله وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى
من الله وقال فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
عن النبي صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به وقال
ابو امامة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما عبد تحت السماء اله ابغض الى الله من
الهوى وقال شداد بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الكيس من دان نفسه وعمل
لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وقال عليه السلام اذا رايت
شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا موثرة واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بخاصة نفسك
ودع عنك امر العامة وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث منجيات
فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه والمنجيات خشية الله في السر
والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الرضى والغضب وقال ابو الدردا
رضي الله عنه اذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله وعلمه فان كان عمله تبعا لهواه فيومه
يوم سوء وان كان عمله تبعا لعلمه فيومه يوم صالح وقال الاصمعي سمعت رجلا يقول

ان الهوان هو الهوى قلب اسمه ٭ فاذا هويت فقد لقيت هوانا ٭

وسيل ابن المقفع عن الهوى فقال هوان سرقت نونه فنظمه شاعر فقال

نون الهوان من الهوى مسروقة ٭ فاذا هويت فقد لقيت هوانا ٭ اخر
ان الهوى لهو الهوان بعينه ٭ فاذا هويت فقد كسبت هوانا ٭
واذا هويت فقد تعبدك الهوى ٭ فاخضع لحبك كائنا من كانا ٭

ولعبد الله بن المبارك

ومن البلايا للبلاء علامة ٭ ان لا يرى لك عن هواك نزوع ٭
العبد عبد النفس في شهواتها ٭ والحر يشبع تارة ويجوع ٭ ولابن دريد
اذا طالبتك النفس يوما بشهوة ٭ وكان اليها للخلاف طريق ٭
فدعها وخالف ما هويت فانما ٭ هواك عدو والخلاف صديق ٭ ولابي عبيد الطوسي
والنفس ان اعطيتها مناها ٭ فاغرة نحو هواها فاها ٭

وقال احمد بن ابي الحواري مررت براهب فوجدته نحيفا فقلت له انت عليل قال نعم قال
منذ كم قال منذ عرفت نفسي قلت فتداوي قال قد اعياني الدواء وقد عزمت على الكي قلت
وما الكي قال مخالفة الهوى وقال سهل بن عبد الله التستري هواك داؤك فان
خالفته فدواؤك وقال وهب اذا اشكل عليك امران ولم تدر خيرهما فانظر ابعدهما من هواك
فاته وللعلماء في هذا الباب في ذم الهوى ومخالفته كتب وابواب اشرنا الى ما فيه كفاية
منه وحسبك بقوله تعالى فاما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي
الماوى واما من طغى واثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي الماوى قوله تعالى واضله الله
على علم اي على علم قد علمه منه وقيل اضله عن الثواب على علم منه بانه لا يستحقه وقال ابن عباس
اي على علم قد سبق عنده انه سيضل مقاتل على علم منه انه ضال والمعنى متقارب
وقيل على علم من عابد الصنم انه لا ينفع ولا يضر ثم قيل على علم يجوز ان يكون حالا من الفاعل
المعنى اضله على علم منه به اي اضله في حال علم الكافر بانه ضال وختم على سمعه وقلبه
اي طبع على سمعه حتى لا يسمع الوعظ وطبع على قلبه حتى لا يفقه الهدى وجعل على بصره
غشاوة اي غطاء حتى لا يبصر الرشد وقرا حمزة والكسائي غشوة بفتح الغين من غير
الف وقد مضى في البقرة وقال الشاعر

اما والذي انا عبد له ٭ يمينا وما لك ابدي اليمينا ٭
لئن كنت البستني غشوة ٭ لقد كنت اصفيتك الود حينا ٭

فمن يهديه من بعد الله اي من بعد ان اضله فلا تذكرون تتعظون وتعرفون انه
قادر على ما يشاء وهذه الاية ترد على القدرية والامامية ومن سلك طريقهم في الاعتقاد
اذ هي مصرحة بمنعهم الهداية ثم قيل وختم على سمعه وقلبه انه خارج مخرج الخبر عن

احوالهم وقيل انه خارج مخرج الدعا بذلك عليهم كما تقدم في اول البقرة وحكى ابن جريج انها نزلت في الحرث بن قيس من الغياطلة وحكى النقاش انها نزلت في الحرث بن نوفل ابن عبد مناف وقال مقاتل نزلت في ابي جهل وذلك انه طاف بالبيت ذات ليلة ومعه الوليد بن المغيرة فتحدثا في شان النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابو جهل والله اني لاعلم انه لصادق فقال له مه وما دلك على ذلك قال يا با عبد شمس كنا نسميه في صباه الصادق الامين فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب الخاين والله اني لاعلم انه لصادق قال فما منعك ان تصدقه وتومن به قال تتحدث عني بنات قريش اني قد اتبعت يتيم ابي طالب من اجل كسرة واللات والعزى ان اتبعته ابدا فنزلت وختم على سمعه وقلبه قوله تعالى وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى هذا انكار منهم للاخرة وتكذيب للبعث وابطال للجزا ومعنى نموت ونحيا اي نموت نحن ويحيى اولادنا قاله الكلبي وقرى ونحيى بضم النون وقيل يموت بعضنا ويحيى بعضنا وقيل فيه تقديم وتاخير اي نحيى ونموت وهي قراءة ابن مسعود وما يهلكنا الا الدهر قال مجاهد يعني السنين والايام وقال قتادة الا العمر والمعنى واحد وقرى الا دهر يمر وقال ابن عيينة كان اهل الجاهلية يقولون الدهر هو الذي يهلكنا وهو الذي يميتنا ويحيينا فنزلت هذه الاية وقال قطرب وما يهلكنا الا الموت وانشد قول ابي ذويب

امن المنون وريبها تتوجع ○ والدهر ليس بمعتب من يجزع

وقال عكرمة اي وما يهلكنا الا الله وروى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم كان اهل الجاهلية يقولون ما يهلكنا الا الليل والنهار وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا فيسبون الدهر فقال الله تعالى يوذيني ابن ادم يسب الدهر وانا الدهر بيدي اقلب الليل والنهار قال الشيخ القرطبي رحمه الله قوله قال الله الى اخره نص البخاري ولفظه وخرجه مسلم ايضا وابو داود وفي الموطا عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن احدكم يا خيبة الدهر فان الله هو الدهر وقد استدل بهذا الحديث من قال ان الدهر من اسما الله وقال من لم يجعله من العلما اسما انما خرج ردا على العرب في جاهليتها فانهم كانوا يعتقدون ان الدهر هو الفاعل كما اخبر الله عنهم في هذه الاية فكانوا اذا اصابهم ضر او ضيم او مكروه نسبوا ذلك الى الدهر فقيل لهم على ذلك لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر اي ان الله هو الفاعل لهذه الامور التي تضيفونها الى الدهر فيرجع السب اليه سبحانه فنهوا عن ذلك ودل صحة هذا ما ذكرناه من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تبارك وتعالى يوذيني ابن ادم الحديث ولقد احسن من قال وهو ابو علي الثقفي

يا عاتب الدهر اذا نابه ○ لا تلم الدهر على غدره
الدهر مامور له آمر ○ ينتهي الدهر الى امره
كم كافر امواله جمة ○ تزداد اضعافا على كفره
ومومن ليس له درهم ○ يزداد ايمانا على فقره

وروي ان سالم بن عبد الله بن عمر كان كثيرا ما يذكر الدهر فزجره ابوه وقال اياك يا بني وذكر الدهر وانشد

فما الدهر بالجاني لشي لحينه ○ ولا جالب البلوى فلا تشتم الدهرا
ولكن متى ما يبعث الله باعثا ○ على معشر يجعل مياسيرهم عسرا

وقال ابو عبيد ناظرت بعض الملحدة فقال الا تراه يقول فان الله هو الدهر فقلت وهل كان احد يسب الله في اباد الدهر بل كانوا يقولون كما قال الاعشى

ان محلا وان مرتحلا ○ وان في السفر اذ مضوا مهلا
استاثر الله بالوفا وبالعدل ○ وولى الملامة الرجلا

وقال ابو عبيد ومن شان العرب ان يذموا الدهر عند المصايب والنوايب حتى ذكروه في اشعارهم ونسبوا الاحداث اليه قال عمرو بن قميه

رمتني بنات الدهر من حيث لا ارى ○ فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو انها نبل اذا لاتقيتها ○ ولكنني ارمى بغير سهام
على الراحتين مرة وعلى العصا ○ انوء ثلاثا بعدهن قيامي

ومثله

ومثله كثير في الشعر ينسبون ذلك الى الدهر ويضيفونه اليه والله سبحانه الفاعل لا رب سواه وما لهم بذلك من علم اي علم ومن زايدة اي قالوا ما قالوا شاكين ان هم الا يظنون اي ما هم الا يتكلمون بالظن وكان المشركون اصنافا منهم هولا ومنهم من كان يثبت الصانع وينكر البعث ومنهم من كان يشك في البعث ولا يقطع بانكاره وحدث في الاسلام اقوام ليس يمكنهم انكار البعث خوفا من المسلمين فتاولوا فرأوا القيامة موت البدن ورأوا الثواب والعقاب الى خيالات تقع للارواح بزعمهم فشر هولا اضر من شر الكفار لان هولا يلبسون على الحق ويغتر بتلبيسهم الظاهر والمشرك المجاهر بشركه يحذره المسلم وقيل يموت ويحيى اثار فهذه حياة الذكر وقيل اشاروا الى التناسخ اي يموت الرجل فتجعل روحه في موات فتحيا به قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات اي واذا تقرا على هولا المشركين اياتنا المنزلة في جواز البعث لم يكن لهم دفع الا ان قالوا ايتوا بابائنا حجتهم خبر كان والاسم الا ان قالوا ايتوا بابائنا الموتى نسالهم عن صدق ما تقولون فرد الله عليهم بقوله قل الله يحييكم بعد كونكم نطفا امواتا ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة كما احياكم في الدنيا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان الله يعيدهم كما بداهم الزمخشري فان قلت لم سمي قولهم حجة قلت لانهم ادلوا به كما يدلي المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم او لانه في حسابهم وتقديرهم حجة او لانه في اسلوب قوله تحية بينهم ضرب وجيع كانه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفي ان تكون لهم حجة البتة فان قلت كيف وقع قوله قل الله يحييكم جوابا لايتوا بابائنا ان كنتم صادقين قلت لما انكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا ان ما قالوه قول مبكت الزموا ما هم مقرون به ان الله عز وجل هو الذي يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان انصفوا واصغوا الى داعي الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على ذلك كان قادرا على الاتيان بابايهم وكان اهون شي عليه قوله تعالى ولله ملك السموات والارض خلقا وملكا ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون يوم الاول منصوب بيخسر ويومئذ تكرير للتاكيد او بدل وقيل ان العامل فيه الملك يوم تقوم الساعة والعامل في يومئذ يخسر ومفعول يخسر محذوف والمعنى يخسرون منازلهم في الجنة قوله تعالى وترى كل امة جاثية اي من هول ذلك اليوم والامة هنا اهل كل ملة وفي الجاثية تاويلات خمس الاول قال مجاهد مستوفزة قاله مجاهد وقال سفين المستوفز الذي لا يصيب الارض منه الا ركبتاه واطراف انامله الضحاك ذلك عند الحساب الثاني مجتمعة قاله ابن عباس الثالث متميزة قاله عكرمة الرابع خاضعة بلغة قريش قاله مورج الخامس باركة على الركب قاله الحسن والجثو الجلوس على الركب جثا على ركبتيه يجثو ويجثي جثوا وجثيا على فعول فيهما وقد مضى في مريم واصل الجثوة الجماعة من كل شي قال طرفة يصف قبرين ○ ترى جثوتين من تراب عليهما ○ صفايح صم من صفيح منضد ثم قيل هو خاص بالكفار قاله يحيى بن سلام وقيل انه عام للمومنين والكافر انتظارا للحساب وقد روى سفين بن عيينة عن عمرو عن عبد الله بن باباه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كاني اراكم بالكوم جاثين دون جهنم ذكره الماوردي وقال سلمان ان في يوم القيامة لساعة هي عشر سنين يخر الناس فيها جثاة على ركبهم حتى ان ابراهيم لينادي لا اسالك اليوم الا نفسي كل امة تدعى الى كتابها قال يحيى بن سلام الى حسابها وقيل الى كتابها الذي ينسخ لها فيه ما عملت من خير وشر قاله مقاتل وهو يوم معين قول مجاهد وقيل كتابها ما كتبت الملايكة عليها وقيل كتابها المنزل عليها لينظر هل عملوا بما فيه وقيل الكتاب ها هنا اللوح المحفوظ وقرا يعقوب الحضرمي كل امة بالنصب على البدل من كل الاولى لما في الثانية من الايضاح الذي ليس في الاولى اذ ليس في جثوها شي من حال شرح الجثو كما في الثانية من ذكر السبب الداعي اليه وهو استدعاوها الى كتابها وقيل انتصب

باعمال نزي حضرا او الرفع على الابتدا اليوم تجزون ما كنتم تعملون من خير او شر
قوله تعالى هذا كتابنا قيل من قول الله لهم وقيل من قول الملائكة ينطق
عليكم بالحق اي يشهد وهو استعارة يقال نطق الكتاب بكذا اي بين وقيل انهم
يقرونه فيذكرهم الكتاب ما عملوا فكانه ينطق عليهم دليله قوله ويقولون يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها وفي المومنين ولدينا
كتاب ينطق عليكم بالحق وهم لا يظلمون وقد تقدم وينطق في موضع الحال
من الكتاب او من ذا او خبر ثان لكتابنا او يكون كتابنا بدلا من هذا وينطق الخبر انا
كنا نستنسخ ما كنتم تعملون اي نامر بنسخ ما كنتم تعملون قال علي رضي الله عنه
ان لله ملائكة ينزلون كل يوم بشي يكتبون فيه اعمال بني ادم وقال ابن عباس
ان الله وكل ملائكة مطهرين فينسخون من ام الكتاب في رمضان كل ما يكون من
اعمال بني ادم فيعارضون حفظة الله على العباد كل خميس فيجدون ما جا به الحفظة
من اعمال العباد موافقا لما في كتابهم الحسن مستنسخ ما كتبته الحفظة على بني ادم
لان الحفظة ترفع الى الخزنة صحايف الاعمال وقيل تحمل الحفظة كل يوم ما كتبوا
على العبد اذا عادوا الى مكانهم نسخ منه الحسنات والسيات ولا تحول المباحات الى
النسخة الثانية وقيل ان الملائكة اذا رفعت اعمال العباد الى الله جل وعز امر
بان يثبت عنده منها ما فيه ثواب وعقاب ويسقط من جملتها ما لا ثواب فيه ولا
عقاب قوله تعالى فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته
اي الجنة ذلك هو الفوز المبين واما الذين كفروا افلم تكن اياتي اي فيقال لهم
ذلك وهو استفهام توبيخ فاستكبرتم عن قبولها وكنتم قوما مجرمين اي مشركين
يكتسبون المعاصي يقال فلان جريمة اهله اذا كان كاسبهم فالمجرم من اكسب نفسه
المعاصي وقد قال الله سبحانه افنجعل المسلمين كالمجرمين فالمجرم ضد المسلم فهو
المذنب بالكفر اذا قوله تعالى واذا قيل ان وعد الله حق اي البعث كاين
والساعة لا ريب فيها وقرا حمزة والساعة بالنصب عطفا على وعد الباقون
بالرفع على الابتدا او العطف على موضع ان وعد الله ولا يحسن على الضمير الذي في
المصدر لانه غير موكد والضمير المرفوع انما يعطف عليه بغير تاكيد في الشعر
قلتم ما ندري ما الساعة هي حق ام باطل ان نظن الا ظنا تقديره عند المبرد
ان نحن الا نظن ظنا وقيل التقدير ان نظن الا انكم تظنون ظنا وقيل اي وقلتم
ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين ان الساعة اتية قوله تعالى وبدا لهم
سيات ما عملوا اي ظهر لهم جزا سيات ما عملوا وحاق بهم اي نزل بهم واحاط
ما كانوا به يستهزون من عذاب الله قوله تعالى وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم
اي نترككم في النار كما تركتم لقا يومكم هذا اي تركتم العمل له وما واكم النار
اي مسكنكم ومستقركم وما لكم من ناصرين من ينصركم قوله تعالى ذلكم
بانكم اتخذتم ايات الله يعني القران هزوا لعبا وغرتكم الحياة الدنيا اي خدعتكم
باباطيلها وزخارفها فظننتم ان ليس ثم غيرها وان لا بعث فاليوم لا يخرجون منها
ولا هم يستعتبون يسترضون وقد تقدم وقرا حمزة والكسايي فاليوم لا يخرجون
منها بفتح اليا وضم الرا كقوله تعالى كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها الباقون
بضم اليا وفتح الرا كقوله ربنا اخرجنا ونحوه قوله تعالى فلله الحمد رب
السموات ورب الارض رب العالمين وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن رب السموات
ورب الارض رب العالمين بالرفع فيها كلها على معنى هو رب وله الكبريا اي العظمة
والجلال والبقا والسلطان والقدرة والكمال في السموات والارض وهو العزيز
الحكيم

سورة الاحقاف

مكية في قول الجميع وهي اربع وثلاثون اية وقيل خمس وثلاثون

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم تقدم ما خلقنا السموات
والارض تقدم ايضا واجل مسمى يعني القيمة في قول ابن عباس وغيره وقيل انه
الاجل المقدور لكل مخلوق والذين كفروا عما انذروا وخوفوه معرضون مولون لاهون
غير مستعدين له ويجوز ان يكون ما مصدرية اي عن انذارهم ذلك اليوم قوله
تعالى قل ارايتم ما تدعون من دون الله اي ما تعبدون من الاصنام والانداد
من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض اي ... من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض الى
الى قوله صادقين فيه حذف مسايل الاولى قوله تعالى قل ارايتم ماذا خلقوا من
الارض اي هل خلقوا شيا من الارض ام لهم شرك اي نصيب في السموات اي في السموات
مع الله ايتوني بكتاب من قبل هذا اي من قبل هذا القران الثانية قوله تعالى
او اثارة من علم قراة العامة اثارة بالف بعد الثا قال ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم هو خط كانت تخطه العرب في الارض ذكره المهدوي والثعلبي قال
ابن العربي ولم يصح وفي مشهور الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان نبي من
الانبيا يخط فمن وافق خطه فذاك ولم يصح ايضا قال الشيخ القرطبي رحمه الله
هو ثابت عن حديث معوية بن الحكم خرجه مسلم واسند النحاس نا محمد بن احمد
يعرف بالجريجي قال نا بندار قال نا يحيى بن سعيد عن سفين الثوري عن صفوان
ابن سليم عن ابي سلمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله عز وجل
او اثرة من علم قال الخط وهذا صحيح ايضا قال ابن العربي واختلفوا في تاويله
فمنهم من قال جا لاباحة الضرب لان بعض الانبيا كان يفعله ومنهم من قال جا
للنهي عنه لانه صلى الله عليه وسلم قال فمن وافق خطه فذاك ولا سبيل الى معرفة
طريق النبي المتقدم فيه فاذا لا سبيل الى العمل به لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى
ولا زاجرات الطير ما الله صانع وحقيقته عند اربابه يرجع الى صور الكواكب
فيدل ما يخرج منها على ما تدل عليه تلك الكواكب من سعد او نحس يحل بهم فصار
ظنا مبنيا على ظن وتعلقا بامر غايب قد درست طريقه وفات تحقيقه وقد نهت
الشريعة عنه واخبرت ان ذلك مما اختص الله به وقطعه عن الخلق وان كانت قبل
ذلك اسباب يتعلقون بها في درك الاشيا المغيبة فان الله قد رفع تلك الاسباب وطمس
تلك الابواب وافرد نفسه بعلم الغيب فلا يجوز مزاحمته في ذلك ولا يحل لاحد دعواه وطلبه
عنا ولو لم يكن فيه نهي فاذ وقد ورد النهي فطلبه معصية او كفر بحسب قصد الطالب قال
الشيخ القرطبي رحمه الله ما اختاره هو قول الخطابي قال الخطابي قوله عليه السلام
فمن وافق خطه فذاك هذا يحتمل الزجر اذ كان ذلك علما لنبوته وقد انقطعت فنهينا
عن التعاطي لذلك قال القاضي عياض الاظهر من اللفظ خلاف هذا وتصويب خط
من يوافق خطه لكن من اين تعلم الموافقة والشرع منع من التخرص وادعا الغيب
جملة انما معناه ان من وافق خطه فذاك الذي يجدون اصابته لا انه يريد اباحة ذلك
لفاعله على تاويله بعضهم وحكى مكي في تفسيره قوله كان نبي من الانبيا يخط انه كان يخط
باصبعه السبابة والوسطى في الرمل ثم يزجر وقال ابن عباس في تفسير قوله ومنا
رجال يخطون هذا الخط الذي يخطه الحازي بمعطيه حلوانا فيقول اقعد حتى
اخط لك وبين يدي الحازي غلام معه ميل ثم ياتي الى ارض رخوة فيخط الاستاد
خطوطا معجلة لئلا يلحقها العدد ثم يرجع فيمحوا على مهل خطين خطين فان بقي خطا
فهو علامة النجح وان بقي خط فهو علامة الخيبة والعرب تسميه الاسحم وهو مشهوم
عندهم الثالثة قال ابن العربي ان الله سبحانه لم يبق من الاسباب الدالة على الغيب
الذي اذن في التعلق بها والاستدلال منها الا الرويا فانه اذن فيها واخبر انها جز
من النبوة وكذلك الفال واما الطيرة والزجر فانه نهى عنهما والفال هو الاستدلال

بما يسمع من الكلام على ما يريد من الامر اذا كان حسنا فان سمع مكروها فهو تطير
امره الشرع بان يفرح بالفال ويمضي على امره مسرورا واذا سمع المكروه اعرض عنه ولم
يرجع لاجله وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك
ولا اله غيرك وقد روي بعض الادبا الفال والزجر والكهانة كلهم مضللون ودون
الغيب اقفال وهذا كلام صحيح الا في الفال فان الشرع استثناه وامر به فلا يقبل من
الشاعر ما نظمه فانه كلام بجهل وصاحب الشرع اصدق واعلم واحكم قال الشيخ القرطبي
رحمه الله تقدم في الطيرة وفي الفال وفي الفرق بينهما ما يكفي في المايدة وغيرها
وقد مضى في الانعام ان الله سبحانه منفرد بعلم الغيوب وان احدا لا يعلم من ذلك
الا ما اعلمه الله او يجعل على ذلك دلالة عادية يعلم بها ما يكون على جري العادة وقد
يختلف مثاله اذا راى نخلة قد تطلعت فانها ستثمر واذا راها قد تناثر طلعها
علم انها لا تثمر وقد يجوز ان ياتي عليها افة تهلك ثمرها فلا تثمر كما انه جايز ان
تكون النخلة التي قد تناثر طلعها يطلع الله فيها طلعا ثانيا فتثمر وكما انه جايز
ايضا ان لا يلي شهر شهرا ولا يوم يوما اذا اراد الله افنا العالم وكذلك الوقت الى غير ذلك
مما تقدم في الانعام بيانه الرابعة قال ابن خويز منداد قوله تعالى او اثارة من علم
يريد الخط وقد كان مالك يحكم بالخط اذا عرف الشاهد خطه واذا عرف الحاكم
خطه او خط من كتب اليه حكم به ثم رجع عن ذلك حين ظهر في الناس ما ظهر
من الحيل والتزوير وقد روي عنه انه قال يحدث الناس فجورا فيحدث لهم اقضيه
فاما اذا شهد الشهود على الخط المحكوم به مثل ان يشهد وان هذا خط الحاكم
وكتابه اشهدنا على ما فيه وان لم يعلموا ما في الكتاب وكذلك الوصية او خطه
الرجل باعتراف بمال لغيره يشهدون انه خطه ونحو ذلك فلا يختلف مذهبه
انه يحكم به وقيل او اثارة من علم او بقية من علم قال ابن عباس والكلبي وابو
بكر بن عياش وغيرهم وفي الصحاح واثارة من علم بقية منه وكذلك الاثره
بالتحريك ويقال سمنت الابل على اثارة اي بقية شحم كان قبل ذلك وانشد
الماوردي والثعلبي قول الراعي ٭ وذات اثارة اكلت عليها ٭ نباتا في اكمته قفارا ٭
وقال الهروي الاثارة والاثر البقية يقال ما ثم عين ولا اثر وقال ميمون بن
مهران وابو سلمة بن عبد الرحمن وقتادة او اثارة من علم خاصة من علم وقال
مجاهد رواية تاثرونها عمن كان قبلكم وقال عكرمة ومقاتل رواية عن الانبيا
وقال القرطبي هو الاسناد الحسن المعنى شي يثار او يستخرج وقال الزجاج او
اثارة اي علامة والاثارة مصدر كالسماحة والشجاعة واصل الكلمة من الاثر
وهي الرواية تقول اثرت الحديث اثره اثرة واثارة فانا اثر اذا ذكرته عن غيرك
ومنه قيل حديث ماثور اي نقله خلف عن سلف قال الاعشى ان الذي فيه
تماريتما بين للسامع والاثر يروي وقري عن اثرة بضم الهمزة وسكون الثا
ويجوز ان يكون معناه بقية من علم ويجوز ان يكون معناه شيا ماثورا من
كتب الاولين والماثور ما يتحدث به مما صح سنده عمن تحدث به عنه وقرا السلمي
والحسن وابو رجا بفتح الهمزة والثاء من غير الف خاصة من علم اوتيتموها او اثرتم
بها على غيركم وروي عن الحسن ايضا وطاء بفتح اثرة مفتوحة الالف ساكنة الثا
ذكر الاولى الثعلبي والثانية الماوردي وحكى الثعلبي عن عكرمة او ميراث من
علم ان كنتم صادقين الخامسة قوله تعالى ايتوني بكتاب من قبل هذا او اثارة
من علم فيه بيان مسالك الادلة باسرها فاولها المعقول وهو قوله تعالى قل
ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم شرك في
السموات وهو احتجاج بدليل العقل في ان الجماد لا يصح ان يدعى من دون الله فانه
لا يضر ولا ينفع ثم قال ايتوني بكتاب من قبل هذا فيه بيان ادلة السمع او اثارة من
علم قوله تعالى ومن اضل اي احد اضل واجهل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب

له الى يوم القيامة وهي الاوثان وهم عن دعايهم غافلون يعني لا يسمعون ولا
يفهمون فاخرجها وهي جماد مخرج ذكور بني ادم اذ قد مثلتها عبدتها بالملوك والامرا
التي تخدم قوله تعالى واذا حشر الناس يريد يوم القيامة كانوا لهم اعداء اي هولا
المعبودين اعداء الكافرين يوم القيامة فالملايكة اعداء الكفار والجن والشياطين
يتبرون غدا من عبدتهم ويلعن بعضهم بعضا ويجوز ان تكون الاصنام للكفار الذين
عبدوها اعداء على تقدير خلق الحياة لها دليله قوله تبرانا اليك ما كانوا ايانا يعبدون
وقيل عادوا معبوداتهم لانهم كانوا سبب هلاكهم وجحد المعبودون عبادتهم وهو
قوله بعبادتهم كافرين قوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات يعني القران قال
الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين قوله تعالى ام يقولون افتراه الميم صلة
التقدير ام يقولون افتراه اي تقوله محمد وهو اضراب عن ذكر تسميتهم الايات سحرا ومعنى
الهمزة في ام الانكار والتعجب كانه قال دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضي منه التعجب
وذلك ان محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون امة العرب
لكانت قدرته عليه معجزة تخرق العادة فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به
الايات قل ان افتريته على سبيل الفرض فلا تملكون لي من الله شيا اي لا تقدرون على ان تردوا
عني عذاب الله فكيف افتري على الله لاجلكم هو اعلم بما تفيضون فيه اي تقولونه عن
مجاهد وقيل تخوضون فيه من التكذيب والافاضة في الشي الخوض فيه والاندفاع افاضوا
في الحديث اي اندفعوا فيه وافاض البعير اي دفع جرته من كرشه فاخرجها ومنه قول الشاعر
وافضن بعد كظومهن بجرة وافاض الناس من عرفات الى منا اي دفعوا وكل دفعة افاضة
كفى به شهيدا نصب على التمييز بيني وبينكم اي هو يعلم صدقي وانكم مبطلون وهو الغفور
لمن تاب الرحيم بعباده المومنين قوله تعالى قل ما كنت بدعا من الرسل اي اول من ارسل
قد كان قبلي رسل عن ابن عباس وغيره والبدع الاول وقرا عكرمة وغيره بدعا بفتح الدال
على تقدير حذف المضاف والمعنى ما كنت صاحب بدع وقيل بدع وبديع بمعنى مثل نصف
ونصيف وابدع الشاعر جا بالبديع وشي بدع بالكسر اي مبتدع وفلان بدع في هذا الامر
اي بديع وقوم ابداع عن الاخفش وانشد قطرب قول عدي بن زيد ٭
٭ فلا انا بدع من حوادث تعتري ٭ رجالا عرت من بعد بوسي باسعد ٭ قوله تعالى
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم يريد يوم القيامة ولما نزلت فرحت المشركون واليهود والمنا
فقون وقالوا كيف نتبع نبيا ما يدري ما يفعل به ولا بنا وانه لا فضل له علينا ولولا انه ابتدع الذي
يقوله من تلقا نفسه لاخبره الذي بعثه بما يفعل به فنزلت ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك
وما تاخر فنسخت هذه الاية وارغم الله انف الكفار وقالت الصحابة هنيا لك يا رسول الله
لقد بين الله لك ما يفعل بك فليت شعرنا ما هو فاعل بنا فنزلت ليدخل المومنين والمومنات
جنات تجري من تحتها الانهار الاية ونزلت وبشر المومنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قاله
انس وابن عباس وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك وقالت ام العلا امراة من الانصار
اقتسمنا المهاجرين فصار لنا عثمان بن مظعون بن حذافة بن جمح فانزلناه ابياتنا فتوفي
فقلت رحمة الله عليك يا ابا السايب ان الله اكرمك فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك
ان الله اكرمه فقلت بابي وامي يا رسول الله فمن قال اما هو فقد جاءه اليقين وما رايناه الا خيرا
فوالله اني لارجو له الجنة ووالله اني لرسول الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالت
فوالله لا ازكي بعده احدا ابدا ذكره الثعلبي وقال وانما قال هذا حين لم يعلم بالغفران ذنبه
وانما غفر الله له ذنبه في غزوة الحديبية قبل موته باربع سنين قال الشيخ القرطبي رحمه
الله حديث ام العلا خرجه البخاري وروايتي فيه وما ادري ما يفعل به ليس فيه بي
ولا بكم وهو الصحيح ان شا الله على ما ياتي بيانه والاية ليست بمنسوخة لانها خبر
قال النحاس محال ان يكون هذا ناسخا ولا منسوخا من جهتين احدهما انه خبر والاخر
انه من اول السورة الى هذا الموضع خطاب للمشركين واحتجاج عليهم وتوبيخ لهم فوجب
ان يكون هذا خطابا للمشركين كما كان قبله وما بعده ومحال ان يقول صلى الله عليه وسلم

للمشركين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة ولم يزل صلى الله عليه وسلم من اول
مبعثه الى وفاته يخبر ان من مات على الكفر مخلد في النار ومن مات على الايمان واتبعه
الطاعة فهو في الجنة فقد راى صلى الله عليه وسلم ما يفعل به وعنهم في الاخرة وليس
يجوز ان يقول لهم ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الاخرة فيقولوا كيف نتبعك وانت لا
تدري الى ما تصير الى خفض ودعة ام الى عذاب وعقاب والصحيح في الاية قول الحسن كما قري
علي محمد بن جعفر بن حفص بن يوسف بن موسى قال ثنا وكيع قال ثنا ابو بكر الهذلي عن
الحسن وما ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا قال ابو جعفر وهذا اصح قول واحسنه لا يدري
صلى الله عليه وسلم ما يلحقه واياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقر ومثله لو كنت
اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير وذكر الواحدي وغيره
عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس لما اشتد البلا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
راى في المنام انه يهاجر الى ارض ذات نخل وشجر وما فقصها على اصحابه فاستبشروا بذلك
وراوا فيها فرجا مما هم فيه من اذى المشركين ثم انهم مكثوا برهة لا يرون ذلك فقالوا يا رسول
الله متى نهاجر الى الارض التي رايت فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم حتى لا ادري اخرج الى الموضع الذي رايته في منامي ما اتبع
الا ما يوحى الي اي لم يوح الي ما اخبرتكم به قال القشيري فعلى هذا لا نسخ في الاية وقيل
المعنى ما ادري ما يفرض علي وعليكم من الفرائض واختار الطبري ان يكون المعنى ما ادري
ما يصير اليه امري وامركم في الدنيا اتومنون ام تكفرون ام تعاجلون بالعذاب ام تؤخرون
قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهو معنى قول الحسن والسدي وغيرهما قال الحسن ما
ادري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا اما في الاخرة فمعاذ الله قد علم انه في الجنة حين
اخذ ميثاقه في الرسل ولكن قال ما ادري ما يفعل بي في الدنيا اخرج كما اخرجت الانبيا
قبلي او اقتل كما قتلت الانبيا قبلي ولا ادري ما يفعل بكم امتي المصدقة ام المكذبة ام امتي
المرمية بالحجارة من السما قذفا ام مخسوف بها خسفا ثم نزلت هو الذي ارسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله يقول سيظهر دينه على الاديان ثم قال في امته وما
كان الله ليعذبهم وانت فيهم فاخبره الله بما يصنع به وبامته ولا نسخ على هذا كله والحمد
لله وقال الضحاك ايضا ما ادري ما يفعل بي ولا بكم اي ما تؤمرون به وتنهون عنه وقيل
امر النبي صلى الله عليه وسلم ان يقول للمومنين ما ادري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة
ثم بين الله ذلك في قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر وبين فيما بعد ذلك
حال المومن ثم بين حال الكافر قال الشيخ القرطبي رحمه الله وهذا معنى القول
الاول الا انه اطلق فيه النسخ بمعنى البيان وانه امر ان يقول ذلك للمومنين والصحيح
ما ذكرناه عن الحسن وغيره وما في ما يفعل يجوز ان تكون موصولة او استفهامية مرفوعة
ان اتبع الا ما يوحى الي وقرئ يوحي اي الله عز وجل وما انا الا نذير مبين تقدم في
غير موضع قوله تعالى قل ارايتم ان كان من عند الله يعني القران وكفرتم به
وقال الشعبي المراد محمد صلى الله عليه وسلم وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله
قال ابن عباس والحسن وعكرمة وقتادة ومجاهد هو عبد الله بن سلام شهد على
اليهود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مذكور في التوراة وانه نبي من عند الله وفي
الترمذي عنه ونزلت في ايات من كتاب الله نزلت في وشهد شاهد من بني اسرائيل
على مثله فامن واستكبرتم الاية وقد تقدم في اخر سورة الرعد وقال مسروق هو موسى
والتوراة لا ابن سلام لانه اسلم بالمدينة والسورة مكية وقال قوله وكفرتم به مخاطبة
لقريش الشعبي هو من امن من بني اسرائيل بموسى والتوراة فان ابن سلام انما اسلم
قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعامين والسورة مكية قال القشيري ومن
قال الشاهد موسى قال السورة مكية واسلم ابن سلام قبل موت النبي صلى الله عليه
وسلم بعامين ويجوز ان تكون الاية نزلت بالمدينة وتوضع في سورة مكية فان الاية
كانت تنزل فيقول النبي صلى الله عليه وسلم ضعوها في سورة كذا والاية في محاجة المشركين

ووجه

ووجه المجاز انهم كانوا يراجعون اليهود في اشيا اي شهادتهم لي وشهادة نبيهم لي من اوضح
الحجج ولا يبعد ان تكون السورة في محاجة اليهود ولما جاء ابن سلام مسلما من قبل ان تعلم
اليهود باسلامه قال يا رسول الله اجعلني حكما بيني وبين اليهود فسلهم عني اي رجل
هو فيكم فقالوا سيدنا وعالمنا فقال انه قد امن بك فاساوا القول فيه الحديث وقد
تقدم قال ابن عباس رضيت اليهود بحكم ابن سلام وقالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان
يشهد لك امنا بك فقيل فشهد ثم اسلم على مثله اي على مثل ما جئتكم به فشهد موسى على
التوراة ومحمد على القران وقال الجرجاني مثله صلة اي وشهد شاهد عليه انه من
عند الله فامن اي هذا الشاهد واستكبرتم انتم عن الايمان وجواب ان كان محذوف
تقديره فامن اتومنون قاله الزجاج وقيل فامن واستكبرتم اليس قد ظلمتم يبينه ان
الله لا يهدي القوم الظالمين وقيل فامن واستكبرتم افتامنون عذاب الله وارايتم
لفظ موضوع للسوال والاستفهام ولذلك لا يقتضي مفعولا وحكى النقاش وغيره ان في
الاية تقديما وتاخيرا وتقديره قل ارايتم ان كان من عند الله وشهد شاهد من بني
اسرائيل فامن هو وكفرتم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قوله تعالى وقال الذين
كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اختلف في سبب نزولها على اقوال ستة
الاول ان ابا ذر الغفاري دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام بمكة فاجاب
واستجاب به قومه فاتاه زعيمهم فاسلم ثم دعاهم الزعيم فاسلموا فبلغ ذلك قريشا فقالوا
غفار الحلفا لو كان هذا خيرا ما سبقونا اليه فنزلت هذه الاية قاله ابو المتوكل الثاني
ان زنيرة اسلمت فاصيب بصرها فقالوا اصابك اللات والعزى فرد الله عليها بصرها فقال
عظما قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا اليه زنيرة فانزل الله تعالى هذه
الاية قاله عروة بن الزبير الثالث ان الذين كفروا هم بنو عامر وغطفان وتميم واسد
وحنظلة واشجع قالوا لمن اسلم من غفار واسلم وجهينة ومزينة وخزاعة لو كان ما جاء
به محمد خيرا ما سبقنا اليه رعاة البهم اذ نحن اعز منهم قاله الكلبي والزجاج وحكاه القشيري
عن ابن عباس وقال قتادة نزلت في مشركي قريش قالوا لو كان ما يدعونا اليه محمد
خيرا ما سبقنا اليه بلال وصهيب وعمار وفلان وهو القول الرابع القول الخامس ان
الذين كفروا من اليهود قالوا للذين امنوا يعني عبد الله بن سلام واصحابه لو كان
دين محمد حقا ما سبقونا اليه قاله اكثر المفسرين حكاه الثعلبي وقال مسروق ان الكفار
قالوا لو كان خيرا ما سبقتنا اليه اليهود فنزلت الاية وهذه المعارضة من الكفار في
قولهم لو كان خيرا ما سبقونا اليه من اكبر المعارضات بانقلابها عليهم لكل من خالفهم
حتى يقال لهم لو كان ما انتم عليه خيرا ما عدلنا عنه ولو كان تكذيبكم للرسول خيرا لما
سبقتمونا اليه ذكره الماوردي ثم قيل قوله ما سبقونا اليه يجوز ان يكون من قول
الكفار لبعض المومنين ويجوز ان يكون على الخروج من الخطاب الى الغيبة كقوله حتى
اذا كنتم في الفلك وجرين بهم واذ لم يهتدوا به يعني الايمان وقيل القران وقيل
محمد صلى الله عليه وسلم فسيقولون هذا افك قديم اي لما لم يصيبوا الهدى بالقران ولمن
جا به عادوه ونسبوه الى الكفر وقالوا هذا افك قديم كما قالوا اساطير الاولين وقيل
لبعضهم هل في القران من جهل شيئا عاداه فقال نعم قال الله تعالى واذ لم يهتدوا
به فسيقولون هذا افك قديم ومثله بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه قوله تعالى
ومن قبله اي ومن قبل القران كتاب موسى اي التوراة اماما يقتدى بما فيه ورحمة
من الله وفي الكلام حذف اي فلم يهتدوا به وذلك انه كان في التوراة نعت النبي صلى
الله عليه وسلم والايمان به فتركوا ذلك واماما نصب على الحال لان معناه وتقدمه
كتاب موسى اماما ورحمة معطوف عليه وقيل انتصب باضمار فعل اي انزلناه
اماما ورحمة وقال الاخفش على القطع لان كتاب موسى معرفة بالاضافة لان
النكرة اذا اعيدت او اضيفت او دخل عليها الالف واللام صارت معرفة وهذا كتاب يعني
القران مصدق يعني التوراة ولما بين يديه من الكتب وقيل مصدق للنبي صلى الله عليه وسلم

لسانا عربيا منصوب على الحال اي مصدق لما بين يديه عربيا ولسانا توطئة للحال اي تاكيدا
كقولهم جاني زيد رجلا صالحا فتذكر رجلا توكيدا وقيل نصب باضمار فعل تقديره وهذا
كتاب مصدق اعني لسانا عربيا وقيل نصب باسقاط حرف الخفض تقديره بلسان عربي
وقيل ان لسانا مفعول والمراد به النبي صلى الله عليه وسلم اي وهذا كتاب مصدق للنبي صلى
الله عليه وسلم ويبعد ان يكون اللسان القران لان المعنى يكون يصدق نفسه لينذر الذين
ظلموا قراة العامة بالياء خبرا عن الكتاب اي لينذر الذين ظلموا انفسهم بالكفر والمعصية
وقيل هو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم وقرا نافع وابن عامر والبزي بالتاء واختاره
ابو عبيد وابو حاتم على خطاب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انما انت منذر
وبشرى للمحسنين بشرى في موضع رفع اي وهو بشرى وقيل عطفا على الكتاب اي وهذا
كتاب مصدق وبشرى ويجوز ان يكون منصوبا باسقاط حرف الخفض اي لينذر الذين ظلموا
وللبشرى فلما حذف الخافض نصب وقيل على المصدر اي ويبشر المحسنين بشرى فلما جعل
مكان ويبشر بشرى او بشارة نصب كما تقول اتيتك لازورك وكرامة لك وقضاء لحقك
يعني لازورك واكرمك واقضي حقك فنصب الكرامة بفعل مضمر قوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية تقدم معناها وقال ابن عباس نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه والاية تعم جزاء نصب على المصدر قوله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا الى قوله من المسلمين فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى ووصينا
الانسان بوالديه حسنا اختلافهم حال الانسان مع ابويه فقد يطيعهما وقد يخالفهما
اي فلا يبعد مثل هذا في حق النبي صلى الله عليه وسلم وقومه حتى يستجيب له البعض
ويكفر البعض فهذا وجه اتصال الكلام بعضه ببعض قاله القشيري الثانية قوله
تعالى حسنا قراة العامة حسنا وكذلك هو في مصاحف اهل الحرمين والبصرة والشام
وقرا ابن عباس والكوفيون احسانا وكذلك في مصاحف الكوفة وحجة القراة الاولى
قوله في العنكبوت ووصينا الانسان بوالديه حسنا ولم يختلفوا فيها والحسن خلاف
القبح والاحسان خلاف الاساءة والوصية الامر وقد مضى القول في هذا وفي من
نزلت الثالثة قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها اي بكره ومشقة وقراة العامة
بفتح الكاف واختاره ابو عبيد قال وكذلك لفظ الكره في كل القران بالفتح الا التي
في سورة البقرة كتب عليكم القتال وهو كره لكم لان ذلك اسم وهذه كلها مصادر وقرا
الكوفيون كرها بالضم قيل هما لغتان مثل الضعف والضعف والشهد والشهد
قاله الكساي وكذلك هو عند جميع البصريين وقال الكساي والفرا في الفرق بينهما
ان الكره بالضم ما حمل الانسان على نفسه وبالفتح ما حمل على غيره اي قهرا وغصبا ولهذا قال
بعض اهل العربية ان كرها بفتح الكاف لحن الرابعة قوله تعالى وحمله وفصاله
ثلثون شهرا قال ابن عباس اذا حملت تسعة اشهر ارضعت احدى وعشرين شهرا
وان حملت ستة اشهر ارضعت اربعة وعشرين شهرا وروي ان عثمان اتي بامراة ولدت
لستة اشهر فاراد ان يقضي عليها بالحد فقال له علي رضي الله عنه ليس ذلك عليها
قال الله تعالى وحمله وفصاله ثلثون شهرا وقال والوالدات يرضعن اولادهن
حولين كاملين فالرضاع اربعة وعشرين شهرا والحمل ستة اشهر فرجع عثمان الى
قوله ولم يحدها وقد مضى في البقرة وقيل لم يعد ثلثة اشهر في ابتدا الحمل لان
الولد فيها نطفة وعلقة ومضغة فلا يكون له ثقل يحس به وهو قوله تعالى
فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به والفصال الفطام وقد تقدم في لقمان الكلام
فيه وقرا الحسن ويعقوب وغيرهما وفصله بفتح الفا وسكون الصاد وروي ان الاية
نزلت في ابي بكر الصديق وكان حمله وفصاله ثلثين شهرا وفي الكلام اضمار اي ومدة
حمله ومدة فصاله ثلثون شهرا ولولا هذا الاضمار لنصب ثلثون على الظرف
وتغير المعنى الخامسة قوله تعالى حتى اذا بلغ اشده قال ابن عباس ثماني عشرة سنة
وقال في رواية عطا عنه ان ابا بكر صحب النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثماني عشرة سنة

والنبي

والنبي صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وهم يريدون الشام للتجارة فنزلوا منزلا
فيه سدرة فقعد النبي صلى الله عليه وسلم في ظلها ومضى ابو بكر الى راهب هناك فساله
عن الدين فقال الراهب من الرجل الذي في ظل السدرة فقال ذاك محمد بن عبد الله بن
عبد المطلب فقال هذا والله نبي وما استظل تحتها احد بعد عيسى فوقع في قلب ابي
بكر اليقين والتصديق وكان لا يفارق النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وهو ابن ثمانية
وثلثين سنة فلما بلغ اربعين سنة قال رب اوزعني الاية وقال الشعبي وابن زيد
الاشد الحلم وقال مجاهد والضحاك نزلت في سعد بن ابي وقاص وقد تقدم وقال
الحسن هي مرسلة نزلت على العموم والله اعلم قال رب اوزعني اي الهمني ان اشكر في موضع
نصب على المصدر اي شكر نعمتك علي اي ما انعمت به علي من الهداية وعلى والدي بالتحنن
والشفقة حتى ربياني صغيرا وقيل علي بالصحة والعافية وعلى والدي بالغنى والثروة
وقال علي رضي الله عنه هذه الاية نزلت في ابي بكر الصديق اسلم ابواه جميعا ولم يجتمع
لاحد من المهاجرين ابواه غيره فاوصاه الله بهما ولزم ذلك من بعده ووالده هو ابو قحافة
عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم وامه ام الخير واسمها سلمى بنت صخر بن
عمرو بن كعب بن سعد وام ابيه ابي قحافة قيلة بالياء المعجمة باثنتين من تحتها وامراة ابي
بكر اسمها قتلة بالتاء المعجمة باثنتين من فوقها بنت عبد العزى وان اعمل صالحا ترضاه
قال ابن عباس فاجابه الله فاعتق تسعة من المومنين يعذبون في الله منهم بلال
وعامر بن فهيرة ولم يرد شيا من الخير الا اعانه الله عليه وفي الصحيح عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اليوم صايما قال ابو بكر انا قال فمن تبع
اليوم جنازة فقال ابو بكر انا قال فمن اطعم منكم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال فمن عاد
منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعن في امري الا
دخل الجنة السادسة قوله تعالى واصلح لي في ذريتي اي اجعل لي ذريتي صالحين قال
ابن عباس لم يبق له ولد ولا والد ولا والدة الا اسلموا لله وحده ولم يكن احد من اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم هو وابواه واولاده وبناته كلهم الا ابو بكر وقال سهل بن عبد الله
اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيد حق وقال ابو عثمان اجعلهم ابرارا لي مطيعين لك
وقال ابن عطا وفقهم بصالح اعمال ترضى بها عنهم وقال محمد بن علي لا تجعل للشيطان
والنفس والهوى عليهم سبيلا وقال مالك بن مغول اشتكى ابو معشر ابنه الى طلحة بن
مصرف فقال استعن عليه بهذه الاية رب اوزعني ان اشكر نعمتك التي انعمت علي وعلى
والدي الاية قال ابن عباس رجعت الى الامر الذي كنت عليه واني من المسلمين اي المخلصين
بالتوحيد قوله تعالى اولئك الذين يتقبل عنهم احسن ما عملوا ويتجاوز عن سياتهم
قراة العامة بضم اليا فيهما وقري نتقبل ونتجاوز بالنون فيهما اي يغفرها ويتجاوز عنها
ويصفح والتجاوز اصله من جزت الشي اذا لم تقف عليه وهذه الاية تدل على ان الاية
قبلها ووصينا الانسان الى اخرها مرسلة نزلت على العموم وهو قول الحسن ومعنى يتقبل
عنهم اي يتقبل منهم الحسنات ويتجاوز عن السيات قال زيد بن اسلم ويحكيه مرفوعا
انهم اذا اسلموا قبلت حسناتهم وغفرت سياتهم وقيل الاحسن ما يقتضي الثواب من
الطاعات وليس في الحسن المباح ثواب ولا عقاب حكاه ابن عيسى في اصحاب الجنة في
يعني مع اي مع اصحاب الجنة تقول اكرمك واحسن اليك في جميع اهل البلد اي مع جميعهم
وعد الصدق نصب لانه مصدر موكد لما قبله اي وعد الله اهل الايمان ان يتقبل من
محسنهم ويتجاوز عن مسيهم وعد الصدق وهو من اضافة الشي الى نفسه لان الصدق
هو ذلك الوعد الذي وعده الله وهو كقوله حق اليقين وهذا عند الكوفيين فاما
عند البصريين فتقديره وعد الكلام الصدق او الكتاب الصدق فحذف الموصوف
وقد مضى هذا في غير موضع الذي كانوا يوعدون في الدنيا على السنة الرسل وذلك
الجنة قوله تعالى والذي قال لوالديه اف لكما اتعدانني ان اخرج اي ان ابعث
وقد خلت القرون من قبلي قراة نافع وحفص وغيرهما اف مكسور منون وقرا ابن

كثير وابن محيصن وابن عامر والمفضل عن عاصم اف بالفتح من غير تنوين الباقون بالكسر
غير منون وكلها لغات وقد مضى في بني اسرائيل وقراءة العامة بنونين مخففتين وفتح
ياؤه اهل المدينة ومكة واسكن الباقون وقرأ ابو حيوة والمغيرة وهشام اتعداني بنون
واحدة مشددة وكذلك هي في مصاحف اهل الشام والعامة على ضم الالف وفتح الراء
من اخرج وقرأ الحسن ونصر وابو العالية والاعمش وابو معمر بفتح الالف وضم الراء قال
ابن عباس والسدي وابو العالية ومجاهد نزلت في عبد الله بن ابي بكر رضي الله عنهما
وكان يدعوه ابواه الى الاسلام فيجيبهما بما اخبر الله عز وجل وقال قتادة والسدي ايضا هو
عبد الرحمن بن ابي بكر قبل الاسلام وكان ابوه وامه ام رومان يدعوانه الى الاسلام ويعدانه
بالبعث فيرد عليهما بما حكاه الله عز وجل عنه وكان هذا منه قبل اسلامه وروي ان عائشة
رضي الله عنها انكرت ان تكون نزلت في عبد الرحمن وقال الحسن وقتادة ايضا هي نعت
عبد كافر عاق لوالديه وقال الزجاج كيف يقال نزلت في عبد الرحمن قبل اسلامه والله
عز وجل يقول اولئك الذين حق عليهم القول اي العذاب ومن ضرورته عدم الايمان وعبد
الرحمن من افاضل المؤمنين فالصحيح انها نزلت في عبد كافر عاق لوالديه وقال محمد
ابن زياد كتب معاوية الى مروان حتى يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن بن ابي بكر لقد
جئتم بها هرقلية اتبايعون لابنائكم فقال مروان هو الذي يقول الله فيه والذي قال لوالديه
اف لكما الاية فقال والله ما هو به ولو شئت سميت ولكن الله لعن اباك وانت في صلبه
فانت فضض من لعنة الله قال المهدوي ومن جعل الاية في عبد الرحمن كان قوله بعد
ذلك اولئك الذين حق عليهم القول يراد به من اعتقد ما تقدم ذكره فاول الاية خاص
واخرها عام وقيل ان عبد الرحمن لما قال وقد خلت القرون من قبلي قال مع ذلك
فاين عبد الله بن جدعان واين عثمان بن عمرو واين عامر بن كعب ومشايخ قريش حتى
اسألهم عما يقولون فقوله اولئك الذين حق عليهم القول يرجع الى اولئك الاقوام قال
الشيخ القرطبي رحمه الله قد مضى من خبر عبد الرحمن بن ابي بكر في سورة الانعام عند
قوله له اصحاب يدعونه الى الهدى ما يدل على نزول هذه الاية فيه اذ كان كافرا
وعند اسلامه وفضله تعين انه ليس المراد بقوله اولئك الذين حق عليهم القول يعني
والديه يستغيثان الله اي يدعوان الله له بالهدى او يستغيثان بالله من كفره
فلما حذف الجار وصل الفعل فنصب وقيل الاستغاثة الدعاء فلا حاجة الى الباء قال
الفراء اجاب الله دعاءه وغواثه وغواثه ويلك آمن اي صدق بالبعث ان وعد
الله حق اي صدق لا خلف فيه فيقول ما هذا اي ما يقوله والداه الا اساطير الاولين
اي احاديثهم وما سطروه مما لا اصل له اولئك الذين حق عليهم القول يعني الذين
اشار اليهم ابن ابي بكر في قوله احيوا لي مشايخ قريش المبعوثين في قوله وقد خلت
القرون من قبلي فاما ابن ابي بكر عبد الله وعبد الرحمن فقد اجاب الله فيه دعا
ابيه في قوله واصلح لي في ذريتي على ما تقدم ومعنى حق عليهم القول اي وجب
عليهم العذاب وهي كلمة الله هؤلاء في الجنة ولا ابالي وهؤلاء في النار ولا ابالي في امم
اي مع امم قد خلت تقدمت من قبلهم من الجن والانس الكافرين انهم اي تلك الامم
الكافرة كانوا خاسرين لاعمالهم اي ضاع سعيهم وخسروا الجنة قوله تعالى ولكل
درجات اي ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين من الجن والانس مراتب
عند الله يوم القيامة باعمالهم قال ابن زيد درجات اهل النار في هذه الاية تذهب
سفالا ودرج اهل الجنة علوا وليوفيهم اعمالهم قرأ ابن كثير وابن محيصن وعاصم وابو
عمرو ويعقوب بالياء لذكر الله قبله وهو قوله ان وعد الله حق واختاره ابو حاتم
الباقون بالنون ردا على قوله ووصينا الانسان بوالديه وهو اختيار ابي عبيد
وهم لا يظلمون اي لا يزاد على مسيء ولا ينقص من محسن قوله تعالى ويوم يعرض
اي ذكرهم يا محمد يوم يعرض الذين كفروا على النار اي يكشف الغطاء فيقربون من
النار وينظرون اليها اذهبتم طيباتكم اي يقال لهم اذهبتم فالقول مضمر وقرأ الحسن ونصر

وابو العالية ويعقوب وابن كثير ااذهبتم بهمزتين مخففتين واختاره ابو حاتم وقرأه
ابو حيوة وهشام آذهبتم بهمزة واحدة مطولة على الاستفهام الباقون بهمزة واحدة من
غير مد على الخبر وكلها لغات فصيحة ومعناها التوبيخ والعرب توبخ بالاستفهام وبغير
الاستفهام وقد تقدم واختار ابو عبيد ترك الاستفهام لانه قراءة اكثر الائمة السبعة نافع وعاصم
وابو عمرو وحمزة والكسائي مع من وافقهم شيبة والزهري وابن محيصن والمغيرة بن ابي شهاب
ويحيى بن الحارث والاعمش ويحيى بن وثاب وغيرهم فهذه علة من جلة الناس وترك الاستفهام
احسن لان اثباته يوهم انهم لم يفعلوا ذلك كما تقول انا ظلمتك تريد الم اظلمك واثباته يحسن
ايضا يقول القائل اذهبت ففعلت كذا يوبخ ويقول اذهبت ففعلت كل ذلك جائز ومعنى
اذهبتم طيباتكم اي تمتعتم بالطيبات في الدنيا واتبعتم الشهوات واللذات يعني المعاصي
فاليوم تجزون عذاب الهون اي عذاب الخزي والفضيحة قال مجاهد الهون الهوان قـ
قتادة بلغة قريش بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي تستعلون على اهلها بغير
استحقاق وبما كنتم تفسقون في افعالكم بغيا وظلما وقيل اذهبتم طيباتكم اي افنيتم شبابكم
في الكفر والمعاصي قال ابن بحر الطيبات الشباب والقوة ماخوذ من قولهم ذهب اطيباه
اي شبابه وقوته قال الماوردي ووجدت الضحاك قاله ايضا قال الشيخ القرطبي رحمه الله
القول الاول اظهر روى الحسن عن الاحنف بن قيس انه سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه
يقول لانا اعلم بخفض العيش ولو شئت لجعلت اكبادا وصلاء وصنابا وصلائق ولكني
استبقي حسناتي فان الله عز وجل وصف اقواما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا
واستمتعتم بها وقال ابو عبيد في حديث عمر لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر
واسنمة وفي بعض الحديث وافلاذ قال ابو عمرو وغيره الصلاء بالكسر والمد الشواء لانه يصلى
بالنار والصلاء ايضا صلاء النار فان فتحت الصاد قصرت وقلت صلا النار والصناب
الاصبغة المتخذة من الخردل والزبيب قال ابو عمرو ولهذا قيل للبرذون صنابي انما شبه
لونه بذلك والسلائق المتخذة من الخردل والزبيب بالسين هو ما سلق من البقول
وغيرها وقال غيره هي الصلائق بالصاد قال جرير •
• تكلفني معيشة آل زيد • ومن لي بالصلائق والصناب •
والصلائق الخبز الرقاق العريض وقد مضى هذا المعنى في الاعراف واما الكراكر فكراكر
الابل واحدتها كركرة وهي معروفة هذا قول ابي عبيد وفي الصحاح والكركرة رحى زور البعير
وهي احدى الثفنات الخمس والكركرة ايضا الجماعة من الناس وابو مالك عمرو بن كركرة
رجل من علماء اللغة قال ابو عبيد واما الافلاذ فان واحدها فلذ وهي القطعة
من الكبد قال اعشى باهلة • تكفيه حزة فلذ ان الم بها • من الشواء ويروي شربه الغمر •
وقال قتادة ذكر لنا ان عمر قال لو شئت كنت اطيبكم طعاما والينكم لباسا ولكني استبقي
طيباتي للاخرة ولما قدم عمر الشام صنع له طعام لم ير قط مثله قال هذا لنا فما لفقراء
المسلمين الذين ماتوا وما شبعوا من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت
عينا عمر بالدموع وقال لئن كان حظنا من الدنيا هذا الحطام وذهبوا هم في حظهم
بالجنة فلقد باينونا بونا بعيدا وفي صحيح مسلم وغيره ان عمر رضي الله عنه دخل على
النبي صلى الله عليه وسلم في مشربته حين هجر نساءه قال فالتفت فلم ار شيئا يرد
البصر الا اهبا جلودا معطونة قد سطع ريحها فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخيرته وهذا كسرى وقيصر في الديباج والحرير قال فاستوى جالسا وقال افي شك
انت يا ابن الخطاب اولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا فقلت استغفر
لي فقال اللهم اغفر له وقال حفص بن ابي العاص كنت اتغدى عند عمر بن الخطاب
الخبز والزيت والخل والخبز واللبن والخبز والقديد واقل ذلك اللحم الغريض وكان
يقول لا تنخلوا الدقيق فانه طعام كله فجيء بخبز متفلع غليظ فجعل ياكل ويقول
كلوا فجعلنا لا ناكل فقال ما لكم لا تاكلون فقلنا والله يا امير المؤمنين نرجع الى
طعام الين من طعامك هذا فقال يا ابن ابي العاص اما ترى باني عالم لو امرت بعناق

سمينة فيلتق عنها شعرها ثم تخرج مصليه كانها كذا وكذا اما تري بانى عالم لو
امرت بصاع اوصاعين من زبيب فاجعله في سقا ثم اصب عليه من الما فيصبح كانه
دم غزال فقلت يا امير المومنين اجاد ما تنعت العيش قال اجل والله الذي لا اله
الا هو لولا اني اخاف ان تنقضي حسنا في يوم القيمة لشاركناهم في العيش ولكني
سمعت الله عز وجل يقول لقوم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم
تجزون عذاب الهون اي الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض بغير الحق اي تتعظمون
عن طاعة الله وعلى عباد الله وبما كنتم تفسقون تخرجون عن طاعة الله وقال
جابر اشتهى اهلي لحما فاشتريته لهم فمررت بعمر بن الخطاب فقال ما هذا يا جابر
فاخبرته فقال اوكلما اشتهى احدكم شيا جعله في بطنه اما تخشى ان تكون من اهل
هذه الاية اذهبتم طيباتكم الاية وهذا عتاب منه له على التوسع باتباع اللحم والخروج
عن خلف الخبز والما فان تعاطي الطيبات من الحلال يستشري بها الطباع وتستمر بها
العاده واستمرا الهوى على النفس الامارة بالسو فاخذ عمر الامر من اوله وحماه
من ابتدايه كما يفعله مثله والذي يضبط هذا الباب ويحفظ قانونه على الميزان
ياكل ما وجد طيبا كان او قفارا ولا يتكلف الطيب ويتخذه عادة وقد كان النبي صلى
الله عليه وسلم يشبع اذا وجد ويصبر اذا عدم وياكل الحلوا اذا قدر عليها ويشرب
العسل اذا اتفق له وياكل اللحم اذا تيسر ولا يتعمده اصلا ولا يجعله ديدنا ومعيشة
النبي صلى الله عليه وسلم معلومة وطريق الصحابة منقولة فاما اليوم عند استيلا
الحرام وفساد الاحكام والخلاص عسير والله يهب الاخلاص ويعين على الخلاص
برحمته وقيل ان التوبيخ واقع على ترك الشكر لا على تناول الطيبات المحللة وهو
حسن فان تناول الطيب الحلال ماذون فيه فاذا ترك الشكر عليه واستعان به
على ما لا يحل له فقد اذهبه والله اعلم قوله تعالى واذكر اخا عاد هو هود بن
عبد الله بن رباح عليه السلام كان اخاهم في النسب لا في الدين اذ انذر قومه بالاحقاف
اي اذكر لهولاء المشركين قصة عاد ليعتبروا بها وقيل امره بان يتذكر في نفسه قصة
هود ليقتدي به ويهون عليه تكذيب قومه له والاحقاف ديار عاد وهي الرمال
العظام في قول الخليل الرمل العظيم واعوج ولم يبلغ ان يكون جبلا والجمع حقاف
واحقاف واحقوقف الرمل والهلال اي اعوج وقيل الحقف جمع حقاف والاحقاف
جمع الجمع ويقال حقف احقاف قال الاعشى • بات الى ارطاه حقف احقفا •
اي رمل مستطيل مشرف والفعل منه احقوقف قال العجاج
• طي الليالي زلفا فزلفا • سماوة الهلال حتى احقوقفا •
اي انحني واستدار وقال امرو القيس
• كحقف النقي يمشي الوليدان فوقه • بما احتسبا من لين مس وتسهال •
وفيما اريد بالاحقاف هاهنا مختلف فيه فقال ابن زيد هي رمال مشرفة بالشحر
والشحر قريب من عدن يقال شحر عمان وشحر عمان وهو ساحل البحر بين عمان
وعدن وعنه ايضا ذكر لنا ان عادا كانوا احيا باليمن اهل رمل مشرفين وقال
مجاهد هي ارض من حسمى تسمى بالاحقاف وقال ابن عباس والضحاك الاحقاف
جبل بالشام وعن ابن عباس ايضا واد بين عمان ومهرة وقال مقاتل كانت منازل
عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له مهرة واليه تنسب الابل المهرية فيقال
ابل مهرية ومهاري وكانوا اهل عمد سيارة في الربيع فاذا هاج العود رجعوا الى
منازلهم وكانوا من قبيلة ارم وقال الكلبي احقاف الجبل ما نضب عنه الما زمن
الغرق كان ينضب الما من الارض ويبقى اثره وروى الطفيل عن علي بن ابي
طالب رضي الله عنه انه قال خير واد في الناس واد بمكة وواد نزل به ادم
بارض الهند وشر واد في الناس واد في الاحقاف وواد بحضرموت يدعى
برهوت تلقى فيه ارواح الكفار وخير بير في الناس بير زمزم وشر بير في الناس

بير برهوت وهو في ذلك الوادي الذي بحضرموت وقد خلت النذر اي مضت الرسل
من بين يديه اي من قبل هود ومن خلفه اي ومن بعده قاله الفرا وفي قراة ابن مسعود
من بين يديه ومن بعده الا تعبدوا الا الله هذا من قول الرسل فهو كلام معترض ثم
قال هود اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم وقيل ان لا تعبدوا الا الله من كلام هود
والله اعلم قوله تعالى قالوا اجيتنا لتافكنا عن الهتنا فيه وجهان احدهما لتزيلنا
عن عبادتها بالافك الثاني لتصرفنا عن الهتنا بالمنع قاله الضحاك قال عروة بن اذينه
• ان تك عن احسن الصنيعة مافوكا • ففي اخرين قد افكوا •
يقول ان لم ترفق للاحسان فانت في قوم قد صرفوا فاتنا بما تعدنا هذا يدل على ان
الوعد قد يوضع موضع الوعيد ان كنت من الصادقين انك نبي قال انما العلم
بوقت مجي العذاب عند الله لا عندي وابلغكم ما ارسلت به عن ربكم ولكني اراكم قوما
تجهلون في سوالكم استعجال العذاب فلما راوه عارضا قال المبرد الضمير في راوه يعود
الى غير مذكور وبينه قوله عارضا فالضمير يعود الى السحاب اي فلما راوا السحاب عارضا
فعارضا نصب على التكرير سمي بذلك لانه يبدو في عرض السما وقد نصب على الحال
وقيل يرجع الضمير الى قوله فاتنا بما تعدنا فلما راوه حسبوه سحابا يمطرهم وكان المطر
قد ابطا عنهم فلما راوه مستقبل اوديتهم استبشروا وكانوا قد جاهم من واد جرت العاده
ان ما جاهم منه يكون غيثا قاله ابن عباس وغيره قال الجوهري والعارض السحاب
يعترض في الافق ومنه قوله تعالى هذا عارض ممطرنا اي ممطر لنا لانه معرفة لا يجوز ان
يكون صفة لعارض وهو نكرة والعرب انما تفعل مثل هذا في الاسما المشتقة من
الافعال دون غيرها قال جرير
• يا رب غابطنا لو كان يطلبكم • لاقى مباعدة منكم وحرمانا •
ولا يجوز ان يقال هذا رجل غلامنا وقال اعرابي بعد الفطر رب صايمه لن يصومه
وقايمه لن يقومه فجعله نعتا للنكرة واضافه الى المعرفة قال الشيخ القرطبي رحمه
الله قوله لا يجوز ان يكون صفة لعارض خلاف قول النحويين والاضافة في تقدير
الانفصال فهي اضافة لفظية لا حقيقية لانها لم تفد الاول تعريفا بل الاسم نكرة على
حاله فلذلك جرى نعتا على النكرة هذا قول النحويين في الاية والبيت ونعت النكرة
نكرة ورب لا تدخل الا على النكرة بل هو اي قال هود لهم والدليل عليه قراة من قرا قال
هود بل هو وقري قل بل ما استعجلتم به هي ريح اي قال الله قل بل هو ما استعجلتم به يعني
قولهم فاتنا بما تعدنا ثم بين ما هو فقال ريح فيها عذاب اليم والريح التي عذبوا بها
نشات من ذلك السحاب الذي راوه وخرج هود من بين اظهرهم فجعلت تحمل الفساطيط
وتحمل الظعينة فترفعها كانها جرادة ثم تضرب بها الصخور قال ابن عباس اول ما راوا
العارض قاموا فمدوا ايديهم فاول ما عرفوا انها عذاب راوا ما كان خارجا من ديارهم
من الرجال والمواشي تطير بهم ما بين السما والارض مثل الريش فدخلوا بيوتهم وغلقوا
بيوتهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وامر الله الريح فامالت عليهم الرمال فكانوا
تحت الرمل سبع ليال وثمانية ايام حسوما ولهم انين ثم امر الله الريح فكشفت عنهم الرمال
واحتملتهم فرمتهم في البحر فهي قال الله تعالى تدمر كل شي بامر ربها اي كل شي مرت به
من رجال عاد واموالها قال ابن عباس اي كل شي بعثت اليه والتدمير الهلاك وكذلك
الدمار وقري يدمر كل شي من دمر دمارا فقال دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى ودمر يدمر
دمورا دخل بغير اذن وفي الحديث من سبق طرفه استيذانه فقد دمر بتخفيف الميم
وتدمر بلد بالشام ويربوع تدمري اذا كان صغيرا قصيرا بامر ربها باذن ربها وفي
البخاري عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت ما رايت رسول الله صلى
الله عليه وسلم ضاحكا حتى ارى منه لهواته انما كان يتبسم قالت وكان اذا راى غيما عرف
في وجهه قالت يا رسول الله الناس اذا راوا الغيم فرحوا رجا ان يكون فيه المطر واراك
اذا رايت الغيم عرف في وجهك الكراهيه فقال يا عايشة ما يومنني ان يكون فيه عذاب

عذب قوم بالريح وقد راي قوم العذاب فقالوا هذا عارض ممطرنا اخرجه مسلم والترمذي وقال فيه حديث حسن وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وذكر الماوردي ان القايل هذا عارض ممطرنا من قوم عاد بكر بن معوية ولما راي السحاب قال اني لاري سحابا مربدا لا تدع من عاد احدا فذكر عمرو بن ميمون انها كانت تاتيهم بالرجل الغايب حتى تقذفه في ناديهم قاله ابن اسحاق واعتزل هود ومن معه من المومنين في حظيرة ما يصيبه ومن معه منها الا ما تلين على ابدانهم وتلذه الانفس به وانها لتمر من عاد بالظعن بين السما والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا وحكى الكلبي ان شاعرهم قال في ذلك

فدعا هود عليهم • دعوة اضحوا همودا •
عصفت ريح عليهم • تركت عادا خمودا •
سخرت سبع ليال • لم تدع في الارض عودا •

وعمر هود في قومه بعدهم مائة وخمسين سنة فاصبحوا لا يرى الا مساكنهم قراءة عاصم وحمزة لا يري الا مساكنهم بالنا على ما لم يسم الفاعل وكذلك روى حماد بن سلمة عن ابي كثير الا انه قرا يري بالنا وقد روي ذلك عن ابي بكر عن عاصم الباقون ترى بتا مفتوحة مساكنهم بالنصب اي لا ترى يا محمد الا مساكنهم قال المهدوي ومن قرا بالتا لغير مسمى الفاعل حمل على لفظ الظاهر الذي هو المساكن المونثة وهو قليل لا يستعمل الا في الشعر وقال ابو حاتم لا يستقيم هذا في اللغة الا ان يكون فيها اضمار كما تقول في الكلام لا ترى الا زينب ولا يجوز لا ترى الا زينب وقال سيبويه معناه معنى لا ترى الا اشخاصهم الا مساكنهم فهو محمول على المعنى كما تقول ما قام الا هند والمعنى ما قام احد الا هند وقال الفرا لا يرى الناس لانهم كانوا تحت الرمل وانما يرى مساكنهم لانها قايمة كذلك نجزي القوم المجرمين اي مثل هذه العقوبة نعاقب بها المشركين قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه قيل ان ان زايدة تقديره ولقد مكناهم فيما مكناكم فيه وهذا قول القتبي وانشد الاخفش •

يرجي المرء ما ان لم يره • وتعرض ادناه للخطوب • وقال آخر
فما ان طبنا جبن ولكن • منايانا ودولة آخرينا •

وقيل ان بمعنى الذي وما بمعنى ما والتقدير ولقد مكناهم في الذي ما مكناكم فيه قاله المبرد وقيل شرطية وجوابها مضمر محذوف والتقدير ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه كان بغيكم اكثر وعنادكم اشد وتم الكلام ثم ابتدا فقال وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافيدة يعني قلوبا يفقهون بها فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افيدتهم من شي من عذاب الله اذ كانوا يجحدون يكفرون بايات الله وحاق بهم احاط بهم ما كانوا به يستهزءون قوله تعالى ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى يريد حجر ثمود وقرى لوط ونحوها مما كان يجاور بلاد الحجاز وكانت اخبارهم متواترة عندهم وصرفنا الايات يعني الحجج والدلالات وانواع البينات والعظات اي بيناها لاهل تلك القرى لعلهم يرجعون فلم يرجعوا وقيل اي صرفنا ايات القران في الوعد والوعيد والقصص والاعجاز لعل هولا المشركين يرجعون قوله تعالى فلولا نصرهم لولا بمعنى هلا اي هلا نصرهم الهتهم التي تقربوا بها بزعمهم الى الله لتشفع لهم حيث قالوا هولا شفعاونا عند الله ومنعتهم من الهلاك الواقع بهم قال الكسائي القربان كلما يتقرب به الى الله تعالى من طاعة ونسيكة والجمع قرابين كالرهبان والرهابين واحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني الهة وقربانا حال ولا يصح ان يكون قربانا مفعولا ثانيا والهة بدلا منه لفساد المعنى قاله الزمخشري وقري قربانا بضم الرا بل ضلوا عنهم اي هلكوا عنهم وقيل بل ضلوا عنهم وقيل بل ضلوا اي ضلت عنهم الهتهم لانها لم تصبهم ما اصابهم اذ هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام وتبروا عنها وذلك افكهم اي والالهة التي ضلت عنهم الهتهم لانها

لم تصبهم ما اصابهم اذ هي جماد وقيل ضلوا عنهم اي تركوا الاصنام وتبروا عنها وذلك افكهم اي ان الالهة التي ضلت عنهم هي افكهم في قولهم انها تقربهم الى الله زلفى وقراءة العامة افكهم بكسر الهمزة وسكون الفا اي كذبهم والافك الكذب وكذلك الافيك والجمع الافايك ورجل افاك اي كذاب وقرا ابن عباس ومجاهد وابن الزبير وذلك افكهم بفتح الهمزة والفا والكاف على الفعل اي ذلك القول صرفهم عن التوحيد والافك بالفتح مصدر كقولك افكه يافكه افكا اي قلبه وصرفه عن الشي وقرا عكرمة افكهم بتشديد الفا على التاكيد والتكثير قال ابو حاتم يعني قلبهم عما كانوا عليه من النعيم وذكر المهدوي عن ابن عباس ايضا افكهم بالمد وكسر الفا بمعنى صارفهم وعن عبد الله بن الزبير باختلاف عنه افكهم بالمد فجاز ان يكون افعلهم اي اصارهم الى الافك وجاز ان يكون فاعلهم كخادعهم ودليل قراءة العامة افكهم قوله وما كانوا يفترون اي يكذبون وقيل افكهم مثل افكهم الافك والافك كالحذر والحذر قاله المهدوي قوله تعالى واذ صرفنا اليك نفرا من الجن هذا توبيخ لمشركي قريش اي ان الجن سمعوا القران فامنوا به وعلموا انه من عند الله وانتم معرضون مصرون على الكفر ومعنى صرفنا وجهنا اليك وبعثنا وذلك انهم صرفوا عن استراق السمع من السما برجوم الشهب على ما ياتي ولم يكونوا بعد عيسى قد صرفوا عنه الا عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم قال المفسرون ابن عباس وسعيد ابن جبير ومجاهد وغيرهم لما مات ابو طالب خرج النبي صلى الله عليه وسلم وحده الى الطايف يلتمس من ثقيف النصرة فقصد عبد ياليل ومسعودا وحبيبا وهم اخوة بنو عمرو بن عمير وعندهم امراة من قريش من بني جمح فدعاهم الى الايمان وسالهم ان ينصروه على قومه فقال احدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله ارسلك وقال الاخر اما وجد الله احدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا اكلمك كلمة ابدا ان كان الله ارسلك كما تقول فانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ان كنت تكذب فما ينبغي لي ان اكلمك ثم اغروا به سفهاهم وعبيدهم يسبونه ويضحكون به حتى اجتمع عليه الناس والجوه الى حايط لعتبة وشيبة ابني ربيعة فقال للحجيجية ماذا لقينا من احمايك ثم قال اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي لمن تكلني لبعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك هي اوسع اعوذ بنور وجهك من ان ينزل بي غضبك او يحل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك فرحمه ابنا ربيعة وقالا لغلام لهما نصراني يقال له عداس خذ قطفا من العنب وضعه في هذا الطبق ثم ضعه بين يدي هذا الرجل فلما وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النبي بسم الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل هذه البلدة فقال النبي صلى الله عليه وسلم من اي البلاد انت يا عداس وما دينك قال انا نصراني من اهل نينوى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له وما يدريك وما يونس بن متى قال ذلك اخي كان نبيا وانا نبي فاكب عداس حتى قبل راس النبي صلى الله عليه وسلم ويديه ورجليه فقال ابنا ربيعة لم فعلت هكذا فقال يا سيدي ما في الارض خير من هذا اخبرني بامر لا يعلمه الا نبي ثم انصرف النبي صلى الله عليه وسلم حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان ببطن نخلة قام من الليل يصلي فمر به نفر من جن اهل نصيبين وكان سبب ذلك ان الجن كانوا يسترقون السمع فلما حرست السماء ورموا بالشهب قال ابليس ان هذا الذي حدث في السما لشي حدث في الارض فبعث سراياه ليعرف الخبر اولهم ركب نصيبين وهم اشراف الجن الى تهامة فلما بلغوا بطن نخلة سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة ويتلو القران فاستمعوا له وقالوا انصتوا وقالت طايفة بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويدعوهم الى الله تعالى ويقرا عليهم

القران فصرف الله اليه عز وجل اليه نفرا من الجن من نينوى وجمعهم له فقال النبي
صلى الله عليه وسلم اني امرت ان اقرا القران على الجن الليلة فايكم يتبعني فاطرقوا
ثم قال الثانية فاطرقوا ثم قال الثالثة فاطرقوا فقال ابن مسعود انا يا رسول الله
قال ابن مسعود ولم يحضر معه احد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا باعلى مكة
دخل النبي صلى الله عليه وسلم شعبا يقال له شعب الحجون وخط لي خطا وامرني
ان اجلس فيه وقال لا تخرج منه حتى اعود اليك ثم انطلق حتى قام فافتتح القران
فجعلت انظر امثال النسور تهوي وتمشي في رفرفها وسمعت لغطا وغمغمة حتى
خفت على النبي صلى الله عليه وسلم وغشيته اسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى
ما اسمع صوته ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين ففرغ النبي
صلى الله عليه وسلم مع الفجر فقال انمت قلت لا والله لقد هممت مرارا ان استغيث
بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك تقول اجلسوا قال لو خرجت لم امن عليك
ان يتخطفك بعضهم ثم قال هل رايت شيئا قلت نعم رايت رجالا سودا مستثفري
ثيابا بيضا قال اولئك جن نصيبين سالوني المتاع والزاد فمتعتهم بكل عظم حائل
وروثة وبعرة فقالوا يا رسول الله يقذرها الناس علينا فنهى النبي صلى الله عليه
وسلم ان يستنجى بالعظم والروث قلت يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم قال
انهم لا يجدون عظما الا وجدوا عليه لحمه يوم اكل ولا روثا الا وجدوا فيها حبها يوم
اكل فقلت يا رسول الله لقد سمعت لغطا شديدا فقال ان الجن تدارات في قتيل
بينهم فتحاكموا الي فقضيت بينهم بالحق ثم تبرز النبي صلى الله عليه وسلم ثم
اتاني فقال هل معك ماء فقلت يا رسول الله معي اداوة فيها شيء من نبيذ التمر
فصببت على يديه فتوضا فقال تمرة طيبة وماء طهور روى معناه معمر عن قتادة
وشعبة ايضا عن ابن مسعود وليس في حديث معمر ذكر نبيذ التمر وروى عن ابي
عثمان النهدي ان ابن مسعود بصر بزط فقال ما هؤلاء قالوا هؤلاء الزط قال
ما رايت شبههم الا الجن ليلة الجن فكانوا مستثفرين يتبع بعضهم بعضا وذكر
الدارقطني عن عبد الله بن لهيعة حدثني قيس بن الحجاج عن حنش عن ابن
عباس عن ابن مسعود انه وضأ النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن بنبيذ فتوضا
به وقال شراب وطهور ابن لهيعة لا يحتج بحديثه وبهذا السند عن ابن مسعود
انه خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن فقال له رسول الله صلى الله عليه
وسلم امعك ماء يا ابن مسعود فقال معي نبيذ في اداوة فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم اصبب علي منه فتوضا فقال هو شراب وطهور تفرد به ابن لهيعة وهو
ضعيف الحديث قال الدارقطني وقيل ان ابن مسعود لم يشهد مع النبي صلى الله عليه
وسلم ليلة الجن كذلك رواه علقمة بن قيس وابو عبيدة بن عبد الله وغيرهما
عنه انه قال ما شهدت ليلة الجن نا ابو محمد بن صاعد نا ابو الاشعث نا بشر
ابن المفضل نا داود بن ابي هند عن عامر عن علقمة بن قيس قال قلت لعبد الله
ابن مسعود اشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم احد منكم ليلة اتاه داعي الجن
قال لا قال الدارقطني هذا اسناد صحيح لا يختلف في عدالة رواته وعن عمرو
ابن مرة قال قلت لابي عبيدة احضر عبد الله بن مسعود ليلة الجن فقال لا
وقال ابن عباس كان الجن سبعة نفر من نصيبين فجعلهم النبي صلى الله عليه
وسلم رسلا الى قومهم وقال زر بن حبيش كانوا تسعة احدهم زوبعة وقال
قتادة انهم من اهل نينوى وقال مجاهد من اهل حران وقال عكرمة من
جزيرة الموصل وقيل انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل نجران واربعة من اهل
نصيبين وروى عن ابي الدنيا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحديث وذكر
فيه نصيبين فقال رفعت الي حتى رايتها فدعوت الله ان يكثر مطرها وينضر
شجرها وان يغزر نهرها وقال السهيلي ويقال كانوا سبعة وكانوا يهودا فاسلموا

ولذلك

ولذلك قال انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى وقيل في اسمائهم شاصر وناصر ومنشي وماشي والاحقب
ذكرها ولا الحسن بن دريد ومنهم عمرو بن جابر ذكره ابن سلام من طريق ابي اسحاق
السبيعي عن اشياخه عن ابن مسعود انه كان في نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
يمشون فوقع لهم اعصار ثم جاء اعصار اعظم منه فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه
فشقه وكفن الحية ودفنها فلما جن الليل اذا امراتان تسالان ايكم دفن عمرو بن جابر فقلنا
لا ندري من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن
اقتتلوا مع المؤمنين منهم فقتل عمرو وهو الحية التي رايتم وهو من النفر الذين استمعوا
القران من محمد عليه السلام ثم ولوا الى قومهم منذرين وذكر ابن سلام رواية اخرى ان الذي
كفنه هو صفوان بن المعطل قال الشيخ القرطبي رحمه الله وذكر هذا الخبر الثعلبي بنحوه
فقال وقال ثابت بن قطبة جاء ناس الى ابن مسعود فقالوا انا كنا في سفر فراينا
حية متشحطة في دمائها فاخذها رجل منا فواريناها فجاء ناس فقالوا ايكم دفن عمرا
قالوا وما عمرو قالوا الحية التي دفنتم في مكان كذا اما انه كان من النفر الذين سمعوا القران
من النبي صلى الله عليه وسلم وكان بين حيين من الجن مسلمين وكافرين قتال فقتل فيه هذا
فقال ابن مسعود لم يكن في سفر ولا حضر الدفن فالله اعلم وذكر ابن ابي الدنيا عن رجل من
التابعين سماه ان حية دخلت عليه في خبائه تلهث عطشا فسقاها ثم انها ماتت فدفنها
فاتي من الليل فسلم عليه وشكر واخبر ان تلك الحية كانت رجلا من نصيبين اسمه زوبعة
قال السهيلي وبلغنا في فضائل عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه مما حدثنا به ابو بكر بن
طاهر الاشبيلي ان عمر بن عبد العزيز كان يمشي بارض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة
من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول يا سرق اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ستموت بارض فلاة فيكفنك رجل صالح فقال ومن انت يرحمك الله فقال رجل من الجن
الذين استمعوا القران من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا انا وسرق وهذا
سرق قد مات وقد قتلت عائشة رضي الله عنها حية راتها في حجرتها تستمع وعائشة
تقرا فاتيت في المنام فقيل لها انك قتلت رجلا مؤمنا من الجن الذين قدموا على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت لو كان مؤمنا ما دخل على حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقيل لها ما دخل عليك الا وانت متقنعة وما جاء الا ليستمع الذكر فاصبحت عائشة فزعة
واشترت رقابا فاعتقتهم قال السهيلي وقد ذكرنا من اسماء هؤلاء الجن ما حضرنا فان
كانوا سبعة فالاحقب منهم وصف لاحدهم وليس باسم علم فان الاسماء التي ذكرناها انفا
ثمانية بالاحقب والله اعلم قال الشيخ القرطبي رحمه الله وقد ذكر الحافظ ابن عساكر
في تاريخه هامة بن الهيم بن لاقيس بن ابليس قيل انه من مؤمني الجن وممن لقي النبي صلى الله
عليه وسلم وعلمه سورة الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت والحمد
والمعوذتين وذكر انه حضر قتل هابيل وشرك في دمه وهو غلام ابن اعوام وانه لقي
نوحا وتاب على يديه وهودا وصالحا ويعقوب ويوسف والياس وموسى بن عمران
وعيسى بن مريم عليهم السلام وقد ذكر الماوردي اسماءهم عن مجاهد فقال حسى وحسا
ومنشي ومنسا وشاصر وماصر والارد واينان والاحقم وذكرها ابو عمرو عثمان بن
احمد المعروف بابن السماك نا محمد بن البراء نا الزبير بن بكار وقال كان حمزة بن عتبة
ابن ابي لهب يسمي جن نصيبين الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
حسا ومسا وشاصر وناصر والابجر والارد واينان قوله تعالى فلما حضروه اي حضروا
النبي صلى الله عليه وسلم وهو من باب تلوين الخطاب وقيل لما حضروا القران واستماعه
قالوا انصتوا اي قال بعضهم لبعض اسكتوا لاستماع القران قال ابن مسعود هبطوا على
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا القران ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا انصتوا قالوا
صه وكانوا سبعة احدهم زوبعة فانزل الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن الاية الى
ضلال مبين وقيل انصتوا لسماع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى متقارب
فلما قضي وقرا لاحق بن حميد وخبيب بن عبد الله بن الزبير فلما قضى بفتح القاف

والضاد ونهى النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الصلاة وذلك انهم خرجوا حين حرست
السماء من استراق السمع ليستخبروا ما اوجب ذلك فجاؤوا وادي نخلة والنبي صلى الله عليه
وسلم يقرأ في صلاة الفجر وكانوا سبعة فسمعوه وانصرفوا الى قومهم منذرين ولم يعلم
بهم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل بل امر النبي صلى الله عليه وسلم ان ينذر الجن ويقرأ
عليهم القران فصرف الله اليه نفرا من الجن ليستمعوا منه وينذروا قومهم فلما تلي
عليهم القران انصرفوا بامره قاصدين من وراءهم من قومهم من الجن منذرين لهم مخالفة
القران ومحذرين اياهم باس الله ان لم يومنوا وهذا يدل على انهم امنوا بالنبي صلى الله
عليه وسلم وانه ارسلهم ويدل على هذا قولهم يا قومنا اجيبوا داعي الله وامنوا به ولولا ذلك
لما انذروا قومهم وقد تقدم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم جعلهم رسلا الى
قومهم وتلى هذا ليلة الجن ليلتان وقد تقدم هذا المعنى مستوفى وفي صحيح مسلم
ما يدل على ذلك على ما ياتي بيانه في قل اوحي الي وفي صحيح مسلم عن معن قال سمعت ابي
قال سالت مسروقا من اذن النبي صلى الله عليه وسلم ليلة استمعوا الجن القران فقال
حدثني ابوك يعني ابن مسعود انه اذنته بهم شجرة قوله تعالى قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى قال عطا كانوا يهودا فاسلموا ولذلك قالوا انزل من بعد موسى
اي القران وكانوا مومنين بموسى وعن ابن عباس ان الجن لم تكن سمعت بامر عيسى
فلذلك قالت من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يعني ما قبله من التوراة يهدي
الى الحق دين الحق والى طريق مستقيم دين الله القويم يا قومنا اجيبوا داعي الله يعني
محمدا صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على انه كان مبعوثا الى الجن والانس قال
مقاتل ولم يبعث الله نبيا الى الجن والانس قبل محمد عليه السلام قال الشيخ القرطبي
رحمه الله يدل على قولهما في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله الانصاري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي
يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد
قبلي وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل ادركته الصلاة صلى حيث
كان ونصرت بالرعب مسيرة شهر واعطيت الشفاعة قال مجاهد الاحمر والاسود
الجن والانس وفي رواية من حديث ابي هريرة بعثت الى الخلق كافة وختم بي
النبيون وامنوا به اي بالداعي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل به اي بالله
يغفر لكم من ذنوبكم قال ابن عباس فاستجاب لهم من قومهم سبعون رجلا
فرجعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقوه بالبطحا فقرا عليهم القران وامرهم
ونهاهم مسالة هذه الاية تدل على ان الجن كالانس في الامر والنهي والثواب
والعقاب وقال الحسن ليس لمومن الجن ثواب غير نجاتهم من النار يدل عليه
قوله يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب اليم وبه قال ابو حنيفة قال ليس ثواب
الجن الا ان يجاروا من النار ثم يقال لهم كونوا ترابا مثل البهائم وقال اخرون انهم
كما يعاقبون في الاساءة يجازون في الاحسان مثل الانس واليه ذهب مالك
والشافعي وابن ابي ليلى وقد قال الضحاك الجن يدخلون الجنة وياكلون ويشربون
قال القشيري والصحيح مما لا يقطع فيه بشي والعلم عند الله قال الشيخ القرطبي
رحمه الله قوله تعالى ولكل درجات مما عملوا يدل على انهم يثابون ويدخلون
الجنة لانه قال في اول الاية يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يتلون عليكم
اياتي الى ان قال ولكل درجات مما عملوا والله اعلم وسياتي لهذا في سورة الرحمن
زيد بيان ان شا الله تعالى قوله تعالى ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز
في الارض اي لا يفوت الله ولا يسبقه وليس له من دونه اولياء اي انصار يمنعونه
من عذاب الله اولئك في ضلال مبين قوله تعالى اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض الروية هنا بمعنى العلم وان واسمها وخبرها سدت مسد مفعولي
الروية ولم يعي بخلقهن بقادر على ان يحيي الموتى احتجاج على منكري البعث ومعنى

لم

لم يعي يعجز ويضعف بقادر على ان يحيي الموتى عن ابن عباس يقال عييت بامره وعييت اذا
لم تهتد لوجهه والادغام اكثر وتقول في الجمع عيوا مخففا وعيوا ايضا بالتشديد
قال • عيوا بامرهم كما • عيت ببيضتها الحمامة •
وعييت بامري اذا لم تهتد لوجهه واعيا في هو وقرا الحسن ولم يعي بكسر العين واسكان
اليا وهو شاذ قليل لم يات اعتلال العين وتصحيح اللام الا في اسما قليلة نحو غاية
واية ولم يات في الفعل سوى بيت انشده الفرا وهو قول الشاعر •
• وكانها بين النسا سبيكة • تمشي بسدة بيتها فتعيي •
بقادر قال ابو عبيدة والاخفش الباء زائدة للتوكيد كالباء في قوله وكفى بالله شهيدا
وقوله تنبت بالدهن وقال الكسائي والفرا والزجاج الباء فيه خلف الاستفهام والجحد
في اول الكلام قال الزجاج تدخلها مع الجحد تقول ما ظننت ان زيدا بقائم ولا تقول
ظننت ان زيدا بقائم وهذا الدخول ما ودخول ان للتوكيد والتقدير اليس الله بقادر
كقوله اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر وقرا ابن مسعود والاعرج والجحدري
وابن ابي اسحاق ويعقوب يقدر واختاره ابو حاتم لان دخول الباء في خبر ان قبيح
واختار ابو عبيد قراة العامة لانها في قراة عبد الله خلق السموات والارض قادر
بغير با قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار اي ذكرهم يوم يعرضون فيقال
لهم اليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا فيقول لهم المقرر فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
اي بكفركم قوله تعالى فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل قال ابن عباس ذووا
الحزم والصبر قال مجاهد هم خمسة نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام
وهم اصحاب الشرائع وقال ابو العالية ان اولي العزم نوح وهود وابراهيم فامر الله نبيه
عليه السلام ان يكون رابعهم وقال السدي انهم ستة ابراهيم وموسى وعيسى وداود
وسليمان وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم اجمعين وقيل نوح وهود وصالح وشعيب
ولوط وموسى وهم المذكورون على النسق في سورة الاعراف والشعراء وقال مقاتل
هم ستة نوح صبر على اذى قومه مدة وابراهيم صبر على النار واسحاق صبر على الذبح
ويعقوب صبر على فقد الولد وذهاب البصر ويوسف صبر على البير والسجن وايوب
صبر على الضر وقال ابن جريج ان منهم اسماعيل ويعقوب وايوب وليس منهم يونس
ولا سليمان ولا ادم وقال الشعبي والكلبي ومجاهد ايضا هم الذين امروا بالقتال
فاظهروا المكاشفة وجاهدوا الكفرة وقيل هم نجبا الرسل المذكورون في سورة
الانعام وهم ثمانية عشر ابراهيم واسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وايوب
ويوسف وموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسماعيل واليسع ويونس
ولوط واختاره الحسين بن الفضل لقوله في عقبه اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده وقال ابن عباس ايضا كل الرسل كانوا اولي العزم واختاره علي بن مهدي
الطبري قال وانما دخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما تقول اشتريت اردية من
البز واكسية من الخز اي اصبر كما صبر الرسل وقيل كل الانبيا اولو عزم الا يونس بن
متى الا ترى ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي ان يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه
ولي مغاضبا لقومه فابتلاه الله بثلاث سلط الله عليه العمالقة حتى اغاروا
على اهله وماله وسلط الذيب على ولده فاكله وسلط عليه الحوت فابتلعه قاله
ابو القاسم الحكيم وقال بعض العلما اولو العزم اثنا عشر نبيا ارسلوا الى بني اسرائيل
بالشام فعصوهم فاوحى الله الى الانبيا اني مرسل عذابي الى عصاة بني اسرائيل فشق
ذلك على المرسلين فاوحى الله تعالى اليهم اختاروا لانفسكم ان شئتم انزلت بكم
العذاب وانجيت بني اسرائيل وان شئتم انجيتكم وانزلت العذاب ببني اسرائيل فتشاوروا
بينهم على ان ينزل بهم العذاب وينجي بني اسرائيل فانجى الله بني اسرائيل وانزل
باولئك العذاب وذلك انه سلط عليهم ملوك الارض فمنهم من نشر بالمناشير
ومنهم من سلخ جلدة راسه ووجهه ومنهم من صلب على الخشب حتى مات ومنهم من حرق

بالنار والله اعلم وقال الحسن اولوا العزم اربعة هم ابراهيم وموسى وداود وعيسى
فاما ابراهيم فقيل له اسلم قال اسلمت لرب العالمين ثم ابتلي ابراهيم في ماله وولده
ووطنه ونفسه فوجد صادقا وافيا في جميع ما ابتلي به واما موسى فعزمه حين قال
له قومه انا لمدركون فقال كلا ان معي ربي سيهدين واما داود فاخطا خطيئة فنبه
عليها فاقام يبكي اربعين سنة حتى نبتت من دموعه شجرة فقعد تحت ظلها واما
عيسى فعزمه انه لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها فكان الله تعالى
يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم اصبر اي كن صادقا فيما ابتليت به مثل صدق ابراهيم
واثقا بنصرة مولاك مثل ثقة موسى مهتما بما سلف من هفواتك مثل اهتمام داود زاهدا
في الدنيا مثل زهد عيسى ثم قيل هي منسوخة باية السيف وقيل محكمة والاظهر انها
منسوخة لان السورة مكية وذكر مقاتل ان هذه الاية نزلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم احد فامره الله تعالى ان يصبر على ما اصابه كما صبر اولوا العزم
من الرسل تسهيلا عليه وتثبيتا له والله اعلم ولا تستعجل لهم قال مقاتل بالدعاء عليهم
وقيل في احلال العقاب بهم فانه ابعد غاياتهم يوم القيامة ومفعول الاستعجال
محذوف وهو العذاب كانهم يوم يرون ما يوعدون قال يحيى من العذاب النقاش من
الاخرة لم يلبثوا اي في الدنيا حين جاءهم العذاب وقد مضى قول يحيى وقال النقاش
في قبورهم حتى بعثوا للحساب الا ساعة من نهار يعني في جنب يوم القيامة وقيل
نساهم هول ما عاينوا من العذاب طول لبثهم في الدنيا ثم قال بلاغ اي هذا القران
بلاغ قال الحسن فبلاغ رفع على اضمار مبتدا دليله قوله هذا بلاغ للناس ولينذروا
به وقيل ان في هذا البلاغ لقوم عابدين والبلاغ بمعنى التبليغ وقيل اي ان ذلك
اللبث بلاغ قال ابو عيسى يتوقف على هذا على بلاغ وقيل على نهار وذكر ابو حاتم
ان بعضهم وقف على ولا تستعجل ثم ابتدى لهم على معنى لهم بلاغ قال بن الانباري
وهذا خطا لانك قد فصلت بين البلاغ وبين الكلام وهي رافعة بشي ليس منها
ويجوز في العربية بلاغا وبلاغ النصب على معنى الا ساعة بلاغا على المصدر او على

سورة القتال وهي سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية

في قول بن عباس ذكره النحاس وقال الماوردي في قول الجميع الا ابن عباس وقتادة
فانهما قالا الا اية منها نزلت عليه بعد حجة الوداع حين خرج من مكة وجعل ينظر
الى البيت وهو يبكي حزنا عليه فنزلت عليه وكاين من قرية هي اشد قوة من قريتك
وقال الثعلبي انها مكية وحكاه بن هبة الله عن الضحاك وسعيد بن جبير وهي تسع وثلاثون
اية وقيل ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الذين كفروا وصدوا الاية قال بن عباس ومجاهد هم اهل
مكة كفروا بتوحيد الله وصدوا انفسهم والمومنين عن دين الله وهو الاسلام
بنهيهم عن الدخول فيه وقاله السدي وقال الضحاك عن سبيل الله عن بيت
الله بمنع قاصديه ومعنى اضل اعمالهم ابطل كيدهم ومكرهم بالنبي صلى الله عليه
وسلم وجعل الدائرة عليهم قاله الضحاك وقيل ابطل ما عملوه في كفرهم مما كانوا
يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار

وقال

وقال بن عباس نزلت في المطعمين ببدر وهم اثنا عشر رجلا ابو جهل والحارث
ابن هشام وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي وامية ابنا خلف ومنبه ونبيه ابنا الحجاج
وابو البختري بن هشام وزمعة بن الاسود وحكيم بن حزام والحارث بن عامر بن نوفل
قوله تعالى والذين امنوا وعملوا الصالحات وامنوا بما نزل على محمد قال بن عباس
ومجاهد هم الانصار وقال مقاتل ايضا نزلت خاصة في ناس من قريش وقيل هما عامتان
فيمن كفر وامن ومعنى اضل اعمالهم ابطلها وقيل اضلهم عن الهدى بما صرفهم عنه من
التوفيق وعملوا الصالحات من قال انهم الانصار فهي المواساة في مساكنهم واموالهم
ومن قال انهم من قريش فهي الهجرة ومن قال بالعموم فالصالحات جميع الاعمال التي ترضي
الله تعالى وامنوا بما نزل على محمد لم يخالفوه في شي قاله سفيان الثوري وقيل صدقوا
محمدا فيما جاء به وهو الحق من ربهم يريد ان ايمانهم هو الحق من ربهم وقيل ان القران
هو الحق من ربهم نسخ به ما قبله كفر عنهم سيئاتهم اي ما مضى من سيئاتهم قبل الايمان واصلح
بالهم اي شانهم عن مجاهد وغيره وقال قتادة حالهم بن عباس امورهم والثلاثة
متقاربة وهي متاولة على اصلاح ما تعلق بدنياهم وحكى النقاش ان المعنى اصلح
نياتهم ومنه قول الشاعر • فان تقبلي بالود اقبل بمثله • وان تدبري اذهب الى حال باليا •
وهو على هذا التاويل محمول على صلاح دينهم والبال كالمصدر ولا يعرف منه فعل ولا
تجمعه العرب الا في ضرورة الشعر فيقولون فيه بالات المبرد قد يكون البال في موضع
اخر بمعنى القلب يقال ما يخطر فلان على بالي اي على قلبي الجوهري والبال رخاء النفس
يقال فلان رخي البال والبال الحال يقال ما بالك وقولهم ليس هذا من بالي اي مما
ابالية والبال الحوت العظيم من حيتان البحر وليس بعربي والبالة وعاء الطيب فارسي
معرب وقيل واصله بالفارسية بيله قال ابو ذويب •
• كان عليها بالة لطمية • لها من خلال الدايتين اريج •
قوله تعالى ذلك بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق
من ربهم ذلك في موضع رفع اي الامر ذلك او ذلك الاضلال والهدى المتقدم ذكرهما
سببه هذا فالكافر اتبع الباطل والمومن اتبع الحق والباطل الشرك والحق التوحيد
والايمان كذلك يضرب الله للناس امثالهم اي هكذا البيان الذي بين يبين الله للناس
امر الحساب والسيات والضمير في امثالهم يرجع الى الذين كفروا والذين امنوا قوله
تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فيه
اربع مسايل الاولى قوله تعالى فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب لما ميز بين الفريقين
امر بجهاد الكفار قال بن عباس الكفار المشركون عبدة الاوثان وقيل كل من خالف
دين الاسلام من مشرك او كتابي اذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة ذكره الماوردي واختاره
ابن العربي وقال وهو الصحيح لعموم الاية فيه فضرب الرقاب مصدر قال الزجاج
اي فاضربوا الرقاب ضربا وخص الرقاب بالذكر لان القتل اكثر ما يكون فيها وقيل
نصب على الاغراء قال ابو عبيدة هو كقولك يا نفس صبرا وقيل الرقاب من الغلظة
والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل باشنع صورة وهو حز العنق
واطارة العضو الذي هو راس البدن وعلوه واوجه الاعضاء اثخنتموهم حتى اذا
اثخنتموهم اي اكثرتم القتل وقد مضى في الانفال عند قوله حتى يثخن في الارض
فشدوا الوثاق اي اذا اسرتموهم والوثاق اسم من الايثاق وقد يكون مصدرا يقال
اوثقته ايثاقا ووثاقا واما الوثاق بالكسر فهو اسم الشي الذي يوثق به كالرباط
قاله القشيري وقال الجوهري واوثقه في الوثاق اي شده وقال تعالى فشدوا الوثاق
والوثاق بكسر الواو لغة فيه وانما امر بشد الوثاق لئلا يفلتوا فاما منا عليهم بالاطلاق
من غير فدية واما فداء ولم يذكر القتل هاهنا اكتفاء بما تقدم من القتل في صدر
الكلام ومنا وفداء نصب باضمار فعل وقرى فدى بالقصر مع فتح الفاء اي فاما ان تمنوا
عليهم منا واما ان تفادوهم روي عن بعضهم انه قال كنت واقفا على راس الحجاج حين

اتي بالاسرى من اصحاب عبد الرحمن بن الاشعث وهم اربعة الاف وثمانماية فقتل
منهم نحو من ثلثة الاف حتى قدم اليه رجل من كندة فقال يا حجاج لا جزاك الله عن
السنة والكرم خيرا قال ولم ذلك قال ان الله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين
كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم الاية فحق الذين كفروا فوالله ما مننت
ولا فديت وقد قال شاعركم فيما وصف به قومه من مكارم الاخلاق •
• ولا نقتل الاسرى ولكن نفكهم • اذا اثقل الاعناق حمل المغارم •
فقال الحجاج اف لهذه الجيف اما كان فيهم من يحسن مثل هذا الكلام خلوا سبيل من بقي
فخلي يومئذ عن بقية الاسرى وهم زهاء الفين بقول ذلك الرجل الثاني ثم اختلف
العلما في تاويل هذه الاية على خمسة اقوال الاول انها منسوخة وهي في اهل الاوثان
لا يجوز ان يفادوا ولا يمن عليهم والناسخ لها عندهم قوله تعالى فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم وقوله فاما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم وقوله فاقتلوا المشركين
كافة الاية قاله قتادة والضحاك والسدي وابن جريج والعوفي عن ابن عباس وقاله
كثير من الكوفيين وقال عبد الكريم الجزري كتب الى ابي بكر في اسير اسر فذكروا انهم
التمسوه بفدا كذا وكذا فقال اقتلوه لقتل رجل من المشركين احب الي من كذا وكذا الثاني
انها في الكفار جميعا وهي منسوخة على قول جماعة من العلما واهل النظر منهم قتادة
ومجاهد قالوا اذا اسر المشرك لم يجز ان يمن عليه ولا ان يفادى فيه فيرد الى المشركين
ولا يجوز ان يفادى عندهم الا بالمراة لانها لا تقتل والناسخ لها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم اذ كانت براة اخرها نزلت بالتوقيف فوجب ان يقتل كل مشرك الا من
قامت الدلالة على تركه من النسا والصبيان ومن يوخذ منهم الجزية وهو المشهور
من مذهب ابي حنيفة خيفة ان يعودوا حربا للمسلمين ذكره عبد الرزاق اخبرنا
معمر عن قتادة فاما منا بعد واما فدا قال نسخها فشرد بهم من خلفهم وقال مجاهد
نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وهو قول الحكم الثالث انها ناسخة
قاله الضحاك وغيره روى الثوري عن جويبر عن الضحاك فاقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم قال نسخها فاما منا بعد واما فدا وقال ابن المبارك عن ابن جريج عن
عطا فاما منا بعد واما فدا فلا يقتل المشرك ولكن يمن عليه ويفادى كما قال الله
جل وعز قال اشعث كان الحسن يكره ان يقتل الاسير ويتلو فاما منا بعد واما فدا
وقال الحسن ايضا في الاية تقديم وتاخير فكانه قال فضرب الرقاب حتى تضع
الحرب اوزارها ثم قال حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وزعم انه ليس للامام
اذا حصل الاسير في يديه ان يقتله لكنه بالخيار في ثلثة منازل اما ان يمن او
يفادي او يسترق الرابع قول سعيد بن جبير لا يكون فدا ولا اسر الا بعد الاثخان
والقتل بالسيف لقوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن في الارض
فاذا اسر بعد ذلك فللامام ان يحكم بما راه من قتل او غيره الخامس ان الاية محكمة
والامام مخير في كل حال رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس وقال كثير من العلما
منهم ابن عمر والحسن وعطا وهو مذهب مالك والشافعي والثوري والاوزاعي وابي
عبيد وغيرهم وهو الاختيار لان النبي صلى الله عليه وسلم والخلفا الراشدين فعلوا
كل ذلك قتل النبي صلى الله عليه وسلم عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث يوم
بدر صبرا وفادى سائر اسارى بدر ومن على ابي عزة الجمحي وقتل يوم بني قريظة
وقد نزلوا على حكم سعد وصار وافي يده سلما ومن على ثمامة بن اثال الحنفي وهو
اسير في يده واخذ من سلمة بن الاكوع جارية ففدى بها اناسا من المسلمين وهبط
عليه السلام قوم من اهل مكة فاخذهم النبي صلى الله عليه وسلم ومن عليهم وقد من
على بني هوازن وهذا كله ثابت في الصحيح وقد مضى جميعه في الانفال وغيرها
قال النحاس وهذا على ان الايتين محكمتان معمول بهما وهو قول حسن لان النسخ
انما يكون لشيء قاطع فاذا امكن العمل بالايتين فلا معنى للقول بالنسخ اذ كان يجوز

ان

ان يقع التعبد اذا لقينا الذين كفروا قتلناهم فاذا كان الاسر جاز القتل والاسترقاق
والمفاداة والمن على ما فيه الصلاح للمسلمين وهذا القول يروى عن اهل المدينة
والشافعي وابو حنيفة وحكاه الطحاوي مذهبا عن ابي حنيفة والمشهور منه ما قدمناه
وبالله عز وجل التوفيق الرابعة قوله تعالى حتى تضع الحرب اوزارها قال مجاهد وابن
جبير هو خروج عيسى عليه السلام وعن مجاهد ايضا ان المعنى حتى لا يكون دين الا دين
الاسلام فيسلم كل يهودي ونصراني وصاحب ملة وتامن الشاة من الذيب ونحوه عن
الحسن والكلبي والفرا والكسائي قال الكسائي حتى يسلم الخلق وقال الفرا حتى يومنوا
ويذهب الكفر وقال الكلبي حتى يظهر الاسلام على الدين كله وقال الحسن حتى لا يعبدوا
الا الله وقيل معنى الاوزار السلاح فالمعنى شدوا الوثاق حتى تامنوا وتضعوا السلاح
وقيل المعنى حتى تضع الحرب اي الاعدا المحاربين اوزارهم وهو سلاحهم بالهزيمة او الموادعة
ويقال للكراع اوزار قال الاعشى • واعددت للحرب اوزارها • رماحا طوالا وخيلا ذكورا •
ومن نسج داود تحدى بها • على اثر الحي عيرا فعيرا • وقيل حتى تضع الحرب اوزارها اي
اثقالها والوزر الثقل ومنه وزير الملك لانه يتحمل عنه الاثقال واثقالها السلاح لثقل
حملها قال ابن العربي قال الحسن وعطا في الاية تقديم وتاخير المعنى فضرب الرقاب
حتى تضع الحرب اوزارها فاذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق وليس للامام ان يقتل
الاسير وقد روي عن الحجاج انه دفع اسيرا الى عبد الله بن عمر ليقتله فابى وقال
ليس بهذا امرنا الله وقرا حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق قلنا قد قاله رسول الله
صلى الله عليه وسلم وفعله وليس في تفسير الله تكم ولا لغيره منع من غيره فقد بين الله
في الزنا حكم الجلد وبين النبي صلى الله عليه وسلم حكم الرجم ولعل ابن عمر كره ذلك من
يد الحجاج فاعتذر بما قال وربك اعلم قوله تعالى ذلك ولو يشا الله لانتصر منهم
ذلك في موضع رفع على ما تقدم اي الامر ذلك الذي ذكرت وبينت وقيل هو منصوب
على معنى افعلوا ذلك ويجوز ان يكون مبتدا المعنى ذلك حكم الكفار وهي كلمة يستعملها
الفصيح عند الخروج من كلام الى كلام وهو كما قال هذا وان للطاغين لشر مآب اي هذا
حق وانا اعرفكم ان للطاغين كذا ومعنى لانتصر منهم اي اهلكهم بغير قتال وقال ابن عباس
لاهلكهم بجند من الملائكة ولكن ليبلو بعضكم ببعض اي امركم بالحرب ليبلو ويختبر بعضكم
ببعض فيعلم المجاهدين والصابرين كما في السورة نفسها والذين قتلوا في سبيل الله
يريد قتلى احد من المومنين فلن يضل اعمالهم قراة العامة قاتلوا الذين وهي اختيار
ابي عبيد وقرا ابو عمرو وحفص قتلوا بضم القاف وكسر التا وكذلك قرا الحسن الا انه شدد
التا على التكثير وقرا الجحدري وعيسى وابن عمرو وابو حيوة قتلوا بفتح القاف والتا
من غير الف يعني الذين قتلوا المشركين وقال قتادة ذكر لنا ان هذه الاية نزلت
يوم احد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب وقد فشت فيهم الجراحات والقتل
وقد نادى المشركون اعل هبل ونادى المسلمون الله اعلى واجل فقال المشركون يوم بيوم
بدر والحروب سجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا سوا قتلانا احيا عند
ربهم يرزقون وقتلاكم في النار يعذبون فقال المشركون ان لنا العزى ولا عزى لكم
فقال المسلمون الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم ذكر ذلك في ال عمران قوله
تعالى سيهديهم قال القشيري قراة ابي عمرو قتلوا بعيدة لقوله سيهديهم ويصلح
بالهم والمقتول لا يوصف بهذا وقال غيره يكون المعنى سيهديهم الى الجنة او سيهدي
من بقي منهم اي يحقق لهم الهداية وقال ابن زياد يهديهم الى محاجة منكر ونكير في
القبر قال ابو المعالي وقد ترد الهداية والمراد بها ارشاد المومنين الى مسالك
الجنان والطرق المفضية اليها من ذلك قوله تعالى في صفة المجاهدين فلن يضل
اعمالهم سيهديهم ومنه قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم معناه فاسلكوهم اليها
قوله تعالى ويدخلهم الجنة عرفها لهم اي اذا دخلوها يقال لهم تفرقوا الى منازلكم
فهم اعرف بمنازلهم من اهل الجمعة اذا انصرفوا الى منازلهم قال معناه مجاهد واكثر المفسرين

وفي البخاري ما يدل على صحة هذا القول عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخلص المومنون من النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار حتى
اذا هذبوا ونقوا اذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفس محمد بيده لاحدهم اهدى
بمنزله في الجنة بمنزله كان في الدنيا وقيل عرفها لهم اي بينها لهم حتى عرفوها من غير
استدلال قال الحسن وصف الله تعالى لهم الجنة في الدنيا فلما دخلوها عرفوها بصفتها
وقيل فيه حذف اي عرف طرقها ومساكنها وبيوتها لهم فحذف المضاف وقيل هذا التعريف
بدليل وهو الملك الموكل بعمل العبد يمشي بين يديه ويتبعه العبد حتى ياتي العبد
منزله ويعرفه الملك جميع ما جعل له في الجنة وحديث ابي سعيد يرده وقال ابن عباس
عرفها لهم اي طيبها لهم بانواع الملاذ ماخوذ من العرف وهو الرائحة الطيبة وطعام معرف
اي مطيب تقول العرب عرفت القدر اذا طيبتها بالملح والابازير وقال الشاعر يخاطب
رجلا ويمدحه * عرفت كاتب عرفته اللطائم * يقول كما عرف الاتب وهذا البقير والنقر
والبقيرة الاتب وهو قميص لا كمي له تلبسه النسا وقيل هو من وضع الطعام بعضه على
بعض من كثرته يقال حرير معرف اي بعضه على بعض وهو من العرف المتتابع كعرف
الفرس وقيل عرفها لهم اي وفقهم للطاعة حتى استوجبوا الجنة وقيل عرف اهل السما
انها لهم اظهارا لكرامتهم فيها وقيل عرف المطيعين المومنين انها لهم قوله تعالى
يايها الذين امنوا ان تنصروا الله ينصركم اي ان تنصروا دين الله ينصركم على الكفار
نظيره ولينصرن الله من ينصره وقد تقدم وقال قطرب ان تنصروا نبي الله ينصركم الله
والمعنى واحد ويثبت اقدامكم اي عند القتال وقيل على الاسلام وقيل على الصراط
وقيل المراد تثبيت القلوب بالامن فيكون تثبيت الاقدام عبارة عن النصر والمعونة
في مواطن الحرب وقد مضى في الانفال هذا المعنى وقال هناك اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين امنوا فاثبت هناك واسطة ونفاها هنا كقوله قل يتوفاكم
ملك الموت ثم نفاه بقوله هو الذي خلقكم ثم يميتكم الذي خلق الموت والحياة ومثله
كثير فلا فاعل الا الله وحده قوله تعالى والذين كفروا يحتمل الرفع على الابتدا
والنصب بما يفسره فتعسا لهم كانه قال اتعس الذين كفروا وتعسا نصب على المصدر بسبيل
الدعا قاله الفرا مثل سقيا لهم ورعيا وهو نقيض لعا له قال الاعشى والتعس
اولى لها من ان اقول لعا وفيه عشرة اقوال الاول بعدا لهم قاله ابن عباس وابن جريج
الثاني حزنا لهم قاله السدي الثالث شقا لهم قاله ابن زيد الرابع شتما لهم من
الله قاله الحسن الخامس هلاكا لهم قاله ثعلب السادس خيبة لهم قاله الضحاك
وابن زياد السابع قبحا لهم حكاه النقاش الثامن رغما لهم قاله الضحاك ايضا التاسع
شرا لهم قاله ثعلب ايضا العاشر شقوة لهم قاله ابو العالية وقيل ان التعس هو
الانحطاط والعثار قال ابن السكيت التعس ان يخر على راسه قال والتعس ايضا
الهلاك قال الجوهري واصله الكب وهو ضد الانتعاش وقد تعس بفتح العين
تعسا واتعسه الله قال مجمع بن هلال تقول وقد افردتها من خليلها * تعست
كما اتعستني يا مجمع * يقال تعسا لفلان اي الزمه الله هلاكا قال القشيري وجوز
قوم تعس بكسر العين قال القرطبي ومنه حديث ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة ان
اعطي رضي وان لم يعط لم يرض خرجه البخاري في بعض طرق هذا الحديث تعس
وانتكس واذا شيك فلا انتقش خرجه ابن ماجه قوله تعالى واضل اعمالهم
اي ابطلها لانها كانت في طاعة الشيطان ودخلت الفا في قوله فتعسا لاجل
الابهام الذي في الذين وجاز واضل اعمالهم على الخبر حملا على لفظ الذي لانه
خبر في اللفظ بدخول الفا حملا على المعنى واضل حملا على اللفظ قوله تعالى
ذلك بانهم كرهوا ما انزل الله اي ذلك الاضلال والاتعاس لانهم كرهوا ما انزل
الله من الكتب والشرائع فاحبط اعمالهم اي ما لهم من صور الخيرات كعمارة المسجد

وقرى

وقري الضيف واصناف القرب ولا يقبل الله العمل الا من مومن وقيل احبط اعمالهم
اي عبادة الصنم قوله تعالى افلم يسيروا في الارض بين احوال المومن والكافر
تنبيها على وجوب الايمان ثم وصل هذا بالنظر اي الم يسيروا هولا في ارض عاد وثمود وقوم
لوط وغيرهم ليعتبروا بهم فينظروا بقلوبهم كيف كان اخر الكافرين قبلهم دمر الله عليهم
اي اهلكهم واستاصلهم يقال دمره تدميرا ودمر عليه بمعنى ثم تواعد مشركي مكة فقال
وللكافرين امثالها اي امثال هذه الفعلة يعني التدمير وقال الزجاج والطبري الها
تعود على العاقبة اي وللكافرين من قريش عاقبة تكذيب الامم السالفة ان لم يومنوا
قوله تعالى ذلك بان الله مولى الذين امنوا اي وليهم وناصرهم وفي حرف ابن مسعود
ذلك بان الله ولي الذين امنوا فالمولى الناصر ها هنا قاله ابن عباس وغيره قال فغدت
كلا الفرجين تحسب انه * مولى المخافة خلفها وامامها * قال قتادة نزلت يوم احد والنبي صلى
الله عليه وسلم في الشعب اذ صاح المشركون يوم بيوم لنا العزى ولا عزى لكم فقال
النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم وقد تقدم وان الكافرين لا مولى
لهم لا ينصرهم احد من الله قوله تعالى ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات
الاية تقدم في غير موضع والذين كفروا يتمتعون في الدنيا كانهم انعام ليس لهم همة الا
بطونهم وفروجهم ساهون عما في غدهم وقيل المومن في الدنيا يتزود والمنافق
يتزين والكافر يتمتع والنار مثوى لهم اي مقام ومنزل قوله تعالى وكاين من قرية
تقدم الكلام في كاين في ال عمران وهي هنا بمعنى كم اي وكم من قرية وانشد الاخفش
قول لبيد * وكاين راينا من ملوك وسوقة * ومفتاح قيد للاسير المكبل *
فيكون معناه وكم من اهل قرية هي اشد قوة من قريتك التي اخرجتك اي اخرجك اهلها
اهلكناهم فلا ناصر لهم قال قتادة وابن عباس لما خرج النبي صلى الله عليه وسلم من
مكة الى الغار التفت الى مكة وقال اللهم انت احب البلاد الى الله وانت احب البلاد الي
ولولا المشركون اهلك اخرجوني لما خرجت منك فنزلت ذكره الثعلبي وهو صحيح من
حديث كذا في الاصل قوله تعالى افمن كان على بينة من ربه الالف الف تقرير ومعنى
على بينة اي على ثبات ويقين قاله ابن عباس وابو العالية وهو محمد صلى الله عليه وسلم
والبينة الوحي كمن زين له سوء عمله اي عبادة الاصنام وهو ابو جهل والكفار واتبعوا
اهواءهم اي ما اشتهوا وهذا التزيين من جهة الله خلقا ويجوز ان يكون من الشيطان
دعاء ووسوسة ويجوز ان يكون من الكافرين اي زين لنفسه سوء عمله واصر على
الكفر وقال سوء على لفظ من واتبعوا على معناه قوله تعالى مثل الجنة التي وعد
المتقون لما قال جل وعز ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات وصف
تلك الجنات اي صفة الجنة المعدة للمتقين وقد مضى الكلام في هذا في الرعد وقرا
علي بن ابي طالب مثال الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير اسن اي غير
متغير الرائحة والاسن من الماء مثل الاجن وقد اسن الماء ياسن ويأسن اسونا اذا تغيرت
رائحته وكذا اجن الماء ياجن ويأجن اجنا واجونا ويقال بالكسر فيهما اسن واجن ياسن
ويأجن اسنا واجنا قاله اليزيدي واسن الرجل ايضا ياسن بالكسر لا غير اذا دخل
البير فاصابته ريح منتنة من ريح البير او غير ذلك فغشي عليه او دار راسه قال
زهير * قد اترك القرن مصفرا انامله * يميد في الرمح ميد المائح الاسن *
ويروى الوسن وتاسن الماء تغير ابو زيد تاسن علي تاسنا اعتل وابطا
ابو عمرو تاسن الرجل اباه اخذ اخلاقه وقال اللحياني اذا نزع اليه في الشبه وقراءة
العامة اسن بالمد وقرا ابن كثير وحميد اسن بالقصر وهما لغتان مثل حاذر وحذر وقال
الاخفش اسن للحال واسن مثل فاعل يراد به الاستقبال وانهار من لبن لم يتغير طعمه
اي لم يحمض بطول المقام كما تتغير البان الدنيا الى الحموضة وانهار من خمر لذة للشاربين
اي لم تدنسها الارجل ولم ترنقها الايدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم طيبة الشرب
لا يتكرهها الشاربون يقال شراب لذ ولذيذ بمعنى واستلذه عده لذيذا وانهار من عسل

مصفى العسل ما يسيل من لعاب النحل مصفى اي من الشمع والقذى خلقه الله كذلك
لم يطبخ على نار ولا دنسه النحل وفي الترمذي عن حكيم بن معاوية عن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر ثم تشقق الانهار بعد
وقال حديث حسن صحيح وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار الجنة وقال كعب نهر دجلة نهر
ماء الجنة ونهر الفرات نهر لبنهم ونهر مصر نهر خمرهم ونهر سيحان نهر عسلهم وهذه الانهار
الاربعة تخرج من نهر الكوثر والعسل يذكر ويونث وقال ابن عباس من عسل مصفى
اي لم يخرج من بطون النحل ولهم فيها من كل الثمرات من زائدة للتاكيد ومغفرة من ربهم
اي لذنوبهم كمن هو خالد في النار قال الفراء المعنى افمن يخلد في هذا النعيم كمن يخلد
في النار وقال الزجاج اي افمن كان على بينة من ربه واعطي هذه الاشياء كمن زين
له سوء عمله وهو خالد في النار فقوله كمن زين بدل من قوله سوء عمله وقال ابن
كيسان مثل هذه الجنة التي فيها الثمار والانهار كمثل النار التي فيها الحميم والزقوم
ومثل اهل الجنة في النعيم المقيم كمثل اهل النار في العذاب المقيم وسقوا ماء حميما
اي حارا شديد الغليان اذا ادني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فاذا
شربوه قطع امعاءهم واخرجها من دبورهم والامعاء جمع معى والتثنية معيان
وهو جميع ما في البطن من الحوايا قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك اي من هولاء
الذين يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام وزين لهم سوء عملهم قوم يستمعون اليك
وهم المنافقون عبد الله بن ابي بن سلول ورفاعة بن التابوت وزيد بن الصلت
والحارث بن عمرو ومالك بن جشم كانوا يحضرون الخطبة يوم الجمعة فاذا سمعوا ذكر
المنافقين فيها اعرضوا عنه فاذا خرجوا سالوا عنه قاله الكلبي ومقاتل فيستمعون
منه ما يقول فيعيه المومن ولا يعيه الكافر فاذا خرجوا من عندك اي اذا فارقوا
مجلسك قالوا للذين اوتوا العلم قال عكرمة هو عبد الله بن عباس قال ابن عباس
كنت ممن يسال اي كنت من الذين اوتوا العلم وفي رواية عن ابن عباس انه يريد
عبد الله بن مسعود وقال القاسم بن عبد الرحمن هو ابو الدرداء وقال ابن زيد
انهم الصحابة ماذا قال انفا الان على جهة الاستهزاء اي انا لم التفت الى قوله انفا يراد
به الساعة التي هي اقرب الاوقات من قولك استانفت الشيء اذا ابتدات به ومنه
امر انف وروضة انف اي لم يرعها احد وكاس انف اذا لم يشرب منها شيء كانه استونف
شربها يقال روضة انف وقال الشاعر ٥

٥ ويحرم سر جارتهم عليهم ٥ وياكل جارهم انف القصاع ٥ وقال اخر
٥ ان الشواء والنشيل والرغف ٥ والقينة الحسناء والكاس الانف ٥
٥ للطاعنين الخيل والخيل خنف ٥ وقال امرؤ القيس ٥ قد غدا يحملني في انفه ٥

اي في اوله وانف كل شيء اوله وقال قتادة في هولاء المنافقين الناس رجلان
رجل عقل عن الله فانتفع بما سمع وقال يقال الناس ثلاثة فسامع عامل وسامع
عاقل تارك وسامع غافل تارك والله اعلم قوله تعالى اولئك الذين طبع الله
على قلوبهم فلم يومنوا واتبعوا اهواءهم في الكفر والذين اهتدوا الى الايمان زادهم
هدى وقيل زادهم النبي صلى الله عليه وسلم هدى وقيل ما يستمعونه من القران هدى
وقيل زادهم اعراض المنافقين واستهزاوهم هدى وفي الهدى الذي زادهم اربعة
اقاويل احدها زادهم علما اي انهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا قاله الضحاك الثالث
زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم قاله الكلبي الرابع شرح صدورهم بما هم
عليه من الايمان واتاهم تقواهم اي الهمهم اياها وقيل فيه خمسة اوجه احدها اتاهم
الخشية قاله الربيع الثاني ثواب تقواهم في الاخرة قاله السدي الثالث وفقهم
للعمل الذي فرض عليهم قاله مقاتل الرابع بين لهم ما يتقون قاله ابن زياد والسدي
ايضا الخامس انه ترك المنسوخ والعمل بالناسخ قاله عطية الماوردي ويحتمل سادسا

انه

انه ترك الرخص والاخذ بالعزائم وقرئ واعطاهم بدل واتاهم وقال عكرمة هذه
نزلت فيمن امن من اهل الكتاب قوله تعالى فهل ينظرون الا الساعة ان تاتيهم
بغتة اي فجاة وهذه وعيد للكفار فقد جاء اشراطها اي اماراتها وعلاماتها
وكانوا قد قروا في كتبهم ان محمدا صلى الله عليه وسلم اخر الانبياء فبعثه من اشراطها
وادلتها قاله الضحاك والحسن وفي الصحيح عن انس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين وضم السبابة والوسطى لفظ مسلم وخرجه
البخاري والترمذي وابن ماجه ويروى بعثت والساعة كفرسي رهان وقيل
اشراط الساعة اسبابها التي هي دون معظمها ومنه يقال للدون من الناس الشرط
وقيل يعني علامات الساعة انشقاق القمر والدخان قاله الحسن ايضا وعن الكلبي
كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الارحام وقلة الكرام وكثرة اللئام وقد
اتينا على هذا الباب في كتاب التذكرة مستوفى والحمد لله وواحد الاشراط شرط واصله
الاعلام ومنه قيل الشرط لانهم جعلوا لانفسهم علامة يعرفون بها ومنه الشرط في البيع
وغيره وقال ابو الاسود ٥ فان كنت قد ازمعت بالصرم بيننا ٥ فقد جعلت اشراط
اوله تبدو ويقال اشرط فلان نفسه في عمل كذا اي اعلمها وجعلها له وقال اوس بن حجر
يصف رجلا تدلى بحبل من راس جبل الى نبقة ليقطعها يتخذ منها قوسا ٥

٥ فاشرط نفسه فيها وهو معصم ٥ والقى باسباب له وتوكلا ٥

ان تاتيهم بغتة ان بدل اشتمال من الساعة نحو قوله ان تطاوهم وقرئ بغتة بوزن
جربة وهي غريبة لم ترد في المصادر اختها وهي مروية عن ابي عمرو واخاف ان يكون الصواب
بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن وروى ابو جعفر الرواسي وغيره عن اهل
مكة ان تاتيهم بغتة قال المهدوي ومن قرا ان تاتهم بغتة كان الوقف على الساعة
ثم استانف الشرط وما يحتمله الكلام من الشك مردود الى الخلق كانه قال ان شكوا في
مجيئها فقد جاء اشراطها فانى لهم اذا جاءتهم ذكراهم ابتدا وانى لهم الخبر والضمير
المرفوع في جاءتهم للساعة التقدير فانى لهم التذكرة اذا جاءتهم الساعة بغتة قاله
معناه قتادة وغيره وقيل فكيف لهم بالنجاة اذا جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة قاله
ابن زيد وفي الذكرى وجهان احدهما تذكيرهم بما عملوه من خير او شر الثاني هو دعاوهم
باسمائهم تبشيرا او تخويفا روى ابان عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال احسنوا
اسماءكم فانكم تدعون يوم القيامة يا فلان قم الى نورك يا فلان قم لا نور لك ذكره
الماوردي قوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وفيه وان كان الرسول عالما بالله
ثلاثة اوجه يعني اعلم ان الله اعلمك ان لا اله الا الله الثاني ما علمته استدلالا
فاعلمه خبرا يقينا الثالث يعني فاذكر ان لا اله الا الله فعبر عن الذكر بالعلم لحدوثه
عنه وعن سفيان بن عيينة انه سئل عن فضل العلم فقال الم تسمع قوله فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك فامر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا انما الحياة الدنيا
لعب ولهو الى قوله سابقوا الى وقال انما اموالكم واولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم
وقال واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه ثم امر بالعمل بعد قوله تعالى
واستغفر لذنبك فيه وجهان احدهما يعني استغفر الله ان يقع منك ذنب الثاني
استغفر الله ليعصمك من الذنوب وقيل لما ذكر له حال الكافرين والمومنين امره
بالثبات على الايمان اي اثبت على ما انت عليه من التوحيد والاخلاص والحذر
عما يحتاج الى استغفار وقيل الخطاب له والمراد به الامة وعلى هذا القول توجب
الاية استغفار الانسان لجميع المومنين وقد كان عليه السلام يضيق صدره من
كفر الكفار والمنافقين فنزلت الاية اي فاعلم انه لا كاشف يكشف ما بك الا الله فلا
تعلق قلبك باحد سواه وقيل امر بالاستغفار لتقتدي به الامة وللمومنين والمومنات
ولذنوبهم وهذا امر بالشفاعة وروى مسلم عن عاصم الاحول عن عبد الله بن سرجس
المخزومي قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واكلت من طعامه فقلت يا رسول الله ٥

غفر الله لك فقال له صاحبي استغفر لك النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم ولك ثم تلى
هذه الاية واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ثم تحولت فنظرت الى خاتم النبوة بين
كتفيه جمع خيلان كانها الثاليل قوله تعالى والله يعلم متقلبكم ومثواكم فيه خمسة
اقوال احدها يعلم اعمالكم في تصرفكم واقامتكم الثاني متقلبكم في اعمالكم نهارا ومثواكم
في ليلكم نياما وقيل متقلبكم في الدنيا ومثواكم في الاخرة قاله ابن عباس والضحاك
وقال عكرمة متقلبكم في اصلاب الآباء الى ارحام الامهات ومثواكم مقامكم في الارض وقال
ابن كيسان متقلبكم من ظهر الى بطن الدنيا ومثواكم في القبور قلت والعموم يأتي على
هذا كله ولا يخفى عليه سبحانه شيء من حركات بني آدم وسكناتهم وكذا جميع خلقه فهو
عالم بجميع ذلك قبل كونه جملة وتفصيلا اولى واخرى سبحانه لا اله الا هو قوله تعالى
ويقول الذين امنوا اي المؤمنون المخلصون لولا نزلت سورة اشتياقا للوحي وحرصا
على الجهاد وثوابه ومعنى لولا هلا فاذا انزلت سورة محكمة لا نسخ فيها قال قتادة
كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة وهي اشد القران وفي قراءة عبد الله فاذا انزلت
سورة محدثة اي محدثة النزول وذكر فيها القتال اي فرض فيها الجهاد وقرئ فاذا
انزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال رأيت الذين في قلوبهم
مرض اي شك ونفاق ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت اي نظر مغمومين
مغتاظين بتحديد وتحديق كمن يشخص بصره عند الموت وذلك لجبنهم عند
القتال جزعا وهلعا وميلهم في السر الى الكفار قوله تعالى فاولى لهم طاعة
وقول معروف فاولى لهم قال الجوهري وقولهم اولى لك تهدد ووعيد قال الشاعر

* فاولى ثم اولى ثم اولى * وهل للدر يحلب من مرد *

قال الاصمعي معناه قاربه ما يهلكه اي نزل به وانشد

* فعادى بين هادتين منها * واولى ان يزيد على الثلاث *

اي قارب ان يزيد قال ثعلب ولم يقل احد في اولى احسن مما قال الاصمعي وقال
المبرد يقال لمن هم بالعطب ثم افلت اولى لك اي قاربت العطب كما روي ان اعرابيا
كان يوالي رمي الصيد فيفلت منه فيقول اولى لك ثم رمى صيدا فقاربه ثم افلت
منه فقال * فلو كان اولى يطعم القوم صيدهم * ولكن اولى يترك القوم جوعا *
وقيل هو كقول الرجل لصاحبه يا محروم اي شيء فاتك وقال الجرجاني هو مأخوذ من
الويل فهو افعل ولكن فيه قلب وهو ان عين الفعل وقع موقع اللام وقد تم
الكلام على قوله فاولى لهم قال قتادة كأنه قال العقاب اولى لهم وقيل اي وليهم
المكروه ثم قال طاعة وقول معروف فيحذف المبتدأ فيوقف على فاولى لهم وكذا
من قدر يقولون منا طاعة وقيل ان الاية الثانية متصلة بالاولى واللام في قوله
لهم بمعنى الباء وقيل ان الطاعة اي الطاعة اولى واليق بهم واحق لهم من ترك امتثال
امر الله وفي قراءة ابي يقولون طاعة وقول معروف وقيل ان الطاعة نعت لسورة
على تقدير فاذا انزلت سورة ذات طاعة فلا يوقف على هذا فاولى لهم وقال ابن
عباس ان قولهم طاعة اخبار من الله عز وجل عن المنافقين والمعنى لهم طاعة
وقول معروف قيل وجوب الفرائض شق عليهم نزولها فيوقف على هذا فاولى قوله
تعالى فاذا عزم الامر اي جد القتال او وجب فرض القتال كرهوه فكرهوه جواب
اذا وهو محذوف وقيل المعنى فاذا عزم اصحاب الامر فلو صدقوا الله اي في الايمان
والجهاد لكان خيرا لهم من المعصية والمخالفة قوله تعالى فهل عسيتم ان توليتم
ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فهل
عسيتم ان توليتم اختلف في معنى ان توليتم فقيل هو من الولاية قال ابو العالية
المعنى فهل عسيتم ان توليتم الحكم فجعلتم حكاما ان تفسدوا في الارض باخذ الرشا
وقال الكلبي اي فهل عسيتم ان توليتم امر الامة ان تفسدوا في الارض بالظلم
وقال ابن جريج المعنى فهل عسيتم ان توليتم عن الطاعة ان تفسدوا في الارض بالمعاصي

وقطع الارحام وقال كعب المعنى فهل عسيتم ان توليتم الامر ان يقتل بعضكم بعضا وقيل هو
من الاعراض عن الشيء قال قتادة اي فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض بسفك الدما
الحرام وتقطعوا ارحامكم وقيل فهل عسيتم اي فلعلكم ان اعرضتم عن القتال وفارقتم احكامه
ان تفسدوا في الارض فتعودوا الى جاهليتكم وقرئ بفتح السين وكسرها وقد مضى في
البقرة مستوفى القول فيه بكر المزني انها نزلت في الحرورية والخوارج وفيه بعد والاظهر
انها عني بها المنافقون وقال ابن حيان قريش ونحوه قال المسيب بن شريك والفراء قالا
نزلت في بني امية وبني هاشم ودليل هذا التأويل ما روى عبد الله بن مغفل قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض ثم قال
هم هذا الحي من قريش اخذ الله عليهم ان ولوا الناس ان لا يفسدوا في الارض ولا يقطعوا
ارحامهم وقرأ علي بن ابي طالب ان توليتم ان تفسدوا في الارض بضم التاء والواو وكسر
اللام وهي قراءة ابن ابي اسحاق ورويس عن يعقوب يقول ان وليتم ولاة جائرة خرجتم
معهم في الفتنة وحاربتموهم وتقطعوا ارحامكم بالبغي والظلم والقتل وقرأ سلام ويعقوب
وعيسى وابو حاتم وتقطعوا بفتح التاء وتخفيف القاف من القطع اعتبارا بقوله تعالى
ويقطعون ما امر الله به ان يوصل وروى هذه القراءة هرون عن ابي عمرو وقرأ الحسن
وتقطعوا مفتوحة الحروف المشددة اعتبارا بقوله تعالى وتقطعوا امرهم بينهم الباقون
وتقطعوا بضم التاء مشددة الطاء من التقطيع على التكثير وهو اختيار ابي عبيد
وتقدم ذكر عسيتم في البقرة وقال الزجاج في قراءة نافع لو جاز هذا لجاز عسي بالكسر
قال الجوهري عسيت ان افعل ذلك وعسيت بالكسر وقرئ فهل عسيتم بالكسر قلت
ويدل قوله على هذا انها لغتان وقد مضى القول فيه في البقرة مستوفى اولئك
لعنهم الله اي طردهم وابعدهم فاصمهم عن الحق واعمى ابصارهم اي قلوبهم عن الخير
فاتبع الاخبار بان من فعل ذلك حقت عليه لعنته وسلبه الانتفاع بسمعه وبصره
حتى لا ينقاد للحق وان سمعه فجعله كالبهيمة التي لا تعقل وقال فهل عسيتم ثم قال
اولئك الذين لعنهم الله فرجع من الخطاب الى الغيبة على عادة العرب في ذلك *
الثانية قوله تعالى افلا يتدبرون القران اي يتفهمونه فيعلمون ما اعد الله
للذين لم يتولوا عن الاسلام ام على قلوب اقفالها اي بل على قلوب اقفال اقفلها
الله عز وجل عليهم فهم لا يعقلون وهذا يرد على القدرية والامامية مذهبهم وفي
حديث مرفوع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان عليها اقفالا كاقفال الحديد حتى
يكون الله يفتحها واصل القفل اليبس والصلابة ويقال لما يبس من الشجر القفل
والقفيل مثله والقفيل ايضا نبت والقفيل ايضا السوط قال الراجز كيف قربت
سنحك الازبا العزب بكسر القاف المسن عن الاصمعي واقفله الصوم اي ايبسه قاله
القشيري والجوهري والاقفال ها هنا اشارة الى ارتتاج القلب وخلوه عن الايمان
اي لا يدخل قلوبهم الايمان ولا يخرج منها الكفر لان الله طبع على قلوبهم وقال على
قلوب لانه لو قال على قلوبهم لم يدخل قلب غيرهم في هذه الجملة والمراد على قلوب
هؤلاء وقلوب من كانوا بهذه الصفة اقفالها الثالثة في صحيح مسلم عن ابي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت
الرحم فقالت هذا مقام العائذ من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع
من قطعك قالت بلى قال فذاك لك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤوا ان شئتم
فهل عسيتم ان توليتم الاية وظاهر الاية انه خطاب لجميع الكفار وقال قتادة وغيره
معنى الاية فلعلكم او يخاف عليكم ان اعرضتم عن الايمان ان تعودوا الى الفساد بسفك
الدما الحرام وتقطعوا الارحام وعصوا الرحمن فالرحم على هذا دين الايمان والاسلام
التي قد سماها الله اخوة بقوله تعالى انما المؤمنون اخوة وعلى قول الفراء الاية نزلت
في بني هاشم وبني امية والمراد من اضمر منهم نفاقا فاشار بقطع الرحم على ما كان بينهم وبين
النبي صلى الله عليه وسلم وذلك يوجب القتال وبالجملة فالرحم على وجهين عامة

وخاصة فالعامة رحم الدين ويجب مواصلتها بالتزام الايمان والمحبة لاهله ونصرته والنصيحة وترك مضارتهم والعدل بينهم والنصفة في معاملتهم والقيام بحقوقهم الواجبة كتمريض المرضى وحقوق الموتى من غسلهم والصلاة عليهم ودفنهم وغير ذلك من الحقوق المترتبة لهم واما الرحم الخاصة وهي رحم القرابة كالنفقة وتفقد احوالهم وترك التغافل عن تعاهدهم في اوقات ضروراتهم وتتاكد في حقهم حقوق الرحم العامة حتى اذا تزاحمت الحقوق بدئ بالاقرب فالاقرب قال بعض اهل العلم ان الرحم التي تجب صلتها هي كل رحم محرم وعليه فلا تجب في بني الاعمام وبني الاخوال وقيل بل هذا في كل رحم ممن ينطلق عليه ذلك من ذوي الارحام في المواريث محرما كان او غير محرم فيخرج من هذا ان رحم الام التي لا يتوارث بها لا تجب صلتهم ولا يحرم قطعهم وهذا ليس بصحيح والصحيح ان كل ما يشمله ويعمه الرحم تجب صلته على كل حال قربة ودينية على ما ذكرناه اولا والله اعلم وقد روى ابو داود الطيالسي في مسنده قال ثنا شعبة قال اخبرنا محمد بن عبد الجبار قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عن ابي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان للرحم لسانا يوم القيامة تحت العرش يقول يا رب قطعت يا رب ظلمت يا رب اسيء الي فيجيبها ربها الا ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وفي صحيح مسلم عن جبير بن مطعم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة قاطع يعني رحم قال ابن ابي عمر قال سفيان يعني قاطع رحم رواه البخاري قوله عليه السلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم خلق بمعنى اخترع واصله التقدير كما تقدم والخلق بمعنى المخلوق ومنه قوله تعالى هذا خلق الله اي مخلوقه ومعنى فرغ منهم اي كمل خلقهم لا انه اشتغل بهم ثم فرغ من شغله بهم اذ ليس فعله بمباشرة ولا مناولة ولا خلقه باله ولا محاولة تعالى عن ذلك وقوله قامت الرحم فقالت يحمل على احد وجهين احدهما ان يكون الله تعالى اقام ملكا يتكلم عن الرحم من الملائكة فيقول ذلك وكانه وكل بهذه العبادة من يناضل عنها ويكتب ثواب من وصلها ووزر من قطعها كما قال وكل الله بسائر الاعمال كراما كاتبين وبمشاهدة اوقات الصلوات ملائكة متعاقبين وثانيهما ان ذلك على جهة التقدير والتمثيل المفهم للاعياء وشدة الاعتناء فكانه قال لو كانت الرحم ممن يعقل ويتكلم لقالت هذا الكلام كما قال تعالى لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله ثم قال وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون وقوله فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة مقصود هذا الكلام الاخبار بتاكد صلة الرحم وانه تعالى قد نزلها بمنزلة من استجار به فاجاره وادخله في ذمته وحفظه واذا كان كذلك فجار الله غير مخذول وعهده غير منقوض ولذلك قال مخاطبا للرحم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع من قطعك وهذا كما قال عليه السلام من صلى الصبح فهو في ذمة الله فلا يطلبنكم الله من ذمته بشيء فانه من يطلبه بذمته بشيء يدركه ثم يكبه في النار على وجهه قوله تعالى ان الذين ارتدوا على ادبارهم قال قتادة هم كفار اهل الكتاب كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعدما عرفوا نعته عندهم قاله ابن جريج وقال ابن عباس والضحاك والسدي هم المنافقون قعدوا عن القتال بعدما علموه في القران الشيطان سول لهم اي زين لهم خطاياهم قاله الحسن واملى لهم اي مد لهم الشيطان في الامل ووعدهم طول العمر عن الحسن ايضا وقيل ان الذي املى لهم في الامل ومد لهم في اجالهم هو الله عز وجل قاله الفراء والمفضل وقال الكلبي ومقاتل ان معنى املى لهم امهلهم بالامهال في عذابهم وقرا ابو عمرو وابن اسحاق وعيسى بن عمر وابو جعفر وشيبة واملي لهم بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء على وجه الخبر من الله عز وجل عن نفسه انه يفعل ذلك بهم كانه قال وانا املي لهم واختاره ابو حاتم قال لان فتح الهمزة يوهم ان الشيطان يملي لهم وليس كذلك فلهذا عدل الى الضم قال المهدوي ومن قرا واملى لهم فالفاعل اسم الله تعالى وقيل الشيطان واختار ابو عبيد قراءة العامة قال لان المعنى معلوم لقوله لتؤمنوا بالله

ورسوله

ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه رد التسبيح على اسم الله والتوقير والتعزير على اسم الرسول قوله تعالى ذلك بانهم قالوا اي ذلك الاملاء لهم حتى يتمادوا في الكفر بانهم قالوا يعني المنافقين واليهود للذين كرهوا ما نزل الله وهم المشركون سنطيعكم في بعض الامر اي في مخالفة محمد والتظاهر على عداوته والقعود عن الجهاد معه وتوهين امره في السر وهم انما قالوا ذلك سرا فاخبر الله نبيه وقراءة العامة اسرارهم بفتح الهمزة جمع سر وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم وقرا الكوفيون وابن وثاب والاعمش وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم اسرارهم بكسر الهمزة على المصدر نحو قوله تعالى واسررت لهم اسرارا جمع لاختلاف ضروب السر قوله تعالى فكيف اي فكيف تكون حالهم اذا توفتهم الملائكة يضربون اي ضاربين فهو في موضع الحال ومعنى الكلام التخويف والتهديد اي ما حيلتهم حين الموت الخداع فاني انفعتهم العبرة وقد مضى في الانفال والنحل وقال ابن عباس لا يتوفى احد على معصية الا بضرب شديد لوجهه وقفاه وقيل ذلك عند القتال نصرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان حملت على المنافقين فهو اشارة الى ما اضمروا عليه من الكفر وكرهوا رضوانه يعني الايمان فاحبط اعمالهم اي ما عملوه من صدقة وصلة رحم وغير ذلك على ما تقدم قوله تعالى ام حسب الذين في قلوبهم مرض نفاق وشك يعني المنافقين ان لن يخرج الله اضغانهم الاضغان ما يضمر من المكروه واختلف في معناه فقال السدي يعني غشهم وقال ابن عباس حسدهم وقال قطرب عداوتهم وانشد

• قل لابن هند ما اردت بمنطق • ساء الصديق وسيد الاضغانا •

وقيل احقادهم واحدها ضغن قال • وذي ضغن كففت النفس عنه • [illegible]

وقد تقدم وقال عمرو بن كلثوم •

• وان الضغن بعد الضغن يفشو • عليك ويخرج الداء الدفينا •

قال الجوهري الضغن والضغينة الحقد وقد ضغن عليه بالكسر ضغنا وتضاغن القوم واضطغنوا ابطنوا على الاحقاد واضطغنت الصبي اذا اخذته تحت حضنك وانشد الاحمر

• كانه مضطغن صبيا • اي حامل في حجره وقال ابن مقبل

• اذا اضطغنت سلاحي عند مغرضها • ومرفق كرئاس السيف اذ شسفا •

وفرس ضاغن لا يعطي ما عنده من الجري الا بالضرب والمعنى ام حسبوا ان لن يظهر الله عداوتهم وحقدهم لاهل الاسلام ولو نشاء لاريناكهم اي لعرفناكهم قال ابن عباس وقد عرفه اياهم في سورة براءة تقول العرب سارتك ما اصنع اي ساعلمك ومنه قوله تعالى بما اراك الله اي بما اعلمك ولتعرفنهم بسيماهم اي بعلاماتهم قال انس ما خفي على النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية احد من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في غزاة وفيها سبعة من المنافقين يشكوا الناس فاصبحوا ذات ليلة وعلى جبهة كل واحد منهم مكتوب هذا منافق فذلك سيماهم وقال ابن زيد قد اراد الله اظهارهم فامر ان يخرجوا من المسجد فابوا الا ان يتمسكوا بلا اله الا الله فحقنت دماؤهم ونكحوا وانكحوا بها ولتعرفنهم في لحن القول اي في فحواه ومعناه ومنه قول الشاعر • وخير الكلام ما كان لحنا •

اي ما عرف بالمعنى ولم يصرح به ماخوذ من اللحن في الاعراب وهو الذهاب عن الصواب ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم انكم لتختصمون الي ولعل بعضكم يكون الحن بحجته من بعض اي اذهب بها في الجواب لقوته على تصريف الكلام ابو زيد لحنت له بالفتح الحن لحنا اذا قلت له قولا يفقهه عنك ويخفى على غيره ولحنه هو عني بالكسر يلحنه لحنا اذا فهمه والحنته انا اياه ولاحنت الناس فاطنتهم قال الفزاري وحديث الذه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا منطق رائع وتلحن احيانا وخير الحديث ما كان لحنا يريد انها تتكلم بشيء وهي تريد غيره وتعرض في حديثها فتزيله عن جهته من فطنتها وذكائها وقد قال تعالى ولتعرفنهم في لحن القول وقال القتال الكلابي •

• ولقد وحيت لكم لكيما تفهموا • ولحنت لحنا ليس بالمرتاب • وقال [illegible]

• ولحنت لحنا فيه غش ورابني • صدودك ترضين الوشاة الاعاديا •

قال الكلبي فلم يتكلم بعد نزولها منافق عند النبي صلى الله عليه وسلم الا عرفه وقيل
كان المنافقون يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم بكلام تواضعوه فيما بينهم والنبي صلى
الله عليه وسلم يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد فنبهه الله تعالى عليه وكان بعد هذا
يعرف المنافقين اذا سمع كلامهم قال انس فلم يخف منافق بعد هذه الاية على رسول
الله صلى الله عليه وسلم عرفه الله ذلك بوحي او علامة عرفها بتعريف الله اياها والله
يعلم اعمالكم لا يخفى عليه شيء منها قوله تعالى ولنبلونكم اي نتعبدكم بالشرائع وان
علمنا عواقب الامور وقيل لنعاملنكم معاملة المختبرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
قال ابن عباس حتى نعلم حتى نميز وقال علي رضي الله عنه حتى نعلم حتى نرى
وقد مضى في البقرة وقراءة العامة بالنون في ولنبلونكم ونعلم ونبلو وقرا ابو بكر عن
عاصم بالياء فيهن وروى رويس عن يعقوب اسكان الواو من نبلو على القطع من قبل
ونصب الباقون ردا على قوله حتى نعلم وهذا العلم هو العلم الذي يقع به الجزاء لانه انما
يجازيهم باعمالهم لا بعلمه القديم عليهم فتاويله حتى نعلم المجاهدين علم شهادة لانهم
اذا امروا بالعمل يشهد منهم ما عملوا فالجزاء بالثواب والعقاب يقع على علم الشهادة ونبلو
اخباركم نختبرها ونظهرها قال ابراهيم بن الاشعث كان الفضيل بن عياض اذا قرا
هذه الاية بكى وقال اللهم لا تبتلينا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا قوله
تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله يرجع الى المنافقين او اليهود فقال
ابن عباس هم المطعمون يوم بدر ونظيرها ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا
عن سبيل الله الاية وشاقوا الرسول اي عادوه وخالفوه من بعد ما تبين لهم الهدى اي
علموا انه نبي بالحجج والايات لن يضروا الله بكفرهم وسيحبط اعمالهم اي ثواب ما عملوه
قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لما
بين تعالى حال الكفار امر المؤمنين بلزوم الطاعة في اوامره والرسول في سننه
ولا تبطلوا اعمالكم اي حسناتكم بالمعاصي قاله الحسن وقال الزهري بالكبائر وابن جريج
بالرياء والسمعة وقال مقاتل الثعالبي بالمن وهو خطاب لمن كان يمن على النبي صلى
الله عليه وسلم باسلامه وكله متقارب وقول الحسن يجمعه وفيه اشارة الى ان
الكبائر تحبط الطاعات والمعاصي تخرج عن الايمان الثانية احتج علماؤنا وغيرهم
بهذه الاية على ان التحلل من التطوع صلاة كان او صوما بعد التلبس به لا يجوز
لان فيه ابطال العمل وقد نهى الله عنه وقال من اجاز ذلك وهو الشافعي وغيره
المراد بذلك ابطال ثواب العمل المفروض فنهى الرجل عن احباط ثوابه فاما ما كان
نفلا فلا لانه ليس واجبا عليه فان زعموا ان اللفظ عام فالعام يجوز تخصيصه
ووجه تخصيصه ان النفل تطوع والتطوع يقتضي تخييرا وعن ابي العالية كانوا
يرون انه لا يضر مع الاسلام ذنب حتى نزلت هذه الاية فخافوا الكبائر ان تحبط
الاعمال وقال مقاتل يقول الله تعالى اذا عصيتم الرسول فقد ابطلتم اعمالكم
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم
بين ان الاعتبار بالوفاة على الكفر يوجب الخلود في النار وقد مضى في البقرة
الكلام فيه وقيل ان المراد بالاية اصحاب القليب وحكمها عام قوله تعالى فلا
تهنوا وتدعوا الى السلم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى فلا تهنوا اي تضعفوا
عن القتال والوهن الضعف وقد وهن الانسان ووهنه غيره يتعدى ولا يتعدى
قال اني لست بموهون فقر ووهن ايضا بالكسر وهنا اي ضعف وقرئ فلا تهنوا
بضم الهاء وكسرها وقد مضى في ال عمران الثانية قوله تعالى وتدعوا الى السلم اي
الصلح وانتم الاعلون اي وانتم اعلم بالله منهم وقيل وانتم الاعلون في الحجة وقيل
المعنى وانتم الغالبون لانكم مؤمنون وان غلبوكم في الظاهر في بعض الاحوال
وقال قتادة لا تكونوا اول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها الثالثة اختلف العلماء

في

في حكمها فقيل انها ناسخة لقوله تعالى وان جنحوا للسلم فاجنح لها لان الله تعالى منع
من الميل الى الصلح اذا لم يكن بالمسلمين حاجة الى الصلح وقيل منسوخة بقوله تعالى
وان جنحوا للسلم فاجنح لها وقيل هي محكمة والايتان نزلتا في وقتين مختلفي الحال
وقيل ان قوله وان جنحوا للسلم فاجنح لها مخصوص في قوم باعيانهم والاخرى عامة
فلا يجوز مهادنة الكفار الا عند الضرورة وذلك اذا عجزنا عن مقاومتهم لضعف المسلمين
وقد مضى هذا المعنى مستوفى والله معكم اي بالنصر والمعونة مثل وان الله لمع المحسنين
ولن يتركم اعمالكم اي لن ينقصكم عن ابن عباس وغيره والموتور الذي قتل له قتيل فلم
يدرك بدمه تقول منه وتره يتره وترا وترة ومنه قوله عليه السلام من فاتته
صلاة العصر فكانما وتر اهله وماله اي ذهب بهما وكذلك وتره حقه اي نقصه وقوله
تعالى لن يتركم اعمالكم اي لن ينتقصكم من اعمالكم كما تقول دخلت البيت وانت تريد
في البيت قاله الجوهري الفراء ولن يتركم هو مشتق من الوتر وهو الذحل وقيل هو مشتق
من الوتر وهو الفرد فكان المعنى ولن يفردكم بغير ثواب قوله تعالى انما الحياة الدنيا
لعب ولهو تقدم في الانعام وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم اجوركم شرط وجوابه ولا يسألكم
اموالكم اي لا يامركم باخراج جميعها في الزكاة بل امر باخراج البعض قاله ابن عيينة وغيره
وقيل لا يسألكم اموالكم وانما يسألكم امواله لانه املك بها وهو المنعم باعطائها وقيل
لا يسألكم محمد اجرا على تبليغ الرسالة نظيره قل ما اسألكم عليه من اجر الاية ان يسألكموها
فيحفكم يلح عليكم يقال احفى بالمسألة والحف والح بمعنى واحد والحفي المستقصي في السؤال
وكذلك الاحفاء الاستقصاء في الكلام والمنازعة ومنه احفى شاربه اذا استقصى في
اخذه تبخلوا ويخرج اضغانكم اي يخرج البخل اضغانكم قال قتادة قد علم الله ان في سؤال المال خروج
الاضغان وقرا ابن عباس ومجاهد وابن محيصن وحميد ونخرج بنون مفتوحة وراء
مضمومة اضغانكم بالرفع لكونه الفاعل وروى الوليد عن يعقوب الحضرمي ونخرج
بالنون وابو معمر عن عبد الوارث عن ابي عمرو بالرفع على الجيم على القطع والاستئناف
والمشهور عنه ويخرج كسائر القراء عطف على ما تقدم قوله تعالى ها انتم هؤلاء
ايها المؤمنون تدعون لتنفقوا في سبيل الله اي في الجهاد وطريق الخير فمنكم من يبخل
ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اي على نفسه اي يمنعها الاجر والثواب والله الغني
اي ليس يحتاج الى اموالكم وانتم الفقراء اليها وان تتولوا يستبدل قوما غيركم اي اطوع
لله منكم روى الترمذي عن ابي هريرة قال تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم
هذه الاية وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم قالوا ومن يستبدل
بنا قال فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على منكب سلمان ثم قال هذا وقومه
قال حديث غريب في اسناده مقال وقد روى عبد الله بن جعفر بن نجيح
والد علي بن المديني ايضا هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة
قال قال اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله من هؤلاء الذين
ذكر الله ان تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا امثالنا قال وكان سلمان الى جنب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخذ سلمان قال
هذا واصحابه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال
من فارس وقال الحسن هم العجم وقال عكرمة هم فارس والروم قال المحاسبي ولا احد
بعد العرب من جميع اجناس العجم احسن دينا ولا كانت منهم العلماء الا الفرس وقيل
انهم اهل اليمن وهم الانصار قاله شريح بن عبيد وكذا قال ابن عباس هم الانصار
وعنه انهم الملائكة وعنه هم التابعون وقال مجاهد انهم من شاء من سائر الناس ثم
لا يكونوا امثالكم قال الطبري اي في البخل بالانفاق في سبيل الله وحكي عن ابي موسى الاشعري
انه لما نزلت هذه الاية فرح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هي احب الي من الدنيا والله اعلم

سورة الفتح مدنية باجماع

وهي ست وعشرون ايه ونزلت ليلا بين مكة والمدينة في شان الحديبية روى
محمد بن اسحاق عن الزهري عن عروة بن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا
نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شان الحديبية من اولها الى اخرها وفي
الصحيحين عن زيد بن اسلم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسير في
بعض اسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلا فساله عمر عن شي فلم يجبه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم ساله فلم يجبه ثم ساله فلم يجبه فقال عمر بن الخطاب ثكلتك ام
عمر نزرت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك قال عمر فحركت
بعيري ثم تقدمت امام الناس وخشيت ان ينزل في قران فجئت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لقد انزلت علي الليلة سورة لهي احب الي مما طلعت عليه الشمس ثم
قرا انا فتحنا لك فتحا مبينا لفظ البخاري وقال الترمذي حديث حسن صحيح وفي
صحيح مسلم عن قتادة عن انس بن مالك انه حدثهم قال لما نزلت انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله فوزا عظيما مرجعه من الحديبية وهم يخالطهم الحزن والكابة وقد
نحر الهدي بالحديبية فقال لقد انزلت علي اية هي احب الي من الدنيا جميعا وقال عطا
عن ابن عباس ان اليهود شمتوا بالنبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما نزلت قوله وما
ادري ما يفعل بي ولا بكم قالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر ونحوه قال مقاتل بن سليمان قال لما نزل قوله تعالى
وما ادري ما يفعل بي ولا بكم قالوا كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به فاشتد ذلك
على النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر ونحوه قال مقاتل بن سليمان قال لما نزل قوله
تعالى وما ادري ما يفعل بي ولا بكم فرح المشركون والمنافقون وقالوا كيف نتبع
رجلا ما يدري ما يفعل به ولا باصحابه فنزل بعد ما رجع من الحديبية انا فتحنا لك
فتحا مبينا اي قضينا لك قضا فنسخت هذه الاية تلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لقد انزلت علي سورة ما يسرني بها حمر النعم وقال المسعودي بلغني انه من قرا
سورة الفتح اول ليلة من رمضان في صلاة التطوع حفظه الله ذلك العام

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا اختلف في هذا الفتح ما هو ففي البخاري
حدثني محمد بن بشار قال حدثنا غندر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة
عن انس انا فتحنا لك فتحا مبينا قال الحديبية وقال جابر ما كنا نعد فتح مكة
الا يوم الحديبية وقال الفرا تعدون انتم الفتح فتح مكة وقد كان فتح مكة فتحا
ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان يوم الحديبية كنا نعد مع النبي صلى الله عليه
وسلم اربع عشرة مايه والحديبية بير وقال الضحاك انا فتحنا لك فتحا مبينا
بغير قتال وكان الصلح من الفتح وقال مجاهد هو منحره بالحديبية وحلقه
راسه وقال كان فتح الحديبية اية عظيمة نزح ماوها فمج فيها فدرت الما حتى شرب
جميع من كان معه وقال موسى بن عقبة قال رجل منصرفهم عن الحديبية ما هذا
بفتح لقد صدونا عن البيت فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هو اعظم الفتوح
قد رضي المشركون ان يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسالوكم القضية ويرغبوا اليكم
في الامان وهذا وامنتم ما كرهوا وقال الشعبي في قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا
مبينا قال هو فتح الحديبية لقد اصاب فيها ما لم يصب في غزوة لقد غفر الله
له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وبويع بيعة الرضوان واطعموا نخل خيبر وبلغ
الهدي محله وظهرت الروم على فارس ففرح المومنون بظهور اهل الكتاب
على المجوس وقال الزهري لقد كان الحديبية اعظم الفتوح وذلك ان النبي صلى

الله

الله عليه وسلم جا اليها في الف واربعماية فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم في بعض
وعلموا وسمعوا عن الله فاراد احد الاسلام الا تمكن منه فلما مضت تلك السنتان الا وقد
جا المسلمون الى مكة في عشرة الاف وقال مجاهد ايضا والعوفي هو فتح خيبر والاول
اكثر وخيبر انما كانت وعدا وعدوه على ما ياتي بيانه في قوله سيقول المخلفون اذا انطلقتم
وقوله وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها فعجل لكم هذه وقال مجمع بن جارية وكان
احد القرا الذين قروا القران شهدنا الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم فلما انصرفنا
عنها اذا الناس يهزون الاباعر فقال بعض الناس لبعض ما بال الناس قالوا اوحي
الله الى النبي صلى الله عليه وسلم قال فخرجنا نوجف فوجدنا نبي الله صلى الله عليه
وسلم عند كراع الغميم فلما اجتمع الناس قرا النبي صلى الله عليه وسلم انا فتحنا لك فتحا مبينا
قال عمر بن الخطاب او فتح هو يا رسول الله قال نعم والذي نفسي بيده انه لفتح فقسمت
خيبر على اهل الحديبية وقيل ان قوله تعالى فتحا يدل على ان مكة فتحت عنوة لان اسم
الفتح لا يقع مطلقا الا على ما فتح عنوة هذا هو حقيقة الاسم وقد يقال فتح البلد صلحا
فلا يفهم الصلح الا بان يقرن بالفتح فصار الفتح في الصلح مجازا والاخبار دالة على انها
فتحت عنوة وقد مضى القول فيها ويا تي قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر قال ابن الانباري فتحا مبينا وقف غير تام لان قوله ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك متعلق بالفتح كانه قال انا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك
مع الفتح المغفرة فيجمع لك به ما تقر به عينك في الدنيا والاخرة وقال ابو حاتم السجستاني
هي لام القسم وهذا خطا لان لام القسم لا تكسر ولا ينصب بها ولو جاز هذا لجاز ليقوم
زيد بتاويل ليقومن زيد قال الزمخشري فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة
قلت لم يجعله علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة
واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كانه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك
على عدوك ليجتمع لك عز الدارين واغراض العاجل والاجل ويجوز ان يكون فتح مكة
من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب وفي الترمذي عن انس قال
انزلت على النبي صلى الله عليه وسلم ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر مرجعه
من الحديبية فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد انزلت علي اية هي احب الي مما على
وجه الارض ثم قراها النبي صلى الله عليه وسلم عليهم فقالوا هنيا مريا يا رسول الله
لقد بين الله لك ما يفعل بك فماذا يفعل بنا فنزلت ليدخل المومنين والمومنات جنات
تجري من تحتها الانهار حتى بلغ فوزا عظيما قال حديث حسن صحيح وفيه عن مجمع بن
جارية واختلف اهل التاويل في معنى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر
فقيل ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر بعدها قاله مجاهد ونحوه قال
الطبري وسفيان الثوري هو راجع الى قوله تعالى اذا جا نصر الله والفتح ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا
ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك قبل الرسالة وما تاخر الى وقت نزول هذه الاية وقيل
ما تقدم مما عملته في الجاهلية وما تاخر كل شي لم تعمله ... قبل ان
يوحى اليك وما تاخر كل شي لم تعمله وقاله الواحدي وتقدم الكلام في جريان الصغاير
على الانبيا في سورة البقرة فهذا قول وقيل ما تقدم قبل الفتح وما تاخر قبل
الفتح وقيل ما تقدم قبل نزول هذه الاية وما تاخر بعدها وقال عطا الخراساني
ما تقدم من ذنبك يعني من ذنب ابويك ادم وحوى وما تاخر من ذنوب امتك به
وقيل من ذنب ابيك ابراهيم وما تاخر من ذنب النبيين وقيل ما تقدم من ذنب يوم
بدر وما تاخر من ذنب يوم حنين وذلك ان الذنب المتقدم يوم بدر انه جعل يدعو
ويقول اللهم ان تهلك هذه العصابة فلا تعبد في الارض ابدا وجعل يردد هذا
القول دفعات فاوحى الله اليه من اين تعلم اني لو اهلكت هذه العصابة لا اعبد
ابدا فكان هذا الذنب المتقدم واما الذنب المتاخر فيوم حنين لما انهزم الناس
فقال لعمه العباس ولابن عمه ابي سفيان ناولاني كفا من حصبا الوادي فناولاه

فاخذ بيده ورمي به في وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه حم لا ينصرون فانهزم
القوم عن اخرهم فلم يبق احد الا امتلات عيناه رملا وحصا ثم نادي في اصحابه
ارجعوا فقال لهم عند رجوعهم لو لم ارمهم لم ينهزموا فانزل الله تعالى وما رميت
اذ رميت ولكن الله رمي فكان هذا الذنب المتاخر وقال ابو علي الروذباري
يقول لو كان لك ذنب قديم او حديث لغفرناه لك وقوله تعالى ويتم نعمته عليك
قال بن عباس في الجنة وقيل بالنبوة والحكمة وقيل بفتح مكة والطايف وخيبر
وقيل بخضوع من استكبر وطاعة من تجبر ويهديك صراطا مستقيما اي يثبتك
على الهدي الي ان يقبضك اليه وينصرك الله نصرا عزيزا اي غالبا منيعا لا يتبعه
ذل قوله تعالى هو الذي انزل السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
السكينة السكون والطمانينة قال بن عباس كل سكينة في القران فهي الطمانينة
الا التي في البقرة وتقدم معني زيادة الايمان في ال عمران قال بن عباس بعث
النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة ان لا اله الا الله فلما صدقوه فيها زادهم الصلاة
فلما صدقوه زادهم الحج ثم اكمل لهم دينهم فذلك قوله ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم
اي تصديقا بشرايع الايمان مع تصديقهم بالايمان وقال الربيع بن انس خشية
مع خشيتهم وقال الضحاك يقينا مع يقينهم ولله جنود السموات والارض قال
ابن عباس يريد الملايكة والجن والشياطين والانس وكان الله عليما حكيما
باحوال خلقه حكيما فيما يريد قوله تعالى ليدخل المومنين والمومنات جنات
تجري من تحتها الانهار اي انزل السكينة ليزدادوا ايمانا ثم تلك الزيادة سبب
ادخالهم الجنة وقيل اللام في ليدخل تتعلق بما تتعلق به اللام في قوله ليغفر
لك الله وكان ذلك اي ذلك الوعد من دخول مكة وغفران الذنوب عند الله فوزا
عظيما اي نجاة من كل غم وظفر بكل مطلوب وقيل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم
علي اصحابه ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر قالوا هنيا لك يا رسول الله فما
لنا فنزل ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري ولما قرا ويتم نعمته عليك قالوا
هنيا لك فنزلت واتممت عليكم نعمتي فلما قال ويهديك صراطا مستقيما ولما قال
وينصرك الله نصرا عزيزا نزل وكان حقا علينا نصر المومنين وهو كقوله ان الله
وملايكته يصلون على النبي ثم قال هو الذي يصلي عليكم وملايكته ذكره
القشيري قوله تعالى ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
باتصال الهموم اليهم بسبب علو كلمة المسلمين وبان يسلط النبي عليه السلام عليهم
قتلا واسرا واسترقاقا الظانين بالله ظن السوء يعني ظنهم ان النبي صلى الله عليه
وسلم لا يرجع الي المدينة ولا احد من اصحابه حين خرج الي الحديبية وان المشركين
يستاصلونهم كما قال بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الي اهليهم ابدا
وقال الخليل وسيبويه السوء هنا الفساد عليهم دايرة السوء في الدنيا بالقتل
والسبي والاسر وفي الاخرة بجهنم وقرا ابن كثير وابو عمرو دايرة السوء بالضم
وفتح الباقون قال الجوهري ساءه يسوءه سوءا بالفتح ومساءة وسايية نقيض سره
والاسم السوء بالضم وقرئ عليهم دايرة السوء يعني الهزيمة والشر ومن فتح فهو
من المساءة وغضب الله عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود
السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما تقدم في غير موضع جميعه والحمد لله وقيل
لما جري صلح الحديبية قال بن ابي ايظن محمد انه اذ صالح اهل مكة او فتحها
لا يبقي له عدو فاين فارس والروم وقيل يدخل فيه جميع المخلوقات وقال
ابن عباس يريد جنود السموات الملايكة وجنود الارض المومنون واعاد لان
الذي سبق ذكر المشركين من قريش وهذا عقيب ذكر المنافقين وساير المشركين
والمراد في الموضعين التخويف والتهديد فلو اراد اهلاك المشركين والمنافقين
لم يعجزه ذلك ولكن يوخرهم الي اجل مسمي قوله تعالى انا ارسلناك شاهدا

قال

قال قتادة علي امتك بالبلاغ وقيل شاهدا عليهم باعمالهم من طاعة او معصية
وقيل مبينا لهم ما ارسلناك به اليهم وقيل شاهدا عليهم يوم القيامة فهو شاهد افعالهم
اليوم والشهيد عليهم يوم القيامة وقد مضي في النساء عن سعيد بن جبير هذا المعني
مبينا ومبشرا لمن اطاعه بالجنة ونذيرا من النار لمن عصي قاله قتادة وغيره وقد
مضي في البقرة اشتقاق البشارة والنذارة ومعناهما وانتصب شاهدا ومبشرا ونذيرا
على الحال المقدرة حكي سيبويه مررت برجل معه صقر صايدا به غدا فالمعني انا ارسلناك
مقدرا بشهادتك يوم القيامة وعلى هذا تقول رايت عمرا قايما لتومنوا بالله ورسوله
وقرا ابن كثير وبن محيصن وابو عمرو ليومنوا بالياء وكذلك يعزروه ويوقروه ويسبحوه كله
بالياء على الخبر واختاره ابو عبيدة لذكر المومنين قبله وبعده فاما قبله فقوله ليدخل
واما بعده فقوله ان الذين يبايعونك الباقون بالتاء على الخطاب واختاره ابو حاتم
وابو عبيد وتعزروه اي تعظموه وتفخموه قاله الحسن والكلبي والتعزير التعظيم والتوقير
وقال قتادة تنصروه وتمنعوا منه ومنه التعزير في الحد لانه مانع قال القطامي

لا بكرت مي لغير سفاهة • تعاتب والمودود ينفعه العزر

وقال بن عباس وعكرمة تقاتلون معه بالسيف وقال بعض اهل اللغة تطيعوه
وتوقروه اي تسودوه قاله السدي وقيل تعظموه والتوقير التعظيم والترزين ايضا
والها فيهما للنبي صلى الله عليه وسلم وهنا وقف تام ثم يبتدي وتسبحوه اي تسبحوا الله
بكرة واصيلا اي عشيا وقيل الضماير كلها لله تعالى فعلى هذا يكون تاويل تعزروه
وتوقروه اي تثبتوا له صحة الربوبية وتنفوا عنه ان يكون له ولد او شريك واختار
هذا القول القشيري والاول قول الضحاك وعليه يكون بعض الكلام راجعا تعزروه
وتوقروه اي تدعوه بالرسالة والنبوة لا بالاسم والكنية وفي تسبحوه وجهان احدهما
تسبيحه بالتنزيه له سبحانه من كل قبيح والثاني هو فعل الصلاة التي فيها التسبيح
بكرة واصيلا اي غدوة وعشيا وقد مضي القول فيه وقال الشاعر

لعمري لانت البيت اكرم اهله • واجلس في افنايه بالاصايل

قوله تعالى ان الذين يبايعونك اي بالحديبية يا محمد انما يبايعون الله بين تعالى
ان بيعتهم لنبيه صلى الله عليه وسلم انما هي بيعة الله كما قال من يطع الرسول فقد
اطاع الله وهذه المبايعة هي بيعة الرضوان علي ما ياتي بيانها في هذه السورة ان شاء الله
يد الله فوق ايديهم قيل المعني يده في الثواب فوق ايديهم في الوفا ويده في المنة
عليهم بالهداية فوق ايديهم في الطاعة وقال الكلبي معناه نعمة الله عليهم فوق ما
صنعوا من البيعة قال بن كيسان قوة الله ونصرته فوق قوتهم فمن نكث بعد البيعة
فانما ينكث علي نفسه اي يرجع ضرر النكث عليه لانه حرم نفسه الثواب والزمها
العقاب ومن اوفي بما عاهد عليه الله قيل في البيعة وقيل في ايمانه فسنوتيه
اجرا عظيما يعني في الجنة وقرا حفص والزهري عليه الله بضم الها وجرها الباقون
وقرا نافع وبن كثير وبن عامر فسنوتيه واختاره الفرا وابو معاذ وقرا الباقون
بالياء وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لقرب اسم الله منه قوله تعالى سيقول
لك المخلفون من الاعراب قال مجاهد وبن عباس يعني اعراب غفار ومزينة
وجهينة واسلم واشجع والديل وهم الاعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن
النبي صلى الله عليه وسلم حين اراد السفر الي مكة عام الفتح بعد ان كان استنفرهم ليخرجوا
معه حذرا من قريش واحرم بعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس انه لا يريد حربا
فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل فنزلت وانما قال المخلفون لان الله خلفهم عن صحبة
نبيه والمخلف المتروك وقد مضي في براة شغلتنا اموالنا واهلونا اي ليس لنا من
يقوم بهما فاستغفر لنا جاوا يطلبون الاستغفار واعتقادهم بخلاف ظاهرهم ففضحهم
الله تعالى بقوله يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وهذا هو النفاق المحض قل
فمن يملك لكم من الله شيا ان اراد بكم ضرا قرا حمزة والكسايي ضرا بضم الضاد هنا فقط

اي امرا يضركم وقال ابن عباس الهزيمة الباقون بالفتح وهو مصدر ضره ضرا وبالضم اسم ما ينال الانسان من الهزال وسوء الحال والمصدر يؤدي عن المراد وكذلك واختاره ابو عبيد وابو حاتم قالا لانه قابله بالنفع وهو ضد الضر وقيل هما لغتان بمعنى كالفقر والفقر والضعف والضعف او اراد بكم نفعا اي نصرا وغنيمة وهذا رد عليهم حين ظنوا ان التخلف عن الرسول يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع قوله تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمومنون الى اهليهم ابدا وذلك انهم قالوا ان محمدا اكلة راس لا يرجعون وزين ذلك اي النفاق في قلوبكم وهذا التزيين من الشيطان او يخلق الله ذلك في قلوبهم وظننتم ظن السوء ان الله لا ينصر رسوله وكنتم قوما بورا اي هلكى قاله مجاهد وقال قتادة فاسدين لا يصلحون لشيء من الخير قال الجوهري البور الرجل الفاسد الهالك الذي لا خير فيه قال عبد الله بن الزبعري السهمي

يا رسول المليك ان لساني ۞ راتق ما فتقت اذ انا بور

وامراة بور ايضا حكاه ابو عبيد وقوم بور هلكى قال تعالى وكنتم قوما بورا وهو جمع بائر مثل حائل وحول وقد بار فلان اي هلك واباره الله اهلكه وقيل بورا اشرارا قاله ابن بحر وقال حسان بن ثابت

لا ينفع الطول من نوك القلوب وقد ۞ يهدي الاله سبيل المعشر البور

اي الهالك ومن لم يومن بالله ورسوله فانا اعتدنا وعيد لهم وبيان انهم كفروا بالنفاق قوله تعالى ولله ملك السموات والارض اي هو غني عن عباده وانما ابتلاهم بالتكليف ليثيب من امن ويعاقب من كفر وعصى قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها يعني مغانم خيبر لان الله عز وجل وعد اهل الحديبية فتح خيبر وانها لهم خاصة من غاب منهم ومن حضر قال ابن اسحاق وكان المتولي للقسمة بخيبر جبار بن صخر الانصاري من بني سلمة وزيد بن ثابت من بني النجار كانا حاسبين قاسمين ذرونا نتبعكم اي دعونا تقول ذره اي دعه وهو يذره اي يدعه واصله وذره يذره مثال وسعه يسعه وقد اميت صدره لا يقال وذره ولا وادر ولكن تركه وهو تارك قال مجاهد تخلفوا عن الخروج الى مكة فلما خرج النبي صلى الله عليه وسلم واخذ قوما ووجهه بهم قالوا ذرونا نتبعكم فنقاتل معكم يريدون ان يبدلوا كلام الله اي يغيروا قال ابن زيد هو قوله تعالى فان استاذنوك للخروج فقل لن تخرجوا الاية وانكر هذا القول الطبري وغيره بسبب ان غزوة تبوك كانت بعد خيبر وبعد فتح مكة وقيل المعنى يريدون ان يغيروا وعد الله الذي وعد لاهل الحديبية وذلك ان الله تعالى جعل لهم غنائم خيبر عوضا عن فتح مكة اذ رجعوا من الحديبية على صلح قاله مجاهد وقتادة قال واختاره الطبري وعليه عامة اهل التاويل وقرا حمزة والكسائي كلم باسقاط الالف وكسر اللام جمع كلمة نحو سلمة وسلم الباقون كلام على المصدر واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقوله تعالى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي والكلام ما استقل بنفسه من الجمل قال الجوهري الكلام اسم جنس يقع على القليل والكثير والكلم لا يكون اقل من ثلاث كلمات لانه جمع كلمة مثل نبقة ونبق ولهذا قال سيبويه هذا باب علم ما الكلم من العربية ولم يقل ما الكلام لانه اراد نفس ثلاثة اشياء الاسم والفعل والحرف فجاء بما لا يكون الا جمعا وترك ما يمكن ان يقع على الواحد والجماعة وتميم تقول هي كلمة بكسر الكاف وقد مضى في براءة القول كذلكم قال الله من قبل رجوعنا من الحديبية ان غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة فسيقولون بل تحسدوننا ان نصيب معكم من الغنائم وقيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خرجتم لم امنعكم الا انه لا سهم لكم فقالوا هذا حسدا فقال المسلمون قد اخبرنا الله في الحديبية بما سيقولونه وهو قوله تعالى فسيقولون بل تحسدوننا فقال الله تعالى بل كانوا لا يفقهون الا قليلا يعني لا يعلمون الا امر الدنيا وقيل لا يفقهون من امر الدين الا قليلا وهو من

ترك

ترك النفاق قوله تعالى قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولي باس شديد فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ستدعون اي قل لهؤلاء القوم الذين تخلفوا عن الحديبية ستدعون الى قوم اولي باس شديد قال ابن عباس وعطا ابن ابي رباح ومجاهد وابن ابي ليلى وعطا الخراساني هم فارس وقال كعب والحسن وعبد الرحمن بن ابي ليلى الروم وقال ابن جبير هوازن وثقيف وقال عكرمة هوازن وقال قتادة هوازن وغطفان يوم حنين وقال الزهري ومقاتل بنو حنيفة اهل اليمامة اصحاب مسيلمة وقال رافع بن خديج والله لقد كنا نقرا هذه الاية فيما مضى ستدعون الى باس شديد ولا نعلم من هم حتى دعانا ابو بكر الى قتال بني حنيفة فعلمنا انهم هم وقال ابو هريرة لم تات هذه الاية بعد وظاهر الاية يرده الثانية في هذه الاية دليل على صحة امامة ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لان ابا بكر دعاهم الى قتال بني حنيفة وعمر دعاهم الى قتال فارس والروم واما قول عكرمة وقتادة ان ذلك في هوازن وغطفان يوم حنين فلا لانه يمتنع ان يكون الداعي لهم الرسول عليه السلام لانه قال لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا فدل على ان المراد بالداعي غير النبي صلى الله عليه وسلم ومعلوم انه لم يدع هولاء القوم بعد النبي صلى الله عليه وسلم الا ابو بكر وعمر رضي الله عنهما قال الزمخشري فان صح ذلك عن قتادة فالمعنى لن تخرجوا معي ابدا ما دمتم على ما انتم عليه من مرض القلوب والاضطراب في الدين او على قول مجاهد كان الموعد انهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم في المغنم والله اعلم الثالثة قوله تعالى تقاتلونهم اي يكون احد الامرين اما المقاتلة واما الاسلام لا ثالث لهما وفي حرف ابي او يسلموا بمعنى حتى يسلموا كما تقول كل او تشبع قال فقلت له

فقلت له لا تبك عينك انما ۞ نحاول ملكا او نموت فنعذرا

وقال الزجاج قال او يسلمون لان المعنى او هم يسلمون من غير قتال وهذا في قتال المشركين لا في اهل الكتاب الرابعة قوله تعالى فان تطيعوا يوتكم الله اجرا حسنا الغنيمة والنصر في الدنيا والجنة في الاخرة وان تتولوا كما توليتم من قبل عام الحديبية يعذبكم عذابا اليما وهو عذاب النار قوله تعالى ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج الاية قال ابن عباس لما نزلت وان تتولوا يعذبكم عذابا اليما قال اهل الزمانة كيف بنا يا رسول الله فنزلت ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اي لا اثم عليهم في التخلف عن الجهاد لعماهم وزمانتهم وضعفهم وقد مضى في براءة وغيرها الكلام فيه مبينا والعرج افة تعرض لرجل واحدة واذا كان ذلك مخلا فالرجلين اولى ان يوثر وقال مقاتل هم اهل الزمانة الذين تخلفوا عن الحديبية وقد عذرهم اي من شاء ان يسير منهم معكم الى خيبر فليفعل ومن يطع الله ورسوله فيما امره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار قرا نافع وابن عامر ندخله بالنون على التعظيم الباقون بالياء واختاره ابو عبيد وابو حاتم لتقدم اسم الله ومن يتول يعذبه عذابا اليما قوله تعالى لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت الشجرة هذه بيعة الرضوان وكانت بالحديبية وهذا خبر الحديبية على اختصار وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم اقام منصرفه من غزوة بني المصطلق في شوال وخرج في ذي القعدة معتمرا واستنفر الاعراب الذين حول المدينة فابطا عنه اكثرهم وخرج صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والانصار ومن اتبعه من العرب وجميعهم نحو الف واربعمائة وقيل الف وخمسمائة وقيل غير هذا على ما ياتي وساق معه الهدي فاحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعلم الناس انه لم يخرج لحرب فلما بلغه خروج قريش خرج جمعهم صادين لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الحرام ودخول مكة وانه ان قاتلهم قاتلوه دون ذلك وقدموا خالد بن الوليد في خيل الى كراع الغميم فورد الخبر بذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعسفان وكان المخبر له بشر بن سفيان الكعبي فسلك طريقا يخرج به في ظهورهم وخرج الى الحديبية من اسفل مكة وكان دليله فيهم

رجل من اسلم فلما بلغ ذلك خيل قريش التي مع خالد جرت الى قريش تعلمهم بذلك فلما
وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحديبية بركت ناقته صلى الله عليه وسلم
فقال الناس خلات خلات فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما خلات وما هو لها بخلق
ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم الى خطة يسالوني فيها صلة
رحم الا اعطيتهم اياها ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هناك فقيل يا رسول الله
ليس بهذا الوادي ما فاخرج عليه السلام سهما من كنانته فاعطاه رجلا من اصحابه
فنزل في قليب من تلك القلب فغرزه في جوفه فجاش بالما الرواء حتى كفى جميع اهل
الجيش وقيل ان الذي نزل بالسهم في القليب ناجية بن جندب بن عمير الاسلمي وهو
سايق بدن النبي صلى الله عليه وسلم يومئذ وقيل نزل بالسهم في القليب البراء بن
عازب ثم جرت السفرا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش وطال
التراجع والتنازع الى ان جاه سهيل بن عمرو العامري فقاضاه الى ان ينصرف عليه
السلام عامه ذلك فاذا كان من قابل اتى معتمرا ودخل هو واصحابه مكة بلا سلاح
حاشا السيوف في قربها فيقيم بها ثلاثا ويخرج وعلى ان يكون بينهم وبينه صلح
عشرة اعوام يتداخل فيها الناس ويامن بعضهم بعضا وعلى من جاء من الكفار الى
المسلمين مسلما من رجل او امراة رد الى الكفار ومن جاء من المسلمين الى الكفار مرتدا
لم يردوه الى المسلمين فعظم ذلك على المسلمين حتى كان لبعضهم فيه كلام وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اعلم لما علمه الله من ان سيجعل للمسلمين فرجا فقال
لاصحابه اصبروا فان الله يجعل هذا الصلح سببا الى ظهور دينه فانس الناس الى
قوله هذا بعد نفارهم وابى سهيل بن عمرو ان يكتب في صدر صحيفة الصلح من
محمد رسول الله وقالوا له لو صدقناك بذلك ما دفعناك عما تريد فلا بد ان تكتب
باسمك اللهم فقال لعلي وكان يكتب صحيفة الصلح امح يا علي واكتب باسمك اللهم
فابى علي ان يمحو بيده محمد رسول الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضه
علي فاشار اليه فمحاه صلى الله عليه وسلم بيده وامره ان يكتب من محمد عبد الله
واتى ابو جندل بن سهيل يومئذ باثر كتاب الصلح وهو يرسف في قيوده رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى ابيه فعظم ذلك على المسلمين فاخبرهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخبر ابا جندل ان الله سيجعل له فرجا ومخرجا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قبل الصلح قد بعث عثمان بن عفان الى مكة رسولا
فجا خبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بان اهل مكة قتلوه فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حينئذ الى المبايعة له على الحرب فروي انه بايعهم على الموت
وروي انه بايعهم على ان لا يفروا وهي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي اخبر الله
تعالى انه رضي عن المبايعين لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها واخبر انهم
لا يدخلون النار وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيمينه على شماله
لعثمان فهو كمن شهدها وذكر وكيع عن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي قال
اول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية ابو سنان الاسدي
وفي صحيح مسلم عن جابر قال كنا يوم الحديبية الفا واربعماية فبايعناه وعمر
اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة قال بايعناه على ان لا نفر ولم نبايعه
على الموت وعنه ايضا انه سمع جابرا يسل كم كانوا يوم الحديبية قال كانوا اربع
عشرة ماية فبايعناه وعمر اخذ بيده تحت الشجرة وهي سمرة فبايعنا غير جد بن
قيس الانصاري اختبا تحت بطن بعيره وعن سالم بن ابي الجعد قال سالت
جابر بن عبد الله عن اصحاب الشجرة فقال لو كنا ماية الف لكفانا كنا الفا وخمسماية
وفي رواية كنا خمس عشرة ماية وعن عبد الله بن ابي اوفى قال كان اصحاب
الشجرة الفا وثلاث ماية وكانت اسلم ثمن المهاجرين وعن يزيد بن ابي عبيد قال
قلت لسلمة على اي شي بايعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية قال على

الموت وعن البراء بن عازب قال كتب علي رضي الله عنه الصلح بين النبي صلى الله عليه
وسلم وبين المشركين يوم الحديبية فكتب هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالوا لولا نكتب رسول الله فلو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك فقال النبي صلى
الله عليه وسلم لعلي امحه فقال ما انا بالذي امحاه فمحاه النبي صلى الله عليه وسلم بيده
وكان فيما اشترطوا ان يدخلوا مكة فيقيموا فيها ثلاثا ولا يدخلها بسلاح الا جلبان
السلاح القراب وما فيه وعن انس ان قريشا صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم فيهم سهيل
ابن عمرو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال سهيل بن
عمرو اما بسم الله فما ندري ما بسم الله الرحمن الرحيم ولكن اكتب ما نعرف باسمك اللهم فقال
اكتب من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو علمنا انك رسوله لاتبعناك ولكن
اكتب اسمك واسم ابيك فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكتب من محمد بن عبد الله
فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم ان من جاء منكم لم نرده عليكم ومن جاء منكم
رددتموه علينا فقالوا يا رسول الله انكتب هذا قال نعم انه من ذهب منا اليهم فابعده
الله ومن جاء منهم فسيجعل الله له فرجا ومخرجا وعن ابي وايل قال قام سهل بن
حنيف يوم صفين فقال يا ايها الناس اتهموا انفسكم لقد كنا مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم الحديبية ولو نرى قتالا لقاتلنا وذلك في الصلح الذي كان بين رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين فجا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله السنا على حق وهم على باطل قال بلى
قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال بلى قال ففيم نعطي الدنية
في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم قال يا ابن الخطاب اني رسول الله ولن
يضيعني الله ابدا قال فانطلق عمر فلم يصبر متغيظا فاتى ابا بكر فقال يا ابا بكر السنا
على حق وهم على باطل قال بلى قال اليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار قال
بلى قال فعلام نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم فقال
يا ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله ابدا قال فنزل القران على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالفتح فارسل الى عمر فاقراه اياه فقال يا رسول الله او فتح هو قال
نعم فطابت نفسه ورجع قوله تعالى فعلم ما في قلوبهم اي من الصدق والوفا
قاله الفرا وقال قتادة وابن جريج من الرضى بامر البيعة على ان لا يفروا وقال
مقاتل من كراهة البيعة على ان يقاتلوا معه على الموت فانزل السكينة عليهم حتى
بايعوا وقيل فعلم ما في قلوبهم من الكآبة بصد المشركين اياهم وتخلف رويا النبي صلى
الله عليه وسلم عنهم اذ راى انه يدخل الكعبة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انما ذلك رويا منام وقال الصديق لم يكن فيها الدخول في هذا العام والسكينة الطمانينة
وسكون النفس الى صدق الوعد وقيل الصبر واثابهم فتحا قريبا قال قتادة وابن
ابي ليلى فتح خيبر وقيل فتح مكة وقرى واتاهم ومغانم كثيرة ياخذونها يعني اموال
خيبر وكانت خيبر ذات عقار واموال وكانت خيبر بين الحديبية ومكة فنعام على
هذا بدل من فتحا قريبا والواو مقحمة وقيل ومغانم فارس والروم قوله تعالى
وعدكم الله مغانم كثيرة تاخذونها قال مجاهد وابن عباس انها المغانم التي تكون
الى يوم القيامة وقال ابن زيد هي مغانم خيبر فعجل لكم هذه اي خيبر قاله
مجاهد وقال ابن عباس عجل لكم صلح الحديبية وكف ايدي الناس عنكم يعني اهل مكة
كفهم عنكم بالصلح وقال قتادة كف ايدي اليهود عن المدينة بعد خروج النبي صلى الله
عليه وسلم الى الحديبية وخيبر وهو اختيار الطبري لان كف ايدي المشركين بالحديبية
مذكور في قوله وهو الذي كف ايديهم عنكم وقال ابن عباس في كف ايدي الناس عنكم
يعني عيينة بن حصن الفزاري وعوف بن مالك النضري ومن كان معهما اذ جاوا
اهل خيبر والنبي صلى الله عليه وسلم حاصرهم فالقى الله عز وجل في قلوبهم الرعب
وكفهم عن المسلمين ولتكون اية للمومنين اي ولتكون هزيمتهم وسلامتكم اية للمومنين

فتعلموا ان الله يحرسكم في مشهدهم ومغيبهم وقيل اي ولتكون كف ايديهم عنكم اية
للمؤمنين وقيل اي ولتكون هذه التي عجلها لكم اية للمؤمنين على صدقك حيث
وعدتهم ان يصيبوها والواو في ولتكون مقحمة عند الكوفيين وقال البصريون عاطفة
على مضمر اي وكف ايدي الناس عنكم لتشكروه ولتكون اية للمؤمنين ويهديكم صراطا
مستقيما اي يزيدكم هدى او يثبتكم على الهداية قوله تعالى واخرى معطوفة على
هذه اي فعجل لكم هذه المغانم ومغانم اخرى لم تقدروا عليها قد احاط الله بها قال
ابن عباس هي الفتوح التي فتحت على المسلمين كارض فارس والروم وجميع ما فتحه
المسلمون وهو قول الحسن ومقاتل وابن ابي ليلى وعن ابن عباس ايضا والضحاك
وابن زيد وابن اسحاق هي خيبر وعدها الله نبيه قبل ان يفتتحها ولم يكونوا يرجونها
حتى اخبرهم الله بها وعن الحسن ايضا وقتادة هو مكة وقال عكرمة حنين لانه
قال لم تقدروا عليها وهذا يدل على تقدم محاولة لها وفوات درك المطلوب في الحال
كما كان في مكة قاله القشيري وقال مجاهد ما يكون الى يوم القيامة ومعنى قد
احاط الله بها اي اعدها لكم فهي كالشيء الذي قد احيط به من جوانبه وهو محصور
لا يفوت فانتم وان لم تقدروا عليها فهي محبوسة عليكم لا تفوتكم وقيل قد احاط الله
بها علم انها ستكون لكم كما قال وان الله قد احاط بكل شيء علما وقيل حفظها الله عليكم ليكون
فتحها لكم وكان الله على كل شيء قديرا قوله تعالى ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا
الادبار قال قتادة يعني كفار قريش في الحديبية وقيل ولو قاتلكم الذين كفروا
غطفان واسد والذين ارادوا نصرة اهل خيبر لكانت الدوائر عليهم ثم لا يجدون وليا
ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل يعني طريقة الله وعادته السالفة نصر
اوليائه على اعدائه وانتصب سنة على المصدر وقيل سنة الله كسنة الله والسنة
الطريقة والسيرة قال الشاعر

فلا تجزعن من سنة انت سرتها ۞ فاول راض سنة من يسيرها ۞

والسنة ايضا ضرب من تمر المدينة ولن تجد لسنة الله تبديلا قوله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وهي الحديبية من بعد ان اظفركم عليهم
روى يزيد بن هارون قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين رجلا
من اهل المدينة هبطوا على النبي صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين
يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فاخذناهم سلما فاستحييناهم وانزل
الله تعالى وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة من بعد ان اظفركم
عليهم وقال عبد الله بن مغفل المزني كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية
في اصل الشجرة التي قال الله في القران فبينا نحن كذلك اذ خرج علينا ثلاثون شابا
عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا فدعا عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ الله
بابصارهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل جئتم في عهد احد فاخذ الله
وهل جعل لكم احد امانا فقالوا اللهم لا فخلى سبيلهم فانزل الله عز وجل وهو الذي
كف ايديهم عنكم الاية وذكر ابن هشام عن وكيع وكانت قريش قد جاء منهم نحو سبعين
رجلا او ثمانين رجلا للايقاع بالمسلمين وانتهاز الفرصة في اطرافهم ففطن المسلمون
لهم فاخذوهم اسرى وكان ذلك والسفراء يمشون بينهم في الصلح فاطلقهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين يسمون العتقاء ومنهم معاوية وابوه وقال
مجاهد اقبل النبي صلى الله عليه وسلم معتمرا اذ اخذ اصحابه ناسا من الحرم غافلين
فارسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فذلك الاظفار ببطن مكة وقال قتادة ذكر لنا
ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له زنيم اطلع الثنية من
الحديبية فرماه المشركون بسهم فقتلوه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم فاتوا باثني
عشر فارسا من الكفار فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم هل لكم علي ذمة قالوا لا
فارسلهم فنزلت وقال ابن ابزى والكلبي هم اهل الحديبية كف الله ايديهم عن المسلمين

حتى

حتى وقع الصلح وكانوا خرجوا بجمعهم وقصدوا المسلمين وكف ايدي المسلمين عنهم
وقد تقدم ان خالد بن الوليد كان في خيل المشركين قال القشيري فهذه رواية
والصحيح انه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك الوقت وقد قال سلمة بن الاكوع
كانوا في امر الصلح اذ اقبل ابو سفيان فاذا الوادي يسيل بالرجال والسلاح قال فجئت
بستة من المشركين اسوقهم متسلحين لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا فاتيت بهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان عمر قال في الطريق يا رسول الله تاتي قوما حربا وليس
معنا سلاح ولا كراع فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة من الطريق
فاتوه بكل سلاح وكراع فاخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عكرمة بن ابي جهل خرج
اليك في خمسمائة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد بن الوليد هذا ابن عمك
اتاك في خمسمائة فقال خالد انا سيف الله وسيف رسوله فيومئذ سمي سيف الله فخرج
ومعه خيل وهزم الكفار ودفعهم الى حوائط مكة وهذه الرواية اصح وكان بينهم قتال
بالحجارة وقيل بالنبل والظفر وقيل اراد بكف اليد انه شرط في الكتاب ان من جاء منهم
فهو رد عليهم فخرج اقوام من مكة مسلمين وخافوا ان يردهم الرسول عليه السلام
الى المشركين فلحقوا بالساحل ومنهم ابو بصير وجعلوا يغيرون على الكفار وياخذون
عيرهم حتى جاء كبار قريش الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا اضممهم اليك حتى نامن ففعل
وقيل همت غطفان واسد منع المسلمين من يهود خيبر لانهم كانوا حلفاءهم فمنعهم الله عن
ذلك فهو قوله كف الايدي ببطن مكة فيه قولان احدهما يريد به مكة الثاني الحديبية لان
بعضها مضاف الى الحرم قال الماوردي وفي قوله من بعد ان اظفركم عليهم بفتح مكة وتكون
هذه نزلت بعد فتح مكة وفيها دليل على ان مكة فتحت صلحا لقوله تعالى كف ايديهم
عنكم وايديكم عنهم قلت والصحيح ان هذه الاية نزلت بالحديبية قبل فتح مكة حسب ما
قدمناه عن اهل التاويل من الصحابة والتابعين وروى الترمذي قال حدثنا عبد بن
حميد قال حدثني سليمان بن حرب قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن انس ان ثمانين هبطوا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من جبل التنعيم عند صلاة الصبح وهم يريدون
ان يقتلوه فاخذوا اخذا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو
الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الاية قال حديث حسن صحيح وقد تقدم واما فتح مكة
فالذي تدل عليه الاخبار انها انما فتحت عنوة وقد مضى القول في ذلك في الحج وغيرها
وكان الله بما تعملون بصيرا قوله تعالى هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدي
معكوفا ان يبلغ محله فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى يعني قريشا منعوكم دخول المسجد
الحرام عام الحديبية حين احرم النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه بعمرة ومنعوا الهدي
وحبسوه عن ان يبلغ الهدي محله وهذا كانوا لا يعتقدونه ولكنهم حملتهم الانفة ودعتهم
حمية الجاهلية الى ان يفعلوا ما لا يعتقدونه دينا فوبخهم الله على ذلك وتوعدهم عليه
وادخل الانس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيانه ووعيده الثانية قوله تعالى
والهدي معكوفا اي محبوسا وقيل موقوفا وقال ابو عمرو بن العلاء مجموعا الجوهري عكفه اي حبسه
ووقفه يعكفه ويعكفه عكفا ومنه قوله تعالى والهدي معكوفا يقال ما عكفك عن كذا ومنه
الاعتكاف في المسجد وهو الاحتباس ان يبلغ محله اي منحره قاله الفراء وقال الشافعي
الحرم وكذا قال ابو حنيفة المحصر محل هديه الحرم والمحل بكسر الحاء غاية الشيء وبالفتح هو
الموضع الذي يحله الناس وكان الهدي سبعين بدنة ولكن الله بفضله جعل ذلك الموضع
محلا له وقد اختلف العلماء في هذا على ما تقدم بيانه في البقرة عند قوله فان احصرتم
فما استيسر من الهدي والصحيح ما ذكرناه وفي صحيح مسلم عن ابي الزبير عن جابر بن
عبد الله قال نحرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية البدنة عن سبعة
والبقرة عن سبعة وعنه قال اشتركنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والعمرة كل سبعة
في بدنة فقال رجل لجابر ايشترك في البدنة ما يشترك في الجزور قال ما هي الا من البدن
وحضر جابر الحديبية قال ونحرنا يومئذ سبعين بدنة اشتركنا كل سبعة في بدنة

وفي البخاري عن ابن عمر قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم معتمرين فحال
كفار قريش دون البيت فنحر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدنه وحلق راسه قيل
ان الذي حلق راسه يومئذ خراش ابن امية بن ابي العيص الخزاعي بعد توقف كان
منهم اغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له ام سلمة لو نحرت لنحروا فنحر رسول
الله صلى الله عليه وسلم هديه ونحروا بنحره وحلق رسول الله صلى الله عليه وسلم هديه
راسه ودعا للمحلقين ثلاثا وللمقصرين مرة وراى كعب بن عجرة والقمل يسقط على وجهه
قال ابو ذلك هوام قال نعم فامره ان يحلق وهو بالحديبية خرجه البخاري والدارقطني
وقد مضى في البقرة الثالثة قوله تعالى والهدي الهدي لغتان وقرى حتى يبلغ الهدي
محله بالتخفيف والتشديد بالواحدة هديه وقد مضى في البقرة ايضا وهو معطوف
على الكاف والميم في صددكم ومعكوفا حال وموضع ان من قوله ان يبلغ الهدي محله
نصب على تقدير الحمل على صدهم كم اي صدوكم وصدوا الهدي على ان يبلغ ويجوز ان
يكون مفعولا له كانه قال وصدوا الهدي كراهة ان يبلغ محله ابو علي لا يصح حمله
على العطف لانا لا نعلم عطفا جا متعديا وجا معكوفا في الاية يجوز ان يكون محمولا على
المعنى كانه لما كان حبسنا حمل المعنى على ذلك حمل الرفث على معنى الافضا فعدي بالى فان
حمل على ذلك كان موضعه نصبا على قياس قول سيبويه وجرا على قياس قول الخليل
او يكون مفعولا له كانه قال محبوسا كراهة ان يبلغ الهدي محله ويجوز تقدير الجر في
ان لان عن تقدمت فكانه قال وصدوكم عن المسجد الحرام وصدوا الهدي ومثله ما
حكاه سيبويه عن يونس مررت برجل ان زيد وان عمرو فاضمر الجار لتقدم ذكره قوله
تعالى ولولا رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم ان تطوهم فتصيبكم منهم معرة
بغير علم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولولا رجال مومنون يعني المستضعفين
من المومنين بمكة وسط الكفار كسلمة بن هشام وعياش بن ابي ربيعة وابي جندل
ابن سهيل واشباههم لم تعلموهم اي تعرفوهم وقيل لم تعلموا انهم مومنون ان تطوهم
بالقتل والايقاع بهم يقال وطيت القوم اي اوقعت بهم وان يجوز ان يكون رفعا على
البدل من رجال ونسا كانه قال ولولا وطوكم رجالا مومنين ونسا مومنات ويجوز
ان يكون نصبا على البدل من الها والميم في تعلموهم فيكون التقدير لم تعلموا وطاهم
وهو في الوجهين بدل الاشتمال ولم تعلموهم نعت لرجال ونسا وجواب لولا محذوف
ولولا ان تطوا رجالا مومنين ونسا مومنات لم تعلموهم لاذن الله لكم في دخول
مكة ولسلطكم عليهم ولكنا صنا من كان فيها يكتم ايمانه خوفا وقال الضحاك ولا من
في اصلاب الكفار وارحامهم نسا يعم من رجال مومنين ونسا مومنات لم تعلموهم ان
تطوا اباهم فيهلك ابناوهم قوله تعالى فتصيبكم منهم معرة بغير علم المعرة العيب وهي
فعلة من العر وهو الجرب اي يقول المشركون قد قتلوا اهل دينهم وقيل المعنى يصيبكم
من قتلهم ما يلزمكم من اجله كفارة قتل الخطا لان الله تعالى انما اوجب على قاتل
المومن في دار الحرب اذا لم يكن هاجر منها ولم يعلم بايمانه الكفارة دون الديه في قوله
فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير رقبة مومنة قاله الكلبي ومقاتل وغيرهما
وقد مضى في النسا القول فيه وقال ابن زيد معرة اثم قال الجوهري وابن اسحاق وغرم
الدية قطرب شدة وقيل غم الثالثة قوله تعالى بغير علم تفضيل للصحابة واخبار
عن صفتهم الكريمة من العفة عن المعصية والعصمة عن التعدي حتى انهم لو اصابوا
من ذلك احدا لكان عن غير قصد وهذا كما وصفت النملة عن جند سليمان في قوله
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قوله تعالى ليدخل الله في رحمته من
يشا اللام في ليدخل متعلقة بمحذوف اي لو قتلتموهم لادخلهم الله في رحمته ويجوز
ان يتعلق بالايمان ولا يحمل على المومنين دون المومنات ولا على مومنات دون مومنين
لان الجميع يدخلون في الرحمة وقيل المعنى لم ياذن الله لكم في قتال المشركين ليسلم
بعد الصلح من قضى ان يسلم من اهل مكة وكذلك كان اسلم الكبير منهم وحسن اسلامه

ودخلوا

ودخلوا في رحمته اي جنته قوله تعالى لو تزيلوا اي تميزوا قاله القتبي وقيل لو تفرقوا
قاله الكلبي وقيل لو زال المومنون من بين اظهر الكفار لعذب الكفار بالسيف قاله
الضحاك ولكن الله يدفع بالمومنين عن الكفار وروي عن علي رضي الله عنه سالت
النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الاية لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا قال هم المشركون
من اجداد نبي الله ومن كان بعدهم وفي عصرهم كان في اصلابهم قوم مومنون فلو
تزيل المومنون عن اصلاب الكافرين لعذب الله تعالى الكافرين عذابا اليما الثالثة
هذه الاية دليل على مراعاة الكافر في حرمة المومن اذ لا يمكن اذاية الكافر الا باذاية
المومن قال ابو زيد قلت لابن القاسم ارايت لو ان قوما من المشركين في حصن من حصونهم
حصرهم اهل الاسلام وفيهم قوم من المسلمين اسارى في ايديهم ايحرق هذا الحصن ام لا
قال سمعت مالكا وسيل عن قوم من المشركين في مراكبهم انرمي في مراكبهم بالنار ومعهم
الاسارى في مراكبهم قال فقال مالك لا ارى ذلك لقوله تعالى لاهل مكة لو تزيلوا
لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما وكذلك لو تترس كافر بمسلم لم يجز رميه وان فعل ذلك
فاعل فاتلف احدا من المسلمين فعليه الدية والكفارة فان لم يعلموا فلا دية ولا كفارة وذلك
انهم اذا علموا فليس لهم ان يرموا فاذا فعلوه صاروا قتلة وخطا فالدية على عاقلتهم فان
لم يعلموا فلهم ان يرموا واذا ابيحوا الفعل لم يجز ان تبقى عليهم فيها تباعة قال ابن العربي
وقد قال جماعة ان معناه لو تزيلوا عن بطون النسا واصلاب الرجال وهذا ضعيف لان
من في الصلب او في البطن لا يوطا ولا يصيب منه معرة وهو سبحانه قد صرح فقال ولولا
رجال مومنون ونسا مومنات لم تعلموهم ان تطوهم وذلك لا ينطلق على من في بطن المراة
وصلب الرجال وانما ينطلق على مثل الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن ابي
ربيعة وابي جندل بن سهيل وكذلك قال مالك وقد حاصرنا مدينة الروم فحبس عنهم
الما فكانوا ينزلون الاسارى يستقون لهم الما فلا يقدر احد على رميهم بالنبل فيحصل لهم
الما بغير اختيارنا وقد جوز ابو حنيفة واصحابه والثوري الرمي في حصون المشركين وان
كان فيهم اسارى من المسلمين واطفالهم ولو تترس كافر بولد مسلم رمي المشرك وان اصيب
احد من المسلمين فلا دية فيه ولا كفارة وقال الثوري فيه الكفارة ولا دية وقال الشافعي
بقولنا وهذا ظاهر فان التوصل الى المباح بالمحظور لا يجوز سيما بروح المسلم فلا قول الا ما
قاله مالك والله اعلم قلت قد يجوز قتل الترس ولا يكون فيه اختلاف ان شا الله وذلك
اذا كانت المصلحة ضرورية كلية قطعية فمعنى كونها ضرورية انها لا يحصل الوصول الى
الكفار الا بقتل الترس ومعنى انها كلية انها قاطعة لكل الامة حتى يحصل من قتل الترس
مصلحة كل المسلمين فان لم يفعل قتل الكفار الترس واستولوا على كل الامة ومعنى كونها
قطعية ان تلك المصلحة حاصلة من قتل الترس قطعا قال علماونا وهذه المصلحة بهذه القيود
لا ينبغي ان يختلف في اعتبارها لان الفرض ان الترس مقتول قطعا فاما بايدي العدو فتحصل المفسدة
العظيمة التي هي استيلا العدو على كل المسلمين واما بايدي المسلمين فيهلك العدو وينجو المسلمون
اجمعون ولا يتاتى لعاقل ان يقول لا يقتل الترس في هذه الصورة بوجه لانه يلزم
منه ذهاب الترس والاسلام والمسلمين لكن لما كانت هذه المصلحة غير خالية من المفسدة نفرت
منها نفس من لم يمعن النظر فيها فان تلك المفسدة بالنسبة الى ما يحصل منها عدم او كالعدم
والله اعلم الرابعة قراة العامة لو تزيلوا الا ابا حيوة فانه قرا لو تزايلوا وهو مثل تزيلوا في
المعنى والتزايل التباين وتزيلوا تفعلوا من زلت وقيل هي تفيعلوا لعذبنا الذين كفروا
قيل اللام جواب لكلامين احدهما لولا رجال والثاني لو تزيلوا وقيل جواب لولا محذوف وقد
تقدم ولو تزيلوا ابتدا كلام قوله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية العامل
في اذ قوله لعذبنا الذين اي لعذبناهم اذ فعلوا هذا او فعل مضمر تقديره واذكر والحمية
فعيلة وهي الانفة يقال حميت عن كذا حمية بالتشديد ومحمية اذا انفت منه وداخلك
عار وانفة ان تفعله ومنه قول المتلمس *
* الا انني منهم وعرضي عرضهم * كذا الراس يحمي انفه ان يهشما *

أي يمنع قال الزهري حميتهم أنفتهم من الإقرار للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله سهيل بن عمرو وعلى ما تقدم وقال ابن بحر حميتهم عصبيتهم لآلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى والأنفة من أن يعبدوا غيرها وقيل حمية الجاهلية أنهم قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا في منازلنا واللات والعزى لا يدخلونها أبدا فأنزل الله سكينته أي الطمأنينة والوقار على رسوله وعلى المؤمنين وقيل ثبتهم على الرضى والتسليم ولم يدخل قلوبهم ما دخل قلوب أولئك من الحمية وألزمهم كلمة التقوى قيل لا إله إلا الله روي مرفوعا من حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو قول علي وابن عمر وابن عباس وعمرو بن ميمون ومجاهد وقتادة وعكرمة والضحاك وعبيد بن عمير وطلحة والربيع والسدي وابن زيد قال عطاء الخراساني وزاد محمد رسول الله وعن علي وابن عمر أيضا هي لا إله إلا الله والله أكبر وقال عطاء بن أبي رباح ومجاهد أيضا هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقال الزهري بسم الله الرحمن الرحيم يعني أن المشركين لم يقروا بهذه الكلمة فخص الله بها المؤمنين وكلمة التقوى هي التي تتقى بها من الشرك وعن مجاهد أيضا أن كلمة التقوى الإخلاص وكانوا أحق بها وأهلها أي أحق بها من كفار مكة لأن الله تعالى اختارهم لدينه وصحبة نبيه وكان الله بكل شيء عليما قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق الآية قال قتادة كانت رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يدخل مكة على هذه الصفة فلما صالح قريشا بالحديبية ارتاب المنافقون حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدخل مكة فأنزل الله تعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق فأعلمهم أنهم سيدخلون في غير ذلك العام وأن رؤياه صلى الله عليه وسلم حق وقيل أن أبا بكر هو الذي قال أن المنام لم يكن موقتا بوقت وأنه سيدخل وروي أن الرؤيا كانت بالحديبية ورؤيا الأنبياء حق والرؤيا أحد وجوه الوحي إلى الأنبياء لتدخلن أي في القابل المسجد الحرام إن شاء الله قال ابن كيسان إنه حكاية ما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم في منامه بما جرت به العادة فأخبر عن رسوله أنه قال ذلك ولهذا استثنى تأدب الله حين قال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل خاطب الله العباد بما يجب أن يقولوه كما قال ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله وقيل استثنى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون قاله ثعلب وقيل كان الله علم أنه يميت بعض هؤلاء الذين كانوا معه بالحديبية فوقع الاستثناء لهذا المعنى قاله الحسين ابن الفضل وقيل الاستثناء من آمنين وذلك راجع إلى مخاطبة العباد على ما جرت به العادة وقيل معنى إن شاء الله أي كما شاء الله وقال أبو عبيدة إن بمعنى إذ أي إذ شاء الله كقوله تعالى اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا الآية أي إذ كنتم مؤمنين وفيه بعد لأن إذ في الماضي من الفعل وإذا في المستقبل وهو الدخول في المستقبل فوعدهم الله دخول المسجد الحرام وعلقه بشرط المشيئة وذلك عام الحديبية فأخبر أصحابه بذلك فاستبشروا ثم تأخر ذلك عن العام الذي طمعوا فيه فساءهم ذلك واشتد عليهم وصالحهم ورجع ثم أذن الله في العام المقبل فأنزل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وإنما قيل له في المنام لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله فحكي في التنزيل ما قيل له في المنام فليس هناك شك كما زعم بعضهم أن الاستثناء يدل على الشك والله تعالى لا يشك ولتدخلن تحقيق وكيف يكون شك فإن بمعنى إذ آمنين أي من العدو محلقين رؤوسكم والتحليق والتقصير جميعا للرجال ولذلك غلب المذكر على المؤنث والحلق أفضل وليس للنساء إلا التقصير وقد مضى القول في هذا في البقرة وفي الصحيح أن معاوية أخذ من شعر النبي صلى الله عليه وسلم بمشقص وهذا كان في العمرة لا في الحج لأن النبي صلى الله عليه وسلم حلق في حجته لا تخافون حال من المحلقين والمقصرين والتقدير غير خائفين فعلم ما لم تعلموا أي علم ما في تأخير الدخول من الخير والصلاح ما لم تعلموه

انتم

أنتم وذلك أنه عليه السلام لما رجع مضى منها إلى خيبر فافتتحها ورجع بأموال خيبر وأخذ من العدة والقوة أضعاف ما كان فيه في ذلك العام وأقبل إلى مكة على أهبة وقوة بأضعاف ذلك وقال الكلبي أي علم أن دخولها إلى سنة ولم تعلموه أنتم وقيل علم أن بمكة رجالا مؤمنين ونساء مؤمنات لم تعلموهم فجعل من دون ذلك فتحا قريبا أي من دون رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم فتح خيبر قاله ابن زيد والضحاك وقيل فتح مكة وقال مجاهد هو صلح الحديبية وقاله أكثر المفسرين قال الزهري ما فتح في الإسلام كان أعظم من صلح الحديبية لأنه إنما كان القتال حين يلتقي الناس فلما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها وأمن الناس بعضهم بعضا فالتقوا وتفاوضوا الحديث والمناظرة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه فلقد دخل في تلك السنتين في الإسلام مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك وأكثر يدلك على ذلك أنهم كانوا سنة ست يوم الحديبية ألفا وأربعمائة وكانوا بعد عام الحديبية بسنتين في عشرة آلاف قوله تعالى هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله أي يعليه على كل الأديان فالدين اسم بمعنى المصدر ويستوي لفظ الواحد والجمع فيه وقيل أي ليظهر رسوله على الدين كله أي على الدين هو شرعه بالحجة ثم باليد والسيف وينسخ ما عداه وكفى بالله شهيدا نصب على التفسير والباء زائدة أي كفى الله شهيدا لنبيه صلى الله عليه وسلم وشهادته له تبين صحة نبوته بالمعجزات وقيل شهيدا على ما أرسل به لأن الكفار أبوا أن يكتبوا هذا ما صالح عليه محمد رسول الله قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار إلى آخر السورة فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى محمد مبتدأ ورسول خبره وقيل محمد ابتداء ورسول الله نعته والذين معه معطوف على الابتداء والخبر فيما بعده ولا يوقف على هذا التقدير على رسول الله وعلى الأول يوقف على رسول الله لأن صفاته عليه السلام تزيد على ما وصف به أصحابه فيكون محمد ابتداء ورسول الله الخبر والذين معه ابتداء ثان وأشداء خبره ورحماء خبر ثان وكون الصفات في جملة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هو الأشبه قال ابن عباس أهل الحديبية أشداء على الكفار أي غلاظ عليهم كالأسد على فريسته وقيل المراد بالذين معه جميع المؤمنين رحماء بينهم أي يرحم بعضهم بعضا وقيل متعاطفون متوادون وقرأ الحسن أشداء على الكفار رحماء بالنصب على الحال كأنه قال والذين معه في حال شدتهم على الكفار وتراحمهم بينهم تراهم ركعا سجدا إخبار عن كثرة صلاتهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا أي يطلبون الجنة ورضى الله تعالى الثانية قوله تعالى سيماهم في وجوههم من أثر السجود السيما العلامة وفيها لغتان المد والقصر أي لاحت علامات التهجد بالليل وأمارات السهر وفي سنن ابن ماجه قال ثنا إسماعيل بن محمد الطلحي قال ثنا ثابت بن موسى أبو يزيد عن شريك عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقال ابن العربي ودسه قوم في حديث النبي صلى الله عليه وسلم على وجه الغلط وليس عن النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذكر بحرف وقد روى ابن وهب عن مالك سيماهم في وجوههم من أثر السجود هو ما يتعلق بجباههم من الأرض عند السجود وبه قال سعيد بن جبير وفي الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى صبيحة إحدى وعشرين من رمضان وقد وكف المسجد وكان على عريش فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته وعلى جبهته وأرنبته أثر الماء والطين وقال الحسن هو بياض يكون في الوجه يوم القيامة وقاله سعيد بن جبير أيضا ورواه العوفي عن ابن عباس قاله الزهري وفي الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة وفيه حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار يعرفونهم بأثر السجود تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل

اثر السجود وقال سهر بن حوشب يكون موضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر
وقال بن عباس ومجاهد السيما في الدنيا وهو السمت الحسن وعن مجاهد ايضا هو الخشوع
والتواضع قال منصور سالت مجاهدا عن قوله تعالى سيماهم في وجوههم اهو اثر يكون
بين عيني الرجل قال لا ربما يكون بين عيني الرجل مثل ركبة العنز وهو اقسى قلبا من
الحجارة ولكنه نور في وجوههم من الخشوع وقال بن جريج هو الوقار والبها وقال شمر
ابن عطيه هو صفرة الوجه من قيام الليل قال الحسن اذا رايتهم حسبتهم مرضى وما هم
بمرضى وقال الضحاك اما انه ليس بالندب في وجوههم ولكنه الصفرة وقال سفيان
الثوري يصلون بالليل فاذا اصبحوا رئي ذلك في وجوههم بيانه قوله صلى الله عليه وسلم
من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقد مضى القول فيه انفا وقال عطا الخراساني
دخل في هذه الايه كل من حافظ على الصلوات الخمس الثالثة قوله تعالى ذلك مثلهم
في التوراة ومثلهم في الانجيل قال الفراء فيه وجهان ان سئت قلت المعنى ذلك مثلهم
في التوراة وفي الانجيل ايضا كمثلهم ثم ابتدا فقال ومثلهم في الانجيل وكذا قال بن
عباس وغيره هما مثلان احدهما في التوراة والاخر في الانجيل فيوقف على هذا على
التوراة وقال مجاهد هو مثل واحد يعني ان هذا صفتهم في التوراة والانجيل فلا يوقف
على التوراة على هذا ويوقف على الانجيل ويبتدي كزرع اخرج شطاه على معنى وهم
كزرع وشطاه يعني فراخه واولاده قاله بن زيد وغيره وقال مقاتل هو نبت واحد
فاذا خرج ما بعده فقد شطاه قال الجوهري شطاه الزرع والنبات فراخه والجمع
اشطا وقد اشطا الزرع خرج شطاه قال الاخفش في قوله اخرج شطاه اي طرفه
وحكاه الثعلبي عن الكسائي وقال الفرا اشطا الزرع فهو مشطي اذا اخرج قال الشاعر

أخرج الشطا على وجه الثرى ۔ ومن الاشجار افنان الثمر

الزجاج اخرج شطاه اي نباته وقيل ان الشطا شوك السنبل والعرب ايضا تسميه السفا
والبهم قاله قطرب وقيل انه السنبل فيخرج من الحبة عشر سنبلات وتسع وثمان قاله
الفرا حكاه الماوردي وقرا ابن كثير وابن ذكوان شطاه بفتح الطا واسكن الباقون وقرا
روبس ونصر بن عاصم وبن وثاب شطاه بغير همز وكلها لغات فيها وهذا مثل ضربه
الله تعالى لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يعني انهم يكونون قليلا ثم يزدادون
ويكثرون فكان النبي صلى الله عليه وسلم حين بدا بالدعا الى دينه ضعيفا فاجابه الواحد
بعد الواحد حتى قوي امره كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفا فيقوى حالا بعد حال
حتى يغلظ ساقه وافراخه فكان هذا من اصح مثل واوضح بيان وقال قتاده مثل
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في الانجيل مكتوب انه سيخرج من قوم ينبتون
نبات الزرع يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر فازره اي قواه واعانه وشده
اي قوى الشطا الزرع وقيل بالعكس اي قوى الزرع الشطا وقراة العامة ازره
بالمد وقرا بن ذكوان وابو حيوة وحميد بن قيس فازره مقصور مثل فعله والمعروف
المد قال امرؤ القيس

بمحنية قد آزر الضال نبتها ۔ مجر جيوش غانمين وخيب

فاستوى على سوقه اي على عوده الذي يقوم عليه فيكون ساقا له والسوق جمع
الساق يعجب الزراع اي يعجب هذا الزرع زراعه وهو مثل كما بينا فالزرع محمد صلى
الله عليه وسلم والشطا اصحابه كانوا قليلا فكثروا وضعفا فقووا قاله الضحاك
وغيره ليغيظ بهم الكفار اللام الرابعة قوله تعالى وعد الله الذين امنوا اي وعد
الله هولاء الذين مع محمد وهم المومنون الذين اعمالهم صالحة مغفرة واجرا عظيما
اي ثوابا لا ينقطع وهو الجنة وليست من في قوله منهم مبعضة لقوم من الصحابة دون
قوم لكنها عامة مجنسة مثل قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان لا يقصد
للتبعيض لكنه يذهب الى الجنس اي فاجتنبوا الرجس من جنس الاوثان اذ كان
الرجس يقع من اجناس شتى منها الزنا والربا وشرب الخمر والكذب فادخل من يفيد
بها الجنس وكذا منهم اي من هذا الجنس يعني جنس الصحابه ويقال انفق نفقتك من

الدراهم اي اجعل نفقتك هذا الجنس وقد يخصص اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
بوعد المغفرة تفضيلا لهم وان وعد جميع المومنين المغفرة وفي الايه جواب اخر وهو ان
من موكدة الكلام والمعنى وعدهم الله كلهم مغفرة واجرا عظيما فجرى مجرى قول العرب في
قطعت من الثوب قميصا يريد قطعت الثوب كله قميصا ومن لم يبعض شيئا وشاهد
هذا من القران وننزل من القران ما هو شفا لان كل حرف منه شفا وليس الشفا
مختصا به بعضه دون بعض على ان من العلويين من يزل من مجنسه تقديرها
ننزل الشفا من جنس القران ومن جهة القران ومن ناحية القران قال زهير امن
ام اوفى دمنة لم تكلم اراد من ناحيه ام اوفى ومنه من منازلها دمنة وقال الاخر

اخو رغائب يعطيها ويسالها ۔ يابى الظلامة منه النوفل الزفر

والنوفل الكثير العطا والزفر حامل الاثقال والمون عن الناس فمن لم يبعض شيا
اذ كان المقصد يعطي الظلامة لانه نوفل زفر الخامسة روى ابو عروة الزبيري ولد
الزبير كنا عند مالك بن انس فذكروا رجلا ينتقص اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقرا مالك هذه الايه محمد رسول الله والذين معه حتى بلغ يعجب الزراع ليغيظ
بهم الكفار فقال مالك من اصبح من الناس في قلبه غيظ على احد من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد اصابته هذه الايه ذكره الخطيب ابو بكر قلت لقد احسن مالك
في مقالته واصاب في تاويله فمن نقص واحدا منهم او طعن عليه في روايته فقد
رد على الله رب العالمين وابطل شرايع المسلمين قال الله تعالى محمد رسول الله والذين
معه اشدا على الكفار الايه وقال لقد رضي الله عن المومنين اذ يبايعونك تحت
الشجرة الى غير ذلك من الاي التي تضمنت الثنا عليهم والشهادة لهم بالصدق والفلاح
قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال للفقرا الذين اخرجوا من
ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا الى قوله اولئك هم المفلحون
وهذا كله مع علمه بحالهم ومال امرهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الناس
قرني ثم الذين يلونهم وقال عليه السلام لا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل
احد ذهبا لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه خرجهما البخاري وفي خبر اخر فلو ان احدكم
انفق ما في الارض لم يدرك مد احدهم ولا نصيفه قال ابو عبيده معناه لم يدرك
مد احدهم اذا تصدق به ولا نصف المد فالنصيف هو النصف هنا وكذلك يقال
للعشر عشير وللخمس خميس وللتسع تسيع وللثمن ثمين وللسبع سبيع وللسدس
سديس وللربع ربيع ولم تقل العرب للثلث ثليث وفي البزار عن جابر مرفوعا
صحيحا ان الله تعالى اختار اصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار
لي من اصحابي اربعة يعني ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم اصحابي وقال في اصحابي
كلهم خير وروى عويمر بن ساعده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل اختارني واختار لي اصحابي فجعل لي منهم وزراء واختانا واصهارا فمن
سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا
والاحاديث بهذا المعنى كثيرة فحذارا من الوقوع في احد منهم كما فعل من طعن في الدين
فقال ان المعوذتين ليستا من القران وما صح حديث عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم في تثبيتهما ودخولهما في جملة التنزيل الا عن عقبة بن عامر وهو ضعيف ولم يوافقه
غيره عليها فروايته مطرحة وهذا رد لما ذكرناه من الكتاب والسنة وابطال لما
نقلته لنا الصحابة في الملة فان عقبة بن عامر بن عيسى الجهني ممن روى لنا
الشريعة في الصحيحين البخاري ومسلم وغيرهما فهو ممن مدحهم الله ووصفهم واثنى
عليهم ووعدهم مغفرة واجرا عظيما فمن نسبه او واحدا من الصحابة الى كذب فهو
خارج عن الشريعة مبطل للقران طاعن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومتى
الحق واحد منهم تكذيبا فقد سب لانه لا عار ولا عيب بعد الكفر بالله فقد اعظم
من الكذب وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سب اصحابه والكذب

لا كبيرهم ولا صغيرهم وداخل في لعنة الله التي شهد بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألزمها كل من سب واحدا من الصحابة أو طعن عليه. وعن عمر بن حبيب قال حضرت مجلس هارون الرشيد فجرت مسألة تنازعها الحضور وعلت أصواتهم فاحتج بعضهم بحديث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع بعضهم الحديث وزادت المدافعة والخصام حتى قال قائلون منهم لا يقبل هذا الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن أبا هريرة متهم فيما يرويه وصرحوا بتكذيبه ورأيت الرشيد قد نحا نحوهم ونصر قولهم فقلت أنا الحديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو هريرة صحيح النقل صدوق فيما يرويه عن النبي صلى الله عليه وسلم وغيره فنظر إلي الرشيد نظر مغضب وقمت من المجلس فانصرفت إلى منزلي فلم ألبث حتى قيل صاحب البريد بالباب فدخل فقال لي أجب أمير المؤمنين إجابة مقتول وتحنط وتكفن فقلت اللهم إنك تعلم أني دفعت عن صاحب نبيك وأجللت نبيك أن يطعن على أصحابه فسلمني منه فأدخلت على الرشيد وهو جالس على كرسي من ذهب حاسر عن ذراعيه بيده السيف وبين يديه النطع فلما بصر بي قال لي يا عمر بن حبيب ما تلقاني أحد من الرد والدفع بما تلقيتني فقلت يا أمير المؤمنين إن الذي قلته وجادلت عنه فيه ازراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا كان أصحابه كذابين فالشريعة باطلة والفرائض والأحكام في الصيام والصلاة والطلاق والنكاح والحدود كله مردود غير مقبول فرجع إلى نفسه ثم قال أحييتني يا عمر بن حبيب أحياك الله وأمر لي بعشرة آلاف درهم. قلت فالصحابة كلهم عدول أولياء الله تعالى وأصفياؤه وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله هذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة وقد ذهبت شرذمة لا مبالاة بهم إلى أن حال الصحابة كحال غيرهم فيلزم البحث عن عدالتهم ومنهم من فرق بين حالهم في بداءة الأمر فقال إنهم كانوا على العدالة إذ ذاك ثم تغيرت بهم الأحوال فظهرت فيهم الحروب وسفك الدماء فلا بد من البحث وهذا مردود فإن خيار الصحابة وفضلاءهم كعلي وطلحة والزبير وغيرهم رضي الله عنهم ممن أثنى الله عليهم وزكاهم ورضي عنهم وأرضاهم ووعدهم بقوله وأجرا عظيما وخاصة العشرة المقطوع لهم بالجنة بإخبار الرسول هم القدوة مع علمهم بكثير من الفتن والأمور الجارية عليهم بعد نبيهم بإخباره لهم بذلك وذلك غير مسقط من مرتبتهم وفضلهم إذ كانت تلك الأمور مبنية على الاجتهاد وكل مجتهد مصيب وسيأتي الكلام في ذلك في الحجرات إن شاء الله

سورة الحجرات مدنية بإجماع وهي ثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله فيه ثلاث مسائل الأولى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال العلماء كان في العرب جفاء وسوء أدب في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلقيب الناس فالسورة في الأمر بمكارم الأخلاق ورعاية الآداب وقرأ الضحاك ويعقوب الحضرمي لا تقدموا بفتح التاء والدال من التقدم الباقون تقدموا بضم التاء وكسر الدال من التقديم ومعناهما ظاهر أي لا تقدموا قولا ولا فعلا بين يدي الله وقول رسوله وفعله فيما سبيله أن تأخذوه عنه من أمر الدين والدنيا ومن قدم قوله أو فعله على الرسول صلى الله عليه وسلم فقد قدمه على الله تعالى لأن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يأمر عن أمر الله عز وجل الثانية واختلف في سبب نزولها على أقوال ستة الأول ما ذكره الواحدي من حديث ابن جريج قال حدثني ابن أبي مليكة أن عبد الله بن الزبير أخبره أن قدم ركب من بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أمر القعقاع ابن معبد وقال عمر أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر

ما اردت

ما أردت إلا خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت في ذلك يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله إلى قوله ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم رواه البخاري عن الحسن بن محمد بن الصباح ذكره المهدوي أيضا الثاني ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يستخلف على المدينة رجلا إذ مضى إلى خيبر فأشار إليه عمر برجل آخر فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ذكره المهدوي أيضا الثالث ما ذكره الماوردي عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم أنفذ أربعة وعشرين رجلا من أصحابه إلى بني عامر فقتلوهم إلا ثلاثة تأخروا عنهم فسلموا وانكفئوا إلى المدينة فلقوا رجلين من بني سليم فقتلوهما فجاء نفر من بني سليم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن بيننا وبينك عهدا وقد قتل منا رجلان فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة بعير ونزلت عليه الآية في قتلهم الرجلين وقال قتادة إن ناسا كانوا يقولون لو أنزل في كذا لو أنزل في كذا فنزلت هذه الآية ابن عباس نهوا أن يتكلموا بين يدي كلامه مجاهد لا تفتاتوا على الله ورسوله حتى يقضي الله على لسان رسوله ذكره النقاش والبخاري أيضا قال الحسن نزلت في قوم ذبحوا قبل أن يصلي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرهم أن يعيدوا الذبح ابن جريج لا تقدموا أعمال الطاعات قبل وقتها الذي أمر الله تعالى به ورسوله صلى الله عليه وسلم قلت هذه الأقوال الخمسة المتأخرة ذكرها القاضي أبو بكر بن العربي وسردها قبله الماوردي وهي كلها صحيحة تدخل تحت العموم فالله أعلم ما كان السبب المثير للآية منها ولعلها نزلت دون سبب والله أعلم قال القاضي إذا قلنا إنها نزلت في تقديم الطاعات على أوقاتها فهو صحيح لأن كل عبادة موقتة بميقات لا يجوز تقديمها عليه كالصلاة والصوم والحج وذلك بين إلا أن العلماء اختلفوا في الزكاة لما كانت عبادة مالية وكانت مطلوبة لمعنى مفهوم وهو سد خلة الفقير ولأن النبي صلى الله عليه وسلم استعجل من العباس صدقة عامين ولما جاء من جمع صدقة الفطر قبل يوم الفطر حتى تعطى لمستحقها يوم الوجوب وهو يوم الفطر فاقتضى ذلك كله جواز تقديمها العام والعامين فإن جاء رأس العام والنصاب بحاله وقعت موقعها وإن جاء رأس العام وقد تغير النصاب تبين أنها صدقة تطوع وقال أشهب لا يجوز تقديمها على الحول لحظة كالصلاة وكأنه طرد الأصل في العبادات فرأى أنها إحدى دعائم الإسلام فوفاها حقها في النظام وحسن الترتيب ورأى سائر علمائنا أن التقديم اليسير لكثير في أصول الشريعة صحيح ولكنه لمعان تختص باليسير دون الكثير فأما في مسألتنا فاليوم فيه كالشهر والشهر كالسنة فأما تقديم كلي كما قال الشافعي وأبو حنيفة فما حفظ العبادة على أوقاتها كما قال أشهب الثالثة قوله تعالى لا تقدموا بين يدي الله أصل في ترك التعرض لأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيجاب اتباعه والاقتداء به وكذلك قال صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه مروا أبا بكر فليصل بالناس فقالت عائشة لحفصة قولي له إن أبا بكر رجل أسيف وإنه متى يقم مقامك لا يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنكن لأنتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس فمعنى قوله صواحب يوسف الفتنة بالرد عن الجائز إلى غير الجائز وربما احتج بغاة القياس بهذه الآية وهو باطل فإن ما قامت دلالته فليس في فعله تقديم بين يديه وقد قامت دلالة الكتاب والسنة على وجوب القول بالقياس في فروع الشرع فليس إذا تقدم بين يديه واتقوا الله يعني في التقديم المنهي عنه إن الله سميع لقولكم عليم بفعلكم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي الآية فيه ست مسائل الأولى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي روى البخاري والترمذي عن ابن أبي مليكة قال حدثني عبد الله بن الزبير أن الأقرع بن حابس قدم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر يا رسول الله استعمله على قومه فقال عمر لا تستعمله يا رسول الله فتكلما عند النبي صلى الله عليه وسلم حتى ارتفعت أصواتهما فقال أبو بكر لعمر ما أردت إلا خلافي فقال ما أردت إلا خلافك قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين

امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فكان عمر بعد ذلك اذا تكلم عند النبي صلى الله
عليه وسلم لم يسمع كلامه حتى يستفهمه قال وما ذكر ابن الزبير جده يعني ابا بكر وقال
هذا حديث غريب حسن وقد رواه بعضهم عن ابي مليكة مرسلا ولم يذكر فيه عن عبد
الله بن الزبير قلت هو البخاري قال عن ابي مليكة كاد الخيران يهلكا ابو بكر وعمر
رفعا اصواتهما عند النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه ركب بني تميم فاشار احدهما
بالاقرع بن حابس اخي بني مجاشع واشار الاخر برجل اخر فقال نافع لا احفظ اسمه
فقال ابو بكر لعمر ما اردت الا خلافي قال عمر ما اردت ذلك فارتفعت اصواتهما في ذلك
فانزل الله جل ثناؤه يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية
فقال ابن الزبير فما كان عمر يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الاية حتى
يستفهمه ولم يذكر ذلك عن ابيه يعني ابا بكر الصديق رضي الله عنه وذكر المهدوي
عن علي رضي الله عنه نزل قوله لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي فينا لما ارتفعت
اصواتنا انا وجعفر وزيد بن حارثة تنازع ابنة حمزة لما جابها زيد من مكة فقضى
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لجعفر لان خالتها عنده وقد تقدم هذا الحديث
في ال عمران وفي الصحيحين عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم افتقد ثابت
ابن قيس فقال رجل يا رسول الله انا اعلم لك علمه فاتاه فوجده جالسا في بيته
منكسا راسه فقال له ما شانك قال شر كان يرفع صوته فوق صوت النبي
صلى الله عليه وسلم فقد حبط عمله وهو من اهل النار فاتى الرجل النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره انه قال كذا وكذا فقال موسى فرجع اليه المرة الاخرة ببشارة عظيمة
فقال اذهب اليه فقل له انك لست من اهل النار ولكنك من اهل الجنة لفظ
البخاري وثابت هذا هو ثابت بن قيس بن شماس الخزرجي يكنى ابا محمد بابنه
محمد وقيل ابا عبد الرحمن قتل يوم الحرة ثلاثة من اولاده محمد ويحيى وعبد الله
وكان خطيبا بليغا معروفا بذلك كان يقال له خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم
كما يقال لحسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما قدم وفد بني تميم على رسول
الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا المفاخرة قام خطيبهم فافتخر ثم قام ثابت بن قيس
فخطب خطبة بليغة جزلة فغلبهم وقام شاعرهم وهو الاقرع بن حابس فانشد

• اتيناك كيما يعرف الناس فضلنا • اذا خالفونا عند ذكر المكارم •
• وانا رؤس الناس في كل معشر • وان ليس في ارض الحجاز كدارم •
• وان لنا المرباع في كل غارة • تكون بنجد او بارض التهايم •

• فقام حسان فقال •

• بني دارم لا تفخروا ان فخركم • يعود وبالا عند ذكر المكارم •
• هبلتم علينا تفخرون وانتم • لنا خول من بين ظير وخادم •

في ابيات لهما فقالوا خطيبهم اخطب من خطيبنا وشاعرهم اشعر من شاعرنا فارتفعت
اصواتهم فانزل الله تعالى لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له
بالقول وقال عطا الخراساني حدثتني ابنة ثابت بن قيس قالت لما نزلت
يا ايها الذين امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الاية دخل ابوها بيته
واغلق عليه ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه يساله ما خبره فقال
انا رجل شديد الصوت اخاف ان يكون حبط عملي فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لست منهم بل تعيش بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور
فاغلق بابه وطفق يبكي ففقده النبي صلى الله عليه وسلم فارسل اليه فاخبره فقال
يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي فقال لست منهم بل تعيش
حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد
فلما التقوا انكشفوا فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد منهما له حفرة فثبتا وقاتلا حتى

قتل

قتلا وعلى ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينا رجل
نائم اتاه ثابت في منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك ان تقول هذا حلم فتضيعه
اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ درعي ومنزله في اقصى الناس وعند
خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ على الدرع برمة وفوق البرمة رحل فات خالدا
فمره ان يبعث الى درعي فياخذها فاذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعني ابا بكر فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق
وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتي بها وحدث ابا بكر برؤياه
فاجاز وصيته قال فلا نعلم احدا اجيزت وصيته بعد موته غير ثابت رحمه الله ذكره
ابو عمر في الاستيعاب الثانية قوله تعالى ولا تجهروا له بالقول اي لا تخاطبوه يا محمد ويا احمد
ولكن يا نبي الله ويا رسول الله توقيرا له وكان المنافقون يرفعون اصواتهم عند النبي
صلى الله عليه وسلم ليقتدي بهم ضعفة المسلمين فنهوا المسلمون عن ذلك وقيل لا تجهروا
له اي لا تجهروا عليه كما يقال سقط لفيه اي على فيه كجهر بعضكم لبعض الكاف كاف التشبيه
في محل النصب اي لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفي هذا دليل انهم لم ينهوا عن
الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم الا ان يكلموه بالهمس والمخافتة وانما هو عن جهر مخصوص
مقيد بصفة اعني الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منهم فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة
ابهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها ان تحبط اعمالكم
اي من اجل ان تحبط اعمالكم اي تبطل هذا قول البصريين وقال الكوفيون اي لئلا تحبط
اعمالكم وانتم لا تشعرون الثالثة معنى الاية الامر بتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتوقيره وخفض الصوت بحضرته وعند مخاطبته اي اذا نطق ونطقتم ان لا تبلغوا باصواتكم
وراء الحد الذي يبلغه بصوته وان تغضوا منها بحيث يكون مزيته عليكم لائحة وسابقه
واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الاغر لا ان تغمروا
بلفظكم وتبهروا بمنطقه بمنطقكم وفي قراءة ابن مسعود لا ترفعوا باصواتكم وقد كره بعض
العلماء رفع صوته عند قبره صلى الله عليه وسلم ذكره بعض العلماء رفع الصوت في مجالس
العلماء تشريفا لهم اذ هم ورثة الانبياء الرابعة قال القاضي ابو بكر بن العربي حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم ميتا كحرمته وكلامه المأثور بعد موته في الرفعة مثل كلامه
المسموع من لفظه فاذا قرئ كلامه وجب على كل حاضر ان لا يرفع صوته عليه ولا يعرض
عنه كما كان يلزمه ذلك في مجلسه عند تلفظه به وقد نبه الله سبحانه على دوام الحرمة
المذكورة على مرور الازمنة بقوله تعالى واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا وكلام
النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي وله من الحكمة مثل ما للقرآن الا معاني مستثناة بيانها
في كتب الفقه الخامسة وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف
والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو في نفسه والمسموع
من جرسه غير مناسب لما يهاب به ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به
الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهي ايضا رفع الصوت
الذي يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم في حرب او مجادلة
معاند او ارهاب عدو وما اشبه ذلك ففي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال للعباس
بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس اجهر الناس
صوتا يروى ان غارة اتتهم يوما فصاح العباس يا صباحاه فاسقطت الحوامل لشدة
صوته وفيه يقول نابغة بني جعدة • زجر ابي عروة السباع اذا اشفق ان يختلطن
بالغنم • وزعمت الرواة انه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع في جوفه
السادسة قال الزجاج ان تحبط اعمالكم التقدير لان تحبط اعمالكم فاللام المقدرة
لام الصيرورة وليس قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون بموجب ان يكفر الانسان
وهو لا يعلم فكما لا يكون الكافر مؤمنا الا باختياره للايمان على الكفر كذلك لا يكون الكفر
كافرا من حيث لا يعلم قوله تعالى ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اي
يخفضون اصواتهم عنده اذا تكلموا اجلالا له او كلموا غيره بين يديه اجلالا له

قال ابو هريرة لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم قال ابو بكر والله لا ارفع صوتي الا كاخي
السرار وذكر يزيد قال ثنا عباد بن العوام عن محمد بن عمرو عن ابي سلمة قال لما
نزلت لا تقدموا بين يدي الله ورسوله قال ابو بكر والذي بعثك بالحق لا اكلمك
بعد هذا الا كاخي السرار وقال عبد الله بن الزبير لما نزلت لا ترفعوا اصواتكم
ما حدث عمر عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فسمع كلامه حتى يستفهمه مما
يخفض فنزلت ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى قال الفرا اخلصها للتقوى وقال الاخفش اي اختصها للتقوى
وقال ابن عباس امتحن الله قلوبهم للتقوى طهرهم من كل قبيح وجعل في قلوبهم
الخوف من الله والتقوى وقال عمر رضي الله عنه اذهب عن قلوبهم الشهوات
والامتحان افتعال من محنت الاديم محنا حتى اوسعته فمعنى امتحن الله قلوبهم
للتقوى وسعها وشرحها للتقوى وعلى الاقوال المتقدمة امتحن قلوبهم فاخلصها
كقولك امتحنت الفضة اي اختبرتها حتى خلصت ففي الكلام حذف يدل عليه
الكلام وهو الاخلاص وقال ابو عمرو كل شي جهدته فقد محنته وانشد •
اتت رذايا باديا كلالها • وقد محنت واضطربت اطلالها •
لهم مغفرة واجر عظيم قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم
لا يعقلون قال مجاهد وغيره نزلت في اعراب بني تميم قدم الوفد منهم على
النبي صلى الله عليه وسلم فدخلوا المسجد ونادوا النبي صلى الله عليه وسلم
من وراء حجرته ان اخرج الينا فان مدحنا زين وذمنا شين وكانوا سبعين رجلا
قدموا الفداء وراي لهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم نام للقايلة وروي
ان الذي نادى الاقرع بن حابس وانه القايل ان مدحي زين وذمي شين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذاك الله ذكره الترمذي عن البراء بن عازب
ايضا وروى زيد بن ارقم اتى ناس النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا انطلق بنا
الى هذا الرجل فان يكن نبيا فنحن اسعد الناس باتباعه وان يكن ملكا نعش
في جناحه فاتوا النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا ينادونه وهو في حجرته يا محمد يا محمد
فانزل الله هذه الاية وقيل انهم كانوا من بني تميم قال مقاتل كانوا تسعة عشر
قيس بن عاصم والزبرقان بن بدر والاقرع بن حابس وسويد بن هاشم
وخالد بن مالك وعطا بن حابس والقعقاع بن معبد ووكيع بن وكيع وعيينة
ابن حصن وهو الاحمق المطاع وكان من الجرارين يجر عشرة الاف قناة اي
تتبعه وكان اسمه حذيفة وسمي عيينة لشتر كان في عينيه ذكر عبد الرزاق
في عيينة هذا انه الذي نزلت فيه ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا وقد مضى
في اخر الاعراف في قوله لعمر رضي الله عنه ما فيه جفا ذكره البخاري وروي انهم
وفدوا وقت الظهيرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم راقد فجعلوا ينادونه يا محمد
اخرج الينا فاستيقظ وخرج الينا ونزلت وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عنهم فقال هم جفاة بني تميم لولا انهم من اشد الناس قتالا للاعور الدجال
لدعوت الله عليهم ان يهلكهم والحجرات جمع حجرة كالغرفات جمع غرفة والظلمات
جمع ظلمة وقيل الحجرات جمع الحجر والحجر جمع حجرة فهو جمع الجمع وفيه لغتان ضم
الجيم وفتحها قال الشاعر • ولما راونا بادنا ركابنا • على موطن لا نخلط الجد بالهزل •
والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحايط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة
وهي فعلة بمعنى مفعولة وقرا ابو جعفر بن القعقاع الحجرات بفتح الجيم استثقالا
للضمتين وقرا الحجرات بتسكين الجيم تخفيفا واصل الكلمة المنع وكلها منعت
ان يوصل اليه فقد حرت عليه ثم يحتمل ان يكون المنادي بعضا من الجملة ولهذا
قال اكثرهم لا يعقلون اي ان الذين ينادونك من جملة قوم الغالب عليهم
الجهل قوله تعالى ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم اي لو انتظروا خروجك لكان اصلح

لهم في دينهم ودنياهم وكان صلى الله عليه وسلم لا يحتجب عن الناس الا في اوقات
يشتغل فيها بمهمات نفسه فكان ازعاجه في تلك الحالة من سوء الادب وقيل كانوا
جاوا شفعا في اساري بني عنبر فاعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم نصفهم وفادوا
على النصف ولو صبروا لاعتق جميعهم بغير فدا والله غفور رحيم قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا فتبينوا الاية فيه سبع مسايل الاولى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان جاكم فاسق بنبا قيل ان هذه الاية نزلت في الوليد بن عقبة
ابن ابي معيط وسبب ذلك ما رواه سعيد عن قتادة ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
بعث الوليد بن عقبة مصدقا الى بني المصطلق فلما ابصروه اقبلوا نحوه فهابهم في رواية
لاحنة كانت بينهم ورجع الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره انهم قد ارتدوا عن الاسلام
فبعث نبي الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد وامره ان يتثبت ولا يعجل فانطلق خالد
ابن الوليد حتى اتاهم ليلا فبعث عيونه فلما جاوا اخبروا خالدا انهم مستمسكون بالاسلام
وسمعوا اذانهم وصلاتهم فلما اصبحوا اتاهم خالد وراى صحة ما ذكروه فعاد الى نبي الله
صلى الله عليه وسلم فاخبره ان القوم امنوا فنزلت هذه الاية فكان يقول نبي الله التاني
من الله والعجلة من الشيطان وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى بني المصطلق
بعد اسلامهم فلما سمعوا به ركبوا اليه فلما سمع بهم خافهم فرجع الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاخبره ان القوم قد هموا بقتله ومنعوا صدقاتهم فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
بغزوهم فبيناهم كذلك اذ قدم وفدهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله سمعنا برسولك فخرجنا اليه لنكرمه ونودي اليه ما قبلنا من الصدقة فاستمر راجعا
وبلغنا انه يزعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا خرجنا لنقاتله والله ما خرجنا لذلك
فانزل الله تعالى هذه الاية وسمي الوليد فاسقا اي كاذبا قال ابن زيد ومقاتل وسهل
ابن عبد الله ان الفاسق الكذاب وقال ابو الحسن الوراق هو المعلن بالذنب وقال
ابن طاهر الذي لا يستحي من الله وقرا حمزة والكسائي فتثبتوا من التثبت الباقون
فتبينوا من التبيين ان تصيبوا اي لئلا تصيبوا فان في محل نصب باسقاط الخافض قوما
بجهالة اي خطا فتصبحوا نادمين على العجلة وترك التاني الثانية في هذه الاية دليل
على قبول خبر الواحد اذا كان عدلا لانه انما امر فيها بالتثبت عند نقل خبر الفاسق ومن
ثبت فسقه بطل قوله في الاخبار اجماعا لان الخبر امانة والفسق قرينة يبطلها وقد استثنى
الاجماع من جملة ذلك ما يتعلق بالدعوى والجحود واثبات حق مقصود على الغير مثل
ان يقول هذا عبدي فانه يقبل قوله واذا قال قد انفذ فلان هذا لك هدية فانه
يقبل ذلك وكذلك يقبل في مثله خبر الكافر وكذلك اذا اقر لغيره بحق على نفسه فانه
يبطل اجماعا واما في الولاية غيره فقال الشافعي وغيره لا يكون وليا في النكاح
وقال مالك وابو حنيفة يكون وليا لانه يلي مالها فيلي بضعها كالعدل وهو وان كان
فاسقا في دينه الا ان غيرته موفرة وبها يحمي الحريم وقد يبذل المال ويصون الحرمة
واذا ولي المال فالنكاح اولى الثالثة قال ابن العربي ومن العجب ان يجوز الشافعي
ونظراوه امامة الفاسق ومن لا يوتمن على حبة مال يصح ان يوتمن على قنطار دين
وهذا انما كان اصله ان الولاة الذين كانوا يصلون بالناس لما فسدت اديانهم ولم
يمكن ترك الصلاة وراءهم ولا استطعت ازالتهم صلي معهم ووراءهم كما قال عثمان الصلاة
احسن ما يعمل الناس فاذا احسنوا فاحسن واذا اساوا فاجتنب اساءتهم ثم كان من الناس
من اذا صلى معهم تقية اعاد الصلاة لله ومنهم من كان يجعلها صلاته وبوجوب الاعادة
اقول لا ينبغي لاحد ان يترك الصلاة مع من لا يرضى من الايمة ولكن يعيد
سرا في نفسه ولا يوثر ذلك عند غيره الرابعة واما احكامه ان كان واليا فينفذ
منها ما وافق الحق ويرد ما خالفه ولا ينتقض حكمه الذي امضاه بحال ولا يلتفت
الى غير هذا القول من رواية تروى او قول يحكى فان الكلام كثير والحق ظاهر الخامسة
لا خلاف انه يصح ان يكون رسولا عن غيره في قول يبلغه او شي يوصله او اذن

يعلمه اذا لم يخرج عن حق المرسل والمرسل فان تعلق به حق لغيره لم يقبل قوله وهذا جائز للضرورة الداعية اليه فانه لو لم يتصرف بين الخلق في هذه المعاني الا العدول لم يحصل منها شيء لعدمهم في ذلك والله اعلم السادسة وفي الاية دليل على فساد قول من قال ان المسلمين كلهم عدول حتى تثبت الجرحة لان الله تعالى امر بالتثبت قبل القبول ولا معنى للتثبت بعد انفاذ الحكم فان حكم الحاكم قبل التثبت فقد اصاب المحكوم عليه بجهالة السابعة فان قضى بما يغلب على الظن لم يكن ذلك عملا بجهالة كالقضاء بالشاهدين العدلين وقبول قول العالم المجتهد وانما العمل بالجهالة قبول قول من لا يحصل عليه الظن بقوله ذكر هذه المسئلة القشيري والتي قبلها المهدوي قوله تعالى واعلموا ان فيكم رسول الله فلا تكذبوا فانه يعلمه انباؤكم فتفتضحوا لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم اي لو تسارع الى ما اردتم قبل وضوح الامر لنالكم مشقة واثم فانه لو قتل القوم الذين سعى بهم الوليد بن عقبة اليه لكان خطا ولعنت من اراد ايقاع الهلاك باولئك القوم لعداوة كانت بينه وبينهم ومعنى طاعة الرسول لهم الائتمار بما يامرونه به فيما يبلغونه عن الناس والسماع منهم والعنت الاثم يقال عنت الرجل والعنت ايضا الفجور والزنا كما في سورة النساء والعنت ايضا الوقوع في امر شاق وقد مضى في اخر براءة القول في عنتم باكثر من هذا ولكن الله حبب اليكم الايمان هذا خطاب للمؤمنين المخلصين الذين لا يكذبون النبي صلى الله عليه وسلم ولا يخبرون بالباطل اي جعل الايمان احب الاديان اليكم وزينه بتوفيقه في قلوبكم اي حسنه في قلوبكم حتى اخترتموه وفي هذا رد على القدرية والامامية وغيرهم حسب ما تقدم في غير موضع فهو سبحانه المنفرد بخلق ذوات الخلق وخلق افعالهم وصفاتهم واختلاف السنتهم والوانهم لا شريك له وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان قال ابن عباس يريد به الكذب خاصة وقاله ابن زيد وقيل المراد كل ما خرج عن الطاعة مشتق من فسقت الرطبة خرجت من قشرها والفارة من جحرها وقد مضى في البقرة القول فيه مستوفى والعصيان جميع المعاصي ثم انتقل من الخطاب الى الخبر فقال اولئك يعني هم الذين وفقهم الله فحبب اليهم الايمان وكره اليهم الكفر اي قبحه عندهم هم الراشدون لقوله تعالى وما اتيتم من زكاة تريدون وجه الله فاولئك هم المضعفون قال النابغة يا دارمية بالعلياء فالسند اقوت وطال عليها سالف الامد والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهي الصخرة قال ابو الوازع كل صخرة رشادة وانشد

وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد

فضلا من الله ونعمة اي فعل الله ذلك بكم فضلا اي للفضل والنعمة فهو مفعول له والله عليم حكيم عليم بما يصلحكم حكيم في تدبيركم قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الاية فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا روى المعتمر عن سليمان عن انس بن مالك قال قلت يا نبي الله لو اتيت عبد الله بن ابي فانطلق اليه النبي صلى الله عليه وسلم فركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي ارض سبخة فلما اتاه النبي صلى الله عليه وسلم قال اليك عني فوالله لقد اذاني نتن حمارك فقال رجل من الانصار والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجل من قومه وغضب لكل واحد منهما اصحابه فكان بينهم حرب بالجريد والايدي والنعال فبلغنا انه انزل فيهم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما وقال مجاهد نزلت في الاوس والخزرج قال مجاهد تقاتل حيان من الانصار بالعصي والنعال فنزلت الاية ومثله عن سعيد بن جبير ان الاوس والخزرج كان بينهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قتال بالسيف والنعال ونحوه فانزل الله تعالى هذه الاية وقال قتادة نزلت في رجلين من الانصار كانت بينهما مداراة في حق

بينهما

بينهما فقال احدهما للاخر لآخذن منك حقي عنوة لكثرة عشيرته ودعاه الاخر الى ان يحاكمه الى النبي صلى الله عليه وسلم فابى ان يتبعه فلم يزل الامر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضا بالايدي والنعال والسيوف فنزلت هذه الاية وقال الكلبي نزلت في حرب سمير وحاطب وكان سمير قتل حاطبا فاقتتل الاوس والخزرج حتى اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وامر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ان يصلحوا بينهما وقال السدي كانت امراة من الانصار يقال لها ام زيد تحت رجل من غير الانصار فتخاصمت مع زوجها ارادت ان تزور قومها فحبسها زوجها وجعلها في علية لا يدخل عليها احد من اهلها وان المراة بعثت الى اهلها فجاء قومها فانزلوها لينطلقوا بها فخرج الرجل فاستغاث اهله فجاء بنو عمه ليحولوا بين المراة واهلها فتدافعوا واجتلدوا بالنعال فنزلت الاية والطائفتان تتناول الرجل الواحد والجمع والاثنين فهو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين في معنى القوم والناس وفي قراءة عبد الله حتى تفيئوا الى امر الله فخذوا بينهم بالقسط وقرا ابن ابي عبلة اقتتلا على لفظ الطائفتين وقد مضى في اخر براءة القول فيه وقال ابن عباس في قوله عز وجل وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا قال الواحد فما فوقه والطائفة من الشيء القطعة منه فاصلحوا بينهما بالدعاء الى كتاب الله لهما او عليهما فان بغت احداهما على الاخرى اي تعدت ولم تجب الى حكم الله وكتابه والبغي التطاول والفساد فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله اي ترجع الى كتابه فان فاءت اي رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل اي احملوهما على الانصاف واقسطوا ايها الناس ولا تقتتلوا وقيل اقسطوا اي اعدلوا ان الله يحب المقسطين اي العادلين المحقين الثانية قال العلماء لا تخلو الفئتان من المسلمين في اقتتالهما اما ان يقتتلا على سبيل البغي منهما جميعا اولا فان كان الاول فالواجب في ذلك ان يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافاة والموادعة فان لم يتحاجزا ولم يصطلحا واقامتا على البغي صير الى مقاتلتهما واما ان كان الثاني وهو ان تكون احداهما باغية على الاخرى فالواجب ان تقاتل فئة البغي الى ان تكف وتتوب فان فعلت اصلح بينها وبين المبغي عليها بالقسط والعدل فان التحم القتال بينهما لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند انفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج والبراهين القاطعة على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين والله اعلم الثالثة في هذه الاية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الامام او على احد من المسلمين وعلى فساد قول من منع من قتال المؤمنين واحتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم قتال المؤمن كفر ولو كان قتال المؤمن الباغي كفرا لكان الله تعالى قد امر بالكفر تعالى الله عن ذلك وقد قاتل رضي الله عنه من تمسك بالاسلام وامتنع من الزكاة وامر ان لا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولم تحل اموالهم بخلاف الواجب في الكفار وقال الطبري لو كان الواجب في كل اختلاف يكون بين الفريقين الهرب منه ولزوم المنازل لما اقيم حد ولا ابطل باطل ولوجد اهل النفاق والفجور سبيلا الى استحلال كل ما حرم الله عليهم من اموال المسلمين وسبي نسائهم وسفك دمائهم بان يتحزبوا عليهم ويكف المسلمون ايديهم عنهم وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم خذوا على ايدي سفهائكم الرابعة قال القاضي ابو بكر بن العربي هذه الاية اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتاولين وعليها عول الصحابة واليها لجا الاعيان من اهل الملة واياها عنى النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تقتل عمارا الفئة الباغية وقوله صلى الله عليه وسلم في شان الخوارج يخرجون على حين فرقة او على خير فرقة والرواية الاولى اصح لقوله صلى الله عليه وسلم تقتلهم اولى الطائفتين الى الحق وكان الذي قتلهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ومن كان معه فتقرر عند علماء المسلمين وثبت بدليل الدين ان عليا رضي الله عنه كان اماما وان كل من خرج عليه باغ وان قتاله

واجب حتى تفيء الى الحق وتنقاد الى الصلح لان عثمان رضي الله عنه قتل والصحابة برا من دمه لانه منع من قتال من ثار عليه وقال لا اكون اول من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم في امته بالقتل فصبر على البلا واستسلم للمحنة وفدا بنفسه الامة ثم لم يكن ترك الناس سدى فعرضت على باقي الصحابة الذي ذكرهم في الشورى وتدافعوها وكان علي رضي الله عنه احق بها واهلها فقبلها حوطة على الامة ان تسفك دماوها بالتهارج والباطل او تتخرق امورها الى ما لا يتحصل فربما تغير الدين وانقض عمود الاسلام فلما بويع له طلب اهل الشام في شرط البيعة التمكن من قتلة عثمان واخذ القود منهم فقال لهم علي عليه السلام ادخلوا في البيعة واطلبوا الحق تصلوا اليه فقالوا لا تستحق بيعة وقتلة عثمان معك تراهم صباحا ومسا فكان علي في ذلك اسد رايا واصوب قيلا لان عليا رضي الله عنه لو تعاطى القود منهم لتعصبت لهم قبايل وصارت حربا ثالثة فانتظر بهم ان يستوثق الامر وتنعقد البيعة ويقع الطلب من الاوليا في مجلس الحكم فيجري القضا فيه بالحق ولا خلاف بين الامة انه يجوز للامام تاخير القصاص اذا ادى ذلك الى اثارة الفتنة او تشتيت الكلمة وكذلك جرى لطلحة والزبير فانهما ما جعلا عليا من ولاية ولا اعترضا عليه في ديانة وانما راوا ان البداية بقتل اصحاب عثمان اولى قلت فهذا قول في سبب الحرب الواقع بينهم وقال جلة من اهل العلم ان الواقعة بالبصرة بينهم كانت على غير عزيمة منهم على الحرب بل فجاة وعلى سبيل دفع كل واحد من الفريقين على انفسهم لظنه ان الفريق الاخر قد غدر به لان الامر كان انتظم بينهم وتم الصلح والتفرق على الرضى فخاف قتلة عثمان رضي الله عنه من التمكن منهم والاحاطة بهم فاجتمعوا وتشاوروا واختلفوا ثم اتفقت اراوهم على ان يفترقوا فرقتين ويبدوا بالحرب سحرة في العسكر وتختلف السهام بينهم ويصيح الفريق الذي في عسكر علي غدر طلحة والزبير والفريق الذي في عسكر طلحة والزبير غدر علي فتم لهم ذلك على ما دبروه ونشب الحرب فكان كل فريق دافعا لمكرته عند نفسه ومانعا من الاشاطة بدمه وهذا صواب من الفريقين وطاعة لله تعالى اذ وقع القتال والامتناع منهما على هذا السبيل وهذا هو الصحيح المشهور والله اعلم الرابعة قوله تعالى فقاتلوا التي تبغي امر بالقتال وهو فرض على الكفاية اذا قام به البعض سقط عن البعض الباقين ولذلك تخلف قوم من الصحابة رضي الله عنهم في هذه المقامات كسعد بن ابي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن سلمة وغيرهم وصوب ذلك علي بن ابي طالب لهم واعتذر اليه كل واحد منهم بعذر قبله منه ويروى ان معاوية رضي الله عنه لما افضى اليه الامر عاتب سعدا على ما فعل وقال له لم تكن ممن اصلح بين الفيتين حين اقتتلا ولا ممن قاتل الفية الباغية فقال له سعد ندمت على تركي قتال الفية الباغية فتبين انه ليس على الكل درك فيما فعل وانما كان تصرفا بحكم الاجتهاد واعمالا بمقتضى الشرع والله اعلم الخامسة قوله تعالى فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل ومن العدل في صلحهم ان لا يطالبوا بما جرى بينهم من دم ولا مال فانه تلف على تاويل وفي طلبهم تنفير لهم عن الصلح واستشرا في البغي وهذا اصل في المصلحة وقد قال لسان الامة ان حكمة الله تعالى في حرب الصحابة التعريف منهم لاحكام قتال اهل التاويل اذ كان احكام قتال اهل الشرك قد عرفت على لسان الرسول عليه السلام وفعله السادسة اذا خرجت على الامام العدل خارجة باغية ولا حجة لها قاتلهم الامام بالمسلمين كافة او بمن فيه كفاية ويدعوهم قبل ذلك الى الطاعة والدخول في الجماعة فان ابوا من الرجوع والصلح قوتلوا ولا يقتل اسيرهم ولا يتبع مدبرهم ولا يذفف على جريحهم ولا تسبى ذراريهم ولا اموالهم واذا قتل العادل الباغي او الباغي العادل وهو وليه فلم يتوارثا ولا يرث قاتل عمدا على حال وقد قيل ان العادل يرث الباغي قياسا على القصاص السابعة وما استهلكه الخوارج او البغاة من دم او مال ثم تابوا لم يواخذوا به وقال ابو حنيفة يضمنون وللشافعي قولان وجه قول ابي حنيفة انه اتلاف بعدوان فيلزم الضمان والمعول في ذلك عندنا

ان الصحابة رضي الله عنهم في حروبهم لم يتبعوا مدبرا ولا دففوا على جريح ولا قتلوا اسيرا ولا ضمنوا نفسا ولا مالا وهم القدوة وقد قال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله اتدري كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله اعلم فقال لا يجهز على جريحها ولا يقتل اسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيها فاما ما كان قايما رد بعينه هذا كله فيمن خرج بتاويل يسوغ له وذكر الزمخشري في تفسيره ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتي بان الضمان يلزمها اذا فاءت واما قبل التجمع والتجند او حين تتفرق عند وضع الحرب اوزارها ما جنته ضمنته عند الجميع فحمل الاصلاح بالعدل في قوله فاصلحوا بينهما بالعدل على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره وجهه ان يحمل على كون الفية الباغية قليلة العدد والذي ذكروا ان الغرض اماتة الضغاين وسل الاحقاد دون ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمامور به من اعمال العدل ومراعاة القسط قال الزمخشري فان قلت فلم قرن بالاصلاح الثاني العدل دون الاول قلت لان المراد بالاقتتال في اول الاية ان يقتتلا باغيتين او راكبتا شبهة فايتهما كان فالذي يجب على المسلمين ان ياخذوا به في شانهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهما باراة الحق والمواعظ الشافية ونفي الشبهة الا اذا اصرتا فحينيذ تجب المقاتلة واما الضمان فلا يتجه وليس كذلك اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين الثامنة ولو تغلبوا على بلد فاخذوا الصدقات واقاموا الحدود وحكموا فيهم بالاحكام لم تثن عليهم الصدقات ولا الحدود ولا ينقض من احكامهم الا ما كان خلافا للكتاب والسنة والاجماع كما تنقض احكام اهل العدل والسنة قاله مطرف وابن الماجشون وقال ابن القاسم لا يجوز بحال وروي عن اصبغ انه جايز وروي عنه ايضا لا يجوز توليته فلم يجز كما لم يكونوا بغاة والعمدة لنا ما قدمناه من ان الصحابة رضي الله عنهم لما انجلت الفتنة وارتفع الخلاف بالهدنة والصلح لم يعرضوا لاحد منهم في حكم قال القاضي ابو بكر بن العربي الذي عندي ان ذلك لا يصح لان الفتنة لما انجلت كان الامام هو الباغي ولم يكن هناك من يعترضه والله اعلم التاسعة لا يجوز ان ينسب الى احد من الصحابة خطا مقطوع اذ كانوا كلهم اجتهدوا فيما فعلوه وارادوا الله عز وجل وهم كلهم لنا ايمة وقد تعبدنا بالكف عما شجر بينهم ولا نذكرهم الا باحسن الذكر لحرمة الصحبة ولنهي النبي صلى الله عليه وسلم عن سبهم وان الله قد غفر لهم واخبر بالرضى عنهم هذا مع ما قد ورد من الاخبار من طرق مختلفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان طلحة شهيد يمشي على وجه الارض فلو كان ما خرج اليه من الحرب عصيانا لم يكن بالقتل فيه شهيدا وكذلك لو كان ما خرج اليه خطا في التاويل وتقصيرا في الواجب عليه لان الشهادة لا تكون الا بقتل في طاعة فوجب حمل امرهم على ما بيناه ومما يدل على ذلك ما قد صح وانتشر من اخبار علي بان قاتل الزبير في النار وقوله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بشر قاتل ابن صفية بالنار واذا كان كذلك فقد ثبت ان طلحة والزبير غير عاصيين ولا اثمين بالقتال لان ذلك لو كان كذلك لم يقل النبي صلى الله عليه وسلم في طلحة شهيدا ولم يخبر ان قاتل الزبير في النار وكذلك من قعد غير مخطي في التاويل بل صواب اراهم الله الاجتهاد واذا كان كذلك لم يوجب ذلك لعنهم والبراة منهم وتفسيقهم وابطال فضايلهم وجهادهم وعظيم غنايهم في الدين رضي الله عنهم وقد سيل بعضهم عن الدما التي اريقت فيما بينهم فقال تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسالون عما كانوا يعملون وسيل بعضهم عنها ايضا فقال تلك دما قد طهر الله منها يدي ولا اخضب بها لساني يعني في التحرز من الوقوع في خطا والحكم على بعضهم بما لا يكون مصيبا فيه قال ابن فورك ومن اصحابنا من قال ان سبيل ما جرت بين الصحابة من المنازعات ما جرت بين اخوة يوسف مع يوسف ثم انهم لم يخرجوا عن حد الولاية والنبوة فكذلك الامر جرى بين الصحابة وقال المحاسبي فاما الدما فقد اشكل علينا القول فيها

باختلافهم وقد سئل الحسن البصري عن قتالهم فقال قتال شهده اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم وغبنا وعلموا وجهلنا واجتمعوا فاتبعنا واختلفوا فوقفنا
قال المحاسبي فنحن نقول كما قال الحسن ونعلم ان القوم كانوا اعلم بما دخلوا فيه منا
ونتبع ما اجمعوا عليه ونقف عند ما اختلفوا فيه ولا نبتدع رايا منا ونعلم انهم اجتهدوا
وارادوا الله عز وجل اذ كانوا غير متهمين في الدين ونسال الله التوفيق قوله تعالى
انما المومنون اخوة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى انما المومنون اخوة اي في
الدين والحرمة لا في النسب ولهذا قيل اخوة الدين اثبت من اخوة النسب فان اخوة
النسب تنقطع بمخالفة الدين واخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب وفي الصحيحين
عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا
تجسسوا ولا تناجشوا وكونوا عباد الله اخوانا وفي رواية لا تحاسدوا ولا تناجشوا
ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله اخوانا
المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوى هاهنا ويشير الى صدره ثلاث
مرات بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه
لفظ مسلم وفي غير الصحيحين عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم المسلم
اخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه ولا يخذله ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عليه
الريح الا باذنه ولا يوذيه بقتار قدره الا ان يغرف له غرفة ولا يشتري لبنيه الفاكهة
فيخرجون بها الى صبيان جاره ولا يطعمونهم منها ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم
احفظوا ولا يحفظ منكم الا القليل الثانية قوله تعالى فاصلحوا بين اخويكم اي
بين كل مسلمين تخاصما وقيل بين الاوس والخزرج على ما تقدم وقال ابو علي
اراد بالاخوين الطائفتين لان لفظ التثنية يرد والمراد به الكثرة كقوله تعالى
بل يداه مبسوطتان وقال ابو عبيدة بين كل اخوين فهو آت على الجمع وقرا
ابن سيرين ونصر بن عاصم وابو العالية والجحدري ويعقوب بين اخوتكم بالتاء على
الجمع وقرا الحسن اخوانكم الباقون اخويكم بالياء على التثنية الثالثة في هذه الاية
والتي قبلها دليل على ان البغي لا يزيل اسم الايمان لان الله تعالى سماهم اخوة
مومنين مع كونهم باغين قال الحارث الاعور سئل علي بن ابي طالب رضي الله عنه
وهو القدوة في قتال اهل البغي عن اهل الجمل وصفين امشركون هم قال لا من
الشرك فروا فقيل امنافقون فقال لان المنافقين لا يذكرون الله الا قليلا قيل
فما حالهم قال اخواننا بغوا علينا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم قيل عند الله
وقيل خيرا منهم اي معتقدا واسلم باطنا والسخرية الاستهزاء سخرت منه اسخر سخرا
بالتحريك ومسخرا وسخرا بالضم وحكى ابو زيد سخرت به وهو اردا اللغتين وقال
الاخفش سخرت منه وسخرت به وضحكت منه وضحكت به وهزئت منه وهزئت
به كل يقال والاسم السخرية والسخري والسخري وقرئ بهما قوله تعالى ليتخذ
بعضهم بعضا سخريا وقد تقدم وفلان سخرة يسخر في العمل يقال خادمه
سخرة ورجل سخرة ايضا يسخر منه وسخرة بفتح الخاء يسخر من الناس الثانية
اختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس نزلت في ثابت بن قيس بن شماس
كان في اذنه وقر فاذا سبقوه الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم اوسعوا له
اذا اتى حتى يجلس الى جنبه يسمع ما يقول فاقبل ذات يوم وقد فاتته من
صلاة الفجر ركعة مع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا انصرف النبي صلى الله عليه
وسلم اخذ اصحابه مجالسهم منه فربض كل رجل منهم بمجلسه وعضوا فيه فلا
يكاد يوسع احد لاحد حتى يظل الرجل لا يجد مجلسا فيظل قائما فلما انصرف
ثابت من الصلاة تخطى رقاب الناس ويقول تفسحوا تفسحوا حتى انتهى الى

النبي صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل فقال له تفسح فقال له الرجل قد
وجدت مجلسا فاجلس فجلس ثابت من خلفه مغضبا ثم قال من هذا قالوا فلان
فقال ثابت ابن فلانة يعيره بها يعني اما له في الجاهلية فاستحيا الرجل فنزلت وقال
الضحاك نزلت في وفد بني تميم الذي تقدم ذكرهم في اول السورة استهزؤوا بفقراء الصحابة
مثل عمار وخباب وابن فهيرة وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى ابي حذيفة
وغيرهم لما راوا من رثاثة حالهم فنزلت في الذين امنوا منهم وقال مجاهد هو سخرية الغني
من الفقير وقال ابن زيد لا يسخر من ستر الله عليه ذنوبه ممن كشفه الله فلعل
اظهار ذنوبه في الدنيا خير له في الاخرة وقيل نزلت في عكرمة بن ابي جهل حين
قدم المدينة مسلما وكان المسلمون اذا راوه قالوا ابن فرعون هذه الامة فشكا ذلك
الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت وبالجملة فينبغي ان لا يجترئ احد على الاستهزاء بمن
يقتحمه بعينه اذا رآه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبيق في محادثته فلعله
اخلص ضميرا وانقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهزاء
بمن عظمه الله ولقد بلغ السلف افراط توقيهم وتصونهم من ذلك ان قال عمرو بن شرحبيل
لو رايت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت ان اصنع مثل الذي صنع وعن عبد الله
ابن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب خشيت ان احول كلبا والقوم في اللغة
للمذكرين خاصة قال زهير * وما ادري وسوف اخال ادري * اقوم آل حصن ام نساء *
وسموا قوما لانهم يقومون مع داعيهم في الشدائد وقيل انه جمع قائم ثم استعمل في كل
جماعة وان لم يكونوا قائمين وقد يدخل في القوم النساء مجازا وقد مضى في البقرة
بيانه الثالثة قوله ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن افرد النساء بالذكر لان السخرية
منهن اكثر وقد قال الله تعالى انا ارسلنا نوحا الى قومه فشمل الجميع قال المفسرون
نزلت في امراتين من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سخرتا من ام سلمة وذلك
انها ربطت حقويها بسبيبة وهو ثوب ابيض ومثلها السب وسدلت طرفيها خلفها
وكانت تجرها فقالت عائشة لحفصة رضي الله عنهما انظري ما يجر خلفها كانه لسان
كلب فهذه كانت سخريتهما وقال انس وابن زيد نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم
عيرن ام سلمة بالقصر وقيل نزلت في عائشة اشارت بيدها الى ام سلمة يا نبي الله
انها لقصيرة وقال عكرمة عن ابن عباس ان صفية بنت حيي بن اخطب اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان النساء يعيرنني ويقلن يا يهودية بنت
يهوديين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا قلت ان ابي هرون وان عمي موسى
وان زوجي محمد فانزل الله تعالى هذه الاية الرابعة في صحيح الترمذي عن عائشة
قالت حكيت للنبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ما يسرني اني حكيت رجلا وان لي
كذا وكذا قالت فقلت يا رسول الله ان صفية امراة وقالت بيدها هكذا يعني انها قصيرة
فقال لقد مزجت بكلمة لو مزج بها البحر لمزج وفي البخاري عن عبد الله بن زمعة
قال نهى النبي صلى الله عليه وسلم ان يضحك الرجل مما يخرج من الانفس وقال لم
يضرب احدكم امراته ضرب الابل ثم لعله يعانقها وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم
واعمالكم وهذا حديث عظيم يترتب عليه ان لا يقطع بعيب احد لما يرى عليه من
صور اعمال الطاعة او المخالفة فلعل من يحافظ على الاعمال الظاهرة يعلم الله من
قلبه وصفا مذموما لا تصح معه تلك الاعمال ولعل من راينا عليه تفريطا او معصية
يعلم الله من قلبه وصفا محمودا يغفر له بسببه فالاعمال امارات ظنية لا ادلة قطعية
ويترتب عليها عدم الغلو في تعظيم من راينا عليه افعالا صالحة وعدم الاحتقار
لمسلم راينا عليه افعالا سيئة بل تحتقر وتذم تلك الحالة السيئة لا تلك الذات المسيئة
فتدبر هذا فانه نظر دقيق وبالله التوفيق قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم فيه
ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى ولا تلمزوا انفسكم اللمز العيب وقد مضى في براءة عند

قوله ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال الطبري اللمز باليد والعين واللسان
والاشارة والهمز لا يكون الا باللسان وهذه الآية مثل قوله تعالى ولا تقتلوا انفسكم
اي لا يقتل بعضكم بعضا لان المومنين كنفس واحدة فكانه بقتل اخيه قاتل نفسه
وكقوله تعالى فسلموا على انفسكم يعني يسلم بعضهم على بعض والمعنى لا يعب بعضكم
بعضا وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وسعيد بن جبير لا يطعن بعضكم على بعض
وقال الضحاك لا يلعن بعضكم بعضا وقرئ ولا تلمزوا بالضم وفي قوله انفسكم تنبيه
على ان العاقل لا يعيب نفسه فلا ينبغي ان يعيب غيره لانه كنفسه قال صلى الله
عليه وسلم المومنون كرجل واحد ان اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالسهر
والحمى وقال بكر بن عبد الله اذا اردت ان تنظر العيوب جمة فتامل عيابا فانه
انما يعيب الناس بفضل ما فيه من العيب وقال النبي صلى الله عليه وسلم يبصر احدكم
القذاة من عين اخيه ويدع الجذع في عينه وقيل من سعادة المرء ان يشتغل بعيب
نفسه عن عيوب غيره قال الشاعر

المرء اذا كان عاقلا ورعا ... اشغله عن عيوبه ورعه
كما العليل المريض يشغله ... عن وجع الناس كلهم وجعه

وقال آخر

لا تكشفن مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا
واذكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا ... ولا تعب احدا منهم بما فيكا

الثانية قوله تعالى ولا تنابزوا بالالقاب النبز بالتحريك اللقب والجمع الانباز
والنبز بالتسكين المصدر تقول نبزه ينبزه نبزا اي لقبه وفلان ينبز بالصبيان اي
اي يلقبهم شدد للكثرة ويقال النبز والنزب لقب السوء وتنابزوا بالالقاب اي
لقب بعضهم بعضا وفي الترمذي عن ابي جبيرة بن الضحاك قال كان الرجل منا
يكون له الاسمين والثلاثة فيدعى ببعضها فعسى ان يكره فنزلت هذه الآية ولا
تنابزوا بالالقاب قال هذا حديث حسن وابو جبيرة هذا هو اخو ثابت بن الضحاك
بن خليفة الانصاري وابو زيد سعيد بن الربيع صاحب الهروي ثقة وفي مصنف
ابي داود عنه عليه السلام قال فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة ولا تنابزوا
بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليس منا رجل الا وله اسمان او ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يا فلان فيقولون مه يا رسول الله انه يغضب من هذا الاسم فنزلت هذه الآية ولا
تنابزوا بالالقاب فهذا قول وقول ثان قال الحسن ومجاهد كان الرجل يعير
بعد اسلامه بكفره يا يهودي يا نصراني فنزلت وروي عن قتادة وابي العالية
وعكرمة وقال قتادة هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق وقاله مجاهد
والحسن ايضا بئس الاسم الفسوق بعد الايمان اي بئس ان يسمى الرجل كافرا
او زانيا بعد اسلامه وتوبته قاله ابن زيد وقيل المعنى ان من لقب اخاه او سخر
منه فهو فاسق وفي الصحيح من قال لاخيه كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما
قال والا رجعت اليه فمن فعل ما نهى الله عنه من السخرية والهمز والنبز فذلك
فسوق وذلك لا يجوز وقد روي ان ابا ذر رضي الله عنه كان عند النبي صلى الله
عليه وسلم فنازع رجلا فقال له ابو ذر يا ابن اليهودية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما ترى ها هنا من احمر واسود ما انت بافضل منه يعني بالتقوى ونزلت
ولا تنابزوا بالالقاب وقال ابن عباس التنابز بالالقاب ان يكون الرجل عمل
السيئات ثم تاب فنهى الله ان يعير بما سلف يدل عليه ما روي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال من عير مومنا بذنب تاب منه كان حقا على الله ان يبتليه به ويفضحه فيه
في الدنيا والآخرة الثالثة وقع مستثنى ما غلب عليه الاستعمال كالاعرج والاحدب
ولم يكن له كسب يجد في نفسه منه عليه فجوزته الامة واتفق على قوله اهل اللغة
قال ابن العربي وقد ورد لعمري من ذلك في كتبهم ما ارضاه في صالح جزرة لانه صحف

حرزه

خرزة فلقب بها وكذلك قولهم في محمد بن سليمان الحضرمي مطين لانه وقع في طين
ونحو ذلك مما غلب على المتاخرين ولا اراه سائغا في الدين وقد كان موسى بن
علي بن رباح المصري يقول لا اجعل احدا صغر اسم ابي في حل وكان الغالب على اسمه
التصغير بضم العين والذي يضبط هذا كله ان كل ما يكرهه الانسان اذا نودي به
فلا يجوز لاجل الاذاية والله اعلم قال المولف رحمه الله وعلى هذا المعنى ترجم البخاري
رضي الله عنه في كتاب الادب من الجامع الصحيح باب ما يجوز من ذكر الناس نحو
نحو قولهم الطويل والقصير لا يراد به شين الرجل قال وقال النبي صلى الله
عليه وسلم ما يقول ذو اليدين قال ابو عبد الله بن خويز منداد تضمنت الآية
المنع من تلقيب الانسان بما يكره ويجوز تلقيبه بما يحب الا ترى ان النبي صلى
الله عليه وسلم لقب عمر بالفاروق وابا بكر بالصديق وعثمان بذي النورين وخزيمة
بذي الشهادتين وابا هريرة وذا الشمالين وذا اليدين واشباه ذلك قال الزمخشري
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حق المومن على المومن ان يسميه باحب
اسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والحسن قال عمر رضي الله عنه اشيعوا
الكنى فانها منبهة ولقد لقب ابو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة
باسد الله وخالد بسيف الله وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب
ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها من العرب والعجم تجري في مخاطباتهم
ومكاتباتهم من غير نكير وقال الماوردي فاما مستحب الالقاب ومستحسنها فلا يكره
وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من اصحابه باوصاف صارت لهم من اجل
الالقاب قلت فاما ما يكون ظاهرها الكراهة اذا اريد بها الصفة لا العيب فذلك
كثير وقد سئل ابن المبارك عن الرجل يقول حميد الطويل وسليمان الاعمش وحميد
الاعرج ومروان الاصفر فقال اذا اردت صفته ولم ترد عيبه فلا باس به وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن سرجس قال رايت الاصلع يعني عمر يقبل الحجر وفي رواية
الاصيلع قوله تعالى ومن لم يتب اي عن هذه الالقاب التي يتاذى بها السامعون
فاولئك هم الظالمون لانفسهم بارتكاب هذه المناهي قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
اجتنبوا كثيرا من الظن الى قوله تواب رحيم فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل انها نزلت في رجلين من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سافر
ضم الرجل المحتاج الى الرجلين الموسرين فيخدمهما فضم سلمان الى رجلين فتقدم
سلمان الى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيئ لهما شيئا فجاءا فلم يجدا طعاما ولا اداما
فذهب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فذهب اليه فقال اسامة ما عندي شيء
فرجع اليهما فاخبرهما فقالا قد كان عنده ولكنه بخل ثم بعثا سلمان الى طائفة من
الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالا لو بعثنا سلمان الى بئر سميحة لغار ماؤها ثم
انطلقا يتجسسان هل عند اسامة شيء فراهما النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما لي ارى
خضرة اللحم في افواهكما فقالا يا نبي الله والله ما اكلنا في يومنا هذا لحما ولا غيره
فقال ولكنكما ظلتما تاكلان لحم سلمان واسامة فنزلت يا ايها الذين امنوا اجتنبوا
كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ذكره الثعلبي اي لا تظنوا باهل الخير سوءا اذا
كنتم تعلمون من ظاهر امرهم الخير الثانية ثبت في الصحيحين عن ابي هريرة ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث ولا تجسسوا
ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا
لفظ البخاري قال علماؤنا فالظن هنا وفي الآية هو التهمة ومحل التحذير والنهي
انما هو تهمة لا سبب لها كمن يتهم بالفاحشة او بشرب الخمر مثلا ولم يظهر عليه ما يقتضي
ذلك ودليل كون الظن هنا بمعنى التهمة قوله بعد هذا ولا تجسسوا وذلك انه
قد يقع له خاطر التهمة ابتداء فيريد ان يتجسس خبر ذلك ويبحث عنه ويتبصر ويستمع

ليتحقق ما وقع له من تلك التهمة فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وان شئت قلت والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها انه كل ما لم تعرف له امارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح واونست منه الامانة في الظاهر فظن الفساد به والخيانة محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب والمجاهرة بالخبائث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وان يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا في زمن الظن بالناس فيه حرام وانت اليوم في زمن اعمل واسكت وظن في الناس ما شئت. الثالثة للظن حالتان حالة تعرف وتقوى بوجه من وجوه الادلة فيجوز الحكم بها واكثر احكام الشريعة مبنية على غلبة الظن كالقياس وخبر الواحد وغير ذلك من قيم المتلفات وارش الجنايات والحالة الثانية ان يقع في النفس شيء من غير دلالة فلا يكون ذلك اولى من ضده فهذا هو الشك ولا يجوز الحكم به وهو المنهي عنه على ما قررناه انفا وقد انكرت جماعة من المبتدعة تعبد الله بالظن وجواز العمل به تحكما في الدين ودعوى في المعقول وليس في ذلك اصل يعول عليه فان الباري تعالى لم يذم جميعه وانما ورد الذم في بعضه وربما تعلقوا بحديث ابي هريرة اياكم والظن فانه وهذا لا حجة فيه لان الظن في الشريعة قسمان محمود ومذموم فالمحمود منه ما سلم معه دين الظان والمظنون به عند بلوغه والمذموم ضده بدلالة قوله تعالى ان بعض الظن اثم وقوله ولولا اذ سمعتموه ظن المومنون والمومنات بانفسهم خيرا وقوله تعالى وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسب كذا ولا ازكي على الله احدا وقال اذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ واذا تطيرت فامض خرجه ابو داود واكثر العلماء على ان الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وانه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح قاله المهدوي. الرابعة قوله تعالى ولا تجسسوا قرا ابو رجا والحسن وغيرهما ولا تحسسوا بالحاء واختلف هل هما بمعنى واحد او بمعنيين فقال الاخفش ليس يبعد احدهما من الاخر لان التجسس البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء طلب الاخبار والبحث عنها وقيل التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس اذا كان يبحث عن الامور وبالحاء هو ما ادركه الانسان ببعض حواسه وقول ثان في الفرق انه بالحاء يطلبه لنفسه وبالجيم ان يكون رسولا لغيره قاله ثعلب والاول اعرف حسست الاخبار وتحسستها اي تفحصت عنها ومنه الجاسوس ومعنى الاية خذوا ما ظهر ولا تتبعوا عورات المسلمين اي لا يبحث احدكم عن عيب اخيه حتى يطلع عليه بعد ان ستره الله. وفي كتاب ابي داود عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انك ان اتبعت عورات الناس افسدتهم او كدت ان تفسدهم فقال ابو الدردا كلمة سمعها معاوية من رسول الله صلى الله عليه وسلم نفعه الله بها وعن المقداد بن معدي كرب عن ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الامير اذا ابتغى الريبة في الناس افسدهم وعن زيد بن وهب قال اتي ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال عبد الله انا قد نهينا عن التجسس ولكن ان ظهر لنا شيء ناخذ به وعن ابي برزة الاسلمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع الله عورته يفضحه في بيته وقال عبد الرحمن بن عوف حرست ليلة مع عمر بن الخطاب بالمدينة اذ تبين لنا سراج في بيت بابه مجاف على قوم لهم اصوات مرتفعة ولغط فقال عمر هذا بيت ربيعة بن امية بن خلف وهو الان شرب فما ترى قلت ارى انا قد اتينا ما نهى الله عنه قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسسنا فانصرف وتركهم وقال ابو قلابة حدث عمر بن الخطاب ان ابا محجن الثقفي يشرب الخمر مع اصحاب له في بيته فانطلق عمر حتى دخل عليه فاذا ليس عنده الا رجل فقال ابو محجن

ان هذا لا يحل لك قد نهاك الله عن التجسس فخرج عمر وتركه وقال زيد بن اسلم خرج عمر وعبد الرحمن يعسان اذ تبينت لهما نار فاستاذنا ففتح الباب فاذا رجل وامراة تغني وعلى يد الرجل قدح فقال عمر وانت بهذا يا فلان فقال وانت بهذا يا امير المومنين قال عمر فمن هذه منك قال امراتي قال فما في القدح قال ماء زلال فقال للمراة وما الذي تغنين فقالت

تطاول هذا الليل واسود جانبه ・ وارقني الا خليل الاعبه
فوالله لولا الله لا شيء غيره ・ لزعزع من هذا السرير جوانبه
ولكن عقلي والحياء يكفني ・ واكرم بعلي ان تنال مراكبه

ثم قال الرجل ما بهذا امرنا امير المومنين قال الله تعالى ولا تجسسوا قال صدقت قلت لا نفهم من هذا الخبر ان المراة كانت غير زوجة الرجل لان عمر لا يقر على الزنا وانما غنت بتلك الابيات تذكارا لزوجها وانها قالتها في مغيبه عنها والله اعلم وقال عمرو بن دينار كان رجل من اهل المدينة له اخت فاشتكت فكان يعودها فماتت فدفنها فكان هو الذي نزل في قبرها فسقط من كمه كيس فيه دنانير فاستعان ببعض اهله فنبشوا قبرها فاخذ الكيس ثم قال لاكشفن حتى انظر ما ال حال اختي اليه فكشف عنها فاذا القبر مشتعل نارا فجا الى امه فقال اخبريني ما كان عمل اختي فقالت قد ماتت اختك فما سوالك عن عملها فلم يزل بها حتى قالت له كان من عملها انها كانت توخر الصلاة عن مواقيتها وكانت اذا نام الجيران قامت الى بيوتهم فالقمت اذنها ابوابهم فتجسس عليهم وتخرج اسرارهم فقال بهذا هلكت. الخامسة قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا نهى الله عز وجل عن الغيبة وهي ان تذكر الرجل بما فيه فان ذكرته بما ليس فيه فهو البهتان ثبت معناه في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قال افرايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته يقال اغتابه اغتيابا اذا وقع فيه والاسم الغيبة وهي ذكر العيب قال الحسن الغيبة ثلاثة اوجه كلها في كتاب الله عز وجل الغيبة والافك والبهتان فاما الغيبة فهو ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول فيه ما بلغك عنه واما البهتان فان تقول فيه ما ليس فيه وعن شعبة قال قال لي معاوية بن قرة لو مر بك رجل اقطع فقلت هذا اقطع كانت غيبة قال شعبة فذكرته لابي اسحاق فقال صدق وروى ابو هريرة ان الاسلمي ماعزا جا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه بالزنا فرجمه النبي صلى الله عليه وسلم فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم رجلين من اصحابه يقول احدهما للاخر انظر الى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار فقال اين فلان وفلان انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فقالا يا نبي الله ومن ياكل من هذا قال فما نلتما من عرض اخيكما اشد من الاكل منه والذي نفسي بيده انه الان في انهار الجنة ينغمس فيها. السادسة قوله تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا مثل الله تعالى الغيبة باكل الميتة لان الميت لا يعلم باكل لحمه كما ان الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه وقال ابن عباس انما ضرب الله هذا المثل للغيبة لان اكل لحم الميت حرام مستقذر وكذلك الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس وقال قتادة كما يمتنع احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا كذلك يجب ان يمتنع من غيبته حيا واستعمل اكل اللحم مكان الغيبة لان عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر

فان اكلوا لحمي وفرت لحومهم ・ وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما صام من ظل ياكل لحوم الناس فشبه الوقيعة في الناس باكل لحومهم فمن تنقص مسلما او ثلم عرضه فهو كالاكل لحمه حيا ومن اغتابه فهو كالاكل لحمه ميتا وفي كتاب ابي داود عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وعن المستورد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اكل برجل مسلم اكلة فان الله يطعمه

مثلها من جهنم ومن كسي ثوبا برجل مسلم فان الله يكسوه مثله في جهنم ومن قام
برجل مسلم مقام سمعة ورياء فان الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة وقد تقدم قوله
صلى الله عليه وسلم يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الايمان قلبه لا تغتابوا المسلمين
وقوله للرجلين مالي ارى خضرة اللحم في افواهكما قال ابو قلابة الرقاشي سمعت
ابا عاصم يقول لما اغتبت احدا منذ عرفت ما في الغيبة وكان ميمون بن سياه لا يغتاب
احدا ولا يدع احدا يغتاب عنده ينهاه فان انتهى والا قام وذكر الثعلبي من حديث
ابي هريرة قال قام رجل من عند النبي صلى الله عليه وسلم فراوا في قيامه عجزا فقالوا
يا رسول الله ما اعجز فلانا فقال اكلتم لحم اخيكم فاغتبتموه الا انه يكره ذلك وقال
عمر بن الخطاب رضي الله عنه اياكم وذكر الناس فانه داء وعليكم بذكر الله فانه شفاء وسمع
علي بن الحسين رضي الله عنهما رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب
الناس وقيل لعمرو بن عبيد لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك قال اياه ارحموا وقال
رجل للحسن بلغني انك تغتابني فقال لم يبلغ قدرك عندي ان احكمك في حسناتي
السابعة ذهب قوم الى ان الغيبة لا تكون الا في الدين ولا تكون في الخلقة والحسب
وقالوا ذلك فعل الله به وذهب اخرون الى عكس هذا فقالوا لا تكون الغيبة الا في
الخلق والخلق والحسب والغيبة في الخلق اشد لان من عيب صنعة فانما عيب
صانعها وهذا كله مردود اما الاول فرده حديث عائشة حين قالت في صفية انها
امراة قصيرة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر
لمزج خرجه ابو داود وقال فيه الترمذي حديث حسن صحيح وما كان في
معناه حسبما تقدم واجماع العلماء قديما على ان ذلك غيبة اذا اريد به العيب
واما الثاني فمردود ايضا عند جميع العلماء لان العلماء من اول الدهر من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم والتابعين بعدهم لم تكن الغيبة عندهم في شيء اعظم
من الغيبة في الدين لان عيب الدين اعظم العيب فكل مؤمن يكره ان يذكر في دينه
اشد مما يكره في بدنه وكفى ردا لمن كان هذا القول قوله عليه السلام اذا قلت
في اخيك ما يكره فقد اغتبته الحديث فمن زعم ان ذلك ليس بغيبة فقد رد ما قال
النبي صلى الله عليه وسلم نصا وكفى بعموم قول النبي صلى الله عليه وسلم دماؤكم
واموالكم واعراضكم عليكم حرام وذلك عام للدين والدنيا وقول النبي صلى الله عليه
وسلم من كانت لاخيه مظلمة عرضه او ماله فليتحلله منه فعم كل عرض فمن خص
من ذلك شيئا دون شيء فقد عارض ما قال النبي صلى الله عليه وسلم الثامنة لا
خلاف ان الغيبة من الكبائر وان من اغتاب احدا عليه ان يتوب الى الله عز وجل
وهل يستحل المغتاب فيه فقالت فرقة ليس عليه استحلاله وانما هي خطيئة بينه
وبين ربه واحتجت بانه لم ياخذ من ماله ولا اصاب من بدنه ما ينقصه فليس ذلك
مظلمة يستحلها منه وانما المظلمة ما يكون منه البدل والعوض في المال والبدن
وقالت فرقة هي مظلمة وكفارتها الاستغفار لصاحبها الذي اغتابه واحتجت
بحديث يروى عن الحسن قال كفارة الغيبة ان تستغفر لمن اغتبته وقالت فرقة
هي مظلمة وعليه الاستحلال منها واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم من كانت
لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليتحلله منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك
دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه
فزيد على سيئاته خرجه البخاري من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من كانت لاخيه مظلمة عنده في عرضه او شيء فليتحلله منه اليوم
قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ان كان له عمل صالح اخذ منه بقدر مظلمته وان
لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه وقد تقدم هذا المعنى في سورة
آل عمران عند قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
وقد روي من حديث عائشة ان امراة دخلت عليها فلما قامت قالت ما اطول ذيلها

فقالت

فقالت لها عائشة لقد اغتبتيها فاستحليها فدلت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم
انها مظلمة يجب على المغتاب استحلالها واما قول من قال انما الغيبة في البدن والمال
فقد اجمعت العلماء على ان القاذف للمقذوف مظلمة ياخذ بالحد حتى يقيمه عليه
وذلك ليس في البدن ولا في المال ففي ذلك دليل على الظلم في العرض والبدن والمال
وقد قال الله تعالى في القاذف فان لم ياتوا باربعة شهداء الى قوله فاولئك هم
الفاسقون وقال النبي صلى الله عليه وسلم من بهت مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله
في طينة الخبال وذلك كله في غير المال والبدن واما من قال انها مظلمة وكفارة المظلمة
ان يستغفر لصاحبها فقد ناقض اذ سماها مظلمة ثم قال كفارتها ان يستغفر لصاحبها
لان قوله مظلمة يثبت ظلامة المظلوم فاذا ثبتت الظلامة لم يزلها عن الظالم الا احلال
المظلوم له واما قول الحسن فليس بحجة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم من كانت
له عند اخيه مظلمة في عرض او مال فليتحللها منه وقد ذهب بعضهم الى ترك التحليل
لمن ساله ورأى انه لا يحل له ما حرم عليه ابدا وخبر النبي صلى الله عليه وسلم يدل على
التحليل وهو الحجة والمبين والتحليل يدل على الرحمة وهو من وجه العفو وقد قال
تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله التاسعة ليس من هذا الباب غيبة الفاسق
المعلن به المجاهر فان في الخبر من القى جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال صلى الله عليه
وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كي يحذره الناس فالغيبة اذا في المرء الذي يستر نفسه
وروي عن الحسن انه قال ثلاثة ليست لهم حرمة صاحب الهوى والفاسق المعلن
والامام الجائر وقال الحسن لما مات الحجاج اللهم انت امته فاقطع عنا سنته وفي رواية
سيئته فانه اتانا اخيفش اعيمش يمد بيد قصيرة البنان والله ما عرق فيها غبار
في سبيل الله يرجل جمته ويخطر في مشيته ويصعد المنبر فيهدر حتى تفوته الصلاة
لا من الله يتقي ولا من الناس يستحي فوقه الله وتحته مائة الف او يزيدون لا يقول
له قائل الصلاة ايها الرجل ثم يقول الحسن هيهات حال دون ذلك السيف والسوط
وروى الربيع بن صبيح عن الحسن قال ليس لاهل البدع غيبة وكذلك قولك للقاضي
تستعين به على اخذ حقك ممن ظلمك فتقول فلان ظلمني وغصبني او خانني او
ضربني او قذفني او اساء الي ليس بغيبة وعلماء الامة على ذلك مجمعة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم في ذلك لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل
عرضه وعقوبته ومن ذلك الاستفتاء لقول هند للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان
رجل شحيح لا يعطيني انا وولدي وآخذ من غير علمه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
نعم فخذي فذكرته بالشح والظلم لها ولولدها ولم يرها مغتابة لانه لم يغير عليها بل
اجابها عليه بالفتيا لها وكذلك اذا كان في ذكره بالسوء فائدة كقوله صلى الله عليه
وسلم اما معاوية فصعلوك لا مال له واما ابو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه فهذا
جائز مقصوده ان لا تغتر فاطمة بنت قيس بهما قاله جميعه المحاسبي العاشرة قوله
تعالى ميتا وهو نصب على الحال من اللحم ويجوز ان ينتصب على الاخ ولما قررهم عز
وجل بان احدا منهم لا يحب اكل جيفة اخيه عقب ذلك بقوله تعالى فكرهتموه وفيه
وجهان احدهما فكرهتم اكل الميتة فكذلك فاكرهوا الغيبة روي معناه عن مجاهد
الثاني فكرهتم ان يغتابكم الناس فاكرهوا غيبة الناس وقال الفراء فقد
كرهتموه فلا تفعلوه وقيل لفظه خبر ومعناه الامر اي اكرهوه واتقوا الله عطف
عليه وقيل عطف على قوله اجتنبوا ولا تجسسوا ان الله تواب رحيم قوله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى الآية فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى
يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى يعني آدم وحواء ونزلت الآية في ابي هند ذكره
ابو داود في المراسيل ثنا عمرو بن عثمان وكثير بن عبيد قالا ثنا بقية بن الوليد قال
ثنا الزهري قال امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني بياضة ان يزوجوا ابا هند
امراة منهم فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم نزوج بناتنا موالينا فانزل الله

عز وجل انا خلقناكم من ذكر وانثى الايه فقال الزهري نزلت في ابي هند خاصة وقيل
انها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقوله في الرجل الذي لم يتفسح له ابن فلانة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم من الذاكر فلانه قال ثابت انا يا رسول الله فقال
النبي صلى الله عليه وسلم انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رايت قال رايت ابيض واسود واحمر
قال فانك لا تفضلهم الا بالتقوى فنزلت في ثابت هذه الايه ونزلت في الرجل الذي لم
يتفسح له يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس الاية قال ابن عباس وقال
مقاتل لما كان يوم فتح مكة امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر
الكعبة فاذن فقال عتاب بن اسيد بن العيص الحمد لله الذي قبض ابي حتى لا يرى
هذا اليوم وقال الحرث بن هشام ما وجد محمد غير هذا الغراب الاسود موذنا وقال
سهيل بن عمرو ان يرد الله شيا يغيره وقال ابو سفيان اني لا اقول شيا اخاف ان يخبر به
رب السموات فاتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم واخبره بما قالوا فدعاهم
وسالهم عما قالوا فاقروا فانزل الله تعالى هذه الاية زجرهم عن التفاخر بالانساب
والتكاثر بالاموال والازدرا بالفقرا فان المدار على التقوى اي الجميع من ادم وحوا انما
الفضل بالتقوى وفي الترمذي عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب بمكة
فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بابايها فالناس
رجلان رجل تقي كريم على الله وفاجر شقي هين على الله والناس بنو ادم وخلق
الله ادم من تراب قال الله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير خرجه من حديث
عبد الله بن جعفر والد علي بن المديني وهو ضعيف ضعفه يحيى بن معين وغيره
وخرج الطبري في كتاب اداب النفوس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال حدثني
او حدثنا من شهد خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى في وسط ايام التشريق
وهو على بعير فقال يا ايها الناس الا ان ربكم واحد وان اباكم واحد الا لا فضل لعربي
على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لاسود على احمر ولا لاحمر على اسود الا بالتقوى الا هل
بلغت قالوا نعم قال ليبلغ الشاهد الغايب وفيه عن ابي مليكة الاشعري قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى احسابكم ولا الى اجسامكم ولا الى
اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم فمن كان له قلب صالح تحنن الله عليه وانما انتم بنو ادم
واحبكم اليه اتقاكم ولعلي هذا المعنى وهو مشهور من شعره النظم •

• الناس في جهة التمثيل اكفاء • ابوهم ادم والام حواء •
• نفس كنفس وارواح مشاكلة • واعظم خلقت فيهم واعضاء •
• فان يكن لهم من اصلهم حسب • يفاخرون به فالطين والماء •
• ما الفضل الا لاهل العلم انهم • على الهدى لمن استهدى ادلاء •
• وقدر كل امرء ما كان يحسنه • وللرجال على الافعال اسماء •
• وضد كل امرء ما كان يجهله • والجاهلون لاهل العلم اعداء •

الثانية بين الله سبحانه في هذه الاية انه خلق الخلق من الذكر والانثى وكذلك
في اول سورة النسا ولو شا لخلقه دونهما كخلقه لادم او دون ذكر كخلقه لعيسى بن مريم
عليه السلام او دون انثى كخلقه لادم من احدى الجهتين وهذا الجايز في القدرة لم
يرد به الوجود وقد جا ان ادم خلق الله منه حوا من ضلع انتزعها من اضلاعه
فلعله هذا القسم قاله ابن العربي الثالثة خلق الله الخلق بين الذكر والانثى انسابا
واصهارا وقبايل وشعوبا وخلق لهم منها التعارف وجعل لهم بها التواصل للحكمة
التي قدرها وهو اعلم بها فصار كل واحد يحوز نسبه فاذا نفاه رجل عنه استوجب
الحد بقذفه مثل ان ينفيه عن رهطه وحسبه بقوله للعربي يا عجمي او للعجمي يا عربي
ونحو ذلك مما يقع به النفي حقيقة الرابعة ذهب قوم من الاوايل الى ان الجنين انما يكون
من ما الرجل وحده ويتربى في رحم الام ويستمد من الدم الذي يكون فيه واحتجوا بقوله

تعالى الم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين وقوله تعالى ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين وقوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى فدل على ان الخلق من ما واحد والصحيح
ان الخلق انما يكون من ما الرجل والمراة لهذه الاية فانها نص لا يحتمل التاويل وقوله
تعالى خلق من ما دافق يخرج من بين الصلب والترايب والمراد منه اصلاب الرجال وترايب
النسا على ما ياتي بيانه واما ما احتجوا به فليس فيه اكثر من ان الله تعالى ذكر خلق
الانسان من الما والسلالة والنطفة ولم يضفها الى احد الابوين دون الاخر فدل على ان
الما والسلالة لهما والنطفة منهما بدلالة ما ذكرنا وبان المراة تمني كما يمني الرجل وعن ذلك
يكون الشبه حسبما تقدم بيانه في اخر الشورى وقد قال في قصة نوح عليه السلام
فالتقى الما على امر قد قدر وانما اراد ما السما وما الارض لان الالتقا لا يكون الا من اثنين فلا
ينكر ان يكون ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وقوله تعالى الم نخلقكم من ماء
مهين ويريد ما اثنين والله اعلم الخامسة قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبايل لتعارفوا
الشعوب رؤوس القبايل مثل ربيعة ومضر والاوس والخزرج واحدها شعب بفتح الشين
سموا به لتشعبهم واجتماعهم كتشعب اغصان الشجرة والشعب من الاضداد يقال شعبته اذا
جمعته ومنه المشعب بكسر الميم وهو الاشفى لانه يجمع به ويشعب قال الشاعر فكان على حر
الجبين ومتق بمدريه كانه دلوق مشعب وشعبته اذا فرقته ومنه سميت المنية شعوب لانها
مفرقة فاما الشعب بالكسر فهو الطريق في الجبل والجمع الشعاب قال الجوهري الشعب ما
تشعب من قبايل العرب والعجم والجمع الشعوب والشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم
واما الذي في الحديث ان رجلا من الشعوب اسلم فانه يعني من العجم والشعب القبيلة
العظيمة وهو ابو القبايل الذي ينسبون اليه اي يجمعهم ويضمهم قال ابن عباس الشعوب
الجمهور مثل مضر والقبايل الافخاذ وقال مجاهد الشعوب البعيد من النسب والقبايل
دون ذلك وعنه ايضا الشعوب النسب الاقرب وقاله قتادة ذكر الاول المهدوي
والثاني الماوردي قال الشاعر •

• رايت سعودا من شعوب كثيرة • فلم ار سعدا مثل سعد بن مالك • اخر
• قبايل من شعوب ليس فيهم • كريم قد يعد ولا نجيب •

وقيل ان الشعوب بطون العجم والقبايل بطون العرب وقيل ان الشعوب عرب
اليمن من قحطان والقبايل من ربيعة ومضر وساير عدنان وقال ابن عباس في رواية
ان الشعوب الموالي والقبايل العرب قال القشيري وعلى هذا فالشعوب من لا يعرف
لهم اصل نسب كالهند والجبل والترك والقبايل من العرب الماوردي ويحتمل ان الشعوب
هم المضافون الى النواحي والشعاب والقبايل هم المشتركون في الانساب قال الشاعر •

• وتفرقوا شعبا فكل جزيرة • فيها امير المومنين ومنبر •

وحكى ابو عبيد عن ابن الكلبي عن ابيه الشعب اكبر من القبيلة ثم الفصيلة ثم العمارة
ثم البطن ثم الفخذ وقيل الشعب ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ثم العشيرة وقد
نظمها بعض الادبا فقال •

• اقصد الشعب فهو اكثر حي • عددا في الحواء ثم القبيلة •
• ثم تتلوها العمارة ثم البطن والفخذ بعدها والفصيلة •
• ثم من بعدها العشيرة لكن هي من جنب ما ذكرنا قليلة • اخر
• قبيلة قبلها شعب وبعدهما • عمارة ثم بطن تلوه فخذ •
• وليس يوذي الفتى الا فصيلته • ولا سداد لسهم ما له قذذ •

السادسة قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم قد تقدم في سورة الزخرف عند قوله
تعالى وانه لذكر لك ولقومك وفي اول الاية ما يدل على ان التقوى هي المراعى عند الله
تعالى وعند رسوله دون الحسب والنسب وقرئ ان بالفتح كانه قيل لم لا يتفاخر بالانساب
فقيل لان اكرمكم عند الله اتقاكم لا انسبكم وفي الترمذي عن سمرة عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال الحسب المال والكرم التقوى قال هذا حديث حسن غريب صحيح وذلك

يرجع الى قوله تعالى ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقد جا منصوصا عنه عليه السلام من احب
ان يكون اكرم الناس فليتق الله والتقوى معناها مراعاة حدود الله سبحانه امرا ونهيا
والاتصاف بما امرك ان تتصف به والتنزه عما نهاك عنه وقد مضى هذا في غير موضع وفي
الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من رواية ابي هريرة ان الله تعالى يقول يوم القيامه
اني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت اكرمكم اتقاكم وابيتم الا ان تقولوا فلان بن فلان
وانا اليوم ارفع نسبي واضع انسابكم اين المتقون وروى الطبري من حديث ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليائي المتقون يوم القيامة وان كان نسب اقرب من
نسب يا تي الناس بالاعمال وياتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد فاقول
هكذا وهكذا واعرض في كلي عطفيه وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم جهارا غير سر يقول ان ال ابي ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح
المومنين وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم سيل من اكرم الناس فقال يوسف بن
يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم قالوا ليس عن هذا نسالك قال فاكرمكم عند الله اتقاكم فقالوا
ليس عن هذا نسالك فقال عن معادن العرب خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام
اذا فقهوا وانشدوا • ما يصنع العبد بعز الغنى • والعز كل العز للمتقي •
• من عرف الله فلم تغنه • معرفة الله فذاك الشقي •

السابعة ذكر الطبري حدثني عمر بن محمد قال حدثنا عبيد بن اسحاق العطار قال
حدثنا مندل بن علي عن ثور بن يزيد عن سالم بن ابي الجعد قال تزوج رجل من
الانصار امراة فطعن عليها في حسبها فقال الرجل اني لم اتزوجها لحسبها انما تزوجتها
لدينها وخلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يضرك ان تكون من ال حاجب
ابن زرارة ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تبارك وتعالى جا بالاسلام فرفع
به الخسيسة واتم به الناقصة واذهب به اللوم فلا لوم على مسلم انما اللوم لوم الجاهلية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لارجوا ان اكون اخشاكم لله واعلمكم بما اتقي ولذلك
كان اكرم البشر على الله تعالى قال ابن العربي وهذا الخط في الكفاه في النكاح روي عن
عبد الله بن مالك يتزوج الموالي العربية واحتج بهذه الايه وقال الشافعي وابو حنيفة
يتزوج حنيفة يراعي الحسب والمال وفي الصحيح عن عايشة ان ابا حذيفة بن عتبة بن
ربيعة كان ممن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم تبنى سالما وانكحه هند بنت
اخيه الوليد بن عتبة وهو مولى لامراة من الانصار وضباعة بنت الزبير كانت تحت
المقداد بن الاسود قلت واخت عبد الرحمن بن عوف كانت تحت بلال وزينب بنت
جحش كانت تحت زيد بن حارثه فدل على نكاح الموالي العربية وانما يراعي الكفاه
في الدين والدليل عليه ايضا ما رواه سهل بن سعد في صحيح البخاري ان النبي صلى
الله عليه وسلم مر عليه رجل فقال ما تقولون في هذا قال حري ان خطب ان ينكح وان
شفع ان يشفع وان قال ان يسمع قال ثم سكت فمر رجل من فقرا المسلمين فقال
ما تقولون في هذا قالوا حري ان خطب ان لا ينكح وان شفع ان لا يشفع وان قال ان
لا يسمع فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا خير من ملو الارض من مثل هذا وقال
صلى الله عليه وسلم تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها وفي رواية ولحسبها فعليك بذات الدين
تربت يداك وقد خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان الى ابي بكر ابنته فاجابه
وخطب عمر الى فالتوى عليه ثم ساله ان ينكحها فلم يفعل سلمان وخطب بلال بنت البكير
فابا اخوها فقال بلال يا رسول الله ماذا لقيت من بني البكير خطبت اليهم اختهم
فمنعوني فاذوني فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم من اجل بلال فبلغهم
الخبر فاتوا اختهم فقالوا ماذا لقينا من سببك فقالت اختهم امري بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فزوجوها وقال النبي صلى الله عليه وسلم في ابي هند حين حجمه
ابو طيبة انكحوا ابا هند وانكحوا اليه وهو مولى بني بياضة روى الدارقطني من
حديث الزهري عن عروة عن عايشة ان ابا هند مولى بني بياضة كان حجاما فحجم النبي صلى

الله

الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى من صور الله الايمان
في قلبه فلينظر الى ابي هند وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انكحوا وانكحوا اليه
قال القشيري وقد يعتبر النسب في الكفاه في النكاح وهو الاتصال بشجرة النبوه او
بالعلما الذين هم ورثة الانبيا او بالمرموقين في الزهد والصلاح والتقي المومن افضل
من الفاجر النسيب فان كانا تقيين فحينيذ يقدم النسيب منهما كما يقدم الشيخ على الشاب
في الصلاة اذا استويا في التقوى قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن
قولوا اسلمنا نزلت في اعراب بني اسد بن خزيمة قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سنة جدبة واظهروا الشهادتين ولم يكونوا مومنين في السر وافسدوا طرق المدينة
بالعذرات واغلوا اسعارها وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اتيناك بالاثقال
والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان فاعطنا من الصدقة وجعلوا يمنون عليه
فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية وقال ابن عباس نزلت في اعراب ارادوا ان يتسموا باسم
الهجرة قبل ان يهاجروا فاعلم الله ان لهم اسما الاعراب لا اسما المهاجرين وقال السدي
نزلت في الاعراب المذكورين في سورة الفتح اعراب مزينة وجهينة واسلم وغفار والديل
واشجع قالوا امنا ليامنوا على انفسهم واموالهم فلما استنفروا الى المدينة تخلفوا فنزلت
وبالجملة فالاية خاصة لبعض الاعراب لان منهم من يومن بالله واليوم الاخر كما وصف الله
تعالى ومعنى ولكن قولوا اسلمنا اي استسلمنا خوف القتل والسبي وهذه صفة
المنافقين لانهم اسلموا في ظاهر ايمانهم ولم تومن قلوبهم وحقيقة الايمان التصديق
بالقلب واما الاسلام فقبول ما اتى به النبي صلى الله عليه وسلم في الظاهر وذلك يحقن
الدم وان تطيعوا الله ورسوله يعني ان تخلصوا الايمان لا يلتكم لا ينقصكم من اعمالكم
شيا لاته يلته ويلوته نقصه وقرا ابو عمرو لا يالتكم بهمزة من الت يالت التا وهي
اختيار ابي حاتم اعتبارا بقوله تعالى وما التناهم من عملهم من شي قال الشاعر
• ابلغ بني ثعل عني مغلغلة • جهد الرسالة لا التا ولا كذبا •
واختار الاول ابو عبيد قال روبة •
• وليلة ذات ندا سريت • ولم يلتني عن سراها ليت •
اي لم يمنعني من سراها مانع وكذلك الاته عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما
الاته من عمله شيا اي ما نقصه مثل التة قاله الفرا وانشد •
• ويأكلن ما اعنى الولي فلم يلت • كان بحافاته النهاء المزارعا •
فقوله فلم يلت اي ينقص منه شيا واعنى بمعنى انبت يقال ما اعنت الارض شيا
اي ما انبتت والولي المطر بعد الوسمي سمي وليا لانه يلي الوسمي ولم يقل لا يلتاكم لان
طاعة الله طاعة الرسول قوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا اي صدقوا ولم يشكوا وحققوا ذلك بالجهاد والاعمال الصالحه اولئك
هم الصادقون لان من اسلم خوف القتل ورجا الكسب فلما نزلت حلف الاعراب
انهم مومنون في السر والعلانيه وكذبوا فنزلت قل اتعلمون الله بدينكم الذي انتم
عليه والله يعلم ما في السموات وما في الارض والله بكل شي عليم قوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم قل لا اشارة الى قولهم جيناك
بالاثقال والعيال وان في موضع نصب على تقدير لان اسلموا قل لا تمنوا على
اسلامكم اي باسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان في موضع نصب تقديره
بان وقيل لان وفي مصحف عبد الله اذ هداكم للايمان ان كنتم صادقين انكم مومنين
وقرا عاصم ان هداكم بالكسر وفيه بعد لقوله ان كنتم صادقين ولا يقال من عليكم ان هداكم
ان صدقتم والقراة الظاهرة ان هداكم وهذا لا يدل على انهم كانوا مومنين لان تقدير
الكلام ان امنتم فذلك منة الله عليكم ان الله يعلم غيب السموات والارض والله بصير بما تعملون
وقرا ابن كثير وابو عمرو بالياء على الخبر ردا على قوله قالت الاعراب الباقون بالتاء على الخطاب

• سورة ق مكية •

كلها في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية وهي قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما الاية وهي خمس واربعون اية وفي صحيح مسلم عن ام هشام بنت حارثة بن النعمان قالت لقد كان تنورنا وتنور رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين او سنة او بعض سنة وما اخذت والقران المجيد الا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقروها كل يوم جمعة على المنبر اذا خطب الناس وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سال ابا واقد الليثي ما كان يقرا به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاضحى والفطر فقال كان يقرا فيهما بقاف والقران المجيد واقتربت الساعة وانشق القمر وعن جابر بن سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرا في الفجر بقاف وكانت صلاته بعد تخفيفا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ق والقران المجيد قراة العامة قاف بالجزم وقرا الحسن وابن ابي اسحاق ونصر بن عاصم قاف بالكسر لان الكسر اخو الجزم فلما سكن اخره حركوه بحركة الخفض وقرا عيسى الثقفي بفتح القاف حركه الى اخف الحركات وقرا محمد بن السميقع وهرون قاف بالضم لانه في غالب الامر حركة البنا نحو منذ وقط وقبل وبعد واختلف في معنى قاف ما هو فقال ابن زيد وعكرمة والضحاك هو جبل محيط بالسموات والارض من زمرد اخضر اخضرت السما منه وعليه طرف السما والسما عليه مقببة وما اصاب الناس من زمرد كان مما تساقط من ذلك الجبل ورواه ابو الجوزا عن عبد الله بن عباس قال الفرا كان يجب على هذا ان يظهر الاعراب في قاف لانه اسم وليس بهجا ولعل القاف وحدها ذكرت من اسمه لقول القايل قلت لها قفي قالت قاف اي ما وقفه وهذا وجه حسن وقد تقدم اول البقرة وقال وهب اشرف ذو القرنين على جبل ق فراي تحته جبالا صغارا فقال له ما انت قال انا قاف قال فما هذه الجبال حولك قال هي عروقي وما من مدينة الا وفيها عرق من عروقي فاذا اراد الله ان يزلزل مدينة امرني فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك الارض فقال له يا قاف اخبرني بشي من عظمة الله قال ان شان ربنا لعظيم وان وراي ارضا مسيرة خمس مائة عام في خمس مائة من جبال ثلج يحطم بعضها بعضا لولا هي لاحترقت من جهنم قال زدني قال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك فاوليك الملائكة وقوفا بين يدي الله تعالى منكوسا روسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا يعني قوله لا اله الا الله وقال الزجاج قوله قاف اي قضي الامر كما قيل حم اي حم الامر وقال ابن عباس قاف اسم من اسما الله تعالى اقسم به وعنه ايضا انه اسم من اسما القران وهو قول قتادة وقال القرظي افتتاح اسما الله تعالى قدير وقاهر وقريب وقاض وقابض وقال الشعبي هو فاتحة السورة وقال ابو بكر الوراق معناه قف عند امرنا ونهينا ولا تعدها وقال محمد بن عاصم الانطاكي هو قرب الله من عباده بيانه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقال ابن عطا اقسم الله بقوة قلب محمد صلى الله عليه وسلم حيث حمل الخطاب ولم يوثر ذلك فيه لعلو حاله والقران المجيد اي الرفيع القدر وقيل الكريم قاله الحسن وقيل الكثير ماخوذ من كثرة القدر والمنزلة لا من كثرة العدد من قولهم كثير فلان في النفوس ومنه قول العرب في المثل الساير في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي استكثر هذان النوعان من النار فزادا على سائر الشجر قاله ابن بحر وجواب القسم قيل هو قد علمنا ما تنقص الارض منهم على ارادة اللام اي لقد علمنا وقيل هو ان في ذلك لذكرى وهو اختيار الترمذي محمد بن علي قال ق قسم باسم هو اعظم الاسما التي خرجت الى العباد وهو القدرة واقسم ايضا بالقران المجيد ثم اقتص ما خرج من القدرة من خلق السموات والارضين والارزاق العباد وخلق الادميين وصفة يوم القيامة والجنة والنار ثم قال ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فوقع القسم على

هذه

هذه الكلمة كانه قال في اي بالقدرة والقران المجيد اقسمت اي فيما اقتصصت في هذه السورة لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد وقال ابن كيسان جوابه ما يلفظ من قول وقال اهل الكوفة جواب هذا القسم بل عجبوا وقال الاخفش جوابه محذوف كانه قال ق والقران المجيد لتبعثن يدل عليه ايذا متنا وكنا ترابا قوله تعالى بل عجبوا ان جاهم في موضع نصب على تقدير لان جاهم منذر منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم والضمير للكفار وقيل للمومنين والكفار ثم ميز بينهم بقوله فقال الكافرون ولم يقل فقالوا بل قبح حالهم ووصفهم بالكفر كما تقول جاني فلان فاسما المكروه وقال لي القاسم انت كذا وكذا هذا شي عجيب الامر الذي يتعجب منه وكذلك الا عجوبه وقال قتادة عجبهم ان دعوا الى اله واحد وقيل من انذارهم بالبعث والنشور والذي نص عليه القران اولى قوله تعالى ايذا متنا وكنا ترابا نبعث ففيه اضمار ذلك رجع بعيد الرجع الرد اي هو رد بعيد اي محال يقال رجعته رجعا ورجع هو يرجع رجوعا وفيه اضمار اخر اي وقالوا انبعث اذا متنا وذكر البعث وان لم يجر هاهنا فقد جرى في مواضع والقران كالسورة الواحدة وايضا ذكر البعث منطو تحت قوله بل عجبوا ان جاهم منذر منهم لانه انما ينذر بالعقاب والحساب في الاخرة قوله تعالى قد علمنا ما تنقص الارض منهم اي ما تاكل من اجسامهم فلا يضل عنا شي حتى يتعذر علينا الاعادة وفي التنزيل في بال القرون الاولى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وفي الصحيح كل ابن ادم ياكله التراب الا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب وقد تقدم وثبت ان الانبيا والاوليا والشهدا لا تاكل اجسادهم حرم الله على الارض ان تاكل اجسادهم وقد بينا هذا في كتاب التذكرة وتقدم ايضا في هذا الكتاب وقال السدي النقص هاهنا الموت يقول قد علمنا منهم من يموت ومن يبقى لان من مات دفن فكان الارض تنقص من الناس وعن ابن عباس هو من يدخل في الاسلام من المشركين وعندنا كتاب حفيظ اي بعدتهم واسمائهم فهو فعيل بمعنى فاعل وقيل اللوح المحفوظ من الشياطين او محفوظ فيه كل شي وقيل الكتاب عبارة عن العلم والاحصا كما تقول كتبت عليك هذا اي حفظته وهذا ترك الظاهر من غير ضرورة وقيل اي وعندنا كتاب حفيظ لاعمال بني ادم لنحاسبهم عليها قوله تعالى بل كذبوا بالحق اي القران في قول الجميع حكاه الماوردي وقال الثعلبي بالحق القران وقيل الاسلام وقيل محمد صلى الله عليه وسلم فهم في امر مريج اي مختلط يقولون مرة ساحر ومرة شاعر ومرة كاهن قاله الضحاك وابن زيد وقال قتادة مختلف وقال الحسن ملتبس والمعنى متقارب وقال ابو هريرة فاسد ومنه مرجت امانات الناس اي فسدت ومرج الدين والامر اختلط قال ابو داود مرج الدين فاعددت له مشرف الحارك محبوك الكتد وقال ابن عباس المريج المنكر وقال عنه عمران بن ابي عطا مريج مختلط وانشد

فجالت والتمست به حشاها فخر كانه خوط مريج

قال الخوط الغصن وقال عنه العوفي امر ضلالة وهو قولهم ساحر شاعر مجنون كاهن وقيل متغير واصل المرج الاضطراب والقلق يقال مرج امر الناس ومرج الدين ومرج الخاتم في اصبعي اذا قلق من الهزال وفي الحديث كيف بك يا عبد الله اذا كنت في قوم قد مرجت عهودهم واماناتهم واختلفوا فكانوا هكذا وهكذا وشبك بين اصابعه خرجه ابو داود وقد ذكرناه في كتاب التذكرة قوله تعالى افلم ينظروا الى السما فوقهم نظر اعتبار وتفكر وان القادر على ايجادها قادر على الاعادة كيف بنيناها فرفعناها بلا عمد وزيناها بالنجوم وما لها من فروج جمع فرج وهو الشق ومنه قول امرئ القيس تسد به فرجها من دبر وقال الكسائي ليس فيها تفاوت ولا اختلاف ولا فتوق والارض مددناها والقينا فيها رواسي تقدم في الرعد بيانه وانبتنا فيها من كل زوج اي من كل نوع من النبات بهيج اي حسن يسر الناظرين وقد تقدم في الحج تبصرة اي جعلنا ذلك تبصرة لندل به على كمال قدرتنا وقال ابو حاتم نصب على المصدر يعني جعلنا ذلك تبصيرا وتنبيها على قدرتنا وذكرى معطوف عليه لكل عبد منيب راجع الى الله مفكر في قدرته

ونزلنا من السماء ماء اي من السحاب ماء مباركا اي كثير البركة فانبتنا به جنات وحب الحصيد
وهو كل ما يحصد هذا قول البصريين وقال الكوفيون هو من باب اضافة الشي الى
نفسه كما يقال مسجد الجامع وربيع الاول وحق اليقين وحبل الوريد ونحوه قاله
الفرا والاصل الحب الحصيد فحذفت الالف واللام واضيف المنعوت وقال الضحاك
حب الحصيد البر والشعير وقيل كل حب يحصد ويدخر ويقتات والنخل باسقات
نصب على الحال معطوف على قوله وحب الحصيد وباسقات حال والباسقات الطوال
قاله مجاهد وعكرمة وقتادة وقال عبد الله بن شداد بسوقها استقامتها في الطول
وقال سعيد بن جبير مستويات وقال الحسن وعكرمة ايضا والفرا مواقير حوامل
يقال للشاة اذا اولدت بسقت قال الشاعر
فلما تركنا الدار ظلت منيفة ⁕ بقران فيها الباسقات المواقر
والاول في اللغة اشهر واكثر بسق النخل بسوقا اذا طال قال
لنا خمر وليست خمر كرم ⁕ ولكن من نتاج الباسقات
كرام في السما ذهبت طولا ⁕ وفات ثمارها ايدي الجناة
ويقال بسق فلان على اصحابه اي علاهم وابسقت الناقة اذا وقع في ضرعها
اللبا قبل النتاج فهي مبسق ونوق مباسيق وقال قطبة بن مالك سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقرا باصقات بالصاد ذكره الثعلبي قلت والذي في صحيح مسلم
عن قطبة بن مالك قال صليت وصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا
ق والقران المجيد حتى قرا والنخل باسقات قال فجعلت ارددها ولا ادري ما قال
الا انه يجوز ابدال الصاد في السين لاجل القاف لها طلع نضيد الطلع هو اول ما
يخرج من ثمر النخل يقال طلع الطلع طلوعا واطلعت النخلة وطلعها قبل ان ينشق
نضيد اي متراكب يقال نضد بعضه على بعض وفي البخاري النضيد الكفرى ما دام
في اكمامه ومعناه منضود بعضه على بعض فاذا خرج من اكمامه فليس بنضيد
رزقا للعباد اي رزقناهم رزقا او على معنى انبتناها لنرزقهم والرزق ما كان مهيا
للانتفاع به وقد تقدم القول واحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج اي من القبور
اي كما احيا الله هذه الارض الميتة فكذلك يخرجكم احيا بعد موتكم فالكاف في محل
رفع على الابتدا وقد مضى هذا المعنى في غير موضع وقال ميتا لان المقصود المكان
ولو قال ميتة لجاز قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح اي كما كذب هولا فكذلك
كذب اولئك فحل بهم العقاب ذكرهم نبا من قبلهم من المكذبين وخوفهم ما اخذهم
وقد ذكرنا قصصهم في غير موضع عند ذكرهم كل كذب الرسل من هذه الامم المكذبة
فحق عليهم وعيدي وعقابي قوله تعالى افعيينا بالخلق الاول اي افعيينا حين
ابتدانا البعث وهذا توبيخ لمنكري البعث وجواب لقولهم ذلك رجع بعيد يقال
عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه بل هم في لبس من خلق جديد اي في حيرة من البعث
منهم مصدق ومنهم مكذب يقال لبس عليه الامر يلبسه لبسا قوله تعالى ولقد
خلقنا الانسان يعني الناس وقيل ادم ونعلم ما توسوس به نفسه اي ما يختلج
في سره وقلبه وضميره وفي هذا زجر عن المعاصي التي يستخفى بها ومن قال ان المراد
بالانسان ادم فالذي وسوست به نفسه هو الاكل من الشجرة ثم عم لولده والوسوسة
حديث النفس بمنزلة الكلام الخفي قال الشاعر
تسمع للحلي وسواسا اذا انصرفت ⁕ كما استعان بريح عشرق زجل
وقد مضى في الاعراف ونحن اقرب اليه من حبل الوريد هو حبل العاتق
وهو ممتد من ناحية حلقه الى عاتقه وهما وريدان من عن يمين وشمال روي
معناه ابن عباس وغيره وهو المعروف في اللغة والحبل هو الوريد فاضيف الى
نفسه لاختلاف اللفظين وقال الحسن الوريد الوتين وهو عرق معلق بالقلب
وهذا تمثيل وتعليل للقرب اي نحن اقرب اليه من حبل وريده الذي هو منه وليس على

وجه قرب المسافة وقيل اي ونحن املك به من حبل وريده مع استيلائه عليه وقيل اي
ونحن اعلم بما توسوس به نفسه من حبل وريده الذي هو من نفسه لانه عرق يخالط القلب
فعلم الرب اقرب اليه من علم القلب روي معناه عن مقاتل وقال الوريد عرق وهذا
القرب قرب العلم والقدرة وابعاض الانسان يحجب البعض البعض ولا يحجب عن الله شي
قوله تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد اي نحن اقرب اليه من
حبل وريده حين يتلقى المتلقيان وهما الملكان الموكلان به اي نحن اعلم باحواله ولا نحتاج
الى ملك يخبر ولكنهما وكلا به الزاما للحجة وتوكيدا للامر عليه وقال الحسن ومجاهد المتلقيان
ملكان يتلقيان عملك احدهما عن يمينك يكتب حسناتك والاخر عن شمالك يكتب سياتك
قال الحسن حتى اذا مت طويت الصحف فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة اقرا كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك وقال مجاهد وكل
الله بالانسان مع علمه باحواله ملكين بالليل وملكين بالنهار يحفظان عمله ويكتبان اثره
الزاما للحجة احدهما عن يمينه يكتب الحسنات والاخر عن شماله يكتب السيات فذلك قوله
تعالى اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قال لا تحمل لعله يستغفر الله وروي معناه من حديث ابي امامة
قال النبي صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيات على يسار الرجل
وكاتب الحسنات امين على كاتب السيات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا واذا عمل
سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح او يستغفر وروي
ذلك من حديث علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مقعد ملكيك على ثنيتك ولسانك
قلمهما وريقك مدادهما وانت تجري فيما لا يعنيك لا تستحي من الله ولا منهما وقال الضحاك مجلسهما
تحت الشعر على الحنك ورواه عوف عن الحسن قال وكان الحسن يعجبه ان ينظف عنفقته
وانما قال قعيد ولم يقل قعيدان وهما اثنان لان المراد عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد
فحذف الاول لدلالة الثاني عليه قاله سيبويه ومنه قول الشاعر
نحن بما عندنا وانت بما ⁕ عندك راض والراي مختلف ⁕ وقال الفرزدق
اني ضمنت لمن اتاني ما جنى ⁕ وابى وكان وكنت غير غدور
ولم يقل راضيان ولا غدورين ومذهب المبرد ان الذي في التلاوة اول اخر اتساعا وحذف
الثاني لدلالة الاول عليه ومذهب الاخفش والفرا ان الذي في التلاوة يودي عن الاثنين
والجمع ولا حذف في الكلام وقعيد بمعنى قاعد كالسميع والعليم والقدير والشهيد وقيل
قعيد بمعنى مقاعد مثل اكيل ونديم بمعنى مواكل ومنادم وقال الجوهري فعيل وفعول
مما يستوي فيه الواحد والاثنان والجمع كقوله انا رسول رب العالمين وقوله والملائكة بعد
ذلك ظهير وقال الشاعر في الجمع انشده الثعلبي الكني اليها وخير الرسول اعلمهم بنواحي
الخبر والمراد بالقعيد ها هنا الملازم الثابت لا ضد القايم قوله تعالى ما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد اي ما يتكلم بشي الا كتب عليه ماخوذ من لفظ الطعام وهو اخراجه
من الفم وفي الرقيب ثلاثة اوجه احدها انه المتتبع للامور الثاني انه الحافظ قاله السدي
الثالث انه الشاهد قاله الضحاك وفي العتيد وجهان احدهما انه الحاضر الذي لا يغيب الثاني
انه الحافظ المعد اما للحفظ واما للشهادة قال الجوهري العتيد الحاضر المهيا وقد عتده
تعتيدا واعتده اعتادا اي اعده ليوم ومنه قوله تعالى واعتدت لهن متكا وفرس عتد
بفتح التا وكسرها المعد للجري قلت وكله يرجع الى معنى الحضور ومنه قول الشاعر
لين كنت عني في العيان مغيبا ⁕ فذكرك عندي في الفواد عتيد
قال ابو الجوزا ومجاهد يكتب على الانسان كل شي حتى الانين في مرضه وقال عكرمة
لا يكتب عليه الا ما يوجر به او يوزر عليه وقيل يكتب عليه كل ما يتكلم به فاذا كان اخر
النهار محي عنه ما كان مباحا نحو انطلق اقعد كل مما لا يتعلق به اجر ولا وزر والله اعلم
ويروى عن ابي هريرة وانس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من حافظين يرفعان
الى الله تعالى ما حفظا فيرى الله في اول الصحيفة خيرا وفي اخرها خيرا الا قال الله
تعالى لملائكته اشهدوا اني قد غفرت لعبدي ما بين طرفي الصحيفة وقال علي رضي الله عنه

ان لله ملايكة معهم صحف بيض فاملوا في اولها وفي اخرها خيرا يغفر لكم ما بين ذلك وخرج
ابو نعيم الحافظ قال ثنا ابو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن اسحاق بن خزيمة قال ثنا
محمد بن اسحاق قال ثنا محمد بن موسى الحرشي قال ثنا سهيل بن عبد الله قال سمعت
الاعمش يحدث عن زيد بن وهب عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الحافظين اذا نزلا على العبد او الامة معهما كتاب مختوم فيكتبان ما يلفظ العبد
او الامة فاذا ارادا ان ينهضا قال احدهما للاخر فك الكتاب المختوم الذي معك فيفك له
فاذا فيه ما كتب سوا فذلك قوله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد غريب من
حديث الاعمش عن زيد لم يروه عنه الا سهيل وروي من حديث انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله وكل بعبده ملكين يكتبان عمله فاذا مات قالا ربنا قد مات فلان
فاذن لنا ان نصعد الى السما فيقول الله تعالى ان سماي مملوة من ملايكتي يسبحوني فيقولان
ربنا فنقيم في الارض فيقول الله تعالى ان ارضي مملوة من خلقي يسبحوني فيقولان يا رب
فاين نكون فيقول الله تعالى قوما على قبر عبدي فكبراني وهللاني واذكراني واكتبا
ذلك لعبدي الى يوم القيامة قوله تعالى وجات سكرة الموت بالحق اي غمرته وشدته
فالانسان ما دام حيا تكتب عليه اقواله وافعاله ليحاسب عليها ثم تجيه الموت وهو
ما يراه عند المعاينة من ظهور الحق فيما كان الله تعالى وعده واوعده وقيل الحق هو الموت
سمي حقا اما لاستحقاقه واما لانتقاله الى دار الحق فعلى هذا يكون في الكلام تقديم
وتاخير تقديره وجات سكرة الموت بالحق وكذلك في قراة ابي بكر وابن مسعود رضي الله
عنهما لان السكرة هي الحق فاضيفت الى نفسها لاختلاف اللفظين وقيل
يجوز ان يكون الحق على هذه القراة هو الله تعالى اي جات سكرة امر الله بالموت وقيل
الحق هو الموت والمعنى وجات سكرة الموت بالموت ذكره المهدوي وقيل زعم من طعن على
القران فقال اخالف المصحف كما خالفه ابو بكر الصديق فقرا وجات سكرة الحق بالموت
فاحتج عليه بان ابا بكر رويت عنه روايتان احداهما موافقة للمصحف فعليها العمل
والاخرى مرفوضة تجري مجرى النسيان ان كان قالها او الغلط من بعض من نقل الحديث
قال ابو بكر الانباري حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي قال ثنا علي بن عبد الله
ثنا جرير عن منصور عن ابي وايل عن مسروق قال لما احتضر ابو بكر الوفاة ارسل الى
عايشة فلما دخلت عليه قالت كما قال الشاعر • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر •
فقال لها ابو بكر الا قلت كما قال الله تعالى وجات سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت
منه تحيد وذكر الحديث والسكرة واحدة السكرات وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت بين يديه ركوة او علبة فيها ما فجعل يدخل
يده في الما ويمسح بها وجهه ويقول لا اله الا الله ان للموت سكرات ثم نصب يده فجعل
يقول في الرفيق الاعلى حتى قبض ومالت يده خرجه البخاري وروي عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان العبد الصالح ليعالج الموت وسكراته وان مفاصله ليسلم بعضها
على بعض تقول عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة وقال عيسى ابن
مريم عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون عليكم هذه السكرة يعني
سكرات الموت ويروى ان الموت اشد من ضرب السيوف ونشر بالمناشير وقرض
بالمقاريض ذلك ما كنت منه تحيد اي يقال لمن جاته سكرة الموت ذلك ما كنت تفر
منه وتميل عنه يقال حاد عن الشي يحيد حيودا وحيدة وحيدودة مال عنه وعدل
واصله حيدودة بتحريك اليا فسكنت لانه ليس في الكلام فعلول غير صعفوق وتقول
في الاخبار عن نفسك حدت عن الشي احيد حيدا اذا ملت عنه قال طرفة •
• ابا منذر رمت الوفا فهبته • وحدت كما حاد البعير عن الدحض •
قوله تعالى ونفخ في الصور هي النفخة الاخرة للبعث ذلك يوم الوعيد الذي
وعد الله للكفار ان يعذبهم فيه وقد مضى الكلام في النفخ في الصور مستوفى
والحمد لله قوله تعالى وجات كل نفس معها سايق وشهيد اختلف في السايق

والشهيد

والشهيد فقال ابن عباس السايق من الملايكة والشهيد من نفسه وقال الضحاك
السايق من الملايكة والشهيد من انفسهم الايدي والارجل رواه العوفي عن ابن عباس
وقال ابو هريرة السايق الملك والشهيد العمل وقال الحسن وقتادة المعنى سايق يسوقها
وشاهد يشهد عليها بعملها وقال ابن اسلم السايق قرينها من الشياطين سمي سايقا لانه
يتبعها وان لم يحثها وقال مجاهد السايق والشهيد ملكان وعن عثمان بن عفان رضي
الله عنه انه قال وهو على المنبر وجات كل نفس معها سايق وشهيد سايق ملك يسوقها
الى امر الله وشهيد ملك يشهد عليها بعملها قلت هذا اصح فان في حديث جابر بن
عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما
خلقه الله عز وجل له ان الله لا اله غيره اذا اراد خلقه قال للملك اكتب رزقه واجله
واثره واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك
ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته وسياته فاذا جاه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاه
ملك الموت عليه السلام فيقبض روحه فاذا ادخل حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع
ملك الموت ثم جاه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك
الحسنات وملك السيات فانشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا واحد سايقا والاخر
شهيدا ثم قال الله جل وعز لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم
حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق قال حالا بعد
حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امرا عظيما فاستعينوا بالله العظيم خرجه
ابو نعيم الحافظ من حديث جعفر بن محمد بن علي عن جابر وقال فيه هذا حديث غريب
من حديث جعفر وحديث جابر تفرد به جابر الجعفي وعنه المفضل ثم في الاية قولان
احدهما انها عامة في المسلم والكافر وهو قول الجمهور الثاني انها خاصة في الكافر قاله
الضحاك قوله تعالى لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك قال ابن زيد المراد
به النبي صلى الله عليه وسلم اي لقد كنت يا محمد في غفلة من الرسالة مع قريش في جاهليتهم
وقال ابن عباس والضحاك ان المراد به المشركون اي كانوا في غفلة من عواقب امورهم
وقال اكثر المفسرين ان المراد به البر والفاجر وهو اختيار الطبري وقيل اي لقد كنت ايها
الانسان في غفلة عن ان كل نفس معها سايق وشهيد لان هذا لا يعرف الا بالنصوص
الالهية فكشفنا عنك غطاك اي عماك وفيه اربعة اوجه احدها اذا كان في بطن امه فولد
قاله السدي الثاني اذا كان في القبر فنشر وهذا معنى قول ابن عباس الثالث وقت العرض
في القيامة قاله مجاهد الرابع انه نزول الوحي وتحمل الرسالة وهذا معنى قول ابن زيد
قوله فبصرك اليوم حديد قيل يراد به بصر القلب كما يقال هو بصير بالفقه فبصر القلب
وبصيرته تبصر بها شواهد الافكار ونتايج الاعتبار كما تبصر العين ما قابلها من
الاشخاص والاجسام وقيل المراد به بصر العين وهو الظاهر اي بصر عينيك اليوم حديد
اي قوي نافذ ترى ما كان محجوبا عنك قال مجاهد فبصرك اليوم حديد يعني نظرك
الى لسان ميزانك حين توزن سياتك وحسناتك وقاله الضحاك وقيل يعاين ما يصير
اليه من ثواب وعقاب وهو معنى قول ابن عباس وقيل يعني ان الكافر يحشر وبصره
حديد ثم يزرق ويعمى وقرى لقد كنت عنك فبصرك بالكسر على خطاب النفس قوله
تعالى وقال قرينه يعني الملك الموكل به في قول الحسن وقتادة والضحاك هذا ما لدي
عتيد اي هذا ما عندي من كتابة عمله معد محفوظ وقال مجاهد يقول هذا الذي
وكلتني به من بني ادم قد احضرته واحضرت ديوان عمله وقيل المعنى هذا ما عندي
من العذاب حاضر وعن مجاهد ايضا قرينه الذي قيض له من الشياطين وقال ابو
زيد في رواية ابن وهب عنه انه قرينه من الانس فيقول الله تعالى لقرينه القيا
في جهنم قال الخليل والاخفش هذا كلام العرب الفصيح ان يخاطب الواحد بلفظ
الاثنين فيقول ويلك ارحلاها وازجراها وخذاه واطلقاه للواحد قال الفرا
تقول للواحد قوما عنا واصل ذلك ان ادنى اعوان الرجل في ابله وغنمه ورفقته

في سفر اثنان يجري كلام الرجل على صاحبه ومنه قولهم للواحد في الشعر خليليّ ثم يقول أصاح قال امرؤ القيس

٭ خليليّ مرّا بي على أم جندب ٭ نقضّ لبانات الفؤاد المعذب ٭

وقال أيضا

٭ قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ٭ بسقط اللوى بين الدخول فحومل ٭

وقال آخر

٭ فإن تزجراني يا ابن عفان أنزجر ٭ وإن تدعاني أحم عرضا ممنعا ٭

وقيل جاء كذلك لأن القرين يقع للجماعة والاثنين وقال المازني قوله ألقيا يدل على ألق ألق وقال المبرد هي تثنية على التوكيد المعنى ألق ألق فناب ألقيا مناب التكرار ويجوز أن يكون ألقيا تثنية على خطاب الحقيقة من قول الله تعالى يخاطب به الملكين وقيل هو مخاطبة للسائق والحافظ وقيل إن الأصل ألقين بالنون الخفيفة وهي تقلب في الوقف ألفا فحمل الوصل على الوقف وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة نحو قوله تعالى وليكونن من الصاغرين وقوله لنسفعا كل كفار عنيد أي معاند قاله مجاهد وعكرمة وقال بعضهم العنيد المعرض عن الحق يقال عند يعند بالكسر عنودا أي خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند وجمع العنيد عند مثل رغيف ورغف مناع للخير يعني الزكاة المفروضة وكل حق واجب معتد في منطقه وسيرته وأمره ظالم مريب شاك في التوحيد قاله الحسن وقتادة يقال أراب الرجل فهو مريب وهذا المشرك يدل عليه قوله تعالى الذي جعل مع الله إلها آخر وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة وأراد بقوله مناع للخير أنه كان يمنع بني أخيه الإسلام فألقياه في العذاب الشديد تأكيد للأمر الأول قال قرينه ربنا ما أطغيته يعني الشيطان الذي قيض لهذا الكافر العنيد تبرأ منه وكذبه ولكن كان في ضلال بعيد أي عن الحق طاغيا باختياره وإنما دعوته فاستجاب لي وقرينه هنا هو شيطانه بغير اختلاف حكاه المهدوي وحكى الثعلبي عن ابن عباس ومقاتل قرينه الملك وذلك أن الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته رب إنه أعجلني فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما أعجلته وقال سعيد بن جبير يقول الكافر رب إنه زاد علي في الكتابة فيقول الملك ربنا ما أطغيته أي ما زدت عليه في الكتابة فحينئذ يقول الله تعالى لا تختصموا لدي يعني الكافرين وقرناءهم من الشياطين وهذا يدل على أن القرين الشيطان وقد قدمت إليكم بالوعيد أي أرسلت الرسل وقيل هذا خطاب لكل من اختصم وقيل هو للاثنين وجاء بلفظ الجمع ما يبدل القول لدي قيل هو قوله من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وقيل هو قوله لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين وقال الفراء أي ما يكذب عندي أي ما يزاد في القول ولا ينقص لعلمي بالغيب وما أنا بظلام للعبيد أي ما أنا بمعذب من لم يجرم قاله ابن عباس وقد مضى القول في معناه في الحج وغيرها قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد قرأ نافع وأبو بكر يوم يقول بالياء اعتبارا بقوله لا تختصموا لدي الباقون بالنون على الخطاب من الله تعالى وهي نون التعظيم وقرأ الحسن يوم أقول وعن ابن مسعود وغيره يوم يقال وانتصب يوم على معنى ما يبدل القول لدي يوم وقيل بفعل مقدر معناه وأنذرهم يوم يقول لجهنم هل امتلأت لما سبق من وعده إياها أنه يملؤها وهذا الاستفهام على سبيل التصديق لخبره والتحقيق لوعده والتقريع لأعدائه والتنبيه لجميع عباده وتقول جهنم هل من مزيد أي ما بقي في موضع للزيادة كقوله صلى الله عليه وسلم هل ترك لنا عقيل من رباع أو منزل أي ما ترك فمعنى الكلام الجحد ويحتمل أن يكون استفهاما بمعنى الاستزادة أي هل من مزيد فأزداد وإنما صلح هذا للوجهين لأن في الاستفهام ضربا من الجحد وقيل ليس ثم قول وإنما هو على طريق المثل أي إنها فيما يظهر من حالها بمنزلة الناطقة بذلك كما قال الشاعر

٭ امتلأ الحوض وقال قطني ٭ مهلا رويدا قد ملأت بطني ٭

وهذا تفسير مجاهد وغيره أي هل في من مسلك قد امتلأت وقيل ينطق الله النار حتى تقول هذا كما تنطق الجوارح وهذا أصح ما بيناه في سورة الفرقان

وفي

وفي صحيح البخاري ومسلم والترمذي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط وعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة لفظ مسلم وفي رواية أخرى من حديث أبي هريرة فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع عليها رجله فتقول قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض فلا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله ينشئ لها خلقا قال علماؤنا رحمة الله عليهم أما معنى القدم هنا فهم قوم يقدمهم الله إلى النار وقد سبق في علمه أنهم من أهل النار وكذلك الرجل وهو العدد الكثير من الناس وغيرهم يقال رجل من جراد قال الشاعر

٭ فمر بنا رجل من الناس وانزوى ٭ إليهم من الحي اليمانين أرجل ٭

٭ قبائل من لخم وعكل وحمير ٭ على ابني نزار بالعداوة أحفل ٭

ويبين هذا المعنى ما روي عن ابن مسعود أنه قال ما في النار بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولا تابوت إلا وعليه اسم صاحبه فكل واحد من الخزنة ينتظر صاحبه الذي قد عرف اسمه وصفته فإذا استوفى منهم ما أمر به وما ينتظره ولم يبق منهم أحد قالت الخزنة قط قط حسبنا حسبنا أي اكتفينا اكتفينا وحينئذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق إذ لم يبق أحد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم ويشهد لهذا التأويل قوله في نفس الحديث ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة وقد زدنا هذا المعنى بيانا ومهدناه في كتاب الأسماء والصفات من كتاب الأسنى والحمد لله وقال النضر بن شميل في معنى قوله عليه السلام حتى يضع الجبار فيها قدمه أي من سبق في علمه أنه من أهل النار قوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين أي قربت من قلوبهم حين قيل لهم اجتنبوا المعاصي وقيل بعد الدخول قربت لهم مواضعهم فيها ولا تبعد غير بعيد أي منهم وهو تأكيد هذا ما توعدون أي ويقال لهم هذا الجزاء الذي وعدتم في الدنيا على ألسنة الرسل وقراءة العامة توعدون بالتاء على الخطاب وقرأ ابن كثير بالياء على الخبر لأنه أتى بعد ذكر المتقين لكل أواب حفيظ أواب أي رجاع إلى الله عن المعاصي يذنب ثم يذنب ثم يرجع هكذا قاله الضحاك وغيره وقال ابن عباس وعطاء الأواب المسبح من قوله يا جبال أوبي معه وقال الحكم بن عتيبة هو الذاكر لله تعالى في الخلوة وقال الشعبي ومجاهد هو الذي يذكر ذنوبه فيستغفر الله منها وهو قول ابن مسعود وقال عبيد بن عمير هو الذي لا يجلس مجلسا حتى يستغفر الله فيه وعنه قال كنا نتحدث أن الأواب الحفيظ الذي إذا قام من مجلسه قال سبحان الله وبحمده اللهم إني أستغفرك مما أصبت في مجلسي هذا وفي الحديث من قال إذا قام من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك غفر الله له ما كان في ذلك المجلس وهكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وقال بعض العلماء أنا أحب أن أقول أستغفرك وأسألك التوبة ولا أحب أن أقول وأتوب إليك إلا على حقيقته استحسان واتباع الحديث أولى وقال أبو بكر الوراق هو المتوكل على الله في السراء والضراء وقال القاسم هو الذي لا يشتغل إلا بالله عز وجل حفيظ قال ابن عباس هو الذي حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها وقال قتادة حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمته وائتمنه عليه وعن ابن عباس أيضا هو الحافظ لأمر الله مجاهد هو الحافظ لحق الله تعالى بالاعتراف ولنعمه بالشكر الضحاك لوصية الله تعالى بالقبول وروى مكحول عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حافظ على أربع ركعات من أول النهار كان أوابا حفيظا ذكره الماوردي قوله تعالى من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب من في محل خفض على البدل من قوله لكل أواب أو في موضع الصفة لأواب ويجوز الرفع على الاستئناف والخبر ادخلوها على تقدير حذف جواب الشرط والتقدير فيقال لهم ادخلوها والخشية بالغيب أن تخافه ولم تره وقال الضحاك والسدي يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد وقال الحسن إذا أرخى الستر وأغلق الباب وجاء بقلب منيب

مقبل على الطاعة وقيل مخلص وقال ابو بكر الوراق علامة المنيب ان يكون عارفا
لحرمته موالياله متواضعا لجلاله تاركا لهوى نفسه قلت ويحتمل ان يكون القلب
المنيب القلب السليم كما قال تعالى الا من اتى الله بقلب سليم على ما تقدم والله
اعلم ادخلوها اي يقال لاهل هذه الصفات ادخلوها بسلام اي بسلامة من العذاب
وقيل بسلام من الله تعالى وملائكته عليهم وقيل بسلامة من زوال النعم وقال
بسلام من اول الكلام من خشي من تكون بمعنى الجميع قوله تعالى لهم ما يشاؤون
فيها يعني ما تشتهيه انفسهم وتلذ اعينهم ولدينا مزيد من النعم مما لم يخطر على بالهم
وقال انس وجابر المزيد النظر الى الله عز وجل بلا كيف وقد ورد ذلك في اخبار
مرفوعة الى النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة
قال الزيادة النظر الى وجه الله الكريم وذكر ابن المبارك ويحيى بن سلام قال
انا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله بن عتبة بن مسعود
قال سارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز لاهل الجنة كل يوم جمعة
في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن المبارك على قدر تسارعهم
الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام كمسارعتهم الى الجمع في الدنيا وزاد فيحدث
الله لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى وسمعت غير المسعودي
يزيد فيه في قوله تعالى ولدينا مزيد قلت قوله في كثيب يريد اهل الجنة اي وهم
على كثيب كما في مرسل الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة
ينظرون الى ربهم في كل يوم جمعة على كثيب من كافور الحديث وقد ذكرناه في كتاب
التذكرة وقيل ان المزيد ما يزوجون به من الحور العين رواه ابو سعيد الخدري
مرفوعا قوله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي كم اهلكنا يا محمد قبل قومك
من امة هم اشد منهم بطشا وقوة فنقبوا في البلاد اي ساروا فيها طلبا للمهرب
وقيل اثروا في البلاد قاله ابن عباس وقال مجاهد ضربوا وطافوا وقال النضر بن
شميل دوروا وقال قتادة طوفوا وقال المؤرج تباعدوا ومنه قول امرئ القيس
• وقد نقبت في الآفاق حتى • رضيت من الغنيمة بالاياب •
ثم قيل طافوا في اقاصي البلاد طلبا للتجارات وقيل وجدوا من الموت محيصا وقيل
طوفوا في البلاد يلتمسون محيصا من الموت قال الحرث بن حلزة
• نقبوا في البلاد من حذر المو • ت وجالوا في الارض كل مجال •
وقرا الحسن وابو العالية فنقبوا في البلاد بفتح القاف وتخفيفها والنقب هو الخرق
والدخول في الشيء وقيل النقب الطريق في الجبل وكذلك المنقب والمنقبة عن ابن
السكيت ونقب الجدار نقبا واسم تلك النقبة نقب ايضا وجمع النقب النقوب
اي نقبوا البلاد وساروا في نقوبها وقيل اثروا فيها كتاثير الحديد فيما ينقب
وقرا السلمي ويحيى بن يعمر فنقبوا بكسر القاف والتشديد على الامر للتهديد والوعيد
اي طوفوا البلاد وسيروا فيها فانظروا هل من الموت محيص او مهرب ذكره الثعلبي
وحكى القشيري فنقبوا بكسر القاف مع التخفيف اي اكثروا السير فيها حتى نقبت
دوابهم الجوهري ونقب البعير بالكسر اذا رقت اخفافه وانقب الرجل اذا نقب
بعيره ونقب الخف الملبوس اي تخرق والمحيص مصدر حاص عنه يحيص حيصا
وحيوصا ومحيصا ومحاصا وحيصانا اي عدل وحاد ويقال ما عنه محيص اي
محيد ومهرب والانحياص مثله يقال للاولياء حاصوا عن العدو وللاعداء انهزموا
قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي فيما ذكرناه في هذه السورة
تذكرة وموعظة لمن كان له قلب اي عقل يتدبر به فكنى بالقلب عن العقل لانه
موضعه قال معناه مجاهد وغيره وقيل لمن كان له حياة ونفس مميزة فعبر عن
النفس الحية بالقلب لانه وطنها ومعدن حياتها كما قال امرؤ القيس •
• اغرك مني ان حبك قاتلي • وانك مهما تامري القلب يفعل •

وفي التنزيل لينذر من كان حيا وقال يحيى بن معاذ القلب قلبان قلب محتشي
باشغال الدنيا حتى اذا حضر امر من امور الآخرة لم يدر ما يصنع وقلب قد احتشى
باهوال الآخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة
او القى السمع اي استمع القرآن تقول العرب الق الي سمعك اي استمع وقد مضى في طه
كيفية الاستماع وثمرته وهو شهيد اي شاهد القلب وقال الزجاج اي وقلبه حاضر
فيما يسمع وقال سفيان اي لا يكون حاضرا وقلبه غائب ثم قيل الآية لاهل الكتاب
قاله مجاهد وقتادة وقال الحسن انها في اليهود والنصارى خاصة وقال محمد بن
كعب وابو صالح انها في اهل القرآن خاصة قوله تعالى ولقد خلقنا السموات والارض
وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب تقدم في الاعراف وغيرها واللغوب التعب
والاعياء تقول لغب يلغب بالضم لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا ولغب بالكسر يلغب لغوبا
لغة ضعيفة والعنبة انا اي انصبته قال قتادة والكلبي هذه الآية نزلت في يهود
المدينة زعموا ان الله تعالى خلق السموات والارض في ستة ايام اولها يوم الاحد واخرها
يوم الجمعة واستراح يوم السبت فجعلوه راحة فاكذبهم الله تعالى في ذلك قوله تعالى
فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك الآية فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى فاصبر
على ما يقولون خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم امره بالصبر على ما يقوله المشركون اي
هون امرهم عليك ونزلت قبل الامر بالقتال فهي منسوخة وقيل هو ثابت للنبي صلى الله
عليه وسلم وامته وقيل معناه فاصبر على ما يقوله اليهود من قولها ان الله استراح يوم
السبت الثانية قوله تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب الآية قيل انه
يراد به الصلوات الخمس صلاة الصبح وقبل الغروب صلاة المغرب ورواه جرير بن عبد الله
مرفوعا قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذ نظر الى القمر ليلة البدر فقال
اما انكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فان استطعتم ان لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها يعني العصر والفجر ثم قرا جرير وسبح بحمد ربك
قبل طلوع الشمس وقبل غروبها يعني العصر والفجر متفق عليه واللفظ لمسلم وقال
ابن عباس قبل الغروب الظهر والعصر ومن الليل فسبحه يعني صلاة العشائين وقيل
المراد تسبيحه بالقول تنزيها قبل طلوع الشمس وقبل الغروب قاله عطاء الخراساني وابو
الاحوص وقال بعض العلماء في قوله تعالى قبل طلوع الشمس ركعتي الفجر وقبل الغروب
الركعتين قبل وقال ثمامة بن عبد الله بن انس كان ذوو الالباب من امة محمد صلى
الله عليه وسلم يصلون الركعتين قبل المغرب وفي صحيح مسلم عن انس بن مالك قال
كنا بالمدينة فاذا اذن المؤذن لصلاة المغرب ابتدروا السواري فركعوا ركعتين حتى
ان الرجل الغريب ليدخل المسجد فيحسب ان الصلاة قد صليت من كثرة من يصليهما
وقال قتادة ما ادركت احدا يصلي الركعتين قبل الغروب الا انسا وابا برزة الاسلمي
الثالثة قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود فيه اربعة اقوال الاول هو تسبيح
الله تعالى في الليل قاله ابو الاحوص الثاني انها صلاة الليل كله قاله مجاهد الثالث
انها ركعتا الفجر قاله ابن عباس الرابع انها صلاة العشاء الآخرة قاله ابن زيد قال ابن
العربي من قال انه التسبيح بالليل فيعضده الصحيح من تعار من الليل فقال لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد
لله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما من قال انها صلاة بالليل
فان الصلاة تسمى تسبيحا لما فيها من تسبيح الله ومنه سبحة الضحى واما من قال انه
صلاة الفجر والعشاء فلانهما من صلاة الليل والعشاء اوضح الرابعة قوله تعالى وادبار
السجود قال عمر وعلي وابو هريرة والحسن بن علي والحسن البصري والنخعي والشعبي
والاوزاعي والزهري ادبار السجود الركعتان بعد المغرب وادبار النجوم الركعتان قبل
الفجر ورواه العوفي عن ابن عباس وقد رفعه ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم ركعتين بعد المغرب ادبار السجود ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي يروى عن ابن

عباس قال بت ليلة عند النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ركعتين قبل الفجر ثم خرج الى
الصلاة فقال يا ابن عباس ركعتان قبل الفجر ادبار النجوم وركعتان بعد المغرب قبل
ان يتكلم كتبت صلاته في عليين قال انس نقرا في الاولى قل يا ايها الكافرون وفي
الثانية قل هو الله احد قال مقاتل ووقتها ما لم يغب الشفق وعن ابن عباس ايضا
هو الوتر قال ابن زيد هو النوافل بعد الصلوات ركعتان بعد كل صلاة مكتوبة
قال النحاس والظاهر يدل على هذا الا ان الاولى اتباع الاكثر وهو صحيح عن علي بن
ابي طالب رضي الله عنه وقال ابو الاحوص هو التسبيح في ادبار السجود قال ابن
العربي وهو الاقوى في النظر وفي صحيح الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول
في دبر كل صلاة مكتوبة لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل
شيء قدير اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد وقيل
انه منسوخ بالفرايض ولا يجب على احد الا خمس صلوات نقل ذلك الجماعة الخامسة
قرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار السجود بكسر الهمزة على المصدر من ادبر الشي ادبارا
والباقون بفتحها جمع دبر وهي قراة علي وابن عباس ومثالها طنب واطناب
ادبر تقفل واقفال وقد استعملوه ظرفا نحو جيتك في دبر الصلاة وفي ادبار الصلوات
ولا خلاف في اخر والطور وادبار النجوم انه بالكسر مصدر وهو ذهاب ضوها اذا طلع
الفجر الثاني وهو البياض المشتق من سواد الليل قوله تعالى واستمع يوم ينادي
المنادي من مكان قريب مفعول الاستماع محذوف اي استمع النداء او الصوت او
الصيحة وهي صيحة القيامة وهي النفخة الثانية والمنادي جبريل وقيل اسرافيل
ينفخ وجبريل ينادي فينادي بالحشر ويقول هلموا الى الحساب فالنداء على هذا في
المحشر وقيل واستمع نداء الكفار بالويل والثبور من مكان قريب اي يسمع الجميع فلا يبعد
احد عن ذلك النداء قال عكرمة ينادي منادي الرحمن فكانما ينادي في اذانهم وقيل
المكان القريب صخرة بيت المقدس ويقال انها وسط الارض واقرب الارض الى السما
باثني عشر ميلا قال كعب بثمانية عشر ميلا ذكر الاول القشيري والزمخشري والثاني
الماوردي فيقف جبرائيل او اسرافيل على الصخرة فينادي بالحشر ايتها العظام البالية
والاوصال المتقطعة ويا عظاما نخرة ويا اكفانا فانية ويا قلوبا خاوية ويا ابدانا
فاسدة ويا عيونا سائلة قوموا لعرض رب العالمين قال قتادة هو اسرافيل صاحب
الصور يوم يسمعون الصيحة بالحق يعني صيحة البعث ومعنى بالخروج والاجتماع الى
الحساب ذلك يوم الخروج اي يوم الخروج من القبور انا نحن نحيي ونميت الاحيا والاماتة
هنا الحقيقة يوم تشقق الارض عنهم سراعا الى المنادي صاحب الصور الى بيت المقدس
ذلك حشر علينا يسير اي هين سهل وقرا الكوفيون تشقق بتخفيف الشين على حذف
التا الاولى والباقون بالادغام التا في الشين واثبت ابن محيصن وابن كثير ويعقوب
الياء في المنادي في الحالين على الاصل واثبتها نافع وابو عمرو في الوصل لا غير وحذف
الباقون في الحالين قلت وقد زادت السنة هذه الاية بيانا فروى الترمذي
عن معوية بن حيدة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكره قال واشار بيده
الى الشام فقال ها هنا الى ها هنا تحشرون ركبانا ومشاة وتجرون على وجوهكم
يوم القيامة على افواهكم الفدام توفون سبعين امة انتم خيرهم واكرمهم على
الله عز وجل وان اول ما يعرب عن احدكم فخذه في رواية اخرى فخذه وكفه خرج
علي بن معبد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ذكره قال ثم
يقول يعني الله تعالى لاسرافيل انفخ نفخة البعث فينفخ فتخرج الارواح كامثال
النحل قد ملات ما بين السما والارض فيقول الله جل وعز وعزتي وجلالي
ليرجعن كل روح الى جسده فتدخل الارواح في الارض الى الاجساد ثم تدخل في
الخياشيم فتمشي في الاجساد مشي السم في اللديغ ثم تنشق الارض عنكم وانا
اول من تنشق الارض عنه فتخرجون منها شبابا ابنا ثلاث وثلاثين واللسان

يومئذ بالسريانية وذكر الحديث وقد ذكرنا جميع هذا وغيره في التذكرة مستوفى
والحمد لله قوله تعالى نحن اعلم بما يقولون من تكذيبك وشتمك وما انت عليهم
بجبار اي بمسلط تجبرهم على الاسلام فتكون الاية منسوخة بالامر بالقتال والجبار
من الجبرية والتسليط اذ لا يقال جبار بمعنى مجبر كما لا يقال خراج بمعنى مخرج حكاه
القشيري النحاس وقيل معنى جبار لست تجبرهم وهو خطا لانه لا يكون فعال من افعل
وحكى الثعلبي وقال ثعلب قد جاءت احرف فعال بمعنى مفعل وهي شاذة جبار بمعنى
مجبر ودراك بمعنى مدرك وسراع بمعنى مسرع وبكا بمعنى مبكي وعدي بمعنى معدي
وقد قرئ وما اهديكم الا سبيل الرشاد بتشديد الشين بمعنى المرشد وهو موسى عليه
السلام وقيل هو الله عز وجل وكذلك قرئ واما السفينة فكانت لمساكين بمعنى ممسكين
وقال ابو حامد الخارزنجي تقول العرب سيف سقاط بمعنى مسقط وقيل بجبار اي
بمسيطر كما في الغاشية لست عليهم بمسيطر وقال الفرا سمعت من العرب من يقول
جبره على الامر اي قهره فالجبار من هذه اللغة بمعنى القهر صحيح وقيل الجبار من
قولهم جبرته على الامر اي اجبرته وهي لغة كنانة وهما لغتان الجوهري واجبرته على الامر
اكرهته عليه واجبرته ايضا نسبته الى الجبر كما تقول اكفرته نسبته الى الكفر فذكر
بالقران من يخاف وعيد قال ابن عباس قالوا يا رسول الله لو خوفتنا فنزلت فذكر
بالقران من يخاف وعيد اي ما اعددته لمن عصاني من العذاب فالوعيد العذاب
والوعد الثواب وقال الشاعر وانى ان اوعدته او وعدته لمخلف ايعادي ومنجز موعدي
وكان قتادة يقول اللهم اجعلنا ممن يخاف وعيدك ويرجو موعدك واثبت الياء في
وعيدي يعقوب في الحالين واثبتها ورش في الوصل دون الوقف وحذف الباقون
في الحالين

سورة والذاريات مكية في قول الجميع وهي ستون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والذاريات ذروا قال ابو بكر الانباري حدثنا عبد الله بن ناجية ثنا
يعقوب بن ابراهيم قال ثنا مكي بن ابراهيم قال ثنا الجعيد بن عبد الرحمن عن
يزيد بن خصيفة عن السائب بن يزيد ان رجلا قال لعمر رضي الله عنه اني مررت
برجل يسال عن تفسير مشكل القران فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر
يوما وهو لابس ثيابا وعمامة وعمر يقرا القران فلما فرغ قام اليه الرجل فقال يا امير
المومنين ما الذاريات ذروا فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال البسوه
ثيابا واحملوه على قتب وابلغوا به حيه ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا طلب
العلم فاخطاه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيدا فيهم وعن عامر بن واثلة
ان ابن الكوا سال عليا رضي الله عنه فقال يا امير المومنين ما الذاريات ذروا فقال
له ويلك سل تفقها ولا تسال تعنتا والذاريات ذروا الرياح فالحاملات وقرا
السحاب فالجاريات يسرا السفن فالمقسمات امرا الملائكة وروى الحارث عن علي والذاريات
ذروا قال الرياح فالحاملات وقرا قال السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع الوقر
فالجاريات يسرا قال السفن موقرة فالمقسمات امرا قال الملائكة تاتي بامر مختلف
جبريل بالغلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك الموت ياتي بالموت وقال الفرا وقيل
تاتي بامر مختلف من الخصب والجدب والمطر والموت والحوادث ويقال ذرت الريح
التراب تذروه ذروا واذرته تذريه ذريا ثم قيل والذاريات وما بعده اقسام واذا
اقسم الرب بشيء اثبت له شرفا وقيل المعنى ورب الذاريات والجواب انما توعدون اي
ان الذي توعدون من الخير والشر والثواب والعقاب لصادق لا كذب فيه ومعنى
لصادق لصدق وقع الاسم موقع المصدر وان الدين لواقع يعني الجزاء نازل بكم
ثم ابتدا قسما اخر فقال والسما ذات الحبك انكم لفي قول مختلف وقيل ان الذاريات

النسا الولودات لان في ترايبهن ذرو الخلق لانهن يذرين الاولاد فتصرت ذاريات
واقسم بهن لما في ترايبهن من خيره عباده الصالحين وخص النسا بذلك دون الرجال
وان كان كل واحد منهما ذاريا لامرين احدهما لانهن اوعيه دون الرجال فلاجتماع
الذروين فيهن خصص بالذكر الثاني ان الذرو فيهن لطول الزمان وهن بالمباشره
اقرب عهدا فالحاملات السحاب وقيل الحاملات من النسا اذا ثقلن بالحمل والوقر بكسر
الواو ثقل الحمل على ظهر او في بطن يقال جا يحمل وقره وقد اوقر بعيره واكثر ما يستعمل
الوقر في حمل البغل والحمار والوسق في حمل البعير وهذه امراة موقرة بفتح القاف اذا حملت
حملا ثقيلا واوقرت النخلة كثر حملها يقال نخلة موقرة وموقر وموقره وحكي موقر
وهو على غير القياس لان الفعل للنخلة وانما قيل موقر بكسر القاف على قولك امراة حامل
لان حمل الشجره مشبه بحمل النسا فاما موقر بالفتح فشاذ وقد روي في قول لبيد يصف
نخلا • عصب كوارع في خليج محلم • حملت فمنها موقر مكمور •
والجمع مواقر فاما الوقر بالفتح فهو ثقل الاذن وقد وقرت اذنه توقر وقرا اي صمت وقياس
مصدره التحريك الا انه جا بالتسكين وقد تقدم الاقفال القول فيه فالجاريات يسرا
السفن تجري بالريح يسرا الى حيث سيرت وقيل السحاب وفي جريها يسرا على هذا القول
وجهان الى حيث سيرها الله تعالى من البلاد والبقاع الثاني هو سهولة تسييرها
وذلك معروف عند العرب كما قال الاعشى •

• كان مشيتها من بيت جارتها • مر السحابة لا ريث ولا عجل •

قوله تعالى والسماء ذات الحبك قيل المراد هنا السحاب التي تظل الارض وقيل
السما المرفوعه ابن عمر هي السما السابعه ذكره المهدوي والثعلبي والماوردي وغيرهم
وفي الحبك اقوال سبعه الاول قال ابن عباس وقتاده ومجاهد والربيع ذات الخلق
المستوي الحسن وقال عكرمة قال الم تر الى النساج اذا نسج الثوب فاد نسجه يقال
منه حبك الثوب يحبكه بالكسر حبكا اي اجاد نسجه قال ابن الاعرابي كل شي احكمته
واحسنت عمله فقد احتبكته الثاني ذات الزينه قاله الحسن وسعيد بن جبير
وعن الحسن ايضا ذات النجوم وهو الثالث الرابع قال الضحاك ذات الطرايق يقال
لما تراه في الما والرمل اذا اصابته الريح حبك ونحوه قول الفرا قال الحبك تكسر كل شي
كالرمل اذا مرت به الريح الساكنه والما القايم اذا مرت به الريح ودرع الحديد لها حبك
والشعر الجعده تكسرها حبك وفي حديث الدجال ان شعره حبك قال زهير •

• مكلل باصول النجم تنسجه • ريح خريق لضاحي مايه حبك •

ولكنها تبعد من العباد فلا يرونها الخامس ذات الشده قاله ابن زيد وبنينا
فوقكم سبعا شدادا والمحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره قال امرو القيس

• قد غدا يحملني في انفه • لاحق الاطلين محبوك ممر • وقال اخر

• مرح الدين فاعددت له • مشرف الحارك محبوك الكتد •

وفي الحديث ان عايشة رضي الله عنها كانت تحتبك تحت الدرع في الصلاة اي تشد
الازار وتحكمه السادس ذات الصفاقه قاله خصيف ومنه ثوب صفيق ووجه
صفيق بين الصفاقه السابع ان المراد بالطرق المجره وهي التي في السما سميت بذلك
لانها كاثر المجر الحبك جمع حباك قال الراجز •

• كانما جللها الحواك • طنفسة في وشيها حباك •

والحباك والحبيكه الطريقه في الرمل ونحوه وجمع الحباك حبك وجمع الحبيكه
حبايك والحبكه مثل العبكه وهي الحبه من السويق عن الجوهري وروي عن
الجوهري في قوله ذات الحبك الحبك والحبك والحبك جماعه وروي عن عكرمه
وابي مجلز الحبك فالحبك واحدتها حبيكه والحبك مخفف منه والحبك واحدها
حبكه ومن قرا الحبك فالواحده حبكه كبرقه وبرق او حبكه كظلمه وظلم ومن قرا
الحبك فالواحده حبكه فهو كابل واطل والحبك مخفف منه ومن قرا الحبك فهو شاذ

لبس

لبس في كلام العرب فعل وهو محمول على تداخل اللغات كانه كسر الحا لكسر البا ثم تصور
الحبك فضم البا قال جميعه المهدوي قوله تعالى انكم لفي قول مختلف هذا جواب
القسم الذي هو والسما اي انكم يا اهل مكة في قول مختلف في محمد والقران فمن مصدق
ومكذب وقيل نزلت في المقتسمين وقيل اختلافهم قولهم ساحر بل شاعر بل افتراه
بل هو مجنون بل هو كاهن بل هو اساطير الاولين وقيل اختلافهم ان منهم من نفى
الحشر ومنهم من شك فيه وقيل المراد عبدة الاوثان والاصنام يقرون بان الله خالقهم
ويعبدون غيره قوله تعالى يوفك عنه من افك اي يصرف عن الايمان بمحمد
والقران من صرف عن الحسن وغيره وقيل المعنى يصرف عن الايمان من اراده بقولهم
هو سحر وكهانه واساطير الاولين وقيل المعنى يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه
الله افكه يافكه افكا قلبه وصرفه عن الشي ومنه قوله تعالى قالوا اجيتنا لتافكنا
وقال مجاهد معنى يوفك عنه من افك يوفن عنه من افن والافن فساد العقل
الزمخشري وقري يوفن عنه من افن اي يحرمه من حرم من افن الضرع اذا انهكه حلبا
وقال قطرب يخدع عنه من خدع وقال اليزيدي يدفع عنه من دفع والمعنى واحد
وكله راجع الى معنى الصرف قوله تعالى قتل الخراصون في التفسير لعن الكذابون
وقال ابن عباس اي قتل المرتابون يعني الكهنه وقال الحسن هم الذين يقولون لسنا
نبعث ومعنى قتل اي هولاء ممن يجب ان يدعى عليهم بالقتل على ايدي المومنين وقال
الفرا معنى قتل لعن قال والخراصون الكذابون الذين يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون
ان محمدا مجنون كذاب ساحر شاعر وهذا دعا عليهم لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول
الهالك قال ابن الانباري علمنا الدعا عليهم اي قتل الخراصون وهو جمع خارص والخرص
الكذب والخراص الكذاب وقد خرص يخرص بالضم خرصا اي كذب يقال خرص واخترص
وخلق واختلق وبشك وابتشك وسرح وسرح ومان بمعنى كذب حكاه النقاش ه
والخرص ايضا حزر ما على النخل من الرطب تمرا وقد خرصت النخل والاسم الخرص بالكسر
يقال كم خرص نخلك والخراص الذي يخرصها فهو مشترك واصل الخرص القطع على ما تقدم
بيانه في الانعام ومنه الخريص للخليج لانه ينقطع اليه الما والخرص حبة القرط اذا
كانت منفرده لانقطاعها عن اخواتها والخرص العود لانقطاعه عن نظايره بطيب
رايحته والخرص الذي جوع وبرد لانه منقطع به يقال خرص الرجل بالكسر فهو خرص
اي جايع مقرور ولا يقال للجوع بلا برد خرص ويقال للبرد بلا جوع خصر والخرص
والخرص والخراص بالضم والكسر الحلقه من الذهب او الفضه والجمع الخرصان ويدخل في
الخرص قول المنجمين وكل من يدعي الحدس والتخمين وقال ابن عباس هم المقتسمون
الذين اقتسموا عقاب مكه واقتسموا القول في نبي الله صلى الله عليه وسلم ليصرفوا
الناس عن الايمان به قوله تعالى الذين هم في غمرة ساهون الغمرة ما ستر الشي
وغطاه ومنه نهر غمر اي يغمر من دخله ومنه غمرات الموت ساهون اي لاهون غافلون
عن امر الاخرة يسالون ايان يوم الدين اي متى يوم الحساب يقولون ذلك استهزا
ومكلمه في الفتيا متى يومهم على النار يفتنون نصب يوم على تقدير الجزا اي هذا الجزا
يوم هم على النار يفتنون اي يحرقون وهو من قولهم فتنت الذهب اي احرقته
لتختبره واصل الفتنة الاختبار وقيل انه مبني بني لاضافته على غير متمكن وموضعه
نصب على التقدير المتقدم او رفع على البدل من يوم الدين وقال الزجاج يقول
يعجبني يوم انت قايم ويوم انت تقوم وان شيت فتحت وهو في رفع وانما فتحت
لهذا وهو في المعنى رفع وقال ابن عباس يفتنون يعذبون ومنه قول الشاعر •

• كل امري من عباد الله مضطهد • ببطن مكة مقهور ومفتون •

ذوقوا فتنتكم اي يقال لهم ذوقوا عذابكم قاله ابن زيد مجاهد حريقكم ابن عباس
اي تكذيبكم يعني جزاه قال الفرا اي عذابكم الذي كنتم به تستعجلون في الدنيا وقال
هذا ولم يقل هذه لان الفتنة هنا بمعنى العذاب قوله تعالى ان المتقين في

جنات وعيون لما ذكر مال الكفار ذكر مال المومنين اي هم في جنات اي بساتين فيها
عيون جارية على نهاية ما يتنزه به اخذين نصب على الحال ما اتاهم ربهم اي ما اعطاهم
من الثواب وانواع الكرامات قاله الضحاك وقال بن عباس وسعيد بن جبير اخذين
ما اتاهم اي عاملين بالفرايض انهم كانوا قبل ذلك محسنين اي قبل دخولهم الجنة في الدنيا
محسنين بالفرايض وقال بن عباس المعنى كانوا قبل ان تفرض عليهم الفرايض محسنين
في اعمالهم قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون الى قوله للسايل والمحروم فيه خمس
مسايل الاولى قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون معنى يهجعون ينامون
والهجوع النوم ليلا والتهجاع النومة الخفيفة قال ابو قيس بن الاسلت

• قد حصت البيضة راسي • فما اطعم نوما غير تهجاع •

وقال عمرو بن معدي كرب يتشوق اخته وكان اسرها الصمة ابو دريد بن الصمة •

• امن ريحانة الداعي السميع • يورقني واصحابي هجوع •

يقال هجع يهجع هجوعا وهبغ يهبغ هبوغا بالغين المعجمة اذا نام قاله الجوهري واختلف
فيما فقيل صلة زايدة قاله ابراهيم النخعي والتقدير كانوا قليلا من الليل يهجعون
اي ينامون قليلا من الليل ويصلون اكثره قال عطا وهذا لما امروا بقيام الليل وكان
ابو ذر يحتجز ياخذ العصا فيعتمد عليها حتى نزلت الرخصة قم الليل الا قليلا الاية
وقيل ليس ما صلة بل الوقف عند قوله قليلا ثم يبتدي من الليل ما يهجعون فما للنفي
وهو نفي النوم عنهم البتة قال الحسن كانوا لا ينامون من الليل الا اقله وربما نشطوا
فجدوا الى السحر وروي عن يعقوب الحضرمي انه قال اختلفوا في تفسير هذه الاية فقال
بعضهم كانوا قليلا معناه كان عددهم يسيرا ثم ابتدا فقال من الليل ما يهجعون قال
ابن الانباري وهو فاسد لان الاية انما تدل على قلة نومهم لا على قلة عددهم وبعد
فلو ابتدانا من الليل ما يهجعون على معنى من الليل يهجعون لم يكن في هذا مدح
لهم لان الناس كلهم يهجعون من الليل الا ان يجعل ما جحدا قلت وعلى ما تاوله بعض
الناس وهو قول الضحاك من ان عددهم كان يسيرا يكون الكلام متصلا بما قبل من
قوله انهم كانوا محسنين اي كان المحسنون قليلا ثم استانف فقال من الليل ما
يهجعون وهو قول الضحاك وعلى التاويل الاول والثاني يكون كانوا من الليل
خطابا مستانفا بعد تمام ما تقدمه ويكون الوقف على قوله ما يهجعون وكذلك
ان جعلت قليلا خبر كان وترفع ما بمعنى قليلا كانه قال كانوا قليلا من الليل
هجوعهم فما يجوز ان تكون نافية ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان
تكون رفعا على البدل من اسم كان التقدير كان هجوعهم قليلا من الليل وانتصاب
قوله قليلا ان قدرت ما زايدة موكدة بيهجعون على تقدير كانوا وقتا قليلا
او هجوعا قليلا يهجعون وان لم تقدر ما زايدة كان قوله قليلا خبر كان ولم
يجز نصبه بيهجعون لانه اذا قدر نصبه بيهجعون مع تقديره ما مصدرا قدمت
الصلة على الموصول وقال انس وقتادة في تاويل الاية اي كانوا يصلون بين
المغرب والعشا فقال ابو العالية كانوا لا ينامون بين العشايين وقاله بن وهب
وقيل نزلت في الانصار كانوا يصلون العشايين في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم
ثم يمضون الى قبا وقال محمد بن علي بن الحسين كانوا لا ينامون حتى يصلوا
العتمة وقال الحسن كان عدد هجوعهم قليلا في جنب يقظتهم للصلاة وقال
ابن عباس ومطرف قل ليلة لا تاتي عليهم لا يصلون لله فيها اما من اولها واما
من وسطها الثانية روي عن بعض المتهجدين انه اتاه ات في منامه فانشده

• وكيف تنام الليل عين قريرة • ولم تدر في اي المجالس تنزل •

وروي عن رجل من الازد انه قال كنت لا انام الليل فنمت في اخر الليل فاذا
انا ببستانين احسن ما رايت ومعهما حلل فوقفوا على كل مصل وكسوه حلة ثم
انتهوا الى النيام فلم يكسوهم فقلت لهما اكسواني من حللكما هذه فقالا لي انها ليست

حلة

حلة لباس انما هي رضوان الله يحل على كل مصل ويروى عن ابي خلاد انه قال
حدثني صاحب لي قال بينما انا نايم ذات ليلة اذ مثلت لي القيامة فنظرت الى
اقوام من اخواني قد اضاءت وجوههم واشرقت الوانهم وعليهم الحلل من دون الخلايق
فقلت ما بال هولاء مكتسون والناس عراة ووجوههم مشرقة ووجوه الناس
مغبرة فقال لي قايل الذين رايتهم مكتسون فهم المصلون بين الاذان والاقامة
والذين وجوههم مشرقة فاصحاب السهر والتهجد قال ورايت اقواما على نجايب
فقلت ما بال هولاء ركبانا والناس مشاة حفاة فقال لي هولاء الذين قاموا على
اقدامهم تقربا الى الله فاعطاهم الله بذلك خير الثواب قال فصحت في منامي واها
للعابدين ما اشرف مقامهم ثم استيقظت من منامي وانا خايف الثالثة قوله تعالى
وبالاسحار هم يستغفرون مدح ثان اي يستغفرون اي من ذنوبهم قاله الحسن والسحر
وقت يرجى فيه اجابة الدعا وقد مضى في ال عمران القول فيه وقال بن عمر ومجاهد
اي يصلون وقت السحر فسموا الصلاة استغفارا وقال الحسن في قوله تعالى كانوا
قليلا من الليل ما يهجعون مدوا الصلاة من اول الليل الى السحر ثم استغفروا في
السحر ابن وهب هي في الانصار يعني انهم كانوا يغدون من قبا فيصلون في مسجد
النبي صلى الله عليه وسلم ابن وهب عن ابن لهيعة عن يزيد بن ابي حبيب قال كانوا
ينضحون لناس من الانصار بالدلا على الثمار ثم يهجعون قليلا ثم يصلون اخر
الليل الضحاك صلاة الفجر وقال الاحنف بن قيس عرضت عملي على اعمال اهل الجنة
فاذا قوم قد باينونا بعيدا لا نبلغ اعمالهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وعرضت
عملي على اعمال اهل النار فاذا قوم لا خير فيهم يكذبون بكتاب الله وبرسول الله وبالبعث
بعد الموت فوجدنا خيرنا منزلة قوما خلطوا عملا صالحا واخر سيا الرابعة قوله
تعالى وفي اموالهم حق للسايل والمحروم مدح ثالث قال محمد بن سيرين وقتادة
الحق هنا الزكاة المفروضة وقيل انه حق سوى الزكاة يصل به رحما او يغني به
محروما وقال بن عباس لان السورة مكية وفرضت الزكاة بالمدينة قال بن العربي
والاقوى في هذه الاية الزكاة لقوله تعالى في سورة سال سايل والذين في اموالهم
حق معلوم للسايل والمحروم والحق المعلوم هو الزكاة التي بين الشرع قدرها وجنسها
ووقتها فاما غيرها لمن يقول به فليس بمعلوم لانه غير مقدر ولا مجنس ولا موقت
الخامسة قوله تعالى للسايل والمحروم السايل الذي يسال الناس لفاقته قاله
ابن عباس وسعيد بن المسيب وغيرهما والمحروم الذي حرم المال واختلف في تعيينه
فقال بن عباس وسعيد بن المسيب المحروم المحارف الذي ليس له في الاسلام سهم
وقالت عايشة رضي الله عنها المحروم المحارف الذي لا يتيسر له مكسبه يقال رجل محارف
بفتح الراي محدود ومحروم وهو خلاف قولك مبارك وقد حورف كسب فلان
اذا شدد عليه في معاشه كانه ميل برزقه عنه وقال قتادة والزهري المحروم
المتعفف الذي لا يسال الناس شيا ولا يعلم بحاجته وقال الحسن ومحمد بن الحنفية
المحروم الذي يجي بعد الغنيمة وليس له فيها سهم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث سرية فاصابوا وغنموا فجا قوم بعدما فرغوا فنزلت هذه الاية وفي اموالهم
وقال عكرمة المحروم الذي لا يبقى له مال وقال زيد بن اسلم هو الذي اصيب ثمره
او زرعه او نسل ماشيته وقال القرظي المحروم الذي اصابته الجايحة ثم قرا انا
لمغرمون بل نحن محرومون وقال نظيره في قصة اصحاب الجنة حيث قالوا بل نحن
محرومون وقال ابو قلابة كان رجل من اهل اليمامة له مال فجا سيل فذهب
بماله فقال رجل من الصحابة هذا المحروم فاقسموا له وقيل انه الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه
وهو مروي عن بن عباس ايضا وقال عبد الرحمن بن حميد المحروم المملوك وقيل
انه الكلب روي عن عمر بن عبد العزيز كان في طريق مكة فجا كلب فانتزع عمر رحمه الله
كتف شاة فرمى بها اليه وقال يقولون انه المحروم وقيل انه من وجبت نفقته بالفقر

من ذوي الانساب لانه قد حرم كسب نفسه حتى وجبت نفقته في مال غيره وروى
ابن وهب عن مالك انه الذي يحرم الرزق وهذا قول حسن يعم جميع الاقوال وقال
الشعبي لي اليوم سبعون سنة منذ احتلمت اسال عن المحروم فما انا اليوم باعلم مني
فيه يومئذ رواه شعبة عن عاصم الاحول عن الشعبي واصله في اللغة الممنوع من
الحرمان وهو المنع قاله علقمة

ومطعم الغنم يوم الغنم مطعمه ° انا توجه والمحروم محروم

وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ويل للاغنيا من الفقرا يوم القيمة يقولون
ربنا ظلمونا حقوقنا الذي فرضت لنا عليهم فيقول الله تعالى وعزتي لاقربنكم
ولابعدنهم ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي اموالهم حق للسايل والمحروم
ذكره الثعلبي قوله تعالى وفي الارض ايات للموقنين لما ذكر امر الفريقين بين ان في
الارض علامات تدل على قدرته على البعث والنشور فمنها عود النبات بعد ان صار
هشيما ومنها انه قدر الاقوات فيها قواما للحيوان ومنها سيرهم في البلدان
التي يشاهدون فيها اثار الهلاك النازل بالامم المكذبه والموقنون هم العارفون
المحققون وحدانية ربهم وصدق نبوة نبيهم خصهم بالذكر لانهم المنتفعون بتلك
الايات وتدبرها قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون قيل التقدير وفي الارض
وفي انفسكم ايات للموقنين وقال قتاده المعنى من سار في الارض راى ايات وعبرا
ونفكر في نفسه عرف انه خلق ليعبد الله قال ابن الزبير ومجاهد المراد سبيل الخلا
والبول وقال السايب بن شريك ياكل ويشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو
شرب لبنا محضا لخرج منه الما ومنه الغايط فتلك الاية في النفس وقال ابن زيد
المعنى انه خلقكم من تراب وجعل لكم السمع والابصار والافيدة ثم انتم بشر تنتشرون
السدي وفي انفسكم اي في حياتكم وموتكم وفيما يدخل ويخرج من طعامكم الحسن
في الكبر بعد الشباب والضعف بعد القوة والشيب بعد السواد وقيل المعنى وفي
خلق انفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم الى نفخ الروح وفي اختلاف
الالسنة والالوان والصور الى غير ذلك من الايات الباطنة والظاهرة وحسبك
بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به انواع المعاني والفنون وبالالسن
والنطق ومخارج الحروف والابصار والاطراف وساير الجوارح وتاتيها لما خلقت له وما
سوى في الاعظام من المفاصل للانعطاف والتثني فانه اذا جسا شي منها جا العجز فاذا
استرخى اناخ البدن فتبارك الله احسن الخالقين افلا تبصرون يعني بصر القلب
لتعرفوا كمال قدرته وقيل انه نجح العاجز وحرمان الحازم قلت كما ذكر من وجوه الاعتبار
وقد قدمنا في اية التوحيد من سورة البقرة ان ما في بدن الانسان الذي هو
العالم الصغير شي الا وله نظير في العالم الكبير وذكرنا هناك من الاعتبار ما يكفي ويغني
لمن تدبر قوله تعالى وفي السما رزقكم وما توعدون قال سعيد بن جبير
والضحاك الرزق هنا ما ينزل من السما من مطر وثلج ينبت به الزرع ويحيي به
الخلق قال سعيد كل عين قايمة فانها من الثلج وعن الحسن انه كان اذا راى السحاب
قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم وقال اهل المعاني وفي
السما رزقكم معناه من المطر سمي المطر سما لانه من السما ينزل قال

اذا سقط السما بارض قوم ° رعيناه وان كانوا غضابا

وقال ابن كيسان يعني وعلى رب السما رزقكم نظيره وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها قال سفيان وفي السما رزقكم اي عند الله في السما رزقكم
وقيل المعنى وفي السما تقدير رزقكم وما فيه لكم مكتوب في ام الكتاب وعن
سفيان الثوري قال قرا واصل الاحدب وفي السما رزقكم فقال الا ارى رزقي في
السما وانا اطلبه في الارض فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيا فاذا هو في الثالثة
بدوخلة رطب وكان له اخ احسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين فانزل

ذلك

ذلك دابهما حتى فرق الله بينهما بالموت وقرا ابن محيصن ومجاهد وفي السما رازقكم وكذلك
في امرها ان الله هو الرزاق وما توعدون قال مجاهد يعني من خير وشر وقال غيره
من خير خاصة وقيل الشر خاصة وقيل الجنة عن سفيان بن عيينة الضحاك وما توعدون
من الجنة والنار وقال ابن سيرين وما توعدون من امر الساعة وقاله الربيع قوله
تعالى فورب السما والارض انه لحق اكد ما اخبرهم به من البعث وما خلق في السما من الرزق
واقسم عليه انه لحق ثم اكده بقوله مثل ما انكم تنطقون وخص النطق من بين ساير الحواس
لان ما سواه من الحواس يدخله التشبيه كالذي يرى في المراة واستحالة الذوق عند غلبة
الصفرا ونحوها والدوي والطنين والاذى والنطق سالم من ذلك ولا يعتبر بالصدا لانه
لا يكون الا بعد حصول الكلام من الناطق غير مشوب بما يشكل به وقال بعض الحكما كما ان
كل انسان ينطق بنفسه ولا يمكنه ان ينطق بلسان غيره فكذلك كل انسان ياكل رزقه
ولا يمكنه ان ياكل رزق غيره وقال الحسن بلغني ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال قاتل
الله اقواما اقسم لهم ربهم بنفسه ثم لم يصدقوه قال الله تعالى فورب السما والارض
انه لحق وقال الاصمعي اقبلت ذات مرة من مسجد البصرة اذ طلع اعرابي جلف جاف على
قعود له متقلدا بسيفه وبيده قوسه فدنا وسلم وقال ممن الرجل قلت من اصمع قال انت
الاصمعي قلت نعم قال ومن اين اقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال
وللرحمن كلام يتلوه الادميون قلت نعم قال فاتل علي منه شيا فقرات والذاريات
ذروا الى قوله وفي السما رزقكم فقال يا اصمعي حسبك ثم قام الى ناقته فنحرها وقطعها
بجلدها وقال اعني على توزيعها ففرقناها على من اقبل وادبر ثم عمد الى سيفه وقوسه
فكسرهما وجعلهما تحت الرحل وولى نحو البادية وهو يقول وفي السما رزقكم وما توعدون
فمقت نفسي ولمتها ثم حججت مع الرشيد فبينا انا اطوف اذا انا بصوت رقيق فالتفت
فاذا انا بالاعرابي ناحل مصفر فسلم علي واخذ بيدي وقال اتل كلام الرحمن علي واجلسني
من ورا المقام فقرات والذاريات حتى وصلت الى قوله تعالى وفي السما رزقكم وما
توعدون فقال الاعرابي لقد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا قال وهل غير هذا قلت نعم
يقول الله تبارك وتعالى فورب السما والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون فصاح
الاعرابي سبحان الله من ذا الذي اغضب الجليل حتى حلف الم يصدقوه في قوله حتى
الجوه الى اليمين فقالها ثلاثا وخرجت بها نفسه وقال يزيد بن يزيد وروي عن
غير طعام ولا شراب ان رجلا جاع بمكان ليس فيه شي فقال اللهم رزقك الذي وعدتني
فاتني به فشبع وروي من غير طعام ولا شراب وعن ابي سعيد الخدري قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم لو ان احدكم فر من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت اسنده الثعلبي
رحمه الله وفي سنن ابن ماجه عن حبة وسوا ابني خالد قالا دخلنا على النبي صلى الله عليه
وسلم وهو يعالج شيا فاعناه عليه فقال لا تايسا من الرزق ما تهززت رووسكما فان
الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر ثم يرزقه الله وروي ان قوما من الاعراب زرعوا
زرعا فاصابته جايحة فحزنوا لاجله فخرجت عليهم اعرابية فقالت ما لي اراكم قد نكستم
روسكم وضاقت صدوركم هو ربنا والعالم بنا رزقنا عليه ياتينا به من حيث شا ثم انشات
تقول

لو كان في صخرة في البحر راسية ° صما ململمة ملس نواحيها
رزق لنفس براها الله لانفلقت ° حتى تودي اليها كل ما فيها
او كان بين طباق السبع مسلكها ° لسهل الله في المرقى مراقيها
حتى تنال الذي في اللوح خط لها ° ان لم تنله والا سوف ياتيها

قلت وفي هذا المعنى قصة الاشعريين حين ارسلوا رسولهم الى النبي صلى الله
عليه وسلم فسمع قوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها فرجع ولم يكلم
النبي صلى الله عليه وسلم وقال ليس الاشعريون باهون على الله من الدواب وقد
ذكرناه في سورة هود وقال لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن
في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله الاية وقد مضى في لقمان وقد استوفينا

هذا الباب في كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعه والحمد لله وهذا هو التوكل الحقيقي
الذي لا يشوبه شي وهو فراغ القلب مع الرب رزقنا الله اياه ولا احالنا على احد سواه
قوله تعالى مثل ما انكم تنطقون قرأ العامه بالنصب اي كمثل ما انكم فهو
منصوب على تقدير حذف الكاف اي مثل نطقكم وما زايده قاله بعض الكوفيين
وقال الزجاج والفرا يجوز ان ينتصب على التوكيد اي لحق حقا مثل نطقك فكانه
نعت لمصدر محذوف وقول سيبويه انه مبني بني حين اضيف الى غير متمكن وما
زايده للتوكيد المازني مثل مع ما بمنزلة شي واحد فبني على الفتح كذلك واختاره
ابو عبيد وابو حاتم قال ولان من العرب من يجعل مثلا منصوبا ابدا فيقول
قال لي رجل مثلك ومررت برجل مثلك بنصب وقرا ابو بكر وحمزه والكساي والاعمش
مثل بالرفع على انه صفة لحق لكنه نكره وان اضيف الى معرفة اذ لا يختص بالاضافه
لكثرة الاشيا التي بعدها التماثل بين المتماثلين ومثل مضاف الى انكم وما زايده
ولا تكون ما مع ما بعدها بمنزلة المصدر اذ لا فعل معها تكون معه مصدرا ويجوز
ان يكون بدلا من الحق قوله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ذكر
قصة ابراهيم عليه السلام ليبين بها انه اهلك المكذبه باياته كما فعل بقوم لوط
هل اتاك اي لم ياتك وقيل هل بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى على الانسان حين
من الدهر وقد مضى الكلام في ضيف ابراهيم في هود والحجر المكرمين اي عند الله
دليله قوله تعالى بل عباد مكرمون قال ابن عباس يريد جبريل وميكاييل واسرافيل
زاد عثمان بن محصن ورفاييل عليهم السلام وقال محمد بن كعب كان جبريل ومعه
سبعة وقال عطا وجماعة كانوا ثلاثه جبريل وميكاييل ومعهما ملك اخر قال
ابن عباس سماهم مكرمين لخدمة ابراهيم اياهم بنفسه قال عبد الوهاب قال
لي علي بن عياض عندي هريسة ما رايك فيها قلت ما احسن رايي فيها قال امض
بنا فدخلت الدار فنادى الغلام فاذا هو غايب فما راعني الا به ومعه القمقمه
والطست وعلى عاتقه المنديل فقلت انا لله وانا اليه راجعون لو علمت يا ابا الحسن
ان الامر هكذا قال هون عليك فانك عندنا مكرم انما يخدم بالنفس انظر الى قوله
تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين قوله تعالى اذ دخلوا عليه فقالوا
سلاما تقدم في الحجر قال سلام اي عليكم سلام ويكون سلام بمعنى امري سلام
او ردي لكم سلام وقرا اهل الكوفة الا عاصما سلم بكسر السين قوم منكرون اي
انتم قوم منكرون غربا لا نعرفكم وقيل لانه راهم على غير صور البشر وعلى غير
صور الملايكة الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال قوم منكرون وقيل انكرهم لانهم
دخلوا عليه من غير استيذان وقال ابو العاليه انكر سلامهم في ذلك الزمان
وفي تلك الارض وقد خالفهم يقال انكرته اذا جحدته قال الشاعر
• فانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا •
قوله تعالى فراغ الى اهله قال الزجاج اي عدل الى اهله وقد مضى في والصافات
ويقال اراغ وارتاغ بمعنى طلب وماذا تريغ اي تريد وتطلب وراغ الى كذا اي مال اليه
سرا وحاد فمعنى هذا يكون راغ واراغ لغتان بمعنى فجا بعجل سمين اي جا ضيفه
بعجل قد شواه لهم كما في هود فما لبث ان جا بعجل حنيذ ويقال ان ابراهيم انطلق
الى منزله كالمستخفي من ضيفه لئلا يظهروا على ما يريد ان يتخذه لهم من طعامه
فقربه اليهم يعني العجل فقال الا تاكلون قال قتاده كان عامة مال ابراهيم
البقر واختاره لهم سمينا زيادة في اكرامهم وقيل العجل في بعض اللغات الشاه
ذكره القشيري وفي الصحاح العجل ولد البقرة والعجول مثله والجمع العجاجيل والانثى
عجله عن ابن الجراح وبقرة معجل ذات عجل وعجل قبيله من ربيعه قوله تعالى
فاوجس منهم خيفه اي احس في نفسه خوفا وقيل اضمر لما لم يتحرموا بطعامه
ومن اخلاق الناس ان من لا يتحرم بطعام انسان امنه وقال عمرو بن دينار قالت

الملايكه

الملايكه لا ناكل الا بالثمن قال كلوا وادوا ثمنه قالوا وما ثمنه قال تسمون الله فنظر
بعضهم الى بعض وقالوا لهذا اتخذك الله خليله وقد تقدم هذا في هود ولما راوا ما بابراهيم
من الخوف قالوا لا تخف واعلموه انهم ملايكة الله ورسله وبشروه بغلام عليم اي بولد له
من ساره زوجته وقيل لما اخبروه انهم ملايكه لم يصدقهم فدعوا الله فاحيا العجل
الذي قربه لهم وروى عون عن ابي شداد ان جبريل مسح العجل بجناحه فقام يدرج حتى
لحق بامه وام العجل في الدار ومعنى عليم اي يكون بعد بلوغه من اولي العلم بالله وبدينه
والجمهور على ان المبشر به هو اسحاق وقال مجاهد وحده هو اسماعيل وليس بشي
لان الله تعالى يقول وبشرناه باسحاق وهذا نص قوله تعالى فاقبلت امراته في
صرة اي صيحة وصحه عن ابن عباس وغيره ومنه اخذ صرير الباب وهو صوته وقال
عكرمه وقتاده انها الرنه والتاوه ولم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان قال الفرا
وانما هو كقولك اقبل يشتمني اي اخذ في شتمي وقيل اقبلت في صرة اي في جماعة من الناس
تسمع كلام الملايكه قال الجوهري الصرة الصيحة والصرة الجماعه والصرة الشدة من
كرب وغيره قال امرو القيس • فالحقه بالهاديات ودونه • جواحرها في صرة لم تزيل •
يحتمل هذا البيت الوجوه الثلثه وصرة القيظ شدة حره فلما سمعت ساره البشاره صكت
وجهها اي ضربت يدها على وجهها على عادة النسوان عند التعجب قاله سفيان الثوري
وغيره وقال ابن عباس صكت وجهها لطمته واصل الصك الضرب صكه اي ضربه قال
الراجز يا كروانا صك فاكبانا قال الاموي لمن المطي اذا التطا بالارض واكباب انتقض وقالت
عجوز عقيم اي اتلد عجوز عقيم قال الزجاج اي وقالت انا عجوز عقيم فكيف الد كما قال
يا ويلتا االد وانا عجوز قالوا كذلك اي كما قلنا لك واخبرناك قال ربك فلا تشكي فيه
وكان بين البشارة والولاده سنه وكانت ساره لم تلد قبل ذلك فولدت وهي بنت تسع
وتسعين سنه وابراهيم يوميذ ابن ماية سنه وقد مضى هذا انه هو الحكيم العليم
حكيم فيما يفعله عليم بمصالح خلقه قوله تعالى قال فما خطبكم ايها المرسلون لما تيقن
ابراهيم عليه السلام انهم ملايكة باحيا العجل والبشاره قال لهم فما خطبكم ايها المرسلون
اي ما شانكم وقصتكم ايها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين يريد قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين اي لنرجمهم بها مسومة اي معلمه قيل كانت مخططه بسواد وبياض
وقيل بسواد وحمرة وقيل مسومه اي معروفه بانها حجارة العذاب وقيل على كل حجر اسم
من يهلك به وقيل عليها امثال الخواتيم وقد مضى هذا كله في هود فجعلت الحجاره
تتبع مسافريهم وشذاذهم فلم يفلت منهم مخبر عند ربك اي عند الله وقد اعدها
لرجم من قضى برجمه ثم قيل كانت مطبوخه طبخ الاجر قاله ابن زيد وهو معنى قوله تعالى
حجارة من سجيل على ما تقدم بيانه في هود وقيل هي الحجارة التي تراها واصلها طين
وانما تصير حجارة باحراق الشمس اياها على مر الدهور وانما قال من طين ليعلم انها
ليست حجارة الما التي هي البرد حكاه القشيري قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من
المومنين اي لما اردنا اهلاك قوم لوط اخرجنا من كان من قومه من المومنين لئلا يهلك
المومنون وذلك قوله تعالى فاسر باهلك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين يعني
لوطا وبنتيه وفيه اضمار اي فما وجدنا فيها غير اهل بيت وقد يقال بيت شريف
يراد به الاهل وقوله فيها كناية عن القريه ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى مفهوم وايضا
فقوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين يدل على القريه لان القوم انما يسكنون قريه
وقيل الضمير فيها للجماعه والمومنون والمسلمون ها هنا سوا فجنس اللفظ لئلا
يتكرر كما قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وقيل الايمان تصديق القلب والاسلام
الانقياد بالظاهر فكل مومن مسلم وليس كل مسلم مومنا فسماهم في الاية الاولى
مومنين لانه ما من مومن الا وهو مسلم وقد استوفينا الكلام في هذا المعنى في البقره
وغيرها وقوله تعالى قالت الاعراب امنا الايه يدل على الفرق بين الايمان والاسلام
وهو مقتضى حديث جبريل عليه السلام في صحيح مسلم وغيره وقد بيناه في غير موضع

وتركنا فيها اية اي عبرة وعلامة لاهل ذلك الزمان ومن بعدهم نظيره ولقد تركنا منها اية بينة لقوم يعقلون ثم قيل الاية المتروكة نفس القرية الخربة وقيل الحجارة المنضودة التي رجموا بها فيه الاية للذين يخافون لانهم منتفعون قوله تعالى وفي موسى اي وتركنا ايضا في قصة موسى اية وقال الفرا هو معطوف على قوله وفي الارض ايات وفي انفسكم اذ ارسلناه الي فرعون بسلطان مبين اي بحجة بينة وهي العصا وقيل اي بالمعجزات من العصا وغيرها قوله تعالى فتولى بركنه يعني يعني فرعون اعرض عن الايمان بركنه اي بجموعه واجناده قاله ابن زيد وهو معنى قول مجاهد وقال ابن عباس وقتاده بقوته ومن الاول قوله تعالى او اوي الى ركن شديد يعني المنعة والعشيرة ومن الثاني قول عنترة

فما اوهي مراس الحرب ركني • ولكن ما تقادم من زماني •

وقيل بنفسه وقال الاخفش بجانبه كقوله تعالى اعرض ونا بجانبه وقاله المورج قال الجوهري وركن الشي جانبه الاقوي وهو ياوي الى ركن شديد اي عز ومنعه القشيري والركن جانب البدن وهذا عبارة عن المبالغة في الاعراض عن الشي وقال ساحر او مجنون او بمعنى الواو لانهم قد قالوهما جميعا قاله المورج والفرا وانشد بيت جرير

اثعلبة الفوارس او رياحا • عدلت بهم طهية والخشابا •

وقد توضع او بمعنى الواو لقوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا والواو بمعنى او كقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النسا مثنى وثلاث ورباع وقد تقدم جميع هذا فاخذناه وجنوده لكفرهم وتوليهم عن الايمان فنبذناهم اي طرحناهم في اليم وهو مليم يعني فرعون لانه اتي ما يلام عليه قوله تعالى وفي عاد اي وتركنا في عاد اية لمن تامل اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم وهي التي لا تلقح سحابا ولا شجرا ولا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة ومنه امراة عقيم لا تحمل ولا تلد ثم قيل هي الجنوب وروي ابن ابي ذيب عن الحارث بن عبد الرحمن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الريح العقيم الجنوب وقال مقاتل هي الدبور كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وقال ابن عباس هي النكبا وقال عبيد بن عمير مسكنها الارض الرابعة وما فتح الله على عاد منها الا قدر منخر الثور وروي ابن ابي نجيح عن مجاهد انها الصبا فالله اعلم قوله تعالى ما تذر من شي اتت عليه الا جعلته كالرميم اي كالشي الهشيم يقال للنبت اذا يبس وتفتت رميم وهشيم وقال ابن عباس كالشي الهالك البالي وقال مجاهد ومنه قول الشاعر

• تركتني حين كف الدهر من بصري • وقد بقيت كعظم الرمة البالي •

وقال قتاده انه الذي ديس من يابس النبات وقال ابو العالية والسدي كالتراب المدقوق قطرب الرميم الرماد وقال يمان ما رمته الماشية من الكلا عرمتها ويقال للشفه المرمه والمقمه بالكسر والمرمه بالفتح لغة فيه واصل الكلمة من رم العظم اذا بلي تقول رم العظم يرم والرمه بالكسر العظام البالية والجمع رمم ورمام ونظير هذه الاية تدمر كل شي بامر ربها حسب ما تقدم قوله تعالى وفي ثمود اي وفيهم ايضا عبرة وايه حين قيل لهم عيشوا متمتعين بالدنيا حتى حين اي الي وقت الهلاك وهو ثلثه ايام كما في هود تمتعوا في داركم ثلثة ايام وقيل معنى تمتعوا الى وقت فنا اجالكم فعتوا عن امر ربهم اي خالفوا امر الله فعقروا الناقه فاخذتهم الصاعقة اي الموت وقيل هي كل عذاب مهلك قال الحسين بن واقد كل صاعقة في القران فهو العذاب وقرا عمر بن الخطاب وحميد وابن محيصن ومجاهد والكسائي الصعقة يقال صعق الرجل صعقة وتصعاقا اي غشي عليه وصعقتهم السما اذا القت عليهم الصاعقة والصاعقة ايضا صيحة العذاب وقد مضى في البقرة وغيرها وهم ينظرون اليها نهارا فما استطاعوا من قيام قيل معناه من نهوض وقيل اي ما اطاقوا ان يستقلوا بعذاب الله وان يتحملوه

ويدفعوا به ويدفعوه عن انفسهم تقول لا اقوم لهذا الامر اي لا اطيقه وقال ابن عباس اذا ذهبت اجسامهم وبقيت ارواحهم في العذاب حين اهلكوا اي ما كان لهم ناصر قوله تعالى وقوم نوح من قبل قرا حمزة والكسائي وابو عمرو وقوم نوح بالخفض اي وفي قوم نوح اية ايضا وقرا الباقون بالنصب على معنى واهلكنا ال نوح او يكون معطوفا على الها والميم في فنبذناهم او الها في اخذناه اي اخذتهم الصاعقة واخذ قوم نوح او نبذنا هم في اليم ونبذنا قوم نوح اي يكون بمعنى اذكر قوله تعالى والسما بنيناها بايد لما بين هذه الايات قال وفي السما ايات وعبر تدل على ان الصانع قادر على الكمال فعطف امر السما على قصة قوم نوح لانهما ايات ومعنى بايد اي بقوة وقدرة عن ابن عباس وغيره وانا لموسعون قال ابن عباس لقادرون وقيل اي وانا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شي نريده وقيل وانا لموسعون الرزق على خلقنا عن ابن عباس ايضا الحسن وانا لمطيقون وعنه ايضا وانا لموسعون الرزق بالمطر وقال الضحاك اغنيناكم دليله على الموسع قدره وقال القتبي ذو سعة على خلقنا والمعنى متقارب وقيل جعلنا بينها وبين الارض سعة الجوهري واوسع الرجل اي صار ذا سعة وغنى ومنه قوله تعالى والسما بنيناها بايد وانا لموسعون اي اغنيا قادرون فشمل جميع الاقوال والارض فرشناها اي بسطناها كالفراش على وجه الما ومددناها فنعم الماهدون نحن لهم والمعنى في الجمع التعظيم مهدت الفراش مهدا بسطته ووطاته وتمهيد الامور تسويتها واصلاحها ومن كل شي خلقنا زوجين اي صنفين ونوعين مختلفين قال ابن زيد اي ذكرا وانثى وحلوا وحامضا ونحو ذلك مجاهد يعني الذكر والانثى والسما والارض والشمس والقمر والليل والنهار والنور والظلمة والسهل والجبل والجن والانس والشر والخير والبكرة والعشا وكالاشيا المختلفة الالوان من الطعوم والارايح والاصوات اي جعلنا هذا هكذا دلالة قدرتنا ومن قدر على هذا فليقدر على الاعادة وقيل ومن كل شي خلقنا زوجين لتعلموا ان خالق الازواج فرد فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون ولا ضيا ولا ظلام ولا قعود ولا قيام ولا ابتدا ولا انتها اذ هو عز وجل وتر ليس كمثله شي لعلكم تذكرون قوله تعالى ففروا الى الله اني لكم منه نذير مبين لما تقدم من تكذيب اممهم لانبيايهم واهلاكهم لذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد اي قل لقومك ففروا الى الله اي فروا من معاصيه وقال ابن عباس فروا الى الله بالتوبة من ذنوبكم وعنه فروا منه اليه واعملوا بطاعته وقال محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان فروا الى الله اخرجوا الى مكة وقال الحسين بن الفضل احترزوا من كل شي دون الله فمن فر الى غيره لم يمتنع منه وقال ابو بكر الوراق فروا من طاعة الشيطان الى طاعة الرحمن وقال الجنيد الشيطان داع الى الباطل ففروا الى الله يمنعكم منه وقال ذو النون المصري ففروا من الجهل الى العلم ومن الكفر الى الشكر وقال عمرو بن عثمان فروا من انفسكم الى ربكم وقال ايضا فروا الى ما سبق لكم من الله ولا تعتمدوا على حركاتكم وقال سهل بن عبد الله فروا مما سوى الله الى الله اني لكم منه نذير مبين اي انذركم عقابه على الكفر والمعصية قوله تعالى ولا تجعلوا مع الله الها اخر امر محمدا صلى الله عليه وسلم ان يقول هذا للناس وهو النذير وقيل خطاب من الله للخلق اي اني لكم منه اي من محمد وسيوفه نذير اي انذركم باسه وسيفه ان اشركتم بي قاله ابن عباس قوله تعالى كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول هذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي كما كذبك قومك وقالوا ساحر او مجنون كذلك كذب الذين من قبلهم وقالوا مثل قولهم والكاف من كذلك يجوز ان يكون نصبا على تقدير انذركم انذارا كانذار من تقدمني من الرسل الذين انذروا قومهم او رفعا على تقدير الامر كذلك اي كالاول والاول تخويف لمن عصاه من الموحدين والثاني لمن اشرك به من الملحدين والتمام على

قوله كذلك عن يعقوب وغيره قوله تعالى اتواصوا به اي اوصى اولهم اخرهم
بالتكذيب وتواصوا عليه والالف للتوبيخ والتعجب بل هم قوم طاغون اي لم يوص
بعضهم بعضا بل جمعهم الطغيان وهو مجاوزة الحد في الكفر قوله تعالى فتول
عنهم اي اعرض عنهم واصفح عنهم فما انت بملوم عند الله لانك اديت ما عليك من تبليغ
الرسالة ثم نسخ هذا بقوله تعالى وذكر فان الذكرى تنفع المومنين وقيل نسخ باية
السيف والاول قول الضحاك قال لانه قد امر بان يقبل عليهم بالموعظة وقال مجاهد
فتول عنهم اي فاعرض عنهم فما انت بملوم اي ليس يلومك ربك على تقصير كان منك
وذكر اي بالعظة فان العظة تنفع المومنين قتادة وذكر بالقران فان الذكرى به
تنفع المومنين لانهم المنتفعون قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون
قيل ان هذا خاص فيمن سبق في علم الله انه يعبده فجا بلفظ العموم ومعناه الخصوص
المعنى وما خلقت اهل السعادة من الجن والانس الا ليوحدون قال القشيري والاية
دخلها التخصيص على القطع لان المجانين والصبيان ما امروا بالعبادة حتى يقال اراد
منهم العبادة وقد قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس ومن خلق لجهنم لا يكون
ممن خلق للعبادة فالاية محمولة على المومنين منهم وهو كقوله تعالى قالت الاعراب
امنا وانما قال فريق منهم ذكره الضحاك والكلبي والفرا والقتبي وفي قراءة عبد الله
وما خلقت الجن والانس من المومنين الا ليعبدون وقال علي رضي الله عنه اي وما
خلقت الجن والانس الا لامرهم بالعبادة واعتمد الزجاج على هذا القول ويدل عليه
قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا فان قيل كيف كفروا وقد خلقهم للاقرار
بربوبيته والتذلل لامره ومشيته قيل قد تذللوا لقضائه عليهم لان قضاءه جار عليهم
لا يقدرون على الامتناع منه وانما خالفه من كفر في العمل بما امره به فاما التذلل
لقضائه فانه غير ممتنع منه وقيل الا ليعبدون اي الا ليقروا لي بالعبادة طوعا او كرها
رواه علي بن ابي طلحة عن ابن عباس فالكره ما يرى فيهم من اثر الصنعة مجاهد الا
ليعرفوني الثعلبي وهذا قول حسن لانه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده ودليل
هذا التاويل قوله تعالى ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ولئن سالتهم من
خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم وما اشبه هذا من الايات
وعن مجاهد ايضا الا لامرهم وانهاهم زيد بن اسلم هو ما جبلوا عليه من الشقوة
والسعادة فخلق السعدا من الجن والانس للعبادة وخلق الاشقيا منهم للمعصية
وعن الكلبي الا ليعبدون الا ليوحدون فاما المومن فيوحده في الشدة والرخا واما
الكافر فيوحده في الشدة والبلا دون النعمة والرخا يدل عليه قوله تعالى واذا غشيهم
موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين الاية وقال عكرمة الا ليعبدون ويطيعون
فاثيب العابد واعاقب الجاحد وقيل المعنى الا لاستعبدهم والمعنى متقارب تقول عبد
بين العبودية والعبودية الخضوع والذل والتعبيد التذلل يقال طريق معبد
قال وظيفا وظيفا فوق مور معبد والتعبيد الاستعباد وهو ان تتخذه عبدا وكذلك
الاعتباد والعبادة الطاعة والتعبد التنسك فمعنى ليعبدون ليذلوا ويخضعوا
ويعبدوا ما اريد منهم من رزق اي رزقا بل انا الرزاق والمعطي وقال ابن عباس
وابو الجوزا اي ما اريد ان يرزقوا انفسهم ولا ان يطعموها وقيل المعنى ما اريد ان يرزقوا
عبادي ولا ان يطعموهم ان الله هو الرزاق وقرا ابن محيصن وغيره الرازق ذو القوة
المتين اي الشديد القوي وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب والنخعي المتين بالجر
على النعت للقوة الباقون بالرفع على النعت للرزاق وذو القوة المتين او يكون خبر
ابتدا محذوف او نعتا لاسم ان على الموضع او خبرا بعد خبر قال الفرا كان حقه المتينة
فذكره لانه ذهب بها الى الشي المبرم المحكم الفتل يقال حبل متين وانشد الفرا

• لكل دهر قد لبست اثوبا • حتى اكتسى الراس قناعا اشيبا •

من ريطة واليمنة المعصبا • فذكر المعصب لان اليمنة صنف من البنات ومن هذا

الباب

الباب لمن جاءه موعظة اي عيظه واخذ الذين ظلموا الصيحة اي الصياح والصوت
قوله تعالى فان للذين ظلموا اي كفروا من اهل مكة ذنوبا مثل ذنوب اصحابهم
اي نصيبا من العذاب مثل نصيب الكفار من الامم السالفة وقال ابن الاعرابي يوم
ذنوب اي طويل الشر لا ينقضي واصل الذنوب في اللغة الدلو العظيمة وكانوا يستقون
الما فيقسمون ذلك على الانصبا فقيل للذنوب نصيب من هذا قال الراجز •

• لنا ذنوب ولكم ذنوب • فان ابيتم فلنا القليب • وقال علقمة

• وفي كل يوم قد خبطت بنعمة • فحق لشاس من نداك ذنوب • وقال اخر

• لعمرك والمنايا طارقات • لكل بني اب منها ذنوب •

الجوهري والذنوب الفرس الطويل الذنب والذنوب النصيب والذنوب لحم اسفل
المتن والذنوب الدلو الملا قال ابن السكيت فيها ما قريب من الملء يونث ويذكر
ولا يقال لها وهي فارغة ذنوب والجمع في ادنى العدد اذنبة والكثير ذنائب مثل
قلوص وقلايص فلا يستعجلون نزول العذاب بهم لانهم قالوا يا محمد ائتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين فنزل بهم يوم بدر ما حقق الله تعالى به وعده وعجل به انتقامه ثم لهم في
الاخرة العذاب الدائم والخزي القائم الذي لا انقطاع له ولا نفاذ ولا غاية ولا اباد والله اعلم

سورة والطور مكية في قول الجميع

وهي ثمان واربعون اية روى الائمة عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقرا بالطور في المغرب متفق عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والطور الطور اسم الجبل الذي كلم الله موسى عليه السلام عليه اقسم
الله به تشريفا وتكريما وتذكيرا بما فيه من الايات وهو احد جبال الجنة وروى اسماعيل
ابن اسحاق قال ابنا اسماعيل بن اويس قال حدثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن
عوف عن ابيه عن جده قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربعة اجبال من جبال
الجنة واربعة انهار من انهار الجنة واربعة ملاحم من ملاحم الجنة قيل فما الاجبال
قال جبل احد يحبنا ونحبه والطور جبل من جبال الجنة ولبنان من جبال الجنة
وذكر الحديث وقد استوفيناه في كتاب التذكرة قال مجاهد هو بالسريانية والمراد
به طور سينا وقال السدي وقال مقاتل بن حيان هما طوران يقال لاحدهما طور سينا
والاخر طور زيتا لانهما ينبتان التين والزيتون وقيل هو جبل بمدين واسمه زبير وهو الجبل
الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام قلت ومدين بالارض المقدسة وهي قرية شعيب
عليه السلام وقيل ان الطور كل جبل انبت وما لا ينبت فليس بطور قاله ابن عباس
وقد مضى في البقرة مستوفى قوله تعالى وكتاب مسطور اي مكتوب يعني القران
يقروه المومنون من المصاحف وتقروه الملائكة من اللوح المحفوظ كما قال تعالى انه
لقران كريم في كتاب مكنون وقيل يعني سائر الكتب المنزلة على الانبيا وكان كل كتاب
في رق ينشره اهله لقراته وقال الكلبي هو ما كتب الله لموسى بيده من التوراة وموسى
يسمع صرير القلم وقال الفرا هي صحائف الاعمال فمن اخذ كتابه بيمينه ومن اخذ كتابه
بشماله نظيره ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله واذا الصحف نشرت
وقيل انه الكتاب الذي كتبه الله تعالى لملائكته في السما يقرون فيه ما كان وما
يكون وقيل المراد ما كتب الله في قلوب الاوليا من المومنين بيانه اولئك كتب
في قلوبهم الايمان قلت وفي هذا القول تجوز لانه عبر بالقلوب عن الرق قال
المبرد الرق ما رقق من الجلد ليكتب فيه والمنشور المبسوط وكذا قال الجوهري
في الصحاح قال والرق بالفتح ما يكتب فيه وهو جلد رقيق ومنه قوله تعالى في رق
منشور والرق ايضا العظيم من السلاحف قال ابو عبيدة وجمعه رقوق والمعنى
المراد والله اعلم وكل صحيفة فهي رق لرقة حواشيها ومنه قول المتلمس •

٭ فكانها في تقادم عهدها ٭ رق ابيح كتابها مسطور ٭
واما الرق بالكسر فهو الملك يقال عبد مرقوق وحكى الماوردي عن ابن عباس ان الرق
بالفتح ما بين المشرق والمغرب قوله تعالى والبيت المعمور قال علي وابن عباس
وغيرهما هو بيت في السما حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون الف ملك ثم يخرجون
منه فلا يعودون اليه قال علي رضي الله عنه هو في السما السادسة وقيل في
السما الرابعة روى انس بن مالك عن مالك بن صعصعة قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتي بي الى السما الرابعة فرفع لنا البيت المعمور فاذا هو حيال الكعبة
لو خر خر عليها يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا منه لا يعودون فيه قال
في البيت المعمور قال بيت فوق سبع سموات تحت يقال له الضراح وكذا في الصحاح
والضراح بالضم بيت في السما وهو البيت المعمور وعن ابن عباس وعمرانه كثره غاشيه
من الملائكة وقال المهدوي عند حذا العرش والذي في صحيح مسلم عن مالك بن
صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الاسرا ثم رفع الي البيت المعمور فقلت
يا جبريل ما هذا قال هذا البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون الف ملك اذا خرجوا
منه لا يعودون اليه اخر ما عليهم وذكر الحديث وفي حديث ثابت عن انس بن
مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتيت بالبراق الحديث وفيه ثم عرج بنا
الى السما السابعة فاستفتح جبريل عليه السلام فقيل من هذا فقال جبريل قيل
ومن معك قال محمد صلى الله عليه وسلم قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه
ففتح لنا فاذا انا بابراهيم عليه السلام مسند ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله
كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه وعن ابن عباس ايضا قال ان لله عز
وجل في السموات والارض خمسة عشر بيتا سبعة في السموات وسبعة في الارض
والكعبة وكلها مقابلة الكعبة قال الحسن البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام
هو المعمور يعمره الله كل سنة بست مائة الف فان عجز من الناس عن ذلك اتمه
الله بالملائكة وهو اول بيت وضعه الله لعباده في الارض وقال الربيع ابن انس
البيت المعمور كان في الارض موضع الكعبة في زمان ادم عليه السلام فلما كان
في زمان نوح عليه السلام امرهم ان يحجوا فابوا عليه وعصوه فلما طغى الما رفع بحذائه
في السما الدنيا فيعمره كل يوم الف ملك لا يعودون اليه حتى ينفخ في الصور فبوا
الله عز وجل لابراهيم مكان البيت الحرام حيث كان قال الله تعالى واذ بوانا
لابراهيم مكان البيت ان لا تشرك بي شيا وطهر بيتي للطايفين والعاكفين والركع
السجود والسقف المرفوع يعني السما سماها سقفا لانها للارض كالسقف للبيت
بيانه وجعلنا السما سقفا محفوظا وقال ابن عباس هو العرش وهو سقف
الجنة والبحر المسجور قال مجاهد الموقد وقد جا في الخبر ان البحر يسجر يوم
القيامة فيكون نارا وقال قتادة المملو وانشد النحويون للنمر بن تولب ٭
٭ اذا شا طالع مسجوره ٭ حولها النبع والسما سماه ٭
يريد وعلا يطالع عينا مسجوره مملوه فيجوز ان يكون المملو نارا فيكون كالقول
المتقدم وكذا قال الضحاك وشمر بن عطية ومحمد بن كعب والاخفش انه الموقد
المحمي بمنزلة التنور المسجور ومنه قيل للمسعر مسجر ودليل هذا التاويل قوله
تعالى واذا البحار سجرت اي اوقدت سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وقال
سعيد بن المسيب قال علي رضي الله عنه لرجل من اليهود اين جهنم
قال البحر قال ما اراه الا صادقا وتلى والبحر المسجور واذا البحار سجرت
مخففه وقال عبد الله بن عمر لا يتوضا بما البحر لانه طبق جهنم وقال كعب يسجر
البحر غدا فيزاد في نار جهنم فهذا قول وقال ابن عباس البحر المسجور الذي
ذهب ماوه وقاله ابو العالية وروى عطية وذو الرمة الشاعر عن ابن عباس ٭
٭ جمعت امه لتستقي ٭ فقالت ان الحوض مسجور ٭

اي

اي فارغ قال ابن ابي داود ليس لذي الرمة حديث الا هذا وقيل المسجور المفجور
دليله واذا البحار فجرت اي تنشفها الارض فلا يبقى فيها ما وقول ثالث قال علي رضي
الله عنه وعكرمة قال ابو باس سالت عكرمة عن البحر المسجور فقال هو بحر دون
العرش وقال علي تحت العرش فيه ما يقال له بحر الحيوان يمطر العباد منه بعد
النفخة الاولى اربعين صباحا فينبتون من قبورهم وقال الربيع بن انس المسجور
المختلط العذب بالمالح قلت والبر يرجع معنى تجرت في الحرانا وبلي اي بحر عذب بها
في مالحها والله اعلم وسياتي وروى علي بن ابي طلحة عن ابن عباس قال المسجور المحبوس
ان عذاب ربك لواقع هذا جواب القسم اي واقع بالمشركين قال جبير بن مطعم قدمت
المدينة لاسال رسول الله صلى الله عليه وسلم في اسارى بدر فوافقته يقرا في صلاة
المغرب والطور الى قوله ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فكانما صدع قلبي فاسلمت
خوفا من نزول العذاب وما كنت اظن ان اقوم من مقامي الا حتى يقع بي العذاب وقال
هشام بن حسان انطلقت انا ومالك بن دينار الى الحسن وعنده رجل يقرا والطور
حتى بلغ ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فبكى الحسن وبكى اصحابه وجعل مالك يضطرب
حتى غشي عليه ولما ولي بكار القضا جا اليه رجلان يختصمان فتوجهت على احدهما
اليمين فرغب الى الصلح بينهما وانه يعطي خصمه من عنده عوضا من يمينه فابى الا اليمين
فاحلفه باول الطور الى ان قال له قل ان عذاب ربك الى ان قال له ان عذاب الله بي
لواقع بي ان كنت كاذبا فقالها فخرج فكسر من حينه قوله تعالى يوم تمور السما مورا
العامل في يوم قوله واقع اي يقع بهم العذاب يوم القيامة وهو اليوم الذي تمور فيه السما
قال اهل اللغة مار الشي يمور مورا اي تحرك وجا وذهب كما تتكفا النخلة العيدانة
اي الطويلة والتمور مثله وقال الضحاك يموج بعضها في بعض مجاهد تدور دورا
ابو عبيدة والاخفش تكفا وانشد للاعشى ٭
٭ كان مشيتها في بيت جارتها ٭ مور السحابة لا ريث ولا عجل ٭
وقيل تجري جريا ومنه قول جرير ٭
٭ ما زالت القتلى تمور دماوها ٭ بدجلة حتى ما دجلة اشكل ٭
وقال ابن عباس تمور السما يومئذ بما فيها وتضطرب وقيل تدور باهلها ويموج
بعضهم في بعض والمور ايضا الطريق ومنه قول طرفة ٭ فوق مور معبد ٭
والمور الموج وناقة موارة اليد اي سريعة والبعير يمور عضداه اذا ترددا في عرض
جنبه قال الشاعر ٭ على ظهر موار الملاط ٭ حصان الملاط الجنب ٭ وقولهم لا ادري
اغار ام مار اي اتى غورا ام دار فرجع الى نجد ٭ والمور بالضم الغبار بالريح وقيل
السما هنا الفلك ومورة اضطراب نظمه واختلاف سيره قاله ابن بحر وتسير الجبال
سيرا قال مقاتل تسير عن اماكنها حتى تستوي بالارض وقيل تسير كسير السحاب
اليوم في الدنيا قوله وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب وقد مضى هذا
المعنى في الكهف فويل يومئذ للمكذبين ويل كلمة يقال للهالك وانما دخلت الفا
لان في الكلام معنى المجازاة الذين هم في خوض يلعبون اي في تردد في الباطل
وهو خوضهم في امر محمد بالتكذيب وقيل في خوض في اسباب الدنيا يلعبون
لا يذكرون حسابا ولا جزا وقد مضى في براءة قوله تعالى يوم يدعون يوم بدل
من يومئذ ويدعون معناه يدفعون الى جهنم بشدة وعنف يقال دععته ادعه
دعا اي دفعته ومنه قوله تعالى فذلك الذي يدع اليتيم وفي التفسير ان خزنة
جهنم يغلون ايديهم الى اعناقهم ويجمعون نواصيهم الى اقدامهم وزجا في اعناقهم
حتى يردوا النار وقرا ابو رجا العطاردي وابن السميفع يوم يدعون الى نار جهنم دعا
بالتخفيف من الدعا فاذا دنوا من النار قالت لهم الخزنة هذه النار التي كنتم بها
تكذبون في الدنيا افسحر هذا استفهام معناه التوبيخ والتقريع اي يقال لهم
افسحر هذا الذي ترون الان باعينكم ام انتم لا تبصرون في الدنيا ولا تعقلون اصلوها

فاصبروا اي تقول لهم الخزنة ذوقوا حرها بالدخول فيها فاصبروا او لا تصبروا سوا
عليكم اي سوا كان لكم فيها صبر او لم يكن فسوا خبره محذوف اي سوا عليكم الجزع والصبر
ولا ينفعكم شي كما اخبر عنهم انهم يقولون سوا علينا اجزعنا ام صبرنا انما تجزون ما كنتم
تعملون قوله تعالى ان المتقين في جنات ونعيم لما ذكر حال الكفار ذكر حال المومنين
ايضا فاكهين اي ذوا فاكهة كما قيل لابن لابن وتامر ذو لبن وتمر قال ۝ وغررتني
وزعمت انك لابن بالصيف تامر ۝ اي ذو لبن وتمر وقرا الحسن وغيره فكهين بغير الف
ومعناه معجبين ناعمين في قول بن عباس وغيره يقال فكه الرجل بالكسر فهو فكه
اذا كان طيب النفس مزاحا والفكه ايضا الاشر البطر وقد مضى في الدخان القول
في هذا بما اتاهم اي اعطاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا اي يقال
لهم كلوا واشربوا هنيا الهني ما لا تنغيص فيه ولا نكد ولا كدر قال الزجاج اي
ليهنكم ما صرتم اليه هنيا وقيل اي متعتم بنعيم الجنة امتاعا هنيا وقيل اي كلوا واشربوا
هنيتم هنيا فهو صفة في موضع المصدر وقيل هنيا اي حلالا وقيل لا اذى فيه ولا
غايلة وقيل هنيا اي لا تموتون فان ما يبقي او لا يبقى الانسان منغص غير هني قوله
تعالى متكين على سرر سرر جمع سرير وفي الكلام حذف تقديره متكين على نمارق
على سرر مصفوفة قال بن بحر اي موصولة بعضها الى بعض حتى تصير صفا وفي
الاخبار انها تصف في السما بطول كذا وكذا فاذا اراد العبد ان يجلس عليها
تواضعت له فاذا جلس عليها عادت الى حالها قال بن عباس هي سرر من ذهب
مكللة بالزبرجد والياقوت والدر وزوجناهم بحور عين اي قرناهم قال يونس بن
حبيب تقول العرب زوجته امراة وتزوجت بامراة قال وقول الله عز وجل وزوجناهم
بحور عين اي قرناهم بهن من قول الله عز وجل احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي وقرناهم
وقال الفرا تزوجت بامراة لغة في ازد شنوه وقد تقدم القول في معنى الحور العين قوله
تعالى والذين امنوا واتبعناهم ذريتهم قرا العامة واتبعتهم بوصل الالف
وتشديد التا وفتح العين والتا وقرا ابو عمرو واتبعناهم بقطع الالف واسكان التا
ونون اعتبارا بقوله الحقنا بهم ليكون الكلام على نسق واحد فاما قوله ذريتهم الاولى
فقراها بالجمع بن عامر وابو عمرو ويعقوب ورواها عن نافع الا ان ابا عمرو كسر التا
على المفعول وضم باقيهم وقرا الباقون ذريتهم على التوحيد وضم التا وهو المشهور
عن نافع فاما الثانية فقراها نافع وبن عامر بكسر التا على الجمع الباقون ذريتهم
على التوحيد وفتح التا واختلف في معناه فقيل عن بن عباس اربع روايات
الاولى انه قال ان الله ليرفع ذرية المومن اليه وان كانوا دونه في العمل لتقر عينه
وتلى هذه الاية ورواه النحاس مرفوعا في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن
جبير عن بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل
ليرفع ذرية المومن معه في درجته في الجنة وان كانوا لم يبلغوها بعمله لتقر بهم
عينه ثم قرا والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم الاية قال
ابو جعفر فصار الحديث مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذا يجب ان
يكون لان بن عباس لا يقول هذا الا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبار
عن الله عز وجل بما يفعله وبمعنى اية انزلها جل ثناوه قال الزمخشري فيجمع
الله لهم انواع السرور بسعادتهم في انفسهم وبمزاوجة الحور العين وبموانسة الاخوان
المومنين وباجتماع اولادهم ونسلهم بهم وعن بن عباس ايضا انه قال ان الله ليلحق
بالمومن ذريته الصغار الذين لم يبلغوا الايمان قاله المهدوي والذرية تقع على
الصغار والكبار فان جعلت الذرية هاهنا للصغار كان قوله تعالى بايمان
في موضع الحال من المفعولين القول الثالث عن بن عباس ان المراد بالذين امنوا
المهاجرون والانصار والذرية التابعون وفي رواية عنه انه كان للابا ارفع
درجة رفع الله الابنا الى الابا وان كان الابنا ارفع درجة رفع الله الابا الى الابنا

فالابا

فالابا داخلون في اسم الذرية لقوله تعالى واية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون
وعن بن عباس ايضا يرفعه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة
الجنة سال احدهم عن ابويه وولده وزوجته فيقال انهم لم يدركوا ما ادركت فيقول
يا رب اني عملت لي ولهم فيومر بالحاقهم به قالت خديجة سالت النبي صلى الله عليه
وسلم عن ولدين لي ماتا في الجاهلية فقال لي هما في النار فلما راى الكراهة في وجهي
فقال لو رايت مكانهما لابغضتهما قالت يا رسول الله فولدي منك قال في الجنة ثم قال
ان المومنين واولادهم في الجنة والمشركون واولادهم في النار ثم قرا والذين امنوا
واتبعناهم ذرياتهم الاية وما التناهم من عملهم من شي اي ما نقصنا الابنا من ثواب
اعمالهم لقصر اعمارهم او نقصنا الابا من ثواب اعمالهم شيا بالحاق الذريات بهم والهاء
والميم راجعتان الى قوله تعالى والذين امنوا وقال بن زيد المعنى واتبعتهم ذريتهم
بايمان الحقنا بالذرية ابناهم الصغار الذين لم يبلغوا العمل فالهاء والميم على هذا القول
للذرية وقرا ابن كثير وما التناهم بكسر اللام وفتح الباقون وعن ابي هريرة لتناهم قال
ابن الاعرابي التناه يالته التا والته يالته ايلاتا وولاته يليته ليتا كلها اذا نقصه
وفي الصحاح ولاته عن وجهه تلوته وتليته اي حبسته عن وجهه وصرفه وكذلك
الاته عن وجهه فعل وافعل بمعنى ويقال ايضا ما الاته من عمله شيا اي ما نقصه
مثل التته وقد تقدم في الحجرات كل امري بما كسب رهين قيل يرجع الى اهل النار
قال بن عباس ارتهن اهل جهنم باعمالهم وصار اهل الجنة الى نعيمهم ولهذا قال كل
نفس بما كسبت رهينة الا اصحاب اليمين وقيل هو عام لكل انسان مرتهن بعمله ولا
ينقص احد من ثواب عمله فاما الزيادة على ثواب العمل فهي تفضل من الله ويحتمل ان
يكون هذا في الذرية الذين لم يومنوا فلا يلحقون اباهم المومنين بل يكونون مرتهنين
بكفرهم قوله تعالى وامددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون اي اكثرنا لهم من ذلك زيادة
من الله امدهم بها غير الذي كان لهم قوله تعالى يتنازعون فيها كاسا اي يتناوله
بعضهم من بعض وهو المومن وزوجاته وخدمه في الجنة والكاس انا الخمر وكل انا
مملوء من شراب او غيره فاذا فرغ لم يسم كاسا وشاهد التنازع والكاس في اللغة
قول الاخطل ۝ وشارب مربح بالكاس نادمني ۝ لا بالحصور ولا فيها بسوار ۝
۝ نازعته طيب الراح الشمول وقد ۝ صاح الدجاج وحانت وقعة الساري ۝
وقال امرو القيس ۝ فلما تنازعنا الحديث واسمحت ۝ هصرت بغصن ذي شماريخ ميال ۝
وقد مضى هذا في والصافات لا لغو فيها ولا تاثيم اي في الكاس لا يجري بينهم لغو ولا
تاثيم ولا ما فيه اثم والتاثيم تفعيل من الاثم اي تلك الكاس لا تجعلهم اثمين لانه
مباح لهم وقيل لا لغو فيها اي لا تاثيم اي في الجنة قال بن عطا اي لغو يكون في مجلس
محله جنة عدن وسقاتهم الملايكة وشربهم على ذكر الله وريحانهم وتحيتهم من عند
الله والقوم اضياف الله ولا تاثيم اي ولا كذب قاله بن عباس الضحاك يعني لا يكذب
بعضهم بعضا وقرا ابن كثير وبن محيصن وابو عمرو لا لغو ولا تاثيم بفتح اخره الباقون بالرفع
والتنوين وقد مضى هذا في البقرة عند قوله تعالى لا خلة ولا شفاعة والحمد لله
قوله تعالى ويطوف عليهم غلمان لهم اي بالفواكه والتحف والطعام والشراب
دليله يطاف عليهم بصحاف من ذهب يطاف عليهم بكاس من معين ثم قيل هم الاطفال
من اولادهم الذين سبقوهم فاقر الله تعالى بهم اعينهم وقيل هم من اخدمهم الله اياهم
من اولاد غيرهم وقيل هم غلمان خلقوا في الجنة قال الكلبي لا يكبرون ابدا كانهم
في الحسن والبياض لولو مكنون في الصدف والمكنون المصون وقوله تعالى
يطاف عليهم ولدان مخلدون قيل هم اولاد المشركين وهم خدم اهل الجنة وليس
في الجنة نصب ولا حاجة الى خدمة ولكنه اخبر بانهم على نهاية النعيم وعن عايشة
رضي الله عنها ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة منزلة من
ينادي الخادم من خدمه فيجيبه الف خادم كلهم لبيك وعن عبد الله بن عمر قال

النبي صلى الله عليه وسلم ما من احد من اهل الجنة الا يسعى عليه الف غلام كل غلام
على عمل ليس عليه صاحبه وعن الحسن انهم قالوا يا رسول الله اذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف
يكون المخدوم فقال بينهما كما بين القمر ليلة البدر وبين اصغر الكواكب قال الكسائي
كننت الشي سترته وصنته من الشمس واكننته في نفسي اسررته وقال ابو زيد كننته
واكننته بمعنى في الكن وفي النفس جميعا تقول كننت العلم واكننته فهو مكنون ومكن
وكننت الجارية واكننتها فهو مكنونة ومكنة قوله تعالى واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
قال ابن عباس اذا بعثوا من قبورهم يسال بعضهم بعضا وقيل في الجنة يتساءلون اي
يتذاكرون ما كانوا عليه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة ويحمدون الله على زوال
الخوف عنهم وقيل يقول بعضهم لبعض بم صرت في هذه المنزلة الرفيعة قالوا انا كنا قبل
في اهلنا مشفقين اي قال كل مسؤول منهم لسائله انا كنا قبل في الدنيا خائفين وجلين
من عذاب الله فمن الله علينا بالجنة والمغفرة وقيل بالتوبة والهداية ووقانا عذاب
السموم قال الحسن السموم اسم من اسماء النار وطبقة من طباق جهنم وقيل هو النار
كما تقول جهنم وقيل ان عذاب نار السموم والسموم الريح الحارة تؤذيت يقال منه سم
يومنا فهو مسموم والجمع سمائم قال ابو عبيدة بالنهار وقيل يكون بالليل والحرور
بالليل وقد يكون بالنهار وقد يستعمل السموم في لفح البرد وهو في لفح الحر والشمس
اكثر قال الراجز
• اليوم يوم بارد سمومه • من جزع اليوم فلا الومه •
قوله تعالى انا كنا من قبل ندعوه اي في الدنيا بان يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا
وقيل ندعوه اي نعبده انه هو البر الرحيم قرا نافع والكسائي انه بفتح الهمزة اي لانه
الباقون بالكسر على الابتدا والبر اللطيف قال ابن عباس وعنه ايضا الصادق فيما وعد
وقاله ابن جريج قوله تعالى فذكر اي فذكر يا محمد قومك بالقران فما انت بنعمة ربك
يعني برسالة ربك بكاهن مبتدع القول ويخبر بما في غد من غير وحي ولا مجنون
وهذا رد لقولهم في النبي صلى الله عليه وسلم فعقبة بن معيط قال انه مجنون وشيبة
بن ربيعة قال انه ساحر وغيرهما قال كاهن فاكذبهم الله ورد عليهم ثم قيل ان معنى
فما انت بنعمة ربك يعني به القسم اي ونعمة الله ما انت بكاهن ولا مجنون وقيل ليس
قسما وانما هو كما تقول ما انت بحمد الله بجاهل اي قد برأك الله من ذلك قوله تعالى
ام يقولون شاعر اي بل يقول محمد شاعر قال سيبويه خوطب العباد بما جرى في كلامهم
قال ابو جعفر النحاس وهذا كلام حسن الا انه غير مبين ولا مشروح يريد سيبويه
ان ام في كلام العرب لخروج من حديث الى حديث كما قال أتصحوا ام تكلم فتم الكلام ثم
خرج الى شي اخر فقال ام الحبل وادبها متخدع فما جا في كتاب الله من هذا فمعناه التقرير
والتوبيخ والخروج من حديث الى حديث والنحويون يمثلونها ببل نتربص به ريب
المنون قال قتادة قال ناس من الكفار تربصوا بمحمد الموت يكفيكموه كما كفى شاعر
بني فلان من الشعراء وان اباه مات شابا وربما مات ابوه وقال الاخفش نتربص به
الى ريب المنون فحذف حرف الجر كما تقول قصدت زيدا وقصدت الى زيد والمنون
الموت في قول ابن عباس قال ابو الغول الطهوي
• هم سعوا حمى الوقبى بضرب • يؤلف بين اشتات المنون •
اي المنايا يقول ان الضرب يجمع بين قوم متفرقي الامكنة لو اتتهم مناياهم في اماكنهم
لاتتهم متفرقة فاجتمعوا في موضع واحد فاتتهم المنايا مجتمعة وقال السدي عن
ابي مالك عن ابن عباس ريب في القران شك الا مكانا واحدا في الطور ريب المنون
يعني حوادث الامور قال وقال ابن عباس
• تربص بها ريب المنون لعلها • تطلق يوما او يموت حليلها •
وقال مجاهد ريب المنون حوادث الدهر والمنون هو الدهر قال ابو ذؤيب
• امن المنون وريبه تتوجع • والدهر ليس بمعتب من يجزع • وقال الاعشى
• اان رأت رجلا اعشى اضر به • ريب المنون ودهر متبل خبل •

قال الاصمعي المنون الليل والنهار وسميا بذلك لانهما ينقصان الاعمار ويقطعان
الاجال وعنه انه قيل للدهر منون لانه يذهب بمنة الحيوان اي قوته ابو عبيدة قيل
للدهر منون لانه مضعف من قولهم حبل منين اي ضعيف والمنين الغبار الضعيف
قال الفرا والمنون مؤنثة ويكون واحدا وجمعا قال الاصمعي المنون واحد لا جماعة
له الاخفش هو جماعة لا واحد له والمنون مؤنث ويذكر فمن ذكره جعله الدهر او الموت
ومن انثه فعلى الحمل على المعنى كانه اراد المنية قوله تعالى قل تربصوا فاني معكم
من المتربصين اي قل لهم يا محمد تربصوا اي انتظروا فاني معكم من المتربصين اي من المنتظرين
بكم العذاب فعذبوا يوم بدر بالسيف ام تامرهم احلامهم بهذا اي عقولهم بهذا اي بالكذب
عليك ام هم قوم طاغون اي ام طغوا بغير عقول وقيل ام بمعنى بل اي بل كفروا طغيانا
وان ظهر لهم الحق وقيل لعمرو بن العاصي ما بال قومك لم يؤمنوا وقد وصفهم الله تعالى
بالعقل فقال تلك عقول كادها الله اي لم يصحبها بالتوفيق وقيل احلامهم اي اذهانهم
لان العقل لا يعطى للكافر ولو كان له عقل لامن وانما يعطى الكافر الذهن فصار عليه
حجة والذهن يقبل العلم جملة والعقل يميز العلم ويقدر المقادير لحدود الامر والنهي
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له يا رسول الله ما اعقل فلانا النصراني
فقال مه ان الكافر لا عقل له اما سمعت قول الله عز وجل وقالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير وفي حديث ابن عمر فزجره النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال مه
ان العاقل من يعمل بطاعة الله ذكره الترمذي الحكيم ابو عبد الله باسناده ام يقولون تقوله
اي افتعله وافتراه يعني القران والتقول تكلف القول وانما يستعمل في الكذب في
غالب الامر ويقال قولتني ما لم اقل اي ادعيته علي وتقول عليه اي كذب عليه واقتال
عليه بحكم كما قال الشاعر • ومنزلة في دار صدق وغبطة • وما اقتال من حكم علي طبيب •
فام الاولى للانكار والثانية للايجاب اي ليس كما يقولون بل لا يؤمنون كفرا واستكبارا
فليأتوا بحديث مثله اي بقران يشبهه من تلقاء انفسهم ان كانوا صادقين في ان محمدا
افتراه وقرا الجحدري فليأتوا بحديث مثله بالاضافة والهاء في مثله للنبي صلى الله
عليه وسلم واضيف الحديث الذي يراد به القران اليه لانه المبعوث به والهاء على قراة الجماعة
للقران قوله تعالى ام خلقوا من غير شي ام صلة زائدة والتقدير اخلقوا من غير
شي قال ابن عباس من غير رب خلقهم وقدرهم من غير اب ولا ام فهم كالجماد لا يعقلون
ولا يقوم لله عليهم حجة ليسوا كذلك اليس قد خلقوا من نطفة وعلقة ومضغة
قاله ابن عطا وقال ابن كيسان اي ام خلقوا عبثا وتركوا سدى من غير شي اي لغير
شي فمن بمعنى اللام ام هم الخالقون اي ايقولون انهم خلقوا انفسهم فلا يأتمرون لامر
الله وهم لا يقولون ذلك فاذا اقروا ان ثم خالقا غيرهم فما الذي يمنعهم من الاقرار له
بالعبادة دون الاصنام ومن الاقرار بانه قادر على البعث ام خلقوا السموات والارض
اي ليس الامر كذلك فانهم لم يخلقوا شيئا بل لا يوقنون بالحق ام عندهم خزائن ربك ام عندهم
ذلك فيستغنوا عن الله ويعرضوا عن امره قال ابن عباس خزائن ربك المطر والرزق
وقيل مفاتح الرحمة وقال عكرمة النبوة اي افبايديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها
حيث شاؤوا وضرب المثل بالخزائن لان الخزانة بيت يهيأ لجمع انواع مختلفة من الذخائر
ومقدورات الرب كالخزائن التي فيها من كل الاجناس فلا نهاية لها ام هم المصيطرون
قال ابن عباس المسلطون الجبارون وعنه ايضا المبطلون وقال الضحاك وعن
ابن عباس ايضا هم المتولون عطا ام هم ارباب قاهرون قال عطا يقال تسيطرت علي
اي اتخذتني خولا لك وقاله ابو عبيدة الصحاح المسيطر والمصيطر المسلط على الشي
ليشرف عليه ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان الكتاب مسطر
والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا ابن بحر ام هم المسيطرون اي ام الحفظة
ماخوذ من تسطير الكتاب الذي يحفظ ما كتب فيه فصار المسيطر هنا حافظا ما كتبه
الله في اللوح المحفوظ وفيه ثلاث لغات الصاد وبها قراة العامة والسين وهي قراة

ابن محيصن وحميد ومجاهد وقنبل وهشام وابن حيوه وباشمام الصاد الزاي وهي قراءة
حمزة كما تقدم في الصراط ام لهم سلم اي ايدعون ان لهم مرتقى الى السما ومصعدا وسببا
يستمعون فيه اي عليه الاخبار ويصلون به الى علم الغيب كما يصل اليه محمد صلى الله عليه
وسلم بطريق الوحي فليات مستمعهم بسلطان مبين اي بحجة وبينة ان هذا الذي هم
عليه حق والسلم واحد السلالم التي يرتقى عليها وربما سمي الغرز بذلك قال ابو الربيس
الثعلبي يصف ناقة • مصارة قلب ان ثنى الرجل فوقها • بسلم غرز في مناخ تعاجله •
قال زهير • ومن هاب اسباب المنية يلقها • ولو رام اسباب السماء بسلم •
وقال اخر • تجنيت لي ذنبا وما ان جنيته • لتتخذي عذرا الى الهجر سلما •
وقال ابن مقبل في الجمع • لا تحرز المرء احجاء البلاد ولا • يبنى له في السموات السلاليم •
الاحجاء النواحي مثل الارجاء واحدها حجى ورجى مقصور ويروى اعناء البلاد والاعناء
ايضا الجوانب والنواحي واحدها عنو بالكسر وقال ابن الاعرابي واحدها عنى مقصور
يقال اتانا اعناء من الناس واحدهم عنو بالكسر وهم قوم من قبايل شتى يستمعون
فيه اي عليه كقوله تعالى في جذوع النخل اي عليها قاله الاخفش وقال ابو عبيده
يستمعون به وقال الزجاج اي الهم كجبريل الذي يأتي محمدا عليه السلام بالوحي من
الله تعالى ام له البنات ولكم البنون سفه تعالى احلامهم توبيخا لهم وتقريعا اي
اتضيفون الى الله البنات مع انفتكم منهن ومن كان عقله هكذا فلا يستبعد منه
انكار البعث ام تسالهم اجرا اي على تبليغ الرسالة فهم من مغرم مثقلون مجهودون
لما كلفتهم به ام عندهم الغيب فهم يكتبون للناس ما ارادوه من علم الغيوب وقيل
اي ام عندهم علم ما غاب عن الناس حتى علموا ان ما اخبرهم به الرسول من امر القيامة
والجنة والنار والبعث باطل وقال قتاده لما قالوا نتربص به ريب المنون قال
الله تعالى ام عندهم الغيب حتى علموا متى يموت محمد او الى ما يؤول اليه امره وقال
ابن عباس ام عندهم اللوح المحفوظ يكتبون منه ويخبرون الناس بما فيه وقال
القتبي ويكتبون يحكمون والكتاب الحكم ومنه قوله تعالى كتب ربكم اي حكم وقوله
عليه السلام والذي نفسي بيده لاحكمن بينكما بكتاب الله اي بحكم الله قوله تعالى
ام يريدون كيدا اي مكرا بك في دار الندوه فالذين كفروا هم المكيدون اي الممكور
بهم ولا يحيق المكر السيء الا باهله وذلك انهم قتلوا ببدر ام لهم اله غير الله يخلق
ويرزق ويمنع سبحان الله نزه نفسه عن ان يكون له شريك قال الخليل كل ما في سورة
والطور من ذكر ام فكله استفهام وليس بعطف قوله تعالى وان يروا كسفا من السماء
ساقطا قال ذلك جوابا لقولهم فاسقط علينا كسفا من السما وقولهم او تسقط السما
كما زعمت علينا كسفا فاعلم الله انه لو فعل ذلك لقالوا سحاب مركوم اي بعضه فوق بعض
سقط علينا وليس سما وهذا فعل المعاند او فعل من استولى عليه التقليد وكان
في المشركين القسمان والكسف جمع كسفة وهي القطعة من الشيء يقال اعطني
كسفة من ثوبك ويقال في جمعها ايضا كسف ويقال الكسف والكسفة واحد
وقال الاخفش من قرا كسفا من السما جعله واحدا ومن قرا كسفا جعله جمعا وقد
تقدم القول فيه في سبحان وغيرها والحمد لله قوله تعالى فذرهم منسوخ
باية السيف حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون بفتح اليا قراءة العامة وقرا
ابن عامر وعاصم بضمها قال الفرا هما لغتان صعق وصعق مثل سعد وسعد
قال قتاده يوم يموتون وقيل هو يوم بدر وقيل عند النفخة الاولى وقيل
يوم القيامة ياتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم وقيل يصعقون بضم اليا من
اصعقه الله قوله تعالى يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا اي ما كادوا به النبي صلى
الله عليه وسلم في الدنيا ولا هم ينصرون من الله ويوم منصوب على البدل من
يومهم الذي فيه يصعقون قوله تعالى وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك
قيل قبل يومهم قال ابن زيد مصايب الدنيا من الاوجاع والاسقام والبلايا

وذهاب

وذهاب الاموال والاولاد قاله مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين ابن عباس هو القتل
وعنه عذاب القبر وقاله البراء بن عازب وعلي رضي الله عنهم فدون يعني غير عذاب
اخف من عذاب الاخرة ولكن اكثرهم لا يعلمون ما يصيرون اليه وقيل اكثرهم لا يعلمون
ان العذاب نازل بهم قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا فيه مسألتان الاولى
قوله تعالى فاصبر لحكم ربك فيما حملك من رسالته وقيل لبلائه فيما ابتلاك به من
قومك ثم نسخ باية السيف الثانية قوله تعالى فانك باعيننا اي بمرأى ومنظر منا نرى
ونسمع ما تقول وتفعل وقيل بحيث نراك ونحفظك ونحوطك ونحرسك ونرعاك
والمعنى واحد ومنه قوله تعالى لموسى ولتصنع على عيني اي بحفظي وحراستي وقد
تقدم وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم فيه مسألتان الاولى
قوله تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم اختلف في قوله تعالى حين تقوم فقال عوف
ابن مالك وابن مسعود وعطا وسعيد بن جبير وسفيان الثوري يسبح الله حين يقوم
من مجلسه فيقول سبحان الله وبحمده او سبحانك اللهم وبحمدك فان كان في المجلس خيرا
ازددت ثم احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له ودليل هذا التاويل ما خرجه
الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جلس في مجلس
فكثر فيه لغطه فقال قبل ان يقوم من مجلسه سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك قال حديث حسن صحيح
غريب وفيه قال كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد مائة مره
من قبل ان يقوم رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم الغفور قال حديث
حسن صحيح غريب وقال مجاهد بن كعب والضحاك والربيع حين تقوم الى الصلاة قال
الضحاك يقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا قال الطبري
وهذا فيه بعد فان قوله حين يقوم لا يدل على التسبيح بعد التكبير فان التكبير هو
الذي يكون بعد القيام والتسبيح يكون وراء ذلك فدل ان المراد به حين تقوم من كل
مكان كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وقال ابو الجوزا وحسان بن عطية المعنى
حين تقوم من منامك قال حسان ليكون مفتتحا لعمله بذكر الله وقال الكلبي واذكر
الله باللسان حين تقوم من فراشك الى ان تدخل في الصلاة وهي صلاة الفجر وفي
هذا روايات مختلفة صحاح منها حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
تعار من الليل فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير الحمد لله وسبحان الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله ثم قال اللهم اغفر لي او دعا
استجيب له فان توضا قبلت صلاته خرجه البخاري تعار الرجل من الليل اذا هب من نومه
مع صوت ومنه عار الظليم يعار عرارا وهو صوته وبعضهم يقول عر الظليم يعر عرارا كما
قالوا زمر النعام يزمر زمارا وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
يقول اذا قام الى الصلاة من جوف الليل اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ومن
فيهن ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن فيهن ولك الحمد انت رب السموات
والارض ومن فيهن انت الحق ووعدك الحق وقولك الحق ولقاؤك الحق والجنة حق
والنار حق والساعة حق والنبيون حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وعليك توكلت
وبك امنت واليك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت واسررت
واعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت ولا اله غيرك متفق عليه وعن ابن عباس
ايضا انه كان عليه السلام اذا استيقظ من الليل مسح النوم عن وجهه ثم قرا العشر
الاواخر الايات من سورة ال عمران وقال زيد بن اسلم المعنى حين تقوم من نوم
القايله لصلاة الظهر قال ابن العربي اما نوم القايله فليس فيه اثر وهو ملحق بنوم
الليل وقال الضحاك انه التسبيح في الصلاة اذا قام اليها الماوردي وفي هذا التسبيح
قولان احدهما هو قوله سبحان ربي العظيم في الركوع وسبحان ربي الاعلى في السجود
الثاني انه التوجه في الصلاة يقول سبحانك اللهم وبحمدك تبارك اسمك وتعالى جدك

ولا اله غيرك قال بن العربي من قال انه تسبيح الصلاة فهو افضله والاثار في ذلك
كثيرة واعظمها ما ثبت عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه كان اذا قام الى الصلاة قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا الحديث وقد ذكرناه وغيره في اخر سورة الانعام وفي البخاري عن ابي بكر
الصديق قال قلت يا رسول الله علمني دعا ادعو به في صلاتي فقال قل اللهم
اني ظلمت نفسي ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا انت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني
انك انت الغفور الرحيم الثانية قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم تقدم
في ق مستوفى عند قوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار السجود واما ادبار النجوم
فقال علي وبن عباس وجابر وانس هي ركعتي الفجر فحمل بعض العلما الاية على هذا
القول على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس وعن الضحاك وبن زيد
ان قوله وادبار النجوم يريد به صلاة الصبح وهو اختيار الطبري وعن بن عباس
ان التسبيح في ادبار الصلوات وبكسر الهمزة في ادبار النجوم قرا اهل الكوفة والقرا
التبع على المصدر حسبما بيناه في سورة ق وقرا سالم بن ابي الجعد ومحمد بن السميفع
فادبار بالفتح ومثله روي عن يعقوب وسلام وايوب وهو جمع دبر ودبر بر الامر
ودبره اخره وروي الترمذي من حديث محمد بن فضيل عن رشدين بن كريب عن
ابيه عن بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادبار النجوم الركعتين
قبل الفجر وادبار السجود الركعتين بعد المغرب قال حديث حسن غريب لا نعرفه
مرفوعا الا من هذا الوجه من حديث محمد بن فضيل عن رشدين وسالت عبد الله بن
عبد الرحمن محمد بن اسماعيل عن محمد ورشدين بن كريب ايهما اوثق فقال ما اقربهما
ومحمد عندي ارجح وسالت عبد الله بن عبد الرحمن عن هذا فقال ما اقربهما
ورشدين بن كريب ارجحهما عندي قال الترمذي ذا القول عندي ما قال ابو
محمد ورشدين عندي ارجح من محمد واقدم وقد ادرك رشدين بن عباس وراه
وفي صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم
على شي من النوافل اشد معاهدة منه على ركعتين قبل الصبح وعنها عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ركعتي الفجر خير من الدنيا وما فيها والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة والنجم مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال بن عباس وقتاده الا اية وهي قوله
تعالى والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الايه وهي احدى وستون
ايه وقيل اثنان وستون ايه وقيل ان السورة مدنيه والصحيح انها مكية لما
روى بن مسعود انه قال هي اول سورة اعلنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكه
وفي البخاري عن بن عباس سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن
والانس وعن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا سورة والنجم فسجد لها
فما بقي احد من القوم الا سجد فاخذ رجل من القوم كفا من حصى او تراب فرفعه
الى وجهه وقال يكفيني هذا قال عبد الله فلقد رايته بعد قتل كافرا متفق
عليه اخرج هذا الحديث البخاري ومسلم في صحيحيهما واخرجه النسائي مختصرا
وهذا الرجل يقال له امية بن خلف وقيل هو الوليد بن المغيرة وقيل هو عتبه
ابن ربيعه وقيل انه ابو لهب سعيد بن العاص والاول اصح وهو الذي ذكره
البخاري يقال هو امية بن خلف وفي الصحيحين عن زيد بن ثابت انه قرا
على النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم اذا هوى فلم يسجد وقد مضى في اخر الاعراف القول في
هذا والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنجم اذا هوى قال بن عباس ومجاهد معنى والنجم اذا هوى والثريا

اذا انقطعت مع الفجر والعرب تسمي الثريا نجما وان كانت في العدد نجوما يقال انها سبعة
انجم ستة ظاهرة وواحد خفي يمتحن الناس ابصارهم وفي الشفا للقاضي عياض
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يرى الثريا احد عشر نجما وعن مجاهد ايضا ان المعنى
والقران اذا نزل لانه كان ينزل نجوما وقاله الفرا وعنه ايضا يعني نجوم السما كلها حين
تغرب وهو قول الحسن قال اقسم الله بالنجم اذا هوى غاب وليس يمتنع ان يعبر عنها
بلفظ واحد ومعناه جمع كقول الراعي • بانت تعد النجم في مستحير • سريع بايدي الاكلين
جموعا وقال عمرو بن ابي ربيعه • احسن النجم في السما الثريا • والثريا في الارض زين النسا
وقال الحسن ايضا المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقال السدي ان النجم
هنا الزهرة لان قوما من العرب كانوا يعبدونها وقيل المراد به النجوم التي ترجم بها الشياطين
وسببه ان الله تعالى لما اراد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم رسولا كثر انقضاض الكواكب
قبل مولده فذعر اكثر العرب منها وفزعوا الى كاهن كان لهم ضرير كان يخبرهم بالحوادث فسالوه
عنها فقال انظروا البروج الاثني عشر فان انقض منها شي فهو ذهاب الدنيا وان لم ينقض
منها شي فيحدث في الدنيا امر عظيم فاستشعروا ذلك فلما بعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان هو الامر الذي استشعروه فانزل الله تعالى والنجم اذا هوى اي ذلك النجم الذي
هوى هو لهذه النبوة التي حدثت وقيل النجم هنا النبت الذي ليس له ساق وهوى اي سقط
على الارض وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين والنجم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اذا هوى
اذا نزل من السما ليلة المعراج وعن عروة بن الزبير ان عتبة بن ابي لهب وكانت تحته بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اراد الخروج الى الشام فقال لاتين محمدا فلاوذينه فاتاه فقال يا محمد
هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم
ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
وكان ابو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان اغناك يا بن اخي عن هذه الدعوة فرجع عتبة
الى ابيه فاخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فاشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان
هذه ارض مسبعة فقال ابو لهب لاصحابه اعينونا يا معشر قريش هذه الليلة فاني اخاف
على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم واناخوها حولهم واحدقوا بعتبة فجا الاسد يتشمم وجوههم
حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان •
• من يرجع العام الى اهله • فما اكيل السبع بالراجع •
واصل النجم الطلوع يقال نجم السن ونجم فلان ببلد كذا اي خرج على السلطان والهوي
النزول والسقوط يقال هوى يهوي هويا مثل مضى يمضي مضيا قال زهير
• تشج بها الاماعز وهي تهوي • هوي الدلو اسلمها الرشا • وقال اخر
• بينما نحن بالبلاكث فالقاع • سراعا والعيس تهوي هويا •
• خطرت خطرة على القلب من • ذكراك وهنا فما استطعت مضيا •
الاصمعي هوى بالفتح يهوي هويا اي سقط الى اسفل قال وكذلك الهوي في السير اذا مضى
فيه وهوى واهوى لغتان بمعنى وقد جمعهما الشاعر في قوله •
• ومنزلة لولاي طحت كما هوى • باجرامه من قلة النيق منهوي •
ويقال في الحب هوي بالكسر يهوى هوى اي احب قوله تعالى ما ضل صاحبكم هذا
جواب القسم اي ما ضل محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه وما غوى الغي ضد
الرشد اي ما صار غاويا وقيل اي ما تكلم بالباطل وقيل ما خاب مما طلب والغي الخيبة
قال الشاعر • فمن يلق خيرا يحمد الناس امره • ومن يغو لا يعدم على الغي لايما •
اي ما خاب في طلبه لائما الناس ثم يجوز ان يكون هذا اخبارا عما بعد الوحي ويجوز ان يكون
اخبارا عن احواله على التعميم اي كان ابدا موحدا لله وهو الصحيح على ما بيناه في الشورى
عند قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان
هو الا وحي يوحى فيه مسالتان الاولى قوله تعالى وما ينطق عن الهوى قال قتاده اي
وما ينطق بالقران عن هواه ان هو الا وحي يوحى اليه وقيل عن الهوى اي بالهوى قاله.

أبو عبيدة كقوله تعالى فسأل به خبيرا أي فسال عنه النحاس قول قتادة أولى ويكون عن
على بابها أي ما يخرج نطقه عن رأيه إنما هو وحي من الله جل وعز لأن بعده إن هو إلا وحي
يوحى لنا أنه قد يحتج بهذه الآية من لا يجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في
الحوادث وفيها أيضا دلالة على أن السنة كالوحي المنزل في العمل وقد تقدم في مقدمة الكتاب
حديث المقدام بن معدي كرب في ذلك والحمد لله قال السجستاني إن شئت أبدلت إن هو إلا وحي
يوحى من ما ضل صاحبكم قال ابن الأنباري وهذا غلط لأن إن الخفيفة لا تكون مبدلة من ما
الدليل على هذا أنك لا تقول والله ما قمت إن أنا لقاعد قوله تعالى علمه شديد القوى
يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين سوى الحسن فإنه قال هو الله جل وعز ويكون
قوله تعالى ذو مرة على قول الحسن تمام الكلام ومعناه ذو قوة والقوة من صفات الله تعالى
وأصله من شدة فتل الحبل كأنه استمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل ثم قال
فاستوى وهو بالأفق الأعلى أي استوى جبريل ومحمد يعني الله جل وعز أي استوى على
العرش روي معناه عن الحسن وقال الربيع بن أنس والفراء فاستوى وهو بالأفق الأعلى
أي استوى جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم وهذا على العطف على المضمر المرفوع بهو وأكثر
العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهر واكنايه المعطوف عليه فيقولون استوى
هو وفلان وقلما يقولون استوى فلان وأنشد الفراء
ألم تر أن النبع يصلب عوده ولا يستوي والخروع المتقصف
أي لا يستوي هو والخروع ونظيرها أئذا كنا ترابا وآباؤنا والمعنى أئذا كنا ترابا نحن وآباؤنا
ومعنى الآية استوى جبريل هو ومحمد ليلة الإسرا بالأفق الأعلى وأجاز العطف على الضمير
لئلا يتكرر وأنكر ذلك الزجاج إلا في ضرورة الشعر وقيل المعنى فاستوى جبريل بالأفق
الأعلى وهو أجود وإذا كان المستوى جبريل فمعنى ذو مرة في وصفه ذو منطق حسن قاله
ابن عباس وقال قتادة هو خلق طويل حسن وقيل معناه ذو صحة جسم وسلامة
من الآفات ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي
والسوي الصحيح الأعضاء وقال المهدوي ولا لذي مرة سوي أي ذي عقل وشدة وقال
غيره هاهنا القوة على الكسب والعمل واختلف العلماء في جواز الصدقة لمن يجد قوة
على الكسب فقال الإمام الشافعي لا تحل له الصدقة وقاله القاسم بن سلام وابن راهويه
وقال أصحاب الرأي يجوز له أخذ الصدقة فإذا لم يكن له ما يبقى درهم فصاعدا ذكره عبد
العظيم في مختصر السنن وقال امرؤ القيس
وكنت فيهم أبدا حيلة يحكم المرة ما مون العقد
وقد قيل ذو مرة ذو قوة قاله الكلبي وكانت شدة جبريل عليه السلام أنه اقتلع مداين
قوم لوط من الماء الأسود فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم
وصياح ديكتهم ثم قلبها وكان من شدته أيضا أنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام
على عقبة من الأرض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل الهند وكان من
شدته صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم فأصبحوا جاثمين خامدين وكانت شدته هبوطه
من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف وقال قطرب تقول العرب
لكل جزل حصيف العقل ذو مرة قال الشاعر
قد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندي لكل مخاصم ميزانه
وكان من جزالة رأيه وحصافة عقله أن الله ائتمنه على وحيه إلى جميع رسله قال
الجوهري والمرة أحد الطبايع الأربع والمرة القوة وشدة العقل أيضا ورجل مرير أي قوي
ذو مرة قال
ترى الرجل الخفيف فتزدريه وحشو ثيابه أسد مرير
وقال لقيط
حتى استمرت على شزر مريرته مر العزيمة لا رتا ولا ضرعا
وقال مجاهد وقتادة ذو مرة ذو قوة ومنه قول خفاف بن ندبة
إني امرؤ ذو مرة فاستبقني فيما ينوب من الخطوب صليب
فالقوة تكون من صفة الله جل وعز ومن صفة المخلوق فاستوى يعني جبريل على ما بينا

أي

أي ارتفع وعلا إلى مكانه في السماء بعد أن علم محمدا صلى الله عليه وسلم قال سعيد بن
المسيب وابن جبير وقيل فاستوى أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها لأنه
كان يأتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة الآدميين كما يأتي الأنبياء عليهم السلام فسأله
النبي صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين مرة في الأرض
ومرة في السماء فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى وكان النبي صلى الله عليه وسلم بحرا فطلع
له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب فخر النبي صلى الله عليه وسلم مغشيا عليه فنزل
إليه في صورة الآدميين وضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فلما أفاق النبي صلى
الله عليه وسلم قال يا جبريل ما ظننت أن الله خلق خلقا على مثل هذه الصورة فقال
يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سعة كل جناح ما بين
المشرقين والمغربين فقال إن هذا لعظيم فقال وما أنا في جنب ما خلق الله إلا يسيرا ولقد
خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح منها قدر جميع أجنحتي وإنه ليتضاءل أحيانا من مخافة
الله تعالى حتى يكون بقدر الوضع يعني العصفور الصغير دليله قوله تعالى ولقد رآه بالأفق
الأعلى وأما في السماء فعند سدرة المنتهى ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا
صلى الله عليه وسلم وقول ثالث إن معنى فاستوى أي استوى القرآن في صدر محمد صلى الله
عليه وسلم وفيه على هذا وجهان أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه السلام الثاني في
صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه وقول رابع أن معنى فاستوى فاعتدل
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وفيه على هذا وجهان أحدهما فاعتدل في قوته الثاني في رسالته
ذكرهما الماوردي قلت وعلى الأول يكون تمام الكلام ذو مرة وعلى الثاني شديد القوى
وقول خامس أن معناه فارتفع وفيه على هذا وجهان أحدهما أنه جبريل عليه السلام ارتفع
إلى مكانه على ما ذكرناه الثاني أنه النبي صلى الله عليه وسلم ارتفع بالمعراج وقول
سادس فاستوى يعني الله عز وجل استوى على العرش على قول الحسن وقد مضى القول
فيه في الأعراف قوله تعالى وهو بالأفق الأعلى جملة في موضع الحال والمعنى فاستوى
عاليا أي استوى جبريل عاليا على صورته ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يراه
عليها حتى سأله إياها والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق وقال قتادة هو الموضع الذي تأتي
منه الشمس وكذا قال سفيان هو الموضع الذي تطلع منه الشمس ونحوه عن مجاهد ويقال
أفق وأفق مثل عسر وعسر وقد مضى في حم السجدة وفرس أفق بالضم أي رائع وكذلك
الأنثى قال الشاعر
أرجل لمتي وأجر ذيلي وتحمل شكتي أفق كميت
وقيل وهو أي والنبي صلى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى يعني ليلة الإسرا وهذا ضعيف
لأنه يقال استوى هو وفلان ولا يقال استوى هو وفلان إلا في ضرورة الشعر والصحيح
استوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الأعلى على صورته الأصلية لأنه كان يتمثل
للنبي صلى الله عليه وسلم إذا نزل بالوحي في صورة رجل فأحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم أن يراه على صورته الحقيقية فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق قوله تعالى
ثم دنا فتدلى أي دنا جبريل بعد استوايه بالأفق الأعلى من الأرض فتدلى فنزل على
النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي المعنى أنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم من عظمته ما رأى
وهاله ذلك رده الله إلى صورة آدمي حتى قرب من النبي صلى الله عليه وسلم بالوحي وذلك
قوله تعالى فأوحى إلى عبده ما أوحى الله إلى جبريل وكان جبريل في قاب قوسين أو
أدنى قاله ابن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم وعن ابن عباس أيضا في قوله
تعالى ثم دنا فتدلى أن معناه أن الله تعالى دنا من محمد صلى الله عليه وسلم وروي نحوه
عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى دنا منه أمره وحكمه وحكم التدلي
النزول إلى الشيء حتى يقرب منه موضع موضع القرب قال لبيد
فتدليت عليه قافلا وعلى الأرض غيابات الطفل
وذهب الفراء إلى أن الفاء في فتدلى بمعنى الواو والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام
ودنا ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحدا كالواحد قدمت أيهما شئت فقلت فدنا.

فقرب وقرب دنا وشتمني فاسا واسا فشتمني لان الشتم والاساه شي واحد وكذلك قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر المعنى والله اعلم انشق القمر واقتربت الساعة وقال الجرجاني في الكلام تقديم وتاخير اي تدلى فدنا لان التدلي سبب الدنو وقال ابن الانباري ثم تدلى جبريل اي نزل من السما فدنا من محمد وقال بن عباس تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه وسياتي ومن قال المعنى فاستوى جبريل ومحمد بالافق الاعلى قد يقول ثم دنا محمد من ربه دنو كرامة فتدلى اي هوى للسجود وهذا قول الضحاك قال القشيري وقيل على هذا تدلى اي تدلل مثل تظنا بمعنى تظنن وهذا بعيد لان الدلال غير مرضي في صفة العبودية قوله تعالى فكان قاب قوسين او ادنى اي كان محمد من ربه او من جبريل قاب قوسين اي قدر قوسين عربيتين قاله بن عباس وعطا والفرا الزمخشري فان قلت كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين قلت تقديره فكان مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذف هذه المضافات كما قال ابو علي في قوله ؞ وقد جعلتني من حزيمة اصبعا ؞ اي ذا مقدار مسافة اصبع او ادنى اي على تقديركم كم تقولوا او يزيدون وفي الصحاح وتقول بينهما قاب قوس وقيب قوس وقاد قوس وقيد قوس وقدر قوس وقرا زيد بن علي قاد وقرى قيد وقدر ذكره الزمخشري والقاب ما بين المقبض والسية ولكل قوس قابان وقال بعضهم في قوله تعالى قاب قوسين اراد قابي قوس فقلبه وفي الحديث ولقاب قوس احدكم في الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط وفي الصحيح عن ابي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ولقاب قوس احدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها وانما ضرب المثل بالقوس لانها لا تختلف في القاب والله اعلم قال القاضي عياض اعلم ان ما وقع من اضافة الدنو والقرب من الله او الى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى وانما دنو النبي صلى الله عليه وسلم من ربه وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف اشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس وبسط واكرام ويتاول فيه ما يتاول في قوله عليه السلام ينزل الله ربنا الى السما الدنيا على احد الوجوه واجمال وقبول واحسان قال القاضي وقوله فكان قاب قوسين او ادنى فمن جعل الضمير عايدا الى الله لا الى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراق على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضا المطالب واظهار التحفي وانافة المنزلة والرتبة من الله ويتاول ما يتاول في قوله عليه السلام من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبول واتيان بالاحسان وتعجيل المامول وقد قيل ثم دنا جبريل من ربه فكان قاب قوسين او ادنى قاله مجاهد يدل عليه ما روي في الحديث ان اقرب الملايكة من الله جبريل عليه السلام وقيل او بمعنى الواو اي قاب قوسين وادنى وقيل بمعنى بل اي بل ادنى وقال سعيد بن المسيب القاب صدر القوس العربية حيث يشد عليه السير الذي يتنكبه صاحبه ولكل قوس قاب واحد فاخبر ان جبريل قرب من محمد كقرب قاب قوس وقال سعيد بن جبير وعطا وابو اسحاق الهمداني وابو وايل شقيق بن سلمة فكان قاب قوسين قدر ذراعين والقوس الذراع يقاس بها كل شي وهي لغة بعض الحجازيين وقيل هي لغة ازد شنوة ايضا وقال الكساي قوله فكان قاب قوسين او ادنى اراد قوسا واحدا كقول الشاعر

؞ ومهمهين قذفين مرتين ؞ قطعتهما بالسمت لا بالسمتين ؞

اراد مهمها واحدا والقوس يذكر ويونث فمن انث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس وفي المثل هو من خير قويس سهما والجمع قسي واقواس وقياس وانشد ابو عبيدة ؞ ووتر الاساور القياسا ؞ والقوس ايضا بقية التمر في الجلة اي الوعا والقوس برج في السما فاما القوس بالضم فصومعة الراهب قال الشاعر وذكر امراة لاستفتنني وذا المسوح في القوس قوله تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى تفخيم للوحي الذي اوحي اليه وتقدم معنى الوحي وهو القا الشي بسرعة ومنه الوحا الوحا

والمعنى

والمعنى فاوحى الله تعالى الى عبده محمد ما اوحى وقيل فاوحى الله تعالى الى عبده جبريل ما اوحى وقيل المعنى فاوحى جبريل الى عبد الله محمد ما اوحى اليه ربه قاله الربيع والحسن وابن زيد وقتادة قال قتادة اوحى الله الى جبريل واوحى جبريل الى محمد ثم قيل هذا الوحي هل هو مبهم لا نطلع عليه نحن وتعبدنا بالايمان به على الجملة او هو معلوم مفسر قولان وبالثاني قال سعيد بن جبير قال اوحى الله الى محمد صلى الله عليه وسلم الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك وقيل اوحى الله اليه ان الجنة محرمة على الانبيا حتى تدخلها يا محمد وعلى الامم حتى تدخلها امتك قوله تعالى ما كذب الفواد ما راى اي لم يكذب قلب محمد ليلة المعراج وذلك ان الله تعالى جعل بصره في فواده حتى راى ربه تعالى وجعل الله تلك روية وقيل كانت روية حقيقة بالبصر والاول مروي عن بن عباس انه راه بقلبه وهو قول ابي ذر وجماعة من الصحابة والثاني قول انس وجماعة وروي عن بن عباس ايضا انه قال اتعجبون ان تكون الخلة لابراهيم والكلام لموسى والروية لمحمد صلى الله عليه وسلم وعن بن عباس ايضا اما نحن بنو هاشم فنقول ان محمدا راى ربه مرتين وقد مضى القول في هذا في الانعام عند قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وروى محمد بن كعب قال قالوا يا رسول الله صلى الله عليك اريت ربك قال رايته بفوادي مرتين ثم قرا ما كذب الفواد ما راى وقول ثالث انه راى جلاله وعظمته قاله الحسن وروى ابو العالية قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال رايت نهرا ورايت ورا النهر حجابا ورايت ورا الحجاب نورا لم ار غير ذلك وفي صحيح مسلم عن ابي ذر قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رايت ربك قال نور انى اراه المعنى غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رويته ودل على هذه الرواية الاخرى قال رايت نورا وقال بن مسعود راى جبريل على صورته مرتين وقرا هشام عن بن عامر واهل الشام ما كذب بالتشديد اي ما كذب قلب محمد ما راى بعينه تلك الليلة بل صدقه فما مفعوله بغير حرف مقدر لانه يتعدى مشددا بغير حرف ويجوز ان تكون ما بمعنى الذي والعايد محذوف ويجوز ان تكون مع الفعل مصدرا الباقون مخففا اي ما كذب فواد محمد فيما راى فاسقط حرف الصفة قال حسان ؞

؞ لو كنت صادقة الذي حدثتني ؞ لنجوت منجى الحارث بن هشام ؞

اي في الذي حدثتني ويجوز ان مع الفعل مصدرا ويجوز ان تكون بمعنى الذي اي ما كذب فواد محمد الذي راى قوله تعالى افتمارونه على ما يرى قرا حمزة والكساي افتمرونه بفتح التاء من غير الف على معنى افتجحدونه واختاره ابو عبيد لانه قال لم يماروه وانما جحدوه يقال مراه حقه اي جحده ومريته انا قال الشاعر ؞

؞ لين هجوت اخا صدق ومكرمة ؞ لقد مريت اخا ما كان يمريكا ؞

اي جحدته وقال المبرد يقال مراه عن حقه وعلى حقه اذا منعه منه ودفعه قال ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة رضي الله عليك اي عنك وقرا الاعرج ومجاهد افتمرونه بضم التاء من غير الف من امريت اي تريبونه وتشككونه الباقون افتمارونه بالف اي اتجادلونه وتدافعونه في انه راى الله والمعنيان متداخلان لان مجادلتهم جحود وقيل ان الجحود كان دايما منهم وهذا جدال جديد قالوا صف لنا بيت المقدس فاخبرنا عن عيرنا التي في طريق الشام على ما تقدم قوله تعالى ولقد راه نزلة اخرى نزلة في مصدر في موضع الحال كانه قال ولقد راه نازلا نزلة اخرى قال بن عباس راى محمد ربه مرة اخرى بقلبه روى مسلم عن ابي العالية عنه قال ما كذب الفواد ما راى ولقد راه نزلة اخرى قال راه بفواده مرتين فقوله نزلة اخرى يعود الى محمد فانه كان له صعود ونزول مرارا بحسب اعداد الصلوات المفروضة فلكل عرجة نزلة وعلى هذا قوله عند سدرة المنتهى اي ومحمد عند سدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات وقال بن مسعود وابو هريرة في تفسير قوله ولقد راه نزلة اخرى انه جبريل ثبت هذا ايضا في صحيح مسلم وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رايت جبريل بالافق الاعلى له ستمائة جناح

بتنا ثرمن رنيئة الدر واليا قوت ذكره المهدوي قوله تعالى عند سدرة المنتهى عند
ملك راي عليه ما بينا والسدرة والسدر شجر النبق وهي في السما السادسة وجا في السابعة
والحديث بهذا في صحيح مسلم الاول وراه مرفوعا عن عبد الله قال لما اسري برسول الله صلى
الله عليه وسلم انتهي به الي سدرة المنتهى وهي في السما السادسة اليها ينتهي ما يعرج به من الارض
فيقبض منها واليه ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما
يغشى قال فراش من ذهب قال فاعطي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات
الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك بالله شيئا المقحمات الحديث الثاني
رواه قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما رفعت الي سدرة المنتهى في
السما السابعة نبقها مثل قلال هجر وورقها مثل اذان الفيلة يخرج من ساقها نهران
ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبريل ما هذا قال اما الباطنان ففي الجنة واما الظاهران
فالنيل والفرات لفظ الدارقطني والنبق بكسر البا ثمر السدر الواحدة نبقة ويقال
نبق بفتح النون وسكون البا ذكرهما يعقوب في الاصلاح وهي لغة المصريين والاولى
افصح وهي التي تثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن اسما بنت ابي
بكر قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وذكر له سدرة المنتهى قال
يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة سنة او يستظل بظلها مائة راكب شك يحيى فيها
فراش من الذهب كان ثمرها القلال قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح قلت وكذا
لفظ مسلم من حديث ثابت عن انس ثم ذهب الي السدرة المنتهى واذا ورقها كاذان الفيلة
واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله عز وجل ما غشي فما احد من خلق الله يستطيع
ان ينعتها من حسنها واختلف لم سميت السدرة المنتهى فيها اقوال تسعة الاول ما تقدم
عن ابن مسعود انه ينتهي اليها ما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها الثاني لانه ينتهي
علم الانبيا اليها ويعزب علمهم عما وراها قاله ابن عباس الثالث لان الاعمال تنتهي اليها
وتقبض منها قاله الضحاك الرابع لانتها الملائكة والانبيا اليها ووقوفهم عندها قاله
كعب الخامس سميت سدرة المنتهى لانها تنتهي اليها ارواح الشهدا قاله الربيع بن انس
السادس تاوي اليها ارواح المومنين قاله قتادة السابع لانه ينتهي اليها كل من كان
على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهاجه قاله علي رضي الله عنه والربيع
ابن انس ايضا الثامن هي شجرة على روس حملة العرش اليها ينتهي علم الخلايق قاله
كعب ايضا قلت يريد والله اعلم ان ارتفاعها واعالي اغصانها قد جاوزت روس حملة
العرش والله اعلم التاسع سميت بذلك لان من رفع اليها فقد انتهى في الكرامة وعن
ابي هريرة لما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى به الي سدرة المنتهى فقيل
له هذه سدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد خلا من امتك على سنتك فاذا هي شجرة
يخرج من اصلها انهار من ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة
للشاربين وانهار من عسل مصفى واذا هي شجرة يسير الراكب المسرع في ظلها مائة
عام لا يقطعها والورقة منها تغطي الامة كلها ذكره الثعلبي قوله تعالى عندها
جنة الماوي تعريف بموضع جنة الماوي وانها عند سدرة المنتهى وقرا علي وابو هريرة
وانس وابو سبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد عندها جنه الماوي يعني
جنة المبيت قال مجاهد يريد اجنه والها للنبي صلى الله عليه وسلم وقال الاخفش
ادركه كما تقول جنه الليل اي ستره وادركه وقراة العامة جنة الماوي قال الحسن
هي التي يصير اليها المتقون وقيل انها جنة يصير اليها ارواح الشهدا قاله ابن عباس
وهي عن يمين العرش وقيل هي الجنة التي اوى اليها ادم عليه السلام الي ان خرج
منها وهي في السما الرابعة وقيل ان ارواح المومنين كلهم في جنة الماوي وانما قيل لها
جنة الماوي لانها تاوي اليها ارواح المومنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها
ويتنسمون بطيب ريحها وقيل لان جبريل وميكائيل ياويان اليها فالله اعلم
قوله تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى قال ابن عباس والضحاك وابن مسعود

واصحابه فراش من الذهب ورواه مرفوعا ابن مسعود وابن عباس الي النبي صلى الله عليه
وسلم وقد تقدم في صحيح مسلم قوله وقال الحسن غشيها نور رب العالمين فاستنارت قال
القشيري وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيها قال فراش من ذهب وفي خبر اخر
غشيها نور من الله ما يستطيع احد ان ينظر اليها وقال الربيع بن انس غشيها نور الرب
والملايكة تقع عليها كما تقع الغربان على الشجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال رايت
السدرة يغشاها فراش من ذهب ورايت على كل ورقة ملكا قايما يسبح الله وذلك قوله تعالى
اذ يغشى السدرة ما يغشى ذكره المهدوي والثعلبي قال انس بن مالك اذ يغشى السدرة
ما يغشى قال جراد من ذهب وقد رواه مرفوعا وقال مجاهد انه رفرف اخضر وعنه عليه
السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن عباس غشيها رب العزة اي امره كما في صحيح
مسلم مرفوعا فلما غشيها من امر الله ما غشي وقيل هو تعظيم الامر كانه قال اذ يغشى السدرة
ما اعلم الله به من دلايل ملكوته وهكذا قوله فاوحى الي عبده ما اوحى وقوله تعالى والموتفكة
اهوى فغشاها ما غشى ومثله الحاقة ما الحاقة قوله تعالى ما زاغ البصر وما طغى
قال ابن عباس اي ما عدل يمينا ولا شمالا ولا تجاوز الحد الذي راى وقيل ما جاوز ما امر
به وقيل ما مد بصره الي غير ما راى من الايات وهذا وصف ادب النبي صلى الله عليه وسلم
في ذلك المقام اذ لم يلتفت يمينا ولا شمالا وقال الماوردي في معاني القران له فان قيل لم
اختيرت السدرة لهذا الامر دون غيرها من الشجر قيل لان السدرة تختص بثلاثة اوصاف
ظل مديد وطعام لذيذ ورايحة ذكية فشابهت الايمان الذي يجمع قولا وعملا ونية فظلها من
الايمان بمنزلة العمل لتجاوزه وطعمها بمنزلة النية لكمونه ورايحتها بمنزلة القول لظهوره
وروى ابو داود في سننه قال ثنا نصر بن علي قال ثنا ابو اسامة عن ابن جريج عن
عثمان بن ابي سليمان عن سعيد بن محمد بن جبير بن مطعم عن عبد الله بن حبشي قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قطع سدرة صوب الله راسه في النار وسيل ابو
عيسى عن معنى هذا الحديث فقال هذا الحديث مختصر يعني من قطع سدرة في فلاة
يستظل بها ابن السبيل والبهايم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله راسه في
النار قوله تعالى لقد راى من ايات ربه الكبرى قال ابن عباس راى رفرفا سد الافق
وذكر البيهقي عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى رفرفا اخضر
سد افق السما وعنه قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في حلة
رفرف اخضر قد ملا ما بين السموات والارض قال البيهقي قوله في الحديث راى رفرفا
يريد جبريل عليه السلام في صورته على رفرف والرفرف البساط ويقال فراش ويقال
بل هو ثوب كان لباسا له فقد روي انه راه في حلة رفرف قلت خرجه الترمذي عن
عبد الله قال ما كذب الفواد ما راى قال راى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل في حلة
من رفرف قد ملا ما بين السما والارض قال هذا حديث حسن صحيح قلت وقد روي عن
ابن عباس في قوله تعالى دنا فتدلى انه على التقديم والتاخير اي تدلى الرفرف لمحمد
صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه قال فارقني
جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي فعلى هذا الرفرف ما يقعد ويجلس
عليه كالبساط وغيره وهو بالمعنى الاول جبريل قال عبد الرحمن بن يزيد
ومقاتل بن حيان راى جبريل في صورته التي يكون فيها في السموات وكذا في صحيح
مسلم عن عبد الله قال لقد راى من ايات ربه الكبرى قال راى جبريل عليه السلام
في صورته له ستمائة جناح ولا يبعد مع هذا ان يكون في حلة رفرف والله اعلم وقال
الضحاك راى سدرة المنتهى وعن ابن مسعود راى ما غشي السدرة من فراش الذهب
حكاه الماوردي وقيل راى المعراج وقيل هو ما راى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه
وهذا احسن دليله لنريه من اياتنا ومن يجوز ان تكون للتبعيض وتكون الكبرى مفعوله
لراى وهو في الاصل صفة الايات ووحدت لروس الايات وايضا يجوز نعت الجماعة
بنعت الانثى كقوله ولي فيها مارب اخرى وقيل الكبرى نعت محذوف اي راى من

ايات ربه الكبرى ويجوز ان تكون من زايدة اي راي ايات ربه الكبرى وقيل فيه تقديم
وتاخير اي راي الكبرى من ايات ربه قوله تعالى افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى لما ذكر الوحي الى النبي صلى الله عليه وسلم وذكره من اثار قدرته ما ذكر حاج المشركين
اذ عبدوا ما لا يعقل وقيل افرايتم هذه الالهة التي تعبدونها او هي اوحي اليكم شيئا كما اوحي الى
محمد وكانت اللات لثقيف والعزى لقريش وبني كنانة ومناة لبني هلال وقال ابن
هشام وكانت مناة لهذيل وخزاعة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فهدمها عام الفتح
ثم اتخذوا اللات بالطايف وهي احدث من مناة وكانت صخرة مربعة وكان سدنتها من
ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء فكانت قريش وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى
زيد اللات وتيم اللات وكانت في موضع مسجد الطايف اليسرى فلم تزل كذلك الى ان
اسلمت ثقيف فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها
بالنار ثم اتخذوا العزى وهي احدث من اللات اتخذها ظالم بن سعد وكانت بوادي نخلة
الشامية فوق ذات عرق وبنوا عليها بيتا وكانوا يسمعون منها الصوت قال ابن هشام
وحدثني ابي عن ابي صالح عن ابن عباس قال كانت العزى شيطانة تاتي ثلاث
سمرات ببطن نخلة فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة بعث خالد بن الوليد
رضي الله عنه فقال ايت نخلة فانك تجد ثلاث سمرات فاعضد الاولى فاتاها فعضدها
فلما جاء اليه قال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثانية فاتاها فعضدها ثم اتى
النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل رايت شيئا قال لا قال فاعضد الثالثة فاتاها
فاذا هو بحبشية نافشة شعرها واضعة يدها على عاتقها تصرف بانيابها وخلفها
دبية السلمي وكان سادنها فقال يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك
ثم ضربها ففلق راسها فاذا هي حممة ثم عضد الشجرة وقتل دبية السادن ثم اتى النبي
صلى الله عليه وسلم فاخبره فقال تلك العزى وقال بن جبير العزى حجر ابيض كانوا
يعبدونه وقال قتادة بيت كان ببطن نخلة ومناة صنم لخزاعة وقيل ان اللات فيما
ذكره بعض المفسرين اخذه المشركون من اسم الله تعالى والعزى من العزيز ومناة من
منى الله الشيء اذا قدره وقرا ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وابو صالح اللات
بتشديد التا وقالوا كان رجلا يلت السويق للحاج ذكره البخاري عن ابن عباس
فلما مات عكفوا على قبره فعبدوه ابن عباس كان يبيع السويق والسمن عند صخرة
ويصبه عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق
ابو صالح انما كان رجلا بالطايف وكان يقوم على الهتهم ويلت لهم السويق فلما مات
عبدوه مجاهد كان رجلا في راس جبل له غنيمة يسلي منها السمن وياخذ منها الاقط
ويجمع رسلها ثم يتخذ منها حيسا فيطعم الحاج وكان ببطن نخلة فلما مات عبدوه وهو
اللات وقال الكلبي كان رجلا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم وقيل انه عامر
ابن الظرب العدواني قال الشاعر

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها ۞ وكيف ينصركم من ليس ينتصر

والقراءة الصحيحة اللات بالتخفيف اسم صنم والوقف عليها بالتاء وهو اختيار الفرا
قال الفرا وقد رايت الكسائي سال ابا فقعس الاسدي فقال ذاه لذات وقال
افرايتم اللاه وكذا قرا الدوري عن الكسائي والبزي عن ابن كثير اللاه بالهاء على الوقف
ومن قال ان اللات من الله وقف بالهاء ايضا وقيل اصلها لاهة مثل شاة وهي من لاهت اي
اختفت قال الشاعر ۞ لاهت فما عرفت يوما بخارجة ۞ يا ليتها خرجت حتى رايناها ۞
وفي الصحاح واللات اسم صنم لثقيف وكان بالطايف وبعض العرب يقف عليها بالتاء
وبعضهم بالهاء قال الاخفش سمعنا من العرب من يقول اللات والعزى ويقول هي اللاه
فيجعلها تاء في السكوت وهي اللات فاعلم جرها في موضع الرفع فهذا مثل امس مكسور
على كل حال وهو اجود منه لان الالف واللام التي في اللات لا تسقطان وان كانتا
زايدتين واما ما سمعنا من الاكثر في اللات والعزى في السكوت عليها فاللاه لانها هاء

فصارت

فصارت تاء في الوصل وهي في تلك اللغة مثل كان من الامر كيت وكيت وكذلك هيهات
في لغة من كسرها الا انه يجوز في هيهات ان تكون جماعة ولا يجوز ذلك في اللات لان التاء لا تزاد
في الجماعة الا مع الالف واللام وان جعلت الالف واللام زايدتين بقي الاسم على حرف واحد
قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى قرا ابن كثير وابن محيصن وحميد ومجاهد والسلمي
والاعشى عن ابي بكر ومناءة بالمد والهمز والباقون بترك الهمز لغتان وقد سمي بذلك لانهم كانوا
يريقون عنده الدما يتقربون بذلك اليه ولذلك سميت منى لكثرة ما يراق فيها من
الدما وكان الكسائي وابن كثير وابن محيصن يقفون بالها على الاصل والباقون بالتا اتباعا
لخط المصحف وفي الصحاح ومناة اسم صنم كان بين مكة والمدينة والها للتانيث ويسكت
عليها بالتا وهي لغة والنسبة اليها منوي وعبد مناة بن اد بن طابخة وزيد بن مناة
ابن تميم بن مرة يمد ويقصر قال هوبر الحارثي

الا هل اتى التيم بن عبد مناة ۞ على الشنء فيما بيننا ابن تميم ۞

الثالثة الاخرى العرب تقول للثالثة الاخرى وانما الاخرى نعت للثانية واختلفوا في
وجوهها فقال الخليل انما قال ذلك لوفاق رؤوس الاي كقوله مارب اخرى ولم يقل اخر وقال
الحسين بن الفضل في الاية تقديم وتاخير مجازها افرايتم اللات والعزى الاخرى ومناة
الثالثة وقيل انما قال ومناة الثالثة الاخرى لانها كانت مرتبة عند المشركين في التعظيم
بعد اللات والعزى فالكلام على نسقه وقد ذكرنا عن ابن هشام ان مناة كانت اولا في التقدم
والله اعلم وفي الاية حذف دل عليه الكلام اي افرايتم هذه الالهة هل نفعت او ضرت حتى
تكون شركاء لله ثم قال على جهة التقريع والتوبيخ الكم الذكر وله الانثى رد عليهم قولهم
الملائكة بنات الله والاصنام بنات الله قوله تعالى تلك اذا قسمة ضيزى هذه التسمية
قسمة ضيزى اي جايرة عن العدل خارجة عن الصواب مايلة عن الحق يقال ضاز في الحكم
اي جار وضازه حقه يضيزه ضيزا عن الاخفش اي نقصه وبخسه وقد يهمز فيقال
قد ضازه يضازه ضازا وانشد ۞ فحقك مضؤوز وانفك راغم ۞ وله ايضا

۞ فان تنا عنا تنتقصك وان تقم ۞ فقسمك مضؤوز وانفك راغم ۞

وقال الكسائي يقال ضار يضير ضيرا وضاز يضوز ضوزا وضاز يضاز ضازا اذا تعدى
وظلم وبخس وانتقص قال ۞ ضازت بنو اسد بحكمهم ۞ اذ يجعلون الراس كالذنب ۞
وقوله تعالى قسمة ضيزى اي جايرة وهي فعلى مثل طوبى وحبلى وانما كسروا الضاد
لتسلم اليا لانه ليس في الكلام فعلى صفة وانما هو من بناء الاسماء كالشعرى والدفلى
والفرا وبعض العرب يقول ضازى وضوزى بالهمز وحكى ابو حاتم عن ابي زيد انه سمع
العرب تهمز ضيزى قال غيره وبها قرا ابن كثير جعله مصدرا مثل ذكرى وليس بصفة
اذ ليس في الصفات فعلى ولا يكون اصلها فعلى اذ ليس فيها ما يوجب القلب وهي من
قولهم ضازته اي ظلمته فالمعنى قسمة ذات ظلم وقد قيل هما لغتان بمعنى وحكي فيهما
ايضا سواهما ضيزى وضازى وضوزى وقال المورج كرهوا ضم الضاد في ضيزى
وخافوا انقلاب اليا واوا وهي من بنات الواو فكسروا الضاد لهذه العلة كما قالوا في جمع
ابيض بيض والاصل بوض مثل حمر وصفر وخضر فاما من قال ضاز يضوز فالاسم
منه ضوزى مثل شورى قوله تعالى ان هي الا اسماء سميتموها اي ما هي يعني هذه
الاوثان الا اسماء سميتموها يعني نحتموها وسميتموها الهة انتم واباؤكم اي قلدتموهم في
ذلك ما انزل الله بها من سلطان اي ما انزل الله بها من حجة ولا برهان ان يتبعون
الا الظن عاد من الخطاب الى الخبر اي ما يتبع هولاء الا الظن وما تهوى الانفس
اي تميل اليه وقراة العامة يتبعون باليا وقرا عيسى بن عمر وايوب وابن السميفع
تتبعون بالتا على الخطاب وهي قراة ابن مسعود وابن عباس ولقد جاءهم من ربهم
الهدى اي البيان من جهة الرسول انها ليست بالهة ام للانسان ما تمنى اي اشتهى
اي ليس ذلك له وقيل ام للانسان ما تمنى من البنين دون البنات وقيل ام للانسان
ما تمنى من غير جزاء ليس الامر كذلك وقيل ام للانسان ما تمنى من شفاعة الاصنام

تكون فيه دون غيره وقيل ام للانسان ما تمنى من شفاعة الاصنام نزلت في النضر
ابن الحرث وقيل في الوليد بن المغيرة وقيل في سائر الكفار فلله الاخرة والاولى
يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا ما تمنى احد قوله تعالى وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء ويرضى هذا توبيخ من الله تعالى لمن
عبد الملائكة والاصنام وزعم ان ذلك تقربه الى الله فاعلم ان الملائكة مع كثرة عبادتها
وكرامتهم على الله لا تشفع الا لمن اذن ان تشفع له قال الاخفش الملك موحد ومعناه
جمع وهو كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين وقيل انما ذكر ملكا واحدا لان
كم تدل على الجمع قوله تعالى ان الذين لا يؤمنون بالاخرة هم الكفار الذين قالوا
الملائكة بنات الله وعبدوا الاصنام ليسمون الملائكة تسمية الانثى اي كتسمية
الانثى اي يعتقدون ان الملائكة اناث وانهم بنات الله وما لهم بذلك من علم اي انهم
لم يشاهدوا خلقة الملائكة ولم يسمعوا ما قالوه من رسول ولم يروه في كتاب ان يتبعون
اي ما يتبعون الا الظن في ان الملائكة اناث وان الظن لا يغني من الحق شيئا قوله
تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا يعني القرآن والايمان وهذا منسوخ باية السيف
ولم يرد الا الحياة الدنيا نزلت في النضر وقيل في الوليد ذلك مبلغهم من العلم اي انما
يبصرون امر دنياهم ويجهلون امر دينهم قال الفراء صغرهم وازدرى بهم اي ذلك
قدر عقولهم ونهاية علمهم ان اثروا الدنيا على الاخرة وقيل ان جعلوا الملائكة والاصنام
بنات الله ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي حاد عن دينه وهو اعلم بمن اهتدى
فيجازي كلا باعمالهم قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الارض ليجزي الذين
اللام متعلقة بالمعنى الذي دل عليه ولله ما في السموات وما في الارض كانه
قال هو مالك ذلك يهدي من يشاء ويضل من يشاء ليجزي المحسن باحسانه والمسيء
باساءته وقيل ولله ما في السموات وما في الارض معترض في الكلام والمعنى
ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى ليجزي وقيل هي لام العاقبة
اي ولله ما في السموات وما في الارض وعاقبة امر الخلق ان يكون فيهم مسيء ومحسن
فللمسيء السوء وهي جهنم وللمحسن الحسنى وهي الجنة قوله تعالى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش الاية فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى الذين يجتنبون
كبائر الاثم والفواحش هذا نعت للمحسنين اي هم لا يرتكبون كبائر الاثم وهو الشرك
لانه اكبر الاثام وقرا الاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي كبير على التوحيد
وفسره ابن عباس بالشرك والفواحش الزنا وقال مقاتل كبائر الاثم كل ذنب
ختم بالنار والفواحش كل ذنب فيه الحد وقد مضى في النساء القول في هذا ثم
استثنى استثناء منقطعا وهي المسالة الثانية فقال الا اللمم وهي الصغائر التي
لا يسلم من الوقوع فيها الا من عصمه الله وحفظه وقد اختلف في معناها فقال
ابو هريرة وابن عباس والشعبي اللمم كل ما دون الزنا وذكر مقاتل بن سليمان
ان هذه الاية نزلت في رجل كان يسمى نبهان التمار وكان له حانوت يبيع فيه
تمرا فجاءته امراة تشتري منه تمرا فقال لها ان داخل الدكان ما هو خير من هذا
فلما دخلت راودها فابت وانصرفت فندم نبهان فاتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا رسول الله ما من شيء يصنعه الرجل الا وقد فعلته الا الجماع فقال
لعل زوجها غاز فنزلت هذه الاية وقد مضى في اخر هود وكذا قال ابن مسعود وابو
سعيد الخدري وحذيفة ومسروق ان اللمم ما دون الوطء من القبلة والغمزة
والنظرة والمضاجعة وروى مسروق عن عبد الله بن مسعود قال زنا العينين
النظر وزنا اليدين البطش وزنا الرجلين المشي وانما يصدق ذلك او يكذبه
الفرج فان تقدم كان زنا وان تاخر كان لمما وفي صحيح البخاري ومسلم عن ابن
عباس قال ما رايت شيئا اشبه باللمم مما قال ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان الله كتب على ابن ادم حظه من الزنا ادرك ذلك لا محالة وزنا العينين

النظر

النظر وزنا اللسان النطق والنفس تمنى وتشتهي والفرج يصدق ذلك او يكذبه
والمعنى ان الفاحشة العظيمة والزنا التام الموجب للحد في الدنيا والعقوبة في
الاخرة هو في الفرج وغيره له حظ من الاثم والله اعلم وفي رواية ابي صالح عن
ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كتب على ابن ادم نصيبه من الزنا مدرك
ذلك لا محالة فالعينان زناهما النظر والاذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام
واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك
الفرج ويكذبه خرجه مسلم وقد ذكر الثعلبي حديث طاوس عن ابن عباس فذكر
فيه الاذن واليد والرجل وزاد فيه بعد العينين واللسان وزنا الشفتين القبلة
فهذا قول وقال ابن عباس ايضا هو الرجل يلم بذنب ثم يتوب قال الم تسمع النبي صلى
الله عليه وسلم كان يقول ان تغفر اللهم تغفر جما واي عبد لك لا الما رواه عمرو بن دينار عن
عطاء عن ابن عباس قال النحاس وروى شعبة عن منصور عن مجاهد عن ابن عباس
في قول الله عز وجل الا اللمم قال هو ان يلم العبد بالذنب ثم لا يعاوده قال الشاعر

• ان تغفر اللهم تغفر جما • واي عبد لك لا الما •

وكذا قال مجاهد والحسن هو الذي ياتي الذنب ثم لا يعاوده ونحوه عن الزهري قال
اللمم ان يزني ثم يتوب ولا يعود وان يسرق او يشرب الخمر ثم يتوب ولا يعود ودليل هذا
التاويل قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله الاية ثم قال اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم فضمن لهم
المغفرة كما قال عقيب اللمم ان ربك واسع المغفرة فعلى هذا التاويل يكون اللمم استثناء
متصل قال عبد الله بن عمرو بن العاص اللمم ما دون الشرك وقيل اللمم الذنب بين
الحدين وهو ما لم يات عليه حد في الدنيا ولا توعد عليه بعذاب في الاخرة تكفره الصلوات
الخمس قاله ابن زيد وعكرمة والضحاك وقتادة ورواه العوفي والحكم بن عتيبة عن
ابن عباس قال الكلبي اللمم على وجهين كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا في الدنيا
ولا عذابا في الاخرة فذلك الذي تكفره الصلوات الخمس ما لم يبلغ الكبائر والفواحش
والوجه الاخر هو الذنب العظيم يلم به الانسان المرة بعد المرة فيتوب منه وعن ابن
عباس وابي هريرة وزيد بن ثابت هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم به وذلك
ان المشركين قالوا للمسلمين انما كنتم بالامس تعملون معنا فنزلت وقاله زيد بن اسلم
وهو كقوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف وقيل اللمم هو الذي ياتي
بذنب لم تكن له بعادة قاله نفطويه قال والعرب تقول ما تاتينا الا لماما اي في
الحين بعد الحين قال ولا يكون ان تلم ولا تفعل لان العرب لا تقول الم بنا الا اذا فعل
الانسان لا اذا هم ولم يفعله وفي الصحاح والم الرجل من اللمم وهو صغار الذنوب
ويقال هو مقاربة المعصية من غير مواقعة وانشد غير الجوهري بزينب الم قبل ان
يرحل الركب وقل ان تملنا فما ملك القلب اي اقرب وقال عطاء بن ابي رباح اللمم عادة
النفس الحين بعد الحين وقال سعيد بن المسيب هو ما الم على القلب اي خطر
وقال محمد بن الحنفية كل ما هممت به من خير او شر فهو لمم ودليل هذا التاويل قوله
عليه السلام ان للشيطان لمة وللملك لمة الحديث وقد مضى في البقرة عند قوله
تعالى الشيطان يعدكم الفقر وقال ابو اسحاق الزجاج اصل اللمم والالمام ما يعمله
الانسان المرة بعد المرة ولا يتعمق فيه ولا يقيم عليه يقال الممت به اذا زرته وانصرفت
عنه ويقال ما فعلته الا لمما والماما اي الحين بعد الحين وانما زيارتك الماما ومنه
الماما الخيال قال الاعشى • الم خيال من قتيلة بعدما • وهى حبلها من حبلنا فتصرما •
وقيل الا بمعنى الواو وانكر هذا الفراء وقال المعنى الا المتقارب من صغار الذنوب
وقيل اللمم النظرة التي تكون فجاة قلت هذا فيه بعد اذ هو معفو عنه ابتداء غير
مؤاخذ به لانه يقع من غير قصد واختيار وقد مضى في النور بيانه واللمم ايضا
طرف من الجنون ورجل ملموم اي به لمم ويقال ايضا اصابت فلانا لمة من الجن

وهي المس والشي القليل قال فاذ وداك يا كبيشة لم يكن الا كلمة حالم عيال الكنائنه
قوله تعالى ان ربك واسع المغفرة لمن تاب عن ذنبه واستغفر قال ابن عباس وقال
ابو ميسرة عمرو بن شرحبيل وكان من افاضل اصحاب ابن مسعود رايت في المنام كاني
دخلت الجنة فاذا قباب مضروبة فقلت لمن هذه فقالوا لذي الكلاع وحوشب
وكانا ممن قتل بعضهم بعضا فقلت وكيف ذلك فقالوا انهما لقيا الله فوجداه واسع المغفرة
قال ابو خالد بلغنا ان ذا الكلاع اعتق اثني عشر الف بيت قوله تعالى هو اعلم بكم
منكم من انفسكم اذ انشاكم من الارض يعني اباكم ادم من الطين وخرج اللفظ على الجميع
وقال الترمذي ابو عبد الله وليس هو كذلك عندنا بل وقع الانشاء على التربة التي
رفعت من الارض وكنا جميعا في تلك التربة وفي تلك الطينة ثم خرجت من الطينة المياه
الى الاصلاب مع ذرو النفوس على اختلاف هيئتها ثم استخرجها من صلبه على اختلاف
الهيئة منهم كالدر يتلالا وبعضهم انور من بعض منهم سود كالحممة وبعضهم اشد سوادا
من بعض فكان الانشاء واقعا علينا وعليه حدثنا عيسى بن حماد العسقلاني قال
حدثنا بشر بن بكر قال ثنا الاوزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض علي
الاولون والاخرون بين يدي حجرتي هذه الليلة فقال قايل يا رسول الله ومن مضى
من الخلق قال نعم عرض علي ادم فمن دونه فهل كان احد قالوا ومن في اصلاب
الرجال وبطون الامهات قال نعم مثلوا في الطين فعرفتهم كما علم ادم الاسما كلها
قلت وقد تقدم في اول الانعام ان كل انسان يخلق من طين البقعة التي يدفن
منها واذا انتم اجنة جمع جنين وهو الولد ما دام في البطن سمي جنينا لاجتنانه
واستتاره قال عمرو بن كلثوم ٭ هجانا اللون لم تقرا جنينا ٭
وقال مكحول كنا اجنة في بطون امهاتنا فسقط منا من سقط وكنا فيمن بقي ثم صرنا
مراضع فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا كنا يفعة فهلك منا من هلك
وكنا فيمن بقي ثم صرنا شبابا فهلك منا من هلك وكنا فيمن بقي ثم صرنا شيوخا لا اباك
فما بعد هذا ننتظر وروى ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد عن ثابت بن الحرث الانصاري
قال كانت اليهود تقول اذا هلك لهم صبي صغير هو صديق فبلغ النبي صلى الله
عليه وسلم فقال كذبت اليهود ما من نسمة يخلقها الله في بطن امه الا انه شقي او سعيد
فانزل الله تعالى عند ذلك هذه الاية هو اعلم بكم اذ انشاكم من الارض الى اخر الاية
ونحوه عن عايشة كان اليهود بمثل فلا تزكوا انفسكم اي لا تمدحوها ولا تثنوا عليها
فانه ابعد من الريا واقرب الى الخشوع هو اعلم بمن اتقى اي اخلص العمل واتقى عقوبة
الله عن الحسن وغيره قال الحسن قد علم الله سبحانه كل نفس ما هي عاملة وما هي صانعة
والى ما هي صايرة وقد مضى في النسا الكلام في معنى هذه الاية عند قوله تعالى
الم تر الى الذين يزكون انفسهم فتامله هناك وقال ابن عباس ما من احد من هذه
الامة ازكيه غير رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى افرايت الذي تولى
الايات لما بين جهل المشركين في عبادة الاصنام ذكر واحدا منهم معينا بسوء فعله
قال مجاهد وابن زيد ومقاتل نزلت في الوليد بن المغيرة وكان قد اتبع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على دينه فعيره بعض المشركين وقالوا لم تركت دين الاشياخ
وضللتهم وزعمت انهم في النار قال خشيت عذاب الله فضمن له ان هو اعطاه شيا
من ماله ورجع الى شركه ان يتحمل عنه عذاب الله ففعل واعطى الذي عاتبه بعض
ما كان ضمن ثم بخل ومنعه فانزل الله تعالى هذه الاية وقال مقاتل كان الوليد
مدح القران ثم امسك عنه فنزل واعطى قليلا واكدى اي من الخير بلسانه
واكدى اي قطع ذلك وامسك عنه وعنه انه اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم
عهدا الايمان ثم تولى فنزلت افرايت الذي تولى واعطى الاية وقال ابن عباس والسدي
والكلبي والمسيب بن شريك نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان يتصدق
وينفق في الخير فقال له اخوه من الرضاعة عبد الله بن ابي سرح ما هذا الذي

يصنع

يصنع يوشك ان لا يبقى لك شي فقال عثمان ان لي ذنوبا وخطايا واني اطلب بما اصنع
رضى الله تعالى وارجوا عفوه فقال له عبد الله اعطني ناقتك برحلها وانا اتحمل عنك
ذنوبك كلها فاعطاه واشهد عليه وامسك عن بعض ما كان يصنع فانزل الله تعالى افرايت
الذي تولى واعطى قليلا واكدى فعاد عثمان الى احسن ذلك واجمله ذكره الواحدي والثعلبي
وقال السدي ايضا نزلت في العاص بن وايل السهمي وذلك انه كان ربما يوافق النبي
صلى الله عليه وسلم في بعض الامور وقال محمد بن كعب القرظي نزلت في ابي جهل بن هشام
قال والله ما يامرنا محمد الا بمكارم الاخلاق فذلك قوله تعالى واعطى قليلا واكدى وقال
الضحاك هو النضر بن الحارث اعطى خمس قلايص لفقير من المهاجرين حتى ارتد عن دينه
وضمن له ان يتحمل عنه ماثم رجوعه واصل اكدى من الكدية يقال لمن حفر بيرا ثم بلغ
الى حجر لا يتهيا له فيه حفر قد اكدى ثم استعملته العرب لمن اعطى ولم يتمم ولمن طلب شيا فلم
يبلغ اخره قال الحطيئة ٭ فاعطى قليلا ثم اكدى عطاءه ٭ ومن يبذل المعروف في الناس يحمد ٭
قال الكساي وغيره اكدى الحافر واجبل اذا بلغ في حفره كدية او جبلا فلا يمكنه ان
يحفر وحفر فاكدى اذا بلغ الى الصلب ويقال كديت اصابعه اذا كلت من الحفر وكدت يده
اذا كلت فلم تعمل شيا وكدت النبت اذا قل ريعه وكدت الارض تكدو كدوا فهي كادية اذا
ابطا نباتها عن ابي زيد واكديت الرجل عن الشي رددته واكدى الرجل اذا قل خيره
وقوله واعطى قليلا واكدى اي قطع القليل قوله تعالى اعنده علم الغيب فهو يرى
اي اعند هذا المكدي علم ما غاب عنه من امر العذاب فهو يرى اي يعلم ما غاب عنه من
امر الاخرة وما يكون من امره حتى يضمن حمل العذاب عن غيره وكفى بهذا جهلا وحمقا
وهذه الروية هي المتعدية الى مفعولين والمفعولان محذوفان كانه قال فهو يرى الغيب
مثل الشهادة قوله تعالى ام لم ينبا بما في صحف موسى وابراهيم اي صحف ابراهيم
الذي وفى كما في سورة الاعلى صحف ابراهيم وموسى اي لا تؤخذ نفس عن بدلا عن اخرى
كما قال الا تزر وازرة وزر اخرى وخص صحف ابراهيم وموسى بالذكر لانه كان ما بين
نوح وابراهيم يوخذ الرجل بجريرة ابيه وابنه قاله الهذيل بن شرحبيل وان هذه المخففة
من الثقيلة وموضعها خفض بدلا من ما او يكون في موضع رفع على اضمار هو وقرا سعيد
ابن جبير وقتادة وفى خفيفة ومعناها صدق في قوله وعمله وهي راجعة الى معنى
قراة الجماعة وفى بالتشديد اي قام بجميع ما فرض عليه فلم يخرم منه شيا وقد مضى
في البقرة عند قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فاتمهن والتوفية الاتمام
وقال ابو بكر الوراق قام بشرط ما ادعى وذلك ان الله تعالى قال له اسلم قال اسلمت
لرب العالمين فطالبه الله تعالى بصحة دعواه فابتلاه في ماله وولده ونفسه فوجده
وافيا فذلك قوله وابراهيم الذي وفى اي ادى الاسلام ثم صحح دعواه وقيل وفى
عمله كل يوم باربع ركعات في صدر النهار رواه الهيثم بن ابي امامه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وروى سهل بن سعد الساعدي عن ابيه الا اخبركم لم سمى الله خليله
ابراهيم الذي وفى لانه كان يقول كلما اصبح وامسى سبحان الله حين تمسون وحين
تصبحون الاية ورواه سهل بن معاذ بن انس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل وفى اي وفى ما ارسل به وهو قوله الا تزر وازرة وزر اخرى قال ابن
عباس كانوا قبل ابراهيم ياخذون الرجل بذنب غيره وياخذون الولي بالولي في القتل
والجراح فيقتل الرجل بابيه وابنه واخيه وعمه وقريبه وزوجته وزوجها
وعبده فبلغهم ابراهيم عليه السلام عن الله تبارك وتعالى الا تزر وازرة وزر اخرى
وقال الحسن وقتادة وسعيد بن جبير في قوله تعالى وفى عمل ما امر به وبلغ
رسالات ربه وهذا احسن لانه عام وكذا قال مجاهد وفى بما فرض عليه وقال
ابو مالك الغفاري في قوله تعالى الا تزر وازرة وزر اخرى الى قوله فباي الا ربك
تتمارى في صحف ابراهيم وموسى وقد مضى في الانعام القول في ولا تزر
وازرة وزر اخرى مستوفى في قوله تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى روي

عن ابن عباس انها منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان
الحقنا بهم ذريتهم فيجعل الولد الطفل يوم القيامة في ميزان ابيه ويشفع الله تعالى
الآباء في الابناء والابناء في الآباء يدل على ذلك قوله تعالى آباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم
اقرب لكم نفعا وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة ولا ينفع احدا عمل احد واجمعوا انه
لا يصلي احد عن احد ولم يجز مالك الصيام والصدقة والحج عن الميت الا انه قال ان اوصى
بالحج ومات جاز ان يحج عنه واجاز الشافعي وغيره الحج التطوع عن الميت وروي ان
عائشة رضي الله عنها اعتكفت عن اخيها عبد الرحمن واعتقت عنه وروي ان سعد
بن عبادة قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان امي توفيت افاتصدق عنها قال نعم قال
فاي الصدقة افضل قال سقي الماء وقد مضى جميع هذا مستوفى في البقرة وآل عمران
والاعراف وقد قيل ان الله عز وجل انما قال وليس للانسان الا ما سعى ولام الخفض
معناها في العربية الملك والايجاب فليس يجب للانسان الا ما سعى فاذا تصدق عنه
فليس يجب له شيء الا ان الله جل وعز يتفضل عليه بما لا يجب له كما يتفضل على الاطفال
بادخالهم الجنة بغير عمل وقال الربيع بن انس وان ليس للانسان الا ما سعى يعني
الكافر واما المومن فله ما سعى وما سعى له غيره قلت وكثير من الاحاديث يدل على
هذا القول وان المومن يصل اليه ثواب العمل الصالح من غيره وقد تقدم كثير منها
لمن تاملها وليس في الصدقة اختلاف كما في صدر كتاب مسلم عن عبد الله بن
المبارك وفي الصحيح اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلاث وفيه او ولد صالح
يدعو له وهذا كله تفضل من الله جل وعز كما ان زيادة الاضعاف فضل منه كتب
لهم بالحسنة الواحدة عشرا الى سبع مائة ضعف الى الف الف حسنة كما قيل لابي هريرة
اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي بالحسنة الواحدة الف
الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي بالحسنة الواحدة الفي الف حسنة فهذا
تفضل وطريق العدل ان ليس للانسان الا ما سعى قلت ويحتمل ان يكون قوله وان
ليس للانسان الا ما سعى خاص في السيئة بدليل ما في صحيح مسلم عن ابي هريرة عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل اذا هم عبدي بحسنة ولم يعملها
كتبتها له حسنة وان عملها كتبتها عشر حسنات الى سبع مائة ضعف واذا هم بسيئة ولم
يعملها لم اكتبها عليه فان عملها كتبتها سيئة واحدة وقال ابو بكر الوراق الا ما سعى
الا ما نوى بيانه قوله صلى الله عليه وسلم يبعث الناس يوم القيامة على نياتهم قوله
تعالى وان سعيه سوف يرى اي يريه الله جزاءه يوم القيامة ثم يجزاه اي يجازى به
الجزاء الاوفى قال الاخفش يقال جزيته الجزاء وجزيته بالجزاء سواء لا فرق بينهما
قال الشاعر ۝ ان اجز علقمة بن سعد سعيه ۝ لم اجزه ببلاء يوم واحد ۝
فجمع بين اللغتين قوله تعالى وان الى ربك المنتهى اي المرجع والمرد والمصير فيعاقب
ويثيب وقيل منه ابتداء المنة واليه انتهاء الآمال وعن ابي بن كعب قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله وان الى ربك المنتهى قال لا فكرة في الرب وعن انس
قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الله تعالى فانتهوا قلت ومن هذا المعنى قوله
صلى الله عليه وسلم ياتي الشيطان احدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى
يقول له من خلق ربك فاذا بلغ ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ولينته وقد
تقدم في الاعراف ولقد احسن من قال ۝

۝ ولا تفكرن في ذي العلى عز وجهه ۝ فانك تردى ان فعلت وتخذل ۝
۝ ودونك مصنوعاته فاعتبر بها ۝ وقل مثل ما قال الخليل المبجل ۝

قوله تعالى وانه هو اضحك وابكى وانه هو امات واحيا وانه خلق الزوجين
الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وان عليه النشاة الاخرى وانه هو اغنى واقنى
ذهبت الوسائط وبقيت الحقائق لله سبحانه فلا فاعل الا هو وفي صحيح مسلم
عن عائشة رضي الله عنها قالت لا والله ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قط

قط ان الميت يعذب ببكاء احد ولكنه قال ان الكافر يزيده الله ببكاء اهله عذابا
وان الله هو اضحك وابكى ولا تزر وازرة وزر اخرى وعنها قالت مر النبي صلى الله
عليه وسلم على قوم من اصحابه وهم يضحكون فقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم
قليلا ولبكيتم كثيرا فنزل عليه جبريل فقال يا محمد ان الله يقول لك وانه هو اضحك
وابكى فرجع اليهم فقال ما خطوت اربعين خطوة حتى اتاني جبريل فقال ائت
هؤلاء فقل لهم ان الله يقول هو اضحك وابكى اي قضى اسباب الضحك والبكاء وقال
عطاء بن ابي مسلم يعني افرح واحزن لان الفرح يجلب الضحك والحزن يجلب البكاء
وقيل لعمر هل كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والله
والايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وقد تقدم هذا المعنى في النمل وبراءة
قال الحسن اضحك اهل الجنة في الجنة وابكى اهل النار في النار وقيل اضحك من شاء
في الدنيا بان سره وابكى من شاء بان غمه الضحاك اضحك الارض بالنبات وابكى السماء
بالمطر وقيل اضحك الاشجار بالنوار وابكى السحاب بالمطر وقال ذو النون اضحك
قلوب المومنين والعارفين بشمس معرفته وابكى قلوب الكافرين والعاصين بظلمة
نكرته ومعصيته وقال سهل بن عبد الله اضحك المطيعين بالرحمة وابكى العاصين
بالسخط وقال محمد بن علي الترمذي اضحك المومن في الآخرة وابكاه في الدنيا وقال
بسام بن عبد الله اضحك اسنانهم وابكى قلوبهم وانشد ۝

۝ السن تضحك والاحشاء تحترق ۝ وانما ضحكها زور ومختلق ۝
۝ يا رب باك بعين لا دموع لها ۝ ورب ضاحك سن ما به رمق ۝

وقيل ان الله خص الانسان بالضحك والبكاء من بين سائر الحيوان وليس في سائر
الحيوان من يضحك ويبكي غير الانسان وقد قيل ان القرد وحده يضحك ولا يبكي
وان الابل وحدها تبكي ولا تضحك وقال يوسف بن الحسين سئل طاهر المقدسي
اتضحك الملائكة فقال ما ضحكوا ولا كل من دون العرش منذ خلقت جهنم وانه هو امات
واحيا اي قضى اسباب الموت والحياة وقيل خلق الموت والحياة كما قال الذي
خلق الموت والحياة قاله ابن بحر وقيل امات الكافر بالكفر واحيا المومن بالايمان قال
الله تعالى او من كان ميتا فاحييناه الآية وقال انما يستجيب الذين يسمعون والموتى
يبعثهم الله على ما تقدم واليه يرجع قول عطاء امات بعدله واحيا بفضله وقول
من قال امات بالمنع والبخل واحيا بالجود والبذل وقيل امات النطفة واحيا النسمة
وقيل امات الآباء واحيا الابناء وقيل يريد بالحياة الخصب وبالموت الجدب وقيل
انام وايقظ وقيل امات في الدنيا واحيا للبعث وانه خلق الزوجين اي الذكر
والانثى من اولاد آدم ولم يرد آدم وحواء لانهما ما خلقا من نطفة والنطفة الماء
القليل مشتق من نطف الماء اذا قطر تمنى تصب في الرحم وتراق قاله الكلبي
والضحاك وعطاء بن ابي رباح يقال منى الرجل وامنى من المني وسميت منى لما
يمنى بها من الدماء اي يراق وقيل تمنى تقدر قاله ابو عبيدة يقال
منيت الشيء اذا قدرته ومني له اذا قدر قال ۝ حتى تلاقي ما يمني لك الماني ۝
اي ما يقدر لك القادر قوله تعالى وان عليه النشاة الاخرى اي اعادة الارواح
في الاشباح وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بفتح الشين والمد اي وعد ذلك
ووعده صدق وانه هو اغنى واقنى قال ابن زيد اغنى من شاء وافقر من شاء
ثم قرا الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرا يقبض ويبسط واختاره الطبري
وعن ابن زيد ايضا ومجاهد وقتادة والحسن اغنى مول واقنى اخدم وقيل
اقنى جعل لكم قنية تقتنونها وهو معنى اخدم ايضا وقيل معناه ارضى بما اعطى
اي اغناه ثم رضاه بما اعطاه قاله ابن عباس وقال الجوهري قني الرجل يقنى قنى
مثل غني يغنى غنى واقناه الله اي اعطاه ما يقتنى من القنية والنشب واقناه
ايضا اي رضاه والقنى الرضا عن ابي زيد قال وتقول العرب من اعطي مائة من

المعز فقد اعطى القنى ومن اعطي مائة من الضان فقد اعطي الغنا ومن اعطي
مائة من الابل فقد أعطي المنى ويقال اغناه الله واقناه اي اعطاه ما سكن اليه
وقيل اغنى واقنى اي اغنى نفسه وافقر خلقه اليه قاله سليمان التيمي وقال
سفيان اغنى بالقناعة واقنا بالرضي وقال الاخفش اقنى افقر وقال ابن كيسان
أولد وهذا راجع لما تقدم وانه هو رب الشعرى الشعرى الكوكب المضي الذي
يطلع بعد الجوزا وطلوعه في شدة الحر وهما الشعريان العبور الذي في الجوزا
والشعرا الغميصا الذي في الذراع تزعم العرب انهما اختا سهيل وانما ذكر انه رب
الشعرا وان كان ربا لغيره لان العرب كانت تعبده فاعلمهم الله عز وجل ان الشعرا
مربوب وليس برب واختلف فيمن كان يعبده فقال حمير وخزاعة وقال غيره اول من
عبده ابو كبشة احد اجداد النبي صلى الله عليه وسلم من قبل امهاته وبذلك كان
مشركوا قريش يسمون النبي صلى الله عليه وسلم ابن ابي كبشة حين دعا الى الله
وخالف اديانهم وقالوا ما لقينا من ابن ابي كبشة وقال ابو سفيان يوم الفتح وقد
وقف في بعض المضايق وعساكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تمر عليه لقد امر
ابن ابي كبشة وقد كان من لا يعبدها من العرب يعظمها ويعتقد تاثيرها في العالم
قال الشاعر ٭ مضى ايلول وارتفع الحرور ٭ واخبت نارها الشعرا العبور ٭
وقيل ان العرب تقول في خرافاتها ان سهيلا والشعرا كانا زوجين فانحدر سهيل
فصار يمانيا فاتبعته الشعرى العبور فعبرت المجرة فسميت العبور واقامت الغميصا
فبكت لفقد سهيل حتى غمصت عيناها فسميت الغميصا لانها اخفى من الاخرى
وانه اهلك عادا الاولى سماها الاولى لانهم كانوا من قبل ثمود وقيل ان ثمود من
نسل عاد وقال ابن زيد قيل لها عاد الاولى لانها اول امة اهلكت بعد نوح عليه
السلام وقال ابن اسحاق هما عادان فالاولى اهلكت بالريح الصرصر ثم كانت الاخرى
فاهلكت بالصيحة وقيل عاد الاولى هو عاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعاد
الثانية من ولد عاد الاولى والمعنى متقارب وقيل ان عادا الاخرة الجبارون
وهم قوم هود وقراءة العامة عادا الاولى ببيان التنوين والهمز وقرا نافع وابن محيصن
وابو عمرو عادا الولى بنقل حركة الهمزة على اللام وادغام التنوين فيها الا ان قالون
وابا عمرو ... على اصلها والعرب تقلب هذا القلب فيقولون قم لان عنا وقم لاثنين اي قم
الان وقم الاثنين وثمودا فما ابقى ثمود هم قوم صالح اهلكوا بالصيحة وقرئ ثمودا او
ثمود وقد تقدم وانتصب على العطف على عاد وقوم نوح من قبل اي واهلك قوم
نوح من قبل عاد وثمود انهم كانوا هم اظلم واطغى وذلك لطول مدة نوح فيهم بالحذ
بيد ابنه فينطلق به الى نوح فيقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي قد مشا بي
الى هذا وقال لي ما قلت لك فيموت الكبير على الكفر وينشا الصغير على وصية ابيه
وقيل الكناية ترجع الى كل من ذكر من عاد وثمود وقوم نوح اي كانوا اكفر من
مشركي العرب واطغى فيكون فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وكانه يقول له
فاصبر انت ايضا فالعاقبة الحميدة لك والمؤتفكة اهوى يعني مدائن قوم لوط ائتفكت
بهم اي انقلبت وصارت عاليها سافلها يقال افكته اي قلبته وصرفته اهوى اي
خسف بهم بعد رفعهم الى السما رفعها جبريل ثم اهوى بها الى الارض وقال المبرد جعلها
تهوي بالفتح تهوي هويا اي سقط واهوى اي اسقط فغشاها ما غشى اي البسها
ما البسها من الحجارة قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليهم حجارة
من سجيل وقيل الكناية ترجع الى جميع هذه الامم اي غشاها من العذاب ما غشاهم
لان كلا منهم اهلك بضرب ما اهلك به الاخر وقيل هذا تعظيم الامر فباي الاء ربك
تتمارى اي فباي نعم ربك تشك والمخاطبة للانسان المكذب والالا النعم واحدها
الى والي وقرا يعقوب تمارى بادغام التاء في الاخرى والتشديد قوله
تعالى هذا نذير من النذر الاولى قال ابن جريج ومحمد بن كعب يريدان محمدا صلى

الله

الله عليه وسلم نذير بالحق الذي انذر به الانبيا قبله فان اطعتموه والا حل بكم ما حل
بمكذبي الرسل السالفة وقال قتادة يريد القران وانه نذير بما انذرت به الكتب
الاولى وقيل اي هذا الذي اخبرنا به من اخبار الامم الذين هلكوا تخويف لهذه
الامة من ان ينزل بهم ما نزل باولئك من النذر اي مثل النذر والنذر في قول العرب بمعنى
الانذار كالنكير بمعنى الانكار اي هذا انذار وقال ابو مالك هذا الذي انذرتكم به
من وقائع الامم الخالية هو في صحف ابراهيم وموسى قال السدي اخبرني ابو صالح
قال هذه الحروف التي ذكر الله تعالى من قوله عز وجل ام لم ينبا بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى الى قوله هذا نذير من النذر الاولى كل هذه في صحف ابراهيم وموسى
قوله تعالى ازفت الازفة اي قربت الساعة ودنت القيامة وسماها ازفة
لقرب قيامها عنده كما قال يرونه بعيدا ونراه قريبا وقيل سماها ازفة لدنوها من
الناس وقربها منهم ليستعدوا لها لان كل ما هو ات قريب قال ٭
٭ ازف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنا وكان قد ٭
وفي الصحاح ازف الترحل يازف ازفا اي دنا ومنه قوله تعالى ازفت الازفة يعني
القيامة وازف الرجل اي عجل فهو ازف على فاعل والمتازف القصير وهو المتداني
قال ابو زيد قلت لاعرابي ما المحبنطي قال المتكاكئ قلت ما المتكاكئ قال المتازف
قلت ما المتازف قال انت احمق وتركني ومر ليس لها من دون الله كاشفة اي ليس لها
من دون الله من يؤخرها او يقدمها وقيل كاشفة اي انكشاف اي لا يكشف عنها
ولا يبديها الا الله فالكاشفة اسم بمعنى المصدر والهاء فيه كالهاء في العافية والعاقبة
والداهية والباقية كقولهم ما لفلان من باقية اي بقا وقيل اي لا احد يرد ذلك
اي ان القيامة اذا قامت لا يكشفها احد من الهتهم ولا ينجيهم غير الله وقد سميت
القيامة غاشية فاذا كانت غاشية كان ردها كشفا فالكاشفة على هذا نعت
مؤنث محذوف اي نفس كاشفة او فرقة كاشفة او حال كاشفة وقيل ان كاشفة
بمعنى كاشف والهاء للمبالغة مثل راوية وداهية قوله تعالى افمن هذا الحديث
تعجبون يعني القران وهذا استفهام توبيخ تعجبون تكذيبا به وتضحكون استهزا
ولا تبكون انزجارا وخوفا من الوعيد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم ما روي
بعد هذه الاية ضاحكا الا متبسما وقال ابو هريرة لما نزلت افمن هذا الحديث
تعجبون قال اهل الصفة انا لله وانا اليه راجعون ثم بكوا حتى جرت دموعهم
على خدودهم فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم بكاهم بكا معهم فبكينا لبكائه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من بكا من خشية الله ولا يدخل الجنة مصر على معصية
الله ولو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولاتى بقوم يذنبون فيغفر لهم ويرحمهم انه هو الغفور
الرحيم وقال ابو حازم نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده رجل
يبكي فقال له من هذا فقال هذا فلان فقال جبريل انا نزن اعمال بني ادم كلها
الا البكا فان الله تعالى ليطفي بالدمعة الواحدة بحورا من جهنم قوله تعالى
وانتم سامدون اي لاهون معرضون عن ابن عباس رواه الوالبي والعوفي عنه
وقال عكرمة عنه هو الغنا بلغة حمير يقال سمد لنا اي غن لنا وكانوا اذا سمعوا
القران يتلى تغنوا ولعبوا حتى لا يسمعوا وقال الضحاك سامدون شامخون
متكبرون وفي الصحاح سمد سمودا رفع راسه تكبرا وكل رافع راسه فهو سامد
قال ٭ سوامد الليل خفاف الازواد ٭ يقول ليس في بطونها علف وقال ابن
الاعرابي سمدت سمودا علوت وسمدت الابل في سيرها جدت والسمود اللهو
والسامد اللاهي يقال للقينة اسمدينا اي الهينا بالغنا وسمد الارض اي جعل
فيها السماد وهو سرجين ورماد وسمد الراس استيصال شعره لغة في التسميد واسمأد
الرجل بالهمز اسميدادا اي ورم غضبا وروي عن علي رضي الله عنه ان معنى سامدون
ان يجلسوا غير مصلين ولا منتظرين الصلاة وقال الحسن واقفون للصلاة قبل

وموقف الامام ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج والناس ينتظرونه
قياما فقال ما لي اراكم سامدون حكاه الماوردي وذكره المهدوي عن علي وانه
خرج الى الصلاة فراى الناس قياما فقال ما لكم سامدون قال المهدوي والمعروف
في اللغة سمد يسمد سمودا اذا لها واعرض وقال المبرد سامدون خامدون قال الشاعر
* اتى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدور سمدن له سمودا *
وقال صالح ابو الخليل لما قرا النبي صلى الله عليه وسلم افمن هذا الحديث تعجبون
وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون لم ير ضاحكا ولا مبتسما حتى مات صلى الله
عليه وسلم ذكره النحاس قوله تعالى فاسجدوا لله واعبدوا قيل المراد به سجود
تلاوة القران وهو قول ابن مسعود وبه قال الشافعي وابو حنيفة وقد تقدم
اول السورة من حديث ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم سجد فيها وسجد
معه المشركون وقيل انما سجد معه المشركون لانهم سمعوا اصوات الشياطين في اثناء
قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قوله افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة
الاخرى وانه قال تلك الغرانيق العلى وشفاعتهن ترتجى كذا في رواية سعيد بن
جبير ترتجى وفي رواية ابي العالية وشفاعتهن ترتضى ومثلهن لا ينسى ففرح المشركون
وظنوا انه من قول محمد صلى الله عليه وسلم على ما تقدم بيانه في الحج ولما بلغ الخبر
بالحبشة من كان بها من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رجعوا ظنا منهم ان اهل
مكة اسلموا عليهم واخذوا في تعذيبهم الى ان كشف الله عنهم وقيل المراد سجود الفرض
في الصلاة وهو قول ابن عمر كان لا يراها من عزايم السجود وبه قال مالك وروي
ابي بن كعب كان اخر فعل النبي صلى الله عليه وسلم ترك السجود في المفصل
والاول اصح وقد مضى القول في اخر الاعراف مبينا والحمد لله وحده

سورة القمر مكية

في قول الجمهور وقال مقاتل مكية الا ثلاث ايات من قوله تعالى ام يقولون نحن
جميع منتصر الى قوله والساعة ادهى وامر ولا يصح على ما ياتي وهي خمس وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقتربت الساعة وانشق القمر اقتربت اي قربت مثل ازفت
الازفة على ما بيناه فهي بالاضافة الى ما مضى قريبة لانه قد مضى اكثر الدنيا
كما روي قتادة عن انس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كادت
الشمس تغيب فقال ما بقي من دنياكم فيما مضى الا مثل ما بقي من هذا اليوم فيما
مضى وما يرى من الشمس الا يسيرا وقال كعب ووهب الدنيا ستة الاف سنة
قال وهب قد مضت منها خمسة الاف وستمائة سنة ذكره النحاس ثم قال
تعالى وانشق القمر وكذا قرا حذيفة اقتربت الساعة وقد انشق القمر بزيادة
قد وعلى هذا الجمهور من العلماء ثبت ذلك في صحيح البخاري وغيره من حديث
ابن مسعود وابن عمر وانس وجبير بن مطعم وابن عباس رضي الله عنهم وعن
انس قال سال اهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم اية فانشق القمر بمكة مرتين
فنزلت اقتربت الساعة وانشق القمر الى قوله سحر مستمر يقول ذاهب قال
ابو عيسى الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولفظ البخاري عن انس قال
انشق القمر فرقتين وقال قوم لم يقع انشقاق القمر بعد وهو منتظر اي اقترب
قيام الساعة وانشقاق القمر وان الساعة اذا قامت انشقت السماء بما فيها
من القمر وغيره وكذا قال القشيري وقال قوم وذكر الماوردي ان هذا هو
قول الجمهور قال لانه اذا انشق ما بقي احد الا راه لانها اية والناس في الايات
سواء وقال الحسن اقتربت الساعة فاذا جاءت انشق القمر بعد النفخة الثانية

وقيل

وقيل وانشق القمر اي وضح الامر وظهر والعرب تضرب بالقمر مثلا فيما وضح قال
* اقيموا بني امي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لاميل *
* فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وارحل *
وقيل انشقاق القمر هو انشقاق الظلمة عنه بطلوعه في اثنائها كما يسمى الصبح فلقا
لانفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن انفلاقه بانشقاقه كما قال النابغة
* فلما ادبروا ولهم دوي * دعانا عند شق الصبح داع *
قلت قد ثبت بنقل الاحاد العدول ان القمر انشق بمكة وهو ظاهر التنزيل ولا يلزم ان يستوي
الناس فيها لانها اية ليلية وانما كانت باستدعاء النبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى عند
التحدي فروي ان حمزة بن عبد المطلب حين اسلم غضبا من سب ابي جهل لرسول الله صلى
الله عليه وسلم طلب ان يريه اية يزداد بها يقينا في ايمانه وقد تقدم في الصحيح ان اهل
مكة هم الذين سالوا وطلبوا ان يريهم اية فاراهم انشقاق القمر فلقتين كما في حديث ابن
مسعود وغيره وعن حذيفة انه خطب بالمداين ثم قال الا ان الساعة قد اقتربت وان
القمر قد انشق على عهد نبيكم صلى الله عليه وسلم وقيل هو على التقديم والتاخير وتقديره
انشق القمر واقتربت الساعة قاله ابن كيسان وقد مضى عن الفراء ان الفعلين اذا كانا
متقاربي المعنى فلك ان تقدم وتؤخر عند قوله ثم دنا فتدلى قوله تعالى وان يروا
اية يعرضوا هذا يدل على انهم راوا انشقاق القمر قال ابن عباس اجتمع المشركون الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ان كنت صادقا فاشقق لنا القمر فرقتين نصف على
ابي قبيس ونصف على قعيقعان فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فعلت تؤمنوا
وكانت ليلة بدر فسال رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه ان يعطيه ما قالوا فانشق القمر
فرقتين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينادي المشركين يا فلان يا فلان اشهدوا وفي
حديث انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت قريش هذا من سحر ابن
ابي كبشة سحركم فسالوا السفار فسالوهم فقالوا قد راينا القمر انشق فنزلت اقتربت الساعة
وانشق القمر وان يروا اية يعرضوا اي ان يروا تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم اعرضوا
عن الايمان ويقولوا سحر مستمر اي ذاهب من قولهم مر الشيء واستمر اذا ذهب قاله انس
وقتادة ومجاهد والفراء والكسائي وابو عبيدة واختاره النحاس وقال ابو العالية والضحاك
محكم قوي شديد وهو من المرة وهي القوة كما قال لقيط حتى استمرت على شزر مريرته
مرة العزيمة لا رتا ولا ضرعا وقال الاخفش هو ماخوذ من امرار الحبل وهو شدة فتله وقيل
معناه مر من المرارة يقال امر الشيء صار مرا وكذلك مر الشيء بالفتح مرارة فهو مر وامره غيره
ومره وقال الربيع مستمر نافذ يمان ماض ابو عبيدة باطل وقيل دايم قال
* وليس على شيء قويم بمستمر * اي بدايم وقيل يشبه بعضه بعضا قد
استمرت افعال محمد صلى الله عليه وسلم على هذا الوجه فلا ياتي بشيء له حقيقة بل
الجميع تخييلات وقيل معناه قد مر من الارض الى السماء وكذبوا نبينا واتبعوا اهواءهم
اي ضلالتهم واختياراتهم وكل امر مستقر اي يستقر لكل عامل عمله فالخير مستقر باهله
في الجنة والشر مستقر باهله في النار وقرا شيبة مستقر بفتح القاف اي لكل شيء وقت
يقع فيه من غير تقدم وتاخر وقد روي عن ابي جعفر بن القعقاع وكل امر مستقر
بكسر القاف والراء جعله نعتا لامر وكل على هذا يجوز ان يرتفع بالابتداء والخبر
محذوف كانه قال وكل امر مستقر في ام الكتاب ويجوز ان يرتفع بالعطف على الساعة المعنى
اقتربت الساعة وكل امر مستقر اي اقترب استقرار الامور يوم القيامة ومن رفعه جعله
خبرا عن كل قوله تعالى ولقد جاءهم من الانباء اي من بعض الانباء فذكر سبحانه من
ذلك فاعلم انهم محتاجون اليه وان لهم فيه شفاء وكان هناك امور اكثر من ذلك وانما
اقتص علينا ما علم ان بنا اليه الحاجة وسكت عما سوى ذلك وذلك قوله تعالى ولقد
جاءهم من الانباء اي جاء هؤلاء الكفار من اخبار الامم الماضية ما فيه مزدجر اي ما يزجرهم
عن الكفر لو قبلوه واصله مزتجر فقلبت التاء دالا لان التاء حرف مهموس والزاي حرف

مهجور فابدلت من التا دالا لانوافقها في المخرج وتوافق الزاي في الجهر ومزدجر من الزجر وهو الانتهاء يقال زجره وازدجره فانزجر وازدجر وزجرته فانزجر اي كففته فكف كما قال

• فاصبح ما يطلب الغانيات مزدجرا عن هواه ازدجارا •

وقرئ مزجر بقلب تا الافتعال زايا وادغام الزاي فيها حكاه الزمخشري حكمة بالغة يعني القران وهو بدل من ما قوله ما فيه مزدجر ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف اي هو حكمة فما تغن النذر اذا كذبوا وخالفوا كما قال فما تغني الايات والنذر عن قوم لا يومنون فما نفي اي ليس تغني عنهم النذر ويجوز ان يكون استفهاما بمعنى التوبيخ اي فاي شي تغني النذر عنهم وهم معرضون عنها والنذر ويجوز ان يكون بمعنى الانذار ويجوز ان يكون جمع نذير قوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم قيل هذا منسوخ باية السيف وقيل هو تمام الكلام ثم قال يوم يدع الداع العامل في يوم يخرجون من الاجداث او خشعا او فعل مضمر تقديره واذكر يوم وقيل على حذف حرف الفا وما عملت فيه من جواب الامر تقديره فتول عنهم فان لهم يوم يدع الداعي وقيل اي تول عنهم يا محمد فقد اقمت الحجة وابصرهم يوم الداعي بهم وقيل ان اعرض عنهم يوم القيامة ولا تسال عنهم عن احوالهم فانهم يدعون الى شي نكر وينالهم عذاب شديد وهو كما تقول لا تسال ما جرى على فلان اذا اخبرته بامر عظيم وقيل اي وكل امر مستقر يوم يدع الداعي وقرا ابن كثير نكر باسكان الكاف وضمها الباقون وهما لغتان كعسر وعسر وشغل وشغل ومعناه الامر الفظيع العظيم وهو يوم القيامة والداعي هو اسرافيل عليه السلام وقد روي عن مجاهد وقتاده انهما قرا الى شي نكر بكسر الكاف وفتح الرا على الفعل المجهول خشعا ابصارهم الخشوع في البصر الخضوع والذلة واضاف الخشوع الى الابصار لان اثر الذل والعز يتبين في ناظر الانسان قال الله تعالى ابصارها خاشعة وقال خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي ويقال خشع واختشع اذا ذل وخشع ببصره اي غضه وقرا حمزة والكسائي وابو عمرو خاشعا بالالف ويجوز في اسما الفاعلين اذا تقدمت على الجماعة التوحيد نحو خاشعا ابصارهم والتانيث نحو خاشعة ابصارهم ويجوز الجمع نحو خشعا ابصارهم قال •

• وشباب حسن اوجههم • من اياد بن نزار بن معد •

وخشعا جمع خاشع والنصب فيه على الحال من الها والميم في عنهم فيقبح الوقف على هذا التقدير على عنهم ويجوز ان يكون حالا من المضمر في يخرجون فيوقف على عنهم وقرئ خشع ابصارهم على الابتدا والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله حاضراه الجود والكرم يخرجون من الاجداث اي القبور واحدها جدث كانهم جراد منتشر مهطعين الى الداعي وقال في موضع يوم يكون الناس كالفراش المبثوث فهما صفتان في وقتين مختلفين احدهما عند الخروج من القبور يخرجون فزعين لا يهتدون اين يتوجهون فيدخل بعضهم في بعض فهم حينئذ كالفراش المبثوث بعضه في بعض لا جهة له يقصدها فاذا سمعوا المنادي قصدوه فصاروا كالجراد المنتشر لان الجراد له وجه يقصدها ومهطعين معناه مسرعين قاله ابو عبيدة ومنه قول الشاعر •

• بدجلة دارهم ولقد اراهم • بدجلة مهطعين الى السماع •

الضحاك مقبلين قتادة عامدين ابن عباس ناظرين عكرمة فاتحين اذانهم الى الصوت والمعنى متقارب يقال هطع الرجل يهطع هطوعا اذا اقبل على الشي ببصره لا يقلع عنه واهطع اذا مد عنقه وصوب راسه قال الشاعر •

• تعبدني نمر بن سعد وقد ارى • ونمر بن سعد لي مطيع ومهطع •

وبعير مهطع في عنقه تصويب خلقة واهطع في عدوه اي اسرع يقول الكافرون هذا يوم عسر يعني يوم القيامة لما ينالهم من الشدة قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح ذكر جملا من وقايع الامم الماضية تانيسا للنبي صلى الله عليه وسلم وتعزية له قبلهم اي قبل قومك فكذبوا عبدنا يعني نوحا الزمخشري فان قلت ما معنى قوله فكذبوا بعد قوله فكذبت قلت معناه كذبوا فكذبوا عبدنا اي كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما

مضى

مضى منهم من قرن مكذب تبعه قرن مكذب او كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا اي لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة راسا كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل وقالوا مجنون اي هو مجنون فازدجر اي زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد بالقتل وقيل انما قال وازدجر بلفظ ما لم يسم فاعله لانه راس اية فدعا ربه اي دعا عليهم حينئذ نوح وقال رب اني مغلوب اي غلبني بتمردهم فانتصر اي فانصرني وقيل ان الانبيا كانوا لا يدعون على قومهم بالهلاك الا باذن ان يدخل وعزلهم فيهم ففتحنا ابواب السما اي فاجبنا دعاه وامرناه باتخاذ السفينة وفتحنا ابواب السما بما منهمر اي كثير قاله السدي قال الشاعر •

• اعيني جودي بالدموع الهوامر • على خير باد من معد وحاضر •

وقيل انه المنصب المتدفق ومنه قول امرئ القيس يصف غيثا •

• راح تمريه الصبا ثم انتحى • فيه شوبوب جنوب منهمر •

والهمر الصب وقد همر الما والدمع يهمره همرا وهمر ايضا اذا اكثر الكلام واسرع وهمر له من ماله اي اعطاه قال ابن عباس ففتحنا ابواب السما بما من غير سحاب لم يقلع اربعين يوما وقرا ابن عامر ويعقوب ففتحنا مشددة على التكثير الباقون فتحنا مخففا ثم قيل انه فتح رتاجها وسعة مسالكها وقيل انه المجرة وهي شرج السما ومنها فتحت بما منهمر قاله علي رضي الله عنه وفجرنا الارض عيونا قال عبيد بن عمير اوحى الله الى الارض ان تخرج ماها فتفجرت بالعيون وان عينا تاخرت فغضب عليها فجعل ماها مرا اجاجا الى يوم القيامة فالتقى الما اي ما السما وما الارض على امر قد قدر اي على مقدار لم يزد احدهما عن الاخر حكاه ابن قتيبة اي كان ما السما والارض سوا وقيل قدر بمعنى قضي عليهم قال قتادة قدر لهم اذ كفروا ان يغرقوا وقال محمد بن كعب كانت الاقوات قبل الاجساد وكان القدر قبل البلا وتلا هذه الاية وقال التقى الما ولا يلتقيا انما يكون في اثنين فصاعدا لان الما يكون جمعا وواحدا وقيل لانهما لما اجتمعا صارا ما واحدا وقرا الجحدري فالتقى الماان وهما خلاف المرسوم المشهور وفي بعض المصاحف فالتقى الماوان وهي لغة طي وقيل كان ما السما باردا مثل الثلج وما الارض حارا مثل الحميم وحملناه على ذات الواح اي على سفينة ذات الواح ودسر قال قتادة يعني المسامير التي دسرت بها السفينة اي شدت وقاله القرظي وابن زيد وابن جبير وروى الوالبي عن ابن عباس وقال الحسن وشهر بن حوشب وعكرمة هي صدر السفينة التي تضرب بها الموج سميت بذلك لانها تدسر الما اي تدفعه والدسر الدفع والمخر ورواه العوفي عن ابن عباس قال الدسر كلكل السفينة وقال الليث الدسار خيط ليف يشد به الواح السفينة ويقال هي المسامير وقال تعالى ذات الواح ودسر ودسر ايضا مثل عسر ويسر والدسر الدفع قال ابن عباس في العنبر انما هو شي يدسره البحر دسرا اي يدفعه ودسره بالرمح ورجل مدسر تجري باعيننا بمرأى منا وقيل بامرنا وقيل بحفظنا وكلاءة وقد مضى في هود ومنه قول الناس للمودع عين الله عليك اي حفظه وكلاءته وقيل بوحينا وقيل اي بالاعين النابعة من الارض وقيل باعين اوليائنا من الملائكة الموكلين بحفظها وكل ما خلق الله تعالى يمكن ان يضاف اليه وقيل اي تجري باوليائنا كما في الخبر مرض عين من عيوننا فلم يعده جزاء لمن كان كفر اي فعلنا ذلك ثوابا وجزاء لنوح على صبره على اذى قومه وهو المكفور به فاللام في لمن لام المفعول وقيل كفر اي جحد فمن كناية عن نوح وقيل كناية عن الله والجزاء بمعنى العقاب اي عقابا لكفرهم بالله وقرا يزيد بن رومان وقتادة ومجاهد وحميد جزاء لمن كان كفر بفتح الكاف والفا بمعنى كان الغرق جزاء وعقابا لمن كفر بالله وما نجا من الغرق غير عوج بن عنق كان الما الى حجزته وسبب نجاته ان نوحا احتاج الى خشبة الساج لبنا السفينة فلم يمكنه نقلها فحمل عوج تلك الخشبة اليه من الشام فشكر الله له ذلك ونجاه من الغرق ولقد تركناها اية يريد هذه الفعلة عبرة وقيل اراد السفينة تركها اية لمن بعد قوم نوح يعتبرون بها ولا يكذبون الرسل قال قتادة ابقاها الله بباقردى من ارض الجزيرة عبرة واية حين نظرت اليها اوائل هذه الامة وكم من سفينة كانت

بعدها فصارت رمادا فهل من مدكر متعظ خايف مفتعل واصله مذتكر مفتعل
من الذكر فثقلت على الالسنة فقلبت التا دالا لتوافق الدال في الجهر وادغمت الذال
فيها فكيف كان عذابي ونذر اي انذاري قال الفرا الانذار والنذر مصدران وقيل
نذر جمع نذير ونذير بمعنى الانذار كنكير بمعنى الانكار ولقد يسرنا القران للذكر اي سهلناه
للحفظ واعنا عليه من اراد حفظه فهل من طالب بحفظه ليعان عليه ويجوز ان يكون
المعنى ولقد هياناه للذكر من يسرنا قته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا اسرجه
والجمه قال ٭ وقمت اليه باللجام ميسرا ٭ هنالك يجزيني الذي كنت اصنع ٭
وقال سعيد بن جبير ليس من كتب الله كتاب يقرا كله ظاهرا الا القرآن قال غيره
ولم يكن هذا لبني اسرايل ولم يكونوا يقرونا التوراة الا نظرا غير موسى وهرون ويوشع بن
نون وعزير صلوات الله عليهم ومن اجل ذلك افتتنوا بعزير لما كتب لهم التوراة عن ظهر
قلبه حين احرقت على ما تقدم بيانه في سورة براة فيسر الله تعالى على هذه الامة
حفظ كلامه ليذكروا ما فيه اي يفتعلوا الذكر والافتعال هو ان ينجع فيهم ذلك حتى
يصير كالذات وكالتركيب فيهم فهل من مدكر قارى يقروه وكان ابو بكر الوراق وابن
شوذب فهل من طالب خير وعلم فيعان عليه وكرر في هذه الصورة التنبيه والافهام
وقيل ان الله تعالى اقتص في هذه الصورة على هذه الامة انبا الامم وقصص المرسلين
وما عاملتهم به الامم وما كان من عقبى امورهم وامور المرسلين فكان في كل قصة ونبا
ذكرى للمستمعان لو ادكروا وانما كرر هذه الكلمة عند كل قصة من انبا الامم بقوله هل من
مدكر لان هل كلمة استفهام تستدعي افهامهم التي ركبت في اجوافهم وجعلها حجة عليهم فاللام
من هل للاستغراق والها للاستخراج قوله تعالى كذبت عاد اي هم قوم هود فكيف
كان عذابي ونذر وقعت نذري في هذه السورة في ستة اماكن محذوفة اليا في جميع
المصاحف وقراها يعقوب مثبتة في الحالين وورش في الوصل لا غير وحذف اليا قوم
ولا خلاف في حذف اليا من قوله فما تغن النذر والواو من قوله يدع فاما اليا من الداع
الاول فاثبتها في الحالين ابن محيصن وحميد والبزي وابنتها ورش وابو عمرو في الوصل
وحذف اليا قوم واما الداع الثانية فاثبتها يعقوب وابن محيصن وابن كثير في الحالين
واثبتها ابو عمرو ونافع في الوصل وحذفها الباقون انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا اي شديدة
البرد قاله قتاده والضحاك وقيل شديدة الصوت وقد مضى في حم السجدة في يوم
نحس اي في يوم كان مشوما عليهم وقال ابن عباس اي في يوم كانوا يتشاومون فيه
الزجاج قيل في يوم الاربعا ابن عباس كان اخر اربعا في الشهر افنى صغيرهم وكبيرهم
وقراهرون الاعور نحس بكسر الحا وقد مضى القول في حم السجدة في ايام نحسات
مستمر اي دايم الشوم استمر عليهم بنحوسه واستمر فيه العذاب الى الهلاك وقيل استمر
بهم الى نار جهنم وقال الضحاك كان مرا عليهم وكذا حكى الكسايي ان قوما قالوا هو من
المرارة يقال مر الشي وامر اي كان كالشي المر تكرهه النفوس وقد قال فذوقوا والذي
يذاق قد يكون مرا وقيل هو من المرة بمعنى القوة اي في يوم نحس مستمر مستحكم الشوم
كالشي المحكم مثله الذي لا يطاق نقضه فان قيل فاذا كان يوم الاربعا نحس مستمر
فكيف يستجاب فيه الدعا وقد جا ان النبي صلى الله عليه وسلم استجيب له فيه فيما
بين الظهر والعصر وقد مضى في البقرة حديث جابر بذلك فالجواب والله اعلم ما جاء
في خبر يرويه مسروق عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني جبريل فقال ان
الله يامرك ان تقضي باليمين مع الشاهد وقال يوم الاربعا يوم نحس مستمر ومعلوم
انه لم يرد بذلك انه نحس على المصلحين بل اراد انه نحس على الفجار والمفسدين كما
كانت الايام النحسات المذكورة في القران نحسات على الكفار من قوم عاد لا على نبيهم
والمومنين به منهم واذا كان كذلك لم يبعد ان يمهل الظالم من اول يوم الاربعا الى ان
تزول الشمس فاذا ادبر النهار ولم يحدث رجعة استجيب دعا المظلوم عليه فكان اليوم
نحسا على الظالم ودعا النبي صلى الله عليه وسلم انما كان على الكفار وقول جابر في حديث

ايترك في امر غليظ اشارة الي هذا والله اعلم قوله تعالى تنزع الناس في موضع الصفة
للريح اي تقلعهم من مواضعهم قيل قلعتهم من تحت اقدامهم اقتلاع النخلة من اصلها
وقال مجاهد كانت تقلعهم من الارض فترمي بهم على روسهم فتندق اعناقهم وتبين روسهم
من اجسادهم وقيل تنزع الناس من البيوت وقال محمد بن كعب عن ابيه قال النبي صلى
الله عليه وسلم انتزعت الريح الناس من قبورهم وقيل حفروا حفرا ودخلوها فكانت
الريح تنزعهم منها وتكسرهم وتبقى تلك الحفر كانها اصول نخل قد هلك ما كان فيها فتبقى
مواضعها منقعرة ويروى ان سبعة منهم حفروا حفرا وقاموا فيها ليردوا الريح قال ابن اسحاق
لما هاجت الريح قام نفر من عاد سبعة سمي لنا منهم ستة نفر من ايد عاد واجسمها منهم
عمرو بن الحلي والحرث بن شداد والهلقام وابنا تقن وخلجان بن سعد فاولجوا العيال
في شعب بين جبلين ثم اصطفوا على باب الشعب ليردوا الريح عن من في الشعب من
العيال فجعلت الريح تجعفهم رجلا رجلا فقالت امراة من عاد ٭ ذهب الدهر بعمرو وبن
حلي والهنات ٭ ثم بالحارث والهلقام طلاع الثنيات ٭ والذي سد مهب الريح ايام البليات ٭
الطبري في الكلام حذف والمعنى تنزع الناس فتتركهم كانهم اعجاز نخل منقعر فالكاف
في موضع نصب بالمحذوف الزجاج الكاف في موضع نصب على الحال والمعنى تنزع الناس
مشبهين اعجاز نخل والتشبيه قيل انه للحفر التي كانوا فيها والاعجاز جمع عجز وهو
موخر الشي وكانت عاد موصوفين بطول القامة فشبهوا بالنخل انكبت لوجوهها
وقال اعجاز نخل منقعر للفظ النخل وهو من الجمع الذي يذكر ويونث والمنقعر المنقلع
من اصله قعرت الشجرة قعرا قلعتها من اصلها فانقعرت الكسايي قعرت البير نزلت حتى
انتهيت الى قعرها وكذلك الانا اذا شربت ما فيه حتى انتهي الى قعره قال واقعرت البير
جعلت لها قعرا وقال ابو بكر الانباري سيل المبرد بحضرة اسماعيل القاضي عن الف
مسالة هذه من جملتها فقيل له ما الفرق بين قوله تعالى ولسليمان الريح عاصفة
وجاتها ريح عاصف وقوله كانهم اعجاز نخل خاوية واعجاز نخل منقعر فقال كلما
ورد عليك من هذا الباب فان شيت رددته الى اللفظ تذكيرا والى المعنى تانيثا وقيل
ان النخل والنخيل بمعنى يذكر ويونث كما ذكرنا فكيف كان عذابي ونذر ولقد يسرنا
القران للذكر فهل من مدكر تقدم كذبت ثمود بالنذر هم قوم صالح كذبوا الرسل ونبيهم
وكذبوا بالايات التي هي النذر فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه ونصب بشرا جماعة وقرا ابو الاشهب
وابن السميفع وابو السمال العدوي ابشر بالرفع واحد كذلك رفع بالابتدا والخبر يتبعه
الباقون بالنصب على معنى انتبع بشرا منا واحدا نتبعه وقرا ابو السماك ابشر بالرفع منا
واحدا بالنصب رفع ابشر باضمار فعل يدل عليه القي كانه قال اينبا بشر منا وقوله
واحدا يجوز ان يكون حالا من المضمر في منا والناصب لها الظرف والتقدير اينبا بشر
كاين منا منفردا ويجوز ان يكون حالا من الضمير في نتبعه منفردا لا ناصر له انا اذا
لفي ضلال اي ذهاب عن الصواب وسعر اي جنون من قولهم ناقة مسعورة اي كانها
من شدة نشاطها ذكره ابن عباس قال الشاعر يصف ناقة ٭
٭ تخال بها سعرا اذا السفر هزها ٭ ذميل وايقاع من السير متعب ٭
وقال ابن عباس ايضا السعر العذاب وقاله الفرا مجاهد بعد من الحق السدي في
احتراق قال ٭ اصحوت اليوم ام شاقتك هر ٭ ومن الحب جنون مستعر ٭
اي مسعد ومحترق ابو عبيده هو جمع سعير وهو لهيب النار والبعير المجنون
يذهب كذا وكذا لما يتلهب به من الحدة ومعنى الاية انا اذا في شقا وعنا مما يلزمنا
قوله تعالى القي الذكر عليه من بيننا اي خصص بالرسالة من بيننا اي من بين ال ثمود وفيهم
من هو اكثر مالا واحسن حالا وهو استفهام معناه الانكار بل هو كذاب اشر اي ليس كما
يدعيه وانما يريد ان يتعاظم ويلتمس التكبر علينا من غير استحقاق والاشر المرح والتجبر
والنشاط يقال فرس اشر اذا كان مرحا نشيطا قال امرو القيس يصف كلبا ٭
٭ فادركنا فغم داجن سميع بصير طلوب نكر ٭

* الى الصروس جني الضلوع * بتوع اريب نشيط اشر *
وقيل اشر بطر والاشر البطر قال الشاعر *
* اشرتم بلبس الخز لما لبستم * ومن قبل لا تدرون من فتح القرى *
وقد اشر بالكسر يأشر اشرا فهو اشر واشران وقوم اشارى مثل سكران وسكارى قال
الشاعر * وخلت وعولا اشارى بها * وقد ازهق الطعن ابطالها *
وقيل انه المتعدي الى منزلة لا يستحقها والمعنى واحد وقال بن زيد وعبد الرحمن بن حماد
الاشر الذي لا يبالي ما قال وقرأ ابو جعفر وابو قلابة اشر بفتح الشين وتشديد
الراء يعني به اشرنا واخبثنا سيعلمون غدا اي سيرون العذاب يوم القيامة او في حال
نزول العذاب بهم في الدنيا وقرأ ابن عامر وحمزة بالتاء على انه من قول صالح لهم على الخطاب
الباقون بالياء اخبارا من الله لصالح عنهم وقوله غدا على التقريب على عادة الناس من قولهم
للعواقب ان مع اليوم غدا قال *
* للموت فينا سهام غير مخطئة * من لم يكن ميتا في اليوم مات غدا *
وقال ابو الطماح * الا عللاني قبل نوح النوائح * وقبل اضطراب النفس بين الجوانح *
* وقبل غد يا لهف نفسي على غد * اذا راح اصحابي ولست برائح *
انما اراد وقت الموت ولم يرد غدا بعينه من الكذاب الاشر قرأ ابو قلابة الاشر
بفتح الشين وتشديد الراء جاء به على الاصل قال ابو حاتم لا تكاد العرب تتكلم بالاشر
والاخير الا في ضرورة الشعر كقول رؤبة * بلال خير الناس وابن الاخير *
وانما يقولون هو خير قومه وهو شر الناس قال الله تعالى كنتم خير امة اخرجت
للناس وقال سيعلمون من هو شر مكانا وعن ابي حيوة فتح الشين وتخفيف الراء وعن
مجاهد وسعيد بن جبير ضم الشين والراء والتخفيف قال النحاس وهو معنى الاشر
ومثله رجل حذر وحذر قوله تعالى انا مرسلوا الناقة اي مخرجوها من الهضبة التي
سالوا فروي ان صالحا صلى ركعتين ودعا فانصدعت الصخرة التي عينوها عن سنامها
فخرجت ناقة عشراء وبرا فتنة لهم اي اختبارا وهو مفعول له فارتقبهم اي انتظر
ما يصنعون واصطبر اي اصبر على اذاهم واصل الطاء في اصطبر تاء فتحولت طاء لتكون
موافقة للصاد في الاطباق ونبئهم اي اخبرهم ان الماء قسمة بينهم اي بين ال ثمود وبين
الناقة لها يوم ولهم يوم كما قال لها شرب ولكم شرب يوم معلوم قال بن عباس كان يوم
شربهم لا تشرب الناقة شيئا من الماء وتسقيهم لبنا وكانوا في نعيم واذا كان يوم الناقة
شربت الماء كله فلم تبق لهم شيئا وانما قال بينهم لان العرب اذا اخبروا عن بني ادم مع
البهائم غلبوا بني ادم وروى ابو الزبير عن جابر قال لما نزلت الحجر في غزوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تبوك قال ايها الناس لا تسألوا في الايات هؤلاء قوم صالح سألوا
نبيهم ان يبعث لهم ناقة فكانت ترد من ذلك الفج فتشرب ماءهم يوم وردها ويحلبون
منها مثل الذي كانوا يشربون منها يوم غبها وهو معنى قوله تعالى ونبئهم ان الماء قسمة
بينهم كل شرب محتضر الشرب بالكسر الحظ من الماء وفي المثل آخرها اقلها شربا واصله في
سقي الابل لان آخرها يرد وقد نزف الحوض ومعنى محتضر اي يحضره من هو له فالناقة
تحضر الماء يوم وردها وتغيب عنهم يوم وردهم قاله مقاتل وقال مجاهد ان ثمود
يحضرون الماء يوم غبها فيشربون ويحضرون اللبن يوم وردها فيحتلبون قوله
تعالى فنادوا صاحبهم يعني بالحض على عقرها فتعاطى فعقر ومعنى تعاطى تناول الفعل
من قولهم عطوت اي تناولت ومنه قول حسان *
* كلتاهما حلب العصير فعاطني * بزجاجة ارخاهما للمفصل *
قال محمد بن اسحاق فكمن لها في اصل شجرة على طريقها فرماها بسهم فانتظم به عضلة
ساقها ثم شد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت ورغت رغاة واحدة تحدر سقبها
من بطنها ثم نحرها وانطلق سقبها حتى اتى شجرة في راس جبل فرغا ثم لاذ بها فاتاهم صالح
عليه السلام فلما راى الناقة قد عقرت بكى وقال انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله

وقد مضى في الاعراف بيان هذا المعنى قال بن عباس وكان الذي عقرها احمر ازرق
اشقر اكشف اقفى ويقال في اسمه قدار بن سالف قال الافوه الاودي *
* او قبله كقدار حين تابعه * على الغواية اقوام فقد بادوا *
والعرب تسمي الجزار قدارا تشبيها بقدار بن سالف مشوم ال ثمود قال مهلهل *
* انا لنضرب بالسيوف رؤوسهم * ضرب القدار نقيعة القدام *
ذكره زهير فقال * فتنتج لكم غلمان اشام كلهم * كاحمر عاد ثم ترضع فتفطم *
يريد احمر ثمود فكنى عن ثمود بعاد قوله تعالى انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة يريد
صيحة جبريل وقد مضى في هود فكانوا كهشيم المحتظر وقرأ الحسن وقتادة وابو العالية
المحتظر بفتح الظاء اراد الحظيرة الباقون بالكسر اراد صاحب الحظيرة وفي الصحاح
والمحتظر الذي يعمل الحظيرة وقرئ كهشيم المحتظر فمن كسره جعله الفاعل ومن فتح جعله
المفعول به ويقال للرجل القليل الخير انه لنكد الحظيرة قال ابو عبيدة اراه سمى امواله
حظيرة لانه حظرها عنده ومنعها وهي فعيلة بمعنى مفعولة المهدوي من فتح الظاء من المحتظر
فهو مصدر والمعنى كهشيم الاحتظار ويجوز ان يكون المحتظر هو الشجر المتخذ منه الحظيرة
قال بن عباس المحتظر هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة بالشجر والشوك فما سقط من ذلك
وداسته الغنم فهو الهشيم قال * اثرن عجاجة كدخان نار * تشب بغرقد بال هشيم *
وعنه كحشيش تاكله الغنم وعنه ايضا كالعظام النخرة المحترقة وهو قول قتادة وقال سعيد
ابن جبير هو التراب المتناثر من الحيطان في يوم ريح وقال سفيان الثوري هو ما تناثر
من الحظيرة اذا ضربتها بالعصى وهو فعيل بمعنى مفعول وقال بن زيد العرب تسمي كل شيء
كان رطبا فيبس هشيما والحظر المنع والمحتظر المفتعل يقال منه احتظر على ابله وحظر اي جمع
الشجر ووضع بعضه فوق بعض ليمنع برد الريح والسباع عن ابله قال الشاعر *
* ترى جيف المطي بجانبيه * كان عظامها خشب الهشيم *
وعن بن عباس ايضا انهم كانوا مثل القمح الذي ديس وهشم فالمحتظر على هذا الذي
يتخذ حظيرة على زرعه والهشيم فتات السنبلة قوله تعالى كذبت قوم لوط بالنذر
اخبر عن قوم لوط ايضا لما كذبوا لوطا انا ارسلنا عليهم حاصبا اي ترميهم بالحصباء
وهي الحصا قال النضر الحاصب الحصباء في الريح وقال ابو عبيدة الحاصب الحجارة وفي الصحاح
والحاصب الريح الشديدة التي تثير الحصباء وكذلك الحصبة قال لبيد *
* جرت عليها ان خوت من اهلها * اذيالها كل عصوف حصبه *
عصفت الريح اي اشتدت فهي ريح عاصف وعصوف وقال الفرزدق *
* مستقبلين شمال الشام تضربنا * بحاصب كنديف القطن منثور *
الا ال لوط يعني من تبعه على دينه ولم يكن الا بنتاه نجيناهم بسحر قال الاخفش انما اجراه
لانه نكرة ولو اراد سحر يوم بعينه لما اجراه ونظيره اهبطوا مصرا لما نكره فلما عرفه
في قوله ادخلوا مصر ان شاء الله لم يجره وكذا قال الزجاج سحر اذا كان نكرة يراد به سحر
من الاسحار يصرف تقول اتيته سحرا فاذا اردت سحر يومك لم تصرفه تقول اتيته سحر
يا هذا واتيته بسحر والسحر هو ما بين اخر الليل وطلوع الفجر وهو في كلام العرب اختلاط
سواد الليل ببياض اول النهار لان في هذا الوقت يكون مخايل الليل ومخايل النهار
نعمة من عندنا نعاما منا على لوط وابنتيه فهو نصب لانه مفعول به كذلك نجزي
من شكر اي كما جزينا لوطا واهله بالانجاء فكذلك نجزي من شكرنا بالايمان واطاعنا ولقد
انذرهم يعني لوطا خوفهم بطشتنا عقوبتنا واخذنا اياهم بالعذاب فتماروا بالنذر
اي شكوا فيما انذرهم به الرسول ولم يصدقوه وقد تقدم ولقد راودوه
عن ضيفه اي ارادوا منه تمكينهم ممن كان اتاه من الملائكة في هيئة الاضياف طلبا
للفاحشة على ما تقدم يقال راودته على كذا مراودة ورواد اي اردته وراد الكلا
يروده رودا وريادا وارتاده ارتيادا بمعنى اي طلبه وفي الحديث اذا بال احدكم
فليرتد لبوله اي يطلب مكانا لينا او منحدرا فطمسنا اعينهم يروى ان جبريل عليه السلام
ضربهم بجناحه فعموا وقيل صارت اعينهم كسائر الوجه لا يرى لها شق كما تطمس الريح

الاعلام بما يبقى عليها من التراب وقيل لا بل اعماهم الله مع صحة ابصارهم فلم يروهم
قال الضحاك طمس الله على ابصارهم فلم يروا الرسل فقالوا لقد رايناهم حين دخلوا البيت
فاين ذهبوا فرجعوا ولم يروهم فذوقوا عذابي ونذر اي فقلنا لهم ذوقوا والمراد من هذا
الامر الخبر اي فاذقتهم عذابي الذي انذرهم به لوط ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر اي دايم
عام استقر فيهم حتى يفضي بهم الى عذاب الاخرة وذلك العذاب قلب قريتهم عليهم وجعل
اعلاها اسفلها وبكرة هنا نكرة فلذلك صرفت فذوقوا عذابي ونذر اي العذاب الذي نزل
بهم من طمس الاعين غير العذاب الذي اهلكوا به فلذلك حسن التكرير ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر تقدم قوله تعالى ولقد جاء ال فرعون النذر يعني القبط والنذر
موسى وهرون عليهما السلام وقد يطلق لفظ الجمع على الاثنين كذبوا باياتنا معجزاتنا
الدالة على توحيدنا ونبوة انبيائنا وهي العصا واليد والسنين والطمسة والطوفان والجراد
والقمل والضفادع وقيل النذر الرسل فقد جاءهم يوسف وبنوه الى ان جاءهم موسى وقيل
النذر الانذار فاخذناهم اخذ عزيز اي غالب في انتقامه مقتدر اي قادر على ما اراد
قوله تعالى اكفاركم خير من اوليكم يخاطب العرب وقيل اراد كفار امة محمد وهو استفهام
انكار ومعناه النفي اي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الامم الذين هلكوا بكفرهم
ام لكم براة في الزبر اي في الكتب المنزلة على الانبياء بالسلامة من العقوبة وقال ابن عباس
ام لكم في اللوح المحفوظ براة من العذاب ام يقولون نحن جميع منتصر اي جماعة لا تطاق
لكثرة عددهم وقوتهم ولم يقل منتصرين اتباعا لرؤوس الاي فرد الله عليهم فقال سيهزم
الجمع اي جمع كفار مكة وقد كان ذلك يوم بدر وغيره وقراة العامة سيهزم بالياء على
ما لم يسم فاعله الجمع بالرفع وقرا رويس عن يعقوب سنهزم الجمع بالنون وكسر الزاي الجمع
نصبا ويولون الدبر قراة العامة بالياء على الخبر عنهم وقرا عيسى وابن ابي اسحاق ورويس
عن يعقوب وتولون بالتاء على الخطاب والدبر اسم جنس كالدرهم والدينار ووحد
المراد الجمع لاجل رؤوس الاي وقال مقاتل ضرب ابو جهل فرسه يوم بدر فتقدم من الصف
وقال نحن ننتصر اليوم من محمد واصحابه فانزل الله تعالى نحن جميع منتصر سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقال سعيد بن جبير قال سعد بن ابي وقاص لما نزل قوله تعالى
سيهزم الجمع ويولون كنت لا ادري اي الجمع يهزم فلما كان يوم بدر رايت النبي صلى الله عليه
وسلم يثب في الدروع ويقول اللهم ان قريشا جاءتك تحادك وتحادّ نبيك بفخرها
وخيلها فاحتهم الغداة ثم قال سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تاويلها وهذا من
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه اخبر عن غيب فكان كما اخبر قال ابن عباس
كان بين نزول هذه الاية وبين بدر سبع سنين فالاية على هذا مكية وفي البخاري
عن عايشة ام المومنين قالت لقد انزل على محمد صلى الله عليه وسلم بمكة واني لجارية
العب بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وامر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله
عليه وسلم وهو في قبة له يوم بدر انشدك عهدك ووعدك اللهم ان شئت لم تعبد
بعد اليوم ابدا فاخذ ابو بكر بيده وقال حسبك يا رسول الله فقد الححت على ربك
وهو في الدرع وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم
والساعة ادهى وامر اي ادهى وامر فيما لحقهم يوم بدر وادهى من الداهية وهي الامر
العظيم يقال دهاه امر كذا اي اصابه دهوا ودهيا وقال ابن السكيت دهته داهية
دهوا ودهيا وهي توكيد لها قوله تعالى ان المجرمين في ضلال وسعر فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى ان المجرمين اي حيدة عن الحق وسعر اي احتراق وقيل
جنون على ما تقدم في هذه السورة يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا
مس سقر في صحيح مسلم عن ابي هريرة قال جاء مشركوا قريش يخاصمون رسول
الله صلى الله عليه وسلم في القدر فنزلت يوم يسحبون في النار على وجوههم
ذوقوا مس سقر انا كل شيء خلقناه بقدر خرجه الترمذي ايضا وقال حديث حسن
صحيح وروى مسلم عن طاوس قال ادركت ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه

وسلم يقولون كل شيء بقدر قال وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال النبي صلى الله عليه
وسلم يقول كل شيء بقدر حتى العجز والكيس او الكيس والعجز وهو ابطال لمذاهب القدرية
ذوقوا اي يقال لهم ذوقوا ومسها ما يوجد من الالم عند الوقوع فيها وسقر اسم من اسماء جهنم
مونث لا ينصرف لانه اسم مونث معرفة وكذلك لظى وجهنم وقال عطا سقر الطبق السادس
من النار وقال قطرب سقرت سقرته الشمس وصقرته لوحته ويوم مسمقر ومصمقر شديد
الحر الثانية انا كل شيء قراة العامة كل بالنصب وقرا ابو السماك بالرفع على الابتدا ومن نصب
فباضمار فعل وهو اختيار الكوفيين لان ان تطلب الفعل فهي به اولى والنصب ادل على عموم الخلق لله
تعالى لانك لو حذفت خلقناه المفسر واظهرت الاول لصار انا خلقنا كل شيء بقدر ولا يصح
كون خلقناه صفة لشيء لان الصفة لا تعمل فيما قبل الموصوف ولا يكون تفسيرا لما لا يعمل فيما قبله
الثالثة الذي دل عليه اهل السنة ان الله سبحانه قدر الاشيا اي علم مقاديرها واحوالها
وازمانها قبل ايجادها ثم اوجد منها ما سبق في علمه انه يوجده على نحو ما سبق في علمه ولا
محدث في العالم العلوي والسفلي الا وهو صادر عن علمه تعالى وقدرته وارادته دون خلقه
فان الخلق ليس لهم فيها الا نوع اكتساب ومحاولة ونسبة واضافة وان ذلك كله انما حصل
بتيسير الله وبقدرة الله وتوفيقه والهامه سبحانه لا اله الا هو ولا خالق غيره كما نص عليه
القران والسنة لا كما قالت القدرية وغيرهم من ان الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا قال ابو
ذر وفد نجران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا الاعمال الينا والاجال بيد غيرنا
فنزلت هذه الايات الى قوله انا كل شيء خلقناه بقدر فقالوا يا محمد يكتب علينا الذنب ويعذبنا
فقال انتم خصماء الله يوم القيمة الرابعة روى ابو الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان مجوس هذه الامة المكذبون باقدار الله ان مرضوا فلا تعودوهم
وان ماتوا فلا تشهدوهم وان لقيتموهم فلا تسلموا عليهم خرجه ابن ماجة في سننه وخرج
ايضا عن ابن عباس وجابر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان من امتي ليس
لهم في الاسلام نصيب اهل الارجاء والقدر واسند النحاس وحدثنا ابراهيم بن شريك
الكوفي قال حدثنا عقبة بن مكرم الضبي قال ثنا يونس بن بكير عن سعيد بن ميسرة عن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية الذين يقولون الخير والشر
بايدينا ليس لهم في شفاعتي نصيب ولا انا منهم ولا هم مني وفي صحيح مسلم ان ابن عمر تبرا
منهم ولا يتبرا من كافر اكد هذا بقوله والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو ان لاحدهم مثل
احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يومن بالقدر وهذا مثل قوله تعالى في المنافقين
وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله وهذا واضح وقال ابو هريرة قال النبي
صلى الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن وهذا واضح وقال ابو هريرة قال النبي صلى
الله عليه وسلم الايمان بالقدر يذهب الهم والحزن قوله تعالى وما امرنا الا واحدة كلمح
بالبصر اي قضاي في خلقي اسرع من لمح البصر واللمح النظر بالعجلة يقال لمح البرق ببصره وفي
الصحاح لمحه والمحه اذا ابصره بنظر خفيف والاسم اللمحة ولمح البرق والنجم لمحا اي لمع
قوله تعالى ولقد اهلكنا اشياعكم اي اشباهكم في الكفر من الامم الخالية وقيل اتباعكم
واعوانكم فهل من مدكر اي من يتذكر قوله تعالى وكل شيء فعلوه في الزبر اي جميع ما
فعلته الامم قبلهم من خير او شر كان مكتوبا عليهم وهذا بيان قوله انا كل شيء خلقناه بقدر
في الزبر في اللوح المحفوظ وقيل في كتب الحفظة وقيل في ام الكتاب وكل صغير وكبير
مستطر اي كل ذنب صغير وكبير مكتوب على عامله قبل ان يفعلوه ليجازوا ومكتوب اذا
فعلوه سطر يسطر سطرا كتب واسطر مثله قوله تعالى ان المتقين في جنات ونهر
لما وصف الكفار وصف المومنين ايضا ونهر يعني انهار الماء والخمر والعسل قال ابن جريج وحد
لانه راس الاية في الواحد قد ينبئ عن الجميع وقيل في نهر في ضياء وسعة ومنه النهار لضيائه
ومنه انهرت الجرح قال الشاعر
ملكت بها كفي فانهرت فتقها ❊ يرى قايم من دونها ما وراءها ❊
وقرا ابو مجلز وابو نهيك والاعرج وطلحة بن مصرف وقتادة ونهر بضمتين كانه جمع نهار.

لا ليل لهم كسحاب وسحب قال الفرا انشدني بعض العرب
• ان تك ليليا فاني نهر • متى ارى الصبح فلا انتظر • اي صاحب النهار
وقال اخر • لولا الثريدان هلكنا بالضمر • ثريد ليل وثريد بالنهر •
في مقعد صدق اي مجلس حق لا لغو فيه ولا تاثيم وهي الجنة عند مليك مقتدر اي يقدر
على ما يشا وعندها عندية القربة والزلفة والمكانة والرتبة والكرامة والمنزلة قال
الصادق مدح الله المكان الصدق ولا يقعد فيه الا اهل الصدق وقرا عثمان البتي في
مقاعد صدق بالجمع والمقاعد مواضع قعود الناس في الاسواق وغيرها قال عبد الله
بريده ان اهل الجنة يدخلون كل يوم في الجبار تبارك وتعالى فيقرون القران على ربهم
تبارك وتعالى وقد جلس كل انسان مجلسه الذي هو مجلسه على منابر من الدر والياقوت
والزبرجد والذهب والفضة بقدر اعمالهم فلا تقر اعينهم بشي قط ولم يسمعوا شيا اعظم
ولا احسن منه ثم ينصرفون الى منازلهم قريرة اعينهم الى مثلها من الغد وقال ثور بن
يزيد عن خالد بن معدان بلغنا ان الملايكة ياتون المومنين يوم القيامة فيقولون
يا اوليا الله انطلقوا فيقولون الى اين فيقولون الى الجنة فيقول المومنون انكم تذهبون
بنا الى غير بغيتنا فيقولون ما بغيتكم فيقولون مقعد صدق عند مليك مقتدر وقد
روي هذا الخبر على الخصوص بهذا المعنى وفي الخبر ان طايفة من العقلا بالله عز وجل
تزفها الملايكة الى الجنة والناس في الحساب فيقولون للملايكة الى اين تحملوننا فيقولون
الى الجنة فيقولون انكم لتحملوننا الى غير بغيتنا فيقولون وما بغيتكم فيقولون المقعد
الصدق مع الحبيب كما اخبر في مقعد صدق عند مليك مقتدر والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الرحمن مكية

كلها في قول الحسن وعروة بن الزبير وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس الا اية
منها وهي قوله تعالى يسأله من في السموات والارض الاية وهي ست وسبعون
اية وقال ابن مسعود ومقاتل هي مدنية كلها والقول الاول اصح لما روي عن عروة
ابن الزبير قال اول من جهر بالقران بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم ابن مسعود
وذلك ان الصحابة قالوا ما سمعت قريش هذا القران يجهر به قط فمن رجل يسمعهموه فقال
ابن مسعود انا فقالوا نخشى عليك وانما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه فابى ثم قام عند المقام
فقال

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الرحمن علم القران ثم تمادى رافعا صوته وقريش في انديتها فتاملوا
ما يقول ابن ام عبد قالوا هو يقول هو الذي يزعم محمد انه انزل عليه ثم ضربوه
حتى اثروا في وجهه وصح ان النبي صلى الله عليه وسلم قام يصلي الصبح بنخلة فقرا
سورة الرحمن ومر النفر من الجن فامنوا به وفي الترمذي عن جابر قال خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم على اصحابه فقرا عليهم سورة الرحمن من اولها الى اخرها فسكتوا
فقال لقد قراتها على الجن ليلة الجن فكانوا احسن منكم مردودا كنت كلما اتيت على
قوله فباي الاء ربكما تكذبان قالوا لا بشي من نعمك ربنا نكذب فلك الحمد قال حديث
غريب وفي هذا دليل على انها مكية والله اعلم وروي ان قيس بن عاصم المنقري
قال للنبي صلى الله عليه وسلم اتل علي ما انزل عليك فقرا عليه سورة الرحمن فقال
اعدها فاعادها ثلاثا وقال ان له لطلاوة وعليه لحلاوة واسفله لمغدق واعلاه
مثمر وما يقول هذا بشر وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وروي على
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لكل شي عروس وعروس القران الرحمن
قوله تعالى الرحمن قال سعيد بن جبير وعامر الشعبي الرحمن فاتحة ثلاث سور
اذا جمعن كن اسما لله الر وحم ونون فيكون مجموع هذه الرحمن علم القران اي علمه
نبيه صلى الله عليه وسلم حتى اداه الى جميع الناس ونزلت حين قالوا وما الرحمن وقيل

نزلت جوابا لاهل مكة حين قالوا انما يعلمه بشر وهو رحمن اليمامة يعنون مسيلمة فانزل
الله تعالى الرحمن علم القران وقال الزجاج معنى علم القران اي سهله لان يذكر ويقرا
كما قال ولقد يسرنا القران للذكر وقيل جعله علامة لما تعبد الناس به خلق الانسان قال
ابن عباس وقتادة والحسن يعني ادم عليه السلام علمه البيان اسما كل شي وقيل علمه اللغات
كلها وعن ابن عباس ايضا وابن كيسان الانسان هاهنا يراد به محمد صلى الله عليه وسلم
والبيان بيان الحلال من الحرام والهدى من الضلال وقيل ما كان وما يكون لانه بين عن
الاولين والاخرين ويوم الدين وقال الضحاك الخير والشر وقال الربيع بن انس هو ما
ينفعه مما يضره وقاله قتادة وقيل الانسان يراد به جميع الناس هو اسم للجنس والبيان
على هذا الكلام والفهم وهو مما فضل به الانسان على ساير الحيوان وقال السدي علم
كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به وقال يمان الكتابة والخط بالقلم نظيره علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم الشمس والقمر بحسبان اي يجريان بحساب معلوم فاضمر الخبر قال ابن عباس وقتادة
وابو مالك اي يجريان بحساب في منازل لا يعدوانها ولا يحيدان عنها وقال ابن زيد وابن
كيسان يعني ان بهما تحسب الاوقات والاعمار والاجال والليل والنهار والشمس والقمر
لم يدر احد كيف يحسب شيا لو كان الدهر كله ليلا او نهارا وقال السدي بحسبان تقدير
اجالهما اي تجري باجال كاجال الناس فاذا جا اجلهما هلكا نظيره كل يجري لاجل مسمى
وقال الضحاك بقدر مجاهد بحسبان كحسبان الرحى يعني قطبهما يدوران في مثل القطب
والحسبان قد يكون مصدر حسبته احسبه بالضم حسبا وحسابا وحسبانا مثل الغفران
والكفران والرجحان وحسابة ايضا اي عددته وقال الاخفش ويكون جماعة الحساب
مثل شهاب وشهبان والحسبان ايضا بالضم العذاب والسهام القصار وقد مضى في الكهف
الواحدة حسبانة والحسبانة ايضا الوسادة الصغيرة تقول منه حسبته اذا وسدته قال
لثويت غير محسب اي غير موسد يعني غير مكرم ولا مكفن والنجم والشجر يسجدان قال
ابن عباس وغيره النجم ما لا ساق له والشجر ما له ساق وانشد ابن عباس قول صفوان بن
اسد التيمي • لقد انجم القاع الكبير عضاهه • وتم به حبا تميم وواىل •
وانشد زهير بن ابي سلمى • مكلل باصول النجم تنسجه • ريح الجنوب لضاحي ما به حبك •
واشتقاق النجم من نجم الشي ينجم بالضم نجوما ظهر وطلع وسجودهما سجود ظلالهما قاله
الضحاك وقال الفرا سجودهما انهما يستقبلان الشمس اذا طلعت ثم يميلان معها حين ينكسر
الفي وقال الزجاج سجودهما دوران الظل معهما كما قال يتفيوا ظلاله وقال الحسن ومجاهد
النجم نجم السما وسجوده في قول مجاهد دوران ظله وهو اختيار الطبري حكاه المهدوي
وقيل سجود النجم افوله وسجود الشجر امكان الاجتنا لثمارها حكاه الماوردي وقيل
سجودهما الخضوع له اي جميع ذلك مسخر لله فلا تعبدوا النجم كما عبد قوم الصابيين النجوم
وعبد كثير من العجم الشجر والسجود الخضوع والمعنى به اثار الحدوث حكاه القشيري
النحاس اصل السجود في اللغة الاستسلام والانقياد لله عز وجل فهو من الموات
كله استسلامها لامر الله عز وجل وانقيادها له ومن الحيوان كذلك ويكون من سجود
الصلاة وانشد محمد بن يزيد في النجم بمعنى النجوم •
• فباتت تعد النجم في مستحيرة • سريع بايدي الاكلين جمودها •
والسماء رفعها وقرا ابو السمال والسماء بالرفع على الابتدا واختار ذلك لما عطف على الجملة
التي هي والنجم والشجر يسجدان فجعل المعطوف مركبا من ابتدا وخبر كالمعطوف
عليه الباقون بالنصب على اضمار فعل يدل عليه ما بعده ووضع الميزان اي العدل عن
مجاهد وقتادة والسدي اي وضع في الارض العدل الذي امر به يقال وضع الله
الشريعة ووضع فلان كذا اي القاه وقيل على هذا الميزان القران لان فيه بيان ما
يحتاج اليه وهو قول الحسين بن الفضل وقال الحسن وقتادة ايضا والضحاك هو الميزان
ذو اللسان الذي يوزن به لينتصف به الناس بعضهم من بعض وهو خبر بمعنى
الامر بالعدل يدل عليه قوله واقيموا الوزن بالقسط والقسط العدل وقيل هو الحكم

وقيل اراد وضع الميزان في الاخرة لوزن الاعمال واصل ميزان موزان وقد مضى في
الاعراف القول فيه ان لا تطغوا موضع ان يجوز ان يكون نصبا على تقدير حرف الجر
كانه قال لئلا تطغوا كقوله يبين الله لكم ان تضلوا ويجوز ان يكون لا موضع من الاعراب
فتكون بمعنى اي وتطغوا على هذا التقدير مجزوم كقوله وانطلق الملا منهم ان امشوا
اي امشوا والطغيان مجاوزة الحد فمن قال الميزان العدل قال طغيانه الجور ومن قال
انه الميزان الذي يوزن به قال طغيانه البخس قال ابن عباس اي لا تخونوا من وزنتم
وعنه انه قال يا معشر الموالي وليتم امرين بهما هلك الناس المكيال والميزان ومن قال
انه الحكم قال طغيانه التحريف وقيل فيه اضمار اي وضع الميزان وامركم الا تطغوا
فيه واقيموا الوزن بالقسط اي افعلوه مستقيما بالعدل وقال ابو الدرداء اقيموا لسان
الميزان بالقسط والعدل وقال ابن عيينة الاقامة باليد والقسط بالقلب وقال
مجاهد القسط العدل بالرومية وقيل هو كقولك اقام الصلاة اي اتى بها في وقتها
واقام الناس اسواقهم اي اتوها لوقتها اي لا تدعوا التعامل بالوزن بالعدل
ولا تخسروا الميزان لا تنقصوا ولا تبخسوا الكيل والوزن وهذا كقوله ولا تنقصوا المكيال
والميزان وقال قتادة في هذه الاية اعدل يا ابن ادم كما تحب ان يعدل عليك واوف
كما تحب ان يوفى لك فان العدل صلاح الناس وقيل المعنى ولا تخسروا ميزان حسناتكم
يوم القيامة فيكون ذلك حسرة عليكم وكرر الميزان لحال رؤوس الاي وقيل التكرير
للامر بايفاء الوزن ورعاية العدل فيه وقراءة العامة تخسروا بضم التاء وكسر السين
وقرا بلال بن ابي بردة وابان بن عثمان تخسروا بفتح التاء والسين وهما لغتان
يقال خسرت الميزان واخسرته كاجبرته وجبرته وقيل تخسروا بفتح التاء والسين محمول
على تقدير حذف حرف الجر والمعنى لا تخسروا في الميزان والارض وضعها للانام الانام
الناس عن ابن عباس الحسن الجن والانس الضحاك كل ما دب على الارض وهذا عام
قوله تعالى فيها فاكهة اي ما يتفكه به الانسان من الوان الثمار والنخل ذات
الاكمام الاكمام جمع كم بالكسر قال الجوهري والكم بالكسر والكمامة وعاء الطلع وغطاء النور
والجمع كمام واكمة واكمام والاكاميم ايضا وكم الفصيل اذا اشفق عليه فستر حتى يقوى
قال العجاج • بل لو شهدت الناس اذ تكموا • بغمة لو لم تفرجوا غموا •
وتكموا اي اغمي عليهم وغطوا واكمت وكممت اي خرجت كمامها والكمام بالكسر والكمامة
ايضا ما يكم به فم البعير لئلا يعض تقول منه بعير مكموم اي محجوم وكممت الشي غطيته
والكم ما ستر شيئا وغطاه ومنه كم القميص بالضم والجمع اكمام وكممة مثل حب وحببة
والكمة القلنسوة المدورة لانها تغطي الراس قال •
• فقلت لهم كيلوا بكمة بعضكم • دراهمكم اني كذلك اكيل •
قال الحسن ذات الاكمام اي ذات الليف فان النخلة قد تكمم بالليف وكمامها ليفها
الذي في اعناقها ابن زيد ذات الطلع قبل ان يتفتق وقال عكرمة ذات الاكمام
والحب ذو العصف والريحان الحب الحنطة والشعير ونحوهما والعصف التبن عن
الحسن وغيره مجاهد ورق الشجر والزرع ابن عباس تبن الزرع وورقه الذي تعصفه
الرياح ابن جبير بقل الزرع اي اول ما ينبت وقاله الفراء والعرب تقول خرجنا نعصف
الزرع اذا قطعوا منه قبل ان يدرك وكذا في الصحاح وعصف الزرع جزه
قبل ان يدرك وعن ابن عباس ايضا العصف ورق الزرع الاخضر اذا قطع رؤوسه
ويبس نظيره كعصف ماكول الجوهري وقد اعصف الزرع ومكان معصف
اي كثير الزرع قال ابو قيس بن الاسلت الانصاري •
• اذا جمادى منعت قطرها • زان جنابي عطن معصف •
والعصف ايضا الكسب ومنه قول الراجز • بغير ما عصف ولا اكتساب •
وكذلك الاعتصاف والعصيفة الورق الذي يكون فيه السنبل وقال الهروي والعصف
والعصيفة ورق السنبل وحكى الثعلبي وقال ابن السكيت تقول العرب لورق الزرع

العصف والعصيفة ورق السنبل وحكى الثعلبي والجل بكسر الجيم قال علقمة بن عبدة
• تسقي مذانب قد مالت عصيفتها • حدورها من اتي الماء مطموم •
وفي الصحاح والجل بالكسر قصب الزرع اذا حصد والريحان الورق عن ابن عباس ايضا
والضحاك وقتادة انه الريحان الذي يشم وقاله ابن زيد وعن ابن عباس ايضا انه خضرة
الزرع وقال سعيد بن جبير هو ما قام على ساق وقال الفراء العصف الماكول
من الزرع والريحان ما لا يوكل وقال الكلبي ان العصف الورق الذي يوكل والريحان هو
الحب الماكول وقيل الريحان كل بقلة طيبة الريح سميت ريحانا لان الانسان يراح لها رائحة
طيبة اي يشم فهو فعلان روحان من الرائحة واصل الياء في الكلمة واو قلبت ياء للفرق
بينه وبين الروحان وهو كل شيء له روح قال ابن الاعرابي يقال شيء ريحاني وروحاني
اي له روح ويجوز ان يكون على وزن فيعلان فاصله ريوحان فابدل من الواو ياء وادغم
كهين ولين ثم الزم التخفيف لطوله ولحاق الزائدتين الالف والنون والاصل فيما يتركب
من الراء والواو والحاء الاهتزاز والحركة وفي الصحاح والريحان نبت معروف والريحان الرزق
تقول خرجت ابتغي ريحان الله قال النمر بن تولب سلام الاله وريحانه ورحمته وسماء درر
وفي الحديث الولد من ريحان الله وقولهم سبحان الله وريحانه نصبوهما على المصدر
يريدون تنزيها له واسترزاقا واما قوله والحب ذو العصف والريحان فالعصف ساق
الزرع وورقه عن الفراء وقراءة العامة والحب ذو العصف والريحان بالرفع فيهما كلها على العطف
على الفاكهة ونصبها كلها ابن عامر وابو حيوة والمغيرة عطفا على الارض وقيل باضمار فعل
اي وخلق الحب ذا العصف والريحان فمن هذا الوجه يحسن الوقف على ذات الاكمام وجر
حمزة والكسائي الريحان عطفا على العصف اي فيها الحب ذو العصف والريحان ولا يمتنع ذلك
على قول من جعل الريحان الرزق فيكون كانه قال والحب ذو الرزق والرزق من حيث
كان العصف رزقا لان العصف رزق للبهائم والريحان رزق للناس ولا شبهة فيه في قول
من قال انه الريحان المشموم فباي الاء ربكما تكذبان خطاب للانس والجن لان الانام
واقع عليهما وهذا قول الجمهور يدل عليه حديث جابر المذكور اول السورة خرجه الترمذي
وفيه للجن احسن منكم ردا وقيل لما قال خلق الانسان وخلق الجان دل ذلك على ما تقدم
وما تاخر لهما وايضا قال سنفرغ لكم ايه الثقلان وهو خطاب للانس والجن وقد قال
في هذه الاية يا معشر الجن والانس وقال الجرجاني خاطب الجن مع الانس وان لم
يتقدم للجن ذكر كقوله حتى توارت بالحجاب وقيل سبق ذكر الجن فيما سبق نزوله من
القران والقران كالسورة الواحدة فاذا ثبت انهم مكلفون كالانس خوطب الجنسان
بهذه الايات وقيل الخطاب للانس على عادة العرب في الخطاب للواحد بلفظ التثنية
حسب ما تقدم من القول في القيا في جهنم وكذا قولهم قفا نبك وخليلي مرا بي فاما ما بعد
خلق الانسان وخلق الجان فانه خطاب للانس والجن والصحيح قول الجمهور لقوله والارض
وضعها للانام والالاء النعم وهو قول جميع المفسرين واحدها الى والى مثل معا وعصا
والى والي اربع لغات حكاها النحاس قال وفي واحد اناء الليل ثلاث لغات سقطت منها المفتوحة
الالف المسكنة اللام وقد مضى في الاعراف والنجم وقال ابن زيد انها القدرة وتقدير
الكلام فباي قدرة ربكما تكذبان وقاله الكلبي واختاره الترمذي محمد بن علي
وقال هذه السورة من بين السور علم القران والعلم امام الجند والجند تتبعه وانما
صارت علما لانها سورة صفة الملك والقدرة وقال الرحمن علم القران فافتتح
السورة باسم الرحمن من بين الاسماء ليعلم العباد ان جميع ما يصفه بعد هذا من
افعاله ومن ملكه وقدرته خرج اليهم من الرحمة والعظمة من رحمانيته فقال الرحمن
علم القران ثم ذكر الانسان فقال خلق الانسان ثم ذكر ما صنع به من علمه البيان ثم ذكر حسبان
الشمس والقمر وسجود الاشياء مما نجم وشجر وذكر رفع السماء ووضع الميزان وهو العدل
ووضع الارض للانام فخاطب هذين الثقلين الجن والانس حين راوا ما خرج من
القدرة والملك برحمانيته التي رحمهم بها من غير منفعة ولا حاجة اليهم فاشركوا

به الاوثان وكل معبود اتخذوه من دونه وجحدوا الرحمة التي خرجت هذه الاشيا
بها اليهم فقال سايلا لهم فباي الا ربكما تكذبان فباي قدره ربكما تكذبان فانما
كان تكذيبهم انهم جعلوا له في هذه الاشيا التي خرجت من ملكه وقدرته شريكا
يملك معه ويقدر معه فذلك تكذيبهم ثم ذكر خلق الانسان من صلصال وذكر خلق
الجان من مارج من نار ثم سايلهم فقال فباي الا ربكما تكذبان فان له في كل خلق
بعد خلق قدرة فالتكرير في هذه الايات للتاكيد والمبالغة في التقرير واتخاذ
الحجة عليهم بما وقفهم على خلق خلق وقال القتيبي ان الله تعالى عدد في هذه
السورة نعماه وذكر خلقه الاه ثم اتبع كل خلة وصفها ونعمة وضعها بهذه وجعلها
فاصلة بين كل نعمتين لينبههم على النعم ويقررهم بها كما تقول لمن تتابع فيه
احسانك وهو يكفره وينكره الم تكن فقيرا فاغنيتك افتنكر هذا الم تكن خاملا فعززتك
افتنكر هذا الم تكن صرورة فحججت بك افتنكر هذا الم تكن راجلا فحملتك افتنكر هذا
والتكرير حسن في مثل هذا قال كم نعمة كانت لكم كم كم وكم وقال •
• الا تقتلي مسلما ان كنت مسلمة • اياك من دمه اياك اياك • وقال اخر
• لا تقطعن الصديق ما طرفت • عيناك من قول كاشح اشر • اخر
• ولا تملن من زيارته زره • وزره وزره وزر وزر •
وقال الحسين بن الفضل طردا للغفلة وتاكيدا للحجة قوله تعالى خلق الانسان
لما ذكر سبحانه خلق العالم الكبير من السما والارض وما فيهما من الدلالات على وحدانيته
وقدرته ذكر خلق العالم الصغير فقال خلق الانسان باتفاق من اهل التاويل يعني
ادم من صلصال الطين اليابس الذي يسمع له صلصلة يشبه بالفخار وقيل هو طين
خلط برمل وقيل هو الطين المنتن من اصل اللحم واصل اذا انتن وقد مضى في الحجر
وقال هنا من صلصال كالفخار وقال هناك من صلصال من حما مسنون وقال انا
خلقناه من طين لازب وقال كمثل ادم خلقه من تراب وذلك متفق المعنى وذلك
انه اخذ من تراب الارض فعجنه فصار طينا ثم انتقل فصار كالحما المسنون ثم انتقل
فصار صلصالا كالفخار وخلق الجان من مارج من نار وقال الحسن الجان ابليس
وهو ابو الجن وقيل الجان واحد الجن والمارج اللهب عن ابن عباس وقال الخلق اجمع
الجان من خالص النار وعنه ايضا من لسانها الذي يكون في طرفها اذا التهب وقال
الليث المارج الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد وعن ابن عباس انه اللهب الذي
يعلو النار فيختلط بعضه ببعض احمر واصفر واخضر ونحوه عن مجاهد وكله متقارب
المعنى وقيل المارج كل مرسل غير ممنوع ونحوه قول المبرد المارج النار المرسلة التي
لا تمنع وقال ابو عبيدة والحسن المارج خلط النار واصله من مرج اذا اضطرب
واختلط ويروى ان الله خلق نارين فمرج احدهما بالاخرى فاكلت احداهما
الاخرى وهي نار السموم فخلق منها ابليس قال القشيري والمارج في اللغة
المرسل او المختلط وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله ما دافق وعيشة راضية والمعنى
ذو مرج وقال الجوهري في الصحاح ومارج من نار نار لا دخان لها خلق منها
الجان فباي الا ربكما تكذبان قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين اي
هو رب المشرقين ورب المغربين اي هو رب المشرقين وفي الصافات رب
المشارق والمغارب وقد مضى الكلام فيه هناك قوله تعالى مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان اي خلوا وارسل واهمل يقال مرج السلطان الناس
اي اهملهم واصل المرج الاهمال كما تمرج الدابة في المرعى ويقال مرج خلط وقال
الاخفش ويقول قوم امرج البحرين مثل مرج فعل وافعل بمعنى البحرين قال
ابن عباس بحر السما وبحر الارض وقال سعيد بن جبير يلتقيان في كل عام وقيل
يلتقي طرفاهما وقال الحسن وقتادة بحر فارس والروم وقال ابن جريج انه البحر
المالح والانهار العذبة وقيل بحر المشرق والمغرب يلتقي طرفاهما وقيل بحر اللولو والمرجان

بينهما

بينهما برزخ حاجز فعلى القول الاول ما بين السما والارض قاله الضحاك وعلى القول
الثاني الارض التي بينهما وهي الحجاز قاله الحسن وقتاده وعلى غيرهما من الاقوال القدرة
الالاهية على ما تقدم في الفرقان وفي الخبر عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى كلم موسى الناحية الغربية فقال اني حامل فيك عبادا لي يسبحوني
ويكبروني ويهللوني فكيف انت لهم فقالت اغرقهم يا رب قال فاني احملهم على يدي واجعل
باسك في نواحيك ثم كلم الناحية الشرقية فقال اني حامل فيك عبادا لي يسبحوني
ويكبروني ويهللوني ويحمدوني فكيف لهم فقالت اسبح معهم اذا سبحوك واكبرك معهم
اذا كبروك واهللك معهم اذا هللوك واحمدك معهم اذا حمدوك فاثابها الله الحلية وجعل
بينهما برزخا وتحول احدهما ملحا اجاجا وبقي الاخر على حالته عذبا فراتا ذكر هذا الخبر
الترمذي الحكيم ابو عبد الله قال نا صالح بن محمد ثنا القاسم العمري عن سهيل عن ابيه عن
ابي هريرة لا يبغيان قال قتادة لا يبغيان على الناس فيغرقانهم جعل بينهما وبين الناس
اليبس وعنه ايضا ومجاهد لا يبغي احدهما على صاحبه فيغلبه ابن زيد المعنى لا يبغيان
ان يلتقيا وتقدير الكلام مرج البحرين يلتقيان لولا البرزخ الذي بينهما لا يبغيان ان يلتقيا
وقيل البرزخ ما بين الدنيا والاخرة اي بينهما مدة قدرها الله وهي مدة الدنيا فهما لا يبغيان
فاذا اذن الله بانقضا الدنيا صار البحران شيا واحدا وهو كقوله تعالى واذا البحار فجرت
قال سهل بن عبد الله البحران طريق الخير والشر والبرزخ الذي بينهما التوفيق والعصمة
قوله تعالى يخرج منهما اللولو والمرجان اي يخرج لكم من الما اللولو والمرجان كما يخرج
من التراب الحب والعصف والريحان وقرا نافع وابو عمرو يخرج بضم اليا وفتح الرا على
الفعل المجهول الباقون يخرج بفتح اليا والرا على ان اللولو هو الفاعل وقال منهما وانما
يخرج من الملح الا العذب لان العرب تجمع الجنسين ثم تخبر عن احدهما كقوله تعالى يا معشر
الجن والانس الم ياتكم رسل منكم وانما الرسل من الانس دون الجن قاله الكلبي وغيره
وقال الزجاج قد ذكرهما الله فاذا خرج من احدهما شي فقد خرج منهما وهو كقوله تعالى
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا والقمر في السما الدنيا
ولكن اجمل ذكر السبع فكان ما في احداها فيهن وقال ابو علي الفارسي هذا من باب
حذف المضاف اي من احدهما كقوله تعالى على رجل من القريتين عظيم اي من احدى القريتين
وقال الاخفش سعيد زعم قوم انه يخرج اللولو من العذب وقيل هما بحران يخرج من
احدهما اللولو ومن الاخر المرجان ابن عباس هما بحرا السما والارض فاذا وقع ما السما في
صدف البحر انعقد لولوا فصار خارجا منهما وقاله الطبري قال الثعلبي ولقد ذكر لي
ان نواة كانت في جوف صدفة فاصابت القطرة بعض النواة ولم تصب البعض فكان حيث
اصابه القطرة من النواة لولوة وسايرها نواة وقيل ان العذب والملح قد يلتقيان
فيكون العذب كاللقاح للملح فنسب اليهما كما ينسب الولد الى الذكر والانثى وان ولدته
الانثى ولذلك قيل انه لا يخرج اللولو الا من موضع يلتقي فيه العذب والملح ثم قيل
المرجان عظام اللولو وكباره قاله علي وابن عباس رضي الله عنهما واللولو صغاره
وقالا عنهما ايضا بالعكس ان اللولو كبار اللولو والمرجان صغاره وقاله الضحاك وقتاده
وقال ابن مسعود وابو مالك المرجان الخرز الاحمر قوله تعالى وله الجوار يعني السفن
المنشات قراه العامة المنشات بفتح الشين قال قتاده اي المخلوقات للجري ماخوذ
من الانشا وقال مجاهد هي السفن التي رفع قلعها قال وان لم يرفع قلعها فليست بمنشاة
وقال الاخفش انها المجريات وفي الحديث ان عليا رضي الله عنه راى سفنا مقلعة
فقال ورب الجوار المنشات ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله وقرا حمزة وابو بكر عن
عاصم باختلاف عنه المنشات ما قتلت عثمان ولا مالات في قتله وقرا حمزة وابو بكر
عن عاصم باختلاف عنه المنشات بكسر الشين على المنشات السير اسند الفعل اليها على
التجوز والاتساع وقيل الرافعات الشرع اي القلع ومن فتح الشين قال المرفوعات
الشرع كالاعلام اي كالجبال والعلم الجبل الطويل قال • اذا قطعنا علما بدا علم •

ن السفن في البحر كالجبال في البر وقد مضى في الشورى بيانه وقرا يعقوب الجواري بيا
في الوقف وحذف الباقون قوله تعالى كل من عليها فان الضمير في عليها للارض
وقد جرى ذكرها في اول السورة في قوله تعالى والأرض وضعها للانام وقد يقال
هو اكرم من عليها يعنون الارض وان لم يجر لها ذكر وقال بن عباس لما نزلت هذه
الايه قالت الملايكة هلك اهل الارض فنزلت كل شي هالك الا وجهه فايقنت الملايكة
بالهلاك وقال مقاتل وجه النعمه في فنا الخلق التسوية بينهم في الموت ومع
الموت تستوي الاقدام وقيل وجه النعمة ان الموت سبب النقل الى دار الجزا والثواب
ويبقى وجه ربك اي ويبقى الله فالوجه عبارة عن وجوده وذاته سبحانه قال الشاعر
• قضى على خلقه المنايا • فكل شي سواه فان •
وهذا الذي ارتضاه المحققون من علمائنا ابن فورك وابو المعالي وغيرهم وقال بن
عباس الوجه عبارة عنه كما قال ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال ابو
المعالي واما الوجه فالمراد به عند معظم ايمتنا وجود الباري تعالى وهو الذي ارتضاه
شيخنا ومن الدليل على ذلك قوله تعالى ويبقى وجه ربك والموصوف بالبقا عند
تعرض الخلق للفنا وجود الباري تعالى وقد مضى في البقرة في هذا عند قوله
تعالى فاين ما تولوا فثم وجه الله وذكرناه في كتاب الاسنى مستوفى قال القشيري
قال قوم هو صفة زايدة على الذات لا يكيف يحصل بها الاقبال على من اراد الرب
تخصيصه بالاكرام والصحيح ان يقال وجهه وجوده وذاته يقال هذا وجه الامر
ووجه الصواب وعين الصواب وقيل اي يبقى الظاهر بادلته كظهور الانسان بوجهه
وقيل ويبقى الجهة التي يتقرب بها الى الله ذو الجلال الجلال عظمة الله وكبرياوه
واستحقاقه صفات المدح يقال جل الشي اي عظم واجللته اي اعظمته والجلال
اسم من جل والاكرام اي هو اهل لان يكرم عما لا يليق به من الشرك كما تقول انا
اكرمك عن هذا ومنه اكرام الانبيا والاوليا وقد اتينا على هذين الاسمين لغة
ومعنى في كتاب الاسنى مستوفى وروي انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا
ذا الجلال والاكرام وروي انه من قول بن مسعود ومعناه الزموا ذلك في الدعا
قال ابو عبيد الالظاظ لزوم الشي والمثابرة عليه ويقال الالظاظ الالحاح
وعن سعيد المقبري ان رجلا الح فجعل يقول اللهم يا ذا الجلال والاكرام اللهم
يا ذا الجلال والاكرام فنودي اني قد سمعت فما حاجتك قوله تعالى يساله
من في السموات والارض قيل المعنى يساله من في السموات الرحمة ومن في الارض
الرزق وقال بن عباس وابو صالح اهل السموات يسالونه المغفرة ولا يسالونه
الرزق واهل الارض يسالونهما جميعا وقال بن جريج وتساله الملايكة الرزق
لاهل الارض وفي الحديث ان الملايكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان
وهو يسال الله الرزق لبني ادم ووجه كوجه الاسد وهو يسال الله الرزق
للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله الرزق للبهايم ووجه كوجه النسر
وهو يسال الله الرزق للطير وقال بن عطا انهم سالوه القوة على العبادة
كل يوم هو في شان هذا الكلام مبتدا وانتصب كل على طرف المعول في شان
او ظرفا للسوال هو مبتدي هو في شان وروي ابو الدردا عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال كل يوم هو في شان قال من شانه ان يغفر ذنبا ويفرج كربا
ويرفع اقواما ويضع اخرين وعن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله
الله عز وجل كل يوم هو في شان قال يغفر ذنبا ويكشف كربا ويجيب داعيا
وقيل من شانه انه يحيي ويميت ويعز ويذل ويرزق ويمنع وقيل اراد شانه
في يومي الدنيا والاخرة قال بن بحر الدهر كله يومان احدهما مدة ايام الدنيا
والاخر يوم القيامة فشانه سبحانه في ايام الدنيا الابتلا والاختبار بالامر
والنهي والاحيا والاماتة والاعطا والمنع وشانه يوم القيامة الجزا والحساب

والثواب

والثواب والعقاب وقيل المراد بذلك الاخبار عن شانه في كل يوم من ايام الدنيا
وهو الظاهر والشان في اللغة الخطب العظيم والجمع الشوون والمراد بالشان ها هنا
الجمع كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا وقال الكلبي شانه سوق المقادير الى المواقيت وقال
عمرو بن ميمون في قوله تعالى كل يوم هو في شان من شانه ان يميت حيا ويقر في الارحام
ويعز ذليلا ويذل عزيزا وسال بعض الامرا وزيره عن قوله كل يوم هو في شان فلم يعرف
معناها واستمهله الى الغد وانصرف كيبا الى منزله فقال له غلام له اسود ما شانك فاخبره
فقال عد الى الامير فاني افسرها له فدعاه فقال ايها الامير شانه انه يولج الليل في النهار
ويولج النهار في الليل ويخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويشفي سقيما ويسقم سليما ويبتلي
معافا ويعافي مبتلا ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغني فقيرا فقال له فرجت عني
فرج الله عنك ثم امر بخلع ثياب الوزير وكساها الغلام فقال يا مولاي هذا من شان الله تعالى
وعن عبد الله بن طاهر انه دعا الحسين بن الفضل وقال له اني اشكلت علي ثلاث ايات
دعوتك لتكشفها لي قوله تعالى فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله كل يوم
هو في شان وصح ان القلم جف بما هو كاين الى يوم القيمة وقوله وان ليس للانسان الا ما
سعى فما بال الاضعاف وقال الحسن يجوز ان لا يكون الندم توبة في تلك الامة لان الله
تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن الا على قتل
هابيل ولكن على حمله واما قوله وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى
عدلا ولي ان اجزيه بواحدة الفا واما قوله كل يوم هو في شان فانها شوون يبديها
لا شوون يبتديها فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه قوله تعالى سنفرغ
لكم ايها الثقلان يقال فرغت من الشغل افرغ فروغا وقرا عاصم وتفرغت لكذا واستفرغت
مجهودي في كذا اي بذلته وليس بالله تعالى شغل يفرغ به وانما المعنى سنقصد لمجازاتكم
ومحاسبتكم وهذا توعيد وتهديد لهم كما يقول القايل لمن يريد تهديده اذا افرغ لك
اي اقصد قصدك وفرغ بمعنى قصد وانشد بن الانباري في مثل هذا لجرير
• الان وقد فرغت الى نمير • فهذا حين كنت لها عذابا •
يريد وقد قصدت وقال ايضا انشده النحاس • فرغت الى العبد المقيد في الحجل •
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه لما بايع الانصار ليلة العقبة صاح الشيطان
يا اهل الجباجب هذا مذمم يبايع بني قيلة على حربكم فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هذا ازب العقبة اما والله يا عدو الله لا تفرغن لك اي اقصد الى ابطال امرك وهذا
اختيار القتبي والكساي وغيرهما وقيل ان الله تعالى وعد على التقوى واوعد على
الفجور ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم ونوصل كلا الى ما وعدناه اقسم ذلك وانفرغ منه
قاله الحسن ومقاتل وبن زيد وقرا عبد الله وابي سنفرغ اليكم وقرا الاعمش وابراهيم
سيفرغ لكم بضم اليا وفتح الرا على ما لم يسم فاعله وقرا بن شهاب والاعرج سنفرغ بفتح
النون والرا قال الكساي هي لغة تميم يقولون فرغ يفرغ وحكى ايضا فرغ يفرغ
ورواها هبيرة عن حفص عن عاصم وروي الجعفي عن ابي عمرو سيفرغ بفتح اليا والرا
ورويت عن ابي هرمز وروي عن عيسى الثقفي سنفرغ بكسر النون وفتح الرا وقرا حمزه
والكساي سيفرغ باليا الباقون بالنون وهي لغة تهامة والثقلان الجن والانس
سميا بذلك لعظم شانهما بالاضافة الى ما في الارض من غيرهما بسبب التكليف وقيل
سموا بذلك لانهم ثقل على الارض احيا وامواتا قال الله تعالى واخرجت الارض
اثقالها ومنه قولهم اعطه ثقله اي وزنه وقال بعض اهل المعاني كل شي له قدر
ووزن ينافس فيه فهو ثقل ومنه قيل لبيض النعام ثقل لان واجده وصايده يفرح
به اذا ظفر به وقال جعفر الصادق سميا ثقلين لانهما مثقلان بالذنوب وقال
سنفرغ لكم فجمع ثم قال ايها الثقلان لانهما فريقان وكل فريق جمع وكذا قوله تعالى
يا معشر الجن والانس ان استطعتم ولم يقل ان استطعتما لانهما فريقان في حال الجمع
كقوله تعالى فاذا هم فريقان يختصمون وهذان خصمان اختصموا في ربهم ولو قال

سنفرغ لكما وقال ان استطعتما الجار وقرا اهل الشام ايه الثقلان بضم الها الباقون بفتحها وقد تقدم مسئلة هذه السورة والاحقاف وقيل اوحي دليل علي ان الجن مخاطبون مكلفون مامورون منهيون مثابون معاقبون كالانس سوا مومنهم كمومنهم وكافرهم ككافرهم لافرق بيننا وبينهم في شي من ذلك قوله يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض الايه ذكر بن المبارك واخبرنا جويبر عن الضحاك قال اذا كان يوم القيامة امر الله السما الدنيا فتشققت باهلها فتكون الملائكة علي حافاتها حتي يامرهم الرب فينزلون الي الارض فيحيطون بالارض ومن فيها ثم يامر السما التي تليها فينزلون فيكونون صفا من خلف ذلك الصف ثم السما الثالثة ثم السما الرابعة ثم السما الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فينزل الملك الاعلي في بهائه وملكه ومجنبته اليسري جهنم فيسمعون زفيرها وشهيقها فلا ياتون قطرا من اقطارها الا وجدوا صفوفا من الملائكة فذلك قوله تعالي يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان والسلطان العذر وقال الضحاك ايضا بينما الناس في اسواقهم انفتحت السما ونزلت الملائكة فتهرب الجن والانس فتحدق بهم الملائكة فذلك قوله تعالي لا تنفذون الا بسلطان ذكره النحاس قلت فعلي هذا يكون في الدنيا وعلي ما ذكر بن المبارك يكون في الاخرة وعن الضحاك ايضا ان استطعتم ان تهربوا من الموت فاهربوا وقال بن عباس ان استطعتم ان تعلموا ما في السموات وما في الارض فاعلموه ولن تعلموه الا بسلطان اي ببينة من الله تعالي وعنه ايضا ان معني لا تنفذون الا بسلطان لا تخرجون من سلطاني وقدرتي عليكم قتادة لا تنفذون الا بملك وليس لكم ملك وقيل لا تنفذون الا الي سلطان الا بمعني الي كقوله تعالي وقد احسن بي اي الي قال الشاعر

اسيي بنا او احسني لاملومة * لدينا ولا مقلية ان تقلت

وقوله فانفذوا امر تعجيز قوله تعالي يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس اي لو خرجتم ارسل عليكما شواظ واخذكم العذاب المانع من النفوذ وقيل ليس هذا متعلقا بالاول انما يعاقب العصاة عذابا بالنار وقيل اي بالا ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار والشواظ في قول بن عباس وغيره اللهب الذي لا دخان له والنحاس الدخان الذي لا لهب له ومنه قول امية بن ابي الصلت يهجو حسان بن ثابت كذا وقع في تفسير الثعلبي والماوردي وفي الصحاح والوقف والابتدا لابن الانباري امية بن خلف

الا من مبلغ حسان عني * مغلغلة تدب الي عكاظ
اليس ابوك فينا كان قينا * لدي القينات فسلا في الحفاظ
يمانيا يظل يشب كيرا * وينفخ دائبا لهب الشواظ

فاجابه حسان فقال

هجوتك فاختضعت لها بذل * بقافية تاجج كالشواظ

وقال رؤبة

ان لهم من وقعنا اقياظا * ونار حرب تسعر الشواظا

وقال مجاهد الشواظ اللهب الاخضر المنقطع من النار وقال الضحاك هو الدخان الذي يخرج من اللهب ليس بدخان الحطب وقاله سعيد بن جبير وقد قيل ان الشواظ النار والدخان جميعا قاله ابو عمرو وحكاه عن الاخفش وعن بعض العرب وقرا ابن كثير شواظ بكسر الشين الباقون بالضم وهما لغتان مثل صوار وصوار لقطيع البقر ونحاس قراة العامة ونحاس بالرفع عطف علي شواظ وقرا ابن كثير وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو ونحاس بالخفض عطفا علي النار وقال المهدوي من قال ان الشواظ النار والدخان جميعا فالجر في نحاس علي هذا بين فاما الجر علي قول من جعل الشواظ اللهب الذي لا دخان فيه فبعيد لا يسوغ الا علي تقدير حذف موصوف كانه قال يرسل عليكما شواظ من نار وشي من نحاس فشي معطوف علي شواظ ومن نحاس جملة هي صفة لشي وحذف شي وحذفت من لتقدم ذكرها من نار كما حذفت علي من قولهم علي من تنزل انزل عليه فيكون نحاس علي هذا مجرورا بمن المحذوفة

وعن

وعن مجاهد وحميد وعكرمة وابي العالية ونحاس بكسر النون لغتان كالشواظ والشواظ والنحاس بالكسر ايضا الطبيعة والاصل يقال فلان كريم النحاس والنحاس ايضا بالضم اي كريم النجار وعن مسلم بن جندب ونحس بالرفع وعن حنظلة بن مرة بن النعمان الانصاري ونحس بالجر عطفا علي نار ويجوز ان يكون ونحاس بالكسر جمع نحس كصعب وصعاب ونحس بالرفع عطفا علي شواظ وعن الحسن ونحس بالضم فيهن جمع نحس ويجوز ان يكون اصله نحوس فقصر بحذف واوه حسب ما تقدم عند قوله تعالي وبالنجم هم يهتدون وعن عبد الرحمن بن ابي بكرة ونحس بضم النون وضم الحا وشد السين من حس يحس حسا اذا استاصل ومنه قوله تعالي اذ تحسونهم باذنه والمعني نقتل بالعذاب وعلي القراة الاولي ونحاس فهو الصفر المذاب يصب علي رووسهم قاله مجاهد وقتادة وروي عن بن عباس وعن بن عباس ايضا وسعيد بن جبير ان النحاس الدخان الذي لا لهب له وهو قول الخليل والنحاس وهو معروف في كلام العرب قال نابغة بني جعدة

يضي كضوء سراج السليط * لم يجعل الله فيه نحاسا

قال الاصمعي سمعت اعرابيا يقول السليط دهن السمسم بالشام ولا دخان فيه وقال مقاتل هي خمسة انهار من صفر مذاب تجري من تحت العرش علي رووس اهل النار ثلاثة انهار علي مقدار الليل ونهران علي مقدار النهار وقال بن مسعود النحاس المهل وقال الضحاك هو دردي الزيت المغلي وقال الكسائي هو النار الذي له ريح شديدة فلا تنتصران اي لا ينصر بعضكم بعضا يعني الجن والانس قوله تعالي فاذا انشقت السما اي انصدعت يوم القيامة فكانت وردة كالدهان الدهن عن مجاهد والضحاك وغيرهما والمعني انها صارت من صفا الدهن والدهان علي هذا جمع دهن وقال سعيد بن جبير وقتادة المعني فكانت حمرا وقيل المعني تصير في حمرة الورد وجريان الدهن اي تذوب مع الانشقاق حين تصير حمرا من حرارة نار جهنم وتصير مثل الدهن لرقتها وذوبانها وقيل الدهان الجلد الاحمر الصرف ذكره ابو عبيد والفراء اي تصير السما حمرا كالاديم لشدة حر النار بن عباس المعني فكانت كالفرس الورد يقال للكميت ورد اذا كان يتلون بالوان مختلفة قال بن عباس الورد في الربيع كميت اصفر وفي اول الشتا كميت احمر فاذا اشتد الشتا كان كميتا اغبر وقال الفرا اراد الفرس الوردة تكون في الربيع وردة الي الصفرة فاذا اشتد البرد كانت وردة حمرا فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الي الغبرة فشبه تلون السما بتلون الورد من الخيل وقال الحسن كالدهان اي كصب الدهن فانك اذا صببته تري فيه الوانا وقال زيد بن اسلم المعني انها تصير كعكر الزيت وقيل المعني انها تمر وتجي قال الزجاج اصل الواو والرا والدال للمجي فالاتيان وهذا تدور بهما قد مضي ان الفرس الوردة تتغير الوانها وقال قتادة انها اليوم خضرا ويكون لها لون احمر حكاه الثعلبي وقال الماوردي وزعم المتقدمون ان اصل لون السما الحمرة وانها لكثرة الحوايل وبعد المسافة تري بهذا اللون الازرق وشبهوا ذلك بعروق البدن وهي حمرا كحمرة الدم وتري بالحايل زرقا فان كان هذا صحيحا فان السما لقربها من النواظر يوم القيامة وارتفاع الحواجز تري حمرا لانه اصل لونها والله اعلم قوله تعالي فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان هذا مثل قوله تعالي ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون وان القيامة مواطن لطول ذلك اليوم فيسال في بعض ولا يسال في بعض وهذا قول عكرمة وقيل المعني لا يسالون اذا استقروا في النار وقال الحسن وقتادة لا يسالون عن ذنوبهم لان الله حفظها عليهم وكتبتها الملائكة رواه العوفي عن بن عباس وعن الحسن ومجاهد ايضا المعني لا تسال الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم دليله ما بعده وقاله مجاهد عن بن عباس وعنه ايضا في قوله تعالي فوربك لنسالنهم اجمعين وقوله تعالي فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان قال لا يسالهم ليعرف ذلك منهم لانه اعلم بذلك منهم ولكن يسالهم لم عملتموها سوال توبيخ وقال ابو العالية لا يسال غير المجرم عن ذنب المجرم وقال قتادة كانت المسالة قبل ثم ختم علي افواه القوم وتكلمت الجوارح شاهدة عليهم

وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه قال فيلقى العبد فيقول اي فل الم اكرمك واسودك وازوجك واسخر لك الخيل والابل واذرك ترأس وتربع فيقول بلى فيقول افظننت انك ملاقي فيقول لا فيقول فاني انساك كما نسيتني ثم يلقى الثاني فيقول له فيقول هو مثل ذلك بعينه ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع قال فيقول ها هنا اذا ثم يقال الان نبعث شاهدا عليك فيتفكر في نفسه من ذا الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال لفخذه انطقي فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق وذلك الذي سخط الله عليه وقد مضى هذا الحديث في حم السجده وغيرها قوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قال الحسن سواد الوجه وزرقة الاعين قال الله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا وقال يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فيوخذ بالنواصي والاقدام اي تاخذ الملايكة بنواصيهم اي بشعور مقدم روسهم واقدامهم فيقذفونهم في النار والنواصي جمع ناصيه وقال الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه في سلسلة من وراء ظهره وعنه يوخذ برجلي الرجل فيجمع بينهما وبين ناصيته حتى يندق ظهره ثم يلقى في النار وقيل يفعل ذلك به ليكون اشد لعذابه واكثر لتشويهه وقيل تسحبهم الملايكة الى النار تارة تاخذ بناصيته وتجره على وجهه وتارة تاخذ بقدميه وتسحبه على راسه قوله تعالى هذه جهنم اي يقال لهم هذه النار التي اخبرتم بها فكذبتم يطوفون بينها وبين حميم ان قال قتاده يطوفون مرة بين الجحيم ومرة بين الحميم والجحيم النار والحميم الشراب وفي قوله تعالى ان ثلاثة اوجه احدها انه الذي قد انتهى حره وحميه قاله ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي ومنه قول النابغة الذبياني

وتخضب لحية غدرت وخانت ۝ باحمر من نجيع الجوف آن ۝

قال قتاده ان طبخ منذ خلق السموات والارض يقول اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم ذلك وقال كعب ان واد من اودية جهنم يجمع فيه صديد اهل النار فيغمسون فيه حتى تنخلع اوصالهم ثم يخرجون منها وقد احدث الله لهم خلقا جديدا فيلقون في النار فذلك قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم ان وعن كعب ايضا انه الحاضر وقال مجاهد انه الذي قد ان شربه وبلغ غايته والنعمة فيما وصف من هول القيامة وعقاب المجرمين ما في ذلك من الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتى على شاب في الليل يقرأ فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فوقف الشاب وخنقته العبره وجعل يقول ويحي من يوم تنشق فيه السماء ويحي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويحك يا فتى مثلها فوالذي نفسي بيده لقد بكت ملايكة السماء لبكايك قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان فيه مسئلتان الاولى لما ذكر احوال اهل النار ذكر ما اعد للابرار والمعنى خاف مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصيه فمقام مصدر بمعنى القيام وقيل خاف قيام ربه عليه اي اشرافه واطلاعه عليه بيانه افمن هو قايم على كل نفس بما كسبت وقال مجاهد وابراهيم النخعي هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من خوفه الثانيه هذه الايه دليل على ان من قال لزوجته ان لم اكن من اهل الجنة فانت طالق انه لا يحنث ان كان هم بالمعصية وتركها خوفا من الله وحياء منه وقال سفيان الثوري وافتى به وقال محمد بن علي الترمذي جنة لخوفه من ربه وجنة لتركه شهوته وقال ابن عباس من خاف مقام ربه بعد اداء الفرايض وقيل المقام الموضع اي خاف مقامه بين يدي ربه للحساب كما تقدم ويجوز ان يكون المقام للعبد ثم يضاف الى الله وهو كالاجل في قوله فاذا جاء اجلهم وقوله

ان اجل

ان اجل الله اذا جاء لا يوخر جنتان اي لمن خاف جنتان على حدة فلكل خايف جنتان وقيل جنتان لجميع الخايفين والاول اظهر وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الجنتان بستانان في عرض الجنة كل بستان مسيرة مائة عام في وسط كل بستان دار من نور وليس منها شي الا يهتز نغمة وخضرة قرارها ثابت وشجرها ثابت ذكره المهدوي والثعلبي ايضا من حديث ابي هريرة وقيل ان الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين جنته التي خلقت له وجنة ورثها وقيل احدى الجنتين منزله والاخرى منزل ازواجه كما يفعل روسا الدنيا وقيل ان احدى الجنتين اسافل القصور والاخرى اعاليها وقال مقاتل هما جنة عدن وجنة النعيم وقال الفرا انما هي جنة واحدة فثنى لروس الاي وانكر القتبي هذا وقال لا يجوز ان يقال خزنة النار عشرون وانما قال تسعة عشر لمراعاة روس الاي وايضا قال ذواتا افنان قال ابو جعفر النحاس قال الفرا وقد يكون جنة فتثنى في الشعر وهذا القول من اعظم الغلط على كتاب الله تعالى يقول الله عز وجل جنتان ويصفهما بقوله فيهما فيدع الظاهر ويقول يجوز ان يكون جنة ويحتج بالشعر وقيل انما كانا اثنتين ليضاعف له السرور بالتنقل من جنة الى جنة وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة حين ذكر ذات يوم الجنة حين ازلفت والنار حين ابرزت قاله عطا وابن شوذب وقال الضحاك بل شرب ذات يوم لبنا على ظما فاعجبه فسال عنه فاخبر انه من غير حل فاستقاءه ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه فقال رحمك الله لقد انزلت فيك ايه وتلى عليه هذه الايه قوله تعالى ذواتا افنان قال ابن عباس وغيره اي ذواتا الوان من الفاكهة الواحد فن وقال مجاهد الافنان الاغصان واحدها فنن قال النابغة

بكاء حمامة تدعو هديلا ۝ مفجعة على فنن تغني ۝ وقال الاخر يصف طايرا

باتت على غصن بان في ذرى فنن ۝ تردد الحانا ذات الوان ۝

اراد بالفنون الغصنات وقال اخر

ما هاج شوقك من هدير حمامة ۝ تدعو على فنن الغصون حماما ۝

تدعو ابا فرخين صادف ضاريا ۝ مخلبين من الصقور قطاما ۝

والفنن جمعه افنان ثم الافانين وقال يصف رحى لها زمام من افانين الشجر وشجرة فنا اي ذات افنان وفنوا ايضا على غير قياس وفي الحديث اهل الجنة مرد مكحلون اولوا افانين يريد اولوا فنن وهو جمع افنان وافنان جمع فن من الشعر شبه بالغصن ذكره الهروي وقيل ذواتا افنان اي ذواتا سعة وفضل على ما سواها قاله قتاده وعن مجاهد ايضا وعكرمه ان الافنان ظل الاغصان على الحيطان قوله تعالى فيهما عينان تجريان اي في كل واحدة منهما عين جاريه قال ابن عباس تجريان بالزيادة والكرامة من الله تعالى على اهل الجنة وعن ابن عباس ايضا والحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل وعنه ايضا عينان مثل الدنيا اضعافا مضاعفة حصباوهما الياقوت الاحمر والزبرجد الاخضر وترابهما الكافور وحماتهما المسك الاذفر وحافتاهما الزعفران وقال عطية احداهما من ماء غير اسن والاخرى من خمر لذة للشاربين وقيل تجريان من جبل من مسك وقال ابو بكر الوراق فيهما عينان تجريان لمن كانت عيناه في الدنيا تجريان من مخافة الله قوله تعالى فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان وكلاهما حلو يستلذ به قال ابن عباس ما في الدنيا من شجرة حلوة ولا مرة الا وهي في الجنة حتى الحنظل الا انه حلو وقيل ضربان رطب ويابس لا يقصر هذا عن ذاك في الفضل والطيب وقيل اراد تفضيل هاتين الجنتين على اللتين دونهما فانه ذكر هاهنا عينين جاريتين وذكر ثم عينين نضاختين بالماء والنضخ دون الجري فكانه قال في تلك الجنتين من كل فاكهة نوعان قوله تعالى متكئين على فرش هو نصب على الحال والفرش جمع فراش وقرا ابو حيوة فرش باسكان الراء بطاينها جمع بطانه والاستبرق ما غلظ من الديباج وخشن اي اذا كانت البطانة التي تلي الارض هكذا فما ظنك بالظهارة قاله ابن مسعود وابو

هريرة وقيل لسعيد بن جبير البطاين من استبرق فما الظواهر قال هذا مما قال
الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقال ابن عباس انما وصف لكم بطاينها
لتهتدي اليه قلوبكم فاما الظواهر فلا يعلمها الا الله وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال ظواهرها نور يتلالا وعن الحسن بطاينها من استبرق وظواهرها من نور
جامد وعن الحسن ايضا البطاين هي الظواهر وهو قول الفرا وروي عن قتادة والعرب
تقول للبطن ظهرا فيقولون هذا بطن السما وظهر الارض وقال الفرا قد تكون البطانة
الظهارة والظهارة البطانة لان كل واحد منهما يكون وجها والعرب تقول هذا ظهر
السما وهذا بطن السما لظاهرها الذي نراه وانكر ابن قتيبة وغيره هذا وقالوا لا يكون
هذا الا في الوجهين المتساويين اذا ولي كل واحد منهما قوما كالحايط بينك وبين قوم
وعلى ذلك امر السما وجنا الجنتين دان اي ما يجتنا من الثمر يقال اتانا بجناة طيبة لكل
ما يجتنى وثمر جني على فعيل حين جني وقال الشاعر
• هذا جناي وخياره فيه • اذ كل جان يده الى فيه •
ودان قريب قال ابن عباس تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله ان شا قايما وان شا
قاعدا او مضطجعا لا يرد يده بعد ولا شوك قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فيهن قاصرات الطرف اي في
الجنتين المذكورتين قال الزجاج وانما قال فيهن لانه عنى الجنتين وما اعد لصاحبهما
من النعم وقيل فيهن تعود على الفرش التي بطاينها من استبرق اي في هذه الفرش
قاصرات الطرف اي نسا قاصرات الطرف قصرن اعينهن على ازواجهن فلا يرين غيرهم
وقد مضى في والصافات ووحد الطرف مع الاضافة الى الجمع لانه في معنى المصدر من
طرفت عينه تطرف طرفا ثم سميت العين بذلك فادي عن الواحد والجمع كقولهم قوم عدل
وصوم الثانية قوله تعالى لم يطمثهن اي لم يصبهن بالجماع قبل ازواجهن هولاء احد
قال الفرا والطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية طمثها يطمثها ويطمثها طمثا اذا افتضها
ومنه قيل امراة طامث اي حايض وغير الفرا يخالفه في هذا ويقول طمثها بمعنى وطيها
على اي الوجوه كان الا ان قول الفرا اعرف واشهر وقرا الكسائي لم يطمثهن بضم الميم يقال
طمثت المراة تطمث بالضم حاضت وطمثت بالكسر لغة فهي طامث وقال الفرزدق
• دفعن الي لم يطمثن قبلي • وهن اصح من بيض النعام •
وقيل لم يطمثهن لم يمسسهن قال ابو عمرو والطمث المس وذلك في كل شي يمس ويقال
للمرتع ما طمث ذا المرتع قبلنا احد وما طمث هذه الناقة حبل اي ما مسها عقال
وقال المبرد اي لم يذللهن انس ولا جان والطمث التذليل وقرا الحسن جان بالهمز الثالثة
في هذه الاية دليل على ان الجن تغشى كالانس وتدخل الجنة ويكون لهم فيها جنيات
قال ضمرة للمومنين منهم ازواج من الحور فالانسيات للانس والجنيات للجن وقيل
اي لم يطمث ما وهب الله للمومنين منهم ازواج من الجن في الجنة من الحور العين من الجنيات
جن ولم يطمث ما وهب الله للمومنين من الانس في الجنة من الحور العين من الانسيات
انس وذلك لان الجن لا تطا بنات ادم في الدنيا ذكره القشيري قلت قد مضى في النمل
القول في هذا وفي سبحان ايضا وان جايز ان يطا بنات ادم وقد قال مجاهد اذا جامع
الرجل ولم يسم انطوى الجان على احليله فجامع معه فذلك قوله تعالى لم يطمثهن انس
قبلهم ولا جان وذلك بان الله تعالى وصف الحور العين بانه لم يطمثهن انس قبلهم ولا
جان يعلمك ان نسا الادميات قد يطمثهن الجان وان الحور العين قد برين من هذا
العيب ونزهن والطمث الجماع ذكره الترمذي الحكيم وذكره المهدوي ايضا والثعلبي وغيرهما
قوله تعالى كانهن الياقوت والمرجان روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين
حلة حتى يرى مخها وذلك لان الله عز وجل يقول كانهن الياقوت والمرجان فاما الياقوت
فانه حجر لو ادخلت فيه سلكا ثم استصفيته لرايته وروي موقوفا وقال عمرو بن ميمون

ان

ان المراة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورايها وذلك كما يرى
الشراب الاحمر في الزجاجة البيضا وقال الحسن هن في صفا الياقوت وبياض المرجان قوله
تعالى كانهن الياقوت والمرجان روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ان المراة من نسا اهل الجنة ليرى بياض ساقها من ورا سبعين حلة
حتى يرى مخها وذلك لان الله عز وجل هل جزا الاحسان الا الاحسان هل في الكلام على اربعة
اوجه تكون بمعنى قد كقوله تعالى هل اتى وهل اتاك وبمعنى الاستفهام كقوله تعالى فهل
وجدتم ما وعد ربكم حقا وبمعنى الامر كقوله تعالى فهل انتم منتهون وبمعنى ما في الجحد كقوله
فهل على الرسول الا البلاغ وهل جزا الاحسان الا الاحسان قال عكرمة اي هل جزا من قال
لا اله الا الله الا الجنة ابن عباس اي ما جزا من قال لا اله الا الله وعمل بما جا به محمد صلى الله
عليه وسلم الا الجنة وقيل اي هل جزا من احسن في الدنيا الا ان يحسن اليه في الاخرة قاله ابن
زيد وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هل جزا الاحسان الا الاحسان ثم قال هل
تدرون ماذا قال ربكم قال هل جزا من انعمت عليه بالتوحيد الا الجنة وروى ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا هذه الاية فقال يقول الله هل جزا من انعمت عليه بمعرفتي
وتوحيدي الا ان اسكنه جنتي وحضيرة قدسي برحمتي وقال الصادق هل جزا من احسنت
اليه في الازل الا حفظ الاحسان عليه في الابد وقال محمد بن الحنفية والحسن هي مسجلة للبر
والفاجر اي مرسلة على الفاجر في الدنيا والبر في الاخرة قوله تعالى ومن دونهما
جنتان اي وله من دون الجنتين الاولتين جنتان اخريان قال ابن عباس ومن دونهما
في الدرج ابن زيد ومن دونهما في الفضل ابن عباس والجنات لمن خاف مقام ربه فيكون في
الاولتين النخل والشجر وفي الاخريين الزرع والنبات وما انبسط الماوردي ويحتمل ان
يكون من دونهما جنتان لاتباعه لقصور منزلتهم عن منزلته احداهما للحور العين والاخرى
للولدان المخلدين ليتميز بهما الذكور من الاناث وقال ابن جريج هي اربع جنات منها للسابقين
المقربين فيهما من كل فاكهة زوجان وعينان تجريان وجنتان لاصحاب اليمين فيهما فاكهة
ونخل ورمان وفيهما عينان نضاختان وقال ابن زيد ان الاوليين من ذهب للمقربين والاخريين
من ورق لاصحاب اليمين قلت والى هذا ذهب الحليمي ابو عبد الله الحسن بن الحسين في كتاب
منهاج الدين له واحتج بما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس ولمن خاف مقام ربه جنتان
الى قوله مدهامتان قال تانك للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين وعن ابي موسى الاشعري
نحو ذلك ولما وصف الله الجنتين اشار الى الفرق بينهما فقال في الاوليين فيهما عينان تجريان
وفي الاخريين فيهما عينان نضاختان اي فوارتان ولكنهما ليستا كالجاريتين لان النضخ
دون الجري وقال في الاوليين فيهما من كل فاكهة زوجان فعم ولم يخص وفي الاخريين فيهما
فاكهة ونخل ورمان ولم يقل من كل فاكهة وقال في الاوليين متكئين على فرش بطاينها
من استبرق وهو الديباج وفي الاخريين متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان والعبقري
الوشي ولا شك ان الديباج اعلى من الوشي والرفرف كسر الخبا ولا شك ان الفرش المعدة
للاتكا عليها افضل من فضل الخبا وقال في الاوليين في صفة الحور العين كانهن الياقوت
والمرجان وفي الاخريين فيهن خيرات حسان وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان
وقال في الاوليين ذواتا افنان وفي الاخريين مدهامتان اي خضراوان كانهما من
شدة خضرتهما سوداوان ووصف الاوليين بكثرة الاغصان والاخريين بالخضرة وحدها
وهذا كله تحقيق للمعنى الذي قصدناه بقوله ومن دونهما جنتان ولعل ما لم يذكر من
تفاوت ما بينهما اكثر مما ذكر فان قيل كيف لم يذكر اهل هاتين الجنتين كما ذكر اهل الجنتين
الاوليين قيل الجنان الاربع لمن خاف مقام ربه الا ان الخايفين لهم مراتب فالجنتان
الاوليان لاعلى العباد رتبة في الخوف من الله تعالى والجنتان الاخريان لمن قصرت
حاله في الخوف من الله تعالى ومذهب الضحاك ان الجنتين الاوليين من ذهب وفضة
والاخريين من ياقوت وزمرد وهما افضل من الاوليين وقوله ومن دونهما اي ومن امامهما
ومن قبلهما والى هذا القول ذهب ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقال

ومعنى ومن دونهما جنتان اي دون هذين الجنتين الى العرش اي اقرب وادنى الى العرش واخذ بعضهم بفضلها على الاولتين ما سنذكره عنه وقال مقاتل الجنتان الاولتان جنة عدن وجنة النعيم والاخريان جنة الفردوس وجنة المأوى قوله تعالى مدهامتان اي خضراوان من الري قاله ابن عباس وغيره وقال مجاهد مسودتان والدهمة في اللغة السواد يقال فرس ادهم وبعير ادهم وناقة دهما اي اشتدت زرقته حتى ذهب البياض الذي فيه فان زاد على ذلك حتى اشتد السواد فهو جون وادهم الفرس ادهماما اي صار ادهم وادهام الشي ادهيماما اي اسواد قال تعالى مدهامتان اي سوداوان من شدة الخضرة من الري والعرب تقول لكل اخضر اسود وقال لبيد يرثي قتلى هوازن

• وجاوا به في هودج ووراه • كتايب خضر في نسيج السنور •

السنور لبوس من قد كالدرع وسميت قرى العراق سوادا لكثرة خضرتها ويقال لليل المظلم اخضر ويقال اباد الله خضراهم اي سوادهم قوله تعالى فيهما عينان نضاختان اي فوارتان بالماء عن ابن عباس والنضخ بالخاء اكثر من النضح بالحاء وعنه ان المعنى نضاختان بالخير والبركة وقاله الحسن ومجاهد ابن مسعود وابن عباس ايضا وانس تنضخ على اولياء الله بالمسك والعنبر والكافور في دور اهل الجنة كما ينضخ رش المطر وقال سعيد بن جبير بانواع الفواكه والماء الترمذي قالوا ان الفواكه والنعم والحور المزينات والدواب المسرجات والثياب الملونات قال الترمذي وهذا يدل على ان النضخ اكثر من الجري وقيل ينبعان ثم يجريان قوله تعالى فيهما فاكهة ونخل ورمان فيه مسلتان الاولى قال بعض العلماء ليس الرمان والنخل من الفاكهة لان الشي لا يعطف على نفسه انما يعطف على غيره وهذا ظاهر الكلام وقال الجمهور هما من الفاكهة وانما اعاد ذكر النخل والرمان لفضلهما وحسن موقعهما على الفاكهة كقوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله وجبريل وميكال وقد تقدم وقيل انما كررهما لان النخل والرمان كانا عندهم في ذلك الوقت بمنزلة البر عندنا لان النخل عامة قوتهم والرمان كالثمرات فكان يكثر غرسهما عندهم لحاجتهم اليه وكانت الفواكه عندهم من الوان الثمار التي يعجبون بها فانما ذكر الفاكهة ثم ذكر النخل والرمان لعمومهما وكثرتهما عندهم من المدينة الى مكة الى ما والاها من ارض اليمن فاخرجهما في الذكر من الفواكه وافرد الفواكه على حدتها وقيل افردا بالذكر لان النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودوا فلم يخلصا للتفكه ومنه قال ابو حنيفة رحمه الله وهي المسلة الثانية اذا حلف ان لا ياكل فاكهة فاكل رمانا او رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه والناس قال ابن عباس الرمانة في الجنة مثل جلد البعير المقتب جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وذكر ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب احمر وتمرها مثل القلال والدلاء اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس له عجم قال وحدثنا المسعودي عن عمرو بن مرة عن ابي عبيدة قال نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها اخرى وان ماءها يجري في غير اخدود والعنقود اثنا عشر ذراعا قوله تعالى فيهن خيرات حسان فيه مسلتان الاولى قوله تعالى فيهن خيرات حسان يعني النسا الواحدة خيرة على معنى ذوات خير وقيل خيرات بمعنى خيرات فخفف كهين ولين ابن المبارك اخبرنا الاوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن عامر قال لو ان خيرة من خيرات حسان اطلعت من السما لاضات لها ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكساه خيرة خير من الدنيا وما فيها حسان اي حسان الخلق واذا قال الله تعالى حسان فمن ذا الذي يقدر ان يصف حسنهن وقال الزهري وقتادة خيرات الاخلاق حسان الوجوه وروي ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ام سلمة.

وقال

وقال ابو صالح لانهن عذارى ابكار وقرا قتادة وابن السميفع وابو رجا العطاردي وبكر ابن حبيب السهمي خيرات بالتشديد على الاصل وقد قيل ان خيرات جمع خير والمعنى ذوات خير وقيل مختارات قال الترمذي فالخيرة ما اختاره الله فابدع خلقهن باختياره فاختيار الله لا يشبه اختيار الادميين ثم قال حسان فوصفهن بالحسن فاذا وصف خالق الحسن شيا بالحسن فانظر ما هناك وفي الاولين ذكر بانهن قاصرات الطرف وكانهن الياقوت والمرجان فانظر كم بين الخيرة وهي مختارة الله وبين قاصرات الطرف وفي الحديث ان الحور العين ياخذ بعضهن بايدي بعض ويتغنين باصوات لم تسمع الخلائق باحسن منها ولا بمثلها نحن الراضيات فلا نسخط ابدا ونحن المقيمات فلا نظعن ابدا ونحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نبوس ابدا ونحن خيرات حسان حبيبات لازواج كرام خرجه الترمذي من حديث علي رضي الله عنه وقالت عايشة رضي الله عنها ان الحور العين اذا قلن هذه المقالة اجابهن المومنات من نسا اهل الدنيا نحن المصليات وما صليتن ونحن الصايمات وما صمتن ونحن المتوضيات وما توضاتن ونحن المتصدقات وما تصدقتن قالت عايشة رضي الله عنها فغلبنهن والله الثانية واختلف ايما اكثر حسنا وابهر جمالا الحور ام الادميات فقيل الحور لما ذكر من وصفهن في القران والسنة ولقوله صلى الله عليه وسلم في دعايه على الميت وابدله زوجا خيرا من زوجه وقيل الادميات افضل من الحور العين بسبعين الف ضعف روي مرفوعا ذكر ابن المبارك واخبرنا رشدين عن ابن انعم عن حبان بن ابي جبلة قال ان نسا الدنيا من دخل منهن الجنة فضلن على الحور العين بما عملن في الدنيا وقد قيل ان الحور العين المذكورات في القران هن المومنات من ازواج النبيين والمومنين يخلقن في الاخرة على احسن صورة قاله الحسن البصري والمشهور ان الحور العين لسن من نسا الدنيا انما هن مخلوقات في الجنة لان الله تعالى قال لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان واكثر نسا اهل الدنيا مطموثات ولان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اقل ساكني الجنة النسا فلا يحصل لكل واحد منهم امراة ووعد الحور العين لجماعتهم فثبت انهن من غير نسا الدنيا قوله تعالى حور مقصورات في الخيام حور جمع حوراء وهي الشديدة بياض العين الشديدة سواد العين وقد تقدم مقصورات محبوسات مستورات في الخيام في الحجال لسن بالطوافات في الطرق قاله ابن عباس وقال عمر رضي الله عنه الخيمة درة مجوفة وقاله ابن عباس وقال هو فرسخ في فرسخ لها اربعة الاف مصراع من ذهب وقال الترمذي الحكيم ابو عبد الله في قوله تعالى حور مقصورات في الخيام بلغنا في الروايات ان سحابة مطرت من العرش فخلقن من قطرات الرحمة ثم ضرب على كل واحدة خيمة على شاطي الانهار سعتها اربعون ميلا وليس لها باب حتى اذا حل ولي الله بالجنة انصدعت الخيمة عن باب ليعلم ولي الله ان ابصار المخلوقين من الملايكة والخدم لم تاخذها فهي مقصورة قد قصر بها عن ابصار المخلوقين والله اعلم وقال في الاولين فيهن قاصرات الطرف قصرن طرفهن على الازواج ولم يذكر انهن مقصورات فدل على ان المقصورات اعلى وافضل وقال مجاهد مقصورات قد قصرن على ازواجهن فلا يردن بدلا منهم وفي الصحاح وقصرت الشي اقصره قصرا حبسته ومنه مقصورة الجامع وقصرت الشي على كذا اي لم تجاوز به الى غيره وامراة قصيرة اي مقصورة في البيت لا تترك ان تخرج قال كثير

• وانت التي حببت كل قصيرة • الي وما تدري بذاك القصاير •

• عنيت قصيرات الحجال ولم ارد • قصار الخطا شر النسا البحاتر •

وانشده الفرا قصورة ذكره ابن السكيت وروى انس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري بي في الجنة بنهر حافتاه قباب المرجان فنوديت منه السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل من هولا قال هولا جوار من الحور العين استاذن ربهن في ان يسلمن عليك فاذن لهن فقلن نحن الخالدات فلا نموت ابدا ونحن الناعمات فلا نباس ابدا ونحن الراضيات فلا نسخط ابدا ازواج رجال كرام ثم قرا النبي صلى الله عليه وسلم حور مقصورات في الخيام محبوسات حبس صيانة وتكرمة وروي عن اسما بنت

عبيد الاسهلية انها اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله انا معشر النسا محصورات مقصورات قواعد بيوتكم حوامل اولادكم فهل نشارككم في الاجر فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم اذا احسنتن تبعل ازواجكن وطلبتن مرضاتهم قوله تعالى لم يطمثهن اي لم يمسسهن على ما تقدم قيل قراة العامة لم يطمثهن بكسر الميم وقرا ابو حيوة الشامي وطلحة ابن مصرف والاعرج والشيرازي عن الكسائي بضم الميم في الحرفين وكان الكسائي يكسر احداهما ويضم الاخرى ويخير في ذلك فاذا رفع الاولى رفع الثانية وهي قراة ابي اسحاق الشعبي ٭ قال ابو اسحاق كنت اصلي خلف اصحاب علي فيرفعون الميم وكنت اصلي خلف اصحاب عبد الله فيكسرونها فاستعمل الكسائي الاثرين وهما لغتان طمث وطمث مثل يعرشون ويعكفون فمن ضم فللجمع بين اللغتين ومن فلانها اللغة السائرة وانما اعاد قوله لم يطمثهن ليبين ان صفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور المقصورات في الخيام كصفة الحور القاصرات الطرف يقول اذا قصرت كانت لهم الخيام في تلك الحال قوله تعالى متكئين على رفرف خضر الرفرف المحابس وقال بن عباس الرفرف فضول الفرش والبسط وعنه ايضا الرفرف المحابس يتكئون على فضولها وقاله قتادة وقال الحسن والقرظي هي البسط وقال ابن عيينة هي الزرابي وقال بن كيسان ايضا وقال ابو عبيدة هي حاشية الثوب وقال الليث ضرب من الثياب الخضر يبسط وقيل الفرش المرتفعة وقيل كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف قال بن مقبل ٭

٭ وانا لنزالون تغشى نعالنا ٭ سوا قطمن اصناف ربط ورفرف ٭

وهذه اقوال متقاربة وفي الصحاح والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة وقال سعيد بن جبير وبن عباس ايضا الرفرف رياض الجنة واشتقاق الرفرف من رف يرف اذا ارتفع ومنه رفرفة الطائر لتحريكه جناحيه في الهوا وربما سموا الظليم رفرافا بذلك لانه يرفرف بجناحيه ثم يعدو ورفرف الطائر ايضا اذا حرك جناحيه حول الشي يريد ان يقع عليه والرفرف ايضا كسر الخبا وجوانب الدرع وما تدلى منها الواحدة رفرفة وفي الخبر في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فرفع الرفرف فراينا وجهه كانه ورقة اي رفع طرف الفسطاط وقيل اصل الرفرف من رف البيت يرف اذا صار غضا نضيرا حكاه الثعلبي وقال القتبي يقال للشي اذا كثر ماوه من النعمة والغضاضة حتى يكاد يهتز رف يرف رفيفا حكاه الهروي وقد قيل ان الرفرف شي اذا استوى عليه صاحبه رفرف به واهوى به كالمرجاح يمينا وشمالا ورفعا وخفضا يتلذذ به مع انيسته قاله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد ذكرناه في التذكرة قال الترمذي فالرفرف اعظم خطرا في الفرش فذكر في الاوليين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وقال هنا متكئين على رفرف خضر فالرفرف هو مستقر الولي على شي اذا استوى عليه الولي رفرف به اي طار به هكذا وهكذا حيث ما يريد كالمرجاح واصله من رفرف بين يدي الله عز وجل روي لنا في حديث المعراج ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغ سدرة المنتهى جاء الرفرف فتناوله من جبريل وطار به الى سند العرش فذكر انه طار بي يخفضني ويرفعني حتى وقف بي على ربي ثم لما حان الانصراف تناوله فطار به خفضا ورفعا يهوي به حتى اداه الى جبريل صلوات الله عليه وسلامه يبكي ويرفع صوته بالتحميد فالرفرف خادم من الخدم بين يدي الله تعالى له خواص الامور في محل الدنو والقربة كما ان البراق دابة تركبها الانبيا مخصوصة بذلك في ارضه فهذا الرفرف الذي سخر لاهل الجنتين الدانيتين هو متكاوهما وفرشهما يرفرف بالولي على حافات تلك الانهار وشطوطها حيث شا الى خيام ازواجه الخيرات الحسان ثم قال وعبقري حسان والعبقريات منقوشة تبسط فاذا قال خالق النفوس انها حسان فاحسبك بتلك العباقر وعبقري حسان وقرا عثمان رضي الله عنه والجحدري والحسن وغيرهم متكئين على رفارف بالجمع غير مصروف وكذلك وعباقري حسان جمع رفرف وعبقري فرفرف اسم للجميع وعبقري واحد يدل على الجمع رفرفة وعبقرية والرفارف ٭

والعباقري

والعباقري جمع الجمع والعبقري جمع الطنافس الثخان منها قاله الفرا وقيل الزرابي عن ابن عباس وغيره الحسن هي البسط مجاهد الديباج القتبي كل ثوب وشي عند العرب عبقري قال ابو عبيد هو منسوب الى ارض يعمل فيها الوشي فينسب اليها كل وشي حمل قال ذو الرمة ٭ حتى كان رياض القف البسها ٭ من وشي عبقر تجليل وتنجيد ٭ ويقال عبقري قرية بناحية اليمن تنسج فيها بسط منقوشة وقال بن الانباري الاصل فيه ان عبقر قرية تسكن فيها الجن ينسب اليها كل فائق جليل وقال الخليل كل جليل نفيس فاضل وفاخر من الرجال والنسا وغيرهم عند العرب عبقري ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في عمر رضي الله عنه فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه وقال ابو عمرو بن العلا وقد سيل عن قوله عليه السلام فلم ار عبقريا من الناس يفري فريه فقال رييس قوم وجليلهم وقال زهير ٭

٭ بخيل عليها جنة عبقرية ٭ جديرون يوما ان ينالوا فيستعلوا ٭

وقال الجوهري العبقري موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد ٭

٭ كهول وشبان كجنة عبقر ٭ بل نسبوا اليه كل شي تعجبوا من حذقه وجودة صنعته وقوته فقالوا عبقري وهو واحد وجمع وفي الحديث انه كان يسجد على عبقري وهو هذه البسط التي فيها الاصباغ والنقوش حتى قالوا ظلم عبقري وهذا عبقري وهذا عبقري قوم للرجل القوي وفي الحديث فلم ار عبقريا يفري فريه ثم خاطبهم الله تعالى بما تعارفوه فقال عبقري حسان وقرا بعضهم عباقري وهو خطا لان المنسوب لا يجمع على نسبته وقال قطرب ليس بمنسوب هو مثل كرسي وكراسي وبختي وبخاتي وروي ابو بكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم متكئين على رفارف خضر وعباقري حسان ذكره الثعلبي وضم الضاد من خضر قليل قوله تعالى تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم ذي الجلال اي العظمة وقد تقدم والاكرام وقرا ابن عامر ذو الجلال بالواو وجعله وصفا للاسم وذلك تقوية لكون الاسم هو المسمى الباقون ذي الجلال والاكرام جعلوا ذي صفة لربك وكانه يريد به الاسم الذي افتتح السورة به فقال الرحمن فافتتح بهذا الاسم فوصف خلق الانسان والجن وخلق السموات والارض وصنعه وانه كل يوم هو في شان ووصف نفسه تدبيره فيهم ثم وصف يوم القيامة واهوالها وصفة النار ثم ختمها بصفة الجنان ثم قال في اخر السورة تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام اي هذا الاسم الذي افتتح به هذه السورة كانه يعلمهم ان هذا كله خرج لكم من رحمتي فمن رحمتي خلقتكم وخلقت لكم السما والارض والخلق والخليقة والجنة والنار فهذا كله لكم من اسم الرحمن فمدح اسمه ثم قال ذي الجلال والاكرام جليل في ذاته كريم في افعاله ولم يختلف القرا في اخر السورة على الوجه بالرفع في اول السورة وهو يدل على ان المراد به وجه الله تعالى الذي يلقى المومنون عند ما ينظروا اليه فيستبشرون بحسن الجزا وجميل اللقا وحسن العطا والله اعلم

سورة الواقعة

في قول الحسن وعكرمة وجابر وعطا وقال بن عباس وقتادة الا اية منها نزلت بالمدينة وهي قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وقال الكلبي مكية الا اربع ايات منها اثنان افبهذا الحديث انتم مدهنون وتجعلون رزقكم انكم تكذبون نزلتا في سفر وقوله تعالى ثلة من الاولين وثلة من الاخرين نزلتا في سفره الى المدينة وهي سبع وتسعون اية وقال مسروق من اراد ان يعلم نبا الاولين والاخرين ونبا اهل الجنة ونبا اهل النار ونبا اهل الدنيا ونبا اهل الاخرة فليقرا سورة الواقعة وذكر ابو عمر بن عبد البر في التمهيد والثعلبي ايضا ان عثمان دخل على بن مسعود يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال افلا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني قال افلا نامر لك بعطايك

قال لا حاجة لي فيه حبسته عني في حياتي وتدفعه لي عند مماتي قال يكون لبناتك
من بعدك قال أتخشى على بناتي الفاقة من بعدي إني أمرتهن أن يقرأن سورة الواقعة
كل ليلة فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة
أبدا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى إذا وقعت الواقعة أي قامت القيامة والمراد النفخة الأخيرة وسميت
الواقعة لأنها تقع عن قرب وقيل لكثرة ما يقع فيها من الشدائد وفيه إضمار أي
اذكر إذا وقعت الواقعة وقال الجرجاني إذا صلة أي وقعت الواقعة كقوله اقتربت الساعة
وأتى أمر الله وهو كما يقال قد جاء الصوم أي دنا واقترب وعلى الأول إذا للوقت والجواب
قوله فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة الكاذبة مصدر
بمعنى الكذب والعرب قد تضع الفاعل والمفعول موضع المصدر كقوله تعالى لا تسمع فيها
لاغية أي لغو والمعنى ليس لها كذب قاله الكسائي ومنه قول العامة عائذا بالله أي
معاذا بالله وقم قائما أي قم قياما ولبعض نساء العرب ترقص ابنها • قم قائما قم قائما • أصبت
عبدا نائما • وقيل الكاذبة صفة والموصوف محذوف أي ليس لوقعتها حال كاذبة
أو نفس كاذبة أي كل من يخبر عن وقعتها صادق وقال الزجاج ليس لوقعتها كاذبة
أي لا يردها شيء ونحوه قول الحسن وقتادة وقال الثوري ليس لوقعتها أحد يكذب
بها وقال الكسائي أيضا أي ليس لها تكذيب أي ينبغي أن لا يكذب بها أحد وقيل
إن قيامها جد لا هزل فيه قوله تعالى خافضة رافعة قال عكرمة ومقاتل والسدي
خفضت الصوت فأسمعت من دنا ورفعت الصوت فأسمعت من نأى يعني أسمعت القريب
والبعيد وعن السدي خفضت المتكبرين ورفعت المستضعفين وقال قتادة خفضت
أقواما في عذاب الله ورفعت أقواما إلى طاعة الله وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
خفضت أعداء الله في النار ورفعت أولياء الله في الجنة محمد بن كعب خفضت أقواما كانوا
في الدنيا مرتفعين ورفعت أقواما كانوا في الدنيا مخفوضين وقال ابن عطاء خفضت
قوما بالعدل ورفعت آخرين بالفضل والخفض والرفع يستعملان عند العرب في المكان
والمكانة والعز والإهانة ونسب سبحانه الخفض والرفع للقيامة توسعا ومجازا على
عادة العرب في إضافتها الفعل إلى المحل والزمان وغيرهما مما لم يكن منه الفعل يقولون
ليل قائم ونهار صائم وفي التنزيل بل مكر الليل والنهار والخافض والرافع على الحقيقة إنما
هو الله وحده فرفع أولياءه في أعلى الدرجات وجعل أعداءه في أسفل الدركات وقرأ
الحسن وعيسى الثقفي خافضة رافعة بالنصب الباقون على إضمار مبتدأ ومن نصب
فعلى الحال وهو عند الفراء على إضمار فعل والمعنى إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة
وقعت خافضة رافعة والقيامة لا شك في وقوعها وأنها ترفع أقواما وتضع آخرين
على ما بيناه قوله تعالى إذا رجت الأرض رجا أي زلزلت وحركت عن مجاهد وغيره
يقال رجه يرجه رجا أي حركه وزلزله وناقة رجاء عظيمة السنام والرجرجة والاضطراب
وارتج البحر وغيره وفي الحديث من ركب البحر حين يرتج فلا ذمة له يعني إذا اضطربت
أمواجه قال الكلبي وذلك أن الله تعالى إذا أوحى إليها اضطربت فرقا من الله تعالى
قال المفسرون ترتج كما يرتج الصبي في المهد حتى ينهدم كل ما عليها وينكسر كل شيء عليها
من الجبال وغيرها وعن ابن عباس الرجة الحركة الشديدة يسمع لها صوت وموضع
إذا نصب على البدل من إذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أي تخفض وترفع
وقت رج الأرض وبس الجبال لأن عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض
وقيل أي وقعت الواقعة إذا رجت الأرض قاله الزجاج والجرجاني وقيل أي اذكر
إذا رجت رجا مصدر وهو دليل على تكرار الزلزلة قوله تعالى وبست الجبال
بسا أي فتتت عن ابن عباس كما يبس الدقيق أي يلت والبسيسة السويق أو الدقيق
يلت بالسمن أو بالزيت ثم يؤكل ولا يطبخ وقد يتخذ زادا قال الراجز •

لا تخبزن

• لا تخبزا خبزا وبسا بسا • ولا تطيلا بمناخ حبسا •
وذكر أبو عبيدة أنه لص من غطفان أراد أن يخبز فخاف أن يعجل عن ذلك فأكله عجينا
والمعنى أنها خلطت فصارت كالدقيق الملتوت بشيء من الماء أي تصير الجبال ترابا فيختلط
البعض بالبعض وقال الحسن بست قلعت من أصلها فذهبت نظيرها ينسفها ربي نسفا
وقال عطية بسطت كالرمل والتراب وقيل أبست للإبل أبسها بالضم بسا وقال أبو عبيد
بست الإبل وأبسست لغتان إذا زجرتها وقلت بس بس وفي الحديث يخرج قوم من المدينة
إلى اليمن والشام والعراق يبسون والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون ومنه الحديث الآخر
جاءكم أهل اليمن يبسون عيالاتهم والعرب تقول جئ به من حسك وبسك ورواها أبو زيد
بالكسر فالمعنى من حسك من حيث أحسسته وبسك من حيث بلغه مسيرك وقال مجاهد
سالت سيلا عكرمة هدت هدا محمد بن كعب سيرت سيرا ومنه قول الأغلب العجلي وقال
الحسن قطعت قطعا والمعنى متقارب قوله تعالى فكانت هباء منبثا قال علي
رضي الله عنه الهباء المنبث الرهج الذي يسطع من حوافر الدواب ثم يذهب فجعل الله تعالى
أعمالهم كذلك وقال مجاهد الهباء هو الشعاع الذي يكون في الكوة كهيئة الغبار وروي نحوه
عن ابن عباس وعنه أيضا هو ما تطاير من النار إذا اضطرمت يطير منها شرر فإذا وقع لم
يكن شيئا وقاله عطية وقد مضى في الفرقان عند قوله تعالى وقدمنا إلى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا وقراءة العامة منبثا بالثاء المثلثة أي متفرقا من قوله تعالى وبث فيها من
كل دابة أي فرق ونشر وقرأ مسروق والنخعي وأبو حيوة منبتا بالتاء المثناة أي منقطعا
من قوله بته الله أي قطعه ومنه البتات قوله تعالى وكنتم أزواجا ثلاثة أي أصنافا
ثلاثة كل صنف يشاكل ما هو منه كما يشاكل الزوج الزوجة ثم بين من هم فقال فأصحاب
الميمنة وأصحاب المشأمة والسابقون فأصحاب الميمنة هم الذين يؤخذ بهم ذات اليمين
إلى الجنة وأصحاب المشأمة الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار قاله السدي والمشأمة
الميسرة وكذلك الشأمة يقال قعد فلان شأمة ويقال يا فلان شائم بأصحابك أي خذ بهم
شأمة أي ذات الشمال والعرب تقول لليد الشمال الشؤمى وللجانب الشمال الأشأم وكذلك
يقال لما جاء عن اليمين اليمن ولما جاء عن الشمال الشؤم وقال ابن عباس والسدي أصحاب
الميمنة هم الذين كانوا عن يمين آدم حين أخرجت الذرية من صلبه فقال الله لهم
هؤلاء في الجنة ولا أبالي وقال زيد بن أسلم هم الذين أخذوا من شق آدم الأيمن يومئذ وأصحاب
المشأمة هم الذين أخذوا من شق آدم الأيسر وقال عطاء ومحمد بن كعب أصحاب
الميمنة من أوتي كتابه بيمينه وأصحاب المشأمة من أوتي كتابه بشماله وقال ابن
جريج أصحاب الميمنة هم أهل الحسنات وأصحاب المشأمة هم أهل السيئات وقال الحسن
والربيع أصحاب الميمنة الميامين على أنفسهم بالأعمال الصالحة وأصحاب المشأمة
المشائيم على أنفسهم بالأعمال السيئة القبيحة وفي صحيح مسلم من حديث الإسراء عن
أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فلما علونا السماء الدنيا فإذا رجل عن يمينه
أسودة وعن يساره أسودة قال فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله
بكى قال فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا
قال هذا آدم عليه السلام وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل
اليمين أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار وذكر الحديث وقال المبرد
أصحاب الميمنة أصحاب التقدم وأصحاب المشأمة أصحاب التأخر والعرب تقول
اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين ولا تجعلني من
المتأخرين والتكرير في أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة للتفخيم والتعجيب كقوله
تعالى الحاقة ما الحاقة والقارعة ما القارعة كما يقال زيد ما زيد وفي حديث أم زرع مالك
وما مالك والمقصود تكثير ما لأصحاب الميمنة من الثواب ولأصحاب المشأمة من العقاب
وقيل أصحاب رفع بالابتداء والخبر ما أصحاب الميمنة ما هم المعنى أي شيء هم وقيل
يجوز أن يكون ما تأكيدا والمعنى مثل قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم .

سابق بالخيرات وقيل ثلة من الأولين أي من أولي هذه الأمة وقليل من الآخرين يسارع
في الطاعة حتى يلحق درجة الأولين ولهذا قال عليه السلام خيركم قرني ثم سووا في أصحاب
بين الأولين والآخرين والثلة من ثلث الشيء إذا اقتطعته فمعنى ثلة كمعنى فرقة قاله
الزجاج قوله تعالى على سرر موضونة أي السابقون في الجنة على سرر أي مجالسهم
على سرر جمع سرير موضونة قال ابن عباس منسوجة بالذهب وقال عكرمة مشبكة
بالدر والياقوت وعن ابن عباس أيضا موضونة مصفوفة كما قال في موضع آخر على سرر
مصفوفة وعنه أيضا وعن مجاهد مرمولة بالذهب وفي التفاسير موضونة أي منسوجة
بقضبان الذهب مشبكة بالدر والياقوت والزبرجد والوضن النسج المضاعف والنضد
يقال وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض وهو موضون ودرع موضونة أي
محكمة في النسج المضاعف والنضد يقال وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض
وهو موضون ودرع موضونة أي محكمة في النسج مثل مرمونة قال الأعشى
• ومن نسج داود موضونة • تساق مع الحي عيرا فعيرا • وقال أيضا
• وبيضا كالنهي موضونة لها • قونس وفوق جيب البدن •
والسرير الموضون الذي سطحه بمنزلة المنسوج ومنه الوضين بطان من سيور ينسج
فيدخل بعضه في بعض ومنه قوله • إليك تعدو قلقا وضينها •
متكئين عليها أي على السرر متقابلين أي لا يرى بعضهم قفا بعض بل تدور بهم الأسرة
وهذا في المؤمن وزوجته وأهله أي يتكئون متقابلين قاله مجاهد وغيره وقال
الكلبي طول كل سرير ثلثمائة ذراع فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت فإذا جلس
عليها ارتفعت قوله تعالى يطوف عليهم ولدان مخلدون أي غلمان لا يموتون قاله
مجاهد الحسن والكلبي لا يهرمون ولا يتغيرون ومنه قول امرئ القيس
• وهل ينعمن إلا سعيد مخلد • قليل الهموم ما يبيت بأوجال •
وقال سعيد بن جبير مخلدون مقرطون يقال للقرط الخلد ولجماعة الحلي الخلدة
وقيل مسورون ونحوه عن الفراء قال الشاعر
• ومخلدات باللجين كأنما • أعجازهن أقاوز الكثبان •
وقيل مقرطون منطقون من المناطق وقال عكرمة مخلدون منعمون وقيل على
سن واحد أنشأهم الله لأهل الجنة يطوفون عليهم كما شاء من غير ولادة وقال علي
ابن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري الولدان ها هنا ولدان المسلمين
الذين يموتون صغارا ولا حسنة لهم ولا سيئة وقال سلمان الفارسي أطفال المشركين
هم خدم أهل الجنة وقال الحسن لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون
عليها فوضعوا هذا الموضع والمقصود أن أهل الجنة على أتم السرور والنعمة والنعمة
إنما تتم باحتفاف الخدم والولدان بالإنسان بأكواب وأباريق أكواب جمع كوب
وقد مضى في الزخرف وهي الآنية التي لا عرى لها ولا خراطيم والأباريق التي لها
عرى وخراطيم واحدها إبريق سمي بذلك لأنه يبرق لونه من صفائه وكأس من معين
مضى في والصافات القول فيه والمعين الجاري من ماء أو خمر غير أن المراد به
في هذا الموضع الخمر الجارية من العيون وقيل الظاهرة للعيون فيكون معين
مفعولا من المعاينة وقيل هو فعيل من المعن وهو الكثرة وبين أنها ليست كخمر الدنيا
التي تستخرج بعصر وتكلف ومعالجة قوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون
أي لا تتصدع رؤوسهم من شربها أي إنها لذة بلا أذى بخلاف شراب الدنيا ولا ينزفون
تقدم في المعنى فالذين يؤتون كتابهم بأيمانهم هم أصحاب التقدم وعلو المنزلة قوله
تعالى والسابقون السابقون روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال السابقون
الذين إذا أعطوا الحق قبلوه وإذا سئلوه بذلوه وحكموا للناس كحكمهم لأنفسهم ذكره
المهدوي وقال محمد بن كعب القرظي إنهم الأنبياء وقال الحسن وقتادة السابقون إلى
الإيمان من كل أمة ونحوه عن عكرمة وقال محمد بن سيرين الذين صلوا القبلتين دليله

قوله

قوله تعالى والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وقال مجاهد وغيره هم
السابقون إلى الجهاد وأول الناس رواحا إلى الصلاة وقال علي رضي الله عنه هم السابقون
إلى الصلوات الخمس الضحاك إلى الجهاد سعيد بن جبير إلى التوبة وأعمال البر قال الله
تعالى سابقوا إلى مغفرة من ربكم ثم أثنى عليهم فقال أولئك يسارعون في الخيرات
وهم لها سابقون وقيل إنهم أربعة سابق أمة موسى وهو حزقيل مؤمن آل فرعون
وسابق أمة عيسى وهو حبيب النجار صاحب أنطاكية وسابقان في أمة محمد صلى الله
عليه وسلم وهما أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قاله ابن عباس حكاه الماوردي وقال شميط
ابن عجلان الناس ثلاثة فرجل ابتكر للخير في حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من
الدنيا فهذا هو السابق المقرب ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم طول الغفلة ثم رجع بتوبته
حتى ختم له بها فهذا من أصحاب اليمين ورجل ابتكر عمره بالذنوب ثم لم يزل عليها حتى
ختم له بها فهذا من أصحاب الشمال وقيل هو كل من سبق إلى شيء من أشياء الصلاح ثم قيل
السابقون رفع بالابتداء والثاني توكيد له والخبر أولئك المقربون وقال الزجاج
السابقون رفع بالابتداء والثاني خبره والمعنى السابقون إلى طاعة الله هم السابقون
إلى رحمة الله أولئك المقربون من صفتهم وقيل إذا خرج رجل من السابقين المقربين من
منزله في الجنة كان له ضوء يعرفه به من دونه قوله تعالى ثلة من الأولين أي جماعة
من الأمم الماضية وقليل من الآخرين أي ممن آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قال الحسن ثلة
ممن قد مضى قبل هذه الأمة وقليل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا منهم
بكرمك وسموا قليلا بالإضافة إلى من كان قبلهم لأن الأنبياء المتقدمين كثروا فكثر
السابقون إلى الإيمان بهم فزادوا على عدد من سبق إلى التصديق من أمتنا وقيل لما نزل
هذا شق على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت ثلة من الأولين وثلة من الآخرين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة بل ثلث أهل
الجنة بل نصف أهل الجنة وتقاسمونهم في النصف الثاني رواه أبو هريرة ذكره
الماوردي وغيره ومعناه ثابت في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود وكأنه
أراد أنها منسوخة والأشبه أنها محكمة لأنها خبر ولأن ذلك في جماعتين مختلفتين
قال الحسن سابقو من مضى أكثر من سابقينا فلذلك قال وقليل من الآخرين
وقال في أصحاب اليمين وهم سوى السابقين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين
ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة ثم
تلا ثلة من الأولين وثلة من الآخرين قال أبو بكر رضي الله عنه كلا الثلتين
من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فمنهم من هو في أول أمته ومنهم من هو في آخرها
في الصافات أي لا يسكرون فتذهب عقولهم وقرأ مجاهد لا يصدعون بمعنى لا
يتصدعون لا يتفرقون كقوله يومئذ يصدعون وقرأ أهل الكوفة ينزفون بكسر
الزاي أي لا ينفد شرابهم ولا تفنى خمرهم ومنه قول الشاعر
• لعمري لئن أنزفتم أو صحوتم • لبئس الندامى كنتم آل أبجرا •
وروى الضحاك عن ابن عباس قال في الخمر أربع خصال السكر والصداع والقيء
والبول وقد ذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال قوله تعالى
وفاكهة مما يتخيرون أي يتخيرون ما شاءوا لكثرتها وقيل وفاكهة متخيرة مرضية
والتخير الاختيار ولحم طير مما يشتهون روى الترمذي عن أنس بن مالك قال
سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الكوثر قال ذاك نهر أعطانيه الله يعني
في الجنة أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طير أعناقها كأعناق الجزر
قال عمر إن هذه لناعمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آكلها أنعم منها قال
هذا حديث حسن وخرجه الثعلبي من حديث أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال إن في الجنة طيرا مثل أعناق البخت تصطف على يد ولي الله فيقول
أحدها يا ولي الله رعيت في مروج تحت العرش وشربت من عيون التسنيم فكل مني

فلا يزال ينعتون بين يديه حتى يخطر على قلبه أكل أحدها فيخر بين يديه على ألوان
مختلفة فيأكل منها ما أراد فإذا شبع تجمع عظام الطائر فطار يرعى في الجنة حيث شاء
فقال عمر يا نبي الله إنها لناعمة فقال آكلها أنعم منها وعن أبي سعيد الخدري أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة لطيرا في الطائر منها سبعين ألف ريشة
فيقع على صحفة الرجل من أهل الجنة ثم ينتفض فيخرج من كل ريشة لون طعام أبيض
من الثلج وألذ وألين من الزبد وأعذب من الشهد ليس فيه لون يشبه صاحبه
فيأكل منها ما أراد ثم يذهب فيطير قوله تعالى وحور عين قرئ بالرفع والنصب
والجر فمن جر فهو حمزة والكسائي وغيرهما جاز أن يكون معطوفا على بأكواب وهو
محمول على المعنى لأن المعنى يتنعمون بأكواب وفاكهة ولحم وحور قاله الزجاج وجاز
أن يكون معطوفا على جنات أي هم في جنات النعيم وفي حور على تقدير حذف
المضاف كأنه قال وفي معاشرة حور الفراء الجر على الاتباع في اللفظ وإن اختلفا
في المعنى لأن الحور لا يطاف بهن قال الشاعر

• إذا ما الغانيات برزن يوما • وزججن الحواجب والعيونا •

والعين لا تزجج وإنما تكحل وقال الشاعر

• ورأيت زوجك في الوغى • متقلدا سيفا ورمحا •

وقال قطرب هو معطوف على الأكواب والأباريق من غير حمل على المعنى قال ولا
ينكر أن يطاف عليهم بالحور ويكون لهم في ذلك لذة ومن نصب وهو الأشهب
العقيلي وعيسى بن عمر الثقفي وهو كذلك في مصحف أبي فهو على تقدير إضمار
فعل كأنه قال ويزوجون حورا عينا والحمل في النصب على المعنى أيضا حسن لأن
معنى يطاف عليهم به يعطونه ومن رفع وهو الجمهور وهو اختيار أبي عبيد وأبي
حاتم فعلى هذا وعندهم حور عين لأنه لا يطاف عليهم بالحور العين وقال
الكسائي ومن قال وحور عين بالرفع وعلل بأنه لا يطاف بهن يلزمه ذلك في فاكهة
ولحم لأن ذلك لا يطاف به وليس يطاف إلا بالخمر وحدها وقال الأخفش يجوز
أن يكون محمولا على المعنى لأن المعنى لهم أكواب ولهم حور عين وجاز أن يكون معطوفا
على ثلة وثلة ابتداء وخبره على سرر موضونة وكذلك وحور عين وابتدأ بالنكرة
لتخصيصها بالصفة كأمثال أي مثل أمثال اللؤلؤ المكنون الذي لم تمسه الأيدي
ولم يقع عليه الغبار فهو أشد ما يكون صفاء وتلألؤا أي هن في تشاكل أجسادهن في
الحسن في جميع جوانبهن كما قال الشاعر

• كأنما خلقت من قشر لؤلؤة • فكل أكنافها وجه لمرصاد •

جزاء بما كانوا يعملون أي ثوابا ونصبه على المفعول له ويجوز أن يكون على المصدر
لأن معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون وقد مضى القول في الحور العين في الطور
وغيرها وقال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله الحور العين من
الزعفران وقال خالد بن الوليد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الرجل
من أهل الجنة ليمسك التفاحة من تفاح الجنة فتنفلق في يده فتخرج منها
حوراء لو نظرت للشمس لأخجلت الشمس من حسنها من غير أن ينقص من التفاحة
فقال له رجل يا أبا سليمان إن هذا لعجب ولا ينقص من التفاحة قال نعم كالسراج
الذي يوقد منه سراج آخر وسرج ولا ينقص والله على ما يشاء قدير وروي عن ابن
عباس أيضا رضي الله عنه أنه قال خلق الله الحور العين من أصابع رجليها
إلى ركبتيها من الزعفران ومن ركبتيها إلى ثدييها من المسك الأذفر ومن ثدييها
إلى عنقها من العنبر الأشهب ومن عنقها إلى رأسها من الكافور الأبيض عليها
سبعون ألف حلة مثل شقائق النعمان إذا أقبلت يتلألأ وجهها نورا ساطعا
كما يتلألأ الشمس لأهل الدنيا وإذا أقبلت يرى كبدها من رقة ثيابها وجلدها
في رأسها سبعون ألف ذؤابة من المسك الأذفر لكل ذؤابة منها وصيفة ترفع ذيلها

وهي

وهي تنادي هذا ثواب الأولياء جزاء بما كانوا يعملون قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا
ولا تأثيما قال ابن عباس باطلا ولا كذبا واللغو ما يلغى من الكلام والتأثيم مصدر أثمته
أي قلت له أثمت محمد بن كعب ولا تأثيما أي لا يؤثم بعضهم بعضا مجاهد لا يسمعون فيها لغوا ولا
تأثيما شتما ولا مأثما إلا قيلا سلاما سلاما قيلا منصوب بيسمعون أو استثناء منقطع أي
لكن يقولون قيلا أو يسمعون قيلا وسلاما سلاما منصوبان بالقول أي إلا أنهم يقولون
الخير أو على المصدر أي إلا أن يقول بعضهم لبعض سلاما أو يكون صفة لقيل والسلام الثاني
بدل من الأول والمعنى إلا قيلا يسلم فيه من اللغو ويجوز الرفع على تقدير سلام عليكم
قال ابن عباس أن يحيي بعضهم بعضا وقيل تحييهم الملائكة أو يحييهم ربهم جل وعز
قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين رجع إلى ذكر منازل أصحاب الميمنة وهم
السابقون على ما تقدم والتكرير لتعظيم شأن النعيم الذي هم فيه في سدر مخضود أي في
نبق قد خضد شوكه أي قطع قاله ابن عباس وغيره وذكر ابن المبارك أخبرنا صفوان عن
سليم بن عامر قال كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقولون إنه لينفعنا الأعراب
ومسائلهم قال أقبل أعرابي يوما فقال يا رسول الله لقد ذكر الله في القرآن مؤذية وما
كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هي قال
السدر فإن له شوكا مؤذيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوليس يقول سدر
مخضود خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة فإنها تنبت ثمرا تفتق الثمرة منها
على اثنين وسبعين لونا طعاما ما فيه لون يشبه الآخر وقال أبو العالية والضحاك نظر
المسلمون إلى وج وهو واد في الطائف مخصب فأعجبهم سدره فقالوا يا ليت لنا مثل
هذه فنزلت قال أمية بن أبي الصلت يصف الجنة

• إن الحدائق في الجنان ظليلة • فيها الكواعب سدرها مخضود •

وقال الضحاك ومجاهد ومقاتل بن حيان في سدر مخضود هو الموقر حملا وهو
قريب مما ذكرنا في الخبر سعيد بن جبير ثمرها أعظم من القلال وقد مضى هذا عن النبي
صلى الله عليه وسلم في سورة النجم عند قوله سدرة المنتهى أي ثمرها مثل قلال هجر من حديث
أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى وطلح منضود الطلح شجر الموز
واحده طلحة قاله أكثر المفسرين علي وابن عباس وغيرهم وقال الحسن ليس هو موز
ولكنه شجر له ظل بارد رطب وقال الفراء وأبو عبيدة شجر عظام لها شوك وقال بعض
الحداة وهو الجعدي

• بشرها دليلها وقالا • غدا ترين الطلح والأجبالا •

فالطلح كل شجر عظيم له شوك كثير الزجاج يجوز أن يكون في الجنة وقد أزيل شوكه
وقال الزجاج أيضا كشجر أم غيلان له نور طيب جدا فخوطبوا ووعدوا بما يحبون
مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على ما في الدنيا وقال
السدي طلح الجنة يشبه طلح الدنيا لكن له ثمر أحلى من العسل وقرأ علي بن أبي طالب
رضي الله عنه وطلع منضود بالعين وتلا هذه الآية طلعها هضيم وهو خلاف
المصحف في رواية أنه قال وقرئ بين يديه وطلح منضود فقال ما شأن الطلح إنما
هو وطلع منضود ثم قال لها طلع نضيد فقيل له أفلا تحولها فقال لا ينبغي أن يهاج
القرآن ولا يحول فقد اختار هذه القراءة ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة ما رسمه
مجمع عليه قاله القشيري وأسنده أبو بكر الأنباري قال نا أبي قال نا حسن بن عرفة
قال نا عيسى بن يونس عن مجالد عن الحسن بن سعد عن قيس بن عباد قال
قرأت عند علي أو قرئت عند علي شك مجالد وطلح منضود فقال علي رضي الله عنه
ما بال الطلح أما تقرأ وطلع نضيد فقيل له يا أمير المؤمنين أنحكها
من المصحف فقال لا يهاج القرآن اليوم قال أبو بكر ومعنى هذا أنه
رجع إلى ما في المصحف وعلم أنه هو الصواب وأبطل الذي كان فرط من قوله والمنضود
المتراكب الذي قد نضد أوله وآخره بالحمل ليست له سوق بارزة هو منضود والنضد
هو الرص والمنضد المرصوص قال النابغة

● حلت سبيل كان بحبسه ● ورفعته الي السجفين فالنضد ●
وقال مسروق اشجار الجنة من عروقها الي افنانها نضيدة ثمر كله كلما اكل ثمرة عاد
مكانها احسن منها قوله تعالي وظل ممدود اي دايم باق لا يزول ولا تنسخه الشمس كقوله
تعالي الم تر الي ربك كيف مد الظل وذلك بالغداة وهي ما بين الاسفار الي طلوع الشمس
حسب ما تقدم بيانه هناك والجنة كلها ظل لا شمس معه قال الربيع بن انس يعني
ظل العرش وقال عمرو بن ميمون مسيرة سبعين الف سنة وقال ابو عبيدة تقول العرب
للدهر الطويل والعمر الطويل والشي الذي لا ينقطع ممدود قال لبيد ●
● غلب العزا وكان غير مغلب ● دهر طويل دايم ممدود ●
وفي صحيح الترمذي وغيره عن ابي هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم ان في الجنة شجرة
يسير الراكب في ظلها ماية عام لا يقطعها واقروا ان شيتم وظل ممدود وما مسكوب اي جار
لا ينقطع واصل السكب الصب يقال سكبه سكبا والسكوب انصبابه يقال سكب سكوبا
وانسكب انسكابا اي وما مصبوب يجري الليل والنهار في غير اخدود ولا ينقطع عنهم
وكانت العرب اصحاب بادية وبلاد حارة وكانت الانهار في بلادهم عزيزة لا يصلون
الي الما الا بالدلو والرشا فوعدوا في الجنة خلاف ذلك ووصف لهم اسباب النزهة المعروفة
في الدنيا وظلالها والمياه والانهار واطرادها قوله تعالي وفاكهة كثيرة اي ليست
بالقليلة العزيزة كما كانت بلادهم لا مقطوعة اي في وقت من الاوقات كانقطاع فواكه
الصيف في الشتا ولا ممنوعة اي تمتنع من ارادها بشوك قال الله تعالي وذللت قطوفها
تذليلا وقيل ليست مقطوعة بالازمان ولا ممنوعة بالاثمان قوله تعالي وفرش
مرفوعة روي الترمذي عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله
تعالي وفرش مرفوعة قال ارتفاعها لكما بين السما والارض مسيرة خمس ماية سنة
قال حديث غريب لا نعرفه الا من حديث رشدين بن سعد قال بعض اهل العلم
في تفسير هذا الخبر الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السما والارض وقيل
ان الفرش هنا كناية عن النسا اللواتي في الجنة ولم لهن ذكر ولكن قوله عز وجل
وفرش مرفوعة قال لانها محل النسا فالمعني ونسا مرتفعات الاقدار في حسنهن وكمالهن
دليله قوله تعالي انا انشاناهن انشا اي خلقناهن خلقا وابدعناهن ابداعا
والعرب تسمي المراة فراشا ولباسا وازارا وقد قال تعالي هن لباس لكم ثم قيل علي هذا
هن الحور العين اي خلقناهن من غير ولادة وقيل المراد نسا بني آدم اي خلقناهن خلقا
جديدا وهو الاعادة اي اعدناهن الي حال الشباب وكمال الجمال والمعني انشانا العجوز
والصبية انشا واحدا واضمرهن ولم يتقدم ذكرهن قد دخلن في اصحاب اليمين ولان
الفرش كناية عن النسا كما تقدم وروي عن النبي صلي الله عليه وسلم في قوله
تعالي انا انشاناهن انشا قال منهن البكر والثيب وقالت ام سلمة سالت النبي صلي
الله عليه وسلم عن قوله تعالي انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا
فقال يا ام سلمة هن اللواتي قبضن في الدنيا عجايز شمطا عمشا رمصا جعلهن الله
بعد الكبر اترابا علي ميلاد واحد في الاستوا اسنده النحاس عن انس قال ثنا
احمد بن عمرو قال نا عمرو بن علي قال ثنا ابو عاصم عن موسي بن عبيدة عن يزيد
الرقاشي عن انس بن مالك رفعه انا انشاناهن انشا قال هن العجايز العمش
الرمص كن في الدنيا عمشا رمصا وقال المسيب بن شريك قال النبي صلي الله عليه
وسلم في قوله انا انشاناهن انشا فجعلناهن ابكارا عربا اترابا قال هن عجايز الدنيا
انشاهن الله خلقا جديدا كلما اتاهن ازواجهن وجدوهن ابكارا فلما سمعت عايشة
ذلك قالت واوجعاه فقال النبي صلي الله عليه وسلم ليس هناك وجع عربا جمع
عروب قال بن عباس ومجاهد وغيرهما العرب والعواشق لازواجهن وقال بن عباس
ايضا انها العروب الملقة عكرمة الغنجة بن زيد بلغة اهل المدينة ومنه قول لبيد
● وفي الخبا عروب غير فاحشة ● ريا الروادف يعشي ضوها البصرا ●

وهي الشكلة بلغة وعن زيد بن اسلم ايضا الحسنة الكلام وعن عكرمة ايضا وقتادة العرب
المتحببات الي ازواجهن واشتقاقه من اعرب اذا بين فالعروب تبين محبتها لزوجها بشكل وغنج
وحسن كلام وقيل انها الحسنة التبعل لتكون الذ استمتاعا وروي جعفر بن محمد عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم عربا قال كلامهن عربي وقرا حمزة
وابو بكر عن عاصم عربا باسكان وضم الباقون وهما جايزان في جمع فعول اترابا علي ميلاد
واحد وسن واحد ثلث وثلثين سنة في النسا اتراب وفي الرجال اقران وكانت العرب
تميل الي من جاوزت حد الصبا من النسا وانحطت عن الكبر وقيل اترابا اشكالا وقال
مجاهد السدي اترابا في الاخلاق لا تباغض بينهن ولا تحاسد لاصحاب اليمين قيل
الحور العين للسابقين والاتراب العرب لاصحاب اليمين قوله تعالي ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين رجع الكلام الي قوله تعالي واصحاب اليمين ما اصحاب اليمين اي هم
ثلة من الاولين وثلة من الاخرين وقد مضي الكلام في معناه وقال ابو العالية ومجاهد
وعطا بن ابي رباح والضحاك ثلة من الاولين يعني من سابقي هذه الامة وثلة من الاخرين
من هذه الامة من اخرها يدل عليه ما روي عن بن عباس في هذه الاية ثلة من الاولين
وثلة من الاخرين فقال النبي صلي الله عليه وسلم هم جميعا من امتي وقال الواحدي اصحاب
الجنة نصفان نصف من الامم الماضية ونصف من هذه الامة وهذا يرده ما رواه بن
ماجة في سننه والترمذي في جامعه عن بريدة بن حصيب قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم اهل الجنة عشرون وماية صف ثمانون منها من هذه الامة واربعون من ساير الامم
قال ابو عيسي هذا حديث حسن وثلة رفع علي الابتدا او علي حذف خبر حرف الصفة
ومجازه لاصحاب اليمين ثلتان ثلة من هولا وثلة من هولا والاولون الامم الماضية والاخرون
هذه الامة علي القول الثاني قوله تعالي واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال ذكر
منازل اهل النار وسماهم اصحاب الشمال لانهم ياخذون كتبهم بشمايلهم ثم عظم ذكرهم
في البلا والعذاب فقال ما اصحاب الشمال في سموم والسموم الريح الحارة التي تدخل
في مسام البدن والمراد هنا حر النار ولفحها وحميم اي ما حار قد انتهي حره اذا احرقت
النار اكبادهم واجسادهم فزعوا الي الحميم كالذي يفزع من النار الي الما ليطفي به الحر
فيجده حميما حارا في نهاية الحرارة والغليان وقد مضي في القتال وسقوا ما حميما فقطع
امعاهم وظل من يحموم اي يفزعون من السموم الي الظل كما يفزع اهل الدنيا فيجدونه ظلا
من يحموم اي من دخان جهنم اسود شديد السواد عن بن عباس ومجاهد وغيرهما
وكذلك اليحموم في اللغة الشديد السواد وهو يفعول من الحم وهو الشحم
المسود باحتراق النار وقيل هو ماخوذ من الحم المسود باحتراق النار وهو الفحم
وقال الضحاك النار سودا واهلها سود وكلما فيها اسود وعن بن عباس ايضا
قال النار سودا وقال بن زيد اليحموم جبل في جهنم يستغيث الي ظله اهل النار لا بارد
بل حار لانه من دخان سفير جهنم ولا كريم عذب عن الضحاك وقال سعيد بن
المسيب ولا حسن منظره وكل ما لا خير فيه فليس بكريم وقيل وظل من يحموم اي من
النار يعذبون بها كقوله تعالي لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل انهم
كانوا قبل ذلك مترفين اي انما استحقوا هذه العقوبة لانهم كانوا في الدنيا متنعمين
بالحرام والمترف المنعم عن بن عباس وغيره وقال السدي مترفين مشركين وكانوا
يصرون علي الحنث العظيم اي يقيمون علي الشرك عن الحسن والضحاك وبن زيد وقال
قتادة الذنب العظيم الذي لا يتوبون منه الشعبي هو اليمين الغموس وهي من الكباير
يقال حنث في يمينه اي لم يبرها ورجع فيها وكانوا يقسمون ان لا بعث وان الاصنام
انداد لله فذلك حنثهم قال الله تبارك وتعالي مخبرا عنهم واقسموا بالله جهد ايمانهم
لا يبعث الله من يموت بلي وفي الخبر كان يتحنث في حرا اي يفعل ما يسقط عن نفسه
الحنث وهو الذنب وكانوا يقولون ائذا متنا هذا استبعاد منهم لامر البعث وتكذيب
له فقال الله تعالي لهم قل يا محمد ان الاولين من ابايكم والاخرين منكم لمجموعون الي

ميقات يوم معلوم يريد يوم القيامة ومعنى الكلام القسم ودخول اللام في قوله تعالى
لمجموعون دليل القسم في المعنى اي انكم لمجموعون قسما حقا خلاف قسمكم الباطل ثم
انكم ايها الضالون عن الهدى المكذبون بالبعث لآكلون من شجر من زقوم وهو شجر
كريه المنظر كريه الطعم وهي التي ذكرت في سورة والصافات فمالئون اي من الشجر
لان المقصود من الشجر شجرة ويجوز ان يكون من الاولى زايدة ويجوز ان يكون المفعول
محذوفا كانه قال لآكلون من شجر من زقوم طعاما وقوله من زقوم صفة لشجر والصفة
اذا قدرت الجار زايدا نصب على المعنى او جر على اللفظ فان قدرت المفعول محذوفا
لم تكن الصفة الا في موضع جر قوله تعالى فشاربون عليه اي على الزقوم او على
الاكل او على الشجر لانه يذكر ويونث من الحميم وهو الماء المغلي الذي قد اشتد غليانه
وهو صديد اهل النار اي يورثهم حرما ما يأكلون من الزقوم مع الجوع الشديد عطشا
فيشربون ما يظنون انه يزيل العطش فيجدونه حميما مغلي قوله تعالى فشاربون
شرب الهيم قراه نافع وعاصم وحمزة شرب بضم الشين الباقون بفتحها لغتان جيدتان
تقول العرب شربت شربا وشربا بضمتين قال ابو زيد سمعت العرب تقول بضم الشين
وفتحها وكسرها والفتح هو المصدر الصحيح لان كل مصدر من ذوات الثلاثة فاصله
فعل الا ترى انك ترده الى المرة الواحدة فتقول فعلة نحو شربة وبالضم الاسم وقيل
ان الفتح والاسم مصدران فالشرب كالاكل والشرب كالذكر والشرب بالكسر المشروب
كالطحن للمطحون والهيم الابل العطاش التي لا تروى كذا يصيبها عن ابن عباس وعكرمة
وقتادة والسدي وغيرهم وقال عكرمة ايضا هي الابل المراض الضحاك الهيم الابل
يصيبها داء العطش فتشرب عطشا شديدا واحدها اهيم والانثى هيما ويقال لذلك الدا
الهيام قال قيس بن الملوح ٭ يقال به داء الهيام اصابه ٭ وقد علمت نفسي مكان شفائيا ٭
وقوم هيم ايضا اي عطاش وقد هاموا هياما ومن العرب من يقول في الابل هايم
وهايمة والجمع هيم قال لبيد ٭ اجزت الى معارفها بشعث ٭ واطلاح من المهري هيم ٭
وقال الضحاك والاخفش وابن عيينة الهيم الارض السهلة ذات الرمل وروي
ايضا عن ابن عباس فيشربون شرب الهيم الرمال التي لا تروى بالماء المهدوي ويقال
لكل ما لا يروى من الابل والرمل اهيم وهيمان وفي الصحاح والهيام بالضم اشد العطش
والهيام كالجنون من العشق والهيام داء ياخذ الابل تهيم في الارض لا ترعى
يقال ناقة هيما والهيما ايضا المفازة لا ما بها والهيام بالفتح الرمل الذي لا يتماسك
ان يسيل من اليد للينه والجمع هيم مثل قذال وقذل والهيام الابل العطاش
الواحد هيمان وناقة هيما مثل عطشان وعطشى قوله تعالى هذا نزلهم يوم
الدين اي رزقهم الذي يعد لهم كالنزل الذي يعد للاضياف تكرمة لهم وفيه تهكم كما
في قوله تعالى فبشرهم بعذاب اليم كقول ابي السعر الضبي ٭
٭ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا ٭ جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ٭
وقرا يونس بن حبيب وعباس عن ابي عمرو هذا نزلهم باسكان الزاي وقد مضى
في اخر ال عمران القول فيه يوم الدين يوم الجزاء يعني في جهنم قوله تعالى نحن
نحن خلقناكم فلولا تصدقون اي فهلا تصدقون ان هذا طعامكم بالبعث لان الاعادة
كالابتداء وقيل المعنى نحن خلقنا رزقكم فهلا تصدقون ان هذا طعامكم ان لم
تؤمنوا قوله تعالى افرايتم ما تمنون اي ما تصبونه من المني في ارحام النسا
أانتم تخلقونه تصورونه منه الانسان ام نحن الخالقون المقدرون المصورون
وهذا احتجاج عليهم وبيان للاية الاولى اي اذا اقررتم بانا خالقوه لا غيرنا فاعترفوا
بالبعث وقرا ابو السماك ومحمد بن السميقع واشهب العقيلي تمنون بفتح التا
وهما لغتان امنى ومنى وامذى ومذى يمني ويمني ويمذي ويمذي الماوردي
ويحتمل ان يختلف معناهما عندي فيكون امنى اذا انزل عن جماع ومنى اذا انزل
عن احتلام وهو اراقته الثاني لتقديره ومنه المنا الذي يوزن به لانه مقدار

لذلك

لذلك كذلك المني مقدار صحيح لتصوير الخلقة قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت
احتجاج ايضا اي الذي يقدر على الاماتة يقدر على الخلق واذا قدر على الخلق قدر
على البعث وقرا مجاهد وحميد وابن محيصن وابن كثير قدرنا بتخفيف الدال الباقون
بالتشديد قال الضحاك اي سوينا بين اهل السما واهل الارض وقيل قضينا وقيل كتبنا
والمعنى متقارب فلا احد يبقى غيره جل وعلا وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم
لم يسبقنا احد اي لم يغلبنا ومسبوقين معناه مغلوبين وقال الطبري المعنى نحن
قدرنا بينكم الموت على ان نبدل امثالكم بعد موتكم باخرين من جنسكم وما نحن بمسبوقين
في اجالكم اي لا يتقدم متاخر ولا يتاخر متقدم وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور والهيات
قال الحسن اي نجعلكم قردة وخنازير كما فعلنا باقوام قبلكم وقيل المعنى ننشئكم في البعث
على غير صوركم في الدنيا فنجمل المومن ببياض وجهه ونقبح الكافر بسواد وجهه سعيد
ابن المسيب قوله فيما لا تعلمون يعني في حواصل طير سود تكون ببرهوت كانها الخطا طيف
وبرهوت واد في اليمن وقال مجاهد يعني فيما لا تعلمون في اي خلق شيتم وقيل
المعنى ننشئكم في عالم لا تعلمون وفي مكان لا تعلمون قوله تعالى ولقد علمتم النشاة
الاولى اي اذ خلقتم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم تكونوا شيا عن مجاهد وغيره
قتادة والضحاك يعني خلق ادم عليه السلام فلولا تذكرون اي فهلا تذكرون وفي الخبر
عجبا كل العجب للمكذب بالنشاة الاخرة وهو يرى النشاة الاولى وعجبا للمصدق بالنشاة
الاخرة وهو يسعى لدار الغرور وقراة العامة النشاة بالقصر وقرا مجاهد والحسن وابن
كثير وابو عمرو النشاة بالمد وقد مضى في العنكبوت بيانه قوله تعالى افرايتم ما
تحرثون هذه حجة اخرى اي اخبروني عما تحرثون من ارضكم فتطرحون فيها البذر
انتم تنبتونه وتحصدونه زرعا فيكون فيه السنبل والحب ام نحن الفاعلون لذلك
وانما منكم البذر وشق الارض فاذا اقررتم بان اخراج السنبلة من الحب ليس اليكم
فكيف تنكرون اخراج الاموات من الارض واعادتهم واضاف الحرث اليهم والزرع اليه
تعالى لان الحرث فعلهم ويجري على اختيارهم والزرع من فعل الله تعالى وينبت
على اختياره لا على اختيارهم وكذلك ما روى ابو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يقولن احدكم زرعت وليقل حرثت فان الزارع هو الله تعالى قال ابو
هريرة الم تسمعوا قوله تعالى انتم تزرعونه ام نحن الزارعون والمستحب لكل من
يلقي البذر في الارض ان يقرا بعد الاستعاذة افرايتم ما تحرثون الاية ثم يقول
بل الله الزارع والمنبت والمبلغ اللهم صل على محمد وارزقنا ثمره وجنبنا ضرره واجعلنا
لانعمك من الشاكرين ويقال ان هذا القول امان لذلك الزرع من جميع الافات
الدود والجراد وغير ذلك سمعناه من ثقة وجرب فوجد كذلك ومعنى انتم تزرعونه
اي تجعلونه زرعا وقد يقال فلان زراع كما يقال حراث اي يفعل ما يؤول الى ان يكون
زرعا وفي التنزيل يعجب الزراع وقد يطلق لفظ الزرع على بذر الارض وتكريبها
تجوزا قلت فهو نهي ارشاد وادب لا نهي حظر وايجاب ومثله قوله صلى الله عليه
وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي وليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وقد
مضى في يوسف القول فيه وقد بالغ بعض العلما فقال لا يقل حرثت فاصبت بل يقل
اعانني الله فحرثت واعطاني بفضله ما اصبت قال الماوردي وتتضمن هذه الاية
امرين احدهما الامتنان عليهم بان انبت زرعهم حتى عاشوا به ليشكروه على نعمته
عليهم الثاني البرهان الموجب للاعتبار لانه لما انبت زرعهم بعد تلاشي بذره
وانتقاله الى استواء حاله من العفن والتتريب حتى صار زرعا اخضر ثم قويا
مشتدا اضعاف ما كان عليه فهو باعادة من امات احق عليه واقدر وفي هذا
البرهان مقنع لذوي الفطر السليمة ثم قال لو نشا لجعلناه حطاما اي متكسرا
يعني الزرع والحطام الهشيم الهالك الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذا فنبه بذلك
ايضا على امرين احدهما ما اولاهم به من النعم في زرعهم اذ لم يجعله حطاما ليشكروه

الا في ليعتبروا بذلك في انفسهم كما انه يجعل الزرع حطاما اذا شا كذلك يهلكهم اذا شا
ليتعظوا فينزجروا فظلتم تفكهون اي تعجبون بذهابها وتندمون مما حل بكم قاله الحسن
وقتاده وغيرهما وفي الصحاح وتفكه اي تعجب ويقال تندم قال الله تعالى
فظلتم تفكهون اي تندمون وتفكهت بالشي تمتعت به وقال يمان تندمون على نفقاتكم
دليله فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وقال عكرمة تلاومون وتندمون على ما سلف
منكم من معصية الله التي اوجبت عقوبتكم حتى نالتكم في زرعكم ابن كيسان تحزنون
والمعنى متقارب وفيه لغتان تفكهون وتفكنون قال الفرا والنون لغة عكل وفي الصحاح
التفكن التندم على ما فات وقيل التفكه التكلم فيما لا يعنيك ومنه قيل للمزاح فكاهة
بالضم فاما الفكاهة بالفتح فمصدر فكه الرجل بالكسر فهو فكه اذا كان طيب النفس
مزاحا وقراة العامه فظلتم بفتح الظا وقرا عبد الله فظلتم بكسر الظا ورواها هرون
عن حسين عن ابي بكر فمن فتح فعلى الاصل والاصل ظللتم فحذف اللام الاولى
تخفيفا ومن كسر نقل كسرة اللام الاولى الى الظا ثم حذفها انا لمغرمون قرا ابو بكر والمفضل
اينا بهمزتين على الاستفهام ورواه عاصم عن زر بن حبيش الباقون بهمزة واحدة
على الخبر اي يقولون انا لمغرمون اي معذبون عن ابن عباس وقتاده قالا والغرام
العذاب ومنه قول ابن المحلم • وثقت بان الحفظ مني سجيه • وان فوادي مبتلى
بك مغرم • وقال مجاهد وعكرمة المولع بنا ومنه قول النمر بن تولب
• سلا عن تذكره تكتما • وكان رهينا بها مغرما •
يقال اغرم فلان بفلانه اي اولع بها ومنه الغرام وهو الشر اللازم وقال مجاهد ايضا
لملقون شرا وقال مقاتل بن حيان مهلكون النحاس مغرمون ماخوذ من
الغرام وهو الهلاك كما قال • يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكانا غراما •
الضحاك وابن كيسان هو من الغرم والمغرم الذي ذهب ماله بغير عوض اي غرمنا الحب
الذي بذرناه وقال مرة الهمداني محاسبون بل نحن محرومون اي حرمنا ما طلبنا
من الريع والمحروم المحدود الممنوع من الرزق والمحروم ضد المرزوق وهو المحارف
في قول قتادة وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بارض الانصار فقال
ما يمنعكم من الحرث قالوا الجدوبة فقال لا تفعلوا فان الله يقول انا الزارع ان
شيت زرعت بالما وان شيت زرعت بالريح وان شيت زرعت بالبذر ثم تلا افرايتم
ما تحرثون اانتم تزرعونه ام نحن الزارعون قلت وفي هذا الخبر والحديث الذي
قبله ما يصحح قول من ادخل الزارع في اسما الله سبحانه واباه الجمهور من العلما
وقد ذكرنا ذلك في كتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى قوله تعالى افرايتم
الما الذي تشربون لتحيوا به انفسكم وتسكنوا به عطشكم لان الشراب انما يكون
تبعا للمطعوم ولهذا جا الطعام مقدما في الاية قبل الا ترى انك تسقي ضيفك بعد
ان تطعمه الزمخشري ولو عكست قعدت تحت قول ابي العلا
• واذا سقيت ضياف الناس محضا • سقوا اضيافهم شبما زلالا •
وسقي بعض العرب فقال انا لا اشرب الا على ثميلة انتم انزلتموه من المزن اي السحاب
الواحدة مزنه قال الشاعر • فنحن كما المزن ما في نصابنا • كهام ولا فينا يعد بخيل •
وهذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما ان المزن السحاب وعن ابن عباس ايضا
والثوري المزن السما والسحاب وفي الصحاح ابو زيد المزنة السحابة البيضا
والجمع مزن والمزنة المطرة قال
• الم تر ان الله انزل مزنه • وعفر الظبا في الكناس تقمع •
ام نحن المنزلون اي فاذا عرفتم باني انزلته فلم لا تشكروني باخلاص العبادة لي ولم
تنكرون قدرتي على الاعادة لو نشا جعلناه اجاجا اي ملحا شديد الملوحة قاله
ابن عباس مرا قعاعا لا ينتفعون به في شرب ولا زرع ولا غيرهما فلولا اي فهلا
تشكرون الذي صنع ذلك بكم قوله تعالى افرايتم النار التي تورون اي تخرجون

عن

عن النار التي تظهرونها بالقدح من الشجر الرطب التي انشانا شجرتها يعني التي تكون
منها الزنود وهي المرخ والعفار ومنه قولهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار اي
استكثروا منها كانهما اخذا من النار ما هو حسبهما ويقال لانهما يسرعان الوري يقال اوريت
النار اذا قدحتها وورى الزند يري اذا انقدحت منه النار وفيه لغة اخرى وري الزند يري
بالكسر فيهما ام نحن المنشون اي المخترعون لها اي فاذا عرفتم قدرتي فاشكروني
ولا تنكروا قدرتي على البعث قوله تعالى نحن جعلناها تذكرة يعني نار الدنيا
موعظة للنار الكبرى قاله قتاده مجاهد تبصرة للناس من الظلام وصح عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ناركم هذه التي توقد بنوا ادم جزو من سبعين جزوا
من نار جهنم فقالوا يا رسول الله ان كانت لكافيه قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزوا كلهن مثل حرها ومتاعا للمقوين قال الضحاك اي منفعة للمسافرين
سموا بذلك لنزولهم القوا وهو القفر الفرا انما يقال للمسافرين مقوين اذا نزلوا القي
وهي الارض القفر التي لا شي فيها وكذلك القوا والقوا بالمد والقصر ومنزل قوا لا
انيس به يقال اقوت الدار وقويت ايضا اي خلت من سكانها قال النابغه
• يا دار مية بالعليا فالسند • اقوت وطال عليها سالف الامد • وقال عنتره
• حييت من طلل تقادم عهده • اقوى واقفر بعد ام الهيثم •
ويقال اقوى اي قوي وقوي اصحابه واقوى اذا سافر اي نزل القوي والقي وقال
مجاهد للمقوين المستمتعين بها من الناس اجمعين في الطبخ والخبز والاصطلاء
والاستضاءة ويتذكر بها نار جهنم فيستجار بالله منها وقال ابن زيد للجائعين في
اصلاح طعامهم يقال اقويت منذ كذا وكذا اي ما اكلت شيا وبات فلان القوا وبات
القفر اذا بات جائعا على غير طعم قال الشاعر
• واني لاختار القوا طاوي الحشا • محافظة من ان يقال لئيم •
وقال الربيع والسدي المقوين المنزلين الذين لا زاد معهم يعني نارا يوقدون
فيختبزون بها ورواه العوفي عن ابن عباس وقال قطرب المقوي من الاضداد يكون
بمعنى الفقير ويكون بمعنى الغني يقال اقوى الرجل اذا لم يكن معه زاد واقوى اذا قويت
دوابه وكثر ماله المهدوي والاية تصلح للجميع لان النار يحتاج اليها المسافر والمقيم
والغني والفقير وحكى الثعلبي ان اكثر المفسرين على القول الاول القشيري وخص
المسافر بالانتفاع بها لان انتفاعه بها اكثر من منفعة المقيم لان اهل البادية لا بد
لهم من النار يوقدونها ليلا لتهرب منهم السباع وفي كثير من حوائجهم قوله تعالى فسبح
باسم ربك العظيم اي فنزه الله عما اضافه اليه المشركون من الانداد والعجز عن البعث قوله
تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم فيه سبع مسائل الاولى قوله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم
لا صلة في قول اكثر المفسرين والمعنى فاقسم بدليل قوله تعالى وانه لقسم وقال الفرا
هي نفي والمعنى ليس الامر كما تقولون ثم استانف اقسم وقد يقول الرجل لا والله ما كان
كذا ولا يريد به نفي اليمين بل يريد به نفي كلام تقدم اي ليس الامر كما ذكرت بل هو كذا وقيل
لا بمعنى الا للتنبيه كما قال • الا عم صباحا ايها الطلل البالي •
ونبه بهذا على فضيلة القران ليتدبروه وانه ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما زعموا
وقرا الحسن وحميد وعيسى بن عمر فلاقسم بغير الف بعد اللام على التحقيق وهو فعل
حال ويقدر مبتدا محذوف التقدير فلانا اقسم بذلك ولو اريد به الاستقبال للزمت
النون وقد جا حذف النون مع الفعل الذي يراد به الاستقبال وهو شاذ الثانية
قوله تعالى بمواقع النجوم مساقطها ومغاربها في قول قتادة وغيره عطا بن ابي رباح
منازلها الحسن انكدارها وانتثارها يوم القيامة الضحاك هي الانوا التي كانت اهل الجاهلية
تقول اذا مطروا قالوا مطرنا بنو كذا الماوردي ويكون قوله تعالى فلا اقسم مستعملا على
حقيقته في نفي القسم القشيري وهو قسم ولله ان يقسم بما يريد وليس لنا ان نقسم
بغير الله تعالى وصفاته القديمة قلت يدل على هذا قراة الحسن فلاقسم وما اقسم به

سبحانه من مخلوقاته في غير موضع من كتابه وقال ابن عباس المراد بمواقع النجوم
نزول القرآن نجوما انزله الله تعالى من اللوح المحفوظ في السما العليا الى السفرة
الكاتبين فنجمه السفرة على جبريل عشرين ليلة ونجمه جبريل على محمد صلى الله عليه وسلم
عشرين سنة فهو ينزله على الاحداث من امته حكاه الماوردي عن ابن عباس والسدي
وقال ابو بكر الانباري ثنا اسماعيل بن اسحاق القاضي قال ثنا حجاج بن المنهال قال
ثنا همام عن الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس قال نزل القرآن جملة واحدة الى السما الدنيا
ثم نزل الى الارض نجوما وفرق بعد ذلك خمس ايات خمس ايات واقل واكثر فذلك قول
الله تعالى فلا اقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم انه لقرآن كريم وحكى الفرا
عن ابن مسعود ان مواقع النجوم هو محكم القرآن وقرا حمزة والكسائي بموقع على التوحيد
وهي قراة عبد الله بن مسعود والنخعي والاعمش وابن محيصن ورويس عن يعقوب
الباقون على الجمع فمن افرد فلانه اسم جنس يود الواحد فيه عن الجميع ومن جمع فلاختلاف
انواعه لكنه قوله تعالى وانه لقرآن كريم قيل الها تعود على القرآن اي ان القرآن لقسم
عظيم قاله ابن عباس وغيره وقيل اي ما اقسم الله به عظيم انه لقرآن كريم ذكر المقسم عليه
اي اقسم بمواقع النجوم ان هذا القرآن قرآن ليس بسحر ولا كهانة وليس بمفترى بل هو
قرآن كريم محمود بره جعله الله تعالى معجزة بينة وهو كريم على المومنين
لانه كلام ربهم وشفاء صدورهم كريم لانه تنزيل ربهم ووحيه وقيل كريم اي غير مخلوق
وقيل كريم لما فيه من كريم الاخلاق ومعاني الامور وقيل لانه يكرم حافظه ويعظم
قاريه الرابعة قوله تعالى في كتاب مكنون مصون عند الله تعالى وقيل مكنون
محفوظ عن الباطل والكتاب هنا كتاب في السما قاله ابن عباس وقال جابر بن زيد
وابن عباس ايضا هو اللوح المحفوظ عكرمة التوراة والانجيل فيهما ذكر القرآن ومن
ينزل عليه السدي الزبور مجاهد وقتادة هو المصحف الذي في ايدينا الخامسة
قوله تعالى لا يمسه الا المطهرون اختلف في معنى لا يمسه الا المطهرون هل هو حقيقة
في المس بالجارحة او معنى وكذا اختلف في المطهرون من هم وقال انس وسعيد بن
جبير لا يمس ذلك الا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة وكذا قال ابو العالية وابن
زيد انهم الذين طهروا من الذنوب كالرسل من الملائكة والرسل من بني ادم فجبريل
النازل به مطهر والرسل الذين يجيئهم بذلك مطهرون الكلبي هم السفرة الكرام البررة
وهذا كله قول واحد وهو نحو ما اختاره مالك حيث قال احسن ما سمعت في قوله
تعالى لا يمسه الا المطهرون انها بمنزلة الاية التي في عبس وتولى فمن شا ذكره في صحف
مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة كرام بررة يريد ان المطهرين هم الملائكة الذين
وصفوا بالطهارة في سورة عبس وقيل معنى لا يمسه الا المطهرون الا الرسل
من الملائكة على الرسل من الانبيا وقيل لا يمس اللوح المحفوظ الذي هو الكتاب
المكنون الا الملائكة المطهرون وقيل ان اسرافيل هو الموكل بذلك حكاه القشيري ابن
العربي وهذا باطل لان الملائكة لا تناله في وقت ولا تصل اليه بحال ولو كان
المراد به ذلك لما كان للاستثنا فيه مجال واما من قال انه الذي بايدي الملائكة في
الصحف فهو قول محتمل وهو الذي اختاره مالك وقيل المراد بالكتاب المصحف
الذي بايدينا وهو الاظهر وقد روى مالك وغيره ان في كتاب عمرو بن حزم الذي
كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسخته من محمد النبي الى شرحبيل بن عبد
الله كلال والحرث بن عبد كلال ونعيم بن عبد كلال قيل ذي رعين ومعافر
وهمدان اما بعد وكان في كتابه الا يمس القرآن الا طاهر وقال ابن عمر قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا تمس القرآن الا وانت طاهر وقالت اخت عمر لعمر عند اسلامه وقد
دخل عليها ودعا بالصحيفة لا يمسه الا المطهرون فقام واغتسل واسلم وقد مضى في
اول سورة طه وعلى هذا المعنى قال قتادة وغيره لا يمسه الا المطهرون من الاحداث
والانجاس الكلبي من الشرك الربيع بن انس من الذنوب والخطايا وقيل معنى لا

يمسه

يمسه اي لا يقروه الا المطهرون الا الموحدون قاله محمد بن فضيل وعبدة قال عكرمة
كان ابن عباس ينهى ان يمكن احد من اليهود والنصارى من قراة القرآن وقال الفرا
لا يجد طعمه ونفعه وبركته الا المطهرون اي المومنون بالقرآن ابن العربي وهو اختيار
البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا وقال الحسين بن الفضل لا يعرف تفسيره وتاويله
الا من طهره الله من الشرك والنفاق وقال ابو بكر الوراق لا يوفق للعمل به الا السعدا وقيل
المعنى لا يمس ثوابه الا المومنون ورواه معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قيل ظاهر
الاية خبر عن الشرع اي لا يمسه الا المطهرون شرعا فان وجد خلاف ذلك فهو غير الشرع
وهذا اختيار القاضي ابو بكر ابن العربي وابطل ان يكون لفظه لفظ الخبر ومعناه الامر
وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة المهدوي يجوز ان يكون امرا وتكون ضمة السين ضمة اعراب
ويجوز ان يكون نهيا وتكون ضمة السين بنا والفعل مجزوم السادسة واختلف العلما في
مس المصحف على غير وضوء فالجمهور على المنع من مسه على غير طهارة لحديث عمرو بن حزم
وهو مذهب علي وابن مسعود وسعد بن ابي وقاص وسعيد بن جبير وعطا والزهري
والثوري والحكم وحماد وجماعة من الفقها منهم مالك والشافعي واختلفت الرواية عن ابي
حنيفة فروي عنه انه يمسه المحدث وقد روي هذا عن جماعة من السلف منهم ابن عباس
والشعبي وغيرهما وروي عنه انه يمس ظاهره وحواشيه وما لا مكتوب فيه واما الكتاب
فلا يمسه الا طاهر ابن العربي وهذا ان سلمه مما تقوي الحجة عليه لان حريم الممنوع ممنوع وفيما كتبه
النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم اقوى دليل عليه وقال مالك لا يحمله غير طاهر بعلاقة
ولا على وساده وقال ابو حنيفة لا باس بذلك ولا يمنع من حمله بعلاقة او مسه بحايل
وقد روي عن الحكم وحماد وداود بن علي انه لا باس بحمله ومسه للمسلم والكافر طاهرا
او محدثا الا ان داود قال لا يجوز للمشرك حمله واحتجوا في اباحة ذلك بكتاب النبي صلى
الله عليه وسلم الى قيصر وهو موضع ضرورة فلا حجة فيه وفي مس الصبيان اياه على وجهين
احدهما المنع اعتبارا بالبالغ والثاني الجواز لانه لو منع لم يحفظ القرآن لان حال تعلمه حال
الصغر ولان الصبي وان كانت له طهارة الا انها ليست بكاملة لان النية لا تصح منه فاذا
جاز ان يحمله على غير طهارة كاملة جاز ان يحمله محدثا السابعة قوله تعالى تنزيل من رب
العالمين اي منزل كقولهم ضرب الامير ونسج اليمن وقيل تنزيل صفة لقوله تعالى انه
لقرآن كريم وقيل اي هو تنزيل قوله تعالى افبهذا الحديث يعني القرآن انتم مدهنون
اي مكذبون قاله ابن عباس وعطا وغيرهما والمدهن الذي ظاهره خلاف باطنه كانه شبه
بالدهن في سهولة ظاهره وقال مقاتل بن سليمان وقتادة مدهنون كافرون نظيره
ودوا لو تدهن فيدهنون وقال المورج المدهن المنافق الذي يلين جانبه ليخفي
كفره والادهان والمداهنة التكذيب والكفر والنفاق واصله اللين وان يسر
خلاف ما يظهر وقال ابو قيس بن الاسلت الحزم والقوة خير من الادهان والفهه والهاع
وادهن وداهن واحد وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت
وقال الضحاك مدهنون معرضون مجاهد ممالئون الكفار على الكفر به ابن كيسان
المدهن الذي لا يعقل ما حق الله عليه ويدفعه بالعلل وقال بعض اللغويين مدهنون
تاركون للجزم في قبول القرآن قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون قال
ابن عباس تجعلون شكركم التكذيب وذكر الهيثم بن عدي ان من لغة ازد شنوه
ما رزق فلان اي ما شكر وانما صلح ان يوضع اسم الرزق مكان شكره لان شكر الرزق
يقتضي الزيادة فيه فيكون الشكر رزقا على هذا المعنى فقيل وتجعلون رزقكم اي
شكر رزقكم الذي لو وجد منكم لعاد رزقا لكم انكم تكذبون بالرزق اي تضعون
الكذب مكان الشكر كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكا وتصدية
اي لم يكونوا يصلون ولكنهم كانوا يصفرون ويصفقون مكان الصلاة ففيه بيان
ان ما اصاب العباد من خير فلا ينبغي ان يروه من قبل الوسايط التي جرت العادة

بان تكون اسبابا بل ينبغي ان يراه من قبل الله تعالى ثم يقابله بشكر ان كان نعمة او صبر ان كان مكروها تعبدا له وتذللا وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قرا وتجعلون رزقكم انكم تكذبون خففه وعن ابن عباس ايضا ان المراد به الاستسقا بالانوا وهو قول العرب مطرنا بنو كذا ورواه علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اصبح من الناس شاكر ومنهم كافر قالوا هذه رحمة الله وقال بعضهم لقد صدق نو كذا وكذا قال فنزلت هذه الاية فلا اقسم بمواقع النجوم حتى بلغ وتجعلون رزقكم انكم تكذبون وعنه ايضا ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج في سفر فعطشوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارايتم ان دعوت الله لكم فسقيتم لعلكم تقولون هل هذا المطر بنو كذا فقالوا يا رسول الله ما هذا بحين الانوا فصلى ركعتين ودعا ربه فهاجت ريح ثم هاجت سحابة فمطروا فمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عصابة من اصحابه برجل يغترف بقدح له وهو يقول سقينا بنو كذا ولم يقل هذا من رزق الله فنزلت وتجعلون رزقكم انكم تكذبون اي شكركم لله على رزقه اياكم انكم تكذبون بالنعمة وتقولون سقينا بنو كذا كقولك جعلت احساني اليك اساة منك الي وجعلت انعامي لديك ان اتخذتني عدوا وفي الموطا عن زيد ابن خالد الجهني انه قال صلى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على اثر سما كانت من الليل فلما انصرف اقبل على الناس فقال اتدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب واما من قال مطرنا بنو كذا وكذا فذلك كافر بي مومن بالكوكب قال الشافعي لا احب لاحد ان يقول مطرنا بنو كذا وان كان النو عنده الوقت المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يمطر ولا يحبس شيا من المطر والذي احب ان يقول مطرنا وقت كذا كما تقول مطرنا شهر كذا ومن قال مطرنا بنو كذا وهو يريد ان النو انزل الما كما بعض اهل الشرك من الجاهلية يقوله فهو كافر حلال دمه ان لم يتب وقال ابو عمر بن عبد البر اما قوله صلى الله عليه وسلم حاكيا عن الله سبحانه اصبح من عبادي مومن بي وكافر فمعناه عندي على وجهين اما احدهما فان المعتقد بان النو هو الموجب لنزول الما وهو المنشي للسحاب دون الله عز وجل فذلك كافر كفرا صريحا يجب استتابته عليه وقتله لنبذه الاسلام ورده القران والوجه الاخر ان يعتقد ان النو ينزل الله به الما وانه سبب الما على ما قدره الله وسبق في علمه وهذا وان كان وجها مباحا فان فيه ايضا كفرا بنعمة الله عز وجل وجهلا بلطيف حكمته لانه ينزل الما متى شا مرة بنو كذا ومرة دون النو وكثيرا ما يخوي النو فلا ينزل معه شي من الما وذلك من الله تعالى لا من النو وكذلك كان ابو هريرة يقول اذا اصبح وقد مطرنا مطرنا بنو الفتح ثم يتلو ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها قال ابو عمر وهذا عندي نحو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مطرنا بفضل الله ورحمته ومن هذا الباب قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه للعباس بن عبد المطلب حين استسقى به يا عم رسول الله كم بقي من نو الثريا فقال العباس العلما يزعمون انها تعترض في الافق سبعا بعد سقوطها فما مضت سابعة حتى مطروا فقال عمر الحمد لله هذا بفضل الله ورحمته فكان عمر رضي الله عنه قد علم ان الثريا وقت يرجى فيه المطر ويومل فساله عنه اخرج ام بقيت منه بقية وروى سفيان بن عيينة عن اسماعيل بن امية ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا في بعض اسفاره يقول مطرنا ببعض عثانين الاسد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبت بل هو سقيا الله عز وجل قال سفيان عثانين الاسد الذراع والجبهة وقراة العامة تكذبون من التكذيب وقرا المفضل عن عاصم ويحيى بن وثاب تكذبون بفتح التا مخففا ومعناه

ما قدمناه

ما قدمناه من قول من قال انهم قولهم مطرنا بنو كذا وثبت من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لن تزلن في امتي التفاخر في الاحساب والنياحة والانوا ولفظ مسلم في هذا اربع في امتي من امر الجاهلية لا يتركوهن الفخر في الاحساب والطعن في الانساب والاستسقا بالنجوم والنياحة قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم اي فهلا اذا بلغت النفس او الروح الحلقوم ولم يتقدم لها ذكر لان المعنى معروف قال حاتم

• اماوي ما يغني الثرا عن الفتى • اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر •

وفي حديث ان ملك الموت له اعوان يقطعون العروق ويجمعون الروح شيا فشيا حتى ينتهي بها الى الحلقوم فيتوفاها ملك الموت وانتم حينئذ تنظرون امري وسلطاني وقيل تنظرون الى الميت لا تقدرون له على شي وقال ابن عباس يريد من حضر من اهل الميت ينتظرون متى تخرج نفسه ثم قيل هو رد عليهم في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا اي فهلا ردوا روح الواحد منهم اذا بلغت الحلقوم وقيل المعنى فهلا اذا بلغت نفس احدكم الحلقوم عند النزع وانتم حضور امسكتم روحه في جسده مع حرصكم على امتداد عمره وحبكم لبقائه وهذا رد لقولهم نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وقيل هو خطاب لمن هو في النزع اي ان لم يكن ما بك من الله فهلا حفظت على نفسك الروح ونحن اقرب اليه منكم اي بالقدرة والعلم والروية قال عامر بن عبد قيس ما نظرت الى شي الا رايت الله اقرب الي منه وقيل اراد ورسلنا الذين يتولون قبضه اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون اي لا ترونهم قوله تعالى فلولا ان كنتم غير مدينين اي فهلا ان كنتم غير محاسبين ولا مجزيين باعمالكم ومنه قوله تعالى ائنا لمدينون اي مجزيون محاسبون وقد تقدم وقيل غير مملوكين ولا مقهورين قال الفرا وغيره دنته ملكته وانشد للحطيئة

• لقد دينت امر بنيك حتى • تركتهم ادق من الطحين •

يعني ملكت ودانه اي اذله واستعبده يقال دنته فدان وقد مضى في الفاتحة القول في هذا عند قوله تعالى يوم الدين ترجعونها ان كنتم صادقين ترجع الروح الى الجسد ان كنتم صادقين اي ولن ترجعونها فبطل زعمكم انكم غير مملوكين ولا محاسبين وترجعونها جواب لقوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم ولقوله فلولا ان كنتم غير مدينين اجيبا بجواب واحد قاله الفرا وربما اعادت العرب الحرفين ومعناهما واحد ومنه قوله تعالى فاما ياتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون اجيبا بجواب واحد وهما شرطان وقيل حذف احدهما لدلالة الاخر عليه وقيل فيها تقديم وتاخير مجازها فلولا وهلا ان كنتم غير مدينين ترجعونها تردون نفس هذا الميت الى جسده اذا بلغت الحلقوم قوله تعالى فاما ان كان من المقربين ذكر طبقات الخلق عند الموت وعند البعث وبين درجاتهم فقال فاما ان كان هذا المتوفى من المقربين وهم السابقون فروح وريحان وجنة نعيم وقراة العامة فروح بفتح الرا ومعناه عند ابن عباس وغيره فراحة من الدنيا وقال الحسن الروح الرحمة الضحاك الاستراحة القتبي المعنى له في القبر طيب نسيم وقال ابو العباس بن عطا الروح النظر الى وجه الله تعالى والريحان الاستماع لكلامه ووحيه وجنة نعيم هو ان لا يحجب فيها عن الله عز وجل وقرا الحسن وقتادة ونصر بن عاصم والجحدري ورويس وزيد عن يعقوب فروح بضم الرا وروي عن ابن عباس قال الحسن الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقالت عايشة قرا النبي صلى الله عليه وسلم فروح بضم الرا ومعناه فبقا له وحياة في الجنة وهذا هو الرحمة وريحان قال مجاهد وسعيد بن جبير اي رزق قال مقاتل هو الرزق بلغة حمير يقال خرجت اطلب ريحان الله اي رزقه قال النمر بن تولب

• سلام الاله وريحانه • ورحمته وسماء درر •

وقال قتادة انه الجنة الضحاك الرحمة وقيل هو الريحان المعروف يشم قال الحسن وقتادة ايضا الربيع بن خثيم هذا عند الموت والجنة مخبوة له الى ان يبعث ابو الجوزا

هذا عند قبض روحه يتلقى بضبائر الريحان ابو العالية لا يفارق احد من المقربين روحه
في الدنيا حتى يوتى ببعض من ريحان فيشمها ثم يقبض روحه فيها واصل ريحان واشتقاقه
تقدم في اول سورة الرحمن فتامله وقد سرد الثعلبي في الروح والريحان اقوالا كثيرة سوى
ما ذكرنا من ارادها وجدها هناك قوله تعالى فاما ان كان من اصحاب اليمين اي ان كان
هذا المتوفى من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي لست ترى منهم الا ما تحب
من السلامة فلا تهتم لهم فانهم يسلمون عند عذاب الله وقيل المعنى سلام لك منهم اي انت
سالم من الاغتمام لهم والمعنى واحد وقيل اي ان اصحاب يدعون لك يا محمد بان يصلي الله عليك
ويسلم وقيل المعنى انهم يسلمون عليك يا محمد وقيل معناه سلمت ايها العبد مما تكره فانك
من اصحاب اليمين فحذف انك وقيل انه يحيا بالسلام اكراما فعلى هذا في محل السلام ثلاثة
اقاويل احدها عند قبض روحه في الدنيا يسلم عليه ملك الموت قاله الضحاك وقال
ابن مسعود اذا جا ملك الموت ليقبض روح المومن قال ربك يقرئك السلام وقد مضى
هذا في سورة النحل عند قوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين الثاني عند
مسايلته في القبر يسلم عليه منكر ونكير الثالث عند بعثه في القيامة تسلم عليه الملائكة
قبل وصوله اليها قلت وقد يحتمل ان تسلم عليه في المواطن الثلاث ويكون ذلك اكراما
بعد اكرام والله اعلم وجواب ان عند المبرد محذوف والتقدير مهما يكون من شي فسلام
لك من اصحاب اليمين فحذف جواب الشرط لدلالة ما تقدم عليه كما حذف الجواب في نحو
قولك انت ظالم ان فعلت لدلالة ما تقدم عليه ومذهب الاخفش ان الفا جواب اما
وان معنى ذلك ان الفا جواب اما وقد سدت مسد جواب ان على التقدير المتقدم
والفا جواب لهما على هذا الحد ومعنى اما عند الزجاج الخروج من شي الى شي اي دع ما
كنا فيه وخذ في غيره قوله تعالى واما ان كان من المكذبين الضالين بالبعث
عن الهدى وطريق الحق فنزل من حميم اي فلهم رزق من حميم كما قال ثم انكم ايها الضالون
المكذبون لآكلون الى ان قال ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وتصلية جحيم ادخال في النار
وقيل اقامة في الجحيم ومقاساة لانواع عذابها يقال اصلاه النار وصلاه اي جعله
يصلاها والمصدر ههنا يضاف الى المفعول كما يقال لفلان اعطاء مال اي يعطى المال
وقرى وتصليةٍ بكسر التاء اي ونزل من تصلية جحيم ثم ادغم ابو عمرو التاء في الجيم وهو بعيد
ان هذا لهو حق اليقين اي هذا الذي قصصناه محض اليقين وخالصه وجاز اضافة
الحق الى اليقين وهما واحد لاختلاف لفظهما قال المبرد هو كقولك عين اليقين
ومحض اليقين فهو من باب اضافة الشي الى نفسه عند الكوفيين وعند البصريين
يعني حق الامر اليقين او الخبر اليقين وقيل هو توكيد وقيل اصل اليقين ان يكون
نعتا للحق فاضيف المنعوت الى النعت على الاتساع والمجاز كقوله ولدار الاخرة
وقال قتادة في هذه الاية ان الله ليس تاركا احدا من الناس حتى يقفه على اليقين
من هذا القران فاما المومن فايقن في الدنيا فنفعه ذلك يوم القيامة واما الكافر
فايقن يوم القيامة حين لا ينفعه اليقين فسبح باسم ربك العظيم اي نزه الله تعالى
عن السوء والباء زائدة اي سبح ربك والاسم المسمى وقيل فسبح اي فصل بذكر ربك
وبامره وقيل فاذكر اسم ربك العظيم وسبحه وعن عقبة بن عامر قال لما نزلت فسبح
باسم ربك العظيم قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم ولما نزلت سبح اسم ربك
الاعلى قال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها في سجودكم خرجه ابو داود وغيره

سورة الحديد مدنية

في قول الجميع وهي تسع وعشرون اية عن العرباض بن سارية ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقرا بالمسبحات قبل ان يرقد ويقول فيهن اية افضل من الف اية يعني بالمسبحات
الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات والارض اي مجد الله ونزهه عن السوء وقال ابن
عباس صلى لله ما في السموات ممن خلق من الملائكة والارض من شي فيه روح او لا روح
فيه وقيل هو تسبيح الدلالة وانكر الزجاج هذا وقال لو كان هذا تسبيح الدلالة وظهور آثار
الصنعة لكانت مفهومة فلم قال ولكن لا تفقهون تسبيحهم وانما هو تسبيح مقال واستدل
بقوله وسخرنا مع داود الجبال يسبحن فلو كان هذا التسبيح تسبيح دلالة فاي تخصيص
لداود قلت وما ذكره هو الصحيح وقد مضى بيانه والقول فيه في سبحان عند قوله تعالى
وان من شي الا يسبح بحمده وهو العزيز الحكيم قوله تعالى له ملك السموات والارض
اي انفرد بذلك والملك عبارة عن الملك في نفوذ الامر فهو سبحانه المالك القادر القاهر
وقيل اراد خزاين المطر والنبات وساير الرزق يحيي ويميت يميت الاحيا في الدنيا ويحيي
الاموات للبعث وقيل يحيي النطف وهي موات ويميت الاحيا وموضع يحيي ويميت رفع
على معنى وهو يحيي ويميت ويجوز ان يكون نصبا بمعنى له ملك السموات والارض محييا ومميتا
على الحال من المجرور في له والجار عامل فيها وهو على كل شي قدير لا يعجزه شي قوله
تعالى هو الاول والاخر والظاهر والباطن اختلف في معاني هذه الاسما وقد بيناها في
الكتاب الاسنى وقد شرحها رسول الله صلى الله عليه وسلم شرحا يغني عن قول كل قايل فقال
في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة اللهم انت الاول فليس قبلك شي وانت الاخر فليس
بعدك شي وانت الظاهر فليس فوقك شي وانت الباطن فليس دونك شي اقض عنا
الدين واغننا من الفقر عنى بالظاهر الغالب وبالباطن العالم والله اعلم وهو بكل شي عليم
مما كان او يكون لا يخفى عليه شي قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض في ستة
ايام ثم استوى على العرش تقدم في الاعراف مستوفى قوله تعالى يعلم ما يلج في الارض
وما يخرج منها اي يدخل فيها من مطر وغيره وما يخرج منها من نبات وغيره وما ينزل
من السما من رزق ومطر وملك وما يعرج فيها يصعد فيها من الملايكة واعمال العباد
وهو معكم يعني بقدرته وسلطانه وعلمه اينما كنتم والله بما تعملون بصير يبصر اعمالكم
ويراها ولا يخفى عليه شي منها وقد جمع في هذه الاية بين استوى على العرش وبين
وهو معكم والاخذ بالظاهرين تناقض فدل على انه لا بد من التاويل والاعراض عن
التاويل اعتراف بالتناقض وقد قال الامام ابو المعالي ان محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة
الاسرا لم يكن باقرب الى الله عز وجل من يونس بن متى حين كان في بطن الحوت وقد
تقدم قوله تعالى له ملك السموات والارض هذا التكرير للتاكيد اي هو المعبود على
الحقيقة والى الله ترجع الامور اي امور الخلايق في الاخرة وقرا الحسن والاعرج ويعقوب
وابن عامر وابو حيوة وابن محيصن وحميد والاعمش وحمزة والكسائي وخلف ترجع
بفتح التا وكسر الجيم الباقون ترجع قوله تعالى يولج الليل في النهار ويولج النهار
في الليل تقدم في آل عمران وهو عليم بذات الصدور اي لا تخفى عليه الضماير ومن
كان بهذه الصفة فلا يجوز ان يعبد من سواه قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله
اي صدقوا ان الله واحد وان محمدا رسوله وانفقوا تصدقوا وقيل انفقوا في سبيل
الله وقيل المراد الزكاة المفروضة وقيل غيرها من وجوه الطاعات وما يقرب منه مما
جعلكم مستخلفين فيه دليل على ان اصل الملك لله سبحانه وان العبد ليس له فيه
الا التصرف الذي يرضي الله فيثيبه على ذلك بالجنة فمن انفق منها في حقوق الله وهان
عليه الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا اذن له فيه كان له
الثواب الجزيل والاجر العظيم وقال الحسن مستخلفين فيه بوراثتكم اياه عمن كان قبلكم
وهذا يدل على انها ليست باموالكم في الحقيقة وما انتم فيها الا بمنزلة النواب والوكلا
فاغتنموا الفرصة فيها باقامة الحق قبل ان تزال عنكم الى من بعدكم فالذين آمنوا وعملوا
الصالحات منكم وانفقوا في سبيل الله لهم اجر كبير وهو الجنة قوله تعالى وما لكم لا
تومنون بالله استفهام يراد به التوبيخ اي اي عذر لكم في ان لا تومنوا وقد ازيحت
العلل والرسول يدعوكم بين بهذا انه لا حكم قبل ورود الشرايع وقرا ابو عمرو وقد

اخذ ميثاقكم على غير مسمى الفاعل والباقون مسمى الفاعل اي اخذ الله ميثاقكم قال مجاهد
هو الميثاق الاول الذي كان وهو في ظهر ادم بان الله ربكم لا اله لكم سواه وقيل اخذ ميثاقكم
بان ركب فيكم العقول واقام عليكم الحجج والدلايل التي تدعوا الى متابعة الرسول ان كنتم
مومنين اي اذ كنتم وقيل اي ان كنتم مومنين بالحجج والدلايل وقيل اي ان كنتم مومنين لان
يوما من الايام فالان فقد صحت براهينه وقيل ان كنتم مومنين بالله خلقكم وكانوا يعرفون
هذا القوم امنوا واخذ النبي صلى الله عليه وسلم ميثاقهم فارتدوا وقوله ان كنتم مومنين اي ان
كنتم تقرون بشرايط الايمان قوله تعالى هو الذي ينزل على عبده ايات بينات يريد
القران وقيل المعجزات اي لزمكم الايمان بمحمد لما معه من المعجزات والقران اكبرها واعظمها
ليخرجكم اي بالقران وقيل بالرسول وقيل بالدعوة من الظلمات وهو الشرك والكفر الى
النور وهو الايمان وان الله بكم لرووف رحيم قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في
سبيل الله فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله اي اي شي
يمنعكم من الانفاق في سبيل الله وفيما يقربكم من ربكم وانتم تموتون وتخلفون اموالكم
وهي صايرة الى الله فمعنى الكلام التوبيخ على عدم الانفاق ولله ميراث السموات والارض
اي انهما راجعتان اليه بانقراض من فيهما كرجوع الميراث الى المستحق له الثانية قوله تعالى
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اكثر المفسرين على ان المراد بالفتح فتح
مكة وقال الشعبي والزهري فتح الحديبية قال قتادة كان قتالان احدهما افضل من
الاخر كان القتال والنفقة قبل فتح مكة افضل من القتال والنفقة بعد ذلك وفي
الكلام حذف اي لا يستوي من انفق من قبل الفتح وقاتل ومن انفق من بعد الفتح
وقاتل فحذف لدلالة الكلام عليه وانما كانت النفقة قبل الفتح اعظم لان حاجة الناس
كانت اكثر لضعف الاسلام وفعل ذلك كان على المنفقين حينئذ اشق والاجر على قدر
النصب والله اعلم الثالثة روى اشهب عن مالك قال ينبغي ان يقدم اهل الفضل والعزم
وقد قال الله تعالى لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل وقال الكلبي نزلت
في ابي بكر ففيها دليل واضح على تفضيل ابي بكر وتقديمه لانه اول من اسلم وعن بن مسعود
اول من اظهر الاسلام بسيفه النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر ولانه اول من انفق على
نبي الله صلى الله عليه وسلم وعن بن عمر قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده
ابو بكر وعليه عباة قد خللها في صدره بخلال فنزل جبريل فقال يا نبي الله ما لي ارى ابا بكر
عليه عباة قد خللها في صدره بخلال قال انفق ماله علي قبل الفتح قال فان الله تعالى
يقول لك اقرا على ابي بكر السلام وقل له اراض انت عني في فقرك ام ساخط فقال ابو بكر
اسخط على ربي اني عن ربي لراض اني عن ربي لراض قال فان الله يقول لك قد رضيت
عنك كما انت عني راض فبكى ابو بكر فقال جبريل والذي بعثك بالحق يا محمد لقد تخللت
حملة العرش بالعباء منذ تخلل بها صاحبك هذا بالعباه ولهذا قدمه الصحابة على
انفسهم واقروا له بالتقديم والسبق وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه سبق النبي
صلى الله عليه وسلم وصلى ابو بكر وثلث عمر فلا اوتى برجل فضلني على ابي بكر الا جلدته
حد المفتري ثمانين جلده وطرح الشهاده فنال المتقدمون من المشقة اكثر مما نال
من بعدهم وكانت بصايرهم ايضا انفذ الرابعة التقدم والتاخر قد يكون في احكام
الدنيا فاما في احكام الدين فقالت عايشة رضي الله عنها امرنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان ننزل الناس منازلهم واعظم المنازل مرتبة الصلاة وقد قال صلى
الله عليه وسلم في مرضه مروا ابا بكر فليصل بالناس الحديث وقال يوم القوم اقروهم
لكتاب الله وليومكما اكبركما من حديث مالك بن الحويرث وقد تقدم وفهم منه البخاري
وغيره من العلما انه اراد كبر المنزلة كما قال صلى الله عليه وسلم الولا للكبير ولم يعن كبر
السن وقد قال مالك وغيره ان للسن حقا وراعاه الشافعي وابو حنيفة وهو احق
بالمراعاة لانه اذا اجتمع العلم والسن في خيرين قدم العلم واما احكام الدنيا وفي الاثار
ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه ومن الحديث الثابت في الافراد

ما كرم

ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله له عند سنه من يكرمه وانشدوا

يا عايبا للشيوخ من اشر • داخله الصبا ومن بذخ •
اذكر اذا شئت ان تعيبهم • جدك واذكر اخاك يا بن اخ •
واعلم بان الشباب منسلخ • عنك وما وزره بمنسلخ •
من لا يعز الشيوخ لا بلغت • يوما به سنه الى الشيخ •

الخامسه قوله تعالى وكلا وعد الله الحسنى اي المتقدمون المتناهون والمتاخرون
اللاحقون وعدهم الله جميعا الجنة مع تفاوت الدرجات وقرا ابن عامر وكل بالرفع وكذلك
هو بالرفع في مصاحف اهل الشام الباقون وكلا بالنصب على ما في مصاحفهم فمن نصب فعلى
ايقاع الفعل عليه اي وعد الله كلا الحسنى ومن رفع فلان المفعول اذا تقدم ضعف عمل الفعل
والها محذوفة من وعده قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ندب الى الانفاق
في سبيل الله وقد مضى في البقرة القول فيه والعرب تقول لكل من فعل فعلا حسنا قد اقرض كما
قال

واذا جوزيت قرضا فاجزه • انما يجزي الفتى ليس الجمل •

وسماه قرضا لان القرض اخرج لاسترداد البدل اي من ذا الذي ينفق في سبيل الله بالاضعاف
الكثيرة قال الكلبي قرضا اي صدقة حسنا اي محتسبا من قلبه بلا من ولا اذى فيضعفه
له ما بين سبع الى سبعمايه الى ما شا الله من الاضعاف وقيل القرض الحسن هو ان يقول
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر رواه سفيان عن ابي حيان وقال زيد
ابن اسلم هو النفقة على الاهل الحسن التطوع بالعبادات وقيل انه عمل الخير والعرب تقول
لي عند فلان قرض صدق وقرض سوء القشيري والقرض الحسن ان يكون المتصدق
صادق النية طيب النفس يبتغي به وجه الله دون الريا والسمعة وان يكون من الحلال
ومن القرض الحسن ان لا يقصد الى الردي فيخرجه لقوله تعالى ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
وان يتصدق في حال يامل الحياة فان النبي صلى الله عليه وسلم سيل عن افضل الصدقة
فقال ان تعطيه وانت صحيح شحيح تامل العيش ولا تمهل حتى اذا بلغت التراقي قلت
لفلان كذا ولفلان كذا وان يخفي صدقته لقوله تعالى وان تخفوها وتوتوها الفقرا
فهو خير لكم وان لا يمن لقوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وان يستحقر كثير
ما يعطي لان الدنيا كلها قليلة وان يكون من احب ماله لقوله تعالى لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون وان يكون كثيرا لقوله عليه السلام افضل الرقاب اغلاها ثمنا
وانفسها عند اهلها فيضاعفه له وقرا ابن كثير وابن عامر فيضعفه له باسقاط الالف
الا ان ابن عامر ويعقوب نصبوا الفا وقرا نافع واهل الكوفة والبصرة فيضاعفه بالالف
وتخفيف العين الا ان عاصما نصب الفا ورفع الباقون عطفا على يقرض وبالنصب جوابا
على الاستفهام وقد مضى في البقرة القول في هذا مستوفى وله اجر كريم يعني الجنة
قوله تعالى يوم ترى المومنين والمومنات العامل في يوم وله اجر كريم في يوم
ترى فيه المومنين والمومنات يسعى نورهم اي يمضي على الصراط في قول الحسن وهو
الضيا الذي يمرون فيه بين ايديهم اي قدامهم وبايمانهم وهو الضيا قال الفرا الباء
بمعنى في اي في ايمانهم او بمعنى عن ايمانهم وقال الضحاك نورهم هداهم وبايمانهم كتبهم
واختاره الطبري اي يسعى ايمانهم وعملهم الصالح بين ايديهم وفي ايمانهم كتب اعمالهم فالبا
على هذا بمعنى في ويجوز على هذا ان يوقف على بين ايديهم ولا يوقف اذا كانت بمعنى
عن وقرا سهل بن سعد الساعدي وابو حيوة وبايمانهم بكسر الالف اراد الايمان الذي
هو ضد الكفر وعطف ما ليس بظرف على الظرف لان معنى الظرف الحال وهو متعلق
بمحذوف والمعنى يسعى كاينا بين ايديهم وكاينا بايمانهم وليس قوله بين ايديهم متعلقا
بنفس يسعى وقيل اراد بالنور القران وعن بن مسعود يوتون نورهم على قدر اعمالهم
فمنهم من يوتى نوره كالنخلة ومنهم من يوتى نوره كالرجل القايم وادناهم نورا من نوره على
ابهام رجليه فيطفى مرة ويوقد اخرى وقال قتاده ذكر لنا ان نبي الله صلى الله عليه وسلم
قال ان من المومنين من يضي نوره كما بين المدينة وعدن ابين من اليمن او صنعا ودون

ذلك حتى لا يكون منهم من لا يضيء نوره الا موضع قدميه قال الحسن ليستضيئوا به على الصراط
كما تقدم وقال مقاتل ليكون دليلا لهم الى الجنة قوله تعالى بشراكم اليوم جنات تجري من
تحتها الانهار والتقدير يقال لهم بشراكم اليوم دخول جنات ولا بد من تقدير حذف المضاف
لان البشرى حدث والجنة عين ولا تكون هي هي تجري من تحتها الانهار اي من تحتهم انهار
اللبن والخمر والعسل من تحت مساكنها خالدين فيها حال من الدخول المحذوف التقدير
بشراكم اليوم دخول جنات تجري من تحتها الانهار مقدرين الخلود فيها ولا يكون الحال من
بشراكم لان فيه فصلا بين الصلة والموصول ويجوز ان يكون مما دل عليه البشرى كانه قال
تبشرون خالدين ويجوز ان يكون الظرف الذي هو اليوم خبرا عن بشراكم وجنات بدل
من البشرى على تقدير حذف المضاف كما تقدم وخالدين حسب ما تقدم واجاز الفراء جنات
على الحال على ان يكون اليوم خبرا عن بشراكم وهو بعيد اذ ليس في جنات معنى الفعل واجاز
ان تكون بشراكم نصبا على معنى يبشرونهم بشرى وينصب جنات بالبشرى وفيه تفرقة بين
الصلة والموصول قوله تعالى يوم يقول المنافقون العامل في يوم ذلك الفوز العظيم
وقيل هو بدل من اليوم الاول انظرونا قراءة العامة بوصل الالف مضمومة الظاء من نظر
والنظر الانتظار اي انتظرونا وقرأ الاعمش وحمزة ويحيى بن وثاب انظرونا بقطع الالف
وكسر الظاء من الانظار اي امهلونا واخرونا انظرته اخرته واستنظرته اي استمهلته
وقال الفراء تقول العرب انظرني اي انتظرني وانشد لعمرو بن كلثوم

• ابا هند فلا تعجل علينا • وانظرنا نخبرك اليقينا •

اي انظرنا نقتبس من نوركم اي نستضيء من نوركم قال ابن عباس وابو امامة يغشى
الناس يوم القيامة ظلمة قال الماوردي اظنها بعد فصل القضاء ثم يعطون نورا يمشون
فيه قال المفسرون يعطي الله المؤمنين يوم القيامة نورا على قدر اعمالهم يمشون به على
الصراط ويعطي المنافقين ايضا نورا خديعة لهم دليله قوله وهو خادعهم وقيل انما
يعطون النور لان جميعهم اهل دعوة دون الكافر ثم يسلب المنافق نوره لنفاقه قاله
ابن عباس وقال ابو امامة يعطى المؤمن النور ويترك الكافر والمنافق بلا نور وقال
الكلبي بل يستضيء المنافقون بنور المؤمنين ولا يعطون النور فبينما هم يمشون اذ بعث
الله ريحا وظلمة فاطفا بذلك نور المنافقين فذلك قوله تعالى ربنا اتمم لنا نورنا
يقوله المؤمنون خشية ان يسلبوه كما سلبه المنافقون فاذا بقي المنافقون في الظلمة
لا يبصرون مواضع اقدامهم قالوا للمؤمنين انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا اي
قالت لهم الملائكة ارجعوا وقيل بل هو قول المؤمنين لهم ارجعوا وراءكم الى الموضع الذي
اخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لانفسكم نورا فانكم تقتبسون من نورنا فلما رجعوا
وانعزلوا في طلب النور ضرب بينهم بسور وقيل اي هلا طلبتم النور من الدنيا بان
تؤمنوا بسور اي سور والباء صلة قاله الكسائي والسور حاجز بين الجنة والنار
وروي ان ذلك السور ببيت المقدس عند موضع يعرف بوادي جهنم باطنه فيه الرحمة
يعني مما يلي منه المؤمنين وظاهره من قبله العذاب يعني مما يلي المنافقين قال كعب
الاحبار هو الباب الذي ببيت المقدس المعروف بباب الرحمة وقال عبد الله بن عمرو
انه سور بيت المقدس الشرقي باطنه فيه المسجد وظاهره من قبله العذاب يعني جهنم
ونحوه عن ابن عباس وقال زياد بن ابي سوادة قام عبادة بن الصامت على سور بيت
المقدس الشرقي فبكى وقال من هاهنا اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى جهنم
وقال قتادة هو حائط بين الجنة والنار باطنه فيه الرحمة يعني الجنة وظاهره
من قبله العذاب يعني جهنم وقال مجاهد انه حجاب كما في الاعراف وقد مضى القول
فيه وقد قيل ان الرحمة التي في باطنه نور المؤمنين والظلمة التي في ظاهره ظلمة
المنافقين قوله تعالى ينادونهم اي ينادي المنافقون المؤمنين الم نكن معكم
يعني في الدنيا يعني نصلي مثل ما تصلون ونغزو مثل ما تغزون ونفعل مثل ما
تفعلون قالوا بلى اي يقول المؤمنون بلى قد كنتم معنا في الظاهر ولكنكم فتنتم انفسكم

اي استعملتموها في الفتنة وقال مجاهد اهلكتموها بالنفاق وقيل بالمعاصي قاله ابو
سفيان وقيل بالشهوات واللذات رواه ابو نمير الهمداني وتربصتم اي تربصتم بالنبي صلى
الله عليه وسلم الموت وبالمؤمنين الدوائر وقيل تربصتم بالتوبة وارتبتم اي شككتم في
التوحيد والنبوة وغرتكم الاماني اي الاباطيل وقيل طول الامل وقيل هو ما كانوا يتمنونه
من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم وقال قتادة الاماني هنا خدع الشيطان وقيل
الدنيا قاله عبد الله بن عباس وقال ابو سنان هو قولهم سيغفر لنا وقال بلال بن
سعد ذكرك حسناتك ونسيانك سيئاتك غرة حتى جاء امر الله يعني الموت وقيل نصرة نبيه
صلى الله عليه وسلم وقال قتادة القاهم في النار وغركم بالله الغرور اي الشيطان
قاله عكرمة وقيل الدنيا قاله الضحاك ان الباقي بالماضي معتبر وللاخر بالاول مزدجر
والسعيد من لا يغتر بالطمع ولا يركن الى الخدع ومن ذكر المنية نسي الامنية ومن اطال
الامل نسي العمل وغفل عن الاجل وجاء الغرور على لفظ المبالغة للكثرة وقرأ ابو حيوة ومحمد
ابن السميفع وسماك بن حرب الغرور بضم الغين يعني الاباطيل وهو مصدر وعن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم خط لنا خطوطا وخط منها خطا ناحية فقال اتدرون
ما هذا هذا مثل ابن ادم ومثل التمني وتلك الخطوط الامال بينما هو يتمنى اذ جاءه الموت
وعن ابن مسعود قال خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط في وسط
خطا وجعله خارجا منه وخط عن يمينه ويساره خطوطا صغارا فقال هذا ابن ادم وهذا
اجله محيط به وهذا امله قد جاوز اجله وهذه الخطوط الصغار الاعراض فان اخطاه هذا
نهشه هذا وان اخطاه هذا نهشه هذا قوله تعالى فاليوم لا يؤخذ منكم فدية ايها
المنافقون ولا من الذين كفروا ايسهم من النجاة وقراءة العامة يؤخذ بالياء لان التانيث غير
حقيقي ولانه قد فصل بينهما وبين الفعل وقرا ابن عامر ويعقوب تؤخذ بالتاء واختاره
ابو حاتم لتانيث الفدية والاول اختيار ابي عبيد اي لا يقبل منكم بدل ولا عوض ولا نفس
اخرى مأواكم النار اي مقامكم ومنزلكم هي مولاكم اي اولى بكم والمولى من يتولى مصالح الانسان
ثم استعمل فيمن كان ملازما للشيء وقيل اي النار تملك امرهم بمعنى ان الله تعالى يركب فيها
الحياة والعقل فهي تتميز غيظا على الكفار ولهذا خوطبت في قوله يوم نقول لجهنم وبئس
المصير اي ساءت مرجعا ومصيرا قوله تعالى الم يان للذين امنوا اي يقرب ويحين قال
الشاعر

• الم يان لي يا قلب ان اترك الجهل • وان يحدث الشيب المبين لنا عقلا •

وماضيه انى بالقصر يانى ويقال ان لك بالمد ان تفعل كذا يئين اينا اي حان مثل انى لك وهو
مقلوب منه وانشد ابن السكيت

• الما يان لي ان تجلى عمايتي • واقصر عن ليلى بلى قد انى ليا •

فجمع بين اللغتين وقرأ الحسن الما يان واصلها الم زيدت ما فهي نفي لقول القائل قد كان
كذا وكم نفي لقوله كان كذا وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود قال ما كان بين اسلامنا
وبين ان عاتبنا الله بهذه الاية الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله الا اربع
سنين قال الخليل العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة تقول عاتبته ان تخشع
اي تذل وتلين قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق روي ان المزاح والضحك كثر في اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم لما ترفهوا بالمدينة فنزلت الاية فقال عليه السلام ان الله
يستبطئكم بالخشوع فقالوا عند ذلك خشعنا وعن ابن مسعود وقال ابن مسعود ان الله
استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على ثلاث عشرة سنة من نزول القران وقيل نزلت
في المنافقين بعد الهجرة بسنة وذلك انهم سالوا سلمان ان يحدثهم بعجائب التوراة فنزلت
الر تلك ايات الكتاب الى قوله نحن نقص عليك احسن القصص فاخبرهم ان هذا القصص
احسن من غيره وانفع لهم فكفوا عن سلمان ثم سالوه مثل الاول فنزلت الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق فعلى هذا التاويل يكون الذين امنوا
في العلانية باللسان قال السدي وغيره الم يان للذين امنوا بالظاهر واسروا الكفر ان
تخشع قلوبهم لذكر الله وقيل نزلت في المؤمنين قال سعد قيل يا رسول الله لو قصصت

علينا فنزل نحن نقص عليك فقالوا بعد زمان لو حدثتنا فنزل الله نزل احسن الحديث
فقالوا بعد مدة لو ذكرتنا فانزل الله تعالى الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم
لذكر الله وما نزل من الحق ونحوه عن بن مسعود فجعل ينظر بعضنا الى بعض ويقول
ما احدثنا قال الحسن يستبطئهم وهم احب خلقه اليه وقيل هذا الخطاب لمن امن بموسى
وعيسى دون محمد عليهم السلام لانه قال عقيب هذا والذين امنوا بالله ورسله اي الم
يان للذين امنوا بالتوراة والانجيل ان تلين قلوبهم للقران وان لا يكونوا كمتقدمي
قوم موسى وعيسى اذ طال عليهم الامد بينهم وبين نبيهم فقست قلوبهم قوله
تعالى ولا يكونوا اي وان لا يكونوا فهو منصوب عطفا على ان تخشع وقيل مجزوم
على النهي مجازه ولا يكونن ودليل هذا التاويل رواية رويس عن يعقوب ولا تكونوا
بالتاء وهي قراءة عيسى وبن اسحاق يقول لا تسلكوا سبيل اليهود والنصارى اعطوا
التوراة والانجيل فطالت الازمان بهم وقال بن مسعود ان بني اسرائيل لما طال عليهم
الامد قست قلوبهم فاخترعوا كتابا من عند انفسهم استحلته انفسهم فكان الحق يحول
بينهم وبين كثير من شهواتهم حتى نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون ثم
قال اعرضوا هذا الكتاب على بني اسرائيل فان تابعوكم فاتركوهم والا فاقتلوهم ثم
اصطلحوا الى ان يرسلوا الى عالم من علمائهم وقالوا ان هو تابعنا لم يخالفنا احد وان
ابا قتلناه فلا يختلف علينا بعده احد فارسلوا اليه فكتب كتاب الله في ورقة
وجعلها في قرن وعلقها على عنقه ثم لبس عليه ثيابه واتاهم فعرضوا عليه كتابهم وقالوا
اتومن بهذا فضرب بيده على صدره وقال امنت بهذا يعني المعلق على صدره فافترقت
بنوا اسرائيل على بضع وسبعين ملة وخير مللهم اصحاب ذي القرن قال عبد الله وان
من بقي منكم سيرى منكرا وبحسب احدكم اذا راى المنكر لا يستطيع ان يغيره ان يعلم الله
من قلبه انه له كاره وقال مقاتل بن حيان يعني مومني اهل الكتاب طال عليهم الامد
واستبطوا بعث النبي صلى الله عليه وسلم فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون يعني
الذين ابتدعوا الرهبانية اصحاب الصوامع وقيل من لا يعلم ما يتدين به من الفقه
ويخالف من يعلم وقيل هم من لا يومن في علم الله تعالى ثبتت طايفة منهم على
دين عيسى وهم الذين تنسفهم الله وقال محمد بن كعب كانت الصحابة بمكة مجدبين
فلما هاجروا اصابوا الريف والنعمة ففتروا عما كانوا فيه فقست قلوبهم فوعظهم الله
فافاقوا وذكر بن المبارك اخبرنا مالك بن انس قال بلغني ان عيسى عليه السلام
قال لقومه لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم فان القلب القاسي بعيد
من الله ولكن لا تعلمون ولا تنظروا في ذنوب الناس كانكم ارباب وانظروا فيها
او قال في ذنوبكم كانكم عبيد فانما الناس رجلان معافى ومبتلى فارحموا اهل البلا
واحمدوا الله على العافية وهذه الاية الم يان للذين امنوا كانت سبب توبة
الفضيل بن عياض وبن المبارك رحمهما الله ذكر ابو المطرف عبد الرحمن العلك بنى
قال حدثنا ابو محمد الحسن بن رشيق قال ثنا علي بن يعقوب الزيات قال ثنا
ابراهيم بن هشام قال ثنا زكريا بن ابي ابان قال ثنا الليث بن الحرث قال ثنا
الحسن بن داهر قال سيل عبد الله بن المبارك عن بدو زهده قال كنت يوما
مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الثمار من الوان الفاكهة فاكلنا وشربنا
حتى الليل فنمنا وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل فضربت
بصوت يقال له راسين السحر واراد سنان يغني وطاير يصيح فوق راسي على
شجرة والعود بيدي لا يجيبني الى ما اريد واذا به ينطق كما ينطق الانسان يعني
الذي بيده وهو يقول الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل
من الحق قلت بلى والله وكسرت العود وصرفت من كان عندي فكان هذا اول
زهدي وتشميري وبلغنا عن الشعر الذي اراد بن المبارك ان يضرب به في العود

• الم يان لي منك ان ترحما • وتعصي العواذل واللوما •

• ويرثي لصب بكم مغرم • اقام على هجركم ما تما •
• يبيت اذا جنه ليله • يراعي الكواكب والانجما •
• وماذا على الظبي لو انه • احل من الوصل ما حرما •

واما الفضيل بن عياض فكان سبب توبته انه عشق جارية فواعدته ليلا فبينما
هو يرتقي الجدران اليها اذ سمع قاريا يقرا الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر
الله فرجع القهقرى وهو يقول بلى والله قد ان فاواه الليل الى خربة وفيها جماعة
من السابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال الفضيل اواه بالليل
اسعى في معاصي الله وقوم من المسلمين يخافونني اللهم اني قد تبت اليك وجعلت
توبتي اليك جوار بيتك الحرام قوله تعالى اعلموا ان الله يحيي الارض بعد
موتها بالمطر وقال صالح المري المعنى تلين بعد قسوتها وقال جعفر بن محمد يحييها
بالعدل بعد الجور وقيل المعنى فكذلك يحيي الكافر بالهدى الى الايمان بعد موته بالكفر
والضلالة وكذلك يحيي الموتى من الامم ويميز بين الخاشع قلبه وبين القاسي قلبه
قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون اي احيا الله الارض بعد موتها دليل على قدرة الله
وانه يحيي الموتى قوله تعالى ان المصدقين والمصدقات قرا بن كثير وابو بكر عن
عاصم بتخفيف الصاد فيهما من التصديق اي المصدقين بما انزل الله تعالى الباقون
بالتشديد اي ان المتصدقين والمتصدقات فادغمت التاء في الصاد وكذلك في
مصحف ابي وهو حث على الصدقات ولهذا قال واقرضوا الله قرضا حسنا بالصدقة
والنفقة في سبيل الله قال الحسن هو التطوع وقيل هو العمل الصالح من الصدقة
وغيرها محتسبا صادقا وانما عطف بالفعل على الاسم لان ذلك الاسم في تقدير الفعل
اي ان الذين صدقوا واقرضوا يضاعف لهم امثالها وقراءة العامة بفتح العين على ما لم
يسم فاعله وقرا الاعمش يضاعفه بكسر العين وزيادة ها وقرا بن كثير وبن عامر
ويعقوب يضعف بتشديد العين وفتحها ولهم اجر كريم يعني الجنة قوله تعالى
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم اجرهم ونورهم
اختلف في الشهداء هل مقطوع مما قبل او متصل به فقال مجاهد وزيد بن اسلم ان
الشهداء والصديقين هم المومنون وانه متصل وروي معناه عن النبي صلى الله عليه
وسلم فلا يوقف على هذا على الصديقون وهذا قول بن مسعود في تاويل الاية قال
القشيري قال الله تعالى اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين فالصديقون هم الذين يتلون الانبياء والشهداء هم الذين يتلون الصديقين
والصالحون يتلون الشهداء فيجوز ان تكون هذه الاية من جملة من صدق بالرسل اعني
والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون والشهداء ويكون المعنى بالشهداء من
شهد لله بالوحدانية فيكون صديق فوق صديق في الدرجات كما قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان اهل الجنات العلى ليراهم من دونهم كما يرى احدكم الكوكب الذي في افق السما
وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وروي عن بن عباس ومسروق ان الشهداء غير هذا منفصل مما
قبله والوقف على قوله الصديقون حسن والمعنى والشهداء عند ربهم لهم اجر انفسهم
ونور انفسهم وفيهم قولان احدها انهم الرسل يشهدون على اممهم بالتصديق
والتكذيب قاله الكلبي دليله قوله تعالى وجينا بك على هولا شهيدا الثاني انهم
امم الرسل يشهدون يوم القيامة وفيما يشهدون به قولان احدهما انهم يشهدون
على انفسهم بما عملوا من الطاعة والمعصية وهذا معنى قول مجاهد الثاني يشهدون
لانبيايهم بتبليغهم الرسالة الى اممهم قاله الكلبي وقال الكلبي قول ثالث انهم القتلى
في سبيل الله تعالى ونحوه عن بن عباس ايضا قال اراد شهداء المومنين والواو
واو الابتدا والصديقون على هذا القول مقطوع من الشهداء وقد اختلف في
تعيينهم فقال الضحاك هم ثمانية نفر ابو بكر وعلي وزيد وعثمان وطلحة والزبير
وسعد وحمزة وتاسعهم عمر بن الخطاب الحقه الله بهم لما صدق نبيه صلى الله عليه وسلم

وقال مقاتل بن حيان الصديقون هم الذين امنوا بالرسل ولم يكذبوهم طرفة عين مثل
مومن ال فرعون وصاحب آل ياسين وابي بكر الصديق وصاحب اصحاب الاخدود
قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا اي بالرسل بالمعجزات اوليك اصحاب الجحيم
فلا اجر لهم ولا نور قوله تعالى اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو الاية وجه الاتصال
ان الانسان قد يترك الجهاد خوفا على نفسه من القتل خوفا من لزوم الموت فبين ان الحياة
الدنيا منقضية فلا ينبغي ان يترك امر الله محافظة على ما لا يبقى وما صلة وتقديره اعلموا
ان الحياة الدنيا لعب باطل ولهو فرح ثم ينقضي وقال قتادة لعب ولهو اكل وشرب
وقيل انه على المعهود من اسمه قال مجاهد كل لعب ولهو وقد مضى هذا المعنى في الانعام
وقيل اللعب ما رغب في الدنيا واللهو ما الهى عن الاخرة اي شغل عنها وقيل اللعب
الاقتنا واللهو النسا وزينة الزينة ما يتزين به فالكافر يتزين بالدنيا ولا يعمل للاخرة
وكذلك من تزين في غير طاعة الله وتفاخر بينكم اي يفخر بعضكم على بعض بها وقيل بالخلقة
والقوة وقيل بالانساب على عادة العرب في المفاخرة بالاباء وفي صحيح مسلم عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال ان الله اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يبغي احد على احد ولا
يفخر احد على احد وصح عنه عليه السلام انه قال اربع في امتي من امر الجاهلية الفخر في
الاحساب الحديث وقد تقدم جميع هذا وتكاثر في الاموال والاولاد لان عادة الجاهلية
ان يتكاثروا بالابنا والاموال وتكاثر المومنين بالايمان والطاعة قال بعض المتاخرين
لعب كلعب الصبيان ولهو كلهو الفتيان وزينة كزينة النسوان وتفاخر كتفاخر الاقران
وتكاثر كتكاثر الدهقان وقيل المعنى ان الدنيا كهذه الاشيا في الزوال والفنا وعن
علي رضي الله عنه انه قال لعمار لا تحزن على الدنيا فان الدنيا ستة اشيا ماكول
ومشروب وملبوس ومشموم ومركوب ومنكوح فاحسن طعامها العسل وهو بزقة ذبابة واكثر شرابها الما
ويستوي فيه جميع الحيوان وافضل ملبوسها الديباج وهو نسج دودة وافضل المشموم
المسك وهو دم فارة وافضل المركوب الفرس وعليها يقتل الرجال واما المنكوح فالنسا
وهو مبال في مبال والله ان المراة لتزين احسنها يراد به اقبحها ثم ضرب الله تعالى
لها مثلا بالزرع في غيث فقال كمثل غيث اعجب الكفار نباته الكفار هنا الزراع لانهم
يغطون البذر والمعنى ان الحياة الدنيا كالزرع يعجب الناظرين اليه لخضرته بكثرة
الامطار ثم لا يلبث ان يصير هشيما كان لم يكن واذا اعجب الزراع فهو غاية ما يستحسن
وقد مضى هذا المثل في يونس والكهف وقيل الكفار هنا الكافرون بالله عز وجل
لانهم اشد اعجابا بزينة الدنيا من المومنين وهذا قول حسن فان اصل الاعجاب
لهم وفيهم ومنهم يظهر وهو التعظيم للدنيا وما فيها وفي الموحدين من ذلك فروع
تحدث من شهواتهم وتقل عندهم وتدق اذا ذكروا الاخرة وموضع الكاف رفع
على الصفة ثم يهيج اي يجف بعد خضرته فتراه مصفرا اي متغيرا عما كان عليه من النضرة
ثم يكون حطاما اي فتاتا وتبنا فيذهب بعد حسنه كذلك دنيا الكافرين وفي
الاخرة عذاب شديد اي للكفار والوقف عليه حسن ويبتدا ومغفرة من
الله ورضوان اي للمومنين وقال الفرا وفي الاخرة عذاب شديد ومغفرة
تقديره اما عذاب شديد واما مغفرة فلا يوقف على شديد وما الحياة الدنيا الا
متاع الغرور وهذا تاكيد ما سبق اي تغر الكفار فاما المومن فالدنيا له متاع بلاغ
الى الجنة وقيل العمل للحياة الدنيا متاع الغرور تزهيدا في العمل للدنيا وترغيبا في
العمل للاخرة قوله تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم اي سارعوا بالاعمال الصالحة
التي توجب المغفرة لكم من ربكم وقيل سارعوا بالتوبة لانها تودي الى المغفرة
قاله الكلبي وقيل التكبيرة الاولى وجنة عرضها كعرض السماء والارض لو وصل بعضها
ببعض قال الحسن يعني جميع السموات والارض مبسوطتان كل واحدة الى
صاحبتها وقيل يريد لرجل واحد اي لكل واحد جنة بهذه السعة وقال ابن كيسان
عني به جنة واحدة من الجنات والعرض اقل من الطول ومن عادة العرب انها تعبر

عن

عن الشي بعرضه دون طوله قال ... كان بلاد الله وهي عريضة ... على الخايف المطلوب كفة
حابل ... وقد مضى هذا كله في ال عمران وقال طارق بن شهاب قال قوم من اهل
الحيرة لعمر رضي الله عنه ارايت قول الله عز وجل وجنة عرضها كعرض السما والارض
فاين النار فقال لهم عمر ارايتم الليل اذا ولى وجا النهار اين يكون الليل فقالوا لقد
نزعت بما في التوراة مثله اعدت للذين امنوا بالله ورسله شرط الايمان لا غير وفيه
تقوية الرجا وقد قيل شرط الايمان هنا وزاد عليه فقال اعدت للمتقين الذين ينفقون
في السرا والضرا والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ذلك فضل الله يوتيه من
يشا اي ان الجنة لا تنال ولا تدخل الا برحمة الله وفضله وقد مضى هذا في الاعراف
وغيرها والله ذو الفضل العظيم قوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض قال
مقاتل القحط وقلة النبات والثمار وقيل الجوايح في الزرع ولا في انفسكم بالاوصاب
والاسقام قاله قتادة وقيل اقامة الحدود قاله ابن حيان وقيل ضيق المعاش وهذا
معنى رواه ابن جريج الا في كتاب يعني اللوح المحفوظ من قبل ان نبراها الضمير في
نبراها عايد على النفوس او الارض او المصايب او الجميع وقال ابن عباس من قبل ان
نخلق المصيبة وقال سعيد بن جبير من قبل ان نخلق الارض والنفس ان ذلك
على الله يسير اي خلق ذلك وحفظ جميعه على الله يسير هين قال الربيع بن صالح
لما اخذ سعيد بن جبير رضي الله عنه بكيت فقال ما يبكيك قلت ابكي لما ارى بك
ولما تذهب اليه قال فلا تبك فانه كان في علم الله ان يكون الم تسمع قول الله تعالى ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الاية وقال ابن عباس لما خلق الله القلم قال
له اكتب ما هو كاين الى يوم القيامة وقد نزلت هذه الاية جماعة من الفضلاء لدووا في
امراضهم فلم يستعملوه ثقة بربهم وتوكلا عليه وقالوا قد علم الله ايام المرض وايام الصحة
فلو حرص الخلق على تقليل ذلك او زيادته ما قدروا قال الله سبحانه ما اصاب
من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبراها وقد قيل ان هذه
الاية متصلة بما قبل وهو ان الله سبحانه هون عليهم ما يصيبهم في الجهاد من قتل
وجرح وبين ما يخلفهم عن الجهاد من المحافظة على الاموال وما يقع فيها من خسران
فالكل مكتوب مقدر لا مدفع له وانما على المر امتثال الامر ثم ادبهم فقال لكيلا تاسوا
على ما فاتكم من الرزق وذلك انهم اذا علموا ان الرزق قد فرغ منه لم تاسوا على ما فاتكم
منه وعن ابن مسعود ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجد احدكم طعم الايمان
حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه ثم قرا لكيلا تاسوا على
ما فاتكم اي كيلا تحزنوا على ما فاتكم من الدنيا فانه لم يقدر لكم ولو قدر لكم لم يفتكم
ولا تفرحوا بما اتاكم اي من الدنيا قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبير من العافية
والخصب وروى عكرمة عن ابن عباس ليس من احد الا وهو يحزن ويفرح ولكن المومن
يجعل مصيبته صبرا وغنيمته شكرا والحزن والفرح المنهي عنهما هما اللذان يتعدى
فيهما الى ما لا يجوز قال الله تعالى والله لا يحب كل مختال فخور اي متكبر بما اوتي
من الدنيا فخور به على الناس وقراه العامة اتاكم بمد الالف اي اعطاكم من الدنيا
واختاره ابو حاتم وقراه ابو العالية ونصر بن عاصم وابو عمرو اتاكم بقصر الالف
واختاره ابو عبيد اي جاكم وهو معادل لفاتكم ولهذا لم يقل افاتكم قال جعفر
ابن محمد يا ابن ادم ما لك تاسى على مفقود لا يرده عليك الفوت او تفرح بموجود لا يتركه
في يدك الموت وقيل لبزرجمهر الحكيم ما لك ايها الحكيم لا تحزن على ما فات ولا تفرح بما هو ات
قال لان الفايت لا يتلافى بالعبرة والاتي لا يستدام بالحبرة وقال الفضيل بن
عياض في هذا المعنى الدنيا مبيد ومفيد فما باد فلا رجعة له وما افاد
اذن بالرحيل وقيل المختال الذي ينظر الى نفسه والفخور الذي ينظر الى الناس
بعين الاستحقار وكلاهما شرك خفي والفخور بمنزلة المصراة تشد اخلافها ليجتمع
فيها اللبن فيتوهم المشتري ان ذلك معتاد وليس كذلك فكذلك الذي يرى من نفسه

حالاً وربية وهو مع ذلك ممنوع فهو الفخور قوله تعالى الذين يبخلون اي لا يحب
المختالين الذين يبخلون فان الله غني عنهم قيل اراد رؤساء اليهود الذين بخلوا ان
بيان صفة محمد صلى الله عليه وسلم في كتبهم لئلا يؤمن به الناس فتذهب
مأكلتهم قاله السدي والكلبي وقال سعيد بن جبير الذين يبخلون يعني بالعلم
ويأمرون الناس بالبخل لا يعلموا الناس شيئا وقال زيد بن اسلم انه البخل باداء حق الله
جل وعز وقيل انه البخل بالصدقة والحقوق قاله عامر بن عبد الله الاشعري
وقال طاوس انه البخل بما في يديه وهذه الاقوال الثلاثة متقاربة المعنى وفرق
اصحاب الخواطر بين البخل والسخا بفرقين احدهما ان البخيل الذي يلتذ بالامساك
والسخي الذي يلتذ بالعطا الثاني ان البخيل الذي يعطي عند السؤال والسخي الذي
يعطي بغير سؤال ومن يتول اي عن الايمان فان الله غني عنه ويجوز ان يكون
لما حث على الصدقة اعلمهم ان الذين يبخلون بها ويأمرون الناس بالبخل فان
الله غني عنهم وقراءة العامة بالبخل بضم البا وسكون الخا وقرأ انس وعبيد بن
عمير ويحيى بن يعمر ومجاهد وحميد وابن محيصن وحمزة والكسائي بالبخل بفتحتين وهي
لغة الانصار وقرأ ابو العالية وابن السميفع البخل بفتح البا واسكان الخا وعن
نصر بن عاصم البخل بضمتين وكلها لغات مشهورة وقد تقدم الفرق بين البخل
والشح في اخر آل عمران وقرأ نافع وابن عامر فان الله الغني الحميد بغير هو
والباقون هو الغني على ان يكون فصلا ويجوز ان يكون مبتدأ والغني خبره والجملة
خبر ان ومن حذفها فالاحسن ان يكون فصلا لان حذف الفصل اسهل من حذف
المبتدا قوله تعالى لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي بالمعجزات البينة والشرائع
الظاهرة وقيل الاخلاص لله تعالى في العبادة واقام الصلاة وايتاء الزكاة اي
بذلك دعت الرسل نوح فمن دونه الى محمد نبينا صلى الله عليه وسلم وانزلنا معهم
الكتاب اي الكتب اي اوحينا اليهم خبر ما كان قبلهم والميزان قال ابن زيد هو
ما يوزن به ويتعامل ليقوم الناس بالقسط اي بالعدل في معاملاتهم وقوله
بالقسط يدل على انه اراد الميزان المعروف وقال قوم اراد به العدل قال القشيري
واذا حملناه على الميزان فالمعنى انزلنا الكتاب ووضعنا الميزان فهو من باب
علفتها تبنا وماء باردا ويدل على هذا قوله والسماء رفعها ووضع الميزان ثم قال
واقيموا الوزن بالقسط وقد مضى القول فيه وانزلنا الحديد فيه بأس شديد
وروى عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى انزل اربع بركات
من السما الى الارض الحديد والنار والما والملح وروى عكرمة عن ابن عباس قال
ثلاثة اشيا نزلت مع آدم عليه السلام الحجر الاسود وكان اشد بياضا من الثلج
وعصا موسى وكانت من آس الجنة طولها عشرة اذرع مع طول موسى والحديد
انزل معه ثلاثة اشيا السندان والكلبتان والميقعة وهي المطرقة ذكره الماوردي
وقال الثعلبي قال ابن عباس نزل آدم من الجنة ومعه من الحديد خمسة اشيا من
آلة الحدادين السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وحكاه القشيري
قال والميقعة ما يحدد به يقال وقعت الحديدة اقعها اي حددتها وفي الصحاح
والميقعة الموضع الذي يألفه البازي فيقع عليه وخشبة القصار التي يدق عليها
والمطرقة والمسن الطويل وروي ان الحديد انزل يوم الثلاثاء فيه بأس شديد
اي لاهراق الدما ولذلك نهي عن الفصد والحجامة في يوم الثلاثاء لانه يوم جرى
فيه الدم وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يوم الثلاثاء ساعة لا يرقى
فيها الدم وقيل انزلنا الحديد اي انشأناه وخلقناه كقوله تعالى وانزل لكم
من الانعام ثمانية ازواج وهذا قول الحسن فيكون من الارض غير منزل من السما
وقال اهل المعاني اخرج الحديد من المعادن وعلمهم صنعته بوحيه فيه بأس
شديد يعني السلاح والكراع والجنة وقيل اي ان فيه من خشية القتل خوف

شديد ومنافع للناس قال مجاهد يعني جنة وقيل يعني انتفاع الناس بالماعون
من الحديد مثل السكين والفاس ونحوه وليعلم الله من ينصره اي انزل الحديد ليعلم من
ينصره وقيل هو عطف على قوله ليقوم الناس بالقسط اي ارسلنا رسلنا وانزلنا معهم
الكتاب وهذه الاشيا ليتعامل الناس بالحق وليرى الله من ينصر دينه وينصر رسله
بالغيب قال ابن عباس ينصرونهم لا يكذبونهم ويؤمنون بهم بالغيب اي وهم لا يرونهم
ان الله قوي عزيز قوي في اخذه عزيز اي منيع غالب وقد تقدم وقيل بالغيب بالاخلاص
قوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم فصل ما اجمل من ارسال الرسل بالكتب واخبر
انه ارسل نوحا وابراهيم وجعل النبوة في نسلهما وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب
اي جعلنا بعض ذريتهما الانبيا وبعضهم امما يتلون الكتب المنزلة من السما التوراة
والانجيل والزبور والفرقان وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم فمنهم اي ممن ائتم
بابراهيم ونوح مهتد وقيل فمنهم مهتد اي من ذريتهما مهتدون وكثير منهم فاسقون
كافرون خارجون عن الطاعة قوله تعالى ثم قفينا على آثارهم برسلنا فيه اربع مسائل
الاولى قوله تعالى ثم قفينا اي اتبعنا على آثارهم اي على آثار الذرية وقيل على آثار نوح
وابراهيم برسلنا موسى والياس وداود ويونس وغيرهم وقفينا بعيسى ابن مريم فهو من
ذرية ابراهيم من جهة امه وآتيناه الانجيل وهو الكتاب المنزل عليه وقد تقدم اشتقاقه
في اول سورة آل عمران الثانية قوله تعالى وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه على دينه يعني
الحواريين واتباعهم رأفة ورحمة اي مودة فكان يواد بعضهم بعضا وقيل هذا اشارة الى
انهم امروا في الانجيل بالصلح وترك ايذاء الناس والان الله قلوبهم لذلك بخلاف اليهود
الذين قست قلوبهم وحرفوا الكلم عن مواضعه والرأفة اللين والرحمة الشفقة وقيل
الرأفة تخفيف الكل والرحمة تحمل الثقل وقيل الرأفة اشد الرحمة وتم الكلام ثم قال ورهبانية
ابتدعوها اي من قبل انفسهم والاحسن ان تكون الرهبانية منصوبة باضمار فعل قال
ابو علي وابتدعوا رهبانية ابتدعوها وقال الزجاج اي ابتدعوها رهبانية كما تقول
رأيت زيدا وعمرا كلمت وقيل انه معطوف على الرأفة والرحمة والمعنى على هذا ان الله تعالى
اعطاهم اياها فغيروا وابتدعوا فيها قال الماوردي وفيها قراءتان احداهما بفتح الراء وهي
الخوف من الرهب الثانية بضم الراء وهي منسوبة الى الرهبان وذلك لانهم حملوا على انفسهم
المشقات في الامتناع من المطعم والمشرب والمنكح والتعلق بالكهوف والصوامع وذلك
ان ملوكهم غيروا وبدلوا وبقي نفر قليل فترهبوا وتبتلوا قال الضحاك ان ملوكا بعد
عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلاثمائة سنة فانكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى
فقتلوهم فقال قوم بقوا بعدهم نحن اذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام بينهم
فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع وقال قتادة الرهبانية التي ابتدعوها رفض النسا
واتخاذ الصوامع وفي خبر مرفوع هي لحوقهم بالبراري والجبال ما كتبناها عليهم اي ما فرضناها
عليهم وما امرناهم بها قاله ابن زيد وقوله تعالى الا ابتغاء رضوان الله اي ما امرناهم الا
بما يرضي الله قاله ابن مسلم وقال الزجاج ما كتبناها عليهم معناه لم نكتب عليهم شيئا
البتة ويكون الا ابتغاء رضوان الله وقيل الا ابتغاء استثناء منقطع والتقدير ما كتبناها
عليهم لكن ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها اي ما قاموا بها حق القيام
وهذا خصوص لان الذين لم يرعوها بعض القوم وانما تسببوا بالترهب الى طلب الرياسة
على الناس والاكل اموالهم كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان
ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وهذا في قوم اداهم
الترهب الى طلب الرياسة في آخر الامر وروى سفيان الثوري عن عطاء بن السائب عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ورهبانية ابتدعوها قال كانت ملوك
بعد عيسى بدلوا التوراة والانجيل وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة والانجيل ويدعون
الى دين الله فقال اناس لملوكهم لو قتلت هذه الطائفة فقال المؤمنون نحن نكفيكم
انفسنا فطائفة قالوا ابنوا لنا اسطوانة ثم ارفعونا فيها واعطونا شيئا نرفع به طعامنا وشرابنا

ولا نزد عليكم وطايفه قالت دعونا نلحقهم في الارض ونسيح ونشرب كما تشرب الوحوش
في البريه فان قدروا علينا فا قتلونا وطايفة قالوا ابنوا لنا دورا في الفيافي ونحتفر
الابار ونحترث البقول ولا تروننا فليس احد منا اوليك الاوله جميع منهم ففعلوا فمضى
اوليك علي منهاج عيسي وخلف قوم من بعدهم ممن قد غير الكتاب فقالوا نسيح ونتعبد
كما تعبد اوليك وهم علي شركهم لا علم لهم بايمان من تقدم من الذين اقتدوا بهم فذلك قوله
تعالي ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الايه يقول ابتدعها هولاء الصالحون فما رعوها
المتاخرون فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم يعني الذين ابتدعوها او رعوها وكثير منهم
فاسقون يعني المتاخرين فلما بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم ولم يبق منهم الا قليل
جاوا من الكهوف والصوامع والغيران فامنوا برسول الله صلي الله عليه وفي الثالثه
هذه الاية داله علي ان كل محدث بدعه فينبغي لمن ابتدع خيرا ان يدوم عليه ولا
يعدل عنه الي ضده فيدخل في الاية وعن ابي امامة الباهلي واسمه صدي بن عجلان
قال احدثتم قيام رمضان ولم يكتب عليكم انما كتب عليكم الصيام فدوموا علي القيام
اذ فعلتموه ولا تتركوه فان ناسا من بني اسرايل ابتدعوا بدعا ولم يكتبها الله عليهم
ابتغوا بها رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فعابهم الله بتركها فقال ورهبانية
ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها الرابعة
وفي الاية دليل علي العزله عن الناس في الصوامع والبيوت وذلك مندوب اليه
عند فساد الزمان وتغير الاخوان والاصدقا وقد مضي بيان هذا في سورة
الكهف مستوفي والحمد لله وفي مسند احمد بن حنبل من حديث ابي امامة الباهلي
رضي الله عنه قال خرجنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سرية من سراياه
قال فمر رجل بغار فيه شي من ما فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار فيقوته
ما كان فيه شي من ما ويصيب ما حوله من البقل ويتخلي من الدنيا قال لو اني
اتيت النبي صلي الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فان اذن لي فعلت والا لم افعل
فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الما والبقل فحدثتني نفسي بان
اقيم فيه واتخلي من الدنيا قال فقال النبي صلي الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية
ولا بالنصرانيه ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة او
روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته
ستين سنه وروي الكوفيون عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم هل تدري اي الناس اعلم قال قلت الله ورسوله اعلم قال اعلم الناس
ابصرهم بالحق اذا اختلف الناس وان كان مقصرا في العمل وان كان يزحف علي
استه هل تدري من اين اتخذ بنوا اسرايل الرهبانيه ظهرت عليهم الجبابرة
بعد عيسي يعملون بمعاصي الله فغضب اهل الايمان فقاتلوهم فهزم اهل الايمان
ثلاث مرات فلم يبق منهم الا قليل فقالوا ان افنونا لم يبق للدين احد يدعوا اليه
فقالوا تعالوا نتفرق في الارض الي ان يبعث الله النبي الامي الذي وعدنا عيسي يعنون
محمدا صلي الله عليه وسلم فتفرقوا في غيران الجبال فاحدثوا رهبانية فمنهم من
تمسك من دينه ومنهم من كفر وتلا ورهبانية ابتدعوها اتدري ما رهبانية امتي
الهجرة والجهاد والصوم والصلاه والحج والعمرة والتكبير علي التلاع يا ابن مسعود
اختلف من كان قبلكم من اليهود علي احدي وسبعين فرقه فنجا منها فرقة وهلك
سايرهم واختلف من كان قبلكم من النصاري علي اثنتين وسبعين فرقة فنجا
منهم ثلاثه وهلك سايرهم فرقة وازت الملوك وقاتلتهم علي دين الله ودين
عيسي عليه السلام حتي قتلوا وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك اقاموا بين
ظهراني قومهم يدعونهم الي دين الله ودين عيسي بن مريم فاخذتهم الملوك
وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير وفرقة لم تكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا بان يقيموا
بين ظهراني قومهم فيدعوهم الي دين الله ودين عيسي فساحوا في الجبال وترهبوا

فيها

فيها وهي التي قال الله تعالي فيهم ورهبانية ابتدعوها الاية فمن امن بي واتبعني
وصدقني فقد رعاها حق رعايتها ومن لم يومن بي فاوليك هم الفاسقون يعني
الذين تهودوا وتنصروا وقيل هاولا الذين ادركوا محمدا صلي الله عليه وسلم فلم يومنوا
به فهم الفاسقون وفي الاية تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم اي ان الاولين اصروا
علي الكفر ايضا فلا تعجب من اهل عصرك ان اصروا علي الكفر قوله تعالي يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله اي امنوا بموسي وعيسي اتقوا وامنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم
يوتكم كفلين من رحمته اي مثلين من الاجر علي ايمانهم بعيسي ومحمد صلي الله عليه وسلم
وهذا مثل قوله تعالي يوتون اجرهم مرتين بما صبروا وقد تقدم القول فيه والكفل
الحظ والنصيب وقد مضي في النسا وهو في الاصل كسا يكتفل به الراكب فيحفظه
من السقوط قال ابن جريج ونحوه قال الازهري اشتقاقه من الكسا الذي يحويه
راكب البعير علي سنامه اذا ارتدفه لبلا يسقط فتاويله يوتكم نصيبين يحفظانكم
من هلكة المعاصي كما يحفظ الكفل الراكب وقال ابو موسي الاشعري كفلين ضعفين
بلسان الحبشه وعن ابن زيد كفلين اجر الدنيا والاخره وقيل لما نزلت اوليك يوتون
اجرهم مرتين بما صبروا افتخر مومنوا اهل الكتاب علي اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم
فنزلت هذه الايه وقد استدل بعض العلما بهذه الايه علي ان الحسنه انما لها من الاجر
مثل واحد فقال الحسنه اسم عام ينطلق علي كل نوع من الايمان وينطلق علي عمومه فان
انطلقت الحسنه علي نوع واحد فليس له عليها من الثواب الا مثل واحد فان انطلقت
علي حسنه تشتمل علي نوعين كان الثواب عليها مثلين بدليل هذه الايه فانه قال
كفلين من رحمته والكفل النصيب كالمثل فجعل لمن اتقي الله وامن برسوله نصيبين
نصيبا لتقوي الله ونصيبا لايمانه برسوله فدل علي ان الحسنه التي جعل لها عشر هي
التي جمعت عشره انواع من الحسنات وهو الايمان الذي جمع الله تعالي في صفته عشره
انواع لقوله تعالي ان المسلمين والمسلمات الايه بكمالها فكانت هذه الانواع العشره هي
الحسنه التي ثوابها امثالها فيكون لكل نوع منها مثل وهذا تاويل فاسد لخروجه عن عموم الظاهر
في قوله تعالي من جا بالحسنة فله عشر امثالها بما لا يحتمله تخصيص العموم لان ما جمع عشر
حسنات فليس يجزي عن كل حسنة الا بمثلها وبطل ان يكون جزا الحسنه عشر امثالها والاخبار
داله عليه وقد تقدم ذكرها ولو كان كما ذكر لما كان بين السيه والحسنه فرقان ويجعل
لكم نورا اي بيانا وهدي عن مجاهد وقال ابن عباس هو القران وقيل ضيا تمشون به في الاخرة
علي الصراط وفي القيامه الي الجنه وقيل تمشون به في الناس تدعونهم الي الاسلام فتكونوا
روسا في دين الاسلام لا تزول عنكم رياسة كنتم فيها وذلك انهم خافوا ان تزول رياستهم
لو امنوا بمحمد صلي الله عليه وسلم وانما كان يفوتهم اخذ رشوة يسيرة من الضعفه بتحريف
احكام الله لا الرياسة الحقيقية في الدين ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قوله
تعالي لبلا يعلم اهل الكتاب اي ليعلم ولا صلة زايده موكده قاله الاخفش وقال الفرا
معناه لان يعلم ولا صله زايده في كل كلام دخل عليه جحد قال قتاده حسد اهل الكتاب
المسلمين فنزلت لبلا يعلم اهل الكتاب اي لان يعلم اهل الكتاب انهم لا يقدرون علي شي من
فضل الله وان الفضل بيد الله وقال مجاهد قالت اليهود يوشك ان يخرج منا نبي
يقطع الايدي والارجل فلما خرج من العرب كفروا فنزلت لبلا يعلم اهل الكتاب ان لا يقدرون
يعني انهم لا يقدرون كقوله تعالي لا يرجع اليهم قولا وعن الحسن ليلا يعلم اهل الكتاب
وروي ذلك عن مجاهد وروي قطرب بكسر اللام واسكان اليا وفتح لام الجر لغة معروفة
ووجهه ان اسكان اليا ان همزة ان حذفت فصارت ان فادغمت النون في اللام فصار
للا فلما اجتمعت اللامات ابدل الوسطي منها يا كما قالوا في اما ايما وكذلك القول في قراه
من قرا لبلا بكسر اللام الا انه فتح اللام علي اللغة المشهورة فيها فهم اقوي من هذه الجهه
وعن ابن مسعود لكيلا يعلم وعن حطان بن عبد الله لان يعلم وعن عكرمه ليعلم وهو
خلاف المرسوم من فضل الله نيل الاسلام وقيل الثواب وقال الكلبي من رزق الله وقيل

نعم انه النبي لا يخفى وان الفضل بيد الله ليس بايديهم فيصرفوا النبوة عن محمد صلى الله عليه وسلم الى من يحبون وقيل وان الفضل بيد الله اي هو له يوتيه من يشا وفي البخاري حدثنا الحكم بن نافع قال ثنا شعيب عن الزهري قال اخبرني سالم ابن عبد الله ان عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قايم على المنبر انما بقاوكم فيما سلف قبلكم من الامم كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس اعطي اهل التوراة التوراة فعملوا بها حتى انتصف النهار ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطي اهل الانجيل الانجيل فعملوا به حتى صلاة العصر ثم عجزوا فاعطوا قيراطا قيراطا ثم اعطيتم القران فعملتم به حتى غروب الشمس فاعطيتم قيراطين قيراطين قال اهل التوراة ربنا هولا اقل عملا واكثر اجرا قال هل ظلمتم من اجركم من شي قالوا لا قال فذلك فضلي اوتيه من اشا في رواية فغضبت اليهود والنصارى وقالوا ربنا والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة المجادلة مدنية

في قول الجميع الا رواية عن عطا ان العشر الاول منها مدني وباقيها مكي وقال الكلبي نزل جميعا بالمدينة غير قوله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم نزلت بمكة وهي ثنتان وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله فيه مسلتان الاولى قوله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله التي اشتكت هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت حكيم وقيل اسمها جميلة وخولة اصح وزوجها اوس بن الصامت اخو عبادة بن الصامت وقد مر بها عمر بن الخطاب في خلافته والناس معه فاستوقفته طويلا ووعظته وقالت يا عمر قد كنت تدعى عميرا ثم قيل لك عمر ثم قيل لك امير المومنين فاتق الله يا عمر فانه من ايقن بالموت خاف الفوت ومن ايقن بالحساب خاف العذاب وهو واقف يسمع كلامها فقيل له يا امير المومنين اتقف لهذه العجوز هذا الوقوف فقال والله لو حبستني من اول النهار الى اخره لا زلت الا للصلاة المكتوبة اتدرون من هذه العجوز هي خولة بنت ثعلبة سمع الله قولها من فوق سبع سموات ايسمع رب العالمين قولها ولا يسمعه عمر وقالت عايشة تبارك الذي وسع سمعه كل شي اني لاسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علي بعضه وهي تشتكي زوجها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تقول يا رسول الله اكل شبابي ونثرت له بطني حتى اذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مني اللهم اني اشكوا اليك فما برحت حتى نزل جبريل بهذه الايات قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله خرجه بن ماجه في السنن والذي في البخاري من هذا عن عايشة قالت الحمد لله الذي وسع سمعه الاصوات لقد جاءت المجادلة تشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا في ناحية البيت ما اسمع ما تقول فانزل الله عز وجل قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وقال الماوردي هي خولة بنت ثعلبة وقيل بنت خويلد وليس هذا بمختلف لان احدهما ابوها والاخر جدها فنسبت الى كل واحد منهما وزوجها اوس بن الصامت وقال الثعلبي قال بن عباس هي خولة بنت خويلد الخزرجية كانت تحت اوس ابن الصامت اخو عبادة بن الصامت وكانت حسنة الجسم فراها زوجها ساجدة فنظر عجيزتها فاعجبه امرها فلما انصرفت ارادها فابت فغضب عليها قال عروة وكان امرا به لمم فاصابه بعض لممه فقال لها انت علي كظهر امي وكان الايلا والظهار من الطلاق في الجاهلية فسالت النبي صلى الله عليه وسلم فقال لها حرمت عليه فقالت والله ما ذكر طلاقا ثم قالت اشكوا الى الله فاقتي ووحدتي ووحشتي وفراق زوجي وبن عمي وقد نفضت له بطني فقال حرمت عليه فما زالت تراجعه ويراجعها حتى نزلت عليه الايه وروى الحسن انها قالت يا رسول الله اوحي اليك في

كل شي وطوي عنك هذا فقال ما اوحي في هذا شي فقالت يا رسول الله اوحي اليك في كل شي وطوي عنك هذا فقال هو ما قلت لك فقالت الى الله اشكوا لا الى رسوله فانزل الله تعالى قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله الايه وروى الدارقطني من حديث قتادة ان انس بن مالك حدثه ان اوس بن الصامت ظاهر من امراته خويلة بنت ثعلبة فشكت ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ظاهر حين كبرت سني ورق عظمي فانزل الله تعالى اية الظهار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاوس اعتق رقبة قال ما لي بذلك يدان قال فصم شهرين متتابعين قال اما اني اذا اخطاني ان اكل في اليوم كل بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال ما اجد الا ان تعينني منك بعون وصلة قال فاعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر صاعا حتى جمع الله له والله رحيم قال وكانوا يرون ان عنده مثلها وذلك لستين مسكينا وفي الترمذي وسنن بن ماجه ان سلمة بن صخر البياضي ظاهر من امراته وان النبي صلى الله عليه وسلم قال له اعتق رقبة قال فضربت صفحة عنقي بيدي فقلت لا والذي بعثك بالحق ما اصبحت املك غيرها قال فصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله وهل اصابني ما اصابني الا في الصيام قال فاطعم ستين مسكينا وذكر بن العربي في احكامه ان خولة بنت الدليج ظاهر منها زوجها فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمت عليه قالت اشكوا الى الله حاجتي ثم عادت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حرمت عليه فقالت اشكوا الى الله حاجتي وعايشة تغسل شق راسه الايمن ثم تحولت الى الشق الاخر وقد نزل عليه الوحي فذهبت ان تعود قالت المسكينة قد نزل الوحي فلما نزل القران قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزوجها اعتق رقبة قال لا اجد قال صم شهرين متتابعين قال ان لم اكل في اليوم ثلث مرات خفت ان يعشو بصري قال فاطعم ستين مسكينا قال فاعني قال فاعانه بشي قال ابو جعفر النحاس اهل التفسير على انها خولة وزوجها اوس بن الصامت واختلفوا في نسبها فقال بعضهم هي انصارية وهي بنت ثعلبة وقال بعضهم هي بنت دليج وقيل هي ابنة خويلد وقال بعضهم هي ابنة الصامت وقال بعضهم هي امة كانت لعبد الله بن ابي وهي التي انزل الله فيها ولا تكرهوا فتياتكم على البغا ان اردن تحصنا لانه يكرهها على الزنا وقيل هي ابنة حكيم قال النحاس وهذا ليس بمتناقض يجوز ان تنسب مرة الى ابيها ومرة الى جدها ويجوز ان تكون امة كانت لعبد الله بن ابي فقيل لها انصارية بالولا لانه كان في عداد الانصار وان كان من المنافقين الثانية قري قد سمع الله بالادغام وقد سمع الله بالاظهار والاصل في السماع ادراك المسموعات وهو اختيار الشيخ ابي الحسن وقال بن فورك الصحيح انه ادراك المسموع وقال الحاكم ابو عبد الله في معنى السميع انه المدرك للاصوات التي يدركها المخلوقون باذانهم من غير ان يكون له اذن وذلك راجع الى ان الاصوات لا تخفى عليه وان كان غير موصوف بالحس المركب في الاذن كالاصم من الناس لما لم تكن له هذه الحاسة لم يكن اهلا لادراك الصوت والسمع والبصر صفتان كالعلم والقدرة والحياة والارادة فهما من صفات الذات لم يزل الخالق سبحانه متصفا بهما وتشتكي بمعنى واحد وقري يحاورك اي تراجعك الكلام وتجادلك اي تسايلك قوله تعالى الذين يظهرون فيه ثلاث وعشرون مسيلة الاولى قوله تعالى قرا بن عامر وحمزة والكسائي وخلف يظاهرون بفتح اليا وتشديد الظا والف وقرا نافع وبن كثير وابو عمرو ويعقوب يظهرون بحذف الالف وتشديد الها والظا وفتح اليا وقرا ابو العالية وزر بن حبيش يظاهرون بضم اليا وتخفيف الظا والف وكسر الها وقد تقدم هذا في الاحزاب وفي قراءة ابي يتظاهرون وهو معنى قراءة بن عامر وحمزة وذكر الظهر كناية عن معنى الركوب والادمية انما يركب بطنها ولكن كنى عنه بالظهر لان ما يركب من غير الادميات فانما يركب ظهره فكنى بالظهر عن الركوب ويقال نزل عن امراته اي طلقها كانه نزل عن مركوب ومعنى انت علي كظهر امي اي انت علي محرمة لا يحل لي ركوبك الثانية حقيقة الظهار تشبيه ظهر بظهر والموجب للحكم منه تشبيه ظهر محلل بظهر

بحرم ولهذا اجمع الفقها على ان من قال لن وجدت انت علي كظهر امي انه مظاهر واكثرهم
على انه ان قال لها انت علي كظهر ابنتي او اختي او غير ذلك من ذوات المحارم انه مظاهر وهو
مذهب مالك وابي حنيفة وغيرهما واختلف فيه عن الشافعي رضي الله عنه فروي
عنه نحو قول مالك لانه شبه امراته بظهر محرم عليه موبد كالام وروي عنه ان الظهار
لا يكون الا بالام وحدها وهو مذهب قتادة والشعبي والاول قول الحسن والنخعي
والزهري والاوزاعي والثوري الثالثة اصل الظهار ان تقول الرجل لامراته انت علي كظهر
امي وانما ذكر الله الظهر كناية عن البطن وسترا فانه قال انت علي كامي ولم يذكر الظهر
وقال انت علي مثل امي فان اراد الظهار فله نيته وان اراد الطلاق كان مطلقا البتة
عند مالك وان لم تكن له نية في طلاق ولا ظهار كان مظاهرا ولا ينصرف صريح الظهار
بالنية الى الطلاق كما لا ينصرف صريح الطلاق وكنايته المعروفة له الى الظهار وكناية
الظهار خاصة تنصرف بالنية الى الطلاق البت الرابعة الفاظ الظهار ضربان صريح
وكناية فالصريح انت علي كظهر امي وانت عندي وانت مني وانت معي كظهر امي
وكذلك انت علي كبطن امي او كراسها او فرجها او نحوه وكذا فرجك او راسك او ظهرك
او بطنك او رجلك علي كظهر امي فهو مظاهر مثل قوله يدك او رجلك او راسك او فرجك
طالق تطلق عليه وقال الشافعي في احد قوليه لا يكون ظهارا وهذا ضعيف
منه لانه قد وافقنا على انه يصح اضافة الطلاق اليه خلافا لابي حنيفة فصح اضافة
الظهار ومتى شبهها بامه او باحدى جداته من قبل ابيه وامه فهو ظهار بلا خلاف
وان شبهها بغيرهن من ذوات المحارم التي لا تحل له بحال كالبنت والاخت والعمة
والخالة كان مظاهرا عند اكثر الفقها وعند الامام الشافعي رضي الله عنه على الصحيح
من المذهب على ما ذكرنا فان اراد الظهار كان ظهارا وان لم ينو الظهار لم يكن مظاهرا
عند الشافعي وابي حنيفة وقد تقدم مذهب مالك في ذلك والدليل عليه انه اطلق
تشبيه امراته بامه فكان ظهارا اصله اذا ذكر الظهر وهذا قوي فان معنى اللفظ فيه
موجود واللفظ بمعناه ولم يلزم حكم الظهر للفظه وانما الزمه بمعناه وهو التحريم قاله
ابن العربي الخامسة اذا شبه جملة اهله بعضو من اعضا امه كان ظهارا خلافا لابي
حنيفة من قوله انه ان شبهها بعضو يحل له النظر اليه لم يكن مظاهرا وهذا لا يصح لان
النظر اليه على طريق الاستمتاع لا يحل له وفيه التشبيه واياه قصد المظاهر وقد قال
الامام الشافعي في قول انه لا يكون ظهارا الا في الظهر وحده وهذا فاسد لان كل
عضو منها محرم فكان التشبيه به ظهارا كالظهر ولان المظاهر انما يقصد تشبيه المحلل
بالمحرم فلزم على المعنى السادسة ان شبه امراته باجنبية فان ذكر الظهر كان ظهارا حملا
على الاول وان لم يذكر الظهر فاختلف فيه علماونا فمنهم من قال يكون ظهارا ومنهم
قال يكون طلاقا وقال ابو حنيفة والشافعي لا يكون شيا قال ابن العربي وهذا
فاسد لانه شبه محللا من المراة بمحرم فكان مقيدا بحكمه كالظهر والاسما بمعانيها
عندنا وعندهم بالفاظها وهذا نقض للاصل منهم قلت الخلاف في الظهار بالاجنبية
قوي عند مالك واصحابه منهم من لا يرى الظهار الا بذوات المحارم خاصة ولا يرى
الظهار بغيرهن شيا ومنهم من يجعله في الاجنبية طلاقا وهو عند مالك اذا قال
ابي او غلامي او كظهر زيد او كظهر اجنبية ظهارا لا يحل له وطوها في حين يمينه وقد
روي عنه ايضا ان الظهار بغير ذوات المحارم ليس بشي كما قال الكوفي والشافعي
وقال الاوزاعي لو قال انت علي كظهر فلان فهو يمين يكفرها السابعة اذا قال
انت علي حرام كظهر امي كان ظهارا ولم يكن طلاقا لان قوله انت حرام يحتمل التحريم
بالطلاق فهي مطلقة ويحتمل التحريم بالظهار فلما صرح به كان تفسيرا لاحد
الاحتمالين فقضي به فيه الثامنة الظهار لازم في كل زوجة مدخول بها او غير
مدخول بها على اي الاحوال كانت من كل زوج يجوز طلاقه وكذلك عند مالك
من يجوز له وطيها من امايه او ظاهر منهن لزمه الظهار فيهن وقال ابو حنيفة

والشافعي

والشافعي لا يلزم وقال القاضي ابو بكر بن العربي وهي مسيلة عسيرة جدا علينا لان
مالكا يقول اذا قال لامته انت علي حرام لا يلزم فكيف يبطل فيها صريح التحريم ويصح
كنايته لكن تدخل الامة في عموم قوله من نسايكم لانه اراد من محللاتكم والمعنى فيه انه
لفظ يتعلق بالبضع دون رفع العقد فصح في الامة اصله الحلف بالله تعالى التاسعة
يلزم الظهار قبل النكاح اذا نكح التي ظاهر منها عند مالك ولا يلزم عند الشافعي وابي
حنيفة لقوله تعالى من نسايهم وهذه ليست من نسايه وقد مضى اصل هذه المسيلة
في سورة براة عند قوله تعالى ومنهم من عاهد الله الاية العاشرة الذمي لا يلزم
ظهاره وبه قال ابو حنيفة وقال الشافعي يصح ظهار الذمي ودليلنا قوله تعالى منكم
يعني من المسلمين وهذا يقتضي خروج الذمي من الخطاب فان قيل هذا استدلال
بدليل الخطاب قلنا هو استدلال بالاشتقاق والمعنى فان انكحة الكفار فاسدة
مستحقة الفسخ ولا يتعلق بها حكم طلاق ولا ظهار وذلك لقوله تعالى واشهدوا
ذوي عدل منكم واذا خلت الانكحة عن شروط الصحة فهي فاسدة ولا ظهار في النكاح الفاسد
بحال الحادية عشر قوله تعالى منكم يقتضي صحة ظهار العبد خلافا لمن منعه وحكاه
الثعلبي عن مالك لانه من جملة المسلمين واحكام النكاح في حقه ثابتة وان تعذر عليه
العتق والاطعام فانه قادر على الصيام الثانية عشر قال مالك ليس على النسا تظاهر انما
قال الله تعالى والذين يظهرون منكم من نسايهم ولم يقل اللاتي يظهرون منكن من
ازواجهن انما الظهار على الرجال قال ابن العربي هكذا روي عن القاسم وسالم ويحيى
ابن سعيد وربيعة وابي الزناد وهو صحيح معنى لان الحل والعقد في النكاح بيد الرجال
ليس بيد المراة منه شي وهذا اجماع قال ابو عمر ليس على النسا ظهار في قول جمهور العلما
قال الحسن بن زياد هي مظاهرة وقال الثوري وابو حنيفة ومحمد ليس ظهار المراة من
الرجل وقال الاوزاعي اذا قالت المراة لزوجها انت علي كظهر فلانة فهي يمين تكفرها وكذلك
قال اسحاق قال لا تكون امراة متظاهرة ولكن عليها يمين تكفرها وقال الزهري ارى ان تكفر
كفارة الظهار ولا يحول قولها هذا بينها وبين زوجها ان يصيبها رواه عنه معمر وابن
جريج عن عطا قال حرمت ما احل الله عليها كفارة يمين وهو قول ابي يوسف وقال
محمد بن الحسن لا شي عليها الثالثة عشر من به لمم وانتظمت له في بعض الاوقات الكلم لزمه
ظهاره لما روي في الحديث ان خولة بنت ثعلبة وكان زوجها اوس بن الصامت وكان به
لمم فاصابه بعض لممه فظاهر من امراته الرابعة عشر من غضب فظاهر من امراته او طلق لم
يسقط غضبه حكمه وفي بعض طرق هذا الحديث قال يوسف بن عبد الله بن سلام حدثتني
خولة امراة اوس بن الصامت قالت كان بيني وبينه شي فقال انت علي كظهر امي ثم خرج
الى نادي قومه فقولها كان بيني وبينه شي دليل على منازعة احرجته فظاهر منها
والغضب لغو ولا يرفع حكما ولا يغير شرعا وكذلك السكران وهي الخامسة عشر يلزمه حكم
الظهار والطلاق في حال سكره اذا عقل قوله ونظم كلامه لقوله تعالى حتى تعلموا ما
تقولون على ما تقدم في النسا بيانه السادسة عشر ولا يقرب المظاهر امراته ولا يباشرها
ولا يتلذذ منها بشي حتى يكفر خلافا للشافعي في احد قوليه انت علي كظهر امي يقتضي
تحريم استمتاع بلفظه ومعناه فان وطيها قبل ان يكفر وهي السابعة عشر استغفر الله وامسك
عنها حتى يكفر كفارة واحدة وقال مجاهد وغيره عليه كفارتان روي سعيد عن قتادة
ومطر عن رجا بن حيوة عن قبيصة بن ذويب عن عمرو بن العاصي في المظاهر اذا وطي
قبل ان يكفر عليه كفارتان ومعمر عن قتادة قال قبيصة بن ذويب عليه كفارتان
وروي جماعة من الايمة منهم ابن ماجه والنسايي عن ابن عباس ان رجلا ظاهر من امراته
فغشيها قبل ان يكفر فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال ما حملك على ذلك
قال يا رسول الله رايت بياض خلخالها في ضوء القمر فلم املك نفسي ان وقعت عليها فضحك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يقربها حتى يكفر وروي ابن ماجه والدارقطني عن
سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر انه ظاهر في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقع

بامراته قبل ان يكفر فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فامره ان يكفر
تكفيرا واحدا الثانية عشر اذا تظاهر من اربع نسوة في كلمة واحدة كقوله انتن علي
كظهر امي كان مظاهرا من كل واحدة منهن ولم يجز له وطء احداهن واجزته كفارة واحدة
وقال الشافعي تلزمه اربع كفارات وليس في الاية دليل على شيء من ذلك لان لفظ الجمع
انما وقع على عامة المؤمنين والمعول على المعنى وقد روى الدارقطني عن ابن عباس قال
كان عمر بن الخطاب يقول اذا كان تحت الرجل اربع نسوة فظاهر منهن تجزيه كفارة
واحدة فان تظاهر منهن واحدة بعد اخرى لزمه في كل واحدة منهن كفارة وهذا اجماع
التاسعة عشر وان قال لاربع نسوة ان تزوجتكن فانتن علي كظهر امي فتزوج احداهن
لم يقربها حتى يكفر ثم قد سقط عنه اليمين في سائرهن وقد قيل لا يطا البواقي منهن
حتى يكفر والاول هو المذهب الموفية عشرين وان قال لامراته انت علي كظهر امي وانت
طالق البتة لزمه الطلاق والظهار معا ولم يكفر حتى ينكحها بعد زوج ولا يطاها اذا نكحها
حتى يكفر فان قال لها انت طالق البتة وانت علي كظهر امي لزمه الطلاق ولم يلزمه
الظهار لان المبتوتة لا يلحقها طلاق الحادية والعشرون قال بعض العلماء لا يصح ظهار
غير المدخول بها وقال المزني لا يصح الظهار من المطلقة الرجعية وهذا ليس بشيء لان
احكام الزوجية في الموضعين ثابتة وكما يلحقها الطلاق قياسا ونظرا والله اعلم الثانية
والعشرون ما هن امهاتهم بخفض التاء على لغة اهل الحجاز كقوله ما هذا بشرا وقرا ابو
معمر السلمي وغيره امهاتهم بالرفع على لغة تميم قال الفراء اهل نجد وبنو تميم يقولون
ما هذا بشر وما هن امهاتهم بالرفع على ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم اي ما امهاتهم الا الوالدات
وفي المثل ولدك من دمى عقبيك وتقدم القول في اللائي في الاحزاب الثالثة والعشرون
قوله تعالى وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا اي فظيعا من القول لا يعرف في الشرع
والزور الكذب وان الله لعفو غفور اذ جعل الكفارة عليهم مخلصة لهم من هذا
القول المنكر قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم فيه اثنا عشر مسئلة الاولى
قوله تعالى والذين يظهرون من نسائهم هذا ابتداء والخبر فتحرير رقبة وحذف عليهم
لدلالة الكلام عليه اي فعليهم تحرير رقبة وقيل اي فكفارتهم عتق رقبة والمجمع
عليه عند العلماء في الظهار قول الرجل لامراته انت علي كظهر امي وهو قول المنكر والزور
الذي عنى الله بقوله وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا فمن قال هذا القول
حرم عليه وطء امراته فمن عاد لما قال لزمته كفارة الظهار لقوله عز وجل والذين
يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة وهذا يدل على ان كفارة الظهار
لا تلزم بالقول خاصة حتى ينضم اليها العود وهذا حرف مشكل اختلف الناس فيه
على اقوال سبعة الاول انه العزم على الوطء وهو مشهور قول العراقيين ابي حنيفة واصحابه
وروي عن مالك فان عزم على وطئها كان عودا وان لم يعزم لم يكن عودا الثاني العزم
على الامساك بعد التظاهر منها قاله مالك الثالث العزم عليهما وهو قول مالك في موطاه
قال مالك في قول الله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا قال
سمعت ان تفسير ذلك ان يظاهر الرجل من امراته ثم يجمع على اصابتها وامساكها فان
اجمع على ذلك فقد وجبت عليه الكفارة وان طلقها ولم يجمع بعد تظاهره منها على امساكها
واصابتها فلا كفارة عليه قال مالك وان تزوجها بعد ذلك لم يمسها حتى يكفر كفارة المتظاهر
القول الرابع انه الوطء نفسه فان لم يطا لم يكن عودا قاله الحسن ومالك ايضا الخامس
قال الامام الشافعي هو ان يمسكها زوجة بعد الظهار مع القدرة على الطلاق لانه لما
ظاهر قصد التحريم فان وصل به الطلاق فقد جرى على خلاف ما ابتداه من ايقاع
التحريم ولا كفارة عليه وان سكت عن الطلاق فقد عاد الى ما كان عليه فتجب عليه
الكفارة السادس ان الظهار يوجب تحريما لا يرفعه الا الكفارة ومعنى العود عند
القائلين بهذا انه لا يستبيح وطئها الا بكفارة يقدمها قاله ابو حنيفة واصحابه والليث
ابن سعد السابع هو تكرير الظهار بلفظه وهذا قول اهل الظاهر النافين للقياس

قالوا اذا كرر اللفظ بالظهار فهو العود وان لم يكرر فليس بعود ويسند ذلك الى بكير
ابن الاشج والى العالية وابي حنيفة ايضا وهو قول الفراء قال ابو العالية وظاهر الاية
يشهد له لانه قال ثم يعودون لما قالوا اي الى قول ما قالوا وروي عن علي بن ابي طلحة
عن ابن عباس في قوله عز وجل والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا هو ان
يقول لها انت علي كظهر امي فاذا قال لها ذلك فليست تحل له حتى يكفر كفارة الظهار قال
ابن العربي فاما القول بانه العود الى لفظ الظهار فهو باطل قطعا لا يصح عن بكير وانما يشبه
ان يكون من جهالة داود واتباعه وقد رويت قصص المتظاهرين وليس في ذكر الكفارة
عليهم ذكر لعود القول منهم وايضا فان المعنى ينقضه لان الله تعالى وصفه بانه منكر من
القول وزور فكيف يقال اذا اعدت القول المحرم والسبب المحظور وجبت عليه الكفارة
لا يشترط فيه الاعادة من قتل ووطء في صوم او غيره قلت قوله يشبه ان تكون من جهالة
داود واتباعه حمل منه عليه وقد قال بقوله من ذكرناه عنهم واما قول الشافعي بانه
ترك الطلاق مع القدرة عليه فينقضه ثلاثة امور امهات الاول انه قال ثم وهذا بظاهره
يقتضي التراخي الثاني ان قوله ثم يعودون يقتضي وجود فعل من جهته ومرور الزمان
ليس بفعل منه الثالث ان الطلاق الرجعي لا ينافي البقاء على الملك فلم يسقط حكم الظهار
كالايلاء فان قيل فاذا راها كالام لم يمسكها اذ لا يصح امساك الام بالنكاح وهذه عمدة
اهل ما وراء النهر قلنا اذا عزم على خلاف ما قال وراها خلاف الام كفر وعاد الى اهله
وتحقيق هذا القول ان العزم قول نفسي وهذا رجل قال قولا اقتضى التحليل وهو النكاح
وقال قولا اقتضى التحريم وهو الظهار ثم عاد الى ما قال وهو التحليل ولا يصح ان يكون
منه ابتداء عقد لان العقد باق فلم يبق الا انه قول عزم يخالف ما اعتقده وقاله في نفسه من
الظهار الذي اخبر عنه بقوله انت علي كظهر امي واذا كان ذلك كفر وعاد الى اهله من قبل ان
يتماسا وهذا تفسير بالغ في بابه قال بعض اهل التاويل الاية فيها تقديم وتاخير والمعنى
والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون الى ما كانوا عليه من الجماع فتحرير رقبة لما قالوا
اي فعليهم تحرير رقبة من اجل ما قالوا فالجار في قوله لما قالوا متعلق بالمحذوف الذي
هو خبر الابتداء وهو عليهم قاله الاخفش وقال الزجاج المعنى ثم يعودون الى ارادة الجماع
من اجل ما قالوا وقيل المعنى الذين كانوا يظهرون من نسائهم في الجاهلية ثم يعودون لما كانوا
قالوه في الجاهلية في الاسلام فكفارة من عاد ان يحرر رقبة الفراء اللام بمعنى عن والمعنى
ثم يرجعون عما قالوا ويريدون الوطء وقال الاخفش لما قالوا والى ما قالوا واحد واللام
والى يتعاقبان قال الحمد لله الذي هدانا لهذا وقال فاهدوهم الى صراط الجحيم وقال
بان ربك اوحى لها وقال واوحي الى نوح الثانية قوله تعالى فتحرير رقبة اي فعليه اعتاق
رقبة يقال حررته اي جعلته حرا ثم هذه الرقبة يجب ان تكون كاملة سليمة من كل عيب
ومن كمالها اسلامها عند مالك والشافعي كالرقبة في كفارة القتل وعن ابي حنيفة واصحابه
تجزي الكافرة ومن فيها شعبة رق كالمكاتبة وغيرها الرابعة فان اعتق نصفي عبدين
فلا يجزيه عندنا ولا عند ابي حنيفة وقال الشافعي يجزيه لان نصف العبدين في
معنى العبد الواحد ولان الكفارة بالعتق طريقها المال فجاز ان يدخلها التبعيض والتجزي
كالاطعام ودليلنا قوله تعالى فتحرير رقبة وهذا الاسم عبارة عن شخص واحد وبعض
الرقبة ليس برقبة وليس ذلك مما يدخله التلفيق لان العبادات المتعلقة بالرقبة لا يقوم
النصف من رقبتين مقامها اصله اذا اشترك رجلان في اضحيتين ولانه لو امر رجلان
ان يحجا عنه حجة لم يجز ان يحج واحد منهما نصفها كذلك هنا ولانه لو اوصى بان يشترى
رقبة فتعتق عنه لم يجز ان يعتق عنه نصف عبدين كذلك في مسئلتنا وبهذا يبطل
دليلهم والاطعام وغيره لا يتجزى في الكفارة عندنا الخامسة قوله تعالى من قبل
ان يتماسا اي يجامعها فلا يجوز للمظاهر الوطء قبل التكفير فان جامعها قبل التكفير
اثم وعصى ولا يسقط عنه التكفير وحكي عن مجاهد انه اذا وطئ قبل ان يشرع
في التكفير لزمته كفارة اخرى وعن غيره ان الكفارة الواجبة بالظهار تسقط عنه

ولا يلزمه شيء اصلا لان الله سبحانه اوجب الكفارة وامر بها قبل المسيس واذا اخرها
حتى مس فقد فات وقتها والصحيح ثبوت الكفارة لانه بوطئه ارتكب اثما فلم يكن ذلك
مسقطا للكفارة ويأتي بها قضاء كما لو اخر الصلاة عن وقتها وفي حديث اوس بن
الصامت لما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بانه وطئ امراته امره بالكفارة وهذا نص وسواء
كانت كفارته بالعتق او الصوم او الاطعام وقال ابو حنيفة ان كانت كفارته بالاطعام
جاز ان يطأ ثم يطعم فاما غير الوطء من القبلة والمباشرة والتلذذ فلا يحرم في قول اكثر
العلماء وقاله الحسن وسفيان والصحيح من مذهب الشافعي وقيل كل ذلك محرم وكل معاني
المسيس وهو قول مالك واحد قولي الشافعي وقد تقدم السادسة قوله تعالى ذلكم
توعظون به اي تؤمرون به والله بما تعملون خبير من التكفير وغيره السابعة من لم يجد
الرقبة ولا ثمنها او كان مالكا لها الا انه يحتاج اليها لخدمته او كان له مسكن ليس له غيره
ولا يجد شيئا سواه فله ان يصوم عند الشافعي وقال ابو حنيفة لا يصوم وعليه العتق
وان عجز عن الرقبة وهي الثامنة فعليه صوم شهرين متتابعين فان افطر في اثنائهما
بغير عذر استانفهما وان افطر لعذر من سفر او مرض فقيل يبني قاله ابن المسيب والحسن
وعطاء بن ابي رباح وعمرو بن دينار والشعبي وهو احد قولي الشافعي وهو الصحيح
من مذهبه وقال مالك انه اذا مرض في صيام كفارة الظهار بنى اذا صح ومذهب ابي
حنيفة انه يبتدئ وهو احد قولي الشافعي التاسعة اذا ابتدأ الصيام ثم وجد الرقبة
اتم الصيام واجزأه عند مالك والشافعي لانه بذلك امر حين دخل فيه ويهدم
الصوم ويعتق عند ابي حنيفة واصحابه قياسا على الصغيرة المعتدة بالشهور
ترى الدم قبل انقضائها فانها تستانف الحيض اجماعا من العلماء واذا ابتدأ سفرا في صيامه
ابتدأ الصيام عند مالك والشافعي وابي حنيفة لقوله تعالى متتابعين ويبني في
قول الحسن البصري لانه عذر العاشرة وان وطئ المتظاهر في خلال الشهرين نهارا
بطل التتابع في قول الشافعي وليلا لا يبطل لانه ليس محلا للصوم وقال مالك وابو
حنيفة يبطل بكل حال ووجب عليه ابتداء الكفارة لقوله تعالى من قبل ان يتماسا
وهذا الشرط عائد الى جملة الشهرين والى ابعاضهما فاذا وطئ قبل انقضائهما فليس هو
الصيام المامور به فلزمه استئنافه كما لو قال صل قبل ان تكلم زيدا فكلم زيدا في الصلاة
او قال صل قبل ان تبصر زيدا فابصره في الصلاة لزمه استئنافها لان هذه الصلاة
ليست هي الصلاة المامور بها كذلك هذا والله اعلم الحادية عشر ومن تطاول مرضه
طولا لا يرجى برؤه كان بمنزلة العاجز من كبر وجاز له العدول عن الصيام الى الاطعام
ولو كان مرضه مما يرجى برؤه واشتدت حاجته الى وطء امراته كان الاختيار له ان
ينتظر البرء حتى يقدر على الصيام ولو كفر بالاطعام ولم ينتظر القدرة على الصيام اجزأه
الثانية عشرة من تظاهر وهو معسر ثم ايسر لم يجزه الصوم وان تظاهر وهو موسر
ثم اعسر قبل ان يكفر صام وانما ينظر الى حاله يوم يكفر ولو جامعها في عدمه وعسره
فلم يصم حتى ايسر لزمه العتق ولو ابتدأ بالصوم ثم ايسر فان كان مضى من صومه
صدر صالح نحو الجمعة وشبهها تمادى وان كان اليوم واليومين ونحوهما ترك الصوم
وعاد الى العتق وليس ذلك بواجب عليه الا ترى انه غير واجب على من طرأ الماء عليه
وقد دخل بالتيمم في الصلاة ان يقطع ويبتدئ الطهارة عند مالك الثالثة عشر
لو اعتق رقبتين عن كفارتي ظهار او قتل او فطر في رمضان واشرك بينهما في
كل واحدة منهما لم يجزه وهو بمنزلة من اعتق رقبة واحدة عن كفارتين وكذلك
لو صام عنها اربعة اشهر حتى يصوم عن كل واحد شهرين وقد قيل ان ذلك يجزيه
ولو ظاهر من امراتين له فاعتق رقبة عن احداهما بغير عينها لم يجز له وطء واحدة
منهما حتى يكفر الكفارة الاخرى ولو عين الكفارة عن احداهما جاز له ان يطأها
قبل ان يكفر الكفارة الاخرى ولو ظاهر من اربع نسوة فاعتق عنهن ثلاث رقبات
وصام شهرين لم يجزه العتق ولا الصيام لانه انما صام عن كل واحدة خمسة عشر يوما فان

كفر عنهن بالاطعام جاز ان يطعم عنهن مائتي مسكين وان لم يقدر فرق بخلاف العتق
والصيام لان صيام الشهرين لا يفرق والاطعام يفرق فصل وفيه ست مسائل
الاولى ذكر الله جل وعز الكفارة هنا مرتبة فلا سبيل الى الصيام الا عند العجز عن الرقبة
وكذلك لا سبيل الى الاطعام الا عند عدم الاستطاعة على الصيام فمن لم يطق الصيام وجب
عليه اطعام ستين مسكينا لكل مسكين مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم فان اطعم مدا
بمد هشام وهو مدان الا ثلثا او اطعم مدا ونصفا بمد النبي صلى الله عليه وسلم اجزأه قال
ابو عمر بن عبد البر وافضل من ذلك مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل
لم يقل في كفارة الظهار من اوسط ما تطعمون فواجب قصد الشبع قال ابن العربي وقال
مالك في رواية ابن القاسم وابن عبد الحكم مد بمد هشام وهو الشبع هاهنا لان الله تعالى
اطلق الطعام ولم يذكر الوسط وقال في رواية اشهب مدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم
قيل له الم تكن قلت مد هشام قال بلى ومدان بمد النبي صلى الله عليه وسلم احب الي وكذلك
قال عنه ابن القاسم ايضا قلت وهي رواية ابن وهب ومطرف عن مالك انه يعطي مدين لكل
مسكين بمد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ومذهب الشافعي
وغيره مد واحد لكل مسكين لا يلزمه اكثر من ذلك لانه يكفر بالاطعام فلم يلزمه صرف زيادة
على المد اصله كفارة الافطار واليمين ودليلنا قوله تعالى فاطعام ستين مسكينا واطلاق
الاطعام يتناول الشبع وذلك لا يحصل بالعادة بمد واحد الا بزيادة عليه وكذلك قال
اشهب قلت لمالك ايختلف الشبع عندنا وعندكم قال نعم الشبع عندنا مد بمد النبي
صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا بالبركة دونكم
فانتم تاكلون اكثر مما ناكل وقال ابو الحسن القابسي انما اخذ اهل المدينة بمد هشام
في كفارة الظهار تغليظا على المتظاهرين الذين شهد الله عليهم انهم يقولون منكرا
من القول وزورا قال ابن العربي وقع الكلام هنا في مد هشام كما ترون ووددت ان
يهشم الزمان ذكره ويمحى من الكتب رسمه فان المدينة الذي نزل بها واستقر الرسول ووقع
عندهم الظهار وقيل لهم فيه فاطعام ستين مسكينا فهموا وعرفوا المراد به وانه الشبع وقدره
معروف عندهم متقرر لديهم وقد ورد ذلك الشبع في الاخبار كثيرا واستمرت الحال على ذلك
ايام الخلفاء الراشدين المهديين حتى نفخ الشيطان في اذن هشام فراى ان مد النبي صلى
الله عليه وسلم لا يشبعه ولا مثله من حواشيه ونظرائه فسول له ان يتخذ مدا يكون
فيه شبعه فجعله رطلين وحمل الناس عليه فاذا ابتل عاد نحو الثلاث مد الا رطال
فغير السنة واذهب محل البركة في مدهم وصاعهم مثل ما بارك لابراهيم بمكة فكانت البركة
تجري بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم في مده فسعى الشيطان في تغيير هذه السنة
واذهاب هذه البركة فلم يستجب له في ذلك الا هشام فكان من حق العلماء ان يلغوا ذكره
ويمحوا رسمه اذا لم يغيروا امره واما ان يحيلوا على ذكره في الاحكام ويجعلوه تفسيرا لما
ذكر الله ورسوله بعد ان كان مفسرا عند الصحابة الذين نزل عليهم فخطب جسيم ولذلك
كانت رواية اشهب في ذكر مدين بمد النبي صلى الله عليه وسلم في كفارة الظهار احب
الينا من الرواية بانها بمد هشام الا ترى كيف نبه مالك على هذا العلم بقوله لاشهب الشبع عندنا
بمد النبي صلى الله عليه وسلم والشبع عندكم اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم دعا لنا
بالبركة وبهذا اقول فان العبادة اذا اديت بالسنة فان كانت في البدن كان اسرع
الى القبول وان كانت في المال كان قليلها اثقل في الميزان وابرك في يد الاخذ واطيب
في شدقه واقل افة في بطنه واكثر اقامة لصلبه والله الموفق لا رب غيره الثانية
ولا يجزئ عند مالك والشافعي ان يطعم اقل من ستين مسكينا وقال ابو حنيفة واصحابه
ان اطعم مسكينا واحدا كل يوم نصف صاع حتى يكمل العدد اجزأه الثالثة قال القاضي
ابو بكر بن العربي من غريب الامر ان ابا حنيفة قال الحجر على الحر باطل واحتج بقوله تعالى
فتحرير رقبة ولم يفرق بين الرشيد والسفيه وهذا فقه ضعيف لا يناسب قدره
فان هذه الاية عامة وقد كان القضاء بالحجر في اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاسا والنظر يقتضيه ومن كان عليه حجر الصغر والولاية وبلغ سفيها قد نهي عن دفع
المال اليه كيف ينفذ فعله والخاص يقضي على العام فيه الرابعة وحكم الظهار عند
بعض العلما انه يسخ ما كانوا عليه من كون الظهار طلاقا وقد روي معنى ذلك عن ابن عباس
وابي قلابة وغيرهما الخامسة قوله تعالى ذلك لتومنوا بالله ورسوله اي ذلك وصفنا من
التغليظ في الكفارة ليومنوا اي ليصدقوا ان الله امر به وقد استدل بعض العلما على ان
هذه الكفارة ايمان بالله سبحانه لما ذكرها واوجبها على ذلك لتومنوا بالله ورسوله اي ذلك
لتكونوا ايقفن عند حدوده لا تتعدوها وسمي التكفير لانه طاعة ومراعاة للحد ايمانا
فثبت ان كل ما اشبهه فهو ايمان فان قيل معنى قوله ذلك لتومنوا بالله ورسوله اي لئلا تعودوا
للظهار الذي هو منكر من القول وزور قيل له قد يجوز ان يكون هذا مقصودا فيكون المعنى
ذلك لئلا تعودوا فتقول المنكر والزور بل تدعوهما طاعة لله سبحانه اذا كان قد حرمهما
ولتجتنبوا المظاهر منها الي ان تكفروا واذ كان الله تعالى منع من مسيسها وتكفروا اذ كان
الله امر بالكفارة وازال اخراجها منكم فتكونوا بهذا كله مومنين بالله ورسوله لانها حدود
تحفظونها وطاعات تودونها والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ايمان وبالله
التوفيق السادسة قوله تعالى وتلك حدود الله اي بين معصيته وطاعته فمعصيته الظهار
وطاعته الكفارة وللكافرين عذاب اليم اي لمن لم يصدق باحكام الله عذاب جهنم قوله
تعالى ان الذين يحادون الله ورسوله لما ذكر المومنين الموافقين عند حدوده ذكر المحادين
المخالفين لها والمحاداة المعاداة والمخالفة في الحدود وهو مثل قوله تعالى ان الذين
يشاقون الله ورسوله وقيل يحادون الله اي اوليا الله كما في الخبر من اهان لي وليا فقد
بارزني بالمحاربة وقال الزجاج المحاداة ان تكون في حد يخالف حد صاحبك واصلها
الممانعة ومنه الحديد ومنه الحداد للبواب قوله تعالى كبتوا قال ابو عبيدة والاخفش
اهلكوا وقال قتادة اخزوا كما اخزي الذين من قبلهم وقال ابن زيد عذبوا وقال
السدي لعنوا وقال الفرا غيظوا يوم الخندق وقيل يوم بدر والمراد المشركون وقيل
المنافقون كما كبت الذين من قبلهم وقيل كبتوا اي سيكبتون وهو بشارة من الله تعالى
للمومنين بالنصر واخرج الكلام بلفظ الماضي تقريبا للمخبر عنه وقيل هي بلغة مذحج وقد
انزلنا ايات بينات فيمن حاد الله ورسوله من الذين من قبلهم فيما فعلنا بهم وللكافرين
عذاب مهين قوله تعالى يوم يبعثهم نصب بعذاب مهين او بفعل مضمر تقديره واذكر تعظيما
لليوم يبعثهم الله جميعا اي الرجال والنسا يبعثهم من قبورهم في حالة واحدة فينبيهم
اي يخبرهم بما عملوا في الدنيا احصاه الله عليهم في صحايف اعمالهم ونسوه هم حتى ذكرهم به
في صحايفهم ليكون ابلغ في الحجة عليهم والله على كل شي شهيد مطلع وناظر لا يخفى عليه
شي قوله تعالى الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخفى عليه سر
ولا علانية ما يكون من نجوى قراءة العامة بالياء لاجل الحايل بينهما وقرا ابو جعفر بن
القعقاع والاعرج وابو حيوة وعيسى ما تكون بالتاء لتانيث الفعل والنجوى السرار
وهو مصدر والمصدر قد يوصف به يقال قوم نجوى اي ذوو نجوى ومنه قوله تعالى
واذ هم نجوى وقوله ثلاثة خفض باضافة النجوى اليها قال الفرا ثلاثة نعت للنجوى
فانخفضت وان شئت اضفت نجوى اليها ولو نصبت على اضمار فعل جاز وهي قراءة ابن
ابي عبلة ثلاثة وخمسة نصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه قاله
الزمخشري ويجوز رفع ثلاثة على البدل من موضع نجوى ثم قيل كل سرار نجوى وقيل
النجوى ما يكون من خلوة ثلاثة يسرون شيا ويتناجون به والسرار ما كان بين اثنين
الا هو رابعهم يعلم ويسمع نجواهم يدل عليه افتتاح الاية بالعلم ثم ختمها بالعلم وقيل
النجوى من النجوة وهي ما ارتفع من الارض والمتناجيان يتناجيان ويخلوان
بسرهما كخلو المرتفع من الارض عما يتصل به والمعنى ان سمع الله محيط بكل كلام وقد
سمع مجادلة المراة التي ظاهر منها زوجها ولا ادنى من ذلك ولا اكثر قرا سلام ويعقوب
وابو العالية ونصر وعيسى بالرفع على موضع من نجوى قبل دخول من لان تقديره ما

يكون من نجوى ثلاثة ويجوز ان يكون مرفوعا على محل لا مع ادنى كقولك لا حول ولا
قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز ان يكونا مرفوعين على الابتدا كقولك لا
حول ولا قوة الا بالله وقد مضى بيان هذا في البقرة مستوفى وقرا الزهري وعكرمة اكبر
بالباء والعامة بالثاء وفتح الراء على اللفظ وموضعها جر وقال الفرا في قوله ما يكون من
نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم قال المعنى غير مقصود والعدد
غير مقصود لانه تعالى انما قصد وهو اعلم انه مع كل عدد قل او كثر يعلم ما يقولون سرا
وجهرا لا يخفى عليه خافية فمن اجل ذلك اكتفى بذكر بعض العدد دون بعض وقيل
معنى ذلك ان الله معهم بعلمه حيث كانوا من غير زوال ولا انتقال ونزل ذلك في قوم
من المنافقين كانوا فعلوا شيا سرا فاعلم الله انه لا يخفى عليه ذلك قاله ابن عباس
وقال قتادة ومجاهد نزلت في اليهود ثم ينبيهم يخبرهم بما عملوا من حسن وسي يوم
القيامة ان الله بكل شي عليم قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى فيه ثلاث مسايل
الاولى قوله تعالى الم تر الى الذين نهوا عن النجوى قيل ان هذا في اليهود والمنافقين حسب
ما قدمناه في المجادلة وقيل في المسلمين قال ابن عباس نزلت في اليهود والمنافقين كانوا
يتناجون فيما بينهم وينظرون للمومنين ويتغامزون باعينهم فيقول المومنون لعلهم
بلغهم عن اخواننا وقرابتنا من المهاجرين والانصار قتل او مصيبة او هزيمة ويسوهم ذلك
فكثرت شكواهم الى النبي صلى الله عليه وسلم فنهاهم عن النجوى فلم ينتهوا فنزلت وقال مقاتل
كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة فاذا مر بهم رجل من المومنين تناجوا
بينهم حتى يظن المومن شرا فيعرج عن طريقه فنهاهم الله فلم ينتهوا فنزلت وقال عبد الرحمن
ابن زيد بن اسلم كان الرجل ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيساله الحاجة ويناجيه والارض
يومئذ حرب فيتوهمون انه يناجيه في حرب او بلية او امر مهم فيفزعون لذلك فنزلت
الثانية روى ابو سعيد الخدري قال كنا ذات ليلة نتحدث اذ خرج علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه النجوى الم تنهوا عن النجوى فقلنا تبنا الى الله
يا رسول الله انا كنا في ذكر المسيح يعني الدجال فرقا منه فقال الا اخبركم بما هو اخوف
عندي منه قلنا بلى يا رسول الله قال الشرك الخفي ان يقوم الرجل يعمل لمكان الرجل
ذكره الماوردي وقرا حمزة وخلف ورويس عن يعقوب وينتجون في وزن يفتعلون
وهي قراءة عبد الله واصحابه وقرا الباقون ويتناجون في وزن يتفاعلون واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لقوله تعالى اذا تناجيتم وتناجوا النحاس وحكى سيبويه ان
تفاعلوا وافتعلوا ياتيان بمعنى واحد نحو تخاصموا واختصموا وتقاتلوا واقتتلوا
فعلى هذا يتناجون وينتجون واحد ومعنى بالاثم والعدوان اي الكذب والظلم
ومعصية الرسول اي مخالفته وقرا الضحاك ومجاهد وحميد ومعصيات الرسول
بالجمع الثالثة قوله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله لا اختلاف بين النقلة
ان المراد بها اليهود كانوا ياتون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون السام عليك
يريدون بذلك السلام ظاهرا وهم يعنون الموت باطنا فيقول النبي صلى الله عليه وسلم
عليكم وفي رواية اخرى وعليكم قال ابن العربي وهي مشكلة وكانوا يقولون لو كان محمد
نبيا لما امهلنا بسبه والاستخفاف به وجهلوا ان الباري تعالى حليم لا يعاجل من
سبه فكيف من سب نبيه وقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا احد اصبر
على الاذى من الله يدعون له الصاحبة والولد وهو يعافيهم ويرزقهم فانزل الله تعالى
هذا كشفا لسرايرهم وفضحا لبواطنهم ومعجزة لرسوله وقد ثبت عن قتادة عن انس
ان يهوديا اتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه فقال السام عليكم
فرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال اتدرون ما قال هذا قالوا الله ورسوله اعلم
قال قال كذا ردوه علي فردوه قال قلت السام عليكم قال نعم فقال نبي الله صلى
الله عليه وسلم عند ذلك اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا عليك ما قلت وانزل
الله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله قلت خرجه الترمذي وقال هذا

حديث حسن صحيح وثبت عن عايشة انها قالت جا ناس من اليهود الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال السام عليكم وفعل الله بكم وفعل فقال
عليه السلام مه يا عايشة فان الله لا يحب الفحش فقلت يا رسول الله الست ترى ما يقولون
فقال الست ترين ما ارد عليهم ما يقولون اقول وعليكم ونزلت هذه الاية بما لم يحيك
به الله اي ان الله سلم عليك وهم يقولون السام عليك والسام الموت خرجه البخاري
ومسلم بمعناه وفي الصحيحين من حديث انس بن مالك قال قال النبي صلى الله عليه
وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم كذا الرواية وعليكم بالواو وتكلم عليها
العلما لان الواو العاطفة تقتضي التشريك فيلزم منه ان تدخل معهم فيما دعوا به علينا
من الموت او من سامة ديننا وهو الملال يقال سيم سامة وساما فقال بعضهم
الواو زايدة كما زيدت في قول الشاعر • فلما اجزنا ساحة الحي وانتحى •
اي لما اجزنا انتحى فزاد الواو وقال بعضهم هي للاستيناف كانه قال والسام عليكم وقال
بعضهم هي على بابها من العطف ولا يضرنا ذلك لانا نجاب عليهم ولا يجابون علينا كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم روى ابو الزبير انه سمع جابر بن عبد الله يقول سلم ناس
من يهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك يا ابا القاسم فقال
وعليكم فقالت عايشة وغضبت الم تسمع ما قالوا قال بلى قد سمعت فرددت عليهم
وانا نجاب عليهم ولا يجابوا علينا خرجه مسلم ورواية الواو احسن معنى واثباتها اصح
رواية واشهر وقد اختلف في رد السلام على اهل الكتاب هل هو واجب كالرد على المسلمين
واليه ذهب ابن عباس والشعبي وقتادة للامر بذلك وذهب مالك فيما روى عنه
اشهب وابن وهب الى ان ذلك ليس بواجب فان رددت فقل عليك وقد اختار ابن
طاوس ان تقول في الرد عليهم علاك السلام اي ارتفع عنك واختار بعض اصحابنا السلام
بكسر السين يعني الحجارة وما قاله مالك اولى اتباعا للسنة والله اعلم وروى مسروق عن
عايشة قالت اتى النبي صلى الله عليه وسلم ناس من اليهود قالوا السام عليك يا ابا
القاسم قال وعليكم قالت عايشة قلت بل عليكم السام والذام فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم يا عايشة لا تكوني فاحشة فقالت ما سمعت ما قالوا فقال اوليس
قد رددت عليهم الذي قالوا قلت وعليكم في رواية ففطنت بهم عايشة فسبتهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه يا عايشة فان الله لا يحب الفحش والتفحش
وزاد فانزل الله تعالى واذا جاوك حيوك بما لم يحيك به الله الى اخر الاية الذام
بتخفيف الميم هو العيب ومنه المثل لا تعدم الحسنا ذاما اي عيبا ويهمز ولا يهمز يقال
ذامه مثل ذابه عليه يذابه والمفعول مذوم مهموزا ومنه مذوما مدحورا ويقال
ذامه يذومه مخففا كرامه يرومه قوله تعالى ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا
الله بما نقول قالوا لو كان محمد نبيا لعذبنا الله بما نقول فهلا يعذبنا الله وقيل
قالوا انه يرد علينا يقول وعليكم السام والسام الموت فلو كان نبيا لاستجيب له فينا
وهذا موضع تعجب منهم فانهم كانوا اهل الكتاب وكانوا يعلمون ان الانبيا قد يغضبون
فلا يعاجلون بغضبهم بالعذاب حسبهم جهنم اي كافيهم جهنم عقابا وعذابا وبيس المصير
اي المرجع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم نهى المومنين ان يتناجوا فيما
بينهم كفعل المنافقين واليهود فقال يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم اي تساررتم
فلا تتناجوا هذه قراة العامة وقرا يحيى بن وثاب وعاصم ورويس عن يعقوب
فلا تنتجوا من النجوى بالاثم والعدوان ومعصية الرسول وتناجوا بالبر اي الطاعة
والتقوى اي بالعفاف عما نهى الله عنه وقيل الخطاب للمنافقين اي يا ايها الذين امنوا
بزعمهم وقيل اي يا ايها الذين امنوا بموسى واتقوا الله الذي اليه تحشرون تجمعون في
الاخرة قوله تعالى انما النجوى من الشيطان فيه مسلتان الاولى قوله تعالى انما
النجوى من الشيطان اي من تزيين الشياطين ليحزن الذين امنوا اذ توهموا ان
المسلمين اصيبوا في السرايا او اذا راوا اجتماعهم على مكايدة المسلمين وربما كانوا يناجون

البني صلى الله عليه وسلم فيظن المسلمون انهم ينتقصونهم عند النبي صلى الله عليه وسلم
وليس بضارهم اي التناجي شيا الا باذن الله اي بمشيته وقيل بعلمه وعن ابن عباس
بامره وعلى الله فليتوكل المومنون اي يكلون امرهم اليه ويفوضون جميع شوونهم الى
عونه ويستعيذون به من الشيطان ومن كل شر فهو الذي سلط الشيطان بالوساوس
ابتلاء للعبد وامتحانا ولو شا لصرفه عنه الثانية في الصحيحين عن ابن عمر ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد وعن
عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يتناجى اثنان دون
الاخر حتى تختلطوا بالناس من اجل ان يحزنه فبين في هذا الحديث غاية المنع وهو ان لا
يجد الثالث من يتحدث معه كما فعل ابن عمر وذلك انه كان يتحدث مع رجل فجا اخر يريد ان
يناجيه فلم يناجه حتى دعا رابعا فقال له وللاول تاخرا وناجى الرجل الطالب للمناجاة
خرجه الموطا وفيه ايضا التنبيه على التعليل بقوله من اجل ان يحزنه اي يقع في نفسه
ما يحزن لاجله وذلك بان يقدر في نفسه ان الحديث عنه بما يكره او انه لم يروه اهلا ليشركوه
في حديثهم الى غير ذلك من القبات الشيطان واحاديث النفس وحصل ذلك كله من بقايه
وحده فاذا كان معه غيره امن ذلك وعلى هذا يستوي في ذلك كل الاعداد فلا يتناجى اربعة
دون واحد ولا عشرة ولا الف مثلا لوجود ذلك المعنى في حقه بل وجوده في العدد الكثير
امكن واوقع فيكون بالمنع اولى وانما خص الثلاثة بالذكر لانه اول عدد يتاتى ذلك فيه
المعنى وظاهر الحديث يعم جميع الازمان والاحوال واليه ذهب ابن عمر ومالك والجمهور وسوا
كان التناجي في مندوب او مباح او واجب فان الحزن يقع به وقد ذهب بعض الناس الى
ان ذلك كان في اول الاسلام لان ذلك كان حال المنافقين فيتناجى المنافقين دون
المومنين فلما فشى الاسلام سقط ذلك وقال بعضهم ذلك خاص بالسفر وفي المواضع
التي لا يامن الرجل فيها صاحبه فاما في الحضر وبين العمارة فلا فانه يجد من يعينه
بخلاف السفر فانه مظنة الاغتيال وعدم المغيث والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم الى قوله والله بما تعملون خبير
فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا قيل لكم تفسحوا في المجلس
لما بين ان اليهود يحيونه بما لم يحيه به الله وذمهم على ذلك وصل به الامر بتحسين
الادب في مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لا يضيقوا عليه في المجلس
وامر المسلمين بالتعاطف والتالف حتى يفسح بعضهم لبعض حتى يتمكنوا من الاستماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والنظر اليه قال قتادة ومجاهد كانوا يتنافسون
في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فامروا ان يفسح بعضهم لبعض وقاله الضحاك وقال
ابن عباس المراد بذلك مجالس القتال اذا اصطفوا للحرب قال الحسن ويزيد بن ابي
حبيب كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتل المشركين تشاح اصحابه على الصف الاول
ولا يوسع بعضهم لبعض رغبة في القتال والشهادة فنزلت فيكون كقوله مقاعد للقتال
وقال مقاتل كان النبي صلى الله عليه وسلم في الصفة وكان في المكان ضيق وذلك يوم
الجمعة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكرم اهل بدر من المهاجرين والانصار فجا ناس
من اهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس وقيل سبقوا في المجلس فقاموا حيال النبي
صلى الله عليه وسلم على ارجلهم ينتظرون ان يوسع لهم فلم يفسحوا لهم فشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من اهل بدر فشق ذلك على من اقيم وعرف
النبي صلى الله عليه وسلم الكراهية في وجوههم فغمز المنافقون وتكلموا بان قالوا ما انصف
هاولا وقد احبوا القرب من نبيهم وسبقوا الى المكان فانزل الله عز وجل هذه الاية
تفسحوا اي توسعوا وفسح فلان لاخيه في مجلسه يفسح فسحا اي اوسع له ومنه
قولهم بلد فسيح ولك في كذا فسحة وفسح يفسح مثل منع يمنع اي وسع في المجلس
وفسح يفسح فساحة مثل كرم يكرم كرامة اي صار واسعا ومنه مكان فسيح الثانية
قرا السلمي وزر بن حبيش وعاصم في المجالس وقرا قتادة وداود بن ابي هند والحسن

باختلاف عنه اذا قيل لكم تفاسحوا الباقون تفسحوا في المجلس فمن جمع فلان قوله
تفسحوا ينبي ان لكل واحد مجلسا ويجوز ان يراد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم وجمع
لان لكل جالس مجلسا وكذلك ان اريد به الحرب وكذلك يجوز ان اريد بالمجلس المجلس
المفرد مجلس النبي صلى الله عليه وسلم ويجوز ان يراد به الجمع على مذهب الجنس كقولهم
كثر الدينار والدرهم قلت الصحيح في الاية انها عامة في كل مجلس اجتمع المسلمون فيه
للخير والاجر كان مجلس حرب او ذكر او مجلس يوم جمعة وان كل واحد احق بمكانه الذي
سبق اليه ولكن يوسع لاخيه ما لم يتاذى بذلك فيخرجه الضيق عن موضعه روى
البخاري ومسلم عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه
ثم يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم
يجلس فيه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه نهى ان يقام الرجل من مجلسه ويجلس
فيه اخر ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر يكره ان يقوم الرجل من مجلسه ثم يجلس
مكانه لفظ البخاري الثانية اذا قعد واحد من الناس في موضع من المسجد لا يجوز
لغيره ان يقيمه حتى يقعد مكانه لما روى مسلم عن ابي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا يقيمن احدكم اخاه يوم الجمعة ثم يخالف الى مقعده فيقعد فيه ولكن
يقول افسحوا فرع القاعد في المكان اذا قام حتى يقعد غيره موضعه نظر فان كان
الموضع الذي قام اليه مثل الاول في سماع كلام الامام لم يكره له ذلك وان كان ابعد من
الامام كره له ذلك لان فيه تفويت حظه الثالثة اذا امر انسانا ان يبكر الى
الجامع فياخذ له مكانا يقعد فيه لا يكره فاذا جاء الامر يقوم من الموضع لما روي ان ابن
سيرين كان يرسل غلامه الى مجلس له في يوم الجمعة فيجلس فيه فاذا جاء قام له منه
فرع وعلى هذا من ارسل بساطا او سجادة فيبسط له في موضع من المسجد الرابعة
روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قام احدكم
وفي حديث ابي عوانة من قام من مجلسه ثم رجع اليه فهو احق به قال علماؤنا
هذا يدل على صحة القول بوجوب اختصاص الجالس بموضعه الى ان يقوم منه لانه
اذا كان اولى به بعد قيامه فقبله احرى واولى وقد قيل ان ذلك على الندب لانه
موضع غير متملك لاحد لا قبل الجلوس ولا بعده وهذا فيه نظر وهو ان يقال
سلمنا انه غير متملك لكنه يختص به الى ان يفرغ غرضه منه فصار كانه يملك منفعته
او قد منع غيره من ان يزاحمه عليه والله اعلم الخامسة قوله تعالى يفسح الله لكم
اي في قبوركم وقيل في قلوبكم وقيل يوسع عليكم في الدنيا والاخرة واذا قيل
انشزوا فانشزوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم بضم الشين فيهما وكسر الباقون وهما لغتان
مثل يعكفون ويعرشون والمعنى انهضوا الى الصلاة والجهاد وعمل الخير قاله اكثر
المفسرين وقال مجاهد والضحاك اذا نودي للصلاة فقوموا اليها وذلك ان
رجالا تثاقلوا عن الصلاة فنزلت وقال الحسن ومجاهد ايضا اي انهضوا الى
الحرب وقال ابن زيد هذا في بيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال الله تعالى واذا
قيل لكم انشزوا عن النبي صلى الله عليه وسلم فانشزوا فان له حوائج فلا تمكثوا
وقال قتادة اجيبوا اذا دعيتم الى امر بمعروف وهذا هو الصحيح لانه يعم والنشز الارتفاع
من نشز الارض وهو ارتفاعها يقال نشز ينشز وينشز اذا انتحى من موضعه اي ارتفع
منه وامراة ناشز منتحية عن زوجها واصل هذا من النشز والنشز وهو ما ارتفع
من الارض وتنحى ذكره النحاس السادسة قوله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم
والذين اوتوا العلم درجات اي في الثواب في الاخرة وفي الكرامة في الدنيا فيرفع
المومن على من ليس بمومن والعالم على من ليس بعالم وقال ابن مسعود مدح الله
العلماء في هذه الاية والمعنى انه يرفع الله الذين اوتوا العلم على الذين امنوا ولم يوتوا
العلم درجات اي درجات في دينهم اذا فعلوا ما امروا به وقيل كان اهل الغنى يكرهون
ان يزاحمهم من يلبس الصوف فيستبقون الى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم فالخطاب

لم

لم وراى عليه السلام رجلا من الاغنياء يقبض ثوبه نفورا من بعض الفقراء اراد ان
يجلس اليه فقال يا فلان خشيت ان يتعدى غناك اليه او فقره اليك وبين في هذه
الاية ان الرفعة عند الله تعالى بالعلم والايمان لا بالسبق الى صدور المجالس وقيل
اراد بالذين اوتوا العلم الذين قرؤوا القران وقال يحيى بن يحيى عن مالك يرفع الله الذين
امنوا منكم الصحابة والذين اوتوا العلم درجات يرفع الله بها العالم والطالب للحق
قلت والعموم اوقع في المسالة واولى بمعنى الاية فيرفع المومن بايمانه اولا ثم بعلمه ثانيا وفي
الصحيح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقدم عبد الله بن عباس على الصحابة
فكلموه في ذلك فدعاهم ودعاه وسالهم عن تفسير اذا جاء نصر الله والفتح فسكتوا فقال
ابن عباس هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه الله اياه فقال عمر ما اعلم منها
الا ما تعلم وفي البخاري عن عبد الله بن عباس قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة
ابن بدر فنزل على ابن اخيه الحر بن قيس بن حصين وكان من النفر الذين يدنيهم عمر وكان
القراء اصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولا كانوا او شبانا الحديث وقد مضى في اخر الاعراف
وفي صحيح مسلم ان نافع بن عبد الحرث لقي عمر بعسفان وكان عمر يستعمله على مكة فقال
من استعملت على اهل الوادي فقال ابن ابزى قال ومن ابن ابزى قال مولى من موالينا
قال فاستخلفت عليهم مولى قال انه قارئ لكتاب الله وانه عالم بالفرائض قال
عمر اما ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قال ان الله يرفع بهذا الكتاب اقواما ويضع
به اخرين وقد مضى اول الكتاب ومضى القول في فضل العلم والعلماء في غير موضع في
هذا الكتاب والحمد لله وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بين العالم والعابد
مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل
العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم
القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فاعظم بمنزلة هي واسطة بين النبوة والشهادة
بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس خير سليمان عليه السلام بين
العلم والمال والملك فاختار العلم فاعطي المال والملك معه قوله تعالى يايها الذين امنوا
اذا ناجيتم الرسول فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى يايها الذين امنوا اذا ناجيتم
الرسول ناجيتم ساررتم قال ابن عباس نزلت بسبب ان المسلمين كانوا يكثرون المسايل
على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فاراد الله عز وجل ان يخفف عن نبيه
صلى الله عليه وسلم فلما قال ذلك كف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالاية التي
بعدها وقال الحسن نزلت بسبب ان قوما من المسلمين كانوا يستخلون النبي صلى الله عليه
وسلم يناجونه فظن بهم قوم من المسلمين انهم ينتقصونهم من النجوى فشق عليهم ذلك
فامرهم الله تعالى بالصدقة عند النجوى ليقطعهم عن استخلائه وقال زيد بن اسلم
نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبي صلى الله عليه وسلم ويقولون
انه اذن يسمع كل ما قيل له وكان لا يمنع احدا مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين
لان الشيطان كان يلقي في انفسهم انهم ناجوه بان جموعا اجتمعت لقتاله قال فانزل
الله تبارك وتعالى يايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان
ومعصية الرسول الاية فلم ينتهوا فانزل الله تعالى هذه الاية فانتهى اهل الباطل
عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدي نجواهم صدقة وشق ذلك على اهل الايمان
وامتنعوا من النجوى لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فخفف الله عنهم بما بعد
الاية الثانية قال ابن العربي وفي هذا الخبر عن زيد ما يدل على ان الاحكام
لا تترتب بحسب المصالح فان الله تعالى قال ذلك خير لكم واطهر ثم نسخه مع كونه خيرا واطهر
وهذا رد على المعتزلة عظيم في التزام المصالح لكن راوي الحديث عن زيد ابنه عبد
الرحمن وقد ضعفه العلماء والامر في قوله تعالى ذلك خير لكم واطهر نص متواتر
في الرد على المعتزلة والله اعلم الثالثة روى الترمذي عن علي بن علقمة الانماري
عن علي بن ابي طالب قال لما نزلت يايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول

فقدموا بين يدي نجواكم صدقة سألته قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما ترى دينار
قلت لا يطيقونه قال نصف دينار قال لا يطيقونه قال فكم قلت شعيرة قال إنك
لزهيد فنزلت أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات الآية قال فبي خفف
الله عن هذه الأمة قال أبو عيسى هذا حديث حسن من هذا الوجه ومعنى قوله
شعيرة يريدون شعيرة من ذهب قال ابن العربي وهذا يدل على مسألتين حسنتين
أصوليتين الأولى نسخ العبادة قبل فعلها والثانية النظر في المقدرات بالقياس خلافا
لأبي حنيفة قلت الظاهر أن النسخ إنما وقع بعد فعل الصدقة وقد روي عن مجاهد
أن أول من تصدق في ذلك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وناجى النبي صلى الله عليه
وسلم روي أنه تصدق بخاتم وذكر القشيري وغيره عن علي بن أبي طالب قال في كتاب
الله آية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي وهي يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم
الرسول فقدموا بين يدي نجواكم صدقة كان لي دينار فبعته فكنت إذا ناجيت الرسول
تصدقت بدرهم حتى نفد فنسخت الآية الأخرى أأشفقتم أن تقدموا بين يدي نجواكم
صدقات وكذلك قال ابن عباس نسخها الله بالآية التي بعدها وقال ابن عمر لقد
كانت لعلي عليه السلام ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إلي من حمر النعم تزويجه
فاطمة وإعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى ذلكم خير لكم أي من إمساكها وأطهر لقلوبكم
من المعاصي فإن لم تجدوا يعني الفقراء فإن الله غفور رحيم قوله تعالى أأشفقتم أن
تقدموا بين يدي نجواكم صدقات فيه مسألتان الأولى قوله تعالى أأشفقتم استفهام
معناه التقرير قال ابن عباس أأشفقتم أي بخلتم بالصدقة وقيل خفتم والإشفاق
الخوف من المكروه أي خفتم وبخلتم بالصدقة وشق عليكم أن تقدموا بين يدي
نجواكم صدقات وقال مقاتل بن حيان إنما كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقال
الكلبي إنما كان ذلك عشر ليال وقال الكلبي ما كان ذلك إلا ليلة واحدة وقال
ابن عباس ما بقي إلا ساعة من النهار حتى نسخ وكذا قال قتادة والله أعلم الثانية
قوله تعالى فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم أي نسخ ذلك الحكم وهذا خطاب لمن وجد
ما يتصدق به فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فنسخت فريضة الزكاة هذه الصدقة
وهذا يدل على جواز النسخ قبل الفعل وما روي عن علي ضعيف لأن الله تعالى قال
فإذ لم تفعلوا وهذا يدل على أن أحدا لم يتصدق بشيء والله أعلم قوله تعالى ألم
تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم قال قتادة هم المنافقون تولوا اليهود
ما هم منكم ولا منهم يقولون ليس المنافقون من اليهود ولا من المسلمين بل هم مذبذبين
بين ذلك وكانوا يحملون أخبار المسلمين إليهم قال السدي ومقاتل نزلت في عبد الله بن
أبي ونبتل المنافقين كان أحدهم يجالس النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه
إلى اليهود فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرة من حجره إذ قال يدخل الآن عليكم
رجل قلبه قلب جبار وينظر بعيني شيطان فدخل عبد الله بن نبتل وكان أزرق أسمر
قصيرا خفيف اللحية فقال عليه السلام له علام تشتمني أنت وأصحابك فحلف بالله
ما فعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا
بالله ما سبوه فنزلت هذه الآيات وقال معناه ابن عباس روى عكرمة عنه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة قد كاد الظل يتقلص عنه إذ قال يجيئكم الساعة
رجل ينظر إليكم نظر شيطان فنحن على ذلك إذ أقبل رجل أزرق فدعا به النبي صلى
الله عليه وسلم فقال علام تشتمني أنت وأصحابك قال ذرني أجيئك بهم فمر فجاءهم
فحلفوا جميعا أنه ما كان من ذلك شيء فأنزل الله عز وجل يوم يبعثهم الله جميعا إلى
قوله هم الخاسرون والمنافقون مذكورون في القرآن بغضب الله عليهم أعد الله لهم
أي لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا وهو الدرك الأسفل من النار إنهم ساء ما كانوا يعملون
اتخذوا أيمانهم جنة يستجنون بها من القتل وقرأ الحسن وأبو العالية إيمانهم بكسر
الهمزة وهنا وفي المنافقين أي إقرارهم اتخذوه جنة فآمنت ألسنتهم من خوف القتل

وكفرت

وكفرت قلوبهم فلهم عذاب مهين في الدنيا بالقتل والصد المنع عن سبيل الله أي عن الإسلام
وقيل في قتلهم بالكفر لما أظهروه من النفاق وقيل أي بإلقاء الأراجيف وتثبيط المسلمين عن
الجهاد وتخويفهم قوله تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أي من عذابه
شيئا وقال مقاتل قال المنافقون إن محمدا يزعم أنه ينصر يوم القيامة لقد شقينا إذا فوالله
لننصرن يوم القيامة بأنفسنا بأموالنا وأولادنا إن كانت قيامة فنزلت الآية قوله تعالى
يوم يبعثهم الله جميعا أي لهم عذاب مهين يوم يبعثهم فيحلفون له كما يحلفون لكم اليوم وهذا
أمر عجيب وهو مغالطتهم باليمين غدا وقد صارت المعارف ضرورية وقال ابن عباس هو
قولهم والله ربنا ما كنا مشركين ويحسبون أنهم على شيء بإنكارهم وحلفهم قال ابن زيد
ظنوا أنهم ينفعهم في الآخرة وقيل يحسبون في الدنيا أنهم على شيء لأنهم في الآخرة يعلمون
الحق باضطرار والأول أظهر وعن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ينادي مناد
يوم القيامة أين خصماء الله فتقوم القدرية مسودة وجوههم مزرقة أعينهم مائل شدقهم
يسيل لعابهم فيقولون والله ما عبدنا من دونك شمسا ولا قمرا ولا صنما ولا وثنا ولا اتخذنا
من دونك إلها قال ابن عباس صدقوا والله أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون ثم تلا ويحسبون
أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون هم والله القدرية ثلاثا قوله تعالى استحوذ عليهم الشيطان
أي غلب واستعلى أي بوسوسته في الدنيا وقيل قوي عليهم وقال المفضل أحاط بهم ويحتمل
رابعا أي جمعهم وضمهم يقال أحوذ الشيء أي جمعه وضم بعضه إلى بعض وإذا جمعهم فقد غلب
وقوي عليهم وأحاط بهم فأنساهم ذكر الله أي أوامره في العمل بطاعته وقيل زواجره في النهي
عن معصيته والنسيان قد يكون بمعنى الغفلة ويكون بمعنى الترك والوجهان محتملان هنا
أولئك حزب الشيطان أي طائفته ورهطه ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون في بيعهم
لأنهم باعوا الجنة بجهنم وباعوا الهدى بالضلالة قوله تعالى إن الذين يحادون الله
ورسوله تقدم أول السورة أولئك في الأذلين أي من جملة الأذلاء لا أذل منهم كتب الله
لأغلبن أي قضى الله ذلك وقيل كتب في اللوح المحفوظ عن قتادة الفراء كتب بمعنى قال
أنا توكيد ورسلي من بعث منهم بالحرب فإن الرسل غالب بالحرب ومن بعث منهم بالحجة قال
مقاتل قال المؤمنون لئن فتح الله لنا مكة والطائف وخيبر وما حولهن رجونا أن يظهرنا
الله على فارس والروم فقال عبد الله بن أبي ابن سلول أتظنون الروم وفارس كبعض
القرى التي غلبتم عليها والله إنهم لأكثر عددا وأشد بطشا من أن تظنوا فيهم ذلك فنزلت
لأغلبن أنا ورسلي نظيره ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن
جندنا لهم الغالبون قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من
حاد الله ورسوله فيه مسألتان الأولى قوله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون أي يحبون ويوالون من حاد الله ورسوله تقدم ولو كانوا آباءهم قال السدي
نزلت في عبد الله بن أبي جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشرب النبي صلى الله عليه
وسلم ماء فقال بالله يا رسول الله ما أبقيت فضلة من شرابك أسقيها أبي لعل الله أن
يطهر بها قلبه فأفضل له فأتاه بها فقال له عبد الله ما هذا فقال هي فضلة من شراب
النبي صلى الله عليه وسلم جئتك بها تشربها لعل الله يطهر قلبك بها فقال له أبوه فهلا
جئتني ببول أمك فإنه أطهر منها فغضب وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله أما أذنت لي في قتل أبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل ترفق به وتحسن إليه
وقال ابن جريج حدثت أن أبا قحافة سب النبي صلى الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكة
سقط منها على وجهه ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أوفعلته فقال
والذي بعثك بالحق لو كان السيف مني قريبا لقتلته فنزلت وقال ابن مسعود نزلت
في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وقيل يوم بدر وكان الجراح
يتصدى لأبي عبيدة وأبو عبيدة يحيد عنه فلما أكثر قصد إليه أبو عبيدة فقتله فأنزل
الله حين قتل أباه لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر الآية قال الواقدي كذلك
يقول أهل الشام ولقد سألت رجالا من بني الحارث بن فهر فقالوا توفي أبوه من قبل.

الاسلام وابناهم يعني ابا بكر دعا ابنه عبد الله الى البراز يوم بدر فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم متعنا بنفسك يا ابا بكر اما تعلم انك عندي بمنزلة السمع والبصر
او اخوانهم يعني مصعب بن عمير قتل اخاه عبيد بن عمير يوم احد او عشيرتهم يعني
عمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وعليا وحمزة قتلا
عتبة وشيبة والوليد يوم بدر وقيل ان الاية نزلت في حاطب بن ابي بلتعة لما كتب الى
اهل مكة بمسير النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح على ما ياتي بيانه في اول الممتحنة
ان شاء الله تعالى فبين ان الايمان يفسد بموالاة الكفار وان كانوا اقارب الثانية
استدل مالك رحمه الله من هذه الاية على معاداة القدرية وترك مجالستهم قال
اشهب عن مالك لا تجالس القدرية وعادهم في الله لقول الله عز وجل لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد الله ورسوله قلت وفي معنى اهل القدر
جميع اهل الظلم والعدوان وعن الثوري انه قال كانوا يرون انها نزلت في من يصحب
السلطان وعن عبد العزيز بن ابي رواد انه لقي المنصور في الطواف فلما عرفه هرب
منه وتلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر عندي
نعمة فاني وجدت فيما اوحيت لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر قوله تعالى
اولئك كتب في قلوبهم الايمان اي خلق في قلوبهم التصديق يعني من لم يوال من
حاد الله وقيل كتب اثبت قاله الربيع بن انس وقيل جعل كقوله تعالى انا كتبنا
مع الشاهدين اي اجعلنا وقوله فسأكتبها للذين يتقون وقيل كتب اي جمع ومنه
الكتيبة اي لم يكونوا ممن يقول نؤمن ببعض ونكفر ببعض وقراءة العامة بفتح الكاف
من كتب ونصب النون من الايمان بمعنى كتب الله وهو الاجود لقوله تعالى وايدهم
بروح منه ويدخلهم وقرا ابو العالية وزر بن حبيش والمفضل عن عاصم كتب على ما لم
يسم فاعله الايمان برفع النون وقرا زر بن حبيش او عشيراتهم بالف وكسر التاء
على الجمع ورواها الاعشى عن ابي بكر عن عاصم وقيل كتب في قلوبهم اي على قلوبهم
كقوله تعالى في جذوع النخل وخص القلوب بالذكر لانها موضع الايمان وايدهم
قواهم ونصرهم بروح منه قال الحسن بنصره وقال الربيع بن انس بالقران
وحججه وقال ابن جريج بنور وبرهان وهدى وقيل برحمة من الله وقال
بعضهم ايدهم بجبريل عليه السلام ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها رضي الله عنهم اي قبل اعمالهم ورضوا عنه فرحوا بما اعطاهم اولئك حزب
الله اي حزب الله هم المفلحون قال سعيد بن ابي سعيد الجرجاني عن
بعض مشايخه قال داود عليه السلام الهي من حزبك وحول عرشك فاوحى الله اليه
يا داود الغاضة ابصارهم النقية قلوبهم السليمة اكفهم اولئك حزبي وحول عرشي والله اعلم

سورة الحشر مدنية في قول الجميع

وهي اربع وعشرون اية روى ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
قرا سورة الحشر لم يبق شيء من الجنة والنار والعرش والكرسي والسموات والارض
والهوام والريح والسحاب والطير والدواب والشجر والجبال والشمس والقمر
والملائكة الا صلوا عليه واستغفروا له وخرج الثعلبي عن يزيد الرقاشي عن انس
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا اخر سورة الحشر لو انزلنا هذا القران
الى اخرها فمات من ليلته مات شهيدا وروى الترمذي عن معقل بن يسار قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم وقرا ثلاث ايات من اخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك
يصلون عليه حتى يمسي وان مات من يومه مات شهيدا ومن قراها حين يمسي فكذلك قال
حديث حسن غريب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم تقدم هو الذي
اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى هو
الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم قال سعيد بن جبير قلت لابن عباس
سورة الحشر قال قل سورة النضير وهم رهط من اليهود من ذرية داود عليه السلام نزلوا
المدينة في فتن بني اسرائيل انتظارا لمحمد صلى الله عليه وسلم فكان من امرهم ما نص الله عليه
الثانية قوله تعالى لاول الحشر الحشر الجمع وهو على اربعة اوجه حشران في الدنيا وحشران
في الاخرة اما الذي في الدنيا فقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب
من ديارهم لاول الحشر قال الزهري كانوا من سبط لم يصبهم جلاء وكان الله عز وجل قد كتب عليهم
الجلاء فلولا ذلك لعذبهم في الدنيا وكان اول حشر حشروا في الدنيا الى الشام قال ابن عباس وعكرمة
من شك ان المحشر في الشام فليقرا هذه الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم اخرجوا
قالوا الى اين قال الى ارض المحشر قال ابن عباس هم اول من حشر من اهل الكتاب واخرج
من داره وقيل انهم اخرجوا الى خيبر وان معنى لاول الحشر من حصونهم الى خيبر واخره اخراج
عمر رضي الله عنه اياهم من خيبر الى نجد واذرعات وقيل تيماء واريحا وذلك بكفرهم ونقض
عهدهم واما الحشر الثاني فحشرهم قرب القيامة قال قتادة تاتي نار تحشر الناس من المشرق
الى المغرب تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا وتاكل منهم من تخلف وهذا ثابت
في الصحيح وقد ذكرناه في كتاب التذكرة ونحوه روى ابن وهب عن مالك قال قلت لمالك
هو جلاؤهم من ديارهم فقال لي الحشر يوم القيامة حشر اليهود قال واجلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى خيبر حين سئلوا عن المال فكتموه فاستحلهم بذلك قال ابن العربي للحشر اول
ووسط واخر فالاول اجلاء بني النضير والاوسط اجلاء خيبر والاخر حشر يوم القيامة وعن
الحسن هم بنو قريظة وخالفه بقية المفسرين وقالوا بنو قريظة ما حشروا ولكنهم قتلوا حكاه
الثعلبي الثالثة قال الكيا الطبري ومصالحة اهل الحرب على الجلاء من ديارهم من غير
شيء لا يجوز الان وانما كان ذلك في اول الاسلام ثم نسخ والان فلا بد من قتالهم او سبيهم
او ضرب الجزية عليهم قوله تعالى ما ظننتم ان يخرجوا وظنوا يريد لعظم امر اليهود
ومنعتهم وقوتهم في صدور المسلمين واجتماع كلمتهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم قيل هي
الوطيح والنطاة والسلالم والكتيبة من احد وكانوا اهل حلقة اي سلاح كثير وقصور
منيعة فلم يمنعهم شيء منها فاتاهم الله اي امره وعذابه من حيث لم يحتسبوا اي لم يظنوا
وقيل من حيث لم يعلموا بقتل كعب بن الاشرف قاله ابن جريج والسدي وابو صالح قوله
تعالى وقذف في قلوبهم الرعب بقتل سيدهم كعب بن الاشرف وكان الذي قتله محمد
ابن مسلمة وابو نائلة سلكان بن سلامة بن وقش وكان اخا كعب بن الاشرف من الرضاعة
وعباد بن بشر بن قيس والحارث بن اوس بن معاذ وابو عبس بن جبير وخبره مشهور
في السيرة وفي الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالرعب بين يدي مسيرة
شهر فكيف لا ينصر به مسيرة ميل من المدينة الى محلة بني النضير وهذه خصوصية لمحمد صلى
الله عليه وسلم دون غيره قوله تعالى يخربون بيوتهم قراءة العامة بالتخفيف من اخرب
اي يهدمون وقرا السلمي والحسن ونصر بن عاصم وابو العالية وقتادة وابو عمرو يخربون
بالتشديد من التخريب قال ابو عمرو وانما اخترت التشديد لان الاخراب ترك الشيء
خرابا بغير ساكن وبنو النضير لم يتركوها خرابا وانما خربوها بالهدم يؤيده قوله بايديهم
وايدي المؤمنين وقال اخرون التخريب والاخراب بمعنى واحد والتشديد بمعنى
التكثير وحكى سيبويه ان معنى فعلت وافعلت يتعاقبان نحو اخربته وخربته
واختار ابو حاتم وابو عبيد الاولى قال قتادة والضحاك كان المؤمنون يخربون من
خارج ليدخلوا واليهود من داخل ليبنوا به ما خرب من حصنهم فروي انهم صالحوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ان لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبي الذي
نعت الله في التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم احد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب
ابن الاشرف في اربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فامر عليه السلام

محمد بن مسلمة الانصاري فقتل كعبا غيلة ثم صبحهم بالكتائب فقال لهم اخرجوا من
المدينة فقالوا الموت احب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله صلى
الله عليه وسلم عشرة ايام ليتجهزوا للخروج فدس اليهم عبد الله بن ابي المنافق واصحابه
لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم وان اخرجتم لنخرجن معكم
فدربوا على الازقة وحصنوها احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله في قلوبهم الرعب
وايسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فابى عليهم الا الجلاء على ما ياتي بيانه وقال
الزهري وابن زيد وعروة بن الزبير لما صالحهم النبي صلى الله عليه وسلم على ان لهم
ما اقلت الابل كانوا يستحسنون الخشبة او العمود فيهدمون بيوتهم ويحملون ذلك على
ابلهم ويخرب المومنون باقيها وعن زيد ايضا كانوا يخربونها لئلا يسكنها المسلمون
بعدهم وقال ابن عباس كانوا كلما ظهر المسلمون على دار من دورهم هدموها ليتسع
موضع القتال وهم ينقبون دورهم من ادبارها الى التي بعدها ليتحصنوا فيها ويرموا
بالتي اخرجوا منها المسلمين وقيل ليسدوا بها ازقتهم وقال عكرمة بايديهم في اخراب
دواخلها وما فيها لئلا ياخذه المسلمون وبايدي المومنين في اخراب ظاهرها ليصلوا
بذلك اليهم قال عكرمة كانت منازلهم مزخرفة فحسدوا المسلمين ان يسكنوها
فخربوها من داخل وخربها المسلمون من خارج وقيل يخربون بيوتهم بنقض المواعدة
وايدي المومنين بالمقاتلة قاله الزهري ايضا وقال ابو عمرو بن العلا بايديهم
في تركهم لها وبايدي المومنين في اجلائهم عنها قال ابن العربي التناول للافساد
اذا كان باليد كان حقيقة واذا كان بنقض العهد كان مجازا الا ان قول الزهري في
المجاز امثل من قول ابي عمرو بن العلا قوله تعالى فاعتبروا يا اولي الابصار
اي اتعظوا يا اصحاب العقول والالباب وقيل يا من عاين ذلك ببصره فهو جمع للبصر
ومن جملة الاعتبار هنا انهم اعتصموا بالحصون من الله فانزلهم الله منها ومن وجوهه
انه سلط عليهم من كان ينصرهم ومن وجوهه ايضا انهم هدموا اموالهم بايديهم ومن
لم يعتبر بغيره اعتبر في نفسه وفي الامثال الصحيحة السعيد من وعظ بغيره قوله
تعالى ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء اي لولا انه قضى عليهم بجلائهم عن دارهم وانهم
يبقون مدة فيومن بعضهم ويولد لهم من يومن لعذبهم في الدنيا اي بالقتل والسبا
كما فعل ببني قريظة والجلاء مفارقة الوطن يقال جلا بنفسه واجلاه غيره اجلاء
والفرق بين الجلاء والاخراج وان كان معناهما في الابعاد واحدا من وجهين
احدهما ان الجلاء ما كان مع الاهل والولد والاخراج قد يكون مع بقاء الاهل والولد
الثاني ان الجلاء لا يكون الا لجماعة والاخراج يكون لواحد ولجماعة قاله الماوردي
قوله تعالى ذلك اي ذلك الجلاء بانهم شاقوا الله اي عادوه وخالفوا امره ومن
يشاق الله قرا طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع ومن يشاقق الله باظهار التضعيف
كالتي في الانفال وادغم الباقون قوله تعالى ما قطعتم من لينة او تركتموها
قائمة على اصولها الاية فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى ما قطعتم من لينة ما في
محل نصب بقطعتم كانه قال اي شي قطعتم وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل
على حصون بني النضير وهي البويرة حين نقضوا العهد بمعونة قريش عليه يوم
احد امر بقطع نخيلهم واحراقها واختلفوا في عدد ذلك فقال قتادة والضحاك
انهم قطعوا من نخيلهم واحرقوا ست نخلات وقال محمد بن اسحاق انهم قطعوا
نخلة واحرقوا نخلة وكان ذلك عن اقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم او بامره
اما لاضعافهم بها او لسعة المكان بقطعها فشق ذلك عليهم فقالوا وهم يهود اهل
الكتاب يا محمد الست تزعم انك نبي تريد الصلاح افمن الصلاح قطع النخل وحرق
الشجر وهل وجدت فيما انزل الله عليك اباحة الفساد في الارض فشق ذلك على
النبي صلى الله عليه وسلم ووجد المسلمون في انفسهم حتى اختلفوا فقال بعضهم
لا تقطعوا مما افاء الله علينا وقال بعضهم اقطعوا لنغيظهم بذلك فنزلت الاية

بتصديق من نهى عن القطع وتحليل من قطع من الاثم واخبر ان قطعه وتركه
باذن الله تعالى وقال شاعرهم اليهودي في ذلك

۝ السنا ورثنا الكتاب الحكيم ۝ على عهد موسى ولم نصدف ۝
۝ وانتم رعا لشا عجاف ۝ تهامة والاخيف ۝
۝ ترون الرعاية مجدا لكم ۝ لدى كل دهر لكم مجحف ۝
۝ فيا ايها الشاهدون انتهوا ۝ عن الظلم والمنطق المؤنف ۝
۝ لعل الليالي وصرف الدهور ۝ يدلن من العادل المنصف ۝
۝ بقتل النضير واجلائها ۝ وعقر النخيل ولم تقطف ۝

فاجابه حسان بن ثابت فقال

۝ تفاقد معشر نصروا قريشا ۝ وليس لهم ببلدتهم نصير ۝
۝ هم اوتوا الكتاب فضيعوه ۝ وهم عمي من التوراة بور ۝
۝ كفرتم بالقران وقد اتيتم ۝ بتصديق الذي قال النذير ۝
۝ وهان على سراة بني لوي ۝ حريق بالبويرة مستطير ۝

واجابه ابو سفيان بن عبد المطلب فقال

۝ ادام الله ذلك من صنيع ۝ وحرق في نواحيها السعير ۝
۝ ستعلم اينا منها بنزه ۝ وتعلم اي ارضينا تضير ۝
۝ فلو كان النخيل بها ركابا ۝ لقالوا لا مقام لكم فسيروا ۝

الثانية كان خروج النبي صلى الله عليه وسلم اليهم في ربيع الاول السنة الرابعة من الهجرة
وتحصنوا منه في الحصون وامر بقطع النخل واحراقها وحينئذ نزل تحريم الخمر ودس
عبد الله بن ابي سلول ومن معه من المنافقين الى بني النضير انا معكم وان قوتلتم
قاتلنا معكم وان اخرجتم خرجنا معكم فاغتروا بذلك فلما جاءت الحقيقة خذلوهم واسلموهم
فالقوا بايديهم وسالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكف عن دمائهم ويجليهم على ان
لهم ما حملت الابل من اموالهم الا السلاح فاحتملوا لذلك الى خيبر ومنهم من طار الى الشام
وكان ممن طار منهم الى خيبر اكابرهم كحيي بن اخطب وسلام بن ابي الحقيق وكنانة بن
الربيع فدانت لهم خيبر الثالثة ثبت في صحيح مسلم وغيره عن ابن عمر ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قطع نخل بني النضير وحرق ولها يقول حسان

۝ وهان على سراة بني لوي ۝ حريق بالبويرة مستطير ۝

وفي ذلك نزلت ما قطعتم من لينة او تركتموها الاية واختلف الناس في تخريب دار
العدو وتحريقها وقطع ثمارها على قولين الاول ان ذلك جائز قاله في المدونة الثاني
ان علم المسلمون ان ذلك لهم لم يفعلوا وان ييسوا فعلوا قاله مالك في الواضحة وعليه
يناظر اصحاب الشافعي ابن العربي والصحيح الاول وقد علم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان نخل بني النضير له ولكنه قطع وحرق ليكون ذلك نكاية لهم ووهنا فيهم حتى يخرجوا
عنها واتلاف بعض المال لصلاح باقيه مصلحة جائزة شرعا مقصودة عقلا الرابعة
قال الماوردي ان في هذه الاية دليلا على ان كل مجتهد مصيب وقاله الكيا الطبري
قال وان كان الاجتهاد يبعد في مثله مع وجود النبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرهم
ولا شك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ذلك وسكت فتلقوا الحكم من تقريره
فقط قال ابن العربي وهذا باطل لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معهم ولا
اجتهاد مع حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما يدل على اجتهاد النبي صلى الله
عليه وسلم فيما لم ينزل عليه اخذا بعموم الاذاية للكفار ودخولا في الاذن للكل بما يقضي
عليهم بالاجتياح والبوار وذلك قوله تعالى وليخزي الفاسقين الخامسة واختلف في
اللينة ما هي على اقوال عشرة الاول النخل كله الا العجوة قاله الزهري ومالك وسعيد
ابن جبير وعكرمة والخليل وعن ابن عباس ومجاهد والحسن انها النخل كله ولا يستثنوا
عجوة ولا غيرها وعن ابن عباس ايضا انها لون من النخل وعن الثوري انها كرام النخل وعن

ابي عبيدة انما جميع الوان التمر سوى العجوة والبرني وقال جعفر بن محمد انها العجوة
خاصة وذكر ان العتيق والعجوة كانتا مع نوح عليه السلام في السفينة والعتيق الفحل
وكانت العجوة اصل الاناث كلها فلذلك شق على اليهود قطعها حكاه الماوردي وقيل هو ضرب
من النخل يقال لتمره اللون تمره اجود التمر وهو شديد الصفرة يرى نواه من خارجه ويغيب
فيه الضرس النخلة منها احب اليهم من وصيف وقيل هي النخلة القريبة من الارض وانشد
الاخفش قد شجاني الحمام حين تغنى بفراق الاحباب من فوق لينه وقيل ان اللينة الفسيل لانها
الين من النخلة ومنه قول الشاعر • غرسوا لينها بمجرى معين ثم حفوا النخل بالآجام •
وقيل ان اللينة الاشجار كلها للينها بالحياة قال ذو الرمة •

• طراق الخوافي واقع فوق لينة • ندى ليله في ريشه يترقرق •

والقول العاشر انها الدقل قاله الاصمعي واهل المدينة يقولون لا تنتفخ الموائد حتى توجد
الالوان يعنون الدقل قال ابن العربي والصحيح ما قاله الزهري ومالك لوجهين احدهما
انهما اعرف ببلدهما واشجارهما الثاني ان الاشتقاق يعضده واهل اللغة يصححونه فان
اللينة وزنها لونة واعتلت على اصولهم فآلت الى لينة فهي لون فاذا دخلت الهاء كسر اولها
كبرك الصدر بفتح الباء وبركة بكسرها لاجل الهاء وقيل لينة اصلها لونة فقلبت الواو ياء لانكسار
ما قبلها وجمع اللينة لين وقيل ليان قال امرؤ القيس يصف عنق فرسه وسالفة كسحوق
الليان اضرم فيها الغوي السعر وقال الاخفش سميت لينة اشتقاقا من اللون لا من اللين
المهدوي واختلف في اشتقاقها فقيل هي من اللون واصلها لونة وقيل اصلها لينة من
لان يلين وقرأ عبد الله ما قطعتم من لينة ولا تركتم قوما على اصولها اي قائمة على سوقها
وقرأ الاعمش ما قطعتم من لينة او تركتموها قوما على اصولها المعنى لم تقطعوها وقرئ
قوما على اصلها وفيه وجهان احدهما انه جمع اصل كرهن ورهن والثاني اكتفي فيه بالضمة
عن الواو وقرئ قائما على اصوله ذهابا الى لفظ ما فباذن الله اي بامره وليخزي الفاسقين
اي ليذل اليهود الكفار به وكبته قوله تعالى وما افاء الله على رسوله منهم هذه
الاية والتي بعدها الى قوله شديد العقاب فيه عشر مسائل الاولى قوله تعالى وما افاء
الله على رسوله يعني ما رده الله تعالى على رسوله من اموال بني النضير فما اوجفتم عليه
اوضعتم عليه والايجاف الايضاع في السير وهو الاسراع يقال وجف الفرس اذا اسرع
واوجفته انا اي حركته واتعبته ومنه قول تميم بن مقبل •

• مذاويد بالبيض الحديث صقالها • عن الركب احيانا اذا الركب اوجفوا •

والركاب الابل واحدها راحلة يقول لم تقطعوا اليها شقة ولا لقيتم بها حربا ولا مشقة
وانما كانت من المدينة على ميلين قاله الفراء فمشوا اليها مشيا ما ركبوا خيلا ولا ابلا
الا النبي صلى الله عليه وسلم فانه ركب جملا وقيل حمارا مخطوما بليف فافتتحها صلحا
واجلاهم واخذ اموالهم فسأل المسلمون النبي صلى الله عليه وسلم ان يقسم لهم فنزلت
ما افاء الله على رسوله منهم فما اوجفتم الاية فجعل اموال بني النضير خاصة للنبي صلى الله
عليه وسلم يضعها حيث شاء فقسمها النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين قال الواقدي
ورواه ابن وهب عن مالك ولم يعط الانصار منها شيئا الا ثلاثة نفر محتاجين منهم
ابو دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة وقيل انما اعطى رجلين
ابا دجانة وسهلا ويقال سعد بن معاذ سيف ابن ابي الحقيق وكان سيفا له ذكر عندهم ولم يسلم
من بني النضير الا رجلان سفيان بن عمير وسعد بن وهب اسلما على اموالهما فاحرزاها
وفي صحيح مسلم عن عمر قال كانت اموال بني النضير مما افاء الله على رسوله مما لم يوجف عليه
المسلمون بخيل ولا ركاب فكانت للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة فكان ينفق على اهله
نفقة سنة وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله وقال العباس لعمر
رضي الله عنهما اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن يعني عليا رضي الله
عنه فيما افاء الله على رسوله من اموال بني النضير فقال عمر اتعلمان ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لا نورث ما تركنا صدقة قالا نعم قال عمر ان الله جل وعز كان خص رسوله

صلى

صلى الله عليه وسلم بخاصة لم يخصص بها احدا غيره قال ما افاء الله على رسوله من اهل
القرى فلله وللرسول ما ادري هل قرأ الآية التي قبلها ام لا فقسم رسول الله صلى الله
عليه وسلم بينكم اموال بني النضير فوالله ما استأثرها عليكم ولا اخذها دونكم حتى بقي هذا
المال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منه نفقة سنة ثم يجعل ما بقي اسوة المال
الحديث بطوله خرجه مسلم وقيل لما ترك بنو النضير ديارهم واموالهم طلب المسلمون ان يكون
لهم فيها حظ كالغنائم فبين الله انها فيء وكان قد جرى ثم بعض القتال لانهم حوصروا اياما
وقاتلوا وقتلوا ثم صالحوا على الجلاء ولم يكن هناك على الحقيقة قتال بل جرى مبادئ القتال
وجرى الحصار وخص الله تلك الاموال برسوله صلى الله عليه وسلم وقال مجاهد اعلمهم
الله تعالى وذكرهم انه انما نصر رسوله ونصرهم بغير كراع ولا عدة ولكن الله يسلط رسله
على من يشاء اي من اعدائه وفي هذا بيان ان تلك الاموال كانت خاصة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم دون اصحابه الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من اهل القرى قال ابن عباس
هي قريظة والنضير وهما بالمدينة وفدك وهي على ثلاثة ايام من المدينة وخيبر وقرى عرينة
وينبع جعلها الله لرسوله وبين ان في ذلك المال الذي خص بالرسول عليه السلام سهمانا لغير
الرسول نظرا منه لعباده وقد تكلم العلماء في هذه الآية والتي قبلها هل معناهما واحد او مختلف
والآية التي في الانفال فقال قوم من العلماء ان قوله ما افاء الله على رسوله من اهل القرى منسوخ
بما في سورة الانفال من كون الخمس لمن سمي له والاخماس الاربعة لمن قاتل وكان في اول
الاسلام يقسم الغنيمة على هذه الاصناف ولا يكون لمن قاتل عليها شيء وهذا قول يزيد بن رومان
وقتادة وغيرهما ونحوه عن مالك وقال قوم انما غنم بصلح من غير ايجاف خيل ولا ركاب
فيكون لمن سمى الله فيه والاولى للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة اذا اخذ منه حاجته كان
الباقي في مصالح المسلمين وقال معمر الاولى للنبي صلى الله عليه وسلم والثانية هي الجزية
والخراج للاصناف المذكورة فيه والثالثة الغنيمة في سورة الانفال للغانمين وقال
قوم منهم الشافعي ان معنى الآيتين واحد اي ما حصل من اموال الكفار بغير قتال قسم
على خمسة اسهم اربعة منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الخمس الباقي على خمسة اسهم
سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي القربى وهم بنو هاشم وبنو المطلب لانهم
منعوا الصدقة فجعل لهم حق في الفيء وسهم لليتامى وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل
واما بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصرف عند الشافعي في قول الى المجاهدين
المترصدين للقتال في الثغور لانهم القائمون مقام الرسول عليه السلام وفي قول آخر
له يصرف الى مصالح المسلمين من سد الثغور وحفر الانهار وبناء القناطر يقدم الاهم فالاهم
وهذا في اربعة اخماس الفيء فاما السهم الذي كان له من خمس الفيء والغنيمة فهو لمصالح
المسلمين بعد موته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف كما قال صلى الله عليه وسلم ليس لي من
غنائمكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وقد مضى القول فيه في سورة الانفال وكذلك
ما خلفه من المال غير موروث بل هو صدقة يصرف عنه الى مصالح المسلمين كما قال عليه
السلام انا لا نورث ما تركنا صدقة وقيل كان مال الفيء لنبيه صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى ما افاء الله على رسوله فاضافه اليه غير انه كان لا يتأثل مالا انما كان يأخذ بقدر
حاجته عياله ويصرف الباقي في مصالح المسلمين قال القاضي ابو بكر بن العربي لا اشكال
انها ثلاث آيات اما الآية الاولى وهي قوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل
الكتاب من ديارهم لاول الحشر ثم قال تعالى وما افاء الله على رسوله منهم يعني من اهل
الكتاب معطوفا عليهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب يريد كما بينا فلا حق لكم فيه
ولذلك قال عمر انها كانت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يعني بني النضير وما كان
مثلها فهذه آية واحدة ومعنى متحد الآية الثانية قوله تعالى ما افاء الله على رسوله من
اهل القرى فلله وللرسول وهذا كلام مبتدأ غير الاول لمستحق غير الاول وسمى الآية
الثالثة آية الغنيمة ولا شك في انه معنى آخر باستحقاق ثان لمستحق آخر بيد ان الآية
الاولى والثانية اشتركتا في ان كل واحدة منهما تضمنت شيئا افاءه الله على رسوله واقتضت

الاية الاولى في انه حاصل بغير قتال واقتضت اية الانفال انه حاصل بقتال وعريت الاية الثالثة وهي قوله تعالى ما افا الله على رسوله من اهل القرى عن ذكر حصوله بقتال او بغير قتال فنشا الخلاف من ها هنا فمن طايفة قالت هي ملحقة بالاولى وهو مال الصلح كله ونحوه ومن طايفة قالت هي ملحقة بالثانية وهي اية الانفال والذين قالوا انها ملحقة باية الانفال اختلفوا هل هي منسوخة كما تقدم او محكمة والحاقها بشهادة الله بالتي قبلها اولى لان فيه تجديد فايدة ومعنى معلوم ان حمل الحرف من الاية فضله على الاية على فايدة متجددة اولى من حمله على فايدة معادة وروى ابن وهب عن مالك في قوله تعالى فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب هي النضير لم يكن فيها خمس ولم يوجف عليها بخيل ولا ركاب كانت صافية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها بين المهاجرين وثلاثة من الانصار حسب ما تقدم وقوله ما افا الله على رسوله من اهل القرى هي قريظة وكانت قريظة والخندق في يوم واحد قال ابن العربي قول مالك الاية الثانية في بني قريظة اشارة الى ان معناها يعود الى اية الانفال ويلحقها النسخ وهو اقوى منا من القول بالاحكام ونحن لا نختار الا ما قسمنا وبينا ان الاية الثانية لها معنى مجدد حسب ما دللنا عليه والله اعلم قلت ما اختاره حسن وقد قيل ان سورة الحشر نزلت بعد الانفال فمن المحال ان ينسخ المتقدم المتاخر وقال ابن ابي نجيح المال ثلاثة مغنم او فيء او صدقة وليس منه درهم الا وقد بين الله موضعه وهذا اشبه الثالثة الاموال التي للايمة والولاة فيها مدخل ثلاثة اضرب ما اخذ من المسلمين على طريق التطهير لهم كالصدقات والزكوات فيها مدخل والثاني الغنايم وهو ما يحصل في ايدي المسلمين من اموال الكافرين بالحرب والقهر والغلبة والثالث الفي وهو ما رجع للمسلمين من اموال الكافرين عفوا صفوا من غير قتال ولا ايجاف كالصلح والجزية والخراج والعشر الماخوذة من تجار الكفار ومثله ان يهرب المشركون ويتركوا اموالهم او يموت منهم احد في دار الاسلام ولا وارث له فاما الصدقة فمصرفها الفقرا والمساكين والعاملون عليها حسب ما ذكره الله وقد مضى في براه واما الغنايم فكانت في صدر الاسلام للنبي صلى الله عليه وسلم يصنع فيها ما يشا كما قال في الانفال قل الانفال لله والرسول ثم نسخ بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شي الاية وقد مضى في الانفال بيانه فاما الفي فقسمته وقسمة الخمس سوا والامر عند مالك فيهما الى الامام فان راى حبسهما لنوازل تنزل بالمسلمين فعل وان راى قسمتهما او قسمة احدهما قسمه كله بين الناس وسوى فيه بين عربيهم ومولاهم ويبدا بالفقرا من رجال اونسا حتى يغنوا ويعطوا ذوو القربى من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفي سهمهم على ما يراه الامام وليس لهم حد معلوم واختلف في اعطا الغني منهم فاكثر الناس على اعطايه لانه حق لهم وقال مالك لا يعطى منهم غير فقرايهم لانه جعل لهم عوضا من الصدقة وقال الشافعي ان ما حصل من اموال الكفار بغير قتال كان يقسم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم على خمسة وعشرين سهما عشرون للنبي صلى الله عليه وسلم يفعل فيها ما يشا والخمس يقسم على ما يقسم عليه خمس الغنيمة قال ابو جعفر احمد بن نصر الداودي وهذا قول ما سبقه به احد علمناه بل كان ذلك خالصا له كما ثبت في الصحيح عن عمر مبينا للاية ولو كان هذا لكان قوله خالصة لك من دون المومنين يدل على انه يجوز الموهوبة لغيره وان قوله خالصة يوم القيمة يجوز ان يشركهم فيها غيرهم وقد مضى قول الشافعي موعبا في ذلك في الاحزاب ومذهب الشافعي رضي الله عنه ان سبيل خمس الفي سبيل خمس الغنيمة وان اربعة اخماسه كانت للنبي صلى الله عليه وسلم وهي بعده لمصالح المسلمين وله قول اخر انها بعده للمرصدين انفسهم للقتال بعده خاصة كما تقدم الرابعة قال علماونا ويقسم كل مال في البلد الذي جبي منه ولا ينقل عن ذلك البلد الذي جبي اليه حتى يغنوا ثم ينقل الى الاقرب من غيرهم الا ان ينزل بغير البلد الذي جبي منه فاقة شديدة فينقل ذلك الى اهل الفاقة حيث كانوا كما فعل عمر بن

الخطاب رضي الله عنه في اعوام الرماده وكانت خمسة اعوام او ستة وقد قيل عامين وقيل عام فيه اشتداد الطاعون مع الجوع وان لم يكن ما وصفنا وراى الامام ايقاف الفي اوقفه لنوايب المسلمين ويعطي منه المنفوس ويبدا بمن ابوه فقير والفي حلال للاغنيا ويساوي بين الناس فيه الا انه يوثر اهل الحاجة والفاقة والتفضيل فيه انما يكون على قدر الحاجة ويعطي منه الغرما ما يودون به ديونهم ويعطي منه الجايزة والصلة ان كان ذلك اهلا ويرزق القضاة والحكام ومن فيه منفعة للمسلمين واولاهم بتوفر الحظ منهم اعظمهم للمسلمين نفعا ومن اخذ من الفي شيا في الديوان كان عليه ان يغزوا اذا اغزي الخامسة قوله تعالى كي لا يكون دولة بين الاغنيا منكم قراه العامه يكون بالياء دولة بالنصب على كيلا يكون الفي دولة وقرا ابو جعفر والاعرج وهشام عن ابي عامر وابو حيوه تكون بالتاء دولة بالرفع اي كي لا تقع دولة فكان تامه ودولة رفع على اسم كان ولا خبر له ويجوز ان تكون ناقصة وخبرها بين الاغنيا منكم واذا كانت تامه فقوله بين الاغنيا منكم متعلق بدولة على معنى تداول بين الاغنيا منكم ويجوز ان يكون بين الاغنيا منكم وصفا لدولة وقراة العامة دولة بضم الدال وقراها السلمي وابو حيوة بالنصب قال عيسى بن عمر ويونس والاصمعي هما لغتان بمعنى واحد وقال ابو عمرو بن العلا الدولة بالفتح الظفر في الحرب وغيره وهي المصدر وبالضم اسم الشي الذي يتداول من الاموال وكذا قال ابو عبيدة الدولة اسم الشي الذي يتداول والدولة الفعل ومعنى الاية فعلنا ذلك في هذا الفي كي لا يقسمه الروسا والاغنيا والاقويا بينهم دون الفقرا والضعفا لان اهل الجاهلية كانوا اذا غنموا اخذ الرييس ربعها لنفسه وهو المرباع ثم يصطفي منها ايضا بعد المرباع ما شا والصفايا يقول لكي لا يعمل فيه كما كان يعمل في الجاهلية فجعل الله هذا لرسوله صلى الله عليه وسلم يقسمه في المواضع التي امر بها ليس فيها خمس فاذا جا خمس وقع بين المسلمين جميعا السادسة قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه اي ما اعطاكم من مال الغنيمة فخذوه وما نهاكم عنه من الاخذ والغلول فانتهوا قاله الحسن وغيره السدي ما اعطاكم من مال الفي فاقبلوه وما منعكم منه فلا تطلبوه وقال ابن جريج ما اتاكم من طاعتي فافعلوه وما نهاكم عنه من معصيتي فاجتنبوه الماوردي وقيل انه محمول على العموم في جميع اوامره ونواهيه لا يامر الا بصلاح ولا ينهى الا عن فساد قلت هذا هو معنى القول الذي قبله فهي ثلاثة اقوال السابعة قال المهدوي وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا هذا يوجب ان كل ما امر به النبي صلى الله عليه وسلم امر من الله تعالى والاية وان كانت في الغنايم فجميع اوامره ونواهيه عليه السلام داخل فيها وقال الحكم بن عمير وكانت له صحبة قال النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا القران صعب مستصعب عسير على من تركه يسير على من اتبعه وطلبه وحديثي صعب مستصعب وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وحفظه نجا مع القران ومن تهاون بالقران وحديثي خسر الدنيا والاخرة وامرتم ان تاخذوا بقولي وتكتنفوا امري وتتبعوا سنتي فمن رضي بقولي فقد رضي بالقران ومن استهزا بقولي فقد استهزا بالقران قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا الثامنة قال عبد الرحمن بن زيد لقي ابن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال انزع عنك هذا فقال الرجل اتقرا علي بهذا اية من كتاب الله قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وقال عبد الله بن محمد بن هرون الفريابي سمعت الشافعي رضي الله عنه يقول سلوني عن ما شيتم اخبركم من كتاب الله تعالى وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم قال فقلت له اصلحك الله ما تقول في المحرم يقتل الزنبور قال فقال بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحدثنا سفين بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا باللذين من بعدي ابو بكر وعمر حدثنا سفين بن عيينة عن مسعر بن كدام عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر رضي الله عنه انه امر بقتل الزنبور قال علماونا وهذا الجواب في نهاية الحسن افتى بجواز قتل الزنبور في الاحرام وبين انه يقتدي فيه

يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بامر لا فاقتدوا به وان الله سبحانه امر بقبول ما يقوله
الرسول صلى الله عليه وسلم فجواز قتله مستنبط من الكتاب والسنة وقد مضى هذا المعنى
في قول عكرمة حين سئل عن امهات الاولاد فقال هن احرار في سورة النسا عند قوله تعالى
اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وفي صحيح مسلم وغيره عن علقمة عن ابن
مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات
والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امراة من بني اسد يقال لها ام يعقوب
فجات فقالت انه بلغني انك لعنت كيت وكيت فقال وما لي لا العن من لعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم في كتاب الله فقالت لقد قرات ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول
فقال ان كنت قاريته لقد وجدتيه اما قرات وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه
فانتهوا قالت بلى قال فانه قد نهى عنه الحديث وقد مضى القول فيه في النسا مستوفى
والحمد لله التاسعة قوله تعالى وما اتاكم الرسول فخذوه وان جا بلفظ الايتا وهو المناولة
فان معناه الامر بدليل قوله تعالى وما نهاكم عنه فانتهوا فقابله بالنهي ولا يقابل النهي
الا بالامر والدليل على فهم ذلك ما ذكرناه قبل مع قوله عليه السلام اذا امرتكم بامر فاتوا منه
ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وحكى الكلبي انها نزلت في روسا المسلمين قالوا
فيما ظهر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموال المشركين يا رسول الله خذ صفيك
والربع ودعنا والباقي فهكذا كنا نفعل في الجاهلية وانشدوه

لك المرباع منها والصفايا ... وحكمك والنشيطة والفضول

فانزل الله تعالى هذه الاية العاشرة قوله تعالى واتقوا الله اي عذاب الله انه شديد
لمن عصاه وقيل اتقوا الله في اوامره ونواهيه فلا تضيعوها ان الله شديد العقاب
لمن خالف ما امره به قوله تعالى للفقرا المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم الى
الفي والغنايم للفقرا والمهاجرين وقيل كي لا يكون دولة بين الاغنيا ولكن يكون
للفقرا وقيل هو بيان لقوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل فلما
ذكروا باصنافهم قيل المال لهولا لانهم فقرا ومهاجرون وقد اخرجوا من ديارهم فهم
احق الناس به وقيل ولكن الله يسلط رسله على من يشا للفقرا المهاجرين اي شديد
العقاب للكفار بسبب الفقرا المهاجرين ومن اجلهم ودخل في هولا الفقرا المتقدم
ذكرهم في قوله تعالى ولذي القربى واليتامى وقيل هو عطف على ما مضى ولم يات
بواو العطف كقولك هذا المال لزيد لبكر لفلان لفلان والمهاجرون هنا من هاجر الى النبي
صلى الله عليه وسلم حبا فيه ونصرة له قال قتادة هولا المهاجرون الذين تركوا الديار
والاموال والاهلين والاوطان حبا لله ولرسوله حتى ان الرجل منهم كان يعصب
الحجر على بطنه ليقيم به صلبه من الجوع وكان الرجل يتخذ الحفيرة في الشتا ما له دثار
غيرها وقال عبد الرحمن بن ابزى وسعيد بن جبير كان ناس من المهاجرين لاحدهم
العبد والزوجة والدار والناقة يحج عليها ويغزو فنسبهم الله تعالى الى انهم فقرا
وجعل لهم سهما في الزكاة ومعنى اخرجوا من ديارهم اي اخرجهم كفار مكة اي احوجوهم
الى الخروج وكانوا مايه رجل يبتغون يطلبون فضلا من الله اي غنيمة في الدنيا
ورضوانا في الاخرة اي مرضاة ربهم وينصرون الله ورسوله في الجهاد في سبيل
الله اولئك هم الصادقون في فعلهم ذلك وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
خطب بالجابية فقال من اراد ان يسال عن القران فليات ابي بن كعب ومن اراد ان
يسال عن الفرايض فليات زيد بن ثابت ومن اراد ان يسال عن الفقه فليات
معاذ بن جبل ومن اراد ان يسال عن المال فلياتني فان الله تعالى جعلني له
خازنا وقاسما الا واني بادي بازواج النبي صلى الله عليه وسلم فمعطيهن ثم بالمهاجرين
الاولين انا واصحابي اخرجنا من مكة من ديارنا واموالنا قوله تعالى
والذين تبوؤوا الدار والايمان من قبلهم لا خلاف في الذين استوطنوا المدينة
قبل المهاجرين اليها والايمان نصب بفعل غير تبوؤوا لان التبوء انما يكون في

الاماكن ومن قبلهم من صلة تبوؤوا والمعنى والذين تبوؤوا الدار من قبل المهاجرين واعتقدوا
الايمان اذ اخلصوا لان الايمان ليس بمكان يتبوا كقوله تعالى فاجمعوا امركم وشركاكم
اي وادعوا شركاكم ذكره ابو علي والزمخشري وغيرهما ويكون من باب قوله علفتها تبنا
وما باردا او يجوز حمله على حذف المضاف كانه قال تبوؤوا الدار ولزموا الايمان فلم يفارقوها
ويجوز ان يكون تبوؤوا الايمان على طريق المثل كما يقال تبوا من بني فلان الصميم والتبوء التمكن
والاستقرار وليس يريد ان الانصار امنوا قبل المهاجرين بل اراد امنوا قبل هجرة النبي صلى
الله عليه وسلم اليهم الثانية واختلف ايضا هل هذه الاية مقطوعة مما قبلها او معطوفة فتاول
قوم انها معطوفة على قوله للفقرا المهاجرين وان الايات التي في الحشر كلها معطوف بعضها
على بعض ولو تاملوا ذلك وانصفوا لوجدوه على خلاف ما ذهبوا اليه لان الله تعالى يقول
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر ما ظننتم ان يخرجوا
الى قوله فاعتبروا فاخبر عن بني النضير وبني قينقاع ثم قال وما افا الله على رسوله منهم
فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشا فاخبر ان ذلك لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لانه لم يوجف عليه خيل وما نقدم فيهم من القتال وقطع
شجرهم وقد كانوا رجعوا عنه وانقطع ذلك الامر ثم قال ما افا الله على رسوله من اهل القرى
فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل وهذا كلام غير معطوف
على الاول وكذا والذين تبوؤوا الدار ابتدا كلام في مدح الانصار والثنا عليهم فانهم سلموا
ذلك الفي للمهاجرين وكانه قال الفي للفقرا المهاجرين والانصار يحبون لهم من يحسدوهم
على ما صفي لهم من الفي وكذا والذين جاوا من بعدهم ابتدا كلام والخبر يقولون ربنا
اغفر لنا وقال اسمعيل بن اسحاق ان قوله والذين تبوؤوا الدار والذين جاوا معطوف على
ما قبل وانهم شركا في الفي اي هذا المال للمهاجرين والذين تبوؤوا الدار وقال مالك بن اوس
قرا عمر بن الخطاب رضي الله عنه هذه الاية انما الصدقات للفقرا فقال هذه لهولا ثم قرا
واعلموا انما غنمتم من شي فان لله خمسه فقال هذه لهولا ثم قرا قوله ما افا الله على رسوله
حتى بلغ للفقرا المهاجرين والذين جاوا من بعدهم لين عشت ليبلغن الراعي وهو بسرو حمير
نصيبه منها لم يعرق فيها جبينه وقيل انه دعا المهاجرين والانصار واستشارهم فيما فتح الله
عليه في ذلك وقال لهم تثبتوا الامر وتدبروه ثم اغدوا على ففكر في ليلته فتبين له ان هذه
الايات في ذلك انزلت فلما غدوا عليه قال قد مررت البارحة بالايات التي في سورة الحشر
وتلا ما افا الله على رسوله من اهل القرى الى قوله للفقرا المهاجرين فلما بلغ اولئك هم
الصادقون قال ما هي لهولا فقط وتلا والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر
لنا ولاخواننا الى قوله رؤوف رحيم ثم قال ما بقي احد من اهل الاسلام الا وقد دخل في ذلك
الثالثة روى مالك عن زيد بن اسلم عن ابيه ان عمر قال لولا من ياتي من اخر الناس ما فتحت
قرية الا قسمتها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الروايات المستفيضة من الطرق
الكثيرة ان عمر ابقى سواد العراق ومصر وما ظهر عليه من الغنايم لتكون في اعطيات المقاتلة
وارزاق الحشوة والذراري وان الزبير وبلالا وغير واحد من الصحابة ارادوه على
قسم ما فتح عليهم فكره ذلك منهم واختلف فيما فعل من ذلك فقيل انه استطاب انفس اهل
الجيش فمن رضي له بترك حظه بغير ثمن ليبقيه للمسلمين قبله ومن ابى اعطاه ثمن حظه
فمن قال انما ابقى الارض بعد استطابة نفوس القوم جعل فعله كفعل النبي صلى الله
عليه وسلم لانه قسم خيبر لان اشتراه اياها وترك من ترك عن طيب نفسه بمنزلة قسمتها
وقيل انه ابقاها بغير شي اعطاه اهل الجيوش وقيل انه تاول في ذلك قول الله سبحانه
للفقرا المهاجرين الى قوله ربنا انك رؤوف رحيم على ما تقدم والله اعلم الرابعة واختلف العلما
في قسمة العقار فقال مالك للامام ان يوقفها لمصالح المسلمين وقال الشافعي ليس للامام
حبسها عنهم بغير رضاهم بل يقسمها عليهم كساير الاموال فمن طاب نفسا عن حقه للامام
ان يجعلها وقفا عليهم قبله ومن لم يطب نفسه فهو احق بماله وعمر رضي الله عنه استطاب
نفوس الغانمين واشتراها منهم قلت وعلى هذا يكون قوله والذين جاوا من بعدهم مقطوعا

عما قبله وانهم بدوا بالدعا للاولين والثنا عليهم الخامسة قال ابن وهب سمعت مالكا يذكر فضل المدينة على غيرها من الافاق فقال ان المدينة تبوت بالايمان والهجرة وان غيرها من القرى افتتحت بالسيف ثم قرا والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم يحبون الاية وقد مضى الكلام في هذا وفي فضل الصلاة في المسجدين مسجد الحرام ومسجد المدينة فلا معنى للاعادة السادسة قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا يعني لا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من الفي وغيره وكذلك قال الناس وفيه تقدير حذف مضاف من المعنى مس حاجة من فقد ما اوتوا وكل ما يجد الانسان في صدره مما يحتاج الى ازالته فهو حاجة وكان المهاجرون في دور الانصار فلما غنم عليه السلام اموال بني النضير دعا الانصار وشكرهم فيما صنعوا مع المهاجرين في انزالهم اياهم في منازلهم واشراكهم في الاموال ثم قال ان احببتم قسمت ما افا الله علي من بني النضير بينكم وبينهم وكان المهاجرون على ما هم عليه من السكنى في مساكنكم واموالكم وان احببتم اعطيتهم وخرجوا من دوركم فقال سعد بن عبادة وسعد بن معاذ بل نقسم بين المهاجرين ويكونون في دورنا كما كانوا ونادت الانصار رضينا وسلمنا برسول الله فقال عليه السلام اللهم ارحم الانصار وابنا الانصار واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين ولم يعط الانصار الا الثلاثة الذين ذكرناهم ويحتمل ان يريد به ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا اذا كان قليلا بل يقنعون به ويرضون عنه وقد كانوا على هذه الحال حين حياة النبي صلى الله عليه وسلم دنيا ثم كانوا عليه بعد موته صلى الله عليه وسلم بحكم الدنيا وقد انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض السابعة قوله تعالى ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة في الترمذي عن ابي هريرة ان رجلا بات به ضيف فلم يكن عنده الا قوته فقال لامراته نومي الصبية واطفي السراج وقربي للضيف ما عندك فنزلت هذه الاية ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة قال هذا حديث حسن صحيح خرجه مسلم ايضا وخرج عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسائه فقالت والذي بعثك بالحق ما عندي الا الما ثم ارسل الى اخرى فقالت مثل ذلك حتى قلن كلهن مثل ذلك والذي بعثك بالحق ما عندي الا الما فقال من يضيف هذا الليلة رحمه الله فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فانطلق به الى رحله فقال لامراته هل عندك شي قالت لا الا قوت صبياني فقال عليهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي المصباح واريه انا ناكل فاذا اهوى لياكل فقومي الى السراج حتى تطفيه قالت فقعدوا واكل الضيف فلما اصبح غدا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله عز وجل من صنيعكما الليلة بضيفكما وفي رواية عن ابي هريرة قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضيفه فلم يكن عنده ما يضيفه فقال الا رجل يضيف هذا رحمه الله فقام رجل من الانصار يقال له ابو طلحة فانطلق به الى رحله وساق الحديث بنحو الذي قبله وذكر فيه نزول الاية وذكر المهدوي عن ابي هريرة ان هذا نزل في ثابت بن قيس ورجل من الانصار نزل به ثابت يقال له ابو المتوكل فلم يكن عند ابي المتوكل الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته اطفي السراج ونومي الصبية وقدم ما كان عنده الى ضيفه وكذا ذكر النحاس قال ابو هريرة نزل برجل من الانصار يقال له ابو المتوكل ثابت بن قيس ضيف ولم يكن له الا قوته وقوت صبيانه فقال لامراته اطفي السراج ونومي الصبية فنزلت ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله اولئك هم المفلحون وقيل ان فاعل ذلك ابو طلحة وذكر القشيري ابو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم وقال ابن عمر اهدي لرجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا وعياله احوج الى هذا منا فبعثه اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى اولئك فنزلت ويؤثرون على انفسهم ذكره الثعلبي عن انس قال اهدي لرجل من اصحابه راس شاة وكان مجهودا فوجه به الى جار له فتداولته سبعة انفس

في سبعة ابيات ثم عاد الى الاول فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم للانصار يوم بني النضير ان شيتم قسمتم للمهاجرين من اموالكم ودياركم وشاركوهم في هذه الغنيمة وان شيتم كانت لكم دياركم واموالكم ولم نقسم لكم من الغنيمة شيا فقال الانصار بل نقسم لاخواننا من ديارنا واموالنا ونوثرهم بالغنيمة فنزلت ويؤثرون على انفسهم الاية والاول اصح وفي الصحيحين عن انس ان الرجل كان يجعل للنبي صلى الله عليه وسلم النخلات من ارضه فلما فتحت عليه قريظة والنضير فجعل بعد ذلك يرد عليه ما اعطاه لفظ مسلم وقال الزهري عن انس بن مالك لما قدم المهاجرون من مكة المدينة قدموا وليس بايديهم شي وكان الانصار اهل الارض والعقار فقاسمهم الانصار على ان اعطوهم انصاف ثمار اموالهم كل عام ويكفونهم العمل والمونة فكانت ام انس بن مالك تدعى ام سليم وكانت ام عبد الله ابن ابي طلحة كان اخا لانس لامه وكانت اعطت ام انس رسول الله صلى الله عليه وسلم عذاقا لها فاعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مولاته ام اسامة بن زيد قال ابن شهاب فاخبرني انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من قتال اهل خيبر وانصرف الى المدينة رد المهاجرون الى الانصار منايحهم التي كانوا منحوهم من ثمارهم قال فرد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى امي عذاقها واعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ايمن مكانهن من حايطه خرجه مسلم ايضا الثامنة الايثار هو تقديم الغير على النفس وحظوظها الدنياوية رغبة في الحظوظ الدينية وذلك ينشا عن قوة اليقين ووكيد المحبة والصبر على المشقة يقال اثرته بكذا اي خصصته به وفضلته ومفعول الايثار محذوف اي يؤثرونهم على انفسهم اي باموالهم ومنازلهم لا عن غنى بل مع احتياجهم اليها حسب ما تقدم بيانه وفي موطا مالك انه بلغه عن عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ان مسكينا سالها وهي صايمة وليس في بيتها الا رغيف فقالت لمولاة لها اعطيه اياه فقالت ليس لك ما تفطرين عليه فقالت اعطيه اياه قالت ففعلت قالت فلما امسينا اهدى لنا اهل بيت او انسان ما كان يهدي لنا شاة وكفنها فدعتني عايشة فقالت كلي من هذا هذا خير من قرصك قال علماونا هذا من المال الرابح والفعل الزاكي عند الله يعجل منه ما يشا ولا ينقص ذلك مما يدخر عنده ومن ترك شيا لله لم يجد فقده وعايشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين اثنى الله عليهم بانهم يؤثرون على انفسهم مع ما هم فيه من الخصاصة وان من فعل ذلك فقد وقي شح نفسه وافلح فلاحا لا خسارة بعده ومعنى شاة وكفنها فان العرب او بعض العرب او بعض وجوههم كان هذا من طعامهم ياتون الى الشاة او الخروف اذا سلخوه غطوه كله بعجين البر وكفنوه به ثم علقوه في التنور فلا يخرج من ودكه شي الا في ذلك الكفن وذلك من طيب الطعام وروى النسايي عن نافع ان ابن عمر اشتكى واشتهى عنبا فاشتري له عنقود بدرهم فجا مسكين فسال فقال اعطوه اياه فخالف انسان فاشتراه بدرهم ثم جا به اليه فاراد السايل ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر انه ذلك العنقود ما ذاقه لانه ما خرج لله لا يعود فيه وذكر ابن المبارك قال اخبرنا محمد بن مطرف قال انا ابو حازم عن عبد الرحمن بن سعيد بن يربوع عن مالك الدار ان عمر بن الخطاب اخذ اربعماية دينار فجعلها في صرة ثم قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت ساعة حتى تنظر ما ذا يصنع بها فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفذها فرجع الغلام الى عمر فاخبره فوجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل فقال اذهب بها الى معاذ بن جبل وتلكا في البيت ساعة حتى تنظر ما ذا يصنع فذهب بها اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي بيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت امراة معاذ وقالت ونحن والله مساكين فاعطنا ولم يبق

علينا في الخرقة الا دينارات فدحا بهما اليهما فرجع اليه الغلام فاخبره فسر بذلك عمر وقال
انهم اخوه بعضهم من بعض ونحوه عن عائشة في اعطا معوية اياها وكان عشرة الاف وكان
المنكدر دخل عليها فانت فتلفد ووردت اخبار صحيحة في النهي عن التصدق بجميع ما يملكه
المرء فقيل انما كره ذلك في حق من لا يوثق منه الصبر على الفقر وخاف ان يتعرض للمسئلة
اذا فقد ما ينفقه فاما الانصار الذين اثنى الله عليهم بالايثار على انفسهم فلم يكونوا
بهذه الصفة بل كانوا كما قال الله تعالى والصابرين في الباسا والضرا وحين الباس
فكان الايثار افضل فيهم من الامساك فمن لم يصبر ويتعرض للمسئلة اولى من الايثار وروي
ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم بمثل البيضة من ذهب فقال هذه صدقة فرماه
بها وقال ياتي احدكم بجميع ما يملكه فيتصدق به ثم يقعد فيتكفف الناس التاسعة
الايثار بالنفس فوق الايثار بالمال وان عاد الى النفس ومن الامثال السايرة والجود
بالنفس اقصى غاية الجود ومن عبارات الصوفية الرشيقة في حد المحبة انها الايثار
الا ترى ان امراة العزيز لما تناهت في حبها يوسف عليه السلام اثرته على نفسها فقالت انا
راودته عن نفسه وافضل الجود بالنفس الجود على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم
ففي الصحيح ان ابا طلحة ترس على النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد وكان النبي صلى الله عليه
وسلم يتطلع ليرى القوم فيقول له ابو طلحة لا تشرف يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا يصيبونك نحري دون نحرك ووقى بيده رسول الله صلى الله عليه وسلم فشلت وقال
حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من الما وانا اقول ان
كان به رمق سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار براسه ان نعم فاذا برجل
يقول اه اه فاشار الي ابن عمي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك
فاشار ان نعم فسمع اخر يقول اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيته فاذا هو قد
مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال ابو
يزيد البسطامي ما غلبني احد الا شاب من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد
ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا
فقلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وسيل ذو النون
المصري ما حد الزاهد المنشرح صدره قال ثلاث تفريق المجموع وطلب المفقود
والايثار عند القوت وحكي عن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون
رجلا بقرية بقرب الري ومعهم ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا
السراج وجلسوا للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله لم ياكل احد منهم شيا ايثارا لصاحبه
على نفسه العاشرة قوله تعالى ولو كان بهم خصاصة الخصاصة الحاجة التي تختل بها
الحال واصلها من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة الانفراد بالحاجة اي ولو
كانت بهم فاقة وحاجة ومنه قول الشاعر

اما الربيع اذا تكون خصاصة * عاش السقيم به واثرى المقتري

الحادية عشرة قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون الشح والبخل
سوا يقال رجل شحيح بين الشح والشح والشحاحة قال عمرو بن كلثوم

ترى اللحز الشحيح اذا امرت * عليه لماله فيها مهينا

وجعل بعض اهل اللغة الشح اشد من البخل وفي الصحاح الشح البخل مع حرص تقول
شححت بالكسر تشح وشححت ايضا تشح وتشح ورجل شحيح واشحة والمراد بالاية
الشح بالزكاة وما ليس بفرض من صلة ذوي الارحام والضيافة وما شاكل ذلك
فليس بشحيح ولا بخيل من انفق في ذلك وان امسك عن نفسه ومن وسع على نفسه
ولم ينفق فيما ذكرناه من الزكاة والطاعات فلم يوق شح نفسه وروى الاسود عن ابن
مسعود ان رجلا اتاه فقال اني اخاف ان اكون قد هلكت قال وما ذاك قال سمعت
الله عز وجل يقول ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وانا رجل شحيح لا اكاد ان
اخرج من يدي شيا فقال ابن مسعود ليس ذلك بالشح الذي ذكره الله تعالى في

القران

القران ان تاكل مال اخيك ظلما ولكن ذلك البخل وبيس الشيء البخل ففرق رضي الله عنه
بين الشح والبخل وقال طاوس البخل ان يبخل الانسان بما في يده والشح ان يشح بما
في ايدي الناس يحب ان يكون له ما في ايديهم بالحل والحرام لا يقنع ابن جبير الشح منع
الزكاة وادخار الحرام ابن عيينة الشح الظلم الليث ترك الفرايض وانتهاك المحارم ابن عباس
من اتبع هواه ولم يقبل الايمان فذلك الشح ابن زيد من لم ياخذ شيا نهاه الله عنه ولم يدعه
الشح ان امره الله فقد وقاه الله شح نفسه وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم بري من
الشح من ادى الزكاة وقرى الضيف واعطى في النايبة وعنه ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يدعو اللهم اني اعوذ بك من شح نفسي واسرافها ووساوسها وقال ابو الهياج الاسدي
رايت رجلا في الطواف يدعو اللهم قني شح نفسي لا يزيد على ذلك فقلت له فقال اذا وقيت
شح نفسي لم اسرق ولم ازن ولم افعل فاذا الرجل عبد الرحمن بن عوف قلت يدل على هذا
قوله صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فان الشح
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماهم واستحلوا محارمهم وقد بيناه في ال
عمران وقال كسرى لاصحابه اي شي اضر بابن ادم قالوا الفقر فقال كسرى الشح اضر من الفقر
لان الفقير اذا وجد شبع والشحيح اذا وجد لم يشبع ابدا قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم
فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى والذين جاوا من بعدهم يعني التابعين ومن دخل في
الاسلام الى يوم القيامة قال ابن ابي ليلى الناس على ثلاثة منازل المهاجرون والذين تبووا
الدار والايمان والذين جاوا من بعدهم فاجتهد ان لا تخرج من هذه المنازل وقال بعضهم
كن شمسا فان لم تستطع فكن قمرا فان لم تستطع فكن كوكبا صغيرا ومن جهة النور لا تنقطع
ومعنى هذا كن مهاجريا فان قلت لا اجد فكن انصاريا فان لم تجد فاعمل كاعمالهم فان لم تستطع
فاحبهم واستغفر لهم كما امرك الله وروى مصعب بن سعد قال الناس على ثلاث منازل
فمضت منزلتان وبقيت منزلة فاحسن ما انتم كاينون عليه ان تكونوا بهذه المنزلة التي بقيت
وعن جعفر بن محمد بن علي عن ابيه عن جده علي بن حسين رضي الله عنهم انه جاه رجل
فقال له يا ابن بنت رسول الله ما تقول في عثمان فقال له يا اخي انت من قوم قال الله فيهم
للفقرا المهاجرين الاية قال لا قال فانت من قوم قال الله فيهم والذين تبووا الدار والايمان
الاية قال لا قال فوالله لين لم تكن من اهل الاية الثالثة لتخرجن من الاسلام وهي قوله
تعالى والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا الاية وقد
قيل ان محمد بن علي بن الحسين روي عن ابيه ان نفرا من اهل العراق جاوا اليه فسبوا ابا بكر
وعمر رضي الله عنهما ثم عثمان رضي الله عنه فاكثروا فقال لهم امن المهاجرين الاولين انتم قالوا
لا قال فمن الذين تبووا الدار والايمان من قبلهم قالوا لا فقال قد تبراتم من هذين الفريقين
انا اشهد انكم لستم من الذين قال الله عز وجل والذين جاوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا ربنا انك رءوف
رحيم قوموا فعل الله بكم وفعل ذكره النحاس الثانية هذه الاية دليل على وجوب محبة الصحابة لانه
جعل لمن بعدهم حظا في الفي ما اقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم وان من سبهم او واحدا
منهم او اعتقد فيه شرا انه لا حق له في الفي روي ذلك عن مالك وغيره وقال مالك من كان
يبغض احدا من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه عليهم غل فليس له حق في
المسلمين ثم قرا محمد صلى الله عليه وسلم او كان في قلبه عليهم غل والذين جاوا من بعدهم
الاية الى اخرها هذه الاية تدل على ان الصحيح من اقوال العلما قسمة المنقول وابقا العقار والارض
شملا بين المسلمين اجمعين كما فعل عمر رضي الله عنه الا ان يجتهد الوالي فينفذ امرا فيمضي عمله
فيه لاختلاف الناس عليه وان هذه الاية قاضية بذلك لان الله تعالى اخبر عن الفي وجعله
لثلاث طوايف من المهاجرين والانصار وهم معلومون والذين جاوا من بعدهم يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فهي عامة في جميع التابعين والاتين بعدهم
الى يوم الدين وفي الحديث الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة فقال السلام
عليكم دار قوم مومنين وانا ان شا الله بكم لاحقون وددت انا قد راينا اخواننا فقالوا

برسول الله انسنا باخوانك فقال بل انتم اصحابي واخواننا الذين لم ياتوا بعد وانا فرطكم
على الحوض فبين صلى الله عليه وسلم ان اخوانهم كل من ياتي بعدهم لا كما قال السدي والكلبي
انهم الذين هاجروا بعد ذلك وعن الحسن ايضا والذين جاوا من بعدهم من قصد الى النبي صلى الله
عليه وسلم الى المدينة بعد انقطاع الهجرة الرابعة قوله تعالى يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا
نصب في موضع الحال اي قايلين ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان فيه وجهان
احدهما امروا ان يستغفروا لمن سبق هذه الامة من مومني اهل الكتاب قالت عايشة رضي
الله عنها امروا ان يستغفروا لهم فسبوهم الثاني امروا ان يستغفروا للسابقين الاولين من المهاجرين
والانصار قال ابن عباس امر الله تعالى لاصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انهم سيفتنون
وقالت عايشة امرتم بالاستغفار لاصحاب محمد فسببتموهم سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم
يقول لا تذهب هذه الامة حتى يلعن اخرها اولها وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا رايتم الذين يسبون اصحابي فقولوا لعن الله شركم وقال العوام بن حوشب
ادركت هذه الامة يقولون اذكروا محاسن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تاتلف
عليهم القلوب ولا تذكروا ما شجر بينهم فتحرشوا الناس عليهم وقال الشعبي تفاضلت اليهود
والنصارى على الرافضة بخصلة سيلت اليهود من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب موسى وسيلت
النصارى من خير اهل ملتكم فقالوا اصحاب عيسى وسيلت الرافضة من شر اهل ملتكم فقالوا
اصحاب محمد امروا بالاستغفار لهم فسبوهم فالسيف عليهم مسلول الى يوم القيامة لا تقوم
لهم راية ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله بسفك دمايهم
وادحاض حجتهم اعاذنا الله واياكم من الاهوا المضلة ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين امنوا
اي حقدا وحسدا ربنا انك روف رحيم قوله تعالى الم تر الى الذين نافقوا يقولون
لاخوانهم الذين كفروا من اهل الكتاب تعجب من اغترار اليهود بما وعدهم المنافقون
من النصر معهم مع علمهم بانهم لا يعتقدون دينا ولا كتابا ومن جملة المنافقين عبد الله
ابن ابي بن سلول وعبد الله بن نبتل ورفاعة بن زيد وقيل رفاعة بن تابوت
واوس بن قيظي كانوا من الانصار ولكنهم نافقوا قالوا لليهود قريظة والنضير لين اخرجتم
لنخرجن معكم وقيل هو من قول بني النضير لقريظة وقوله لا نطيع فيكم احدا ابدا يعنون
محمدا صلى الله عليه وسلم من جملة علم الغيب لانهم اخرجوا فلم يخرجوا وقوتلوا فلم ينصروهم
كما قال الله تعالى والله يشهد انهم لكاذبون اي في قولهم وفعلهم قوله تعالى لين اخرجوا
لا يخرجون معهم ولين قوتلوا لا ينصرونهم ولين نصروهم ليولن الادبار اي منهم من نصرهم
ينصرون قيل معنى لا ينصرونهم طايعين ولين نصروهم مكرهين ليولن الادبار وقيل معنى
لا ينصرونهم لا يدومون على نصرهم هذا على ان الضميرين متفقان وقيل انهما مختلفان
والمعنى لان اخرج اليهود لا يخرجون معهم المنافقون ولين قوتلوا لا ينصرونهم اي علم
منهم ذلك ولين نصروهم اي ولين نصر اليهود المنافقين ليولن الادبار وقيل لان اخرجوا
لا يخرجون معهم اي علم الله منهم انهم لا يخرجون ان اخرجوا ولين قوتلوا لا ينصرونهم
اي علم منهم ذلك ثم قال ليولن الادبار واخبر عما قد اخبر انه لا يكون كيف كان يكون لو كان
وهو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقيل معنى ولين نصروهم ولين شينا ان ينصروهم
زينا ذلك لهم ليولن الادبار قوله تعالى لانتم اشد رهبة يا معشر المسلمين اشد رهبة
اي خوفا وخشية في صدورهم من الله يعني صدور بني النضير وقيل صدور المنافقين
ويحتمل ان يرجع الى الفريقين اي يخافون منكم اكثر مما يخافون من ربهم ذلك الخوف
ذلك بانهم قوم لا يفقهون اي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته قوله تعالى لا
يقاتلونكم جميعا يعني اليهود الا في قرى محصنة اي بالحيطان والدور يظنون انها تمنعهم
منكم او من وراء جدار اي من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم وقراه العامة
جدر على الجمع وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لانها نظير قوله تعالى في قرى محصنة
وذلك جمع وقرا ابن عباس ومجاهد وابن كثير وابن محيصن وابو عمرو جدار على
التوحيد لان التوحيد يودي عن الجمع وروي عن بعض المكيين جدر بفتح الجيم

واسكان الدال وهي لغة في الجدار ويجوز ان يكون معناه من وراء نخلهم وشجرهم يقال
اجدر النخل اذا اطلعت روسه في اول الربيع والجدر نبت واحدته جدرة وقري جدر بضم
الجيم واسكان الدال جمع الجدار ويجوز ان تكون الالف في الواحد كالف كتاب وفي الجمع كالف
ظراف ومثله ناقة هجان ونوق هجان لانك تقول في التثنية هجانان فصار لفظ الواحد والجمع
مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى قاله ابن جني قوله تعالى باسهم بينهم شديد
يعني عداوة بعضهم لبعض وقال مجاهد باسهم بينهم شديد اي بالكلام والوعيد لنفعلن
كذا وقال السدي المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على امر واحد وقيل باسهم بينهم شديد
اي اذا لم يلقوا عدوا نسبوا انفسهم الى الشدة والباس ولكن اذا لقوا العدو انهزموا تحسبهم
جميعا وقلوبهم شتى يعني المنافقين واليهود قاله مجاهد وعنه ايضا يعني المنافقين الثوري
هم المشركون واهل الكتاب وقال قتادة تحسبهم جميعا اي مجتمعين على امر وراي وقلوبهم
شتى متفرقة فاهل الباطل مختلفة اهواهم وهم مجتمعون في عداوة اهل الحق وعن مجاهد
ايضا اراد ان دين المنافقين مخالف لدين اليهود وهذا ليقوي انفس المومنين عليهم وقال
الشاعر • الى الله اشكو نية شقت العصا • هي اليوم شتى وهي امس جميع •
وفي قراءة ابن مسعود وقلوبهم اشت بمعنى اشد تشتيتا اي اشد اختلافا ذلك بانهم قوم
لا يعقلون اي ذلك التشتيت والكفر بانهم لا عقل لهم يعقلون به امر الله قوله تعالى كمثل
الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال امرهم قال ابن عباس يعني به قينقاع امكن الله منهم قبل
بني النضير وقال قتادة يعني بني النضير امكن الله منهم قبل قريظة مجاهد يعني كفار قريش يوم
بدر وقيل هو عام في كل من انتقم منه على كفره قبل بني النضير من نوح الى محمد صلى الله عليه
وسلم ومعنى وبال جزاء كفرهم ومن قال هم بنو قريظة جعل وبال امرهم نزولهم على حكم سعد
ابن معاذ فحكم فيهم بقتل المقاتلة وسبي الذرية وهو قول الضحاك ومن قال المراد بنو النضير
قال وبال امرهم الجلا والنفي وكان بين قريظة والنضير سنتان وكانت وقعة بدر قبل غزوة
بني النضير بستة اشهر فلذلك قال قريبا وقد قال قوم غزوة بني النضير بعد وقعة احد
ولهم عذاب اليم في الاخرة قوله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر هذا ضرب
مثل للمنافقين واليهود في تخاذلهم وعدم الوفا في نصرتهم وحذف حرف العطف ولم يقل
وكمثل الشيطان لان حذف حرف العطف كثير كما تقول انت عاقل انت كريم انت عالم وقد
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الانسان الذي قال له الشيطان اكفر راهب نزلت
عنده امراة اصابها لمم ليدعو لها فزين له الشيطان فوطيها فحملت ثم قتلها خوفا ان يفتضح فدل
الشيطان قومها على موضعها فجاوا واستنزلوا الراهب ليقتلوه فجاه الشيطان فوعده ان سجد
له انجاه منهم فسجد له فتبرا منه فاسلمه ذكره القاضي اسماعيل وعلي بن المديني عن سفين بن
عيينة عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي عن النبي صلى الله
عليه وسلم وذكر خبره مطولا ابن عباس ووهب بن منبه ولفظهما مختلف قال ابن عباس في
قوله كمثل الشيطان كان راهبا في الفترة يقال له برصيصا قد تعبد في صومعة سبعين سنة
لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيا ابليس فجمع ابليس مردة الشياطين فقال الا احد منكم
من يكفيني امر برصيصا فقال الابيض وهو صاحب الانبيا وهو الذي قصد النبي صلى الله
عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس اليه على وجه الوحي فجاه جبريل فدخل بينهما ثم دفعه
بيده حتى وقع باقصى الهند فذلك قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين فقال انا
اكفيكه فانطلق فتزيا بزي الرهبان وحلق وسط راسه حتى اتى صومعة برصيصا فناداه
فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة ايام يوما ولا يفطر الا في كل عشرة ايام
وكان يواصل العشرة الايام والعشرين والاكثر فلما راى الابيض انه لا يجيبه اقبل على العبادة
في اصل صومعته فلما انفتل برصيصا من صلاته راى الابيض قايما يصلي في هيية حسنة
من هيية الرهبان فندم حين لم يجبه فقال له ما حاجتك فقال ان اكون معك فتتادب
بادبك واقتبس من علمك ونجتمع على العبادة فقال اني في شغل عنك ثم اقبل على صلاته
واقبل الابيض ايضا على الصلاة فلما راى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال له ما حاجتك

فلان ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فاقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل
اربعين يوما يوما ولا ينفتل عن صلاته الا في كل اربعين يوما وربما مد الى الثمانين
فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال الابيض عندي دعوات يشفي
الله به السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جاء الى ابليس فقال والله اهلكت
الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه ثم قال لاهله وقد تصور في صورة الادميين ان بصاحبكم
جنونا فاطبه قالوا نعم فقال اني لا اقوى على جنيته ولكن اذهبوا به الى برصيصا فان
عنده اسم الله الاعظم الذي اذا سئل به اعطى واذا دعي به اجاب فجاوه فدعا بتلك الكلمات
فذهب عنه الشيطان ثم جعل الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون
فانطلق الى جارية من بنات الملوك بين ثلاثة اخوة وكان ابوهم ملكا واستخلف
اخاه فكان عمها ملكا في بني اسرايل فعذبها وخنقها ثم جا اليهم في صورة رجل متطبب
ليعالجها فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده
فاذا جا شيطانها دعا لها فبريت فقالوا لا يجيبنا الى ذلك قال ابنوا صومعة في جانب
صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا هي امانة عندك فاحتسب فيها فسالوه ذلك فابا فبنوا
صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل من صلاته عاين الجارية وما بها من الجمال
فاسقط في يده فجاها الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته ثم دعا لها فذهب عنها الشيطان
ثم اقبل على صلاته فجاها الشيطان وخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها لبرصيصا
ثم جاءه الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها ثم توب بعد ذلك فلم يزل به حتى
واقعها فحملت وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها
ثم تتوب ولا تفتضح فان جاوك فسالوك فقل جاها شيطانها فذهب بها فقتلها برصيصا
ودفنها ليلا فاخذ الشيطان طرف ثوبها حتى بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الى
صلاته ثم جا الشيطان الى اخوتها في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا
وقتلها ودفنها في جبل كذا وكذا فاستعظموا ذلك فقالوا لبرصيصا ما فعلت اختنا فقال
ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاهم الشيطان في المنام فقال انها مدفونة
في موضع كذا وكذا وان طرف ردائها خارج من التراب فانطلقوا فوجدوها فهدموا
صومعته وانزلوه وحنقوه وحملوه الى الملك فاقر على نفسه فامر بقتله فلما صلب
قال الشيطان اتعرفني قال لا والله قال انا صاحبك الذي علمتك الدعوات ما اتقيت
الله ما استحييت وانت اعبد بني اسرايل لم يكفك صنيعك حتى فضحت نفسك واقررت
عليها وفضحت اشباهك من الناس فان مت على هذه الحالة لم يفلح احد من نظرايك
بعدك قال فكيف اصنع قال تطيعني في خصلة واحدة وانجيك منهم قال وما ذاك
قال تسجد لي سجدة فقال انا افعل فسجد له من دون الله فقال يا برصيصا هذا
اردت منك كان عاقبة امرك ان كفرت بربك اني بري منك اني اخاف الله رب العالمين
وقال وهب بن منبه ان عابدا كان في بني اسرايل وكان من اعبد اهل زمانه
وكان في زمانه ثلاثة اخوة لهم اخت وكانت بكرا ليست لهم اخت غيرها فخرج البعث
على ثلاثتهم فلم يدروا عند من يخلفون اختهم ولا من يامنون عليها ولا عند من
يضعونها عندهم قال فاجمعوا رايهم على ان يخلفوها عند عابد بني اسرايل وكان ثقة
في انفسهم فاتوه فسالوه ان يخلفوها عنده فتكون في كنفه وجواره الى ان يقفلوا
من غزاتهم فابى ذلك عليهم وتعوذ بالله منهم ومن اختهم قال فلم يزالوا به حتى اطاعهم
فقال انزلوها في بيت حذا صومعتي قال فانزلوها في ذلك البيت ثم انطلقوا وتركوها
فمكثت في جوار ذلك العابد زمانا ينزل اليها الطعام من صومعته فيضعه عند باب
الصومعة ثم يامرها فتخرج من بيتها فتاخذ ما وضع لها من الطعام قال فتلطف
له الشيطان فلم يزل يرغبه في الخير ويعظم عليه خروج الجارية من بيتها نهارا ويخوفه
ان يراها احد فيعلقها فلم يزل به حتى مشى بطعامها حتى وضعه على باب بيتها ولا
يكلمها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاه ابليس فرغبه في الخير والاجر وقال له لو كنت تمشي

اليها

اليها بطعامها حتى تضعه في بيتها كان اعظم لاجرك فلم يزل به حتى مشى اليها بطعامها
فوضعه في بيتها قال فلبث بذلك زمانا ثم جاه ابليس فرغبه في الخير وحضه عليه
وقال له لو كنت تكلمها وتحدثها فتانس بحديثك فانها قد استوحشت وحشة شديدة
قال فلم يزل به حتى حدثها زمانا يطلع عليها من فوق صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد
ذلك فقال لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدثها وتقعد على باب
بيتها فتحدثك كان انس لها فلم يزل به حتى انزله فاجلسه على باب صومعته يحدثها
وتخرج الجارية من بيتها حتى تقعد على باب بيتها فلبثا زمانا يتحدثان ثم جاه ابليس
فرغبه في الخير والثواب فيما يصنع بها وقال لو خرجت من باب صومعتك فجلست قريبا
من باب بيتها كان انس لها فلم يزل به حتى فعل قال فلبثا زمانا ثم جاه ابليس فرغبه
في الخير وفيما له من حسن الثواب فيما يصنع بها وقال له لو دنوت من باب بيتها فحدثتها
ولم تخرج من باب بيتها ففعل فكان ينزل من صومعته فيقعد على باب بيتها فيحدثها
فلبثا بذلك حينا ثم جاه ابليس فقال لو دخلت البيت معها فحدثتها ولم تتركها تبرز وجهها
لاحد كان احسن بك فلم يزل به حتى دخل البيت فجعل يحدثها نهاره كله فاذا امسا صعد
في صومعته قال ثم اتاه ابليس بعد ذلك فلم يزل يزينها له حتى ضرب العابد على فخذها
وقبلها فلم يزل به ابليس يحسنها في عينه ويسول له حتى وقع عليها فاحبلها فولدت
له غلاما فجا ابليس فقال له ارايت ان جا اخوة هذه الجارية وقد ولدت منك كيف تصنع
لا امن عليك ان تفتضح او يفضحوك فاعمد الى ابنها فاذبحه وادفنه فانها ستكتم عليك
مخافة اخوتها ان يطلعوا على ما صنعت بها ففعل فقال له اتراها تكتم اخوتها ما صنعت
بها وقتلت ابنها خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها فلم يزل به حتى ذبحها والقاها في الحفيرة
مع ابنها واطبق عليها صخرة عظيمة وسوا عليها التراب وصعد الى صومعته يتعبد
بذلك ما شا الله ان يمكث حتى قفل اخوتها من الغزو فجاوه فسالوه عنها فنعاها لهم
وترحم عليها وبكا لهم وقال كانت خير امة وهذا قبرها فانظروا اليه فاتا اخوتها القبر
فبكوا اختهم وترحموا عليها واقاموا على قبرها اياما ثم انصرفوا الى اهاليهم فلما جن عليهم
الليل واخذوا مضاجعهم اتاهم الشيطان في النوم في صورة رجل مسافر فبدا باكبرهم
فساله عن اختهم فاخبره بقول العابد وموتها وترحمه عليها وكيف اراهم موضع قبرها
فكذبه الشيطان وقال لم يصدقكم امر اختكم انه قد احبل اختكم فولدت منه غلاما فذبحه
وذبحها معه فزعا منكم والقاها في حفيرة احتفرها خلف الباب الذي كانت فيه عن
يمين من دخله فانطلقوا فادخلوا البيت الذي كانت فيه عن يمين من دخله فانكم ستجدونهما
هنالك جميعا كما اخبرتكم قال واتى الاوسط في منامه فقال له مثل ذلك ثم اتى اصغرهم
فقال له مثل ذلك فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لما راى كل واحد منهم فاقبل
بعضهم على بعض يقول كل واحد منهم لقد رايت عجبا فاخبر بعضهم بعضا بما راى
قال كبيرهم هذا حلم ليس بشي فامضوا بنا ودعوا هذا قال صغيرهم لا امضي
حتى اتي ذلك المكان فانظر فيه قال فانطلقوا جميعا حتى دخلوا البيت التي كانت
فيه اختهم ففتحوا الباب وبحثوا الموضع الذي وصف لهم في منامهم فوجدوا اختهم
وابنها مذبوحين في الحفيرة كما قيل لهم فسالوا عنها العابد فصدق قول ابليس فيما صنع
بهما فاستعدوا عليه ملكهم فانزل من صومعته فقدموه ليصلب فلما اوثقوه على الخشبة
اتاه الشيطان فقال له قد علمت اني صاحبك الذي فتنتك في المراة حتى احبلتها وذبحتها
وابنها فان انت اطعتني اليوم وكفرت بالله الذي خلقك خلصتك مما انت فيه قال فكفر
العابد بالله فلما كفر خلي عنه الشيطان بينه وبين اصحابه فصلبوه قال فنزلت هذه
الاية كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بري منك اني اخاف الله
رب العالمين قال ابن عباس فضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود وذلك ان الله
تعالى امر نبيه ان يجلي بني النضير من المدينة فدس اليهم المنافقون الا تخرجوا من
دياركم فان قاتلوكم كنا معكم وان اخرجوكم كنا معكم فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم

فخذلهم المنافقون وتبرؤا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيصا العابد فكان الرهبان بعد ذلك لا يمشون إلا بالتقية والكتمان وطمع أهل الفسوق والفجور في الأحبار فرموهم بالبهتان والقبيح حتى كان أمر جريج الراهب وبرأه الله فانبسطت بعده الرهبان وظهروا للناس وقيل المعنى مثل المنافقين في تخذيلهم لبني النضير كمثل إبليس إذ قال لكفار قريش لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم الآية وقال مجاهد المراد بالإنسان هاهنا جميع الناس في غرور الشيطان إياهم ومعنى قوله تعالى قال له اكفر أي أغواه حتى قال إني كافر فليس قول الشيطان إني أخاف الله رب العالمين إنما هو على وجه التبري للإنسان فهو تأكيد لقوله تعالى إني بريء منك وفتح الياء من إني بريء نافع وابن كثير وأبو عمرو وأسكن الباقون فكان عاقبتهما أي عاقبة الشيطان وذلك الإنسان أنهما في النار خالدين فيها نصب على الحال والتثنية ظاهر فمن جعل الآية مخصوصة في الراهب والشيطان ومن جعلها في الجنس فالمعنى كان عاقبة الفريقين أو الصنفين ونصب عاقبتهما على أنه خبر كان والاسم أنهما في النار وقرأ الحسن فكان عاقبتهما بالرفع على المصدر من ذلك وقرأ الأعمش خالدان فيها بالرفع على الصدر من ذلك وقرأ الأعمش خالدان فيها بالرفع وذلك خلاف المرسوم ورفعه على أنه خبر أن والظرف ملغى قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله أي في أوامره ونواهيه وأداء فرائضه واجتناب معاصيه ولتنظر نفس ما قدمت لغد يعني يوم القيامة والعرب تكني عن المستقبل بالغد وقيل الغد تنبيها على أن الساعة قريبة كما قال وإن غدا للناظرين قريب • الساعة جعلها كغد ولا شك أن كل آت قريب والموت لا محالة آت ومعنى ما قدمت يعني من خير أو شر واتقوا الله أعاده هنا تكريرا للحث أو لإرادة وقيل التقوى الأولى التوبة فيما مضى من الذنوب والثانية اتقاء المعاصي في المستقبل إن الله خبير بما تعملون قال سعيد بن جبير أي بما يكون منكم قوله تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله أي تركوا أمره فأنساهم أنفسهم أن يعملوا لها خيرا قاله ابن حبان وقيل نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم قاله سفيان وقيل نسوا الله بترك شكره وتعظيمه فأنساهم أنفسهم بالعذاب أن يذكر بعضهم بعضا حكاه ابن عيسى وقال ابن سهل نسوا الله عند الذنوب فأنساهم أنفسهم عند التوبة ونسب تعالى الفعل إلى نفسه في أنساهم إذ كان ذلك بسبب أمره ونهيه كقولك أحمدت الرجل إذا وجدته محمودا وقيل نسوا الله في الرخاء فأنساهم أنفسهم في الشدائد أولئك هم الفاسقون قال ابن جبير العاصون وقال ابن زيد الكاذبون وأصل الفسق الخروج أي الذين خرجوا عن طاعة الله قوله تعالى لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أي في الفضل والرتبة أصحاب الجنة هم الفائزون أي المقربون المكرمون وقيل الناجون من النار وقد مضى الكلام في معنى هذه الآية في المائدة عند قوله تعالى لا يستوي الخبيث والطيب وفي سورة السجدة أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون وفي سورة ص أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ولا معنى للإعادة فالحمد لله قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل حث على تأمل مواعظ القرآن وبين أنه لا عذر في ترك التدبر فإنه لو خوطب بهذا القرآن الجبال مع تركيب العقل لانقادت لمواعظه ولرأيتها على صلابتها ورزانتها خاشعة متصدعة أي متشققة من خشية الله والخاشع الذليل والمتصدع المتشقق وقيل خاشعا لله بما كلفه من طاعته متصدعا من خشية أن تعصيه فيعاقبه وقيل هو على وجه المثل للكفار لقوله تعالى وتلك الأمثال أي أنه لو أنزل هذا القرآن على جبل لخشع لوعده وتصدع لوعيده وأنتم أيها المقهورون بإعجازه لا ترغبون في وعده ولا ترهبون من وعيده وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي لو أنزلنا هذا القرآن يا محمد على جبل لما ثبت ولا تصدع من نزوله عليه وقد أنزلناه عليك وثبتناك له فيكون ذلك امتنانا عليه أي ثبتناه لما لم تثبت عليه الجبال وقيل إنه خطاب للأمة وأن الله تعالى لو أنذر بهذا القرآن

لتصدعت من خشية الله والإنسان أقل قوة وأكثر ثباتا فهو يقوم بحقه إن أطاع ويقدر على رده إن عصى لأنه موعود بالثواب ومزجور بالعقاب قوله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة قال ابن عباس عالم السر والعلانية وقيل ما كان وما يكون • وقال سهل عالم بالآخرة والدنيا وقيل الغيب ما لم يعلم العباد ولا عاينوه والشهادة ما علموه وشاهدوه هو الرحمن الرحيم تقدم قوله تعالى هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس أي المنزه من كل نقص والطاهر من كل عيب والقدس بالتحريك السطل بلغة أهل الحجاز لأنه يتطهر ومنه القادوس لواحد الأواني التي يستخرج بها الماء من البئر بالسانية وكان سيبويه يقول قدوس وسبوح بفتح أولهما وحكى أبو حاتم عن يعقوب أنه سمع عند الكسائي أعرابيا فصيحا يكنى أبا الدينار يقرأ القدوس بفتح القاف قال كل اسم على فعول فهو مفتوح الأول مثل سفود وكلوب وتنور وسمور وسبوط إلا السبوح والقدوس فإن الضم فيهما أكثر وقد يفتحان وكذا الذروح بالضم وقد تفتح السلام أي ذو السلامة من النقائص وقال ابن العربي اتفق العلماء رحمة الله عليهم على أن معنى قولنا في الله السلام النسبة تقديره ذو السلامة ثم اختلفوا في ترجمة النسبة على ثلاثة أقوال الأول معناه الذي سلم من كل عيب وبرئ من كل نقص الثاني معناه ذو السلام أي المسلم على عباده في الجنة كما قال سلام قولا من رب رحيم الثالث أن معناه الذي سلم الخلق من ظلمه قلت وهذا قول الخطابي وعليه والذي قبله يكون صفة فعل وعلى أنه البريء من العيوب والنقائص يكون صفة ذات وقيل السلام معناه المسلم لعباده المؤمن أي المصدق لرسله بإظهار معجزاته عليهم ومصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب ومصدق الكافرين ما وعدهم من العقاب وقيل المؤمن الذي يأمن أولياؤه من عذابه ويأمن عباده من ظلمه يقال آمنه من الأمان الذي هو ضد الخوف كما قال وآمنهم من خوف فهو مؤمن كما قال النابغة • والمؤمن العائذات الطير يمسحها • ركبان مكة بين الغيل والسعد • وقال مجاهد المؤمن الذي وحد نفسه بقوله شهد الله أنه لا إله إلا هو وقال ابن عباس إذا كان يوم القيامة أخرج أهل التوحيد من النار وأول من يخرج من وافق اسمه اسم نبي حتى إذا لم يبق فيها من يوافق فقال الله تعالى لباقيهم أنتم المسلمون وأنا السلام وأنتم المؤمنون وأنا المؤمن فيخرجهم من النار ببركة هذين الاسمين المهيمن العزيز تقدم الكلام في المهيمن في المائدة وفي العزيز في غير موضع الجبار قال ابن عباس هو العظيم وجبروت الله عظمته وهو على هذا القول صفة ذات من قولهم نخل جبار قال امرؤ القيس • سوابق جبار أثيث فروعه • وعالين قنوانا من البسر أحمرا • يعني النخل الذي فات اليد فكان هذا الاسم يدل على عظمة الله وتقديسه عن أن تناله النقائص وصفات الحدث وقيل هو من الجبر وهو الإصلاح يقال جبرت العظم فجبر إذا أصلحته بعد الكسر فهو فعال من جبر إذا أصلح الكسير وأغنى الفقير وقال الفراء هو من أجبره على الأمر قهره قال ولم أسمع فعالا إلا في جبار ودراك من أدرك وقيل الجبار الذي لا تطاق سطوته المتكبر الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله وقيل المتكبر عن كل سوء والمتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم وأصل الكبر والكبرياء الامتناع وقلة الانقياد قال حميد بن ثور •
عفت مثلما يمشي الفصيل فأصبحت • بها كبرياء الصعب وهي ذلول •
والكبر في صفات الله مدح وفي صفات المخلوقين ذم وفي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحدا منهما قصمته ثم قذفته في النار وقيل المتكبر لأنه أجل من أن يتكلف كبرا ويقال تعظم بمعنى عظم وتشتم بمعنى شتم واستقر بمعنى قر كذلك المتكبر بمعنى الكبير وليس كما يوصف به المخلوق إذا وصف بتفعل إذا نسب إليه ما لم يكن منه ثم نزه نفسه فقال سبحان الله أي تنزيها لجلالته وعظمته عما يشركون قوله تعالى هو الله الخالق البارئ المصور الخالق هنا المقدر والبارئ

المنشي المخترع والمصور مصور الصور ومركبها على هيئة مختلفة فالتقدير مرتب على الخلق
والبراية وتابع لها ومعنى التصوير التخطيط والتشكيك وخلق الله الانسان في ارحام
الامهات ثلث خلق جعله علقة ثم مضغة ثم جعله صورة وهو التشكيك الذي يكون
بها صورة وهيئة يعرف بها ويتميز عن غيره بسمتها فتبارك الله احسن الخالقين وقال
الشاعر ٭ الخالق البارئ المصور في الارحام ما ٭ حتى يصير دما ٭
وقد جعل بعض الناس الخلق بمعنى التصوير وليس كذلك وانما التصوير اخرا والتقدير
اولا والبراة بينهما ومنه قوله الحق واذ تخلق من الطين كهيئة الطير وقال زهير
٭ ولانت تخلق ما تشا وبعض القوم يخلق ثم لا يفري ٭
تقول تقدر ما تقدر ثم تفريه اي تمضيه على وفق تقديرك وغيرك يقدر ما لا يتم
له ولا يقع فيه مراده اما المقصورة في تصور تقديره او لعجزه عن تمام مراده وقد اتينا
على جميع هذا الكلام في الكتاب الاسنى في شرح اسما الله الحسنى والحمد لله وعن
حاطب بن ابي بلتعة انه قرا البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراي الذي يبرا المصور
اي يميزها بصوره بتفاوت الهيات ذكره الزمخشري له الاسما الحسنى يسبح له ما في السموات
والارض وهو العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وعن ابي هريرة قال سالت خليلي ابا
القاسم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال يا ابا هريرة عليك
باخر سورة الحشر فاكثر قراتها فاعدت عليه فاعاد علي فاعدت عليه فاعاد علي وقال
جابر بن زيد اسم الله الاعظم هو الله لمكان هذه الاية وعن انس ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال من قرا سورة الحشر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وعن ابي
امامة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من قرا خواتيم الحشر في ليل او
نهار فقبضه الله في تلك الليلة او ذلك اليوم فقد اوجب الله له الجنة والله اعلم

٭ سورة الممتحنة مدنية ٭

في قول الجميع وهي ثلاث عشرة اية الممتحنة بكسر الحا اي المختبرة اضيف الفعل اليها مجازا
كما سميت سورة براة المبعثرة والفاضحة لما كشفت من عيوب المنافقين ومن قال
في هذه السورة الممتحنة بفتح الحا فانه اضافها الى المراة التي نزلت فيها وهي ام كلثوم
بنت عقبة بن ابي معيط قال الله تعالى فامتحنوهن الله اعلم بايمانهن
الاية وهي امراة عبد الرحمن بن عوف ولدت له ابراهيم بن عبد الرحمن

٭ بسم الله الرحمن الرحيم ٭

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا عدي اتخذ الى
مفعول وهما عدوا واوليا والعدو فعول من عدا كالعفو من عفا ولكونه على زي المصدر
اوقع على الجماعة ايقاعه على الواحد وفي هذه الاية سبع مسايل الاولى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم روى الايمة واللفظ لمسلم
عن علي رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والزبير
والمقداد فقال ايتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا
تعادى بنا خيلنا فاذا نحن بالمراة فقلنا اخرجي الكتاب فقالت ما معي كتاب فقلنا
لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فاخرجته من عقاصها فاتينا به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا فيه من حاطب بن ابي بلتعة الى ناس من المشركين من اهل
مكة يخبرهم ببعض امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا حاطب ما هذا قال لا تعجل علي يا رسول الله صلى الله عليه وسلم اني كنت امرا
ملصقا في قريش قال سفيان كان حليفا لهم ولم يكن من انفسها وكان ممن معك من
المهاجرين لهم قرابات يحمون بها اهليهم فاحببت اذ فاتني ذلك من النسب فيهم
ان اتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتي ولم افعله كفرا ولا ارتدادا عن ديني ولا رضى

بالكفر

بالكفر بعد الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدق فقال عمر دعني اضرب عنق
هذا المنافق فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على اهل بدر فقال اعملوا
ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
اوليا قيل اسم المراة سارة من موالي قريش وكان في الكتاب اما بعد فان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل واقسم بالله لو لم يسر اليكم
الا وحده لاظفره الله بكم ولانجز له موعده فيكم فان الله وليه وناصره ذكره بعض المفسرين
وذكر القشيري والثعلبي ان حاطب بن ابي بلتعة كان رجلا من اهل اليمن وكان له حلف
بمكة في بني اسد بن عبد العزى رهط الزبير بن العوام وقيل كان حليفا للزبير فقدمت
من مكة سارة مولاة ابي عمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف الى المدينة ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يتجهز لفتح مكة وقيل كان هذا زمن الحديبية فقال لها رسول الله صلى
الله عليه وسلم امهاجرة جيت يا سارة فقالت لا قال امسلمة جيت قالت لا قال فما جابك
قالت كنتم الاهل والموالي والاصل والعشيرة وقد ذهبت الموالي يعني قتلوا يوم بدر حتى
احتجت حاجة شديدة فقدمت عليكم لتعطوني وتكسوني فقال عليه السلام فاين انت
من شباب اهل مكة وكانت مغنية قالت ما طلب مني شي بعد وقعة بدر فحث رسول الله
صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وبني المطلب على اعطايها فكسوها وحملوها
واعطوها فخرجت الى مكة واتاها حاطب وقال اعطيك عشرة دنانير وبردا على ان تبلغي
هذا الكتاب الى اهل مكة وكتب في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا
حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فبعث عليا
والزبير وابا مرثد الغنوي وفي رواية علي والزبير والمقداد وابا مرثد وفي رواية ارسل
عليا وعمار بن ياسر وفي رواية عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وابا مرثد
وكانوا كلهم فرسانا وقال لهم انطلقوا حتى تاتوا روضة خاخ فان بها ظعينة ومعها كتاب
من حاطب الى المشركين فخذوه منها وخلوا سبيلها فان لم تدفعه اليكم فاضربوا عنقها فادركوها
في ذلك المكان فقالوا اين الكتاب فحلفت ما معها كتاب ففتشوا امتعتها فلم يجدوا معها
كتابا فهموا بالرجوع فقال علي والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسل سيفه وقال اخرجي الكتاب والا والله لاجردنك ولاضربن عنقك فلما رات
الجد اخرجته من ذوابتها وفي رواية من حجزتها فخلوا سبيلها ورجعوا بالكتاب الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فارسل الى حاطب فقال هل تعرف الكتاب قال نعم وذكر الحديث
بنحو ما تقدم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم امن جميع الناس يوم الفتح الا اربعة هي
احدهم الثانية السورة اصل في النهي عن موالاة الكفار وقد مضى ذلك في غير موضع
من قوله تعالى لا يتخذ المومنون الكافرين اوليا يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
من دونكم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اوليا ومثله كثير وذكر ان
حاطبا لما سمع يا ايها الذين امنوا غشي عليه من الفرح بخطاب الايمان الثالثة قوله
تعالى تلقون اليهم بالمودة يعني بالظاهر لان قلب حاطب كان سليما بدليل ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال لهم اما صاحبكم فقد صدق وهذا نص في سلامة فواده وخلوص
اعتقاده والبا في بالمودة زايدة كما تقول قرات السورة وقرات بالسورة ورميت اليه ما في
نفسي وبما في نفسي ويجوز ان تكون ثابتة على ان مفعول تلقون محذوف معناه
تلقون اليهم اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب المودة التي بينكم وبينهم وكذلك
تسرون اليهم بالمودة اي بسبب المودة وقال الفرا تلقون اليهم بالمودة من صلة اوليا
ودخول البا في المودة وخروجها سوا ويجوز ان تتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره
وباوليا صفة له ويجوز ان يكون استينافا ومعنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم
بسراير المسلمين وتنصحون لهم وقاله الزجاج الرابعة من كثر تطلعه على عورات المسلمين
وينبه عليهم ويعرف عدوهم باخبارهم لم يكن بذلك كافرا اذا كان فعله لغرض
دنياوي واعتقاده على ذلك سليم كما فعل حاطب حين قصد بذلك اتخاذ اليد ولم

بنوا الرده عن الايمان الخامسة اذا قلنا لا يكون بذلك كافرا فهل يقتل بذلك حدا ام لا
اختلف الناس فيه فقال مالك وابن القاسم واشهب يجتهد في ذلك الامام وقال عبد
الملك اذا كانت عادته ذلك قتل لانه جاسوس وقد قال مالك يقتل الجاسوس وهو
صحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الارض ولعل ابن الماجشون انما اخذ التكرار
في هذا لان حاطبا اخذ في اول فعله والله اعلم السادسة فان كان الجاسوس كافرا فقال
الاوزاعي يكون نقضا لعهده وقال اصبغ الجاسوس الحربي يقتل والجاسوس المسلم
والذمي يعاقبان الا ان تظاهرا على الاسلام فيقتلان وقد روي عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي برجل عين للمشركين اسمه فرات بن
حيان فامر به ان يقتل فصاح يا معشر الانصار اقتل وانا اشهد ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله فامر به النبي صلى الله عليه وسلم فخلى سبيله ثم قال ان منكم من اكله
الى ايمانه منهم فرات بن حيان وقوله وقد كفروا حال اما من لا تتخذوا واما من لا تلقون
اي تتولونهم او تتوادونهم وهذه حالهم وقرا الجحدري لما جاكم اي كفروا لاجل ما جاكم من الحق
السابعة قوله تعالى يخرجون الرسول استيناف كلام كالتفسير لكفرهم وعتوهم او حال
من كفروا واياكم ان تومنوا بالله ربكم تعليل ليخرجون المعنى يخرجون الرسول ويخرجونكم
من مكة لان تومنوا بالله اي لاجل ايمانكم بالله ربكم تعليل ليخرجوه قال ابن عباس وكان
حاطب ممن اخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم وقيل في الكلام تقديم وتاخير والتقدير
لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي فلا
تلقوا اليهم بالموده وقيل ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغا مرضاتي شرط وجوابه
مقدم المعنى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي فلا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا ونصب
جهادا وابتغا لانه مفعول له وقوله تسرون اليهم بالمودة بدل من تلقون ومبين عنه
والافعال تبدل من الافعال كما قال تعالى ومن يفعل ذلك يلق اثاما يضاعف له العذاب
وانشد سيبويه ◦ متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا ◦ تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ◦
وقيل هو على تقدير انتم تسرون اليهم بالموده فيكون استينافا وهذا كله معاتبة لحاطب
وهو يدل على فضله وكرامته ونصيحته لرسوله وصدق ايمانه فان المعاتبة لا تكون
الا من محب لحبيب كما قال ◦ اعاتب ذا المودة من صديق ◦ اذا ما رابني منه اجتناب ◦
◦ اذا ذهب العتاب فليس ود ◦ ويبقى الود ما بقي العتاب ◦
ومعنى بالمودة اي بالنصيحة في الكتاب اليهم والبا زايدة كما ذكرنا او ثابتة غير زايده
قوله تعالى وانا اعلم بما اخفيتم اي بما اسررتم وما اعلنتم اظهرتم والبا في بما زايده يقال
علمت كذا وعلمت بكذا وقيل وانا اعلم من كل احد بما تخفون وما تعلنون فحذف من
كل احد كما يقال فلان اعلم وافضل من غيره وقال ابن عباس وانا اعلم بما اخفيتم في
صدوركم وما اظهرتم بالسنتكم من الاقرار والتوحيد ومن يفعله منكم اي من يسر اليهم
ويكاتبهم منكم فقد ضل سوا السبيل اي اخطا قصد الطريق قوله تعالى ان يثقفوكم
يلقوكم ويصادفوكم ومنه المثاقفة اي طلب مصادفة العزة والمسابقة وبينهما وقيل
يثقفوكم يظفروا بكم ويتمكنوا منكم يكونوا لكم اعدا ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسو
اي بالضرب والقتل والسنتهم بالشتم وودوا لو تكفرون بمحمد فلا تناصحوهم فانهم لا يناصحونكم
قوله تعالى لن تنفعكم ارحامكم لما اعتذر حاطب بان له ارحاما واولادا فيما بينهم بين
الرب جل وعز ان الاهل والاولاد لا ينفعون شيا يوم القيامة ان عصي من اجل ذلك
يفصل بينكم فيدخل المومن الجنة ويدخل الكافر النار وفي تفصيل قراات سبع قرا
عاصم يفصل بفتح اليا وكسر الصاد مخففا وقرا حمزه والكساي يفصل بضم اليا وفتح
الفا وكسر الصاد مشددا وقرا المصى وبن عامر يفصل كذلك مشددا الا انه على ما لم
يسم فاعله وقرا علقمه والنخعي بالنون وكسر الصاد مشدده وروي عن علقمه كذلك
بالنون مخففه وقرا قتاده وابو حيوه يفصل بضم اليا وكسر الصاد مخففا من افصل
وقرا الباقون يفصل بيا مضمومه وتخفيف الفا وفتح الصاد على الفعل المجهول واختاره

ابو

ابو عبيد لمن خفف فلقوله خير الفاصلين وقوله تعالى يوم الفصل ومن شدد
فلان ذلك ابين في الفعل الكثير المكرر المتردد ومن على ما لم يسم فاعله فلان الفاعل
معروف ومن اتى به مسمى الفاعل رد الضمير الى الله تعالى ومن قرا بالنون فعلى التعظيم
والله بما تعملون بصير قوله تعالى قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم لما نهى عن موالاة
الكفار ذكر قصة ابراهيم وان من سيرته التبري من الكفار اي فاقتدوا به واتموا الا في
استغفاره لابيه والاسوه والاسوه ما يتاسى به مثل القدوه والقدوه ويقال هو
اسوتك اي مثلك وانت مثله وقرا عاصم اسوة بضم الهمزة لغتان والذين معه يعني اصحاب
ابراهيم من المومنين وقال ابن زيد هم الانبيا اذ قالوا لقومهم الكفار انا برآ منكم ومما
تعبدون من دون الله اي الاصنام وبرا جمع بري مثل شريك وشركا وظريف وظرفا وقراه
العامة على وزن فعلا وقرا عيسى بن عمرو وابن ابي اسحاق برا بكسر البا على وزن فعال مثل
قصير وقصار وطويل وطوال وظريف وظراف ويجوز ترك الهمزة حين تقول برا وتنون
وقري برا على الوصف بالمصدر وقري برا على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب والايه
نص في الامر بالاقتدا بابراهيم عليه السلام في فعله وذلك يصحح ان شرع من قبلنا شرع
لنا فيما اخبر الله ورسوله كفرنا بكم اي بما امنتم به من الاوثان وقيل اي بافعالكم وكذبنا
وانكرنا ان تكونوا على حق وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضا ابدا اي هذا دابنا معكم
ما دمتم على كفركم حتى تومنوا بالله وحده فحينيذ تنقلب المعاداة موالاة الا قول ابراهيم
لابيه لاستغفرن لك ولا تتاسوا به في الاستغفار فتستغفرون للمشركين فانه كان عن
موعدة منه له قاله قتاده ومجاهد وغيرهما وقيل معنى الاستثنا ان ابراهيم هجر قومه
وباعدهم الا في الاستغفار لابيه ثم بين عذره في سورة التوبه وفي هذا دلالة على
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم على سائر الانبيا لانا حين امرنا به امرنا امرا مطلقا
في قوله وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وحين امرنا بالاقتدا بابراهيم
استثنا بعض افعاله وقيل هو استثنا منقطع اي لكن قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك
انما جرى لانه ظن انه اسلم فلما بان انه لم يسلم تبرا منه وعلى هذا فيجوز الاستغفار لمن
يظن انه اسلم وانتم لم تجدوا مثل هذا الظن فلم توالوهم وما املك لكم من الله من شي
هذا من قول ابراهيم لابيه اي ما ادفع عنك من عذاب الله من شيا ان اشركت به ربنا
عليك توكلنا هذا من دعا ابراهيم واصحابه وقيل علم المومنين ان يقولوا هذا اي تبروا
من الكفار وتوكلوا على الله وقولوا ربنا عليك توكلنا اي اعتمدنا واليك انبنا اي رجعنا
واليك المصير لك الرجوع في الاخرة ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا اي لا تظهر عدونا
علينا فيظنوا انهم على حق فيفتتنوا بذلك وقيل لا تسلطهم علينا فيفتنونا ويعذبونا
واغفر لنا ربنا انك انت العزيز الحكيم قوله تعالى لقد كان لكم فيهم اي في ابراهيم ومن
معه من الانبيا والاوليا اسوة حسنة اي في التبري من الكفار وقيل كرر للتاكيد
وقيل نزل الثاني بعد الاول بمده وما اكثر المكررات في القران على هذا الوجه ومن
يتول اي عن الاسلام ويقبل دينه فان الله هو الغني اي لم يتعبدهم لحاجته اليهم
الحميد في نفسه وصفاته ولما نزلت عادى المسلمون اقرباهم من المشركين فعلم الله شدة
وجد المومنين في ذلك فنزلت عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم موده
وهذا بان يسلم الكافر وقد اسلم قوم منهم بعد فتح مكة كابي سفيان بن حرب والحرث
ابن هشام وسهيل بن عمرو وحكيم بن حزام وقيل الموده تزويج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ام حبيبه بنت ابي سفيان فلانت عند ذلك عريكة ابي سفيان واسترخت
شكيمته في العداوة قال ابن عباس كانت المودة بعد الفتح تزويج النبي صلى الله عليه
وسلم ام حبيبه بنت ابي سفيان وكانت تحت عبد الله بن جحش وكانت هي وزوجها
من مهاجرة الحبشه فاما زوجها فتنصر وسالها ان تتابعه على دينه فابت وصبرت على
دينها ومات زوجها على النصرانيه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم الى النجاشي فخطبها
فقال النجاشي لاصحابه من اولاكم بها قال خالد بن سعيد بن العاص قال فزوجها من

بنيكم فنعل وامهرها النجاشي من عنده اربعمائة دينار وقيل خطبها النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان بن عفان فلما زوجه اياها بعث الى النجاشي فيها فساق عنه المهر وبعث بها اليه فقال ابو سفين وهو مشرك لما بلغه تزويج النبي صلى الله عليه وسلم ابنته ذلك الفحل لا يقدع انفه قوله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين فيه ثلاث مسايل الاولى هذه الاية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المومنين ولم يقاتلوهم قال ابن زيد كان هذا في اول الاسلام عند المواداعة وترك الامر بالقتال ثم نسخ قال قتاده نسخها فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وقيل كان هذا الحكم لعلة وهو الصلح فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي الرسم يتلى وقيل هي مخصوصة في حلفا النبي صلى الله عليه وسلم ومن بينه وبينه عهد لم ينقض قاله الحسن الكلبي هم خزاعه وبنو الحرث بن عبد مناف وقاله ابو صالح وقال هم خزاعه وقال مجاهد هي مخصوصة في الذين امنوا ولم يهاجروا وقيل يعني به النسا والصبيان لانهم ممن لا يقاتل فاذن الله في برهم حكاه بعض المفسرين وقال اكثر اهل التاويل هي محكمة واحتجوا بان اسما بنت ابي بكر سالت النبي صلى الله عليه وسلم هل تصل امها حين قدمت عليها مشركة فقال نعم خرجه البخاري ومسلم وقيل ان الاية فيها نزلت روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن ابيه ان ابا بكر الصديق طلق امراته قتيله في الجاهلية وهي ام اسما بنت ابي بكر فقدمت عليهم في المدة التي كانت فيها المهادنه بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كفار قريش فاهدت الى اسما بنت ابي بكر قرطا واشيا فكرهت ان تقبل منها حتى اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فانزل الله تعالى لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ذكر هذا الخبر الماوردي وغيره وخرجه ابو داود الطيالسي في مسنده الثانية قوله تعالى ان تبروهم ان في موضع جر على البدل من الذين اي لا ينهاكم الله عن الذين تبروا الذين لم يقاتلوكم وهم خزاعة صالحوا النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه احدا فامر ببرهم والوفا لهم الى اجلهم حكاه الفرا وتقسطوا اليهم اي تعطوهم قسطا من اموالكم على وجه الصلة وليس يريد به من العدل فان العدل واجب فيمن قاتل وفيمن لم يقاتل قاله ابن العربي الثالثة قال القاضي ابو بكر في كتاب الاحكام له استدل به بعض من تعقد عليه الخناصر على وجوب نفقة الابن المسلم على ابيه الكافر وهذه وهلة عظيمة لان الاذن في الشي او ترك النهي عنه لا يدل على وجوبه وانما يعطيك الاباحة خاصة وقد بينا ان اسماعيل بن اسحاق القاضي دخل عليه ذمي فاكرمه فاخذ عليه الحاضرون في ذلك فتلا هذه الاية عليهم قوله تعالى انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين اي جاهدوكم على الدين واخرجوكم من دياركم وهم عتاة اهل مكة وظاهروا اي عاونوا على اخراجكم وهم مشركوا مكة ان تولوهم ان في موضع جر على البدل على ما تقدم في ان تبروهم ومن يتولهم اي يتخذهم اوليا وانصارا واحبابا فاولئك هم الظالمون قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات مهاجرات فامتحنوهن فيه ست عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المومنات لما امر المسلمين بترك موالاة المشركين اقتضى ذلك مهاجرة المسلمين عن بلاد الشرك الى بلاد الاسلام وكان التناكح من اوكد اسباب الموالاة فبين احكام مهاجرة النسا قال ابن عباس جرى الصلح مع مشركي قريش عام الحديبية على من اتاه من اهل مكة رده اليهم فجاءت سبيعه بنت الحارث الاسلمية بعد الفراغ من الكتاب والنبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية بعد فاقبل زوجها وكان كافرا وهو صيفي ابن الراهب وقيل مسافر المخزومي فقال يا محمد اردد علي امراتي فانك شرطت ذلك وهذه طينة الكتاب لم تجف بعد فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل جاءت ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط فجا اهلها يسالون رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يردها وقيل هربت من زوجها عمرو بن العاصي ومعها اخواها عمارة والوليد فرد رسول الله صلى

الله عليه وسلم اخويها وحبسها فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ردها علينا للشرط فقال عليه السلام كان الشرط في الرجال لا في النسا فانزل الله تعالى هذه الاية وعن عروة قال كان مما اشترط سهيل بن عمرو على النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية الا ياتيك منا احد وان كان على دينك الا رددته الينا حتى انزل الله في المومنات ما انزل يومي الى ان الشرط في رد النسا نسخ وذلك ان التي جاءت اميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ ففرت منه وهو يوميذ كافر فتزوجها سهل بن حنيف فولدت له عبد الله قاله زيد بن حبيب كذا في الماوردي اميمه بنت بشر كانت عند ثابت بن الشمراخ وقال المهدوي وروى ابن وهب عن خالد ان هذه الاية نزلت في اميمه بنت بشر ابن عمرو بن عوف وهي امراة حسان بن الدحداح وتزوجها بعد هجرتها سهل بن حنيف وقال مقاتل انها سعيده زوجة صيفي بن الراهب مشرك من اهل مكة والاكثر من اهل العلم انها ام كلثوم بنت عقبة الثانيه واختلف اهل العلم هل دخل النسا في عهد المهادنه لفظا او عموما فقالت طايفة منهم قد كان شرط ردهن في عقد الهدنه لفظا صريحا فنسخ الله ردهن من العقد ومنع منه وبقاه في الرجال على ما كان وهذا يدل على ان للنبي صلى الله عليه وسلم ان يجتهد رايه في الاحكام ولكن لا يقره الله على خطا وقالت طايفة من اهل العلم لم يشترط ردهن في العقد لفظا في العقد وانما اطلق العقد في رد من اسلم فكان ظاهر العموم اشتماله عليهن مع الرجال فبين الله تعالى خروجهن عن عمومه وفرق بينهن وبين الرجال لامرين احدهما انهن ذوات [illegible] يحرمن عليهم الثاني انهن ارق قلوبا واسرع تقلبا منهم فاما المقيمة منهن على شركها فمردودة عليهم الثالثة قوله تعالى فامتحنوهن قيل انه كان من ارادت منهن اضرار زوجها فقالت ساهاجر الى محمد صلى الله عليه وسلم بامتحانهن واختلف فيما كان يمتحنهن به على ثلاثة اقوال الاول قال ابن عباس كانت المحنة ان تستحلف بالله انها ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة من ارض الى ارض ولا التماس دنيا ولا عشقا لرجل منا بل حبا لله ولرسوله فاذا حلفت بالله الذي لا اله الا هو على ذلك اعطى النبي صلى الله عليه وسلم زوجها مهرها وما انفق عليها ولم يردها وذلك قوله تعالى فان علمتموهن مومنات فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن الثاني ان المحنة كانت ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله قاله ابن عباس ايضا الثالث بما بينه في السورة بعد من قوله تعالى قالت عايشة رضي الله عنها ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحن الا بالاية التي قال الله تعالى اذا جاءك المومنات يبايعنك رواه معمر عن الزهري عن عايشه خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح الرابعة اكثر العلما على ان هذا ناسخ لما كان عليه السلام عاهد عليه قريشا من انه يرد اليهم من جاءه منهم مسلما فنسخ من ذلك النسا وهذا مذهب من يرى نسخ السنة بالقران وقال بعض العلما كله منسوخ في الرجال والنسا ولا يجوز ان يهادن الامام العدو على ان يرد اليهم من جاءه مسلما لان اقامة المسلم بارض الشرك لا يجوز وهذا مذهب الكوفيين وعقد الصلح على ذلك جايز عند مالك وقد احتج الكوفيون لما ذهبوا اليه من ذلك بحديث اسماعيل بن ابي خالد عن قيس بن ابي حازم عن خالد بن الوليد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه الى قوم من خثعم فاعتصموا بالسجود فقتلهم فوداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الدية وقال انا بري من كل مسلم اقام مع مشرك في دار الحرب لا تتراى ناراهما قالوا فهذا ناسخ لرد المسلمين الى المشركين اذ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بري ممن اقام معهم في دار الحرب ومذهب مالك والشافعي ان هذا الحكم غير منسوخ قال الشافعي وليس لاحد هذا العقد الا الخليفة او رجل بامره لانه يلي الاموال كلها فمن عقد غير الخليفة هذا العقد فهو مردود الخامسة قوله تعالى الله اعلم بايمانهن لانه متولي السراير فان علمتموهن مومنات بعد الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لا هن حل

لهم ولا هم يحلون لهن اي لم يجعل الله مومنة لكافر ولا نكاح مومن لمشركه وهذا ادل دليل
على ان الذي اوجب فرقة المسلمة من زوجها اسلامها لا هجرتها وقال ابو حنيفة الذي فرق
بينهما هو اختلاف الدارين واليه اشارة في مذهب مالك بل عبارة والصحيح الاول لان الله
تعالى قال لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن فبين ان العلة عدم الحل بالاسلام وليس
باختلاف الدار والله اعلم وقال ابو عمر ولا فرق بين الدارين في الكتاب ولا في السنة ولا
في القياس وانما المراعاة في ذلك الدينان فباختلافهما يقع الحكم وباجتماعهما لا بالدار
والله اعلم السادسة قال الله تعالى واتوهم ما انفقوا امر الله تعالى اذا امسكت المراة
المسلمة ان يرد على زوجها ما انفق وذلك من الوفاء بالعهد لانه لما منع من اهله بحرمة
الاسلام امر برد المال اليه حتى لا يقع عليهم خسران من الوجهين والمال السابعة ولا غرم
الا اذا طالب الزوج بالكافر فاذا احضر وطالب منعناها وغرمنا فان كانت ماتت قبل
حضور الزوج لم نغرم المهر اذ لم يتحقق المنع وان كان المسمى خمرا او خنزيرا لم نغرم شيا لانه
لا قيمة له وللشافعي في هذه الاية قولان احدهما ان هذا منسوخ قال الشافعي واذا
جاتنا المراة الحرة من اهل الذمة مسلمة مهاجرة من الحرب الى الامام في دار الاسلام او دار
الحرب فمن طلبها من ولي سوى زوجها منع منها بلا عوض واذا طلبها زوجها لنفسه او
غيره بوكالة ففيه قولان احدهما يعطى العوض والقول ما قال الله عز وجل وفيه قول
اخر انه لا يعطى الزوج المشرك الذي جاءت زوجته مسلمة العوض فان شرط الامام رد النسا
كان الشرط منتقضا ومن قال هذا قال ان شرط رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل الحديبية اذ دخل فيه ان يرد من جاءه منهم وكان النسا منهم كان شرطا صحيحا فنسخه الله ثم رسوله لاهل الحديبية ورد عليهم فيما نسخ منه العوض ولما قضى الله ثم رسوله صلى الله عليه وسلم ان لا يرد النسا كان شرطه من شرط رد
النسا منسوخا وليس عليه عوض لان الشرط المنسوخ باطل ولا عوض للباطل الثامنة
امر الله سبحانه برد مثل ما انفقوا الى الازواج وان المخاطب بهذا الامام ينفذ مما
بين يديه من بيت المال الذي لا يتعين له مصرف وقال مقاتل يرد المهر الذي
يتزوجها من المسلمين فان لم يتزوجها من المسلمين احد فليس لزوجها الكافر شي
وقال قتاده الحكم في رد الصداق انما هو في نسا اهل العهد فاما من لا عهد بينه وبين
المسلمين فلا يرد عليهم الصداق والامر كما قال رحمه الله التاسعة قوله تعالى ولا
جناح عليكم ان تنكحوهن يعني اذا اسلمن وانقضت عدتهن لما ثبت من تحريم نكاح
المشركة والمعتدة فان اسلمت قبل الدخول ثبت النكاح في الحال ولها التزوج العاشرة
قوله تعالى اذا اتيتموهن اجورهن اباح نكاحها بشرط المهر لان الاسلام فرق بينها
وبين زوجها الكافر الحادية عشر قوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر قراه العامة
بالتخفيف من الامساك وهو اختيار ابي عبيد لقوله تعالى فامسكوهن بمعروف
وقرا الحسن وابو العالية وابو عمرو ولا تمسكوا مشددة من التمسك يقال مسك
يمسك تمسكا بمعنى امسك يمسك وقرى ولا تمسكوا بنصب التا اي لا تتمسكوا والعصم
جمع العصمة وهو ما اعتصم به والمراد بالعصمة هاهنا النكاح يقول من كانت له
امراة كافرة بمكة فلا يعتد بها فليست له امراة فقد انقطعت عصمتها لاختلاف الدارين
وعن النخعي هي المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وكان الكفار يتزوجون المسلمات
والمسلمون يتزوجون المشركات ثم نسخ ذلك في هذه الاية فطلق عمر بن الخطاب
حينئذ امراتين له بمكة مشركتين قريبة بنت ابي امية فتزوجها معاوية بن ابي
سفيان وهما على شركهما بمكة وام كلثوم بنت عمرو الخزاعية ام عبد الله بن المغيرة
فتزوجها ابو جهم بن حذافة وهما على شركهما فلما ولي عمر قال ابو سفيان لمعاوية
طلق قريبة لئلا يرى عمر سلبه في بيتك فابى معاوية من ذلك وكانت عند طلحة
بن عبيد الله اروى بنت ربيعة بن الحرث بن المطلب ففرق الاسلام بينهما ثم
تزوجها في الاسلام خالد بن سعيد بن العاص وكانت ممن فر الى النبي صلى الله
عليه وسلم من نسا الكفار فحبسها وزوجها خالد وزوج عليه السلام ابنته زينب
وكانت كافرة من ابي العاص ثم اسلمت واسلم زوجها بعدها ذكر عبد الرزاق عن
ابن جريج عن رجل عن ابن شهاب قال اسلمت زينب ابنة النبي صلى الله عليه وسلم

وهاجرت بعد النبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة الاولى وزوجها ابو العاص بن الربيع بن عبد
العزى بمكة مشرك الحديث وفيه انه اسلم بعدها وكذلك قال الشعبي وكانت زينب بنت رسول
الله صلى الله عليه وسلم امراة ابي العاص بن الربيع فاسلمت ثم لحقت بالنبي صلى الله عليه وسلم
ثم اتى زوجها المدينة فامنته فاسلم فردها عليه النبي صلى الله عليه وسلم قال ابو داود عن
عكرمة عن ابن عباس بالنكاح الاول ولم يحدث شيا قال محمد بن عمر في حديثه بعد ست
سنين قال الحسن بن علي بعد سنتين قال ابو عمر فان صح هذا فلا يخلوا من وجهين
اما انها لم تحض حتى اسلم زوجها واما ان الامر فيها منسوخ بقول الله عز وجل وبعولتهن
احق بردهن في ذلك يعني في عدتهن وهذا ما لا خلاف فيه بين العلما انه عنى به
العده وقال ابن شهاب الزهري رحمه الله في قصة زينب هذه كان قبل ان تنزل
الفرايض وقال قتاده كان هذا قبل ان تنزل سورة براه بقطع العهود بينهم وبين
المشركين والله اعلم الثانية عشر قوله تعالى بعصم الكوافر المراد بالكوافر هنا عبدة
الاوثان ومن لا يجوز ابتدا نكاحها فهي خاصة في الكوافر من غير اهل الكتاب وقيل
هي عامة نسخ منها نسا اهل الكتاب ولو كان الى ظاهر الايه لم تحل كافرة بوجه على القول
الاول فاذا اسلم وثني او مجوسي لم تسلم امراته فرق بينهما وهذا قول بعض اهل العلم ومنهم
من قال ينتظر بها تمام العده فمن قال يفرق بينهما في الوقت ولا ينتظر تمام العدة اذا عرض
عليها الاسلام ولم تسلم مالك بن انس وهو قول الحسن وطاوس ومجاهد وعطاء وعكرمة
وقتاده والحكم واحتجوا بقوله تعالى ولا تمسكوا بعصم الكوافر وقال الزهري ينتظر
بها العده وهو قول الشافعي واحمد واحتجوا بان ابا سفيان بن حرب اسلم قبل هند
بنت عتبة امراته وكان اسلامه بمر الظهران ثم رجع الى مكة وهند بها كافرة مقيمة على
كفرها فاخذت بلحيته وقالت اقتلوا الشيخ الضال ثم اسلمت بعده بايام فاستقرا
على نكاحهما لان عدتها لم تكن انقضت قالوا ومثله حكيم بن حزام اسلم قبل امراته
ثم اسلمت بعده فكانا على نكاحهما قال الشافعي ولا حجة لمن احتج بقوله تعالى ولا تمسكوا
بعصم الكوافر لان نسا المومنين محرمات على الكفار كما ان المسلمين لا تحل لهم الكوافر
والوثنيات ولا المجوسيات بقول الله عز وجل لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ثم بينت
السنة ان مراد الله من قوله هذا انه لا يحل بعضهم لبعض الا ان تسلم الباقية منهما في العده
واما الكوفيون سفيان وابو حنيفة واصحابه فانهم قالوا في الكافرين الذميين اذا
اسلمت المراة عرض على الزوج الاسلام فان اسلم والا فرق بينهما قالوا ولو كانا حربيين
فهي امراته حتى تحيض ثلاث حيض اذا كانا جميعا في دار الحرب او في دار الاسلام وان
كان احدهما في دار الحرب والاخر في دار الاسلام انقطعت العصمة بينهما فراعوا الدار
وليس بشي وقد تقدم الثالثة عشر هذا الاختلاف انما هو في المدخول بها وان كانت
غير مدخول بها فلا نعلم اختلافا في انقطاع العصمة بينهما اذ لا عدة عليها وكذا يقول
مالك في المراة ترتد وزوجها مسلم انقطعت العصمة بينهما وحجته ولا تمسكوا بعصم الكوافر
وهو قول الحسن البصري والحسن بن صالح بن حي ومذهب الشافعي واحمد انه ينتظر
بها تمام العده الرابعة عشر فان كان الزوجان نصرانيين فاسلمت الزوجة ففيه ايضا
اختلاف ومذهب مالك والشافعي واحمد الوقوف الى تمام العده وهو قول مجاهد
وكذا الوثني تسلم زوجته انه ان اسلم في عدتها فهو احق بها كما كان صفوان بن امية
وعكرمة بن ابي جهل احق بزوجتيهما لما اسلما في عدتيهما على حديث ابن شهاب ذكره
مالك في الموطا قال ابن شهاب كان بين اسلام صفوان وبين اسلام امراته نحو من
شهر قال ابن شهاب ولم يبلغنا ان امراة هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وزوجها كافر مقيم بدار الحرب الا فرقت هجرتها بينها وبين زوجها الى ان يقدم زوجها
مهاجرا قبل ان تنقضي عدتها ومن العلما من قال ينفسخ النكاح بينهما قال يزيد بن
علقمة اسلم جدي ولم تسلم جدتي ففرق بينهما عمر رضي الله عنه وهو قول طاوس
وجماعة غيرهم منهم عطا والحسن وعكرمة قالوا لا سبيل عليها الا بخطبة الخامسة عشر

قوله تعالى واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا قال المفسرون كان من ذهب
من المسلمات مرتدات الى الكفار من اهل العهد يقال للكفار هاتوا مهرها ويقال
للمسلمين اذا جاء احد من الكافرات مسلمة مهاجرة ردوا الى الكفار مهرها وكان ذلك
نصفا وعدلا بين الحالين وكان هذا حكم الله مخصوصا بذلك الزمان في تلك النازلة
خاصة باجماع الامة قاله ابن العربي السادسة عشر قوله تعالى ذلكم حكم الله اي
ما ذكر في هذه الاية والله عليم حكيم تقدم في غير موضع قوله تعالى وان فاتكم شيء
من ازواجكم الى الكفار فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم
في الخبر ان المسلمين قالوا رضينا بما حكم الله وكتبوا الى المشركين فامتنعوا فنزلت قوله
تعالى وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم
مثل ما انفقوا وروى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت حكم الله عز وجل بينهم
فقال جل ثناؤه واسألوا ما انفقتم وليسألوا ما انفقوا فكتب اليهم المسلمون قد حكم الله جل
وعز بيننا بانه ان جاءتكم امراة منا ان توجهوا الينا بصداقها وان جاءتنا امراة منكم وجهنا
اليكم بصداقها فكتبوا اليهم اما نحن فلا نعلم لكم عندنا شيئا فان كان لنا عندكم شيء فوجهوا
به فانزل الله جل وعز وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار فعاقبتم فاتوا الذين ذهبت
ازواجهم مثل ما انفقوا وقال ابن عباس في قوله تعالى ذلكم حكم الله يحكم بينكم اي بين
المسلمين والكافرين من اهل العهد من اهل مكة يرد بعضهم على بعض قال الزهري
ولولا العهد لامسك النساء ولم يرد اليهم صداقا وقال قتادة ومجاهد انما امروا ان
يعطوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا من الفيء والغنيمة وقالا هي فيمن بيننا
وبينه عهد وليس بيننا وبينه عهد وقالا ومعنى فعاقبتم فاقتصصتم فاتوا الذين
ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا يعني الصدقات فهي عامة في جميع الكفار وقال
قتادة ايضا وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار الذين ليس بينكم وبينهم عهد
فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا ثم نسخ هذا في سورة براءة وقال الزهري
انقطع هذا يوم الفتح وقال سفيان الثوري لا يعمل به اليوم وقال قوم هو ثابت
الحكم الان حكاه القشيري الثانية قوله تعالى فعاقبتم قراءة العامة فعاقبتم وقرا
علقمة والنخعي وحميد والاعرج فعقبتم مشددة وقرا مجاهد فاعقبتم وقال
صنعتم كما صنعوا بكم وقرا الزهري فعقبتم خفيفة بغير الف وقرا مسروق وشقيق
ابن سلمة فعقبتم بكسر القاف خفيفة وقال غنمتم وكلها لغات بمعنى واحد يقال
عاقب وعقب واعقب وتعاقب اذا غنم وقال القتبي فعاقبتم فغزوتم معاقبين
غزوا بعد غزو وقال ابن بحر اي فعاقبتم المرتدة بالقتل فلزوجها مهرها من غنائم
المسلمين الثالثة قوله تعالى فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا قال ابن
عباس يقول ان لحقت امراة مؤمنة بكفار اهل مكة وليس بينكم وبينهم عهد ولها
زوج مسلم قبلكم فغنمتم فاعطوا هذا الزوج المسلم مهره من الغنيمة قبل ان تخمس
وقال الزهري يعطى من مال الفيء وعنه يعطى من صداق من لحق بنا وقيل ان
امتنعوا من ان يغرموا مهر هذه المراة التي ذهبت اليهم فانبذوا العهد اليهم حتى اذا
ظفرتم فخذوا ذلك منهم قال الاعمش هي منسوخة وقال عطاء بل حكمها ثابت
وقد تقدم جميع هذا القشيري والاية نزلت في ام الحكم بنت ابي سفيان ارتدت
وتركت زوجها عياض بن غنم القرشي ولم ترتد امراة من قريش غيرها ثم عادت
الى الاسلام وحكى الثعلبي عن ابن عباس هن ست نسوة رجعن عن الاسلام ولحقن
بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ام الحكم بنت ابي سفيان كانت تحت عياض بن
شداد الفهري وفاطمة بنت ابي امية بن المغيرة اخت ام سلمة وكانت تحت عمر بن
الخطاب فلما هاجر عمر ابت وارتدت وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن
عثمان وعبدة بنت عبد العزى وكانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول
كانت تحت عمر بن الخطاب وشهبة بنت غيلان فاعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم

مهور

مهور نسائهم من الغنيمة واتقوا الله اي احذروا الله ان تتعدوا ما امرتم به قوله
تعالى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك فيه ثمان مسائل الاولى قوله تعالى يا ايها النبي
اذا جاءك المؤمنات يبايعنك لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة جاءه نساء
اهل مكة يبايعنه فامر ان يأخذ عليهن ان لا يشركن وفي صحيح مسلم عن عائشة زوج النبي
صلى الله عليه وسلم قالت كانت المؤمنات اذا هاجرن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمتحن بقول الله يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا
ولا يسرقن ولا يزنين الى اخر الاية قالت عائشة فمن اقر بهذا من المؤمنات فقد اقر
بالمحنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقررن بذلك من قولهن قال لهن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انطلقن فقد بايعتكن لا والله ما مست يد رسول الله صلى
الله عليه وسلم يد امراة غير انه يبايعهن بالكلام قالت عائشة والله ما اخذ رسول الله
صلى الله عليه وسلم على النساء قط الا بما امره الله عز وجل وما مست كف رسول الله صلى
الله عليه وسلم كف امراة قط وكان يقول لهن اذا اخذ عليهن قد بايعتكن كلاما
وروي انه عليه السلام بايع النساء وبين يديه وايديهن ثوب وكان يشترط عليهن
وكان لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر اسفل منه فجعل يشترط على
النساء البيعة وعمر يصافحهن وروي انه كلف امراة وقفت على الصفا فبايعتهن ابن
العربي وذلك ضعيف وانما ينبغي التعويل على ما في الصحيح وقالت ام عطية لما قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة جمع نساء الانصار في بيت ثم ارسل الينا
عمر بن الخطاب فقام على الباب فسلم فرددن عليه السلام فقال انا رسول رسول الله صلى
الله عليه وسلم اليكن ان لا تشركن بالله شيئا الاية فقلن نعم فمد يده من خارج البيت
ومددنا ايدينا من داخل البيت ثم قال اللهم اشهد وروى عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا بايع النساء دعا بقدح من ماء فغمس يده
فيه ثم امر النساء فغمسن ايديهن فيه الثانية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قال على ان لا يشركن
بالله شيئا قالت هند بنت عتبة وهي منتقبة خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم
ان يعرفها لما صنعته بحمزة يوم احد والله انك لتاخذ علينا امرا ما رايتك اخذته
على الرجال وكان بايع الرجال يومئذ على الاسلام والجهاد فقط فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يسرقن فقالت هند ان ابا سفيان رجل شحيح واني اصيب من ماله
قوتنا فقال ابو سفيان هو لك حلال فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وعرفها وقال
انت هند فقالت عفا الله عما سلف ثم قال ولا يزنين فقالت هند وتزني الحرة فقال
ولا يقتلن اولادكن اي لا يئدن الموؤدات ولا تسقطن الاجنة فقالت هند ربيناهم
صغارا وقتلتهم كبارا فلم يدر فانتم وهم ابصر وروى مقاتل انها قالت ربيناهم
صغارا وقتلتموهم كبارا فانتم وهم اعلم فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى وكان
حنظلة بن ابي سفيان وهو بكرها قتل يوم بدر ثم قال ولا ياتين ببهتان يفترينه
بين ايديهن وارجلهن قيل معنى بين ايديهن السنتهن بالنميمة ومعنى بين
ارجلهن فروجهن وقيل ما كان بين ايديهن من قبلة او جس وبين ارجلهن الجماع
وقيل المعنى لا يلحقن برجالهن ولدا من غيرهن وهذا قول الجمهور وكانت المراة
تلتقط ولدا فتلحقه بزوجها وتقول هذا ولدي منك فكان هذا من البهتان
والافتراء وقيل ما بين يديها ورجليها كناية عن الولد لان بطنها الذي تحمل فيه
الولد بين يديها وفرجها الذي تلده منه بين رجليها وهذا عام في الاتيان بولد
والحاقه بالزوج وان سبق النهي عن الزنا وروي انه لما سمعت ذلك قالت
والله ان البهتان لامر قبيح ما تامر الا بالرشد ومكارم الاخلاق ثم قال ولا
يعصينك في معروف قال قتادة لا ينحن ولا تخلو امراة منهن الا بذي محرم وقال
سعيد بن المسيب ومحمد بن السائب وزيد بن اسلم هو ان لا يخمشن وجها ولا
يشققن جيبا ولا يدعون ويلا ولا ينشرن شعرا وعن نهي عنه قوله صلى الله عليه

وسلم ولا يحدثن الرجال إلا ذا محرم وروت أم عطية عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ذلك
في النوح وهو قول ابن عباس وروى شهر بن حوشب عن أم سلمة عن النبي صلى الله
عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال هو النوح وقال مصعب بن نوح أدركت
عجوزا ممن بايع النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعصينك في معروف قال النوح وفي صحيح
مسلم عن أم عطية لما نزلت هذه الآية يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يعصينك
في معروف قال كان منه النياحة قالت فقلت يا رسول الله إلا آل بني فلان فإنهم كانوا
أسعدوني في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إلا آل بني فلان وعنها قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع البيعة
أن لا ننوح فما وفت منا امرأة إلا خمس أم سليم وأم العلاء وابنة أبي سبرة وامرأة معاذ
وقيل إن المعروف هاهنا الطاعة لله ولرسوله قاله ميمون بن مهران وكان بكر بن
عبد الله المزني لا يعصينك في كل أمر فيه رشدهن الكلبي هو عام في كل معروف
ورسوله به فروي أن هندا قالت عند ذلك ما جلسنا في مجلسنا هذا وفي أنفسنا
أن نعصيك في شيء الثالثة ذكر الله عز وجل هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه
وسلم في صفة البيعة خصالا شتى صرح فيهن بأركان النهي في الدين ولم يذكر
أركان الأمر وهي ست أيضا الشهادة والصلاة والزكاة والصيام والحج
والاغتسال من الجنابة وذلك لأن النهي دائم في كل الأزمان وكل الأحوال فكان
التنبيه على اشتراط الدائم آكد وقيل إن هذه المناهي كان في النساء كثير من يرتكبها
ولا يحجزهن عنها شرف الحسب فخصت بالذكر لهذا ونحو منه قوله عليه السلام لوفد
عبد القيس وأنهاكم عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت فنبههم على ترك المعصية
في شرب الخمر دون سائر المعاصي لأنها كانت شهوتهم وعادتهم وإذا ترك المرء شهوته
من المعاصي هان عليه ترك سائرها مما لا شهوة له فيها الرابعة لما قال النبي صلى
الله عليه وسلم في البيعة ولا يسرقن قالت هند يا رسول الله إن أبا سفيان رجل
مسيك فهل علي حرج أن آخذ ما يكفيني وولدي قال لا إلا بالمعروف فخشيت هند
أن تقتصر على ما يعطيها فتضيع أو تأخذ أكثر من ذلك فتكون سارقة ناكثة
للبيعة المذكورة فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا أي لا حرج عليك فيما أخذت
بالمعروف يعني من غير استطالة إلى أكثر من الحاجة قال ابن العربي وهذا إنما هو
فيما لا يخزنه عنها في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فإنه إذا هتكته فيما لا يخزنه عنها
في حجاب ولا يضبط عليه بقفل فإنه إذا هتكته الزوجة وأخذت منه كانت سارقة
تعصي بها وتقطع يدها الخامسة قال عبادة بن الصامت أخذ علينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما أخذ على النساء أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا
ولا تقتلوا أولادكم ولا يعضه بعضكم بعضا ولا تعصوا في معروف أمركم به معنى يعضه
يسحر والعضه السحر ولهذا قال ابن بحر وغيره في قوله تعالى ولا يأتين ببهتان
أي بسحر إنه السحر وقال الضحاك هذا نهي عن البهتان أن لا يعضهن رجلا ولا
امرأة ببهتان أي بسحر والله أعلم يفترينه بين أيديهن وأرجلهن والجمهور على
أن معنى ببهتان بولد يفترينه بين أيديهن ما أخذته لقيطا وأرجلهن ما ولدته
من زنى وقد تقدم في النساء قوله تعالى ولا يعصينك في معروف قال إنما هو شرط
شرطه الله للنساء واختلف في معناه على ما ذكرنا والصحيح أنه عام في جميع ما يأمر
به النبي صلى الله عليه وسلم وينهى عنه فيدخل فيه النوح وتخريق الثياب وجز
الشعور والخلوة بغير محرم إلى غير ذلك وهذه كلها كبائر ومن أفعال الجاهلية وفي
صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من أمتي
من أمر الجاهلية فذكر منها النياحة وروى يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه النوائح يجعلن يوم القيامة صفين صف
عن اليمين وصف عن اليسار ينبحن كما تنبح الكلاب في يوم كان مقداره خمسين ألف

سنة ثم يؤمر بهن إلى النار وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلي الملائكة
على نائحة ولا مرنة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع نائحة فأتاها فضربها
بالدرة حتى وقع خمارها عن رأسها فقيل يا أمير المؤمنين المرأة قد وقع خمارها فقال
إنها لا حرمة لها أسنده جميعه الثعلبي رحمه الله وأما تخصيص قوله بمعروف مع قوة قوله ولا
يعصينك ففيه قولان أحدهما أنه تفسير للمعنى على التأكيد كما قال تعالى قل رب احكم
بالحق لأنه لو قال احكم لكفى الثاني إنما شرط المعروف في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم
حتى لا يكون تنبيها على أن غيره أولى بذلك وألزم له وأنفى للإشكال السابعة روى
البخاري عن عبادة بن الصامت قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال تبايعوني
على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تزنوا ولا تسرقوا قرأ آية النساء وأكثر لفظ سفيان
قرأ في الآية فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو
كفارة له ومن أصاب ذلك فستره الله فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له
وفي الصحيحين عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب فنزل نبي الله
صلى الله عليه وسلم فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى
أتى النساء مع بلال فقال يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله
شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن حتى فرغ من الآية ثم قال حين فرغ
أنتن على ذلك فقالت امرأة واحدة لم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدري الحسن
من هي قال فتصدقن وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب
بلال لفظ البخاري الثامنة قال المهدوي أجمع المسلمون على أنه ليس للإمام أن يشترط
عليهن هذا والأمر بذلك ندب لا إلزام وقال بعض أهل النظر إذا احتيج إلى المحنة من
أجل تباعد الدار كان على إمام المسلمين إقامة المحنة قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا تتولوا قوما غضب الله عليهم يعني اليهود وذلك أن ناسا من فقراء المؤمنين كانوا
يخبرون اليهود بأخبار المؤمنين ويواصلونهم فيصيبون بذلك من ثمارهم فنهوا عن
ذلك قد يئسوا من الآخرة يعني اليهود قاله ابن زيد وقيل هم المنافقون وقال
الحسن هم اليهود والنصارى قال ابن مسعود معناه أنهم تركوا العمل للآخرة وآثروا
الدنيا وقيل المعنى يئسوا من ثواب الآخرة قاله مجاهد ومعنى كما يئس الكفار أي
الأحياء من الكفار من أصحاب القبور أن يرجعوا إليهم قاله الحسن وقتادة قال ابن
عرفة هم الذين قالوا وما يهلكنا إلا الدهر وقال مجاهد المعنى كما يئس الكفار الذين
في القبور أن يرجعوا إلى الدنيا وقيل إن الله تعالى ختم السورة بما بدأها من ترك
موالاة الكفار وهي خطاب لحاطب بن أبي بلتعة وغيره قال ابن عباس يا أيها الذين
آمنوا لا تتولوا أي لا توالوهم ولا تناصحوهم رجع تعالى بطوله وفضله على حاطب
ابن أبي بلتعة يريد أن كفار قريش قد يئسوا من خير الدنيا كما يئس الكفار المقبورون
من حظ يكون لهم في الآخرة من رحمة الله تعالى وقال القاسم بن أبي بزة في قوله
الله تعالى قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور قال من مات من الكفار يئس
من الخير والله أعلم

سورة الصف مدنية

في قول الجميع فيما ذكر الماوردي وقيل إنها مكية ذكره النحاس عن ابن عباس وهي أربع
عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الأرض الآية تقدم قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى
يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون روى الدارمي أبو محمد في مسنده أنا محمد بن
كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال قعدنا

نفر من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكرنا فقلنا لو نعلم اي الاعمال احب الي الله لعملناه
فانزل الله تعالى سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون حتى ختمها قال عبد الله فقراها علينا رسول الله صلى
الله عليه وسلم حتى ختمها قال ابو سلمة فقراها علينا عبد الله بن سلام حتى ختمها قال
يحيى فقراها علينا ابو سلمة فقراها علينا يحيى فقراها علينا الاوزاعي فقراها علينا محمد فقراها
علينا الدارمي وقال ابن عباس قال عبد الله بن رواحة لو علمنا احب الاعمال الى الله
لعملناه فلما نزل الجهاد كرهوه وقال الكلبي قال المومنون يا رسول الله لو نعلم احب
الاعمال الى الله لسارعنا اليها فنزلت هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فمكثوا
زمانا يقولون لو نعلم ما هي لاشتريناها بالاموال والانفس والاهلين فدلهم الله عليها
تومنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم الايه فابتلوا يوم
احد ففروا فنزلت تعيرهم بترك الوفا وقال محمد بن كعب لما اخبر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم بثواب شهدا بدر قالت الصحابه اللهم اشهد لين لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا
ففروا يوم احد فعيرهم الله بذلك وقال قتاده والضحاك نزلت في قوم كانوا يقولون
نحن جاهدنا وابلينا ولم يفعلوا وقال صهيب كان رجل قد اذى المسلمين يوم بدر وانكاهم
فقتلته فقال رجل يا نبي الله اني قتلت فلانا ففرح النبي صلى الله عليه وسلم بذلك
فقال عمر بن الخطاب وعبد الرحمن بن عوف يا صهيب اما اخبرت رسول الله صلى الله
عليه وسلم انك قتلت فلانا فان فلانا انتحله فاخبره فقال اكذلك يا ابا يحيى قال
نعم والله يا رسول الله فنزلت الاية في المنتحل وقال ابن زيد نزلت في المنافقين
كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ان خرجتم وقاتلتم خرجنا معكم
وقاتلنا فلما خرجوا نكصوا عنهم وتخلفوا الثانيه هذه الايه توجب كل من الزم نفسه
عملا فيه طاعة ان يفي بها وفي صحيح مسلم عن ابي موسى انه بعث الى قرا اهل البصره
فدخل عليه ثلثمايه رجل قد قروا القران فقال انتم خيار اهل البصره وقراوهم فاتلوه
ولا يطولن عليكم الامد فتقسوا قلوبكم كما قست قلوب من قبلكم وانا كنا نقرا سورة
كنا نشبهها في الطول والشده ببراه فانسيتها غير اني قد حفظت منها لو كان لابن
ادم واديان من مال لابتغى واديا ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب وكنا نقرا
سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فانسيتها غير اني حفظت منها يا ايها الذين
امنوا لم تقولون ما لا تفعلون فتكتب شهادة في اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمه
قال ابن العربي وهذا كله ثابت في الدين اما قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لم تقولون
ما لا تفعلون فثابت في الدين لفظا ومعنى في هذه السورة واما قوله شهادة في
اعناقكم فتسالون عنها يوم القيمه فمعنى ثابت في الدين فان من التزم شيا لزمه شرعا
والملتزم على قسمين احدهما النذر وهو على قسمين نذر تقرب مبتدا كقوله لله علي
صلاة وصوم وصدقة ونحوه من القرب فهذا يلزم الوفا به اجماعا ونذر مباح وهو
ما علق بشرط رغبه كقوله ان قدم غايبي فعلي صدقة او بشرط رهبه كقوله ان كفاني الله شر كذا فعلي صدقة فاختلف العلما فيه
فقال مالك وابو حنيفة يلزمه الوفا به وقال الشافعي في احد قوليه انه لا يلزمه
الوفا به وعموم الايه حجة لنا لانها مطلقها تتناول ذم من قال ما لا يفعله على
اي وجه كان من مطلق او مقيد بشرط وقد قال اصحابه ان النذر انما يكون بما القصد
منه القربه مما هو من جنس القربه وهذا وان كان من جنس القربه لكنه لم يقصد به
القربه وانما قصد منع نفسه من فعل او الاقدام على فعل قلنا القرب الشرعيه مشقات
وكلف وان كانت قربات وهذا تكلف التزام هذه القربه بمشقة لجلب نفع او دفع
ضر فلم يخرج عن سنن التكليف ولا زال عن قصد التقرب قال ابن العربي فان
كان المقول منه وعدا فلا يخلو ان يكون منوطا بسبب كقوله ان تزوجت اعنتك
بدينار او ابتعت جارية كذا اعطيتك فهذا لازم اجماعا من الفقها وان كان وعدا
مجردا فقيل يلزم بتعلقه وتعلقوا بسبب الايه فانه روي انهم كانوا يقولون لو نعلم

اي الاعمال

اي الاعمال افضل واحب الى الله لعملناه فانزل الله هذه الايه وهو حديث لا باس به وقد
روي عن مجاهد ان عبد الله بن رواحة لما سمعها قال لا ازال حبيسا في سبيل الله حتى اقتل
والصحيح عندي ان الوعد يجب الوفا به على كل حال الا لعذر قلت قال مالك فاما
العذر مثل ان يسال الرجل الرجل ان يهب له الهبه فيقول له نعم ثم يبدو له ان لا يفعل فما
ارى ذلك يلزمه وقال ابن القاسم اذا وعد الغرما فقال اشهدكم اني قد وهبت له من اين
يودي اليكم فان هذا يلزمه واما ان يقول نعم انا افعل ثم يبدو له فلا ارى عليه ذلك
قلت اي لا يقضى عليه بذلك فاما في مكارم الاخلاق وحسن المروة فنعم وقد اثنى الله تعالى
على من صدق وعده ووفى بنذره فقال والموفون بعهدهم اذا عاهدوا وقال واذكر
في الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد وقد تقدم بيانه الثالثه قال النخعي ثلاث
ايات منعتني ان اقص على الناس اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وما اريد
ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون وخرج ابو نعيم
الحافظ من حديث مالك بن دينار عن ثمامة عن انس بن مالك قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتيت ليلة اسري بي على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار كلما
قرضت وفت قلت من هولاء يا جبريل قال هولاء خطباء امتك الذين يقولون ما لا يفعلون
ويقرون كتاب الله ولا يعملون وعن بعض السلف انه قيل له حدثنا فقال اتامرونني
ان اقول ما لا افعل فاستعجل مقت الله الرابعه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون
استفهام على جهة الانكار والتوبيخ على ان يقول الانسان في نفسه من الخير ما لا يفعله
اما في الماضي فيكون كذبا واما في المستقبل فيكون خلفا وكلاهما مذموم وتاول سفيان بن
عيينه قوله لم تقولون ما لا تفعلون اي لم تقولون ما ليس الامر فيه اليكم فلا تدرون
هل تفعلون او لا تفعلون فعلى هذا يكون الكلام محمولا على ظاهره في انكار القول
الخامسه كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون قد يحتج به في وجوب الوفا عند
اللجاج والغضب على احد قولي الشافعي وان رفع بالابتدا وما قبلها الخبر وكانه قال قولكم
ما لا تفعلون مذموم ويجوز ان يكون خبر ابتدا محذوف الكسائي ان في موضع رفع لان كبر
فعل بمنزلة بيس رجلا اخوك ومقتا نصب بالتمييز المعنى كبر قولهم ما لا يفعلون مقتا
وقيل هو حال والمقت والمقاتة مصدران يقال رجل مقيت وممقوت اذا لم يحبه الناس
قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا والمفعول مضمر
اي يصفون انفسهم صفا كانهم بنيان مرصوص قال الفرا مرصوص بالرصاص وقال
المبرد هو من رصصت البنا اذا لاءمت بينه وقاربت حتى يصير كقطعة واحدة وقيل هو من
الرصيص وهو انضمام الاسنان بعضها الى بعض والتراص التلاصق ومنه وتراصوا في
الصف ومعنى الايه يحب من يثبت في الجهاد في سبيله ويلزم مكانه كثبوت البنا وقال
سعيد بن جبير هذا تعليم من الله للمومنين كيف يكونون عند قتال عدوهم الثانيه
وقد استدل بعض اهل التاويل بهذا على ان قتال الراجل افضل من قتال الفارس لان
الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة المهدوي وذلك غير مستقيم لما جا في فضل الفارس
من الاجر والغنيمة ولا تخرج الفرسان من معنى الايه لان معناها الثبات الثالثه
لا يجوز الخروج عن الصف الا لحاجة تعرض للانسان او في رسالة يرسلها الامام او منفعة
تظهر في المقام كفرصة تنتهز ولا خلاف فيها وفي الخروج عن الصف للمبارزة خلاف
على قولين احدهما انه لا باس بذلك ارهابا للعدو وطلبا للشهادة وتحريضا على القتال
وقال اصحابنا لا يبرز احد طلبا لذلك لان فيه ريا وخروجا الى ما نهى الله عنه من
لقا العدو وانما تكون المبارزة اذا طلبها الكافر كما كانت في حروب النبي صلى الله عليه
وسلم يوم بدر وفي غزوة خيبر وعليه درج السلف وقد مضى القول مستوفى في هذا
في البقرة عند قوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة قوله تعالى واذ قال موسى لقومه
يا قوم لم توذونني لما ذكر امر الجهاد بين ان موسى وعيسى امرا بالتوحيد وجاهدوا في

سبيل الله وحل العقاب بمن خالفهما اي واذكر لقومك يا محمد هذه الصفة قوله تعالى
لم تؤذونني وذلك حين رموه بالادرة حسب ما تقدم في احزاب الاحزاب ومن الاذى ما ذكر
في قصة قارون انه دس اليه امراة تدعي على موسى الفجور ومن الاذى قولهم اجعل لنا الها
كما لهم الهة وقولهم فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون وقولهم انك قتلت
هرون وقد تقدم هذا وقد تعلمون اني رسول الله اليكم والرسول يحترم ويعظم ودخلت
قد على تعلمون للتاكيد كانه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه فلما زاغوا اي مالوا
عن الحق ازاغ الله قلوبهم اي اما لها عن الهدى وقيل فلما زاغوا عن الطاعة ازاغ الله
قلوبهم عن الهداية وقيل فلما زاغوا عن الايمان ازاغ الله قلوبهم عن الصواب وقيل اي
لما تركوا اما امروا به من احترام الرسول عليه السلام وطاعة الرب خلق الله في قلوبهم الضلال
عقوبة لهم على فعلهم قوله تعالى واذ قال عيسى ابن مريم اي واذكر لهم هذه القصة
وقال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسبة له فيهم فيكونوا قومه اني
رسول الله اليكم اي بالانجيل مصدقا لما بين يدي من التوراة لان في التوراة صفتي
واني لم اتكم بشيء يخالف التوراة فتنفروا عني ومبشرا برسول مصدقا ومبشرا انتصب
على الحال والعامل فيهما معنى الارسال واليكم صلة للرسول ياتي من بعدي اسمه احمد
قرا نافع وابن كثير وابو عمرو ومن بعدي بفتح اليا وهي قراة السلمي وزر بن حبيش وابو
بكر عن عاصم واختاره ابو حاتم لانه اسم مثل الكاف من بعدك والتاء من قمت الباقون
بالاسكان وقرئ من بعد اسمه بحذف اليا من اللفظ واحمد اسم نبينا صلى الله عليه وسلم
وهو اسم علم منقول من صفة لا من فعل فتلك الصفة افعل التي يراد بها التفضيل
فمعنى احمد اي احمد الحامدين لربه والانبيا صلوات الله عليهم كلهم حامدون الله
ونبينا احمد اكثرهم حمدا واما محمد فمنقول من صفة ايضا وهو في معنى محمود ولكن
فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذي حمد مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو
ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه سماه قبل ان يسمي به نفسه فهذا علم من
اعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود في الدنيا لما هدي عليه فهو محمود
في الاخرة بالشفاعة فقد تكون معنى الحمد كما يقتضي اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى
كان احمد حمد ربه فنباه وشرفه فلذلك تقدم اسم احمد على الاسم الذي هو محمد
فذكره عيسى فقال اسمه احمد وذكره موسى عليه السلام حين قال له ربه تلك امة
احمد فباحمد ذكره قبل ان يذكره بمحمد لان حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما
وجد وبعث كان محمدا بالفعل وكذلك في الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التي يفتحها عليه
فيكون احمد الناس لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته وروي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اسمي في التوراة احيد لاني احيد امتي عن النار واسمي في الزبور الماحي
محا الله بي عبدة الاوثان واسمي في الانجيل احمد وفي القران محمد لاني محمود في
اهل السما والارض وفي الصحيح لي خمسة اسما انا محمد واحمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب وقد
تقدم فلما جاءهم بالبينات قيل عيسى وقيل محمد صلى الله عليه وسلم قالوا هذا سحر
مبين قرا الكسائي وحمزة ساحر نعتا للرجل وروي مثلها قراة ابن مسعود الباقون
سحر نعتا لما جاء به الرسول قوله تعالى ومن اظلم اي لا احد اظلم ممن افترى على
الله الكذب تقدم في غير موضع وهو يدعى الى الاسلام هذا تعجب ممن كفر بعيسى
ومحمد بعد المعجزات التي ظهرت لهما وقرا طلحة بن مصرف وهو يدعي بفتح اليا
والدال وشدها وكسر العين اي ينتسب ويدعي وينتسب سوا والله لا يهدي القوم
الظالمين اي من كان في حكمه انه يختم له بالضلالة قوله تعالى يريدون ليطفئوا
نور الله بافواههم والاطفا هو الاخماد يستعملان في النار ويستعملان فيما يجري مجراها من
الضيا والظهور ويفترق الاطفا والاخماد من وجه وهو ان الاطفا يستعمل في القليل
والكثير والاخماد من وجه وهو ان الاطفا يستعمل في الكثير دون القليل فيقال

اطفات

اطفات السراج ولا يقال اخمدت السراج وفي نور الله هنا خمسة اقاويل احدها انه القران
يريدون ابطاله وتكذيبه بالقول قاله ابن عباس وابن زيد الثاني انه الاسلام يريدون
دفعه بالكلام قاله السدي الثالث انه محمد صلى الله عليه وسلم يريدون هلاكه بالاراجيف
قاله الضحاك الرابع حجج الله ودلايله يريدون ابطالها بانكارهم وتكذيبهم قاله ابن بحر
الخامس انه مثل مضروب اي من اراد اطفا نور الشمس بفيه فوجده مستحيلا ممتنعا كذلك
من اراد ابطال الحق حكاه ابن عيسى وسبب نزول هذه الاية ما حكاه عطا عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا عليه الوحي اربعين يوما فقال كعب بن الاشرف يا معشر
اليهود ابشروا فقد اطفا الله نور محمد فيما كان ينزل عليه الوحي وما كان ليتم امره فحزن
رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى هذه الاية واتصل الوحي بعدها حكى
جميعه الماوردي رحمه الله والله متم نوره اي باظهاره في الافاق وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي وحفص عن عاصم والله متم نوره بالاضافة على نية الانفصال كقوله تعالى
كل نفس ذايقة الموت وشبهه حسب ما تقدم بيانه في ال عمران الباقون متم نوره لانه
فيما يستقبل فعمل ولو كره الكافرون في ساير الاصناف قوله تعالى هو الذي ارسل
رسوله بالهدى اي محمدا بالحق والرشاد ليظهره على الدين كله اي بالحجج ومن الظهور الغلبة
باليد في القتال وليس المراد بالظهور ان لا يبقى دين اخر من الاديان بل المراد يكون اهل
الاسلام عالين غالبين ومن الاظهار ان لا يبقى دين سوى الاسلام في اخر الزمان قال
مجاهد ذلك اذا انزل الله عيسى لم يكن في الارض دين الا دين الاسلام وقال ابو هريرة ليظهره
على الدين كله بخروج عيسى وحينئذ لا يبقى كافر الا اسلم وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لينزلن ابن مريم حكما عادلا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير
ولتتركن القلاص فلا يسعى عليها ولتذهبن الشحنا والتباغض والتحاسد وليدعون الى
المال فلا يقبله احد وقيل ليظهره اي ليطلع محمدا على ساير الاديان حتى يكون عالما بها عارفا
بوجوه بطلانها ما حرفوا وما غيروا منها على الدين اي على الاديان لان الدين مصدر يعبر
به عن الجمع قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم فيه خمس
مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا هل ادلكم على تجارة قال مقاتل نزلت في عثمان
ابن مظعون وذلك انه قال يا رسول الله لو اذنت لي فطلقت خولة وترهبت واختصيت
وحرمت اللحم ولا انام الليل ولا افطر نهارا ابدا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من سنتي
النكاح ولا رهبانية في الاسلام انما رهبانية امتي الجهاد في سبيل الله وخصا امتي الصوم
ولا تحرموا طيبات ما احل الله لكم ومن سنتي انام واقوم وافطر واصوم فمن رغب عن سنتي فليس
مني فقال عثمان والله لوددت يا نبي الله اي التجارات احب الى الله فاتجر فيها فنزلت
وقيل ادلكم اي سادلكم والتجارة الجهاد قال الله تعالى ان الله اشترى من المومنين انفسهم
واموالهم الاية وهذا الخطاب لجميع المومنين وقيل لاهل الكتاب الثانية قوله تنجيكم
اي تخلصكم من عذاب اليم اي مولم وقد تقدم وقراة العامة تنجيكم باسكان [illegible] من
الانجا وقرا الحسن وابن عامر وابو حيوة تنجيكم مشددا من التنجية ثم بين التجارة وهي
المسلة الثالثة فقال تومنون بالله ورسوله وتجاهدون الكفار في سبيل الله باموالكم
وانفسكم ذكر الاموال اولا لانها التي يبدا بها في الانفاق ذلكم اي هذا الفعل خير لكم
من اموالكم وانفسكم ان كنتم تعلمون وتومنون عند المبرد والزجاج في معنى امنوا
ولذلك جا يغفر لكم مجزوما على انه جواب الامر وفي قراة عبد الله امنوا بالله وقال
الفرا يغفر لكم جواب الاستفهام وهذا انما يصح على الحمل على المعنى وذلك ان تكون تومنون
وتجاهدون عطف بيان على قوله هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم كان التجارة
لم يدر ما هي فبينت بالايمان والجهاد فهي هما في المعنى فكانه قال هل تومنون بالله
وتجاهدون يغفر لكم قال المهدوي فان لم يقدر هذا التقدير لم تصح المسالة لان
التقدير يصير ان دللتم يغفر لكم والغفران انما نعت بالقبول والايمان لا بالدلالة قال
الزجاج ليس اذا دلهم على ما ينفعهم غفر لهم اذا امنوا وجاهدوا وقرا زيد بن علي تومنوا

وتجاهدوا على إضمار لام الأمر كقوله * تخرج بعد نفسك كل نفس * إذا ما خفت من شيء تبالا * أراد لتخرج وادغم بعضهم فقال يغفر لكم والأحسن ترك الإدغام لأن الراء حرف متكرر قوي ولا يحسن ادغامه في اللام لأن القوي لا يدغم في الأضعف الذي يحتوي وجه قول الفراء متعلق الدلالة لتهوا التجارة والتجارة مفسرة بالإيمان فكأنه قيل هل تخبرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم الرابعة ومساكن طيبة خرج أبو الحسن الآجري عن الحسن قال سألت عمران بن حصين وأبا هريرة عن تفسير هذه الآية ومساكن طيبة فقالا على الخبير سقطت سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال قصر من لؤلؤة في الجنة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل دار سبعون بيتا من زبرجد خضراء في كل بيت سبعون سريرا على كل سرير سبعون فراشا من كل لون على كل فراش سبعون امرأة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون وصيفا ووصيفة فيعطي الله المؤمن من القوة في غداة واحدة ما يأتي على ذلك كله في جنات عدن أي إقامة ذلك الفوز العظيم أي السعادة الدائمة الكبيرة وأصل الفوز الظفر بالمطلوب الخامسة قوله تعالى وأخرى تحبونها قال الأخفش والفراء أخرى معطوفة على تجارة فهي في محل خفض وقيل محلها رفع أي ولكم خصلة أخرى وتجارة أخرى تحبونها نصر من الله أي هو نصر من الله فنصر على هذا تفسير وأخرى وقيل رفع على البدل من أخرى أي ولكم نصر من الله وفتح قريب غنيمة في عاجل الدنيا قيل فتح مكة وقال ابن عباس يريد فتح فارس والروم وبشر المؤمنين برضى الله عنهم قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله أكد أمر الجهاد أي كونوا حواريي نبيكم ليظهركم الله على من خالفكم كما أظهر حواريي عيسى على من خالفهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع أنصارا لله بالتنوين قالوا لأن معناه اثبتوا وكونوا أعوانا لله بالسيف على أعدائه وقرأ الباقون من أهل البصرة والكوفة بلا تنوين وحذفوا لام الإضافة من اسم الله تعالى واختاره أبو عبيد لقوله نحن أنصار الله ولم ينون ومعناه كونوا أنصارا لدين الله ثم قيل في الكلام إضمار أي قل لهم يا محمد كونوا أنصار الله وقيل هو ابتداء خطاب من الله أي كونوا أنصارا كما فعل أصحاب عيسى فكانوا بحمد الله أنصارا وكانوا حواريين والحواريون خواص الرسل قال معمر كان ذلك بحمد الله أي نصروه وهم سبعون رجلا وهم الذين بايعوه ليلة العقبة وقيل هم من قريش وسماهم قتادة أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير وسعد بن مالك وأبو عبيدة واسمه عامر وعثمان بن مظعون وحمزة بن عبد المطلب ولم يذكر سعيدا فيهم وذكر جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين كما قال عيسى ابن مريم للحواريين وهم أصفياؤه اثنا عشر رجلا وقد مضت في آل عمران وهو أول من آمن به من بني إسرائيل قال ابن عباس وقال مقاتل قال الله لعيسى إذا دخلت القرية فأت النهر الذي عليه القصارون فسألهم النصر فأتاهم عيسى وقال من أنصاري إلى الله فقالوا نحن ننصرك فصدقوه ونصروه ومعنى من أنصاري إلى الله أي من أنصاري مع الله كما تقول الذود إلى الذود إبل أي مع الذود وقيل أي من أنصاري فيما يقرب إلى الله وقد مضى هذا في آل عمران فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة والطائفتان في زمن عيسى افترقوا بعد رفعه إلى السماء على ما تقدم في آل عمران بيانه فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم الذين كفروا بعيسى فأصبحوا ظاهرين عالين قال ابن عباس أيد الله الذين آمنوا في زمن عيسى بإظهار محمد على دين الكفار وقال مجاهد أيدوا في زمانهم على من كفر بعيسى وقيل أيدنا الآن المسلمين على الفرقتين الضالتين من قال كان الله فارتفع ومن قال كان ابن الله فرفعه الله إليه لأن عيسى لم يقاتل أحدا ولم يكن في دين أصحابه بعده قتال وقاله زيد بن علي وقتادة فأصبحوا ظاهرين غالبين بالحجة والبرهان لأنهم قالوا فيما روي ألستم تعلمون أن عيسى كان ينام والله

لاينام

لا ينام وأن عيسى كان يأكل والله لا يأكل وقيل نزلت هذه الآية في رسل عيسى صلى الله عليه وسلم قال ابن إسحاق وكان الذي بعثهم عيسى من الحواريين والأتباع فطرس وبولس إلى رومية واندراوس ومتى إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق وفيلبس إلى قرطاجنة وهي إفريقية ويحنس إلى أفسوس قرية أصحاب الكهف ويعقوبس إلى أوريشلم وهي بيت المقدس وابن تلما إلى الأعرابية وهي أرض الحجاز وسيمن إلى أرض البربر ويهودا ويودس إلى الإسكندرية وما حولها فأيدهم الله بالحجة فأصبحوا ظاهرين أي غالبين من قولك ظهرت على الحائط أي علوت عليه والله أعلم

سورة الجمعة مدنية

في قول وهي إحدى عشرة آية وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له قال يوم الجمعة فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم تقدم الكلام فيه وقرأ أبو العالية ونصر بن عاصم الملك القدوس العزيز الحكيم رفعا أي هو الملك قوله تعالى هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم قال ابن عباس الأميون العرب كلهم من كتب منهم ومن لم يكتب لأنهم لم يكونوا أهل كتاب وقيل الأميون الذين لا يكتبون وكذلك كانت قريش وروى منصور عن إبراهيم قال الأمي الذي يقرأ ولا يكتب وقد مضى في البقرة رسولا منهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وما من حي من العرب إلا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة وقد ولدوه وقال ابن إسحاق إلا بني تغلب فإن الله تعالى طهر نبيه صلى الله عليه وسلم منهم لنصرانيتهم فلم يجعل لهم عليه ولادة وكان أميا لم يقرأ من كتاب ولم يتعلم صلى الله عليه وسلم قال الماوردي فإن قيل فما وجه الامتنان بأن بعث نبيا أميا فالجواب عنه من ثلاثة أوجه أحدها لموافقته ما تقدمت بشارة الأنبياء الثاني لمشاكلة حاله لأحوالهم فيكون أقرب إلى موافقتهم الثالث لينتفي عنه سوء الظن في تعليمه ما دعا إليه من الكتب التي قرأها والحكم التي تلاها قلت وهذا كله دليل معجزته وصدق نبوته قوله تعالى يتلو عليهم آياته يعني القرآن ويزكيهم أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان قاله ابن عباس وقيل يطهرهم من دنس الكفر والذنوب قاله ابن جريج ومقاتل وقال السدي يأخذ زكاة أموالهم ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة السنة قاله الحسن وقال ابن عباس الكتاب الخط بالقلم لأن الخط فشا في العرب بالشرع لما أمروا بتقييده بالخط وقال مالك بن أنس الحكمة الفقه في الدين وقد مضى القول في هذا في البقرة وإن كانوا من قبل أي من قبله وقيل أن يرسل إليهم لفي ضلال أي في ذهاب من الحق قوله تعالى وآخرين منهم هو عطف على الأميين أي بعث في الأميين وبعث في آخرين منهم ويجوز أن يكون منصوبا بالعطف على الهاء والميم في يعلمهم ويزكيهم أي يعلمهم ويعلم آخرين من المؤمنين لأن التعليم إذا تناسق إلى آخر الزمان كان كله مسندا إلى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه لما يلحقوا بهم أي لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم قال ابن عمر وسعيد بن جبير هم العجم وفي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نزلت عليه سورة الجمعة فلما قرأ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم قال من هؤلاء يا رسول الله فلم يراجعه النبي صلى الله عليه وسلم حتى سأله مرة أو مرتين أو ثلاثا وفينا سلمان الفارسي قال فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده

على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لناله رجال من هولاء وفي رواية لو كان الدين عند الثريا لذهب به رجال من فارس او قال من ابنا فارس حتى يتنا ولوه لفظ مسلم وقال عكرمة هم التابعون مجاهد هم الناس كلهم يعني من بعد العرب الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن زيد ومقاتل بن حيان قالا هم من دخل في الاسلام بعد النبي صلى الله عليه وسلم الى يوم القيمة وروي سهل بن سعد الساعدي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في اصلاب امتي رجالا ونسا يدخلون الجنة بغير حساب ثم تلى واخرين منهم لما يلحقوا بهم والقول الاول اثبت وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم رايتني اسقي غنما سودا ثم اتبعتها غنما عفرا اولها يا ابا بكر فقال يا نبي الله اما السود فالعرب واما العفر فالعجم تتبعك بعد العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذلك اولها الملك يعني جبريل عليه السلام رواه ابن ابي ليلى عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وهو علي بن ابي طالب رضي الله عنه قوله تعالى ذلك فضل الله يوتيه من يشاء قال ابن عباس حيث الحق العجم بقريش وقيل يعني الاسلام فضل الله يوتيه من يشاء الكلبي وقيل يعني الوحي والنبوة قاله مقاتل وقول رابع ان المال ينفق في الطاعه وهو معنى قول ابي صالح وقد روي مسلم عن ابي صالح عن ابي هريرة ان فقرا المهاجرين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب اهل الدثور بالدرجات العلي والنعيم المقيم فقال وما ذاك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نعتق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلا اعلمكم شيا تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون احدا فضل منكم الا من صنع مثل ما صنعتم قالوا بلي يا رسول الله قال تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مره قال ابو صالح فرجع فقرا المهاجرين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا مثله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا وقول خامس انه انبيا الله الناس الى النبي صلى الله عليه وسلم ودخولهم في دينه ونصرته والله اعلم قوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة ضرب مثلا لليهود لما تركوا العمل بالتوراة ولم يومنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم حملوا التوراة اي كلفوا العمل بها عن ابن عباس وقال الجرجاني هو من الحمالة بمعنى الكفالة اي ضمنوا احكام التوراة كمثل الحمار يحمل اسفارا جمع سفر وهو الكتاب الكبير لانه يسفر عن المعنى اذا قري قال ميمون بن مهران الحمار لا يدري اسفر على ظهره ام زبل فهكذا اليهود وفي هذا تنبيه من الله تعالى لمن حمل الكتاب ان يتعلم معانيه ويعلم ما فيه لئلا يلحقه من الذم ما لحق هولاء قال الشاعر

• زوامل للاسفار لا علم عندهم • بجيدها الا كعلم الاباعر •

• لعمرك ما يدري البعير اذا غدا • باوساقه او راح ما في الغرائر •

وقال يحيى بن يمان يكتب احدهم الحديث ولا يتفهم ولا يتدبر فاذا سيل احدهم عن مسيلة جلس كانه مكاتب وقال الشاعر

• ان الرواة على جهل بما حملوا • مثل الجمال عليها يحمل الودع •

• لا الودع ينفعه حمل الجمال له • ولا الجمال بحمل الودع تنتفع •

وقال منذر بن سعيد البلوطي رحمه الله فاحسن • انعق بما شيت تجد اسفارا • وزرا اسفارا تجد حمارا • يحمل ما وضعت من اسفار • يحمله كمثل الحمار يحمل اسفاره وما دراه ان كان فيها صوابا او خطا ان سيلوا قالوا كذا روينا ما ان كذبنا ولا اعتدينا • كبيرهم يصغر عند الحفل لانه قلد اهل الجهل ثم لم يحملوها اي لم يعملوا بما وشبههم والتوراة في ايديهم ولا هم لا يعملون بها بالحمار يحمل كتبا وليس له الا ثقل الحمل من غير فايده ويحمل في موضع نصب على الحال اي حاملا ويجوز ان يكون في موضع جر على الوصف لان الحمار كاللئيم قال • ولقد امر على اللئيم يسبني • بيس مثل القوم مثل الذين ضربنا لهم فحذف المضاف والله لا يهدي القوم الظالمين اي من سبق في علمه انه يكون كافرا قوله تعالى قل يا ايها الذين هادوا ان زعمتم

الكم

انكم اوليا لله من دون الناس لما ادعت اليهود الفضيلة وقالوا نحن ابنا الله واحباوه قال الله تعالى ان كنتم اوليا لله من دون الناس فلله اوليا عند الله الكرامة فتمنوا الموت لتصيروا الى ما يصير اليه اوليا الله ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم اي اسلفوه من تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم فلم يتمنوه لما توا فكان في ذلك بطلان قولهم وما ادعوه من الولاية وفي حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لما نزلت هذه الاية والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي الامات وفي هذا اخبار عن الغيب ومعجزة للنبي صلى الله عليه وسلم وقد مضى معنى هذه الاية في البقره في قوله تعالى قل ان كانت لكم الدار الاخرة خالصة من دون الناس فتمنوا الموت قوله تعالى قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم قال الزجاج لا يقال ان زيدا فمنطلق وهاهنا قال فانه ملاقيكم وتكون ما له في الذلالة على انه لا ينفع الفرار منه قال زهير

• ومن هاب اسباب المنايا ينلنه • ولو رام اسباب السما بسلم •

ويجوز ان يتم الكلام عند قوله الذين تفرون منه ثم يبتدي فانه ملاقيكم وقال طرفه

• وكفى بالموت فاعلم واعظا • لمن الموت عليه قد قدر •

• فاذكر الموت وحاذر ذكره • ان في الموت لذي اللب عبر •

• كل شي سوف يلقى حتفه • في مقام او على ظهر سفر •

• والمنايا حوله ترصده • ليس ينجيه من الموت الحذر •

قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فيه ثلاث عشرة مسيلة الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة قرا عبد الله بن الزبير والاعمش وغيرهما الجمعه باسكان الميم على التخفيف وهما لغتان وجمعها جمع وجمعات قال الفرا يقال الجمعة بسكون الميم والجمعه بضم الميم والجمعه بفتح الميم فيكون صفة اليوم اي جمع الناس كما يقال ضحكة للذي يضحك وقال ابن عباس نزل القران بالتثقيل والتخفيف فاقروها جمعه يعني بضم الميم وقال الفرا وابو عبيد والتخفيف احسن والقياس نحو غرفه وغرف وطرفه وطرف وحجره وحجر وفتح الميم لغة بني عقيل وقيل انها لغة النبي صلى الله عليه وسلم وعن سلمان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سميت جمعه لان الله تعالى جمع فيها خلق ادم وقيل لان الله تعالى فرغ فيها من خلق كل شي فاجتمعت فيها جميع المخلوقات وقيل لتجتمع الجماعات فيها وقيل لاجتماع الناس فيها للصلاة ومن بمعنى في اي في يوم كقوله تعالى اروني ماذا خلقوا من الارض اي في الارض الثانية اول من

قال ابن سلمة ع

قال بعد كعب بن لوي وكان اول من سمى الجمعه وكان يقال ليوم الجمعه العروبه وقيل اول من سماها جمعه الانصار وقال ابن سيرين جمع اهل المدينة من قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم انهم قالوا ان لليهود يوما يجتمعون فيه في كل سبعة ايام يوم وهو السبت يوم مثل ذلك فتعالوا فلنجتمع حتى نجعل يوما لنا نذكر الله فيه ونصلي ونتذكر او كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصاري فاجعلوه يوم العروبه فاجتمعوا الى اسعد بن زراره ابو امامة رضي الله عنه فصلى بهم يوميذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعه حين اجتمعوا فذبح لهم اسعد وروي انهم كانوا اثني عشر رجلا على ما ياتي وجا في هذه الروايه ان الذي اجتمع وصلى اسعد بن زراره وكذا في حديث عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن ابيه كعب على ما ياتي وقال البيهقي روينا عن موسى بن عقبه عن ابن شهاب الزهري ان مصعب بن عمير كان اول من جمع الجمعة بالمدينة للمسلمين قبل ان يقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي يحتمل ان يكون مصعب جمع بهم بمعونة اسعد فاضيف اليه قال وقيل النبي صلى الله عليه وسلم باصحابه به فقال اهل السير والتواريخ قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا حتى نزل بقبا على بني عمرو بن عوف يوم الاثنين لاثني عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول حين اشتد الضحا ومن تلك السنه يعد التاريخ فاقام بقبا الى يوم الخميس واسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة الى المدينة فادركته الجمعة في بني سالم بن عوف في بطن واد لهم قد اتخذ

القوم في ذلك الموضع مسجدا فجمع بهم وخطب وهي اول خطبة خطبها بالمدينة وقال فيها الحمد لله احمده واستعينه واستغفره واستهديه واومن به ولا اكفره واعادي من يكفر به واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة والحكمة على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الناس وانقطاع من الزمان ودنو من الساعة وقرب من الاجل من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا اوصيكم بتقوى الله فانه خير ما اوصى به المسلم المسلم ان يحضه على الاخرة وان يامره بتقوى الله واحذروا ما حذركم الله من نفسه فان تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافة من ربه عز وجل عون صدق على ما تبتغون من الاخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من امره في السر والعلانية لا ينوي به الا وجه الله يكن له ذكرا في عاجل امره وذخرا فيما بعد الموت حين يفتقر المرء الى ما قدم وما كان مما سوى ذلك يود لو ان بينه وبينه امدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد والذي صدق قوله وانجز وعده لا خلف لذلك فانه يقول ما يبدل القول لدي وما انا بظلام للعبيد فاتقوا الله في عاجل امركم واجله في السر والعلانية فانه من يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا ومن يتق الله فقد فاز فوزا عظيما وان تقوى الله توقي مقته وتوقي عقوبته وتوقي سخطه وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله فقد علمكم كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين فاحسنوا كما احسن الله اليكم وعادوا اعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة ولا حول ولا قوة الا بالله فاكثروا ذكر الله تعالى واعملوا لما بعد الموت فانه من يصلح ما بينه وبين الله يكفه الله ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ولا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واول جمعة جمعت بعدها جمعة بقرية يقال لها جواثى من قرى البحرين وقيل ان اول من سماها الجمعة كعب بن لؤي بن غالب لاجتماع قريش فيه الى كعب على ما تقدم والله اعلم الثالثة قوله تعالى خاطب الله المؤمنين بالجمعة دون الكافرين تشريفا لهم وتكريما فقال يا ايها الذين امنوا ثم خصه بالنداء وان كان قد دخل في عموم قوله واذا ناديتم الى الصلاة ليدل على وجوبه وتاكيد فرضه وقال بعض العلماء كون الصلاة الجمعة هاهنا معلوم بالاجماع لا من نفس اللفظ قال ابن العربي وعندي انه معلوم من نفس اللفظ بنكتة وهي قوله من يوم الجمعة وذلك يفيده لان النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة فاما غيرها فهو عام في سائر الايام ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها واضافته اليها معنى ولا فائدة الرابعة قد تقدم حكم الاذان في سورة المائدة مستوفى وقد كان الاذان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر الصلوات مؤذن واحد اذا جلس النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وكذلك كان يفعل ابو بكر وعمر وعلي بالكوفة ثم زاد عثمان على المنبر اذانا ثالثا على داره التي تسمى الزوراء حين كثر الناس بالمدينة فاذا سمعوا اقبلوا حتى اذا جلس عثمان على المنبر اذن مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ثم يخطب عثمان اخرجه ابن ماجه في سننه من حديث محمد بن اسحاق عن الزهري عن السائب بن يزيد قال ما كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الا مؤذن واحد اذا خرج اذن واذا نزل اقام وابو بكر وعمر كذلك فلما كان عثمان وكثر الناس زاد النداء الثالث على دار في السوق يقال لها الزوراء فاذا خرج اذن واذا نزل اقام خرجه البخاري من طرق بمعناه وفي بعضها ان الاذان الثاني يوم الجمعة امر به عثمان ابن عفان حين كثر اهل المسجد وكان التاذين يوم الجمعة حين يجلس الامام وقال الماوردي فاما الاذان الاول فمحدث فعله عثمان بن عفان ليتاهب الناس لحضور

للخطبة

للخطبة عند اتساع المدينة وكثرة اهلها وقد كان عمر رضي الله عنه امر ان يؤذن في السوق ليقوم الناس عن بيوعهم فاذا اجتمعوا اذن في المسجد فجعله عثمان رضي الله عنه اذانين في المسجد قال ابن العربي وفي الحديث الصحيح ان الاذان كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدا فلما كان زمن عثمان زاد النداء الثالث على الزوراء وسماه في الحديث ثالثا لانه اضافه الى الاقامة كما قال عليه السلام بين كل اذانين صلاة لمن شاء يعني الاذان والاقامة ويتوهم الناس انه اذان اصلي فجعلوا المؤذنين ثلاثة فكان وهما ثم جمعوهم في وقت واحد فكان وهما على وهم ورايتهم يؤذنون بمدينة السلام بعد اذان المنار بين يدي الامام تحت المنبر في جماعة كما كانوا يفعلون عندنا في الدول الماضية وكل ذلك محدث الخامسة قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله اختلف في معنى السعي هاهنا على ثلاثة اقوال اولها القصد قال الحسن والله ما هو سعي على الاقدام ولكنه سعي بالقلوب والنية الثاني انه العمل كقوله ومن اراد الاخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن وقوله تعالى ان سعيكم لشتى وقوله وان ليس للانسان الا ما سعى وهذا قول الجمهور وقال زهير

* سعى بعدهم قوم لكي يدركوهم *

وقال ايضا

* سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تبزل ما بين العشيرة بالدم *

اي فاعملوا على المضي الى ذكر الله واشتغلوا باسبابه من الغسل والتطهير والتوجه اليه الثالث ان المراد به السعي على الاقدام وذلك فضل وليس بشرط وفي البخاري ان ابا عبس ابن جبر واسمه عبد الرحمن وكان من كبار الصحابة مشى الى الجمعة راجلا وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من اغبرت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار ويحتمل ظاهرها رابعا وهو الجري والاشتداد قال ابن العربي وهو الذي انكره الصحابة الاعلمون والفقهاء الاقدمون قراها عمر فامضوا الى ذكر الله فرارا عن طريق الجري والاشتداد الذي يدل عليه الظاهر وقرا ابن مسعود كذلك وقال لو قرات فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي وقرا ابن شهاب فامضوا الى ذكر الله سالكا تلك السبيل وهو كله تفسير منهم لا قراءة قرآن منزل وجائز قراءة القرآن بالتفسير في معرض التفسير قال ابو بكر الانباري وقد احتج من خالف المصحف بقراءة عمر وابن مسعود وان خرشة بن الحر قال رآني عمر رضي الله عنه ومعي قطعة فيها فاسعوا الى ذكر الله فقال لي عمر من اقرأك هذا قلت ابي فقال ان ابيا اقرؤنا للمنسوخ ثم قرأ عمر فامضوا الى ذكر الله حدثنا ادريس قال حدثنا خلف قال ثنا هشيم عن المغيرة عن ابراهيم عن خرشة فذكره وحدثنا محمد بن يحيى اخبرنا محمد وهو ابن سعدان قال ثنا سفيان عن الزهري عن سالم عن ابيه قال ما سمعت عمر يقرؤها قط الا فامضوا الى ذكر الله واخبرنا ادريس قال ثنا خلف قال ثنا هاشم عن المغيرة عن ابراهيم ان عبد الله بن مسعود قرأ فامضوا الى ذكر الله وقال لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي قال ابو بكر فاحتج عليه بان الامة اجتمعت على فاسعوا برواية ذلك عن الله رب العالمين ورسوله صلى الله عليه وسلم فاما عبد الله بن مسعود فما صح عنه فامضوا لان السند غير متصل اذ ابراهيم النخعي لم يسمع من عبد الله بن مسعود شيئا وانما ورد فامضوا عن عمر رضي الله عنه فاذا انفرد احد بما يخالف الامة والجماعة كان ذلك نسيانا منه والعرب مجمعة على ان السعي ياتي بمعنى المضي غير انه لا يخلو من الجري والانكماش قال زهير

* سعى ساعيا غيظ بن مرة بعدما * تبزل ما بين العشيرة بالدم *

اراد بالسعي المضي بجد وانكماش ولم يقصد العدو والاسراع في الخطو وقال الفراء وابو عبيدة معنى السعي في الاية المضي واحتج الفراء بقولهم هو يسعى في البلاد يطلب فضل الله معناه هو يمضي بجد واجتهاد واحتج ابو عبيدة بقول الشاعر

* اسعى على حي بني مالك * كل امرئ في شانه ساعي *

فهل يحتمل السعي في هذا البيت الا مذهب المضي بالانكماش ومحال ان يخفى هذا المعنى على ابن مسعود على فصاحته واتقان عربيته قلت ومما يدل على انه ليس المراد هاهنا العدو قوله عليه السلام اذا اقيمت الصلاة فلا تاتوها تسعون ولكن ائتوها وعليكم السكينة قال الحسن اما والله ما هو بالسعي على الاقدام ولقد نهوا ان ياتوا الصلاة

الا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع وقال قتادة السعي
ان تسعى بقلبك وعملك وهذا حسن فانه جمع الاقوال الثلاثة وقد جا في الاغتسال
للجمعة والطيب والتزين باللباس احاديث مذكورة في كتب الحديث السادسة قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا خطاب للمكلفين باجماع ويخرج منه المرضى والزمنى والمسافرون والعبيد
والنسا بالدليل والعميان والشيخ الذي لا يمشي الا بقايد عند ابي حنيفة روى ابو الزبير
عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله واليوم الاخر فعليه الجمعة
يوم الجمعة الا مريض او مسافر او امراة او صبي او مملوك فمن استغنى بلهو او تجارة استغنى الله
عنه والله غني حميد خرجه الدارقطني وقال علماونا رحمة الله عليهم ولا يتخلف
احد عن الجمعة ممن عليه اتيانها الا بعذر لا يمكنه معه الاتيان اليها مثل المرض الحابس او خوف
الزيادة في المرض او خوف جور السلطان عليه في مال او بدن دون القضا عليه بحق والمطر
الوابل مع الوحل عذر ان لم ينقطع ولم يره مالك عذرا له حكاه المهدوي ولو تخلف متخلف على
ولي حميم له قد حضرته الوفاة ولم يكن عنده من يقوم بامره رجي ان يكون في سعة وقد فعل
ذلك ابن عمر ومن تخلف عنها لغير عذر فصلى قبل الامام اعاد ولا يجزيه ان يصلي قبله
وهو في تخلفه عنها مع امكانه لذلك عاص لله بفعله السابعة قوله تعالى اذا نودي يختص
بوجوب الجمعة القريب الذي يسمع النداء فاما البعيد الدار الذي لا يسمع النداء فلا يدخل
تحت الخطاب واختلف الناس فيمن ياتي الجمعة من الداني والقاصي فقال ابن عمر وابو
هريرة وانس تجب الجمعة على من كان في المصر على ستة اميال وقال ربيعة اربعة اميال
وقال مالك والليث ثلاثة اميال وقال الشافعي اعتبار سماع الاذان ان يكون المؤذن
صيتا والاصوات هادية والريح ساكنة وموقف المؤذن عند سور البلد وفي الصحيح
عن عايشة ان الناس كانوا ينتابون الجمعة من منازلهم ومن العوالي فياتون في العبا
ويصيبهم الغبار فيخرج منهم الريح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو اغتسلتم
ليومكم هذا قال علماونا والصوت اذا كان رفيعا والناس في هدو وسكون فاقصى سماع
الصوت ثلاثة اميال والعوالي من المدينة اقربها على ثلاثة اميال وقال احمد بن حنبل
واسحاق تجب الجمعة على من سمع النداء وروى الدارقطني من حديث عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انما الجمعة على من سمع النداء
وقال ابو حنيفة واصحابه تجب على من في المصر سمع النداء او لم يسمعه ولا تجب على
من هو خارج المصر وان سمع النداء حتى سيل هل تجب الجمعة على اهل زبارة بينها وبين
الكوفة مجرى نهر فقال لا وروي عن ربيعة ايضا انها تجب عليه اذا سمع الاذان الثامنة
قوله تعالى اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله دليل على ان الجمعة
لا تجب الا بالنداء والنداء لا يكون الا بدخول الوقت بدليل قوله عليه السلام اذا حضرت
الصلاة فاذنا ثم اقيما وليومكما اكبركما قاله لمالك بن الحويرث وصاحبه وفي البخاري
عن انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصلي الجمعة حين تميل الشمس وقد
روي عن ابي بكر الصديق واحمد بن حنبل رضي الله عنهما انها تصلى قبل الزوال وتمسك
احمد في ذلك بحديث سلمة بن الاكوع كنا نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم ننصرف
وليس للحيطان ظل وبحديث ابن عمر ما كنا نقيل ولا نتغدى الا بعد الجمعة ومثله
عن سهل خرجه مسلم وحديث سلمة محمول على التبكير رواه هشام بن عبد الملك عن يعلى
عن الحرث عن اياس بن سلمة بن الاكوع عن ابيه وروى وكيع عن يعلى عن اياس بن ابيه قال
كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفي وهذا
مذهب الجمهور من السلف والخلف وقياسا على صلاة الظهر وحديث ابن عمر وسهل دليل
على انهم كانوا يبكرون الى الجمعة تبكيرا كثيرا عند الغداة او قبلها ولا يتناولون ذلك الا
بعد انقضا الصلاة وقد راى مالك ان التبكير بالجمعة انما يكون قرب الزوال بيسير وتاول
قول النبي صلى الله عليه وسلم من راح في الساعة فكانما قرب بدنة الحديث كله انه في
ساعة واحدة وحمله ساير العلما على ساعات النهار الزمانية الاثني عشر ساعة المستوية

او المختلفة

او المختلفة بحسب زيادة النهار ونقصانه ابن العربي وهو اصح لحديث ابن عمر رضي
الله عنه ما كانوا يقيلون ولا يتغدون الا بعد الجمعة لكثرة البكور اليها التاسعة
فرض الله تعالى الجمعة على كل مسلم ردا على من يقول انها فرض على الكفاية ونقل عن بعض
الشافعية ونقل عن مالك من لم يحقق انها سنة وجمهور الامة والايمة انها فرض على
الاعيان لقول الله سبحانه اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا
البيع وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لينتهين اقوام عن ودعهم الجمعات
او ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين وهذا حجة واضحة في وجوب
الجمعة وفريضتها وفي سنن ابن ماجه عن ابي الجعد الضمري وكانت له صحبة قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك الجمعة ثلاث مرات تهاونا بها طبع الله على
قلبه اسناد صحيح وحديث جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من ترك الجمعة ثلاثا من غير ضرورة طبع الله على قلبه ابن العربي وثبت عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الرواح الى الجمعة واجب على كل مسلم العاشرة اوجب
الله السعي الى الجمعة مطلقا من غير شرط وثبت شرط الوضوء بالقران والسنة في
جميع الصلوات لقوله عز وجل اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم الاية وقال النبي
صلى الله عليه وسلم لا يقبل الله صلاة بغير طهور واغربت طايفة فقالت ان غسل
الجمعة فرض ابن العربي وهذا باطل لما روى النساي وابو داود في سننهما ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال من توضا يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل
وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من توضا يوم الجمعة
فاحسن الوضوء ثم راح الى الجمعة فاستمع وانصت غفر له ما بين الجمعة الى الجمعة وزيادة
ثلاثة ايام ومن مس الحصى فقد لغا وهذا نص وفي الموطا ان رجلا دخل يوم الجمعة
وعمر بن الخطاب يخطب الحديث الى ان قال ما زدت على ان توضات فقال عمر والوضو
ايضا وقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل فامر عمر بالغسل ولم
يامره بالرجوع فدل على انه محمول على الاستحباب فلم يمكن وقد تلبس بالفرض وهو
الحضور والانصات للخطبة ان يرجع عنه الى السنة وذلك بمحضر فحول الصحابة
وكبار المهاجرين حوالي عمر وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم الحادية عشر لا تسقط
الجمعة لكونها في يوم عيد خلافا لاحمد بن حنبل حين قال اذا اجتمع عيد وجمعة
سقط فرض الجمعة لتقدم العيد عليها واشتغال الناس به عنها وتعلق في ذلك بما
روي ان عثمان اذن في يوم عيد لاهل العوالي ان يتخلفوا عن الجمعة وقول الواحد
من الصحابة ليس بحجة اذا خولف فيه ولم يجمع معه عليه والامر بالسعي متوجه يوم
العيد كتوجهه في ساير الايام وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير قال كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقرا في العيدين وفي الجمعة بسبح اسم ربك الاعلى وهل
اتاك حديث الغاشية قال واذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرا بهما ايضا في الصلاتين
اخرجه ابو داود والترمذي والنساي وابن ماجه الثانية عشر قوله تعالى الى
ذكر الله اي الصلاة وقيل الخطبة والمواعظ قاله سعيد بن جبير ابن العربي والصحيح
انه واجب في الجميع واوله الخطبة وبه قال علماونا الا عبد الملك بن الماجشون فانه
راها سنة والدليل على وجوبها انها تحرم البيع ولولا وجوبها ما حرمته لان المستحب
لا يحرم المباح واذا قلنا ان المراد بالذكر الصلاة فالخطبة من الصلاة والعبد يكون
ذاكرا لله بفعله كما يكون مسبحا لله بفعله الزمخشري فان قلت كيف يفسر ذكر الله
بالخطبة وفيها غير ذلك قلت ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثنا
عليه وعلى خلفايه الراشدين واتقيا المومنين والموعظة والتذكير فهو في حكم
ذكر الله فاما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة والقابهم والثنا عليهم والدعا لهم وهم احقا
بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل الثالثة عشر قوله تعالى
وذروا البيع منع الله جل وعز منه عند صلاة الجمعة وحرمه في وقتها على من كان

مخاطبا بعرضها والبيع لا يخلوا عن شراء فاكتفى بذكر احدهما كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم وخص البيع لانه اكثر ما يستعمل به اصحاب الاسواق ومن لا يجب عليه حضور الجمعة فلا ينهى عن البيع والشراء في وقت النهي وقوله ان الذمي بعد الزوال الى الفراغ منها قاله الضحاك والحسن وعطا الثاني من وقت اذان الخطبة الى وقت الصلاه قاله الشافعي ومذهب مالك ان يترك البيع اذا نودي للصلاه ويفسخ عنده ما وقع من ذلك من البيع في ذلك الوقت ولا يفسخ العتق والنكاح والطلاق وغيره اذ ليس من عادة الناس الاشتغال به كاشتغالهم بالبيع قالوا وكذلك الشركة والهبة والصدقة نادر لا يفسخ ابن العربي والصحيح فسخ الجميع لان البيع انما منع منه للاشتغال به وكل امر يشغل عن الجمعة من العقود كلها فهو حرام شرعا مفسوخ ردعا المهدوي وراد بعض العلما البيع في الوقت المذكور جايزا وتاول النهي عنه ندبا واستدل بقوله تعالى ذلكم خير لكم قلت وهذا مذهب الشافعي فان البيع ينعقد عنده ولا يفسخ وقال الزمخشري في تفسيره ان عامة العلما على ان ذلك لا يودي فساد البيع قالوا لان البيع لا يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة في الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بما مغصوب وعن بعض الناس انه فاسد قلت الصحيح فساده وفسخه لقوله عليه السلام كل امر ليس عليه امرنا فهو رد اي مردود والله اعلم قوله تعالى فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض هذا امر اباحه كقوله تعالى واذا احللتم فاصطادوا يقول اذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الارض للتجاره والتصرف في حوايجكم وابتغوا من فضل الله اي من رزقه وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال اللهم اني اجبت دعوتك واديت فريضتك وانتشرت كما امرتني فارزقني من فضلك وانت خير الرازقين وقال جعفر بن محمد في قوله تعالى وابتغوا من فضل الله انه العمل في يوم السبت وعن الحسن بن سعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن ابن عباس لم تومروا بطلب شي من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنايز وزيارة الاخ في الله تعالى واذكروا الله كثيرا اي بالطاعة واللسان وبالشكر على ما به انعم عليكم من التوفيق لاداء فرايضه لعلكم تفلحون كي تفلحوا قال سعيد بن جبير الذكر طاعة الله فمن اطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وان كان كثير التسبيح وقد مضى هذا مرفوعا في البقرة قوله تعالى واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما يوم الجمعة فجات عير من الشام فانفتل الناس اليها حتى لم يبق الا اثنا عشر رجلا في رواية انا فيهم فانزلت هذه الاية التي في الجمعة واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما في رواية ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وقد ذكر الكلبي وغيره ان الذي قدم بها دحيه بن خليفه الكلبي من الشام عند مجاعه وغلا سعر وكان معه جميع ما يحتاج الناس اليه من بر ودقيق وغيره فنزل عند احجار الزيت وضرب بالطبل ليوذن الناس بقدومه فخرج الناس الا اثني عشر رجلا وقال الكلبي وكانوا في خطبة الجمعة فانفضوا اليه وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانية رجال وحكاه الثعلبي عن ابن عباس وذكر الدارقطني من حديث جابر بن عبد الله قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة اذا اقبلت عير تحمل الطعام حتى نزلت بالبقيع فالتفتوا اليها وانفضوا اليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس معه الا اربعين رجلا انا منهم قال وانزل الله تعالى على النبي صلى الله عليه وسلم واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما قال الدارقطني لم يقل في هذا الاسناد الا اربعين رجلا غير علي بن عاصم عن حصين وخالفه اصحاب حصين فقالوا لم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم الا اثنا عشر رجلا وروي عنه عليه السلام انه قال

والذي

والذي نفسي بيده لو خرجوا جميعا لاضرم الله عليهم الوادي نارا ذكره الزمخشري وروي من حديث مرسل اسما الاثني عشر رجلا رواه اسد بن عمرو والد اسد بن موسى بن اسد وفيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق معه الا ابو بكر وعمر وعلي وعثمان وطلحه والزبير وسعد بن ابي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وابي عبيدة بن الجراح وسعيد بن زيد وبلال وعبد الله بن مسعود في احد الروايتين وفي الرواية الاخرى عمار بن ياسر قلت لم يذكر جابرا وقد ذكر مسلم انه كان فيهم والدارقطني ايضا فيكونون ثلاثة عشر وان كان عبد الله بن مسعود فيهم فهم اربعة عشر وقد ذكر ابو داود في مراسيله السبب الذي ترخصوا لانفسهم في ترك سماع الخطبة وقد كانوا خلقا لفضلهم ان لا يفعلوا فقال حدثنا محمود بن خالد قال ثنا الوليد قال اخبرني ابو معاذ بكير بن معروف انه سمع مقاتل بن حيان قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى كان يوم جمعة والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال ان دحيه بن خليفة قدم بتجارته وكان دحيه اذا قدم تلقاه اهله بالدفاف فخرج الناس فلم يظنوا الا انه ليس في ترك الخطبة شي فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها فقدم النبي صلى الله عليه وسلم الخطبة يوم الجمعة واخر الصلاه وكان لا يخرج احد لرعاف او احداث بعد النهي حتى يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم يشير اليه باصبعه التي تلي الابهام فياذن له النبي صلى الله عليه وسلم ثم يشير اليه بيده فكان من المنافقين من ثقل عليه الخطبة والجلوس في المسجد فكان اذا استاذن رجل من المسلمين قام المنافق الى جنبه مستترا به حتى يخرج فانزل الله عز وجل قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا الاية قال السهيلي وهذا الخبر وان لم ينقل من وجه ثابت فالظن الجميل باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يوجب ان يكون صحيحا والله اعلم وقال قتاده وبلغنا انهم فعلوه ثلاث مرات كل مرة عير تقدم من الشام وكل ذلك يوافق يوم الجمعة وقيل ان خروجهم لقدوم دحيه الكلبي بتجارته ونظرهم الى العير تمر لهوا لا فايدة فيه الا انه كان مما لا اثر فيه لو وقع على غير ذلك الوجه ولكنه لما اتصل به الاعراض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والانفضاض عن حضرته غلظ وكبر ونزل فيه من القران وتهجينه باسم اللهو ما نزل وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال كلما يلهو به باطل الا رميه بقوسه الحديث وقد مضى في سورة الانفال والحمد لله وقال جابر بن عبد الله كان الجواري اذا نكحن يزمرن بالمزامير والطبل فانفضوا اليها فنزلت وانما رد الكناية الى التجاره لانها اهم وقرا طلحه بن مصرف واذا راوا التجارة او اللهو انفضوا اليها المعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها او لهوا انفضوا اليه وقيل المعنى واذا راوا تجارة انفضوا اليها فحذف لدلالة الكلام كما قال ٭ نحن بما عندنا وانت بما عندك راض والراي مختلف ٭ وقيل الاجود في العربيه ان يجعل الراجع في الذكر للاخر من الاسمين الثانيه واختلف العلما في العدد الذي تنعقد بهم الجمعة على اقوال فقال الحسن تنعقد الجمعة باثنين وقال الليث وابو يوسف بثلاثه وقال سفيان الثوري وابو حنيفه باربعه وقال ربيعه باثني عشر رجلا وذكر النجاد ابو بكر احمد بن سلمان قال انبانا ابو خالد يزيد بن الهيثم بن طهمان الدقاق ثنا صبح بن دينار قال ثنا المعافي بن عمران قال ثنا معقل بن عبد الله عن الزهري بسنده الى مصعب بن عمير ان النبي صلى الله عليه وسلم بعثه الى المدينه وانه نزل من دار سعد بن معاذ فجمع بهم وهم اثنا عشر رجلا ذبح لهم يومئذ شاة وقال الامام الشافعي باربعين رجلا قال ابو اسحاق الشيرازي في كتاب التنبيه على مذهب الشافعي كل قرية فيها اربعون رجلا بالغين عقلاء احرارا مقيمين لا يظعنون صيفا ولا شتا الا ظعن حاجة وان يكونوا حاضرين من اول الخطبة الى ان تقام الجمعة وجبت عليهم الجمعة وقال احمد واسحاق الى هذا القول ولم يشترط هذه الشروط وقال مالك اذا كانت قرية فيها سوق ومسجد فعليهم الجمعة من غير اعتبار عدد وكتب عمر بن عبد العزيز الى قرية اجتمع فيها ثلاثون بيتا

تلزمهم الجمعة وقال ابو حنيفة لا تجب الجمعة على اهل السواد والقرى ولا يجوز لهم اقامتها
فيها واشترط في وجوب الجمعة وانعقادها المصر الجامع والسلطان القاهر والسوق
القايمة والنهر الجاري واحتج بحديث علي لا جمعة ولا تشريق الا في مصر جامع ورفقته تقيم
وهذا يرده حديث ابن عباس قال ان اول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم بقرية يقال لها جواثى من البحرين وحجة الامام الشافعي في اربعين حديث
جابر المذكور الذي خرجه الدارقطني وفي سنن ابن ماجه والدارقطني ايضا ودلائل
النبوة للبيهقي عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قايد ابي حين ذهب بصره
فاذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان صلى على ابي امامة واستغفر له قال فمكث كذلك
حينا لا يسمع الاذان للجمعة الا فعل ذلك فقلت له يا ابه استغفارك لابي امامة كلما
سمعت اذان الجمعة ما هو قال اي بني هو اول من جمع بالمدينة في هزم من حرة بني
بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت كم انتم يومئذ قال اربعون رجلا وقال
جابر بن عبد الله مضت السنة ان في كل ثلاثة اماما وفي كل اربعين فما فوق ذلك
جمعة واضحى وافطر وذلك انهم جماعة خرجه الدارقطني رحمه الله وروى ابو بكر
احمد بن سلمان النجاد قرئ على عبد الملك بن محمد الرقاشي وانا اسمع حدثني
رجاء بن سلمة قال ثنا ابي قال ثنا روح بن غطيف الثقفي قال حدثني الزهري
عن ابي سلمة قال قلت لابي هريرة على كم تجب الجمعة من رجل قال لما بلغ اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين جمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرئ
على عبد الملك بن محمد وانا اسمع قال ثنا رجاء بن سلمة قال ثنا عباد بن عباد المهلبي
عن جعفر بن الزبير عن القسم عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تجب الجمعة على خمسين رجلا ولا تجب على من دون ذلك قال ابو المنذر وكتب عمر
ابن عبد العزيز ايما قرية اجتمع فيها خمسون رجلا فليصلوا الجمعة وروى الزهري
عن ام عبد الله الدوسية قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة واجبة
على كل قرية وان لم يكن فيها الا اربعة يعني بالقرى المداين لا يصح هذا عن الزهري
في رواية الجمعة واجبة على اهل كل قرية وان لم يكونوا الا ثلثة رابعهم امامهم لا يصح
سماعه من الدوسية والحكم متروك الثالثة وتصح الجمعة بغير اذن الامام وحضوره
وقال ابو حنيفة من شرطها الامام او خليفته ودليلنا ان الوليد بن عقبة والي
الكوفة ابطا يوما فصلى ابن مسعود بالناس من غير اذنه وروي ان عليا صلى الجمعة
يوم حصر عثمان ولم ينقل انه استاذنه وروي ان سعيد بن العاص والي المدينة
لما خرج عن المدينة صلى ابو موسى بالناس الجمعة من غير استيذان وقال مالك
ان لله فرايض في ارضه لا ينقصها وليها وال او لم يليها الرابعة قال علماونا من شرط
ادائها المسجد المسقف قال ابن العربي ولا اعلم وجهه قلت وجهه قوله تعالى وطهر
بيتي وقوله في بيوت اذن الله ان ترفع وحقيقة البيت ان يكون ذا حيطان وسقف
هذا العرف والله اعلم الخامسة قوله تعالى وتركوك قايما في قيام الخطيب على المنبر
اذا خطب قال علقمة سيل عبد الله اكان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب قايما او قاعدا
فقال اما تقرا وتركوك قايما وفي صحيح مسلم عن كعب بن عجرة انه دخل المسجد وعبد
الرحمن بن ام الحكم يخطب قاعدا فقال انظروا الى هذا الخبيث يخطب قاعدا وقال
الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما وخرج عن جابر ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب قايما ثم يجلس ثم يقوم فيخطب قايما فمن نباك
انه كان يخطب جالسا فقد كذب فقد والله صليت معه اكثر من الفي صلاة وعلى
هذا جمهور الفقهاء وايمة العلماء وقال ابو حنيفة ليس القيام بشرط فيها ويروى
ان اول من خطب قاعدا معوية وخطب عثمان قايما حتى رق فخطب قاعدا وقد
قيل ان معاوية انما خطب قاعدا لسنه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب
قايما ثم يقعد ثم يقوم ولا يتكلم في قعدته رواه جابر بن سمرة ورواه ابن عمر في كتاب

البخاري السادسة والخطبة شرط في انعقاد الجمعة لا تصح الا بها وهو قول جمهور العلما
وقال الحسن هي مستحبة وكذا قال ابن الماجشون انها سنة وليست بفرض وقال
سعيد بن جبير هي بمنزلة الركعتين من صلاة الظهر والدليل على وجوبها قوله تعالى
وتركوك قايما وهذا ذم والواجب هو الذي يذم تاركه شرعا ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم
لم يصلها الا بخطبة السابعة ويخطب متوكيا على قوس او عصا ففي سنن ابن ماجه قال ثنا
هشام بن عمار قال حدثنا عبد الرحمن بن سعد بن عمار بن سعد قال حدثني ابي عن
ابيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب في الحرب خطب على قوس واذا
خطب في الجمعة خطب على عصا الثامنة ويسلم اذا صعد المنبر على الناس عند الشافعي
وغيره ولم يره مالك وقد روى ابن ماجه من حديث جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا صعد المنبر سلم التاسعة فان خطب على غير طهارة الخطبة كلها او بعضها
عند مالك ولا اعادة عليه اذا صلى طاهرا وللشافعي قولان في ايجاب الطهارة شرطها في
الجديد ولم يشترطها في القديم وهو قول ابي حنيفة العاشرة واقل ما يجزي في الخطبة
ان يحمد الله ويصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ويوصي بتقوى الله ويقرا اية من القران
ويجب في الثانية اربع كالاولى الا ان الواجب بدلا من قراة الاية في الاولى الدعا قاله اكثر
الفقها وقال ابو حنيفة لو اقتصر على التحميد او التسبيح او التكبير اجزاه وعن عثمان رضي
الله عنه انه صعد المنبر فقال الحمد لله وارتج عليه فقال ان ابا بكر وعمر كانا يعدان لهذا
المقام مقالا وانكم الى امام فعال احوج منكم الى امام قوال وستاتيكم الخطب ثم نزل فصلى
وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه احد وقال ابو يوسف والواجب ما تناوله اسم
خطبة وهو قول الشافعي قال ابو عمر بن عبد البر وهذا اصح ما قيل في ذلك الحادية
عشر في صحيح مسلم عن يعلى بن امية انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرا على المنبر
ونادوا يا مالك وفيه عن عمرة بنت عبد الرحمن عن اخت لعمرة قالت ما اخذت ق والقران
المجيد الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يقراها على المنبر في كل جمعة وقد
مضى في اول ق وفي مراسيل ابي داود عن الزهري قال كان صدر خطبة النبي صلى الله
عليه وسلم الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا من يهد الله
فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
ارسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدي الساعة من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى نسال الله ربنا ان يجعلنا ممن يطيعه ويطيع رسوله ويتبع رضوانه ويجتنب
سخطه فانما نحن به وله وعنه قال بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان
يقول اذا خطب كل ما هو ات قريب ولا بعد لما هو ات ولا يعجل الله لعجلة احد ولا يخف
لامر الناس ما شا الله لا ما شا الناس يريد الله امرا ويريد الناس امرا ما شا الله كان ولو
كره الناس ولا مبعد لما قرب الله ولا مقرب لما بعد الله لا يكون شيء الا باذن الله جل وعز
وعن جابر كان النبي صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة يخطب فيقول بعد ان يحمد الله ويصلي على
انبيايه ايها الناس ان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم
ان العبد المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله قاض فيه وبين اجل قد بقي
لا يدري ما الله صانع فيه فلياخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن
الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما
بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وقد تقدم
ما خطب به عليه السلام اول جمعة عند قدومه المدينة الثانية عشر السكوت للخطبة
واجب على من سمعها وجوب سنة والسنة ان يسكت لها من يسمع ومن لم يسمع وهما ان
شا الله في الاجر سوا ومن تكلم حينئذ فقد لغا ولا تفسد صلاته بذلك وفي الصحيح
عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قلت لصاحبك انصت يوم الجمعة
والامام يخطب فقد لغوت الزمخشري واذا قال المنصت لصاحبه صه فقد لغا فلا
يكون الخطيب الغالي في ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام الثالثة.

عشر ويستقبل الناس الامام اذا صعد المنبر لما رواه ابو داود مرسلا عن ابان بن عبد
قال كنت مع عدي بن ثابت يوم الجمعة فلما خرج الامام او قال صعد المنبر استقبله
وقال هكذا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يفعلون برسول الله صلى الله عليه وسلم
خرجه ابن ماجه عن عدي بن ثابت عن ابيه فزاد في الاسناد عن ابيه قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام على المنبر استقبله اصحابه بوجوههم قال ابن ماجه
ارجوا ان يكون متصلا قلت وخرج ابو نعيم الحافظ قال ثنا محمد بن معمر قال ثنا عبد
الله بن محمد بن ناجية قال ثنا عباد بن يعقوب قال ثنا محمد بن الفضل الخراساني
عن منصور عن ابراهيم عن علقمة بن عبد الله قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا استوى
على المنبر استقبلناه بوجوهنا تفرد به محمد بن الفضل بن عطية عن منصور الرابعة
عشر ولا يركع من دخل المسجد والامام يخطب عند مالك رحمه الله وهو قول ابن
شهاب وغيره وفي الموطا عنه عن ابن شهاب خروج الامام يقطع الصلاة وكلامه
يقطع الكلام وهذا مرسل وفي صحيح مسلم من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم
اذا جاء احدكم يوم الجمعة والامام يخطب فليركع ركعتين وليتجوز فيهما وهذا نص في الركوع
وبه يقول الشافعي وغيره الخامسة عشر ابن عون عن ابن سيرين قال كانوا يكرهون النوم
والامام يخطب ويقولون فيه قولا شديدا قال ابن عون ثم لقيني بعد ذلك فقال
تدري ما يقولون قال تقولون مثلهم كمثل سرية اخفقوا ثم قال تدري ما اخفقوا
لم يغنموا شيئا وعن سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا نعس
احدكم فليتحول الى مقعد صاحبه ويتحول صاحبه الى مقعده السادسة عشر تذكر فيها
من فضل الجمعة وفرضها ما لم تذكره روى الائمة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذكر يوم الجمعة فقال فيها ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسال
الله شيئا الا اعطاه اياه واشار بيده يقللها وفي صحيح مسلم من حديث ابي موسى
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هي ما بين ان يجلس الامام الى ان
تقضى الصلاة وروي من حديث انس ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطا علينا ذات
يوم فلما خرج قلنا احتبست قال ذلك ان جبريل اتاني بكهيئة المراة البيضاء فيها
نكتة سوداء فقلت ما هذه يا جبريل قال هذه الجمعة فيها خير لك ولامتك وقد
ارادوها اليهود والنصارى فاخطاوها وهداكم الله لها قلت يا جبريل ما هذه
النكتة السوداء قال هذه الساعة التي في يوم الجمعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله
فيها خيرا الا اعطاه اياه او ادخر له مثلها يوم القيامة او صرف عنه من السوء مثله وانه
خير الايام عند الله وان اهل الجنة يسمونه يوم المزيد وذكر الحديث وذكر ابن المبارك
ويحيى بن سلام قال ثنا المسعودي عن المنهال بن عمرو عن ابي عبيدة بن عبد الله
ابن عتبة عن ابن مسعود قال سارعوا الى الجمعة فان الله تبارك وتعالى يبرز
لاهل الجنة كل يوم جمعة في كثيب من كافور ابيض فيكونون منه في القرب قال ابن
المبارك على قدر تسارعهم الى الجمعة في الدنيا وقال يحيى بن سلام لمسارعتهم الى
الجمعة في الدنيا وزاد فيحدث لهم من الكرامة شيئا لم يكونوا راوه قبل ذلك قال يحيى
وسمعت غير المسعودي يزيد فيه وهو قوله تعالى ولدينا مزيد قلت قوله في كثيب
يريد اهل الجنة اي هم على كثيب كما روى الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اهل الجنة ينظرون الى ربهم في كل جمعة على كثيب من كافور لا يرى طرفاه وفيه
نهر جار حافاته المسك عليه جوار يقران القران باحسن اصوات سمعها الاولون والاخرون
فاذا انصرفوا الى منازلهم اخذ كل رجل بيد ما شاء منهن ثم يمرون على قناطر من لؤلؤ الى
منازلهم فلولا ان الله يهديهم الى منازلهم ما اهتدوا اليها لما يحدث الله لهم في
جمعة ذكره يحيى بن سلام وعن انس قال النبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري بي
تحت العرش سبعين مدينة كل مدينة مثل دنياكم هذه سبعين مرة مملوءة من
الملائكة يسبحون الله ويقدسونه يقولون في تسبيحهم اللهم اغفر لمن شهد الجمعة اللهم

اغفر

اغفر لمن اغتسل يوم الجمعة ذكره الثعلبي وخرج القاضي الشريف ابو الحسن علي بن عبد
الله بن ابراهيم الهاشمي العيسوي من ولد عيسى بن علي بن عبد الله بن عباس رضي
الله عنه باسناد صحيح عن ابي موسى الاشعري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان الله عز وجل يبعث الايام يوم القيامة على هيئتها ويبعث الجمعة زهراء منيرة اهلها يحفون
بها كالعروس تهدى الى كريمها تضيء لهم يمشون في ضوئها الوانهم كالثلج بياضا وريحهم
يسطع كالمسك يخوضون في جبال الكافور ينظر اليهم الثقلان ما يطرفون تعجبا يدخلون
الجنة لا يخالطهم احد الا المؤذنون المحتسبون وفي سنن ابن ماجه عن ابي هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال الجمعة الى الجمعة كفارة ما بينهما ما لم تغش الكبائر خرجه
مسلم بمعناه وعن اوس بن اوس الثقفي قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول من
غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ودنا من الامام فاستمع ولم يلغ كان
له بكل خطوة عمل سنة اجر صيامها وقيامها قلت وعن جابر بن عبد الله قال خطبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس توبوا الى الله قبل ان تموتوا وبادروا بالاعمال
الصالحة قبل ان تشتغلوا وصلوا الذي بينكم وبين ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة
في السر والعلانية ترزقوا وتنصروا وتوجروا واعلموا ان الله قد افترض عليكم الجمعة
في مقامي هذا في شهري هذا في عامي هذا الى يوم القيامة فمن تركها في حياتي او بعد مماتي
وله امام عادل او جائر استخفافا بها او جحودا لها فلا جمع الله شمله ولا بارك له في امره
الا ولا صلاة له ولا زكاة له ولا حج له الا ولا صوم له ولا بر له حتى يتوب فمن تاب تاب الله
عليه الا ولا تؤم امراة رجلا ولا يؤم اعرابي مهاجرا ولا يؤم فاجر مؤمنا الا ان يقهره سلطان
يخاف سيفه او سوطه وقال ميمون بن ابي شبيب اردت الجمعة مع الحجاج فتهيات للذهاب
ثم قلت اين اذهب اصلي خلف هذا الفاجر فقلت مرة اذهب ومرة لا اذهب ثم اجمع
رايي على الذهاب فناداني مناد من جانب البيت يا ايها الذين امنوا اذا نودي للصلاة
من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع السابعة عشر قوله تعالى قل ما عند الله
خير من اللهو ومن التجارة فيه وجهان احدهما ما عند الله من ثواب صلاتكم خير من لذة
لهوكم وفائدة تجارتكم الثاني ما عند الله من رزقكم الذي قسمه الله لكم خير مما اصبتموه من
لهوكم وتجارتكم وقرا ابو رجاء العطاردي قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة للذين
امنوا والله خير الرازقين اي خير من رزق واعطى فمنه فاطلبوا واستعينوا بطاعته على نيل ما عنده

سورة المنافقين مدنية في قول الجميع وهي احدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله روى البخاري
عن زيد بن ارقم قال كنت مع عمي فسمعت عبد الله بن ابي ابن سلول يقول لا تنفقوا على من
عند رسول الله حتى ينفضوا وقال لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل
فذكرت ذلك لعمي فذكر عمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى عبد الله بن ابي واصحابه فحلفوا ما قالوا فصدقهم رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكذبني فاصابني هم لم يصبني مثله فجلست في بيتي فانزل الله عز وجل اذا
جاءك المنافقون الى قوله هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله الى
قوله ليخرجن الاعز منها الاذل فارسل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله
قد صدقك خرجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح وفي الترمذي عن زيد
ابن ارقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا اناس من الاعراب
فكنا نبتدر الماء وكان الاعراب يسبقونا فيسبق الاعرابي اصحابه فيملا الحوض ويجعل
حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء اصحابه قال فاتى رجل من الانصار اعرابيا
فارخى زمام ناقته لتشرب فابى ان يدعه فانتزع حجرا ففاض الماء فرفع الاعرابي خشبة

وضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي ثم قال لا تنفقوا على من عند
رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله إذا انفضوا من عند محمد فأتوا محمدا بالطعام
فليأكل هو ومن عنده ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل
قال زيد وأنا ردف عمي فسمعت عبد الله بن أبي فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني قال فجاء عمي إلي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكذبك المنافقون قال فوقع علي من جرأتهم ما لم يقع على أحد
قال فبينما أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها
الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني فقال ما قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت
ما قال لي شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي
لأبي بكر فلما أصبحنا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة المنافقين قال أبو عيسى
هذا حديث حسن صحيح وسئل حذيفة بن اليمان عن المنافق فقال الذي يصف
الإسلام ولا يعمل به وهم اليوم شر منهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا
يكتمونه وهم اليوم يظهرونه وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان وعن
عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أربع من كن فيه كان منافقا خالصا
ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا ائتمن
خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر أخبر عليه السلام أن من جمع
هذه الخصال كان منافقا وخبره صدق وروي عن الحسن أنه ذكر له هذا الحديث
فقال إن بني يعقوب حدثوا فكذبوا ووعدوا فأخلفوا وائتمنوا فخانوا إنما هذا
القول من النبي صلى الله عليه وسلم على سبيل الإنذار للمسلمين والتحذير لهم أن يعتادوا
هذه الخصال شفقا أن تفضي بهم إلى النفاق وليس المعنى أن من بدرت هذه الخصال
من غير اختيار واعتياد أنه منافق وقد مضى في سورة إبراهيم القول في هذا مستوفى
والحمد لله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن إذا حدث صدق وإذا وعد
أنجز وإذا ائتمن وفى والمعنى المؤمن الكامل إذا حدث صدق والله أعلم قوله
تعالى قالوا نشهد إنك لرسول الله قيل المعنى يشهدون فعبر عن الحلف بالشهادة
لأن كل واحد من الحلف والشهادة إثبات لأمر مغيب ومنه قول قيس بن ذريح

وأشهد عند الله أني أحبها ... فهذا لها عندي فما عندها ليا

ويحتمل أن يكون ذلك محمولا على ظاهره أنهم يشهدون أن محمدا رسول الله صلى الله عليه
وسلم اعترافا بالإيمان ونفيا للنفاق عن أنفسهم وهو الأشبه والله يعلم إنك
لرسوله كما قالوه بألسنتهم والله يشهد إن المنافقين لكاذبون بضمائرهم
فالتكذيب راجع إلى الضمائر وهذا يدل على أن الإيمان تصديق القلب وعلى أن
الكلام الحقيقي كلام القلب ومن قال شيئا واعتقد خلافه فهو كاذب وقد مضى
هذا المعنى في أول البقرة مستوفى وقيل أكذبهم الله في أيمانهم وهو قوله يحلفون
بالله إنهم لمنكم قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فيه ثلاث مسائل الأولى قوله تعالى
اتخذوا أيمانهم جنة أي سترة وليس يرجع إلى قوله نشهد إنك لرسول الله وإنما يرجع
إلى سبب الآية التي نزلت عليه حسب ما ذكره البخاري والترمذي عن ابن أبي أنه
حلف ما قال وقد قال وقال الضحاك يعني حلفهم بالله إنهم لمنكم وقيل يعني بأيمانهم
ما أخبر الرب عنهم في سورة براءة إذ قال يحلفون بالله ما قالوا الثانية من قال
أقسم بالله أو أشهد بالله أو أقسمت أو أشهدت أو عزمت أو حلفت فقال في ذلك
كله بالله فلا خلاف أنها يمين وكذلك عند مالك وأصحابه أن قال أقسم أو أشهد أو أحلف

دم

ولم يقل بالله إذا أراد بالله وإن لم يرد بالله فليس بيمين وحكاه الكيا عن الشافعي
قال الشافعي إذا قال أشهد بالله ونوى اليمين كان يمينا وقال أبو حنيفة وأصحابه
لو قال أشهد بالله لقد كان كذا كان يمينا ولو قال أشهد لقد كان كذا دون النية كان
يمينا لهذه الآية لأن الله تعالى ذكر منهم الشهادة ثم قال اتخذوا أيمانهم جنة وعند الشافعي
لا يكون ذلك يمينا وإن نوى اليمين لأن قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة ليس يرجع إلى قوله
قالوا نشهد وإنما يرجع إلى ما في براءة من قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا الثالثة
قوله تعالى فصدوا عن سبيل الله أي أعرضوا وهو من الصدود أو صرفوا المؤمنين
عن إقامة حكم الله عليهم من القتل والسبي وأخذ الأموال فهو من الصد أو منعوا الناس
عن الجهاد بأن يتخلفوا ويقتدي بهم غيرهم وقيل فصدوا اليهود والمشركين عن الدخول
في الإسلام بأن يقولوا ها نحن كافرون بهم ولو كان محمد حقا لعرف هذا منا ولجعلنا
نكالا فبين الله أن حالهم لا يخفى عليه ولكن حكمه أن من أظهر الإيمان أجرى عليه
في الظاهر حكم الإيمان إنهم ساء ما كانوا يعملون أي بئست أعمالهم الخبيثة من نفاقهم وأيمانهم
الكاذبة وصدهم عن سبيل الله أعمالا قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا هذا إعلام
من الله تعالى بأن المنافق كافر أي أقروا باللسان ثم كفروا بالقلب وقيل نزلت الآية
في قوم آمنوا ثم ارتدوا فطبع على قلوبهم أي ختم عليها بالكفر فهم لا يفقهون الإيمان
ولا الخير وقرأ زيد بن علي فطبع الله على قلوبهم قوله تعالى وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم
أي هيئاتهم ومناظرهم وإن يقولوا تسمع لقولهم يعني عبد الله بن أبي قال ابن عباس
كان عبد الله بن أبي وسيما جسيما صحيحا صبيحا ذلق اللسان فإذا قال سمع النبي صلى
الله عليه وسلم مقالته وصفه الله بتمام الصورة وحسن الإبانة وقال الكلبي المراد
ابن أبي وجد بن قيس ومعتب بن قشير كانت لهم أجسام ومنظر وفصاحة وفي صحيح
مسلم وقوله كأنهم خشب مسندة قال كانوا رجالا أجمل شيء كأنهم خشب مسندة شبههم
بخشب مسندة إلى الحائط لا يسمعون ولا يعقلون أشباح بلا أرواح وأجسام بلا أحلام
وقيل شبههم بالخشب التي قد تآكلت فهي مسندة بغيرها لا يعلم ما في بطنها وقرأ قنبل
وأبو عمرو والكسائي خشب بإسكان الشين وهي قراءة البراء بن عازب واختيار أبي عبيد
لأن واحدتها خشبة كما تقول بدنة وبدن وليس في اللغة فعلة يجمع على فعل ويلزم
من ثقلها أن يقول البدن فيقرأ والبدن وذكر اليزيدي أنه جماع الخشباء كقوله عز
وجل وحدائق غلبا واحدتها حديقة غلباء وقرأ الباقون بالتثقيل وهي رواية البزي
عن ابن كثير وعياش عن أبي عمرو وأكثر الروايات عن عاصم واختاره أبو حاتم كأنه جمع
خشاب وخشب نحو ثمرة وثمار وثمر وإن شئت جمعت خشبة على خشب كما قالوا بدنة
وبدن وقد روي عن ابن المسيب فتح الخاء والشين في خشب قال سيبويه خشبة وخشب
مثل بدنة وبدن قال ومثله بغير هاء أسد وأسد ووثن ووثن وتقرأ خشب
وهو جمع الجمع خشبة وخشاب وخشب مثل ثمرة وثمار وثمر والإسناد الإمالة
تقول أسندت الشيء أي أملته ومسندة للتكثير أي استندوا إلى الإيمان لحقن
دمائهم قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو أي كل أهل صيحة عليهم هم العدو
فهم العدو في موضع المفعول الثاني على أن الكلام لا ضمير فيه يصفهم بالجبن والخور
قال مقاتل والسدي إذا نادى مناد في العسكر أن انفلتت دابة أو أنشدت ضالة
ظنوا أنهم المرادون لما في قلوبهم من الرعب كما قال الشاعر

ما زلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلا تكر عليهم ورجالا

وقيل يحسبون كل صيحة عليهم كلام ضميره فيه لا يفتقر إلى ما بعده وتقديره يحسبون
كل صيحة عليهم أنهم قد فطن بهم وعلم بنفاقهم لأن للريبة خوفا ثم استأنف الله
خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم فقال هم العدو وهذا معنى قول الضحاك وقيل
يحسبون كل صيحة يسمعونها في المسجد أنها عليهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم
قد أمر فيها بقتلهم فهم أبدا وجلون من أن ينزل الله فيهم أمرا يبيح به دماءهم ويهتك

به استتارهم وفي هذا المعنى قال الشاعر

• فلو انها عصفورة لحسبتها • مسومة تدعو عبيدا وازنما •

ثم وصفهم الله تعالى بقوله هم العدو فاحذرهم حكاه عبد الرحمن بن ابي حاتم وفي قوله تعالى فاحذرهم وجهان احدهما فاحذر ان تثق بقولهم او تميل الى كلامهم الثاني فاحذر ممايلتهم لاعدائك وتخذيلهم لاصحابك قاتلهم الله اي لعنهم الله قاله ابن عباس وابو مالك وهي كلمة ذم وتوبيخ وقد تقول العرب قاتله الله ما اشعره يضعونه موضع التعجب وقيل معنى قاتلهم الله اي احلهم محل من قاتله عدو قاهر لان الله تعالى قاهر لكل معاند حكاه ابن عيسى انى يؤفكون اي يكذبون قاله ابن عباس قتادة معناه يعدلون عن الحق الحسن معناه يصرفون عن الرشد وقيل معناه كيف يضل عقولهم عن هذا مع وضوح الدلائل وهو من الافك وهو الصرف وانى بمعنى كيف وقد تقدم قوله تعالى واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لما نزل القرآن بصفتهم مشى اليهم عشائرهم وقالوا افتضحتم بالنفاق فتوبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النفاق واطلبوا ان يستغفر لكم فلووا رؤوسهم اي حركوها استهزاء وابا قاله ابن عباس وعنه انه كان لعبد الله بن ابي موقف في كل سبت يحض على طاعة الله وطاعة رسوله فقيل له وما ينفعك ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم غضبان عليك فاته يستغفر لك فابى وقال لا اذهب اليه وسبب نزول هذه الآيات ان النبي صلى الله عليه وسلم غزا بني المصطلق على ماء يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فازدحم اجير لعمر يقال له جهجاه مع حليف لعبد الله بن ابي يقال له سنان على ماء بالمشلل فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وصرخ سنان يا للانصار فلطم جهجاه سنانا فقال عبد الله بن ابي اوقد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال الاول سمن كلبك ياكلك اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يعني ابنا الاذل يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه كفوا طعامكم عن هذا الرجل ولا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ويتركوه فقال زيد بن ارقم وهو من رهط عبد الله انت والله الذليل المتنقص في قومك ومحمد صلى الله عليه وسلم في عز من الرحمن ومودة من المسلمين والله لا احبك بعد كلامك هذا ابدا فقال عبد الله اسكت فانما كنت العب فاخبر زيد النبي صلى الله عليه وسلم بقوله فاقسم بالله ما فعل ولا قال فعذره النبي صلى الله عليه وسلم قال زيد فوجدت في نفسي ولامني الناس فنزلت سورة المنافقين في تصديق زيد وتكذيب عبد الله فقيل لعبد الله قد نزلت فيك ايات شديدة فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستغفر لك فالوى براسه فنزلت الآيات خرجه البخاري ومسلم والترمذي بمعناه وقد تقدم اول السورة وقيل يستغفر لكم يستتبكم من النفاق لان التوبة استغفار ورايتهم يصدون وهم مستكبرون اي يعرضون عن الرسول متكبرين عن الايمان وقرا نافع لووا بالتخفيف وشدد الباقون واختاره ابو عبيد وقيل هو فعل الجماعة النحاس وغلط في هذا لانه نزل في عبد الله بن ابي لما قيل له تعال يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم حرك راسه استهزاء فان قيل كيف اخبر عنه بفعل الجماعة قيل له العرب تفعل هذا اذا كنت عن الانسان انشد سيبويه لحسان •

• ظننتم بان يخفى الذي قد صنعتم • وفينا رسول عنده الوحي واضعه •

وانما خاطب حسان ابن الابيرق في شيء سرقه بمكة وقصته مشهورة وقد يجوز ان يخبر عنه وعمن فعل فعله وقيل قال ابن ابي لما لوى راسه امرتموني ان اومن فقد امنت وان اعطي زكاة مالي فقد اعطيت فما بقي الا ان اسجد لمحمد قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم يعني كل ذلك سواء لا ينفع استغفارك شيئا لان الله لا يغفر لهم نظيره سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون سواء علينا اوعظت ام لم تكن من الواعظين وقد تقدم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين اي من سبق في علم الله انه يموت فاسقا قوله تعالى هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند

رسول الله ذكرنا سبب النزول فيما تقدم وابن ابي قال لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا حتى يتفرقوا عنه فاعلمهم الله سبحانه ان خزائن السموات والارض له كيف يشاء قال رجل لحاتم الاصم من اين تاكل فقال ولله خزائن السموات والارض القلوب فهو علام الغيوب ومقلب القلوب وكان الشبلي يقول ولله خزائن السموات والارض فاين تذهبون ولكن المنافقين لا يفقهون انه اذا اراد امرا يسره قوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل القايل ابن ابي كما تقدم وقيل انه لما قال ليخرجن الاعز منها الاذل ورجع الى المدينة لم يلبث الا اياما يسيرة حتى مات فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم والبسه قميصه فنزلت هذه الآية لن يغفر الله لهم وقد مضى بيانه هذا كله في سورة براءة مستوفى وروي ان عبد الله بن عبد الله بن ابي بن سلول قال لابيه والذي لا اله الا هو لا تدخل المدينة حتى تقول ان رسول الله هو الاعز وانا الاذل فقاله توهموا ان العزة بكثرة الاموال والاتباع فبين الله ان العزة والمنعة والقوة لله قوله تعالى يايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله حذر المومنين اخلاق المنافقين اي لا تشتغلوا باموالكم كما فعل المنافقون اذ قالوا للشح باموالهم لا تنفقوا على من عند رسول الله عن ذكر الله اي عن الحج والزكاة وقيل عن قراءة القرآن وقيل عن ادامة الذكر وقيل عن الصلوات الخمس قاله الضحاك وقال الحسن جميع الفرايض كانه قال عن طاعة الله وقيل هو خطاب للمنافقين اي امنتم بالقول فامنوا بالقلب ومن يفعل ذلك اي من يشتغل بالمال والولد عن طاعة الله فاولئك هم الخاسرون قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي الآية فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت يدل على وجوب تعجيل اداء الزكاة ولا يجوز تاخيرها اصلا وكذلك سائر العبادات اذا تعين وقتها الثانية قوله تعالى فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب سال الرجعة الى الدنيا ليعمل صالحا وروى الترمذي عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال من كان له مال يبلغه حج بيت ربه او يجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سال الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله انما سال الرجعة الكفار فقال ساتلو عليك بذلك قرانا يايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين الى قوله والله خبير بما تعملون قال فما يوجب الزكاة قال اذا بلغ المال مايتين فصاعدا قال فما يوجب الحج قال الزاد والراحلة قلت ذكره الحليمي ابو عبد الله الحسين بن الحسن في كتاب منهاج الدين مرفوعا فقال وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان عنده ما يبلغه الحج الحديث وقد تقدم في آل عمران لفظه الثالثة قال ابن العربي اخذ ابن عباس بعموم الآية في انفاق الواجب خاصة دون النفل فاما تفسيره بالزكاة فصحيح كله عموما وتقديرا بالمايتين واما القول في الحج ففيه اشكال لانا ان قلنا ان الحج على التراخي ففي المعصية في الموت قبل الحج خلاف بين العلماء فلا تخرج الآية عليه وان قلنا ان الحج على الفور فالآية في العموم صحيح لان من وجب عليه الحج لم يؤده لقي من الله ما يود انه رجع لياتي بما ترك من العبادات واما تقديره الامر بالزاد والراحلة ففي ذلك خلاف مشهور بين العلماء وليس لكلام ابن عباس فيه مدخل لاجل ان الرجعة والوعيد لا يدخل في المسايل المجتهد فيها ولا المختلف عليها وانما يدخل في المتفق عليه والصحيح تناوله للواجب من الانفاق كيف تصرف بالاجماع او بنص القرآن لاجل ان ما عدا ذلك لا يتطرق اليه بتحقيق الوعيد الرابعة قوله تعالى لولا اي هلا فيكون استفهاما وقيل لا صلة فيكون الكلام بمعنى التمني فاصدق نصب على جواب التمني بالفاء واكون عطف على فاصدق وهي قراءة ابي عمرو وابن محيصن ومجاهد وقرا الباقون واكن بالجزم عطفا على موضع الفاء لان قوله فاصدق لو لم تكن الفاء لكان مجزوما اي اصدق ومثله من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم فيمن جزم قال ابن عباس هذه الآية اشد

على اهل التوحيد لانه لا يتمنى الرجوع في الدنيا والتاخير فيها احد له عند الله خير
في الاخرة قلت الا الشهيد فانه يتمنى الرجوع حتى يقتل لما يرى عند الله من الكرامة
والله خبير بما تعملون من خير وشر وقراة العامة بالتاء على الخطاب وقرا ابو بكر عن
عاصم والسلمي بالياء على الخبر عن من مات فقال هذه المقالة والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة التغابن مدنية

في قول الاكثرين وقال الضحاك مكية وقال الكلبي هي مكية ومدنية وهي
ثمان عشرة اية وعن ابن عباس ان سورة التغابن نزلت بمكة الا ايات من اخرها
نزلت بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
جفا اهله وولده فانزل الله عز وجل يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
الى اخر السورة وعن عبد الله بن عمر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وفي تشابيك
راسه مكتوب خمس ايات من فاتحة سورة التغابن صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يسبح لله ما في السموات وما في الارض له الملك وله الحمد وهو على
كل شي قدير تقدم في غير موضع قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم
مومن قال ابن عباس ان الله خلق بني ادم مومنا وكافرا ويعيدهم في القيمة مومنا وكافرا
وروى ابو سعيد الخدري قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية فذكر شيا
مما يكون فقال يولد الناس على طبقات شتى يولد الرجل مومنا ويعيش مومنا ويموت
مومنا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت كافرا ويولد الرجل مومنا ويعيش مومنا
ويموت كافرا ويولد الرجل كافرا ويعيش كافرا ويموت مومنا وقال ابن مسعود قال
النبي صلى الله عليه وسلم خلق الله فرعون في بطن امه كافرا وخلق يحيى بن زكريا
في بطن امه مومنا وفي الصحيح من حديث ابن مسعود وان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة
حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل النار
فيدخلها وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع او باع
فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها خرجه البخاري والترمذي
وليس فيه ذكر الباع وفي صحيح مسلم عن سهل بن سعد الساعدي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من
اهل الجنة قال علماونا والمعنى تعلق العلم الازلي بكل معلوم فيجري ما علم واراد
وحكم فقد يريد ايمان شخص على عموم الاحوال وقد يريده الى وقت معلوم وكذلك
الكفر وقيل في الكلام محذوف فمنكم مومن ومنكم كافر ومنكم فاسق فحذف لما في
الكلام من الدلالة عليه قاله الحسن وقال غيره لا حذف فيه لان المقصود ذكر
الطرفين وقال جماعة من اهل العلم ان الله خلق الخلق ثم كفروا وامنوا قالوا وتمام
الكلام وهو الذي خلقكم ثم وصفهم فقال فمنكم كافر ومنكم مومن كقوله تعالى والله
خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين الاية قالوا
فالله خلقهم والمشي فعلهم واختاره الحسين بن الفضل قال لو خلقهم مومنين وكافرين
لما وصفهم بفعلهم في قوله فمنكم كافر ومنكم مومن واحتجوا بقوله عليه السلام كل مولود
يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه الحديث وقد مضى في سورة
الروم مستوفى قال الضحاك فمنكم كافر في السر مومن في العلانية كالمنافق ومنكم
مومن في السر كافر في العلانية كعمار وذويه وقال عطا بن ابي رباح فمنكم كافر
بالله مومن بالكوكب ومنكم مومن بالله كافر بالكوكب يعني في شان الانوا وقال
الزجاج وهو احسن الاقوال والذي عليه الائمة والجمهور من الامة ان الله خلق
الكافر وكفره فعل له وكسب مع ان الله خالق الكفر وخلق المومن وايمانه فعل له

وكسب

وكسب مع ان الله خالق الايمان والكافر يكفر ويختار الكفر بعد خلق الله اياه لان
الله تعالى قدر ذلك عليه وعلمه منه ولا يجوز ان يوجد من كل واحد منهما غير الذي
قدر عليه وعلمه منه لان وجود خلاف المقدور عجز ووجود خلاف المعلوم جهل ولا
يليقان بالله تعالى وفي هذا سلامة من الجبر والقدر كما قال الشاعر

يا ناظرا في الدين ما الامر ۞ لا قدر صح ولا جبر

وقال سيلان قدم اعرابي البصرة فقيل له ما تقول في القدر فقال امر تغالت فيه
الظنون واختلف فيه المختلفون فالواجب ان نرد ما اشكل علينا من حكمه الى ما سبق
علمه قوله تعالى هو الذي خلق السموات والارض بالحق تقدم في موضع اي خلقها
حقا يقينا لا ريب فيه وقيل الباء بمعنى اللام اي خلقها للحق وهو ان يجزي الذين اساوا
بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى وصوركم فاحسن صوركم يعني ادم عليه السلام
خلقه بيده كرامة له قاله مقاتل الثاني جميع الخلايق وقد مضى معنى التصوير وانه
التخطيط والتشكيل كيف احسن صورهم قيل لهم جعلهم احسن الحيوان كله وابهاه صورة
بدليل ان الانسان لا يتمنى ان تكون صورته على خلاف ما يرى من ساير الصور ومن
حسن صورته انه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم على ما ياتي بيانه ان شا الله تعالى واليه المصير اي المرجع فيجازي كلا بعمله
قوله تعالى يعلم ما في السموات والارض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم
بذات الصدور تقدم في غير موضع فهو عالم الغيب والشهادة لا يخفى عليه شي قوله
تعالى الم ياتكم نبا الذين كفروا من قبل الخطاب لقريش الم ياتكم خبر كفار الامم الماضية
فذاقوا وبال امرهم اي عوقبوا ولهم في الاخرة عذاب اليم اي موجع وقد تقدم قوله
تعالى ذلك اي هذا العذاب لهم بكفرهم بالرسل تاتيهم بالبينات اي بالدلايل الواضحة
فقالوا ابشر يهدوننا انكروا ان يكون الرسول من البشر وارتفع ابشر على الابتدا وقيل
باضمار فعل والجمع على معنى بشر ولهذا قال يهدوننا ولم يقل يهدينا وقد ياتي الواحد
بمعنى الجمع فيكون اسما للجنس وواحده انسان لا واحد له من لفظه وقد ياتي الجمع بمعنى
الواحد نحو قوله تعالى ما هذا بشرا فكفروا اي بهذا القول اذ قالوه استصغارا ولم يعلموا
ان الله يبعث من يشا الى عباده وقيل كفروا بالرسل وتولوا عن البرهان واعرضوا
عن الايمان والموعظة واستغنى الله اي بسلطانه عن طاعة عباده قاله مقاتل وقيل
استغنى الله بما اظهره لهم من البرهان واوضحه لهم من البيان عن زيادة تدعو الى
الرشد وتقود الى الهداية قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا الزعم
هو القول بالظن وقال شريح لكل شي كنية وكنية الكذب زعموا قيل نزلت في العاص
ابن وايل السهمي مع خباب حسب ما تقدم بيانه في اخر سورة مريم ثم عمت كل كافر
قل يا محمد بلى وربي لتبعثن اي لتخرجن من قبوركم احياء ثم لتنبؤن لتخبرن بما عملتم
اي باعمالكم وذلك على الله يسير اذ الاعادة اسهل من الابتدا قوله تعالى فامنوا
بالله ورسوله امرهم بالايمان بعد ان عرفهم قيام الساعة والنور الذي انزلنا وهو
القران وهو نور يهتدى به من ظلمة الضلال والله بما تعملون خبير قوله تعالى
يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى يوم
يجمعكم ليوم الجمع العامل في يوم لتنبؤن او خبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قال
والله خبير بكم يوم يجمعكم او باضمار اذكروا والغبن النقص يقال غبنه غبنا اذا اخذ
الشي منه بدون قيمته وقراة العامة يجمعكم بالياء لقوله والله بما تعملون خبير
فاخبر ولذكر اسم الله اولا وقرا نصر وابن ابي اسحاق والجحدري ويعقوب وسلام
نجمعكم بالنون اعتبارا بقوله والنور الذي انزلنا ويوم الجمع يوم يجمع الله الاولين
والاخرين والانس والجن واهل السما واهل الارض وقيل هو يوم يجمع الله
بين كل عبد وعمله وقيل لانه يجمع فيه بين كل نبي وامته وقيل لانه يجمع فيه بين
ثواب اهل الطاعات وعقاب اهل المعاصي ذلك يوم التغابن قال

له وما ارتجي بالعيش في دار فرقة الا انما الراحات يوم التغابن
وسمي يوم القيمة يوم التغابن لانه غبن فيه اهل الجنة اهل النار اي ان اهل الجنة
اخذوا الجنة واخذ اهل النار النار على طريق المبادلة فوقع الغبن لاجل مبادلتهم
الخير بالشر والجيد بالردي والنعيم بالعذاب يقال غبنت فلانا اذا بايعته او شاريته
فكان النقص عليه والغلبة لك وكذا اهل الجنة واهل النار على ما ياتي بيانه
ويقال غبنت الثوب وخبنته اذا طال عن مقدارك شيا فهو نقصان ايضا والمغابن
ما انثني من الخلق نحو الابطين والفخذين قال المفسرون فالمغبون من غبن اهله
ومنازله في الجنة ويظهر يومئذ غبن كل كافر بترك الايمان وغبن كل مومن بتقصيره
في الاحسان وتضييعه الايام قال الزجاج ويغبن من ارتفعت درجته في الجنة
من كان دون منزلته الثابتة فان قيل فاي معاملة وقعت بينهما حتى يقع الغبن
فيها قيل له هو تمثيل الغبن في الشرا والبيع كما قال اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
فما ربحت تجارتهم بل خسروا واذ ذكر ايضا انهم غبنوا وذلك ان اهل الجنة اشتروا الاخرة
بترك الدنيا واشترى اهل النار الدنيا بترك الاخرة وهذا نوع مبادلة اتساعا ومجازا
وقد فرق الله سبحانه الخلق فرقتين فريقا للجنة وفريقا للنار ومنازل الكل موضوعة
في الجنة والنار فقد يسبق الخذلان على العبد كما بيناه في هذه السورة وغيرها
فيكون من اهل النار فيحصل الموفق على منزل المخذول ومنزل الموفق في النار
فكانه وقع التبادل فحصل التغابن والامثال موضوعة للبيان في حكم اللغة والقران
وذلك كله مجموع من نبذ الاثار وقد جاءت مفرقة في هذا الكتاب وقد يخبر عن هذا
التبادل بالوراثة كما بيناه في قد افلح المومنون والله اعلم وقد يقع التغابن
في غير ذلك اليوم على ما ياتي بيانه بعد ولكنه اراد التغابن الذي لا جبران لنهايته
وقال الحسن وقتادة بلغنا ان التغابن في ثلثة اصناف رجل علم علما فعلمه
وضيعه هو ولم يعمل به فشقي به ويعمل به من تعلمه منه فنجي به ورجل اكتسب مالا
من وجوه يسال عنها وشح عليه وفرط في طاعة ربه بسببه ولم يعمل فيه خيرا وتركه
لوارثه لا حساب عليه فيه فعمل ذلك الوارث فيه بطاعة ربه ورجل كان له
عبد فعمل العبد بطاعة ربه فسعد وعمل السيد بمعصية ربه فشقي وروي عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يقيم الرجل والمراة يوم القيامة
بين يديه فيقول الله تعالى لهما قولا فما انتما بقائلين فيقول الرجل يا رب
اوجبت نفقتها فتعسفتها من حرام وحلال وهولا الخصوم يطلبون ذلك ولم
يبق لي ما اوفي به فتقول المراة يا رب وما عسى ان اقول اكتسبه حراما واكلته
حلالا وعصاك في مرضاتي ولم ارض له بذلك فبعدا له وسحقا فيقول الله تعالى
قد صدقت فيامر به الى النار ويامر بها الى الجنة فتطلع عليه من طبقات الجنة فتقول
له غبناك غبناك سعدنا بما شقيت انت به فذلك يوم التغابن الثانية قال ابن العربي
استدل علماونا بقوله تعالى ذلك يوم التغابن على انه لا يجوز الغبن في المعاملة
الدنيوية لان الله تعالى خصص التغابن بيوم القيامة فقال ذلك يوم التغابن
وهذا الاختصاص يفيد انه لا غبن في الدنيا فكل من اطلع على غبن في مبيع فانه
مردود اذا زاد على الثلث واختاره البغداديون واحتجوا عليه بوجوه منها
قوله صلى الله عليه وسلم لحبان بن منقذ اذا بايعت فقل لا خلابة ولك الخيار
ثلثا وهذا فيه نظر طويل بيناه في مسايل الخلاف نكتته ان الغبن في الدنيا
ممنوع باجماع في حكم الدين اذ هو من باب الخداع المحرم شرعا في كل ملة لكن اليسير
منه لا يمكن الاحتراز عنه لاحد فيمضي في البيوع اذ لو حكمنا برده ما نفذ بيع ابدا
لانه لا يخلو منه موجب الرد به والفرق بين القليل والكثير اصل في الشريعة
معلوم فقدر علماونا الثلث لهذا الحد اذ راوه في الوصية وغيرها ويكون معنى الاية
على هذا ذلك يوم التغابن الجائز مطلقا من غير تفصيل وذلك يوم التغابن الذي

لا يستدرك

لا يستدرك ابدا لان تغابن الدنيا يستدرك بوجهين اما برد في بعض الاحوال واما بربح
في بيع اخر وسلعة اخرى فاما من خسر الجنة فلا درك له ابدا وقد قال بعض علماء الصوفية
ان الله كتب الغبن على الخلق اجمعين فلا يلقى احد ربه الا مغبونا لانه لا يمكنه الاستيفا
للعمل حتى يحصل له استيفا الثواب وفي الاثر قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يلقى الله
احد الا نادما ان كان مسيا ان لم يحسن وان كان محسنا ان لم يزدد قوله تعالى ومن يومن
بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات قرا نافع وابن عامر بالنون فيهما والباقون
بالياء قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا باياتنا يعني القران اولئك اصحاب النار
خالدين فيها وبئس المصير لما ذكر ما للمومنين ذكر ما للكافرين كما تقدم في غير موضع
قوله تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله اي باذنه وقضائه وقال الفرا
يريد الا بامر الله وقيل الا بعلم الله وقيل سبب نزولها ان الكفار قالوا لو كان ما عليه
المسلمون حقا لصانهم الله عن المصائب في الدنيا فبين الرب تبارك وتعالى ان ما اصاب
من مصيبة في نفس او مال او قول او فعل يقتضي هما او يوجب عقابا عاجلا او اجلا فبعلم
الله وقضائه قوله تعالى ومن يومن بالله اي يصدق ويعلم انه لا تصيبه مصيبة الا باذن
الله يهد قلبه للصبر والرضى وقيل يثبته على الايمان وقال ابو عثمان الجيزي من صح
ايمانه يهد الله قلبه لاتباع السنة وقيل ومن يومن بالله يهد قلبه عند المصيبة انا لله
وانا اليه راجعون قاله ابن جبير وقال ابن عباس هو ان يجعل الله في قلبه اليقين ليعلم
ان ما اصابه لم يكن ليخطيه وما اخطاه لم يكن ليصيبه وقال الكلبي هو اذا ابتلي صبر واذا
انعم عليه شكر واذا ظلم غفر وقيل يهد قلبه الى نيل الثواب في الجنة وقراءة العامة يهد
بفتح اليا وكسر الدال لذكر اسم الله اولا وقرا السلمي وقتادة يهد قلبه بضم اليا وفتح الدال
على الفعل المجهول ورفع البا لانه اسم فعل لم يسم فاعله وقرا طلحة بن مصرف والاعرج
نهد بنون على التعظيم قلبه بالنصب وقرا عكرمة يهدا قلبه بهمزة ساكنة ورفع البا اي
يسكن ويطمين وقرا مالك بن دينار الا انه لين الهمزة والله بكل شيء عليم لا يخفى عليه
تسليم من انقاد وسلم لامره ولا كراهة من كرهه قوله تعالى واطيعوا الله واطيعوا
الرسول اي هونوا على انفسكم المصائب واشتغلوا بطاعة الله واعملوا بكتابه واطيعوا
الرسول في العمل بسنته فان توليتم عن الطاعة فليس على الرسول الا التبليغ الله لا اله
الا هو اي لا معبود سواه ولا خالق غيره فعليه توكلوا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم قال ابن عباس نزلت هذه الاية
بالمدينة في عوف بن مالك الاشجعي شكا الى النبي صلى الله عليه وسلم جفا اهله وولده
فنزلت ذكره النحاس وحكاه الطبري عن عطا بن يسار قال نزلت سورة التغابن
كلها بمكة الا هولا الايات يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم
فاحذروهم نزلت في عوف بن مالك الاشجعي كان ذا اهل وولد وكان اذا اراد
الغزو بكوا اليه ورققوه فقالوا الى من تدعنا فيرق فيقيم فنزلت يا ايها الذين امنوا
ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم الاية كلها بالمدينة في عوف بن مالك وبقية
الايات الى اخر السورة بالمدينة وروى الترمذي عن ابن عباس وساله رجل عن هذه
الاية يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال هولا
رجال اسلموا من اهل مكة وارادوا ان ياتوا النبي صلى الله عليه وسلم فابى ازواجهم
واولادهم ان يدعوهم ان ياتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد
فلما اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم راوا الناس قد فقهوا في الدين هموا ان يعاقبوهم
فانزل الله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم
الاية هذا حديث حسن صحيح الثانية قال القاضي ابو بكر بن العربي هذا يبين
وجه العداوة فان العدو لم يكن عدوا لذاته وانما كان عدوا بفعله فاذا فعل الزوج
والولد فعل العدو كان عدوا ولا فعل اقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة

وفي صحيح البخاري من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان
قعد لابن ادم في طريق الايمان فقال له اتؤمن وتذر دينك ودين ابائك فخالفه
فامن ثم قعد له على طريق الهجرة فقال له اتهاجر وتترك اهلك ومالك فخالفه فهاجر
ثم قعد له على طريق الجهاد فقال له اتجاهد فتقتل نفسك فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فخالفه فجاهد فقتل فحق على الله ان يدخله الجنة وقعود الشيطان يكون بوجهين
احدهما يكون بالوسوسة والثاني بان يحمل على ما يريد من ذلك الزوج والولد والصاحب
قال الله تعالى وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وفي حكمة عيسى
عليه السلام من اتخذ اهلا ومالا وولدا كان للدنيا عبدا وفي صحيح الحديث بيان
ادنى من ذلك في حال العبد قال النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس
عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد القطيفة تعس وانتكس واذا شيك
فلا انتقش ولا دناءة اعظم من عبادة الدينار والدرهم ولا همة اخس من همة ترتفع
بثوب جديد الثالثة كما ان الرجل يكون له ولده وزوجته عدوا كذلك المراة يكون
لها زوجها وولدها عدوا بهذا المعنى بعينه وعموم قوله من ازواجكم يدخل فيه الذكر
والانثى لدخولهما في كل اية والله اعلم الرابعة قوله تعالى فاحذروهم معناه على
انفسكم والحذر على النفس يكون بوجهين اما لضرر في البدن واما لضرر في الدين
وضرر البدن بالدنيا وضرر الدين يتعلق بالاخرة فحذر الله سبحانه العبد من ذلك
وانذره به الخامسة قوله تعالى وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم
روى الطبري عن عكرمة في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم واولادكم
عدوا لكم فاحذروهم قال كان الرجل يريد ان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون
له اهله اين تذهب وتدعنا قال فاذا اسلم وفقه قال لارجعن الى الذين كانوا
ينهون عن هذا الامر فلافعلن ولافعلن قال فانزل الله عز وجل وان تعفوا وتصفحوا
وتغفروا فان الله غفور رحيم وقال مجاهد في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان
من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم قال ما عادوهم في الدنيا ولكن حملتهم
مودتهم على ان اخذوا لهم الحرام فاعطوهم اياه والاية عامة في كل معصية يرتكبها
الانسان بسبب الاهل والولد وخصوص السبب لا يمنع عموم الحكم قوله تعالى
انما اموالكم واولادكم فتنة اي بلاء واختبار يحملكم على كسب الحرام ومنع حق الله
تعالى فلا تطيعوهم في معصية الله وفي الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال
اكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وقال القتبي فتنة
اي اغرام يقال فتن الرجل بالمراة اي شغف بها وقيل فتنة محنة ومنه قول الشاعر

لقد فتن الناس في دينهم ۔ وخلى ابن عفان شرا طويلا

وقال ابن عباس لا يقولن احدكم اللهم اعصمني من الفتنة ولكن ليقل اللهم اني
اعوذ بك من مضلات الفتن فانه ليس احد منكم يرجع الى مال واهل وولد الا
وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم اني اعوذ بك من مضلات الفتن وقال
الحسن في قوله تعالى ان من ازواجكم ادخل من للتبعيض لان كلهم ليسوا باعداء
ولم يذكر من في قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة لانهما لا يخلوان من الفتنة واشتغال
القلب بهما وروى الترمذي وغيره عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال رايت
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان
احمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فحملهما ووضعهما
بين يديه ثم قال صدق الله عز وجل انما اموالكم واولادكم فتنة نظرت الى هذين
الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم اخذ في
خطبته والله عنده اجر عظيم وهي الجنة فهي الغاية ولا اجر اعظم منها وفي
الصحيحين واللفظ للبخاري عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقول لاهل الجنة يا اهل الجنة فيقولون لبيك

وسعديك

وسعديك فيقول هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من
خلقك فيقول الا اعطيكم افضل من ذلك قالوا يا ربنا واي شيء افضل من ذلك فيقول
احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم بعده ابدا وقد تقدم ولا شك في ان الرضى غاية
الاماني وانشد الصوفية في تحقيق ذلك

امتحن الله به خلقه ۔ فالنار والجنة في قبضته
فهجره اعظم من ناره ۔ ووصله اطيب من جنته

قوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى فاتقوا الله ما
استطعتم ذهب جماعة من اهل التاويل الى ان هذه الاية ناسخة لقوله تعالى اتقوا
الله حق تقاته منهم قتادة والربيع بن انس والسدي وابن زيد ذكر الطبري
وحدثني يونس بن عبد الاعلى قال انا ابن وهب قال ابن زيد في قوله تعالى يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء امر شديد ومن يعرف قدر هذا ويبلغه
فلما عرف الله انه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاية الاخرى فقال
اتقوا الله ما استطعتم وقيل هي محكمة لا نسخ فيها قال ابن عباس قوله تعالى اتقوا
الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته ان تجاهدوا لله حق جهاده ولا تاخذكم
في الله لومة لائم وتقوموا لله بالقسط ولو على انفسكم وابائكم وابنائكم وقد تقدم
الثانية فان قيل فاذا كانت هذه الاية محكمة غير منسوخة فما وجه قوله في سورة
التغابن فاتقوا الله ما استطعتم وكيف يجوز اجتماع الامر باتقاء الله حق تقاته والامر
باتقائه ما استطعنا والامر باتقائه حق التقاة ايجاب القران بغير خصوص ولا وصل
بشرط والامر باتقائه ما استطعنا امر باتقائه موصولا بشرط قيل له قوله اتقوا الله
ما استطعتم بمعزل مما دل عليه قوله تعالى اتقوا الله حق تقاته وانما عنى بقوله
اتقوا الله ما استطعتم فاتقوا الله ايها الناس وراقبوه فيما جعل فتنة لكم من
اموالكم واولادكم ان تغلبكم فتنتهم ويصدكم عن ذكر الواجب لله عليكم من الهجرة
من ارض الكفر الى ارض الاسلام فتتركوا الهجرة ما استطعتم بمعنى وانتم للهجرة مستطيعون
وذلك ان الله جل ثناؤه قد كان عذر من لم يقدر على الهجرة بتركها بقوله تعالى
ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم
فاخبر انه قد عفا عمن لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا بالاقامة في دار الشرك
الى دار الاسلام ان تتركوها بفتنة اموالكم واولادكم ومما يدل على صحة هذا ان قوله
تعالى فاتقوا الله ما استطعتم عقيب قوله يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم فاحذروهم ولا خلاف بين السلف من اهل العلم بتاويل القران
ان هذه الايات نزلت بسبب قوم كفار تاخروا عن الهجرة من دار الشرك الى دار
الاسلام بتثبيط اولادهم اياهم عن ذلك حسب ما تقدم وهذا كله اختيار الطبري
وقيل فاتقوا الله ما استطعتم فيما تطوع به من نافلة او صدقة فانه لما نزل قوله
فاتقوا الله حق تقاته اشتدت على القوم فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتقرحت
جباههم فانزل الله تعالى تخفيفا عنهم فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت الاولى
قاله ابن جبير قال الماوردي ويحتمل ان يثبت هذا النقل ان المكره على المعصية غير
مؤاخذ بها لانه لا يستطيع اتقاءها الثالثة قوله تعالى واسمعوا واطيعوا اي اسمعوا
ما توعظون به واطيعوا فيما تؤمرون به وتنهون عنه وقال مقاتل اسمعوا
اي اصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب الله وهو الاصل في السماع واطيعوا الرسول
فيما امركم او نهاكم قال قتادة عليهما بويع النبي صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة
وقيل اي اسمعوا اي اقبلوا ما تسمعون وعبر عنه بالسماع لانه فائدته قلت وقد
تعلق في هذه الاية الحجاج حين تلاها وقصرها على عبد الملك بن مروان فقال فاتقوا
الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا لعبد الملك بن مروان فقال فاتقوا الله ما
استطعتم واسمعوا واطيعوا لعبد الملك بن مروان امين الله وخليفته ليس

فيما نتوبه والله لو امرت رجالا ان يخرج من باب المسجد فخرج من غيره يحل لي دمه
وكذب في تاويلها بل هي للنبي صلى الله عليه وسلم اولا نخي له ولي الامر من بعده دليله
واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم الرابعه قوله تعالى وانفقوا قيل
هي الزكاه قاله ابن عباس وقيل هو النفقه في النفل وقال الضحاك هو النفقه في الجهاد
وقال الحسن هو نفقة الرجل لنفسه قال ابن العربي وانما اوقع قايل هذا قوله
لانفسكم وخفي عليه ان نفقة الفرض والنفل في الصدقه هي على نفسه قال الله تعالى ان
احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها وكلما يفعله الرجل من خير فهو لنفسه والصحيح
انها عامه روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال له رجل عندي دينار قال انفقه
على نفسك قال عندي اخر قال انفقه على عيالك قال عندي اخر قال انفقه على
ولدك قال عندي اخر قال تصدق به فبدا بالنفس والاهل والولد وجعل
الصدقه بعد ذلك وهو الاصل في الشرع الخامسه قوله تعالى خيرا لانفسكم خيرا نصب
بفعل مضمر عند سيبويه دل عليه وانفقوا كانه قال ايتوا في الانفاق خيرا لانفسكم
من اموالكم وهو عند الكسايي والفرا نعت لمصدر اي انفقوا انفاقا خيرا لانفسكم
وهو عند ابي عبيده خبر كان مضمره اي يكون خيرا لكم ومن جعل الخير المال فهو
منصوب بانفقوا قوله تعالى ومن يوق شح نفسه فاوليك هم المفلحون تقدم
الكلام فيه وكذلك ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم تقدم الكلام فيه ايضا
في البقره وسورة الحديد ويغفر لكم والله شكور حليم تقدم معنى الشكر في البقره والحليم
الذي لا يعجل قوله تعالى عالم الغيب والشهاده اي ما غاب وحضر وهو العزيز اي
الغالب القاهر فهو من صفات الافعال ومنه قوله عز وجل تنزيل الكتاب من الله
العزيز الحكيم اي من الله القاهر المحكم خالق الاشيا وقال الخطابي وقد يكون بمعنى
نفاسة القدر يقال منه عز يعز بكسر العين فيتناول معنى العزيز على هذا انه لا يعادله
شي وانه لا مثل له والله اعلم الحكيم في تدبير خلقه وقال ابن الانباري الحكيم هو
المحكم لخلق الاشيا صرف عن مفعل الى فعيل ومنه قوله عز وجل الر تلك ايات
الكتاب الحكيم معناه المحكم فصرف عن مفعل الى فعيل والله سبحانه اعلم

سورة الطلاق مدنيه

في قول الجميع وهي احدى عشرة ايه وقيل اثنتا عشرة ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن الى قوله لعل الله
يحدث بعد ذلك امرا فيه اربع عشرة مسيله الاولى قوله تعالى يايها النبي الخطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم خوطب بلفظ الجماعه تعظيما وتفخيما وفي سنن ابن
ماجه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصه ثم راجعها وروى قتاده عن انس
قال طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصه رضي الله عنها فاتت اهلها فانزل
الله تعالى عليه يايها النبي اذا طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وقيل له راجعها
فانها صوامه قوامه وهي من ازواجك في الجنه ذكره الماوردي والقشيري والثعلبي
زاد القشيري ونزل في خروجها الى اهلها قوله تعالى لا تخرجوهن من بيوتهن
وقال الكلبي سبب نزول هذه الايه غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
على حفصه لما اسر اليها حديثا فاظهرته لعايشه فطلقها تطليقه فنزلت الايه
وقال السدي نزلت في عبد الله بن عمر طلق امراته حايضا تطليقه واحده فامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بان تراجعها ثم يمسكها حتى تطهر وتحيض ثم تطهر
من قبل ان يجامعها فتلك العده التي امر الله ان تطلق لها النسا وقد قيل ان رجالا

فعلوا

فعلوا مثل ما فعل عبد الله بن عمر منهم عبد الله بن عمرو بن العاص وعمر بن سعيد
ابن العاص وعتبه بن غزوان فنزلت الايه فيهم قال ابن العربي وهذا كله وان لم
يكن صحيحا فالقول الاول امثل والاصح فيه انه بيان لشرع مبتدا وقد قيل انه خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد امته وغاير بين اللفظين من حاضر وغايب وذلك لغه
فصيحه كما قال اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبه تقديره يايها النبي قل لهم اذا
طلقتم النسا فطلقوهن لعدتهن وهذا هو قولهم ان الخطاب له وحده والمعنى له وللمومنين
واذا اراد الله بالخطاب المومنين لاطفه بقوله يايها النبي فاذا كان الخطاب باللفظ
والمعنى جميعا له قال يايها الرسول قلت ويدل على صحة هذا القول نزول العده في اسما
بنت يزيد بن السكن الانصاريه ففي كتاب ابي داود عنها انها طلقت على عهد النبي صلى
الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقه عده فانزل الله سبحانه حين طلقت اسما بالعده للطلاق
فكانت اول من انزل فيها العده للطلاق وقيل المراد به نداء النبي صلى الله عليه وسلم تعظيما
ثم ابتدا فقال اذا طلقتم النسا كقوله تعالى يايها الذين امنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام الايه فذكر المومنين على معنى تقديمهم وتكريمهم ثم افتتح فقال انما الخمر والميسر
[illegible] والازلام الايه الثانيه روى الثعلبي من [illegible]
[illegible] الطلاق وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم
تزوجوا ولا تطلقوا فان الطلاق [illegible] قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تطلقوا النسا الا من ريبه فان الله [illegible] ولا
الذواقات وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
استحلف به الا منافق اسنده جميعه الثعلبي رحمه الله في كتابه وروى الدارقطني قال
ابو العباس محمد بن موسى بن علي الدولابي ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا الحسن بن عرفه
قال ثنا اسماعيل بن عياش عن حميد بن مالك اللخمي عن مكحول عن معاذ بن جبل قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ ما خلق الله شيئا على وجه الارض احب
اليه من العتاق ولا خلق الله تعالى شيا ابغض اليه من الطلاق فاذا قال الرجل لمملوكه
انت حر ان شا الله فهو حر ولا استثنا له واذا قال الرجل لامراته انت طالق فله استثناوه
ولا طلاق عليه حدثنا محمد بن موسى بن علي قال ثنا حميد بن الربيع قال ثنا يزيد
ابن هرون قال ثنا اسماعيل بن عياش باسناده نحوه قال حميد قال لي يزيد بن هرون
واي حديث لو كان حميد بن مالك معروفا قلت هو جدي قال [illegible] ثم
الان صار حديثا حدثنا عثمان بن احمد الدقاق قال ثنا اسحاق بن ابراهيم بن سنيه
قال [illegible] بن ابراهيم بن خالد قال ثنا حميد بن مالك اللخمي قال ثنا مكحول عن
مالك بن يخامر عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما احل الله
شيا ابغض اليه من الطلاق فمن طلق واستثنى فله ثنياه قال ابن المنذر واختلفوا
في الاستثنا في الطلاق والعتق فقالت طايفه ذلك جايز وروينا هذا القول عن
طاوس وبه قال حماد الكوفي والشافعي وابو ثور واصحاب الراي ولا يجوز الاستثنا
في الطلاق عند مالك والاوزاعي وهذا قول قتاده في الطلاق قال ابن المنذر
وبالقول الاول اقول الثالثه روى الدارقطني من حديث عبد الرزاق اخبرني
عمي وهب بن نافع قال سمعت عكرمه يحدث عن ابن عباس يقول الطلاق على اربعه
وجوه وجهان حلالان ووجهان حرامان فاما الحلال فان يطلقها طاهرا من غير جماع
وان يطلقها حاملا مستبينا حملها واما الحرام فان يطلقها وهي حايض او يطلقها حين
يجامعها لا يدري اشتمل الرحم على ولد ام لا الرابعه قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن في
كتاب ابي داود عن اسما بنت يزيد بن السكن الانصاريه انها طلقت على عهد النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يكن للمطلقه عده فانزل الله سبحانه حين طلقت بالعده للطلاق
فكانت اول ما انزل فيها العده للطلاق وقد تقدم الخامسه قوله تعالى لعدتهن
يقتضي انهن اللاتي دخل بهن من الازواج لان غير المدخول بهن خرجت بقوله

تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن فما
لكم عليهن من عدة تعتدونها السادسه من طلق في طهر لم يجامع فيه نفذ طلاقه
واصاب السنه وان طلقها حايضا نفذ طلاقه واخطا السنه وقال سعيد بن المسيب
في اخرين لا يقع الطلاق في الحيض لانه خلاف السنه واليه ذهب الشيعة وفي
الصحيحين واللفظ للدارقطني عن عبد الله بن عمر قال طلقت امراتي وهي حايض
فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ليراجعها ثم ليمسكها حتى تحيض حيضة مستقبله سوا حيضتها التي طلقها فيها فان
بدا له ان يطلقها فليطلقها طاهرا من حيضتها قبل ان يمسها فذلك الطلاق والعده كما
امر الله تعالى وكان عبد الله بن عمر طلقها تطليقة فحسبت من طلاقها وراجعها
عبد الله بن عمر كما امره رسول الله صلى الله عليه وسلم في رواية [redacted] بن عمر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال هي واحده وهذا نص وهو يرد على الشيعه [redacted] السابعه
عن عبد الله بن مسعود قال طلاق السنه ان يطلقها في كل طهر تطليقة فاذا كان
[redacted]
عليه وسلم مرة فليراجعها ثم ليمسكها حتى تطهر ثم تحيض ثم [redacted]
فتلك العده التي امر الله ان [redacted] وبظاهر قوله
تعالى فطلقوهن لعدتهن [redacted] في كل طلاق كان واحدة او اثنتين او اكثر واعتبر
[redacted] الزمان في هذه الايه ولم يعتبر العدد وكذلك حديث ابن عمر لان النبي
صلى الله عليه وسلم علمه الوقت لا العدد قال ابن العربي وهذه غفلة عن الحديث
الصحيح فانه قال مره فليراجعها وهذا يدفع الثلاث وفي الحديث انه قال ارايت لو
طلقها ثلاثا قال حرمت عليك وبانت منك بمعصية وقال ابو حنيفة ظاهر الايه يدل على
ان الطلاق [redacted] او اخره سوا وهو مذهب الشافعي لولا قوله بعد ذلك لا تدري
لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وهذا يبطل دخول الثلاث تحت الايه وكذلك قال اكثر
العلما وهو بديع لهم واما مالك فلم يخف عليه اطلاق الايه كما قالوا ولكن الحديث فسرها
كما قلنا واما قول الشعبي انه يجوز طلاق في طهر جامعها فيه فيرده حديث ابن عمر
بنصه ومعناه اما نصه فقد قدمناه واما معناه فلانه اذا منع من طلاق في الحيض لعدم
الاعتداد به فالطهر الجامع فيه اولى بالمنع لانه لا يسقط الاعتداد به [redacted]
الرحم وبالحيض التالي له قلت وقد احتج الشافعي في الطلاق الثلاث بكلمة واحده
بما رواه الدارقطني عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن عن ابيه ان عبد الرحمن
ابن عوف طلق امراته تماضر بنت الاصبغ الكلبيه وهي ام ابي سلمه ثلاث تطليقات
في كلمة واحده فلم يبلغنا ان احدا من اصحابه عاب ذلك قال وحدثنا سلمة بن ابي
سلمه عن ابيه ان حفص بن المغيره طلق امراته فاطمه بنت قيس على عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث تطليقات في كلمة فابانها منه رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولم يبلغنا ان النبي صلى الله عليه وسلم عاب ذلك عليه واحتج ايضا بحديث عويمر
العجلاني لما لاعن قال يا رسول الله هي طالق ثلاثا ولم ينكر عليه النبي صلى الله عليه
وسلم وقد انفصل علماونا عن هذا احسن انفصال بيناه في غير هذا الموضع وقد
ذكرناه في كتاب المقتبس من شرح موطا مالك بن انس وعن سعيد بن المسيب
وجماعة من التابعين ان من خالف السنه في الطلاق فاوقعه في حيض او ثلاث لم

يقع

يقع ويشبهونه بمن وكل بطلاق السنه فخالف [illegible] قال الجرجاني اللام في قوله
تعالى لعدتهن بمعنى في كقوله تعالى هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من
ديارهم لاول الحشر اي في اول الحشر فقوله لعدتهن اي في عدتهن اي في الزمان الذي
يصلح لعدتهن وحصل الاجماع على ان الطلاق في الحيض ممنوع وفي الطهر ماذون فيه
ففيه دليل على ان القرء هو الطهر وقد مضى القول فيه في البقرة فان قيل معنى فطلقوهن
لعدتهن اي في قبل عدتهن او لقبل عدتهن وهي قراة النبي صلى الله عليه وسلم كما قال
ابن عمر في صحيح مسلم وغيره فقبل العدة اخر الطهر حتى يكون القرء الحيض قيل له هذا
هو الدليل الواضح لمالك ومن قال بقوله على ان الاقرا هي الاطهار ولو كان كما قال الحنفي ومن
تبعه لوجب ان يقال ان من طلق في اول الطهر لا يكون مطلقا لقبل الحيض لم يقبل بعد
وايضا اقبال الحيض يكون بدخول الحيض وبانقضا الطهر لا يتحقق اقبال الحيض ولو كان
اقبال الشي ادبار ضده كان الصايم مفطرا قبل مغيب الشمس اذا الليل يكون مقبلا
في ادبار النهار قبل انقضا الليل ثم اذا طلق في اخر الطهر فبقية الطهر قرء ولان بعض
[redacted] في الجمع معلومات يعني شوالا وذو القعدة وبعض ذي الحجة
[redacted] فقد مضى هذا كله في البقرة
مستوفى والله اعلم الثالثه قوله تعالى واحصوا العدة يعني في المدخول بها لان غير
المدخول بها لا عدة عليها وله ان يراجعها فيما دون الثلاث قبل انقضا [redacted] ويكون بعدها
كاحد الخطاب ولا تحل له في الثلاث الا بعد زوج الرابعه قوله تعالى واحصوا العدة معناه
احفظوها اي احفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق حتى اذا انفصل [redacted] وهو
الثلاثه قروء في قوله والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء حلت للازواج وهذا
يدل على ان العدة هي الاطهار وليست بالحيض ويوكده ويفسره قراة النبي صلى الله عليه
وسلم لقبل عدتهن وقبل الشي بعضه لغة وحقيقة بخلاف استقباله فانه يكون غيره
الخامسه من المخاطب بامر الاحصا وفيه ثلاثة اقوال احدها انهم الازواج الثاني انهم
الزوجات الثالث انهم المسلمون ابن العربي والصحيح ان المخاطب بهذا اللفظ الازواج لان
الضماير كلها من طلقتم واحصوا ولا تخرجوهن على نظام واحد يرجع الى الازواج ولكن
الزوجات داخلة فيه بالالحاق بالزوج لان الزوج يحصي ليراجع ولينفق او يقطع وليسكن
او يخرج وليلحق نسبه او يقطع وهذه كلها امور مشتركه بينه وبين المراة وتنفرد المراة
دونه بغير ذلك وكذلك الحاكم يفتقر الى الاحصا للعدة للفتوى عليها وفصل الخصومة
عند المنازعة فيها وهذه فوايد الاحصا المامور به السادسه قوله تعالى واتقوا الله
ربكم اي لا تعصوه ولا تخرجوهن من بيوتهن اي ليس للزوج ان يخرجها من مسكن النكاح
ما دامت في العدة ولا يجوز لها الخروج ايضا لحق الزوج الا لضرورة ظاهرة فان خرجت
اثمت ولا تنقطع العدة والرجعية والمبتوتة في هذا سوا وهذا لصيانة ما الرجل وهذا
معنى اضافة البيوت اليهن كقوله واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقوله
تعالى وقرن في بيوتكن فهو اضافة اسكان وليس باضافة تمليك وقوله لا تخرجوهن يقتضي
ان يكون حقا على الازواج ويقتضي قوله ولا يخرجن انه حق على الزوجات وفي صحيح
الحديث عن جابر بن عبد الله قال طلقت خالتي فارادت ان تجد نخلها فزجرها رجل ان
تخرج فاتت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بلى فجدي نخلك فانك عسى ان تصدقي او تفعلي
معروفا خرجه مسلم ففي هذا الحديث دليل لمالك والشافعي وابن حنبل والليث على قولهم
ان المعتدة تخرج بالنهار في حوايجها وانما تلزم منزلها بالليل وسوا عند مالك كانت
رجعية او باينه وقال الشافعي في الرجعية لا تخرج ليلا ولا نهارا وانما تخرج نهارا
المبتوته وقال ابو حنيفة ذلك في المتوفى عنها زوجها واما المطلقة فلا تخرج ليلا
ولا نهارا والحديث يرد عليه وفي الصحيحين ان ابا حفص بن عمرو خرج مع علي بن ابي
طالب الى اليمن فارسل الى امراته فاطمه بنت قيس بتطليقة كانت بقيت من طلاقها وامر
لها الحارث بن هشام وعياش بن ابي ربيعة بنفقة فقالا لها والله ما لك من نفقة الا ان

تكوني حاملا فأتت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له قولهما فقال لا نفقة لك فاستأذنته
في الانتقال فأذن لها فقالت أين يا رسول الله فقال إلى ابن أم مكتوم وكان أعمى تضع
ثيابها عنده ولا يراها فلما مضت عدتها أنكحها النبي صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد
فأرسل إليها مروان قبيصة بن ذؤيب يسألها عن الحديث فحدثته فقال مروان لم نسمع هذا
الحديث إلا من امرأة سنأخذ بالعصمة التي وجدنا الناس عليها فقالت فاطمة حين بلغها
قول مروان فبيني وبينكم القرآن قال الله عز وجل لا تخرجوهن من بيوتهن الآية قالت هذا
لمن كانت له مراجعة فأي أمر يحدث بعد الثلاث فكيف تقولون لا نفقة لها إذا لم تكن
حاملا فعلى م تحبسونها لفظ مسلم فبين أن الآية في تحريم الإخراج والخروج إنما هو
في الرجعية وكذلك استدلت فاطمة بأن الآية التي تليها إنما تضمنت النهي عن خروج المطلقة
الرجعية لأنها بصدد أن يحدث لمطلقها رأي في ارتجاعها ما دامت في عدتها فكأنها تحت
تصرف الزوج في كل وقت وأما البائن فليس له شيء من ذلك فيجوز لها أن تخرج إذا دعتها إلى
ذلك حاجة أو خافت عورة منزلها كما أباح لها النبي صلى الله عليه وسلم ذلك وفي مسلم قالت
فاطمة يا رسول الله زوجي طلقني ثلاثا وأخاف أن يقتحم علي قال فأمرها فتحولت [illegible]
عن عائشة أنها كانت في مكان وحش فخيف على ناحيتها [illegible] النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا كله يرد على الكوفي قوله وفي حديث فاطمة أن زوجها أرسل إليها بتطليقة
كانت بقيت من طلاقها فهو حجة لمالك على الشافعي وهذا أصح من حديث سلمة بن أبي
سلمة عن أبيه أن حفص بن المغيرة طلق امرأته ثلاث تطليقات في كلمة على ما تقدم الثالثة
عن قوله تعالى إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس وابن عمر والحسن والشعبي
ومجاهد هو الزنا فتخرج ويقام عليها الحد وعن ابن عباس أيضا والشافعي أنه البذاء على
أحمائها فيحل لهم إخراجها وروي عن سعيد بن المسيب أنه قال في فاطمة تلك امرأة استطالت
على أحمائها بلسانها فأمرها عليه السلام أن تنتقل وفي كتاب أبي داود قال سعيد تلك
امرأة فتنت الناس إنها كانت لسنة فوضعت على يدي ابن أم مكتوم الأعمى قال عكرمة
في مصحف أبي إلا أن يفحشن عليكم ويقوي هذا أن محمد بن إبراهيم بن الحارث روى أن عائشة
قالت لفاطمة بنت قيس اتقي الله فإنك تعلمين لم أخرجت وعن ابن عباس أيضا الفاحشة
كل معصية كالزنا والسرقة والبذاء على الأهل وهو اختيار الطبري وعن ابن عمر أيضا والسدي
الفاحشة خروجها من بيتها في العدة وتقدير الآية إلا أن يأتين بفاحشة مبينة بخروجهن
من بيوتهن بغير حق أي لو خرجت كانت عاصية وقال قتادة الفاحشة النشوز وذلك
أن يطلقها على النشوز فتتحول عن بيته قال ابن العربي أما من قال إنه الخروج للزنا فلا
وجه له لأن ذلك الخروج هو خروج القتل والإعدام وليس ذلك بمستثنى في حلال ولا
حرام وأما من قال إنه البذاء فهو مفسر في حديث فاطمة بنت قيس وأما من قال إنه كل معصية
فوهم لأن الغيبة ونحوها من المعاصي لا تبيح الإخراج ولا الخروج وأما من قال إنه الخروج
بغير حق فهو صحيح وتقدير الكلام لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن شرعا إلا أن
يخرجن تعديا الرابعة عشرة قوله تعالى وتلك حدود الله أي هذه الأحكام التي
بينها أحكام الله على العباد وقد منع التجاوز عنها فمن تجاوز فقد ظلم نفسه وأوردها
مورد الهلاك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا أي يقلب قلبه من بغضها إلى محبتها
ومن الرغبة عنها إلى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق إلى الندم عليه فيراجعها وقال
جميع المفسرين أراد بالأمر هنا الرغبة في الرجعة ومعنى القول التحريض على طلاق
الواحدة والنهي عن الثلاث فإنه إذا طلق ثلاثا أضر بنفسه عند الندم على الفراق
والرغبة في الارتجاع ولا يجد عند الرجعة سبيلا وقال مقاتل بعد ذلك أي بعد
طلقة أو طلقتين أمرا أي المراجعة من غير خلاف قوله تعالى فإذا بلغن أجلهن
أي قاربن انقضاء العدة كقوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن أي
قربن من انقضاء الأجل فأمسكوهن بمعروف يعني المراجعة بالمعروف أي بالرغبة من
غير قصد المضارة في الرجعة تطويلا لعدتها كما تقدم في البقرة أو فارقوهن بمعروف

أي

أي اتركوهن حتى تنقضي عدتهن فيملكن أنفسهن وفي قوله فإذا بلغن أجلهن ما يوجب
أن يكون القول قول المرأة في انقضاء العدة إذا ادعت ذلك على ما بيناه في سورة البقرة عند
قوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن الآية قوله تعالى وأشهدوا
ذوي عدل منكم فيه ست مسائل الأولى قوله تعالى وأشهدوا أمر بالإشهاد على الطلاق
وقيل على الرجعة والظاهر رجوعه إلى الرجعة لا إلى الطلاق فإن راجع من غير إشهاد
ففي صحة الرجعة قولان للفقهاء وقيل المعنى وأشهدوا عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا
الإشهاد مندوب إليه عند أبي حنيفة كقوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم وعند الشافعي
واجب في الرجعة مندوب إليه في الفرقة وفائدة الإشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد
وأن لا يتهم في إمساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث الثانية
الإشهاد عند أكثر العلماء على الرجعة ندب وإذا جامع أو قبل أو باشر يريد بذلك
الرجعة فليس بمراجع قال أبو حنيفة وأصحابه إذا قبل أو باشر أو لمس بشهوة فهو
رجعة قالوا والنظر إلى الفرج رجعة وقال الشافعي وأبو ثور إذا تكلم بالرجعة فهي
رجعة وقد قيل وطؤه مراجعة على كل حال نواها أو لم ينوها وروي ذلك عن طائفة من
أصحاب مالك وإليه ذهب الليث وكان مالك يقول إذا وطئ ولم ينو الرجعة فهو وطء
فاسد وله الرجعة في بقية العدة الأولى وليس له رجعة في هذا الاستبراء الثالثة
أوجب الإشهاد في الرجعة أحمد بن حنبل في أحد قوليه والشافعي كذلك لظاهر الأمر
وقال مالك وأبو حنيفة وأحمد والشافعي في القول الآخر إن الرجعة لا تفتقر إلى الإشهاد
كسائر الحقوق وخصوصا حل الظهار بالكفارة قال ابن العربي وركب أصحاب الشافعي
على وجوب الإشهاد في الرجعة أنه لا يصح أن يقول كنت راجعت أمس وأنا أشهد اليوم
على الإقرار بالرجعة ومن شرط الرجعة الإشهاد فلا تصح دونه وهذا فاسد مبني
على أن الإشهاد في الرجعة تعبد ونحن لا نسلم فيها ولا في النكاح بأن نقول إنه موضوع
للتوثق وذلك موجود في الإقرار كما هو موجود في الإنشاء الرابعة من ادعى بعد انقضاء
العدة أنه راجع امرأته في العدة فإن صدقته جاز وإن أنكرت حلفت وإن أقام بينة
أنه ارتجعها في العدة ولم تعلم بذلك لم يضر جهلها بذلك وكانت زوجته وإن كانت قد
تزوجت ولم يدخل بها ثم أقام الأول البينة على رجعتها فعن مالك في ذلك روايتان
إحداهما أن الأول أحق بها والأخرى أن الثاني أحق بها فإن كان الثاني قد دخل بها
فلا سبيل للأول إليها الخامسة قوله تعالى ذوي عدل منكم قال الحسن من المسلمين وعن
قتادة من أحراركم وذلك يوجب اختصاص الشهادة على الرجعة بالذكور دون الإناث
لأن ذوي مذكر ولذلك قال علماؤنا لا مدخل للنساء فيما عدا الأموال وقد مضى ذلك
في سورة البقرة السادسة قوله تعالى وأقيموا الشهادة لله أي تقربا إلى الله في إقامة
الشهادة على وجهها إذا مست الحاجة إليها من غير تبديل ولا تغيير وقد مضى في سورة
البقرة معناه عند قوله تعالى وأقوم للشهادة قوله تعالى ذلكم يوعظ به من
كان أي يرضى به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فأما غير المؤمن فلا ينتفع بهذه
المواعظ قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا عن النبي صلى الله عليه وسلم
أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وقال ابن عباس والشعبي والضحاك
هذا في الطلاق خاصة أي من طلق كما أمره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة
وأن يكون كأحد الخطاب بعد العدة وعن ابن عباس أيضا يجعل له مخرجا ينجيه من
كل كرب في الدنيا والآخرة وقيل المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه قاله علي بن
صالح وقال الكلبي ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة يجعل له مخرجا من النار إلى
الجنة وقال الحسن مخرجا مما نهى الله عنه وقال أبو العالية مخرجا من كل شدة الربيع
ابن خثيم يجعل له مخرجا من كل شيء ضاق على الناس الحسين بن الفضل ومن يتق الله
في أداء الفرائض يجعل له مخرجا من العقوبة ويرزقه الثواب من حيث لا يحتسب أي
يبارك له فيما آتاه وقال سهل بن عبد الله ومن يتق الله في اتباع السنة يجعل له مخرجا

من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة من حيث لا يحتسب ومن يتق الله في الرزق بقطع
العلايق يجعل له مخرجا بالكفاية وقال عمر بن عثمان الصدفي ومن يتق الله فيقف
عند حدوده ويجتنب معاصيه يخرجه من الحرام الى الحلال ومن الضيق الى السعة ومن
النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجوا وقال ابن عيينة هو
البركة في الرزق وقال ابو سعيد الخدري ومن تبرأ من حوله وقوته بالرجوع الى
الله يجعل له مخرجا مما كلفه بالمعونة له وتاول ابن مسعود ومسروق الاية على العموم
وقال ابو ذر قال النبي صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اية لو اخذ الناس بها لكفتهم ثم تلى
ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسبه فما زال يكررها ويعيدها وقال
ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث
لا يحتسب قال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة
وقال اكثر المفسرين فيما ذكره الثعلبي انها نزلت في عوف بن مالك الاشجعي روى الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس قال جاء عوف بن مالك الاشجعي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله ان ابني اسره العدو وجزعت الام وعن جابر بن عبد الله نزلت
في عوف بن مالك الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وشكا اليه الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرني فقال
عليه السلام اتق الله واصبر وامرك واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله
ثم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجاء بها الى ابيه وهي
اربعة الاف شاة فنزلت الاية وجعل النبي صلى الله عليه وسلم تلك الاغنام له في رواية
ابن جابر وقد اصاب ابلا من العدو وكان فقيرا قال الكلبي اصاب خمسين بعيرا وفي رواية
فانفلت ابنه من الاسر وركب ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال
مقاتل اصاب غنما ومتاعا فسال النبي صلى الله عليه وسلم ايحل لي ان اكل مما اتى به
ابني فقال نعم ونزلت ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب وروى
الحسن عن عمران بن حصين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من انقطع الى الله كفاه
الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها وقال
الزجاج اي اذا اتقى واثر الحلال والتصبر على اهله فتح الله عليه ان كان ذا ضيقة
ورزقه من حيث لا يحتسب وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اكثر
الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي من فوض امره اليه كفاه ما اهمه وقيل
انه من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه فله فيما يعطيه في الاخرة من ثوابه ولم
يرد الدنيا لان المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل ان الله بالغ امره قال مسروق
قاض امره فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه الا من توكل عليه فيكفر عنه سيئاته ويعظم
له اجرا وقراءة العامة بالغ منونا امره نصبا وقرا عاصم بالغ امره بالاضافة وحذف التنوين
استخفافا وقرا المفضل بالغا امره على ان قوله قد جعل الله خبر ان وبالغا حال وقرا
داود بن ابي هند بالغ امره بالتنوين ورفع الراء قال الفراء اي امره بالغ وقيل امره مرتفع
ببالغ والمفعول محذوف والتقدير بالغ امره ما اراد قد جعل الله لكل شيء قدرا اي
لكل شيء من الشدة والرخاء اجلا ينتهي اليه وقيل تقديرا وقال السدي هو قدر الحيض
في الاجل والعدة وقال عبد الله بن رافع لما نزل قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو
حسبه قال اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فنحن اذا توكلنا عليه نرسل ما كان لنا
ولا نحفظه فنزلت ان الله بالغ امره اي فيكم وعليكم قد قال الربيع بن خثيم ان الله تعالى
قضى على نفسه ان من توكل عليه كفاه ومن امن به هداه ومن اقرضه جازاه ومن
وثق به نجاه ومن سأله اجاب له وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يؤمن بالله
يهد قلبه ومن يتوكل على الله فهو حسبه وان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم
ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واذا سالك عبادي عني فاني قريب

اجيب

اجيب دعوة الداع اذا دعان قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم فيه
سبع مسائل الاولى قوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم لما بين امر الطلاق
والرجعة في التي تحيض وكانوا قد عرفوا عدة ذوات الاقراء عرفهم في هذه السورة عدة
التي لا ترى الدم وقال ابو عثمان عمر بن سالم لما نزلت عدة النساء في سورة البقرة في المطلقة
والمتوفى عنها زوجها قال ابي بن كعب يا رسول الله ان ناسا يقولون قد بقي من النساء
من لم يذكر فيهن شيء الصغار وذوات الكبار وذوات الحمل فنزلت واللائي يئسن الاية وقال
مقاتل لما ذكر قوله تعالى والمطلقات يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء قال خلاد بن
النعمان يا رسول الله فما عدة التي لم تحض وعدة التي انقطع حيضها وعدة الحبلى فنزلت
واللائي يئسن من المحيض من نسائكم يعني قعدن عن الحيض وقيل ان معاذ بن جبل
سال عن عدة الكبيرة التي يئست فنزلت الاية والله اعلم وقال مجاهد الاية واردة
في المستحاضة لا تدري دم حيض هو او دم علة الثانية قوله ان ارتبتم اي شككتم وقيل
تيقنتم وهو من الاضداد يكون شكا ويقينا كالظن واختيار الطبري ان يكون المعنى
ان شككتم فلم تدروا الحكم فيهن وقال الزجاج ان ارتبتم في حيضها وقد انقطع عنها
الحيض وكانت ممن يحيض مثلها القشيري وفي هذا نظر لانا اذا اشكلنا هل بلغت سن
الياس لم نقل عدتها ثلاثة اشهر والمعتبر في سن الياس في قول اقصى عادة امراة
في العالم وفي قول غالب نساء عشيرة المراة وقال مجاهد قوله ان ارتبتم للمخاطبين يعني
ان لم تعلموا عدة الايسة والتي لم تحض فالعدة هذه وقيل المعنى ان ارتبتم ان الدم
الذي يظهر منها من اجل كبر او من الحيض المعهود او من الاستحاضة فالعدة ثلاثة اشهر
وقال عكرمة وقتادة من الريبة المراة المستحاضة التي لا يستقيم لها الحيض تحيض في
اول الشهر مرارا وفي الاشهر مرة وقيل انه متصل باول السورة والمعنى لا تخرجوهن من
بيوتهن ان ارتبتم في انقضاء العدة وهو اصح ما قيل فيه الثالثة المرتاب بها في عدتها
لا تنكح حتى تستبرئ نفسها من ريبتها ولا تخرج من العدة الا بارتفاع الريبة وقد قيل
في المرتابة التي ترفعها حيضتها وهي لا تدري ما يرفعها انها تنتظر سنة من يوم طلقها
زوجها منها تسعة اشهر استبراء وثلاثة عدة فان طلقها فحاضت حيضة او حيضتين
ثم ارتفع عنها بغير ياس منها انتظرت تسعة اشهر ثم ثلاثة من يوم طهرت من حيضتها ثم
حلت للازواج وهذا قاله الشافعي بالعراق فعلى قياس هذا القول تقيم الحرة المتوفى
عنها زوجها المسترابة بعد التسعة اشهر اربعة اشهر وعشرا والامة شهرين وخمس ليال
بعد التسعة الاشهر وروي عن الشافعي ايضا ان اقراءها على ما كانت حتى تبلغ سن
الايسات وهو قول النخعي والثوري وغيرهما وحكاه ابو عبيد عن اهل العراق فان كانت
المراة شابة وهي المسالة الرابعة استؤني بها هل هي حامل ام لا فان استبان حملها فان اجلها
وضعه وان لم يستبن فقال مالك عدة التي ارتفع حيضها وهي شابة سنة وبه قال
احمد واسحاق ورووه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره واهل العراق يرون ان
عدتها ثلاث حيض بعدما كانت حاضت مرة واحدة في عمرها وان مكثت عشرين سنة
الا ان تبلغ من الكبر مبلغا تيأس فيه من الحيض فتكون عدتها بعد الاياس ثلاثة اشهر
قال الثعلبي وهذا الاصح من مذهب الشافعي وعليه جمهور العلماء وروي ذلك
عن ابن مسعود واصحابه قال الكيا وهو الحق لان الله جعل عدة الايسة ثلاثة اشهر
والمرتابة ليست ايسة الخامسة واما من تاخر حيضها لمرض فقال مالك وابن القاسم وعبد
الله بن اصبغ تعتد تسعة اشهر ثم ثلاثة وقال اشهب هي كالمرضع بعد الفطام بالحيض
او بالسنة وقد طلق حبان بن منقذ امراته وهي ترضع فمكثت سنة لا تحيض لاجل الرضاع
ثم مرض حبان فخاف ان ترثه فخاصمها الى عثمان وعنده علي وزيد فقالا نرى ان ترثه
لانها ليست من القواعد ولا من الصغار فمات حبان فورثته واعتدت عدة الوفاة
السادسة ولو تاخر الحيض لغير مرض ولا رضاع فانها تنتظر سنة لا حيض فيها تسعة
اشهر ثم ثلاثة على ما ذكرنا فتحل ما لم ترتب بحمل فان ارتابت بحمل اقامت اربعة اعوام او

خمسة اوسبعة على اختلاف الروايات عن علمائنا ومشهورها خمسة اعوام فان تجاوزتها
حلت وقال اشهب لا تحل ابدا حتى تنقطع عنها الريبة قال ابن العربي وهو الصحيح لانه
اذا جاز ان يبقى الولد في بطنها خمسة اعوام جاز ان يبقى عشرة واكثر من ذلك وقد روي
عن مالك مثله السابعة واما التي جهل حيضها بالاستحاضة ففيها ثلاثة اقوال قال ابن
المسيب تعتد سنة وهو قول الليث قال الليث عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها اذا كانت
مستحاضة سنة وهو مشهور قول علمائنا سواء علمت دم حيضها من دم استحاضتها وميزت
ذلك او لم تميزه عدتها في ذلك كله عند مالك في تحصيل مذهبه سنة منها تسعة اشهر استبرا
وثلاثة عدة وقال الشافعي في احد اقواله عدتها ثلاثة اشهر وهو قول جماعة من التابعين
والمتاخرين من القرويين ابن العربي وهو الصحيح عندي وقال ابو عمر المستحاضة اذا كان
دمها ينفصل فعلمت اقبال حيضتها وادبارها اعتدت ثلاثة قروء وهذا اصح في النظر واثبت
في القياس والاثر قوله تعالى واللائي لم يحضن يعني الصغيرة فعدتهن ثلاثة اشهر
فاضمر الخبر وانما كانت عدتها بالاشهر لعدم الاقراء فيها عادة والاحكام انما اجراها الله تعالى
على العادات فهي تعتد بالاشهر فاذا رات الدم في زمن احتماله عند النساء انتقلت الى
الدم لوجود الاصل واذا وجد الاصل لم يبق للبدل حكم كما ان المسنة اذا اعتدت بالدم
ثم ارتفع عادت الى الاشهر وهذا اجماع قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن
حملهن فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى واولات الاحمال اجلهن ان يضعن حملهن وضع
الحمل وان كان ظاهرا في المطلقة لانه عليها عطف واليها رجع الكلام فانه المتوفى عنها
زوجها كذلك لعموم الاية وحديث سبيعة وقد مضى في البقرة القول فيه الثانية اذا
وضعت المراة وضعت من علقة او مضغة حلت وقال الشافعي وابو حنيفة لا تحل
الا بما يكون ولدا وقد مضى القول فيه في سورة البقرة وسورة الرعد والحمد لله
قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا قال الضحاك اي من يتقه في طلاق
السنة يجعل له من امره يسرا في الرجعة في توفيقه للطاعة ذلك امر الله اي الذي ذكر من
الاحكام امر الله انزله اليكم وبينه لكم ومن يتق الله اي يعمل بطاعته يكفر عنه سياته
من الصلاة الى الصلاة ومن الجمعة الى الجمعة ويعظم له اجرا اي في الاخرة قوله تعالى
اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى اسكنوهن
من حيث سكنتم من وجدكم قال اشهب عن مالك يخرج عنها اذا طلقها ويتركها في المنزل
لقوله تعالى اسكنوهن فلو كان معها ما قال اسكنوهن وقال ابن نافع قال مالك في
قول الله تعالى اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم يعني المطلقات اللائي بن من
ازواجهن فلا رجعة لهم عليهن وليست حاملا فلها السكنى ولا نفقة ولا كسوة لانها
بائنة منه لا يتوارثان ولا رجعة له عليها وان كانت حاملا فلها الكسوة والنفقة
والمسكن حتى تنقضي عدتها فاما من لم تبن منهن فانهن نساؤهم يتوارثون ولا يخرجن
الا ان ياذن لهن ازواجهن ما كن في عدتهن ولم يؤمروا بالسكنى لهن لان ذلك لازم لازواجهن
مع نفقتهن وكسوتهن حوامل كن او غير حوامل وانما امر الله بالسكنى للائي بن من ازواجهن
قال الله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فجعل عز وجل
للحوامل اللائي قد بن من ازواجهن السكنى والنفقة ابن العربي وبسط ذلك وتحقيقه
ان الله سبحانه لما ذكر السكنى اطلقه لكل مطلقة فلما ذكر النفقة قيدها بالحمل فدل على
ان المطلقة البائن لا نفقة لها وهي مسئلة عظمى قد مهدنا سبلها قرانا وسنة ومعنى في
مسائل الخلاف وهذا ماخذها من القران قلت اختلف العلماء في المطلقة ثلاثا على
ثلاثة اقوال فمذهب مالك والشافعي ان لها السكنى ولا نفقة لها ومذهب ابي حنيفة واصحابه
ان لها السكنى والنفقة ومذهب احمد واسحاق وابي ثور لا نفقة لها ولا سكنى على
حديث فاطمة بنت قيس قالت دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي اخو زوجي
فقلت ان زوجي طلقني وان هذا يزعم ان ليس لي سكنى ولا نفقة قال بل لك سكنى ولك
النفقة قال ان زوجها طلقها ثلاثا فقال النبي صلى الله عليه وسلم انما السكنى والنفقة على

من له عليها الرجعة فلما قدمت الكوفة طلبني الاسود بن يزيد ليسالني عن ذلك وان اصحاب
عبد الله يقولون ان لها السكنى والنفقة خرجه الدارقطني ولفظ مسلم عنها انه طلقها زوجها
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وكان انفق عليها نفقة دونا فلما رات ذلك قالت والله
لاعلمن رسول الله صلى الله عليه وسلم فان كانت لي نفقة اخذت الذي يصلحني وان لم
تكن لي نفقة لم اخذ شيئا قالت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا نفقة
لك ولا سكنى وذكر الدارقطني عن الاسود قال قال عمر لما بلغه قول فاطمة بنت قيس لا نجيز
في المسلمين قول امراة وكان يجعل للمطلقة ثلاثا السكنى والنفقة وعن الشعبي قال لقيني
الاسود بن يزيد فقال يا شعبي اتق الله وارجع عن حديث فاطمة بنت قيس فان عمر
كان يجعل لها السكنى والنفقة قلت لا ارجع عن شيء حدثتني فاطمة بنت قيس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلت ما احسن هذا وقد قال قتادة وابن ابي ليلى لا سكنى الا للرجعية
لقوله تعالى لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك امرا وقوله تعالى اسكنوهن راجع الى ما قبله
وهي المطلقة الرجعية والله اعلم ولان السكنى تابع للنفقة وجارية مجراها فلما لم تجب
للمبتوتة نفقة لم تجب لها سكنى وحجة ابي حنيفة ان للمبتوتة النفقة قوله تعالى ولا
تضاروهن لتضيقوا عليهن وترك النفقة من اكبر الاضرار وفي انكار عمر على فاطمة قولها
ما يبين هذا ولانها معتدة تستحق السكنى عن طلاقها فكانت لها النفقة كالرجعية
ولانها محبوسة عليه لحقه فاستحقت النفقة كالزوجة ودليل مالك قوله تعالى واولات
الاحمال الاية على ما تقدم بيانه وقد قيل ان الله تعالى ذكر المطلقة الرجعية واحكامها
اول الاية الى قوله ذوي عدل منكم ثم ذكر بعد ذلك حكما يعم المطلقات كلهن من تعديد
الاشهر وغير ذلك وهو عام في كل مطلقة فرجع ما بعد ذلك من الاحكام الى كل مطلقة الثانية
قوله تعالى من وجدكم اي من سعتكم يقال وجدت في المال اجد وجدا وجدة والوجد
الغنى والمقدرة وقراءة العامة بضم الواو وقرا الاعرج والزهري بفتحها ويعقوب بكسرها
وكلها لغات فيها الثالثة قوله تعالى ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن قال مجاهد في
المسكن مقاتل في النفقة وهو قول ابي حنيفة وعن ابي الضحى هو ان يطلقها فاذا بقي
يومان من عدتها راجعها ثم طلقها الرابعة قوله تعالى وان كن اولات حمل فانفقوا
عليهن حتى يضعن حملهن لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكنى للحامل المطلقة
ثلاثا او اقل منهن حتى تضع حملها فاما الحامل المتوفى عنها زوجها فقال علي وابن عمر وابن
مسعود وشريح والنخعي والشعبي وحماد وابن ابي ليلى وسفيان واصحابه ينفق عليها من جميع
المال حتى تضع وقال ابن عباس وابن الزبير وجابر بن عبد الله ومالك والشافعي وابو
حنيفة واصحابه لا ينفق عليها الا من نصيبها وقد مضى في البقرة بيانه قوله تعالى
فان ارضعن لكم فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى فان ارضعن لكم يعني المطلقات
اولادكم منهن فعلى الاباء ان يعطوهم اجرة رضاعهن وللرجل ان يستاجر اجنبية ولا
يجوز عند ابي حنيفة واصحابه ان يستاجرها اذا كان الولد منهن ما لم تبن ويجوز عند
الشافعي وتقدم القول في الرضاع في البقرة مستوفى والنساء والحمد لله الثانية
قوله تعالى واتمروا بينكم بمعروف هو خطاب للازواج والزوجات من بعض ما امر
به من المعروف الجميل والجميل منها ارضاع الولد من غير اجرة والجميل منه توفير الاجرة
عليها للارضاع وقيل ائتمروا في رضاع الولد فيما بينكم بمعروف حتى لا يلحق الولد اضرار
وقيل هو الكسوة والدثار وقيل معناه لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده الثالثة
قوله تعالى وان تعاسرتم اي في اجرة الرضاع فابى الزوج ان يعطي الام رضاعها وابت الام ان
ترضعه فليس له اكراهها وليستاجر مرضعا غير امه وقيل معناه وان تضايقتم وتشاكستم
فليسترضع له غيرها وهو خبر في معنى الامر وقال الضحاك وان ابت الام ان ترضع استاجر
لولده اخرى فان لم يقبل اجبرت امه على الرضاع بالاجر وقد اختلف العلماء فيمن يجب عليه
رضاع الولد على ثلاثة اقوال قال علماؤنا رضاع الولد على الزوجة ما دامت الزوجية
الا لشرفها وموضعها فعلى الاب رضاعه يومئذ في ماله الثاني قال ابو حنيفة لا يجب على الام

حال الثالث يجب عليها في كل حال الرابعة فان طلقها فلا يلزمها رضاعه الا ان يكون
غير قابل ثدي غيرها فيلزمها حينئذ الارضاع فان اختلفا في الاجر فان دعت الى
اجر مثلها وامتنع الاب الا تبرعا فالام اولى باجر المثل فالم يجد الاب متبرعا وان
ادعى الاب الى اجر المثل وامتنعت الام لتطلب شططا فالاب اولى به فان اعسر الاب
باجرتها اخذت جبرا برضاع ولدها قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته فيه اربع
مسايل الاولى قوله تعالى لينفق اي لينفق الزوج على زوجته وعلى ولده الصغير على
قدر وسعه حتى يوسع عليهما اذا كان موسعا عليه ومن كان فقيرا فعلى قدر ذلك
فتقدر النفقة بحسب الحالة من المنفق والحاجة من المنفق عليه بالاجتهاد على مجرى
العاده فينظر الحاكم الى حاجة المنفق عليه ثم ينظر الى حالة المنفق عليه ردها الى قدر
احتماله وقال الامام الشافعي رضي الله عنه واصحابه النفقة مقدرة محدودة ولا
اجتهاد لحاكم ولا لمفتي فيها وتقديرها هو بحال الزوج وحده من يسر وعسر ولا يعتبر
بحالها وكفايتها قالوا فيجب لابنة الخليفة ما يجب لابنة الحارس فان كان الزوج موسرا
لزمه مدان وان كان متوسطا فمد ونصف وان كان معسرا فمد واستدلوا بقوله
تعالى لينفق ذو سعة من سعته الاية فجعل الاعتبار بالزوج في اليسر والعسر دونها
ولان الاعتبار بكفايتها لا سبيل الى علمه للحاكم ولا لغيره فيودي الى الخصومة لان
الزوج يدعي انها تلتمس فوق كفايتها وهي تزعم ان الذي يطلب يطلبه قدر كفايتها
فجعلناها مقدرة قطعا للخصومة والاصل في هذا عندهم قوله تعالى لينفق ذو
سعة من سعته كما ذكرنا وقوله تعالى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره والجواب
ان هذه الاية لا تعطي اكثر من فرق بين نفقة الغني والفقير وانها تختلف بيسر الزوج
وعسره وهذا مسلم فاما انه لا اعتبار بحال الزوجة على وجه فليس فيه وقد قال
تعالى وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك يقتضي تعلق المعروف ان
يكون كفاية الغنية مثل نفقة الفقيره وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لهند خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فاحالها على الكفاية حين علم السعة من
حال ابي سفيان الواجب عليه بطلبها ولم يقل لها الاعتبار بكفايتك وان الواجب لك
شي مقدر بل ردها الى ما يعلمه من قدر كفايتها ولم يعلقه بمقدار معلوم ثم ما ذكروه
من التحديد يحتاج الى توقيف والاية لا تقتضيه الثانية روي ان عمر رضي الله عنه
فرض للمنفوس مائة درهم وفرض له عثمان خمسون درهما ابن العربي فاحتمل ان
يكون هذا الاختلاف بحسب اختلاف السنين او بحسب حال القدر في التسعير لثمن
القوت والملبس وقد روي محمد بن هلال المزني قال حدثني ابي وجدتي انها كانت
ترد على عثمان ففقدها فقال لاهله ما لي لا ارى فلانة فقالت امراته يا امير المومنين
ولدت الليلة فبعث اليها بخمسين درهما وشقيقة سنبلانية ثم قال هذا عطا ابنك
وهذه كسوته فاذا مرت له سنة رفعناه الى مائة وقد اتي علي رضي الله عنه
بمنبوذ ففرض له مائة قال ابن العربي هذا الفرض قبل الفطام مما اختلف فيه
العلماء فمنهم من رآه واجبا لما يتجدد من حاجته ويعرض من مونته وبه اقول ولكن
يختلف قدره بحاله عند الولاده وبحاله عند الفطام وقد روي سفيان بن وهب
ان عمر اخذ المدي بيد والقسط بيد فقال اني فرضت لكل نفس مسلمة في كل شهر
مدي حنطة وقسطي خل وقسطي زيت زاد غيره وقال انا قد اجرينا لكم اعطياتكم
وارزاقكم في كل شهر فمن انتقصها فعل الله به كذا وكذا فدعا عليه قال ابو الدرداء
كم سنة راشدة مهدية قد سنها عمر في امة محمد صلى الله عليه وسلم والمد والقسط
كيلان شاميان في الطعام والادام وقد درسا بعرف اخر فاما المدي فدرس الى
الكيلجة واما القسط فدرس الى الكيل ولكن التقدير فيه عندنا ربعان في الطعام
وثمنان في الادام واما الكسوه فبقدر العاده قميص وسراويل وجبة في الشتا وكسا
وازار وحصير وهذا الاصل ويزيد بحسب الاحوال والعادة الثالثة هذه الاية

اصل

اصل في وجوب النفقة للولد على الوالد دون الام خلافا لمحمد بن المواز اذ يقول
انها على الابوين على قدر الميراث ابن العربي ولعل محمدا اراد انها على الام عند عدم
الاب وفي البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم تقول لك المراة انفق علي والا
طلقني ويقول العبد انفق علي واستعملني ويقول لك ابنك انفق علي الى من تكلني
فقد تعاضد القرآن والسنة وتواردا في مشرعة واحدة الرابعة قوله تعالى لا
يكلف الله نفسا الا ما اتاها اي لا يكلف الله الفقير مثل ما يكلف الغني سيجعل الله بعد
عسر يسرا اي بعد الضيق غنى وبعد الشدة سعة قوله تعالى وكاين من قرية عتت
عن امر ربها لما ذكر الاحكام ذكر وحذر مخالفة الامر وذكر عتو قوم وحلول العذاب بهم
وقد مضى القول في كاين في آل عمران والحمد لله عتت عن امر ربها اي عصت يعني القرية
والمراد اهلها فحاسبناها حسابا شديدا اي جازيناها بالعذاب في الدنيا وعذبناها
عذابا نكرا في الاخرة وقيل في الكلام تقديم وتاخير وعذبناها عذابا نكرا في الدنيا
بالجوع والقحط والسيف والخسف والمسخ وساير المصايب وحاسبناها في الاخرة
حسابا نكرا شديدا والنكر المنكر وقري مخففا ومثقلا وقد مضى في سورة الكهف
فذاقت وبال امرها اي عاقبة كفرها وكان عاقبة امرها خسرا اي هلاكا في الدنيا بما
ذكرنا والاخرة بجهنم وجي بلفظ الماضي كقوله تعالى ونادى اصحاب الجنة ونادى
اصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى في الحقيقة وما هو
كاين فكان قد فاتقوا الله يا اولي الالباب اي العقول الذين امنوا بدل من اولي الالباب
او نعت لهم اي يا اولي الالباب الذين امنتم بالله اتقوا الله الذي انزل عليكم القران اي
خافوه واعملوا بطاعته وانتهوا عن معاصيه وقد تقدم رسولا قال الزجاج انزل الذكر
دليل على اضمار ارسل اي انزل اليكم قرانا وارسل رسولا وقيل ان المعنى قد انزل الله
اليكم صاحب ذكر رسولا فرسولا نعت للذكر على تقدير حذف المضاف وقيل ان رسولا
معمول للذكر لانه مصدر والتقدير قد انزل الله اليكم ان ذكر رسولا ويكون ذكره الرسول
قوله محمد رسول الله ويجوز ان يكون رسولا بدل من ذكر على ان يكون رسولا بمعنى
رسالة او على ان يكون على بابه ويكون محمولا على المعنى كانه قال قد اظهر الله لكم
ذكرا رسولا فيكون من باب بدل الشي من الشي وهو هو ويجوز ان ينتصب رسولا على
الاغرا كانه قال اتبعوا رسولا وقيل الذكر هنا الشرف نحو قوله تعالى لقد انزلنا اليكم
كتابا فيه ذكركم وقوله تعالى وانه لذكر لك ولقومك ثم بين هذا الشرف فقال رسولا
والاكثر ان المراد بالرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هو جبريل فيكونان
جميعا منزلين يتلوا عليكم ايات الله نعت لرسول وايات الله القران مبينات قراءة
العامة بفتح اليا اي بينها الله وقرا ابن عامر وحفص وحمزة والكساي بكسرها اي يبين
لكم ما تحتاجون اليه من الاحكام والاولى قراءة ابن عباس واختيار ابي عبيد وابي
حاتم لقوله تعالى قد بينا لكم الايات ليخرج الذين امنوا وعملوا الصالحات اي من
سبق له ذلك في علم الله من الظلمات اي ظلمات الكفر الى النور الهدى والايمان قال
ابن عباس نزلت في مومني اهل الكتاب واضاف الاخراج الى الرسول لان الايمان
يحصل منه بطاعته قوله تعالى ومن يومن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري
من تحتها الانهار وقرا نافع وابن عامر بالنون والباقون بالياء قد احسن الله له رزقا
اي وسع له في الجنات قوله تعالى الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
دل على كمال قدرته وانه يقدر على البعث والمحاسبة ولا خلاف في السموات انها سبع
بعضها فوق بعض دل على ذلك حديث الاسرا وغيره ثم قال ومن الارض مثلهن يعني
سبعا واختلف فيهن على قولين احدهما وهو قول الجمهور انها سبع ارضين طباقا بعضها
فوق بعض بين كل ارض وارض مسافة كما بين السما والسماء وفي كل ارض سكان من خلق
الله وقال الضحاك ومن الارض مثلهن اي سبعا من الارضين ولكنها مطبقة بعضها
على بعض من غير فتوق بخلاف السموات والاول اصح لان الاخبار دالة عليه في الترمذي

والنسائي وغيرهما وقد مضى ذلك مبينا في البقرة وقد خرج ابو نعيم قال حدثنا محمد ابن علي بن حبيش قال ثنا اسماعيل بن اسحاق السراج وحدثنا ابو محمد بن حيان قال ثنا عبد الله بن محمد بن ناجيه قالا ثنا سعيد بن سعيد قال ثنا حفص بن ميسرة عن موسى بن عقبة عن عطا بن ابي مروان عن ابيه ان كعبا حلف له بالذي فلق البحر لموسى ان صهيبا حدثه ان محمدا صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها الا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما اذرين انا نسالك خير هذه القرية وخير اهلها ونعوذ بك من شرها وشر اهلها وشر ما فيها قال ابو نعيم هذا حديث ثابت من حديث موسى بن عقبة تفرد به عطا وروى عنه ابو الزناد وغيره وفي صحيح مسلم عن سعيد بن زيد قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم من اخذ شبرا من الارض ظلما فانه يطوقه يوم القيمة من سبع ارضين ومثله حديث عايشة وابين منهما حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ياخذ احد شبرا من الارض بغير حقه الا طوقه الله الى سبع ارضين يوم القيامة قال الماوردي وعلى انها سبع ارضين بعضها فوق بعض تختص دعوة اهل الاسلام باهل الارض العليا ولا يلزم من في غيرها من الارضين وان كان فيها من يعقل من خلق مميز وفي مشاهدتهم السما واستمدادهم الضوء منها قولان احدهما انهم يشاهدون السما من كل جانب من ارضهم ويستمدون الضيا منها وهذا قول من جعل الارض مبسوطة والقول الثاني انهم لا يشاهدون السما وان الله تعالى خلق لهم ضيا يستمدونه وهذا قول من جعل الارض كالاكرة وفي الاية قول ثالث حكاه الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس انها سبع ارضين منبسطة ليس بعضها فوق بعض تفرق بينها البحار وتظل جميعهم السما فعلى هذا ان لم يكن لاحد من اهل الارض وصول الى ارض اخرى اختصت دعوة الاسلام باهل هذه الارض وان كان لقوم منهم وصول الى ارض اخرى احتمل ان يلزمهم دعوة الاسلام عند امكان الوصول اليهم لان فصل البحار اذا امكن سلوكها لا يمنع من لزوم ما عم حكمه واحتمل ان لا يلزمهم دعوة الاسلام لانها لو لزمتهم لكان النص بها واردا ولكان النبي صلى الله عليه وسلم بها مامورا والله اعلم ما استاثر بعلمه وصواب ما اشتبه على خلقه ثم قال يتنزل الامر بينهن قال مجاهد يتنزل الامر من السموات السبع الى الارضين السبع وقال الحسن بين كل سماين ارض وامر والامر هنا الوحي في قول مقاتل وغيره وعليه فيكون بينهن اشارة الى بين هذه الارض العليا التي هي ادناها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل الامر القضا والقدر وهو قول الاكثرين فعلى هذا يكون المراد بقوله تعالى بينهن اشارة الى ما بين الارض السفلى التي هي اقصاها وبين السما السابعة التي هي اعلاها وقيل يتنزل الامر بينهن بحياة بعض وموت بعض وغنى قوم وفقر قوم وقيل هو ما يدبر فيهن من عجيب تدبيره فينزل المطر ويخرج النبات وياتي بالليل والنهار والصيف والشتا ويخلق الحيوانات على اختلاف انواعها وهياتها فينقلهم من حال الى حال قال ابن كيسان وهذا هو مجال اللغة واتساعها كما يقال للموت امر الله وللريح والسحاب ونحوها لتعلموا ان الله على كل شي قدير يعني ان من قدر على هذا الملك العظيم فهو على ما بينهما من خلقه اقدر ومن العفو والانتقام امكن وان استوى كل ذلك في مقدوره ومكنته وان الله قد احاط بكل شي علما فلا يخرج شي عن علمه وقدرته ونصب علما على المصدر المؤكد لان احاط بمعنى علم وقيل بمعنى وان الله احاط احاطة علما

سورة التحريم مدنية في قول الجميع وهي ثنتا عشرة اية وتسمى سورة النبي

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك ثبت في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله

عليه

عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا قالت فتواطيت انا وحفصة ان ايتنا ما دخل النبي صلى الله عليه وسلم فلتقل اني لاجد منك ريح مغافير فدخل على احداهما فقالت ذلك فقال بل شربت عسلا عند زينب ابنة جحش ولن اعود له فنزلت لم تحرم ما احل الله لك الى قوله ان تتوبا لعايشة وحفصة واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا لقوله بل شربت عسلا وعنها ايضا قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب الحلوا والعسل فكان اذا صلى العصر دار على نسايه فيدنو منهن فدخل على حفصة فاحتبس عندها اكثر مما كان يحتبس فسالت عن ذلك فقيل لي اهدت لها امراة من قومها عكة عسل فسقت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت اما والله لنحتالن له فذكرت ذلك لسودة وقلت اذا دخل عليك فقولي له يا رسول الله اكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولي ما هذه الريح وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتد عليه ان يوجد منه الريح فانه سيقول لك سقتني حفصة شربة عسل فقولي جرست نحله العرفط وساقول ذلك له وقوليه انت يا صفية فلما دخل على سودة قالت تقول سودة والذي لا اله الا هو لقد كدت ان اباديه بالذي قلت له وانه لعلى الباب فرقا منك فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله اكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح قال سقتني حفصة شربة عسل قالت جرست نحله العرفط فلما دخل علي قلت له مثل ذلك ثم دخل على صفية فقالت له مثل ذلك فلما دخل على حفصة قالت يا رسول الله الا اسقيك منه قال لا حاجة لي به قالت تقول سودة سبحان الله لقد حرمناه قلت لها اسكتي ففي هذه الروايات ان الذي شرب عندها العسل حفصة وفي الاولى زينب وروى ابن ابي مليكة عن ابن عباس انه شربه عند سودة وقد قيل انما هي ام سلمة رواه اسباط عن السدي قاله عطا بن ابي مسلم ابن العربي وهذا كله جهل او تصور بغير علم فقال باقي نسايه حسدا وغيرة لمن شرب ذلك عندها انا لنجد منك ريح المغافير والمغافير بقلة او صمغة متغيرة الرايحة فيها حلاوة واحدها مغفور وجرست اكلت والعرفط نبت له ريح كريح الخمر وكان عليه السلام يعجبه ان يوجد منه الريح الطيبة او يجدها ويكره الريح الخبيثة لمناجاة الملك فهذا قول وقول اخر انه اراد بذلك المراة التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبلها لاجل ازواجه قاله ابن عباس وعكرمة والمراة ام شريك وقول ثالث ان النبي حرم مارية القبطية وكان قد اهداها له المقوقس ملك الاسكندرية قال ابن اسحاق هي من كورة انصنا من بلد يقال لها حفن فواقعها في بيت حفصة روى الدارقطني عن ابن عباس عن عمر قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بام ولده مارية في بيت حفصة فوجدته حفصة معها فقالت له تدخلها بيتي ما صنعت بي هذا من بين نسايك الا من هواني عليك فقال لها لا تذكري هذا لعايشة فهي علي حرام ان قربتها قالت حفصة فكيف تحرم عليك وهي جاريتك فحلف لها ان لا يقربها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم لا تذكريه لاحد فذكرته لعايشة فالى ان لا يدخل على نسايه شهرا فاعتزلهن تسعا وعشرين ليلة فانزل الله عز وجل لم تحرم ما احل الله لك الاية الثانية اصح هذه الاقوال اولها واضعفها اوسطها قال ابن العربي اما ضعفه في السند فلعدم عدالة رواته واما ضعفه في معناه فلان رد النبي صلى الله عليه وسلم للموهوبة ليس تحريما لها لان من رد من وهب له لم يحرم عليه انما حقيقة التحريم بعد التحليل واما من روى انه حرم مارية القبطية فهو امثل في السند واقرب الى المعنى لكنه لم يدون في الصحيح وروي مرسلا وقد روى ابن وهب عن مالك عن زيد بن اسلم قال حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ام ابراهيم فقال انت علي حرام والله لا اتيتك فانزل الله عز وجل في ذلك يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الاية وروى مثله ابن القاسم عنه وروى اشهب عن مالك قال راجعت عمر امراة له من الانصار في شي فاقشعر من ذلك وقال ما كان النسا هكذا قالت بلى وقد كان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم يراجعنه فاخذ ثوبه

فخرج الى حفصة فقال لها اراجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ولو
اعلم انك تكره ما فعلت فلما بلغ عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم هجر نساه قال
رغم انف حفصة وانما الصحيح انه كان في العسل وانه شربه عند زينب وتظاهرت
عليه عايشة وحفصة فيه وجرى ما جرى فحلف ان لا يشربه واسر ذلك ونزلت الاية في
الجميع الثالثة قوله تعالى لم تحرم ان كان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ولم يحلف فليس
ذلك بيمين عندنا ولا يحرم قول الرجل هذا علي حرام شيا حاشى الزوجة وقال ابو
حنيفة اذا اطلق حمل على الماكول والمشروب دون الملبوس وكانت يمينا توجب
الكفارة وقال زفر هو يمين في الكل حتى في الحركة والسكون وعول المخالف الى ان
النبي صلى الله عليه وسلم حرم العسل فلزمته الكفارة وقال الله تعالى قد فرض الله
لكم تحلة ايمانكم فسماه يمينا ودليلنا قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات
ما احل الله لكم ولا تعتدوا وقوله تعالى قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق الاية فذم
الله المحرم للحلال ولم يوجب عليه كفارة قال الزجاج ليس لاحد ان يحرم ما احل الله
ولم يجعل لنبيه صلى الله عليه وسلم ان يحرم الا ما حرم الله عليه فمن قال لزوجته او امته انت
علي حرام فان لم ينو طلاقا ولا ظهارا فهذا اللفظ يوجب عليه كفارة اليمين ولو خاطب
بهذا اللفظ جمعا من الزوجات والاما فعليه كفارة واحدة ولو حرم على نفسه طعاما
او شيا اخر لم يلزمه بذلك كفارة عند الشافعي ومالك ويجب بذلك كفارة عند ابن مسعود
والثوري وابي حنيفة الرابعة واختلف العلما في الرجل يقول لزوجته انت علي حرام
على ثمانية عشر قولا احدها لا شي عليه وبه قال الشعبي ومسروق وربيعة وابو سلمة
واصبغ وهو عندهم كتحريم الما والطعام وقال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تحرموا
طيبات ما احل الله لكم والزوجة من الطيبات ومما احل الله وقال تعالى ولا تقولوا لما
تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وما لم يحرمه الله فليس لاحد ان يحرمه
ولا ان يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما احله
الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا اقربها
بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما احل الله لك اي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني اقدم عليه
وكفر وثانيها انها يمين تكفرها قاله ابو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود
وعايشة رضي الله عنهم والاوزاعي وهو مقتضى الاية قال سعيد بن جبير عن ابن
عباس اذا حرم الرجل عليه امراته فانما هي يمين يكفرها وقال ابن عباس لقد كان لكم في
رسول الله اسوة حسنة يعني ان النبي صلى الله عليه وسلم كان حرم جاريته فقال الله
تعالى يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك الى قوله قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم فكفر يمينه
وصير الحرام يمينا خرجه الدارقطني وثالثها انها تجب فيها كفارة وليست بيمين قاله
ابن مسعود وابن عباس ايضا في احدى روايتيه والشافعي في احد قوليه وفي هذا
القول نظر والاية ترده على ما يأتي ورابعها هي ظهار ففيها كفارة الظهار قاله عثمان واحمد
ابن حنبل واسحاق وخامسها انه ان نوى الظهار وهو ينوي انها محرمة كتحريم ظهر امه
كان ظهارا وان نوى تحريم عينها عليه بغير طلاق تحريما مطلقا وجبت كفارة يمين
وان لم ينو شيا فعليه كفارة يمين قاله الشافعي وسادسها انها طلقة رجعية قاله عمر
ابن الخطاب والزهري وعبد العزيز بن ابي سلمة وابن الماجشون وسابعها انها طلقة
باينة قاله حماد بن ابي سليمان وزيد بن ثابت ورواه ابن خويز منداد عن مالك
وثامنها انها ثلاث تطليقات قاله علي بن ابي طالب وزيد بن ثابت ايضا وابو هريرة
وتاسعها هي في المدخول بها ثلاث وينوى في غير المدخول بها قاله علي بن ابي زيد
والحسن والحكم وهو مشهور مذهب مالك وعاشرها هي ثلاث ولا ينوى بحال ولا في
محل وان لم يدخل قاله عبد الملك في المبسوط وبه قال ابن ابي ليلى وحادي عشرها
هي في التي لم يدخل بها واحدة وفي التي دخل بها ثلاث قاله ابو مصعب ومحمد بن
الحكم وثاني عشرها انه ان نوى الطلاق والظهار كان ما نوى فان نوى الطلاق

فواحده

فواحدة باينة الا ان ينوي ثلاثا فان نوى اثنتين فواحدة فان لم ينو شيا كانت يمينا
وكان الرجل موليا من امراته قاله ابو حنيفة واصحابه وبمثله قال زفر الا انه قال اذا نوى
اثنتين الزمناه وثالث عشرها انه لا تنفعه نية الظهار وانما يكون طلاقا قاله ابن القاسم
ورابع عشرها قال يحيى بن عمر يكون طلاقا فان ارتجعها لم يجز له وطيها حتى يكفر كفارة
الظهار وخامس عشرها ان نوى الطلاق فما اراد من اعداده وان نوى واحدة فهي رجعية
وهو قول الشافعي رضي الله عنه وروي مثله عن ابي بكر وعمر وغيرهم من الصحابة والتابعين
وسادس عشرها ان نوى ثلاثا فثلاث وان نوى واحدة فواحدة وان نوى يمينا فهي
يمين وان لم ينو شيا فلا شي عليه وهو قول سفيان وبمثله قال الاوزاعي وابو ثور
الا انهما قالا ان لم ينو شيا فهي واحدة وسابع عشرها له نيته ولا يكون اقل من واحدة قاله
ابن شهاب وان لم ينو شيا لم يكن شيا قاله ابن العربي ورايت لسعيد بن جبير وهو الثامن
عشر ان عليه عتق رقبة وان لم يجعلها ظهارا ولست اعلم لها وجها ولا يبعد في المقالات عندي
قلت قد ذكره الدارقطني في سننه عن ابن عباس فقال ثنا الحسين بن اسماعيل قال
ثنا محمد بن منصور قال ثنا روح قال ثنا سفيان الثوري عن سالم الافطس عن سعيد
ابن جبير عن ابن عباس انه اتاه رجل فقال اني جعلت امراتي علي حراما فقال كذبت ليست
عليك بحرام ثم تلا يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك عليك اغلظ الكفارات عتق رقبة
وقال جماعة من اهل التفسير انه لما نزلت هذه الاية كفر عن يمينه بعتق رقبة وعاد الى
مارية صلى الله عليه وسلم قاله زيد بن اسلم وغيره الخامسة قال علماونا سبب الاختلاف
في هذا الباب انه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم نص ولا
ظاهر صحيح يعتمد عليه في هذه المسيلة فتجاذبها العلما لذلك فمن تمسك بالبراة الاصلية
فقال لا حكم فلا يلزم بها شي واما من قال انها يمين فقال سماها الله يمينا واما من قال
تجب فيها كفارة وليست بيمين فبناه على احد امرين احدهما انه ظن ان الله اوجب
الكفارة فيها ولم تكن يمينا والثاني ان معنى اليمين عنده التحريم فوقعت الكفارة
على المعنى واما من قال انها طلقة رجعية فانه حمل اللفظ على اقل وجوهه فالرجعية محرمة
الوطي فيحمل اللفظ عليه وهذا يلزم مالكا لقوله ان الرجعية محرمة الوطي وكذلك وجه
من قال انها ثلاث فحمله على اكثر معناه وهو الطلاق الثلاث واما من قال انه ظهار
فلانه اقل درجات التحريم فانه يحرم لا يرفع النكاح واما من قال انه طلقة باينة فعول
على ان الطلاق الرجعي لا يحرم المطلقة وان الطلاق البائن يحرمها واما قول يحيى بن
عمر فانه احتاط بان جعله طلاقا فلما ارتجعها احتاط بان يلزمه الكفارة ابن العربي
وهذا لا يصح فانه جمع بين المتضادين فانه لا يجتمع ظهار وطلاق في
معنى لفظ واحد فلا وجه للاحتياط فيما لا يصح اجتماعه في الدليل واما من قال انه
ينوي في التي لم يدخل بها فلان الواحدة تبينها وتحرمها شرعا اجماعا وكذلك قال من لم
يحكم باعتبار نيته ان الواحدة تكفي قبل الدخول في التحريم بالاجماع فيكفي اخذا بالاقل
المتفق عليه واما من قال انه ثلاث فيهما فلانه اخذ بالحكم الاعظم فانه لو صرح بالثلاث
لنفذت في التي لم يدخل بها نفوذها في التي دخل بها ومن الواجب ان يكون المعنى
مثله وهو التحريم والله اعلم وهذا كله في الزوجة واما في الامة فلا يلزم فيها شي من
ذلك الا ان ينوي به العتق عند مالك وذهب عامة العلما الا ان عليه كفارة يمين ابن
العربي والصحيح انها طلقة واحدة لانه لو ذكر الطلاق لكان اقله وهو الواحدة الا ان
يعدده كذلك اذا ذكر التحريم يكون اقله الا ان يقيده بالاكثر مثل ان يقول انت علي
حرام الا بعد زوج فهذا نص على المراد قلت اكثر المفسرين على ان الاية نزلت في حفصة
لما خلا النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها بجاريته ذكره الثعلبي وعلى هذا فكانه
قال لا يحرم عليك ما حرمته ولكن عليك كفارة يمين وان كان في تحريم العسل
والجارية ايضا فكانه قال لم يحرم عليك ما حرمته ولكن ضممت الى التحريم يمينا فكفر
عن اليمين وهذا صحيح فان النبي صلى الله عليه وسلم حرم ثم حلف كما ذكره الدارقطني

وذكر البخاري معناه في قصة العسل عن عبيد بن عمير عن عايشة قالت كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يشرب عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواصيت
انا وحفصة على ايتنا دخل عليها فلتقل اكلت مغافير اني لاجد منك ريح مغافير
قال لا ولكن شربت عسلا ولن اعود له وقد حلفت لا تخبري احدا يبتغي بذلك مرضات
ازواجه يعني بقوله ولن اعود له على جهة التحريم وبقوله حلفت اي بالله بدليل ان
الله تعالى انزل عليه عند ذلك معاتبته على ذلك وحواله على كفارة اليمين بقوله
يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك يعني العسل المحرم بقوله لن اعود له تبتغي مرضات
ازواجك اي تفعل ذلك طلبا لرضاهن والله غفور رحيم غفور لما اوجب المعاتبة رحيم
برفع المواخذة وقد قيل ان ذلك كان ذنبا من الصغاير والصحيح انه معاتبة
على ترك الاولى وانه لم يكن له صغيرة ولا كبيرة قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة
ايمانكم فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم تحليل اليمين
كفارتها اذا احنثتم اسباحة المحلوف عليه وهو قوله تعالى في سورة المايدة فكفارته
اطعام عشرة مساكين ويتحصل من هذا ان من حرم شيا من الماكول او المشروب لم يحرم
عليه عندنا لان الكفارة لليمين لا للتحريم على ما بيناه وابو حنيفة يراه يمينا في كل
شي ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على اكله
او امة فعلى وطيها او على زوجة فعلى الايلا منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار
فظهار وان نوى الطلاق فطلاق باين وكذلك ان نوى ثنتين او ثلاثا وان قال
نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضا بابطال الايلا وان
قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه
الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة وحدها وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده على
ما تقدم بيانه فان حلف ان لا ياكله حنث وبرا بالكفارة الثانية فان حرم امته
او زوجته فكفارته يمين كما في صحيح مسلم عن ابن عباس فاما حرم الرجل عليه امراته
فهي يمين يكفرها وقال لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة الثالثة قيل ان
النبي صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وعن الحسن لم يكفر لان النبي صلى الله عليه وسلم
قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وكفارة اليمين في هذه السورة انما امر بها
الامة والاول اصح وان المراد بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الامة تقتدي به
في ذلك وقد قدمناه عن زيد بن اسلم انه عليه السلام كفر بعتق رقبة وعن مقاتل
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتق رقبة في تحريم مارية والله اعلم وقيل
اي قد فرض الله لكم تحليل ملك اليمين فبين في قوله تعالى ما كان على النبي من حرج
فيما فرض الله له اي فيما شرعه له في النسا المحللات اي حلل لكم ملك الايمان فلم
تحرم مارية على نفسك مع تحليل الله اياها لك وقيل تحلة اليمين الاستثنا اي فرض
الله لكم الاستثنا المخرج عن اليمين ثم عند قوم يجوز الاستثنا متى شا وان تخلل
مدة وعند المعظم لا يجوز الا الاستثنا المتصل فكانه قال استثن بعدها فيما
تحلف عليه وتحلة اليمين تحليلها بالكفارة والاصل تحللة فادغمت وتفعلة من
مصادر فعل كالتوصية والتسمية فالتحلة تحليل اليمين وكانه اليمين عقد والكفارة
حل وقيل التحلة الكفارة اي انها تحل للحالف ما حرم على نفسه اي اذا كفرتم صار كمن
لم تحلف والله مولاكم وليكم وناصركم بازالة الحظر فيما تحرمونه على انفسكم وبالترخيص
لكم في تحليل ايمانكم بالكفارة وبالثواب على ما تخرجونه في الكفارة قوله
تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه حديثا اي واذكر اذ اسر الى حفصة حديثا
يعني تحريم مارية على نفسه واستكتامه اياها ذلك وقال الكلبي اسر اليها حديثا
ان اباك وابا عايشة يكونان خليفتي على امتي من بعدي وقال ابن عباس قال
اسر امر الخلافة بعده الى حفصة فذكرته حفصة وروى الدارقطني في سننه عن
الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اسر النبي الى بعض ازواجه

حديثا قال اطلعت حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم مع ام ابراهيم فقال لا تخبري
عايشة قال فانطلقت حفصة فاخبرت عايشة فاظهره الله عليه فعرف بعضه واعرض
عن بعض قال اعرض عن قولها ان اباك واباها يكونان خليفتي كره رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان ينشر ذلك في الناس فلما نبات به اي اخبرت عايشة لمصافاة كانت
بينهما وكانتا متظاهرتين على زوجات النبي صلى الله عليه وسلم واظهره الله عليه اي اطلعه
الله على انها قد نبات به وقرا طلحة بن مصرف فلما انبات وهما لغتان انبا ونبا ومعنى
عرف بعضه واعرض عن بعض وقال مقاتل يعني اخبرها ببعض ما قالت لعايشة
ان ابا بكر وعمر سيملكان بعده وقراة العامة عرف مشددا ومعناه ما ذكرناه واختاره
ابو عبيد بدليل عليه قوله تعالى واعرض عن بعض اي لم يعرفها اياه ولو كانت مخففة لقال
في ضده وانكر بعضا وقرا علي وطلحة بن مصرف وابو عبد الرحمن السلمي والحسن وقتادة
والكلبي والكساي والاعمش عن ابي بكر عرف مخففة قال عطا كان ابو عبد الرحمن السلمي
اذا قرا عليه الرجل عرف مشددة حصبه بالحجارة قال الفرا وتاويل قوله عز وجل عرف بعضه
بالتخفيف اي غضب فيه وجازى عليه وهو كقولك لمن اسا اليك لاعرفن لك ما فعلت
اي لاجازينك عليه وجازاها النبي صلى الله عليه وسلم بان طلقها طلقة واحدة فقال
عمر لو كان في ال الخطاب خير لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فامره جبريل
بمراجعتها وشفع فيها واعتزل النبي صلى الله عليه وسلم نساه شهرا وقعد في مشربة
مارية ام ابراهيم حتى نزلت اية التحريم على ما تقدم وقيل هم بطلاقها حتى قال له جبريل
لا تطلقها فانها صوامة قوامة وانها من نسايك في الجنة فلم يطلقها فلما نباها به اي
اخبر حفصة بما اظهره الله عليه قالت له من انباك هذا اي رسول الله وظنت ان عايشة
اخبرته فقال عليه السلام نباني العليم الخبير اي الذي لا يخفى عليه شي وهذا اسند
مسد مفعولي انبا ونبا الاول يتعدى الى مفعولين ونبا الثاني يتعدى الى مفعول واحد
لان نبا وانبا اذا لم يدخلا على الابتدا والخبر جاز ان يكتفا فيهما بمفعول واحد
وبمفعولين فاذا دخلا على الابتدا والخبر تعدى كل واحد منهما الى ثلاثة مفعولين
ولم يجز الاقتصار على الاثنين دون الثالث لان الثالث هو خبر المبتدا في الاصل فلا يقتصر دونه
كما لا يقتصر على المبتدا دون الخبر قوله تعالى ان تتوبا الى الله يعني حفصة
وعايشة حثهما على التوبة على ما كان منهما من الميل الى خلاف محبة رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد صغت قلوبكما اي زاغت ومالت عن الحق وهو انهما احبتا
ما كره النبي صلى الله عليه وسلم من اجتناب جاريته واجتناب العسل وكان عليه
السلام يحب العسل والنسا قال ابن زيد مالت قلوبكما بان سرهما ان يحتبس عن ام ولده
فسرهما ما كرهه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل فقد مالت قلوبكما الى التوبة
وقال فقد صغت قلوبكما ولم يقل فقد صغا قلباكما ومن شان العرب اذا ذكروا الشيين
من اثنين جمعوهما لانه لا يشكل وقد مضى هذا المعنى في سورة المايدة في قوله
تعالى فاقطعوا ايديهما وقيل كلما ثبتت الاضافة فيه مع التثنية فلفظ الجمع اليق به
لانه امكن واخف وليس قوله فقد صغت قلوبكما جزا للشرط لان هذا الصغو كان
سابقا فجواب الشرط محذوف للعلم به اي ان تتوبا كان خيرا لكما اذ قد صغت قلوبكما قوله
تعالى وان تظاهرا عليه وتعاونا على النبي صلى الله عليه وسلم بالمعصية والايذا
وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال مكثت سنة وانا اريد ان اسال عمر بن الخطاب
عن اية فما استطيع ان اساله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجع فكنا ببعض
الطريق عدل الى الاراك لحاجة له فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا امير
المومنين من اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ازواجه فقال
تلك حفصة وعايشة قال فقلت له والله ان كنت لاريد ان اسالك عن هذا منذ سنة
فما استطيع هيبة لك قال فلا تفعل ما ظننت ان عندي من علم فسلني عنه فان
كنت اعلمه اخبرتك وذكر الحديث فان الله هو مولاه وليه وناصره فلا يضره ذلك هـ

ذلك التظاهر منهما وجبريل وصالح المؤمنين قال عكرمة وسعيد بن جبير ابو بكر وعمر
لانهما ابوي عائشة وحفصة وقد كانا عونا له عليهما وقيل صالح المؤمنين علي رضي الله
عنه وقيل خيار المؤمنين وصالح اسم جنس كقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر
قاله الطبري وقيل صالح المؤمنين هم الانبيا قاله العلاء بن زياد وقتادة وسفيان
وقال ابن زيد هم الملائكة السدي هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صالح المؤمنين
ليس لفظ الواحد وانما هو صالحوا المؤمنين فاضاف الصالحين الى المؤمنين وفي صحيح
مسلم عن ابن عباس قال حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لما اعتزل نبي الله
صلى الله عليه وسلم نساءه قال دخلت المسجد فاذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون
طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل ان يومر بالحجاب فقال عمر لاعلمن
ذلك اليوم قال فدخلت على عائشة فقلت يا ابنة ابي بكر اقد بلغ من شانك ان توذي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت مالي ومالك يا ابن الخطاب عليك بعيبتك قال فدخلت
على حفصة بنت عمر فقلت لها يا حفصة اقد بلغ من شانك ان توذي رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله لقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحبك ولولا انا لطلقك رسول
الله صلى الله عليه وسلم فبكت اشد البكا فقلت لها اين رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقالت هو في خزانته في المشربة مدل رجليه على نقير من خشب وهو جذع
يرقى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وينحدر فناديت يا رباح استاذن لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيئا ثم قلت يا رباح استاذن
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر رباح الى الغرفة ثم نظر الي فلم يقل شيئا ثم رفعت
صوتي فقلت يا رباح استاذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاني اظن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ظن اني جيت من اجل حفصة والله لين امرني رسول الله صلى
الله عليه وسلم بضرب عنقها لاضربن عنقها ورفعت صوتي فاومى الي ان ارقه فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مضطجع على حصير فجلست فادنى عليه ازاره وليس
عليه غيره واذا الحصير قد اثر في جنبه فنظرت ببصري في خزانة رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاذا انا بقبضة من شعير نحو الصاع ومثله قرظا في ناحية الغرفة واذا
افيق معلق قال فابتدرت عيناي قال ما يبكيك يا ابن الخطاب فقلت يا نبي الله ما لي
لا ابكي وهذا الحصير قد اثر في جنبك وهذه خزانتك لا ارى فيها الا ما ارى وذلك
قيصر وكسرى في الثمار والانهار وانت رسول الله صلى الله عليه وصفوته وهذه
خزانتك فقال يا ابن الخطاب الا ترضى ان يكون لهم الدنيا ولنا الآخرة قلت بلى قال
ودخلت عليه حين دخلت وانا ارى في وجهه الغضب فقلت يا رسول الله ما يشق
عليك من امر النسا فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وانا
وابو بكر والمومنون معك وقلما تكلمت واحمد الله بكلام الا رجوت ان يكون الله عز
وجل ان يصدق قولي ونزلت هذه الاية اية التخيير عسى ربه ان طلقكن ان يبدله
ازواجا خيرا منكن وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المومنين
والملائكة بعد ذلك ظهير وكانت عائشة بنت ابي بكر وحفصة تظاهران على سائر
نسا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله اطلقتهن قال لا قلت يا رسول
الله اني دخلت المسجد والمسلمون ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساءه افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فلم ازل احدثه
حتى تحسر الغضب عن وجهه وحتى كشر فضحك وكان من احسن الناس ثغرا ثم نزل
نبي الله صلى الله عليه وسلم ونزلت اتشبث بالجذع فنزل رسول الله صلى الله عليه
وسلم كانما يمشي على الارض ما يمسه بيده فقلت يا رسول الله انما كنت في الغرفة
تسعا وعشرين قال ان الشهر تسع وعشرين فقمت على باب المسجد فناديت باعلى صوتي
لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الاية واذا جاءهم امر
من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين

يستنبطونه

يستنبطونه منهم فكنت انا الذي استنبطت ذلك الامر وانزل الله اية التخيير وجبريل
فيه لغات تقدمت في سورة البقرة ويجوز ان يكون معطوفا على مولاه والمعنى الله وليه
وجبريل وليه فلا يوقف على مولاه ويوقف على جبريل ويكون وصالح المؤمنين مبتدا والملائكة
معطوفا عليه والخبر ظهير وهو بمعنى الجمع وصالح المؤمنين ابو بكر وعمر وروى شقيق عن
عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين
قال ان صالح المؤمنين ابو بكر وعمر وقيل هو علي عن اسما بنت عميس قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصالح المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقيل غير هذا مما تقدم
القول فيه ويجوز ان يكون وجبريل مبتدا وما بعده معطوفا عليه والخبر ظهير وهو بمعنى
الجمع ايضا فيوقف على هذا على مولاه ويجوز ان يكون جبريل وصالح المومنين معطوفا على مولاه
فيوقف على المومنين ويكون والملائكة بعد ذلك ظهير ابتدا وخبر ومعنى ظهير اعوان وهو
وهو في معنى ظهرا كقوله تعالى وحسن اوليك رفيقا وقال ابو علي قد جا فعيل للكثرة كقوله
ولا يسال حميم حميما يبصرونهم وقيل كان التظاهر منهما في التحكم على النبي صلى الله عليه وسلم
في النفقة ولهذا الى منهن شهرا واعتزلهن وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال دخل
ابو بكر يستاذن النبي صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه فلم يوذن لاحد منهم قال
فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله
ازواجه ساكتا قال فقال لاقولن شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت بنت
خارجة سالتني النفقة فقمت اليها فوجات عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
هن حولي كما ترى يسالنني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما
تقول تسالن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن والله لا نسال رسول الله صلى الله
عليه وسلم شيا ابدا ليس عنده ثم اعتزلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا او تسعا وعشرين ثم نزلت
عليه هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن حتى بلغ للمحسنات منكن اجرا عظيما الحديث
وقد ذكرناه في سورة الاحزاب قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن قد تقدم في الصحيح
ان هذه الاية نزلت على لسان عمر رضي الله عنه ثم قيل كل عسى في القران واجب الا هذا وقيل
هو واجب ولكن الله عز وجل علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن ان يبدله ازواجا خيرا
منكن لانكن لو كنتن خيرا منهن ما طلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال معناه السدي
وقيل هذا وعد من الله تعالى لرسوله لو طلقهن في الدنيا ان يزوجه في الدنيا نسا خيرا منهن
وقرى ان يبدله بالتشديد والتخفيف والتبديل والابدال بمعنى كالتنزيل والانزال
والله تعالى عالما بانه كان لا يطلقهن ولكن اخبر عن قدرته على انه ان طلقهن يستبدل
قوما غيركم وهو اخبار عن القدرة وتخويف لهم لا ان ثم في الوجود من هو خير من اصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى مسلمات يعني مخلصات قاله سعيد بن جبير وقيل
معناه مسلمات لامر الله تعالى وامر رسوله مومنات مصدقات بما امرن به ونهين عنه قانتات
مطيعات والقنوت الطاعة وقد تقدم تائبات اي من ذنوبهن قاله السدي وقيل راجعات
الى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم تاركات لمحاب انفسهن عابدات اي كثيرات العبادة لله
تعالى وقال ابن عباس كل عبادة في القران هو التوحيد سائحات صائمات قاله ابن عباس
والحسن وابن جبير وقال زيد بن اسلم وابنه عبد الرحمن ويمان مهاجرات قال زيد وليس
في امة محمد صلى الله عليه وسلم سياحة الا الهجرة والسياحة الجولان في الارض وقال الفرا
والقتبي وغيرهما سمي الصائم سائحا لان السائح لا زاد معه وانما ياكل من حيث يجد الطعام
وقيل ذاهبات في طاعة الله تعالى من ساح الما اذا ذهب وقد مضى في سورة براة والحمد
لله ثيبات وابكارا اي منهن ثيب ومنهن بكر وقيل انما سميت الثيب ثيبا لانها راجعة الى
زوجها ان اقام معها او الى غيره ان فارقها وقيل لانها ثابت الى بيت ابويها وهذا اصح
لان ليس كل ثيب تعود الى زوج واما البكر فهي العذرا سميت بكرا لانها على اول حالتها التي
خلقت بها وقال الكلبي اراد بالثيب مثل اسية امراة فرعون وبالبكر مثل مريم ابنة
عمران قلت وهذا انما يمشي على قول من قال ان التبديل وعد من الله لنبيه لو طلقهن

في الدنيا زوجه في الاخرة خيرا منهن والله اعلم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم
واهليكم نارا فيه مسئلة واحده وهو الامر بوقاية الانسان نفسه واهله النار قال
الضحاك معناه قوا انفسكم واهلوكم فليقوا انفسهم نارا وروى علي بن ابي طلحة عن ابن
عباس قوا انفسكم وامروا اهليكم بالذكر والدعا حتى يقيهم الله بكم وقال علي رضي الله عنه
وقتادة ومجاهد قوا انفسكم بافعالكم وقوا اهليكم بوصيتكم ابن العربي وهو الصحيح والفقه الذي
يعطيه العطف الذي يقتضي التشريك بين المعطوف والمعطوف عليه في معنى الفعل كقوله
علفتها تبنا وماء باردا ۞ وكقوله ۞ ورايت زوجك في الوغا ۞ متقلدا سيفا ورمحا ۞
فعلى الرجل ان يصلح نفسه بالطاعة ويصلح اهله صلاح الراعي للرعية ففي صحيح الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فالامام الذي على الناس
راع وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته وهو مسئول عنهم والرجل راع على اهل بيته
وهو مسئول عنهم وعن هذا عبر الحسن في هذه الاية بقوله يامرهم وينهاهم وقال بعض العلما
لما قال قوا انفسكم دخل فيه الاولاد لان الولد بعض منه كما في قوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تاكلوا من بيوتكم فلم تفردوا بالذكر افراد ساير القرابات فيعلمه الحلال والحرام
ويجنبه المعاصي والاثام الى غير ذلك من الاحكام وقال عليه السلام حق الولد على
الوالد ان يحسن اسمه ويعلمه الكتابة ويزوجه اذا بلغ وقال عليه السلام ما نحل والد
ولدا افضل من ادب حسن وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه
وسلم مروا ابناكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر وفرقوا بينهم في المضاجع خرجه
جماعة من اهل الحديث وهذا لفظ ابي داود وخرج ايضا عن سمرة بن جندب قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مروا الصبي بالصلاة اذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ
عشر سنين فاضربوه عليها وكذلك يخبر اهله بوقت الصلاة ووجوب الصيام ووجوب
الفطر اذا وجب مستندا في ذلك الى رؤية الهلال وقد روى مسلم ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان اذا اوتر يقول قومي فاوتري يا عايشة وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال رحم الله امرا قام من الليل فاوتر فصلى فايقظ اهله فان لم تقم رش وجهها بالما رحم
الله امراة قامت من الليل تصلي وايقظت زوجها فان لم يقم رشت على وجهه من الما ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم ايقظوا صواحب الحجر ويدخل هذا في عموم قوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى وذكر القشيري ان عمر رضي الله عنه قال لما نزلت هذه الاية يا رسول
الله نقي انفسنا فكيف باهلينا فقال تنهوهم عما نهاكم الله عنه وتامروهم بما امركم الله وقال
مقاتل ذلك حق عليه في نفسه وولده واهله وعبيده وامايه قال الكيا فعلينا تعليم
اولادنا واهلينا الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الادب وهو قوله تعالى وامر اهلك
بالصلاة واصطبر عليها ونحو قوله للنبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين وفي
الحديث مروهم بالصلاة وهم ابنا سبع وقودها الناس والحجارة تقدم في سورة
البقرة القول فيه عليها ملايكة غلاظ شداد يعني الزبانية غلاظ القلوب لا يرحموا
اذا استرحموا خلقوا من الغضب وحبب اليهم عذاب الخلق كما حبب لبني ادم اكل الطعام
والشراب شداد اي شداد الابدان وقيل غلاظ الاقوال شداد الافعال وقيل
غلاظ في اخذهم اهل النار شداد عليهم يقال فلان شديد على فلان اي قوي
عليه يعذبه بانواع العذاب وقيل اراد بالغلاظ ضخامة اجسامهم وبالشدة القوة
قال ابن عباس ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم ان يضرب بالمقمع
فيدفع بتلك الضربة سبعين الف انسان في قعر جهنم وذكر ابن وهب قال وحدثنا
عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم ما بين
منكبي احدهم كما بين المشرق والمغرب قوله تعالى لا يعصون الله ما امرهم اي لا
يخالفونه في امره من زيادة او نقصان ويفعلون ما يومرون اي في وقته لا يوخرونه
ولا يقدمونه وقيل اي لذتهم في امتثال امره كما ان سرور اهل الجنة في الكون في الجنة
ذكره بعض اهل المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى معتقد اهل الحق

في

في الكون في الجنة ذكره بعض اهل المعتزلة وعندهم انه يستحيل التكليف غدا ولا يخفى
معتقد اهل الحق في ان الله يكلف العبد اليوم وغدا ولا ينكر التكليف غدا في حق الملايكة
وعندنا ان يفعل ما يشا قوله تعالى يا ايها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم فان عذركم لا ينفع
وهذا النهي لتحقيق الياس انما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا ونظيره فاليوم لا ينفع
الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون وقد تقدم قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا
الى الله توبة نصوحا فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة
نصوحا امر بالتوبة وهي فرض على الاعيان في كل الاحوال وكل الازمان وقد تقدم بيانها والقول
فيها في النسا وغيرها توبة نصوحا اختلفت عبارة العلما وارباب القلوب في التوبة النصوح
على ثلاثة وعشرين قولا فقيل هي التي لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن الى الضرع وروي عن
عمر وابن مسعود وابي بن كعب ومعاذ بن جبل رضي الله عنهم ورفعه معاذ الى النبي صلى الله
عليه وسلم وقال قتادة النصوح الصادقة الناصحة وقيل الخالصة يقال نصح اي اخلص له
القول وقال الحسن النصوح ان يبغض الذنب الذي احبه ويستغفر منه اذا ذكره وقيل هي التي
لا يثق بقبولها ويكون على وجل منها وقيل هي التي لا يحتاج معها الى توبة وقال الكلبي التوبة
النصوح الندم بالقلب والاستغفار باللسان والاقلاع بالبدن والاطمئنان الى انه لا يعود
وقال سعيد بن جبير هي التوبة المقبولة ولا تقبل اذا لم يكن فيها ثلاث شروط خوف ان لا
تقبل ورجا ان تقبل وادمان الطاعات وقال سعيد بن المسيب توبة تنصحون بها انفسكم
وقال القرظي يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود
بالجنان ومهاجرة سيي الخلان وقال سفيان الثوري علامة التوبة النصوح اربعة القلة
والعلة والذلة والغربة وقال الفضيل بن عياض هو ان يكون الذنب بين عينيه لا يزال
كانه ينظر اليه ونحوه عن ابن السماك ان تنصب الذنب الذي اقللت فيه الحيا من الله امام
عينك وتستعد لمنتظرك وقال ابو بكر الوراق هو ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق
عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال ابو بكر الواسطي هو توبة لا لفقد عوض لان من
اذنب في الدنيا لرفاهية نفسه ثم تاب طلبا لرفاهيتها في الاخرة فتوبته على حفظ نفسه
لا لله وقال ابو بكر الدقاق المصري التوبة النصوح هي رد المظالم واستحلال الخصوم وادمان
الطاعات وقال رويم هو ان تكون لله وجها بلا قفا كما كنت له عند المعصية قفا بلا وجه
وقال ذو النون علامة التوبة النصوح ثلث قلة الطعام وقلة الكلام وقلة المنام
وقال شقيق هو ان يكثر صاحبها لنفسه الملامة ولا ينفك عن الندامة لينجو من افاتها
بالسلامة وقال سري السقطي لا تصلح التوبة النصوح الا بنصيحة النفس والمومنين لان من
صحت توبته احب ان يكون الناس مثله وقال الجنيد التوبة النصوح هو ان ينسى الذنب
ولا يذكره ابدا لان من صحت توبته صار محبا لله ومن احب الله نسي ما دون الله وقال ابو
الاذنان هو ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال فتح الموصلي
علامتها ثلاث مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع والظما وقال سهل بن عبد الله
التستري هي التوبة لاهل السنة والجماعة لان المبتدع لا توبة له بدليل قوله صلى الله عليه
وسلم حجب الله على كل صاحب بدعة ان يتوب وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر ان يتوب
عن الذنب ثم يعود فيه واصل التوبة النصوح من الخلوص يقال هذا عسل ناصح اذا
خلص من الشمع وقيل هي ماخوذة من النصاحة وهي الخياطة وفي اخذها منها وجهان
احدهما لانها توبة قد احكمت طاعته واوثقتها كما يحكم الخياط الثوب بخياطته ويوثقه الثاني
لانها قد جمعت بينه وبين اولياء الله والصقته بهم كما يجمع الخياط الثوب ويلصق بعضه ببعض
وقراة العامة نصوحا بفتح النون على نعت التوبة مثل امراة صبور اي توبة بالغة في
النصح وقرا الحسن وخارجة وابو بكر عن عاصم بالضم وتاويله على هذه القراة توبة
نصح لانفسكم وقيل يجوز ان يكون نصوحا جمع نصح وان يكون مصدرا يقال نصح نصاحة
ونصوحا وقد يتفق فعالة وفعول في المصادر نحو الذهاب والذهوب وقال
المبرد اراد توبة ذات نصح يقال نصحت نصحا ونصاحة ونصوحا الثانية في الاشيا

التي يتاب منها وكيف التوبة منها قال العلما الذنب التي تكون التوبة منه لا تخلو اما ان يكون
حقا لله او للادميين فان كان حقا لله كترك صلاة فان التوبة لا تصح منها حتى ينضم الى
الندم قضا ما فات منها وهكذا ان كان ترك صوم او تفريطا في الزكاة وان كان ذلك قتل
نفس مومنة بغير حق فان يمكن من القصاص ان كان عليه وكان مطلوبا به وان كان
قذفا يوجب الحد فيبذل ظهره للجلد ان كان مطلوبا به فان عفا عنه كفاه الندم والعزم
على ترك العود بالاخلاص وكذلك ان عفي عنه في القتل بمال فعليه ان يوديه ان كان واجدا
له قال الله تعالى فمن عفي له من اخيه شي فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان وان
كان ذلك حدا من حدود الله كائنا ما كان فانه اذا تاب الى الله تعالى بالندم الصحيح سقط
عنه وقد نص الله على سقوط الحد عن المحاربين اذا تابوا قبل القدرة عليهم حسب ما
تقدم بيانه وكذلك الشراب والسراق والزناة اذا اصلحوا وتابوا وعرف ذلك منهم ثم رفعوا
الى الامام فلا ينبغي له ان يحدهم وان رفعوا اليه فقالوا تبنا لم يتركوا وهم في هذه الحالة
كالمحاربين اذا غلبوا هذا مذهب الشافعي فان كان الذنب من مظالم العباد فلا تصح التوبة
منه الا برده الى صاحبه والخروج عنه عينا كان او غيره ان كان قادرا عليه فان لم يكن
قادرا فالعزم ان يوديه اذا قدر في اعجل وقت واسرعه وان كان اضر بواحد من المسلمين
وذلك الواحد لا يشعر به او لا يدري من اين اتي فانه يزيل ذلك الضرر عنه ثم يساله ان
يعفو عنه ويستغفر له فان عفا فقد سقط الذنب عنه وان ارسل من يساله ذلك فعفا
ذلك المظلوم عن ظالمه عرفه بعينه او لم يعرفه فذلك صحيح وان اسا رجل الى رجل بان فزعه
بغير حق او غمه او لطمه او صفعه بغير حق او ضربه بسوط فالمه ثم جاه مستعفيا نادما
على ما كان منه عازما على الا يعود فلم يزل يتذلل له حتى طابت نفسه فعفا عنه
سقط الذنب عنه وهكذا ان كان شانه بشتم لا حد فيه عسى ربكم ان يكفر عنكم سياتكم
عسى من الله واجبة وهو معنى قوله عليه السلام التايب من الذنب كمن لا ذنب له
وان كان في موضع قوله تعالى ويدخلكم معطوف على يكفر وقرا ابن ابي عبلة ويدخلكم
جزما عطفا على محل عسى ان يكفر كانه قيل توبوا يوجب تكفير سياتكم ويدخلكم جنات
تجري من تحتها الانهار يوم لا يخزي الله النبي العامل في يوم يدخلكم او فعل مضمر ومعنى
يخزي هنا يعذب اي يعذبه ولا يعذب الذين امنوا معه نورهم يسعى بين ايديهم
وبايمانهم تقدم في سورة الحديد يقولون ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شي
قدير قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هذا دعا المومنين حين اطفا الله نور المنافقين
حسب ما تقدم بيانه في سورة الحديد قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين
واغلظ عليهم فيه مسالة واحدة وهو التشديد في دين الله فامره ان يجاهد الكفار
بالسيف والمواعظ الحسنة والدعا الى الله والمنافقين بالغلظة واقامة الحجة وان
يعرفهم احوالهم في الاخرة وانهم لا نور لهم يجوزون به الصراط مع المومنين وقال الحسن
اي جاهدهم باقامة الحدود عليهم فانهم كانوا يرتكبون موجبات الحدود وكانت
الحدود تقام عليهم وماواهم جهنم يرجع الى الصنفين وبيس المصير اي المرجع قوله
تعالى ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط ضرب الله هذا المثل تنبيها
على انه لا يغني احد في الاخرة عن قريب ولا نسيب اذا فرق بينهما الدين وكان اسم امراة
نوح والهة واسم امراة لوط والعة قاله مقاتل وقال الضحاك عن عايشة رضي الله
عنها ان جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فاخبره ان اسم امراة نوح واغلة واسم
امراة لوط والهة فخانتاهما قال عكرمة والضحاك بالكفر وقال سليمان بن رقية عن
ابن عباس كانت امراة نوح تقول للناس انه مجنون وكانت امراة لوط تخبر باضيافه
وعنه ما بغت امراة نبي قط وهذا اجماع من المفسرين فيما ذكر القشيري انما كانت
خيانتهما في الدين وكانتا مشركتين وقيل كانتا منافقتين وقيل خيانتهما النميمة
اذا اوحي اليهما شيا افشتاه الى المشركين قاله الضحاك وقيل كانت امراة لوط اذا
نزل به ضيف دخنت ليعلم قومها انه قد نزل به ضيف لما كانوا عليه من اتيان الرجال

فلم

فلم يغنيا عنهما من الله شيا اي لم يدفع نوح ولوط مع كرامتهما على الله تعالى عن زوجتيهما
لما عصتا شيا من عذاب الله تنبيها بذلك على ان العذاب يدفع بالطاعة لا بالوسيلة
ويقال ان كفار مكة استهزوا وقالوا ان محمدا صلى الله عليه وسلم يشفع لنا فبين الله تعالى
ان شفاعته لا تنفع كفار مكة وان كانوا اقربا كما لا تنفع شفاعة نوح لامراته وشفاعة
لوط لامراته مع قربهما لهما لكفرهما وقيل لهما ادخلا النار مع الداخلين في الاخرة كما يقال لكفار
مكة وغيرهم ثم قيل يجوز ان تكون امراة نوح بدلا من قوله مثلا على تقدير حذف المضاف
اي ضرب الله مثلا مثل امراة نوح ويجوز ان يكونا مفعولين قوله تعالى وضرب الله
مثلا للذين امنوا امراة فرعون واسمها اسية بنت مزاحم قال يحيى بن سلام قوله ضرب الله
مثلا للذين كفروا مثل ضربه الله يحذر به عايشة وحفصة في المخالفة حين تظاهرتا
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضرب لهما مثلا بامراة فرعون ومريم ابنة عمران ترغيبا
في التمسك بالطاعة والثبات على الدين وقيل هذا حث للمومنين على الصبر في الشدة
اي لا تكونوا في الصبر عند الشدة اضعف من امراة فرعون حين صبرت على اذى فرعون
وكانت اسية امنت بموسى وقيل هي عمة موسى امنت به قال ابو العالية اطلع فرعون
على ايمان امراته فخرج على الملا فقال لهم ما تعلمون من اسية ابنة مزاحم فاثنوا عليها فقال
لهم انها تعبد ربا غيري فقالوا له اقتلها فاوتد لها اوتادا وشد يديها ورجليها فقالت
رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ووافق ذلك حضور فرعون فضحكت حين رات بيتها في الجنة
فقال فرعون الا تعجبون من جنونها انا نعذبها وهي تضحك فقبض روحها وقال سلمان
الفارسي فيما روي عنه عثمان النهدي كانت تعذب بالشمس فاذا اذاها حر الشمس اظلتها الملايكة
باجنحتها وقيل سمر يديها ورجليها في الشمس ووضع على ظهرها رحا فاطلعها الله حتى رات
مكانها في الجنة وقيل لما قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة اريت بيتها في الجنة يبنى
وقيل انه من درة وعن الحسن فلما قالت ونجني نجاها الله اكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهي
تاكل وتشرب وتتنعم ومعنى من فرعون وعمله يعني بالعمل الكفر وقيل من عمله من عذابه
وظلمه وشماتته وقال ابن عباس الجماع ونجني من القوم الظالمين قال الكلبي اهل مصر
مقاتل القبط قال الحسن وابن كيسان نجاها الله اكرم نجاة ورفعها الى الجنة فهي تاكل وتشرب
قوله تعالى ومريم ابنة عمران اي واذكر مريم وقيل هو عطف على امراة فرعون المعنى وضرب
الله مثلا لمريم ابنة عمران وصبرها على اذى اليهود التي احصنت فرجها اي عن الفواحش وقال
المفسرون انه اراد بالفرج هنا الجيب لانه قال فنفخنا فيه من روحنا وجبريل عليه السلام انما
نفخ في جيبها ولم ينفخ في فرجها وهي في قراءة ابي فنفخنا في جيبها من روحنا وكل خرق
في الثوب يسمى فرجا ومنه قوله تعالى وما لها من فروج ويحتمل ان تكون احصنت فرجها
ونفخ الروح في جيبها ومعنى فنفخنا ارسلنا جبريل فنفخ في جيبها من روحنا اي روحا
من ارواحنا وهو روح عيسى وقد مضى في اخر النسا بيانه مستوفى والحمد لله وصدقت
بكلمات ربها قراءة العامة وصدقت بالتشديد وقرا حميد والاموي وصدقت بالتخفيف
بكلمات ربها قول جبريل انما انا رسول ربك الاية وقال مقاتل يعني بالكلمات عيسى وانه
نبي وعيسى كلمة الله وقرا الحسن وابو العالية بكلمة ربها وكتابه قرا ابو عمرو وحفص عن
عاصم جمعا وعن ابي رجا وكتبه مخففة التا والباقون وكتابه على التوحيد والكتاب
يراد به الجنس فيكون في معنى كل كتاب انزل الله تعالى وكانت من القانتين اي من
المطيعين وقيل من المصلين بين المغرب والعشا وانما لم يقل من القانتات لانه اراد به
من القوم القانتين ويجوز ان يرجع هذا الى اهل بيتها فانهم كانوا مطيعين لله وعن
معاذ بن جبل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لخديجة وهي تجود بنفسها اتكرهين ما قد
نزل بك ولقد جعل الله في الكره خيرا فاذا قدمت على ضراتك فاقريهن مني السلام مريم بنت
عمران واسية بنت مزاحم وكليمة او قال حليمة بنت عمران اخت موسى بن عمران فقالت بالرفا
والبنين يا رسول الله وروى قتادة عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسبك
من نسا العالمين اربع مريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد واسية امراة

امراة فرعون بنت مزاحم وقد مضى في آل عمران الكلام في هذا مستوفى والحمد لله

سورة الملك مكية في قول الجميع

وتسمى الواقية والمنجية وهي ثلاثون آية روى الترمذي عن ابن عباس قال ضرب رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فإذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال حديث حسن غريب وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وددت أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن ذكره الثعلبي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل حتى أخرجته من النار يوم القيامة وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك خرجه الترمذي بمعناه وقال فيه حديث حسن وقال ابن مسعود إذا وضع الميت في قبره فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل فإنه كان يقوم بسورة الملك على قدميه ثم يؤتى من قبل رأسه فيقول لسانه ليس لكم عليه سبيل إنه كان يقرأ سورة الملك ثم قال هي المانعة من عذاب الله وهي في التوراة سورة الملك من قرأها في ليلة فقد أكثر وأطيب وروي أن من قرأها كل ليلة لم يضره الفتان والله سبحانه أعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبارك الذي بيده الملك تبارك تفاعل من البركة وقد تقدم وقال الحسن تقدس وقيل دام فهو الدائم الذي لا أول لوجوده ولا آخر لدوامه الذي بيده الملك أي ملك السموات والأرض في الدنيا والآخرة وقال ابن عباس بيده الملك يعز من يشاء ويذل من يشاء ويحيي من يشاء ويميت من يشاء ويغني ويفقر ويعطي ويمنع وقال محمد بن إسحاق له الملك النبوة التي أعز بها من اتبعه وذل بها من خالفه وهو على كل شيء قدير من إنعام وانتقام قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة فيه مسئلتان الأولى قوله تعالى الذي خلق الموت والحياة في الآخرة وقيل المعنى خلقكم للموت والحياة يعني للموت في الدنيا والحياة في الآخرة وقدم الموت على الحياة لأن الموت إلى القهر أقرب كما قدم البنات على البنين فقال يهب لمن يشاء إناثا وقيل قدمه لأنه أقدم لأن الأشياء في الابتداء كانت في حكم الموت كالنطفة والتراب ونحوه وقال قتادة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تعالى أذل بني آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء وعن أبي الدرداء قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت وإنه مع ذلك لوثاب الثانية الموت والحياة قدم الموت على الحياة لأن أقوى الناس داعيا إلى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لأنه فيما يرجع إلى الغرض المسوق له الآية أهم الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما وتبدل حال وانتقال من دار إلى دار والحياة عكس ذلك وحكي عن ابن عباس والكلبي ومقاتل أن الموت والحياة جسمان فجعل الموت في هيئة كبش لا يمر بشيء ولا يجد ريحه إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل عليه السلام والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يركبونها خطوها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء يجد ريحها إلا حيي ولا تطأ على شيء إلا حيي وهي التي أخذ السامري من أثرها فألقاه على العجل فحيي حكاه الثعلبي والقشيري عن ابن عباس والماوردي معناه عن مقاتل والكلبي قلت وفي التنزيل قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة توفته رسلنا ثم قال الله يتوفى الأنفس حين موتها فالوسائط ملائكة مكرمون صلوات الله عليهم وهو سبحانه المميت على الحقيقة وإنما يمثل الموت

بالكبش

بالكبش في الآخرة ويذبح على الصراط حسب ما تقدم وورد به الخبر الصحيح وما ذكر عن ابن عباس يحتاج إلى خبر صحيح يقطع العذر والله أعلم وعن مقاتل أيضا خلق الموت يعني النطفة والعلقة والمضغة وخلق الحياة يعني خلق إنسانا ونفخ فيه الروح فصار إنسانا قلت وهذا قول حسن يدل عليه قوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا أي أكثركم للموت ذكرا وأحسن استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال ابن عمر تلا النبي صلى الله عليه وسلم تبارك الذي بيده الملك حتى بلغ أيكم أحسن عملا فقال أورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله وقيل معنى ليبلوكم ليعاملكم معاملة المختبر أي ليبلو العبد بموت من يعز عليه ليتبين صبره وبالحياة ليتبين شكره وقيل خلق الله الموت للبعث والجزاء وخلق الحياة للابتلاء فاللام في ليبلوكم تتعلق بخلق الحياة لا بخلق الموت ذكره الزجاج وقال الفراء والزجاج أيضا لم تقع البلوى على أي لأن فيما بين البلوى وأي إضمار فعل كما تقول بلوتكم لأنظر أيكم أطوع ومثله قوله تعالى سلهم أيهم بذلك زعيم أي سلهم ثم انظر أيهم فأيهم رفع بالابتداء وأحسن خبره والمعنى ليبلوكم فيعلم أو فينظر أيكم أحسن عملا وهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الغفور لمن تاب إليه قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا أي بعضها فوق بعض والملتزق منها أطرافها كذا روي عن ابن عباس وطباقا نعت لسبع فهو وصف بالمصدر وقيل مصدر بمعنى المطابقة أي خلق طباقا أو طوبقت طباقا وقال سيبويه نصب طباقا لأنه مفعول ثان قلت فيكون خلق بمعنى جعل وصير وطباقا جمع طبق مثل جمل وجمال وقيل جمع طبقة وقال أبان بن تغلب سمعت بعض الأعراب يذم رجلا فقال شره طباق وخيره غير باق ويجوز في غير القرآن سبع سموات طباق بالخفض على النعت لسموات ونظيره سبع سنبلات خضر ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت قرأ حمزة والكسائي من تفوت بغير ألف مشددة وهي قراءة ابن مسعود وأصحابه الباقون من تفاوت بألف وهما لغتان مثل التعاهد والتعهد والتحمل والتحامل والتظهر والتظاهر وتصاغر وتصغر وتضاعف وتضعف وتباعد وتبعد كله بمعنى واختار أبو عبيد من تفوت واحتج بحديث عبد الرحمن ابن أبي بكر أمثلي يتفوت عليه في بناته النحاس وهذا أمر مردود على أبي عبيد لأن يتفوت يفتات بهم وتفاوت في الآية أشبه كما يقال تباين يقال تفاوت الأمر إذا تباين وتباعد أي فات بعضها بعضا ألا ترى أن قبله قوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا والمعنى ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها وإن اختلفت صوره وصفاته وقيل المراد بذلك السموات خاصة أي ما ترى في خلق السموات من عيب وأصله من الفوت وهو أن يفوت شيء شيئا فيقع الخلل لقلة استوائها يدل عليه قول ابن عباس من تفرق وقال أبو عبيدة يقال تفوت الشيء أي فات ثم أمر بأن ينظروا في خلقه ليعتبروا به فيتفكروا في قدرته فقال فارجع البصر هل ترى من فطور أي اردد طرفك إلى السماء ويقال قلب البصر في السماء ويقال اجهد بالنظر إلى السماء والمعنى متقارب وإنما قال فارجع بالفاء وليس قبله فعل مذكور لأنه قال ما ترى والمعنى انظر ثم ارجع البصر هل ترى من فطور قاله قتادة من خلل وقال السدي من خروق والفطور الشقوق عن مجاهد والضحاك وقال قتادة من خلل وقال ابن عباس من وهن وأصله من الفطر والانفطار وهو الانشقاق قال الشاعر وقال آخر

بنى لكم بلا عمد سماء ... وزينها فما فيها فطور

شققت القلب ثم ذررت فيه ... هواك فليم فالتأم الفطور

تغلغل حيث لم يبلغ شراب ... ولا سكر ولم يبلغ سرور

ثم ارجع البصر كرتين في موضع المصدر لأن معناه أي مرة بعد أخرى وإنما أمر بالنظر مرتين لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه ما لم ينظر إليه مرة أخرى فأخبر تعالى أنه وإن نظر إلى السماء مرتين لا يرى فيها عيبا بل يتحير بالنظر إليها فذلك قوله تعالى ينقلب إليك البصر خاسئا أي خاشعا صاغرا متباعدا عن أن يرى شيئا من ذلك يقال خسأت الكلب أي أبعدته وطردته وخسأ الكلب بنفسه يتعدى ولا يتعدى وانخسأ الكلب

ايضا وخسا بصره خسا وخسوا اي سدر ومنه قوله تعالى ينقلب اليك البصر خاسيا
وقال ابن عباس الخاسي الذي لم ير ما يهوي وهو حسير اي قد بلغ الغاية في الاعيا فهو
بمعنى فاعل من الحسور الذي هو الاعيا ويجوز ان يكون مفعولا من حسره بعد الشيء
وهو معنى قول ابن عباس ومنه قول الشاعر

• من مد طرفا الى ما فوق غايته • ارتد خسان منه الطرف قد حسرا •

يقال حسر بصره يحسر حسورا اي كل وانقطع نظره من طول مدى وما اشبه ذلك فهو حسير
ومحسور ايضا قال • نظرت اليها بالمحصب من منى • فعاد الي الطرف وهو حسير •
وقال اخر يصف ناقة • فشطرها نظر العينين محسور • نصب سطرها على الظرف ونحوها
وقال اخر • والخيل شعث ما تزال جيادها • حسرى تغادر بالطريق سخالها •
وقيل انه النادم ومنه قول الشاعر

• ما انا اليوم على شي خلا • يا ابنة القين تولى بحسر •

والمراد بكرتين هاهنا التكثير والدليل على ذلك ينقلب اليك البصر خاسيا وهو حسير وذلك
دليل على كثرة النظر قوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح جمع مصباح وهو
السراج وتسمى الكواكب مصابيح لاضاءتها وجعلناها رجوما اي جعلنا شهبها فحذف المضاف
دليله الا من خطف الخطفة فاتبعه شهاب ثاقب وعلى هذا فالمصابيح لا تزول ولا يرجم
بها وقيل ان الضمير راجع الى المصابيح على ان الرجم من انفس الكواكب ولا يسقط الكوكب
نفسه انما ينفصل شي يرجم به من غير ان ينقص ضوؤه ولا صورته قاله ابو علي جوابا لمن
قال كيف تكون زينة وهي رجوم لا تبقى قال المهدوي وعلى هذا ان يكون الاستراق
من موضع الكواكب والتقدير الاول على ان يكون الاستراق من الهوى الذي هو دون
موضع الكواكب القشيري وامثل من قول ابي علي ان نقول هي زينة قبل ان يرجم بها
الشياطين والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمي به ما يرجم به قال قتاده خلق الله تعالى
النجوم لثلاث زينة السما ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها في البر والبحر والاوقات
فمن تاول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وتعدى وظلم وقال محمد بن كعب
والله ما لاحد من اهل الارض نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة واعتدنا
لهم عذاب السعير اي اعتدنا للشياطين اشد الحريق يقال سعرت النار فهي مسعورة وسعير
مثل مقتولة وقتيل وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير قوله تعالى اذا
القوا فيها يعني الكفار سمعوا لها شهيقا اي صوتا قال ابن عباس الشهيق لجهنم عند
القا الكفار فيها تشهق اليهم شهقة البغلة للشعير ثم تزفر زفرة لا يبقى احد الا خاف
وقيل الشهيق من الكفار عند القايهم في النار قاله عطا والشهيق في الصدر والزفير
في الحلق وقد مضى في سورة هود وهي تفور اي تغلي ومنه قول حسان

• تركتم قدركم لا شي فيها • وقدر القوم حامية تفور •

قال مجاهد تفور بهم كما يفور الحب القليل في الما الكثير وقال ابن عباس تغلي بهم
على المرجل وهذا من شدة لهب النار من شدة الغضب كما تقول فلان يفور غيظا قوله
تعالى تكاد تميز من الغيظ تتقطع وينفصل بعضها من بعض قاله سعيد بن جبير وقال
ابن عباس والضحاك وابن زيد تتفرق من شدة الغيظ على اعدا الله وقيل من الغيظ
من الغليان واصل تميز تتميز كلما القي فيها فوج اي جماعة من الكفار سالهم خزنتها على
جهة التوبيخ والتقريع الم ياتكم نذير اي رسول في الدنيا اي يحذركم هذا اليوم حتى
تحذروا قالوا بلى قد جانا نذير فانذرنا وخوفنا فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شي
اي على السنتكم ان انتم يا معشر الرسل الا في ضلال كبير اعترفوا بتكذيب الرسل ثم
اعترفوا بجهلهم فقالوا وهم في النار لو كنا نسمع من النذر يعني الرسل ما جاوا به او
نعقل عنهم قال ابن عباس لو كنا نسمع الهدى او نعقله او لو كنا نسمع سماع من يعي
ويفكر او نعقل عقل من يميز وينظر ودل هذا على ان الكافر لم يعط من العقل شيا وقد
مضى في الطور بيانه والحمد لله ما كنا في اصحاب السعير يعني ما كنا من اهل النار وعن

ابي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ندم الفاجر يوم القيمة
قالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فقال الله تعالى فاعترفوا بذنبهم اي
بتكذيبهم الرسل والذنب هاهنا بمعنى الجمع لان فيه معنى الفعل يقال خرج عطا الناس
اي عطيتهم فسحقا لاصحاب السعير اي فبعدا لهم من رحمة الله وقال سعيد بن جبير وابو
صالح هو واد في جهنم يقال له السحق وقرا الكسائي وابو جعفر فسحقا بضم الحا ورويت عن
علي الباقون باسكانها وهما لغتان مثل السحت والرعب الزجاج وهو منصوب على المصدر اي
اسحقهم سحقا اي باعدهم بعدا قال امرؤ القيس

• يجول باطراف البلاد مغربا • وتسحقه ريح الصبا كل مسحق •

وقال ابو علي القياس اسحاقا فجا المصدر على الحذف كما قيل • وان اهلك فذلك كان قدري •
اي تقديري وقيل ان قوله تعالى ان انتم الا في ضلال كبير من قول خزنة جهنم لاهلها
قوله تعالى ان الذين يخشون ربهم بالغيب نظيره من خشي الرحمن بالغيب وقد مضى
الكلام فيه اي يخافون الله ويخافون عذابه الذي هو بالغيب ونظيره من خشيها لم يحصن
وهو عذاب يوم القيامة لهم مغفرة لذنوبهم واجر كبير وهو الجنة قوله تعالى واسروا قولكم
او اجهروا به اللفظ لفظ الامر والمراد به الخبر يعني ان اخفيتم كلامكم في امر محمد صلى الله عليه وسلم
او جهرتم به فان الله عليم بذات الصدور يعني بما في القلوب من الخير والشر ابن عباس نزلت في المشركين
كانوا ينالون من النبي صلى الله عليه وسلم فيخبره جبريل فقال بعضهم لبعض اسروا قولكم كي
لا يسمع رب محمد فنزلت واسروا قولكم او اجهروا به يعني واسروا قولكم في محمد وقيل في سائر
الاقوال او اجهروا به اعلنوه انه عليم بذات الصدور وما فيها كما يسمى ولد المراة وهو جنين ذا
بطنها ثم قال الا يعلم من خلق يعني الا يعلم السر من خلق السر يقول انا خلقت السر في القلب
افلا يكون عالما بما في قلوب العباد وقال اهل المعاني ان شئت جعلته اسما للخالق والمعنى
الا يعلم الله من خلق ولا بد ان يكون الخالق عالما بما خلقه وما يخلقه قال ابن المسيب بينما
رجل واقف بالليل في شجر كبير وقد عصفت الريح فوقع في نفس الرجل اترى الله يعلم ما
يسقط من هذا الورق فنودي من جانب الغيضة بصوت عظيم الا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير وقال الاستاذ ابو اسحاق الاسفرايني من اسما صفات الذات ما هو للعلم منها
العليم ومعناه تعميم جميع المعلومات ومنها الخبير ويختص بان يعلم دقايق الاوصاف ومنها
الشهيد ويختص بان يعلم الغايب والحاضر ومعناه ان لا يغيب عنه شي ومنها الحافظ ويختص
بانه لا ينسى ومنها المحصي ويختص بانه لا تشغله الكثرة عن العلم مثل ضوء النار واشتداد
الريح وتساقط الاوراق فيعلم عند ذلك اجزا الحركات في كل ورقة وكيف لا يعلم وهو الذي
يخلق وقد قال الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير قوله تعالى هو الذي جعل لكم
الارض ذلولا اي سهلة تستقرون عليها والذلول المنقاد الذي يذل لك والمصدر الذل
وهو اللين والانقياد اي لم يجعل الارض بحيث يمتنع المشي فيها بالحزونة والغلظة وقيل
اي ثبتها بالجبال لئلا تزول باهلها ولو كانت تتكفا متمايلة لما كانت منقادة لنا وقيل
اشار الى التمكن من الزرع والغرس وشق العيون والانهار وحفر الابار فامشوا في
مناكبها هو امر اباحة وفيه اظهار الامتنان وقيل هو خبر بلفظ الامر اي لكي تمشوا في
مناكبها اطرافها ونواحيها واكامها وجبالها وقال ابن عباس وقتادة وبشير بن كعب في مناكبها
جبالها وروي ان بشير بن كعب كانت له سرية فقال لها ان اخبرتني ما مناكب
الارض فانت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فاراد ان يتزوجها فسال ابا
الدردا فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك مجاهد في اطرافها وعنه ايضا في طرقها وفجاجها
وقاله السدي والحسن وقال الكلبي في جوانبها ومنكبا الرجل جانباه واصل المنكب
الجانب ومنه منكب الرجل والريح النكبا وتنكب فلان عن فلان يقال امشوا حيث
اردتم فقد جعلتها لكم ذلولا لا تمتنع وحكى قتادة عن ابي الجلد ان الارض اربعة وعشرون
الف فرسخ فللسودان اثنا عشر الف وللروم ثمانية الاف وللفرس ثلاثة الاف وللعرب
الف وكلوا من رزقه اي مما احله لكم قاله الحسن وقيل مما انبته لكم واليه النشور المرجع وقيل

معناه الذي خلق السما لا تفاوت فيها والارض ذلولا قادر على ان يخسف بكم قوله تعالى
ءامنتم من في السما قال بن عباس امنتم عذاب من في السما ان عصيتموه وقيل تقديره
امنتم من في السما قدرته وسلطانه وعرشه ومملكته وخص السما وان عم ملكه تنبيها
على ان الاله الذي تنفذ قدرته في السما لا من يعظمونه في الارض وقيل هو اشارة الى
الملايكة وقيل الى جبريل وهو الملك الموكل قلت ويحتمل ان يكون المعنى امنتم خالق من
في السموات ان يخسف بكم الارض كما خسفها بقارون فاذا هي تمور اي تذهب وتجي والمور
الاضطراب بالذهاب والمجي قال الشاعر

رمين فاقصدن القلوب ولن ترى * دما مايرا الا جوي في الحيازم

جمع حيزوم وهو وسط الصدر واذا خسف بانسان دارت به الارض فهو المور وقال
المحققون امنتم من فوق السما كقوله فسيحوا في الارض اي فوقها لا بالمماسة والتحيز
لكن بالقهر والتدبير وقيل معناه امنتم من على السما كقوله تعالى لاصلبنكم في جذوع النخل
اي عليها ومعناه انه مدبرها ومالكها كما يقال فلان على العراق والحجاز اي واليها واميرها
والاخبار في هذا الباب صحيحة كثيرة منتشرة مشيرة الى العلو لا يدفعها الا ملحد او جاهل
معاند والمراد بها توقيره وتنزيهه عن السفل والتحت ووصفه بالعلو والعظمة لا بالاماكن
والجهات والحدود لانها من صفات الاجسام وانما ترفع الايدي بالدعا الى السما لان السما
مهبط الوحي ومنزل القطر ومحل القدس ومعدن المطهرين من الملايكة واليها ترفع اعمال
العباد وفوقها عرشه وجنته كما جعل الله الكعبة قبلة للصلاه ولانه خلق الامكنة وهو
غير محتاج اليها وكان في ازله قبل خلق المكان والزمان ولا مكان له ولا زمان وهو الان
على ما عليه كان وقرا قنبل عن بن كثير النشور وامنتم بقلب الهمزة الاولى واوا وتخفيف
الثانيه وقرا الكوفيون والبصريون واهل الشام سوى ابي عمرو وهشام بالتحقيق
في الهمزتين وخفف الباقون وقد تقدم جميعه ام امنتم من في السما ان يرسل عليكم
حاصبا اي حجارة من السما كما ارسلنا على قوم لوط واصحاب الفيل وقيل ريح فيها حجارة
وحصبا وقيل سحاب فيها حجارة فستعلمون كيف نذير اي انذاري وقيل النذير
بمعنى المنذر يعني محمدا صلى الله عليه وسلم اي فستعلمون صدقه وعاقبة تكذيبكم
قوله تعالى ولقد كذب الذين من قبلهم يعني كفار الامم كقوم نوح وعاد وثمود وقوم
لوط واصحاب مدين واصحاب الرس وقوم فرعون فكيف كان نكير اي انكاري وقد
تقدم واثبت ورش اليا في نذيري ونكيري في الوصل واثبتها يعقوب في الحالين
وحذف الباقون اتباعا للمصحف قوله تعالى اولم يروا الى الطير فوقهم صافات
اي كما ذلل الارض للادمي ذلل الهوا للطيور وصافات اي باسطات اجنحتها في الجو
عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوايمها صفا ويقبضن اي يضربن بها جنوبهن
قال ابو جعفر النحاس يقال للطاير اذا بسط جناحيه صاف واذا ضمها فاضما بجنبيه
قابض لانه يقبضهما كما قال ابو خراش

يبادر جنح الليل فهو موايل * يحث الجناح بالتبسط والقبض

وقيل ويقبضن اجنحتهن بعد بسطها اذا وقفن من الطيران وهو معطوف على
صافات عطف المضارع على اسم الفاعل كما عطف اسم الفاعل على المضارع في قول
الشاعر * بات يعشيها بعضب باتر * يقصد في اسوقها وجاير
ما يمسكهن اي ما يمسك الطير في الجو وهي تطير الا الله عز وجل انه بكل شي بصير
قوله تعالى امن هذا الذي هو جند لكم قال بن عباس حزب ومنعة لكم
ينصركم من دون الرحمن فيدفع عنكم ما اراد بكم ان عصيتموه ولفظ الجند يوحد ولذلك
قال هذا الذي هو جند لكم وهو استفهام انكار لا جند لكم يدفع عنكم عذاب الله من
دون الرحمن اي من سوى الرحمن ان الكافرون الا في غرور من الشياطين تغرهم
بانه لا عذاب ولا حساب قوله تعالى امن هذا الذي يرزقكم اي يعطيكم
منافع الدنيا وقيل المطر من الهتكم ان امسك يعني الله تعالى رزقه بل لجوا اي تمادوا

واصروا

واصروا في عتو طغيان ونفور عن الحق قوله تعالى افمن يمشي مكبا على وجهه ضرب
مثل للمومن والكافر مكبا اي منكسا راسه لا ينظر امامه ولا يمينه ولا شماله فهو لا يامن
من العثور والانكباب على وجهه كمن يمشي سويا معتدلا ناظرا ما بين يديه وعن يمينه وعن
شماله قال بن عباس هذا في الدنيا ويجوز ان يريد به الاعمى الذي لا يهتدي الى الطريق
فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وانه ليس كالرجل السوي الصحيح البصر الماشي في الطريق
المهتدي له وقال قتادة هو الكافر اكب على معاصي الله في الدنيا فحشره الله يوم القيامة على
وجهه وقال بن عباس والكلبي عني بالذي يمشي مكبا على وجهه ابا جهل وبالذي يمشي سويا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر وقيل حمزه وقيل عمار بن ياسر قال عكرمة وقيل
عام في الكافر والمومن اي ان الكافر لا يدري اعلى حق هو ام على باطل اي اهذا الكافر اهدى
ام المسلم الذي يمشي سويا معتدلا يبصر الطريق وهو على طريق مستقيم وهو الاسلام
ويقال اكب الرجل على وجهه فيما لا يتعدى بالالف فاذا تعدى قيل كبه الله لوجهه بغير الف
قوله تعالى هو الذي انشاكم امر نبيه ان يعرفهم قبح شركهم مع اعترافهم بان الله خلقهم
وجعل لكم السمع والابصار والافيدة يعني القلوب قليلا ما تشكرون اي لا تشكرون هذه
النعم ولا توحدون الله تعالى تقول قلما افعل كذا اي لا افعله قوله تعالى قل هو
الذي ذراكم في الارض اي خلقكم في الارض قاله بن عباس وقيل نشركم فيها وفرقكم على
ظهورها قاله ابن شجره واليه تحشرون حتى يجازي كلا بعمله ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين اي متى تقوم القيامه ومتى هذا العذاب الذي تعدوننا به وهو استهزا
منهم وقد تقدم قوله تعالى قل انما العلم عند الله اي قل لهم يا محمد انما العلم عند الله اي
قل لهم يا محمد علم وقت قيام الساعة عند الله فلا يعلمه غيره نظيره قوله قل انما علمها عند
ربي الايه وانما انا نذير مبين اي مخوف ومعلم لكم قوله تعالى فلما راوه زلفة
مصدر بمعنى مزدلفا اي قريبا قاله مجاهد الحسن عيانا واكثر المفسرين على ان المعنى فلما
راوه يعني العذاب وهو عذاب الاخره وقال مجاهد يعني عذاب بدر وقيل اي راوا ما
وعدوا من الحشر قريبا منهم ودل عليه تحشرون وقال بن عباس لما راوا عملهم السي قريبا
سيئت وجوه الذين كفروا اي فعل بها السو وقال الزجاج تبين فيها السو اي ساءهم
ذلك العذاب وظهر على وجوههم سمة تدل على كفرهم كقوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود
وجوه وقرا نافع وبن محيصن وبن عامر والكساي سيت باشمام الضم وكسر الباقون
بغير اشمام طلبا للخفة ومن ضم لاحظ الاصل وقيل هذا الذي كنتم به تدعون تفتعلون
من الدعا وهو قول اكثر العلما اي تتمنون وتسالون وقال بن عباس تكذبون وتاويله
هذا الذي كنتم من اجله تدعون الا باطيل والاحاديث قاله الزجاج وقراه العامه
تدعون بالتشديد وتاويله ما ذكرناه وقرا قتاده وبن ابي اسحاق والضحاك
ويعقوب تدعون مخففه قال قتاده هو قولهم ربنا عجل لنا قطنا وقال الضحاك
هو قولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الايه وقال ابو العباس تدعون
تستعجلون يقال دعوت بكذا اذا طلبته وادعيت افتعلت منه النحاس تدعون
وتدعون بمعنى واحد كما يقال قدر واقتدر وعدي واعتدى الا ان في افتعل معنى
شي بعد شي وفعل يقع للقليل والكثير قوله تعالى قل ارايتم ان اهلكني
الله ومن معي اي قل لهم يا محمد يريد مشركي مكة وكانوا يتمنون موت محمد صلى الله عليه
وسلم كما قال ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ارايتم ان متنا او رحمنا فاخرت
اجالنا فمن يجيركم من عذاب الله ولا حاجة بكم الى التربص بنا ولا الى استعجال قيام
الساعه واسكن اليا في اهلكني ابن محيصن والمسيبي وشيبة والاعمش وحمزه وفتحها
الباقون وكلهم فتح اليا في ومن معي الا اهل الكوفة فانهم سكنوها وفتحها حفص
كالجماعة قوله تعالى قل هو الرحمن امنا به وعليه توكلنا فستعلمون قرا الكساي
بالياء على الخبر ورواه عن علي الباقون بالتا على الخطاب وهو تهديد لهم فيقال
لم اخر مفعول امنا وقدم مفعول توكلنا فقال لوقوع امنا تعريضا بالكافرين حين

ورد عقيب ذكرهم كانه قيل امنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال عليه توكلنا خصوصا لم نتكل
على ما انتم متكلون عليه من رجالكم واموالكم قاله الزمخشري قوله تعالى قل ارايتم
ان اصبح ماوكم غورا الى اخره اي غائرا في الارض لا تناله الدلا وكانوا هم
بين بئرين بئر زمزم وبئر ميمون فمن ياتيكم بماء معين اي جار قاله قتاده والضحاك
فلا بد لهم ان يقولوا لا ياتينا به الا الله فيقال لهم فلم تشركون به من لا يقدر على ان ياتيكم
يقال غار الما يغور غورا اي نضب والغور الغائر وصف بالمصدر للمبالغه كما يقول رجل
عدل ورضى وقد مضى في سورة الكهف ومعنى القول في المعين في سورة المومنين
والحمد لله وعن ابن عباس بماء معين اي ظاهر تراه العيون فهو مفعول وقيل هو من معن
الما اي كثر فهو على هذا فعيل وعن ابن عباس ايضا ان المعين فمن ياتيكم بماء عذب والله اعلم

سورة ن والقلم مكية بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ن والقلم وما يسطرون قرا ابو بكر والمفضل وهبيره وورش وابن محيصن
وابن عامر والكسائي ويعقوب والبيلقوني بالاظهار وقرا عيسى بن عمر بفتحها كانه اضمر
فعلا وقرا ابن عباس ونصر وابن ابي اسحاق بكسرها على اضمار حرف القسم وقراها رون
ومحمد بن السميفع بضمها على البنا واختلف في تاويله فروي معاوية بن قرة عن ابيه يرفعه
الى النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نون لوح من نور وروي ثابت البناني ان نون الدواه
وقاله الحسن وقتاده وروي الوليد بن مسلم ثنا مالك عن انس عن سمي مولى ابي بكر
عن ابي صالح السمان عن ابي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما
خلق الله القلم ثم خلق النون وهي الدواه وذلك قوله تعالى ن والقلم ثم قال له اكتب قال
ما اكتب قال ما كان وما هو كائن الى يوم القيامه من عمل او اجل او رزق او اثر
فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامه قال ثم ختم فم القلم فلم ينطق ولا ينطق الى
يوم القيامه ثم خلق العقل فقال الجبار ما خلقت خلقا اعجب الي منك وعزتي وجلالي
لاكملنك فيمن احببت ولانقصنك فيمن ابغضت قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اكمل الناس عقلا اطوعهم لله واعلمهم بطاعته وعن مجاهد قال نون الحوت
الذي تحت الارض السابعه قال والقلم الذي كتب به الذكر وكذا قال مقاتل ومرة الهمداني
وعطا الخراساني والسدي والكلبي ان النون هو الحوت الذي عليه الارضون وروى
ابو ظبيان عن ابن عباس قال اول ما خلق الله القلم فجرى بما هو كائن ثم رفع بخار الما
فخلق منه السما ثم خلق النون فبسط الارض على ظهره فمادت الارض فاثبتت بالجبال
وان الجبال لتفخر على الارض ثم قرا ابن عباس ن والقلم الايه وقال الكلبي ومقاتل
اسمه البهموت قال الراجز • ما لي اراكم كلكم سكوتا • والله ربي خالق البهموتا •
وقال ابو اليقظان والواقدي ليوثا وقال كعب لوثوثا وقال بلهوثا وقال كعب ان
ابليس تغلغل الى الحوت الذي على ظهره الارضون والسموات فوسوس في قلبه وقال
اتدري ما على ظهرك يا لوثوثا من الدواب والشجر وغيرها من الارضين لو لفظتهم القيتهم
عن ظهرك اجمع فهم ليوثا ان يفعل ذلك فبعث الله اليه دابه فدخلت منخره ووصلت الى
دماغه فضج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله لها فخرجت قال والله انه لينظر اليها
وتنظر اليه ان هم بشي من ذلك عادت كما كانت وقال الضحاك عن ابن عباس ان نون
اخر حرف من حروف الرحمن قال الر وحم ون الرحمن تعالى مقطعه وقال ابن زيد هو
قسم اقسم الله تعالى به وقال ابن كيسان هو فاتحة السوره وقيل اسم السوره وقال
عطا وابو العاليه هو افتتاح اسمه نصير وناصر ونور وقال محمد بن كعب اقسم الله تعالى
بنصر المومنين وهو حق بيانه قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المومنين وقيل هو
المعروف من حروف المعجم لانه لو كان غير ذلك لكان معربا وهو اختيار القشيري في تفسيره
قال لان ن حرف لم يعرب فلو كان كلمه تامه اعرب كما اعرب القلم فهو اذا حرف هجا كما في
سائر مفاتح السور وعلى هذا قيل هو اسم للسوره اي هو سورة ن قال والقلم اقسم

بالقلم لما فيه من البيان كاللسان وهو واقع على كل قلم مما يكتب به من في السما ومن في
الارض ومنه قول ابي الفتح البستي •
• اذا اقسم الابطال يوما بسيفهم • وعدوه مما يكسب المجد والكرم •
• كفى قلم الكتاب عزا ورفعة • مدى الدهر ان الله اقسم بالقلم •
وللشعرا في تفضيل القلم على السيف ابيات كثيرة ما ذكرناه اعلاها وقال ابن عباس
هذا قسم بالقلم الذي خلقه الله فامره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن الى يوم القيامه
قال وهو قلم من نور طوله ما بين السما والارض ويقال لما خلق الله القلم ثم نظر
اليه فانشق نصفين فقال اجر فقال يا رب بم اجري قال بما هو كائن الى يوم القيامه
فجرى على اللوح المحفوظ وقال الوليد بن عباده بن الصامت اوصاني ابي عند
موته فقال يا بني اتق الله واعلم انك لن تتقي ولن تبلغ العلم حتى تومن بالله وحده
والقدر خيره وشره سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان اول ما خلق الله القلم
فقال له اكتب فقال يا رب ما اكتب قال اكتب القدر فجرى القلم في تلك الساعه بما
كان وما هو كائن الى الابد وقال ابن عباس اول ما خلق الله القلم فامره ان يكتب
بما هو كائن فكتب فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال قتاده القلم نعمة من الله تعالى
على عباده قال غيره فخلق الله القلم الاول فكتب ما يكون في الذكر ووضعه عنده
فوق عرشه ثم خلق القلم الثاني ليكتب به في الارض على ما ياتي بيانه في سورة
اقرا باسم ربك قوله تعالى وما يسطرون اي وما يكتبون يريد الملايكه يكتبون
اعمال بني ادم قاله ابن عباس وقيل وما يكتبون الناس وما يتفاهمون به وقال
ابن عباس معنى وما يسطرون وما يعلمون وما موصوله او مصدريه اي ومسطوراتهم
او وسطورهم ويراد به كل من يسطر او الحفظه على الخلاف ما انت بنعمة ربك بمجنون
هذا جواب القسم وهي نفي وكان المشركون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم
انه مجنون به شيطان وهو قوله وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون
فانزل الله تعالى ردا عليهم وتكذيبا لقولهم ما انت بنعمة ربك بمجنون اي برحمة
ربك والنعمه هاهنا الرحمه ويحتمل ثانيا ان النعمه هاهنا قسم وتقديره ما انت
ونعمة ربك بمجنون لان الواو والبا من حروف القسم وقيل هو كما تقول ما انت بمجنون
والحمد لله وقيل معناه ما انت بمجنون والنعمة لربك كقولهم سبحانك اللهم وبحمدك
اي والحمد لله ومنه قول لبيد • واخرجت في الدنيا بفقد عشيرتي • وفارقني جار بازبد نافع •
اي وهو اربد وقال النابغه • لم يحرموا حسن الغذا وامهم • طفحت عليك بناتق مذكار •
اي هو ناتق والبا في بنعمة ربك متعلقه بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا في
قولك انت بنعمة الله عاقل ومحله النصب على الحال كانه قال ما انت بمجنون منعما
عليك بذلك وان لك لاجرا اي ثوابا على ما تحملت من اثقال النبوة غير ممنون اي غير
مقطوع ولا منقوص يقال مننت الحبل اذا قطعته وحبل منين اذا كان غير متين قال
الشاعر • عبسا كواسب لا يمن طعامها • اي لا ينقطع وقال مجاهد غير ممنون غير
محسوب وقال الحسن غير ممنون غير مكدر بالمن الضحاك اجرا بغير عمل وقيل غير مقدر وهو
التفضل لان الجزا مقدر والتفضل غير مقدر ذكره الماوردي وهو معنى قول مجاهد
قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم فيه مسلتان الاولى قوله تعالى وانك لعلى خلق
عظيم قال ابن عباس ومجاهد على خلق عظيم على دين عظيم من الاديان ليس
دين احب الى الله ولا ارضى عنده منه وفي صحيح مسلم عن عايشه ان خلقه كان القران
وقال علي رضي الله عنه وعطيه هو ادب القران وقيل هو رفقه بامته واكرامه
اياهم وقال قتاده هو ما كان ياتمر به من امر الله وينتهي عنه مما نهى الله عنه وقيل
اي انك على طبع كريم الماوردي وهو الظاهر وحقيقة الخلق في اللغه ما هو ياخذ
به الانسان نفسه من الادب يسمى خلقا لانه يصير كالخلقه فيه فاما ما طبع عليه من الادب فهو الخيم
فيكون الخلق الطبع المتكلف والخيم الطبع الغريزي وقد اوضح الاعشى ذلك في شعره

فقال * واذا ذو الفضول ضن على المولى وعادت بخيمها الاخلاق * اي رجعت الاخلاق الى طباعها قلت ما ذكرته عايشه في صحيح مسلم اصح الاقوال وسئلت ايضا عن خلقه عليه السلام فقرات قد افلح المومنون الى عشر ايات وقالت ما كان احد احسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعاه احد من الصحابة ولا اهل بيته الا قال لبيك ولذلك قال الله تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولم يذكر خلقا محمودا الا وللنبي صلى الله عليه وسلم منه الحظ الاوفر وقال الجنيد سمي خلقه عظيما لانه لم تكن له همة سوى الله تعالى وقيل سمي خلقه عظيما لاجتماع مكارم الاخلاق فيه يدل عليه قوله عليه السلام ان الله بعثني لاتمم مكارم الاخلاق وقيل لانه امتثل تاديب الله تعالى اياه بقوله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فلما قبل ذلك منه قال انك لعلى خلق عظيم الثانيه روى الترمذي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقال حديث حسن صحيح وعن ابي الدردا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من شي اثقل في ميزان المومن يوم القيمة من خلق حسن فان الله تعالى يبغض الفاحش البذي قال حديث حسن صحيح وعنه قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من شي يوضع في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب الخلق الحسن ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم قال حديث غريب من هذا الوجه وعن ابي هريرة قال سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج قال هذا حديث حسن صحيح وعن عبد الله بن المبارك انه وصف حسن الخلق فقال هو بسط الوجه وبذل المعروف وكف الاذى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان من احبكم الي واقربكم مني مجلسا يوم القيامة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الي وابعدكم مني يوم القيمة الثرثارون المتشدقون والمتفيهقون قالوا يا رسول الله قد علمنا الثرثارين والمتشدقين فما المتفيهقون قال المتكبرون قال وفي هذا الباب عن ابي هريرة وهذا حديث حسن صحيح قوله تعالى فستبصر ويبصرون قال ابن عباس معناه فستعلم ويعلمون يوم القيمة حين يتبين الحق والباطل بايكم المفتون الباء زايده اي فستبصر ويبصرون ايكم المفتون اي الذي فتن بالجنون كقوله تعالى تنبت بالدهن ويشرب بها عباد الله وقال الراجز

* نحن بنو جعدة اصحاب الفلج * نضرب بالسيف ونرجوا بالفرج *

وقيل الباء ليست بزايده والمعنى بايكم المفتون اي الفتنة وهو المصدر على وزن المفعول ويكون معناه الفتون كما قالوا ما لفلان مجلود ولا معقول اي عقل ولا جلاده وقاله الحسن والضحاك وابن عباس وقال الراعي

* حتى اذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفواده معقولا *

اي عقلا وقيل في الكلام تقدير حذف مضاف والمعنى بايكم فتنة المفتون وقال الفرا الباء بمعنى في اي فستبصر ويبصرون في اي الفريقين المجنون اما الفرقة التي انت فيها من المومنين او الفرقة الاخرى والمفتون المجنون الذي فتنه الشيطان وقيل المفتون المعذب من قول العرب فتنت الذهب بالنار اذا احميته ومنه قوله تعالى يوم هم على النار يفتنون اي يعذبون ومعظم السورة نزلت في الوليد بن المغيره وابي جهل وقيل المفتون هو الشيطان لانه مفتون في دينه وكانوا يقولون به شيطان وعنوا بالمجنون هذا فقال الله تعالى سيعلمون غدا بايهم الشيطان الذي يحصل من مسه الجنون واختلاط العقل ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي ان الله هو العالم بمن حاد عن دينه وهو اعلم بالمهتدين اي الذين هم على الهدى فيجازي كلا غدا بعمله قوله تعالى فلا تطع المكذبين نهاه عن ممايلة المشركين وكانوا يدعونه الى ان يكف عنهم ليكفوا عنه فبين الله تعالى ان ممايلتهم كفر وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيا قليلا وقيل اي فلا تطع المكذبين فيما دعوك اليه من دينهم الخبيث نزلت في مشركي قريش حين دعوه الى دين ابايه قوله تعالى ودوا لو تدهن فيدهنون قال ابن عباس

وعطيه

وعطيه والضحاك والسدي ودوا لو تكفر فيتمادون على كفرهم وعن ابن عباس ايضا ودوا لو ترخص لهم فيرخصوا لك وقال الفرا والكلبي لو تلين فيلينون لك والادهان التليين لمن لا ينبغي له التليين قاله الفرا وقيل مجاهد المعنى ودوا لو ركنت اليهم وتركت الحق فيمالونك وقال الربيع بن انس ودوا لو تكذب فيكذبون وقال قتاده ودوا لو تذهب عن هذا الامر فيذهبون معك الحسن ودوا لو تصانعهم في دينك فيصانعونك في دينهم وعنه ايضا ودوا لو ترفض بعض امرك فيرفضون بعض امرهم وقال زيد بن اسلم لو تنافق وترايي فينافقون ويراوون وقيل ودوا لو تضعف فيضعفون قاله ابو جعفر وقيل ودوا لو تداهن في دينك فيداهنون في اديانهم قاله القتبي وعنه طلبوا منه ان يعبد الهتهم مدة ويعبدوا الهه مدة فهذه اثنا عشر قولا قال ابن العربي ذكر المفسرون فيها نحو عشرة اقوال كلها دعاوى على اللغة والمعنى امثلها قوله ودوا لو تكذب فيكذبون ودوا لو تكفر فيكفرون قلت كلها ان شا الله صحيحة على مقتضى اللغة والمعنى فان الادهان اللين والمصانعة وقيل مجاملة العدو وممايلته وقيل المقاربة في الكلام والتليين في القول قال الشاعر

* لبعض الغشم احزم في امور * تنوبك من مداهنة العدو *

وقال المفضل النفاق وترك المناصحة فهي على هذا الوجه مذمومة وعلى الوجه الاول غير مذمومه وكل شي منها لم يكن قال المبرد يقال ادهن في دينه وداهن في امره اي خان فيه واظهر خلاف ما يضمر وقال قوم داهنت بمعنى واريت وادهنت بمعنى غششت قاله الجوهري وقال فيدهنون فساقه على العطف ولو جا به جواب النهي لقال فيدهنوا وانما اراد ان تمنوا لو فعلت فيفعلون مثل فعلك عطفا لا جزا عليه ولا مكافاه وانما هو تمثيل وتنظير قوله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين يعني الاخنس بن شريق في قول الشعبي والسدي وابن اسحاق وقيل الاسود بن عبد يغوث او عبد الرحمن بن الاسود قاله مجاهد وقيل الوليد ابن المغيره عرض على النبي صلى الله عليه وسلم مالا وحلف انه يعطيه ان رجع عن دينه قاله مقاتل وقال ابن عباس هو ابو جهل بن هشام والحلاف الكثير الحلف والمهين الضعيف القلب عن مجاهد ابن عباس الكذاب والكذاب مهين وقيل المكثار في الشر قاله الحسن وقتاده وقال الكلبي المهين الفاجر العاجز وقيل معناه الحقير عند الله وقال ابن شجره انه الذليل الرماني المهين الوضيع لاكثاره من القبيح وهو فعيل بمعنى مفعل والمعنى مهان هماز قال ابن زيد الهماز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللماز باللسان وقال الحسن هو الذي يهمز باخيه في المجلس كقوله تعالى همزة وقيل الهماز الذي يذكر الناس في وجوههم واللماز الذي يذكرهم في مغيبهم قاله ابو العاليه وعطا بن ابي رباح والحسن ايضا وقال مقاتل ضد هذا الكلام ان الهمزه الذي يغتاب بالغيبه واللمزه الذي يغتاب في الوجه وقال مرة هما سوا وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب ونحوه عن ابن عباس وقتاده قال الشاعر

* تدلي بود اذا لاقيتني كذبا * وان اغيب فانت الهامز اللمزه *

مشا بنميم اي يمشي بالنميمه بين الناس ليفسد بينهم يقال نم ينم نما ونميما ونميمه اي يمشي ويسعى بالفساد وفي صحيح مسلم عن حذيفه انه بلغه ان رجلا ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل الجنة نمام وقال الشاعر

* ومولى كبيت النمل لا خير عنده * لمولاه الا سعيه بنميم *

قال الفرا هما لغتان وقيل النميم جمع نميمه مناع للخير اي للمال ان ينفق في وجوهه وقال ابن عباس يمنع عن الاسلام ولده وعشيرته وقال الحسن يقول لهم من دخل منكم في دين محمد لا انفعه بشي ابدا معتد اي على الناس في الظلم متجاوز في الحد صاحب باطل اثيم اي ذي اثم ومعناه اثوم فهو فعيل بمعنى مفعول عتل بعد ذلك زنيم العتل الجافي الشديد في كفره وقال الكلبي والفرا هو الشديد الخصومه بالباطل وقيل انه الذي يعتل الناس فيجرهم الى حبس او عذاب ماخوذ من العتل وهو الجر ومنه قوله تعالى خذوه فاعتلوه وفي الصحاح عتلت الرجل اعتله واعتله اذا جذبته جذبا عنيفا ورجل معتل بالكسر وقال يصف فرسا نفرعه فرعا ولسنا نعتله قال ابن السكيت عتله وعتنه باللام

والنون جميعا والعتل الغليظ الجافي والعتل ايضا الرمح الغليظ ورجل عتل بالكسر بين العتل اي سريع الى الشر ويقال لا انعتل معك اي لا ابرح مكاني وقال عبيد بن عمير العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان فلا يزن شعيرة يدفع الملك من اوليك في جهنم بالدفعة الواحدة سبعين الفا وقال علي بن ابي طالب والحسن العتل الفاحش السيي الخلق وقال معمر هو الفاحش اللئيم قال الشاعر

• بعتل من الرجال زنيم • غير ذي نجدة وغير كريم •

وفي صحيح مسلم عن حارثة بن وهب سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول الا اخبركم باهل الجنة قالوا بلى قال كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره الا اخبركم باهل النار قالت كل عتل جواظ مستكبر وفي رواية عنه كل جواظ زنيم متكبر الجواظ قيل هو الجموع المنوع وقيل الكثير اللحم المختال ذكر الماوردي عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم ورواه ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم فقال رجل الجواظ وما الجعظري وما العتل الزنيم فقال صلى الله عليه وسلم الجواظ الذي جمع ومنع والجعظري الغليظ والعتل الزنيم الشديد الخلق الرحب الجوف المصحح الاكول الشروب الواجد للطعام الظلوم للناس وذكره الثعلبي عن شداد بن اوس لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا عتل زنيم سمعتهن من النبي صلى الله عليه وسلم قلت وما الجواظ قال كل جماع مناع قلت وما الجعظري قال الفظ الغليظ قلت وما العتل الزنيم قال الرحيب الجوف الوتير الخلق الاكول الشروب الغشوم الظلوم قلت فهذا تفسير من النبي صلى الله عليه وسلم في العتل قد اربى على اقوال المفسرين ووقع في كتاب ابي داود في تفسير الجواظ انه الفظ الغليظ ذكره من حديث حارثة بن وهب الخزاعي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري قال والجواظ الفظ الغليظ ففيه تفسيران مرفوعان حسب ما ذكرناه اولا وقد قيل ان الجافي القلب وعن زيد بن اسلم في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبكي السما من رجل اصح الله جسمه ورحب جوفه واعطاه من الدنيا بعضا فكان للناس ظلوما فذلك العتل الزنيم وتبكي السما من الشيخ الزاني ما تكاد الارض تقله والزنيم الملصق بالقوم الدعي عن ابن عباس وغيره قال الشاعر

• زنيم تداعاه الرجال زيادة • كما زيد في عرض الاديم الاكارعه •

وعن ابن عباس ايضا انه رجل من قريش كانت له زنمة كزنمة الشاه وروي عنه ابن جبير انه الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها وقيل هو الذي يعرف بالابنة وهو مروي عن ابن عباس وعنه ايضا الظلوم فهذه ستة اقوال وقال مجاهد زنيم كانت له ستة اصابع زايده وعنه ايضا وسعيد بن المسيب وعكرمة هو ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم وكان الوليد دعيا في قريش ليس من سنخهم ادعاه ابوه بعد ثماني عشرة سنة من مولده قال الشاعر • زنيم ليس يعرف من ابوه • بغي الام ذو حسب لئيم •

وقال حسان • وانت زنيم نيط في ال هاشم • كما نيط خلف الراكب القدح الفرد •

قلت وهذا هو القول الاول بعينه وعن علي رضي الله عنه انه الذي لا اصل له والمعنى واحد وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة ولد زنا ولا ولده ولا ولد ولده وقال عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اولاد الزنا يحشرون يوم القيامة في صورة القردة والخنازير وقالت ميمونة سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تزال امتي بخير ما لم يفشوا فيهم ولد الزنا فاذا فشا فيهم ولد الزنا اوشك ان يعمهم الله بعقاب وقال عكرمة اذا كثر ولد الزنا قحط المطر قلت اما الحديث الاول والثاني فما اظن لهما سندا يصح واما حديث ميمونة وما قاله عكرمة ففي صحيح مسلم عن زينب بنت جحش زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فزعا محمرا وجهه يقول لا اله الا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم ياجوج وماجوج مثل هذه وحلق باصبعه الابهام والتي يليها قالت فقلت يا رسول

الله

اسا بمكة دينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث خرجه البخاري وكثرة الخبث ظهور الزنا واولاد الزنا كذا فسره العلما وقال عكرمة ان قحط المطر تبيين لما يكون به الهلاك وهذا يحتاج الى توقيف وهو اعلم من اين قاله ومعظم المفسرين على ان هذا نزل في الوليد بن المغيرة وكان يطعم اهل منا حيسا ثلاثة ايام وينادي الا لا يوقدن احد تحت برمة الا لا يدخلن احد بكراع الا ومن اراد الحيس فليات الوليد بن المغيرة وكان ينفق في الحجة الواحدة عشرين الفا واكثر ولا يعطي المسكين درهما واحدا فقيل مناع للخير وفيه نزل وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكاة وقال محمد بن اسحاق نزلت في الاخنس بن شريق لانه حليف ملحق في بني زهرة فلذلك سمي زنيما وقال ابن عباس في هذه الاية نعت لم يعرف حتى قتل فعرف وكانت له زنمة في عنقه معلقة يعرف بها وقال مرة الهمداني انما ادعاه ابوه بعد ثمان عشرة سنة قوله تعالى ان كان ذا مال وبنين قرا ابو جعفر وابن عامر وابو حيوة والمغيرة والاعرج ان كان بهمزة واحدة ممدودة على الاستفهام وقرا المفضل وابو بكر وحمزة ان كان بهمزتين محققتين وقرا الباقون بهمزة واحدة على الخبر فمن قرا بهمزة مطولة او بهمزتين محققتين فهو استفهام والمراد به التوبيخ ويحسن له ان يقف على زنيم ويبتدي ان كان ذا على معنى ان كان ذا مال وبنين تطيعه ويجوز ان يكون التقدير الان كان ذا مال وبنين يكفر ويستكبر ودل عليه ما تقدم من الكلام فصار كالمذكور بعد الاستفهام ومن قرا ان كان بغير استفهام فهو مفعول من اجله والعامل فيه فعل مضمر والتقدير يكفر لان كان ذا مال وبنين ودل على هذا الفعل اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين ولا يعمل في ان تتلى ولا قال لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها لان اذا تضاف الى الجمل التي بعدها ولا يعمل المضاف اليه فيما قبل المضاف وقال جواب الجزا ولا يعمل فيما قبل الجزا اذ حكم العامل قبل ان يكون قبل المعمول فيه وحكم الجواب ان يكون بعد الشرط فيصير مقدما ومؤخرا في حال ويجوز ان يكون المعنى لا تطعه لان كان ذا يسار وعدد قال ابن الانباري ومن قرا بلا استفهام لم يحسن ان يقف على زنيم لان المعنى لان كان وبان كان فان متعلقة بما قبلها قال غيره يجوز ان يتعلق بقوله مشاء بنميم والتقدير يمشي بنميم لان كان ذا مال وبنين واجاز ابو علي ان يتعلق باساطير الاولين اي اباطيلهم وترهاتهم وخرافاتهم وقد تقدم قوله تعالى سنسمه على الخرطوم فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى سنسمه قال ابن عباس معنى سنسمه سنخطمه بالسيف قال وقد خطم الذي نزلت فيه يوم بدر بالسيف فلم يزل مخطوما الى ان مات وقال قتادة سنسمه يوم القيامة على انفه سمة يعرف بها يقال وسمه وسما وسمة اذا اثرت فيه بسمة وكي وقد قال تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فهذه علامة ظاهرة وقال تعالى ونحشر المجرمين يوميذ زرقا وهذه علامة اخرى ظاهرة فافادت هذه الاية علامة ثالثة وهي الوسم على الانف بالنار وهذا كقوله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم قاله الكلبي وغيره وقال ابو العالية ومجاهد سنسمه على الخرطوم اي على انفه ونسود وجهه في الاخرة فيعرف بسواد وجهه والخرطوم الانف من الانسان ومن السباع موضع الشفة وخراطيم القوم ساداتهم قال الخرطوم وان كان الخرطوم قد خص بالسمة فانه في معنى الوجه لان بعض الشي يعبر به عن الكل وقال الطبري نبين امره تبيانا واضحا حتى يعرفوه فلا يخفى عليهم كما لا يخفى السمة على الخراطيم وقيل المعنى سنلحق به عارا حتى يكون كمن وسم على انفه قال القتبي تقول العرب للرجل يسب سبة سوء قبيحة باقية قد وسم ميسم سوء اي الصق به عار لا يفارقه كما ان السمة لا يمحى اثرها قال جرير • لما وضعت على الفرزدق ميسمي • وعلى البعيث جدعت انف الاخطل • اراد بالميسم الهجا قال وهذا كله نزل في الوليد بن المغيرة ولا نعلم ان الله تعالى بلغ من ذكر عيوب احد ما بلغه منه فالحقه به عارا لا يفارقه في الدنيا والاخرة كالوسم على الخرطوم وقيل هو ما ابتلاه الله به في الدنيا في نفسه واهله وماله من سوء وذل وصغار قاله ابن بحر واستشهد بقول الاعشى • فدعها وما يغنيك واعمد لغيرها • بشعرك واعلب انف من انت واسم • وقال النضر بن شميل المعنى على شرب الخمر والخرطوم الخمر وجمعه خراطيم قال الشاعر

• تظل يومك في لهو وفي طرب • وانت بالليل شراب الخراطيم •

وقال اخر ٭ صهباء خرطوما عقارا قرقفا ٭ وقال اخر ٭
٭ ابا حاضر من يزن يعرف زناؤه ٭ ومن يشرب الخرطوم يصبح مسكرا ٭

الثانية قال ابن العربي كان الوسم في الوجه لذي المعصية قديما عند الناس حتى انه روي كما تقدم ان اليهود لما اهملوا رجم الزاني اعتاضوا منه بالضرب وتحميم الوجه وهذا وضع باطل ومن الوسم الصحيح في الوجه ما راى العلماء من تسويد وجه شاهد الزور علامة على قبح المعصية وتشديد لمن يتعاطاها لغيره ممن يرجى تجنبه بما يرجى من عقوبة شاهد الزور وشهرته فقد كان عزيزا بقول الحق وقد صار مهينا بالمعصية واعظم الاهانة اهانة الوجه ولذلك كانت الاستهانة به في طاعة الله سببا لخيرة الابد والتحريم له على النار فان الله تعالى حرم على النار ان تاكل من ابن ادم اثر السجود حسب ما ثبت في الصحيح

قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة فيه ثلاث مسائل الاولى قوله تعالى انا بلوناهم يريد اهل مكة والابتلاء الاختبار والمعنى اعطيناهم الاموال ليشكروا لا ليبطروا فلما بطروا وعادوا محمدا صلى الله عليه وسلم ابتليناهم بالجوع والقحط كما بلونا اصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم وذلك انها كانت بارض اليمن بالقرب منهم على فراسخ من صنعاء ويقال بفرسخين وكانت لرجل يؤدي حق الله منها فلما مات صارت الى ولده فمنعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها فاهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حل بها قال الكلبي كان بينهم وبين صنعاء فرسخان ابتلاهم الله بان احرق جنتهم وقيل هي جنة بضوران وضوران على فرسخ من صنعاء وكان اصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلا فكانوا يجذون التمر ليلا من اجل المساكين وكانوا ارادوا حصاد زرعها وقالوا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فغدوا عليها فاذا هي قد اقتلعت من اصلها فاصبحت كالصريم اي كالليل ويقال ايضا للنهار صريم فان كان اراد الليل فلاسوداد موضعها وكانهم وجدوا موضعها حماة وان كان اراد بالصريم النهار فلذهاب الشجر والزرع ونقاء الارض منه وكان الطائف الذي طاف عليها جبريل عليه السلام فاقتلعها فيقال انه طاف بها حول البيت ثم وضعها حيث مدينة الطائف ولذلك سميت الطائف وليس في ارض الحجاز بلدة فيها الماء والشجر والاعناب غيرها وقال البكري في المعجم سميت الطائف لان رجلا من الصدف يقال له الدموق بنى حائطا وقال قد بنيت لكم طائفا حول بلدكم فسميت الطائف والله اعلم الثانية قال بعض العلماء على من حصد زرعا او جد ثمرا ان يواسي منها من حضره وذلك معنى قوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده وانه غير الزكاة على ما تقدم في الانعام بيانه وقال بعضهم عليه ترك ما اخطاه الحاصدون فكان بعض العباد يتحرون اقواتهم من هذا وروي انه نهى عن الحصاد بالليل فقيل انه لما ينقطع عن المساكين في ذلك من الرزق وتاول من قال هذه الاية التي في سورة ن والقلم وقيل انما نهى عن ذلك خشية الحيات وهوام الارض قلت الاول اصح والثاني حسن وانما قلنا ان الاول اصح لان العقوبة انما ارادوه من منع المساكين كانت بسبب كما ذكر الله تعالى روى اسباط عن السدي قال كان قوم وكان ابوهم رجلا صالحا وله جنة وكان اذا بلغ ثماره اتاه المساكين فلم يمنعهم من دخولها وان ياكلوا منها ويتزودوا فلما مات قال بنوه بعضهم لبعض علام نعطي اموالنا هؤلاء المساكين تعالوا فلندلج فنصرمها قبل ان يعلم المساكين ولم يستثنوا فانطلقوا وبعضهم يقول لبعض خفتا لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين فلذلك قوله تعالى اذ اقسموا يعني حلفوا فيما بينهم ليصرمنها مصبحين يعني لنجذنها وقت الصبح قبل ان تخرج المساكين ولا يستثنون يعني لم يقولوا ان شاء الله وقال ابن عباس كانت تلك الجنة دون صنعاء بفرسخين غرسها رجل من اهل الصلاح وكانت له ثلاث بنون وكان للمساكين كل ما تعداه المنجل فلم يجذه من الكرم فاذا طرح على البساط فكل شيء سقط على البساط فهو ايضا للمساكين فاذا حصدوا زرعهم فكل شيء تعداه المنجل فهو للمساكين فاذا درسوا كان لهم كل شيء انتثر وكان ابوهم يتصدق منها على المساكين وكان يعيش في ذلك في حياة ابيهم اليتامى

والمساكين

والمساكين فلما مات ابوهم فعلوا ما ذكر الله عنهم فقالوا قل المال وكثر العيال فتحالفوا بينهم ليغدون غدوة قبل خروج الناس ثم ليصرمنها ولا يعرف المساكين وهو قوله اذ اقسموا اي حلفوا ليصرمنها ليقطعن ثمر نخيلهم اذا اصبحوا بسدفة من الليل لئلا ينتبه المساكين لهم والصرم القطع يقال صرم العذق عن النخلة واصرم النخل اذا حان وقت صرامه مثل اركب المهر واحصد الزرع اذا حان ركوبه وحصاده ولا يستثنون اي لم يقولوا ان شاء الله فتنادوا مصبحين ينادي بعضهم بعضا ان اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين عازمين على الصرام والجداد قال قتادة حاصدين زرعكم وقال الكلبي ما كان في جنتهم من زرع ولا نخيل قال مجاهد كان حرثهم عنبا ولم يقولوا ان شاء الله وقال ابو صالح كان استثناؤهم سبحان الله ربنا وقيل معنى ولا يستثنون حق المساكين قاله عكرمة فجاءوها ليلا فراوا الجنة مسودة قد طاف عليها طائف من ربك وهم نائمون قيل الطائف جبريل عليه السلام على ما تقدم ذكره وقال ابن عباس امر من ربك وقال قتادة جهنم والطائف لا يكون الا بالليل قاله الفراء الثانية قلت في هذه الاية دليل على ان العزم مما يؤاخذ به الانسان لانهم عزموا على ان يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظير هذه الاية قوله تعالى ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه وقد مضى مبينا في سورة ال عمران عند قوله ولم يصروا على ما فعلوا قوله تعالى فاصبحت كالصريم اي كالليل المظلم عن ابن عباس وغيرهم قال الشاعر ٭ تطاول ليلك الجون الصريم ٭ فما ينجاب عن صبح بهيم ٭
اي احترقت فصارت كالليل الاسود وعن ابن عباس ايضا كالرماد الاسود قال والصريم الرماد الاسود بلغة خزيمة قال الثوري كالزرع المحصود فالصريم بمعنى المصروم اي المقطوع ما فيه وقال الحسن صرم عنها الخير اي قطع فالصريم مفعول ايضا قال المؤرج اي كالرملة انصرمت من معظم الرمل يقال صريمة وصرائم فالرملة لا تنبت شيئا ينتفع به وقال الاخفش اي كالصبح انصرم من الليل وقال المبرد كالنهار اي يبست هذا عن ذلك وقيل سمي الليل صريما لانه يقطع بظلمته عن التصرف ولهذا يكون فعيل بمعنى فاعل قال القشيري وفي هذا نظر لان النهار يسمى صريما ولا يقطع عن التصرف قوله تعالى فانطلقوا وهم يتخافتون اي يتشاورون اي يخفون كلامهم ويسرونه لئلا يعلم بهم احد قاله عطا وقتادة وهو من خفت يخفت اذا سكن ولم يتبين كما قال دريد بن الصمة ٭ واني لم اهلك سلالا ولم امت ٭ خفاتا وكلا ظنه بي عودي ٭
وقيل يخفون انفسهم من الناس حتى لا يروهم وكان ابوهم يخبر الفقراء والمساكين فيحضرون وقت الحصاد والصرام وغدوا على حرد قادرين اي على قصد وقدرة في انفسهم ويظنون انهم تمكنوا من مرادهم قال معناه ابن عباس وغيره والحرد القصد حرد يحرد حردا بالكسر قصد تقول حردت حردك اي قصدت قصدك ومنه قول الراجز ٭ اقبل سيل جاء من عند الله ٭ يحرد حرد الجنة المغلة ٭
وقال قتادة ومجاهد على حرد اي على حنق وغضب على حاجة وفاقة وقال ابو عبيدة والقتيبي على حرد على منع من قولهم حاردت الابل حرادا اي قلت البانها والحرود من النوق القليلة الدر وحاردت السنة قل مطرها وخيرها قال السدي وسفيان على حرد على غضب والحرد الغضب قال ابو نصر احمد بن حاتم صاحب الاصمعي وهو مخفف وانشد
٭ اذا جياد الخيل جاءت تردي ٭ مملوءة من غضب وحرد ٭
وقال ابن السكيت وقد تحرك تقول منه حرد بالكسر حردا فهو حارد وحردان ومنه قيل اسد حارد وليوث حوارد وقيل على حرد على انفراد يقال حرد يحرد حرودا اذا ترك قومه وتحول عنهم وكوكب حريد اي معتزل عن الكواكب قال الاصمعي رجل حريد اي فريد وحيد قال والمنحرد المنفرد في لغة هذيل وانشد لابي ذؤيب
٭ كانه كوكب في الجو منحرد ٭ ورواه ابو عمرو بالجيم وفسره منفردا قال وهو سهيل ٭

وقال الازهري جرد اسم قريتهم وقال السدي اسم جنتهم وفيه لغتان حرد وحرَد وقراه العامه بالاسكان وقرا ابو العاليه وابن السميقع بالفتح وهما لغتان ومعنى قادرين قد قدروا امرهم وبنوا عليه قاله الفرا وقال قتاده قادرين على جنتهم عند انفسهم وقال الشعبي قادرين يعني على المساكين وقيل معناه من الوجد اي منعوا وهم واجدون قوله تعالى فلما راوها قالوا انا لضالون اي لما راوها محترقه لا شي فيها قد صارت كالليل الاسود ينظرون اليها كالرماد انكروها وشكوا فيها وقال بعضهم لبعض انا لضالون اي ضللنا الطريق وقيل انا لضالون عن الصواب في غدونا على نيه منع المساكين فلذلك عوقبنا بل نحن محرومون اي حرمنا جنتنا بما صنعنا روي اسباط عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والمعاصي ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا كان هيي له ثم تلى فطاف عليها طايف من ربك وهم نايمون الايتين قوله تعالى قال اوسطهم قال امثلهم واعدلهم واعقلهم الم اقل لكم لولا تسبحون اي هلا تستثنون وكان استثناوهم تسبيحا قاله مجاهد وغيره وهذا يدل على ان هذا الاوسط كان امرهم بالاستثنا فلم يطيعوه قال ابو صالح كان استثناوهم سبحان الله فقال لهم هلا تسبحون الله اي تقولون سبحان الله وتشكرونه على ما اعطاكم قال النحاس اصل التسبيح التنزيه لله عز وجل فجعل مجاهد التسبيح في موضع ان شا الله لان المعنى تنزيه الله ان يكون شي الا بمشيئة الله وقيل هلا تستغفرونه من فعلكم وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان اوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك وذكرهم انتقامه من المجرمين قالوا سبحان ربنا اعترفوا بالمعصيه ونزهوا الله عن ان يكون ظالما فيما فعل وقال ابن عباس في قولهم سبحان الله ربنا اي نستغفر الله ربنا من ذنبنا انا كنا ظالمين لانفسنا في منعنا المساكين فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون اي يلوم هذا هذا في القسم ومنع المساكين ويقولون بل انت اشرت علينا بهذا قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين اي عاصين بمنع حق الفقرا وترك الاستثنا وقال ابن كيسان طغينا نعم الله فلم نشكرها كما شكرها اباونا من قبل عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها تعاقدوا وقالوا ان ابدلنا الله خيرا منها لنصنعن كما صنعت اباونا فدعوا الله وتضرعوا فابدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها وامر الله جبريل ان يقتلع تلك الجنه المحترقه فيجعلها بزغر من ارض الشام وياخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود ان القوم اخلصوا وعرف الله منهم صدقهم فابدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منها عنقودا واحدا وقال اليماني ابو خالد دخلت تلك الجنه فرايت كل عنقود منها كالرجل الاسود القايم وقال الحسن قول اهل الجنه انا الى الله راغبون لا ادري ايمانا كان ذلك منهم او على حد ما يكون من المشركين اذا اصابتهم الشده فيوقف في كونهم مومنين وسيل قتاده عن اصحاب الجنه امن اهل الجنه ام من اهل النار قال لقد كلفتني تعبا والمعظم يقولون انهم تابوا واخلصوا حكاه القشيري وقراة العامه يبدلنا بالتخفيف وقرا اهل المدينه وابو عمرو بالتشديد وهما لغتان وقيل التبديل تغيير الشي او تغيير حاله وعين الشي قايم والابدال رفع الشي ووضع اخر مكانه وقد مضى في سورة النسا القول في هذا قوله تعالى كذلك العذاب اي عذاب الدنيا وهلاك الاموال عن ابن زيد وقيل ان هذا وعظ لاهل مكه بالرجوع الى الله لما ابتلاهم بالجدب لدعا النبي صلى الله عليه وسلم اي كفعلنا بهم نفعل بمن تعدى حدودنا في الدنيا ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون وقال ابن عباس هذا مثل لاهل مكه حين خرجوا الى بدر وحلفوا ليقتلن محمدا واصحابه وليرجعوا الى مكه حتى يطوفوا بالبيت ويشربوا الخمر وتضرب القينات على روسهم فاخلف الله ظنهم فقتلوا واسروا وانهزموا كاهل هذه الجنه لما خرجوا عازمين على الصرام فخابوا ثم قيل ان الحق الذي منعه اهل الجنه المساكين يحتمل انه كان واجبا عليهم ويحتمل انه كان تطوعا والاول اظهر والله اعلم وقيل السورة مكيه فبعد حمل الايه على ما اصاب اهل مكه من القحط وعلى قتال بدر قوله تعالى ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم تقدم القول فيه اي ان للمتقين في الاخره جنات ليس فيها

الا النعيم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنات الدنيا وكان صناديد قريش يرون وفور حظهم في الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الاخره وما وعد الله المومنين قالوا ان صح انا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم يكن حالنا وحالهم الا مثل ما هي في الدنيا والا يزيدوا علينا ولم يفضلونا واقصى امرهم ان يساوونا فقيل لهم افنجعل المسلمين كالمجرمين اي كالكفار وقال ابن عباس وغيره قالت كفار مكه انا نعطى في الاخرة خيرا مما تعطون فنزلت افنجعل المسلمين كالمجرمين ثم وبخهم فقال ما لكم كيف تحكمون ان لكم من الخير ما للمسلمين ام لكم كتاب فيه تدرسون اي الكم كتاب تجدون المطيع فيه كالعاصي ان فيه لما تخيرون تختارون وتشتهون والمعنى ان لكم بالفتح ولكنه كسر لدخول اللام تقول علمت انك عاقل بالفتح وعلمت انك لعاقل بالكسر فالعامل في ان لكم لما تخيرون تدرسون في المعنى ومنعت اللام من فتح ان وقيل تم الكلام عند قوله تدرسون ثم ابتدا فقال ان لكم فيه لما تخيرون اي ان لكم في هذا الكتاب اذا ما تخيرون اي ليس لكم ذلك والكنايه في فيه الاولى والثانيه راجعه الى الكتاب ثم زاد في التوبيخ فقال ام لكم ايمان اي عهود ومواثيق علينا بالغه موكده والبالغه المؤكده بالله تعالى اي ام لكم عهود على الله استوثقتم بها في ان يدخلكم الجنه ان لكم لما تحكمون كسرت ان لدخول اللام في الخبر وهي من صله ايمان والموضع موضع نصب ولكن كسرت لاجل اللام تقول حلفت ان لك لكذا وقيل تم الكلام عند قوله الى يوم القيامه ثم قال ان لكم لما تحكمون اي ليس الامر كذلك وقرا ابن هرمز ان لكم فيه لما تخيرون ان لكم لما تحكمون بالاستفهام فيهما جميعا وقرا الحسن البصري رضي الله عنه بالغه بالنصب على الحال اما من الضمير في لكم لانه خبر عن ايمان ففيه ضمير منه واما من الضمير في علينا ان قدرت علينا وصفا للايمان لا متعلقا بنفس الايمان لان فيه ضميرا منه كما يكون اذا كان خبرا عنه ويجوز ان يكون حالا من ايمان وان كانت نكره كما اجازوا انتصب حقا على الحال من متاع في قوله متاع بالمعروف حقا على المتقين وقراه العامه بالغه بالرفع نعت للايمان قوله تعالى سلهم ايهم بذلك زعيم اي سل يا محمد هولا المتقولين على ايهم كفيل بما تقدم ذكره للمسلمين والزعيم الكفيل والضمين قاله ابن عباس وقتاده وقال ابن كيسان الزعيم هنا القايم بالحجه والدعوي وقال الحسن الزعيم الرسول ام لهم شركا اي الهم والميم صله شركا اي شهدا فلياتوا بشركايهم يشهدون على ما زعموا ان كانوا صادقين في دعواهم وقيل اي فلياتوا بشركايهم ان امكنهم فهو امر معناه التعجيز قوله تعالى يوم يكشف عن ساق يجوز ان يكون العامل في يوم فلياتوا اي فلياتوا بشركايهم يوم يكشف عن ساق لتشفع الشركا لهم ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اي اذكر يوم يكشف عن ساق فيوقف على صادقين ولا يوقف عليه على التقدير الاول وقري يوم نكشف بالنون وقرا ابن عباس يوم تكشف بالتا مسمى الفاعل اي تكشف الشده او القيامه عن ساقها كقولهم شمرت الحرب عن ساقها

قال الشاعر

فتى الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال اخر

قد كشفت عن ساقها فشدوا * وجدت الحرب بكم فجدوا

وقال اخر

عجبت من نفسي ومن اشفاقها * ومن طرادي الطير عن ارزاقها

في سنة قد كشفت عن ساقها * حمرا تبري اللحم عن عراقها

وقال اخر

كشفت لهم عن ساقها * وبدا من الشر الصراح

وعن ابن عباس ايضا والحسن وابي العاليه تكشف بتا مضمومه مسمى الفاعل وهذه القراة راجعه الى معنى تكشف وكانه قال يوم تكشف القيامه عن شدتها وقري يوم تكشف بالتا مضمومه وكسر الشين من اكشف اذا دخل في الكشف ومنه اكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وذكر ابن المبارك قال نا اسامه بن زيد عن عكرمه عن ابن عباس في قوله تعالى يوم يكشف عن ساق قال كرب وشده اخبرنا ابن جريج عن مجاهد قال شده الامر وجده وقال مجاهد قال ابن عباس هي اشد ساعه في القيامه وقال ابو عبيده اذا اشتد الامر والحرب قيل كشف الامر عن ساقه والاصل فيه ان من وقع في شي يحتاج فيه الى الجد شمر عن ساقه فاستعير الساق والكشف عنها في موضع الشده

وقيل بساق الشيء اصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الانسان اي يوم يكشف
عن اصل الامر فتظهر حقايق الامور واصلها وقيل يكشف عن ساق جهنم وقيل عن ساق
العرش وقيل يريد وقت اقتراب الاجل وضعف البدن اي يكشف المريض عن ساقه ليبصر
ضعفه ويدعوه المؤذن الى الصلاة فلا يمكنه ان يقوم ويخرج فاما ما روي ان الله يكشف
عن ساقه فانه عز وجل يتعالى عن الاعضاء والتبعيض وان ينكشف ويتغطى ومعناه
اي يكشف عن العظيم من امره وقيل يكشف عن نوره عز وجل وروى ابو موسى عن النبي صلى
الله عليه وسلم في قوله تعالى عن ساق قال يكشف عن نور عظيم يخرون له سجدا وقال ابو
الليث السمرقندي في تفسيره وحدثنا الخليل بن احمد ثنا ابن منيع قال ثنا هدبة قال
ثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن ابي بردة عن ابي موسى قال حدثني
ابي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة مثل لكل
قوم ما كانوا يعبدون في الدنيا فيذهب كل قوم الى ما كانوا يعبدون ويبقى اهل التوحيد
فيقال لهم ما تنتظرون وقد ذهب الناس فيقولون ان لنا ربا كنا نعبده في الدنيا ولم
نره قال وتعرفونه اذا رايتموه فيقولون نعم فيقال كيف تعرفونه ولم تروه قالوا انه
لا شبيه له فيكشف لهم الحجاب فينظرون الى الله تعالى فيخرون سجدا ويبقى اقوام مثل
صياصي البقر فينظرون الى الله عز وجل فيريدون السجود فلا يستطيعون فذلك قوله
تعالى يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون فيقول الله تعالى
عبادي ارفعوا رؤوسكم فقد جعلت بدل كل رجل منكم رجلا من اليهود والنصارى في النار
قال ابو بردة فحدثت هذا الحديث عمر بن عبد العزيز فقال الله الذي لا اله الا هو
لقد حدثك ابوك بهذا الحديث فحلفت له ثلاثة ايمان فقال عمر ما سمعت في اهل التوحيد
حديثا هو احب الي من هذا وقال قيس بن السكن حدث عبد
الله بن مسعود عند عمر بن الخطاب فقال اذا كان يوم القيامة قام الناس لرب العالمين
اربعين عاما شاخصة ابصارهم الى السماء حفاة عراة يلجمهم العرق ولا يكلمهم احد ولا
ينظر اليهم اربعين عاما ثم ينادي مناد ايها الناس اليس عدلا من ربكم الذي خلقكم
وصوركم واماتكم واحياكم ثم عبدتم غيره ثم يولي كل قوم منكم ما تولوا قالوا نعم قال
فيرجع لكل قوم ما كانوا يعبدون من دون الله فيتبعونها حتى تقذفهم في النار ويبقى
المسلمون والمنافقون فيقال لهم الا تذهبون قد ذهب الناس فيقولون حتى ياتينا
ربنا فيقال لهم اتعرفونه فيقولون ان اعترف لنا عرفناه قال فعند ذلك يكشف عن
ساق ويتجلى لهم فيخر كل من كان يعبده ساجدا ويبقى المنافقون لا يستطيعون كان
في ظهورهم السفافيد فيذهب بهم الى النار ويدخل هولاء الجنة فذلك قوله تعالى
ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة ابصارهم اي ذليلة متواضعة ونصبها
على الحال ترهقهم ذلة وذلك ان المومنين يرفعون رؤوسهم ووجوههم اشد بياضا من الثلج
وتسود وجوه الكافرين والمنافقين حتى ترجع اشد سوادا من القار قلت معنى
حديث ابن مسعود وابن مسعود ثابت في صحيح مسلم من حديث ابي سعيد الخدري
وغيره قوله تعالى وقد كانوا يدعون الى السجود اي في الدنيا وهم سالمون معافون
اصحا قال ابراهيم التيمي اي يدعون بالاذان والاقامة فيابونه وقال سعيد بن جبير
كانوا يسمعون حي على الفلاح فلا يجيبون وقال كعب الاحبار والله ما نزلت هذه
الاية الا في الذين يتخلفون عن الجماعات وقيل اي بالتكليف الموجه عليهم في الشرع
والمعنى متقارب وقد مضى في سورة البقرة وجوب صلاة الجماعة وكان الربيع بن
خثيم قد فلج فكان يهادى بين الرجلين الى المسجد فقيل له يا ابا يزيد لو صليت في
بيتك لكانت لك رخصة فقال من سمع حي على الفلاح فليجب ولو حبوا وقيل لسعيد
ابن المسيب ان طارقا يريد قتلك فتغيب فقال اجيب لا يقدر الله علي فقيل له اجلس
في بيتك فقال اسمع حي على الفلاح فلا اجيب قوله تعالى فذرني ومن يكذب مفعول
معه او معطوف على ضمير المتكلم بهذا الحديث يعني القران قاله السدي وقيل بيوم القيامة

وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي فانا اجازيهم وانتقم منهم قال سنستدرجهم من
حيث لا يعلمون معناه سناخذهم على غفلة وهم لا يعرفون فعذبوا يوم بدر وقال سفيان
الثوري نسبغ عليهم النعم وننسيهم الشكر وقال الحسن كم من مستدرج بالاحسان اليه
وكم مفتون بالثنا عليه وكم مغرور بالستر عليه وقال ابو روق اي كلما احدثوا خطيئة جددنا
لهم نعمة وانسيناهم الاستغفار وقال ابن عباس سنمكر بهم وقيل هو ان ناخذهم قليلا ولا نباغتهم
وفي حديث ان رجلا من بني اسرائيل قال يا رب كم اعصيك وانت لا تعاقبني قال فاوحى الله الى
نبي زمانهم اي قل له كم من عقوبة لي عليك وانت لا تشعر ان جمود عينيك وقساوة قلبك
استدراج مني وعقوبة لو عقلت والاستدراج ترك المعاجلة واصله النقل من حال الى
حال كالتدرج ومنه قيل درجة وهي منزلة بعد منزلة واستدرج فلان فلانا اي استخرج
ما عنده قليلا قليلا ويقال درجه الى كذا واستدرجه بمعنى ادناه منه على التدريج فتدرج هو
واملي لهم اي امهلهم واطيل لهم المدة والملاوة والملا من الدهر واملى الله له اي اطال له والملوان
الليل والنهار وقيل واملي لهم اي لا اعاجلهم بالموت والمعنى واحد وقد مضى في الاعراف
بيان هذا ان كيدي متين اي ان عذابي لقوي شديد فلا يفوتني احد قوله تعالى
ام تسالهم اجرا عاد الكلام الى ما تقدم من قوله ام لهم شركاء اي ام تلتمس منهم ثوابا على ما تدعوهم
اليه من الايمان بالله فهم من غرامة ذلك مثقلون لما يشق عليهم من بذل المال اي ليس عليهم
كلفة بل يستولون على خزائن الارض ويصلون الى جنات النعيم قوله تعالى ام عندهم
الغيب اي علم الغيب على ما غاب عنهم فهم يكتبون وقيل انزل عليهم الوحي بهذا الذي يقولون
وعن ابن عباس الغيب هنا اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه يخاصمونك به ويكتبون
انهم افضل منك وانهم لا يعاقبون وقيل يكتبون يحكمون لانفسهم ما يريدون قوله
تعالى فاصبر لحكم ربك اي لقضاء ربك والحكم هنا القضاء وقيل اصبر على ما حكم به عليك ربك
من تبليغ الرسالة وقال ابن بحر فاصبر لنصر ربك اي لا تعجل ولا تغاضبه فلا بد من نصرك
وقيل انه منسوخ باية السيف ولا تكن كصاحب الحوت يعني يونس عليه السلام اي لا تكن
مثله في الغضب والضجر والعجلة قال قتادة ان الله تعزي نبيه صلى الله عليه وسلم ويامره
بالصبر ولا يعجل كما عجل صاحب الحوت وقد مضى خبره في سورة يونس والانبيا والصافات
والفرق بين اضافة ذي وصاحب في سورة يونس والانبيا والصافات فلا معنى للاعادة
اذ نادى اي حين دعا في بطن الحوت فقال لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
وهو مكظوم اي مملو غيظا وقيل كربا الاول قول ابن عباس ومجاهد والثاني قول عطا
وابي مالك قال الماوردي والفرق بينهما ان الغم في القلب والكرب في الانفاس وقيل
مكظوم محبوس والكظم الحبس ومنه قولهم فلان كظيم غيظه اي حبس غيظه قاله ابن
بحر وقيل انه الماخوذ بكظمه وهو مجرى النفس قاله ابن عباس والمبرد وقد مضى هذا
وغيره في يوسف قوله تعالى لولا ان تداركه نعمة من ربه قراءة العامة تداركه بتشديد
الدال وهو مضارع ادغمت التاء منه في الدال وهو على تقدير حكاية الحال كانه قال
لولا ان كان يقال فيه تتداركه نعمة وقرا ابن عباس وابن مسعود تداركته وهو خلاف
المرسوم وتداركه فعل ماض مذكر حمل على معنى النعمة لان تانيث النعمة غير حقيقي وتداركته
على لفظها واختلف في معنى النعمة هنا فقيل النبوة قاله الضحاك وقيل عبادته التي
قد سلفت قاله ابن جبير وقيل نداؤه لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين قاله
ابن زيد وقيل اي رحمة من ربه فرحمه وتاب عليه لنبذ بالعراء وهو مذموم اي لنبذ
مذموما ولكنه نبذ سقيما غير مذموم ومعنى مذموم في قول ابن عباس مليم قال
بكر بن عبد الله مذنب وقيل مذموم مبعد من كل خير والعراء الارض الواسعة الفضاء
الذي ليس فيها جبل ولا شجر يستر وقيل لولا فضل الله عليه لبقي في بطن الحوت الى
يوم القيامة ثم نبذ بعراء القيامة مذموما يدل عليه قوله تعالى فلولا انه كان من المسبحين
للبث في بطنه الى يوم يبعثون فاجتباه ربه اي اصطفاه واختاره فجعله من الصالحين
قال ابن عباس رد الله الوحي اليه وشفعه في نفسه وفي قومه وقبل توبته وجعله

من الصالحين بان ارسله الله تعالى الى مائة الف او يزيدون قوله تعالى وان يكاد الذين
كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر اي يعتانونك بابصارهم لخبره تعالى بشدة
عداوتهم للنبي صلى الله عليه وسلم وارادوا ان يصيبوه بالعين فنظر اليه قوم من قريش
وقالوا ما راينا مثله ولا مثل حججه وقيل كانت العين في بني اسد حتى ان البقرة السمينة
او الناقة السمينة تمر باحدهم فيعاينها ثم يقول يا جارية خذي المكتل والدرهم
فاتينا بلحم هذه الناقة فما تبرح حتى تقع للموت فتنحر وقال الكلبي كان رجل من العرب
يمكث لا ياكل شيا يومين او ثلثه ثم يرفع جانب الخبا فتمر به الابل او الغنم فيقول لم
ار كاليوم ابلا ولا غنما احسن من هذه فما تذهب الا قليلا حتى تسقط منها طايفة هالكة
فسال الكفار هذا الرجل ان يصيب لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعين فاجابهم فلما مر
النبي صلى الله عليه وسلم انشد قال

قد كان قومك يحسبونك سيدا ... واخال انك سيد معيون

فعصم الله نبيه صلى الله عليه وسلم ونزلت وان يكاد الذين كفروا الاية وذكر نحوه
الماوردي وان العرب كانت اذا اراد احدهم ان يصيب احدا يعني في نفسه وماله تجوع
ثلثة ايام ثم يتعرض لنفسه او ماله فيقول تالله ما رايت اقوى منه ولا اشجع ولا اكثر
منه ولا احسن فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله فانزل الله هذه الاية قال القشيري وفي
هذا نظر لان الاصابة بالعين انما تكون مع الاستحسان والاعجاب لا مع الكراهة والبغض
ولهذا قال ويقولون انه لمجنون اي ينسبونك الى الجنون اذا راوك تقرا القران قلت
اقوال المفسرين واللغويين تدل على ما ذكرنا وان مرادهم بالنظر اليه قتله ولا يمنع
كراهة الشي من ان يصاب بالعين عداوة حتى يهلك وقرا ابن عباس وابن مسعود
والاعمش ومجاهد وابو وايل ليزهقونك اي ليهلكونك وهذه قراة على التفسير من
زهقت نفسه وازهقها وقرا اهل المدينة ليزلقونك بفتح اليا وقرا الباقون بضمها
وهما لغتان بمعنى يقال زلقه يزلقه وازلقه يزلقه ازلاقا اذا نحاه وابعده وزلق
راسه يزلقه زلقا اذا حلقه وكذلك ازلقه وزلقه تزليقا ورجل زلق وزمليق مثال
هدابد وزمالق وزملق بتشديد الميم وهو الذي ينزل قبل ان يجامع حكاه الجوهري
وغيره فمعنى الكلمة اذا التنحية والازالة وذلك لا يكون في حق النبي صلى الله عليه
وسلم الا بهلاكه وموته قال الهروي اراد ليعتانونك بعيونهم فيزيلونك عن مقامك
الذي اقامك الله فيه عداوة لك وقال ابن عباس ينفذونك بابصارهم يقال
زلق السهم وزهق اذا نفذ وهو قول مجاهد اي ينفذونك بشدة نظرهم وقال
الكلبي يصرعونك وعنه ايضا والسدي وسعيد بن جبير يصرفونك عما انت عليه
من تبليغ الرسالة وقال العوفي يرمونك وقال المورج يزيلونك وقال النضر
ابن شميل والاخفش يفتنونك وقال عبد العزيز بن يحيى ينظرون اليك نظرا
شزرا بتحديق شديد وقال ابن زيد ليمسونك وقال جعفر الصادق لياكلونك
وقال الحسن وابن كيسان ليقتلونك وهذا كما قال صرعني بطرفه وقتلني بعينه قال
الشاعر

ترميك مزلقة العيون بطرفها ... وتكل عنك نصال نبل الرامي

وقال اخر

يتقارضون اذا التقوا في مجلس ... نظرا يزيل مواطي الاقدام

وقيل المعنى انهم ينظرون اليك بالعداوة حتى كادوا يسقطونك وهذا كله راجع الى
ما ذكرنا وان المعنى الجامع يصيبونك بالعين والله اعلم وما هو الا ذكر للعالمين
يتذكرون به وقيل معناه شرف اي القران كما قال تعالى وانه لذكر لك ولقومك والنبي
صلى الله عليه وسلم شرف للعالمين ايضا شرفوا باتباعه والايمان به صلى الله عليه وسلم

سورة الحاقة مكية في قول الجميع

وهي احدى وخمسون اية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا احدى عشرة
اية من سورة الحاقة اجير من فتنة الدجال ومن قراها كانت له نورا من فوق راسه الى

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الحاقة ما الحاقة يريد القيامة سميت بذلك لان الامور تحق فيها
قاله الطبري كانه جعلها من باب ليل نايم وقيل سميت حاقة لانها تكون من غير شك
وقيل سميت بذلك لانها احقت لاقوام الجنة واحقت لاقوام النار وقيل سميت بذلك لان
فيها يصير كل انسان حقيقا بجزاء عمله وقال الازهري يقال حاققته فحققته احقه
اي غالبته فغلبته فالقيامة حاقة لانها تحق كل محاق في دين الله بالباطل اي كل مخاصم
وفي الصحاح وحاقه اي خاصمه في صغار الاشيا انه لنزق الحقاق ويقال ما له فيه حق
ولا حقاق اي خصومة والتحاق التخاصم والاحتقاق الاختصام والحاقة والحقة والحق
ثلاث لغات بمعنى وقال الكسائي والمورج الحاقة يوم الحق وتقول العرب لما عرف الحقة مني
هرب والحاقة الاولى رفع بالابتدا والخبر المبتدا الثاني وخبره وهو ما الحاقة لان معناها
ما هي واللفظ لفظ استفهام ومعناه التعظيم والتفخيم لشانها كما تقول زيد ما زيد على
التعظيم لشانه وما ادراك ما الحاقة استفهام ايضا اي اي شي اعلمك ما ذلك اليوم والنبي
صلى الله عليه وسلم كان عالما بالقيامة ولكن بالصفة فقيل تفخيما لشانها وما ادراك ما هي
كانك لست تعلمها اذ لم تعاينها وقال يحيى بن سلام بلغني ان كل شي في القران وما ادراك
فقد ادراه اياه وعلمه وكل شي قال وما يدريك فهو مما لم يعلمه وقال سفيان بن عيينة كل
شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال فيه وما يدريك فانه لم يخبر به قوله
تعالى كذبت ثمود وعاد بالقارعة ذكر من كذب بالقيامة والقارعة القيامة سميت
بذلك لانها تقرع الناس باهوالها يقال اصابتهم قوارع الدهر اي اهواله وشدايده ونعوذ
بالله من قوارع فلان ولواذعه وقوارص لسانه جمع قارصة وهي الكلمة المؤذية
وقوارع القران الايات التي يقروها الانسان اذا فزع من الجن والانس نحو اية الكرسي
لانها تقرع الشيطان وقيل القارعة ماخوذ من القرعة في رفع قوم ووضع اخرين قاله
المبرد وقيل عني بالقارعة العذاب الذي نزل بهم في الدنيا وكان نبيهم يخوفهم بذلك
فيكذبونه وثمود قوم صالح وكانت منازلهم بالحجر فيما بين الشام والحجاز قال محمد بن
اسحاق وهو وادي القرى وكانوا عربا واما عاد فقوم هود وكانت منازلهم بالاحقاف
والاحقاف الرمل بين عمان الى حضرموت واليمن كله وكانوا عربا ذوي خلق وبسطة
ذكره محمد بن اسحاق وقد تقدم قوله تعالى فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية فيه اضمار
اي بالفعلة الطاغية وقال قتادة اي بالصيحة الطاغية اي المجاوزة للحد اي لحد الصيحات
من الهول كما قال انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر والطغيان مجاوزة
الحد ومنه انا لما طغى الما اي جاوز الحد وقال الكلبي بالطاغية اي بالصاعقة وقال
مجاهد بالذنوب وقال الحسن بالطغيان فهي مصدر كالكاذبة والعاقبة اي
اهلكوا بطغيانهم وكفرهم وقيل ان الطاغية عاقر الناقة قاله ابن زيد اي اهلكوا بما اقدم
عليه طاغيهم من عقر الناقة قال ابن زيد وكان واحدا وانما هلك الجميع لانهم رضوا
بفعله وما لؤوه وقيل له طاغية كما يقال فلان راوية الشعر وداهية وعلامة ونسابة
قوله تعالى واما عاد فاهلكوا بريح صرصر اي باردة تحرق ببردها كاحراق النار
ماخوذ من الصر وهو البرد قاله الضحاك وقيل انها الشديدة الصوت وقال مجاهد
الشديدة السموم عاتية اي عتت على خزانها فلم تطعهم ولم يطيقوها من شدة هبوبها
غضبت لغضب الله وقيل عتت على عاد فقهرتهم روى سفيان الثوري عن موسى بن
المسيب عن شهر بن حوشب عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما ارسل
الله من نسفة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من ما الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح
فان الما يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرا بريح صرصر عاتية
سخرها عليهم اي ارسلها وسلطها والتسخير استعمال الشي بالاقتدار سبع ليال وثمانية
ايام حسوما اي متتابعة لا تفتر ولا تنقطع عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما قال

الى الحسوم الابتاع من حسم الدا وهو الكي لان صاحبه يكوي بالمكواه من تتابع فلك عليه قال عبد العزيز بن زرارة الكلابي

٭ ففرق بين بينهم زمان ٭ تتابع فيه اعوام حسوم ٭

وقال المبرد هو من قولك حسمت الشي اذا قطعته وفصلته عن غيره وقيل الحسم الاستيصال ويقال للسيف حسام لانه يحسم عن صاحبه العدو كما يريده من بلوغ عداوته قال الشاعر

٭ حسام اذا اما قمت معتضدا به ٭ كفى العود منه البدو ليس بمعضد ٭

والمعنى انها حسمتهم حتى قطعتهم واذهبتهم فهي القاطعة بعذاب الاستيصال قال بن زيد حسمتهم فلم يبق منهم احد وعنه ايضا حسمت الليالي والايام اي استوفتها لانها بدات بطلوع الشمس من اول يوم وانقطعت غروب الشمس من اخر يوم قال الليث الحسوم يقال هذه ليالي الحسوم اي تحسم الخير عن اهلها وقاله في الصحاح وقال عكرمة والربيع بن انس مشايم دليله قوله تعالى في ايام نحسات وقال عطية العوفي حسوما اي حسمت الخير عن اهلها وقاله في الصحاح وقال عكرمة والربيع بن انس واختلف في اولها فقيل غداة يوم الاحد وقيل غداة يوم الجمعة قاله الربيع بن انس وقيل غداة يوم الاربعا الايام التي تسميها العرب ايام العجوز وكانت برد وريح شديده وكان اولها يوم الاربعا واخرها يوم الاربعا ونسبت الى العجوز لان عجوزا من عاد دخلت سربا فتبعتها الريح فقتلتها في اليوم الثامن وقيل سميت العجوز لانها وقعت في عجز الشتا وهي في اذار من اشهر السريانيين ولها اسامي مشهوره وفيها يقول الشاعر وهو بن احمر

٭ كسع الشتا بسبعة غبر ٭ ايام شهلتنا من الشهر ٭
٭ فاذا انقضت ايامها ومضت ٭ صن وصنبر مع الوبر ٭
٭ وبامر واخيه مؤتمر ٭ ومعلل وبمطفي الجمر ٭
٭ ذهب الشتا موليا عجلا ٭ واتتك واقدة من النجر ٭

وحسوما نصب على الحال وقيل على المصدر قال الزجاج اي تحسمهم حسوما اي تفنيهم وهو مصدر مؤكد ويجوز ان يكون مفعولا له اي سخرها عليهم هذه المدة للاستيصال اي لقطعهم واستيصالهم ويجوز ان يكون جمع حاسم وقرا السدي حسوما بالفتح حالا من الريح اي سخرها عليهم مستاصلة قوله تعالى فترى القوم فيها صرعى اي في تلك الليالي والايام صرعى جمع صريع يعني موتى وقيل فيها اي في الريح كانهم اعجاز اي اصول نخل خاوية اي بالية قاله ابو الطفيل وقيل خالية الاجواف لا شي فيها والنخل تذكر وتونث وقد قال تعالى في موضع اخر كانهم اعجاز نخل منقعر فيحتمل انهم شبهوا بالنخل التي صرعت من اصلها وهو اخبار عن عظيم اجسامهم ويحتمل ان يكون المراد به الاصول دون الجذوع اي ان الريح قد قطعتهم حتى صاروا كاصول النخل خاويه اي كالريح كانت تدخل اجوافهم فتصرعهم كالنخلة الخاوية الجوف وقال بن شجرة كانت الريح تدخل في اجوافهم فتخرج ما في اجوافهم من الحشو من ادبارهم فصاروا كالنخل الخاويه وقال يحيى بن سلام انما قال خاوية لان ابدانهم خوت من ارواحهم مثل النخل الخاويه ويحتمل ان يكون المعنى كانهم اعجاز نخل خاوية عن اصولها من البقاع كما قال فتلك بيوتهم خاوية اي خربة لا سكان فيها ويحتمل الخاويه بمعنى البالية كما ذكرنا لانها اذا بليت خلت اجوافها فشبهوا بعد ان هلكوا بالنخل الخاليه وقوله فهل ترى لهم من باقية اي من فرقة باقية او نفس باقية وقيل من بقية وقيل من فاعله بمعنى المصدر نحو العاقبة والعافية ويجوز ان يكون اسما اي هل ترى لهم احدا باقيا وقال بن جريج كانوا سبع ليال وثمانية ايام احيا في عذاب الله من الريح فلما امسوا في اليوم الثامن ماتوا فاحتملتهم الريح فالقتهم في البحر فذلك قوله عز وجل فهل ترى لهم من باقية وقوله فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم قوله تعالى وجا فرعون ومن قبله قرا ابو عمرو والكسائي ومن قبله بكسر القاف وفتح البا اي ومن معه وتبعه من جنوده واختاره ابو عبيد وابو حاتم اعتبارا بقراة عبد الله وابي ومن معه وقرا

ابو موسى الاشعري ومن تلقاه وقرا الباقون قبله بفتح القاف وسكون البا اي ومن تقدمه من القرون الخاليه والامم الماضيه بالالف وقرا الحسن والجحدري والمؤتفكة لا التوحيد قال قتاده انما سميت قرى قوم لوط مؤتفكات لانها ايتفكت بهم اي انقلبت وذكر الطبري عن محمد بن كعب القرظي قال خمس قريات صبعه وصعره وعمره ودوما وسدوم وهي القرية العظمى بالخاطية اي بالفعلة الخاطية وهي المعصية والكفر وقال مجاهد بالخطايا التي كانوا يفعلونها وقال الجرجاني اي بالخطا العظيم والخاطيه مصدر قوله تعالى فعصوا رسول ربهم قال الكلبي هو موسى وقيل لوط لانه اقرب وقيل موسى ولوط عليهما السلام كما قال فقولا انا رسول رب العالمين وقيل رسول بمعنى رساله وقد يعبر عن الرسالة بالرسول قال الشاعر

٭ لقد كذب الواشون ما بحت عندهم ٭ بسر ولا ارسلتهم برسول ٭

فاخذهم اخذة رابية اي غالبة زايدة على الاخذات وعلى عذاب الامم ومنه الربا اذا اخذ في الذهب والفضة اكثر مما يعطى يقال ربا الشي يربوا اذا زاد وتضاعف قال مجاهد شديدة كانه اراد زايدة في الشدة انا لما طغى الما اي ارتفع وقال علي رضي الله عنه طغى على خزانه من الملايكه غضبا لربه فلم يقدروا على حبسه قال قتاده زاد على كل شي خمسة عشر ذراعا قال بن عباس طغى الما زمن نوح على خزانه فكثر عليهم فلم يدروا كم خرج وليس من الما قطرة تنزل قبله ولا بعده الا بكيل معلوم غير ذلك اليوم وقد مضى هذا مرفوعا اول السورة والمقصود من قصص هذه الامم ذكر ما حل بهم من العذاب زجر هذه الامه والا قتدا بهم في معصية الرسول ثم من عليهم بان جعلهم ذرية من نجا من الغرق بقوله حملناكم اي حملنا اباكم وانتم في اصلابهم في الجارية اي في السفن الجاريه والمحمول في الجارية نوح واولاده وكل من على وجه الارض من نسل اوليك لنجعلها لكم تذكرة يعني سفينة نوح عليه السلام جعلها الله تذكرة وعظة لهذه الامه حتى ادركها اوايلهم في قول قتاده قال ابن جريج كانت الواحها على الجودي والمعنى ابقيت لكم تلك الخشبات حتى تذكروا ما حل بهم بقوم نوح وانجى الله اباكم وكم من سفينة هلكت وصارت ترابا ولم يبق منها شي وقيل فتجعل تلك الفعلة من اغراق قوم نوح وانجا من امن به موعظة لكم ولهذا قال تعالى وتعيها اذن واعية اي تحفظها وتسمعها اذن واعية اي حافظة لما جا من عند الله والسفينة لا توصف بهذا قال الزجاج ويقال وعيت كذا اي حفظته في نفسي اعيه وعيا ووعيت العلم ووعيت ما قلت كله بمعنى واوعيت المتاع في الوعا قال الزجاج يقال لكل ما حفظته في نفسك وعيته بغير الف وقرا طلحه وحميد والاعرج وتعيها باسكان العين تشبيها بقوله ارنا واختلف فيها عن عاصم وبن كثير الباقون بكسر العين ونظيره قوله تعالى وتعيها اذن واعية ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب وقال قتاده الاذن الواعيه اذن عقلت عن الله تعالى وانتفعت بما سمعت من كتاب الله عز وجل وروى مكحول ان النبي صلى الله عليه وسلم قال عند نزول هذه الايه سالت ربي ان يجعلها اذن علي قال مكحول فكان علي رضي الله عنه يقول ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيا قط فنسيته الا وحفظته ذكره الماوردي وعن الحسن نحوه ذكره الثعلبي قال لما نزلت وتعيها اذن واعية قال النبي صلى الله عليه وسلم سالت ربي ان يجعلها اذنك يا علي قال علي فوالله ما نسيت شيا بعد وما كان لي ان انسى وقال ابو برزه الاسلمي قال النبي صلى الله عليه وسلم لعلي ان الله امرني ان ادنيك ولا اقصيك وان اعلمك وان تعي وحق على الله سبحانه وتعالى ان تعي قوله تعالى فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة قال ابن عباس هي النفخة الاولى لقيام الساعة فلا يبقى احد الا مات وجاز تذكير نفخ لان تانيث النفخة غير حقيقي وقيل ان هذه النفخة هي الاخيرة وقال نفخة واحده اي لا تثنى قال الاخفش ووقع الفعل على النفخة اذ لم يكن قبلها اسم مرفوع فقيل نفخة ويجوز نفخة نصبا على المصدر وبها قرا ابن السماك او قال اقتصر على الاخبار عن الفعل كما تقول ضرب ضربا وقال الزجاج في الصور يقوم مقام ما لم يسم فاعله

قوله تعالى وحملت الارض والجبال قراه العامه بتخفيف الميم اي رفعت من
اماكنها فدكتا اي فتتا وكسر دكة واحدة لايجوز في دكة آل النصب لارتفاع الضمير
في دكتا وقال الفرا لم يقل في دكتا لانه جعل الجبال كلها كالجملة الواحدة والارض
كالجملة الواحدة ومثله ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ولم يقل كن وهذا
الذكر كالزلزلة كما قال تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وقيل دكتا اي بسطتا بسطة واحدة
ومنه اندك سنام البعير اذا انفرش في ظهره وقد مضى في سورة الاعراف القول فيه وقرا
ابو عبد الحميد عن ابن عباس وحملت الارض والجبال بالتشديد على اسناد الفعل الى
المفعول الثاني كانه في الاصل وحملت قدرتنا او ملكا من ملائكتنا الارض والجبال ثم
اسند الفعل الى المفعول الثاني فبني له ولو جي بالمفعول الاول لاسند الفعل اليه
فكانه قال وحملت قدرتنا الارض وقد يجوز بناوه للثاني على وجه القلب فيقال
حملت الارض الملك كقولك لبس زيد الجبة والبست الجبة زيدا قوله تعالى فيومئذ
وقعت الواقعة اي قامت القيامة وانشقت السما اي انصدعت وتفطرت وقيل تنشق
لنزول ما فيها من الملايكة دليله قوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملايكة
تنزيلا وقد تقدم فهي يومئذ واهية اي ضعيفة يقال وهي البناء وهيا فهو واه
اذا ضعف جدا ويقال كلام واه اي ضعيف فقيل انها تصير بعد صلابتها بمنزلة الصوف
في الوهي ويكون ذلك لنزول الملايكة كما ذكرنا وقيل لهول يوم القيامة وقيل واهية
اي متخرقة قاله ابن شجرة ماخوذ من قولهم وهى السقا اذا انخرق ومن امثالهم خل سبيل
من وهى سقاوه ومن هريق بالفلاة ماوه اي من كان ضعيف العقل لا يحفظ نفسه
والملك يعني الملايكة اسم للجنس على ارجائها اي على اطرافها حين تنشق لان السما
مكانهم عن ابن عباس الماوردي ولعله قول مجاهد وقتادة والضحاك قال الضحاك
على اطرافها مما لم تنشق منها يريد ان السما مكان الملايكة فاذا انشقت صاروا في اطرافها
وقال سعيد بن جبير والملك على حافة الدنيا اي ينزلون الى الارض ويحرسون اطرافها
وقيل اذا صارت السما قطعا تقف الملايكة على تلك القطع التي ليست متشققة في
انفسها وقيل ان الناس اذا راوا جهنم هالتهم فيندوا كما يند الابل فلا ياتون قطرا
من اقطار الارض الا راوا ملايكة فيرجعون من حيث جاوا وقيل على ارجائها ينتظرون
ما يومرون به في اهل النار من السوق اليها وفي اهل الجنة من التحية والكرامة وهذا
كله راجع الى معنى قول ابن جبير ويدل عليه ونزل الملايكة تنزيلا وقوله تعالى يا معشر
الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض على ما بيناه هناك
والارجا النواحي والاقطار بلغة هذيل واحدها رجا مقصور وتثنيته رجوان مثل
عصا وعصوان قال الشاعر • فلا يرمى بي الرجوان اني • اقل القوم من يغني مكاني •
ويقال ذلك لحرف البير والقبر قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية
قال ابن عباس ثمانية صفوف من الملايكة لا يعلم عددهم الا الله وقال ابن زيد
هم ثمانية املاك وعن الحسن الله اعلم كم هم ثمانية ام ثمانية الاف وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ان حملة العرش اليوم اربعة فاذا كان يوم القيامة امدهم الله تعالى باربعة
اخرى فكانوا ثمانية ذكره الثعلبي وخرجه الماوردي عن ابي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم يحمله اليوم اربعة وهم يوم القيامة ثمانية وقال العباس
ابن عبد المطلب هم ثمانية املاك على صورة الاوعال ورواه عن النبي صلى الله عليه
وسلم وفي الحديث ان لكل ملك منهم اربعة اوجه وجه رجل ووجه اسد ووجه
ثور ووجه نسر وكل وجه منها يسال الله الرزق لذلك الجنس ولما انشد بين يدي
النبي صلى الله عليه وسلم قول امية بن ابي الصلت •
• رجل وثور تحت رجل يمينه • والنسر للاخرى وليث مرصد •
• والشمس تصبح كل اخر ليلة • حمرا يصبح لونها يتورد •
• ليست بطالعة لهم في رسلها • الا معذبة والا تجلد •

قال

قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق وفي الخبر ان فوق السما السابعة ثمانية اوعال
بين اظلافهن وركبهن مثل ما بين السما الى السما وفوق ظهورهن العرش ذكره القشيري
وخرجه الترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب وقد مضى في سورة البقرة
بكماله وذكر نحوه الثعلبي ولفظه وفي حديث مرفوع ان حملة العرش ثمانية املاك على
صورة الاوعال ما بين اظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما للطاير المسرع وفي تفسير
الكلبي ثمانية اجزا من تسعة اجزا من الملايكة وعنه ثمانية اجزا من عشرة اجزا من الملايكة
ثم ذكر عدد الملايكة بما يطول ذكره حكى الاول عنه الثعلبي والثاني القشيري وقال
الماوردي عن ابن عباس ثمانية اجزا من تسعة وهم الكروبيون والمعنى ثم تنزل بالعرش
ثم اضاف العرش الى الله تعالى كما اضاف البيت وليس البيت للسكنى وكذلك العرش
ومعنى فوقهم اي فوق روسهم قال السدي العرش تحمله الملايكة الحملة فوقهم ولا يحمل
حملة العرش الا الله وقيل فوقهم اي ان حملة العرش فوق الملايكة الذين في السما على
ارجائها وقيل فوقهم اي فوق القيامة قوله تعالى يومئذ تعرضون اي على الله دليله
وعرضوا على ربك صفا وليس ذلك عرضا يعلم به ما لم يكن عالما به بل معناه الحساب وتقرير
الاعمال عليهم للمجازاة وروى الحسن عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فاما عرضتان فجدال ومعاذير واما الثالثة
فعند تطاير الصحف في الايدي فاخذ بيمينه واخذ بشماله خرجه الترمذي وقال لا يصح
من قبل ان الحسن لم يسمع من ابي هريرة لا تخفى منكم خافية اي هو عالم بكل شي من اعمالكم
فخافية على هذا بمعنى خفية كانوا يخفونها من اعمالهم قاله ابن شجرة وقيل لا يخفى
عليه انسان لا يحاسب وقال عبد الله بن عمرو بن العاص لا يخفى المومن من الكافر
ولا البر من الفاجر وقيل لا تستتر منكم عورة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر الناس
حفاة عراة وقرا الكوفيون الا عاصما لا يخفى بالياء لان تانيث الخافية غير حقيقي نحو
قوله واخذ الذين ظلموا الصيحة واختاره ابو عبيد لانه قد حال بين الفعل وبين الاسم
المونث الجار والمجرور بالتا واختاره ابو حاتم لتانيث الخافية قوله تعالى فاما
من اوتي كتابه بيمينه اعطا الكتاب باليمين دليل على النجاة وقال ابن عباس اول
من يعطى كتابه بيمينه من هذه الامة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل
فاين ابو بكر فقال هيهات هيهات زفته الملايكة الى الجنة ذكره الثعلبي وقد ذكرناه
مرفوعا من حديث زيد بن ثابت بلفظه ومعناه في كتاب التذكرة بحمد الله فيقول
هاوم اقروا كتابيه اي يقول ذلك ثقة بالاسلام وسرورا بنجاته لان اليمين عند العرب
من دلايل الفرح والشمال من دلايل الغم قال الشاعر •
• ابيني ابيديك جعلتني فافرح • ام صيرتني في شمالك فاترح •
ومعنى هاوم تعالوا قاله ابن زيد وقال مقاتل هلم وقيل اي خذوا ومنه الخبر في الربا
الا ها وها اي يقول كل واحد لصاحبه خذ قال ابن السكيت والكسايي العرب تقول
ها يا رجل وللاثنين هاوما يا رجلان وهاوم يا رجال وللمراة هاء بكسر الهمزة وهاؤن
ها انا امراة وللاثنين وهاوما والاصل هاكم فابدلت الهمزة من الكاف قاله القتيبي وقيل ان هاوم كلمة وضعت لاجابة
الداعي عند النشاط والفرح وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ناداه اعرابي
بصوت عال فاجابه النبي صلى الله عليه وسلم هاوم يطول صوته وكتابيه منصوب بهاوم عند الكوفيين وعند البصريين باقروا لانه
اقرب العاملين والاصل كتابي فادخلت الها لتبيين فتحة اليا وكانت الها للوقف وكذلك
في اخواته حسابيه وماليه وسلطانيه وفي القارعة ماهيه وقراه العامة بالها فيهن
في الوقف والوصل معا لانهن وقعن في المصحف بالها فلا يترك واختار ابو عبيد ان
يتعمد الوقف عليها ليوافق اللغة في الحاق الها في السكت ويوافق الخط وقرا ابن
محيصن وحميد ومجاهد ويعقوب بحذف الها في الوصل واثباتها في الوقف فيهن
اجمع ووافقهم حمزة في ماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وجملة هذه الحروف سبعة

واختار ابوحاتم قراءة يعقوب ومن معه اتباعا للغة ومن قراهن في الوصل بالها
فهو على نية الوقف اني ظننت اي ايقنت وعلمت عن ابن عباس وغيره وقيل اي اني
ظننت ان يواخذني الله بسياتي عذبني فقد تفضل علي بعفوه ولم يواخذني بها قال
الضحاك كل ظن في القران من المومن فهو يقين ومن الكافر فهو شك وقال مجاهد
ظن الاخرة يقين وظن الدنيا شك وقال الحسن في هذه الاية ان المومن احسن الظن
بربه فاحسن العمل وان الكافر والمنافق اساء بربه الظن فاسا العمل اني ظننت اني ملاق
حسابيه اي في الاخرة ولم انكر البعث يعني انه ما نجا الا بخوفه من يوم الحساب لانه تيقن
ان الله يحاسبه فعمل للاخرة فهو في عيشة راضية اي في عيش يرضاه لا مكروه فيه وقال
ابو عبيدة والفرا راضية اي مرضية كقوله ماء دافق اي مدفوق وقيل ذات رضى اي يرضى
بها صاحبها مثل لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه
وسلم انهم يعيشون ولا يموتون ابدا وينعمون فلا يرون باسا ابدا ويشبون فلا يهرمون
ابدا في جنة عالية اي عظيمة في النفوس قطوفها دانية اي قريبة التناول يتناولها
القايم والقاعد والمضطجع على ما ياتي بيانه في سورة الانسان والقطوف جمع قطف
بكسر القاف وهو ما يقطف من الثمار والقطف بالفتح المصدر والقطاف بالفتح والكسر
وقت القطف كلوا واشربوا اي يقال لهم ذلك هنيئا لا تكدير فيه ولا تنغيص بما اسلفتم
اي قدمتم من الاعمال الصالحة في الايام الخالية اي في الدنيا وقال كلوا بعد قوله في
عيشة راضية لقوله تعالى فاما من اوتي ومن يتضمن معنى الجمع وذكر الضحاك ان هذه
الاية نزلت في ابي سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي وقاله مقاتل والاية
التي تليها في اخيه الاسود بن عبد الاسد في قول ابن عباس والضحاك ايضا قاله
الثعلبي ويكون هذا الرجل واخيه سبب نزول هذه الايات ويعم المعنى جميع اهل
الشقاوة والسعادة يدل عليه قوله تعالى كلوا واشربوا وقد قيل ان المراد بذلك كل
من كان متبوعا في الخير والشر فاذا كان الرجل راسا في الخير يدعو اليه ويامر به ويكثر
تبعه عليه دعي باسمه واسم ابيه فيتقدم حتى اذا دنا اخرج له كتاب ابيض بخط
ابيض في باطنه السيئات وفي ظاهره الحسنات فيبدا بالسيئات فيقراوها فيشفق ويصفر
لونه ويتغير فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك وقد غفرت لك فيفرح عند ذلك فرحا
شديدا ثم يقلب كتابه فيقرا حسناته فلا يزداد الا فرحا حتى اذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه
هذه حسناتك قد ضوعفت لك فيبيض وجهه ويوتى بتاج فيوضع على راسه ويكسى
حلتين ويحلى كل مفصل منه ويطول ستين ذراعا وهي قامة ادم عليه السلام ويقال
له انطلق الى اصحابك فبشرهم واخبرهم ان لكل انسان منهم مثل هذا فاذا ادبر قال
هاؤم اقرؤوا كتابيه اني ظننت اني ملاق حسابيه قال الله تعالى فهو في عيشة
راضية اي قد رضيها في جنة عالية في السما قطوفها ثمارها وعناقيدها دانية ادنيت
منهم فيقول لاصحابه هل تعرفوني فيقولون قد غمرتك كرامة الله من انت فيقول
انا فلان بن فلان ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام
الخالية اي قدمتم في ايام الدنيا واذا كان الرجل راسا في الشر يدعو اليه ويامر به فيكثر
تبعه عليه نودي باسمه واسم ابيه فيتقدم الى حسابه فيخرج له كتاب اسود
بخط اسود في باطنه الحسنات وفي ظاهره السيئات فيبدا بالحسنات فيقروها ويظن انه سينجو فاذا
بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه حسناتك وقد ردت عليك فيسود وجهه ويعلوه الحزن
ويقنط من الخير ثم يقلب كتابه فيقرا سيئاته فلا يزداد الا حزنا ولا يزداد وجهه
الا سوادا فاذا بلغ اخر الكتاب وجد فيه هذه سيئاتك عليك اي يضاعف عليه العذاب
ليس المعنى انه يزاد عليه ما لم يعمل قال فيعظم للنار وتزرق عيناه ويسود
وجهه ويكسى سرابيل القطران ويقال له انطلق الى اصحابك واخبرهم ان لكل انسان
منهم مثل هذا فينطلق وهو يقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه يا ليتها
كانت القاضية يعني الموت هلك عني سلطانيه تفسير ابن عباس هلكت عني حجتي وهو

قول

قول مجاهد وعكرمة والسدي والضحاك قال ابن زيد سلطانيه الذي في الدنيا هو
الملك وكان هذا الرجل مطاعا في اهله واصحابه قال الله تعالى خذوه فغلوه قيل
يبتدره مائة الف ملك ثم تجمع يده الى عنقه وهو قوله عز وجل فغلوه اي شدوه بالاغلال
ثم الجحيم صلوه اي اجعلوه يصلى الجحيم ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا الله اعلم باي
ذراع قاله الحسن وقال ابن عباس سبعون ذراعا بذراع الملك وقال نوف كل ذراع
سبعون باعا وكل باع ابعد مما بينك وبين مكة وكان في رحبة الكوفة وقال مقاتل
لو ان حلقة منها وضعت على ذروة جبل لذاب كما يذوب الرصاص وقال كعب لو ان
حلقة من السلسلة التي قال الله ذرعها سبعون ذراعا ان حلقة منها مثل جميع حديد
الدنيا فاسلكوه قال سفيان بلغنا انها تدخل في دبره حتى تخرج من فيه وقاله
مقاتل والمعنى ثم اسلكوا فيه سلسلة وقيل تدخل عنقه فيها ثم يجر بها وجاء في الخبر
انها تدخل من دبره وتخرج من منخريه وفي خبر اخر انها تدخل من فيه وتخرج من
دبره فينادي اصحابه هل تعرفوني فيقولون لا ولكن قد نرى ما بك من الخزي فمن انت
فينادي اصحابه انا فلان بن فلان لكل انسان منكم مثل هذا قلت وهذا
التفسير اصح ما قيل في هذه الاية يدل عليه قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم وفي الباب
حديث ابي هريرة بمعناه خرجه الترمذي وقد ذكرناه في سورة سبحان فتامله هناك
انه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين اي على الاطعام كما يوضع العطا
موضع الاعطا قال الشاعر ۞ اكفرا بعد رد الموت عني ۞ وبعد عطايك المائة الرتاعا ۞
اراد بعد اعطايك فبين انه عذب على ترك الاطعام وعلى الامر بالبخل كما عذب بسبب
الكفر والحض التحريض والحث واصل طعام ان يكون منصوبا بالمصدر المقدر والطعام عبارة
عن العين واضيف للمسكين للنسبة التي بينهما ومن اعمل الطعام كما يعمل الاطعام فموضع
المسكين نصب والتقدير على اطعام المطعم المسكين فحذف الفاعل واضيف المصدر الى المفعول
قوله تعالى فليس له اليوم هاهنا حميم خبر ليس قوله هاهنا لان المعنى يصير ليس
هاهنا طعام الا من غسلين ولا يصح ذلك لانه ثم طعام وهاهنا متعلق بما في معنى الفعل
والحميم هاهنا القريب اي ليس له قريب يرق له ويدفع عنه وهو ماخوذ من الحميم وهو الماء
الحار كانه الصديق الذي يرق ويحترق قلبه فيه والغسلين فعلين من الغسل فكانه ينغسل
من ابدانهم وهو صديد اهل النار السايل من جروحهم وفروجهم عن ابن عباس وقال
الضحاك والربيع بن انس هو شجر ياكله اهل النار وقال قتادة هو شر الطعام واشنعه
ابن زيد لا نعلم ما هو ولا الزقوم وقال في موضع اخر ليس لهم طعام الا من ضريع يجوز ان يكون
الضريع من الغسلين وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى فليس له اليوم هاهنا حميم
الا من غسلين ويكون الماء الحار ولا طعام اي وليس له طعام ينتفعون به لا ياكله الا الخاطيون
اي المذنبون وقال ابن عباس يعني المشركون وقرى الخاطيون بابدال الهمزة يا والخاطون
بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه ابو الاسود الدولي ما الخاطون
انما هو الخاطيون ما الصابون انما هو الصابيون ويجوز ان يراد به الذين يتخطون الحق
الى الباطل ويتعدون حدود الله عز وجل قوله تعالى فلا اقسم بما تبصرون وما لا
تبصرون المعنى اقسم بالاشيا كلها ما ترون منها وما لا ترون ولا صلة وقيل هو رد لكلام
سبق اي ليس الامر كما يقوله المشركون وقال مقاتل سبب ذلك ان الوليد بن المغيرة قال
ان محمدا ساحر وقال ابو جهل شاعر وقال عقبة كاهن فقال الله عز وجل فلا اقسم اي
اقسم وقيل لا هاهنا نفي للقسم اي لا يحتاج في هذا الى قسم لوضوح الحق في ذلك وعلى
هذا فجوابه كجواب القسم انه يعني به القران انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش
مكين يريد جبريل قاله الحسن والكلبي ومقاتل دليله وانه لقول رسول كريم ذي قوة
وقال الكلبي ايضا والقتبي الرسول هنا محمد صلى الله عليه وسلم لقوله وما هو بقول شاعر
وليس القران من قول الرسول صلى الله عليه وسلم انما هو من قول الله عز وجل ونسب
القول الى الرسول لانه تاليه ومبلغه والعامل به كقولنا هذا قول مالك قوله تعالى

وماهو بقول شاعر لانه مباين لصنوف الشعر كلها ولا بقول كاهن لانه ورد بسبب
الشياطين وشتمهم فلا ينطقون بشيء على من سبهم وما زايدة في قوله قليلا ما يومنون
وقليلا ما يذكرون والمعنى قليلا يومنون وقليلا يذكرون وذلك القليل من ايمانهم
هو انهم اذا سيلوا من خلقهم قالوا الله ولا يجوز ان تكون ما مع الفعل مصدرا وينصب قليلا
بما بعدها لما فيه من تقديم الصلة على الموصول لان ما عمل فيه المصدر من في صلة المصدر
وقرا ابن محيصن وابن كثير وابن عامر ويعقوب ما يومنون ويذكرون بالياء الباقون
بالتاء لان الخطاب قبله وبعده اما قبله فقوله تبصرون واما بعده فمنكم الاية قوله
تعالى تنزيل اي هو تنزيل من رب العالمين وهو عطف على قوله انه لقول رسول كريم
اي انه لقول رسول كريم وهو تنزيل من رب العالمين قوله تعالى ولو تقول علينا
بعض الاقاويل تقول اي تكلف واتى بقول من قبل نفسه وقرئ ولو تقول علينا المفعول
لاخذنا منه باليمين اي بالقوة والقدرة اي لاخذناه بالقوة ومن صلة زايدة وعبر عن
القوة والقدرة باليمين لان كل شيء في مباهنه قاله القتيبي وهو معنى قول ابن عباس
ومجاهد ومنه قول الشماخ • اذا ما راية رفعت لمجد • تلقاها عرابة باليمين •
اي بالقوة وقال اخر • ولما رايت الشمس اشرق نورها • تناولت منها حاجتي بيميني •
وقال السدي والحكم باليمين بالحق قال تلقاها عرابة باليمين اي بالاستحقاق
وقال الحسن لقطعنا يده اليمنى وقيل المعنى لقبضنا بيمينه عن التصرف قاله نفطويه
وقال ابو جعفر الطبري ان هذا الكلام خرج مخرج الاذلال على عادة الناس في الاخذ
بيد من يعاقب كما يقول السلطان لمن يريد هوانه خذوا يديه اي لامرنا بالاخذ
بيده وبالغنا في عقابه ثم لقطعنا منه الوتين يعني نياط القلب اي لاهلكناه وهو
عرق يتعلق به القلب اذا انقطع مات صاحبه قاله ابن عباس واكثر الناس قال
• اذا بلغتني وحملت رحلي عرابة • فاشرقي بدم الوتين •
وقال مجاهد هو حبل القلب الذي في الظهر وهو النخاع فاذا انقطع بطل القوى
ومات صاحبه والموتون الذي قطع وتينه وقال محمد بن كعب انه القلب ومراقه
وما يليه وقال الكلبي انه عرق بين العلباء والحلقوم والعلباء عصب العنق وهما
علباوان بينهما ينبت العرق وقال عكرمة ان الوتين اذا اقطع لا ان جاع عرف ولا ان
شبع عرف قوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ما بقي واحد في معنى الجمع
فلذلك نعته بالجمع اي فما منكم قوم يحجزون عنه كقوله لا نفرق بين احد من رسله هذا
جمع لانه بين لا يقع الا على اثنين فما زاد قال النبي صلى الله عليه وسلم لم تحل الغنايم لاحد سوى الروس
قبلكم لفظه واحد ومعناه الجمع ومن زايدة والحجز المنع وحاجزين يجوز ان يكون
صفة لاحد على المعنى كما ذكرنا فيكون في موضع جر والخبر منكم ويجوز ان يكون منصوبا
على انه خبر ومنكم ملغى ويكون متعلقا بحاجزين ولا يمنع الفصل به من انتصاب الخبر
في هذا كما لم يمنع الفصل به في ان فيك ابدا راغب قوله تعالى وانه يعني القران
لتذكرة للمتقين اي للذين يتقون الله ونظيره فيه هدى للمتقين حسب
ما بيناه اول البقرة وقيل المراد محمد صلى الله عليه وسلم اي هو تذكرة ورحمة ونجاة
قوله تعالى وانا لنعلم ان منكم مكذبين قال الربيع بالقران وانه لحسرة اي التكذيب
والحسرة الندامة وقيل وان القران لحسرة وندامة على الكافرين يوم القيامة اذا
راوا ثواب من امن به يوم القيامة وقيل هي حسرتهم في الدنيا حين لم يقدروا على
معارضته عند تحديهم ان ياتوا بسورة مثله وانه لحق اليقين تنزيل من الله فهو
كالحق اليقين وقيل اي حقا يقينا ليكونن ذلك حسرة عليهم يوم القيامة فعلى هذا
وانه لحسرة اي وانه لحسر فهو مصدر بمعنى التحسر فيجوز تذكيره وقال ابن عباس
انما هو كقولك لعين اليقين ومحض اليقين ولو كان اليقين نعتا لم يجز ان يضاف
اليه كما لا يقول هذا رجل الظريف وقيل اضافه الى نفسه لاختلاف اللفظين فسبح
باسم ربك العظيم اي فصل لربك قاله ابن عباس وقيل اي نزه الله عن السوء والنقايص

سورة

سورة المعارج مكية باتفاق وهي اربع واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سال سايل قرا نافع وابن عامر سال سايل بغير همز الباقون بالهمز
فمن همز فهو من السوال والباء يجوز ان تكون زايدة ويجوز ان تكون بمعنى عن والسوال
بمعنى الدعاء اي دعا داع بالعذاب عن ابن عباس وغيره يقال دعا على فلان بالويل ودعا
عليه بالعذاب ويقال دعوت زيدا اي التمست احضاره اي التمس ملتمس عذابا للكافرين
وهو واقع بهم لا محالة يوم القيامة وعلى هذا فالباء زايدة كقوله تنبت بالدهن وقوله
وهزي اليك بجذع النخلة فهي تاكيد اي سال سايل عذابا واقعا للكافرين وهو النضر
ابن الحارث حيث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما
او ايتنا بعذاب اليم فنزل سواله وقتل يوم بدر صبرا هو وعقبة بن ابي معيط لم يقتل
صبرا غيرهما قاله ابن عباس ومجاهد وقيل ان السايل هنا هو النعمان بن بشير الفهري
وذلك انه لما بلغه قول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه من كنت مولاه فعلي
مولاه ركب ناقته فجا حتى اناخ راحلته بالابطح ثم قال يا محمد امرتنا عن الله ان
نشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فقبلناه منك وان نصلي خمسا فقبلناه منك
ونزكي اموالنا وان نصوم شهر رمضان فقبلناه منك وان نحج فقبلناه منك ثم لم ترض
حتى فضلت ابن عمك علينا فهذا شيء منك ام من الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
والله الذي لا اله الا هو ما هو الا من الله فولى الحرث وهو يقول اللهم ان كان ما يقول
محمد حقا فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم فوالله ما وصل الى ناقته حتى
رماه الله بحجر فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله فنزلت سال سايل بعذاب
واقع الاية وقيل ان السايل هنا ابو جهل وهو القايل لذلك قاله الربيع وقيل انه قول
جماعة من كفار قريش وقيل هو نوح عليه السلام سال العذاب على الكافرين وقيل
هو رسول الله صلى الله عليه وسلم اي دعا عليه السلام بالعقاب وطلب ان يوقعه الله
بالكفار وهو واقع بهم لا محالة وامتد الكلام الى قوله تعالى فاصبر اي لا تستعجل فانه
قريب واذا كانت الباء بمعنى عن وهو قول قتادة فكان سايلا سال عن العذاب بمن يقع
او متى يقع قال الله تعالى فاسال به خبيرا اي سل عنه وقال علقمة •
• فان تسالوني بالنساء فانني • خبير بادواء النساء طبيب •
خبير اي عن النساء ويقال خرجنا نسال عن فلان وفلان فالمعنى سالوا بمن يقع العذاب
او متى يقع ولمن يكون فقال الله للكافرين قال ابو علي وغيره واذا كان من السوال
فاصله ان يتعدى الى مفعولين ويجوز الاقتصار على احدهما واذا اقتصر على احدهما
جاز ان يتعدى اليه بحرف جر فيكون التقدير سال سايل النبي صلى الله عليه وسلم
او المسلمين بعذاب او عن عذاب ومن قرا بغير همز فله وجهان احدهما انه لغة في السوال
وهي لغة قريش تقول العرب سال يسال مثل نال ينال وخاف يخاف والثاني ان
يكون من السيلان ويويده قراءة ابن عباس سال سيل قال عبد الرحمن بن زيد سال
واد في جهنم يقال له سايل وهذا قول زيد بن ثابت قال الثعلبي والاول احسن
كقول الاعشى في تخفيف الهمزة سالتاني الطلاق اذ رايتاني قل مالي قد جيتماني بنكر
الصحاح قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وفلان وقد تخفف همزته
فيقال سال يسال وقال ومرهق سال امتاعا باصدته لم يستعن وحوا في الموت يغشاه
المرهق الذي ادرك ليقتل والاصدة بالضم قميص صغير يلبس تحت الثوب المهدري
من قرا سال جاز ان يكون خفف الهمزة بابدالها الفا وهو البدل على غير قياس وجاز
ان يكون الالف منقلبة عن واو على لغة من قال سلت اسال كخفت اخاف النحاس
حكى سيبويه سلت اسال مثل خفت اخاف بمعنى سالت وانشد •

• سالت هذيل رسول الله فاحشة • ضلت هذيل بما سالت ولم تصب •
وقيل هما بتاولات الهمز وي وجاز ان تكون مبدله من باب سال يسال وسايل واد في
جهنم فهمزه سايل على القول الاول اصليه وعلى الثاني بدل من واو وعلى الثالث
بدل من يا القشيري وسايل مهموز لانه ان كان من سال بالهمز فهو مهموز وان كان من
غير الهمز كان مهموزا ايضا نحو قايل وخايف لان العين اعتل في الفعل واعتل في اسم الفاعل
ايضا ولم يكن الاعتلال بالحذف حذف لا بالقياس فكان بالقلب الى الهمز ولك تخفيف الهمزه
حتى تكون بين بين واقع ان يقع بالكفار وبين انه من الله ذي المعارج وقال الحسن انزل الله
تعالى سال سايل بعذاب واقع للكافرين فقال لمن هو فقال للكافرين فاللام في للكافرين
متعلقة بواقع والواقع من نعت العذاب فاللام دخلت للعذاب لا للواقع اي هذا العذاب
للكافرين في الاخرة لا يدفعه عنهم احد وقيل ان اللام بمعنى على والمعنى واقع على
الكافرين وروي انها في قراة ابي كذلك وقيل بمعنى عن اي ليس له دافع عن الكافرين من
الله اي ذلك العذاب ذي المعارج اي ذي العلو والدرجات والفواضل والنعم قاله ابن عباس
وقتاده فالمعارج مراتب انعامه على الخلق وقيل ذي العظمة والعلى وقال مجاهد هي معارج
السما وقيل هي معارج الملايكه لان الملايكه تعرج الى السما فوصف نفسه بذلك وقيل المعارج
الغرف اي انه ذو الغرف اي جعل في الجنة غرفا وقرا عبد الله ذي المعاريج بالياء يقال معرج
ومعراج ومعارج مثل مفتاح ومفاتيح والمعارج الدرجات ومنه ومعارج عليها يظهرون
تعرج الملايكة والروح اليه اي تصعد في المعارج التي جعلها الله لهم وقرا ابن مسعود
واصحابه والسلمي والكسايي يعرج بالياء على ارادة الجمع ولقوله ذكروا الملايكه وقرا الباقون
بالتاء على ارادة الجماعه والروح جبريل عليه السلام قاله ابن عباس دليله قوله تعالى نزل به
الروح وقيل هو ملك اخر عظيم الخلقه وقال ابو صالح انه خلق من خلق الله تعالى كهيئة
الناس وليس بالناس وقال قبيصة بن ذويب انه روح الميت حين تقبض اليه اي الى
المكان الذي هو محلهم وهو في السما لانها محل بره وكرامته وقيل هو كقول ابراهيم اني ذاهب
الى ربي اي الى الموضع الذي امرني به وقيل اليه اي الى عرشه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنه وهو قول مجاهد وجمع من هذه الايه وقوله في يوم كان مقداره الف سنه في
سورة السجده فقال في يوم كان مقداره خمسين الف سنه من منتهى امره من اسفل الارضين
الى منتهى امره من فوق السموات خمسون الف سنه وقوله في الم تنزيل في يوم كان مقداره
الف سنه يعني بذلك نزول الامر من سما الدنيا الى الارض ومن الارض الى السما في يوم واحد
فذلك مقداره الف سنه لان ما بين السما الى الارض مسيرة خمسمايه عام وعن مجاهد ايضا
والحكم وعكرمه هو مدة عمر الدنيا من اول ما خلقت الى اخر ما بقي خمسون الف سنه قاله
عكرمه ايضا والكلبي ومحمد بن كعب يقول وانا افرغ منه في ساعه وقال الحسن هو يوم
القيامه ولكن يوم القيامه لا نفاد له فالمراد ذكر موقفهم للحساب فهو في خمسين الف سنه
من سني الدنيا ثم حين عند مستقر اهل الدارين في الدارين وقال يمان هو يوم القيامه
فيه خمسون موطنا كل موطن الف سنه وقال ابن عباس هو يوم القيامه جعله الله على
الكافرين مقداره خمسين الف سنه ثم يدخلون النار للاستقرار قلت وهذا القول احسن
ما قيل في الايه ان شا الله بدليل ما قاله برويه قاسم بن اصبغ من حديث ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان مقداره خمسين الف سنه فقلت ما اطول
هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده انه ليخفف عن المومن حتى يكون
اخف عليه من صلاة المكتوبه يصليها في الدنيا واستدل النحاس على صحة هذا القول
بما رواه سهيل عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من رجل لم يود زكاة
ماله الا جعل شجاعا من نار يكوى به جبهته وظهره وجنباه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنه حتى يقضي الله بين الناس قال فهذا يدل انه يوم القيامه وقال ابراهيم التيمي
ما قدر ذلك اليوم على المومن الا قدر ما بين الظهر الى العصر وروي هذا المعنى مرفوعا من حديث
معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين ولذلك

سمى نفسه سريع الحساب واسرع الحاسبين ذكره الماوردي وقيل بل يكون الفراغ لنصف
يوم كقوله تعالى اصحاب الجنة يوميذ خير مستقرا واحسن مقيلا وهذا على قدر فهم الخلايق
والا فلا يشغله شان عن شان وكما يرزقهم في ساعة كذا يحاسبهم في لحظة قال الله تعالى
ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحده وعن ابن عباس ايضا انه سيل عن هذه الايه وعن قوله
في يوم كان مقداره الف سنه فقال ايام سماها الله عز وجل هو اعلم بها كيف تكون واكره ان
اقول فيها ما لا اعلم وقيل معنى ذكر خمسين الف سنه تمثيل وهو تعريف طول مدة القيامه
في الموقف وما يلقى الناس فيه من الشدايد والعرب تصف ايام الشده بالطول وايام الفرح
بالقصر قال الشاعر • ويوم كظل الرمح قصر طوله • دم الزق عنا واصطفاق المزاهر •
وقيل في الكلام تقديم وتاخير والمعنى سال سايل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع في
يوم كان مقداره خمسين الف سنه تعرج الملايكة والروح اليه وهذا القول هو معنى ما اخترناه
والموفق هو الله تعالى قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا اي على اذى قومك والصبر الجميل هو
الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله هو ان يكون صاحب المصيبه في القوم لا يدرى من هو
والمعنى متقارب وقال ابن زيد هي منسوخة باية السيف انهم يرونه بعيدا يريد اهل مكه يرون
العذاب بالنار بعيدا اي غير كاين ونراه قريبا لان ما هو ات فهو قريب وقال الاعمش يرون
البعث بعيدا لانهم لا يومنون به كانهم يستبعدونه على جهة الاحاله كما تقول لمن تناظره هذا
بعيد لا يكون وقيل اي يرون هذا اليوم بعيدا ونراه اي نعلمه لان الرويه انما تتعلق بالموجود
وهو كقولك الشافعي يرى في هذه المسالة كذا وكذا قوله تعالى يوم تكون السما كالمهل العامل
في يوم الواقع تقديره يقع بهم العذاب يوم وقيل نراه او يبصرونهم او يكون بدلا من قريب والمهل
دردي الزيت وعكره في قول ابن عباس وغيره وقال ابن مسعود ما اذيب من الرصاص والنحاس
والفضه وقال مجاهد كالمهل كقيح من دم او صديد وقد مضى في الدخان والكهف القول فيه
وتكون الجبال كالعهن وهو الصوف الاحمر وهو اضعف الصوف ومنه قول زهير •
• كان فتات العهن في كل منزل • نزلن به حب الفنا لم يحطم •
الفتات القطع والعهن الصوف الاحمر واحده عهنه وقيل العهن الصوف ذو الالوان فشبه
الجبال به في تكونها الوانا والمعنى انها تلين بعد الشده وتتفرق بعد الاجتماع وقيل
اول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا ثم عهنا منفوشا ثم هبا منبثا ولا يسال حميم حميما
اي عن شانه لشغل كل انسان بنفسه قاله قتاده كما قال لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه
وقيل لا يسال حميم عن حميم فحذف الجار ووصل الفعل قراة العامه يسال بفتح اليا وقرا شيبه
والبزي عن عاصم ولا يسال بالضم على ما لم يسم فاعله اي لا يسال حميم عن حميم ولا ذو قرابه
عن قرابته بل كل انسان يسال عن عمله نظيره كل نفس بما كسبت رهينه قوله تعالى يبصرونهم
اي يرونهم وليس في القيامه مخلوق الا وهو نصب عين صاحبه من الجن والانس
فيبصر الرجل اخاه واباه وقرابته وعشيرته ولا يساله ولا يكلمه لاشتغالهم بانفسهم وقال
ابن عباس يتعارفون ساعة ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعه وفي بعض الاخبار ان اهل
القيامه يفرون من المعارف مخافة المظالم وقال ابن عباس ايضا يبصر بعضهم بعضا فيتعارفون
ثم يفر بعضهم من بعض فالضمير في يبصرونهم على هذا للكفار والها والميم للاقربا وقال مجاهد
المعنى يبصر الله المومنين الكفار في القيامه فالضمير في يبصرونهم للمومنين والها والميم
للكفار وقال ابن زيد المعنى يبصر الله الكفار في النار الذين اضلوهم في الدنيا فالضمير في يبصرونهم
للتابعين والها والميم للمتبوعين وقيل انه يبصر المظلوم ظالمه والمقتول قاتله وقيل يبصرونهم
يرجع الى الملايكه اي يعرفون احوال الناس فيسوقون كل فريق الى ما يليق بهم وتم الكلام
عند قوله يبصرونهم ثم قال يود المجرم اي يتمنى الكافر لو يفتدي من عذاب يوميذ
يعني من عذاب جهنم باعز من كان عليه في الدنيا من اقاربه فلا يقدر ثم ذكرهم فقال
ببنيه وصاحبته زوجته واخيه وفصيلته اي عشيرته التي تنصره قاله مجاهد وابن
زيد وقال مالك امه التي تربيه حكاه الماوردي ورواه عنه اشهب وقال ابو عبيده الفصيله
دون القبيله وقال ثعلب هم اباوه الادنون وقال المبرد الفصيله القطعه من اعضا

الجسد وهي دون القبيلة وسميت عشيرة الرجل فصيلته تشبيها بالبعض منه وقد مضى في الحجرات القول في الفصيلة وغيرها وهنا مسالة وهي ان احبس على فصيلته او اوصى لها فمن ادعى العموم حمله على العشيرة ومن ادعى الخصوص حمله على الآباء الادنى فالادنى والاول اكثر في النطق والله اعلم والمعنى تؤويه تضمه وتؤمنه من خوف ان كان به ومن في الارض جميعا اي ويود لو فدي بهم لافتدى ثم ينجيه اي يخلصه ذلك الفدا فلا بد من هذا الاضمار كقوله وانه لفسق اي وان اكله لفسق وقيل يود المجرم يقتضي جوابا بالفا كقوله ودوا لو تدهن فيدهنون والجواب في هذه الآية ثم ينجيه لانها من حروف العطف اي يود المجرم لو يفتدي فينجيه الافتدا قوله تعالى كلا تقدم القول في كلا انها تكون بمعنى حقا وبمعنى لا وهي هنا تحتمل الامرين فاذا كانت بمعنى حقا كان تمام الكلام ينجيه واذا كانت بمعنى لا كان تمام الكلام عليها اي ليس ينجيه من عذاب الله الافتدا ثم قال انها لظى اي هي جهنم اي تتلظى نيرانها كقوله فانذرتكم نارا تلظى واشتقاق لظى من التلظي والتظاء النار التهابها وتلظيها تلهبها وقيل كان اصلها لظظ اي دامت لدوام عذابها فقلبت احدى الظاءين الفا فبقيت لظى وقيل هي الدركة الثانية من طبقات جهنم وهي اسم مؤنث معرفة فلا ينصرف نزاعة للشوى قرأ ابو شيبة ونافع وعاصم في رواية ابي بكر عنه والاعمش وابو عمرو وحمزة والكسائي نزاعة بالرفع وروى ابو عمرو وعن عاصم نزاعة بالنصب فمن رفع فله خمسة اوجه احدها ان يجعل لظى خبر ان ويرفع نزاعة باضمار هي فمن هذا الوجه يحسن الوقف على لظى والوجه الآخر ان تكون لظى ونزاعة خبران لان كما تقول انه خلق مخاصم والوجه الثالث ان تكون نزاعة بدلا من لظى ولظى خبر ان والوجه الرابع ان تكون لظى بدلا من اسم ان ونزاعة خبر ان والوجه الخامس ان يكون الضمير في انها للقصة ولظى مبتدأ ونزاعة خبر الابتدا على القطع من لظى اذا كانت نكرة متصلة بمعرفة ويجوز نصبها على الحال المؤكدة كما قال وهو الحق مصدقا ويجوز ان ينصب على معنى انها تتلظى نزاعة اي في حال نزعها للشوى والعامل فيها ما دل عليه الكلام من معنى التلظي ويجوز ان يكون حالا على انه حال للمكذبين بخبرها ويجوز نصبها على المدح كما تقول مررت بزيد العاقل الفاضل فهذه خمسة اوجه للنصب ايضا والشوى جمع شواة وهي جلدة الراس قال الاعشى قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته لاصبح هدته الحوادث هدة لها فشواة الراس باد قتيرها القتير الشيب وفي الصحاح والشوى جمع شواة جلدة الراس والشوى اليدان والرجلان والراس من الآدميين وكل ما ليس مقتلا يقال رماه فاشواه اذا لم يصب المقتل قال الهذلي فان من القول التي لا شوى لها اذا زل عن ظهرها اللسان انفلاتها يقول ان من القول كلمة لا شوى لها ولكن تقتل قال الاعشى قالت قتيلة ماله قد جللت شيبا شواته قال ابو عبيدة انشدها ابو الخطاب ابا عمرو بن العلا فقال صحفت انما هو سراته فسكت ابو الخطاب ثم قال لنا بل هو صحف انه هو شواته وشوى الفرس قوائمه لانه يقال عبل الشوى ولا يكون هذا للراس لانهم وصفوا الخيل باسالة الخدين وعتق الوجه وهو رقته والشوى رذال المال والشوى هو الشي الهين اليسير وقال ثابت البناني والحسن نزاعة للشوى اي لمكارم الوجه وجهه ابو العالية لمحاسن وجهه قتادة لمكارم خلقته واطرافه وقال الضحاك تبري اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا وقال الكسائي هي المفاصل وقال بعض الائمة هي القوائم والجلود قال امرؤ القيس

• سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا • له حجبات مشرفات على الفال •

وقال ابو صالح اطراف اليدين والرجلين قال الشاعر

• اذا نظرت عرفت الفخر منها • وعينيها ولم اعرف شواها •

يعني اطرافها وقال الحسن ايضا الشوى الهام تدعوا من ادبر وتولى عن الايمان ودعاؤها ان تقول يا كافر الي يا منافق الي فتلتقطهم كما يلتقط الطير الحب وقال ثعلب تدعوا اي تهلك تقول العرب دعاك الله اي اهلكك وقال الخليل انه ليس كالدعا تعالوا ولكن دعوتها اياهم تمكنها من تعذيبهم وقيل الداعي خزنة جهنم اضيف دعاؤهم اليها

وقيل

وقيل هو ضرب مثل اي ان مصير من ادبر وتولى اليها فكانها الداعية لهم ومثله قول الشاعر

• ولقد هبطنا الوادين فواديا • يدعو الانيس به الغضيض الابكم •

الغضيض الابكم الذباب وهو لا يدعو وانما طنينه ينبه عليه فدعي اليه قلت القول الاول هو الحقيقة حسب ما تقدم بيانه باي القران والاخبار الصحيحة القشيري ودعا لظى بخلق الحياة فيها حتى تدعو وخوارق العادة غدا كثيرة وجمع فاوعى اي جمع المال فجعله في وعائه ومنع منه حق الله تعالى فكان جموعا منوعا قال الحكم كان عبد الله بن عكيم لا يربط كيسه ويقول سمعت الله يقول وجمع فاوعى قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا يعني الكافر عن الضحاك والهلع في اللغة اشد الحرص واسوأ الجزع وافحشه وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما وقد هلع بالكسر فهو هلع وهلوع على التكثير والمعنى انه لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي عكرمة هو الضجور الضحاك هو الذي لا يشبع والمنوع هو الذي اذا اصاب المال منع منه حق الله تعالى وقال ابن كيسان خلق الله الانسان يحب ما يسره ويرضيه ويهرب مما يكرهه ويسخطه ثم تعبده الله بانفاق ما يحب والصبر على ما يكره وقال ابو عبيدة الهلوع الذي اذا مسه الخير لم يشكر واذا مسه الضر لم يصبر وقال ثعلب ايضا قد فسر الله الهلوع هو الذي اذا مسه الشر اظهر شدة الجزع واذا ناله الخير بخل به ومنعه الناس وقال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطي العبد شح هالع وجبن خالع والعرب تقول ناقة هلواع وهلواعة اذا كانت سريعة السير خفيفة قال شكاء ذعلبة اذا استدبرتها حرج اذا استقبلتها هلواع وجزوعا ومنوعا نعتان لهلوعا على انه ينوي بهما التقديم قبل اذا وقيل خبر كان مضمر قوله تعالى الا المصلين دل بهذا على ان ما قبله في الكفار فالانسان اسم جنس بدليل الاستثناء الذي يعقبه كقوله ان الانسان لفي خسر الا الذين امنوا قال النخعي المراد بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة ابن مسعود هم الذين يصلونها لوقتها فاما تركها فكفر وقيل هم الصحابة وقيل هم المؤمنون عامة فانهم يغلبون فرط الجزع بثقتهم بربهم ويقينهم الذين هم على صلاتهم دائمون اي على مواقيتها وقال عقبة بن عامر هم الذين اذا صلوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا والدائم الساكن وقال ابن جريج والحسن هم الذين يكثرون فعل التطوع منها والذين في اموالهم حق معلوم يريد الزكاة المفروضة قاله قتادة وابن سيرين وقال مجاهد سوى الزكاة وقال علي بن ابي طلحة عن ابن عباس صلة رحم وحمل كل والاول اصح لانه وصف الحق بانه معلوم وسوى الزكاة ليس بمعلوم انما هو على قدر الحاجة وذلك يقل ويكثر للسائل والمحروم تقدم في والذاريات والذين يصدقون بيوم الدين اي بيوم الجزاء وهو يوم القيامة وقد مضى في الفاتحة القول فيه والذين هم من عذاب ربهم مشفقون اي خائفون ان عذاب ربهم غير مأمون قال ابن عباس لمن اشرك وكذب انبياءه وقيل لا يأمنه احد بل الواجب على كل احد ان يخافه ويشفق منه والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون تقدم القول فيه في قد افلح المؤمنون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون تقدم ايضا والذين هم بشهاداتهم قائمون على من كانت من قريب او بعيد يقومون بها عند الحكام ولا يكتمونها ولا يغيرونها وقد مضى القول في الشهادات واحكامها في البقرة قال ابن عباس بشهاداتهم ان الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وقرئ لاماناتهم على التوحيد وهي قراءة ابن كثير وابن محيصن فالامانة جنس فيدخل فيها امانات الدين فان الشرائع امانات ائتمن الله عليها عباده ويدخل فيها امانات الناس من الودائع وقد مضى هذا كله مستوفى في النساء وقرأ عباس الدوري عن ابي عمرو ويعقوب بشهاداتهم جمعا الباقون بشهادتهم على التوحيد لانه يؤدي عن الجمع لانه مصدر قد يفرد وان اضيف الى جمع كقوله لصوت الحمير قال الفراء ويدل على انها بشهادتهم توحيدا قوله تعالى واقيموا الشهادة لله والذين هم على صلاتهم يحافظون قال قتادة على وضوئها وركوعها وسجودها وقال ابن جريج التطوع وقد مضى في المؤمنين فالدوام خلاف المحافظة فدوامهم عليها ان يحافظوا على ادائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل ومحافظتهم عليها ان يراعوا اسباغ الوضوء ومواقيتها ويقيموا اركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم والدوام يرجع

الي دمتس الصلوات والمحافظة علي احوالها اوليك في جنات مكرمون اي كرمهم الله فيها
بانواع الكرامات قوله تعالى فما للذين كفروا قبلك مهطعين قال الاخفش مسرعين
قال
بمكة اهلها فقد اراهم اليه مهطعين الى السماع
والمعنى ما بالهم مسرعون اليك يجلسون حولك ولا يعملون ما تامرهم به وقيل اي ما بالهم مسرعين
في التكذيب لك وقيل اي ما بال الذين كفروا يسرعون الى السماع منك ليعيبوك ويستهزوا بك
وقال عطيه مهطعين معرضين الكلبي ناظرين اليك تعجبا وقال قتاده عامدين والمعنى متقارب
نزلت في جمع من المنافقين المستهزيين كانوا يحضرونه عليه السلام ولا يومنون
وهو منصوب على الحال به وقوله تعالى عن اليمين وعن الشمال عزين اي عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم وشماله حلقا
وجماعات والعزين جماعات في تفرقة قاله ابو عبيده ومنه حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج
على اصحابه فراهم حلقا فقال ما لي اراكم عزين الا تصفون كما تصف الملايكة عند ربها قالوا وكيف
تصف الملايكة عند ربها قال يتمون الصفوف الاول ويتراصون في الصف خرجه مسلم وعنتره
وقال الشاعر • ترانا عنده والليل داج • علي ابوابه حلقا عزينا • وقال الراعي
• اخليفة الرحمن ان عشيرتي • امسى سراتهم عليك عزينا •
اي متفرقين وقال اخر • كان الجماجم من وقعها • خناطيف يهوين سا عزينا •
وقال اخر • فلما ان اتين على اضاخ • ضرحن حصاه اشتاتا عزينا •
وقال الكميت • ونحن وجندل باغ تركنا • كتايب جندل شتا عزينا •
وقال عنتره • وقرن قد تركت لدي ولي • عليه الطير مصطفا عزينا •
وواحد عزين عزه جمع بالواو والنون ليكون ذلك عوضا مما حذف منها واصلها عزهه فاعتلت
كما اعتلت سنه فيمن جعل اصلها سنهه وقيل اصلها عزوه من عزاه يعزوه اذا اضافه الي غيره
فكل واحد من الجماعات مضافة الي الاخري والمحذوف منها الواو وفي الصحاح والعزه الفرقة من
الناس والها عوض من الفا والجمع عزي على فعل وعزون وعزون ايضا بالضم ولم يقولوا عزاه
كما قالوا سات قال الاصمعي يقال في الدار عزون اي اصناف من الناس وعن اليمين والشمال
متعلق بمهطعين ويجوز ان يتعلق بعزين على حد قولك اخذته عن زيد ايطمع كل امري منهم ان
يدخل جنة نعيم قال المفسرون كان المشركون يجتمعون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم
يستمعون كلامه فيكذبونه ويكذبون عليه ويستهزون باصحابه ويقولون لين دخل هولا
الجنة لندخلها قبلهم ولين اعطوا منها شيا لنعطين اكثر منه فنزلت ايطمع الايه وقيل كان
المستهزون خمسة ارهط وقرا الحسن وطلحة بن مصرف والاعرج ان يدخل بفتح اليا وضم الخا
مسمى الفاعل ورواه المفضل عن عاصم الباقون ان يدخل علي الفعل المجهول كلا لا يدخلونها
ثم ابتدا فقال انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقون من نطفة ثم من علقة
ثم من مضغة كما خلق سايرجنسهم فليس لهم فضل يستوجبون به الجنة وانما يستوجب بالايمان
والعمل الصالح ورحمة الله تعالى وقيل كانوا يستهزون بفقرا المسلمين ويتكبرون عليهم فقال
انا خلقناهم مما يعلمون اي انهم يعلمون انهم مخلوقين من القذر فلا يليق بهم هذا التكبر وقال
قتاده في هذه الايه انما خلقت يا ابن ادم من قذر فاتق الله وروي ان مطرف ابن عبد
الله بن الشخير والمهلب بن ابي صفره يتبختر في مطرف خز فقال له يا عبد الله ما هذه
المشيه التي يبغضها الله فقال له اتعرفني قال نعم اولك نطفة مذره واخرك جيفة قذره
وانت مع ذلك تحمل العذره فمضى المهلب وترك مشيته وقال محمود الوراق •
• عجبت من معجب بصورته • وكان في الاصل نطفة مذره •
• وهو غدا بعد حسن صورته • يصير في اللحد جيفة قذره •
وقال اخر • وهو على تيهه ونخوته • ما بين جنبيه يحمل العذره •
• هل في ابن ادم غير الراس مكرمة • وهو بخمس من الاوساخ مضروب •
• انف يسيل واذن ريحها نتن • والعين مرمصة والثغر ملعوب •
• يا ابن التراب وماكول التراب غدا • تصبر فانك ماكول ومشروب •
وقيل معناه من اجل ما يعلمون وهو الامر والنهي والثواب والعقاب كقول الشاعر الاعشى

اي ما بالهم حين عندك عادين اعناقهم مدمنين النظر اليك وذلك من نظر العدو

لان

لان نعت من ال ليلي انكاراه وسطت على فتراك تراراه اي من اجل ليلي قوله تعالى فلا
اقسم اي اقسم واصله بارب المشارق والمغارب هي مشارق الارض ومغاربها وقد مضى الكلام
فيها وقرا ابو حيوه وابن محيصن وحميد رب المشرق والمغرب علي التوحيد انا لقادرون علي ان نبدل
خيرا منهم يقول نقدر على اهلاكهم والذهاب بهم والمجي بخير منهم في الفضل والطوع والمال وما نحن
بمسبوقين اي لا يفوتنا شي ولا يعجزنا امر نريده قوله تعالى فذرهم يخوضوا ويلعبوا اي اتركهم
يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم على جهة الوعيد واشتغل انت بما امرت به ولا يعظمن عليك
شركهم فان لهم يوما يلقون فيه ما وعدوا وقرا ابن محيصن ومجاهد وحميد حتى يلقوا يومهم وهذه
الايه منسوخة باية السيف قوله تعالى يوم يخرجون من الاجداث سراعا يوم بدل من يومهم
الذي قبله وقراة العامه بفتح اليا وضم الرا على انه مسمى الفاعل وقرا السلمي والمغيرة والاعشى
عن عاصم يخرجون بضم اليا وفتح الرا على الفعل المجهول والاجداث القبور واحدها جدث وقد
مضى في يس سراعا حين يسمعون الصيحة الاخرة الي اجابة الداعي وهو نصب على الحال كانهم الي
نصب يوفضون وقراة العامه بفتح النون وجزم الصاد وقرا ابن عامر وحفص بضم النون والصاد
وقرا عمرو بن ميمون وابو رجا وغيرهما بضم النون واسكان الصاد والنصب والنصب لغتان مثل
الضعف والضعف الجوهري والنصب ما نصب فعبد من دون الله وكذلك النصب بالضم وقد يحرك
قال الاعشى • وذا النصب المنصوب لا تنسكنه • والله ربك فاعبدا •
اراد فاعبدن فوقف بالالف كما تقول رايت زيدا والجمع الانصاب وقوله وذا النصب يعني اياك
وذا النصب والنصب الشدة والبلا ومنه قوله تعالى مسني الشيطان بنصب وعذاب وقال
الاخفش والفرا النصب جمع النصب رهن ورهن والانصاب جمع النصب فهو جمع الجمع وقيل
النصب والانصاب واحد وقيل النصب جمع نصاب وهو حجر او صنم يذبح عليه ومنه قوله
تعالى وما ذبح على النصب وقد قيل نصب ونصب ونصب معنى واحد كما قيل عمر وعمر وعمر
ذكره النحاس قال ابن عباس الى نصب الى غاية وهي التي تنتصب اليها بصرك وقال الكلبي الي
شي منصوب علم او راية وقال الحسن كانوا يبتدرون اذا طلعت الشمس الي نصبهم التي
كانوا يعبدونها من دون الله لا يلوي اولهم على اخرهم يوفضون يسرعون والايفاض الاسراع
قال الشاعر • فوارس ذبيان تحت الحديد • كالجن يوفضن من عبقري •
موضع تزعم العرب انه من ارض الجن قال لبيد • كهول وشبان كجنة عبقر •
وقال الليث وفضت الابل تفض وفضا واوفضها صاحبها فالايفاض متعد والذي في الاية لازم
يقال وفض واستوفض وأوفض بمعنى اسرع قوله تعالى خاشعة ابصارهم اي ذليلة خاضعة
لا يرفعونها لما يتوقعون من عذاب الله ترهقهم ذلة اي يغشاهم الهوان والعذاب قال
قتاده هو سواد الوجه والرهق الغشيان ومنه غلام مراهق اذا غشي الاحتلام رهقه
بالكسر يرهقه رهقا اي غشيه ومنه قوله تعالى ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة ذلك اليوم
الذي كانوا يوعدون اي يوعدونه في الدنيا ان لهم فيه العذاب واخرج بلفظ الماضي لان ما وعد الله
به يكون لا محالة

سورة نوح عليه السلام وهي سبع وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا ارسلنا نوحا الي قومه قد مضى القول في نوح عليه السلام اول رسول
ارسل في الاعراف ورواه قتاده عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اول نبي
ارسل نوح وارسل الي جميع اهل الارض فلذلك لما كفروا اغرق الله اهل الارض وهو نوح بن
لامك بن متوشلخ ابن خنوخ وهو ادريس ابن مرد ابن مهلايل ابن انوش بن قينان بن
شيث بن ادم عليه السلام وكلهم مومنون ارسل الي قومه وهو ابن خمسين سنه وقال
ابن عباس ابن اربعين سنه وقال عبد الله بن شداد بعث رسولا وهو ابن ثلاث وخمسين
سنه وقد مضى في العنكبوت القول فيه والحمد لله ان انذر قومك اي بان انذر قومك
موضع ان نصب باسقاط الخافض وقيل موضعها جر لقوة خدمتها مع ان ويكون ان بمعنى

لمعنى المفسر فلا يكون لها موضع من الاعراب لان في الارسال معنى الامر فلا حاجة الى
اضمار البا وقراة عبد الله انذر قومك بغير ان بمعنى قلنا له انذر قومك وقد تقدم معنى
الانذار في اول البقرة من قبل ان ياتيهم عذاب اليم قال ابن عباس يعني عذاب النار
في الاخرة وقال الكلبي هو ما نزل عليهم من الطوفان وقيل اي انذرهم العذاب على الجملة ان
لم يومنوا فكان يدعو قومه وينذرهم فلا يرى منهم مجيبا كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
فيقول رب اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وقد مضى هذا مستوفى في سورة العنكبوت
والحمد لله قوله تعالى قال يا قوم اني لكم نذير مبين اي مخوف مبين اي مظهر لكم بلسانكم
الذي تعرفونه ان اعبدوا الله واتقوه وان المفسرة على ما تقدم في ان انذر اعبدوا اي
وحدوا واتقوا خافوا واطيعون اي فيما امركم به فاني رسول الله اليكم يغفر لكم من ذنوبكم
جزم بيغفر بجواب الامر ومن صلة زائدة ومعنى الكلام يغفر لكم ذنوبكم قاله السدي وقيل
لا يصح كونها زائدة لان من لا تزاد في الواجب وانما هي هنا للتبعيض وهو بعض الذنوب
وهو ما لا يتعلق بحقوق المخلوقين وقيل هي لبيان الجنس وفيه بعد اذ لم يتقدم جنس يليق
به وقال زيد بن اسلم المعنى يخرجكم من ذنوبكم ابن شجرة المعنى يغفر لكم من ذنوبكم
ما استغفرتموه منها ويوخركم الى اجل مسمى قال ابن عباس اي ينسئ في اعماركم ومعناه ان الله
تعالى كان قضى قبل خلقهم انهم ان امنوا بارك في اعمارهم وان لم يومنوا عوجلوا بالعذاب
وقال مقاتل يوخركم الى منتهى اجالكم في عافية فلا يعاقبكم بالقحط وغيره فالمعنى على هذا
يوخركم من العقوبات والشدائد الى اجالكم وقال الزجاج اي يوخركم عن العذاب فتموتوا
غير موتة المستاصلين بالعذاب وعلى هذا قيل اجل مسمى عندكم تعرفونه لا يميتكم غرقا ولا حرقا
ولا قتلا ذكره الفرا وعلى القول الاول اجل مسمى عند الله ان اجل الله اذا جا لا يوخر اي
اذا جا الموت لا يوخر بعذاب كان او بغير عذاب واضاف الاجل اليه سبحانه لانه الذي اثبته
وقد يضاف الى القوم كقوله فاذا جا اجلهم لانه مضروب لهم ولو بمعنى ان اي ان كنتم تعلمون
قال الحسن معناه لو كنتم تعلمون لعلمتم ان اجل الله اذا جا لا يوخر قوله تعالى
قال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا اي سرا وجهرا وقيل اي واصلت الدعا فلم يزدهم دعاي
الا فرارا اي تباعدا من الايمان وقراة العامة بفتح اليا من دعاي واسكنها الكوفيون ويعقوب
والدوري عن ابي عمرو قوله تعالى واني كلما دعوتهم اي الى سبب المغفرة وهي الايمان
بك والطاعة لك جعلوا اصابعهم في اذانهم لئلا يسمعوا دعاي واستغشوا ثيابهم اي غطوا
بها وجوههم لئلا يروه وقال ابن عباس جعلوا ثيابهم على روسهم لئلا يسمعوا
كلامه فاستغشا الثياب اذا زيادة في سد الاذان حتى لا يسمعوا او لتنكيرهم انفسهم حتى يسكت
او ليعرفوه اعراضهم عنه وقيل هو كناية عن العداوة يقال لبس فلان ثياب العداوة
واصروا اي على الكفر فلم يتوبوا واستكبروا عن قبول الحق لانهم قالوا انومن لك واتبعك
الارذلون استكبارا تفخيم قوله تعالى ثم اني دعوتهم جهارا اي مظهرا لهم الدعوة وهو منصوب
بدعوتهم نصب المصدر لان الدعا احد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصا بقعد لكونها
احد انواع القعود او لانه اراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز ان يكون صفة لمصدر دعا اي دعا
دعا جهارا اي مجاهرا ويكون مصدرا في موضع الحال اي دعوتهم مجاهرا لهم بالدعوة ثم اني
اعلنت لهم واسررت لهم اسرارا اي لم ابق مجهودا وقال مجاهد معنى اعلنت صحت واسررت
لهم اسرارا بالدعا عن بعضهم من بعض وقيل اسررت لهم اتيتهم في منازلهم وكل هذا من
نوح مبالغة في الدعا وتلطف في الاستدعا وفتح اليا من اني اعلنت الحرميون وابو
عمرو واسكن الباقون قوله تعالى فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله استغفروا ربكم اي سلوه المغفرة من ذنوبكم السالفة باخلاص الايمان
انه كان غفارا وهذا منه ترغيب في التوبة وقد روى حذيفة بن اليمان عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال الاستغفار ممحاة للذنوب وقال الفضيل يقول العبد
استغفر الله وتفسيرها اقلني الثانية قوله تعالى يرسل السما عليكم مدرارا اي
يرسل ما السما ففيه اضمار وقيل السما المطر اي يرسل المطر قال الشاعر

اذا

اذا سقط السما بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا

ومدرارا ذا غيث كثير وجزم يرسل جوابا للامر وقال مقاتل لما كذبوا نوحا زمانا طويلا
حبس الله عليهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فهلكت مواشيهم وزروعهم
فصاروا الى نوح واستغاثوا به فقال استغفروا ربكم انه كان غفارا اي لم يزل كذلك
لمن اناب اليه ثم قال ترغيبا في الايمان يرسل السما عليكم مدرارا ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا قال قتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم
انهم اهل حرص على الدنيا فقال هلموا الى طاعة الله فان في طاعة الله درك الدنيا
والاخرة الثانية في هذه الاية والتي في هود دليل على ان الاستغفار يستنزل به
الرزق والامطار قال الشعبي رضي الله عنه خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستسقي
فلم يزد على الاستغفار حتى رجع فامطروا فقالوا ما رايناك استسقيت فقال لقد طلبت
المطر بمجاديح السما التي يستنزل بها المطر ثم قرا استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السما
عليكم مدرارا وقال الاوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد
الله واثنى عليه ثم قال اللهم انا سمعناك تقول ما على المحسنين من سبيل وقد اقررنا بالاسا
فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا ايديهم
فسقوا وقال ابن صبيح شكى رجل الى الحسن الجدوبة فقال له استغفر الله وشكى اخر اليه
الفقر فقال له استغفر الله وقال له اخر ادع الله ان يرزقني ولدا فقال له استغفر الله
وشكى اليه اخر جفاف بساتينه فقال له استغفر الله فقلنا له في ذلك فقال ما قلت من عندي
شيا ان الله تعالى يقول في سورة نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا الاية وقد مضى
في ال عمران كيفية الاستغفار وان ذلك يكون عن اخلاص واقلاع من الذنوب وهو
الاصل في الاجابة قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم اطوارا قيل الرجا
هنا بمعنى الخوف اي ما لكم لا تخافون لله عظمة وقدرته على احدكم بالعقوبة اي عذر لكم
في ترك الخوف من الله وقال سعيد بن جبير وابو العالية وعطا بن ابي رباح ما لكم لا ترجون
لله ثوابا ما لكم لا تعظمون لله عظمة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد ما لكم لا ترون لله عظمة
وعن مجاهد والضحاك ما لكم لا تبالون لله عظمة قال قطرب هذه لغة حجازية وهذيل وخزاعة
ومضر يقولون لم ارج لم ابال والوقار العظمة والتوقير التعظيم ومنه وتوقروه وقال ابن زيد
ما لكم لا تودون لله طاعة وقال الحسن ما لكم لا تعرفون لله حقا ولا تشكرون له نعمة
وقيل ما لكم لا توحدون الله لان من عظمه فقد وحده وقيل ان الوقار الثبات لله عز وجل
ومنه وقرن في بيوتكن اي اثبتن ومعناه ما لكم لا تثبتون وحدانية الله تعالى وانه الهكم
لا اله لكم سواه قاله ابن بحر ثم دلهم على ذلك فقال وقد خلقكم اطوارا اي جعل لكم في انفسكم
اية تدل على توحيده قال ابن عباس اطوارا يعني نطفة ثم علقة ثم مضغة اي طورا بعد
طور الى تمام الخلق كما ذكر في سورة المومنين والنطفة المرة اي من فعل هذا وقدر عليه
فهو احق ان تعظموه وقيل اطوارا صبيانا ثم شبانا ثم شيوخا وضعفا ثم اقويا وقيل
اطوارا اي انواعا صحيحا وسقيما وبصيرا وضريرا وغنيا وفقيرا وقيل ان الاطوار اختلافهم
في الاخلاق والافعال قوله تعالى الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ذكر لهم
دليلا اخر اي الم تعلموا ان الذي قدر على هذا فهو الذي يجب ان يعبد ومعنى طباقا بعضها
فوق بعض كل سما مطبقة على الاخرى كالقباب قاله ابن عباس والسدي وقال
الحسن خلق الله سبع سماوات طباقا على سبع ارضين بين كل ارض وسما وخلق
وامر وقوله الم تروا على جهة الاخبار لا المعاينة كما تقول الم ترني كيف صنعت بفلان كذا
وطباقا نصب على انه مصدر اي طابقهن طباقا او حال بمعنى ذات طباق فحذف ذات واقام
طباقا مقامه وجعل القمر فيهن نورا اي في سما الدنيا كما يقال اتاني بنو تميم واتيت
بني تميم والمراد بعضهم قاله الاخفش وقال ابن كيسان اذا كان في احداهن فهو فيهن
وقال قطرب فيهن بمعنى معهن وقاله الكلبي اي خلق القمر والشمس مع خلق السموات
والارض وقال جلة اهل اللغة في قول امرئ القيس

⁘ وهل يخبرن من كان اخر عهده ⁘ ثلاثين شهرا في ثلاث احوال ⁘
في بعض نسخ النحاس وسألت ابا الحسن بن كيسان عن هذه الاية فقال جواب النحويين
انه اذا اجمله في احداهن فقد جعله فيهن كما تقول اعطيني الثياب المعلمة وان كنت انما
اعلمت احدها وجواب اخر انه يروي ان وجه القمر الى داخل السما واذا كان الى داخلها فهو
متصل بالسموات ومعنى نورا اي لاهل الارض قاله السدي وقال عطا نورا لاهل السموات
والارض وقال ابن عباس وابن عمر وجهه يضي لاهل الارض وظهره يضي لاهل السما وجعل
الشمس سراجا يعني مصباحا لاهل الارض ليتوصلوا الى التصرف الى معايشهم وفي اضايتها لاهل
السما القولان الاولان حكاه الماوردي وحكى القشيري عن ابن عباس ان الشمس وجهها في
السموات وقفاها في الارض وقيل على العكس وقيل لعبد الله بن عمر ما بال الشمس تقلينا
احيانا وتبرد علينا احيانا فقال اما في الصيف ففي السما الرابعة وفي الشتا في السما السابعة
عند عرش الرحمن ولو كانت في السما الدنيا لما قام لها شي قوله تعالى والله انبتكم من
الارض نباتا يعني ادم عليه السلام خلقه من اديم الارض كلها قاله ابن جريج وقد مضى في البقرة
والانعام بيان ذلك وقال خالد بن معدان خلق الانسان من طين فانما تلين القلوب
في الشتا ونباتا مصدر لان مصدر انبت انباتا فجعل الذي هو النبات في موضع المصدر
وقد مضى بيانه في ال عمران وغيرها وقيل هو مصدر محمول على المعنى لان معنى انبتكم جعلكم
تنبتون نباتا قاله الخليل والزجاج وقيل اي انبت لكم من الارض النبات فنباتا على هذا
نصب على المفعول الصريح والاول اظهر قال ابن بحر انبتكم في الارض بالكبر بعد الصغر
وبالطول بعد القصر ثم يعيدكم فيها اي عند موتكم بالدفن ويخرجكم اخراجا بالنشور
للبعث يوم القيامة قوله تعالى والله جعل لكم الارض بساطا اي مبسوطة لتسلكوا منها
سبلا فجاجا السبل الطرق والفجاج جمع فج وهو الطريق الواسعة قاله الفرا وقيل الفج
المسلك بين الجبلين وقد مضى في الانبيا والحج قوله تعالى قال نوح رب انهم عصوني
شكاهم الى الله تعالى وانهم عصوه ولم يتبعوه فيما امرهم به من الايمان قال اهل التفسير
لبث فيهم ما اخبر الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما داعيا لهم وهم على كفرهم وعصيانهم قال
ابن عباس ورجا نوح عليه السلام الابنا بعد الابا فياتي منهم الولد بعد الولد حتى بلغوا
سبع قرون ثم دعا عليهم بعد الاياس منهم وعاش بعد الطوفان ستين عاما حتى كثر
الناس وفشوا قال الحسن كان قوم نوح يزرعون في الشهر مرتين حكاه الماوردي
واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا يعني كبراهم واغنياهم الذين لم يزدهم كفرهم
واموالهم واولادهم الا ضلالا في الدنيا وهلاكا في الاخرة وقرا اهل المدينة والشام
وعاصم وولده بفتح الواو واللام والباقون وولده بضم الواو وسكون اللام وهي لغة في
الولد ويجوز ان يكون جمعا للولد كالفلك فانه واحد وجمع وقد تقدم قوله تعالى
ومكروا مكرا كبارا اي كبيرا عظيما يقال كبير وكبار وكبار مثل عجيب وعجاب وعجاب بمعنى
ومثله طويل وطوال وطوال ويقال رجل حسن وحسان وجميل وجمال وقرا القرا
وصي للوصي والمفرد ⁘ بيضا تصطاد القلوب وتستبي ⁘ بالحسن قلب المسلم القرا ⁘
وقال اخر ⁘ والان يلحقه بنشيان العدي ⁘ خلق الكريم وليس بالوضاء ⁘
مجاهد كبارا بالتخفيف واختلف في مكرهم ما هو فقيل هو تحريشهم سفلتهم على
قتل نوح وقيل هو تعزيرهم الناس بما اوتوا من الدنيا والولد حتى قالت الضعفة
لولا انهم على الحق لما اوتوا هذه النعم وقال الكلبي هو ما جعلوه لله من الصاحبة والولد
وقيل مكرهم كفرهم وقال مقاتل هو قول كبرايهم لاتباعهم لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا
ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قوله تعالى وقالوا لا تذرن الهتكم الاية قال
ابن عباس وغيره هي اجسام للمبالغة وقرى ابن محيصن وحميد وصور كان قوم نوح يعبدونها
ثم عبدتها العرب وهذا قول الجمهور وقيل انها للعرب لم يعبدها غيرهم وكانت اكبر اصنامهم
واعظمها عندهم فلذلك خصوها بالذكر بعد قوله لا تذرن الهتكم ويكون معنى الكلام
كما قال قوم نوح لاتباعهم لا تذرن الهتكم قالت العرب لاولادهم وقومهم لا تذرن ودا ولا

سواعا

سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا ثم عاد بالذكر بعد ذلك الى قوم نوح وعلى القول الاول
الكلام منسوق كله في قوم نوح وقال عروة بن الزبير وغيره اشتكى ادم عليه السلام وعنده
بنوه ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكان ود اكبرهم وابرهم به قال محمد بن كعب كان
لادم خمس بنين ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر وكانوا عبادا فمات رجل منهم فحزنوا عليه
فقال الشيطان انا اصور لكم مثله اذا نظرتم اليه ذكرتموه قالوا افعل فصوره في المسجد
من صفر ورصاص ثم مات اخر فصوره حتى ماتوا كلهم فصورهم وتنقصت الاشيا كما تنتقص
اليوم الى ان تركوا عبادة الله بعد حين فقال لهم الشيطان ما لكم لا تعبدون شيا قالوا وما
نعبد قال الهتكم والهة ابايكم الا ترونها في مصلاكم فعبدوها من دون الله حتى بعث
الله نوحا فقالوا لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الاية قال محمد بن كعب ايضا
ومحمد بن قيس بل كانوا قوما صالحين بين ادم ونوح وكان لهم تبع يقتدون بهم فلما ماتوا
زين لهم الشيطان ابليس لعنه الله واجارنا منه ان يصوروا صورهم ليتذكروا بها اجتهادهم
وليتسلوا بالنظر اليها فصوروهم فلما ماتوا هم وجا اخرون قالوا ليت شعري هذه الصور
ما كان اباونا يصنعون بها فجاهم الشيطان فقال كان اباوكم يعبدونها فترحمهم وتسقيهم المطر
فعبدوها فابتدي عبادة الاوثان من ذلك الوقت قلت وبهذا المعنى فسرها ما جا في صحيح مسلم
من حديث عايشة ان ام حبيبة وام سلمة ذكرتا كنيسة رايتاها بالحبشة تسمى مارية فيها تصاوير
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اوليك اذا كان فيهم الرجل
الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اوليك شرار الخلق عند الله يوم
القيامة وذكر الثعلبي عن ابن عباس قال هذه الاصنام اسما رجال صالحين من قوم نوح
فلما هلكوا اوحى الشيطان الى قومهم ان انصبوا في مجالسهم التي يجلسون فيها انصابا
وسموها باسمايهم يذكرونهم بها ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك اوليك ونسخ العلم عبدت من
دون الله وذكر ايضا عن ابن عباس ان نوحا عليه السلام كان يحرس جسد ادم على جبل
بالهند فيمنع الكافرين ان يطوفوا بقبره فقال لهم الشيطان ان هولا يفخرون عليكم ويزعمون
انهم بنو ادم دونكم وانما هو جسد وانا اصور لكم مثله تطوفون به فصور لهم هذه الاصنام
الخمسة وحملهم على عبادتها فلما كان ايام الطوفان دفنها الطين والتراب والما فلم تزل مدفونة
حتى اخرجها الشيطان لمشركي العرب قال الماوردي فاما ود فهو اول صنم معبود سمي ودا
لودهم وكان بعد قوم نوح لكلب بدومة الجندل في قول ابن عباس وعطا ومقاتل وفيه يقول
شاعرهم ⁘ حياك ود فانا لا يحل لنا ⁘ لهو النسا وان الدين قد عزما ⁘
واما سواع فكان لهذيل بساحل البحر في قولهم واما يغوث فكان لغطيف من مراد
بالجرف من سبا في قول قتادة وقال المهدوي لمراد ثم لغطفان الثعلبي واخذت اعلى
وانعم وهما من طي واهل جرش من مذحج يغوث فذهبوا به الى مراد فعبدوه زمانا ثم
ان بني ناجية ارادوا نزعه من انعم ففروا به الى الحصين اخي بني الحارث بن كعب من خزاعة
وقال ابو عثمان النهدي رايت يغوث وكان من رصاص وكانوا يحملونه على جمل اجرد
ويسيرون معه لا يهيجونه حتى يكون هو الذي يبرك فاذا برك نزلوا وقالوا قد رضي
لكم المنزل فيضربون عليه بنا وينزلون حوله واما يعوق فكان لهمدان في قول
قتادة وعكرمة وعطا ذكره الماوردي وقال الثعلبي واما يعوق فكان لكهلان بن
سبا ثم توارثه بنوه الاكبر فالاكبر حتى صار في همدان وفيه يقول مالك بن نمط الهمداني ⁘ يريش
الله في الدنيا ويبري ⁘ ولا يبري يعوق ولا يريش ⁘ واما نسر فكان لذي الكلاع من حمير
في قول قتادة ونحوه عن مقاتل وقال الواقدي كان ود على صورة رجل وسواع
على صورة امراة ويغوث على صورة اسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر
من الطير والله اعلم وقرا نافع ولا تذرن ودا بضم الواو وفتحها الباقون ودا بفتح الواو
صنم كان لقوم نوح وود بالضم صنم لقريش وبه سمي عمرو بن ود وفي الصحاح والود بالفتح
الوتد في لغة اهل نجد كانهم سكنوا التا وادغموها في الدال والود في قول
امري القيس ⁘ تظهر الود اذا ما اشجذت ⁘ وتواريه اذا ما تعتكر ⁘

قال ابن دريد وهو اسم جبل بالهند وود صنم كان لقوم نوح عليه السلام ثم صار لكلب
وكان بدومة الجندل ومنه سمي عبد ود وقال لا تذرن آلهتكم ثم قال ولا تذرن ودا
ولا سواعا الآية خصها بالذكر كقوله وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
وقد أضلوا كثيرا هذا من قول نوح أي أضل كبراؤهم كثيرا من أتباعهم فهو عطف على قوله
ومكروا مكرا كبارا وقيل إن الأصنام أضلوا كثيرا أي ضل بسببها ونظيره قول إبراهيم عليه
السلام رب إنهن أضللن كثيرا من الناس فأجرى عليهم وصف ما يعقل لاعتقاد الكافر
فيهم ذلك ولا تزد الظالمين إلا ضلالا أي عذابا قاله ابن بحر واستشهد بقوله تعالى
إن المجرمين في ضلال وسعر وقيل إلا خسرانا وقيل إلا فتنة بالمال والولد وهو
محتمل قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فأدخلوا ما صلة مؤكدة والمعنى من خطاياهم وقال
المعنى من أجل خطاياهم فأدت ما هذا المعنى قال وما يدل على المجازاة وقرأ أبو عمرو
خطاياهم على جمع التكسير الواحدة خطيئة وكان الأصل في الجمع خطائي على مثال فعائل فلما
اجتمعت الهمزتان قلبت الثانية لأن قبلها كسرة ثم استثقلت والجمع فعائل وهو معتل
مع ذلك فقلبت الياء قلبت الهمزة الأولى ياء لخفائها بين الألفين الباقون خطيئاتهم
على جمع السلامة قال أبو عمرو قوم كفروا ألف سنة فلم يكن لهم إلا خطيئات يريد أن
الخطايا أكثر من الخطيئات وقال قوم خطايا وخطيئات واحد جمعان مستعملان في
القلة والكثرة واستدلوا بقوله تعالى ما نفدت كلمات الله وقال الشاعر

• لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى • وأسيافنا يقطرن من نجدة دما •

وقرئ خطياتهم وخطيأتهم فقلبت الهمزة ياء وأدغمها وعن الجحدري وعمرو بن عبيد
والأعمش وأبو حياة وأشهب العقيلي خطيئتهم على التوحيد والمراد الشرك فأدخلوا
نارا أي بعد إغراقهم قال القشيري وهذا يدل على عذاب القبر ومنكروه يقولون صاروا
مستحقين دخول النار أو عرض عليهم أماكنهم من النار كما قال النار يعرضون عليها غدوا
وعشيا وقيل أشاروا إلى ما في الخبر من قولهم البحر نار في نار وروى أبو روق عن
الضحاك في قوله أغرقوا فأدخلوا نارا قال يعني عذبوا بالنار في الدنيا مع الغرق
في الدنيا في حالة واحدة كانوا يغرقون في جانب ويحرقون في الماء من جانب ذكره القشيري
أنشدنا أبو القاسم الحسين قال أنشدنا أبو ربيعة أحمد بن محمد بن ربيع أنشدنا أبو بكر
الأنباري

• الخلق مجتمع طورا ومفترق • والحادثات فنون ذات أطوار •
• لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت • فالله يجمع بين الماء والنار •

فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا أي من يدفع عنهم العذاب قوله تعالى وقال
نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا فيه أربع مسائل الأولى دعا عليهم
حين يئس من اتباعهم إياه وقال قتادة دعا عليهم بعد أن أوحى الله إليه أنه لن
يؤمن من قومك إلا من قد آمن فأجاب الله دعوته وأغرق أمته وهذا كقول النبي
صلى الله عليه وسلم اللهم منزل الكتاب وهازم الأحزاب اهزمهم وزلزلهم وقيل سبب
دعائه أن رجلا من قومه حمل ولدا صغيرا على كتفه فمر بنوح فقال احذر هذا فإنه
يضلك فقال يا أبت أنزلني فأنزله فرماه فشجه فحينئذ غضب ودعا عليهم وقال
محمد بن كعب ومقاتل والربيع وعطية وابن زيد إنما قال هذا حين أخرج الله كل مؤمن
من أصلابهم وأرحام نسائهم وأعقم أرحام النساء وأصلاب الرجال سبعين سنة وقيل
بأربعين قبل العذاب قال قتادة ولم يكن فيهم صبي وقت العذاب وقال الحسن وأبو
العالية لو أهلك الله أطفالهم معهم كان عذابا من الله لهم وعدلا فيهم ولكن الله أهلك
أطفالهم وذريتهم بغير عذاب ثم أهلكهم بالعذاب بدليل قوله وقوم نوح لما كذبوا الرسل
الثانية قال ابن العربي دعا نوح على الكافرين أجمعين ودعا النبي صلى الله عليه وسلم
على من تحزب على المؤمنين وألب عليهم وكان هذا أصلا في الدعاء على الكافرين في الجملة
فأما كافر معين لم تعلم خاتمته فلا يدعى عليه لأن ماله عندنا مجهول وربما كان عند الله
معلوم الخاتمة بالسعادة وقد مضى هذا في البقرة والحمد لله الثالثة وإنما خص النبي صلى الله عليه وسلم

عبده

عتبة وشيبة وأصحابه لعلمه بمآلهم وما كشف لهم من الغطاء عن حالهم والله أعلم قلت
قد مضت هذه المسألة مجودة في البقرة والحمد لله الرابعة قال ابن العربي إن قيل لم
جعل نوح دعوته على قومه سببا لتوقفه عن طلب الشفاعة للخلق من الله في الآخرة
قلنا قال الناس في ذلك وجهين أحدهما أن تلك الدعوة نشأت عن غضب وقسوة والشفاعة
تكون عن رضى ورقة فخاف أن يعاتب بها ويقال دعوت على الكفار بالأمس وتشفع لهم
اليوم الثاني أنه دعا غضبا بغير نص ولا إذن صريح في ذلك فخاف الدرك فيه إلى يوم القيامة
كما قال موسى إني قتلت نفسا لم أومر بقتلها قال وبهذا أقول قلت وإن كان لم يؤمر
بالدعاء نصا فقد قيل له إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فأعلم عواقبهم فدعا عليهم بالهلاك
كما دعى نبينا صلى الله عليه وسلم على عتبة وشيبة ونظرائهم فقال اللهم عليك بهم لما أعلم
عواقبهم وعلى هذا يكون فيه معنى الأمر بالدعاء والله أعلم الخامسة قوله ديارا أي من يسكن
الديار قاله السدي وأصله ديوار على فيعال من دار يدور فقلبت الواو ياء وأدغمت
إحداهما في الأخرى مثل القيام وأصله قيوام ولو كان فعالا لكان دوارا وقال القتبي
أصله من الدار أي نازل بالدار يقال ما بالدار ديار أي أحد وقيل الديار صاحب الدار
قوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي دعا لنفسه ولوالديه وكانا مؤمنين وهو لامك بن متوشلخ
وشمخا بنت أنوش ذكره القشيري والثعلبي وحكى الماوردي في اسم أمه منجل وقال سعيد
ابن جبير أراد بوالديه أباه وجده وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي بكسر الدال على الواحد قال
الكلبي كان بينه وبين آدم عشرة آباء كلهم مؤمن وقال ابن عباس لم يكفر لنوح والد فيما بينه
وبين آدم عليهما السلام ومن دخل بيتي مؤمنا أي مسجدي ومصلاي مصدقا بالله وكان
إنما يدخل بيوت الأنبياء من آمن منهم فجعل المسجد سببا للدعاء بالمغفرة وقد قال النبي صلى
الله عليه وسلم الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه ما لم يحدث فيه
تقول اللهم اغفر له اللهم ارحمه والحديث قد تقدم وهذا قول ابن عباس بيتي مسجدي حكاه الثعلبي
وقاله الضحاك وعن ابن عباس أيضا يعني صديقي الداخل إلى منزلي حكاه الماوردي وقيل
أراد داري وقيل سفينتي وللمؤمنين والمؤمنات عامة إلى يوم القيامة قاله الضحاك وقال
الكلبي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قوم نوح والأول أظهر ولا تزد الظالمين أي الكافرين
فهي عامة في كل كافر ومشرك وقيل أراد مشركي قومه والتبار الهلاك وقيل الخسران حكاهما
السدي ومنه قوله تعالى إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون وقيل التبار الدمار والمعنى
واحد

سورة الجن مكية في قول الجميع وهي ثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فيه خمس مسائل الأولى قوله تعالى
قل أوحي إلي أي قل يا محمد لأمتك أوحي الله إلي على لسان جبريل أنه استمع نفر من الجن
وما كان عليه السلام عالما به قبل أن أوحي إليه هكذا قال ابن عباس وغيره على ما يأتي
وقرأ ابن أبي عبلة وحي على الأصل يقال أوحى إليه ووحى فقلبت الواو همزة ومنه وإذا الرسل
أقتت وهو من القلب المطلق جوازه في كل واو مضمومة وقد أطلقه المازني في المكسورة
أيضا كإشاح وإسادة وإعاء ونحوه الثانية واختلف هل رآهم النبي صلى الله عليه وسلم
أم لا فظاهر القرآن يدل على أنه لم يرهم لقوله استمع وقوله وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن
يستمعون القرآن وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابن عباس قال ما قرأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من أصحابه عامدين
إلى سوق عكاظ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجعت
الشياطين إلى قومهم فقالوا ما لكم قالوا حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قالوا
ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الذي حال
بيننا وبين خبر السماء فانطلقوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فمر النفر الذين أخذوا

نحو تهامة وهو بنخل عامدين الى سوق عكاظ وهو يصلي باصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا
القران استمعوا له قالوا هذا الذي حال بيننا وبين خبر السما فرجعوا الى قومهم فقالوا يا قومنا
انا سمعنا قرانا عجبا يهدي الى الرشد فامنا به ولن نشرك بربنا احدا فانزل الله عز وجل على
نبيه صلى الله عليه وسلم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن زاد الترمذي عن ابن عباس قال
قول الجن لقومهم لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا قال لما راوه يصلي واصحابه
يصلون بصلاته ويسجدون بسجوده فعجبوا من طواعية اصحابه فقالوا لقومهم لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا هذا حديث حسن صحيح وفي هذا الحديث دليل انه عليه السلام
لم ير الجن ولكن حضروه وسمعوا قراءته وفيه دليل على ان الجن كانوا مع الشياطين حين تجسسوا
الخبر بسبب الشياطين لما رموا بالشهب وكان المومنون من الجن ايضا وقيل لهم شياطين الجن
والانس فان الشيطان كل متمرد وخارج من طاعة الله وفي الترمذي عن ابن عباس قال كان
الجن يصعدون الى السما يستمعون الى الوحي فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فاما الكلمة
فتكون حقا واما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم منعوا
مقاعدهم فذكروا ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الامر الا
من امر قد حدث في الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلي
بين جبلين اراه قال بمكة فاتوه فاخبروه فقال هذا الحدث الذي حدث في الارض هذا حديث
حسن صحيح فدل هذا الحديث على ان الجن رموا كما رميت الشياطين وفي رواية السدي انهم لما
رموا اتوا ابليس فاخبروه بما كان من امرهم فقال ايتوني من كل ارض بقبضة من تراب اشمها
فاتوه فشمها فقال صاحبكم بمكة فبعث نفرا من الجن قيل كانوا سبعة وقيل تسعة منهم زوبعة
وروى عاصم عن زر بن حبيش قال قدم رهط زوبعة واصحابه على النبي صلى الله عليه وسلم فقال
الثمالي بلغني انهم من بني الشيصبان وهم اكثر الجن عددا واقواهم شوكة وهم عامة جنود ابليس
وروى ايضا عن عاصم عن زر انهم كانوا سبعة ثلاثة من اهل حران واربعة من اهل نصيبين
وحكى جويبر عن الضحاك انهم كانوا تسعة من اهل نصيبين قرية باليمن غير التي بالعراق وقيل
ان الجن الذين اتوه بمكة جن نصيبين والذين اتوه بنخلة جن نينوى وقد مضى بيان هذا
في الاحقاف قال عكرمة والسورة التي كان يقراها رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرا
باسم ربك وقد مضى في الاحقاف التعريف باسم النفر من الجن فلا معنى لاعادة ذلك
وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم راى الجن ليلة الجن وهو اثبت روى عامر الشعبي قال سالت
علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن قال ولكنا
كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه والتمسناه في الاودية والشعاب
فقلنا استطير او اغتيل قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فلما اصبح اذا هو جاء من قبل حرا
فقلنا يا رسول الله فقدناك فلم نجدك فبتنا بشر ليلة بات بها قوم فقال اتاني داعي
الجن فذهبت معه فقرات عليهم القران فانطلق بنا فارانا اثارهم واثار نيرانهم وسالوه
الزاد وكانوا من جن الجزيرة فقال لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في ايديكم اوفر ما يكون
لحما وكل بعر علف لدوابكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تستنجوا بهما فانهما طعام
اخوانكم قال ابن العربي وابن مسعود اعرف من ابن عباس لانه شاهده وابن عباس سمعه
وليس الخبر كالمعاينة وقد قيل ان الجن اتوا النبي صلى الله عليه وسلم دفعتين احدهما بمكة
هي التي ذكرها ابن مسعود والثانية بنخلة وهي التي ذكرها ابن عباس قال البيهقي
الذي حكاه عبد الله بن عباس انما هو في اول ما سمعت الجن قراءة النبي صلى الله عليه وسلم
وعلمت بحاله وفي ذلك الوقت لم يقرا عليهم القران ولم يرهم كما حكاه ثم اتاه داعي الجن مرة
اخرى فذهب معه وقرا عليهم القران كما حكاه عبد الله بن مسعود قال البيهقي والاحاديث
الصحاح تدل على ان ابن مسعود لم يكن مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن وانما كان معه
حين انطلق به وبغيره يريهم اثار الجن واثار نيرانهم قال وقد روي من غير وجه انه
كان معه ليلتئذ وقد مضى هذا المعنى في الاحقاف والحمد لله وروي عن ابن مسعود
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اتلو القران على الجن فمن يذهب معي فسكتوا ثم قال

الثانية فسكتوا ثم قال الثالثة فقال عبد الله بن مسعود انا اذهب معك يا رسول الله
فانطلق حتى جاء الحجون عند شعب ابي دب فخط علي خطا قال لا تجاوزه ثم مضى الى الحجون فانحدر
عليه امثال الحجل يحدرون الحجارة باقدامهم يمشون يقرعون في دفوفهم كما تقرع النسوة في
دفوفها حتى غشوه فلا اراه فقمت فاوما الي بيده ان اجلس فتلا القران فلم يزل صوته
يرتفع ولصقوا بالارض حتى ما اراهم فلما انفتل الي قال اردت ان تاتي قلت نعم يا رسول
الله قال ما كان ذلك لك هولا الجن اتوا يستمعون القران ثم ولوا الى قومهم منذرين فسالوني
الزاد فزودتهم العظم والبعر فلا يستطيبن احدكم بعظم ولا بعر قال عكرمة وكانوا اثني عشر الفا
من جزيرة الموصل وفي رواية انطلق بي عليه السلام حتى اذا جينا المسجد الذي عند حائط
عوف خط لي خطا فاتاه نفر منهم فقال اصحابنا كانهم رجال الزط وكان وجوههم المكاكي فقالوا
ما انت قال انا نبي الله قالوا فمن يشهد لك على ذلك قال هذه الشجرة فقال يا شجرة فجاءت
تجر عروقها لها قعاقع حتى انتصبت بين يديه فقال على ما تشهدين فقالت اشهد انك
رسول الله فرجعت كما جاءت تجر عروقها بالحجارة لها قعاقع حتى عادت كما كانت ثم روي انه
عليه السلام لما فرغ وضع راسه على حجر ابن مسعود فرقد ثم استيقظ فقال هل من
وضوء قال لا الا ان معي اداوة فيها نبيذ فقال هل هو الا تمر وما فتوضا منه الثالثة قد مضى
الكلام في الما في سورة الحجر وما يستنجى به في براءة فلا معنى للاعادة الرابعة واختلف اهل
العلم في اصل الجن فروى اسماعيل عن الحسن البصري ان الجن ولد ابليس والانس ولد ادم
عليه السلام ومن هولا وهولا مومنون وكافرون وهم شركا في الثواب والعقاب فمن كان
من هولا وهولا مومنا فهو ولي الله ومن كان من هولا وهولا كافرا فهو شيطان وروى
الضحاك عن ابن عباس ان الجن هم ولد الجان وليسوا شياطين وهم مومنون ومنهم المومن
ومنهم الكافر والشياطين هم ولد ابليس لا يموتون الا مع ابليس واختلفوا في دخول
مومني الجن الجنة على حسب الاختلاف في اصلهم فمن زعم انهم من الجان لا من ذرية ابليس
فلهم فيه قولان احدهما وهو قول الحسن يدخلونها وهي رواية مجاهد لا يدخلونها وان
صرفوا عن النار حكاه الماوردي وقد مضى في سورة الرحمن عند قوله لم يطمثهن انس قبلهم
ولا جان بيان انهم يدخلون الجنة الخامسة قال الشعبي في روايته وسالوه الزاد وكانوا من
جن الجزيرة فقال لكم كل عظم دليل على انهم ياكلون ويطعمون وقد انكر جماعة من كفرة الاطبا
والفلاسفة الجن وقالوا انهم بسائط ولا يصح طعامهم اجترا على الله وافترا عليه والقران
والسنة ترد عليهم وليس في المخلوقات بسيط مركب مزدوج انما الواحد سبحانه الواحد
وغيره مركب ليس بواحد كيف ما تصرف حاله وليس يمتنع ان يراهم النبي صلى الله عليه وسلم في
صورهم كما يرى الملائكة واكثر ما يتصورون لنا في صور الحيات ففي الموطا ان رجلا
حديث عهد بعرس استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانصاف النهار ان يرجع
الى اهله الحديث وفيه فاذا حية عظيمة منطوية على الفراش فاهوى اليها بالرمح فانتظمها
وذكر الحديث وفي الصحيح انه عليه السلام قال ان لهذه البيوت عوامر فاذا رايتم منها
شيا فحرجوا عليها ثلاثا فان ذهب والا فاقتلوه فانه كافر وقال اذهبوا فادفنوا صاحبكم
وقد مضى في البقرة بيان التحريج عليهن وقد ذهب قوم الى ان ذلك مخصوص بالمدينة
لقوله في الصحيح ان بالمدينة جنا قد اسلموا وهذا لفظ مختص بها فيختص بحكمها قلنا
هذا يدل على ان غيرها من البيوت مثلها لانه لم يعلل بحرمة المدينة فيكون ذلك الحكم
مخصوصا بها وانما علل بالاسلام وذلك عام في غيرها الا ترى قوله في الحديث مخبرا عن
الجن الذي لقي وكانوا من جن الجزيرة وهذا بين يعضده قوله ونهى عن عوامر البيوت
وهذا عام وقد مضى في البقرة القول فيه فلا معنى للاعادة قوله تعالى فقالوا
انا سمعنا قرانا عجبا اي في فصاحة كلامه وقيل عجبا في بلاغة مواعظه وقيل عجبا في
عظم بركته وقيل قرانا عزيزا لا يوجد مثله وقيل يعنون عظيما يهدي الى الرشد اي الى
مراشد الامور وقيل الى معرفة الله تعالى وهو في موضع الصفة اي هاديا فامنا به
اي فاهتدينا به وصدقنا انه من عند الله ولن نشرك بربنا احدا اي لا نرجع الى ابليس

ولا نطيعه لانه الذي كان بعثهم ليأتوه بالخبر ثم رمي الجن بالشهب وقيل لا نتخذ مع الله
الها لانه المنفرد بالربوبية وفي هذا تعجيب المؤمنين بذهاب مشركي قريش عما ادركته
الجن بتدبرها القرآن وقوله استمع نفر من الجن اي استمعوا الى النبي صلى الله عليه وسلم
فعلموا انما يقرأه كلام الله فلم يذكر المستمع اليه لدلالة الحال عليه والنفر الرهط قال الخليل
ما بين ثلاثة الى عشرة وقرأ عيسى الثقفي يهدي الى الرشد بفتح الراء والشين قوله
تعالى وانه تعالى جد ربنا كان علقمة ويحيى والاعمش وحمزة والكسائي وابن عامر
وخلف وحفص والسلمي ينصبون ان في جميع السورة في اثني عشر موضعا وهو وانه
تعالى جد ربنا وانه كان يقول وانا ظننا وانه كان رجال وانهم ظنوا وانا لمسنا وانا كنا
نقعد منها وانا لا ندري وانا منا الصالحون وانا ظننا ان لن نعجزه وانا لما سمعنا
الهدى وانا منا المسلمون عطفا على قوله انه استمع نفر وانه استمع لا يجوز فيه الا الفتح
لانها في موضع اسم فاعل اوحي وما بعده معطوف عليه وقيل هو محمول على الهاء في امنا
به اي وبانه تعالى جد ربنا وجاز ذلك وهو مضمر مجرور لكثرة حروف الجار مع
ان وقيل المعنى اي وصدقنا انه جد ربنا وقرأ الباقون كلها بالكسر وهو الصواب
واختاره ابو عبيد وابو حاتم عطفا على قوله فقالوا انا سمعنا لانه كله من كلام الجن
واما ابو جعفر وشيبة فانهما فتحا ثلاثة مواضع وهي قوله وانه تعالى جد ربنا وانه
كان يقول قالا لانه من الوحي وكسرا ما بقي لانه من كلام الجن واما قوله وانه لما قام
عبد الله يدعوه فكلهم فتحوا الا نافعا وشيبة وزر بن حبيش وابا بكر والمفضل
عن عاصم فانهم كسروا لا غير ولا خلاف في فتح همز انه استمع وان لو استقاموا وان
المساجد لله وان قد ابلغوا وكذلك لا خلاف في كسر ما كان بعد القول نحو قوله
فقالوا انا سمعنا وقال انما ادعو ربي وقل ان ادري وقل اني لا املك وكذلك
لا خلاف في كسر ما كان بعد فاء الجزاء نحو قوله فان له نار جهنم وفانه يسلك من بين
يديه لانه موضع ابتداء قوله تعالى جد ربنا الجد في اللغة العظمة ومنه قول انس
كان الرجل اذا حفظ البقرة وآل عمران جد في عيوننا اي عظم وجل فمعنى جد
ربنا اي عظمته وجلاله قاله عكرمة ومجاهد وقتادة وعن مجاهد ايضا ذكره
وقال انس بن مالك والحسن وعكرمة ايضا غناه ومنه قيل للحظ جد ورجل مجدود
اي محظوظ وفي الحديث ولا ينفع ذا الجد منك الجد قال ابو عبيد والخليل اي
ذا الغنى منك الغنى انما ينفعه الطاعة وقال ابن عباس قدرته والضحاك فعله
وقال القرظي والضحاك ايضا الاؤه ونعمه على خلقه وقال ابو عبيدة والاخفش
ملكه وسلطانه وقال السدي امره وقال سعيد بن جبير وانه تعالى جد ربنا
اي تعالى ربنا وقيل انهم عنوا بذلك الجد الذي هو اب الاب ويكون هذا من قول
الجن وقال محمد بن علي بن الحسين وابنه جعفر الصادق والربيع ليس لله تعالى
جد وانما قاله الجن للجهالة فلم يؤاخذوا به وقال القشيري ويجوز اطلاق لفظ الجد
في حق الله تعالى اذ لو لم يجز لما ذكر في القرآن غير انه لفظ موهم فتجنبه اولى
وقرأ عكرمة جد ربنا بكسر الجيم على ضد الهزل وكذلك قرأ ابو حيوة ومحمد بن السميقع
ويروى عن ابن السميقع ايضا وابي الاشهب جدى ربنا وهو الجدا والمنفعة
وقرأ عكرمة ايضا جدا بالتنوين ربنا بالرفع على انه مرفوع بتعالى وجدا منصوب على
التمييز وعن عكرمة ايضا جد بالتنوين والرفع ربنا بالرفع على تقدير تعالى جد
جد ربنا فجد الثاني بدل من الاول وحذف واقيم المضاف اليه مقامه ومعنى الاية
وانه تعالى جلال ربنا ان يتخذ صاحبة وولدا للاستيناس بهما او الحاجة اليهما
والرب يتعالى عن ذلك كما تعالى عن الانداد والنظراء قوله تعالى وانه كان يقول
سفيهنا على الله شططا الهاء في انه للامر والحديث وفي كان اسمها وما بعدها الخبر
ويجوز ان تكون كان زائدة والسفيه هنا ابليس في قول مجاهد وابن جريج وقتادة
ورواه ابو بردة بن ابي موسى عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المشركون

من الجن

من الجن قال قتادة عصاه سفيه الجن كما عصاه سفيه الانس والشطط والاشتطاط
الغلو في الكفر وقال ابو مالك هو الجور وقال الكلبي هو الكذب واصله البعد فيعبر به عن
الجور لبعده عن العدل وعن الكذب لبعده عن الصدق وقال الشاعر بايه حالك
حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك الا حب عدل الخطط قوله تعالى وانا ظننا اي
حسبنا ان لن تقول الانس والجن على الله كذبا فلذلك صدقناهم في ان لله صاحبة
وولدا حتى سمعنا القرآن وتبينا به الحق وقرأ يعقوب والجحدري وابن ابي اسحاق ان
لن تقول وقيل انقطع الاخبار عن الجن هنا فقال الله وانه كان رجال من الانس
يعوذون برجال من الجن فمن فتح وجعله من قول الجن ردها الى قوله انه استمع ومن كسر
جعلها مبتدأ من قول الله تعالى والمراد به ما كانوا يفعلون من قول الرجل اذا نزل بواد
اعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فيبيت في جواره حتى يصبح قاله الحسن
وابن زيد وغيرهما قال مقاتل كان اول من تعوذ بالجن قوم من اهل اليمن ثم من بني حنيفة
ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الاسلام عاذوا بالله وتركوهم وقال كردم بن ابي السائب
خرجت مع ابي الى المدينة اول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فاوانا المبيت الى راعي غنم
فلما انتصف الليل جاء الذئب فاخذ حملا من الغنم فقال الراعي يا عامر الوادي جارك
فنادى مناد يا سرحان ارسله فاتى الحمل يشتد وانزل الله على رسوله بمكة وانه كان رجال
من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا اي خطيئة واثما قاله ابن عباس
ومجاهد وقتادة والرهق الاثم في كلام العرب وغشيان المحارم ورجل رهق اذا كان
كذلك ومنه قوله تعالى ترهقهم ذلة وقال الاعشى

لا شيء ينفعني من دون رؤيتها * هل يشتفي عاشق ما لم يصب رهقا

يعني اثما واضيفت الزيادة الى الجن اذ كانوا سببا لها وقال مجاهد ايضا زادوهم اي ان
الانس زادوا الجن طغيانا بهذا التعوذ حتى قالت الجن سدنا الانس والجن وقال قتادة
زادوهم ايضا وابو العالية والربيع وابن زيد ازداد الانس بهذا فرقا وخوفا من الجن
وقال سعيد بن جبير كفرا ولا خفاء ان الاستعاذة بالجن دون الاستعاذة بالله كفر
وشرك وقيل لا يطلق لفظ الرجال على الجن فالمعنى وانه كان رجال من الانس يعوذون
من شر الجن برجال من الانس وكان الرجل من الانس يقول مثلا اعوذ بحذيفة بن بدر
من جن هذا الوادي قال القشيري وفي هذا تحكم اذ لا يبعد اطلاق لفظ الرجال على الجن
قوله تعالى وانهم ظنوا كما ظننتم ان لن يبعث الله احدا هذا من قول الله تعالى للانس
اي وان الجن ظنوا كما ظننتم الكلبي ظنت الجن كما ظنت الانس ان لن يبعث الله رسولا الى
خلقه يقيم به الحجة عليهم وكل هذا توكيد للحجة على قريش قول الجن اي طلبنا خبرها
كما جرت عادتنا فوجدناها قد ملئت حرسا شديدا وشهبا اي حفظة يعني الملائكة
والحرس جمع حارس والشهب جمع شهاب وهو انقضاض الكواكب المحرقة لهم عن استراق
السمع وقد مضى القول فيه في سورة الحجر والصافات ووجد يجوز ان يقدر متعديا
الى مفعولين فالاول الهاء والالف وملئت في موضع المفعول الثاني ويجوز ان يتعدى
الى مفعول واحد فتكون ملئت في موضع الحال على اضمار قد وحرسا نصب على المفعول
الثاني ويجوز ان يتعدى ملئت وشديدا من نعت الحرس اي ملئت ملائكة شدادا
ووحد الشديد على لفظ الحرس وهو كما يقال السلف الصالح بمعنى الصالحين وجمع
السلف اسلاف وجمع الحرس احراس قال تجاوزت احراسا واهوال معشر ويجوز ان
يكون مصدرا على معنى حرست حراسة شديدة قوله تعالى وانا كنا نقعد منها
مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا منها اي من السماء ومقاعد مواضع
يقعد في مثلها لاستماع الاخبار من السماء يعني ان مردة الجن كانوا يفعلون ذلك
ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء حتى يلقوها الى الكهنة على ما تقدم بيانه فحرسها الله
حين بعث رسوله بالشهب المحرقة فقالت الجن حينئذ فمن يستمع الان يجد له شهابا
رصدا يعني بالشهب الكواكب المحرقة وقد تقدم بيان ذلك ويقال لم يكن انقضاض

الكواكب الا بعد مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وهو اثر من اياته واختلف عن السلف
هل كانت الشياطين تسترق قبل المبعث ام كان ذلك امر حدث لمبعث النبي صلى الله عليه
وسلم فقال الكلبي وقال قوم لم تكن تحرس السما في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
السلام خمسماية عام وانما كان من اجل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد صلى الله
عليه وسلم منعوا من السموات كلها وحرست الملائكة بالشهب قلت ورواه عطية العوفي
عن ابن عباس ذكره البيهقي وقال عبد الله بن عمر لما كان اليوم الذي نبي رسول الله صلى الله
عليه وسلم فيه منعت الشياطين ورموا بالشهب وقال عبد الملك ابن سابور لم تكن السما
تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حرست
السما ورميت الشياطين ومنعت عن الدنو من السما وقال نافع بن جبير كانت الشياطين
في الفترة تسمع فلا ترمي فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رميت بالشهب ونحوه
عن ابي بن كعب قال لم ترم بنجم منذ رفع عيسى حتى نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل كان ذلك قبل المبعث وانما زادت بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم انذارا بحاله
وهو معنى قوله تعالى ملئت حرسا شديدا اي زيد في حرسها وقال اوس بن حجر وهو
جاهلي فانقض كالدري يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا قال وهذا قول الاكثرين وقد انكر
الجاحظ هذا البيت وقال كل شعر روي فيه فهو مصنوع وان الرمي لم يكن قبل المبعث
والقول بالرمي اصح لقوله تعالى فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وهذا اخبار
عن الجن انه زيد في حرس السما حتى امتلات منها ومنهم ولما روي ابن عباس قال بينما
النبي صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي بنجم فقال ما كنتم تقولون
في مثل هذا في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم فقال عليه السلام
انها لا ترمى لموت احد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى اذا قضى امرا في السما سبح
حملة العرش ثم تسبح اهل كل سما حتى ينتهي التسبيح الى هذه السما ويستخبر اهل السما
حملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر اهل كل سما حتى ينتهي الخبر الى هذه السما
وتتخطف الجن فيرمون فما جاوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه وهذا يدل على
ان الرجم كان قبل المبعث وروى الزهري نحوه عن علي بن الحسين عن علي بن ابي طالب
عن ابن عباس وفي اخره قيل للزهري اكان يرمى في الجاهلية قال نعم قلت افرايت
قوله سبحانه وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الان يجد له شهابا رصدا
قال غلظت وشدد امرها حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال القتيبي
قال ابن قتيبة كان ولكن اشتدت الحراسة بعد المبعث وكانوا من قبل يسترقون السمع
ويرمون في بعض الاحوال فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم منعت من ذلك اصلا وقد
تقدم بيان هذا في والصافات عند قوله ويقذفون من كل جانب دحورا الاية قال
الحافظ فلو قال قائل كيف تتعرض الجن لاحتراق نفسها بسبب سماع خبر بعد ان
صار ذلك معلوما لهم فالجواب ان الله تعالى ينسيهم ذلك حتى تعظم المحنة كما ينسى ابليس
في كل وقت انه لا يسلم وان الله تعالى قال له وان عليك اللعنة الى يوم الدين
ولولا هذا لما تحقق التكليف والرصد قيل من الملايكة اي ورصدا من الملايكة والرصد
الحافظ للشي والجمع ارصاد وهو في غير هذا الموضع يجوز ان يكون جمعا كالحرس
والواحد راصد وقيل الرصد هو الشهاب اي شهابا قد ارصد له ليرجم به فهو فعل
بمعنى مفعول كالخبط والنفض قوله تعالى وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض
اي هذا الحرس الذي حرست به السما ام اراد بهم ربهم رشدا اي خيرا قال ابن زيد قال
ابليس لا ندري هل اراد الله بهذا المنع ان ينزل على اهل الارض عذابا او يرسل اليهم
رسولا وقيل هو من قول الجن فيما بينهم قبل ان سمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم
فابهم يكذبونه ويهلكون بتكذيبه كما هلك من كذب من قبل من الامم ام اراد ان يومنوا
فيهتدوا فالشر والرشد على هذا الكفر والايمان وعلى هذا كان عندهم علم بمبعث
النبي صلى الله عليه وسلم ولما سمعوا قراة النبي صلى الله عليه وسلم علموا انهم منعوا من

السما

السما حراسة الوحي وقيل لا بل هذا قول قالوه لقومهم بعد ان انصرفوا اليهم منذرين
اي لما امنوا اشفقوا ان لا يومن كثير من اهل الارض فقالوا انا لا ندري ايكفر اهل الارض
بما امنا به او يومنون قوله تعالى وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك هذا من قول
الجن اي قال بعضهم لبعض لما دعوا اصحابهم الى الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وانا كنا
قبل سماع القران منا الصالحون ومنا الكافرون ومنا دون ذلك اي ومن دون الصالحين في
الصلاح وهو اشبه من حمله على الايمان والشرك كنا طرايق قددا اي فرقا شتى قاله
السدي الضحاك اديانا مختلفة قتادة اهوا متباينة ومنه قول الشاعر
القابض الباسط الهادي بطاعته * في فتنة الناس اذ اهواهم قدد
والمعنى اي لم يكن كل الجن كفارا بل كانوا مختلفين منهم كفار ومنهم صلحا مومنون ومنهم
مومنون غير صلحا وقال المسيب كنا مسلمين ويهود ونصارى ومجوس وقال السدي
في قوله طرايق قددا قال في الجن مثلكم قدرية ومرجية وخوارج ورافضة وشيعة وسنية
وقال قوم اي وانا بعد استماع القران مختلفون منا المومنون ومنا الكافرون اي ومنا
الصالحون ومنا مومنون لم يتناهوا في الصلاح والاول احسن لانه كان في الجن من امن
بموسى وعيسى وقد اخبر الله عنهم انهم قالوا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى مصدقا لما
بين يديه وهذا يدل على ايمان قوم منهم بالتوراة وكان هذا مبالغة منهم في دعاء من دعوهم
الى الايمان وايضا لا فايدة في قولهم نحن الان منقسمون الى مومن والى كافر والطرايق جمع
طريقة اي على مذاهب شتى والقدد نحو من الطرايق وهو توكيد لها واحدها قدة يقال
لكل طريق قدة واصلها من قد السيور وهو قطعها قال لبيد يرثي اخاه اربد
لم تبلغ العين كل نهمتها * يوم تمشي الجياد بالقدد   وقال اخر
ولقد قلت وزيد حاسر * يوم ولت خيل عمرو قددا
والقد بالكسر سير يقد من جلد غير مدبوغ ويقال ما له قد ولا قحف فالقد انا من جلد
والقحف من خشب قوله تعالى وانا ظننا ان لن نعجز الله في الارض الظن هنا بمعنى العلم
واليقين وهو خلاف الظن في قوله وانا ظننا ان لن تقول وانهم ظنوا اي علمنا بالاستدلال
والتفكر في ايات الله انا في قبضته وسلطانه لن نفوته بهرب ولا غيره هربا مصدر في
موضع الحال اي هاربين قوله تعالى وانا لما سمعنا الهدى يعني القران امنا به وبالله
وصدقنا محمدا على رسالته وكان عليه السلام مبعوثا الى الانس والجن ولم يبعث الله تعالى
قط رسولا من الجن ولا من اهل البادية ولا من النسا وذلك قوله وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحي اليهم من اهل القرى وقد تقدم هذا المعنى وفي الصحيح وبعثت الى الاحمر والاسود
اي الجن والانس فمن يومن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا قال ابن عباس لا يخاف ان
ينقص من حسناته ولا ان يزاد في سياته لان البخس النقصان والرهق العدوان
وغشيان المحارم قال الاعشى لا شي ينفعني من دون رويتها * هل يشتفي وامق ما لم يصب رهقا
الوامق المحب وقد ومقه يمقه بالكسر اي احبه فهو وامق وهذا قول حكاه الله تعالى
عن الجن لقوة ايمانهم وصحة اسلامهم وقراة العامة فلا يخاف رفعا على تقدير فانه لا يخاف
وقرا الاعمش ويحيى وابراهيم فلا يخف جزما على جواب الشرط والغا الفا قوله تعالى
وانا منا المسلمون ومنا القاسطون اي وانا بعد استماع القران مختلفون فمنا من اسلم
ومنا من كفر والقاسط الجاير لانه عادل عن الحق والمقسط العادل لانه عادل الى الحق
قسط اذا جار واقسط اذا عدل قال الشاعر
قوم هموا قتلوا ابن هند عنوة * عمرا وهم قسطوا على النعمان
قوله تعالى فمن اسلم فاوليك تحروا رشدا اي قصدوا طريق الحق وتوخوه ومنه تحري
القبلة واما القاسطون اي الجايرون عن طريق الحق والايمان فكانوا لجهنم حطبا اي
وقودا وقوله فكانوا اي في علم الله تعالى قوله تعالى وان لو استقاموا على الطريقة
هذا من قول الله تعالى اي لو امن هولا الكفار لوسعنا عليهم في الدنيا ولبسطنا لهم في
الرزق وهذا محمول على الوحي اي اوحي الي ان لو استقاموا ذكر ابن بحر كل ما في هذه السورة

من ان المكسوره المثقله فهي حكاية لقول الجن الذين استمعوا القران فرجعوا الي قومهم
منذرين وكلما فيها من ان المفتوحة المخففه فهو وحي الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم وقال ابن الانباري ومن كسر الحروف وفتح وان لو استقاموا اضمر يمينا تاما
تاويلها والله ان لو استقاموا علي الطاعة كما يقال في الكلام والله ان قمت لقمت ووالله
لو قمت لقمت قال الشاعر اما والله ان لو كنت حرا وما بالحر انت ولا العتيق
ومن فتح ما قبل المخففة نسقها اعني الخفيفه علي اوحي انه وان لو استقاموا وعلي امنا
به وبان لو استقاموا ويجوز لمن كسر الحروف كلها الي ان المخففة ان نعطف المخففه علي اوحي
الي او علي امنا به وبستغني عن اضمار اليمين وقراة العامه بكسر الواو من لو لالتقاء
الساكنين وقرا ابن وثاب والاعمش بضم الواو ماء غدقا اي واسعا كثيرا وكانوا قد
حبس عنهم المطر سبع سنين يقال غدقت العين تغدق فهي غدق اذا كثر ماؤها
وقيل المراد الخلق كلهم ان لو استقاموا علي الطريقة طريقة الحق والهدي وكانوا
مومنين مطيعين لاسقيناكم ماء غدقا اي كثيرا لنفتنهم فيه اي لنختبرهم كيف شكرهم
فيه علي تلك النعم وقال عمر في هذه الايه اينما كان الماء كان المال واينما كان
المال كانت الفتنه فمعني لاسقيناهم لوسعنا عليهم في الدنيا وضرب الماء الغدق الكثير
لذلك لان الخير والرزق كله بالمطر يكون فاقيم مقامه كقوله ولو ان اهل القري
امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السما والارض وقوله ولو انهم اقاموا التوراة
والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي بالمطر والله
اعلم وقال سعيد بن المسيب وعطا بن ابي رباح والضحاك وقتاده ومقاتل وعطيه
وعبيد بن عمير والحسن كانوا والله اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم سامعين مطيعين
ففتحت عليهم كنوز كسري وقيصر والمقوقس والنجاشي ففتنوا بها فوثبوا بامامهم
فقتلوه يعني عثمان وقال الكلبي وغيره وان لو استقاموا علي الطريقة التي هم
عليها من الكفر فكانوا كلهم كفارا لاوسعنا ارزاقهم مكرا بهم واستدراجا لهم حتي يفتتنوا
بها فيعذبهم بها في الدنيا والاخرة وهذا قول قاله الربيع بن انس وزيد بن اسلم
وابنه والكلبي والثمالي ويمان بن رئاب وابن كيسان وابو مجلز واستدلوا
بقوله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شي الايه وقوله ولولا ان يكون
الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة الايه والاول
اشبه لان الطريقه معرفة بالالف واللام فالاوجب ان تكون طريقة الهدي وفي
صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال اخوف
ما اخاف عليكم ما يخرج الله لكم من زهرة الدنيا قال بركات الارض وذكر الحديث
وقال عليه السلام فوالله ما الفقر اخشي عليكم ان تبسط عليكم الدنيا فتنافسوها
كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم قوله تعالي ومن يعرض عن ذكر ربه يعني القران
قال ابن زيد وفي اعراضه عنه وجهان احدهما عن القبول اي قيل انها في اهل الكفر
الثاني عن العمل ان قيل انها في المومنين وقيل ومن يعرض عن ذكر ربه اي لم يشكر
نعمه نسلكه عذابا صعدا قرا الكوفيون وعباس عن ابي عمرو نسلكه واختاره ابو
عبيد وابو حاتم لذكر اسم الله اولا فقال ومن يعرض عن ذكر ربه الباقون نسلكه
بالنون وروي عن مسلم بن جندب ضم النون وكسر اللام وكذلك قرا طلحة والاعرج
وهما لغتان سلكه واسلكه بمعني اي ندخله عذابا صعدا اي شاقا شديدا
قال ابن عباس هو جبل في جهنم الخدري كلما جعلوا ايديهم عليه ذابت وعن ابن
عباس ان المعني مشقة من العذاب وذلك معلوم في اللغة ان الصعد المشقة تقول
تصعدني الامر اذا اشق عليك ومنه قول عمر ما تصعدني شي ما تصعدني خطبة
النكاح اي ما شق علي وعذاب صعد اي شديد والصعد مصدر صعد يقال صعد
صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب اي يعلوه ويغلبه ولا يطيقه
وقال ابو عبيد الصعد مصدر اي عذابا ذا صعد والمشي في الصعود يشق والصعود

العقبة

العقبة وقال عكرمة هو صخرة ملسا في جهنم يكلف صعودها فاذا انتهي الي اعلاها
حدر الي جهنم وقال الكلبي يكلف الوليد بن المغيره ان يصعد جبلا في جهنم من النار
من صخرة ملسا يجذب من امامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتي يبلغ اعلاها
ولا يبلغ الا في اربعين سنه فاذا بلغ اعلاها احدر الي اسفلها ثم يكلف ايضا صعودها
فذلك دابه ابدا وهو قوله سارهقه صعودا قوله تعالي وان المساجد لله فيه ست
مسايل الاولي ان بالفتح قيل هو مردود الي قوله قل اوحي الي اي ان المساجد لله وقال
الخليل اي ولان المساجد لله والمراد البيوت المبنيه التي تبنيها اهل الملل للعباده وقال
سعيد بن جبير قالت الجن كيف لنا ان ناتي المساجد ونشهد معك الصلاه ونحن
ناوون عنك فنزلت وان المساجد لله اي بنيت لذكر الله وطاعته وقال الحسن اراد
بها كل البقاع لان الارض كلها مسجد النبي صلي الله عليه وسلم يقول اينما كنتم فصلوا
فاينما صليتم فهو مسجد وفي الصحيح وجعلت لي الارض كلها مسجدا وطهورا وقال
سعيد بن المسيب وطلق بن حبيب اراد بالمساجد الاعضا التي يسجد عليها العبد
وهي القدمان والركبتان واليدان والوجه يقول هذه الاعضا انعم الله بها عليك
فلا تسجد لغيره بها فلا تجحد نعمة الله عليك قال عطا مساجدك اعضاوك التي امرت
ان تسجد عليها لا تذللها لغير خالقها وفي الصحيح عن ابن عباس عن النبي صلي الله
عليه وسلم قال امرت ان اسجد علي سبعة اعظم الجبهة واشار بيده الي انفه واليدان
والركبتين واطراف القدمين وقال العباس قال النبي صلي الله عليه وسلم قال اذا سجد
العبد سجد معه سبعة اراب وقيل المساجد هي الصلوات اي لان السجود لله قاله الحسن
ايضا فان جعلت المساجد المواضع فواحدها مسجد بكسر الجيم ويقال بالفتح حكاه الفرا
وان جعلتها الاعضا فواحدها مسجد وقيل هو جمع مسجد وهو السجود يقال سجدت
سجودا ومسجدا كما يقال ضربت في الارض ضربا ومضربا بالفتح اذا سرت في ابتغا الرزق
وقال ابن عباس المساجد هنا مكة التي هي القبله وسميت مكة المساجد لان كل احد يسجد
اليها والقول الاول اظهر هذه الاقوال ان شا الله تعالي وهو مروي عن ابن عباس
رحمه الله الثانيه قوله لله اضافة تشريف وتكريم ثم خص بالذكر منها البيت العتيق
فقال وطهر بيتي وقال عليه السلام لا تعمل المطي الا الي ثلثة مساجد الحديث خرجه
الايمه وقد مضي الكلام فيه وقال عليه السلام صلاة في مسجدي خير من الف صلاة
فيما سواه الا المسجد الحرام قال ابن العربي وقد روي من طريق لا باس بها ان النبي صلي
الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام
فان صلاة فيه خير من ماية صلاة في مسجدي ولو صح هذا لكان نصا قلت هو الصحيح
بنقل العدل عن العدل حسب ما بيناه في سورة ابراهيم الثالثه المساجد وان كانت
لله ملكا وتشريفا فانه قد تنسب الي غيره تعريفا فيقال مسجد فلان وفي صحيح الحديث
ان النبي صلي الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي اضمرت من الحفيا وامدها ثنية الوداع
وسابق بين الخيل التي لم تضمر من الثنية الي مسجد بني زريق وتكون هذه الاضافه
بحكم المحلة كانها في قبلتهم وقد تكون بتحبيسهم ولا خلاف بين الامة تحبيس المساجد
والقناطر والمقابر وان اختلفوا في تحبيس غير ذلك الرابعه مع ان المساجد لله لا يذكر
فيها الا الله فانه تجوز القسمه فيها للاموال ويجوز وضع الصدقات فيها علي رسم
الاشتراك بين المساكين فكل من جا اكل ويجوز حبس الغريم فيها وربط الاسير والنوم
فيه وسكني المريض فيه وفتح الباب للجار اليه وانشاد الشعر فيه اذا عري عن الباطل
وقد مضي هذا كله مبينا في براءه والنور وغيرهما الخامسه قوله تعالي فلا تدعوا مع الله
احدا هذا توبيخ للمشركين في دعواهم مع الله غيره في المسجد الحرام قال مجاهد كانت
اليهود والنصاري اذا دخلوا كنايسهم وبيعهم اشركوا بالله فامر الله نبيه والمومنين
ان يخلصوا لله الدعوه اذا دخلوا المساجد كلها يقول فلا تشركوا فيها صنما وغيره
مما يعبد وقيل المعني افردوا المساجد لذكر الله ولا تتخذوها هزوا ومتجرا ومجلسا ولا

طرقا ولا يجعلوا لغير الله فيها نصيبا وفي الصحيح من نشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك فان المساجد لم تبن لهذا وقد مضى في النور ما فيه كفاية من احكام المساجد والحمد لله سبحانه روى الضحاك عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قدم رجله اليمنى وقال وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا اللهم عبدك وزائرك وعلى كل مزور حق فانت خير مزور فاسالك برحمتك ان تفك رقبتي من النار فاذا خرج من المسجد قدم رجله اليسرى وقال اللهم صب علي الخير صبا ولا تنزع عني صالح ما اعطيتني ابدا ولا تجعل معيشتي كدا واجعل لي في الارض جدا قوله تعالى وانه لما قام عبد الله يدعوه يجوز الفتح اي اوحي الي انه ويجوز الكسر على الاستئناف وعبد الله هنا محمد صلى الله عليه وسلم حين كان يصلي ببطن نخله ويقرا القران حسب ما تقدم اول السورة يدعوه اي يعبده وقال ابن جريج يدعوه اي قام اليهم داعيا لهم الى الله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا قال الزبير بن العوام هم الجن حين استمعوا القران من النبي صلى الله عليه وسلم اي كاد يركب بعضهم بعضا ازدحاما ويسقطون حرصا على سماع القران وقيل كادوا يركبونه حرصا قاله الضحاك ابن عباس وعنه في سماع الذكر وروى برد عن مكحول ان الجن بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة وكانوا سبعون الفا وفرغوا من بيعته عند انشقاق الفجر وعن ابن عباس ايضا ان هذا من قول الجن لما رجعوا الى قومهم اخبروهم بما راوا من طاعة اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وايتمامهم به في الركوع والسجود وقيل المعنى كاد المشركون يركب بعضهم بعضا حردا على النبي صلى الله عليه وسلم وقال الحسن وقتاده وابن زيد يعني لما قام عبد الله محمد بالدعوه تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفيوه فابى الله الا ان ينصره ويتم نوره واختار الطبري ان يكون المعنى كادت العرب ان يجتمعوا على النبي صلى الله عليه وسلم ويتظاهرون على اطفاء النور الذي جا به وقال مجاهد قوله لبدا جماعات وهو من تلبد الشي على الشي اي يجتمع ومنه اللبد الذي يفرش لتراكم صوفه وكل شي الصقته الصاقا شديدا فقد لبدته وجمع اللبدة لبد مثل قربة وقرب ويقال للشعر الذي على ظهر الاسد لبده وجمعها لبد قال زهير

٭ لدى اسد شاكي السلاح مقذف ٭ له لبد اظفاره لم تقلم ٭

ويقال للجراد الكثير لبد وفيه اربع لغات وقراءات فتح الباء وكسر اللام وهي قراءة العامه وضم اللام وفتح البا وهي قراة مجاهد وابن محيصن وهشام عن اهل الشام واحدتها لبده وبضم البا واللام وهي قراة ابي حيوه ومحمد بن السميقع وابي الاشهب العقيلي والجحدري ايضا واحدها لابد وبضم اللام وشد البا وفتحها وهي قراة الحسن وابو العاليه والاعرج والجحدري ايضا واحدها لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وقيل اللبد بضم اللام وفتح البا الشي الدايم ومنه قيل لنسر لقمان لبد لدوامه وبقايه قال النابغه اخنى عليها الذي اخنى على لبد ٭ القشيري وقرا لبدا بضم اللام والبا وهو جمع لبيد وهو الجوالق الصغار وفي الصحاح واهلكت مالا لبدا اي جما ويقال ايضا الناس لبد اي مجتمعون واللبد ايضا الذي لا يسافر ولا يبرح قال الشاعر

٭ ما امري ذي سماح لا تزال له ٭ بزلا يعيا بها الجباد اللبد ٭

وفلان نهاض ببزلا اذا كان ممن يقوم بالامور العظام قال الشاعر

٭ اني اذا اشتغلت قوما فروجهم ٭ رحب المسالك نهاض ببزلا ٭

ويروى اللبد قال ابو عبيد الله وهو اشبه ولبد اخر نسور لقمان وهو ينصرف لانه ليس بمعدول وتزعم العرب هو الذي بعثته عاد في وفدها الى الحرم يستسقي لها فلما اهلكوا اخبر لقمان بين بقا سبع بعرات سمر من اظب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر وبقا سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاختار النسور فكان اخر نسوره يسمى لبدا وقد ذكرته الشعرا قال النابغه

٭ اضحت خلا وامسى اهلها احتملوا ٭ اخنى عليها الذي اخنى على لبد ٭

واللبد الجوالق الصغير يقال البدت القربه جعلتها في لبيد ولبيد اسم شاعر من بني

عامر

عامر قوله تعالى قل انما ادعوا ربي اي قال النبي صلى الله عليه وسلم انما ادعوا ربي ولا اشرك به احدا وكذا قرا اكثر القرا قال على الخبر وقرا عاصم وحمزه قل على الامر وسبب نزولها ان كفار قريش قالوا له انك جيت بامر عظيم وقد عاديت الناس كلهم فارجع عن هذا ونحن نجيرك فنزلت قوله تعالى قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا اقدر ان ادفع عنكم ضرا ولا اسوق لكم خيرا وقيل لا املك لكم ضرا اي كفرا ولا رشدا اي هدى اي انما علي التبليغ وقيل الضر العذاب والرشد النعيم وهو الاول بعينه وقيل الضر الموت والرشد الحياه قوله تعالى قل اني لن يجيرني من الله احد اي لا يدفع عذابه عني احد ان استحققته وهذا لانهم قالوا اترك ما تدعوا اليه ونحن نجيرك وروى ابو الجوزا عن ابن مسعود قال انطلقت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن حتى اتى الحجون فخط علي خطا ثم تقدم اليهم فازدحموا عليه فقال سيد لهم يقال له وردان انا ارحلهم عنك فقال اني لن يجيرني من الله احد ذكره الماوردي قال ويحتمل معنيين احدهما لن يجيرني مع اجارة الله لي احد الثاني لن يجيرني مما قدره الله علي احد ولن اجد من دونه ملتحدا ملجا اليه قاله قتاده وعنه نصيرا ومولا وقيل مذهبا ولا مسلكا حكاه ابن شجره والمعنى واحد ومنه قول الشاعر

٭ يا لهف قلبي ولهفا غير مجدية ٭ عني وما من قضا الله ملتحد ٭

الا بلاغا من الله ورسالاته فان فيه الامان والنجاه قاله الحسن وقال قتاده الا بلاغا من الله فذلك الذي املكه بتوفيق الله فاما الكفر والايمان فلا املكهما فعلى هذا يكون مردودا الى قوله قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي لا املك الا ان ابلغكم اي لكن ابلغكم ما ارسلت به قاله الفرا وقال الزجاج هو منصوب على البدل في قوله ملتحدا اي ولن اجد من دونه ملتحدا الا ان ابلغ ما ياتيني من الله ورسالاته اي ومن رسالاته التي امرني بتبليغها او الا ان ابلغ عن الله واعمل برسالاته فاخذ نفسي بما امر به غيري وقيل هو مصدر ولا بمعنى لم وان للشرط والمعنى لن اجد من دونه ملتحدا اي ان لم ابلغ رسالات ربي بلاغا قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله في التوحيد والعباده فان له نار جهنم كسرت ان لان ما بعده فالجزا موضع ابتدا وقد تقدم خالدين نصب على الحال وجمع لان المعنى لكل من فعل ذلك فوحد اولا للفظ من ثم جمع للمعنى حتى اذا راوا ما يوعدون فيها ابدا دليل على ان العصيان هنا هو الشرك وقيل هو المعاصي غير الشرك ويكون معنى خالدين فيها ابدا الا ان اعفوا او يلحقهم شفاعه ولا محاله اذا خرجوا من الدنيا على الايمان يلحقهم العفو وقد مضى هذا المعنى مبينا في النسا وغيرها قوله تعالى حتى اذا راوا ما يوعدون حتى هنا مبتدا اي حتى اذا راوا ما يوعدون من عذاب الاخره او ما يوعدون من عذاب الدنيا وهو القتل ببدر فسيعلمون حينيذ من اضعف ناصرا هم ام المومنون واقل عددا معطوف قوله تعالى قل ان ادري اقريب ما توعدون يعني قيام الساعه وقيل عذاب الدنيا اي لا ادري فان بمعنى ما او لا اي لا يعرف وقت نزول العذاب ووقت قيام الساعه الا الله فهو غيب لا اعلم منه الا ما يعرفنيه الله وما في قوله ما يوعدون يجوز ان يكون مع الفعل مصدرا ويجوز ان يكون بمعنى الذي ويقدر حذف العايد ام يجعل له ربي امدا اي غاية واجلا وقراه العامه باسكان اليا من ربي وقرا الحرميان وابو عمرو بالفتح قوله تعالى عالم الغيب فيه مسيلتان الاولى عالم رفعا نعتا لقوله ربي وقيل اي هو عالم الغيب والغيب ما غاب عن العباد وقد تقدم بيانه اول البقره فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فانه يظهره على ما يشا من غيبه ليكون ذلك دالا على نبوته الثانيه قال العلما لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستاثر به دون خلقه كان فيه دليل على انه لا يعلم الغيب احد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فاودعهم ما شا من غيبه بطريق الوحي اليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم وليس المنجم ومن ضاهاه ممن يضرب بالحصا وينظر في الكتب ويزجر بالطير ممن ارتضاه من رسول فيطلعه على ما يشا من غيبه بل هو كافر بالله مفتر عليه بحدسه وتخمينه وكذبه قال بعض العلما

ليت شعري ما يقول المنجم في سفينة ركب فيها الف انسان على اختلاف احوالهم وتباين
رتبهم فيهم الملك والسوقة والعالم والجاهل والغني والفقير والكبير والصغير مع
اختلاف طوالعهم وتباين مواليدهم ودرجات نجومهم فعمهم حكم الغرق في ساعة واحدة
فان قال المنجم قبحه الله انما اغرقهم الطالع الذي ركبوا فيه فيكون على مقتضى ذلك
ان هذا الطالع ابطل احكام تلك الطوالع كلها على اختلافها عند ولادة كل واحد
منهم وما يقتضيه طالعه المخصوص به فلا فايدة اذا في عمل المواليد ولا دلالة فيه
على شقي ولا سعيد ولم يبق الا معاندة القران الكريم وفيه استحلال دمه على هذا
التنجيم حيث قال حكم المنجم ان طالع مولدي يقتضي على بعينه الغرق قبل المنجم
صحة الطوفان هل ولد الجميع بكوكب الغرق وقيل لامير المومنين علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لما اراد لقا الخوارج اتلقاهم والقمر في العقرب فقال رضي الله عنه
فاين قمرهم وكان ذلك في اخر الشهر فانظر الى هذه الكلمة التي اجاب بها وما فيها
من المبالغة في الرد على من يقول بالتنجيم والافحام لكل جاهل يحقق احكام النجوم
وقال له مسافر بن عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث
ساعات يمضين من النهار فقال له علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه
الساعة اصابك واصاب اصحابك بلا وضر شديد وان سرت في الساعة التي امرتك
بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي الله عنه ما كان لمحمد صلى الله
عليه وسلم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بايات من التنزيل فمن صدق بقولك هذا
القول لم امن عليه ان يكون كمن اتخذ من دون الله ندا او ضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا
خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال للمتكلم نكذبك ونخالفك ونسير في الساعة التي
نهيتنا عنها ثم اقبل على الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون
به في ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر في النار والمنجم كالساحر والساحر
كالكافر والكافر في النار والله لئن بلغني انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك
في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطا ما كان لي سلطان ثم سافر في الساعة
التي نهاه عنها فلقي القوم فقتلهم وهي وقعة النهروان الثابتة في الصحيح لمسلم
ثم قال لو سرنا في الساعة التي امرنا وظفرنا وظهرنا لقال قايل سافر في الساعة التي
امر بها المنجم ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده فتح الله علينا
بلاد كسرى وقيصر وساير البلدان ثم قال ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه
يكفي ممن سواه فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا يعني ملايكة يحفظونه
عن ان يقرب منه شيطان فيحفظ الوحي من استراق الشياطين والالقا الى الكهنة
قال الضحاك ما بعث الله نبيا الا ومعه ملايكة يحرسونه من الشياطين ان يتشبهوا
بصورة الملك فاذا جاه الشيطان في صورة الملك قالوا هذا شيطان فاحذره وان
جاه الملك قالوا هذا رسول ربك وقال ابن عباس وابن زيد رصدا اي حفظة
يحفظون النبي صلى الله عليه وسلم من امامه ووراءه من الجن والشياطين قال
قتاده وسعيد بن المسيب هم اربعة من الملايكة حفظة وقال الفرا المراد جبريل
كان اذا نزل بالرسالة نزل معه ملايكة يحفظونه من ان يستمع الجن الوحي
فيسمعوا به الرسول وقال السدي رصدا اي حفظة يحفظون الوحي فما جاء من
عند الله قالوا انه من عند الله وما القاه الشيطان قالوا انه من الشيطان ورصدا
نصب على المفعول وفي الصحاح والرصد القوم يرصدون كالحرس يستوي فيه
الواحد والجمع وربما قالوا ارصاد والراصد للشي الراقب له يقول رصده يرصده
رصدا ورصدا والترصد الترقب والمرصد موضع الرصد قوله تعالى ليعلم
قال مجاهد وقتاده اي ليعلم محمد ان الرسل قبله قد ابلغوا رسالات الله كما بلغ هو
الرسالة وفيه حذف يتعلق به اللام اي اخبرناه بحفظنا الوحي ليعلم ان الرسل
قبله كانوا على حالته من التبليغ بالحق والصدق وقيل ليعلم محمد ان قد ابلغ جبريل

ومن معه اليه رسالة ربه قاله ابن جبير قال ولم ينزل بالوحي الا ومعه اربعة
حفظة من الملايكة عليهم السلام وقيل اي ليعلم الرسل ان الملايكة بلغوا رسالات
ربهم وقيل ليعلم الرسول اي رسول كان ان الرسل سواه بلغوا وقيل اي ليعلم ابليس
ان الرسل قد بلغوا رسالات ربهم سليمة من تخليط واستراق اصحابه وقال ابن قتيبة
اي ليعلم الجن ان الرسل قد بلغوا ما انزل عليهم ولم يكونوا هم المبلغين باستراق السمع
عليهم وقال مجاهد ليعلم من كذب الرسل ان المرسلين قد بلغوا رسالات ربهم وقراءة
الجماعة ليعلم بفتح اليا وتاويله ما ذكرناه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد ويعقوب
بضم اليا اي ليعلم الناس ان الرسل قد ابلغوا وقال الزجاج اي ليعلم الله ان رسله
قد ابلغوا رسالاته بفتح اليا كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين
المعنى اي ليعلم الله ذلك علم مشاهدة كما علمه غيبا واحاط بما لديهم اي احاط علمه بما
عندهم اي عند الرسل وما عند الملايكة وقال ابن جبير المعنى ليعلم الرسل ان ربهم احاط
بما لديهم فيبلغوا رسالاته واحصى كل شي عددا اي احاط بعدد كل شي وعرفه وعلمه
فلم يخف عليه منه شي وعددا نصب على الحال اي احصى كل شي في حال العدد وان
شئت على المصدر اي احصى وعد كل شي عددا فيكون مصدر الفعل المحذوف فهو سبحانه
وتعالى المحصي المحيط العالم الحافظ لكل شي وقد بينا جميعه في الكتاب الاسنى
في شرح اسما الله الحسنى والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب

سورة المزمل مكية

كلها في قول الحسن وعكرمه وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتاده الا ايتين منها
واصبر على ما يقولون والتي تليها ذكره الماوردي وقال الثعلبي قوله ان ربك
يعلم انك تقوم الى اخر السورة فانها نزلت بالمدينة وهي تسع وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المزمل فيه سبع مسايل الاولى قال الاخفش وسعيد المزمل
اصله المتزمل فادغمت التا في الزاي وكذلك المدثر وقرا ابي بن كعب على الاصل
المتزمل والمتدثر وفي اصل المزمل قولان احدهما المتحمل يقال زمل الشي اذا حمله
ومنه الزاملة تحمل القماش الثاني ان المزمل هو المتلفف يقال تزمل وتدثر
بثوبه اذا تغطى وزمل غيره اذا غطاه وكل شي لفف فقد زمل ودثر قال امرؤ القيس
كبير اناس في بجاد مزمل الثانية قوله تعالى يا ايها المزمل خطاب للنبي صلى الله
عليه وسلم وفيه ثلاثة اقوال الاول قول عكرمه يا ايها المزمل بالنبوة والملتزم
للرسالة وعنه اي يا ايها الذي زمل هذا الامر اي حمله ثم فتر وكان يقرا يا ايها المزمل
بتخفيف الزاي وفتح الميم وتشديدها على حذف المفعول وكذلك المدثر والمعنى
المزمل نفسه والمدثر نفسه او الذي زمله غيره الثاني يا ايها المزمل بالقران قاله
ابن عباس الثالث بثيابه قاله قتاده وغيره قال النخعي كان متزملا بقطيفة عايشه
بمرط طوله اربعة عشر ذراعا نصفه علي وانا نايمة ونصفه على النبي صلى الله عليه وسلم
وهو يصلي والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزا ولا ابريسم ولا صوفا كان سداه شعرا
ولحمته وبرا ذكره الثعلبي قال الشيخ المصنف رحمه الله وهذا القول من عايشه يدل
على ان السورة مدنية فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يبن بها الا بالمدينة وما ذكر من
انها مكية لا يصح والله اعلم وقال الضحاك تزمل بثيابه لمنامه وقيل بلغه من
المشركين سو قول فيه فاشتد عليه فتزمل في ثيابه وتدثر فنزلت يا ايها المزمل ويا ايها
المدثر وقيل كان هذا في ابتدا ما اوحي اليه فانه لما سمع صوت الملك ونظر اليه
اخذته الرعدة فاتى اهله وقال زملوني دثروني روي معناه عن ابن عباس
وقالت الحكما انما خاطبه بالمزمل والمدثر في اول الامر لانه لم يكن بعد ادثر شيا من

تبليغ الرسالة قال ابن العربي واختلف في تأويل يا أيها المزمل فمنهم من حمله على حقيقته
فقيل له يا من تلفف بثيابه أو في قطيفته قاله ابراهيم وقتادة ومنهم من حمله على المجاز
كأنه قيل له يا من تزمل بالنبوة قاله عكرمة وانما يسوغ هذا التفسير لو كانت الميم مفتوحة
مشددة بصيغة المفعول الذي لم يسم فاعله وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل قال
الشيخ المصنف رحمه الله قد بينا أنها حذف المفعول وقد قرأها فهي صحيحة معنى قال
وأما من قال انه زمل القرآن فهو صحيح في المجاز لكنه كما قدمنا لا يحتاج إليها لأنه قال
السهيلي ليس المزمل باسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلم يعرف به كما ذهب إليه بعض
الناس وعدوه في أسمائه عليه السلام وانما المزمل اسم مشتق من حالته التي كان عليها
حين الخطاب وكذلك المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان احداهما الملاطفة فان العرب
اذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول
النبي صلى الله عليه وسلم لعلي حين غاضب فاطمة رضي الله عنها فأتاه وهو نائم وقد لصق
بجنبه التراب فقال له قم يا أبا تراب اشعارا له أنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك
قوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان وكان نائما ملاطفة له واشعارا لترك العتب والتأنيب
فقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم يا أيها المزمل قم الليل فيه تأنيس وملاطفة له
ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه الى
قيام الليل وذكر الله تعالى فيه لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل
من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة الرابعة قوله تعالى قم الليل قراءة العامة بكسر
الميم لالتقاء الساكنين وقرأ أبو السماك بضم الميم اتباعا لضمة القاف وحكي الفتح خفة
قال عثمان بن جني الغرض بهذه الحركة التبليغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأي حركة
تحرك فقد وقع الغرض وهو من الأفعال القاصرة الغير المتعدية الى مفعول فأما ظرف
الزمان والمكان فسائغ فيه الا أن ظرف المكان لا يتعدى الا بواسطة لا تقول قمت الدار
حتى تقول قمت وسط الدار وخارج الدار وقد قيل ان قم هاهنا معناه صل عبر به
عنه واستعير له حتى صار عرفا بكثرة الاستعمال الخامسة الليل حد الليل من غروب
الشمس الى طلوع الفجر وقد تقدم بيانه في البقرة واختلف هل كان قيامه فرضا وحتما
أو كان ندبا وحضا والدلائل تقوي أن قيامه كان حتما وفرضا وذلك أن الندب
والحض لا يقع على بعض الليل دون بعض لأن قيامه ليس مخصوصا به وقتا دون
وقت وأيضا فقد جاء التوقيف بذلك عن عائشة وغيرها على ما يأتي واختلف أيضا
هل كان فرضا على النبي صلى الله عليه وسلم وحده أو عليه وعلى من كان قبله من الأنبياء
أو عليه وعلى أمته ثلاثة أقوال الأول قول سعيد بن جبير لتوجه الخطاب اليه
الثاني قول ابن عباس قال كان قيام الليل فريضة على النبي صلى الله عليه وسلم
والأنبياء قبله الثالث قول عائشة وابن عباس أيضا وهو الصحيح كما في صحيح مسلم
عن زرارة أن سعيد بن هشام بن عامر أراد أن يغزو في سبيل الله الحديث وفيه
فقلت لعائشة أنبئيني عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ألست تقرأ
يا أيها المزمل فقلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة
فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا وأمسك الله عز وجل خاتمتها اثني
عشر شهرا في السماء حتى أنزل الله عز وجل في آخر السورة التخفيف فصار قيام الليل
تطوعا بعد فريضة وذكر الحديث وذكر وكيع ويعلى قالا حدثنا مسعر عن سماك الحنفي
قال سمعت ابن عباس يقول لما نزلت أول يا أيها المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم
في شهر رمضان حتى نزل آخرها وكان بين أولها وآخرها نحو من سنة وقال سعيد
ابن جبير مكث النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزلت
بعد عشر سنين ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل فخفف الله عنهم السادسة
قوله تعالى الا قليلا استثناء من الليل أي صل الليل كله الا يسيرا منه لأن قيام جميعه
على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد والقليل من الشيء ما دون

النصف

النصف يحكى عن وهب بن منبه أنه قال ما دون المعشار والسدس وقال الكلبي
ومقاتل الثلث ثم قال تعالى نصفه أو انقص منه قليلا فكان ذلك تخفيفا اذ لم يكن
زمان القيام محدودا فقام الناس حتى ورمت أقدامهم ثم نسخ ذلك بقوله علم أن لن تحصوه
وقال الأخفش نصفه أي أو نصفه يقال أعطه درهما درهمين ثلاثة تريد أو درهمين
أو ثلاثة وقال الزجاج نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف والضمير
في منه وعليه للنصف المعنى قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا الى الثلث أو زد
عليه قليلا الى الثلثين فكأنه قال قم ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه وقيل ان نصفه بدل
من قوله قليلا وكان تخييرا بين ثلاث من قيام النصف بتمامه وبين الناقص منه وبين
قيام الزائد عليه كأن تقدير الكلام قم الليل الا نصفه أو أقل من نصفه أو أكثر من نصفه
مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل الله عز وجل الى سماء
الدنيا كل ليلة حين يمضي ثلث الليل الأول فيقول أنا الملك أنا الملك من ذا الذي يدعوني
فأستجيب له من ذا الذي يسألني فأعطيه من ذا الذي يستغفرني فأغفر له فلا يزال كذلك
حتى يضيء الفجر ونحوه عن أبي هريرة وأبي سعيد جميعا وهو يدل على ترغيب قيام ثلثي الليل
وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مضى شطره
أو ثلثاه ينزل الله الحديث رواه من طريقين عن أبي هريرة هكذا على الشك وقد جاء في كتاب
النسائي عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الأول ثم يأمر مناديا يقول هل من داع فيستجاب
له هل من مستغفر يغفر له هل من سائل يعطى صححه أبو محمد عبد الحق فبين هذا الحديث
مع صحته معنى النزول وأن ذلك يكون عند نصف الليل وخرج ابن ماجه من حديث ابن
شهاب عن أبي سلمة وأبي عبد الله الأغر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينزل الله تبارك وتعالى حين يبقى ثلث الليل الآخر من كل ليلة فيقول من يسألني
فأعطيه من يدعوني فأستجيب له من يستغفرني فأغفر له حتى يطلع الفجر فلذلك كانوا يستحبون
صلاة آخر الليل على أوله قال علماؤنا وبهذا الترتيب انتظم الحديث والقرآن فانهما ينظران
من مشكاة واحدة وفي الموطأ وغيره من حديث ابن عباس عند خالتي ميمونة حتى اذا
انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقام الى شن معلق فتوضأ وضوءا خفيفا وذكر الحديث السادسة اختلف العلماء في الناسخ
للأمر بقيام الليل فعن ابن عباس وعائشة أن الناسخ قوله ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى
من ثلثي الليل الى آخر السورة وقيل قوله علم أن لن تحصوه وعن ابن عباس أيضا هو
منسوخ بقوله علم أن سيكون منكم مرضى وعن عائشة أيضا والشافعي ومقاتل وابن
كيسان هو منسوخ بالصلوات الخمس وقيل الناسخ لذلك قوله فاقرءوا ما تيسر منه وقال
أبو عبد الرحمن السلمي لما نزلت يا أيها المزمل قاموا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم ثم نزلت
فاقرءوا ما تيسر منه قال بعض العلماء وهو فرض نسخ به فرض كان على النبي صلى الله عليه
وسلم خاصة لفضله كما قال ومن الليل فتهجد به نافلة لك قال الشيخ المصنف رحمه الله
القول الأول يعم جميع الأقوال وقد قال تعالى وأقيموا الصلاة فدخل فيها قول من قال
ان الناسخ الصلوات الخمس وقد ذهب الحسن وابن سيرين الى أن صلاة الليل فريضة
على كل مسلم ولو على قدر حلب شاة وعن الحسن أيضا أنه قال في هذه الآية الحمد لله تطوع
بعد الفريضة وهو الصحيح ان شاء الله لما جاء في قيامه من الترغيب والفضل في القرآن
والسنة وعن عائشة رضي الله عنها قالت كنت أجعل للنبي صلى الله عليه وسلم حصيرا
يصلي عليه من الليل فتسامع الناس به فلما رأى جماعتهم كره ذلك وخشي أن يكتب عليهم
قيام الليل فدخل البيت كالمغضب فجعلوا يتنحنحون ويتفلون فخرج اليهم فقال
يا أيها الناس اكلفوا من الأعمال ما تطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل
وان خير العمل أدومه وان قل فنزلت يا أيها المزمل فكتبت عليهم وأنزلت بمنزلة الفريضة
حتى كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به فمكثوا ثمانية أشهر فرحمهم الله وأنزل ان ربك

يعلم أنك تقوم الآية فردهم الله إلى الفرض ووضع عنهم قيام الليل إلا ما تطوعوا به قال
الشيخ المصنف رحمه الله حديث عائشة هذا ذكره الثعلبي ومعناه ثابت في الصحيح إلى
قوله وإن قلوصا فيه يدل على أن قوله يا أيها المزمل نزل بالمدينة وأنهم مكثوا ثمانية أشهر
يقومون وقد تقدم عنها في صحيح مسلم حولا وحكى الماوردي عنها قولا ثالثا وهو ستة
عشر شهرا لم يذكر غيره عنها وذكر عن ابن عباس أنه كان بين أول المزمل وآخرها سنة قال
فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كان فرضا عليه وفي نسخه عنه قولان أحدهما أنه
كان فرضه عليه إلى أن قبضه الله تعالى الثاني أنه نسخ عنه كما نسخ عن أمته وفي مدة فرضه
إلى أن نسخ قولان أحدهما المدة المفروضة على أمته في القولين الماضيين يريد قول ابن عباس
حولا وقول عائشة ستة عشر شهرا الثاني أنها عشر سنين إلى أن خفف عنه بالنسخ زيادة في
التكليف ليميزه بفضل الرسالة قاله ابن جبير قال الشيخ المصنف رحمه الله هذا خلاف
ما ذكره الثعلبي عن سعيد بن جبير حسب ما تقدم فتأمله وآيات هذه المسألة زيادة بيان
آخر السورة إن شاء الله تعالى الرابعة قوله تعالى ورتل القرآن ترتيلا أي لا تعجل بقراءة
القرآن بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني وقال الضحاك اقرأه حرفا حرفا وقال مجاهد
أحب الناس إلى الله في القراءة أعقلهم عنه والترتيل التنضيد والتنسيق وحسن النظام ومنه
ثغر رتل ورتل بكسر العين وفتحها إذا كان حسن التنضيد وقد تقدم بيانه في مقدمة الكتاب
وروى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم مر برجل يقرأ آية ويبكي فقال ألم تسمعوا إلى قول
الله عز وجل ورتل القرآن ترتيلا هذا الترتيل وسمع علقمة رجلا يقرأ قراءة حسنة فقال لقد رتل
القرآن فداه أبي وأمي وقال أبو بكر بن طاهر تدبر في لطائف خطابه وطالب نفسك بالقيام
بأحكامه وقلبك بفهم معانيه وسرك بالإقبال عليه وروى عبد الله بن عمرو قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم يؤتى بقارئ القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال
له اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها خرجه
أبو داود وقد تقدم في أول الكتاب وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمد صوته
بالقراءة مدا قوله تعالى إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا هو متصل بما فرض من قيام الليل
أي سنلقي عليك بافتراض صلاة الليل قولا ثقيلا يثقل حمله لأن الليل للمنام فمن أمر
بقيام أكثره لم يتهيأ له إلا بحمل شديد على النفس ومجاهدة الشيطان فهو أمر يثقل على
العبد وقيل إنا سنوحي إليك القرآن وهو قول ثقيل العمل بشرائعه قال قتادة ثقيل
والله فرائضه وحدوده مجاهد حلاله وحرامه الحسن العمل به أبو العالية ثقيلا بالوعد
والوعيد والحلال والحرام محمد بن كعب ثقيلا على المنافقين وقيل على الكفار لما فيه
من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالتهم وسب آلهتهم والكشف عما حرفه أهل الكتاب
السدي ثقيل بمعنى كريم مأخوذ من قولهم فلان ثقيل علي أي يكرم علي الفراء ثقيلا رزينا
ليس بالخفيف السفساف لأنه كلام ربنا وقال الحسين بن الفضل ثقيلا لا يحمله إلا قلب
مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد وقال ابن زيد هو والله ثقيل مبارك
كما ثقل في الدنيا يثقل في الميزان يوم القيامة وقيل ثقيلا أي ثابتا كثبوت الثقيل
في محله ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبدا وقيل هو القرآن نفسه
كما جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت
جرانها يعني صدرها على الأرض فما تستطيع أن تتحرك حتى يسرى عنه الوحي وفي الموطأ
وغيره أنه عليه السلام سئل كيف يأتيك الوحي فقال أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس
وهو أشده علي فيفصم عني وقد وعيت ما قال وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فأعي ما يقول
قالت عائشة رضي الله عنها ولقد رأيته ينزل عليه في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه
وإن جبينه ليتفصد عرقا قال ابن العربي وهذا أولى لأنه الحقيقة وقد جاء وما جعل
عليكم في الدين من حرج وقال عليه السلام بعثت بالحنيفية السمحة وقيل القول
في هذه السورة قول لا إله إلا الله وفي الخبر لا إله إلا الله خفيفة على اللسان ثقيلة
في الميزان ذكره القشيري قوله تعالى إن ناشئة الليل فيه خمس مسائل الأولى قال العلماء

ناشئة الليل أي أوقاته وساعاته لأن أوقاته تنشأ أولا فأولا يقال نشأ الشيء
ينشأ إذا ابتدأ وقيل نشئ فهو ناشئ وأنشأه الله فنشأ ومنه نشأت السحابة إذا بدأت
وأنشأها الله فناشئة فاعلة من نشأت تنشأ فهي ناشئة ومنه قوله تعالى أو من
ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين والمراد أن ساعات الليل الناشئة فاكتفى بالوصف
عن الاسم فالتأنيث للفظ ساعة لأن كل ساعة تحدث وقيل الناشئة مصدر بمنزلة
العاقبة والكاذبة أي أن ناشئة الليل هي أشد وطئا وقيل إن ناشئة الليل قيام الليل
قال ابن مسعود الحبشة يقولون نشأ أي قام فلعله أراد أن الكلمة عربية ولكنها شائعة
في كلام الحبشة غالبة عليهم وإلا فليس في القرآن ما ليس من لغة العرب وقد تقدم بيان
هذا في مقدمة الكتاب مستوفى الثانية بين تعالى في هذه الآية فضل صلاة الليل
على صلاة النهار وأن الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للأجر وأجلب
للثواب واختلف العلماء في المراد بناشئة الليل فقال ابن عمر وأنس بن مالك هو ما بين المغرب
والعشاء تمسكا بأن لفظ نشأ يعطي الابتداء فكان بالأولية أحق ومنه قول الشاعر

ولولا أن يقال صبا نصيب ... لقلت بنفسي النشأ الصغار

وكان علي بن الحسين يصلي بين المغرب والعشاء ويقول هذا ناشئة الليل وقال عطاء
وعكرمة إنه بدء الليل وقال ابن عباس ومجاهد وغيرهما هي الليل كله لأنه ينشأ بعد
النهار وهو الذي اختاره مالك بن أنس ابن العربي وهو الذي يعطيه اللفظ وتقتضيه
اللغة وقالت عائشة وابن عباس أيضا ومجاهد إنما الناشئة القيام بالليل بعد النوم فما
قام ناشئة وقال يمان وابن كيسان هو القيام من آخر الليل وقال ابن عباس كانت صلاتهم
أول الليل وذلك أن الإنسان إذا نام لا يدري متى يستيقظ وفي الصحاح وناشئة الليل
أول ساعاته وقال القتبي إنها ساعات الليل لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة وعن الحسن
ومجاهد هي ما بعد العشاء الآخرة إلى الصبح وعن الحسن ما كان بعد العشاء فهو ناشئة
ويقال ما ينشأ في الليل من الطاعات حكاه الجوهري الثالثة قوله تعالى هي أشد وطئا
قرأ أبو العالية وأبو عمرو وابن أبي إسحاق ومجاهد وحميد بن محيصن وابن عامر والمغيرة
وأبو حيوة وطاء بكسر الواو وفتح الطاء والمد واختاره أبو عبيد الباقون وطأ بفتح
الواو وسكون الطاء مقصورة واختاره أبو حاتم من قولك اشتدت على القوم وطأة
سلطانهم أي ثقل عليهم ما حملهم من المؤن ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد
وطأتك على مضر فالمعنى أنها أثقل على المصلي من ساعات النهار وذلك أن الليل وقت
منام وتودع وإجمام فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة ومن مد فهو مصدر
واطأت وطاء أي وافقته قال ابن زيد والطاء على الأمر مواطأة إذا وافقته من الوفاق
وفلان يواطئ اسمه اسمي وتواطئوا عليه أي توافقوا فالمعنى أشد موافقة بين القلب
والبصر والسمع واللسان لانقطاع الأصوات والحركات قاله مجاهد وابن أبي مليكة وغيرهما
وقال ابن عباس بمعناه أي يواطئ السمع القلب قال الله تعالى ليواطئوا عدة ما حرم الله أي
ليوافقوا وقيل المعنى أشد مهادا للتصرف في التفكر والتدبر والوطاء خلاف الغطاء
وقيل أشد وطأ بسكون الطاء وفتح الواو أشد ثباتا من النهار فإن الليل يخلو فيه
الإنسان بما يعمله فيكون ذلك أثبت للعمل وأبقى لما يلهي ويشغل القلب والوطء الثبات
تقول وطئت الأرض بقدمي وقال الأخفش أشد قياما الفراء أشد وطأ أي أثبت للعمل
وأدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة والليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش فعبادته
تدوم ولا تنقطع وقال الكلبي أشد وطأ أي أشد نشاطا للمصلي لأنه في زمان راحته
وقال عبادة أشد واحفظ وأثبت للقراءة الرابعة قوله تعالى وأقوم قيلا أي القراءة
بالليل أقوم منها بالنهار أي أشد استقامة واستمرارا على الصواب لأن الأصوات
هادئة والدنيا ساكنة فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه قال قتادة ومجاهد أي أصوب
للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم وقال أبو علي أقوم قيلا أي أشد استقامة
لفراغ البال بالليل وقيل أي أعجل إجابة للدعاء حكاه ابن شجرة وقال عكرمة عبادة

الليل اثم نشاطا واثم اخلاصا واكثر بركة وعن زيد بن اسلم اجدر ان يتفقه في القران
وعن الاعمش قال قرا انس بن مالك ان ناشئة الليل هي اشد وطا واصوب قيلا
فقيل له واقوم قيلا فقال اقوم واصوب واهيا سوا قال ابو بكر الانباري وقد
ترامي ببعض هولاء الزايغين الي ان قال ان من قرا بحرف يوافق معني حرف من القران
فهو مصيب اذا لم يخالف ولم يات بغير ما اراد الله وقصد له واحتجوا بقول انس هذا
وهو قول لا يعرج عليه ولا يلتفت الي قايله لانه لو قري بالفاظ تخالف القران اذا
قاربت معانيها واشتملت علي عامتها لجاز ان يقرا الحمد لله رب العالمين الشكر للباري
مالك المخلوقين ويتسع الامر في هذا حتي يبطل لفظ جميع القران ويكون التالي مفتريا
علي الله عز وجل كاذبا علي الرسول عليه السلام ولا حجة لهم في قول ابن مسعود نزل
القران علي سبعة احرف انما هو كقول احدكم هلم وتعال واقبل لان هذا الحديث
يوجب ان القراءات المأثورة والمنقولة بالاسانيد الصحاح عن النبي صلي الله عليه وسلم
اذا اختلفت الفاظها اتفقت معانيها كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم وتعال
واقبل فاما ما لم يقرا به النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم
فانه من اورد حرفا منه في القران بهت ومار وخرج عن مذاهب الصواب قال ابو
بكر والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن احد من اهل
العلم لانه مبني علي رواية الاعمش عن انس فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من
قبل ان الاعمش راي انسا ولم يسمع منه الخامسة قوله تعالي ان لك في النهار سبحا طويلا
قراءة العامة بالحاء غير معجمة اي تصرفا في حوائجك واقبالا وادبارا وذهابا ومجيا والسبح
الجري والدوران ومنه السابح في الماء لتقلبه بيديه ورجليه وفرس سابح شديد
الجري قال امرؤ القيس ۝ اذا ما السابحات علي الونا اثرن غبارا بالكديد المركل ۝
وقيل السبح الفراغ اي ان لك فراغا للحاجات بالنهار وقيل ان لك في النهار سبحا اي
نوما والسبح النوم ذكره الخليل وعن ابن عباس وعطا سبحا طويلا يعني فراغا طويلا
لنومك وراحتك فاجعل ناشئة الليل لعبادة ربك وقال الزجاج ان فاتك في الليل شي
فلك في النهار فراغ للاستدراك وقرا يحيي بن يعمر وابن وائل سبخا بالخاء المعجمة قال
المهدوي ومعناه النوم روي ذلك عن القارئين بهذه القراءة وقيل معناه الخفة
والسعة والاستراحة ومنه قول النبي صلي الله عليه وسلم لعايشة وقد دعت علي سارق
ردايها لا تسبخي بدعايك اي لا تخففي عنه اثمه قال الشاعر ۝
۝ فسبخ عليك الهم واعلم بانه ۝ اذا قدر الرحمن شيا فكاين ۝
الاصمعي يقال سبخ الله عنك الحمي اي خففها وسبخ الحر فتر وخف والتسبيخ النوم الشديد
والتسبيخ ايضا توسيع القطن والكتان بالصوف وتنفيشها يقال للمراة سبخي قطنك
والسبيخ من القطن ما تسبخه بعد الندف اي تلفه لتغزله المراة والقطعة منه سبيخة
وكذلك من الصوف والوبر ويقال لقطع القطن سبايخ قال الاخطل يصف القناص
للكلاب ۝ فارسلوهن تذرين التراب كما ۝ تذري سبايخ قطن ندف اوتار ۝
وقال ثعلب السبخ التردد والاضطراب والسبخ السكون ومنه قول النبي صلي
الله عليه وسلم الحمي من فيح جهنم فسبخوها بالماء اي سكنوها بالماء وقال ابو عمر والسبخ
النوم والفراغ قال الشيخ المصنف رحمه الله تعالي فعلي هذا يكون من الاضداد
ويكون بمعني السبح بالحاء غير المعجمة قوله تعالي واذكر اسم ربك فيه ثلاث مسايل
الاولي قوله تعالي واذكر اسم ربك اي ادعه باسمايه الحسني ليحصل لك مع الصلاة
محمود العاقبة وقيل اي اقصد بعملك وجه ربك وقال سهل اقرا بسم الله الرحمن الرحيم
في ابتدا صلاتك توصلك بركة قراءتها الي ربك وتقطعك عما سواه وقيل واذكر
اسم ربك في وعده ووعيده لتوفر علي طاعته وتعدل عن معصيته وقال
الكلبي صل لربك اي بالنهار اذ هو شبيه وقد قال تعالي وهو الذي جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر علي ما تقدم الثانية قوله تعالي وتبتل اليه تبتيلا التبتل

الانقطاع

الانقطاع الي عبادة الله عز وجل اي انقطع بعبادتك اليه ولا تشرك به غيره يقال بتت
الشي اي قطعته ومنه قولهم طلقها بتة بتلة وهذه صدقة بتة بتلة اي باينة منقطعة عن
صاحبها اي قطع ملكه عنها بالكلية ومنه مريم البتول لانقطاعها الي الله تعالي ويقال للراهب
متبتل لانقطاعه عن الناس وانفراده بالعبادة قال ۝
۝ تضي الظلام بالعشي كانها ۝ منارة ممسي راهب متبتل ۝
وفي الحديث النهي عن التبتل وهو الانقطاع عن الناس والجماعات وقيل ان اصله عند
العرب التفرد قال ابن عرفة والاول اقوي لما ذكرناه ويقال كيف قال تبتيلا ولم يقل تبتلا
قيل له لان معني تبتل بتل نفسه فجي به علي معناه مراعاة لحق الفواصل الثالثة قد مضي
في المايدة تفسير قوله تعالي يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كراهة لمن
تبتل وانقطع وسلك سبيل الرهبانية بما فيه كفاية قال ابن العربي واما اليوم وقد
مرجت عهود الناس وخفت اماناتهم واستولي الحرام علي الطعام فالعزلة خير من الخلطة
والعزبة افضل من التاهل ولكن معني الاية انقطع عن الاوثان والاصنام وعن عبادة
غير الله وكذلك قال مجاهد اخلص له العبادة ولم يرد التبتل فصار التبتل مامورا به في
القران منهيا عنه في السنة ومتعلق الامر غير متعلق النهي فلا يتناقضان وانما بعث
ليبين للناس ما نزل اليهم فالتبتل المامور به الانقطاع الي الله باخلاص العبادة كما قال
وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتبتل المنهي عنه هو سلوك مسلك النصاري
في ترك النكاح والترهب في الصوامع لكن عند فساد الزمان يكون خير مال المسلم غنما
يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن قوله تعالي رب المشرق
والمغرب قرا اهل الحرمين وابن محيصن ومجاهد وابو عمرو وابن ابي اسحاق وحفص رب
بالرفع علي الابتدا والخبر لا اله الا هو وقيل علي اضمار هو الباقون رب بالخفض علي نعت
الرب تعالي في قوله واذكر اسم ربك رب المشرق ومن علم انه رب المشارق والمغارب
انقطع بعمله واملة اليه فاتخذه وكيلا اي قايما بامورك وقيل كفيلا بما وعدك قوله
تعالي واصبر علي ما يقولون من الاذي والسب والاستهزا ولا تجزع من قولهم ولا تمتنع
من دعايهم واهجرهم هجرا جميلا اي لا تتعرض لهم ولا تشتغل بمكافاتهم فان في ذلك ترك الدعا
الي الله وكان هذا قبل الامر بالقتال ثم امر بعد بقتالهم فنسخت اية القتال ما كان
قبلها من الترك قاله قتادة وغيره وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه ونضحك
اليهم وان قلوبنا لتقليهم او لتلعنهم قوله تعالي وذرني والمكذبين اي ارض بي
لعقابهم نزلت في صناديد قريش ورؤسا مكة من المستهزئين وقال مقاتل نزلت في
المطعمين يوم بدر وهم عشرة وقد تقدم ذكرهم في الانفال وقال يحيي بن سلام انهم
بنو المغيرة وقال سعيد بن جبير اخبرت انهم اثنا عشر رجلا اولي النعمة اي اولي الغني
والترفه واللذة في الدنيا ومهلهم قليلا يعني الي مدة اجالهم قالت عايشة رضي الله
عنها لما نزلت هذه الاية لم يكن الا يسيرا حتي كانت وقعة بدر وقيل ومهلهم قليلا مدة
الدنيا قوله تعالي ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما الانكال القيود عن الحسن ومجاهد
وغيرهما واحدها نكل وهو ما منع الانسان من الحركة وقيل سمي نكالا لانه ينكل به قال
الشعبي اترون ان الله جعل الانكال في ارجل اهل النار خشية ان يهربوا لا والله ولكنهم
اذا ارادوا ان يرتفعوا استفلت بهم وقال الكلبي الانكال الاغلال والاول اعرف في اللغة
ومنه قول الخنسا ۝ دعاك فقطعت انكاله ۝ وقد كن قبلك لا تقطع ۝
وقيل انه انواع العذاب الشديد قاله مقاتل وقد جا ان النبي صلي الله عليه وسلم قال ان
الله يحب النكل علي النكل بالتحريك قاله الجوهري قيل وما النكل قال الرجل القوي
المجرب علي الفرس ذكره الماوردي قال ومن ذلك سمي القيد نكلا لقوته وكذلك الغل
وكل عذاب قوي فاشتد والجحيم النار المؤججة وطعاما ذا غصة اي غير سايغ ياخذ بالحلق
لا هو نازل ولا هو خارج وهو الغسلين والزقوم والضريع قاله ابن عباس وعنه ايضا
انه شوك يدخل الحلق فلا ينزل ولا يخرج وقال الزجاج اي طعامهم الضريع كما قال

ليس لهم طعام الا من ضريع وهو شوك كالعوسج وقال مجاهد هو الزقوم كما قال ان
شجرة الزقوم طعام الاثيم والمعنى واحد وقال حمران بن اعين قرا النبي صلى الله
عليه وسلم ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق وقال خليد بن
حسان امسى الحسن عندنا صائما فاتيته بطعام فعرضت له هذه الاية ان لدينا انكالا
وجحيما وطعاما فقال ارفع الطعام فلما كانت الثانية اتيته بطعام فعرضت له هذه الاية
فقال ارفعوه ومثله في الثالثة فانطلق ابنه الى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى
البكا فحدثهم فجاؤه فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق والغصة الشجى وهو ما ينشب
في الحلق من عظم وغيره وجمعها غصص والغصص بالفتح مصدر قولك غصصت يا رجل
تغص فانت غاص بالطعام وغصان واغصصته انا والمنزل غاص بالقوم قوله تعالى
يوم ترجف الارض والجبال وقيل بما في لدينا وقيل بنزع الخافض اي تتحرك وتضطرب
بمن عليها وانتصب يوم على الظرف اي ينكل بهم ويعذبون يوم ترجف الارض والجبال
وقيل بما في لدينا وقيل بنزع الخافض يعني هذه العقوبة في يوم ترجف الارض
والجبال وقيل العامل ذرني والمكذبين يوم ترجف وكانت الجبال اي وتكون والكثيب
الرمل المجتمع قال حسان . عرفت ديار زينب بالكثيب . كخط الوحي في الورق القشيب .
والمهيل الذي يمر تحت الارجل قال الضحاك والكلبي المهيل الذي اذا وطئته بالقدم
زل من تحتها واذا اخذت اسفله انهال وقال ابن عباس مهيلا اي رملا سائلا متناثرا
واصله مهيول وهو مفعول من قولك هلت عليه التراب اهيله اهالة وهيلا اذا صببته
يقال مهيل ومهيول ومكيل ومكيول ومدين ومديون ومعين ومعيون قال الشاعر
. قد كان قومك يحسبونك سيدا . واخال انك سيد معيون .
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انهم شكوا اليه الجدوبة فقال اتكيلون ام تهيلون
قالوا نهيل قال كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه واهلت الدقيق لغة في هلت فهو مهال
ومهيل فحذفت الواو لالتقاء الساكنين قوله تعالى انا ارسلنا اليكم رسولا يريد
النبي صلى الله عليه وسلم ارسله الى قريش كما ارسلنا الى فرعون رسولا وهو موسى
فعصى فرعون الرسول اي كذبه ولم يومن قال مقاتل ذكر موسى وفرعون
لان اهل مكة ازدروا محمدا صلى الله عليه وسلم واستخفوا به لانه ولد فيهم كما ان فرعون
ازدرى موسى لانه رباه ونشا فيما بينهم كما قال الم نربك فينا وليدا قال المهدوي
ودخلت الالف واللام في الرسول لتقدم ذكره ولذلك اختير في اول الكتب سلام
عليكم وفي اخرها السلام عليكم قوله وبيلا اي شديدا وضرب وبيل وعذاب
وبيل اي شديد قاله ابن عباس ومجاهد ومنه مطر وابل اي شديد قاله الاخفش
وقال الزجاج اي ثقيلا غليظا ومنه قيل للمطر وابل وقيل مهلكا قال . اكلت بنيك
اكل الضب حتى . وجدت مرارة الكلا الوبيل . واستوبل فلان كذا اي لم يحمد عاقبته
وماء وبيل اي وخيم غير مري وكلا مستوبل وطعام وبيل ومستوبل اذا لم يمرى ولم يستمرا
قال زهير . فقضوا منايا بينهم ثم اصدروا . الى كلا مستوبل متوخم .
وقالت الخنساء . لقد اكلت بجيلة يوم لاقت . فوارس مالك اكلا وبيلا .
والوبيل ايضا العصا الضخمة قال .
. لو اصبح في يمنى يدي زمامها . وفي كفي الاخرى وبيل تحاذره .
وكذلك الموبل بكسر الباء والموبلة ايضا الحزمة من الحطب وكذلك الوبيل قال طرفة
عقيلة شيخ كالوبيل يلندد قوله تعالى فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان
شيبا هو تقريع وتوبيخ اي كيف تتقون العذاب ان كفرتم وفيه تقديم وتاخير
اي كيف تتقون يوما يجعل الولدان شيبا ان كفرتم وكذا قرا عبد الله وعطية قال
الحسن اي باي صلاة تتقون العذاب وفيه اضمار اي كيف تتقون عذاب يوم وقال
قتادة والله ما يتقي من كفر بالله ذلك اليوم بشيء ويوما مفعول بتتقون على هذه
القراة وليس بظرف وان قدر الكفر بمعنى الجحود كان اليوم مفعول كفرتم وقال بعض

المفسرين

المفسرين وقف التمام على قوله ان كفرتم والابتداء يوما يذهب الى ان اليوم مفعول يجعل
والفعل لله عز وجل كانه قال يجعل الله الولدان شيبا في يوم قال ابن الانباري وهذا لا يصح
لان اليوم هو الذي يفعل هذا من شدة هوله المهدوي والضمير في يجعل يجوز ان يكون
لله عز وجل ويجوز ان يكون لليوم واذا كان لليوم صلح ان يكون صفة له ولا يصلح ذلك
اذا كان الضمير لله عز وجل الا مع تقدير حذف كانه قال يوما يجعل الله الولدان فيه شيبا ابن
الانباري ومنهم من نصب اليوم بكفرتم وهذا قبيح لان اليوم اذا علق بكفرتم احتاج
الى صفة كفرتم بيوم فان احتج محتج بان الصفة قد تحذف وينصب ما بعدها احتججنا عليه
بقراة عبد الله فكيف تتقون يوما قال الشيخ المصنف رحمه الله هذه القراة ليست متواترة
وانما جاءت على وجه التفسير واذا كان الكفر بمعنى الجحود فيوما مفعول صريح من غير صفة ولا
حذف منها اي فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء وقرا ابو السماك نفسه
فكيف تتقون بكسر النون على الاضافة والولدان الصبيان وقال السدي هم اولاد الزنا
وقيل اولاد المشركين والعموم اصح اي يشيب اليوم فيه الصغير من غير كبر وذلك حين يقال
لادم يا ادم قم فابعث بعث النار على ما تقدم في اول سورة الحج قال القشيري ثم اهل الجنة
يغير الله احوالهم واوصافهم على ما يريد وقيل هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم وهو مجاز
لان يوم القيمة لا يكون فيه ولدان ولكن معناه ان هيبة ذلك اليوم بحال لو كان فيه هناك
صبي لشاب راسه من الهيبة ويقال هذا وقت الفزع قبل ان ينفخ في الصور نفخة الصعق
فالله اعلم الزمخشري وقد روي في بعض الكتب ان رجلا امسى فاحم الشعر كحنك الغراب
واصبح وهو ابيض الراس واللحية كالثغامة فقال اريت القيامة والجنة والنار في المنام
ورايت الناس يقادون في السلاسل الى النار فمن هول ذلك اصبحت كما ترون ويجوز ان
يوصف اليوم بالطول وان الاطفال يبلغون فيه اوان الشيخوخة والشيب قوله
تعالى السماء منفطر به اي متشققة لشدته وعظيم هوله اي فيه ذلك اليوم لهوله هذا
احسن ما قيل فيه ويقال مثقلة به اثقالا يؤدي الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها
من وقوعه كقوله ثقلت في السموات والارض وقيل به اي له اي لذلك اليوم ويقال مثقلة
كذا اعرف فيك وجرحتك والباء واللام وفي متقاربة في مثل هذا الموضع قال الله تعالى
ونضع الموازين القسط ليوم القيامة اي في يوم القيامة وقيل به اي بالله اي السماء منفطرة
بما يجعل الولدان شيبا وقيل منفطر بها اي بامره وقال ابو عمرو بن العلاء لم يقل منفطرة لان
مجازها السقف تقول هذا سماء البيت قال الشاعر
. فلو رفع السماء اليه قوما . لحقنا بالسماء وبالسحاب .
وفي التنزيل وجعلنا السماء سقفا محفوظا وقال الفراء السماء يذكر ويؤنث وقال ابو
علي هو من باب الجراد المنتشر والشجر الاخضر واعجاز نخل منقعر وقال ابو علي ايضا
اي السماء ذات انفطار كقولهم امراة مرضع اي ذات ارضاع فجرى على طريق النسب كان
وعده اي بالقيامة والحساب والجزاء مفعولا كائنا لا شك فيه ولا خلف وقال مقاتل
كان وعده بان يظهر على الدين كله قوله تعالى ان هذه تذكرة يريد هذه السورة
او الايات عظة وقيل ايات القران اذ هو كالسورة الواحدة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا
اي من اراد ان يومن ويتخذ بذلك الى ربه سبيلا اي طريقا الى رضاه ورحمته فليرغب فقد
امكن له لانه اظهر له الحجج والدلائل ثم قيل نسخت باية السيف وكذلك قوله فمن شاء ذكره
قال الثعلبي والاشبه انه غير منسوخ قوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من
ثلثي الليل الى اخر السورة فيه ثلاث عشرة مسئلة الاولى هذه الاية تفسير لقوله قم
الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه كما تقدم معناه تصلي وادنى اقل
وقرا ابن السميقع وابو حيوة وهشام عن اهل الشام ثلثي باسكان اللام ونصفه وثلثه بالخفض
قراة العامة عطفا على ثلثي المعنى وتقوم ادنى من ثلثي الليل ومن نصفه ومن ثلثه واختاره
ابو عبيد وابو حاتم لقوله علم ان لن تحصوه فكيف تقومون نصفه او ثلثه وهم لا يحصونه
وقرا ابن كثير والكوفيون ونصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى التقدير وتقوم ادنى

من ثلثي الليل ويقوم نصفه وثلثه قال الفرا وهو اشبه بالصواب لانه قال اقل من
الثلثين ثم ذكر نفس القلة لا اقل من القلة القشيري وعلى هذه القراة يحتمل انهم كانوا يصيبون
الثلث والنصف لخفة القيام عليهم بذلك القدر وكانوا يزيدون وفي الزيادة اصابة
المقصود فاما الثلثان فكان يثقل عليهم قيامه فلا يصيبونه وينقصون منه ويحتمل
انهم امروا بقيام نصف الليل ورخص لهم في الزيادة والنقصان فكانوا ينتهون في الزيادة
الى قريب من الثلثين وفي النصف الى الثلث ويحتمل انهم قدر لهم النصف وانقص الى الثلث
والزيادة الى الثلثين وكان فيهم من يفي بذلك ومنهم من يترك ذلك الى ان نسخ عنهم
وقال قوم انما افترض عليهم الربع فكانوا ينقصون من الربع وهذا القول تحكم الثانية
قوله تعالى والله يقدر الليل والنهار اي يعلم مقادير الليل والنهار على حقايقها وانتم
تعلمون بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطا علم ان لن تحصوه اي لن تطيقوا معرفة
حقايق ذلك والقيام به وقيل اي لن تطيقوا قيام الليل والاول اصح فان قيام الليل
ما فرض كله قط قال مقاتل وغيره لما نزلت قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا
شق ذلك عليهم وكان الرجل لا يدري متى نصف الليل من ثلثه فيقوم حتى يصبح مخافة
ان لا يخطي فانتفخت اقدامهم وانتقعت الوانهم فرحمهم الله وخفف عليهم فقال تعالى علم
ان لن تحصوه وان خففتم من الثقيلة اي علم انكم لن تحصوه لانكم ان زدتم ثقل عليكم
واحتجتم الى تكليف ما ليس فرضا وان نقصتم شق ذلك عليكم الثالثة قوله تعالى فتاب
عليكم اي فعاد عليكم بالعفو وهذا يدل على انه كان فيهم من ترك بعض ما امر به وقيل
اي فتاب عليكم من فرض القيام اذ عجزتم واصل التوبة الرجوع كما تقدم فالمعنى رجع
لكم من تثقيل الى تخفيف ومن عسر الى يسر وانما امروا بحفظ الاوقات على طريق التحري
فخفف عنهم ذلك التحري وقيل معنى والله يقدر الليل والنهار يخلقهما مقدرين
كقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا ابن العربي تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم
وانما يربط الله به ما شاء من وظايف التكليف الرابعة قوله تعالى فاقروا ما تيسر من
القران فيه قولان احدهما ان المراد نفس القراة اي فاقروا فيما تصلونه بالليل ما خف
عليكم قال السدي مائة اية الحسن من قرا مائة اية في ليلة لم يحاجه القران وقال كعب
من قرا في ليلة مائة اية كتب من القانتين وقال سعيد خمسون اية قال الشيخ
المصنف رحمه الله قول كعب اصح لقوله عليه السلام من قام بعشر ايات لم يكتب من الغافلين
ومن قام بمائة اية كتب من القانتين ومن قام بالف اية كتب من المقنطرين خرجه ابو
داود الطيالسي في مسنده من حديث عبد الله بن عمرو وقد ذكرناه في مقدمة الكتاب
والحمد لله القول الثاني فاقروا ما تيسر منه اي فصلوا ما تيسر عليكم والصلاة تسمى
قرانا كقوله وقران الفجر اي صلاة الفجر ابن العربي وهو الاصح لانه عن الصلاة اخبر
واليها يرجع القول قال الشيخ المصنف رحمه الله الاول اصح حملا للخطاب على
ظاهر اللفظ والقول الثاني مجاز فانه من تسمية الشيء ببعض ما هو من اعماله
الخامسة قال بعض العلما قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه نسخ قيام الليل ونصفه
والنقصان من النصف والزيادة عليه ثم احتمل قول الله عز وجل فاقروا ما تيسر
منه معنيين احدهما ان يكون فرضا ثابتا لانه ازيل به فرض غيره والاخر ان يكون
فرضا منسوخا ازيل بغيره كما ازيل به غيره وذلك لقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك اي فتهجد بغير الذي فرض عليه مما تيسر منه قال الشافعي فكان
الواجب طلب الاستدلال بالسنة على احد المعنيين فوجدنا سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم تدل على ان لا واجب من الصلاة الا الخمس السادسة قال القشيري
ابو نصر المشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة وبقيت الفريضة في حق النبي
صلى الله عليه وسلم وقيل نسخ التقدير بمقدار وبقي اصل الوجوب كقوله تعالى
فما استيسر من الهدي فالهدي لا بد منه كذلك لم يكن بد من صلاة الليل وذلك فرض
قدره الى اختيار المصلي وعلى هذا فقد قال قوم فرض قيام الليل بالليل باق وهو

مذهب

مذهب الحسن وقال قوم نسخ بالكلية فلا يجب صلاة الليل اصلا وهو مذهب
الشافعي ولعل الفريضة التي بقيت في حق النبي صلى الله عليه وسلم هي هذا وهو
قيامه ومقداره مفوض الى خيرته واذا ثبت ان القيام ليس فرضا فقوله فاقروا
ما تيسر منه معناه اقروا ان تيسر عليكم ذلك وصلوا ان شئتم وصار قوم ان النسخ بالكلية
تقرر في حق الرسول صلى الله عليه وسلم ايضا فما كانت صلاة الليل واجبة عليه
وقوله نافلة لك محمول على حقيقة النفل ومن نسخ المقدار وبقي اصل وجوب قيام
الليل ثم نسخ فهذا النسخ الثاني وقع ببيان مواقيت الصلاة كقوله اقم الصلاة
لدلوك الشمس وقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وما في الخبر من ان
الزيادة على الصلوات الخمس تطوع وقيل وقع النسخ بقوله تعالى ومن الليل فتهجد
به نافلة لك والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وللامة كما ان فريضة الصلاة وان
خوطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله يا ايها النبي قم الليل جاءت عامة له ولغيره
وقد قيل ان فريضة قيام الليل امتدت الى ما بعد الهجرة ونسخت بالمدينة كقوله تعالى
علم ان سيكون منكم مرضى واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون
يقاتلون في سبيل الله وانما فرض القتال بالمدينة فعلى هذا بيان المواقيت جرى
بمكة فقيام الليل نسخ بقوله ومن الليل فتهجد به نافلة لك وقال ابن عباس لما
قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة نسخ قول الله ان ربك يعلم انك تقوم وجوب
صلاة الليل السابعة قوله تعالى علم ان سيكون منكم مرضى الاية بين سبحانه علة
تخفيف قيام الليل فان الخلق منهم المريض ويشق عليهم قيام الليل ويشق عليهم
ان تفوتهم الصلاة والمسافر في التجارات قد لا يطيق قيام الليل والمجاهد كذلك
فخفف الله عن الكل لاجل هولاء وان في ان سيكون مخففة من الثقيلة اي علم انه
سيكون الثامنة سوى الله تعالى في هذه الاية بين درجة المجاهدين والمكتسبين
المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان والافضال فكان هذا دليل
على ان كسب المال بمنزلة الجهاد لانه جمعه مع الجهاد في سبيل الله وروى ابراهيم بن
علقمة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من جالب يجلب طعاما من بلد
الى بلد فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهدا ثم قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم واخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون
يقاتلون في سبيل الله وقال ابن مسعود ايما رجل جلب شيا الى مدينة من مداين
المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله بمنزلة الشهدا وقرا واخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله واخرون يقاتلون في سبيل الله وقال
ابن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد الموت في سبيل الله احب الي من ان اموت بين
شعبتي رحلي ابتغي من فضل الله ضاربا في الارض وقال طاوس الساعي على الارملة
والمسكين كالمجاهد في سبيل الله وعن بعض السلف انه كان بواسط فجهز سفينة حنطة
الى البصرة وكتب الى وكيله بع الطعام يوم تدخل البصرة ولا تؤخره الى غد فوافق
سعة في السعر فقال التجار للوكيل ان اخرته الى جمعة ربحت فيه اضعافه
فاخره جمعة فربح فيه امثاله فكتب الى صاحبه بذلك فكتب اليه صاحب الطعام
يا هذا انا كنا قنعنا بربح يسير مع سلامة ديننا وقد جنيت علينا جناية فاذا
اتاك كتابي هذا فخذ المال وتصدق به على فقراء البصرة وليتني انجو من الاحتكار
كفافا لا علي ولا لي ويروى ان غلاما من اهل مكة كان لا يزال في المسجد فافتقده ابن
عمر فمشى الى بيته فقالت له امه هو على طعام له يبيعه فلقيه فقال له يا بني ما لك وللطعام
فهلا ابل فهلا غنما ان صاحب الطعام يحب المحل وصاحب الماشية يحب
الغيث التاسعة قوله تعالى فاقروا ما تيسر منه اي صلوا ما امكن فاوجب الله من
صلاة الليل ما تيسر ثم نسخ ذلك بايجاب الصلوات الخمس على ما تقدم قال ابن العربي
وقد قال قوم ان فرض قيام الليل سن في ركعتين من هذه الاية قاله البخاري

وغيره وعقد باب وذكر فيه حديث يعقد الشيطان على قافية راس احدكم ثلاث
عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت
عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس
كسلان وذكر سمرة بن جندب عن النبي صلى الله عليه وسلم في الرؤيا قال اما الذي يثلغ
راسه بالحجر فانه ياخذ القران فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة وحديث عبد الله
ابن مسعود قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم رجل ينام الليل كله فقال ذاك
رجل بال الشيطان في اذنه قال ابن العربي فهذه احاديث مقتضيه مطلق الصلاة
المكتوبة فيحمل المطلق على المقيد لاحتماله وتسقط الدعوى من عينه لقيام الليل
وفي الصحيح واللفظ للبخاري قال عبد الله بن عمرو قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل ولو كان فرضا
ما اقره النبي صلى الله عليه وسلم ولا اخبر بمثل هذا الخبر بل كان يذمه غاية الذم
وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر قال كان الرجل في حياة النبي صلى الله عليه وسلم
اذا راى رؤيا قصها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنت غلاما شابا عزبا وكنت
انام في المسجد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايت في النوم كان ملكين
اخذاني فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البير واذا لها قرنان واذا فيها ناس
قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ بالله من النار قال ولقينا ملك فقال لي لم ترع فقصصتها
على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل
عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان بعد لا ينام من الليل الا قليلا فلو كان ترك
القيام معصية لما قال له الملك لم ترع العاشرة ان قيام الليل ليس بفرض وان قوله
فاقرؤوا ما تيسر من القران فاقرؤوا ما تيسر منه محمول على ظاهره من القراءة في الصلاة
فقال مالك والشافعي فاتحة الكتاب لا يجزي العدول عنها ولا الاقتصار على بعضها
وقدر ابو حنيفة باية واحدة من اي القران كانت وعنه ثلاث ايات لانها اقل
سورة ذكر القول الاول الماوردي والثاني ابن العربي والصحيح ما ذهب اليه مالك
والشافعي على ما بيناه في سورة الفاتحة اول الكتاب والحمد لله وقيل ان المراد به
قراءة القران في غير الصلاة قال الماوردي فعلى هذا يكون مطلق هذا الامر
محمولا على الوجوب او على الاستحباب دون الوجوب وهذا قول الاكثرين لانه
لو وجب عليه ان يقراه لوجب عليه ان يحفظه الثاني انه محمول على الوجوب ليقف
بقراءته على اعجازه وما فيه من دلايل التوحيد وبعث الرسل ولا يلزمه اذا قراه
وعرف اعجازه ودلايل التوحيد منه ان يحفظه لان حفظ القران من القرب المستحبة
دون الواجبة ي في قدر ما تضمنه هذا الامر من القراءة خمسة اقاويل احدها جميع
القران لان الله يسره على عباده قاله الضحاك الثاني ثلث القران حكاه جويبر
الثالث مايتا اية قاله السدي الرابع ماية اية قاله ابن عباس الخامس ثلاث
ايات قاله ابو خالد الكناني الثانية عشرة قوله تعالى واقيموا الصلاة يعني
المفروضة وهي الخمس لوقتها واتوا الزكاة الواجبة في اموالكم قاله عكرمة وقتاده
وقال الحارث العكلي صدقة الفطر لان زكاة الاموال وجبت بعد ذلك وقيل
صدقة التطوع وقيل كل افعال الخير وقال ابن عباس طاعة الله والاخلاص
الثالثة عشرة قوله تعالى وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله تقدم في
البقرة وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه اتخذ حيسا يعني تمرا بلبن فجاءه
مسكين فاخذه ودفعه اليه فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال
عمر لكن رب المسكين يدري ما هو فكانه تاول وما تقدموا من خير تجدوه عند
الله هو خيرا اي مما تركتم وخلفتم ومن الشح والتقصير واعظم اجرا قال ابو
هريرة الجنة ويحتمل ان يكون واعظم اجرا لاعطايه بالحسنة عشرا ونصب خيرا
واعظم على المفعول الثاني لتجدوه وهو فصل عند البصريين وعماد في قول

الكوفيين

الكوفيين لا محل له في الاعراب واجرا تمييز واستغفروا الله اي سلوه المغفرة لذنوبكم
ان الله غفور رحيم لما كان قبل التوبة رحيم لكم بعدها قاله سعيد بن جبير والله اعلم

سورة المدثر مكية في قول الجميع وهي ست وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها المدثر فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى يا ايها المدثر يا ايها الذي
قد تدثر بثيابه اي تغشى بها ونام واصله المتدثر فادغمت التاء في الدال لتجانسهما وقرا
ابي المتدثر على الاصل وقرا معظم هذه السورة في الوليد بن المغيرة وفي صحيح مسلم
عن جابر بن عبد الله وكان من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحدث قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدث عن فترة الوحي قال في حديثه فبينا
انا امشي سمعت صوتا من السما فرفعت راسي فاذا الملك الذي جاءني بحرا جالسا على كرسي
بين السما والارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجثيت منه فرقا فقلت زملوني
زملوني فدثروني فانزل الله تعالى يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر
والرجز فاهجر في رواية قبل ان تفرض الصلاة وهي الاوثان قال ثم تتابع الوحي خرجه
الترمذي ايضا وقال حديث حسن صحيح قال مسلم وحدثنا زهير بن حرب قال حدثنا
الوليد بن مسلم قال حدثنا الاوزاعي قال سمعت يحيى يقول سالت ابا سلمة اي القران
انزل قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال سالت جابر بن عبد الله اي القران انزل
قبل قال يا ايها المدثر فقلت او اقرا فقال جابر احدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال جاورت بحرا شهرا فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي فنوديت
فنظرت امامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم ار احدا ثم نوديت فرفعت راسي فاذا
هو على العرش في الهوي يعني جبريل صلى الله عليه وسلم فاخذتني رجفة شديدة فاتيت
خديجة فقلت زملوني دثروني دثروني فصبوا علي ماء فانزل الله تعالى يا ايها المدثر
قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ابن العربي وقد قال
بعض المفسرين انه جرى على النبي صلى الله عليه وسلم من عقبة امر فرجع الى منزله مغموما
فقلق واضطجع فنزلت يا ايها المدثر وهذا باطل وقال القشيري ابو نصر وقيل بلغه قول
كفار مكة انت ساحر فوجد من ذلك غما وحم فتدثر بثيابه فقال الله تعالى قم فانذر اي لا
تفكر في قولهم وبلغهم الرسالة وقيل اجتمع ابو لهب وابو سفيان والوليد بن المغيرة والنضر
ابن الحارث وامية بن خلف والعاص بن وايل ومطعم بن عدي فقالوا قد اجتمعت وفود العرب
في ايام الحج وهم يسالون عن امر محمد وقد اختلفتم في الاخبار عنه فمن قايل يقول مجنون
واخر كاهن واخر يقول شاعر وتعلم العرب ان هذا كله لا يجتمع في رجل واحد فسموا محمدا
باسم واحد يجتمعون عليه وتسميه العرب به فقام رجل منهم فقال شاعر فقال الوليد سمعت
كلام ابن الابرص وامية بن ابي الصلت وما يشبه كلام محمد قط فقام اخر فقال مجنون
فقال الوليد المجنون يخنق الناس وما يخنق محمد قط وانصرف الوليد الى بيته فقالوا صبا
الوليد بن المغيرة فدخل عليه ابو جهل وقال ما لك يا ابا عبد شمس هذه قريش تجمع شيا تعطيكه
زعموا انك قد احتجت وصبات فقال الوليد ما لي الى ذلك حاجة ولكني فكرت في محمد فقلت
ما يكون من الساحر فقيل يفرق بين الاب وابنه وبين الاخ واخيه وبين المراة وزوجها
فقلت انه ساحر شاع هذا في الناس فصاحوا يقولون محمد ساحر ورجع رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى بيته محزونا فتدثر بقطيفة ونزلت يا ايها المدثر وقال عكرمة
معنى يا ايها المدثر اي المدثر بالنبوة واثقالها ابن العربي وهذا مجاز بعيد لانه لم يكن
نبيا بعد وعلى انها اول القران لم يكن تمكن فيها بعد ان كانت ثاني ما نزل الثانية قوله
تعالى يا ايها المدثر ملاطفة في الخطاب من الكريم الى الحبيب اذ ناداه بحاله وعبر عنه
بصفته ولم يقل يا محمد ويا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل ومثله

قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي اذ نام في المسجد قم يا ابا تراب وكان خرج مغضبا
لفاطمة رضي الله عنها فسقط رداؤه واصابه ترابه خرجه مسلم ومثله قوله عليه السلام
لحذيفة ليلة الخندق قم يا نومان وقد تقدم اول السورة قوله تعالى قم فانذر اي خوف
اهل مكة وحذرهم العذاب ان لم يسلموا وقيل الانذار هنا اعلامهم بنبوته لانه مقدمة
الرسالة وقيل هو دعاؤهم الى التوحيد لانه المقصود بها وقال الفرا قم فصل وامر
بالصلاة الرابعة قوله تعالى وربك فكبر اي سيدك ومالكك ومصلح امرك فعظم وصفه
بانه اكبر من ان يكون له صاحبة او ولد وفي حديث انهم قالوا بم نفتتح الصلاة فنزلت
وربك فكبر اي صفه بانه اكبر قال ابن العربي وهذا القول وان كان يقتضي بعمومه تكبير
الصلاة فانه مراد به التكبير والتقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ولا تتخذ
وليا غيره ولا تعبد سواه ولا ترى لغيره فعلا الا له ولا نعمة الا منه وقد روي ان ابا
سفيان قال يوم احد اعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم قولوا الله اعلى واجل وقد
صار هذا اللفظ عرفا للشرع في تكبير العبادات كلها اذانا وصلاة وذكرا بقوله الله
اكبر وحمل عليه لفظ النبي صلى الله عليه وسلم الوارد على الاطلاق في موارده منها قوله
تحريمها التكبير وتحليلها التسليم والشرع يقتضي بعرفه ما يقتضي بعمومه ومن موارده
اوقات الاهلال بالذبائح لله تخليصا له من الشرك واعلانا باسمه في النسك وافرادا لما
شرع لامره بالسفك قال الشيخ المؤلف رحمه الله قد تقدم في اول البقرة ان هذا اللفظ
الله اكبر هو المتعبد به في الصلاة المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل
انه لما نزل قوله وربك فكبر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الله اكبر فكبرت
خديجة وعلمت انه الوحي من الله تعالى ذكره القشيري الخامسة الفا في قوله فكبر دخلت على معنى
جواب الجزا كما دخلت في فانذر وقم فكبر ربك قاله الزجاج وقال ابن جني هو كقولك
زيدا فاضرب اي زيدا اضرب والفا زائدة السادسة قوله تعالى وثيابك فطهر فيه
ثمان تاويلات احدها ان المراد بالثياب العمل الثاني القلب الثالث النفس الرابع الجسم
الخامس فمن ذهب الى الاول قال تاويل الاية وعملك فاصلح قال وكان الرجل اذا كان
خبيث العمل قالوا ان فلانا خبيث الثياب واذا كان حسن العمل قالوا ان فلانا طاهر
الثياب ونحوه عن السدي ومنه قول الشاعر

● لاهم ان عامر بن جهم ● اوذم حجا في ثياب دسم ●

ومنه ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات
فيهما يعني عمله الصالح والطالح ذكره الماوردي ومن ذهب الى الثاني قال تاويل الاية
وقلبك فطهر قاله ابن عباس وسعيد بن جبير ودليله قول امرئ القيس ●
فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ● اي قلبي من قلبك قاله الماوردي ولهم في تاويل
الاية وجهان احدهما معناه وقلبك فطهر من الاثم والمعاصي قاله ابن عباس وقتادة
الثاني وقلبك فطهر من الغدر اي لا تغدر فتكون دنس الثياب وهذا مروي عن
ابن عباس واستشهد بقول الشاعر هو غيلان بن سلمة الثقفي ●

● فاني بحمد الله لا ثوب غادر ● لبست ولا من غدرة اتقنع ●

ومن ذهب الى الثالث قال تاويل الاية ونفسك فطهر اي من الذنوب والعرب
تكني عن النفس بالثياب قاله ابن عباس ومنه قول عنترة ●

● فشككت بالرمح الطويل ثيابه ● ليس الكريم على القنا بمحرم ●

وقال امرؤ القيس ● فسلي ثيابي من ثيابك تنسل ● وقال

● ثياب بني عوف طهارى نقية ● واوجههم عند المشاهد غران ●

اي انفس بني عوف ومن ذهب الى الرابع قال تاويل الاية وجسمك فطهر ومما
جاء عن العرب في الكناية عن الجسم بالثياب قول ليلى وذكرت ابلا ●

● رموها باثواب خفاف فلا ترى ● لها شبها الا النعام المنفرا ●

اي ركبوها فرموها بانفسهم ومن ذهب الى الخامس قال تاويل الاية واهلك فطهرهم

من

من الخطايا بالوعظ والتاديب والعرب تسمي الاهل ثيابا ولباسا وازارا قال الله تعالى
هن لباس لكم وانتم لباس لهن قال الماوردي ولهم في تاويل الاية وجهان احدهما
معناه ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف الثاني الاستمتاع بهن في القبل
دون الدبر في الطهر دون الحيض حكاه ابن بحر ومن ذهب الى السادس قال تاويل
الاية وخلقك فحسن قاله الحسن والقرطبي لان خلق الانسان مشتمل على احواله
اشتمال ثيابه على نفسه وقال الشاعر ●

● ويحيى لا يلام بسوء خلق ● ويحيى طاهر الاثواب حر ●

اي حسن الاخلاق ومن ذهب الى السابع قال تاويل الاية ودينك فطهر وفي الصحيحين
عنه عليه السلام قال ورايت الناس وعليهم ثياب منها ما يبلغ الثدي ومنها دون
ذلك ورايت عمر بن الخطاب وعليه ازار يجره قالوا يا رسول الله فما اولت ذلك قال
الدين وروى ابن وهب عن مالك انه قال ما يعجبني ان اقرا القران الا في الصلاة وفي
المساجد لا في الطريق قال الله تعالى وثيابك فطهر يريد مالك انه كنى بالثياب عن الدين
وقد روى عبد الله بن نافع عن ابي بكر بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن مالك
ابن انس في قوله وثيابك فطهر اي لا تلبسها على غدرة ومنه قول ابي كبشة ●

● ثياب بني عوف طهارى نقية ● واوجههم عند المشاهد غران ●

يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات ويعني بغرة وجوههم تنزيههم عن المحرمات
او جمالهم في الخلقة او كليهما قاله ابن العربي وقال سفيان بن عيينة لا تلبس ثيابك على
كذب ولا جور ولا غدر ولا اثم قاله عكرمة ومنه قول الشاعر ●

● ام دم حجام في ثياب دسم ● اي قد دنسها بالمعاصي وقال النابغة ●

● رقاق النعال طيب حجزاتهم ● يحيون بالريحان يوم السباسب ●

ومن ذهب الى الثامن وقال ان المراد بها الثياب الملبوسات فلهم في تاويله اربعة
اوجه احدها وثيابك فانق ومنه قول امرئ القيس ● ثياب بني عوف طهارى نقية ●
الثاني وثيابك فشمر وقصر فان تقصير الثياب ابعد من النجاسة فاذا انجرت على
الارض لم يؤمن ان يصيبها ما ينجسها قاله الزجاج وطاوس الثالث وثيابك فطهر من
النجاسة بالماء قاله محمد بن سيرين وابن زيد والفقهاء الرابع لا تلبس ثيابك الا من
كسب حلال لتكون مطهرة من الحرام وعن ابن عباس لا تكون ثيابك التي تلبس من
كسب غير طائل ابن العربي وذكر بعض ما ذكرناه ليس بممتنع ان تحمل الاية على عموم المراد فيها
بالحقيقة والمجاز واذا حملناها على الثياب المعلومة الظاهرة فهي تتناول معنيين
احدهما تقصير الاذيال فانها اذا ارسلت تدنست ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لغلام من الانصار وقد راى ذيله مسترخيا ارفع ازارك فانه انقى وانقى
وابقى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح ازرة المؤمن الى انصاف
ساقيه لا جناح عليه فيما بينه وبين الكعبين ما كان اسفل من ذلك ففي النار فقد
جعل النبي صلى الله عليه وسلم الغاية في لباس الازار الكعب وتوعد ما تحته بالنار
فما بال رجال يرسلون اذيالهم ويطيلون ثيابهم ثم يتكلفون رفعها بايديهم وهذه
الكبر وقائدة العجب من لم يجعل الله معه غيره ولا الحق به سواه قال النبي صلى
الله عليه وسلم لا ينظر الله لامرئ يجر ثوبه خيلاء ولفظ الصحيح من جر ازاره خيلاء
لم ينظر الله اليه يوم القيامة قال ابو بكر يا رسول الله ان احد شقي ازاري يسترخي
الا ان اتعاهد ذلك منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لست ممن يصنعه خيلاء
فعمم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنهي واستثنى الصديق فاراد الادنيا الحاق
انفسهم بالرفعا وليس ذلك لهم والمعنى الثاني غسلها عن النجاسة وهو ظاهر منها صحيح
فيها المهدوي وبه استدل بعض العلماء على وجوب طهارة الثوب قال ابن سيرين
وابن زيد لا تصل الا في ثوب طاهر واحتج بها الشافعي على وجوب طهارة الثوب
وليست طهارة الثوب عند مالك واهل المدينة بفرض وكذلك طهارة البدن ويدل

علي ذلك الاجماع علي جواز الصلاة بالاستجمار من غير غسل وقد مضى هذا المعنى في سورة
براه مستوفي قوله تعالى والرجز فاهجر قال مجاهد وعكرمه يعني الاوثان دليله
قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان وقاله ابن عباس وابن زيد وعن ابن عباس
ايضا والماثم فاهجر اي فاترك وكذا روي عنه عن ابراهيم النخعي قال الرجز الاثم وقال
قتاده الرجز اساف ونايله صنمان كانا عند البيت وقيل الرجز العذاب على تقدير حذف
المضاف والمعنى وعمل الرجز فاهجر والعمل المودي الى العذاب واصل الرجز العذاب قال
الله تعالى لئن كشفت عنا الرجز فسميت الاوثان رجزا لانها تودي الى العذاب وقراه
العامه الرجز بكسر الرا وقرا الحسن وعكرمه ومجاهد وابن محيصن وحفص عن عاصم والرجز
بضم الرا وهما لغتان مثل الذكر والذكر قال ابو العاليه والربيع والكسايي الرجز
بالضم الصنم وبالكسر النجاسه والمعصيه وقال الكسايي ايضا بالضم الوثن وبالكسر
العذاب وقال السدي الرجز بنصب الرا الوعيد قوله تعالى ولا تمنن تستكثر فيه ثلاث
مسايل الاولى قوله تعالى ولا فيه عشر تاويلات الاول لا تمنن على ربك بما تتحمله من اثقال
النبوه كالذي يستكثر ما يتحمله بسبب الغير الثاني لا تعطي عطيه تلتمس بها افضل منها
قاله ابن عباس وعكرمه وقتاده قال الضحاك هذا حرمه الله تعالى على رسوله صلى
الله عليه وسلم لانه مامور باشرف الاداب واجل الاخلاق واباحه لامته وقاله مجاهد
الثالث عن مجاهد ايضا تضعف ان تستكثر من الخير من قولك حبل متين اذا كان ضعيفا
ودليله قراة ابن مسعود ولا تمنن تستكثر من الخير فانه مما انعم الله عليك قال ابن
كيسان لا تستكثر عملك فتراه من نفسك انما عملك منة من الله عليك اذ جعل لك سبيلا
الى عبادته الخامس قال الحسن لا تمنن على الله بعملك فتستكثره السادس لا تمنن بالنبوه
والقران على الناس فتاخذ منهم اجرا تستكثر به السابع القرظي لا تعطي مالك مصانعه
الثامن قال زيد بن اسلم اذا اعطيت عطيه فاعطها لربك التاسع لا تقول دعوت
فلم يستجب لي العاشر لا تعمل طاعة وتطلب ثوابها ولكن اصبر حتى يكون الله هو الذي يثيبك
عليها الحادي عشر لا تفعل الخير فترائي به الناس الثانيه هذه الاقوال وان كانت
مراده فاظهرها قول ابن عباس لا تعطي لتاخذ اكثر مما اعطيت من المال يقال
مننت فلانا كذا اي اعطيته ويقال للعطيه المن فكانه امر بان يكون عطاياه لله
لا لارتقاب ثواب من الخلق عليها لانه عليه السلام ما كان يجمع الدنيا ولهذا قال
مالي مما افاء الله عليكم الا الخمس والخمس مردود فيكم وكان ما يفضل من نفقة عياله
مصروفا الى مصالح المسلمين ولهذا لم يورث لانه كان لا يملك لنفسه الادخار والاقتناء
وقد عصمه الله عن الرغبه في شي من الدنيا ولهذا حرمت عليه الصدقه وابيحت
له الهديه فكان يقبلها ويثيب عليها وقال لو دعيت الى كراع لاجبت ولو اهدي
الى كراع لقبلت ابن العربي فكان يقبلها سنه ولا يستكثرها شرعه واذا كان لا يعطي
عطيه لا يستكثر بها فالا يعطيها اولى بالاجتناب لانها باب من ابواب المذله وكذلك
قول من قال ان معناه لا تعطي عطيه تنتظر ثوابها فان الانتظار تعلق بالاطماع
وذلك في حيزه بحكم الامتناع وقد قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا
منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وذلك جايز لساير
الخلق لانه من متاع الدنيا وطلب الكسب والتكاثر بها واما من قال اراد به العمل
اي لا تمنن على الله بعملك فتستكثره فهو صحيح فان ابن ادم لو اطاع الله عمره من
غير فتور لما بلغ لنعم الله بعض الشكر الثالثه قوله تعالى ولا تمنن قراة العامه
باظهار التضعيف وقرا ابو السمال العدوي واشهب العقيلي والحسن ولا تمن مدغمه
مفتوحه تستكثر قراة العامه بالرفع وهو في معنى الحال تقول جاء زيد يركض اي
راكضا اي لا تعطي شيا مقدرا ان تاخذ بدله ما هو اكثر منه وقرا الحسن بالجزم على
جواب النهي وهو رديء لانه ليس بجواب ويجوز ان يكون بدلا من تمنن كانه قال
لا تستكثر وانكره ابو حاتم وقال لان المن ليس بالاستكثار فيبدل منه ويحتمل ان

يكون

يكون سكن تخفيفا كعضد او ان يعتبر حال الوقف وقرا الاعمش ويحيى تستكثر بالنصب
توهم لام كي كانه قال ولا تمنن لتستكثر وقيل هو باضمار ان كقوله الا ايهذا الزاجري
احضر الوغى ويويده قراة ابن مسعود ولا تمنن ان تستكثر قال الكسايي فاذا حذف
ان رفع وكان المعنى واحدا وقد يكون المن بمعنى التعداد على المنعم عليه بالنعم فيرجع
الى القول الثاني ويعضده قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقد يكون مرادا
في هذه الايه والله اعلم قوله تعالى ولربك فاصبر اي لسيدك ومالكك فاصبر على
اداء فرايضه وعبادته وقال مجاهد على ما اوذيت وقال ابن زيد حملت امرا عظيما محاربة
العرب والعجم فاصبر عليه لله وقيل فاصبر تحت موارد القضا لاجل الله تعالى وقيل
فاصبر على البلوى لانه يمتحن اولياه واصفياه وقيل على اوامره ونواهيه وقيل على
فراق الاهل والاوطان قوله تعالى فاذا نقر في الناقور اذا نفخ في الصور والناقور
فاعول من النقر كانه الذي من شانه ان ينقر فيه للتصويت والنقر في كلام العرب الصوت
ومنه قول امري القيس ۝ اخفضه بالنقر لما علوته ۝ ويرفع طرفا غير جاف غضيض ۝
وهم يقولون نقر باسم الرجل اذا دعاه مختصا له بدعايه قال مجاهد وغيره هو كهيئة
البوق ويعني به النفخة الثانيه وقيل الاولى لانها اول الشدة الهايله العامه وقد
مضى الكلام في هذا مستوفى في النمل والانعام وفي كتاب التذكره والحمد لله وعن
ابي حيان قال امنا زرارة بن اوفى فلما بلغ فاذا نقر في الناقور خر ميتا فذلك يومئذ
يوم عسير اي فذلك اليوم يوم شديد على الكافرين اي على من كفر بالله وانبيايه صلى
الله عليهم غير يسير اي غير سهل ولا هين وذلك ان عقدهم لا تنحل الا الى ما هو اخف
حتى يدخلوا الجنه برحمة الله تعالى ويومئذ نصب على تقدير فذلك يوم عسير يومئذ
وقيل بتقدير حتى مجازه فذلك في يومئذ وقيل يجوز ان يكون رفعا لانه بني على الفتح
لاضافته الى غير متمكن قوله تعالى ذرني ومن خلقت وحيدا ذرني اي دعني
وهي كلمة وعيد وتهديد ومن خلقت اي دعني والذي خلقته وحيدا لا مال له ولا ولد
ثم اعطيته بعد ذلك ما اعطيته والمفسرون على انه الوليد بن المغيره المخزومي وان كان
الناس خلقوا مثل خلقته فانما خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة واذى الرسول صلى
الله عليه وسلم وكان يسمى الوحيد في قومه قال ابن عباس كان الوليد يقول انا
الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لابي في المغيرة نظير وكان يسمى الوحيد
فقال الله ذرني ومن خلقت بزعمه وحيدا لا ان الله صدقه بانه وحيد وقال قوم ان
قوله وحيدا يرجع الى الرب تعالى على معنيين احدهما ذرني وحدي معه فانا اجزيك
في الانتقام منه عن كل منتقم والثاني اني انفردت بخلقه ولم يشركني فيه احد فانا
اهلكه ولا احتاج الى ناصر في اهلاكه فوحيدا على هذا حال من ضمير الفاعل وهي
التاء في خلقت والاول قول مجاهد اي خلقته وحيدا في بطن امه لا مال له ولا ولد
فانعمت عليه فكفر فقوله وحيدا على هذا يرجع الى الوليد اي لم يكن له شي فملكته وقيل
اراد بذلك ليدله على انه يبعثه وحيدا كما خلق وحيدا وقيل الوحيد الذي لا يعرف ابوه
وكان الوليد معروفا بانه دعي كما ذكرنا في قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم وهو في صفة
الوليد ايضا قوله تعالى وجعلت له مالا ممدودا اي خولته واعطيته مالا ممدودا
وهو ما كان للوليد بين مكة والطايف من الابل والخيل والنعم والجنان والعبيد
والجواري كذا كان ابن عباس يقول وقال مجاهد غلته الف دينار وقال سعيد
ابن جبير وابن عباس ايضا وقال قتاده ستة الاف دينار وقال سفيان الثوري
وقتاده ايضا اربعة الاف دينار الثوري ايضا الف الف دينار مقاتل كان له بستان
لا ينقطع خيره شتاء ولا صيفا وقال عمر رضي الله عنه وجعلت له مالا ممدودا غلة
شهر بشهر النعمان بن سالم ارضا يزرع فيها القشيري والاظهر انه اشارة الى ما له نماء لا
ينقطع رزقه بل يتوالى كالزرع والضرع والتجاره قوله تعالى وبنين شهودا
اي حضورا لا يغيبون عنه في تصرف قال مجاهد وقتاده كانوا عشرة وقيل اثنا عشر

قاله السدي والضحاك قال الضحاك سبعة ولدوا بمكة وخمسة ولدوا بالطايف وقال
سعيد بن جبير كانوا ثلاثة عشر رجلا وقيل كانوا سبعة كلهم رجال اسلم منهم ثلاثة خالد
وهشام والوليد بن الوليد قال فما زال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من
ماله وولده حتى هلك وقيل شهودا اذا ذكر ذكر معه قاله ابن عباس وقيل شهودا اي
قد صاروا مثله في شهود ما كان يشهده والقيام بما كان يباشره والاول قول السدي
اي حاضرين بمكة لا يظعنون عنه في تجارة ولا يغيبون قوله تعالى ومهدت له تمهيدا
اي بسطت له في العيش بسطا حتى اقام ببلدته مطمئنا مترفها يرجع الى رايه والتمهيد
عند العرب التوطئة والتهيئة ومنه مهد الصبي وقال ابن عباس ومهدت له تمهيدا اي
وسعت له ما بين اليمن الى الشام وقال مجاهد وعن مجاهد ايضا في مهدت له تمهيدا
انه المال بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش قوله تعالى ثم يطمع ان ازيد اي ثم ان الوليد
يطمع بعد هذا كله ان ازيده في المال والولد كلا اي ليس يكون ذلك مع كفره بالنعم
وقال الحسن وغيره اي لم يطمع ان ادخله الجنة وكان الوليد يقول ان كان محمد صادقا
فما خلقت الجنة الا لي فقال الله تعالى ردا عليه وتكذيبا له كلا اي لست ازيده فلم
يزل يرى بالنقصان في ماله وولده حتى هلك وثم في قوله ثم يطمع ليست بثم التي للنسق
ولكنها للتعجيب وهي كقوله وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وذلك
كما تقول اعطيتك ثم انت تجفوني كالمتعجب من ذلك وقيل يطمع ان اترك ذلك في عقبه
وذلك انه كان يقول ان محمدا مبتورا اي ابتر وينقطع ذكره بموته وذلك يظن ان ما رزق
لا ينقطع بموته وقيل اي ثم يطمع ان انصره على كفره وكلا قطع الرجاء عما كان يطمع فيه من
الزيادة فيكون متصلا بالكلام الاول وقيل كلا بمعنى حقا ويكون ابتداء يعني الوليد
كان لاياتنا عنيدا اي معاندا للنبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به يقال عاند فهو
عنيد مثل جالس فهو جليس قاله مجاهد وعند يعند بالكسر اي خالف ورد الحق
وهو يعرفه فهو عنيد وعاند والعاند البعير الذي يجور عن الطريق ويعدل عن القصد
والجمع عند مثل راكع وركع قاله ابو عبيدة وانشد قول الحارثي •
• اذا ركبت فاجعلاني وسطا • اني كبير لا اطيق العندا •
وقال ابو صالح عنيدا معناه مباعدا قال الشاعر •
• ارانا على حال تفرق بيننا • نوى غربة ان الفراق عنود •
قتادة جاحدا مقاتل معرضا ابن عباس جحودا وقيل انه المجاهر بعداوته وعن مجاهد
ايضا قال مجانبا للحق اي معاندا له معرضا عنه والمعنى كله متقارب والعرب تقول
عند الرجل اذا عتا وجاوز قدره والعنود من الابل الذي لا يخالط الابل انما هو في ناحية
ورجل عنود اذا كان يحل وحده لا يخالط الناس والعنيد من التجبر وعرق عاند اذا
لم يرق دمه كل هذا قياس واحد وقد مضى في سورة ابراهيم وجمع العنيد عند مثل
رغيف ورغف قوله تعالى سارهقه صعودا اي ساكلفه وكان ابن عباس يقول ساجلبه
والارهاق في كلام العرب ان يحمل الانسان على الشي صعودا الصعود جبل من نار
يتصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوي به كذلك فيه ابدا رواه ابو سعيد الخدري عن
النبي صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي الحكيم وقال فيه حديث غريب وروى عطية
عن ابي سعيد قال صخرة في جهنم اذا وضعوا ايديهم عليها ذابت فاذا رفعوها عادت
قال فيبلغ اعلاها في اربعين سنة يجذب امامه بسلاسل ويضرب من خلفه
بمقامع حتى اذا بلغ اعلاها رمي به الى اسفلها فذلك دابه ابدا وقد مضى هذا القول
في سورة قل اوحي الي وفي التفسير انه صخرة ملسا يكلف صعودها فاذا صار في اعلاها
جذب في جهنم فيقوم يهوي الف عام من قبل ان يبلغ قرار جهنم يحترق في كل يوم سبعين
مرة ثم يعاد خلقا جديدا وقال ابن عباس المعنى ساكلفه مشقة من العذاب لا راحة له
فيه ونحوه عن الحسن وقتادة وقيل انه تصاعد نفسه للنزع وان لم يتعقبه موت ليعذب
من داخل جسده كما يعذب من خارجه قوله تعالى انه فكر وقدر يعني الوليد فكر في

شان

شان النبي صلى الله عليه وسلم والقران وقدر اي هيا الكلام في نفسه والعرب تقول قدرت
الشي اذا هياته وذلك انه لما نزل حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله المصير سمعه
الوليد يقروها فقال والله لقد سمعت منه كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان
له لحلاوة وعليه لطلاوة وان اعلاه لمثمر وان اسفله لمغدق وانه ليعلو وما يعلا عليه وما
يقول هذا بشر فقالت قريش صبا الوليد لتصبون قريش كلها وكان يقال للوليد ريحانة قريش
فقال ابو جهل انا اكفيكموه فانطلق اليه حزينا فقال له ما لي اراك حزينا فقال له وما لي
لا احزن وهذه قريش يجمعون لك نفقة يعينونك بها على كبر سنك ويزعمون انك زينت
كلام محمد وتدخل على ابن ابي كبشة وابن ابي قحافة لتنال من فضل طعامهما فغضب الوليد
وتكبر وقال انا احتاج الى كسر محمد وصاحبه وانتم تعرفون قدر مالي واللات والعزى
ما بي حاجة الى ذلك وانما انتم تزعمون ان محمدا مجنون فهل رايتموه قط يخنق قالوا لا والله
قال تزعمون انه كاهن فهل رايتموه تكهن قط ولقد راينا الكهنة اسجاعا وتخالجا فهل
رايتموه كذلك قالوا لا والله قال تزعمون انه شاعر فهل رايتموه نطق بشعر قط قالوا لا
وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمى الصادق الامين من كثرة صدقه فقالت قريش للوليد
فما هو ففكر في نفسه ثم نظر ثم عبس فقال ما هذا الا ساحر اما رايتموه يفرق بين الرجل
واهله وولده ومواليه فذلك قوله تعالى انه فكر اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم والقران
وقدر في نفسه ماذا امكنه ان يقول فيهما فقتل اي لعن وكان بعض اهل التاويل يقول
معناها فقهر وغلب وكل مذلل مقتل قال •
• وما ذرفت عيناك الا لتقدحي • بسهميك في اعشار قلب مقتل •
وقال الزهري عذب وهو من باب الدعا فكيف قدر قال ناس كيف تعجب كما يقال للرجل
تتعجب من صنيعه كيف فعلت هذا او ذلك كقوله انظر كيف ضربوا لك الامثال ثم قتل اي
لعن لعنا بعد لعن وقيل فقتل بضرب من العقوبة ثم قتل بضرب اخر من العقوبة كيف
قدر اي على اي حال قدر ثم نظر باي شي يرد الحق ويدفعه ثم عبس اي قطب بين
عينيه في وجوه المومنين وذلك انه لما حمل قريشا على ما حملهم عليه من القول في محمد صلى
الله عليه وسلم بانه ساحر ثم مر على جماعة من المسلمين فدعوه الى الاسلام فعبس في
وجوههم وقيل عبس وبسر على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه والعبس مصدر
عبس مخففا يعبس عبسا وعبوسا اذا قطب والعبس ما يتعلق باذناب الابل من ابعارها
وابوالها وقال ابو النجم كان في اذنابهن الشول من • عبس الصيف قرون الايل •
وبسر اي كلح وجهه وتغير لونه قاله قتادة والسدي ومنه قول بشر بن ابي خازم •
• صبحنا تميما غداة الجفار • بشهبا ملمومة باسره • وقال اخر •
• وقد رابني منها صدود رايته • واعراضها عن حاجتي وبسور •
وقيل ان ظهور العبوس في الوجه بعد المحاورة وقال قوم بسر وقف لا يتقدم ولا
يتاخر قالوا وكذلك تقول اهل اليمن اذا وقف المركب فلم يجي ولم يذهب وقد بسر المركب
وابسر اي وقف وقد ابسرنا والعرب تقول وجه باسر بين البسور اذا تغير واسود ثم
ادبر اي ولى واعرض ذاهبا الى اهله واستكبر اي تعظم عن ان يومن وقيل ادبر عن
الايمان واستكبر حين دعي اليه فقال ان هذا اي ما هذا الذي يا تي به محمد صلى الله عليه
وسلم الا سحر يوثر اي يا ثره عن غيره والسحر الخديعة وقد تقدم بيانه في البقرة وقال
قوم السحر اظهار الباطل في صورة الحق والاثر مصدر قولك اثرت الحديث اثره اذا ذكرته
عن غيرك ومنه قيل حديث ماثور اي ينقله خلف عن سلف قال امرو القيس •
• ولو عن نثا غيره جاءني • وجرح اللسان كجرح اليد •
• لقلت من القول ما لا يزال • يوثر عني يد المسند •
يريد اخر الدهر وقال الاعشى • ان الذي فيه تماريتما • بين للسامع والاثر •
ويروي بين ان هذا الا قول البشر اي ما هذا الا كلام المخلوقين تختدع به القلوب
كما تختدع بالسحر قال السدي يعنون انه من قول ابي اليسر عبد لبني الحضرمي كان

يجالس النبي صلى الله عليه وسلم فنسبوه إلى أنه تعلم منه ذلك وقيل أراد أنه تلقنه من
أهل بابل وقيل عن مسيلمة وقيل عن عدي الحضرمي الكاهن وقيل إنما تلقنه ممن ادعى النبوة
وحكي من قبل مسح على سوالفهم وقال أبو سعيد الضرير إن هذا إلا سحر يؤثر أي يورث
سأصليه سقر أي سأدخله سقر كي يصلى حرها وإنما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته
ولوحته وأحرقت جلده ووجهه ولا ينصرف للتعريف والتأنيث قال ابن عباس هي الطبق
السادس من جهنم وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سأل موسى ربه
فقال أي رب أي عبادك أفقر فقال صاحب سقر ذكره الثعلبي وما أدراك ما سقر هذا مبالغة
في وصفها أي وما أعلمك أي شيء هي وهي كلمة تعظيم ثم فسر حالها فقال لا تبقي ولا تذر أي لا تترك
لهم لحما ولا عظما ولا دما إلا أحرقته وتكرر اللفظ تأكيدا وقيل لا يبقي منهم شيئا ثم يعادون خلقا
جديدا فلا تذر أن تعاود إحراقهم هكذا أبدا وقال مجاهد لا تبقي من فيها حيا ولا تذره ميتا
تحرقهم كلما جددوا وقال السدي لا تبقي لهم لحما ولا تذر لهم عظما لواحة للبشر أي مغيرة من
لاحه إذا غيره وقرأ العامة لواحة بالرفع نعت لسقر في قوله وما أدراك ما سقر وقرأ عطية
العوفي ونصر بن عاصم وعيسى بن عمر لواحة بالنصب على الاختصاص للتهويل قال أبو
رزين تلفح وجوههم لفحة تدعها أشد سوادا من الليل وقال مجاهد والعرب تقول
لاحه البرد والحر والسقم والحزن إذا غيره ومنه قول الشاعر

• تقول ما لاحك يا مسافر • يا بنت عمي لاحني الهواجر • وقال آخر

• وتعجب هند أن رأتني شاحبا • تقول لشيء لوحته السمائم •

وقال رؤبة بن العجاج • لوح منه بعد بدن وسبق • تلويحك الضامر يطوى للسبق • وقيل
إن اللوح شدة العطش يقال لاحه العطش ولوحه أي غيره والمعنى أنها معطشة للبشر
أي لأهلها قاله الأخفش وأنشد •

• سقتني على لوح من الماء شربة • سقاها به الله الرهام الغواديا •

يعني باللوح شدة العطش والتاح أي عطش والرهام جمع رهمة بالكسر وهي المطر
الضعيفة وأرهمت السماء به أتت بالرهام وقال ابن عباس لواحة أي تلوح لهم جهنم حتى
يروها عيانا نظيره وبرزت الجحيم للغاوين وفي البشر وجهان أحدهما أنه الإنس
من أهل النار قاله الأخفش والأكثرون الثاني أنه جمع بشرة وهي جلدة الإنسان الظاهرة
قاله مجاهد وقتادة وجمع البشر أبشار وهذا على التفسير الأول وأما على تفسير ابن عباس
فلا يستقيم فيه إلا الناس لا الجلود لأنه من لاح الشيء يلوح إذا لمع قوله تعالى عليها تسعة
عشر أي على سقر تسعة عشر من الملائكة هم خزنتها مالك وثمانية عشر ملكا ويحتمل أن يكون
تسعة عشر ملكا بأعيانهم وعلى هذا أكثر المفسرين قال الثعلبي ولا ينكر هذا فإذا كان
ملك واحد يقبض أرواح جميع الخلائق كان أحرى أن يكون تسعة عشر على عذاب بعض
الخلق وقال ابن جريج نعت النبي صلى الله عليه وسلم خزنة جهنم فقال كأن أعينهم البرق
وكأن أفواههم الصياصي يجرون أشعارهم لأحدهم مثل قوة الثقلين يسوق
أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرميهم في النار ويرمي عليهم الجبل قال الشيخ المصنف
رحمه الله وذكر ابن المبارك قال ثنا حماد بن سلمة عن الأزرق بن قيس عن رجل
من بني تميم قال كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية وما أدراك ما سقر لا تبقي ولا تذر
لواحة للبشر عليها تسعة عشر فقال ما تسعة عشر تسعة عشر ألف ملك أو تسعة
عشر ملكا قال قلت لا بل تسعة عشر ملكا قال وأنى تعلم ذلك فقلت لقوله عز وجل
وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا قال صدقت هم تسعة عشر ملكا بيد كل
ملك منهم مرزبة لها شعبتان فيضرب الضربة فيهوي بها سبعين ألفا وعن عمرو
ابن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومضر
وخرج الترمذي عن عبد الله قال قال ناس من اليهود لأناس من أصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قالوا لا ندري حتى نسأله
فجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد غلب أصحابك اليوم فقال وبماذا

غلبوك قال سألهم يهود هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم قال فما قالوا قال قالوا
لا ندري حتى نسأل نبينا قال أفغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا لا نعلم حتى نسأل
نبينا لكنهم قد سألوا نبيهم فقالوا أرنا الله جهرة علي بأعداء الله إني سائلهم عن تربة الجنة
وهي الدرمك فلما جاؤوا قالوا يا أبا القاسم كم عدد خزنة جهنم قال هكذا وهكذا في مرة
عشرة وفي مرة تسعة قالوا نعم قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ما تربة الجنة قال فسكتوا
ثم قالوا أخبرنا يا أبا القاسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبز من الدرمك قال أبو عيسى
هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه من حديث مجالد عن الشعبي عن جابر وذكر ابن وهب
قال وحدثنا عبد الرحمن بن زيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خزنة جهنم
ما بين منكبي الواحد منهم مسيرة سنة وقوة الواحد منهم أن يضرب بالمقمع فيدفع بتلك الضربة
سبعين ألف إنسان في قعر جهنم قال الشيخ المؤلف رحمه الله والصحيح إن شاء الله أن هؤلاء
التسعة عشر الرؤساء والنقباء وأما جملتهم فالعبارة تعجز عنها كما قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك
إلا هو وقد ثبت في الصحيح عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وقال
ابن عباس وقتادة والضحاك لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم
أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة جهنم تسعة عشر وأنتم الدهم أي العدد والشجعان فيعجز
كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم فقال أبو الأسد بن كلدة الجمحي لا يهولنكم
التسعة عشر أنا أدفع بمنكبي الأيمن عشرة من الملائكة وبمنكبي الأيسر التسعة ثم تمرون إلى الجنة
يقولها مستهزئا وفي رواية أن الحارث بن كلدة قال أنا أكفيكم سبعة عشر واكفوني أنتم
اثنين وقيل إن أبا جهل قال أفيعجز كل مائة أن يبطشوا بواحد منهم ثم يخرجون من النار
فنزل قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة أي لم يجعلهم رجالا فتتعاطون مغالبتهم
وقيل جعلهم ملائكة لأنهم خلاف جنس المعذبين من الجن والإنس فلا يأخذهم ما يأخذ
المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون إليهم ولأنهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب
له فتؤمن هوادتهم لأنهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا وما جعلنا عدتهم إلا فتنة أي
بلية وروي عن ابن عباس من غير وجه قال ضلالة للذين كفروا يريد أبا جهل وذويه
وقيل إلا عذابا كما قال يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم أي جعلنا ذلك سبب
كفرهم وسبب العذاب وفي تسعة عشر سبع قراءات قراءة العامة تسعة عشر وقرأ أبو
جعفر بن القعقاع وطلحة بن سليمان تسعة عشر بإسكان العين وعن ابن عباس تسعة
عشر بضم الهاء وعن أنس بن مالك تسعة وعشر وعنه أيضا تسعة أعشر ذكرها المهدوي
وقال من قرأ تسعة عشر أسكن العين لتوالي الحركات ومن قرأ تسعة وعشر جاء به على
الأصل قبل التركيب وعطف عشرا على تسعة وحذف التنوين لكثرة الاستعمال وأسكن
الراء من عشر على نية السكوت عليها ومن قرأ تسعة عشر فكأنه من التداخل كأنه أراد
العطف وترك التركيب فرفع هاء التأنيث ثم راجع البناء وأسكن وأما تسعة أعشر فغير
معروف وقد أنكرها أبو حاتم وكذلك تسعة وعشر لأنها محمولة على تسعة أعشر والواو
بدلا من الهمزة وليس لذلك وجه عند النحويين قوله تعالى ليستيقن الذين
أوتوا الكتاب أي ليوقن الذين أعطوا التوراة والإنجيل أن عدة خزنة جهنم
موافقة لما عندهم قاله ابن عباس وقتادة والضحاك ومجاهد وغيرهم ثم يحتمل
أن يريد الكل ويزداد الذين آمنوا إيمانا بذلك لأنهم كلما صدقوا بما في كتاب الله
آمنوا ثم ازدادوا إيمانا لتصديقهم بعدد خزنة النار ولا يرتاب أي ولا يشك الذين
أوتوا أي أعطوا الكتاب والمؤمنون أي المصدقون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
في أن عدد خزنة جهنم تسعة عشر وليقول الذين في قلوبهم مرض أي في صدورهم شك
ونفاق من منافقي أهل المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة ولم يكن
بمكة نفاق وقيل المعنى أي وليقول المنافقون الذين ينجمون في مستقبل الزمان
بعد الهجرة والكافرون أي اليهود والنصارى ماذا أراد الله بهذا مثلا يعني بعدد

خزنة جهنم وقال الحسين بن الفضل السورة مكية ولم يكن بمكة نفاق فالمرض في هذه الاية
الخلاف والكافرون اي مشركوا العرب وعلى القول الاول اكثر المفسرين ويجوز ان يراد
بالمرض الشك والارتياب لان اهل مكة كان اكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب وقوله
تعالى اخبارا ماذا اراد الله بهذا العدد الذي ذكره حديثا اي ما هذا من الحديث قال الليث
المثل الحديث وحنه مثل الجنة التي وعد المتقون اي خبرها والخبر عنها كذلك اي كاضلال
الجد ابا جهل واصحابه المنكرين لخزنة جهنم يضل اي يعمي ويخزي من يشاء ويهدي من يشاء
اي ويرشد من يشاء كارشاده اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل كذلك يضل الله عن
الجنة من يشاء ويهدي اليها من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو اي وما يدري عدد ملائكة
ربك الذين خلقهم لتعذيب اهل النار الا هو اي الا الله جل ثناؤه وهذا جواب لابي جهل
حين قال اما لمحمد من الجنود الا تسعة عشر وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يقسم غنائم حنين فاتاه جبريل فجلس عنده فاتى ملك فقال ان ربك يامرك بكذا وكذا
فخشي النبي صلى الله عليه وسلم ان يكون شيطانا فقال يا جبريل اتعرفه قال هو ملك وما كل
ملائكة ربك اعرف وقال الاوزاعي قال موسى يا رب من في السما قال ملائكتي قال كم
عدتهم يا رب قال اثنى عشر سبطا قال كم عدد كل سبط قال عدد التراب ذكرهما الثعلبي
وفي الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم اطت السما وحق لها ان تئط ما فيها موضع اربع
اصابع الا وملك واضع جبهته لله ساجدا قوله تعالى وما هي الا ذكرى للبشر يعني الدلايل
والحجج والقران وقيل وما هي اي وما هذه النار التي هي سقر الا ذكرى اي عظة للبشر اي للخلق
وقيل نار الدنيا تذكرة لنار الاخرة قاله الزجاج وقيل اي وما هذه العدة الا ذكرى للبشر
اي ليتذكروا ويعلموا كمال قدرة الله وانه لا يحتاج الى اعوان وانصار فالكناية على هذا في
قوله وما هي ترجع الى الجنود لانه اقرب مذكور قوله تعالى كلا والقمر قال الفرا كلا
صلة للقسم التقدير اي والقمر وقيل المعنى حقا والقمر فلا يوقف على هذا التقدير
على كلا واجاز الطبري الوقف عليها وجعلها ردا للذين زعموا انهم يقاومون خزنة جهنم
اي ليس الامر كما يقول من زعم انه يقاوم خزنة جهنم ثم اقسم على ذلك جل وعز والقمر وما
بعده فقال والليل اذا ادبر اي ولى وكذلك دبر وقرا نافع وحمزة وحفص اذ ادبر الباقون
بالالف ودبر بغير الف وهما لغتان بمعنى يقال دبر وادبر وكذلك قبل الليل واقبل وقد
قالوا امس الدابر والمدبر وقال صخر بن عمرو بن الشريد السلمي
ولقد قتلتكم ثناء وموحدا ۝ وتركت مرة مثل امس الدابر ۝
ويروى المدبر وهذا قول الفرا والاخفش وقال بعض اهل اللغة دبر الليل اذا مضى
وادبر اخذ في الادبار وقال مجاهد سالت ابن عباس عن قوله والليل اذا ادبر فسكت
حتى اذا دبر قال يا مجاهد هذا حين دبر الليل وقرا محمد بن السميقع والليل اذا ادبر بالفين
وكذلك في مصحف عبد الله وابي بالفين وقرا قطرب من قرا دبر فيعني اقبل من قول
العرب دبر فلان اذا جا من خلفي قال ابو عمرو وهي لغة قريش وقال ابن عباس في رواية
عنه الصواب ادبر انما يدبر ظهر البعير واختاره ابو عبيد دبر قال لانها اكثر موافقة للحروف
الذي يليه الا تراه يقول والصبح اذا اسفر فكيف يكون احدهما اذ والاخر اذا وليس في القران
قسم يعقبه اذ وانما يتعقبه اذا ومعنى اسفر اضا وقراة العامة اسفر بالالف وقرا ابن السميقع
سفر وهما لغتان يقال سفر وجه فلان واسفر اذا اضا وفي الحديث اسفروا بالفجر فانه
اعظم للاجر اي صلوا صلاة الصبح مسفرين ويقال طولوها الى الاسفار والاسفار الانارة
واسفر وجهه حسنا اي اشرق وسفرت المراة كشفت عن وجهها فهي سافر ويجوز ان يكون
سفر الظلام اي كنسه كما يسفر البيت اي يكنس ومنه السفير لما سقط من ورق الشجر وتحاته
يقال انما سمي سفيرا لان الريح تسفره اي تكنسه والمسفرة المكنسة مسيلة استدل الحنفي
بهذه الاية على ان الاسفار بالصبح قوله تعالى انها لاحدى الكبر جواب القسم اي ان هذه
النار لاحدى الكبر اي لاحدى الدواهي وفي تفسير مقاتل الكبر اسم من اسماء النار وروي عن ابن عباس
انها اي ان تكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم لاحدى الكبر اي لكبيرة من الكباير وقيل ان قيام

الساعة

الساعة لاحدى الكبر والكبر هي العظايم من العقوبات قال الراجز
۝ يا ابن المعلى نزلت احدى الكبر ۝ داهية الدهر وصما الغير ۝
والواحدة الكبرى كبرى مثل الصغرى والصغر والعظمى والعظم وقراة العامة لاحدى فهو اسم
بني ابتدا للتانيث وليس مبنيا على المذكر نحو عقبى واخرى والفه الف قطع لا تذهب في
الوصل وروى جرير بن حازم عن ابن كثير انها لحدى الكبر بحذف الهمزة نذيرا للبشر يريد
النار الموصوفة نذيرا للبشر فهو نصب على الحال من المضمر في انها قاله الزجاج وذكر لان
معناه معنى العذاب او اراد ذات انذار على معنى النسب كقولهم امراة طالق وطاهر وقال
الخليل النذير مصدر كالنكير ولذلك يوصف به المونث وقال الحسن والله ما انذر الخلايق
بشي ادهى منها وقيل المراد بالنذير محمد صلى الله عليه وسلم اي قم نذيرا للبشر اي مخوفا لهم
فنذيرا حال من قم في اول السورة حين قال قم فانذر قاله ابو علي الفارسي وابن
زيد وروي عن ابن عباس وانكره الفرا وابن الانباري وقال بعض المفسرين معناه يا ايها
المدثر قم نذيرا للبشر وهذا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل هو من صفة الله
تعالى وروى ابو معاوية الضرير حدثنا اسماعيل بن سميع عن ابي رزين نذيرا
للبشر قال يقول الله عز وجل انا لكم منها نذير فاتقوها ونذير على هذا نصب على
الحال اي وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة منذرا بذلك البشر وقيل هو كالمصدر
في قوله وما يعلم جنود ربك الا هو وقيل هو في موضع المصدر كانه قال انذارا للبشر
قال الفرا يجوز ان يكون النذير بمعنى الانذار اي انذر انذارا فهو كقوله فكيف كان نذير
اي انذاري فعلى هذا يكون راجعا الى اول السورة اي قم فانذر انذارا وقيل هو منصوب
باضمار فعل وقرا ابن ابي عبلة نذير بالرفع على اضمار هو وقيل اي ان القران نذير للبشر
لما تضمنه من الوعد والوعيد قوله تعالى لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر اللام
متعلقة بنذيرا اي نذيرا لمن شاء منكم ان يتقدم الى الخير والطاعة او يتاخر الى الشر
والمعصية نظيره ولقد علمنا المستقدمين منكم اي في الخير ولقد علمنا المستاخرين عنه
قال الحسن هذا وعيد وتهديد وان خرج مخرج الخبر كقوله فمن شاء فليومن ومن شاء
فليكفر وقال بعض اهل التاويل معناه لمن شاء الله ان يتقدم او يتاخر فالمشية متعلقة
بالله جل ثناؤه والتقدم الايمان والتاخر الكفر وكان ابن عباس يقول هذا تهديد
واعلام ان من تقدم الى الطاعة والايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم جوزي بثواب
لا ينقطع ومن تاخر عن الطاعة وكذب محمدا صلى الله عليه وسلم عوقب عقابا لا ينقطع
وقال السدي لمن شاء منكم ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها او يتاخر عنها الى الجنة
قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة اي مرتهنة بكسبها ماخوذة بعملها اما خلصها واما
اوبقها وليس رهينة تانيث رهين في قوله كل امرء بما كسب رهين لتانيث النفس لانه لو
قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمونث وانما
هو اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كانه قيل كل نفس بما كسبت رهين ومنه بيت
الحماسة ۝ ابعد الذي بالنعف نعف كويكب ۝ رهينة رمس ذي تراب وجندل ۝
كانه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك الا اصحاب
اليمين فانهم لا يرتهنون بذنوبهم واختلف في تعيينهم فقال ابن عباس الملائكة وعلي
ابن ابي طالب اولاد المسلمين لم يكتسبوا فيرتهنوا بكسبهم الضحاك الذين سبقت لهم من
الله الحسنى ونحوه عن ابن جريج قال كل نفس بعملها محاسبة الا اصحاب اليمين وهم
اهل الجنة فانهم لا يحاسبون وكذا قال مقاتل ايضا قال هم اهل الجنة الذين كانوا عن
يمين ادم يوم الميثاق حين قال لهم هولاء في الجنة ولا ابالي وقال الحسن وابن كيسان
هم المسلمون المخلصون ليسوا بمرتهنين لانهم ادوا ما كان عليهم وعن ابن ظبيان عن
ابن عباس قال هم المسلمون وقيل الا اصحاب الحق واهل الايمان وقيل هم الذين يعطون
كتبهم بايمانهم وقال ابو جعفر الباقر نحن وشيعتنا اصحاب اليمين وكل من ابغضنا
اهل البيت فهم المرتهنون وقال الحكم هم الذين اختارهم لخدمته فلم يدخلوا في الرهن

لانهم خدام الله وصنعوته وكسبهم لم ينقص هم وقال القاسم كل نفس مأخوذة بكسبها من خير او شر الا من اعتمد على الفضل والرحمة دون الكسب والخدمة فكل من اعتمد على الكسب فهو مرهون وكل من اعتمد على الفضل فهو غير مأخوذ به في جنات اي في بساتين يتساءلون اي يسألون عن المجرمين اي المجرمين ما سلككم اي ادخلكم في سقر كما يقول سلكت الخيط في كذا اي ادخلته فيه قال الكلبي يسأل الرجل من اهل الجنة الرجل من اهل النار باسمه فيقول له يا فلان وفي قراءة عبد الله بن الزبير يا فلان ما سلكك في سقر وعنه قال قرأ عمر بن الخطاب يا فلان ما سلككم في سقر قال الفراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب وقيل ان المؤمنين يسألون الملائكة عن اقربائهم فتسأل الملائكة المشركين فيقولون لهم ما سلككم في سقر قال القراء في هذا ما يقوي ان اصحاب اليمين الولدان لانهم لا يعرفون الذنوب قالوا يعني اهل النار لم نك من المصلين اي المؤمنين الذين يصلون ولم نك نطعم المسكين اي لم نك نتصدق وكنا نخوض مع الخائضين اي كنا نخالط اهل الباطل في باطلهم وقال ابن زيد نخوض مع الخائضين اي في امر محمد صلى الله عليه وسلم وهو قولهم كاهن مجنون شاعر ساحر وقال السدي اي وكنا نكذب مع المكذبين وقال قتادة كلما غوى غاو غوينا معه وقيل معناه وكنا اتباعا ولم نك متبوعين وكنا نكذب بيوم الدين اي لم نك نصدق بيوم القيامة يوم الجزاء والحكم قوله تعالى حتى اتانا اليقين اي جاءنا ونزل بنا الموت ومنه قوله تعالى واعبد ربك حتى يأتيك اليقين قوله تعالى فما تنفعهم شفاعة الشافعين هذا دليل على صحة الشفاعة للمذنبين وذلك ان قوما من اهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة فاخرجوا من النار وليس للكفار شفيع يشفع فيهم وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه تشفع نبيكم صلى الله عليه وسلم رابع اربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى او عيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وسلم ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ويبقى قوم في جهنم فيقال لهم ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين الى قوله فما تنفعهم شفاعة الشافعين قال عبد الله بن مسعود فهؤلاء الذين يبقون في جهنم وقد ذكرنا اسناده في التذكرة قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين اي فما لاهل مكة قد اعرضوا وولوا عما جئتهم به وفي تفسير مقاتل الاعراض عن القرآن من وجهين احدهما الجحود والانكار والوجه الآخر ترك العمل بما فيه ومعرضين نصب على الحال من الهاء والميم في لهم وفي اللام معنى الفعل فانتصاب الحال على معنى الفعل كانهم اي كان هؤلاء الكفار في فرارهم من محمد صلى الله عليه وسلم حمر مستنفرة قال ابن عباس اراد الحمر الوحشية وقرأ نافع وابن عامر بفتح الفاء اي منفرة اي مذعورة واختاره ابو عبيد وابو حاتم الباقون بالكسر اي نافرة يقال نفرت واستنفرت بمعنى مثل عجبت واستعجبت وسخرت واستسخرت وانشد الفراء

امسك حمارك انه مستنفر ۞ في اثر احمرة عمدن لغرب

قوله تعالى فرت اي نفرت وهربت من قسورة اي من رماة يرمونها وقال بعض اهل اللغة ان القسورة الرامي وجمعه القسورة وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك ابن كيسان القسورة هم الرماة والصيادون ورواه عطاء عن ابن عباس وابو ظبيان عن ابي موسى الاشعري وقيل انه الاسد قاله ابو هريرة وابن عباس ايضا ابن عرفة من القسر بمعنى القهر اي انه يقهر السباع والحمر الوحشية تهرب من السباع وروى ابو حمزة عن ابن عباس قال ما اعلم القسورة الاسد في لغة احد من العرب ولكنها عصب الرجال قال والقسورة جمع الرجال وانشد ثابت

يا بنت كوني خيرة لخيرة ۞ اخوالها الجن واهل القسورة

وعنه ركز الناس اي حسهم واصواتهم وعنه ايضا فرت من قسورة اي من حبال الصيادين وعنه ايضا القسورة بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة الرماة وبلسان

فارس البشير وبلسان النبط ابريا وقال ابن الاعرابي القسورة اول الليل اي فرت من ظلمة الليل وقاله عكرمة ايضا وقيل هو سواد اول الليل ولا يقال لآخر سواد الليل قسورة وقال زيد بن اسلم من رجال اقوياء وكل شديد عند العرب فهو قسورة وقسور قال لبيد بن ربيعة

اذا ما هتفنا هتفة في ندينا ۞ اتانا الرجال العائدون القساور

قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة اي يعطى كتبا مفتوحة وذلك ان ابا جهل وجماعة من قريش قالوا يا محمد ائتنا بكتب من رب العالمين الى فلان ان اتبع محمدا صلى الله عليه وسلم نظيره لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ابن عباس كانوا يقولون ان كان محمد صادقا فليصبح عند كل رجل منا صحيفة فيها براءته وامنه من النار وقال مطر الوراق ارادوا ان يعطوا بغير عمل وقال الكلبي قال المشركون بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يصبح عند رأسه مكتوبا ذنبه وكفارته فائتنا بمثل ذلك وقال مجاهد ارادوا ان ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله عز وجل الى فلان بن فلان وقيل المعنى ان يذكر بذكر جميل فجعلت الصحف موضع الذكر مجازا وقالوا اذا كانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لا نرى ذلك كلا اي ليس يكون ذلك وقيل حقا والاول اجود لانه رد لقولهم بل لا يخافون الآخرة اي لا اعطيهم ما يتمنون لانهم لا يخافون الآخرة اغترارا بالدنيا وقال سعيد بن جبير صحفا منشرة بسكون الحاء والنون فاما تسكين الحاء فتخفيف واما تسكين النون فشاذ انما يقال نشرت الثوب وشبهه ولا يقال انشرته ويجوز ان يكون شبه الصحيفة بالميت كانها ميتة بطيها فاذا نشرت حييت فجاء على انشر الله الميت كما شبه احياء الميت بنشر الثوب فقيل فيه نشر الله الميت قوله تعالى كلا انها تذكرة اي حقا ان القرآن عظة فمن شاء ذكره اي اتعظ به وما يذكرون اي وما يتعظون الا ان يشاء الله اي ليس يقدرون على الاتعاظ والتذكر الا بمشيئة الله ذلك لهم وقراءة العامة يذكرون بالياء واختاره ابو عبيد لقوله كلا بل لا يخافون الآخرة وقرأ نافع ويعقوب بالتاء واختاره ابو حاتم لانه اعم واتفقوا على تخفيفها هو اهل التقوى واهل المغفرة في الترمذي وسنن ابن ماجه عن انس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال في هذه الآية هو اهل التقوى واهل المغفرة قال قال الله تبارك وتعالى انا اهل من اتقى فلم يجعل لي الها فانا اهل ان اغفر له لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن غريب وفي بعض التفسير قال اهل المغفرة لمن تاب اليه من الذنوب الكبار واهل المغفرة ايضا للذنوب الصغار باجتناب الذنوب الكبار وقال محمد بن نصر انا اهل ان يتقيني عبدي فان لم يفعل كنت اهلا ان اغفر له والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة القيامة مكية وهي تسع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا اقسم بيوم القيامة قيل ان لا صلة وجاز وقوعها في اول السورة لان القرآن متصل بعضه ببعض فهو في حكم كلام واحد ولهذا قد يذكر الشيء في سورة ويجيء جوابه في سورة اخرى كقوله تعالى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون وجوابه في سورة اخرى ما انت بنعمة ربك بمجنون ومعنى الكلام اقسم بيوم القيامة قاله ابن عباس وابن جبير وابو عبيدة قال ومثله قول الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ۞ فكاد صميم القلب لا يتقطع

وحكى ابو الليث السمرقندي اجمع المفسرون ان معنى لا اقسم واختلفوا في تفسير لا فقال بعضهم لا زائدة في الكلام للرسم وتجري في كلام العرب زيادة لا كما قال في آية اخرى ما منعك ان لا تسجد وقال بعضهم لا رد لكلامهم حيث انكروا البعث فقالوا لا نبعث فقال ليس الامر كما ذكرتم قلت وهذا قول الفراء وكثير من النحويين يقولون لا صلة ولا يجوز ان يبدأ بجحد ثم يجعل صلة لان هذا لو كان كذلك لم يعرف خبر فيه جحد

من حيث لا يجحد فيه، ولكن القرآن جاء بالرد على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، فجاء بالإقسام بالرد عليهم، وذلك كقولك: لا والله لا أفعل؛ فلا ردّ لكلام قد مضى، وذلك كقولك: لا والله إن القيامة لحق، كأنك أكذبت قوما أنكروه. وأنشد غير الفراء لامرئ القيس:

فلا وأبيك ابنة العامري • لا يدعي القوم أني أفر •

وقال غوية بن سلمى:

ألا نادت أمامة باحتمالي • لتحزنني فلا بك ما أبالي •

وفائدتها توكيد القسم في الرد. قال الفراء: وكان من لا يعرف هذه الجهة يقرأ لأقسم بغير ألف، كأنها لام تأكيد دخلت على أقسم، وهو صواب؛ لأن العرب تقول: لأقسم بالله، وهي قراءة الحسن وابن كثير والزهري وابن هرمز. بيوم القيامة أي بيوم يقوم الناس فيه لرب العالمين، ولله عز وجل أن يقسم بما شاء. ولا أقسم بالنفس اللوامة لا خلاف في هذا بين القراء أنه سبحانه أقسم بيوم القيامة تعظيما لشأنها، وعلى قراءة ابن كثير أقسم بالأولى ولم يقسم بالثانية. وقيل: ولا أقسم بالنفس اللوامة رد آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة. قال الثعلبي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعا، ومعنى بالنفس اللوامة أي بنفس المؤمن الذي لا تراه إلا يلوم نفسه، يقول: ما أردت بكذا؟ فلا تراه إلا يعاتب نفسه؛ قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغيرهم. قال الحسن: هي والله نفس المؤمن، ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلي؟ ما أردت بحديث نفسي؟ والفاجر لا يحاسب نفسه. وقال مجاهد: هي التي تلوم على ما فات وتندم، فتلوم نفسها على الدوام بما يلوم عليه غيرها؛ فعلى هذا الوجه تكون اللوامة بمعنى اللائمة، وهي صفة مدح، وعلى هذا يجيء القسم بها سائغا حسنا. وفي بعض التفسير: إنه آدم عليه السلام لم يزل لائما لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة. وقيل: اللوامة بمعنى الملومة المذمومة، عن ابن عباس أيضا، فهي صفة ذم، وهو قول من نفى أن يكون قسما، إذ ليس للعاصي خطر يقسم به، فهي كثيرة اللوم. وقيل: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله. وقال الفراء: ليس من نفس محسنة أو مسيئة إلا وهي تلوم نفسها؛ فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحسانا، والمسيء يلوم نفسه أن لا يكون ارعوى من إساءته. قوله تعالى: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه أي فنعيدها خلقا جديدا بعد أن صارت رفاتا. وقال الزجاج: أقسم تعالى بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ليجمعن العظام للبعث، فهذا جواب القسم. وقال النحاس: جواب القسم محذوف، أي لتبعثن، ودل عليه قوله تعالى: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه للإحياء والبعث. والإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث. والآية نزلت في عدي بن ربيعة، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: حدثني عن يوم القيامة متى تكون، وكيف أمرها وكيف حالها؟ فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك؛ فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن به، أو يجمع الله العظام! ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اكفني جاري السوء عدي بن ربيعة والأخنس بن شريق. وقيل: نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت. وذكر العظام والمراد نفسها كلها؛ لأن العظام قالب الخلق. بلى وقف حسن ثم نبتدئ قادرين؛ قال سيبويه: على معنى نجمعها قادرين، فقادرين حال من الفاعل المضمر في الفعل المحذوف على ما ذكرناه من التقدير. وقيل: المعنى بل نقدر قادرين. قال الفراء: قادرين نصب على الخروج من نجمع، أي نقدر ونقوى قادرين على أكثر من ذلك. وقال أيضا: يصلح نصبه على التكرير، أي بلى فليحسبنا قادرين. وقيل: المضمر كنا، أي كنا قادرين في الابتداء، وقد اعترف به المشركون. وقرأ ابن أبي عبلة وابن السميفع: بلى قادرون، بتأويل: بلى نحن قادرون على أن نسوي بنانه. البنان عند العرب: الأصابع، واحدها بنانة؛ وقال النابغة:

بمخضب رخص كأن بنانه • عنم يكاد من اللطافة يعقد •

وقال عنترة:

وأن الموت طوع يدي إذا ما • وصلت بنانها بالهندواني •

فنبه بالبنان على بقية الأعضاء. وأيضا فإنها أصغر العظام فخصها بالذكر لذلك. قال القتبي والزجاج: زعموا أن الله لا يبعث الموتى ولا يقدر على جمع العظام؛ فقال الله تعالى: بلى قادرين على أن نعيد السلاميات على صغرها، ونؤلف بينها حتى تستوي، ومن

قدر على هذا فهو على جمع الكبار أقدر. وقال ابن عباس وعامة المفسرين: على أن نسوي بنانه: أن نجعل أصابع رجليه ويديه شيئا واحدا كخف البعير أو كحافر الحمار أو كظلف الخنزير، فلا يمكنه أن يعمل به شيئا، ولكن فرقنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء. وكان الحسن يقول: جعل لك أصابع فأنت تبسطهن وتقبضهن بهن، ولو شاء الله لجمعهن فلم تتق الأرض إلا بكفيك. وقيل: أي نقدر أن نعيد الإنسان في هيئة البهائم، فكيف في صورته التي كان عليها، وهو كقوله تعالى: وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون. قلت: والتأويل الأول أشبه بمساق الآية، والله أعلم. قوله تعالى: بل يريد الإنسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة. قال ابن عباس: يعني الكافر يكذب بما أمامه من البعث والحساب. وقاله عبد الرحمن بن زيد؛ ودليله: يسأل أيان يوم القيامة، أي يسأل متى يكون؟ على وجه الإنكار والتكذيب. فهو لا يقنع بما هو فيه من التكذيب، ولكن يأثم لما بين يديه. ومما يدل على أن الفجور التكذيب ما ذكره القتبي وغيره: أن أعرابيا قصد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وشكا إليه نقب إبله ودبرها، وسأله أن يحمله على غيرها فلم يحمله؛ فقال الأعرابي:

أقسم بالله أبو حفص عمر • ما مسها من نقب ولا دبر • اغفر له اللهم إن كان فجر •

يعني إن كان كذبني فيما ذكرت. وعن ابن عباس: يعجل المعصية ويسوف التوبة. وهذا قول مجاهد. وفي بعض الحديث قال: يقول: سوف أتوب، ولا يتوب؛ فهو قد أخلف فكذب. وهو قول عكرمة والحسن والسدي وسعيد بن جبير، قال: يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، حتى يأتيه الموت على أشر أحواله. وقال الضحاك: هو الأمل، يقول: سوف أعيش وأصيب من المال، ولا يذكر الموت. وقيل: أي يعزم على المعصية أبدا ولا يذكر، وإن كان لا يعيش إلا مدة قليلة؛ فالهاء على هذه الأقوال للإنسان. وقيل: الهاء ليوم القيامة. والمعنى بل يريد الإنسان ليكفر بالحق بين يدي يوم القيامة. والفجور أصله الميل عن الحق. يسأل أيان يوم القيامة أي متى يوم القيامة. قوله تعالى: فإذا برق البصر قرأ نافع وأبان بن عاصم: برق بفتح الراء، معناه: لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لا يطرف. قال مجاهد وغيره: هذا عند الموت. وقال غيره: هذا عند يوم القيامة. وقال: فيه معنى الجواب عما سأل عنه الإنسان، كأنه قال: يوم القيامة إذا برق البصر وخسف القمر. وقرأ الباقون بالكسر، ومعناه: تحير فلم يطرف؛ قاله أبو عمرو والزجاج وغيرهما. وقال ذو الرمة:

ولو أن لقمان الحكيم تعرضت • لعينيه مي سافرا كاد يبرق •

الفراء والخليل: برق بالكسر: فزع وبهت وتحير. والعرب تقول للإنسان المتحير المبهوت: قد برق فهو برق؛ وأنشد الفراء:

فنفسك فانع ولا تنعني • وداو الكلوم ولا تبرق •

أي لا تفزع من كثرة الكلوم التي بك. وقيل: برق بالفتح: شق عينيه وفتحها؛ قاله أبو عبيدة؛ وأنشد قول الكلابي:

لما أتاني ابن عمير راغبا • أعطيته عيساء منها فبرق •

أي فتح عينيه. وقيل: إن كسر الراء وفتحها لغتان. قوله تعالى: وخسف القمر أي ذهب ضوؤه. والخسوف في الدنيا إلى انجلاء، بخلاف الآخرة فإنه لا يعود ضوؤه. ويحتمل أن يكون بمعنى غاب، ومنه قوله تعالى: فخسفنا به وبداره الأرض. وقرأ ابن أبي إسحاق وعيسى والأعرج: وخسف القمر بضم الخاء وكسر السين؛ يدل عليه وجمع الشمس والقمر. وقال أبو حاتم محمد بن إدريس: إذا ذهب بعضه فهو الكسوف، وإذا ذهب كله فهو الخسوف. وجمع الشمس والقمر أي جمع بينهما في ذهاب ضوئهما، فلا ضوء للشمس كما لا ضوء للقمر بعد خسوفه؛ قاله الفراء والزجاج. قال الفراء: ولم يقل جمعت؛ لأن المعنى جمع بينهما. وقال أبو عبيدة: هو على تغليب المذكر. وقال الكسائي: هو محمول على المعنى، كأنه قال: الضوءان. قال المبرد: التأنيث غير حقيقي. وقال ابن عباس وابن مسعود: جمع بينهما، أي قرن بينهما في طلوعهما من المغرب أسودين مكورين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران. وقد مضى الحديث بهذا في آخر سورة الأنعام. وفي قراءة عبد الله: وجمع بين الشمس والقمر. وقال عطاء بن يسار: يجمع بينهما يوم القيامة ثم يقذفان في البحر، فيكونان نار الله الكبرى. وقال علي وابن عباس: يجعلان في نور الحجب. ويجعلان في النار لأنهما قد عبدا من دون الله، ولا تكون النار عذابا لهما لأنهما جماد، وإنما يفعل ذلك بهما زيادة في تبكيت الكافرين وحسرتهم. وفي مسند أبي داود الطيالسي

عن يزيد الرقاشي عن انس بن مالك يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس والقمر ثوران عقيران وقيل هذا الجمع انهما يجتمعان ولا يفترقان ويقربان من الناس فيلحقهم العرق لشدة الحر وكان المعنى يجمع حرهما عليهم وقيل يجمع الشمس والقمر ولا يكون ثم تعاقب ليل ولا نهار قوله تعالى يقول الانسان يومئذ اين المفر اي يقول ابن ادم ويقول ابو جهل اي اين المهرب قال الشاعر

• اين المفر والكباش تنتطح • واي كبش حاد عنها يفتضح •

قال الماوردي ويحتمل وجهين احدهما اين المفر من الله تعالى استحيا منه الثاني اين المفر من جهنم حذرا منها ويحتمل هذا القول من الانسان وجهين احدهما ان يكون من الكافر خاصة في عرصة القيامة دون المومن لثقة المومن ببشرى ربه الثاني ان يكون من قول المومن والكافر عند قيام الساعة لهول ما شاهدوا منها وقراءة العامة المفر بفتح الفا وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم لانه مصدر وقرا ابن عباس ومجاهد والحسن وقتاده بكسر الفا مع فتح الميم قال الكساي هما لغتان مثل مدب ومدب ومصح ومصح وعن الزهري بكسر الميم وفتح الفا من المفر فهو مصدر بمعنى الفرار ومن فتح الميم وكسر الفا فهو الموضع الذي يفر اليه ومن كسر الميم وفتح الفا فهو الانسان الجيد الفرار فالمعنى اين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك قلت ومنه قول امري القيس

• مكر مفر مقبل مدبر معا • يريد انه حسن الكر والفر جيده لا وزر اي لا مفر

فكلا رد وهو من قول الله تعالى ثم فسر هذا الرد بقوله تعالى لا وزر اي لا ملجا من النار وكان ابن مسعود يقول لا حصن وكان الحسن يقول لا جبل وابن عباس يقول لا ملجا وابن جبير يقول اي لا محيص ولا منعة والمعنى متقارب في ذلك كله والوزر في اللغة ما يلجا اليه من حصن او جبل او غيرهما قال الشاعر

• لعمري ما للفتى من وزر من الموت يدركه والكبر •

قال السدي كانوا في الدنيا اذا فزعوا تحصنوا في الجبال فقال الله لهم لا وزر يعصمكم مني قال طرفه

• ولو تقلم بكور اننا • فاضلوا الراي وفي الروع وزر •

اي لا ملجا للخايف ويروى وفزه الى ربك يومئذ المستقر اي المنتهى قال قتاده نظيره وان الى ربك المنتهى وقال ابن مسعود اي الى ربك المصير والمرجع وقيل اي المستقر في الاخرة حيث يقره الله اذ هو الحاكم بينهم وقيل ان كلا من قول الانسان لنفسه اذا علم انه ليس مفر قال لنفسه كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر قوله تعالى ينبا الانسان يومئذ بما قدم واخر اي يخبر ابن ادم برا كان او فاجرا يوم القيامة بما قدم اي بما سلف من عمل سي او صالح او اخر من سنة سيئة او صالحة يعمل بها بعده قاله ابن عباس وابن مسعود وروى منصور عن مجاهد قال ينبا باول عمله واخره من الطاعة وهو قول قتاده وقال ابن زيد بما قدم من امواله لنفسه وما اخر خلفه للورثة وقيل ينبا بما قدم من فرض واخر من فرض قال القشيري وهذا الانبا يكون يوم القيامة عند وزن الاعمال ويجوز ان يكون عند الموت والاول اظهر لما خرجه ابن ماجه في سننه من حديث الزهري حدثني ابو عبد الله الاغر عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علما علمه ونشره وولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اجراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته تلحقه بعد موته وخرجه ابو نعيم الحافظ بمعناه من حديث قتاده عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع يجري اجره للعبد بعد موته وهو في قبره من علم علما او اجرى نهرا او حفر بيرا او غرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا يستغفر له بعد موته فقوله بعد موته وهو في قبره نص على ان ذلك لا يكون عند الموت وانما يخبر بجميع ذلك عند وزن عمله وان كان يبشر بذلك في قبره ودل على ذلك ايضا قوله الحق وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم وقوله ومن اوزار الذين

يضلونهم

يضلونهم بغير علم وهذا لا يكون الا في الاخره وبعد وزن الاعمال والله اعلم وفي الصحيح من سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير ان ينقص من اوزارهم شي قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره قال الاخفش جعله هو البصيرة كما يقول للرجل انت حجة على نفسك وقال ابن عباس بصيرة اي شاهد وهو شهود جوارحه عليه يداه بما بطش بهما ورجلاه بما مشى بهما وعيناه بما بصر بهما والبصيرة الشاهد وانشد الفرا

• كان على ذي العقل عينا بصيرة • بمقعده او منظر هو ناظره •

• يحاذر حتى يحسب الناس كلهم • من الخوف لا تخفى عليهم سرايره •

ودليل هذا التاويل من التنزيل قوله تعالى يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون وجاز تانيث البصيرة لان المراد بالانسان ها هنا الجوارح لانها شاهدة على نفس الانسان فكانه قال بل الجوارح على نفس الانسان بصيرة قال معناه القتيبي وغيره وناس يقولون هذه الها في قوله تعالى بصيرة هي التي تسميها اهل الاعراب ها المبالغة كالها في قولهم داهية وعلامة وراوية وهو قول ابي عبيدة وقيل المراد بالبصيرة الكاتبان اللذان يكتبان ما يكون منه من خير او شر يدل عليه قوله تعالى ولو القى معاذيره فيمن جعل المعاذير الستور وهو قول السدي والضحاك وقال بعض اهل التفسير المعنى بل على الانسان من نفسه بصيرة اي شاهد فحذف حرف الجر ويجوز ان يكون بصيرة نعتا لاسم مونث فيكون تقديره بل الانسان على نفسه عين بصيرة وانشد الفرا

• كان على ذي العقل عينا بصيرة •

وقال الحسن في قوله تعالى بل الانسان على نفسه بصيرة يعني بصير بعيوب نفسه ولو القى معاذيره اي ولو ارخى ستوره والستر بلغة اهل اليمن معذار قاله الضحاك وقال الشاعر

• ولكنها ضنت بمنزل ساعة • علينا واطت فوقها بالمعاذر •

قال الزجاج المعاذير الستور الواحده معذار اي وان ارخى ستره يريد ان يخفي عمله فنفسه شاهدة عليه وقيل اي ولو اعتذر فقال لم افعل شيا لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه فهو وان اعتذر وجادل عن نفسه فعليه شاهد يكذب عذره قاله مجاهد وقتاده وسعيد بن جبير وعبد الرحمن وابو العاليه وعطا والفرا والسدي ايضا ومقاتل قال مقاتل اي لو ادلى بعذر وحجة لم ينفعه ذلك نظيره قوله تعالى يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم وقوله تعالى ولا يوذن لهم فيعتذرون فالمعاذير على هذا ماخوذ من العذر قال الشاعر

• واياك والامر الذي ان توسعت • موارده ضاقت عليك المصادر •

• فما حسن ان يعذر المرء نفسه • وليس له من سائر الناس عاذر •

واعتذر رجل الى ابراهيم النخعي فقال له قد عذرتك غير معتذر ان المعاذير يشوبها الكذب قال ابن عباس ولو القى معاذيره اي لو تجرد من ثيابه حكاه الماوردي قلت والاول اظهر انه الادلا بالحجة والاعتذار بالذنب ومنه قول النابغه

• ها ان ذا عذرة ان لا تكن نفعت • فان صاحبها مشارك النكد •

والدليل على هذا قوله تعالى في الكفار والله ربنا ما كنا مشركين وقوله في المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم وفي الصحيح انه يقول يا رب امنت بك وبكتابك وبرسولك وصليت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع الحديث وقد تقدم في حم السجده وغيرها والمعاذير جمع معذرة ويقال عذرته فيما صنع اعذره عذرا وعذرا والاسم المعذرة والعذرى قال الشاعر

• اني حددت ولا عذر لمحدود •

وهي مثل الركبه والجلسه قال النابغه

• ها ان ذي عذرة ان لا تكن نفعت • فان صاحبها مشارك النكد •

وتضمنت هذه الاية حجة مسايل الاولى قال القاضي ابو بكر بن العربي بل الانسان على نفسه بصيرة ولو القى معاذيره فيها دليل على قبول اقرار المرء على نفسه لانها شهادة

منه عليها قال الله تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون
ولا خلاف أنه إخبار على وجه تنتفي التهمة فيه لأن العاقل لا يكذب على نفسه وهي
المسألة الثانية وقد قال الله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم
على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين ثم قال تعالى
وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وهو أيضا في الآثار كثير قال
النبي صلى الله عليه وسلم واغد يا أنيس على امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها وأما
إقرار الغير على الغير بوارث أو دين فقال مالك الأمر المجتمع عليه عندنا في الرجل يهلك
وله بنون فيقول أحدهم قد أقر أبي أن فلانا ابنه إن ذلك النسب لا يثبت بشهادة
إنسان واحد ولا يجوز إقرار الذي أقر إلا على نفسه في حصته من مال أبيه يعطى
الذي شهد له قدر نصيبه من المال الذي في يده قال مالك وتفسير ذلك أن يهلك
الرجل ويترك ابنين ويترك ستمائة دينار ثم يشهد أحدهما أن أباه الهالك أقر أن فلانا
ابنه فتكون على الذي شهد للذي استحلف مائة دينار وذلك نصف ميراث المستلحق
لو لحق وإن أقر له الآخر أخذ المائة الأخرى فاستكمل حقه وثبت نسبه وهو أيضا
بمنزلة المرأة تقر بالدين على أبيها أو على زوجها وينكر ذلك الورثة فعليها أن تدفع إلى
الذي أقرت له قدر الذي يصيبها من ذلك لو ثبت على الورثة كلهم إن كانت امرأة ورثت
الثمن دفعت إلى الغريم ثمن دينه على حساب هذا يدفع إليه من أقر من النساء المسألة
الثالثة لا خلاف أنه لا يقبل الإقرار إلا من مكلف لكن بشرط أن لا يكون محجورا عليه لأن
الحجر يسقط قوله إذا كان يلحق نفسه فإن كان لحق غيره كالمريض كان منه ساقطا ومنه
جائز وبيانه في مسائل الفقه وللعبد حالتان في الإقرار إحداهما في ابتدائه ولا خلاف
فيه على الوجه المتقدم والثانية في انتهائه وذلك مثل إبهام الإقرار وله صور كثيرة
وأمهاتها ست مسائل الأولى أن يقول له عندي شيء قال الشافعي لو فسره بتمرة أو كسرة
قبل منه والذي تقتضيه أصولنا أنه لا يقبل إلا فيما له قدر فإذا فسره به قبل منه وحلف
عليه المسألة الثانية أن يفسرها بخمر أو خنزير أو ما لا يكون مالا في الشريعة فهذا لم
يقبل باتفاق المسألة الثالثة أن يفسره بمختلف فيه مثل جلد الميتة أو سرجين أو
كلب فإن الحاكم يحكم عليه بما يراه من رد وإمضاء فإن رده لم يحكم عليه حاكم آخر غيره
بشيء لأن الحكم قد نفذ بإبطاله وقال بعض أصحاب الشافعي يلزم الخمر والخنزير وهذا
قول باطل لأن ذلك لا يملك ولا ينتفع به فإقراره به كالعدم والله أعلم وقال أبو حنيفة
إذا قال له علي شيء لم يقبل تفسيره إلا بمكيل أو موزون لأنه لا يثبت في الذمة إلا هما وهذا
ضعيف لأن غيرهما يثبت في الذمة إجماعا إذا وجب المسألة الرابعة إذا قال له عندي
مال قبل تفسيره بما لا يكون مالا في العادة كالدرهم والدرهمين ما لم يجئ من قرينة الحال
ما يحكم عليه بأكثر منه المسألة الخامسة أن يقول له عندي مال كثير أو عظيم فقال الشافعي
يقبل في الحبة وقال أبو حنيفة لا يقبل إلا في نصاب الزكاة وقال علماؤنا في ذلك
أقوال مختلفة منها نصاب السرقة والزكاة والدية وأقله عندي نصاب السرقة لأنه
لا تبان عضو مسلم إلا في مال عظيم وبه قال أكثر الحنفية ومن عجيب ما يستعجب من قول
الليث بن سعد أنه لا يقبل في أقل من اثنين وسبعين درهما فقيل له من أين تقول
ذلك قال لأن الله يقول لقد نصركم الله في مواطن كثيرة وغزواته وسراياه كانت
اثنين وسبعين وهذا لا يصح فإنه أخرج حنينا منها فكان حقه أن يقول إحدى
وسبعين وقد قال الله تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال لا خير في كثير من نجواهم
وقال والعنهم لعنا كبيرا المسألة السادسة إذا قال له عندي عشرة أو مائة أو ألف
فإنه يفسرها بما شاء ويقبل منه فإن قال ألف درهم ومائة وعبد أو مائة وخمسون
درهما فإنه يفسر المبهم ويقبل منه وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة إن عطف على
العدد المبهم مكيلا أو موزونا كان تفسيرا كقوله مائة وخمسون درهما لأن الدرهم مفسر

للجنس

للجنس والخمسون تفسير للمائة وقال ابن خيران والإصطخري من أصحاب الشافعي
الدرهم لا يكون تفسيرا في المائة وخمسين إلا للخمسين وحدها خاصة ويفسر هو المائة بما
شاء المسألة الرابعة قوله تعالى ولو ألقى معاذيره معناه لو اعتذر بعد ومعناه لو اعتذر
بعد الإقرار لم يقبل منه وقد اختلف العلماء فيمن رجع فيما أقر به لحد وذلك التي هي خالص
حق الله تعالى فقال أكثرهم منهم الشافعي وأبو حنيفة يقبل رجوعه بعد الإقرار
وبه قال مالك في أحد قوليه وقال في القول الآخر لا يقبل منه إلا أن يذكر لرجوعه
وجها صحيحا والصحيح جواز الرجوع مطلقا لما روى الأئمة منهم مسلم والبخاري أن النبي
صلى الله عليه وسلم رد المعترف بالزنا مرارا أربعة كل مرة يعرض عليه ولما شهد على نفسه أربع
مرات دعاه النبي صلى الله عليه وسلم وقال أبك جنون قال لا قال أحصنت قال نعم
وفي البخاري لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت وفي النسائي وأبي داود قال نعم في الخامسة
أنكتها قال نعم قال غاب ذلك منك في ذلك منها قال نعم كما يغيب المرود في المكحلة
والرشا في البئر قال نعم قال هل تدري ما الزنا قال نعم أتيت منها حراما كما يأتي الرجل
من امرأته حلالا قال فما تريد مني بهذا القول قال أريد أن تطهرني قال فأمر به
فرجم قال الترمذي وأبو داود فلما مسته الحجارة فر يشتد فضربه رجل بلحي جمل وضربه
الناس حتى مات فقال النبي صلى الله عليه وسلم هلا تركتموه وقال أبو داود ليتثبت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأما إذا رجع لترك حد فلا وهذا كله طريق للرجوع
وتصريح بقبوله وفي قوله عليه السلام لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت إشارة إلى قول
مالك أنه يقبل رجوعه إذا ذكر وجها المسألة الخامسة وهذا هو الحر المالك لأمر نفسه وأما
العبد فإن إقراره لا يخلو من أحد قسمين إما أن يقر على بدنه أو على ما في يده وذمته فإن
أقر على بدنه بما فيه عقوبة من القتل فما دونه نفذ ذلك عليه وقال محمد بن الحسن لا يقبل
ذلك منه لأن بدنه مستغرق لحق السيد وفي إقراره إتلاف حقوق السيد في بدنه ودليلنا
قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب من هذه القاذورات شيئا فليستتر بستر الله فإنه من
يبد لنا صفحته نقم عليه الحد المعنى أن محل العقوبة في أصل الخلقة وهي الدمية في الآدمية
ولا حق للسيد فيها وإنما حقه في الوصف من التبع وهي المالية الطارئة عليه ألا ترى
أنه لو أقر بمال لم يقبل حتى قال أبو حنيفة إنه لو قال سرقت هذه السلعة إنه تقطع يده
ويأخذها المقر له وقال علماؤنا السلعة للسيد ويتبع العبد بقيمتها إذا عتق لأن مال
العبد للسيد إجماعا فلا يقبل قوله فيه ولا إقراره عليه لا سيما وأبو حنيفة يقول إن
العبد لا ملك له ونحن وإن قلنا إنه يصح ملكه ولكن جميع ما في يده للسيد بإجماع
على القولين والله أعلم قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به روى الترمذي
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل
عليه القرآن يحرك به لسانه يريد أن يحفظه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به لسانك
لتعجل به فكان يحرك به شفتيه وحرك سفيان شفتيه قال أبو عيسى هذا حديث
حسن صحيح ولفظ مسلم عن ابن جبير عن ابن عباس قال كان النبي صلى الله عليه
وسلم يعالج من التنزيل شدة يحرك شفتيه فقال لي ابن عباس أنا أحركهما كما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحركهما فحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل لا تحرك به
لسانك قال ابن عباس وقرآنه أي وقراءته عليك والقراءة والقرآن في قول الفراء
مصدران قال قتادة فاتبع قرآنه أي فاتبع شرائعه وأحكامه وقوله تعالى
ثم إن علينا بيانه أي تفسير ما فيه من الوعد والوعيد والحلال والحرام قاله قتادة
وقيل ثم إن علينا بيان ما فيه من الوعد والوعيد وتحقيقهما وقيل إن علينا أن نبينه
بلسانك قوله تعالى كلا قال ابن عباس كلا أي إن أبا جهل لا يؤمن بتفسير القرآن
وبيانه وقيل كلا لا يصلون ولا يزكون يريد كفار مكة بل تحبون أي بل تحبون
يا كفار مكة العاجلة أي الحياة الدنيا والحياة فيها وتذرون أي تدعون الآخرة
والعمل لها وفي بعض التفسير قال الآخرة الجنة وقرأ أهل المدينة والكوفيون تحبون

ويذرون في النار منهما على الخطاب واختاره ابو عبيد قال ولولا الكراهة لخلاف
هولاء القرا لقراتهما باليا لذكر الانسان قبل ذلك الباقون بالتا على الخبر وهو اختيار
ابي حاتم فمن قرا باليا فردا على قوله تعالى ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر وهو بمعنى
الناس ومن قرا بالتا فعلى انه واجههم بالتقريع لان ذلك ابلغ في المقصود نظيره ان هولا
يحبون العاجلة ويذرون وراهم يوما ثقيلا قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها
ناظرة الاولى من النضرة التي هي الحسن والنعمة والثاني من النظر اي وجوه المومنين مشرقة
حسنة ناعمة يقال نضرهم الله ينضرهم نضرة ونضارة وهو من الاشراق والعيش والغنى
ومنه الحديث نضر الله امرا سمع مقالتي الى ربها اي الى خالقها ومالكها ناظرة اي تنظر الى
ربها وعلى هذا جمهور العلما وفي الباب حديث صهيب خرجه مسلم وقد مضى في سورة
يونس عند قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وكان ابن عمر يقول اكرم اهل الجنة
على الله تعالى من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم تلا هذه الاية وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وروي يزيد النحوي عن عكرمة قال تنظر الى ربها نظرا وكان
الحسن تقول نضرت وجوههم ونظروا الى ربهم وقيل ان النظر هنا انتظار ما لهم من
الثواب وروي مجاهد وابن عمر وعكرمة ينتظر امر ربها حكاه الماوردي عن عكرمة وابن
عمر وليس معروفا الا عن مجاهد وحده واحتجوا بقوله تعالى لا تدركه الابصار وهو
يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير وهذا القول ضعيف جدا خارج عن مقتضى الاية
والاخبار وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ادنى
اهل الجنة منزلة لمن ينظر جنانه وازواجه وخدمه وسرره مسيرة الف سنة واكرمهم
على الله من ينظر الى وجهه غدوة وعشية ثم قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوه يومئذ
ناضرة الى ربها ناظرة وقال هذا حديث حسن غريب وقد روي عن ابن عمر ولم يرفعه
وفي صحيح مسلم عن بكر بن عبد الله بن قيس عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما بين القوم
وبين ان ينظروا الى ربهم عز وجل الا رداء الكبريا على وجهه في جنة عدن وروى جرير
ابن عبد الله قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فنظر الى القمر ليلة البدر فقال
انكم سترون ربكم عيانا كما ترون القمر لا تضامون في رويته فان استطعتم ان لا تغلبوا
على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا ثم قرا وسبح بحمد ربك قبل
طلوع الشمس وقبل الغروب متفق عليه وقد خرجه ايضا ابو داود والترمذي
وقال حديث حسن صحيح وخرج ابو داود عن ابي رزين العقيلي قال قلت يا رسول
الله كلنا يرى الله عز وجل مخليا به يوم القيامة قال نعم يا ابا رزين اليس
كلكم يرى القمر ليلة البدر مخليا به قال بلى قال فالله اعظم انما هو خلق من خلق الله
يعني القمر والله اجل واعظم وفي كتاب النسائي عن صهيب قال فيكشف الحجاب فينظرون
اليه فوالله ما اعطاهم الله شيئا هو احب اليهم من النظر ولا اقر لاعينهم وفي التفسير لابي
اسحاق الثعلبي عن ابي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى
ربنا عز وجل حتى ينظرون اليه فيخرون له سجدا فيقول ارفعوا روسكم فليس هذا يوم
عبادة قال الثعلبي وقول مجاهد انها بمعنى تنتظر الثواب من ربها ولا يراه شي من
خلقه فتاويل مدخول لان العرب اذا ارادت بالنظر الانتظار قالوا نظرته كما قال تعالى
هل ينظرون الا الساعة هل ينظرون الا تاويله وما ينظرون الا صيحة واحدة
واذا ارادوا به التفكر والتدبر قالوا نظرت فيه فاما اذا كان النظر مقرونا بذكر الى
وذكر الوجه فلا يكون الا بمعنى الروية والعيان وقال الازهري ان قول مجاهد
تنتظر ثواب ربها خطا لانه لا يقال نظرت الى كذا بمعنى الانتظار وان قول القايل
نظرت الى فلان ليس الا روية عين كذلك تقوله العرب لانهم يقولون نظرت اليه اذا ارادوا
نظر العين فاذا ارادوا الانتظار قالوا نظرته قال الشاعر
٭ فانكما ان تنظراني ساعة ٭ من الدهر تنفعني لدى ام جندب ٭

لما اراد الانتظار قال تنظراني ولم يقل تنظران الي واذا ارادوا نظر العين قالوا
نظرت اليه قال الشاعر ٭ نظرت اليها والنجوم كانها ٭ مصابيح رهبان تشب لقفال ٭
وقال الاخر ٭ نظرت اليها بالمحصب من منى ٭ ولي نظر لولا التحرج عارم ٭
وقال اخر ٭ اني اليك لما وعدت لناظر ٭ نظر الفقير الى الغني الموسر ٭
اي انظر اليك بذل لان نظر الذل والخضوع ارق لقلب المسوول فاما ما استدلوا به من
قوله تعالى لا تدركه الابصار فانما ذلك في الدنيا وقد مضى القول فيه في موضعه
مستوفى وقال عطية العوفي ينظرون الى الله تعالى لا تحيط ابصارهم به من عظمته
ونظره يحيط بهم دليله قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف
الخبير وقال القشيري وقيل الى واحد الالا اي نعمه منتظرة وهذا ايضا باطل لان
واحد الالا انما يكتب بالالف لا باليا ثم الالا نعمه الدفع وهم في الجنة لا ينتظرون دفع نقمة
عنهم والمنتظر للشي متنغص العيش فلا يوصف اهل الجنة بذلك وقيل اضاف النظر الى
الوجه لان العين في الوجه وهو كقوله تعالى تجري من تحتها الانهار والما يجري في
النهر لا النهر يجري ثم قد يذكر الوجه بمعنى العين قال الله تعالى فالقوه على وجه
ابي يات بصيرا اي على عينيه ثم لا يبعد قلب العادة غدا حتى يخلق الله الروية والنظر في
الوجه وهو كقوله افمن يمشي مكبا على وجهه فقيل يا رسول الله فكيف يمشون في النار
على وجوههم قال الذي امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم قوله
تعالى ووجوه يومئذ باسرة اي وجوه الكفار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة وفي الصحاح وبسر
الفحل الناقة وابتسرها اذا ضربها من غير ضبعة وبسر الرجل وجهه بسورا اي كلح يقال
عبس وبسر وقال السدي باسرة اي متغيرة والمعنى واحد تظن ان يفعل بها فاقرة اي
توقن وتعلم والفاقرة الداهية والامر العظيم يقال فقرته الفاقرة اي كسرت فقار
ظهره قال معناه مجاهد وغيره وقال قتادة الفاقرة الشر وقال السدي الهلاك
قال ابن عباس وابن زيد دخول النار والمعنى واحد متقارب واصلها الوسم على انف
البعير بحديدة او نار حتى يخلص الى العظم قاله الاصمعي يقال فقرت انف البعير اذا
حززته بحديدة ثم جعلت على موضع الحز الجرير وعليه وتر ملوي لتذلله بذلك وتروضه
ومنه قولهم قد عمل به الفاقرة وقال النابغة
٭ ابى لي قبر لا يزال مقابلي ٭ وضربة فاس فوق راسي فاقره ٭
قوله تعالى كلا اذا بلغت التراقي وقيل من راق كلا ردع وزجر اي بعيد ان يومن الكافر
بيوم القيامة ثم استانف فقال اذا بلغت التراقي اي بلغت النفس او الروح التراقي فاخبر
عما لم يجر له ذكر لعلم المخاطب به كقوله حتى توارت بالحجاب وقوله تعالى فلولا اذا بلغت
الحلقوم وقد تقدم وقيل كلا معناه حقا اي حقا ان المساق الى الله تعالى اذا بلغت التراقي اي
اذا ارتقت النفس الى التراقي وكان ابن عباس يقول اذا بلغت نفس الكافر التراقي جمع
ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر وهو مقدم الحلق من اعلى الصدر وهو موضع الحشرجة
قال دريد بن الصمة ٭ ورب عظيمة دافعت عنها ٭ وقد بلغت نفوسهم التراقي ٭
وقد يكنى عن الاشفا على الموت ببلوغ النفس التراقي وقيل وقد يكنى ورب عظيمة
دافعت عنها عن الاشفا على الموت ببلوغ النفس التراقي والمقصود تذكيرهم شدة الحال
عند نزول الموت قوله تعالى وقيل من راق اختلف فيه فقيل هو من الرقية عن
ابن عباس وغيره روي سماك عن عكرمة قال من راق يرقي اي يشفي وروى ميمون
ابن مهران عن ابن عباس وغيره وروي سماك عن عكرمة اي هل من طبيب يشفيه وقاله
ابو قلابة وقتادة قال الشاعر
٭ هل للفتى من بنات الدهر من واق ٭ ام هل له من حمام الموت من راق ٭
وكان هذا على وجه الاستبعاد واليأس اي من يقدر ان يرقي من الموت وعن ابن عباس ايضا
وابي الجوزا انه من رقي يرقى اذا صعد وقيل المعنى من يرقى بروحه الى السما املائكة
الرحمة ام ملائكة العذاب وقيل ان ملك الموت يقول من راق اي يرقى بجدة وذلك ان

نفس الكافر تكرهها الملائكة فرقها فيقول ملك الموت يا فلان اصعد بها وقرأ عاصم وقوم باظهار النون في قوله من راق وكذلك اللام في قوله بل ران لئلا يشبه مرّاق وهو بائع المرقة وبران في تثنية البر والصحيح ترك الاظهار وكسر القاف من راق وفتح النون في بل ران يكفي في زوال اللبس واكثر واحسن ما ذكر قصد الوقف على من وبل فاظهرها قاله القشيري قوله تعالى وظن انه الفراق اي ايقن الانسان انه الفراق اي فراق الدنيا والاهل والمال والولد وذلك حين عاين الملائكة قال الشاعر •

• فراق ليس يشبهه فراق • قد انقطع الرجاء عن التلاق •

والتفت الساق بالساق اي اتصلت الشدة بالشدة شدة اخر الدنيا بشدة اول الاخرة قاله ابن عباس والشعبي وغيرهم وقال الشعبي ايضا وغيره المعنى التفت ساقا الانسان عند الموت من شدة الكرب وقال قتادة اما رأيته عند الموت يضرب برجله على الاخرى وقال سعيد بن المسيب والحسن ايضا هما ساقاه اذا التفتا في الكفن وقال زيد بن اسلم يعني التفت ساق الكفن بساق الميت وقال الحسن ايضا ماتت رجلاه ويبست ساقاه فلم تحملاه وكان عليهما جوالا قال النحاس القول الاول احسنها وروى علي بن طلحة عن ابن عباس والتفت الساق بالساق قال اخر يوم من الدنيا واول يوم من الاخرة قال تلتقي الشدة بالشدة الا من رحم الله اي شدة كرب الموت لشدة هول المطلع والدليل على هذا قوله تعالى الى ربك يومئذ المساق وقال مجاهد بلاء ببلاء يقال تتابعت عليه الشدائد وقال الضحاك وابن زيد اجتمع عليه امران شديدان الناس يجهزون جسده والملائكة يجهزون روحه والعرب لا تذكر الساق الا في الشدائد والمحن العظام ومنه قولهم قامت الدنيا على ساق وقامت الحرب على ساق قال الشاعر • وقامت الحرب بنا على ساق • وقد مضى هذا المعنى في اخر سورة ن والقلم وقال قوم الكافر تعذب روحه عند خروج نفسه فهذه الساق الاولى ثم يكون بعدها ساق البعث وشدائده الى ربك اي الى خالقك يومئذ اي يوم القيامة المساق اي المرجع وفي بعض التفسير قال يسوقه ملكه الذي كان يحفظ عليه السيئات في الدنيا والمساق المصدر من ساق يسوق كالمقال من قال قوله عز وجل فلا صدق ولا صلى اي لم يصدق ابو جهل ولم يصل وقيل يرجع هذا الى الانسان في اول السورة وهو اسم جنس وهو قول ابن عباس اي لم يصدق بالرسالة ولا صلى اي دعا لربه وصلى على رسوله وقال قتادة فلا صدق بكتاب الله ولا صلى لله وقيل فلا صدق بمال له ذخرا له عند الله ولا صلى الصلوات التي امره الله تعالى بها وقيل فلا امن بقلبه ولا عمل ببدنه وقال الكسائي لا هنا بمعنى لم ولكنه يقرن بغيره تقول العرب لا عبد الله خارج ولا فلان ولا تقول مررت برجل لا يحسن حتى يقال ولا يجمل وقوله تعالى فلا اقتحم العقبة ليس من هذا القبيل لان معناه افلا اقتحم بحذف الف الاستفهام وقال الاخفش فلا صدق اي فلم يصدق كقوله تعالى فلا اقتحم اي لم يقتحم ولم يشترط ان يعقبه بشيء اخر والعرب تقول لا ذهب اي لم يذهب فحرف النفي ينفي الماضي كما ينفي المستقبل ومنه قول زهير • فلا هو ابداها ولم يتقدم •

قوله تعالى ولكن كذب وتولى اي كذب بالقران وتولى عن الايمان ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر افتخارا بذلك قاله مجاهد وغيره والمراد ابو جهل وقيل يتمطى من المطى وهو الظهر والمعنى يلوي مطاه اي اصله يتمطط وهو التمدد من التكاسل والتثاقل فهو يتثاقل عن الداعي الى الحق فابدل من الطاء ياء كراهة التضعيف والتمطي يدل على قلة الاكتراث بالشيء وهو التمدد فكانه يمد ظهره ويلويه من التبختر وهو المطيطا الماء الخاثر في اسفل الحوض لانه يتمطط اي يتمدد وفي الخبر اذا مشت امتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كان باسهم بينهم والمطيطاء التبختر ومد اليدين والمشي اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى هذا تهديد بعد تهديد ووعيد بعد وعيد فهو وعيد اربعة لاربعة كما روي انها نزلت في ابي جهل الجاهل بربه فقال فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى اي لا صدق رسول الله ولا وقف بين يديه يصلي فنزل التصديق خصلة والتولي عن

الله تعالى خصلة والتكذيب خصلة وترك الصلاة خصلة فجاء الوعيد اربعة مقابلة لتلك الخصال الاربعة والله ولا يقال ان قوله ثم ذهب الى اهله يتمطى خصلة خامسة فانا نقول تلك كانت عادته قبل التكذيب والتولي فاخبر عنها وكذلك بين في قول قتادة على ما بينه وقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج من المسجد ذات ليلة فاستقبله ابو جهل على باب المسجد مما يلي بني مخزوم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فهزه مرة او مرتين فقال له اولى لك فاولى فقال له ابو جهل اتهددني فوالله لاني اعز اهل الوادي واكرمه ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال لابي جهل وهي كلمة وعيد قال الشاعر

• فاولى ثم اولى ثم اولى • وهل للدر يحلب من مرد •

قال قتادة اقبل ابو جهل بن هشام يتبختر فاخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيده فقال اولى لك فاولى ثم اولى لك فاولى فقال ما تستطيع انت ولا ربك لي شيئا اني لاعز من بين جبليها فلما كان يوم بدر اشرف على المسلمين فقال لا يعبد الله بعد هذا اليوم ابدا فضرب الله عنقه وقتله شر قتلة وقيل معناه الويل لك ومنه قول الخنساء •

• هممت بنفسي بعض الهموم • فاولى لنفسي اولى لها •

• سأحمل نفسي على آلة • فاما عليها واما لها •

الالة الحالة والالة ايضا السرير الذي يحمل عليه الميت وعلى هذا التاويل قيل هو من المقلوب كانه قيل اويل ثم اخر الحرف المعتل والمعنى الويل لك حيا والويل لك ميتا والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار وهذا التكرار كما قال لك الويلات انك مرجلي اي لك الويل ثم الويل وضعف هذا القول وقيل المعنى الزم لك اولى من تركه الا انه كثر في الكلام فحذف وقيل المعنى انت اولى واجدر بهذا العذاب قال ابو العباس احمد بن يحيى قال الاصمعي اولى في كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كانه يقول قد وليت الهلاك واصله من الولي وهو القرب قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار اي يقربون منكم وانشد الاصمعي • واولى ان يكون له الولاء •

اي قارب ان يكون له وانشد ايضا • اولى لمن هاجت له ان يكمدا •

اي قد دنا صاحبها الكمد وانشد ابو العباس احمد بن يحيى قول الاصمعي ويقول ليس احد يفسر كتفسير الاصمعي قال النحاس العرب تقول اولى لك كدت تهلك ثم افلت وكان تقديره اولى لك واولى بك الهلكة قال المهدوي ولا يكون اولى افعل منك ويكون خبرا مبتدا محذوف كانه قال الوعيد اولى له من غيره لان ابا زيد حكى اولاة الان اذا اوعد فدخول علامة التانيث دل على انه ليس كذلك ولك خبر عن اولى ولم ينصرف اولى لانه صار علما للوعيد فصار كرجل اسمه احمد وقيل التكرار فيه على المعنى الزم لك على عملك السيء الاول ثم على الثاني والثالث والرابع على ما تقدم قوله تعالى ايحسب الانسان اي ايظن ابن ادم ان يترك سدى اي يخلى مهملا فلا يؤمر ولا ينهى قاله ابن زيد ومجاهد ومنه ابل سدى اي ترعى بلا راع وقيل ايحسب ان يترك في قبره كذلك ابدا لا يبعث قال الشاعر • فاقسم بالله جهد اليمين • ما ترك الله شيئا سدى •

قوله تعالى الم يك نطفة من مني يمنى اي من قطرة ماء تمنى في الرحم اي تراق فيه ولذلك سميت منى لاراقة الدماء وقد تقدم والنطفة الماء القليل يقال نطف الماء اذا قطر اي الم يك ماء قليلا في صلب الرجل وترائب المراة وقرأ حفص ابن مني يمنى بالياء وهي قراءة ابن محيصن ومجاهد ويعقوب وعياش عن ابي عمرو واختاره ابو عبيد لاجل المني وقرأ الباقون بالتاء لاجل النطفة واختاره ابو حاتم ثم كان علقة اي دما بعد النطفة اي قد رتبه تعالى بعضها على بعض فخلق فسوى اي فسواه تسوية وعدله تعديلا بجعل الروح فيه فجعل منه اي من الانسان وقيل من المني الزوجين الذكر والانثى اي الرجل والمراة وقد احتج بهذا من اراد اسقاط الخنثى وقد مضى هذا في سورة الشورى ان هذه الاية وشبهها انما خرجت مخرج الغالب وقد مضى في اول سورة النساء ايضا القول فيه وذكرنا في اية المواريث حكمه ولا معنى لاعادته اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتى

اي علي ان نصير هذه الاجسام علي هيئتها للبعث بعد البلي وروي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه كان اذا قرا هذه الاية قال سبحانك اللهم بلي وقال بن عباس رضي الله عنه من قرا سبح اسم ربك الاعلي اماما او غيره فليقل سبحان ربي الاعلي ومن قرا لا اقسم بيوم القيامة الي اخرها فليقل سبحانك اللهم بلي اماما كان او غيره ذكره الثعلبي من حديث ابي اسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن بن عباس رضي الله عنه

سورة الانسان مكية

في قول بن عباس ومقاتل والكلبي وقيل فيها مكي من قوله تعالي انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا الي اخر السورة وما تقدمه مدني وقال الجمهور مدنية وهي احدي وثلاثون اية وذكر ابن وهب قال وحدثنا ابن زيد قال ان رسول الله صلي الله عليه وسلم ليقرا هل اتي علي الانسان حين من الدهر وقد انزلت عليه وعنده رجل اسود كان يسال النبي صلي الله عليه وسلم فقال له عمر بن الخطاب حسبك لا تثقل علي النبي صلي الله عليه وسلم قال دعه يا بن الخطاب فنزلت هذه الاية وهو عنده فلما قراها عليه وبلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اخرج نفس صاحبكم او اخيكم الشوق الي الجنة وروي عن بن عمر بخلاف هذا اللفظ وسياتي وقال القشيري ان هذه السورة نزلت في علي بن ابي طالب رضي الله عنه والمقصود من السورة عام وهكذا القول في كل ما يقال انها نزلت بسبب كذا وكذا والله اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا هل بمعني قد قاله الكسائي والفرا وابو عبيده وقد حكي عن سيبويه هل بمعني قد قال الفرا هل تكون جحدا وتكون خبرا فهذا من الخبر لانك تقول هل اعطيتك تقرره بانك اعطيته والجحد ان تقول هل يقدر احد علي مثل هذا وقيل هي بمنزلة الاستفهام والمعني اي والانسان هنا ادم عليه السلام قاله قتاده وعكرمه والثوري والسدي وعن بن عباس حين من الدهر قال بن عباس في رواية ابي صالح اربعون سنة مرت به قبل ان ينفخ فيه الروح وهو ملقي بين مكة والطايف وعن بن عباس ايضا في رواية الضحاك انه خلق من طين فاقام اربعين سنة ثم من حما مسنون اربعين سنة ثم من صلصال اربعين سنة فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة زاد بن مسعود فقال اقام وهو تراب اربعين سنة ثم خلقه بعد ماية وستين سنة ثم نفخ فيه الروح وقيل الحين المذكور ها هنا لا يعرف مقداره لا في السما ولا في الارض وقيل انه كان جسدا مصورا طينا لا يذكر ولا يعرف ولا يدري ما اسمه ولا ما اراد به ثم نفخ فيه الروح فصار مذكورا قاله الفرا وقطرب وثعلب وقال يحيي بن سلام لم يكن شيا مذكورا في الخلق وان كان عند الله شيا مذكورا وقيل ليس هذا الذكر بمعني الاخبار فان اخبار الرب عن الكاينات قديم بل هذا الذكر بمعني الخطر والقدر والشرف تقول فلان مذكور اي له شرف وقدر وقد قال تعالي وانه لذكر لك ولقومك اي قد اتي علي الانسان حين لم يكن له قدر عند الخليقة ثم لما عرف الله الملايكة انه جعل ادم خليفة وحمله الامانة التي عجز عنها السموات والارض والجبال ظهر فضله علي الكل فصار مذكورا قال القشيري وعلي الجملة ما كان مذكورا للخلق وان كان مذكورا لله وحكي محمد بن الجهم عن الفرا لم يكن شيا قال كان شيا ولم يكن مذكورا وقال قوم النفي يرجع الي الشي وقد مضي مدد من الدهر وادم لم يكن شيا مذكورا في الارض للخليقة لانه اخر ما خلقه من اصناف الخليقة والمعدوم ليس بشي حتي ياتي عليه حين والمعني قد مضت عليه ازمنة وما كان شيا مذكورا ولا مخلوقا ولا مذكورا لاحد من الخليقة وهذا معني قول قتاده ومقاتل قال قتاده انما خلق

الانسان حديثا ما نعلم من خليقة الله جل ثناوه خليقة كانت بعد الانسان وقال مقاتل في الكلام تقديم وتاخير تقديره هل اتي حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا لانه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق قبله حيوانا وقد قيل ان الانسان في قوله هل اتي علي الانسان المراد به الجنس من ذرية ادم وان الحين تسعة اشهر مدة حمل الانسان في بطن امه لم يكن شيا مذكورا اذ كان علقة ومضغة لانه في هذه الحالة جماد لا خطر له وقال ابو بكر رضي الله عنه لما قرا هذه الاية ليتها تمت فلا نبتلي اي ليت المدة التي اتت علي ادم لم يكن شيا مذكورا تمت علي ذلك فلا يلد ولا يبتلي اولاده وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا فقال ليتها تمت قوله تعالي انا خلقنا الانسان من نطفة اي ابن ادم من غير خلاف من نطفة من ماء يقطر وهو المني وكل ما قليل في وعا فهو نطفة كقول عبد الله بن رواحة يعاتب نفسه

* ما لي اراك تكرهين الجنه * هل انت الا نطفة في شنه *

وجمعها نطف ونطاف امشاج اخلاط واحدها مشج ومشيج مثل خدن وخدين قال روبة

* يطرحن كل معجل نشاج * لم يكس جلدا في دم امشاج *

ويقال مشجت هذا بهذا اي خلطته فهو ممشوج ومشيج مثل مخلوط وخليط وقال المبرد واصل الامشاج مشج يقال مشج يمشج اذا اختلط وهو هنا اختلاط النطفة بالدم قال الشماخ

* طوت احشاء مرتجة لوقت * علي مشج سلالته مهين *

وقال الفرا امشاج اختلاط ما المراة وما الرجل والدم والعلقة ويقال مشج هذا اذا خلط مشيج كقولك خليط وممشوج اي كقولك مخلوط وروي عن بن عباس رضي الله عنه قال الامشاج الحمرة في البياض والبياض في الحمرة وهذا قول يختاره كثير من اهل اللغة قال الهذلي

* كان الريش والفوقين منه * خلال النصل سيط به مشيج *

وعن ابن عباس ايضا يختلط ما الرجل وهو ابيض غليظ بما المراة وهو اصفر رقيق فيخلق منها الولد فما كان من عصب وعظم وقوة فهو من ما الرجل وما كان من دم ولحم وشعر فمن ما المراة وقد روي هذا مرفوعا ذكره البزار وروي عن بن مسعود امشاجها عروق المضغة وعنه ما الرجل وما المراة وهما لونان وقال مجاهد ايضا نطفة الرجل ونطفة المراة خضر وصفر وقال بن عباس خلق من الوان خلق من تراب ثم من ما الفرج والرحم وهي نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظم ثم لحم ونحوه قال قتاده هي اطوار الخلق طورا نطفة وطورا علقة وطورا مضغة وطورا عظاما ثم يكسوا العظام لحما كما قال في سورة المومنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وقال بن السكيت الامشاج الاخلاط لانها ممتزجة من انواع يخلق الانسان منها وطباع مختلفة وقال اهل المعاني الامشاج ما جمع وهو في معني الواحد لانه نعت للنطفة كما يقال برمة اعشار وثوب اخلاق وروي عن ابي ايوب الانصاري قال جا حبر من اليهود الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال اخبرني عن ما الرجل وما المراة فقال ما الرجل ابيض غليظ وما المراة اصفر رقيق فاذا علا ما المراة انثت واذا علا ما الرجل اذكر فقال الحبر اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله وقد مضي القول في هذا مستوفي في سورة البقرة نبتليه اي نختبره وقيل نقدر فيه الابتلا والاختبار وفيما نختبره به وجهان احدهما نختبره بالخير والشر قاله الكلبي الثاني نختبر شكره في السرا وصبره في الضرا قاله الحسن وقيل نبتليه نكلفه وفيه ايضا وجهان احدهما العمل بعد الخلق قاله مقاتل الثاني الدين ليكون مامورا بالطاعة ومنهيا عن المعاصي وروي عن بن عباس نبتليه نصرفه خلقا بعد خلق لنبتليه بالخير والشر وحكي محمد بن الجهم عن الفرا قال المعني والله اعلم جعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهي مقدمة معناها التاخير لان الابتلا لا يقع الا بعد تمام الخلقة وقيل جعلناه سميعا بصيرا يعني جعلنا له سمعا يسمع به الهدي وبصرا يبصر به الهدي انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا اي بينا له وعرفناه طريق الهدي والضلال والشر والخير ببعث الرسل فامن او كفر لقوله تعالي وهديناه النجدين لقوله

تعالى وقال مجاهد اي بينا السبيل الى الشقاء والسعادة وقال الضحاك وابو صالح والسدي السبيل هنا خروجه من الرحم وقيل منافعه ومضاره التي يهتدي اليها بطبعه وكمال عقله اما شاكرا واما كفورا اي ايهما فعل فقد بينا له قال الكوفيون ان ها هنا تكون جزاء وما زائدة اي بينا له الطريق ان شكر وان كفر واختاره الفراء ولم يجزه البصريون اذ لا تدخل ان للجزاء على الاسماء الا ان تضمر بعدها فعل وقيل اي هديناه الرشد اي بينا له سبيل التوحيد بنصب الادلة عليه ثم ان خلقنا له الهداية اهتدى وامن وان خذلناه كفر وهو كما تقول قد نصحت لك ان شئت فاقبل وان شئت فاترك اي فان شئت فتحذف الفاء وكذا اما شاكرا والله اعلم ويقال هديناه السبيل والى السبيل وقد تقدم في الفاتحة وغيرها وجمع بين الشاكر والكفور مع اجتماعهما في معنى المبالغة نفيا للمبالغة في الشكر واثباتا لها في الكفر لان شكر الله تعالى لا يؤدى فانتفت عنه المبالغة ولم تنتف عن الكفر المبالغة فقل شكره لكثرة النعم عليه وكثر كفره وان قل مع الاحسان اليه حكاه الماوردي **قوله تعالى** انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا بين حال الفريقين وانه تعبد العقل وكلفهم ومكنهم مما امرهم فمن كفر فله العقاب ومن وحد وشكر فله الثواب والسلاسل القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مر في سورة الحاقة وقرا نافع والكسائي وابو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر سلاسلا منونا الباقون بغير تنوين ووقف قنبل عن ابن كثير وحمزة بغير الف الباقون بالالف فاما قواريرا الاول فنونه نافع وابن كثير والكسائي وابو بكر عن عاصم ولم ينون الباقون ووقف يعقوب وحمزة بغير الف والباقون بالالف واما قواريرا الثانية فنونه نافع والكسائي وابو بكر ومن لم ينون اسقط منها الالف واختار ابو عبيد التنوين في الثلاثة والوقف بالالف اتباعا لخط المصحف قال رايت في مصحف عثمان سلاسلا بالالف وكذا قواريرا الاول بالالف وكان الثاني مكتوبا بالالف فحكت ورايت اثرها هناك بينا فمن صرف فله اربع حجج احدها ان الجموع اشبهت الاحاد فجمعت جمع الاحاد فجعلت في حكم الاحاد فصرفت الثانية ان الاخفش حكى عن العرب صرف جميع ما لا ينصرف الا افعل منك وكذا قال الكسائي والفراء هو على لغة من يجر الاسماء كلها الا قولهم هو اظرف منك فانهم لا يجرونه وانشد ابن الانباري في ذلك قول عمرو بن كلثوم

كان سيوفنا فينا وفيهم * مخاريق بايدي لاعبينا *

وقال لبيد

وحسور اسباد عوت لحتفها * بمعالق متشابه اعلامها *

وقال لبيد ايضا

فضلا وذو كرم يعين على الندى * سمح كسوب رغائب غنامها *

فصرف مخاريق ومعالق ورغائب وسبيلها ان لا تنصرف والحجة الثالثة ان يقول نونت قوارير الاول لانه راس اية وروس الاي جاءت بالنون كقوله عز وجل مذكورا سميعا بصيرا فنون الاول ليوفق بين روس الايات ونون الثاني على الجواز لمجاورته للاول والحجة الرابعة اتباعا للمصاحف وذلك انهما جميعا في مصاحف مكة والمدينة والكوفة بالالف وقد احتج من لم يصرف بان قال ان كل جمع بعد الالف منه ثلاثة احرف او حرفان او حرف مشدد لا ينصرف في معرفة ولا نكرة فالذي بعد الالف منه ثلاثة احرف قولك قناديل ودنانير ومناديل والذي بعد الالف منه حرفان قول الله عز وجل لهدمت صوامع وبيع لان بعد الحرفين الف وكذا قوله ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا والذي بعد الالف منه حرف مشدد شواب ودواب وقال خلف سمعت يحيى بن ادم يحدث عن ابي ادريس قال في المصاحف الاول الحرف الاول والثاني بغير الف فهذا حجة لمذهب حمزة وقال خلف رايت في مصحف ينسب الى قراءة ابن مسعود الاول بالالف والثاني بغير الف واما افعل منك فلا تقول العرب في شعر ولا في غيره هو افعل منك منونا لان من تقوم مقام الاضافة فلا يجمع بين تنوين واضافة في حرف لانهما دليلان من دلائل الاسماء ولا يجمع بين دليلين قاله الفراء وغيره وقوله تعالى واغلالا جمع غل تغل بها ايديهم الى اعناقهم وعن جبير بن نفير عن ابي الدرداء انه كان يقول ارفعوا هذه الايدي الى الله عز وجل قبل ان تغل بالاغلال وقال الحسن ان الاغلال لم تجعل في

اعناق اهل النار لانهم اعجزوا الرب سبحانه ولكن اذلالا وسعيرا تقدم القول فيه ان الابرار يشربون من كاس الاية الابرار اهل الصدق واحدهم بر وهو من امتثل امر الله وقيل البر الموحد والابرار جمع بار مثل شاهد واشهاد وقيل هو جمع بر مثل نهر وانهار وفي الصحاح جمع البر الابرار وجمع البار البررة وفلان يبر خالقه ويبرره اي يطيعه والام برة بولدها وروى ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما سماهم الله جل ثناؤه الابرار لانهم بروا الاباء والابناء كما ان لوالديك عليك حقا كذلك لولدك عليك حقا وقال الحسن البر الذي لا يؤذي الذر وقال قتادة الابرار الذين يؤدون حق الله ويوفون بالنذر وفي الحديث الابرار الذين لا يؤذون احدا من كاس اي من اناء فيه الشراب قال ابن عباس يريد الخمر والكاس في اللغة الاناء فيه الشراب واذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كاسا قال الشاعر وهو عمرو بن كلثوم

صددت الكاس عنا ام عمرو * وكان الكاس مجراها اليمينا *

كان مزاجها اي شوبها وخلطها قال حسان

* كان سبيئة من بيت راس * يكون مزاجها عسل وماء *

ومنه مزاج البدن وهو ما يمازجه من الصفراء والسوداء والحرارة والبرودة كافورا قال ابن عباس هو اسم عين ماء في الجنة يقال له عين الكافور اي يمازجه ماء هذه العين التي تسمى كافورا وقال سعيد عن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقاله مجاهد وقال عكرمة مزاجها طعمها وقيل انما الكافور في ريحها لا في طعمها وقيل اراد الكافور في بياضه وطيب رائحته وبرده لان الكافور لا يشرب لقوله تعالى حتى اذا جعله نارا وكما قال ابن كيسان طيب المسك والكافور والزنجبيل وقال مقاتل ليس بكافور الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عندكم حتى تهتدي لها القلوب وقوله تعالى كان مزاجها كان زائدة اي من كاس مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله قال الفراء ان الكافور اسم لعين ما في الجنة فعينا بدل من كافور على هذا وقيل نصب على المدح كما يذكر الرجل فتقول العاقل اللبيب اي ذكرتم العاقل اللبيب فهو نصب باضمار اعني وقيل يشربون عينا وقال الزجاج المعنى من عين ويقال كافور وقافور والكافور ايضا وعاء طلع النخل وكذلك الكفرى قال الاصمعي واما قول الراعي تكسو المفارق واللبات ذا ارج من قصب معتلف الكافور دراج فان الظبي الذي يكون منه المسك انما يرعى سنبل الطيب فجعله كافورا يشرب بها قال الفراء يشرب بها ويشربها سواء في المعنى وكان يشرب بها يروى بها وينتقع بها وانشد

شربن بماء البحر ثم ترفعت * متى لجج خضر لهن نئيج *

قال ومثله تكلم بكلام حسن وتكلم كلاما حسنا وقيل المعنى يشربها والباء زائدة وقيل الباء بدل من تقديره يشرب منها قاله القتبي يفجرونها تفجيرا فيقال ان الرجل منهم ليمشي في بيوتاته ويصعد الى قصوره وبيده قضيب يشير به الى الماء فيجري معه حيث ما جال في منازله على مستوى الارض في غير اخدود ويتبعه حيث ما صعد الى اعالي قصوره وذلك قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا اي يشققونها شقا كما يفجر النهر ها هنا وها هنا الى حيث يريد وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد يفجرونها تفجيرا يقودونها حيث شاءوا وتتبعهم حيث مالوا مالت معهم وروى ابو مقاتل عن صالح بن سعيد عن ابي سهل عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع عيون في الجنة عينان تجريان من تحت العرش احداهما التي ذكر الله تعالى يفجرونها تفجيرا والاخرى الزنجبيل والاخريان نضاختان من فوق العرش احداهما التي ذكر الله سلسبيلا والاخرى التسنيم ذكره الترمذي الحكيم في نوادر الاصول قال فالتسنيم للمقربين خاصة شربا لهم والكافور للابرار شربا لهم يمزج للابرار من التسنيم شرابهم واما الزنجبيل والسلسبيل فللابرار منها مزاج هكذا ذكره في التنزيل وسكت عن ذكر ذلك لمن هي شرب فما كان للابرار مزاج فللمقربين صرف والابرار هم الصادقون والمقربون هم الصديقون قوله تعالى يوفون بالنذر اي لا يخلفون اذا نذروا وقال معمر عن قتادة بما فرض الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج والعمرة وغيره من الواجبات وقال عكرمة

ومجاهد يوفون اذا نذروا في حق الله جل ثناؤه وقال الفراء والجرجاني وفي الكلام اضمار اي كانوا يوفون بالنذر في الدنيا والعرب قد تزيد مره كان وتحذف اخرى والنذر حقيقته ما اوجبه المكلف على نفسه من شي يفعله وان شئت قلت في حده النذر هو ايجاب المكلف على نفسه من الطاعات ما لم يوجبه لم يلزمه وقال الكلبي يوفون بالعهد اي يتمون العهد والمعنى واحد وقد قال الله تعالى ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم اي اعمال نسكهم التي الزموها انفسهم باحرامهم بالحج وهذا يقوي قول قتاده وان النذر يلزم فيه ما التزمه المرء بايمانه من امتثال امر الله قاله القشيري وروى اشهب عن مالك انه قال يوفون بالنذر هو نذر العتق والصيام والصلاه وروى عنه ابو بكر بن عبد العزيز قال قال مالك يوفون بالنذر قال النذر هنا اليمين قوله تعالى ويخافون اي يحذرون يوما اي يوم القيامه كان شره مستطيرا اي عاليا داهيا فاشيا وهو في اللغه ممتدا والعرب تقول استطار الصدع في القاروره والزجاجه واستطال اذا امتد قال الاعشى

فبانت وقد اسارت في الفواد ° صدعا على نايها مستطيرا °

ويقال استطار الحريق اذا انتشر واستطار الفجر اذا انتشر الضوء قال حسان °

وهان على سراة بني لوي ° حريق بالبويرة مستطير °

وكان قتاده يقول استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملا السماوات والارض وقال مقاتل كان شره فاشيا في السماوات فانشقت وتناثرت الكواكب وفزعت الملائكه وفي الارض ونسفت الجبال وغارت المياه ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال ابن عباس على حبه وقال ابن عباس ومجاهد على قلته وحبهم اياه وشهوتهم له قال الداراني على حب الله وقال الفضيل بن عياض على حب اطعام الطعام وكان الربيع بن خثيم اذا جاءه السائل قال اطعموه سكرا فان الربيع يحب السكر مسكينا اي ذا مسكنة فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو الطواف يسالك مالك ويتيما اي من يتامى المسلمين وروى منصور عن الحسن ان يتيما كان يحضر طعام ابن عمر فدعا ذات يوم بطعامه فطلب اليتيم فلم يجده وجا بعدما فرغ ابن عمر من طعامه فلم يجد الطعام فدعا بسويق وعسل فقال دونك هذا فوالله ما غبنت قال الحسن وابن عمر والله ما غبن واسيرا اي الذي يوسر فيحبس روى ابو صالح عن ابن عباس قال الاسير من اهل الشرك يكون في ايديهم وقاله قتاده وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال الاسير المحبوس وكذا قال قتاده لقد امر الله بالاسرا ان يحسن اليهم وان اسراهم يومئذ لاهل الشرك واخوك المسلم احق ان تطعمه وقال عكرمه الاسير العبد وقال ابو حمزة الثمالي الاسير المراه يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان عندكم اي اسيرات وقال ابو سعيد الخدري قرا النبي صلى الله عليه وسلم ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا فقال المسكين الفقير واليتيم الذي لا اب له والاسير المملوك والمسجون ذكره الثعلبي وقيل نسخ طعام المسكين اية الصدقات وطعام الاسير السيف قاله سعيد بن جبير وقال غيره بل هو ثابت الحكم واطعام اليتيم والمسكين على التطوع واطعام الاسير لحفظ نفسه الى ان يتخير فيه الامام قال الماوردي ويحتمل ان يريد بالاسير الناقص العقل لانه في اسر خبله وجنونه واسر المشرك انتقام يقف على راي الامام وهذا بر واحسان وعن عطا قال الاسير من اهل القبله وغيرهم قلت وكان هذا القول عام يجمع جميع الاقوال ويكون اطعام الاسير المشرك قربه الى الله تعالى غير انه من صدقة التطوع فاما المفروضه فلا والله اعلم ومضى القول في اليتيم والمسكين والاسير واشتقاق ذلك من اللغه في البقره مستوفى والحمد لله قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله قال يقولون بالسنتهم للفقير والمسكين والاسير انما نطعمكم في الله جل ثناؤه فزعا من عذابه وطمعا في ثوابه لا نريد منكم جزاء اي مكافاة ولا شكورا اي ولا ان تثنوا علينا بذلك قال ابن عباس كذلك كانت نياتهم في الدنيا حين اطعموا وعن سالم عن مجاهد قال اما انهم ما تكلموا به ولكن علم الله جل ثناؤه

منهم

منهم فاثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب وقاله سعيد بن جبير حكاه عنه القشيري وقيل ان هذه الاية نزلت في مطعم بن ورقا الانصاري نذر نذرا فوفى به وقيل نزلت فيمن تكفل اسرى بدر وهم سبعة من المهاجرين ابو بكر وعمر وعلي والزبير وعبد الرحمن بن سعد وسعد وابو عبيده رضي الله عنهم ذكره الماوردي وقال مقاتل نزلت في رجل من الانصار اطعم في يوم واحد مسكينا ويتيما واسيرا وقال ابو حمزه الثمالي بلغني ان رجلا قال يا رسول الله اطعمني فاني والله مجهود فقال والذي نفسي بيده ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتى رجلا من الانصار وهو يتعشى مع امراته فساله واخبره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فقالت المراة اطعمه واسقيه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم يتيم فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال ما عندي ما اطعمك ولكن اطلب فاتى ذلك الانصاري فقالت المراة اطعمه واسقيه فاطعمه ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اطعمني فاني مجهود فقال والله ما معي ما اطعمك ولكن اطلب فجا الانصاري فطلب فقالت المراة اطعمه واسقه فنزلت ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا ذكره الثعلبي وقال مقاتل قال اهل التفسير نزلت في علي وفاطمه رضي الله عنهما وجارية لهما اسمها فضه قلت والصحيح انها نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا فهي عامه وقد ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمه وجاريتهما حديثا لا يصح ولا يثبت رواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس في قوله عز وجل يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا قال مرض الحسن والحسين فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وعادهما عمومة العرب فقالوا يا ابا الحسن ورواه جابر الجعفي عن قنبر مولى علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال مرض الحسن والحسين حتى عادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر رضي الله عنه يا ابا الحسن لو نذرت عن ولدك نذرا وكل نذر ليس له وفا فليس بشي وقال علي رضي الله عنه ان برا ولداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت جارية لهم نوبية ان برا سيداي صمت لله ثلاثة ايام شكرا وقالت فاطمه مثل ذلك وفي حديث الجعفي فقال الحسن والحسين علينا مثل ذلك قال فالبس الغلامان العافيه وليس عند ال محمد قليل ولا كثير فانطلق علي الى شمعون بن جابر الخيبري وكان يهوديا فاستقرض منه ثلاثة اصع من شعير فجا به فوضعه في ناحيه البيت فقامت فاطمه الى صاع فطحنته واختبزته وصلى علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتى المنزل فوضع الطعام بين يديه وفي حديث الجعفي فقامت الجاريه الى صاع من شعير فخبزت منه خمسة اقراص لكل واحد منهم قرص فلما مضى صيامهم الاول وضع بين ايديهم الخبز والملح الجريش اذ اتاهم مسكين فوقف بالباب وقال السلام عليكم اهل بيت محمد وفي حديث الجعفي انا مسكين من مساكين ال محمد انا والله جائع اطعموني اطعمكم الله على موائد الجنه فسمعه علي فانشا يقول °

° افاطم ذات السداد واليقين ° يا ابنة خير الناس اجمعين °
° اما ترين البائس المسكين ° قد قام بالباب له حنين °
° يشكو الى الله ويستكين ° يشكو الينا جائع حزين °
° كل امرى بكسبه رهين ° وفاعل الخير يستبين °
° موعدنا جنة عليين ° حرمها الله على الضنين °
° وللبخيل موقف مهين ° تهوي به النار الى سجين °
° شرابه الحميم والغسلين ° من يفعل الخير يقم سمين °
° ويدخل الجنة اي حين ° فانشات فاطمه تقول °
° امرك عندي يا ابن عم طاعه ° ما بي من لوم ولا وضاعه °
° ما لي من مال ولا بضاعه ° غذيت في الخبز له صناعه °
° اطعمه ولا ابالي الساعه ° ارجوا اذا اشبعت ذا المجاعه °
° ان الحق الاخيار والجماعه ° وادخل الخلد ولي شفاعه °

فاعطوه الطعام ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيا الا الما القراح فلما كان في اليوم
الثاني قامت الي صاع فطحنته وخبزته وصلي علي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم اتي المنزل
فوضع الطعام بين ايديهم فوقف بالباب يتيم فقال السلام عليكم اهل بيت محمد يتيم من
اولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة اطعموني اطعمكم الله علي موايد الجنة فسمعه علي
فانشا يقول • افاطم بنت السيد الكريم • بنت نبي ليس بالزنيم •
• قد اتى الله بذي اليتيم • من يرحم اليوم يكن رحيم •
• ويدخل الجنة اي سليم • قد حرم الجنة للئيم •
• الا يجوز الصراط المستقيم • يزل في النار الي الجحيم •
• شرابه الصديد والحميم • فانشات فاطمة تقول
اطعمه اليوم ولا ابالي • واوثر الله علي عيالي •
• امسوا جياعا وهم اشبالي • اصغرهم يقتل في القتال •
• بكربلا يقتل في اغتيال • يا ويل للقاتل مع وبال •
• يهوي به في النار الي سفال • وفي يديه الغل والاغلال •
• كبوله زادت علي الاكبال •
فاعطوه الطعام ومكثوا يومين كاملين وليلتين لم يذوقوا شيا الا الما القراح فلما كان
في اليوم الثالث قامت الي الصاع الباقي فطحنته واختبزته وصلي علي مع النبي صلى الله
عليه وسلم ثم اتي المنزل فوضع الطعام بين يديه اذا اتاهم اسير فوقف بالباب فقال
السلام عليكم اهل بيت محمد تاسرونا وتشدونا ولا تطعمونا اطعموني فاني اسير محمد فسمعه
علي فانشا يقول • يا فاطم بنت النبي احمد • بنت نبي سيد مسود •
• سماه من خلقه محمد • قد زانه الله بحسن اغيد •
• هذا اسير النبي المهتد • مثقل في غله مقيد •
• يشكوا الينا الجوع قد تمدد • من يطعم اليوم يجده في غد •
• عند العلي الواحد الموحد • ما يزرع الزارع سوف يحصد •
• اعطيه لا تجعليه اقعد • فانشات فاطمة تقول
• لم يبق مما جا غير صاع • قد ذهبت كفي مع الذراع •
• ابناي والله هم الجياع • يا رب لا تتركهما ضياع •
• ابوهما للخير ذو اصطناع • يصطنع المعروف بابتداع •
• عبل الذراعين شديد الباع • وما علي راسي من قناع •
• الا قناع نسجه نساع •
فاعطوه الطعام ومكثوا ثلثة ايام ولياليها ولم يذوقوا شيا الا الما القراح فلما
كان في اليوم الرابع وقد وفي الله النذر اخذ علي بيده اليمني الحسن وبيده اليسرى
الحسين واقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يرتعشون كالفراخ من
شدة الجوع فلما ابصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابا الحسن ما اشد ما يسوني
ما اري بكم انطلق بنا الي ابنتي فاطمة فانطلقوا اليها وهي في محرابها قد لصق بطنها
بظهرها وغارت عيناها من شدة الجوع فلما ان راها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعرف المجاعة في وجهها بكا وقال واغوثاه يا الله اهل بيت محمد يموتون جوعا فهبط
جبريل وقال السلام يقريك السلام يا محمد خذ هنيا في اهل بيتك فقال وما اخذ
فاقراه هل اتي علي الانسان حين من الدهر لم يكن شيا مذكورا الي قوله ويطعمون
الطعام علي حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا
قال ابو عبد الله الترمذي الحكيم في نوادر الاصول هذا حديث مزود موضوع
تطرف فيه صاحبه حتى تشبه علي المستمعين فالجاهل بهذا الحديث يعض شفتيه تلهفا
ان لا يكون بهذه الصفة ولا يعلم ان صاحب هذا الفعل مذموم وقد قال الله تعالى
في تنزيله يسالونك ماذا ينفقون قل العفو وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك

وعيالك

وعيالك وجرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متواترة بان خير الصدقة
ما كان عن ظهر غني وابدا بنفسك ثم بمن تعول وافترض الله علي الرواح نفقة اهاليهم واولادهم
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفي بالمرء اثما ان يضيع ما يقوت افيحسب عاقل ان عليا
جهل هذا الامر حتى اجهد صبيانا صغارا من ابنا خمس او ست علي جوع ثلثة ايام ولياليهن
حتى تضوروا من الجوع وغارت العيون منهم لخلا اجوافهم حتى ابكي رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما بهم من الجهد هب انه اثر هذا السايل علي نفسه فهل كان يجوز له ان يحمل اهله
علي ذلك وهب ان اهله سمحت بذلك لعلي فهل جاز له ان يحمل علي الاطفال جوع ثلثة ايام
بلياليهن ما يروج مثل هذا الا علي حمقا جاهلين ابي الله لقلوب متنبهة ان تظن بعلي مثل هذا
وليت شعري من حفظ هذه الابيات كل ليلة عن علي وفاطمة واجابه كل واحد منهما
صاحبه حتى اداه الي هذه الروايه فهذا واشباهه من حديث اهل السجون فيما اري بلغني
ان قوما يخلدون في السجون فيبقون بلا حيله فيكتبون احاديث في السمر واشباهه
ومثل هذه الاحاديث مفتعله فاذا صارت الي الجهابذه رموا بها وزيفوها وما من شي الا له
افة ومكيده وافة الدين وكيده اكثر قوله تعالي انا نخاف من ربنا يوما عبوسا
قمطريرا عبوسا من صفة اليوم اي يوما يعبس فيه الوجوه من هوله وشدته فالمعني
نخاف يوما ذا عبوس وقال ابن عباس يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق
كالقطران وعن ابن عباس الضيق والقمطرير الطويل قال الشاعر شديدا عبوسا
قمطريرا وقيل القمطرير الشديد تقول العرب يوم قمطرير وقماطر وعصيب بمعني وانشد الفرا
• بني عمنا هل تذكرون بلانا • عليكم اذا ما كان يوم قماطر •
بضم القاف واقمطر اذا اشتد وقال الاخفش القمطرير اشد ما يكون من الايام واطوله
في البلا قال الشاعر • ففروا اذا ما الحرب ثار غبارها • ولج بها اليوم العبوس القماطر •
وقال الكسائي يقال اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا وهو الزمهرير والقمطرير
ويوم مقمطر اذا كان صعبا شديدا قال الهذلي •
• بنو الحرب ارضعنا لهم مقمطرة • ومن يلق منا ذلك اليوم يهرب •
وقال مجاهد ان العبوس بالشفتين والقمطرير بالجبهة والحاجبين فجعلها من
صفات الوجه المتغير من شدايد ذلك اليوم وانشد ابن الاعرابي
• يغدو علي الصيد يعود منكسر • ويقمطر ساعة ويكفهر •
وقال ابو عبيده يقال رجل قمطرير اي منقبض ما بين العينين وقال الزجاج يقال
اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها ورمت بانفها فاشتقه من القطر وجعل
الميم زايده قال اسد بن ناعصه •
• واصطلت الحروب في كل يوم • باسل الشر قمطرير الصباح •
وقوله تعالى فوقاهم الله اي دفع عنهم شر ذلك اليوم اي باسه وشدته وعذابه ولقاهم
اي اتاهم واعطاهم حين لقوه اي راوه نضرة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وفي النضرة
ثلثة اوجه احدها البياض والنقا في وجوههم قاله الضحاك الثاني الحسن والثالث قاله
ابن جبير انها اثر النعمة وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا وجزاهم بما صبروا علي الفقر
وقال القرطبي علي الصوم وقال عطا علي الجوع ثلثة ثلثة ايام وهي ايام النذر وقيل
بصبرهم علي طاعة الله وصبرهم عن معصية الله ومحارمه وما مصدريه وهذا ان الاية
نزلت في جميع الابرار ومن فعل فعلا حسنا وروي ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سيل عن الصبر فقال الصبر اربعة اولها الصبر عند الصدمة الاولي والصبر علي اداء
الفرايض والصبر علي اجتناب محارم الله والصبر علي المصايب وحريرا اي ادخلهم الجنة
والبسهم الحرير اي يلبسون حرير الدنيا وكذلك الذي في الاخرة ما شا الله عز وجل من الفضل
وقد تقدم ان من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الاخرة وانما البسه من البسه في الجنة
عوضا عن حبسهم انفسهم في الدنيا عن الملابس التي حرم الله فيها قوله تعالى
متكين فيها علي الارايك فيها اي في الجنة ونصب متكين علي الحال من الها والميم في جزاهم

والعامل فيها جزاؤهم فيها صبروا لان الصبر انما كان في الدنيا والانكار في الاخرة
وقال الفرا وان شئت جعلت متكئين تابعا كانه قال جزاهم جنة متكئين فيها على
الارائك وهي السرر في الحجال وقد تقدم وجاءت عن العرب اسما تحتوي على
صفات احدها الاريكة لا تكون الا في حجلة على سرير ومنها السجل وهو الدلو المملوة ماء
فاذا اصفرت لم تسم سجلا وكذلك الذنوب لا يسمى كاسا حتى يترع من الخمر وكذلك
الطبق الذي تهدى عليه الهدية مهدى فاذا كان فارغا قيل طبق او خوان قال
ذو الرمة • خدود جفت في السرحتي كانما • يباشرن بالمعزاء مس الارائك •
اي الفرش على السرر لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا يرون في الجنة شدة
حر كحر الشمس ولا زمهريرا او بردا مفرطا قال الاعشى •
• منعمة طفلة كالمهاة • لم تر شمسا ولا زمهريرا •
وعن ابي صالح عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكت
النار الى ربها عز وجل قالت يا رب اكل بعضي بعضا فجعل لها نفسين نفسا في الشتا
ونفسا في الصيف فشدة ما تجدون من البرد من زمهريرها وشدة ما تجدون من الحر
في الصيف من سمومها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هوا الجنة سجسج لا
حر ولا برد والسجسج الظل الممدود كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وقال مرة
الهمداني الزمهرير البرد القاطع وقال مقاتل بن حيان هو شي مثل رؤس الابر
ينزل من السما في غاية البرد وقال ابن مسعود هو لون من البرد الشديد حتى ان اهل
النار اذا القوا فيه سالوا الله ان يعذبهم في النار الف سنة اهون عليهم من عذاب
الزمهرير يوما واحدا وقال ابو النجم • او كنت ريحا كانت زمهريرا •
قال ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي قال شاعرهم •
• وليلة ظلامها قد اعتكر • قطعتها والزمهرير ما زهر •
ويروى ما ظهر اي لم يطلع القمر فالمعنى لا يرون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمرا كقمر
الدنيا اي انهم في ضيا مستديم لا ليل فيه ولا نهار لان ضوء النهار بالشمس وضوء الليل
بالقمر وقد مضى هذا المعنى مجودا في سورة مريم عند قوله تعالى ولهم رزقهم فيها
بكرة وعشيا وقال ابن عباس بينما اهل الجنة في الجنة راوا نورا ظنوه شمسا
قد اشرقت بذلك النور الجنة فيقولون قال ربنا لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا فما
هذا النور فيقول لهم رضوان ليست هذه شمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي ضحكا
فاشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما انزل الله تعالى هل اتى على الانسان وانشد
• انا مولى لفتى • انزل فيه هل اتى • ذاك علي المرتضى • وابن عم المصطفى •
ودانية عليهم ظلالها اي ظل الاشجار في الجنة قريبة من الابرار فهي مظلة عليهم زيادة
في نعيمهم وان كان لا شمس ولا قمر ثم كما ان امشاطهم الذهب والفضة وان كان لا وسخ
ولا شعث ثم ويقال ارتفاع الاشجار في الجنة مقدار مائة عام فاذا اشتهى ولي الله
ثمرتها تدانت حتى يتناولها وانتصبت ودانية على الحال عطفا على متكئين كما تقول
في الدار عبد الله متكئا ومرسلة عليه الحجال وقيل انتصب نعتا للجنة اي وجزاهم
جنة دانية فهي صفة لموصوف محذوف وقيل على موضع لا يرون فيها شمسا
ولا زمهريرا ويرون دانية وقيل على المدح اي ودانية قال الفرا ظلالها
الظلال مرفوعة بدانية ولو قرئ برفع دانية على ان يكون الظلال مبتدا ودانية
الخبر لجاز وان تكون الجملة في موضع الحال من الهاء والميم في جزاهم وقد قرئ بذلك
وفي قراة عبد الله ودانيا عليهم لتقدم الفعل وفي حرف ابي ودان رفع على
الاستئناف وذللت اي سخرت لهم قطوفها اي ثمارها تذليلا اي تسخيرا فيتناولها
القائم والقاعد والمضطجع لا يرد ايديهم عنها بعد ولا شوك قاله قتادة وقال
مجاهد ان قام ارتفعت له وان جلس تدلت عليه وان اضطجع دنت منه
فياكلها وعنه ايضا ارض الجنة من ورق وترابها الزعفران وطينها مسك اذفر واصول

شجرها ذهب وورق وافنانها اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والثمر تحت ذلك كله فمن
اكل منها قائما لم تؤذه ومن اكل منها قاعدا لم تؤذه ومن اكل منها مضطجعا لم تؤذه وقال
ابن عباس اذا هم ان يتناول من ثمارها تدلت اليه حتى يتناول منها ما يريد وتذليل
القطوف تسهيل التناول والقطوف الثمار الواحد قطف بكسر القاف سمي به لانه يقطف
كما سمي الجني لانه يجنى تذليلا تاكيد لما وصف به من الذل كقوله تعالى ونزلناه تنزيلا وكلم
الله موسى تكليما الماوردي ويحتمل ان يكون تذليل قطوفها ان تبرز لهم من اكمامها وتخلص
لهم من نواها قلت وهذا فيه بعد فقد روى ابن المبارك قال اخبرنا سفيان عن حماد
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخل الجنة جذوعها زمرد اخضر وكربها ذهب
احمر وسعفها كسوة اهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم وثمرها امثال القلال والدلا اشد بياضا
من اللبن واحلى من العسل والين من الزبد ليس فيه عجم قال ابو جعفر النحاس ويقال
المذلل الذي قد ذلله الما اي ارواه ويقال المذلل المسوى لان اهل الحجاز يقولون ذلل
نخلك اي سوه ويقال المذلل القريب المتناول ومن قولهم حائط ذليل اي قصير قال ابو
جعفر وهذه الاقوال التي حكيناها ذكرها اهل العلم باللغة وقالوها في قول امرئ القيس
• وساق كانبوب السقي المذلل • ويطاف عليهم بانية من فضة واكواب اي يدور
على هؤلاء الابرار الخدم اذا ارادوا الشراب بانية من فضة قال ابن عباس ليس في الدنيا
شي مما في الجنة الا الاسما اي ما في الجنة اشرف واعلى وانقى ثم لم تنف الاواني الذهبية بل المعنى
يسقون في اواني الفضة وقد يسقون في اواني الذهب وقد قال يطاف عليهم بصحاف
من ذهب واكواب وقيل نبه بذكر الفضة على الذهب كقوله تعالى سرابيل تقيكم الحر
وسرابيل تقيكم باسكم اي البرد فنبه بذكر احدهما على الثاني والاكواب الكيزان العظام التي
لا اذان لها ولا عرى واحدها كوب قال عدي • متكئا تصفق ابوابه • يسعى عليه العبد بالكوب •
وقد مضى في الزخرف كانت قوارير قوارير من فضة اي في صفا القوارير وبياض الفضة
فصفاؤها صفا الزجاج وهي من فضة وقيل ارض الجنة من فضة والاواني من ذهبه
ذكره ابن عباس قال وليس في الجنة شي الا قد اعطيتم في الدنيا شبهه الا القوارير من
فضة وقال لو اخذت فضة من فضة الدنيا فضربتها حتى تجعلها مثل جناح الذباب لم تر
من وراها الما ولكن قوارير الجنة مثل الفضة في صفا القوارير قدروها تقديرا قراة
العامة بفتح القاف قدروها اي قدرها لهم السقاة الذين يطوفون بها عليهم قال ابن عباس
ومجاهد وغيرهما اتوا بها على قدر ريهم بغير زيادة ولا نقصان قال الكلبي وذلك الذ
واشهى والمعنى قدرتها الملائكة الذين يطوفون عليهم وعن ابن عباس ايضا قدروها
على ملء الكف لا تزيد ولا تنقص حتى لا تؤذيهم بثقل ولا بافراط صغر وقيل ان الشاربين
قدروا لها مقادير في انفسهم على ما اشتهوا وقدروا وقرا عبيد بن عمير والشعبي وابن
سيرين قدروها بضم القاف وكسر الدال اي جعلت لهم على قدر ارادتهم وذكر هذه القراة
المهدوي عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما وقال ومن قرا قدروها تقديرا فهو
راجع الى معنى القراة الاخرى وكان الاصل قدروا عليها فحذف حرف الجر والمعنى قدرت
عليهم وانشد سيبويه • اليت حب العراق الدهر اكله • والحب ياكله في القرية السوس •
وذهب الى ان المعنى على حب العراق وقيل هذا التقدير هو ان الاقداح تطير فتغترف
بمقدار شهوة الشارب وذلك قوله تعالى قدروها تقديرا اي لا يفضل عن الري ولا
ينقص منه فقد الهمت الاقداح معرفة مقدار ري المشتهي حتى تغترف بذلك
المقدار ذكر هذا القول الترمذي الحكيم في نوادر الاصول ويسقون فيها كاسا كان
مزاجها زنجبيلا كان صلة اي كان مزاجها زنجبيلا او كان في حكم الله زنجبيلا وكانت
العرب تستلذ من الشراب ما يمزج بالزنجبيل لطيب رائحته لانه يحذو اللسان ويهضم
الماكول فرغبوا في نعيم الاخرة بما اعتقدوه نهاية النعمة والطيبة وقال المسيب بن علس
يصف ثغر المراة • وكان طعم الزنجبيل به • اذ ذقته وسلافة الخمر •
ويروى بالكرم وقال اخر • كان جنيا من الزنجبيل • بات بفيها واريا مشارا •

ونحوه قول الاعشى • كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها واريا مشورا •
وقال مجاهد الزنجبيل اسم للعين التي منها مزاج شراب الابرار وكذا قال قتادة
الزنجبيل اسم للعين التي يشرب بها المقربون صرفا ويمزج لسائر اهل الجنة وقال ع عين
في الجنة يوجد منها طعم الزنجبيل وقيل ان فيه معنى الشراب الممزوج بالزنجبيل والمعنى
كان فيها زنجبيلا عينا بدل من كاس ويجوز ان ينتصب باضمار فعل اي يسقون عينا ويجوز
ان ينتصب باسقاط الخافض اي من عين على ما تقدم في قوله تعالى عينا يشرب بها
عباد الله فيها اي في الجنة مزاجها سلسبيلا السلسبيل الشراب اللذيذ وهو فعليل من
السلاسة تقول العرب هذا شراب سلس وسلسال وسلسل وسلسبيل بمعنى اي طيب
الطعم لذيذه وفي الصحاح وتسلسل الماء في الحلق جرى وسلسلة اي صببته فيه وماء سلس
وسلسال سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه والسلاسل بالضم مثله وقال
الزجاج السلسبيل في اللغة اسم لما كان في غاية السلاسة فحديده الجرية تسوغ في حلوقهم
اسلالا ونحوه عن ابن عباس انها الحديدة الجري ذكره الماوردي ومنه قول حسان بن ثابت
• يسقون من ورد البريص عليهم • كاسا تصفق بالرحيق السلسل •
وقال ابو العالية ومقاتل انما سميت سلسبيلا لانها تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم
تنبع من اصل العرش من جنة عدن الى اهل الجنان وقال قتادة سلسلة منقاد ماؤها
حيث شاؤوا ونحوه عن عكرمة وقال القفال اي تلك عين شريفة فسل سبيلا اليها وروي
هذا عن علي رضي الله عنه وقوله فيها تسمى اي انها مذكورة عند الملائكة وعند الابرار
واهل الجنة بهذا الاسم وصرف سلسبيلا لانه راس اية كقوله الظنونا والسبيلا ويطوف
عليهم ولدان مخلدون بين تعالى من الذين يطوف عليهم الانية ويخدمهم والولدان
فانهم احب في الخدمة قال مخلدون اي باقون على ما هم عليه من الشباب والغضاضة
والحسن لا يهرمون ولا يتغيرون ويكونون على سن واحد على مر الازمنة وقيل مخلدون
لا يموتون وقيل مسورون مقرطون اي محلون والتخليد التحلية وقد تقدم هذا
اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا اي ظننتهم من حسنهم وكثرتهم وصفاء الوانهم لؤلؤا مفرقا
في عرصة المجلس واللؤلؤ اذا نثر على بساط كان احسن منه منظوما وعن المامون انه ليلة
زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت
عليه نساء دار الخليفة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر
وقال لله در ابي نواس كانه ابصر هذا حيث يقول
• كان صغرى وكبرى من فواقعها • حصباء در على ارض من الذهب •
وقيل انما شبههم بالمنثور لانهم سراع في الخدمة بخلاف الحور العين اذ شبههن باللؤلؤ
المكنون المخزون لانهن لا يمتهن بالخدمة واذا رايت ثم رايت نعيما وملكا كبيرا ثم ظرف
مكان اي هناك في الجنة والعامل في ثم معنى رايت اي واذا رايت ببصرك ثم وقال الفراء
في الكلام ما مضمرة اي واذا رايت ما ثم كقوله تعالى لقد تقطع بينكم اي ما بينكم وقال
الزجاج ما موصولة بثم على ما ذكره الفراء ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة ولكن
رايت يتعدى في المعنى الى ثم والمعنى اذا رايت ببصرك ثم ويعني بثم الجنة وقد ذكر
الفراء هذا ايضا والنعيم سائر ما يتنعم به والملك الكبير استيذان الملائكة عليهم
قاله السدي وغيره وقال الكلبي هو ان ياتي الرسول من عند الله بكرامة من الكسوة
والطعام والشراب والتحف الى ولي الله وهو في منزله فيستاذن عليه فذلك الملك العظيم
وقاله مقاتل بن سليمان وقيل الملك الكبير هو ان يكون لاحدهم سبعون حاجبا حاجبا
دون حاجب فبينا ولي الله فيما هو فيه من اللذة والسرور اذ يستاذن عليه ملك
من عند الله قد ارسله بكتاب وهدية وتحفة من رب العالمين لم يرها ذلك
الولي في الجنة قط فيقول للحاجب الخارج استاذن على ولي الله فان معي كتابا
وهدية من رب العالمين فيقول ذلك الحاجب للحاجب الذي يليه هذا رسول من
رب العالمين معه هدية وكتاب يستاذن على ولي الله فيستاذن كذلك حتى يبلغ الى

الحاجب

الحاجب الذي يلي هذا رسول من رب العالمين معه كتاب وهدية يستاذن على ولي الله
فيستاذن كذلك حتى يبلغ الى الحاجب الذي يلي ولي الله فيقول له يا ولي الله هذا رسول
من رب العالمين يستاذن عليك معه كتاب وتحفة من رب العالمين افيؤذن له قال
فيقول نعم فاذنوا له فاذن فيقول ذلك للحاجب الذي يليه نعم فاذنوا له ثم يقول الحاجب
للاخر كذلك حتى يبلغ الحاجب الاخير فيقول له نعم ايها الملك قد اذن لك فيدخل فيسلم
عليه ويقول السلام يقريك السلام وهذه تحفة وهذا كتاب من رب العالمين اليك فاذا
هو مكتوب عليه من الحي الذي لا يموت الى الحي الذي لا يموت فيفتحه فاذا فيه سلام على عبدي
ووليي ورحمتي وبركاتي يا وليي اما ان لك ان تشتاق الى رؤية ربك فيستخفه الشوق فيركب
البراق فيطير به البراق شوقا الى زيارة علام الغيوب فيعطيه ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال سفيان الثوري بلغنا ان الملك الكبير تسليم الملائكة
عليهم دليله قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم
عقبى الدار وقيل الملك الكبير كون التيجان على رؤوسهم كما يكون على راس ملك من الملوك
وقال الترمذي الحكيم يعني ملك التكوين اذا ارادوا شيئا قالوا له كن قاله ابو بكر الوراق
ملك لا يتعقبه هلك وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك الكبير هو ان ادناهم منزلة
ينظر في ملكه مسيرة الفي عام يرى اقصاه كما يرى ادناه قال وان افضلهم منزلة من ينظر
في وجه ربه تعالى في كل يوم مرتين قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق
قرا نافع وحمزة وابن محيصن عاليهم ساكنة الياء واختاره ابو عبيد اعتبارا بقراءة ابن
مسعود وابن وثاب وغيرهما عاليتهم وبتفسير ابن عباس اما رايت الرجل عليه ثياب
يعلوها افضل منها قال الفراء هو مرفوع بالابتداء وخبره ثياب سندس واسم الفاعل
يراد به الجمع ويجوز في قول الاخفش ان يكون افراده على انه فعل متقدم وثياب مرتفعة
به وسدت مسد الخبر والاضافة فيه في تقدير الانفصال لانه لم يعرف وابتدي به لانه
اختص بالاضافة وقرا الباقون عاليهم بالنصب قال الفراء هو كقولك فوقهم والعرب
تقول قومك داخل الدار فينصبون داخل على الظرف لانه محل وانكر الزجاج هذا وقال
هو مما لا نعرفه في الظروف ولو كان ظرفا لم يجز اسكان الياء ولكنه نصب على الحال من
شيئين احدهما الهاء والميم في قوله يطوف عليهم اي على الابرار ولدان عاليا الابرار ثياب
سندس خضر اي يطوف عليهم في هذه الحال والثاني ان يكون حالا من الولدان اي اذا رايتهم
حسبتهم لؤلؤا منثورا في حال علو الثياب ابدانهم وقال ابو علي العامل في الحال اما لقاهم
نضرة وسرورا واما جزاهم بما صبروا قال ويجوز ان يكون ظرفا فصرف المهدوي ويجوز ان
يكون اسم فاعل ظرفا وقرا ابن محيصن وابن كثير وابو بكر عن عاصم خضر على نعت السندس
واستبرق بالرفع نسقا على الثياب ومعناه عليهم سندس واستبرق وقرا ابن عامر وابو
عمرو خضر رفعا نعتا للثياب واستبرق بالخفض نعتا للسندس واختاره ابو عبيد
وابو حاتم لجودة معناه لان الخضر احسن ما كانت نعتا للثياب فهي مرفوعة واحسن ما عطف
الاستبرق على السندس عطف جنس على جنس والمعنى عاليهم ثياب خضر من سندس
واستبرق اي من هذين النوعين وقرا نافع وحفص كلاهما بالرفع ويكون خضر نعتا
للثياب لانهما جميعا بلفظ الجمع واستبرق عطفا على الثياب وقرا الاعمش وابن وثاب
وحمزة والكسائي كلاهما بالخفض ويكون قوله خضر نعتا للسندس والسندس اسم جنس
واجاز الاخفش وصف اسم الجنس بالجمع على استقباح له يقول اهلك الناس الدينار
الصفر والدرهم البيض ولكنه مستبعد في الكلام والمعنى على هذه القراءة عاليهم ثياب
سندس خضر وثياب استبرق وكلهم صرف الاستبرق الا ابن محيصن فانه فتحه ولم يصرفه
فقرا واستبرق نصبا في موضع الجر على منع الصرف لانه اعجمي وهو غلط لانه نكرة يدخله
حرف التعريف تقول الاستبرق الا ان يزعم ابن محيصن انه قد يجعل علما لهذا الضرب
من الثياب وقرا واستبرق بوصل الهمزة والفتح على انه مسمى باستفعل من البريق
وليس بصحيح ايضا لانه معرب مشهور تعريبه وان اصله استبره والسندس ما رق

من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقد تقدم قوله تعالى وحلوا اساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا حلوا عطف على ويطوف اساور من فضة وفي سورة فاطر يحلون فيها من اساور من ذهب وفي الحج يحلون فيها من اساور من ذهب ولولوا فقيل حلوا للرجال الفضة وحلي النسا الذهب وقيل تارة يلبسون الذهب وتارة يلبسون الفضة وقيل يجمع في ايدي احدهم سوارين من ذهب وسواران من فضة وسوار من لولو ليجمع لهم محاسن الجنة قال سعيد بن المسيب وقيل اي لكل قوم ما يميل اليه نفوسهم وسقاهم ربهم شرابا طهورا قال اذا توجه اهل الجنة الى الجنة مروا بشجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيشربون من احداها فتجري عليهم بنضرة النعيم فلا تتغير ابشارهم ولا تتشعث اشعارهم الدائم يشربون من الاخري فيخرج ما في بطونهم من الاذي ثم تستقبلهم الملايكة خزنة الجنة فيقولون سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين قال النخعي وابو قلابة هو اذا شربوه بعد اكلهم طهرهم وصار ما اكلوه وشربوه رشح مسك وضمرت بطونهم وقال مقاتل هو من عين ما على باب الجنة تنبع من ساق شجرة من شرب منها اخرج الله ما في قلبه من غل وغش وحسد وما كان في جوفه من اذي وقذر وهذا معنى ما روي عن علي الا انه في قول مقاتل عين واحده وعليه فيكون فعولا للمبالغة ولا تكون فيه حجة للحنفي انه بمعنى الطاهر وقد مضى بيانه في سورة الفرقان والحمد لله وقال طبيب الجلاد صليت خلف سهل بن عبد الله العتمه فقرا وسقاهم ربهم شرابا طهورا وجعل يحرك شفتيه وفمه عند قراته كانه يمص شيا فقيل له اتشرب ام تقرا فقال والله لو لم اجد لذته عند قراته كلذته عند شربه ما قراته قوله تعالى ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا اي يقال لهم ان هذا جزاكم اي ثواب وكان سعيكم اي عملكم مشكورا اي من قبل الله وشكره للعبد قبول طاعته وثناوه عليه واثابته اياه وروي سعيد عن قتادة قال لهم الجنة وشكر لهم الحسن وقال مجاهد مشكورا اي مقبولا فالمعنى متقارب فانه سبحانه اذا قبل العمل شكره واذا شكره اثاب عليه الجزيل اذ هو سبحانه ذو الفضل العظيم روي عن ابن عمر ان رجلا حبشيا قال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والالوان والنبوة افرايت ان امنت بما امنت به وعملت ما عملت اكون معك في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده ليري بياض الاسود في الجنة وضياه مسيرة الف عام ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله كان له بها عند الله عهد ومن قال سبحان الله والحمد لله كان له بها عند الله مايتا الف حسنه واربعة وعشرون الف حسنه فقال رجل كيف نهلك بعدها يا رسول الله فقال ان الرجل لياتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لاثقله فتجي النعمة من نعم الله فتكاد ان تستنفد ذلك كله الا ان يتطول الله برحمته قال ثم نزلت هل اتى على الانسان حين من الدهر الى قوله ملكا كبيرا وقال الحبشي وان عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فبكى الحبشي حتى فاضت نفسه فقال ابن عمر فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدليه في حفرته ويقول ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا قلنا يا رسول الله وما هو قال والذي نفسي بيده لقد اوقفه الله ثم قال اي عبدي لابيضن وجهك ولابوينك من الجنة حيث شيت فنعم اجر العاملين روي هذا الخبر عن ابن عمر انا نحن نزلنا عليك القران تنزيلا اي ما افتريته ولا جيت به من عندك ولا من تلقا نفسك كما يزعم المشركون ووجه اتصال هذه الاية بما قبل انه سبحانه لما ذكر اصناف الوعد والوعيد بين ان هذا الكتاب يتضمن ما بالناس حاجة اليه فليس بسحر ولا كهانة ولا شعر وانه حق وقال ابن عباس انزل الله عز وجل القران متفرقا اية بعد اية ولم ينزل جملة واحده فلذلك قال نزلناه وقد مضى القول في هذا مبينا والحمد لله قوله تعالى فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم اثما او كفورا اي لقضاء ربك وروي الضحاك عن ابن عباس قال اصبر على اذي المشركين هكذا قضيت ثم نسخ باية السيف وقيل اي اصبر لما حكم به عليك من الطاعات او انتظر حكم الله اذ وعدك انه ينصرك عليهم ولا تستعجل فانه كاين لا محالة ولا تطع منهم اثما اي ذا

الاثم او كفورا اي لا تطع الكفار فروي معمر عن قتادة قال ان رايت محمدا صلى الله عليه وسلم يصلي لاطان على عنقه فانزل الله عز وجل ولا تطع منهم اثما او كفورا فقيل نزلت في عتبة بن حصين ربيعة والوليد بن المغيرة وكانا اتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضان عليه الاموال والتزويج على ان يترك ذكر النبوة ففيهما نزلت ولا تطع منهم اثما او كفورا قال مقاتل الذي عرض التزويج عتبة بن ربيعة قال ان بناتي من اجمل نسا قريش فانا ازوجك ابنتي بغير مهر وارجع عن هذا الامر وقال الوليد ان كنت صنعت ما صنعت من اجل المال فانا اعطيك من المال حتى ترضى وارجع عن هذا الامر فنزلت ثم قيل او في قوله اثما او كفورا اوكد من الواو لان الواو اذا قلت لا تطع زيدا وعمرا فاطاع احدهما كان غير عاص لانه امره ان لا يطيع الاثنين فاذا قال لا تطع منهم اثما او كفورا فاو قد دلت على ان كل واحد منهما اهل ان يعصى كما انك اذا قلت لا تخالف الحسن او ابن سيرين او اتبع الحسن وابن سيرين فقد قلت هذان اهل ان يتبعا وكل واحد اهل لان يتبع قاله الزجاج وقال الفرا او هنا بمنزلة لا كانه قال ولا كفورا قال الشاعر

لا وجدتك لي كما وجدت ولا وجد عجوز اضلها ربع

او وجد شيخ اضل ناقته يوم توافي الحج فانه فنوا

اراد ولا وجد شيخ وقيل الاثم المنافق والكفور الكافر الذي يظهر الكفر اي ولا تطع منهم اثما او كفورا وهو قريب من قول الفرا قوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة واصيلا اي صل لربك اول النهار واخره ففي اوله صلاة الصبح وفي اخره صلاة الظهر والعصر ومن الليل فاسجد له يعني صلاة المغرب والعشا وسبحه ليلا طويلا يعني التطوع في الليل قاله ابن حبيب وقال ابن عباس وسفيان كل تسبيح في القران فهو صلاة وقيل هو الذكر المطلق سوا في الصلاة او في غيرها قال ابن زيد وغيره ان قوله وسبحه ليلا طويلا منسوخ بالصلوات الخمس وقيل هو ندب وقيل هو مخصوص للنبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم القول في مثله في سورة المزمل وقول ابن حبيب حسن وجمع الاصيل الاصايل والاصل كقولك سفاين وسفن قال الشاعر

ولا احسن منها اذ دنا الاصل

وقال في الاصايل وهو جمع الجمع لعمري لانت البيت اكرم اهله واقعد في افنايه بالاصايل

وقد مضى هذا في اخر الاعراف مستوفى ودخلت من على الظرف للتبعيض كما دخلت على المفعول في قوله تعالى يغفر لكم من ذنوبكم قوله تعالى ان هولا يحبون العاجلة توبيخ وتقريع والمراد اهل مكة والعاجلة الدنيا ويذرون اي يدعون وراهم اي بين ايديهم يوما ثقيلا اي عسيرا شديدا كما قال ثقلت في السموات والارض اي يتركون الايمان بيوم القيامة وقيل وراهم اي خلفهم وقيل ويذرون الاخرة خلف ظهورهم فلا يعملون لها وقيل نزلت في اليهود فيما كتموه من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته وحبهم العاجلة اخذهم الرشا على ما كتموه وقيل اراد المنافقين لاستبطانهم الكفر وطلب الدنيا والاية تعم واليوم الثقيل يوم القيامة وانما سمي ثقيلا لشدايده واهواله وقيل للقضا فيه بين عباده وقوله تعالى نحن خلقناهم اي من طين وشددنا اسرهم اي خلقهم قاله ابن عباس ومجاهد وقتاده والاسر الخلق قال ابو عبيده يقال فلان شديد الاسر اي الخلق ويقال اسره الله تعالى اذا شدد خلقه قال لبيد

ساهم الوجه شديد اسره مشرف الحارك محبوك الكتد

وقال الاخطل ايضا

من كل مجتنب شديد اسره سلس القياد تخاله مختالا

وقال ابو هريرة والحسن والربيع شددنا مفاصلهم واوصالهم بعضها الى بعض بالعروق والعصب وقال مجاهد في تفسير الاسر هو الشرج اي اذا خرج الغايط والبول تقبض الموضع وقال ابن زيد الاسر القوة وقال ابن احمر يصف فرسا

يمشي بأوظفة شداد اسرها شم السنابك لا تقي بالجدجد

واشتقاقه من الاسار وهو القد الذي يشد به الاقتاب تقول اسرت القتب اسرا اي شددته وربطته ويقال ما احسن اسر قتبه اي شده وربطه ومنه قولهم خذه باسره اذا ارادوا ان يقولوا هو لك كله كانهم ارادوا تعكمه وشده لم يفتح ولم ينقص منه شي

وهنا الاسير لانه يكتف بالاشارة والكلام خرج مخرج الامتنان عليهم بالنعم حين قابلوها
بالمعصية اي سويت خلقك واحكمته بالقوي ثم انت تكفر بي واذا شينا بدلنا امثالهم
تبديلا قال ابن عباس يقول لو شينا لاهلكناهم وجينا باطوع لله منهم وعنه ايضا لغيرنا
محاسنهم اي اسمج الصور واقبحها كذا روي الضحاك عنه والاول رواه ابو صالح وقوله تعالى
ان هذه اي السورة تذكرة اي موعظة فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا اي طريقا موصلا الي
طاعته وطلب مرضاته وقيل وسيلة اي وسيلة وقيل وجهة اي طريقا الي الخير والمعنى
واحري وما تشاوون اي الطاعة والاستقامة واتخاذ السبيل الي الله الا ان يشا الله فاخبر
ان الامر اليه سبحانه ليس اليهم وانه لا ينفذ مشيته وقرا ابن كثير وابو عمرو وما تشاون
بالياء علي معنى الخبر عنهم والباقون بالتاء علي معنى المخاطبة لله سبحانه وقيل ان الاية
الاولي منسوخة بالثانية والاشبه انه ليس بنسخ بل هو تبيين ان ذلك لا يكون الا بمشية
قال الفرا قوله وما تشاون الا ان يشا الله جواب لقوله فمن شا اتخذ الي ربه سبيلا
ثم اخبرهم ان الامر ليس اليهم فقال وما تشاون ذلك السبيل الا ان يشا الله لكم ان الله كان
عليما حكيما عليما باعمالكم حكيما في امره ونهيه لكم وقد مضي في غير موضع يدخل من يشا
في رحمته اي يدخله الجنة راحما لهم والظالمين اي ويعذب الظالمين فنصبه باضمار يعذب
قال الزجاج نصب الظالمين لان قبله منصوب اي يدخل من يشا في رحمته اي ويعذب
الظالمين اي المشركين ويكون اعد لهم تفسيرا لهذا المضمر كما قال الشاعر

اصبحت لا احمل السلاح ولا ... املك راس البعير ان نفرا
والذيب اخشاه ان مررت به ... وحدي واخشي الرياح والمطرا

اي اخشي الذيب اخشاه قال الزجاج والاختيار النصب وان جاز الرفع تقول اعطيت
زيدا وعمرا اعددت له برا فيختار النصب اي وبررت عمرا او ابن عمرو وقوله في حم عسق
يدخل في رحمته والظالمون فارتفع لانه لم يذكر بعده فعل يقع عليه فينصب في المعنى فلم
يجز العطف علي المنصوب قبله فارتفع بالابتدا وهاهنا قوله اعد لهم عذابا يدل علي
ويعذب فجاز النصب وقرا ابان بن عثمان والظالمون رفعا بالابتدا والخبر اعد لهم
عذابا اليما اي مولما موجعا وقد تقدم هذا في سورة البقرة وغيرها والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة والمرسلات مكية

في قول الحسن وعكرمة وعطا وجابر وقال ابن عباس وقتادة الا اية منها وهو قوله
تعالي واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون مدنية وقال ابن مسعود نزلت والمرسلات
عرفا علي النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن معه نسير حتى اوينا الي غار بمنى
فنزلت فبينا نحن نتلقاها منه وان فاه لرطب بها اذ وثبت حية فوثبنا عليها لنقتلها
فذهبت فقال النبي صلى الله عليه وسلم وقيتم شرها كما وقيت شركم وعن كريب مولي
ابن عباس قال قرات سورة والمرسلات عرفا فسمعتني ام الفضل امراة العباس
فبكت فقالت يا بني لقد ذكرتني بقراتك هذه السورة انها لاخر ما سمعت من
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا بها في صلاة المغرب وهي خمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي والمرسلات عرفا جمهور المفسرين علي ان المرسلات الرياح وروي
مسروق عن عبد الله قال هي الملائكة ارسلت بالمعروف من امر الله تعالي ونهيه
والخير والوحي وهي قول ابي هريرة ومقاتل وابي صالح والكلبي وقيل هم الانبياء
ارسلوا بلا اله الا الله قاله ابن عباس وقال ابو صالح انهم الرسل ارسلوا بما يعرفون
من المعجزات وعن ابن عباس وابن مسعود ايضا الرياح كما قال تعالي وارسلنا الرياح
لواقح وقال ويرسل الرياح ومعنى عرفا يتبع بعضها بعضا كعرف الفرس تقول العرب
الناس الي فلان عرف واحد اذا توجهوا اليه فاكثروا وهو نصب علي الحال والمرسلات

اي

اي والرياح التي ارسلت متتابعة ويجوز ان يكون مصدرا اي تتابعا ويجوز ان يكون
النصب علي تقدير حرف الجر كانه قال والمرسلات بالعرف والمراد به الملائكة او الملائكة
والرسل وقيل يحتمل انه يكون المراد بالمرسلات السحائب لما فيها من نعمة ونقمة عارفة بما
ارسلت فيه ومن ارسلت اليه وقيل انها الزواجر والمواعظ وعرفا علي هذا التاويل
متتابعات كعرف الفرس قاله ابن مسعود وقيل جاريات قاله الحسن يعني في القلوب
وقيل معروفات في العقول فالعاصفات عصفا الرياح بغير اختلاف قاله المهدوي
وعن ابن مسعود هي الرياح العواصف تاتي بالعصف وهو ورق الزرع وحطامه كما قال
تعالي او يرسل عليكم عاصفا وقيل العاصفات الملائكة الموكلون بالرياح يعصفون بها
وقيل الملائكة تعصف بروح الكافر يقال عصفت بالشي اذا ابادته واهلكته وناقة عصوف
اي تعصف براكبها فتمضي كانها ريح في السرعة وعصفت الحرب في القوم اي ذهبت بهم
وقيل يحتمل انها الايات المهلكة كالزلازل والخسوف والناشرات نشرا الملائكة الموكلون
بالسحاب ينشرونها وقال ابن مسعود ومجاهد هي الرياح يرسلها الله تعالي نشرا بين يدي
رحمته اي تنشر السحاب للغيث وروي ذلك عن ابي صالح وعنه ايضا الامطار لانها تنشر
النبات فالنشر بمعنى الاحيا يقال نشر الله الميت وانشره اي احياه وروي عنه السدي انها
الملائكة تنشر كتب الله عز وجل وروي الضحاك عن ابن عباس قال يريد ما ينشر من الكتب
واعمال بني ادم الضحاك انها الصحف تنشر علي الله باعمال العباد وقال الربيع انه البعث
للقيامة تنشر فيه الارواح وقال والناشرات بالواو لان ما بعده استيناف قسم اخر فالفارقات
فرقا تنزل بالفرق بين الحق والباطل قاله مجاهد والضحاك وابو صالح وروي الضحاك
عن ابن عباس قال ما تفرق الملائكة من الاقوات والارزاق والاجال وروي ابن ابي
نجيح قال الفارقات الرياح تفرق بين السحاب وتبدده وعن سعيد عن قتادة قال
الفارقات الرياح فرقا الفرقان فرق الله فيه بين الحق والباطل والحلال والحرام وقاله
الحسن وابن كيسان وقيل يعني الرسل فرقوا بين ما امر الله به ونهي عنه اي بينوا ذلك
وقيل السحابات الماطرة تشبيها بالناقة الفارق وهي الحامل التي تخرج وتند في الارض
حين تضع ونوق فوارق وفرق فربما شبهوا السحابة التي تنفرد من السحاب بهذه الناقة قال
ذو الرمة

او مزنة فارق يجلو غواربها ... تبوج البرق والظلما علجوم

فالملقيات ذكرا الملائكة باجماع اي تلقي كتب الله عز وجل الي الانبياء عليهم السلام قاله
المهدوي وقيل هو جبريل وسمي باسم الجمع لانه كان ينزل بها وقيل المراد الرسل يلقون
الي امهم ما انزل اليهم قاله قطرب وقرا ابن عباس فالملقيات ذكرا بالتشديد مع فتح القاف
وهو كقوله تعالي وانك لتلقي القران عذرا او نذرا اي تلقي الوحي اعذارا من الله او انذارا
الي خلقه من عذابه قاله الفرا وروي عن ابي صالح قال يعني الرسل يعذرون وينذرون
وروي سعيد عن قتادة عذرا قال عذرا لله جل ثناوه الي المومنين ونذرا المومنين
ينتفعون به وياخذون به وروي الضحاك عن ابن عباس عذرا اي ما يقبله الله جل
ثناوه من معاذير اوليايه وهي التوبة ونذرا ينذر اعداءه وقرا ابو عمرو وحمزة
والكسائي وحفص ونذرا باسكان الذال وجميع السبعة علي اسكان ذال عذرا سوي ما
رواه الجعفي والاعشي عن ابي بكر عن عاصم انه ضم الذال وروي ذلك عن ابن عباس والحسن
وغيرهما وقرا ابراهيم التيمي وقتادة عذرا ونذرا بالواو ولم يجعل بينهما الفا وهما منصوبان
علي المفعول له اي للاعذار والانذار وقيل علي المفعول به وقيل علي البدل من ذكرا اي
فالملقيات ذكر اعذارا او انذارا وقال ابو علي يجوز ان يكون العذر والنذر بالتثقيل
جمع عاذر وناذر كقوله تعالي هذا نذير من النذر الاولي فيكون نصبا علي الحال من
الالقاء اي يلقون الذكر في حال العذر والانذار ويكون مفعولا للذكر اي فالملقيات
اي تذكر عذرا او نذرا وقال المبرد هما بالتثقيل جمع والواحد عذير ونذير انما توعدون
لواقع هذا جواب ما تقدم من القسم اي ما توعدون من امر القيامة لواقع بكم ونازل
عليكم ثم بين تعالي وقت وقوعه فقال فاذا النجوم طمست اي ذهب ضوءها ومحي نورها

كطمس الكتاب يقال طمس الشي اذا درس وطمس فهو مطموس والريح مطمس الاثار فتكون الريح طامسة والاطماس بمعنى مطموس واذا السما فرجت اي فتحت وشقت قوله تعالى وفتحت السما فكانت ابوابا وروي الضحاك عن بن عباس قال فرجت للطي واذا الجبال نسفت اي ذهب بها كلها بسرعة يقال نسفت الشي وانتسفته اذا اخذته كله بسرعة وقال بن عباس والكلبي تقول سويت بالارض والعرب تقول فرس نسوف اذا كان يوخر الحزام بمرفقيه قال بشر • نسوف للحزام بمرفقيها • ونسفت الكلا الناقة اذا ارعته وقال المبرد نسفت اي قلعت من موضعها يقول الرجل للرجل يقلع رجليه من الارض نسفت رجلاه وقيل النسف تفريق الاجزا حتى تذروها الريح ومنه نسفت الطعام لانه يحرك حتى تذهب الريح ببعض ما فيه من التبن واذا الرسل اقتت اي جمعت لوقتها يوم القيامه والوقت هو الاصل الذي يكون عنده الشي الموخر اليه فالمعنى جعل لها وقت واحد للفصل والقضا بينهم وبين الامم كما قال تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل هذا في الدنيا اي جمعت الرسل لميقاتها الذي ضرب لها في انزال العقاب لمن كذبها فان الكفار يمهلون وانما تزول الشكوك يوم القيمة والاول احسن لان التوقيت معناه شي يقع يوم القيامة كالطمس ونسف الجبال وتشقيق السما ولا يليق به التاقيت قبل يوم القيامة قال ابو علي اي جعل يوم الدين والفصل لها وقتا وقيل اقتت اي ارسلت لاوقات معلومة على ما علمه الله واراد والهمزة في اقتت بدل بالواو وقال الفرا والزجاج وكل واو انضمت وكانت ضمتها لازمة جاز ان يبدل بها همزة تقول صلى القوم احدانا يريد وحدانا ويقولون هذه وجوه وهذه لان ضمة الواو ثقيلة ولم يجز البدل في قوله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم لان الضمة غير لازمة وقرا ابو عمرو وحميد والحسن ونصر عن عاصم ومجاهد وقتت بالواو وتشديد القاف على الاصل قال ابو عمرو وانما نقرا اقتت من قال في وجوه اجوه وقرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وقتت بالواو وتخفيف القاف وهو فعلت من الوقت ومنه كتابا موقوتا وعن الحسن ايضا ووقتت بواوين وهو فوعلت من الوقت ايضا مثل عوهدت ولو قلبت الواو في هاتين القراتين لجاز وقد قرا ايوب ويحيى وخالد بن الياس وسلام اقتت بالهمزة والتخفيف لانها مكتوبة في المصحف بالالف لاي يوم اجلت اي اخرت وهذا التعظيم لذلك اليوم فهو استفهام على معنى التعظيم اي ليوم الفصل اجلت روي سعيد عن قتادة قال يفصل فيه بين الناس باعمالهم الى الحديث اذا حشر الناس يوم القيامة قاموا اربعين عاما على رووسهم الشمس شاخصة ابصارهم الى السما ينظرون الى الفصل وما ادراك ما يوم الفصل اتبع التعظيم تعظيما اي وما علمك بذلك اليوم ويل يومئذ للمكذبين اي عذاب وخزي لمن كذب بالله ورسله وكتبه وبيوم الفصل فهو وعيد وكرره في هذه السورة عند كل اية لمن كذب على انه قسمه بينهم على قدر تكذيبهم فان لكل مكذب بشي عذاب سوى تكذيبه بشي اخر ورب شي كذب به هو اعظم جرما من تكذيبه بغيره لانه اقبح وتكذيبه اعظم في الرد على الله عز وجل فانما يقسم له من الويل على قدر ذلك وعلى قدر وفاقه وهو قوله جزاء وفاقا وروي النعمان بن بشير قال ويل واد في جهنم فيه الوان العذاب وقال بن عباس وغيره قال بن عباس اذا احست من جهنم اخذ من حمو فالعذ عليها فاكل بعضها بعضا وروي ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عرضت علي جهنم فلم ار فيها واديا اعظم من الويل وروي انه يجمع فيه ما يسيل من قيح اهل النار وصديدهم وانما يسيل الشي فيما تسفل من الارض وانفطروا وقد علم العباد في الدنيا ان شر المواضع عندهم ما استنقع فيها مياه الادناس والاقذار والغسالات من الجيف والغسالات من الحمامات فذكر ان الوادي مستنقع صديد اهل الكفر والشرك ليعلم العقول انه لا شي اقذر منه قذارة ولا انتن منه نتنا ولا اشد مرارة منه ولا اشد سوادا منه ثم وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما

نعني

يقمن من العذاب وانه اعظم واد في جهنم يذكره الله تعالى في وعيده في هذه السورة قوله تعالى الم نهلك الاولين ثم نتبعهم الاخرين اخبر تعالى عن اهلاك الكفار من الامم الماضين من لدن ادم الى محمد صلى الله عليه وسلم ثم نتبعهم الاخرين اي نلحق الاخرين بالاولين كذلك نفعل بالمجرمين اي مثل ما فعلنا بمن تقدم نفعل بمشركي قريش اما بالسيف واما بالهلاك وقراة العامة ثم نتبعهم بالرفع على الاستيناف وقرا الاعرج نتبعهم بالجزم عطفا على نهلك الاولين كما تقول الم تزر في الم اكرمك والمراد انه اهلك قوم بعد قوم على اختلاف اوقات المرسلين ثم استانف بقوله كذلك نفعل بالمجرمين يريد من نهلكه ويجوز ان يكون الاسكان تخفيفا من نتبعهم لتوالي الحركات وروي عنه الاسكان للتخفيف وفي قراة بن مسعود ثم سنتبعهم والكاف من كذلك في موضع نصب اي مثل ذلك الهلاك نفعله بكل مشرك ثم قيل معناه التسويل لهم في الدنيا اعتبارا وقيل هو اخبار بعذابهم في الاخرة الم نخلقكم من ماء مهين اي ضعيف حقير وهو النطفة وقد تقدم وهذه الاية اصل لمن قال ان خلق الجنين انما هو من ماء الرجل وحده وقد مضى القول فيه فجعلناه في قرار مكين اي مكان وهو الرحم الى قدر معلوم قال مجاهد الى ان يصوره وقيل الى وقت الولاده فقدرنا قرا نافع والكسائي فقدرنا بالتشديد وخفف الباقون وهما لغتان بمعنى قاله الكسائي والفرا والقتبي قال القتبي قدرنا بمعنى قدرنا مشددة كما تقول قدرت كذا وقدرته ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم في الهلال اذا غم عليكم فاقدروا له اي قدروا له المسير والمنازل وقال محمد بن الجهم عن الفرا فقدرنا قال وذكر تشديدها عن علي رضي الله عنه وتخفيفها قال ولا يبعد ان يكون المعنى في التشديد والتخفيف واحدا لان العرب تقول قدر عليه الموت وقدر قال الله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت قري بالتخفيف والتشديد وقدر عليه رزقه وقدر قال واحتج الذين خففوا فقالوا لو كانت كذلك لكانت فنعم المقدرون قال الفرا تجمع العرب بين اللغتين قال الله تعالى فمهل الكافرين امهلهم قال الاعشى •

• وانكرتني وما كان الذي نكرت • من الحوادث الا الشيب والصلعا •

وروي عن عكرمة فقدرنا مخففا من القدرة وهو اختيار ابي عبيد وابي حاتم والكسائي لقوله فنعم القادرون ومن شدد فهو من التقدير اي فقدرنا الشقي والسعيد فنعم المقدرون رواه ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعنى قدرنا قصيرا او طويلا ونحوه عن بن عباس قدرنا ملكنا قال المهدوي وهذا التفسير يشبه قراة التخفيف قلت وهو صحيح فان عكرمة الذي قرا قدرنا مخففا قال معناه ملكنا فنعم المالكون فافادت الكلمتان معنيين متغايرين اي قدرنا وقت الولاده واحوال النطفة في التنقل من حالة الى حالة حتى صارت بشرا سويا او الشقي والسعيد والطويل والقصير كله على قراة التشديد وقيل هو بمعنى كما ذكرنا قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا الاية وفيه مسئلتان الاولى قوله تعالى الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا بضم الاحيا على ظهورها والاموات على بطنها يقال كفت الشي اكفته اذا جمعته وضممته والكفت الضم والجمع وانشد سيبويه

• كرام حين تنكفت الافاعي • الى احجارهن من الصقيع •

وقال ابو عبيدة كفاتا اوعية ويقال للنحي كفت وكفيت لانه يحوي اللبن ويضمه قال الشاعر • فانت اليوم فوق الارض حيا • وانت غدا تضمن في كفات • وخرج الشعبي في جنازة فنظر الى الجبان فقال هذه كفات الاموات ثم نظر الى البيوت فقال هذه كفات الاحيا وروي عن ربيعة في النباش قال تقطع يده فقيل له لم قلت ذلك فقال لان الله عز وجل يقول الم نجعل الارض كفاتا احياء وامواتا فالارض حرز وقد مضى هذا في سورة المائدة وكانوا يسمون بقيع الغرقد كفتة لانه مقبرة تضم الموتى والارض تضم الاحيا الى منازلهم والاموات في قبورهم وايضا استقرار

الناس على وجه الارض ثم اضطجاعهم عليها انضمام منهم اليها وقيل كفاتا للاحيا يعني
دفن ما يخرج من الانسان من الفضلات في الارض اذ لا ضير في كون الانسان عليها
والضمير يستر الى الاحفاق من جميع الوجوه وقال الاخفش وابو عبيدة ومجاهد في
احد قوليه الاحيا والاموات ترجع الى الارض اي الارض منقسمة الى حي وهي التي تنبت
والى ميت وهي التي لا تنبت وقال الفرا انتصب احيا واموانا بوقوع الكفات عليه اي
الم نجعل الارض كفات احيا واموات فاذا نونت نصبت كقوله تعالى او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما وقيل نصب على الحال اي منها كذا ومنها كذا وقال الاخفش كفاتا
والارض جمع كفاتة والارض يراد بها الجمع فنعتت بالجمع وقال الخليل التكفيت تقليب
الشي ظهره لبطن او بطنا لظهر ويقال انكفت القوم الى منازلهم اي انقلبوا فمعنى
الكفات انهم يتصرفون على ظهورها وينقلبون اليها ويدفنون فيها وجعلنا فيها اي
في الارض رواسي شامخات يعني الجبال والرواسي الثوابت والشامخات الطوال
ومنه يقال شمخ بانفه اذا رفعه كبرا واسقيناكم ما فراتا اي جعلنا لكم سقيا والفرات
الما العذب يشرب به ويسقى به الزرع اي خلقنا الجبال وانزلنا الما الفرات وهذه
الامور اعجب من البعث وفي بعض الحديث قال ابو هريرة في الارض من الجنة الفرات
والنيل ونهر الاردن وفي صحيح مسلم سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من انهار
الجنة قوله تعالى انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون اي يقال للكفار سيروا الى ما
كنتم به تكذبون من العذاب يعني النار فقد شاهدتموها يعني النار انطلقوا
الى ظل اي ثلاث شعب يعني الدخان الذي يرتفع بهم وشعب الظل فقال لا
ظليل اي ليس كالظل الذي يقي حر الشمس ولا يغني من اللهب اي لا يدفع من لهب
جهنم شيا واللهب ما يعلو على النار اذا اضطرمت من احمر واخضر وقيل ان الشعب
الثلاث هي الضريع والزقوم والغسلين قاله الضحاك وقيل اللهب ثم الشرر ثم الدخان
لانها ثلاثة احوال هي غاية اوصاف النار اذا اضطرمت واشتدت وقيل عنق يخرج
من النار فيتشعب ثلاث شعب فاما النور فيقف على روس المومنين واما الدخان
فيقف على روس الكافرين وقيل هو السرادق وقيل هو لسان من النار ثم يتشعب
منه ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم الى النار وقيل هو الظل من يحموم كما
قال تعالى في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم على ما تقدم وفي الحديث
ان الشمس تدنو من روس الخلايق وليس عليهم يومئذ لباس ولا لهم اكفان فتلحقهم
الشمس وتاخذ بانفاسهم وبعد ذلك اليوم ثم ينجي الله برحمته من يشا الى ظل من ظله
فهناك يقولون فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم ويقال للمكذبين انطلقوا
الى ما كنتم به تكذبون من عذاب الله وعقابه انطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب
فيكون اوليا الله جل ثناؤه في ظل عرشه او حيث شا من الظل الى ان يفرغ من
الحساب ثم يومر بكل فريق الى مستقره من الجنة والنار ثم وصف النار فقال انها ترمي
بشرر كالقصر الشرر واحده شررة وهو ما تطاير من النار في كل جهة واصله من
شررت الثوب اي بسطته للشمس ليجف والقصر البنا العالي وقراة العامة كالقصر
باسكان الصاد اي الحصون والمداين في العظم وهو واحد القصور قاله ابن
عباس وابن مسعود وهو في معنى الجمع على طريق الجنس وقيل القصر جمع قصرة ساكنة
الصاد مثل جمرة وجمر وتمرة وتمر والقصرة الواحدة من جزل الحطب الغليظ وفي البخاري
عن ابن عباس انها ترمي بشرر كالقصر قال كنا نرفع الخشب بقصر ثلاثة اذرع او اقل
ونرفعه للشتا فنسميه القصر وقال سعيد بن جبير والضحاك هي اصول الشجر
والنخل العظام اذا انقطع وقيل اعناقه وقرا ابن عباس ومجاهد وحميد والسلمي
كالقصر بفتح الصاد اراد اعناق النخل والقصر العنق جمع قصرة وقصرات وقال
قتادة اعناق الابل وقرا سعيد بن جبير بكسر القاف وفتح الصاد وهي ايضا جمع
قصرة مثل بدرة وبدر وقصعة وقصع وحلقة وحلق الحديد قال ابو حاتم ولعله

لغة

لغة كما قالوا حاجة وحوج وقيل القصر الجبل فشبه الشرر بالقصر في مقاديره ثم
شبهه في لونه بالجمالات الصفر وهي الابل السود والعرب تسمي السود من الابل صفرا
قال الشاعر • تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب •
اي هن سود وانما سميت السود من الابل صفرا لانها يشوب سوادها شي من الصفرة كما قيل
لبيض الظبا الادم لان بياضها يعلوه كدرة والشرر اذا تطاير وسقط وفيه بقية
من لون النار اشبه شي بالابل السود لما يشوبها من صفرة وفي شعر عمران بن حطان
الخارجي • دعتهم باعلى صوتها ورمتهم • بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى •
وضعف الترمذي هذا القول فقال وهذا القول محال في اللغة ان يكون شي
يشوبه شي قليل فينسب كله الى ذلك الشايب فالعجب لمن قد قال هذا وقد قال تعالى
جمالات صفر فلا نعلم شيا من هذا في اللغة ووجهه عندنا ان النار خلقت من النور فهي
نار مضية فلما خلق الله جهنم وهي موضع النار حشا ذلك الموضع بتلك النار وبعث
اليها سلطانه وغضبه فاسودت من سلطانه وازدادت حدة وصارت اشد سوادا
من النار ومن كل شي سوادا فاذا كان يوم القيامة وجي بجهنم في الموقف رمت
بشررها على اهل الموقف غضبا لغضب الله والشرر هو اسود لانه من نار اسود فاذا
رمت النار بشررها فانها ترمي الاعدا به فهن سود من سواد النار لا يصل ذلك الى
الموحدين لانهم في سرادق الرحمة قد احاط بهم في الموقف وهو الغمام الذي ياتي فيه الرب
تعالى ولكن يعاينون ذلك الرمي فاذا عاينوه نزع الله السلطان والغضب عنه في راي
العين منهم حتى يروها صفرا ليعلم الموحدون انهم في رحمة الله لا في سلطانه وغضبه
وكان ابن عباس يقول الجمالات الصفر حبال السفن يجمع بعضها الى بعض حتى تكون
كاوساط الرجال ذكره البخاري وكان يقروها جمالات بضم الجيم وكذلك قرا مجاهد وحميد
جمالات بضم الجيم وهي الحبال الغلاظ وهي قلوس السفينة اي حبالها واحدها قلس
قلس وعن ابن عباس ايضا وعلي انها قطع النحاس والمعروف في الحبل الغليظ جمل
بتشديد الميم كما تقدم في الاعراف وجمالات بضم الجيم جمع جمالة بكسر الجيم موحدا كانه
جمع جمل نحو حجر وحجارة وقرا يعقوب وابن ابي اسحاق والجحدري جمالة بضم الجيم موحدا
وهي الشي العظيم المجموع بعضه الى بعض نحو حجر وحجارة وذكر وذكارة وقرا حفص وحمزة
والكسائي جمالة وبقية السبعة جمالات وقال الفرا يجوز ان تكون الجمالات جمع جمال
كما يقال رجل ورجال ورجالات وقيل شبهها بالجمالات لسرعة سيرها وقيل لمتابعة
بعضها بعضا والقصر واحد القصور وقصر الظلام اختلاطه ويقال اتيته قصرا اي
عشيا فهو مشترك قال الشاعر • كانهم قصرا مصابيح راهب • بموزن روي بالسليط ذباله •
مسلة في هذه الاية دليل على جواز ادخار الحطب والفحم وان لم يكن من القوت
فانه من مصالح المرء ومن معاني مفاقره وذلك مما يقتضي النظر ان يكتسبه في غير
وقت حاجته ليكون ارخص وحالة وجوده امكن كما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يدخر القوت في وقت عمومه وجوده من كسبه وماله وكل شي محمول عليه وقد
بين ابن عباس هذا بقوله كنا نعمد الى الخشبة فنقطعها ثلاثة اذرع وفوق ذلك ودونه
وندخره للشتا وكنا نسميه القصر وهذا اصح ما قيل في ذلك والله اعلم قوله تعالى
هذا يوم لا ينطقون اي لا يتكلمون ولا يوذن لهم فيعتذرون اي ان يوم القيامة
مواطن ومواقيت فهذا من المواقيت الذي لا يتكلمون فيها ولا يوذن لهم في
الاعتذار والتنصل وعن عكرمة عن ابن عباس قال ساله ابن الازرق عن قوله
تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا تسمع الا همسا وهنا واقبل بعضهم على بعض يتساءلون
فقال له ان الله عز وجل يقول وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون فان لكل
مقدار من هذه الايام لونا من هذه الالوان وقيل لا ينطقون بحجة نافعة ومن
نطق بما لا ينفع ولا يفيد فكانه ما نطق قال الحسن لا ينطقون بحجة وقيل ان هذا
وقت جوابهم اخسيوا فيها ولا تكلمون وقد تقدم وقال ابو عثمان اسكتهم رؤية

المسيئ وحبا الذنوب وقال الجنيد اي عذر لمن اعرض عن منعمه وجحده وكفر اياديه ونعمه وقال يوم بالرفع قراة العامة على الابتدا والخبر اي يقول الملك بكد هذا يوم لا ينطقون ويجوز ان يكون قوله انطلقوا من قول الملائكة ثم يقول الله لاوليايه هذا يوم لا ينطق الكفار ومعنى اليوم الساعة والوقت وروى يحيى بن سلمان عن ابي بكر عن عاصم هذا يوم لا ينطقون بالنصب ورويت عن ابن هرمز وغيره فجاز ان يكون مبنيا لاضافته الى الفعل وموضعه رفع وهذا مذهب الكوفيين وجاز ان يكون في موضع نصب على ان تكون الاشارة الى غير اليوم وهذا مذهب البصريين لانه انما بني عندهم الا اذا اضيف الى مبني والفعل هاهنا معرب وقال الفرا في قوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون الفا نسق اي عطف على ان يؤذن واختير ذلك لان اواخر الكلام بالنون ولو قال فيعتذروا لم يوافق الايات وقد قال لا يقضى عليهم فيموتوا بالنصب وكله صواب ومثله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه بالنصب والرفع قوله تعالى هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين اي ويقال لهم هذا اليوم يفصل فيه بين الخلايق فيتبين المحق من المبطل جمعناكم والاولين قال ابن عباس جمع الذين كذبوا محمدا والذين كذبوا النبيين من قبله رواه عنه الضحاك فان كان لكم كيد فكيدون اي حيلة في الخلاص من العذاب فكيدون اي فاحتالوا لانفسكم وقاووني ولن تجدوا ذلك وقيل اي فان كان لكم كيد اي قدرتم على حرب فكيدون اي حاربون كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال يريد انكم كنتم تحاربون في الدنيا محمدا عليه السلام وتحاربوني فاليوم حاربوني وقيل اي انكم كنتم في الدنيا تعملون بالمعاصي وقد عجزتم الان عنها وعن الدفع عن انفسكم وقيل انه من قول النبي صلى الله عليه وسلم فيكون كقول هود عليه السلام فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون قوله تعالى ان المتقين في ظلال وعيون اخبر تعالى بما يصير اليه المتقون غدا والمراد بالظلال ظلال الاشجار وظلال القصور مكان الظل في الشعب الثلاث وفي سورة يس هم وازواجهم في ظلال على الارائك متكئون وفواكه مما يشتهون اي يتمنون وقراة العامة وظلال وقرا الاعرج وطلحة والزهري ظلل جمع ظلة يعني في الجنة كلوا اي يقال لهم غدا هذا بدل ما يقال للمشركين فان كان لكم كيد فكيدون فكلوا واشربوا في موضع الحال من ضمير المتقين في الظرف الذي هو في ظلال اي مستقرون في ظلال مقولا لهم ذلك انا كذلك نجزي المحسنين اي نثيب الذين احسنوا في تصديقهم بمحمد صلى الله عليه وسلم واعمالهم في الدنيا وقوله تعالى كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون اي كافرون وقيل يكسبون واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون اي اذا قيل لهولاء المشركين اركعوا اي صلوا لا يركعون لا يصلون قاله مجاهد وقال مقاتل نزلت في ثقيف امتنعوا من الصلاة فنزل ذلك فيهم قال مقاتل قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسلموا وامرهم بالصلاة فقالوا لا ننحني فانها مسبة علينا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود ويذكر ان مالكا رحمه الله تعالى دخل المسجد بعد صلاة العصر وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر فجلس ولم يركع فقال له صبي يا شيخ قم فاركع فقام فركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا فقيل له في ذلك فقال خشيت ان اكون من الذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون وقال ابن عباس انما يقال لهم هذا في الاخرة حين يدعون الى السجود فلا يستطيعون قال قتادة انما هذا في الدنيا قال ابن العربي وهذه الاية حجة على وجوب الركوع وانزاله ركنا في الصلاة وقد انعقد الاجماع عليه وظن قوم ان هذا انما يكون في القيامة وليست بدار تكليف فيتوجه فيها امر يكون عليه ويل وعقاب وانما يدعون الى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا فمن يسجد تمكن من السجود ومن كان يسجد رئا لغيره صار ظهره طبقا واحدا وقيل اي اذا قيل لهم اخضعوا للحق لا يخضعون فهو عام في الصلاة وغيرها وانما ذكر الصلاة لانها اصل الشرائع بعد التوحيد وقيل الامر بالصلاة امر بالايمان

لانها لا تقع من غير ايمان والله اعلم قوله تعالى فباي حديث بعده يؤمنون اي ان لم يصدقوا بالقران الذي هو المعجز والدال على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم فباي شي يصدقون وكرر ويل يومئذ للمكذبين لمعنى تكرير التخويف والوعيد وقيل ليس بتكرار لانه اراد بكل قول منه غير الذي اراد بالاخر كانه ذكر شيا فقال ويل لمن يكذب به ثم كذا الى آخرها والله اعلم

سورة عم مكية

في قول الجميع وتسمى سورة النبا وهي اربعون او احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عم لفظ استفهام ولذلك سقطت منها الالف ما ليتميز الخبر عن الاستفهام وكذلك فيم ومم اذا استفهمت والمعنى عن اي شي يسال بعضهم بعضا وقال الزجاج اصل عم عن ما فادغمت النون في الميم لان الميم تشاركها في الغنة والضمير في يتسالون لقريش روى ابو صالح عن ابن عباس قال كانت قريش تجلس لما نزل القران فتتحدث فيما بينهم فمنهم المصدق ومنهم المكذب به فنزلت عم يتسالون وقيل عم بمعنى فيم يتشدد المشركون ويختصمون قوله تعالى عن النبا العظيم اي يتسالون عن النبا العظيم فعن ليس تتعلق بيتسالون الذي في التلاوة لانه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون اعن النبا العظيم كقولك كم مالك اثلاثون ام اربعون فوجب لما ذكرناه من امتناع تعلقه بيتسالون الذي في التلاوة وانما يتعلق بيتسالون اخر مضمر وحسن ذلك لتقدم يتسالون قاله المهدوي وذكر بعض اهل العلم ان الاستفهام في قوله عم مكرر الا انه مضمر كانه قال عم يتسالون عن النبا العظيم فعلى هذا يكون متصلا بالاية الاولى والنبا العظيم اي الخبر الكبير الذي هم فيه مختلفون اي يخالف بعضهم بعضا فيصدق واحد ويكذب اخر فروى ابو صالح عن ابن عباس قال هو القران دليله قل هو نبا عظيم انتم عنه معرضون فالقران خبر ونبا وقصص وهو نبا عظيم الشان وروى سعيد عن قتادة قال هو البعث بعد الموت صار الناس فيه رجلين مصدق ومكذب وقيل امر النبي صلى الله عليه وسلم وروى الضحاك عن ابن عباس قال وذلك ان اليهود سالوا النبي صلى الله عليه وسلم عن اشيا كثيرة فاخبره الله جل ثناوه باختلافهم ثم هددهم فقال كلا سيعلمون اي سيعلمون عاقبة القران او سيعلمون البعث اهو حق ام باطل وكلا رد عليهم في انكارهم البعث قال بعض علمائنا والذي يدل عليه قوله عز وجل ان يوم الفصل كان ميقاتا يدل على انهم كانوا يتسالون عن البعث كلا سيعلمون اي حقا ليعلمون صدق ما جا به محمد صلى الله عليه وسلم من القران ومما ذكره لهم من البعث بعد الموت وقال الضحاك كلا سيعلمون اي الكافرون عاقبة تكذيبهم ثم كلا سيعلمون يعني المومنين عاقبة تصديقهم وقيل بالعكس ايضا وقال الحسن هو وعيد بعد وعيد وقراة العامة فيهما بالياء على الخبر لقوله تعالى يتسالون وقوله هم فيه مختلفون وقرا الحسن وابو العالية ومالك بن دينار بالتاء فيهما قوله عز وجل الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا دلهم على قدرته على البعث اي قدرتنا على ايجاد هذه الامور اعظم من قدرتنا على الاعادة والمهاد الوطا والفراش وقد قال الذي جعل لكم الارض فراشا وقرئ مهدا ومعناه انها لهم كالمهد للصبي وما يمهد له فينوم عليه والجبال اوتادا اي اصنافا ذكورا واناثا وقيل الوانا وقيل يدخل في هذا كل زوج من قبيح وحسن وطويل وقصير لتختلف الاحوال فيقع الاعتبار فيشكر الفاضل ويصبر المفضول وجعلنا نومكم سباتا معناه صيرنا ولذلك تعدت الى مفعولين سباتا المفعول الثاني اي راحة لابدانكم ومنه يوم السبت اي يوم الراحة فقيل لبني اسرائيل استريحوا في هذا اليوم فلا تعملون شيا وانكر ابن الانباري هذا وقال لا يقال للراحة سبات وقيل اصله التمدد يقال سبتت المراة شعرها اذا حلته وارسلته فالسبات كالمد لا يقال

ورجل مسبوت الخلق اي ممدود واذا اراد الرجل ليستريح تمدد فسميت الراحة سبتا
وقيل اصله القطع يقال سبت شعره سبتا قطعه او حلقه فكانه اذا نام انقطع عن
الناس وعن الاشتغال فالسبات يشبه الموت الا انه لم تفارقه الروح ويقال سبت
الجبال اي سهل لين قال الشاعر •
• ومطوية الاقراب اما نهارها • فسبت واما ليلها فذميل •
وجعلنا الليل لباسا اي تلبسكم ظلمته وتغشيكم قاله الطبري وقال ابن جبير والسدي
اي سكنا لكم وجعلنا النهار معاشا فيه اضمار اي وقت معاش اي متصرفا لطلب المعاش
وهو كلما يعاش به من المطعم والمشرب وغير ذلك فمعاشا على هذا اسم زمان ليكون
الثاني هو الاول ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى العيش على تقدير حذف المضاف
وبنينا فوقكم سبعا اي سبع سموات محكمات اي محكمة الخلق وثيقة البنيان وجعلنا
سراجا وهاجا اي وقادا وهي الشمس وجعل هاهنا بمعنى خلق لانها تعدت لمفعول
واحد والوهاج الذي له وهج يقال وهج يهج وهجا ووهجا ووهجانا ويقال للجوهر
اذا تلالا توهج وقال ابن عباس وهاجا منيرا متلالئا وانزلنا من المعصرات ماء
ثجاجا قال مجاهد وقتاده المعصرات الرياح وقاله ابن عباس كانها تعصر السحاب وعن
ابن عباس ايضا انها السحاب وقال سفيان والربيع وابو العاليه والضحاك اي
السحاب التي تنعصر بالماء ولم تمطر بعد كالمراة المعصر التي قد دنا حيضها ولم تحض
وقال ابو النجم • فكان مجني دون من كنت اتقي • ثلاث شخوص كاعبان ومعصر •
وقال الاخر • وذي اشر كالاقحوان يزينه • ذهاب الصبا والمعصرات الروائح •
فالرياح تسمى معصرات يقال اعصرت الريح تعصر اعصارا اذا اثارت العجاج وهي
الاعصار والسحب ايضا تسمى المعصرات لانها تمطر قال قتاده ايضا المعصرات السما
قال النحاس هذه الاقوال صحاح يقال للرياح التي تاتي بالمطر معصرات والرياح تلقح
السحاب فيكون المطر والمطر ينزل من الريح على هذا ويجوز ان تكون الاقوال واحده ويكون
المعنى وانزلنا من ذوات الرياح المعصرات ماء ثجاجا واصح الاقوال ان المعصرات السحاب
كذا المعروف ان الغيث منها ولو كان بالمعصرات لكان الريح اولى وفي الصحاح المعصرات
السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم اي مطروا ومنه قراة بعضهم وفيه يعصرون والمعصر
الجاريه اول ما ادركت وحاضت ويقال قد اعصرت كانها دخلت عصر شبابها او بلغته
قال الراجز • قد اعصرت او قد دنا اعصارها • والجمع معاصر ويقال
هي التي قاربت الحيض لان الاعصار في الجاريه كالمراهقة في الغلام سمعته من ابي الغوث
الاعرابي قال غيره والمعصر السحابه التي حان لها ان تمطر يقال اجن الزرع فهو مجن
اي صار الى ان يجن وكذلك السحاب اذا صار الى ان تمطر فقد اعصر وقال المبرد
يقال سحاب معصر اي ممسك للما ويعتصر منه شي بعد شي ومنه العصر بالتحريك
للملجا الذي يلجا اليه والعصر ايضا بالضم الملجا وقد مضى هذا المعنى في سورة يوسف
وانشد ابو زبيد • صاديا يستغيث غير مغاث • ولقد كان عصرة المنجود •
ومنه المعصر للجاريه التي قربت من البلوغ يقال لها معصر لانها تحبس في البيت
فيكون البيت لها عصرا وفي قراة ابن عباس وعكرمه وانزلنا بالمعصرات والذي
في المصاحف من المعصرات قال ابي بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن اسلم
ومقاتل من المعصرات اي من السموات ماء ثجاجا اي صبابا متتابعا عن ابن عباس
ومجاهد وغيرهما يقال ثججت دمه فانا اثجه ثجا وقد ثج الدم اذا يثج ثجوجا وكذلك
الما فهو لازم ومتعد والثجاج في الايه المنصب وقال الزجاج اي الصباب وهو متعد
كانه يثج نفسه اي يصب قال عبيد بن الابرص •
• فثج اعلاه ثم ارتج اسفله • وضاق ذرعا بحمل الما فانثاجا •
وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل عن الحج المبرور فقال العج والثج العج
رفع الصوت بالتلبية والثج اراقة الدما وذبح الهدايا وقال ابن زيد ثجاجا كثيرا

والمعنى

والمعنى والله اعلم لنخرج به اي بذلك الما حبا ونباتا فالحب الحنطة والشعير وغير ذلك
والنبات من الاب وهو ما تاكله الدواب من الحشيش وجنات الفافا اي بساتين الفافا اي
ملتفة بعضها ببعض لتشعب اغصانها ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل واحد الالفاف
لف بالكسر ولف بالضم ذكره الكسائي قال جنة لف وعيش مغدق وندامى كلهم بيض
زهر وعنه ايضا وابي عبيدة لفيف كشريف واشراف وقيل هو جمع الجمع حكاه الكسائي
يقال جنة لفا ونبت لف والجمع لف بضم اللام مثل حمر ثم يجمع اللف الفافا قال الزمخشري
ولو قيل جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان وجها ويقال شجرة لفا وشجر لف
وامراة لفا اي غليظة الساق مجتمعة اللحم وقيل التقدير ونخرج به جنات الفافا فحذف
لدلالة الكلام عليه ثم هذا الالتفاف والانضمام معناه ان الاشجار في البساتين تكون
متقاربة فالاغصان من كل شجرة متقاربة لقربها قوله تعالى ان يوم الفصل كان ميقاتا
اي وقتا ومجمعا وميعادا للاولين والاخرين لما وعد الله من الجزا والعقاب وسمي يوم
الفصل لان الله تعالى يفصل فيه بين خلقه ثم ينفخ في الصور اي للبعث فتاتون اي
الى موضع العرض افواجا اي امما كل امة مع امامهم وقيل زمرا وجماعات الواحد فوج ونصب
يوما بدلا من اليوم الاول وروي من حديث معاذ بن جبل قلت يا رسول الله ارايت قول
الله تعالى يوم ينفخ في الصور فتاتون افواجا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن
جبل لقد سالت عن امر عظيم ثم ارسل عينيه باكيا ثم قال يحشر عشرة من امتي اشتاتا قد
ميزهم الله تعالى من جماعات المسلمين وبدل صورهم فمنهم على صورة القرده وبعضهم على صورة
الخنازير وبعضهم منكسين ارجلهم اعلاهم ووجوههم يسحبون عليها وبعضهم عمي يترددون
وبعضهم صم بكم لا يعقلون وبعضهم يمضغون السنتهم فهي مدلاة على صدورهم تسيل
القيح من افواههم لعابا يتقذرهم اهل الجمع وبعضهم مقطعة ايديهم وارجلهم وبعضهم
مصلبين على جذوع من النار وبعضهم اشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبوسين
جلابيب سابغة من القطران لاصقة بجلودهم فاما الذين على صورة القرده فالقتات
من الناس يعني النمام واما الذين على صورة الخنازير فهم الذين ياكلون السحت والحرام
والمكس واما المنكسون وجوههم ورووسهم فهم الذين اكلوا الربا والعمي من يجورون في الحكم
والصم البكم الذين يعجبون باعمالهم والذين يمضغون السنتهم فالعلما والقصاص الذين
يخالف قولهم فعلهم والمقطعة ايديهم وارجلهم فالذين يوذون الجيران والمصلبين
على جذوع من النار فالسعاة بالناس الى السلطان والذين هم اشد نتنا من الجيف
فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ويمنعون حق الله من اموالهم والذين يلبسون
الجلابيب فاهل الكبر والفخر والخيلاء وفتحت السما فكانت ابوابا اي لنزول الملائكة
صفا قال ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تقطعت فكانت
قطعا كالابواب فانتصاب الابواب على هذا التاويل بحذف الكاف وقيل التقدير فكانت
ذات ابواب فانتصاب الابواب لانها كلها ابوابا طرقها وقيل ابوابها طرقها وقيل تنحل
وتتناثر حتى تصير فيها ابوابا وقيل ان لكل عبد بابين في السما بابا لعمله وبابا لرزقه
فاذا كانت القيامة انفتحت الابواب وفي حديث الاسرا ثم عرج بنا الى السما فاستفتح
جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معه قال محمد قيل وقد بعث اليه قال
نعم قد بعث اليه ففتح لنا وسيرت الجبال فكانت سرابا اي لا شي كما ان السراب كذلك يظنه
الرائي ما وليس بما وقيل سيرت نسفت من اصولها وقيل ازيلت عن مواضعها **قوله تعالى**
ان جهنم كانت مرصادا مفعال من الرصد والرصد كل شي كان امامك قال الحسن ان على
الباب رصدا لا يدخل احد الجنة حتى يجتاز عليه فمن جاء بجواز جاز ومن لم يجي بجواز
حبس وعن سفيان رضي الله عنه قال عليها ثلاث قناطر وقيل مرصادا ذات ارصاد
على النسب اي ترصد من يمر بها وقال مقاتل محبسا وقيل طريقا وممرا الى الجنة فلا سبيل
الى الجنة حتى يقطع جهنم وفي الصحاح والمرصاد الطريق وذكر القشيري ان المرصاد المكان
الذي يرصد فيه الواحد العدو نحو المضمار للموضع الذي يضمر فيه الخيل اي هذه معدة

لهم بالمرصاد بمعنى المحل فالملائكة يرصدون الكفار حتى ينزلوا جهنم وذكر الماوردي عن ابي سفيان انها بمعنى راصده يجازيهم بافعالهم وفي الصحاح الراصد للشي الراقب له تقول رصده يرصده رصدا ورصدا والرصد الترقب والموصله والمرصد موضع الرصد الاصمعي رصدته ارصده وارصدته اي اعددت له والكسائي مثله قلت فجهنم معده مترصده متفعل من الرصد وهو من الترقب اي مطلعه لمن ياتي والمرصاد مفعال من ابنية المبالغه كالمعطار والمغيار فكانه يكثر من جهنم انتظار الكفار للطاغين بدل من قوله مرصادا والماب المرجع اي مرجعا يرجعون اليها يقال اب يوب اوبه اذا رجع وقال قتاده ماوي ومنزلا والمراد بالطاغين من طغى في دينه بالكفر او في دنياه بالظلم قوله تعالى لابثين فيها احقابا اي ماكثين في النار ما دامت الاحقاب وهي لا تنقطع فكلما مضى حقب جاء حقب والحقب بضمتين الدهر والاحقاب الدهور والحقبه بالكسر السنه والجمع حقب قال متمم بن نويره التميمي

وكنا كندماني جذيمه حقبه ۝ من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
فلما تفرقنا كاني ومالكا ۝ لطول اجتماع لم نبت ليله معا

والحقب بالضم والسكون ثمانون سنه وقيل اكثر من ذلك واقل والجمع احقاب والمعنى في الايه فيها احقاب الاخره التي لا نهايه لها فحذف الاخره لدلاله الكلام عليه اذ في الكلام ذكر الاخره وكما يقال ايام الاخره اي ايام بعد ايام الى غير نهايه وانما كان يدل على التوقيت لو قال خمسة احقاب او عشره ونحوه وذكر الاحقاب لان الحقب كان ابعد شي عندهم فتكلم بما يذهب اليه اوهامهم ويعرفونها وهو كنايه عن التابيد اي يمكثون فيها ابدا وقيل ذكر الاحقاب دون الايام لان الاحقاب اهول في القلوب وادل على الخلود في حق المشركين ويمكن حمل الايه على العصاه الذين يخرجون من النار بعد احقاب وقيل الاحقاب وقت لشربهم الحميم والغساق فاذا انقضت فيكون لهم نوع اخر من العقاب ولهذا قال لابثين فيها احقابا لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا لابثين وهو اسم فاعل من لبث ويقويه ان المصدر منه اللبث بالاسكان كالشرب وقرا حمزه والكسائي لبثين بغير الف وهو اختيار ابي حاتم وابي عبيد وهما لغتان يقال رجل لابث ولبث مثل طمع وطامع وفره وفاره ويقال هو لبث بمكان كذا اي قد صار اللبث شانه فشبه بما هو خلقه في الانسان نحو حذر وفرق لان باب فعل انما هو لما يكون خلقه في الشي في الاغلب وليس كذلك اسم الفاعل من لابث والحقب ثمانون سنه في قول ابن عمر وابن عباس وابي هريره والسنه ثلاث مايه يوم وستون يوما واليوم الف سنه من ايام الدنيا قاله ابن عباس وروي ابن عمر هذا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريره والسنه ثلث مايه وستون يوما كل يوم مثل الدنيا وعن ابن عمر ايضا الحقب اربعون سنه السدي سبعون سنه وقيل انه الف شهر رواه ابو امامه مرفوعا بشير بن كعب ثلث مايه سنه الاحقاب لا يدري احدكم ما هي ولكن ذكروا انها مايه حقب والحقب الواحد منها سبعون الف سنه اليوم منها كالف سنه مما تعدون وعن ابي امامه ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الحقب الواحد يكون الف سنه ذكره المهدوي والاول الماوردي وقال قطرب هو الدهر الطويل الغير محدود وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يخرج من النار من دخلها حتى يكون فيها احقابا الحقب بضع وثمانون سنه والسنه ثلاث مايه وستون يوما كل يوم الف سنه مما تعدون فلا يتكلن احدا على ان يخرج من النار ذكره الثعلبي والقرظي الاحقاب ثلاثه واربعون حقبا كل حقب سبعون خريفا كل خريف سبع مايه سنه والسنه ثلث مايه وستون يوما كل يوم الف سنه قلت هذه الاقوال متعارضه والتحديد في الاحقاب للخلود يحتاج الى توقيف يقطع العذر وليس ذلك بثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم وانما المعنى والله اعلم ما ذكرناه اولا اي لابثين فيها ازمانا ودهورا كلما مضى زمن عقبه

دمن

زمن ودهر بعقبه دهر هكذا ابد الابدين من غير انقطاع وقال ابن كيسان معنى لابثين فيها احقابا لا من غير انقطاع لا نهايه لها ولا انتها فكانه قال ابدا وقال ابن زيد ومقاتل انها منسوخه بقوله تعالى فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا يعني ان العدد ارتفع وان الخلود قد حصل قلت وهذا بعيد لانه خبر وقد قال تعالى ولا يدخلون الجنه حتى يلج الجمل في سم الخياط على ما تقدم هذا في حق الكفار فاما العصاه الموحدون فصحيح فيكون النسخ بمعنى التخصيص والله اعلم وقيل لابثين فيها احقابا اي في الارض اي قد تقدم ذكرها ويكون الضمير في لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا لجهنم وقيل واحد الاحقاب حقب وحقبه قال الشاعر

فان تنا عنها حقبه لا تلاقها ۝ فانك مما احدثت بالمجرب

وقال الكميت مر لها بعد حقبه حقب لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا فيها اي في الاحقاب والبرد النوم في قول ابي عبيده وغيره قال الشاعر

فلو شئت حرمت النسا سواكم ۝ وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا

وقاله مجاهد والسدي والكسائي والفضل بن خالد وابو معاذ النحوي وانشدوا قول الكندي

بردت مراشفها علي فصدني ۝ عنها وعن قبلاتها البرد

يعني النوم والعرب تقول منع البرد البرد يعني اذهب البرد النوم قلت وقد جا الحديث انه عليه السلام سيل هل في الجنه نوم فقال لا النوم اخو الموت والجنه لا موت فيها فكذلك النار وقد قال تعالى لا يقضى عليهم فيموتوا وقد قال ابن عباس البرد برد الشراب وعنه ايضا البرد النوم والشراب الما وقال الزجاج اي لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم فجعل البرد برد كل شي له راحه وهذا برد ينفعهم فاما الزمهرير فهو برد يتاذون به فلا ينفعهم فلهم منه من العذاب ما الله اعلم به وقال الحسن وعطا وابن زيد بردا اي روحا وراحه قال الشاعر

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ۝ ولا الفي اوقات العشي تذوق

وقوله لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا جمله في موضع الحال من الطاغين او نعت للاحقاب والاحقاب ظرف زمان والعامل فيه لابثين او لبثين على تعديه فعل الا حميما وغساقا استثنا منقطع في قول من جعل البرد النوم ومن جعله من البرد كان بدلا منه والحميم الما الحار قاله ابو عبيده وقال ابن زيد الحميم دموع اعينهم يجمع في حياض ثم يسقونه وقال النحاس اصل الحميم الما الحار ومنه اشتقاق الحمام ومنه الحمى ومنه وظل من يحموم انما يراد به النهايه في الحر والغساق صديد اهل النار وقيحهم وقيل الزمهرير وقرا حمزه والكسائي بتشديد السين وقد مضى في ص القول فيه جزا وفاقا اي موافقا لاعمالهم عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما قالوا فالوفاق بمعنى الموافقه كالقتال بمعنى المقاتله وجزا نصب على المصدر اي جازيناهم جزا وافق اعمالهم قاله الفرا والاخفش وقال الفرا ايضا هو جمع الموفق والوفق واللفق واحد وقال مقاتل وافق العذاب الذنب والاتراب الاقران في السنين وقد مضى في سوره الواقعه الواحد ترب وكاسا دهاقا قال الحسن وقتاده وابن زيد وابن عباس مترعه مملوه تقول ادهقت الكاس اي ملاتها وكاس دهاق اي ممتليه قال

الا فاسقني صرفا سقاني الساقي ۝ من مائها بكاسك الدهاق

وقال خداش بن زهير

اتانا عامر يبغي قرانا ۝ فاترعنا له كاسا دهاقا

وقال سعيد بن جبير وعكرمه ومجاهد وابن عباس ايضا متتابعه يتبع بعضها بعضا ومنه ادهقت الحجاره ادهاقا وهي شده تلازمها ودخول بعضها في بعض فالمتتابع كالمتداخل وعن عكرمه ايضا وزيد بن اسلم صافيه قال الشاعر

لانت الى الفواد احب قربا ۝ من الصادي الى كاس دهاق

وهو جمع دهق وهو خشبتان يعصر بهما والمراد بالكاس الخمر فالتقدير خمرا ذات دهاق اي عصرت وصفيت قاله القشيري وفي الصحاح وادهقت الما اي افرغته

افراغا فاسكربوا قال ابو عمرو والمدهق المعذب بجميع العذاب الذي لا فرجة فيه ابن
الاعرابي دهقت الشي كسرته وقطعته وكذلك دعدقته وانشد لجرير لما كف
• تدهق بضع الكحم للباع والذي • وبعضهم تغلي بذم مراحله •
ودهقته بزيادة الميم مثله وقال الاصمعي الدهمقة لين الطعام وطيبه ورقته
وكذلك كل شي لين ومنه حديث عمر لو شيت ان ادهمق لي لفعلت ولكن الله عاب
قوما فقال اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها قوله تعالى لا يسمعون
فيها اي في الجنة لغوا ولا كذابا اللغو الباطل وهو ما يلغى من الكلام ويطرح ومنه
اذا قلت لصاحبك يوم الجمعة انصت فقد لغوت وان اهل الجنة اذا شربوا لم تتغير
عقولهم ولم يتكلموا بلغو بخلاف اهل الدنيا ولا كذابا تقدم اي لا يكذب بعضهم بعضا
ولا يسمعون كذابا وقرا الكسائي كذابا بالتخفيف من كاذبت كذابا اي لا يتكاذبون
في الجنة ومثلهما مصدران للتكذيب وانما خففهما هنا لانها ليست بمقيدة كمفعل
يصير مصدرا له وشدد قوله وكذبوا باياتنا كذابا لان كذبوا يقيد المصدر بالكذاب
جزاء من ربك نصب على المصدر لان المعنى جازاهم بما تقدم ذكره جزاء وكذلك عطاء
لان معنى اعطاهم وجازاهم واحد اي اعطاهم عطاء حسابا اي كثيرا قاله قتادة يقال
احسبت فلانا اي كثرت له العطا حتى قال حسبي قال •
• ونقفي وليد الحي ان كان جايعا • ونحسبه ان كان ليس بجايع •
وقال القتبي ويرى اصل هذا ان تعطيه حتى يقول حسبي وقال الزجاج حسابا
اي ما يكفيهم وقاله الاخفش يقال احسبني كذا اي كفاني وقال الكلبي حاسبهم
فاعطاهم بالحسنة عشرا مجاهد حسابا لما عملوا فالحساب بمعنى العد اي بقدر ما وجب
له في وعد الرب فانه وعد للحسنة عشرا ووعد قوم سبعمائة ضعف وقد وعد لقوم
جزاء لا نهاية له ولا مقدار كما قال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقرا
ابو هاشم عطاء حسابا بفتح الحاء وتشديد السين على وزن فعال اي كفافا قال
الاصمعي تقول العرب حسبت الرجل بالتشديد اذا اكرمته وانشد قول الشاعر
اذا اتاه ضيفه حسبه • وقرا ابن عباس حسانا بالنون قوله تعالى رب
السموات والارض وما بينهما الرحمن قرا ابن مسعود ونافع وابو عمرو وابن كثير وزيد
عن يعقوب والمفضل عن عاصم رب بالرفع على الاستيناف والرحمن خبره او بمعنى
رب السموات والارض ويكون الرحمن مبتدا ثانيا وقرا ابن عامر وابن محيصن كلاهما
بالخفض نعتا لقوله تعالى جزاء من ربك اي من رب السموات وقرا ابن عباس وعاصم
وحمزة والكسائي رب السموات خفضا على النعت للرحمن رفعا على الابتدا وهو الرحمن
واختاره ابو عبيدة وقال هذا اعدلها خفض رب لقربه من قوله من ربك فيكون
نعتا له ورفع الرحمن لبعده منه على الاستيناف وخبره لا يملكون منه خطابا اي لا يملكون
ان يسالوا الا فيما اذن لهم فيه وقال الكسائي لا يملكون منه خطابا بالشفاعة
الا باذنه وقيل الخطاب الكلام اي لا يملكون ان يخاطبوا الرب سبحانه الا باذنه
دليله لا تكلم نفس الا باذنه وقيل اراد الكفار اي لا يملكون منه خطابا فاما
المومنون فيشفعون قلت بعد ان يوذن لهم لقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده
الا باذنه وقال يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعلم
قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا يوم نصب على الظرف اي لا يملكون منه
خطابا يوم يقوم الروح واختلف في الروح على اقوال ثمانية الاول انه ملك من
الملائكة قال ابن عباس ما خلق الله مخلوقا هو بعد العرش اعظم منه فاذا كان
يوم القيامة قام هو وحده صفا وقامت الملائكة كلهم صفا فيكون عظم خلقه
مثل صفوفهم ونحو منه عن ابن مسعود قال الزجاج ملك اعظم من السموات السبع
ومن الارضين السبع ومن الجبال وهو بحيال السماء الرابعة يسبح الله كل يوم اثنا عشر
الف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا فيجي يوم القيامة وحده صفا

والملائكة

والملائكة صفا الثاني انه جبريل عليه السلام قاله الشعبي والضحاك وسعيد بن جبير
عن ابن عباس ان عن يمين العرش نهرا من نور مثل السموات السبع والارضين السبع
والبحار السبع يدخل جبريل عليه السلام في كل يوم فيه سحرا فيغتسل فيزداد نورا على نوره
وجمالا على جماله وعظما على عظمه ثم ينتفض فيخلق الله تعالى من كل قطرة تقع
من ريشه سبعين الف ملك يدخل منهم كل يوم سبعون الفا البيت المعمور والكعبة
سبعون الفا لا يعودون اليه الى ان تقوم الساعة وقال وهب ان جبريل عليه
السلام واقف بين يدي الله ترعد فرايصه يخلق الله من كل رعدة مائة الف ملك
فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكسة رءوسهم فاذا اذن الله لهم في الكلام
قالوا لا اله الا انت وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن في الكلام وقال صوابا يعني قول لا اله الا الله الثالث روي
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الروح في هذه الاية جند من جنود
الله ليسوا من الملائكة لهم رءوس وايدي وارجل يأكلون الطعام ثم قرا يوم يقوم الروح
والملائكة صفا قال هولاء جند وهولاء جند وهذا قول ابي صالح ومجاهد وعلى
هذا هم خلق على صورة بني ادم كالناس وليسوا بناس الرابع انهم اشراف الملائكة
قاله مقاتل بن حيان الخامس انهم حفظة على الملائكة قاله ابن ابي نجيح السادس
انهم بنو ادم قاله الحسن وقتادة فالمعنى ذوو الروح وقال العوفي والقرظي هذا
مما كان يكتمه ابن عباس قال الروح خلق من خلق الله على صورة بني ادم وما نزل
ملك من السما الا ومعه واحد من الروح السابع ارواح بني ادم تقوم صفا وتقوم
الملائكة صفا وذلك بين النفختين قبل ان ترد الى الاجساد قاله عطية العوفي
الثامن انه القران قاله زيد بن اسلم وقرا وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وصفا
مصدر اي يقومون صفوفا والمصدر ينبي عن الواحد والجمع كالعدل والصوم
ويقال ليوم العيد يوم الصف وقال في موضع اخر وجاء ربك والملك صفا صفا
هذا يدل على الصفوف وهذا حين العرض والحساب قال معناه القتبي وقيل
يقوم الروح صفا والملائكة صفا فهم صفان وقيل يقوم الكل صفا واحدا لا يتكلمون اي
لا يشفعون الا من اذن له الرحمن في الشفاعة وقال صوابا يعني حقا قاله الضحاك
ومجاهد وقال ابو صالح لا اله الا الله وروى الضحاك عن ابن عباس قال يشفعون
لمن قال لا اله الا الله واصل الصواب السداد من القول والفعل وهو من اصاب
يصيب اصابة كالجواب من اجاب يجيب وقيل لا يتكلمون يعني الملائكة والروح
الذين قاموا صفا لا يتكلمون هيبة واجلالا الا من اذن له الرب في الشفاعة وهم
قد قالوا صوابا وانهم يوحدون الله ويسبحونه وقال الحسن ان الروح تقول يوم
القيامة لا يدخل احد الجنة الا بالرحمة ولا النار الا بالعمل فهو معنى قوله تعالى وقال
صوابا ذلك اليوم الحق اي الواقع الكاين فمن شاء اتخذ الى ربه مابا اي مرجعا بالعمل
الصالح كانه اذا عمل خيرا رده الى الله واذا عمل شرا باعده منه ويمثل المهتدي المعني قوله
عليه السلام والخير كله بيديك والشر ليس اليك قوله تعالى انا انذرناكم عذابا
قريبا يخاطب كفار قريش ومشركي العرب لانهم قالوا لا نبعث والعذاب هنا عذاب
الاخرة وكل ما هو ات فهو قريب وقد قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية
او ضحاها قال معناه الكلبي وغيره وقال قتادة عقوبة الدنيا لانه اقرب العذابين
وقال مقاتل هو قتل قريش ببدر والاظهر انه عذاب الاخرة وهو الموت والقيامة
لان من مات فقد قامت قيامته فان كان من اهل الجنة راى مقعده من الجنة وان
كان من اهل النار راى مقعده من النار والخزي والهوان ولهذا قال تعالى يوم
ينظر المرء ما قدمت يداه وقيل ينظر الى ما قدمت فحذف الى والمراد هنا المومن في
قول الحسن اي يجد لنفسه عملا فيتمنى ان يكون ترابا فلما قال ويقول الكافر

علم انه اراد بالمرء المؤمن وقيل المرء هاهنا ابي بن خلف وعقبة بن ابي معيط ويقول
الكافر ابو جهل وقيل هو عام في كل احد فان الانسان يرى في ذلك اليوم جزاء ما كسب وقال
مقاتل نزلت قوله يوم ينظر المرء ما قدمت يداه في ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي
ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا في اخيه الاسود بن عبد الاسد وقال الثعلبي
سمعت ابا القاسم بن حبيب يقول الكافر هاهنا ابليس وذلك انه عاب ادم بانه
خلق من تراب وافتخر بانه خلق من نار فاذا عاين يوم القيامة ما فيه ادم وبنوه
من الثواب والراحة والرحمة وراى ما هو فيه من الشدة والعذاب تمنى انه بمكان
ادم فيقول يا ليتني كنت ترابا قال ورايته في بعض التفاسير وقال القشيري
قال اي يقول ابليس يا ليتني خلقت من التراب ولم اقل انا خير من ادم
وعن ابن عمر اذا كان يوم القيامة مدت الارض مد الاديم وحشر البهائم والدواب
والوحش ثم يوضع القصاص بين البهائم حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها
فاذا فرغ من القصاص بينها قيل لها كوني ترابا فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت
ترابا ونحوه عن ابي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وقد ذكرناه
في كتاب التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة مجودا والحمد لله وحده ذكر ابو جعفر
النحاس قال حدثنا احمد بن محمد بن نافع قال ثنا سلمة بن شبيب قال حدثنا
عبد الرزاق قال ثنا معمر قال اخبرني جعفر بن برقان الجزري عن يزيد بن الاصم
عن ابي هريرة قال ان الله تعالى يحشر الخلق كلهم من دابة وطائر وانسان ثم يقال
للبهائم والطير كوني ترابا وقال قوم يا ليتني كنت ترابا اي لم ابعث كما قال يا ليتني
لم اوت كتابيه وقال ابو الزناد اذا قضي بين الناس وامر باهل الجنة الى الجنة
واهل النار الى النار قيل لسائر الامم ولمؤمني الجن عودوا ترابا فيعودون
ترابا فعند ذلك يقول الكافر حين يراهم يا ليتني كنت ترابا وقال ليث بن ابي
سليم مؤمنو الجن يعودون ترابا وقال عمر بن عبد العزيز والزهري والكلبي
ومجاهد مؤمنو الجن حول الجنة في ربض ورحاب وليسوا فيها وهذا اصح وقد
مضى في سورة الرحمن بيان هذا وانهم مكلفون يثابون ويعاقبون فهم كبني ادم

سورة والنازعات مكية وهي خمس او ست واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والنازعات غرقا اقسم سبحانه بهذه الاشياء التي ذكرها على ان
القيامة حق والنازعات الملائكة التي تنزع ارواح الكفار قاله علي رضي الله عنه
وكذا قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد هي الملائكة تنزع نفوس
بني ادم قال ابن مسعود يريد انفس الكفار ينزعها ملك الموت من اجسادهم
من تحت كل شعرة ومن تحت الاظافير واصول القدمين نزعا كالسفود من الصوف
الرطب ثم يغرقها اي يرجعها في اجسادهم ثم ينزعها فهذا عمله بالكفار وقال ابن عباس
وقال سعيد بن جبير نزعت ارواحهم ثم غرقت ثم حرقت ثم قذف بها في النار
وقيل يرى الكافر نفسه في وقت النزع كانها تغرق وقال السدي والنازعات
هي النفوس حين تغرق في الصدور مجاهد هو الموت ينزع النفوس الحسن وقتادة
هي النجوم تنزع من افق الى افق اي تذهب من قولهم نزع اليه اي ذهب او من
قولهم نزعت الخيل اي جرت غرقا اي انها تغرق وتغيب وتطلع من افق الى افق
اخر قاله ابو عبيدة وابن كيسان والاخفش وقيل النازعات القسي تنزع بالسهام
قاله عطا وعكرمة وغرقا بمعنى اغراقا واغراق النازع في القوس ان يبلغ غاية المد
حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها وذلك بان ينتهي
الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب ويقال

لقشرة

لقشرة البيضة الداخلة غرقى وقيل هم الغزاة الرماة قلت هو والذي قبله سوا لانه
اذا اقسم بالقسي فالمراد النازعون بها تعظيما لها وهو مثل قوله والعاديات ضبحا والله
اعلم واراد بالاغراق المبالغة في النزع وهو سائغ في جميع وجوه تاويلها وقيل هي الوحش
تنزع من الكلا وتنفر حكاه يحيى بن سلام ومعنى غرقا اي ابعادا في النزع قوله
تعالى والناشطات نشطا قال ابن عباس يعني الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها
كما ينشط العقال من يد البعير اذا حل عنه وحكى هذا القول الفرا ثم قال والذي سمعت من
العرب ان يقولوا انشطت وكانما انشط من عقال وربطها نشطا والرابط الناشط واذا
ربطت الحبل في يد البعير فقد نشطته فانت ناشط واذا حللته فقد انشطته وانت
منشط وعن ابن عباس ايضا هي انفس المؤمن عند الموت تنشط للخروج وذلك انه ما من مؤمن
الا يعرض عليه الجنة قبل ان يموت فيرى فيها ما اعد الله له من ازواجه واهله من الحور
العين فهم يدعونه اليها فنفسه اليهم نشطة ان تخرج فتاتيهم وعنه ايضا قال يعني انفس
الكفار والمنافقين تنشط كما ينشط العقب الذي يعقب به السرج والنشط الجذب بسرعة
ومنه الانشوطة عقدة يسهل انحلالها اذا جذبت مثل عقدة التكة وقال ابو زيد نشطت
الحبل انشطه نشطا اي عقدته انشوطة وانشطته اي حللته وانشطت الحبل اي مددته
حتى ينحل وقال الفرا انشطت العقال اي حللته ونشطته اي ربطت الحبل في يديه وقال الليث
انشطته بانشوطة وانشوطتين اي اوثقته وانشطت العقال اي مددت انشوطته
فانحلت قال ويقال نشط بمعنى انشط لغتان بمعنى وعليه يصح قول ابن عباس
المذكور وعنه ايضا ان الناشطات الملائكة لنشاطها تذهب وتجي بامر الله حيثما كان
وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنه هي الملائكة تنشط ارواح الكفار ما بين الجلد والاظفار
حتى تخرجها من اجوافهم نشطا بالكرب والغم كما ينشط الصوف من سفود الحديد وهو
من النشط بمعنى الجذب يقال نشطت الدلو انشطها بالكسر وانشطها بالضم اي نزعتها
قال الاصمعي يقال بير انشاط اي قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة وبير
نشوط وهي التي لا يخرج منها الدلو حتى تنشط كثيرا وقال مجاهد هو الموت تنشط
نفس الانسان السدي النفوس حين تنشط من القدمين وقيل النازعات ايدي
الغزاة او انفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق عكرمة وعطا
هي الاوهاق تنشط السهام وعن عطا ايضا وقتادة والحسن والاخفش هي النجوم
تنشط من افق الى افق اي تذهب واما في الصحاح والناشطات نشطا يعني النجوم
من برج الى برج كالثور الناشط من بلد الى بلد والهموم تنشط بصاحبها قال
هميان بن قحافة • امست همومي تنشط المناشطا • الشام بي طورا وطورا واسطا •
قال ابو عبيدة وعطا ايضا الناشطات هي الوحش حين تنشط من بلد الى بلد
كما ان الهموم تنشط الانسان من بلد الى بلد وانشد قول هميان امست همومي البيت
وقيل النازعات للكافرين والناشطات للمؤمنين فالملائكة يجذبون روح المؤمن
برفق والنزع جذب بشدة والنشط جذب برفق وقيل هما جميعا للكفار والايتان
بعدها للمؤمنين عند فراق الدنيا قوله تعالى والسابحات سبحا قال علي رضي
الله عنه هي الملائكة تسبح بارواح المؤمنين الكلبي هي الملائكة تقبض ارواح المؤمنين
كالذي يسبح في الما فاحيانا ينغمس واحيانا يرتفع يسلونها سلا رفيقا بسهولة
ثم يدعونها حتى تستريح وقال مجاهد وابو صالح هي الملائكة ينزلون من السما مسرعين
لامر الله كما يقال للفرس الجواد سابح اذا اسرع في جريه وعن مجاهد ايضا الملائكة
تسبح في صعودها ونزولها وعنه ايضا السابحات الموت تسبح في انفس بني ادم
وقيل هي خيل الغزاة قال عنترة •
• والخيل تعلم حين تسبح • في حياض الموت سبحا • وقال امرؤ القيس
• مسح اذا ما السابحات على الونى • اثرن غبارا بالكديد المركل •
قتادة والحسن هي النجوم تسبح في افلاكها وكذا الشمس والقمر قال الله تعالى

كل في فلك يسبحون عطاء هي السفن تسبح في الماء ابن عباس السابحات أرواح المؤمنين
تسبح شوقا إلى لقاء الله ورحمته حين تخرج قوله تعالى فالسابقات سبقا
قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه هي الملائكة تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء
عليهم السلام وقاله مسروق ومجاهد وعن مجاهد أيضا وأبو روق هي الملائكة سبقت
ابن آدم بالخير والعمل الصالح فتكتبه وعن مجاهد أيضا الموت يسبق الإنسان مقاتل
هي الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ابن مسعود هي أنفس المؤمنين تسبق إلى
الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور شوقا إلى لقاء الله ورحمته ونحوه
عن الربيع قال هي النفس تسبق بالخروج عند الموت وقال معمر وقتادة هي
النجوم تسبق بعضها في السير عطاء هي الخيل التي تسبق إلى الجهاد وقيل يحتمل
أن تكون السابقات ما تسبق من الأرواح قبل الأجساد إلى جنة أو إلى نار حكاه
الماوردي وقال الجرجاني ذكر فالسابقات بالفاء لأنها مشتقة من التي قبلها
أي واللاتي يسبحن فيسبقن تقول قام فذهب فهذا يوجب أن يكون القيام سببا
للذهاب ولو قلت قام وذهب لم يكن القيام سببا للذهاب قوله تعالى فالمدبرات
أمرا قال القشيري أجمعوا على أن المراد الملائكة وقال الماوردي فيه قولان أحدهما
الملائكة قاله الجمهور والقول الثاني هي الكواكب السبعة حكاه خالد بن معدان
عن معاذ بن جبل وفي تدبيرها الأمر وجهان أحدهما تدبير طلوعها وأفولها الثاني
تدبيرها ما قضى الله تعالى فيها من تقلب الأحوال حكى هذا القول أيضا في تفسيره
وأن الله تعالى علق كثيرا من تدبير العالم بالحركات للنجوم فأضيف التدبير
إليها وإن كان من الله كما يسمى الشيء باسم ما يجاوره وعلى أن المراد بالمدبرات
الملائكة فتدبيرها نزولها بالحلال والحرام وتفصيله قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما
وهو إلى الله جل ثناؤه ولكن لما نزلت الملائكة به سميت بذلك كما قال جل وعز
نزل به الروح الأمين وكما قال فإنه نزله على قلبك يعني جبريل نزله على قلب
محمد صلى الله عليه وسلم والله هو الذي أنزله وروى عطاء عن ابن عباس المدبرات
أمرا الملائكة وكلت بتدبير أحوال أهل الأرض في الرياح والأمطار وغير ذلك
قال عبد الرحمن بن سابط تدبير أمر الدنيا إلى أربعة جبريل وميكائيل وملك
الموت واسمه عزرائيل وإسرافيل فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود وأما ميكائيل
فموكل بالقطر والنبات وأما ملك الموت فإنه موكل بقبض الأنفس في البر والبحر
وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم وليس في الملائكة أقرب من إسرافيل وبينه
وبين العرش مسيرة خمسمائة عام وقيل أي وكلوا بأمور عرفهم الله بها ومن أول
السورة إلى هنا قسم أقسم الله به ولله أن يقسم بما شاء من خلقه وليس لنا ذلك
إلا به عز وجل وجواب القسم مضمر كأنه قال والنازعات وكذا لتبعثن ولتحاسبن
أضمر لمعرفة السامعين بالمعنى قاله الفراء ويدل عليه قوله أئذا كنا عظاما نخرة ألست
ترى أنه كالجواب لقولهم أئذا كنا عظاما نخرة وقال قوم القسم على قوله إن في
ذلك لعبرة لمن يخشى وهو اختيار محمد بن علي الترمذي أي فيما قصصت من
ذكر يوم القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى ولكن وقع القسم على
ما في السورة مذكورا ظاهرا بارزا أحرى وأقمن من أن يؤتى بشيء ليس بمذكور
فيها قال ابن الأنباري وهذا قبيح لأن الكلام قد طال فيما بينهما وقيل جواب
القسم هل أتاك حديث موسى لأن المعنى قد أتاك وقيل الجواب يوم ترجف
الراجفة على تقدير ليوم ترجف فحذف اللام وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره
يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة والنازعات غرقا وقال السجستاني يجوز
أن يكون هذا من التقديم والتأخير كأنه قال فإذا هم بالساهرة والنازعات ابن
الأنباري وهذا خطأ لأن الفاء لا يفتتح بها الكلام والأول الوجه وقيل إنما
وقع القسم على أن قلوب أهل النار تجف وأبصارهم تخشع فانتصاب يوم ترجف

الراجفة

الراجفة على هذا المعنى ولكن لم يقع عليه قال الزجاج أي قلوب واجفة يوم
ترجف وقيل انتصب بإضمار فعل تقديره اذكر وترجف أي تضطرب والراجفة
أي المضطربة كذا قال عبد الرحمن بن زيد قال هي الأرض والرادفة الساعة مجاهد
الراجفة الزلزلة تتبعها الرادفة الصيحة وعنه أيضا وعن ابن عباس والحسن وقتادة
هما الصيحتان أي النفختان أما الأولى فتميت كل شيء بإذن الله وأما الثانية فتحيي
كل شيء بإذن الله قال بينهما أربعون سنة وقال أيضا الرادفة هي تشق السماء
وتحمل الأرض والجبال فتدكا دكة واحدة وذلك بعد الزلزلة وقيل الراجفة تحرك
الأرض والرادفة زلزلة أخرى تفني الأرضين والله أعلم وقد مضى في آخر النمل ما فيه
كفاية في النفخ في الصور وأصل الرجفة الحركة قال الله تعالى يوم ترجف الأرض
وليست الرجفة هاهنا من الحركة فقط بل من قولهم رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا
أي أظهر الصوت والحركة ومنه سميت الأراجيف لاضطراب الأصوات بها وإفاضة
الناس فيها قال . أبالأراجيف يا ابن اللؤم توعدني . وفي الأراجيف خلت اللؤم والخور
وعن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا ذهب ربع الليل قام ثم قال
يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه قلوب
يومئذ واجفة أي خائفة وجلة قاله ابن عباس وعليه عامة المفسرين وقال السدي زائلة
عن أماكنها نظيره إذ القلوب لدى الحناجر وقال المؤرج قلقة مستوفزة مرتكضة غير ساكنة
وقال المبرد مضطربة والمعنى متقارب والمراد قلوب الكفار يقال وجف القلب يجف وجيفا
ومنه وجيف الفرس والناقة في العدو والإيجاف حمل الدابة على السير السريع قال .
. بدلن بعد جره صريفا . وبعد طول النفس الوجيفا .
وقلوب رفع بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها مثل قوله ولعبد مؤمن خير
من مشرك ومعنى خاشعة منكسرة ذليلة من هول ما ترى نظيره خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة
والمعنى أبصار أصحابها فحذف المضاف يقولون أي يقول هؤلاء المكذبون المنكرون
للبعث إذا قيل لهم إنكم تبعثون أي منكرون متعجبين أي أنرد بعد موتنا إلى أول الأمر فنعود
أحياء كما كنا قبل الموت وهو كقولهم أئنا لمبعوثون خلقا جديدا يقال رجع فلان في حافرته
وعلى حافرته أي رجع من حيث جاء قاله قتادة وأنشد ابن الأعرابي
. أحافرة على صلع وشيب . معاذ الله من سفه وعار .
يقول أأرجع إلى ما كنت عليه في شبابي من الغزل والصبا بعد أن شبت وصلعت ويقال
رجع على حافرته أي الطريق الذي جاء منه وقولهم في المثل النقد عند الحافرة قال
يعقوب أي عند أول كلمة ويقال التقى القوم فاقتتلوا عند الحافرة أي عند أول
مرة وقال ابن عباس أئنا لمردودون إلى الدنيا فنصير أحياء كما كنا قال الشاعر
. آليت لا أنساكم فاعلموا . حتى يرد الناس في الحافرة .
وقيل الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم فهي بمعنى المحفورة كقوله تعالى ماء دافق
وعيشة راضية والمعنى أئنا لمردودون في قبورنا أحياء قاله مجاهد والخليل والفراء وقيل
سميت الأرض الحافرة لأنها مستقر الحوافر كما سميت القدم أرضا لأنها على الأرض والمعنى أئنا
لراجعون بعد الموت إلى الأرض فنمشي على أقدامنا وقال ابن زيد الحافرة النار
وقرأ تلك إذا كرة خاسرة وقال مقاتل وزيد بن أسلم هي اسم من أسماء النار وقال ابن
عباس الحافرة في كلام العرب الدنيا وقرأ أبو حيوة في الحفرة بغير ألف مقصور من الحافرة
وقيل الحفرة الأرض المنتنة بأجساد موتاها من قولهم حفرت أسنانه إذا ركبها الوسخ
من ظاهرها وباطنها يقال في أسنانه حفر وقد حفرت تحفر حفرا مثل كسر يكسر كسرا إذا
فسدت أصولها وبنو أسد يقولون في أسنانه حفر بالتحريك وقد حفرت مثال تعب
تعبا وهي أردأ اللغتين قاله في الصحاح أئذا كنا عظاما نخرة أي بالية متفتتة
يقال نخر العظم بالكسر أي بلي وتفتت يقال عظام نخرة وكذا قرأ الجمهور من أهل
المدينة ومكة والشام والبصرة واختاره أبو عبيد لأن الآثار التي يذكر فيها العظام

نظرنا فيها فرايناها نخرة لا ناخرة وقرا عمرو وابن عبد الله وابن عباس وابن مسعود
وابن الزبير وحمزة والكسائي ناخرة بالف واختاره الفراء والطبري وابو معاذ النحوي
لوفاق رؤوس الاي وفي الصحاح والناخر من العظام الذي تدخل الريح فيه ثم تخرج
منها ولها نخير ويقال ما بها ناخر اي ما بها احد حكاه يعقوب عن الباهلي وقال ابو عمرو
ابن العلا الناخرة التي لم تنخر بعد اي لا تبلى ولا بد ان تنخر وقيل الناخرة المجوفة
وقيل هما لغتان بمعنى كذلك تقول العرب نخر الشي فهو نخر وناخر كقولهم طمع فهو طمع
وطامع وحذر وحاذر وبخل وباخل وفره قال الشاعر
• يظل به الشيخ الذي كان بادنا • يدب على عوج له نخرات •
عوجاج يعني قوايم وفي بعض التفسير ناخرة اي بالية بالالف ونخرة تنخر فيها الريح
اي تمر فيها اي على عكس الاول قال الشاعر • من بعد ما كانت عظاما ناخرة •
وقال بعضهم الناخرة التي اكلت اطرافها وبقيت اوساطها والنخرة التي فسدت كلها
وقال مجاهد نخرة اي مرفوتة كما قال عظاما ورفاتا ونخرة الريح بالضم شدة هبوبها
والنخرة ايضا والنخرة مثل الهمزة مقدمة انف الفرس والحمار والخنزير يقال هشم
نخرته اي انفه قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي رجعة خايبة رديه باطلة ليست كاينة
قال الحسن وغيره الربيع بن انس خاسرة على من كذب بها وقيل اي هي كرة خسران
والمعنى اهلها خاسرون كما يقال تجارة رابحة اي يربح صاحبها ولا شي اخسر من كرة
تقتضي المصير الى النار وقال قتاده ومحمد بن كعب اي لين رجعنا احيا بعد الموت
لنخسرن بالنار وانما قالوا هذا لانهم اوعدوا بالنار والكر الرجوع يقال كره وكر
بنفسه وهو يتعدى ولا يتعدى والكرة المرة والجمع الكرات فانما هي زجرة واحدة روى
الضحاك عن ابن عباس قال نفخة واحدة فاذا هم اي الخلايق اجمعون بالساهرة اي
على وجه الارض بعد ما كانوا في بطنها قال الفرا سميت بهذا الاسم لان فيها نوم الحيوان
وسهرهم والعرب تسمي الفلاة ووجه الارض ساهرة بمعنى ذات سهر لانه يسهر فيها
خوفا منها فوصفها بصفة ما فيها واستدل ابن عباس والمفسرون بقول امية بن ابي الصلت
• وفيها لحم ساهرة وبحر • وما فاهوا به لهم مقيم •
وقال اخو فهم يوم ذي قار لفرسه •
• اقدم محاج انها الاساوره • ولا يهولنك رجل نادره •
• فانما قصرك ترب الساهره • ثم تعود بعدها في الحافره •
من بعد ما كانت عظاما ناخره • وفي الصحاح تقول الساهور ظل الساهرة
وهي وجه الارض ومنه قوله فاذا هم بالساهرة قال ابو كبير الهذلي
• يرتدون ساهرة كان جميمها • وعميمها اسداف ليل مظلم •
ويقال الساهور كالغلاف للقمر يدخل فيه اذا كسف وانشدوا قول امية بن
ابي الصلت • قمر وساهور يسل ويغمد • وانشد الاخر في وصف امراة •
• كانها عرق سام عند ضاربه • او شقة خرجت من جوف ساهور •
يريد شقة القمر وقيل الساهرة الارض البيضا وروى الضحاك عن ابن عباس
قال ارض من فضة لم يعص الله جل ثناوه عليها قط خلقها حينيذ وقيل
ارض يجددها الله يوم القيامة وقيل الساهرة اسم الارض السابعة ياتي بها
الله تعالى فيحاسب عليها الخلايق وذلك حين تبدل الارض غير الارض وقال
الثوري الساهرة ارض الشام وقال وهب بن منبه جبل بيت المقدس وقال
عثمان بن ابي العاتكة انه اسم مكان من الارض بعينه بالشام وهو الصقع الذي بين
جبل اريحا وجبل حسان يمده الله كيف يشا قتاده هي جهنم اي فاذا هو لا الكفار
في جهنم وانما قيل لها ساهرة لانهم لا ينامون فيها حينيذ وقيل الساهرة بمعنى الصحرا
على شفير جهنم اي يوقفون بارض القيامة فيدوم السهر حينيذ وقال
الساهرة الارض البيضا المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم

عين

عين ساهرة جارية الما وفي ضدها نايمة قال الاشعث بن قيس •
• وساهرة يضحي السراب مجللا • لاقطارها قد جبتها متلثما •
او لان سالكها لا ينام خوف الهلكة قوله تعالى هل اتاك حديث موسى اذ ناداه
ربه اي قد جاك وبلغك وهذا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم اي ان فرعون كان اقوى
من كفار عصرك ثم اخذناه فكذلك هولاء وقيل هل بمعنى ما اي ما اتاك ولكن اخبرت
به فان فيه عبرة لمن يخشى وقد مضى من خبر موسى وفرعون في غير موضع ما فيه
كفاية وفي طوى ثلاث لغات وقرى بها قرا ابن محيصن وابن عامر والكوفيون طوى
منونة واختاره ابو عبيد لخفة الاسم وقرا الباقون بغير تنوين لانه معدول مثل عمر
وثم قال الفرا طوى واد بين المدينة ومصر قال وهو معدول من طاوي كما عدل عمر بن عامر
وقرى الحسن وعكرمة طوى بكسر الطا وروي عن ابي عمرو على معنى المقدس مرة بعد مرة
قاله الزجاج وانشد • اعاذل ان اللوم في غير كنهه • علي طوى من غيك المتردد •
اي هو لوم مكرر علي وقيل ضم الطا وكسرها لغتان وقد مضى في طه القول فيه اذهب
الى فرعون اذ ناداه ربه اذهب فحذف لان الندا قول فكانه قال له ربه اذهب الى
فرعون انه طغى اي جاوز القدر في العصيان وروي عن الحسن قال كان فرعون علجا من
همدان وعن مجاهد قال كان من اهل اصطخر وعن الحسن ايضا قال كان من اهل اصبهان
يقال له ذو ظفر طوله اربعة اشبار فقل هل لك الى ان تزكى اي تسلم فتطهر من الذنوب
وروى الضحاك عن ابن عباس قال هل لك الى ان تشهد ان لا اله الا الله واهديك الى
ربك اي ارشدك الى طاعة ربك فتخشى اي تخافه وتتقيه وقرا ابن كثير ونافع تزكى
بتشديد الزاي على ادغام التا في الزاي لان اصلها تتزكى الباقون تزكى بتخفيف
الزاي على معنى طرح التا وقال ابو عمرو تزكى بالتشديد الصدقة وتزكى تكون
زكيا مومنا وانما دعا فرعون ليكون زكيا مومنا قال فلهذا اخترنا التخفيف وقال
صخر بن جويرية لما بعث الله موسى الى فرعون فقال له اذهب الى فرعون قوله واهديك
الى ربك فتخشى ولن يفعل فقال يا رب وكيف اذهب اليه وقد علمت انه لا يفعل فاوحى
الله اليه ان امض الى ما امرت به فان في السما اثنا عشر الف ملك يطلبون علم القدر فلم
يجدوه ولم يبلغوه فاراه الاية الكبرى اي العلامة العظمى وهي المعجزة وقيل
العصا وقيل اليد البيضا تبرق كالشمس وروى الضحاك عن ابن عباس الاية الكبرى
قال العصا الحسن يده وعصاه وقيل فلق البحر وقيل الاية اشارة الى جميع معجزاته
واياته فكذب اي كذب نبي الله موسى وعصى اي عصى ربه جل وعز ثم ادبر يسعى
اي ولى مدبرا معرضا عن الايمان يسعى اي يعمل بالفساد في الارض وقيل يعمل في
نكاية موسى وقيل ادبر يسعى هاربا من الحية فحشر اي جمع اصحابه ليمنعوه منها وقيل
جمع جنوده للقتال والمحاربة والسحرة للمعارضة وقيل حشر الناس للحضور فنادى
فنادى اي قال لهم بصوت عال انا ربكم الاعلى لا رب فوقي وروي ان ابليس تصور
لفرعون في صورة الانس بمصر في الحمام فانكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما
تعرفني قال لا قال وكيف وانت خلقتني الست القايل انا ربكم الاعلى ذكره الثعلبي في كتاب
العرايس وقال عطا كان صنع لهم اصناما صغارا وامرهم بعبادتها فقال انا رب اصنامكم
وقيل اراد القادة والسادة هو ربهم واولئك هم ارباب السفلة وقيل في الكلام تقديم
وتاخير اي فنادى فحشر لان الندا يكون بعد الحشر فاخذه الله نكال الاخرة والاولى
اي نكال قوله ما علمت لكم من اله غيري وقوله بعد انا ربكم الاعلى قاله ابن عباس
وعكرمة ومجاهد وكان بين الكلمتين اربعون سنة قاله ابن عباس والمعنى امهله في
الاولى ثم اخذه في الاخرة فعذبه بكلمتيه وقيل نكال في الدنيا هو الغرق ونكال
الاخرة العذاب في الاخرة قاله قتاده وغيره وقال مجاهد عذاب اول عمره واخره
وقيل الاخرة قوله انا ربكم الاعلى والاولى تكذيبه لموسى عن قتاده ايضا ونكال
منصوب على المصدر المؤكد في قول الزجاج لان معنى اخذه الله نكل الله به فاخرج

مكانه مصدر من معناه لا من لفظه وقيل نصب بنزع حرف الصفة من اي فاخذه الله
بنكال الاخرة فلما نزع الخافض نصب وقال الفرا اي اخذه الله اخذا نكالا اي للنكال
والنكال اسم لما جعل نكالا للغير اي عقوبة له حتى يعتبر به يقال نكل فلان بفلان اذا
اثخنه عقوبة والكلمة من الامتناع ومنه النكول عن اليمين والنكل القيد وقد مضى في
سورة المزمل والحمد لله ان في ذلك لعبرة اي اعتبارا وعظة لمن يخشى اي يخاف الله عز
وجل قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السما بناها يريد اهل مكة اي اخلقكم بعد
الموت اشد في تقديركم ام السما فمن قدر على السما قدر على الاعاده وهذا كقوله
تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقوله اوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فمعنى الكلام التقريع والتوبيخ ثم وصف السما
فقال بناها اي رفعها فوقكم كالبنيان رفع سمكها اي علا سقفها في الهوا يقال
سمكت الشي اي رفعته في الهوا وسمك الشي سموكا ارتفع وقال الفرا كل شي حمل شيا
من البنا وغيره فهو سمك وبنا مسموك وسنام سامك تامك اي عال والسموكات السموات
ويقال اسمك في الريم اي اصعد في الدرجة وقوله تعالى فسواها اي خلقها خلقا
مستويا لا تفاوت فيه ولا شقوق ولا فطور واغطش ليلها اي جعله مظلما غطش الليل
واغطشه الله كقولك ظلم واظلمه ويقال ايضا اغطش الليل بنفسه واغطشه الله كما يقال
اظلم الليل واظلمه الله والغطش والغبش الظلمة ورجل اغطش اي اعمى او شبيه به وقد
غطش والمراة غطشا ويقال ليلة غطشا وليل اغطش وفلاة غطشى لا يهتدي لها قال الاعشى

۞ ويهما بالليل غطشى الفلاه ۞ يؤنسني صوت فيادها ۞ وقال ايضا
۞ عقرت لهم ناقتي موهنا ۞ وعامرهم مدلهم غاطش ۞

يعني بغامرهم ليلهم لانه غمرهم بسواده واضاف الليل الى السما لان الليل يكون
بغروب الشمس والشمس مضاف الى السما ويقال نجوم الليل لان ظهورها بالليل
واخرج ضحاها اي ابرز نهارها وضوءها وشمسها واضاف الضحى الى السما كما اضاف
الظلمة لان فيها سبب الظلام والضيا بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك
دحاها اي بسطها وهذا يشير الى ان الارض بعد السما وقد مضى القول فيه في اول
البقرة عند قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السما
مستوفى والحمد لله والعرب تقول دحوت الشي ادحوه دحوا اذا بسطته ويقال
لعش النعامة ادحي لانه مبسوط على وجه الارض وقال امية بن ابي الصلت

۞ وبث الخلق فيها اذ دحاها ۞ فهم قطانها حتى التنادي ۞ وانشد المبرد
۞ دحاها فلما راها استوت ۞ على الما ارسى عليها الجبالا ۞

وقيل دحاها سواها ومنه قول زيد بن عمرو ۞

۞ واسلمت وجهي لمن اسلمت ۞ له الارض تحمل صخرا ثقالا ۞
۞ دحاها فلما استوت شدها ۞ بايد وارسى عليها الجبالا ۞

وعن ابن عباس خلق الله الكعبة ووضعها على الما على اربعة اركان قبل ان يخلق
الدنيا بالفي عام ثم دحيت الارض من تحت البيت وذكر بعض اهل العلم ان بعد في موضع
مع كانه قال والارض مع ذلك دحاها كما قال عتل بعد ذلك زنيم ومنه قولهم
انت احمق وانت بعد هذا سيئ الخلق قال الشاعر ۞

۞ فقلت لها فيك الي ما بنى ۞ حرام واني بعد ذاك لبيب ۞

اي مع ذلك وقيل بعد بمعنى قبل كقوله تعالى ولقد كتبنا في الزبور من بعد
الذكر اي من قبل الفرقان قال ابو كبير الهذلي ۞

۞ حمدت الهي بعد عروة اذ نجا ۞ خراش وبعض الشر اهون من بعض ۞

وزعموا ان خراشا نجا قبل عروة وقيل دحاها حرثها وشقها قاله ابن زيد
وقيل دحاها مدها للاقوات والمعنى متقارب وقراءة العامة والارض بالنصب
اي دحا الارض وقرا الحسن وعمرو بن ميمون والارض بالرفع على الابتدا يقال

دحا يدحو دحوا ودحا يدحي دحيا كقولهم طغى يطغى طغوا وطغى يطغو طغيا ومحى يمحي
ونجا العدو يلجا ويلجو لغتان قال ابو دحوت ومن قال يدحا قال دحيت
اخرج منها اي من الارض ماءها اي من العيون المتفجرة بالما ومرعاها اي النبات الذي
يرعى وقال القتبي دل بشيئين على جميع ما اخرجه من الارض قوتا ومتاعا للانام
من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح
لان النار من العيدان والملح من الما والجبال ارساها يعني اثبتها فيها اوتادا لها وقرا الحسن وعمرو
ابن ميمون وعمرو بن عبيد ونصر وعن عاصم والجبال بالرفع على الابتدا ويقال
هلا ادخل حرف العطف على اخرج فيقال انه حال باضمار قد كقوله تعالى حصرت
صدورهم ان يقاتلوكم متاعا لكم اي منفعة لكم ولانعامكم من الابل والبقر والغنم
ومتاعا نصب على المصدر من غير اللفظ لان معنى اخرج منها ماءها ومرعاها امتع
بذلك وقيل نصب باسقاط حرف الصفة تقديره لتتمتعوا به متاعا قوله تعالى
فاذا جاءت الطامة الكبرى اي الداهية العظمى وهي النفخة الثانية التي يكون
معها البعث قاله ابن عباس في رواية الضحاك عنه وهو قول الحسن وعن ابن عباس
ايضا والضحاك انها القيامة سميت بذلك لانها تطم على كل شي فتعم ما سواها لعظم
هولها اي تغلبه وفي امثالهم جرى الوادي فطم على القرى قال المبرد الطامة
عند العرب الداهية التي لا تستطاع وانما اخذت فيما احسب من قولهم طم الفرس
طميما اذا استفرغ جهده في الجري وطم الما اذا ملا النهر كله قال غيره هي ماخوذة من
طم السيل الركية اي دفنها والطم الدفن والعلو وقال القاسم بن الوليد الهمداني
الطامة الكبرى حين يساق اهل الجنة الى الجنة واهل النار الى النار وهو معنى قول
مجاهد وقول مجاهد هي الساعة التي يسلم فيها اهل النار الى الزبانية اي الداهية
التي طمت وعظمت قال ۞ ان بعض الحب يعمي ويصم ۞ وكذاك البغض ادهى واطم ۞
قوله تعالى يوم يتذكر الانسان ما سعى اي ما عمل من خير او شر وبرزت الجحيم
لمن يرى اي ظهرت لمن يرى قال ابن عباس يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر
وقيل المراد الكافر الذي يرى النار بما فيها من اصناف العذاب وقيل يراها المومن
ليعرف قدر النعمة ويصلى الكافر بالنار وجوابه فاذا جاءت الطامة محذوف اي اذا
جاءت الطامة دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة وقرا مالك بن دينار وبرزت
الجحيم عكرمة وغيره لمن ترى بالتا اي لمن تراه الجحيم او لمن تراه انت يا محمد والخطاب
له عليه السلام والمراد به الناس قوله تعالى فاما من طغى اي تجاوز الحد
في العصيان قيل نزلت في النضر وابنه الحارث وهي عامة في كل كافر اثر الحياة
الدنيا على الاخرة وروي عن يحيى بن ابي كثير قال من اتخذ طعام واحد ثلاثة
ايام فقد طغى وروي جويبر عن الضحاك قال قال حذيفة اخوف ما اخاف على
هذه الامة ان يوثروا ما يرون على ما يعلمون وروي انه وجد في الكتب ان الله قال لا يوثر
عبد لي دنياه الا بنيت عليه همومه وضيعته ثم لا ابالي في ايها هلكت فان الجحيم هي
الماوى اي ماواه والالف واللام بدل من الهاء فاما من خاف مقام ربه اي حذر
مقامه بين يدي ربه وقال الربيع مقامه يوم الحساب وقال قتادة يقول
ان لله عز وجل مقاما قد خافه المومنون وقال مجاهد هو خوفه في الدنيا من
الله عز وجل عند مواقعة الذنب فيقلع نظيره ولمن خاف مقام ربه جنتان ونهى
النفس عن الهوى وقال عبد الله بن مسعود اي زجرها عن المعاصي والمحارم
وقال سهل ترك الهوى مفتاح الجنة لقول الله تعالى واما من خاف مقام ربه
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى اي المنزل والايتان نزلتا في مصعب
ابن عمير واخيه عامر بن عمير فروى الضحاك عن ابن عباس قال اما من طغى فهو اخ لمصعب
ابن عمير اسر يوم بدر فاخذته الانصار فقالوا من انت قال انا اخو مصعب بن عمير
فشدوه قال له ما هو لي باخ خذوا اسيركم فان امه اكثر اهل البطحا حليا ومالا فاوثقوه

حتى بعثك احد في ذا ابيه واما من خاف مقام ربه مصعب بن عمير وقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بنفسه يوم احد حين تفرق الناس عنه حين نفذت المشاقص
في جوفه وهي السهام فلما راه رسول الله صلى الله عليه وسلم متشحطا في دمه فقال
عند الله احتسبك وقال لاصحابه لقد رايته وعليه بردان ما يعرف قيمتهما وان
شراك نعله من ذهب وقيل ان مصعب بن عمير قتل اخاه عامرا يوم بدر وعن
ابن عباس ايضا قال نزلت هذه الاية في رجلين ابي جهل بن هشام المخزومي
وفي مصعب بن عمير العبدري قال السدي نزلت هذه الاية واما من خاف
مقام ربه في ابي بكر الصديق رضي الله عنه وذلك ان ابا بكر كان له غلام ياتيه
بطعام وكان يساله من اين اتيت بهذا فاتاه يوما بطعام فلم يساله واكله فقال
له غلامه لم لا تسالني اليوم فقال نسيت قال فمن اين لك هذا الطعام قال تكهنت
لقوم في الجاهلية فاعطونيه فتقياه من ساعته وقال يا رب ما بقي في العروق
فانت حبسته فنزلت واما من خاف مقام ربه وقال الكلبي فيمن هم بمعصية وقدر
عليها في الخلوة ثم تركها من خوف الله تعالى ونحوه عن ابن عباس يعني من خاف
عند المعصية مقام بين يدي الله فانتهى عنها والله اعلم قوله تعالى يسالونك
عن الساعة ايان مرساها قال ابن عباس سال مشركو مكة رسول الله صلى الله عليه
وسلم متى تكون الساعة استهزاء فانزل الله عز وجل الاية وقال عروة بن الزبير في قوله
تعالى فيم انت من ذكراها لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن الساعة حتى نزلت
الاية الى ربك منتهاها ومعنى مرساها اي قيامها قال الفرا رسوها قيامها كرسو السفينة
وقال ابو عبيدة اي منتهاها ومرسى السفينة حيث تنتهي وهو قول ابن عباس مرسى
مالها المعنى متقارب وقد مضى في الاعراف بيان ذلك وعن الحسن ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة الا بغضبة يغضبها ربك فيم انت من ذكراها اي في
اي شي انت يا محمد من ذكر القيامة والسوال عنها وليس لك السوال عنها وهذا معنى ما
رواه الزهري عن عروة بن الزبير قال لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يسال عن
الساعة حتى نزلت فيم انت من ذكراها الى ربك منتهاها اي منتهى علمها فكانه عليه
السلام لما كثروا عليه سال الله ان يعرفه ذلك فقيل له لا تسال فلست في شي من ذلك
ويجوز ان يكون انكارا على المشركين في مسالتهم اي فيم انت من ذلك حتى يسالوك بيانه
ولست ممن يعلمه روي معناه عن ابن عباس والذكرى بمعنى الذكر الى ربك منتهاها
اي منتهى علمها فلا يوجد عند غيره وهو كقوله تعالى قل انما علمها عند ربي لا يجليها
وقوله تعالى ان الله عنده علم الساعة انما انت منذر من يخشاها اي مخوف وخص
الانذار بمن يخشى لانهم المنتفعون به وان كان منذرا لكل مكلف وهو كقوله تعالى انما
تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب وقراءة العامة منذر بالاضافة غير منون
طلبا للتخفيف وان لا اصله التنوين لانه للمستقبل وانما لا ينون في الماضي قال
الفرا يجوز التنوين وتركه كقوله تعالى بالغ امره وبالغ امره وموهن كيد الكافرين
والتنوين الاصل وبه قرا ابو جعفر وشيبة والاعرج وابن محيصن وحميد وعياش
عن ابي عمرو ومنذر منونا وتكون في موضع نصب والمعنى انما ينتفع بانذارك من
يخشى الساعة وقال ابو علي يجوز ان تكون الاضافة للماضي نحو ضارب زيد امس
لانه قد فعل الانذار والاية رد على من قال احوال الاخرة غير محسوسة وانما
هي راحة الروح او تالمها من غير حس كانهم يوم يرونها يعني الكفار يرون الساعة
لم يلبثوا في دنياهم الا عشية او ضحاها اي قدر الضحى الذي يلي تلك العشية والمراد
تقليل مدة الدنيا كما قال لم يلبثوا الا ساعة من نهار وروى الضحاك عن ابن عباس
قال كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا يوما واحدا وقيل لم يلبثوا في قبورهم الا عشية او
ضحاها وذلك انهم استقصروا مدة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول وقال الفرا
يقول القايل وهل للعشية ضحى انما الضحى لصدر النهار ولكن اضيف الضحى الى العشية

وهي اليوم الذي يكون فيه على عادة العرب يقولون اتيتك الغداة او عشيتها واتيتك العشية
او غدها فتكون العشية في معنى اخر النهار والغداة في معنى اول النهار قال وانشدني
بعض بني عقيل * نحن صبحنا عامرا في دارها * جردا تعادى طرفي نهارها *
اراد عشية الهلال او عشية سرار العشية فهذا اشكل من اتيتك الغداة او عشيتها والله اعلم

سورة عبس مكية في قول الجميع وهي احدى واربعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى عبس وتولى فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى عبس اي كلح بوجهه
ان جاءه اي في موضع نصب لانه مفعول له المعنى لان جاءه الاعمى اي الذي لا يبصر بعينيه فروى
اهل التفسير اجمع ان قوما من اشراف قريش كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم وقد طمع في
اسلامهم فاقبل عبد الله بن ام مكتوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عبد الله
عليه كلامه فاعرض عنه ففيه نزلت هذه الاية قال مالك ان هشام بن عروة حدثه
عن عروة انه قال نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
يقول يا محمد استدنيني وعند النبي صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل النبي
صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الاخر ويقول يا فلان هل ترى بما اقول باسا
فيقول لا والدما ما ارى بما تقول باسا فانزل الله عز وجل عبس وتولى وفي الترمذي
مسندا حدثنا سعيد بن يحيى بن سعيد الاموي حدثني ابي قال هذا ما عرضنا على هشام
ابن عروة عن ابيه عن عايشة قالت نزلت عبس وتولى في ابن ام مكتوم الاعمى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول يا رسول الله ارشدني وعند رسول الله صلى الله عليه
وسلم رجل من عظماء المشركين فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على
الاخر ويقول اترى بما اقول باسا فيقول لا ففي هذا انزل قال حديث غريب الثانية الاية عتاب
من الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم لتوليه واعراضه عن عبد الله بن ام مكتوم ويقال
عمرو بن ام مكتوم واسم ام مكتوم عاتكة بنت عامر بن مخزوم وعمرو هذا هو ابن قيس ابن
زايدة ابن الاصم وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وكان قد تشاغل عنه برجل من عظماء
المشركين يقال له الوليد بن المغيرة قال ابن العربي فاما المالكية من علماينا فقالوا يكنى ابا عبد
شمس وقال قتادة هو امية بن خلف وعنه ابي بن خلف وقال مجاهد كانوا ثلاثة
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابي بن خلف وقال عطا عتبة بن ربيعة وقال سفيان الثوري
كان النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه العباس وقال الزمخشري كان عنده صناديد قريش
عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية بن خلف
والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم قال ابن العربي
اما قول علماينا انه الوليد بن المغيرة فقد قال اخرون انه امية بن خلف والعباس وهذا
كله باطل وجهل من المفسرين الذين لم يتحققوا الدين وذلك ان امية بن خلف والوليد
كانا بمكة وابن ام مكتوم بالمدينة ما حضر معهما ولا حضرا معه وكان موتهما كافرين احدهما
قبل الهجرة والاخر في بدر ولم يقصد قط امية المدينة ولا حضر معه مفردا ولا مع احد
الثالثة اقبل ابن ام مكتوم والنبي صلى الله عليه وسلم مشتغل بمن حضره من وجوه
قريش يدعوهم الى الله تعالى وقد قوي طمعه في اسلامهم وكان في اسلامهم اسلام
من وراهم من قومهم فجا ابن ام مكتوم وهو اعمى فقال يا رسول الله صلى الله عليه وسلم
علمني مما علمك الله وجعل يناديه ويكثر النداء ولا يدري انه مشتغل بغيره حتى ظهرت
الكراهة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقطعه كلامه وقال في نفسه يقول
هولاء انما اتباعه العميان والسفلة والعبيد فعبس واعرض فنزلت الاية قال الثوري
فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك اذا راى ابن ام مكتوم بسط له رداءه ويقول
مرحبا بمن عاتبني فيه ربي ويقول هل من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين في غزوتين

تراها قال ابن قرابيه يوم القادسيه وعليه درع ومعه راية سودا الراجح قال
عليا وانما جعله ابن ام مكتوم كان من سوء الادب لو كان عالما بان النبي صلى الله عليه وسلم
مشغول بغيره وانه يرجو اسلامهم ولكن الله تعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب اهل
الصفه وليعلم ان المومن الفقير خير من الغني وكان النظر الي المومن اولي وان كان فقيرا اصلح
واولي من الامر الاخر وهو الاقبال على الاغنيا طمعا في ايمانهم وان كان ذلك ايضا نوعا من
المصلحة وعلى هذا يخرج قوله تعالى ما كان لنبي ان تكون له اسرى الاية على ما تقدم وقيل
انما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تاليف الرجل ثقة بما كان في قلب ابن ام مكتوم من الايمان
كما قال اني لاعطي الرجل وغيره احب الي منه مخافة ان يكبه الله في النار على وجهه الخامسة
قال ابن زيد انما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن ام مكتوم واعرض عنه لانه اشار الي
الذي يقوده ان يكفه فدفعه ابن ام مكتوم وابي الا ان يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فكان
في هذا نوع جفا منه ومع هذا انزل الله في حقه على نبيه عبس وتولى بلفظ الاخبار عن
الغايب تعظيما له ولم يقل عبست وتوليت ثم اقبل عليه بمواجهة الخطاب تانيسا له فقال
وما يدريك لعله اي وما يعلمه ان ابن ام مكتوم يزكى بما استدعى منك تعليمه اياه من القران
والدين بان يزداد طهارة في دينه وزوال ظلمة الجهل عنه وقيل الضمير في لعله يعني انك
اذا طمعت في ان تزكى بالاسلام او يذكر فتقربه الذكرى الي قبول الحق وما يدريك اي ما طمعت
في ان يتزكى بالاسلام وقرا الحسن ان جاه الاعمى بالمد على الاستفهام فان متعلقه بفعل
محذوف دل عليه عبس وتولى التقدير ان جاه اعرض عنه وتولى فيوقف على هذه القراه
على تولى وعلى قراءة الخبر لا يوقف عليه وهي قراءة العامة السادس نظير هذه المسلة الاية
في العتاب قوله تعالى في سورة الانعام ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
وكذلك قوله في سورة الكهف ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا وما كان
مثله والله اعلم قوله تعالى او يذكر فتنفعه الذكرى اي يتعظ بما تقول فتنفعه الذكرى
اي العظة وقراءة العامة وابن ابي اسحاق وعيسى فتنفعه نصبا وهي قراءة السلمي وزر
ابن حبيش على جواب لعل لانه غير موجب كقوله تعالى لعلي ابلغ الاسباب ثم قال
فاطلع قوله تعالى اما من استغنى اي كان ذا ثروة وغنى فانت له تصدى اي تعرض
له وتصغي لكلامه والتصدي الاصغا قال الراعي

تصدى لوضاح كان جبينه ... سراج الدجى يحني اليه الاساور

واصله يتصدد من الصدد وهو ما استقبلك وصار قبالتك يقال داري صدد دار
فلان اي قبالتها نصب على الظرف ويقال من الصدى وهو العطش اي يتعرض له
كما يتعرض العطشان للماء والمصاداة المعارضة وقراءة العامة تصدى بالتخفيف على
طرح التاء الثانية تخفيفا وقرا نافع وابن محيصن بالتشديد على الادغام وما عليك
الا يزكى اي لا يهتدي هذا الكافر ولا يومن انما انت رسول ما عليك الا البلاغ قوله
تعالى واما من جاءك يسعى يطلب العلم لله وهو يخشى اي يخاف الله فانت عنه تلهى
اي تعرض بوجهك عنه وتشتغل بغيره واصله تتلهى يقال لهيت عن الشي الهى اي
تشاغلت عنه والتلهي التغافل ولهيت عنه وتلهيت عنه بمعنى قوله تعالى كلا
انها تذكرة كلا كلمة ردع وزجر اي ما الامر كما تفعل بعدها مثلها من اقبالك على الغني
واعراضك عن المومن الفقير والذي جرى من النبي صلى الله عليه وسلم كان ترك
الاولى كما تقدم ولو حمل على صغيرة لم يبعد قاله القشيري والوقف على كلا على
هذا الوجه بمعنى حقا انها اي السورة وايات القران تذكرة اي موعظة وتبصرة للخلق
فمن شاء ذكره اي اتعظ بالقران قال الجرجاني انها اي القران والقران مذكر الا انه
لما جعل القران تذكرة اخرجه على لفظ التذكرة ولو ذكره لجاز كما قال في موضع اخر
كلا انه تذكرة ويدل على انه اراد القران قوله فمن شاء ذكره اي كان حافظا
له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة في معنى الذكر والوعظ وروى ابن عباس في
قوله تعالى فمن شاء ذكره قال من شاء الله تبارك وتعالى الهمه ثم اخبر فقال في

صحف

صحف جمع صحيفة مكرمة اي عند الله تعالى قاله السدي وقال الطبري اي مكرمة في الدين
لما فيها من العلم والحكم وقيل مكرمة لانها نزل بها كرام الحفظة ولانها نازلة من اللوح
المحفوظ وقيل لانها نزلت من كريم لان كرامة الكتاب من كرامة صاحبه وقيل المراد كتب
الانبياء دليله ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى مرفوعة اي رفيعة القدر
عند الله وقيل رفيعة عنده تبارك وتعالى وقيل مرفوعة في السما السابعة قاله يحيى
ابن سلام قال الطبري مرفوعة الذكر والقدر وقيل مرفوعة عن الشبه والتناقض [illegible]
مطهرة قال الحسن من كل دنس وقيل مصانة عن ان ينالها الكفار وهو معنى قول
السدي وعن الحسن ايضا مطهرة من ان تنزل على المشركين وقيل ان القران اثبت للملائكة
في صحف يقرونها فهي مكرمة مرفوعة مطهرة بايدي سفرة اي الملائكة الذين جعلهم سفرا بينه
وبين رسله فهم بررة لم يتدنسوا بمعصية وروى ابو صالح كتبة وقال مجاهد ايضا وهم
الملائكة الكرام الكاتبون لاعمال العباد في الاسفار التي هي الكتب واحدهم سافر كقولهم
كاتب وكتبة ويقال سفرت اي كتبت والكاتب هو السافر وجمعه اسفار قال الزجاج وانما
قيل للكتاب سفر بكسر السين وللكاتب سافر لان معناه انه يبين الشي ويوضحه يقال
اسفر الصبح اذا اضا وسفرت المراة اذا كشفت النقاب عن وجهها قال ومنه سفرت بين القوم
اسفر سفارة اصلحت بينهم وقاله الفرا وانشد

فما ادع السفارة بين قومي ... ولا امشي بغش ان مشيت

والسفير الرسول والمصلح بين القوم والجمع سفرا مثل فقيه وفقها ويقال للورا في سفرا
بلغة العبرانية وقال قتادة السفرة هنا هم القرا لانهم يقرون الاسفار وعنه ايضا كقول
ابن عباس وقال وهب بن منبه بايدي سفرة هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم سفرة كراما بررة ولكن ليسوا بمرادين بهذه الاية ولا قاربوا المراد بها بل هي لفظة
مخصوصة بالملائكة عند الاطلاق ولا يشاركهم فيها سواهم ولا يدخل معهم في متناولها
غيرهم وروي في الصحيح عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الذي يقرا القران وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله اجران متفق عليه واللفظ للبخاري
كرام اي كرام على ربهم قاله الكلبي وقال الحسن كرام عن المعاصي فهم يرفعون انفسهم عنها وروى
الضحاك عن ابن عباس في كرام قال يتكرمون ان يكونوا مع ابن ادم اذا خلا بزوجته او تبرز
لغايط وقيل اي يوثرون منافع غيرهم على منافع انفسهم بررة اي جمع بار مثل كفرة وكافر
وسحرة وساحر وفجرة وفاجر يقال بار وبر اذا كان اهلا للصدق ومنه بر فلان في يمينه
اي صدق وفلان يبر خالقه ويتبرره اي يطيعه فمعنى بررة مطيعين لله صادقين لله في
اعمالهم وقد مضى في سورة الواقعة قوله انه لقران كريم في كتاب مكنون لا يمسه الا
المطهرون انهم الكرام البررة في هذه السورة قوله تعالى قتل الانسان ما اكفره قيل
اي لعن وقيل عذب والانسان الكافر روى الاعمش عن مجاهد قال ما كان في القران
قتل الانسان فانما عني به الكافر وروى الضحاك عن ابن عباس قال نزلت في عتبة
ابن ابي لهب وكان قد امن فلما نزلت والنجم ارتد وقال امنت بالقران كله الا النجم
فانزل الله جل ثناؤه فيه قتل الانسان اي لعن عتبة حيث كفر بالقران ودعا عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك اسد الغاضرة
قال فخرج من فوره ذلك لتجارة الي الشام فلما انتهى الي الغاضرة تذكر دعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم فجعل لمن معه الف دينار ان هو اصبح حيا فجعلوه في وسط الرفقة
وجعلوا المتاع حوله فبيناهم كذلك اقبل الاسد فلما دنا من الرحال وثب فاذا هو فوقه
فمزقه وقد كان ابوه ندبه وبكى وقال ما قال محمد شيا قط الا كان وروى ابو صالح
عن ابن عباس ما اكفره اي اي شي اكفره وقيل ما تعجب وعادة العرب اذا تعجبوا من
شي قالوا قاتله الله ما احسنه واخزاه الله ما اظلمه والمعنى اعجبوا من كفر الانسان
لجميع ما ذكر بعد هذا وقيل ما اكفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة احسانه اليه على التعجب
ايضا قال ابن جريج اي ما اشد كفره وقيل ما استفهام اي اي شي دعاه الي الكفر فهو استفهام

توبيخ وما يحتمل التعجب ويحتمل معنى اي فيكون استفهاما من اي شي خلقه اي من اي شي خلق الله هذا الكافر فيتكبر اي اعجبوا لخلقه من نطفة اي من ما يسير مهين جماد خلقه الله فلم يغلط في نفسه قال الحسن كيف يتكبر من خرج من سبيل البول مرتين فقدره في بطن امه كذا روى الضحاك عن ابن عباس اي قدر يديه ورجليه وعينيه وسائر آرابه وحسنا ودميما وقصيرا وطويلا وشقيا وسعيدا وقيل اي فقدره اي سواه كما قال اكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا وقيل الذي خلقك فسواك وقيل فقدره اطوارا اي من حال الى حال نطفة ثم علقة الى ان تم خلقه ثم السبيل يسره قال ابن عباس في رواية عطا وقتادة والسدي ومقاتل يسره للخروج من بطن امه مجاهد يسره لطريق الخير والشر اي بين له ذلك دليله انا هديناه السبيل وهديناه النجدين وقاله الحسن وعطا وابن عباس ايضا في رواية ابي صالح عنه وعن مجاهد ايضا قال في سبيل الشقا والسعادة قال ابن زيد سبيل الاسلام وقال ابو بكر ابن طاهر يسر على كل احد ما خلقه له وقدره عليه دليله قوله عليه السلام اعملوا فكل ميسر لما خلق له ثم اماته فاقبره اي جعل له قبرا يواري فيه اكراما له ولم يجعله مما يلقى على وجه الارض تاكله الطير والعوافي قاله الفرا وقال ابو عبيدة اقبره جعل له قبرا وامر ان يقبر قال ابو عبيدة ولما قتل عمر ابن هبيرة صالح بن عبد الرحمن قالت بنو تميم ودخلوا عليه اقبرنا صالحا فقال دونكموه وقال اقبره ولم يقل قبره لان القابر هو الدافن بيده قال الاعشى

• لو اسندت ميتا الى نحرها • عاش ولم ينقل الى قابر •

يقال قبرت الميت اذا دفنته واقبره الله اي صيره بحيث يقبر وجعل له قبرا ذنب البعير وابتره الله وعضبت قرن الثور واعضبه الله وطردت فلانا والله اطرده اي صيره طريدا ثم اذا شاء انشره اي احياه بعد موته وقراءة العامة انشره بالالف وروى ابو حيوة عن نافع وشعيب بن ابي حمزة نشره بغير الف لغتان فصيحتان بمعنى يقال انشر الله الميت ونشره قال الاعشى

• حتى يقول الناس مما راوا • يا عجبا للميت الناشر •

قوله تعالى كلا لما يقض ما امره قال مجاهد وقتادة لما يقض ما امر به وقال ابن عباس يقول لما لم يقض ما امره اي لم يف بالميثاق الذي اخذ عليه في صلب ادم ثم كلا ردع وزجر اي ليس الامر كما يقول الكافر فان الكافر اذا اخبر بالنشور قال لئن رددت الى ربي ان لي عنده للحسنى وربما يقول قضيت ما امرت به فقال كلا لما يقض شيئا بل هو كافر بي وبرسولي كقوله فبما رحمة من الله لنت لهم وقوله عما قليل ليصبحن نادمين وقال الامام ابن فورك اي كلا لما يقض الله لهذا الكافر ما امره به من الايمان بل امره بما لم يقض له ابن الانباري الوقف على كلا قبيح والوقف على امره وانشره جيد فكلا على هذا بمعنى حقا قوله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه لما ذكر سبحانه ابتدا خلق الانسان ذكر ما يسر من رزقه اي فلينظر كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته وكيف هيا له اسباب المعاش ليستعد بها للمعاد وروي عن الحسن ومجاهد قال فلينظر الانسان الى طعامه اي الى مدخله ومخرجه وروى ابن ابي خيثمة عن الضحاك بن سفيان الكلابي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ما طعامك قلت يا رسول الله اللحم واللبن قال ثم يصير الى ماذا قلت الى ما قد علمته قال فان الله تعالى ضرب ما يخرج من ابن ادم مثلا للدنيا وقال ابي بن كعب قال النبي صلى الله عليه وسلم ان مطعم ابن ادم جعل مثلا للدنيا وان قزحه واصلحه فلينظر الى ما يصير وقال ابن الوليد سالت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلا فينظر ما يخرج منه قال ياتيه الملك فيقول انظر ما بخلت به الى ما صار قوله تعالى انا صببنا الما صبا قراءة العامة انا بالكسر على الاستئناف وقرا الكوفيون ورويس عن يعقوب انا بفتح الهمزة فان في موضع خفض على الترجمة عن الطعام فهو بدل منه كانه قال فلينظر الانسان الى انا صببنا فلا يحسن

الوقف

الوقف على طعامه من هذه القراءة وكذلك ان وقعت ان باضمار هو انا صببنا لانه في حال رفع فهي مترجمة عن الطعام وقيل المعنى لانا صببنا الما فاخرجنا به الطعام اي كذلك كان وقرا بعض القرا انى صببنا بمعنى كيف فمن اخذ بهذه القراءة قال الوقف على طعامه تام ويقال معنى انى اين الا انها فيها كناية عن الوجوه وتاويلها من اي وجه صببنا الما قال الكميت

• انى ومن اين آبك الطرب • من حيث لا صبوة ولا ريب •

صببنا الما صبا اي الغيث والامطار ثم شققنا الارض شقا اي بالنبات فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا اي قمحا وشعيرا وسلتا وسائر ما يحصد ويدخر وعنبا وقضبا وهو القت والعلف عن الحسن سمي بذلك لانه يقضب اي يقطع بعد ظهوره مرة بعد مرة قال القتبي وثعلب واهل مكة يسمون القت القضب وقال ابن عباس هو الرطب لانه يقضب من النخل ولانه ذكر العنب قبله وعنه ايضا انه الفصفصة وهو القت الرطب قال الخليل القضب الفصفصة الرطبة وقيل بالسين فاذا يبست فهو قت قال والقضب اسم يقع على ما يقضب من اغصان الشجر ليتخذ منها سهام او قسي ويقال قضبا يعني جميع ما يقضب مثل القت والكراث والقضب الرطبة وهي الاسفست بالفارسية والموضع الذي ينبت فيه مقضبة وزيتونا وهي شجرة الزيتون ونخلا يعني النخيل وحدائق اي بساتين واحدها حديقة قال الكلبي وكل شي احيط عليه من نخيل او شجر فهو حديقة وما لم يحط به فليس بحديقة غلبا اي عظاما شجرها يقال شجرة غلبا ويقال للاسد الاغلب لانه مصمت العنق لا يلتفت الا جميعا قال العجاج

• ما زلت يوم البين الوي صلبي • والراس حتى صرت مثل الاغلب •

ورجل اغلب بين الغلب اذا كان غليظ الرقبة والاصل في الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معدي كرب

• يمشي بها غلب الرجال كانهم • بزل كسين من الكحيل جلالا •

وحديقة غلبا ملتفة وحدائق غلب وقد اغلولب العشب بلغ والتف البعض بالبعض قال ابن عباس الغلب جمع اغلب وغلبا وهي الغلاظ وعنه ايضا الطوال قتادة وابن زيد الغلب النخل الكرام وعن ابن زيد ايضا وعكرمة عظام الاوساط والجذوع وقال مجاهد ملتفة وفاكهة ما ياكله الناس من ثمار الاشجار كالتين والخوخ وغيرهما وابا هو ما تاكله البهائم من العشب قال الحسن وابن عباس كل ما انبتت الارض مما لا ياكله الناس وما ياكله الادميون هو الحصيد ومنه قول الشاعر في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال

• له دعوة ميمونة ريحها الصبا • بها ينبت الله الحصيدة والابا •

وقيل انما سمي ابا لانه يؤب اي يؤم وينتجع والاب والام اخوان قال الشاعر

• جذمنا قيس ونجد دارنا • ولنا الاب به والمكرع •

وقال الضحاك الاب كل شي ينبت على وجه الارض وكذا قال ابو رزين هو النبات يدل عليه قول ابن عباس قال الاب ما تنبت الارض مما ياكل الناس والانعام وعن ابن عباس ايضا وابن ابي طلحة الاب الثمار الرطبة وقال الضحاك هو التبن خاصة وهو محكي عن ابن عباس قال الشاعر

• فما لهم مرتع للسوام • والاب عندهم يقدر •

قال الكلبي هو كل نبات سوى الفاكهة وقيل الفاكهة رطب الثمار والاب يابسها وقال ابراهيم التيمي سئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير الفاكهة والاب فقال اي سما تظلني واي ارض تقلني اذا قلت في كتاب الله ما لا اعلم وقال انس سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قرا هذه الاية ثم قال كل هذا قد عرفناه فما الاب ثم رفع عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن ام عمر الا تدري ما الاب ثم قال اتبعوا ما بين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة الاية والرزق من سبع

فاسجدوا لله على سبع وانما اراد بقوله خلقتم من سبع يعني من نطفة ثم من علقة الاية والرزق من سبع وهو قوله تعالى فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا الى قوله وفاكهة وابا وهو يدل على انه ليس برزق لابن آدم وانه مما يختص به البهائم انبات هذه الاشياء امتاعا لجميع الحيوانات وهذا ضرب مثل ضربه الله تعالى ليبعث الموتى من قبورهم كنبات الزرع بعد دثوره كما تقدم بيانه في غير موضع ايضا قوله تعالى فاذا جاءت الصاخة لما ذكر امر المعاش ذكر امر المعاد ليتزودوا له بالاعمال الصالحة وبالانفاق مما امتن به عليهم والصاخة الصيحة التي تكون عنها القيامة وهي النفخة الثانية تصيخ الاسماع اي تصمها فلا تسمع الا ما تدعى به الاحيا وذكر ناس من المفسرين قال تصيخ لها الاسماع من قولك اصاخ الى كذا اي استمع اليه ومنه الحديث ما من دابة الا وهي مصيخة يوم الجمعة شفقا من الساعة الا الجن والانس وقال الشاعر

• يصيخ للنبأة اسماعه • اصاخة الناشد للمنشد •

قال بعض العلما وهذا يوخذ على جهة التسليم للقدما فاما اللغة فمقتضاها القول الاول قال الخليل الصاخة صيحة تصخ الاذان صخا اي تصمها لشدة وقعها واصل الكلمة في اللغة الصك الشديد وقيل هو ماخوذ من صخه بالحجر اذا صكه قال الراجز

• يا جارتي هل لك ان تجالدي • جلادة كالصك بالجلامد •

ومن هذا الباب قول العرب صختهم الصاخة وباتتهم البائنة اي الداهية قال الطبري احسبه من صخ فلان فلانا اذا اصمه قال ابن العربي الصاخة التي تورث الصمم وانها لمسمعة وهذا من بديع الفصاحة حتى لقد كان بعض حديثي الاسنان حديثي الازمان قال

• اصم بك الناعي وان كنت اسمعا • وقال اخر

• اصمني سرهم ايام فرقتهم • فهل سمعتم بسر يورث الصمما •

ولعمر الله ان القيامة مسمعة تصم عن الدنيا وتسمع امور الاخرة قوله تعالى يوم يفر المرء اي يهرب اي تجي الصاخة في هذا اليوم الذي يهرب فيه المرء من اخيه اي من موالاة اخيه ومكالمته لانه لا يتفرغ لذلك لاشتغاله بنفسه كما قال بعده لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه اي يشغله عن غيره وقيل انما يفر حذرا من مطالبتهم اياه بما بينهم من التبعات وقيل لئلا يروا ما هو فيه من الشدة وقيل لعلمه انهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيا كما قال يوم لا يغني مولى عن مولى شيا وقال عبد الله بن طاهر الابهري يفر منهم لما تبين له من عجزهم وقلة حيلتهم الى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد شيا سوى ربه تعالى وصاحبته اي زوجته وبنيه اي اولاده وذكر الضحاك عن ابن عباس قال يفر قابيل من اخيه هابيل ويفر النبي صلى الله عليه وسلم من امه وابراهيم من ابيه ونوح من ابنه ولوط من امراته وادم من سوءة بنيه وقال الحسن اول من يفر يوم القيامة من ابيه ابراهيم واول من يفر من ابنه نوح واول من يفر من امراته لوط قال فيرون ان هذه الاية نزلت فيهم وهذا فرار التبري لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه في صحيح مسلم عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا قلت يا رسول الله الرجال والنسا جميعا ينظر بعضهم الى بعض قال يا عايشة الامر اشد من ان ينظر بعضهم الى بعض الترمذي عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس حفاة عراة غرلا فقالت امراة ايبصر او يرى بعضنا عورة بعض قال يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه قال حديث حسن صحيح وقراه ابن محيصن يعنيه بفتح اليا وعين غير معجمة اي يعنيه امره وقال القتبي يغنيه يصرفه ويصده عن قرابته ومنه يقال اغن عني وجهك اي اصرفه واغن عني السفيه قال خفاف • سيغنيك حرب بني مالك • عن الفحش والجهل في المحفل •

قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة مضيئة قد علمت ما لها من الفوز والنعيم وهي وجوه المومنين ضاحكة اي مسرورة فرحة مستبشرة اي بما اتاها الله من الكرامة وقال

عطا الخراساني مسفرة من طول ما اغبرت في سبيل الله جل ثناوه ذكره ابو نعيم قال الضحاك من اثار الوضوء ابن عباس من قيام الليل لما روي في الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار يقال اسفر الصبح اذا اضاء ووجوه يومئذ عليها غبرة اي غبار ودخان ترهقها اي تغشاها قترة اي كسوف وسواد كذا قال ابن عباس وعنه ايضا ذلة وشدة والقتر في كلام العرب الغبار جمع القترة عن ابي عبيد وانشد الفرزدق

• متوج برداء الملك يتبعه • موج ترى فوقه الرايات والقترا •

وفي الخبر ان البهائم اذا صارت ترابا يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار وقال زيد بن اسلم القترة ما ارتفعت الى السما والغبرة ما انحطت الى الارض والغبار والغبرة واحد اولئك هم الكفرة الفجرة جمع كافر والفجرة جمع فاجر وهو الكاذب المفتري على الله وقيل الفاسق فجر فجورا اي فسق وفجر اي كذب واصله الميل والفاجر المايل وقد مضى بيانه والكلام فيه

سورة التكوير مكية في قول الجميع

وهي تسع وعشرون اية وفي الترمذي عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى يوم القيامة فليقرا اذا الشمس كورت واذا السما انفطرت واذا السما انشقت وقال هذا حديث حسن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا الشمس كورت قال ابن عباس تكويرها ادخالها في العرش الحسن ذهاب ضوئها وقاله قتادة ومجاهد وروي عن ابن عباس ايضا وقال سعيد بن جبير غورت ابو عبيدة كورت مثل تكوير العمامة تلف فتمحى وقال الربيع بن خثيم كورت رمي بها ومنه كورته فتكور اي سقط قلت واصل التكوير الجمع ماخوذ من كار العمامة على راسه يكورها اي لاثها وجمعها فهي تكور ويمحى ضوؤها ثم يرمى بها والله اعلم وعن ابي صالح كورت نكست واذا النجوم انكدرت اي تهافتت وتناثرت وقال ابو عبيدة انصبت كما ينصب العقاب اذا انكدرت قال العجاج يصف صقرا • ابصر خربان فضاء فانكدر • تقضي البازي اذا البازي كسر • وروى ابو صالح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبقى في السما يومئذ نجم الا سقط في الارض حتى يفزع اهل الارض السابعة مما لقيت او اصاب العليا يعني الارض وروى الضحاك عن ابن عباس قال تساقطت وذلك انها قناديل معلقة بين السما والارض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بايدي ملايكة من نور فاذا جاءت النفخة الاولى مات من في السموات ومن في الارض فتناثرت الكواكب وتساقطت السلاسل من ايدي الملايكة لانه مات من كان يمسكها ويحتمل ان يكون انكدارها طمس اثارها وسميت النجوم نجوما لظهورها في السما بضوئها وعن ابن عباس ايضا انكدرت تغيرت فلم يبق لها ضوء لزوالها عن اماكنها والمعنى متقارب واذا الجبال سيرت يعني قلعت عن الارض وسيرت في الهوا وهو مثل قوله تعالى ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وقيل سيرها ان تحول عن منزلة الحجارة فتكون كثيبا مهيلا اي رملا سايلا وتكون هبا منبثا وتكون سرابا مثل السراب الذي ليس بشي وعادت الارض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا وقد تقدم في غير موضع والحمد لله واذا العشار عطلت اي النوق الحوامل التي في بطونها اولادها الواحدة عشرا وهي التي اتى عليها في الحمل عشرة اشهر الامر الى ذلك اسمها حتى تضع وبعد ما تضع ايضا ومن عادة العرب ان يدعوا الشي باسمه المتقدم وان كان قد جاوز ذلك يقول الرجل لفرسه وقد قرح هاتوا مهري لسميه بمتقدم اسمه قال عنترة

• لا تذكري مهري وما اطعمته • فيكون جلدك مثل جلد الاجرب •

وقال ايضا وحملت مهري وسطها فمضاها وانما خص العشار بالذكر لانها اعز ما يكون عند العرب وليس يعطلها اهلها الا حال القيامة وهذا على وجه المثل لان في القيامة لا تكون ناقة عشرا ولكن اراد به المثل اي هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشرا لعطلها واشتغل بنفسه وقيل انهم اذا قاموا من قبورهم وشاهد بعضهم بعضا وراوا الوحوش والدواب محشورة وفيها عشارهم التي كانت انفس اموالهم لم يعبوا بها ولم يهمهم امرها وخوطبت العرب

باسم العشار لان مالها وعيشها اكثره من الابل وروي الضحاك عن بن عباس عطلت
عطلها اهلها لاشتغالهم بانفسهم وقال الاعشى
• هو الواهب المائة المصطفاة • اما مخاضا واما عشارا • وقال اخر
• ترى المرء مهجورا اذا قل ماله • وبيت الغني يهدى له ويزار •
• وما ينفع الزوار مال مزورهم • اذا سرحت شول له وعشار •
يقال ناقة عشراء وناقتان عشراوان ونوق عشار وعشراوات يبدلون همزة التانيث
واوا وقد عشرت الناقة تعشيرا اي صارت عشراء وقيل العشار السحاب يعطل مما يكون فيه
وهو الماء لا يمطر والعرب تشبه السحاب بالحامل وقيل الديار تعطل فلا تسكن وقيل الارض
التي تعشر زرعها تعطل فلا تزرع والاول اشهر وعليه من الناس الاكثر واذا الوحوش
حشرت اي جمعت والحشر الجمع عن الحسن وقتادة وغيرهما وقال بن عباس حشرها موتها
رواه عكرمة وحشر كل شيء الموت غير الجن والانس فانهما يوافيان يوم القيامة وعن بن
عباس ايضا يحشر حتى الذباب قال بن عباس يحشر الوحوش غدا اي يجمع حتى يقتص
لبعضها من بعض فيقتص للجماء من القرناء ثم يقال لها موتي فتموت وهذا اصح مما رواه
عنه عكرمة وقد بيناه في كتاب التذكرة مستوفى وقد مضى في الانعام بعضه اي ان
الوحوش اذا كانت هذه حالها فكيف ببني ادم وقيل عني بهذا وقيل انها اي انها مع نفرتها
اليوم من الناس وتبددها في الصحاري تنضم غدا الى الناس من اهوال ذلك اليوم قال
معناه ابي بن كعب واذا البحار سجرت اي ملئت من الماء والعرب تقول سجرت الحوض اسجره
سجرا اذا ملاته وهو مسجور والمسجور والساجر في اللغة الملآن وروى الربيع بن خثيم
سجرت فاضت وملئت وقاله الكلبي ومقاتل والضحاك قال بن ابي زمنين سجرت حقيقته
ملئت فيفضي بعضها الى بعض فتصير شيئا واحدا وهو معنى قول الحسن وقيل ارسل عذبها
على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلات عن الضحاك ومجاهد اي فجرت فصارت بحرا
واحدا قال القشيري وذلك بان يرفع الله الحاجز الذي ذكر في قوله تعالى بينهما برزخ
لا يبغيان رفع ذلك البرزخ تفجرت مياه البحار فعمت الارض البحار كلها وصارت البحار
بحرا واحدا ماء للحميم لاهل النار وعن الحسن ايضا وقتادة وبن حيان تيبس ولا يبقى
فيها قطرة القشيري وهو من سجرت التنور اسجره سجرا اذا احميته وما سلط عليه
الا نفاد نشف ما فيه من الرطوبة وتسير الجبال حينئذ وتصير البحار والارض كلها
بساطا واحدا بان يملا مكان البحار بتراب الجبال وقال النحاس وقد تكون الاقوال
متفقة تكون تيبس من الماء بعد ان يفيض بعضها الى بعض فتقلب نارا قلت ثم تسير
الجبال حينئذ كما ذكر القشيري والله اعلم وقال بن زيد وشمر وعطية وسفيان ووهب وابي
وعلي بن ابي طالب وبن عباس وفي رواية الضحاك عنه اوقدت فصارت نارا قال
ابن عباس تكون دبورا سفيه حتى تصير نارا ولذا في بعض الحديث يامر الله جل ثناؤه
الدبور فتسجرها نارا فتلك نار الله الكبرى الشمس والقمر والنجوم فتنثرون في البحر
ثم يبعث الله جل ثناؤه الدبور فتسجرها نارا فتلك نار الله الكبرى التي يعذب بها الكفار
قال القشيري في تفسير قول بن عباس سجرت اوقدت يحتمل ان تكون في جهنم في
قعور من البحار فهي الان غير مسجورة لقوام الدنيا فاذا انقضت الدنيا سجرت فصارت
كلها نارا يدخلها الله اهلها ويحتمل ان تكون تحت البحر نار ثم يامر الله البحر كله فيصير
نارا وفي الخبر ان البحر نار وقال معاوية بن سعيد بحر الروم وسط الارض اسفله نار
مطبقة بنحاس تسجر يوم القيامة وقيل تكون الشمس في البحر نارا بحر الشمس ثم جميع
ما في هذه الايات يجوز ان يكون في الدنيا قبل القيامة ويكون من اشراطها ويجوز ان
يكون يوم القيامة وما بعد هذه الايات فيكون في يوم القيامة قلت روي عن عبد
الله بن عمرو انه لا يتوضا بماء البحر لانه طبق جهنم وقال ابي بن كعب ست ايات
من قبل يوم القيامة بينما الناس في اسواقهم ذهب الضوء وبدت النجوم فتحيروا
ودهشوا فبينما هم كذلك ينظرون اذ وقعت الجبال على وجه الارض فتحركت واضطربت

واحترقت

واحترقت فصارت هباء منثورا ففزعت الجن الى الانس والانس الى الجن واختلط
الدواب والوحش والهوام والطير وماج بعضها في بعض فذلك قوله عز وجل واذا الوحوش
حشرت ثم قالت الجن للانس نحن ناتيكم بالخبر فانطلقوا الى البحار فاذا هي نار تاجج فبينما
كذلك اذ جاءتهم ريح فاماتتهم وقيل معنى سجرت اي حمر ماؤها حتى تصير كالدم ماخوذ من
قولهم عين سجراء اي حمراء وقرا ابن كثير سجرت وابو عمرو ايضا كذلك اخبارا عن حالها مرة
واحدة وقرا الباقون بالتشديد اخبارا عن حالها في تكرار ذلك منها مرة واحدة بعد اخرى
قوله تعالى واذا النفوس زوجت قال النعمان بن بشير قال النبي صلى الله عليه وسلم
واذا النفوس زوجت قال يقرن كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون كعمله وقال عمر بن الخطاب
هو الفاجر مع الفاجر ويقرن الصالح مع الصالح وقال بن عباس ذلك حين يكون الناس
ازواجا ثلاثة السابقون زوج يعني صنفا واصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج
وعنه ايضا قال زوجت نفوس المومنين بالحور العين وقرن الكفار بالشياطين وكذلك
المنافقون وعنه ايضا قرن كل شكل بشكله من اهل الجنة واهل النار فيضم المبرز في الطاعة الى
مثله والمتوسط الى مثله واهل المعصية الى مثله فالتزويج ان يقرن الشيء بمثله والمعنى
واذا النفوس قرنت الى اشكالها في الجنة والنار وقيل يضم كل رجل الى من كان يلزمه من ملك
وسلطان كما قال احشروا الذين ظلموا وازواجهم وقال عبد الرحمن بن زيد جعلوا ازواجا
على شبه اعمالهم ليس بتزويج اصحاب اليمين زوج واصحاب الشمال زوج والسابقون زوج
وقد قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم اي اشكالهم وقال عكرمة واذا النفوس زوجت
قرنت الارواح بالاجساد اي ردت اليها وقال الحسن الحق كل امرئ بشيعته اليهود باليهود
والنصارى بالنصارى والمجوس بالمجوس وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم
بعضا والمنافقون بالمنافقين والمومنون بالمومنين وقيل يقرن الغاوي بمن اغواه
من شيطان او انسان على جهة البغض والعداوة ويقرن المطيع بمن دعاه الى الطاعة
من الانبياء والمومنين وقيل قرنت النفوس باعمالها فصارت لاختصاصها به كالتزويج
قوله تعالى واذا الموءودة سئلت اي دفنت فقتلت الموءودة المقتولة وهي الجارية تدفن
وهي حية سميت بذلك لما يطرح عليها من التراب فيؤودها اي يثقلها حتى تموت ومنه قوله
تعالى ولا يؤوده حفظهما اي لا يثقله وقال متمم بن نويرة
• وموءودة مقبورة في مفازة • بآمتها موسودة لم تمهد •
وكانوا يدفنون بناتهم احياء لخصلتين احداهما كانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فالحقوا
البنات به الثانية اما مخافة الحاجة والاملاق واما خوفا من السبي والاسترقاق وقد
تقدم في سورة النحل هذا المعنى عند قوله ام يدسه في التراب وقد كان ذوو الشرف
منهم يمتنعون من هذا ويمنعون منه حتى افتخر به الفرزدق
• ومنا الذي منع الوائدات • واحيا الوئيد فلم يوأد •
يعني جده صعصعة كان يشتريهن من ابائهن فجاء الاسلام وقد احيا سبعين موءودة
وقال ابن عباس كانت المراة في الجاهلية اذا حملت حفرت حفرة وتمخضت على
راسها فان ولدت جارية رمت بها في الحفرة وردت التراب عليها وان ولدت غلاما حبسته
ومنه قول الراجز • سميتها اذ ولدت تموت • والقبر صهر ضامن زميت •
وقال قتادة كانت الجاهلية يقتل احدهم ابنته ويغذو كلبه فعابهم الله على ذلك
وتوعدهم الله بقوله تعالى واذا الموءودة سئلت وقال عمر في قوله تعالى واذا الموءودة
سئلت قال جاء قيس بن عاصم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني
وادت ثمان بنات كن لي في الجاهلية قال فاعتق عن كل واحدة رقبة قال يا رسول الله اني
صاحب ابل قال فاهد عن كل واحدة منهن بدنة ان شئت وقوله تعالى سئلت سؤال
الموءودة سؤال توبيخ لقاتلها كما يقال للطفل اذا ضرب لم ضربت وما ذنبك قال الحسن
اراد الله ان يوبخ قاتلها لانها قتلت بغير ذنب وقال زيد بن اسلم باي ذنب ضربت
وكانوا يضربونها وذكر بعض اهل العلم في قوله سئلت قال طلبت كانه يريد كما يطلب

يوم القتل قال وهو كقوله تعالى وكان عهد الله مسئولا اي مطلوبا فكانها طلبت منهم
فقيل اين اولادكم وقرأ الضحاك وابو الضحى عن جابر بن زيد وابو صالح واذا الموءودة سألت
فتتعلق الجارية بابيها فتقول باي ذنب قتلتني فلا يكون له عذر قال ابن عباس وكان
يقرأ واذا الموءودة سألت وكذلك هو في مصحف ابي وروي عكرمة عن ابن عباس عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان المرأة التي تقتل ولدها تأتي يوم القيامة متعلقا ولدها
بثدييها ملطخا بدمائه ويقول يا رب هذه امي وهذه قتلتني والقول الاول عليه الجمهور
وهو مثل قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني على جهة التوبيخ والتبكيت
لهم وكذلك سؤال الموءودة توبيخ لوالديها وهو ابلغ من سؤالها عن قتلها لان هذا مما
لا يصلح الا بذنب فباي ذنب كان ذلك فاذا ظهر انه لا ذنب لها كان اعظم في البلية
وظهور الحجة على قاتلها وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان اطفال
المشركين لا يعذبون وعلى ان التعذيب لا يستحق الا بذنب والله اعلم قوله تعالى واذا
الصحف نشرت اي فتحت بعد ان كانت مطوية والمراد صحف الاعمال التي كتبت الملائكة
فيها ما فعل اهلها من خير وشر وطوي تطوى بالموت وتنشر في القيامة فيقف كل انسان
على صحيفته فيعلم ما فيها فيقول ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها
وروي مرثد بن وداعة قال اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش
فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية الى قوله الايام الخالية وتقع صحيفة الكافر
في يده في سموم وحميم الى قوله ولا كريم وروي عن ام سلمة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة فقلت يا رسول الله
كيف بالنساء قال شغل الناس يا ام سلمة قلت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل
الذر ومثاقيل الخردل وقد مضى في سورة سبحان قول ابي السوار العدوي هما نشرتان
وطيه اما ما حسنت يا ابن ادم فصحيفتك منشورة فامل فيها ما شئت فاذا مت طويت
حتى اذا بعثت نشرت اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وقال مقاتل اذا مات
المرء طويت صحيفة عمله فاذا كان يوم القيامة نشرت وعن عمر رضي الله عنه انه كان اذا
قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن ادم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وابو عمرو نشرت
مخففا على نشرها مرة واحدة لقيام الحجة الباقون بالتشديد على تكرار النشر للمبالغة
في تقريع العاصي وتبشير المطيع وقيل لتكرير ذلك من الانسان والملك الشهيد عليه
قوله تعالى واذا السماء كشطت قلعت عن شدة الزاق فالسماء تكشط كما يكشط الجلد
عن الكبش وغيره والقشط لغة فيه وقرأ عبد الله قشطت وكشط البعير كشطا نزعت
جلده ولا يقال سلخت لان العرب لا تقول في البعير الا كشطته او جلدته وانكشط اي
ذهب فالسماء تنزع من مكانها كما ينزع الغطاء عن الشيء وقيل تطوى كما قال يوم نطوي السماء
كطي السجل للكتاب فكان المعنى قلعت فطويت والله اعلم واذا الجحيم سعرت اي اوقدت
فاضرمت للكفار وزيد في احمائها يقال سعرت النار واسعرتها وقراءة العامة بالتخفيف
من السعير وقرأ ابن ذكوان ونافع بالتشديد بدلا لها اوقدت مرة بعد مرة قال قتادة
سعرها غضب الله وقال وخطايا بني ادم وفي الترمذي عن ابي هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف
سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وروي موقوفا قوله تعالى واذا الجنة ازلفت
اي ادنيت وقربت من المتقين قال الحسن انهم يقربون منها لانها تزول عن مواضعها
وقرأ عبد الله بن يزيد بقوله زلفت والزلفى في كلام العرب القرب قال الله تعالى
وازلفت الجنة للمتقين وتزلف فلان تقرب علمت نفس ما احضرت اي ما عملت
من خير او شر وهذا جواب اذا الشمس كورت وما بعدها قال عمر رضي الله عنه لهذا
اجرى الحديث وروي عن ابن عباس وعمر رضي الله عنهما انهما قرآ السورة فلما بلغا
علمت نفس ما احضرت قالا لهذا اجريت القصة فالمعنى على هذا اذا الشمس كورت
وكانت هذه الاشياء علمت نفس ما احضرت من عملها وفي الصحيحين عن عدي بن حاتم

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا سيكلمه ربه ما بينه وبينه
ترجمان فينظر ايمن منه فلا يرى الا شيئا قدمه وينظر اشام منه فلا يرى الا شيئا قدمه
وينظر امامه فتستقبله النار فمن استطاع منكم ان يتقي النار ولو بشق تمرة فليفعل
وقال الحسن اذا الشمس كورت قسم وقع على قوله علمت نفس ما احضرت كما تقول
اذا نفر زيد نفر عمرو والقول الاول اصح وقال ابن زيد عن ابن عباس في قوله تعالى
اذا الشمس كورت الى قوله واذا الجنة ازلفت اثنا عشر خصلة ستة في الدنيا وستة في
الاخرة وقد بينا الستة الاولى بقول ابي بن كعب قوله تعالى فلا اقسم بالخنس اي
اقسم ولا زائدة كما تقدم الخنس الجوار الكنس هي الكواكب الخمسة الدراري زحل
مشتري مريخ زهرة عطارد فيما ذكر اهل التفسير وهو مروي عن علي كرم الله وجهه
وفي تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم وجهان احدهما لانها تستقبل الشمس قاله
بكر بن عبد الله المزني الثاني لانها تقطع المجرة قاله ابن عباس وقال الحسن وقتادة
هي النجوم التي تخنس بالنهار وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها اي تتأخر عن البصر
لخفائها فلا ترى وفي الصحاح والخنس الكواكب كلها لانها تخنس في المغيب او لانها تخفى
نهارا ويقال هي الكواكب السيارة منها دون الثابتة وقال الفراء في قوله تعالى فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس انها النجوم الخمسة زحل مشتري مريخ زهرة عطارد لانها تخنس في
مجراها وتكنس اي تستتر كما تكنس الظباء في المغار وهو الكناس ويقال سميت خنسا
لتأخرها لانها الكواكب المتحيرة التي ترجع وتستقيم يقال خنس عنه يخنس بالضم خنوسا
تأخر واخنسه غيره اذا خلفه ومضى عنه والخنس تأخر الانف عن الوجه مع ارتفاع
قليل في الارنبة والرجل اخنس والمرأة خنساء والبقر كلها خنس وقد روي عن عبد الله
ابن مسعود في قوله تعالى فلا اقسم بالخنس هي بقر الوحش وروى هشيم عن زكريا عن
ابي اسحاق عن ابي ميسرة عن عمرو بن شرحبيل قال قال لي عبد الله بن مسعود انكم
قوم عرب فما الخنس قلت بقر الوحش قال وانا ارى ذلك وقاله ابراهيم وجابر بن عبد
الله وروي عن ابن عباس قال انما اقسم الله ببقر الوحش وروي عن ابن عباس ايضا
قال الخنس البقر والكنس الظباء فهي خنس اذا رأين الانسان خنسن وتأخرن وانقبضن
وتأخرن ودخلن كناسهن قال القشيري وقيل على هذا الخنس من الخنس في الانف
الحمل على النجوم اولى لذكر الليل والصبح بعد هذا فذكر النجوم اليق قلت لله تعالى
ان يقسم بما شاء من مخلوقاته من حيوان وجماد وان لم
يعلم وجه الحكمة في ذلك وقد جاء عن ابن مسعود وجابر بن عبد الله وصحابيان والنخعي
انها بقر الوحش وعن ابن عباس وسعيد بن جبير ايضا انها الظباء وعن الحجاج بن منذر
قال سألت جابر بن زيد عن الجوار الكنس فقال الظباء والبقر ولا يبعد ان يكون
المراد النجوم وقد قيل انها الملائكة حكاه الماوردي والكنس الغيب مأخوذ من الكناس
وهي كناس الوحش التي تختفي فيه قال اوس بن حجر

الم تر ان الله انزل مزنة • وعفر الظباء في الكناس تقمع • وقال طرفة
كأن كناسي ضالة يكنفانها • واطر قسي تحت صلب مؤيد •

وقيل الكنس اي تأوي الى مكانسها وهي المواضع التي تأوي اليها الوحوش والظباء
قال الاعشى • فلما اتينا الحي اتلع انس • كما اتلعت تحت المكانس ربرب •
يقال تلع النهار ارتفع واتلعت الظبية من كناسها اي سمت بجيدها وقال امرؤ القيس

• تعشى قليلا ثم انحى ظلوفه • يثير التراب عن مبيت ومكنس •

والكنس جمع كانس وكانسة وكذا الخنس جمع خانس وخانسة والجواري جمع
جارية من جرى يجري والليل اذا عسعس قال الفراء اجمع المفسرون على ان معنى
عسعس ادبر حكاه الجوهري وقال بعض اصحابنا انه دنا من اوله واظلم وكذلك
السحاب اذا دنا من الارض قال المهدوي والليل اذا عسعس ادبر بظلامه عن
ابن عباس ومجاهد وغيرهما وروي عنه ايضا وعن الحسن وغيرهما اقبل بظلامه وقال

زيد بن اسلم عسعس ذهب الفرا العرب تقول عسعس الليل وسعسع اذا لم يبق منه
الا اليسير الخليل وغيره عسعس الليل اذا اقبل او ادبر قال المبرد هو من الاضداد
والمعنيان يرجعان الى شي واحد وهو ابتدا الظلام من اوله وادباره في اخره وقال
علقمة بن قرط • حتى اذا الصبح لها تنفسا • وانجاب عنها ليلها وعسعسا • وقال روبة
• يا هند ما اسرع ما تسعسعا • من بعد ما كان فتى ترعرعا •
وهذه حجة الفرا وقال امرو القيس •
• عسعس حتى لو يشا ادنا • كان لنا من ناره مقبس •
فهذا يدل على الدنو وقال الحسن ومجاهد عسعس اظلم قال الشاعر
• حتى اذا ما ليلهن عسعسا • ركبن من حد الظلام حندسا •
قال الماوردي واصل العس الامتلا ومنه قيل للقدح الكبير عس لامتلايه بما فيه
فاطلق على اقبال الظلام لابتدا امتلايه واطلق على ظلامه لانتها امتلايه واطلق
على ظلامه لاستكمال امتلايه واما قول امري القيس • الما على الربع القديم بعسعسا •
فموضع بالبادية وعسعس ايضا اسم رجل قال الراجز • وعسعس نعم الفتى تبياه •
اي تعتمده ويقال للذيب العسعس والعسعاس لانه يعس بالليل ويطلب ويقال
للقنافذ لكثرة ترددها بالليل قال ابو عمرو والتعسعس الشم وانشد ايضا •
• كمنخر الذيب اذا تعسعسا • والتعسعس ايضا طلب الصيد قوله تعالى والصبح اذا
تنفس اي امتد حتى يصير نهارا واضحا يقال للنهار اذا زاد تنفس وكذلك الموج اذا
نضح الما ومعنى التنفس خروج النسيم من الجوف وقيل اذا تنفس انشق وانفلق
ومنه تنفست القوس والقوس اي تصدعت انه لقول رسول كريم هذا جواب القسم
والرسول الكريم جبريل قاله الحسن وقتاده والضحاك والمعنى انه لقول رسول عن الله
كريم على الله واضاف الكلام الى جبريل عليه السلام ثم عزاه عنه بقوله تنزيل من رب
العالمين ليعلم اهل التحقيق في التصديق ان الكلام لله عز وجل وقيل هو محمد صلى
الله عليه وسلم ذي قوة من جعله جبريل فقوته ظاهره وروى الضحاك عن ابن عباس قال
من قوته قلعه مداين لوط بقوادم جناحه عند ذي العرش اي عند الله جل ثناوه
مكين اي ذي منزلة ومكانه وروي عن ابي صالح قال يدخل سبعين سرادقا بغير اذن
مطاع ثم اي في السموات قال ابن عباس من طاعة الملايكة لجبريل انه لما اسري برسول
الله صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام لرضوان خازن الجنان افتح له جهنم
حتى ينظر اليها فاطاعه وفتح له امين اي موتمن على الوحي مطاع اي مطيعه من اطلع
الله عز وجل وما صاحبكم بمجنون حتى يتهم في قوله وهو من جواب القسم وقيل اراد
النبي صلى الله عليه وسلم ان يرى جبريل في الصورة التي يكون بها عند ربه عز وجل
فقال وما ذاك الي فاذن له الرب فاتاه وقد سد الافق فلما نظر اليه النبي صلى الله عليه
وسلم خر مغشيا عليه فقال المشركون انه مجنون فنزلت انه لقول رسول كريم وما صاحبكم
بمجنون وانما راى جبريل على صورته وتودده وورد عليه ما لم يحتمل لنفسه فخر مغشيا
عليه قوله تعالى ولقد راه بالافق المبين اي راى جبريل في صورته له ستماية جناح
بالافق المبين اي مطلع الشمس من قبل المشرق لان هذا الافق اذا كان منه تطلع الشمس
فهو مبين اي من جهته انه يرى الاشيا منه وقيل الافق المبين اقطار السما ونواحيها قال
الشاعر • اخذنا بافاق السما عليكم • لنا قمراها والنجوم الطوالع •
الماوردي وفيه هذا فيه ثلثة اقوال احدها انه راه في افق السما الشرقي قاله
سفيان الثوري في افق السما الغربي حكاه ابن شجرة الثالث انه راه نحو اجياد وهو
مشرق مكة قاله مجاهد وحكى الثعلبي عن ابن عباس قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجبريل اني احب ان اراك في صورتك التي تكون فيها في السما قال لن تقدر على ذلك
قال بلى قال واين تشا ان اتخيل لك قال بالابطح قال لا يسعني قال بمنى
قال لا يسعني قال بعرفات قال ذلك بالحرى ان يسعني فواعده فخرج النبي صلى

اخر

الله عليه وسلم فاذا هو قد اقبل بجشجشه وكبكبه من حبال عرفات قد ملا ما بين المشرق
والمغرب وراسه في السما ورجلاه في الارض فلما راه النبي صلى الله عليه وسلم خر مغشيا
عليه فتحول جبريل في صورته وضمه الى صدره وقال يا محمد لا تخف فكيف لو رايت
اسرافيل وراسه من تحت العرش ورجلاه في تخوم الارض السابعة وان العرش
لعلى كاهله وانه ليتضال احيانا من مخافة الله عز وجل حتى يصير كالوصع يعني العصفور
حتى ما يحمل عرش ربك الا عظمته وقيل ان محمدا صلى الله عليه وسلم راى ربه عز وجل بالافق
المبين وهو معنى قول بن مسعود وقد مضى القول في هذا في سورة والنجم مستوفى
فتامله هناك وفي المبين قولان احدهما انه صفة الافق قاله الربيع الثاني انه صفة
لمن راه قاله مجاهد وما هو على الغيب بظنين بالظا قراه ابن كثير وابو عمرو والكسايي
اي بمتهم والظنة التهمة قال الشاعر •
• اما وكتاب الله لا عن شناة • هجرت ولكن الظنين ظنين •
واختاره ابو عبيد وقال لانهم لم يبخلوه ولكن كذبوه ولانه الاكثر من كلام العرب
ما هو بكذا ولا يقولون ما هو على كذا انما يقولون ما انت بهذا بمتهم وقرا الباقون
بضنين بالضاد اي ببخيل من ضننت بالشي اضن ضنا روى ابن ابي نجيح عن مجاهد
قال لا يضن عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله واحكامه وقال الشاعر •
• اجود بمكنون الحديث وانني • بسرك عمن سالني لضنين •
والغيب القران وخبر السما وهذا صفة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل صفة جبريل
عليه السلام وقيل بظنين بضعيف حكاه الفرا والمبرد يقال رجل ظنين اي ضعيف
وبير ظنون اذا كانت قليلة الما قال الاعشى •
• ما جعل الجد الظنون الذي • جنب صوب اللجب الماطر •
• مثل الفراتي اذا ما طما • يقذف بالبوصي والماهر •
وما هو يعني القران بقول شيطان رجيم اي مرجوم ملعون كما قالت قريش قال
عطا يريد بالشيطان الابيض الذي كان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل
يريد ان يفتنه فاين تذهبون قال قتاده فاين تعدلون عن هذا القول وعن طاعته
كذا روى معمر عن قتاده اين تذهبون عن كتابي وطاعتي وقال الزجاج فاي
تذهبون فاي طريقة تسلكون ابين من هذه الطريقة التي بينت لكم ويقال اين
تذهب والى اين تذهب وحكى الفرا عن العرب ذهبت الشام وخرجت العراق وانطلقت
السوق اي اليها قال سمعناه في هذه الاحرف الثلثة وانشدني بعض بني عقيل
• تصيح بنا حنيفة اذ راتنا • واي الارض تذهب بالصياح •
يريد الى اي ارض تذهب فحذف الى وقال الجنيد معنى الاية مقرون باية اخرى وهي
قوله وان من شي الا عندنا خزاينه والمعنى اي طريق تسلكون ابين من الطريق
الذي بينه الله لكم وهذا معنى قول الزجاج ان هو يعني القران الا ذكر للعالمين اي
موعظة وزجر وان بمعنى ما وقيل ما محمد الا ذكر لمن شا منكم ان يستقيم اي يتبع الحق
ويقيم عليه وقال ابو هريرة وسليمان بن موسى لما نزلت لمن شا منكم ان يستقيم
قال ابو جهل الامر الينا ان شينا استقمنا وان شينا لم نستقم وهذا هو القدر
وهو راس القدرية فنزلت وما تشاوون الا ان يشا الله رب العالمين فبين بهذا
انه لا يعمل العبد خيرا الا بتوفيق الله ولا شرا الا بخذلانه وقال الحسن والله
ما شات العرب الاسلام حتى شاه الله لها وقال وهب بن منبه قرات في سبعة
وثمانين كتابا مما انزل الله على الانبيا من جعل الى نفسه شيا من المشية فقد كفر
وفي التنزيل ولو اننا نزلنا اليهم الملايكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شي قبلا
ما كانوا ليومنوا الا ان يشا الله وقال وما كان لنفس ان تومن الا باذن الله وقال
انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشا والاي في هذا كثير وكذلك
الاحاديث وان الله سبحانه هدى بالاسلام واضل بالكفر كما تقدم في غير موضع والحمد لله

سورة الانفطار مكية عند الجميع وهي تسع عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى إذا السماء انفطرت أي تشققت بأمر الله لنزول الملائكة لقوله ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وقيل تفطرت لهيبة الله تعالى والفطر الشق يقال فطرته فانفطر ومنه فطر ناب البعير طلع فهو بعير فاطر وتفطر الشيء تشقق وسيف فطار أي فيه شقوق قال عنترة

وسيفي كالعقيقة فهو كمعي سلاحي لا أفل ولا فطارا

وقد تقدم في غير موضع وإذا الكواكب انتثرت أي تساقطت نثرت الشيء أنثره فانتثر والاسم النثار والنثار بالضم ما تناثر من الشيء ودر منثر مشدد للكثرة وإذا البحار فجرت أي فجر بعضها في بعض فصارت بحرا واحدا على ما تقدم وقال الحسن فجرت ذهب ماؤها ويبست وذلك أنها أولا راكدة مجتمعة فإذا فجرت تفرقت فذهب ماؤها وهذه الأشياء بين يدي الساعة على ما تقدم في إذا الشمس كورت وإذا القبور بعثرت أي قلبت فأخرج ما فيها من أهلها أحياء يقال بعثرت المتاع أي قلبته ظهرا لبطن وبعثرت الحوض وبحثرته إذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله وقال قوم منهم الفراء بعثرت أخرج ما في بطنها من الذهب والفضة وذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها علمت نفس ما قدمت وأخرت مثل قوله ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر وقد تقدم وهذا جواب إذا السماء انفطرت لأنه قسم في قول الحسن وقع على قوله تعالى علمت نفس يقول إذا بدت هذه الأمور من أشراط الساعة ختمت الأعمال فعلمت كل نفس ما كسبت فإنها لا ينفعها عمل بعد ذلك وقيل أي إذا كانت هذه الأشياء قامت القيامة فحوسبت كل نفس بما عملت وأوتيت كتابها بيمينها أو بشمالها فتذكرت عند قراءته جميع أعمالها وقيل هو خبر وليس بقسم وهو الصحيح إن شاء الله تعالى قوله تعالى يا أيها الإنسان خاطب بهذا منكري البعث وقال ابن عباس الإنسان هنا الوليد بن المغيرة وقال عكرمة أبي بن خلف وقيل نزلت في أبي الأشد ابن كلدة الجمحي عن ابن عباس أيضا ما غرك بربك الكريم أي ما الذي غرك حتى كفرت بربك الكريم أي المتجاوز عنك قال قتادة غره شيطانه المسلط عليه الحسن غره شيطانه الخبيث وقيل حمقه وجهله رواه الحسن عن عمر رضي الله عنه وروى غالب الحنفي قال لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم قال غره الجهل وقال صالح بن مسمار بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم قال غره جهله وقال عمر رضي الله عنه قال كما قال الله تعالى إنه كان ظلوما جهولا وقيل غره عفو الله إذ لم يعاقبه في أول مرة قال إبراهيم بن الأشعث قيل للفضيل بن عياض لو أقامك الله يوم القيامة بين يديه فقال لك ما غرك بربك الكريم ماذا كنت تقول قال كنت أقول غرني ستورك المرخاة لأن الكريم هو الستار ونظمه ابن السماك فقال

يا كاتم الذنب أما تستحي • والله في الخلوة ثانيكا •
غرك من ربك إمهاله • وستره طول مساويكا •

وقال ذو النون المصري كم من مغرور تحت الستر وهو لا يشعر وأنشد أبو بكر بن طاهر الأبهري

يا من غلا في العجب والتيه • وغره طول تماديه •
أملى لك الله فبارزته • ولم تخف غب معاصيه •

ويروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فإذا هو بالباب فقال ما لك لا تجيبني فقال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه فأعتقه وناس يقولون ما غرك ما خدعك وسول لك حتى ضيعت ما وجب عليك

وقال

وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة فيقول له يا ابن آدم ما غرك بي يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين الذي خلقك أي قدر خلقك من نطفة فسواك في بطن أمك وجعل لك يدين ورجلين وعينين وسائر أعضائك فعدلك أي جعلك معتدلا سوي الخلق كما يقال هذا شيء معتدل وهذه قراءة العامة وهذه اختيار أبي عبيد وأبي حاتم قال الفراء وأبو عبيد يدل عليه قوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم وقرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي فعدلك مخففا أي أمالك وصرفك إلى أي صورة شاء إما حسنا وإما قبيحا وإما طويلا وإما قصيرا وقال مجاهد قال لي النبي صلى الله عليه وسلم إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم أما قرأت هذه الآية في أي صورة ما شاء ركبك قال إن شاء في صورة إنسان وإن شاء في صورة حمار وإن شاء في صورة خنزير وقال مكحول إن شاء ذكرا وإن شاء أنثى وقال مجاهد في أي صورة أي في أي شبه من أب أو أم أو عم أو خال أو غيرهما وفي متعلقة بركبك ولا تتعلق بعدلك على قراءة من خفف لأنك تقول عدلت إلى كذا ولا تقول عدلت في كذا وكذلك منع الفراء التخفيف لأنه قدر في متعلقة بعدلك وما يجوز أن تكون صلة مؤكدة أي في أي صورة شاء ركبك ويجوز أن يكون شرطا أي إن شاء ركبك في غير صورة الإنسان من صورة قرد أو حمار أو خنزير فما بمعنى الشرط والجزاء أي في أي صورة ما شاء أن يركبك فيها ركبك قوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين يجوز أن يكون كلا بمعنى حقا ولا يبتدأ بها ويجوز أن تكون بمعنى لا على أن يكون المعنى ليس الأمر على ما تقولون من أنكم في عبادتكم غير الله محقون يدل على ذلك قوله ما غرك بربك الكريم وكذلك يقول الفراء يصير المعنى ليس كما غررت به وقيل أي ليس الأمر كما يقولون من أنه لا بعث وقيل بمعنى الردع والزجر أي لا تغتروا بحلم الله وكرمه فتتركوا التفكر في آياته ابن الأنباري الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك والوقف على كلا قبيح بل تكذبون يا أهل مكة بالدين أي بالحساب وبل لنفي شيء تقدم وتحقيق غيره وإنكارهم للبعث كان معلوما وإن لم يجر له ذكر في هذه السورة قوله تعالى وإن عليكم لحافظين أي رقباء من الملائكة كراما أي على الله كقوله تعالى كرام بررة وها هنا ثلاث مسائل الأولى روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى حاجتين الجنابة والجماع فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجذم أو بغيره أو ليستره أخوه وروي عن علي رضي الله عنه قال لا يزال الملك موليا عن العبد ما دام بادي العورة وروي أن العبد إذا دخل الحمام بغير مئزر لعنه ملكاه الثانية اختلف الناس في الكفار هل عليهم حفظة أم لا فقال بعضهم لا لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد قال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم وقيل بل عليهم حفظة لقوله تعالى كلا بل تكذبون بالدين وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وقال وأما من أوتي كتابه بشماله وقال وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب ويكون عليهم حفظة فإن قيل الذي عن يمينه أي شيء يكتب ولا حسنة له قيل الذي يكتب عن شماله يكون بإذن صاحبه ويكون شاهدا على ذلك وإن لم يكتب والله أعلم الثالثة سئل سفيان كيف تعلم الملائكة أن العبد قد هم بحسنة أو سيئة قال إذا هم العبد بحسنة وجدوا منه ريح المسك وإذا هم بسيئة وجدوا منه ريح النتن وقد مضى في سورة ق عند قوله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد زيادة بيان لمعنى هذه الآية وقد كره العلماء الكلام عند الغائط والجماع لمفارقة الملك العبد عند ذلك وقد مضى في آخر سورة آل عمران القول في هذا وعن الحسن يعلمون لا يخفى عليهم شيء من أعمالكم وقيل يعلمون ما ظهر منكم دون ما حدثتم به أنفسكم والله أعلم قوله تعالى إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم تقسيم مثل قوله تعالى فريق في الجنة وفريق في السعير وقال يومئذ يصدعون يصلونها أي يصيبهم لهبها يوم الدين أي يوم الجزاء والحساب وكرر ذكره تعظيما لشأنه نحو قوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة وقال

ابن عباس فيما روي عنه كل شيء من القرآن من قوله وما ادراك فقد ادراه وكل شيء من
قوله وما يدريك فقد طوي عنه يوم لا تملك نفس قرأ ابن كثير وابو عمرو يوم بالرفع على
البدل من يوم الدين او رداً على اليوم الاول فيكون صفة ونعتاً ليوم الدين ويجوز ان
يكون برفع باضمار هو الباقون بالنصب على انه في موضع نصب الا انه نصب لانه مضاد
غير محض كما تقول اعجبني يوم يقوم زيد وانشد المبرد

من اي يومي من الموت افر ايوم لم يقدر ام يوم قدر

فاليومان الثانيان مخفوضان بالاضافة عن الترجمة عن اليومين الاولين الا انهما نصبا في اللفظ
لانهما اضيفا الى غير محض متمكن وهذا اختيار الفرا والزجاج وقال غيرهم اليوم الثاني
منصوب على المحل كانه قال في يوم لا تملك نفس لنفس شيئا وقيل بمعنى ان هذه الاشيا
تكون يوم او على معنى يدانون يوم لان الدين يدل عليه او باضمار اذكر والامر يومئذ لله
لا ينازعه فيه احد كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار واليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم
اليوم والحمد لله

سورة المطففين مكية

في قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل وهي اول سورة نزلت بالمدينة وقال ابن عباس
وقتادة مدنية الا ثمان ايات هي قوله تعالى ان الذين اجرموا الى اخرها مكي
وقال الكلبي وجابر بن زيد نزلت بين مكة والمدينة وهي ست وثلاثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل للمطففين الاية فيه اربع مسائل الاولى قوله تعالى ويل للمطففين
روى النسائي عن ابن عباس قال لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كانوا من اخبث
الناس كيلا فانزل الله تعالى ويل للمطففين فاحسنوا الكيل بعد ذلك قال الفرا فهم
اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وعن ابن عباس ايضا قال هي اول سورة نزلت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم ساعة نزل المدينة وكان هذا فيهم كانوا اذا اشتروا استوفوا
بكيل راجح واذا باعوا بخسوا المكيال والميزان فلما نزلت هذه السورة انتهوا فهم
اوفى الناس كيلا الى يومهم هذا وقال قوم نزلت في رجل يعرف بابي جهينة واسمه
عمرو كان له صاعان ياخذ بواحد ويعطي باخر قاله ابو هريرة رضي الله عنه الثانية
قوله تعالى ويل اي شدة عذاب في الاخرة وقال ابن عباس انه واد في جهنم
يسيل فيه صديد اهل النار فهو قوله تعالى ويل للمطففين الذين ينقصون مكاييلهم
وموازينهم وروي عن ابن عمر قال المطفف الرجل يستاجر المكيال وهو يعلم انه يحيف
في كيله فوزره عليه وقال اخرون التطفيف في الكيل والوزن والوضوء والصلاة
والحديث وقال مالك ويقال لكل شيء وفا وتطفيف وروي عن سالم بن ابي الجعد قال
الصلاة بمكيال فمن اوفى اوفي له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله عز وجل في
ذلك ويل للمطففين الثالثة قال اهل اللغة المطفف ماخوذ من الطفيف وهو
القليل والمطفف هو المقل حق صاحبه بنقصانه عن الحق في كيل او وزن وقال
الزجاج انما قيل للفاعل من هذا مطفف لانه لا يكاد يسرق من الميزان والمكيال الا
الشيء الطفيف الخفيف وانما اخذ من طف الشيء وهو جانبه وطفاف المكوك وطفافه
بالفتح والكسر ما ملا اصباره وكذلك طف المكوك وطفافه وفي الحديث كلكم بنو
ادم طف الصاع لم تملوه وهو ان يقرب ان يمتلي فلا يفعل والمعنى بعضكم قريب من
بعض فليس لاحد فضل على احد الا بالتقوى والطفاف والطفافة بالضم ما فوق
المكيال واناء طفان اذا بلغ الكيل طفافه تقول منه اطففت والتطفيف نقص المكيال
وهو ان لا يملاه الى اصباره اي جوانبه يقال ادهقت الكاس الى اصبارها واصبارها
الى راسها وهو قول ابن عمر حين ذكر النبي صلى الله عليه وسلم سبق الخيل كنت فارسا
يومئذ حتى طفف بي الفرس مسجد بني زريق حتى كاد يساوي المسجد يعني وثب بي

الرابع

الرابعة المطفف هو الذي يخسر في الكيل والوزن ولا يوفي حسبما بيناه وروى ابن
القاسم عن مالك انه قرا ويل للمطففين فقال لا تطفف ولا تخلب ولكن ارسل وصب
عليه صبا حتى اذا استوى ارسل يدك ولا تمسك وقال عبد الملك بن الماجشون نهى
النبي صلى الله عليه وسلم عن مسح الطفاف وقال ان البركة في راسه وقال بلغني ان كيل
فرعون كان مسحا بالحديدة قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون قال
الفرا اي من الناس يقال اكتلت منك اي استوفيت منك ويقول اكتلت ما عليك اي اخذت
ما عليك وقال الزجاج اي اذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل والمعنى الذين اذا
استوفوا اخذوا الزيادة واذا اوفوا او وزنوا لغيرهم نقصوا فلا يرضون للناس ما يرضون
لانفسهم قال الطبري على بمعنى عند قوله تعالى واذا كالوهم او وزنوهم اي كالوا لهم او وزنوا
لهم فحذف اللام فتعدى الفعل فنصب ومثله نصحتك ونصحت لك وامرتك وامرت به وقال
الاخفش والفرا قال الفرا وسمعت اعرابية تقول اذا صدر الناس اتينا التاجر فيكيلنا المد
والمدين الى الموسم المقبل قال وهو من كلام اهل الحجاز ومن جاورهم من قيس قال الزجاج
لا يجوز الوقف على كالوا حتى يصل به هم قال ومن الناس من يجعلها توكيدا ويجيز الوقف
على كالوا ووزنوا والاول الاختيار لانها حرف واحد وهو قول الكسائي قال ابو عبيد وكان
عيسى بن عمر يجعلها حرفين ويقف على كالوا ووزنوا ثم يقول هم يخسرون واحسب قراءة
حمزة كذلك ايضا قال ابو عبيد والاختيار ان يكونا كلمة واحدة من جهتين احداهما الخط
وذلك انهم كتبوها بغير الف ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا ووزنوا بالالف والاخرى
انه يقال كلتك ووزنتك بمعنى كلت لك ووزنت لك وهو كلام عربي كما يقال صدتك وصدت
لك وكسبتك وكسبت لك وكذلك شكرتك ونصحتك ونحو ذلك وقوله يخسرون اي ينقصون والعرب
تقول اخسرت الميزان وخسرته وهم في موضع نصب على قراءة العامة راجع الى الناس تقديره
واذا كالوا الناس او وزنوهم يخسرون وفيه وجهان احدهما ان يراد كالوا لهم او وزنوا لهم
فحذف الجار واوصل الفعل * ولقد جنيتك اكموا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر *
اراد جنيت لك والوجه الاخر ان يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه
والمضاف هو المكيل والموزون وعن ابن عباس رضي الله عنه انكم معاشر الاعاجم وليتم
امرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الاعاجم لانهم كانوا يجمعون الكيل
والوزن جميعا وكانا مفرقين في الحرمين كان اهل مكة واهل المدينة يكيلون وعلى
القراءة الثانية هم في موضع رفع بالابتداء اي واذا كالوا الناس او وزنوا لهم يخسرون
الخامسة قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم خمس بخمس ما نقض قوم العهد
الا سلط عليهم عدوهم ولا حكموا بغير ما انزل الله تعالى الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت
الفاحشة فيهم الا فشا فيهم الطاعون ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات واخذوا
بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس الله عنهم المطر خرجه ابو بكر البزار بمعناه ومالك
ابن انس ايضا من حديث ابن عمر وقد ذكرناه في كتاب التذكرة وقال مالك بن دينار
دخلت على جار لي قد نزل به الموت فجعل يقول جبلين من نار جبلين من نار فقلت
ما تقول اتهجر قال يا ابا يحيى كان لي مكيالان اكيل باحدهما واكتال بالاخر فقمت فجعلت
اضرب احدهما بالاخر ازداد عظما فمات من وجعه وقال عكرمة اشهد على كل كيال
او وزان انه في النار فقيل له ان ابنك كيال او وزان فقال اشهد انه في النار قال
الاصمعي وسمعت اعرابية تقول لا تلتمس المروءة ممن مروءته في رؤوس المكاييل ولا السنة
الموازين وروي عن علي رضي الله عنه وقال عبد خير مر علي رضي الله عنه على
رجل وهو يزن الزعفران وقد ارجح فاكفا الميزان ثم قال اقم الوزن بالقسط ثم
ارجح بعد ذلك ما شئت كانه امره بالتسوية اولا ليعتادها ويفصل الواجب من النفل
وقال نافع كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول اتق الله واوف الكيل والوزن بالقسط
فان المطففين يوم القيامة يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم الى انصاف اذانهم وقد
روي ان ابا هريرة قدم المدينة وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم الى خيبر واستخلف

علي المدينة سباع بن عرفطة قال ابو هريرة فوجدته في صلاة الصبح فقرا في الركعة
الاولى كهيعص وقرا في الركعة الثانية ويل للمطففين قال ابو هريرة فاقول في صلاتي
ويل لابي فلان كان له مكيالان اذا اكتال كال بالوافي واذا كال كال بالناقص قوله
تعالى الا يظن اولئك انكار وتعجب عظيم من حالهم في الاجترا على التطفيف كانهم لا يخطر
ببالهم ولا يخمنون تخمينا انهم مبعوثون مسؤلون عما يفعلون والظن هنا بمعنى اليقين
اي الا يوقن اولئك ولو اوقنوا ما نقصوا في الكيل والوزن وقيل الظن بمعنى التردد
اي ان كانوا لا يستيقنون بالبعث فهلا ظنوه حتى يتدبروا ويبحثوا عنه وياخذوا
بالاحوط ليوم عظيم شانه وهو يوم القيامة قوله تعالى يوم يقوم الناس لرب
العالمين فيه اربع مسايل الاولى العامل في يوم فعل مضمر دل عليه مبعوثون والمعنى
يبعثون يوم يقوم الناس لرب العالمين ويجوز ان يكون بدلا من يوم في ليوم عظيم
وهو مبني وقيل هو في موضع خفض على الظرف اي في يوم ويقال اقم الى يوم
يخرج فلان وقيل في الكلام تقديم وتاخير التقدير انهم مبعوثون يوم يقوم الناس
ليوم عظيم لرب العالمين الثانية وعن عبد الملك بن مروان ان اعرابيا قال له قد سمعت
ما قال الله في المطففين اراد بذلك ان المطففين قد توجه عليه هذا الوعيد العظيم
الذي سمعت به فما ظنك بنفسك وانت تاخذ اموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفي هذا
الانكار والتعجب وكلمة الظن ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه خاضعين ووصف
ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم الاثم في التطفيف وفيما كان في
مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على التسوية والعدل في كل اخذ واعطا
بل في كل قول وعمل الثالثة قرا ابن عمر ويل للمطففين حتى بلغ يوم يقوم الناس لرب العالمين
فبكى حتى سقط وامتنع من قراة ما بعده ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
يوم يقوم الناس لرب العالمين في يوم كان مقداره خمسين الف سنة فمنهم من يبلغ
العرق كعبيه ومنهم من يبلغ ركبتيه ومنهم من يبلغ حقويه ومنهم من يبلغ صدره ومنهم
من يبلغ اذنيه حتى ان احدهم ليغيب في رشحه كما يغيب الضفدع وروى ناس عن ابن
عباس قال يقومون مقدار ثلثماية سنة قال ويهون على المومن قدر صلاته الفريضة
وروي عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقومون الف عام في
الظلة وروى مالك عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقوم الناس
لرب العالمين حتى ان احدهم ليقوم في رشحه الى انصاف اذنيه وعنه ايضا عن النبي صلى
الله عليه وسلم يقوم ماية سنة وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم لبشير
الغفاري كيف انت صانع في يوم يقوم الناس فيه مقدار ثلثماية سنة لرب العالمين
لا ياتيهم فيه خبر ولا يومر فيه بامر قال بشير المستعان بالله قلت قد ذكرناه مرفوعا
من حديث ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انه ليخفف عن المومن
حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا في سايل وعن ابن عباس
يهون على المومن قدر صلاته الفريضة وقيل ان ذلك المقام على المومن كزوال
الشمس والدليل على هذا من الكتاب قوله الحق الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ثم وصفهم فقال الذين امنوا وكانوا يتقون جعلنا الله منهم بفضله
وكرمه وجوده ومنه امين وقيل المراد بالناس جبريل عليه السلام يقوم لرب العالمين
قاله ابن جبير وفيه بعد لما ذكرنا من الاخبار في ذلك وهي صحيحة ثابتة وحسبك
بما في صحيح مسلم والترمذي والبخاري من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم
يوم يقوم الناس لرب العالمين قال يقوم احدهم في رشحه الى انصاف اذنيه ثم قيل
هذا القيام يوم يقومون من قبورهم وقيل في الاخرة يحشرون عباده في الدنيا
وقال يزيد الرشك يقومون بين يديه للقضا الرابعة القيام لله رب العالمين
سبحانه حقير بالاضافة الى عظمته وحقه فاما قيام الناس بعضهم لبعض فاختلف
الناس فيه فمنهم من اجازه ومنهم من منعه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم

قام الى جعفر بن ابي طالب واعتنقه وقام طلحة لكعب بن مالك يوم تيب عليه وقول
النبي صلى الله عليه وسلم للانصار حين طلع عليه سعد بن معاذ قوموا الى سيدكم وقال
ايضا من سره ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار وقال ذلك يرجع
الى حال الرجل ونيته فان انتظر ذلك واعتقده لنفسه فهو ممنوع فان كان على طريق
البشاشة والوصلة فانه جايز وخاصة عند الاسباب كالقدوم من السفر ونحوه
وقد مضى في اخر سورة يوسف شي من هذا قوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين
قال قوم من اهل العلم بالعربية كلا ردع وتنبيه اي ليس الامر على ما هم عليه من
تطفيف الكيل والميزان او تكذيب بالاخرة فليرتدعوا عن ذلك فهي كلمة ردع وزجر
ثم استانف فقال ان كتاب الفجار وقال الحسن كلا بمعنى حقا وروى ناس عن ابن عباس
كلا اي تصدقون ان كتاب الفجار فعلى هذا الوقف لرب العالمين وفي تفسير مقاتل
ان اعمال الفجار وروى ناس عن ابن عباس قال ان ارواح الفجار واعمالهم لفي سجين
وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد قال سجين صخرة تحت الارض السابعة فتقلب فيجعل
كتاب الفجار تحتها ونحوه عن ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير ومقاتل وكعب
قال كعب تحتها ارواح الكفار تحت خد ابليس ايضا قال سجين صخرة سودا تحت
الارض السابعة مكتوب فيها اسم كل شيطان تلقى انفس الكفار عندها وقال سعيد
ابن جبير سجين تحت خد ابليس يحيى بن سلام خط اسود تحت الارض يكتب فيها ارواح
الكفار وقال عطا الخراساني هي الارض السابعة السفلى وفيها ابليس وذريته
وعن ابن عباس قال ان الكافر يحضره الموت وتحضره رسل الله فلا يستطيعون لبغض
الله وبغضهم اياه ان يوخروه ولا يعجلوه حتى تجي ساعته فاذا جات ساعته قبضوا نفسه
ودفعوه الى ملايكة العذاب فاروه ما شا الله ان يروه من الشر ثم هبطوا به الى الارض السابعة
وهي سجين وهي اخر سلطان ابليس فاثبتوا فيها كتابه وعن كعب الاحبار في هذه
الاية قال ان روح الفاجر اذا قبضت يصعد بها الى السما فتابى السماوات ان تقبلها ثم يهبط
بها الى الارض فتابى الارضون ان تقبلها فتدخل في سبع ارضين حتى ينتهى الى سجين وهو
خد ابليس فيخرج لها من سجين من تحت خد ابليس رق فيرقم فيوضع تحت خد ابليس
وقال الحسن سجين في الارض السابعة وقيل هو ضرب مثل واشارة الى ان الله تعالى
يرد اعمالهم التي ظنوا انها تنفعهم قال مجاهد المعنى عملهم تحت الارض السابعة لا
يصعد منه شي وقال سجين صخرة في الارض السابعة وروى ابو هريرة عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال سجين جب في جهنم وهو مفتوح وقيل في الفلق انه جب مغطى
وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم سجين اسفل ارض سابعة وقال عكرمة
سجين خسار وضلال كقولهم لمن سقط قدره قد زلق بالحضيض وقال ابو عبيدة
والزجاج والاخفش لفي سجين لفي ضيق وحبس شديد فعيل من السجن كما يقال
فسيق وشريب قال ابن مقبل • ورفقة يضربون البيض ضاحية • ضربا تواصت به الابطال سجينا
والمعنى كتابهم في حبس جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم او لانه يحل من الاعراض
عنه والابعاد له محل الزجر والهوان وقيل اصله انه سجيل فابدلت اللام نونا وقد
تقدم ذلك وقال زيد بن اسلم سجين في الارض السافلة وسجيل في السما الدنيا القشيري
سجين موضع في السافلين فيه كتاب هولا فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع
كالمسجون وهذا دليل خسة اعمالهم وتحقير الله اياها ولهذا قال في كتاب
الابرار يشهده المقربون وما ادراك ما سجين اي ليس ذلك مما كنت تعلمه انت ولا
قومك ثم فسره له فقال كتاب مرقوم اي مكتوب كالرقم في الثوب لا يبلى ولا يمحى
قال قتادة مرقوم اي مكتوب رقم لهم بشر لا يزاد فيهم احد ولا ينقص منهم
احد وقال الضحاك مرقوم مختوم بلغة حمير واصل الرقم الكتابة قال •
• سارقم في الما القراح اليكم على بعدكم ان كان للما راقم •
وليس في قوله وما ادراك ما سجين ما يدل على ان لفظ سجين ليس عربيا كما لا

بدل في قوله القارعة ما القارعة وما ادراك ما القارعة بل هو تعظيم لامر يستجيب
وقد مضى في مقدمة الكتاب والحمد لله انه ليس في القران غير عربي ويل يومئذ
للمكذبين اي شدة وعذاب يوم القيامة للمكذبين ثم بين تعالى امرهم فقال
الذين يكذبون بيوم الدين اي بيوم الجزاء والحساب والفصل بين العباد وما يكذب
به الا كل معتد اثيم اي فاجر جاير عن الحق معتد على الخلق في معاملته اياهم وعلى
نفسه وهو اثيم في ترك امر الله وقيل هذا في الوليد بن المغيرة وابي جهل ونظرايهم
لقوله تعالى اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين وقراءة العامة تتلى بالتاء
وقرا ابو حيوة وابن السماك والاشهب العقيلي والسلمي اذا يتلى بالياء واساطير
الاولين احاديثهم واباطيلهم التي كتبوها وزخرفوها واحدها اسطورة واسطارة وقد
تقدم قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون كلا ردع وزجر اي ليس
هو اساطير الاولين وقال الحسن معناها حقا ران على قلوبهم وفي الترمذي عن
ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا اخطا خطيئة نكتت
في قلبه نكتة سودا فاذا نزع واستغفر الله وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها
حتى تعلو قلبه ما كانوا يكسبون هذا حديث حسن صحيح وكذا قال المفسرون هو
الذنب على الذنب حتى يسود القلب قال مجاهد هو الرجل يذنب الذنب فيحيط
الذنب بقلبه ثم يذنب الذنب فيحيط الذنب بقلبه حتى تغشى الذنوب قلبه
قال مجاهد مثل الاية التي في سورة البقرة بلى من كسب سيئة ونحوه عن الفرا
قال يقول كثرت المعاصي منهم والذنوب فاحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وروي
عن مجاهد ايضا قال القلب مثل الكف ورفع كفه فاذا اذنب العبد الذنب انقبض وضم
اصبعه فاذا اذنب اخرى انقبض وضم اخرى حتى ضم اصابعه كلها حتى يطبع على
قلبه قال وكانوا يرون ان ذلك هو الرين ثم قرا كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون
ومثله عن حذيفة رضي الله عنه سواء وقال بكر بن عبد الله ان العبد اذا اذنب
صار في قلبه كوخزة الابرة ثم اذا اذنب ثانيا صار كذلك ثم اذا كثرت الذنوب صار
القلب كالمنخل او كالغربال لا يعي خيرا ولا يثبت فيه صلاح وقد بينا في البقرة القول
في هذا بالاخبار الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا معنى لاعادتها وقد
روى عبد العزيز بن سعيد عن موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطا عن
موسى عن مقاتل بن الضحاك عن ابن عباس شيا الله اعلم بصحته قال هو الران الذي
يكون على الفخذين والساق والقدم وهو الذي يلبس في الحرب وقال اخرون
الران الخاطر الذي يخطر بقلب الرجل وهذا مما لا يضمن عهدته والله اعلم فاما عامة
اهل التفسير فعلى ما مضى ذكره قبل هذا وكذلك اهل اللغة عليه يقال ران على
قلبه رينه يرين رينا وريونا اي غلب قال ابو عبيدة في قوله تعالى كلا بل ران على
قلوبهم ما كانوا يكسبون اي غلب وقال ابو عبيدة كلما غلبك فقد ران بك وران
وران عليك قال الشاعر ﴿ وكم ران من ذنب على قلب فاجر فتاب من الذنب الذي
ران وانجلى ﴾ ورانت الخمر على عقله اي غلبته وران عليه النعاس اذا غطاه ومنه
قول عمر في الاسيفع اسيفع جهينة فاصبح قد رين به اي غلبته الديون وكان
يدان ومنه قول ابي زبيد يصف رجلا شرب حتى غلبه الشراب سكرا فقال
﴿ ثم لما راه رانت به الخمر وان لا ترينه باتقاء ﴾
فقوله رانت به الخمر اي غلبت على عقله وقلبه وقال الاموي قد ران القوم فهم
مرينون اذا هلكت مواشيهم وهزلت وهذا من الامر الذي اتاهم مما يغلبهم ولا يستطيعون
احتماله قال ابو زيد يقال قد رين بالرجل رينا اذا وقع فيما لا يستطيع الخروج
منه ولا قبل له به وقال ابو معاذ النحوي الرين ان يسود القلب من الذنوب
والطبع ان يطبع على القلب وهذا اشد من الرين والاقفال اشد من الطبع
قال الزجاج الرين هو كالصدا يغشى القلب كالغيم الرقيق ومثله الغين يقال

عان

عان على قلبه غطى والغين شجر ملتف الواحد غينا اي خضرا كثيرة الورق ملتفة
الاغصان وقد تقدم قول الفرا انه احاطة الذنب بالقلوب وذكر الثعلبي عن ابن
عباس ران على قلوبهم اي غطى عليها وهذا هو الصحيح عنه ان شا الله وقرا حمزة
والكسائي والاعمش وابو بكر والمفضل ران بالامالة لان فا الفعل الرا وعينه الالف منقلبة
عن يا فحسنت الامالة لذلك ومن فتح فعلى الاصل لان باب فا الفعل في فعل الفتح مثل
كان وباع ونحوه واختاره ابو عبيد وابو حاتم ووقف حفص على بل ثم يبتدي ران وقفا
بين اللام لا للسكت قوله تعالى كلا انهم اي حقا انهم يعني الكفار عن ربهم
اي يوم القيامة لمحجوبون وقيل كلا زجر وردع اي ليس كما يقولون بل انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون قال الزجاج في هذه الاية دليل على ان الله عز وجل يرى في القيامة ولولا
ذلك ما كان في هذه الاية فايدة ولا خست منزلة الكفار بانهم يحجبون وقال جل ثناوه
ان المومنين ينظرون اليه واعلم ان الكفار محجوبون وقال مالك بن انس في هذه الاية
لما حجب اعداه فلم يروه تجلى لاوليايه حتى راوه وقال الشافعي لما حجب قوما بالسخط دل
على ان قوما يرونه بالرضى ثم قال اما والله لو لم يوقن محمد بن ادريس انه يرى ربه في
المعاد لما عبده في الدنيا وقال الحسين بن الفضل كما حجبهم في الدنيا عن نور توحيده حجبهم
في الاخرة عن رويته وقال مجاهد في قوله تعالى لمحجوبون اي عن كرامته ورحمته ممنوعون
وقال قتادة هو ان الله لا ينظر اليهم برحمته ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم والجمهور على
الاول وانهم محجوبون عن رويته فلا يرونه ثم انهم لصالوا الجحيم اي ملازموها ومحترقون
فيها غير خارجين منها كلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وكلما خبت زيدت سعيرا
ويقال الجحيم الباب الرابع من النار ثم يقال لهم اي تقول لهم خزنة جهنم هذا الذي كنتم
به تكذبون رسل الله في الدنيا قوله تعالى كلا ان كتاب الابرار لفي عليين كلا
بمعنى حقا والوقف على تكذبون وقيل اي ليس الامر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كتابهم
في سجين وكتاب المومنين في عليين وقال مقاتل اي لا يومنون بالعذاب الذي يصلونه
ثم استانف فقال ان كتاب الابرار مرقوم في عليين على قدر مرتبتهم وقال مقاتل ان
كتاب الابرار قال ابن عباس اي في الجنة وعنه ايضا قال اعمالهم في كتاب الله في السما
وقال مجاهد والضحاك وقتادة يعني السما السابعة فيها ارواح المومنين وروي
الاجلح عن الضحاك قال هي سدرة المنتهى ينتهي اليها كل شي من امر الله لا يعدوها
فيقولون رب عبدك فلان وهو اعلم به منهم فياتيه كتاب من الله عز وجل مختوم
بامانه من العذاب فذلك قوله كلا ان كتاب الابرار وعن كعب الاحبار قال ان روح
المومن اذا قبضت صعد بها وفتحت لها ابواب السما وتلقتها الملايكة بالبشرى ثم يخرجون
معها حتى ينتهوا الى العرش فيخرج من تحت العرش رق فيرقم ويختم فيه النجاة من الحساب
يوم القيامة ويشهده المقربون وقال قتادة ايضا في عليين هي فوق السما السابعة
عند قايمة العرش اليمنى وقال البرا بن عازب قال النبي صلى الله عليه وسلم في السما
السابعة تحت العرش وعن ابن عباس ايضا هو لوح من زبرجدة خضرا معلق بالعرش
اعمالهم مكتوبة فيه وقال الفرا عليون ارتفاع بعد ارتفاع وقيل عليون اعلى الامكنة
وقيل معناه علو في علو مضاعف كانه لا غاية له ولذلك جمع بالواو والنون وهو قول
الطبري قال الفرا هو اسم موضوع على صفة الجمع ولا واحد له من لفظه كقولك عشرون
وثلاثون والعرب اذا جمعت جمعا ولم يكن فيه بناء من واحده ولا تثنية قالت في المذكر
والمونث بالنون وهو معنى قول الطبري وقال الزجاج اعراب هذا الاسم كاعراب
الجمع كما تقول هذه قنسرون ورايت قنسرين وقال يونس النحوي واحدها علي وعلية
وقال ابو الفتح عليين جمع علي وهو فعيل من العلو وكان سبيله ان يقول علية
كما قالوا للغرفة علية لانها من العلو فلما حذفت التاء عوضوا منها الجمع بالواو والنون
كما قالوا في ارضين وقيل ان عليين صفة للملايكة فانهم الملا الاعلى كما يقال فلان
في بني فلان اي هو في جملتهم وعندهم والذي في الخبر من حديث ابن عمر ان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قال ان اهل عليين لينظرون الى الجنة من كذا فاذا اشرف رجل من
اهل عليين اشرقت الجنة لضيا وجهه فيقال ما هذا النور فيقال اشرف رجل من اهل
عليين الابرار اهل الطاعة والصدق وفي خبر اخر ان اهل الجنة ليرون اهل عليين
كما يرون الكوكب الذي في افق السما يدل على ان عليين اسم الموضع المرتفع وروى ناس
عن ابن عباس في قوله عليين قال اخبر ان ارواحهم واعمالهم في السما السابعة ثم قال
وما ادراك ما عليون اي ما اعلمك يا محمد اي شي عليون على جهة التفخيم والتعظيم له
في المنزلة الرفيعة ثم فسره فقال كتاب مرقوم يشهده المقربون وقيل ان كتاب
مرقوم ليس تفسيرا لعليين بل تم الكلام عند عليين ثم ابتدا فقال كتاب مرقوم ولهذا
عكس الرقم في كتاب الفجار قاله القشيري وروي ان الملك ليصعد بعمل العبد فيستقلونه
فاذا انتهوا به الى ما شا الله من سلطانه اوحى اليهم انكم الحفظة على عبدي وانا الرقيب
على ما في قلبه وانه هو اخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له وانها لتصعد
بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شا الله اوحى الله تعالى اليهم انتم الحفظة على
عبدي وانا الرقيب على ما في قلبه وانه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين يشهده
المقربون اي يشهد عمل الابرار مقربوا كل سما من الملائكة وقال وهب وابن اسحاق
المقربون هنا اسرافيل عليه السلام فاذا عمل المومن عمل البر صعدت الملائكة بالصحيفة
وله نور يتلالا في السموات كنور الشمس في الارض حتى ينتهي به الى اسرافيل فيختم
عليها ويكتب وهو قوله تعالى يشهده المقربون اي يشهد كتابتهم قوله تعالى ان
الابرار اي اهل الصدق والطاعة لفي نعيم اي نعمة والنعمة بالفتح التنعيم يقال انعمه
الله وناعمه فتنعم وامراة منعمة وناعمة بمعنى ان الابرار في الجنات يتنعمون على الارائك
وهي الاسرة في الحجال ينظرون اي الى ما اعد الله لهم من الكرامات قاله عكرمة وابن عباس
ومجاهد وقال مقاتل ينظرون الى اهل النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينظرون
الى اعدايهم في النار ذكره المهدوي وقيل على الارائك افضاله ينظرون الى وجهه
وجلاله قوله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم اي بهجته وغضارته ونوره
يقال انضر النبات اذا ازهر ونور وقراة العامة تعرف بفتح التا وكسر الرا نضرة
نصب اي تعرف يا محمد وقرا جعفر ابن القعقاع ويعقوب وشيبة وابن ابي اسحاق
تعرف بضم التا وفتح الرا على الفعل المجهول نضرة رفعا يسقون من رحيق اي من
شراب لا غش فيه قاله الاخفش والزجاج وقيل الرحيق الخمر الصافية وفي
الصحاح صفوة الخمر والمعنى واحد قال الخليل اصفى الخمر واجودها وقال مقاتل
وغيره هي الخمر العتيقة البيضا الصافية من الغش النيرة قال حسان ٭
٭ يسقون من ورد البريص عليهم ٭ بردى يصفق بالرحيق السلسل ٭ وقال اخر
٭ ام لا سبيل الى الشباب وذكره ٭ اشهى الي من الرحيق السلسل ٭
مختوم ختامه مسك قال مجاهد يختم به اخر جرعة وقيل المعنى اذا شربوا هذا
الرحيق يفنى ما في الكاس انختم ذلك بختام المسك وكان ابن مسعود يقول يجدون
عاقبتها طعم المسك ونحوه عن سعيد بن جبير وابراهيم النخعي فالاختتام اخر طعمه
وهو حسن لان سبيل الاشربة ان يكون الكدر في اخرها فوصف شراب اهل الجنة
بان رايحة اخره رايحة المسك وعن مسروق بن عبد الله قال المختوم الممزوج
وقيل ختمت ومنعت من ان يمسها ماس الى ان يفك ختامها الابرار وقرا علي وعلقمة
وشقيق والضحاك والكسائي خاتمه بفتح الخا والتا والف بينهما قال علقمة اما رايت
المراة تقول للعطار اجعل خاتمه مسكا تريد اخره والخاتم والختام متقاربان في المعنى
الا ان الخاتم الاسم والختام المصدر قاله الفرا وفي الصحاح والختام الطين الذي
يختم به وكذا قال مجاهد وابن زيد ختم اناوه بالمسك بدلا من الطين حكاه المهدوي
وقال الفرزدق ٭ وبت افض اغلاق الختام ٭ وقال الاعشى ٭ وابرزها وعليها ختم ٭
اي عليها طينة مختومة مثل نفض بمعنى منفوض وقبض بمعنى مقبوض وذكر ابن

المبارك

المبارك وابن وهب واللفظ لابن وهب عن عبد الله بن مسعود في قوله تعالى ختامه
مسك خلطه ليس بخاتم يختم الا ترى الى قول المراة من نسايكم ان خلطه من الطيب كذا
وكذا انما خلطه مسك قال شراب ابيض مثل الفضة يختمون به اخر اشربتهم لو ان رجلا
من اهل الدنيا ادخل فيه يده ثم اخرجها لم يبق ذي روح الا وجد طيب ريحها وروى ابي ابن
كعب قال قيل يا رسول الله ما الرحيق المختوم قال غدران الخمر وقيل مختوم في الانية
وهو غير الذي يجري في الانهار والله اعلم وفي ذلك اي في الذي وصفناه من امر الجنة
فليتنافس المتنافسون اي فليرغب الراغبون يقال نفست الشي عليه انفسه نفاسة
اي ضننت به ولم احب ان اصير اليه وقيل الفا بمعنى الى والى ذلك فليتبادر المبادرون
في العمل نظيره لمثل هذا فليعمل العاملون ومزاجه اي ومزاج ذلك الرحيق من تسنيم
وهو شراب ينصب عليهم من علو وهو اشرف شراب في الجنة واصل التسنيم في اللغة الارتفاع
فهي عين ما تجري من علو الى اسفل ومنه سنام البعير لعلوه من بدنه وكذلك تسنيم
القبور وروي عن عبد الله قال تسنيم عين في الجنة يشرب بها المقربون صرفا ويمزج
منها كاس اصحاب اليمين فتطيب وقال ابن عباس في قوله عز وجل ومزاجه من تسنيم
قال هذا مما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقيل التسنيم عين
تجري في الهوا بقدرة الله فتنصب في اواني اهل الجنة على قدر ملئها فاذا امتلات امسك
الما فلا يقع منه قطرة الى الارض ولا يحتاجون الى الاستقا وقال قتادة ابا زيد
بلغنا انها عين تجري من تحت العرش وكذا في مراسيل الحسن وقد ذكرناه في سورة
الانسان عينا يشرب بها المقربون اي يشرب منها اهل الجنة جنة عدن وهم افاضل
اهل الجنة صرفا وهي لغيرهم مزاج وعينا نصب على المدح وقال الزجاج نصب
على الحال من تسنيم وتسنيم معرفة ليس يعرف له اشتقاق وان جعلته مصدرا مشتقا
من السنام فعينا نصب لانه مفعول به كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهذا
قول الفرا انه منصوب بتسنيم وعند الاخفش بيسقون اي يسقون عينا او من عين
وباضمار اعني على المدح قوله تعالى ان الذين اجرموا وصف احوال الكفار في الدنيا
مع المومنين باستهزايهم والمراد رؤسا قريش من اهل الشرك وروى ناس عن ابن عباس
قال هو الوليد بن المغيرة وعقبة بن ابي معيط والعاص بن وايل والاسود بن عبد
يغوث والعاص بن هشام وابو جهل والنضر بن الحارث اوليك كانوا من الذين امنوا من
اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وصهيب وبلال يضحكون على وجه
السخرية واذا مروا بهم عند اتيانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغامزون يغمز بعضهم
بعضا ويشيرون باعينهم وقيل اي يعيرونهم بالاسلام ويعيبونهم به يقال غمزت الشي
بيدي قال ٭ وكنت اذا غمزت قناة قوم ٭ كسرت كعوبها او تستقيما ٭
وقالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سجد غمز رجلي فقبضت
رجلي الحديث وقد مضى في النسا وغمزته بعيني وقيل الغمز بمعنى العيب يقال غمزه
اي عابه وما في فلان غمزة اي عيب وقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب جا في
نفر من المسلمين الى النبي صلى الله عليه وسلم فلمزهم المنافقون وضحكوا عليهم وتغامزوا
واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فكهين اي معجبين منهم وقيل معجبون بما هم عليه
من الكفر متفكهون بذكر المومنين وقرا ابن القعقاع وحفص عن عاصم والاعرج والسلمي فكهين بغير
الف الباقون بالالف وقال الفرا هما لغتان مثل طمع وطامع وحذر وحاذر وقد تقدم
في سورة الدخان والفكه الاشر البطر والفاكه الناعم المتنعم واذا راوهم
اي اذا راوا هولا الكفار اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قالوا ان هولا لضالون في
اتباعهم محمدا صلى الله عليه وسلم وما ارسلوا عليهم حافظين لاعمالهم موكلين باحوالهم
رقبا عليهم فاليوم الذين امنوا يعني هذا اليوم وهو يوم القيامة الذين امنوا بمحمد
صلى الله عليه وسلم من الكفار يضحكون كما ضحك الكفار منهم في الدنيا نظيره في اخر
سورة المومنين وقد تقدم وذكر ابن المبارك اخبرنا محمد بن بشار عن قتادة في قوله

تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون قال ذكر لنا ان كعبا كان يقول ان بين الجنة والنار كوى فاذا اراد المومن ان ينظر الى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض الكوى قال الله تعالى في الصافات فاطلع فراه في سواء الجحيم قال ذكر لنا انه اطلع فراى جماجم القوم تغلي وذكر ابن المبارك ايضا قال اخبرنا الكلبي عن ابي صالح في قوله تعالى الله يستهزي بهم قال يقال لاهل النار وهم في النار اخرجوا فتفتح لهم ابواب النار فاذا راوها قد فتحت اقبلوا اليها يريدون الخروج والمومنون ينظرون اليهم على الارائك فاذا انتهوا الى ابوابها غلقت دونهم فذلك قوله الله يستهزي بهم ويضحك منهم المومنون حين غلقت دونهم فذلك قوله تعالى فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون وقد مضى هذا في اول سورة البقرة ومعنى هل ثوب اي هل جوزي بسخريتهم في الدنيا بالمومنين اذا فعل بهم ذلك وقيل انه متعلق بينظرون اي ينظرون هل جوزي الكفار فيكون معنى هل ومعناها نصبا بينظرون وقيل استيناف لا موضع لها من الاعراب وقيل هو على موضع القول والمعنى يقول بعض المومنين لبعض هل ثوب الكفار اي اثيبوا وجوزوا وهو من ثاب يثوب اي رجع فالثواب ما يرجع على العبد في مقابلة عمله ويستعمل في الخير والشر

سورة الانشقاق مكية في قول الجميع وهي خمس وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اذا السما انشقت اي انصدعت وتفطرت بالغمام والغمام مثل السحاب الابيض كذا روى ابو صالح عن بن عباس وروي عن علي عليه السلام قال تنشق من المجرة وقال المجرة باب السما وهذا من اشراط الساعة وعلاماتها واذنت لربها وحقت اي سمعت وحق لها ان تسمع روي معناه عن بن عباس ومجاهد وغيرهما ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم ما اذن الله لشي كاذنه لنبي يتغنى بالقران اي ما استمع الله لشي قال الشاعر ٭ صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به ٭ وان ذكرت بشر عندهم اذنوا ٭ اي سمعوا وقال قعنب بن ام صاحب ٭ ان يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا ٭ وما هم من صالح دفنوا ٭ وقيل المعنى وحقق الله عليها الاستماع لامره بالانشقاق وقال الضحاك حقت اطاعت وحق لها ان تطيع ربها لانه خلقها يقال فلان محقوق بكذا وطاعة السما بمعنى انها لا تمتنع مما اراد الله بها ولا يبعد خلق الحياة فيها حتى تطيع وتجيب وقال قتادة حق لها ان تفعل ذلك ومنه قول كثير ٭

٭ فان تكن العتبى فاهلا ومرحبا ٭ وحقت لها العتبى لدينا وقلت ٭

واذا الارض مدت اي بسطت ودكت جبالها قال النبي صلى الله عليه وسلم تمد مد الاديم لان الاديم اذا مد زال كل انثنا فيه وامت واستوى وقال بن عباس وبن مسعود ويزاد في سعتها كذا وكذا لوقوف الخلايق عليها للحساب حتى لا يكون لاحد من البشر الا موضع قدمه لكثرة الخلايق فيها وقد مضى في سورة ابراهيم ان الارض تبدل بارض اخرى وهي الساهرة في قول بن عباس على ما تقدم عنه والقت ما فيها وتخلت اي اخرجت امواتها وتخلت منهم وقال بن جبير القت ما في بطنها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الاحيا وقيل القت ما في بطنها من كنوزها ومعادنها وتخلت منها اي خلا جوفها فليس في بطنها شي وذلك يوذن بعظم الامر كما تلقي الحامل ما في بطنها عند الشدة وقيل تخلت مما على ظهرها من جبالها وبحارها وقيل القت ما استودعت وتخلت مما استحفظت لان الله تعالى استودعها عباده احيا وامواتا واستحفظها بلاده مزارعه واقواتا واذنت لربها وحقت اي في القاء موتاها وحقت اي وحق لها ان تسمع امره واختلف في جواب اذا فقال الفرا اذنت والواو زايدة وكذلك والقت قال ابن الانباري وقال بعض المفسرين جواب اذا السما

انشقت اذنت وزعم ان الواو مقحمة وهذا غلط لان العرب لا تقحم الواو الا مع حتى واذا كقوله حتى اذا جاوها وفتحت ابوابها ومع لما كقوله فلما اسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه والواو لا تقحم مع غير هذين والجواب فاضمر كانه قال اذا السما انشقت فيا ايها الانسان انك كادح وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه اي اذا السما انشقت لاقى الانسان وقيل فيه تقديم وتاخير اي يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه اذا السما انشقت قال ابن المبرد وعنه ايضا الجواب فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو قول الكسائي اي اذا السما انشقت فمن اوتي كتابه بيمينه فحكمه كذا قال ابو جعفر النحاس وهذا اصح ما قيل فيه واحسنه وقيل هو بمعنى اذكر اذا السما انشقت وقيل الجواب محذوف لعلم المخاطبين اي اذا كانت هذه الاشيا علم المكذبين بالبعث ضلالتهم وخسرانهم وقيل تقدم منه سوال عن وقت القيامة فقيل له اذا السما انشقت فتم ... بها والقران كالاية الواحدة دلالة البعض على البعض وعن الحسن ان قوله تعالى اذا السما انشقت قسم والجمهور على خلاف قوله من انه خبر وليس بقسم يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا المراد بالانسان الجنس اي يا ابن ادم وكذا روى سعيد عن قتادة يا ابن ادم ان كدحك لضعيف فمن استطاع ان يكون كدحه في طاعة الله فليفعل ولا قوة الا بالله وقيل هو معين قال مقاتل يعني الاسود بن عبد الاسد ويقال يعني ابي بن خلف ويقال يعني جميع الكفار يعني يا ايها الكافر انك كادح والكدح في كلام العرب العمل والكسب قال ابن مقبل ٭

٭ وما الدهر الا تارتان فمنهما ٭ اموت ومنها ابتغي العيش اكدح ٭ وقال اخر

٭ ومضت بشاشة كل عيش صالح ٭ وبقيت اكدح للحياة وانصب ٭

اي اعمل وروى الضحاك عن بن عباس انك كادح اي راجع الى ربك كدحا اي رجوعا لا محالة فملاقيه اي ملاق ربك وقيل ملاق عملك القتيبي انك كادح اي عامل ناصب في معيشتك الى لقا ربك والملاقاة بمعنى اللقا اي تلقى ربك بعملك وقيل اي تلاقي كتاب عملك لان العمل قد انقضى ولهذا قال فاما من اوتي كتابه بيمينه قوله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه وهو المومن فسوف يحاسب حسابا يسيرا لا مناقشة فيه كذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حوسب يوم القيامة عذب قالت فقلت يا رسول الله اليس قد قال الله تعالى فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا فقال ليس ذلك الحساب انما ذلك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب اخرجه البخاري ومسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح وينقلب الى اهله مسرورا اي ازواجه من الحور العين مسرورا مغتبطا قرير العين وقيل انها نزلت في ابي سلمة بن عبد الاسد وهو اول من هاجر من مكة الى المدينة وقيل الى اهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته والاول قول قتادة اي الى اهله الذين قد اعدهم الله له في الجنة قوله تعالى واما من اوتي كتابه بشماله نزلت في الاسود بن عبد الاسد اخي ابي سلمة قاله ابن عباس ثم هي عامة في كل مومن وكافر قال ابن عباس يمد يده اليمنى لياخذ كتابه فيجذبه ملك فيخلع يمينه فياخذ كتابه بشماله من وراء ظهره وقال قتادة ومقاتل تفك الواح صدره وعظامه ثم تخرج يده من ظهره فياخذ كتابه لذلك فسوف يدعو ثبورا اي بالهلاك فيقول يا ويلاه يا ثبوراه ويصلى سعيرا اي ويدخل النار حتى يصلى بحرها وقرا الحرميان وابن عامر والكسائي ويصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام كقوله تعالى ثم الجحيم صلوه وقوله وتصلية جحيم الباقون ويصلى بفتح اليا مخففا فعل لازم غير متعد لقوله الا من هو صال الجحيم وقوله يصلى النار الكبرى وقراة ثالثة رواها ابان عن عاصم وخارجة عن نافع واسماعيل المكي عن ابن كثير يصلى بضم اليا وسكون الصاد وفتح اللام مخففا كما قرى وسيصلون بضم اليا وكذلك في الغاشية قد قرى ايضا تصلى نارا وهما لغتان صلى واصلى كقوله نزل وانزل انه كان في اهله اي في الدنيا مسرورا قال ابن زيد وصف الله اهل الجنة بالمخافة

والحزن والبكا والشفقة في دار الدنيا فاعقبهم به النعيم والسرور في الاخره وقرا قول
الله تعالى انا كنا قبل في اهلنا مشفقين قال ووصف اهل النار بالسرور في الدنيا والضحك
فيها والتفكه فقال انه كان في اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور بلى اي لن يرجع حيا ثم
يحاسب ثم يثاب او يعذب ويقال حار يحور اذا رجع قال لبيد
• وما المرء الا كالشهاب وضوئه • يحور رمادا بعد اذ هو ساطع •
وقال عكرمة وداود بن هند يحور بالحبشية كلمة معناها يرجع ويجوز ان تتفق الكلمتان
فانهما كلمة اشتقاق ومنه الخبز الحواري لانه يرجع الى البياض وقال ابن عباس ما كنت ادري
ما يحور حتى سمعت اعرابية تدعو بنية لها حوري حوري اي ارجعي الي فالحور في كلام العرب
الرجوع ومنه قوله عليه السلام اللهم اني اعوذ بك من الحور بعد الكور يعني من الرجوع الى
النقصان بعد الزيادة وكذلك الحور بالضم وفي المثل حور في محار اي نقصان في نقصان
يضرب للرجل اذا كان امره يدبر قال الشاعر •
• واستعجلوا عن خفيف المضغ وازدردوا • والذم يبقى وزاد القوم في حور •
والحور ايضا الاسم من قولك طحنت الطاحنة فما احارت شيئا اي ما ردت شيئا من
الدقيق والحور ايضا الهلكة قال الراجز • في بير لا حور سرى وما شعر •
قال ابو عبيدة اي في بير حور ولا زايدة وروي بعد الكور ومعناه من انتشار الامر
بعد تمامه وسئل محمد عن الحور بعد الكور فقال هو الكنسي فقال له عبد الرزاق وما
الكنسي قال الرجل يكون صالحا ثم يتحول رجل سوء قال ابو عمرو ويقال للرجل اذا شاخ
كنتي كانه نسب الى قوله في شبابه كنت كذا قال الاصمعي •
• فاصبحت كنتيا واصبحت عاجنا • وشر خصال المرء كنت وعاجن •
يعني الرجل اذا نهض معتمدا على الارض من الكبر وقال ابن الاعرابي الكنتي هو الذي
يقول كنت شابا وكنت شجاعا والكنائي هو الذي يقول كان لي مال وكنت اهب وكان
لي خيل وكنت اركب قوله تعالى بلى اي ليس الامر كما ظن بل يحور الينا ويرجع ان ربه كان
به بصيرا قبل ان يخلقه عالما بان يرجع اليه وقيل بلى ليحورن وليرجعن ثم استانف
فقال ان ربه كان به بصيرا الى من خلقه الى ان بعثه وقيل عالما بما سبق له من الشقا
والسعاده قوله تعالى فلا اقسم اي اقسم ولا صلة بالشفق اي بالحمرة التي تكون عند
مغيب الشمس حتى تاتي صلاة العشا الاخره وقال اشهب وعبد الله بن الحكم ويحيى
ابن يحيى وغيرهم عن كثير عددهم عن مالك الحمرة الشفق التي في المغرب فاذا ذهبت
الحمرة فقد خرجت من وقت المغرب ووجبت صلاة العشا وروى ابن وهب قال اخبرني
غير واحد عن علي بن ابي طالب ومعاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وشداد بن اوس وابي
هريرة ان الشفق الحمرة وبه قال انس بن مالك وذكر ابن وهب عن الصحابة وعمر وابن
عمر وابن مسعود وابن عباس وانس وابا قتاده وجابر بن عبد الله وابن الزبير ومن
التابعين سعيد بن جبير وابن المسيب وعبد الله بن دينار وطاوس والزهري
وقال به من الفقها الاوزاعي ومالك والشافعي وابو يوسف وابو ثور وابو عبيد
واحمد واسحاق وقيل هو البياض روي ذلك عن ابن عباس وابي هريرة ايضا وعمر
ابن عبد العزيز والاوزاعي وابي حنيفة في احدى الروايتين عنه وروى اسد
ابن عمر انه رجع عنه وروي عن ابن عمر ايضا انه البياض والاختيار الاول لان اكثر
الصحابة والتابعين عليه ولان شواهد هو كلام العرب والاشتقاق والسنه
تشهد له قال الفرا سمعت بعض العرب يقول لثوب عليه مصبوغ كانه الشفق
وكان احمر فهذا شاهد للحمرة وقال اخر •
• قم يا غلام اعني غير مرتبك • على الزمان بكاس حشوها شفق •
ويقال للمغرة الشفق وفي الصحاح بقية ضوء الشمس وحمرتها في اول الليل الى قريب
العتمة قال الخليل الشفق الحمرة من غروب الشمس الى وقت العشا الاخرة اذا ذهب
قيل غاب الشفق وقيل اصل الكلمة من رقة الشي يقال شي شفق اي لا تماسك له

لرقته

لرقته فاشفق عليه اي رق قلبه عليه والشفقة الاسم من الاشفاق وهو رقة القلب
وكذلك الشفق قال الشاعر • تهوى حياتي واهوى موتها شفقا • والموت اكرم نزال على الحرم •
فالشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فكان تلك الرقة من ضوء الشمس وزعم الحكماء ان البياض
لا يغيب اصلا وقال الخليل صعدت منارة الاسكندرية فرمقت البياض فرايته يتردد من
افق الى افق ولم اره يغيب وقال ابن ابي اويس رايته يتمادى الى طلوع الفجر قال علماونا
فلم يتحدد وقته سقط اعتباره وفي سنن ابي داود عن النعمان بن بشير قال انا اعلمكم
بوقت صلاة العشا الاخره كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها لسقوط القمر لثالثه وهذا
تحديد ثم ان الحكم معلق باول الاسم لا يقال فينتقض عليكم بالفجر الاول فانا نقول الفجر
الاول لا يتعلق به حكم من صلاة ولا امساك لان النبي صلى الله عليه وسلم بين الفجر بقوله
وفعله فقال انه ليس ان يقول هكذا ورفع يده الى فوق ولكن الفجر ان يقول هكذا وبسطها وقد
مضى بيانه في اية الصيام من سورة البقره فلا معنى للاعادة وقال مجاهد الشفق النهار
كله الا تراه والليل وما وسق وقال عكرمه هو ما بقي من النهار والشفق ايضا الردي من
الاشيا يقال عطا مشفق اي مقلل قال الكميت •
• ملك اغر من الملوك تحلب • للسايلين يداه غير مشفق •
قوله تعالى والليل وما وسق اي جمع وضم ولف واصله من سواد السلطان وغضبه
فلولا انه خرج الى العباد من باب الرحمة تخرج بها فسكن الخلق اليه ثم ادعو واكتفوا وانقضوا
ورجع كل الى ماواه فسكن فيه من هوله وحشا وهو قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله اي بالنهار على ما تقدم فالليل يجمع ويضم
ما كان منتشرا بالنهار في تصرفه هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وغيرهم قال
ضابي بن الحرث البرجمي • فاني واياكم وشوقا اليكم • كقابض ماء لم تسقه اناملة •
يقول ليس في يدي من ذلك شي كما انه ليس في يد القابض على الماء شي فاذا جلل الليل
الجبال والاشجار والبحار والارض فاجتمعت له فقد وسقها والوسق ضمك الشي بعضه
الى بعض تقول اسقته اسقه وسقا ومنه قيل للطعام المجتمع وسق وهو ستون صاعا
وطعام مسوق اي مجموع وابل مستوسقة مجتمعة قال الراجز •
• ان لنا قلايصا حقايقا • مستوسقات لو يجدن سايقا •
وقال عكرمة وما وسق اي وما ساق من شي الى حيث ياوي فالوسق بمعنى الطرد ومنه
قيل للطريدة من الابل والغنم والحمر وسيقة قال الشاعر • كما قاف اثار الوسيقة قايف •
وعن ابن عباس ايضا وما وسق وما جن وستر وعنه ايضا وما حمل وكل شي حملته فقد
وسقته والعرب تقول لا افعله ما وسقت عيني الماء اي حملته ووسقت الناقة تسق
وسقا اي حملت واغلقت رحمها على الماء فهي ناقة واسق ونوق وساق مثل قايم وقيام
وصاحب وصحاب قال بشر بن ابي حازم •
• الطهن يجد وهن حيث • بست لحال من الوساق •
ومواسيق ايضا واوسقت البعير حملته حمله واوسقت النخلة كثر حملها قال نمار
والضحاك ومقاتل بن سليمان حمل من الظلمة قال مقاتل او حمل من الكواكب قال
القشيري ومعنى حمل ضم وجمع والليل يجلل بظلمته كل شي فاذا جللها فقد وسقها
ويكون هذا القسم قسما بجميع المخلوقات لاشتمال الليل عليها لقوله تعالى فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون وقال ابن جبير وما وسق اي وما عمل فيه يعني التهجد
والاستغفار بالاسحار قال الشاعر •
• ويوما ترانا صالحين وتارة • يقوم بنا كالواسق المتلبب •
اي كالعامل قوله تعالى والقمر اذا اتسق اي اذا اجتمع وتم واستوى قال الحسن
اتسق اي امتلا واجتمع ابن عباس اي استوى قتاده استدار الفرا اتساقه استواوه
وامتلاوه ليالي البدر وهو افتعال من الوسق الذي هو الجمع يقال وسقته فاتسق
كما يقال وصلته فاتصل ويقال امر متسق اي مجتمع على الصلاح منتظم ويقال اتسق الشي

اذا تتابع لتركبن طبقا عن طبق قرا عمر وبن مسعود وبن عباس وابو العالية ومسروق
وابو وايل ومجاهد والنخعي والشعبي وبن كثير وحمزه والكسائي لتركبن بفتح التا خطابا
للنبي صلى الله عليه وسلم أي لتركبن يا محمد حالا بعد حال قاله بن عباس قال الشعبي
لتركبن يا محمد سما بعد سما ودرجه بعد درجه ورتبه بعد رتبه في القربة من
الله تعالى ابن مسعود اي لتركبن السما حالا بعد حال يعني حالاتها التي وصفها
الله تعالى بها من الانشقاق والطي وكونها مرة كالمهل ومرة كالدهان وعن ابراهيم
عن عبد الله طبقا عن طبق قال السما تنقلب حالا بعد حال قال تكون وردة كالدهان
وتكون كالمهل وقيل لتركبن ايها الانسان حالا بعد حال من كونك نطفه ثم علقة
ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا فالخطاب للانسان المذكور في قوله تعالى يا ايها
الانسان انك كادح وهو اسم الجنس ومعناه الناس وقرا الباقون لتركبن بضم البا خطابا
للناس واختاره ابو عبيد وابو حاتم قال لان المعنى بالناس اشبه منه بالنبي صلى
الله عليه وسلم لما ذكر قبل هذه الاية فمن اوتي كتابه بيمينه ومن اوتي كتابه بشماله
اي لتركبن حالا بعد حال من شدائد القيامه او لتركبن سنة من كان قبلكم في التكذيب
والاختلاف على الانبيا قلت وكله مراد وقد جات بذلك احاديث فروى ابو نعيم الحافظ
عن جعفر بن محمد بن علي عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ان ابن ادم لفي غفلة مما خلقه الله له ان الله لا اله غيره اذا اراد خلقه
قال للملك اكتب رزقه واثره واجله واكتب شقيا او سعيدا ثم يرتفع ذلك الملك
ويبعث الله ملكا اخر فيحفظه حتى يدرك ثم يبعث الله ملكين يكتبان حسناته
وسياته فاذا جاه الموت ارتفع ذلك الملكان ثم جاه ملك الموت عليه السلام فيقبض
روحه فاذا ادخل في حفرته رد الروح في جسده ثم يرتفع ملك الموت ويبعث
الله تعالى ملكي القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه
ملك الحسنات وملك السيات فانتشطا كتابا معقودا في عنقه ثم حضرا معه واحد
سايق والاخر شهيد ثم قال الله عز وجل لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطاك فبصرك اليوم حديد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركبن طبقا عن طبق
قال حالا بعد حال ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان قدامكم امر عظيم فاستعينوا
بالله العظيم فقد اشتمل هذا الحديث على احوال تعتري الانسان من حين يخلق الى
حين يبعث وكلها شدة بعد شدة حياة بعد موت ثم بعث ثم جزا وفي كل حال من هذه
شدايد وقال صلى الله عليه وسلم لتركبن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا
بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن
خرجه البخاري واما اقوال المفسرين فقال عكرمة حالا بعد حال فطيما بعد رضيع
وشيخا بعد شباب قال الشاعر • كذلك المرء ان ينسا له اجل • يركب على طبق من بعده طبق •
وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون امرا لم تكونوا عليه وقال الحسن امرا بعد امر رخاء
بعد شدة وشدة بعد رخاء وغنى بعد فقر وفقرا بعد غنى وصحة بعد سقم وسقما
بعد صحة سعيد بن جبير منزلة بعد منزلة قوم كانوا في الدنيا متضعين فارتفعوا
في الاخرة وقيل منزلة عن منزلة وطبقا عن طبق وذلك ان من كان على صلاح دعاه
الى صلاح فوقه ومن كان على فساد دعاه الى فساد لان كل شي يجر الى شكله ابن
زيد وليصيرن من طبق الدنيا الى طبق الاخرة وقال بن عباس الشدايد والاهوال
الموت ثم البعث ثم العرض والعرب تقول لمن وقع في امر شديد وقع في بنات طبق
واحدى بنات طبق ومنه قيل للداهية الشديدة ام طبق واحدى بنات طبق واصلها
من الحيات اذ يقال للحية ام طبق لتحويها والطبق في اللغة الحال كما وصفنا قال الاقرع
ابن حابس التميمي • اني امرؤ قد حلبت الدهر اشطره • وساقني طبق منه الى طبق •
وهذا ادل دليل على حدوث العالم واثبات الصانع قالت الحكما من كان اليوم على حالة
وغدا على حالة اخرى فليعلم ان تدبيره الى سواه وقيل لابي بكر الوراق ما الدليل على

ان

ان لهذا العالم صانعا فقال تحويل الحالات وعجز القوة وضعف الاركان وقهر المنية ونسخ
العزيمة ويقال اتانا طبق من الناس وطبق من الجراد اي جماعة وقول العباس في مدح النبي
صلى الله عليه وسلم • تنقل من صالب الى رحم • اذا مضى عالم بدا طبق •
اي قرن من الناس يكونون طباق الارض اي ملؤها والطبق ايضا عظم رقيق يفصل بين
الفقارين ويقال مضى طبق من الليل وطبق من النهار اي معظم منه والطبق واحد الاطباق
فهو مشترك وقرئ لتركبن بكسر البا على خطاب النفس وليركبن بالياء على ركوب الانسان
وعن طبق في محل نصب على انه صفة لطبق اي طبقا مجاوزا لطبق او حالا من الضمير في لتركبن
اي لتركبن طبقا مجاوزين لطبق او مجاوزا او مجاوزة على حسب القراة قوله تعالى فما لهم
لا يومنون يعني اي شي يمنعهم من الايمان بعدما وضحت لهم الايات وقامت الدلالات وهذا
استفهام انكار وقيل تعجيب اي اعجبوا منهم في ترك الايمان مع هذه الايات قوله تعالى
واذا قرئ عليهم القران لا يسجدون لا يصلون وفي الصحيح ان ابا هريرة قرا اذا السما انشقت
فسجد فيها فلما انصرف اخبرهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد وقد قال مالك انها
ليست من عزائم السجود لان المعنى لا يذعنون ولا يطيعون في العمل بواجباته ابن العربي والصحيح
انها منه وهي رواية المدنيين وقد اعتضد فيها القران والسنة قال ابن العربي لما اممت
بالناس تركت قراتها لاني ان سجدت انكروه وان تركتها كان تقصيرا مني فاجتنبتها الا اذا
صليت وحدي وهذا تحقيق وعد الصادق بان يكون المعروف منكرا والمنكر معروفا وقد قال
صلى الله عليه وسلم لعائشة لولا حدثان قومك بالكفر لهدمت البيت ولرددته على قواعد
ابراهيم ولقد كان شيخنا ابو بكر الفهري يرفع يديه عند الركوع وعند الرفع منه وهو
مذهب الشافعي فحضر عندي يوما في محرس ابن الشوا بالثغر موضع تدريسي عند
صلاة الظهر ودخل المسجد من المحرس المذكور فتقدم الى الصف وانا في مؤخره قاعد
على طاقات البحر اتنسم الريح من شدة الحر ومعي في صف واحد ابو ثمنة رئيس البحر
وقائده مع نفر من اصحابه ينتظر الصلاة ويتطلع تحت المنار فلما رفع الشيخ يده في الركوع
وفي رفع الراس منه قال ابو ثمنة واصحابه الا ترون الى هذا المشرقي كيف دخل مسجدنا فقوموا اليه
فاقتلوه وارموا به في البحر فلا يراكم احد فطار قلبي بين جوانحي وقلت سبحان الله هذا
الامام الطرطوشي فقيه الوقت فقالوا لي ولم يرفع يديه فقلت كذلك كان النبي صلى الله
عليه وسلم يفعل وهو مذهب مالك في رواية اهل المدينة عنه وجعلت اسكنهم واسكتهم
حتى فرغ من صلاته وقمت معه من المسكن الى المحرس ورأى تغير وجهي فانكره
وسالني فاعلمته فضحك وقال من اين لي ان اقتل على سنة فقلت له ولا يحل لك هذا
فانك بين قوم ان قمت بها قاموا عليك وربما ذهب دمك فقال دع هذا الكلام وخذ
في غيره قوله تعالى بل الذين كفروا يكذبون محمدا صلى الله عليه وسلم وما جاء به وقال
مقاتل نزلت في بني عمرو بن عمير وكانوا اربعة فاسلم منهم اثنان وقيل هو في جميع
الكفار والله اعلم بما يوعون اي بما يضمرونه في انفسهم من التكذيب كذا روى الضحاك
عن بن عباس وقال مجاهد يكتمون من افعالهم ابن زيد يجمعون من الاعمال الصالحة
والسيئة ماخوذ من الوعا الذي يجمع ما فيه يقال اوعيت الزاد والمتاع اذا جعلته
في الوعا قال الشاعر • الخير ابقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد •
ووعاه اي حفظه تقول وعيت الحديث اوعيه وعيا واذن واعية وقد تقدم فبشرهم
بعذاب اليم اي موجع في جهنم على تكذيبهم اي اجعل ذلك بمنزلة البشارة الا الذين
امنوا وعملوا الصالحات استثنا منقطع كانه قال لكن الذين صدقوا بشهادة ان لا
اله الا الله وان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض
المفروضة عليهم لهم اجر اي ثواب غير ممنون اي غير منقوص ولا مقطوع
يقال مننت الحبل اذا قطعته وقد تقدم وسال نافع بن الازرق ابن عباس عن قوله
لهم اجر غير ممنون فقال غير مقطوع فقال هل تعرف ذلك العرب قال نعم قد عرفه اخو يشكر
حيث يقول • فترى خلفهن من سرعة الرجع منينا كانه اهباء •

قال المبرد العنبار لانها تقطعه وراها وكل ضعيف منين وممنون وقيل غير ممنون
لا يمن به وذكر ناس من اهل العلم ان قوله تعالى الا الذين امنوا ليس باستثنا وانما
هو بمعنى الواو كانه قال والذين امنوا وقد مضى القول في البقره والحمد لله وحده

سورة البروج مكية باتفاق وهي اثنان وعشرون ايه

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسما ذات البروج قسم اقسم الله به وفي البروج اقوال اربعة
احدها اي ذات النجوم قاله الحسن وقتاده ومجاهد الثاني القصور قاله ابن
عباس وعكرمه ومجاهد ايضا قال عكرمه هي قصور في السما ومجاهد البروج فيها
الحرس الثالث ذات الخلق الحسن قاله المنهال بن عمر الرابع ذات المنازل قاله ابو عبيده
ويحيى بن سلام وهي اثني عشر برجا وهي منازل الكواكب والشمس والقمر يسير القمر
في كل برج منها يومين وثلث يوم فذلك ثمانية وعشرون يوما ثم تستتر ليلتين وتسير
الشمس في كل برج منها شهرا وهي الحمل • والثور • والجوزا • والسرطان •
والاسد • والسنبله • والميزان • والعقرب • والقوس • والجدي • والدالي •
والحوت • والبروج في كلام القصور قال الله تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقد
تقدم قوله تعالى واليوم الموعود اي الموعود به وهو قسم اخر وهو
يوم القيامة من غير اختلاف بين اهل التاويل قال وعد اهل السما واهل الارض
ان يجتمعوا فيه وشاهد ومشهود اختلف فيهما فقال علي وابن عباس وابن عمر وابو
هريرة رضي الله عنهم الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفه وهو قول الحسن ورواه
ابو هريرة مرفوعا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم الموعود يوم القيمة
واليوم المشهود يوم عرفه والشاهد يوم الجمعة خرجه ابو عيسى الترمذي في جامعه
وقال هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث موسى بن عبيده وموسى بن عبيده
يضعف في الحديث ضعفه يحيى بن سعيد وغيره وقد روي سعنه وشعبه وسفيان
الثوري وغير واحد من الائمة عنه قال القشيري يوم الجمعة يشهد على كل عامل
بما عمل فيه قلت وكذلك سائر الايام والليالي فكل يوم شاهد وكذا كل ليلة ودليله
ما رواه ابو نعيم الحافظ عن معوية بن قره عن معقل بن يسار عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ليس من يوم ياتي على العبد الا ينادي يا ابن ادم انا خلق جديد
وانا فيما تعمل عليك شهيد فاعمل في خيرا اشهد لك به غدا فاني لو قد مضيت لم
تريني ابدا ويقول الليل مثل ذلك حديث غريب من حديث معاويه تفرد به عنه زيد
العمي ولا اعلمه مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم الا بهذا الاسناد وحكى القشيري
عن ابن عمر وابن الزبير ان الشاهد يوم الاضحى وقال سعيد بن المسيب الشاهد
يوم التروية والمشهود يوم عرفه قال ابن عباس والحسين بن علي رضي الله عنهما المشهود
يوم القيامة لقوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود قلت وعلى
هذا اختلف اقوال العلما في الشاهد فقيل الله تعالى عن ابن عباس والحسن وسعيد
ابن جبير بيانه وكفى بالله شهيدا قل اي شي اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم
وقيل محمد صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس ايضا والحسين بن علي وقرا ابن عباس
فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وجينا بك على هولا شهيدا وقرا الحسن يا ايها النبي
انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قلت وا قرانا ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل
الانبيا يشهدون على اممهم لقوله تعالى فكيف اذا جينا من كل امة بشهيد وقيل ادم
وقيل عيسى بن مريم لقوله تعالى وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم والمشهود امته
وعن ابن عباس ايضا ومحمد بن كعب الشاهد الانسان دليله كفى بنفسك اليوم
عليك حسيبا قال مقاتل اعضاوه بيانه يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم

بما كانوا يعملون الحسين بن الفضل الشاهد هذه الامه والمشهود سائر الامم بيانه وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهدا على الناس وقيل الشاهد الحفظة والمشهود بنو ادم
وقيل الليالي والايام وقد بيناه قلت وقد يشهد المال على صاحبه والارض بما عمل عليها
وفي صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان هذا المال
خضر حلو ونعم صاحب المسلم هو لمن اعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل وكما قال صلى
الله عليه وسلم وانه من ياخذه بغير حقه كالذي ياكل ولا يشبع ويكون عليه شهيدا يوم القيمة
وفي الترمذي عن ابي هريرة قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية يومئذ
تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال فان اخبارها
ان تشهد على كل عبد او امة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا قال فهذه
اخبارها وقال هذا حديث حسن غريب صحيح وقيل الشاهد الخلق شهدوا لله عز
وجل بالوحدانية والمشهود له بالتوحيد هو الله عز وجل وقيل المشهود يوم الجمعة كما
روى ابو الدردا قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة
فانه يوم مشهود تشهده الملايكه وذكر الحديث ذكره ابن ماجه وغيره قلت فعلى هذا يوم
عرفه مشهود لان الملايكه تشهده وتنزل فيه الرحمة وكذا يوم النحر ان شا الله تعالى
قال ابو بكر العطار الشاهد الحجر الاسود يشهد لمن لمسه بصدق واخلاص ويقين
والمشهود الحاج وقيل الشاهد الانبيا والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم بيانه واذ اخذ
الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله تعالى وانا معكم من الشاهدين
قوله عز وجل قتل اصحاب الاخدود اي لعن قال ابن عباس كل شي في القران
قتل فهو لعن وهذا جواب القسم في قول الفرا واللام فيه مضمرة لقوله تعالى والشمس
وضحاها ثم قال قد افلح المومنون اي لقد افلح وقيل فيه تقديم وتاخير اي قتل اصحاب
الاخدود والسما ذات البروج قاله ابو حاتم السجستاني قال ابن الانباري وهذا غلط
لانه لا يجوز لقايل ان يقول والله قام زيد على معنى قام زيد والله وقال قوم جواب
القسم ان بطش ربك لشديد وهذا ايضا قبيح لان الكلام قد طال فيما بينهما وقيل ان الذين
فتنوا المومنين والمومنات وقيل جواب القسم محذوف اي والسماء ذات البروج لتبعثن
وهذا اختيار ابن الانباري والاخدود الشق العظيم المستطيل في الارض كالخندق
وجمعه اخاديد ومنه الخد لمجاري الدموع والمخدة لان الخد يوضع عليها ويقال تخدد
وجه الرجل اذا صارت فيه اخاديد من جراح قال طرفه •

ووجه كان الشمس حلت رداها • عليه نقي اللون لم يتخدد •

النار ذات الوقود بايدان الناس بدل من الاخدود بدل الاشتمال والوقود بفتح
الواو وقراءة العامه وهو الحطب وقرا قتاده ونصر بن عاصم بضم الواو على المصدر اي
ذات الاتقاد والالتهاب وقيل ذات الوقود بابدان الناس وقرا اشهب العقيلي
وابو سماك العدوي وابن السميفع النار ذات بالرفع فيهما اي احرقتهم النار ذات الوقود
اذ هم عليها قعود اي الذين خددوا الاخاديد وقعدوا عليها يلقون فيها المومنين
وكانوا بنجران في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقد اختلفت الروايات
في احاديثهم والمعنى متقارب ففي صحيح مسلم عن صهيب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال كان ملك فيمن كان قبلكم كان له ساحر فلما كبر قال للملك قد كبرت فا
بعث لي غلاما اعلمه السحر فبعث اليه غلاما يعلمه السحر فكان في طريقه اذا سلك
راهب فقعد اليه وسمع كلامه فاعجبه فكان اذا اتى الساحر مر بالراهب فقعد
اليه واذا اتى الساحر ضربه فشكى ذلك للراهب فقال اذا خشيت الساحر فقل حبسني
اهلي واذا خشيت اهلك فقل حبسني الساحر فبينما هو كذلك اذ اتى على دابة عظيمة
قد حبست الناس فقال اليوم اعلم الساحر افضل ام الراهب افضل فاخذ حجرا فقال
اللهم ان كان امر هذا الراهب احب اليك من امر الساحر فاقتل هذه الدابة
حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فاتى الراهب فاخبره خبرها فقال له

الراهب اي بني انت اليوم افضل مني وقد بلغ من امرك ما ارى وانك ستبتلى فان
ابتليت فلا تدل علي فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويداوي الناس بسائر الادوا
فسمع جليس للملك كان قد عمي فاتاه بهدايا كثيرة فقال ما هنا لك اجمع ان انت شفيتني قال
اني لا اشفي احدا انما يشفي الله عز وجل فان امنت بالله دعوت الله فشفاك فامن بالله
فدعا الله فشفاه الله فاتى الملك فجلس اليه كما كان يجلس فقال له من رد عليك بصرك
قال ربي قال ولك رب غيري قال ربي وربك الله فاخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على
الغلام فجيء بالغلام فقال له الملك اي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الاكمه والابرص
وتفعل وتفعل فقال اني لا اشفي احدا انما يشفي الله قال فاخذه فلم يزل يعذبه
حتى دل على الراهب فجيء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فابى فدفعه الى نفر من اصحابه
فقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فاذا بلغتم ذروته فان رجع
عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به وصعدوا الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف
بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم
الله فدفعه الى نفر من اصحابه فقال احملوه في قرقورة فان رجع عن دينه والا
فاقذفوه في البحر فذهبوا به فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفات بهم السفينة فغرقوا
وجاء يمشي الى الملك فقال له الملك ما فعل اصحابك قال كفانيهم الله ثم قال للملك لست
بقاتلي حتى تفعل ما امرك به قال وما هو قال تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني
على جذع ثم خذ سهما من كنانتي ثم ضع السهم في كبد القوس ثم قل بسم الله رب الغلام
وارم به فانك اذا فعلت ذلك قتلتني فجمع الناس في صعيد واحد وصلبه على جذع
واخذ سهما من كنانته ثم وضع السهم في كبد القوس ثم قال بسم الله رب الغلام ثم رماه
به فوقع السهم في صدغه فوضع الغلام يده على صدغه فمات فقال الناس امنا برب
الغلام امنا برب الغلام فاتي الملك فقيل له ارايت ما كنت تحذر قد والله نزل بك
حذرك قد امن الناس فامر بالاخدود في افواه السكك فخدت واضرم النار وقال
من لم يرجع عن دينه فاقحموه فيها او قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امراة ومعها صبي لها
فتقاعست ان تقع فيها فقال لها الغلام يا امه اصبري فانك على الحق
اخرجه الترمذي بمعناه وكان على طريق الغلام راهب في صومعة قال معمر احسب
ان اصحاب الصوامع كانوا يومئذ مسلمين وفيه ان الدابة التي احتبست الناس كانت
اسدا وان الغلام دفن قال ويذكر انه اخرج في زمن عمر بن الخطاب واصبعه على
صدغه كما وضعها وقال حديث حسن غريب ورواه الضحاك عن ابن عباس قال كان
ملك بنجران وفي رعيته رجل له ابن فبعثه الى ساحر يعلمه السحر وكان طريق الفتى على راهب
يقرا الانجيل فكان يعجبه ما يقرا من الانجيل فدخل في دين الراهب فاقبل يوما
فاذا حية عظيمة قد قطعت على الناس طريقهم فاخذ حجرا فقال بسم الله رب السموات
والارض وما بينهما وذكر نحوها فتقدم وان الملك لما رماه بالسهم قال الملك لا اله الا الله
عبد الله بن تامر وكان اسم الغلام فغضب الملك وامر فخدت اخاديد وجمع فيها حطب
ونار وعرض اهل مملكته فمن رجع عن التوحيد تركه ومن ثبت على دينه قذفه
في النار وجيء بامراة ترضع فقيل لها ارجعي عن دينك والا قذفناك وولدك قال
فاشفقت وهمت بالرجوع فقال الصبي المرضع يا امي اثبتي على ما انت عليه فانما هي غميضة
فالقوها وابنها وروى ابو صالح عن ابن عباس ان النار ارتفعت من الاخدود فصارت
فوق الملك واصحابه اربعين ذراعا فاحرقتهم وقال الضحاك هم قوم من النصارى
كانوا باليمن قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم باربعين سنة اخذهم يوسف
ابن شراحيل بن تبع الحميري وكانوا نيفا وثمانين رجلا فحفر لهم اخدودا واحرقهم فيه
وحكى الثعلبي عنه ان اصحاب الاخدود من بني اسرائيل اخذوا رجالا ونساء فخدوا لهم
الاخاديد ثم اوقدوا فيها النار ثم اقيم المؤمنون عليها وقيل لهم تكفرون او تقذفون
في النار ويزعمون انه دانيال واصحابه وقاله عطية العوفي وروي نحوه عن ابن عباس

وقال

وقال علي رضي الله عنه ان ملكا سكر فوقع على اخته فارادوا ان يجعل ذلك شرعا في رعيته فلم
يقبلوا فاشارت عليه ان يخطب بان الله عز وجل احل نكاح الاخوات فلم يسمع منه فاشارت
عليه ان يخد لهم الاخدود وان يلقي فيه كل من عصاه ففعل وبقاياهم يستحلون الاخوات وهم
المجوس فكانوا اهل كتاب وروي عن علي ايضا ان اصحاب الاخدود كان سببهم ان نبيا بعثه
الله الى الحبشة فاتبعه قوم فخد لهم قومهم اخدودا فمن اتبع النبي رمي فيها فجيء بامراة لها بني
رضيع فجزعت فقال لها يا اماه امضي ولا تجزعي وقال ايوب عن عكرمة قال كان اصحاب
الاخدود قال كانوا قوما من السجستان وقال الكلبي هم نصارى نجران اخذوا بها
قوما مؤمنين فخدوا لهم سبعة اخاديد طول كل اخدود اربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر
ذراعا ثم طرح فيها النفط والحطب ثم طرحهم عليها فمن ابى قذفوه وقيل قوم من النصارى
كانوا بالقسطنطينية زمان قسطنطين وقال مقاتل اصحاب الاخدود ثلاثة واحد
بنجران والاخر بالشام والاخر بفارس اما الذي بالشام فانطانوس الرومي والذي بفارس
بخت نصر والذي بارض العرب يوسف بن ذي نواس فلم ينزل الله بالذي بفارس والشام
قرانا وانزل قرانا بالذي كان بنجران وذلك ان رجلين مسلمين كان احدهم بتهامة والاخر
بنجران اجر احدهما نفسه فجعل يعمل ويقرا الانجيل فرات ابنة المستاجر النور في قراءة
الانجيل فاخبرت اباها فاسلم وبلغوا سبعة وثمانين بين رجل وامراة بعدما رفع عيسى
فخد لهم يوسف بن ذي نواس ابن تبع الحميري اخدودا واوقد فيه النيران واعرض
عليهم الكفر فمن ابى ان يكفر قذفه في النار وقال من رجع عن دين عيسى لم يقذف
وان امراة معها ولد صغير لم يتكلم فرجعت فقال لها ابنها يا اماه اني ارى امامك نارا لا
تطفى فقذفا جميعا في النار فجعلها الله وابنها في الجنة فقذف في يوم واحد سبعة
وسبعون انسانا وقال ابن اسحاق عن وهب ابن منبه كان رجل من بقايا اهل دين
عيسى ابن مريم عليه السلام يقال له فيمون وكان رجلا صالحا مجتهدا في الزهد في
الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا في القرى لا يعرف بقرية الا مضى عنها وكان بناء
يعمل الطين قال محمد بن كعب القرظي وكان اهل نجران اهل شرك يعبدون الاوثان
وكان في قرية من قراها قريبا من نجران ساحر يعلم غلمان اهل نجران السحر فلما
نزل بها فيمون بنى بها خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي بها الساحر فجعل
اهل نجران يبعثون غلمانهم الى ذلك الساحر فيعلمهم السحر فبعث اليه التامر عبد الله
ابن التامر فكان مع غلمان اهل نجران وكان عبد الله اذا مر بصاحب الخيمة اعجبه
ما يرى من امر صلاته ودعائه فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى اسلم فبعث الله تعالى
اليه هدايته فوحد الله وعبده وجعل يساله عن اسم الله الاعظم وكان الراهب
يعلمه فكتمه اياه وقال يا ابن اخي انك لن تحمله اخشى ضعفك عنه وكان ابوه الناس
لا يظن الا ان ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما راى عبد الله ان الراهب
قد بخل عليه بتعليم اسم الله الاعظم عمد الى اقداح فجمعها لم يبق لله تعالى اسم يعلمه
الا كتبه في قدح حتى اذا احصاها اوقد لها نارا قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم
قذف فيها قدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء فاخذه ثم قام الى صاحبه
فاخبره انه قد علم الاسم الاعظم الذي كتمه اياه قال كذا وكذا قال وكيف علمته
فاخبره بما صنع فقال له يا ابن اخي قد اصبت فامسك على نفسك وما اظن ان تفعل
فجعل عبد الله بن التامر لا يلقى احدا به ضر الا قال له عبد الله اتوحد الله وتدخل
في ديني فادعوا الله لك فيعافيك فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له
فيشفيه حتى لم يبق احد بنجران به ضر الا اتاه فاتبعه على دينه فرفع شانه
الى ملكهم فدعاه فقال له افسدت على اهل قريتي وخالفت ديني ودين ابائي
لامثلن بك قال لا تقدر على ذلك فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على راسه
فيقع على الارض ليس به باس وجعل يبعث به الى مياه بنجران لا يلقى فيها شيء الا
هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به باس فلما غلبه قال له عبد الله ابن التامر والله

لا تقدر على قتلي حتى توحد الله وتؤمن بما آمنت به فإنك إذا فعلت ذلك سلطت
علي وقتلتني فوحد الله تعالى ذلك الملك وشهد شهادته ثم ضربه بعصا فشجه شجة
صغيرة بعصا ليست بكبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واجتمع أهل نجران على دين
عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم
ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن ذلك كان أصل النصرانية بنجران فسار إليهم
ذو نواس اليهودي بجنوده من حمير يدعوهم إلى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل
فاختاروا القتل فخد لهم الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل
عشرين ألفا وقال وهب بن منبه اثنا عشر ألفا وقال الكلبي كان أصحاب الأخدود سبعين
ألفا قال وهب ثم لما غلب أرياط على اليمن خرج ذو نواس هاربا فاقتحم البحر بفرسه فغرق
قال ابن إسحاق وذو نواس هذا اسمه زرعة بن تبان أسعد الحميري وكان أيضا
يسمى يوسف وكان له غدائر من شعر ينوس وكان فعل هذا بأهل نجران فأفلت
منهم رجل اسمه دوس ذو ثعلبان فساق الحبشة لينتصر بهم فملكوا اليمن وهلك
ذو نواس في البحر ألقى نفسه فيه وفيه يقول عمرو بن معدي كرب

أتوعدني كأنك ذو رعين ... بأنعم عيشة أو ذو نواس

وكائن كان قبلك من نعيم ... وملك ثابت في الناس راسي

قديم عهده من عهد عاد ... عظيم قاهر الجبروت قاسي

أزال الدهر ملكهم فأضحى ... ينقل من أناس في أناس

ذو رعين ملك من ملوك حمير ورعين حصن له وهو من ولد الحرث بن عمرو بن حمير بن
سبأ مسألة قال علماؤنا أعلم الله عز وجل المؤمنين من هذه الأمة في هذه الآية
ما كان يلقاه من قبلهم من المؤمنين من الشدائد يؤنسهم بذلك وذكر لهم النبي صلى الله عليه وسلم
قصة الغلام ليصبروا على ما يلاقون من الأذى والآلام والمشقات التي كانوا عليها
ليتأسوا بمثل هذا الغلام في صبره وتصلبه في الحق وتمسكه به وبذله
نفسه في حق إظهار دعوته ودخول الناس في الدين مع صغر سنه وعظم صبره وكذا
الراهب صبر على التمسك بالحق حتى نشر بالمنشار وكذلك كثير من الناس لما آمنوا
بالله تعالى ورسخ الإيمان في قلوبهم صبروا على الطرح في النار ولم يرجعوا عن دينهم
ابن العربي وهذا منسوخ عندنا حسبما تقدم بيانه في سورة النحل قلت ليس
بمنسوخ عندنا وأن الصبر على ذلك لمن قويت نفسه وصلب دينه أولى قال الله تعالى
مخبرا عن لقمان يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك
إن ذلك من عزم الأمور وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر خرجه الترمذي وقال
حديث حسن غريب وروى ابن سنجر عن أميمة مولاة النبي صلى الله عليه وسلم
قالت كنت أوضئ النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه رجل فقال أوصني فقال لا تشرك
بالله شيئا وإن قطعت أو حرقت بالنار الحديث قال علماؤنا ولقد امتحن كثير من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالقتل والصلب والتعذيب الشديد فصبروا ولم
يلتفتوا إلى شيء من ذلك ويكفيك قصة عاصم وخبيب وأصحابهما وما لقوا من الحروب
والمحن والقتل والأسر والحرق وغير ذلك وقد مضى هذا في النحل أن هذا إجماع
ممن قوي في ذلك فتأمله قوله عز وجل قتل أصحاب الأخدود على هؤلاء الكفار
الأبعاد من رحمة الله تعالى وقيل معناه الإخبار عن قتل أولئك المؤمنين أي أنهم
قتلوا بالنار فصبروا وقيل هو إخبار عن أولئك الظالمين فإن الله قبض أرواح
الذين ألقوا في الأخدود قبل أن يصلوا إلى النار وخرجت نار من الأخدود فأحرقت
الذين هم عليها قعود وقيل إن المؤمنين نجوا وأحرقت النار الذين قعدوا ذكره
النحاس ومعنى عليها أي عندها وعلى بمعنى عند وقيل عليها على ما يدنو منها من حافات
الأخدود كما قال ... وبات على النار الندى والمحلق

والعامل في قتل أي لعنوا في ذلك الوقت وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود أي حضور
بالكفار كانوا يعرضون الكفر على أهل الإيمان فمن أبى ألقوه في النار وفي ذلك وصفهم بالقسوة
ثم بالجد في ذلك وقيل على بمعنى مع أي وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم
وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح وقد مضى في براءة القول فيه أي ما نقم
الملك وأصحابه من الذين حرقهم إلا أن يؤمنوا أي إلا أن صدقوا بالله العزيز أي الغالب
المنيع الحميد أي المحمود في كل حال الذي له ملك السموات والأرض لا شريك له فيهما ولا نديد
والله على كل شيء شهيد أي عالم بأعمال خلقه لا تخفى عليه خافية إن الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا أي حرقوهم بالنار والعرب تقول فتن فلان الدرهم والدينار
إذا أدخله الكور لينظر جودته ودينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان وكذلك الشيطان
وورق فتين أي فضة محترقة ويقال للحرة فتين أي كأنها أحرقت حجارتها بالنار وذلك
لسوادها ثم لم يتوبوا أي من قبيح صنيعهم مع ما أظهره الله لهذا الملك الجبار الظالم وقومه
من الآيات البينات على يدي الغلام فلهم عذاب جهنم لكفرهم ولهم عذاب الحريق أي في الدنيا
لإحراقهم المؤمنين بالنار وقد تقدم عن ابن عباس وقيل ولهم عذاب الحريق أي في الآخرة
عذاب زائد على عذاب كفرهم بما أحرقوا المؤمنين وقيل لهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق والحريق اسم من
أسماء جهنم كالسعير والنار دركات وأنواع وأسماء وكأنهم يعذبون بالزمهرير في جهنم ثم
يعذبون بعذاب الحريق في النار والأول عذاب ببردها والثاني عذاب بحرها إن الذين
آمنوا أي هؤلاء الذين كانوا آمنوا بالله أي صدقوا به وبرسوله وعملوا الصالحات لهم جنات
أي لهم بساتين تجري من تحتها الأنهار من ماء غير آسن ومن لبن لم يتغير طعمه ومن خمر
لذة للشاربين ومن عسل مصفى ذلك الفوز الكبير الذي لا فوز يشبهه إن بطش ربك
لشديد أي أخذه الجبابرة والظلمة كقوله تعالى جل ثناؤه وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى
وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد وقد تقدم قال المبرد إن بطش ربك لشديد وهو
جواب القسم المعنى والسماء ذات البروج إن بطش ربك لشديد وما بينهما معترض مؤكد
القسم وكذلك قال الترمذي الحكيم إن القسم واقع على ذكر صفته بالشدة إنه هو يبدئ ويعيد
يعني الخلق عند أكثر العلماء يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم عند البعث وروى عكرمة قال عجب
الكفار من إحياء الله عز وجل الموتى وقال ابن عباس يبدئ لهم عذاب الحريق في الدنيا
ثم يعيده لهم في الآخرة وهذا اختيار الطبري وهو الغفور الودود أي المحب لأوليائه
الستور لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها الودود أي المحب لأوليائه وروى الضحاك
عن ابن عباس قال كما يود أحدكم أخاه بالبشرى والمحبة وعنه أيضا الودود المتودد
لأوليائه بالمغفرة وقال مجاهد الواد لأوليائه بالمغفرة وقال مجاهد الواد لأوليائه
فعول بمعنى فاعل وقال ابن زيد الرحيم وحكى المبرد عن إسماعيل بن إسحاق أن الودود
هو الذي لا ولد له وأنشد قول الشاعر

وأركب في الروع عريانة ... ذلول الجناح لقاحا ودودا

أي لا ولد لها تحن إليه ويكون معنى الآية أنه يغفر لعباده وليس له ولد يغفر لهم من أجله
ليكون بالمغفرة متفضلا من غير جزاء وقيل الودود بمعنى المودود كركوب وحلوب
أي يوده عباده الصالحون ويحبونه ذو العرش المجيد قرأ الكوفيون إلا عاصما المجيد
بالخفض نعتا للعرش وقيل لربك أي إن بطش ربك لشديد ولم يمتنع الفصل لأنه جار
مجرى الصفة في التشديد الباقون بالرفع نعتا لذو وهو الله تعالى واختاره أبو
عبيد وأبو حاتم لأن المجد هو النهاية في الكرم والفضل والله سبحانه هو المنعوت
بذلك وإن كان قد وصف عرشه بالكرم في آخر المؤمنين تقول العرب في كل شجر نار
واستمجد المرخ والعفار أي تناهيا فيه حتى يقتبس منهما ومعنى ذو العرش أي ذو الملك
والسلطان كما يقال فلان على سرير ملكه ويقال ثل عرشه أي ذهب سلطانه وقد
مضى بيان هذا في الأعراف وخاصة في كتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى فعال
لما يريد أي لا يمتنع عليه شيء يريده قال الزمخشري فعال خبر ابتداء محذوف وإنما

بل فعال لانه ما يريد ويفعل في غاية الكثرة وقال الفرا هو رفع على التكرير والاستئناف
لانه نكرة محضة وقال الطبري رفع فعال وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لاعراب الغفور
الودود وعن ابي السفر قال دخل ناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على ابي بكر رضي
الله عنه يعودونه فقالوا الا نأتيك بطبيب قال قد راني قالوا فما قال لك قال اني فعال
لما اريد قوله تعالى هل اتاك حديث الجنود اي قد اتاك يا محمد خبر الجموع الكافرة
المكذبة لانبيائهم يونسه بذلك ويسليه ثم بينهم فقال فرعون وثمود وهما في موضع جر
على البدل من الجنود المعنى انك قد عرفت ما فعل الله بهم حين كذبوا انبياءه ورسله والذين
كفروا اي هولاء الذين لا يومنون بك في تكذيب لك كداب من قبلهم وانما خص فرعون وثمود
لان ثمود في كلام العرب وقصتهم عندهم مشهورة وان كانوا من المتقدمين وامر فرعون كان
مشهورا عند اهل الكتاب وغيرهم وكان من المتاخرين في الهلاك فدل بهما على امثالهما
في الهلاك والله سبحانه اعلم والله من ورائهم محيط اي يقدر على ان ينزل بهم ما انزل بفرعون
والمخاطب به كالمحصور قيل اي والله عالم بهم فهو يجازيهم بل هو قران مجيد اي حسنه في
الشرف والكرم والبركة وهو بيان لما بالناس اليه من الحاجة اليه من احكام الدين
والدنيا كما زعم المشركون وقيل مجيد اي غير مخلوق في لوح محفوظ اي مكتوب في لوح وهو
محفوظ عند الله تعالى من وصول الشياطين اليه وقيل هو ام الكتاب ومنه انتسخ القران
والكتب وروى الضحاك عن ابن عباس قال اللوح من ياقوتة حمرا اعلاه معقود بالعرش
واسفله في حجر ملك يقال له ماطريون كتابه نور وقلمه نور ينظر الله عز وجل فيه كل يوم
ثلاثماية وستين نظرة ليس فيها نظرة الا وهو يفعل فيها ما يشا يرفع وضيعا ويضع
رفيعا ويغني فقيرا ويفقر غنيا يحيي ويميت ويفعل ما يشا لا اله الا هو وقال انس
ابن مالك ومجاهد ان اللوح المحفوظ الذي ذكره الله تعالى اصناف الخلق والخليقة
وبيان امورهم وذكر اجالهم وارزاقهم واعمالهم والاقضية النافذة فيهم ومال عواقب
امورهم وهو ام الكتاب وقال ابن عباس اول شي كتب الله في اللوح المحفوظ اني
انا الله لا اله الا انا محمد رسولي من استسلم لقضاي وصبر على بلاي وشكر نعماي كتبته
صديقا وبعثته مع الصديقين ومن لم يستسلم لقضاي ولم يصبر على بلاي ولم يشكر على
نعماي فليتخذ الها سواي وكتب الحجاج الى محمد بن الحنفية رضي الله عنه يتواعده
فكتب اليه بلغني ان الله تعالى ينظر في كل يوم ثلاثماية وستين نظرة في اللوح المحفوظ
يعز ويذل ويبتلي ويفرج ويفعل ما يشا فلعل نظرة منها يشغلك بنفسك فتشتغل
ولا تتفرغ وقال بعض المفسرين اللوح شي يلوح للملايكة فيقرونه وقرا ابن السميقع
وابو حيوة قران مجيد على الاضافة اي قران مجيد وقرا نافع في لوح محفوظ وقرا
الباقون بالرفع نعتا للقران اي بل هو قران مجيد محفوظ في لوح وقرا الباقون
بالجر نعتا للوح والقرا متفقون على فتح اللام من لوح الا ما روي عن يحيى بن يعمر
فانه قرا في لوح بضم اللام اي انه يلوح وهو ذو نور وشرف قال الزمخشري واللوح
الهوا يعني اللوح فوق السما السابعة الذي في اللوح وفي الصحاح لاح الشي يلوح لوحا
اي لمح ولاح السهم وغيره ولاح لوحا ولوحا عطش والتاج مثله واللوح الهوا بين السما
والارض والله اعلم

سورة والطارق مكية وهي سبعة عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والسما والطارق قسمان اقسم الله بهما السما قسم والطارق قسم
والطارق النجم وقد بينه الله عز وجل بقوله وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب
واختلف فيه فقيل هو زحل الكوكب الذي في السما السابعة ذكره محمد بن الحسن
في تفسيره وذكر له اخبارا الله اعلم بصحتها وقال ابن زيد انه الثريا وعنه ايضا
انه زحل وقاله الفرا قال ابن عباس هو الجدي وعنه ايضا وعن علي رضي الله عنهما

النجم الثاقب نجم في السما السابعة لا يسكنها غيره من النجوم فاذا اخذت النجوم
امكنتها من السما هبط فكان معها ثم يرجع الى مكانه من السما السابعة وهو زحل فاذا
هو طارق حين ينزل وطارق حين يصعد وحكى الفرا ثقب الطاير اذا ارتفع وعلا وروى
ابو صالح عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعدا مع ابي طالب فانحط
نجم فامتلات الارض نورا ففزع ابو طالب وقال اي شي هذا فقال هذا نجم رمي به
وهو اية من ايات الله فعجب ابو طالب ونزل والسما والطارق وروي عن ابن عباس
ايضا والسما والطارق وما يطرق فيها وعن ابن عباس وعطا الثاقب الذي يرمى
به الشياطين قتادة هو عام في ساير النجوم لان طلوعها بليل وكل من اتاك بليل فهو
طارق قال • ومثلك حبلى قد طرقت ومرضعا • فالهيتها عن ذي تمايم محيل •
وقال • الم تر اني كلما جيت طارقا • وجدت بها طيبا وان لم تطيب •
فالطارق النجم اسم جنس سمي بذلك لانه يطرق بالليل ومنه الحديث نهى النبي صلى الله عليه وسلم
ان يطرق المسافر اهله ليلا كيلا تستحد المغيبة وتمتشط الشعثة والعرب تسمي كل قاصد في
الليل طارقا يقال طرق فلان طروقا اذا جا بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق ولابن الرومي
• يا راقد الليل مسرورا باوله • ان الحوادث قد يطرقن اسحارا •
• لا تفرحن بليل طاب اوله • فرب اخر ليل اجج النارا •
وفي الصحاح الطارق النجم الذي يقال له كوكب الصبح ومنه قول هند •
• نحن بنات طارق • نمشي على النمارق •
اي ان ابانا في الشرف كالنجم المضي الماوردي واصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة
فسمي قاصد الليل طارقا لاحتياجه في الوصول الى الدق وقال قوم انه قد يكون الطرق
الدق نهارا والعرب تقول اتيتك اليوم طرقتين اي مرتين ومنه قول النبي صلى الله عليه
وسلم اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن وقال جرير في
الطروق • طرقتك صايدة القلوب وليس ذا • حين الزيارة فارجعي بسلام •
ثم بين فقال وما ادراك ما الطارق النجم الثاقب والثاقب المضي ومنه شهاب ثاقب
يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة اذا اضا وثقوبه ضووه والعرب تقول اثقب نارك اي اضيها
قال • اذاع به في الناس حتى كانه • بعليا نار اوقدت بثقوب •
الثقوب ما يشعل به النار من دقاق العيدان وقال مجاهد الثاقب المتوهج قال
القشيري والمعظم على ان الطارق والثاقب اسم جنس اريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد
وما ادراك ما الطارق تفخيما له اي لشان هذا المقسم به وقال سفيان كل ما في القران وما
ادراك فقد اخبره به وكل شي قال فيه وما يدريك لم يخبره به قوله تعالى ان كل نفس
لما عليها حافظ قال قتادة حفظة يحفظون عليك رزقك وعملك واجلك وعنه ايضا قال
قرينه يحفظ عليه عمله من خير او شر وهذا هو جواب القسم وقيل الجواب انه على رجعه
لقادر في قول محمد بن علي الترمذي وان مخففة من الثقيلة وما موكدة وان كل نفس
لما عليها حافظ وقيل المعنى ان كل نفس الا عليها حافظ يحفظها من الافات حتى يسلمها
الى القدر قال الفرا الحافظ من الله يحفظها حتى يسلمها الى المقادير وقاله الكلبي وقال
ابو امامة قال النبي صلى الله عليه وسلم وكل بالمومن ماية وستون ملكا يذبون عنه ما لم
يقدر عليه من ذلك البصر سبعة املاك يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب
ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقرا ابن عامر وعاصم وحمزة
لما بتشديد الميم اي ما كل نفس الا عليها حافظ وهي لغة هذيل يقول قايلهم نشدتك لما
قمت الباقون بالتخفيف على ان ما زايدة موكدة كما ذكرنا ونظير هذه الاية قوله تعالى
له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله على ما تقدم وقيل الحافظ
هو الله سبحانه فلولا حفظه لها لم تبق وقيل الحافظ عليه عقله يرشده الى مصالحه
ويكفه عن مضاره قلت العقل وغيره وسايط والحافظ بالحقيقة هو الله قال
الله جل ثناوه فالله خير حفظا وقال قل من يكلوكم بالليل والنهار من الرحمن وما كان

مثله قوله تعالى فلينظر الانسان اي ابن ادم مم خلق وجه الاتصال بما قبله توصية للانسان
بالنظر في اول امره وسنته الاولى حتى يعلم ان من انشاه قادر على اعادته وجزائه
فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملي على حافظه الا ما يسره في عاقبة امره ومم خلق
استفهام اي من اي شي خلق ثم قال خلق وهو جواب الاستفهام من ماء دافق اي من المني
والدفق صب الماء دفقت الماء ادفقه دفقا صببته فهو ماء دافق اي مدفوق اي من المني
والدفق الماء كما قالوا سر كاتم اي مكتوم لانه من قولك دفق الماء على ما لم يسم فاعله ولا يقال
دفق الماء ودفق الله روحه اذا دعا عليه بالموت قال الفراء والاخفش ماء دافق اي مصبوب
في الرحم الزجاج اي ما ذا دفق يقال دارع وفارس وتابل اي ذو درع وفرس وتبل وهذا
مذهب سيبويه فالدافق هو المندفق لشدة قوته واراد ماءين ماء الرجل والمراة لان الانسان
مخلوق منهما لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما وعن عكرمة عن ابن عباس دافق لزج يخرج
اي هذا الماء من بين الصلب اي من الظهر وفيه لغات اربع صلب وصلب وقرئ بهما وصلب
بفتح اللام وصالب على وزن غالب ومنه قول العباس تنقل من صالب الى رحم والترائب
اي الصدر الواحدة تريبة وهي موضع القلادة من الصدر قال الشاعر

• مهفهفة بيضاء غير مفاضة • ترائبها مصقولة كالسجنجل •

والصلب من الرجل والترائب من المراة قال ابن عباس الترائب موضع القلادة وعنه
ما بين ثدييها وقاله عكرمة وروي عنه يعني ترائب المراة اليدين والرجلين والعينين
وبه قال الضحاك وقال سعيد بن جبير هو الجيد مجاهد هو ما بين المنكبين والصدر
وعنه الصدر وعنه التراقي وعن ابن جبير عن ابن عباس الترائب اربعة اضلاع من هذا
الجانب وحكى الزجاج ان الترائب اربعة اضلاع من يمنة الصدر واربعة اضلاع من يسرة
الصدر وقال معمر بن ابي حبيبة المدني الترائب عصارة القلب ومنه يكون الولد
والمشهور من كلام العرب انها عظام الصدر والنحر قال دريد بن الصمة

• فان تدبروا ناخذكم في ظهوركم • وان تقبلوا ناخذكم في الترائب •

وقال الاخر • والزعفران على ترائبها • شرقا به اللبات والنحر •

وعن عكرمة وقال ذو الرمة الترائب الصدر ثم انشد • نظام در على ترائبها •

وقال ذو الرمة • ضرجن البرود عن ترائب حرة • اي شققن ويروى ضرحن بالحاء اي
القين وفي الصحاح والتريبة واحدة الترائب وهي عظام الصدر ما بين الترقوة
والثندوة قال الشاعر • اشرف ثدياها على التريب • وقال المثقب العبدي

• ومن ذهب يبين على تريب • كلون العاج ليس بذي غضون •

عن غير الجوهري وفي التفسير يخلق من ماء الرجل الذي يخرج من صلبه العظم والعصب
ومن ماء المراة الذي يخرج من ترائبها الدم واللحم وقاله الاعمش وقد تقدم مرفوعا
في اول سورة ال عمران والحمد لله وفي الحجرات انا خلقناكم من ذكر وانثى وقد تقدم مرفوعا
في اول سورة ال عمران وقد تقدم وقد تقدم قيل ان ماء الرجل ينزل من الدماغ ثم يجتمع
بين الصلب والترائب وقال قتادة المعنى ويخرج من صلب الرجل وترائب المراة
ومن صلب الرجل وترائب الرجل ثم انا نعلم ان النطفة من جميع اجزاء البدن ولذلك
يشبه الرجل والديه كثيرا وهذه الحكمة في غسل جميع الجسد من خروج المني وايضا
المكثر من الجماع يجد وجعا في ظهره وصلبه وليس ذلك الا لخلو صلبه عما كان محتبسا
من الماء وروى اسماعيل عن اهل مكة يخرج من بين الصلب بضم اللام وروي عن عيسى
الثقفي حكاه المهدوي وقال من جعل المني يخرج من بين صلب الرجل وترائبه فالضمير
في يخرج للماء ومن جعله من بين صلب الرجل وترائب المراة فالضمير للانسان وقرئ
الصلب بفتح الصاد واللام انه اي ان الله جل ثناؤه على رجعه اي رد الماء في الاحليل
لقادر كذا قال الضحاك ومجاهد وعنهما ايضا ان المعنى انه على رد الانسان ماء كما
كان لقادر وعنه ايضا ان المعنى انه على رد الانسان من الكبر الى الشباب ومن الشباب
الى الكبر كذا في المهدوي وفي الماوردي والثعلبي الى الصبا ومن الصبا الى النطفة وقال

ابن

ابن زيد انه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر وقال ابن عباس وقتادة وعكرمة
ايضا انه على رد الانسان بعد الموت لقادر وهو اختيار الطبري والثعلبي وهو الاقوى
لقوله تعالى يوم تبلى السرائر قال الماوردي ويحتمل انه على ان يعيده الى الدنيا بعد بعثه
في الاخرة لان الكفار يسالون الله تعالى فيها الرجعة قوله تعالى يوم تبلى السرائر فيه
مسئلتان الاولى قوله تعالى يوم العامل في يوم في قول من جعل المعنى انه على بعث الانسان
قوله لقادر ولا يعمل فيه رجعه لما فيه من التفرقة بين الصلة والموصول بخبر ان وعلى القول
الاول الذي في انه على رجعه لقادر يكون العامل في يوم فعل مضمر ولا يعمل فيه لقادر لان
المراد في الدنيا وتبلى اي تمتحن وتختبر قال ابو الغول الطهوي

• ولا تبلى بسالتهم وان هم • صلوا بالحرب حينا بعد حين •

ويروى تبلى بسالتهم نحن رواه تبلى بضم التاء جعله من الاختبار وتكون البسالة على هذه
الرواية الكراهة كانه قال لا تعرف لهم فيها كراهة وتبلى تعرف قال الراجز

• قد كنت قبل اليوم تزدريني • فاليوم ابلوك وتبتليني •

اي اعرفك وتعرفني ومن رواه تبلى بفتح التاء فالمعنى انهم لا يضعفون عن الحرب وان تكررت
عليهم زمانا بعد زمان وذلك ان الامور الشداد اذا تكررت على الانسان هدته واضعفته
وقيل تبلى السرائر اي تخرج مخباتها وتظهر وهو كل ما كان استسره الانسان من خير او شر واضمره
من ايمان او كفر كما قال الاحوص • ستبقى لها في مضمر القلب والحشى • سريرة ود يوم تبلى السرائر •
الثانية روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايتمن الله خلقه على اربع على الصلاة والزكاة
والصيام والغسل وهي السرائر التي يختبرها الله عز وجل يوم القيامة ذكره المهدوي وقال
ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث من حافظ عليها فهو ولي الله حقا ومن
اختانهن فهو عدو الله حقا الصلاة والصوم والغسل من الجنابة ذكره الثعلبي وذكر الماوردي
عن زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الامانة ثلاث الصوم والصلاة
والجنابة استامن الله عز وجل ابن ادم على الصلاة فان شا قال صليت ولم يصل استامن
الله عز وجل ابن ادم على الصوم فان شا قال صمت ولم يصم استامن الله عز وجل ابن ادم على
الجنابة فان شا قال اغتسلت ولم يغتسل اقرؤوا ان شئتم يوم تبلى السرائر وذكره الثعلبي عن
عطا قوله وقال مالك رحمه الله في رواية اشهب عنه وسالته عن قوله تعالى يوم تبلى السرائر
ابلغك ان الوضوء من السرائر قال قد بلغني ذلك فيما يقول الناس فاما حديث حدثت به
فلا والصلاة من السرائر والصيام من السرائر ان شا قال صليت ولم يصل ومن السرائر ما في
القلوب يجزي الله به العباد قال ابن العربي قال ابن مسعود يغفر الله للشهيد الا الامانة
والوضوء من الامانة والصلاة والزكاة من الامانة والوديعة من الامانة واشد ذلك
الوديعة تمثل على هيئتها يوم اخذها فيرمى بها في قعر جهنم فيقال له اخرجها فيتبعها
فاذا اخرجها يخرج بها زلت فيتبعها فهو كذلك دهر الداهرين وقال ابي بن كعب من الامانة
ان ايتمنت المراة على فرجها قال اشهب قال لي سفيان في الحيضة والحمل ان قالت لم احض
وانا حامل صدقت ما لم تات بما تعرف فيه انها كاذبة وفي الحديث غسل الجنابة من الامانة
وقال ابن عمر يبدي الله يوم القيامة كل سر خفي فيكون زينا في الوجوه وشينا في الوجوه
والله عالم بكل شي ولكن نظهر علامات للملائكة والمؤمنين قوله تعالى فما له اي للانسان
من قوة اي منعة تمنعه ولا ناصر ينصره مما نزل به وعن عكرمة فما له من قوة ولا ناصر قال
هؤلاء الملوك يوم القيامة من قوة ولا ناصر وقال سفيان القوة العشيرة والناصر الحليف
وقيل فما له من قوة في بدنه ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله تعالى وهو معنى قول
قتادة قوله تعالى والسماء ذات الرجع اي المطر ترجع كل سنة بمطر بعد مطر كذا قال عامة
المفسرين وقال اهل اللغة الرجع المطر وانشدوا للمتنخل يصف سيفا شبهه بالماء

• ابيض كالرجع رسوب اذا • ما ثاخ في محتفل يختلي •

الرجع المطر نفسه والرجع ايضا نبات وقيل ذات الرجع اي ذات النفع وقد يسمى المطر
ايضا اوبا كما يسمى رجعا قال

وما بها الا اواري لمسنها • الا السحاب والا الاوب والسبل •
وقال عبد الرحمن بن زيد الشمس والقمر والنجوم يرجعن في السما تطلع من ناحية
وتغيب في اخرى وقيل ذات الملايكة لرجوعهم اليها باعمال العباد وهذا قسم والارض
ذات الصدع قسم اخر يتصدع عن النبات والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا
الارض شقا الاية والصدع والارض ذات الصدع قسم اخر اي يتصدع عن النبات
والشجر والثمار والانهار نظيره ثم شققنا الارض شقا الاية والصدع بمعنى الشق
لانه يصدع الارض فتنصدع به وكانه قال والارض ذات النبات لان النبات صادع
للارض وقال مجاهد والارض ذات الطرق التي تصدعها المشاة وقيل ذات الحرث لانه
يصدعها وقيل ذات الاموات لانصداعها عنهم للنشور انه لقول فصل هذا موضع
القسم اي ان القران يفصل بين الحق والباطل وقد تقدم في مقدمة الكتاب ما رواه الحرث
عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كتاب الله فيه
خبر ما قبلكم وحكم ما بعدكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى
الهدى في غيره اضله الله وقيل المراد بالقول الفصل ما تقدم من الوعيد في هذه السورة من
قوله تعالى انه على رجعه لقادر يوم تبلى السراير وما هو بالهزل اي ليس القران بالباطل
واللعب والهزل ضد الجد وقد هزل يهزل قال الكميت • يجد بنا في كل يوم ويهزل •
انهم اي ان اعدا الله يكيدون كيدا اي يمكرون بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه مكرا
واكيد كيدا اي اجازيهم جزا كيدهم وقيل هو ما اوقع الله بهم يوم بدر من القتل والاسر
وقيل كيد الله استدراجهم من حيث لا يعلمون وقد مضى هذا المعنى في اول البقرة
عند قوله تعالى الله يستهزي بهم فمهل الكافرين اي اخرهم ولا تسال الله تعجيل اهلاكهم
وارض بما تريده في امورهم ثم نسخت باية السيف اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
امهلهم تاكيد ومهل وامهل بمعنى مثل نزل وانزل وامهله انظره ومهله تمهيلا والاسم
المهلة والاستمهال الاستنظار وتمهل في امره اي اتاد وتمهل تمهلا اي اعتدل وانتصب
والامهال ايضا سكون وفتور يقال مهلا يا فلان اي رفقا وسكونا رويدا اي
قريبا عن ابن عباس قتادة قليلا والتقدير امهلهم امهالا قليلا والرويد في كلام
العرب تصغير رود وكذا رواه ابو عبيد وانشد • كانها ثمل يمشي على رود • اي على مهل
وتصغير رويدا امهالا لان الكاف انما يدخله اذا كان بمعنى افعل دون غيره وانما حركت
الدال لالتقاء الساكنين ونصب نصب المصادر وانما حركت الدال وهو مصغر مامور
به لانه تصغير الترخيم من ارواد وهو مصدر ارود يرود وله اربعة اوجه اسم للفعل
وصفة وحال ومصدر فالاسم نحو قولك رويدا عمرا اي ارود عمرا اي امهله والصفة
نحو قولك ساروا سيرا رويدا والحال نحو قولك سار القوم رويدا لما اتصل بالمعرفة
صار حالا لها والمصدر في نحو قولك رويد عمرو بالاضافة كقوله تعالى فضرب
الرقاب قال جميعه الجوهري والذي في هذه الاية من هذه الوجوه ان يكون
نعتا للمصدر اي امهلهم امهالا رويدا ويجوز ان يكون للحال اي امهلهم غير مستعجل لهم العذاب

سورة الاعلى مكية في قول الجمهور وقيل مدنية وهي تسع عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى يستحب للقارئ اذا قرا سبح اسم ربك الاعلى
ان يقول عقيبه سبحان ربي الاعلى قاله النبي صلى الله عليه وسلم وقاله جماعة
من الصحابة والتابعين على ما ياتي وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
قال ان لله تعالى ملكا يقال له حزقيائيل له ثمانية عشر الف جناح ما بين
الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل تقدر ان تبصر العرش فزاده
الله اجنحة مثلها فكان له ست وثلاثون الف جناح ثم اوحى الله اليه ايها الملك

طير فطار مقدار عشرين الف سنة فلم يبلغ راس قايمة من قوايم العرش ثم ضاعف له في الاجنحة
والقوة وامره ان يطير فطار مقدار ثلاثين الف سنة اخرى فلم يصل ايضا فاوحى الله تعالى
اليه ايها الملك لو طرت الى نفخ الصور مع اجنحتك لم تبلغ ساق عرشي فقال الملك سبحان
ربي الاعلى فانزل الله تعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في سجودكم ذكره الثعلبي في كتاب العرايس له وقال ابن عباس والسدي معنى سبح اسم
ربك الاعلى اي عظم ربك الاعلى والاسم صلة قصد بها تعظيم المسمى كما قال لبيد •
الى الحول ثم اسم السلام عليكما • وقيل نزه ربك عن السوء وعما يقول فيه الملحدون وذكر
الطبري ان المعنى نزه اسم ربك عن ان تسمي به احدا سواه وقيل نزه تسمية ربك وذكرك اياه
ان تذكره الا وانت خاشع معظم ولذكره محترم وجعلوا الاسم بمعنى التسمية والاولى ان يكون الاسم
هو المسمى روى نافع عن ابن عمر قال لا تقل على اسم الله فان اسم الله هو الاعلى وروى ابو صالح
عن ابن عباس صل بامر ربك الاعلى قال وهو ان تقول سبحان ربي الاعلى وروي عن علي رضي
الله عنه وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وابي موسى وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم
انهم كانوا اذا افتتحوا قراءة هذه السورة قالوا سبحان ربي الاعلى امتثالا لامره
في اولها فيختار الاقتدا بهم في قراءتهم لا ان سبحان ربي الاعلى من القران كما قاله بعض اهل
الزيغ وقيل انها في قراءة ابي سبحان ربي الاعلى وكان ابن عمر يقروها كذلك خرجه احمد وابو
داود من حديث ابن عباس ووقف عليه والله اعلم وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قراها قال سبحان ربي الاعلى قال ابو بكر الانباري حدثني محمد بن شهريار قال حدثنا
حسين بن الاسود قال ثنا عبد الرحمن بن ابي حماد فلما انقضت الصلاة قيل له يا امير المومنين
اتزيد هذا في القران قال ما هو قال سبحان ربي الاعلى قال لا انما امرنا بشي ففعلته وعن عقبة
ابن عامر الجهني قال لما نزلت سبح اسم ربك الاعلى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها
في سجودكم وهذا كله يدل على ان الاسم هو المسمى لانهم لم يقولوا سبحان اسم ربي وقيل ان اول
من قال سبحان ربي الاعلى ميكاييل عليه السلام وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل يا جبريل
اخبرني بثواب من قال سبحان ربي الاعلى في صلاته او في غير صلاته فقال يا محمد ما من مومن
ولا مومنة يقولها في سجوده او غير سجوده الا كانت في ميزانه اثقل من العرش والكرسي
وجبال الدنيا ويقول الله تعالى صدق عبدي انا فوق كل شي وليس فوقي شي اشهدوا
يا ملايكتي اني قد غفرت له وادخلته الجنة فاذا مات زاره ميكاييل كل يوم فاذا كان
يوم القيامة حمله على جناحه فاوقفه بين يدي الله تعالى فيقول يا رب شفعني فيه
فيقول قد شفعتك فيه فاذهب به الى الجنة وقال سبح اسم ربك الاعلى اي صل لربك
الاعلى وقيل اي صل باسما الله لا كما يصلي المشركون بالمكا والتصدية وقيل ارفع صوتك
بذكر ربك قال جرير • قبح الاله وجوه تغلب كلما • سبح الحجيج وكبروا تكبيرا •
قوله تعالى الذي خلق فسوى تقدم معنى التسوية في الانفطار وغيرها اي سوى
ما خلق فلم يكن في خلقه تثبيج وقال الزجاج اي عدل قامته وعن ابن عباس حسن ما خلق
وقال الضحاك خلق ادم فسوى خلقه وقيل خلق في اصلاب الابا وسوى في ارحام الامهات
وقيل خلق الاجساد فسوى الافهام وقيل اي خلق الانسان وهياه للتكليف والذي قدر
فهدى قرا علي رضي الله عنه والسلمي والكسايي قدر مخففة الدال وشدد الباقون وهما
بمعنى واحد اي قدر ووفق لكل شي شكله فهدى اي ارشد قال مجاهد قدر الشقاوة
والسعادة وهدى للرشد والضلالة وعنه ايضا قال هدى الانسان للسعادة والشقاوة
وهدى الانعام لمراعيها وقيل قدر ارزاقهم واقواتهم وهداهم لمعاشهم ان كانوا انسا ولمراعيهم
ان كانوا وحشا وروي عن ابن عباس والسدي ومقاتل والكلبي في قوله فهدى قال
عرف خلقه كيف ياتي الذكر الانثى كما قال في طه اعطى كل شي خلقه ثم هدى اي الذكر
للانثى وقال عطا جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له وقيل خلق المنافع في الاشيا
وهدى الانسان لوجه استخراجها منها وقيل قدر فهدى قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه
اليه وعرفه وجه الانتفاع به حكي ان الافعى اذا اتت عليها الف سنة عميت وقد الهمها الله

عز وجل ان عشي المعين يورق الراز بانج الاخضر الغض يود البها بصرها فيرعا كانت في تربيه
بينها وبين الريف مسيرة ايام فتطوي تلك المسافة على طولها وعماها حتى تهجم في بعض البساتين
على شجر الرازيانج لا تخطيها فتحك بها عينها وترجع باصرة باذن الله تعالي وهذه ايات الانسان
الي ما لا يجد من مصلحته ولاما لا يحصر من حوايجه واغذيته وادويته وفي ابواب دينه ودنياه
والهامات البهايم والطيور وهوام الارض ثابت واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف
سبحان ربي الاعلي فاكتفي وقال السدي قدر مدة الجنين في الرحم تسعة اشهر واقل واكثر
وهداه الي الخروج من الرحم وقال الفراء قدر فهدي واضل فاكتفي بذكر احدهما كقوله
تعالي سرابيل تقيكم الحر ويحتمل ان يكون بمعني دعي الي الايمان كقوله تعالي سرابيل تقيكم الحر
وانك لتهدي الي اي لتدعوا وقد دعي الكل الي الايمان وقيل هدي اي دلهم بافعاله على توحيده
وكونه عالما قادرا ولا خلاف من شدد الدال انه من قدر من التقدير كقوله تعالي وخلق كل
شي فقدره تقديرا ومن خفف فيحتمل ان يكون من التقدير فيكونا بمعني ويحتمل ان يكون
من القدرة والملك اي ملك الاشيا وهدي من شا قلت وسمعت بعض اشياخنا يقول
الذي خلق فسوي والذي قدر فهدي هو تفسير العلو الذي يليق بجلال الله سبحانه على
جميع مخلوقاته قوله تعالي والذي اخرج المرعي اي النبات والكلا الاخضر قال الشاعر

• وقد ينبت المرعي على دمن الثرى • وتبقي حزازات النفوس كما هيا •

فجعله غثا احوي الغثا ما يقذف به السيل على جانب الوادي من الحشيش والنبات
والقماش وكذلك الغثا بالتشديد والجمع الاغثا قتادة الغثا الشي اليابس ويقال
للبقل والحشيش اذا تحطم ويبس غثا وهشيم وكذلك الذي يكون حول الما من القماش
غثا كما قال • كان طمية المجيمر غدوة • من السيل والغثا فلكة مغزل •
وحكى اهل اللغة غثا الوادي واخفي وكذلك الما اذا علاه من الزبد والقماش ما لا
ينتفع به والاحوي الاسود اي النبات يضرب الي الحوة من شدة الخضرة كالاسود
والحوة السواد قال الاعشي • لميا في شفتيها حوة لعس • وفي اللثات وفي انيابها الشنب •
وفي الصحاح والحوة سمرة الشفة يقال رجل احوي وامراة حوي وقد حويت وبعير
احوي اذا خالط خضرته سواد وصفرة وتصغير احوي احيو في لغة من قال اسيود
ثم قيل يجوز ان يكون احوي حالا من المرعي ويكون المعني كانه من خضرته يضرب الي السواد
والتقدير اخرج المرعي احوي فجعله غثا يقال قد حوي النبت حكاه الكسائي وقال

• وغيث من الوسمي حو تلاعه • تبطنته بشيظم سلطان •

ويجوز ان يكون احوي صفة لغثا والمعني انه صار كذلك بعد خضرته قال ابو عبيدة
فجعله اسود من احتراقه وقدمه والرطب اذا يبس اسود وقال عبد الرحمن بن
زيد اخرج المرعي اخضر ثم لما يبس اسود ثم صار غثا فذهب به الرياح والسيول
وهو مثل ضربه الله تعالي للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها قوله تعالي
سنقريك فلا تنسي اي القران يا محمد فتحفظه رواه ابن وهب عن مالك وهذا بشري
من الله تعالي بشره بان اعطاه اية بينة وهو ان يقرا عليه جبريل ما ينزل عليه من
الوحي وهو امي لا يكتب ولا يقرا فيحفظه ولا ينساه وعن ابن ابي نجيح عن مجاهد
والكلبي كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه جبريل عليه السلام بالوحي لم يفرغ
جبريل من اخر الايه حتي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم باولها مخافة ان ينساها
فنزلت سنقريك فلا تنسي بعد ذلك شيا فقد كفيتكه ووجه الاستثنا على هذا
ما قاله الفرا الا ما شا الله وهو لم يشا ان ينسا شيا كقوله تعالي خالدين فيها ما دامت
السموات والارض الا ما شا ربك ولا يشا ويقال في الكلام لاعطينك كل ما سالت
الا ما شيت والا ان اشا ان امنعك والنية على ان لا يمنعه شيا فعلى هذا مجاري
الايمان يستثني فيها ومنه لحالف التمام وفي رواية ابي صالح عن ابن عباس فلم ينس
بعد نزول هذه الايه حتي مات الا ما شا الله ان ينسي ولكنه لم ينس شيا ثم يذكر
بعد ذلك فاذا قد نسي ولكنه يتذكر ولا ينسي شيا ناكليا وقد روي انه اسقط اية في

قرائته

قرائته يحسب ابي انها نسخت فساله فقال اني نسيتها وقيل هو من النسيان اي الا ما شا الله
ان ينسيك ثم قيل هذا بمعني النسخ اي الا ما شا الله ان ينسخه والاستثنا نوع من النسخ
وقيل النسيان بمعني الترك اي يعصمك من ان تترك العمل به الا ما شا الله ان يترك فنسخه
اياه فهذا في نسخ العمل والاول في نسخ القراة قال الغزالي كان يغشي مجلس الجنيد اهل
النسط من العلوم وكان يغشاه ابن كيسان النحوي وكان رجلا جليلا فقال يوما ما تقول
يا ابا القاسم في قوله تعالي سنقريك فلا تنسي فاجابه مسرعا كانه تقدم له السوال قبل ذلك
لا تنسي العمل به فقال ابن كيسان لا يفضض الله فاك قال مثلك من يصدر عن رايه وقوله
فلا للنفي وقيل للنهي وقيل انما اثبت اليا لان روس الاي على ذلك والمعني لا تغفل عن
قراته وتكراره فتنساه الا ما شا الله ان ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة والاول هو المختار
لان الاستثنا من النهي لا يكاد يكون الا موقتا معلوما وايضا فان اليا مثبتة في جميع المصاحف
وعليه القرا وقيل معني الا ما شا الله ان يوخر انزاله وقيل المعني فجعله غثا احوي الا
ما شا الله ان يناله بنو ادم والبهايم فانه لا يصير كذلك قوله تعالي انه يعلم الجهر
اي الاعلان من القول والعمل وما يخفي من السر وعن ابن عباس ما في قلبك ونفسك وقال
محمد بن حاتم يعلم اعلان الصدقة واخفاها وقيل الجهر ما حفظته من القران في صدرك وما
يخفي هو ما نسخ في صدرك ونيسرك معطوف على سنقريك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفي
اعتراض ومعني لليسري اي للطريقة اليسري وهي عمل الخير قال ابن عباس نيسرك لان تعمل
خيرا ابن مسعود اليسري اي الجنة وقيل نوفقك للشريعة اليسري وهي الحنيفية السمحة
قال معناه الضحاك وقيل اي نهون عليك الوحي حتي تحفظه وتعمل به قوله تعالي
فذكر اي فعظ قومك يا محمد بالقران ان نفعت الذكري اي الموعظة وروي يونس عن
الحسن قال تذكرة للمومنين وحجة على الكافرين وكان ابن عباس يقول ينفع اوليا الله
ولا ينفع اعدا الله وقال الجرجاني التذكير واجب وان لم ينفع فحذف كما قال سرابيل تقيكم
الحر وقيل انه مخصوص باقوام باعيانهم وقيل ان ان بمعني ما لا بمعني الشرط لان الذكري
نافعه بكل حال قاله ابن شجره وذكر بعض اهل العربيه ان ان بمعني اذ نفعت كقوله تعالي
وانتم الاعلون ان كنتم مومنين اي اذ كنتم فلم يخبر بعلوهم الا بعد ايمانهم قوله تعالي
سيذكر من يخشي اي يتقي الله ويخافه قال ابن عباس قال نزلت في ابن ام مكتوم الماوردي
وقد يتذكر من يرجوه الا ان تذكرة الخاشي ابلغ من تذكرة الراجي فلذلك علقها بالخشية دون
الرجا وان تعلقت بالخشية والرجا وقيل اي عم انت التذكير والوعظ وان كان الوعظ
انما ينفع من يخشي لكن يحصل لك ثواب الدعا حكاه القشيري قوله تعالي ويتجنبها اي
ويتجنب الذكري ويبعد عنها الاشقي اي الشقي في علم الله عز وجل وقيل نزلت في الوليد
ابن المغيرة وعتبة بن ربيعة الذي يصلي النار الكبري اي العظمي وهي السفلي من طباق
النار قاله الفرا وعن الحسن الكبري نار جهنم والصغري نار الدنيا وقاله يحيي بن سلام
ثم لا يموت فيها ولا يحيي اي لا يموت فيستريح من العذاب ولا يحيي حياة تنفعه كما قال
الشاعر • الا ما لنفس لا تموت فينقضي • عناها ولا تحيي حياة لها طعم •
وقد مضي في سورة النسا وغيرها حديث ابي سعيد الخدري وان المذنبين اذا دخلوا
جهنم وهي النار الصغري على قول الفرا احترقوا فيها وماتوا الا ان ينفع فيهم خرجه
مسلم وقيل اهل الشقا متفاوتون في شقايهم وهذا الوعيد للاشقي وان كان
ثم شقي لا يبلغ هذه المرتبة قوله تعالي قد افلح من تزكي فيه ثلاث مسايل
الاولي قوله تعالي قد افلح اي قد صادف البقا في الجنة من تطهر من الشرك بالايمان
قاله ابن عباس وعطا وعكرمة وقال الحسن والربيع من كان عمله زاكيا ناميا وقال
الحسن عن قتادة تزكي قال بعمل صالح وعنه وعن عطا وابي العاليه نزلت في صدقة
الفطر وعن ابن سيرين قد افلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلي قال خرج فصلي بعد
ما ادي زكاته وقال عكرمة كان الرجل يقول اقدم زكاتي بين يدي صلاتي فقال
سفيان قال الله تعالي قد افلح من تزكي وذكر اسم ربه فصلي ويروي عن ابي سعيد

الخدري وبن عمران ذلك في صدقة الفطر وزكاة العيد وكذلك قال ابو العاليه وقال
ان اهل المدينة لا يرون صدقة افضل منها ومن سقاية الماء وروي كثير بن عبد الله
عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى قد افلح من تزكى
قال اخرج زكاة الفطر وذكر اسم ربه فصلى قال صلاة العيد وقال بن عباس والضحاك
وذكر اسم ربه فصلى في طريق المصلى فصلى صلاة العيد وقيل المراد بالاية زكاة
الاموال كلها قاله ابو الاحوص وعطا وروي بن جريج قال قلت لعطا قد افلح من
تزكى للفطر هي الصدقات كلها وقيل هي زكاة الاعمال لا زكاة الاموال اي يطهر في
اعماله من الريا والتقصير لان الاكثر ان يقال في المال زكى لا يزكى وروي جابر بن عبد
الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم قد افلح من تزكى اي من شهد ان لا اله الا الله
وخلع الانداد وشهد اني رسول الله وعن بن عباس تزكى قال لا اله الا الله وروى
عن عطا قال نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه كان بالمدينة منافق كانت له
نخلة بالمدينة والرطب الى دار الانصاري مايلة الى دار رجل من الانصار اذا هبت
الرياح اسقطت البسر والرطب في دار الانصاري ياكل هو وعياله فخاصمه المنافق
فشكا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل الى الانصاري وهو لا يعلم
فقال ان اخاك الانصاري ذكر ان بسرك ورطبك يقع الى منزله فياكل هو وعياله
فهل لك ان اعطيك نخلة في الجنة بدلها قال ابيع عاجلا باجل لا افعل فذكروا ان عثمن
اعطاه حايطا من نخل بدل نخلته ففيه نزلت قد افلح من تزكى ونزلت في المنافق
ويتجنبها الاشقى وذكر الضحاك انها نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه الثانية
قد ذكرنا القول في زكاة الفطر في سورة البقرة مستوفى وقد تقدم ان هذه السورة
مكية في قول الجمهور ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر قال القشيري ولا يبعد ان يكون
اثنى على من يمتثل امره في صدقة الفطر وصلاة العيد بما يامر به في المستقبل قوله
تعالى وذكر اسم ربه فصلى اي ذكر ربه وروي عطا عن بن عباس قال يريد ذكر
معاده وموقفه بين يدي الله جل ثناوه فعبد الله وصلى له وقيل ذكر اسم ربه
بالتكبير في اول الصلاة لانها لا تنعقد الا بذكره وهو قوله الله اكبر وبه يحتج على
وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى انها مستقلة ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة
عليها وفيه حجة لمن قال ان الافتتاح جايز بكل اسم من اسما الله تعالى وهذه
مسيلة خلاف بين الفقها وقد مضى القول في هذا في اول البقرة وقيل هي تكبيرات
العيد قال الضحاك وذكر اسم ربه في طريق المصلى فصلى اي صلاة العيد وقيل وذكر
اسم ربه هو ان يذكره بقلبه عند صلاته فيخاف عقابه ويرجوا ثوابه ليكون
استيفاوها فيها بحسب خوفه ورجايه وقيل هو ان يفتتح كل سورة ببسم الله
الرحمن الرحيم فتلى او صلى فذكر ولا فرق بين ان يقول الله اكبر فتلى وبين
ان يقول فاكرمني قال بن عباس هذا في الصلاة المفروضة وهي الصلوات
الخمس وقيل الدعا اي دعا الله بحوايج الدنيا والاخرة وقيل صلاة العيد قاله
ابو سعيد الخدري رضي الله عنه وبن عمر وغيرهما وقد تقدم وقيل هو ان يتطوع
بصلاة بعد زكاة قاله ابو الاحوص وهو مقتضى قول عطا وروي عن عبد الله
ابن مسعود قال من اقام الصلاة ولم يوت الزكاة فلا صلاة له قوله تعالى
بل يوثرون الحياة الدنيا قراه العامه بل توثرون بالتا على الخطاب تقديره بل
توثرون ايها الشقيون الحياة الدنيا وعلى الاول فيكون تاويلها بل توثرون
ايها المسلمون من الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب وعن بن مسعود
انه قرا هذه الاية فقال اتدرون لم اثرنا الحياة الدنيا على الاخرة لان الدنيا
حضرت وعجلت لنا طيبها وطعامها وشرابها ولذاتها وبهجتها والاخرة غيبت
عنا فاخذنا العاجل وتركنا الاجل وروي ثابت عن انس قال كنا مع ابي موسى
في مسير والناس يتكلمون ويذكرون الدنيا قال ابو موسى يا انس ان هولا يكاد

احدهم يفري الاديم بلسانه فريا فتعال فلنذكر ربنا ساعة ثم قال يا انس ما ثبر الناس
ما بطا بهم قلت الدنيا والشيطان والشهوة قال لا ولكن عجلت الدنيا وغيبت الاخرة اما والله
لو عاينوها ما عدلوا ولا ميلوا والاخرة خير وابقى اي والدار الاخرة خير وابقى خير اي
افضل وابقى اي ادوم من الدنيا وقال النبي صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا كما يضع
احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع صحيح وقد تقدم وقال مالك بن دينار لو كانت الدنيا
من ذهب تفنى والاخرة خزف يبقى لكان الواجب ان يوثر خزفا يبقى على ذهب يفنى قال
فكيف والاخرة من ذهب يبقى والدنيا من خزف يفنى نور الله قلوبنا ورزقنا الفهم
قوله تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى قال قتاده وبن زيد يريد قوله والاخرة خير
وابقى وقال انتا بعث كتب الله المنزل كما تسمعون ان الاخرة خير وابقى من الدنيا وقال
الحسن ان هذا لفي الصحف الاولى قال كتب الله جل ثناوه ان هذا لفي الصحف الاولى من
قوله قد افلح الى اخر السورة لحديث ابي ذر على ما ياتي وروي عكرمة عن بن عباس ان
هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى يعني الكتب المنزلة عليهما ولم يرد ان هذه الالفاظ
بعينها في تلك الصحف وانما هو على المعنى اي ان معنى هذا الكلام وارد في تلك الصحف وروي
الاجري من حديث ابي ذر قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت امثالا
كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ولكن بعثتك
لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها ولو كانت من فم كافر وكان فيها امثال وعلى العاقل
ان لا يكون ظاعنا الا في ثلاث تزود لمعاد وتزود لمعاش ولذة في غير محرم وعلى العاقل ان
يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه قال قلت يا رسول الله فما كانت صحف موسى قال كانت عبرا كلها عجبت لمن ايقن
بالموت كيف يفرح وعجبت لمن ايقن بالقدر كيف ينصب وعجبت لمن راى الدنيا وتقلبها
باهلها كيف اطمان اليها وعجبت لمن ايقن بالحساب غدا ثم هو لا يعمل قال قلت يا رسول
الله فهل في ايدينا شي مما كان في يد ابراهيم وموسى مما انزل الله عليك قال نعم اقرا يا ابا
ذر قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل توثرون الحياة الدنيا والاخرة خير وابقى ان هذا
لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى وذكر الحديث والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة الغاشية مكية في قول الجميع وهي ست وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى هل اتاك حديث الغاشية هل بمعنى قد كقوله هل اتى على الانسان
قاله قطرب قال قد جاك اي قد جاك يا محمد حديث الغاشية اي القيامة التي تغشى
الخلايق باهوالها وافزاعها قاله اكثر المفسرين وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب
الغاشية النار تغشى وجوه الكفار ورواه ابو صالح عن بن عباس دليله قوله تعالى
وتغشى وجوههم النار وقيل تغشى الخلق والمراد النفخة الثانية للبعث لانها
تغشى الخلايق وقيل الغاشية اهل النار يغشونها ويقتحمون فيها وقيل معنى هل
اتاك اي هذا لم يكن في علمك ولم يكن من علم قومك قال بن عباس لم يكن اتاه قبل ذلك
على هذا التفصيل المذكور وقيل انها خرجت مخرج الاستفهام لرسوله ومعناه ان لم يكن
اتاك حديث الغاشية فقد اتاك وهو معنى قول الكلبي قوله تعالى وجوه
يوميذ خاشعة عاملة ناصبة قال بن عباس لم يكن اتاه حديثهم فاخبره عنهم فقال
وجوه يوميذ اي يوم القيامة خاشعة قال سفيان اي ذليلة بالعذاب وجوه يوميذ
اي يوم القيامة وكل متضايل ساكن خاشع يقال خشع في صلاته اذا تذلل ونكس راسه
وخشع الصوت خفي قال الله تعالى وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا
والمراد بالوجوه اصحاب الوجوه وقال قتاده وبن زيد خاشعة اي في النار والمراد
وجوه الكفار كلهم قاله يحيى بن سلام وقيل اراد وجوه اليهود والنصارى قاله بن

عباس ﷺ قال عاملة ناصبة يعني في الدنيا لأن الآخرة ليست دار عمل فالمعنى وجوه عاملة
ناصبة في الدنيا خاشعة في الآخرة قال أهل اللغة يقال للرجل إذا دأب في سيره قد
عمل يعمل عملا ويقال للسحاب إذا دام برقه قد عمل يعمل عملا ويقال وسحاب عمل قال الهذلي

• حتى شآها كليل موهنا عمل • باتت طرابا وبات الليل لم ينم •

ناصب أي تعبه يقال بالكسر ينصب نصبا إذا تعب ونصب أيضا وأنصبه غيره فروى
الضحاك عن ابن عباس قال هم الذين أنصبوا أنفسهم في الدنيا على معصية الله عز وجل
وعلى الكفر مثل عبدة الأوثان وكفار أهل الكتاب مثل الرهبان وغيرهم لا يقبل الله جل
ثناؤه منهم إلا ما كان خالصا له وقال سعيد عن قتادة عاملة ناصبة قال تكبرت في الدنيا
عن طاعة الله عز وجل فأعملها الله وأنصبها في النار بجر السلاسل الثقال وحمل الأغلال
والوقوف حفاة عراة في العرصات في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال الحسن
وسعيد بن جبير لم تعمل لله في الدنيا ولم تنصب له فأعملها وأنصبها في جهنم وقال الكلبي
ينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والأغلال والخوض في
النار كما يخوض الإبل في الوحل وارتقائها في صعود من نار وسقوطها في أخدود منها
إلى غير ذلك من عذابها وقاله ابن عباس وقرأ ابن محيصن وعيسى وعبيد ورواها عبيد
عن شبل عن ابن كثير ناصبة بالنصب على الحال وقيل على الذم الرفع بالباقون أو على
إضمار مبتدأ فيوقف على خاشعة ومن جعل المعنى في الآخرة جاز أن يكون خبرا بعد
خبر عن وجوه فلا يوقف على خاشعة وقيل عاملة ناصبة أي عاملة في الدنيا ناصبة
في الآخرة وعلى هذا يحتمل وجوه يومئذ عاملة في الدنيا ناصبة خاشعة قال
عكرمة والسدي عملت في الدنيا وقال سعيد بن أسلم وزيد بن أسلم هم الرهبان أصحاب
الصوامع وقاله ابن عباس وقد تقدم من رواية الضحاك عنه وروي عن الحسن قال
لما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام أتاه راهب شيخ كبير متقهل عليه سواد فلما
رآه عمر بكى فقال يا أمير المؤمنين قال هذا المسكين طلب أمرا فلم يصبه ورجا رجاء فأخطأه
وقرأ قول الله عز وجل وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية وعن علي
رضي الله عنه أنهم أهل حروراء يعني الخوارج الذين ذكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال تحقرون صلاتكم مع صلاتهم وصيامكم مع صيامهم وأعمالكم مع أعمالهم يمرقون
من الدين كما يمرق السهم من الرمية الحديث قوله تعالى تصلى نارا حامية أي تصيبه
صلاها وجوه يومئذ وحرها حامية شديدة الحر أي قد أوقدت وأحميت المدة
الطويلة ومنه حمي النهار بالكسر وحمي التنور فيهما اشتد حره وحكى الكسائي اشتد حمي
الشمس وحموها بمعنى وقرأ أبو عمرو وأبو بكر ويعقوب تصلى بضم التاء الباقون بفتحها
وقرئ تصلى بالتشديد وقد تقدم القول فيهما في إذا السماء انشقت قال الماوردي
فإن قيل فما معنى صفتها بالحمى وهي لا تكون إلا حامية وهي أقل أحوالها فما وجه
المبالغة بهذه الصفة الناقصة قيل قد اختلف في المراد بالحامية هاهنا على أربعة
أوجه أحدها أن المراد بذلك أنها دائمة الحمي وليست كنار الدنيا التي ينقطع حميها
بانطفائها الثاني أن المراد بالحامية أنها حمى من ارتكاب المحظورات وانتهاك المحارم
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم إن لكل ملك حمى وإن حمى الله محارمه ومن يرتع
حول الحمى يوشك أن يقع فيه الثالث أنها تحمي نفسها عن أن تطاق ملامستها أو ترام
مماستها كما يحمي الأسد عرينه ومثله قول النابغة

• تعدو الذئاب على من لا كلاب له • وتتقي صولة المستأسد الحامي •

الرابع أنها حامية حمي غيظ وغضب مبالغة في شدة الانتقام ولم يرد حمي جرم
وأذى كما يقال قد حمي فلان إذا اغتاظ وغضب عند إرادة الانتقام وقد بين الله
تعالى بقوله هذا المعنى فقال تكاد تميز من الغيظ قوله تعالى تسقى من عين
آنية الآني هو الذي قد انتهى حره من الإيناء بمعنى التأخير ومنه آنيت وآذيت
وآناه يؤنيه إيناء أي أخره وحبسه وأبطأه ومنه يطوفون بينها وبين حميم آن وفي

التفاسير من عين آنية قد انتهى حرها فلو وقعت نقطة منها على جبال الدنيا لذابت
وقال الحسن آنية أي حرها أدرك أوقدت عليها جهنم مذ خلقت فدفعوا إليها وردا
عطاشا وعن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال بلغت إناها وحان شربها قوله تعالى
ليس لهم طعام إلا من ضريع لما ذكر شرابهم ذكر طعامهم قال عكرمة ومجاهد الضريع
نبت ذو شوك لاصق بالأرض تسميه قريش الشبرق إذا كان رطبا فإذا يبس فهو
الضريع لا تقربه دابة ولا بهيمة ولا ترعاه وهو سم قاتل وهو أخبث الطعام وأشنعه
على هذا عامة المفسرين إلا أن الضحاك روى عن ابن عباس قال هو شيء يرمي به البحر
يسمى الضريع من أقوات الأنعام لا الناس فإذا وقعت فيه الإبل لم تشبع وهلكت هزلا
والصحيح ما قاله الجمهور أنه نبت قال أبو ذؤيب

• رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى • وعاد ضريعا بان عنه النحائص •

قال الهذلي وذكر إبلا وسوء مرعاها

• وحبسن في هزم الضريع فكلها • حدباء دامية اليدين حرود •

وقال الخليل الضريع نبات أخضر منتن الريح يرمي به البحر وقال الوالبي عن ابن عباس
هو شجر من نار ولو كانت في الدنيا لأحرقت الأرض وما عليها وقال سعيد بن جبير
هو الحجارة وقاله عكرمة والأظهر أنه شجر ذو شوك حسب ما هو في الدنيا وعن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضريع شيء يكون في النار يشبه الشوك أشد مرارة
من الصبر وأنتن من الجيفة وأحر من النار سماه الله ضريعا وقال خالد بن زياد سمعت
المتوكل بن أحمدان سئل عن هذه الآية ليس لهم طعام إلا من ضريع قال بلغني أن الضريع
شجرة من نار جهنم حملها القيح والدم أشد مرارة من الصبر فذلك طعامهم وقال
الحسن هو بعض ما أخفاه الله من العذاب وقال ابن كيسان هو طعام يضرعون عنده
ويذلون ويتضرعون منه إلى الله تعالى طلبا للخلاص فسمي بذلك لأن آكله يضرع في
أن يعفى منه لكراهته وخشونته قال أبو جعفر النحاس قد يكون مشتقا من
الضارع وهو الذليل أي ذو ضراعة أي من شربه ذليل تلحقه ضراعة وعن الحسن أيضا
هو الزقوم وقيل هو واد في جهنم والله أعلم وقد قال الله تعالى في موضع آخر فليس
له اليوم هاهنا حميم ولا طعام إلا من غسلين وقال هاهنا إلا من ضريع وهو غير
الغسلين ووجه الجمع أن النار دركات فمنهم من طعامه الزقوم ومنهم من طعامه
الغسلين ومنهم من طعامه الضريع ومنهم من شرابه الحميم ومنهم من شرابه الصديد
قال الكلبي الضريع في درجة ليس فيها غيره والزقوم في درجة أخرى ويجوز
أن يحمل الآيتين على حالتين كما قال يطوفون بينها وبين حميم آن قال القتيبي
ويجوز أن يكون الضريع وشجرة الزقوم نبت من النار أو من جوهر لا تأكله النار
وكذلك سلاسل النار وأغلالها وعقاربها وحياتها ولو كانت على ما نعهده لما بقيت على
النار وإنما دلنا الله على الغائب عنده بالحاضر عندنا فالأسماء متفقة الدلالة
والمعاني مختلفة وكذلك ما في الجنة من شجرها وفرشها قال القشيري وأمثل من
قول القتيبي أن نقول إن الذي يبقي الكافرين في النار ليدوم عليهم العذاب يبقي
النبات وشجرة الزقوم في النار ليعذب بها الكفار وزعم بعضهم أن الضريع بعينه لا ينبت
في النار ولا أنهم يأكلونه فالضريع من أقوات الأنعام لا من أقوات الناس وإذا وقعت
الإبل فيه هلكت هزلا فأراد أن هؤلاء يقتاتون بما لا يشبعهم وضرب الضريع
لهم مثلا أنهم يعذبون بالجوع كما يعذب من قوته الضريع قال الترمذي الحكيم
وهذا نظر سقيم من أهله وتأويل دني كأنه يدل أنهم تحيروا في قدرة الله تعالى
وأن الذي أنبت في هذا التراب هذا الضريع قادر على أن ينبته في حريق النار
كما جعل لنا في الدنيا من الشجر الأخضر نارا فلا النار تحرق الشجر ولا رطوبة الماء في الشجر
تطفئ النار فقال تعالى الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أنتم منه
توقدون وكما قيل حين نزلت ويحشرهم يوم القيامة على وجوههم فلا يتحير في مثل هذا

الاضعيف القلب اوليس قد اخبرنا انه كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها
وقال سرابيلهم من قطران وقال تعالى ان لدينا انكالا اي قيودا وطعاما ذا غصة
قيل ذا شوك فانما يتلون عليهم بالعذاب بهذه الاشيا قوله تعالى لا يسمن ولا
يغني من جوع يعني الضريع لا يسمن اهله وكيف يسمن من ياكل الشوك قال المفسرون
لما نزلت هذه الايه قال المشركون ان ابلنا لتسمن بالضريع فنزلت لا يسمن ولا يغني
من جوع وكذبوا فان الابل انما ترعاه رطبا فاذا يبس لم تاكله وقيل اشبه عليهم امره
فظنوه كغيره من النبت النافع لان المضارعة المشابهة فوجدوه لا يشبع ولا يغني
من جوع قوله تعالى وجوه يومئذ ناعمة اي ذات نعمة وهي وجوه المومنين نعمت بما
عاينت من عاقبة امرها وعملها الصالح لسعيها اي لعملها الذي عملته في الدنيا راضية
في الاخرة حين اعطيت الجنة بعملها ومجازته لثواب سعيها راضية وفيها واو مضمره
المعنى ووجوه يومئذ ليفصل بينها وبين الوجوه المتقدمه والوجوه عبارة عن الانفس
في جنة عالية القدر وقيل عالية القدر لان فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين
وهم فيها خالدون قوله تعالى لا يسمع فيها لاغية اي كلاما ساقطا غير مرضي وقال
لاغية واللغو واللغا واللاغية بمعنى واحد قال عن اللغا ورفث التكلم وقال
الفرا والاخفش اي لا يسمع فيها كلمة لغو وفي المراد بها ستة اوجه احدها يعني كذبا
وبهتانا وكفرا بالله تعالى قاله ابن عباس الثاني لا باطل ولا اثم قاله قتادة الثالث
انه الشتم قاله مجاهد الرابع المعصية قاله الحسن الخامس لا يسمع فيها حالف يحلف بيمين
برة ولا فاجرة السادس لا يسمع في كلامهم كلمة تلغى لان اهل الجنة لا يتكلمون الا بالحكمة
وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدايم قاله الفرا ايضا وهو احسنها لانها تعم ما ذكروقرا
ابو عمرو وابن كثير لا يسمع فيها بيا غير مسمى الفاعل وكذلك نافع الا انه بالتا المضمومه
لان اللاغية اسم مونث فانث الفعل لتانيثه ومن قرا بالياء فلانه قد حال بين الاسم
والفعل والجار والمجرور وقرا الباقون بالتا مفتوحة لاغية نصبا على اسناد ذلك الوجوه
اي لا تسمع ذلك الوجوه فيها لاغية قوله تعالى فيها عين جارية اي بما مندفق
وانواع الاشربة اللذيذة على وجه الارض من غير اخدود وقد تقدم في سورة
الانسان ان فيها عيونا تفيض بمعنى عيون فالله اعلم فيها سرر مرفوعة اي
عالية ويروى انه كان ارتفاعها قدر ما بين السما والارض ليرى ولي الله ملكه وأكواب
موضوعة اي اباريق واواني والاباريق هو ما له عروة وخرطوم والكوب انا ليس
له عروة ولا خرطوم وقد تقدم هذا في سورة الزخرف وغيرها ونمارق اي وسائد
الواحده نمرقة مصفوفه واحدة الى جنب اخرى قال الشاعر •
• وانا لنجري الكاس بين شروبنا • وبين ابي قابوس فوق النمارق •
وقال اخر • كهول وشبان حسان وجوههم • على سرر مصفوفة ونمارق •
وفي الصحاح النمرق والنمرقه وسادة صغيرة وكذلك النمرقه بالكسر لغة حكاها
يعقوب وربما سموا الطنفسة التي فوق الرحل نمرقة عن ابي عبيده وزرابي
مبثوثه قال ابو عبيده الزرابي المبثوثة الطنافس التي لها خمل رقيق واحدها
زربية قال الكلبي والفرا والمبثوثه المبسوطه قاله قتاده وقيل بعضها فوق
بعض قاله عكرمة وقيل كثيرة قاله الفرا وقيل متفرقة في المجالس قاله القتيبي
قلت هذا اصوب فهي كثيرة متفرقه ومنه وبث فيها من كل دابة وقال ابو بكر
الانباري وحدثنا احمد بن الحسين قال حدثنا حسين بن عرفه قال حدثنا
عمار بن محمد قال صليت خلف منصور بن المعتمر فقرا هل اتاك حديث الغاشيه
وقرا فيها وزرابي مبثوثه متكين فيها ناعمين افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت قال المفسرون لما ذكر الله عز وجل امر الدارين تعجب الكفار من ذلك
فكذبوا وانكروا فذكرهم الله صنعته وقدرته وانه قادر على كل شي كما خلق
الحيوانات والسما والارض ثم ذكر الابل اولا لانها كثيرة في العرب ولم يروا الفيلة

فتنبههم

فتنبههم جل ثناوه على عظيم من خلقه قد ذلله للصغير يقوده وينيخه وينهضه
ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك فينهض بثقل حمله وليس ذلك في شي من الحيوان
وغيره فاراهم عظيما من خلقه يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته وعن بعض الحكما
انه حدث عن البعير وبديع خلقته وقد نشا في بلاد لا ابل فيها ففكر ثم قال يوشك
ان يكون طوال الاعناق وحين اراد لها ان تكون سفاين البر صبرها على احتمال العطش
حتى ان اظماها ليرتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى في كل شي نابت في البراري والمفاوز
مما لا يرعاه سائر البهايم وقيل لما ذكر السرر المرفوعة قالوا كيف نصعدها فانزل الله هذه
الايه وبين ان الابل تبرك حتى يحمل عليها ثم تقوم فكذلك السرر تتطامن ثم ترتفع قال
معناه قتاده ومقاتل وغيرهما وقيل الابل هنا القطع العظيمة من السحاب قاله المبرد
قال الثعلبي وقيل في الابل هنا السحاب ولم اجد لذلك اصلا في كتب الايمه قلت قد
ذكر الاصمعي عبد الملك بن قريب قال ابو عمرو من قراها افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت
بالتخفيف عنى به البعير لانه من ذوات الاربع يحمل عليه الا وهو بارك ومن قراها
بالتثقيل قال الابل عنى بها السحاب التي يحمل الما للمطر وقال الماوردي وفي
الابل وجهان احدهما وهو اظهرهما واشهرها انها الابل من النعم الثاني انها السحاب فان
كان المراد بها السحاب فلما فيها من الايات الدالة على قدرته والمنافع العامة لجميع خلقه
وان كان المراد بها الابل من النعم فلان الابل اجمع للمنافع من سائر الحيوان لان ضروبه
اربعة حلوبه وركوبه واكوله وحموله فالابل تجمع هذه الخلال الاربع فكانت النعمة بها اعم
وظهور القدرة فيها اتم وقال الحسن انما خصها بالذكر لانها تاكل النوى والقت وتخرج
اللبن وسيل الحسن ايضا عنها وقالوا الفيل اعظم في الاعجوبه فقال العرب بعيده
العهد بالفيل ثم هو خنزير لا يوكل لحمه ولا يحمل ظهره ولا يحلب دره وكان شريح يقول
اخرجوا بنا الى الكناسه حتى ننظر الى الابل كيف خلقت والابل لا واحد لها من لفظها
وهي مونثة لان اسما الجموع التي لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الادميين فالتانيث
لها لازم واذا صغرتها ادخلتها الها فقلت ابيله وغنيمه ونحو ذلك فاذا قالوا للابل ابل
يسكنون البا للتخفيف والجمع آبال قوله تعالى والى السما كيف رفعت اي رفعت
عن الارض بلا عمد وقيل رفعت فلا ينالها شي والى الجبال كيف نصبت اي نصبت
على الارض بحيث لا تزول وذلك ان الارض لما دحيت مادت فارساها بالجبال كما قال
وجعلنا في الارض رواسي ان تميد بكم والى الارض كيف سطحت اي بسطت ومدت وقال
انس صليت خلف علي رضي الله عنه فقرا كيف خلقت ورفعت ونصبت وسطحت بضم
التا تا اضاف الضمير الى الله تعالى وبه كان محمد بن السميقع وابو العاليه والمنقول محذوف
والمعنى خلقتها وكذلك سايرها وقرا الحسن وابو حيوة وابو رجا سطحت بتشديد الطا
واسكان التا وكذلك قرا الجماعة الا انهم خففوا الطا وقدم الابل في الذكر ولو قدم غيرها
لجاز قال القشيري وليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمه وقد قيل هو اقرب الى الناس
في حق العرب لكثرتها عندهم وهم من اعرف الناس بها وايضا مرافق الابل اكثر من مرافق
الحيوان الاخر فهي ماكوله ولبنها مشروب وتصلح للحمل والركوب وقطع المسافات
البعيدة عليها والصبر على العطش وقلة العلف وكثرة الحمل وهي من عظم اموال
العرب وكانوا يسيرون على الابل منفردين مستوحشين على الناس ومن هذا حاله
تفكر فيما يحضره فقد ينظر في مركوبه ثم يمد بصره الى السما ثم الى الارض فامروا ان ينظروا
في هذه الاشيا فانها ادل دليل على الصانع المختار القادر قوله تعالى
فذكر اي فعظهم يا محمد وخوفهم انما انت مذكر واعظ لست عليهم بمسيطر اي بمسلط عليهم
فتقتلهم ثم نسختها اية السيف وقراها هرون الاعرج بمسيطر بفتح الطا والمسيطر
وهي لغة تميم وفي الصحاح والمصيطر والمسيطر المسلط على الشي ليشرف على الشي
ويتعهد احواله ويكتب عمله واصله من السطر لان معنى السطر ان لا يتجاوزه
فالكتاب مسطر والذي يفعله مسطر ومسيطر يقال سيطرت علينا وقال تعالى لست

عليهم بمسيطر ومسيطره اي بمسلط الا من تولى وكفر استثنا منقطع اي لكن من تولى وكفر
عن الوعظ والتذكير فيعذبه الله العذاب الاكبر وهي جهنم الدايم عذابها وانما قال
الاكبر لانهم عذبوا في الدنيا بالجوع والقحط والاسر والقتل دليل هذا التاويل قراءه
ابن مسعود الا من تولى وكفر فانه يعذبه الله وقيل هو استثنا متصل والمعنى لست
بمسلط الا على من تولى وكفر فانت مسلط عليه بالجهاد والله يعذبه بعد ذلك العذاب
الاكبر فلا نسخ في الاية على هذا التقدير وروي ان عليا اتي برجل ارتد فاستتابه
ثلثة ايام فلم يعاود الاسلام فضرب عنقه وقرا الا من تولى وكفر وقرا ابن عباس
وقتاده الا على الاستفتاح والتنبيه كقول امرى القيس • الا رب يوم لك منهن صالح •
ومن على هذا للشرط والجواب فيعذبه الله والمبتدا بعد الفا مضمر والتقدير فهو يعذبه
لانه لو اريد الجواب بالفعل الذي بعد الفا لكان الا من تولى وكفر يعذبه الله ان الينا
ايابهم ثم ان علينا حسابهم اي رجوعهم بعد الموت يقال اب يوب اي رجع قال عبيد
• وكل ذي غيبة يوب • وغايب الموت لا يوب •
وقرا ابو جعفر ايابهم بالتشديد قال ابو حاتم لا يجوز التشديد ولو جاز لجاز مثله
في الصيام والقيام وقيل هما لغتان بمعنى الزمخشري قرا ابو جعفر المدني ايابهم
بالتشديد ووجهه ان يكون فيعالا مصدر ايب فيعل من الاياب او ان يكون اصله
اوابا فعالا من اوب ثم قيل ايوابا كديوان في دوان ثم فعل ما فعل باصل سيد ونحوه

• سورة الفجر مكية وهي تسع وعشرون اية •

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هذه اقسام
خمسة واختلف في الفجر فقال قوم الفجر ها هنا انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم قاله
علي وابن الزبير وابن عباس رضي الله عنهم وعن ابن عباس ايضا انه النهار كله وعبر
عنه بالفجر لانه اوله وقال ابن محيصن عن عطية عن ابن عباس يعني فجر يوم المحرم
ومثله قال قتاده هو فجر اول يوم من المحرم منه تنفجر السنه وعنه ايضا صلاة الصبح
وروى ابن جريج عن عطا عن ابن عباس قال والفجر يريد صبيحة يوم النحر لان الله جل
ثناوه جعل لكل يوم ليلة قبله فله ليلتان ليلة قبله وليلة بعده فمن ادرك الموقف
ليلة عرفه فقد ادرك الحج الى طلوع الفجر فجر يوم النحر وهذا قول مجاهد وقال عكرمه
والفجر قال انشقاق الفجر من يوم جمع وعن محمد بن كعب القرظي والفجر اخر ايام العشر
اذا دفعت من جمع وقال الضحاك فجر ذي الحجه لان الله تعالى قرن الايام به فقال
وليال عشر وقال ابن عباس وقال مسروق هي العشر التي ذكرها الله عز وجل في قصة
موسى عليه السلام واتممناها بعشر وهي افضل ايام السنه وروى ابو الزبير عن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والفجر وليال عشر قال عشر الاضحى فهي ليال
عشر على هذا القول لان ليلة يوم النحر داخلة فيه اذ خصها الله بان جعلها موقفا
لمن لم يدرك الموقف يوم عرفه وانما نكرت ولم تعرف لفضيلتها على غيرها فلو عرفت لم
تستقل بمعنى الفضيلة التي في التنكير فنكرت من بين ما اقسم به للفضيلة التي
ليست لغيرها والله اعلم وعن ابن عباس ايضا هي العشر الاواخر من رمضان وقاله
الضحاك وقاله ابن عباس ايضا ويمان والطبري هو العشر الاواخر من رمضان وقاله
الضحاك وعن ابن عباس ايضا ويمان الطبري هو العشر الاول من المحرم التي عاشرها
يوم عاشورا وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافه يريد وليال ايام عشر قوله
تعالى والشفع والوتر الشفع الاثنان والوتر الفرد واختلف في ذلك فروي
مرفوعا عن عمران بن الحصين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الشفع والوتر
الصلاة منها شفع ووتر وقال جابر بن عبد الله قال النبي صلى الله عليه وسلم والفجر

وليال

وليال عشر قال هو الصبح وعشر النحر والوتر يوم عرفه والشفع يوم النحر وهو قول
ابن عباس وعكرمه واختاره النحاس وقال حديث ابي الزبير عن جابر هو الذي
صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو اصح اسنادا من حديث عمران بن حصين فيوم
عرفه وتر لانه تاسعها ويوم النحر شفع لانه عاشرها وعن ابي ايوب قال سيل النبي صلى
الله عليه وسلم عن قوله تعالى والشفع والوتر فقال الشفع يوم عرفه ويوم النحر والوتر
ليلة يوم النحر وقال مجاهد وابن عباس ايضا الشفع خلقه قال الله تعالى وخلقناكم
ازواجا والوتر هو الله عز وجل فقيل لمجاهد اترويه عن احد قال نعم عن ابي سعيد الخدري
عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحوه قال محمد بن سيرين ومسروق وابو صالح وقتاده
قالوا الشفع الخلق قال الله تعالى ومن كل شي خلقنا زوجين الكفر والايمان
والشقاوه والسعاده والضلاله والهدى والنور والظلمه والليل والنهار والحر والبرد
والشتا والصيف والشمس والقمر والارض والسما والجن والانس والوتر هو الله عز وجل
قل هو الله احد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما والله وتر
يحب الوتر وعن ابن عباس ايضا الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب الشفع فيها ركعتان
والوتر الثلثه قال ابن الزبير الشفع يومان والحادي عشر والثاني عشر والثالث الوتر
قال الله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه وقال الضحاك
الشفع عشر ذي الحجه والوتر ايام منى الثلثه وقال عطا وقيل ان الشفع والوتر ادم
وحوا عليهما السلام لان ادم كان فردا فشفع بزوجته حوا فصار شفعا بعد وتر رواه ابن
ابي نجيح ورواه القشيري عن ابن عباس وفي رواية الشفع ادم وحوا والوتر هو الله تعالى
وقيل الشفع والوتر الخلق لانهم شفع ووتر فكانه اقسم بالخلق وقد يقسم الله تعالى
باسمايه وصفاته لعلمه ويقسم بافعاله لقدرته كما قال وما خلق الذكر والانثى ويقسم
بمفعولاته لعجايب صنعته كما قال وما خلق الذكر والانثى وقوله والشمس وضحاها والسما
وما بناها والسما والطارق وقيل الشفع درجات الجنه وهي ثمان والوتر دركات النار
لانها سبعة وهذا قول الحسين بن الفضل كانه اقسم بالجنه والنار وقيل الشفع الصفا
والمروه والوتر الكعبه وقال مقاتل بن حيان الشفع الايام والليالي والوتر اليوم الذي
لا ليلة بعده وهو يوم القيامه وقال سفيان بن عيينه الوتر هو الله وهو الشفع
لقوله تعالى ما يكون من نجوى ثلثة الا هو رابعهم وقال ابو بكر الوراق الشفع تضاد
اوصاف المخلوقين العز والذل والقدرة والعجز والقوه والضعف والعلم والجهل والحياة
والموت والبصر والعمى والسمع والصمم والكلام والخرس والوتر انفراد صفات الله تعالى
عز بلا ذل وقدرة بلا عجز وقوة بلا ضعف وعلم بلا جهل وحياة بلا موت وبصر بلا عمى
وكلام بلا خرس وسمع بلا صمم وما وازاها وقال الحسن المراد بالشفع والوتر العدد كله لان
العدد لا يخلو عنهما وهو اقسام بالحساب وقيل الشفع مسجد مكه والمدينه وهما الحرمان
والوتر مسجد بيت المقدس وقيل الشفع القران بين الحج والعمره او التمتع بالعمره
الى الحج والوتر الافراد فيه وقيل الشفع الحيوان لانه ذكر وانثى والوتر الجماد وقيل
الشفع ما ينمى والوتر ما لا ينمى وقيل غير هذا وقرا ابن مسعود واصحابه وحمزه
والكساي وخلف والوتر بكسر الواو والباقون بفتح الواو وهما لغتان بمعنى واحد وفي
الصحاح الوتر بالكسر الفرد والوتر بالفتح الذحل هذه لغة اهل العالية فاما
لغة اهل الحجاز فبالضد منهم فاما تميم فبالكسر فيهما قوله تعالى والليل اذا يسر
وهذا قسم خامس وبعد ما اقسم بالليالي العشر على الخصوص اقسم بالليل العشر
ثم اقسم بالليل على العموم ومعنى يسر اي يسري فيه كما يقال ليل نايم ونهار صايم قال
• لقد لمتنا يا ام غيلان في السرى • ونمت وما ليل المطي بنايم •
ومنه قوله تعالى بل مكر الليل والنهار هذا قول اكثر اهل المعاني وهو قول القتبي
والاخفش وقال اكثر المفسرين معنى يسر سار فذهب وقال قتاده وابو العاليه
جا واقبل وروي عن ابراهيم والليل اذا يسر قال اذا استوى وقال عكرمه ومجاهد ومحمد

ومحمد بن كعب في قوله والليل اذا يسر قال اذا استوى وقال عكرمة ومجاهد ومحمد بن
كعب في قوله والليل اذا يسر هي ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها
لطاعة الله تعالى وقيل ليلة القدر لسراية الرحمة فيها واختصاصها بزيادة الثواب
فيها وقيل اراد عموم الليل كله قلت وهو الظاهر كما تقدم والله اعلم وقرا ابن كثير وابن
محيصن ويعقوب يسري باثبات اليا في الحالين على الاصل لانها ليست بمجزومة فيثبت
فيها اليا وقرا ابو عمرو ونافع باثباتها في الوصل وحذفها في الوقف وروي عن الكسائي
قال ابو عبيدة كان الكسائي يقول مرة باثبات اليا في الوصل وحذفها في الوقف
اتباعا لخط المصحف ثم رجع الى حذف اليا في الحالين لانه راس اية وهي قراة اهل الشام
والكوفة واختيار ابي عبيد اتباعا للخط لانها وقعت في المصحف بغير يا قال الخليل
تسقط اليا منها اتفاقا لرووس الاي قال الفرا قد تحذف العرب اليا وتكتفي بكسر ما قبلها
وانشد بعضهم • كفاك كف ما تليق درهما جودا واخرى تعط بالسيف دما •
يقال فلان ما يليق درهما من جوده اي ما يمسكه ولا يلصق به وقال المورج سالت
الاخفش عن العلة في اسقاط اليا من يسر فقال لا اجيبك حتى تبيت على باب
داري سنة فبت على باب داره سنة فقال الليل لا يسري وانما يسرى فيه فهو مصروف
وكلما صرفته عن جهته بخسته عن اعرابه الا ترى الى قوله تعالى وما كانت امك بغيا ولم يقل
بغية لانه صرفه عن باغية قال الزمخشري وياء يسري تحذف في الدرج اكتفا عنها
بالكسرة واما في الوقف فتحذف مع الكسرة وهذه الاقسام كلها مجرورة بالقسم والجواب
محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله تعالى الم تر الى ربك الى قوله تعالى فصب قال ابن
الانباري هو ان ربك لبالمرصاد وقال مقاتل هل هنا في موضع ان تقديره ان في ذلك
قسما لذي حجر فهل على هذا في موضع جواب القسم وقيل على بابها من الاستفهام الذي
معناه التقرير كقولك الم انعم عليك اذ كنت قد انعمت وقيل المراد بذلك التوكيد لما
اقسم به واقسم عليه والمعنى بل في ذلك مقنع لذي حجر والجواب على هذا ان ربك
لبالمرصاد او مضمر محذوف ومعنى لذي حجر لذي لب وعقل قال الشاعر •
وكيف يرجي ان يتوب وانما • يرجي من الفتيان من كان ذا حجر •
كذا قال عامة المفسرين الا ان ابا مالك قال لذي حجر لذي ستر من الناس وقال
الحسن لذي حلم وقال الفرا الكل يرجع الى معنى واحد لذي حجر ولذي عقل ولذي
حلم ولذي ستر الكل بمعنى العقل واصل الحجر المنع يقال لمن ملك نفسه وسهاها انه
لذو حجر ومنه سمي الحجر لامتناعه بصلابته ومنه حجر الحاكم على فلان اي منعه
وضبطه عن التصرف ولذلك سميت الحجرة حجرة لامتناع من فيها بها وقال الفرا العرب
تقول انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها كانه اخذ من حجرت على الرجل
قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم فعل ربك اي ما لكك وخالقك بعاد
ارم قراة العامة بعاد منونا وقرا الحسن وابو العالية بعاد ارم مضافا فمن لم يصف
جعل ارم اسمه ومن لم يصرفه لانه جعل عادا اسم ابيهم وارم اسم القبيلة وجعله بدلا
منه او عطف بيان ومن قرا بالاضافة ومن لم يصرفه جعله اسم امهم او اسم بلدهم
وتقديره بعاد اهل ارم كقوله واسئل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت او ارضا للتعريف
والتانيث وقراة العامة ارم بكسر الهمزة وعن الحسن ايضا بعاد ارم مفتوحتين
وقري بعاد ارم بسكون الرا على التخفيف كما قري بورقكم وقري بعاد ارم ذات العماد
باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم اي بعاد اهل ذات العماد وقري بعاد
ارم ذات العماد اي جعل الله ذات العماد رميما وقرا الضحاك وقتادة ارم بفتح الهمزة
وقرا مجاهد من قرا بفتح الهمزة شبههم بالارام التي واحدها ارم وفي الكلام تقديم
وتاخير اي والفجر وكذا وكذا ان ربك لبالمرصاد الم تر اي الم ينته علمك الى ما فعل ربك بعاد
وهذه الروية روية القلب والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد عام وكان امر
عاد وعندهم وثمود عندهم مشهورا اذ كانوا في العرب وحجر ثمود موجود اليوم وامر

فرعون

فرعون كانوا يسمعونه من جيرانهم من اهل الكتابة واستفاضت به الاخبار وبلاد فرعون
متصلة بارض العرب وقد تقدم هذا المعنى في سورة البروج وغيرها بعاد اي بقوم عاد وروى
شهر بن حوشب عن ابي هريرة قال ان كان الرجل من قوم عاد ليتخذ المصراع من حجارة لو اجتمع
عليه خمسماية من هذه الامة لم يقدروا ان يقلوه قال كان احدهم ليدخل قدمه في الارض فتدخل
فيها وارم قيل هو سام بن نوح قاله ابن اسحاق وروى عطا عن ابن عباس وحكي عن ابن اسحاق
ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا ابو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن
اسحاق وروى عطا عن ابن عباس وحكي عن ابن اسحاق ايضا قال عاد بن ارم فارم على هذا
ابو عاد وعاد بن ارم بن عوص بن سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال
ابن اسحاق كان سام بن نوح وعلى القول الاول هو اسم جد عاد قال ابن اسحاق كان سام
ابن نوح له اولاد منهم ارم بن سام وارفخشد بن سام العمالقة والفراعنة والجبابرة والملوك
الطغاة والعصاة وقال مجاهد ارم امة من الامم وعنه ايضا ان معنى ارم القديمة وروى
ابن ابي نجيح عن مجاهد ايضا ان معناها القوية وقال قتادة هي قبيلة من عاد وقيل
هما عادان فالاولى هي ارم قال الله عز وجل وانه اهلك عادا الاولى فقيل لعقب عاد ابن
عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبني هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى
وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات •
• مجدا تليدا بناه اولهم • ادرك عادا وقبله ارما •
وقال معمر ارم اليه يجتمع عاد وثمود وكان يقال عاد ارم وعاد ثمود وكانت القبائل
تنتسب الى ارم قوله تعالى ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد قال ابن عباس في
رواية عطا كان الرجل منهم طوله خمسماية ذراع والقصير منهم ثلاثماية ذراع بذراع
نفسه وروي عن ابن عباس ايضا ان طول الرجل منهم كان سبعين ذراعا وهو باطل
لان في الصحيح ان الله خلق ادم طوله ستون ذراعا في الهوا فلم تزل الخلق تنقص الى
الان وزعم قتادة ان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعا وقال ابو عبيدة ذات العماد اي
ذات الطول يقال رجل معمد اذا كان طويلا ونحوه عن ابن عباس ومجاهد وعن قتادة
ايضا كانوا عمادا لقومهم يقال فلان عميد القوم وعمودهم اي سيدهم وعنه ايضا قيل لهم
ذلك لانهم كانوا ينتقلون بابياتهم للانتجاع فكانوا اهل خيام واعمدة ينتجعون الغيوث
ويطلبون الكلا ثم يرجعون الى منازلهم وقيل ذات العماد اي ذات الابنية المرفوعة على
العمد وكانوا ينصبون الاعمدة فيبنون عليها القصور قال ابن زيد ذات العماد يعني
احكام البنيان بالعمد وفي الصحاح والعماد الابنية الرفيعة تذكر وتونث قال عمرو بن كلثوم
• ونحن اذا عماد الحي خرت • على الاخفاض نمنع من يلينا •
والواحدة عمادة وفلان طويل العماد اذا كان منزله معلما لزايريه والاخفاض جمع خفض بالتحريك
وهي متاع البيت اذا هي لتحمل اذ خرت على المتاع ويروى عن الاحفاض اي خرت عن الابل
التي تحمل البيت وقال الضحاك ذات العماد ذات القوة والشدة ماخوذة من قوة
الاعمدة دليله قوله تعالى وقالوا من اشد منا قوة وقال عكرمة وسعيد المقبري ورواه
ابن وهب واشهب عن مالك وقال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية قوله
تعالى التي لم يخلق مثلها في البلاد الضمير في مثلها يرجع الى القبيلة اي لم يخلق مثل
القبيلة في البلاد قوة وشدة وعظم اجساد وطول قاله الحسن وغيره وفي حرف
عبد الله التي لم يخلق مثلهم في البلاد وقيل يرجع الى المدينة والاول اظهر وعليه
الاكثر حسبما ذكرناه ومن جعل ارم مدينة فتقديره حذف المضاف كيف فعل ربك بمدينة
عاد ارم او بعاد صاحب ارم وارم على هذا مدينة معروفة واختار ابن العربي انها
دمشق لانه ليس في البلاد مثلها ثم اخذ ينعتها بكثرة مياهها وخيراتها ثم قال وان في
الاسكندرية لعجايب لو لم تكن الا المنارة فانها مبنية الباطن والظاهر على العمد ولكن
لها امثال فاما دمشق فلا مثل لها وقد روى معن عن مالك ان كتابا وجد بالاسكندرية
فلم يدر ما هو فاذا فيه انا شداد بن عاد الذي رفع العماد بنيتها حين لا شيب ولا موت

قال مالك ان كان ليتم عليهم مائة سنة لا يرون فيها جنازة وذكر عن ثور بن يزيد انه قال انا شداد بن عاد وانا رفعت العماد وانا الذي شددت بذراعي بطن الوادي وانا الذي كنزت كنزا على سبعة اذرع لا يخرجه الا امة محمد صلى الله عليه وسلم وروي انه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال ابني مثلها فبنى ارم في بعض صحاري عدن في ثلاث مائة سنة وكان عمره تسع مائة سنة وهي مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة واساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها اصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة انه خرج في طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه فبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك قصير احمر على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر ابن قلابة وقال هذا والله ذلك الرجل وقيل اي لم يخلق مثله ابنية عاد المعروف بالعمد والله ذلك الرجل وقيل اي لم يخلق مثل ابنية عاد المعروفة بالعمد فالكناية للعماد والعمد على هذا جمع عمد وقيل الارم الهلاك يقال ارم بنو فلان اي هلكوا وقاله ابن عباس وقرا الضحاك ارم ذات العماد اي اهلكهم الله فجعلهم رمما قوله تعالى وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ثمود هم قوم صالح وجابوا قطعوا ومنه فلان يجوب البلاد اي يقطعها وانما سمي جيب القميص لانه جيب اي قطع قال الشاعر وكان ابن علي بن الزبير بمكة فكتب له بستين وسقا ياخذها بالكوفة فقال ●

● راحت رواحا قلوصي وهي حامدة ● آل الزبير ولم تعدل بهم احدا ●
● راحت بستين وسقا في حقيبتها ● ما حملت حملها الادنى ولا السددا ●
● ما ان رايت قلوصا قبلها حملت ● ستين وسقا ولا جابت به بلدا ●

اي قطعت قال المفسرون اول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود فبنوا من المداين الفا وسبع مائة الف كلها من الحجارة وقد قال تعالى وتنحتون من الجبال بيوتا آمنين وكانوا لقوتهم يخرجون الصخور وينقبون الجبال بيوتا لانفسهم بالوادي اي بوادي القرى قاله محمد بن اسحاق وروى ابو الاشهب عن ابي نضرة قال اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس اشقر فقال اسرعوا السير فانكم في واد ملعون وقيل الوادي بين جبال وكانوا ينقبون في تلك الجبال بيوتا ودورا واحواضا وكل منفرج بين جبال وتلال يكون مسلكا للسيل ومنفذا فهو واد قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد اي ذي الجنود والعساكر والجموع والجيوش التي تشد ملكه قاله ابن عباس وقيل كان يعذب الناس بالاوتاد ويشدهم بها الى ان يموتوا تجبرا منه وعتوا وهكذا فعل بامراته آسية وماشطة ابنته حسبما تقدم في آخر سورة التحريم وقال عبد الرحمن بن زيد كانت له صخرة ترفع بالبكرات ثم يوخذ الانسان فتوتد له اوتاد الحديد ثم يرسل تلك الصخرة عليه فتشدخه وقد مضى في سورة ص من ذكر اوتاده ما فيه كفاية والحمد لله قوله تعالى الذين طغوا في البلاد يعني عادا وفرعون وثمود اي تمردوا وعتوا وتجاوزوا القدر في ظلمهم والعدوان فاكثروا فيها الفساد اي الجور والاذى والذين طغوا احسن الوجوه فيه ان يكون في محل نصب على الذم ويجوز ان يكون مرفوعا على هم الذين طغوا او مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون فصب عليهم ربك سوط عذاب اي افرغ عليهم والقى يقال صب على فلان خلعة اي القاها عليه قال النابغة ● فصب عليه الله احسن صنعه ● وكان له بين البرية ناصرا ●

سوط عذاب اي نصيب عذاب ويقال شدته لان السوط كان عندهم نهاية ما يعذب به قال الشاعر ● الم تر ان الله اظهر دينه ● وصب على الكفار سوط عذاب ● وقال الفراء هي كلمة تقولها العرب لكل نوع من انواع العذاب واصل ذلك ان السوط هو عذابهم الذي يعذبون به فجرى لكل عذاب اذ كان فيه عندهم غاية العذاب وقيل معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم ساطه يسوطه سوطا اي خلطه فهو سائط فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض ومنه سمي المسوط وساطه اي خلطه فهو سائط واكثر ذلك يقال سوط فلان اموره قال ●

● فسطها ذميم الراي غير موفق ● فلست على تسويطها بمعان ●

قال ابو زيد يقال اموالهم سويطة بينهم اي مختلطة حكاه عنه يعقوب قال الزجاج اي جعل سوطهم الذي ضربهم به العذاب يقال ساط دابته يسوطها اي ضربها بسوطه وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا اتى على هذه الآية قال ان عند الله اسواطا كثيرة فاخذهم بسوط منها قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد اي يرصد عمل كل انسان حتى يجازيه به قاله الحسن وعكرمة وقيل اي على طريق العباد لا يفوته احد والمرصد والمرصاد الطريق وقد مضى في سورة براءة والحمد لله وروى الضحاك عن ابن عباس قال ان على جهنم سبع قناطر يسال الانسان عند اول قنطرة عن الايمان فان جاء به تاما جاز الى القنطرة الثانية ثم يسال عن الصلاة فان جاء بها جاز الى الثالثة ثم يسال عن الزكاة فان جاء بها جاز الى الرابعة ثم يسال عن صيام شهر رمضان فان جاء به جاز الى الخامسة ثم يسال عن الحج والعمرة فان جاء بهما جاز الى السادسة ثم يسال عن صلة الرحم فان جاء بها جاز الى السابعة ثم يسال عن المظالم وينادي الا من كانت له مظلمة فلياتي فيقتص وقال الثوري لبالمرصاد يعني جهنم عليها ثلاث قناطر قنطرة فيها الرحم وقنطرة فيها الامانه وقنطرة فيها الرب سبحانه وتعالى قلت اي حكمه وارادته والله اعلم وعن ابن عباس ايضا لبالمرصاد اي يسمع ويرى قلت هذا قول حسن اي يسمع اقوالهم ونجواهم ويرى اي يعلم اعمالهم واسرارهم فيجازي كلا بعمله وعن بعض العرب انه قيل له اين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد انه قرا هذه السورة عند المنصور حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا ابا جعفر قال الزمخشري عرض له في هذا النداء بانه بعض من توعد بذلك من الجبابرة فلله دره اي اسد فراس كان بين يديه يدق الظلمة بانكاره ويقمع اهل الاهواء والبدع باحتجاجه فاما الانسان يعني الكافر قال ابن عباس يريد عتبة بن ربيعة وابا حذيفة بن المغيرة وقيل امية بن خلف وقيل ابي بن خلف اذا ما ابتلاه ربه اي امتحنه واختبره بالنعمة وما زائدة صلة فاكرمه بالمال ونعمه بما اوسع عليه فيقول ربي اكرمن فيفرح بذلك ولا يحمده واما اذا ما ابتلاه اي امتحنه بالفقر واختبره فقدر اي ضيق عليه رزقه على مقدار البلغة فيقول ربي اهانن اي اولاني هوانا وهذه صفة الكافر الذي لا يومن بالبعث انما الكرامة عنده والهوان بكثرة الحظ في الدنيا وقلته فاما المومن فالكرامة عنده ان يكرمه الله بطاعته وتوفيقه المودي الى حظ الآخرة وان وسع عليه في الدنيا حمد وشكر قلت الآيتان صفة كل كافر وكثير من المسلمين يظن ان ما اعطاه الله لكرامته وفضيلته عند الله وربما يقول بجهله لو لم استحق هذا لم يعطه الله وكذا ان قتر عليه يظن ذلك لهوانه على الله وقراءة العامة فقدر مخففة الدال وقرا ابن عامر مشددا وهما لغتان والاختيار التخفيف لقوله ومن قدر عليه رزقه قال ابو عمرو وقدر اي قتر وقدر مشددا هو ان يعطيه ما يكفيه ولو فعل به ذلك ما قال ربي اهانن وقرا اهل الحرمين وابو عمرو ربي بفتح الياء في الموضعين واسكن الباقون واثبت البزي وابن محيصن ويعقوب الياء من اكرمن واهانن في الحالين لانها اسم فلا تحذف واثبتها المدنيون في الوصل دون الوقف اتباعا للمصحف وخير ابو عمرو في اثباتها في الوصل وحذفها لانها رأس آية وحذفها في الوقف لخط المصحف الباقون بحذفها

لانها راس اية وحذفها في الوقف لخط المصحف الباقون بحذفها لانها وقعت في الموضعين بغير يا والسنتان لا يخالف خط المصحف لانه اجماع الصحابة قوله تعالى كلا
اي ردليس الامر كما يظن فليس الغني لفقره ولا الفقر لهوانه انما الفقر من تقديري
وقضاي وقال الفرا كلا في هذا الموضع بمعنى لم يكن ينبغي للعبد ان يكون هكذا ولكن
يحمد الله عز وجل على الغنى والفقر وفي الحديث يقول الله عز وجل كلا اني لا اكرم من
اكرمت بكثرة الدنيا ولا اهين من اهنت بقلتها انما اكرم من اكرمت بطاعتي واهين من
اهنت بمعصيتي قوله تعالى بل لا يكرمون اليتيم اخبارا عن ما يصنعونه من منع
اليتيم الميراث واكل ماله اسرافا وبدارا ان يكبروا وقرا ابو عمرو ويعقوب يكرمون ويحضون
وياكلون ويحبون بالياء لانه تقدم ذكر الانسان والمراد به الجنس فعبر عنه بلفظ الجمع
الباقون في التا في الاربعة على الخطاب والمواجهة كانه قال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا
وترك اكرام اليتيم بدفعه عن حقه واكل ماله كما ذكرنا قال مقاتل نزلت في قدامة بن مظعون
وكان يتيما في حجر امية بن خلف ولا يحضون على طعام المسكين اي لا يامرون اهليهم باطعام
مسكين يجيهم وقرا الكوفيون ولا يحاضون بفتح التا والالف اي يحض بعضهم بعضا
واصله يتحاضون فحذفت احدى التائين لدلالة الكلام عليها وهو اختيار ابي عبيد وروي
عن ابراهيم والسروري عن الكساي والسلمي تحاضون بضم التا وهو تفاعلون من
الحض وهو الحث وياكلون التراث اي ميراث اليتامى واصله الوراث من ورثت فابدلوا
الواو تاكما قال في تخمة وتجاه وتكاه ونحو ذلك وقد تقدم اكلا لما اي شديدا قاله السدي
وقيل لما جميعا قاله الحسن وابو عبيده واصل اللم في كلام العرب الجمع يقال لممت الشي الممه
لما جمعته ومنه يقال لم الله شعثه اي جمع ما تفرق من اموره قال النابغة •
• ولست بمستبق اخا لا تلمه • على شعث اي الرجال المهذب •
ومنه قولهم ان دارك لموه اي تلم الناس وتربهم وتجمعهم وقال المرقاب الطاي يمدح علقمة
ابن سيف • واحسني حب الصبا ولمني • لم الكريم الي الهدي الماجد •
وقال الليث اللم الجمع الشديد ومنه حجر ملموم وكتيبة ملمومة فالاكل يلم الثريد فيجمعه لقما
ثم ياكله وقال مجاهد يسفه سفا وقال الحسن ياكل نصيبه ونصيب غيره وقال ابن
زيد هو انه اذا اكل ماله الم بمال غيره فاكله فلا يفكر فيما اكل من خبيث وطيب قال وكان
اهل الشرك لا يورثون النسا والصبيان بل ياكلون ميراثهم وتراثهم وقيل ياكلون ما جمعه
الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم في اكله من حلاله وحرامه ويجوز ان يذم الوارث
الذي ظفر بالمال سهلا من غير ان يعرق فيه جبينه فيسرف في انفاقه وياكله اكلا
واسعا جامعا بين المشتهيات من الاطعمه والاشربه والفواكه كما يفعل البطالون ويحبون
المال حبا جما اي كثيرا حلاله وحرامه والجم الكثير يقال جم الشي جموما فهو جم وجام ومنه
جم الما في الحوض اذا كثر وقال الشاعر •
• ان تغفر اللهم تغفر جما • واي عبد لك لا الما •
والجمه المكان الذي يجتمع فيه ماوه والجموم البير الكثيرة الما والجموم المصدر يقال
جم الما يجم جموما اذا كثر في البير واجتمع بعدما سقي فيها قوله تعالى كلا اي ما
هكذا ينبغي ان يكون الامر فهو رد لانكبابهم على الدنيا وجمعهم لها فان من فعل ذلك
يندم يوم تدك الارض ولا ينفعه الندم والدك الكسر والدق وقد تقدم اي زلزلت
الارض وحركت تحريكا بعد تحريك وقال الزجاج اي زلزلت فدك بعضها بعضا وقال
المبرد اي الصقت وذهب ارتفاعها يقال ناقة دكا اي لا سنام لها والجمع دك وقد
مضى في سورة الاعراف والحاقة القول في هذا ويقولون دك الشي هدم قال •
• هل غير غار دك غارا فانهدم • دكا دكا اي مرة بعد مرة زلزلت فكسر
بعضها بعضا فتكسر كل شي على ظهرها وقيل دكت جبالها وانشازها حتى استوت
وقيل دكت استوت في الانفراش فذهب دورها وقصورها وجبالها وسائر ابنيتها
ومنه سمي الدكان لاستوايه في الانفراش والدك المرتفع من الارض بانبسط وهو معنى

قوله

قول ابن مسعود وابن عباس عند الارض مدا الاديم قوله تعالى وجا ربك اي
امره وقضاوه وقاله الحسن وهو من باب حذف المضاف وقيل جاهم اي جاهم الرب
بالايات العظيمة وهو كقوله تعالى الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل وقيل
اي جعل مجي الايات مجيا له تفخيما لشان تلك الايات ومنه قوله تعالى في الحديث يا ابن
ادم مرضت فلم تعدني واستسقيتك فلم تسقني واستطعمتك فلم تطعمني وقيل وجا
ربك اي زال الشبه والشك عند مجي الشي الذي كان يشك فيه وقال اهل الاشارة
ظهرت قدرته واستوت والله جل ثناوه لا يوصف بالتحول الي مكان واني له التحول
والانتقال ولا اوان له ولا يجري عليه وقت ولا زمان لان في جريان الوقت على الشي
فوت الاوقات ومن فاته الشي فهو عاجز قوله تعالى والملك صفا صفا اي والملايكه
صفوفا وجي يوميذ بجهنم قال ابن مسعود ومجاهد تقاد جهنم بسبعين الف زمام كل
زمام بيد سبعين الف ملك لها تغيظ وزفير حتى تنصب على يسار العرش وفي صحيح
مسلم عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتى بجهنم
يوميذ لها سبعين الف زمام مع كل زمام سبعين الف ملك يجرونها وقال ابو سعيد
الخدري لما نزلت وجي يوميذ بجهنم تغير لون رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف
في وجهه حتى اشتد على اصحابه ثم قال اقراني جبريل كلا اذا دكت الارض دكا دكا
الايه وجي يوميذ بجهنم قال علي رضي الله عنه قلت يا رسول الله كيف يجا بها قال
يوتى بها تقاد بسبعين الف زمام يقود بكل زمام سبعون الف ملك فتشرد شرده
لو تركت لاحرقت اهل الجمع ثم تعرض لي جهنم فتقول ما لي ولك يا محمد ان الله قد
حرم لحمك علي فلا يبقى احد الا قال نفسي نفسي الا محمد صلى الله عليه وسلم فانه يقول
امتي امتي يوميذ يتذكر الانسان اي يتعظ ويتوب وهو الكافر او من همته معظم
الدنيا واني له الذكرى اي ومن اين له الاتعاظ والتوبه وقد فرط فيهما في الدنيا
ويقال اي ومن اين له منفعة الذكرى فلا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين
يوم يتذكر الانسان واني له الذكرى تناف قاله الزمخشري يقول يا ليتني قدمت
لحياتي اي لحياتي اي لحياة لا موت فيها وقيل حياة اهل النار ليست هنية فكانهم
لا حياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت لحياتي من الخير اي لحياة لا موت فيها وقيل حياة
اهل النار ليست هنيه فكانهم لا حياة لهم فالمعنى يا ليتني قدمت من الخير لحياتي في
النار فاكون فيمن له حياة هنيه قوله تعالى فيوميذ لا يعذب عذابه احد ولا
يوثق وثاقه احد اي لا يعذب كعذاب الله احد ولا يوثق وثاقه احد [illegible] ترجع
الي الله تعالى وهو قول ابن عباس والحسن وقرا الكساي لا يعذب ولا يوثق بفتح
الذال والثا اي لا يعذب في الدنيا كعذاب الله الكافر يوميذ ولا يوثق كما يوثق
الكافر والمراد ابليس لان الدليل قام على انه اشد عذابا لاجرامه معصيتهم من التفسير
وقيل انه امية بن خلف حكاه الفرا انه لا يعذب كعذاب هذا الكافر المعين احد ولا
يوثق بالسلاسل والاغلال كوثاقه احد لتناهيه في كفره وعناده وقيل اي لا
يعذب مكانه احد فلا يوخذ منه فدا والعذاب بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى
الايثاق ومنه قول الشاعر • وبعد عطايك الماية الرتاعا •
وقيل لا يعذب احد ليس بكافر عذاب الكافر واختار ابو عبيد وابو حاتم فتح
الذال والثا وتكون الهاضمير الكافر لان ذلك معروف انه لا يعذب احد كعذاب الله
وقد روى ابو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرا بفتح الذال والثا وقد
قيل ان ابا عامر رجع الي قراة النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو علي يجوز ان يكون
الضمير للكافر على قراة الجماعة اي لا يعذب احد مثل تعذيب هذا الكافر فتكون
الها للكافر والمراد بالخذ هذه الملكة يكن الذين يتولون تعذيب اهل النار قوله
تعالى يا ايتها النفس المطمينه لما ذكر من كانت همته الدنيا فاتهم الله في اعتنائه
واقتاره ذكر حال من اطمانت نفسه الي الله عز وجل فسلم لامره واتكل عليه وقيل

هو من قول الله عز وجل للملايكة والمطمينة الزاكية الموقنة ايقنت ان الله ربها ناحسنة قاله مجاهد وغيره وقال بن عباس اي المطمينة بثواب الله عز وجل وعند المومنة وقال الحسن المومنة الموقنة وعن مجاهد ايضا الراضية بقضا الله التي علمت ان ما اخطاها لم يكن ليصيبها وما اصابها لم يكن ليخطيها وقال مقاتل الامنة من عذاب الله وفي حرف ابي بن كعب يا ايها النفس الامنة المطمينة وقيل اي عملت على يقين بما وعد الله في كتابه وقال بن كيسان هنا المطمينة بذكر الله بيانه الذين امنوا وتطمين قلوبهم بذكر الله وقيل المطمينة بالايمان المصدقة بالبعث والثواب وقال ابن زيد المطمينة لانها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث ويوم الجمع وروي عن عبد الله بن بريده عن ابيه قال يعني نفس حمزه والصحيح انها عامة في كل نفس مومن مخلص طايع قال الحسن البصري ان الله تعالى اذا اراد ان يقبض روح عبده المومن اطمانت النفس الى الله واطمان الله اليها وقال عمرو بن العاصي اذا توفي المومن ارسل الله اليه ملكين وارسل معهما تحفة من الجنة فيقول لها اخرجي ايتها النفس المطمينة راضية مرضية اي مرضيا عنك اخرجي الى روح وريحان والى رب راض غير غضبان فتخرج كاطيب ريح المسك وجده احد من انفه على ظهر الارض وذكر الحديث وقال سعيد بن زيد قرا رجل عند النبي صلى الله عليه وسلم يا ايتها النفس المطمينة فقال ابو بكر ما احسن هذا يا رسول الله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ان الملك سيقولها لك يا ابا بكر وقال سعيد بن جبير مات بن عباس بالطايف فجا طاير لم ير على خلقته طاير قط فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الاية على شفير القبر لا يدري من تلاها يا ايتها النفس المطمينة ارجعي الى ربك راضية مرضية وروى الضحاك انها نزلت في عثمان بن عفان رضي الله عنه حين وقف بير رومه وقيل نزلت في حبيب ابن عدي الذي صلبه اهل مكة وجعلوا وجهه نحو القبلة والله اعلم ومعنى الى ربك اي الى صاحبك وجسدك قاله بن عباس وعطا وعكرمه واختاره الطبري ودليله قراة بن عباس وعطا وعكرمه واختاره الطبري ودليله قراة بن عباس فادخلي في عبدي وادخلي جنتي فيامر الله تعالى بالارواح غدا ان ترجع الى الاجساد وقال ابن مسعود في عبدي وقال الحسن اي ارجعي الى ثواب ربك وكرامته وقال ابو صالح المعنى ارجعي الى الله وهذا عند الموت فادخلي في عبادي اي في اجساد عبادي دليله قراة بن عباس وبن مسعود قال بن عباس هذا يوم القيامة وقال الضحاك [illegible] الجنة دار الخلود التي هي مسكن الابرار ودار الصالحين والاخيار و[illegible] عبادي اي في الصالحين من عبادي كما قال ولندخلنهم في الصالحين وقال الاخفش في عبادي اي في حزبي والمعنى واحد اي انتظمي في سلكهم وادخلي جنتي معهم تم

سورة البلد مكية باتفاق وهي عشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد يجوز ان تكون لا زايدة كما تقدم في لا اقسم بيوم القيامة قاله الاخفش اي اقسم لانه قال بهذا البلد وقد اقسم به في قوله وهذا البلد الامين فكيف يجحد القسم به وقد اقسم به كما قال الشاعر

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة • وكاد صميم القلب لا يتقطع

اي يتقطع ودخل حرف لا صلة ومنه قوله تعالى ما منعك ان لا تسجد اذ امرتك بدليل قوله تعالى في ص ما منعك ان تسجد وقرا الحسن والاعمش وبن كثير لاقسم من غير الف بعد اللام اثباتا واجاز الاخفش ايضا ان تكون بمعنى الا وقيل ليست بنفي للقسم وانما هو كقول العرب لا والله لا فعلت كذا وقيل في صحيح مسلم والمعنى لا اقسم بهذا البلد اذا لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي ورواه بن ابي نجيح عن مجاهد قال

لارد عليهم وهذا اختيار ابن العربي لانه قال واما من قال انها رد فهو قول ليس له رد لانه يصح به المعنى ويتمكن به اللفظ والمراد فهو رد لكلام من انكر البعث ثم ابتدا القسم وقال القشيري قوله لا رد لما توهم الانسان المذكور في هذه السورة المغرور بالدنيا اي ليس الامر كما يحسبه من انه لم يقدر عليه احد ثم ابتدا القسم والبلد هنا مكة اجمعوا عليه اي اقسم بالبلد الحرام الذي انت فيه لكرامتك علي وحبي لك وقال الواسطي اي يحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا وببركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة نزلت بمكة باتفاق قوله تعالى وانت حل بهذا البلد في المستقبل مثل قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع في كلام العرب تقول لمن تعده الاكرام والحبا انت مكرم محبا وهو في كلام الله واسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على انه للاستقبال وان تفسيره بالحال محال ان السورة مكية بالاتفاق قبل الفتح وقد روي منصور عن مجاهد وانت حل قال ما صنعت فيه من شي فانت ولذا قال ابن عباس احل له يوم دخل مكة ان يقتل من شا فقتل ابن خطل ومقيس بن صبابة وغيرهما ولم يحل لاحد من الناس ان يقتل بها احدا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي السدي قال انت في حل ممن قاتلك ان تقتله وروي ابو صالح عن بن عباس قال احلت له ساعة من نهار ثم اطبقت وحرمت الى يوم القيامة وذلك فتح مكة وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهي حرام الى ان تقوم الساعة فلم تحل لاحد قبلي ولا تحل لاحد بعدي ولم تحل لي الا ساعة من نهار الحديث وقد تقدم في سورة المايده قال ابن زيد لم يكن بها احد حلالا غير النبي صلى الله عليه وسلم وقيل وانت مقيم فيه وهو محلك وقيل وانت فيه محسن وانا عنك فيه راض وذكر اهل اللغة انه يقال رجل حل وحلال ومحل ورجل حرام ومحرم وحرم وقال قتاده انت حل به لست باثم وقيل هو ثنا على النبي صلى الله عليه وسلم اي انك غير مرتكب في هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه معرفة منك بحق هذا البلد لا كالمشركين الذين يرتكبون الكفر بالله اي اقسم بهذا البيت المعظم الذي قد عرفت حرمته فانت مقيم فيه معظم له غير مرتكب فيه ما يحرم عليك وقال شرحبيل بن سعد وانت حل بهذا البلد اي حلال اي هم يحرمون مكة ان يقتلوا بها صيدا او يعضد بها شجرة ثم هم مع هذا يستحلون اخراجك وقتلك قوله تعالى ووالد وما ولد قال مجاهد وقتاده والضحاك والحسن وابو صالح ووالد ادم عليه السلام وما ولد اي وما نسل من ولده اقسم به لانهم اعجب ما خلق الله تعالى على وجه الارض لما فيهم من البيان والنطق والتدبير وفيهم الانبيا والدعاه الى الله عز وجل وقيل هو اقسام بادم والصالحين من ذريته واما الطالحون فكانهم بهايم وقيل الوالد ابراهيم وما ولد ذريته قاله ابو عمران الجوني ثم يحتمل انه يريد جميع ذريته ويحتمل ان يريد المسلمين من ذريته قال الفرا وصلح ما للناس كقوله ما طاب لكم وكقوله وما خلق الذكر والانثى وهو الخالق للذكر والانثى وقيل ما مع ما بعدها في معنى المصدر اي ووالد وولادته كقوله تعالى والسما وما بناها وقال عكرمه وسعيد بن جبير ووالد يعني الذي يولد له وما ولد يعني العاقر الذي لا يولد له وقاله بن عباس وما على هذا النفي وهو بعيد ولا يصح الا باضمار الموصول اي ووالد والذي ما ولد وذلك لا يجوز عند البصريين وقيل هو عموم في كل والد وكل مولود وقيل قاله عطية العوفي وروي معناه عن بن عباس ايضا وهو اختيار الطبري قال الماوردي ويحتمل ان الوالد النبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره وما ولد امته لقوله عليه السلام انما انا لكم بمنزلة الوالد اعلمكم فاقسم به وبامته بعد ان اقسم ببلده مبالغة في تشريفه عليه السلام قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد الى هنا انتهى القسم وهذا جوابه ولله ان يقسم بما شا من مخلوقاته ليعظمها كما تقدم والانسان هنا ادم في كبد اي في

شدة وعنا من مكابدة الدنيا واصل الكبد الشدة ومنه تكبد اللبن تخن واشتد
وغلظ ومنه الكبد لانه دم يغلظ واشتد ويقال كابدت هذا الامر قاسيت شدته
قال لبيد • يا عين هلا بكيت اربد اذ قمنا وقام الخصوم في كبد •
قال بن عباس والحسن في كبد اي في شدة ونصب وعن بن عباس ايضا في شدة
من حمله وولادته ورضاعه ونبت اسنانه وغير ذلك من احواله وروي عكرمة
عنه قال منتصبا في بطن امه والكبد الاستوا والاستقامة فهذا امتنان عليه
في الخلقة ولم يخلق الله جل ثناؤه دابة في بطن امها الا منكبة على وجهها الا ابن ادم
فانه منتصب انتصابا وهو قول النخعي ومجاهد وغيرهما قال بن كيسان منتصبا
راسه في بطن امه فاذا اذن الله ان يخرج من بطن امه قلب راسه الى رجلي امه
وقال الحسن يكابد مصايب الدنيا وشدايد الاخرة وعنه ايضا يكابد الشكر على
السرا والصبر على الضرا لانه لا يخلو من احدهما ورواه بن عمر وقال يمان لم يخلق الله
خلقا يكابد ما يكابد بن ادم وهو مع ذلك اضعف الخلق قال علماونا اول ما يكابد
قطع سرته ثم اذا قمط قماطا وشد رباطا يكابد الضيق والتعب ثم يكابد الرضاع
ولو فاته ضاع ثم يكابد نبت اسنانه وتحرك لسانه ثم يكابد الفطام الذي هو اشد
من اللطام ثم يكابد الاختتان والاوجاع والاحزان ثم يكابد المعلم وصولته والموءدب
وسياسته والاستاذ وهيبته ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه ثم يكابد
شغل الاولاد والخدم والاجناد ثم يكابد شغل الدور وبنا القصور ثم الكبر والهرم
وضعف الركبة والقدم في مصايب يكثر تعدادها ونوايب يطول ايرادها من صداع
الراس ووجع الاضراس ورمد العين وهم الدين ووجع السن والم الاذن ويكابد
محنا في المال والنفس مثل الضرب والحبس ولا يمضي عليه يوم الا يقاسي فيه شدة
ولا يكابد الا مشقة ثم الموت بعد ذلك كله ثم مسايلة الملك وضغطة القبر وظلمته
ثم البعث والعرض على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنة واما في النار قال
الله تعالى لقد خلقنا الانسان في كبد فلو كان الامر اليه لما اختار هذه الشدايد
ودل هذا على ان له خالقا دبره وقضى عليه بهذه الاحوال فليمتثل امره وقال
ابن زيد الانسان هنا ادم عليه السلام وقوله في كبد اي في وسط السما وقال
الكلبي ان هذا نزل في رجل من بني جمح كان يقال له ابو الاشدين وكان ياخذ
الاديم العكاظي فيجعله تحت قدميه ويقول من ازالني عنه فله كذا فيجذبه عشرة
حتى يتمزق ولا يزول قدماه وكان من اعدا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل ايحسب
ان لن يقدر عليه احد يعني لقوته وروي عن بن عباس ومعنى في كبد اي شديد
الخلق وكان من اشد رجال قريش وكذلك ركانة بن هشام بن عبد المطلب وكان
مثلا في الباس والشدة وقيل في كبد اي جري القلب غليظ الكبد مع ضعف خلقته
ومهانة مادته ابن عطا في ظلمة وجهل الترمذي مضيعا ما يعنيه مشتغلا بما لا يعنيه
ايحسب ان لن يقدر عليه احد اي ايظن ابن ادم ان لن يحاسبه الله عز وجل يقول اهلكت
اي انفقت مالا كثيرا مجتمعا ايحسب اي ايظن ان لم يره اي لم يعاينه احد بل علم الله عز
وجل ذلك منه وكان كاذبا في قوله اهلكت ولم يكن انفقه وروى ابو هريرة قال
يوقف العبد فيقال له ماذا عملت في المال الذي رزقتك فيقول انفقته وزكيته
فيقال كانك ما فعلت ذلك الا ليقال انك سخي فقد قيل ذلك ثم يومر به الى النار
وعن سعيد عن قتادة انك مسوول عن مالك من اين جمعت وكيف انفقت وعن بن
عباس كان ابو الاسود يقول انفقت في عداوة محمد مالا كثيرا وهو في ذلك كاذب
وقال مقاتل نزلت في الحارث بن عامر بن نوفل اذنب فاستفتى النبي صلى الله عليه
وسلم فامره ان يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات والنفقات منذ دخلت
في دين محمد وهذا القول منه يحتمل ان يكون استطالة بما انفق فيكون طغيانا منه
واسفا عليه فيكون ندما منه وقرا ابو جعفر مالا لبدا اي بتشديد الباء مفتوحة على

ج

جمع لابد مثل راكع وركع وساجد وسجد وشاهد وشهد ونحو قوله وقرا مجاهد وحميد
بضم الباء واللام مخففا جمع لبود الباقون بضم اللام وكسرها وفتح الباء مخففا جمع لبده ولبده
وهو ما تلبد يريد الكثرة وقد مضى في سورة الجن القول فيه وروي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه كان يقرا ايحسب بضم السين في المومنين قال الحسن يقول اتلفت مالا كثيرا فمن
يحاسبني به دعني احسبه الم يعلم ان الله قادر على محاسبته وان الله عز وجل يرى صنيعه
ثم عدد عليه نعمه فقال الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا ينطق به وشفتين يستر بهما
ثغره والمعنى نحن فعلنا ذلك ونحن نقدر على ان نبعثه ونحصي عليه ما عمله وقال ابو
حازم قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال يا ابن ادم ان نازعك لسانك فيما
حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وان نازعك بصرك فيما حرمت عليك فقد
اعنتك عليه بطبقتين فاطبق والشفة اصلها شفهة حذفت منها الها وتصغيرها شفيهة
والجمع شفاه ويقال شفهات وشفوات والها اقيس والواو اعم تشبيها بالسنوات وقال
الازهري يقال هذه شفه في الوصل وشفه بالهاء والتا وقال قتادة نعم الله
ظاهرة يقررك بها حتى تشكر قوله تعالى وهديناه النجدين اي الطريقين طريق
الخير وطريق الشر اي بيناهما له بما ارسلناه من الرسل والنجد الطريق في ارتفاع وهذا
قول بن عباس وبن مسعود وغيرهما وروي قتادة قال ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه
وسلم كان يقول يا ايها الناس انما هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلم تجعل نجد الشر
احب اليك من نجد الخير وروي عكرمة قال النجدان الثديين وهو قول سعيد بن المسيب
والضحاك وروي عن بن عباس وعلي رضي الله عنهما لانهما كالطريقين لحياة الولد
ورزقه فالنجد العلو وجمعه نجود ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة
فالنجدان الطريقان العاليان قال امرو القيس •
فريقان منهم جازع بطن نخلة • واخر منهم قاطع نجد كبكب •
قوله تعالى فلا اقتحم العقبة اي فهلا انفق ماله الذي يزعم انه انفقه في عداوة
محمد هلا انفقه لاقتحام العقبة فيامن والاقتحام الرمي بالنفس في شي من غير
رويه يقال منه قحم في الامر قحوما اي رمى بنفسه فيه من غير روية وقحم الفرس فارسه
تقحيما على وجهه اذا رماه وتقحيم النفس في الشي ادخالها فيه من غير روية والقحمة بالضم
المهلكة والسنة الشديدة يقال اصابت الاعراب القحمة اذا اصابهم قحط فدخلوا الريف
والقحم صعاب الطرق وقال الفرا والزجاج وذكر لا مرة واحدة والعرب لا تكاد تفرد
لا مع الفعل الماضي في مثل هذا الموضع حتى يعيدوها في كلام اخر لقوله تعالى فلا صدق
ولا صلى ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وانما افردوها لدلالة اخر الكلام على معناه
فيجوز ان يكون قوله ثم كان من الذين امنوا قايما مقام التكرير كانه قال فلا اقتحم
العقبة ولا امن وقيل هو جار مجرى الدعا كقوله لا نجا ولا سلم وما ادراك ما العقبة
قال سفيان بن عيينة كل شي قال فيه وما ادراك فانه اخبر به وكل شي قال
فيه وما يدريك فانه لم يخبر به وقال معنى فلا اقتحم العقبة اي فلم يقتحم العقبة كقول
زهير • وكان طوى كشحا على مستكنة • فلا هو ابداها ولم يتقدم •
اي فلم يبدها ولم يتقدم وكذا قال المبرد وابو علي لا بمعنى لم وذكره البخاري عن
مجاهد اي فلم يقتحم العقبة في الدنيا فلا يحتاج الى التكرير ثم فسر العقبة وركوبها
فقال فك رقبة او كذا وكذا فبين وجوها من القرب المالية وقال ابن زيد
وجماعة من المفسرين معنى الكلام الاستفهام الذي معناه الانكار تقديره افلا اقتحم
العقبة او هلا اقتحم العقبة يقول هلا انفق ماله في فك الرقاب واطعام السغبان
ليكون خيرا له من انفاقه في عداوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قيل اقتحام العقبة
هاهنا ضرب مثل اي هلا تحمل عظام الامور في انفاق ماله في طاعة ربه والايمان
به وهذا انما يليق بقول من حمل فلا اقتحم العقبة على الدعا اي فلا نجا ولا سلم
من لم ينفق ماله في كذا وكذا وقيل شبه عظم الذنوب وثقلها وشدتها بعقبة فاذا

اعتق رقبة وعمل صالحا كان مثله كمثل من اقتحم العقبة وهي الذنوب التي تضره
وتؤذيه وتثقله وقال ابن عمر هذه العقبة جبل في جهنم وعن ابي رجا قال بلغنا ان
العقبة مصعدها سبعة الاف سنة ومهبطها سبعة الاف سنة وقال الحسن وقتاده
هي عقبة شديدة في النار دون الجسر فاقتحموها بطاعة الله وقال مجاهد والضحاك
والكلبي هي الصراط يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة الاف سنة صعودا
وهبوطا واقتحامه على المومن كما بين صلاة العصر الى العشا وقيل اقتحامه عليه
قدر ما يصلي صلاة مكتوبة وروي عن ابي الدردا انه قال ان ورانا عقبة انجا الناس
منها اخفهم حملا وقيل النار نفسها هي العقبة وروى ابو رجا عن الحسن قال بلغنا ان
ما من مسلم يعتق رقبة الا كانت فداه من النار وعن ابي عبد الله بن عمر قال من
اعتق رقبة اعتق الله عز وجل بكل عضو منها عضوا منه وفي صحيح مسلم عن ابي
هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اعتق رقبة اعتق الله بكل
عضو منها عضوا من اعضائه من النار حتى فرجه بفرجه وحكى الترمذي عن
ابي امامة وغيره من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال ايما امرئ مسلم اعتق
امرا مسلما كان فكاكه من النار يجزي كل عضو منه عضوا وايما امراة مسلمة اعتقت
امراة مسلمة كانت فكاكها من النار يجزي كل عضو منها عضوا منها قال حديث
حسن صحيح غريب وقيل العقبة خلاصه من هول العرض قال قتادة وكعب
هي نار دون الجسر وقال الحسن هي والله عقبة شديدة مجاهدة الانسان
نفسه وهواه وعدوه والشيطان وانشد بعضهم •

• اني بليت باربع يرمينني • بالنبل قد نصبوا علي شراكا •
• ابليس والدنيا ونفسي والهوى • من اين ارجو بينهن فكاكا •
• يا رب ساعدني بعفو انني • اصبحت لا ارجو لهن سواكا •

قوله تعالى وما ادراك ما العقبة فيه حذف اي وما ادراك ما اقتحام العقبة
وهذا تعظيم لالتزام اهل الدين والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليعلمه اقتحام
العقبة قال القشيري وحمل العقبة على عقبة جهنم بعيد اذ احد في الدنيا لم
يقتحم عقبة جهنم على ان يحمل على ان المراد فهلا صبر على نفسه بحيث لا يمكنه اقتحام
عقبة جهنم غدا واختاره البخاري قول مجاهد انه لم يقتحم العقبة في الدنيا قال
ابن العربي وانما اختار ذلك لانه قال بعد ذلك في الاية الثانية وما ادراك ما
العقبة ثم قال في الاية الثالثة فك رقبة وفي الاية الرابعة او اطعام في يوم ذي
مسغبة ثم قال في الاية الخامسة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة فهذه
الاعمال انما تكون في الدنيا المعنى فلم يات في الدنيا بما يسهل عليه سلوك العقبة
في الاخرة فك رقبة فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فك رقبة فكها
خلاصها من الاسر وقيل من الرق وفي الحديث وفك الرقبة ان تعين في ثمنها
من حديث البرا وقد تقدم في سورة براءة والفك هو حل القيد والرق قيد
ويسمى المرقوق وفيه لانه بالرق كالاسير المربوط في رقبته وسمي عتقها فكا كفك
الاسير من الاسر قال حسان • كم من اسير فككناه بلا ثمن • وجز ناصية كنا مواليها •
وروى عقبة بن عامر الجهني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اعتق رقبة مومنة
كانت فداه من النار قال الماوردي ويحتمل ثانيا انه اراد فك رقبته وخلاص
نفسه باجتناب المعاصي وفعل الطاعات ولا يمتنع الخبر من هذا التاويل وهو
اشبه بالصواب الثانية قوله تعالى رقبة قال اصبغ الرقبة الكافرة
ذات الثمن افضل في العتق من الرقبة المومنة القليلة الثمن لقول النبي صلى
الله عليه وسلم وقد سيل اي الرقاب افضل قال اغلاها ثمنا وانفسها عند اهلها
ابن العربي والمراد في هذا الحديث من المسلمين بدليل قوله تعالى من اعتق امرا
مسلما ومن اعتق رقبة مومنة وما ذكره اصبغ وهلة وانما نظر الى تنقيص المال

النظر

النظر الى تجريد المعتق للعبادة وتفريغه للتوحيد اولى الثالثة العتق والصدقة
من افضل الاعمال وعن ابي حنيفة ان العتق افضل من الصدقة وعند صاحبيه
الصدقة افضل والاية ادل على قول ابي حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن
الشعبي سيل عن رجل عنده فضل نفقة ايضعه في قرابته او يعتق رقبة قال الرقبة
افضل لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه
من النار او اطعام في يوم ذي مسغبة اي مجاعة والمسغبة الجوع والساغب الجايع وقرا
الحسن او اطعام في يوم ذا مسغبة بالالف في ذا وانشد ابو عبيد •

• فلو كنت جارا يا ابن قيس بن عاصم • لما بت شبعانا وجارك ساغبا •

واطعام الطعام فضيلة وهو مع السغب الذي هو الجوع افضل وقال النخعي في قوله او اطعام
في يوم ذي مسغبة قال في يوم عزيز فيه الطعام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان من موجبات الرحمة اطعام المسلم السغبان يتيما ذا مقربة اي ذا قرابة
يقال فلان ذو قرابتي وذو مقربتي يعلمك ان الصدقة على القرابة افضل منها على
غير القرابة كما ان الصدقة على اليتيم الذي لا كافل له افضل من الصدقة على اليتيم
الذي يجد من يكفله واهل اللغة يقولون سمي يتيما لضعفه يقال يتم الرجل يتما اذا
ضعف وذكروا ان اليتيم في الناس من قبل الاب وفي البهايم من قبل الامهات وقد
مضى في سورة البقرة مستوفى وقال بعض اهل اللغة اليتيم الذي يموت ابواه وقال
قيس بن الملوح • الى الله اشكو فقد ليلى كما شكا • الى الله فقد الوالدين يتيم •
او مسكينا ذا متربة اي لا شي له حتى كانه قد لصق بالتراب من الفقر ليس له ماوى الا
التراب وقال ابن عباس هو المطروح على الطريق الذي لا بيت له مجاهد هو الذي
لا يقيه من التراب لباس ولا غيره وقال قتادة انه ذو العيال عكرمة المديون ابو
سنان ذو الزمانة ابن جبير الذي ليس له احد وروى عكرمة عن ابن عباس قال ذو
المتربة البعيد التربة يعني الغريب البعيد عن وطنه وقال ابو حامد الخارزنجي المتربة
هنا من التتريب وهي شدة الحال يقال ترب اذا افتقر قال الهذلي •

• وكنا اذا ما الضيف حل بارضنا • سفكنا دما البدن في تربة الحال •

وقرا ابو عمرو وابن كثير والكسائي فك بنصب الكاف على الفعل الماضي رقبة نصبا لكونها
مفعولا او اطعم بفتح الهمزة ونصب الميم من غير الف على الفعل الماضي لقوله ثم
كان من الذين امنوا فهذا اشكل بفك واطعم وقرا الباقون فك رفعا على انه مصدر
فكك رقبة خفضا بالاضافة او اطعام بكسر الهمزة والف ورفع الميم وتنوينها على
المصدر ايضا واختاره ابو عبيد وابو حاتم لانه تفسير لقوله تعالى وما ادراك ما
العقبة ثم اخبره فقال فك رقبة او اطعام المعنى اقتحام العقبة فك رقبة او اطعام
ومن قرا بالنصب فهو محمول على المعنى ولا فك رقبة ولا اطعم في يوم ذي مسغبة
فكيف يجاوز العقبة وقرا الحسن وابو رجا مسغبة بالنصب على انه مفعول الطعام
اي يطعمون ذا مسغبة فهو صفة ليوم ويجوز ان تكون قراءة النصب صفة لموضع
الجار والمجرور لان قوله في يوم ظرف منصوب الموضع فيكون وصفا له على المعنى دون
اللفظ قوله تعالى ثم كان من الذين امنوا يعني انه لا يقتحم العقبة من فك رقبة
او اطعم في يوم ذي مسغبة حتى يكون من الذين امنوا اي صدق فان شرط قبول
الطاعات الايمان بالله فالايمان بعد الانفاق لا ينفع بل يجب ان يكون الطاعة
مصحوبة بالايمان قال الله تعالى في المنافقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم
الا انهم كفروا بالله وبرسوله وقالت عايشة يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية
يصل الرحم ويطعم الطعام ويفك العاني ويعتق الرقاب ويحمل على ابله لله فهل ينفعه
ذلك شيا قال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيتي يوم الدين وقيل ثم كان من الذين
امنوا اي فعل هذه الاشيا وهو مومن ثم بقي على ايمانه حتى الموافاة نظيره قوله تعالى
واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدى وقيل المعنى ثم كان من الذين يومنون

بأن هذا نافع لهم عند الله تعالى وقيل إن هذا القرب لوجه الله ثم آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وقد قال حكيم بن حزام بعد ما أسلم يا رسول الله إنا كنا نتحنث بأعمال في الجاهلية فهل لنا منها شيء فقال عليه السلام أسلمت على ما قدمت من الخير وقيل إن ثم بمعنى الواو أي وكان هذا المعتق الرقبة والمطعم في المسغبة من الذين آمنوا وتواصوا أي أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معصيته وعلى ما أصابهم من البلاء والمصائب وتواصوا بالمرحمة أي بالرحمة على الخلق فإنهم إذا فعلوا ذلك رحموا اليتيم والمسكين أولئك أصحاب الميمنة الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم قاله محمد بن كعب القرظي وغيره وقال يحيى بن سلام لأنهم ميامين على أنفسهم قال ابن زيد لأنهم أخذوا من شق آدم الأيمن وقيل لأن منزلتهم عن اليمين قاله ميمون بن مهران والذين كفروا بآياتنا أي بالقرآن هم أصحاب المشأمة أي يأخذون كتبهم بشمائلهم قاله محمد بن كعب القرظي يحيى بن سلام لأنهم مشائيم على أنفسهم ابن زيد لأنهم أخذوا من شق آدم الأيسر قال ميمون لأن منزلتهم على اليسار قلت ويجمع هذه الأقوال أن يقال إن أصحاب الميمنة أصحاب الجنة وأصحاب المشأمة أصحاب النار قال الله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وقال وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم في سموم وحميم وما كان مثله ومعنى مؤصدة أي مغلقة قال

تحن إلى أجبال مكة ناقتي ۝ ومن دونها أبواب صنعاء مؤصدة ۝

وقيل مبهمة لا يدرى ما داخلها وأهل اللغة يقولون أوصدت الباب وآصدته أغلقته فمن قال أوصدت فالاسم الوصاد ومن قال آصدت فالاسم الإصاد وقرأ أبو عمرو وحفص وحمزة عن يعقوب والشيزري عن الكسائي بالهمز مؤصدة هنا وفي الهمزة الباقون بلا همز وهما لغتان وعن أبي بكر بن عياش قال لنا إمام يهمز مؤصدة فاشتهي أن أسد أذني إذا أسمعه

سورة والشمس مكية باتفاق وهي خمس عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والشمس وضحاها قال مجاهد وضحاها أي ضوؤها وإشراقها وهو قسم ثان وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه إنما يكون بعد ارتفاع الشمس وقال قتادة أي نهارها وقال السدي حرها وروى الضحاك عن ابن عباس وضحاها قال جعل فيها الضوء وجعلها حارة وقال الترمذي هو انبساطها وقيل ما ظهر بها من كل مخلوق فيكون القسم بها وبمخلوقات الأرض كلها حكاه الماوردي والضحى مؤنثة يقال ارتفعت الضحى فوق الضحو وقد تذكر فمن أنث ذهب إلى أنها جمع ضحوة ومن ذكر ذهب إلى أنه اسم على فعل نحو صرد ونغر وهو ظرف غير متمكن نحو سحر تقول لقيته ضحى وضحى إذا أردت به ضحى يومك لم تنونه وقال الفراء الضحى هو النهار كقول قتادة والمعروف عند العرب أن الضحى إذا ارتفعت الشمس وبعيد ذلك قليلا فإذا زاد فهو الضحاء بالمد ومن قال الضحى النهار كله فذلك لدوام نور الشمس ومن قال إنه نور الشمس أو حر الشمس فنور الشمس لا يكون إلا مع حر الشمس وقد استدل من قال إن الضحى حر الشمس بقوله تعالى ولا تضحى أي لا تؤذيك الحر وقال المبرد أصل الضحى من الضح وهو نور الشمس والألف مقلوبة من الحاء الثانية تقول ضحوة وضحوات وضحى فالواو من ضحوة مقلوبة عن الحاء الثانية والألف في ضحى مقلوبة عن الواو وقال أبو الهيثم الضح نقيض الظل وهو نور الشمس على وجه الأرض وأصله الضحى فاستثقلوا الياء مع سكون الواو فقلبوها ألفا قوله تعالى والقمر إذا تلاها أي تبعها وذلك إذا سقطت رئي الهلال يقول رأيت فيه بالأمس إذا اتبعته قال قتادة إنما ذلك ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رئي الهلال وقال ابن زيد إذا غربت الشمس في النصف الأول من الشهر

تلاها القمر بالطلوع وفي آخر الشهر يتلوها بالغروب الفراء تلاها أي أخذ منها يذهب إلى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس وقال قوم والقمر إذا تلاها حين استوى واستدار فكان مثلها في الضياء والنور وقاله الزجاج قوله تعالى والنهار إذا جلاها أي كشفها فقال قوم جلى الظلمة وإن لم يجر لها ذكر كما تقول أصبحت باردة أي أصبحت غداتنا باردة وهذا قول الفراء والكلبي وغيرهما وقال قوم الضمير في جلاها للشمس والمعنى أنه يبين بضوئه جرمها ومنه قول امرئ القيس بن الخطيم

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة ۝ بدا حاجب منها وضنت بحاجب ۝

وقيل جلى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستتاره ليلا وانتشاره نهارا وقيل جلا الدنيا وقيل الأرض وإن لم يجر لها ذكر ومثله قوله تعالى حتى توارت بالحجاب على ما تقدم آنفا قوله تعالى والليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس فيذهب بضوئها عند سقوطها قاله مجاهد وغيره وقيل يغشى الدنيا بالظلم فتظلم الآفاق فالكناية ترجع إلى غير مذكور قوله تعالى والسماء وما بناها أي وبنيانها فما مصدرية كما قال بما غفر لي ربي أي بغفران ربي قاله قتادة واختاره المبرد وقيل المعنى ومن بناها قاله الحسن ومجاهد وهو اختيار الطبري أي ومن خلقها ورفعها وهو الله تعالى وحكي عن أهل الحجاز سبحان ما سبحت له أي سبحان من سبحت له والأرض وما طحاها أي وطحوها على ما ذكرناه آنفا أي بسطها كذا قال عامة المفسرين مثل دحاها قال مجاهد والحسن وغيرهما طحاها ودحاها واحد أي بسطها من كل جانب والطحو البسط طحا يطحو طحوا وطحى يطحى طحيا وطحيت اضطجعت عن أبي عمرو وعن ابن عباس طحاها أي قسمها وقيل خلقها قال الشاعر

وما تدري خزيمة من طحاها ۝ ولا من ساكن العرش الرفيع ۝

قال الماوردي ويحتمل أنه ما خرج منها من نبات وعيون وكنوز لأنه حياة لما خلق عليها ويقال في بعض أيمان العرب لا والقمر الطاحي أي المشرف المرتفع قال أبو عمرو وطحا الرجل إذا ذهب به في الأرض يقال ما أدري أين طحا به ويقال طحا به قلبه إذا ذهب به في كل شيء قال علقمة طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب قوله تعالى ونفس وما سواها قيل المعنى وتسويتها فما بمعنى المصدر وقيل المعنى ومن سواها وهو الله عز وجل وفي النفس قولان أحدهما آدم الثاني كل نفس منفوسة وسوى بمعنى هيأ وقال مجاهد سواها خلقها وعدل وهذه الأسماء كلها مجرورة على القسم أقسم جل ثناؤه بخلقه لما فيه من عجائب الصنعة الدالة عليه فألهمها أي عرفها كذا روى ابن أبي نجيح عن مجاهد أي عرفها طريق الطاعة والمعصية وعن محمد بن كعب قال إذا أراد الله عز وجل بعبده خيرا ألهمه الخير فعمل به وإذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به وقال الفراء فألهمها أي عرفها طريق الخير وطريق الشر كما قال وهديناه النجدين وروى الضحاك عن ابن عباس قال ألهم المؤمن المتقي تقواه وألهم الكافر فجوره وعن سعيد عن قتادة قال بين لها فجورها وتقواها والمعنى متقارب وروي عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فألهمها فجورها وتقواها فقال اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها ورواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية فألهمها فجورها وتقواها رفع صوته بها وقال اللهم آت نفسي تقواها أنت وليها ومولاها وفي صحيح مسلم عن أبي الأسود الديلي قال قال عمران أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم فقال بل شيء قضي عليهم ومضى عليهم قال فقال أفلا يكون ظلما قال ففزعت من ذلك فزعا شديدا وقلت كل شيء خلق الله وملك يده فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون فقال يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه

شي قضي عليهم وقضي فيهم من قدر قد سبق او فيما يستقبلونه مما اتاهم به نبيهم
وبثبت به الحجة عليهم ومضى فيهم فقال لا بل شي قضي عليهم ومضى فيهم وتصديق ذلك
في كتاب الله ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها والفجور والتقوى مصدران
في موضع المفعول به **قوله تعالى** قد افلح من زكاها هذا جواب القسم بمعنى لقد افلح قال
الزجاج حذفت اللام لان الكلام طال فصار طوله عوضا منها وقيل الجواب محذوف اي والشمس
وكذا وكذا لتبعثن قال الزمخشري تقديره ليدمدمن الله عليهم اي على اهل مكة لتكذيبهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا واما قد افلح من زكاها
فكلام تابع لقوله فالهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم في
شي وقيل هو على التقديم والتاخير بغير حذف والمعنى قد افلح من زكاها اي من زكاه الله
نفسه بالطاعة وقد خاب من دساها اي خسرت نفس دسها الله حل ثناوه بالمعصية
وقال ابن عباس خابت نفس اضلها الله واغواها وقيل افلح من زكى نفسه بطاعة الله
وصالح الاعمال وخاب من دس نفسه في المعاصي قاله قتاده وغيره واصل الزكاة النمو
والزياده ومنه زكاة الزرع اذا كثر ريعه ومنه تزكية القاضي الشاهد لانه يرفعه بالتعديل
وذكر الجميل وقد تقدم هذا المعنى في اول سورة البقرة مستوفى فمصطنع المعروف والمبادر
الى اعمال البر يشهر نفسه ويرفعها فكانت اجواد العرب تنزل الربا وارتفاع الارض ليشتهر مكانها
للمقتفين وتوقد النيران في السبل للطارقين وكانت اللئام تنزل الاوراح والاطراف والاهظا
ليخفى مكانها عن الطالبين فاولئك علوا انفسهم فزكوها وهولا اخفوا انفسهم ودسوها
وكذا الفاجر ابدا خفي المكان زمر المروه غامض الشخص ناكس الراس بركوب المعاصي وقيل
دساها اغواها قال • فانت الذي دسيت عمرا فاصبحت • حلايله منه اراملا ضيعا •
قال اهل اللغة والاصل دسسها من التدسيس وهو اخفا الشي في الشي فابدلت سينه
ياء كما يقال تقضيت اظفاري ومثله تظنيت في تظننت وتقضى البازي وقال الاعرابي وقد خاب
من دساها اي دس نفسه في جملة الصالحين وليس منهم كذبت ثمود بطغواها اي بطغيانها
وهو خروجها عن الحد في العصيان قاله مجاهد وقتاده وغيرهما وعن ابن عباس بطغواها
اي بعذابها التي وعدت به قال وكان اسم العذاب الذي جاءها الطغوى لانه طغى عليهم
وقاله محمد بن كعب بطغواها باجمعها وقيل هو مصدر وخرج على هذا المخرج لانه اشكل
برؤوس الاي وقيل الاصل بطغياها الا ان فعلى اذا كانت من ذوات اليا ابدلت في الاسم
واوا ليفصل بين الاسم والوصف وقراة العامه بفتح الطا وقرا الحسن والجحدري وحماد بن
سلمه بضم الطا على انه مصدر كالرجعى والحسنى وشبههما في المصادر وقيل هما لغتان
اذ انبعث اشقاها اي نهض لعقر الناقة واسمه قدار بن سالف وقد مضى بيان هذا
في الاعراف وهل كان واحدا او جماعة وفي البخاري عن عبد الله بن زمعه انه سمع
النبي صلى الله عليه وسلم يخطب وذكر الناقة والذي عقرها فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذ انبعث اشقاها انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل ابي
زمعه وذكر الحديث خرجه مسلم ايضا وروى الضحاك عن علي ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال له اتدري من اشقى الاولين قلت الله ورسوله اعلم قال عاقر الناقة قال
اتدري من اشقى الاخرين قلت الله ورسوله اعلم قال قاتلك فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعني صالحا عليه السلام ناقة الله ناقة منصوب على التحذير
كقولك الاسد الاسد والصبي الصبي والجدار الجدار اي احذروا ناقة الله اي عقرها
وقيل ذروا ناقة الله كما قال هذه ناقة الله لكم اية فذروها تاكل في ارض الله ولا
تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم وسقياها اي ذروها وشربها وقد مضى في سورة
الشعرا بيانه والحمد لله وايضا في سورة اقتربت الساعه فانهم لما اقترحوا الناقه
واخرجها لهم من الصخرة جعل لها شرب يوم ولهم شرب يوم معلوم فكان ذلك فشق ذلك
عليهم فكذبوه اي فكذبوا صالحا عليه السلام في قوله لهم انكم تعذبون ان عقرتموها
فعقروها اي عقرها الاشقى واضيف الى الكل لانهم رضوا بفعله وقال قتاده بغفله

دقال

وقال قتاده ذكر لنا انه لم يعقرها حتى تابعه كبيرهم وصغيرهم وذكرهم وانثاهم
وقال الفرا عقرها اثنان والعرب تقول هذان افضل الناس وهذان خير الناس وهذه
المراة اشقى القوم فلهذا لم يقل اشقياها **قوله تعالى** فدمدم عليهم ربهم بذنبهم اي اهلكهم
واطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب والعقر وروى الضحاك
عن ابن عباس قال دمدم عليهم ربهم بذنبهم اي بجرمهم وقال المؤرج
الدمدمة اهلاك باستئصال ... وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده ويقال دمدمت
على الشي اطبقت عليه ودمدم عليه القبر اي اطبقه وناقة مدمومة البسها الشحم فاذا
كررت الاطباق قلت دمدمت والدمدمة اهلاك باستئصال قاله المؤرج وفي الصحاح
ودمدمت الشي اذا الزقته بالارض وطحطحته ودمدم الله عليهم اي اهلكهم قال
القشيري وقيل دمدمت على الميت التراب اي سويت عليه فقوله فدمدم عليهم اي
اهلكهم فجعلهم تحت التراب اي سوى عليهم الارض وعلى الاول سواها اي فسوى
الدمدمة والاهلاك عليها وذلك ان الصيحة اهلكتهم فاتت على صغيرهم وكبيرهم وقال
ابن الانباري دمدم اي غضب والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل وقال بعض اللغويين الدمدمة الادامة تقول العرب ناقة مدمدمة
سمينة وقيل فسواها اي سوى الامة في انزال العذاب بهم صغيرهم وكبيرهم وضيعهم
وشريفهم ذكرهم وانثاهم وقرا ابن الزبير فدهدم وهما لغتان كما قالوا امتقع لونه
واهتقع ولا يخاف عقباها اي فعل الله بهم ذلك غير خائف ان تلحقه تبعة الذنوب
من احد قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتاده والها في عقباها على هذا ترجع الى
الفعلة كقوله من اغتسل يوم الجمعة فبها ونعمت اي بالفعلة والخصلة وقال السدي
والضحاك والكلبي ترجع الى العاقر اي لم يخف الذي عقرها عقبى ما صنع وقاله ابن عباس
ايضا وفي الكلام تقديم وتاخير مجازه اذ انبعث اشقاها ولا يخاف عقباها وقيل لا
يخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم عاقبة اهلاك قومه ولا يخشى ضررا يعود عليه
من عذابهم لانه قد انذرهم وقيل انجاه الله تعالى حين اهلكهم وقرا نافع وابن عامر
فلا بالفا وهو الاجود لانه يرجع الى المعنى الاول اي فلا يخاف الله عاقبة اهلاكهم
الباقون بالواو وهي اشبه بالمعنى الثاني اي ولا يخاف الكافر عاقبة ما صنع وروى
ابن وهب وابن القاسم عن مالك قالا اخرج الينا مالك مصحفا لجده وزعم انه كتبه
في زمن عثمان بن عفان حين كتب المصاحف وفيه ولا يخاف بالواو واختاره ابو عبيد وابو حاتم
اتباعا لمصحفهم والله اعلم

سورة والليل مكية وقيل مدنية وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى اي يغطي ولم يذكر معمولا للعلم
به فقيل يغشى الليل النهار وقيل الارض وقيل الخلايق وقيل يغشى كل شي
بظلمته وروى سعيد عن قتاده قال اول ما خلق الله النور والظلمة ثم ميز بينهما
فجعل الظلمة ليلا اسود مظلما والنهار نورا مضيا مبصرا والنهار اذا تجلى اي اذا انكشف
ووضح وظهر وبان بضوئه عن ظلمة الليل وما خلق الذكر والانثى قال الحسن معناه
والذي خلق الذكر والانثى فيكون قد اقسم بنفسه عز وجل وقيل معناه وخلق الذكر
والانثى فما مصدرية على ما تقدم واهل اللغة يقولون للرعد سبحان ما سبحت له
فما على هذا بمعنى من وهو قول ابي عبيدة وغيره وقد تقدم وقيل المعنى وما خلق
الذكر والانثى فيكون من مضمره ويكون القسم منه باهل طاعته من اوليائه وانبيائه
ويكون قسمه بهم تكرمة لهم وتشريفا وقال ابو عبيده وما خلق اي ومن خلق وكذلك
قوله والسما وما بناها ونفس وما سواها ما في هذه المواضع بمعنى من وروي عن
ابن مسعود انه كان يقرا والنهار اذا تجلى والذكر والانثى ويسقط وما خلق وفي صحيح
مسلم وعن علقمة قال قدمنا الشام فاتانا ابو الدرداء فقال افيكم احد يقرا على قراءة عبد

الله فقلت نحو انا فكيف سمعت عبد الله يقرا هذه الايه والليل اذا يغشى قال سمعته يقرا والليل اذا يغشى والذكر والانثى قال وانا والله سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقراها ولكن هولا يريدون ان اقرا وما خلق فلا اتابعهم قال ابو بكر الانباري وحدثنا محمد بن يحيى المروزي قال حدثنا ابو احمد الزبيري قال ثنا اسرايل عن ابي اسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله قال اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم اني انا الرزاق ذو القوة المتين قال ابو عمر وكل من هذين الحديثين مردود بخلاف الاجماع له وان حمزة وعاصما يرويان عن عبد الله بن مسعود ما عليه جماعة المسلمين والساعي سندين هوا فقان الاجماع اولى من الاخذ بواحد يخالفه الاجماع والامه وما يبنى على رواية واحد اذا جاز ان روايه واحد اخذ بروايه الجماعة وابطل نقل الواحد لما يجوز عليه من النسيان والاعقال ولو صح الحديث عن ابي الدردا وكان اسناده مقبولا معروفا ثم كان ابو بكر وعمر وعثمان وعلي وساير الصحابة رضي الله عنهم يخالفونه لكان الحكم بما روته الجماعة ورفض ما يحكيه الواحد المنفرد الذي يسرع اليه من النسيان ما لا يسرع الى الجماعة وجميع اهل الملة وفي المراد بالذكر والانثى قولان احدهما ادم وحوى قاله ابن عباس والحسن والكلبي الثاني يعني جميع الذكور والاناث من بني ادم والبهايم لان الله تعالى خلق جميعهم من ذكر وانثى من نوعهم وقيل كل ذكر وانثى من الادميين دون البهايم لاختصاصهم بولاية الله عز وجل وطاعته ان سعيكم لشتى هذا جواب القسم والمعنى ان عملكم لمختلف قال عكرمة وساير المفسرين السعي العمل فساع في فكاك نفسه وساع في عطبها يدل عليه قوله عليه السلام الناس غاديان فبايع نفسه فمعتقها او موبقها وشتى واحد شتيت مثل مريض ومرضى وانما قيل للمختلف شتى لتباعد ما بين بعضه وبعضه اي ان عملكم لمتباعد بعضه من بعض لان بعضه ضلاله وبعضه هدى اي فمنكم مومن وبر ومنكم فاجر وكافر ومنكم مطيع وعاص وقيل لشتى لمختلف الجزا فمنكم راحم وقاس وحليم وطايش وجواد وبخيل وشبه ذلك قولـه تعالى فاما من اعطى واتقى الايه فيه اربع مسايل الاولى قوله تعالى فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى قال ابن مسعود يعني فيه ابا بكر رضي الله عنه وقاله عامة المفسرين وروي عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان ابو بكر يعتق على الاسلام بمكة عجايز ونسا فقال له ابوه اي بني لو انك اعتقت رجالا جلدا يقومون معك فقال يا ابه انما اريد ما اريد وعن ابن عباس في قوله تعالى فاما من اعطى اي بذل واتقى اي محارم الله التي نهى عنها وصدق بالحسنى اي بالخلف من الله تعالى على عطايه فسنيسره لليسرى وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم يصبح العباد فيه الا وملكان ينزلان فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا ويقول الاخر اللهم اعط كل ممسك تلفا وروي من حديث ابي الدردا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم غربت شمسه الا وملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين اللهم اعط كل منفق خلفا اللهم اعط كل ممسك تلفا فانزل الله تعالى في ذلك في القران فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى الايات وقال اهل التفسير فاما من اعطى المعسرين وقال قتاده اعطى حق الله الذي عليه وقال الحسن اعطى من قلبه وصدق بالحسنى اي بلا اله الا الله قاله مجاهد بالجنة دليله قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى الايه وقال قتاده بموعود الله الذي وعده ان يثيبه وقال زيد بن اسلم بالصلاة والزكاة والصوم وقال الحسن بالخلف من عطايه وهو اختيار الطبري وقد تقدم عن ابن عباس وكله متقارب المعنى ويرجع كله الى الثواب الذي هو الجنة الثانيه قولـه تعالى فسنيسره لليسرى اي نسهل له اسباب الخير والصلاح حتى يسهل عليه فعلها وقال زيد بن اسلم لليسرى اي الجنة وفي الصحيحين والترمذي عن علي رضي الله عنه قال كنا في جنازة

بالبقيع فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فجلس وجلسنا معه ومعه عود ينكت به في الارض ورفع راسه الى السما فقال ما من نفس منفوسة الا كتب مدخلها فقال القوم يا رسول الله افلا نتكل على كتابنا فمن كان من اهل السعادة فانه يعمل للسعادة ومن كان من اهل الشقاوة فانه يعمل للشقا قال بل اعملوا فكل ميسر اما من كان من اهل السعادة فانه ميسر لعمل اهل السعاده واما من كان من اهل الشقا فانه ميسر لعمل اهل الشقا ثم قرا فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى لفظ الترمذي وقال فيه حديث حسن صحيح وسال غلامان شابان رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا العمل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير ام في شي يستانف فقال عليه السلام بل فيما جفت به الاقلام وجرت به المقادير قالا ففيم العمل فقال اعملوا فكل ميسر لعمله الذي خلق له قالا فالان نجد ونعمل الثالثه قولـه تعالى واما من بخل واستغنى اي ضن بما عنده فلم يبذل خيرا وقد تقدم بيان البخل وثمرته في الدنيا في سورة ال عمران وفي الاخرة ما له النار كما في هذه الايه روى الضحاك عن ابن عباس فسنيسره للعسرى قال سوف احول بينه وبين الايمان بالله ورسوله وعنه وعن ابن عباس قال نزلت في امية بن خلف وروى عكرمة عن ابن عباس واما من بخل واستغنى يقول بخل بماله واستغنى يقول بخل بماله واستغنى عن ربه وكذب بالحسنى قال بالجنة وباسناد اخر عنه بالحسنى اي بلا اله الا الله فسنيسره اي نسهل طريقه للعسرى اي للشر وعن ابن مسعود اي للنار وقيل فسنعسر عليه اسباب الخير والصلاح حتى يصعب عليه فعلها وقد تقدم ان الملك ينادي صباحا ومسا اللهم اعط كل منفق خلفا واعط كل ممسك تلفا رواه ابو الدردا مسلم قال علماونا ثبت بهذه الايه وبقوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وقوله الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانيه الى غير ذلك من الايات ان الجود من مكارم الاخلاق والبخل من ارذلها وليس الجواد الذي يعطي في غير موضع العطا ولا البخيل الذي يمنع في موضع العطا فكل من استفاد بما يعطي اجرا وحمدا فهو الجواد وكل من استحق بالمنع ذما وعقابا فهو البخيل ومن لم يستفد بالعطا اجرا ولا حمدا وانما استوجب به ذما فليس بجواد وانما هو مسرف وهو من المبذرين الذي جعلهم الله اخوان الشياطين واوجب الحجر عليهم ومن لم يستوجب بالمنع عقابا ولا ذما واستوجب به حمدا فهو من اهل الرشد الذين يستحقون القيام على اموال غيرهم بحسن تدبيرهم وسداد رايهم قال الفرا يقول القايل كيف قال فسنيسره للعسرى وهل يكون في العسرى تيسير فيقول في الجواب في اجازته بمنزلة قوله عز وجل فبشرهم بعذاب اليم والبشارة في الاصل على الفرح والبشارة فاذا اجتمعت في كلامين هذا خير وهذا شر جاءت البشارة فيهما وكذلك التيسير في الاصل على الفرح فاذا جمع في كلامين هذا خير وهذا شر جا التيسير فيهما جميعا قال الفرا وقوله تعالى فسنيسره سنهيئه والعرب تقول قد يسرت الغنم اذا ولدت او تهيات للولادة قال

هما سيدانا يزعمان وانما يسوداننا ان يسرت غنماهما

قولـه تعالى وما يغني عنه ماله اذا تردى اي مات يقال ردي الرجل يردى ردى اذا هلك قال

صرفت الهوى عنهن من خشية الردى

وقال ابو صالح وزيد بن اسلم اي سقط في جهنم ومنه المتردية ويقال ردي في البير وتردى اذا سقط في بير او تهور من جبل يقال ما ادري اين ردي اي اين ذهب وما يحتمل ان يكون جحدا اي ولا يغني عنه ماله شيا ويحتمل ان يكون استفهاما معناه التوبيخ اي اي شي يغني عنه اذا هلك ووقع في جهنم ان علينا للهدى اي بتبين طريق الهدى من طريق الضلال فالهدى بمعنى بيان الاحكام قاله الزجاج اي على الله البيان بيان حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وقاله قتاده وقال الفرا من سلك الهدى فعلى الله سبيله لقوله وعلى الله قصد السبيل يقول

من اراد الله فهو على السبيل القاصد وقيل معناه ان علينا للهدى والاضلال فترك
الاضلال لقوله بيدك الخير وبيده كل شي كما قال سرابيل تقيكم الحر وهي تقي البرد عن
الفرا ايضا وقيل اي ان علينا ثواب هداه الذي هديناه وان لنا للاخرة والاولى
الاخرة الجنة والاولى الدنيا وكذا روى عطا عن ابن عباس اي الدنيا والاخرة سبحانه تعالى
وروى ابو صالح عن ابن عباس قال ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله تعالى من كان
يريد ثواب الدنيا والاخرة وهو كقوله تعالى من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله
ثواب الدنيا والاخرة فمن طلبهما من غير مالكهما فقد اخطا الطريق والله الموفق
الهادي بكرمه قوله تعالى فانذرتكم نارا تلظى الاية انذرتكم اي احذرتكم وخوفتكم
نارا تلظى اي تلهب وتتوقد واصله تتلظى وهي قراة عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر
وطلحة بن مصرف لا يصلاها اي لا يجد صلاها وهو حرها الا الاشقى اي الشقي الذي
كذب نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم وتولى اي اعرض عن الايمان وروى مكحول عن
ابي هريرة قال كل يدخل الجنة الا من اباها قالوا يا ابا هريرة ومن يابى ان يدخل
الجنة قال الذي كذب وتولى وقال مالك صلى بنا عمر بن عبد العزيز المغرب فقرا
والليل اذا يغشى فلما بلغ فانذرتكم نارا تلظى وقع عليه البكا فلم يقدر يتعداها
من البكا فتركها وقرا سورة اخرى وقال الفرا الا الاشقى الا من كان شقيا في
علم الله عز وجل وروى الضحاك عن ابن عباس قال لا يصلاها الا الاشقى امية بن
خلف ونظراؤه الذين كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقال قتادة كذب بكتاب
الله وتولى عن طاعة الله وقال الفرا لم يكن كذب برد ظاهر ولكنه قصر عما امر به
من الطاعة فجعل تكذيبا كما تقول لقي فلان العدو فكذب اذا نكل ورجع اتباعه
قال وسمعت ابا ثروان يقول ان بني نمير ليس لحدهم مكذوبة يقول اذا لقوا صدقوا
القتال ولم يرجعوا وكذلك قوله جل ثناؤه ليس لوقعتها كاذبة يقول هي حق وسمعت
ابن الحسن يقول سمعت ابا اسحاق الزجاج يقول هذه الاية التي من اجلها قال
اهل الارجا بالارجا فزعموا انه لا يدخل النار الا كافر لقوله جل ثناؤه لا يصلاها الا
الاشقى الذي كذب وتولى وليس الامر كما ظنوا هذه نار موصوفة بعينها لا يصلاها
اي هذه النار الا الذي كذب وتولى ولاهل النار منازل فيها ان المنافقين في الدرك
الاسفل من النار والله سبحانه كلما وعد عليه بجنس من العذاب فجايز ان يعذب
به قال جل ثناؤه ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا مايده
لا نفع له قال الزمخشري الاية الواردة في الموازنة بين حالتي عظيم من المشركين
وعظيم المومنين فاريد ان يبالغ في صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل
مختصا بالصلي كان النار لم تخلق الا له وقيل هما ابو جهل وامية بن خلف وابو
بكر الصديق رضي الله عنه قوله تعالى وسيجنبها اي يكون بعيدا منها الاتقى
اي التقي الخايف قال ابن عباس ابو بكر رضي الله عنه يزحزح عن دخول النار
ثم وصف الاتقى فقال الذي يوتي ماله يتزكى اي فيطلب ان يكون عند الله زاكيا
لا يطلب بذلك ريا ولا سمعة بل متصدقا به مبتغيا وجه الله تعالى وقال بعض
اهل المعاني اراد بقوله الاتقى والاشقى اي التقي والشقي كقول طرفة ٭
٭ تمنى رجال ان اموت وان امت ٭ فتلك سبيل لست فيها باوحد ٭
اي واحد ووحيد ويوضع افعل موضع فعيل نحو قولهم الله اكبر بمعنى كبير وهو
اهون عليه بمعنى هين وما لاحد عنده من نعمة تجزى اي ليس يتصدق اي
ليجازي نعمة وانما يبتغي وجه ربه الاعلى اي المتعالي ولسوف يرضى اي بالجزا
وروى عطا وعكرمة عن ابن عباس قال عذب المشركون بلالا وبلال يقول
احد احد فمر به النبي صلى الله عليه وسلم فقال احد يعني الله تعالى ينجيك ثم قال
لابي بكر يا ابا بكر ان بلالا يعذب في الله فعرف ابو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله
عليه وسلم فانصرف الى منزله فاخذ رطلا من ذهب ومضى به الى امية بن خلف

فقال

فقال له اتبيعني بلالا قال نعم فاشتراه فاعتقه فقال المشركون ما اعتقه ابو
بكر الا ليد كانت له عنده فنزلت وما لاحد عنده اي وما لاحد عند ابي بكر من نعمة
اي من يد ومنة تجزى بل ابتغى بما فعل وجه ربه الاعلى وقيل اشترى ابو بكر من
امية وابي بن خلف بلالا ببردة وعشرة اواق فاعتقه لله فنزلت ان سعيكم لشتى
وقال سعيد بن المسيب بلغني ان امية بن خلف قال لابي بكر حين قال له ابو بكر
اتبيعنيه فقال نعم ابيعه بنسطاس وكان نسطاس عبدا لابي بكر صاحب عشرة
الاف دينار وغلمان وجواري ومواشي وكان مشركا فحمله ابو بكر على الاسلام على ان
يكون له ماله فابى فباعه ابو بكر به فقال المشركون ما فعل ابو بكر ببلال هذا الا ليد
كانت لبلال عنده من نعمة تجزى الا ابتغا اي لكن ابتغا وهو استثنا منقطع فلذلك
نصب كقولك ما في الدار احد الا حمارا ويجوز الرفع وقرا يحيى بن وثاب الا ابتغا وجه
ربه الاعلى بالرفع على لغة من يقول يجوز الرفع في المستثنى وانشد في اللغتين بشر
ابن ابي خازم ٭ اضحت خلا قفارا لا انيس بها ٭ الا الجاذر والظلمان تختلف ٭
وقول القايل ٭ وبلدة ليس بها انيس ٭ الا اليعافير والا العيس ٭
وفي التنزيل ما فعلوه الا قليل وقد تقدم وجه ربه الاعلى اي مرضاته وما تقرب منه
والاعلى من نعت الرب الذي استحق صفات العلو ويجوز ان يكون ابتغا وجه ربه
الاعلى مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يوتي ماله الا ابتغا وجه ربه لا لمكافاة نعمة
ولسوف يرضى اي سوف يعطيه في الجنة ما يرضى وذلك انه يعطيه اضعاف ما انفق
وروى ابو حيان التيمي عن ابيه عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم رحم الله ابا بكر زوجني ابنته وحملني الى دار الهجرة واعتق بلالا من ماله
ولما اشتراه ابو بكر قال له بلال هل اشتريتني لعملك او لعمل الله قال بل لعمل الله قال فذرني
وعمل الله فاعتقه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا
يعني بلالا رضي الله عنه وقال عطا وروي عن ابن عباس ان السورة نزلت في
ابي الدحداح في النخلة التي اشتراها بحايط له فيما ذكر الثعلبي عن عطا وقال
القشيري عن ابن عباس بان يعني بنخله ولم يسم الرجل قال عطا كان لرجل من
الانصار نخلة يسقط من بلحها في دار جار له فيتناول صبيانه فشكا ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبيعها بنخلة في الجنة
فابى فخرج فلقيه ابو الدحداح فقال له هل لك ان تبيعنيها بحسنى حايط له فقال
هي لك فاتى ابو الدحداح الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اشترها
بنخلة في الجنة قال نعم والذي نفسي بيده قال هي لك يا رسول الله فدعا النبي
صلى الله عليه وسلم جار الانصاري فقال خذها فنزلت والليل اذا يغشى الى اخر
السورة في بستان ابي الدحداح وصدق بالحسنى اي بالثواب فسنيسره لليسرى اي
الجنة واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى بالثواب فسنيسره للعسرى يعني جهنم
وما يغني عنه ماله اذا تردى اي مات الى قوله لا يصلاها الا الاشقى يعني ذلك الخزرجي
وكان منافقا فمات على نفاقه وسيجنبها الاتقى يعني ابا الدحداح الذي يوتي ماله
يتزكى في ثمن تلك النخلة وما لاحد عنده من نعمة تجزى يكافيه عليها يعني ابا
الدحداح ولسوف يرضى اذا ادخله الله الجنة والاكثر ان السورة نزلت في ابي بكر
رضي الله عنه روي ذلك عن ابن مسعود وابن عباس وعبد الله بن الزبير وغيرهم
وقد ذكرنا خبرا اخر لابي الدحداح في سورة البقرة عند قوله من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا والله اعلم

سورة والضحى مكية باتفاق

وهي احدى وعشرون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى تقدم القول في الضحى والمراد به النهار

كقوله والليل اذا ادبر فقابله بالليل وفي سورة الاعراف افامن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا بياتا وهم نايمون او امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون
اي نهارا وقال قتادة ومقاتل وجعفر الصادق اقسم بالضحى الذي كلم الله فيه
موسى وبليلة المعراج وقيل هي الساعة التي خر فيها السحرة سجدا بيانه قوله تعالى
وان يحشر الناس ضحى وقال اهل المعاني فيه وفي امثاله فيه اضمار مجازه ورب
الضحى وسجى معناه سكن قاله قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة يقال ليلة ساجية
اي ساكنة ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية يقال سجى الشي يسجو اذا سكن
والبحر اذا سجى سكن قال الاعشى •

• فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم • وبحرك ساج ما يواري الدعامصا •

وقال الراجز • يا حبذا القمراء والليل الساج • وطرق مثل ملاء النساج •

وقال جرير • ولقد رميتك يوم رحن باعين • ينظرن من خلل الستور سواجي •

وقال الضحاك سجى غطى كل شي قال الاصمعي سجو الليل تغطيته النهار مثل ما
يسجى الرجل الثوب وقال الحسن غشى بظلامه وقاله ابن عباس وعنه اذا ذهب
وعنه ايضا اذا اظلم وقاله سعيد بن جبير ايضا وروي عن قتادة ايضا وروى
ابن ابي نجيح عن مجاهد سجى استوى والقول الاول اشهر في اللغة سجى سكن اي
سكن الناس فيه كما يقال نهار صايم وليل قايم وقيل استقرار ظلامه واستوايه
وقال والضحى والليل اذا سجى يعني عباده الذين يعبدونه في وقت الضحى
وعباده الذين يعبدونه بالليل اذا اظلم ويقال الضحى نور الجنة اذا تنور والليل
اذا سجى يعني ظلمة الليل اذا اظلم ويقال والضحى يعني النور الذي في قلوب
العارفين كهيئة النهار والليل اذا سجى يعني السواد الذي في قلوب الكافرين
كهيئة الليل فاقسم الله عز وجل بهذه الاشيا ما ودعك ربك هذا جواب القسم
وكان جبريل عليه السلام ابطا على النبي صلى الله عليه وسلم فقال المشركون
قلاه الله وودعه فنزلت الاية وقال ابن جريج احتبس عنه الوحي اثنا عشر
يوما وقال ابن عباس خمسة عشر وقيل خمسة وعشرين وقال مقاتل اربعون
يوما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه ولو كان امره من الله لتابع
عليه كما كان يفعل بمن كان قبله من الانبيا وفي البخاري عن جندب بن سفيان
قال اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلتين او ثلاثا فجاءت
امراة فقالت يا محمد اني لارجو ان يكون شيطانك قد تركك لم اره قربك منذ
ليلتين او ثلاث فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك
وما قلى وفي الترمذي عن جندب البجلي قال كنت عند النبي صلى الله عليه
وسلم في غار فدميت اصبعه فقال النبي صلى الله عليه وسلم •

• هل انت الا اصبع دميت • وفي سبيل الله ما لقيت •

قال وابطا عليه جبريل فقال المشركون قد ودع محمد فانزل الله تعالى ما
ودعك ربك وما قلى هذا حديث حسن صحيح لم يذكر الترمذي فلم يقم ليلتين او
ثلاثا اسقطها الترمذي وذكرها البخاري وهو اصح ما قيل في ذلك والله اعلم
وقد ذكره ايضا الثعلبي عن جندب بن سفيان قال رمي النبي صلى الله عليه
وسلم في اصبعه بحجر فدميت فقال هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت
فمكث ليلتين او ثلاثا لا يقوم الليل فقالت له ام جميل امراة ابي لهب ما ارى
شيطانك الا قد تركك لم اره قربك منذ ليلتين او ثلاث فنزلت والضحى وروي
ان ابا عمران الجوني قال ابطا جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم حتى شق عليه
فجاه وهو واضع جبهته على الكعبة يدعو فنكت بين كتفيه فانزل الله ما ودعك
ربك وما قلى وقالت خولة وكانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم ان جروا دخل
البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي صلى الله عليه وسلم اياما لا ينزل

علي

عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي جبريل لا ياتيني في بيتك قالت خولة
فقلت لو هيات البيت وكنسته فاهويت بالمكنسة تحت السرير فاذا جرو ميت فاخذته فالقيته
خلف الجدار فجاء نبي الله ترعد لحياه وكان اذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة
دثريني فانزل الله هذه الاية ولما نزل جبريل ساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن التاخر
فقال اما علمت انا لا ندخل بيتا فيه كلب ولا صورة وقيل لما سالته اليهود عن الروح وذي
القرنين واصحاب الكهف قال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فاحتبس عنه الوحي
الى ان نزل جبريل عليه بقوله ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله فاخبره
بما سيل عنه وفي هذه القصة نزلت ما ودعك ربك وما قلى وقيل ان المسلمين قالوا
يا رسول الله ما لك لا ينزل عليك الوحي فقال وكيف ينزل علي وانتم لا تنقون رواجبكم وفي
رواية براجمكم ولا تقصون اظفاركم ولا تاخذون من شواربكم فنزل جبريل بهذه السورة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما جيت حتى اشتقت اليك فقال جبريل واني كنت اليك
اشد شوقا ولكني عبد مامور فانزل عليه وما نتنزل الا بامر ربك وودعك بالتشديد
قراة العامة من التوديع وذلك كتوديع المفارق وروي عن ابن عباس وابن الزبير
انهما قرا ودعك بالتخفيف ومعناه تركك قال الشاعر •

• وثم ودعنا ال عمرو وعامر • فرايس اطراف المثقفة السمر •

واستعماله قليل يقال هو يدع كذا اي يتركه قال المبرد محمد بن يزيد لا يكادون
يقولون ودع ولا وذر لضعف الواو اذا قدمت واستغنوا عنها بترك قوله
تعالى وما قلى اي وما ابغضك ربك منذ احبك وترك الكاف لانه راس اية والبغض
فان فتحت القاف مددت تقول قلاه تقليه قلى وقلاء كما تقول قريت الضيف
اقريه قرى وقراء ويقلاه لغة طي وانشد ثعلب •

• يا رب ام العمر لا تقلاها • اي لا تبغضها ويقلي اي يبغض قال •

• اسيي بنا او احسني لا ملومة • لدينا ولا مقلية ان تقلت •

وقال امرؤ القيس • ولست بمقلي الخلال ولا قالي •

وتاويل الاية ما ودعك ربك وما قلاك فترك الكاف لانه راس اية كما قال عز وجل
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي والذاكرات الله قوله تعالى وللاخرة
خير لك من الاولى روى سلمة عن ابي اسحاق قال وللاخرة خير لك من الاولى اي
ما عندك من مرجعك الي يا محمد خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا وقال ابن عباس
ارى النبي صلى الله عليه وسلم ما يفتح الله على امته بعده فسر بذلك فنزل جبريل
بقوله وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى قال ابن عباس
الفلج في الدنيا والثواب في الاخرة وقيل الحوض والشفاعة وعن ابن عباس الف
قصر من لولو ابيض ترابه المسك رفعه الاوزاعي قال حدثني اسماعيل بن عبد الله
عن علي بن عبد الله بن عباس عن ابيه قال اري النبي صلى الله عليه وسلم ما هو
مفتوح على امته فسر بذلك فانزل الله عز وجل والضحى والليل اذا سجى الى قوله
ولسوف يعطيك ربك فترضى فاعطاه الله جل ثناوه الف قصر في الجنة ترابها
المسك في كل قصر ما ينبغي له من الازواج والخدم وعنه قال رضي محمد ان لا يدخل
احد من اهل بيته النار وقاله السدي وقيل الشفاعة في جميع المومنين وعن
علي رضي الله عنه قال يشفعني الله في امتي حتى يقول الله سبحانه ارضيت
يا محمد فيقول يا رب رضيت وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص
ان النبي صلى الله عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم فمن تبعني فانه
مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك
فرفع يديه وقال اللهم امتي امتي وبكى فقال الله جل وعلا لجبريل اذهب الى
محمد وانا اعلم فساله ما يبكيك فاتى جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فساله
فاخبره فقال الله تعالى لجبريل اذهب الى محمد فقل له ان الله يقول لك انا سنرضيك

في أمتك ولا نسوءك. وقال علي رضي الله عنه لأهل العراق: إنكم تقولون إن أرجى
آية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ونحن نقول أرجى آية في كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى. وفي الحديث
لما نزلت هذه الآية قال إذا والله لا أرضى وواحد من أمتي في النار. قوله تعالى ألم
يجدك يتيما فآوى أي لا أب لك قد مات أبوك فآوى أي جعل لك مأوى تأوي إليه عند
عمك أبي طالب فكفلك. وقيل لجعفر بن محمد الصادق لم أوتم النبي صلى الله عليه وسلم
من أبويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق. وعن مجاهد هو من قول العرب
درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل فمجاز الآية ألم يجدك واحدا في شرفك لا نظير لك
فآواك الله بأصحاب يحفظونك ويحوطونك. قوله ووجدك ضالا فهدى أي غافلا عما يراد بك
من أمر النبوة فهداك أي أرشدك. والضلال هنا بمعنى الغفلة كقوله جل ثناؤه لا
يضل ربي ولا ينسى أي لا يغفل. وقال في حق نبيه وإن كنت من قبله لمن الغافلين.
وقال قوم ضالا لم تكن تدري القرآن والشرائع فهداك الله إلى القرآن وشرائع
الإسلام. وعن الضحاك وشهر بن حوشب وغيرهما وهو معنى قوله تعالى ما كنت
تدري ما الكتاب ولا الإيمان على ما بيناه في سورة الشورى. وقال قوم
ووجدك ضالا أي في قوم ضلال فهداهم الله بك. هذا قول الفراء والكلبي. وعن
السدي نحوه أي ووجد قومك في ضلال فهداك إلى إرشادهم. وقيل ووجدك
ضالا عن الهجرة فهداك إليها. وقيل ضالا أي ناسيا شأن الاستثناء حين سئلت عن
أصحاب الكهف وذي القرنين والروح فأذكرك كما قال تعالى أن تضل إحداهما.
وقيل ووجدك طالبا للقبلة فهداك إليها بيانه قد نرى تقلب وجهك في السماء
الآية ويكون الضلال بمعنى الطلب لأن الضال طالب. وقيل ووجدك متحيرا عن
بيان ما نزل عليك فهداك إليه فيكون الضلال بمعنى التحير لأن الضال
متحير. وقيل ووجدك ضائعا في قومك فهداك إليه ويكون الضلال بمعنى المحبة
ومنه قوله تعالى قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم أي في محبتك. قال الشاعر:

• هذا الضلال أشاب مني المفرقا • والعارضين ولم أكن متحققا •

• عجبا لعزة في اختيار قطيعتي • بعد الضلال فحبلها قد أخلقا •

وقيل ضل في شعاب مكة فهداه ورده إلى جده عبد المطلب. قال ابن عباس
ضل النبي صلى الله عليه وسلم وهو صغير في شعاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا
عن أغنامه فرده إلى جده عبد المطلب فمن الله عليه بذلك حين رده إلى جده
على يدي عدوه. قال سعيد بن جبير خرج النبي صلى الله عليه وسلم مع عمه
أبي طالب في سفر فأخذ إبليس بزمام الناقة في ليلة ظلماء فعدل
بها عن الطريق فجاء جبريل عليه السلام فنفخ إبليس نفخة وقع منها إلى أرض
الهند ورده إلى القافلة فمن الله عليه بذلك. وقال كعب إن حليمة لما قضت
حق الرضاع جاءت برده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لترده إلى جده
عبد المطلب فسمعت عند باب مكة هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد إليك النور
والدين والبهاء والجمال. قالت فوضعته لأصلح ثيابي فسمعت هدة شديدة
فالتفت فلم أره فقلت معشر الناس أين الصبي فقالوا لم نر شيئا فصحت
فإذا شيخ فان يتوكأ على عصا فقال اذهبي إلى الصنم الأعظم فإن شاء أن يرده
عليك فعل. فطاف الشيخ بالصنم وقبل رأسه وقال يا رباه لم تزل منتك على قريش
وهذه السعدية تزعم أن ابنها قد ضل فرده إن شئت. فانكب هبل على وجهه
وتساقطت الأصنام وقالت إليك عنا أيها الشيخ فهلاكنا على يدي محمد
فألقى الشيخ عصاه وارتعد وقال إن لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل
فانحشرت قريش إلى عبد المطلب وطلبوه في جميع مكة فلم يجدوه فطاف عبد
المطلب بالكعبة سبعا وتضرع إلى الله أن يرده وقال:

• يا رب رد لي محمدا • اردده واتخذ عندي يدا •

• يا رب إن محمدا لم يوجدا • فشمل قومي كلهم مبددا •

فسمعوا مناديا ينادي من السماء أيها الناس لا تضجوا فإن لمحمد ربا لا يخذله ولا
يضيعه وإن محمدا بوادي تهامة عند شجرة السمر. فسار عبد المطلب هو وورقة بن
نوفل فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم تحت شجرة يلعب بالأغصان بالورق. وقيل ضالا
ليلة المعراج حين انصرف عنك جبريل وأنت لا تعرف الطريق فهداك إلى ساق العرش.
وقال أبو بكر الوراق وغيره ووجدك ضالا بنفسك لا تدري من أنت فعرفك بنفسك
وحالك. وقال الجنيد ووجدك متحيرا في بيان الكتاب فعلمك البيان بيانه قوله
لتبين للناس ما نزل إليهم الآية لتبين لهم الذي اختلفوا فيه. وقال بعض المتكلمين إذا
وجدت العرب شجرة منفردة في فلاة من الأرض لا شجرة معها سموها ضالة فيهتدى بها
على الطريق فقال الله تعالى لنبيه ووجدك ضالا أي لا أحد على دينك وأنت وحيد ليس
معك أحد فهديت بك الخلق إلي. قلت هذه الأقوال كلها حسان ثم منها ما هو معنوي
ومنها ما هو حسي والقول الأخير أعجب إلي لأنه يجمع الأقوال المعنوية. وقال قوم إنه
كان على جملة ما كان عليه القوم لا يظهر لهم خلافا في ظاهر الحال فأما الشرك فلا يظن به
بل كان على مراسم القوم في الظاهر أربعين سنة. وقال الكلبي والسدي هذا على
ظاهره أي وجدك كافرا والقوم كفارا فهداك. وقد مضى هذا القول والرد عليه في سورة
الشورى. وقيل ووجدك مغمورا بأهل الشرك فميزك عنهم يقال ضل الماء في اللبن ومنه أئذا
ضللنا في الأرض أي لحقنا بالتراب عند الدفن حتى كأنا لا نتميز من جملته. وفي قراءة
الحسن ووجدك ضال فهدى أي وجدك الضال فاهتدى بك وهذه قراءة على
التفسير. وقيل ووجدك ضالا لا يهتدي إليك قومك ولا يعرفون قدرك فهدى المسلمين إليك
حتى آمنوا بك. ووجدك عائلا فأغنى أي فقيرا لا مال لك فأغناك أي فأغناك بخديجة
رضي الله عنها يقال عال الرجل يعيل عيلة إذا افتقر. قال أحيحة:

• فما يدري الفقير متى غناه • وما يدري الغني متى يعيل •

أي يفتقر. وقال مقاتل فرضاك بما أعطاك من الرزق. وقال الكلبي قنعك بالرزق.
وقال ابن عطاء ووجدك فقير النفس فأغنى قلبك. وقال الأخفش ووجدك ذا عيال
فأغناك. ومنه قول جرير:

• الله أنزل في الكتاب فريضة • لابن السبيل وللفقير العائل •

وقيل وجدك فقيرا من الحجج والبراهين فأغناك بها. وقيل أغناك بما فتح لك من الفتوح
وأفاءه عليك من أموال المشركين. القشيري وفي هذا نظر لأن السورة مكية وإنما فرض
الجهاد بالمدينة. وقراءة العامة عائلا وقرأ ابن السميقع عيلا بالتشديد مثل طيب
وطيب. قوله تعالى فأما اليتيم فلا تقهر إلى آخر السورة فيه أربع مسائل الأولى قوله
تعالى فأما اليتيم فلا تقهر أي لا تسلط عليه بالظلم ادفع إليه حقه واذكر يتمك قاله
الأخفش. وقيل هما لغتان بمعنى. وعن مجاهد فلا تحتقر. وقرأ النخعي والأشهب
العقيلي تكهر بالكاف وكذلك هو في مصحف ابن مسعود فعلى هذا يحتمل أن يكون
نهيا عن قهره بظلمه وأخذ ماله وخص اليتيم لأنه لا ناصر له غير الله تعالى فغلظ
في أمره بتغليظ العقوبة على ظالمه والعرب تعاقب بين الكاف والقاف. النحاس
وهذا غلط إنما يقال كهره إذا اشتد عليه وغلظ. وفي صحيح مسلم من حديث
معاوية بن الحكم السلمي حين تكلم في الصلاة برد السلام فقال بأبي وأمي ما رأيت
معلما قبله ولا بعده أحسن تعليما منه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالله
ما كهرني ولا ضربني الحديث. وقيل القهر الغلبة والكهر الزجر. الثانية ودلت الآية
على اللطف باليتيم وبره والإحسان إليه حتى قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم.
ويروى عن أبي هريرة أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فقال
إن أردت أن يلين فامسح رأس اليتيم وأطعم المسكين. وفي الصحيح عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنا وكافل اليتيم له أو لغيره كهاتين وأشار

بالثابة والوسطى ومن حديث ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اليتيم اذا بكى اهتز لبكائه عرش الرحمن فيقول الله عز وجل يا ملائكتي من هذا الذي ابكى هذا اليتيم الذي غيبت اباه في التراب فتقول الملائكة ربنا انت اعلم فيقول الله تعالى لملائكته يا ملائكتي اشهدوا ان من اسكته وارضاه ارضيته يوم القيامة فكان ابن عمر اذا راى يتيما مسح براسه واعطاه شيئا وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضم يتيما فكان في نفقته وكفاه مونته كان له حجاب من النار ومن مسح راس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وقال الاكثم بن صيفي الاذلاء اربعة النمام والكذاب والمديون واليتيم قوله تعالى واما السايل فلا تنهر اي لا تزجره وهو نهي عن اغلاظ القول ولكن رده ببذل يسير او رد جميل واذكر فقرك قاله قتادة وغيره وروي عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يمنعن احدكم السايل وان يعطيه اذا سال ولو راى في يده قلبين من ذهب وقال ابراهيم بن ادهم نعم القوم السوال يحملون زادنا الى الاخرة وقال ابراهيم النخعي السايل بريد الاخرة يجي الى باب احدكم فيقول هل تبعثون الى اهلكم بشي وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ردوا السايل ببذل يسير او رد جميل فانه ياتيكم من ليس من الانس ولا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خولكم الله وقيل المراد هنا بالسايل الذي يسال عن الدين اي فلا تنهره بالغلظة والجفوة واجبه برفق ولين قاله سفيان قال ابن العربي واما السايل عن الدين فجوابه فرض على العالم على الكفاية كاعطا سايل البر سوا وقد كان ابو الدردا ينظر الى اصحاب الحديث ويبسط رداه ويقول مرحبا باحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي هرون العبدي عن ابي سعيد الخدري قال كنا اذا اتينا ابا سعيد يقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وفي رواية ياتيكم رجال من قبل المشرق فذكره واليتيم والسايل منصوبان بالفعل الذي بعده وحق المنصوب ان يكون بعد الفا والتقدير مهما يكن من شي فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السايل وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سالت ربي مسالة وددت اني لم اسالها قلت يا رب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما وسخرت الجبال لداود يسبحن واعطيت فلانا كذا فقال عز وجل الم اجدك يتيما فاويتك الم اجدك ضالا فهديتك الم اجدك عايلا فاغنيتك الم اشرح لك صدرك الم اوتك ما لم اوت احدا قبلك خواتيم سورة البقرة الم اتخذك خليلا كما اتخذت ابراهيم خليلا قلت بلى يا رب الرابعة قوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث اي انشر ما انعم الله عليك بالشكر والثنا عليك والتحدث بنعم الله والاعتراف بنعمه شكر وروي عن مجاهد واما بنعمة ربك اي بالقران وعنه بالنبوة اي بلغ ما ارسلت به والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال اذا اصبت خيرا او عملت خيرا فحدث به الثقة من اخوانك وعن عمرو بن ميمون قال كان اذا لقي الرجل من اخوانه من يثق به يقول رزق الله من الصلاة البارحة كذا وكذا وكان ابو فراس عبد الله بن غالب اذا اصبح يقول لقد رزقني الله البارحة كذا قرات كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فيقال له يا ابا فراس ان مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وتقولون انتم لا تحدث بنعمة الله ونحوه عن ايوب السختياني وابو رجا العطاردي رضي الله عنهما وقال بكر بن عبد الله المزني قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركها كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب وروى النساي عن مالك بن نضلة الجشمي قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فراني رث الثياب فقال الك مال قال نعم يا رسول الله من كل المال قال اذا اتاك الله مالا فليبر اثره

عليك وروى ابو سعيد الخدري ان الله جميل يحب الجمال ويحب ان يرى اثر النعمة على عبده فصل فكبر القاري في رواية البزي عن ابن كثير وقد رواه مجاهد عن ابن عباس عن ابي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا بلغ اخر والضحى كبر بين كل سورة تكبيرة الى ان يختم القران ولا يصل اخر السورة بتكبيرة بل يفصل بينهما بسكتة وكان المعنى في ذلك ان الوحي تاخر على رسول الله صلى الله عليه وسلم اياما فقال ناس من المشركين ودعه صاحبه وقلاه فنزلت هذه السورة فقال الله اكبر قال مجاهد قرات على ابن عباس فامرني به واخبرني به عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يكبر في قراة الباقين لانها ذريعة الى الزيادة في القران قلت القران ثبت نقله متواترا سوره واياته وحروفه لا زيادة فيه ولا نقصان فالتكبير على هذا ليس بقران واذا كان بسم الله الرحمن الرحيم المكتوب في المصحف بخط المصحف ليس بقران فكيف بالتكبير الذي ليس بمكتوب اما انه ثبت سنة بنقل الاحاد فاستحبه ابن كثير لا انه اوجبه فخطا من تركه ذكر الحاكم ابو عبد الله محمد بن الحافظ في كتاب المستدرك له على البخاري ومسلم حدثنا ابن يحيى محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن يزيد المقري الامام بمكة في المسجد الحرام قال ثنا ابو عبد الله محمد بن علي بن زيد الصايغ قال ثنا محمد بن احمد القاسم بن ابي بزة سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرات على اسماعيل بن عبد الله بن قسطنطين فلما بلغت والضحى قال لي كبر عند خاتمة كل سورة حتى تختم فاني قرات على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحى قال كبر حتى تختم واخبره عبد الله بن كثير انه قرا على مجاهد واخبره مجاهد ان ابن عباس امره بذلك واخبره ابن عباس ان ابي بن كعب امره بذلك واخبره ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك هذا حديث حسن صحيح ولم يخرجاه

سورة الم نشرح مكية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الم نشرح لك صدرك شرح الصدر فتحه اي الم نفتح صدرك للاسلام وروى ابو صالح عن ابن عباس قال الم نلين قلبك وروى الضحاك عن ابن عباس قال قالوا يا رسول الله وهل لذلك علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاعتداد للموت قبل نزول الموت وقد مضى هذا المعنى في الزمر عند قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه وروي عن الحسن قال الم نشرح لك صدرك قال ملي حكما وعلما وفي الصحيح عن انس بن مالك عن مالك ابن صعصعة رجل من قومه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال فبينا انا عند البيت بين النايم واليقظان اذ سمعت قايلا يقول احد الثلاثة فاتيت بطست من ذهب فيها ما زمزم فشرح صدري الى كذا وكذا قال قتادة قلت ما يعني قال اي اسفل بطني قال فاستخرج قلبي فغسل بما زمزم ثم اعاده مكانه ثم حشي ايمانا وحكمة وفي الحديث قصة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال جاني ملكان في صورة طاير معهما ما وثلج فشرح احدهما صدري ونفخ الاخر بمنقاره فيه فغسله وفي حديث اخر قال جاني ملك فشق عن قلبي فاستخرج منه عذرة وقال قلبك وكيع وعيناك بصيرتان واذناك سميعتان انت محمد رسول الله لسانك صادق ونفسك مطمينة وخلقك قثم وانت قيم قال اهل اللغة قوله وكيع اي يحفظ يقال سقا وكيع اي قوي يحفظ ما يوضع فيه واستوكعت باذنه اذا قويت وقوله قثم اي جامع يقال رجل قثوم للخير اي جامع له ومعنى الم نشرح قد شرحنا الدليل على ذلك في النسق عليه ووضعنا عنك وزرك فهذا عطف على التاويل لا على التنزيل لانه لو كان على التنزيل لقال ونضع عنك وزرك فدل هذا على ان معنى الم نشرح قد شرحنا ولم نجد وفي الاستفهام طرف من الجحد واذا وقع جحد على جحد رجع الى التحقيق كقوله تعالى اليس

الله باحكم الحاكمين ومعناه الله احكم الحاكمين وكذا اليس الله بكاف عبده ومثله
قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان

الستم خير من ركب المطايا • واندى العالمين بطون راح •

والمعنى انتم كذا وقوله تعالى ووضعنا عنك وزرك اي حططنا عليك دينك وقرا
انس وحللنا وحططنا وقرا ابن مسعود وحللنا عنك وقرك وهذه الاية كقوله
تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر فقيل الجمع كان قبل النبوه والوزر
الذنب اي وضعنا عنك ما كنت فيه من امر الجاهلية لانه كان صلى الله عليه وسلم
في كثير من مذاهب قومه وان لم يكن عبد صنما ولا وثنا قال قتاده والحسن والضحاك
كانت للنبي صلى الله عليه وسلم ذنوب اثقلته فغفرها الله له الذي انقض ظهرك اي
اثقله حتى سمع نقيضه اي صوته واهل اللغة يقولون انقض الحمل ظهر الناقه
اذا سمعت له صريرا من شدة الحمل وكذلك سمعت نقيض الرحل اي صريره قال جميل

• وحتى تداعت بالنقيض حباله • وهب قوا في زوره ان تحطما •

فالوزر الحمل الثقيل قال المحاسبي يعني ثقل الحمل لو لم يعف الله عنه الذي انقض
ظهرك اي اثقله واوهنه قال وانما وصفت ذنوب الانبيا بهذا الثقل مع كونها
مغفورة لشدة اهتمامهم بها وندمهم فيها وتحسرهم عليها وقال السدي ووضعنا
عنك وزرك اي حططنا عنك ثقلك وهي في قراة عبد الله بن مسعود وحططنا
عنك وقرك وقيل اي حططنا عنك ثقل ايام الجاهلية قال الحسين بن الفضل يعني
الخطا والسهو وقيل ذنوب امتك اضافها اليه لاشتغال قلبه بها وقال عبد العزيز
ابن يحيى وابو عبيده خففنا عنك اعبا النبوه والقيام بها حتى لا تثقل عليك وقيل
كان في الابتدا يثقل عليه الوحي حتى كاد يرمي نفسه من شاهق الجبل الى ان جاه
جبريل واراه نفسه وازال عنه ما كان يخاف من تغير العقل وقيل عصمناك عن
احتمال الوزر وحفظناك قبل النبوه في الاربعين من الادناس حتى نزل عليك
الوحي وانت مطهر من الادناس قوله تعالى ورفعنا لك ذكرك قال
مجاهد يعني بالتاذين وفيه يقول حسان •

• اغر عليه للنبوة خاتم • من الله مشهود يلوح ويشهد •
• وضم الاله اسم النبي الى اسمه • اذا قال المؤذن في الخمس اشهد •

وروى الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا ذكرت الا ذكرت معي في الاذان
والاقامه والتشهد يوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الاضحى ويوم
التشريق ويوم عرفه وعند الجمار وعند الصفا والمروه وفي خطبة النكاح وفي
مشارق الارض ومغاربها ولو ان رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة
والنار وكل شي ولم يشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينتفع بذلك
وكان كافرا وقيل اي اعلينا ذكرك فذكرناك في الكتب المنزلة على الانبيا قبلك
وامرناهم بالبشاره بك ولا دين الا ودينك يظهر عليه وقيل رفعنا ذكرك عند الملائكة
في السما وفي الارض عند المومنين ونرفع في الاخرة بما نعطيك من المقام المحمود
وكرايم الدرجات قوله تعالى فان مع العسر يسرا اي ان مع الضيقة والشدة
يسرا اي سعة وغنى ثم كرر فقال ان مع العسر يسرا فقال قوم هذا التكرير
تاكيدا للكلام كما يقال ارم ارم اعجل اعجل قال الله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا
سوف تعلمون ونظيره في تكرار الجواب بلى بلى لا لا وذلك للاطناب والمبالغة
ومنه قول الشاعر • هممت لنفسي بعض الهموم • فاولى لنفسي اولى لها •
وقال قوم ان من عادة العرب اذا ذكروا اسما معرفا ثم كرروه فهو هو واذا نكروه
ثم كرروه فهو غيره وهما اثنان ليكون اقوى للامل وابعث على الصبر قاله
ثعلب وقال ابن عباس يقول الله تعالى خلقت عسرا واحدا وخلقت يسرين
ولن يغلب عسر يسرين وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة

انه

انه قال لن يغلب عسر يسرين وقال ابن مسعود لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر
حتى يدخل عليه ولن يغلب عسر يسرين وكتب ابو عبيده بن الجراح الى عمر بن الخطاب
يذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر رضي الله عنهما اما بعد فانه مهما ينزل
بعبد مومن من منزل شدة يجعل الله بعده فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله
تعالى يقول في كتابه يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون
وقال قوم منهم الجرجاني هذا قول مدخول لانه يجب على هذا التدريج اذا قال الرجل
ان مع الفارس سيفا ان يكون الفارس واحدا والسيف اثنان والصحيح ان يقال ان
الله بعث نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم مقلا مخفا فعيره المشركون بفقره فقالوا انه
وعدد عليه نعمه ووعده الغنى بقوله ان مع العسر يسرا اي لا تحزن بما عيروك به من العسر
فان مع ذلك يسرا عاجلا اي في الدنيا فانجز له ما وعده فلم يمت حتى فتح عليه الحجاز واليمن
ووسع ذات يده حتى كان يعطي الرجل المائتين من الابل ويهب الهبات السنيه ويعد لاهله
قوت سنته وهذا الفضل كله في امر الدنيا وان كان خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم
فقد يدخل فيه بعض امته ان شا الله ثم ابتدا فضلا اخر من امر الاخره وفيه تاسيه
وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم فقال مبتديا ان مع العسر يسرا وهو شي اخر والدليل
على ابتدائه تعريه من فا او واو وغيرهما من حروف النسق التي تدل على العطف وهذا
وعد عام لجميع المومنين لا يخرج احد منه اي ان مع العسر في الدنيا من المومنين يسرا في الاخره
لا محاله وربما اجتمع يسر الدنيا ويسر الاخره والذي في الخبر لن يغلب عسر يسرين يعني
العسر الواحد لن يغلبهما وانما يغلب احدهما ان غلب وهو يسر الدنيا فاما يسر الاخرة
فكاين لا محاله ولن يغلبه شي ويقال ان مع العسر وهو اخراج اهل مكة النبي صلى الله
عليه وسلم من مكة يسرا وهو دخوله يوم فتح مكه مع عشرة الاف رجل مع عز وشرف
قوله تعالى فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى
فاذا فرغت قال ابن عباس وقتاده فاذا فرغت من صلاتك فانصب اي بالغ في الدعا
وسله حاجتك وقال ابن مسعود اذا فرغت من الفرايض فانصب في قيام الليل وقال
الكلبي اذا فرغت من تبليغ الرساله فانصب اي استغفر لذنبك وللمومنين والمومنات
وقال الحسن وقتاده ايضا اذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك وعن
مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك ونحوه عن الجنيد قال الجنيد اذا
فرغت من امر الخلق فاجتهد في عبادة الحق قال ابن العربي ومن المبتدعه من
قرا هذه فانصب بكسر الصاد والهمزة في اوله وقالوا معناه انصب الامام الذي
يستخلفه وهذا باطل في القراة باطل في المعنى لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستخلف
احدا وقراها ايضا بعض الجهال فانصب بتشديد البا معناها اذا فرغت من الغزو
فجد في العباده او اذا فرغت من السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم نومه وطعامه وشرابه
لقوله صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب يمنع احدكم نومه وشرابه
فاذا قضى احدكم نهمته فليعجل الرجوع الى اهله فاشد الناس عذابا واسواهم
مابا من اخذ معنى صحيحا فركبه من قبل نفسه فاخذ قراة او حديثا فيكون كاذبا
على الله كاذبا على رسوله ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا قال المهدوي
وروي عن ابي جعفر المنصور انه قرا الم نشرح لك بفتح وهو بعيد وقد تاول
على تقدير النون الخفيفه ثم ابدلت الفا للوصل ثم حمل الوصل على الوقف ثم حذفت
الالف واستشهد عليه • اضرب عنك الهموم طارقها • ضربك بالسوط قونس الفرس •
اراد اضربن ويروى عن ابي السماك فاذا فرغت بكسر الراء وهو لغة فيه وقرى
فرغب اي رغب الناس فيما عنده الثانيه قال ابن العربي روي عن شريح انه مر
بقوم يلعبون بعيد فقال ما بهذا امر الفارغ وفيه نظر فان الحبش كانوا يلعبون
بالدرق والحراب في المسجد يوم العيد والنبي صلى الله عليه وسلم ودخل ابو بكر
في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على عايشة رضي الله عنها وعندها جاريتان
من جواري الانصار تغنيان فقال ابو بكر امزمور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال دعهما يا ابا بكر فانه يوم عيد وليس يلزم الذنب على العمل بل هو مكروه للخلق

سورة والتين مكية وقال ابن عباس وقتادة مدنية وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والتين والزيتون فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى والتين والزيتون قال ابن عباس والحسن ومجاهد وعكرمة وابراهيم النخعي وعطا ابن ابي رباح وجابر بن زيد ومقاتل والكلبي هو تينكم الذي تاكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت قال الله تعالى وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وقال ابو ذر اهدي للنبي صلى الله عليه وسلم سل من تين فقال كلوا واكل منه ثم قال لو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس وعن معاذ انه استاك بقضيب زيتون وقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة تطيب الفم وتذهب الحفر وهو سواكي وسواك الانبياء من قبلي وروي عن ابن عباس ايضا التين مسجد نوح عليه السلام الذي بني على الجودي والزيتون مسجد بيت المقدس وقال الضحاك التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ابن زيد التين المسجد الحرام والزيتون المسجد الاقصى ابن زيد التين مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس قتادة التين الجبل الذي عليه دمشق والزيتون الذي عليه بيت المقدس وقال محمد بن كعب التين مسجد اصحاب الكهف والزيتون مسجد ايليا وقال كعب الاحبار وقتادة ايضا وعكرمة وابن زيد التين دمشق والزيتون بيت المقدس وهذا اختيار الطبري وقال الفرا سمعت رجلا من اهل الشام يقول جبال ما بين حلوان الى همدان والزيتون جبال الشام وقيل هما جبلان بالشام يقال لهما طور زيتا وطور تينا وهو بالسريانية سميا بذلك لانهما ينبتانهما وكذا روى ابو مكين عن عكرمة قال التين والزيتون جبلان بالشام وقال زهير ابن التين عن عرض • وهذا اسم موضوع ويجوز ان يكون ذلك على حذف مضاف اي ومنابت التين والزيتون ولكن لا دليل على ذلك من ظاهر التنزيل ولا من قول من لا يجوز خلافه قاله النحاس الثانية اصح هذه الاقوال القول الاول لانه الحقيقة ولا يعدل عن الحقيقة الى المجاز الا بدليل وانما اقسم الله بالتين لانه كان ستر آدم في الجنة لقوله تعالى يخصفان عليهما من ورق الجنة وكان ورق التين وقيل اقسم به ليبين وجه المنة العظمى فيه فانه جميل المنظر طيب المخبر نشر الرائحة سهل الجني على قدر المضغة وقد احسن القائل فيه •

• انظر الى التين في الغصون ضحى • ممزق الجلد مايل العنق •
• كانه رب نعمة سلبت • فعاد بعد الجديد في الخلق •
• اصغرها في النهود اكسره • لكن ينادي عليه في الطرق • وقال الآخر
• التين يعدل عندي كل فاكهة • اذا انثنى مايلا في غصنه الزاهي •
• مخمش الوجه قد سالت حلاوته • كانه راكع من خشية الله •

واقسم بالزيتون لانه مثل به ابراهيم في قوله توقد من شجرة مباركة زيتونة وهو اكثر ادام اهل الشام والمغرب يصطبغون به ويستعملونه في طبيخهم ويستصبحون به ويداوى به ادواء الجوف والقروح والجراحات وفيه منافع كثيرة وقال عليه السلام كلوا الزيت وادهنوا بالزيت فانه من شجرة مباركة وقد مضى في سورة المومنين القول فيه الثالثة قال ابن العربي ولامتنان الباري سبحانه وتعظيم المنة في التين وانه مقتات مدخر قلنا بوجوب الزكاة فيه وانما فر كثير من العلماء من التصريح بوجوب الزكاة فيه تقية جور الولاة فانهم يتحاملون في اموال الزكاة

فياخذونها

فياخذونها مغرما حسبما انذر به الصادق صلى الله عليه وسلم فكره العلماء ان يجعلوا لهم سبيلا الى مال احد يتسلطون فيه ولكن ينبغي للمرء ان يخرج عن نعمة ربه باداء حقه وقد قال الشافعي لهذه العلة وغيرها لا زكاة في الزيتون والصحيح وجوب الزكاة فيه قوله تعالى وطور سينين روى ابن ابي نجيح عن مجاهد وطور قال جبل سينين قال مبارك بالسريانية وعن عكرمة قال الجبل الذي نادى الله جل ثناوه منه موسى عليه السلام وقال مقاتل والكلبي سينين كل جبل فيه شجر مثمر وهو سينين وسيناء بلغة النبط وعن عمرو بن ميمون قال صليت مع عمر بن الخطاب العشاء بمكة فقرا والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين قال وهكذا هي في قراءة عبد الله ورفع صوته تعظيما للبيت وقرا في الركعة الثانية الم تر كيف فعل ربك ولإيلاف قريش جمع بينهما ذكره ابن الانباري قال النحاس وفي قراءة عبد الله سيناء بكسر السين وفي حديث عمرو بن ميمون عن عمر بفتح السين وقال الاخفش طور جبل وسينين شجر واحدته سينينة وقال ابو علي سينين فعليل فكررت اللام التي هي نون فيه كما كررت في زحليل للمكان الزلق وكرديدة للقطعة من التمر وخنذيذ للطويل ولم ينصرف سينين كما لم ينصرف سيناء لانه جعل اسما لبقعة او ارض ولو جعل اسما للمكان او المنزل او اسم مذكر لانصرف لانك سميت مذكرا بمذكر وانما اقسم بهذا الجبل لانه بالشام والارض المقدسة وقد بارك الله فيهما كما قال الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله وهذا البلد الامين يعني مكة سماه امينا لانه آمن كما قال انا جعلنا حرما آمنا فالامين بمعنى الآمن قاله الفرا وغيره قال الشاعر •

• الم تعلمي يا اسم ويحك انني • حلفت يمينا لا اخون يميني •

يعني اميني وبهذا احتج من قال انه اراد بالتين دمشق وبالزيتون بيت المقدس فاقسم الله تعالى بجبل دمشق لانه ماوى عيسى عليه السلام وبجبل بيت المقدس لانه مقام الانبياء عليهم السلام وبمكة لانه اثر ابراهيم ودار محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين فيه مسئلتان الاولى قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان هذا جواب القسم واراد بالانسان الكافر قيل هو الوليد بن المغيرة وقيل كلدة بن اسيد فعلى هذا نزلت في منكري البعث وقيل المراد بالانسان آدم وذريته في احسن تقويم وهو اعتداله واستواء شبابه كذا قال عامة المفسرين وهو احسن ما يكون فيه لانه خلق كل شي منكبا على وجهه وخلقه هو مستويا وله لسان ذلق ويد واصابع يقبض بها وقال ابو بكر بن طاهر مزينا بالعقل مودبا بالامر مهذبا بالتمييز مديد القامة يتناول ماكوله بيده ابن العربي ليس لله تعالى خلق احسن من الانسان فان الله خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلما سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب سبحانه وعنها عبر بعض العلماء ووقع البيان بقوله ان الله تعالى خلق آدم على صورته يعني على صفاته التي قدمنا ذكرها وفي رواية على صورة الرحمن ومن اين تكون للرحمن صورة متشخصة فلم يبق الا ان تكون معاني وقد اخبرنا المبارك بن عبد الجبار الازدي قال ثنا القاضي ابو القاسم علي بن ابي علي القاضي المحسن عن ابيه قال كان عيسى بن موسى الهاشمي يحب زوجته حبا شديدا فقال لها يوما انت طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فنهضت واحتجبت عنه وقالت طلقني وبات بليلة عظيمة فلما اصبح غدا الى دار المنصور واخبره الخبر واظهر للمنصور جزعا عظيما فاستحضر الفقها واستفتاهم فقال جميع من حضر الا انها طلقت الا رجلا واحدا من اصحاب ابي حنيفة فانه كان ساكتا فقال له المنصور ما لك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم يا امير المومنين فالانسان احسن الاشياء ولا شي احسن منه فقال المنصور لعيسى بن موسى الامر كما قال الرجل فاقبل على زوجتك

فارسل المنصور الى جعفر الحيرة وكتب ان الطبيعي وحك ولا تعصيه فاطلقك فهذا
يدلك على ان بن ادم احسن خلق الله جمالا وبديع تركيبنا الراس بما فيه والصدر
بما جمعه والبطن بما حواه والفرج وما وطاه واليد وما بطشاه والرجلان وما
احتملناه ولذلك قالت الفلاسفة انه العالم الاصغر وكلما في المخلوقات اجتمع
فيه الثانية قوله تعالى ثم رددناه اسفل سافلين اي الى ارذل العمر وهو
الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة حتى يصير كالصبي في الحال الاول قاله
الكلبي والضحاك وغيرهما وروي بن ابي نجيح عن مجاهد ثم رددناه اسفل سافلين
الى النار يعني الكافر وقاله ابو العالية وقيل لما وصفه بتلك الصفات الجليلة التي
ركب الانسان عليها طغى وعلا حتى قال انا ربكم الاعلى وحين علم الله تعالى
هذا من عبده وقضاؤه صادر من عنده رده الى اسفل سافلين بان جعله مملوا
قذرا محشوا نجاسة واخرجها على ظاهره اخراجا منكرا تارة على وجه الاختيار
وتارة على وجه الغلبة حتى اذا شاهد ذلك من نفسه رجع الى قدره وقرا عبد الله اسفل
السافلين وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي فانه يكتب لهم
حسناتهم ويمحي عنهم سياتهم قاله بن عباس قال وهم الذين ادركهم الكبر لا يواخذون
بما عملوه في كبرهم رواه الضحاك عنه قال اذا كان العبد في شبابه كثير الصلاة
كثير الصيام والصدقة ثم ضعف عما كان يعمل في شبابه وفي الحديث قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سافر العبد او مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا
وقيل الا الذين امنوا وعملوا الصالحات فانه لا يخرف ولا يهرم ولا يذهب عقل من
كان عالما عاملا وعن عاصم الاحول عن عكرمة قال من قرا القرآن لم يرد الى ارذل
العمر وروي عن بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طوبى لمن طال عمره وحسن
عمله ويروى ان العبد المومن اذا مات امر الله ملكين ان يتعبدا على قبره الى يوم
القيامة ويكتب له ذلك وقال اسفل سافلين على الجمع لان لفظ الانسان واحد وتقول
هذا افضل قائم ولا تقول افضل قائمين لانك تضمر لواحد فان كان الضمير غير مضمر
له رجع اسمه بالتوحيد والجمع كقوله والذي جا بالصدق وصدق به اولئك هم
المتقون وقوله واذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة وقد
قيل ان معنى رددناه اسفل سافلين اي رددناه الى الضلال كما قال تعالى ان
الانسان لفي خسر الا الذين امنوا وعملوا الصالحات اي الا هولا فلا يردوا الى ذلك
والاستثنا على قول من قال اسفل سافلين النار متصل ومن قال انه الهرم فهو
منقطع قوله تعالى فلهم اجر غير ممنون قال الضحاك اجر بغير عمل وقيل غير
مقطوع فما يكذبك بعد بالدين قيل الخطاب للكافر توبيخا والزاما للحجة اي اذا
عرفت ايها الانسان ان الله خلقك في احسن تقويم وانه يردك الى ارذل العمر
وانه ينقلك من حال الى حال فما يحملك على ان تكذب بالبعث والجزا وقد اخبرك
محمد صلى الله عليه وسلم به وقيل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم اي استيقن مع ما
جاك من الله عز وجل انه احكم الحاكمين وروي معناه عن قتادة قال قتادة والفرا
المعنى فمن يكذبك ايها الرسول بعد هذا البيان بالدين واختاره الطبري كانه
قال فمن يقدر على ذلك اي على تكذيبك بالثواب والعقاب بعدما ظهر من
قدرتنا على خلق الانسان والدين والجزا قال الشاعر •

• دناهم كما دانوا ولينا • وانت اوليهم في سالف الزمن •

قوله تعالى اليس الله باحكم الحاكمين اي اتقن الحاكمين صنعا فيما خلق وقيل
باحكم الحاكمين قضاء بالحق وعدلا بين الخلق وفيه تقرير لمن اعترف من الكفار
بصانع قديم والف الاستفهام اذا دخلت على النفي وفي الكلام معنى التوقيف صار
ايجابا كما قال • الستم خير من ركب المطايا •
وقيل فما يكذبك بعد بالدين اليس الله باحكم الحاكمين منسوخة باية السيف

وقيل

وقيل هي ثابتة لانه لا تنافي بينهما وكان بن عباس وعلي بن ابي طالب رضي الله
عنهما اذا قرا اليس الله باحكم الحاكمين قالا بلى وانا على ذلكم من الشاهدين فيختار
ذلك والله اعلم وروي عن ابي هريرة الترمذي قال من قرا سورة والتين
والزيتون فقرا اليس الله باحكم الحاكمين فليقل بلى وانا على ذلك من الشاهدين والله اعلم

• سورة العلق مكية باجماع وهي تسعة عشر اية وهي اول ما نزل من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق هذه السورة اول ما نزل من القرآن في قول
معظم المفسرين نزل بها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قايم على حرا فعلمه
خمس ايات من هذه السورة وقيل ان اول ما نزل يا ايها المدثر قاله جابر بن عبد الله
وقد تقدم وقيل فاتحة الكتاب اول ما نزل قاله ابو ميسرة الهمداني وقال علي بن ابي
طالب رضي الله عنه اول ما نزل من القرآن قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم والصحيح
الاول وقالت عايشة رضي الله عنها اول ما بدا به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا
الصادقة فجاءه الملك فقال اقرا باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا
وربك الاكرم خرجه البخاري وفي الصحيحين عنها قالت اول ما بدا به رسول الله صلى
الله عليه وسلم من الوحي الرويا الصادقة في النوم فكان لا يرى رويا الا جاءت مثل
فلق الصبح ثم حبب اليه الخلا فكان يخلو بغار حرا فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد ويتزود
لذلك ثم يرجع الى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجاه الحق وهو في غار حرا فجاءه الملك
فقال اقرا فقال ما انا بقارى قال فاخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني
فقال اقرا فقلت ما انا بقارى فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال
اقرا فقلت ما انا بقارى فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم ارسلني فقال اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان
ما لم يعلم الحديث بكماله وقال ابو رجا العطاردي كان ابو موسى الاشعري يطوف
علينا في هذا المسجد مسجد البصرة فيقعدنا حلقا فيقرانا القرآن فكاني انظر اليه
بين ثوبين له ابيضين وعنه اخذت هذه السورة وكانت اول سورة انزلت على محمد
صلى الله عليه وسلم اقرا باسم ربك الذي خلق الاية وروت عايشة رضي الله عنها انها
اول سورة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بعدها ن والقلم ثم بعدها
يا ايها المدثر ثم بعدها والضحى ذكره الماوردي وعن الزهري اول ما نزلت سورة
اقرا باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق
الجبال فاتاه جبريل فقال انك نبي الله فرجع الى خديجة وقال دثروني وصبوا علي
ماء باردا فنزل يا ايها المدثر ومعنى اقرا باسم ربك وهو ان يذكر التسمية في ابتداء كل
سورة فمحل الباء من باسم النصب على الحال وقيل المعنى اي اقرا على اسم ربك
فقال فعلت كذا باسم الله وعلى اسم الله وعلى هذا فالمقروء محذوف اي اقرا القرآن
فافتتحه باسم الله وقال قوم اسم ربك هو القرآن فهو يقول اسم ربك اي اسم ربك
والباء زايدة كقوله تعالى تنبت بالدهن وكما قال • سود المحاجر لا يقران بالسور •
اراد لا يقران السور وقيل معنى اقرا اسم ربك اي اذكر اسمه امره ان يبتدي القراءة
بسم الله قوله تعالى خلق الانسان يعني ادم من علق اي من دم جمع علقة
والعلقة الدم الجامد واذا جرى فهو المسفوح وقال من علق فذكره بلفظ الجمع
لانه اراد بالانسان الجمع وكلهم خلقوا من علق بعد النطفة والعلقة قطعة من
دم رطب سميت بذلك لانها تعلق لرطوبتها بما تمر عليه فاذا جفت لم تكن علقة قال
الشاعر • تركناه يخر على يديه • يمج عليها علق الوتين •
وخص الانسان بالذكر تشريفا له وقيل اراد ان يبين قدر نعمته عليه بان خلقه

من علقة مهينة حتى صار بشرا سويا وعاقلا مميزا وقوله تعالى اقرأ تأكيد وتم الكلام
ثم استأنف فقال وربك الأكرم اي الكريم وقال الكلبي يعني الحليم عن جهل العباد
فلم يعجل بعقوبتهم والأول أشبه بالمعنى لأنه لما ذكر ما تقدم من نعمه دل بها على
كرمه وقيل اقرأ وربك اي اقرأ يا محمد وربك يعينك ويفهمك وان كنت غير قارئ والأكرم
بمعنى المتجاوز عن جهل العباد قوله تعالى الذي علم بالقلم فيه ثلاث مسائل
الأولى قوله تعالى الذي علم بالقلم يعني الخط والكتابة اي علم الانسان الخط بالقلم
وروى سعيد عن قتادة قال القلم نعمة من الله عز وجل عظيمة لولا ذلك لم يقم
دين ولم يصلح عيش فدل على كمال كرمه سبحانه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ونقلهم
من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة
التي لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت اخبار الأولين
ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي ما استقامت أمور الدين والدنيا
وسمي قلما لأنه يقلم اي يقط ومنه تقليم الظفر وقال بعض شعراء المحدثين يصف القلم

• فكأنه والحبر يخضب رأسه • شيخ لوصل خريدة يتصنع •
• الا لاحظه بعين جلالة • وبه الى الله الصحائف ترفع •

وعن عبد الله بن عمر قال قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أأكتب ما اسمع منك
من الحديث قال نعم فاكتب فان الله علم بالقلم وروى مجاهد عن ابن عمر قال
خلق الله عز وجل اربعة اشياء بيده ثم قال لسائر الحيوان كن فكان القلم والعرش
وجنة عدن وادم عليه السلام وفيمن علمه بالقلم ثلاثة اقاويل احدها انه ادم
عليه السلام لأنه اول من كتب قاله كعب الاحبار الثاني ادريس وهو اول من كتب
قاله الضحاك الثالث انه ادخل من كتب بالقلم لأنه انما علم بتعليم الله عز وجل
وجمع بذلك نعمته عليه في تعليمه استكمالا للنعمة عليه الثانية صح عن النبي صلى
الله عليه وسلم من حديث ابي هريرة قال لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو
عنده فوق العرش ان رحمتي تغلب غضبي وثبت عنه عليه السلام انه قال اول
ما خلق الله القلم فقال له اكتب فكتب ما يكون الى يوم القيامة وهو عنده في
الذكر فوق عرشه وفي الصحيح من حديث ابن مسعود سمع رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اذا مر بالنطفة ثنتان واربعون ليلة بعث الله اليها
ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول رب اذكر
ام انثى فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يقول رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب
الملك ما شاء ثم يقول يا رب رزقه فيقضي ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك
بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما امر به ولا ينقص وقال تعالى وان عليكم
لحافظين كراما كاتبين قال علماؤنا فالأقلام في الأصل ثلاثة القلم الأول الذي
خلقه بيده وقال له اكتب والقلم الثاني قلم الملائكة جعله الله بأيديهم يكتبون
بها المقادير والكوائن والأعمال والقلم الثالث أقلام الناس الذي جعلها
الله تعالى بأيديهم يكتبون بها كلامهم ويصلون بها الى مآربهم وفي الكتابة
فضائل جمة والكتابة من جملة البيان والبيان مما اختص به الآدمي الثالثة
قال علماؤنا كانت العرب اقل الخلق معرفة بالكتابة واقل العرب به معرفة
المصطفى صلى الله عليه وسلم صرف عن علمه ليكون ذلك اثبت لمعجزته واقوى
لحجته وقد مضى هذا مبينا في سورة العنكبوت وروى حماد بن سلمة عن الزبير
ابن عبد الله عن ايوب بن عبد الله الفهري عن عبد الله بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسكنوا نساءكم الغرف ولا تعلموهن الكتابة
قال علماؤنا وانما حذرهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك لأن في اسكانهن الغرف
تطلعا الى الرجال وليس في ذلك تحصين لهن ولا تستر وذلك لأنهن لا يملكن
أنفسهن حتى يشرفن على الرجال فتحدث الفتنة والبلاء فحذرهم ان يجعلوا

لهن غرفا ذريعا للفتنة وكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس للنساء
خير لهن من ان لا يراهن الرجال ولا يرين الرجال وذلك انها خلقت من الرجل
فنهمتها في الرجل والرجل خلقت فيه الشهوة وجعلت سكنا له فغير مأمون كل
واحد منهما في صاحبه وكذلك تعليم الكتابة ربما كانت سببا للفتنة وذلك انها
اذا علمت الكتابة كتبت الى من تهوى والكتابة عين من العيون بها يبصر الشاهد
الغائب والخط هو آثار يده وفي ذلك تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان
فهو ابلغ من اللسان فأحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقطع عنهن
اسباب الفتنة تحصينا لهن وطهارة لقلوبهن قوله تعالى علم الانسان ما لم
يعلم قيل الانسان هنا آدم عليه السلام علمه اسماء كل شيء حسبما جاء به القرآن في قوله
تعالى وعلم آدم اسمه سبحانه بكل لغة وذكره آدم للملائكة كما علمه وبذلك ظهر فضله
وتبين قدره وثبتت نبوته وقامت حجة الله على الملائكة وامتثلت الملائكة الأمر
لما رأت من شرف الحال ورأت من جلال القدرة وسمعت من عظيم الأمر ثم توارثت
ذلك ذريته خلفا بعد سلف وتناقلوه قوما عن قوم وقد مضى هذا في سورة البقرة
مستوفى والحمد لله رب العالمين وقيل الانسان ها هنا الرسول صلى الله عليه وسلم
دليله قوله وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى هذا فالمراد بعلمك المستقبل فان هذا من اوائل
ما نزل وقيل هو عام لقوله تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا
قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى قيل نزلت الآية الى آخر السورة في ابي جهل
نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان يصلي
في المسجد ويقرأ باسم الرب وعلى هذا فليست السورة من اوائل ما نزل ثم نزلت البقية
في شأن ابي جهل وامر النبي صلى الله عليه وسلم بضم ذلك الى اول السورة لأن تأليف
السور جرى بأمر من الله الا ترى ان قوله تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله
آخرها نزل ثم وضع قبله بزمان طويل وكلا بمعنى حقا اذ ليس قبله شيء والانسان هنا ابو
جهل والطغيان مجاوزة الحد في العصيان ان رآه اي لأن رأى نفسه استغنى اي صار
ذا مال وثروة وقال ابن عباس في رواية ابي صالح عنه قال لما نزلت هذه الآية
وسمع بها المشركون اتاه ابو جهل فقال يا محمد تزعم انه من استغنى طغى فاجعل
لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك قال فأتاه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد خيرهم في ذلك فان شاؤوا فعلنا بهم ما ارادوه فان لم يسلموا
فعلنا بهم كما فعلنا باصحاب المائدة فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان القوم
لا يقبلون ذلك فكف عنهم ابقاء عليهم وقيل ان رآه استغنى بالعشيرة والأنصار
والأعوان وحذف اللام من قوله ان رآه كما يقال انكم لتطغون ان رأيتم غناكم
وقال الفراء لم يقل رأى نفسه كما قيل قتل نفسه لأن رأى من الأفعال التي تريد اسما
وخبرا نحو الظن والحسبان فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح
النفس من هذا الجنس تقول رأيتني وحسبتني ومتى تراك خارجا ومتى تظنك
وقرأ مجاهد وحميد وقنبل عن ابن كثير ان رأه استغنى بقصر الهمزة الباقون
رآه بمدها وهو الاختيار قوله تعالى ان الى ربك الرجعى اي مرجع من هذا
وصفه فنجازيه والرجعى والمرجع والرجوع مصادر يقال رجع اليه رجوعا ومرجعا
ورجعى على وزن فعلى قوله تعالى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو
ابو جهل نهى محمدا صلى الله عليه وسلم قال فان ابا جهل قال ان رأيت محمدا يصلي لأطأن
عنقه قاله ابو هريرة فأنزل الله هذه الآية تعجبا منه وقيل في الكلام حذف
والمعنى أمن هذا الناهي عن الصلاة أمن العقوبة وقوله أرأيت ان كان على الهدى
اي أرأيت يا ابا جهل ان كان محمد على هذه الصفة أليس ناهيه عن التقوى والصلاة
هالكا قوله تعالى أرأيت ان كذب وتولى يعني ابا جهل كذب بكتاب الله عز
وجل واعرض عن الايمان وقال الفراء المعنى أرأيت الذي ينهى عبدا اذا صلى وهو

اعرض عن الهدي امر بالتقوي والناهي مكذب مسول عن الذكري فما اعجب هذا ثم
يقول ويله الم يعلم ابا جهل بان الله يري اي يراه الله ويعلم فعله وهو تقرير وتوبيخ
وقيل كل واحد ارايت بدل من الاول والم يعلم بان الله يري هو الخبر كلا لين لم ينته
يعني ابو جهل عن اذاك يا محمد لنسفعا اي لناخذن بالناصية فلنذلنه ولناخذن ناصيته
يوم القيامه ويطوي مع قدمه ويطرح في النار كما قال تعالي فيوخذوا بالنواصي
والاقدام فالاية ان كانت في ابي جهل وهي عظة للناس وتهديد لمن يمتنع او يمنع
غيره عن الطاعه واهل اللغة يقولون سفعت بالشي اذا قبضت عليه وجذبته
جذبا شديدا ويقال سفع بناصية فرسه قال

• قوم اذا كثروا الصياح رايتهم • ما بين ملجم مهره او سافع •

وقيل هو ماخوذ من سفعته النار والشمس اذا غيرت وجهه الي حال تسويد كما قال

• اثافي سفعا في معرس مرجل • ونوي كجذم الحوض اثلم خاشع •

والناصيه شعر مقدم الراس وقد يعبر بها عن جملة الانسان يقال هذه ناصية مباركة
اشارة الي جميع الانسان وخص بالذكر علي عادة العرب فيمن ارادوا اذلاله واهانته
اخذوا بناصيته وقال المبرد السفع الجذب بشده اي لنجرن بناصيته الي النار وقيل
السفع الضرب اي لنلطمن وجهه وهذا متقارب المعني اي يجمع عليه الضرب عند الاخذ
ثم يجر الي جهنم ثم قال علي البدل ناصية كاذبة خاطية اي ناصية ابي جهل كاذبة خاطية
في فعلها والخاطي معاقب ماخوذ والمخطي غير ماخوذ ووصف الناصية بالكاذبة الخاطية
كوصف الوجوه بالنظر في قوله تعالي الي ربها ناظرة وقيل ان صاحبها كاذب خاطي
كما يقال نهار صايم وليل قايم اي هو صايم في نهاره قايم في ليله وقوله تعالي فليدع
ناديه سندع الزبانية اي الملايكة الغلاظ الشداد عن بن عباس وغيره والحدهم
زبني قاله الكساي وقال الاخفش زابن ابو عبيده زبنيه وقيل زباني وقيل
هو اسم للجمع كالابابيل والعباديد وقال قتاده هم الشرط في كلام العرب وهو ماخوذ
من الزبن وهو الدفع ومنه المزابنة في البيع وقيل انما سموا الزبانيه لانهم يعملون
بارجلهم كما يعملون بايديهم حكاه ابو الليث السمرقندي رحمه الله قال وروي في الخبر
ان النبي صلي الله عليه وسلم لما قرا هذه السورة بلغ الي قوله تعالي لنسفعا بالناصية
قال ابو جهل انا ادعوا قومي حتي يمنعوا عني ربك فقال الله تعالي فليدع ناديه
سندع الزبانية فلما سمع ذكر الزبانيه رجع فزعا فقيل له خشيت منه فقال لا
ولكن رايت عنده فارسا يهددني بالزبانيه فلا ادري ما الزبانيه وقال الي الفارس
فخشيت ان ياكلني وفي الاخبار ان الزبانيه روسهم واتهم اعظم الملايكة خلقا
واشدهم بطشا والعرب تطلق هذا الاسم علي من اشتد بطشه قال الشاعر

• مطاعين في الهيجا مطاعين في الوغي • زبانية غلب عظام حلومها •

وعن عكرمه عن بن عباس سندع الزبانيه قال قال ابو جهل لاين رايت محمدا يصلي
لاطان علي عنقه فقال النبي صلي الله عليه وسلم لان فعل هذا لاخذته الملايكة
عيانا قال ابو عيسي هذا حديث حسن غريب وروي عكرمة عن بن عباس قال
مر ابو جهل علي النبي صلي الله عليه وسلم وهو يصلي عند المقام فقال الم انهك عن هذا
يا محمد فاغلظ له رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال له ابو جهل باي شي
تهددني يا محمد والله اني لاكثر اهل الوادي ناديا فانزل الله عز وجل فليدع
ناديه سندع الزبانيه قال بن عباس والله لو دعا ناديه لاخذته زبانية
العذاب من ساعته خرجه الترمذي بمعناه وقال حديث حسن والنادي في
كلام العرب المجلس اي يتندي فيه القوم يجتمعون والمراد اهل النادي كما قال جرير

• لهم مجلس صهب السبال اذله • وقال زهير • وفيهم مقامات حسان وجوههم •

• وقال اخر • واستب بعدك يا كليب المجلس •

وقد ناديت الرجل ناديه اذا جالسته قال زهير •

• وجار البيت والجار المنادي • امام الحي عقدها سوا •

قوله تعالي كلا اي ليس الامر كما تظنه فيما دعاك اليه من ترك الصلاة واسجد
اي صل لله واقترب اي تقرب الي الله جل ثناوه بالطاعه والعباده وقيل المعني
اذا سجدت فاقترب الي الله بالدعا وروي عطا عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد الي الله واحبه اليه جبهته في الارض ساجدا
لله قال علماونا وانما ذلك لانها نهاية العبوديه والذله ولله غاية العزة وله العزه
التي لا يقدر بها فكلما بعدت من صفته قربت من جنته ودنوت من جواره في داره وفي
الحديث الصحيح ان النبي صلي الله عليه وسلم قال اما الركوع فعظموا فيه الرب واما
السجود فاجتهدوا في الدعا فقمن ان يستجاب لكم ولقد احسن القايل •

• واذا تذللت الرقاب تواضعا • منا اليكم فعزها في ذلها •

وقال زيد بن اسلم اسجد انت يا محمد مصليا واقترب انت يا ابا جهل من النار وقوله
تعالي واسجد هذا السجود يحتمل ان يكون بمعني السجود في الصلاة ويحتمل ان يكون
سجود التلاوه في هذه السورة قال بن العربي والظاهر انه سجود الصلاة
لقوله ارايت الذي ينهي عبدا اذا صلي الي قوله لا تطعه واسجد واقترب لولا ما ثبت
في الصحيح من رواية مسلم وغيره من الايمة عن ابي هريرة وغيره في كتاب مسلم انه قال
سجدت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في اذا السما انشقت وفي اقرا باسم ربك الذي
خلق سجدتين فهذا ايضا علي ان المراد به سجود التلاوه يروي ابن وهب عن حماد
ابن زيد عن عاصم ابن بهدله عن زر بن حبيش عن علي بن ابي طالب قال عزايم
السجود اربع الم وحم تنزيل من الرحمن الرحيم والنجم واقرا باسم ربك قال بن العربي وهذا
اصح يلزم عليه السجود الثاني من سورة الحج وان كان مقترنا بالركوع لانه يكون معناه
اركعوا في موضع الركوع واسجدوا في موضع السجود وقال بن حبيب ومطرف وكان
مالك يسجد في خاصة نفسه بخاتمة هذه السوره من اقرا باسم ربك وابن وهب يراها
من العزايم قال وقد رويناه من حديث مالك بن انس عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن
عن نافع عن بن عمر قال لما انزل الله تعالي اقرا باسم ربك الذي خلق قال رسول
الله صلي الله عليه وسلم اكتبها يا معاذ فاخذ معاذ اللوح والقلم والنون وهي الدعا
فكتبها معاذ فلما بلغ كلا لا تطعه واسجد واقترب سجد اللوح وسجد القلم وسجد
النون وهم يقولون اللهم ارفع به ذكرا اللهم احطط به وزرا اللهم اغفر به ذنبا
قال معاذ سجدت واخبرت رسول الله صلي الله عليه وسلم فسجد والله سبحانه اعلم

سورة القدر مدنية

هذا قول اكثر المفسرين ذكره الثعلبي وحكي الماوردي عكسه قلت وهي مدنيه
في قول الضحاك وروي الواقدي انها اول سورة نزلت بالمدينه وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالي انا انزلناه في ليلة القدر يعني القران وان لم يجر له ذكر في هذه
السورة لان المعني معلوم والقران كله كالسورة الواحدة وقد قال شهر رمضان
الذي انزل فيه القران وقال تعالي حم والكتاب المبين انا انزلناه في ليلة مباركة
يريد ليلة القدر وقال الشعبي المعني انا ابتدانا انزاله في ليلة القدر
وقيل بل نزل به جبريل عليه السلام جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح
من اللوح المحفوظ الي سما الدنيا الي بيت العزة واملاه جبريل علي السفرة ثم كان جبريل ينزله
علي النبي صلي الله عليه وسلم نجوما نجوما وكان بين اوله واخره ثلاث وعشرون سنه
قاله بن عباس وقد تقدم في سورة البقرة وحكي الماوردي عن بن عباس قال
نزل القران في شهر رمضان وفي ليلة القدر وفي ليلة مباركة جملة واحده من عند

اسر من اللوح المحفوظ الي الصحف الكرام الكاتبين في السما الدنيا فنجمته السفره
الكرام الكاتبون على جبريل عشرين سنه ونجمه جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم
عشرين سنه قال ابن العربي وهذا باطل ليس بين جبريل وبين الله واسطه ولا بين
جبريل ومحمد صلى الله عليه وسلم واسطه وقوله تعالى في ليلة القدر قال مجاهد
في ليلة الحكم وما ادراك ما ليلة القدر قال ليلة الحكم والمعنى ليلة القدر سميت
بذلك لان الله يقدر فيها ما يشا من امره الي مثلها من السنة القابلة من امر الموت
والاجل والرزق وغيره ويسلمه الي مدبرات الامور وهم اربعة من الملايكة اسرافيل
وميكاييل وعزراييل وجبريل عليهم السلام وعن ابن عباس قال يكتب من ام الكتاب
ما يكون في السنة من رزق ومطر وموت وحياة حتى الحاج قال عكرمه يكتب حاج
بيت الله في ليلة القدر باسمايهم واسما ابايهم ما يغادر منهم احد ولا يزاد فيهم
وقاله سعيد بن جبير ومضى في اول سورة الدخان هذا المعنى وعن ابن عباس ايضا
ان الله تعالى يقضي الاقضية في ليلة نصف شعبان ويسلمها الي اربابها في ليلة
القدر وقيل انما سميت بذلك لعظمها وقدرها وشرفها من قولهم لفلان قدر اي شرف
ومنزله قاله الزهري وغيره وقيل سميت بذلك لان للطاعات فيها قدرا عظيما وثوابا
جزيلا وقال ابو بكر الوراق سميت بذلك لان من لم يكن له قدر ولا خطر يصير في
هذه الليلة ذا قدر اذا احياها وقيل سميت بذلك لانه انزل فيها كتابا ذا قدر
على رسول ذي قدر على امة ذي قدر وقيل لانه ينزل فيها ملايكة ذوو قدر وخطر
وقيل لان الله تعالى ينزل فيها الخير والبركة والمغفره وقال سهل سميت بذلك
لان الله قدر فيها الرحمة على المومنين وقال الخليل لان الارض تضيق فيها بالملايكة
كقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه اي ضيق عليه قوله تعالى وما ادراك ما ليلة
القدر قال الفرا كلما في القران من قوله وما ادراك فقد ادراه وما كان من قوله
وما يدريك فلم يدره قاله سفيان وقد تقدم ليلة القدر خير من الف شهر بين
فضلها وعظمها وفضيلة الزمان انما تكون بكثرة ما يقع فيه من الفضايل وفي تلك
الليلة يقسم الخير الكثير قال ابو العالية الذي لا يوجد مثله في الف شهر والله
اعلم وقال كثير من المفسرين اي العمل فيها خير من العمل في الف شهر وقال ابو العالية
ليلة القدر خير من الف شهر رمضان لا يكون فيه ليلة القدر وقيل عني بالف
شهر جميع الدهر لان العرب تذكر الالف في غاية الاشيا كما قال يود احدهم لو يعمر الف سنه
يعني جميع الدهر وقيل ان العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله الف
شهر ثلاث وثمانين سنه واربعة اشهر فجعل الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم عبادة
ليلة خيرا من الف شهر كانوا يعبدونها وقال ابو بكر الوراق كان ملك سليمان
خمسماية شهر وملك ذي القرنين خمسماية شهر فصار ملكهما الف شهر فجعل الله
تعالى العمل في هذه الليلة لمن ادركها خيرا من ملكهما وقال ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسراييل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر
فعجب المسلمون من ذلك فنزلت انا انزلناه في ليلة القدر الاية خير
من الف شهر التي لبس الرجل فيها سلاحه في سبيل الله ونحوه عن ابن عباس
ووهب بن منبه ان ذلك الرجل كان مسلما وان امه جعلته نذرا لله وانه من قرية
كانوا يعبدون الاصنام وكان سكن قريبا منها فجعل يغزوهم وحده ويقتل ويسبي
ويجاهد وكان لا يلقاهم الا بلحيين بعير وكان اذا قاتلهم وقاتلوه عطش انفجر
له من اللحيين ما عذب فيشرب منه وكان قد اعطي قوة في البطش لا يوجعه
حديد ولا غيره وكان اسمه شمسون وقال كعب الاحبار كان رجلا ملكا في
بني اسراييل فعل خصلة واحدة فاوحى الله الي نبي زمانهم قل لفلان يتمنى فقال
يا رب اتمنى ان اجاهد بمالي وولدي ونفسي فرزقه الله الف ولد وكان يجهز
الولد بماله في عسكر ويخرجه مجاهدا في سبيل الله فيقوم شهيدا ويقتل ذلك

الولد

الولد ثم يجهز اخر في عسكر فكان كل ولد يقتل في الشهر والملك مع ذلك قايم الليل
صايم النهار فقتل الالف ولد في الف شهر ثم تقدم فقاتل فقتل فقال الناس لا احد يدرك منزلة
هذا الملك في القيام بالصيام والجهاد بالمال والنفس والاولاد في سبيل الله قال علي وعروه
ذكر النبي صلى الله عليه وسلم اربعة من بني اسراييل فقال عبدوا الله ثمانين سنه لم
يعصوا الله طرفة عين فذكر ايوب وزكريا وحزقيل ابن العجوز ويوشع بن نون
فعجب اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك فاتاه جبريل فقال يا محمد عجبت امتك
من عبادة هولاء النفر لم يعصوا طرفة عين فقد انزل الله عليك خيرا من ذلك ثم قرا انا
انزلناه في ليلة القدر فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك في الموطا
من رواية ابن القاسم وغيره سمعت من اثق به يقول ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم اري اعمار الامم قبله فكانه تقاصر اعمار امته ان لا يبلغوا من العمل ما بلغ غيرهم في
طول العمر فاعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيرا من الف شهر وفي الترمذي عن الحسن
ابن علي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اري بني امية على منبره فساه
ذلك فنزلت انا اعطيناك الكوثر يعني نهرا في الجنه ونزلت انا انزلناه في ليلة القدر
وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر يملكها بعدك بنو امية قال
القاسم بن الفضل الحراني فعددنا فاذا هي الف شهر لا يزيد يوما ولا ينقص يوما قال
حديث غريب تنزل الملايكة اي تهبط من كل سما ومن سدرة المنتهى ومسكن جبريل على
وسطها فينزلون على الارض ويومنون على دعا الناس الى وقت طلوع الفجر وذلك
قوله تعالى تنزل الملايكة والروح فيها باذن ربهم اي جبريل عليه السلام وحكى القشيري
قيل هم صنف من خلق الله يا كلون الطعام ولهم ايدي وارجل وليسوا ملايكة وقيل
الروح خلق عظيم يقوم صفا والملايكة كلهم صفا وقيل الروح الرحمة تنزل بها جبريل
مع الملايكة في هذه الليلة على اهلها وليلة تنزل الملايكة والروح فيها من امره على
من يشا من عباده اي بالرحمة فيها اي في ليلة القدر باذن ربهم اي بامره من كل امر اي
بكل امر قدره الله سبحانه وقضاه في تلك السنة الى قابل قاله ابن عباس كقوله يحفظونه
من امر الله اي بامر الله وقراه العامة تنزل بفتح التا الا ان البزي شدد التا وقرا طلحة
ابن مصرف وابن السميفع بضم التا على الفعل المجهول وقرا علي وابن عباس وعكرمة
من كل امري وروي عن ابن عباس ان معناه من كل ملك وتاوله الكلبي على ان جبريل
ينزل فيها مع الملايكة فيسلمون على كل امري مسلم فمن بمعنى على وعن انس قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر ينزل جبريل في كبكبة من الملايكة يصلون
ويسلمون على كل عبد قايم او قاعد يذكر الله تعالى قوله تعالى سلام هي حتى مطلع
الفجر قيل ان تمام الكلام من امر ربهم ثم قال سلام وروي ذلك عن نافع وغيره اي ليلة
القدر سلامة وخير كلها لا شر فيها حتى مطلع الفجر اي الي طلوع الفجر قال الضحاك لا
يقدر الله في تلك الليلة الا السلامة وفي ساير الليالي يقضي بالبلايا والسلامة
وقيل اي هي سلام اي ذات سلامة من ان يوثر فيها شيطان في مومن ومومنة وكذا
قال مجاهد هي ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان ان يعمل فيها سوا ولا اذى وروي
مرفوعا وقال الشعبي هو تسليم الملايكة على اهل المساجد من حين تغيب الشمس
الى ان يطلع الفجر يمرون على كل مومن ويقولون السلام عليك ايها المومن وقيل يعني
سلام الملايكة بعضهم على بعض فيها وقال قتاده سلام هي خير هي حتى مطلع
اي الى مطلع وقرا الكسايي وابن محيصن مطلع بكسر اللام الباقون بالفتح والفتح
والكسر لغتان في المصدر والاصل الفتح في فعل يفعل نحو المقتل والمخرج والكسر
على انه كاسم عن قياسه نحو المشرق والمغرب والمنبت والمسكن والمحشر والمسقط
والمجزر حكي في ذلك كله الفتح والكسر على ان يراد به المصدر لا الاسم وهنا ثلاث
مسايل الاولى في تعيين ليلة القدر وقد اختلف العلما في ذلك والذي عليه
المعظم انها ليلة سبع وعشرين لحديث زر بن حبيش قال قلت لابي بن كعب

ان اخاك عبد الله بن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر فقال
يغفر الله لأبي عبد الرحمن لقد علم انها في العشر الاواخر من رمضان وانها ليلة
سبع وعشرين ولكنه اراد ان لا يتكل الناس ثم حلف لا يستثني انها ليلة القدر ليلة
سبع وعشرين قال قلت بأي شيء تقول ذلك يا ابا المنذر قال بالآية التي اخبرنا
بها رسول الله صلى الله عليه وسلم او بالعلامة ان الشمس تطلع يومئذ لا شعاع
لها قال الترمذي حديث حسن صحيح وخرجه مسلم وقيل هي في شهر رمضان
دون سائر العام قاله ابو هريرة وغيره وقيل هي في ليالي السنة كلها فمن علق طلاق
امرأته او عتق عبده بليلة القدر لم يقع الطلاق والعتق الا بمضي سنة من يوم
حلفه لانه لا يجوز ايقاع الطلاق بالشك ولم يثبت اختصاصها بوقت فلا ينبغي وقوع
الطلاق الا بمضي حول وكذلك العتق وما كان مثله من يمين او غيره وقال ابن
مسعود من يقم الحول يصبها فبلغ ذلك ابن عمر فقال يرحم الله ابا عبد الرحمن اما انه
علم انها في العشر الاواخر من شهر رمضان ولكنه اراد ان لا يتكل الناس والى هذا
القول ذهب ابو حنيفة انها في سائر السنة وقيل عنه انها رفعت يعني ليلة القدر
وانها انما كانت مرة واحدة والصحيح انها باقية وروي عن ابن مسعود ايضا انها
اذا كانت في يوم من هذه السنة كانت في العام المقبل في يوم آخر والجمهور على انها في
كل عام من رمضان ثم قيل انها الليلة الاولى من الشهر قاله ابو رزين العقيلي وقال
الحسن وابن اسحاق وعبد الله بن الزبير هي ليلة سبعة عشر من رمضان وهي
الليلة التي كان صبيحتها وقعة بدر كأنهم نزعوا الى قوله تعالى وما انزلنا على
عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وكان ذلك ليلة سبع عشرة وقيل هي ليلة
التاسع عشر والصحيح المشهور انها في العشر الاواخر من رمضان وهو قول مالك
والشافعي واحمد وابي ثور والاوزاعي ثم قال قوم هي ليلة الحادي والعشرين ومال
اليه الشافعي رضي الله عنه لحديث الماء والطين رواه ابو سعيد الخدري خرجه
مالك وغيره وقيل ليلة الثالث والعشرين لما رواه ابن عمر ان رجلا قال يا رسول
الله اني رأيت ليلة القدر في سابعة تبقى فقال النبي صلى الله عليه وسلم أرى
رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن اراد ان يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث
وعشرين وقال معمر فكان ايوب يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وفي
صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اني رأيت ان اسجد في ماء وطين
قال عبد الله بن انيس فرأيته في صبيحة ثلاث وعشرين في الماء والطين كما
اخبر صلى الله عليه وسلم وقيل ليلة خمس وعشرين لحديث ابي سعيد الخدري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر في تاسعة
تبقى في سابعة تبقى في خامسة رواه مسلم قال مالك يريد بالتاسعة ليلة احدى
وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين وقيل
ليلة سبعة وعشرين وقد مضى دليله وهو قول علي رضي الله عنه وعائشة
ومعاوية وابي بن كعب وروى ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان متحريا
ليلة القدر فليتحرها ليلة سبع وعشرين وقال ابو بكر الوراق ان الله تعالى
قسم ليالي هذا الشهر شهر رمضان على كلمات هذه السورة فلما بلغ السابعة
والعشرين اشار اليها فقال هي وايضا فان ليلة القدر كرر ذكرها ثلاث مرات
وهي تسعة احرف فتجيء سبعة وعشرين وقيل ليلة تسع وعشرين لما روي ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة القدر التاسعة والعشرين او السابعة
والعشرين وان الملائكة تلك الليلة بعدد الحصى وقد قيل انها في الاشفاع
قال الحسن ارتقبت الشمس ليلة اربع وعشرين سنة فرأيتها تطلع بيضاء لا شعاع
لها يعني من كثرة الانوار تلك الليلة وقيل انها مستورة في جميع السنة ليجتهد
المرء في جميع احياء جميع الليالي وقيل اخفاها في جميع شهر رمضان ليجتهدوا في العمل

والعبادة بليالي رمضان طمعا في ادراكها كما اخفى الصلاة الوسطى في الصلوات
واخفى اسمه الاعظم في اسمائه الحسنى وساعة الجمعة في ساعات الليل وغضبه
في المعاصي ورضاه في الطاعات وقيام الساعة في الاوقات والعبد الصالح
في العباد رحمة منه الثانية في علاماتها ان الشمس تطلع في صبيحة يومها بيضاء
لا شعاع لها وقال الحسن قال النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ان من اماراتها
ليلة سمحة بلجة لا حارة ولا باردة تطلع الشمس صبيحتها ليس لها شعاع وقال عبيد بن
عمير كنت ليلة السابعة والعشرين في البحر فاخذت من مائه فوجدته عذبا سلسا
الثالثة في فضائلها وحسبك بقوله تعالى ليلة القدر خير من الف شهر وقوله
تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم وفي الصحيحين من قام ليلة القدر
ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه رواه ابو هريرة وقال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة القدر تنزل الملائكة الذين هم سكان سدرة المنتهى
منهم جبريل ومعهم الالوية ينصب منها لواء على قبري ولواء على بيت المقدس ولواء على المسجد
الحرام ولواء على طور سيناء ولا يدع فيها مؤمنا ولا مؤمنة الا يسلم عليه الا مدمن الخمر او آكل
الخنزير او المتضمخ بالزعفران وفي الحديث ان الشيطان لا يخرج في هذه الليلة حتى يضيء
فجرها ولا يستطيع ان يصيب فيها احدا بخبل ولا بشيء من الفساد ولا ينفذ فيها سحر
ساحر وقال الشعبي وليلها كيومها ويومها كليلها وقال الفراء لا يقدر الله في ليلة
القدر الا السعادة والنعم ويقدر في غيرها البلايا والنقم وقد تقدم عن الضحاك ومثله
لا يقال من جهة الرأي وهو مرفوع وقد روى عبد الله بن عباس بن ربيعة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال من صلى صلاة المغرب والعشاء الآخرة من ليلة القدر
في جماعة فقد اخذ بحظه من ليلة القدر ذكره الثعلبي في تفسيره وقالت عائشة رضي
الله عنها قلت يا رسول الله ان وافقت ليلة القدر فما اقول قال قولي اللهم انك عفو تحب
العفو فاعف عني

سورة لم يكن وهي مكية

في قول يحيى بن سلام ومدنية في قول ابن عباس والجمهور وهي تسع آيات وقد
جاء في فضلها حديث لا يصح رويناه عن محمد بن عبد الله الحضرمي قال قال لي ابو عبد
الرحمن ابن نمير اذهب الى ابي الهيثم الخشاب فاكتب عنه فانه قد كتب فذهبت اليه فقال
حدثنا مالك بن انس عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن ابي الدرداء قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب لعطلوا الاهل
والمال وتعلموها فقال رجل من خزاعة وما فيها من الاجر يا رسول الله قال لا يقرؤها
منافق ابدا ولا عبد في قلبه شك في الله والله ان الملائكة المقربين يقرؤونها منذ خلق
الله السموات والارض وما يفترون من قراءتها وما من عبد يقرؤها الا بعث الله تعالى
اليه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة قال الحضرمي
فجئت الى عبد الرحمن بن نمير فالقيت هذا الحديث عليه فقال هذا قد كفانا مؤونته
فلا تعد اليه قال ابن العربي روى اسحاق بن بشر الكاهلي عن مالك بن انس عن يحيى بن
سعيد عن المسيب عن ابي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في لم يكن الذين
كفروا لعطلوا الاهل والمال ويتعلموها وهذا حديث باطل وانما الحديث الصحيح ما
روي عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بن كعب ان الله امرني ان اقرأ
عليك لم يكن الذين كفروا قال وسماني لك قال نعم فبكى قلت خرجه مسلم والبخاري
وفيه من الفقه قراءة العالم على المتعلم قال بعضهم انما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم على ابي
ليعلم الناس التواضع لئلا يأنف احد من التعلم والقراءة على من هو دونه في المنزلة
وقيل لان ابيا كان اسرع اخذا لالفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاراد بقراءته عليه
ان يأخذ الفاظه ويقرأ كما سمع منه ويعلم غيره وفيه فضيلة عظيمة لابي اذ امر الله
رسوله ان يقرأ عليه قال ابو بكر الانباري وحدثنا احمد بن الهيثم بن خالد قال حدثنا

علي بن الجعد قال ثنا عكرمة عن عاصم عن زر بن حبيش قال في قراة ابي بن كعب
ابن ادم لو اعطي واديا من مال لابتغى ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب
الله على من تاب وقال عكرمة قرا علي عاصم لم يكن ثلاثين اية هذا فيها قال ابو بكر
هذا باطل عند اهل العلم لان قراة ابن كثير وابي عمرو متصلتان بابي بن كعب لا يقرا فيها
هذا المذكور من لم يكن مما هو معروف من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه
من كلام الرسول عليه السلام لا يحكيه عن رب العالمين في القران وما رواه اثنان معهما
الاجماع اثبت مما يحكيه واحدا مخالفا لمذهب الجماعة والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لم يكن الذين كفروا قراة العامة وخط المصحف وقرا ابن مسعود لم يكن
المشركون واهل الكتاب منفكين وهذه قراة على التفسير قال ابن العربي وهي
جائزة في معرض البيان لا في معرض التلاوة فقد قرا النبي صلى الله عليه وسلم في رواية
الصحيح فطلقوهن لقبل عدتهن وهو تفسير فان التلاوة هو ما كان في خط المصحف
قوله تعالى من اهل الكتاب يعني اليهود والنصارى والمشركين في موضع جر عطفا
على اهل الكتاب قال ابن عباس اهل الكتاب اليهود الذين كانوا بيثرب وهم
قريظة والنضير وبنو قينقاع والمشركون الذين كانوا بمكة والذين حولها والمدينة
والذين حولها وهم مشركوا قريش منفكين اي منتهين عن كفرهم مايلين عنه حتى
تاتيهم البينة يعني محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل الانتهاء بلوغ الغاية اي لم يكونوا
ليبلغوا نهاية اعمارهم فيموتوا حتى تاتيهم البينة فالانفكاك على هذا بمعنى الانتهاء
وقيل منفكين زايلين اي لم تكن مدتهم لتزول حتى ياتيهم رسول والعرب تقول ما
انفككت افعل كذا اي ما زلت وما انفك فلان قايما اي ما زال قايما واصل الفك الفتح
ومنه فك الكتاب وفك الخلخال وفك السالم قال طرفه

فاليت لا ينفك كشحي بطانة ۞ لعضب رقيق الشفرتين مهند ۞ وقال ذو الرمة

حراجيج لا تنفك الا مناخة ۞ على الخسف او نرمي بها بلدا قفرا ۞

يريد ما تنفك مناخة فزاد الا وقيل منفكين بارحين اي لم يكونوا ليبرحوا ان تفارقوا
الدنيا حتى تاتيهم البينة وقال ابن كيسان اي لم يكن اهل الكتاب تاركين صفة محمد
صلى الله عليه وسلم في كتابهم حتى بعث فلما بعث حسدوه وجحدوه وهو كقوله
فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ولهذا قال وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد
ما جاءتهم البينة الاية وعلى هذا فقوله والمشركون اي ما كانوا يسبون الرسول فيحمد
صلى الله عليه وسلم حتى بعث فانهم كانوا يسمونه الامين حتى اتتهم البينة على لسانه
وبعث اليهم فحينئذ عادوه وقال بعض اللغويين منفكين هالكين من قولهم
انفك صلا المراة عند الولادة وهو ان ينفصل فلا يلتيم فتهلك المعنى لم يكونوا
معذبين ولا هالكين الا بعد قيام الحجة عليهم بارسال الرسل وانزال الكتب وقال
قوم من المشركين انهم من اهل الكتاب فمن اليهود وقال عزير ابن الله ومن النصارى
من قال عيسى هو الله ومنهم من قال هو ابنه ومنهم من قال ثالث ثلاثة وقيل
اهل الكتاب كانوا مومنين ثم كفروا بعد ايمانهم والمشركون وقيل المشركون وصف
اهل الكتاب ايضا لانهم لم ينتفعوا بكتابهم وتركوا التوحيد فالنصارى مثلثة
وعامة اليهود مشبهة والكل شرك وهو كقولك جاءني العقلاء والظرفاء وانت تريد
قوما بعينهم تصفهم بالامرين من اهل الكتاب والمشركين وقيل ان الكفر هنا هو الكفر
بالنبي صلى الله عليه وسلم اي لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من اليهود
والنصارى الذين هم اهل الكتاب ولم يكن المشركون الذين هم عبدة الاوثان من
العرب وغيرهم وهم الذين ليس لهم كتاب قال القشيري وفيه بعد لان الظاهر من
قوله حتى تاتيهم البينة رسول من الله ان هذا الرسول هو محمد صلى الله عليه وسلم

فيعمد ان تعالى لم يكن الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم منفكين حتى تاتيهم البينة
يعني محمدا الا ان يقال اراد لم يكن الذين كفروا الان بمحمد وقد كانوا من قبل معظمين له
منتهين عن هذا الكفر الى ان بعث الله تعالى محمدا اليهم وبين لهم الايات فحينئذ يومن
قوم وقرا الاعمش وابراهيم رفعا عطفا على الذين والقراة الاولى ابين لان الرفع فيه
يصير الصنفان كانهم من غير اهل الكتاب وفي حرف ابي فما كان الذين كفروا من اهل
الكتاب والمشركون منفكين وقد تقدم حتى تاتيهم البينة قيل حتى تاتيهم والبينة محمد
صلى الله عليه وسلم رسول من الله اي بعث من الله جل ثناوه قال الزجاج رسول رفع
على البدل من البينة وقال الفراء اي هي رسول من الله او هو رسول من الله لان البينة
قد تذكر فيقال بينتي فلان وفي حرف ابي وابن مسعود رسولا بالنصب على القطع يتلوا
اي يقرا يقال فلان يتلوا تلاوة صحفا جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب مطهرة قال ابن عباس
من الزور والشك والنفاق والضلالة وقال قتادة من الباطل وقيل من الكذب والشبهات
والكفر والمعنى واحد اي يقرا ما تضمن المصحف من المكتوب ويدل عليه انه كان يتلو
عن ظهر قلبه لا من كتاب لانه كان اميا لا يكتب ولا يقرا ومطهرة من نعت المصحف في الظاهر
وهي نعت لما في المصحف من القران وقيل مطهرة اي ينبغي الا يمسها الا المطهرون كما قال في سورة
الواقعة حسبما تقدم بيانه وقيل الصحف المطهرة هي التي عند الله في ام الكتاب التي
منه نسخ ما انزل على الانبياء من الكتب كما قال تعالى بل هو قران مجيد في لوح محفوظ
قال الحسن يعني بالصحف المطهرة في السما فيها كتب قيمة اي مستقيمة مستوية محكمة من
قول العرب قام يقوم اذا استوى وصح وقال بعض اهل العلم الصحف هي الكتب فكيف
قال في صحف فيها كتب فالجواب ان الكتب هنا بمعنى الاحكام قال الله عز وجل كتب
الله لاغلبن اي حكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاقضين بينهما بكتاب
الله ثم قضى بالرجم وليس ذكر الرجم مسطورا في الكتاب فالمعنى لاقضين بينكما بحكم الله
قال الشاعر ۞ وما الولا بالولا فضلتم ۞ وما ذاك قال الله اذ هو يكتب ۞
وقيل الكتب القيمة هي القران فجعله كتبا لانه يشتمل على انواع من البيان قوله
تعالى وما تفرق الذين اوتوا الكتاب اي من اليهود والنصارى خص اهل
الكتاب بالتفريق دون غيرهم وان كانوا مجموعين من الكافرين لانهم مظنون
بهم علم فاذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له ادخل في هذا الوصف الا من بعد
ما جاءتهم البينة اي اتتهم البينة الواضحة والمعنى به محمد صلى الله عليه وسلم اي بالقران
موافقا للذي في ايديهم من الكتاب بنعته وصفته وذلك انهم كانوا مجمعين على
نبوته فلما بعث جحدوا نبوته وتفرقوا فمنهم من كفر بغيا وحسدا ومنهم من امن
كقوله تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل البينة الذي في
كتابهم انه نبي الله مرسل قال العلماء من اول السورة الى قوله فيها كتب قيمة حكمها فيمن
لم يومن من اهل الكتاب بعد قيام الحجة قوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين حنفاء فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى وما امروا اي هولاء الكفار
في التورية والانجيل الا ليعبدوا الله اي ليوحدوه واللام في ليعبدوا بمعنى ان
كقوله يريد الله ليبين لكم اي ان يبين ويريدون ليطفيوا نور الله وامرنا لنسلم
وفي حرف عبد الله وما امروا الا ان يعبدوا الله مخلصين له الدين اي العبادة ومنه
قوله تعالى قل اني امرت ان اعبد الله مخلصا له الدين وفي هذا دليل على وجوب النية في العبادات
فان الاخلاص من عمل القلب وهو ان يراد به وجه الله لا غيره الثانية قوله
تعالى حنفاء اي على دين ابراهيم اي مايلين عن الاديان كلها الى دين الاسلام وكان
ابن عباس يقول حنفاء على دين ابراهيم عليه السلام ويقال للحنيف من اختتن
وحج قاله سعيد بن جبير قال اهل اللغة واصله انه يحنف الى الاسلام اي ما يل
اليه الثالثة قوله تعالى ويقيموا الصلاة اي يحدثوها في اوقاتها ويوتوا
الزكاة اي يعطوها عند محلها وذلك الذي امروا به دين القيمة اي الدين المستقيم

يقول

وقال الزجاج أي ذلك دين الملة المستقيمة والقيمة نعت لموصوف محذوف أو يقال دين الأمة القيمة بالحق القائمة بالحق وفي حرف عبد الله وذلك الدين القيم وقال الخليل القيمة جمع القيم والقيم والقائم واحد قال الفراء أضاف الدين إلى القيامة وهو نعته لاختلاف اللفظين وعنه أيضا هو من باب إضافة الشيء إلى نفسه ودخلت الهاء للمدح والمبالغة وقيل الهاء راجعة إلى الملة والشريعة وقال محمد بن الأشعث الطلحي أي دين القيامة هاهنا الكتب التي جرى ذكرها والدين مضاف إليها قوله تعالى إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين معطوف على الذين أو يكون مجرورا معطوفا على أهل في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية معطوفا على الذين أو يكون مجرورا معطوفا على أهل في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية قرأ نافع وابن ذكوان بالهمز على الأصل في الموضعين من قولهم برأ الله الخلق وهو البارئ الخالق وقيل من قيل إن برأنا البارئون بهمزهم وشدد الياء عوضا منه قال الفراء إن أخذت البرية من البرا وهو التراب لا تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ وقيل للبرية من بريت القلم أي قدرته فيدخل فيه الملائكة ولكنه قول ضعيف لأنه يجب منه تخطئة من همز وقوله شر البرية أي شر الخليقة فقيل يحتمل أن يكون على التعميم وقال قوم أي هم شر البرية الذين كانوا في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى وأني فضلتكم على العالمين أي على عالمي زمانكم ولا يبعد أن يكون في كفار الأمم قبل هؤلاء من هو شر منهم مثل فرعون وعاقر ناقة صالح وكذا خير البرية إما على التعميم أو خير برية عصرهم وقد يستدل بقراءة الهمزة من فضل بني آدم على الملائكة وقد مضى في سورة البقرة القول فيه وقال أبو هريرة رضي الله عنه المؤمن أكرم على الله عز وجل من بعض الملائكة الذين عنده قوله تعالى جزاؤهم عند ربهم جنات عدن أي بساتين عدن أي إقامة والمفسرون يقولون جنات عدن بطنان الجنة أي وسطها يقال عدن بالمكان يعدن عدونا أقام ومعدن الشيء مركزه ومستقره قال الأعشى

وإن يستضافوا إلى حكمه يضافوا إلى راجح قد عدن

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لا يظعنون ولا يموتون رضي الله عنهم أي رضي أعمالهم كذا قال ابن عباس ورضوا عنه أي رضوا هم بثواب الله عز وجل ذلك الجنة لمن خشي ربه أي من خاف مقام ربه فاجتنب المعاصي والله أعلم

سورة الزلزلة مدنية

في قول ابن عباس ومكية في قول ابن مسعود وعطاء وجابر وهي تسع آيات قال العلماء وهذه السورة فضلها كثير وتحتوي على عظيم روى الترمذي عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون عدلت له ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد عدلت له بثلث القرآن وقال حديث غريب وقال في الباب عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله روى عبد الله بن عمرو بن العاص قال لما نزلت إذا زلزلت بكى أبو بكر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم إنه هو الغفور الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى إذا زلزلت الأرض أي حركت من أصلها روى عكرمة عن ابن عباس وكان يقول في النفخة الأولى تزلزلها وقال مجاهد كقوله تعالى يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة ثم تزلزل ثانية فتخرج موتاها وهي هنا الأثقال وذكر المصدر للتأكيد ثم أضيف إلى الأرض كقولك لأعطينك عطيتك أي عطيتي لك وحسن ذلك لموافقة رؤوس الآيات بعدها وقراءة العامة بكسر الزاي

من الزلزال وقرأ عيسى بن عمر والجحدري بفتحها وهو مصدر أيضا كالوسواس والقلقال والجرجار وقيل الكسر المصدر والفتح الاسم قوله تعالى وأخرجت الأرض أثقالها قال أبو عبيدة والأخفش إذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثقل لها وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها وقال ابن عباس ومجاهد أثقالها موتاها تخرجهم في النفخة الثانية ومنه قيل للجن والإنس الثقلان وقالت الخنساء

أبعد ابن عمرو من آل الشريد حلت به الأرض أثقالها

تقول لما دفن عمرو صار حلية لأهل القبور من شرفه وسودده وذكر بعض أهل العلم قال كانت العرب تقول إذا كان الرجل سفاكا للدماء ثقلا على وجه الأرض فلما مات حطت الأرض عن ظهرها ثقلها وقيل أثقالها كنوزها ومنه الحديث تلقي الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة وقال الإنسان ما لها أي ابن آدم الكافر فروى الضحاك عن ابن عباس قال الأسود بن عبد الأسد وقيل أراد كل إنسان يشاهد ذلك عند قيام الساعة في النفخة الأولى من مؤمن وكافر وهذا قول من جعلها في الدنيا من أشراط الساعة لأنهم لا يعلمون جميعا من أشراط الساعة في ابتداء أمرها حتى يتحققوا عمومها فلذلك قال بعضهم لبعض عنها وعلى هذا من قال إن المراد بالإنسان الكفار خاصة جعلها زلزلت أو ما لها أخرجت أثقالها وهي كلمة تعجب أي لأي شيء تزلزلت ويجوز أن يحيي الله الموتى بعد النفخة الأولى ثم تتحرك الأرض فتخرج الموتى وقد رأوا الزلزلة وانشقاق الأرض عن الموتى أحياء من الهول فيقولون ما لها يومئذ تحدث أخبارها يومئذ منصوب بقوله إذا زلزلت وبقوله تحدث أخبارها أي تخبر الأرض بما عمل عليها من خير أو شر يومئذ ثم قيل هو من قول الله عز وجل وقيل هو من قول الإنسان أي يقول الإنسان ما لها تحدث أخبارها متعجبا وفي الترمذي عن أبي هريرة قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه يومئذ تحدث أخبارها قال أتدرون ما أخبارها قالوا الله ورسوله أعلم قال فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها تقول عمل يوم كذا كذا وكذا قال فهذه أخبارها قال هذا حديث حسن صحيح غريب قال العلماء وروي في قوله يومئذ تحدث أخبارها فيه ثلاثة أقوال أحدها تحدث أخبارها بأعمال العباد على ظهرها قاله أبو هريرة ورواه مرفوعا وهو قول من زعم أنها زلزلة أشراط الساعة قلت وفي هذا المعنى حديث رواه ابن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا كان أجل العبد بأرض أوثبته الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره قبضه الله فتقول الأرض يوم القيامة رب هذا ما استودعتني خرجه ابن ماجه في سننه وقد تقدم الثالث أنها تحدث بقيام الساعة إذا قال الإنسان ما لها قاله ابن مسعود فتخبر أن أمر الدنيا قد انقضى وأن أمر الآخرة قد أتى فيكون ذلك منها جوابا لهم عند سؤالهم ووعيدا للكافر وإنذارا للمؤمن وفي حديثها بأخبارها ثلاثة أقوال أحدها أن الله تعالى يقلبها حيوانا ناطقا فيتكلم بذلك الثاني أنه يكون منها بيان يقوم مقام الكلام قال الطبري تبين أخبارها بالرجة والزلزلة وإخراج الموتى بأن ربك أوحى لها أي إنها تحدث أخبارها بوحي الله لها أي إليها والعرب تضع لام الصفة موضع إلى قال العجاج يصف الأرض أوحى لها القرار فاستقرت وشدها بالراسيات الثبت وهذا قول أبي عبيدة أوحى لها أي إليها وقيل أوحى لها أمرها قاله مجاهد وقال السدي أوحى لها أي قال لها وقيل سخرها وقيل المعنى يكون الزلزلة وإخراج الأرض أثقالها تحدث الأرض أخبارها ما كان عليها من الطاعات والمعاصي وما على ظهرها من خير وشر وروي ذلك عن الثوري وغيره يومئذ يصدر الناس أشتاتا أي فرقا جمع شت قيل عن موقف الحساب فريق يأخذ جهة اليمين إلى الجنة وفريق آخر يأخذ جهة الشمال إلى النار كما قال تعالى يومئذ يتفرقون ويومئذ يصدعون وقيل يرجعون عن الحساب أشتاتا يعني فرقا ليروا أعمالهم يعني

ثواب اعمالهم وهذا كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من احد يوم القيامة الا ويلوم نفسه فان كان محسنا يقول لم لا ازددت احسانا وان كان غير ذلك يقول لم لا انزجر عن المعاصي وهذا عند معاينة الثواب والعقاب وكان ابن عباس يقول اشتاتا متفرقين على قدر اعمالهم اهل الايمان على حده واهل كل دين على حده وقيل هذا الصدور انما هو عند النشور يصدرون اشتاتا من القبور فيصار بهم الى موقف الحساب ليروا اعمالهم في كتبهم او ليروا جزاء اعمالهم فكانهم وردوا القبور ودفنوا فيها ثم صدروا عنها والوارد الجائي والصادر المنصرف اشتاتا اي يبعثون من اقطار الارض وعلى القول فيه تقديم وتاخير مجازه تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها ليروا اعمالهم واعترض قوله يومئذ يصدر الناس اشتاتا متفرقين عن موقف الحساب وقراءة العامة ليروا بضم اليا اي ليريهم الله اعمالهم وقرا الحسن والزهري وقتادة والاعرج ونصر ابن عاصم وطلحة بفتحها ويروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قال ابن عباس من يعمل من الكفار خيرا يره في الدنيا ولا يثاب عليه في الاخرة ومن يعمل مثقال ذرة من شر عوقب عليه في الاخرة مع عقاب الشرك ومن يعمل مثقال ذرة من شر من المومنين يره في الدنيا ولا يعاقب عليه في الاخرة اذا مات ويتجاوز عنه وان عمل مثقال ذرة من خير يتقبل منه ويضاعف له في الاخرة وفي بعض الحديث ان الذرة لا زنة لها وهذا مثل ضربه الله تعالى انه لا يغفل عن عمل ابن ادم صغيرة ولا كبيرة وهو مثل قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وقد تقدم الكلام هناك في الذر وانه لا وزن له وذكر بعض اهل اللغة ان الذر ان يضرب الرجل بيده على الارض فما علق بها من التراب فهو الذر وكذا قال ابن عباس اذا وضعت يدك على الارض ورفعتها فكل واحد مما لزق به من التراب ذرة وقال محمد بن كعب القرظي فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر يرى ثوابه في الدنيا في نفسه وماله واهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله خير ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مومن يرى عقوبته في الدنيا في نفسه وماله وولده واهله حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر قال ارايت ما يكره فهو مثقال ذر الشر ويدخر لكم مثقال ذر الخير حتى يعطوه يوم القيامة قال ابو ادريس مصداقه من كتاب الله جل ثناوه وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفوا عن كثير وقال مقاتل نزلت في رجلين وذلك انه لما نزل ويطعمون الطعام على حبه كان احدهم ياتيه السايل فيستقل ان يعطيه التمرة والكسرة والجوزة ويتهاون بالذنب اليسير كالكذبة والغيبة والنظرة ويقول انما اوعد الله النار على الكباير فنزلت ترغبهم في القليل من الخيرات ان يعطوه فانه يوشك ان يكثر ويحذرهم اليسير من الذنب فانه يوشك ان يكثر وقال سعيد بن جبير والاثم الصغير في عين صاحبه يوم القيامة اعظم من الجبال وجميع محاسنه اقل في عينه من كل شي الثانية قراءة العامة يره بفتح اليا فيهما وقرا الجحدري والسلمي وعيسى بن عمر وابان بن عاصم يره بضم اليا اي يريه الله اياه والاولى الاختيار لقوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا الاية وسكن الها في قوله يره في الموضعين هشام وكذا رواه الكسائي عن ابي بكر وابي حيوة والمغيرة واختلس يعقوب والزهري والجحدري واشبع الباقون يره اي يرى جزاءه لان ما عمله قد مضى وعدم فلا يرى وانشدوا

• ان من يعتدي ويكسب اثما • وزن مثقال ذرة سيراه •
• ويجازى بفعله الشر شرا • وبفعل الجميل ايضا جزاه •
• هكذا قوله تبارك ربي • في اذا زلزلت وجل ثناه •

الثالثة قال ابن مسعود هذه احكم اية في القران وصدق واتفق العلما

علي

على عموم هذه الاية القايلون بالعموم ومن لم يقل به وروى كعب الاحبار انه قال لقد انزل الله على محمد ايتين احصتا ما في التوراة والانجيل والزبور والصحف فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي هذه الاية الجامعة الفاذة كما في الصحيح لما سيل عن الحمر وسكت عن البغال والجواب فيهما واحد لان البغل والحمار لا كر فيهما ولا فر فلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ما في الخيل من الاجر الدايم والثواب المستمر سال السايل عن الحمر لانه لم يكن عندهم يوميذ بغل ولا دخل الحجاز منها الا بغلة النبي صلى الله عليه وسلم الدلدل التي اهداها له المقوقس فافتاه في الحمير بعموم الاية وان في الحمار مثاقيل ذر كثيرة قاله ابن العربي وفي الموطا ان مسكينا استطعم عايشة ام المومنين وبين يديها عنب فقالت لانسان خذ حبة فاعطه اياها فجعل ينظر اليها ويتعجب فقالت عايشة اتعجب كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة وروي عن سعد بن ابي وقاص انه تصدق بتمرتين فقبض السايل يده فقال للسايل ويقبل الله منا مثاقيل الذر وفي التمرتين مثاقيل ذر كثيرة وروى المطلب بن حنطب ان اعرابيا سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقروها فقال يا رسول الله امثقال ذرة قال نعم فقال الاعرابي واسوأتاه مرارا ثم قام وهو يقولها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد دخل قلب الاعرابي الايمان وقال الحسن قدم صعصعة عم الفرزدق على النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع فمن يعمل مثقال ذرة الايات قال لا ابالي الا اسمع من القران غيرها حسبي فقد انتهت الموعظة ذكره الثعلبي ولفظ الماوردي وروي ان صعصعة بن ناجية جد الفرزدق اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستقريه فقرا عليه هذه الاية فقال صعصعة حسبي حسبي ان عملت شرا رايته وروى معمر عن زيد بن اسلم ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال علمني مما علمك الله فدفعه الى رجل يعلمه فعلمه اذا زلزلت حتى اذا بلغ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال حسبي فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال دعوه فانه قد فقه وحكي ان اعرابيا اخر خيرا يره فقال اخرت الخير على الشر فقال • خذا بطن هرشى او قفاها فانه • كلا جانبي هرشى لهن طريق •

سورة والعاديات مكية

في قول بن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطا ومدنية في قول بن عباس وانس بن مالك وقتادة وهي احدى عشرة اية والله سبحانه وتعالى اعلم

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعاديات ضبحا اي الافراس تعدو كذا قاله عامة اهل التفسير واهل اللغة تعدو في سبيل الله فتضبح قال قتادة تضبح اذا عدت اي تحمحمت وقال الفرا الضبح صوت انفاس الخيل اذا عدون وقال ابن عباس ليس شي من الدواب يضبح غير الفرس والكلب والثعلب وقيل كانت تكعم لئلا تصهل فيعلم العدو بهم فكانت تتنفس في هذه الحال بقوة قال ابن العربي اقسم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فقال يس والقران الحكيم واقسم الله بحياته فقال لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون واقسم بخيله وصهيلها وغبارها وقدح حوافرها النار من الحجر فقال والعاديات ضبحا الايات الخمس وقال اهل اللغة

• وطعنة ذات رشاش واهيه • طعنتها عند صدور العاديه •

يعني الخيل وقال عنترة • والخيل تعلم حين تضبح في حياض الموت ضبحا •

وقال اخر • والعاديات اسابي الدما بها • كان اعناقها انصاب ترجيب •

وقال الاخر • لست بالتبع اليماني ان لم تضبح الخيل في سواد العراق •

قال اهل اللغة واصل الضبح والضباح للثعالب فاستعير للخيل وهو من قول

العرب صبحته النار اذا غيرت لونه ولم تبالغ فيه قال الشاعر •
فلما ان تلوحنا شبابه اللهوان مهوورا صبيحا •
والصبح لونه ان اغبر الي السواد قليلا وقال علقمة فيل ايضا في لوني وانما تصبح هذه للحيوانات اذا تغيرت حالها من فزع او تعب او طمع ونصب صبحا على المصدر اي والعاديات تضبح ضبحا والضبح ايضا الرماد وقال البصريون صبحا نصب على الحال وقيل مصدر الحال على الحال قال ابو عبيده صبحت الخيل صبحا مثل ضبحت وهو السير وقال ابو عبيده الضبح والصبح بمعنى العدو والسير وكذا قال المبرد الضبح مد اضباعها في السير ويروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى ناس من بني كنانه فابطا عليه خبرها وكان استعمل عليهم المنذر بن عمرو الانصاري وكان احد النقبا فقال المنافقين انهم قتلوا فنزلت هذه السورة اخبارا للنبي صلى الله عليه وسلم بسلامتها وبشارة له باغارتها على القوم الذين بعث اليهم ومن قال ان المراد بالعاديات الخيل قال بن عباس وانس والحسن ومجاهد والمراد الخيل التي تغزوا عليها المومنون وفي الخبر من لم يعرف حرمة فرس الغازي ففيه شعبة من النفاق وقول ثان انها الابل قال مسلم نازعني فيها عكرمه فقال عكرمه قال بن عباس هي الخيل وقلت قال علي هي الابل في الحج ومولاي اعلم من مولاك وقال الشعبي تمارى علي وبن عباس في العاديات فقال علي هي الابل تعدو في الحج وقال هي الخيل الا تراه بقوله فاثرن به نقعا فهل تثير الا بحوافرها وهل تضبح الابل فقال علي ليس كما قلت لقد رايتنا يوم بدر وما معنا الا فرس واحد ابلق للمقداد وفرس لمرثد بن ابي مرثد ثم قال له علي اتفتي الناس بما لا تعلم والله ان كانت لاول غزوة في الاسلام وما معنا الا فرسان فرس للمقداد وفرس للزبير فكيف تكون العاديات ضبحا انما العاديات الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى عرفة قال بن عباس فرجعت الى قول علي وبه قال بن مسعود وعبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدي ومنه قول صفية بنت عبد المطلب •
• فلا والعاديات غداة جمع • بايديها اذا سطع الغبار •
يعني الابل وسميت العاديات لاشتقاقها من العدو وهو تباعد الارجل في سرعة المشي وقال الاخر • رأى صاحبي في العاديات نجيبة • وامثالها في الواضعات القوامس •
ومن قال هي الابل فقوله ضبحا بمعنى ضبعا فالحا عنده مبدلة من العين لانه يقال ضبعت الابل وهو ان تمد اعناقها في السير قال المبرد الضبع مد اضباعها في السير والضبح اكثر ما يكون يستعمل في الخيل والضبع في الابل وقد تبدل الحا من العين قال ابو صالح الضبح من الخيل الحمحمه ومن الابل التنفس وقال عطا ليس شي من الدواب يضبح الا الفرس والكلب ويروي عن بن عباس وقد تقدم عن اهل اللغة ان العرب تقول ضبح الثعلب وضبح في غير ذلك ايضا قال توبه •
• ولو ان ليلى الاخيلية سلمت • علي ودوني تربة وصفايح •
• لسلمت تسليم البشاشة او زقا • اليها صدي من جانب القبر صايح •
فالموريات قدحا قال عكرمه وعطا والضحاك هي الخيل حين توري النار بحوافرها وهي سنابكها ويروي عن بن عباس وعنه وارت بحوافرها غبارا وهذا يخالف سايرما روي عنه في قدح النار وانما هذا في الابل وروى ابن ابي نجيح عن مجاهد والعاديات ضبحا والموريات قدحا قال قال بن عباس هو في القتال • وهو في الحج ابن مسعود وهي الابل تطا الحجر فتخرج منها النار واصل القدح الاستخراج ومنه قدحت العين اذا اخرجت منها الما الفاسد واقتدحت الزند واقتدحت المرق غرفته وركي قدح تغرف باليد والقدوح ما يبقى في اسفل القدر فيغرف بجهد والمقدحه ما تقدح به النار والقداحه والقداح الحجر الذي يوري النار يقال ورى الزند بالفتح يري وريا اذا اخرجت ناره وفيه لغة اخري وري الزند

بالكسر

بالكسر فيهما وقد مضى في سورة الواقعه وقدحا انتصب بما انتصب به صبحا وقيل هذه الايات في الخيل ولكن ايراؤها ان تهيج الحرب بين اصحابها وبين عدوهم ومنه يقال للحرب اذا التحمت حمي الوطيس ومنه قوله تعالى كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويروي معناه عن بن عباس ايضا ان المراد بالموريات قدحا مكر الرجال في الحرب وقاله مجاهد وزيد بن اسلم وقال العرب اذا اراد ان يمكر بصاحبه والله لامكرن بك ثم لاورين لك وعن بن عباس ايضا هم الذين يغزون فيوقدون نيرانهم بالليل لحاجتهم وطعامهم وعنه ايضا انها نار المجاهدين اذا كثرت نارها ارهابا وكل من قرب من العدو يوقد نيرانا كثيرة ليظنهم العدو كثيرا وهذا احسان بذلك قال محمد بن كعب هي النار تجمع وقيل هي افكار الرجال توري نار المكر والخديعه وقال عكرمه هي السنة الرجال توري النار من عظيم ما تتكلم به ويظهر بها من الحجج واقامة الدلايل وايضاح الحق وابطال الباطل وروي ابن جريج عن بعضهم اي فالمنجحات امرا وعملا كنجاح الزند اذا اوري قلت هذه الاقوال مجاز ومنه قولهم فلان يوري زناد الضلال له والاول الحقيقة وان الخيل من شدة عدوها تقدح النار بحوافرها قال مقاتل العرب تسمي تلك النار نار ابي حباحب وكان ابو حباحب لا يوقد نار الخير ولا غيره حتى تنام العيون فيوقد نويره تقديره ويخمد اخرى فان استيقظ لها احد طفاها كراهية ان ينتفع بها احد فشبهت العرب هذه النار بناره لانه لا ينتفع بها وكذلك اذا وقع السيف على البيضة فاقتدحت نارا فكذلك قال النابغة الذبياني •
• ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم • بهن فلول من قراع الكتايب •
• تقد السلوقي المضاعف نسجه • ويوقد بالصفاح نار الحباحب •
قوله تعالى فالمغيرات صبحا الخيل تغير على العدو عند الصبح عن بن عباس واكثر المفسرين وكانوا اذا ارادوا الغارة سروا ليلا وياتوا العدو صبحا لان ذلك وقت غفلة الناس ومنه قوله تعالى فسا صباح المنذرين وقيل لعزمهم اغاروا نهارا وصبحا على هذا اي علانيه تشبيها بظهور الصبح وقال بن مسعود وعلي رضي الله عنهما هي الابل تدفع ركبانها يوم النحر من منى الى جمع والسنة ان لا يدفع حتى يصبح قال القرطبي والاغارة سرعة السير ومنه قولهم اشرق ثبير كيما نغير قوله تعالى فاثرن به نقعا اي غبارا يعني الخيل تثير الغبار بشدة العدو في المكان الذي اغارت به قال عبد الله ابن رواحه • عدمت بنيتي ان لم تروها • تثير النقع من كنفي كدا •
والكنايه في به ترجع الى المكان او الى الموضع الذي تقع فيه الاغارة واذا علم المعنى جاز ان يكنى عما لم يجر له ذكر بالتصريح كما قال حتى توارت بالحجاب وقيل فاثرن به اي بالعدو نقعا وقد تقدم ذكر العدو وقيل النقع ما بين مزدلفة الى منى قاله محمد بن كعب القرظي وقيل انه طريق الوادي ولعله يرجع الى الغبار المثار من هذا الموضع وفي الصحاح النقع الغبار والجمع نقاع والنقع الغبار من هذا الموضع وهو محبس الماء وكذلك ما اجتمع في البير منه وفي الحديث انه نهى ان يمنع نقع البير والنقع الارض الحرة الطين يستنقع فيها الماء والجمع نقاع وانقع مثل بحر وبحار وابحر قلت وقد يكون النقع رفع الصوت ومنه حديث عمر حين قيل له ان النسا قد اجتمعن يبكين على خالد بن الوليد فقال وما على نسا المغيرة ان يسكبن من دموعهن وهن جلوس على ابي سليمان ما لم يكن نقع ولا لقلقة قال ابو عبيده يعني بالنقع رفع الصوت على هذا راينه قول الاكثرين اهل العلم ومنه قول لبيد •
• فمتى ينقع صراخ صادق • يحلبوها ذات جرس وزجل •
ويروى يجلبوها ايضا يقول حين سمعوا صراخا احلبوا الحرب ام جمعوا لها وقوله ينقع صراخ يعني رفع الصوت وقال الكسايي قوله ينقع ولا لقلقة النقع صنعة الطعام يعني في المأتم يقال منه نقعت انقع نقعا قال ابو عبيده ذهب بالنقع الى النقيعه وانما النقيعة عند غيره من العلما صنعة الطعام عند القدوم من سفر لا في المأتم وقاله

بعضهم يريد عمر بالنقع وضع التراب على الراس يذهب الى ان النقع هو الغبار ولا
احسب عمر ذهب الى هذا ولا خافه منهن وكيف يبلغ خوفه ذا وهو يكره لها القيام فقال
يسقلن من دموعهن وهن جلوس قال بعضهم النقع شق الجيوب وهو الذي لا ادري
ما هو من الحديث ولا اعرفه وليس النقع عندي في هذا الحديث الا الصوت الشديد
واما القلقله فشدة الصوت ولم اسمع فيه اختلافا وقرا ابو حيوه فاثرن بالتشديد
اي ارت اثار ذلك من حمق فهو اثار اذا احرك ومنه واثاروا الارض فوسطن به
جمعا مفعول بوسطن اي فوسطن به جمعا يعني مزدلفه وسميت جمعا لاجتماع الناس
فيها يقال وسطت القوم اسطهم وسطا وسطه اي صيرته وسطهم وقرا علي رضي الله
عنه فوسطن بالتشديد وهي قراة قتاده وبن سيرين وابي رجا لغتان بمعنى
يقال وسطت القوم بالتشديد والتخفيف وتوسطتهم بمعنى واحد وقيل معنى
التشديد جعلنا الجمع قسمين والتخفيف ضرب في وسط الجمع وهما يرجعان الى
معنى قوله تعالى ان الانسان لربه لكنود وهذا جواب القسم اي طبع الانسان
على كفران النعمه قال بن عباس وغيره لكنود لكفور جحود لنعم الله وكذلك قال
الحسن وقال يذكر المصايب وينسى النعم اخذه الشاعر فقال

• يا ايها الظالم في فعله • والظلم مردود الى من ظلم •
• الى متى انت وحتى متى • تشكو المصيبات وتنسى النعم •

ويروي ابو امامة الباهلي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكنود الذي
ياكل وحده ويمنع رفده ويضرب عبده وروي ابن عباس قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا انبيكم بشراركم قالوا بلى يا رسول الله قال من نزل وحده ومنع رفده
وجلد عبده خرجه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول وقد يروى عن بن عباس ايضا
انه قال الكنود بلسان كنده وحضرموت العاصي وبلسان ربيعه ومضر الكفور
وبلسان كنانه البخيل السيء الملكه وقال مقاتل والشاعر •

• كنود لنعما الرجال ومن يكن • كنودا لنعما الرجال يبعد •

اي كفور وقيل هو الذي يكفر اليسير ولا يشكر الكثير وقيل الجاحد للحق وقيل انما
سميت كنده كنده لانها جحدت اباها وقال ابراهيم بن هرمه الشاعر •

• دع البخلا ان سمحوا وصدوا • وذكرى بخل غانية كنود •

قيل الكنود من كند اذا قطع كانه يقطع ما ينبغي ان يواصله من الشكر ويقال كند
الحبل اذا قطعه قال الاعشى • امسى يقطع بصلب الفواد • وصول حبال وكنادها •
وهذا يدل على القطع ويقال كند يكند كنودا اي كفر النعمه وجحدها وهو كنود وامراة
كنود ايضا وكنود مثله قال الاعشى •

• احدث لها تحدث لوصلك انها • كند لوصل الزاير المعتاد •

اي كفور للمواصله وقال ابن عباس الانسان هنا الكافر يقال انه لكفور ومنه
الارض الكنود التي لا تنبت شيا وقال الضحاك نزلت في الوليد بن المغيره قال
المبرد المانع لما عليه وانشد لكثير •

• احدث لها تحدث لوصلك انها • كند لوصل الزاير المعتاد •

وقال ابو بكر الوراق الكنود الذي ينفق نعم الله في معاصي الله وقال ابو بكر
الواسطي الكنود الذي يرى النعمه من نفسه واعوانه وقال الترمذي الذي يرى
النعمه ولا يرى المنعم وقال ذا النون المصري الهلوع والكنود هو الذي اذا مسه
الشر جزوع فاذا مسه الخير منوع وقيل هو الحقود الحسود وقيل هو الجهول لقدره
وفي الحكمة من جهل قدره هتك ستره قلت هذه الاقوال كلها ترجع الى معنى الكفران
والجحود وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم معنى الكنود بخصال مذمومه واحوال
غير محموده فان صح فهو على ما يقال ولا يبقى لاحد معه مقال قوله تعالى
وانه على ذلك لشهيد اي وان الله جل ثناوه على ذلك من ابن ادم لشهيد كذا روي •

منصور

منصور عن مجاهد وهو قول اكثر المفسرين وقول بن عباس وقال الحسن وقتاده ومحمد
ابن كعب وانه اي وان الانسان لشاهد على نفسه بما يصنع وعن مجاهد ايضا وقوله
تعالى وانه اي الانسان من غير خلاف لحب الخير اي المال ومنه قوله تعالى ان ترك خيرا
وقول عدي • ماذا ترجي النفوس من طلب الخير وحب الحياة كاذبها •
لشديد لقوي في حبه للمال ويقال لشديد اي لبخيل ويقال للبخيل شديد ومتشدد قال
طرفه • اري الموت يعتام الكرام ويصطفي • عقيلة مال الفاحش المتشدد •
يقال اعتامه واعتماه اي اختاره والفاحش البخيل ايضا ومنه قوله تعالى ويامركم بالفحشا
اي بالبخل قال بن زيد سمى الله المال خيرا وعسى ان يكون شرا وحراما ولكن الناس
يعدونه خيرا فسماه الله خيرا لذلك وسمى الجهاد شرا فقال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل
لم يمسسهم سوء على ما لم يسمه الناس قال الفرا نظم الايه ان يقال وانه لشديد الحب
للخير فلما تقدم الحب قال شديد وحذف من اخره ذكر الحب لانه قد جرى ذكره ولروس
الاي كقوله تعالى في يوم عاصف والعصوف للريح لا الايام فلما جرى ذكر الريح قبل اليوم
جرى من ذكره واحده كانه قال في يوم عاصف الريح قوله تعالى افلا يعلم اي ابن ادم
اذا بعثر اي اثير وقلب وبحث واخرج ما فيها قال ابو عبيده بعثرت المتاع جعلت اسفله
اعلاه وعن محمد بن كعب قال ذلك حين يبعثون قال الفرا سمعت بعض اعراب بني اسد
يقرا بحثر بالحا مكان العين وحكاها الماوردي عن بن مسعود وهما بمعنى وحصل ما في
الصدور اي ميز ما فيها من خير وشر كذا قال المفسرون وقال بن عباس ابرز وقال
ابو عبيده بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم وحصل بفتح الحا وتخفيف
الصاد وفتحها اي ان ظهر ان ربهم بهم يوميذ لخبير اي عالم لا يخفى عليه منهم خافيه وهو
عالم بهم في ذلك اليوم وفي غيره ولكن المعنى انه يجازيهم في ذلك اليوم وقوله تعالى
اذا بعثر العامل في اذا بعثر ولا يعمل فيه خبير لان ما بعده ان لا يعمل فيما قبلها والعامل
في يوميذ خبير فان فصلت اللام بينهما لان موضع اللام الابتدا وانما دخلت اللام في الخبر
لدخولان على المبتدا وروي ان الحجاج قرا هذه السوره على المنبر يحضهم على الغزو فجرى
على لسانه ان ربهم بفتح الالف ثم استدركها فقال خبير بغير لام ولولا اللام لكانت مفتوحه
لوقوع العلم عليها وقرا ابن السماك ان ربهم بهم يوميذ لخبير والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة القارعه مكية باجماع وهي عشر ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى القارعة ما القارعه اي القيامه والساعه كذا قال عامة المفسرين
وذلك انها تقرع الخلايق باهوالها وافزاعها واهل اللغة يقولون تقول العرب قرعتهم
القارعه وفقرتهم الفاقره اذا وقع بهم امر فظيع قال ابن احمر •
• وقارعة من الايام لولا • سبيلهم لراحت عنك حينا • وقال اخر
• متى نقرع بمروتكم نسوكم • ولم توقد لنا في القدر نار •
وقال تعالى ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعه وهي الشديده من شدايد
الدهر وقوله ما القارعه استفهام اي شي هي القارعه وكذا وما ادراك ما القارعه
كلمة استفهام على جهة التعظيم والتفخيم لشانها كما قال الحاقه ما الحاقه وما ادراك
ما الحاقه على ما تقدم يوم يكون الناس يوم يكون منصوبا على الظرف تقديره تكون
القارعه يوم يكون الناس كالفراش المبثوث قال قتاده الفراش الطير الذي يتساقط في
النار والسراج الواحده فراشه وقاله ابو عبيده وقال الفرا انه الهمج الطاير من بعوض
وغيره ومنه الجراد ويقال هو اطيش من فراشه قال شاعرهم • وقال الاخر
• طويش من نفر اطياش • اطيش من طايش الفراش •
• وقد كان اقوام رددت قلوبهم • عليهم وكانوا كالفراش من الجهل •

وفي صحيح مسلم عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلي ومثلكم كمثل رجل اوقد
نارا فجعل الجنادب والفراش يقعن فيه وهو يذبهن عنها وانا اخذ بحجزكم عن النار وانتم
تفلتون من يدي وفي الباب عن ابي هريرة والمبثوث المتفرق وقال في موضع اخر كانهم جراد
منتشر فاول حالهم كالفراش لا وجه له يتحير في كل وجه ثم يكون كالجراد لان لها وجها تقصده والمبثوث
للتفرق المنتشر وانما ذكر على اللفظ كقوله اعجاز نخل خاوية وقال ابن عباس والفرا كالفراش
المبثوث كغوغا والجراد تركب بعضها بعضا كذلك الناس يجول بعضهم في بعض اذا بعثوا وتكون
الجبال كالعهن المنفوش اي الصوف الذي ينفش باليد اي يصير هبا ويزول كما قال جل ثناؤه
في موضع اخر هبا منبثا واهل اللغة يقولون العهن الصوف المصبوغ وقد مضى في سورة سال
سال سايل فاما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية قد تقدم القول في الميزان في
الاعراف والكهف والانبيا وان له كفة ولسانا توزن فيه الصحف المكتوب فيها الحسنات
والسيات ثم قيل انه ميزان واحد بيد جبريل صلى الله عليه وسلم يزن اعمال بني ادم فالجمع تعبير
عنه بلفظ الجمع وقيل موازين كما قال فلكل حادثة بها ميزان وقد ذكرناه فيما تقدم وذكرناه
ايضا في كتاب التذكرة وقيل ان الموازين الحجج والدلايل قاله عبد العزيز بن يحيى واستشهد
بقول الشاعر • قد كنت قبل لقايكم ذا مرة • عندي لكل مخاصم ميزانه •
ومعنى عيشة راضية اي عيش مرضي يرضاه صاحبه وقيل عيشة راضية اي فاعلة للرضى
وهو اللين والانقيا دلاهلها فالفعل للعيشة لانها اعطت الرضى من نفسها وهو الانقياد
واللين فالعيشة كلمة تجمع النعم التي في الجنة فهي فاعلة للرضى كالفرش المرفوعة وارتفاعها
مقدار مايه عام فاذا دنا منها ولي الله اتضعت حتى يستوي عليها ثم ترتفع كهيتها ومثل الشجرة
فروعها كذلك ايضا من الارتفاع فاذا اشتهى ولي الله ثمرتها تدلت حتى يتناولها
ولي الله قاعدا وقايما وذلك قوله تعالى قطوفها دانية وحيث ما مشى وينتقل من
مكان الى مكان جرى معه نهر حيث شا علوا وسفلا وذلك قوله تعالى يفجرونها تفجيرا
فيروى في الخبر انه يشير فيجري من غير اخدود حيث شا من قصوره وفي مجالسه
وهذه الاشيا كلها عيش قد اعطت الرضى من نفسها فهي فاعلة الرضى وهي انقادت
وانذلت بذلا وسماحة ومعنى فامه هاوية يعني جهنم وسماها امه لانه ياوي اليها
كما ياوي الى امه قاله ابن زيد ومنه قول امية بن ابي الصلت •
• فالارض معقلنا وكانت امنا • فيها مقابرنا وفيها نولد •
وسميت جهنم هاوية لانه يهوي فيها على ام راسه قال الاخفش امه مستقره والمعنى متقارب
قال الشاعر • يا عمرو لو نالتك ارماحنا • كنت كمن تهوي به الهاويه •
والهاوية المهواة ويقال هوت امه فهي هاوية اي ثاكلة قال كعب بن سعد الغنوي •
• هوت امه ما يبعث الصبح غاديا • وما ذا يودي الليل حين يووب •
والمهوى والمهواة ما بين الجبلين ونحو ذلك وتهاوى القوم في المهواة اذا اسقط بعضهم
في اثر بعض وما ادراك ما هيه الاصل وما ادراك ما هي دخلت الها للسكت وقرا حمزه
والكسائي ويعقوب وابن محيصن ما هي نار بغير ها في الوصل ووقفوا بها وقد مضى
في سورة الحاقة بيانه نار حامية اي شديدة الحرارة وفي صحيح مسلم عن ابي هريره
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه التي توقد ابن ادم جزء من سبعين جزوا من
حر جهنم قالوا والله ان كانت لكافية يا رسول الله قال فانها فضلت عليها بتسعة
وستين جزوا كلها مثل حرها ويروى عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال
انما ثقل ميزان من ثقل ميزانه لانه وضع فيه الحق وحق لميزان يكون فيه الحق ان
يكون ثقيلا وانما خف من خف ميزانه لانه وضع فيه الباطل وحق لميزان يكون فيه
الباطل ان يكون خفيفا وفي الخبر عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان
الموتى يسالون الرجل عن رجل مات قبله فيقول ذاك مات قبلي اما مر بكم
فيقولون لا وانا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية
فبيست الام وبيست المربية وقد ذكرناه بكماله في كتاب التذكرة والحمد لله

سورة

سورة التكاثر مكية

في قول جميع المفسرين وروى البخاري انها مدنية وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر فيه خمس مسايل الاولى قوله تعالى الهاكم
التكاثر اي شغلكم قال الشاعر • فالهيتها عن ذي تمايم مغيل •
اي شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم في المقابر وقيل الهاكم
انساكم التكاثر اي في الاموال والاولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة اي التفاخر
بالقبايل والعشاير وقال الضحاك اي الهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة يقال لهيت عن
كذا بالكسر الهى لهيا ولهيانا اذا سلوت عنه وتركت ذكره واضربت عنه والهاه اي شغله ولهاه
به تلهية اي علله والتكاثر المكاثرة قال مقاتل وقتادة وغيرهما نزلت في اليهود حين قالوا
نحن اكثر من بني فلان الهاكم ذلك ضلالا وقال ابن زيد نزلت في فخذ من الانصار وقال
ابن عباس ومقاتل والكلبي نزلت في حيين من قريش بني عبد مناف وبني سهم تعادوا
وتكاثروا بالسادة والاشراف في الاسلام فقال كل حي منهم نحن اكثر سيدا واعز عزيزا
واعظم نفرا واكثر عايدا فكثر بنو عبد مناف سهما ثم تكاثروا بالاموات فكثرتهم سهم فنزلت
الهاكم التكاثر بالحياة فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالاموات وروى سعيد عن
قتادة قال كانوا يقولون نحن اكثر من بني فلان ونحن اعد من بني فلان وهم كل يوم
يتساقطون الى اخرهم والله ما زالوا كذلك حتى صاروا من اهل القبور كلهم وعن عمرو بن
دينار حلف ان هذه السورة نزلت في التجار وعن شيبان عن قتادة قال نزلت في اهل
الكتاب قلت الاية تعم جميع ما ذكر وغيره وفي صحيح مسلم عن مطرف عن ابيه قال اتيت
النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقرا الهاكم التكاثر قال يقول ابن ادم مالي مالي وهل لك من
مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت وما سوى ذلك فذاهب
وتاركه للناس وروى البخاري قال ابن شهاب اخبرني انس بن مالك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لو ان لابن ادم واديا من ذهب احب ان يكون له واديان ولن يملا فاه الا
التراب ويتوب الله على من تاب قال ثابت عن انس كنا نرى هذا من القران حتى نزلت
الهاكم التكاثر قال ابن العربي وهذا نص صحيح مليح غاب عن اهل التفسير فجهلوا وجهلوا
والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرا النبي صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر قال تكاثر
الاموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها في الاوعية الثانية قوله تعالى
حتى زرتم المقابر حتى اتاكم الموت فصرتم في المقابر زوارا ترجعون منها كرجوع الزاير
الى منزله من جنة او نار يقال لمن مات قد زار قبره وقيل اي الهاكم التكاثر حتى عددتم
في الاموات على ما تقدم وقيل هذا وعيد اي اشتغلتم بمفاخرة الدنيا حتى تزوروا القبور
فتروا ما ينزل بكم من عذاب الله جل وعز الثالثة قوله تعالى المقابر جمع مقبرة ومقبرة بفتح
البا وضمها والقبور جمع قبر قال الشاعر •
• اري اهل القصور اذا اميتوا • بنوا فوق المقابر بالصخور •
• ابوا الا مباهاة وفخرا • على الفقرا حتى في القبور •
وقد جا في الشعر المقبور قال الشاعر •
• لكل اناس مقبر بفنايهم • وهم ينقصون والقبور تزيد •
وهو المقبري والمقبري لسعيد المقبري وكان يسكن المقابر وقبرت الميت اقبره قبرا
اي دفنته واقبرته اي امرت بان يقبر وقد مضى في سورة عبس القول فيه والحمد لله
الرابعة لم يات في التنزيل ذكر المقابر الا في هذه السورة وزيارتها من اعظم الدوا للقلب
القاسي لانها تذكر الموت والاخرة وذلك يحمل على قصر الامل والزهد في الدنيا وترك
الرغبة فيها قال صلى الله عليه وسلم كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور

فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة رواه ابن مسعود اخرجه ابن ماجه وفي صحيح
مسلم من حديث ابي هريرة فانها تذكر الموت وفي الترمذي عن بريدة فانها تذكر
الاخرة قال هذا حديث حسن صحيح وفيه عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعن زوارات القبور قال وفي الباب عن ابن عباس وحسان بن ثابت
عن ابن عباس وهذا حديث حسن صحيح وقد راى بعض اهل العلم ان هذا كان قبل
ان يرخص النبي صلى الله عليه وسلم في زيارة القبور فلما رخص دخل في رخصته الرجال
والنسا العلة صبرهن وكثرة جزعهن قلت زيارة القبور للرجال متفق عليه عند العلما
مختلف فيه للنسا اما الشواب فحرام عليهن الخروج واما القواعد فمباح لهن ذلك وجايز
لجميعهن ذلك اذا انفردن بالخروج عن الرجال ولا يختلف فيه ان شا الله تعالى وعلى هذا
المعنى يكون قوله زوروا القبور عام واما موضع او وقت يخشى فيه الفتنة من اجتماع
الرجال والنسا فلا يحل ولا يجوز فبينا الرجل يخرج ليعتبر فيقع بصره على امراة فيفتتن
بها وبالعكس فيرجع كل واحد من الرجال والنسا مازورا غير ماجور والله اعلم الخامسة
قال العلما ينبغي لمن اراد علاج قلبه وانقياده بسلاسل القهر الى طاعة ربه ان
يكثر من ذكر هاذم اللذات ومفرق الجماعات وموتم البنين والبنات ويواظب على مشاهدة
المحتضرين وزيارة قبور اموات المسلمين فهذه ثلث امور ينبغي لمن قسا قلبه ولزمه
ذنبه ان يستعين بها على دوايه ويستصرخ بها على فتن الشيطان واعوانه فان
انتفع بالاكثار من ذكر الموت وانجلت به قساوة قلبه فذاك وان عظم عليه ران
القلب واستحكمت فيه دواعي الذنب فان مشاهدة المحتضرين واموات المسلمين تبلغ
في ذلك ما لا يبلغه الاول لان ذكر الموت اخبار للقلب بما اليه المصير وقايم له مقام
التخويف والتحذير وفي مشاهدة من احتضر وزيارة قبر من مات من المسلمين
معاينة ومشاهدة فلذلك كان ابلغ من الاول قال صلى الله عليه وسلم ليس الخبر
كالمعاينة رواه ابن عباس فاما الاعتبار بحال المحتضرين فغير ممكن في كل الاوقات
وقد لا يتفق لمن اراد علاج قلبه في ساعة من الساعات واما زيارة القبور
فوجودها اسرع والانتفاع بها اليق واجدر فينبغي لمن عزم على الزيارة ان
يتادب بادابها ويحضر قلبه في اتيانها ولا يكون حظه منها التطواف على الاجداث
فقط فان هذه حالة تشاركه فيها بهيمة ونعوذ بالله من ذلك بل يقصد بزيارته
القبور وجه الله تعالى واصلاح فساد قلبه او نفع الميت بما يتلو عليه من القران
والدعا ويتجنب المشي على المقابر والجلوس عليها ويسلم اذا دخل المقابر واذا وصل
الى قبر ميته الذي يعرفه سلم عليه ايضا واتاه من تلقا وجهه لانه في زيارته كمخاطبته
حيا ولو خاطبه حيا لكان الادب استقباله بوجهه فكذلك هاهنا فيعتبر بمن صار
تحت التراب وانقطع عن الاهل والاحباب بعد ان قاد الجيوش والعساكر ونافس
الاصحاب والعشاير وجمع الاموال والذخاير فجاه الموت في وقت لم يحتسبه وهول
لم يرتقبه فليتامل الزاير حال من مضى من اخوانه ودرج من اقرانه الذين بلغوا
الامال وجمعوا الاموال كيف انقطعت امالهم ولم تغن عنهم اموالهم ومحا التراب
محاسن وجوههم وافترقت في القبور اجزاوهم وترمل من بعدهم نساوهم وشمل ذل
اليتم اولادهم واقتسم غيرهم طريفهم وتلادهم وليتذكر ترددهم في المارب وحرصهم
على نيل المطالب وانخداعهم لمواتاة الاسباب وركونهم الى الصحة والشباب
وليعلم ان ميله الى اللهو واللعب كميلهم وغفلته عما بين يديه من الموت الفظيع
والهلاك السريع كغفلتهم وانه لا بد صاير الى مصيرهم وليحضر بقلبه ذكر الموت
ومن كان مترددا في اغراضه وكيف تهدمت رجلاه وكان يتلذذ بالنظر الى ما
خوله وقد سالت عيناه ويصول ببلاغة نطقه وقد اكل الدود لسانه ويضحك
لمواتاة دهره وقد ابلى التراب اسنانه وليحقق ان حاله كحاله وماله كماله وعند
هذا التذكر والاعتبار يزول عنه جميع الاغيار الدنيوية ويقبل على الاعمال

الاخروية

الاخروية فيجتهد في طاعة مولاه ويلين قلبه وتخشع جوارحه قوله تعالى كلا قال
الفرا ليس الامر كما انتم عليه من التفاخر والتكاثر والتمام على هذا كلا سوف
تعلمون اي سوف تعلمون عاقبة هذا ثم كلا سوف تعلمون وعيد بعد وعيد قاله
مجاهد ويحتمل ان يكون تكراره على وجه التاكيد والتغليظ وهو قول الفرا قال ابن
عباس كلا سوف تعلمون في الاخرة اذا حل بكم العذاب في القبر ثم كلا سوف تعلمون
في الاخرة فالتكرار في الحالتين وقيل كلا سوف تعلمون عند المعاينة ان ما دعوتكم
اليه حق ثم كلا سوف تعلمون عند البعث ان ما دعوتكم به صدق وروى زر بن حبيش
عن علي رضي الله عنه قال كنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة فاشار
الى ان قوله كلا سوف تعلمون يعني في القبور وقيل كلا سوف تعلمون اذا نزل بكم
الموت وجاتكم رسلي لتنزع ارواحكم ثم كلا سوف تعلمون اذا دخلتم قبوركم وجاكم
منكر ونكير وحاط بكم هول السوال وانقطع منكم الجواب قلت فتضمنت السورة القول
في عذاب القبر وقد ذكرنا في كتاب التذكرة به واجب والتصديق لازم حسب ما
اخبر به الصادق وان الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره برد الحياة اليه ويجعل
له من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسال عنه وما يجيب به ويفهم
ما اتاه من ربه وما اعد له في قبره من كرامة وهوان وهذا هو مذهب اهل السنة
والذي عليه الجماعة من اهل الملة وقد ذكرناه هناك مستوفى والحمد لله وقيل كلا
سوف تعلمون في القيامة انكم معذبون وعلى هذا تضمنت احوال القيامة من بعث
وحشر وسوال وعرض الى غير ذلك من اهوالها وافزاعها حسب ما ذكرناه في كتاب
التذكرة باحوال الموتى وامور الاخرة وقال الضحاك كلا سوف تعلمون يعني الكفار
ثم كلا سوف تعلمون قال المومنون قال وكذلك كان يقراوها الاولى بالياء تندمون
ولا يعلمون فانكم والثانية بالتا قوله تعالى كلا لو تعلمون علم اليقين اعاد كلا
وهو زجر وتنبيه لانه عقب كل واحد بشي اخر كانه قال لا تفعلوا فانكم تستوجبون
العذاب واضاف العلم الى اليقين كقوله تعالى ان هذا لهو حق اليقين وقيل اليقين
هاهنا الموت قاله قتادة وعنه ايضا البعث لانه اذا جا زال الشك اي لو تعلمون
علم البعث وجواب لو محذوف اي لو تعلمون اليوم من البعث ما تعلمونه اذا جاتكم
نفخة الصور وانشقت اللحود عن جثثكم كيف يكون حشركم لشغلكم ذلك عن التكاثر
بالدنيا وقيل كلا لو تعلمون علم اليقين اي لو قد تطايرت الصحف فشقي وسعيد
وقيل ان كلا في هذه المواضع الثلاثة بمعنى الا قاله ابن ابي حاتم وقال الفرا بمعنى
حقا وقد تقدم الكلام فيها مستوفى قوله تعالى لترون الجحيم هذا وعيد اخر
وهو على اضمار القسم اي لترون الجحيم في الاخرة والخطاب للكفار الذين وجبت لهم
النار وقيل هو عام كما قال وان منكم الا واردها فهي للكفار دار وللمومن ممر وفي
الصحيح فيمر اولهم كالبرق ثم كالريح ثم كالطير الحديث وقد مضى في سورة مريم
وقرا ابن عباس والكسائي لترون بضم التا من اريته الشي اي تحشرون اليها فترونها
وعلى فتح التا وهي قراة الجماعة اي لترون الجحيم بابصاركم على البعد ثم لترونها عين
اليقين اي مشاهدة وقيل هي اخبار عن دوام مقامهم في النار اي هي روية دايمة
متصلة والخطاب على هذا للكفار وقيل معنى لو تعلمون علم اليقين اي لو تعلمون
اليوم في الدنيا علم اليقين مما امامكم بما وصفت لترون الجحيم بعيون قلوبكم فان
علم اليقين يريك الجحيم بعين فوادك وهو ان تتصور لك تارات القيامة وقطع
مسافاتها ثم لترونها عين اليقين اي عند المعاينة بعين الراس فتراها يقينا لا
تغيب عن عينيك ثم لتسالن يومئذ عن النعيم في موقف السوال والعرض قوله
تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم روى مسلم في صحيحه عن ابي هريرة قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم او ليلة فاذا هو بابي بكر وعمر فقال ما
اخرجكما من بيوتكما هذه الساعة قالا الجوع يا رسول الله قال وانا والذي نفسي

بيده لأخرجني الذي أخرجكما قوموا فقاموا معه فأتى رجلاً من الأنصار فإذا هو ليس
في بيته فلما رأته المرأة قالت مرحباً وأهلاً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأين
فلان قالت ذهب يستعذب لنا من الماء إذ جاء الأنصاري فنظر إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وصاحبيه ثم قال الحمد لله ما أحد أكرم أضيافاً قال فانطلق فجاءهم بعذق فيه
بسر ورطب وتمر فقال كلوا من هذا وأخذ المدية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إياك والحلوب فذبح لهم فأكلوا من الشاة ومن ذلك العذق وشربوا فلما أن شبعوا
ورووا قال النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر لتسألن عن نعيم هذا اليوم
يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم خرجه الترمذي
وقال هذا والذي نفسي بيده الذي تسألون عنه يوم القيامة ظل بارد ورطب طيب وماء
بارد وكنى الرجل من الأنصار فقال أبو الهيثم بن التيهان وذكر قصته قلت
اسم هذا الرجل الأنصاري مالك بن التيهان وكنيته أبو الهيثم وفي هذه القصة يقول
عبد الله بن رواحة يمدح بها أبا الهيثم بن التيهان

فلم أر كالإسلام عزاً لأمة ولا مثل أضياف الإراشي معشرا
نبي وصديق وفاروق أمة وخير بني حواء فرعاً وعنصرا
فوافوا لميقات وقدر قضية وكان قضاء الله قدراً مقدرا
إلى رجل نجد يباري بجوده شموس الضحى جوداً ومجداً ومفخرا
وفارس خلق الله في كل غارة إذا لبس القوم الحديد المسمرا
ففدى وحيا ثم أدنى قراهم فلم يقرهم إلا سميناً متمرا

وذكر أبو نعيم الحافظ عن أبي عسيب مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلاً فدعاني فخرجت إليه ثم مر بأبي بكر فدعاه فخرج إليه
ثم مر بعمر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطاً لبعض الأنصار فقال لصاحب
الحائط أطعمنا بسراً فجاء بعذق فوضعه فأكلوا ثم دعا بماء فشرب ثم قال لتسألن عن هذا
يوم القيامة قال وأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر نحو وجه رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال يا رسول الله إنا لمسؤولون عن هذا الأمن ثلاث كسرة يسد
بها جوعته أو ثوب يستر بها عورته أو جحر يأوي فيه من الحر والقر واختلف أهل التأويل
في النعيم المسؤول عنه على أقوال عشرة أحدها الأمن والصحة قاله ابن مسعود الثاني
الصحة والفراغ قاله سعيد بن جبير وفي البخاري عنه عليه السلام نعمتان مغبون
فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ الثالث الإدراك بحواس السمع والبصر قاله ابن عباس
وفي التنزيل إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا وفي الصحيح عن أبي
هريرة وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعبد يوم القيامة
فيقول له ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً الحديث خرجه الترمذي وقال فيه حديث
حسن صحيح الرابع ملاذ المأكول والمشروب قاله جابر بن عبد الله الأنصاري وحديث
أبي هريرة يدل عليه الخامس الغداء والعشاء قاله الحسن السادس قول مكحول الشامي
شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ورواه
زيد بن أسلم عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتسألن يومئذ عن
النعيم عن شبع البطون فذكره ذكره الماوردي وقال هذا السؤال يعم الكافر والمؤمن
إلا أن سؤال المؤمن تبشير بأن جمع له بين نعيم الدنيا ونعيم الآخرة وسؤال الكافر تقريع
أن قابل نعيم الدنيا بالكفر والمعصية وقال قوم هذا السؤال عن كل نعمة إنما يكون في
حق الكافر فقد روي أن أبا هريرة لما نزلت هذه الآية قال يا رسول الله أرأيت أكلة أكلتها
معك في بيت أبي الهيثم بن التيهان من خبز شعير ولحم وبسر قد ذنب وماء عذب أتخاف
علينا أن يكون هذا من النعيم الذي لا يسأل عنه فقال عليه السلام ذلك للكفار ثم قرأ وهل
يجازى إلا الكفور ذكره القشيري أبو نصر وقال الحسن لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار
قال القشيري والجمع بين الأخبار أن الكل يسألون ولكن سؤال الكفار توبيخ لأنه ترك

في الشكر وسؤال المؤمن سؤال تشريف لأنه شكر وهذه النعمة في كل نعمة قلت هذا
القول حسن لأن اللفظ يعم وقد ذكر الفريابي قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال كل شيء من لذة الدنيا وروى أبو الأحوص
عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى ليعدد نعمه على العبد يوم
القيامة حتى يعد عليه سألتني فلانة أن أزوجكها فيسميها فزوجتكها وفي الترمذي
عن أبي هريرة قال لما نزلت هذه الآية ثم لتسألن يومئذ عن النعيم قال الناس يا رسول
الله عن أي النعيم نسأل فإنما هو الأسودان والعدو حاضر وسيوفنا على عواتقنا قال
إن ذلك سيكون وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أول ما يسأل عنه يوم
القيامة يعني العبد يقال له ألم نصح لك جسمك ونرويك من الماء البارد قال حديث
غريب ويروى من حديث ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا كان
يوم القيامة دعا الله بعبد من عباده فيوقفه بين يديه فيسأله عن جاهه كما يسأله عن ماله والجاه
عن الدنيا من نعيم الآخرة لا محالة وقال مالك رحمه الله إنه صحة البدن وطيب
النفس وهو القول السابع وقيل النوم مع الأمن والعافية وقال سفيان بن عيينة
ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس لا يسأل عنه المرء يوم القيامة
وإنما يسأل عن النعيم قال والدليل عليه أن الله تعالى أسكن آدم الجنة فقال له إن لك
ألا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى فكانت هذه الأشياء الأربعة
ما يسد به الجوع ويدفع به العطش وما يستكن فيه من الحر ويستر به عورته لآدم عليه
السلام بالإطلاق لا حساب عليه فيها لأنه لا بد له منها قلت ونحو هذا ذكر القشيري
أبو نصر قال إن مما لا يسأل عنه العبد لباساً يواري سوءته وطعاماً يقيم صلبه ومكاناً
يكنه من الحر والبرد قلت وهذا منتزع من قوله عليه السلام ليس لابن آدم حق في سوى
هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يواري عورته وجلف الخبز والماء خرجه الترمذي
وقال النضر بن شميل جلف الخبز ليس معه إدام وقال محمد بن كعب النعيم هو ما أنعم
الله علينا بمحمد صلى الله عليه وسلم وفي التنزيل لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم
رسولاً من أنفسهم وقال الحسن أيضاً والمفضل هو تخفيف الشرائع وتيسير القرآن
فإن الله تعالى ما جعل في الدين من حرج ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر قلت وكل
هذه نعم فيسأل العبد عنها هل شكر ذلك أم كفر والأقوال المتقدمة أظهر والله عز وجل أعلم

سورة والعصر مكية

وقال قتادة مدنية وروي عن ابن عباس وهي ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى والعصر فيه مسئلتان الأولى قوله تعالى والعصر أي الدهر قاله
ابن عباس وغيره فالعصر مثل الدهر ومنه قول الشاعر

سبيل الهوى وعر وبحر الهوى غمر ويوم الهوى شهر وشهر الهوى دهر

أي عصر أقسم الله عز وجل به لما فيه من التنبيه بتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من
الدلالة على الصانع وقيل العصر الليل والنهار قال حميد بن ثور

ولن يلبث العصران يوماً وليلة إذا طلبا أن يدركا ما تيمما

والعصر أيضاً الغداة والعشي قال الشاعر

وأمطله العصرين حتى يملني ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

يقول إذا جاءني أول النهار وعدته آخره وقيل إنه العشي وهو ما بين زوال الشمس
وغروبها قاله الحسن وقتادة ومنه قول الشاعر

يروح بنا عمرو وقد قصر العصر وفي الروحة الأولى الغنيمة والأجر

وعن قتادة أيضاً هو آخر ساعة من ساعات النهار وقيل هو قسم بصلاة العصر وهي

الوسطى لانها افضل الصلاة قاله مقاتل يقال اذن للعصر اي لصلاة العصر وصليت العصر اي صلاة العصر وفي الخبر الصحيح الصلاة الوسطى صلاة العصر وقد مضى في سورة البقرة بيانه وقيل هو قسم بعصر النبي صلى الله عليه وسلم لفضله بتجديد النبوة فيه وقيل معناه ورب العصر الثاني فيه قال مالك من حلف ان لا يكلم فلانا عصرا لم يكلمه سنة قال بن العربي انما حمل مالك يمين الحالف ان لا يكلم فلانا على السنة لانه اكثر ما قيل فيه وذلك على اصله في تغليظ المعنى في الايمان وقال الشافعي يبر بساعة الا ان يكون له نية وبه اقول الا ان يكون الحالف عربيا فيقال له ما اردت فاذا فسره بما يحتمله قبل منه الا ان يكون الاقل ويجي على مذهب مالك ان يحلف على ما يفسر والله اعلم قوله تعالى ان الانسان لفي خسر هذا جواب القسم والمراد به الكافر قاله بن عباس في رواية ابي صالح ويروي الضحاك عنه قال يريد جماعة من المشركين الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود بن عبد يغوث وقيل يعني بالانسان جنس الناس لفي خسر لفي غبن وقال الاخفش هلكة وقال الفرا عقوبة ومنه قوله تعالى وكان عاقبة امرها خسرا ابن زيد لفي شر وقيل لفي نقص والمعنى متقارب ويروي عن سلام والعصر بكسر الصاد وقرا الاعرج وطلحة وعيسى الثقفي خسر بضم السين ويروي ذلك هارون عن ابي بكر عن عاصم والوجه فيهما الاتباع يقال خسر وخسر مثل عسر وعسر وكان علي يقراها والعصر ونوايب الدهر ان الانسان وانه فيه الى اخر الدهر وقال ابراهيم ان الانسان اذا عمر في الدنيا وهرم لفي نقص وضعف وتراجع الا المومنين فانهم يكتب لهم اجورهم التي كانوا يعملونها في حال شبابهم نظيره قوله تعالى ان الانسان لفي خسر قال وقراءتنا والعصر ان الانسان لفي خسر وانه في اخر الدهر والصحيح ما عليه الامة والمصاحف وقد مضى الرد في مقدمة الكتاب على من خالف مصحف عثمان وان هذا ليس بقران يتلى فتامله هناك الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثنا من الانسان اذ هو بمعنى الناس على الصحيح وعملوا الصالحات اي ادوا الفرايض المفترضة عليهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابي بن كعب قرات على النبي صلى الله عليه وسلم والعصر ثم قلت ما تفسيرها يا نبي الله فقال والعصر قسم من الله اقسم ربكم باخر النهار ان الانسان لفي خسر ابو جهل الا الذين امنوا ابو بكر وعملوا الصالحات عمر وتواصوا بالحق عثمان وتواصوا بالصبر علي رضي الله عنهم اجمعين وهكذا خطب ابن عباس على المنبر موقوفا عليه ومعنى تواصوا اي تحاثوا اوصى بعضهم بعضا وحث بعضهم بعضا بالحق بالتوحيد كذا روي الضحاك عن بن عباس وقال قتادة بالحق اي بالقران وقال السدي الحق هنا الله عز وجل وتواصوا بالصبر على طاعة الله عز وجل والصبر على معاصيه وقد تقدم والله اعلم

سورة الهمزة مكية باجماع وهي ثمان ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ويل لكل همزة قد تقدم القول في الويل في غير موضع ومعناه الخزي والعذاب والهلكة وقيل واد في جهنم لكل همزة لمزة قال ابن عباس هم المشاوون بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرا العيب فعلى هذا هما بمعنى وقال النبي صلى الله عليه وسلم شرار عباد الله تعالى المشاوون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرا العيب وعن بن عباس ان الهمزة القتات واللمزة المغتاب وقال ابو العالية والحسن ومجاهد وعطا بن ابي رباح الهمزة الذي يغتاب ويطعن في وجه الرجل واللمزة الذي يغتابه من خلفه اذا غاب ومنه قول حسان

• همزتك فاختضعت بذل نفس • بقافية تاجج كالشواظ •

واختار هذا القول النحاس قال ومنه قوله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات وقال مقاتل ضد هذا القول ان الهمزة الذي يغتاب بالغيبة واللمزة الذي يغتاب في الوجه وقال قتادة ومجاهد الهمزة الطعان في الناس واللمزة الطعان في انسابهم وقال

ابن زيد الهامز الذي يهمز الناس بيده ويضربهم واللمزة الذي يلمزهم بلسانه ويعيبهم وقال سفيان الثوري يهمزهم بلسانه ويلمز بعينيه قال بن كيسان اللمزة الذي يوذي جلساه بسو اللفظ واللمزة الذي يكسر عينه على جلسايه ويشير بعينه وراسه وبحاجبه وقال مرة هما سوا وهو القتات الطعان للمرء اذا غاب قال زياد الاعجم

• تدلي بودي اذا لاقيتني كذبا • وان اغيب فانت الهامز اللمزه •

وقال الاخر

• اذا لقيتك عن سخط تكاسرني • وان تغيبت كنت الهامز اللمزه •

الشخط البعد والهمزة اسم وضع للمبالغة في هذا المعنى كما يقال سخرة وضحكة للذي يسخر ويضحك بالناس وقرا ابو جعفر محمد بن علي والاعرج همزة لمزة بسكون الميم فيهما فان صح ذلك عنهما فهي في معنى المفعول وهو الذي يتعرض للناس حتى يهمزوه ويضحكوا منه وهو الاغتياب وقرا عبد الله بن مسعود وابو وايل والنخعي والاعمش ويل للهمزة اللمزة واصل الهمز الكسر والعض على الشي بعنف ومنه همز الحرف ويقال همزت راسه وهمزت الجوز بكفي كسرته وقيل لاعرابي اتهمزون الفارة فقال انما تهمزها الهرة قال العجاج ومن همزنا راسه تهشما وقيل اصل الهمز واللمز الدفع والضرب واصل والعرب لمزه يلمزه لمزا اذا ضربه ودفعه وكذلك اذا همزه دفعه وضربه قال الراجز

• ومن همزنا عزه تبركعا • على استه زوبعة او زوبعا •

البركعة القيام على اربع وبركعه فتبركع اي صرعه فوقع على استه قاله في الصحاح والاية نزلت في الاخنس بن شريق فيما روى الضحاك عن بن عباس وكان يلمز الناس ويعيبهم مقبلين ومدبرين وقال ابن جريج في الوليد بن المغيرة وكان يغتاب النبي صلى الله عليه وسلم من ورايه ويقدح فيه في وجهه وقيل نزلت في ابي بن خلف وقيل في جميل ابن عامر الثقفي وقيل انها مرسلة على العموم من غير تخصيص وهو قول الاكثرين قال مجاهد ليست بخاصة لاحد بل لكل من كانت هذه صفته قال الفرا يجوز ان يذكر الشي العام ويقصد به الخاص قصد الواحد اذا قال لا ازورك ابدا فيقول من لم يزرني فلست بزايره يعني ذلك القايل قوله تعالى الذي جمع مالا وعدده اي اعده زعم لنوايب الدهر مثل كرم واكرم وقيل احصى عدده قاله السدي وقال الضحاك اي اعد ماله لمن يرثه من اولاده وقيل اي فاخر بعدده وكثرته والمقصود الذم على امساك المال عن سبيل الطاعة كما قال مناع للخير وقال جمع فاوعى وقراءة العامة جمع مخفف الميم وشدده ابن عامر وحمزة والكسائي على التكثير واختاره ابو عبيد لقوله وعدده وقرا الحسن ونصر بن عاصم وابو العالية جمع مخففا وعدده مخففا فاظهروا التضعيف لان اصله عده وهو بعيد لانه وقع في المصحف بدالين وقد جا مثله في الشعر لما ابرزوا التضعيف خففوه وقال الشاعر

• مهلا امامة قد جربت من خلقي • اني اجود لاقوام وان ضننوا •

اراد ضنوا وبخلوا فاظهر التضعيف لكن الشعر موضع ضرورة قال المهدوي ومن خفف وعدده فهو معطوف على المال اي وجمع عدده فلا يكون فعلا على اظهار التضعيف لان ذلك لا يستعمل الا في الشعر قوله تعالى يحسب اي يظن ان ماله اخلده اي يبقيه حيا لا يموت قاله السدي وقال عكرمة اي يزيد في عمره وقيل احياه فيما مضى وهو ماض بمعنى المستقبل يقال هلك والله فلان ودخل النار اي يدخل النار كلا رد لما توهمه الكافر اي لا يخلد ولا يبقى له مال وقد مضى القول في كلا مستوفى وقال عمر بن عبد العزيز مولى عفرة اذا سمعت الله عز وجل يقول كلا فانه يقول كذبت لينبذن في الحطمة اي ليطرحن وليلقين وقرا الحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد لينبذان بالتثنية اي هو وماله وعن الحسن ايضا لينبذنه على معنى لينبذن ماله وعنه ايضا بالنون لينبذنه على الاخبار الله تعالى عن نفسه وانه ينبذ صاحب المال وعنه ايضا لينبذن على ان المراد الهمزة واللمزة فالمال وجامعه في الحطمة وهي نار الله سميت بذلك لانها تكسر كل ما يلقى فيها وتحطمه وتهشمه قال الراجز

• انا حطمنا بالقضيب مصعبا • يوم كسرنا انفه ليغضبا •

وهي الطبقة السادسة من طبقات جهنم حكاه الماوردي عن الكلبي وحكى القشيري عنه
الحطمة الدرجة الثانية من درج النار وقال الضحاك هي الدرك الرابع وقال ابن زيد
اسم من اسماء جهنم وما ادراك ما الحطمة على التعظيم لشانها والتفخيم لامرها ثم فسرها ما هي فقال
نار الله الموقدة اي التي اوقد عليها الف عام والف عام والف عام فهي عين جامدة اعدها
الله للعصاة التي تطلع على الافئدة قال محمد بن كعب تاكل النار جميع ما في اجسادهم
حتى اذا بلغت الى الفؤاد خلقوا خلقا جديدا فرجعت تاكلهم وروى خالد ابن ابي عمران عن النبي
صلى الله عليه وسلم ان النار تاكل اهلها حتى اذا اطلعت على افئدتهم انتهت ثم اذا صدروا
تعود فذلك قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة وخص الافئدة لان الالم
اذا صار الى الفؤاد مات صاحبه اي انه في حال من يموت وهم لا يموتون كما قال لا يموت
فيها ولا يحيى فهم اذا احيا في معنى الاموات وقيل معنى تطلع على الافئدة اي تعلم مقدار
ما يستحقه كل واحد من العذاب وذلك بما استبقاه الله تعالى من الامارة الدالة عليه
يقال اطلع فلان على كذا اي علمه وقد قال تعالى تدعوا من ادبر وتولى وقال
تعالى اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا فوصفها بهذا لا يبعد ان توصف
بالعلم وقوله تعالى انها عليهم موصدة اي مطبقة قال الحسن والضحاك وقد تقدم في سورة
البلد القول فيه وقيل مغلقة بلغة قريش يقولون اصدت الباب اذا اغلقته قاله
مجاهد ومنه قول عبد الله بن قيس بن الرقيات ●

● ان في القصر لو دخلنا غزالا ● مصفقا موصدا عليه الحجاب ●

في عمد ممددة الفاء بمعنى الباء اي موصدة بعمد ممددة قاله ابن مسعود وهي قراءة بعمد
ممددة وفي حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الله تعالى يبعث اليهم
ملائكة باطباق من نار ومسامير من نار وعمد من نار فتطبق عليهم بتلك الاطباق وتشد
تلك المسامير وتمد بتلك العمد فلا يبقى فيها خلل يدخل فيها روح ولا يخرج منه غم
وينساهم الرحمن على عرشه ويتشاغل اهل الجنة بنعيمهم ولا يستغيثون بعدها ابدا
وينقطع الكلام فيصير كلامهم زفيرا وشهيقا فذلك قوله تعالى انها عليهم موصدة في عمد
ممددة وقال قتادة عمد يعذبون بها واختاره الطبري وقال ابن عباس ان العمد
الممددة اغلال في اعناقهم وقيل قيود في ارجلهم قاله ابو صالح وقال القشيري والمعظم
على ان العمد اوتاد الاطباق التي تطبق على اهل النار وتشد تلك الاطباق بالاوتاد
حتى يرجع اليهم غمها وحرها فلا يدخل عليهم روح وقيل ابواب النار مطبقة عليهم وهم
في عمد اي في سلاسل واغلال مطولة وهي احكم وارسخ من القصيرة وقيل هم في عمد
ممددة اي في عذابها والامها يضربون بها وقيل المعنى في دهر ممدود اي لا انقطاع
له وقرا حمزة والكسائي وابو بكر عن عاصم في عمد بضم العين والميم جمع عمود وكذلك
ايضا قال الفراء والعمد والعمد جمعان صحيحان لعمود مثل اديم وادم وافيق وافق
ابو عبيدة عمد جمع عماد مثل اهاب واهب واختار ابو عبيدة عمد بفتحتين وكذلك
ابو حاتم اعتبارا بقوله تعالى رفع السموات بغير عمد واجمعوا على فتحها قال الجوهري
العمود عمود البيت وجمع القلة اعمدة وجمع الكثرة عمد وقرئ بهما قوله تعالى
في عمد ممددة وقال ابو عبيدة العمد كل مستطيل من خشب او حديد وهو اصل البناء
العماد عمدت الشيء فانعمد اي اقمته بعماد يعتمد عليه واعمدته جعلت تحته عمدا والله اعلم

∴ سورة الفيل مكية باجماع وهي خمس ايات ∴

∴ بسم الله الرحمن الرحيم ∴

قوله تعالى الم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل فيه خمس مسائل الاولى قوله تعالى
الم تر اي الم تخبر وقيل اي الم تعلم وقال ابن عباس الم تسمع واللفظ استفهام
والمعنى تقرير والخطاب للرسول ولكنه عام اي الم تروا ما فعل باصحاب الفيل اي قد

رايتم ذلك وعلمتم موضع منتي عليكم فما لكم لا تؤمنون وكيف في موضع نصب بفعل ربك
لا بالم تر كيف فعل من معنى الاستفهام الثانية قوله تعالى باصحاب الفيل الفيل معروف
والجمع افيال وفيول وفيلة قال ابن السكيت ولا تقل افيلة وصاحبه فيال قال سيبويه
يجوز ان يكون اصل فيل فعل فكسر من اجل الياء كما ابيض وبيض وقال الاخفش هذا لا
يكون في الواحد انما يكون في الجمع ورجل فيل الراي اي ضعيف الراي مخطئ الفراسة
وقد فال الراي يفيل فيولة وفيل رايه تفييلا اي ضعفه فهو فيل الراي الثالثة في قصة
اصحاب الفيل وذلك ان ابرهة بنى القليس بصنعاء وهي كنيسة لم ير مثلها في زمانها بشيء
من الارض وكان نصرانيا فكتب الى النجاشي اني قد بنيت لك ايها الملك كنيسة لم يبن مثلها
لملك كان قبلك ولست بمنته حتى اصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب ابرهة
ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساة فخرج حتى اتى الكنيسة فقعد فيها اي احدث
ثم خرج فلحق بصاحبه فاخبر بذلك ابرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنعه رجل من
اهل البيت الذي يحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك اصرف اليه حج العرب غضب فجاء فقعد
فيها اي انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك ابرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه
وبعث رجلا كان عنده الى بني كنانة يدعوهم الى حج تلك الكنيسة فقتلت بنو كنانة
ذلك الرجل فزاد ابرهة ذلك غضبا وحنقا ثم امر الحبشة فتهيات وتجهزت ثم سار
وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به وراوا جهاده حقا عليهم
حين سمعوا انه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل من اشراف اليمن
وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب ابرهة
وجهاده عن بيت الله تعالى ومن يريد من هدمه واخرابه فاجابه من اجابه الى
ذلك ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتي به اسيرا فلما
اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلني فانه عسى ان يكون بقائي معك خيرا
لك فتركه من القتل وحبسه عنده في وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة
على وجهه ذلك يريد ما خرج اليه حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل ابن حبيب
الخثعمي في قبيلتي خثعم شهران وناهس ومن تابعه من قبائل العرب فقاتله وهزمه
ابرهة فاخذ له نفيل اسيرا فاتي به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلني
فاني دليلك بارض العرب وهاتان يداي لك على قبيلتي خثعم شهران وناهس فلما
بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه
مسعود بن معتب في رجال من ثقيف فقالوا له ايها الملك انما نحن عبيدك سامعون
لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون
اللات انما تريد هذا البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز
عنهم وبعثوا معه ابا رغال حتى انزله المغمس فلما انزله به مات ابو رغال هناك فرجمت
قبره العرب وهو القبر الذي يرجم الناس بالمغمس ومنه يقول الشاعر ●

● وارجم قبره في كل عام ● كرجم الناس قبر ابي رغال ●

فلما نزل ابرهة بالمغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل
له حتى انتهى الى مكة فساق اليه اموال اهل تهامة من قريش وغيرهم واصاب فيها
مائتي بعير لعبد المطلب ابن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش
وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا انهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك
وبعث ابرهة حناطة الحميري وقال له سل عن سيد هذا البلد وشريفهم فقيل
له عبد المطلب ابن هاشم فجاءه فقال له ما امره به ابرهة فقال عبد المطلب والله
ما نريد حربه وما لنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه
السلام او كما قال فان يمنعه منه فهو حرمه وبيته وان يخل بينه وبينه فوالله
ما عندنا دفع عنك فقال له حناطة فانطلق الي فانه قد امرني ان آتيه بك
فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى اتى العسكر فسال عن ذي نفر وكان

صديقاله حتى دخل عليه وهو في محبسه فقال له يا ذا نفر هل كد من عفا فيما نزل بنا
فقال له ذو نفر وما غنا رجل اسير بيدي ملك ان ينتظر ان يقتله غدوا وعشيا ما عندي غنا
في شي في ذلك الا ان انيسا سايس الفيل صديقا لي فارسل اليه واوصيه بك واعظم عليه
حقك واسله ان يستاذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك ويشفع لك عنده بخير ان قدر
على ذلك فقال حسبي فبعث ذو نفر الى انيس فقال ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب
عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش في روس الجبال وقد اصاب له الملك مايتي بعير
فاستاذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال افعل فكلم انيس ابرهه فقال
ايها الملك هذا سيد قريش ببابك يستاذن عليك وهو عين مكة يطعم الناس في السهل
والوحوش في روس الجبال فاذن له عليك فليكلمك في حاجته فاذن له ابرهه قال
وكان عبد المطلب اوسم الناس واجلهم واعظمهم فلما راه ابرهه اجله واعظمه عن ان
يجلسه تحته فنزل ابرهه عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جنبه ثم
قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتي ان ترد على الملك
مايتي بعير اصابها لي فلما قال له ذلك قال ابرهه لترجمانه قل له لقد كنت اعجبتني حين
رايتك ثم زهدت فيك حين كلمتني اتكلمني في مايتي بعير اصبتها لك وتترك بيتا هو دينك
ودين ابايك قد جيت لهدمه لا تكلمني فيه فقال له عبد المطلب انا رب الابل وللبيت
رب سيحميه قال ما كان ليمتنع مني قال انت وذاك فرد عليه ابله فانصرف عبد المطلب
الى قريش فاخبرهم الخبر وامرهم بالخروج من مكة والتحرز في شعب الجبال والشعاب
تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام
معه نفر من قريش يدعون الله ويستغفرونه ويستنصرونه على ابرهه وجنده
فقال عبد المطلب وهو اخذ بحلقة باب الكعبه

لاهم ان العبد يمنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم ومحالهم عدوا محالك
جروا جموع جيوشهم والفيل كي يسبوا عيالك
عمدوا حماك بكيدهم عدوا وما رقبوا جلالك
ان كنت تاركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك

يقول اي شي ما بدا لك لم يكن تفعله بنا والحلال جمع حل والمحال القوه وقيل
ان عبد المطلب لما اخذ بحلقة باب الكعبه قال

يا رب لا ارجوا سواكا يا رب فامنع منهم حماكا
ان عدو البيت من عاداكا امنعهم ان يخربوا قراكا

وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي

لاهم اخز الاسود ابن مقصود الاخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد يحبسها وهي اولات الطريد
نضها الى طماطم سود قد اجمعوا ان لا يكون معبود
ويهدموا البيت الحرام المعمود والمروتين والمشاعر السود
اخفره يا رب وانت محمود

قال ابن اسحاق ثم ارسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة ثم انطلق هو ومن
معه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما ابرهه فاعل بمكه
اذا دخلها فلما اصبح ابرهه تهيا لدخول مكه وهيا فيلته وعبا جيشه وكان
اسم الفيل محمودا وابرهه مجمع لهدم البيت ثم الانصراف الى اليمن فلما وجهوا الفيل
الى مكة اقبل نفيل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم اخذ باذنه فقال له
ابرك محمودا وارجع راشدا من حيث جيت فانك في بلد الله الحرام ثم ارسل اذنه
فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى اصعد في الجبل فضربوا الفيل
ليقوم فابا فضربوا في راسه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهم في مراقه

فنزعوه ليقوم بها فابى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل
مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك وارسل الله عليهم طيرا من البحر امثال الخطاطيف والبلسان
مع كل طاير منها ثلثة احجار يحملها حجر في منقاره وحجران في رجليه امثال الحمص والعدس
لا يصيب منهم احدا الا هلك وليس كلهم اصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق
التي منها جاوا ويسالون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل بن
حبيب حين راى ما انزل الله بهم من نقمته

اين المفر والاله الطالب والاشرم المغلوب ليس الغالب
وقال ايضا
حمدت الله اذ ابصرت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم يسال عن نفيل كان علي للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل واصيب ابرهه في جسده وخرجوا
به معهم تسقط انملة انملة كلما سقطت انملة اتبعها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا
صنعا وهو مثل فرخ الطاير فمات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون وقال الكلبي
ومقاتل بن سليمان يزيد احدهما وينقص سبب الفيل ما روي ان فتية من قريش خرجوا
تجارا الى ارض النجاشي فنزلوا الى ساحل البحر الى بيعة النصارى تسميها الهيكل النصارى
الهيكل فاوقدوا نارا لطعامهم وتركوها وارتحلوا فهبت ريح عاصف على النار فاضطرمت
البيعة نارا فاحترقت فاتى الصريخ الى النجاشي فاخبروه فاستشاط غضبا فاتاه ابرهه
ابن الصباح وحجر بن شرحبيل وابو مكسوم الكنديون وضمنوا له احراق الكعبه وسبي مكه
وكان النجاشي هو الملك وابرهه صاحب الجيش وابو يكسوم نديم الملك وقيل وزير
وحجر بن شراحيل من قواده وقال ابن مكسوم هو ابرهه بن الصباح فساروا ومعهم
الفيل قال الاكثرون هو فيل واحد وقال الضحاك هم ثمانية افيله ونزلوا بذي
المجاز فاستاقوا سرح مكه وفيها ابل عبد المطلب واتى الراعي يدنوا فصعد الصفا
فصاح واصباحاه ثم اخبر الناس بمجي الجيش والفيل ثم اخبر الناس فخرج عبد المطلب
وتوجه الى ابرهه وساله في ابله واختلف في النجاشي هل كان معهم فقال قوم كان
بعضهم وقال الاكثرون لم يكن معهم ونظر اهل مكه بالطير قد اقبلت من ناحية
البحر فقال عبد المطلب ان هذه الطير غريبة بارضنا ما هي بنجدية ولا تهامية
ولا حجازية وانها اشباه اليعاسيب وكان في مناقيرها وارجلها حجارة فلما اطلت
على القوم القتها عليهم حتى هلكوا قال عطا بن ابي رباح جات الطير عشية فباتت
ثم صبحتهم بالغداة فرمتهم وقال الكلبي في مناقيرها حصى كحصى الحذف امام
كل فرقة طاير يقودها احمر المنقار اسود الراس طويل العنق فلما جات عسكر القوم
وتوافت اهالت في مناقيرها ما في مخمها مكتوب على كل حجر مكتوب من الطائع اسم
نخاومن عصاه علوا ثم انصاعت راجعة من حيث جات وقال العوفي سالت عنها
ابا سعيد الخدري فقال حمام مكة منها وقيل كان يقع الحجر على بيضة احدهم
فيخرقها ويقع على دماغه ويخرق الفيل والدابه ويغيب الحجر في الارض من شدة
وقعه وكان اصحاب الفيل ستون الفا ثم لم يرجع منهم احد الا اميرهم رجع ومعه
شرذمة لطيفه فلما اخبروا بما راوا هلكوا وقال الواقدي ابرهه جد النجاشي
الذي كان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابرهه هو الاشرم سمي بذلك
لانه تقاتل مع ارياط حين تراجعا ثم اتفقا على ان يلتقيا بشخصيهما فمن غلب فله
الامر وكان ارياط جسيما عظيما في يده حربه وابرهه قصيرا حادرا حليما ذا دين في
النصرانيه ومع ابرهه وزير له يقال له عتوده فلما دنوا ضرب ارياط بحربته راس
ابرهه فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وانفه وشفته فلذلك سمي
الاشرم وحمل عتوده على ارياط فقتله فاجتمعت الحبشه لابرهه فغضب النجاشي وحلف
ليجزن ناصية ابرهه ويطا بلاده فجز ناصيته وملا مزودا من تراب ارضه وبعثه
بهما الى النجاشي وقال انما كان عبدك وانا عبدك وانا اقوم بامر الحبشه وقد جززت

راسي وبعثت اليك بتراب ارضي وتربي يمسك فرضي عنه النجاشي ثم بنا ابرهه
كنيسه بصنعا ليصرف اليها حاج العرب على ما تقدم ذكره قال مقاتل كان عام الفيل
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم باربعين سنه وقال الكلبي وعبيد بن عمير كان
قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث وعشرين سنه والصحيح ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال ولدت عام الفيل ويروي عنه انه قال يوم الفيل حكاه
الماوردي في التفسير له وقال في كتاب اعلام النبوه ولد رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول وكان بعد الفيل بخمسين يوما ووافق
من شهور الروم العشرين من اشباط في السنه الثامنه عشر من ملك هرمز بن انو
شروان قال وحكى ابو جعفر الطبري ان مولده صلى الله عليه وسلم كان لاثنين واربعين
سنه من ملك انو شروان وقد قيل انه عليه السلام حملت به امه امنه في يوم عاشور
المحرم حكاه شاهين ابو حفص في فضايل يوم عاشوراء وولد يوم الاثنين لاثني عشر
ليله خلت من شهر رمضان فكانت مدة حمله ثمانية اشهر كاملا ويومين من التاسع ابن
العربي قال ابن وهب عن مالك ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل
وقال قيس بن مخرمه ولدت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل وقد روي
الناس عن مالك انه قال من مروة الرجل ان لا يخبر بسنه لانه ان كان صغيرا استحقروه
وان كان كبيرا استهرموه وهذا ضعيف لان مالكا لا يخبر بسن رسول الله صلى الله عليه
وسلم ويكتم سنه وهو من اعظم العلما قدوة به فلا باس بان يخبر بسنه كان كبيرا او
صغيرا وقال عبد الملك بن مروان لعتاب بن اسيد انت اكبر ام النبي صلى الله عليه وسلم
فقال النبي صلى الله عليه وسلم اكبر مني وانا اسن منه ولد النبي صلى الله عليه وسلم
عام الفيل وانا ادركت سايسه وقايده اعميين مقعدين يستطعمان الناس وقيل
لبعض القضاة كم سنك قال سن عتاب بن اسيد حين ولاه رسول الله صلى الله عليه
وسلم مكه وكان سنه يومئذ دون العشرين بن الخامسه قال علماؤنا كانت قصة الفيل
فيما بعد من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وان كانت قبله وقبل التحدي لانها كانت
توكيدا لامره وتمهيدا لشانه ولما تلى عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه السوره
بمكة كان بمكه عدد كثير ممن شهد تلك الوقعه ولهذا قال الم تروا ولم يكن احد بمكه
الا وقد راي قايد الفيل وسايقه اعميين يستطعمان وقال ابو صالح رايت في بيت
ام هاني بنت ابي طالب نحوا من قفيزين من تلك الحجاره سودا مخططه بحمره قوله
تعالى الم يجعل كيدهم في تضليل اي في ابطال وتضييع لانهم ارادوا ان يكيدوا قريشا
بالقتل والسبي والبيت بالتخريب والهدم فحكي عن عبد المطلب انه بعث ابنه عبد
الله على فرس له ينظر ما لقوا من تلك الطير فاذا القوم مشدخين جميعا فرجع
يركض فرسه كاشفا عن فخذه فلما راي ابوه ذلك قال ان ابني هذا افرس العرب
وما كشف عن فخذه الا بشيرا او نذيرا فلما ادنى من ناديهم بحيث يسمعهم الصوت
قالوا ما وراك قال هلكوا جميعا قال فخرج عبد المطلب واصحابه فاخذوا اموالهم
وكانت اموال بني عبد المطلب منها وبها تكاملت رياسة عبد المطلب لانه احتمل
من صفرا وبيضا ثم خرج اهل مكة بعده فنهبوا وقيل ان عبد المطلب حفر حفرتين
فملاهما من الذهب والجوهر ثم قال لابي مسعود الثقفي وكان خليلا لعبد المطلب
اختر ايهما شيت ثم اصاب الناس من اموالهم حتى ضاقوا ذرعا فقال عبد المطلب
عند ذلك • انت منعت الحبش والافيالا • وقد رعوا بمكة الاجبالا •
• وقد خشينا منهم القتالا • وكل امر لهم معضالا •
• شكرا وحمدا لك ذا الجلالا •
قال ابن اسحاق ولما رد الله الحبشة عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا اهل
الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم قال عبد الله بن عمرو بن مخزوم في قصة اصحاب
الفيل • انت الجليل ربنا لم تدنس • انت حبست الفيل بالمغمس •

• من بعد ما هم بشر مبلس • حبسته في هيئة المكركس •
• وما لهم من فرج ومنفس • والمكركس المنكوس المطروح قوله تعالى
وارسل عليهم طيرا ابابيل قال سعيد بن جبير كانت طيرا من السما لم ير قبلها ولا
بعدها مثلها وروي جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول انها طير بين السما والارض تعشش وتفرخ وعن ابن عباس كانت
لها خراطيم الطير واكف كاكف الكلاب قال عكرمه كانت طيرا خضرا خرجت من البحر
لها روس كروس السباع ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقالت عايشه رضي الله عنها هي اشبه
شي بالخطاطيف وقيل بل كانت اشباه الوطاويط حمرا وسودا وعن سعيد بن جبير
ايضا هي طير سود بحرية في مناقيرها واظافيرها الحجاره وقيل انها العنقا المغرب
التي تضرب بها الامثال قال عكرمه ابابيل اي مجتمعه وقيل متتابعه بعضها في اثر
بعض قاله مجاهد وابن عباس وقيل مختلفة متفرقه تجي من كل ناحية من ها هنا وها هنا
قاله ابن مسعود وابن زيد والاخفش قال النحاس وهذه الاقوال متفقه وحقيقة
المعنى انها جماعات عظام يقال فلان يوبل على فلان اي يعظم عليه ويكثر وهو مشتق من
الابل واختلف في واحد ابابيل قال وهذا يجي في معنى التكثير وهو من الجمع الذي لا
واحد له وقال بعضهم واحده ابول مثل عجول وقال بعضهم ابيل مثل سكين قال
ولم اجد العرب تعرف له واحدا في غير الصحاح وقيل في واحده ابال وقال روبه بن
العجاج • ولعب طيرهم ابابيل • بصيرهم مثل عصف ماكول • وقال الاعشى
• طريق وجبار رواه اصوله • عليه ابابيل من الطير تنعب • وقال اخر
• كادت تهد من الاصوات راحلتي • اذ سالت الارض بالجرد الابابيل • وقال اخر
• تراهم الى الداعي سراعا كانهم • ابابيل طير تحت دجن مسخن •
قال الفرا لا واحد له من لفظه وزعم الرواسي وكان ثقة انه سمع في واحدها ابالة
مشدده وحكى الفرا ابالة مخففا قال وسمعت بعض العرب تقول ضغث على ابالة
يريد خصبا على خصب قال ولو قال قايل ابيل كان صوابا مثل دينار ودنانير وقال
اسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل الابابيل ماخوذ من الابل المؤبله وهي
الاقاطيع قوله تعالى ترميهم بحجارة من سجيل وفي الصحاح حجارة من سجيل قالوا
حجارة من طين طبخت بنار جهنم مكتوب فيها اسما القوم لقوله تعالى لنرسل عليهم
حجارة من طين وقال عبد الرحمن بن ابزي من سجيل من السما وهي الحجاره التي نزلت
على قوم لوط وقيل من الجحيم وهي سجين ثم ابدلت اللام نونا كما قالوا في اصيلال اصيلان
قال بن اسد • ضربا تواصت به الابطال سجيلا •
وانما هو سجينا وقال الزجاج من سجيل اي مما كتب عليهم ان يعذبوا به مشتق من
السجل وقد مضى القول في سجيل في هود مستوفى قال عكرمه كانت ترميهم بحجارة
معها فاذا اصاب احدهم حجر منها خرج به الجدري لم ير قبل ذلك اليوم وكان الحجر
كالحمصة وفوق العدسه وقال ابن عباس كان الحجر اذا وقع على احدهم نفط جلده
فكان ذلك اول الجدري وقراة العامه ترميهم بالتاء لتانيث جماعة الطير وقرا الاعرج
وطلحه بالياء اي يرميهم الله دليله قوله تعالى ولكن الله رمى ويجوز ان يكون راجعا
الى الطير لخلوها من علامات التانيث ولان تانيثها غير حقيقي قوله تعالى
فجعلهم كعصف ماكول اي جعل اصحاب الفيل كورق الزرع اذا اكلته الدواب فرمت
به من اسفل شبه تقطع اوصالهم بتفرق اجزايه روي معناه عن ابن زيد وغيره
وقد مضى القول في العصف في سورة الرحمن ومما يدل عليه انه ورق الزرع قول
علقمه • تسقي مذانب قد مالت عصيفتها • حدورها من اتي الما مطموم •
وقال روبه بن العجاج • ومسهم ما مس اصحاب الفيل • ترميهم حجارة من سجيل •
• ولعبت طير بهم ابابيل • فصيروا مثل كعصف ماكول •
العصف جمع واحده عصفه وعصافه وعصيفه وادخل الكاف في كعصف للتشبيه

مثل قوله تعالى ليس كمثله شيء ومعنى مأكول مأكول فيه كما يقال فلان حسن أي حسن
وجهه وقال ابن عباس فجعلهم كعصف مأكول أن المراد به قشر البر يعني الغلاف الذي
يكون فيه حبة القمح ويروى أن الحجر كان يقع على أحدهم فيخرج كل ما في جوفه فيبقى كقشر
الحنطة إذا أخرجت منه الحبة وقال ابن مسعود لما رمت الطير بالحجارة بعث الله ريحا
فضربت الحجارة فزادتها شدة فكانت لا تقع على أحد إلا أهلكته ولم يسلم منهم إلا رجل من كندة
قال • فإنك لو رأيت ولن تراه • لدى جنب المحصب ما لقينا •
• خشيت الله إذ قد بث طيرا • وظل سحابة مرت علينا •
• وباتت كلها تدعو بحق • كأن لها على الحبشان دينا •
ويروى أنها لم تصبهم كلهم لكنها أصابت من شاء الله منهم وقد تقدم أن أميرهم رجع
وشرذمة لطيفة معه فلما أخبروا بما رأوا هلكوا والله أعلم وقال ابن إسحاق لما رد الله الحبشة
عن مكة عظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فكان ذلك نعمة من
الله عليهم

سورة قريش مكية

في قول الجمهور ومدنية في قول الضحاك والكلبي وهي أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى لإيلاف قريش قيل إن هذه السورة متصلة بالتي قبلها في المعنى
يقول أهلكت أصحاب الفيل لإيلاف قريش أي لتألف قريش أي لكي تأمن قريش
فتؤلف رحلتيها وممن عد السورتين واحدة أبي بن كعب ولا فصل بينهما ويقرأهما معا
وقال عمرو بن ميمون الأودي صلينا المغرب خلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقرأ
في الأولى والتين والزيتون وفي الثانية ألم تر كيف ولإيلاف قريش وقال الفراء هذه
السورة متصلة بالسورة الأولى لأنه ذكر أهل مكة عظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة
ثم قال لإيلاف قريش أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش وذلك أن قريشا تخرج
في تجارتها فلا يغار عليها ولا يقرب في الجاهلية يقولون هم أهل بيت الله جل وعز حتى
جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبني بها بيتا في اليمن يحج الناس إليه فأهلكهم
الله عز وجل فذكرهم نعمته قال فجعل الله ذلك لإيلاف قريش أي ليألفوا الخروج ولا يجترأ
عليهم وهو معنى قول ابن عباس ومجاهد وفي رواية سعيد بن جبير عنه ذكره النحاس
حدثنا أحمد بن شعيب قال أخبرني عمرو بن علي قال حدثني عامر بن إبراهيم وكان
ثقة من خيار الناس قال حدثني خطاب بن جعفر بن أبي المغيرة قال حدثني أبي عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى لإيلاف قريش قال نعمتي على قريش
إيلافهم رحلة الشتاء والصيف قال كانوا يشتون بمكة ويصيفون بالطائف وعلى هذا
القول يجوز الوقف على رؤوس الآي وإن لم يكن الكلام تاما على ما نبينه أثناء السورة
وقيل ليست متصلة لأن بين السورتين بسم الله الرحمن الرحيم وذلك دليل على انقضاء
السورة وافتتاح غيرها وإن اللام متعلقة بقوله تعالى فليعبدوا أي فليعبدوا
رب هذا البيت لإيلافهم رحلة الشتاء والصيف للامتنان ولذا قال الخليل ليست
متصلة كأنه قال ألف الله قريشا إيلافا فليعبدوا رب هذا البيت وعمل ما بعد
الفاء فيما قبلها لأنها زائدة غير عاطفة كقولك زيدا فاضرب وقيل اللام في قوله
تعالى لإيلاف قريش لام التعجب أي اعجبوا لإيلاف قريش قاله الكسائي والأخفش
وقيل بمعنى إلى وقرأ ابن عباس لإلاف مهموزا مختلسا بلا ياء وقرأ أبو جعفر والأعرج
ليلاف بلا همز طلبا للخفة الباقون بالياء مهموزا مشبعا من آلفت أولفت إيلافا قال
الشاعر • المنعمين إذا النجوم تغيرت • والظاعنين لرحلة الإيلاف •
ويقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر أيضا لإلف قريش وقد جمعهما من قال •
• زعمتم أن إخوتكم قريش • لهم إلف وليس لكم إلاف •

قال

قال الجوهري وفلان قد ألف هذا الموضع بالكسر يألفه إلفا وآلفه إياه غيره ويقال
أيضا آلفت الموضع أولفه إيلافا وكذلك آلفت الموضع أؤالفه مؤالفة وإلافا فصار صورة
أفعل وفاعل في الماضي واحدا وقرأ عكرمة ليألف بفتح اللام على الأمر وكذلك
هو في مصحف ابن مسعود وفتح لام الأمر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وكان عكرمة يعيب
على من يقرأ لإيلاف قريش وقرأ بعض أهل مكة إلاف قريش واستشهد بقول أبي طالب
يوصي أخاه أبا لهب برسول الله صلى الله عليه وسلم
• فلا تتركنه ما حييت لمعظم • وكن رجلا ذا نجدة وعفاف •
• تذود العدى عن عصبة هاشمية • إلافهم في الناس خير إلاف •
وأما قريش فهم بنو النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر فكل من
كان من ولد النضر فهو قرشي وهو القياس قال الشاعر • فكل قريشي عليه مهابة •
فإن أردت بقريش الحي صرفته وإن أردت به القبيلة لم تصرفه قال الشاعر •
• وكفى قريش المعضلات وسادها • والتقريش الاكتساب وتقرشوا أي تجمعوا وقد
كانوا متفرقين في غير الحرم فجمعهم قصي بن كلاب في الحرم حتى اتخذوه مسكنا قال الشاعر •
• أبونا قصي كان يدعى مجمعا • به جمع الله القبائل من فهر •
وقد قيل إن قريشا بنو فهر بن مالك بن النضر فكل من لم يلده فهر فليس بقرشي والأول
أصح وأثبت وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل
واصطفى من بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم
صحيح ثابت خرجه البخاري ومسلم وغيرهما واختلف في تسميتهم قريشا على أقوال أحدها
لتجمعهم بعد التفرق والتقرش التجمع والالتئام قال أبو جلدة اليشكري
• إخوة قرشوا الذنوب علينا • في حديث من دهرهم وقديم •
الثاني لأنهم كانوا تجارا يأكلون من مكاسبهم والتقرش التكسب وقد قرش يقرش قرشا
إذا كسب وجمع قال الفراء وبه سميت قريش الثالث لأنهم كانوا يفتشون الحاج عن ذي الخلة
فيسدون خلته والقرش التفتيش قال الشاعر •
• أيها الشامت المقرش عنا • عند عمرو فهل لنا إبقاء •
الرابع ما روي أن معاوية سأل ابن عباس لم سميت قريش قريشا فقال لدابة في البحر
من أقوى دوابه يقال لها القرش تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد قول تبع •
• وقريش هي التي تسكن البحر • بها سميت قريش قريشا •
• تأكل الغث والسمين ولا • تترك فيه لذي جناحين ريشا •
• هكذا في البلاد حي قريش • يأكلون البلاد أكلا كميشا •
• ولهم آخر الزمان نبي • يكثر القتل فيهم والخموشا •
قوله تعالى إيلافهم قرأ مجاهد وحميد إلفهم ساكنة اللام بغير ياء وروي نحوه عن ابن
كثير وكذلك روت أسماء أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ إلفهم وروي
عن ابن عباس وغيره وقرأ أبو جعفر والوليد عن أهل الشام وأبو حيوة إلافهم مهموزا
مختلسا بلا ياء وقرأ أبو بكر عن عاصم إئلافهم بهمزتين الأولى مكسورة والثانية ساكنة والجمع
بين الهمزتين في الكلمتين شاذ الباقون إيلافهم بالمد والهمز وهو الاختيار وهو بدل من
الإيلاف الأول للبيان وهو مصدر آلف إذا جعلته يألف وآلف هو الفاعل على ما تقدم ذكره
من الفاعل أي وما قد ألفوه من رحلة الشتاء والصيف قال لا يشق عليهم رحلة شتاء ولا
صيف منة منه على قريش وقال الهروي وغيره وكان أصحاب الإيلاف أربعة إخوة هاشم
وعبد شمس والمطلب ونوفل بنو عبد مناف فأما هاشم فإنه كان يؤلف ملك الشام أي
أخذ منه حبلا وعهدا يأمن به في تجارته إلى الشام وأخوه عبد شمس كان يؤلف إلى الحبشة
والمطلب إلى اليمن ونوفل إلى فارس ومعنى يؤلف يجير فكان هؤلاء الإخوة يسمون
المجيرين فكان تجار قريش يختلفون إلى الأمصار بحبل هؤلاء الإخوة فلا يتعرض لهم
ثم قال الأزهري الإيلاف شبه الإجارة بالخفارة والحمائل جمع حمولة قال

والناس ويلات قريشا كانوا سكان الحرم ولم يكن لهم زرع ولا ضرع فكانوا يميزون في الشتاء
والصيف امنين والناس يتخطفون من حولهم فكانوا اذا عرض لهم عارض قالوا نحن اهل
حرم الله فلا يتعرض الناس لهم وذكر ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا في تفسيره حدثنا
سعيد عن محمد عن بكر بن سهل الدمياطي باسناده عن بن عباس في قول الله عز وجل
لايلاف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وذلك ان قريشا كانوا اذا اصاب واحدا منهم مخمصة
جري هو وعياله الي موضع معروف فضربوا علي انفسهم خباء فماتوا حتي كان عمرو بن مناف
وكان سيدا في زمانه وكان له ابن يقال له اسد وكان له ترب من بني مخزوم يحبه ويلعب
معه قال له نحن غدا نعتفر قال ابن فارس هذه لفظة في هذا الخبر لا ادري ماهي بالدال
ام بالزاي فان كانت بالراء فلعلها من العفر وهو التراب وان كانت بالدال فما ادري
معناها وتاويله علي ما اظنه ذهابهم الي ذلك الخباء وموتهم واحدا بعد واحد قال فدخل
اسد علي امه يبكي وذكر ما قاله تربه قال فارسلت ام اسد الي اولئك بشحم ودقيق فعاشوا
بها اياما ثم ان تربه اتاه ايضا قال نحن غدا نعتفر فدخل اسد علي ابيه يبكي وخبره خبر
تربه فاشتد ذلك علي عمرو بن عبد مناف فقام خطيبا في قريش وكانوا يطيعون امره
فقال انكم احدثتم حدثا تقلون فيه وتكثر العرب وتذلون وتعز العرب وانتم اهل حرم
الله عز وجل واشرف ولد ادم والناس لكم تبع ويكاد هذا الاعتفار ياتي عليكم قالوا
نحن لك تبع قال ابتدوا بهذا الرجل يعني ابا ترب اسد فاغنوه من الاعتفار ففعلوا
ثم انه نحر البدن وذبح الكباش والمعز ثم هشم الثريد واطعم الناس فسمي هاشما قال الشاعر

عمرو الذي هشم الثريد لقومه • ورجال مكة مسنتون عجاف •

ثم جمع كل بني اب علي رحلتين في الشتاء الي اليمن وفي الصيف الي الشام للتجارات فما ربح
الغني قسمه بينه وبين الفقير حتي صار فقيرهم كغنيهم فجاء الاسلام
وهم علي هذا فلم يكن في العرب بنو اب اكثر مالا ولا اعز من قريش وهو قول شاعرهم

والخالطون فقيرهم بغنيهم • حتي يصير فقيرهم كالكافي •

فلم يزالوا كذلك حتي بعث الله محمدا صلي الله عليه وسلم فقال فليعبدوا رب هذا البيت
الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف ان تكثر العرب ويقلوا قوله تعالي رحلة
الشتاء والصيف رحلة نصب بالمصدر اي ارتحالهم رحلة او بوقوع ايلافهم عليه او علي
الظرف ولو جعلها في محل الرفع علي معني هما رحلة الشتاء والصيف لجاز والاول اولي
والرحلة الارتحال وكانت احدي الرحلتين الي اليمن في الشتاء لانها بلاد حامية
والرحلة الاخري في الصيف الي الشام لانها بلاد باردة وعن بن عباس ايضا قال
كانوا يشتون بمكة لدفائها ويصيفون بالطائف لهوائها وهذه من جل النعم ان
يكون للقوم ناحية حر تدفع عنهم برد الشتاء وناحية باردة تدفع عنهم حر الصيف
فذكرهم الله تعالي هذه النعمة وقال الشاعر

تشتي بمكة نعمة • ومصيفها بالطائف •

وهنا اربع مسائل الاولي قال ابن العربي وغيره من العلماء ان قوله تعالي لايلاف
متعلق بما قبله ولا يجوز ان يكون متعلقا بما بعده وهو قوله تعالي فليعبدوا رب
هذا البيت قال واذا ثبت انه متعلق بالسورة الاخري وقد قطع عنه بكلام مبتدا
واستئناف بيان وسطر بسم الله الرحمن الرحيم فقد تبين جواز الوقف في القراءة
للقراء قبل تمام الكلام وليست المواقف التي تنزع بها القراء شرعا عن النبي صلي الله عليه
وسلم مرويا وانما ارادوا به تعليم الطلبة للمعاني فاذا علموها وقفوا حيث شاءوا
فاما الوقف عند انقطاع النفس فلا خلاف فيه ولا تعد ما قبله اذا اعتراك ذلك
ولكن ابتدا من حيث وقف بك نفسك هذا رايي فيه ولا دليل علي ما قاله بحال
ولكني اعتمد الوقف علي التمام كراهة الخروج عنهم قلت ومن الدليل علي صحة هذا
قراءة النبي صلي الله عليه وسلم الحمد لله رب العالمين ثم يقف الرحمن الرحيم ثم يقف وقد
مضي في مقدمة الكتاب واجمع المسلمون ان الوقف عند قوله كعصف ماكول ليس

بتبيع وكيف يقال انه يتبع وهذه السورة تقرا في الركعة الاولي والذي بعدها في
الركعة الثانية فيتخللها مع تقطع القراءة اركان وليس احد من العلماء يكره ذلك وما كانت
العلة فيه الا ان قوله تعالي فجعلهم كعصف ماكول انتهاء اية فالقياس علي ذلك الا
يمتنع الوقف عند اعجاز الايات سواء كان الكلام يتم والغرض ينتهي ام لا يتم ولا ينتهي وايضا
فان الفواصل حلية وزينة للكلام المنظوم ولولاها لم يتبين المنظوم من المنثور ولا خفا
ان الكلام المنظوم احسن فمن اظهر فواصله بالوقف عليها فقد ابدا محاسنه وتركه
الوقف يخفي تلك المحاسن ويشبه المنظوم بالمنثور وذلك اخلال بحق المقروء الثانية
قال مالك الشتاء نصف السنة والصيف نصفها ولم ازل اري عبد الرحمن ومن معه لا يخلعون
عمائمهم حتي تطلع الثريا وهو يوم التاسع عشر من بشنس وهو يوم خمسة وعشرين من عدد
الروم والفرس واراد بطلوع الثريا ان يخرج السعاة ويسير الناس بمواشيهم الي مياههم
وان طلوع الثريا اول الصيف ودبر الشتاء وهذا مما لا خلاف فيه بين اصحابه عنه وقال
عنه اشهب وحده اذا سقطت الهقعة نقص الليل فلما جعل الثريا اول الصيف وجب ان
يكون له في مطلق السنة ستة اشهر وقد سئل محمد بن عبد الحكم عمن حلف ان لا يكلم امرا
حتي يدخل الشتاء قال لا يكلمه حتي يمضي سبعة عشر من هاتور ولو قال حتي يدخل الصيف
لم يكلمه حتي يمضي سبعة عشر من بشنس قال القرطبي اما ذكره في بشنس عن محمد وهو
سهو انما هو سبعة عشر ليلة كل منزلة ان علمت ما بين ستة عشر من هاتور لا تنقضي منازله
الا بدخول سبعة عشر من بشنس والله اعلم الثالثة قال قوم الزمان اربعة اقسام شتاء
وربيع وصيف وخريف وقال قوم هو شتاء وصيف وقيظ وخريف والذي قاله مالك اصح
لان قسمة الله للزمان قسمين ولم يجعل لهما ثالثا الرابعة لما امتن الله عز وجل علي قريش
برحلتين شتاء وصيفا علي ما تقدم كان فيه دليل علي جواز تصرف الرجل في الزمانين بين
محلين يكون حالهما في كل زمان انعم من الاخر كالجلوس في المجلس البحري في الصيف وفي
القبلي في الشتاء وفي اتخاذ الباذهنجات والخيش للتبريد واللبد واليربوع للدفء
قوله تعالي فليعبدوا رب هذا البيت الذي امرهم تعالي بعبادته وتوحيده لاجل
ايلافهم رحلتين ودخلت الفاء لاجل ما في الكلام من معني الشرط لان المعني اما لا فليعبدوا
لايلافهم علي معني ان نعم الله تعالي لا تحصي وان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لشان
هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة والبيت الكعبة وفي تعريف نفسه لهم بانه رب هذا البيت
وجهان احدهما لانها كانت لهم اوثان فميز نفسه عنها الثاني لانهم بالبيت شرفوا علي سائر
العرب فذكر لهم ذلك تذكيرا لنعمته وقيل فليعبدوا رب هذا البيت اي ليالفوا عبادة
رب الكعبة كما كانوا يالفون الرحلتين قال عكرمة كانت قريش قد الفوا رحلة الي بصري
ورحلة الي اليمن فقيل لهم فليعبدوا رب هذا البيت اي يقيموا بمكة رحلة الشتاء الي اليمن
والصيف الي الشام قوله تعالي الذي اطعمهم من جوع اي بعد جوع وامنهم من خوف
قال ابن عباس وذلك بدعوة ابراهيم حيث قال رب اجعل هذا البلد امنا وارزقهم من
امن منهم بالله واليوم الاخر وقال ابن زيد كانت العرب يغير بعضهم بعضا ويسبي بعضهم
علي بعض فامنت قريش من ذلك لمكان الحرم وقرا اولم نمكن لهم حرما امنا يجبي اليه ثمرات كل شيء
رزقا وقيل شق عليهم السفر في الشتاء والصيف فالقي الله في قلوب الحبشة ان يحملوا
اليهم طعاما في السفن فحملوه فخافت قريش منهم وظنوا انهم قدموا لحربهم فخرجوا اليهم
متحرزين فاذا هم قد جلبوا اليهم الطعام واعانوهم بالاقوات فكان اهل مكة يخرجون
الي جدة بالابل والحمر فيشترون الطعام علي مسيرة ليلتين وقيل هذا الاطعام هو انهم لما
كذبوا النبي صلي الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني القحط
فاشتد القحط فقالوا يا محمد ادع الله لنا فانا مومنون فدعا فاخصبت تبالة وجرش
من بلاد اليمن فحملوا الطعام الي مكة واخصب اهلها وقال الضحاك والربيع وشريك
وسفيان وامنهم من خوف اي من خوف الحبشة مع الفيل وقال علي رضي الله عنه وامنهم
من ان تكون الخلافة الا فيهم وقيل اي كفاهم اخذ الايلاف من الملوك والله اعلم

سورة الماعون مكية في قول عطا وجابر واحد قولي ابن عباس ومدنية في قوله الاخر وهو قول قتاده وغيره وهي سبع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين الى اخر السورة فيه ست مسايل الاولى قوله تعالى ارايت الذي يكذب بالدين اي بالجزا والحساب في الاخره وقد تقدم في الفاتحة وارايت باثبات الهمزة الثانيه اذ لا يقال في رايت ريت ولكن الف الاستفهام سهلت الهمزة الثانية ذكره الزجاج وفي الكلام حذف والمعنى ارايت الذي يكذب بالدين امصيب هو ام مخطي فيمن نزل هذا فيه فذكر ابو صالح عن ابن عباس قال نزلت في العاص بن وايل السهمي قاله الكلبي ومقاتل وروى الضحاك عنه قال نزلت في رجل من المنافقين وقال السدي نزلت في الوليد بن المغيره وقيل في ابي جهل وقال الضحاك في عمرو بن عايذ قال ابن جريج نزلت في ابي سفيان وكان ينحر في كل اسبوع جزورا فطلب منه يتيم شيا فقرعه بعصاه فانزل الله عز وجل هذه السورة ويدع اي يدفع كما قال يوم يدعون الى نار جهنم دعا وقد تقدم وقال الضحاك عن ابن عباس الذي يدع اليتيم اي يدفعه عن حقه قتاده يقهره ويظلمه والمعنى متقارب وقد تقدم في سورة النسا انهم كانوا لا يورثون النسا ولا الصغار ويقولون انما يحوز المال من يطعن بالسنان ويضرب بالحسام وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ضم يتيما من المسلمين حتى يستغني فقد وجبت له الجنه وقد مضى هذا المعنى في غير موضع الثانيه قوله تعالى ولا يحض على طعام المسكين اي لا يامر به من اجل بخله وتكذيبه بالجزا وهو مثل قوله تعالى في سورة الحاقه ولا يحض على طعام المسكين وقد تقدم وليس الذم عاما حتى يتناول من تركه عجزا ولكنهم كانوا يبخلون ويعتذرون لانفسهم يقولون انطعم من لو يشا الله اطعمه فنزلت هذه الايه فيهم ويتوجه الذم اليهم فيكون معنى الكلام لا يفعلونه ان قدروا ولا يحثون عليه ان عسروا الثالثه فويل للمصلين اي عذاب لهم وقد تقدم في غير موضع الذين هم عن صلاتهم ساهون فروى الضحاك عن ابن عباس قال هو المصلي الذي ان صلى لم يرج لها ثوابا ولم يخش عليها عقابا وعنه ايضا الذين يوخرونها عن اوقاتها وكذلك روى المغيره عن ابراهيم قال ساهون باضاعة الوقت وعن ابي العاليه لا يصلونها لمواقيتها ولا يتمون ركوعها ولا سجودها قلت ويدل على هذا قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة حسبما تقدم بيانه في سورة مريم عليها السلام وروي عن ابراهيم ايضا انه الذي اذا سجد قام براسه هكذا ملتفتا وقال قطرب هو الذي لا يقرا ولا يذكر الله وفي قراة عبد الله الذين هم عن صلاتهم لاهون وعن ابن عباس ايضا هم المنافقون يتركون الصلاة سرا ويصلونها علانيه واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى الايه ويدل على انها في المنافقين قوله الذين هم يراوون وقاله ابن وهب عن مالك قال ابن عباس ولو قال في صلاتهم ساهون لكانت في المومنين وقال عطا الحمد لله الذي قال عن صلاتهم ولم يقل في صلاتهم قال الزمخشري فان قلت اي فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك في صلاتهم قلت معنى عن انهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين او الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى في ان السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان او حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو في صلاته فضلا عن غيره ومن ثم اثبت الفقها باب سجود السهو في كتبهم قال ابن العربي لان السلامة عن السهو محال وقد سهى رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلاته والصحابه وكل من لا يسهو في صلاته فذلك رجل لا يتدبرها ولا يعقل قراتها وانما همه في اعدادها وهذا رجل ياكل القشور ويرمي اللب وكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو في صلاته لفضل فكرته وعظم ما كان يبتلى على وسواس الشيطان اذ قال له اذكر كذا اذكر كذا لما لم يكن يذكر حتى يصلي الرجل لا يدري كم صلى الرابعه قوله تعالى الذين هم يراوون اي يري الناس انه يصلي طاعه وهو يصلي تقيه كالفاسق يرى انه يصلي عبادة وهو يصلي ليقال انه يصلي وحقيقة الريا طلب ما في الدنيا بالعباده واصله طلب المنزله في قلوب الناس واولها تحسين السمت وهو من اجزا النبوه ويريد بذلك الجاه والثنا وثانيها الريا بالثياب القصار والخشنه لياخذ بذلك هيبة الزهد في الدنيا وثالثها الريا بالقول باظهار التسخط على الدنيا واظهار الوعظ والتاسف على ما يفوت من الخير والطاعه ورابعها الريا باظهار الصلاة والصدقه او بتحسين الصلاة لاجل روية الناس وذلك يطول وهذا دليله قاله ابن العربي قلت قد تقدم في سورة النسا وهود واخر الكهف القول في الريا واحكامه وحقيقته بما فيه كفايه والحمد لله الخامسه لا يكون الرجل مرايا باظهار العمل الصالح ان كان فريضه فمن حق الفرايض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام ولا غمة في فرايض الله لانها اعلام الاسلام وشعاير الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه ان يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان اظهره قاصدا للاقتدا به كان جميلا وانما الريا ان يقصد بالاظهار ان تراه الاعين فتثني عليه بالصلاح وعن بعضهم انه راى رجلا في المسجد قد سجد سجدة الشكر فاطالها فقال ما احسن هذا لو كان في بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الريا والسمعه وقد مضى هذا المعنى في سورة البقرة عند قوله تعالى ان تبدوا الصدقات وفي غير موضع والحمد لله على ذلك السادسه قوله تعالى ويمنعون الماعون فيه اثنا عشر قولا الاول انه زكاة اموالهم كذا روى الضحاك عن ابن عباس وروي عن علي رضي الله عنه مثل ذلك وقاله مالك والمراد به المنافق يمنعها وقد روى ابو بكر بن عبد العزيز عن مالك قال بلغني ان قول الله عز وجل فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراوون ويمنعون الماعون قال ان المنافق اذا صلى صلى رياء وان فاتته لم يندم عليها ويمنعون الزكاة التي فرض الله عليهم قال زيد بن اسلم لو خفيت لهم الصلاة كما خفيت لهم الزكاة ما صلوا القول الثاني ان الماعون المال بلسان قريش قاله ابن شهاب وسعيد بن المسيب وقول ثالث انه اسم جامع لمنافع البيت كالفاس والقدر والنار وما اشبه ذلك قاله ابن مسعود وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال الاعشى

بانجود منه بماعونه • اذا ما سماوهم لم تغم •

الرابع ذكر الزجاج وابو عبيده والمبرد ان الماعون في الجاهلية كل ما فيه منفعة حتى الفاس والقدر والدلو والقداحه وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير وانشدوا بيت الراعي

• اخليفة الرحمن انا معشر • حنفا نسجد بكرة واصيلا •

• عرب نرى لله من اموالنا • حق الزكاة منزلا تنزيلا •

• قوم على الاسلام لما يمنعوا • ماعونهم ويضيعوا التهليلا •

يعني الزكاة الخامس انه العاريه روي عن ابن عباس ايضا السادس انه المعروف كله الذي يتعاطاه الناس فيما بينهم قاله محمد بن كعب والكلبي السابع انه الما والكلا الثامن الما وحده قال الفرا سمعت بعض العرب يقول الماعون الما وانشدني فيه

• يمج صبيره الماعون صبا • الصبير السحاب

العاشر انه المستغل من منافع الاموال ماخوذ من المعن وهو القليل حكاه الطبري عن ابن عباس قال قطرب اصل الماعون من القلة والمعن الشي القليل تقول العرب ما له سعنة ولا معنة اي شي قليل فسمى الله تعالى الزكاة والصدقة ونحوه من المعروف ماعونا لانه قليل من كثير ومن الناس الماعون اصله معونه والالف عوض من الها حكاه الجوهري ابن العربي الماعون مفعول من اعان يعين والعون هو الامداد بالقوه والالات والاسباب الميسرة للامر الحادي عشر انه الطاعة والانقياد حكى الاخفش عن اعرابي فصيح

• لو قد نزلنا لصنعت صنعكا • صنعا تعطيك الماعونا •

اي يسالك ويطعمك قال الزجاج حتى يصاد فهن في المرض يجتنعن او يعطين بالماعون
وقيل هو ما لا يحل منعه كالماء والملح والنار لان عايشه رضي الله عنها قال قلت يا رسول الله
ما الشي الذي لا يحل منعه قال الماء والنار والملح قلت يا رسول الله هذا الماء فما بال النار
والملح فقال يا عايشه من اعطى نارا فكانما تصدق بجميع ما طبخ بذلك النار ومن اعطى ملحا
فكانما تصدق بجميع ما طيب به ذلك الملح ومن سقى شربة من الماء حيث يوجد الماء فكانما
اعتق ستين نسمة ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد فكانما احيا نفسا ومن احياها
فكانما احيا الناس جميعا ذكره الثعلبي في تفسيره وخرجه ابن ماجه في سننه وفي اسناده
لين وهو القول الثاني عشر الماوردي ويحتمل انه المعونه بما خف فعله وقد ثقله الله والله
اعلم وقيل لعكرمه مولى ابن عباس من منع شيا من المتاع كان له الويل فقال لا ولكن من
جمع ثلاثهن فله الويل يعني ترك الصلاه والريا والبخل بالماعون قلت كونها في المنافقين
اشبه وبهم اخلق لانهم جمعوا الاوصاف الثلاثه ترك الصلاة والريا والبخل بالمال
قال الله تعالى واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا
قليلا وقال تعالى ولا ينفقون الا وهم كارهون وهذه احوالهم ويبعد ان يوجد
من مسلم محقق وان وجد بعضها فيلحقه جزء من التوبيخ وذلك في منع الماعون
اذا تعين كالصلاه والزكاة اذا تركها انما يكون منعها قبيحا في المروة في غير حال الضرورة

سورة الكوثر وهي مكية

في قول ابن عباس ومدنيه في قول الحسن وعكرمه ومجاهد وقتاده وهي ثلث ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر فيه مسيلتان الاولى قوله تعالى انا اعطيناك قراءة
العامه اعطيناك بالعين وقرا الحسن وطلحه انطيناك بالنون وترويه ام سلمه عن النبي
صلى الله عليه وسلم وهي لغة في العطا انطيته اي اعطيته والكوثر فوعل من الكثره
مثل النوفل من النفل والجوهر من الجهر والعرب تسمي كل شي كثير في العدد والقدر
والخطر كوثرا قال سفيان قيل لعجوز رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت بكوثر
اي بمال كثير والكوثر من الرجال السيد الكثير الخير قال الكميت
• وانت كثير يا ابن مروان طيب • وكان ابوك ابن العقايل كوثرا •
والكوثر العدد الكثير من الاصحاب والاشياع والكوثر من الغبار الكثير وقد تكوثر اذا كثر
قال الشاعر • وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا •
الثانيه واختلف اهل التاويل في الكوثر الذي اعطيه النبي صلى الله عليه وسلم
على ستة عشر قولا الاول انه نهر في الجنه رواه البخاري عن انس والترمذي ايضا
عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الكوثر نهر في الجنه حافتاه من
ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته اطيب من المسك وماؤه احلى من العسل
وابيض من الثلج قال هذا حديث حسن صحيح الثاني انه حوض النبي صلى الله عليه
وسلم في الموقف قاله عطا وفي صحيح مسلم عن انس قال بينا نحن عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذ اغفا اغفاءة ثم رفع راسه متبسما فقلنا ما اضحكك يا رسول الله قال
نزلت علي انفا سورة فقرا بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فصل لربك
وانحر ان شانيك هو الابتر ثم قال اتدرون ما الكوثر قلنا الله ورسوله اعلم
قال فانه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه امتي يوم القيامه
انيته عدد النجوم فيختلج العبد منهم فاقول انه من امتي فيقال انك لا تدري
ما احدث بعدك والاخبار في حوضه في الموقف والاخبار في حوضه كثيرة ذكرناها
في كتاب التذكره وان علما ركانه [illegible] بعض والاربعة وان من ابغض واحدا منهم
لم يسقه الاخر وقد ذكرنا هناك من يطرد عنه من اراد الوقوف على ذلك فليتامله

هناك وليس به من الخير والماء الكثير الثالث ان الكوثر النبوه والكتاب قاله عكرمه
الرابع القران قاله الحسن الخامس الاسلام حكاه المغيره السادس تيسير
القران وتخفيف الشرايع قاله الحسين بن الفضل السابع هو كثرة الاصحاب والامه
والاتباع قاله ابو بكر بن عياش ويمان بن رياب الثامن انه الايثار قاله ابن كيسان التاسع
انه رفعة الذكر حكاه الماوردي العاشر انه نور في قلبك دلك علي وقطعك عما سواي
وعنه هو الشفاعه وهو الحادي عشر وقيل معجزات الرب هدي بها اهل الاجابه لدعوتك
حكاه الثعلبي وهو الثاني عشر الثالث عشر قال هلال بن يساف هو لا اله الا الله
محمد رسول الله وقيل الصلوات الخمس وهو الرابع عشر والخامس عشر قال ابن
اسحاق هو العظيم وذكر بيت لبيد •
• وصاحب ملحوب فقدنا بفقده • وعند الرداع بيت اخر كوثر •
اي عظيم قلت اصح هذه الاقوال الاول والثاني لانه ثابت عن النبي صلى الله عليه
وسلم نص في الكوثر وسمع انس قوما يتذاكرون الحوض فقال ما كنت ارى ان اعيش
حتى ارى امثالكم يتمارون في الحوض لقد تركت عجايز خلفي ما تصلي امراة منهن الا
سالت الله ان يسقيها من حوض النبي صلى الله عليه وسلم وفي حوضه يقول الشاعر •
• يا صاحب الحوض من يدانيكا • وانت حقا حبيب باريكا •
وجميع ما قيل بعد ذلك في تفسيره قد اعطيه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيادة على
حوضه صلى الله عليه وسلم قوله تعالى فصل لربك وانحر فيه خمس مسايل الاولى قوله
تعالى فصل اي اقم الصلاة المفروضه عليك كذا رواه الضحاك عن ابن عباس وقال
قتاده وعطا وعكرمه فصل لربك صلاة العيد يوم النحر وانحر نسكك وقال انس كان
النبي صلى الله عليه وسلم ينحر ثم يصلي فامر ان يصلي ثم ينحر وقال سعيد بن جبير
ايضا نزلت في الحديبية حين حصر النبي صلى الله عليه وسلم عن البيت فامره الله تعالى
ان يصلي وينحر البدن وينصرف ففعل ذلك قال ابن العربي اما من قال ان المراد بقوله
تعالى فصل الصلوات الخمس فلانها ركن العبادات وقاعدة الاسلام واعظم دعايم
الدين واما من قال انها صلاة الصبح فصبح بالمزدلفه لانها مقرونة بالنحر وهو في
ذلك اليوم لا صلاة فيه قبل النحر وغيرها مخصصا بالذكر من جملة الصلوات لاقترانها
بالنحر قلت واما من قال صلاة العيد فذلك بغير مكة اذ ليس بمكة صلاة عيد
باجماع فيما حكاه ابن عمر وقال ابن العربي فاما مالك فقال ما سمعت فيه شيا
والذي يقع في نفسي ان المراد بذلك صلاة النحر والنحر بعدها وقال علي رضي الله
عنه ومحمد بن كعب المعنى ضع اليمنى على اليسرى حذا النحر في الصلاة وروي عن
ابن عباس ايضا وروي عن علي ايضا ان يرفع يديه في التكبير الى نحره وكذا قال
جعفر بن علي فصل لربك وانحر قال يرفع يديه اول ما يكبر للاحرام الى النحر وعن
علي رضي الله عنه قال لما نزلت فصل لربك وانحر قال النبي صلى الله عليه وسلم
لجبريل ما هذه النحيره التي امرني الله بها قال ليست بنحيره ولكنه يامرك اذا تحرمت
للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا رفعت راسك من الركوع واذا سجدت
فانها صلاتنا وصلاة الملايكه الذين هم في السموات السبع وان لكل شي زينه
وان زينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وعن ابي صالح عن ابن عباس
قال استقبل القبله بنحرك وقاله الفرا والكلبي وابو الاحوص ومنه قول الشاعر
• ابا حكم ما انت عم مجالد • وسيد اهل الابطح المتناحر •
اي المتقابل قال الفرا سمعت بعض العرب يقول منازلنا تتناحر اي تتقابل نحر
هذا بنحر هذا اي قباله وقال ابن العربي هو انتصاب الرجل في الصلاة بازا المحراب
من قولهم منازلهم تتناحر اي تتقابل وروي عن عطا قال امره ان يستوي بين السجدتين
جالسا حتى يبدو نحره وقال سليمان التيمي يعني وارفع يديك بالدعا الى نحرك
وقيل فصل معناه واعبد وقال محمد بن كعب القرظي انا اعطيناك الكوثر فصل لربك

وانحر يقول ان ناسا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله وقد اعطيناك الكوثر
فلا تكن صلاتك ولا نحرك الا لله قال ابن العربي والذي عندي اراد اعبد ربك وانحر له
فلا يكن عملك الا لمن خصك بالكوثر وما يحرك ان يكون جميع العمل يوازي هذه الخصوصية
من الكوثر وهو الخير الكثير الذي اعطاه الله لها والنهر الذي طينه مسك وعدد انيته
نجوم السما واما ان يوازي هذا صلاة يوم النحر وذبح كبش او بقرة او بدنة فذلك يبعد
في التقدير والتدبير وموازنة الثواب للعبادة والله اعلم الثانية قد مضى القول
في سورة والصافات في الاضحية وفضلها ووقت ذبحها فلا معنى لاعادة ذلك وذكرنا
ايضا في سورة الحج جملة من احكامها قال ابن العربي ومن عجيب الامر قول الشافعي
وبعض العلما ان من ضحى قبل الصلاة اجزاه والله تعالى يقول فصل لربك وانحر
فبدا بالصلاة قبل النحر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ايضا في البخاري وغيره
عن البرا بن عازب قال اول ما نبدا به في يومنا هذا ان نصلي ثم نرجع فننحر من فعل
فقد اصاب نسكنا ومن ذبح قبل فانما هو لحم قدمه لاهله ليس من النسك في شي واصحابه
ينكرونه وحبذا الموافقة للشرع واما ما روي عن علي رضي الله عنه فصل لربك وانحر قال
وضع اليمين على الشمال في الصلاة خرجه الدارقطني فقد اختلف علماونا في ذلك
على ثلاثة اقوال لا يوضع في فريضة ولا نافلة لان ذلك من باب الاعتماد ولا يجوز في
الفرض ولا يستحب في النفل وهو الثاني لا يفعلها في الفريضة والثالث يفعله وهو الصحيح
لانه ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده اليمنى على اليسرى من حديث
وايل بن حجر وغيره قال ابن المنذر وبه قال مالك بن احمد واسحاق وحكي ذلك عن
الشافعي واستحب ذلك اصحاب الراي ورات جماعة ارسال اليد ممن روينا ذلك عنه
ابن الزبير والحسن البصري وابراهيم النخعي قلت وهو مروي ايضا عن مالك قال ابن
عبد البر ارسال اليدين ووضع اليمين على الشمال كل ذلك من سنة الصلاة الرابعة
واختلفوا في الموضع الذي يوضع عليه اليد فروي عن علي بن ابي طالب انه وضعهما على صدره
وقال سعيد بن جبير واحمد بن حنبل فوق السرة وقال لا باس ان كانت تحت السرة
وقالت طايفة توضع تحت السرة ويروى عن علي وابي هريرة والنخعي وابي مجلز وبه
قال سفيان الثوري واسحاق الخامسة واما رفع اليدين في التكبير عند الافتتاح
والركوع والرفع من الركوع والسجود فاختلف في ذلك فروى الدارقطني من حديث
حميد عن انس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع يديه اذا دخل في الصلاة
واذا ركع واذا رفع راسه من الركوع واذا سجد لم يروه عن حميد مرفوعا غير عبد
الوهاب الثقفي والصواب من فعل انس وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا
حذو منكبيه ثم يكبر وكان يفعل ذلك حين يكبر للركوع ويفعل ذلك حين يرفع راسه
ويقول سمع الله لمن حمده ولا يفعل ذلك حين يرفع راسه من السجود قال ابن المنذر
وهذا قول الليث ابن سعد والشافعي واحمد واسحاق وابي ثور وحكى ابن وهب
عن مالك هذا القول وبه اقول لانه الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقالت طايفة يرفع المصلي يديه حين يفتتح الصلاة ولا يرفع فيما سوى ذلك
هذا قول سفيان الثوري واصحاب الراي قلت وهو المشهور من مذهب مالك
لحديث ابن مسعود خرجه الدارقطني من حديث اسحاق بن ابي اسرايل قال ثنا
محمد عن حماد عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال صليت مع النبي صلى الله عليه
وسلم ومع ابي بكر وعمر رضي الله عنهما فلم يرفعوا ايديهم الا اولا عند التكبيرة الاولى
في الافتتاح قال ابن اسحاق تاخذ في الصلاة كلها قال الدارقطني تفرد به
محمد بن جابر وكان ضعيفا عن حماد عن ابراهيم وغير حماد يرويه عن ابراهيم مرسلا
عن عبد الله من فعله غير مرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو الصواب وقد
يروي يزيد عن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن البرا انه راى رسول الله صلى الله عليه وسلم

سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن فلا يشبع وان محمدا قد اشبعكم
من فخذ شاة وارواكم من عس لبن [illegible] قوله تعالى ابي لهب قيل سمي باللهب
لحسنه واشراق وجهه وقد ظن قوم ان في هذا دليلا على تكنية المشرك وهو باطل وانما
كناه الله بابي لهب عند العلما لمعان اربعة الاول انه كان اسمه عبد العزى والعزى صنم
ولم يضف الله العبودية في كتابه الى صنم الثاني انه كان بكنيته اشهر منه باسمه فصرح
بها الثالث ان الاسم اشرف من الكنية فحطه الله عز وجل عن الاشرف الى الانقص اذا لم
يكن بد من الاخبار عنه ولذلك دعا الله تعالى الانبيا باسمايهم ولم يكن احدا منهم بذلك
على شرف الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمى ولا يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه
واستحالة نسبة الكنية اليه لتقدسه عنها الرابع ان الله تعالى اراد ان يحقق نسبته
بان يدخله النار فيكون ابا لهب تحقيقا للنسب وانفاذا للفال والطيرة التي اختار لنفسه
وقيل اسمه كنيته وكان يسمونه ابا لهب لتلهب وجهه وحسنه فصرفهم الله عن ان يقولوا
ابو النور وابو الضيا الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه واجرى على السنتهم ان
يضيفوه الى اللهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو النار ثم حقق ذلك بان
جعلها مقره وقرا مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن ابي لهب باسكان الهاء ولم يختلفوا
في ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا فيها رووس الاي الثالثة قال ابن عباس لما خلق
الله عز وجل القلم قال له اكتب ما هو كاين فكان فيما كتب تبت يدا ابي لهب قال منصور
سيل الحسن عن قوله تعالى تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وهل كان ابو لهب
يستطيع ان لا يصلى النار فقال والله ما كان يستطيع الا ان يصلاها وانها لفي ام الكتاب
من قبل ان يخلق الله ابو لهب وابواه ويويده قول موسى لادم انت الذي خلقك الله
بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملايكته اغويت ذريتك واخرجتهم
من الجنة فقال ادم انت موسى الذي اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة تلومني
في شي كتبه الله علي قبل ان يخلق الله السموات والارض قال النبي صلى الله عليه
وسلم فحج ادم موسى وقد تقدم هذا وفي حديث همام عن ابي هريرة ان ادم قال لموسى
بكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان يخلقني قال بالفي عام قال فهل وجدت فيها
وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على امر خلقه الله وقدره علي
قبل ان يخلقني بالفي عام فحج ادم موسى وفي حديث طاووس وابن هرمز والاعرج عن
ابي هريرة باربعين عاما قوله عز وجل ما اغنى عنه ماله وما كسب من جاه وقال
مجاهد من ولد وولد الرجل من كسبه وقرا الاعمش وما اكتسب ورواه عن ابن مسعود
وقال ابو الطفيل جا بنو لهب يختصمون عند ابن عباس فاقتتلوا فقام ليحجز بينهم
فدفعه بعضهم فوقع على الفراش فغضب ابن عباس وقال اخرجوا عني الكسب
الخبيث يعني ولده وعن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه خرجه ابو داود وقال ابن
عباس لما انذر رسول الله صلى الله عليه وسلم عشيرته بالنار قال ابو لهب ان
كان ما يقول ابن اخي حقا فاني افدي نفسي بمالي وولدي فنزل ما اغنى عنه
ماله وما كسب وما في قوله ما اغنى يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما
اي اي شي اغنى وما الثانية يجوز ان يكون نفيا ويجوز ان يكون استفهاما اي اي
شي اغنى وما الثانية يجوز ان يكون بمعنى الذي ويجوز ان يكون بمعنى الفعل مصدرا
اي ما اغنى عنه ماله وكسبه قوله تعالى سيصلى نارا ذات لهب اي ذات اشتعال
وتلهب وقد مضى في سورة المرسلات القول فيه وقراة العامة سيصلى بفتح اليا
وقرا ابو رجا والاعمش بضم اليا ورواها محبوب عن اسماعيل عن ابن كثير وحسين
عن عاصم ورويت عن الحسن وقرا الاشهب العقيلي وابو سماك العدوي ومحمد بن
السميقع سيصلى بضم اليا وفتح الصاد وتشديد اللام ومعناها سيصليه الله
من قوله وتصلية جهنم والثانية من الاصلا اي يصليه الله من قوله سنصليه نارا

والاولى هو الاختيار لاجماع الناس عليها وهي من قوله الا من هو صال الجحيم قوله
تعالى وامرأته ام جميل وقال ابن العربي العوراء قبيح وكانت عوراء حمالة الحطب قال
ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدي كانت تمشي بالنميمة بين الناس تقول العرب
فلان يحطب على فلان اذا اورش عليه قال الشاعر

ان بني الادرم حمالوا الحطب • هم الوشاة في الرضا وفي الغضب • عليهم اللعنة تترى والحرب •

وقال اخر • من البيض لم تصطد على ظهر لامة • ولم تمش بين الحي بالحطب الرطب •

يعني لم تمش بالنمايم وجعل الحطب رطبا ليدل على التدخين الذي هو زيادة في الشر
وقال اكثم بن صيفي لبنيه اياكم والنميمة فانها نار محرقة وان النمام ليعمل في ساعة
ما لم يعمل الساحر في شهر اخذه بعض الشعراء فقال •

• ان النميمة نار ويحك محرقة • ففر عنها وجانب من تعاطاها •

ولذلك قيل نار الحقد لا تخبو وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يدخل
الجنة نمام وقال ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقال عليه السلام ان شر
الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال كعب الاحبار اصاب
بني اسرائيل قحط فخرج بهم موسى عليه السلام ثلاث مرات يستسقون فلم يسقوا فقال
موسى الهي عبادك فاوحى الله تعالى اني لا استجيب لك ولا لمن معك فان فيهم رجلا
نماما قد اصر على النميمة فقال موسى ايهاكم عن النميمة واكون نماما قال فتابوا باجمعهم
فسقوا والنميمة من الكباير لا اختلاف في ذلك حتى قال الفضيل بن عياض ثلاث تهد
العمل الصالح ويفطرن الصايم وينقض الوضوء الغيبة والنميمة والكذب وقال عطا بن
السايب ذكرت للشعبي قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يسكن مكة سفاك دم ولا مشاء
بنميمة ولا تاجر يربي فقلت له يا ابا عمرو قرن النمام بالقاتل واكل الربا فقال وهل
يسفك الدما وتنتهب الاموال العظام الا من اجل النميمة وقال قتادة وغيره
كانت تعيّب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفقر ثم كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب
على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد والضحاك كانت تاخذ العضاه
والشوك فتطرحه بالليل في طريق النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وقاله ابن عباس
وقال الربيع فكان النبي صلى الله عليه وسلم يطاه كما يطا الحرير وقال مرة الهمداني كانت
ام جميل تاتي كل يوم بابالة من الحسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينا هي ذات يوم
حاملة حزمة اعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاهلكها وقال
سعيد بن جبير حمالة الخطايا والذنوب من قولهم فلان يحتطب على ظهره دليله قوله
تعالى وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم الا ساء ما يزرون وقيل المعنى حمالة الحطب
في النار وفيه بعد وقراءة العامة حمالة بالرفع على ان يكون خبرا وامرأته مبتدا
ويكون في جيدها حبل من مسد جملة في موضع الحال من المضمر في حمالة او خبرا
ثانيا او يكون حمالة الحطب نعتا لامرأته والخبر في جيدها حبل من مسد فيوقف على هذا
على ذات لهب ويجوز ان يكون وامرأته معطوفة على المضمر في سيصلى فلا يوقف
على ذات لهب فيوقف على امرأته ويكون حمالة الحطب خبر ابتدا محذوف وقرا عاصم
حمالة الحطب بالنصب على الذم كانها اشتهرت بذلك فجاءت الصفة للذم لا للتخصيص
كقوله تعالى ملعونين اينما ثقفوا وقرا ابو قلابة حاملة الحطب قوله تعالى
في جيدها اي في عنقها وقال امرؤ القيس

• وجيد كجيد الريم ليس بفاحش • اذا هي نصته ولا بمعطل •

حبل من مسد اي من ليف قال النابغة

• مقذوفة بدخيس النحض بازلها • له صريف صريف القعو بالمسد •

وقال اخر • يا مسد الخوص تعوذ مني • ان كنت لدنا لينا فاني •

وقد يكون من جلود الابل او من اوبارها قال الشاعر

• وَمَسَدٍ امرّ من ايانق • ليس باثنات ولا حقايق •

وجمع الجيد اجياد والمسد امساد قال ابو عبيدة هو حبل يكون من صوف قال
الحسن هي حبال من شجر تنبت باليمن تسمى المسد وكانت تفتل قال الضحاك وغيره
هذا في الدنيا فكانت تعير النبي صلى الله عليه وسلم بالفقر وهي تحتطب في حبل تجعله
في جيدها من ليف فخنقها الله عز وجل به فاهلكها وهو في الاخرة حبل من نار وقال
ابن عباس في رواية ابي صالح في جيدها حبل من مسد قال سلسلة ذرعها سبعون
ذراعا وقاله مجاهد وعروة بن الزبير تدخل فيها وتخرج من اسفلها ويلوى
سايرها على عنقها وقال قتادة حبل من مسد قال قلادة من ودع الحسن انما كان
خرزا في عنقها سعيد بن المسيب انما كان لها قلادة فاخرة من جوهر فقالت واللات
والعزة لانفقنها في عداوة محمد ويكون ذلك عذابا في جيدها يوم القيامة وقيل
ان ذلك اشارة الى الخذلان يعني انها مربوطة عن الايمان بما سبق لها من الشقاوة
كالمربوط في جيده بحبل من مسد والمسد الفتل يقال مسد حبله يمسده مسدا اذا
اجاد فتله قال يمسد اعلى لحمه ويأرمه يقول ان البقل يقوي ظهر هذا الحمار ويشده
وانه مسودة الخلق اذا كانت شديدة الاسر قال الشاعر

• ومسد امر من ايانق صهب عتاق ذات مخ زاهق •

• لسن بانيات ولا حقايق • ويروى • ولا ضعاف مخهن زاهق •

قال الفرا هو مرفوع والشعر مكفأ يقول بل مخهن مكتنز رفعه على الابتدا وقال
ولا يجوز ولا ضعاف زاهق مخهن كما لا يجوز ان يقال مررت برجل ابوه قايم بالخفض
وقال غيره الزاهق هنا بمعنى الذاهب كانه قال ولا ضعاف مخهن ثم رد الزاهق
على الضعاف ورجل ممسود اي مجدول الخلق وجارية حسنة المسد والعصب والجدل
والارم وهي ممسودة ومعصوبة ومجدولة ومارومة والمساد على فعال لغة
في المساب وهو نحي السمن وسقا العسل قال جميعه الجوهري وقد اعترض فقيل
ان كان ذلك حبلها الذي يحتطب به فكيف يبقى في النار واجيب عنه بان الله عز وجل
قادر على تجديده كلما احترق والحكم ببقاء ابي لهب وامرأته في النار مشروط ببقائهما
على الكفر الى الموافاة فلما ماتا على الكفر صدق الاخبار عنهما ففيه معجزة للنبي صلى
الله عليه وسلم فامرأته خنقها الله بحبلها وابو لهب رماه الله بالعدسة بعد وقعة
بدر بسبع ليال بعد ان شجته ام الفضل وذلك انه لما قدم الحيسمان مكة يخبر خبر بدر
قال له ابو لهب اخبرني خبر الناس قال نعم والله الا ان لقينا القوم فمنحناهم
اكتافنا يضعون السلاح منا حيث شاءوا ومع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا
بيضا على خيل بلق لا والله ما يبقى منها شيء يقول ما يبقى شيئا قال ابو رافع وكنت غلاما
للعباس انحت الاقداح في صفة زمزم وعندي ام الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا
من الخبر فرفعت طنب الحجرة فقلت تلك والله الملايكة قال فرفع ابو لهب يده فضرب
وجهي ضربة منكرة وثاورته وكنت رجلا ضعيفا فاحتملني فضرب بي الارض وبرك
على صدري يضربني وتقدمت ام الفضل الى عمود من عمد الحجرة فاخذته وتقول
استضعفته ان غاب عنه سيده وتضربه بالعمود على راسه فتفلقه شجة منكرة
فقام يجر رجليه ذليلا ورماه الله بالعدسة فمات واقام ثلاثة ايام لم يدفن
حتى انتن ثم ان ولده غسلوه بالماء قذفا من بعيد مخافة عدوى العدسة وكانت قريش
تتقيها كما يتقى الطاعون ثم احتملوه الى اعلى مكة فاسندوه الى جدار ثم رضخوا عليه الحجارة

سورة الاخلاص مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعكرمة وجابر ومدنية في احد قولي ابن
عباس وقتادة والضحاك والسدي وهي اربع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل هو الله احد اي الواحد الوتر الذي لا شبيه له ولا نظير ولا صاحبة
ولا ولد ولا شريك واصل احد وحد قلبت الواو همزة ومنه قول النابغة بذي الجليل على مستانس وحد
وقد تقدم في سورة البقرة الفرق بين واحد واحد وفي كتاب الاسنى في شرح اسما
الله الحسنى ايضا مستوفى والحمد لله واحد مرفوع على معنى هو احد وقيل المعنى قل
الامر والشان الله احد وقيل الله احد بدل من قوله الله احد وقرا جماعة احد الله بلا تنوين طلبا
للخفة وفرارا من التقا الساكنين ومنه قول الشاعر • ولا ذاكر الله الا قليلا •
الله الصمد اي الذي يصمد اليه في الحاجات كذا روى الضحاك عن ابن عباس قال
الذي يصمد اليه في الحاجات كما قال جل وعز ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون قال اهل
اللغة الصمد السيد الذي يصمد اليه في النوازل والحاجات قال •
• الا بكر الناعي بخير بني اسد • بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد •
وقال قوم الصمد الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال وقيل تفسيره ما بعده لم يلد ولم
يولد قال ابن كعب الصمد الذي لا يلد ولا يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس
شي يموت الا سيورث وقال علي وابن عباس ايضا وابو وايل وشقيق بن سلمه
وسفيان الصمد السيد الذي انتهى اليه سودده في انواع الشرف والسودد ومنه
قول الشاعر • علوته بحسام ثم قلت له • خذها حذيف فانت السيد الصمد •
وقال ابو هريرة انه المستغني عن كل احد والمحتاج اليه كل احد وقال السدي انه
المقصود في الرغايب والمستعان به في المصايب قال الحسين بن الفضل انه الذي
يفعل ما يشا ويحكم ما يريد قال مقاتل انه الكامل الذي لا عيب فيه ومنه قول
الزبرقان • سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا • ولا رهينة الا سيد صمد •
وقال الحسن وعكرمه والضحاك وابن جبير الصمد المصمت الذي لا جوف له قال الشاعر
• شهاب حروب لا تزال جياده • عوابس يعلكن الشكيم المصمدا •
قلت قد اتينا على هذه الاقوال مبينة في الصمد في كتاب الاسنى وان الصحيح
منها ما يشهد له الاشتقاق وهو القول الاول ذكره الخطابي وقد اسقط من هذه
السورة من ابعده الله واخزاه وجعل النار مقامه ومثواه وقرا الله الواحد
الصمد في الصلاة فاسقط قل هو وزعم انه ليس من القران وغير لفظ احد
وادعى ان هذا هو الصواب والذي عليه الناس هو الباطل والمحال فابطل
معنى الاية لان اهل التفسير قالوا نزلت الاية جوابا لاهل الشرك لما قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم صف لنا ربك امن ذهب ام من فضة ام من نحاس ام من
صفر فقال الله عز وجل ردا عليهم قل هو الله احد ففي هو دلالة على موضع
الرد ومكان الجواب فاذا بطل معنى الاية وصح الافترا على الله عز وجل والتكذيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وروى الترمذي عن ابي بن كعب ان المشركين
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم انسب لنا ربك فانزل الله عز وجل قل
هو الله احد الله الصمد وقد تقدم وعن عكرمه نحوه وقال ابن عباس لم
يلد كما والصمد الذي لم يلد ولم يولد لانه ليس شي يولد الا سيموت وليس
شي يموت الا سيورث وان الله تعالى لا يموت ولا يورث ولم يكن له كفوا احد
قال لم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شي ويروى عن ابي العالية ان
النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الهتهم فقالوا انسب لنا ربك قال فاتاه جبريل
بهذه السورة قل هو الله احد فذكر نحوه ولم يذكر فيه عن ابي بن كعب وهذا
اصح قاله الترمذي قلت في هذا الحديث اثبات لفظ قل هو الله احد وتفسير
الصمد وقد تقدم وعن عكرمة نحوه وقال ابن عباس لم يلد كما ولدت مريم
ولم يولد كما ولد عيسى وعزير وهو رد على النصارى وعلى من قال عزير ابن الله
ولم يكن له كفوا احد اي لم يكن له احد مثلا وفيه تقديم وتاخير تقديره ولم
يكن له احد كفوا فقدم خبر كان على اسمها لتناسق الاواخر اي على نظم واحد

وقرى كفوا بضم الفا وسكونها وقد تقدم في البقرة ان كل اسم على ثلاثة احرف اوله
مضموم فانه يجوز في عينه الضم والاسكان الا قوله تعالى وجعلوا له من عباده جزءا
لعلة تقدمت وقرا حفص كفوا مضموم الفا غير مهموز وكلها لغات فصيحة القول في الاحاديث
الوارده في فضل هذه السورة وفيه ثلاث مسايل الاولى ثبت في صحيح البخاري عن
ابي سعيد الخدري ان رجلا سمع رجلا يقرا قل هو الله احد يرددها فلما اصبح
جا الى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له يتقالها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والذي نفسي بيده انها لتعدل ثلث القران وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القران في ليلة فشق ذلك عليهم وقالوا اينا يطيق
ذلك يا رسول الله فقال الله الواحد الصمد ثلث القران خرجه مسلم من حديث ابو
داود بمعناه وخرج عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احشدوا
فاني ساقرا عليكم ثلث القران فحشد من حشد ثم خرج نبي الله صلى الله عليه وسلم فقرا قل
هو الله احد ثم دخل فقال بعضنا لبعض اني ارى هذا خبرا جاه من السما فذاك الذي
ادخله ثم خرج فقال اني قلت لكم اني ساقرا عليكم ثلث القران الا انها تعدل ثلث القران
قال بعض العلما انها عدلت ثلث القران لاجل هذا الاسم الذي هو الصمد فانه لا يوجد
في غيرها من السور وكذلك احد وقيل ان القران انزل اثلاثا ثلث منه احكام
وثلث وعد ووعيد وثلث اسما وصفات وقد جمعت قل هو الله احد الاثلاث
وهو الاسما والصفات ودل على هذا التاويل ما في صحيح مسلم من حديث ابي الدردا
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل جزا القران ثلثة اجزا فجعل قل
هو الله احد جزا من اجزا القران وجعل نص ولهذا المعنى سميت سورة الاخلاص
والله اعلم الثانيه روى مسلم عن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا
على سرية وكان يقرا لاصحابه في صلاته فيختم بقل هو الله احد فلما رجعوا ذكروا ذلك
للنبي صلى الله عليه وسلم فقال سلوه لاي شي يصنع ذلك فسالوه فقال انها
صفة الرحمن فانا احب ان اقراها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبروه ان الله
عز وجل يحبه وروى الترمذي من حديث انس بن مالك قال كان رجل من الانصار
يومهم في مسجد قبا فكان كلما افتتح سورة يقرؤها لهم في الصلاة فقرا بها افتتح بقل
هو الله احد حتى يفرغ منها ثم يقرا سورة اخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه
اصحابه فقالوا انك تقرا بهذه السورة ثم لا ترى انها تجزيك حتى تقرا بسورة اخرى
فاما ان تقراها واما ان تدعها وتقرا بسورة اخرى قال ما انا بتاركها ان احببتم ان
اومكم بها فعلت وان كرهتم تركتكم وكانوا يرونه افضلهم وكرهوا ان يومهم غيره فلما
اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم اخبروه الخبر فقال يا فلان ما يمنعك ما يامرك به
اصحابك وما يحملك ان تقرا هذه السورة في كل ركعة فقال يا رسول الله اني احبها
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبها ادخلك الجنة حديث حسن صحيح
قال ابن العربي فكان هذا دليلا على انه يجوز تكرار سورة في كل ركعة وقد رايت
على باب الاسباط فيما يقرب منه اماما من جملة الثمانية والعشرين اماما كان يصلي
فيه التراويح في رمضان بالاتراك فيقرا في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله احد
حتى يتم التراويح تخفيفا عليه ورغبة في فضلها وليس من السنة ختم القران في رمضان
قلت هذا نص قول مالك وليس ختم القران في المساجد بسنة الثالثة روى الترمذي
عن انس بن مالك قال اقبلت مع النبي صلى الله عليه وسلم فسمع رجلا يقرا قل هو
الله احد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت قلت وما وجبت قال الجنة
وقال هذا حديث حسن صحيح قال الترمذي حدثنا محمد بن مرزوق البصري
قال حدثنا حاتم بن ميمون ابو سهل عن ثابت البناني عن انس بن مالك ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرا قل هو
الله احد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب يا عبدي ادخل على يمينك الجنة

وقال هذا حديث غريب من حديث ثابت عن انس وفي مسند ابي محمد الدارمي
عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اراد ان ينام على فراشه
فنام على يمينه ثم قرا قل هو الله احد مايتي مره فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب
ياعبدي ادخل على يمينك الجنة وفي مسند ابي محمد الدارمي عن انس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد خمسين مره غفرت ذنوبه
خمسين سنه قال وحدثنا عبد الله بن يزيد قال حدثنا حيوه قال اخبرني ابن
عقيل انه سمع سعيد بن المسيب يقول ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا قل
هو الله احد عشر مرات بني له قصر في الجنة ومن قراها ثلثين مره بني له ثلثة
قصور في الجنة فقال عمر بن الخطاب فقال عمر بن الخطاب اذن لتكثرن قصورنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله اوسع من ذلك قال ابو محمد ابو عقيل
زهرة بن معبد وزعموا انه كان من الابدال وذكر ابو نعيم الحافظ من حديث ابي العلا
يزيد بن عبد الله بن الشخير عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا قل هو الله احد في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره وامن من ضغطة
القبر وحملته الملائكة يوم القيامة باكفها حتى يجيزوه من الصراط الى الجنة قال هذا
حديث غريب من حديث يزيد تفرد به نصر بن حماد البجلي وذكر ابو بكر احمد بن علي
ابن ثابت الحافظ عن عيسى بن ابي فاطمة الرازي قال سمعت مالك بن انس رضي الله
عنه يقول اذا نقس بالناقوس اشتد غضب الرحمن فتنزل الملائكة فياخذون باقطار
الارض فلا يزالون يقرون قل هو الله احد حتى يسكن غضبه عز وجل وخرج من
حديث محمد بن خالد الجندي عن مالك عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرا في كل ركعة بفاتحة
الكتاب وخمسين مره قل هو الله احد فذلك مايتا مره في اربع ركعات لم يمت حتى
يرى منزله في الجنة او يرى له وقال ابو عمر مولى جرير بن عبد الله البجلي عن جرير
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا قل هو الله احد حين يدخل منزله نفت
الفقر عن اهل ذلك المنزل وعن الجيران وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من قرا قل هو الله احد مره بورك عليه ومن قراها مرتين بورك عليه وعلى اهله
ومن قراها ثلث مرات بورك عليه وعلى جيرانه ومن قراها اثني عشر مره بنى الله له اثنا
عشر قصرا في الجنة وتقول الحفظة انطلقوا بنا ننظر الى قصر اخينا فان قراها مايه مره
كفر الله عنه ذنوب خمسين سنه ما خلا الدما والاموال فان قراها اربع مايه مره
كفر الله عنه ذنوب مايتي سنه فان قراها الف مره لم يمت حتى يرى مكانه او يرى في الجنة
او يرى له وعن سهل بن سعد الساعدي قال شكا رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم
الفقر وضيق المعيشه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخلت البيت فسلم
ان كان فيه احد وان لم يكن فيه احد سلم علي واقرا قل هو الله احد مره ففعل
الرجل فادر الله عليه الرزق حتى افاض على جيرانه وقال انس كنا مع النبي صلى الله
عليه وسلم بتبوك فطلعت الشمس بيضا لها شعاع ونور لم ارها فيما مضى طلعت قط
كذلك فيما مضى قط فقال ذلك لان معاوية ابن معاوية الليثي توفي بالمدينة
اليوم فبعث الله سبعين الف ملك يصلون عليه قال ومم ذاك قال كان يكثر قراة
قل هو الله احد اناء الليل واطراف النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل يا رسول الله
ان اقبض لك الارض فتصلي عليه قال نعم فصلى عليه ثم رجع ذكره الثعلبي والله اعلم

سورة الفلق وهي مكية

في قول عكرمة والحسن وجابر وعطا ومدنية في احد قولي ابن عباس وقتادة وهي
خمس ايات وهذه السورة وسورة الناس والاخلاص تعوذ بها رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين سحرته اليهود على ما ياتي وقيل ان المعوذتين كان يقال لهما المقشقشتان

اي

اي يبريان من النفاق وقد تقدم وزعم ابن مسعود انها دعا يتعوذ به وليستا من القران
خالف به الاجماع من اهل البيت والصحابة واهل البيت قال ابن قتيبة لم يكتب ابن
مسعود في مصحفه المعوذتين لانه كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ
الحسن والحسين رضي الله عنهما بهما فقدر انهما بمنزلة اعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان
وهامه ومن كل عين لامه قال ابو بكر الانباري وهذا مردود على ابن قتيبة لان المعوذتين
من كلام رب العالمين المعجز لجميع المخلوقين واعيذكما بكلمات الله التامة من كلام البشر بين
وكلام الخالق الذي هو اية لمحمد صلى الله عليه وسلم وحجة له باقية على جماعة الكافرين
لا يلتبس بكلام الادميين على مثل عبد الله بن مسعود الفصيح اللسان العالم باللغة العارف
باجناس الكلام وافانين القول وقال بعض الناس لم يكتب عبد الله المعوذتين لانه امن
عليهما من النسيان فاسقطهما وهو يحفظهما كما اسقط فاتحة الكتاب من مصحفه وما يشك
في حفظه واتقانه لها فرد هذا القول على قايله واحتج عليه بانه كتب اذا جاء نصر الله والفتح
وانا اعطيناك الكوثر وقل هو الله احد وهن يجرين مجرى المعوذتين في انهما غير طوال
والحفظ اليهن اسرع ونسيانهن مامون وكلهن تخالف فاتحة الكتاب اذ الصلاة لا تتم
الا بقراتها وسبيل كل ركعة ان تكون المقدمة قبل ما يقرا من بعدها فاسقط فاتحة الكتاب
من المصحف على معنى الثقة سبق حفظها والامن من نسيانها صحيح وليس من السور ما يجري في
هذا المعنى مجراها ولا يسلك به طريقها وقد مضى هذا المعنى في سورة الفاتحة والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق الى اخر السورة فيه تسع مسايل الاولى
روى النساي عن عقبة بن عامر قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو راكب فوضعت
يدي على قدمه فقلت اقرئني سورة هود اقرئني سورة يوسف فقال لي لن تقرا شيا ابلغ عند
الله من قل اعوذ برب الفلق وعنه ايضا قال بينا انا اسير مع النبي صلى الله عليه وسلم بين
الجحفة والابوا اذ غشتنا ريح مظلمه شديده فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ
باعوذ برب الفلق واعوذ برب الناس ويقول يا عقبه تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما
قال وسمعته يقرا بهما في الصلاة وروى النساي عن عبد الله قال اصابنا طش وظلمه
فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم ذكر كلاما معناه فخرج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال قل فقلت ما اقول قال قل هو الله احد والمعوذتين حين تمسي
وحين تصبح ثلاثا تكفيك كل شي وعن عقبة بن عامر الجهني قال قال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم قل قلت ما اقول قال قل هو الله احد قل اعوذ برب الفلق قل اعوذ برب
الناس فقراهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لم يتعوذ الناس بمثلهن وفي حديث
ابن عباس قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس هاتين السورتين وفي صحيح
البخاري ومسلم عن عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى يقرا على نفسه المعوذات
وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرا عليه وامسح عنه بيده رجا بركتها النفث النفخ ليس
معه ريق الثانية ثبت في الصحيحين من حديث عايشة ان النبي صلى الله عليه وسلم
سحره يهودي من يهود بني زريق يقال له لبيد بن الاعصم حتى يخيل اليه انه كان يفعل
الشي ولا يفعله فمكث كذلك ما شا الله ان يمكث في غير الصحيح سنه ثم قال يا عايشه
اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه اتاني ملكان جلس احدهما عند راسه
والاخر عند رجلي قالوا ما شان الرجل قالوا مطبوب قالوا ومن طبه قال لبيد بن
الاعصم قال فيما ذا قال في مشط ومشاطه وجف طلعه ذكر تحت راعوفه في بير ذي
ازوان فجا اليه واستخرجه انتهى الصحيح وقال ابن عباس اما شعرت يا عايشه ان الله
اخبرني بداي ثم بعث عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ما تلك البير كانه نقاعة الحنا
ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفه صخرة تترك اسفل البير يقوم عليها الماتح واخرجوا الجف
فاذا امشاطة راسه واسنان من مشط واذا فيه وتر معقود فيه احدى عشر عقده مغروزة

بالابر فانزل الله تعالى هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية على عدد تلك العقد
وامر ان يتعوذ بهما فجعل كلما قرا آية انحلت عقدة الى الاخيرة فقام كانما انشط من
عقال ونام ليس به باس وجعل جبريل يرقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول
بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك فقالوا يا رسول
الله الا نقتل الخبيث فقال اما انا فقد شفاني الله واكره ان اثير على الناس شرا
وذكر القشيري في تفسيره انه ورد في الصحاح ان غلاما من اليهود كان يخدم النبي صلى
الله عليه وسلم فدبت اليه اليهود ولم يزالوا به حتى اخذ مشاطة راس النبي صلى الله عليه
وسلم والمشاطة بضم الميم ما يسقط من الشعر عند المشط واخذ عدة من اسنان مشطه
فاعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك لبيد بن الاعصم اليهودي وذكر
نحو ما تقدم عن ابن عباس الثانية تقدم في البقرة القول في الساحر وحقيقته وما
ينشا عنه من الالام والمفاسد وحكم الساحر فلا معنى لاعادته الرابعة قوله تعالى
الفلق اختلف فيه فقيل سجن في جهنم قاله ابن عباس وقال ابي بن كعب بيت في جهنم
اذا فتح صاح اهل جهنم من حره وقال الحبلي ابو عبد الرحمن هو اسم من اسماء جهنم
وقال الكلبي واد في جهنم وقال عبد الله بن عمر شجرة في النار سعيد بن جبير جب
في النار النحاس يقال لما اطمان من الارض فلق فعلى هذا يصح هذا القول وقال
جابر بن عبد الله والحسن وسعيد بن جبير ايضا ومجاهد وقتادة والقرظي وابن زيد
الفلق الصبح وقاله ابن عباس تقول العرب هو ابين من فلق الصبح وفرق الصبح
وقال الشاعر ● يا ليلة لم انمها مرتفقا ● ارعى النجوم الى ان نور الفلق ●
وقيل الفلق الجبال لانها تشق والصخور تتفلق بالمياه اي تتشقق وقيل هو التفليق
بين الجبال لانها تنشق من خوف الله تعالى قال زهير ●
● ما زلت ارمقهم حتى اذا هبطت ● ايدي الركاب بهم من راكس فلقا ●
الراكس بطن الوادي وكذلك هو في قول النابغة ● ودوني راكس في الضواجع ●
والراكس ايضا الهادي وهو الثور وسط البيدر يدور عليه الثيران في الدراسة
وقيل الرحم تنفلق بالحيوان وقيل انه كل ما انفلق عن جميع ما خلق من الحيوان والصبح
والحب والنوى وكل شيء من نبات وغيره قاله الحسن وغيره قال الضحاك الفلق الخلق كله
قال الشاعر ● وسوس يدعو مخلصا رب الفلق ● سرا وقد اون تاوين العقق ●
قلت هذا القول يشهد له الاشتقاق فان الفلق الشق فلقت الشيء فلقا اي شققته
والتفليق مثله يقال فلقته فانفلق وتفلق وكل ما انفلق عن شيء من حيوان او حب
وصبح ونوى وماء فهو فلق قال الله تعالى فالق الاصباح وقال تعالى فالق الحب
والنوى وقال ذو الرمة يصف الثور الوحشي ●
● حتى اذا ما انجلى عن وجهه فلق ● هاديه في اخريات الليل منتصب ●
يعني بالفلق هنا الصبح بعينه والفلق ايضا المطمئن من الارض بين الربوتين وجمعه
فلقان مثل خلق وخلقان وربما قالوا كان ذلك بفالق كذا وكذا يريدون به المكان
المنحدر بين الربوتين والفلق ايضا مقطرة السجان فاما الفلق بالكسر فالداهية
والامر العجيب تقول منه افلق الرجل وافتلق وشاعر مفلق وقد جاء بالفلق والفلق
ايضا القضيب يشق باثنين فيعمل منه قوسان يقال لكل واحد منهما فلق وقولهم
جاء بعلق فلق وهي الداهية لا يجرى تقول منه اعلقت وافلقت اي جئت بعلق فلق
ومر يفتلق في عدوه اي ياتي بالعجب من شدته وقوله تعالى من شر ما خلق قيل
هو ابليس وذريته وقيل جهنم وقيل هو عام من شر كل ذي شر خلقه الله عز وجل
الخامسة قوله ومن شر غاسق اذا وقب اختلف فيه فقيل هو الليل والغسق اول
ظلمة الليل يقال منه غسق الليل يغسق اذا اظلم قال قيس بن الرقيات ●
● ان هذا الليل قد غسقا ● واشتكيت الهم والارقا ●
وقال آخر ● يا طيف هند لقد ابقيت لي ارقا ● اذ جئتنا طارقا والليل قد غسقا ●

هذا

هذا قول ابن عباس والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم ووقب على هذا التفسير اظلم
قاله ابن عباس وقال الضحاك دخل وقال قتادة ذهب وقال يمان بن رئاب سكن
وقيل نزل يقال وقب العذاب على الكافر نزل قال الشاعر ●
● وقب العذاب عليهم فكانهم ● لحقتهم نار السموم فاحصدوا ●
وقال الزجاج قيل الليل غاسق لانه ابرد من النهار والغاسق البارد والغسق البرد
لان في الليل تخرج السباع من آجامها والهوام من اماكنها وينبعث اهل الشر على العبث والفساد
وقيل الغاسق الثريا وذلك انها اذا سقطت كثرت الاسقام والطواعين واذا طلعت ارتفع
ذلك قاله عبد الرحمن وقيل الغاسق الشمس اذا غربت قاله ابن شهاب وقيل هو القمر قال
القتيبي اذا وقب القمر اذا دخل اذا غاب وهو اذا دخل في ساهوره وهو كالغلاف له اذا
خسف به وهو اصح لان في الترمذي عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم نظر الى
القمر فقال يا عائشة استعيذي بالله من شر هذا فان هذا هو الغاسق اذا وقب قال
ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وقال احمد بن يحيى ثعلب عن ابن الاعرابي في تاويل
هذا الحديث وذلك ان اهل الريب يتحينون وجبة القمر وانشد
● اراحني الله من اشيا اكرهها ● منها العجوز ومنها الكلب والقمر ●
● هذا يبوح وهذا يستضاء به ● وهذه ضمرز قوامة السحر ●
وقيل الغاسق الحية اذا لدغت وكان الغاسق نابها لان السم يغسق منه اي يسيل ووقب
نابها اذا دخل في اللديغ وقيل الغاسق كل هاجم يضر كائنا ما كان من قولهم غسقت
القرحة اذا جرى صديدها السادسة قوله تعالى ومن شر النفاثات في العقد يعني
الساحرات اللاتي ينفثن في عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يعمل من يرقي
قال الشاعر ● اعوذ بربي من النافثات ● ومن عضه العاضه المعضه ●
وقال متمم بن نويرة ● نفثت في الخيط شبه الرقى ● من خشية الجنة والحاسد ●
وقال عنترة ● فان يبرا فلم انفث عليه ● وان يفقد فحق له الفقود ●
السابعة روى النسائي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عقد
عقدة ثم نفث فيها فقد سحر ومن سحر فقد اشرك ومن تعلق شيئا وكل اليه واختلف
في النفث عند الرقى فمنعه قوم واجازه آخرون قال عكرمة لا ينبغي للراقي ان ينفث
ولا يمسح ولا يعقد قال ابراهيم كانوا يكرهون النفث في الرقى وقال بعضهم دخلت
على الضحاك وهو وجع فقلت الا اعوذك يا ابا محمد فقال بلى ولكن لا تنفث فعوذته
بالمعوذتين وقال ابن جريج قلت لعطاء القرآن ينفخ به او ينفث قال لا شيء
من ذلك ولكن تقرؤه هكذا ثم قال بعد ان شئت فانفث وسئل محمد بن سيرين عن
الرقية ينفث فيها فقال لا اعلم بها باسا واذا اختلفوا فالحاكم بينهم السنة روت
عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفث في الرقية رواه الائمة وقد ذكرنا اول
السورة وفي سبحان وعن محمد بن حاطب ان يده احترقت فاتت به امه الى النبي صلى الله
عليه وسلم فجعل ينفث عليها ويتكلم بكلام زعم انه لم يحفظه وقال محمد بن الاشعث
ذهبت الى عائشة رضي الله عنها وفي عيني سوء فرقتني ونفثت واما ما روي عن
عكرمة من قوله لا ينبغي للراقي ان ينفث فكانه ذهب فيه الى ان الله تعالى جعل
النفث في العقد مما يستعاذ به فلا يكون بنفسه محمودا وليس هذا هكذا لان النفث
في العقد اذا كان مذموما لم يجب ان يكون النفث بلا عقد مذموما ولان النفث في
العقد انما اريد به السحر المضر بالارواح وهذا النفث لاستصلاح الابدان فلا
يقاس ما ينفع بما يضر واما كراهة عكرمة المسح فخلاف السنة قال علي رضي الله عنه
اشتكيت فدخل علي النبي صلى الله عليه وسلم وانا اقول اللهم ان كان اجلي قد
حضر فارحني وان كان متاخرا فاشفني وعافني وان كان بلاء فصبرني فقال
النبي صلى الله عليه وسلم كيف قلت فقلت له فمسحني بيده ثم قال اللهم اشفه فما
عاد بعد ذلك الوجع بعد وقرا عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن سابط وعيسى بن عمر

ورويس عن يعقوب ومن شر النفاثات في وزن فاعلات وروت عن عبد الله
ابن القاسم مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنها وروي أن لبنات لبيد سحرن النبي صلى
الله عليه وسلم في إحدى عشرة عقدة فأنزل الله المعوذتين إحدى عشرة آية
قال ابن زيد كن من اليهود يعني السواحر المذكورات وقيل هن بنات لبيد بن الأعصم
قوله تعالى ومن شر حاسد إذا حسد وقد تقدم في سورة النساء معنى
الحسد وأنه تمني زوال نعمة المحسود وإن لم يصر للحاسد مثلها والمنافسة
هي تمني مثلها وإن لم تزل فالحسد شر مذموم والمنافسة مباحة وهي الغبطة وقد
روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن يغبط والمنافق يحسد وفي الصحيحين
لا حسد إلا في اثنتين يريد لا غبطة وقد مضى في سورة النساء والحمد لله قلت
قال العلماء الحاسد لا يضر إلا إذا ظهر حسده بفعل أو قول وذلك بأن يحمله الحسد
على إيقاع الشر بالمحسود فيتبع مساويه ويطلب عثراته قال صلى الله عليه وسلم
إذا حسدت فلا تبغ الحديث وقد تقدم والحسد أول ذنب عصي الله به في السماء
وأول ذنب عصي به في الأرض فحسد إبليس آدم وحسد قابيل هابيل والحاسد
ممقوت مبغوض مطرود وملعون ولقد أحسن من قال

قل للحسود إذا تنفس ضجرة • يا ظالما وكأنه مظلوم •

الخامسة هذه السورة دالة على أن الله تعالى خالق كل شر وأمر نبيه صلى الله
عليه وسلم أن يتعوذ من جميع الشرور فقال من شر ما خلق وجعل خاتمة ذلك
الحسد تنبيها على عظمه وكثرة ضرره والحاسد عدو نعمة الله تعالى قال
بعض الحكماء بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه أولها أنه أبغض كل نعمة ظهرت على
غيره وثانيها أنه ساخط لقسمة ربه كأنه يقول لم قسمت هذه القسمة وثالثها أنه
ضاد فعل الله أي أن فضل الله يؤتيه من يشاء وهو يبخل بفضل الله ورابعها أنه
خذل أولياء الله أي يريد خذلانهم وزوال النعمة عنهم وخامسها أنه أعان عدوه
إبليس وقيل لا ينال في المجالس إلا ندامة ولا ينال عند الملائكة إلا لعنا وبغضا
ولا ينال في الخلوة إلا جزعا وغما ولا ينال في الآخرة إلا حزنا واحتراقا ولا ينال
من الله إلا بعدا ومقتا وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة لا يستجاب دعاؤهم
آكل الحرام ومكثر الغيبة ومن كان في قلبه غل أو حسد للمسلمين والله سبحانه وتعالى أعلم

سورة الناس

مثل الفلق لأنها إحدى المعوذتين وروى الترمذي من حديث عقبة بن عامر
الجهني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قد أنزل الله علي آيات لم ير مثلهن قل
أعوذ برب الناس إلى آخر السورة وقل أعوذ برب الفلق إلى آخرها وقال هذا حديث حسن صحيح
رواه مسلم أيضا

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس أي مالكهم ومصلح
أمورهم وإنما ذكر أنه رب الناس وإن كان ربا لجميع الخلق لأمرين أحدهما لأن الناس
معظمون فأعلم بذكرهم أنه الذي يعيذ منهم وإنما قال ملك الناس إله الناس لأن في
الناس ملوكا فذكر أنه ملكهم وفي الناس من يعبد غيره فذكر أنه إلههم ومعبودهم
وأنه الذي يجب أن يستعاذ به ويلجأ إليه دون الملوك والعظماء قوله تعالى من
شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس يعني من شر ذي الوسواس
فحذف المضاف قاله الفراء وهو بفتح الواو بمعنى الاسم أي الموسوس وبكسر الواو
المصدر يعني الوسوسة وكذلك الزلزال والزلزال والوسوسة حديث النفس يقال
وسوست إليه نفسه وسوسة ووسوسة بكسر الواو ويقال لهمس الصائد والكلاب
وأصوات الحلي وسواس قال ذو الرمة

فبات

فبات يشئزه ثأد ويسهره • تذؤب الريح والوسواس والهضب •

وقال الأعشى

تسمع للحلي وسواسا إذا انصرفت • كما استعان بريح عشرق زجل •

وقيل إن الوسواس الخناس ابن لإبليس جاء به إلى حواء ووضعه بين يديها وقال اكفليه
فجاء آدم فقال ما هذا يا حواء قالت جاء عدونا بهذا وقال لي اكفليه فقال ألم أقل لك لا تطيعيه
في شيء هو الذي غرنا حتى وقعنا في المعصية وعمد إلى الولد فقطعه أربعة أرباع
وعلق كل ربع على شجرة غيظا له فجاء إبليس فقال يا حواء أين ابني فأخبرته بما صنع
به آدم فقال يا خناس فحيي فأجابه فجيء به إلى حواء وقال اكفليه فجاء آدم فأحرقه
بالنار وذر رماده في البحر فجاء إبليس وقال يا حواء أين ابني فأخبرته بفعل آدم إياه
فذهب إلى البحر فقال يا خناس فحيي فأجابه إلى حواء الثالثة فقال اكفليه فنظر
إليه آدم فذبحه وشواه وأكلاه جميعا فجاء إبليس فسألها فأخبرته فقال يا خناس فحيي
فأجابه من فؤاد آدم وحواء فقال إبليس هذا الذي أردت وهذا مسكنك في صدر
بني آدم وهو ملتقم قلب ابن آدم ما دام غافلا يوسوس فإذا ذكر الله لفظ قلبه وانخنس
ذكر هذا الخبر الترمذي الحكيم في نوادر الأصول بإسناده عن وهب بن منبه وما أظنه
يصح والله أعلم ووصف بالخناس لأنه كثير الاختفاء ومنه قوله تعالى فلا أقسم بالخنس
يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها وقيل لأنه يخنس إذا ذكر العبد الله أي يتأخر
وفي الخبر إن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا غفل وسوس وإذا ذكر
الله خنس أي تأخر وأقصر وقال قتادة إن الخناس الشيطان له خرطوم
كخرطوم الكلب في صدر ابن آدم فإذا غفل وسوس وإذا ذكر العبد ربه خنس يقال
خنسه فخنس أي أخرته فتأخر وأخنسه أيضا ومنه قول العلاء بن الحضرمي أنشده
رسول الله صلى الله عليه وسلم

وإن دحسوا بالشر فاعف تكرما • وإن خنسوا عند الحديث فلا تسل •

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الشيطان واضع خطمه على قلب
ابن آدم فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وقال إبراهيم التيمي
أول ما يبدأ الوسواس من قبل الوضوء وقيل سمي خناسا لأنه يرجع إذا غفل العبد
عن ذكر الله والخنس الرجوع قال الشاعر الراجز

وصاحب يمتعس امتعاسا • يزداد إن حببته خناسا •

وقد روى ابن جبير عن ابن عباس في قوله الوسواس الخناس وجهين أحدهما أنه الراجع
بالوسوسة عن الهدى الثاني أنه الخارج بالوسوسة عن اليقين قوله تعالى
الذي يوسوس في صدور الناس قال مقاتل إن الشيطان في صورة خنزير يجري
من ابن آدم مجرى الدم في عروقه سلطه الله على ذلك فذلك قوله تعالى الذي يوسوس
في صدور الناس وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم إن الشيطان يجري من ابن
آدم مجرى الدم وهذا يصحح ما قاله مقاتل وروى شهر بن حوشب عن أبي ثعلبة الخشني
قال سألت الله تعالى أن يريني الشيطان ومكانه من ابن آدم فرأيته في يديه ورجليه
مشاعبه في جسده غير أن له خطما كخطم الكلب فإذا ذكر العبد الله خنس ونكس وإذا
سكت عن ذكر الله تعالى أخذ بقلبه فعلى ما وصف أبو ثعلبة أنه متشعب في
الجسد في كل عضو منه شعبة وروي عن عبد الرحمن بن الأسود أو غيره من التابعين
أنه قال وقد كبرت سنه ما أمنت الزنا وما يؤمنني أن يدخل الشيطان ذكره فيوتده
فهذا القول ينبئ أنه متشعب في الجسد وهو معنى قول مقاتل ووسوسته هو الدعاء
إلى طاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت قوله تعالى من
الجنة والناس أخبر أن الموسوس قد يكون من الناس قال الحسن هما شيطانان أما
شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس وأما شيطان الإنس فيأتي علانية
وقال قتادة إن من الجن شياطين وإن من الإنس شياطين فتعوذ بالله من شياطين
الجن والإنس وروي عن أبي ذر أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شياطين الإنس

او من الجن فقال اومن الانس شياطين فنقول نعم لقوله تعالى وكذلك جعلنا
لكل نبي عدوا شياطين الجن والانس الايه وذهب قوم الى ان الناس هنا يراد به
الجن سموا اناسا كما سموا رجالا في قوله وانه كان رجال من الانس وقوما ونفرا
فعلى هذا يكون والناس عطفا على الجن ويكون التكرير لاختلاف اللفظين وذكر
عن بعض العرب انه قال وهو يحدث جا قوم من الجن فوقفوا فقيل من انتم فقالوا
نحن ناس من الجن وهو معنى الفرا وقيل الوسواس هو الشيطان وقوله من الجنة والناس
بيانا انه من الجن والناس معطوف على الوسواس المعنى قل اعوذ برب الناس من
شر الوسواس الذي هو من الجنة ومن شر الناس فعلى هذا امر ان يستعاذ بالله
من شر الجن والانس والجن جمع جني كما يقال انسي وانس والهالتا نيث الجماعه وقيل
ان ابليس يوسوس في صدور الجن كما يوسوس في صدور الناس فعلى هذا يكون في
صدور الناس عام في الجميع ومن الجنة والناس بيان لما يوسوس في صدره وقيل
معنى من شر الوسواس الذي يكون من الجنة والناس وهو حديث النفس وقد
ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عز وجل تجاوز لامتي
عما حدثت به انفسها ما لم تعمل او تتكلم به رواه ابو هريره خرجه مسلم
والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والماب
تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه على يد
افقر العباد واحوجهم الى الله احمد بن محمد
النجاجي غفر الله له ولوالديه ولمن
طالع فيه ودعا له بالمغفره وكان الفراغ
من كتابته يوم الاحد المبارك
ثالث عشر شهر ربيع الاول
سنة الف ومايه وعشرين
وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى اله وصحبه
اجمعين وسلم على
المرسلين والحمد
لله رب
العالمين
امين

تم الكتاب تكاملت ايامن نعم السرور لصاحبه
وعفى الاله بجوده وبفضله عن كاتبه

حين افتتح الصلاه رفع يديه حتى يحاذي بهما اذنيه ثم لم يعد بعد ذلك الى شي من ذلك
حتى فرغ من الصلاه قال الدارقطني لعله يزيد في اخر عمره ثم لم يعد بعد فتلقنه وكان
قد اختلط وفي مختصر ما ليس في المختصر عن مالك لا يرفع اليدين في شي من الصلاة قال
ابو القاسم لم ارى مالكا يرفع يديه عند الاحرام قال واحب الي ترك رفع اليدين عند
الاحرام قوله تعالى ان شانيك هو الابتر اي مبغضك وهو العاصي ابن وايل وكانت
العرب تسمي من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقي البنات ابتر فيقال ان العاصي
وقف مع النبي صلى الله عليه وسلم يكلمه فقال له جمع صناديد قريش مع من كنت واقفا قال
مع ذلك الابتر وقد كان توفي قبل ذلك عبد الله بن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان من خديجه فانزل الله جل ثناوه ان شانيك هو الابتر اي المقطوع ذكره من خير
الدنيا والاخره وذكر عكرمة عن ابن عباس قال كان اهل الجاهلية اذا مات ابن الرجل
قالوا ابتر فلان فلما مات ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ابو جهل الى اصحابه
فقالوا ابتر محمد فانزل الله جل ثناوه ان شانيك هو الابتر يعني ابا جهل وقال شمر بن
عطيه هو عقبة بن ابي معيط وقيل ان قريشا كانوا يقولون لمن مات له ولد ذكر قد
بتر فلان فلما مات لرسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه القاسم بمكه وابراهيم بالمدينه
قالوا بتر محمد فليس له من يقوم بامره من بعده فنزلت هذه الايه قاله السدي وابن
زيد وقيل انه جواب لقريش حين قالوا لكعب بن الاشرف لما قدم مكه نحن اصحاب السقايه
والسدانه والحجابه واللوا وانت سيد اهل المدينه فنحن خير ام هذا الصنبور المنبتر
من قومه قال كعب بل انتم خير فنزلت في كعب الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب
يومنون بالجبت والطاغوت الايه ونزلت في قريش ان شانيك هو الابتر قاله ابن
عباس وعكرمه وقيل ان الله عز وجل لما اوحى الى رسوله ودعا قريشا الى الايمان قالوا
انبتر منا محمد اي خالفنا وانقطع عنا فاخبر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
انهم هم المبتورون قاله ايضا عكرمه وشهر بن حوشب قال اهل اللغة الابتر من الرجال
الذي لا ولد له ومن الدواب الذي لا ذنب له وكل امر انقطع من الخير اثره فهو ابتر والبتر
القطع بترت الشي بترا قطعته قبل الاتمام والابتار الانقطاع والباتر السيف القاطع
والابتر المقطوع الذنب يقول منه بتر بالكسر يبتر بترا وفي الحديث ما هذه البترا وخطب
زياد خطبته البترا لانه لم يحمد الله فيها ولم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ابن السكيت
الابتران العير والعبد قال ابن السكيت الابتران العير والعبد وقال سميا ابترين لقلة خيرهما
وقد ابتره الله اي قد صيره ابتر ويقال رجل اباتر بالضم الذي يقطع رحمه الله قال الشاعر
لئيم نزت في انفه خنزوانه • على قطع ذي القربى احذ اباتر •
والبتريه فرقة من الزيديه نسبوا الى المغيرة بن زيد ولقبه الابتر واما الصنبور فلفظ
مشترك هو النخلة تبقى منفرده ويدق اصلها وينقشر يقال صنبر اسفل النخلة وقيل هو
الرجل الفرد الذي لا ولد له ولا اخ وقيل منبعث الحوض خاصه حكاه ابو عبيد وانشد
ما بين صنبور الى الازاء والصنبور قضبة يكون في الاداوه من حديد او رصاص
يشرب منها حكاه الجوهري رحمه الله والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

سورة الكافرون وهي مكية

في قول ابن مسعود وحذيفه في احد قولي ابن عباس وقتاده والضحاك وهي
ست ايات وفي الترمذي من حديث انس انها تعدل ثلث القران وفي كتاب الرد
لابن الانباري اخبرنا عبد الله بن ناجيه قال ثنا يوسف قال ثنا العقبي وابو نعيم
عن موسى بن وردان عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ايها
الكافرون تعدل ربع القران ورواه موقوفا عن انس قوله وخرج الحافظ ابو محمد
عبد الغني بن سعيد عن ابن عمر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه صلاة
الصبح في سفر فقرا قل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد ثم قال قرات بكم ثلث

القرآن و رتبه قال ثوابة لقد كنت عن كثير المال اذا سافرت ان اكون ابدهم هيبة
وأقلهم زادا فقد قرأتها صرت من احسنهم هيبة وأكرمهم زادا حيثما ارجع من سفري وذلك
وقال فروة بن نوفل الاشجعي قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال اقرأ عند
منامك قل يا ايها الكافرون فانها براءة من الشرك خرجه ابو بكر الانباري وغيره وقال بن
عباس ليس في القرآن اشد غيظا لابليس منها لانها توحيد وبراءة من الشرك وقال الاصمعي
كان يقال لقل يا ايها الكافرون وقل هو الله احد المقشقشتان اي انهما يبريان من النفاق
وقال ابو عبيدة كما يقشقش الهناء الجرب فيبريه وقال ابن السكيت يقال للقرح والجدري
اذا يبس وتقرف وفي الجرب للابل اذا قفل قد توسف جلده وتقشر جلده وتقشقش جلده

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى قل يا ايها الكافرون الايات ذكر ابن اسحاق وغيره عن بن عباس ان سبب
نزولها ان الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد المطلب وامية بن خلف
قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد ونشترك
نحن وانت في امرنا كله فان كان الذي جئت به خيرا مما بايدينا كنا قد شركناك فيه واخذنا
بحظنا منه وان كان الذي بايدينا خيرا مما بيدك كنت قد شركتنا في امرنا واخذت بحظك
منه فانزل الله عز وجل قل يا ايها الكافرون وقال ابو صالح عن بن عباس قالوا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم لو استلمت بعض هذه الالهة لصدقناك فنزل جبريل على النبي
صلى الله عليه وسلم بهذه السورة فيئسوا منه واذوه واذوا اصحابه والالف واللام ترجع
معنى المعهود وان كانت للجنس من حيث كانت صفة لاي لانها مخاطبة لمن سبق في علم
الله تعالى انه سيموت على كفره فهي من الخصوص الذي جاء بلفظ العموم ونحوه عن الماوردي
نزلت جوابا وعنى بالكافرين قوما معينين لا جميع الكافرين لان منهم من امن فعبد الله
ومنهم من مات او قتل على كفره وهم المخاطبون بهذا القول وهم المذكورون قال ابو بكر
الانباري وقرا من طعن في القرآن قل للذين كفروا لا اعبد ما تعبدون وزعم ان ذلك
هو الصواب وذلك افتراء على رب العالمين وتضعيف لمعنى هذه السورة وابطال
ما قصده الله من ان يذل نبيه للمشركين بخطابه اياهم بهذا الخطاب الزري والزامهم
ما يانف منه كل ذي لب وحجر وذلك ان الذي يدعيه من اللفظ الباطل قراءتنا تشتمل
عليه في المعنى وتزيد تاويلا ليس عندهم في باطلهم وتحريفهم فمعنى قراءتنا قل للذين
كفروا يا ايها الكافرون دليل صحة هذا ان العربي اذا قال لمخاطبه قل لزيد اقبل
الينا فمعناه قل لزيد يا زيد اقبل الينا فقراءتنا على كل ما عندهم وسقط من باطلهم
احسن لفظ وابلغ معنى اذ كان الرسول عليه السلام لا يعتمدهم في ناديهم حتى يقول
لهم يا ايها الكافرون وهو يعلم انهم يغضبون من ان ينسبوا الى الكفر ويدخلوا في
جملة اهله الا وهو محروس ممنوع من ان ينبسط عليه منهم يد او يقع به من جهتهم اذية
فمن لم يقرا قل يا ايها الكافرون كما انزلها الله اسقط آية لرسول الله صلى الله عليه وسلم
وسبيل اهل الاسلام ان لا يسارعوا الى مثلها ولا يعتمدوا ابنهم باختزال الفضل بل عنه
التي منحها الله اياه وشرفه بها واما وجه التكرير فقد قيل انه للتاكيد في قطع اطماعهم
كما تقول لا والله لا افعل كذا ثم والله لا افعله قال اكثر اهل المعاني نزل القرآن
بلسان العرب ومن مذاهبهم التكرار ارادة التاكيد والافهام كما ان من مذاهبهم
الاختصار ارادة التخفيف والايجاز لان خروج الخطيب والمتكلم من شيء الى شيء
اولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد قال الله تعالى فباي الاء ربكما تكذبان
ويل يومئذ للمكذبين وكلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون وان مع العسر يسرا ان مع
العسر يسرا كل هذا على التاكيد وقد يقول القائل ارم ارم اعجل اعجل ومنه قوله
عليه السلام في الحديث الصحيح فلا اذن ثم لا اذن انما فاطمة بضعة مني الحديث
خرجه مسلم وقال الشاعر ● هلا سألت جموع كندة ● يوم ولوا اينا ●

وقال الآخر ● يا اهل بكر انشروا لي كليبا ● يا اهل بكر اين اين الفرار ●
وقال آخر ● يا علقمة يا علقمة يا علقمة ● خير تميم كلها واكرمه ●
وقال آخر ● يا اقرع بن حابس يا اقرع ● انك ان يصرع اخوك تصرع ●
وقال آخر ● الا يا اسلمي ثم اسلمي ثمت اسلمي ● ثلاث تحيات وان لم تكلم ●
ومثله كثير وقيل هذا على مطابقة قولهم تعبد الهتنا ونعبد الاهك ثم تعبد الهتنا ونعبد
الاهك ثم تعبد الهتنا ونعبد الاهك فنجري على هذا ابدا سنة وسنة فاجيبوا عن كل ما قالوه
بضده اي ان هذا لا يكون ابدا قال ابن عباس قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم
نحن نعطيك من المال ما تكون به اغنى رجل بمكة ونزوجك من شئت ونطأ عقبك اي نمشي
خلفك وتكف عن شتم الهتنا فان لم تفعل فنحن نعرض عليك خصلة واحدة هي لنا ولك
صلاح تعبد الهتنا ونعبد الاهك فنزلت السورة فكان التكرار في لا اعبد ما تعبدون
لان القوم كرروا عليه مقالهم مرة بعد مرة والله اعلم وقيل انما كرر بمعنى التغليظ وقيل اي
لا اعبد الساعة ما تعبدون ولا انتم عابدون الساعة ما اعبد ثم قال ولا انا عابد في
المستقبل ما عبدتم ولا انتم في المستقبل عابدون ما اعبد قاله الاخفش والمبرد وقيل انهم
كانوا يعبدون الاوثان فاذا ملوا وثنا وسئموا العبادة له رفضوه ثم اخذوا وثنا غيره بشهوة
نفوسهم فاذا مروا بحجارة تعجبهم القوا هذه ورفعوا تلك ثم عظموها ونصبوها الهة يعبدونها
فامر عليه السلام ان يقول لهم لا اعبد ما تعبدون اليوم من هذه الالهة التي بين ايديكم
ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد انما تعبدون الوثن الذي اتخذتموه وهو عندكم الان
ولا انا عابد ما عبدتم اي بالامس من الالهة التي رفضتموها واقبلتم على هذه ولا انتم
عابدون ما اعبد في الاستقبال وقوله ولا انا عابد ما عبدتم على نفي العبادة لما عبدوا
في الماضي ثم قال ولا انتم عابدون ما اعبد على التكرير في اللفظ دون المعنى من قبل ان
التقابل يوجب ان يكون ولا انتم عابدون ما عبدت فعدل عن لفظ ما عبدت الى اعبد
اشعارا بان ما عبد في الماضي هو الذي يعبد في المستقبل مع ان الماضي والمستقبل قد
يقع احدهما موقع الاخر واكثر ما يكون ذلك في اخبار الله تعالى وقال ما اعبد ولم يقل من
اعبد ليقابل به ولا انا عابد ما عبدتم وهي اصنام واوثان ولا يصلح فيها الا ما دون
من فحمل الاول على الثاني ليتقابل الكلام ولا يتنافى وقد جاءت ما لمن يعقل ومنه قولهم
سبحان ما سخركن لنا وقيل ان معنى الايات وتقديرها قل يا ايها الكافرون لا اعبد
الاصنام التي تعبدون ولا انتم عابدون الله عز وجل الذي اعبده لاشراككم به واتخاذكم
الاصنام فان زعمتم انكم تعبدونه فانتم كاذبون لانكم تعبدونه مشركين فانا لا اعبد
ما تعبدون اي مثل عبادتكم فما مصدرية وكذلك ولا انتم عابدون ما اعبد مصدرية
ايضا معناه ولا انتم عابدون مثل عبادتي التي هي توحيد قوله تعالى لكم
دينكم ولي دين فيه معنى التهديد وهو كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم اي ان
رضيتم بدينكم فقد رضينا بديننا وقال كان هذا قبل الامر بالقتال فنسخ باية
السيف وقيل السورة كلها منسوخة وقيل ما نسخ منها شيء لانها خبر ومعنى لكم دينكم
اي جزاء دينكم ولي جزاء ديني وسمى دينهم دينا لانهم اعتقدوه وتولوه وقيل المعنى
لكم جزاؤكم ولي جزائي لان الدين الجزاء وفتح الياء من ولي دين نافع والبزي عن ابن كثير باختلاف
عنه وهشام عن ابن عامر وحفص عن عاصم واثبت الياء في ديني في الحالين نصر بن
عاصم ويعقوب قالوا لانها اسم مثل الكاف في دينكم والتاء في قمت الباقون بغير ياء
مثل قوله تعالى فهو يهدين واتقوا الله واطيعون ونحوه اكتفاء بالكسرة
واتباعا لخط المصحف فانه وقع فيه بغير ياء والله سبحانه وتعالى اعلم

سورة النصر وهي مدنية باجماع

وتسمى سورة التوديع وهي ثلاث ايات وهي اخر سورة نزلت جميعا قاله ابن عباس في صحيح
مسلم ● بسم الله الرحمن الرحيم ●

قوله تعالى اذا جاء نصر الله والفتح النصر المعونة ماخوذ من قولهم قد نصر الله الغيث اذا اعان على نباتها ومنع قحطها قال الشاعر

اذا انسلخ الشهر الحرام فودعي ٭ بلاد تميم وانصري ارض عامر

ويروى اذا دخل الشهر الحرام فجاوزي بلاد تميم وانصري ارض عامر يقال نصره على عدوه اي سال ان ينصره عليه وتناصروا نصر بعضهم بعضا ثم قيل المراد بهذا النصر نصر الرسول على قريش قاله الطبري وقيل نصره على من قاتله من الكفار وان عاقبة النصر كانت له واما الفتح فهو فتح مكة عن الحسن ومجاهد وغيرهما وقال ابن عباس وسعيد ابن جبير هو فتح المداين والقصور وقيل فتح سائر البلاد وقيل ما فتحه عليه من العلوم واذا بمعنى قد اي قد جاء نصر الله لان نزولها بعد الفتح ويمكن ان يكون معناه اذا يجيك قوله تعالى ورايت الناس اي العرب وغيرهم يدخلون في دين الله افواجا اي جماعات فوجا بعد فوج وذلك لما فتحت مكة قالت العرب اما اذ ظفر محمد باهل الحرم وقد كان الله اجارهم من اصحاب الفيل فليس لكم به يدان فكانوا يسلمون افواجا امة بعد امة قال الضحاك والامة اربعون رجلا وقال عكرمة ومقاتل اراد بالناس اهل اليمن وذلك انه ورد من اليمن سبعماية انسان مومنين طايعين بعضهم يوذنون وبعضهم يقرون القران وبعضهم يهللون فسر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وبكى عمر وابن عباس ويروى عكرمة عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قرا اذا جاء نصر الله والفتح وجاء اهل اليمن رقيقة افيدتهم لينة طباعهم سخية قلوبهم عظيم خشيتهم فدخلوا في دين الله افواجا وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاكم اهل اليمن هم اضعف قلوبا وارق افيدة الفقه يمان والحكمة يمانية ويروى انه صلى الله عليه وسلم قال اني لاجد نفس ربكم من قبل اليمن وفيه تاويلان احدهما انه الفرج لتتابع اسلامهم افواجا الثاني معناه ان الله تعالى نفس الكرب عن نبيه صلى الله عليه وسلم باهل اليمن وهم الانصار ويروى جابر ابن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون منه افواجا ذكره الماوردي ولفظ الثعلبي وقال ابو عمار حدثني جار لجابر قال سالني جابر عن حال الناس فاخبرته عن حال اختلافهم وفرقتهم فجعل يبكي ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الناس دخلوا في دين الله افواجا وسيخرجون من دين الله افواجا قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره اي اذا صليت فاكثر من ذلك وقيل معنى صل عن ابن عباس بحمد ربك اي حامدا له على ما اتاك من الظفر والفتح واستغفره اي سل الله المغفرة وقيل فسبح المراد به التنزيه اي نزهه عما لا يجوز عليه مع شكرك له وبالاستغفار مدا وحتى الذكر والاول اظهر روى الايمة واللفظ للبخاري عن عايشة رضي الله عنها قالت ما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة بعد اذ نزلت عليه سورة اذا جاء نصر الله والفتح الا يقول سبحانك ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي وعنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر ان يقول في ركوعه وسجوده سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لي يتاول القران وفي غير الصحيح وقالت ام سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم اخر امره لا يقوم ولا يقعد ولا يجي ولا يذهب الا قال سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه قال فاني امرت بها ثم قرا اذا جاء نصر الله والفتح الى اخرها وقال ابو هريرة اجتهد النبي صلى الله عليه وسلم بعد نزولها حتى تورمت قدماه ونحل جسمه وقل تبسمه وكثر بكاوه وقال عكرمة لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قط اشد اجتهادا في امر الاخرة ما كان عند نزولها وقال مقاتل لما نزلت قراها النبي صلى الله عليه وسلم على اصحابه ومنهم ابو بكر وعمر وسعد بن ابي وقاص ففرحوا واستبشروا وبكى العباس فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انه لكما تقول

فعاش بعدها ستين يوما ما رئي فيها ضاحكا مستبشرا وقيل نزلت في منى بعد ايام التشريق في حجة الوداع فبكى عمر والعباس فقيل لهما ان هذا يوم فرح فقالا بل فيه نعي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم صدقتما نعيت الي نفسي وفي البخاري وغيره عن ابن عباس قال كان عمر بن الخطاب يأذن لاهل بدر ويأذن لي معهم فوجد بعضهم من ذلك فقالوا يأذن لهذا الفتى معنا ومنا من هو مثله فقال لهم عمر انه من قد علمتم قال فاذن لهم ذات يوم واذن لي معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جاء نصر الله والفتح فقالوا امر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب اليه فقال ما تقول يا ابن عباس فقلت ليس كذلك ولكن الله اخبر نبيه بحضور اجله فقال اذا جاء نصر الله والفتح فذلك علامة موتك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر رضي الله عنه تلومونني عليه وفي البخاري فقال عمر ما اعلم منها الا ما تقول ورواه الترمذي قال كان عمر يسالني مع اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الرحمن ابن عوف اتساله ولنا بنون مثله فقال له عمر انه من حيث تعلم فساله عن هذه الاية اذا جاء نصر الله والفتح فقلت انما هو اجل رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلمه اياه وقرا السورة الى اخرها فقال له عمر والله لا اعلم منها الا ما تعلم قال هذا حديث حسن صحيح فان قيل فماذا يغفر للنبي صلى الله عليه وسلم حتى يومر بالاستغفار قيل له كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعايه رب اغفر لي خطيتي وجهلي واسرافي في امري كله وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت وما اعلنت وما اسررت انت المقدم وانت المؤخر انك على كل شي قدير وكان صلى الله عليه وسلم يستغفر لنفسه لعظم ما انعم الله عليه ويرى قصوره عن القيام بحق ذلك ذنوبا ويحتمل ان يكون بمعنى كن متعلقا سايلا راغبا متضرعا على رؤية التقصير في اداء الحقوق لئلا ينقطع الى رؤية الاعمال وقيل الاستغفار تعبد يجب اتيانه لا للمغفرة بل تعبدا وقيل ذلك تنبيه لامته لكي لا يامنوا ويتركوا الاستغفار وقيل واستغفره منك انه كان توابا اي على المسبحين والمستغفرين يتوب عليهم ويرحمهم ويقبل توبتهم واذا كان عليه السلام وهو معصوم يومر بالاستغفار فما الظن بغيره وروى مسلم عن عايشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر من قول سبحان الله وبحمده استغفر الله واتوب اليه فقال خبرني ربي اني سارى علامة في امتي فاذا رايتها اكثرت من قول سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله واتوب اليه فقد رايتها اذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا قال ابن عمر نزلت هذه السورة بمنى في حجة الوداع ثم نزلت اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فعاش بعدها النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين يوما ثم نزلت اية الكلالة فعاش بعدها خمسين ليلة ثم نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم فعاش بعدها خمسة وثلاثين يوما ثم نزلت واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فعاش بعدها احد وعشرين يوما وقال مقاتل سبعة ايام وقيل غير هذا مما تقدم في البقرة بيانه والله اعلم

سورة تبت مكية وهي خمس ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى تبت يدا ابي لهب فيه ثلاث مسايل الاولى قوله تعالى تبت يدا ابي لهب في الصحيحين وغيرهما واللفظ لمسلم عن ابن عباس قال لما نزلت وانذر عشيرتك الاقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم

حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا الذي يهتف قالوا محمد فاجتمعوا
اليه قال يا بني فلان يا بني فلان يا بني عبد مناف يا بني عبد المطلب فاجتمعوا
اليه فقال ارايتم لو اخبرتكم ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا
ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبا
لك اما جمعتنا الا لهذا ثم قام فنزلت هذه السورة تبت يدا ابي لهب وقد تب كذا قرا
الاعمش الى اخر السورة زاد الحميدي وغيره فلما سمعت امراته انه نزل في زوجها وفيها من
القران اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه ابو
بكر رضي الله عنه وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليه اخذ الله بصرها عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا ابا بكر فقالت يا ابا بكر ان صاحبك بلغني انه يهجوني
والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه والله اني لشاعرة •

• مذمما عصينا • وامره ابينا • ودينه قلينا •

ثم انصرفت فقال ابو بكر يا رسول الله اما تراها راتك قال ما راتني اخذ الله بصرها
عني وكانت قريش انما تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه وكان يقول
الا تعجبون لما صرف الله عني من اذى قريش يسبون ويهجون مذمما وانا محمد وقيل
ان سبب نزولها ما حكاه عبد الرحمن بن زيد ان ابا لهب اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال ماذا اعطى ان امنت بك يا محمد فقال كما يعطى المسلمون قال ما لي عليهم فضل
قال واي شي تبتغي قال تبا لهذا من دين ان اكون انا وهولاء سواء فانزل الله تعالى
فيه تبت يدا ابي لهب وتب وقول ثالث حكاه عبد الرحمن بن كيسان قال كان اذا
وفد على النبي صلى الله عليه وسلم وفد انطلق اليهم ابو لهب فيسالونه عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم ويقولون انت اعلم به منا فيقول لهم ابو لهب انه كذاب ساحر
فيرجعون عنه ولا يلقونه فاتى وفد ففعل معهم مثل ذلك فقالوا لا ننصرف حتى
نراه ونسمع كلامه فقال لهم ابو لهب انا لم نزل نعالجه فتبا له وتعسا فاخبر بذلك
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتاب لذلك فانزل الله عز وجل هذه تبت يدا ابي
لهب السورة وقيل ان ابا لهب اراد ان يرمي النبي صلى الله عليه وسلم بحجر فمنعه
الله من ذلك فانزل الله تعالى تبت يدا ابي لهب للمنع الذي وقع به ومعنى تبت
خسرت قاله قتادة وقيل خابت قاله ابن عباس وقيل ضلت قاله عطا وقيل
هلكت قاله ابن جبير وقال يمان بن رباب صفرت من كل خير حكى الاصمعي عن ابي
عمرو بن العلا انه لما قتل عثمان رحمه الله سمع الناس هاتفا يقول •

• لقد خلوك وانصرفوا • فما ابوا ولا رجعوا •

• ولم يوفوا بنذرهم • فيا تبا لما صنعوا •

وخص اليدين بالتبات لان العمل اكثر ما يكون بهما اي خسرتا وخسر هو وقيل
المراد باليدين نفسه وقد يعبر بالنفس من اليد كما قال تعالى ذلك بما قدمت يداك
اي نفسك وان الله الايه وهذا مهيع كلام العرب تعبر ببعض الشي عن كله تقول
اصابه يد الدهر ويد الرزايا والمنايا اي اصابه كل ذلك قال الشاعر •

• لما اكبت يد الرزايا • عليه نادى الا مجير •

وتب قال الفرا الاول دعا والثاني خبر كما تقول اهلكه الله وقد هلك
وفي قراة عبد الله وابي وقد تب وابو لهب اسمه عبد العزى وهو ابن عبد
المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وامراته العورا ام جميل اخت ابي سفيان بن
حرب وكلاهما كان شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم قال طارق بن
عبد الله المحاربي بينا انا بسوق ذي المجاز اذا انا بانسان يقول يا ايها الناس
قولوا لا اله الا الله تفلحوا واذا رجل خلفه يرميه قد ادمى ساقيه وعرقوبيه
ويقول ايها الناس انه كذاب فلا تصدقوه فقلت من هذا فقالوا محمد يزعم
انه نبي وهذا عمه ابو لهب يزعم انه كذاب وروي عن ابن عباس قال قال ابو لهب

سحركم

سحركم محمد ان احدنا لياكل الجذعة ويشرب العس من اللبن فلا يشبع وان محمدا قد اشبعكم
من فخذ شاة وارواكم من عس لبن   قوله تعالى ابي لهب قيل سمي باللهب لحسنه واشراق
وجهه وقد ظن قوم ان في ذلك دليل على تكنيه المشرك وهو باطل وانما كناه الله تعالى بابي لهب عند العلماء
لمعان اربعة   الاول انه كان اسمه عبد العزى والعزى صنم ولم يضف الله تعالى العبودية في كتابه
الى صنم   الثاني انه كان بكنيته اشهر منه باسمه فصرح بها   الثالث ان الاسم اشرف من الكنية
فحطه الله تعالى عن الاشرف الى الانقص اذ لم يكن بد من الاخبار عنه وكذلك دعا الله تعالى
الانبياء باسمائهم ولم يكن واحدا منهم ويدلك على شرف الاسم على الكنية ان الله تعالى يسمي ولا
يكنى وان كان ذلك لظهوره وبيانه استحالة نسبة الكنية اليه لتقدسه عنها   الرابع ان الله
تعالى اراد ان يحقق نسبه بان يدخله النار فيكون ابا لهب تحقيقا للنسب وامضاء للفال
والطيرة التي اختارها لنفسه وقيل اسمه كنيته وكان اهله يسمونه ابا لهب لتلهب وجهه و
حسنه فصرفهم الله تعالى عن ان تقولوا ابو نور وابو الضيا الذي هو المشترك بين المحبوب والمكروه
واجرى الله تعالى على السنتهم ان يضيفوه الى اللهب الذي هو مخصوص بالمكروه المذموم وهو
النار ثم تحقق ذلك ان تجعلها مقرة وقرا مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن
ابي لهب باسكان الهاء ولم يختلفوا في ذات لهب انها مفتوحة لانهم راعوا بها
روس الاي الثلاثة .   قال ابن عباس لما خلق الله عز وجل القلم قال له
اكتب ما هو كائن وكان فيما كتب تبت يدا ابي لهب وقال منصور سئل الحسن
عن قوله تعالى تبت يدا ابي لهب هل كان في ام الكتاب وهل كان ابو لهب
يستطيع ان لا يصلى النار فقال والله ما كان يستطيع الا يصلاها وانها لفي كتاب
الله من قبل ان يخلق ابو لهب وابواه ويؤيده قول موسى لادم عليهما السلام
انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك
ملايكته اغويت الناس واخرجتهم من الجنة قال ادم وانت موسى الذي
اصطفاك الله بكلامه واعطاك التوراة تلومني على امر كتب علي قبل ان يخلق الله
السموات والارض قال النبي صلى الله عليه وسلم فحج ادم موسى وقد تقدم
هذا وفي حديث همام عن ابي هريرة رضي الله عنه ان ادم قال لموسى بكم
وجدت الله كتب التوراة قبل ان يخلقني قال بالفي عام قال فهل وجدت فيها
وعصى ادم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على امر كتب الله علي ان افعله
من قبل ان اخلق بالفي عام فحج ادم موسى وفي حديث طاوس وابي هرمز
الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنه باربعين عاما .

Süleymaniye U. Kütüphanesi
Kısmı
Yeni Kayıt No.
Eski Kayıt No.
T.C.
İZNİK
HİSAR KÜTÜPHANESİ
SAYI
413

